

الدكتور كامل النجار

مقالات
الحوار المتمدن

المجموعة الكاملة

(وفق التسلسل الزمني لنشرها)

تعريف بالدكتور كامل النجار من موقع الحوار المتمدن

طبيب عربي يعملل استشاري جراحة بإنـﮕلترا. من هواة البحث في الأديان ومقارنتها بعضها البعض وعرضها على العقل لمعرفة مدى فائدتها أو ضررها على البشرية.
كان في صباه من جماعة الإخوان المسلمين حتى نهاية المرحلة الجامعية ثم هاجر إلى إنـﮕلترا وعاشر "أهل الكتاب" وزالت الغشاوة عن عينيه وتبين له الخيط الأبيض من الخيط الأسود من حقيقة الميثالوجيا الدينية.
الهدف الوحيد من كتاباتي هو تبيان الحقيقة لغيري من مغسولي الدماغ الذين ما زالوا في المرحلة التي مررت بها وتخطيتها عندما كنت شاباً يافعاً.
الموقع الفرعي في الحوار المتمدن http://www.ahewar.org/m.asp?i=1204

وفيما يلي تعريف بالدكتور كامل النجار بقلمه من مقالة واردة في المجموعة IV من مجموعة مقالاته المنشورة في ‹الحوار المتمدن›.

2009 / 5 / 10

156 - من هو كامل النجار

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=171443

ليس من الضروري للقاريء أن يرى صورة الكاتب أو يعرف تفاصيل حياته الشخصية ليحكم على ما يكتب، بل بالعكس، فإن نشر صورة الكاتب قد يأتي بنتائج غير مستحبة، فمثلاً نشر صورة فتاة جميلة تحت عنوان المقال تجذب القاريء الذكر إلى قراءة المقال ولكنها قد تقود إلى عدم التركيز على القراءة، وربما استحسان المقال وإن لم يكن بالضرورة حسناً. كما أن صورة تفضح قميء الكاتب قد تجعل القراء ينصرفون عن قراءة مقاله. ولو عرف القاريء الإسلامي، مثلاً، أن كاتب المقال شيوعي، فقد لا يقرأ المقال.
يجب أن يكون القاريء متأثراً فقط بمحتوى المقال، دون أن تكون بذهنه أي صورة للكاتب حتى يستطيع أن يحكم على ما يقرأ دون أي تأثيرات عاطفية. فمثلاً نحن نقرأ شعر الحطيئة والمتنبي وجرير والفرزدق، ونعجب به أيما إعجاب دون أن نرى صوراً تعرّفنا بهم. ويقال إن النعمان بن المنذر، ملك الحيرة، سمع الكثير عن المُعيدي الذي كان لصاً ظريفاً أصبح حديث المدينة لتفننه في التلصص وذيوع صيته بين الناس، فأرسل في طلبه. فلما قدم عليه المعيدي، استحقره النعمان لأنه كان دميم الخلقة، وقال:

"تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه"

فأصبحت مثلاً. ولكن المعيدي كان لبقاً وذكياً، فرد على المنذر بقوله:

أبيت اللعن! إن الرجال ليست بجزر تُجزر، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه[1].

فأفكار الكاتب التي تمثل قلبه، وأسلوب عرضه لأفكاره التي تمثل لسانه، هو كل ما يحتاجه القاريء.
ولكن منذ سنوات يعلق بعض القراء بأني قبطي، ويقول آخرون بأني صهيوني أو مأجور للصهاينة، وما إلى ذلك. وأظن أن أغلب القراء يعرفون أني **لا ديني، أي ملحد،** ولو قررتُ في يوم من الأيام أن اعتنق ديناً فسوف يشرفني أن أنتمي إلى الأقباط الذين عانوا الأمرين من عمرو بن العاص وجند الله الصحراويين وأحفادهم، وما زالوا يعانون، ومع ذلك هم مسالمون *لأن النص المقدس في المسيحية لا يحث على العنف والإرهاب، بل يحث على إدارة الخد الآخر لمن يصفعنا، بالعكس من النص المقدس الإسلامي الذي يغري مَن يرتكب العنف بجزاء وفير في جنة الفردوس.*
ما كنت لأكشف بعض المعلومات عن نفسي بعد أن امتنعت عن ذلك كل هذه السنين، لولا تعليق أحد الكتاب والذي كنت أعتقد حتى وقت قريب أنه كاتب موضوعي وعلماني لا يهتم بمعتقدات الآخرين. ولكنه أدهشني حيمنا قال بثقة العارف ببواطن الأمور:

إنه لا يستغرب هجوم كامل النجار على الإسلام لأن كامل النجار قبطي.

فهو جزم على شيء لا يعرفه، فهل يمكن أن نثق فيما يكتب؟

لسان الإنسان أو قلمه يفضح شخصيته أكثر مما تفعله الصورة الفوتوغرافية.

يقال أن أحد العلماء الكبار ببغداد كان ضريراً واعتاد أن يجلس في المسجد بعد صلاة العصر يعظ المستمعين له الذين يلقون عليه الأسئلة ويتحاورون معه. وفي يومٍ من الأيام كان بمجلسه والناس يتحدثون إليه، وفجأة صمتوا عندما دخل عليهم رجل وسيم يبدو عليه الوقار في ملبسه ومشيته. ولما طال صمتهم سأل العالم مَن كان بالقرب منه عن السبب وعلم بدخول الرجل الوقور. فقال العالم الضرير للزائر: **تحدث حتى أراك**.

فحديث الكاتب أو كتابته مقالاً يجعلنا نراه بوضوح أكثر مما تتيحه لنا الصورة.

ويذكرني تعليق ذلك الكاتب بقصة الإمام الشافعي الذي كان يعاني من الروماتزم بمفاصل ركبتيه، وكان عندما يجلس ليعظ الناس يمد إحدى رجليه بالتناوب. وفي يوم من الأيام دخل عليهم رجل يبدو عليه وقار العلم، فجمع الشافعي رجله الممدودة احتراماً لعلم الرجل. وعندما فتح الرجل فاه وتحدث، سأل الشافعي: متى تكون صلاة العشاء قضاءً؟ فرد عليه الشافعي بأن صلاة العشاء لا تكون قضاءً حتى مطلع الفجر. فقال له الرجل: وإذا لم يطلع الفجر؟ فقال الشافعي: لقد آن للشافعي أن يمد رجله.

على العموم، وحتى لا يتخبط المعلقون، فإن كامل النجار كان مسلماً في صغره وشبابه، وقد تربى في بيئة دينية وارتاد مدارس تحفيظ القرآن في الصغر، وأصبح عضواً بجماعة الإخوان المسلمين في المرحلتين الثانوية والجامعية. وبعد أن تخرّج في الجامعة طبيباً، ظل يحافظ على الصلاة والصيام. ثم رحل إلى إنـﮕلترا للتخصص في الجراحة، *فتبين له الفرق الواضح كالشمس بين نفاق وكذب المسلمين وغرورهم الأجوف بدينهم الذي يُحرّم التواصل مع غير المسلمين، بل يحثهم على العداء لهم، وبين لطف وحضارة الإنـﮕليز واحترامهم للمخالف*، تماماً كما قال الشيخ الوهابي عائض القرني حديثاً عندما ذهب إلى باريس للعلاج وأدهشه تهذب الفرنسيين واحترامهم له وبشاشتهم في وجهه.
تدريجياً بدأ كامل النجار يبتعد عن الإخوان المسلمين وعن الإسلام عامة.

---

[1] شرح ديوان ابن الفارض، للبوريني والنابلسي.

وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير هي الفترة التي قضاها بالمملكة العربية السعودية، عندما عمل جراحاً بها لعدد من السنين.

في السعودية لا يقوم الفرد المسلم بأداء الفرائض طواعيةً وحباً لدينه، إنما *خوفاً من المطوعين* الذين يجلدون ظهور الناس في الأسواق وقت الصلاة ويجبرون أصحاب المتاجر على إغلاقها حتى يحتشد الجميع في المساجد، خاصة يوم الجمعة، وكأنه يوم الحشر. وفي المسجد يصم آذان المصلين المجبرين، والمرضى بالمستشفيات وفي البيوت، صوت الإمام وهو يقرأ {**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**}. فهل هناك نفاق أكثر من هذا. رأى كامل بأم عينه رجلاً أوروبياً كان يدخن سيجارة في السوق في رمضان، وربما كان الرجل حديث العهد بقوانين المملكة وإلا لما تجرأ أن يدخن، وفي لحظات انهالت عليه عصي المطوعين الذين ظهروا في لحظات من حيث لم نحتسبهم. ويقولون لنا {**ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**}.
سمع النجار الملك خالد يتحدث في التلفزيون في الثمانينات من القرن المنصرم عندما بدأ شبح متلازمة نقص المناعة المكتسب (الايدز) يهدد العالم. فقال الملك خالد دون أن يطرف له جفن:

"الحمد لله احنا دينا وعاداتنا وتقاليدنا تحمينا من هذا المرض لأنه ما عندنا الممارسات التي تجلب المرض."

وكان طبعاً يعني اللواط. ولا أظن أن هناك شخصاً في العالم كله، ناهيك عن العالم العربي، لا يعرف مدى تفشي اللواط في المملكة وفي الخليج عامةً، وخاصةً سلطنة عُمان. وقد انتشر الايدز بالمملكة الآن بالرغم من مزاعم الملك. ورأى النجار الغش والخداع في المعاملات التجارية وخاصةً في حراج السيارات المستعملة. ورأى ما صنعوا بالمرأة السعودية رغم ترديد مقولة *إن الإسلام أكرم المرأة.*

كل هذا النفاق جعل كامل النجار يشك في وجود إله في السماء يمكن أن ينزل ديناً لحمه وسداه النفاق والتناقض بين القول والفعل. وكما قلت، كانت هذه هي القشة التي قصمت ظهر البعير، فتحول كامل النجار إلى ملحد ينكر وجود إله في السماء. وبالضرورة لم يعد النجار يؤمن بالإسلام ولا بالمسيحية ولا اليهودية، وطلّق تنظيم الإخوان المسلمين طلاقاً بائناً لا رجعة فيه.

متزوج وله أولاد لا يعتنقون أي دين، ولهم مطلق الحرية في الاعتقاد. فلا يهم كامل النجار معتَنق الإنسان بقدر ما يهمه سلوك ذلك الإنسان وحبه للغير وتسامحه مع المخالفين له، واعتناقه فلسفة: **عش واترك غيرك يعيش.**
صنّف كامل النجار ثلاثة كتب باللغة العربية وهي: دراسة منهجية للإسلام، والدولة الإسلامية بين النظرية والتطبيق، وتأملات في القرآن. نُشر الكتابان الأولان على الإنترنت وكذلك في نسخة ورقية. وصنّف كذلك كتاباً باللغة الإنكليزية عن الإسلام وعنوانه:

Islam –Misogyny & Intolerance

وبالعربية هو: الإسلام – كراهية النساء وعدم التسامح.
ويعمل كامل النجار حالياً إستشاري في الجراحة بإنگلترا. وهذا هو كامل باختصار.

التقاليد المتبعة من قبل منقح المقالات

1. استخدمتُ المَحَارف Character التالية:
   - گ، گ، گـ، گـ مقابل المحرف G (كما يُلفظ في كلمة Give الانـگـليزية، أو كلمة Grand الفرنسية).
   أمثلة: گـاسم (لا قاسم، ولا جاسم)، گـلوكوز Glucose (لا غلوكوز، ولا جلوكوز)، انـگـلترا England (لا انجلترا، ولا انغلترا، ولا انكلترا)، مونتـگـمري Montgomery (لا مونتغمري، ولا مونتجمري، ولا مونتكمري).
   - ڤ مقابل المحرف V.
   أمثلة: ڤـينوس Venus (وليس فينوس)، ڤـولتير Voltaire (وليس فولتير)، ڤـايروس أو ڤـيروس Virus (وليس فايروس أو فيروس).

2. استعملتُ قوالب Template موحدة في تمييز نصوص الاقتباسات عن نص الكاتب المحيط بها. كما يلي:
   ”نص مقتبس باستعمال الفونط تاهوما TAHOMA قياس 7 بنط POINT.“
   ”نص مقتبس باستعمال الفونط تايمس TIMES قياس 8 بنط POINT .“
   ”نص مقتبس باستعمال الفونط تايمس TIMES قياس 8 بنط POINT غامق BOLD .“
   ”نص مقتبس باستعمال الفونط تايمس TIMES قياس 8 بنط POINT مائل ITALIC .“
   ”نص مقتبس باستعمال الفونط تايمس TIMES قياس 8 بنط POINT مظلل باللون الرمادي.“
   ”نص مقتبس باستعمال الفونط تايمس TIMES قياس 8 بنط POINT محصور بين سطرين.“
   اقتباس نص ديني باستعمال الفونط تايمس Times قياس 8 بنط Point غامق Bold بين قوسين متبارزين، {قرآن، توراة، انجيل }، أو بين قوسين مربعين [للأحاديث الخاصة بمحمد].

3. عند ورود اقتباس ثانوي ضمن اقتباس أولي، فقد ميزت بين الأقواس الخاصة بكل اقتباس:
   «اقتباس أولي يرد فيه: ‹*اقتباس ثانوي*› لينتهي بالقوس».
   ”اقتباس أولي يرد فيه: ’اقتباس ثانوي‘ لينتهي بالقوس“.
   (اقتباس أولي يرد فيه: ’اقتباس ثانوي‘ لينتهي بالقوس).
   ”اقتباس أولي يرد فيه: {**اقتباس نص ديني**} لينتهي بالقوس“.
   ”اقتباس أولي يرد فيه: [**اقتباس حديث محمدي**] لينتهي بالقوس".

4. لم يتم التدخل أبداً في االنصوص المقتبسة لجهة تصحيح الأخطاء الإملائية أو التنسيقية، إلا فيما ندر واقتضته ضرورات توضيح النص المقتبس. والسبب أن المقتبَس يبقى على حاله لأنه يخص صاحبه فحسب ولا يحق للمنقح أو المنسق التدخل فيه لضرورة التقيد بأمانة النقل، ولما هو متبع علميا في آداب التعامل مع النصوص المقتبسة.

5. جميع الهوامش الواردة في أسفل الصفحات هي هوامش المؤلف، وقد تم الإشارة إليها في سياق النص برقم زهري اللون قياس 10 بنط Point **غامق Bold** مرتفع عن السطر Superscript. مثال [3].

6. جميع الهوامش الجانبية الواردة في الهوامش اليسرى للصفحات هي هوامش المنقح، وقد تم تمييز الإشارة إلى هذه الهوامش في سياق النص باستعمال الرمز † باللون الأحمر. وغالبا ما يأتي نص الهامش الجانبي ضمن *مربع نص Textbox* لتمييزه بصريا عن نص المقال.

7. ما يخص الفهرس الوارد في صدر كل مجموعة من المقالات، ففيه روابط تُحيل إلى مواقع المقالات دون الحاجة لذكر رقم الصفحة. يكفي النقر على رقم المقال للوصول إلي المقال مباشرة.

8. في نهاية كل مقال يجد القارئ عبارة ”عودة إلى الفهرس“ يكفي النقر عليها للعودة إلى فهرس المجموعة المعنية.

تم ترتيب المقالات في **مجموعات سنوية** وفق تسلسل ظهورها في موقع ‹الحوار المتمدن›. على أنه تم تجاوز هذه القاعدة في غالبية المجموعات حيث تم نقل بعض مقالات مجموعات سنوية معينة لضمها إلى مقالات مجموعة أخرى. والمعيار في ذلك وجود رابطة موضوعية تربط بين المنقول والمنقول إليه. مثلا تم نقل المقالات المتعلقة بيوسف القرضاوي من مجموعات مختلفة إلى المجموعة الأولى (لعام 2004 - 2006).

بقي أن اشير أن أية أخطاء واردة في المقالات لجهة التنسيق Formatting والترتيب (والإملاء أحياناً)، هي من مسؤولية المنقح ولا علاقة للمؤلف بها.

فهارس كامل المجموعات

فهرس المجموعة I

فهرس المجموعة II

فهرس المجموعة III

فهرس المجموعة IV

فهرس المجموعة V

فهرس المجموعة VI				
#	عنوان المقالة	العدد	تاريخ النشر	محور المقالة
245	تفجير كنيسة الإسكندرية ودموع التماسيح	3237	2011 / 1 / 5	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
246	الثعبان الإسلامي متعدد الرؤوس	3307	2011 / 3 / 16	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
247	مستقبل الثورات العربية	3333	2011 / 4 / 11	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
248	حوار مع الإسلاميين	3351	2011 / 4 / 30	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
249	حوار مع الإسلاميين 2	3373	2011 / 5 / 22	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
250	حوار مع الإسلاميين 3	3375	2011 / 5 / 24	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
252	الإسلاميون وتعاملهم مع النقد	3385	2011 / 6 / 3	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
251	ختان الذكور في الماضي والحاضر	3379	2011 / 5 / 28	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
253	لعنة آل سعود	3399	2011 / 6 / 17	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
254	أسئلة لم يتطرق لها المسلمون	3407	2011 / 6 / 25	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
255	ردود مفصلة عن الرضاع	3414	2011 / 7 / 2	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
256	متى ظهر الإسلام؟ 1-2	3422	2011 / 7 / 10	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
257	متى ظهر الإسلام 2-2	3433	2011 / 7 / 21	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
258	الرسم القرآني - بعض الإيضاحات	3464	2011 / 8 / 22	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
259	الإسلام فقط وماذا عن بقية الأديان؟	3500	2011 / 9 / 28	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
260	نقد الإسلام وتعقيبات القراء	3505	2011 / 10 / 3	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
261	حول الأقليات في العالم العربي	3511	2011 / 10 / 9	ملف حول قيام الدولة الفلسطينية و القضية الكردية وحقوق الأقليات وحقها في تقرير المصير في العالم العربي
262	لقد دمر الإسلام عقولنا	3517	2011 / 10 / 15	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
263	إعجاز قرآني أم تخاريف؟	3523	2011 / 10 / 22	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
264	ثورة ليبيا واغتيال القذافي	3527	2011 / 10 / 26	المجتمع المدني
265	اغتيال القذافي ونظرية المؤامرة	3529	2011 / 10 / 28	المجتمع المدني
268	أنواع المسلمين وكيف نتعامل معهم	3545	2011 / 11 / 13	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
269	إله القرآن يتوه في الجبال	3566	2011 / 12 / 4	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
272	إلى الجبال نعود مرة أخرى	3596	2012 / 1 / 3	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
270	هل علينا نقد الدين نقداً علمياً؟	3570	2011 / 12 / 8	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
271	شكراً للسيدة فرح نادر وللجميع	3588	2011 / 12 / 26	سيرة ذاتية

فهرس المجموعة VIII

الدكتور كامل النجار

مقالات
الحوار المتمدن

المجموعة I (2004 - 2006)

• المقال 1	2004
• المقالات 2 - 41	2006
• المقالات 85، 86، 87	2007
• المقالتان 94، 95	2008
• المقالات 101، 105، 107	2008
• المقال 150	2009
• المقالتان 266، 267	2011

#	عنوان المقالة	العدد	تاريخ النشر	محور المقالة
فهرس المجموعة I				
1	العرب...الإسلام...والإرهاب	973	2004 / 10 / 1	آخر الأخبار، المقالات والبيانات
2	الترابي ليس مرتداً	1533	2006 / 4 / 27	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
3	احتضار عيد العمال	1537	2006 / 5 / 1	ملف بمناسبة الأول من أيار 2006 - التغيرات الجارية على بنية الطبقة العاملة وحركتها النقابية والسياسية
4	مؤتمر مكة يُثبت أن الإسلام يدور حول الجنس	1538	2006 / 5 / 2	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
5	قد أخطأ الشيخ العبيكان	1544	2006 / 5 / 8	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
6	تعارض الدين مع العلم والمنطق	1549	2006 / 5 / 13	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
7	هل للجُبِ من قاع؟	1553	2006 / 5 / 17	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
8	آلهة من صفيح	1557	2006 / 5 / 21	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
9	النقيضان لا يجتمعان: الدين والعقل	1563	2006 / 5 / 27	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
10	القرآنيون ومحاولة تجميل صورة الإسلام	1569	2006 / 6 / 2	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
16	لقد أخطأ الشيخ نهرو طنطاوي	1592	2006 / 6 / 25	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
85	أحمد صبحي منصور ... وآفة الغرور 1-3	2126	2007 / 12 / 11	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
86	أحمد صبحي منصور .. وآفة الغرور 2-3	2128	2007 / 12 / 13	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
87	أحمد صبحي منصور.. وآفة الغرور 3-3	2131	2007 / 12 / 16	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
266	أهل القرآن يتخبطون في تأويله 1-2	3538	2011 / 11 / 6	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
267	أهل القرآن يتخبطون في تأويله 2-2	3541	2011 / 11 / 9	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
11	أيهما خلق الآخر: الإله أم الإنسان؟	1572	2006 / 6 / 5	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
12	الشيخ القرضاوي والتلاعب بالألفاظ	1575	2006 / 6 / 8	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
101	الشيخ القرضاوي وإنكار الحقائق المؤلمة	2235	2008 / 3 / 29	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
105	خداع وتناقضات القرضاوي 1	2258	2008 / 4 / 21	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
107	خداع وتناقضات القرضاوي 2	2265	2008 / 4 / 28	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
13	إله نرجسي وتخبطٌ في قصة الخلق	1581	2006 / 6 / 14	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
14	وعاظ السلاطين يبيعون السراب في المونديال	1586	2006 / 6 / 19	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
15	مزارع الخصيان والدجاج	1590	2006 / 6 / 23	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
17	الأزهر وأنصاف الحقائق	1606	2006 / 7 / 9	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
18	لا قيمة للإنسان عربياً كان أو مسلماً	1613	2006 / 7 / 16	مواضيع وأبحاث سياسية
19	سُحقاً للأديان	1619	2006 / 7 / 22	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
20	أمثلة من المنطق الأعرج في الخطاب الديني	1627	2006 / 7 / 30	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
21	المقدس ....ماهو ومن قدّسه؟	1635	2006 / 8 / 7	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
22	تعقيباً على أحمد صبري السيد علي 1-2	1638	2006 / 8 / 10	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
23	تعقيباً على أحمد صبري السيد علي 2-2	1640	2006 / 8 / 12	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
24	المسلمون والإسلام: كلاهما يُسفّه الحياة	1651	2006 / 8 / 23	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
25	تنبؤ القرآن	1657	2006 / 8 / 29	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
26	الحب..والجنس..والإسلام 1-2	1667	2006 / 9 / 8	العلاقات الجنسية والأسرية
27	الحب.. والجنس.. والإسلام 2-2	1669	2006 / 9 / 10	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
33	مفردات الجنس عند العرب	1732	2006 / 11 / 12	العلاقات الجنسية والاسرية
31	الإسلام يذل المرأة	1718	2006 / 10 / 29	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
34	أنثى موزعة الحقيقة بين الجاهلية والإسلام 1 -2	1737	2006 / 11 / 17	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
35	أنثى موزعة الحقيقة بين الجاهلية والإسلام 2-2 تعقيباً على عبد النور إدريس	1740	2006 / 11 / 20	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
28	ردود أفعال المسلمين على خطاب البابا بنيدكس السادس عشر	1677	2006 / 9 / 18	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
29	هل نصلب البابا أم نصلب المنطق لننصر النبي؟	1687	2006 / 9 / 28	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
30	أسماء الله الحسنى	1704	2006 / 10 / 15	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
32	أسطورة العدل الإلهي	1726	2006 / 11 / 6	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
36	الإسلام هو القاسم المشترك	1752	2006 / 12 / 2	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
37	هل يحق لرئيس جامعة الأزهر أن يفاخر	1757	2006 / 12 / 7	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
38	الإسلام والشبكة العنكبوتية	1761	2006 / 12 / 11	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
39	تغيير مهمة الإله	1766	2006 / 12 / 16	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
40	الأديان ليست سماوية	1770	2006 / 12 / 20	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
41	زغلول النجار والسموم الإسلامية	1778	2006 / 12 / 28	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
150	زغلول النجار وزرقاء اليمامة	2572	2009 / 3 / 1	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني

1 - العرب... الإسلام... والإرهاب

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=24242

1

"هل العرب مسلمون؟"

سؤال سأله الدكتور شاكر النابلسي في موقع "إيلاف" الإلكتروني يوم الجمعة 24 سبتمبر 2004، وأجاب عليه بما يفيد أن العرب ليسوا مسلمين ولا يطبقون تعاليم الإسلام.
ونفى الدكتور داء الإرهاب عن كل الشعوب الأخرى ما عدا العرب. ورغم احترامي الزائد للدكتور النابلسي أود أن أستميحه العذر في أن اختلف معه اختلافاً كاملاً فيما ذهب إليه.
وقبل الخوض في هذا الموضوع يجب أن نكون واضحين في تعريفنا للإرهاب، رغم صعوبة هذا التعريف. فتعريف الرئيس الأمريكي بوش للإرهاب يختلف عن تعريف "قاموس أكسفورد" الذي يقول:

"الإرهابي هو الشخص الذي يحاول نشر معتقداته وآرائه عن طريق إرعاب وتخويف الآخرين"

وأعتقد أن هذا التعريف يكفي لاحتواء أغلب الأعمال الإرهابية التي نراها اليوم.
واختلافي مع الدكتور يبدأ من الفقرة الأولى في مقاله، إذ قال:

"عندما جاء الإسلام إلى العرب قبل خمسة عشر قرناً، كان العرب في أشد الحاجة إليه. ولولا خوفهم من أن الدين الجديد سوف يهدد أمنهم ويقضي على تجارتهم والسياحة الدينية التي كانت تجلبها الأصنام لهم، ويثوّر عليهم العبيد والأجراء والمستخدمين والمعذبين في الأرض، وهو ما عبّر عنه القرآن بقوله: {**وقالوا إن نتبع معك الهدى نتخطف من أرضنا** (سورة القصص، آية 58)} لدخلوا في دين الله أفواجاً منذ اللحظة الأولى لظهور الإسلام، ولما بقي الرسول يدعوهم في مكة طيلة خمس عشرة سنة، دون أن يستطيع ادخال أكثر من 150 مسلماً فقط في الإسلام."

وهذا في رأيي افتراض لا يقبله الجميع. فالاكتساب من التجارة والسياحة الدينية لم يكن حرفة الغالبية العظمى من عرب الجزيرة إذ أن التجارة كانت محصورة في بعض بيوتات مكة وكانت سقاية الحجاج ورفادتهم في يد بني عبد الدار بن قصي بن كلاب، وكان هؤلاء فخذاً من قريش، أما بقية القبائل العربية فلم تكن التجارة تعنيهم أو تمنعهم من اتباع الدين الجديد. وعرب ما قبل الإسلام لم يكونوا في أمس الحاجة للإسلام لأن عرب الشمال والجنوب كانوا قد اعتقوا المسيحية، وقبائل الوسط كانوا راضين بأصنامهم وكانوا متسامحين في اعتقاداتهم بدليل أن الكعبة كان بها ثلاثمائة وستون صنماً، لكل قبيلة أصنامها، ولم يتحارب العرب يوماً بسبب أصنامهم.
قبائل البادية كانوا يغيرون على بعضهم البعض من باب الافتخار بالشجاعة ولكسب الغنائم من أنعام ونساء. وبعضهم كان يقطع الطريق على القوافل التجارية الرومانية والقرشية. ولكن لم يكن هناك قتل للآخر من أجل نصرة أحد الأصنام. والعرب المسيحيون لم يحاربوا غير المسيحيين لإدخالهم في المسيحية عنوةً. وعرب قريش الذين لم يعتنقوا الإسلام كانوا من أقرب الناس للرسول ولم يكونوا من أهل السقاية والرفادة، ولم تمنعهم تجارتهم من اعتناق الإسلام، ومنهم عم الرسول أبو طالب الذي مات كافراً وعمه العباس الذي حاربه في واقعة بدر ولم يُسلم إلا قبل أعوام بسيطة من موت الرسول، وزوج ابنته زينب الذي أسلم عام ثمانية هجري، وعمه أبو لهب وأبناء عمومته آل سفيان بن حرب وأغلب الحنيفيين الذين لم يروا جديداً في الإسلام. وحتى عندما فتح الرسول مكة قال أبو سفيان للعباس عم الرسول "أرى أن مُلك ابن أخيك قد اتسع" فالذي منع عرب مكة من اعتناق الإسلام هو عدم تصديقهم أنه دينٌ جديد.

ولم يظهر الإرهاب، بتعريفه السابق، في الوسط العربي إلا بعد ظهور الإسلام.

والإرهاب عموماً بدأ مع بداية الأديان السماوية. وأول بدايته كانت مع ظهور الديانة اليهودية إذ حث موسى أتباعه من بني إسرائيل على قتل كل القبائل غير اليهودية في فلسطين. فنجد إله التوراة يقول لموسى عندما أقام بنو إسرائيل في "شطيم" وأُعجب رجالهم بنساء مُواب وأحبوهن وسجدوا لآلهتهن:

{**فحمى غضب الرب على إسرائيل (4) فقال الرب لموسى: خذ جميع رؤوس الشعب وعلقهم للرب مقابل الشمس فيرتد حمو غضب الرب عن إسرائيل** (سفر العدد، الإصحاح 25)}.

وبعد أن قتل موسى رؤساء القوم وعلق رؤوسهم في الشمس، طلب منه الإله أن يعتبر جميع أهل مدين أعداء وعليه أن يقتلهم:

{**فَتَجَنَّدُوا عَلَى مِدْيَانَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ وَقَتَلُوا كُلَّ ذَكَرٍ(7). وَمُلُوكُ مِدْيَانَ قَتَلُوهُمْ فَوْقَ قَتْلاهُمْ. أَوِيَ وَرَاقِمَ وَصُورَ وَحُورَ وَرَابِعَ. خَمْسَةَ مُلُوكِ مِدْيَانَ. وَبَلْعَامَ بْنَ بَعُورَ قَتَلُوهُ بِالسَّيْفِ (8). وَسَبَى بَنُو إِسْرَائِيلَ نِسَاءَ مِدْيَانَ وَأَطْفَالَهُمْ وَنَهَبُوا جَمِيعَ بَهَائِمِهِمْ وَجَمِيعَ مَوَاشِيهِمْ وَكُلَّ أَمْلاكِهِمْ (9). وَأَحْرَقُوا جَمِيعَ مُدُنِهِمْ بِمَسَاكِنِهِمْ وَجَمِيعَ حُصُونِهِمْ بِالنَّارِ(10). وَأَخَذُوا كُلَّ الغَنِيمَةِ وَكُلَّ النَّهْبِ مِنَ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ (11) وَأَتُوا إِلى مُوسَى وَأَلِعَازَارَ الكَاهِنِ وَإِلى جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالسَّبْيِ وَالنَّهْبِ وَالغَنِيمَةِ إِلى المَحَلةِ إِلى عَرَبَاتِ مُوآبَ التِي عَلى أُرْدُنِّ أَرِيحَا (12)** (سفر العدد، الإصحاح 310)}

وعندما علم موسى أنهم لم يقتلوا النساء غضب عليهم غضباً شديداً:

{**فَسَخَطَ مُوسَى عَلَى وُكَلاءِ الجَيْشِ رُؤَسَاءِ الأُلُوفِ وَرُؤَسَاءِ المِئَاتِ القَادِمِينَ مِنْ جُنْدِ الحَرْبِ (14). وَقَال لهُمْ مُوسَى: «هَل أَبْقَيْتُمْ كُل أُنْثَى حَيَّةً؟ (15)** (نفس السفر ونفس الإصحاح)}

وأمرهم موسى أن يقتلوا كل طفلٍ ذكر وكل امرأة ضاجعت رجلاً وسمح لهم أن يحتفظوا بالعذارى لأنفسهم، فكان نصيبهم من العذارى 32000 عذراء. وفيما بعد تطور الإرهاب اليهودي حسب تطور الأزمان، فرأينا مناحم بيـگن وموشي دايان يفجران فندق الملك داود بالقدس ويقتلان عشرات الجنود الإنكليز داخل الفندق. ويستمر الإرهاب الإسرائيلي الآن بأن يستعمل الإسرائيليون العقاب الجماعي ضد الفلسطينيين وبهدم بيوت أهل "الإرهابيين" وتشريدهم .وكل هذا يحدث بإسم الدين لأن الله وعد اليهود أرض فلسطين. وطبعاً فكرة العقاب الجماعي نفسها مأخوذة من الدين اليهودي إذ كان الله يعاقب مجموعة من الناس بما فيهم الأطفال والنساء، بجريرة رجل واحد. فعندما اختلف بعض الناس، ومنهم مريم أخت هارون، وفورح بن يصهار، مع موسى، لم يتردد الإله من أن يخسف بهم الأرض، كما يخبرنا في سفر "العدد":

{قال الرب لموسى وهارون: إفترزا من بين هذه الجماعة فإني أفنيهم في لحظة. فخرا على وجهيهما وقالا: اللهم إله أرواح جميع البشر هل يخطئ رجلٌ واحد فتسخط على كل الجماعة؟ (سفر العدد، الإصحاح 16، الآيات 21-22)**}**

ولكن إله موسى كان غاضباً ولم يهتم لتوسلاتهما، وطلب منهما الانفصال عن الجماعة المحكوم عليها بالإعدام، فطلع فورح وداثان وإبرام ووقف داثان وإبرام مع نسائهما وبنيهما وأطفالهما أمام خيمتيهما:

{فلما فرغ من التكلم بكل هذا الكلام انشقت الأرض التي تحتهم وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل من كان لفورح مع كل الأموال. (سفر العدد، الإصحاح 16، الآيات 30-31)**}.**

وجاء الإسلام وردد قصصاً مثل قصة لوط وأضاف قصة صالح وقوم عاد، حيث عاقب الله الجميع وأخذهم بجريرة المذنب. فلأن رجلاً واحداً عقر ناقة صالح، أخذت الصيحة كل المدينة بأطفالها وحيواناتها.
وقد ذكر القرآن احتجاج موسى على هذا النوع من العقاب الجماعي إذ قال موسى لربه:

{أتؤاخذنا بما فعل السفهاء منا}

ولم يكتف الإسلام بتكرار القصص بل حث العرب على قتال غير المسلمين وفرض الآراء الجديدة عليهم:

{قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين.}
{قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون.}
{أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال.}
{كتب عليكم القتال وهو كره لكم.}
{واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم.}
{فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب.}

فأصبح قتل المخالف في الرأي والذي لا يعتنق أفكارنا شعاراً من شعائر الإسلام قتلنا من أجله الآلاف، إن لم نقل الملايين من النصارى واليهود والهنود والفرس والأوروبيين من إسبانيين وبلغار وغيرهم، عندما كان المسلمون أقوياء. ولما أصبح المسلمون ضعفاء في القرن العشرين، وأراد علماؤهم الدينيون إشعال الحماسة الدينية فيهم لإلحاق الهزيمة بالدول الأقوى منهم، كان لا بد من اللجوء إلى القرآن لاستنباط الآيات التي تجعل من ذلك شيئاً ممكناً، فوجدوا آيات الشهادة وعلموهم المتفجرات للتعويض عن ضعفهم إذ لم يعد عشرة صابرون بقادرين على الانتصار على ألف من المشركين:

{الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن فيكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين}.

2

يقول الدكتور:

"على العرب أن يعترفوا الآن بأنهم غير مسلمين، وأنهم أبرياء من الإسلام، والإسلام بريء منهم براءة الذئب من دم ابن يعقوب، حماية وصيانة لشرف الإسلام، ولكي يفوّتوا على الغرب اتهام "الإسلام العربي" بالارهاب، ولكي تبقى الحقيقة ساطعة وهي أن العرب - بعيداً عن الإسلام - هم الارهابيون، وليس الإسلام ورسالته الإنسانية التي لم تعرف الارهاب. فالمسلمون من غير العرب ليسوا ارهابيين. فالاتراك ليسوا ارهابيين، وكذلك الباكستانيون، والإندونيسيون، والماليزيون، والبنجلادشيون، وكافة مسلمي العالم. وما جرى في تركيا والباكستان وإندونيسيا ليس من فعل المسلمين الآسيويين ولكنه من فعل العرب المسلمين وبأموالهم وبتخطيطهم. فتركيا وشعوب آسيا المسلمة لم تعرف الارهاب قبل ظهور جماعة الإخوان المسلمين، وجناحها العريض والطويل: "القاعدة"، وقبل انتشار الغُربان الأفغان في العالم."

وما أبعد مقولة الدكتور عن الحقيقة. فالإرهاب والأديان السماوية صنوان.
حتى المسيحية التي لم تعرف العنف والإرهاب في نشر رسالتها في القرون الأولى، سخّر قساوستها بعض الآيات الإنجيلية مثل:

{لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلاَماً عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلاَماً بَلْ سَيْفاً. (سفر متى، الإصحاح 10، الآية 34)**}**

اتخذوا من هذه الآية ذريعة لشن الحروب الصليبية لإجبار الآخر على اعتناق المسيحية ولاسترجاع الأراضي المقدسة من المسلمين.
فالعرب لو كانوا غير مسلمين ربما لجأوا وربما لم يلجؤوا إلى الإرهاب، الذي لم يكن معروفاً لديهم قبل ظهور الإسلام. فالإرهاب أصبح كالعدوى التي تنتقل من شخص إلى آخر. فأول ظهور الإرهاب الحديث كان في الستينات، عندما كان الشباب مبهوراً بالأفكار الاشتراكية وأراد بعضهم تغيير نُظم الحكم في بلادهم، ابتداءً بألمانيا التي شهدت ظهور *عصابات ماينهوف* Meinhof المتطرفة التي لجأت إلى الاغتيالات والتفجيرات. ثم تبعتها منظمات *الألوية الحمراء* Brigate Rosse في إيطاليا[1] التي عانت من اغتيالاتهم وتفجيراتهم، وكان هناك *الجيش الأحمر الياباني* الذي مارس التفجيرات في اليابان ثم أخيراً نقلوا بضاعتهم الكاسدة إلى مطار "اللد" في إسرائيل وحاولوا تفجير المطار تعاطفاً مع الفلسطينيين الذين كانوا قد بدؤوا اختطاف الطائرات والتهديد بتفجيرها بما تحمل من ركاب أبرياء، رغم أنهم إسرائيليون، وقد يكون في إسرائيل أبرياء متعاطفون مع قضية الشعب الفلسطيني.. **فقول الدكتور إن المسلمين غير العرب ليسوا إرهابيين لا يمكن الموافقة عليه** إذ رأينا كيف فجّر الإسلاميون الأتراك الكنائس والسفارات ومعابد اليهود في إسطنبول، حتى بعد أن هرب الإرهابيون العرب بعد التفجيرات الأولى. وكيف فجّر المهندس الماليزي أزهري حسين وزميله نور الدين توب السفارة الأسترالية في جاكارتا، وكذلك فندق ماريوت الذي مات فيه اثنا عشر شخصاً وجُرح العشرات. وهما متهمان بتفجيرات الأندية الليلية في جزيرة بالي عام 2002 حين مات أكثر من مائتي شاب وشابة أغلبهم من أستراليا. وما زالت السلطات الإندونيسية تطارد عالم الدين أبو بكر باعشير قائد *الجماعة الإسلامية الإندونيسية* لاتهامهم إياه بالوقوف وراء هذه الأعمال الإرهابية.
وفي الفيلبين تطارد السلطات *جماعة أبو سيّاف* التي اتقنت فن اختطاف المصطافين الأجانب لتتقاضى الفدية من حكوماتهم وقد شجعهم القذافي، بطريقة غير مباشرة، بدفعه تعويضاً لهم لإطلاق سراح المخطوفين الأجانب. وفي تيمور الشرقية فجرت الجماعات الإسلامية الإندونيسية الكنائس وقتلت واغتصبت المسيحيين. وفي الهند أشعل المسلمون النار في قطار ليلي كان يحمل الحجاج السيخ الراجعين من مدينة أرمستار المقدسة بعد أداء شعائرهم الدينية، فقتلوا جميع مَن كان بالقطار، مما أدى إلى انتقام السيخ فحرقوا مساجد المسلمين.
وفي كاشمير يزرع المسلمون القنابل في الجانب الهندي ويهجمون على القرى الصغيرة فيقتلون جميع مَن بها.

[1] إن الألوية الحمراء بدأت كحركة شيوعية في إيطاليا سنة 1970، والجيش الأحمر الياباني Japanese Red Army تكون في اليابان من شباب شيوعيين كان هدفهم قلب النظام بالقوة، ثم تعاونوا مع جورج حبش في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وكونوا خلية في بيروت قامت بعملية مطار اللد في تل أبيب.

وماذا عن الأمريكي الذي أسلم فركب طائرة إلى أمريكا وكان يحمل في حذائه متفجرات حاول أن يفجر بها الطائرة، فسموه Shoe Bomber وماذا عن الأسترالي الأبيض الذي أسلم وذهب إلى أفغانستان وقابل بن لادن والظواهري ورجع إلى أستراليا مكلفاً تفجير السفارة الإسرائيلية بكانبرا؟ كل هؤلاء ليسوا عرباً ومع ذلك هم مسلمون ضالعون في الإرهاب.
وإذا نظرنا إلى الأديان غير السماوية مثل البوذية و والشنتية والهندوسية نجد أن التسامح واحتضان الغير منتشرٌ عندهم ولا نسمع بأي أعمال إرهابية عندهم إلا ما ندر، كما ذكرنا في اليابان في الستينات وحديثاً عندما حاولت مجموعة دينية قتل أكبر عدد من الناس في طوكيو بنشر غاز السارين في إحدى محطات المترو. والبلاد التي لا يدين أغلب سكانها بأي دين، مثل الصين وروسيا، لم تعرف إرهاب المدن إلا عندما بدأ *مسلمو الشيشان* بتفجير البنايات وتفخيخ السيارات. ولا شك أن الشيشان شعب مقهور مثله مثل الفلسطينيين، ولكن التفجيرات والإرهاب لن يكونا الحل لقضايا سياسية. وفي اعتقادي أن الأديان السماوية، خاصة اليهودية والإسلام، هي السبب الرئيسي لانتشار الإرهاب والعنف في العالم. **ويصعب على الإنسان أحياناً تصور كمية الحقد والكراهية التي تزرعها الأديان السماوية في أتباعها**. فإذا أخذنا مثلاً وصية رب موسى له في سفر التثنية، الإصحاح 13:

> **{فَضَرْباً تَضْرِبُ سُكَّانَ تِلكَ المَدِينَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ وَتُحَرِّمُهَا بِكُلِّ مَا فِيهَا مَعَ بَهَائِمِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ (15).تَجْمَعُ كُل أَمْتِعَتِهَا إِلى وَسَطِ سَاحَتِهَا وَتُحْرِقُ بِالنَّارِ المَدِينَةَ وَكُل أَمْتِعَتِهَا كَامِلةً لِلرَّبِّ إِلهِكَ فَتَكُونُ تَلاًّ إِلى الأَبَدِ لا تُبْنَى بَعْدُ (16). وَلا يَلتَصِقْ بِيَدِكَ شَيْءٌ مِنَ المُحَرَّمِ لِيَرْجِعَ الرَّبُّ مِنْ حُمُوِّ غَضَبِهِ وَيُعْطِيَكَ رَحْمَةً (17)}.**

نجد أن الرب لا يهدأ غضبة بقتل غير المؤمنين وقتل أطفالهم وبهائمهم، بل لا بد من حرق أمتعتهم ومدينتهم حتى لا تقوم لها قائمة أبداً.
ويصعب على الإنسان تخيّل كراهية للآخر أكثر من هذا. وكل هذا الحرق والدمار جاء لأن الآخر لا يعتنق نفس العقيدة. ولا أرى داعياً أن يعتذر العرب لتبييض وجه الإسلام في الغرب، فالغرب يعرف تعاليم الإسلام واليهودية جيداً، وأول من انتقد الإسلام كانوا رجالاً غربيين مثل نولدكه Theodor Nöldeke ومنتـگمري واط William Montgomery Watt وغيرهم.

عودة إلى الفهرس

2006 / 4 / 27

2 - الترابي ليس مرتداً

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=63234

مَن هو حسن الترابي؟ الدكتور حسن الترابي رجل تخطى السبعين من العمر وقد تخرج في جامعة الخرطوم، كلية القانون والشريعة ثم نال درجة الدكتوراه من جامعة السوربون في باريس وصار فيما بعد عميد كلية القانون بجامعة الخرطوم. وهو يجيد اللغة العربية والانـگليزية والفرنسية. وقد انضم الترابي إلى *تنظيم الأخوان المسلمين* عندما كان طالباً وظل يتدرج في التنظيم إلى أن أصبح زعيم الجماعة بالسودان. فالرجل متشبع بالإسلام منذ صغره ومتبحر في القانون الشرعي والمدني. وعندما يتحدث رجل مثل الترابي، قضى جل عمره في دراسة وتدريس الإسلام، عن الإسلام، يجب أن تناقشه العقول نقاشاً فكرياً بدل رميه بتهمة **الزندقة** التي رموا بها *المعتزلة والقدرية* وغيرهم من المفكرين مثل الراوندي والجعد بن جهم قبل آلاف السنين. *ولكن للأسف فهناك عقول تحجب العمائم عنها ضوء العلم كما تحجب أشعة الشمس عن الوصول إلى تلك الرؤوس الخاوية*. هذه العمائم التي تسمي نفسها "**الرابطة الشرعية للعلماء والدعاة بالسودان**" بقيادة الشيخ الأمين الحاج محمد، صاحب موقع "الدين النصيحة" http://www.islamadvice.com. والذي عمل بالسعودية مدرساً في اللغة العربية لمدة أربع وعشرين سنةً، رفعت عريضة لرئيس الجمهورية بالسودان تطالبه بتطبيق **حد الردة** على د. الترابي إن لم يتب عما قال.

- وذكرت هذه المجموعة في بيانها للناس الأسباب التي دعتهم إلى الحكم بردة الترابي، وقالت في أول البيان:

"وصلى الله وسلم وبارك على رسوله الذي حذر من الدجاجلة وأخبر بخروجهم، فقال: [**لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذاباً دجالاً**]." انتهى.

و ‹معجم المنجد› يقول عن الدجّال:

"هو ماء الذهب وجمعها دجالون ودجاجلة: الكذاب تشبيهاً بماء الذهب لأنه يُظهر خلاف ما يُبطن" انتهى.

- و د. الترابي لا ينطبق عليه هذا الوصف إذ أنه أعلن ما أغضب هذه الجماعة ولم يبطنه، وظل يقول به منذ الستينات، كما تقول المجموعة نفسها في عريضتها:

"ما فتئ د. الترابي منذ الستينات يردد ويجتر أقوالاً شاذة، وأفكاراً ضالة، يفتري فيها الكذب على الله، ورسوله، ودينه، يلبس ويدلس بها على الناس، تصب كلها في معين واحد، وهو *السعي إلى تبديل الدين وتطويعه حتى يساير ما عليه الكفار اليوم*. عندما نبذه قومه، وعُزل من السلطة وهو من هواتها، جُن جنونه، فَفَجَر في خصومته، ورفع عقيرته، وأبدى ما كان يخفيه من قبل، تزلفاً للكفار، وخطباً لود الأسياد، فكانت النتيجة هذيانه في ندوة بورتسودان، وفي مقابلة قناة العربية، وندوة حزب الأمة الإصلاح، وما تطفح به صحيفة "رأي الشعب" من الضلال المبين والقول المشين" انتهى.

فالمجموعة تقول إنه ظل يقول بهذه الأقوال منذ الستينات، **فكيف يكون دجالاً يُظهر شيئاً ويبطن غيره؟** هذه المجموعة التي لا تعي ما تقول تريد أن تحكم بردة د. الترابي.

- واستمرت هذه المجموعة في تخبطها وعدم فهمها اللغة العربية، فقالت:

"لهذا وغيره تعين على أهل العلم في هذا البلد خاصة، وفي غيره من دار الإسلام، أن يبينوا حكم الشرع فيما صدر منه، عملاً بالميثاق الذي أخذ عليهم: {**وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ**}" انتهى.

وواضح من الآية أن الله كان يخاطب النبيين وأخذ ميثاقهم على أن يؤمنوا بمن جاء بعدهم من الأنبياء، **والآية لا تخاطب عامة المسلمين كما تزعم هذه المجموعة**. يقول القرطبي في تفسير هذه الآية:

{قيل أخذ الله تعالى ميثاق الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضاً ويأمر بعضهم بالإيمان بعضاً، فذلك معنى النصرة بالتصديق. وهذا قول سعيد بن جبير وقتادة وطاوس والسدي والحسن. وهو ظاهر الآية. قال طاوس: أخذ الله ميثاق الأول من الأنبياء أن يؤمن بما جاء به الآخر} انتهى.

- وتستمر العريضة فتقول:

"وخشية من الوعيد الصادر من الصادق الحبيب صلى الله عليه وسلم: [**من سُئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة**]." انتهى.

ولم تقل لنا المجموعة **مَن الذي سألهم عن العلم وخافوا أن يكتموه** فيلجمهم الله بلجام من نار. وأين هو هذا العلم الذي تخاف المجموعة من كتمانه؟

- ثم تقفز المجموعة إلى إصدار الحكم على د. الترابي دون الاستماع إلى أقواله ودون مناقشته فيما قال، وبذا تكون المجموعة قد كونت من نفسها محكمة حكمت على الترابي غيابياً، فقالت:

"وحيث لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، فقد صدر هذا البيان، وحرر هذا الحكم، تبرئة للذمة، ونصحاً للأمة، "أن الترابي كافر مرتد"، ما لم يتب عن جميع تلك الأقوال، ويعلن توبته على الملأ مفصلة، يتنصل فيها ويتبرأ عن كل ما صدر منه أمام طائفة من أهل العلم، بحكم قوله تعالى: {**إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ**}، فأهل الأهواء لا تقبل لهم توبة إلا إذا أعلنوها وأشهدوا عليها، وإن كان الزنديق لا تقبل له توبة في الدنيا في أرجح قولي العلماء" انتهى.

ويبدو أن هؤلاء العلماء الذين يخافون الله لا يريدون أن يتأخر إعلانهم بالحكم على الترابي فتبرأ ذمتهم بهذه العجلة في الحكم. فقد دفعهم حبهم لله أن يتولوا عنه مشيئته، *فقالوا إن الزنديق لا تقبل توبته*، رغم أن الله يقول في القرآن:

{**ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم.** (آل عمران، 129)}.

وقال كذلك:

{**إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.** (النساء 48)}.

والترابي *لم يشرك بالله* إنما اجتهد في تفسير بعض آيات القرآن، فكيف يحرمونه من التوبة والغفران والله يقول إنه يغفر كل شيء ما عدا الشرك؟

- ثم ادعت المجموعة أن الترابي قد أنكر ما هو **معروف من الدين بالضرورة** ولذلك ارتد عن الإسلام، فقالت:

"ومنكِرٌ ما هو معلوم من الدين ضرورة كفره لا يختلف فيه اثنان، إذا توفرت الأسباب وانتفت الموانع، كحال الترابي، فهو بالغ، عاقل، عالم بما يقول، بل مدعٍ للاجتهاد وكاسر لبابه" انتهى.

فإن الذي يجتهد يكون قد كسر باب الاجتهاد الذي أوصده **فقهاء البصرة** في القرن الثاني عشر الميلادي، حسب ما تقول هذه المجموعة.

- والأسباب التي أدت إلى الحكم بالردة هي:

1. إباحته للردة، وزعمه أن سلمان رشدي ليس كافراً، رداً لقوله تعالى: {**وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**}، وقوله صلى الله عليه وسلم: [من بدّل دينه فاقتلوه]، ولقوله: [**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث**]، وذكر منها: [**التارك لدينه المفارق للجماعة**]، ولإجماع الأمة.

فإذا سألنا هذه المجموعة التي ربما لم يقرأ واحد منهم كتاب سلمان رشدي: بأي شيء كفر سلمان رشدي؟ هل أنكر الشهادة أو أشرك بالله؟ كونه كتب رواية وملأها بما احتوته **كتب السيرة** لا يجعله كافراً. ثم حتى لو أقررنا بأن هناك شيئاً في كتابه قد يبرر قول بعضهم بردته، فهل إذا أختلف معهم الترابي وقال إنه لم يرتد، يصبح الترابي مرتداً بقوله هذا؟ أما الآية التي ذكروها من سورة البقرة فلا تدل على أن الترابي قد ارتد ولا حتى سلمان رشدي إذ أن سلمان رشدي لم يعلن أنه ارتد عن الإسلام وما عُقدت له محكمة أدانته بالردة. كل ما في الأمر أن الخميني أفتى بردته دون أن يقرأ الكتاب ليتأكد بنفسه. أما الحديثان المذكوران فهما حديثان *متفق عليهما* وليسا *مرفوعين*[1]. ثم إن الحديثين يقولان اقتلوا من ارتد

بينما يقول القرآن صراحةً:

{**يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين.** (المائدة 54)}.

ويقول كذلك:

{**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون.** (المائدة 105)}.

ويقول:

{**ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة ولهم عذاب عظيم.** (آل عمران 176)}.

وأخيراً يقول:

{**إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا.** (النساء)}.

فالقرآن هنا لا يذكر شيئاً عن قتل المرتد، **فأي فقيه هذا الذي ينسخ القرآن بأحاديث معنعنة ومتفق عليها فقط. والقاعدة في علم الحديث أن الحديث إذا تعارض مع صريح القرآن لا يُعتمد.**

2. رفعه الكفر عن اليهود والنصارى الحاليين، رداً لقوله: {**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ**}، ولقوله: {**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ**}، ولقوله: {**لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ**}.

ونرد على هؤلاء بأن نذكرهم:

بقول الله:

{**ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون. يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين.** (آل عمران 114)}.

وكذلك:

{**إن من أهل الكتاب من يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب.** (آل عمران 199)}.

وكذلك:

{**ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون.** (الأعراف 159)}.

ثم قال:

{**إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.** (البقرة 62)}. وكرر نفس الآية في سورة الحج.

فأهل الكتاب يومنون بالله ويعملون صالحاً اكثر مما يعمل أعضاء هذه الجماعة الذين حكموا بردة الترابي. فأهل الكتاب هم الذين يهبون إلى مساعدة المنكوبين في الكوارث الطبيعية وهم الذين يطعمون الجائع. ألم يطعم الرئيس الأمريكي ريـگـان Regan أهل السودان في الثمانينات عندما كادت أن تهلكهم المجاعات؟ ألم يضحي المغني الانـگـليزي بوب جلدوف بوقته وماله لإحياء حفلات غنائية لجمع التبرعات لمنكوبي المجاعة في إريتريا والصومال والحبشة عندما سدت مجموعتهم آذانها عن صياح الجوعى؟ أليس من حق الترابي أن يرفع الكفر عنهم وقد رفعه الله في صريح كتابه؟ وعندما قال القرآن: {**إن الذين كفروا من أهل الكتاب**} قصد بهم اليهود الذين عاصروا ظهور عيسى بن مريم الذي جاء ليكمل لهم رسالتهم وكفروا به.

3. انتقاصه للرسل والأنبياء، والنيل منهم، نحو زعمه:

3.1. أن إبراهيم عليه السلام كان شاكاً، وكان يعبد الكواكب قبل البعثة.

3.2. يردد كثيراً: ‹ضلال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم›.

3.3. وأن يونس عليه السلام شرد، وأنه كان مغاضباً لربه.

رداً لكثير من الآيات والأحاديث التي حضت على تعظيم الأنبياء، كقوله تعالى: {**وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ**}، {**وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ**}.

وربما نسي هؤلاء أو تناسوا أن إبراهيم قال لله:

{**وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي.** (البقرة 260)}.

[1] الحديث المرفوع: هو الحديث الذي يصل إسناده إلى شخص قد سمع محمد بنفسه يقول ذلك الحديث؛ أي أن الحديث يصل درجة عالية من التوثيق في النقل.

فإبراهيم نفسه يقول إن قلبه لم يكن مطمئناً ولذلك طلب من الله أن يريه كيف يحيي الموتى.
ثم أن الله نفسه يقول للنبي محمد:

{الحق من ربك فلا تكونن من الممترين. (البقرة 147)}

والممترون هم الشاكون.
وكرر الله الوصية لنبيه كذلك في آل عمران 60 وفي الأنعام 114.
فإذاً كل الأنبياء يداخلهم الشك ويطمئنهم ربهم. فهل في هذا القول ارتداد؟
أما عن ضلال الرسول محمد فقد عاتبه الله عندما *عبس وتولى عن* ابن أم مكتوم الأعمى، فإذا عاتبه الله فلا بد أن يكون قد ضل.
وماذا عن أول الأنبياء آدم عندما قال الله عنه:

{وعصى آدم ربه فغوى (طه 121)**}**.

والرسول محمد بشر يخطئ كما يخطئ بقية البشر، وقد كرر القرآن مراراً أن الأنبياء بما فيهم محمد، بشر مثلنا.
وأما قصة يونس قد حكتها التوراة وقالت إنه هرب في المركب عندما طلب منه الله أن يذهب إلى مدينة بعينها، ولذلك أغرقه الله وجعل الحوت يبتلعه.
أما الآية التي أوردوها عن التوقير فآية ناقصة وقد أخرجوها عن سياقها. فالآية تكمل ما قبلها
حيث تقول الآية 8 من سورة الفتح:

{إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا}

ثم الآية 9 تقول:

{لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا}

فالآيات هنا تخاطب الرسول وتقول له إنا أرسلناك لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروا الله وتوقروه وتسبحوا له، *ولم تقل لتوقروا النبي*.

4. زعمه أن حواء أول الخلق وليس آدم عليهما السلام، منافقة للنساء، ورداً لقوله تعالى: **{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا}**.

والآيتين من سورة البقرة لا يدلان على أن آدم خُلق أولاً. فقوله: {**إني جاعل في الأرض خليفة**} لا تعني أن الخليفة بالضرورة رجل، فقد يكون الخليفة امرأةً. فكون الترابي اجتهد في تفسير الآية لا يعني أنه ارتد عن الإسلام.

5. أن أصل الإنسان قرد، رداً لما عليه أهل الإسلام.

وأحب أن أؤكد للسادة المشايخ أن الإنسان أصله قرد وأن العلم الحديث أثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن **جينات** Gene† القرد الشمبانزي Chimpanzee Ape وجينات الإنسان تتطابق في ما لا يقل عن 98 بالمائة منها. وكل الحفريات أظهرت هياكل الإنسان الأول الذي عاش قبل مئات الآلاف من السنين قبل أن يخلق الله آدم قبل خمسة آلاف سنة كما يقولون، كل هذه الهياكل اثبتت أن الإنسان كان يمشي على أربعة ثم صار كالقرد له ذراعان طويلان ثم استقام وأصبح إنساناً. فالترابي، لأنه لم يحصر نفسه في دراسة الفقه والقرآن فقط، اقتنع أن الإنسان أصله من القرد. والاعتراف بالحقيقة ليس ارتداداً.

6. إنكاره لنزول عيسى عليه السلام، رداً لقوله تعالى: **{وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (النساء 159)}** ، وللعديد من الأحاديث التي تواترت تواتراً معنوياً.

ويبدو أن هذه المجموعة من الشيوخ **تُخفي الآيات القرآنية التي لا توافق ما ذهبوا إليه**.
فماذا يقولون عن الآية:

{إذ قال يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة. (آل عمران 55)**}**.

ألم يقل الله لعيسى إنه متوفيه قبل أن يرفعه إليه.
وماذا عن الآية التي يخاطب فيها عيسى بن مريم الله فيقول:

{ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنتُ عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد. (المائدة 117)**}**.

فواضح أن الله قد توفاه فإذا اختلف الناس في تفسير الآيات لا يعني هذا أنهم ارتدوا عن الإسلام. فإذا كانت آيات القرآن نفسها *مليئة بالمتناقضات*، فليس على الناس ذنب في الاختلاف في تفاسيرها.

7. رده لكثير من الأحاديث التي تلقتها الأمة بالقبول، نحو **حديث الذباب**††، حيث قال: *'إنه يأخذ فيه برأي الطبيب الكافر، ولا يأخذ فيه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يسأل عنه عالم الدين'*، تكذيباً للرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر

والترابي محق فيما ذهب إليه أن الذباب لا يحمل إلا القاذورات والأمراض وليس به أي نفع كما أثبت العلم الحديث. **وقد نفهم أن يؤلهوا النبي ولا يقبلوا تكذيبه، أما أن يؤلهوا أبا هريرة ورواة الحديث الآخرين فأمر شاذ**. والترابي هنا لم يكذب الرسول وإنما كذّب الذين نقلوا عنه مثل هذا الحديث الذي يطير في وجه الحقائق العلمية.

إفتحوا عيونكم إن كانت عقولكم محجوبة، وانظروا أين يحط الذباب قبل أن يقع في شرابكم.

8. إنكاره لفضل الذكر على الأنثى، رداً لقوله تعالى: **{وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى}**، ولقوله صلى الله عليه وسلم: **[كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع]**، وزعمه أن المرأة مساوية للرجل، بل هي أفضل من الرجل لأنها تحمل.

مرة أخرى *يتلاعب الشيوخ بالنص القرآني لخداع الناس* أن الله قال: {**وليس الذكر كالأنثى**} وهذا القول خاطئ، فجملة {**ليس الذكر كالأنثى**} جملة اعتراضية قالتها أم مريم عندما وضعتها وكانت قد نذرت ولدها لخدمة الله. والجملة ليست من قول الله.
يقول القرطبي في تفسيره:

† الجينات جمع 'جين'. و**الجين** Gene هو ‹الوحدة الأساسية للوراثة البيولوجية، عند الكائنات الحية، القادرة على نقل الخصائص الوراثية للأفراد من جيل إلى آخر.
ويتكون الجين من مجموعة من الحموض الحيوية التي تصطف بتسلسل محدد وتشغل موضعا ثابتا على الكروموزوم (= الجسم الصبغي أو اختصارا الصبغي) الحامل للجين.›

Microsoft® Encarta® 2009.

†† حديث الذباب:
[إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء.]
صحيح البخاري، وصحيح بن حيان، وسنن الدارمي، وصحيح ابن خزيمة، وسنن أبي ماجة، وسنن النسائي، وأبو داود، وغيرهم.

”وهذه الصالحة إنما قصدت بكلامها ما تشهد له به بينة حالها وقطع كلامها، فإنها نذرت خدمة المسجد في ولدها فلما رأته أنثى لا تصلح وأنها عورة، اعتذرت إلى ربها من وجودها لها على خلاف ما قصدته فيها“.

والطبري أكثر أيضاحاً هنا إذ يقول:

”فتأويل الكلام إذاً: والله أعلم من كل خلقه بما وضعت. ثم رجع جل ذكره إلى الخبر عن قولها وأنها قالت اعتذاراً إلى ربها مما كانت نذرت في حملها فحررته لخدمة ربها {وليس الذكر كالأنثى} لأن الذكر أقوى على الخدمة“ انتهى.

فإذاً شبه الجملة التي أوردوها {وليس الذكر كالأنثى} هي من كلام زوجة عمران. وسبب قولها هو أن الذكر أقوى جسداً وأصلح للخدمة. وهذا لا يعني أن المرأة والرجل غير متساويين في الأشياء الأخرى غير الجسدية.

9. إباحته للمرأة أن تلي الإمامة الكبرى والقضاء، والوزارة، ونحوها، وأن تؤم الرجال في الصلاة، رداً لقوله تعالى: **{الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ}**، ولقوله صلى الله عليه وسلم: **[لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة]**.

والشيوخ لا شك يعرفون أن قوامة الرجل على المرأة تعني الإنفاق عليها لأنها تشتغل بتربية الأطفال ولا تستطيع دائماً الكسب من العمل لتعول نفسها، ولا تعني أنهم أحسن من النساء، *إنما القوامة أعطيت لهم بما أنفقوا من أموالهم*، كما تقول الآية.
أما إمامة المرأة للرجال فأمر مختلف عليه ومن حق الترابي أن يختار أي رأي مما قال به أهل التفسير.
فالإمام ابن رشد القرطبي يقول:

”اختلفوا في إمامة المرأة، فالجمهور على أنه لا يجوز أن تؤم الرجال واختلفوا في إمامتها النساء، فأجاز ذلك الشافعي، ومنع ذلك مالك وشذ أبو ثور والطبري، فأجازا إمامتها على الإطلاق، وإنما اتفق الجمهور على منعها أن تؤم الرجال، لأنه لو كان جائزا لنقل ذلك عن الصدر الأول، ولأنه أيضا لما كانت سنتهن في الصلاة التأخير عن الرجال علم أنه ليس يجوز لهن التقدم عليهم، لقوله عليه الصلاة والسلام [أخروهن حيث أخرهن الله] ولذلك أجاز بعضهم إمامتها النساء إذ كن متساويات في المرتبة في الصلاة، مع أنه أيضا نقل ذلك عن بعض الصدر الأول، ومن أجاز إمامتها فإنما ذهب إلى ما رواه أبو داود من حديث أم ورقة [أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزورها في بيتها وجعل لها مؤذنا يؤذن لها، وأمرها أن تؤم أهل دارها] وفي هذا الباب مسائل كثيرة أعني من اختلافهم في الصفات المشترطة في الإمام تركنا ذكرها لكونها مسكوتا عنها في الشرع. قال القاضي: وقصدنا في هذا الكتاب إنما هو ذكر المسائل المسموعة أو ماله تعلق قريب بالمسموع“[2].

فإذا كان الترابي قد ارتد بهذا القول، فقد أرتد أبو ثور وارتد الإمام الطبري كذلك. فهل يحكم الشيوخ بردتهم؟ ثم ماذا عن الإمام ابن الجوزي الذي قال في كتابه "أحكام النساء":
”وتصح إمامة المرأة للرجال في موضع واحد، وهو صلاة التراويح إذا كانت المرأة تحفظ القرآن، إلا أنها تقف وراءهم. (ص133)“.
فهل ارتد ابن الجوزي؟

وإذا أباح لها ابن الجوزي أن تؤمهم في التراويح، أليس من حق الآخرين أن يجتهدوا كما اجتهد

10. أجاز للكافر أن يتزوج المسلمة، رداً لقوله تعالى: **{لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ}**، ورداً لإجماع الأمة.

ومرة أخرى تغاضى الشيوخ عن الآية التي تقول: {**ولا تَنْكِحوا المشركات حتى يؤمنّ ولأمةٌ مؤمنة خيرٌ من مشركةٍ ولو أعجبتكم ولا تُنْكِحوا المشركين حتى يؤمنوا.** (البقرة 221)}. فأهل الكتاب الذين عناهم الترابي ليسوا مشركين، فهم يؤمنون بالله الواحد. وإذا كانوا مشركين فلا يجوز للمسلم زواج نسائهم كما تقول الآية. فإذا أجاز الشيوخ زواج أنفسهم من الكتابيات فالواجب أن يجيزوا زواج رجال أهل الكتاب من المسلمات، ويجب عليهم ألا يكيلوا بمكيالين. فالذي يفسر هذه الآية بظاهر لفظها ليس مرتداً أيها الشيوخ.

11. زعمه أن شهادة المرأة تعدل شهادة الرجل، رداً لقوله تعالى: **{فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ}**.

وليس هناك أي سبب يجعل شهادة المرأة أقل من شهادة الرجل، *وقد أخذ القدماء بشهادة امرأة واحدة في سبب نزول بعض الآيات*. فقد قال الإمام جلال الدين السيوطي في كتاب "الإتقان" ما يلي:

”ومنها أول المائدة أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد أنها نزلت (بمنى) وأخرج في الدلائل عن أم عمرو عن عمها أنها نزلت في مسير له.(ص 28)“.

فإذا أخرجوا أحاديث وأسباب نزول الآيات بشهادة امرأة واحدة، فلماذا لا تكون شهادة المرأة مساوية لشهادة الرجل؟ وهل يُكفّر هؤلاء الشيوخ كل أهل تونس والمغرب الذين جعلوا المرأة مساوية للرجل في كل شيء؟ أفيقوا من سباتكم أيها الشيوخ فالوقت لا ينتظركم.

12. وصفه للحجاب بأنه عادة عربية، رداً لقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ}**.

أما هذه الآية التي أتى بها الشيوخ فلا تتحدث عن الحجاب إذ ليس الجلباب كالحجاب. الجلباب يُضم على الجسم والصدر بينما الحجاب على الرأس والوجه. وآية الحجاب نزلت في **نساء النبي** تحت إلحاح عمر بن الخطاب الذي طلب من النبي أن يحجب نساءه عن الرجال الذين كانوا يدخلون منزله دون إذن. والترابي ليس أول من قال إن الحجاب ليس إسلامياً وإنما لباس عربي قديم سبق الإسلام. فهل ارتد كل الذين قالوا بهذا، وهل نقتلهم بردتهم؟

13. انتقاصه للعلماء، والإزدراء بهم، ووصفهم بأوصاف يندي لها الجبين، والعلماء هم الأولياء، وقد توعد الله من عادى له ولياً: **{من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب}**.

وأنا لم أرَ فيما قرأت ما يدل على أن هؤلاء الشيوخ علماء حتى يقولوا إن الترابي قد أزرى بهم. ثم أن القرآن لا يقول بذلك والحديث الذي أوردوه عن البخاري ليس ملزماً لكل مسلم.
وخلاصة القول إن الذين حكموا بردة الترابي ليسوا أهلاً لمثل هذا الحكم. وقد فعلوا نفس الشئ عندما طالبوا بمحاكمة الشيخ محمود محمد طه الذي حاكمه الجنرال النميري وحكمت المحكمة الشرعية بردته وقتله، وفيما بعد حكمت المحكمة العليا بخطأ الحكم الأول لأن القانون السوداني وقتها لم تكن به مادة تنص على جريمة الردة[3]. ولكن مع ذلك قتلوا محمود محمد طه. فهل يقتل الجنرال البشير عرّاب ‹ثورة الإنقاذ› الذي أتى به إلى الحكم وكان أستاذه على مدى عدة أعوام إلى أن أفسدت السلطة كليهما؟ †

† مِن عجائب الأمور أن **الترابي** نفسه، الذي يظهر مِن خلال هذه المقالة كأنه ’إسلامي ليبرالي متنور‘، هو مَن نفذ حكم الاعدام بالمناضل السوداني المعروف محمود محمد طه بعد أن أدانته المحكمة بالردة وحكمت بإعدامه. وقد كان الترابي وقتها وزيرا للعدل. وفي هذا الصدد يقول الكاتب الراحل العفيف الأخضر في إحدى مقالاته عن إصلاح الإسلام ‹لماذا إصلاح الإسلام؟›:
”ليس أدل على فشل محاولات الإصلاح من أن هذه المسائل التي حسمها محمد عبدو مازالت تتحدّى المسلمين. وفي مصر تحديدا حيث مازال مفتي مصر يحرم فوائد المصارف بما هي ربا محرما، ومازال القضاء الشرعي المصري يلاحق المثقفين بتهمة الردة. ألم يحكم القضاء بها على د. نصر حامد أبو زيد ؟ وخارج مصر، ألم يشنق بها **الترابي** المتصوف **محمود محمد طه** ؟

عودة إلى الفهرس

[2] بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج1، ص 104.
[3] الوطن القطرية 30 أكتوبر 2003.

3 - احتضار عيد العمال

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=63598

بعد عدة أيام سوف يحتفل العالم بيوم العمال في الأول من مايو (أيار)، كما فعلوا طوال النصف الثاني من القرن العشرين. ولكن مثل هذا الاحتفال ربما لا يدوم طويلاً لأسباب سوف أذكرها لاحقاً. ولكن قبل أن نتعرض لهذه الأسباب ربما يكون من المناسب استعراض نبذة قصيرة عن كفاح العمال في أوروبا وأفريقيا وبعض دول الشرق الأوسط.

قبل القرن الثامن عشر كانت المجتمعات الإنسانية في غالبيتها رعوية أو زراعية. وكانت المجتمعات الزراعية في البداية تعتمد على المجهود التعاوني بين الفلاحين إلى أن تمكن بعض المقربين من الملوك من الاستحواذ على أغلب الأراضي الخصبة، واستولت الكنيسة على ما تبقى منها مما أدى إلى نشوء الإقطاع الذي رعته الكنيسة لأنها كانت تستفيد من الإقطاعي كما تُسُخِّر العامل ليزرع أراضيها، وأصبح المزارع أحد وسائل الإنتاج التي يمتلكها الإقطاعي كما يمتلك الثور والمحراث والأرض ووسائل الري. ومع بداية الثورة الصناعية ونزوح الرجال من الأرياف إلى المدن الصناعية للعمل في مصانعها، تحول الاقتصاد من إقطاعي إلى رأسمالي واستبدل العامل نير الإقطاعي بنير الرأسمالي صاحب المصنع أو المنجم الذي كان يعامله كالآلة الصماء التي يجب أن تعمل كل الساعات التي يحددها صاحب المصنع بدون أي حقوق أو ضمانات اجتماعية تكفل للعامل دخلاً يطعم به أسرته في حال مرضه أو إصابته في المصنع أو المنجم، ولا تعويض إذا مات العامل في المنجم إثر انهياره أو في المصنع إثر حريق أو حادث.

ثم ظهر الفيلسوف النابغة والاقتصادي الفذ كارل ماركس Karl Marx في باريس عام 1843 وبدأ يتحدث عن نظريته التي لخصت الرأسمالية بأنها تزاوج بين رأس المال الخاص ووسائل الإنتاج المتنافسة لاقتناء فائض العمل. أو بمعنى آخر: دفع أجر للعامل يقل عن القيمة الحقيقية لجهده في إنتاج البضاعة. ولكي يتمكن صاحب رأس المال من المنافسة لا بد له من استغلال العامل ودفعه إلى مزيد من الإنتاج دون أن يزيد حصته من المدخول الناتج عن عمله.[1]

وبالتدريج بدأ *العمال الفرنسيون* يشعرون أن اليد الواحدة لا تصفق وعليهم أن يجتمعوا مع بعضهم ويكونوا لأنفسهم اتحادات تدافع عن حقوقهم. فتكونت اتحادات صغيرة في عدة مصانع غير أنها لم تنل الاعتراف القانوني إلا في عام 1884. وحدث نفس الشيء في ألمانيا، موطن كارل ماركس إذ ساعدت انتفاضة عام 1848 في ألمانيا على قيام اتحادات العمال. أما في انـگلترا فقد تأخر قيام اتحادات العمال إلى ما بعد الثورة الفرنسية في عام 1789 لأن الثورة كانت قد أخافت الرأسمالية البريطانية من العملاق الراكن في القوة العاملة، فأوعزوا إلى الحكومة بإصدار قانون يحظر قيام اتحادات العمال (Combination Acts). ومع أن الحكومة ألغت هذا القانون في سنة 1824، لم يستفد العمال من الوضع الجديد إلا في عام 1860 عندما تكون اتحاد عمال المناجم ومصانع النسيج وصدر أول قانون لاتحادات العمال في عام 1871. أما في أمريكا فقد تكونت بعض اتحادات العمال منذ نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. ولكن الاتحادات في أمريكا اتخذت طابع الاتحادات الحرفية بدل الصناعية، فتكون اتحاد الخياطين واتحاد النجارين وكذلك اتحاد النساجين. وكان هدف الاتحادات الأمريكية هو المحافظة على مستوى المهنة ومنع أصحاب العمل من تشغيل عمال غير مدربين أو استدراج عمال من خارج القطر. وبنهاية الحرب الأهلية في عام 1866 تكون اتحاد العمال الوطني National Labour Union وهو أول اتحاد عام على مستوى القطر كله. ولكن هذا الاتحاد انهار في عام 1927 عندما اشتغل بالسياسة.[2]

بالنسبة إلى أفريقيا فقد كانت الصناعات بها قليلة إذ كان المستعمر يهتم بالمواد الخام مثل القطن والتبغ لتصديرها إلى المصانع الأوربية، فلم يُنشئ مصانع في أفريقيا لكنهم أنشأوا خطوط السكك الحديدية التي كونت اتحادات عمال كان همها الأكبر منصباً في محاربة الاستعمار. وعندما نالت هذه الدول استقلالها تبنى أغلبها النظام الشيوعي ذا الحزب الواحد والزعيم الأوحد الذي سمح لهم بتكوين **اتحادات عمال صورية** تعمل ضمن نظام الحزب الواحد. أما في شمال أفريقيا فربما كان السودان هو القطر الوحيد الذي نشأت فيه عدة نقابات واتحادات عمال وطلبة وموظفين ذات فعالية. ورغم أن السودان كان مستعمرة انـگليزية حتى عام 1956 فإن عدد اتحادات العمال قفز من خمسة اتحادات في عام 1949 إلى 123 في عام 1954، وكان أكبرها وأهمها اتحاد عمال السكك الحديدية[3].

وقد سيطر *الحزب الشيوعي السوداني* الذي كان من أقوى الأحزاب الشيوعية في أفريقيا والشرق الأوسط على أغلب اتحادات العمال حتى بعد الاستقلال. وقد حارب الجنرال عبود وحكومته العسكرية نقابات العمال وسجن قادتها إلا أنها تكونت مرة أخرى بعد سقوط الحكومة العسكرية. ثم جاء الجنرال جعفر النميري وأصاب اتحادات العمال **بالضربة القاضية** إثر محاولة انقلاب فاشلة قادها الحزب الشيوعي بمساعدة نقابات العمال في عام 1971. أما شقيقته الشمالية مصر فقد سيطر عليها *الأخوان المسلمون* منذ العشرينات عندما كانت تحت الاستعمار الإنكليزي، ولم يتركوا للحزب الشيوعي أي فسحة للنمو لأنهم اتهموه بالإلحاد الذي نفّر عنه الطبقة العاملة. وبعد الاستقلال سيطر عليها العسكر الذين جعلوا من *قانون الطوارئ* سنداً دائماً لهم لمنع قيام أي اتحادات ذات فعالية.

بالنسبة للشرق الأوسط فربما كان العراق هو القائد في هذا الميدان نسبة لكفاءة الحزب الشيوعي العراقي في تنظيم الخلايا والاتحادات الطلابية والعمالية. وأما دول الخليج وعلى رأسها السعودية فلم تعرف أي نوع من اتحادات العمال أو الطلبة، ربما لكونها مجتمعات رعوية أكثر منها صناعية، رغم نشوء صناعة البترول. أو ربما للسطوة العائلية والقبلية على المجتمعات إياها. وزاد رجالات الدين من منع قيام اتحادات العمال بتكرار فتوى ‹**طاعة أولي الأمر**› و‹**عدم الخروج عن الملة وإجماع المسلمين**›، وكذلك ربط اتحادات العمال بالشيوعية التي تعني في الشرق الأوسط الإلحاد ونكران وجود الله. وقد حاول السيد ناصر السعيد تكوين نقابة لعمال البترول بشركة أرامكو بالسعودية واضطر إلى الهروب إلى مصر عندما علمت به الحكومة السعودية وطاردته.

بالنسبة إلى الاتحاد السوڤيتي قبل أن ينهار، وأوروبا الشرقية التي كانت تحت سيطرته، فقد كانت اتحادات العمال من ضمن أجهزة الأحزاب الشيوعية التي كانت ترسم السياسة الاقتصادية وتطلب من اتحادات العمال حث العمال على الإنتاج لمساعدة الحزب الشيوعي على بلوغ أهدافه الاقتصادية. وبما أن كل وسائل الإنتاج كانت تحت سيطرة الدولة، فلم تكن هناك أي فرصة للمساومة الجماعية Collective bargaining من جانب الاتحادات العمالية مع المُخَدِّم، كما كان يحدث في أوروبا الغربية. ورغم أن العضوية في اتحادات العمال لم تكن إلزامية، إلا أن الأحزاب الشيوعية كانت تمنح الذين ينضمون إلى اتحادات العمال تسهيلات جمة مثل القروض بدون فائدة، وشقق سكنية، وتأمين صحي. *وبما أن مدراء المصانع كذلك ينتمون إلى الحزب الشيوعي ويتم تعينهم من جانب*

[1] Human Resource Management, by Ian Beardwell and Len Holden,p687.

[2] The Columbia Encyclpedia, under Labour.

[3] City of Steel and Fire, by Ahmed Alawad Sikainga, p114.

الحزب، فلم تكن هناك خطوط احتكاك بين الإدارة واتحادات العمال. وكان على مدراء المصانع استشارة اتحادات العمال قبل اتخاذ قرارات بخصوص ساعات العمل والوقت الإضافي وطريقة دفع التعويضات عن الوقت الإضافي، ومجالس التأديب[4].

أما أمريكا الجنوبية فقد شهدت صراعاتٍ دامية بين اتحادات العمال الاشتراكية والحكومات العسكرية المتعاقبة مما أدى إلى تعزيز مكانة هذه الاتحادات في المخيلة الشعبية ورفع مكانتها. وما زالت اتحادات العمال تتبوأ مكاناً عالياً في تلك القارة

مكاسب العمال

لا شك أن العمال في جميع أنحاء العالم قد حققوا كثيراً من المكاسب إثر قيام الاتحادات التي لم تتوان في استخدام التهديد باللجوء إلى الإضراب وشل إنتاج المصنع أو المنجم إلى أن يستجيب رأس المال إلى مطالبهم. ونستطيع تلخيص المكاسب التي حققوها في الآتي:

1. إنشاء الضمان الاجتماعي للعمال الذين يتعطلون عن العمل إما لإصابتهم أو مرضهم.
2. تحديد ساعات العمل بثمان ساعات في اليوم وما زاد عنها يُعتبر زمنٌ إضافي يُمنح العامل عليه أجراً مضاعفاً.
3. استحقاق العامل عطلة يومين في نهاية كل أسبوع وعطلة أربعة إلى ستة أسابيع مدفوعة الأجر سنوياً.
4. إنشاء مكاتب حكومية مهمتها التأكد من أن صاحب المصنع يتبع كل سبل السلامة ويحافظ على صحة العمال ويتفادى ما يمكن أن يسبب لهم حادثاً أو مرضاً.
5. وضع حد أدنى للأجر الذي يتقاضاه أبسط عامل بالمصنع أو المنجم.
6. تحديد سن الخامسة والستين كحد أقصى للتقاعد ومنح المتقاعد معاشاً مهنياً إلى أن يموت هو وزوجته ويصل أطفاله سن البلوغ.
7. استحالة فصل العامل من عمله إلا بعد عقد مجلس تأديب يشارك فيه اتحاد العمال.
8. منح المرأة العاملة إجازة براتب كامل لمدة أربعة أشهر، بعد الولادة مع الاحتفاظ لها بوظيفتها عندما ترجع إلى العمل.
9. وجوب تمثيل نقابات العمال في مجالس إدارة المؤسسات.
10. منع تشغيل الأطفال الذين تقل أعمارهم عن ستة عشر عاماً.

وازداد تأثير اتحادات العمال في السياسة حتى أصبح لهم وزن كبير في سياسة الدولة الخارجية والداخلية، وأصبح رئيس اتحاد مناجم الفحم في بريطانيا آرثر اسكارجل Arthur Scargill † أهم من رئيس وزراء الحكومة البريطانية. وكذلك رئيس اتحاد المزارعين الفرنسيين أصبح أهم من رئيس الوزراء الفرنسي. وقد أعلن آرثر إسكارجل الحرب على رئيسة وزراء بريطانيا - مارگريت ثاتشر Margaret Thatcher - وأعلن أنه سوف يُسقط حكومتها إلا أنها استعانت بالجيش وسحقت اتحاد عمال المناجم وجميع الاتحادات العمالية معه.

† **Arthur Scargill** is a British politician and trade unionist who was president of the National Union of Mineworkers from 1982 to 2002. Joining the NUM (National Union of Mineworkers) at the age of 19 in 1957, he became one of its leading cadres in the late 1960s.

en.wikipedia.org

فإذا كانت هذه هي إنجازات اتحادات العمال الغربية، فماذا أنجزت اتحادات العمال العربية لأعضائها؟ للأسف لم تحقق كثيراً. ورغم تكوين اتحاد نقابات العمال العرب في عام 1956، فإن هذه الاتحادات لم تتكاتف بما فيه الكفاية لتشد وتقوي بعضها بعضاً كما فعلت الاتحادات الغربية. فعندما قامت الحكومات العربية المتسلطة بسحق اتحادات العمال في بلادها، واحداً تلو الآخر، لم تتحرك بقية الاتحادات لمناصرة الاتحاد المسحوق. وقد قضت معظم الاتحادات العربية وقتها في كفاح ضد حكوماتها ولم يبق لها وقت أو مجهود لتحقيق مكاسب مهمة لأعضائها. فما زال العامل العربي مهضوم الحقوق وخاضعاً لإرادة صاحب المصنع أو المعمل. وبما أن أغلب المصانع والمعامل في البلاد العربية ما زالت ملكاً للدولة، ظلت الدولة هي المُخَدِّم الأكبر للعمال العرب، **وهي التي تغتصب حقوقهم لمصلحة الطبقة الحاكمة** كما حدث في العراق في عهد البعث، وكما يحدث الآن في سوريا وليبيا والمغرب وغيرها.

وإذا كان العامل الغربي قد حقق كل هذه المكاسب، فماذا فعل رأس المال؟ بالطبع لم يجلس جانباً ويترك العمال يسرحون ويمرحون لأن كل هذه الإصلاحات تكلف مالاً يدفعه صاحب العمل مما يقلل من ربحه. ولذلك لجأ أصحاب الأعمال إلى نقل مصانعهم إلى خارج البلاد التي تنشط بها اتحادات العمال، فنقلوا مصانعهم إلى الهند وكمبوديا وتايلاند. ونقلت البنوك عملياتها إلى نفس البلاد فأصبح من المألوف أن تتصل ببنك باركليز مثلاً في لندن فترد عليك فتاة هندية من نيودلهي. والمصانع التي لم تُغلق طورت وسائل إنتاجها وأصبحت تعتمد على "الروبوت" الآلي الذي لا حقوق له ولا يتعب ويقوم بما كان يقوم به مائة عامل. وبالتالي خسرت أغلب البلاد الغربية مصانع سياراتها وما شابهها، فتقلص عدد عمال المصانع وبالتالي عدد أعضاء نقابات العمال. فقد كان عدد أعضاء النقابات في إنكلترا في عام 1980 حوالي 12947000، وتقلص هذا العدد إلى 8928000 في عام 1992[5].

ومع إغلاق المصانع زاد عدد العاطلين عن العمل وتضاعفت موازنة البند الاجتماعي الذي يصرف عليهم. وازداد كذلك عدد المتقاعدين الذين أصبحوا يعيشون حتى سن التسعين أو أكثر وبالتالي ازداد الضغط على موازنة أقسام المعاش الوظيفي مما اضطر بعض الحكومات الغربية إلى تقليص الفوائد المعاشية وسمحوا للشركات والمصانع أن تتملص من التزاماتها بإنشاء حساب خاص لمعاشات عمالها. وطلبت هذه المؤسسات من عمالها فتح حسابات معاش مع شركات توظيف الأموال الخاصة. ولم تستطع الاتحادات محاربة هذه التغييرات نسبةً للضعف الذي أصابها. ومع تقلص عدد المصانع انتعشت المؤسسات الصغيرة التي تقدم الخدمات مثل المقاهي والمطاعم والمتاجر. وكل هذه المؤسسات تستخدم عمالة غير تقنية ورخيصة التكاليف وبأعداد صغيرة. والنتيجة النهائية هي تقلص عدد العمال وعدد نقاباتهم مما ساعد الحكومات الغربية على فرض قوانين جديدة تحد من صلاحيات هذه النقابات.

وقد كان من حق العمال أن يحتفلوا في أول أيار (مايو) من كل عام بالمكاسب التي حققوها في القرن العشرين، إلا أن العد التنازلي لهذا العيد قد بدأ مع قدوم الرئيس الأمريكي رونالد ريـگـان ورئيسة الوزراء البريطانية مارگريت ثاتشر اللذين تعاونا في الثمانينات على إدخال اقتصاد السوق إلى أوروبا وأمريكا وخصخصت كل المؤسسات التي كانت تملكها الدولة، وبالتالي ضاعت بعض الحقوق التي كانت تُعتبر بديهية مثل الوظيفة مدى الحياة وما إلى ذلك. وإذا احتضر عيد العمال في الغرب فلا بد أن يمرض عيد العمال في شرقنا الذي لم يعرف فوائد اتحادات العمال كما عرفها الغرب. وإذا مات عيد العمال في الغرب فلا بد أن يحتضر عيدهم في الشرق.

وما أظن إلا أن الاحتضار قد بدأت علاماته. فربما يغيب عيد العمال نهائياً في المستقبل غير البعيد في أوروبا وأمريكا، وتضمحل أكثر فأكثر اتحادات العمال العربية والإسلامية إلى أن تموت موتاً بطيئاً، لا نشك أنه آتي إلا إذا قوض الله لبلادنا العربية أن تنخرط في موكب الديمقراطية التي تتيح للناس حرية تكوين الاتحادات وحق المطالبة بحقوقهم المغتصبة.

عودة إلى الفهرس

[4] Slomp, 1992, Westbound, the Northern or the Southern trail.

[5] Industrial Relations in Europe, Joris Van Ruyssevldt, p59.

4 - مؤتمر مكة يُثبت أن الإسلام يدور حول الجنس

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=63693

في البدء عندما كانت المجتمعات بدائية كانت للمرأة مكانة خاصة كونها صاحبة الرحم الذي يهب الحياة ويجددها .وكان الرجال يخدمون المرأة كما يخدم ذكور النحل ملكتهم. وبالتدريج أصبحت المرأة إلهةً في أساطيرهم وسموها إشتار Ishtar† (عشتار Astare) وأيزيز Isis†† وما إلى ذلك. وحتى عرب ما قبل الإسلام جعلوا آلهتهم نساء، فكانت اللات والعُزى ومناة. وكان الرجل والمرأة عاريين فنحتوا تماثيل الإلهة عشتار في الشرق الأوسط وفي أوروبا عارية، *ولم يُثِر الجسد العاري أي نزعات غير طبيعية في الرجل*. ولم يكن لغشاء البكارة أي أهمية في المجتمعات البدائية. وكانت جزيرة العرب كغيرها من المجتمعات البدائية. ثم جاء الإسلام فتمرد على المرأة وسخط على العرب لأنهم جعلوا الملائكة إناثاً وحطّم تماثيل اللات والعزى وجعل الرجال قوامين على النساء. *وحتى يتسنى لهم محو صورة المرأة قبل الإسلام ألفوا قصصاً خيالية عن وأد الرجال العرب بناتهم وهن أحياء، كأنما الرجل العربي كان أقل درجة من الحيوان*. فحتى الحيوانات حبتها الطبيعة بغريزة حب صغارها. وكل مَن شاهد الحيوانات في الغابة أو رأى أفلاماً عنها يعلم أن أنثى الحيوان وأنثى الطيور تدافع دفاع المستميت عن صغارها وتضحي بنفسها لحمايتها. فحتى لو كان الرجل العربي أقل درجة من الحيوان، هل كانت المرأة كذلك فسمحت له بدفن بناتها أحياء؟ مجرد قصص ابتكروها ليمجدوا الإسلام.

> **فحتى لو كان الرجل العربي أقل درجة من الحيوان، هل كانت المرأة كذلك فسمحت له بدفن بناتها أحياء؟ مجرد قصص ابتكروها ليمجدوا الإسلام.**

الإسلام اختزل المرأة إلى ‹فرج› مهمتها متعة الرجل فقط والرسول يقول في الأحاديث المروية عنه:

[كادت أمتي أن تستحل فروج النساء].

وفي حجة الوداع قال في خطبته المشهورة:

[فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله].

فالإسلام عندما يتحدث عن المرأة يذكر فرجها فقط. وانكب علماء الأمة في البحث عن كل ما يتعلق بالفرج من حيض واستحاضة وهل إذا دخل شيء من البول في الفرج تغسل المرأة فرجها قبل الوضوء أم تتوضأ دون غسله. وكتبوا ما جادت به **قرائحهم** مجتمعةً عن أوضاع نكاح المرأة *واختلقوا قصصاً عن اليهود* الذين كانوا ينكحون نساءهم من الدبر في القبل فيخرج الولد أحولاً. ويقول القرطبي في تفسير آية {**نساؤكم حرث لكم**} ما يلي:

> "كان من أمر أهل الكتاب ألا يأتوا النساء إلا على حرف (أي على جنبها) وذلك أستر ما تكون المرأة، فكان هذا الحي من الأنصار قد أخذوا بذلك من فعلهم، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء شرحاً منكراً ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار فذهب يصنع بها ذلك فأنكرته عليه وقالت: إنما كنا نؤتى على حرف فاصنع ذلك وإلا فاجتنبني! حتى شرى أمرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل {**فأتوا حرثكم أنّى شئتم**}".

ومن السذاجة قولهم:

> "كان من أمر أهل الكتاب ألا يأتوا النساء إلا على حرف وذلك أستر ما تكون المرأة".

فمِن مَن تستتر هذه المرأة التي يجامعها زوجها في مخدعها؟ أتستتر من الله؟ والله يقول آتوهن في أي وضع شئتم. وحتى يهولوا الموضوع أكثر أتوا بقصة ثانية في سبب نزول هذه الآية فقالوا:

> "جاء عمر إلى رسول الله (ص) فقال: يارسول الله هلكت! فقال: وما أهلكك؟ قال: حولت رحلي الليلة (أي أتى زوجته من دبرها). فانزل الله الآية."

وما كان يهم هؤلاء الفقهاء والمفسرين **أن قصصهم تتعارض مع بعضها البعض**. فهم أخبرونا أولاً أن قريش كانوا يأتون النساء في أي وضع شاؤوا ثم يقولون في القصة الثانية إن عمر عندما أتى امرأته من الدبر انزعج لذلك وقال للرسول "هلكت يا رسول الله". ألم يكن عمر يمارس هذا الشيء وهو في مكة كما كان يفعل بقية رجال قريش؟ **فهؤلاء الفقهاء جعلوا الله يهتم بمعرفة في أي وضع أتى الرجل امرأته.**

وجعل الإسلام المرأة **جائزةً لِمَن يشارك في الغزوات**، فبدل أن يحثهم الرسول على الغزو باسم الله والحسنات التي سوف يجنونها، حثهم بالنساء، فقالوا:

> "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تجهز لغزوة تبوك قال لرجل: يا أبا وهب هل لك في جلاد بني الأصفر تتخذ منهم سراري ووصفاء فقال: يا رسول الله لقد عرف قومي أني رجل مغرم بالنساء وأني خشيت إن رأيت بنات الأصفر أن لا أصبر عنهن فلا تفتني بهن وائذن لي في القعود عنك وأعينك بمالي فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم."[1]

وجعل الفقهاء المرأة جائزة لمن يدخل دين الإسلام من أهل الكتاب فقال ابن باز:

> "إن المسلمين لما آمنوا بالله وبرسله وما أنزل عليهم، ومن جملتهم موسى بن عمران وعيسى بن مريم عليهما الصلاة والسلام، ومن جملة ما أنزل على الرسل التوراة المنزلة على موسى والإنجيل المنزل على عيسى، لما آمن المسلمون بهذا كله *أباح الله لهم نساء أهل الكتاب المحصنات* فضلا منه عليهم وإكمالا لإحسانه إليهم، ولما كفر أهل الكتاب بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه من الكتاب العظيم وهو القرآن *حرم الله عليهم نساء المسلمين* حتى يؤمنوا بنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، فإذا آمنوا به حل لهم نساؤنا وصار لهم ما لنا وعليهم ما علينا."[2]

فكأنما الله قد جعل الجنس طُعماً لأهل الكتاب ليدخلوا في الإسلام وللمسلمين ليغزوا من لا يسلم. ثم زاد الله للمسلمين من الجوائز الجنسية فجعل ثواب من يعمل خيراً زوجات من الحور كلما فض بكارتهن رجعن عذراوات.

† **Ishtar**
Babylonian mother goddess: in Babylonian and Assyrian mythology, the queen of heaven and goddess of fertility. Tammuz was her consort. She was worshiped throughout Southwest Asia under various names, including the Phoenician **Astarte**.
Microsoft® Encarta® 2009. © 1993-2008 Microsoft Corporation. All rights reserved.

†† **Isis**
Babylonian mother goddess: in Babylonian and Assyrian mythology, the queen of heaven and goddess of fertility. Tammuz was her consort. She was worshiped throughout Southwest Asia under various names, including the Phoenician Astarte.

Microsoft® Encarta® 2009.

[1] أسباب النزول للنيسابوري، سورة التوبة، الآية "ومنهم من يقول إئذن لي".
[2] فتاوى بن باز، ج4، ص 240.

ثم أباح الإسلام للرجال أربعة زوجات وعدداً من الجواري لا تحده إلا مقدرة الرجل المالية على اقتناء الجواري اللاتي يحق له أن يضاجعهن متى شاء حتى إن كن محصنات.
وحتى تكتمل متعة الرجل الجنسية أباح لهم الإسلام **زواج المتعة** عندما يكون الرجل بعيداً عن أهله في غزوة أو تجارة، فيدفع للمرأة مالاً يبيح له مضاجعتها حتى تنقضي مدة إقامته ثم يرجع إلى أهله ولا مسؤولية عليه نحو تلك المرأة. وعندما منع الخليفة عمر بن الخطاب هذا النوع من الزواج ثارت ثائرة الرجال واتهم الشيعة عمر بن الخطاب بالكفر واستمروا في ممارسة زواج المتعة الذي هو نوع من أنواع **الدعارة بغطاء ديني**.
وحتى هذا القدر من الجنس لم يكف فقهاء الإسلام فأباحوا زواج الطفلة التي تبلغ من العمر تسعة سنوات وجعلوا السن القانونية لبلوغ المرأة تسعة سنوات، *وهذا يتعارض مع كل الأسس العلمية المعروفة عن نموء أجسام الأطفال*.
وحتى هذا القدر لم يكفهم فأباح الإمام الخميني للشيعة مفاخذة البنات الرضيعات حين قال:

"لا يجوز وطء الزوجة قبل إكمال تسع سنين، دواماً كان النكاح أو منقطعاً، وأما سائر الاستمتاعات كاللمس بشهوة والضم والتفخيذ فلا بأس بها حتى في الرضيعة ولو وطأها قبل التاسعة ولم يفضها لم يترتب عليه شيء"[3].

ولفائدة القراء الذين لا يعرفون التفخيذ فهو أن يضع الرجل ذكره بين فخذي البنت ولو كانت رضيعة. وزاد الخميني عندما سألوه عن نكاح الزوجة في دبرها فقال:

"المشهور الأقوى جواز وطء الزوجة دبراً على كراهية شديدة، والأحوط تركه خصوصاً مع عدم رضاها"[4].

وحتى لا يهلل السنة ويتهموا الشيعة بالإباحة فقد روى ابن القيم في كتاب الطب النبوي:

"قال الشافعي: أخبرني عمي محمد بن علي بن شافع، قال: أخبرني عبد الله بن علي بن السائب، عن عمرو بن أحيحة بن الجلاح، عن خزيمة بن ثابت، أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن إتيان النساء في أدبارهن، فقال: [**حلال**] ، فلما ولى، دعاه فقال: [**كيف قُلتَ، في أيِّ الخُرْبَتَينِ، أو في أي الخَرْزَتَينِ، أو في أيِّ الخَصْفَتَينِ أمِنْ دُبُرهاَ في قُبُلها؟ فَنَعَم. أم مِنْ دُبُرهاَ في دُبُرِهاَ، فلا، إنَّ الله لا يَسْتَحيِي مِنَ الحَق، لا تأتوا النِّساَء في أدبارهِنَّ**]". فالحديث هذا فيه*فسحة* للذين يريدون أن يحللوا الوطء في الدبر. وفي المعجم الأوسط للطبراني "عن نافع عن ابن عمر قال: «إنما نزلت {**نساؤكم حرث لكم**} على رسول الله (ص) رخصةً في إتيان الدبر»."

وقد **حرّم** الفقهاء كل شيء فيه متعة إلا الجنس ومشتقاته، فقد جعلوا الكفارة على من يحنث في يمينه أو يفعل مكروهاً، ولكن عندما أتوا إلى الذي يجامع زوجته وهي حائض قال أكثرهم:

لا كفارة عليه وقال بعضهم عليه ربع أو نصف درهم.

وعندما أتوا كذلك إلى الذي يحلف ألا يطأ زوجته أو أزواجه الأربعة بالإيلاء ثم يجامع بعضهن:

"لا يحنث حتى يطأ الأربع وقال أصحاب الرأي: يكون موليا منهن كلهن فإن تركهن أربعة أشهر، بِنَّ مِنه (أي أصبحن طالقات طلاقاً بائناً) جميعا بالإيلاء وإن وطئ بعضهن سقط الإيلاء في حقها، ولا يحنث إلا بوطئهن جميعا"[5].

فإذا حلف ألا يجامعهن ثم جامع ثلاثة منهن فلا حنث عليه. وزادوا في إعفاء الرجل من الموانع الجنسية فقالوا:

"لا عقاب لمن يُقبّل الصبي أو المرأة الأجنبية"[6].

كيف يسمح دين من عند الله للرجل أن يُقبّل الصبي؟
ثم **ربطوا** عبادة المرأة بحسنها ومدى تأثر الرجال بجمالها، فمنعوها من الصلاة في المسجد. قال **المالكية:**

إذا كانت المرأة عجوزا **لم يعد فيها للرجال مطمع** يجوز لها حضور الصلاة في المسجد . أما إذا كانت عجوزا **لا يزال فيها مطمع** للرجال فيكون مكروها لها حضور الصلاة في المسجد. ويحرم عليها حضور الصلاة في المسجد إذا كانت شابة وخيف من حضورها افتتان الرجال بها في المسجد.

والشيء الوحيد الذي يمكن أن نقول إن الإسلام **قد احترم فيه المرأة** هو الزواج عندما قال:

{ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً. (الروم 21)**}.**

ولكن مؤتمر مكة الأخير ألغى حتى هذه المكرمة البسيطة التي جعلت بين الأزواج رحمة ومودة تُمكّنهم من أن يسكنوا لبعضهم البعض.

فقد أباح الشيوخ المجتمعون في مكة *زواج المسيار وزواج الفرند*.

وكلاهما دعارة رسمية تحت غطاء ديني.
ففي هذا الزواج تتنازل المرأة عن حقها في السكن وحقها في الإعاشة وحقها في الملبس. *الشيء الوحيد الذي تجنيه من هذا الزواج هو المعاشرة الجنسية*. والرجل يأتي إلى بيت هذه الزوجة ساعةً من الزمان يمارس معها الجنس ثم يذهب إلى أهله. فما الفرق بين هذه المرأة وبين العاهرة في البلاد التي يُسمح فيها بفتح بيوت الدعارة فيأتي الرجل إلى هذه البيوت ويدفع إلى المومس بضع دراهم ويجامعها ثم يرجع إلى بيته؟
وزواج الفرند هو نفس العرف المتبع في البلاد الغربية حيث يكون للرجل صديقة Girlfriend يعاشرها معاشرة الأزواج على بينة من الملأ ويسكنان في منزلهما المشترك وينجبان الأطفال إن أرادا، ويفترقان متى أراد أحدهما أو كلاهما، أو قد يتزوجان زواجاً تقليدياً بعد ذلك. فعلى الأقل في البلاد الغربية نجد أن الناس **أكثر أمانة وصدقاً** ولا يدعون أن معاشرتهما زواج. بينما في البلاد الإسلامية يريد لنا الفقهاء أن نعتبر معاشرة الفرند زواجاً.

إنه الهوس الجنسي الذي بُني عليه الإسلام.

[3] تحرير الوسيلة، ج2، ص 216.
[4] نفس المصدر ونفس الصفحة.
[5] المغني لابن قدامة، باب الإيلاء.
[6] السياسة الشرعية لابن تيمية، ج2، كتاب الحدود.

ففي عالم اليوم المليء بالإرهاب وتكفير الغير وتأخر المسلمين وتهميش نصف المجتمع، كنا نتوقع من مؤتمر ضم كبار شيوخ العالم الإسلامي أن يخرج علينا الشيوخ باجتهاد يبيح تحمل الغير واقتسام الحقيقة معهم *بدل استحواذ المسلمين على الحقيقة المطلقة*، خاصة أنهم كانوا مجتمعين في مكة التي رفضت تحمل من يدعو لغير دينها وأخرجت محمد وأصحابه إلى يثرب.
لكن للأسف فإن اهتمام الشيوخ **كان منصباً في منطقة الإزار** مما جعلهم يركزون كل اجتهاداتهم في إباحة زواج المسيار والفرند.
وما أصدق المتنبي حين قال:

ما غاية الدين أن تحفوا شواربكم   يا أمة ضحكت من جهلها الأمم

عودة إلى الفهرس

5 ـ قد أخطأ الشيخ العبيكان

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=64151

الشيخ عبد المحسن العبيكان من رجالات الدين السعوديين الذين يُحسبون على *التيار الإصلاحي* وقد تعارك مع المتشددين من أمثال مفتي السعودية الشيخ آل الشيخ. ولكن الشيخ العبيكان كان، وحتى السنوات القليلة الماضية، من الذين يحرضون على الخروج على السلطة السياسية التي سمحت بإقامة القواعد الأمريكية في البلاد، وعلى حث الشباب على الجهاد في العراق وأفغانستان. وكان الشيخ العبيكان يفعل ذلك، لا بد، عن قناعة دينية لا تقبل الزعزعة، بأن السلطة السياسية في المملكة قد خرجت عن أصول الدين وأن الدين الإسلامي يحث على الجهاد. ولكن فجأةً، وربما لتفادي عواقب غضب السلطة عليه غيّر الشيخ العبيكان موقفه من السلطة **وتبرأ من كل فتاواه السابقة** عندما ظهر على شاشات التلفزيون السعودي وقال:

> "إنني قد اخطأت في السابق حينما جعلت مسجدي نقطة للنشاط الديني المعارض ضد الحكومة السعودية، لكنني تراجعت، فلماذا لا يتراجع ويعترف من أخطأ مثلي من الدعاة"[1].

فالشيخ العبيكان، المستشار القضائي بوزارة العدل السعودية، والقاضي السابق، والمفتي، قد قضى كل سنوات عمره الماضية وهو يدعو إلى الخطأ، وهذا يؤكد لنا أن رجالات الدين المسلمين سواء الوهابيون منهم أو الأزهريون، يُخطئون كما نخطئ نحن عامة البشر غير الملتحين. وقد أخطأ الشيخ العبيكان مرة أخرى عندما رد على مقال للدكتور الأزهري الشيخ نهرو طنطاوي عن وجوب الاعتماد على القرآن فقط وتجاهل السنة في التشريع الإسلامي، وكان مقال الشيخ العبيكان والمنشور في "شفاف الشرق الأوسط" تحت عنوان "المسلم مأمور في القرآن باتباع السنة". وسوف أحاول هنا أن أبيّن للشيخ أنه أخطأ للمرة الثانية، فالمسلم غير مأمور باتباع السنة.
يقول الشيخ العبيكان:

> "فقد قرأت الحوار الذي أجرته ‹الشرق الأوسط› مع د. نهرو طنطاوي والذي نشر في العدد (10012) يوم الخميس الموافق 2006/4/27 وقد استغربت كثيرا من جرأة الدكتور على إنكار السنة المطهرة، وزعمه أن المصدر الوحيد للتشريع الاسلامي هو القرآن فقط، وهذا القول ليس بجديد بل هو من جنس قول *الخوارج* الذين قالوا: 'حسبنا كتاب ربنا' وأنكروا سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولعظم خطرهم على الإسلام والمسلمين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلهم، كما في الأحاديث الصحيحة." انتهى.

والشيخ هنا رغم توبته واعترافه بالخطأ عندما كان يُحرض على العصيان ويحكم بتكفير الغير، *يُحرض على قتل الشيخ نهرو طنطاوي بتشبيهه له بالخوارج*. وأخطأ كذلك عندما زعم:

> "أن النبي أمر بقتل الخوارج الذين قالوا: 'حسبنا كتاب ربنا'، كما في الأحاديث الصحيحة".

وهو هنا يستشهد بأحاديث من السنة التي اعترض عليها الشيخ نهرو ودعا إلى تجاهلها، فأصبح كالذي يقول "داوني بالتي هي الداء". ثم أن الأحاديث التي زعم الشيخ العبيكان أنها أحاديث صحيحة لا يمكن أن تكون أحاديث صحيحة لعدة أسباب منها **أن الخوارج لم يكونوا قد ظهروا في حياة النبي** حتى يقول عنهم النبي هذه الأحاديث التي لا بد أنهم قد وُضعوها بعد موته، فهم قد ظهروا إلى حيز الوجود بعد وفاة النبي وفي أيام الخلاف بين معاوية وعلي بن أبي طالب. ولم يكن هناك في أيام النبي من يستطيع أن يُجهر بقول كقول الخوارج لأن المحيطين بالنبي كانوا يقتلون كل من تجرأ بكلمة يعتبرونها مسيئة للنبي أو للإسلام أو خارجة عن فهمهم للإسلام.
ويقول الشيخ العبيكان كذلك:

> "ومَن زعم أنه يكتفي بالقرآن وينكر السنة فهو منكر للقرآن لأننا مأمورون في القرآن باتباع السنة ولا يصح إيمان مَن آمن بالقرآن حتى يؤمن بالسنة التي هي مفسرة للقرآن وموضحة له إضافة إلى كونها مصدرا مستقلا، كما سيأتي بيانه." انتهى.

ونقول للشيخ العبيكان **ليس في القرآن ما يأمر الناس باتباع السنة**، فالقرآن يقول:

> {**والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدىً من ربهم وأولئك هم المفلحون.** (البقرة 4، 5)}.

وما أنزل على النبي هو القرآن فقط وليس السنة. والذين يؤمنون بالقرآن هم المفلحون. وتأكيداً لهذا القول يقول القرآن للنبي محمد:

> {**إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين مِن بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا.** (النساء 163)}.

وكل هؤلاء الأنبياء لم يكن عندهم أحاديث وسنة، والذي أوحيَ إليهم لم يكن مختلفاً عن الذي أوحيَ إلى محمد كما يقول القرآن. وإذا كانت السنة تفسر القرآن ولذلك يجب علينا الإيمان بها، فكذلك يجب علينا الإيمان بتفسير الزمخشري وتفسير ابن كثير وغيرهم للقرآن أو أن نلقي بكل كتب التفسير في الزبالة لأن السنة قد فسرت القرآن، الذي هو أصلاً قرآنٌ عربي مبين لا يحتاج تفسيراً.
وقال شيخ العبيكان:

> "أما بالنسبة الى السنة فقد جاء الأمر في القرآن بالرجوع اليها في اكثر من اربعين موضوعا كما قال تعالى {**ومَن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا.** (النساء: 69)}. وقال {**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا.** (النساء: 59)}، وقال {**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا.** (الأحزاب: 21)}" انتهى.

وواضح هنا أن القرآن كان يخاطب الذين عاصروا النبي ويحثهم على طاعته والامتثال إلى ما يأمرهم به النبي مِن غزوات وغيره. وليس مِن المعقول أن يأمر القرآن الناس بطاعة رجل بعد أن يموت ويزول مِن هذه الحياة الدنيا. ثم أن الآية الثانية تقول أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم، فهل نفهم من هذا أن الله يأمر الشيخ العبيكان بطاعة الملك عبد العزيز الذي كان ولي الأمر في السعودية قبل أن يموت؟ *فالإنسان الذي يموت لا طاعة له في الأحياء*، **والنبي كان بشراً مثلنا كما ردد القرآن في أكثر من آية**. والآية تقول كذلك **إذا تنازعتم في شيء فردوه إلى الرسول** فكيف نرد نزاعنا اليوم في مشكلة إيران والتسلح النووي مثلاً إلى النبي؟ فالنبي ليس بين أيدينا لنرد المشكلة إليه والأحاديث المنسوبة إليه لا تقول شيئاً عن التسلح النووي. وإذا كان القرآن، قبل السنة، يأمر بطاعة أولي الأمر،

---

[1] الشرق الأوسط 15 مايو 2005.

وأباح الشيخ العبيكان لنفسه أن يتجاهل أمر القرآن بطاعتهم ويحث من في مسجده على الخروج عليهم، **ألا يحق للمسلمين تجاهل السنّة المزعومة التي لا يمكن بحال من الأحوال إثبات أنها ترجع إلى النبي؟**
ويستمر شيخ العبيكان فيقول:

"وقال {**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب.** (الحشر: 7)}، وقال {**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم.** (آل عمران: 31)} فأمر الله لنا بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وجعله سنته حكما لفض النزاعات بل وترتيب الأجر العظيم على طاعته يستلزم حفظ الله لهذه السنة النبوية حتى يتهيأ للعباد الرجوع اليها عند النزاع كما أمر الله، والطاعة لأمر الله الذي أمر بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم" انتهى.

الآيتان المذكورتان هنا واضحتان وضوح الشمس، وهما يتحدثان عن ما أتاكم الرسول من الأوامر والنواهي القرآنية التي أرسله الله بها، ولا نعلم كيف استنتج الشيخ العبيكان من الآيتين أن الله قصد أن يحفظ لنا سنّة النبي لنرجع إليها؟ فالشيخ العبيكان هنا كالذي يحاول أن يستخرج دماً من الحجر، إن لم يكن من الذين *يحرّفون الكلم عن مواضعه*. فالقرآن يأمر الرسول أن يقول {**ما أنا إلا بشر مثلكم يوحى إليّ**} والوحي هو القرآن، وعندما يقول القرآن {**ما أتاكم الرسول فخذوه**} **يقصد ما أتاكم به أو أمركم به من القرآن، وليس السنّة.**
وفي محاولته إثبات أن السنّة مصدرٌ من مصادر التشريع يقول الشيخ العبيكان:

"ولو بقينا على حجية القرآن وحده دون السنّة لما عرفنا كثيرا من الأحكام الشرعية، فمن أين لنا عدد الصلوات الخمس المفروضة وعدد ركعاتها، بل وصفة الصلاة نفسها، وكيف نعرف صفة الحج والعمرة؟ وهكذا" انتهى.

والمقبول عقلياً أنك إذا أرسلت رسولاً إلى قومٍ لم يكن قد جاءهم رسول قبل ذلك بنفس الرسالة، فلديك أحد خيارين:

- إما أن تأمر الرسول أن يبين لهم بالطرق العملية التي تريدها أنت، كيف يؤدون المطلوب منهم،
- وإما أن تترك الخيار للرسول ليختار لهم كيف يؤدون ما تطلبه منهم.

فهل عدد الصلوات وعدد ركعاتها والأذان وطريقة أداء الحج سنّة أم فرض من الله ؟ فلو كانت كل هذه الأشياء فرضاً من الله، فإن الله لا يغير رأيه بل يقرر مسبقاً ما يريد ثم يفرضه على عباده. فهل حدث هذا في حال الصلاة والصوم والحج؟ لم يحدث هذا إطلاقاً وإنما تدرج فيه النبي على مدى سنوات وقد تعلّم بعضه من اليهود وبعضه من النصارى. فلو أخذنا الصلاة أولاً، نجد أنها ركن من أركان الإسلام الخمسة ولا يتم الإسلام بدونها، ولكن مع ذلك لم يبدأ النبي بالصلاة إلا في العام العاشر بمكة.

"وفُرضت الصلاة بمكة ليلة الإسراء بعد النبوة بعشر سنين وثلاثة أشهر"[2].

وعندما ابتدأت كانت صلاتين فقط وفي كل صلاة ركعتان ذكر المزني

"أن الصلاة قبل الإسراء كانت صلاة قبل غروب الشمس وصلاة قبل طلوعها، ويشهد لهذا القول قول سبحانه: {**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ.** (غافر 55)}"
وقال يحيى بن سلام مثله.
وقد ذكر البخاري من رواية مَعمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: 'فُرضت الصلاة ركعتين ركعتين، ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، ففرضت أربعاً'[3].

ويقول ابن الجوزي:

"وفي هذه السنة، (السنة الأولى من الهجرة)، زيد في صلاة الحضر - وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين - وذلك بعد مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهر في ربيع الآخر لمضي اثنتي عشرة ليلة."[4].

ونجد أن بعض الصلوات مثل صلاة الضحى لم يكن عدد ركعاتها معروفاً فكان النبي يصليها ركعتين وأربعة وستة وثمانية ركعات:

[حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا أسد بن عاصم، حدثنا الحصين بن حفص، عن سُفيان، عن عمر بن ذر، عن مجاهد، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، صلَّى الضحى ركعتين، وأربعاً، وستاً وثمانياً][5].

وهل كانت صلاة الصبح سراً أم جهراً؟

"في صفة القراءة المستحبة فيهما، ذهب مالك والشافعي وأكثر العلماء إلى أن المستحب فيهما هو الإسرار، وذهب قوم إلى أن المستحب فيهما هو الجهر، وخُيِّر قوم في ذلك بين الإسرار والجهر. والسبب في ذلك تعارض مفهوم الآثار، وذلك أن حديث عائشة المتقدم المفهوم من ظاهره [**أنه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ فيهما سرا**] ولولا ذلك لم تشك عائشة هل قرأ فيهما بأم القرآن أم لا؟ وظاهر ما روى أبو هريرة [**أنه كان يقرأ فيهما بـ {قل يا أيها الكافرون} و {قل هو الله أحد} أن قراءته عليه الصلاة والسلام فيهما جهرا**] ولولا ذلك ما علم أبو هريرة ما كان يقرأ فيهما، فمَن ذهب مذهب الترجيح بين هذين الأثرين قال: إما باختيار الجهر إن رجح حديث أبي هريرة، وإما باختيار الإسرار إن رجح حديث عائشة، ومن ذهب مذهب الجمع قال بالتخيير."[6]

ومع كل هذا الاختلاف في كيفية الصلاة نسأل أنفسنا: هل أمر الله النبي أن يشرح للمسلمين الصلاة **بكل هذا التذبذب وعدم التركيز على وتيرة واحدة، أم أن النبي فعل ذلك من تلقاء نفسه وبدون وحي من الله؟**
فإذا كان الأول هو الجواب يكون الله غير قادر على اتخاذ القرار الصحيح ويضطر إلى تغيير رأيه عدة مرات،
وإذا كان الثاني هو الجواب فإذاً السنّة ما هي إلا محاولات من النبي لإيجاد أحسن حل وسط يكون مقبولاً للمسلمين. وبالتالي فهي ليست شيئاً موحى من الله إلى النبي ولا يجب على المسلمين استنباط الأحكام الشرعية منها، خاصةً إذا تعارضت السنّة مع صريح القرآن كما في رجم الزانية والزاني التي نسخت السنّةُ فيها القرآنَ.
ولم يكتف شيوخ الإسلام بالرجوع إلى ما قال أو فعل النبي بل تمسكوا بما قال الصحابة والتابعون، فقال الشيخ العبيكان:

"وساق بإسناده عن عبد الله بن مسعود
+ إنه قال: [**لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله تعالى**]،
فبلغ ذلك إمرأة من بني اسد يقال لها أم يعقوب كانت تقرأ القرآن فأتته،
- فقالت له: ‹ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله تعالى؟›
+ فقال عبد الله: ‹وما لي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله تعالى.›
- فقالت: ‹لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدت هذا.›

---

[2] شذرات الذهب للدمشقي، ج1، ص 14.
[3] السيرة النبوة لابن هشام، ج2، ص 109.
[4] المنتظم في التاريخ، ج3، ص 15.
[5] زاد المعاد لابن قيم الجوزية، ج1، ص 153.
[6] بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد القرطبي، ج1، ص 148.

+ قال فقال عبد الله: ‹لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه
+ ثم قال {**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**}" انتهى.

ورد عبد الله بن مسعود على المرأة التي قرأت القرآن ليس رداً مقنعاً فهي كانت تتحدث عن الحديث المنسوب إلى الرسول، وعبد الله بن مسعود رد عليها بأن قال إن الله قال ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا. وقد غاب عن الشيخ العبيكان وعن عبد الله بن مسعود أن الناس *هنا لا يجادلون في ما أتى به الرسول، وهو القرآن*، إنما يجادلون في *صحة ما زعم الفقهاء ورواة الحديث أن النبي قاله أو فعله*. فلو صح بدون أدنى شك أن النبي قال حديثاً بعينه أو فعل فعلاً بعينه لقبلنا أن يقولوا ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا، **ولكن هل من الممكن أن نجزم بصحة أي حديث وصلنا؟ الجواب هنا حتماً بالنفي.** والشيوخ لا يهمهم أن متن الحديث يتعارض مع أحاديث أخرى، فهم مثلاً يقولون بالحديث السابق [**لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتفلجات للحسن المغيرات لخلق الله**] فالرسول لعنهن لأنهن غيرّن خلق الله، لكنهم في نفس الوقت يقولون بحديث الختان الذي هو من أكثر الأشياء تغييراً لخلق الله. فالواشمة تريد أن تزيد إلى حسنها بينما الختان يُنقص ما أعطاه الله المرأة والرجل. *فكيف يلعن الرسول الواشمة ويُحث على الختان*؟
والأحاديث والسنة التي يعتمد عليها الفقهاء تقول إن مسلم قال عن أبي هريرة إنه قال، قال رسول الله:

[**لما قضى الله الخلق كتب في كتاب على نفسه فهو موضوع عنده: إن رحمتي تغلب غضبي.]**

فهذا الحديث يدل على أن الله نفسه يعرف أن الذاكرة لا يمكن الاعتماد عليها ولذا كتب ما قرره في كتاب عنده. والقرآن يقول:

{اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان مِن علق. اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم}.

فإذاً كتابة الشيء لا بد منها إن أردنا له الحفظ من الضياع. ولكن مع ذلك تخبرنا الأحاديث التي يعتمد أهل السنة عليها أن النبي منع أصحابه أن يكتبوا عنه غير القرآن، ففي حديث ابن سعيد عن النبي أنه قال:

[**لا تكتبوا عني ومَن كتب عني غير القرآن فليمحه**. خرّجه مسلم].

وفي حديث له آخر يقول ابن سعيد:

[**حرصنا أن يأذن لنا النبي صلى الله عليه وسلم في الكتابة فأبى].**

وروى أبو نصرة قال:

"قيل لأبي سعيد: أنكتب حديثكم هذا؟ قال: لِمَ تجعلونه قرآناً؟ ولكن احفظوا كما حفظنا." وقال خالد الحذاء: "ما كتبت شيئاً قط إلا حديثاً واحداً، فلما حفظته محوته."

وهناك مِن الفقهاء مَن امتنع عن كتابة الحديث منهم الشعبي ويونس بن عبيد وخالد الحذاء وابن عون والزهري[7]. ومنهم مَن كان يكتب فإذا حفظه محاه منهم محمد بن سيرين وعاصم بن حمزة وهشام بن حسان الذي قال:

"ما كتبتُ حديثاً قط إلا حديث الأعماق فلما حفظته محوته."
وكان الفقيه محمد بن عبد الرحمن أبو ذئب الذي ولد عام 365 هجرية يحفظ حديثه ولم يكن له كتاب ولا شئ ينظر فيه ولا له حديث مثبت في شئ[8].

فهذا رجل ولد بعد ثلاثمائة وخمسين عاماً بعد وفاة النبي وكان يؤمن أن الحديث لا يُكتب.
فإذا كانت الأحاديث والسنة وحياً يوحيه الله إلى النبي، لماذا منع النبي أصحابه مِن كتابة الأحاديث وهو كان يعلم أن الإنسان ينسى والله قال له في القرآن {**سنقرئك فلا تنسى**}؟ وقد سها مرةً وصلى خمسة ركعات. فهل من المعقول أن يفرط الله في الوحي الذي أوحاه إلى نبيه ويمنعه من كتابته؟ وإذا كانت أحاديث النبي وأفعاله وحياً فكيف أوحى الله إلى نبيه أن يقول لأهل المدينة **أن لا يلقحوا نخلهم**؟ فقد روى مسلم في ‹صحيحه›:

"عن طلحةَ بن عُبيد الله رضى الله عنه، قال: مررتُ مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى نخلٍ، فرأى قوماً يُلَقِّحُونَ، فقال: [**ما يصنعُ هؤلاء**؟] قالوا: يأخُذون من الذكر فيجعلونه فى الأُنثى. قال:[**ما أَظُنُّ ذلك يُغْنى شيئاً**]، فبلغهم، فتركوه، فلم يَصْلُحْ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: [**إنما هُوَ ظَنٌّ، فإن كان يُغْنى شيئاً، فاصنَعوهُ، فإنَّما أنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، وإنَّ الظَّنَّ يُخطِئُ ويُصيبُ، ولكنْ ما قلتُ لكم عن الله عَزَّ وجَلَّ، فلن أكذِبَ على الله**]"[9].

وهذا الحديث يوضح أن أفعال وأقوال النبي *ما هي إلا ظن وأقوال بشر مثلنا* يخطئ ويصيب، **وعليه هي ليست مصدراً للتشريع**. والنبي في هذا الحديث يقول [**ولكن ما قلت لكم عن الله عز وجل فلن أكذب على الله**] ألا يوحي هذا القول بأن ما يقوله في أحاديثه ليس عن الله عز وجل؟
ويُقال إن أول من دون الحديث كان الزهري الذي توفي عام 124 هجرية عندما أمره الخليفة عمر بن عبد العزيز بذلك. وعمر بن عبد العزيز توفي عام 101 هجرية وحكم عامين فقط. فلا بد أنه أمر الزهري بكتابة الحديث حوالي عام مائة بعد الهجرة أي بعد حوالي تسعين عاماً بعد وفاة الرسول. والزهري لم يجمع إلا القليل من الأحاديث. ثم جاء البخاري (ولد عام 194 وتوفي عام 256 هجرية) وجمع الأحاديث في صحيحه *فلا بد أنه جمعها بعد حوالي مائتين عاماً من وفاة النبي*. ثم جاء أهل الحديث بعد ذلك وقسموا الأحاديث إلى **متواتر** سمعه أكثر من شخص من النبي ويتفق أهل الحديث جميعهم على أنه راجع إلى النبي، ثم حديث **حسن** ثم حديث **ضعيف** وما إلى ذلك. وقد اختلفوا في عدد الأحاديث المتواترة، فقال بعضهم *إنه ليس هناك أصلاً حديث متواتر مقطوع بصدقه*، وقال بعضهم انه يوجد **حديث متواتر واحد** وهو حديث [**من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**]. ورأى بعضهم أن الحديث المتواتر **ثلاثة فقط**، وارتفع بعضهم بالأحاديث المتواترة إلى **خمسة** وبعضهم إلى **سبعة**، وقال السيوطي إنها مائة حديث فقط. فإذاً كل الأحاديث الباقية هي **أحاديث آحاد**، أي ادعى شخص واحد أنه سمعها من النبي، ومثل هذه الأحاديث، وهي **بمئات الآلاف**، لا تُعتمد في التشريع.
فهل هناك من سند للشيوخ ليقولوا لنا *إن الذي يعتمد على القرآن فقط يكون من الخوارج*، كما قال الشيخ العبيكان؟ والغريب أن الشيوخ يزيدون على قول الغزالي الذي قال:

"إن قولي صواب يحتمل الخطأ وقول غيري خطأ يحتمل الصواب"

فهم لا يخطر ببالهم أن قولهم يمكن أن يكون خطأً. فقد رويّ عن أحمد بن حنبل:

---

[7] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، سورة طه، الآية 51.
[8] تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ج3، ص 103.
[9] الطب النبوي لابن القيم الجوزية، ص 401.

"أنه قال لما بلغ ابن أبي ذئب أن مالكا *لم يأخذ بحديث البيعين بالخيار قال يستتاب وإلا ضربت عنقه*. ومالك لم يرد الحديث ولكن تأوله على غير ذلك"[10].

فالذي يحكم بردة الإمام مالك بن أنس لن يتورع عن الحكم بردة المسلم العادي.
ولا نعلم لماذا يتجاهل الشيوخ قول الله:

{ونزلنا عليك الكتاب بياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين. (النحل 89)**}.**

وكذلك قوله:

{ما فرّطنا في الكتاب من شيء. (الأنعام 38)**}.**

فالكتاب لا يحتاج أحاديث تزيد إليه أو تشرحه، وقد قال ابن القيم الجوزية:

"قال ابن إسحاق: ثم خطب رسولُ اللّه صلى الله عليه وسلم مرة أخرى، فقال: [**إن الحمد للّه أَحمَدُهُ وأَسْتَعِينُه، نَعوذُ باللّه مِنْ شرور أنْفُسِنا، وسَيِّئاتِ أعْمالِنا مَنْ يَهْدِه اللّه، فلا مُضِلَّ له، ومَن يُضْلِل، فلا هادِيَ له، وأشْهَدُ أن لا إله إلاَّ اللَّهُ وَحْدَه لا شَريكَ له، إنَّ أحسَنَ الحَديث كِتابُ اللّه، قَدْ أَفْلَحَ مَن زَيَّنَه اللّه في قلبه، وأدخله في الإِسلام بعد الكفر، فاختارَه على ما سواه مِنْ أحاديث النَّاس، إنَّه أَحْسَنُ الحديثِ وأبْلَغُه**]."[11].

فهذا هو النبي نفسه، إن صح الحديث، يقول إن القرآن هو أحسن الحديث. فالشيخ العبيكان قد أخطأ مرة أخرى.

عودة إلى الفهرس

[10] تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ج3، ص 104.

[11] ج1، ص 169.

6 - تعارض الدين مع العلم والمنطق

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=64696

منذ أن جاء موسى حوالي عام 1300 قبل الميلاد وقال إن الله قد خلق آدم في الجنة ثم أخرجه منها قبل حوالي خمسة آلاف عام، ظل رجال الدين اليهودي والمسيحي والإسلامي يرددون هذه المقولة التي تطير في وجه الحقائق العلمية الحديثة التي أثبتت لنا أن الإنسان عمّر هذه الأرض قبل ما لا يقل عن خمسمائة ألف عامٍ مضت (أدوات إنسان بكين في الكهف الصيني عمرها 400 ألف عام). وقبل هذا التاريخ كانت الأرض مأهولةً بالحيوانات التي منها ما اندثر ومنها ما زال عايشاً. ومن هذه الحيوانات القرد الشمبانزي Chimpanzee Ape الذي اشتُق منه الإنسان. والهياكل العظمية التي عثر عليها علماء الحفريات تُثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن الإنسان الأول كان يشبه الشمبانزي في حجم وشكل الجمجمة وفي بقية الهيكل العظمي. وبعد مرور آلاف السنين تطور الإنسان وأصبح سوياً قائماً على رجلين بدل الأربعة. فهل يمكن أن يكون الله قد خلق الإنسان في هذا التطور الجسدي الذي استغرق آلاف السنين؟ القرآن يخبرنا أن **الله قد خلق الأرض كلها في يومين**، بما فيها النبات والحيوانات وآدم، **وهذا القول يعارض منطق التطور هذا**، ويخبرنا أن **الله قد خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم رده أسفل سافلين**. بل زاد القرآن وقال **إن الله رد بني إسرائيل من أناس أسوياء إلى قرود**، أي عكس فكرة التطور هذه. وليس هناك أي دليل علمي أو تاريخي على مسخ بني إسرائيل إلى قرود. ولو كان الله قد خلق آدم وحواء كأول شخصين على الأرض، كما يقول رجال الدين، فهو قد سنّ سنةً غير أخلاقية إذ جعل أبناء آدم يعاشرون أخواتهم ليعمرّوا هذا العالم، وكان من الأفضل أن يخلق عائلتين في نفس الوقت **حتى يتفادى هذا الحرج** الذي شرّع فيما بعد القوانين ليمنعه وجعله عملاً غير أخلاقي. *فهل يُعقل أن يفعل الإله الكامل عملاً ثم يتراجع عنه؟*

المنطق يُحتّم علينا إن افترضنا أن هناك إلهاً خلق هذا العالم، أن يكون هذا الإله مكتملاً في قدرته وعلمه ومعرفته بالأشياء (**ليس كمثله شيء** كما يقول القرآن). فإذا كان هذا الإله موجوداً فهل مِن المعقول أن يكون قد تعلّم من تجاربه وأخطائه كما يتعلم الإنسان؟ الجواب لا بد أن يكون بالنفي. فإذاً كيف نفسر أن يكون الله قد خلق الإنسان بدائياً لا يعرف النطق بالكلمات ولا يعرف استعمال الآلات التي تساعده على معيشته ويأكل اللحم نيئاً قبل أن يكتشف النار ويتجول عارياً من أي لباس يغطي جسمه؟ فالإنسان الأول كان يستعمل الحجارة لقتل الحيوان ولتقطيع اللحم على مدى آلاف السنين ولم يخترع آلات البرونز إلا في حوالي عام 3500 قبل الميلاد، أي قبل حوالي ستة آلاف عام من عمره الطويل على الأرض الذي يمتد إلى أكثر من أربعمائة ألف عام؟ ولم يكتشف الإنسان الحديد إلا حوالي عام 1900 قبل الميلاد، ومع ذلك يتجاهل القرآن كل هذه الأزمان الطويلة من حياة الإنسان ويقول {**أنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس**}. والإنسان استعمل البرونز أطول مما استعمل الحديد ولكن لا ذكر للبرونز في القرآن. ويقول كذلك عندما يتحدث عن النبي داوود {**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ.** (سبأ 10)}. ويقول المفسرون إن الله علّم داوود صناعة الدروع وألان له الحديد ليصنعها. ولكن الموسوعة العلمية البريطانية تخبرنا أن الإنسان عرف صناعة الأسلحة الحديدية والدروع حوالي عام 1900 قبل الميلاد، أي بمئات السنين قبل داوود. ومن أين أنزل الله الحديد؟ الغلاف الأرضي ملئ بالحديد الخام فليس الله بحاجة أن ينزله من السماء.

ونحن نعرف الآن أن أشعة الشمس تسافر من الشمس وهي تحمل معها طاقةً هائلة أتت بها من الشمس، ولكن هذه الأشعة لا تُطلق هذه الطاقة إلا عندما ترتطم بسطح الأرض. وقتها تتولد حرارة عالية من هذا الارتطام بالأرض تنتج عنه الرمضاء. وعندما ترتد أشعة الشمس إلى أعلى تفقد طاقتها تدريجياً فتقل الحرارة في طبقات الجو العليا حتى تصل إلى ما تحت الصفر. فإذاً الحرارة أكثر ما تكون عند سطح الأرض. وبما أن الحفريات الحديثة أثبتت لنا أن الإنسان بدأ حياته في أفريقيا قبل أن ينتشر في بقية العالم، وبما أن أفريقيا عند خط الاستواء حيث الحرارة في أشدها، فالمنطق يحتم أن يخلق الله الإنسان طويلاً حتى يُبعد الدماغ عن حرارة الأرض لأن الدماغ لا يعمل إلا في مجال ضيق جداً من درجات الحرارة. فهل كان الله يجري تجارباً عندما خلق **البجميز**† Pigmies الذين لا يزيد طولهم عن ثلاثة أقدام، في غابات أفريقيا الوسطى؟ **لا بد أنه كان يجرب في الخلق** لأنه عاد وخلق أفراد قبيلة الماساي†† Massai الذين يبلغ طولهم في المتوسط ستةَّ أقدام أو أكثر. ومفسرو القرآن يقولون إن الله قد أنزل آدم في الهند وكان طوله ستين ذراعاً وأنه عاش أكثر من ألف عام. وبما أن ظهور **البجميز** قد سبق خلق آدم بآلاف السنين، لو كان آدم شخصيةً حقيقية. فلا بد أن يكون الله قد تعلم من خلق **البجميز** فخلق آدم طويلاً لأنه أنزله في الهند التي لا تبعد عن خط الاستواء كثيراً .ونحن نعرف من دراسات هياكل الإنسان القديم أنه كان لا يعيش أكثر من حوالي ثلاثين عاماً لتفشي الأمراض والحيوانات المفترسة ولصعوبة الحياة عامةً. وقد زاد عمر الإنسان تدريجياً بتحسن وتطور الطب والغذاء فأصبح الإنسان الأوروبي يعيش في المتوسط ثمانين عاماً بينما يموت إنسان العالم الثالث في الخمسين من عمره. والقرآن يقول بعكس ذلك إذ جعل آدم ونوح وغيرهم يعيش أكثر من ألف عام وتدريجياً نقص عمر الإنسان وطوله مع تقدم الطب وسهولة الحياة.

وفي عالمنا الصناعي الذي نعيش فيه اليوم إذا صمم مهندس سيارة أو أي ماكينة تهدر ستين بالمائة من الطاقة التي نضعها فيها في شكل حرارة لا تفيد ما صُممت الماكينة من أجله، لطَرَدَ صاحب المصنع هذا المهندس. ولكن إذا أخذنا الإنسان فإن جسمه يُعتبر أكثر ماكينة غير اقتصادية إذ أن ستين بالمائة من الطعام الذي نأكله يتبدد في شكل حرارة لا نستفيد منها وقد تُجهد الجسم ليتخلص منها. فلو أن الله قد خلق هذا الإنسان، أما كان المتوقع منه أن يجعل جسمه أكثر اقتصاداً في استعمال الطاقة، والقرآن يقول {**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**}.

وإذا تركنا الإنسان ونظرنا إلى الحيوان، نجد أنّ مِن أوائل الحيوانات ظهوراً على الأرض حيوان الديناصور الذي انقرض قبل حوالي ستين مليون سنة. هذه الحيوانات كان يبلغ طولها 127 قدماً وبعضها له أجنحة لكنها لا تطير. هذه الحيوانات الضخمة كانت تعيش على الحشائش وتبيض كالطيور. ولا بد أن حيواناً بهذا الحجم يحتاج إلى كمية ضخمة من الحشائش يومياً بحيث لا يمكن توفرها لأعداد كبيرة منها وعلى مدى ملايين السنين، فكان لا بد لها أن تنقرض. فلماذا خلق الله حيواناً بهذا الحجم لا يمكن أن يطير وأعطاه أجنحة؟ وهل كان ممكناً لمثل هذا الحيوان أن يستمر في الحياة دون أن يتغير؟ فعملية *التطور الطبيعي*††† Natural Selection كان لا بد لها أن تغيّر من حجم وشكل هذا الحيوان أو أن ينقرض هذا الحيوان، وقد انقرض. وحدث نفس الشيء مع أفيال الماموث Mammoth الضخمة التي انقرضت وأصبحنا نضرب بها المثل عن المهمة الضخمة فنقول Mammoth Task. وطائر الدودو Dodo الضخم الذي لم يكن يطير ولذلك انقرض لأن حجمه الضخم كان يعوق حركته وبالتالي لم يتمكن من النجاة من الحيوانات المفترسة ولم يستطع أن يطير فينجو من الصيادين. فلا بد أن الله لو كان هو خالق هذه الحيوانات لكان قد خلقها في أحسن هيئة تساعدها على البقاء والعيش، خاصة أن القرآن يقول {**فتبارك الله أحسن الخالقين**}. فهل هذه الحيوانات التي انقرضت كانت أحسن الخلق؟

† الأقزام

†† Massai
a member of a pastoral people with strong warrior traditions who live in East Africa, mainly in Kenya and Tanzania.
They are characteristically tall and slender in build
Microsoft® Encarta® 2009.

††† أو "الاصطفاء الطبيعي".

وإذا كان الله قد خلق الإنسان في أحسن تقويم، لماذا خلق له أشياء إضافية بجسمه لا فائدة منها مثل شعر العانة والشارب وشعر الإبط ثم طلب منه أن يزيلها كلها؟ ألم يكن بمقدور الله أن يخلقه كما يريد دون هذه الزوائد؟ فالمعروف أن الشعر يحبس طبقة من الهواء تعمل كعازل للحرارة، فشعر الرأس يحفظ حرارة الدماغ في درجة أقل من الحرارة الخارجية لأن الهواء المحجوز بين شعر الرأس يُكوِّن عازلاً Insulator يمنع الحرارة من الوصول إلى الدماغ. أما شعر العانة فلا وظيفة له. أيخلق الله للإنسان أشياء لا حاجة له بها؟ والقرآن يقول لنا {**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون.** (الذاريات 56)}، ونحن نعلم أن الإنسان ظهر على الأرض منذ مئات الآلاف من السنين، وأول نبي نعرفه هو إبراهيم الذي جاء حوالي عام 1800 قبل الميلاد أي حوالي قبل أربعة آلاف عام. فماذا كان الإنسان يفعل في الأربعة آلاف سنة قبل أن يتعلم اللغة والكلام وقبل أن يأتي النبي إبراهيم ليعلمه كيف يعبد الله، والله لم يخلق الناس إلا ليعبدوه؟ فحتماً لو خلق الله الإنسان لخلقه متكلماً عارفاً لواجبه نحو خالقه وعلى استعداد لعبادته.

وبما أن القرآن يقول لنا إن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم يحق لنا أن نسأل: هل يمكن لله أن يُحسّن في كمال جسم الإنسان بعد أن قال إنه خلقه في أحسن تقويم؟ فإذا كان الجواب بالإيجاب فإن الله لم يخلق الإنسان في أحسن تقويم كما قال لأن كلمة "أحسن" تعني أنه لا يمكن أن يتحسن أكثر من ذلك. وإذا كان الجواب بالنفي فسوف تقابل رجالات الدين مشكلة كبرى **لأن الطبيعة تجبر جسم الإنسان على التأقلم والتغير**. فالإنسان الأفريقي أجبرته الطبيعة أن يتأقلم مع حرارة خط الاستواء التي تمدد الهواء عندما يسخن، وعندما يتمدد الهواء تقل نسبة الأوكسجين فيه، وإذا كان الإنسان يحتاج أن يتنفس عشرة لترات هواء بارد ليحصل على الأوكسجين اللازم لجسمه في الدقيقة الواحدة، فإن الإنسان الأفريقي يحتاج أن يتنفس عشرين لتراً من الهواء الساخن ليحصل على نفس كمية الأوكسجين التي يحصل عليها غيره في عشرة لترات. وحتى يتمكن الإنسان الأفريقي من تنفس عشرين لتراً من الهواء في الدقيقة لا بد أن تصير أنفه كبيرة بدرجة تسمح له بتنفس هذه الكمية. وعندما هاجر الإنسان الأفريقي إلى الدول الاسكندنافية قبل عشرات الآلاف من السنين، لم يعد بحاجة للأنف الكبير لأن الهواء بارد ومتقلص ولذلك صارت أنفه صغيرة. ثم أنه تخلص من اللون الأسود في جسمه وفي شعره لأن اللون الأسود يعكس الحرارة، والإنسان الاسكندنافي يحتاج الحرارة ولذلك تخلص من السواد. فالطبيعة تجبر جسم الإنسان على التغيير. ويتنبأ العلماء بأن إنسان المستقبل سوف يكون ذا رأسٍ كبيرة وسوف يفقد شعر الوجه والجسم بالكامل وسوف تزداد مقدرته العقلية مع زيادة حجم دماغه ورأسه. وعليه إما أن يكون الله هو الذي يغير جسم الإنسان بعد أن قال إنه خلقه في أحسن تقويم، وإما أن يكون الله لا دخل له في الخلق والطبيعة هي التي تفعل ذلك.

هذه أسئلة تحتاج إلى إجابات مِن رجال الدين غير جوابهم المعروف الذي يقول لنا {وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً} أو "التفكر في ذات الله كفر".

عودة إلى الفهرس

2006 / 5 / 17

7 - هل للجُبِ من قاع؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=65040

منذ بدء التاريخ وأمة العرب التي كانت تعيش في صحارى تهامة والحجاز **مولعة بكل شيء يمت للماء بصلة**. وجاء الإسلام وخلق أهل السيرة فيه فولكلوراً شعبياً عن الآبار وجعلوا بئر زمزم ذات الماء المالح *من مقدسات الإسلام* التي حفرها عبد المطلب جد النبي قبل أن يولد نبي الإسلام، ثم ذكروا لنا قصة بئر "ذروان" التي كانت لبني زريق والتي ألقى فيها لبيد بن الأعصم اليهودي السحر عندما سَحَر النبي، وكان يمكن له أن يدفنه في رمال الصحراء فلا يعثر عليه أحد. ثم جاء دور النبي نفسه ليمجد البئر أي القليب [1] التي ألقى فيها بأجساد قتلى موقعة بدر ثم كلمهم في قاع القليب. وقص لنا القرآن قصة البئر التي ألقوا فيها يوسف عندما كان طفلاً، وتفنن مفسرو القرآن في وصف تلك البئر.

ومن كثرة إعجاب الأمة الإسلامية بالبئر قرر أولو الأمر والنهي في القرن الثاني عشر الميلادي إدخال كل الأمة الإسلامية في بئر سحيقة عندما قرروا قفل باب الاجتهاد.

ومنذ ذلك الحين والأمة تعيش سعيدة في قاع هذه البئر تجتر ذكريات الماضي السحيق وتحلم باللذات الموعودة عندما يُنفخ في الصور ويخرجون مِن أجداثهم (قبورهم) وآبارهم ليدخلوا جنةً عرضها السموات والأرض أُعدت للمتقين. ولولا بعض **المشاغبين** الذين استطاعوا، في غفلة من رجال الدين، تسلق حيطان تلك البئر العميقة ليخرجوا إلى العالم المعاصر ويُبصروا ما وصل إليه العالم من تقدم ورخاء، لظلت الأمة العربية والإسلامية تعيش في سعادةٍ أبدية في قعر بئرها. ولكن هؤلاء **المشاغبون** الذين تنسموا عبير الحرية في بلاد الغرب ظلوا يصرخون من فتحة البئر إلى من في قعرها ويحثوهم على الخروج من بئرهم. وبما أن رجال الدين يدافعون عن الله وعن رسوله وعن الإسلام، فلم يستكينوا ولم يهنوا وظلوا يحفرون في قاع البئر حتى تزيد عمقاً ويصعب على الناس الخروج منها كما خرج المشاغبون اللبراليون. ورجالات الدين المستميتون في الدفاع عن الله، رغم أن أدوات حفرهم ترجع إلى القرن السابع الميلادي وما قبله، فقد ظلوا يصلحون ما انكسر من هذه الأدوات ويدهنون عليها ما استطاعوا اقتباسه من العلم الحديث حتى تؤدي مهمة الحفر بفعالية أعلى من السابق.

ورغم بدائية الآلات فقد زاد عمق البئر لأن سكان البئر لا يعوزهم الحماس لكل ما يمت لدين الإسلام بصلة، حتى وإن كان قصصاً وهمية. وأصبحت البئر بلا قرار ولا أمل لأحد في الخروج منها.

- وفي حماسهم للدفاع عن الله ورسوله،
  - خلق رجال الدين من الله شخصاً لا يستطيع أن يدافع عن نفسه ولا ينتقم من أحد،
  - بل ينتظر جيش المهدي وكتائب الأنصار للانتقام له،
  - ولا يملك حق القرار لأن رجال الدين يقررون ما يُرضي الله وما يغضبه،
  - ويقررون مَن ارتد عن دين الله ومَن آمن، ومَن سوف يدخل الجنة ومَن منا سوف يدخل النار.
- والمندفع دون روية في الدفاع عن الله لا بد أن يرتكب بعض الأخطاء. *ونجد هذه الأخطاء في كل البلدان الإسلامية*.
  - ففي الأيام القليلة الماضية اصطاد صياد سمك في مومبَسا على الشاطئ الشرقي لكينيا سمكة تونة أثارت فضول المسلمين، وما أقل الأشياء التي تثير فضولهم، «حيث أكد شيوخ مسلمون انها تحمل بين حراشفها كتابة قرآنية. ومنذ اصطياد السمكة "المعجزة" في المحيط الهادىء، تهافت مئات الاشخاص لرؤيتها مما تطلب نقلها الى مكتب الهيئة الوطنية للصيد، كما اكد مسؤولون. واكد الصياد عمر محمد عوض الذي لاحظ السمكة التي تزن كيلوغرامين ونصف الكيلوغرام، انه رأى على حراشف السمكة بالقرب من الذيل كتابة بالعربية. ولكن المختصين باللغة العربية الذين فحصوا السمكة في ما بعد أكدوا أن تلك الكتابة هي جزء من عبارة التكبير.

وقال أمين عام مجلس الأئمة والمرشدين الكينيين:

> *"انها لا شك آية قرآنية"، وأضاف:*
> *"نعتقد ان الله يرسل من وقت إلى اخر رسائل من هذا النوع بشتى الطرق."* [2]

هؤلاء الشيوخ الكينيون الذين يودون نصرة الله قد جعلوا الله متخبطاً في قراراته لا يقدر على إرسال رسائله إلى الأماكن الصحيحة ولا يعرف أي الوسائل يستعمل في رسائله هذه. فإذا أراد الله أن يخاطب مسلمي كينيا، لماذا يبعث لهم رسالة باللغة العربية بينما لغتهم الرسمية هي السواحيلي ثم اللغة الإنكليزية؟ ولماذا يبعث رسالته في سمكة سوف تموت وتتعفن وتتحلل بعد أيام قليلة، فتضيع الرسالة؟ أما كان الأجدى أن يكتبها على وجه القمر حتى يراها الجميع فيسلموا؟ والدليل على عدم جدوى الرسالة هو أن الشيوخ اختلفوا في قراءتها فقال بعضهم إنها **"تكبير"** وقال آخرون إنها **آية قرآنية**، دون أن يقولوا لنا ما هي الآية التي جاءت في الرسالة. *والأمة التي تعيش في قعر بئر مظلمة لا يهمها محتوى الرسالة بقدر ما يهمها أنها رسالة من رب العالمين الذي لا يخاطب إلا المسلمين.*

- وبعد أن ملأ شيوخ الإسلام من أمثال زغلول النجار صفحات الكتب والمجلات ومحطات التلفزيون الفضائية **بالإعجاز القرآني** الذي لم يترك اكتشافاً علمياً حديثاً إلا ذكره قبل اكتشافه بمئات السنين، بدؤوا الآن يتحدثون عن "السمكة المعجزة"

---

[1] هكذا جاءت في سيرة ابن هشام، وعنى بها البئر التي في بدر حيث دارت المعركة، ويبدو أن "القليب" كان اسم تلك البئر.

[2] إيلاف 14 مايو 2006.

و "الطفل المعجزة". فقد ظهر أطفال معجزون في كل بقاع العالم الإسلامي ولكن أشهرهم كان الطفل التنزاني "الشيخ شريف" الذي كان يبلغ من العمر أربعة سنوات، *وكان يقدم الخطب والمواعظ للمسلمين البالغين*.

وقد ذاع صيته والتقاه بعض القادة الأفارقة وعلى رأسهم العقيد الأخ معمر القذافي[3]. وظهر كذلك طفل معجزة عمره ستة سنوات في جامع عمرو بن العاص في القاهرة وأصبحت خطبه تباع على أشرطة كاسيت في السوق العام[4]. أما في غزة التي يموت الناس فيها من جراء الفقر والجوع والمرض والقذائف الإسرائيلية، فقد أنساهم همومهم طفل معجزة آخر أسمه أمجد أبو سيدو ظهر في مسجد الرحمن بغزة واستهوى أفئدة الناس لدرجة أن أئمة المساجد الأخرى لم يجدوا متسعاً في وقت هذا الطفل المعجزة ليخطب في مساجدهم التي كادت أن تخلو من المصلين[5].

- وفي السودان، أكبر قطر في أفريقيا والذي تحول مِن المسيحية إلى الإسلام في القرن الرابع عشر الميلادي، والذي تسيطر عليه حكومة عسكرية اغتصبت الحكم بإسم الإسلام وكان عرابها الشيخ الترابي الذي رماه الشيوخ السودانيون أخيراً بالردة عندما تخلى عنه البشير، وقد كانوا يتسابقون إلى الصلاة خلفه رغم أنه كان قد أفصح عن اجتهاداته في الإسلام منذ الستينات من القرن المنصرم. في هذا البلد الشاسع الأطراف والذي يسرح فيه الجهل والفقر والمرض رغم أنه بلد مصدّر للبترول، يلجأ عامة الناس إلى المشعوذين لعلاجهم من الأمراض بينما يتعالج الحاكمون بإسم الله الأغنياء في أحسن المستشفيات الأوروبية. ففي القرن الحادي والعشرين:

> "ترقد امرأتان متدثرتين بالأغطية على سرير خشبي فيما أخذ الشيخ محمود يصرخ في أذنيهما لإبعاد الشياطين التي تقولان إنها تدمر حياتهما الشخصية. تلا الشيخ محمود آيات مِن القرآن وضرب المرأتين بسوط على أرجلهما. وصرخت احداهما وأخذت تلوي يديها من الألم. وقال الشيخ محمود وهو رجل ضخم البنية يرتدي جلبابا أبيض وطاقية بيضاء ذو لحية كبيرة تصل الى أعلى صدره ‹يمكن أن أعقد جلسات مع خمسين شخصا لكن كلما كان العدد أقل كان أفضل لأركز على كل واحد منهم›."[6].

في هذا البلد المسلم المليء بالشيوخ يتوقع المرء من هؤلاء الشيوخ إسداء النصح للحكومة بالحفاظ على المال العام وصرفه في علاج المرضى وتعليم الأطفال بدل صرفه في حروب الجهاد ضد الجنوب المسيحي وضد دارفور، عملاً بالحديث:

[مَن رأى منكراً فليغيره بيده وإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان].

ولكن وعاظ السلاطين لا يستطيعون إسداء النصح للسلطان. وبدل النصح للسلطان كرّس هؤلاء الشيوخ وقتهم وجهدهم في جمع الأدلة للحكم على الترابي بالردة، كأنما ردة الترابي سوف تعالج المرضى وتعلم الأطفال. ومِن ضمن الأدلة التي جمعوها ضد الترابي وقدموها لنا بزهو وافتخار، نجد:

- قال عن *أصول الدين* التي يتحدث عنها المسلمون بأنها: "ليست من الدين في شيء".
- وقال عن *أنصار السنة*: "يتعرضون للقضايا الهامشية مثل تطويل اللحى وتقصير الجلباب".
- وقال عن *فقهاء السلف*: "منهم من هو صالح ومن هو طالح".
- وقال عن *المجددين*، ومنهم عمر بن عبد العزيز والشافعي: "كثير من المجددين يأخذهم الغرور بكسبهم" - كتاب قضايا التجديد للترابي ص 154.
- وقال: "الفقهاء ما كانوا يعالجون كثيراً من قضايا الحياة العامة، وإنما كانوا يجلسون مجالس العلم المعهودة، ولذلك كانت الحياة تدور بعيداً عنهم، ولا يأتيهم إلا المستفتون"[7].

ويالها من أدلة دامغة على كفر الترابي.

- أما في مصر المحروسة التي يصادر فقهاء جامعها الأزهر أفكار الناس ويصمتون عن تجاوزات الحكومة ضد القضاة والصحفيين وسرقة المال العام والاستبداد بالسلطة، رغم أنهم صموا آذاننا بمقولتهم: ‹خير الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر› والحديث المذكور آنفاً عن مَن رأى منكراً، ومقولة: ‹الصامت عن الحق شيطان أخرس›، *فقد اختاروا أن يصمتوا عن الحق* ويسمحوا بنشر الكتب ومواقع الإنترنت التي تملأ عقول الجهلاء **بخزعبلات السلف وكراماتهم** التي حدثت في مصر. فنجد مثلاً في "موقع الإسلام" ما يلي:

> من **كرامات** الشيخ أبي عمرو القرشي المصري (ت: 564 هجرية): أن النيل زاد في سنة زيادة كادت مصر أن تغرق بمائه، فلجأ الناس إلى الشيخ فجاء إلى شاطئ النيل وتوضأ فتقلص في الحال نحو الذراعين ونزل عن الأراضي حتى انكشف وزرع الناس في اليوم الثاني. ووقع في بعض السنين أن النيل جف ماؤه ولجأ الناس إلى **الشيخ** فجاء إلى النيل وتوضأ فيه بإبريق فزاد النيل في ذلك اليوم وتتابعت زيادته إلى أن بلغ حده. وصلى مرة العشاء بمنزله في مصر ثم خرج هو وخادمه أبو العباس يتمشيان، فدخلا مكة فصليا في الكعبة ثم خرجا إلى المدينة فدخلا فزارا قبر رسول الله ثم خرجا إلى بيت المقدس فصليا ساعة ثم رجعا إلى مصر قبل الفجر. قال أبو العباس: ولم أشعر تلك الليلة بتعب. وكان الرجل العربي إذا اشتهى أن يتكلم بالعجمية والعجمي إذا أراد أن يتكلم العربية، يتفل في فمه فيتكلم تلك اللغة وكأنها لغته[8].

فهذه القصة تثبت أن الإسراء والمعراج يمكن حدوثه حتى لمَن هو دون النبي مرتبةً ما دام مِن شيوخ الإسلام، وتُثبت كذلك أن مستوى مياه النيل لا يعتمد على كمية هطول الأمطار في بلاد الحبشة وفي أواسط أفريقيا، بل يعتمد على كمية الماء في إبريق الشيخ الولي. وآخر فتوى خرجت إلينا من الأزهر كانت من المفتي الشيخ علي جمعة *الذي* حرّم *صناعة التماثيل* لكنه لم يتعرض إلى أكبر تمثال عندهم بمصر: الرئيس حسني مبارك الذي ظل جالساً على مسطبة[9] الرئاسة أطول مما جلس أبو الهول على أبواب اهرامات الجيزة؟

- أما المملكة العربية السعودية فالحديث عنها يطول، ونكتفي هنا بسرد قصة يزعم فيها *رئيس محاكم حوطة بني تميم* بأن وفداً من الجن حضر إلى مكتبه *وأزاح له بعض الأسرار في قضية ساحر تم إعدامه فيما* بعد **بناءً على اعترافات وفد الجن**. فقد نشرت جريدة "المدينة" يوم 1415/10/15 هجرية تحقيقاً صحفياً مع القاضي جاء فيه:

> "إن وفداً من الجن المسلم كانوا متلبسين بإحدى النساء وحضروا إلى مكتبي وكشفوا لي سر سحر هذه المرأة وأنه مدفون في منزل سارة إبراهيم وقد نسقت مع الجهات المختصة وتم إحراق البيت وإبطال السحر وإنقاذ هذه المرأة وإنقاذ

---

[3] عبد الرحمن مصطفى حسن، إيلاف 2 يناير 2006.

[4] نفس المصدر.

[5] صالح النعامي، الشرق الأوسط 4 يونيو 2005.

[6] أمل خان، إيلاف 18 سبتمبر 2005.

[7] الدين النصيحة www.islamadvice.com.

[8] التاريخ الإسلامي، أسباب غروب شمس العلم عن بلاد الإسلام، شيوع الأخذ بكرامات الأولياء http://history.al-islam.com.

[9] كلمة مسطبة في اللغة المصرية والسودانية تعني المكان المرتفع الذي يجلس عليه علية القوم. يقول المنجد: مسطبة ومصطبة مكان ممهد مرتفع قليلاً يُجلس عليه.

> آخرين من السحر. وقال الشيخ الحمير إن الوفد قالوا إنهم كانوا يهوداً ثم أسلموا بسبب دروس الشيخ عبد العزيز الباز وإنهم كانوا يحضرون حلقات العلم والقرآن. ويقول إن بداية قصة الساحر علي عطيف الذي تم تنفيذ حد القتل فيه ظهر يوم الجمعة الماضي يعود إلى يوم 1411/11/4 هجرية عندما كنت في جلسة لإحدى القضايا في منطقة الحلوة فدخل علينا أحد الكتبة وأخبرني بأن هناك نفراً من الجن يريدون مقابلتك. فطلبت أن يتقابلوا مع قضاة محكمة الحوطة، فقال الجني إن الشيخ في الحوطة رفض مقابلته بأنه لا يقابل مجانين وربما كان ذلك خوفاً والمرأة ليست بمجنونة. وهنا قال الجني أحمد: نريد مقابلتك يا شيخ عبد العزيز وقد كان الجن الذين في المرأة عشرة وهم أحمد وعبد الرحمن وغيرهم وقد كتبت أسماءهم."[10].

وتستمر القصة في تعرجات مضحكة أدت إلى قتل رجل وحرق بيت بناءً على كلام أحد المجانين الذين رفض قاضي الحوطة مقابلته. *ولا يسعني هنا إلا أن أرفع قبعتي احتراماً لقاضي الحوطة الذي رفض مقابلة وفد الجن*. ويتعجب المرء من الجهات الرسمية التي نسق معها الشيخ عبد العزيز الحمير لقتل الرجل وحرق البيت للتخلص من الجن في القرن الحادي والعشرين.

ويبدو أن شيوخ السعودية وحكومتها قد أضاعوا فرصةً ذهبية لحل قضية إسرائيل والعرب. فإذا كان الشيخ بن باز رحمه الله قد استطاع أن يُقنع الجن اليهود بأن يسلموا بعد أن كانوا يهودياً منذ عام 1300 قبل الميلاد، لماذا لم يبعثوه إلى إسرائيل ليخطب في كنائسها فيسلم الإسرائيليون وتنحل القضية. رحم الله الشيخ بن باز وبقية شيوخ المملكة الذين غسلوا عقول الناس هناك لدرجة أنهم أصبحوا يعتبرون إنزال سعر لتر البنزين مكرمةً من الملك. وما زال الرجل منهم يقول للطبيب بعد أن يجري له عملية جراحية ناجحة "الله يعز ابن سعود".

> ***إنها ثقافة العبودية التي بدؤوها بالعبودية لله بعد أن كانت المسيحية قد قالت إن الناس أطفال الله، وانتهت بالعبودية للحاكم ولشيوخ الدين.***

وما أصدق الشاعر (المتنبي) الذي قال:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله   وأخو الجهالة في الشقاوة ينعمُ
ومن البلية عزل من لا يرعوي   عن جهله وخطاب من لا يفهمُ

وكل المجتمعات الإسلامية من الصين إلى إسبانيا ومن آسيا إلى جنوب أفريقيا مليئة **بوعاظ السلاطين** الذين يشجعون الناس على الاعتقاد بالشياطين وعلى التوكل على الله **والالتزام بثقافة المكرمة والعبودية** التي لا تعرف أن الحكام يسرقون مال الشعوب وأن القليل الذي يجودون به للعامة ما هو إلا مالهم رُد إليهم. وبدل أن يقولوا "بضاعتنا ردت إلينا" كما يعلمهم القرآن، يقولون "الله يعز ابن سعود". وبفضل ثقافة العبودية هذه نرى الأطفال والرجال والنساء يقبلون أبواب وجدران أضرحة الأولياء ويتمرغون في ترابها في مصر وفي إيران وفي العراق وفي المغرب. والفرق الوحيد بين هؤلاء والأقوام البدائية في أفريقيا أن الأفارقة يقبلون الطواطم والمسلمون يقبلون الجدران والأبواب والحجارة بعد أن يشبعوا تقبيلاً من أنوف وأيدي الرؤساء وشيوخ الدين. ولله في خلقه شؤون، كما يقولون.

عودة إلى الفهرس

[10] قضاء بسحق العدالة، دار مصر المحروسة، تأبط خيراً، ص 46.

2006 / 5 / 21

8 - آلهة من صفيح

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=65326

- قبل مجيء الإسلام كان شيخ القبيلة هو الحاكم وكان الناس يخاطبونه بإسمه المجرد. ثم لما جاء الإسلام بدأت قريش تطلق على محمد في بداية الدعوة "ابن أبي كبشة" *امتهاناً له لعدم إيمانهم به*. ولقبوا عمر بن الخطاب "ابن أبي حنتمة". وفي المدينة كان الأنصار أصحاب محمد ينادونه باسمه المجرد أو ب "أبو القاسم" بدون أي رتوش. ثم مات النبي وخلف بعده أبا بكر فكانوا ينادونه بإسمه كذلك أو بلقب "ابن أبي قحافة". وعندما جاء عمر بن الخطاب لقبوه "أمير المؤمنين".
- وجاءت الخلافة الأموية وظل اللقب كما هو.
- إلى أن جاءت الخلافة العباسية التي اعتمدت على **وعاظ السلاطين** لتجميل صورة *الخلفاء الماجنين*، فزادت معها الألقاب التي وزعها وعاظ السلاطين على الخلفاء كما كانوا يوزعون حلوى العيد، فأصبح عبد الله بن محمد "الخليفة أبا جعفر المنصور". ولما تولى ابنه محمد من بعده لقبوه بالمعتصم بالله واستمر بقية خلفاء بني العباس على هذه الألقاب بتشجيع من وعاظ السلاطين *ليوهموا العامة بأن سلطة الخليفة هي امتداد لسلطة الله*، **وبما أن رجال الدين هم الذين يفسرون دين الله، فسلطتهم امتداد لسلطة الخليفة**. ولما جاء بنو بويه صار اللقب "معز الدولة" و"عضد الدولة" وما إلى ذلك، **فأصبح السلطان هو الدولة**. وإذا لم يكن السلطان لم تكن دولة.
- ولم يكن الفاطميون أقل ألقاباً فلقبوهم "الحاكم بأمر الله" و "المستنصر بالله".
- وانتهز كتاب السيرة النبوية فرصة الألقاب هذه فأضافوا إلى محمد بن عبد الله، بعد أن مات، ألف لقب، فقالوا:

> "أمّا مُحَمَّد، فهو اسم مفعول، من حَمِدَ، فهو محمد، إذا كان كثيرَ الخصال التي يُحمد عليها، لذلك كان أبلغَ من محمود، فإن ‹محموداً› من الثلاثي المجرد، ومحمد من المضاعف للمبالغة، فهو الذي يحمد أكثر ممّا يحمد غيره من البشر، ولهذا - واللّه أعلم - سمي به في التوراة، لكثرة الخصال المحمودة التي وُصِفَ بها هو ودينه وأمته في التوراة، حتى تَمَنّى موسى عليه الصلاة والسلام أن يكون منهم. وأما إن جعل له مِن كل وصف من أوصافه إسم، تجاوزت أسماؤه المائتين، كالصادق، والمصدوق، والرؤوف الرَّحيم، إلى أمثال ذلك. قال مَن قال مِن الناس: إن للّه ألفَ إسمٍ، وللنبي صلى الله عليه وسلم ألفَ إسم."[1]

فإذا كان نبي الإسلام محمد يعادل الله في أسمائه وألقابه لدرجة أن موسى تمنى أن يكون مِن أمته، فكيف برجال الدين الذين هم خلفاء الأنبياء، كما في حديث بركة بن نشيط:

> "العلماء ورثة الأنبياء يحبهم أهل السماء ويستغفر لهم حيتان البحر إذا ماتوا إلى يوم القيامة".

فكلما زادت ألقاب السلطان زادت معها ألقاب وعاظ السلاطين حتى صار لقب الواحد منهم، مثل ابن القيم "**شيخ الإسلام الإمام العالم العلامة شمس الدين**" ثم يأتي اسمه "محمد بن أبي بكر". وزاد وعاظ السلاطين من مدح الحكام وتفخيم ألقابهم حتى أن ابن الجوزي ألف كتاباً في عهد الخليفة المستضيء بالله سماه ‹**المصباح المضيء في خلافة المستضيء**› وأهداه إلى الخليفة .

- وجاءت الخلافة العثمانية فأضافوا لقب "**السلطان**" إلى الخليفة. ونشأت في هذه الفترة مشيخات صغيرة في الخليج، كان حكامها يُعرفون بالشيخ فلان. ثم أصبح الشيخ أميراً وأصبح الأمير ملكاً كما في البحرين، وأضافوا إلى الملك ألقاباً أخرى مثل "صاحب الجلالة" و "خادم الحرمين الشريفين"، رغم أن الجلالة لله وحده. والبلاد العربية التي لا يحكمها ملوكٌ أو أمراء سيطر عليها صغار العسكر الذين كانوا برتبة عقيد، مثل جعفر النميري بالسودان، ومعمر القذافي بليبيا، وبين ليلة وضحاها يصبح العقيد "مشيراً" وقائداً أوحداً.

وكلما كثر عدد المتسلقين حول الرئيس أو الملك، كلما زاد تسلط الرئيس أو الملك بإيحاء من المتسلقين حتى يصبح إلهاً لا يجوز المساس بسمعته أو حتى سمعة معيته. *ويصبح نقد سياسة الدولة مساساً بشخص الرئيس يُعاقب بالسجن أو حتى بالتصفية الجسدية*. ولذلك سنت جميع الدول العربية قوانين تُلجم الصحافة حتى لا تتعرض بالنقد للإله.

- ففي الأردن مثلاً هناك ‹المادة 195 من قانون العقوبات›. هذه المادة *خاصة بحماية العائلة المالكة*، وكل مَن انتقد تصرف أحد أفراد العائلة المالكة يجد نفسه في الحبس بتهمة "**إطالة اللسان**" كما حدث للدكتور رياض النوايسة عندما ألقى كلمة في مهرجان عن الفلوجة بمجمع النقابات المهنية بعمان. وقد قال رئيس هيئة تقصي الحقائق في لجنة الحريات بنقابة المحامين، أمجد شموط:

> "إن تحريك هذه المحاكمة يعتبر أحد القيود الماسة بالحريات العامة، مشيرا إلى أن النوايسة قام بالتعبير عن وجهة نظره السياسية من دون أن يرتكب أي جرم قانوني".[2]
>
> وكذلك أمر مدعي عام محكمة أمن الدولة الأردنية بتوقيف صحافيين لمدة 14 يوماً على ذمة التحقيق بتهمة إطالة اللسان على المراجع العليا. فقد قرر توقيف كل من عمر كلاب وزياد الحر العاملين في صحيفة "الإعلام البديل" 14 يوماً على ذمة التحقيق بعد أن شهد عاملون في الصحيفة انهما أطالا اللسان على المراجع العليا. وتتزامن هذه القضية مع التعديلات على قانون المطبوعات والنشر الذي تعتزم الحكومة الأردنية إجراءها والتي تتضمن عقوبة الحبس للصحافي الذي ينشر مادة مخالفة للقانون. وسبق لمحكمة أمن الدولة أن أصدرت أحكاماً بحق عدد من السياسيين والإعلاميين الذين يثبت عليهم تهمة "إطالة اللسان" على المراجع العليا من بينهم المعارض الأردني المعروف ليث شبيلات والناطق الإعلامي باسم حزب التحرير الإسلامي المحظور عطا أبو الريشة حيث قضت المحكمة بسجن كل منهما 3 سنوات.[3]

وحتى تكتمل صورة الملك الإله في أذهان العامة وصورة الرسول الذي تساوي أسماؤه أسماء الله، *فقد امتد قانون إطالة اللسان الأردني ليشمل أهل بيت النبي*. فقد سُجن عدد من الصحافيين وأُغلقت مجلة الهلال الأسبوعية عندما نشرت مقالاً

---

[1] زاد المعاد لابن قيم الجوزية، ج1، ص 34.

[2] الشرق الأوسط 6 يونيو 2005.

[3] الشرق الأوسط 16 مارس 2006.

فيه بعض المساس بالسيدة عائشة. وكان من الأفضل للعائلة المالكة *لو أن القانون طلب قطع لسان كل من يطيل اللسان عليها*، فالأمة العربية يجب أن تكون أمةً مقطوعة اللسان بالمرة بحيث يصبح من المستحيل عليها إطالته. والمرء يتعجب من ملك الأردن الشاب الذي درس ببريطانيا ورأى بأم عينيه كيف يطيل الصحفيون الإنكليز ألسنتهم على العائلة المالكة وعلى رئيس الوزراء وعلى الوزراء وكل السياسيين دون أن يصيب الصحفيين أو العائلة المالكة أي سوء.

- وفي الكويت التي تدعي أنها دولة ديمقراطية، فإن حكامها لا يتحملون النقد وقانونها يعاقب الصحافيين والكتاب إذا تجرأ أحدهم بنقد العائلة المالكة، فقد قررت محكمة الجنايات الكويتية برئاسة المستشار وائل العتيقي، حبس الخطيب الديني الشيخ حامد العلي عامين مع وقف التنفيذ لإدانته بالطعن علنا وفي مكان عام في حقوق الأمير وسلطته لسماحه بالمشاركة في حرب تحرير العراق. وكان من التهم التي وجهها الأمن إلى الشيخ:

> "أنه عاب علنا وفي مكان عام في حقوق الأمير، عن طريق وصف الحكام العرب بالخونة والفاشلين وذلك في خطبة الجمعة وخلال ندوة عامة. ثم أنه أقام ندوة عامة اشتملت على الإساءة لسمعة الدولة وعروبتها والمساس بالدول الشقيقة والصديقة وذلك بمسجد مالك بن عوف من دون الحصول على ترخيص بذلك." [4]

فكان الواجب على هذا الخطيب طلب تصريح من وزارة الداخلية يخوله أن يقول إن سياسة الأمير الذي هو خليفة الله والحاكم بأمره، كانت خاطئة فيما يختص بالسماح للقوات الأجنبية بغزو العراق من الأراضي الكويتية. وكانت محاكم الكويت قد حكمت على الدكتور أحمد البغدادي المحاضر بجامعة الكويت بالسجن عاما مع وقف التنفيذ في عام 2005 لأنه كتب مقالاً تحت عنوان **"أما لهذا التخلف من نهاية"** لأن المقال، من وجهة نظر النيابة العامة:

> "قد تجاوز حدود النقد المباح وامتد ليطال الاستهزاء بدروس الدين والربط بين التربية الإسلامية والإرهاب الفكري."

وإذا سمحنا للكتاب العرب بنقد الدين فلا بد أن نقدهم سوف يتعدى الدين إلى نقد الشيوخ والأمراء، ولذلك كان لا بد من تلقينهم درساً بسجن د. أحمد البغدادي ليكون هذا الحكم تنبيهاً للآخرين على وزن **"إياكِ أعني فاسمعي يا جارة"**.

> والجدير بالذكر أن الكويت الديمقراطية عدلت قانون الصحافة والمنشورات حديثاً وأدى هذا التعديل إلى إدخال الصحافي حامد بوبابس، رئيس تحرير صحيفة "الشعب" الأسبوعية، السجن على خلفية شكوى ضده من قبل وزير الإعلام السابق أنس الرشيد، بتهمة الإساءة إلى الذات الأميرية، في مقال نشره في صحيفته نقلاً عن صحيفة "الرأي العام" التي كانت قد نشرت مقابلة أجراها السيد جاسم بودي مع أعضاء الكونـگرس الأمريكي. [5]

ونلاحظ هنا أن التهمة في عام 2004 ضد الخطيب الديني كانت لطعنه في حقوق الأمير، ولكن بعد التعديل الأخير لقانون الصحافة أصبحت التهمة الطعن في "الذات الأميرية".

وربما في العام القادم يُعدل القانون مرة أخرى ويصبح الطعن في الذات الأميرية طعناً في "الذات الإلهية."

- أما في مصر المحروسة فالرئيس محمد حسني مبارك **قد اقترب فعلاً من "الذات الإلهية"**، فهو الحاكم بأمر الله الذي يفعل ما يشاء في مصر *فيؤيده البرلمان والجامع الأزهر*. بل إن البرلمان الذي انتخبه الشعب ليكون سلطتهم التشريعية، يتنازل عن واجباته للسيد الرئيس.

> فقد أقر البرلمان المصري، في 9 مارس، قانونا جديدا يمدد التفويض الممنوح للرئيس حسني مبارك، لعقد اتفاقيات التسليح دون عرضها على البرلمان لمدة 3 سنوات جديدة حتى عام 2009. [6]

وهذا التفويض المعمول به منذ عام 1972، منذ عهد الرئيس الراحل أنور السادات، ولمدة 34 عاما متصلة من دون انقطاع، منها 9 سنوات في عهد السادات، و25 عاما في عهد الرئيس مبارك، يوحي بأن كل الجنرالات في الجيش المصري الذين يحملون على صدورهم نياشين تعجز أجسام رافعي الأثقال عن حملها، لا يعرفون كيف يختارون أسلحة للجيش المصري. فلا بد أن يقوم بهذا الواجب سيد العارفين الرئيس حسني مبارك لأنه كان طياراً يعرف عن الطائرات وأسلحتها الحديثة.

> ودافع نواب الحزب الحاكم عن استمرار التفويض، استنادا لحالة عدم الاستقرار بمنطقة الشرق الأوسط وإضفاء السرية على عمليات تسليح القوات المسلحة.

فلا أحد في مصر يعرف كيف يحفظ السر غير الرئيس مبارك. والطريف أن النائب محمد شردي، مِن نواب الوفد، قال إن جميع اتفاقات التسلح منشورة على الإنترنت، فليس هناك إذاً أي سبب للرئيس مبارك ليحفظ السر. ولحماية الذات الرئاسية لا بد من تكميم أفواه وأقلام الصحفيين المصريين بقوانين تعسفية تقضي بسجنهم. ورغم أن الرئيس مبارك قد صرح قبل أكثر من ثمانية أشهر بإلغاء حبس الصحفيين، فإن شيئاً من ذلك لم يحدث وحبست محكمة جنوب الجيزة بمصر الصحافية أميرة ملش بجريدة «الفجر» المستقلة سنة مع الشغل بتهمة السب والقذف في حق قاض بمحكمة جنح الإسكندرية.

> ويأتي الحكم الجديد بحبس الصحافية بعد ثلاثة أيام من تنازل وزير الإسكان المصري السابق محمد إبراهيم سليمان عن دعواه ضد عبد الناصر الزهيري الصحافي بجريدة «المصري» والتي قضت المحكمة بحبسه سنة، إلا أن حملة مضادة نظمها الصحافيون المصريون للتضامن في إطار حملة لوقف عقوبة الحبس في قضايا النشر أدت إلى تنازل الوزير عن 37 قضية رفعها ضد صحافيين. [7]

فإذا كان القانون المصري يحكم بالسجن على صحافية نقلت ما قاله أحد المتهمين في قضية اختلاس مِن أن القاضي كان شريكاً في العملية، فلا بد أن هذا القانون سوف يزهق روح مَن يتجرأ ويتهم الرئيس بأي شيء. والجدير بالذكر أن مصر المحروسة تقود العالم العربي في الدعوة إلى الإصلاح من الداخل وعدم فرضه بالقوة من الخارج. ويظهر هذا الإصلاح في بيان وزارة الداخلية المصرية الذي أصدرته لتبرير همجية الأمن المصري في التصدي للمتظاهرين حديثاً في الاعتصامات التي صاحبت اعتصام القضاة المصريين، فقد أصدرت وزارة الداخلية المصرية بيانا قالت فيه إن الهجوم على المتظاهرين:

---

[4] الشرق الأوسط 20 يونيو 2004.

[5] إيلاف 15 مايو 2006.

[6] الشرق الأوسط 10 مارس 2006.

[7] الشرق الأوسط 8 مارس 2006.

"كان بهدف قيام الشرعية بواجباتها المنوط بها أداؤها وفقا لما أوردته نصوص الدستور ومواد قانون الشرطة والقانون رقم 100 لسنة 1914 بشأن التجمهر والقانون رقم 14 لسنة 1923 بتعزيز الأحكام الخاصة بالاجتماعات العامة وبالمظاهرات في الطرق العمومية."

فمصر القرن الحادي والعشرين تحكمها قوانين عام 1914 التي سُنت مع بداية الحرب العالمية الأولى. فإذا كان هذا هو حال الإصلاح من الداخل فسوف ننتظر إن شاء الله مليون سنة لإكمال الإصلاح من الداخل الذي يتقدم خطوة ويتراجع خطوتين. **ويبدو أن النساء المصريات قد أصابهن العقم بعد مولد الرئيس الأوحد،**

فقد صرح الناطق باسم الرئاسة أن الرئيس حسني مبارك مستعد للتنازل عن الحكم إذا وُجد مَن يستطيع أن يتولى مقاليد الحكم عنه.

وبما أن الله لا مثيل له، فإله الصفيح كذلك لا مثيل له يستطيع أن يتولى الحكم منه.

وقد أثبت ذلك شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي والبابا شنودة كذلك عندما أيدا علناً ترشيح الرئيس حسني مبارك لدورة رئاسية خامسة.

- أما في إيران بلاد المتناقضات والجمهورية الإسلامية الوحيدة في العالم، بعد أن تخلى البشير عن أسلمة السودان، وفي انتظار قيام الجمهورية الإسلامية العراقية، فحدث ولا حرج. الإسلام يقول أمرهم شورى بينهم، والجمهورية الإسلامية تعيّن مرشداً لها غير منتخب ولجنة لحماية مصالح النظام، وتعطي الاثنين تفويضاً يلغي قرارات البرلمان المنتخب. وكلمة مرشد الجمهورية الذي هو آية من آيات الله الكبرى، مقدسةٌ لذوي الحل والعقد في الجمهورية الإسلامية التي تكتم أنفاس المعارضين وتسجن الصحافيين وتُعطل الصحف **بأمر قضاة لا يهمهم إرضاء الله بقدر ما يهمهم إرضاء المرشد الأعلى**.

فقد حكم قضاة الجمهورية على الصحافي الإيراني المعارض محسن سازيغارا غيابياً، بالسجن ست سنوات، بتهم "اثارة البلبلة في صفوف الرأي العام". والعمل ضد "مصلحة الأمن القومي"، بحسب تصريحات محاميه .وسبب الحكم على الصحافي الذي يعيش الآن في واشنطن هو أنه اشترك في مظاهرة ضد النظام.[8]

فالذي يتظاهر ضد النظام فقد تظاهر ضد الله وضد آلهة الصفيح الذين يمثلون الله في الأرض .

فقد أغلقت هيئة القضاء صحيفتين يوميتين مواليتين للإصلاح، لنشرهما رسالة تنتقد الزعيم الأعلى آية الله علي خامنئي في ما يتعلق بانتخابات الرئاسة. وقال صحافيون في صحيفتي ‹اقبال› و‹افتاب يزد› الليبراليتين، إن الصحيفتين أغلقتا بناء على أمر من مكتب المدعي العام في طهران. وقال الصحافي الليبرالي عيسى ساحرخيز، وهو نائب سابق لوزير الثقافة، لرويترز "نشرت الصحيفتان رسالة تنتقد خامنئي". وانتقاد الزعيم الأعلى في البلاد جريمة، وحوكم كثير من الصحافيين وأغلقت عشرات الصحف في إيران لتهم مشابهة في الأعوام الأخيرة.[9]

فانتقاد الآلهة لا يجوز في بلاد الشرق التي هي مهد الديانات الثلاث.

- وفي الجزائر تم استحداث جنحة *الإساءة إلى رئيس الدولة والتشهير بالمؤسّسات* في القانون الجزائري في عام 2001. ومنذ ذلك التاريخ، باتت أية إساءة إلى رئيس الجمهورية، أو إلى الجيش أو العدالة، بصورة خاصة، جناية تكّلف صاحبها عقوبة سجن غير قابلة للتخفيف تتراوح بين 3 و12 شهراً إضافة إلى غرامة كبيرة. ففي العام 2005 وحده، تم تسجيل 100 دعوى ضد الصحافة. وحُكم على 18 صحفياً بأحكام سجن تنفيذية بانتظار مراجعة دعاواهم أمام محكمة النقض. وفي قضايا التشهير تحديداً، فإن فترة التقادم (التي لا يجوز رفع دعوى بعد انقضائها) هي 3 سنوات وليس 3 أشهر كالمعتاد. ولا يُشتَرَط أن يكون الضحيّة نفسه هو مَن يقيم الدعوى. كما أن إقدام المدّعي على سحب شكواه لا يوقّف الملاحقات. ويقول المحامي "بورايو" أنه:

"ليس هنالك ما يحمي حرية التعبير وممارسة العمل الصحفي في الجزائر". وهو يعتقد أن السلطة الجزائرية لا تعتبر الصحفيين الجزائريين سوى "**عدو**" ينبغي القضاء عليه.[10]

فالصحافي الذي ينتقد الرئيس الأوحد بوتفليقة سوف يُسجن حتى وإن لم يتقدم الرئيس الأوحد بشكوى ضده، فللرئيس أبواقٌ يقومون بذلك بالإنابة.

- وفي تونس التي يحكمها الجنرال زين العابدين بن علي منذ عام 1987 بعد أن قاد انقلاباً ضد الرئيس بورقيبة، **فإن الصحافي فيها معرض للضرب والسجن والسحل**.

فقد أذاعت قناة العربية أن قوات الأمن التونسي التي تأتمر بأمر الرئيس قد قامت بالاعتداء على مراسلها في تونس وسحله في الشارع حين كان في طريقه لتغطية مؤتمر صحافي مصرح به مِن جانب الحكومة كانت دعت إليه "هيئة 18 تشرين الأول / أكتوبر للحقوق والحريات".[11]

فيبدو أن آلهة تونس كالإله "يهوه" إله موسى الذي كان سريع الغضب والإنتقام من الذين لا يتقبلون تعاليمه.

- واليمن السعيد لا يقل تبجيلاً لآلهته الصفيحية، فرغم أن العديد من التقارير المتخصصة لعدد من المنظمات العاملة في مجال الحقوق والحريات الدولية من خلال رصدها للحريات والأوضاع العامة للعام الماضي 2005 م أكدت أن اليمن من الدول الفاشلة التي يغيب فيها تطبيق القانون ويسيطر عليها الفقر والجهل والمرض "وهي الثالوث الرهيب الذي قامت ثورة سبتمبر 62 م لمكافحتها والقضاء عليها في اليمن"، مشيرة إلى أنه تم تصنيفها في عداد الدول المعرضة للانهيار[12] إلا أن المظاهرات بدأت تجوب شوارع صنعاء مطالبة بترشيح الرئيس علي عبد الله صالح لفترة رئاسية أخرى. فاليمن كمصر قد عقمت نساؤه بعد أن وُلد السيد الرئيس.

- وسوريا التي يحكمها قانون الطوارئ منذ عام 1963 وأصبحت تقود دول العالم الثالث في التصفية الجسدية والاعتقال والتعذيب تحت قيادة الإله الصغير الطبيب بشار الأسد الذي تنكر لقيم "أبوقراط" واتبع ما وجد عليه آباءه، فقد ساءت أوضاع حقوق الإنسان فيها أكثر من قبل، ومع ذلك نجد صور الإله ذات الحجم الطبيعي معلقة، ليس في سوريا فقط وفي

---

[8] الشرق الأوسط 24 أغسطس 2005.

[9] الشرق الأوسط 21 يونيو 2005.

[10] شفاف الشرق 11 مارس 2006.

[11] إيلاف 22 فبرائر 206.

[12] إيلاف 7 يناير 2006.

كل شارع ومكتب ومتجر وشاحنة عسكرية، بل حتى في بقاع لبنان. *فالإله الذي يُعبد في سوريا الكبرى لا بد أن يُعبد في لبنان.*

- والبلاد الإسلامية غير العربية قد تعلمت من البلاد العربية، خاصة الجمهورية الشعبية الليبية، كيف تؤله حكامها، فقد قرر رئيس تركمانستان لمدى الحياة صفرمراد نيازوف، الذي سبق أن طبع صورته على معظم جوانب الحياة في بلاده، نقش عبارات من كتابه ‹روحنامه› إلى جانب الآيات القرآنية على جامع جديد يجري بناؤه. وكان الرئيس الإله قد "أمر بوضع نسخة من كتابه «روحنامه» الى جانب نسخة مِن القرآن الكريم في جميع المساجد التابعة للدولة. يُذكر أن كتاب «روحنامه» هو، كما يراه الرئيس نيازوف، "دليل روحي للشعب التركمانستاني ويشكل جزءا اساسيا من مناهج التعليم."[13]. فكتاب "روحنامة" لا يقل أهمية عن "الكتاب الأخضر" الذي ألفه الإله الليبي، وكلاهما يجب أن يوضع مع القرآن في جميع المساجد، حتى في الدول الأفريقية الأخرى، مثل مالي.

فما الذي يجعل البلاد الإسلامية تؤله حكامها؟ ليس لدي مِن شك أن رجال الدين كانوا وما زالوا العامل الرئيسي في ذلك حفاظاً على المكاسب الدنيوية التي تمكنوا من تحقيقها بالإيعاز إلى العامة **بأن طاعة ولي الأمر جزء لا يتجزأ من طاعة الله والرسول. وإذا أرادوا أن يطيعوا الرسول فلا بد لهم أن يطيعوا العلماء الذين هم ورثة الأنبياء**. فدعونا نقرأ هذا التحذير:

فقد حذر الرئيس العام لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السعودية الشيخ إبراهيم الغيث مِن مغبة التقليل من شأن ولاة الأمر والعلماء مشيراً الى دور أعداء الإسلام في تفتيت الأمة من خلال هذا المسلك.

«وأوضح الغيث وهو بدرجة وزير أن تحقيق الأمن يتم بالاهتداء بأهداب الدين مؤكداً على:

"أهمية بيان حرمة الدماء وأعراض الحكام والولاة والعلماء"

واستدل الغيث على ذلك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم:

[**مَن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعصي الأمير فقد عصاني**] مشيراً إلى أن الطاعة المطلوبة واجبة في غير معصية الله.

وحذر الغيث:

"من مغبة التقليل من شأن الولاة والعلماء"

مشيراً الى:

"دور أعداء الإسلام في تفتيت أمة التوحيد من خلال هذا المسلك".

وقال:

"يجب أن نحترم ولاة أمورنا وعلمائنا (هكذا وردت) وأن نسأل الراسخين في العلم وأن لا يكون هناك فاصل بين العلماء والمتعلمين "

ودعا الغيث:

"الى السمع والطاعة في المنشط والمكره مع معرفة حقوق الولاة والعلماء والرؤساء في العمل".» [14]

وقد انطلت الحيلة على الجهلاء وصار رجال الدين والحكام يدعم بعضهم بعضاً ويرفع كلٌ مِنهم مِن مكانة الآخر **حتى صار الحكام آلهة من صفيح وأصبح رجال الدين الكهنة الذين يتحكمون في خزائن الآلهة.**
ولذلك أصبح رجال الدين، خاصةً في الدول الخليجية من أصحاب الملايين التي يستثمرونها في أمريكا وأوروبا لأن بنوك الخليج بنوكٌ ربوية لا يجوز أن يكنزوا فيها الذهب والفضة والملايين من الدولارات التي ينوون إنفاقها في سبيل الله إذا لم تجمدها الحكومة الأمريكية.

عودة إلى الفهرس

[13] الشرق الأوسط 4 يونيو 2004.
[14] إيلاف 8 فبراير 2004.

9 - النقيضان لا يجتمعان: الدين والعقل

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=65916

الإيمان بالأديان ما هو إلا تأمين على حياة المؤمن لضمان الخلاص من العذاب إذا صح ادعاء الأنبياء بأن هناك يوماً للحساب. فالشخص المؤمن كالإنسان الذي يشتري بوليصة تأمين على حياته، وعندما يموت، بدل أن يقبض أحفاده مبلغاً من المال، يأمل هو أن يقبض ثمار التأمين بدخوله الجنة وتفادي الحريق في النار. ولكن الفرق أن الثمن الذي يدفعه الشخص المؤمن على حياته لشركات التأمين ثمنٌ بسيط ويُدفع على أقساط مريحة، بينما الثمن الذي يدفعه المؤمن مقابل بوليصة التأمين على حياته في الآخرة **ثمن مبالغ فيه** وربما لا يكون العائد مساوياً لأقساط التأمين. فالمسلم عليه أن يدفع أقساطاً عالية تتمثل في الصلاة خمسة مرات يومياً والحج والصيام والزكاة وتجنب جميع متع الحياة من موسيقى وغناء وخمر ومخالطة النساء أو حتى النظر إليهن. وبما أن هذا الثمن باهظ **والمردود غير مضمون**، *حاول رجال الدين الإسلامي منع الناس من التفكير في احتمال أن لا تكون هناك قيامة ولا تكون جنة ولا نار.* أو كما قال أبو العلاء المعري:

ما جاءنا أحدٌ يُخْبِر أنّه   في جنةٍ مذ مات أم في نار

ووسيلة رجال الدين **الوحيدة** لمنع الناس من التفكير في الأقساط الباهظة التي يدفعونها لبوليصة التأمين هذه هي *تغييب العقل والمنطق في الخطاب الديني.* فالمنطق يقود صاحبه إلى الشك أولاً ثم إلى الحقيقة، ولذلك قال الفلاسفة **إن الشك يقود إلى الحقيقة**. ولكن الخطاب الديني يمنع الشك بمنع الناس من التفكر في ذات الله وهل من الممكن أن يكون الله غير موجود؟ فالتفكير في ذات الله كفر يُعاقب عليه المسلم بتهمة **الزندقة** التي تقود إلى هلاكه. *والسبب طبعاً هو أن رجال الدين لا يملكون حُججاً يمكن أن تُقنع الإنسان المتعلم بوجود الله أو بصحة ادعاء الأنبياء بأنهم مرسلون من عند الله.* وإذا عجز رجل الدين عن الدفاع المنطقي يحاول الالتفاف على الآخر باتهامه بالزندقة لأنه لا يعترف بالشريعة. وكمثال على *منطق الخطاب الديني المعوج*

"فقد أخرج مالك في الموطأ عن ربيعة
+ قال: سألت سعيد بن المسيب: كم في أصبع المرأة"
- قال: عشرة من الإبل.
+ قلت: ففي أصبعين؟
- قال عشرون.
+ قلت ففي ثلاث؟
- قال: ثلاثون.
+ قلت ففي أربع؟
- قال عشرون.
+ قلت: حين عظم جرجها واشتدت مصيبتها نقص عقلها (أي: ديتها)
- فقال سعيد: أعراقي أنت؟
+ فقال ربيعة: بل عالم متثبت، أو جاهل متعلم.
- قال سعيد: هي السنة يا ابن أخي".

فنلاحظ هنا **غياب المنطق كلياً**. فدية أصبع المرأة عشرة من الإبل ثم عشرون في أصبعين ثم ثلاثون في ثلاثة أصابع ثم ترجع إلى عشرين إذا فقدت أربعة أصابع. والسبب في هذا المنطق المعوج هو مذهب سعيد والحجازيين أن دية المرأة كدية الرجل حتى تبلغ الثلث من ديته، فما زاد عن الثلث تكون فيه ديتها نصف دية الرجل.

> ***(وبما أن دية الرجل المقتول مائة من الإبل، فأقصى ما تكون دية المرأة ثلاثين. وما زاد عن ذلك تكون ديتها نصف دية الرجل. وبما أن دية الرجل الذي يفقد أربعة أصابع هي أربعون من الإبل تكون دية المرأة التي تفقد أربعة أصابع عشرين من الإبل)***

وذلك لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده

"عقل المرأة مثل عقل الرجل حتى تبلغ الثلث من ديته".

ونلاحظ هنا أن سعيد بن المسيب لما أعجزه الرد المنطقي سأل السائل إن كان عراقياً، *لأن أهل العراق كانوا معروفين بمحاولة إخضاع الدين للمنطق كما فعل المعتزلة الذين كان أول ظهورهم في العراق.* ولما أجابه الرجل بأنه إما عالمٌ لا يقبل رد سعيد وإما جاهل يريد أن يتعلم، أجابه سعيد ب "**إنها السنّة يا ابن أخي**". والذي يخالف السنة ملحد.
والغالبية من الذين يؤمنون بالأديان، خاصة الدين الإسلامي، يصبحون **كالروبوت** الذي يتحكم فيه المبرمج بواسطة شرائح الكومبيوتر فيفعل الروبوت كل ما يطلبه المبرمج دون الحاجة إلى عقل أو تفكير.

> فمثلاً عندما جاء محمد وقال إنه مرسل من عند الله آمن به الأنصار أولاً ثم بقية العرب ولكن عندما جاء ثمامة بن حبيب أبو مروان بنفس الادعاء في اليمامة وجاء بقرآن يشبه قرآن محمد، اتهمه محمد بالكذب على الله رغم أن بني حنيفة آمنوا بثمامة، تماماً كما آمن أهل المدينة بمحمد. والمسلمون لم يناظروا ثمامة في محاولة لمعرفة الحقيقة، إنما سموه "مسيلمة الكذاب" ولجؤوا إلى السيف والقتل للظهور على دينه *حتى لا ينافس الإسلام.* فأرسل أبو بكر خالد بن الوليد على رأس جيش عظيم ليحارب بني حنيفة ونبيهم، فقُتل من المسلمين حوالي ألف ومائتان، منهم أربعمائة وخمسون من حفظة القرآن[1].
> وقُتل من بني حنيفة سبعة آلاف بعقرباء ومثلهم بالحديقة وفي الطلب نحو ذلك[2].

أي قُتل من بني حنيفة ما يزيد عن عشرين ألف رجلٍ. **فلا بد أن الذين آمنوا بمسيلمة كانت أعدادهم لا تقل عن الذين آمنوا بمحمد.** ولكن لأن أتباع محمد انتصروا وقتلوا مسيلمة، حرّفوا قرآنه وسموه مسيلمة الكذاب ثم طمسوا قرآنه نهائياً. **والمنتصر دائماً يكتب التاريخ الذي يمجده ويمحو الآخر**. ونفس الشيء كاد أن يحدث لمحمد وأتباعه في موقعة "أُحد" عندما دعاه المكيون كذاباً وشجوا وجهه وكادوا أن يقتلوه. ولو نجحوا لما قامت للإسلام قائمة. ومع ذلك يشهد مسلم اليوم "أن محمداً رسولُ الله" وأن مسيلمة كذاب، رغم أنه لم ير أي منهما ولم يقرأ قرآن مسيلمة. لكنها البرمجة العقلية.

[1] شذرات الذهب، ج1، ص 23.
[2] الكامل في التاريخ، ج2، ص 222.

وتكتمل برمجة أدمغة المسلمين لدرجة أنهم كلما ذكروا محمداً قالوا "صلى الله عليه وسلم" **بطريقة مملة ومليئة بالتكرار**، وقد تتكرر عشرة مرات في فقرة واحدة. فما المقصود بهذه العبارة؟ فإن القرآن يقول لنا:

{إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما. (الأحزاب 56)**}.**

فإذا قلنا صلى الله عليه وسلم، إما أن تكون كلمة "صلى" **فعل ماضي** تخبرنا أن الله قد صلى عليه، وإما أن تكون **كلمة رجاء** نطلب بها من الله أن يصلي عليه. ولكن الله قد أخبرنا مسبقاً أنه وملائكته يصلون على النبي، فلماذا نطلب منهم أن يصلوا عليه كلما ذكرناه ونحن نعرف أنهم يصلون عليه؟ فهل يجلس الله وملائكته طوال اليوم في انتظار أن نذكّرهم أو نطلب منهم أن يصلوا على النبي؟

وبعد موت محمد **جعل** *المسلمون نبيهم كالإله وأسبغوا عليه معجزات* تسيء إلى عقل الطفل دع عنك أي شخص عاقل يؤمن بالمنطق. فرغم أن القرآن كرر في عدة آيات أن محمد ما هو إلا بشرٌ مثلنا يوحي إليه **{قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلي.** (الكهف 110)}. ورغم أن القرآن قال إن الله لم يعطِ محمد آيات أي معجزات {**وما منعنا أن نُرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون.** (الإسراء 59)}. رغم كل هذا امتهن المفسرون عقولهم وعقولنا و*جعلوا لمحمد من الآيات ما يفوق آيات موسى وعيسى معاً*. فقالوا:

"فكان لا يمر بحجر ولا شجر إلا سلم عليه وسمع منه، فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه، وعن يمينه وشماله، فلا يرى إلا الشجر وما حوله من الحجارة، وهي تقول: السلام عليك يا رسول الله"[3].

و"من معجزاته أن الماء نبع بين أصابعه أكثر من مرة".

فإذا علمنا أن آية التيمم نزلت لأن عائشة أضاعت عقداً لها كان الجمل قد برك عليه، فتأخر القوم عن الرحيل وظلوا يبحثون عن العقد إلى أن غابت الشمس ولم يكن معهم ماء للوضوء فأنزل الله آية التيمم، *تيقنا أن المفسرين وكتاب السيرة قد أعطوا عقولهم والمنطق إجازة مفتوحة*. فإذا كان الماء ينبع من بين أصابعه لماذا لم ينبع لهم ماءً ليتوضئوا به؟ أم أن الله أضاع عقد عائشة ومنع نبع الماء بين أصابعه حتى يجد سبباً لإنزال آية التيمم ليسهّل على المسلمين حياتهم؟

وبما أن المسلمين أصبحوا مولعين بالتأليه بعد أن ألّهوا نبيهم، *فقد ألّهوا أصحابه* كذلك وأصبح كل هم أهل الحديث هو سند الحديث عن طريق الصحابة المؤلهين حتى يصل إلى النبي. **فإذا استطاعوا إيجاد هذا السند كبروا وهللوا**، *ولا يهمهم بعد ذلك متن الحديث في شيء حتى وإن كان معارضاً لصريح القرآن*. ومن أمثلة هذه الأحاديث التي تجاهل الرواة متنها حديثاً رواه عبد الله بن عمر:

[عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: هَجَّرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً، فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج رسول الله يُعرف في وجهه الغضب فقال: إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب].

فالنبي هنا قد غضب ومنع الرجلين من الاختلاف في القرآن، ولكن نفس هذا النبي تبسم عندما جاءه عمر بن الخطاب مع رجل كان يقرأ في صلاته بآيات سمعها عمر من النبي بطريقة مختلفة. وعندما أخبر عمر النبي بما حدث، طلب النبي من الرجل أن يقرأ الآيات وقال [**هكذا نزل**] ثم طلب من عمر أن يقرأ ما حفظ، ثم قال [**وهكذا نزل**]. ثم قال [**إن القرآن نزل بسبعة أحرف.**] فلماذا إذاً غضب من الرجلين الذين اختلفا في آية في الشارع؟ ويؤكد هذه القصة الحديث المروي عن ابن مسعود:

"عن النزال بن سبرة قال: سمعت عبد الله بن مسعود قال: سمعت رجلاً قرأ آية سمعتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم خلافها، فأخذت بيده فأتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: [**كلاكما محسن**]. قال شعبة: أظنه قال: [**لا تختلفوا فإن من قبلكم اختلفوا فهلكوا**]."

فالمنطق يحتم علينا أن نرفض إما حديث عبد الله بن عمر ونقبل الحديثين عن عمر وعن ابن مسعود، أو نقبل حديث ابن عمر ونرفض الأخيرين. **ولكن أهل الحديث أثبتوا الأحاديث الثلاثة لأن المتن لا يهمهم بقدر الإسناد.**

وبعض الأحاديث تتهم النبي بالجهل دون قصد من الراوي الذي يحاول تأليه نبي الإسلام، فمثلاً نجد:

"أخرج أبو داود والدارقطني من حديث جابر قال: خرجنا في سفر فأصاب رجلاً منا حجرٌ في رأسه، ثم احتلم، فسأل أصحابه: هل تجدون رخصة لي في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات. فلما قدمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك، فقال عليه الصلاة والسلام: [**قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العيِّ السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم، ويعصر أو يعصب على جرحه خرقة، ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده...**]".

فمتن الحديث عليه عدة اعتراضات منها:

أولاً: لا توجد أي علاقة بين غُسل الرجل وموته، فالرجل قد مات من ضربة الحجر على رأسه، وهذا من الأشياء المعروفة في الطب اليوم عندما يُصاب الإنسان بضربة على الرأس. فقد يظهر عادياً لفترة تتراوح بين دقائق وساعات ثم تظهر عليه علامات النزيف داخل الجمجمة ويموت إذا لم تُجر له عملية لإزالة الدم من الجمجمة. فلا علاقة للماء بموت الرجل، فكم من إنسان أصاب رأسه جرح واغتسل ولم يمت.

ثانيا: إذا كان الرجل سوف يعصب خرقةً على رأسه ثم يغسل سائر جسده بالماء ويمسح على الخرقة، فليس هناك أي داعي للتيمم كما يقول الحديث إذ أن الغسل يُبطل التيمم.

ثالثاً: قال النبي لماذا لم يسألوا أهل العلم، وهؤلاء الرجال كانوا على سفر عندما حدث هذا الشيء وسألهم صاحبهم وقت الصلاة هل يتيمم أم يغتسل، فأين لهم مَن يسألونه وهم في سفر؟ فالنبي هنا قد لعن أناساً أبرياء لمجرد إبداء رأيهم عندما سألهم صاحبهم وهم في الصحراء وليس لهم مِن مرجع يسألونه. فرواة الحديث اهتموا بالسند ولم يعيروا متن الحديث أي اهتمام **فرموا النبي بالجهل** لأنه ربط بين الغسل وموت الرجل الذي كان مصاباً في رأسه، واتهموه بالظلم لأنه لعن الأبرياء لمجرد إبداء رأيهم.

فالعقل يغيب عندما يدخل الإيمان صدور الناس إذ أن العقل والإيمان لا يجتمعان، وقد قال القرآن: {**ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه.** (الأحزاب 4)}. وغياب العقل هذا هو الذي يجعل الإنسان يُضحي بالحياة الدنيا القصيرة ويدفع أقساطاً مبالغاً فيها للتأمين على الآخرة التي ربما لا تأتي. **وإذا غاب العقل اختفى الخوف عند الإنسان**. والخوف غريزة زرعتها الطبيعة في الإنسان والحيوان للحفاظ على النوع، وبدون الخوف لا يهرب الإنسان ولا الحيوان من الخطر الذي قد يودي بحياته وبالتالي ينقرض النوع.

وانعدام الخوف هو الذي أدى إلى ارتطام الطائرات التي كان يقودها الرجال المؤمنون ببرجي التجارة بنيويورك، وهو الذي يجعل المسلم الذي قد فخخ جسمه يقف وسط أناس أبرياء وهو يعرف أنه سوف يموت عندما يفجر حزامه وسطهم ولكنه لا يأبه لذلك لأن الخوف قد غاب عنه كما غاب عقله.

عودة إلى الفهرس

[3] أسد الغابة في تعريف الصحابة لابن الأثير، ج1، ص 22.

10 – القرآنيون ومحاولة تجميل صورة الإسلام

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=66435

القرآنيون كالشيوعيين ظلوا يعيشون مضطهدين ومحاربين في العالم الإسلامي رغم أن كلا المذهبين فيه أشياء حسنة يمكن أن تفيد الناس في شرقنا الأوسط الذي ما زال يعيش في طور المجتمعات الرعوية - الزراعية التي تخطاها غالبية أهل المعمورة. *والمذهب القرآني* رغم أنه سبق الشيوعية بمئات السنين إلا أن أتباعه في العالم الإسلامي ربما أقل عدداً من الشيوعيين، *ويمقتهم أهل السنة أكثر مما يمقتون الشيوعيين*. والسبب في ذلك أن أهل السنة يسهل عليهم أن يطبعوا الشيوعيين بطابع الإلحاد فينفرون عنهم عامة المسلمين البسطاء، غير أن الأمر يصعب عليهم عندما يهاجمون مذهباً يؤمن بالله وبأن محمداً رسوله والقرآن مصدر تشريعه، ويحجون ويخرجون الزكاة ويصومون. فما هو الوجه في تكفير ومحاربة هؤلاء الناس في العالم الإسلامي؟ *السبب هو أنهم لا يأخذون بالأحاديث النبوية*، أي **السنة القولية** التي يتبعها أهل السنة من المسلمين. ومذهبهم، كما قلنا، ليس جديداً وإنما بدأه **الخوارج** و**المعتزلة** منذ أيام معاوية وعلي بن أبي طالب لكنهم ما زالوا يمارسون **التقية** حفاظاً على أرواحهم. فهم محاربون في مصر والمغرب والسعودية والسودان وباكستان وغيرها.

> والسنة القولية، كما يعلم الجميع، هي سبب نكبة العالم الإسلامي منذ أن بدأها أبو هريرة عندما كان يجلس إلى موائد معاوية الدسمة ويخترع الأحاديث التي ينسبها إلى النبي مباشرةً.

وإذا استثنينا السنة القولية من الإسلام قد يصبح وجه الإسلام أقل دمويةً مما هو عليه الآن:

- إذ سوف لا يكون هناك **رجمٌ**، فالقرآن يقول: {**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**. (سورة النور 2)}. ولم يفرق القرآن بين الزانية المحصنة وغير المحصنة.
- ولن يكون هناك **قتلٌ للمرتد** إذ أن القرآن كرر في عدة آيات *حرية الاعتقاد*، ولو أنه عارضها في الآيات المدنية التي سوف أتعرض لها لاحقاً، فقتل المرتد يعتمد على حديث ضعيف يقول [**من بدل دينه فاقتلوه**].
- وربما اقتصر **الحجاب** على زوجات النبي كما جاء في القرآن.
- وكذلك لكان هناك **تحملٌ للمثليين** من الجنسين إذ أن القرآن يقول {**واللذان يأتيانها منكم فأذوهما فإن تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما إن الله كان تواباً رحيما**. (النساء 16)}.
- فالنتيجة النهائية ربما كانت **إسلاماً أقل سفكاً للدماء** غير أن سفك الدماء جزء لا يتجزأ من الإسلام.

ورغم اختلاف القرآنيين مع أهل السنة ومع الشيعة فقد حاول القرآنيون مراراً الدفاع عن الإسلام، ليس بمحاولة تفسير القرآن تفسيراً حديثاً يتماشى مع زماننا الحاضر *وإنما عن طريق إظهار التفسيرات القديمة في ثوب جديد، وترديد بعض القصص التي لا يسندها غير المصادر الإسلامية نفسها*. وهي محاولة لن يُكتب لها النجاح لأن القرآن ملئ بالآيات التي تحض على قتال الآخر، وملىء بضيق الأفق وعدم تحمل الاختلاف في الرأي أو العقيدة، *مما يجعل محاولة تجميل صورته من المستحيلات*. وقد حاول الشيخ الأزهري نهرو طنطاوي، كما حاول قبله الشيخ أحمد صبحي منصور، عدة محاولات في هذا الشأن، **لا أظنها قد أقنعت أحداً بأن إسلام القرآنيين يفوق إسلام السنيين كثيراً**. وكان الشيخ نهرو قد كتب مقالاً في موقع شفاف الشرق الأوسط بتاريخ 22 مايو تحت عنوان ‹الإسلام المكي والإسلام المدني وهل نسخ المدني المكي؟› وقد هاجم في مقاله كل من انتقد الإسلام عموماً والأخوة الأقباط على وجه الخصوص. وعندما رد عليه الأستاذ مدحت قلادة يفند ادعاءه أن الجهاد في الإسلام كان دفاعاً عن النفس وأن الإسلام دين مسالم يدعو إلى حرية الاعتقاد، رد عليه الشيخ نهرو بمقال في موقع "الحوار المتمدن" بتاريخ 26 مايو 2006، قال فيه إنه تربى في قرية نصف سكانها مسيحيون ومعظم أصدقائه كانوا من المسيحيين. ثم قال:

> "يا أستاذ مدحت أنا في قريتي ما كنت أخيط ثيابي منذ طفولتي إلا عند خياط مسيحي، ولم أذهب إلى صالون للحلاقة إلا عند شخص مسيحي، ومنذ تسع سنوات تقدمت لخطبة فتاة مسلمة فكان الوسيط بيني وبين أهل الفتاة شخص مسيحي يدعى (فونس عطا الله)، وأبي رحمه الله كان تاجر وكان لا يتعامل في بيعه وشرائه إلا مع مسيحيين، وكان معظم تجار الجملة الذين يتعامل معهم مسيحيون، وأذكر أن أبي دائما ما كان يقول: "الجماعة النصارى دول عندهم ذمة في التعامل" ودائما ما كنت أسمعه يقول ذلك، مع أن أبي كان متدين ومحافظ لأبعد الحدود ولا تفوته صلاة في المسجد وكان كثير القراءة للقرآن، وحينما توفي أبي كان نصف المشيعين لجنازته من المسيحيين، بل إن كثيرا منهم مكث معنا ثلاثة أيام في سرادق العزاء وكأنه فرد من الأسرة" انتهى.

وهذا الحديث لا يدل على سماحة الإسلام والمسلمين، كما أراد الشيخ نهرو أن يُدخل في روعنا، وإنما يدل على أن المسيحيين في تلك القرية كانوا أمناء لا يغشون ولا يكذبون ويُصادقون المسلمين صداقة خالصة لوجه الله، كما يقول المسلمون. وكون أن الشيخ لم يحلق رأسه أو يخيط ملابسه إلا عند المسيحيين لا يدل كذلك على أنه كان متسامحاً مع المسيحيين وإنما يدل على أن المسيحيين كانوا أمهر صناعةً من المسلمين ولذلك كان الشيخ لا يحلق رأسه إلا عندهم. ثم استمر الشيخ نهرو فقال:

> "يا أستاذ مدحت أما بخصوص سؤالك عن آية التوبة التي تأمر بقتال أهل الكتاب وأخذ الجزية منهم فتابع الجزء الرابع من أجزاء مقالنا عن الجهاد والقتال في سبيل الله كما جاء في القرآن" انتهى.

فماذا قال الشيخ نهرو في مقاله المشار إليه؟ قال:

> "يقول البعض أن المرحلة المكية كانت تتصف بالعفو والصفح والمسامحة والصبر على الأذى، والمرحلة المدنية كانت على غير ذلك تماما، فقد كانت للقتال وعدم العفو وعدم الصفح وكان الانتقام من أبرز سماتها، وهنا مغالطة خطيرة، إن المرحلة المكية كان من سماتها العفو والصفح والصبر على الأذى لأن رد فعل أهل مكة على الدعوة الجديدة لم يتجاوز الأذى المحتمل والذي يمكن احتماله كالسب والشتم والتطاول والاستهزاء والسخرية والحبس والمنع والمصادرة وبعض الأذى الجسدي، فبالتالي أمر الله سبحانه الرسول وأصحابه بالصبر والعفو والصفح والإعراض عنهم، ولكن تطور الأمر في نهاية المرحلة المكية وتطور رد فعل أهل مكة على الدعوة الجديدة، فبدلا من السب والشتم والسخرية والاستهزاء والحبس والمنع والمصادرة، تطور الأمر لديهم إلى النفي والتآمر بالقتل والتصفية الجسدية ومصادرة الأموال والأولاد والبيوت والتعذيب الشديد حتى أنهم أقاموا معسكرات للتعذيب لثني أتباع الرسول عن هذا الدين الجديد بالقوة، فما كان من الله سبحانه بعد هجرة المسلمين إلى المدينة وتكوين دولة وجيش إلا الأمر بقتال أهل مكة، لا لأجل كفرهم بهذا الدين وتكذيبهم له، كلا، بل لاسترداد ما اغتصب من المسلمين من ديار وأموال وحقوق ورفع الظلم والتعذيب عن المستضعفين الذين عجزوا عن الهجرة مع الرسول والمسلمين إلى المدينة، وبعد استرداد الحقوق المغتصبة ورجوع الحق لأهله ورفع الظلم والاضطهاد عن الضعفاء، يتم العودة مرة أخري إلى العفو والصفح والصبر على الإهانة والسخرية والأذى" انتهى.

ولا يعدو هذا الرد أن يكون موضوع إنشاء لطلبة المدارس لا دليل على أي ادعاء جاء فيه... فالفترة المكية التي يتحدث عنها الشيخ نهرو هي الفترة التي كان صناديد مكة فيها من الكفار، من أمثال خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان وأبو جهل

وأبو لهب والعباس بن عبد المطلب عم النبي. **فلو أراد هؤلاء الناس أن يقتلوا محمداً لقتلوه**. فلم يكن يمنعه عنهم أحد. عمه الوحيد الذي كان قد أسلم هو حمزة وعمه الآخر أبو طالب كان قد مات. أما قصة أنه طلب من علي بن أبي طالب أن ينام في سريره وذر التراب في عيون أهل مكة الذين اجتمعوا حول داره، *فهي قصة ألفها مفسرو القرآن بعد أن استتب الإسلام وأصبح قوياً*. **وأهل مكة لم يطردوا محمداً منها إنما دعاه أهل المدينة إلى الحضور إلى مدينتهم وعقدوا معه معاهدة أن يحموه مما يحموا منه نساءهم وأطفالهم، ولذلك هاجر إليهم**. ثم ما هي قصة هذه الأموال والبيوت التي صادرها أهل مكة من المسلمين؟ ومَن هم المسلمون الذي هاجروا إلى المدينة؟ باستثناء عثمان بن عفان وأبي بكر لم يكن بينهم أي رجل غني ولديه أملاك بمكة. عمر بن الخطاب كان سمساراً بسوق الأغنام، وعلي بن أبي طالب كان يتيماً فقيراً والبقية كانوا من أمثال بلال وعمار وبقية الصبيان الذين كانوا من موالي النبي وعثمان وأبي بكر. *وأما معسكرات التعذيب التي أقامها المكيون لمحمد وأصحابه ما هي إلا نسج خيال كتاب السيرة النبوية*. ثم أن النبي لم يسترد أي ممتلكات في مكة عندما فتحها، وهاهو ابن قيم الجوزية يخبرنا عن بيوت مكة المصادرة، فيقول:

> "ولما فتح مكة، قام إليه رجال من المهاجرين يسألونه أن يرد عليهم دورهم التى استولى عليها المشركون، فلم يردَّ على واحد منهم داره، وذلك لأنهم تركوها لله، وخرجوا عنها ابتغاءَ مرضاته، فأعاضهم عنها دوراً خيراً منها فى الجنة، فليس لهم أن يرجعُوا فيما تركوه لله، بل أبلغُ من ذلك أنه لم يُرخِّصْ للمهاجر أن يُقيم بمكة بعد نُسُكِه أكثرَ مِن ثلاثٍ، لأنه قد ترك بلده لله، وهاجر منه، فليس له أن يعودَ يستوطِنهُ، ولهذا رثى لسعد بن خولة، وسمَّاه بائساً أن ماتَ بمكة، ودُفِنَ بها بعد هجرته منها." [1]

فإذاً حروب محمد لم تكن لاسترداد بيوت مكة التي كانوا قد وهبوها لله ليعوضهم بدلاً عنها بيوتاً في الجنة. وحتى لو افترضنا أنه أراد أن يسترد حقوق المهاجرين، هل يكون استرداد حقوقهم بقطع الطريق والهجوم على قوافل مكة التجارية التي تحمل أموال بعض الناس الذين لم يؤذوا النبي وأصحابه؟ فأين قول القرآن: {**لا تزر وازرة وزر أخرى**}؟

ثم تحدث الشيخ نهرو عن المرحلة الثانية في الإسلام، أي مرحلة المدينة، بعد أن قوي محمد بالأنصار وصار عنده جيش يهاجم به القبائل والقوافل، فقال:

> "إن من يقرأ آيات القتال والجهاد في القرآن في ضوء السياق الكامل وفي ضوء اللسان العربي الذي نزل به القرآن الكريم، ودون تقطيع للنصوص وفي ضوء الجمع بين النصوص، يعلم علم اليقين أن قتال الرسول وحروبه وغزواته وجهاده لم تكن قط حروب دينية، ولم تكن من أجل نشر الدين، بل كانت لرد الحقوق المغتصبة إلى أهلها ودفع الفتنة والتعذيب الذي كان يمارس على المستضعفين لردهم عن الإسلام، هذه كانت مهمة المرحلة الثانية مرحلة المدينة. ويمكن تلخيص الأهداف القتالية التي تميزت بها المرحلة المدنية في التالي:
>
> - استرداد الحقوق المغتصبة للرسول وأتباعه من أهل مكة.
> - رفع الظلم والفتنة عن المستضعفين من الذين آمنوا بالإسلام ولم يقدروا على الهجرة.
> - إفساح المجال أمام الحريات الدينية والإسلام ليختار الناس ما شاءوا من دين دون إجبار أو إكراه.
> - قتال بعض القبائل وبعض أهل الكتاب الذين ساندوا أهل مكة في ظلمهم واغتصابهم لحقوق المسلمين أو ما سماه القرآن {مظاهرة المشركين وموالاتهم ونصرتهم ضد المسلمين}.
> - كان قتال الرسول لأهل مكة ومن ناصرهم لاسترداد الحقوق ورفع الظلم والسماح بالحرية الدينية لكل الناس ولم تكن حرب دينية مطلقا.
> - كانت حروب أهل مكة وغيرهم من الأحزاب وأهل الكتاب للرسول والمسلمين حروب دينية لمنع نشر الإسلام والقضاء عليه". انتهى

وسوف أحاول الرد على هذه النقاط:

- النقطة الأولى: قد بينا أن قصة استرداد أموال وبيوت المسلمين بمكة قصة مختلقة لأن أغلب المسلمين الذين هاجروا معه كانوا من الفقراء ولا أملاك لهم، وعندما فتح مكة رفض أن يرد أي بيت إلى القلة الذين طالبوا بها. وإذا كان استرداد أموال الذين أخرجوا من ديارهم عذراً لشن الحروب، فإنه يحق ليهود بني النضير الذين أجلاهم محمد من ديارهم **بمساعدة الله** أن يشنوا الحرب على المسلمين، فالقرآن يقول عنهم:

> **{هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الألباب.** (الحشر 2)**}.**

فالنبي والمسلمون خربوا بيوت بني النضير وصادروا ممتلكاتهم.

- النقطة الثانية: كيف يرفع الظلم عن الذين لم يهاجروا بقطع الطريق وسلب قوافل مكة؟ ففي السنتين الأوليتين من هجرته لم يفعل أكثر من مهاجمة القوافل ثم قضى بقية السنين في قتل ومصادرة أموال اليهود. فهو إذاً قد فعل مع اليهود وغيرهم كما فعل به أهل مكة الكفار.
- النقطة الثالثة :كيف نُسلّم بأن حروبه كانت لإفساح المجال أمام الحريات الدينية، والقرآن يقول لنا:

> **{ومن يبتغي غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.** (آل عمران 85)**}.**

وكذلك:

> **{هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.** (التوبة 33)**}.** وكررها في سورة الفتح، الآية 28 وفي سورة الصف، الآية 9.

فعندما يقول إنه أرسله بالهدى ودين الحق، ألا يعني هذا أن ما عداه من الأديان ليس دين حق؟ وإذا كان ما عداه دين حق، لماذا أرسل رسوله بالإسلام ليظهره على الدين كله؟ ويقول كذلك

> **{وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه.** (المائدة 48)**}.**

فإذا كان في الإسلام متسع للحريات الدينية لماذا يهيمن القرآن على ما قبله؟ فلا نرى في الإسلام متسعاً للحريات الدينية كما يزعم الشيخ.

- النقطة الرابعة: لم يكن بالمدينة أي قبائل قد ساعدت مكة في الهجوم على المسلمين. كل اليهود بالمدينة وحولها كانوا محايدين ولم يظهروا للرسول أي عداوة. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

---

[1] زاد المعاد، ج3، ص 53.

"فوادَعَتَ يهودُ رسولَ الله، ولم تخرج إلى شيء من عداوته بقول يظهر و لا فِعْل حتى كانت وقعة بَدْرٍ، فتكلم بعضها بِعَدَاوَتِهِ والتحريضِ عليه، فَقَتَل رسول الله فيهم، ومعلوم أنه إنما أراد بهذا الكلام كعَبَ بن الأشرف، والقصة مشهورة مستفيضة، وقد رواها عمرو بن دِينَارٍ عن جابر بن عبدالله." [2]

فمن أجل رجل واحد كان قد هجا النبي قتل النبي يهود بني قريظة.

- النقطة الخامسة: كالأولى.
- النقطة السادسة: حروب أهل مكة كانت واقعة أُحد التي أعقبت موقعة بدر التي حاول فيها المسلمون نهب قافلة مكة التي كان يقودها أبو سفيان.

وهذه لم تكن حرباً دينية إنما حرب ثأر لقتلاهم في موقعة بدر، وقتلوا من المسلمين اثنين وسبعين رجلاً كما قتل المسلمون منهم اثنين وسبعين رجلاً في موقعة بدر. وهذا هو الثأر العربي في تلك الأيام. وحصار الأحزاب للمدينة في العام الخامس الهجري كان لوضع حد للهجوم على قوافلهم ولم تكن حرباً دينية بأي مقياس. وماذا عن يهود خيبر؟ هل حاربوا الإسلام؟ وأهل الطائف لم يحاربوا الإسلام وكل ما فعلوه أنهم رفضوا أن يصدقوا محمد عندما استنجد بهم بعد موت عمه أبي طالب. وأهل تبوك لم يحاربوا الإسلام، فلماذا غزاهم؟ **كل حروبه كانت لنشر الإسلام، كما يخبرنا القرآن**:

{وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم. (البقرة 244)**}.**

فالذين يقاتلون في سبيل الله يقاتلون لنشر دينه الجديد وليس لاسترداد الممتلكات بمكة.

{إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص. (الصف 4)**}.**
{وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله. (البقرة 193)**}.**

ودين الله هو الإسلام لأن الله قال من يبتغي غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه. فالحروب إذاً كانت من أجل أن يكون الإسلام هو دين الله.

{فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشد الوثاق فأما مناً بعد ذلك وأما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض والذين قُتلوا في سبيل الله فلن يُضل أعمالهم (3) ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم (4). (محمد)**}.**

فسبب ضرب رقاب الذين كفروا هو أنهم اتبعوا الباطل بينما اتبع المسلمون الحق.

{يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير. (التوبة 73)**}.**

القرآن يحث النبي على حربهم لأنهم كفار ومنافقون وليس لأنهم اغتصبوا أموال المسلمين بمكة.

{فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا (88) ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيرا (89). (النساء)**}.**

فهؤلاء المنافقون كل ذنبهم أنهم رفضوا أن يخرجوا في الغزوات في سبيل الله فقال للمسلمين أن يقتلوهم حيث وجدوهم إلا إذا قبلوا أن يخرجوا معهم فليخلوا سبيلهم. فهل بعد هذا يقول لنا الشيخ نهرو إن القتال كان لاسترداد أموال المسلمين في مكة؟

{يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين. (التوبة 123)**}.**

فالله هنا يأمر المسلمين أن تقاتل كل مجموعة منهم أقرب الكفار إليهم، ولم يقل إذا هاجموكم أو إذا أخرجوكم من دياركم، إنما هو أمر مفتوح لقتال أقرب الكفار إليهم.

ثم انتقل الشيخ نهروا إلى الناسخ والمنسوخ **وزعم أن القرآن ليس به ناسخ أو منسوخ**، فقال:

"أما بخصوص الناسخ والمنسوخ فقد كتبت مقالين كبيرين حول هذا الموضوع يمكنك الرجوع إليهما، أما إن كنت قرأتهما ولا زلت تصر على أن القرآن فيه ناسخ ومنسوخ فهذا شأنك وأنت حر فيما ترى وفيما تعتقد، وأما عن استشهادك بقول علي بن أبي طالب وقوله للواعظ هل تعرف الناسخ من المنسوخ، يا أخي الفاضل لا علي ولا أبو بكر *ولا أحد من المسلمين كلامه يعد حجة في الدين*، وعلي وغيره ليس بمشرع، وأنت تعرف جيدا وتوقن بأنه من صميم اعتقادي أن الوحيد الذي له حق التشريع الديني هو الله وحده، وليس علي ولا عمر ولا غيرهما، فاستشهادك بقول علي في ردك على ما جاء في مقالي يذكرني بقول القائل: داوها بالتي كانت هي الداء .فهل تستطيع أن تأتيني بحكم واحد أو كلمة أو آية منسوخة في القرآن؟ وأتحداك أنت وكل فقهاء الإسلام جميعا؟؟" انتهى.

وفقهاء الإسلام ألفوا عدة كتب عن الناسخ والمنسوخ في محاولة منهم للالتفاف حول تناقضات القرآن العديدة. ولكن حتى لو تجاهلنا ما قال الفقهاء، فالقرآن نفسه يقول لنا:

{ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير... (البقرة 106)**}.**
{وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون. (النمل 101)**}.**
{وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما ألقى الشيطان ثم يحكم الله آياته. (الحج 52)**}.**

وبدون الناسخ والمنسوخ فلن يستطيع المفسرون تفسير التضارب في القرآن، مثل الآيات التي تتحدث عن عدة المرأة التي يتوفى عنها زوجها:

{فالذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشر فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن بأنفسهن بالمعروف. (البقرة 234)**}.**
{والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصيةً لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج. (البقرة 240)**}.**

فالأرملة في الآية الأولى لها أن تظل في بيت زوجها المتوفى لمدة أربعة أشهر وعشرة أيام. وفي الآية الثانية لا تخرج من البيت إلا بعد سنة كاملة. فلا بد أن تكون إحداهما قد نسخت الأخرى.

والقرآنيون، كما قلنا في بداية المقال، لديهم **أشياء حسنة**، منها أنهم:

لا يقولون بالزنا، ولا يرجمون المحصنة،
ولا يرفضون ولاية المرأة،
ولا عقوبة عندهم على المثليين،
وبعضهم يمنع الزواج بأكثر من واحدة،
ولا يقتلون المرتد عن دينه.

---

[2] الصارم المسلول على شاتم الرسول، ج1، ص 56.

كل هذا أشياء أدخلها أهل السنة في الإسلام اعتماداً على أحاديث أبي هريرة وغيره.
ولكن مع هذا فالقرآنيون:

يُحلون زواج المتعة الذي لا يقل كثيراً عن الدعارة الشرعية،
ويُحلون ملكية اليمين ويقولون إنها *ليست للعبودية* وإنما للمعاشرة بين الرجل والمرأة، أي لاتخاذ الأخدان.

ولا ندري كيف يبررون ملك اليمين من الرجال، فهل هم كذلك للمعاشرة؟
ومع أن بعض القرآنيين يقول بعدم تعدد الزوجات إلا أن بعضهم يجيز ذلك رغم أن القرآن يقول لهم:

{ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلّقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً. (النساء 129)**}.**

فالقرآنيون رغم محاولاتهم العديدة لن يستطيعوا تجميل صورة الإسلام
إذ أن عمليات التجميل قد تؤثر مؤقتاً على المظهر الخارجي فقط ولمدة قصيرة
يرجع بعدها الجلد كما كان قبل عملية التجميل،
وعمليات التجميل لا تغير شيئاً في داخل جسم الإسلام المليء بدماء الأبرياء وبالعبودية واضطهاد المرأة.

عودة إلى الفهرس

16 - لقد أخطأ الشيخ نهرو طنطاوي

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=68400

بدءاً أود أن أشكر الشيخ د. نهرو طنطاوي على **قراءتة مقالي** الموسوم "القرآنيون ومحاولة تجميل صورة القرآن" المنشور بموقع (الحوار المتمدن). فالشيوخ مثل الشيخ إسماعيل الغمراوي عادةً لا يقرؤون ما أكتب، كما قال الشيخ الغمراوي في أحد ردوده على مقال سابق كنت قد نشرته في موقع "كتابات".

- أما الشيخ طنطاوي فقد أطال وكرر ما لا يستوجب التكرار في رده عليّ، وبدأ الرد بجملة لا يتفق عليها كل الناس، فقد قال:

> "بداية أنا لست قرآني أنا مسلم كما سماني القرآن وكما سمى الله كل أتباع الإسلام لقوله تعالى: {**هو سماكم المسلمين من قبل**}" انتهى.

✍ وكما يعلم الشيخ الدكتور طنطاوي فإن كلمة "مسلمين" في صيغتها القرآنية لا تعني المسلمين بالمعنى الذي قصده الشيخ، فالقرآن يقول عن الحواريين أنهم مسلمون:

{**فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون.** (آل عمران 52)} .

وأنبياء اليهود كذلك مسلمون:

{**إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ.** (المائدة، 44)}.

فكون الشيخ مسلم لا يعني أنه ليس قرآنياً أو شيعياً أو بهائيا أو حتى يهودياً.

- ثم قال الشيخ:

> "أما عن الدكتور أحمد صبحي منصور وأتباعه وأن البعض يسميهم **بالقرآنيين**، فأنا لا أعلم عنهم شيئا سوى ما يعلمه عنهم معظم الناس، وكانت المرة الأولى التي أقرأ فيها اسم الدكتور أحمد صبحي منصور في أواسط التسعينيات وبالتحديد في عام 96 أو 97 في مقال له *بمجلة روزاليوسف* المصرية ، وكنت وقتها لا أعرف مَن هو الدكتور أحمد صبحي منصور حتى أخبرني بعض الصحافيين في مصر أنه دكتور أزهري وتم فصله من جامعة الأزهر بسبب آراءه *وأنه ينكر السنة* ، هذا كل ما كنت أعرفه عن الدكتور منصور، ولم أكن قد سمعت من قبل عن القرآنيين حتى أخبرني بقصتهم صحافي بمجلة *روزاليوسف*" انتهى.

✍ ويبدو أن الشيخ لا يطلع على أي شيء غير الكتب الدينية، رغم أنه تربطه صلات مع الصحفيين الذين أخبروه عن د. أحمد صبحي منصور وعن القرآنيين، لكنه لا يقرأ الصحف إذ لا بد لأي شخص مطلع ومن جامعة الأزهر أن يعرف شخصاً مثل د. أحمد صبحي منصور الذي كان أستاذاً بالأزهر وفُصل عن عمله وسُجن من أجل آرائه، ونقلت الصحف مقالاته وخبر سجنه، خاصةً أن الشيخ طنطاوي كان في التسعينيات إما طالباً أو مدرساً بالأزهر الذي فُصل منه د. منصور. فحتى مِن باب حب الاستطلاع كان يجب عليه أن يعرف أن أستاذاً بالأزهر قد فُصل عن عمله وسجن، ما دام هو في الأزهر. *أما عدم معرفته بالقرآنيين فعذر أقبح من الذنب إذ أن القرآنيين لم يظهروا في الماضي القريب وإنما ظلوا معروفين منذ مئات السنين.*

- وبعد أن تهجم الشيخ على قراءتي للتاريخ وزعم ظناً أنني أقرأ لأصطاد الأخطاء، قال:

> "فكان من التلفيق المثير للضحك والسخرية أن يجعل الأستاذ كامل النجار الدعوة إلى اعتماد القرآن الكريم كمصدر وحيد للتشريع الديني في الإسلام هي نفس دعوة **الخوارج** وأنهم هم أول من نادى بها وأول من دعا إليها" انتهى.

- ثم شرع في تفنيد هذا القول، فقال:

> "أما قوله إن دعوة الدكتور أحمد صبحي منصور ودعوة نهرو طنطاوي أو ما يسميه دعوة (القرآنيين) هي دعوة قديمة منذ مئات السنين قد بدأها الخوارج ، فهذا الادعاء باطل ومغرض لا يخرج السيد كامل النجار منه عن حالة من اثنين: **الحالة الأولى:** تعمد مقصود من السيد كامل النجار لتشويهنا عن قصد منه وترصد ، فمالنا ومال الخوارج فإن ما بين دعوتنا ودعوة الخوارج كما بين السماء والأرض وهذا لا يخفى على مَن له أدنى فهم واطلاع على مذهب الخوارج وعلى ما نقوله ونؤمن به ونعتقده ،إلا إذا كان الأستاذ كامل النجار يتبنى نفس فكر ومنهج الشيخ عبد المحسن العبيكان حين اتهمني في *جريدة الشرق الأوسط* بهذه التهمة الشنيعة، والغريب في الأمر وما يثير الدهشة حقا أن الأستاذ كامل النجار هو الوحيد من بين الكتاب الذي انبرى للرد على العبيكان حين اتهمني بهذه التهمة والذي قال إن قولي من جنس قول الخوارج الذين أمر النبي بقتلهم فقد جاء رد السيد كامل النجار تحت عنوان "لقد أخطأ العبيكان" ونشره على موقع الحوار المتمدن" انتهى.

✍ ولا أدري لماذا انفعل الشيخ نهرو وادعى أني أردت تشويه دعوته. فأنا لم أقل إنه من الخوارج إنما قلت **إن أول من نادى بالاعتماد في التشريع على القرآن فقط كانوا الخوارج والمعتزلة**. وهذا لا يعني أن القرآنيين والمعتزلة والخوارج كلهم ينتمون إلى نفس المذهب. فمثلاً لو قلت إن أول من نادى بالاشتراكية وشيوع الماء والنار والمرعى كان الإسلام، لا يعني هذا أني قصدت أن أقول إن الشيوعية التي نادت بالاشتراكية فيما بعد قد اعتنقت مذهب الإسلام. فأرجو أن يكون تأويل الشيخ لما يقرأ تأويلاً منطقياً وعلى ظاهر الكلام. وردي على الشيخ العبيكان لم يكن دفاعاً عن الشيخ طنطاوي *بقدر ما كان إظهاراً للحقائق*. فالشيخ العبيكان قال إن السنة جزء لا يتجزأ من التشريع الإسلامي، وإن القرآنيين من الخوارج وأن النبي دعا إلى قتلهم. فأردت أن أبين خطأه فيما ذهب إليه. وهذا لا يمنع أن أقول إن **أول** من قال بالاعتماد على القرآن فقط هم الخوارج. والفرق بين الموقفين واضح.

- والمثل العربي القديم يقول (غلب الطبع التطبع) وهاهو الشيخ نهرو يبرهن على صدق هذا المثل ويكشف أن محاولته في بداية المقال أن يلتزم الحوار المتمدن، كانت تطبعاً وليس طبعاً، فهو يقول:

> "يبدو أن السيد النجار يقرأ تاريخ الإسلام بالمقلوب أو أنه قد بلغ رتبة الاجتهاد إياها والتي قد بلغها بن باز وبن لادن وبن تيمية بحيث (يحق) له أن يفتي بما شاء وكيف شاء ، وبحيث يحق له أيضاً أن يقوم بعملية تلفيق كبرى على شاكلة فقهاء الإسلام البارعين في هذا المضمار عن طريق القص واللصق والنسخ والتبرير والتلفيق والتفصيل والاختراع. وأنصح السيد كامل النجار بأن يقوم بقراءة التاريخ الإسلامي مرة أخرى ويقرأ عن الخوارج بالأخص حتى يفهم مذهبهم حق الفهم وبالتالي يستطيع أن يقيس مَن هو على مذهبهم ومَن ليس على مذهبهم. أما إن كان الأستاذ كامل النجار يقرأ التاريخ ولا يفهمه فأنصحه أن يتتلمذ من جديد على يد أحد المتخصصين والباحثين التاريخيين حتى يعي ما يقول ولا يقوم بإلقاء التهم جزافا وباطلا ويضع نفسه في مكانة لا يُحسد عليها أو يضع نفسه في موقف "بايخ" ومحرج. وليسمح لي السيد النجار أن أسرد له بعض الفقرات عن مذهب الخوارج من نفس الكتب والمصادر الإسلامية التي يستشهد بها دائما وفي نفس الوقت لا يعترف بمصداقيتها" انتهى.

- ✍ ويبدو أن الشيخ طنطاوي مثله مثل بقية شيوخ الإسلام لا يعرفون الرد على أي مقال أو سؤال مباشر **إلا باتهام الكاتب أو السائل بالجهل الفاضح**. ولكن الواقع هو أن الشيخ طنطاوي هو الذي يقرأ ولا يفهم. فأنا لم أقل إن مذهب القرآنيين هو مذهب الخوارج. وعلى العموم لا يسعني إلا أن أشكره على نصائحه لي باتخاذ أستاذ يشرح لي التاريخ الإسلامي الذي عجزت عن فهمه. وكم تمنيت لو أني ما زلت في القاهرة حتى أتخذ الشيخ أستاذاً لي.

وربما لم يفهم الشيخ ردي على الشيخ العبيكان الذي قلت فيه إن السنة لا يمكن الاعتماد عليها لأن أغلبها منتحل وضعه أبو هريرة وزمرته، وأن التشريع يجب أن يأتي من القرآن فقط، إذا كان لا بد من تطبيق شرع إسلامي. فأعاد الشيخ طنطاوي نفس مقولتي وأورد عدة آيات من القرآن ما كان لها أي داعي لأننا متفقون فيما يقول وينادي به. ثم شرع الشيخ في نقل نبذة مطولة عن الخوارج من ابن كثير والطبري وغيرهما. وكل ما ذكره عبارة عن تاريخ الحركة ولكنه لم يتطرق إلى **فكر الحركة** أبداً لأنه اعتمد على كتب التاريخ التي لا تقص علينا إلا التاريخ. وحركة الخوارج في المصادر غير التاريخية مثل كتاب ‹الملل والنحل للشهرستاني› بدأت كحركة دينية متشددة اتهمت علي بن أبي طالب بالكفر لأنه احتكم لغير كتاب الله، وقالوا إن أي حكم لا يُستمد من كتاب الله فهو حكم باطل.

وسماهم أهل السنة خوارج لأنهم خرجوا على إجماع الأمة في أمرين:

1. (بدعتهم في الإمامة إذ جوزوا أن تكون الإمامة في غير قريش، وكل من نصبوه برأيهم وعاشر الناس على ما مثلوا له من العدل واجتناب الجور، كان إماماً.) وهذا القول يتجاهل السنة التي زعمت أن النبي قال: **[لا يزال هذا الأمر في قريش وإن بقي منهم اثنان]** وكان يعني الخلافة. وهذا الذي قصدته أنا في مقالي عندما قلت إن الخوارج كانوا أول من نادى بتجاهل السنة والاحتكام إلى القرآن فقط.
2. إنهم قالوا "أخطأ عليّ" في التحكيم، إذ حكّم الرجال، ولا حكم إلا لله. وكفّروا عليّ لأنه قاتل **النكثيين** (الذين نكثوا عهدهم) **والقاسطين** (الذين تجاوزا الحق) وما سبى ذراريهم ونساءهم، وقاتل مقاتلين من القاسطين وما اغتنم ولا سبى، ثم رضي بالتحكيم.

هذه كانت بداية فلسفة وفكر حركة الخوارج، ومثلها مثل كل الحركات الدينية والسياسية التي سبقتها ولحقتها، اختلف قادتها وتفرقوا شعباً ومذاهبَ وكفرّوا بعضهم بعضاً كما تفرق المسلمون فرقاً ومذاهب وكفّروا بعضهم بعضاً. فظهرت من الخوارج فرقة "الأزارقة" المنسوبة إلى أبي راشد نافع بن الأزرق، في أيام عبد الله بن الزبير وقتلوا عماله بالعراق. وكفرت فرقة الأزارقة عثمان وطلحة والزبير وعائشة وابن عباس. ومنهم كذلك فرقة "النجدات العاذرية" وهم أصحاب نجدة بن عامر الحنفي. ثم هناك فرقة "البيهسية" نسبةً إلى أبي بيهس الهيثم بن جابر. وقد وافق هؤلاء **القدرية** وقالوا ليس لله في أعمال العباد مشيئة. ومنهم العجاردة نسبةً إلى عبد الكريم بن عجرد وقد أنكر هؤلاء أن تكون سورة يوسف من القرآن لأنها قصة عشق والقرآن لا دخل له بالعشق. ومنهم عدة فرق مثل الإباضية والميمونية والحمزية والخلفية الخ. فجميع هذه الفرق تولدت من الخوارج الذين بدؤوا مذهبهم بالدعوة إلى *تحكيم القرآن فقط*. وفي النهاية أصبحوا أكثر من عشرين فرقة متناحرة يكفر بعضها البعض وتختلف معتقداتهم وآراؤهم باختلاف فرقهم.

- ثم استمر الشيخ فقال:

> "ولعلم السيد كامل النجار أن الخوارج لم يُؤثَر عنهم في أي مصدر من مصادر التاريخ أو الأحاديث أنهم أنكروا ما يسمى بالسنة لأنه وقت ظهور الخوارج لم يكن هناك شيء مدونا يسمى بالسنة، ولم تكن السنة وقتها قد دونت فالسنة قد تم البدء في تدوينها في أواخر عهد الدولة الأموية، أو على حسب بعض الأقوال بعد وفاة الرسول علية الصلاة والسلام بمائة وخمسين عاما، ولعلم الأستاذ النجار أن الخوارج ظهروا قبل ظهور البخاري ومسلم وكتب المحدثين بعشرات السنين." انتهى.

- ✍ وقد نعذر الشيخ طنطاوي الذي لم يكن قد سمع بالقرآنيين إلا قبل سنوات بسيطة، في جهله بتاريخهم، أما أن يجهل المراجع الكبيرة في السنة التي يرفضها، فأمر غريب. هل رفض السنة قبل أن يدرسها ويعرف ما تدعو إليه؟ فكتب الحديث قد تحدثت عن وجود السنة وقت ظهور الخوارج: فمثلاً حديث الزبير الذي قال لابنه:

> "لا تُخاصِمِ الخَوارِجَ بالقرآن، خاصِمْهم بالسُّنة، قال ابن الزبير: فخاصَمْتُهم بها، فكأنهم صِبْيانٌ يَمرُثون سُخُبَهُم"

أي يَعَضُّونها ويَمُصُّونها. والسُّخُب: قَلائد الخَرَز [1].

والسبب في أن الخوارج لم يحيروا جواباً عندما جادلهم ابن الزبير بالسنة، هو أنهم ما كانوا يعترفون بالسنة ولا يحفظون الأحاديث. ويبدو أن هذا هو مذهب الشيخ طنطاوي الذي لم يقرأ، كما يبدو، أمهات كتب السنة. فلعلم الشيخ طنطاوي فإن السنة كانت معروفة في زمن الخوارج وليس من الضروري أن تكون قد دونت لتكون معروفة للناس. فالقرآن لم يدون إلا بعد موت النبي ولكنه كان في صدور الرجال وكان معروفاً لهم.

- ويقول الشيخ طنطاوي، اعتماداً منه على الظن الذي نهاهم عنه القرآن لأن الظن لا يغني عن الحق شيئاً، قال:

> "وأعتقد والله أعلم أن السيد النجار قد استقى معلوماته عن الخوارج من خطبة جمعة أو حديث إذاعي أو تلفزيوني، ولا أعتقد أنه قد بحث في مراجع تاريخية معتمدة" انتهى.

- ✍ وأحب أن أؤكد للشيخ أولاً أني لا أستمع إلى خطب الجمعة، وثانيا، أني مطلع على تاريخ الخوارج أكثر منه بمراحل عديدة. والدليل على ذلك قوله:

> "ولما رجع على بن أبي طالب إلى الكوفة اعتزل من جيشه ما يقرب من اثنا عشر ألفا وهم الخوارج وكان من أمرهم ما كان فقد كفروا على بن أبي طالب ومعاوية وجميع الصحابة واستحلوا دمائهم وأموالهم وأعراضهم ثم قاتلهم على بن أبي طالب بعد ذلك وهزمهم وكسر شوكتهم فلم تقم لهم قائمة بعدها أبدا" انتهى.

- ✍ وهذه معلومة خاطئة يستطيع طالب الإعدادي أن يصححها للشيخ. فالخوارج قامت لهم قائمة ضخمة بعد موقعتهم مع علي بن أبي طالب في النهروان. فقد تفرقوا في عُمان والبحرين والعراق وشمال أفريقيا، وأصبحوا شوكة في جنب دولة بني أمية وحاربهم الحجاج عدة مرات وقد قتل قطري بن الفجاءة من أمراء جيوش الحجاج ثلاثة وعشرين أميراً. واستمرت حربهم في العراق حتى عام 79 هجرية بينما كانت موقعة النهروان ضد علي في عام 39.

يقول ابن عماد الحنبلي عن سنة تسع وسبعين:

> "فيها وقيل في التي قبلها قتل رأس الخوارج: قطري بن فجاءة، التميمي، عثر به فرسه، فقتل، وأتي الحجاج برأسه، وكان الحجاج قد جهز إليه جيشاً بعد جيش، وهو يهزمهم". وفي سنة 66 هجرية "قويت شوكة الخوارج واستولى نجدة الحروري الخارجي على اليمامة والبحرين"[2].

---

[1] النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام ابن الأثير، باب الميم.

[2] شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي.

"أما في المغرب فقد استمر نفوذهم حتى عام 154 هجرية حين أهمَّ المنصور أمر الخوارج واستيلاؤهم على المغرب، فسار إلى الشام، وزار بيت المقدس، وجهز يزيد بن حاتم في خمسين ألف فارس، وعقد له على المغرب، فبلغنا أنه أنفق على ذلك الجيش ثلاثة وستين ألف ألف، فافتتح يزيد أفريقيا، وهزم الخوارج، وقتل كبارهم"[3].

فمَن مِنا أيها الشيخ استقى معلوماته عن الخوارج من خطبة الجمعة؟

- ثم انتقل الشيخ طنطاوي إلى موضوع القصص التي قلنا إنه يسردها علينا بدون أي سند، فقال:

"ويقول السيد النجار أنني أتيت ورددت بعض القصص وهنا أتحدى السيد النجار أن يأت بقصة واحدة من كل مقالاتي وأبحاثي فقط قصة واحدة رددتها أو استشهدت بها، بل كل ما ذكرته هو ما نص عليه القرآن الكريم وحده. ثم يقول الأستاذ النجار وهذه القصص لا يسندها غير المصادر الإسلامية نفسها، وبذلك يعني السيد النجار أنها مصادر غير دقيقة وغير صادقة وغير محايدة. وهنا نقول للسيد النجار لماذا إذن تستند على هذه المصادر في كل كتاباتك ومقالاتك؟؟" انتهى.

✍ وربما فات على الشيخ طنطاوي أن القرآن نفسه ما هو إلا قصص لا يسندها واقع تاريخي، مثل قصة موسى وهارون التي يكررها القرآن في أكثر من سبعة سور، وقصة أهل الكهف وقصة يوسف التي قال الخوارج إنها ليست من القرآن، وقصة كلام سليمان مع النمل ومع الهدهد، وكذلك قصة جن سليمان الذين أتوا له بعرش بلقيس والذين بنوا له القصور والبيوت. وهذه كلها قصص فولكلورية كانت متداولة في الجزيرة قبل ظهور الإسلام، خاصة قصة بناء تدمر التي وردت في الشعر الجاهلي. والقصص الأخرى التي أتي بها الشيخ دون سند هو تكرار قصة أن المشركين أقاموا معسكرات تعذيب لمحمد وأتباعه وأنهم صادروا ممتلكات المسلمين حين هاجروا من مكة. كل هذه كذلك قصص لا سند لها.

أما لماذا أعتمد أنا على المصادر الإسلامية، فالإجابة تكمن في أن تاريخ تلك الفترة في جزيرة العرب *لم يؤرخ له إلا المسلمون أنفسهم* بعد أن اجتاحوا البلاد المجاورة وقتلوا معظم أهلها وحرقوا المكتبات فضاع جزء من التاريخ. *والغالب دائماً هو الذي يكتب التاريخ على هواه*. ولكن في بعض الأماكن من الجزيرة استطاعت الحفريات الحديثة أن تؤكد لنا بعض الأشياء عن تاريخ تلك الأماكن، ولكن المراجع عن ذلك قليلة. ولذلك نعتمد في كتاباتنا على المراجع الإسلامية التي ننتقدها إذا كان سردها للتاريخ غير منطقي. فليس كل ما كتب في المراجع الإسلامية صحيحاً.

- ووعدنا الشيخ وعداً لا يستطيع أن يحققه فقال:

"ولو أمد الله في أجلي لأكشفن للقراء عملية التزوير الكبرى التي يقوم بها السيد النجار ومَن هم على شاكلته وكيف يأخذون من كتب التراث ما يروق لهم وكيف ينتقون ما يحلوا لهم ويتركون ما لا يتفق مع هواهم وأغراضهم الشخصية" انتهى.

✍ وأنا من جانبي أسأل الله وأتوسل إليه أن يمد في عمر الشيخ حتى نرى إن كان في إمكانه الوفاء بوعده وتبيان التزوير الذي نقوم به.

- ثم استعان الشيخ طنطاوي بالشيخ د. أحمد صبحي منصور، فقال:

"وأكبر دليل على ذلك أنه جعل دعوتي أنا والدكتور منصور هي نفس دعوة الخوارج، وأتمنى من الدكتور صبحي منصور واستأذنه أن يكتب دراسة عن الخوارج ومذهبهم وفكرهم حتى يعلم الدكتور النجار من هم الخوارج وما هو مذهبهم ، فلولا ضيق الوقت لدي لقمت بهذه الدراسة وسأكون شاكر للدكتور صبحي منصور لو لبى هذا الطلب." انتهى.

✍ وأنا من جانبي، ورغم غزارة المراجع التي أمتلكها عن الخوارج، يسعدني أن يكتب عنهم د. أحمد صبحي منصور، الذي أكن له الاحترام رغم اختلافي معه، لأنه رجل تحمل السجن وتحمل محاربته في رزقه من أجل معتقده. وربما يكتب الشيخ أحمد صبحي منصور شيئاً جديداً قد غاب عني، فالإنسان كما نعلم، لا يستطيع أن يلم بكل أطراف العلوم، فالتعلم من المهد إلى اللحد. ولا ندري ما الذي يشغل وقت الشيخ طنطاوي وهو لا يقرأ الصحف ولا يقرأ كتب السنة والأحاديث ولا يواكب مجريات عصره من سجن الكتاب وغيرهم ولم يسمع بالقرآنيين، فلا بد أن لديه متسعاً من الوقت ليكتب عن تاريخ الخوارج.

- واستمر الشيخ طنطاوي فقال:

"أما عن قول الأستاذ النجار: "إن سفك الدماء جزء لا يتجزأ من الإسلام" أقول له صدقت إن قتال الطغاة والمتجبرين والمستكبرين في الأرض الذين يفتنون الناس عن دينهم ويخرجونهم من ديارهم وأموالهم بغير حق هذا شرع قد شرعه الإسلام ، فقد شرع القرآن قتالهم وسفك دمائهم وهذه الشريعة القرآنية هي نفس شريعة جميع دول العالم بل إنها شرعة المنظمة الدولية التي أعطت الحق لجميع شعوب الأرض في المقاومة بشتى الطرق والوسائل بما فيها الكفاح المسلح لاسترداد الحقوق المغتصبة ورفع الظلم والبغي والاضطهاد وتمكين الشعوب من حق تقرير المصير. فإذا كان هذا الحق يعد في نظر الأستاذ النجار إرهاب ودموية ، إذن فشرعة الأمم المتحدة وجميع دساتير دول العالم كلها إرهاب ودموية." انتهى.

✍ ولا شك أن المقاومة ومحاولة استرداد ما اغتصب العدو حقُ مباح ومشروع، ولكن نرجو أن يوضح لنا الشيخ متى غزا العراق مكة أو المدينة حتى وجد المسلمون عذراً لرد المغتصب، ومتى غزا الشام الجزيرة ومتى غزت الهند والسند وشمال أفريقيا الجزيرة؟ هل احتل المسلمون تلك الأماكن حتى يستطيعوا في المستقبل مقاومة المعتدي الأمريكي؟ الحقيقة الواضحة هي أن الإسلام اعتدى على كل البلاد التي غزاها المسلمون، وقد قال بهذه المقولة الشيخ أحمد صبحي منصور الذي استعان به الشيخ طنطاوي، في أكثر من مرة. فليراجع الشيخ طنطاوي مقالات الشيخ القرآني أحمد صبحي منصور.

- ثم قال الشيخ:

"أما عن قول الأستاذ النجار: "القرآن ملئ بضيق الأفق وعدم تحمل الاختلاف في الرأي أو العقيدة مما يجعل محاولة تجميله مستحيلة" فلم يذكر لنا الأستاذ النجار آية واحدة من هذه الآيات ضيقة الأفق والتي لا تتحمل الآخر والتي تملأ القرآن على حد زعمه" انتهى.

✍ وهأنذا أورد له بعض الآيات:

{**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق.** (الممتحنة 1)}.
{**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم.** (المائدة 51)}.
{**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون.** (التوبة 23)}.
{**ولا تصلي على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره.** (التوبة 84)}.
{**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.** (البقرة 193)}.
{**يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار.** (التوبة 123)}.
{**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.** (آل عمران 85).}

[3] شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي.

وهذا غيض من فيض. فهل في هذه الآيات أي تحمل للغير أو وسع أفق؟

- ثم سرح الشيخ طنطاوي في حديث ممجوج عن حبه لمواطنيه المسيحيين، فقال:

> "أما عن قول الأستاذ النجار أن المسيحيين كانوا في قريتي أمناء وصادقين ويصادقون المسلمين لوجه الله فهذا شيء يدخل السعادة والسرور في نفسي أن يكون أهل بلدتي بهذه الصفات الحميدة ولأنهم أولا وأخيرا مصريون مثلي مثلهم، وإن كان المسيحيون في بلدي أمهر صناعة فهذا أيضا يشرفني لأنهم أهل بلدتي، ويعلم الله أنى افخر أيما افتخار بالدكتور مجدي يعقوب جراح القلب العالمي ليس لأنه مسيحي بل لأنه مصري يشرف كل مصري في أي مكان في الدنيا فهو وغيره من علماء مصر ومبدعيها بمثابة وسام شرف لكل مصري." انتهى.

✍ وطبعاً من حق الشيخ أن يفخر بالدكتور مجدي يعقوب لأنه جراح ماهر ومشهور ومصري ولكن ماذا عن المصري المسيحي الفقير الذي لا يعرفه أحد؟ هل دافع الشيخ عن حقه في بناء كنائسه وترميم القائم منها، وحقه في دخول كلية طب الأزهر التي يُمنع من دخولها بالقانون؟

- وقال الشيخ كذلك:

> "أما عن دفاع الأستاذ النجار عن إخوانه المسيحيين الطيبين المسالمين، فلا أدري هل يقصد الأستاذ النجار أن أتباع الديانة المسيحية بشكل عام كانوا طوال تاريخهم كانوا طيبون مسالمون؟ فإن كان يقصد ذلك فلا أجد ما أقوله له غير الله يرحم فتاوى الجهاد المقدس، والله يرحم الحروب الصليبية، والله يرحم محاكم التفتيش، وربنا يحفظ عصر التنوير وعصر النهضة في أوروبا ويدومها على الأوروبيين نعمة، فلولا عصر النهضة والتنوير في أوروبا، ولولا الفتح الإسلامي لدول المشرق لسال جلد الأستاذ كامل النجار من شدة الطيبة والمسالمة، وكان قد رأى بعينيه خوازيق الرحمة والمحبة والسلام." انتهى.

✍ وفعلاً نحن مدينون لعصر التنوير الذي لولاه لكانت أوروبا في نفس مستوى العالم الإسلامي اليوم ولخرج علينا مئات القساوسة يطالبون بتطبيق شريعة الإنجيل كما يفعل الشيوخ اليوم. فمتى يجئ عصر التنوير إلى عالمنا الإسلامي؟

- ويبدو أن الشيخ يفتخر بعدم اطلاعه إلا على القرآن فيقول:

> "أما وصفه لبعض مقالاتي بموضوعات إنشاء فيكفيني أنها صادقة وموضوعية وأمينة ويكفيني أني لم أعتمد على أي مصدر في مقالتي سوى القرآن الكريم *الوثيقة الإسلامية الخالدة* ولم أتبع أسلوب القص واللصق والتكييف والترقيع والنسخ والتفصيل والانتقاء، بل كل موضوع كنت أجمع كل النصوص الكاملة التي وردت فيه دون أي تدخل شخصي مني وأترك للقارئ هو الذي يحكم." انتهى.

✍ وكان الأحرى بالشيخ أن يطلع على كتب الفلاسفة والمؤرخين ليدعم حججه بما يقول عن القرآن والإسلام، لأنه لو أراد أن يقنع الناس بالقرآن فلا يكفي أن يردد ما يقول القرآن وحده، فلا بد من إقناع العقل بمصادر أخرى تؤيد ما يقول القرآن. **ولا أرى مجالاً للفخر بأنه لم يأت بغير القرآن دليلاً.**

وبهذا القدر أكتفي كي لا أطيل على القارئ بترديد استيلاء أهل مكة على بيوت وأملاك الذين هاجروا وبقية القصص الفلكلورية.

عودة إلى الفهرس

85 - 86 - 87 - أحمد صبحي منصور... وآفة الغرور

2007 / 12 / 11

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=118117

كنتُ أعتقد، خاطئاً، أنّ الشيخ الدكتور أحمد صبحي منصور الذي يتزعم موقع "أهل القرآن" سوف يتخلّق بالأخلاق التي يقول بها القرآن {**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إنّ ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**}. وكذلك {**وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره**}. فحسب القرآن الذي يدافع عنه الشيخ الدكتور، كان حرياً بالشيخ *إما أن يعرض* عن ما يقوله كامل النجار *أو أن يجادله* بالتي هي أحسن.

ولكن للأسف فالشيخ مثله مثل شيوخ الإسلام الآخرين، يقول ما لا يفعل - يستشهد بالقرآن كثيراً ولكنه لا يتبع ما يستشهد به. وكعادة شيوخ الإسلام منذ القرن السابع، لا يستطيع الشيخ أحمد صبحي منصور أن يكتب مقالاً دون أن يشتم مَن يحاوره ويتهمه بالجهل القاتل وبالكفر.

فهو قد اتهم كامل النجار مرات عديدة بالجهل؛ ومع ذلك يستمر في الرد عليه رغم أن قرآنه يقول له: {**خذ العفو وأمر بالمعروف واعرض عن الجاهلين**}، وكذلك: {**وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين**}.
وقد ترددتُ كثيراً قبل أن أقرر الرد على الشيخ *الذي لا يلتزم أدب الحوار الحضاري*، خاصة أن بعض القراء قد نصحوني ألا أرد عليه لأن المقالات الطويلة التي أضاع بها وقتي ووقت القراء **لم تأتِ بجديد**، بل أغلبها مرفوع برمته من مقالات له سابقة. ورغم أن الدكتورة البارعة وفاء سلطان قد ردت، مشكورة، على الشيخ أحمد صبحي منصور وفندت أغلب ادعاءاته وكان يمكنني أن اكتفي بردها عليه، إلا أن مقولة سيبويه «أموت وفي نفسي شيء من حتى» ظلت تتردد في ذهني فقررت أن أرد عليه حتى لا أترك له قولاً لم يُفند.

✍ الشيخ الدكتور أحمد صبحي منصور يعاني من مشكلتين:

- المشكلة الأولى أنه *مصاب بإسهال الفم* ولا يستطيع أن يمسك لسانه أو قلمه عن "**الردح**" الذي اشتهرت به بعض نساء مصر المحروسة. وما يخرج من فمه لا يقل نتانة عما يخرج من أماكن أخرى.
- والمشكلة الثانية أنه *لا يُحسن اختيار ما يستشهد به من القرآن*. فهو، مثلاً، يقول في الحلقة الأولى من رده على كامل النجار، والموسوم (هذا العلماني الضحية... صريع السلفية)، يقول:

> "1 ـ من إعجاز القرآن الكريم أن يصف الانسان فى محيطه الاجتماعي بالنبات الذى يتاثر بالتربة التي ينشأ فيها ويتلقى منها غذاءه ويتعرض لمناخها وعوامل التعرية فيها، ولكن بينما يظل النبات فى حالة خضوع لتلك المؤثرات مرتبطا بها ارتباطه بجذوره التى تبقيه فى المكان لا يفارقه فإن الإنسان ذلك الكائن العاقل المتحرك يتاثر ببيئته، ولكنه يملك أن يتخذ موقفا منها، بل يستطيع تغييرها"، ولكي يستشهد من القرآن بما يثبت ذلك أتى بالآية التي تقول: {**منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى**}.

وللأسف فهذه الآية **تثبت تناقض القرآن** وعدم معرفة كاتبه بما يحدث خارج نطاق الجزيرة العربية. التناقض يظهر في أن هذه الآية تقول إن الإنسان مخلوق من التراب وإليه يعود، بينما تقول لنا آية أخرى {**وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يعقلون**. (الأنبياء 30)}. وبما أن الإنسان حي، فلا بد أنه خُلق من الماء، وليس من التراب. ثم أن الآية تقول إن الإنسان ينتهي في الأرض ويخرج منها يوم القيامة، وهناك ملايين من الهندوس والبوذيين والمسيحيين الغربيين الذين تُحرق جثثهم ويُذرى رمادها في البحار أو في الهواء. وكذلك هناك مئات الآلاف من اليابانيين الذين تبخرت جثثهم في هيروشيما وناگـازاكي عندما ألقت أمريكا القنبلة الذرية عليهم في عام 1945. وهناك من تأكلهم أسماك البحر والحيوانات المفترسة. وحتما لن يخرج مثل هولاء من الأرض في يوم القيامة المزعوم.

فالشيخ لا يعرف حتى كيف يختار من القرآن ما يشد أزره.

✍ ورغم أن تعقيب الشيخ أحمد صبحي منصور كان عنوانه (هذا العلماني الضحية... صريع السلفية)، فقد *تحاشى الدخول في صلب الموضوع* وكتب فقرات عديدة عن مريم بنت عمران وعن زوجة الفرعون التي طلبت من الله أن يبني لها قصراً في الجنة، كأنما الله من عمال البناء، ورغم أن مصطلح الجنة، وحتى مفهومها، لم يكن معروفاً في مصر في زمن الفراعنة الذين كانوا يدينون بديانات مصر التعددية القديمة، ثم عرّج على حماس والليكود الإسرائيلي. وبعد ذلك تحدث عن الانترنت والقنوات الفضائية وحقوق الإنسان، وهلم جرا، دون أن يتعرض إلى *العلماني الضحية*.

فالإسهال يصعب التحكم به.

✍ ثم تحدث الشيخ الدكتور عن جماعة القرآنيين، فقال:

> "والغريب أن القرآنيين ـ هم وحدهم ـ **أصحاب الحجة القاطعة** ضد ذلك التيار الحنبلي السائد والطاغي لأنهم بكل بساطة يثبتون **تناقض** ذلك التيار المتطرف مع الإسلام فى عقائده وتشريعاته وتراثه، وبالتالى يُجَردونه من شرعيته وحجته التى يستطيل بها على الآخرين."

وكالعادة لا يمكن أن يُفوّت الشيخ فرصة *الادعاء بامتلاك الحقيقة* دون غيره. فهو يزعم أن القرآنيين وحدهم يملكون الحجة القاطعة ضد السلفيين، *وفي هذا القول تجني على الحقيقة وغرور لا يسنده أي دليل*. أغلب العلمانيين الذين يكتبون عن الإسلام يفندون آراء السلفيين بمنطق يفوق منطق القرآنيين. ولا أدري لماذا قال الشيخ "وبالتالى يجردونه من شرعيته وحجته التى يستطيل بها على الآخرين" وهو أستاذ في اللغة العربية وكان يحاضر لطلاب جامعة الأزهر في اللغة العربية، ولابد أنه يعرف أن كلمة "<u>يستطيل</u>" تعني ازدياد الطول أفقياً، كما يستطيل الظل، ويستطيل على الشخص الآخر تعني يتفضل وينعم عليه، وهذا لا ينسجم مع **تعالي** المتطرفين الإسلاميين السلفيين الذين <u>يتطاولون</u> على الآخرين. والتطاول يعني الزيادة في الطول عمودياً، أي الارتقاء على الآخرين والتكبر والترفع.

✍ وفي انتفاخ يحاكي رقصة الطاووس يقول لنا الشيخ الدكتور أحمد صبحي منصور:

> "ففي مقابل ثقافة الضلال جاء رد فعل إصلاحي ينطق بتوجهات مختلفة منها العلماني اليساري والعلماني الوطني والعلماني الغربي، ثم العلماني القرآني حيث يؤمن القرآنيون بأن الإسلام يقدم رؤية علمانية مؤمنة بحقوق الإنسان وديمقراطية مباشرة وقيم مطلقة للعدل وحرية الفكر والمعتقد وإقامة الشعائر مع التسامح والإحسان والتعاطف والرحمة وحب الانسانية..." انتهى.

والقرآنيون أحرار بأن يؤمنوا بما يريدون، حتى وإنْ كان زائفاً، فقد آمن قبلهم حكام ألمانيا الشرقية بأنهم ديمقراطيون وسموا دولتهم "جمهورية ألمانيا الديمقراطية" **فالإنسان غالباً ما يتظاهر بما يفقده**. ولكن على الشيخ أن يشرح لنا ما هو تعريف *العلماني القرآني*؟ إذا كان الشيخ يقصد بالعلماني الشيء أو الشخص الذي ينتسب إلى العلم، يكون ادعاؤه كاذباً لأن العلم لا يعترف بالأساطير والقصص غير المدعومة بدليل كمكوث شخص ببطن الحوت ثلاثة أيام ثم خروجه حياً. وإذا كان يقصد بالعلماني من ينتسب إلى العالم أو الكون، فالقرآنيون ليسوا علمانيين لأنهم ليسوا عالميين، فهم أقلية محصورة في المغرب ومصر.

ولا أعلم ما هي *القيم المطلقة* التي يؤمن بها القرآنيون، لأن العالم الذي نعيش فيه لا يعرف المطلق، فكل شيء فيه نسبي.

✍ ولا أظن أن هناك حدوداً لحب الشيخ للمفاخرة، فهاهو يتكرم علينا ويقول:

"خلال التسعينيات تحالفت مع الرموز العلمانية المختلفة فى مواجهة *التطرف الحنبلي*، فزاملت الراحل فرج فودة ووقفت الى جانبه قبل وبعد اغتياله، وعملت مع سعد الدين إبراهيم، وتعرفت الى مختلف التيارات السياسية والأدبية والفكرية من نجيب محفوظ الى لطفي واكد وخالد محي الدين ومصطفى كامل مراد وسعيد النجار ومحمود أباظة ورمزي زقلمة وعلي سالم وأحمد عبد المعطي حجازي وأمين العالم وشريف حتاتة ونوال السعداوي وسعد زهران وفريد زهران وسيد القمني وسيد حجاب ومحمد سيد سعيد وأسامة الغزالي حرب وعبد المنعم سعيد وطارق حجي ويونان لبيب رزق وفيليب جلاب ومحمد البدري ورفعت السعيد وحسين عبد الرازق ونبيل زكي وعبد العال الباقوري وأحمد الجمال وإبراهيم عيسى وعادل حمودة... وكثيرون آخرون، وأحمل لهم كل حب واحترام." انتهى.

واعتقد أن الشيخ قد نسي أن يذكر لنا گورباتشوف ويلتسن وليخ فلنسا وآخرين. وكل هؤلاء الناس كانوا يعرفون أن ما يقوم به **القرآنيون** هو الأقوى في مواجهة الحنابلة من داخل الإسلام، كما يقول الشيخ.

✍ ثم زادنا الشيخ علماً فقال:

"وثالثا: لأن القرآنيين متمكنون من فهم الإسلام وتراثه ومن يجادلهم فى تخصصهم بغير علم سيخسر الكثير."

وهذا يعني أن غير القرآنيين ليسوا متمكنين من فهم الإسلام وتراثه. فلا بد أن القرآنيين قد احتكروا كذلك فهم التراث الإسلامي الذي يضم السيرة والتاريخ والفقه وغيره. والغريب أن بعض أجزاء التراث الإسلامي تقول «من تواضع لله رفعه».

✍ ثم يتحفنا الشيخ الدكتور ببعض الحكمة فيقول:

"ظل هذا هو الموقف الى أن أتحفنا فضاء الانترنت بأقلام تكتب بأسماء لا نعرف إن كانت حقيقية أو مستعارة، ومنها ظهرت علامات المرض ونبت ذلك النبات الشيطاني الذى يطعن فى الإسلام كدين لأن لديه نموذج ابن لادن أفضل من أحمد صبحى منصور، فابن لادن يقوم بتشويه الإسلام وهذا هو ما يريده ذلك الصنف الحاقد على الاسلام، أما أحمد صبحى منصور فهو يبرىء الإسلام من ثقافة ابن لادن، وهذا هو ما لا يريده ذلك الصنف الحاقد على الإسلام. من هذا الصنف ظهر كاتب اسمه د. كامل النجار." انتهى.

فالإسلام، في نظر الشيخ، منزه عن النقد، وكل من ينتقد الإسلام يكون نبتاً شيطانياً أنبته فضاء الانترنت. ومن حسن حظ الإسلام قد ظهر في القرن العشرين الشيخ أحمد صبحي منصور ليبرئه من كل عيب أو شبهة ألصقها به أعداؤه، وليرد بمنطق الفلاسفة على النبت الشيطاني كامل النجار. *غير أن كامل النجار يعلم علم اليقين أن أسامة بن لادن والمذهب الوهابي الذي تربى فيه يمثلان الإسلام كما هو بدون أي رتوش ومحاولات تجميل زائفة*. فالإسلام، كاليهودية التي استقى منها، دين لا يعرف غير السيف وضرب الرقاب والجهاد في سبيل الله بالأرواح والأموال في مقابل الجنس اللا محدود في جنة متخيلة Virtual paradise.

ولذا يكون أسامة بن لادن أفضل من أحمد صبحي منصور لأن أسامة يُظهر الإسلام كما هو بينما يمتهن أحمد صبحي منصور الغش والخداع في محاولاته تجميل صورة الإسلام.

✍ وبعد أن جاد علينا الشيخ بجرعة كبيرة من مساوئ كامل النجار الذي يكره الإسلام ويساند السلفيين، قال الشيخ:

"ولا أعرف مَن هو كامل النجار، وهل هو شخصية حقيقية أم اسم وهمي لعدة أشخاص أو مجرد شخص يتستر بهذا الاسم ليطاردنا بدون إعلان عن نفسه شأن كل كاتب شريف... إننا نكتب باسماء حقيقية معلومة وصور منشورة وعناوين لبيوتنا معروفة مع أن عشرات الفتاوى السامة الداعية لقتلنا تطاردنا، ومع ذلك تختبىء بعض القواقع فى الظلام لتهاجمنا بأسماء مستعارة، ولا أعرف هل منها كامل النجار أو كامل الحلاق أو كامل الأوصاف... ولكن أطالبه بنشر صورته وإعلان عنوانه وسيرته الذاتية ووسائل الإتصال به ليكون على نفس المستوى معنا. فإذا كان شخصا حقيقيا فأنا على استعداد للاعتذار إليه عما قلته فى السطور السابقة." انتهى.

أولاً: إذا كان الشيخ يعتقد أن كامل النجار هو اسم لعدة أشخاص، فهذا شرف عظيم لكامل النجار، غير أني أؤكد له أنه اسم لشخص واحد يستفيد من العقل الذي منحته إياه الطبيعة ولا يعبد غيره.

أما تهكم الشيخ بالإسم وقوله: "ولا أعرف هل منها كامل النجار أو كامل الحلاق أو كامل الأوصاف" فقول ما كان يجب أن يصدر من شيخ يدافع عن القرآن الذي يقول:

{يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قومٍ عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون. (الحجرات 11)**}.**

وأرجو أن يتوب الشيخ إلى ربه وقرآنه قبل فوات الأوان.

وغريب أن يطالب الشيخ الدكتور أحمد صبحي منصور بنشر صورة كامل النجار كأنما القاريء لا يفهم ما يقرأ إلا إذا رأى صورة الكاتب. وإذا كان الشيخ يعتقد أن كامل النجار *قوقعة من قواقع الظلام* لأنه لم ينشر صورته، فالشيخ حر فيما يعتقد، **رغم أن قرآنه لا يعرف حرية الاعتقاد** ويقول لنا:

{ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. (آل عمران 85)**}.**

✍ وفي نهاية المقال يقول لنا الشيخ الدكتور:

"وليس من عادتي أن أرد على مَن يهاجمني، وهناك كائنات عضوية وهبت حياتها لتطوف حولي سبا وشتما واتهاما بالباطل، ولكن لا أحفل بها، **وأرى أنها ضحية الجهل** الذى أصبحت له مؤسسات تزعم أنها للتعليم فإذا هى لنشر الجهل بإسم العلم، تعاونها مؤسسات أخرى ترفع إسم الإسلام لتشوه الإسلام وتنشر عقائدها وشرعها المناقض للإسلام. لا أرد على تلك الكائنات العضوية، وقد قلت منذ ربع قرن إن كاتبا قليل الحيلة مثلي يحتاج لأن تنبحه الكلاب حتى ينتبه الناس لما يقول. وأشهد أن الكلاب تقوم بدورها المطلوب، وأشكرها عليه."

فإذا كانت كتابات الشيخ أحمد صبحي منصور من الضحالة بحيث لا ينتبه إليها القاريء إلا بعد نباح الكلاب، **فالأجدر بالشيخ أن يعتزل الكتابة ولا يضيع وقت القاريء ونباح الكلاب**.

✍ ومن عادة الشيخ الدكتور ألا يرد على مَن يهاجمه، فما الذي جعله يستثني كامل النجار من كل تلك الكائنات العضوية ويرد عليه؟ السبب، كما يقول الشيخ:

"أما د. كامل النجار ـ سواء كان شخصية حقيقية أو وهمية ـ فسأرد عليه لأنه لا يشتم بل يقول رأيا، ومهما كان سطحيا فهو رأي وليس مجرد سباب."

هل سمع الشيخ القرآني بشيء إسمه المعاملة بالمثل؟ فما دام كامل النجار لا يسب غيره، لماذا يتكرم عليه الشيخ القرآني بكل هذا السباب؟

✍ وفي جرعة أخيرة من الغرور يقول لنا الشيخ:

"ولهذا سأعطى إسمه شرف الخلود فى المستقبل، فنحن نكتب فكرا جديدا سابقا لعصره، وإن كان يعانى الاضطهاد والمطاردة اليوم، فهو سيكون بعون الله جل وعلا هو السائد غدا، وبه ستحتفل الأجيال القادمة. وبالتالى فإن مَن سأكتب عنهم بالإشادة أو حتى بالنقد سيتمتعون بالخلود. ـ هنيئا لك بالخلود يا كامل النجار..." انتهى.

ولا يسعني هنا إلا أن أقول له، كما قال الشاعر:

ومن العداوة ما ينالك نفعه ومن الصداقة ما يضر ويؤلمُ

فهاهي عداوة الشيخ القرآني الدكتور أحمد صبحي منصور قد وهبتني الخلد، رغم أن القرآن يقول: {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد}. وأرجو أن يتذكر الشيخ أن "القرآنيين" حركة قديمة قدم الإسلام نفسه، وقد بدأها الخوارج في القرن الأول الهجري، ثم انسلخوا عنها واستمرت الحركة، خاصةً في المغرب العربي منذ ذلك الوقت حتى الآن. ولا أعتقد أن مستقبلها سوف يكون أكثر إشراقاً من ماضيها.

وللحديث بقية.

2007 / 12 / 13

2 مِن 3

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=118326

✍ في تعقيبه الثاني على كامل النجار والذي يحمل عنوان (القرآن الكريم ليس حمال أوجه) يزعم الشيخ الدكتور أحمد صبحي منصور أن كامل النجار *تلميذٌ للمدرسة السلفية* التي يناصبها العداء، ويقول:

"ونبدأ بالرد على اسطورة ان القرآن الكريم (حمّال أوجه). وقد أعرضت عن الرد عن كل (معلقات) د. كامل النجار، مع أنه عنون بعض مقالاته بإسمي يرد على ما أقول. ولكنه تعقب بنفس الطريقة الدكتور عمرو إسماعيل فكتب يرد عليه بنفس الطريقة السلفية فى المنهج والمقصد، فاضطررت أن أرد عليه." انتهى.

فالشيخ الدكتور يوحي إلينا هنا (والوحي قد يأتي في عدة أشكال) أنه يدافع عن الضعفاء كما يجاهد في سبيل الله، وأنه يعفو عن منتقديه ويتجاهلهم. والذي اضطره إلى التعقيب على كامل النجار هو نخوته العربية التي جعلته يهب للدفاع عن الدكتور الطبيب عمرو إسماعيل، الذي افترض الشيخ أنه يعجز عن الرد بنفسه، ربما لأنه دكتور طبيب، وليس دكتوراً أزهريا متفقهاً في الإسلام وفي اللغة العربية .فللشيخ الدكتور كل الشكر على نخوته العربية الإسلامية.

✍ ويبدو أن الدافع لكتابات الشيخ الدكتور ليس محاولة إقناع غير المسلمين بالإسلام، وإنما هو محاولة إقناع المسلمين أنفسهم بأن الإسلام دين السلام ودينٌ يعترف بحقوق الإنسان، فهو يقول:

"الدافع الأكبر ل د. النجار هو كراهيته الشديدة لاستشهادنا بالقرآن الكريم فى معرض الدفاع عن حرية الرأى والفكر وحقوق الإنسان من داخل الإسلام، وهو جهادنا السلمي الذي نتوجه به ـ ليس لأمثاله الرافضين للاسلام الكارهين له ـ ولكن للمسلمين المؤمنين بالإسلام و القرآن و الذين نتمنى أن يكون إنتماؤهم للقرآن أكبر من غيره." انتهى.

ويحق لنا أن نسأل أنفسنا هنا: إذا كان الإنسان مسلماً بالميلاد، وهو حال جميع المسلمين الذين ولدوا في الإسلام ورضعوه مع حليب أمهاتهم، ومع ذلك يحتاج مثل هؤلاء الناس إلى مقالات مطولة من الشيخ أحمد صبحي منصور وإلى جهاد سلمي منه لكي يقتنعوا أن الإسلام يعترف بحقوق الإنسان، هل هناك من أمل للشيخ في محاولة إقناع غير المسلمين، مثل كامل النجار؟

طبعاً ليس هناك ذرة أمل للشيخ لأن المسلمين لم يعرفوا طوال تاريخهم المديد غير فرض الجزية وسبي النساء والغلمان وقطع الرؤوس وعدم موالاة غير المسلمين واضطهادهم.

فإذا كان الشيخ، بعد أربعة عشر قرناً من ظهور الإسلام، يحاول الآن أن يُقنع المسلمين أن دينهم يحترم حقوق الإنسان، فقد أضاع وقته وجهده، وكان حرياً به أن يوجه كتاباته إلى الرافضين للإسلام، مثل كامل النجار، ليحاول إدخالهم الحظيرة مع غيرهم.

✍ ثم انبرى الشيخ الدكتور للدفاع عن الخليفة علي بن أبي طالب الذي قال "إن القرآن حمّال أوجه"، ونفى أن تكون هذه المقولة قد خرجت من عند ابن أبي طالب الذي لازم النبي ولذا لا يمكن أن يصدر عنه ما يسيء للقرآن. ولكن صدور مثل هذه المقولة من علي بن أبي طالب لا يعني أنه أراد أن يسيء للإسلام **بقدر ما أنه أقر بحقيقة معروفة للجميع**. فليأتِ الشيخ الدكتور بأي آية قرآنية غير قصصية وسوف آتيه بآية تعارضها في المعنى أو تغيّر في المعنى شيئاً. ولذا فإن مقولة "القرآن حمال أوجه" **مقوله صادقة** وقد قالها الخليفة علي بن أبي طالب، كما تقول جميع المصادر الإسلامية مثل ‹نهج البلاغة› و‹تاريخ الطبري› وغيرهما. وإنكار هذه المقولة يعني أن الشيخ يتنكر للتراث الإسلامي.

ومقولة "إن القرآن حمال أوجه" لا تختلف عما قاله حديثاً الدكتور المصري حسن حنفي من أن القرآن "سوبرماركت" تجد فيه أي شيء تريده.

✍ والشيخ الدكتور يعرف أنه يجادل شخصاً لا يعترف بأن القرآن من عند الله، ومع ذلك يغيب عنه المنطق ويضطر للاستشهاد على صواب رأيه بالقرآن. وقد ذكر أحد القراء في تعليقه على مقال الشيخ أن من حق كامل النجار أن يرد على الشيخ بآيات من القرآن لأن الشيخ يؤمن به، ولكن ليس من حق الشيخ أن يرد على كامل النجار بالقرآن لأن الأخير لا يؤمن به. ولكن الشيخ يفعل ذلك على كل حال، فهو مثلاً يقول:

"لقد جاءت نصوص القرآن الكريم "محكمة" أى دقيقة الدلالة (هود 1).وهو كتاب لا مجال فيه للعوج بل جاء مستقيما مباشرا (الزمر 28).(الكهف 1) (الأنعام 126، 153).وهو كتاب لا مجال فيه للاختلاف النساء 82" انتهى.

أي منطق هذا؟

لأن القرآن قال إنه يخلو من العوج وأن آياته دقيقة الدلالة، فلا بد لكامل النجار وغيره من الموافقة على هذا القول؟

فالقرآن، كما يعرف عدد كبير من الناس، أبعد شيء عن **الدقة**، لأن غالبية آياته *فضفاضة* وتتحدث عن العموميات، مثل الآية 33 في سورة المائدة {**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض**}. أي **دقة** في هذه الآية؟ ماهو تعريف يحاربون الله؟ هل الله جندي في المارينز؟ كيف يحارب المخلوق الضعيف رباً خلق العالم الواسع العريض، وإذا أراد شيئاً أن يقول له كن، فيكون؟ أليس بإمكان هذا الإله القادر أن يزيل مثل هذا الشخص من الوجود؟ فكيف يكون هذا الشخص الضعيف عدواً لله ويحاربه؟ وما معنى يسعون في الأرض فسادا؟ ما هو تحديد الفساد؟

عندما قال المعتزلة إن *القرآن مخلوق*، اعتبر السلفيون هذا القول فساداً. والذي يثور ضد الحكام الفاسدين، يعتبره وعاظ السلاطين من الذين يسعون في الأرض فساداً. فهل يستطيع الشيخ تعريف الفساد الذي ورد في الآية أعلاه؟ وأين **الدقة** في العقاب؟ فالفرق بين أن يقتل الشخص أو يصلب أو تقطع يده ورجله من خلاف وبين أن يُنفى من بلد إلى آخر كالفرق بين الثريا والثرى. وحتى في الآيات القليلة التي كان من الممكن له أن يختار الكلمات التي تفيد الدقة، نجد *القرآن يأتي بكلمات تشجع على فضفضة المعنى*، مثل الآية التي تقول {**نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم أنّى شئتم**}، فبدل "أنّى" التي تعني ظرف الزمان كما تعني ظرف المكان، **كان يمكنه أن يقول (متى شئتم) ويتفادى كل اللغط الذي حدث فيما بعد في شرح هذه الآية.**

✍ ويسأل الشيخ الدكتور:

"ولكن إذا كان القرآن **لا** تتناقض آياته **ولا** تتصادم حقائقه **وليس** كما يقولون "حمّال أوجه" فلماذا يتبارزون فى اختلافاتهم بالآيات؟ ولماذا ينتقى كل فريق ما يؤيد وجهة نظره فى مواجهة الفريق الآخر؟". ثم يجيب: "والإجابة تكمن فى المنهج الذى يعتمدونه، وهو فهم القرآن حسب مصطلحات المذهب الذى ينتمى اليه الباحث ووفق تراث مذهبه ورواياته وفتاويه. والمذاهب الأخرى لها مصطلحاتها التراثية ورواياتها وفتاويها، وبالتالى يختار من الآيات ما يراه يتمشى مع مذهبهم، ويغطون عورة هذا الاختلاف بمقولة أن القرآن حمّال أوجه." انتهى.

والشيخ هنا يحاول أن يوهم القاريء بأن الاختلاف في تفسير آيات القرآن وفي تضارب معانيه يرجع إلى أن التفاسير كلها مذهبية، **وهو قول يجافي الحقيقة**. فالمذاهب لم تظهر إلا في منتصف القرن الثاني الهجري، أي في حوالي مائة وخمسين سنة بعد وفاة النبي، بينما التفسيرات المختلفة التي جعلت الخليفة علي بن أبي طالب يقول "القرآن حمال أوجه" ظهرت عند الصحابة الذين عاصروا النبي، مثل ابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب وغيرهم. فالإمام أبو حنيفة توفي عام 150 هجرية، ومالك بن أنس توفي عام 179 هجرية، والشافعي توفي عام 204 هجرية.

فليس من المعقول أن يعزي الشيخ الدكتور اختلاف التفاسير إلى *اختلاف المذاهب*، وإنما السبب الحقيقي هو أن القرآن حمال أوجه لأن آياته فضفاضة تقبل أكثر من تفسير ولأنه يحتوي على آيات تناقض بعضها بعضاً.

✍ وبعد أن أسهب الشيخ الدكتور في شرح المنهج العلمي لفهم القرآن، قال:

"هذا هو المنهج القرآنى، وهو أيضا المنهج العلمي العادل والموضوعي. وعليه، فإن لم يتبع الباحث هذا المنهج الموضوعي فالأغلب أن يقع فريسة المنهج التراثي السائد فى فهم القرآن، وبالتالى فسينتقي من الآيات ما يتفق ظاهرها مع المعنى الذى يريد إثباته، ويتجاهل الآيات الأخرى التى تناقض رأيه" انتهى.

أليس هذا ما يفعله الشيخ عندما يستشهد على كل شيء بآية أو آيتين من القرآن ويتجاهل ما يخالف ذلك؟ عندما يقول لنا {**لا إكراه في الدين**} ويتجاهل {**وإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب**}؟ و {**قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**}، أليس هذا انتقاء بعض الآيات التي تسند رأيه؟ هل يستشهد الشيخ بسورة كاملة من القرآن في كل مرة؟

✍ ثم يستمر الشيخ الدكتور في **اسلوب خطابي إنشائي** ليقول لنا:

"أما إذا اتبع المنهج العلمي القرآنى وقام بفهم مصطلحات القرآن من خلال القرآن نفسه، واتجه لكتاب الله تعالى طالباً الحق والهداية دون رأى مسبق وبتصميم على أن يعرف الحقيقة مهما خالفت الشائع بين الناس، فإن من اليسير عليه أن يعرف رأي القرآن، وسيفاجأ بأن مفاهيم القرآن ومصطلحاته تخالف بل وتتناقض أحياناً مع مفاهيم التراث ومصطلحاته، وأنه من الظلم للقرآن والمنهج العلمي أيضاً أن تقرأ القرآن وتفهمه بمفاهيم ومصطلحات تخالف وتناقض مفاهيم القرآن ومصطلحاته." انتهى.

ونسأل الشيخ: ما هي مصطلحات القرآن، وكيف نتعرف عليها؟ في أي بحث علمي حديث أول شيء تقع عليه عين القاريء هو تعريف معاني الكلمات المهمة التي يستعملها الباحث في مقاله، ولكن عندما نقرأ القرآن نجد كلمات فضفاضة لا تحديد لمعناها وكلمات غير عربية لا يعرف معناها حتى الذين عاصروا النبي وسمعوا منه شرح القرآن. والقرآن نفسه يقول لنا: {**لا يعلم تأويله إلا الله**}. فمن أين لنا معرفة مصطلحاته؟ هل نعتمد على ما يزعمه الشيخ أحمد صبحي منصور من مصطلحات تختلف عن كل تفسير أتى به المفسرون قبله؟

✍ يحاول الشيخ أن يعطينا أمثلة للمصطلحات القرآنية فيقول:

"الدين فى مفهوم القرآن يعنى الطريق، والسبيل، والصراط، والطريق قد يكون مستقيماً وقد يكون معوجاً. وقد يكون الدين أو الطريق معنوياً، أى العلاقة بالله تعالى. وقد يكون الدين أو الطريق حسياً مادياً كقوله تعالى عن أهل المدينة فى عصر النبي يعلمهم فن القتال {**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**. (التوبة 122)} فالآية تتحدث عن النفرة للقتال، وضرورة إرسال فرقة استطلاع تتعرف على الدين أو الطريق ثم تنذر الناس وتحذرهم. ومن الخبل أن نفهمها على أن يترك المؤمنون رسول الله عليه السلام فى المدينة ثم يذهبوا للتعليم خارج المدينة، وهى موطن العلم بالإسلام، وغيرها مواطن الشرك فى ذلك الوقت." انتهى.

والمعروف أن القرآن نزل بلسان النبي، أي لسان قريش، وبالتالي الكلمات التي يستعملها القرآن تحمل نفس المعنى الذي تفهمه قريش من الكلمات المستعملة. والمعجم العربي يقول إن كلمة "دين" تعني اسم لجميع ما يعبد به الله، الملة والمذهب. **وهناك أربعون آية أو أكثر بالقرآن بها كلمة "الدين" وجميعها تعني العبادة، ولا تعني الطريق.** فمثلاً:

{**هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءهم ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم احيط بهم ودعوا الله مخلصين له الدين**}.

فواضح أنه قصد أنهم مخلصون له في العبادة، وليس في الطريق، حتى وإن كانت الطريق معنوية، إذ ليس في البحر طريق. وكان معروفاً عن غزوات النبي أنه كان يصطحب معه عدة فرق، *لكل فرقة رايتها الخاصة بها*، وليس من المعقول أن تبعث كل فرقة طائفةً منهم ليتعرفوا على الطريق، وهم كلهم متبعون النبي في غزواته التي كان يقودها بنفسه ويرسل عيونه لكشف الطريق. فكلمة "الدين" في هذه الآية لا تعني الطريق كما يقول الشيخ. والمشكلة في القرآن أنه كُتب بغير نقاط وبغير علامات الوقوف. فالآية التي ذكرها الشيخ يسهل فهمها لو استعملنا الفاصلة لنقف في عدة أماكن في الآية، فتصير الآية كالآتي «وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً، فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ، لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ» ويكون المعنى هنا (لا ينفر المؤمنون كافة، فلينفر من كل فرقة طائفة، والسبب في أنهم لا ينفرون كافة هو أن يبقى منهم جزء بالمدينة ليتفقهوا في الدين، وينذروا أصحابهم

الذين نفروا عندما يرجعون إليهم). وبهذا الشرح لا نحتاج أن نؤول كلمة "الدين" ونقول إنها تعني الطريق. ولفت نظري قول الشيخ الدكتور: "كقوله تعالى عن أهل المدينة فى عصر النبى يعلمهم فن القتال". فإذا كان إله الشيخ يعلّم الناس فن القتال بدل أن يعلمهم فن الإخاء والمحبة، هل يستغرب الشيخ إذا رفض كامل النجار وأمثاله عبادة هذا الإله القائد العسكري؟

فالشيخ عندما يحاول الاتيان بمصطلحات جديدة لآي القرآن يكون كالذي أراد أن يكحلها فعماها.

✍ ومن هذه المصطلحات الجديدة التي يريد الشيخ الدكتور فرضها علينا، هو قوله:

"والنسخ فى القرآن يعني الإثبات والكتابة والتدوين، ويعني فى التراث العكس تماماً، أي الإلغاء، ولنا بحث منشور فى هذا" انتهى.

فإذا كان النسخ يعني التثبيت، نرجو أن يشرح لنا الشيخ الدكتور
معنى هذه الآية:

{وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يُحكم الله آياته والله عليم حكيم. (الحج 52)}،

فهل يعني هذا أن الله يُثبت، أي يكتب، ما يلقي الشيطان على الأنبياء مثل الآيات الشيطانية التي نطق بها محمد؟
وكذلك الآية التي تقول:

{وما ننسخ من آية أو نُنسها نأتِ بخيرٍ منها أو مثلها}،

فهل يعني هذا أن الله يكتب ويثبت الآية ثم يأتي بأحسن منها أو مثلها، أي بمعنى آخر، كلما ثبت آية أتى بمثلها **حتى يصير القرآن كله تكراراً؟**

✍ وبعد أن شرح لنا الشيخ مصطلحاته الجديدة عن الحكم في القرآن و"أولو الأمر" والمكروه والمستحب، قال لنا:

"إن الله جل وعلا قد أنبأ مسبقا أن الذين في قلوبهم زيغ سيتبعون المتشابه من الآيات ليتلاعبوا بها وفق اهوائهم {**هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ**}." انتهى.

فإذا كان هذا الإله قد عرف مسبقاً أن الذين في قلوبهم **زيغ** سوف يستغلون آيات القرآن المتشابهة للتقليل من قيمته وإنكاره، *فهل* عجز *هذا الإله القادر عن تغيير هذه الآيات المتشابهات والتي تتكرر بدون إضافة أي معنى* جديد؟ هل كان ضروريا أن يكرر على مسامعنا قصة موسى في سبع سور مختلفة وفي كل مرة يأتي لنا بصيغة مختلفة مما قاله الله لموسى وما قاله موسى لله، أو ما فعلته عصا موسى التي تغيرت إلى ثعبان في بعض الآيات بينما صارت مارداً مِن جان في آيات أخرى؟ وهل كان من الضرورة أن يذكر موسى بالإسم حوالي مائة وثلاثين مرةً ويذكر محمد أربع مرات فقط؟

✍ ويتحفنا الشيخ بنوع جديد من البحث العلمي، فيقول:

"وعليه فإن رب العزة جل وعلا فى الآية الكريمة يخبرنا بنوعين من المنهج فى فهم القرآن: الفهم الموضوعى الذى يتبعه الراسخون فى العلم والذى يقوم على الإيمان بالكتاب كله والنظر العقلي إلى جميع آياته ما كان منها محكم الدلالة وماكان منها متشابها مكررا مفصلا. ثم الفهم الزائغ الذى ينتقي و يختار ما يؤكد وجهة نظره." انتهى.

فالبحث العلمي الذي يتبعه **الراسخون** في العلم، مثل الدكتور أحمد صبحي منصور، هو أن يؤمن بالكتاب كله، محكمه ومتشابهه، ثم يحاول التدبر في آياته التي آمن بها مسبقاً، ويُستحب أن يدخل في دبر الآية، كما يقول الشيخ في شرح كلمة "يتدبرون". فالشخص الراسخ في العلم المؤمن بالكتاب كله، لا بد أنه يؤمن بكل ما جاء في القرآن أولاً ثم يبدأ بحثه بعد أن اقتنع أن **القرآن معجزة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبعد أن اقتنع بأحكام مسبقة يريد أن يثبتها لنا،** مثل الإعجاز العلمي في القرآن. مثل هذا الشخص لا يبحث في القرآن وما هو بباحث، إنما هو منقّب مقتنع أن كتابه يحتوي على درر ثمينة وهو يبحث عنها حتى يظهرها لنا، لأنه لا يمكن أن يخطر بباله أن تكون هناك أية أخطاء بالقرآن. ولكن الشيخ كان قد قال لنا في نفس المقال:

"عموما فإن المنهج العلمي يفرض على الباحث:ألا يبدأ بحثه بأحكام مسبقة يريد إثباتها " انتهى.

فهل هناك تناقض أكثر من هذا؟

✍ وبعد كل هذا الشرح الطويل تذكر الشيخ الدكتور أنه يحاول أن يرد على كامل النجار، فتنبه لذلك وقال:

"وأخيرا: ونعود الى الدكتور كامل النجار. فالذي قلته آنفا تكرر من قبل ضمن مقالات و بحوث منشورة. وهو كالعادة لا يقرأ، وهذا حر فى ان يقرأ أو لا يقرأ، وفى أن يقتنع أو يرفض، ولكن من حقنا أن ننبه على وقوعه فى هذا الخطأ، فمن يتصدى للبحث فى الأصوليات والتراث والاسلام *لا بد أن يكون مؤهلا لهذا الميدان بفهم مناهجه ومصادره*، كى يكون على مستوى ما يكتبه المتخصصون كى يرد عليهم بنفس مستواهم، وإلا استحق ما يقال عنه." انتهى.

فالشيخ الدكتور القرآني الذي لا يتّبع ما يقوله القرآن، يقول إن كامل النجار، كعادته، لا يقرأ. فهو هنا إما أنه تحدى القرآن وعلم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، كما يقول القرآن، أو أنه اتبع الظن، والقرآن ينهى عن ذلك ويقول إن اتباع الظن لا يغني عن الحق شيئاً. وأحب هنا أن أؤكد للشيخ أن كامل النجار، رغم وظيفته التي تأخذ من وقته ثمان ساعات يومياً غير المناوبة بعد الدوام، يقرأ كل يوم، وربما أكثر مما يقرأه الشيخ المتفرغ للبحث في القرآن. *وللأسف فإن بعض هذه القراءة لا تفيد كثيراً*. ورغم أن الشيخ الدكتور يعتقد أنه من المتخصصين والراسخين في العلم، فكامل النجار يؤمن بأن كل مَن يقرأ القرآن ويكون ملماً بقواعد اللغة العربية يكون فهمه للقرآن بمستوى مَن يدعي التخصص لأن القرآن مكتوب باللغة العربية وهو كتاب ديني يُعنى بمخاطبة عامة الناس. وإذا لم يفهمه الشخص الذي يجيد فهم اللغة العربية، يكون مؤلف القرآن قد فشل في مهمته.

✍ وحتى يؤكد لنا الشيخ الدكتور على *أصوله الأزهرية التي ترمي بالجهل كل شخص غيره*، نجده يقول:

"المضحك أن تجد أحدهم يتصدى للرد على ما أقول متقمصا زي العلماء الراسخين وهو لا يستطيع أن يقرأ صفحة كاملة من كتب التراث، بل إنه عندما كان صبيا يلهو فى الحارة كنت ألقى دروسا على طلبة السنة النهائية فى كلية اللغة العربية فى جامعة الأزهر سنة 1979 وأكتب أولى مؤلفاتي *التى ارتاع منها شيوخ الأزهر ولا يزالون* .لا شك أن الجهل مريح لأصحابه. ولكن لا بأس بذلك طالما عاش الجاهل راضيا بجهله مرتاحا له لا "يبشر" به ولا ينشره بين الناس. أما اذا قام يناقش العلماء والمفكرين بهذا الجهل فقد استحق السخرية مع وصمة عار تلاحقه فى حياته وبعد موته طالما ظل فى الناس مَن يقرأ ويتعقل ما يقرأ، ويحكم على الكاتب بما خطته يداه، وهذه هى مسئولية من يكتب." انتهى.

ولا يسعنا هنا إلا أن نقول للشيخ، كما يقول القرآن: {**ولا تمشِ في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا. كل ذلك كان سيئةً عند ربك مكروها**}.

فإذا كان "علماء" الأزهر يرتعدون من كتابات "عالم" منهم تخرّج من نفس مدارسهم، فعلى العلم العفاء.

✍ مرة أخرى يذكرنا الشيخ باختصاصه في القرآن والتراث، ويطلب منا طاعته، فيقول:

"أصحاب الاختصاص وأرباب الخبرة فى الاسلام ونظامه الديمقراطي هم أولو الأمر فى مجال تخصصهم، ومطلوب طاعتهم فى إطار طاعة الله تعالى ورسوله. وهذا هو المعنى القرآنى المراد من قوله تعالى للذين آمنوا {**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم..**} فأولو الأمر *ليسوا الحكام* وإنما هم أهل الذكر المستشارون وأصحاب الاختصاص فى مختلف مجالاتهم العلمية والمعملية والاقتصادية والفنية... إلخ. ومنها مثلا المجال الأمني الذى أشار إليه رب العزة فى نفس السورة تعليقا على مروجى الإشاعات فى المدينة من الصحابة المنافقين، يقول تعالى عنهم {**وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به، ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولو الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم.** (النساء 59، 83)}" انتهى.

ونقول للشيخ لو كان قرآنه من عند إله خبير لعلم هذا الإله أن المستشارين من رجالات الدين ووعاظ السلاطين هم الذين يفسدون الحكام ويفسدون الدولة لمنافعهم الشخصية، ولو علم لذلك لاحتاط له ولكرس جل آياته لكيفية إدارة دولة المسلمين بدل تكريس أغلب الآيات للقصص والنكاح وقطع الأيدي والجلد والتضييق على النساء. ونسأل الشيخ: كيف يرد المسلمون ما يصعب عليهم إلى الرسول وهو ميت؟ هل يردونه إلى الأحاديث المزعومة عن الرسول أو إلى وعاظ السلاطين مدعي الاختصاص الذين يقوّمون الناس بالعصا؟

✍ وفي حركة بهلوانية جديدة يغيّر الشيخ الدكتور معنى الكلمات العربية المتداولة منذ آلاف السنين، فيقول:

"إذن ينبغى طاعة أولى الأمر فى إطار طاعة الله تعالى ورسوله ـ والرسول هو الرسالة أى القرآن الكريم وهو الرسول القائم بيننا ـ وبالتالي لا يصح أن يفتي الأخ فرفور بدون دليل علمى على الانترنت قائلا أنا أرى كذا فى التعليق على مقال علمي كتبه أحد الراسخين فى العلم." انتهى.

فالشيخ يقول "الرسول" هو الرسالة وليس الشخص المرسل. وعليه يكون إله الإسلام لا يعرف أنه يخاطب الجماد عندما يقول: {**يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس.** (المائدة 67)}. فإله الإسلام يخاطب القرآن كأنه شخص يحتاج العصمة منه ويطلب منه أن يبلغ رسالته أي يبلّغ قرآنه للناس، **أي القرآن يبلّغ القرآن**. ويقول القرآن كذلك: {**كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون.** (البقرة 151)}. وأظن الشيخ الدكتور يتفق معي أن الرسول في هذه الآية هو الرسول البشري وليس الرسالة كما يقول في مصطلحاته لأن عرب ما قبل الإسلام لم يكونوا آيات أو رسالات حتى يقول لهم الله: {**أرسلنا فيكم رسولاً منكم**}. ولكن ما دام هذا التعريف قد كتبه الشيخ الدكتور أحمد صبحي منصور *الذي يشهد لنفسه أنه من الراسخين في العلم*، فلا يجوز للسيد فرفور من أمثال كامل النجار أن يفتي في مقال كتبه الشيخ.

✍ وقد اتحفنا الشيخ *بأم المتناقضات*، كما اتحفنا صدام حسين بأم المعارك، فقال:

"الأخ كتكوت هذا الذى يهرف بما لا يعرف لا يستحق سوى الرثاء. وهو مرشح لأن يستمر طيلة حياته متمتعا بالجهل سعيدا به راضيا عن جهله وقد رضى عنه جهله. يأتيه العلم سهلا ميسرا ميسورا بعيدا عن تعقيدات التراث وأساطيره ومتاهاته، ثم يقال له هذا العلم بتواضع وحكمة وموعظة حسنة، وليس كما يفعل جهلة الشيوخ الذين يصرخون ويتوعدون مَن يجرؤ على النقاش معهم بالويل والثبور وعظائم الأمور. إلا إن السيد كتكوت يزهد فى العلم و يسخر منه مكتفيا بجهله، فهنيئا له بجهله." انتهى.

الشيخ أحمد صبحي منصور يدعي كذباً أنه يقدم العلم للسيد كتكوت بتواضع وحكمة وموعظة حسنة، وليس كما يفعل جهلة الشيوخ الذين يصرخون ويتوعدون من يجرؤ على النقاش معهم بالويل والثبور وعظائم الأمور. **لعمري إنها فرية عظمى**. *فالشيخ الأزهري أحمد صبحي منصور أثبت أنه أكثر شيوخ الأزهر بذاءة باللسان وأكثرهم غروراً بنفسه وعلمه*. والحكماء قد قالوا كلما زاد علم الشخص كلما اكتشف مقدار جهله وكلما زاد تواضعه جراء هذا الاكتشاف. فهل يتبع الشيخ قول الحكماء؟

✍ وحتى يثبت لنا الشيخ الدكتور كثافة علمه، يقول:

"كتبت مقالا بحثيا عن عمر بن الخطاب عنوانه (المسكوت عنه من تاريخ عمر). لم أكتب عن عمر من خلال ما كتبه الشيعة عنه، وهم يبغضونه، ولم أستشهد بما كتبه المستشرقون، ولست من هواة القراءة لهم. كتبت عن عمر من خلال ما كتبه عنه رواة السنة فى أقدم مصدر فى التأريخ للطبقات وهو (الطبقات الكبرى) لابن سعد" انتهى.

فالشيخ لا يقرأ ما يكتبه المستشرقون الذين هم أساتذة جامعيون غربيون تخصصوا في اللغة العربية والإسلام ونقبوا في التراث بآليات البحث الحديثة، ولا يستشهد بما كتبه الشيعة عن عمر، ويفضل أن ينقل ما كتبه ابن سعد عنه. فهل هناك فرق بين الشيخ الدكتور الراسخ في العلم وبين السلفيين الذين يهاجمهم؟ أما الجهلاء من أمثال كامل النجار فيقرؤون للمستشرقين وللشيعة وللراسخين في العلم عندما يكتبون مقالاتهم على مواقع الانترنت.

✍ ولا أدري إذا كان الشيخ قد قصد نفسه وأهل القرآن عندما قال:

"وبالمناسبة فإن مصطلح (الجهل) يدل على عدم العلم، كما يدل على سوء الخلق، والأغلب أن يدل على الشرك {**قل: أفغير الله تأمرونّى أعبد أيها الجاهلون؟** (الزمر 64)}. أولئك الجاهلون لم يجدوا حجة علمية يردون بها فانهمكوا فى السب والتجريح." انتهى.

فالشيخ أحمد صبحي منصور بنفسه قد شهد أنه يرد على كامل النجار لأنه لا يشتم إنما يبدي آراءً سطحية. فمَن هو ياترى الذي لا يجد حجة علمية يرد بها فيلجأ إلى الشتم والسباب، فيكون من الجاهلين؟

✍ وأخيراً يقول الشيخ الدكتور أحمد صبحي منصور:

"بعدها قلت عن د. كامل النجار دون أن أصرح بإسمه: (هناك كاتب آخر يسبق إسمه بحرف (د))، وهو ينجح كثيرا فى إضحاكي على ما صار إليه حال العرب، من مسلمين وملحدين. المفروض أنك حين تكتب معلقا لا بد أن تقرأ لمن تحاوره وأن تفهم ما يقول، ولكن هذا ال (د) لا يقرأ إلا بضع أسطر ثم يسارع فى التعليق. وفى تعليقاته يأتى بالطرائف والظرائف التى تمزج الجهل بالخفة والسطحية. فى إحدى (معلقاته) استنكر قولي بوجود مصطلحات مختلفة فى اللغة العربية. وهذا فى حد ذاته سبب كاف **لعدم استحقاقه للدال** التي يرصع بها إسمه." انتهى.

وأنا سعيد أنني استطعت أن أضحك الشيخ المهموم بتبليغ رسالة ربه، وأحب أن أوضح له أن "الدال" التي تسبق إسمي لا علاقة لها باللغة العربية ولا بالإسلام، إنما هي "الدال" التي ترمز إلى دكتور طبيب جراح يعمل مستشاراً للجراحة بمستشفيات المملكة المتحدة البريطانية. ولهذا السبب لا يدعي كامل النجار أنه من الراسخين في العلم الغيبي والأساطير، فليطمئن الشيخ الدكتور فإني لن أزاحمه في "الدال" التي تسبق إسمه. أما عدم استحقاقي لحرف "الدال" لأني أنكرتُ ما قال به الشيخ من مصطلحات جديدة للقرآن، فقول فيه نظر.
وللحديث بقية.

2007 / 12 / 16

3 مِن 3

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=118649

يستمر الشيخ أحمد صبحي منصور في هجومه على كامل النجار فيقول:

"الخط الواضح فى هجوم د. كامل النجار على الإسلام هو أنه يخلط بين الإسلام و المسلمين ليحمل الإسلام أوزار المسلمين بدءا من الفتوحات، ويتردد هذا بكثرة في كتاباته، فيقول مثلا: *‹أما الإسلام فلم يخرج من المدينة إلا على أسنة الرماح والسيوف.›* أي يعتبر مافعله الصحابة في الفتوحات تطبيقا فعليا للإسلام) انتهى.

من الطبيعي جداً أن نحكم على أي نظرية أو فكرة بنتائج تطبيقها على أرض الواقع. وإذا أثبت العامل الزمني أن الفكرة لا يمكن تطبيقها، فهذا يثبت لنا خطأ تلك الفكرة. فمثلاً عندما أتى المفكر العربي عباس بن فرناس بفكرة أن الإنسان يمكنه أن يطير إذا صنع لنفسه أجنحة من ريش وربطها بذراعيه، كانت فكرة جميلة في حد ذاتها. ولكن عندما جاء ليطبقها، وربط الأجنحة على ذراعيه وصعد إلى قمة الجبل وقفز منها، وقع على الأرض ومات. أثبتت لنا هذه التجربة أن الفكرة خاطئة لأنه لا يمكن تطبيقها. وحتى لو جاء مليون شخص آخر وهللوا لفكرة ابن فرناس فلن يغير تهليلهم من خطأ الفكرة. ولكن عندما جاء أينشتاين في الخمسينيات *بنظرية النسبية* وقال بأن إنحناء غلاف الأرض يقود إلى إنحناء الضوء، وتأكد له من خلال نظريته أن كسوفاً للشمس سوف يحدث في ذلك العام ولا يظهر بشكل كلي إلا في شرق أفريقيا، نسبةً لإنحناء الضوء، ضحك عليه العلماء وقتها وسخروا منه. ولكن في اليوم المشهود حدث ما قال به أينشتاين *وتأكد للعلماء صحة النظرية بجميع فروعها لأن التطبيق العملي في عالم الواقع أثبت صحتها رغم تهكم العلماء*. ولكن إذا أخذنا الإسلام كمثال للأديان، نجد أن كل الادعاءات من أن الإسلام دين سلام وعدل ودين يحترم حقوق الإنسان ويحترم حق الآخر في الاختلاف وغير ذلك، لا وجود لها في أرض الواقع ولم يحدث أن طبقتها مجموعة من المسلمين في أي مكان في العالم رغم أن الإسلام قد مضى على ظهوره ألف وأربعمئة عام. *ألا يعني هذا أن نظرية الإسلام في مكارم الأخلاق والأمر بالمعروف أشياء نظرية* كان أفلاطون قد تحدث عنها في جمهوريته لكنها لم تحدث؟ **سلوك المسلمين يعكس ثقافتهم الدينية**. فإذا كان العالم يفيق يومياً على حروب وتفجيرات وعصابات تهريب الأطفال من اليمن إلى السعودية وتهريب النساء من العراق والمغرب إلى دول الخليج، ويرى على شاشات التلفزيون مسلمين ملثمين يهللون فرحاً ويكبرون لله عندما يذبحون رجلاً فقيراً اضطرته ظروفه المعاشية للعمل في العراق، *ألا يحق لغير المسلم وقتها أن يستنتج أن هذا هو الإسلام على حقيقته؟* ما فائدة تعاليم جميلة تداعب رغبة الإنسان في العدل والمساواة ومكارم الأخلاق لكنها لا تُطبّق؟

ما فائدة أن يقول لنا القرآن {وكنتم خير أمة أخرجت للناس} والواقع الذي لا يكذب يقول لنا "نحن أكذب أمة وأكثر نفاقاً وقتلاً وضرباً وذبحاً من غيرنا"؟
ألم تأتِ الأديان لتعلم الناس مكارم الأخلاق؟
فإذا عجز المسلمون عن تعلم مكارم الأخلاق طوال هذه القرون،
ما فائدة أن نترنم بآيات القرآن؟

ويجب علينا أن نشد على يد الشيخ لأنه يملك من الشجاعة الأدبية ما يجعله يعترف بأن الفتوحات الإسلامية كانت اعتداءً سافراً على الآمنين، عندما قال:

"عندما خرج الصحابة من المدينة لغزو بلاد لم تقم بالاعتداء عليهم، وحينما احتلوا تلك البلاد بعد نهب خيراتها وقتل أبنائها وسبي نسائها فإن كل ما فعلوه يتناقض مع شريعة الإسلام. بل إنهم حين كانوا يعرضون على ضحاياهم الذين يغزونهم قبل الحرب أن يقبلوا واحدا من ثلاثة: إما الإسلام أو دفع الجزية أو الحرب فإنهم كانوا يتناقضون مع ألف آية قرآنية تؤكد على أنه لا إكراه فى الدين وأن لكل انسان حقه المطلق فى العقيدة وأنه مسئول عن اختياره أمام الله تعالى يوم القيامة. أي أن ما انتشر بسيف الفتوحات لم يكن الإسلام الحقيقى وانما استعمار واستيطان بالقوة أدى فيما بعد الى نشأة أديان ارضية رجعت بها الديانات السابقة الى الظهور تحت اسم الإسلام فقط." انتهى.

ولكن المشكلة فيما قاله الشيخ الدكتور أحمد صبحي منصور هي أن الفتوحات التي نشرت الإسلام بحد السيف *لم تكن فقط ما قام به الصحابه، بل ما قام به نبي الإسلام نفسه*. فقد كان يعرض على القبائل العربية الإسلام أو الجزية أو القتال والسبي. ويكفي أن نعلم أن مكة التي أبت أن تتبعه طوال السنين التي قضاها بها، وحتى السنة الثامنة من الهجرة، أسلمت في يوم واحد عندما دخلها بجيش قوامه عشرة آلاف رجل أو أكثر. **فحيث فشل التبشير بالدين الجديد نجح السيف**. وينسحب نفس الشيء على القبائل العربية الأخرى التي لم تحارب الرسول ولم تهاجم الإسلام ومع ذلك غزاها نبي الإسلام وحاصرها ورماها بالمنجنيق مثل قبائل ثقيف بالطائف. والروم الذين كانوا في منطقة تبوك لم يحاربوا الرسول ولم يتعرضوا للإسلام ومع ذلك غزاهم الرسول وفرض عليهم الجزية عندما رفضوا الإسلام. وفعل نفس الشيء مع نصارى دومة الجندل عندما أرسل إليهم عبد الرحمن بن عوف على رأس جيشٍ مسلم ونصحه أن يتزوج بنت مليكهم إذا أسلم. **وما فعله الصحابة بعد ذلك لم يكن إلا اتباع سنة النبي العملية**. فكامل النجار لا يخلط بين الإسلام والمسلمين إنما يقرأ ما حدث ويحدث على أساس تطبيق ثقافة الإسلام التي تجبُّ ما قبلها. وهذه هو القرآن يخبرنا أن الله يقسم بالخيول التي تغزو في الصباح الباكر {**والعاديات ضبحا. فالموريات قدحا. فالمغيرات صبحا. أثرن به نقعا.** (العاديات 1-4)}. فالخيول التي تغير في الصبح لم تكن خيول المدينة عندما هاجمها جيش الأحزاب في عقر دارها، بل هي الخيول التي تغير على دول الجوار التي لم تكن قد هاجمت الإسلام. *وهذه هي ثقافة القرآن الجهادية*.

يزعم الشيخ الدكتور أن الصحابة اخترعوا الأحاديث التي تبيح لهم غزو الآخرين وإخضاعهم للجزية، فقال:

"وسنرد فيما بعد وبالتفصيل عن تناقض التشريعات بين الإسلام والمسلمين، ولكن نؤكد هنا أن تشريع المسلمين تناقض مع تشريع الإسلام لأنه قام على أساس تسويغ الفتوحات بأحاديث ضالة ينسبونها كذبا للنبي محمد عليه السلام، ومنها حديث [**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله...**] وهو الحديث الذى يخالف أكثر من **ألف آية قرآنية** تتحدث عن حرية العقيدة وتأكيد الوجه السلمى للإسلام التى اعتدوا فيها على مَن لم يعتد عليهم." انتهى.

وإذا كانت هناك أكثر من ألف آية قرآنية تتحدث عن **حرية العقيدة**، *فأنا اتحدى الشيخ*، كما تحدى القرآن أهل مكة، *أن يأتي لنا بمئة آية فقط منها*. كل الآيات التي تتحدث عن حرية العقيدة كانت في *السور المكية* عندما كان محمد ضعيفاً مضطهداً في مكة، *وهي لا تتعدى عشرات الآيات*. **وعندما استقر بالمدينة لم تأت آية واحدة تشجع على حرية العقيدة غير الآية التي جاءت في أول سورة نزلت**

بالمدينة، والتي تقول: {**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي.** (البقرة 256)}. وقد **أجمع** جميع المفسرين الذين عاصروا النبي أنها نُسخت بآية السيف التي جاءت في سورة التوبة.

وحتى إذا لم تكن قد نُسخت، فكيف نزاوج بينها وبين هذه الآيات المدنية التي تتحدث عن إرعاب مَن لا يؤمن بالإسلام:

> **{إذ يوحي ربك إلى الملائكة إني معكم فثبتوا الذين آمنوا وسألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان.** (الأنفال 12)}.
> **{وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً.** (الأحزاب 26)}.
> **{قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قومٍ أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون.** (الفتح 16)}.

وهذه عينة فقط من آيات القتال المدنية. وأرجو أن يلاحظ الشيخ الدكتور في الآية الأخيرة أن القرآن يقول للمؤمنين {**سوف تدعون إلى قوم**} وهذا يعني أن القوم لم يهاجموا المسلمين في عقر دارهم وإنما دعا النبي المسلمين لمهاجمة هؤلاء القوم الذين يجب قتالهم إذا لم يسلموا. ثم أن الإله هنا لم يكتف بالمؤمنين المجاهدين إنما تدخل شخصياً وقذف الرعب في قلوب المشركين وأمر الملائكة أن تضرب منهم الأعناق والبنان. وهذا ما دعا المسلمين الأوائل ليقولوا عن النبي إنه "**المنصور بالرعب**". فهل يرى الشيخ الدكتور أي حرية عقيدة في هذه الآيات المذكورة؟

✍ وفي محاولة لفصل سلوك المسلمين عن الإسلام، يقول الشيخ:

> "هناك فارق بين المبدأ وتطبيقه، فمن السهل أن تصدر الأوامر وتوضع الخطط والأفكار، ولكن تطبيقها يخضع لظروف الزمان والمكان وأهواء الإنسان. يسري هذا على النظريات والأفكار البشرية، فالشيوعية مثلا اختلفت رؤاها الفكرية بين لينين وتروتسكي، واختلفت تطبيقاتها مع الأصول الفكرية لما قاله ماركس، ثم اختلفت تطبيقاتها فيما بين الصين والاتحاد السوفيتي ويوغوسلافيا ورومانيا. الديمقراطية فكرتها واحدة ولكن تختلف تطبيقاتها فى دول أوروبا وأمريكا. وحتى مصطلح العلمانية ومدى الفصل بين الدين والدولة لا يخلو من اختلاف نظري وتطبيقي. هذا على المستوى البشرى الفكري والعملي التطبيقي." انتهى.

ما قاله الشيخ الدكتور فعلاً يسري على الأفكار أو النظريات البشرية لأن أصحابها يختلفون في مقدراتهم العقلية وفي وضوح تعبيرهم عن نظرياتهم، ولكن عندما نتحدث عن قرآن أتى من عند إله عالمٍ بكل شيء ويعرف ذكاء ونوعية الناس الذين خلقهم، فنتوقع أن يكتب أو يوحي هذا الإله قرآنه *بلغة لا تقبل التأويل والاختلاف*. أما أن يوحي قرآناً بلغة لا يعلم تأويلها إلا هو، أو بلغة يشرح فيها أوامره وتعليماته ومع ذلك يطبقها الناس تطبيقات مختلفة، يكون هذا الإله لا يختلف عن البشر في شيء. ويجوز لنا أن نلومه كما نلوم ماركس أو لينين على ما يراه البعض أخطاءً في الفكر الشيوعي. وحتى البشر عندما يكتبون دساتير وقوانين بلادهم يحاولون جهدهم أن تكون مكتوبة بلغة لا تفتح مجالاً لتأويلات مختلفة تجعل من الدستور حبراً على ورق.

✍ ثم أسهب الشيخ الدكتور في وصف مساوئ المسيحية من إبادة الهنود الحمر في أمريكا اللاتينية واستغلالهم واستغلال الشعوب الأفريقية والاستعمار الغربي لمعظم دول العالم بإسم المسيحية. ثم قال:

> "فى كل ذلك التاريخ الدموي لأوروبا المسيحية لم يتهم أحد المسيحية بأنها دين الإرهاب والإبادة الجماعية، ولم يجعلها أحد مسئولة عما فعله المسيحيون الأوروبيون. المسيحية لم تتحمل وزر الاستعمار الأوروبي والمذابح الغربية بدءا من استعمال السيف والرمح فى العصر الرومانى إلى استعمال القنبلة الذرية فى الحرب العالمية الثانية،والأسلحة المحرمة دوليا فى فيتنام وما بعد فيتنام. المسيحية الأوروبية كان أساسها العدوان على الآخر وقهره بدءا من الرومان الى الاسبان ثم الصرب والكروات والأمريكان فى عصرنا الحالي. وهذا التطبيق الأوروبي للمسيحية يناقض التطبيق المصري لها، *فالمسيحية القبطية المصرية تقوم على الصبر على الظلم والاستكانة له دون اللجوء للثورة عليه إلا عندما يبلغ الظلم مداه.*" انتهى.

والشيخ الدكتور هنا ينسى ما قاله عن وسائل البحث العلمي، ويخلط الحابل بالنابل في دفاعه عن الإسلام. لم يلم أحد المسيحية على الجرائم التي ارتكبتها الكنيسة أو الجيوش الغربية المسيحية لأن الكل يعرف أن الجرائم التي حدثت ليس لها أي سند في الكتاب المقدس (الإنجيل) وإنما حدثت نتيجة اجتهاد شخصي من البابا أو الملك أو قائد الجيش. والكل يعرف أن يسوع المسيح لم يقد جيشاً لينشر دينه الجديد أو ليفرض الجزية على مَن لا يتبعه، بينما في الإسلام يجد الإرهابيون والمجرمون عشرات الآيات القرآنية التي تبيح لهم القتال في سبيل الله صفاً واحداً، أو قتل المشركين حيث ثقفوهم وضرب رقابهم، لأن الانتحاري سوف ينعم بالجائزة الإلهية التي تنتظره في الجنة، {**ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون.** (النساء 104)}. فالقرآن لا يعفي المؤمنين من القتال في سبيل الله حتى إن كانوا يتألمون من الجراح والإعياء، بل يطلب منهم أن لا يضعفوا في ابتغاء، أي طلب القوم الآخرين، أي في غزوهم في بلادهم، لأن الإنسان لا يطلب ما يأتي إليه في داره، إنما يطلب الشيء البعيد، ولذلك سمى فقهاء الإسلام غزو البلاد المجاورة ب "**جهاد الطلب**" وهو غير الجهاد للدفاع عن بلاد المسلمين الذي سموه "**جهاد الدفع**". وإذا لم يجد المسلم سنداً لما يريد إنجازه في القرآن، فالسنة المحمدية مليئة بأخبار الغزوات والسرايا ونكاح السبايا. أما استعمال القنبلة الذرية في هيروشيما فلم يكن قراراً دينياً في سبيل الله، بل كان قراراً سياسياً عسكرياً للانتقام من اليابان التي ضرب طياروها الأسطول الأمريكي في "بيرل هاربر". فإقحام القرارات السياسية في الجدل لن يفيد في الدفاع عن الإسلام شيئاً.

✍ وقد أصاب الشيخ عندما قال:

> "إن التطبيق البشري لمبادىء المسيحية والإسلام يتشكل تبعا لثقافة كل دولة أو مجتمع، ولهذا ترى فى المسيحية الأوروبية ملامح أوروبا، وترى فى المسيحية المصرية القبطية ملامح الثقافة المصرية الزراعية، كما يختلف التدين المصرى بالإسلام عن التدين الصحراوى العنيف الذى تجده فى الجزيرة العربية وأفغانستان والجزائر، كما تجد التدين الإيراني بالإسلام ترديدا للعقائد الفارسية القديمة تحت اسم التشيع." انتهى.

فالشيخ هنا يثبت لنا أن الإسلام لم يأت بمحاسن الأخلاق وإنما جاء بنفس الثقافة البدوية الصحراوية في ذلك الوقت والتي كانت قائمة على الحروب والغزوات وسبي النساء والأطفال. لذلك استمر المسلمون في تطبيق الإسلام الذي عرفوه في بئتهم الصحراوية. وهذه الثقافة الإسلامية الصحراوية هي التي دفعتهم إلى غزو البلاد الأخرى والاستيطان بها ونشر ثقافتهم الصحراوية في العراق والهلال الخصيب الذين لم يكونا صحراء بل مستوطنات زراعية حضارية. ولكن للأسف نزل عليها *جراد الصحراء* فأكل الأخضر واليابس ليثبت للعالم أن الإسلام يُجبّ ما قبله. أما إسلام مصر فلا يختلف عن إسلام الجزيرة العربية لأن السكان الأصليين قد طغى عليهم الاستيطان العربي الذي أتى من الصحراء وجلب معه ثقافة القتل وتهميش الآخر المخالف وتكفيره،

- فأنتجت لنا الثقافة الجديدة فرض الجزية على السكان الأصليين رغم ثوراتهم العديدة ضدها،
- وأنتجت لنا الجموع الذين ساروا من مصر إلى المدينة لحصار الخليفة عثمان وقتله،
- وأنتجت لنا سيد قطب وتكفيره الحكام العرب،
- وأخيراً انتجت لنا **جماعة التكفير والهجرة** الذين روّعوا السياح في جنوب مصر.

✍ وتحت عنوان: ‹الإسلام هو ما ينبغي أن يكون› يقول الشيخ الدكتور:

"الإسلام أو أي دين أو أى منهج أخلاقي أو تشريعي هو مبادىء وأوامر ونواهى ونظم وقواعد كلها فى الأصل تنحو نحو ما ينبغي أن يكون. أما التطبيق البشري فهو ما هو كائن فى الواقع من سلوكيات وأفعال. ولا يصح الخلط بين ما هو كائن وما ينبغى أن يكون." انتهى

فلا الشيخ ولا القرآن أتى بجديد. كل هذه المناهج الأخلاقية والقيم المثلى أتى بها الفلاسفة منذ قدم التاريخ. أتى بها سقراط وأرسطو وأفلاطون وحكماء الصين من أمثال كنفوشيوس وكذلك بوذا، ولكنها لم تُطبق لأن النفس البشرية ما زالت تعيش في الغابة وتحكمها غرائز الغابة من الافتراس والامتلاك، هذه الغرائز التي تغطي عليها طبقة خفيفة من الحضارة البشرية التي يسهل التغلب عليها بحَجْب الوعي بواسطة الكحول أو المواد الكيمائية الأخرى، فيظهر الإنسان على طبيعته. *أما عندما نزعم أن هذه القيم الأخلاقية جاءت من إله يُفترض أنه خلق الناس في صورته ونفخ فيهم من روحه، وباستطاعته جبلهم كيف يشاء، يصبح من العبط أن نقول إن الإنسان مخلوق في صورة الله ولكنه لا يتبع تعاليم الله الذي لو شاء لجعلهم أمةً واحدة*. فلو أراد الله لتعاليمه أن تُتَبع لجعل تلك التعاليم منسجمة مع طبيعة النفس البشرية التي خلقها. والمثل يقول "إذا أردت أن تُطاع، فأمر بالمستطاع". وحتى لو اقتنعنا أن التطبيق البشري هو ما هو كائن بينما الشرائع هي ما ينبغي أن يكون، *ألا يعني عدم تطبيق هذه الشرائع الجميلة على مدى ألف وأربعمائة عام أنها شرائع رومانسية تدغدغ الحواس ولا يمكن تطبيقها*، وبالتالي يكون الشارع قد خدع نفسه ورعاياه؟ وهناك مثل انـگليزي يقول عن الأشياء المرغوبة ولكن يستحيل تطبيقها، إنها "كعكة في السماء Pie in the sky"

وسوف تظل تعاليم الإسلام القليلة التي تدعو إلى حرية العقيدة ومساواة المؤمنين ببعضهم "كعكة في السماء".

✍ والآن دعونا نجلس في هدوء واسترخاء لنقرأ الحكمة فيما يكتب شيخ الإسلام، الدكتور الأزهري، الذي يدافع عن المثل العليا في الإسلام ويجعل القرآن ديدنه في تصرفاته وفيما يكتب. يقول هذا الدكتور:

"لدينا شخص اسمه (كامل النجار) يحمل لافتة أو إسما يميزه عن غيره يقول إنه (كامل النجار). ما هو كائن هو ذلك الشخص، أما ما ينبغى أن يكون فهو اللافتة التى تقول إنه (كامل النجار) فهل نطالب (كامل النجار) بأن يكون تطبيقا حرفيا لإسمه؟ هل لا بد أن يكون كامل (كاملا) فى الشكل والمظهر والسلوك؟ هل لا بد أن يفوق (يوسف) عليه السلام فى الحسن والجمال، ويتفوق على شوارزينجر (الثمانينيات) فى العضلات، وعلى المطرب عبد الحليم حافظ فى عذوبة الصوت، وعلى أينشتاين فى الذكاء وعلى غاندي فى الصبر والاحتمال وعلى كل الأنبياء فى سمو الأخلاق؟ هل نطالب (كامل النجار) بكل هذا الكمال طبقا لإسمه الذى يزعمه؟ وإلا اعتبرنا إسمه تزويرا فى أوراق رسمية؟ ثم تاتى المعضلة الأخرى، وهى (النجار) فهل نطالبه بالتخلى عن تلك (الدال) إذا كان طبيبا أو استاذا حاصلا على الدكتوراة و نلزمه بالعمل نجارا ليتطابق الإسم على الواقع ـ ولكى ينطبق ما هو كائن على ما يجب أن يكون...؟ لو سألتمونى عن رأيي لاخترت له أن يعمل نجارا فربما يفلح فى هذه المهنة أفضل من قيامه بالكتابة... فكيف يفلح كاتب يكتب دون ان يقرأ؟!!"
انتهى الردح.

ولن أعيد على الشيخ الدكتور ما يقوله قرآنه عن الأخلاق وعدم السخرية بالغير، التي هي بمثابة "كعكة في السماء" بالنسبة للمسلمين عامة ولشيوخ الإسلام خاصة، ولكن يكفي أن أذكر له ما كتبه أحد العراقيين، الذي لا يحمل لقب "دكتور" قبل عدة سنوات عندما نشرت كتابي ‹قراءة نقدية للإسلام›، واسم هذا العراقي محمد عاكول، رد عليّ ذلك العاكول بمقال عنوانه "كامل النجار دكتور في الخشب"، ونصحني فيه أن امتهن النجارة بدل الكتابة. فهل هناك فرق بين المدافعين عن الإسلام الذين يحملون الألقاب ويدرسّون في كليات الأزهر وبين من لا يحمل لقباً؟ لا أعتقد ذلك ولهذا السبب لن أنزل إلى مستواهم، وأقول كما قال الشاعر:

ألا ترى أنّ السيفَ ينقصُ قدره إذا   قيل إنّ السيفَ أمضى من العصا

وأحب أن أؤكد للشيخ الدكتور أن الأديان، جميع الأديان، تفرض على متبعيها نوعاً من الإرهاب الذهني المبطن لأنهم تعلموا منذ الصغر على الخوف من الإله أو مما يقوله الجيران.

يقول الفيلسوف الإنكليزي برتراند رسل:

«الغالبية العظمى من المفكرين المشهورين لا يصدقون بالمسيحية ولكنهم يخفون تلك الحقيقة من الناس لأنهم يخافون أن يفقدوا مدخولاتهم».[1]

أتمنى للدكتور وكل المدافعين عن الإسلام عيداً سعيداً وآمل أن ينتهزوا فرصة العطلة هذه ليطلعوا على *كيفية إدارة الحوار مع الغير والالتزام بالآداب السمحة* التي يزعمون أن الإسلام قد زرعها فيهم.

عودة إلى الفهرس

[1] Bertrand Russell, from "The God Delusion" by Richard Dawkins, p 97.

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=282522

حركة أهل القرآن أو **"القرآنيون"** قديمة قدم الإسلام، فقد ظهرت بالتقريب مع حركة **الخوارج**. ولكن *فقهاء* الدولة الأموية ومن بعدهم الدولة العباسية، *الذين كانوا يعتمدون على صناعة الحديث لمساندة خلفائهم*، *اتخذوا من مقولة* علي بن أبي طالب لابن عمه ابن عباس عندما أرسله لمحاورة الخوارج:

«لا تجادلهم بالقرآن فإنه حمّال أوجه بل جادلهم بالحديث»

سلاحاً اضطهدوا به أهل القرآن واضطروهم لاستعمال **التقية** والتخفي خوفاً على أرواحهم. *وبما أن الأحاديث قد أصبحت السلاسل التي تربطنا بالماضي السحيق، ولم نستطع حتى الآن الفكاك منها، يصبح تشجيع أهل القرآن ومساندتهم أمراً مستحباً إن أردنا الخلاص من هذا الكابوس الجاثم على صدورنا*. ولكن لكي نشجع أهل القرآن فلا بد لنا أن نقرأ في كتاباتهم منطقاً يقنعنا بنواياهم وبوسائلهم العلمية التي يزعمونها في بحوثهم. ولكن حتى الآن لم يقنعني الشيخ الدكتور أحمد صبحي منصور بجدية نهجه في البحث **إذ أنه يفترض معنىً معيناً لكلمة ما ثم يحاول أن يفرض علينا اتباع ما يقول دون نقاش**. ومما يؤسف له أن الشيخ منصور يقدم لنا أنصاف المعاني التي توافق طرحه ويحجب عنا ما تبقى من معاني الكلمة المطروحة، فيصبح كالذي يقول (لا تقربوا الصلاة) ويصمت.
فلو أخذنا مقاله الأخير بموقع الحوار المتمدن تحت عنوان ‹إختلاف معنى بعض الألفاظ القرآنية بل تناقضها حسب السياق› بتاريخ 2011/11/4، نجد الآتي:

> "اللغة كائن حى يتطور باستمرار، تموت منها ألفاظ وتتولد ألفاظ جديدة، وبالاحتكاك باللغات الأخرى يتم التلقيح وتوالد واستعارة ألفاظ اجنبية وتعريبها. واللغة العربية بالذات هى أقدم اللغات الحية التى لا تزال موجودة حتى الآن قبل وبعد ظهور الاسلام. عاصرت اللغة العربية لغات أخرى تحولت لهجاتها الى لغات مستقلة على حساب تلك اللغة الأم التى اندثرت، مثل اللغة اللاتينية التى ماتت وتحولت لهجاتها إلى لغات مستقلة كاللغات الفرنسية والاسبانية والبرتغالية والايطالية وغيرها، وكل منها اكتملت وأصبح لها معاجمها وقواعدها" انتهى.

لا شك أن اللغة كائن حي قد يموت وقد يتطور، ولكن اللغة العربية ليست أقدم اللغات الحية التي لا تزال موجودة. فاللغة السريانية التي اشتقت منها العربية، ما زالت حية في أجزاء معينة في العراق يتحدثها الصابئة. *واللغة الحبشية* التي استعار القرآن بعض كلماتها ما زالت لغة حية وهي أقدم من العربية. *واللغة النوبية* ما زالت حية في جنوب مصر وشمال السودان، واللغة الأمازيغية ما زالت حية. كل هذه اللغات أقدم من العربية وقد أدى *الاستعمار الاستيطاني الإسلامي* إلى حصرها في جيوب معدودة بعد أن حاول العرب المسلمون قتل تلك اللغات. اللغات التي ماتت كاللغة اللاتينية والكلدانية وغيرها فقد انتعشت بانتعاش الإمبراطوريات التي فرضت لغتها على الشعوب المستعمرة، وعندما انتهت تلك الإمبراطوريات انتهت معها لغتها. فإذا انتهت الإمبراطورية العربية الإسلامية في شمال أفريقيا فسوف تموت العربية ويحل مكانها اللغة الأمازيغية.
يستمر الشيخ أحمد صبحي منصور فيقول:

> "لا تزال اللغة العربية حية حتى الآن لسببين : القرآن الكريم و تأدية الصلاة اليومية" انتهى.

وهذا قول لا أوافقه عليه. اللغة العربية والقرآن فُرضا على الشعوب في شمال أفريقيا عندما غزتهم قوات الدولة الأموية وفرضت عليهم الإسلام واللغة العربية. وبما أن الإسلام واللغة أصبحتا وراثيتين يتعلمها الطفل مع تعلمه النطق، أدى هذا إلى ديمومتهما. فالقرآن ليس هو سبب بقاء اللغة العربية حية، ففي باكستان أو الهند أو بنغلاديش يقرأ المسلمون القرآن بلغته لأنهم حفظوه كالببغاوات دون فهم لغته، وفي حياتهم العادية يتحدثون لغاتهم المحلية. فاللغة العربية لغة ميتة عندهم رغم وجود القرآن والصلاة اليومية.
ثم يقول الشيخ أحمد صبحي منصور، دون أي سند علمي

> "هذا التغير الكمي والكيفي حدث ويحدث للغة العربية بينما يظل القرآن فريدا محتفظا بلغته ومصطلحاته التى لا يمكن فهمها إلا من خلال القرآن الكريم نفسه. ولولا القرآن الكريم لاندثرت اللغة العربية كما أندثرت الآرامية قبلها، وكما اندثرت السريانية واللاتينية بعدها" انتهى.

أولاً: يظل القرآن فريداً لا لأن لغته فريدة ولكن بسبب **التلقين الببغائي** والمبالغ الطائلة التي تصرفها السعودية والأزهر لطبع المصاحف وتنقيحها والتأكد من أنها مطابقة للأصل. ولكن رغم ذلك تحدث أخطاء كما حدث قبل عامين عندما أرسل الأزهر آلاف المصاحف إلى دارفور واتضح فيما بعد وجود بعض الأخطاء بها، فأحرقوها عن آخرها وطبعوا غيرها. **فلولا توفر المال وتفرغ رجالات الدين الذين تصرف عليهم الدول الإسلامية بسخاء، لتحرف القرآن تدريجياً عن طريق مثل هذه الأخطاء**.
وثانياً: مصطلحات القرآن ليست هي التي حافظت عليه لأن مصطلحاته هي نفس مصطلحات اللغة العربية، وقد أكد القرآن نفسه هذا القول عندما قال لمحمد {**أنزلناه بلسانك**}. فلسان محمد كان هو نفس لسان قريش ونفس لسان الشعر العربي في الفترة التي سبقت القرآن (الشعر الجاهلي). وقد ظل هذا الشعر، الذي اقتبس محمد كثيراً من أبياته، ما زال يحتفظ بمصطلحاته، وما زلنا نفهمها عندما نقرأ المعلقات. *فقوله "**لولا القرآن لاندثرت اللغة العربية**" قول لا يسنده أي بحث علمي*.
ثم يقول الدكتور منصور:

> "هل نفهم هذا القرآن العربى بمعاجم اللغة العربية؟ إن للغة العربية معاجمها المتميزة، وقد تم تدوينها بعد القرآن بقرون، وهى خير دليل على أن اللغة العربية كائن متحرك تختلف فيها معانى الألفاظ من عصر لآخر، ومن مكان لآخر. إلا إنه لا يجوز اشتراط فهم القرآن بمعاجم لغوية كانت ترصد حركة اللغة حتى عصرها" انتهى.

اللغة العربية ليست فريدة في هذا المضمار، فكل اللغات الحية لها قواميسها التي كُتبت بعد مئات السنين من بدء تلك اللغات. وما زال أهل اللغات الأخرى يرجعون لمعاجمها إذا استعصى عليهم شيء في اللغة. وكل كتب التاريخ الإسلامي الذي تخصص فيه الدكتور منصور، كُتبت بعد مئات السنين من موت محمد، *فهل تعلم الدكتور منصور تاريخ الإسلام من مكان آخر أم من الكتب التي كُتبت بعد مئات السنين*؟ وعليه لا يمكن أن نفهم القرآن بدون الرجوع إلى معاجم اللغة التي تشرح معاني تلك الكلمات المستعصية علينا. وهذا ما نفعله مع الشعر "الجاهلي". والحل الآخر هو الرجوع إلى تفاسير العرب المسلمين الذين عاصروا محمداً كابن عباس وغيره لنعرف

منهم ماذا فهم المسلمون ومحمد من كلمات القرآن الغريبة. أما أن يخترع الدكتور منصور معنى من عنده ثم يقول لنا **"هكذا قصد الله أن يقول"**، فلا يمكننا أن نقبل بمثل هذا المنطق.
وبدون الالتزام بالنزاهة العلمية يقول لنا الدكتور منصور:

"ولذلك فإننا اليوم نجد عجبا حين نرجع إليها ،فمعظم مفرداتها اندثرت من الاستعمال فى عصرنا الذى جاء بمصطلحات جديدة من الغرب يتضاعف عددها باضطراد. وحتى فى لغتنا المستعملة المتوارثة تجد بعض المفردات قد اختلفت عما سبق، فكلمة (عميد) ظلت حتى العصر العباسى تعنى (المريض حبا)، وفى ذلك يقول الشاعر :" وإني من حبها لعميد.." ، ويقول الفيروز آبادى، فى معنى كلمة عميد "هدّه العشق" اى أمرضه العشق. فأصبحت كلمة (عميد) اليوم تعنى مرتبة عالية فى الجيش أو فى رئاسة الكليات الجامعية. الخلاصة أن تلك المعاجم تم تدوينها بعد نزول القرآن بعدة قرون لتسجل حركة اللغة العربية فى زمانها وليس زماننا، وقد أصبح أغلب ما فيها من كلمات عربية غير مستعمل فى عصرنا" انتهى.

أولاً: إذا أخذنا اندثار الكلمات فإن أغلب اللغة العربية الفصحى يمكن اعتبارها مندثرة لأننا لا نتحدثها في حديثنا اليومي، وحتى القلائل الذين يستعملونها في نشرات الأخبار وفي الصحف لا يجيدونها ويخطئون في كل جملة وفي كل سطر. **فاللغة الفصحى لغة كتابة فقط وليست لغة حديث**.
ثانياً: الأمانة العلمية كانت تتطلب من الدكتور منصور عندما اقتبس من ‹معجم البلدان›، أن يأتي بكل معاني كلمة "عميد" ولا يقتصر على تعريفها بالمحب المستهام. ‹فالقاموس المحيط› يقول إن كلمة عميد أصلها:

(العَمودُ: وجمعها أعْمِدَةٌ وعَمَدٌ وعُمُدٌ، والسَّيِّدُ، كالعَميدِ، و ـ من السَّيفِ: شَطِيبَتُهُ التي في مَتْنِه، ورَئيسُ العَسْكَرِ، كالعِمادِ، بالكسر، والعُمْدَةِ والعُمْدانِ، بضمهما) انتهى.

فكلمة العميد منذ بداية اللغة العربية كانت تعني زعيم القوم الذي هو كعمود الخيمة الذي يحمل ثقلها، وتعني رئيس الجيش، وتعني كذلك المحب المستهام. **فلم يحدث أي تغيير في معنى كلمة العميد كما زعم الدكتور**. ويزيدنا ابن سعد في ‹الطبقات الكبرى› في معنى كلمة "عميد" فيقول:

«فأنشدني بعض الجرميين شعرا قاله عامر بن عصمة بن شريح يعني الأصقع عندما أسلم:

وكان أبو شريح الخير عمي ... فتى الفتيان حمال الغرامه
عميد الحي من جرم إذا ما ... ذوو الآكال سامونا ظلامه
وسابق قومه لما دعاهم ... إلى الإسلام أحمد من تهامه» [1]

ثم يسأل الدكتور منصور، فيقول:

"هل نفهم القرآن الكريم بمصطلحات التراث؟ لقد زاد فى تطور اللغة العربية وازدياد وتعقد مصطلحاتها أن صار لكل طائفة دينية مصطلحاتها الدينية الخاصة بها، فالشيعة لهم مصطلحاتهم، وعلى سبيل المثال فان مصطلح (النواصب) لدى الشيعة يطلقونه على السنة الذين (يناصبون أهل البيت العداء) ونفس المصطلح (النواصب) له معنى مختلف فى علم النحو إذ يعنى أدوات النصب التي تنصب الفعل المضارع أو الاسم، بل ان كلمة (النصب) تعنى التحايل على الناس و(النصب) عليهم، ولا علاقة لهذا (النصب) على الناس بعلم النحو. بل إن كلمة (النحو) فى حد ذاتها مصطلح جديد، ومثله المصطلحات الجديدة فى إطاره مثل الرفع والجر والسكون والاعراب و البناء والفعل والإسم والمبتدأ والخبر والفاعل والمفعول به... إلخ" انتهى.

المصطلحات الدينية لم تغير معاني اللغة، فكلمة نواصب مشتقة من النصب المعروف لكل من يتحدث العربية فالنصب يعني الغش ويعني أن نناصب شخصاً العداء. وكون الخليل ابن أحمد أو سيبويه استعمل كلمة نصب وناصب ليرمز بهما إلى علامة الفتحة فوق الكلمة لا يعني أنه أدخل جديداً في اللغة بحيث تغيرت معاني كلماتها. ولولا هذه العلامات التي أدخلها سيبويه (ت عام 180 هجرية) لأصبح من الصعب جداً فهم القرآن لأن الآية {**إنما يخشى الله من عباده العلماء**}، لولا علامة النصب التي أدخلها سيبويه لأصبحت الآية تعني أن الله يخشى العلماء، بينما الفتحة وقواعد النحو جعلت معنى الآية أن العلماء يخشون الله.
ويقول الدكتور منصور:

"ومصطلح السنة يأتي في القرآن بمعنى المنهاج والطريقة أو الشرع، وبمعنى الشرع يأتي منسوبا لله تعالى {**ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سُنةَّ الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدورا.** (الأحزاب 38)}. وفي العصر الأموي استعمل مصطلح السّنة في معرض الاعتراض علي السياسة الأموية وأهمية أن ترجع إلى ما كانت عليه سنة النبي، أي طريقته العادلة فى الحكم. وبها بدأ الاستعمال السياسي لكلمة السنة وقتها" انتهى.

ولا خلاف أن كلمة سُنة مشتقة من سنّ أي شرّع، وهكذا كان استعمالها في اللغة العربية وحتى في لغة التراث أي الأحاديث. فمثلاً:

(أخرج عبد الرزاق عن أيوب. أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [**مَن استن بسنتي فهو مني، ومن سنتي النكاح**].)[2].

فالشرع ليس كله منسوباً لله كما يقول الدكتور منصور. فهناك الشارع المدني الذي يُشرّع دساتير الأمم، وهناك الشارع الديني الذي يستخلص القوانين من الآيات والأحاديث، وهناك الأنبياء الذين استنوا سنناً مختلفة. فمحمد مثلاً استن السواك وقال لولا أن يشق على أمته لأمرهم بالسواك عند كل صلاة، وهي سنة حسنة يجب اتباعها.
أما كلمة سُنة في القرآن فلها معاني كثيرة.

{**قل للذين كفروا أن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين.** (الأنفال 38)}،

فسنة الأولين هنا تعني **خسف الأرض** بالكافرين أو إرسال الريح العاتية عليهم أو أي نوع من أنواع دمار الشعوب الماضية التي ذكرها القرآن.
بينما الآية التي تقول:

{**سنة مَن قد أرسلنا قبلك مِن رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا.** (الإسراء 77)}،

أي نفس قصة الأنبياء من قبلك الذين كذبهم قومهم فأرسل الله عليهم العذاب. فهذه هي **سنة المرسلين قبلك؟**
وفي آية أخرى يقول:

{**وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين.** (الكهف 55)}،

[1] الطبقات الكبرى، ص 336.
[2] الدر المنثور للسيوطي.

فسنة الأولين هنا تعني **المعجزات**. فالذي منع الأعراب من الإيمان هو انتظارهم المعجزات كما حدث مع الأنبياء من قبل.
فيظهر لنا هنا أن كلمة سنة لا تعني فقط المنهاج أو الشرع كما يزعم الدكتور منصور.
ثم يقول لنا الدكتور منصور:

"وأصبحت السنة من ناحية الفقه والفروع تعنى المذاهب الفقهية الأربعة المنسوبة للأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل، هذا في عصر الاجتهاد الفقهي. وفي كتب الفقه السني أصبح مصطلح السنة يشير إلى درجة أقل من درجات الواجب، فيقال هذا فرض واجب، وهذا سنة. أو يُقال "يسنّ" بمعنى يستحسن. ـ ومع كل هذا التطور والتعقد في المصطلحات التراثية لا يجوز فى المنهج العلمي أن نستعملها في فهم القرآن الكريم، ليس فقط لأنها تمت ولادتها بعد عصر القرآن متأثرة بظروف سياسية واجتماعية وفكرية، ولكن أيضاً لأن للقرآن مفاهيمه الخاصة ومصطلحاته الخاصة التى تعارض بل وأحيانا تناقض تلك المصطلحات التراثية المستحدثة." انتهى.

ولا شك أن أهل المذاهب الأربعة مِن حقهم أن يسموا مذاهبهم سنة أي طريقة أي تشريع لأنهم أتوا بتشريعات أي سنن من القرآن والأحاديث التي استنبطوا منها أحكام مذاهبهم. **فاستعمالهم لكلمة سنة هنا لا يخالف معنى الكلمة المتعارف عليه**.

وهناك فعلاً تضارباً بين بعض أحكام السنة وبين القرآن، والسبب في ذلك ليس اللغة وإنما **تقديس محمد** عند المسلمين الأوائل الذين جعلوا أحاديثه تنسخ بعض صريح القرآن.

وإلى اللقاء في الحلقة القادمة التي أفند فيها تأويل الدكتور منصور لآيات القرآن.

2011 / 11 / 9

2 مِن 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=282796

يقول الشيخ د. أحمد صبحي منصور:

"إن من الطبيعى أن نفهم القرآن بالقرآن: أي أن نتعرف على مصطلحات القرآن من خلال القرآن نفسه. وهذا معنى البيان القرآني. وهو معنى أن الله تعالى جعل بيان القرآن بالقرآن، فلكي تفهم القرآن لابد أن تتدبره وتتعقله من خلاله هو، وبمفاهيمه هو، وخصوصاً أن القرآن لم ترد فيه إحالة إلى شروح أخرى تعين على فهمه." انتهى.

والقرآن يقول لمحمد:

{لا تحرك به لسانك لتعجل به. إن علينا جمعه وقرآنه. فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم أن علينا بيانه. (القيامة 16-19)}.

وهنا نجد مشكلة في تفسير القرآن بالقرآن إذ أن أول سورة نزلت على محمد كانت سورة "إقرأ" التي أمره فيها جبريل أن يقرأ سورةً من القرآن لم يكن محمد يفهمها ولا يعرف قراءتها. ثم الآن يقول له {**لا تحرك به لسانك لتعجل به. إن علينا جمعه وقرآنه**}.
ما هو السبب الذي جعل الله يقول لمحمد لا تعجل به لسانك ونحن نعرف أن جبريل كان يأتيه بالآيتين أو الثلاثة ويرددهن له حتى يحفظهن. فلماذا أمره الله ألا يعجل به لسانه. هل كان محمد لا يجيد نطق ما أخبره به جبريل، فطلب منه الله أن يصبر حتى يردد جبريل الآية عدة مرات؟
وماذا نفهم من {**إن علينا جمعه وقرآنه**}؟ إذا افترضنا أن الله يجمع القرآن، فهل هو الذي يقرأه لمحمد أم جبريل كان يفعل ذلك؟ وإذا كان جبريل يفعل ذلك لماذا قال الله إن عليه قراءته؟
ويزيد الله ويقول لمحمد {**ثم إنّ علينا بيانه**}. فحتى محمد نفسه ما كان يفهم القرآن حتى يبينه له الله. فكيف للمسلم العادي أن يقرأ القرآن ويتبين معانيه؟
ثم يزيد القرآن ويقول لمحمد {**فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً.** (مريم 97)}. فكيف يبشر محمد بالقرآن المتقين وينذر به قوماً لداً إذا لم يشرحه لهم وقت نزوله؟
فإذا كان محمد قد شرح القرآن لقومه **فلا بد أن هناك من حفظ شرحه ونقله إلى غيره حتى دونوه في كتب التفسير**. فهناك كلمات كثيرة في القرآن لم يفهمها المعاصرون مثل (**وفاكهةً وأبّا**)، فسألوا عنها كما تقول الروايات. وهذا هو عين المنطق إذا أراد الله لهم أن يتدبروا القرآن، فالمتدبر لابد أن يسأل عما لا يفهم.

وإذا قرأنا تفاسير المفسرين لكلمة "**أبا**" يتبين لنا أنهم لم يفهموا معناها فاختلفت تفاسيرهم. فكيف للمسلم العادي أن يقرأ القرآن ويفهم ماذا قصد الله بكلمة "أبّا" التي لم يفهمها عمر بن الخطاب ولا أبو بكر عندما سئلوا عنها؟

فالقرآن لا يفسر نفسه، وكما قال علي بن أبي طالب "القرآن لا ينطق إنما ينطق به الرجال". فالرجال الذين ينطقون به يحتاجون إلى التفاسير ليفهموه.
ثم أن القرآن يقول لمحمد: {**بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ.** (النحل 44)}. فكيف يبين محمد للناس دون أن يشرح لهم القرآن؟
وماذا عن: {**واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون. إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون.** (يس 13-14)}. كيف يفهم الناس هذه الآيات دون أن يشرحها لهم محمد؟ عن أي قرية كان يتحدث، ومن هم الاثنان اللذان أرسلهما الله ثم عززهما بثالث؟ هل يمكن أن نفهم هذه الآيات من داخل القرآن نفسه دون شرح؟
وآيات أخرى كثيرة مثل: {**أصحاب الأيكة**} مَن هم، وأين كانوا، وماذا فعلوا؟

ففهم القرآن من داخل القرآن نفسه وبدون الرجوع إلى مَن أتى به يكون ضرباً من التخبط والتخمين ليس إلا.

يقول الدكتور منصور:

"ونعطي نماذج سريعة للاختلاف والتناقض بيم مفاهيم القرآن ومفاهيم التراث: الدين فى مفهوم القرآن يعنى الطريق، والسبيل، والصراط. والطريق قد يكون مستقيماً وقد يكون معوجاً. وقد يكون الدين أو الطريق معنوياً، أى العلاقة بالله تعالى. وقد يكون الدين أو الطريق حسياً مادياً كقوله تعالى عن أهل المدينة فى عصر النبى يعلمهم فن القتال {**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ.** (التوبة 122)}. فالآية سبقتها وتلتها آيات فى سياق القتال وتتحدث هذه الآية الكريمة عن النفرة للقتال، وضرورة إرسال فرقة استطلاع تتعرف على الدين أو الطريق ثم تنذر الناس وتحذرهم. ومن الخبل أن نفهمها على أن يترك المؤمنون رسول الله عليه

السلام فى المدينة ثم يذهبوا للتعليم خارج المدينة، وهى موطن العلم بالإسلام، وكان غيرها مواطن الشرك فى ذلك الوقت." انتهى.

أعتقد أن التوفيق قد أخطأ الدكتور منصور *في محاولته ربط الدين بالطريق*، وجعل الطريق فعلياً وهو البقعة من الأرض التي يسلكها المسافر أو الغازي في جيش محمد، فهو يقول:

"ومن الخبل أن نفهمها على أن يترك المؤمنون رسول الله عليه السلام فى المدينة ثم يذهبوا للتعليم خارج المدينة، وهى موطن العلم بالإسلام، وكان غيرها مواطن الشرك فى ذلك الوقت".

الآية المذكورة من آيات سورة التوبة التي كانت آخر سورة نزلت من القرآن، وترتيبها حسب الظهور هو 113 من 114 سورة. في ذلك الوقت كان محمد قد أخضع جميع القبائل العربية للإسلام، فعندما يقول (**ما كان للمؤمنين أن ينفروا كافة**) كان يتحدث عن المؤمنين خارج المدينة الذين طلب منهم أن يرسلوا طائفة من كل قبيلة إلى المدينة ليتفقهوا في الدين ثم يعودوا إلى قبائلهم ليشرحوا لهم الدين لأن محمد اقتحم تلك القبائل بالقوة وأدخلها في الإسلام دون أن يشرح لهم الدين.
وافتراض الدكتور منصور *بأن الدين في القرآن تعني* الطريق فافتراض لا ينطبق على كل الآيات التي جاءت بها كلمة الدين. فمثلاً، القرآن يقول:

{وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر. (التوبة 12)**}.**

فهل يقصد القرآن هنا إذا طعن المشركون في الطريق الذي يربط، مثلاً، مكة بالمدينة؟
ويقول القرآن كذلك:

{وادعوه مخلصين له الدين. (الأعراف 29)**}.**

فهل المقصود: مخلصين له الطريق؟
وماذا عن:

{وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر. (الأنفال 72)**}.**

فالواضح هنا أنه يحثهم أن ينصروا إخوانهم المسلمين إذا حاقت بهم الهزيمة وطلبوا مساعدة إخوانهم المسلمين الأخرين. فلا براح (براح تعني مكان كما يقول القاموس المحيط) لكلمة الطريق في هذه الآية.
وماذا عن سورة الكافرون:

{يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم ولي دين}.

فالغالبية العظمى من الآيات التي وردت بها كلمة الدين كانت تعني **العبادة** أي دين الإسلام. وإذا أراد الدكتور أن يقول إن الدين هو الطريق معنوياً، يصبح المثل الذي أعطاه عن نفور طائفة من المؤمنين ليكتشفوا الطريق وقت الغزوات مثلاً لا مكان له في شرح القرآن.
ثم يستمر الدكتور منصور فيقول:

"ولكن مصطلحات التراث جعلت التفقه قصراً على العلم بالشرع، مع أن مفهوم التفقه في القرآن يعني العلم والبحث العقلي والمادي فى كل شىء. والسنة فى اللغة العربية تعني الشرع، تقول "سن قانوناً" أى شرع قانوناً. وفى القرآن تأتي فى التشريع بمعنى الشرع حتى فيما يخص النبي (الأحزاب 38) وتكون حينئذ منسوبة لله تعالى، أما النبي فهو صاحب القدوة والأسوة (الأحزاب 21) فالسنة لله تعالى، ولنا فى النبي أسوة حسنة، وتأتى السنة منسوبة لله تعالى أيضاً فيما يخص تعامله جَلَّ وعلا مع المشركين، وتكون هنا بمعنى المنهاج والطريقة (الأحزاب 62، فاطر 43، الفتح 23) ولكن السنة فى التراث تعنى شيئاً مختلفاً سياسياً ومذهباً فقهياً." انتهى.

أنا لا أوافق الدكتور فيما ذهب إليه من أن التفقه في القرآن يعني *العلم والبحث العقلي والمادي في كل شيء*. فالذي يريد أن يتفقه في دين جديد أو مذهب سياسي أو أي دعوى أخرى، لابد له أن يمحص محتوى تلك الدعوى ويسأل عن كل كبيرة وصغيرة فيها، وينتقد ما لا يتوافق مع أفكاره. **ولكن القرآن لا يتيح للناس تلك الفرصة**:
فالقرآن مثلاً يقول لليهود الذين انتقدوا آيات محمد:

{يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا. (النساء 47)**}.**

فهل هذا تشجيع على التفقه والبحث في آيات القرآن أم تهديد ووعيد - آمنوا وإلا؟
وهاهو يهدد المشركين الذين كانوا يجلسون في مجالسهم ويفندون قرآن محمد:

{قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين. (الأنفال 38)**}.**

فهذا إنذار واضح: كفوا عن نقاش الآيات، نغفر لكم، وإن تعودوا للنقاش سوف تنالكم سنة الأولين من قوم لوط ونوح، أي سوف نخسف بكم الأرض.
والذي يتفقه في نظرية جديدة، كما قلنا، لا بد له من أن يسأل، **ولكن القرآن لا يجيب على الأسئلة**:
ماذا عندما سألوا محمداً عن المحيض؟ هل شرح لهم أن الحيض عبارة عن أوعية دم تغطي جدار الرحم لتهيئته لتغذية البويضة الملقحة، وفي حال فشل التلقيح يلفظ الرحم تلك الطبقة من الأوعية الدموية؟ هل شجعهم محمد ليبحثوا في هذا الأمر؟ كل ما قاله لهم القرآن:

{ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. (البقرة 222)**}.**

وبقية الأسئلة كثيرة وإجابة القرآن عنها لا تسمن ولا تغني من جوع.
وفي النهاية طلب القرآن من المؤمنين ألا يسألوا محمداً:

{يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبدى لكم تسؤكم}.

وزاد عن ذلك وقال لهم:

{أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سُئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل. (التوبة 108)**}.**

فالتوجيه الإلهي للناس في القرآن هو الكف عن الأسئلة، فكيف يدعّي الدكتور أن القرآن يحث الناس للتفقه والبحث العلمي في كل شيء؟

ونأتي الآن إلى موضوع النسخ في القرآن، فيخبرنا الدكتور منصور:

"والنسخ فى القرآن يعنى الإثبات والكتابة والتدوين، ويعنى فى التراث العكس تماماً، أى الإلغاء. ولنا بحث منشور فى هذا الموضوع." انتهى.

القرآن يقول:

{ما ننسخ من آية أو نُنسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير. (البقرة 106)**}.**

فإذا كان معنى النسخ هو التثبيت والكتابة، يصبح معنى الآية أعلاه هو كل ما يثبت الله آية يأتي بأحسن منها أو مثلها. أو بمعنى أخر: كلما يكتب الله آية يأتي بآية أخرى أحسن منها. **أي يكرر نفسه بلا داعٍ للتكرار**.
وفي سورة الحج يقول لنا:

{وما أرسلنا من قبلك من رسول أو نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يُلقي الشيطان ثم يُحكّم الله آياته والله عليم حكيم. (الحج 52)**}.**

وهذا يعني أن كل الأنبياء والرسل بما فيهم محمد قد تدَخَّل الشيطان في وحيهم، فأثبت الله وكتب ما ألقى الشيطان ثم حكّم آياته من بعد ذلك. وهذا يؤكد أن القرآن به آيات ألقاها الشيطان في أمنية محمد، **وثبتها الله في كتابه لأن النسخ يعني التثبيت، كما يقول الدكتور منصور**.

وعليه لم يفهم ابن عباس ولا عمر ولا أبو بكر ولا علي بن أبي طالب القرآن،
لأنهم فهموا النسخ على أنه إلغاء الآية بآية أخرى، وأصدروا أحكاماً قضائية مستنتجة من مفهومهم للنسخ كإلغاء.

ثم يستمر الدكتور فيقول لنا:

"وكذلك الحال مع "أولوا الأمر"، فالمقصود بهم فى القرآن هم أصحاب الشأن وأصحاب الخبرة والاختصاص فى الموضوع المطروح (النساء 59، 83) وليس المقصود هم الحكام كما يتردد فى التراث." انتهى.

فإذاً عندما يقول القرآن: {**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر.** (النساء 59)} كان يقصد أن نرد الأمر إلى ذوي الاختصاص والخبرة في الموضوع ونطيعهم مهما قالوا. فلما أتت هذه الآية هل كان هناك ذوي اختصاص بالقرآن غير محمد نفسه، وقد قال القرآن ردوه إلى الله والرسول وأولي الأمر منكم. فمن هم أولي الأمر والاختصاص في ذلك الوقت. وإذا كان ما يقوله الدكتور صحيحاً فهذا يعني إذا ذهب المريض إلى طبيب مختص ووصف له الطبيب العلاج فلا بد أن يطيعه ويفعل ما أمر به الطبيب ذو الاختصاص، ولا حاجة لمعاينة طبيب اختصاصي آخر قد يختلف في رأيه عن الأول. فالطاعة واجبة لذوي الاختصاص. أعتقد أن الآية واضحة **وتعني طاعة ولي الأمر الحاكم**.
يقول الدكتور منصور:

"ضمير الملكية : (الباء) فى قولك (كتابي وقلمي) تفيد الباء هنا ملكيتك للقلم أو الكتاب. ومثال ذلك فى القرآن الكريم كلمة (كتابي) فى: {(**اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ.** (النمل 28)}. أي كتابي الذى أملكه . هنا يتحول الأمر الى النقيض حين تقول (ربي)، ياء الملكية تعنى العكس وهو أن الذى يملكك هو الله جَلَّ وعلا وليس العكس. وبهذا المعنى نفهم قول موسى عليه السلام {**إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ.** (الشعراء 62)}" انتهى.

لا أرى أي سبب يجعل الياء في ضمير المتكلم تعني التمليك، فالمثل الذي أتى به الدكتور عن الكتاب يعني: كتابي الذي كتبته، ولا يعني كتابي الذي أملكه، لأنك بمجرد أن ترسل الخطاب أو الكتاب، لا يعود الخطاب ملكك بل ملك مَن أرسلته له. وإذا اتبعنا تأويل الدكتور منصور نجد أني عندما أقول: (زوجتي) يعني أني أملكها، وإذا قلت (همومي أضعفتني)، هذا يعني أني أملك تلك الهموم. وإذا قلت (تأخرت طائرتي ساعتين)، فهذا يعني أني أملك الطائرة. وإذا قلت (ديوني أرهقتني) فهذا يعني أني أملك تلك الديون، ولكن العكس صحيح بأن الديون هي التي تملك حياتي وتصرفاتي. وإذا قالت الزوجة (زوجي) فهذا يعني أنها تملك الزوج رغم أنه قد يكون متزوجاً ثلاث نساء أخريات. وإذا قلت (ديني الإسلام) فأنا أملك الإسلام. فالياء التي لا ترتبط بالرب هي للملكية، كما يقول الدكتور منصور، **ولكن الياء المرتبطة بالإله هي للعبودية**. مع أن الإله ما هو إلا فكرة تتكون في عقولنا، وما دامت فكرة فهي ملكي. لا أعتقد أن مثل هذا الطرح هو ما قصده كاتب القرآن. **ياء المتكلم هنا لا تعني أكثر من الارتباط والانتماء**، فزوجتي تنتمي لي وأنا انتمي إليها ولا ملكية في الأمر. وكذلك كل الأمثلة التي ذكرتها. العملية كلها عملية ارتباط، **ولكن الدكتور أراد أن يدخل فيها العبودية لله، ومفهوم العبودية، حتى لله، مفهوم لا يليق بالإنسان**.
ثم يقول لنا الدكتور:

"ضمير الغيبة: (هو) يفيد غياب الشخص، ولكن عندما تستعمل (هو) بالنسبة لرب العزة الذى لا يغيب فإن كلمة (هو) تفيد وتؤكد الحضور وليس الغياب، بل يأتى السياق يؤكد على الحضور وعدم الغياب كقوله جل وعلا {**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا.** (المجادلة 7)}. تكررت كلمة (هو) عن رب العزة لتؤكد الحضور وليس الغيبة." انتهى.

أعتقد أن الدكتور حمّل الضمير أكثر مما يحتمل. هناك ثلاثة ضمائر: ضمير المتكلم (أنا، ونحن)، وضمير المخاطب (أنتَ، وأنتي، وأنتم)، وضمير الشخص الثالث (هو، وهي، وهم)، الذي نقول عنه في العربية ضمير الغائب، ولكن هذا لا يعني أنه غائب فعلاً. فقد يكون محمد مثلاً معي في الغرفة ويتصل شخص آخر بالتلفون ويقول: أين محمد؟ فأقول له: هو معي بالمكتب. فمحمد موجود وليس غائباً رغم أني استعملت ضمير الغائب له. **فقول الدكتور إن استعمال الضمير (هو) لله تعني الحضور وليس الغياب، قول زائد لا معنى له**.
ويقول الدكتور منصور:

"صفة (الحى) تعنى الحىّ الذى لا يموت: {**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ.** (الفرقان 58)} وهى تناقض صفة (الحى) لدى المخلوقات التى لا بد أن تموت {**وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ.** (آل عمران 27)}" انتهى.

هذا **كذلك اجتهاد لا معنى له**. صفة الحي تنطبق على الإنسان وعلى الله وعلي النبات والحيوان. الفرق الوحيد أن الإنسان في وقت من الأوقات يموت، والله المزمع لا يموت لأنه فكرة لا وجود لها على أرض الواقع. ولكن في أي لحظة زمنية يكون الاثنان أحياء إلى أن

يموت الإنسان. ولذلك عرّف كاتب القرآن قصده بأن قال الذي لا يموت. ولو كانت كلمة حي في صفة الله تعني أنه لا يموت لما أضاف كاتب القرآن وصفاً إضافياً في آخر الجملة، ولاكتف بقوله: الله الحي. *أما قوله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، فقول خاطيء يرجع إلى اعتماد محمد على الأشياء المرئية فقط. فمحمد كان يعتقد أن بذرة الذرة أو حصاة التمر ميتة، وعندما يزرعها الإنسان تنمو وتخضر*. ولذلك جاء بهذه الآية، بينما البذرة ليست ميتة وإنما هي مسبتة (في حالة سبات) أي مشتية hibernating تنتظر المناخ المناسب والمياة العذبة لتنمو. فليس هناك إخراج للحي من الميت.

في النهاية إذا كان الدكتور أحمد صبحي منصور، *زعيم جماعة أهل القرآن*، يرنو إلى نشر فكر أهل القرآن، فعليه أن يعتبر نفسه رسولاً عن أهل القرآن، وبالتالي عليه أن يتصرف كتصرف الأنبياء، كما أوصى القرآن محمداً وقال له {**لو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك**}.

ولكن دعونا نقرأ ما كتبه الدكتور كمقدمة لمقاله هذا:

> "هناك آفة يعاني منها بعض هواة الكتابة، هى أنهم لا يقرؤون، وبعضهم إذا قرأ ولديه فكرة معينة فهو لا يتخلى عن فكرته، ولا يفهم ما يقرأ ـ لو قرأ - وهو يلاحقني بنفس الأسئلة دون أن يكلف نفسه عناء القراءة. مؤخراً، انتهيت من كتابة ونشر أربع مقالات عن الثورة المصرية الراهنة ثم بدأت أستانف الكتابة فى سلسلة (كتب ـ كتاب) فى القرآن الكريم، مع سلسلة أخرى تتكون من أربع مقالات ساخرة بعنوان (تبرئة ابن حجر من بيع الحشيش للبشر...آه يا بقر...؟؟) للتعليق على ثورة السلفية المصريين على المفتي فى اتهام ابن حجر ببيع الحشيش. عطّلنى عن عملى تعليق ظل صاحبه يلاحقني به من التسعينيات دون ملل ودون رحمة، ودون أن يقتنع، ودون أن يقرأ لى!". انتهى.

لاحظوا هنا أن الدكتور ضاق ذرعاً بالأسئلة فقال: "وهو يلاحقني بنفس الأسئلة دون أن يكلف نفسه عناء القراءة". هل سكن الدكتور مع السائل ليعرف إن كان يقرأ أو لا يقرأ؟

إنه نفّس الضيق بالأسئلة الذي أبداه محمد لأصحابه فقال لهم {لا تسألوا عن أشياء}.

عودة إلى الفهرس

11 - أيهما خلق الآخر: الإله أم الإنسان؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=66691

علماء الجيولوجيا وعلماء علم الأجناس "الأنثروبولوجي" يقولون إن الأرض عمرها من أربعة ونصف إلى خمسة مليارات من السنين وأن أول ما ظهر على الأرض من حياة بعد أن تكوّن الماء فيها كانت النباتات ثم الحشرات ثم الطيور ثم بقية الحيوانات. وأول ما ظهرت *الرئيسيات* Primates، وهي أعلى مرتبة في *الثديات* Mammals، كان حوالي قبل خمسة وستين مليون من السنين. وقبل حوالي خمسة وعشرين مليون من السنين ظهرت فصيلة القرود Apes. وأقدم هيكل عظمي للإنسان البدائي وجد في شرق أفريقيا وعمره حوالي مليونين من السنين، وسماه العلماء Homo habilis وكان حجمه صغيراً وحجم جمجمته حوالي سبعمائة وخمسين سنتمتراً مكعباً. وقبل حوالي مليون ونصف المليون من السنين ظهر الإنسان القائم Homo erectus وكان حجم جمجمته حوالي تسعمائة وخمسين سنتمتراً مكعبا. وظهر هذا الإنسان القائم في أفريقيا ثم هاجر وانتشر في آسيا وإندونيسيا وأوروبا. ثم ظهر الإنسان الحديث Homo sabiens قبل حوالي نصف مليون من السنين، وأصبح حجم جمجمته في المتوسط ألف وثلاثمائة وخمسين سنتمتراً مكعبا. والإنسان الحالي ظهر على هذه الأرض قبل مائة وخمسين ألف سنة. وقد كان هذا الإنسان البدائي يعرف من قبل حوالي ثمانمائة ألف عام كيف يصنع الآلات من الحجارة، فقد كتب عالم الأنثروبولوجي الأسترالي آدم برومAdam Brumm وزملاؤه في مجلة "الطبيعة Nature" مقالاً أكدوا فيه أنهم قد اكتشفوا في كهف يُدعى Mata Menge في أحد الجزر الإندونيسية آلات حجرية جيدة الصنع يرجع تاريخ صنعها إلى ما يقرب من ثمانمائة ألف عام.

ويظهر من هذه المقدمة أن الإنسان الذي صنع الآلات الحجرية لتساعده على الصيد قد عاش من قبل ما يزيد على ثمانمائة ألف عام. وتاريخ الأديان، خاصة اليهودية، التي اقتبس منها الإسلام أشياء عديدة، يخبرنا أن الإله الذي في السماء، "يهوه" أو "إلوهم" قد خلق آدم قبل حوالي خمسة آلاف عام قبل أن يُنزل التوراة، أي قبل حوالي ثمانية آلاف من السنين قبل الآن، ووافق التوراة أهل التفسير في الإسلام. فإذا تابعنا منطق التوراة والقرآن نجد أن الإله الذي خلق الأرض والسماء قبل حوالي خمسة مليارات من السنين، ظل يفكر طوال هذا الوقت في ما يصنع بهذه الأرض التي خلقها، وأخيراً قرر خلق آدم قبل مدة وجيزة. ونستطيع أن نستنتج من هذا المنطق الديني بعض الاستنتاجات:

1. أن الإله ظل آلاف الملايين من السنين لا يعرف أو لا يقدر أن يخلق إنساناً يعيش على هذه الأرض قبل آدم.
2. عندما قرر الإله حديثاً جداً أن يخلق الإنسان، خلق إنساناً لا يمكنه أن يعيش على هذه الأرض إذ كان طوله ستين ذراعاً. وما كان من الممكن لمثل هذا الإنسان أن يعيش على الأرض لأنه لم يكن في استطاعته بناء ما يحميه من العوامل الطبيعية مثل الجليد أو المطر، ولم تكن الكهوف من كبر الحجم بحيث تسمح له أن يسكنها. فمثل هذا الإنسان لا بد له أن ينقرض كما انقرضت الديناصورات بسبب حجمها الهائل. وحجم الإنسان الذي تقول به التوراة ويقول به مفسرو القرآن، هو عكس كل الاكتشافات العلمية حتى الآن. فكل الهياكل العظمية التي اكتشفها العلماء تُثبت أن حجم الإنسان الأول كان حوالي ثلاثة أقدام واستمر في الازدياد إلى أن بلغ حجمه الحالي. وحتى العمر الذي عاشه الإنسان الأول كان حوالي ثلاثين عاماً وظل يزداد إلى أن بلغ مع تقدم الطب والغذاء إلى معدل ثمانين عاماً في وقتنا الحالي، بينما تخبرنا المصادر الدينية أن عمر آدم ونوح وأحفادهما كان حوالي ألف عام ثم نقصت إلى وقتنا الحالي. فالإله يظهر كأنه قد أخطأ في تقدير العمر والطول فظل يُنقّص منهما حتى الآن . ولكنه غيّر رأيه مرة أخرى وبدأ يزيد في طول الإنسان. فكل الإحصاءات الحديثة تثبت أن الأطفال عندما يبلغون يكون طولهم في الغالب أكبر من طول الوالدين، ويظهر هذا جلياً في أمريكا ولاعبي سلتها الذين يبلغ متوسط طول الواحد منهم ستة أقدام ونصف القدم.
3. أن الإله عندما خلق الإنسان في صورته، كما تقول التوراة ويقول القرآن، خلق إنساناً لا يعرف القيم الأخلاقية التي تدعو لها أديان الإله، فكان الرجال من أحفاد آدم يضاجعون أخواتهم على مدى مئات السنين إلى أن كثُر عدد الناس وتعلم الإنسان أن يضاجع غير أخته. وجعل أول طفلين في العالم (هابيل وقابيل) من الحماقة وسوء الخلق أن قتل أحدهم الآخر. والمنطق يخبرنا أن الإله الذي ظل يفكر كل هذه السنين في خلق الإنسان كان يمكنه أن يخلق رجلين وامرأتين *لتفادي هذا المطب الأخلاقي* الذي دعا له الإله فيما بعد، وأن يخلق إنساناً سوياً على درجة عالية من الأخلاق التي ينادي بها هذا الإله.
4. لو كان هناك إله قد خلق الإنسان، لا يمكن أن يكون هذا الإله من القسوة بحيث يخلق أطفالاً مشوهين خلقياً فيعذبهم في هذه الحياة الدنيا ولا ذنب لهم. وحتى لو علم أنهم سوف يذنبون عندما يكبرون، كان من الممكن له أن يزيل عنهم هذا الذنب في المستقبل، *فالإنسان لا يفعل شيئاً إلا بمشيئة الخالق، كما تقول الأديان*. ولا يُعقل كذلك أن يخلق الإله آلاف الأطفال الأبرياء ثم يهد على رؤوسهم المدارس فيقتلهم شر قتل، ثم يقول لنا: {**وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قُتلت**}.

ولو كان هناك إله وهو قد خلق العالم والإنسان، ألا يحق لنا أن نتخيل أن هذا الإله إله عادل وخيّر ويعامل الجميع معاملة متساوية؟ فإذا كان ذلك هو الحال، فكيف أرسل هذا الإله أول نبي معروف لدينا بعد خلق آدم، وهو النبي إبراهيم، ثم أرسل من بعده ابنه إسحاق ثم من بعده ابنه يعقوب ثم من بعده ابنه يوسف ثم موسى الذي هو من قبيلة ليڤي التي ترجع إلى أحد أبناء أيوب. ثم بعد ذلك داوود ثم ابنه سليمان ثم ختمهم بعيسى الذي هو من أحفاد داوود؟ أليس في العالم أناس آخرين خلقهم هذا الإله ويستحقون أن يرسل لهم أنبياء ورسل؟ فهذا الإله يبدو كأنه إله منحاز إلى جنس واحد من الناس الذين خلقهم. وحتى يحدث نوع من التعادل الإقليمي جاء نبي الإسلام وزعم أنه من سلالة إسماعيل الابن الآخر لإبراهيم من خادمته المصرية هاجر. ولم يكن الإله قد أرسل من سلالة إسماعيل هذا أي نبي قبل محمد. فلماذا انتظر هذا الإله العادل وغير المتحيز حوالي ألف وثمانمائة عام قبل أن يرسل أحداً من سلالة إسماعيل؟

فالعقل يخبرنا أنه لا يمكن أن يكون هناك إله بهذه الصفات البينة من **التحيّز** و**العصبية** لقوم بعينهم فيحصر جميع الرسل المعروفين فيهم ويعدهم ميراث الأرض ويدعوهم *شعب الله المختار*، رغم عصيانهم المتكرر له، في حين أن العالم، عندما ظهر النبي إبراهيم، كان مليئاً بعدة شعوب منهم قدماء المصريين الذين نزح إليهم إبراهيم، ومنهم شعوب مابين النهرين، دجلة والفرات، الذين خرج من عندهم إبراهيم ولم يبعث الإله لهم رسولاً. ثم أننا نعرف الآن أن تاريخ الجنس البشري سبق آدم وإبراهيم بملايين السنين. فآدم لم يكن أول إنسان على الأرض.

والحقيقة الظاهرة للعيان هي أن الإنسان **خلق الإله في مخيلته الجماعية** ليجد لنفسه ملجأ يرجع إليه عندما تغلبه الظواهر الطبيعية والموت والمصائب الأخرى.

وبما أن الإنسان قد خلق الإله، فقد خلقت كل مجموعة إلهها الخاص بها وأعطته من الصفات ما ينسجم مع صفات تلك المجموعة.

- فإله اليهود الذين ذاقوا مر العذاب والعبودية في مصر، كان إلهاً سريع الغضب وشديد العقاب ويُعبّر عن الغضب الذي كان يحسه اليهود نحو المصريين. ولما كان المصريون يقتلون أطفال اليهود، كما تزعم التوراة وكما يزعم القرآن، فقد جعل اليهود إلههم قاتلاً للأطفال، فقال لهم:

{3 فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعاً، بَقَراً وَغَنَماً، جَمَلاً وَحِمَاراً. (سفر صموئيل 1، الإصحاح 15)}.

ولما كان اليهود مستعبدين في مصر ويُسخّرون في الزراعة والبناء، كان الرجال فقط هم الذين يعملون نسبةً لطبيعة العمل الشاق وكان النساء ينعمن بحياة شبه رخوة في بيوت أسيادهن المصريين، فرأى العبرانيون أن المرأة لم تشاركهم عناء العبودية والذل، لذلك اضطهدوا المرأة وجعلوا إلههم يُشرّع قوانيناً صارمةً ضد المرأة، فجعلها نجسة لا تمس كتبهم المقدسة وقت الحيض، ويجب أن تصون نفسها لزوجها وإن لم تكن عذراء وقت زواجها تُقتل رجماً. ولخوف اليهود من أن يُستعبدوا مرة أخرى، جعلوا إلههم يُصدر قوانين تأمرهم بقتل كل من لا ينتمي إليهم، فقال لهم:

{16 وَأَمَّا مُدُنُ هَؤُلاءِ الشُّعُوبِ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيباً فَلا تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَا 17 بَل تُحَرِّمُهَا تَحْرِيماً: الحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالكَنْعَانِيِّينَ وَالفِرِزِّيِّينَ وَالحِوِّيِّينَ وَاليَبُوسِيِّينَ كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. (سفر التثنية، الإصحاح 20)}.

فلماذا خلق هذا الإله هذه الشعوب التي طلب من موسى إبادتها، وهو لم يكن قد بعث إليهم رسولاً ليدلهم عليه؟

- وجاء الإسلام إلى قبائل كانت لا تعرف غير الثأر وقطع الطريق وأسر النساء في الحروب الدائمة بين القبائل، والتي كانوا يسمونها **أيام العرب**. فيوم العربي العادي كان حرباً. وحاول محمد في أول دعوته وأيام ضعفه أن يكون متسامحاً مع الآخرين ويدعوهم إلى عبادة إله واحد بدل عدة أصنام، لكل قبيلة صنمها الخاص. ولكن بمجرد أن استقر الأمر له في المدينة، غلبت الطبيعة التطبع ***فجعل*** *محمد إلهه كإله اليهود* يأمر بالقتل وضرب الرقاب واستعباد النساء والأطفال وقتل الرجال. وبما أن حياة الصحراء القاسية علمتهم أن قوة الرجل في عشيرته وأولاده الصبيان، فقد جعل العرب إلههم يبيح لهم الزواج بأربعة نساء في وقت واحد وسهّل عليهم الطلاق حتى يستبدلوا الأربعة زوجات متى شاؤوا، ثم أباح لهم مضاجعة الإماء بلا عدد حتى ينجب الرجال أكبر عددٍ من الصبيان الذين هم عز الرجل وعز قبيلته. وأخرجوا أحاديث مثل: [**تناكحوا تناسلوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة.**] وقال لهم القرآن: {**إنا خلقناكم شعوباً وقبائل**}.

وبما أن العرب قبل الإسلام كانوا يعبدون الأصنام كوسيلة توصلهم إلى الله البعيد عنهم في السماء، وكان لهم كهانٌ يخبرونهم بما يكنه لهم الله في الغيب، فقد جعل المسلمون لأنفسهم كهاناً يوصلونهم إلى ربهم بعد أن مات صلتهم الوحيد الذي كان يتلقى الوحي من الله. ***وجعل*** *المسلمون من أصحاب النبي كهاناً وأولياء معصومين عن الخطأ في القول والفعل* رغم أن تاريخهم مليء بالأخطاء الفاحشة.

ومع مرور الزمن وبعد المسلمين عن الوحي والاتصال بإلههم في السماء، جعلوا من كهنة الصحابة آلهة جديدة معصومة، وأصبح نقد رجال الدين عامةً والصحابة خاصةً جريمة تؤدي إلى الكفر المباح الذي لا عقاب له غير القتل والدمار.

وقد رأينا كيف هبت جموع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها تصرخ بالهتاف ضد الدنمارك وإسرائيل وتحرق المتاجر والسيارات وحتى الكنائس، انتقاماً من رسام الكاريكاتير الذي أساء إلى سمعة نبي الإسلام الذي أصبح بالنسبة لهم إلهاً أخراً يتبركون بشرب بوله ولعق بصاقه.

وكان لا بد لهذا الإله الجديد من كهنة يتصلون به نيابةً عن العامة، فجعل الشيعة من الخليفة علي بن أبي طالب إماماً بل قال بعضهم إنه إله وقال آخرون إن جبريل أخطأ في الرسالة وأعطاها محمد بدل علي الذي كان المقصود بالرسالة. *وما دام الخليفة علي أصبح إماماً فلا بد أن يكون أحفاده أئمة من بعده*، تماماً كما فعل إله اليهود عندما جعل الرسالات كلها وراثة محصورة فيهم. فأصبح الأحفاد الذين بعدوا عن النبي بعدة أجيال كهنةً يتصلون بالإله وينقلون عنه مشيئته إلى عباده من الشيعة. **ولذا أصبح هؤلاء الكهنة معصومين عن الخطأ**.

ولما بعد عهد الصحابة المعصومين عن مسلمي اليوم وبعد أئمة الشيعة بعد غيبة الإمام الثاني عشر، وأصبحت كتبهم الصفراء لا تثير في المسلمين نفس الخشية والخوف من الله، *نقل المسلمون وظيفة الكهنوت إلى رجالات الدين*. فأصبح رجال الدين الشيعة أئمة مثل الإمام الخميني، الذي تسبق اسمه عدة ألقاب مثل (سماحة حجة الإسلام والمسلمين سيد العلماء والمجتهدين رئيس الملة والدين آية الله العظمى ومولانا الأعظم الحاج روح الله الموسوي الخميني). ومادام الإمام الخميني روح الله فهو كالله لا يجوز نقده. وعندما تجرأ أحد رسامي الكاريكاتير في البحرين وانتقد أحد الآيات العظمى، اعتصم أكثر من أربعمائة شخص أمام مبنى جريدة الأيام في العاصمة البحرينية المنامة احتجاجا على ذلك الرسم الكاريكاتيري الذي نشرته جريدة الأيام على صفحتها الأخيرة في عددها الصادر يوم الاثنين 27 يونيو 2005 عن الانتخابات الإيرانية الأخيرة، واعتبره المحتجون البحرينيون إهانة موجهة لمرشد الجمهورية الإسلامية السيد على خامنئي. وأصدر عدد من علماء الدين الشيعة في إيران والبحرين بيانات استنكار لذلك العمل الذي فيه استفزاز للطائفة الشيعية حيث أصدر مكتب الشيخ حسين النجاتي، أحد علماء البحرين بيانا استنكر فيه ما ورد في جريدة الأيام البحرينية حول رسمٍ كاريكاتوريٍ أساء فيه لسماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد علي الخامنائي " دام ظله" .جاء فيه:

"قد ورد في جريدة الأيام العدد (5952) الأثنين - 20/ جمادى الأولى / 1426 هـ – الموافق 2005/6/27م، رسماً كاريكاتورياً انتهكت فيه حرمة المرجع الديني الكبير سماحة السيد علي الخامنئي (دام ظله)، مما لا يمكن أن يكون له أية صلة بالعمل الصحافي و الإعلامي و الآداب الواجبة الرعاية في ذلك، إننا نستنكر هذا العمل وندينه و نطالب بمسائلة المسؤولين عنه وإدانتهم، كما إننا نطالب باعتذار الجريدة رسمياً عن هذا العمل غير الأخلاقي و غير الإسلامي و الذي يرفضه كل مسلم يحترم مبادئ الدين و أصوله و أخلاقياته، ومن الواضح أن هذا العمل أقل ما يقال فيه أنه هتك لحرمة وكرامة الإنسان المسلم ، وهو من المحرمات الواضحة في الشريعة، فضلا عن أن من انتهكت حرمته يعد من كبار علماء المسلمين ومراجع الدين الذين لهم حرمتهم وكرامتهم الخاصة بهم."[1]

فأي نقد لسماحة الكاهن الشيعي، رغم أنه أصبح سياسياً يدير دفة الحكم في البلاد، يُعتبر شيئاً غير أخلاقي لا يقبله أحد من المسلمين، ويحط من كرامة المسلم التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالدين الذي هو من عند الإله. ونلاحظ هنا كثرة الألقاب التي سبقت اسم السيد علي خامنئي، فهو(سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد). فإذا كان لله في الإسلام تسعة وتسعون اسماً وللنبي كذلك تسعة وتسعون صفة، وللإمام الخميني أكثر من عشرة ألقاب، فلا أظن أن خمسة أو ستة ألقاب وإضافة (دام ظله الوارف) بعد اسمه تُعتبر مبالغة من الشيعة.

وشيعة لبنان لا يقلون حماساً عن شيعة البحرين في تأليه رجال الدين، فبعد أن حرقوا السفارة الدنماركية والمتاجر المجاورة عندما تظاهروا احتجاجاً على الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة لنبي الإسلام، قرروا قطع طريق المطار فتظاهر آلاف المواطنين اللبنانيين الموالين لحزب الله اللبناني ليلة الخميس الأول من يونيو، على طريق مطار بيروت احتجاجا على بث المؤسسة اللبنانية للإرسال (ال

[1] إيلاف 28 يونيو 2005.

بي سي) برنامجا ساخرا تناول الأمين العام للحزب حسن نصرالله. كما شهدت مناطق لبنانية مختلفة تظاهرات مشابهة أطلقت خلالها الصيحات وحرقت إطارات السيارات... وحتى طلبة الجامعة الذين يُفترض فيهم العلم والعقل، قد تظاهروا ونفذ طلاب كلية العلوم، الفرع الخامس في النبطية، اعتصاما احتجاجيا على ما تناوله برنامج "بس مات وطن" من المؤسسة اللبنانية للإرسال لشخص الأمين العام لـ "حزب الله" السيد حسن نصرالله .وتجمع المعتصمون في باحة الكلية رافعين الأعلام اللبنانية وصوراً للسيد نصرالله ولافتات تنتقد البرنامج. وألقيت كلمات أكدت الرفض والاستنكار لهذا التطاول،

"ولتؤكد انه لا يمكن لأحد أن ينال من رمز شريف بمثابة السيد نصرالله". ورأى المتحدثون انه "بعد فشل الضغوط على المقاومة وسلاحها، رأينا بالأمس محاولة للنيل من قدسية وهيبة رمز هذه المقاومة"،

وطالبت بوقف هذا البرنامج الذي

"كاد أن يوصل إلى كارثة لولا حكمة السيد نصرالله."[2]

فالتطاول على الكاهن الجديد الذي تخصص في السياسة، رغم قدسيته، يُعتبر تطاولاً على الإسلام والمسلمين. وحتى *المجلس الوطني للإعلام*، الذي مهمته الأساسية هي الدفاع عن حرية الإعلام، لم يتحمل المساس بالإله الجديد، فأصدر عضو المجلس الوطني للإعلام المرئي والمسموع غالب قنديل البيان التالي:

"إن ما شهدته مناطق لبنانية عدة مساء أمس من تحركات شعبية غاضبة احتجاجا على التعرض لسماحة السيد حسن نصرالله في برنامج تلفزيوني ساخر، يمثل تعبيرا عن ذروة الخطر الذي يثيره العبث السياسي والإعلامي المنفلت من جميع الضوابط والأطر القانونية والأعراف المهنية، وهو ما سبق لنا التحذير منه مرارا على امتداد السنة الماضية."[3] أما الشيخ عفيف النابلسي، رئيس هيئة علماء جبل عامل فقد قال:
"التعرض الى مقام الامين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله هو إهانة للشعب اللبناني بأسره وللمسلمين والأحرار الذين يرون في شخصه ودوره وفكره وجهاده، صورة حية عن العظماء والقادة الصالحين".

واعتبر

"أن أهل الدين والورع والجهاد خط أحمر لا يجوز المس به أبدا."[4]

فهذه القدسية والخطوط الحمراء التي لا يجوز تجاوزها تنبئ أن الرجل قد فاق درجة الكاهن وأصبح إلها. ألا يثبت هذا أن الإنسان قد خلق الإله؟

والمسلمون السنة الذين لم يتسن لهم خلق آيات الله عظمى، *قد اكتفوا بأن ألهوا* حكامهم *وقباب موتاهم من الأولياء الصالحين*، وجعلوا رجالات الدين من أمثال الشيخ القرضاوي والشيخ طنطاوي كهنة وحراس هذه الأضرحة، *والداعين لطاعة ولي الأمر الإله الوراثي*.

- والمسلمون ليسوا الوحيدين الذين خلقوا وما زالوا يخلقون الآلهة، فالسادة الهنود الذين يبلغ تعدادهم ربع سكان العالم، *والذين تجاهلهم إله السماء تجاهلاً تاماً*، خلقوا لأنفسهم إلهاً جعلوا روحه تتقمص الأبقار، فعبدوها.
- والصينيون الذين *تجاهلهم إله السماء كذلك* خلقوا لأنفسهم عدة آلهة يعبدونها.
- وشباب اليوم في الغرب "الملحد" أصبحت لا تهمهم الكنيسة كما كانت تهم آباءهم الذين خلقوا الإله القديم، فخلقوا لأنفسهم آلهة جديدة تتمثل في *نجوم الغناء والموسيقى* مثل "الفس برسلي" الذي يحج إلى منزله في "ممفس" آلاف المؤمنين به ليصلوا ويبكوا على قبره في عيد ميلاده من كل عام. فالحج لا يقتصر على مكة وكربلاء وقُم فقط.
- وهناك الأميرة "ديانيا" الانـگليزية التي كان لها أتباع في جميع أنحاء العالم، بما في ذلك أفريقيا المظلمة، ولذلك فقد الشباب أسباب الحياة بعد موتها ومنهم من قتل نفسه.

وعليه لا يخامرني أي شك أن السماء خاليةٌ من السكان، وأن الإنسان الحديث خلق الآلهة كما خلقهم قبله السومريون وقدماء الإغريق وجميع القبائل البدائية التي صنعت **الطواطم** وروت قصص الميثولوجيا العديدة عن تشاجر الآلهة في السماء، وعن سكرهم وعربدتهم، تماماً كما كان يفعل القدماء أنفسهم. فهم قد خلقوا آلهةً في صورتهم. وقد حاول الفلاسفة القدماء مثل أرسطوطاليس أن يثبتوا وجود الإله بالمنطق وقالوا إن العالم لا بد أن يكون له "محرك أساسي Prime Mover "ثم تفككت هذه النظرية بمرور الزمن إلى أن جاء أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (ت 930 م) وقال إن المادة لا يمكن أن تأتي من الروحانيات. وأخيراً قال إن فكرة الإله الخالق لا يمكن أن تتصالح مع العقل. وأيده في ذلك أبو نصر الفارابي، وكلاهما كافر مرتد في نظر حجة الإسلام الغزالي.

فالإنسان هو الذي خلق الإله وما زال يخلق آلهة جدداً بأسماء مختلفة، رغم أن العقل هو الإله الذي يجب أن نعبده.

عودة إلى الفهرس

[2] إيلاف 2 يونيو 2006.
[3] نفس المصدر.
[4] شفاف الشرق 2 يونيو 2006.

2006 / 6 / 8

12 - الشيخ القرضاوي والتلاعب بالألفاظ

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=66951

الشيخ القرضاوي في أغلب الأحيان يتجاهل عقول المسلمين المصلين في مسجده ويخاطب عواطفهم ليستدر حماسهم. ففي خطبة الجمعة الموافق 2 يونيو 2006 حاول أن يشرح للشباب المحبطين الذين سألوه: لماذا ينصر الله الكفار على المسلمين، فكان شرحه تلاعباً بالألفاظ في الفرق بين المسلم والمؤمن، فقال:

> "قلت ما أسئلتكم، قالوا: ألسنا على الحق، قلت بلى، وأليس أعداؤنا على الباطل، أليس الله هو الحق؟ أليس هو الذي يحق الحق ويبطل الباطل؟ بلى، أليس هؤلاء اليهود والصهاينة والأمريكان على الباطل... قلت بلى، قالوا: فلماذا ينتصرون علينا، وننهزم كل يوم ونرى أمتنا هي المضروبة وهي المقهورة المكسورة، هي التي تسفك دماؤها، وتنتهك حرماتها، وتدمر بيوتها، وتخرب مساجدها، ألا ترى هذا الذي يحدث في بلاد المسلمين؟ فأين نصر الله؟ لماذا ينصر الله الكافرين ويخذل المسلمين؟" انتهى.

وقد أكثر القرضاوي من استعمال كلمة "الحق" الذي حصره في المسلمين فقط. إن الله هو الحق وإن المسلمين على حق وغيرهم على الباطل. *وهنا استحوذ القرضاوي على الله فجعله ملكاً للمسلمين فقط*. فمَن هو الله الحق الذي لم يتبعه إلا المسلمون؟

- ألم يقل القرآن للمسلمين عندما يخاطبون أهل الكتاب: {**وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون.** (العنكبوت 46)}
- ألم يقل القرآن عندما تحدث عن فرعون: {**قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين.** (يونس 90)}.
- ألم يقل القرآن للنبي محمد: {**فلذلك فادع واستقم كما أُمرتَ ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير.** (الشورى 15)}.

فجميع هذه الآيات تقول إن إله المسلمين وإله أهل الكتب هو نفسه، *فبأي حق يدعي القرضاوي بأن غير المسلمين على الباطل وأن إلههم ليس الحق*؟ فالحق كالحقيقة، هو شيء واحد ولكن الناس يعطوه عدة أسماء.

وللإجابة على أسئلة الشباب المحبطين بالهزائم المتتابعة، قال القرضاوي:

> "إن الله تعالى في كتابه، لم يجعل النصر للمسلمين، وإنما جعل النصر **للمؤمنين**، فإذا كنا نطلب النصر، فلنبحث عن شروط النصر، عن موجباته، لماذا نستحق النصر، أبمجرد أن نقول لا إله إلا الله، محمد رسول الله؟ أبمجرد إعلاننا الإسلام نستحق النصر؟ ونحن لا نراعي سنن الله، ولا نطبق شريعة الله، ولا نقيم حدود الله، ولا نلتزم بما أنزل الله؟ لا، إذا كنا نريد الله فلنبحث عمّن يستحق نصر الله." انتهى.

فالقرضاوي هنا لا يختلف عن **شيخ أمي جاهل** يقول إن التسونامي الذي ضرب إندونيسيا كان بسبب غضب الله عليهم لفسقهم والسماح للسياح بالعربدة على بلاجاتهم (شواطئهم). *فالشيخ القرضاوي يعزي هزائم المسلمين المتكررة لعدم تطبيقهم الشريعة ولعدم تطبيقهم حدود الله*. فما دام المسلمون هم الذين على حق وهم الذين يؤمنون بالله الحق، فكيف نفهم أن الله الحق يفضل أن ينصر الذين لا يؤمنون به على الذين يؤمنون به ولكنهم لا يطبقون كل شريعته؟

ويحاول القرضاوي اللعب بالألفاظ *فيصبح كمن يريد أن يشق شعرةً*، فهو يقول إن الله وعد **المؤمنين** بالنصر ولم يعد المسلمين. **فما الفرق بين المسلمين والمؤمنين؟**

الإيمان هو التصديق والاعتقاد بشيء ما. ولذلك القرآن يخاطب المسلمين ب: {**يا أيها الذين آمنوا**} ولا يقول يا أيها الذين أسلموا. آية واحدة فقط فرقت بين المسلم والمؤمن: {**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً.** (الحجرات 14)}. والقرآن عندما يتحدث عن الأعراب يعني **البدو** الذين كانوا يمكرون على محمد ولم يصدقوا به إنما تظاهروا بذلك، فسماهم (**المنافقون**). ولذلك قال: {**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا.** (الحجرات 15)}. *فالارتياب والشك هو الفارق الوحيد بين المسلم والمؤمن*. فالمسلم الذي لا يرتاب في النبي وفي رسالته فهو مؤمن، سواء طبق الشريعة أم لم يطبقها. ولذلك عندما هربت بعض النسوة من مكة إلى المدينة لاتباع دين الإسلام قال القرآن للمسلمين:

> {**يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار.** (الممتحنة 10)}.

فهل هؤلاء النفر من النساء اللاتي سمعن بمحمد وهاجرن إليه في المدينة كنّ يقمن الشريعة ويخرجن الزكاة؟ فهن لم يسلمن بعد ومع ذلك سماهن الله "**المؤمنات**". وقال للمسلمين (**إن علمتموهن مؤمنات**)، فكيف يعلمون أنهن مؤمنات في ظرف ساعات بسيطة؟ ألا يكون ذلك بنطق الشهادة والقول بقبول رسالة محمد؟ ولذلك أجد سؤال الشيخ القرضاوي:

> "أبمجرد أن نقول لا إله إلا الله، محمد رسول الله؟ أبمجرد إعلاننا الإسلام نستحق النصر؟"

سؤالاً غريباً. والجواب لا بد أن يكون بالإيجاب لأنه لا فرق بين المسلم والمؤمن، والله قد وعد المؤمنين النصر. وعندما سُئل الرسول عن معنى الإيمان قال: [**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**][1]. وكل المسلمين يؤمنون بهذه الأشياء، فهم إذاً مؤمنون. والإيمان هو عكس الشك، ولذلك لما سأل إبراهيم الله أن يريه كيف يحيي الموتى، قال له الله: {**أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي**}. فالله هنا لم يقل لإبراهيم: ألم تُسلم، وإنما قال له: أو لم تؤمن؟ وكان رد إبراهيم: {**ليطمئن قلبي**}. وقد أكد النبي أن المسلم مؤمن عندما كتب لبنات قيلة: [**لا يظلمن حقاً ولا يُكرهن على منكر وكل مؤمن مسلم لهن نصير**][2]. وقد أخرج هذا الحديث الطبراني وأخرج البخاري طرفاً منه.

> ونرى هنا أن النبي قال: كل مؤمن مسلم، ولم يقل كل مسلم مؤمن، مما يوحي بأن كل المسلمين مؤمنون وهناك مؤمنون غير مسلمين من الذين آمنوا بموسى أو عيسى.

وعندما هاجر النبي إلى المدينة، كان جزء كبير من أهلها يراودهم الشك في صحة رسالة محمد، فقال له القرآن:

> {**وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين.** (التوبة 101)}.

ومع ذلك نَصَر الله هؤلاء المسلمين الذين مردوا على النفاق، عندما حاصرتهم الأحزاب، فقال لهم القرآن:

---

[1] أبجد العلوم للقنوجي.

[2] الإصابة لابن حجر العسقلاني، كتاب النساء، حرف القاف.

{وردّ الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفي الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً. (الأحزاب 25)**}.**

فالله قال عن أهل المدينة (**المؤمنين**) رغم أنه كان قد قال إنهم مردوا على النفاق ولكن لأنهم أظهروا الإسلام نصرهم على الكافرين. وتعريف المؤمن في الأحاديث لا يفرّق بين المسلم والمؤمن. ففي حديث النبي عن الله، نجده يقول قال الله:

[أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مُطرنا بنوء كذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب][3].

فعباد الله إما مؤمن به وإما كافر به، والمسلم مؤمن به وهو لذلك مؤمن ويجب على الله نصره كما وعد.
ثم يقول القرضاوي:

"هو الأول فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء، والله هو الحق، ومن سنته أن ينصر الحق... كل مَن يتمسك ويؤمن بالحق، ومَن يدعو إلى الحق وكل مَن يدعو في سبيل الحق فهو منصور لا محالة من الله {**وما النصر إلا من عند الله.** **إن الله عزيز حكيم**} ومَن طلب النصر من غيره فلن يناله، إذا نصرك الله، فلن يهزمك أحد ولو اجتمعت عليك الدنيا بأقطارها، {**إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون**}" انتهى.

فإذا كان من سنة الله أن ينصر الحق فإن الأمريكان والانـگليز على حق لأنهم ظلوا ينتصرون منذ عشرات السنين، وآخر نصرهم كان في العراق، وفي أفغانستان ضد حكومة الطالبان التي طبقت الشريعة كما كان يطبقها الخلفاء الراشدون، وضد صدام حسين المسلم المؤمن. وقد قال القرضاوي *وما النصر إلا من عند الله* .ولماذا لا ينتصرون وهم أتباع عيسى بن مريم الذي تعهد له الله أن يجعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا به إلى يوم القيامة:

{إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك مِن الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة. (آل عمران 55)**}.**

وإذا كانت سنة الله نصر الحق وقد قال للمسلمين:

{لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا يُنصرون. (آل عمران 111)**}.**

فلماذا لم ينصر نبيه يوم **أُحد** عندما ولى أصحابه الأدبار بدل أن يولي المشركون الأدبار كما وعد الله المسلمين. وكيف سمح الله، الذي ينصر الحق، للمشركين أن يكسروا رباعية[4] رسوله ويشجوا وجهه وكادوا يقتلوه؟ ألم يكن النبي ومَن كان حوله مؤمنين وقد وعد الله أن ينصر المؤمنين؟ فإذا كان الله لم ينصر نبيه في **أُحد** وهو يملك الملايين من الملائكة الذين كان من الممكن إرسالهم لنصرته، كيف نتوقع منه أن ينصر المسلمين الآن، حتى وإن أقاموا الشريعة والحدود وأصبحوا "مؤمنين" كما يقول الشيخ القرضاوي؟ وما دام النصر من عند الله والله قد قال: {**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.** (الحج 40)}، <u>فلا بد أن الأمريكان ينصرون الله ولذلك هو ينصرهم.</u>

فقه النصر

قال الشيخ القرضاوي:

"هكذا جرت سنة الله فيمن قبلنا، ولكن سنته في هذه الأمة ألا ينصرها إلا بجدها وعملها وجهادها، النصر للمؤمنين، إن الله لم يقل إني ناصر المسلمين، وإنما قال:
{**إنا ننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا**}،
و{**كان حقاً علينا نصر المؤمنين**}،
{**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**}،
{**إن الله يدافع عن الذين آمنوا**}،
{**ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً**}...
هذه وعود الله، ووعود الله لا تخلف {**إن الله لا يخلف الميعاد**}، لأن الذي يخلف وعده إما عاجز عن تحقيق وعده وإما أن يكون كاذباً... والله لا يكذب ولا يعجز... *وعد الله المؤمنين ولم يعد المسلمين*... فهل نحن مؤمنون حقاً؟
هل حققنا أوصاف المؤمنين كما جاءت في القرآن؟
هل نحن المذكورون في أول سورة الأنفال {**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون**}،
وهل نحن المؤمنون المذكورون في سورة المؤمنون {**قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون. والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون...**}
هل نحن المؤمنون الذين حكّموا ما أنزل الله في حياتهم، حكموا القرآن والسنة {**فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما**}،
هل القرآن والسنة محكّمان في حياتنا؟ هل نحن نقيم شرع الله كما يجب؟" انتهى.

ونلاحظ تلاعب الشيخ القرضاوي بالألفاظ هنا، فالقرآن يقول: {**إنا ننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا**} فالقرآن هنا لا يقول النصر للمسلمين، وإنما قال ننصر رسلنا والذين آمنوا، أي آمنوا برسلنا. وبما أن المسيحيين يؤمنون بعيسى وهو رسول الله فلا بد أن ينصرهم الله لأنهم مؤمنون. وكذلك يقول القرآن: {**وكان حقاً علينا نصر المؤمنين**} والمسيحيون مؤمنون بعيسى ولذلك كان نصرهم حقاً على الله.

وما دام الله يدافع عن الذين آمنوا، كما تقول الآية، لماذا يصم آذاننا الشيخ القرضاوي وأمثاله بطلب الجهاد من المسلمين في حين أن الله يدافع عن الذين آمنوا؟ فالله ليس بحاجة لجهادهم.

ويسأل القرضاوي:

"هل نحن المذكورون في أول سورة الأنفال {**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون**}؟"

فلا بد أن الشيخ القرضاوي والشيخ طنطاوي وبقية الشيوخ الذين يملأون الفضائيات بفتاواهم، توجل قلوبهم لذكر الله وعلى ربهم يتوكلون، وعلى فروجهم حافظون، فإذا كان كل الشيوخ في الدول الإسلامية كذلك فلا بد أن نجد حوالي مليونين من هؤلاء الذين توجل قلوبهم من شيوخ مصر والسودان وباكستان وبنـگلاديش وبوركينا فاسو والنيجر والصومال، حتى بدون السعودية ودول الخليج. فإذا

[3] أبجد العلوم للقنوجي.

[4] الرباعية هي الأربعة أسنان القواطع في الفك الأعلى.

وجدنا مليونين فنستطيع أن نهزم إسرائيل التي لا يزيد سكانها عن أربعة ملايين لأن الله قد قال للنبي بعد أن علم أن فيهم ضعفاً: {**فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين.** (الأنفال66)}. وهذا وعد من الله والله لا يخلف الميعاد.
أما إذا كانت أمة المليار مسلم ليس بها مليونان من المؤمنين فعلى الدنيا العفاء ويجب أن نُغلق جميع المساجد ومراكز الإفتاء والفضائيات لأن مواعظهم وفتاواهم ذهبت مع الزبد الذي لا ينفع الناس.

? ولدينا سؤال للشيخ القرضاوي:

بما أن المؤمن هو مَن يطبق الشريعة والحدود، وبما أن مَن لا يحكم بما أنزل الله فقد ضل ضلالاً بعيدا، وبما أن فقهاء الإسلام قد قالوا: خير الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، فهل نصح الشيخ القرضاوي سمو أمير دولة قطر بتطبيق شرع الله، فيكون قد أدى جهاد الله؟ أم اتبع التقية؟

نقول للشيخ القرضاوي ولبقية الشيوخ "كفاية" قد طفح الكيل ومل الناس من الخطب الجوفاء والتلاعب بالألفاظ، وما سببُ تخلف وضعف الأمم الإسلامية إلا الشيوخ وإسلامهم الملئ بالنفاق.
فالقرآن يقول لنا:

- {قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها} ويقول
- {إن الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم}.

فهل يعرف الشيخ القرضاوي أي شيخ فقير لا يملك بضعة ملايين في البنوك؟

عودة إلى الفهرس

101 - الشيخ القرضاوي وإنكار الحقائق المؤلمة

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=129678

- الشيخ يوسف القرضاوي الذي جمع ملايين الدولارات من وراء الدين الإسلامي، **أراد أن يبريء الإسلام من كل التهم التي كالتها له الدكتورة وفاء سلطان**، فقال، على ڤيديو معروض على "تلفزيون ميمري، MEMRI Tv":

> "كثير من الأخوة اتصلوا بي، من الداخل والخارج، ومن الخارج أكثر، وهي قضية معروفة - قضية الاتجاه المعاكس، والمرأة التي اتهمت الإسلام والمسلمين وسبت الله ورسوله والأمة الإسلامية، وكانت جريئة على كل شيء. لقد تفرجت على الحلقة على شريط. شيء يقشعر له جلد الإنسان، وهو مبني على جهل. ماعندها علم. لا تعرف القرآن ولا السنة. واستدلت بحديث [**إن رزقي تحت حد سيفي**] هذا حديث ضعّفه العلماء. القرآن يُحرّم قتل النفوس {**مَن قتل نفساً بغير نفس أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً**}. وكل الغزوات التي قام بها رسول الله (ص) كان هو المجني عليه. والرسول لم يرتزق من السيف" انتهى.

✍ وكعادة الإسلاميين، فقد رمى الشيخ القرضاوي الدكتورة وفاء سلطان **بالجهل**، وحتى يزيد من احتقاره لها، لم يكلف نفسه ذكر إسمها أو لقبها، وإنما اكتفي بالقول (المرأة التي اتهمت الإسلام) كأنما هي امرأة نكرة أو المرأة الوحيدة في العالم التي اتهمت الإسلام. فالشيخ أراد أن يجعل من الدكتورة نكرة لا إسم لها، وهي علمٌ في رأسه نارُ. فهل حقيقةً كانت الدكتورة جاهلة، وكان الحديث الذي ذكرته ضعيفاً؟

☜ الدكتورة قالت إن الحديث يقول: [**جُعل الله رزقي تحت ظل سيفي**]

✍ وفي الحقيقة فإن الحديث يقول: [**بُعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري**]. والحديث مروي عن ابن عمر. فهل هناك فرق بين أن يكون رزقه تحت ظل سيفه أو تحت ظل رمحه؟ وهل الحديث ضعيف كما يقول الشيخ القرضاوي؟

- يقول الإمام المناوي:

> *"[وجعل رزقي تحت ظل رمحي] قال الديلمي: يعني الغنائم وكان سهم منها له خاصة (للنبي) يعني أن الرمح سبب تحصيل رزقي. قال العامري: يعني أن معظم رزقه كان من ذلك وإلا فقد كان يأكل من جهات أخرى غير الرمح كالهدية والهبة وغيرهما"* [1].

فالقول واضح هنا أن النبي كان يرتزق من الغنائم التي كسبها عن طريق رمحه.

- ويقول الإمام العجلوني:

> *"رزقي تحت ظل رمحي. رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني والبيهقي والحكيم الترمذي عن ابن عمر رفعه"* [2].

فالحديث رواه مشاهير أهل الحديث وقالوا إنه مرفوع عن ابن عمر، أي أن ابن عمر سمعه من محمد شخصياً.

- والمتقي الهندي يأتي بحديث شبيه بهذا في كنز العمال، فيقول:

> *[إن الله عز وجل بعثني بالهدى ودين الحق ولم يجعلني زراعا ولا تاجرا ولا سخابا بالأسواق وجعل رزقي في رمحي]* [3].

فالنبي يشكر لله أنه لم يجعله مزارعاً أو تاجراً إنما جعل رزقه تحت ظل رمحه.

- ويقول الحافظ الهيثمي:

> *"عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:* [**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله تعالى وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري**]. *رواه الطبراني وفيه عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وثقه ابن المديني وأبو حاتم وغيرهما وضعفه أحمد وغيره، وبقية رجاله ثقات"* [4].

فلم يقل أحد من جميع هؤلاء الفقهاء إن الحديث ضعيف. أحمد بن حنبل قال إن ابن ثوبان ضعيف، بينما قال عنه آخرون إنه ثقة. وبقية إسناد هذا الحديث كلهم ثقات، فليس من المعقول أن يرووا حديثاً ضعيفاً.

- وحتى أحمد بن حنبل نفسه روى الحديث:

> *"حدثنا عبد الله حدثني أبي حدثنا محمد بن يزيد يعني الواسطي أنبأنا ابن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:* [**بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم**]" [5].

- ونجد نفس الحديث في ‹السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية› لابن تيمية، باب الأموال. وكذلك في ‹زاد المعاد لابن القيم الجوزية، ج1، المقدمة›. وفي ‹الإصابة لابن حجر العسقلاني، ج5، حرف العين، حديث 6703›.
- وحتى البخاري نفسه ذكر الحديث في صحيحه ولم يقل إنه ضعيف (صحيح البخاري، ج2، كتاب الجهاد، باب ما قيل في الرماح). وقال في شرح الحديث:

> *"أي جعل الله تعالى كسبي ومعاشي من الغنيمة وهي لا تُنال إلا بالجهاد."*

فإذاً قول الشيخ القرضاوي إن الحديث ضعفّه العلماء، قول لا تسنده المصادر، ولكنها حجة الإسلاميين في كل حديث يكشف نقاط الضعف في الإسلام.

- ونأتي الآن إلى النقطة الثانية التي ذكرها الشيخ القرضاوي حينما قال:

إن النبي لم يرتزق من السيف.

---

[1] فيض القدير، شرح الجامع الصغير، ج3، حرف الباء، حديث رقم 152.

[2] كشف الخفاء للإمام العجلوني، حرف الراء، حديث 1389.

[3] كنز العمال، ج11، حديث رقم 32091.

[4] مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي، ج5، كتاب الجهاد، حديث 9379.

[5] مسند الإمام أحمد، الجزء الثاني.

✍ فنحن نعلم أنه عندما هاجر إلى المدينة كان معدماً لدرجة أنه رهن درعه عند أحد التجار اليهود ليشتري طعاماً لأهله، وفي أول سرية، وهي سرية عبد الله بن جحش، هجمت السرية على قافلة من قوافل قريش وقتلوا عمرو بن الحضرمي وأسروا الآخرين والعير، وكان نصيب النبي من هذه السرية أسيرين وبعض العير.

ثم نزل القرآن بعد غزوة بدر ليقول للنبي: {**يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول**}. فأصبحت **الأنفال** أي الغنائم كلها للرسول. ثم أصبح الخمس فقط للرسول.

ثم في السنة الرابعة غزا بني النضير وحاصرهم ونفاهم إلى خيبر، فتركوا مزارعهم ونخيلهم خالصة للنبي لأن الخيل لم توجب عليها[6].

وعندما قتل النبي رجال بني قريظة أخذ خمس مالهم ونسائهم وبعث سعيد بن زيد بالسبايا إلى نجد ليبيعهن ويشتري له بهن سلاحا.

والغنيمة الكبرى كانت عندما غزا خيبر واستحوذ على **فدك** من اليهود وصالحهم على أن يزرعوها ويحصدوها ولهم النصف والنصف الآخر لمحمد (**قبيلة كاملة تزرع وتحصد أرضها ولها النصف، ومحمد له النصف الآخر لأنه غزا خيبر**). واستمرت **فدك** ملكاً خالصاً له ولأهل بيته حتى زمن عمر بن عبد العزيز[7].

فليس هناك أدنى شك أنه كان يرتزق من الغنائم. ولذلك قال في حديث آخر: [**أمرت أن أقاتل الناس**]، وقال كذلك: [**نُصرت بالرعب مسيرة شهر**].

- أما قول الشيخ القرضاوي:

إن النبي في جميع الغزوات كان هو المجني عليه،

✍ **قول قد جانب الحقيقة**

- لأن القبائل العربية وخاصةً ثقيف في الطائف لم يهجموا عليه ولم يحاربوه إنما غزاعم هو ورماهم بالمنجنيق.
- وكذلك الحال بالنسبة للروم في تبوك
- والنصارى في دومة الجندل.

فلم يحدث قط أن هاجم النصارى محمد ولم يهاجمه الروم. وهو المنصور بالرعب مسيرة شهر، فكيف يكون هو المجني عليه؟

✍ وإذا كان الرسول لم يرتزق من الرمح والسيف، **ماذا كان يفعل بتسعة أسياف هي ملكه الخاص؟** يخبرنا ابن القيم الجوزية أن النبي كانت له تسعة أسياف:

"فصل في ذكر سلاحه وأثاثه صلى الله عليه وسلم. كان له تسعة أسياف: مأثور، وهو أول سيف ملكه، ورثه من أبيه. والعضْب، وذو الفقار، بكسر الفاء، وبفتح الفاء، وكان لا يكادُ يُفارقه، وكانت قائمته وقبيعتُه وحلقتُه وذؤابته وبكراتُه ونعلُه مِنْ فضة. والقلعي، والبتّار، والحتف، والرَّسوب، والمِخْذَم، والقضيب، وكان نعلُ سيفه فضةً، وما بين ذلك حلق فضة. وكان سيفه ذو الفِقار تنفَّله يوم بدر، وهو الذي أُري فيها الرؤيا، ودخل. يوم الفتح مكة وعلى سيفه ذهب وفضة. وكان له سبعة أدرع". [8]

فالتاريخ لم يذكر لنا أن موسى أو عيسى كان له سيفٌ واحد، ناهيك عن تسعة.

✍ والشيخ كغيره من الإسلاميين **اختار آية فريدة وانتزعها من سياقها ليبرهن بها على أن الإسلام دين سلام**. والشيخ لم يذكر الآية كلها، إنما قال:

القرآن يقول: {**مَن قتل نفساً بغير نفس أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً**}.

ونسي الشيخ أو تناسى أن يقول إن الآية الكاملة تقول:

{**ومن أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا.** (المائدة 5)}.

فإذاً الآية كانت تخص بني إسرائيل وليست خاصة بالإسلام. والشيخ القرضاوي لا شك يعلم أن القرآن **"سوبرماركت"**، كما قال الدكتور المصري حسن حنفي، *فمقابل هذه الآية نستطيع أن نأتي له بعشرين آية تحض على قتل النفوس بدون أي فساد في الأرض، فقط من أجل أنهم لم يؤمنوا* بمحمد. ولن أثقل على القاريء بذكر العشرين آية التي تحض على قتال الكفار، ويكفي أن أذكر له الآية التي جاءت عن المسلمين الذين رفضوا أن يشتركوا في الغزوات، وسماهم النبي "المنافقون" وجاء فيهم:

{**ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيرا.** (النساء 89)}.

فأين الفساد في الأرض هنا؟ فقط لأنهم رفضوا الاشتراك في الغزوات أوصى القرآن بأخذهم وقتلهم حيث كانوا. أين الشرط {**مَن قتل نفساً بغير نفس أو فسادٍ في الأرض**}؟

- والشيخ القرضاوي لا يختلف عن بقية الإسلاميين الذين يعتقدون أن **الهجوم على اليهودية والمسيحية يعزز من موقف الإسلام**، ولذلك قال في هجومه على الدكتورة:

"التوراة تقول عن الأرض البعيدة "**اضربوا جميع ذكورها بحد السيف**". لم يستثنِ شيخاً ولا طفلاً. أما عن الأرض القريبة - فلسطين- تقول "أبيدوها عن بكرة أبيها لا تستبقوا فيها نسمة حية"." انتهى.

✍ لا يختلف اثنان بأن إله التوراة إله غاضب قد ملأ التوراة بالقتل والذبح. ولا يختلف اثنان كذلك أن القرآن مأخوذ من التوراة {**ما يقال لك إلا ما قيل للرسل من قبلك إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم.** (فصلت 43)} وقد زاد عليها في القتل والدمار وقطع الأيدي والأرجل من خلاف.

✍ فكون التوراة مليئة بالعنف لا يكون هذا عذراً للقرآن بأن تكون أغلب آياته المدنية مليئة بالقتل والسبي والدمار.

- والشيخ القرضاوي الذي يدعي **الوسطية** *قد أصدر تهديداً مبطناً ضد الدكتورة* عندما قال:

إن تلك المرأة اجترأت على الله وعلى الرسول وعلى الأمة الإسلامية وعلى تاريخها، ولم تترك شيئاً لم تجترأ عليه.

✍ وطبعاً هذا التهديد المبطن لم يخفَ على الناس، فقد فهمه الجميع، حتى غير العرب. فقد طالب نائب أمريكي بفرض حراسة مشددة على الدكتورة نتيجة هذا التهديد من الشيخ القرضاوي.

---

[6] الخيل لم توجب عليها يعني أن المسلمين لم يقاتلوا اليهود بل حاصروهم فقط ولم يكن هناك عراك أو سيوف أو خيول اشتركت في القتال.

[7] مختصر السيرة لابن كثير، وتاريخ الطبري، ج2، ص 138.

[8] زاد المعاد، ج1، ص 55.

✍ وقد صدقت الدكتورة وفاء سلطان عندما قالت:

"لولا القرضاوي لما كان الزرقاوي".

عودة إلى الفهرس

105 - 107 - خداع وتناقضات القرضاوي

2008 / 4 / 21

1 مِن 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=132129

الشيخ القرضاوي *يستغل جهل العامة بالقرآن والسنة وبتاريخ الإسلام الدموي ليبيع لهم الادعاء بأنه من شيوخ الوسطية وبأن الإسلام دين السلام، وكلا الادعاءين كذب*. وقد قال أحد الحكماء:

«تستطيع أن تخدع كل الناس بعض الوقت، وبعض الناس كل الوقت ولكنك لا تستطيع أن تخدع كل الناس كل الوقت».

والمخادع دائماً يكذب ويُدخل نفسه في تناقضات تكشف أمره. وخداع وتناقضات الشيخ القرضاوي أكثر من أن نشملها في مقال واحد، ولذلك اخترت واحدة من محاضراته لهذا المقال، وإحدى حلقات "الشريعة والحياة" لمقال آخر، لأبين نوعية الخداع الذي يتفوق فيه الشيخ القرضاوي على بقية الشيوخ.

فإذا أخذنا مثلاً محاضرته عن ‹النفس المعصومة› بتاريخ 23 ديسمبر 2007، نجد أن المحاضرة كلها *تناقضات والتفاف حول الحقائق*. حتى عنوان المحاضرة يتناقض مع محتواها. فالعنوان يقول ‹النفس المعصومة›، ونفهم منه أن النفس المعصومة هي نفس كل إنسان، بصرف النظر عن معتقداته الدينية أو إثنيته أو لونه أو حجمه.

- ولكن الشيخ عندما يتحدث عن النفس **يقصد فقط نفس المسلم**، كما بدا واضحاً من الأحاديث التي أوردها. فهو يقول:

> "حرَّم الله سبحانه الدماء والأموال والأعراض، وأكَّد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حرمة هذه الثلاثة، في حَجَّة الوداع، على ملأ من المسلمين، حيث يسمعه عشرات الألوف، في هذه البلد الحرام، وفي اليوم الحرام، قال لهم: [**إن الله حرَّم عليكم دماءكم وأعراضكم وأموالكم؛ كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**]، وقال: [**كُلُّ المسلم على المسلم حرام، دمه وعرضه وماله**]." انتهى.

✍ أولاً: الشيخ **مغرم بالمبالغة**، فهو يقول إن خطبة النبي سمعها عشرات الألوف ولكنه لم يقل لنا كيف أسمع النبي خطبته لعشرات الألوف يوم حجة الوداع، هل كان لديه مايكرفون كالذي يستعمله الشيخ في محاضراته ليُسمع العشرات، وليس الألوف؟ فالمتحدث الذي يقف على صندوق خشبي بركن "هايد بارك" بلندن، بالكاد يسمع حديثه خمسون أو ستون شخصاً من مجموع الناس المتجمهرين حوله، بينما يكتفي الباقون بتفسير حركات الأيدي وربما قراءة الشفاه. وربما يكون هذا من أحد أسباب اختلاف الأحاديث المحمدية. فالذين كانوا بالقرب من النبي سمعوه، أما عشرات الألوف الذين كانوا حول الكعبة يوم حجة الوداع لم يسمعوا منه مباشرة لبعدهم عنه وإنما سمعوا عن مَن سمعه، أو عن، عن، عن مَن سمعه. ولا يستطيع أحد أن ينقل خطبة كاملة لغيره من الناس. **ومِن هنا بدأ الاختلاف في ما قاله النبي لأن الأقوال تتغير مع عدد ناقلي القول.**

✍ ثانياً: أن الأحاديث التي أوردها الشيخ تتحدث فقط عن النفس المسلمة، **فنفس الكافر غير معصومة في الإسلام**. فعنوان المحاضرة لا ينم عن محتواها.

- ويستمر الشيخ فيقول:

> "ولهذا قال عليه الصلاة والسلام في حديث آخر: [**لو أن أهل السماوات وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبَّهم الله في النار**]" انتهى.

✍ فإذاً نفس المسلم فقط هي المعصومة والتي مِن الممكن أن يُلقي الله كل البشرية في النار من أجلها.

- ولكن الشيخ يناقض نفسه ويقول لنا:

> "ذلك أن هذا الإنسان بُنيان الله تعالى، ولا يحق لأحد أن يَهْدم هذا البناء، إلا صاحبه وبانيه، وهو الله عز وجل" انتهى.

✍ ونفهم من هذه الجملة شيئين:

1. إما أن كل الناس هم بنيان الله وبالتالي أنفسهم معصومة،
2. أو أن الكافر ليس إنساناً، فالإنسان هو المؤمن فقط حسب الأحاديث.

فمن يا تُرى بنى نفس الإنسان الكافر؟ **فيبدو من كلام الشيخ أن الله لم يبنِ إلا النفس المسلمة ولذلك جعلها معصومة**.

- ويحاول الشيخ أن يستدرك هنا فيقول:

> "لقد حرَّم الله هذه الدماء، وجعل لها هذه المنزلة، وحرَّمها في سائر شرائعه، وفي كافة رسالاته ودياناته: {**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً.** (المائدة 32)}" انتهى.

✍ فشريعة بني إسرائيل كانت أكثر إنسانية من شريعة الإسلام، لأن الله كتب على بني إسرائيل أنه مَن قتل نفساً بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً **ولم تُعرّف النفس بأي هوية أو معتقد أو لون أو أيديولوجية**، بينما شريعة الإسلام تُعرّف النفس بالنفس المؤمنة فقط. وحتى النفس المؤمنة نفسها أدخل عليها الفقهاء شروطاً سوف نتعرض لها لاحقاً.

- وتظهر محاولة الخداع في هذه الجملة:

> "لا يجوز أن تُقتل نفس بغير حق... أي نفس معصومة، صغيرة كانت أو كبيرة، نفس غني أو نفس فقير، نفس أمير أو نفس خفير... كل نفس، حرَّم الله قتلها ما دامت غير معتدية بالكفر أو بالظلم {**وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ.** (الأنعام.151)}" انتهى.

✍ يقول الشيخ: "أي نفس معصومة، صغيرة كانت أو كبيرة. كل نفس حرّم الله قتلها ما دامت غير معتدية بالكفر" فإذاً أي كافر يُعتبر معتدياً على الإسلام بكونه كافراً لم يؤمن بمحمد، ولذلك يُباح دمه، ونفسه غير معصومة كنفوس المؤمنين.

فالشيخ حاول التمويه على هذه الحقيقة وبدل أن يقول إن نفس الكافر غير معصومة، قال إن كل نفس معصومة ما دامت غير معتدية بالكفر.

- يقول الشيخ إن الإسلام يبيح القتل في ثلاث حالات فقط:

1. الحالة الأولى "الزاني المُحصَن المُتزوّج، فمَن زنى وهو مُتزوّج بعد أن عرَف الطريق إلى الحلال الطيب، وعرَف نعمة الله عليه بالزوجية، ونعمة الله عليه بظلّ الأسرة بظِلّله، بعد أن عرّف ذلك، ثم خان زوجته، أو عرَفت المرأة ذلك، ثم خانت زوجها؛ مَن فعل ذلك فقد استحقّ الموت" انتهى.

✍ ولم يذكر الشيخ للمستمعين أنه شارك في *مؤتمر فقهاء الإسلام* بمكة والذي أباح *زواج المسيار وزواج الفرند* الذي اقترحه الشيخ اليمني الزنداني وغيره من *أنواع الزواج المؤقت* الذي هو نوع من **الدعارة المقننة**.

فالرجل المتزوج يدفع لامرأة أخرى مبلغاً من المال ويتفق معها على أن تظل ببيت أهلها ويأتي هو لها مرة أو مرتين بالأسبوع ليمارس معها الجنس ثم يذهب إلى زوجته، ولا حق لهذه المرأة الأخرى عليه.

✍ إذا لم تكن هذه دعارة وخيانة للزوجة، فما هي الدعارة وما هي الخيانة الزوجية؟ هل أوصى الشيخ برجم هؤلاء المسلمين؟

- *وفي محاولة لإضفاء الشرعية على ما يقوله الشيخ*، أتى لمستمعيه بقصص وهمية من التراث فقال:

"رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم، رجلاً اسمه ماعز، ورجم امرأة من غامد تعرف بالغامدية، ورجم يهوديين، وأمر أحد أصحابه - واسمه - أنيس أن يرجم امرأة زنت وهي متزوجة - إذا اعترفت بذلك - فاعترفت فرجمها" انتهى.

✍ هل يمكن أن تقبل أي محكمة في الدنيا بمثل هذه الشهادات؟

? رجم الرسول رجلاً اسمه ماعز.
? هل أتى ماعز هذا من لا شيء؟
? ألم يكن له أهل وأب وقبيلة فيعرّفونه بها؟
? ومتى زنى هذا الماعز وفي أي بلدة وماذا حدث للمرأة التي زنى بها؟
? وإذا كانت هذه أول حالة يأمر النبي فيها بالرجم، ألا نتوقع أن يؤرخ لها المسلمون وقتها ويذكروا لنا تفاصيلها كاملة، فهم قد أرخوا وذكروا حتى أسماء حمير وسيوف النبي، أيكون السيف أهم من إسم أول امرأة رجمها النبي؟
? ثم هل يُعقل أن يأتي اليهود للنبي ليحكم لهم على المرأة والرجل اللذين زنيا، وعندهم التوراة وهي أقدم رسالة سماوية مكتوبة؟ والقرآن نفسه يقول: {**إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار**. (المائدة 44)}. فأحبار اليهود يحكمون بتوراتهم التي بها حكم الرجم للزاني.
? وكيف يأتي اليهود للنبي ليحكم بينهم وهم لم يصدقوا أنه رسول؟

وكذلك يقول ابن رشد القرطبي في قصة الرجم:
«وكذلك ما خرّج أهل الصحاح عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني أنهما قالا إن رجلا من الأعراب أتى النبي عليه الصلاة والسلام
قال: يا رسول الله أنشدك الله إلا قضيت لي بكتاب الله،
فقال الخصم وهو أفقه منه: نعم اقض بيننا بكتاب الله وائذن لي أن أتكلم،
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: قل،
قال: إن ابني كان عسيفا على هذا فزنى بامرأته، وإني أُخْبِرتُ أن على ابني الرجم فافتديته بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم فأخبروني إنما على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **[والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله: أما الوليدة والغنم فرد عليك، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، واغد يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها، فغدا عليها أنيس فاعترفت، فأمر النبي عليه الصلاة والسلام بها فرجمت]**.»[1].

ويكفي أن الحديث رواه أبو هريرة. **فالنبي هنا لم يحكم بكتاب الله وإنما حكم بما قاله الأعرابي له**. فكتاب الله يقول بجلد الزانية مائة جلدة.

? ثم مَن هم أهل العلم الذين قالوا له إنّ على ابنه جلد مائة وتغريب عام؟
? وهل كان أحد يفتي والنبي موجود بينهم؟ لم يكن أحدهم يبدي رأياً والنبي حي بينهم لدرجة أنه سأل أصحابه في مكة: في أي بلد أنتم؟ فبدل أن يقولوا "مكة" قالوا: الله ورسوله أعلم.
? وكيف يحكم النبي بجلد الفتى المتهم بالزنى وهو لم يسمع منه؟
? هل يكفي أن يقول الرجل إن ابنه زنى.
? أين الشهود الأربعة الذين رؤوا الميل في المكحلة؟ هل اكتفى الرسول بالشهادة السماعية فقط؟

✍ يستعمل الشيخ وأمثاله هذه القصص الموضوعة **ليعارضوا صريح نص القرآن** الذي يقول {**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة**}.

? والغريب أن هذه الآية جاءت في سورة النور وهي آخر سورة نزلت من القرآن. فهل مِن المعقول أن يُنزل الله القرآن على مدى ثلاث وعشرين سنة، وفي آخر سورة منه يأتي بحكم الجلد **ثم يقول سراً للنبي أرجم الزانية؟**

- فإما أن يكون الله متردداً في أحكامه
- أو يكون الشيخ وأمثاله قد افتروا على الله الكذب، خاصة وأن بداية سورة النور تقول {**سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون**}.

? فكيف يقول الله في آخر سورة أنزلها **أنه فرضها فرضاً على الناس وأنزل فيها آيات بينات، منها جلد الزانية والزاني، ثم يقول لنبيه سراً أرجم الزانية؟**

- واقرءوا هذا التبرير من الشيخ:

"وكأن القرآن الكريم يُشير إلى أن المسلم المُحصَن المُتزوّج ليس من شأنه أن يزني، فلم ينزل في شأنه قرآن، بل تُرك القرآن ذلك، ليُعلِّم الناس وليدلَّ الناس بالإشارة والإيماء على أن هذا أمر لا ينبغي أن يقع فيه المسلم المُحْصَن." انتهى.

✍

أي إفك هذا؟
فإذا كان المسلم المتزوج ليس من شأنه أن يزني، أي أنه معصوم من الزنا، ولذلك لم ينزل في شأنه قرآن، أليس المسلم من شأنه ألا يقتل أو يسرق؟ فلماذا أنزل في شأنه قرآنٌ يحدد العقوبة؟ أم أن الزنى في الإسلام أكثر ضرراً من القتل؟

[1] بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج2، ص 852.

- ويستمر الشيخ في مخادعته للبسطاء فيقول:

"لا تظنوا أن الإسلام منع الزنى وحاربه بمجرد الرجم أو الجلد... ولكن هذه هي الوسيلة الأخيرة التي لا يُغني شيء عنها... كما حارب الإسلام الفواحش بتطهير المجتمع من أسبابها ودواعيها، التي تدعو إليها، وتغري الناس بها، وتجرّئهم على ارتكاب الحرام. فالكلمة الخليعة، أو الصورة العارية أو شبه العارية، أو الأغنية المثيرة، أو كل ما نرى ونسمع في هذا العصر من أساليب الإغراء، والدعوة إلى الفجور، يُحرّمه الإسلام." انتهى.

✍ فإذا كانت الصور والموسيقى هي التي تدعو إلى الرذيلة والزنا، فهل كان الصحابي المغيرة بن شعبة يستمع إلى أغاني البوب عندما زنى بأم جميل وشهد عليه ثلاثة من الصحابة بأنهم رؤوا الميل في المكحلة وتردد الرابع وقال إنه رأه بين رجليها وسمع أصوات النكاح لكنه لم ير الميل في المكحلة؟ أتقوا ربكم أيها الشيوخ. قرآنكم يقول: {**وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا.** (القصص 77)}. دع الشباب يستمتعوا بنصيبهم من الحياة الدنيا من الموسيقى والغناء والصور.

- الحالة الثانية التي يبيح فيها الإسلام القتل هي **قتل النفس التي حرّم الله**، كما يقول الشيخ:

2. "أي مَن قتل نفسا يُقتل، فإن نفسه ليست أفضل ولا أعظم من نفس غيره، فمَن قتل نفسا فقد أهدر عصمة نفسه، وأهدر حُرمة دمه، ويجب أن يقتصّ منه، كما قال الله عز وجل: {**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.** (البقرة 179)}" انتهى.

✍ ويتجاهل الشيخ أن يذكر لمستمعيه **أن الإسلام لا يعامل المؤمنين بالتساوي**، فالآية التي سبقت هذه الآية تقول: {**يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم القصاص في القتلى الحُر بالحُر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى.** (البقرة 178)}.

✍ وبناءً على هذه الآية فقد اتفق فقهاء الإسلام بأن *الحُر لا يُقتل بالعبد ولا الرجل يُقتل بزوجته أو ابنه إذا مات أي منهما نتيجة تأديبه لهما بالضرب.*

- يقول ابن حجر العسقلاني:

"ذكر ابن عطية عن الشعبي: أن أهل العزة من العرب والمنعة كانوا إذا قُتل منهم عبد قتلوا به حراً، وإذا قُتلت امرأة، قتلوا بها ذكراً، فنزلت الآية في ذلك تسويةً بين العباد وإذهاباً لأمر الجاهلية." [2]

- وقال مالك:

"الحر والعبد إذا قتلا عبداً، يُقتل العبد ويكون على الحر نصف قيمة العبد المقتول" [3]

فإذا قتلوا رجلاً بامرأة أو حراً بعبد، تكون جاهلية أما إذا قتل الحر عبداً مؤمناً ودفع قيمته فلا تكن هذه جاهلية.

✍ ثم إن فقهاء الإسلام قد أقروا بأن المسلم لا يُقتل بكافر. فأين حرمة النفس التي بناها الله؟

- ويقول الشيخ:

"ولهذا فإن الذين يدعون إلى إلغاء عقوبة الإعدام للقاتل: هم قوم يخالفون عن دين الله، ذلك لأن القصاص مفروض في الإسلام بقوله تعالى: {**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ.** (البقرة 178)}، كما أن الصوم مفروض في قوله تعالى: {**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ.** (البقرة 183)}... فالفريضة في كلا الأمرين سواء... ومن هنا فإن الدعوة إلى إلغاء عقوبة الإعدام خروج عن دين الله، وتعطيل لحكم مفروض من أحكامه... ومُحادَّة لله ورسوله جهارا علانية." انتهى.

✍ فالإسلام الذي فرض عقوبة القصاص في القتل جعل للأغنياء مخرجاً عنها بدفع الدية لأهل القتيل الفقراء، أو بالعفو إذا كان القاتل من ذوي الجاه والسلطان. وحدد الفقهاء الدية بمائة بعير. فالغني الذي يقتل فقيراً يدفع لأهله مائة بعير ولا يُعاقب بعد ذلك. وعندما قتل الأمير السعودي فهد بن نايف بن سعود الشاب منذر القاضي في عام 2004، عفا والد القتيل عن الأمير ولم يُعاقب البتة مع أنه قتل نفساً بغير حق.[4] فإذا كانت الآية {**كُتب عليكم القصاص**} تعني أن القصاص مفروض على المسلمين، فماذا عن الآية {**كُتب عليكم القتال**} فهل القتال مفروض على كل مسلم، وهل قاتَل الشيخ أو قاتَل أحد أبنائه؟ وهل الذين ينادون بوقف القتال في العراق يعارضون الله ورسوله؟

- ثم يسأل الشيخ عن الذين يطالبون بإلغاء عقوبة الإعدام:

"لماذا يرأفون بالقاتل المجرم، ولا يرأفون بالمقتول وأهل المقتول؟ إن الذي يستأصل شأفة الجريمة ويقضي عليها أن يُعاقب فاعلها... ويُؤخَذ على يده، ويُردع أن يرتكب مثلها، ويُردع غيره - أيضا - أن يقترفوا مثلما اقترف. وهذا هو الإسلام... {**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.** (البقرة 179)}." انتهى

✍ ونحن نسأل: لماذا لم يرأف الإسلام بالمرأة التي يقتلها رجل، فلا يقتل الرجل بقتلها ويدفع فقط نصف دية الرجل، أي خمسين بعيراً فقط. **هل نفس المرأة أقل قيمة عند الله من نفس الرجل القاتل؟**

ثم إن قتل ورجم الناس لا يمنع الجريمة، والدليل على ذلك أن السلطات السعودية والإيرانية يقتلون كل عام مئات الرجال والنساء في جمهرة من الغوغاء، ومع ذلك تزداد معدلات الجريمة عندهم سنوياً. ثم إن الصين هي أكثر دولة في العالم تعدم مجرميها، ومع ذلك تزداد فيها الجريمة سنوياً. ومنذ ألف وأربعمائة عام يقتل المسلمون القاتل ومع ذلك يستمر القتل في البلاد الإسلامية، *فهل منع القصاص الجريمة كما يدعي الشيخ*؟

- وليقرأ القارىء هذا النفاق من الشيخ:

"وكان الرومان قبل الإسلام لا يقتلون كل نفس بأي نفس، إنما إذا قتل الشريف رجلا من غير الأشراف والنبلاء، فإنه لا يستحقّ القتل، ولكن إذا قتل رجل من طبقته، فإنه يستحقّ القتل..." انتهى

✍ فليقرأ الشيخ هذا المقتطف من ابن رشد القرطبي:

« وأما الشرط الذي يجب به القصاص في المقتول، فهو أن يكون مكافئا لدم القاتل. والذي به تختلف النفوس هو **الإسلام والكفر**، و**الحرية والعبودية** ،و**الذكورية والأنوثية**، و**الواحد والكثير**.

واتفقوا على أن المقتول إذا كان مكافئا للقاتل في هذه الأربعة أنه *يجب القصاص*.

واختلفوا في هذه الأربعة إذا لم تجتمع.

أما الحر إذا قتل العبد عمدا، فإن العلماء اختلفوا فيه،

فقال مالك والشافعي والليث وأحمد وأبو ثور: لا يقتل الحر بالعبد؛

وقال أبو حنيفة وأصحابه: يقتل الحر بالعبد إلا عبد نفسه؛

وقال قوم: يقتل الحر بالعبد سواء كان عبد القاتل أو عبد غير القاتل، وبه قال النخعي؛

---

[2] العُجاب في بيان الأسباب، ص 240.

[3] الاستذكار في شرح الموطأ لابن رشد القرطبي، ج8، ص 50.

[4] إيلاف 2004/5/1.

- فمن قال **لا يقتل الحر بالعبد** احتج بدليل الخطاب المفهوم من قوله تعالى {**كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد**}
- ومن قال **يقتل الحر بالعبد** احتج بقوله عليه الصلاة والسلام [**المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم**] فسبب الخلاف معارضة العموم لدليل الخطاب، ومن فرق فضعيف.

ولا خلاف بينهم أن العبد يقتل بالحر، وكذلك الأنقص بالأعلى.»[5]

فكبار الفقهاء كلهم قالوا لا يقتل الحر بالعبد ولا يُقتل الأنقص بالأعلى. هل يختلف حكم الإسلام عن حكم قدماء الرومان الذي انتقده الشيخ؟

- ومرة أخرى **اقتصد الشيخ في الحقيقة** عندما روى قصة ابن ملجم الذي قتل علي بن أبي طالب، فقال:

"حينما طُعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، في رمضان في سنة أربعين هجرية، وكان الذي قتله غدرا أو اغتيالا عبد الرحمن بن مُلجَم، وقد أمسك المسلمون به. فقال علي رضي الله عنه، *إن عشت فأنا مالك أمر نفسي، أقتص أو أعفو، فإن مت فضربة بضربة، وأن تعفوا أقرب للتقوى*. هذا هو كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه." انتهى

✍ وقد ذكر الشيخ ما قاله علي بن أبي طالب لكنه لم يذكر لمستمعيه ما فعله أبناء علي بن أبي طالب بابن ملجم.

« دعا عبد الله بن جعفر بابن ملجم ، فقطع يديه ورجليه وسمل عينيه فجعل يقول:
"إنك يا ابن جعفر لتكحل عيني بملمول مض" (أي بمكحال حار محرق)،
ثم أمر بلسانه أن يُخرج ليُقطع، فجزع من ذلك،
فقال له ابن جعفر:
‹قطعنا يديك ورجليك، وسملنا عينيك، فلم تجزع، فكيف تجزع من قطع لسانك›،
قال:
"إني ما جزعتُ من ذلك خوفاً من الموت، لكني جزعت أن أكون حياً في الدنيا ساعة لا أذكر الله فيها."
ثم قطع لسانه، فمات.»

والرواية يذكرها ابن سعد مضيفاً إليها حرقه بعد موته ويذكرها ابن كثير دون ترجيح ويقتصر الطبري وابن الأثير على الحرق بعد القتل.

فعليّ يقول شيئاً ويفعل أبناؤه وأحفاده شيئاً غيره. فرغم أن علي بن أبي طالب قال: إذا مت، فضربة بضربة نجد أن عبد الله بن جعفر فعل أكثر من ذلك بابن ملجم.

وهذه مشكلة الإسلام - يقولون شيئاً ويفعلون ضده.

- أما الحالة الثالثة التي يُقتل فيها الإنسان فهي **الردة**، كما يقول الشيخ:

3. "والصنف الثالث من الناس، الذي نصَّ الحديث على أنه يحلُّ دمه، هو: [**التارك لدينه المفارق للجماعة**]. فالذي ترك الإسلام، ومَرَق من دين الله عز وجل، وفارق جماعة المسلمين، يجب أن يقتل... إنه مرتد... والمرتد عن الإسلام حكمه القتل." انتهى.

✍ يقول الشيخ بقتل المرتد رغم وجود أكثر من **عشر آيات** في القرآن تقول إن المرتد سوف يحاسبه الله يوم القيامة ولن يضر الله ولا المسلمين بردته.

- **وناقض الشيخ نفسه** عندما قال لمستمعيه في برنامج "الشريعة والحياة" يوم الخميس 10 أبريل 2008:

"ما معنى التعصب؟ التعصب ضد الآخرين هذا ممنوع، الاعتزاز بدينك هذا مطلوب. يعني حأذكر لك سورة في القرآن تحمل نهاية الاعتزاز بالدين ونهاية التسامح مع المخالفين وهي سورة يحفظها أطفال المسلمين: {**قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون**} حينما كان المشركون يساومون النبي صلى الله عليه وسلم أن يعبد هو آلهتهم أشهرا أو سنة أو كذا وهم يعبدون إلهه أشهرا أو سنة، مفاوضات، القرآن جاء قطع هذه المفاوضات حسم الأمر قال دعوكم من هذا {**قل يا أيها الكافرون، لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد، ولا أنا عابد ما عبدتم، ولا أنتم عابدون ما أعبد.** (الكافرون 1 - 5)} يعني لا في الحاضر ولا في المستقبل ولا في الماضي حأعبد. منتهى الإيه؟ الاعتزاز والتمسك، وبعدين في الآخر قال إيه؟ {**لكم دينكم ولي ديني.** (الكافرون 6)}، هذا هو التسامح." انتهى.

✍ فالقرآن

☜ يقول بحرية العبادة: {**لكم دينكم ولي دين**}
☜ ويقول: {**لا إكراه في الدين**}
☜ ويقول: {**أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**}

ومع ذلك يقول الشيخ إن الإسلام المتسامح يأمر بقتل الخارج عنه لأن أبا هريرة روى حديثاً يقول إن النبي قال: [**مَن بدل دينه فاقتلوه**].

هل تُكرهون الناس على أن يظلوا مسلمين رغم آيات القرآن العديدة التي تسمح لهم بالتغيير؟ كفى خداعاً أيها الشيخ.

2008 / 4 / 28

2 مِن 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=132839

قدم الشيخ القرضاوي حلقة في برنامج "الشريعة والحياة" يوم الخميس 10 أبريل 2008، عنوانها ‹معنى التسامح وملامحه في الإسلام›.

- وبعد أن شرح الشيخ معنى كلمة "تسامح" من الناحية اللغوية، قال:

"كلمة التسامح قلما عرفت بهذا المعنى عند الأقدمين فهي من المصطلحات المحدثة التي شاعت في ظلال الثقافة العربية الحديثة، وتعني التساهل مع المخالف، الرفق مع المخالف، عدم التشدد مع مَن يخالفه. لا يحمل هذا المعنى أي

[5] بداية المجتهد، ج2، كتاب القصاص، ص 824.

معنى أنك بتمن على الآخر، لا، هذه في معاني بطبيعتها لما تقول البر، لما تبر بالآخرين يعني معناها تمد يد المعونة وكذا، هذا ليس معناه أنك تمنن عليه، هذا المن يفسد البر كما قال تعالى {**...لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى...** (البقرة 264)}" انتهى.

- ليت الشيخ يبين لنا متى شاع مصطلح التسامح في الثقافة العربية الحديثة، ومَن هم الذين أشاعوه.
- ? هل هم خطباء المساجد الذين يلعنون اليهود والنصارى في كل بلد إسلامي وفي كل خطبة ويسألون الله أن يقطع دابرهم وينصر المسلمين عليهم؟
- ? هل هم الحكام المسلمون الذين برعوا في تعذيب وقتل المخالف لهم؟
- ? أم هم وعاظ الوهابية الذين كتبوا عدة كتب في شتم الشيخ القرضاوي نفسه وسموه "*الكاذب العاوي يوسف القرضاوي* "؟

وغريب أن يسارع الشيخ بإنكار **المن** في تعامل المسلمين مع غيرهم. فالمسلمون يعتبرون أي شيء يقدمونه للآخر تنازلاً وكرماً من جانبهم يمنون به على الآخر. *حتى حوارهم الشكلي مع بابا الفاتيكان يعتبرونه مناً منهم على البابا ولذلك علقوا الحوار عندما ألقى البابا محاضرته المشهورة في ألمانيا، كأنما البابا هو الوحيد المستفيد من مثل هذا الحوار*. وليس غريباً أن يمن المسلمون على الآخر لأن القرآن يخبرهم أن الله نفسه قد منّ على العرب، فقال لنبيه:

{يمنون عليك أن اسلموا قل لا تمنوا عليّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان. (الحجرات 17)}. وقال كذلك {قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر ولكن الله يمن على من يشاء من عباده. (ابراهيم 11)}.

فالمن ليس غريباً على المسلمين.

- وكان لابد للشيخ أن يذكر المقولة المحفوظة:

"لأن الإسلام كما شرحنا دائما هو دين الاعتدال والوسطية والتوازن، لا يحب الغلو ولا التفريط يعني، ولذلك كان السلف يقولون ديننا هذا بين الغالي فيه والجافي عنه."

- ثم أردف في شرح هذا الاعتدال وقال:

"وحينما بعث (الرسول) معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى اليمن أوصاهما بهذه الوصية الجامعة، قال: [**يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا**]، وحينما دخل أحد الأعراب وأراد أن يبول في المسجد، أعرابي جاي من البادية لم يتهذب بآداب الإسلام الجديدة، والمسجد لم يكن مفروشا بالحصير ولا بالسجاد، بالحصباء، فبدأ يبول هاج عليه الصحابة، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال لهم [**لا تزرموه**] لا تقطعوا عليه بولته [**وصبوا عليه ذنوبا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**]. فاتهام الإسلام بأنه دين التشدد أو دين التطرف هذا لا أصل له في تعاليم الإسلام، في نصوص الإسلام، في قواعد الإسلام، إنما وجد من بعض المسلمين للأسف في سائر العصور وخصوصا في عصرنا هذا وجد من المسلمين مَن يتسم بالتشدد ومن يتسم بالتطرف وبالغلو، وهذا يقاومه دائما أهل العلم" انتهى.

- أولاً: قصة معاذ هي أبعد شيء عن التسامح، فكما روى البغدادي في تاريخه:

"وجاء معاذ وعند أبي موسى رجل، فقال هذا كان كافر أسلم ثم ارتد، فقال معاذ: لا أنزل ولا أجلس حتى يُقتل. قال فقتل"[6].

فمعاذ الذي بعثه رسول الله إلى اليمن وأوصاه أن يتسامح ولا يُعسر، رفض أن ينزل من على حماره حتى يُقتل الرجل الذي زعموا أنه قد ارتد، دون أن يسأل معاذ الرجل ويتأكد بنفسه أنه ارتد، ودون أن يحاول إقناع الرجل بالتوبة، إن كان فعلاً قد ارتد. **فهل هذا هو التسامح الذي يتحدث عنه الشيخ؟**

- أما كون النبي قد سمح للأعرابي أن يبول في المسجد فلا يعني هذا أن الإسلام دين تسامح إنما يعني أن الدعوة كانت في أولها وكان الرسول يأمل في أن يكسب ذلك الأعرابي فيدخل في الإسلام، ولذلك تهاون معه. وحينما استقر الأمر للإسلام منع النبي المسلمين من دخول المسجد حتى بأحذيتهم، ناهيك عن التبول فيه. ثم إن النبي كان يصطحب الحسن والحسين إلى المسجد وهما صغيران وكانا يبولان عليه وفي المسجد. ولا فرق بين بولهما وبول الأعرابي. والإسلام يبيح الصلاة في معاطن الإبل، أي في الأماكن التي تستريح وتبول وتُبعِّر فيها الإبل. فما الفرق بين بول الإبل وبول الرجل العربي؟
- ونشكر للشيخ أنه اعترف أن هناك بعض المتشددين في الإسلام. **ولكن في الحقيقة فإن الإسلام نفسه مبني على التشدد**.

والشيخ يناقض الواقع عندما يقول إن أهل العلم يقاومون التطرف. مَن هم أهل العلم الذين قاوموا التطرف؟

- ? هل يقصد ابن تيمية
- ? أو ابن قيم الجوزية
- ? أو الشيخ محمد بن عبد الوهاب
- ? أو الشيخ بن باز
- ? أم سلمان العودة
- ? أو الإمام أحمد بن حنبل؟

التطرف ليس حديثاً في الإسلام ولا غريباً عنه.

- وفي مجافاة واضحة للواقع يقول الشيخ:

"فالفقه الإسلامي والشريعة الإسلامية والقواعد الإسلامية تسع الحياة وتجعل الحياة ميسرة لا معسرة" انتهى.

- الفقه الإسلامي الذي
  - يجعل المرأة كلها عورة ويمنعها من الخروج من بيت زوجها إلا إلى قبرها،
  - ويزوجها دون مشورتها وهي طفلة،
  - ويمنحها نفقة ثلاثة أشهر فقط بعد طلاقها،
  - ويحرمها من أطفالها،
  - ويبيح امتلاك وبيع العبيد،
  - وسبي النساء والأطفال،
  - ويمنع الموسيقى والغناء،
  - ويقول: اللهم قنا شر علم لا ينفع،

[6] تاريخ بغداد للبغدادي، ج3، ص 97.

- ويقول إن خير العلوم هو علم الشريعة، مما قاد إلى تخلف المسلمين على مر العصور،

هل هذا الفقه جعل الحياة ميسرة على المسلمين، ناهيك عن غير المسلمين الذين فرض عليهم الإسلام إعطاء الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، ومنعهم من الاستفادة من أموال الزكاة رغم أنه يجبي منهم الجزية والخراج؟

لا تناقضوا الواقع أيها الشيخ. فالخداع ما عاد ينطلي على الناس.

❍ وعندما سأل مقدم البرمج الشيخ قائلاً:

"انطلاقا من ذلك فضيلة الدكتور، هل ترون أننا اليوم بحاجة إلى إشاعة ثقافة التسامح بين الناس؟"

▪ رد عليه الشيخ بقوله:

"نحن أحوج ما نكون إلى إشاعة هذه الثقافة. نريد أن تتسع الصدور لمَن يخالفنا، لا نريد أن نضيق ذرعا بمَن يخالفنا، نفتح له صدورنا، نرطب له ألسنتنا، *نحاوره بالتي هي أحسن*، ندعوه بالحكمة والموعظة الحسنة، ندعوه بالحب... ثقافة الحب لا الكراهية، ثقافة الحوار لا الصدام، ثقافة التقارب لا التباعد، كل هذا يحث عليه الإسلام وفيه نصوص وفيرة من القرآن ومن السنة وفي من تراث السلف الكثير والكثير." انتهى.

✍ لله درك أيها الشيخ. ما دام الإسلام يحث على تلك الصفات والقرآن مليء بالنصوص التي تحث عليها، لماذا نحن أحوج ما نكون إلى إشاعة هذه الثقافة الآن وبعد مرور ألف وأربعمائة عام من ظهور الإسلام؟ ألم تكن كل هذه القرون كافية لإشاعة هذه الثقافة بين المسلمين لو كان القرآن مليئاً بنصوص التسامح؟

✍ والشيخ هنا يدخل في تناقض عجيب، إذ أنه أرغى وأزبد وغضب وخرج من مؤتمر حوار المذاهب الذي عُقد في الدوحة في يناير 2007 للحوار بين السنة والشيعة لطي صفحة الخلاف بينهما. ***وسبب غضب الشيخ هو أن الشيعة لم يلتزموا بوقف التبشير في البلاد السنية***. وقد حدا هياجه وغضبه بالشيخ محمد باقر المهري، وكيل المرجعيات الشيعية في الكويت،

إلى دعوة ‹اتحاد العلماء المسلمين› إلى عزل رئيسه، لأنه متشنج وغير متزن ويخضع لتأثير جماعات غسلت مخه، ويجب على مَن يشغل هذا المنصب أن يمثل الجميع، لا أن يحرض الحكومات ضد طائفة لمصلحة أخرى.[7]

فإذا كان شيخ الوسطية يهيج ويرغي ويزبد ويطالب الشيعة بوقف التبشير في بلاد السنة، فماذا نتوقع من شيوخ الوهابية الذين يكفرّون الشيعة؟ وماذا نتوقع من المسلم العادي الأمي الذي لا يعرف من الإسلام إلا ما يراه ويسمعه من الشيوخ، مثل الشيخ القرضاوي؟ ومع ذلك يقول الشيخ: نفتح صدورنا لمن يخالفنا ونجادلهم بالتي هي أحسن. وفي تناقض واضح لهذه المقولة، *ومما يُثبت أن الإسلاميين يقولون شيئاً ويفعلون ضده*،

قاطع الشيخ القرضاوي مؤتمر الأديان الذي عُقد بالدوحة في يونيو 2005 للحوار بين الأديان الثلاثة، احتجاجاً على مشاركة حاخامات من إسرائيل.[8]

وياله من فتح للصدور ومجادلة بالتي هي أحسن.

❍ وعندما سأل مقدم البرامج الشيخ، قائلاً:

"لعل القرآن الكريم كما ذكرتم فضيلة الدكتور أبرز مصادر ثقافة هذا التسامح. ما هي أبرز ملامح التسامح، كيف تتجلى في القرآن الكريم؟"

▪ رد عليه الشيخ بقوله:

"ملامح كثيرة جدا أبرزها الدعوة إلى الحوار، القرآن كله كتاب حوار، حوار بين الأنبياء وأقوامهم، حوار بين الله وعباده، حتى ربنا حاور الملائكة {**...إني جاعل في الأرض خليفة...** (البقرة 30)}، حتى حاور إبليس يعني قال لإبليس {**...ما منعك أن تسجد لآدم...** (ص 75)} {**قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين، قال فاخرج منها فإنك رجيم**}" انتهى.

✍ ياله من حوار يتعلم منه المسلمون آداب الحوار. الله حاور الملائكة بأن قال لهم: **إني جاعل في الأرض خليفة**. فلما قالوا له: **أتجعل فيها مَن يفسد فيها ويسفك الدماء؟** رد عليهم بقوله: **إني أعلم ما لا تعلمون**. وكانت هذه نهاية الحوار. بمعنى آخر، قال لهم أنتم جهلاء لا تعلمون ما أعلم. **ولذلك نسمع الإسلاميين يصفون كل من يحاورهم بأنه جاهل.**

حتى الشيخ نفسه وصف الدكتورة وفاء سلطان بالجهل، وهي لم تكن تحاوره شخصياً.

وأما حوار الله مع إبليس كان كالآتي:
لماذا لم تسجد لآدم عندما أمرتك؟
أجاب إبليس: أنا أحسن منه. خلقته من طين وخلقتني من نار.
فرد عليه الله: اخرج من الجنة فإنك رجيم. انتهى الحوار.

ياللتسامح ورحابة الصدر. إنها لغة العاطفة التي يخدع بها الشيخ البسطاء من الناس الذين يترنحون مع حركات يديه. ولكن كلام الشيخ يخلو من الحقائق.

▪ ثم ينتقل الشيخ إلى *مسألة التعدد العقدي والمذهبي*، فيقول:

"وقلنا إن التعدد الديني واقع بمشيئة الله فمن يريد إلغاء التعدد الديني أو الاختلاف الديني كأنما يضاد مشيئة الله عز وجل التي أرادت للناس أن يكونوا مختلفين {**ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم...** (هود 118 - 119)}، {**ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين...** (يونس 99)}، فهذا التعدد الديني واقع بمشيئة، ولذلك ربنا، ورغم كل هذا الاختلاف والتعدد لم يحاسب الناس عليه في الدنيا، يحاسب الناس عليه في الآخرة." انتهى.

✍ ألا يناقض الشيخ نفسه هنا؟

- يقول إن التعدد الديني والمذهبي هو مشيئة الله ومَن يعارضه يعارض مشيئة الله،
- ثم يمنع الشيعة من التبشير بمذهبهم،
- ولا يعترف بالبهائية،
- ويشترك مع بقية المسلمين في القول بأن *اليهود أحفاد القردة والخنازير*؟

[7] الشرق الأوسط 2007/1/26.
[8] إيلاف 2005/6/29.

- وأشك أن القرضاوي يعتبر الشيعة من المسلمين، فالشيخ القرضاوي هو رئيس ‹اتحاد العلماء المسلمين›، ولو كان يعتبر الشيعة مسلمين، فهو رئيسهم ولا يجوز أن يمنعهم من التبشير، لأن رئيس الاتحاد لا يمنع أعضاء الاتحاد من ممارسة ما يمارسه هو. والقرآن يقول {**أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**}

✍ ونحن نقول للقرضاوي:

أفأنت تكره الناس حتى يكونوا سنيين؟ وماذا عن حاخامات اليهود الذين قاطع من أجلهم مؤتمر الدوحة للحوار؟ أليس دينهم بمشيئة الله؟

❍ وعندما سأل مقدم البرامج الشيخ القرضاوي قائلاً:

"ذكرتم أن الاختلاف هو بمشيئة الله عز وجل وأنه نظريا، الخلاف رحمة. هل يعني التسامح الإبقاء على الخلاف دون معالجته؟"

- رد الشيخ:

"لا، لا مانع أن نعالج الخلاف ولكن المهم أن نقر بأن الخلاف لا بد واقع، نحن عالجنا هذا في حلقة سابقة وقلنا الاختلاف واقع، وهذ الاختلاف رحمة، الاختلاف ضرورة ورحمة وسعة، الاختلاف ضرورة، ضرورة دينية وضرورة لغوية وضرورة بشرية وضرورة كونية لأن ربنا خلق الكون {**..مختلفاً ألوانه.. (النحل 13)**} انتهى.

✍ وما دام الاختلاف ضرورة إلهية ورحمة للناس،

- لماذا لا يعترف الشيخ بالشيعة وبالبهائية والهندوسية والزرادشتية والبوذية والمانية والأيزدية والدرزية، وفوق كل ذلك بالمسيحية التي يسميها "النصرانية" وباليهودية.
- أيكفي أن نعترف بعيسى وموسى كأنبياء ثم نقول إن كتبهم محرّفة وهم أحفاد القردة والخنازير وهم الضالون؟
- أيكفي أن نعترف بموسى وعيسى ثم نقول إن آخر الأنبياء قال [لا يجتمع في جزيرة العرب دينان]
- ونمنع بناء الكنائس والمعابد بالجزيرة العربية، مع أن الشيخ يقول إن الاختلاف والتعددية ضرورة إلهية ورحمة؟

أم أنها سياسة التحدث بلسانين؟

❍ وعندما تعرض مقدم البرامج للعنف وقال:

"بالعودة إلى القرآن الكريم وأنه من أهم مصادر ثقافة التسامح في الإسلام، هناك بعض الآيات يفهم منها بعض المعادين للإسلام أنها تحض على العنف. هل في القرآن ما يحمل على العنف فضيلة الدكتور؟"

- رد الشيخ بالآتي:

"بعضهم يقول في آية اسمها آية السيف زعموا أن دي آية السيف دي يعني نسخت 140 آية أو 200 آية أو كلام من ده، وحتى هذه الآية للأسف لم يحددوا أي آية هي، قولوا لنا آية السيف إيه؟ اختلفوا فيها ومعظم الآيات، أربع آيات ذكروها، لما تيجي تحللها لا تجد أنها آية سيف، أشهر الآيات هذه التي جاءت في الآية الخامسة من سورة التوبة {**فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد...** (التوبة 5)}، المشركون دول اللي هم أهل مكة الذين تعدوا الحدود ونقضوا العهود وفعلوا الأفاعيل بالمسلمين ثلاثة عشر عاما في مكة، ساموهم سوء العذاب وأخرجوهم من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله... وثمانية سنين، تسعة سنين في المدينة صدام مسلح دامي حرب مستمرة، وغزوا المسلمين في عقر دارهم مرتين أرادوا أن يستأصلوهم في غزوة أحد وغزوة الخندق، فهؤلاء الآية دي نزلت فيهم... ربنا مع هذا أعطاهم مهلة أربعة أشهر قال {**فإذا انسلخ الأشهر الحرم...**} الأربعة الأشهر دي خلاص ما عادش لهم خيار {**...خذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد...**}" انتهى.

✍ قد برع الشيخ في اللف والدوران.

كل المفسرين من أمثال ابن كثير والقرطبي والطبري والجلالين قالوا إن الآية الخامسة من سورة التوبة هي آية السيف لأنها أمرت المسلمين أن يقتلوا المشركين أينما وجدوهم بعد انتهاء الأشهر الحرم.

ولأن كلمة السيف لم تذكر في الآية حاول الشيخ أن ينكر وجودها. فهلا أخبرنا الشيخ بماذا أمرهم الله أن يقتلوا المشركين؟ هل أمرهم أن يقتلوا المشركين بالزهور والعطور؟

المفسرون سموها آية السيف لأن القتل وقتها كان بالسيف. وأغلبهم اتفق على أنها **نسخت أكثر من 120 آية تسامح من القرآن المكي** عندما كان محمد ضعيفاً ولا جيش له، ولذلك تسامح.

✍ يقول هبة الله ابن سلامة البغدادي (ت 410 هجرية) في هذه الآية:

"هذه الآية الناسخة، وذلك أنها نسخت من القرآن مائة آية، وأربعاً وعشرين آية".[9]

ونفس القول نجده في ‹البرهان في علوم القرآن› للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ج2، ص 40.

✍ أما قوله: "إن أهل مكة نقضوا العهود وفعلوا الأفاعيل"، فقول لا سند له. هلا ذكر لنا العهود التي نقضوها؟ وما موقعة أُحُد إلا ثأر لموقعة بدر التي هاجم فيها المسلمون قوافل مكة التجارية وقطعوا عليها الطريق. وإذا أراد الشيخ أن نعدد له الآيات القرآنية التي تحض على القتل وضرب الرقاب فإن ذلك من أسهل الأمور، ولكن يكفي أن نذكر له الآية الرابعة من سورة محمد:

{فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مناً بعد ذلك وإما فداء}.

يقول القرطبي في شرح هذه الآية:

"قال الزجاج: أي اضربوا الرقاب ضرباً. وخص الرقاب بالذكر لأن القتل أكثر ما يكون بها... وقال: {**فضرب الرقاب**} ولم يقل فاقتلوهم، لأن في العبارة بضرب الرقاب من ***الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل*** لما فيه من تصوير القتل ***بأشنع صوره وهو حز العنق*** وإطارة العضو الذي هو رأس البدن."

✍ هل يكفي الشيخ هذا الوصف الجميل لعملية قتل الكفار الذي يدل على تسامح الإسلام؟

- ويقتصد الشيخ في الحقيقة اقتصادا واضحاً عندما يقول:

"{**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة...** (البقرة 193)} حتى لا يفتن أحد عن دينه، لأنه هم كانوا يصادرون من يدخل في الإسلام ويعذبونه العذاب الشديد ويصبون عليه سياط الأذى والتعذيب، فيقول لا، لازم يترك الناس أحرارا {**.. حتى لا تكون فتنة..**}" انتهى.

[9] الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة البغدادي، ص 128.

✍ أولاً: الشيخ **بتر** الآية التي تقول: {**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله**}. والدين عند الله هو الإسلام، كما هو معروف للجميع بحكم الآية {**إنما الدين عند الله الإسلام**} وكذلك {**ومَن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**}.
ثانياً: يقول ابن كثير في شرحه للآية:

"ثم أمر الله بقتال الكفار {**حتى لا تكون فتنة**} أي شرك، قاله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع ومقاتل بن حيان والسدي وزيد بن أسلم. {**ويكون الدين لله**} أي يكون دين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان كما ثبت في الصحيحين - [**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**]"

فالشيخ القرضاوي أمام أمرين هنا:

1. إما أنه يؤمن بما جاء في الصحيحين من أن النبي أُمِرَ أن يقاتل الناس حتى يسلموا، وبالتالي تكون آية السيف صحيحة كما قال جميع المفسرين،
2. أو أنه لا يصدق الأحاديث ويعتمد فقط على القرآن، ويكون قد أنكر السنة، وبالتالي فهو مرتد، حسب رأي فقهاء الإسلام. وحتى بدون الأحاديث، الآية هنا واضحة في عنفها. قاتلوهم حتى يكون الإسلام هو الأعلى على جميع الأديان.

يعني ناقضت هذه الآية قول الشيخ من أن التعددية والاختلاف ضرورة إلهية.

- وفي نفاق يعلو ولا يُعلى عليه، يقول الشيخ:

"هناك دستور أخلاقي للحرب في الإسلام، دستور لا يقاتَل إلا من يقاتِل، لما وجد النبي امرأة مقتولة في.. غضب وأنكر ونهى عن قتل النساء والصبيان قال "لا تقتلوا امرأة ولا وليدا" طفل، لما تقارن بين هذا وبين ما جاء في التوراة، لا تستبقوا نسمة حية، تعاليم التوراة. بيقول لك "لا تقتلوا امرأة ولا وليد" ولا تقتلوا الرهبان في الصوامع ولا تقتلوا الحراث في أرضهم ولا تقتلوا التجار في متاجرهم، وبعدين نهى عن المُثلة لا يجوز أنه يُمَثل بالشخص بعد أن يموت يشوهه، حرم الإسلام هذا، حينما جاء لأبي بكر برأس واحد من قادة الفرس غضب فتح منديل كده وجد رأس، قال ما هذا؟ قالوا يا خليفة رسول الله إنهم يفعلون بنا ذلك، قال آتستاسون بفارس والروم؟! لا يحمل إلي رأس بعد اليوم، لا تحملوا هذه الجيف إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم" انتهى.

✍ أي **دستور أخلاقي** يتحدث عنه الشيخ؟

? هل الذي يأمر بقتل النساء في السلم يتورع عن قتلهن في الحرب؟
? مَن الذي أمر بقتل الشاعرة عصماء بنت مروان وهي ترضع طفلها؟
? مَن الذي قال للمسلم الأعمى الذي قتل المرأة اليهودية التي كانت تُحسن إليه [لا ينتطح فيها عنزان]؟[10]
? مَن الذي أمر بقتل أم قرفة؟[11]
? مَن الذي قتل زوجة حسن القريظي لأنها رمت بحجر يوم قتل جميع رجال بني قريطة؟
? مَن الذي أمر بقتل أطفال بني قريظة الذين بدأ الشعر ينبت في عاناتهم؟[12]

✍ وقد جمع الواقدي عن شيوخه *أسماء من لم يؤمّن يوم فتح مكة وأمر الرسول بقتله وإن وجدوه متعلقاً بأستار الكعبة*، وكانوا عشرة أنفس ستة رجال وأربع نسوة. *فالذي يأمر بقتل أربعة نسوة لأنهن هجونه بالشعر أو الغناء لن يتورع عن قتلهن في الحروب*.
✍ والفقهاء قد أجازوا قتل أطفال ونساء الكفار:

- يقول ابن قيم الجوزية في *الفوائد الفقهية المستنتجة من غزوة ثقيف* التي رمى فيها النبي أهل ثقيف بالمنجنيق:

"ومنها جواز نصب المنجنيق على الكفار، ورميهم به وإن أفضى إلى قتل مَن لم يُقاتل مِن النساء والذُّرِّية".[13]

- يقول مالك في *المدونة*:

"عن الليث بن سعد وعميرة بن أبي ناجية ويحي بن أيوب عن يحي بن سعيد أنه قال لا بأس بابتغاء عورة العدو بالليل والنهار لأن دعوة الإسلام قد بلغتهم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى خيبر فقتلوا أميرهم ابن أبي الحقيق **غيلة**، وإلى صاحب بني لحيان مَن قتله **غيلة** وبعث نفرا فقتلوا آخرين إلى جانب المدينة مِن اليهود منهم ابن الاشرف".[14]

? فهل الذي يغتال الناس غيلةً يتورع عن قتل نسائهم وأطفالهم في الحرب؟
? وإذا كان الإسلام يمنع قتل النساء والصبيان، لماذا أباح فقهاء الإسلام قتل المسلمين الذين **يتترس** بهم العدو، حتى إن كانوا نساءً وأطفالاً؟

✍ أما ماقاله أبو بكر يوم حملوا له رأس القائد الفارسي، *فلا يبرهن على كرهه لقطع رؤوس الأعداء*، فهو لم يقل: لا تقطعوا رؤوس الأعداء. وإنما قال:

"لا يُحمل إليّ رأس بعد اليوم، لا تحملوا هذه الجيف إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم".

فهو لم يحترم رأس العدو القائد، فقال عنه "جيفة"، ولم يقل لا نريد أن نرى رؤوسهم مقطوعة، وإنما قال: لا تحملوها إلى مدينة الرسول. ويمكن لهم أن يحملوها إلى مدن أخرى، كما أثبت تاريخ الدولة العباسية الذي شهد مئات الآلاف من الرؤوس المقطوعة يُطاف بها في المدن.

❍ سأل مقدم البرنامج الشيخ:

"ربما هذا يقودنا إلى سؤال فضيلة الدكتور، يعني التسامح مع مَن يكون، بين مَن ومَن؟ وحول ماذا يكون هذا التسامح؟"

- فرد الشيخ:

"التسامح يكون بين المتخالفين في العقيدة بين المسلمين والنصارى، وفي المذهب بين السنة والشيعة، وفي الأيديولوجيات بين القوميين والإسلاميين، وفي العرقيات بين العرب والبربر." انتهى.

✍ يصدر هذا الكلام من شيخ غضب وأزبد وأرغى وخرج مِن *مؤتمر الحوار بين السنة والشيعة*. يا للتناقض ومحاولة تجميل صورة الإسلام بالكذب والنفاق.

---

[10] الصارم المسلول في شاتم الرسول لابن تيمية، ج1، ص 50.
[11] تاريخ الطبري، ج2، ص126.
[12] نفس المصدر.
[13] زاد المعاد، ج3، ص 272.
[14] المدونة ج3، ص 3.

وأخيراً نقول للشيخ القرضاوي: هل يُصلح العطار ما أفسد الدهرُ؟

عودة إلى الفهرس

2006 / 6 / 14

13 - إله نرجسي وتخبطٌ في قصة الخلق

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=67467

✍ الخطاب الديني عامةً، والإسلامي خاصةً، *ملئ بالتخبط في قصة الخلق.*

- فبدايةً قالت التوراة إن الله خلق العالم في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع، الذي هو يوم السبت. ولم تحدد التوراة علاقة الإنسان بالإله سوى أن الإله يهوه طلب من بني إسرائيل عبادته وحده وإلا سوف يغضب عليهم ويدمرهم.
- وجاءت المسيحية كتكملة للتوراة فقالت إن الإله خلق العالم في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع، الذي هو يوم الأحد، وإن الناس أبناء الله.
- وجاء الإسلام فقال إن الله خلق العالم في ستة أيام لكنه لم يسترح في اليوم السابع لأن الله لا يصيبه اللغوب أي التعب. والله خلق الناس عبيداً له .

✍ والخطاب الديني الإسلامي *أكثر الخطابات تخبطاً في قصة خلق الإنسان.*

- فالقرآن يخبرنا أن الله *خلق آدم بيديه* أي بناه بيديه قبل أن ينفخ فيه الروح، فقال:

{قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أأستكبرت أم كنت من العالين. (ص 75)**}.**

وفي نفس الوقت يخبرنا أن الله إذا أراد شيئاً ما يقول له "كن" فيكون:

{إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون. (النحل 40)**}.**

أي أن الإله لا حاجة له أن يبني بيديه ويكفي أن يقول للشيء كن فيكون كما تصوره. وكرر هذا الأمر ثمان مرات في سبعه سور من القرآن:

{قالت ربِ أنّى يكون لي ولدٌ ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون. (آل عمران 47)**}.**
{إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون. (آل عمران 59)**}.**
{وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون. (الأنعام 73)**}.**
{ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون. (مريم 35)**}.**
{إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. (يس 82)**}.**
{هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون. (غافر 68)**}.**
{بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون. (البقرة 117)**}.**

فلماذا خلق العالم في ستة أيام وبنى آدم بيديه عندما كان في إمكانه أن يقول لكليهما "كن" فيكونان؟

- ثم *من أي شيء خلق آدم*؟
  1. القرآن يقول لنا:

{إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون. (آل عمران 59)**}.**

فالله هنا خلق آدم من تراب، وقال له كن، فكان.

2. وكرر قصة خلق الإنسان من تراب، فقال:

{قال لصاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا. (الكهف، 37)**}.**

3. وللتوكيد قال لنا:

{يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب. (الحج 5)**}.**

4. ولزيادة الأمر توضيحاً قال:

{ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون. (الروم 20)**}.**

فبعد كل هذه الآيات *لا يخامرنا أي شك في أن الإنسان مخلوق من تراب*. ولكن يبدو أن الإله قد خلط التراب بالماء فصار طيناً حتى يستطيع تطويعه وخلقه في هيئة إنسان،

1. فقال:

{ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأٍ مسنون. (الحجر 26)**}.**

2. وأكد على ذلك فقال:

{ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. (المؤمنون 12)**}.**

3. ولكنه أراد أن يحدد لنا أي نوع من الطين قد استعمل في خلق الإنسان، فقال:

{إنا خلقناهم من طين لازب. (الصافات 11)**}.**

- ثم جاءت المفاجأة الكبرى وأخبرنا القرآن *أن الله خلق الإنسان من ماء وليس من طين أو تراب*،
  1. فقال:

{والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع. (النور 45)**}.**

وبما أن الإنسان هو الوحيد الذي يمشي على رجلين، *فيكون الله قد خلقه من ماء وليس من تراب وليس من طين لازب.*

2. وللتوكيد قال:

{وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون. (الأنبياء 30)**}.**

والماء هنا ليس المقصود به ماء الرجل، كما يقولون، إذ أن الأشجار أحياء وقد جعلها من الماء، كما جعل الإنسان.

- ثم أراد الخطاب الديني *أن يوضح لنا كيفية خلق الإنسان على رجلين والحيوانات الأخرى على أربعة*، فقال:

{لقد خلقنا الإنسان في كبدٍ. (البلد 4)}.

- وروى عكرمة عنه قال:

"منتصباً في بطن أمه. والكبد: الاستواء والاستقامة. وهذا امتنان عليه في الخلقة. ولم يخلق الله جل ثناؤه دابةً في بطن أمها إلا منكبة على وجهها إلا ابن آدم، فإنه منتصب انتصاباً. وهو قول النخعي ومجاهد وغيرهما".

- وقال الحسن:

"يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة. أول ما يكابد قطع سرته، ثم إذا قمط قماطاً وشد رباطاً، يكابد الضيق والتعب ثم يكابد الإرتضاع، ولو فاته لضاع، ثم يكابد نبت أسنانه وتحرك لسانه، ثم يكابد الفطام الذي هو أشد من اللطام. ثم يكابد الختان والأوجاع والأحزان ثم يكابد المعلم وصولته والمؤدب وسياسته والأستاذ وهيبته، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه، ثم يكابد شغل الأولاد والخدم والأجناد، ثم يكابد شغل الدور وبناء القصور، ثم يكابد الهرم وضعف الركبة والقدم. فلو كان الأمر له لما اختار هذا. وهذا يدل على أن له خالقاً قضى عليه بهذه الأطوار."[1]

وطبعاً الإنسان لا يُخلق منتصباً في بطن أمه وإنما يكون وضعه في الرحم نفس وضع بقية الحيوانات الأخرى. وكل الأشياء التي ذكروها عن معاناة الإنسان، يعاني منها الحيوان باستثناء المعلم والمربي والخدم وبناء القصور والختان.

فهل تُثبت هذه المتاعب والمصائب أن له خالقاً؟

- ثم *زاد الخطاب الديني تخبطاً في الخلق* فقال: {**من كل شيء خلقنا زوجين.** (الذاريات 49)}. وطبعاً الحيوانات التي كانت معروفة لهم في ذلك الوقت وأمكن لهم مشاهدتها كانت تتكون من ذكر وأنثى، ولكنا نعرف الآن أن هناك حيوانات صغيرة مثل "الهايدرا" Hydra تحمل في جوف الحيوان الواحد ذكراً وأنثى، فهي ليست زوجين. وهناك حيوانات صغيرة أخرى مثل الباكتريا Bacteria تنقسم على نفسها وتتكاثر وليس منها زوجان. والنباتات كذلك غالبيتها تحمل زهرةً فيها الأعضاء التناسلية للذكر والأنثى، فالزهرة ليست زوجين.

ثم ماذا عن القمر والشمس والأرض؟ فهذه كلها أشياء ولكن ليس منها زوجين.

✍ وإذا تركنا هذا التخبط في قصة الخلق، وسألنا أنفسنا سؤالاً بسيطاً: *لماذا خلق الله الإنسان والحيوان والنبات*؟ فالإله الذي في السماء عندما خلق هذه الأشياء، إذا كان قد خلقها، فإن المنطق يخبرنا أنه سوف يجلس في عليائه ويتأمل مخلوقاته الجميلة التي تدل على قدرته في الخلق، تماماً كما يتأمل الرسام لوحته ويُعجب ببراعته، ويزداد فرحاً إذا تأمل الزوار لوحته، لكنه لا يفرض على الزوار أن يقتنوا تلك اللوحة.

ولكن إله السماء الخالق العظيم يبدو أنه **مصاب بالنرجسية** التي أودت بحياة الشاب الإغريقي الوسيم نرجس Narcissus الذي وقع في حب صورته المنعكسة على سطح الماء، كما تقول الأسطورة، فظل يتأملها إلى أن مات. فإله السماء العظيم يقول لنا: {**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدونِ.** (الذاريات 56)}. ثم جعل من كل المخلوقات عبيداً له.

فهل من العدل في شيء أن يخلق الإله الناس لسبب واحد، هو أن يكونوا عبيده ويعبدونه مدى حياته؟

هل يختلف هذا عن موقف الإقطاعي الذي يقتني العبيد ليخدموه؟ الخطاب الديني المسيحي كان أكثر عدلاً عندما قال **إن الناس أطفال الله**. والأب لا بد أن يحنو على أطفاله ويعاملهم معاملة أكرم من معاملة العبيد.

- الخطاب الديني الإسلامي يقول لنا *لا بد أن نمجّد الله الذي يجب أن نتذلل له دائماً*. الله يجب أن ننزهه عن كل خطأ ونقول "**سبحان الله**" مع كل شيء نفعله، إذ أن عبارة "**سبحان الله**" تعني تنزيهه، فقد روى طلحة بن عبد الله قال:

"سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير "سبحان الله" فقال: [**هو تنزيه الله عز وجل عن كل سوء**]"[2].

فالإنسان الذي يقضي يومه كله يمجّد الله بهذه الكلمات يكافئه الله بأجر عظيم. قال النبي:

[كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان على الرحمن: سبحان الله، وبحمده، سبحان الله العظيم][3].

والله نفسه عندما يتكلم عن نفسه يقول {**سبحان الله أو سبحانه**}. فنجد في **سورة الإسراء** ثلاثة آيات بها سبحان الله.

سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى (1).
أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً (93).
ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا (108).

وتتكرر الجملة في **سورة المؤمنون**، و**القصص** و**يس** و**الصافات** (مرتين) و**الزخرف** و**الطور** و**الحشر** و**القلم** و**السجدة**، أي خمس عشرة مرة.

فالإله يحب أن يمجد نفسه وأن يمجده عبيده.

- ثم ينتقل الخطاب الديني من الناس إلى *الملائكة الذين لا عمل لهم غير التسبيح بعظمة الله ليلاً ونهاراً*. فالقرآن يقول:

{يسبحون الليل والنهار لا يفترون. (الأنبياء 20)}.
{وترى الملائكة حافين حول العرش يسبحون بحمد ربهم. (الزمر 75)}.
{الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا. (غافر 7)}.
{فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون. (فصلت 38)}.
{تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض. (الشورى 5)}.

فكل شيء من شجر وحجر وحيوان وملائكة يسبحون لله أثناء الليل وأثناء النهار. فهل هذه صورة الإله العادل الرحيم؟ يخلق الإنسان والجماد والحيوان لغرض واحد فقط: أن يسبحوا له ويعظموه.

أليست هذه نرجسية لا تليق بإله عادل؟ وهل كل هذا التسبيح والتمجيد يزيد شيئاً في قدرة الإله؟

✍ وقد اختصر النبي القرآن كله في التسبيح لله.

---

[1] تفسير القرطبي للآية 4 من سورة البلد.
[2] الجامع لأحكام القرآن، سورة البقرة، 30.
[3] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، المقدمة.

فقد جاء رجل إلى النبي فقال: إني لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئاً، فعلمني ما يجزيني منه. قال له النبي: [**قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله.] فقال له الرجل: يا رسول الله، هذا لله فما لي؟ قال: [قل اللهم ارحمني وعافني واهدني وارزقني.]**[4]

فحتى هذا الرجل البسيط الذي لم يستطع أن يحفظ القرآن، عرف أن كل التسبيح والتعظيم لله وليس للإنسان منه شيء .

- ورغم أن الإله المفروض فيه أن يكون *عارفاً بنوايا الناس*، إلا أن الخطاب الديني يجعله *عطشان إلى سماع التمجيد والتعظيم من عبيده*، فقد قال فُضيل بن مرزوق، عَن عَطِيَّة العَوْفِى، عن أبى سعيدٍ الخُدْرِىِّ قال:

"قالَ رَسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: [**مَا خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْتِهِ إلى الصَّلاَةِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِى أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ، وَبِحَقِّ مَمْشَاىَ هذَا إِلَيْكَ، فَإِنِّى لَمْ أَخْرُجْ بَطَرَاً وَلاَ أَشَراً، وَلاَ رِيَاءً، وَلاَ سُمْعَةً، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ اتِّقَاءَ سُخْطِكَ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُنْقِذَنِى مِنَ النَّارِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِى ذُنُوبِى، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، إِلاَّ وَكَّلَ اللَّهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ، وَأَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ حَتَّى يَقْضِى صَلاتَه**]"[5] .

فالملائكة المساكين مع تسبيحهم لله ليلاً ونهاراً عليهم أن يستغفروا لمثل هذا الرجل الذي يُشبع رغبة الإله في التعظيم والتبجيل لدرجة أن الإله يُقبل عليه بوجهه ليسمع زيادة في المدح والتمجيد؟

✍ ومع كل هذا التقدير والتعظيم له، يظل إله السماء، المعجب بنفسه وبقدرته، *يستدرج عباده لارتكاب المعاصي* حتى يستطيع أن يملأ بهم جهنم التي وعدها أن يملأها من الجن والناس:

{ولو شاء ربك لجعل الناس أمةً واحدةً ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين. (هود 118، 119)**}.**

فهذا الإله الذي كان يمكن له أن يخلق الناس أمةً واحدة، **خلقهم ليختلفوا** حتى يستطيع أن يدخل بعضهم النار ويثبت لنفسه أنه قوي عزيز منتقم.

✍ وهذا الإله النرجسي *لا يتحمل أن يكون شخصٌ أكثر مكراً منه*، فهو خير الماكرين. يقول لنا الشيخ بن باز:

"يحذر الله سبحانه عباده من الأمن من مكره فيقول سبحانه: {**أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**}. المقصود من هذا تحذير العباد من الأمن من مكره بالإقامة على معاصيه والتهاون بحقه ، والمراد من مكر الله بهم كونه يملي لهم ويزيدهم من النعم والخيرات وهم مقيمون على معاصيه وخلاف أمره ، فهم جديرون بأن يؤخذوا على غفلتهم ويعاقبوا على غرتهم بسبب إقامتهم على معاصيه وأمنهم من عقابه وغضبه ، كما قال سبحانه: {**سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ**} وقال عز وجل: {**وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**} **وقال سبحانه: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ}**"[6] .

✍ فهل بعد **هذه النرجسية من الخطاب الديني**

- نستطيع أن نلوم رئيس تركمنستان على أمره بأن تُنقش عبارات من كتابه "روحنامة" مع آيات القرآن على جدران جميع المساجد؟
- وهل نستطيع أن نلوم الشيخ حسن نصر الله على غضبه عندما سخر التلفزيون اللبناني من شخصه المعصوم؟
- وهل نستطيع أن نلوم العقيد معمّر القذافي على إجبار الليبيين على قراءة كتابه الأخضر؟

فالنرجسية والتخبط جزءان لا يتجزأن من الخطاب الديني.

عودة إلى الفهرس

[4] الجامع لأحكام القرآن، سورة الفاتحة.

[5] زاد المعاد لابن قيم الجوزية، ج2، ص 209.

[6] فتاوى بن باز، ج2، ص 318.

14 - وعاظ السلاطين يبيعون السراب في المونديال

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=67875

وعاظ السلاطين كثيرون كثرة الأديان على أرضنا هذه، فهناك اليوم **اثنتان وعشرون ديانة** يعدّها المتخصصون في علم الأديان ديانات عالمية. وهناك ما لا يقل عن **مائة وخمسين ديانة محلية**، عدد أتباع كلٍ منها يزيد على المليون شخص. *وتشترك كل هذه الأديان في أن محتكريها والداعين لها يبيعون أتباعهم أحلاماً وردية بحياةٍ دائمة في العالم الآخر ويجنون لأنفسهم أموالاً طائلة وجاهاً عريضاً وسلطة دنيوية*. ولا يختلف محتكرو ديانة الإسلام عن بقية محتكري الديانات الأخرى إلا بتكالبهم على السلطة وعلى إرضاء السلطان.

فشيوخ الإسلام الذين احتكروا الحديث باسم الله ونبيه لم يقنعوا بهذا الشرف وبالأموال الهائلة التي جمعوها من بيع الأحاديث والآيات التي غسلت عقول الناس، فأرادوا أن يحتكروا السلطة التي سموها **الحاكمية**. وقد اقتبسوا هذا المصطلح من **الخوارج** الذين رفضوا احتكام علي بن أبي طالب ومعاوية إلى أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص وقالوا *إن لا حكم إلا لله*.

فاقتبس رجال الدين مقولة الخوارج بعد أن ذبحوهم باسم الله، وبهذه المقولة تسلق *الملالي* على أكتاف وهتافات الرجرجة والدهماء[1] الذين رحبوا بالخميني في إيران عام 1979 *فأصبحوا هم الحكام وأصبح مرشد الجمهورية الناطق الرسمي باسم الله* واستشرى الفساد في أرض إيران.

أما شيوخ الإسلام السعوديين الذين ظلوا يسيطرون على السلطة *من وراء الكواليس*، *ظل همهم الأول إرضاء السلطان حتى لا يغضب عليهم ويسلبهم امتيازاتهم الدنيوية*. والركض خلف إرضاء السلطان قد قادهم إلى **تناقضات بيّنة وواضحة للعيان وربما لهم أنفسهم،** لكنهم تجاهلوها في سبيل إرضاء الملوك المتعاقبين على العرش السعودي.

- فطوال القرن المنصرم كانت *الفتاوى* تترى علينا ضد كل شيء من زينة الحياة الدنيا.
  - فقد حرموا الغناء والحفلات والاحتفال بعيد الحب أو بعيد ميلاد المسيح (الكريسماس).
  - وحرموا حتى اللون الأحمر في المملكة لأنه رمز لعيد الحب.
  - وحرموا على المسلمين حتى تهنئة المسيحيين بأعيادهم.
- ومنهم من ألَف عدة كتب في هذا المضمار، أخص منهم الشيخ حمود بن عبد الله بن عقلاء الذي تخرج على يديه الشيخ المختلف عليه سلمان العودة والشيخ علي بن خضير الخضير *الذي كان يدعو إلى الإرهاب في فتاواه* ثم أضطر أن يعتذر للشعب السعودي من على شاشات التلفزيون حديثاً.

الشيخ ابن عقلاء ألف كتاباً عنوانه ‹القول المختار في حكم الاستعانة بالكفار› لم يترك فيه مجالاً لغير المسلم لكسب عيشه في بلاد المسلمين. ثم أصدر عدة فتاوى في *البدع المستحدثة* مثل بدعة التصوير ولعب الكرة. وقد جاراه في هذه الفتاوى أغلب الشيوخ السعوديين فشنفوا آذاننا بأحاديث مثل "**أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون**" و كذلك "**لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة**". ورغم أنهم أوجعوا رؤوسنا بحديث تميم الداري الذي قال فيه إن النبي قال: [**إنما الدين النصيحة. قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم**].

> (ورغم أن جامعة الملك سعود تُخرّج كل عام مئات الشيوخ والدكاترة وحتى البروفسورات في علوم الدين، لم نسمع أن شيخاً واحداً قد نصح الملوك السعوديين ألا يعلقوا صورهم الضخمة الفخمة في جميع مكاتب الدولة ومستشفياتها وأسواقها. وهذه هي **التقية** في أحسن صورها لأن الملوك الذين "**إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك هم يفعلون**" كما يقول القرآن، لغضبوا على الشيوخ لو تفوهوا بمثل هذا القول. وعندما زار الملك عبد الله مدينة حائل حديثاً اصطف مئات من المواطنين على جنبات الطريق الذي شهد مرور موكب الملك عبد الله، حيث رفعت الأعلام السعودية، وزينت الشوارع بصور "فارس العرب"، اللقب الذي فضل بعض أهالي المنطقة أن يصفوا مليكهم به. وقد عمد بعض أهالي مدينة حائل، إلى رفع صور الملك، على أعالي منازلهم، في الوقت الذي قام فيه عدد كبير من شباب المنطقة، بإلصاق صوره على نوافذ سياراتهم) [2].

ورغم تحريم التصوير فقد خيّم الصمت على الشيوخ. ونسوا أن التشبه بالكفار عندما يستقبلوا حكامهم منهي عنه (**مَن تشبه بهم فهو منهم**).

- وقد أصبح وعاظ السلاطين **كالحرباء،** يغيرون لونهم حسب توجهات الملك. ففي عهد الملك خالد كانت الكرة مضيعة للوقت تصرف الشباب عن عبادة الله، وفيها تشبه بالكفار لأن اللاعبين يلبسون لبس الكفار ويتصرفون مثلهم. ثم جاء الملك عبد الله *الذي شجع الانفتاح وشجب التشدد*، وفجأة

> " وقف رجال الدين في السعودية مع الرياضة في شكل منقطع النظير، ويساندون المنتخب السعودي في المونديال العالمي لكرة القدم الذي انطلقت أحداثه يوم الجمعة الماضي، في ظل وجود متدينين عدة لا تروق لهم ممارسة رياضة القدم معتبرينها مضيعة للوقت، لكن إشهار عدد من نجوم الرياضة العالمية إسلامهم جعلهم يعيدون النظر في ذلك، ولعل أخرهم إشهار المدرب العالمي الفرنسي فيليب تروسيه إسلامه أخيرا خير دليل، وبات عدد كبير من رجال الدين يؤكدون أن الرياضة رسالة سامية في ظل وجود التنافس الشريف." [3].

والحمد لله الذي جعل المدرب فيليب تروسيه يعلن إسلامه مما فتح عيون الشيوخ على الرسالة السامية التي ظهرت لهم في الرياضة في ظل التنافس الشريف. وطبعاً هذا التنافس الشريف في كرة القدم لم يظهر إلا مع إسلام المدرب الفرنسي الذي شجع اللاعبين على هذا التنافس.

> ونستطيع أن نجزم أن توجه الملك عبد الله نحو الانفتاح لم يؤثّر في قرار الشيوخ بخصوص المونديال وإنما أثّر فيهم إشهار إسلام المدرب الفرنسي الذي يعادل إسلامه إسلام مائة مليون من مسلمي نيجيريا وبنگلاديش وغيرها.

ورغم أن مونديال كرة القدم الحالي في ألمانيا يضم عشرات الدول ذات المذاهب الدينية المختلفة، ورغم أن المتفرجين قد حضروا إلى المونديال لتشجيع فرقهم وللاستمتاع بالجو الاحتفالي العام الذي تحتل البيرة فيه مكان الصدارة،

> "فقد عكف رجال الدين في توعية لاعبي المنتخبين العربيين المشاركين في الحدث العالمي (التونسي والسعودي) في شكل كبير، وكيف يؤثرون في المجتمع الغربي، ويغيرون النظرة السلبية السائدة عندهم عن المجتمع الإسلامي إلى

[1] الرجرجة والدهماء مصطلح حديث يعني عامة الشعب غير المتعلمين ويعادلها في الإنكليزية مصطلح ragtag and bobtail كما يقول قاموس Babylon.

[2] الشرق الأوسط، 14 يونيو 2006.

[3] أحمد عايض، إيلاف، 16 يونيو 2006.

نظرة إيجابية، من خلال حسن التعامل والخطاب والحوار الجاد، بل ذهب عدد من الاختصاصيين إلى ضرورة تواجد عدد من المتمرسين الواعيين ببواطن الأمور الدينية وممَن يمتلكون أسلوبا ناضجا وجادا في لغة الحوار والتخاطب إلى جانب المنتخب السعودي في ألمانيا من أجل التوعية ونشر المفاهيم الصحيحة للدين الإسلامي".[4]

وقد برهن اللاعبون السعوديون على أنهم قد استوعبوا الدرس جيداً عندما سجدوا في شكل جماعي بعد إحراز هدف التعادل في مرمى الفريق التونسي الذي لم يستوعب لاعبوه الدرس.

ولا شك فإن سجود اللاعبين السعوديين في وسط الميدان سوف يجعل الأوروبيين ينسون تفجيرات مدريد وتفجيرات لندن وتفجيرات مترو باريس وتفجيرات النادي الليلي في برلين الذي قام به الليبيون المسلون **ويصححون مفاهيمهم الخاطئة عن الإسلام،** *دين السلام والمحبة*.

وإذا لم يقنعهم سجود اللاعبين، الذين يبدو أنهم قد أسلموا حديثاً لأنهم لم يسجدوا في أي من المونديالات السابقة ولا في المباريات العالمية والآسيوية التي خاضوا غمارها عدة مرات، فسوف يقنعهم المتخصصون المتمرسون الواعون ببواطن الأمور الدينية الذين صحبوا الفريق إلى ألمانيا، وقد رأينا كيف يجادل هؤلاء المتمرسون عندما جادل الشيخ الأزهري الدكتورة وفاء سلطان على قناة الجزيرة. وقد طالب الشيخ عبدالله القحطاني، بضرورة الاستفادة من هذا الحدث الرياضي البارز في عكس الصورة الحقيقية للدين الإسلامي من خلال حسن التعامل في القول والفعل، كون كل عمل محسوب على الشخص الذي ينتمي لبلده، وأنها فرصة سانحة *لعرض سماحة الدين الإسلامي* **الذي نبذ التطرف والإرهاب**. وكون الشيخ استعمل كلمة "نبذ" فيه دلالة واضحة واعتراف منه أن الإسلام كان قد احتضن الإرهاب ثم قرر الآن بعد فوات الأوان نبذه. فكلمة "نبذ" تعني: طرح ورمى الشيء لقلة الاعتداد به (المنجد في اللغة والإعلام). والشخص لا يطرح ويرمي إلا ما يملك.

والغريب أن معتنقي الأديان الأخرى يعتقدون أن الله معهم وسوف ينصر فريقهم، فنرى اللاعبين من **أمريكا الجنوبية** التي تسيطر عليها الديانة الكاثوليكية، يرسمون علامة الصليب على صدورهم وجباههم كلما دخل أحدهم الملعب أو خرج منه ولسان حاله يسأل الإله أن يسدد قدمه لتسجيل هدف النصر. وإذا سجل أحدهم هدفاً فإنه يرسم علامة الصليب على صدره ثم يسجد ثم يركض ليحتفل بالهدف. واللاعبون **الإيطاليون** وكذلك **الإسبانيون** يفعلون نفس الشيء. أما **المنتخبات الإسلامية** فلا يخامرهم أي شك أن الله حتماً معهم وسوف ينصرهم ويهزم أعداءه من الديانات الأخرى. وحتى لا ينساهم الله إذا نسوه فلا ينصرهم لأن الله ينسى من ينساه، يستعمل **الفريق النيجيري** *أحد الشيوخ الذي يجلس خلف مرماهم ويردد تعاويذ تحول بين الفريق الآخر ومرمى نيجيريا*.

أما في **مصر** فإن إسم الله يتردد آلاف المرات في أي مباراة، خاصة إذا كانت ضد فريق أجنبي،

" وقبل سنوات كان الفريق القومي المصري قد فاز بكأس الأمم الإفريقية واستقبلته القاهرة استقبال الفاتحين وكان مذيع مصري يعلق على وقائع وصول .. الأبطال .. إلى القاهرة ووجد هذا المذيع في مخزون لسانه ما يمدح به فريقَ بلده القومي .. قال: '*إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى*'."[5]

وقد كتب الدكتور خالد منتصر مرة في موقع إيلاف عن حَكم كرة القدم المصري *الذي يصر على إيقاف المباراة لرفع الأذان والصلاة*. ويبدو أن الإله في المونديالات الكروية دائماً يخذل عشرات الفرق من عدة أقطار ذات ديانات مختلفة وكلهم يتوسلون إليه بعدة لغات، وينصر فريقاً واحداً، يكون في أغلب الأحيان من أمريكا الجنوبية. ربما أن الإله يناصر الكاثوليكية أكثر من الأديان الأخرى. ويبدو كذلك أن قول القرآن: {**وقال ربكم ادعوني أستجب لكم**. (غافر 60)} لا ينطبق على الفُرق الإسلامية إذ لم يفز بكأس العالم أي منها.

ورغم مباركة الشيوخ للمونديال وتصريحهم أن الكرة تساعد في نشر الإسلام فقد أمرت *هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر* جميع المقاهي بالمملكة بقفل التلفزيونات وقت صلاة العشاء عندما كان الفريق السعودي خاسراً بهدفين مقابل هدف واحد. فثارت ثائرة الشباب الذين كانوا يشاهدون منتخبهم القومي في المقاهي والاستراحات،

"وبدأت الشتائم توجه لكل من له صلة بإغلاق الشاشات ليعاد تشغيلها بعد أقل من ثلاث دقائق من وقت إغلاقها، ليفاجأ الجماهير بهدف التعادل السعودي، وهو مازاد من غضبهم على العاملين في تلك المقاهي."[6].

والغضب طبعاً كان موجها لهيئة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر **ولكن الشباب تعلموا من الشيوخ كيف يستعملون التقية** ويقولون في نفس الوقت "إياكِ أعني فاسمعي يا جارة". ومع أن الشيوخ قد قالوا إن الكرة تساعد على نشر الإسلام، وبالمملكة ما لا يقل عن أربعة ملايين أجنبي أغلبهم غير مسلمين، يبدو أن الكرة لا تنشر الإسلام في السعودية نفسها وإنما تنشره في أوروبا. وقد علق بعض الشباب في المقاهي على إغلاق التلفزيونات، فقال علي القحطاني أحد المشجعين السعوديين:

"إنه من غير المنطقي أن يتم إغلاق الشاشات مع وجود متسع للوقت بعد صلاة العشاء لأدائها ونحن متعودون دائماً على مباريات الدوري السعودي بعد صلاة العشاء، لكن مباراة المنتخب أهم وأتت في وقت حرج والدين يسر. رأي القحطاني وافقت عليه الآراء المتواجدة في أحد المقاهي شمال العاصمة الرياض."[7]

فهل يفهم وعاظ السلاطين أن الشباب قد اكتشف أنهم يبيعونهم سراباً ما عاد يروي ظمأهم، وأن الشيوخ أصبحوا كمَن "يبيع المية في حارة السقايين."

وليتني أعرف رأي وعاظ السلاطين في اللون الأحمر الذي كانوا قد حرّموه في الرياض فأصبح رمز مونديال عام 2006 لأن شركة البيرة الفرنسية "إستيلا آرتوا" قد اشترت حق الإعلان بالمونديال وطلت كل الجدران في الملاعب باللون الأحمر.

هل يا تُرى يؤثر هذا اللون الأحمر المحرّم في نشر الإسلام بواسطة الكرة؟

عودة إلى الفهرس

[4] نفس المصدر.

[5] المصري إبراهيم، إيلاف، 23 سبتمبر 2004.

[6] (مساعد الرشيد، إيلاف، 17 يونيو 2006).

[7] نفس المصدر.

15 - مزارع الخصيان والدجاج

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=68231

كان عرب ما قبل الإسلام، أي فترة الجاهلية، كما يحلو للإسلاميين وصف تلك الفترة من تاريخ العرب، قوماً مرفوعي الرؤوس يأنفون عن الخضوع لغيرهم ويحمون استقلالهم بسيوفهم. وقد تصادف في تلك الفترة أن زار عثمان بن الحويرث، أحد الأحناف، قيصر الروم الذي توَّجَه ملكاً وولاه أمر مكة. ولما رجع عثمان إلى مكة وأخبرهم بأمر تعيينه ملكاً عليهم، أنفوا من أن يدينوا لملك، وصاح الأسود بن أسد بن عبد العزى قائلاً: "ألا إنّ مكةَ حيّ لقاح† لا تدين لملك" فلم يتم لعثمان ما أراد ورجع إلى الشام حيث مات مسموماً.[1]

† حول معنى ودلالة مصطلح ‹اللَّقَاحِيَّة›، الرجاء مراجعة مقال الراحل الكبير **هادي العلوي** (الوارد بعد المقال الحالي).

فإذا كان هذا حال العرب في تلك الأيام، فما الذي حدث لهم حتى أصبحوا يدينون بالولاء للقاصي والداني من العسكر والملوك والأمراء؟ لا بد أن الذي مرّغ أنوفهم في التراب وعلّمهم الخضوع ***كان فتح مكة في العام الثامن الهجري***.

"فعندما اقترب محمد وجيشه من مكة ذهب أبو سفيان بن حرب، زعيم قريش لمقابلته ومحاولة تجديد الصلح، فقال له العباس بن عبد المطلب: ويحك أسلم قبل أن تُدق عنقك. فأسلم ورجع إلى مكة فصاح فيهم: " يا معشرَ قُريش؛ هذا محمد قد جاءكم فيما لا قِبَلَ لكم به، فمَن دخل دارَ أبي سفيان، فهو آمن، فقامت إليه هندُ بنتُ عتبة، فأخذت بشَاربه، فقالت: اقتلُوا الحَميت الدسِم، الأحْمَشَ السَّاقين ، قُبِّح مِن طَلِيعَةِ قوم. قال: ويلكم، لا تغرَّنَّكم هذه مِن أنفسكم، فإنه قد جاءكم بما لا قِبَلَ لكم به."[2]

فهند بنت عتبة زوجة أبي سفيان عرفت أن زوجها الصنديد الذي لا يهاب الحروب قد كُسرت شوكته ولم يعد ذلك الرجل الذي عرفته.

أدخل الدين الجديد *عامل التعذيب*،

فأباح النبي

- تعذيب الأعراب الذين استاقوا إبله بعد أن قتلوا الراعي

"قَدِمَ رَهْطٌ من عُرَيْنَةَ وَعُكَل على النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، فاجْتَوَوا المدينة، فشكوا ذلك إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، فقال لو خرجتم إلى إبِل الصدقة فشربتم من أبوالها وألبانها، ففعلوا، فلما صحُّوا، عمدوا إلى الرُّعَاةِ فقتلُوهم، واستاقُوا الإبل، وحاربُوا الله ورسوله، فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم، فأُخِذُوا، فَقَطَعَ أيديَهُم، وأرجُلَهُم، وسَمَلَ أعْيُنَهُم، وألقاهم في الشمس حتى ماتوا".[3]

- وعذب كذلك كنانة بن الربيع الذي كان يحفظ كنز بني النضير فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير ابن العوام، فقال:

عذِّبه حتى تستأصل ما عنده، فكان الزبير يقدح بزَنْدٍ في صدره، حتى أشرف على الموت، ثم دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن مَسْلَمة، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة.[4]

فأصبح التعذيب من سياسة الدولة الإسلامية

- حتى أن ابن القيم قال في قصة الكنز هذه:

"وفيها دليل على جواز تعزيرِ المتهم بالعُقُوبة، وأن ذلك مِن السياسات الشرعية، فإنَّ الله سبحانه كان قادراً على أن يَدُلَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على موضع الكنز بطريق الوحي، ولكن أراد أن يَسُنَّ لِلأُمَّةِ عقوبةَ المتهمين، ويُوسِّعَ لهم طُرُقَ الأحكام رحمة بهم، وتيسيراً لهم".[5]

فأصبح التعذيب رحمةً للمسلمين وسنةً من سنن الشريعة.

وجاءت *الدولة* الأموية فرسّخت في الناس التعذيب وقطع الرؤوس وحملها على الرماح أو إرسالها إلى الخليفة في الشام حتى يعرضها على الملأ.

- وكمثال لذلك نذكر قصة يزيد بن عبد الملك عندما عزل عبد الرحمن الضحاك عن ولاية المدينة لأن الضحاك كان قد خطب فاطمة بنت الحسين بن علي بعد موت زوجها، ولما سمع يزيد بذلك قال:

"لقد اجترأ ابن الضحاك هل مِن رجل يسمعني صوته في العذاب؟ وأنا على فراشي؟ قيل له: عبد الواحد بن عبد الله النضري، فدعا بقرطاس فكتب بيده إلى عبد الواحد: قد وليتك المدينة فاهبط إليها واعزل عنها ابن الضحاك وغرمه أربعين ألف دينار وعذبه حتى أسمع صوته وأنا على فراشي".[6]

وعذّب عبد الواحد عبد الرحمن بن الضحاك وصادر أمواله **فاضطر ابن الضحاك أن يلبس الصوف ويسأل الناس.**

وأصبح التعذيب والقتل يحدث لأبسط الأسباب، مثلاً

عندما كان مالك بن المنذر والياً على العراق في خلافة يزيد بن عبد الملك، وكانت ثورة **الخوارج** في أوجها، أبلى عمر بن يزيد الأسيدي في قتال الخوارج، فقال الخليفة يزيد بن عبد الملك: هذا رجل العراق. **فاغتاظ مالك بن المنذر من ذلك وظل يتربص الفرص ليفتك بعمر بن يزيد**. وفي يوم اجتمعا معاً فذكر مالك بن المنذر عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر فافترى عليه ، فقال له عمر بن يزيد: لا تفتر على مثل عبد الأعلى. فاغلظ له مالك وضربه بالسياط حتى قتله.[7]

وطبعاً لم يكن هناك مَن يسأل مالك بن المنذر لماذا قتل ذلك القائد لأن التعذيب أصبح سنةً شرعية.

---

[1] السيرة النبوية لابن هشام، ج2، ص54.
[2] زاد المعاد لابن القيم الجوزية، ج3، ص 216.
[3] الطب النبوي لابن القيم، ص 52.
[4] السيرة النبوية لابن هشام، ج4، ص 307.
[5] زاد المعاد، ج3، ص 68.
[6] الكامل في التاريخ للمبرد، ج4 ص 6.
[7] نفس المصدر، ص 26.

وعندما مات يزيد وتولى الخلافة أخوه هشام بن عبد الملك كان الوالي على خراسان الجنيد بن عبد الرحمن. ولما تزوج الجنيد الفاضلة بنت يزيد بن المهلب، غضب الخليفة هشام وعزله وولى بدلاً منه عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي وقال له: *إن وجدت الجنيد على قيد الحياة فازهق روحه*. ولما وصل عاصم إلى خراسان كان الجنيد قد مات وتولى مكانه ابن عمه عمارة بن حريم. فأخذ عاصم عمارة هذا وعذّبه وعذّب معه كل عمال الجنيد بالأقاليم.[8]

وفي عام مائة وسبعة عشر عندما بدأ الناس يدعون لبني العباس، أخذ أسد بن عبد الله جماعة من دعاة بني العباس بخراسان **فقتل بعضهم** ، **ومثّل ببعضهم وحبس بعضهم** وكان فيمن أخذ سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب. فدعا موسى بن كعب وألجمه بلجام حمار وجذب اللجام فحطمت أسنانه ودق وجهه وأنفه.[9]

كل هذا لأنهم أظهروا عدم الرضى بالنظام القائم.

- وفي نفس الوقت بالغ الخلفاء الأمويون ومن بعدهم العباسيون **في جمع الخراج والزكاة حتى أفقروا شعوبهم وأذلوهم** عن طريق الضرب والتعذيب. يقول أبو يوسف، قاضي بغداد في عهد الرشيد، في وصف جباة الخراج:

" فإنه بلغني أنهم يقيمون أهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد ويعلقون عليهم الجرار ويقيدونهم بما يمنعهم من الصلاة، وهذا عظيم عند الله شنيع في الاسلام".[10]

فكانت السياسة هي تعذيب الناس وتحقير قادتهم **حتى تنكسر الروح العربية التي جعلت أهل مكة يرفضون أن يكون عثمان بن الحويرث ملكاً عليهم**.

وكلما زاد فقر الناس وخضوعهم كلما زادت قسوة الحكام على رعاياهم وأصبح الجلد وقطع الألسنة وقطع الرؤوس من الممارسات المألوفة. وزاد قمع جباة الخراج على الناس ونجحوا في جمع كميات خيالية من الضرائب للخلفاء الذين صرفوها على ملذاتهم من غلمان وجواري. وقد وصف ابن المعتز ما كان يجري على أيدي جباة الضرائب من مظالم في الدولة العباسية، فقال:

" إذا عجز الرجل عن أداء خراج ضيعته سلّط عليه عامل الخراج أعوانه فيأخذونه من تلابيبه ويجرونه إلى الحبس جراً ثم يقيدونه بالحبال المصنوعة من القنب ويعلقونه في عرى الجدار ثم يأخذون في صفعه أمام الناس وفيهم العدو الشامت به والصديق المتأسي له، فإذا استغاث من ألم الضرب وسعير الشمس رفسه الأعوان وصب عليه السجان الزيت فشوه هيئته".[11]

كل هذا لينعم هارون الرشيد بجواريه وغلمانه.

وفقهاء الإسلام ظلوا صامتين لا يرفعون كلمة حق عند سلطان جائر بل يباركون ذلك ويجدون للخلفاء الأعذار الشرعية. ولذلك خلا تاريخ الإسلام من ذكر تعذيب رجال الدين، خلا الإمام أحمد بن حنبل، وكان تعذيبه في رفضه قبول خلق القرآن.

- ولما شبع الخلفاء من الإماء والغلمان، ملئوا قصورهم **بالخصيان**، *فكان في قصر المقتدر بالله في هذا الوقت أحد عشر ألف خادم خصي من صقلبي ورومي*[12]. ومع أن الخصيان كانوا من الصقالبة والروم إلا أن العرب قد فهموا رسالة «إياك أعني فاسمعي ياجارة» وسلكوا طريق الخضوع التام للسلطان كي لا يلحق بهم الخصي.
- ومع ازدياد خضوع الشعب أصبح عامل الخليفة يتحكم في رقاب الناس، فمثلاً

عندما أشار الوزير المخلوع أحمد بن علي بن حسن بن مقلة على الخليفة الراضي بمسك ابن رائق، وبلغ ذلك ابن رائق، حبس ابن مقلة ثم أخرجه وقطع يده فكان يشد القلم عليها ويكتب. ولما بلغ ابن رائق دعاؤه عليه وعلى الراضي قطع لسانه وحبسه إلى أن مات في أسوأ حال ودُفن مكانه[13].

ولم يحرك الفقهاء ساكناً ولم يطالبوا بمحاكمة ابن رائق ولا بدية ابن مقلة. فإذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب.

- وكأن كل هذا لم يكفِ الخلفاء فوظفوا **وعاظهم** الذين صمتوا عن إدانتهم، **لتخدير ما تبقى من أحاسيس الناس**. فأصدروا **الفتاوى** وألفوا الأحاديث التي تحث الناس على الرضى بما يفعله السلطان فإن ما يفعله السلطان هو قضاء الله وقدره.

وأخرج البيهقي في الشُعب عن أبي عبيدة بن الجراح قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: [**لا تسبوا السلطان فإنهم فيء الله في أرضه**][14].

وكان الوعاظ ينصحون الناس بأن لا يشتكوا من ظالم. فالظلم قد حل بالناس من جراء ما عملت أيديهم، وذهبت البركة منهم لسوء نياتهم، والناس على نياتهم يرزقون

تماماً كما قال القرضاوي حديثاً إن الله لم ينصر المسلمين لأنهم لم يؤمنوا بعد.

ويروى عن الرسول أنه قال: [**لا تسبوا الولاة، فإنهم إن أحسنوا كان لهم الأجر وعليكم الشكر. وإن أساؤوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر. وإنما هم نقمة ينتقم الله بهم ممَن يشاء، فلا تستقبلوا نقمة الله بالحمية والغضب، واستقبلوها بالاستكانة والتضرع**][15].
وأخرج مسلم عن ابن عمر، قال رسول الله (ص): [**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصيةٍ فإن أُمر بمعصيةٍ فلا سمع ولا طاعة**][16].

ورووا عن الصحابي الاشتراكي أبي ذر أن جماعة من العراق أتوه فقالوا له: "يا أبا ذر فعل بك هذا الرجل وفعل، فهل أنت ناصب لك راية؟" فقال: "لا تذلوا السلطان فإنه مَن أذل السلطان فلا توبة له، والله لو أن عثمان صلبني على أطول خشبة لسمعت وصبرت ورأيت أن ذلك خير لي."[17].

---

[8] نفس المصدر ص 53.
[9] نفس المصدر ص 53.
[10] أبو يوسف، كتاب الخراج، نقلاً عن وعاظ السلاطين لعلي الوردي، ص 42.
[11] أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين، عبد السلام الترمانيني، دمشق.
[12] تاريخ بغداد للبغدادي، ص 116.
[13] شذرات الذهب للدمشقي، ج2، ص 311.
[14] الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، سورة النساء، 59.
[15] أبو يوسف، كتاب الخراج، ص 11، نقلاً عن وعاظ السلاطين، ص 62.
[16] مسلم 39/1839.
[17] تاريخ الإسلام للذهبي، ج2، ص 148.

وكذلك: [مَنْ خلَعَ يَداً منْ طَاعَةٍ لَقِي اللَّهَ يوْم القيامَةِ ولاَ حُجَّةَ لَهُ ، وَمَنْ ماتَ وَلَيْس في عُنُقِهِ بيْعَةٌ مَاتَ مِيتةً جَاهِلِيَّةً][18].

وكذلك: "عن أبي هُنَيْدَةَ وائِلِ بن حُجْرٍ رضي اللَّه عنه قالَ: سأَلَ سَلَمةُ بنُ يزِيدَ الجُعْفيُّ رَسُولَ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم، فقالَ: يا نبي اللَّهِ ، أرَأَيْتَ إنْ قَامَتْ علَيْنَا أُمراءُ يَسأَلُونَا حقَّهُمْ، ويمْنَعُونَا حقَّنا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟" فَأَعْرضَ عنه، ثُمَّ سألَهُ، فَقَال رَسُولُ اللَّهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم: [**اسْمَعُوا وأَطِيعُوا، فَإنَّما علَيْهِمْ ماحُمِّلُوا وعلَيْكُم ما حُمِّلْتُمْ**] رواهُ مسلم.[19]

فحتى الرسول أمرهم بطاعة الولاة الغاشمين بعد أن امتنع عن الجواب أولاً، عسى أن ينساه السائل.

- وأصبح الدين حقيقةً **أفيون العرب** الذي يخدرهم ويساعدهم على تحمل العذاب والتنكيل ويبرر لهم الخنوع والخضوع لحكامهم. ولكن رغم هذا القمع ظلت هناك **جذوة من الشهامة في العربي** فقام بعضهم بالثورات على الخلفاء الأمويين والعباسيين، *ولكن مُنيّت كل هذه الثورات بالفشل والتنكيل بالثوار لأن المتسلقين والمنتفعين بأموال السلطان كانوا أكثر من الثائرين.*
- وجاءت **الطامة الكبرى** مع آل عثمان عندما احتلوا العالم العربي باسم *الخلافة العثمانية* **فأدخلوا الخازوق** إلى تلك البلاد **وقضوا على آخر جذوة من الرجولة في العربي.**
  فلم تقم ثورات على الحكم التركي، رغم فظاعته، إلا ما ندر مثل *ثورة المهدي في السودان.*
- ثم اكتملت الكارثة في العالم العربي بعد ثورة يوليو 1952 في مصر ونيل البلاد العربية استقلالها من الاستعمار الأجنبي.
  - فكل الحكام العرب كانوا ينظرون إلى عبد الناصر نظرة الطالب إلى أستاذه.
  - وعندما أثبت عبد الناصر دور المخابرات وتعذيب المعتقلين **في إخماد أي محاولة إخلال بدولته البوليسية،** تسارع الحكام العرب في إرسال رجال شرطتهم ليتدربوا على **فنون التعذيب** في ألمانيا الشرقية ورومانيا الدكتاتور شاوسيسكو.
  - واكتملت المأساة وأُطفئت جذوة الثورات والحركات العمالية والطلابية في العالم العربي وأصبح الرجل العربي لا يثق حتى في أخيه **ولزم الصمت والتقية في السياسة.**
    - وبنهاية القرن العشرين تخلصت أغلب شعوب أمريكا اللاتينية من نير حكامها العسكريين من أمثال بنوشيه في تشيلي وبيرون ثم جاليتيري في الأرجنتين.
    - وفي آسيا انتشرت الثورات وانتزعت الشعوب حريتها حتى في بلاد مثل الفلبين التي سيطر عليها ماركوس لعدة عقود.
    - وفي أوروبا الشرقية قاد ليخ فالينسا في بولندا ثورة عمال الموانئ التي أطاحت بالنظام الشيوعي.
    - حتى في أفريقيا ثار الناس في ليبريا، أكثر البلاد فقراً وتخلفاً، وتغلبوا على العسكر. وأصبحت الديمقراطية تنتشر تدريجياً في أفريقيا.
- وظل العالم العربي مخدراً بأفيونه الذي يوزعه عليهم الأزهريون والقرضاويون وآيات الله العظمى.
  - ففي العراق التي سخر الله لها أمريكا لتحررها من أبشع نظام فاشي، تغلب الإدمان على العقول وأدلى مدمنو الأفيون بأصواتهم للمراجع الدينية حتى توفر لهم جرعات زائدة من الأفيون كما وفروا للشعب الإيراني.
  - وفي الصومال هلل الشعب وكبر *لقوات المحاكم الإسلامية* التي سوف تملأ شوارع مقديشو ومقاهيها أفيوناً خالصاً.

وتدريجياً تحولنا إلى أمة من الدجاج نركض خلف أي ديك يرفع لنا عرفه الأحمر المهيب.

وتحولت مزارع الخصيان في قصور الخلفاء العباسيين إلى مزارع دواجن في البلاد العربية.

عودة إلى الفهرس

مقتطف من كتاب الراحل الكبير هادي العلوي: "الإسلام المعاصر". حول منبت الشخصية القمعية ومفهوم اللقاحية

... وقد انقرض **الإسلام** كمدنية وكحضارة، وبقي **الدين الإسلامي**. بالطبع فانقراض **الحضارة** لا يمحوها وإنما يحولها إلى **تراث**. والتراث من الإرث، الذي يعني موت المورِّث، مع بقاء ميراثه، بحكم أن الموت انقطاع عن الحياة وليس عن الوجود. ولما كانت الحضارة الإسلامية قد وُجِدت فالعدم لا يسري عليها، لكنها ماتت فخلفت لنا هذا *الإرث الواسع*. وليس الدين الإسلامي من موروثات هذه الحضارة لأنه الآن حي. والدين بجوهره مباين للحضارة فهو يعيش معها وبدونها.

خلف لنا **الإسلام** بعد *انقراضه* أشياء بعضها يعيش في الذاكرة وبعضها في البيئة والثالث في الكتب:

- ما يعيش من التراث في الذاكرة يعيش بفعل التنشئة التي يخضع لها الفرد من يوم ولادته حتى اكتمال نضجه الذهني. ولا تشترط التنشئة التعليم بالكتابة لأن الأمي يتساوى فيها مع المتعلم بحكم نشأتهم في وضع عائلي واحد وخضوعهم معاً لثقافة شفوية واحدة. وقد يزيد المتعلم على ما في الذاكرة بمضمونات مأخوذة من الكتب، وهي المستودع الأوسع للتراث فتكون حصته من الذكريات أكبر.
- أما البيئة فهي مشبعة بالتقاليد والأعراف التي يتحدد بها نمط حياة العربي والمسلم. والشطر الأوفر من هذه جاء من الإسلام أو عبر الإسلام. ولا ننسى هنا بديهية أن أياً من هذه التقاليد والأعراف لم يصل إلينا بشخصه وحرفيته، لأنها تتغير حتى ضمن قالبها المحتجزة فيه. وحين تتناقل الأجيال موروثات واحدة فهي *تحورها كثيراً أو قليلاً تحت أوضاعها ومستجداتها*

[18] رياض الصالحين للنووي، 665.
[19] رياض الصالحين، 669.

الحياتية فلا يبقى الموروث كما تركه المورث من دون مساس، بل تكون للوارث يد في تطويره نحو الأرقى أو الانتكاس به إلى حالة متخلفة عن الأصل.

إن الإسلام الميت يعيش بواسطة موروثاته، ومحيط هذه الموروثات واسع، ومنوع، ومناط خلاف في التقويم. وعندما نأخذ الإسلام في مجموع تجاربه فلا بد من **قبول التعارض** في القيم التي خلفها. وتجارب الإسلام ليست ما يدعيه كل فريق لنفسه بوصفه الإسلام، وما عداه هو الكفر، بل هو مجموع ما يدعيه الفرقاء كلهم. إن نبوة **محمد** إسلام، وخلافة **الراشدين** إسلام. لكن الإسلام أيضاً هو **الأمويون والعباسيون،** كما هو **الفِرَق** التي خرجت عليهم وحاربتهم بالفكر والسلاح. والإسلام هو:

1. التجارة والملكية الخاصة التي قامت عليها دولته منذ البدء،
2. وهو أيضاً تلك المبادئ المشاعية التي استمرت من يسوع ثم نضجت وتطورت على أيدي *مفكرين* **كالمعري** وأقطاب الصوفية، *وسياسيين* **كالقرامطة**.
3. والإسلام هو **الفقه** الذي توارد على كتابته الفقهاء على اختلاف مذاهبهم واجتهاداتهم، والذي تتكرس فيه تناقضات الإسلام الاجتماعية وتباين مصادره والتأثيرات الخارجية التي تعاقبت عليه.

والإسلام الميت معقد، بقدر ما الإسلام الحي سهل. لأن الدين إذا حصرناه في مقوماته الأصلية التي يتشخص بها جوهره لا يكون موضع نزاع شديد كما يكون تاريخ الحضارة وتراثها المترامي الأطراف.

وما سيهمنا في مقامنا هذا هو **شواخص الإسلام الميت** التي تعيش بيننا لتكون محور بحث وتقويم من حيث هي، ومن حيث ما تحمله من معايير وما تحدثه من آثار ضارة أو نافعة ومواقف الفئات المختلفة في ضوئها، ما دمنا نريد أن نتصور ما سيكون عليه الإسلام أو ما نريده أن يكون في حياتنا الحاضرة.

تحدث فيلسوف الحضارة **أرنولد توينبي** عما قدمه الإسلام للعالم الحديث فجعله في تحريم الخمر ومكافحة العنصرية...
إن معضلتنا التي لم يعرفها **توينبي،** هي **الطائفية**، وهي محور الاحتراب في **آسيا** كلها. وفيما يخص **الإسلام** تفعل **الطائفية** في ساحتين:

1. داخلية/بين المسلمين،
2. وبرانية/ضد الأقليات الدينية.

والطائفية مشكلة لازمة للدين، تبقى مع بقائه، إذ يستحيل على أكثرية دينية لها السيادة في الدولة والمجتمع أن لا تضطهد بشكل من الأشكال أضدادها من الأقليات. ويكذب كل صاحب عقيدة يدعي أنه يحترم ضده العقائدي، لأن الإيمان ليس مسألة عقلية، بل عاطفية. وكان الإسلام قد حل مشكلة تعدد الأديان في مجتمعه عن طريق *عقد الذمة لغير المسلمين*. وهو اعتراف مبكر بحرية الأديان، لكنه مبتور، لأن الحقوق التي أُعطِيت للذمي كانت أقل مما أُعطِي للمسلم، كما أن الذمي بقي منظوراً إليه كمارق مستحق لغضب الله.

وقد اشتد *اضطهاد المسلمين* لغيرهم:

- لا سيما المسيحيين واليهود منذ خلافة **المتوكل،**
- وكذلك وبدءاً من العهد نفسه الاضطهاد المتقابل بين **السنة والشيعة،**
- وبين **المذاهب السنية** نفسها،
- كما بين **الفرق الشيعية**.
- أما *المذابح* **فظهرت** في **الأوان العثماني**. وقد ارتكب **الأتراك** مذابح ضد **الشيعة** في **الأناضول** ذهب فيها عشرات الألوف، وذبح **الفرس الصفويون أهل السنة** في **العراق**. وختم **العثمانيون،** بمن فيهم /ولا سيما/ قادة **الاتحاد والترقي** بذبح مليون ونصف مليون **أرمني**. وقد جرت المذبحة بمشاركة **الأكراد**. ومعروف تذابح **الدروز والموارنة** في **جبل لبنان** في القرن التاسع عشر.

إن **الطائفية** كما قلنا من لوازم الدين، ومع أنها في الأصل منتوج شرقي فقد عرفها *الغرب المسيحي* مع *الشرق العديد الأديان*. وكان ضحاياها في **الغرب** من **اليهود،** دون أن نهمل مذابح **الاسبان للمسلمين** بعد استرجاع **الأندلس**. كما تذابح **الكاثوليك والبروتستانت** وما زالوا يتذابحون في **ايرلندا الشمالية**. على أن التذابح الطائفي انحسر في الغرب مع انتهاء الحرب العالمية الثانية (من دون أن يتوافر ضمان أكيد أنه لن يعود)... أما في **الشرق فالطائفية** في صعود متواصل، وتسهم في تأجيجها **المخابرات الأمريكية** التي تتغلغل في أحشاء **العالم الثالث** وتصنع له الكثير من أقداره. ويدلي **الإسلام** هنا بدلوه شأن أي دين سائد في محيطه. ويتزايد ضرره مع *المد السلفي الراهن*... وأحدث جولاته ما يفعله **السلفيون المصريون بالأقباط** مما لا نظير له في **مصر** الحديثة / دون أن نهمل اليد الأمريكية في هذه الجولة.

ثمت عُقد خطيرة أخرى ناتجة عن **الإسلام** تتمثل فيما سميته من قبل ‹**وجدان قمعي**› للجماهير المسلمة.

* إن الدين بقيامه على **الإيمان** هو من مقومات الشخصية القمعية. ومع أن القمع لا يشترط الدين، فأسبابه (القمع) ودواعيه متنوعة، فإن الدين يستدعي القمع. وكان الشيخ **خالد محمد خالد** قد توصل في مؤلفاته المبكرة إلى حقيقة أن الحاكم الديني يكون قمعي بطبيعته. وضرب عليه مثل من **الحجاج بن يوسف الثقفي، والحجاج** لم يكن "حاكم ديني"، ولعل الكاتب أراد أنه **متدين** استنتاجاً من السيرة الشخصية لهذا الجلاد المتفرد. وقد رصدتُ في تاريخ **الإسلام** الحكام الأشد قمعاً فوجدتهم في جملتهم من **المتدينين**. ومن المفارقة الظاهرة أن نجد دليل عليه في **أبو بكر،** الخليفة الأول الذي صدر عن **شخصية دينية شديدة التزمت،** ولكن مع استعداد للتنكيل بالخصوم انفلت من عقاله في حروب الردة/إذ لم يكن في غيرها ممكن أمام اللَّقَاحِية † الجاهلية/. وعلى العكس منه كان **عمر بن الخطاب،** الذي لم يشتمل على قلب ديني وعارض إجراءات **أبو بكر** وتصرفات **خالد بن الوليد** في **حروب الردة**. وكان يتوجس من القتل ويشدد في النهي عن التعذيب. وقد أنقذ من القتل أعداداً كبيرةً من أسرى المرتدين كان **أبو بكر** قد أمر بقتلهم.
* ويفاقم من قمعية الشخصية الدينية للمسلم **قانون العقوبات الإسلامي،** المستمد من **شريعة موسى،** المستمدة بدورها من **شريعة حمورابي**. وكانت **شريعة حمورابي** قد وُجِدت في عصر استدعاها حتى تسجل بداية انتقال المجتمع البشري من الفوضى إلى حكم القانون. وقسوة عقوباتها ناتجة عن عصرها حيث تصور *المشرعون الأوائل* أن الوسيلة الوحيدة لتقويم الإنسان هي التنكيل به. و**شريعة موسى** جاءت بعد **حمورابي** بحوالي الألف عام، و**الشريعة الإسلامية** بعد **موسى** بأكثر من ذلك، لكنها لم تتطور عن الأولى في هذا الجانب كثيراً، سوى أن الأخيرة قلصت من الجرائم التي تخضع للعقوبات الجسدية.

وإذا وقفنا عند النص القرآني فإن هذه العقوبات تقتصر على **السرقة وقطع الطريق والزنا. والعقوبة على الأخير بالجلد، ولم ينص القرآن على الرجم.**

† انظر في نهاية هذا المقال التعريف المختصر لمفهوم **الـلقاحية** (بفتح اللام والقاف وكسر الحاء) مأخوذ من موضع آخر من نفس مصدر المقال.

* لكن الفكر الديني توسع في الكلام عن العقوبات وضرورتها وكون غضب الله يسبق رحمته. وهو ما سعى **الفكر الصوفي** إلى عكسه بتقديم صفات الجمال على صفات الجلال، لكن دون جدوى، *لأن نطاق عمل الفكر الديني أوسع ولغته أقرب إلى فهم العامة من لغة المتصوفة. وقد ساعد تسويغ العقوبة دينياً على تقبلها من الجمهور كأمر إلهي لا يتطرق الشك إلى عدالته*. وهكذا تضافر:

☑ الإيمان الديني مع
☑ العقوبات الدينية مع
☑ دوگما Dogmatism «أسبقية الغضب على الرحمة»

في تربية **وجدان قمعي** لدى العموم كان يوفر على الدوام ولا يزال الوسط الملائم لنمو **الشخصية القمعية**، سواء في علاقة الدولة بالناس، أم في علاقات الناس ببعضهم.

ومن العسير علاج هذه العلة بالعلمنة، *لأنها صارت من علل السيكولوجيا*. وقد فعلت في ساحة السياسة العلمانية كفعلها في ساحة العمل الديني وكشفت عن نفسها في القمع المتقابل بين القوى السياسية المختلفة في شتى أقطارنا. ولم يسلم منها إلا مَنْ عصم الله من القليل الذين لا يُعتد بفعلهم: لقد أيد **جميع المثقفين المصريين** إعدام زميلهم **سيد قطب**، الذي كان بدوره سيعدمهم لو وقعوا تحت سلطانه. وأيد **القوميون** في **سوريا** و**العراق** إعدام معارضي دولتهم من **اليساريين** و**السلفيين**، وأيد **اليساريون** إعدام **القوميين** و**السلفيين** وأيد **السلفيون** إعدام **القوميين** و**اليساريين**... ولم يصدر عن مثقفيهم وسياسييهم استنكار للتنكيل إلا حين يكون موجه إلى جماعتهم.

وهذا من النتائج المُرَّة لحضور الدين في وعينا الجمعي.

أوصل إلينا الإسلام، بعيدا عن هذه اللوازم الدينية، بعض الشواخص النافعة، ولنبدأ بتجربته في معنى تشكيل الدولة.

كان العرب يعرفون من الدول إمبراطورية كسرى وقيصر، وفيها يتأوج غرار من السلطة لم يستوعبه العرب، وقاتلوه. وقد مرت بهم أيضا زوبعة ملكية كانت عابرة ولو مؤثرة لما حاول النعمان بن المنذر توطيد حكم عربي يكابح التسلط الساساني. ومع أنهم قاوموا الساسانيين وثأروا للنعمان منهم، فلم يقرروا الإذعان لسلطانه في الحيرة. وفشل مشروعه الطموح بسبب ذلك.

في الوقت نفسه، كان الجاهليون قد سمعوا بالنبوات من اليهود والنصارى، وتعرفوا إلى أشخاص زعماء أنبياء مثل موسى وعيسى نهجوا نهجا يختلف عما عرفوه من الملوك. ولما ظهر محمد في يثرب كان همهم اختباره: هل هو ملك أم نبي؟ وكان هذا ما عناهم من مسألة الوحي والدلائل عليه. ونجد في أدبيات صدر الإسلام تمايز في الاسمين: ملك أو نبي، يأخذ صيغة أخرى بعد محمد فيكون: ملك أو خليفة. والأخير بمعنى وراثته للنبوة في طريقة الحكم. ونعثر على الفارق بين الوصفين موضحا في تواريخ صدر الإسلام. كما نجده في عصر لاحق لدى الفيلسوف باروخ سبينوزا في كلام لا يخلو من التقية لكنه دال على النبي الأول موسى: «من السطحية بمكان وضع موسى في قائمة الملوك العبرانيين، وهو الذي أقام دولة خاضعة لله وحده وعلى طرفي نقيض من الملوكية ـ رسالة في اللاهوت والسياسة، تر. حسن حنفي ٢١٧». وكان الجاهليون يعون هذا الفارق بفعل حساسيتهم ضد السلطة فيما كانوا قد عبروا عنه في المصطلح «لقاح» الذي ورد في نصوص شعرية ونثرية وثبتته المعاجم.

وكنت قد تحيرت، كما تحير اللغويون من قبلي، في أصل الكلمة، فأرشدني قارئ ألمعي هو مالك مسلماني من حلب إلى مفردة في القاموس السرياني هي ـ لقحا أو لقحو، وقال إن أستاذه في جامعة حلب إبراهوم نورو عربها إلى «ضواحي»، وقد رجعت إلى لويس كوستاز مؤلف القاموس السرياني العديد اللغات (عربي، فرنسي، إنجليزي)، فوجدته يفسرها على هذا النحو «Environs dune ville» و «Confine of city» و رزداق» يقصد رستاق، وهو القرية كما كانت تعرف في العراق أيام الساسانيين. (ص ١٧٤ من القاموس، ط بيروت). وكتب إلي مالك: «حتى الآن سكان حواشي المدن لا يخضعون لسلطة الدولة». وهو معروف في الريف العربي. ولقاحية الجاهليين هي من هذا القبيل. وبهذا المعنى أوردته المعاجم القديمة واستعمله الكتاب المسلمون في العصور اللاحقة: أورد ياقوت في بند سجستان من معجمه الجغرافي عن محمد بن.بحر يصف هذه الولاية: «لم تزل لقاحا على الضيم ممتنعة من الهضم». يشير إلى قوة المعارضة فيها للدولة.

تطورت اللقاحية في صدر الإسلام إلى تصور ناضج للدولة البسيطة، كما اشترطها العرب على محمد وخلفائه، بعدأن وجدوا أنه لابد من دولة، ويبدو هذا التصور قريب من ترسيمة التاويين الصينيين لدولة: قليلة القوانين، عديمة الشكليات والطقوس، محدودة المؤسسات، يقف على رأسها حكيم يرشد الناس ولا يحكمهم. (التاوية ترجع إلى القرن السادس ق.م). وهذا الحكيم عند التاويين هو النبي عند الجاهليين.

هكذا تثبتت اللقاحية كأسلوب حكم بعد أن تثبتت لمحمد صفة النبي لا الملك، ولأصحابه الذين أعقبوه صفة الخلافة لا الملوكية. وقد قبل العرب بالراشدين لالتزامهم أصول اللقاح في دولتهم. ولو أنهم لم يصلوا إلى هذه القناعة إلا بعد حروب دامية خاضوها تحت راية اللقاح خوفا من أن تحل الملوكية محل النبوة بوفاة محمد.

ولما جاء الأمويون قاتلهم العرب تحت هذه الراية لأنهم عادوا بهم إلى ذكريات «كسرى وقيصر»: قاصمة الظهر التي خافوا من وقوعها عليها. وفي هذه المرة انتصر عليهم الأمويون وحولوهم إلى رعايا دون شروط. وانضربت اللقاحية بـ«الملك العضوض».

يزودنا الإسلام الأموي بالأساس الذي تقوم عليه دولنا اليوم، مع تفاوت في الأشكال مأخوذ من شكليات الدولة الحديثة. لكن المعارضة السياسية والمسلحة والأيديولوجية التي جوبه بها الأمويون ومن بعدهم العباسيون، أبقت التجربة اللقاحية والوعي اللقاحي حيا في النفوس. وتبين تداعيات العصور المختلفة للإسلام أن الفرد العربي حافظ على حساسيته الجاهلية من الدولة، فلم يتمتع بالشعبية إلا القليل من الحكام المسلمين طيلة عصور الخلافة. ويصدق ذلك على الأطراف كما يصدق على العرب القريبين من مناشئهم.

يقول مثل شعبي أندلسي: «إذا رأيت الأمير بيضحك فاعلم أن قلبي بيبكي». وقد وصلنا موروث من رفض السلطة على النطاقين الفردي والجماعي يؤكد الحضور القوي للقاحية في المجتمع العربي تحت التسلط اليومي للخلفاء والسلاطين. وأبرز من كتب في هذا السجل إلى جانب الفرق الإسلامية المعارضة، فقهاء القرن الأول ومتكلموه، وفي طور لاحق: التصوف القطباني، الذي خرج على سلطة الدين والدولة، وسعى لتعليم الناس كيف يعيشون بلا سلطان: انفتق كم في قميص رابعة العدوية فخاطته في ضوء مشاعل السلطان (مواكبه المضاءة التي تمر ليلا) ففقدت قلبها زمانا، ثم تذكرت فعلها ففتقت الكم، فعاد إليها قلبها. (يرقد هذا المنحى من التصوف تحت طبقة سمكية من خرافات ماسينيون ونيكلسون تفقهنا بها كلنا)

والعربي اليوم لا يحب حكومته إلا حين يكون شديد التدين ويتلقى فتوى من رجل دين يقلده. وقد مررت بمصريين يحملون فتاوي شيوخ الأزهر ومفتين الديار المصرية بوجوب الولاء لهذا الحاكم أو ذاك، وهم ملتزمون بها، لكن هذه مجرد حالات فردية. فرجل الدين لا يمكنه تحقيق ولاء جماهيري لحكم مرفوض من الجماهير. وقد فشلت فتاوي كهذه في إقناع الشعب المصري بتأييد شيوخ الخليج والسكوت على العدوان الأمريكي على العراق.. وبالطبع فهذا الرفض للحكم، الذي يعيدنا إلى النزوعات اللقاحية، يرتهن بمعادلات الصراع الاجتماعي والوطني. إنما الموروث اللقاحي يجعله جاهز للإثارة حيثما احتدم الصراع. وفي الأوقات الاعتيادية تبقى القطيعة بين الحاكم والناس كدليل على مجرى الحياة اليومي لشعوب تراكم فيها مقت السلطة على امتداد عشرات القرون.

عودة إلى الفهرس

17 - الأزهر وأنصاف الحقائق

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=69552

الجامع الأزهر، منذ أن وضع القائد جوهر الصقلي حجر أساسه في عام 972 ميلادية، *لم يكن مؤسسة مستقلة*، *وإنما ظل يتفوه بما يمليه عليه السلطان*. والسلاطين المسلمون لم يحفلوا في يوم من الأيام بالشعب القبطي المصري، وحذا حذوهم جامعهم الأزهر الذي ما زال يُدرّس تلاميذه وطلابه كتب "**الولاء والبراء**" التي تحثهم على عدم موالاة الأقباط الكفرة، وكتب "**أحكام أهل الذمة**". وعندما كانت الحكومات المصرية الإسلامية تفرض **الجزية** على الأقباط حتى القرن التاسع عشر، *التزم الجامع الأزهر صمت القبور* ولم ينبس ببنت شفة دفاعاً عن الأقباط.

وفجأة *صحا الجامع الأزهر من سباته* وأصبح من المدافعين عن المسيحية الأرثوذكسية في مصر. فعندما عرضت دور السينما المصرية فيلم "بحب السيما" ثارت ثائرة الجامع الأزهر واجتمع شيوخه مع قساوسة الكنيسة وأصدروا بياناً

> يطالب بمنع عرض الفيلم لأنه يسيء إلى المسيحية.

وعندما ظهر فيلم "شفرة دافنشي"

> طالب شيوخ الأزهر قبل المسيحيين بمنع الفيلم لأنه يسيء إلى السيد المسيح والديانة المسيحية،

رغم أن الفيلم حاول أن يُظهر أن السيد المسيح لم يكن إلهاً وإنما كان رجلاً عادياً تزوج وأنجب كما تزوج قبله موسى وهارون وبعده محمد، وهو ما يقول به الإسلام.

ولكن يبدو أن الجامع الأزهر الذي لا يزيد عن كونه *بوقاً للحكومة المصرية*، كان لا بد له أن يحاول، نفاقاً، التقرب إلى الأقباط لأن الكونـگرس الأمريكي *قد طلب ذلك* عندما زار وفدهم برئاسة السيناتور كينيدي، شيخ الجامع الأزهر في يناير 2005.

وحتى يثبت الجامع الأزهر أنه *أصبح من عشاق المسيحية* بدأ شيوخه يتدخلون في أخص خصوصيات الكنيسة القبطية. فعندما أسس الأنبا ماكسيموس كنيسة قبطية جديدة في مصر تنافس كنيسة البابا شنودة، تجمهر شيوخ الأزهر وأصدروا بياناً لحمته الكذب وسداه الأخطاء. فقد

> "أكد علماء أزهريون رفضهم لأي محاولة للمساس بالوضع الوطني والروحي للكنيسة الأرثوذكسية المصرية التي يقودها البابا شنودة الثالث بابا الاسكندرية بطريرك الكرازة المرقسية، كمرجعية دينية للمسيحيين الأرثوذكس في العالم لما لذلك من تأثير على كل ما تتبناه الكنيسة من **مبادئ وفي مقدمتها الوحدة الوطنية**، محذرين من مخاطر المحاولات التي يقودها الأنبا مكسيموس لإحداث انشقاق في صفوف المسيحيين المصريين"[1] انتهى.

وهنا يجب أن نسأل شيوخ الأزهر سؤالين:

1. متى كان للأقباط أو لكنيستهم وضع وطني في مصر حتى يرفض شيوخ الأزهر المساس به؟
2. ومتى كانت أو أصبحت كنيسة الاسكندرية مرجعية دينية للمسيحيين الأرثوذكس في العالم؟ فشيوخ الأزهر لا يعرفون من المسيحية وكنائسها غير أنها دور كفر يُعبد فيها الشيطان، كما يقول أهل الفتاوى.

فالكنيسة الأرثوذكسية الشرقية التي نشأت عام 753 ميلادية بعد تحطيم الأيقونات في القسطنطينية، قد انقسمت وتشعبت إلى عدة كنائس أرثوذكسية تختلف فيما بينها كما تختلف المذاهب الإسلامية. فالكنيسة التي بدأت موحدةً في قسطنطينية تصدعت بسرعة بعد أن انفصلت عنها كنيسة الاسكندرية والكنيسة الأرثوذكسية الروسية ثم الكنيسة الإغريقية ثم كنيسة دول البلقان الأرثوذكسية. وهناك الكنيسة الأرثوذكسية القبرصية والكنيسة الأرثوذكسية الإثيوبية التي انفصلت عن كنيسة الإسكندرية في عام 1961. وهناك كنائس أرثوذكسية حديثة ومختلفة في أمريكا الجنوبية وأستراليا وغيرها. **وبذا تُعتبر الكنيسة الأرثوذكسية القبطية من كنائس الأقليات وليست مرجعية دينية للمسيحيين الأرثوذكس في العالم، كما يقول شيوخ الأزهر.**

والكنيسة القبطية المصرية تحت قيادة الأنبا شنودة الثالث تشبه إلى حد كبير الجامع الأزهر نفسه

- *من حيث أنها تحث أتباعها على طاعة الرؤساء* بتلقين الأطفال قصة شجرة الطاعة التي نبتت من العصا بسبب طاعة التلميذ للأنبا "بموا"،
- وتشبه الأزهر كذلك في عدم *الشفافية* خاصةً فيما يتعلق بالأمور المالية للكنيسة التي يتهمها عدد غير قليل من الأقباط بالفساد.
- وهناك من الأقباط من يلوم البابا شنودة على تأييده لترشيح الرئيس حسني مبارك، تماما كما فعل شيخ الجامع الأزهر.
- وهناك من يلومه على فرض آرائه السياسية على الجميع ومنع الأقباط من زيارة القدس إلى أن تقوم الدولة الفلسطينية.

وبما أن الأقباط مثلهم مثل أتباع الديانات الأخرى لا يتفقون جميعاً على نفس الأشياء، لماذا يحاول الجامع الأزهر منع الأقباط الذين لا تروق لهم قيادة البابا شنودة من إيجاد كنيسة أرثوذكسية أخرى **تلبي احتياجاتهم العقدية؟** فانقسام الكنيسة لا يؤدي بالضرورة إلى إضعافها وانقراضها، فقد بدأت الكنيسة الأرثوذكسية بالانقسام في القرن التاسع وما زالت الأرثوذكسية قائمة. ثم أن اختيار المعتقد أمر من الأمور التي تندرج تحت طائلة بنود حقوق الإنسان التي أقرتها الأمم المتحدة ووقعت عليها جمهورية حسني مبارك. فالمادة 18 من الاعلان العالمي لحقوق الانسان (1948) تقرر:

> «لكل شخص الحق في حرية التفكير والضمير والدين. وهذا الحق ينطوي على حرية تغيير الدين أو المعتقد وكذلك حرية اظهار دينه وابداء معتقده بمفرده أو في جماعة. وسواء أكان ذلك جهاراً أم خفية وذلك بالتعليم والممارسات والتعبد واقامة الشعائر» انتهى.

فلو أراد بعض الأقباط ممارسة شعائرهم في كنيسة الأنبا ماكسيموس، فهذا شأنهم الخاص ولهم مطلق الحرية في ذلك، رغم اعتراض السيد القبطي العضو في مجلس حقوق الإنسان بالقاهرة.

وقد عودنا شيوخ الأزهر على إصدار *التصريحات التي تحتوي على أنصاف حقائق* إن لم تكن كذباً بواحاً، وكمثال على هذا نورد ما قاله الشيخ عبد المعطى بيومي عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر لـ "الشرق الأوسط":

> "إن الكنيسة الأرثوذكسية الأم التي يقودها البابا شنودة لها مواقف معروفة على المستوى الوطني والديني، مشيرا إلى أن هذا الانقسام الذي يقوده الأنبا ماكسيموس عن الكنيسة الأم وإعلانه عن تكوين مجمع مقدس، يجب النظر له في

---

[1] محمد خليل وياسر خليل، الشرق الأوسط، 6 يوليو 2006.

ضوء المخاطر التي يشكلها مثل هذا الموقف على الدور الوطني للكنيسة الأرثوذكسية في مصر والتي يجب تدعيمها وتقويتها." انتهى.

وإذا كان للكنيسة المصرية دورٌ وطني هام يخشى الشيخ عبد المعطي بيومي عليه، لماذا لم يتدخل لدى الرئيس السادات لإطلاق سراح البابا شنودة الذي كان منفياً في دير في الصحراء؟ ولماذا لم يطالب الحكومة المصرية بالسماح للكنيسة بترميم أبنية كنائسها الآيلة للسقوط؟ وإمعاناً من الشيخ في تزودينا بأكبر عدد من أنصاف الحقائق، قال لنا:

" أتصور أن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر سيدرس الموضوع من كل جوانبه وتأثيره على الساحة الدولية والمحلية وكذلك تأثيره على مصر وعلى المسلمين قبل المسيحيين " انتهى.

وكما يقول المثل المصري (اللي استحوا ماتوا). فالشيخ لا يستحي أن يقول إن انقسام الكنيسة سوف يؤثر على المسلمين قبل المسيحيين. أي تأثير هذا الذي يتصوره الشيخ؟ لو تبع انقسام الكنيسة أي أثر على المسلمين فسوف يكون أثراً معاكساً لما يقوله الشيخ، إذ أن المسلمين سوف يهللون ويكبرون لهذا الإنقسام الذي يجعل الأرثوذكسية كالإسلام، شيعاً وأحزاباً. ثم أن شيوخ الأزهر، لو كانوا يثقون في السنة والأحاديث النبوية، كان عليهم أن يهللوا لهذا الإنقسام الذي يؤكد صحة الحديث الذي رواه ابن ماجة:

[افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده، لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار].

فإذا كان المسلمون قد تقسموا إلى سنة وشيعة وعلويين وفاطميين وإسماعيليين وبهائيين ودروز وما إلى ذلك، ألا يُثبت إنقسام الكنيسة المصرية **صدق هذا الحديث الشريف**؟ فمن واجب الأزهر أن يهلل له.

أما الشيخ أحمد عبد الرحيم السايح أستاذ العقيدة والفلسفة والأديان والمذاهب المعاصرة بجامعة الأزهر، فقد:

"أكد أن إقرار الإسلام بالعقائد الدينية المختلفة يؤكد أن تكون للعقائد الدينية مرجعيتها الأصلية التي يرضاها المجتمع، وبالتالي فلا ينبغي أن تكون هناك مرجعيات دينية تتبع هذا أو ذاك أو أن يكون هناك مَن يقحم نفسه في أمور قد تضر بالصالح العام، وبالتالي نتمسك بأن يظل المجتمع المصري الإسلامي والمسيحي متوافقا على مرجعياته." انتهى.

والأستاذ السايح قد بز أقرانه في *التصريح بأنصاف الحقائق* عندما قال إن الإسلام يقر بالعقائد الدينية المختلفة ويطلب أن تكون لها مرجعياتها الأصلية التي يرضاها المجتمع. *فليت الأستاذ قد أتى لنا ببعض المصادر التي اعتمد عليها في مقولته هذه ليقنعنا أن القرآن كان خاطئاً* عندما قال: {**إن الدين عند الله الإسلام**} و: {**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**} أو عندما خاطب القرآن الناس أجمعين وقال: {**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**} أو عندما قال: {**هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**}.

فحسب القرآن نستطيع أن نقول إن الإسلام *لا يعترف بأي عقيدة دينية أخرى*، إلا إذا كان للشيخ مصادرٌ لا نعرفها أباحت له أن يقول ما قاله. وليس هناك من شك أن الشيخ كان يرمي إلى التقليل من شأن المذهب الشيعي عندما قال إن الإسلام يؤكد أن تكون للعقائد مرجعياتها الأصلية ولا ينبغي أن تتبع هذا أو ذاك. فهو يقصد تبعية المذهب الشيعي للإمام علي بن أبي طالب.

وإذا كان الإسلام يُقر بالعقائد الدينية الأخرى، *كيف تسني* للشيخ السعودي حمود بن عقلاء الشعيبي أن يقول:

" فقد بدأنا في الآونة الأخيرة نسمع ترديدا لشعارات منحرفة ومصطلحات غريبة بدأت تغزوا المسلمين... مبطنة بباطن الكفر والردة... ملفوفة بشعارات ماكرة بإسم مؤتمرات و ملتقيات حوار الأديان، وبإسم تقارب الأديان أو العالمية، وتصريحات سياسية بإسم احترام الأديان وهل يمكن لمسلم عاقل يتصور أن هناك ديناً خالداً غير دين الإسلام؟ بعدما نسختها شريعة محمد عليه الصلاة والسلام. ... وقال القاضي عياض رحمة الله عليه كما في الشفا: ولهذا نكفر مَن دان بغير ملة الإسلام من الملل أو وقف فيهم أو شك أو صحح مذهبهم وإن أظهر مع ذلك الإسلام... فتبين من هذه النصوص التي ذكرتها وما يماثلها مما لم أذكره **نسخ وبطلان** أي دين غير دين الإسلام، والعجب كل العجب أن أشخاصا من قادة المسلمين يروجون لهذه النظرية الفاسدة، ويصرحون في المحافل العالمية الكافرة أنهم يدْعون إلى تآخي الأديان السماوية الخالدة." انتهى.

فهل كان هذا الشيخ السعودي كما كان القاضي عياض على خطأ عندما قالا هذه الأقوال؟ ولو كان هؤلاء على خطأ، ماذا يقول الشيخ في قول ابن القيم الجوزية:

" الأمصار التي أنشأها المشركون ومصروها ثم فتحها المسلمون عنوة وقهرا بالسيف فهذه لا يجوز أن يحدث فيها شيء من البيع والكنائس. وأما ما كان فيها من ذلك قبل الفتح فهل يجوز إبقاؤه أو يجب هدمه فيه قولان في مذهب أحمد وهما وجهان لأصحاب الشافعي وغيره، أحدهما يجب إزالته وتحرم تبقيته لأن البلاد قد صارت ملكا للمسلمين فلم يجز أن يقر فيها أمكنة شعار الكفر كالبلاد التي مصرها المسلمون ولقول النبي لا تصلح قبلتان ببلد." [2]

وحتى الخليفة الأموي العادل عمر بن عبد العزيز فعل نفس الشيء:

" فعندما أراد الوليد بن عبد الملك أن يبني مسجد دمشق كان فيه كنيسة فهدمها وبناها مسجداً فلما ولي عمر بن عبد العزيز شكوا اليه ذلك فقال لهم عمر: إنّ ما كان خارج المدينة فتح عنوة ونحن نرد عليكم كنيستكم ونهدم كنيسة توما فإنها فتحت عنوة ونبنيها مسجداً، فقالوا: بل ندع لكم هذا ودعوا كنيسة توما." [3]

فهل تدل هذه الأقوال والأفعال على أن الإسلام يؤكد الاعتراف بالعقائد الدينية الأخرى؟
الواجب الأخلاقي يحتّم على شيوخ الأزهر ألا يبخلوا بالحقيقة فإنها ساطعة كالشمس مهما حاولوا إخفاءها.

عودة إلى الفهرس

[2] أحكام أهل الذمة، ص 286.
[3] الكامل في التاريخ للمبرد، ص 293.

2006 / 7 / 16

18 - لا قيمة للإنسان عربياً كان أو مسلماً

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=70111

يبدو أن الإنسان العربي منذ الأزل قد تعود على العبودية، فحتى عندما كان العرب وثنيين اختار بعضهم، دون جميع البشر على الأرض، أن يسموا أولادهم *بأسماء العبودية* مثل عبد العُزى وعبد شمس وعبد الدار. ورغم أن البعض الآخر لم يتسموا بأسماء العبودية وكانوا شامخي الرؤوس لا يخضعون لأحد، بل تحدوا الملوك أن يخضعوهم، كما قال عمرو بن كلثوم في معلقته:

بأي مشيئة عمرو بن هند	نكون لقيلكم فيها قطينا
بأي مشيئة عمرو بن هند	تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
تَهَدّدنا وأوعِدْنا رويداً	متى كنا لأمك مقتوينا
فإن قناتنا يا عمرو أعيت	على الأعداء قبلك أن تلينا

والقيل هو الملك، والقطين هم الخدم وكذلك المقتوى. فالشاعر يقول له: لسنا عبيداً لك أو لأمك. ولكن للأسف لم تدم هذه الروح الأبية طويلاً في جزيرة العرب *بعد قدوم الإسلام الذي جعل كل الخلق عبيداً لله*، ثم زاد بعضهم في عبودية أنفسهم فأصبح أحدهم "عبد الرسول" ثم ازدادت العبودية فأصبح العربي والمسلم "عبد الزهرة" بنت الرسول. ثم تدرجنا فأصبح العربي المسلم "عبد الحسين" ووصلنا الدرك الأسفل عندما أصبح العربي "عبد الأمير". **فالعبودية أصبحت تجري في شراييننا كما يجري الدم**. وإذا نشأ الإنسان عبداً فسوف يظل عبداً إلى يوم يبعثون وسوف يكون أطفاله وأحفاده عبيداً. وقد أكد الفقه الإسلامي أن أطفال العبد ملك لسيده.

يقول علماء النفس أن الطفل الذي ينمو في بيت يحكمه أب متسلط تحل العصا منه مكان الحب، ويحل التسلط وفرض الرأي مكان الشرح والاقناع، *ينشأ طفلاً خجولاً فاقداً الثقة بنفسه وليس لذاته قيمة*. والشعب الذي يتكون من مثل هؤلاء الأفراد يكون شعباً لا قيمة له ولا يجيد غير تقبيل أيدي وأنوف حكامه ولا يمانع في تقبيل مؤخراتهم إن طلبوا منه ذلك.

والحاكم العربي أو المسلم لا يهمه من أفراد شعبه أحد لا يمت له بصلة القربى ولا يفكر في مساعدتهم في الملمات. فمثلاً عندما كنت في السعودية أيام حرب العراق وإيران، طلبت السفارات الغربية والسفارة الأمريكية من رعاياها تسجيل أسمائهم وعناوينهم حتى يسهل إخراجهم على عجل في حالة احتمال وجود أي خطر عليهم. وبالفعل عندما بدأت صواريخ صدام تسقط على الظهران والرياض، أجلت شركة الأرامكو جميع موظفيها الأمريكان إلى قبرص. **وبالطبع لم تتصل أي سفارة عربية برعاياها لتسجيل أسمائهم وعناوينهم. ولم تفكر أي حكومة في إجلاء رعاياها عندما سقطت الصواريخ**. وعندما دخل الجيش الأمريكي إلى أفغانستان واحتجز المئات من العرب والأفغان في سجن گوانتينمو في كوبا، لم تحرك حكومة عربية أصبعاً لتفقد حال رعاياها في ذلك السجن، بينما أرسلت الحكومات الغربية ممثليها لتفقد أحوال مواطنيها الذين هم أصلاً من الأعراب والأسيويين، ولكنهم لحسن حظهم تجنسوا بجنسيات بلاد الله المتحضرة. وقد أجبرت المحاكم الانـگليزية حكومة انـگلترا على بذل كل ما في استطاعتها للافراج عن المساجين الذين يحملون الجنسية الانـگليزية ، وفعلاً أُطلق سراحهم قبل أكثر من عام. وعندما اختطفت وكالة المخابرات الأمريكية في إيطاليا إمام جامع مصري كان يقيم فيها، وسلمته سراً إلى مصر حتى يعذبه زبانية مبارك ليبوح لهم بأسراره، تحرك النائب العام الإيطالي وفتح قضية ضد عملاء وكالة المخابرات الأمريكية وما زالت القضية تتطور. **ولكن عندما تختطف المباحث المصرية صحفياً مناوئاً للحكومة ويختفي من على وجه الأرض، فلا دخل للحكومة المصرية بذلك**. وقد اختفي مئات المصريين دون أن تحرك الحكومة ساكناً. **وعندما يختفي الإمام الصدر ومرافقوه في ليبيا، تسد الحكومات العربية آذانها، فلا عين رأت ولا أذن سمعت**.

ورغم معرفة كل العرب بهذه الأمثلة ومعرفتهم كذلك أن إسرائيل لا تقل ضراوة في حماسها في الدفاع عن مواطنيها وأنها سبق وأن قايضت عظام أحد طياريها بمئات السجناء الفلسطينيين لأنها تعتبر أن عظام طيارها تساوي ذلك العدد من الفلسطينيين، رغم ذلك تقوم حماس، بمباركة الشعب الفلسطيني الذي انتخبها، باختطاف جندي إسرائيلي لتقايض به إسرائيل لإطلاق سراح ألف سجين فلسطيني. فحماس نفسها تعترف بأن الجندي الإسرائيلي الواحد يساوي ألف سجين فلسطيني. وطبعاً رفضت إسرائيل وقتلت العشرات من الفلسطينيين وجرحت المئات وحطمت البنى التحتية في غزة وما زالت تحطم إلى أن يُطلق سراح الجندي المختطف.

ورغم أن المثل العربي يقول: «العاقل من تعلم من أخطاء غيره»، فقد رأينا حزب الله وزعيمه المعصوم الذي هو فوق النقد، يختطفون جنديين إسرائيليين لمقايضتهم بالأسرى الفلسطينيين. وبوادر النتيجة قد ظهرت للعيان في تدمير البنى التحتية في جنوب لبنان وإغلاق مطارات لبنان وحصاره جواً وبحراً. **إسرائيل بصلفها المعهود تفعل كل ذلك لاسترجاع جنديين أحدهما عربي درزي. ما أبخس الإنسان العربي في بلاده**.

والمؤلم حقاً أن العرب قد استكانوا للذل والهوان وعرفوا أن قيمة العربي صفر على الشمال في حسابات الشعوب. فالشعب اللبناني هلل وكبر وخرج في مظاهرات التأييد، رغم الدمار الذي حدث لبلدهم، لأن كتائب حزب الله استطاعت أن تختطف جنديين إسرائيليين وتمرغ أنف إسرائيل في التراب. فهم على الأقل فرحون لأنهم تخيلوا أن أنف إسرائيل أصبح في التراب مثله مثل أنوفهم التي لم تفارق التراب منذ أمد طويل.

والحكومة السورية التي برعت في استعمال مدفعيتها الثقيلة وطيرانها ضد مواطنيها في حماه وغيرها من المدن، وأذلت شعبها وكممت أفواههم، تعلمت هي الأخرى أن تبقي فمها مكمماً صامتاً لا ينبس بكلمة عن دمار لبنان وعنجهية إسرائيل، رغم أنها هي التي دفعت حزب الله لاختطاف الجنديين الإسرائيليين. أما إيران، قلعة الدفاع عن الإسلام ورافع راية فلسطين، قد عودت مواطنيها كذلك على الرضاء بقدر الله وعدم الخروج في مظاهرات لم يصرح بها مرشد الجمهورية الإسلامية.

حتى في إسرائيل نفسها رفعت خمسة منظمات تهتم بحقوق الإنسان قضية ضد وزير الدفاع الإسرائيلي لاجباره على وقف العدوان وفك الحصار على غزة. أما الشعوب العربية والإسلامية فما زالت في انتظار الإشارة من قادتنا المعصومين حتى يخرجوا في مظاهرات تفدي الحكام بالدم وبالروح أولاً ثم تهتف بسقوط أمريكا وإسرائيل.

ولا بد لي هنا من أن أختلف مع السيد هاني نقشبندي الذي كتب مقالاً في ‹إيلاف› تحت عنوان "اللعنة على الجميع"

لعن فيه الشعوب العربية التي لم تحرك ساكناً حتى الآن لتظهر بعض التعاطف مع الفلسطينيين واللبنانيين.

وسبب اختلافي مع السيد هاني هو أن الحديث النبوي يقول: [**اذكروا محاسن موتاكم**] والشعوب العربية شعوب ميتة معنوياً ولذلك لا يجوز أن نلعنهم بل يجب أن نذكر محاسنهم مثل: الطاعة العمياء لولي الأمر، والتسليم بقضاء الله وقدره، ومحاولة تغيير المنكر باليد.

فالشعوب الحية تثور على حكامها الفاسدين ثورة سلمية سلاحها الاعتصام في الشوارع مع رفع الأعلام الصفراء حتى يضطر الحاكم إلى التنازل عن عرشه.

أما الشعوب الميته أو شعوب العبيد الذين لا قيمة لهم فلا تدخل ثورة الأعلام الصفراء المجال الجوي لأدمغتهم التي غُسلت من قبل أربعة عشر قرناً من الزمان.

عودة إلى الفهرس

19 - سُحقاً للأديان

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=70601

يزعم رجالات كل دين أن دينهم دينٌ حقيقي من عند الإله الواحد في السماء، وهو الدين الحق وما عداه باطل. ويزعم كل أهل دين كذلك أن إلههم إله رحيم غفور كريم. ولكن الأحداث التي شاهدناها أو قرأنا عنها تُثبت عكس ما ينادون به. وكلما أُثيرت هذه المسألة يهب رجالات الدين للدفاع عن دينهم ويقولون إن القتل والدمار الذي حدث ويحدث بإسم الدين *ليس هو من عيوب أو قصور ذلك الدين بعينه وإنما يرجع إلى قصور فهم أتباع ذلك الدين الذين قتلوا ودمروا بإسم الدين*. ولكن عندما تصدر الفتاوى أو الأقوال أو الأفعال من رجال قضوا كل حياتهم منذ أيام طفولتهم في تعلّم ذلك الدين من المشايخ أو الحاخامات أو الأساقفة الذين درسوا أصول ذلك الدين في المعاهد الدينية مثل الأزهر، والمدارس الكنسية اليهودية أو المسيحية، كيف يجوز عقلاً أن نقول إنهم أخطؤوا فهم ذلك الدين؟ وإذا صدر بيان أو فتوى من عدد كبير من رجالات دينٍ بعينه، هل يُعقل أن يكونوا قد أخطؤوا فهم ذلك الدين؟ ففي الحرب الحالية بين حزب الله وإسرائيل، أصدر ‹مجلس الحاخامات›، في الضفة الغربية، بياناً يَحث الحكومة الإسرائيلية على اصدار أوامرها للجيش الإسرائيلي لقتل المدنيين في لبنان وغزة. وفي بيان صادر عن اجتماع ‹لمجلس الحاخامات› ونقلته القناة الإسرائيلية السابعة أكدوا أن التوراة تجيز قتل النساء والأطفال في زمن الحرب. وجاء في البيان:

"من يترحم على أطفال غزة ولبنان ينظر الى أطفال اسرائيل بوحشية".

وطالب البيان الحكومة:

"بأن تأمر بقتل المدنيين الفلسطينيين واللبنانيين بصفتهم موالين للعدو"، وذلك بحسب ما تنص عليه التوراة.[1]

فالتوراة التي يجزم اليهود بأنها من عند إله السماء "يهوه" تبيح قتل الأطفال والنساء في الحرب. وهناك آيات عديدة في التوراة تحث موسى وأتباعه على قتل النساء والأطفال والحيوانات وحرق معابد غير اليهود. فكل هذا الدمار الذي حدث وما زال يحدث في لبنان، وكل جثث الأطفال التي تطل علينا من شاشات التلفزيون لم تُشبع شهية الحاخامات وإلههم للقتل، فحثوا الحكومة على المزيد.

وهذا الموقف من **حاخامات اليهود** لا يختلف عن موقف **شيوخ الإسلام** مثل الشيخ يوسف القرضاوي الذي أفتى بإباحة قتل المدنيين الذين يتعاونون مع الجيش الأمريكي في العراق لأن تعاونهم وإمدادهم الجيش الأمريكي بالطعام هو تشجيع ومساندة للاحتلال. وعندما افتى في قتل اليهود في فلسطين لم يكن هناك أي مبهم في فتواه التي حلل فيها قتل المدنيين والأطفال والنساء لأن المدنيين الإسرائيليين يدفعون رواتب الجيش عن طريق ضرائبهم ويشترون الأسلحة للجيش وأغلبهم قضى فترة التدريب الاجباري، وإن كان حالياً لا يخدم في الجيش. ولم يبخل **الفقهاء السعوديون** بالفتاوى التي جعلت من الزرقاوي وأمرائه مناضلين شرفاء، مما دفع الشباب السعودي من مغسولي العقول إلى التطوع للقتال في العراق وأفغانستان وحتى في المملكة السعودية نفسها.

فهذه الفتاوى لا تختلف اليوم عما كان يحدث في الألفية الثانية قبل الميلاد عندما ظهر موسى وحاخاماته. فيبدو أن العقل البشري لم يتقدم كثيراً. فعندما عاش الإنسان في الغابة مع الحيوانات كان يتحكم فيه عقله الغريزي The subconscious الذي يجعل الحيوان يهرب أو يحارب. ومع نمو دماغ الإنسان تكونت طبقة عليا في الدماغ أصبحت تتحكم في أفعال الإنسان وتكبت تصرفات العقل الغريزي ما دام الإنسان صاحياً. ولكن إذا أزلنا مفعول هذه الطبقة العليا بفعل الأدوية أو تناول الكحول بكمية كبيرة أو بتأثير الخوف المفاجئ، يسيطر العقل الغريزي على تصرفات الإنسان. **والأديان، التي بدأت مع نمو الجنس البشري عندما كنا أقرب إلى الحيوان من الإنسان، ما زالت تسكن وتتحكم في العقل الغريزي** وتجعل منه قوة تتغلب على العقل الواعي في أغلب الأحيان، فهي كالأدوية أو الأفيون الذي يزيل تحكم العقل الواعي. فالأديان تُرجع الإنسان إلى أطواره الأولى، *حتى وإن كان الإنسان متعلماً ولا أقول مثقفاً* إذ أن هناك بوناً شاسعاً بين المتعلم والمثقف. فكم من رجل دين متعلم ومتفقه في محتويات دينه غير أنه لا يعرف شيئاً خارج نطاق الدين. فمثل هذا الشخص لا يمكن أن يكون مثقفاً بأي حال من الأحوال، حتى وإن سكن البيت الأبيض كما يفعل الرئيس الأمريكي بوش.

والأديان في العصر الحديث أصبحت وسيلةً لابتزاز الناس، الجهلاء منهم والمتعلمين غير المثقفين. فإذا أخذنا أمريكا مثالاً نجد أن عدة طوائف دينية Cults قد ظهرت ونمت حول أشخاص عاديين استطاعوا أن يُقنعوا بعض الناس بأنهم رسلٌ جدد جاؤوا لتجديد رسالة المسيح. وأغلب هذه الطوائف ظهرت في الولايات الجنوبية، مثل تكساس وداكوتا الجنوبية، التي ما زالت تسيطر عليها عقلية مزارع القطن في ما قبل الحرب الأهلية التي وحدت الولايات الأمريكية. فهذه الولايات كانت وما زالت أكثر المناطق التي يسيطر عليها الجهل غير الكتابي. فمع أن أغلب سكانها يستطيعون القراءة والكتابة إلا أنهم جهلاء بما يحدث في العالم حولهم وحتى بتاريخهم وجغرافية مناطقهم. *والأديان عامة تنتشر وتزدهر بين الجهلاء والفقراء لأنهم أقرب الناس إلى الإنسان البدائي الذي كان يسيطر عليه العقل الغريزي*. من بين الطوائف التي ظهرت في تكساس، طائفة المورمون Mormons هذه الطائفة بدأها شخص يدعى جوزيف سميث في عام 1827 في نيويورك ثم في ولاية أوهايو، وزعم أن ملاكاً يدعى "مورني" قد دله على ألواح ذهبية منقوشة بوصايا الله للإنسان .وبسرعة وجد أتباعاً في الولايات الجنوبية واستقر في ولاية ميسوري Missouri التي أصبحت مركزهم الرئيسي. وركزت دعوته على *تعميد الموتى لتخليص أرواحهم حتى تدخل مملكة السماء*. وهذا عكس المسيحية التي تعمّد المواليد الجدد. وركز كذلك على *الضرائب الكنسية التي تطهر الروح*، وجمع ملايين الدولارات من أتباعه. ثم نادى *بالزواج الأبدي وتعدد الزوجات والسماح بزواج البنات القاصرات*. وبعد أن قويت شوكته كوّن مليشيات خاصة به ثم أمرهم في عام 1840 بحرق مكاتب إحدى الصحف التي انتقدته وقتل جميع المنشقين على تعاليمه. وقبضت عليه السلطان وسجنته ثم هاجمت مجموعة من الأهالي السجن وقتلت النبي وأخاه. ولكن انتشار دعوته استمر وأصبح عدد أتباعه حوالي خمسة ملايين في التسعينيات من القرن المنصرم. والآن تطارد السلطات في تكساس زعيم المورمون المدعو وارن جيفز Warren Jeffs الذي يملك ثمانين زوجة، أكثر من نصفهن من القاصرات. وقد ابتز من أتباعه مبلغ خمسة ملايين دولار. وفي أبريل الماضي تدخلت ال "اف بي آي" واتهمت وارن جيفز وثلاثة من أكبر معاونيه بجنحة "الاغتصاب بالشراكة Rape as an accomplice "على أساس أنهم شجعوا وأجازوا زواج البنات القاصرات لرجال يكبروهن سنا، وهذا يُعتبر اغتصاباً. وديانة المورمون تقول *بأن الإنسان الأسود هو الشيطان*، ولذلك لا يتعاملون مع السود.

وظهرت في تكساس كذلك طائفة المدعو ديڤيد كريش David Koresch الذي لم يكن يعرف أباه فقد حملت به أمه، التي كانت قاصرة، سفاحاً. وقد ترك المدرسة قبل أن يكمل تعليمه واستطاع بعد عدة أعوام أن يقنع الناس بأنه نبيٌ جديد جاء لتجديد دعوة المسيح.

---

[1] إيلاف 18 يوليو 2006.

وأصبح له أتباعٌ يأتمرون بأوامره وتعاليمه. وتزوج، كما نتوقع، أعداداً كبيرة من البنات القاصرات وأمر أتباعه بإحضار زوجاتهم وبناتهم إلى غرفة نومة لكي يجامعهن ويطهر أرواحهن. وأخيراً أقنعهم أن يتسلحوا ويقاوموا ال "اف بي آي" الذي قضى عليهم وحرق مجمعهم في مدينة "واكو" في تكساس.

والأديان معروفة بغسيلها للأدمغة، حتى بعض العلمية منها. يقول الدكتور فيليب كيب Philip Keep استشاري التخدير الذي يكتب عن الأديان:

> "إذا قال شخص ما إن القمر مصنوع من جبنة زرقاء، فسوف يقول عنه أطباء الأمراض العقلية إنه مختل عقلياً أو متوهم Deludedولكن إذا اجتمع عشرون سخصاً واتفقوا فيما بينهم أن القمر مصنوع من جبنة زرقاء، فإن كتب الأمراض العقلية الكلاسيكية تسميهم "جماعة دينية"."

وهذا ما يحدث في المذهب الشيعي مثلاً. فلو أن مسلماً سار في شوارع انـگلترا وصار يضرب نفسه بسلاسل من الحديد حتى يدمي جسمه، فسوف يقول عنه الناس إنه "ماسوشي Masochist " أو مجنون، ولكن عندما يسير مئات الأشخاص في كربلاء وعلى وجوههم وملابسهم تسيل الدماء مِن أثر ضربهم أنفسهم بالسلاسل، يقول الناس إنها "شعائر الدين". وقد شاهدنا في التلفزيون اليوم الجنود الإسرائيليين عند دباباتهم التي تقذف الويل والدمار على لبنان، وكلما أرسلوا قذيفة من دباباتهم تجمّع بعضهم حول الدبابة وأخرجوا التوراة وصاروا يقرؤون منها ويهتزون تقرباً إلى يهوه. فهل من الممكن أن يكون لمثل هؤلاء الناس عقولٌ يفكرون بها أم أنهم مسيرون بالعقل الغريزي.

وإذا قارنا كل هذه الأديان والطوائف نجد أن هناك مظاهراً كثيرة مشتركة بينها:

- كل دين أو طائفة كوّنها رجل يتيم أو غير معروف الأب.
- كل دين أو طائفة مات مؤسسها قبل أن يجمع لنفسه أموالاً طائلة ولكنّ خلفاءه ورجالات دينه أصبحوا من أغنى الأغنياء.
  - فالكنيسة الكاثوليكية تُعد من أغنى المؤسسات الدينية اليوم وتملك المليارات من الدولارات في شكل أموال ثابته أو متحركة، ولها بنوكها الخاصة وحكومتها وسفراؤها.
  - والكنيسة البروتستانتية لا تقل ثراءً. ويسكن كبير قساوسة انـگلترا مثلاً في قصر فخم وراتبه الشهري لا يقل عن راتب رئيس الوزراء.
  - أما رجالات الدين المسلمون، سواء شيعة أو سنة، لا يقلون ثراءً. فالزعماء الدينيون الشيعة في إيران أغلبهم رجال أعمال يملكون الملايين. وربما يكون رئيسهم الحالي أحمدي نجاد الشاذ الذي يُثبت القاعدة. وفي العراق أصبح رجالات الدين الشيعة من أكثر الناس غناء بعد استيلائهم على الحكومة ووزارة النفط. ورجال السنة أصبحوا يكسبون الملايين من الفضائيات التي تدفع لهم أجراً كبيراً لقاء الفتاوى والمقابلات. ومنهم مَن أصبح متخصصاً في الفتاوى التي تبيح أو تحرّم التعامل مع بعض شركات الاستثمار تبعاً لما تدفعة الشركة للمفتي. ورجالات اليهودية يسلكون نفس طريق زملائهم المسلمين. وزعماء الطوائف في أمريكا وأوربا من أمثال The Church of Scientology والمورمون قد أصبحوا يملكون مليارات الدولارات.
- كل دين أو طائفة لا بد له / لها كي تنجح ***أن تجد لنفسها أعداء تحاربهم باسم الله***. فإذا لم يحاربوا في سبيل الله فلن يُقنعوا العامة بأنهم يمثلون الله في الأرض. فإله السماء قد عودنا، منذ أن جاء موسى، على قتل مَن لا ينتمون إلى مذهب رسوله. *وإذا لم يجدوا عدواً في الدين اخترعوا عدواً يتقمص الشيطان جسده*، كما فعل **المورمونز** الذين ***جعلوا*** *الإنسان الأسود الجسم الذي تسكنه روح الشيطان*، لأن أغلب السود في أمريكا مسيحيون، ولا يستطيع نبي المورمونز أن يجعل منهم أعداءً في الدين، لأنه أتى لتجديد دين المسيح. أما **المسلمون**، بعد أن قضوا على كل أعداء الإسلام في البلاد التي احتلوها، وكان لا بد لهم من إيجاد عدوا يحاربونه، *فقد وجدوا ضالتهم في الشيعة الذين أصبحوا روافضاً للرسالة المحمدية*. **والشيعة** أنفسهم ***جعلوا*** *المسلمين السنة عدوهم الأكبر وسموهم النواصب الذين يكذبون على الإسلام ويناصبون الشيعة العداء*. **واليهود** طبعاً هم شعب الله المختار *الذي يعادي كل من ليس من ملتهم*.
- كل نبي أو خلفائه، *اتخذوا لأنفسهم عدداً لا يحصى من الأزواج*، وأباحوا ومارسوا زواج القاصرات الذي تعاقب عليه القوانين الوضعية. فالنبي سليمان مثلاً كانت له ثلاثمائة زوجة غير المحظيات والجواري. والذين لم يتزوجوا من القساوسة *أشبعوا رغبتهم الجنسية بالتغرير بالصبيان الذين يحضرون إلى الكنيسة للمشاركة في الأناشيد الدينية*. وكلهم قاصرون. ويبدو أن هناك شيئاً في الطفولة يجذب ويثير الغرائز الجنسية في رجالات الدين.
- كل دين أو طائفة أدخل بعض *الشعائر الدينية التي تختلف قليلاً عن غيره من الأديان رغم أن الجوهر هو نفسه*. كل ذلك ليُوهموا الجهلاء أن دينهم أو طائفتهم جاءت بجديد.
- كل دين أو طائفة منذ أن جاء موسى أصبح إلهه رجل ويقوده أو يقودها رجالٌ *لا يهمهم من المرأة غير أعضاءها التناسلية*. وحتى يستحوذوا على هذه الأعضاء التناسلية فلا بد لهم من *إظهار الشجاعة الوهمية العنترية* كما يفعل الطاووس عندما يقترب من أنثاه. **ولذلك نرى ونسمع الخطب الرنانة التي تمجد القتال والدفاع عن دين الله**. فعندما كانت الآلهة امرأة كانت آلهة الحب مثل "أفروديتي Aphrodite " و "فينوس Venus" وآلهة الخصب والمياه العذبة، والآلهة التي تحرس القوافل. وآلهة الحب لم ترسل رجلاً رسولاً وإنما أرسلت الطفل البرئ "كيوبيد Cupid" ليصيب قلوب النساء والرجال بسهمه ليزرع الحب فيها. وجاء الإله الرجل الحاقد فأرسل رسله الرجال بالسيوف والسهام ليدمروا بعضهم بعضاً.

ولكل هذه الأسباب السابقة أقول "سحقاً للأديان" ولنرجع إلى وثنيتنا التي لم تفارقها قلوبنا أصلاً وإن زعم رجالات الدين أننا أصبحنا نعتقد بالوحدانية.

عودة إلى الفهرس

2006 / 7 / 30

20 - أمثلة من المنطق الأعرج في الخطاب الديني

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=71397

الخطاب الديني عامةً والإسلامي خاصة يقدم ***الغيبيات*** التي هي أصل الدين، على ***العقليات*** التي يصل إليها الإنسان بمحض تفكيره وبعيداً عن الأيديولوجيا الدينية. **وهم بذلك يقدمون النقل على العقل**، ولكنهم يحاولون خداع الناس بأن يحاولوا الظهور بمظهر مَن يحترم العقل.

وفي واقع الأمر فإنّ أحاديثهم وكتبهم تمتهن العقل ولا تعيره أي اهتمام. *وكلمة العقل أصلاً كلمة غريبة على الخطاب الديني الإسلامي.*

فالقرآن رمز إلى مركز التفكير عند الإنسان ب "القلب" الذي يرتبط في مخيلة الشعراء بالعاطفة، فقال مثلاً: {**ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا**. (آل عمران 8)}. وقال كذلك {**يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم**. (آل عمران 167)}. وقال {**لهم قلوب لا يفقهون بها**. (الأعراف 179)}. واستعمل الفعل "**يعقلون**" تسع عشرة مرةً في اثنتي عشرة سورة. واستعمل "**تعقلون**" ثلاث مرات في سورتين، بينما استعمل كلمة "**قلوبهم**" حوالي أربع وخمسين مرةً. وإذا عرفنا أن القرآن به ما لا يقل عن 77639 كلمة، ندرك مدى الأهمية التي يوليها القرآن للفكر.

وأغلب استعمال كلمة "**تتفكرون**" كان يخاطب بها العاطفة. فقال في سورة البقرة:

> **{أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نارٌ فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون (266)}.**

منتهى الاستدرار للعاطفة، عندما يموت الرجل الكهل ويترك لذريته الصغار جنةً فتحترق.

وكتب الفقه وكذلك كتب السير الإسلامية *تدوس على العقل بالأحذية عندما تروي لنا قصصاً عن النبي تعوزها أبسط مقومات المنطق*، فمثلاً في كل كتب الفقه نجد أن الشهيد الذي يُقتل في المعركة ضد الكفار لا يُغسل ولا يُكفن إنما يُدفن بملابسه التي مات فيها. وهذا الحكم ناتج مما حدث للمسلمين في معركة أحد يوم هزمهم الكفار وقتلوا منهم سبعين رجلاً فيهم حمزة عم النبي. ففي ذلك اليوم صلى النبي على القتلى ودفنوهم في ملابسهم، **فأصبح ذلك حكم الشرع في الشهيد**. ولكن الفقهاء الذين تقودهم الأيديولوجيا الدينية *لم يفطنوا إلى أن النبي فعل ذلك بحكم الظروف التي كان فيها*. ففي جبل أحد لم يكن الماء متوفراً لغسل القتلى ولم يكن هناك سوبرماركت حتى يستطيع المسلمون الذهاب إليه لشراء كمية من القماش لتكفين الموتى. فالظروف العملية اضطرته لأن يدفنهم بملابسهم وبدون غسل. ولكن الأيديولوجيا تقول إنّ ما يفعله النبي يصبح قانوناً. وفي نفس الوقت نشط أهل السيرة ونقلوا لنا أن النبي أخبر أصحابه في واقعة بدر التي قُتل فيها حنظلة بن أبي عامر:

> " [**إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بن أبي عامر بين السماء والأرض بماء المزن**] فأرسل النبي إلى امرأته فأخبرته *أنه خرج وهو جُنب*، فولده يقال لهم بنو غسيل الملائكة."[1]

فيمكن أن نستنتج من هذا الحديث أحد ثلاثة استنتاجات:

1. أن الله يوحي للنبي ما يجب أن يفعل في كل مناسبة، وأنه أوحى إليه أن يدفن الشهداء دون أن يغسلهم.
2. أن الله لم يوح للنبي بدفن الشهداء دون أن يغسلهم وأن النبي قد فعل ذلك من تلقاء نفسه ولأن الظروف العملية قد أجبرته على ذلك.
3. أن الله يوحي للنبي بحكم ويوحي للملائكة بحكم آخر.

و قد اختار *المنطق الأعرج في الخطاب الديني* رفض الاستنتاجين الأخيرين والتمسك بالأول فقط، وحاول أن يدور حول **التناقض** في الموقفين. فإذا أمر الله النبي بدفن الشهداء دون غسل، كيف يأمر الملائكة بغسل الشهيد حنظلة؟ وجواب الخطاب الديني أن حنظلة كان عريساً وجامع زوجته وخرج إلى المعركة وهو جُنب. ولذلك غسلته الملائكة حتى لا يدخل الجنة وهو جُنب. فيمكننا إذاً أن نقول أن جميع الشهداء الآخرين ماتوا ولم يكن بهم جنابة، لذلك لم تغسلهم الملائكة. وطبعاً هذا القول لا يقبله العقل. فقانون الاحتمالات يخبرنا أن عدداً معيناً من كل مائة رجل خرج إلى المعركة لا بد أن يكون على جنابة. فمنهم مَن يشعر أنه قد لا يرجع من تلك المعركة فيودع زوجته بجماعها قبل أن يخرج. وربما لم يجد ماءً كافياً في صحراء مكة ليغتسل قبل أن يخرج إلى المعركة. ومنهم مَن احتلم كما احتلم عمرو بن العاص وهو يقود جيوش المسلمين في الشام، وصلى بهم دون أن يغتسل. **ولكن مثل هذا التضارب في القصص لا يهم رجالات الدين الذين يقدمون الدليل السمعي على العقلي إذا ثبت عندهم صدق الرواة.**

ومثل آخر تحدث عنه ابن عباس قال:

> " ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستُنبيء يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين وقدم المدينة يوم الاثنين ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين."[2]

ونستنتج من حدوث كل هذه الأشياء للنبي يوم الاثنين *أن أفضل الأيام عند الله هو يوم الاثنين*، لأن لا شيء يحدث دون إرادة الله، واختار الله يوم الاثنين لأكرم خلقه، *فلا بد أن يكون يوم الاثنين هو أكرم وأحب الأيام لله*. ولكن أهل الحديث يروون لنا حديثاً عن ابن عباس يقول:

> "إنّ أفضل الأيام عند الله يوم الجمعة وأفضل الشهور شهر رمضان."

وكذلك في حديث عن عائشة، قالت:

> "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [**إنهم - يعني أهل الكتاب - لا يحسدوننا على شيء كما يحسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها**]."[3]

وحتى القرآن أفرد سورة كاملة نزلت بالمدينة وبها أحدَ عشرة آية، وسماها **الجمعة**. فإذاً أفضل الأيام عند الله هو يوم الجمعة، فلماذا يا تُرى جعل كل شيء يحدث للنبي يوم الاثنين؟ مرة أخرى يغيب هذا المنطق في الخطاب الديني ولا يلتفت إليه أحد.

---

[1] المنتظم في التاريخ لابن الجوزي، ج3، ص 63.

[2] المنتظم في التاريخ، ج4، ص 19.

[3] الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي.

وطبعاً الخطاب الديني خلا من المنطق منذ أواخر الدولة الأموية حين ذبحوا الجعد بن درهم ورفاقه **لقولهم بخلق القرآن**. وعندما شعر رجالات الدين *بأن الفلاسفة في الدولة العباسية قد بدأ يظهر لهم صيت عند المتعلمين*، قبضوا بأيديهم وأرجلهم على ما غيضّه الله لهم من كتابات الصوفي الذي أُصيب بانفصام الشخصية في آخر أيامه، حجة الإسلام الغزالي. فبعد أن تاه فترةً في الفلسفة وعلم الكلام ثم انخرط في سلك الصوفية، ألف كتابه ‹تهافت الفلاسفة› الذي ملأه بمنطق غريب، *ما كان له أن ينتشر ويقوى لولا الدفع الذي قدمّه له رجالات الدين والوزير السلجوقي* "نظام الملك". فالغزالي توصل إلى اليقين بعد أن أصبح صوفياً واهتدى بنور بعثه الله إلى قلبه، (ولاحظ هنا أن الله بعث النور إلى قلبه وليس إلى عقله)، فقال إن البصر يكذبك

> " فحاسة البصر، وهي تنظر إلى الظل فتراه واقفاً غير متحرك... ثم بالتجربة والمشاهدة بعد ساعة، تعرف أنه متحرك." والعقل يكذبك " فأنت ترى في المنام ما تظنه صحيحاً، ثم بعد أن تستيقظ تعلم أن لا أصل لجميع متخيلاتك ومناماتك. وقد يكون الأمر كذلك في أحلام اليقظة، وقد تطرأ عليك حالة تكون نسبتها إلى يقظتك كنسبة يقظتك إلى منامك، وتكون يقظتك نوماً بالإضافة إليها. فلعل حياة الدنيا نوم بالإضافة إلى الآخرة. فإذا مات ظهرت له الأشياء على خلاف ما يشاهده الآن، ويقال له عند ذلك: "فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ"."

وهكذا وبهذا المنطق الغريب وصل الغزالي إلى اليقين وهاجم الفلاسفة والعقل. وقسّم الغزالي الفلاسفة إلى ثلاثة أقسام:

- الدهريون: وهم الذين انكروا وجود الله، فهم إذاً زنادقة.
- الطبيعيون: وهم الذين اعترفوا بوجود قوة خالقة عرفوها مِن انغماسهم في التشريح.
- الإلهيون: من أمثال أرسطوطالس.

وقال عن أرسطوطاليس إنه رغم ما قدمه للفلسفة وترتيبها فهو قد تأثر برذائل الذين سبقوه، ولذلك وجب تكفيره. *فميزان الغزالي في حكمه على الفلاسفة لم يكن الفلسفة نفسها، وإنما درجة إيمانهم*. ولذلك قال إن **الصوفية** هم أحسن الناس أخلاقاً

> "ولو جُمِعَ عقل العقلاء وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيئاً من سيرهم وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلاً."

فعندما تحدث الفلاسفة عن *نهاية العالم* وقالوا إنها غير ممكنة لأن العالم قديم قدم الله والله لا يتغير وكذلك العالم لا يتغير، وقالوا:

> "العالم لا تنعدم جواهره لأنه لا يُعقل سبب معدم له وما لم يكن منعدماً ثم انعدم فلا بد وأن يكون بسبب وذلك السبب لا يخلوا إما من أن يكون إرادة القديم (الله) وهو محال لأنه إذا لم يكن مريداً لعدمه ثم صار مريداً فقد تغير. ويجب أن يكون القديم(الله) وإرادته على نعت واحد في جميع الأحوال. وانعدام العالم يؤدي إلى تغيره من العدم إلى الوجود ثم من الوجود إلى العدم ".

رد الغزالي على هذا المنطق بقوله:

> "أن الإيجاد والإعدام بإرادة القادر؛ فإذا أراد الله أوجد، وإذا أراد أعدم. وإذا وجب أن يصدر عن الله فعل فالصادر هو تجدد العدم، والعدم واقع مضاف إلى القدرة ، فإذا وقع حادث بإرادة قديمة لم يفترق بين أن يكون الحادث عدماً أو وجوداً."

ومنطقياً، إذا تجدد العدم بعد الوجود فإن هذا تغييرٌ للواقع والفلاسفة قالوا إن الله لا يتغير، بينما رد الغزالي بأن كل شيء بإرادة الله. فالغزالي لم يدحض قول الفلاسفة بالمنطق **وإنما بالإيمان**.
وكذلك عندما قال الفلاسفة:

> *بضرورة الاقتران بين السبب والمسبب*، مثل النار وحرق القطن، مثلاً، لأن النار لا يمكنها الكف عما هو طبعها بعد ملاقتها لمحل قابل لها.

رد عليهم الغزالي بقوله:

> إن ضرورة الاقتران بين ما يُعتقد في العادة سبباً وما يُعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا. وكل شيئين متغايرين، لا يتضمن إثبات أحدهما إثبات الآخر، ولا نفي أحدهما متضمن نفي الآخر. وليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ولا من ضرورة عدمه عدم الآخر، مثل الري والشرب، والشبع والأكل، والاحتراق ولقاء النار، والموت وجز الرقبة.

ويجوّز الغزالي وقوع الملاقاة بين القطن والنار دون الاحتراق، ويجوّز انقلاب القطن رماداً دون ملاقاة النار. ويقول بجواز أن يُلقى النبي في النار فلا يحترق، وذلك إما بتغيير صفة النار فتقصر سخونتها على جسمها، أو بتغيير صفة النبي بإحداث صفة في بدنه تخرجه عن كونه لحماً وعظماً.
وطبعاً إذا تغيرت طبيعة النار أو طبيعة النبي خرجت المعادلة من كونها إلتقاء سخونة النار بجسم الإنسان المكون من لحم ودم إلى إلتقاء شيء يشبه النار بجسم الإنسان أو إلتقاء النار بشيء يشبه جسم الإنسان. وهذا يختلف عن الشرط الذي قال به الفلاسفة، وهو إذا التقى جسم إنسان بالنار، فلا بد أن يحترق. *فمنطق الغزالي هنا أقل ما يوصف به أنه أعوج.*
وقد أنكر الفلاسفة بعث الجسد الذي تحلل وأصبح تراباً وقالوا إن الله يرد الروح إلى أي جسد يخلقه جديداً لأن الروح هي أصل الحياة. وأنكروا اللذات الجسمانية في الجنة والنار.
رد عليهم *الغزالي* بقوله:

> " النفس باقية بعد الموت، وذلك دلّ عليه الشرع في قوله: {**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**} وردّ النفس ممكن إلى أي بدن كان، سواء كان من مادة البدن الأول أو من مادة استؤنف خلقها. فالمهم هو النفس، لأن البدن يتبدل من الصغر إلى الكبر، بالهزال والسمن وغير ذلك... وأكثر هذه الأمور ليس على مخالفة الشرع. فإنا لا ننكر أن في الآخرة أنواعاً من اللذات أعظم من المحسوسات، ولا ننكر بقاء النفس عند مفارقة البدن، ولكنا عرفنا ذلك بالشرع... وإنما أنكرنا عليهم مِن قبل دعواهم معرفة ذلك بمجرد العقل."

فالغزالي هنا يعتبر أن معرفة الأشياء من الشرع أهم وأثبت من معرفتها بالعقل.
وقد كفّر الغزالي الفلاسفة لقولهم **بقدم العالم**، وقولهم **بوقوع العذاب على الأرواح** دون الأبدان وكذلك قولهم **إن الله يعلم الكليات دون الجزئيات**. *فمنطق الغزالي هو منطق رجال الدين الذين يردون كل شيء إلى مقدرة الله وهي الفيصل في كل الأمور*. وليس هذا منطق أهل الفلسفة أو أهل الكلام. وقد خالف القاضي أبو بكر بن العربي الغزالي في كثير من تلك الأجوبة وكان يقول:

> " شيخنا أبو حامد دخل في بطون الفلاسفة ثم أراد أن يخرج منهم فما قدر. وحكى هو عن أبي حامد نفسه أنه كان يقول أنا مزجى البضاعة في الحديث."[4]

ثم جاء ابن تيمية *وختم على أفواه الفلاسفة بمنطق ديني بحت*، من الصعب أن نسميه منطقاً. فقال:

> "قالت بعض الطوائف: نحن عرفنا الحق بعقولنا ثم اجتهدنا في حمل كلام الأنبياء على ما يوافق مدلول العقل وفائدة إنزال هذه المتشابهات المشكلات اجتهاد الناس في أن يعرفوا الحق بعقولهم ثم يجتهدوا في تأويل كلام الأنبياء. ولما كان بيان

[4] درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، ج1، ص 2.

مراد الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الأبواب لا يتم إلا بدفع المعارض العقلي وامتناع تقديم ذلك على نصوص الأنبياء، بيّنا في هذا الكتاب فساد القانون الفاسد الذي صدوا به الناس عن سبيل الله وعن فهم مراد الرسول وتصديقه فيما أخبر، إذ كان أي دليل أقيم على بيان مراد الرسول لا ينفع إذا قُدّر أن المعارض العقلي القاطع ناقضه، بل يصير ذلك قدحا في الرسول وقدحا فيمن استدل بكلامه، وصار هذا بمنزلة المريض الذي به أخلاط فاسدة تمنع انتفاعه بالغذاء فإن الغذاء لا ينفعه مع وجود الأخلاط الفاسدة التي تفسد الغذاء، فكذلك القلب الذي اعتقد قيام الدليل العقلي القاطع على نفي الصفات (صفات الله) أو بعضها أو نفي عموم خلقه لكل شيء أو نفي أمره ونهيه أو امتناع المعاد أو غير ذلك، لا ينفعه الاستدلال عليه في ذلك بالكتاب والسنة إلا مع بيان فساد ذلك المعارض. وفساد ذلك المعارض قد يُعلم جملة وتفصيلا، أما الجملة فإنه مَن آمن بالله ورسوله إيمانا تاماً وعلم مراد الرسول قطعاً، تيقن ثبوت ما أخبر به وعلم أنّ ما عارض ذلك من الحجج فهي حجج داحضة من جنس شبه السوفسطائية كما قال تعالى: {**والذين يحاجون في الله مِن بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد**. (الشورى 16)}".[5]

فبالنسبة لابن تيمية *يكون الإيمان بقول الأنبياء وتصديقهم أعلى مرتبة من الدليل العقلي على استحالة ما قالوا به*. فلأن النبي قال إنه يعرف حجراً كان يسلم عليه قبل البعثة، لا بد أن يصدق الإنسان المؤمن هذا القول رغم استحالته عقلياً ورغم أن الله قال إنه لم يُعط محمد أي معجزات كبقية الأنبياء، لأن الناس السابقين لم يصدقوا بالآيات أي المعجزات {**وما منعنا أن نُرسل الآيات إلا أن كذب بها الأولون.** (الإسراء 59)}. *وفي منطق القرآن وابن تيمية، فإنّ من يحاجج أي يستعمل عقله لتفنيد ما قاله الرسول، فعليه غضب الله وله عذاب شديد في الآخرة*.

قارن هذا القول مع ما قاله الرازي في أول كتابه ‹نهاية العقول› حيث ذكر:

أن الاستدلال بالسمعيات في المسائل الأصولية لا يمكن بحال لأن الاستدلال بها موقوف على مقدمات ظنية وعلى دفع المعارض العقلي، وإن العلم بإنتفاء المعارض لا يمكن إذ يجوز أن يكون في نفس الأمر دليل عقلي يناقض ما دل عليه القرآن ولم يخطر ببال المستمع.

ويدهشنا منطق ابن تيمية عندما يقول:

" يجب قبول النصوص الإلهية فإنها **فرقان** *فرق الله بها بين الحق والباطل* ولهذا كان سلف الأمة وأئمتها يجعلون كلام الله ورسوله هو الإمام والفرقان الذي يجب إتباعه *فيثبتون ما أثبته الله ورسوله وينفون ما نفاه الله ورسوله*، ويجعلون العبارات المحدثة المجملة المتشابهة ممنوعاً مِن إطلاقها نفيا وإثباتا، لا يطلقون اللفظ ولا ينفونه إلا بعد الإستفسار والتفصيل، فإذا تبين المعنى أثبت حقه ونفى باطله بخلاف كلام الله ورسوله فإنه حق يجب قبوله وإن لم يفهم معناه وكلام غير المعصوم لا يجب قبوله حتى يفهم معناه ".

فابن تيمية هنا *يُلغي العقل إلغاءً تاماً ونهائياً*. فقول الله أو النبي يجب أن يُقبل ويُصدق حتى إن لم يُفهم معناه، وما أكثر عبارات القرآن التي لا يُفهم معناها.

ويقول ابن تيمية عن تعارض الدليل العقلي مع الدليل السمعي:

"فإن الناس متفقون على أن كثيراً مما جاء به الرسول معلوم بالإضطرار من دينه كإيجاب العبادات وتحريم الفواحش والظلم وتوحيد الصانع وإثبات المعاد وغير ذلك، وحينئذ فلو قال قائل *إذا قام الدليل العقلي القطعي على مناقضة هذا فلا بد من تقديم أحدهما*، فلو قدم هذا (الشخص) الدليل السمعي قُدح في أصله، وإن قدم (الدليل) العقلي لزم تكذيب الرسول فيما عُلم بالاضطرار أنه جاء به، **وهذا هو الكفر الصريح**. فلا بد لهم من جواب عن هذا، والجواب عنه أنه يمتنع أن يقوم (دليل) عقلي قطعي يناقض هذا، فتبين أن كل ما قام عليه دليل قطعي سمعي يمتنع أن يعارضه قطعي عقلي."

فها هو "شيخ الإسلام" يؤكد لنا، كما أكد قبله "حجة الإسلام" الغزالي،
«**أن كل ما جاء به الرسول ونقله عنه أهل الحديث بعنعنتهم المعروفة، يمتنع أن يعارضه دليل عقلي.**»

فأين إذاً جعجعة الفقهاء والمفتين بأن الإسلام يحترم العقل؟

عودة إلى الفهرس

[5] نفس المصدر، ص 7.

21 - المقدس... ما هو ومَن قدّسه؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=72129

كلمة المقدس مشتقة من الفعل "قدّس" "يقدّسُ" فهو "مقدّسٌ". فما هو التقديس؟ يقول المنجد:

(قدّسَ الله فلاناً: طَهّره وبارك عليه. وقَدّسَ الرجلُ الله: نزّهه ووصفه بأنه قُدّوساً. تقدّس: تطّهر. القُدس: أورشليم. روح القدس عند النصارى: الأقنوم الثالث من الأقانيم الإلهية. روح القدس عند المسلمين"الملاك جبريل". القداسة: الطهارة. القُدّوس: من أسماء الله الحسنى، أي المنزه عن كل نقص. القديس: الفاضل الحاصل على تمام الصلاح والقبول عند الله).

فالقداسة إذاً حالة من الطهر يُسبغها الإنسان على الإله أو الإله على الإنسان. ولكن ما هي هذه الطهارة التي يُسبغها الإنسان على الإله؟ المنجد يقول:

(الطهارة: عكس النجاسة).

والنجاسة هي القذارة. فإذاً نستطيع أن نقول إن القداسة هي حالة غياب القذارة عن الإله أو الإنسان.
يقول عالم الاجتماع الفرنسي اميل ديركهايم Emile Durkheim في كتابه ‹الأشكال البدائية للحلقة الدينية Elementary Forms of Religious Life›

"إن الأديان بدأت بعبادة الطواطم. هذه الطواطم كانت تُمثل للإنسان البدائي روح أحد أو كل الأسلاف المهمين الذين فقدهم ولم يستطع تعويض كل العلم والخبرة التي كانت عندهم. ولذلك اتخذ هذا الإنسان البدائي طوطماً يكون سكناً لروح الأسلاف عندما تعود إليهم لتساعدهم على التغلب على مشاكل الحياة من مرض أو حوادث طبيعية كالزلزال مثلاً."

وإذا كانت روح الأسلاف سوف تأتي إلى ذلك الطوطم، فلا بد أن يُحفظ ذلك الطوطم نظيفاً ليليق بروح الأسلاف وإلا لن تحضر الروح. فإذا أصبح الطوطم نظيفاً طوال الوقت، فهو طاهر أي ليس به قذارة تُنفّر الأرواح. ولأن الإنسان البدائي كان يعتبر دم الحيض قذارة، فقد مَنع المرأة مِن لمس الطوطم في أيام حيضها حتى لا تُنجّسه. وبما أن المرأة معرضة لهذه النجاسة كل شهر، فلا يجوز أن تكون مسؤولة عن الطوطم. لذلك أصبح الرجل مسؤولاً عنه. ولأن الإنسان البدائي لم يكن يعرف متى تحضر الأرواح اختاروا رجلاً يكون في خدمة الطوطم طوال الوقت ليحفظه نظيفاً للأرواح التي ربما تحضر في أي لحظة. وأصبح هذا الرجل **كاهناً** يحفظ بعض الترانيم والأغنيات التي تساعد على حضور الأرواح. *وكان واجباً على الكاهن أن يكون نظيفاً طاهراً كل الوقت كما يكون الطوطم.* وبالتدريج أصبح الطوطم النظيف الطاهر وكاهنه الطاهر **مقدسين**، والقداسة لا تعني أكثر من الطهارة والنظافة، ولكنها طهارة معنوية، وليس بالضرورة طهارة بدنية.

ثم اكتشف الكاهن أن الأرواح لا تأتي في كل مرة يردد فيها ترانيمه، ربما لأن الطوطم كان مكشوفاً لكل الناس، وربما أن ضوضاءهم تمنع الأرواح من القدوم. فكان لا بد من بناء مكان معيّن يُحفظ فيه الطوطم وتوضع فيه **طلاسم** وأحجار نظيفة تساعد الكاهن في استقدام الأرواح. فأصبح هذا المكان **معبداً**. وبما أن الكاهن يحفظه نظيفاً ولا يسمح لأحد بدخوله إلا في أوقات معينة، أصبح هذا المعبد النظيف طاهراً ومقدساً. ولزيادة فاعلية الترانيم في إحضار الأرواح اخترع الكاهن بعض **الطقوس** Rituals التي يجب أن يقوم بها الناس بقيادة الكاهن في المناسبات التي يريدون فيها استقدام الأرواح لمساعدتهم.

وتعريف كلمة Rituals هو: شعائر، طقوس احتفالية، مراسيم أو مناسك. و من خصائص الطقوس أنها *حركات مكررة بترتيب معيّن ولا تخدم غرضاً فعلياً*[1]. فمثلاً لو نظف الإنسان أسنانه كل صباح وكل مساء بمعجون أسنان وفرشاة، لا يُعتبر هذا من الطقوس لأنه يؤدي وظيفة فعلية، وهي منع تسوس الأسنان. ولكن لو أصر هذا الشخص كل صباح ومساء على لبس ربطة عنق حمراء واختيار فرشاة حمراء والوقوف أمام المرآة لينظف أسنانه، فيصبح هذا من الطقوس لأن لون الفرشاة وربطة العنق والوقوف أمام المرآة لا يخدم وظيفة فعلية. وعليه تصبح الطقوس التي اعتاد الكاهن على القيام بها والترانيم وتوقيتها، طقوساً لا تخدم وظيفة فعلية، *ولكنها تزيد من هيبة المعبد والكاهن في عيون أتباعه*. ومع ازدياد هيبة الكاهن ومعبده أصبحت الطقوس والأحجار وكل ما في المعبد مقدساً يليق بأرواح الأسلاف. وهذه الطقوس لها مهمة أخرى، وهي *حفظ التراث* لمجموعات من البشر كانت أمية لا تعرف الكتابة لتحفظ تراثها. فالترانيم والأدعية وتكرار بعض الحركات أو الأفعال بتسلسل لا يتغير تساعد على حفظ المعرفة الجمعية لتلك المجموعات من البشر. وترتيب الحركات في الطقوس لا يتغير أبداً. فمثلاً في جنوب أفريقيا يعالج الحكيم القبلي الأمراض بثلاثة أدوية: أسود، أحمر وأبيض. والمهم هنا هو لون الدواء وليس محتواه، فاللون له إيحاءات خاصة لتلك المجموعة من البشر. فاللون الأسود يرمز إلى الظلام والليل والشر، بينما اللون الأحمر يرمز إلى الحد الفاصل بين شيئين مثل الحياة والموت، لأن الدم أو النزيف يؤدي إلى موت الإنسان. أو دم الحيضة الأولى التي تفصل بين البنت والمرأة. بينما اللون الأبيض يرمز إلى ضوء النهار والرؤية واختفاء الشياطين. ولذلك لا بد من تناول الأدوية الثلاثة بهذا الترتيب. الأسود أولاً ليطرد الأرواح الشريرة، ثم الأحمر ليقوي الجسم ويجعله في مرحلة التغيير وقابل للانتقال إلى طور الشفاء، ثم الأبيض ليكمل للجسم معافاته. ولو تغير هذا التسلسل فلن ينفع العلاج. وقد تكون الطقوس في شكل كلمات أو موسيقى أو أغاني أو حركات. *ولهذه الطقوس مفعول قوي على بعض النفوس التي تقبل الإيحاء أكثر من غيرها*. ويظهر هذا جلياً في **حفلات الزار** أو في **احتفالات الصوفية** التي يصاحبها ضربٌ منتظم على الطبول يؤدي ببعض الناس إلى الدخول في حالة شبه غيبوبة أو Trance* (الوَجد أو الشطح).

* الوَجد = الشطح
(Ecstasy)
A state in which somebody is dazed or stunned or in some other way unaware of the environment and unable to respond to stimuli.

Microsoft® Encarta® 2009.

الكاتب الراحل **العفيف الأخضر** يعرب هذه المفردة هكذا "**طرانس**" ويُصر على عدم ترجمتها.

ثم تقدم الإنسان ووصل مرحلة التعددية الإلهية في السماء، فجعل هؤلاء الآلهة في السماء مقدسين إذ أنهم أبعد ما يكونون عن القذارة التي على الأرض. ففي **الديانة الجرمانية** التي كانت منتشرة في ألمانيا ودول اسكاندنافيا قبل الميلاد، بنى الناس معابد لآلهة السماء وملأوها بالأواني الفخارية والحجارة وجعلوا المعابد مقدسة وكذلك محتوياتها، لأنهم كانوا يعتقدون أن آلهة السماء تنزل إلى الأرض في أوقات معينة لتساعدهم وتستجيب إلى دعواتهم. وكان حارس المعبد كاهناً مقدساً. ثم زادوا قليلاً ودفنوا موتاهم بالقرب من المعبد وبالتالي أصبحت المقابر مقدسة لارتباطها بالمعبد. وتفكير هؤلاء الناس لا يختلف كثيراً عن تفكير الإنسان البدائي الذي كان يتوقع زيارة الأرواح.

بحلول القرن الخامس قبل الميلاد تطورت **الديانة الإغريقية** (الهيلينية) وأصبحت كلها أسراراً يحفظها الكهان فقط، لأن لغتها أصبحت لغة متخصصة لا يعرفها غيرهم. *فزاد هذا من تكريم وتقديس الكهان لدى العامة الذين أصبحوا لا يعرفون من ديانتهم إلا ما يقوله لهم الكاهن*. وكان لا بد لمَن يريد أن يصبح كاهناً أن يبدأ بحفلة تدشين تتضمن تطهيره من الأدناس وتعلم أهمية الأشياء المقدسة في المعبد

[1] Culture, Health and Illness. Cecil G. Helman, 1998, p224.

ثم تعلم كيف يستقبل العلم الخفي أو الوحي من الآلهة في السماء. وكل هذه الأشياء أصبحت مقدسة وإلهية ولها شعائر يقوم بها الكاهن في ترتيب خاص لا يتعداه. *وأصبح الكاهن يلبس ملابساً خاصة تفصله عن العامة من الناس*.

ثم جاءت **الديانة اليهودية** فجعلت الألواح التي أعطاها الإله يهوه لموسى، مقدسة، وكذلك التابوت الذي احتوى على الأحجار المقدسة وبعض الأشياء الأخرى. وجعل الإله يهوه هارون وأبناءه حفظة هذا التراث المقدس. وطوال تيههم في الصحراء كان هارون وقبيلته مسؤولين عن حمل التابوت والخيمة الخاصة التي تُنصب له كلما حطوا رحالهم. ومن ثم أصبح هارون وخيمة التابوت وأبناؤه مقدسين. وعندما استقروا في أرض الميعاد حثتهم التوراة على إحراق معابد القبائل الفلسطينية وجعل معابد اليهود هي الوحيدة المقدسة. ومنعت اليهودية المرأة من الاشتغال بالمعابد أو الكتب المقدسة. وحتى إله بني إسرائيل كان مولعاً بالمقدس فقال لموسى:

{1 **وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: 2 قَدِّسْ لِي كُلَّ بِكْرٍ كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ. إِنَّهُ لِي.** (سفر الخروج، الإصحاح 13)}.

فالبكر من الناس ومن البهائم أصبح مقدساً للإله يهوه. ثم زاد الإله يهوه في طلباته فقال لموسى إذا نذر شخص أن يعتكف للإله يهوه، فيجب أن يكون طاهراً قبل أن يدخل المعبد ليعتكف ولا يقترب من الموتى لأن الجثمان الميت قذر، ولا يقترب من الخمر ولا يحلق رأسه، فقال:

{**3 فَعَنِ الخَمْرِ وَالمُسْكِرِ يَفْتَرِزُ وَلا يَشْرَبْ خَلَ الخَمْرِ وَلا خَلَ المُسْكِرِ وَلا يَشْرَبْ مِنْ نَقِيعِ العِنَبِ وَلا يَأْكُل عِنَباً رَطْباً وَلا يَابِساً 4 .كُل أَيَّامِ نَذْرِهِ لا يَأْكُل مِنْ كُلِّ مَا يُعْمَلُ مِنْ جَفْنَةِ الخَمْرِ مِنَ العَجَمِ حَتَّى القِشْرِ. 5 كُل أَيَّامِ نَذْرِ افْتِرَازِهِ لا يَمُرُّ مُوسَى عَلى رَأْسِهِ. إِلى كَمَالِ الأَيَّامِ التِي انْتَذَرَ فِيهَا لِلرَّبِّ يَكُونُ مُقَدَّساً وَيُرَبِّي خُصَل شَعْرِ رَأْسِهِ. 6 كُل أَيَّامِ انْتِذَارِهِ لِلرَّبِّ لا يَأْتِي إِلى جَسَدٍ مَيِّتٍ. 7 أَبُوهُ وَأُمُّهُ وَأَخُوهُ وَأُخْتُهُ لا يَتَنَجَّسْ مِنْ أَجْلِهِمْ عِنْدَ مَوْتِهِمْ لأَنَّ انْتِذَارَ إِلهِهِ عَلى رَأْسِهِ. 8 إِنَّهُ كُل أَيَّامِ انْتِذَارِهِ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ. 9 وَإِذَا مَاتَ مَيِّتٌ عِنْدَهُ بَغْتَةً عَلى فَجْأَةٍ فَنَجَّسَ رَأْسَ انْتِذَارِهِ يَحْلِقُ رَأْسَهُ يَوْمَ طُهْرِهِ. فِي اليَوْمِ السَّابِعِ يَحْلِقُهُ.** (سفر العدد، الإصحاح السادس)}.

فليس هناك أي منطق في جعل الخمر أو العنب نجساً أو جعل شعر الرأس نجساً إذا مات شخص بالقرب من الشخص المعتكف. وكيف يصبح الإنسان طاهراً إذا حلق شعر رأسه في اليوم السابع؟ فالتوراة لم تشترط الغُسل للتطهير وإنما حلق شعر الرأس فقط، مما يؤكد أن الطهارة المقصودة في المقدس هي *طهارة معنوية*.

ثم جاءت **المسيحية** ومشت في نفس خطى اليهودية *وأصبحت كتب الإنجيل مقدسة وكذلك القسيس والكنيسة والدير*. ثم زادت المسيحية الغربية *بأن جعلت البابا في روما مقدساً* ينحنون أمامه ويقبلون يديه. وجعلوه معصوماً من الخطأ عندما يتحدث عن الأمور الدينية. والبابا كان رجلاً عادياً مثله مثل أي قسيس آخر، **وعندما ينتخبونه إلى كرسي البابوية يصبح معصوماً**. ويصبح للبابا الحق في تطويب الأشخاص بعد موتهم .(Canonization) وتعريف "طوّب" هو: *جعله في عداد الأبرار الذين سينعمون بالخلود*. فإذاً البابا من حقه أن يجعل الأم تريزا من الأبرار الذين سوف ينعمون بالخلود. **فالبابا المقدس هو ممثل الله في الأرض ويمكنه اتخاذ قرارات الخلود بالإنابة عنه**. وكالمعتاد زاد الجهلاء في حيز التقديس وخلقوا أماكن مقدسة إضافية ظهرت فيها السيدة العذراء إلى بعض الرعاة الفقراء. ففي البرتغال مثلاً هناك ضريح يسمونه "**فاطمة**" يحج إليه آلاف المسيحيين كل عام. وقد زرته في التسعينيات واندهشت من الأعداد الهائلة التي تحاول التبرك بالضريح. وسبب بناء هذا الضريح المقدس هو ادعاء فتاتين كانتا ترعيان أغنامهما في تلك البقعة وعندما رجعتا إلى القرية زعمتا بأن السيدة مريم العذراء ظهرت لهما وتحدثت إليهما. وصدقهم العامة وشجعتهم الكنيسة وبنوا الضريح وجعلوا إحدى البنتين قديسة.

ثم جاء **الإسلام** *وجعل المقدس بلا حدود*.

فالقرآن نفسه *قدَّس المساجد*، كالمسجد الأقصى والمسجد الحرام، فقال:

{سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله}.

ثم *قدس الأرض* فقال عندما تحدث عن موسى:

{إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى}.

وقال كذلك:

{إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى}.

وعندما قال الله للملائكة إنه سوف يخلق خليفةً في الأرض، قالوا له:

{أتجعل فيها مَن يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك}.

فالملائكة قد قدست الله وقدسه البشر كذلك.

وقال قتادة: التقديس هو الصلاة، بينما قال ابن عباس: هو التطهير.

وأصبح التقديس من أسماء الله الحسنى، فسموه **القُدوس**. *وقدس المسلمون الرسول وأصحابه وأصبح نقد الصحابة جريمة عقابها القتل*. *وقدّس الشيعة أئمتهم* وظلوا يقولون بعد اسم كل منهم "**قدّس الله سره**". *وحتى الأئمة المعاصرين أصبحوا مقدسين عندهم*، وطلبوا من الله تقديس آيات الله العظمى كلهم.

وامتد التقديس بعد ذلك إلى الجمادات، فقدسوا الحجر الأسود الذي قال له عمر بن الخطاب:

إني أعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أن رأيت رسول الله يقبلك لما قبلتك.

وقدسوا الكعبة التي كانت قد هُدمت أربعة أو خمسة مرات وبناها العرب بأيديهم ويعرفون أنها من طين وحجارة. *وقدسوا المصحف* أي الكتاب الذي يتكون من أوراق عادية كُتب عليها القرآن. *ثم قدس الناس من بعد ذلك مزارات ومقابر الأولياء*. وقد رأينا الهلع الذي أصاب الشيعة بالعراق عندما فجر بعض الناس مراقد الإمامين، رغم عدم إصابة القبور نفسها بتلف. *ولكن القباب التي فوق القبور أصبحت مقدسة لهم*.

والإسلام لا يختلف عن الديانات القديمة في *تقديس الأرواح والجمادات* ولا في الشعائر والمناسك Rituals فكل شيء في الفقه الإسلامي لا بد أن يتبع مناسكاً معينة تتكون من حركات مكررة وفي سياق معين. فالوضوء مثلاً المقصود منه الطهارة من القذارة قبل الصلاة. وإذا كان هذا هو الهدف فالاستحمام يكون أعم وأحسن في إزالة الأوساخ، ولكن الاستحمام لا يغني عن الوضوء الذي يجب أن يتم بطريقة معينة، فلو غسل الإنسان رجليه قبل يديه أو استنشق قبل أن يتمضمض يبطل وضوءه مع أنه غسل كل الأعضاء التي يغسلها المتوضئ. بل القرآن أباح للمسلم أن يتطهر بالتراب إن لم يجد الماء، مما يؤكد أن الطهارة المقصودة **طهارة معنوية**، ولذلك نجد هذه الطقوس في الوضوء والتيمم. فالطقوس المقدسة لا بد لها من شعائر أي Rituals وإذا أخذنا الهرولة بين الصفا والمروة، نجد أنها حركات مكررة بترتيب معين لا تخدم غرضاً واضحاً أو معيناً ولا تؤدي وظيفة فعلية. وهذا هو نفس تفسير الكلمة Ritual. وحتى

القرآن نفسه يقول: {**إن الصفا والمروة من شعائر الله**}. والشعائر هي الطقوس. وفي الحج لا يحلق المعتمر رأسه ولا يستحم ولا يقلم أظافره ولا يقتل القمل في رأسه. بمعنى آخر، يجمع الإنسان كل الأقذار الممكنة وهو يطوف بالكعبة المقدسة ويؤدي بقية مناسك الحج التي يقوم بها بترتيب معين لا يتعداه. وإذا فرغ من حجه حلق رأسه ليزيل الأوساخ والقمل. نفس الطهارة المعنوية التي قالت عنها التوراة عندما أمرت المعتكف الذي يموت عنده إنسان أن يحلق رأسه.

ويتضح من هذا السرد أن المقدس ما هو إلا كل شيء نظيف يخلو من القذارة. وقد قدس الإنسان البدائي الأرواح والآلهة والأحجار والمعابد والأدوات المصنوعة من الفخار وما إلى ذلك. والأديان السماوية، وخاصة الإسلام، لم تحد قيد أنملة عن ما قدسه الأقدمون. **ومع ذلك تتبلد أحاسيس المؤمنين بأي دين وترتعد فرائضهم إذا تحدث شخص عن مقدساتهم. فالتقديس ما هو إلا طقوس اخترعها الإنسان البدائي وسرنا نحن عليها.**

عودة إلى الفهرس

22 – 23 - تعقيباً على أحمد صبري السيد علي

2006 / 8 / 10

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=72359

✍ أشكر السيد أحمد صبري على مداخلته التي أتاحت لي الفرصة لتوضيح بعض النقاط التي كنت قد اختصرتها نسبةً لضيق وقتي ولضيق المساحة المتاحة في المواقع التي نكتب فيها. وأرجو أن يسمح لي القارئ والناشر بأن أطيل في هذا التعقيب الذي سوف يمتد إلى حلقتين. كنت أتمنى لو أن الكاتب قد التزم قواعد الحوار المتمدن وامتنع عن استعمال الكلمات النابية التي لا تزيد من قيمة رده، بل بالعكس تقلل منها.

- فهو قد بدأ رده بالآتي:

> " لا يبدو مقال كامل النجار أكثر من كونه مجرد محاولة للدخول في مشاجرة كلامية مع المؤمنين بالأديان على غرار مناظرات متكلمي العصور الوسطى مع فارق أساسي حيث تميز متكلمي هذه العصور - التي ربما يصفها البعض انطلاقاً من عجرفتهم الحضارية والعلمية بأنها متخلفة." انتهى.

✍ أولاً أنا لم أقصد من مقالي الدخول في مشاجرة مع أي أحد، لا من العصور الوسطى ولا من عصرنا هذا.
فإذا كان السيد أحمد صبري يرى أن المقال ما هو إلا محاولة للدخول في مشاجرة معهم، كيف سمح لنفسه بأن ينجر إلى هذه المشاجرة؟ أما كان الأحرى به أن يتفادى الرد حتى لا يشغل نفسه بمشاجرة لا تفيد؟ ولكن يبدو أنه من هواة المشاجرات إذ أنه بدأ رده بالهجوم على شخصي فقال إن عجرفتنا الحضارية والفكرية جعلتنا نصف أهل العصور الوسطى بالتخلف. وطبعاً أهل العصور الوسطى بالمقارنة مع الذين سبقوهم كانوا عصراً متنوراً، ولكن بالنسبة لعصرنا هذا فهم لا شك متأخرون، ولا أرى أي عجرفة في إثبات هذه الحقيقة التي تشهد عليها أدبياتنا وعلومنا وتكنولوجيتنا المتقدمة التي سمحت للسيد أحمد صبري أن يرد على مقالي ويقرأ رده آلاف الأشخاص من كل القارات الأرضية.

- ثم أدلى السيد أحمد صبري بفقرة كاملة عجزت عن فهم ما يرمي إليه منها، فهو يقول:

> " فيما يُلاحظ أن كامل النجار لا يتكلف حتى محاولة التظاهر بالاعتماد على أي ثقافة خاصة بالأديان التي تناولها في مقالة، متجاوزاً هذه المشكلة باستخدام بعض مواقف اختارها بشكل انتقائي ملحوظ، وحتى دون الإشارة إلى ارتباطها بخلفيات وواقع اجتماعي ضاغط لم يلتفت هو إليه." انتهى.

✍ فإذا فهم أحد القراء ما يرمي إليه السيد أحمد صبري، أرجو أن يفيدني في تعقيبات القراء.

- ويقول السيد أحمد:

> " مع بدايات المقال يعلن كامل النجار بشكل صريح أن مشكلته هي (دين أو لا دين) وهو في هذا الإطار يرغب في أن تشمل ضرباته الأديان المصطلح عليها بكونها سماوية فلا يجد غضاضة في جمعها داخل إطار واحد بغض النظر عن اختلاف خلفيات النشأة الاجتماعية والحضارية والبيئية وحتى التطور التاريخي والعقائدي لها، ويتحدث عنها كشيء واحد يجب أن يكون متشابهاً حتى في تفاصيل حياة مؤسسيه." انتهى.

✍ وأنا قد كررت مراراً أني لا أؤمن بالأديان وليس هناك أي سبب منطقي يجعل أي شخص متعلم يؤمن بالأديان.
فالأديان التي يقول عنها إنها سماوية، أتت كلها في فترة ساد فيها الجهل **ونزلت على مجموعات من البشر كانت في آخر قائمة الحضارة في ذلك الوقت**. وليس لدينا إطلاقاً ما يُثبت أنها أديان سماوية، إنما هو اصطلاح أطلقه رجال الدين أنفسهم لجعل أديانهم تعلو على ما غيرها. وكوني لا أجد غضاضة في جمعها تحت سقف واحد فيرجع هذا إلى أنها فعلاً دين واحد. فلو قرأ السيد أحمد كتابي ‹**التشابه والاختلاف بين اليهودية والإسلام**› لوجد أن الإسلام لا يعدو أن يكون نسخة طبق الأصل من اليهودية في الوصايا العشرة، وفي الفقه والأحكام الجنائية والمالية. *الفرق بينهما لا يتعدى واحد بالمائة ويدور هذا الاختلاف حول شروط النكاح والطلاق والميراث والحج*. وكل هذه الأشياء أخذها الإسلام من عرب الجاهلية الذين عرفوا الحج والعمرة والطلاق بالثلاث والمحلل وما إلى ذلك، وربما تعلمها عرب الجاهلية من جيرانهم اليهود الذين تعاملوا معهم تجارياً. فاليهودية والإسلام دين واحد. أما المسيحية فهي باعتراف الأناجيل نفسها إنما جاءت لإكمال اليهودية، وأن الله أرسل عيسى إلى خراف إسرائيل الضالة. والعهد القديم الذي هو التوراة يكوّن جزءاً من الإنجيل. أفليس لي الحق بعد هذا أن أعامل الأديان الثلاثة على أساس أنها دين واحد؟ أما خلفيات النشأة التي يتحدث عنها السيد أحمد صبري، فليست ذات قيمة فعلية إذ أن النشأة للأديان الثلاثة كانت متشابهة في أنها نزلت في منطقة جغرافية صغيرة محدودة لا تمثل من العالم المعروف يومها إلا جزءاً يسيراً جداً. ونزلت اليهودية عندما كان بنو إسرائيل تائهين في صحراء سيناء ويعيشون في الخيام. ونزلت المسيحية في نفس المنطقة رغم أنها كانت وقتها تحت سيطرة الرومان المتقدمين حضارياً على سكان تلك البقعة من الأرض. ولم يأت عيسى رسولاً إلى الرومان المتحضرين نسبياً وإنما أتى إلى خراف إسرائيل الضالة. أما الإسلام فلم يأت لشمال الجزيرة الذي كان ينعم بحضارة وارفة في ذلك الوقت وكانت به جامعة من أول الجامعات التي عرفها الإنسان، في القسطنطينية، ولم يأت إلى الفرس الذين كانت حضارتهم مضرب الأمثال العربية وكان النبي يقص عنها القصص إلى أهل مكة، وإنما جاء الإسلام إلى البدو الذين قال عنهم الله {**إنما الأعراب أشد كفراً ونفاقاً**}. فليس هناك أي اختلاف في خلفيات الأديان الثلاثة. ونسبةً إلى صغر المساحة الجغرافية التي نزلت فيها الأديان الثلاثة كان من السهل عليهم الاقتباس من بعض.

- ثم يقول السيد أحمد:

> " في الجزء الأول من مقاله يطلق كامل النجار قاعدتين حتميتين، الأولى: أن التفسير الحقيقي لكل دين يكمن في الآراء والتصرفات التي يقوم بها المتشددون من أتباعه ولا شيء آخر. الثانية: أن الأديان لا تنتشر إلا في الأوساط الجاهلة أو غير المثقفة. ومع ما في هاتين الحتميتين من استعلاء ومحاولة لاحتكار مفاهيم كالثقافة في نطاق الرافضين للأديان، فإن كامل النجار لم يسع لتوضيح أي خلفيات لهذه الأحكام التي أطلقها بشكل دعائي وساخط." انتهى.

✍ وكان حرياً بالسيد أحمد صبري أن يلتزم الأمانة العلمية فيما ينقل إلى القارئ. فأنا لم أقل إن التفسير الحقيقي للدين يكمن في آراء المتشددين، وإنما قلت (أصدر مجلس الحاخامات) ومجلس الحاخامات في إسرائيل يجمع كل الحاخامات، كما يجمع الأزهر جل رجالات الدين السني. *فمجلس الحاخامات لا يمثل المتشددين وإنما يمثل الرأي الديني اليهودي المتفق عليه*.
ثم أن قول هؤلاء الحاخامات ليس رأيهم الخاص وإنما هو آيات بعينها من التوراة تحث موسى وأتباعه على قتل النساء والأطفال وحتى الحيوانات وحرق القرى وتدميرها. وكنتُ قد ذكرتُ نص هذه الآيات في عدة مقالات سابقة ولا داعي لتكرارها. *فالقول الذي*

يقول به الغالبية من رجالات أي دين لا بد أن يكون هو المفهوم السائد عن ذلك الدين. وأما النقطة الثانية التي تقول إن الأديان لا تنتشر إلا في الأوساط الجاهلة، **فهو الحقيقة بعينها**، وإذا نظرنا إلى الأماكن التي تسود فيها الأديان نجد أن جنوب شرق آسيا والشرق الأوسط وأمريكا الجنوبية لهم نصيب الأسد من المتدينين. ولا يرجع هذا إلى أن سكان تلك البقاع لهم طبيعة تختلف عن طبيعة سكان القارة الأوروبية، ولذلك اعتنقوا الأديان، إنما يرجع إلى جهلهم وتفشي الأمية بينهم واعتمادهم على السحر والشعوذة في تفسير ما يحيط بهم من ظواهر طبيعية وأمراض.

> وقد أثبت هنتسبيرگر وبراون (Huntesburger & Brown) في دراسة قاما بها بين طلاب جامعات في أستراليا، أن وجود اتجاهات ثقافية تدفع المشتركين في الدراسة إلى نقاش غيرهم أو بعضهم نقاشاً علمياً، تزيد احتمال تخلي مثل هؤلاء عن الأفكار الدينية.[1]

فالمتعلمين الذين لا يناقشون غيرهم في أفكارهم يستبعد أن يغيروا من معتقداتهم ويمسكون بما شبوا عليه. فما بال الجهلاء والأميين؟ وعدد الأشخاص الذين لا يعتقدون بأي دين يصل اليوم إلى 211 مليون شخص كلهم تقريباً في أورووبا. وأن 40 بالمائة من سكان انـگلترا يقولون أنهم لا دين لهم. **ألا يدل هذا على أن الجهل والدين توأمان؟**

- ثم ينتقل السيد أحمد صبري إلى الفتاوى فيقول:

> " في حتميته الأولى يتساءل كامل النجار عن الكيفية التي يمكن بها تبرير الفتاوى المتشددة لرجال دين مسلمين ومسيحيين ويهود قضوا كل عمرهم في الدراسات الدينية بما لا يمكن معه اتهامهم بالقصور في فهم النص المقدس، ومع وجاهة سؤاله فإنه لم يطرح تساؤل مقابل حول الفتاوى غير المتشددة والتي يطرحها علماء قضوا أعمارهم في الدراسات الدينية بما لا يمكن معه اتهامهم بالقصور في فهم النص المقدس!!" انتهى.

✍ وكنت أتمنى لو أن السيد أحمد صبري كان قد قدم لنا نموذجاً من الفتاوى غير المتشددة هذه. فحتى إذا كانت هناك فتاوى غير متشددة فهي لا شك تمثل جزءاً يسيراً جداً من مجموع الفتاوى منذ أن بدأ عهد الفتاوى الإسلامية. فأنا قد اطلعت على كتاب ‹فتاوى الأزهر لمئة عام›، دار الإفتاء المصرية، *ولم أجد طوال المئة عام ولا فتوى واحدة يمكن أن نصفها بأنها غير متشددة*. وفي الشهور القليلة الماضية أفتى شيوخ الأزهر ضد المسيحيين وضد البهائيين وضد اليهود وضد الشيعة. وأفتى الشيعة ضد السنة. وأفتى الوهابيون في السعودية ضد الشيعة وضد المسيحيين وضد البهائيين. **فأين هذه الفتاوى غير المتشددة؟** ثم حتى إذا افترضنا وجود فتاوى غير متشددة، فهذا يدل على أن النص الديني مِن **الغموض** بحيث يمكن تفسيرة عدة تفاسير تناسب فهم رجالات الدين. ولكن إذا كانت الأديان من عند الله فإن الله لا بد كان يعلم أن رجالات الدين سوف يختلفون في تفسير النصوص، فلماذا أنزل نصوصاً قابلة للتأويل، بينما يصر رجالات القانون والدساتير على جعل النص القانوني واضحاً لا يقبل التأويل. هل رجالات القانون أذكى من الله في منع الاختلاف والتأويل؟ لا أظن ذلك. والجواب المنطقي لهذه الأسئلة هو أن الأديان ليست من عند الله.

- ثم ينتقل السيد أحمد صبري إلى تبرير فتاوى القرضاوي والقول بعدم مقارنتها مع فتاوى الحاخامات فيقول:

> " ويبدو من المثير للغرابة فعلاً أن يضع كامل النجار فتوى حاخامات الضفة الغربية بمشروعية قتل الأطفال في لبنان في نفس مستوى فتوى الشيخ القرضاوي بحلية العمليات الاستشهادية في فلسطين والتي صاغها هو على أنها فتوى بحلية قتل اليهود في فلسطين بحيث يبدو اليهود كأقلية مستضعفة وليس كمجموعة بشرية مُستَعمرة لأراض تم طرد سكانها وقتلهم، وعلى الرغم من أنني لست من المعجبين بالشيخ القرضاوي، فإنني مضطر بكل أسف للانحياز إليه حيث أجد للمرة الأولى أن هناك موقفاً سلفياً أكثر عدلاً ومعقولية من مواقف أخرى، واتساءل بالنسبة لكامل النجار عن الكيفية التي يقترحها على الفلسطينيين كي يتمكنوا من استعادة حقوقهم الإنسانية مع حصار العالم العلماني الغربي لهم وتأييده المطلق للكيان الصهيوني، وأرجو فعلاً ألا تكون أفكار كدعوات الحوار والسلام هي ما يشير إليها كامل النجار كما يبدو من مقاله حيث لا يصبح الأمر مثيراً للاستغراب فقط وإنما مثير للسخرية كذلك." انتهى.

✍ وعلينا أولاً أن ننظر إلى فتوى القرضاوي التي تقول:

> ''أن المجتمع الإسرائيلي له خصوصية تميزه عن غيره من سائر المجتمعات البشرية، فهو - بالنسبة لأهل فلسطين - (مجتمع غزاة) قدموا من خارج المنطقة - من روسيا أو من أمريكا، أو من أوروبا أو من بلاد الشرق - ليحتلوا وطنا ليس لهم، ويطردوا شعبه منه، أي ليحتلوا فلسطين ويستعمروها، ويطردوا أهلها، ويخرجوهم من ديارهم بالإرهاب المسلح، ويشتتوهم في آفاق الأرض، ويحلو محلهم في ديارهم، وأموالهم. ومن حق المغزو أن يحارب غزاته بكل ما يستطيع من وسائل، ليخرجهم من داره، ويردهم إلى ديارهم التي جاءوا منها، ولا عليه أن يصيب دفاعه رجالهم أو نساءهم، كبارهم أو صغارهم، فهذا الجهاد **جهاد اضطرار** كما يسميه الفقهاء لا **جهاد اختيار**، جهاد دفع لا جهاد طلب. ومَن سقط من الأطفال والأبرياء فليس مقصودا، إنما سقط تبعا لا قصدا، ولضرورة الحرب... أما شبهة إصابة المدنيين من النساء والشيوخ والأطفال والموظفين والعمال وغيرهم من طبقات المجتمع المدني، ممَن لا يحملون السلاح. فقد رددنا على هذه الشبهة بما يبطلها فيما مضى، وأن المجتمع الإسرائيلي مجتمع عسكري كله، وأنه مجتمع من الغزاة... إلخ، فليراجع ما كتبناه. وبالنسبة للأطفال، نرى الاستشهاديين لا يتعمدون قتل الأطفال، ولا يقصدون ذلك أصلا، ولكن هذا يأتي تبعا، وبحكم الضرورة التي لا يمكن تخطيها. ومن المعلوم: أن للضرورات أحكامها، التي بها تباح المحظورات، وتسقط الواجبات.'' انتهى.

✍ فهل تختلف هذه الفتوى عن فتاوى مجلس الحاخامات الذين قالوا إنه يجوز قتل الأطفال والنساء؟ ثم هل يختلف وضع اليهود في فلسطين الذين وعدهم الله الأرض المقدسة إلى قيام الساعة، كما تقول التوراة وكما يقول القرآن، عن وضع المسلمين الذين احتلوا اسبانيا وأجبروا أهلها على الفرار إلى الشمال الجبلي المتاخم لحدود فرنسا؟ أفلم يكن هؤلاء العرب المسلمون الذين أتوا من اليمن والحجاز والمغرب ليطردوا الاسبان من بيوتهم وقراهم، غزاةً كحال اليهود اليوم، مع العلم أن الله لم يعد المسلمين اسبانيا كما وعد اليهود الأرض المقدسة؟

- ويتساءل السيد أحمد

> عن الكيفية التي يقترحها كامل النجار على الفلسطينيين كي يتمكنوا من استعادة حقوقهم.

✍ وأقول له إن الكيفية بكل بساطة هي الطريق التي اتخذها أنور السادات، أي المفاوضات والمقاومة السلمية كما فعل غاندي. فإذا استطاع غاندي أن يهزم الأمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس دون أن يرمي حجراً، فإن الفلسطينيين قادرون على كسب الرأي العام العالمي الذي يستطيع أن يجبر أمريكا على اتخاذ موقف محايد في القضية. وقد ظل الفلسطينيون والعرب عامة يقاتلون منذ عام 1948، فماذا انجزوا من حروبهم غير دمارهم وفقدان أراضي أخرى لم تكن محتلة من قبل؟ وقد قام الفلسطينيون بثلاث انتفاضات فقدوا فيها آلاف القتلى وقادت إلى إعادة احتلال غزة والضفة الغربية. فهل أفادتهم انتفاضاتهم وتفجيراتهم شيئاً بالإضافة إلى أنها افقدتهم التعاطف العالمي الذي كانوا يحظون به بعد أوسلو. ويقول السيد أحمد إنه يرجو ألا يكون رد النجار دعوات إلى الحوار والسلام لأن ذلك يدعو إلى السخرية. فإذا أراد السيد أحمد صبري أن يسخر مني فليسخر ولن يضيرني ذلك *لأني أعلم أن الحوار هو الطريق الوحيد الذي سوف يقود الفلسطينيين إلى مبتغاهم*.

- ثم يقول السيد أحمد صبري:

[1] Robert Hinde, Why Gods Persist, p.65.

"إن ما يسعى كامل النجار للتأكيد عليه بشكل غير مباشر هو أن الحضارة الغربية العلمانية هما فقط ما يمكن أن يطلق عليهما مصطلح حضارة وثقافة بالمعنى الحقيقي مستدلاً على العنف الذي اتسمت به حركة تطور وصعود كل دين وما يشهده العالم الآن من عنف في الشرق الأوسط بإسم الدين الإسلامي، وهنا يجب أن نشير إلى أنه لا فارق جوهري بين القتل بإسم الدين على يد جماعات مسلحة وبين القتل بإسم الديمقراطية والعلمانية على يد دولة كبرى تستغل هذه التعبيرات لفرض مشروع احتكارها للنفوذ والثروات على العالم بالقوة." انتهى.

✍ وأنا لم أقل إن هناك فرقاً جوهرياً بين القتل بإسم الدين أو بإسم السياسة، فالحرب هي الحرب والدمار. ولكن عندما يتخذ السياسي قراراً بشن حرب على دولة أخرى، يستطيع مواطنوه أن ينتقدوا قراره ويعترضوا عليه، وقد يضطرون السياسي إلى الإستقالة أو إلى فقدان مقعده في الانتخابات.
والحرب السياسية معروف أنها لأسباب زيادة مصالح بلد معين أو زعيم معين، إنما الحرب بإسم الدين، وخاصة الدين الإسلامي فهي حرب مقدسة بإسم الله. ومَن مِن المسلمين يستطيع أن ينتقد ما قرره الله وأجازه. ثم إن الحرب السياسية هي وسيلة لتصفية حسابات بين دولتين أو أكثر بينهم مشاكل لم تنجح معها الوسائل الأخرى، فهل الحروب الدينية بين أتباع الديانات المختلفة تحدث لأن الله لم يجد وسيلة أخرى يصل بها إلى هدفه، وهو اعتناق أكبر عدد ممكن من الناس للدين الجديد؟ أليس في مقدوره أن يجعلهم يعتنقون الدين الجديد بالاقناع بدل الحرب؟ فأي إله هذا الذي يجبر الناس على عبادته بقوة الحديد والنار بدل المنطق والحجة؟
وللحديث بقية

2006 / 8 / 12

2 - 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=72501

- يستمر أحمد صبري في تعقيبه على الفتاوى فيقول:

" على الدكتور كامل النجار إذن أن يبحث عن مبرر آخر أكثر مصداقية لمثل هذه الفتاوى، فالقتل لا يتخذ ذريعته من الأديان فقط وإنما من العلمانية والديمقراطية كذلك، وهنا لا أعتقد أن كامل النجار يرى بأن العلمانية هي كذلك عودة للعقل الغريزي، وبعيداً عن أن لهجة كامل النجار والذي يسعى فيها للإمساك بميزان يقوم فيه بقياس عقول الآخرين وتقسيمها لعقول واعية وعقول غريزية، فإن هذا التفريق ذاته الذي بدأه كارل يونـگ في نظريته عن الإنسان البدائي يتجاهل تماماً حقيقة تراكم الخبرة والتجربة الإنسانية والتي تضع الغريزة في إطار الأحكام الاجتماعية." انتهى.

✍ وكما قلت سابقاً فإن القتل يتخذ ذريعةً من الأديان ومن العلمانية.
ولكن عندما تلجأ العلمانية السياسية إلى القتل، فتأكد أن على رأسها شخصاً يفكر بعقله الغريزي مثل جورج دبليو بوش الذي ينتمي إلى اليمين المسيحي من جماعة Born Again Christians الذين يعتقدون، دون إثبات، *أنهم جاءوا لتجديد المسيحية. والرئيس بوش لا يستحي أن يقول إن الله أوحى إليه أن يغزو العراق. وصدام حسين العلماني قال إن الله أوحى إليه أن يغزو الكويت*. والأيديولوجيا التي تسكن العقل الغريزي لا يتحتم أن تكون أيديولوجيا دينية، فمثلاً بول بوت عندما أباد الملايين في كمبوديا، لم يكن ينطلق من أيديولوجيا دينية، ولكنه رغم ذلك كان يؤمن بأيديولوجيا علمانية خولت له أن يبيد الملايين الذين لا ينتمون إلى أيديولوجيته. فشخص مثل هذا لا يمكن أن يكون فعل كل هذه الشنائع وهو يفكر بعقله الواعي. **فالعقل الواعي يزن العمل وما ينتج عنه ثم يقرر إذا كانت النتائج تبرر العمل. بينما العقل الغريزي لا يفكر لأنه مبرمج مثل آلة الحاسوب التي تقوم بأكثر العمليات الحسابية تعقيداً ولكنها تفتقر إلى العقل.**
فالعلمانيون، وليس العلمانية، قد يرجعون إلى العقل الغريزي. وكامل النجار لا يحاول تقسيم عقول الناس إلى عقول واعية وعقول غرائزية، فهذا تقسيم علمي معروف منذ نهاية القرن التاسع عشر. والحقيقة أن كارل يونـگ (1875-1961) لم يكن هو أول مَن بدأ تقسيم العقل إلى عقل واعي وعقل غريزي، وإنما سبقه إليها سيـگموند فرويد (1856-1939). ولكن كارل يونـگ كان أول مَن تحدث عن العقل الغريزي الجمعي The Collective Unconscious وقال:

كما أن جميع الناس يشتركون في الحامض النووي (دي ان آي) فهم كذلك يشتركون في ما سماه Archtype وهو عبارة عن المخزون المتراكم للناس من الأحلام والأديان والشعائر التي يشترك فيها جميع بنو آدم، ويخزنونها في عقولهم الغريزية أي العقل غير الواعي.

وهو سمى هذا الشيء (ال دي ان آى السيكولوجي). وقال إن الإنسان العلمي إذا غيّب هذا ال Archtype واعتمد كليةً على المنطق فقد يُصاب بنوع من النرجسية ويصبح استهلاكياً، ولكن إذا اعتمد الإنسان على العقل غير الواعي بكثرة فقد يصيبه نوع من المرض النفسي يُسمى Psychosis (الذُهان) وأنا أفضل أن أكون نرجسياً واستهلاكياً ولا مريضاً بالسايكوسس. وكارل يونـگ لم يتجاهل حقيقة تراكم الخبرة والتجربة الإنسانية، بل دافع عنها وخلق لها إسماً جديداً. لكنه قال إن تلك الخبرة الجمعية تسكن في العقل غير الواعي.

- ثم يتحدث السيد أحمد صبري عن كامل النجار فيقول:

" ويَفترض "كامل النجار" عدم وجود وعي لدى الإنسان البدائي ذاته ينسجم مع بيئته وتجربته وخبراته فهو إذن يعتبر أن الإنسان البدائي هو كائن مختلف بعقلية مختلفة عن الإنسان المتحضر، إن التساؤل الأساسي لكامل النجار هو متى اختفت مثل هذه الآراء التي لا ترى مشكلة في القضاء على الآخر مقابل مصالح مادية أو اجتماعية حتى لدى الغرب العلماني؟ وبمعنى أوضح متى ظهر مُسمى العقل الواعي بشكل واقعي حتى يتم عقد مقارنة بينه وبين مسمى العقل الغريزي كنموذجين مختلفين." انتهى.

✍ وأنا لم أنكر أن للإنسان البدائي وعي ينسجم مع بيئته وتجربته، وإنما قلتُ إن عقل الإنسان البدائي لم يكن قد نما وقتها ليسمح له بالتفكير المنطقي الذي نتمتع به نحن الآن. وعقلية الإنسان البدائي لا شك تختلف عن عقليتنا الآن إذ أن حجم جمجمة الإنسان البدائي على مدى ملايين السنين كان حوالي خمسمائة گرام، وهذا نصف حجم جمجمة الإنسان المعاصر. فلا بد أن يكون تفكيرنا واستنتاجاتنا مختلفة ومتقدمة عن تفكير واستنتاجات الإنسان البدائي.

- ويسأل السيد أحمد:

متى ظهر مُسمى العقل الواعي بشكل واقعي حتى يتم عقد مقارنة بينه وبين مُسمى العقل الغريزي؟

✍ وقد قلت سابقاً أن التسمية ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر. غير أن التاريخ ليس مهماً، والمهم هو أننا نعرف الآن أن هناك عقلاً واعياً وعقلاً غريزياً ويمكننا المقارنة والمفارقة بينهما.

- وعندما تحدثت عن طوائف المورمون وديڤيد كريش وطائفته وقلت إنها نشأت وسط جهلاء مزارع القطن في جنوب الولايات المتحدة، قال السيد أحمد صبري:

" فمن غير المتوقع بالنسبة لكامل النجار أن تظهر أي ثقافة اعتماداً على عقلية مزارع القطن الذي ينظر لها كامل النجار باحتقار ظاهر، ومع ذلك فإن كامل النجار لم يجب عن سر انتشار طوائف عقلية مزارع القطن في أوساط مدن أخرى تعيش على عقلية الرأسمالي الأنيق بهذا الشكل الواسع، وإن كان من المقبول الحديث عن عقلية مزارع القطن في القرن الـ 19 أثناء الحديث عن المورمون، فما تأثير هذه العقلية على سكان الولايات الجنوبية في أواخر القرن العشرين حينما ظهرت طائفة الداووديين بقيادة ديفيد كيرش سنة 1986." انتهى.

✍ وعقلية مزارع القطن ترمز إلى الجهل الذي يوازي عقلية البدوي في صحراء نجد. فالمعروف تاريخياً أن جنوب الولايات المتحدة الذي تنتشر فيه مزارع القطن كان يعتمد اعتماداً كلياً على العبيد المستوردين من أفريقيا وعلى سكان المكسيك وأمريكا الجنوبية الذين نزحوا إلى أمريكا. وبما أن هؤلاء العمال كانوا أميين وجهلاء، تماما كأسيادهم الذين كان يسيطر عليهم التعليم الديني، فقد سهل على الطوائف الانتشار في تلك الولايات. ونحن عندما نتحدث عن العقلية الجمعية للولاية *نعني الغالبية العظمى من السكان*، وهذا لا يمنع أن يكون جزء بسيط من السكان مخالفاً للغالبية. ففي الولايات الشمالية كان التعليم قد انتشر وقلت نسبة انتشار الطوائف فيها، ولكن هذا لا يمنع أن تكون هناك أقلية جاهلة في الولايات الشمالية يسهل انتشار الطوائف بينها.

- ثم يقول السيد أحمد صبري:

" وذلك بغض النظر عن أن معلوماته عن نشأة المورمون خاطئة - سهواً أو عمداً - فمؤسس هذه الطائفة ولد في أقصى الشمال الأمريكي في فيرمونت سنة 1805 م، ثم رحل مع عائلته إلى نيويورك، ثم بدأت دعوته في سنة 1829 م في نيويورك وعموماً فكلتا الولايتين لا علاقة لهما بعقلية مزارع القطن." انتهى.

✍ وأرجو أن يتمعن السيد أحمد صبري في ما يقرأ قبل أن يحاول تفنيده، فأنا لم أخطئ في تاريخ طائفة المورمون وقلت بالحرف:

" هذه الطائفة بدأها شخص يدعى جوزيف سميث في عام 1827 في نيويورك ثم في ولاية أوهايو." .

وأنا لم أشأ الإطالة في معلومة غير مهمة، فالطائفة رغم أنها بدأت في نيويورك، فقد انتشرت في الجنوب. والسبب أن سكان نيويورك قد كشفوا خداع السيد سميث وقدموه إلى المحاكمة في نيويورك مرتين بتهمة الغش والخداع عندما زعم أنه يستطيع الكشف عن المستقبل بالنظر في الألواح وفي المرآة، وحكموا عليه بالسجن. وعندما انتشرت دعوته في الجنوب ثم رجع إلى نيويورك، ألب أتباعه على قتل المعارضين، فقدموه إلى محاكمة وسجنوه ثم اعتدت مجموعة من الناس عليه في السجن وقتلوه. *والناس الجهلاء لا يقتلون أنبياءهم، وهذا يُثبت أن سكان نيويورك وقتها لم يكونوا جهلاء فتنتشر بينهم الدعوى.*

- وفي محاولته تفنيد مقالتي يأتي السيد أحمد صبري بمقولات لا سند لها ولا يشير إلى مصادره، فيقول لنا:

" في مناقشته لقدرة الأديان على غسل الأدمغة استدل كامل النجار ببعض الممارسات التي يقوم بها بعض المسلمين الشيعة والتي تسمى "**التطبير**" كنوع من التعبير عن الحزن في ذكرى استشهاد الإمام الحسين (رض) ورغم أنني أوافقه على رفض هذه الممارسات، كما يوافقه كذلك العديد من علماء الدين الشيعة كالسيد محمد حسين فضل الله، وحتى مرشد الثورة في إيران السيد خامنئي، فإن كامل النجار لم ينتبه إلى حقيقة أن بداية ظهور هذه الممارسات كانت في القرن الـ 16 الميلادي حيث استعارها الصفويون (شاهات إيران في تلك الفترة) من بعض مشاهداتهم لممارسات شبيهة كانت تحدث في أوروبا كتعبير للحزن على المسيح (ع)، وبالتالي فإن الادعاء بأن هذه الممارسات هي ممارسات دينية كما يرغب كامل النجار رغم أنها ظهرت بعد قرون من استشهاد الحسين (رض) يعد ضرب من الدجل." انتهى.

✍ وغريب أن يقول: كما يوافقه العديد من علماء الدين الشيعة كالسيد محمد حسين فضل الله. فالمعروف أن التطبير أكثر ما يمارس في العراق، وعندما يعوز السيد أحمد صبري ايجاد مثال من العراق يعطينا إسم السيد محمد حسين فضل الله من لبنان. وحسب علمي فليس هناك زعيم شيعي عراقي رفض التطبير غير السيد محسن الأمين العاملي (1371-1284هـ) الذي أبدى رأيه الاجتهادي بخلاف الرأي السائد في مسألة عاطفية وهي مسألة التطبير (شق الرؤوس في يوم عاشوراء) حيث أفتى بحرمتها وقد تعرض إثر ذلك لأشرس حملة عدائية من الحوزة ومراجعها إلى حد اتهامه (بالزندقة) كما جاء على لسان العالم والخطيب العراقي الشهير السيد صالح الحلي الذي هاجم الأمين في قصيدة طويلة يقول فيها:

وإذا مررت بجلق فابصق   بوجه أمينها المتزندق[2]

✍ فرمي الكلام على عواهنه كأن نقول وكذلك يوافقه العديد من علماء الشيعة، لا ينطلي على القارئ. أما الممارسات نفسها سواء اقتبسها الصفويون من أوروبا أم اخترعها الشيعة أنفسهم، فهي لم تنتشر إلا في بيئات دينية متشددة مما يدل على أن الدين يغسل الأدمغة. ولا أدري أينا هو الدجال: الشخص الذي يكتب الحقيقة كما يراها جميع الناس، أم الشخص الذي يحاول نفي المُشاهد بدون أي دليل أو مصدر يقدمه لنا؟

- ثم يستمر في محاولته فيقول:

" ومع إصرار كامل النجار على أن يكون نمط تفكيره الغربي هو معيار وميزان العقلاني بمثل هذا الشكل المتعجرف فإن أحد المستشرقين المنتمين لهذه النوعية من نمط التفكير أبدى استياؤه لتوقف هذا الطقس الجليل (التطبير) في مصر مع بدايات القرن الـ 20، وأمل أن تؤدي المصاهرة بين البيتين المالكين في مصر وإيران إلى عودته مرة أخرى." انتهى.

✍ ورغم تكرار كلمة "المتعجرف" في تعقيب السيد أحمد صبري ثلاث مرات، فإني أربأ بنفسي أن أتبع أسلوبه. وأنا لم أقل إن نمط تفكيري يجب أن يكون المعيار، وإنما بيّنت رأيي في الممارسات الدينية ولم أحاول إجبار الناس على رؤية الأديان من نفس الزاوية التي أنظر منها أنا. أما مسألة التطبير في مصر في بداية القرن العشرين فأمر جديد عليّ إذ أن المذهب الفاطمي قد انتهى في مصر بدخول صلاح الدين الأيوبي عام 1171. ومنذ دخوله مصر بدأ بمحاربة الشيعة وقتلهم وألغى الشعائر الحسينية وأسند القضاء وإدارة الأزهر إلى فقهاء المذهب الشافعي. فلا أدري متى كان هذا التطبير الذي ترحّم عليه ماكفيرسون في القاهرة.

- ثم انتقل السيد أحمد صبري إلى الأسلحة النووية فقال:

" والواقع أن هناك تساؤلات حول مدى عقلانية قيام المسؤولين الأمريكيين العلمانيين في الحرب العالمية الثانية باتخاذ قرار إبادة مدينتين يابانيتين عن طريق قصفهما بالقنابل الذرية، كما نتساءل عن مدى عقلانية تهديد الرئيس الفرنسي العلماني جاك شيراك للدول التي تهدد أمن فرنسا - حسب تصوره - بقصفها بالقنابل النووية بما قد يؤدي لإبادة شعوبها، في مقابل فتوى الإمام الخميني مؤسس الجمهورية الإسلامية بتحريم استخدام هذه الأسلحة من الأساس، وبالتأكيد فإن المسؤولين العلمانيين في أمريكا أو فرنسا لم ينظروا إلى الكتاب المقدس قبل اتخاذ مثل هذه القرارات، في حين أن الإمام الخميني نظر إلى القرآن وهو يقوم بصياغة هذه الفتوى." انتهى.

✍ وليس هناك أي تساؤل حول إلقاء أمريكا القنبلة الذرية على اليابان، فالكل متفقون أنه عمل غير عقلاني وغير إنساني، لكنه يظل قراراً سياسياً أتخذه رئيس أمريكي يخضع لمحاسبة شعبه له.

---

[2] صباح المسوي، كتابات 2 أيلول 2003.

وهذا بخلاف القرار الإلهي الذي يتخذه بالإنابة عنه الإمام الخميني أو السيستاني. وأنا شخصياً لا أعلم متى حرّم الإمام الخميني الأسلحة النووية، وأشك أنه حرّمها وإلا لما سعت إيران حثيثاً إلى حيازتها وما زالت تناكف المجتمع الدولي على حقها في تخصيب اليورانيم. فهل اتخذ حكام إيران قراراً يعارض فتوى الإمام الخميني؟ *والأغرب من هذا أن الكاتب يدعي أن الإمام الخميني اعتمد على القرآن في تحريم الأسلحة النووية. فأي نص في القرآن اعتمد عليه الخميني*؟ هل اعتمد على الآية التي تقول {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوكم وعدو الله}؟ وبالطبع فإن جاك شيراك وهاري ترومان لم ينظرا في الإنجيل لاتخاذ قرارات استعمال القنابل النووية لأن كلا الرجلين علماني ولا ينتمي إلى مؤسسة الملالي.

- وانبرى بعد ذلك السيد أحمد صبري إلى الدفاع عن الأنبياء فقال:

> " في الجزء الثاني من مقاله يلجأ كامل النجار لعقد مقارنة بين الأديان ربما تبرر هذا الجمع المتعسف لها في إطار واحد.- فكل دين أو طائفة أسسه رجل يتيم أو غير معروف الأب، ومن الغريب جدا أن يوقع كامل النجار نفسه في مثل هذه الأحكام غير العقلانية والمثيرة للسخرية في حين يجد في نفسه الجرأة على احتكار تعريف العقلانية والثقافة. وبقدر ما يعد الرد نوع من المجاراة لهذا السخف فإنه يبدو ضرورياً للاستدلال على نقاط الضعف في هذا الحكم، فلم يكن موسى (ع) يتيماً أو حتى غير معروف الأب مع الاعتراف بأن حياته اتخذت مساراً غريباً بسبب الظروف التي رافقتها، كما أن مؤسس طائفة المورمون يوسف سميث (1805 - 1844) والتي أشار إليها كامل النجار لم ينتم إلى أي من النوعيتين." انتهى .

✍ فبعد أن أكد السيد أحمد صبري على سخف طروحاتي وجاراها بالرد عليها، قال إن موسى لم يكن يتيماً ولا غير معروف الأب.

فلو رجعنا إلى التوراة فإنها تقول: {**ذهب رجل من بيت لاوي واتخذ امرأة فولدت له هارون ثم موسى**}. ولم تذكر التوراة بعد ذلك أي كلمة عن والد موسى. والقرآن لم يذكره إطلاقاً إنما ذكر أم موسى التي أوحى الله إليها، كما أوحى إلى أم عيسى. فمن هو أبو موسى؟ وهل يستطيع السيد أحمد صبري أن يجزم أن والد موسى كان حياً عندما ولد موسى أو أنه لم يمت وموسى صغير لم يبلغ الرشد بعد؟ أنا في اعتقادي أن والد موسى لم يكن معروفاً أو ربما كان ميتاً لأنه لا ذكر له ولا يهتم بسيرته أحد. أما جوزيف سميث فكان أبوه يتنقل من حرفة إلى حرفة ومن بلد إلى أخرى ولم يكن له أي اهتمام بالدين وترك تربية أطفاله لزوجته ماك سميث (حسب ما تقول دائرة معارف كولومبيا). فأبوه كان تأثيره ثانوياً في تربيته، فلا فرق بينه وبين اليتيم.

- وبعد أن وافقني السيد أحمد صبري على أن رجالات الدين من أغنى الأغنياء وهذا يتعارض مع ما يدعون إليه، قال:

> " ومع ذلك فإنه كان من العدل أن يعترف كامل النجار بأن هذه المؤسسات الدينية والتي يتهمها بالثراء تقدم العديد من الخدمات المجانية للفقراء سواء الكنيسة الكاثوليكية أو رجال الدين الشيعة، خاصة أن هذه الأموال التي تتوفر لمرجعيات الدينية (مسيحية أو مسلمة) ليس بناء على نهب أو استغلال امبريالي وإنما بناء على قناعة مَن يملكون الأموال من الأتباع **بجدارة هذه المرجعيات** في القيام بمسئولية الإشراف على توزيع الحقوق الشرعية." انتهى.

✍ وربما لم يذهب السيد أحمد صبري إلى البرازيل أو المكسيك ليري أطفال الشوارع الكاثوليك الذين يبلغ عددهم مئات الآلاف، يتسولون ويمتهنون الدعارة ليعيشوا، بينما تملك الكنيسة الكاثوليكية مليارات الدولارات في بنوكها ولا تصرف على هؤلاء الفقراء.

ولا أعتقد أن السيد أحمد صبري نفسه مقتنع بأن أصحاب الأموال يدفعون للمؤسسات الدينية لاقتناعهم بجدارة المرجعيات في توزيع هذه الأموال. رجال المال يتبرعون للمرجعيات كنوع من التأمين على الحياة في الآخرة وربما لمكاسب دنيوية كذلك. الملياردير الأمريكي بِل گيتس وضع ملياراته في مؤسسة خيرية تتبنى الصرف على الفقراء في جميع أنحاء العالم ومن كل المذاهب والأديان. لماذا لا يفعل الأغنياء المسلمون ذلك بدل الدفع للحسينيات التي لا تصرف، إذا صرفت، إلا على أتباع مذهبهم؟

- وعندما تحدثت عن تعدد زوجات الأنبياء ورجالات الدين، قال السيد أحمد صبري:

> " وقد استخدم كامل النجار وضع النبي سليمان (ع) التي تذكر له التوراة عدد ضخم من الزوجات والجواري، وهنا فإن كامل النجار يحاول محاسبة النبي سليمان الذي عاش في مرحلة تاريخية وحضارية معينة بحسب الأفكار الغربية حالياً، وبديهي أن هذه المحاولة غير منطقية وتفترض أن الأفكار السائدة حالياً هي الأصلح والأفضل على الرغم من أنها لم تحقق أي نتائج غير معتادة بالنسبة للمجتمعات الأوروبية التي تتبناها، فمازالت هناك جرائم وبطالة وفساد وخيانات زوجية... إلخ، وهي نفس الأمراض الاجتماعية التي شهدتها المجتمعات القديمة، ومع أن التوراة لا تصلح كسند تاريخي في الواقع ولا يوجد دليل واقعي على مصداقيتها - مع احترامنا لها كنص ديني - فإنه من الضروري ذكر أن هذا العدد من الزوجات بالنسبة لملك في تلك الفترة لم يكن سوى دليل على **نفوذه** الذي تذكر التوراة أنه شمل مناطق عديدة من الشرق، ولم يكن الزواج سوى مظهر من مظاهر التحالف السياسي والقبلي." انتهى.

✍ والنبي سليمان الذي عاش في مرحلة تاريخية سابقة لم يكن الرجل الوحيد الذي عاش في تلك الحقبة. لماذا لم يتزوج غيره ثلاثمائة زوجة كما تزوج هو. أما القول أنه تزوج كل هذا العدد من النساء لأن نفوذه قد أمتد في كل الشرق، قول لا يسنده أي منطق أو مصدر تاريخي.

فملك فارس امتد نفوذه أكثر مما امتد حكم سليمان لكنه لم يتزوج ثلاثمائة زوجة. وامبراطور الروم كانت دولته أوسع من مملكة سليمان، ولم يتخذ ثلاثمائة زوجة رغم أنه اتخذ عدداً من المحظيات. وإذا كان اتساع رقعة النفوذ هو السبب، فما هو السبب في اتخاذ محمد أكثر من عشرين زوجة ونفوذه لم يتعدَ مكة والمدينة؟ وإذا كانت الجرائم والخيانة الزوجية متفشية في العالم الغربي، فهل هذا مبرر لاتخاذ الرجل ثلاثمائة زوجة؟

- وانتقل السيد أحمد صبري بعد ذلك إلى استغلال الأطفال جنسياً، فقال:

> " أما اعتداء بعض القساوسة على الصبيان فهو يشير إلى ما فعله بعض القساوسة الأمريكيين الكاثوليك في الولايات المتحدة، ومن الغريب أن التفكير المنطقي يرفض تعميم الأحكام لكن كامل النجار يعتمد تماماً على هذا الأسلوب التعميمي وفي هذه النقطة فإنه يتحدث كما لو أن كل القساوسة المسيحيين أو الكاثوليك يمارسون اغتصاب الأطفال، أو أن كل مغتصب للأطفال يجب أن يكون رجل دين ما في حين أنه يوجد مغتصبون للأطفال وحتى للنساء لا يؤمنون بأي ديانات أو لا يقيمون وزن للشعائر الدينية." انتهى.

✍ أولاً أنا لم أقل إن الذين ليسوا رجال دين لا يغتصبون الأطفال، وإنما قلت إن القساوسة الذين يُفترض أنهم يمثلون الدين الإلهي لا يلتزمون بما يدعون إليه ويغتصبون الأطفال. وبالطبع هناك من غير رجالات الدين ممن يغتصبون الأطفال.

وقد أزيد السيد أحمد علماً إذا أكدت له أن اغتصاب الأطفال في المؤسسات الدينية المسيحية لم يقتصر على الكنيسة الكاثوليكية وحدها ولم يقتصر على أمريكا فقط. ففي كندا استغل القساوسة الصبيان الأيتام في بيت أيتام "مونت كاشيل" Mount Cashel orphanage في مقاطعة نيوفوندلاند، وفي ثلاث بيوت أيتام تديرها الكنيسة في كويبك. وأحدثت هذه الاغتصابات فضيحة كبيرة في كندا. وفي المكسيك فهناك قصة الأب مارسيال مارسيل الذي ظل يستغل الصبيان منذ عام 1940 وحتى العام الماضي عندما اضطر البابا بنيدكس الحالي إلى إقعاده قسراً ومنعه من ترشيح نفسه مرة أخرى. وفي ايرلندة الجنوبية أي الجمهورية الايرلندية فقد انتشرت عدة فضائح عن القساوسة الكبار بالكنيسة واستغلال الأطفال مما اضطر البرلمان الايرلندي لإنشاء مجالس قضائية للكشف عن الحقيقة.

فوجدوا مثلاً في أبرشية صغيرة اسمها "فيرن" أكثر من مائة حالة استغلال للصبيان. وفي أبريشية دبلن العاصمة ما زال المجلس القضائي يحقق في أعداد كبيرة من الحالات. وقد اضطرت الفضائح الكنيسة إلى إقالة عدد كبير من كبار الأساقفة. وفي هونولولو أُدين الأب آرثر أوبراين في عام 1992 في أربعة حالات اعتداء على الصبيان. وكذلك أدين الأب مارك ماتسون في عام 1998، والأب جوزيف بوكوسكي في عام 2005، والأب جيمس جونسالفس في هذا العام. وفي النمسا اضطر الكاردينال هانس هيرمان جرور إلى الاستقالة من منصبه كأسقف عام للكنيسة النمساوية لمحاولته التستر على استغلال الصبيان للحفاظ على سمعة الكنيسة. وفي انـگلترا ظهرت عدة حالات استغلال جنسي للأطفال ارتكبها القساوسة. أما في الولايات المتحدة الأمريكية فلم تسلم مدينة كبيرة من فضائح وإدانات القساوسة لدرجة أن الفاتيكان أضطر لتنحية كبير أساقفة أمريكا الشمالية الكاردينال بيرنارد لو، الذي كان مقرة في بوستن. واستقال عدة أساقفة آخرين في مدن أخرى مثل "بالم بيتش" في فلوريدا. وأعلنت عدة كنائس إفلاسها لعدم مقدرتها على دفع التعويضات للأعداد الكبيرة من االصبيان الذين تضرروا من ممارسات القساوسة. فقد أفلست أبرشية بورتلاند بعد أن دفعت أكثر من 53 مليون دولار. وأبريشية تسكون Tuscon أعلنت إفلاسها بعد أن دفعت أكثر من 22 مليون دولار. والأدهى والأمر من ذلك أن الكنيسة الكاثوليكية في أعلى مستوياتها وفي كل الأقطار كانت تعلم بهذا الاستغلال للصبيان وكانت تتكتم عليه وتنقل القسيس مرتكب الإثم من مدينة إلى مدينة أخرى ليواصل اغتصابه. أما في العالم الإسلامي الذي تغلفه السرية فإن عدد الصبيان الذين اغتصبهم المؤذنون والمطوعون فلا يعلم مداه إلا الله، الذي ظل يراقب كل هذا الاستغلال دون أن يحرك ساكناً. ربما لأنه ندم على ما فعله بقوم لوط.

- ثم تحدث السيد أحمد صبري عن آلهة الحرب من النساء فقال:

> " لقد كنت أتمنى حقيقة أن يبتعد كامل النجار عن هذه الإسقاطات التاريخية التي يبدو أنه يعاني من ضعف فيها، فكل من أفروديت وڤينوس هما من منتجات المؤسسات الدينية الوثنية الخاضعة لسيطرة كهنة رجال، كما أن هاتين الإلهتين لم تكونا آلهة للحب العفيف بقدر ما كانتا تمثلان الإغراء الجسدي، وذلك بعيداً عن حقيقة أن آلهة الحرب في معظم الحضارات كانت آلهة مؤنثة منذ أن اكتشف البشر أن أنثى الأسد أكثر شراسة، ولم ير الجنس البشري حتى الآن أي ديانة ترسل امرأة كمندوبة عنها يمكننا الرجوع إليها، ولا أعتقد في الواقع مع هذه الزيادة الضخمة في نسبة ارتكاب النساء للجريمة في العالم أن الوضع سيكون وردياً في هذه الحالة." انتهى.

✍ والسيد أحمد صبري يتهمني بالاسقاطات التاريخية لأنه يعتقد أن أفروديت وڤينوس هما من منتجات المؤسسات الدينية الوثنية الخاضعة لسيطرة الكهنة الرجال. فكل الآلهة من مخترعات المؤسسات الدينية، سواء أكانوا آلهةً في الأرض أو في السماء. والكهنة الرجال يسيطرون الآن، كما سيطروا منذ أيام الديانة الإغريقية على المؤسسات الدينية، ولكن قبل ذلك كانت الآلهة والكهنة من النساء. وحتى مع سيطرة الرجال على الكهنوتية، فإن أعداد الآلهة النساء كان كبيراً ويصعب حصرهن. وحتى في البلاد العربية كانت الآلهة نساء إلى أن جاء الإسلام. وكل هؤلاء النساء لم يكن يمثلن الإغراء الجسدي كما يدعي السيد أحمد صبري. ويدعي كذلك **كذباً** أن معظم آلهة الحرب كن من النساء منذ أن اكتشف الإنسان أن أنثى الأسد أكثر شراسة. ما هذه الخطرفة عن أنثى الأسد أكثر شراسة؟ أنثى الأسد شرسة إذا اقترب أحد من أطفالها كما أن الأسد أشد شراسةً إذا اقترب أحد من فريسته. فلكلٍ مجاله الذي يظهر فيه شراسته. ويظل الأسد أقوى وأشرس من أنثاه، كما هي القاعدة في كل مملكة الحيوان. أما آلهة الحرب في الميثولوجيا الإغريقية والمصرية والبابلية كن: "سيكميت" في مصر وكانت تحارب قوى الشر، و "أنات" في البابلية، و "ديرقا" في الهند، وقد أعطاها الآلهة الرجال أسداً لتركبه وتحارب به قوى الشر (*ونلاحظ هنا أن الآلهة أعطوها أسداً ذكراً ولم يعطوها لبوة لتحارب عليها*)، وفي بلاد اسكندناڤيا كانت الآلهة "فريا" إلهة الحب والموت والحرب، كلها مجتمعة. أما كل بقية الآلهة النساء في كل الديانات القديمة كن آلهة حب وخصب.

وفي النهاية أطلب من السيد أحمد صبري مستقبلاً أن يركز تفنيده على ما أكتب ويتفادى استعمال الكلمات النابية التي إن دلت على شيء فإنما تدل على إفلاس كاتبها.

عودة إلى الفهرس

2006 / 8 / 23

24 - المسلمون والإسلام: كلاهما يُسفّه الحياة

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=73479

كثُر اللغط والجدل أخيراً عن دور الإسلام في التشجيع على الإرهاب العالمي الذي كاد يشل الحياة في البلاد الغربية. وقد حاول المسلمون دفع التهمة عن الإسلام وزعموا، جوراً، أن الإسلام لا يشجع على الإرهاب وإنما *الجماعات الضالة والمنحرفة* هي التي تفعل ذلك.

ولكن لو نظرنا إلى الوراء ودرسنا أوضاع المجموعات البشرية التي سكنت تلك البقعة من الأرض المعروفة الآن بإسم الشرق الأوسط، لوجدنا أن سكان أرض الرافدين كانوا أول من بدأ حياة الاستقرار التي أدت بدورها إلى بدء الحضارة البشرية. فقد اخترعوا العجلة والكتابة والموسيقى وكانوا أول من اخترع السلم الموسيقي وآلات العزف الحديثة وأول من جمع الألواح الطينية المكتوبة في مكتبة. وأول من سن قوانين التعامل بين الأفراد في دولة مستقرة. وأول من اخترع الاحتفالات الدينية التي كانت الموسيقى تمثل عمودها الفقري. وباختصار كانت الشعوب في تلك المنطقة تحب الحياة وتستمتع بها. ولأنهم استمتعوا بالحياة بذلوا جهداً عظيماً في تطويرها.

وحتى في مكة التي جاب تجارها أنحاء العالم المعروف لديهم ورجعوا بالرقيق الأبيض كانوا قد تعلموا الموسيقى والغناء وآلات الطرب وشرب النبيذ من البلاد التي تاجروا معها. وكان أغلب المغنين من الجواري. وكانوا قد تعلموا الرسم وزينوا جدران كعبتهم بالرسوم الدينية.

ثم جاء الإسلام وبدأ بتفكيك الحياة الدنيوية *وجعل حياة الآخرة هي المطلب الوحيد*. فقال لهم الله في القرآن:

{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدونِ. (الذاريات 56)**}.**

فأصبحت عبادة الله هي محور الحياة ومنعوا المسلم من الاستمتاع بأي شيء في هذه الحياة الفانية *إذ أن مهمته فيها هي عبادة الله*.

ثم زاد القرآن في تسفيه حياة المسلم الحاضرة *وأمرهم بالصلاة نهاراً وبقيام الليل إلا جزءاً يسيراً*،

- فقال {**يا أيها المزمل. قم الليل إلا قليلا.** (المزمل 1،2)}
- ثم قال: {**أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر كان مشهودا.** (الإسراء 78)}.
- وزاد على ذلك فقال: {**ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محمودا.** (الإسراء 79)}.

فلم تعد الصلوات الخمسة وقراءة القرآن تكفي بل لابد من النافلة ليلاً عسى أن يبعثهم ربهم مقاماً محمودا. وزادوا نوافل أخرى كالشفع والوتر وسجود القرآن. وأجمع الفقهاء أن قيام شهر رمضان، أي الصلاة وقراءة القرآن طوال الليل، مرغّب فيه أكثر من سائر الأشهر لقوله (ص):

[من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه][1].

فلم يبقَ وقتٌ للمسلم ليستمتع بالحياة أو ليطورها. وكأن كل هذا العناء لم يكف، فحرّم فقهاء الإسلام الطرب والموسيقى والغناء.

سأل سائلٌ ابن الجوزي:

"أيجوز لي أن أفسح لنفسي في مباح الملاهي؟"

فقال له ابن الجوزي:

"عند نفسك من الغفلة ما يكفيها، فلا تشغلها بالملاهي"[2].

فحتى القليل المباح من الملاهي نهوا عنه.

وسئل يوماً:

عن الغناء،

فقال:

"أقسم بالله لهوٌ لهو"[3].

وقد أنكر ابن الجوزي على الصوفية الرقص والغناء وقال:

"إن سماعه يجمع بين شيئين، أحدهما: أنه يلهي القلب عن التفكير في عظمة الله، والقيام بخدمته، والثاني: أنه يميله إلى اللذات العاجلة التي تدعو إلى استيفائها من جميع الشهوات الحسية، ومعظمها النكاح، فلذلك يحث على الزنى، وبين الغناء والزنى تناسب من جهة أن الغناء لذة الروح، والزني لذة النفس"[4].

حتى أشعار الغزل والعشق حرّمها ابن الجوزي، فقال:

"ما ينشده القاص من أشعار الغزل والعشق فيثير بها النفوس ويطرب القلوب، مع تصفيق بيديه وإيقاع برجليه، فتشبه السكر، ويوجب ذلك تحريك الطباع وصياح الرجال والنساء، وتمزيق الثياب، لما في النفوس من دفائن الهوى"[5].

ولذلك عاب على المغنين ورواة القصص صنيعهم.

وليس هناك داعي للمسلم أن يسمع الغناء في هذه الحياة لأنه عندما يدخل الجنة تغني له الحوريات، حسب الحديث النبوي:

[ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه اثنان من الحور العين، يغنيانه بأحسن صوت سمعه الإنس والجن، وليس بمزامير الشيطان].

والمقصود بمزامير الشيطان هو ما يزينونه لبني آدم من الملاهي المعازف وآلات الطرب[6].

---

[1] بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد القرطبي، ج1، ص 151.

[2] أحكام النساء لابن الجوزي، ص 52.

[3] نفس المصدر ص 53.

[4] نفس المصدر ص 65.

[5] نفس المصدر ص 68.

[6] فتاوى النساء للشيخ متولي الشعراوي، ص 191.

فماذا بقي للمسلم في هذه الحياة بعد أن يصلي نهاره ويقوم ليله إلا قليلاً ولا يسمع الموسيقى ولا الغناء ولا شعر الغزل؟ بقي له شيء واحد: وهو أن يجاهد في سبيل الله حتى يُقتل فيدخل الجنة ليستمتع بالحياة الحقيقية من غناء وطرب ونكاح وخمر. وأقصر الطرق إلى الجنة هو **الشهادة**، وقد قال القرآن:

{إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن. (التوبة 111)**}.**

فهاهو الله قد اشترى من المؤمنين أنفسهم ليقاتلوا في سبيله. فما دامت نفس المؤمن من ممتلكات الله فله أن يردها إلى مالكها متى ما طلب منه. والذي يخاف أن يجاهد في سبيل الله ويقتل الكافرين أويقتلونه فسوف يبكي كل حياته كما قال القرآن عن الأعراب الذين تخلفوا عن غزوة تبوك:

{فرح الْمُخَلَّفُونَ بمقعدهم خلف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون. فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاءً بما كانوا يكسبون. (التوبة 81، 82)**}.**

فإذاً لا سبيل إلى التخلف عن الجهاد. ويحكي بشير بن الخصائصة:

"أنه عندما بايع رسول الله على الإسلام، قال له الرسول: [تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وتصلي الصلوات الخمس المكتوبة لوقتها وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان وتحج البيت وتجاهد في سبيل الله] فقال: يا رسول الله كلا أطيق إلا اثنتين أما الزكاة فما لي إلا حمولة أهلي وما يقوون به وأما الجهاد فإني رجل جبان فأخاف أن تجشع نفسي فأبوء بغضب من الله. فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ثم قال [يا بشير لا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة؟]"[7].

فبدون الجهاد لا يطمع بشير في دخول الجنة. *وحتى الذين يجاهدون ويبدون شيئاً من التردد لا يرضى عنهم الله.*

ففي غزوة مؤته بالشام خاف المسلمون من الروم لأن عددهم كان يفوق جيش المسلمين كثيراً، فشجعهم عبد الله بن رواحة على القدوم والاستشهاد في سبيل الله، فحمل الراية زيد بن حارثة فقُتل، ثم حملها جعفر بن أبي طالب فقُتل ثم حملها عبد الله بن رواحة فقُتل. وعندما تحدث النبي لأصحابة بالمدينة قال:

[لقد رُفعوا إلى الجنة، فيما يرى النائم، على سُررٍ من ذَهب ، فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازْوِرَاراً عن سريرَيْ صاحبيه، فقلت: عَمَّ هذا؟ فقيل لي: مَضيا وتردد عبدُ الله بعضَ التردد، ثم مضى][8].

أما جعفر بن أبي طالب فقد حمل الراية بيمينه فبترت، فحملها بيساره فبُترت، فضمها بما تبقي من ذراعيه إلى صدره حتى قُتل، فأعطاه الله جناحين من ذهب يطير بهما في الجنة. ولذلك سموه جعفر الطيار.

فإذا صار الجهاد فريضة، فضد مَن يجاهد المسلم؟ يقول ابن القيم الجوزية:

"ثم فرض عليهم قتالَ المشركِينَ كافَّة، وكان محرَّماً، ثم مأذوناً به، ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأموراً به لجميع المشركين إما فرضَ عَيْنٍ على أحد القولين، أو فرضَ كِفاية على المشهور."[9].

فالمسلم فُرض عليه قتال الكفار جميعاً. والمسلم الذي يقتل كافراً لا يدخل النار أبداً، فقد صحَّ عن النبي (ص):

[أَنَّهُ لاَ يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلَه فِى النَّارِ أَبَدًا][10].

والذي يموت في الجهاد يصبح من أصفياء الله، يقول ابن الجوزي:

"أن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم خواصه والمقرَّبون من عباده، وليس بعد درجة الصِّدِّيقيَّة إلا الشهادةُ، وهو سبحانه يُحب أن يتّخِذَ مِن عباده شهداءَ، تُراقُ دماؤهم فى محبته ومرضاته، ويُؤْثِرونَ رضاه ومحابَّه على نفوسهم، ولا سبيلَ إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو."[11]

فالله يحب أن تُراق دماء المسلمين في سبيله حتى يثبتوا محبتهم له.

فما دامت كل هذه المغريات في الجنة تلوّح إلى المسلم وتناديه، وحياته في الدنيا ليس بها غير الصلاة والصيام وقيام الليل والامتناع عن الموسيقى والغناء، لماذا لا يقتل كافراً في سبيل الله فيدخل الجنة؟ *خاصةً إذا كان هذا المسلم لا يفقه من القرآن كلمةً واحدةً ويعتمد على مدرسيه في شرح ما حفظه*. ففي أمريكا حيث يُثبت العلم الحديث كل يوم أن العقل البشري لا تحده حدود في اكتشافات ما وراء عالمنا هذا، **يُرسل بعض الآباء الباكستانيين أبناءهم بين سن السابعة والرابعة عشر إلى مدارس متفرغة فقط لتحفيظ القرآن بطريقة الترديد الببغاوي**.

ويصبح هؤلاء "الأولاد الذين تتراوح اعمارهم بين 7 و 14 سنة هم تلاميذ طوال الوقت من الساعة الثامنة صباحا حتى الخامسة بعد الظهر، من الاثنين حتى الجمعة، حتى في فصل الصيف، ولكنهم لا يدرسون الرياضيات ولا العلوم ولا اللغة الانـگليزية، بل يحفظون جميع آيات القرآن وعددها 6200 آية، وهي مهمة تستغرق ما بين سنتين الى ثلاث سنوات"[12].

فما هو مستقبل مثل هذا الطفل الذي يقضي 3 سنوات من عمره التعليمي المفترض في حفظ آيات من القرآن باللغة العربية التي لا يفقه منها حرفاً؟ وأين يذهب بعد أن يترك هذه المدرسة بعد ثلاث سنوات انقطع فيها عن دراسة العلوم الحديثة واللغة الانـگليزية ؟ فمثل هؤلاء الأطفال هم التربة الخصبة لزراعة الأفكار التكفيرية وكراهية الغير في عقولهم النامية. فهم لا يفهمون ما يحفظون من القرآن ولا بد أن يشرحه لهم مدرسهم. فكيف يشرح لهم آيات مثل:

{وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله. (الأنفال 39)**}.**
{فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب. (محمد 4)**}.**
{إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص. (الصف 49)**}.**
{يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار. (التوبة 123)**}.**

وهل يستطيع مثل هؤلاء الأطفال الناشئين في مجتمع متعدد الثقافات مثل أمريكا، أن يُكـَوّنُوا علاقات صداقة وتعارف مع أطفال أمريكان مسيحيين أو بوذيين، والشيخ يشرح لهم القرآن الذي حفظوه دون فهم مثل:

---

[7] تاريخ البغدادي، ج1، ص 209.
[8] سيرة ابن هشام، ج5، ص 28.
[9] زاد المعاد، ج3، ص 35.
[10] نفس المصدر، ص 45.
[11] نفس المصدر ص 106.
[12] الشرق الأوسط 17 أغسطس 2007.

{لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم. (المجادلة 22)**}.**
{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء. (المائدة 51)**}.**

ولا يستحي الإمام شمس علي، مدير مركز جامايكا الإسلامي الذي يدرّس هؤلاء الأطفال في نيويورك أن يقول:

"ويحصل التلاميذ الذين ينتهون من حفظ القرآن على لقب "حافظ" وهو لقب تفخيم في العالم الإسلامي يندر وجوده في الولايات المتحدة. ويلعب الحافظ دورا هاما خلال شهر رمضان حيث يجب قراءة القرآن طوال 30 يوماً لأعضاء المسجد، ولكن يعتقد أيضا أن «الحافظ» يحصل على ثواب في الحياة الأخرى، ويضمن دخول الشخص إلى الجنة بالإضافة إلى 10 من اختياره، شريطة ألا ينسى القرآن وأن يستمر في ممارسة الإسلام."

فالطفل الباكستاني في أمريكا

- إما أن يقضي ثلاث سنوات من عمره يحفظ القرآن ويردده كل سنة في رمضان لمدة شهر، على المصلين، ليدخل الجنة مع عشرة من اختياره، لا بد منهم أبوه وأمه الذين أرسلاه إلى هذه المدرسة،
- وإما أن يموت شهيداً في سبيل الله ليحصل على نفس الامتيازات في دخول الجنة.

وربما يكون الحال أكثر سوءاً في **باكستان التي أصبحت مركزاً لتفريخ الانتحاريين في أوروبا**. فباكستان تعج بمدارس تحفيظ القرآن بنفس الطريقة الببغاوية لصبيان لا يفقهون اللغة ولا يتحدثونها، **ويملأ شيوخهم رؤوسهم بالمتفجرات بدل التسامح واحترام الغير**.
وفي الأسبوع الماضي اعتقلت السلطات في باكستان سبعة أشخاصٍ لهم علاقة بمؤامرة نسف الطائرات بين لندن وأمريكا، كما جاء في الشرق الأوسط:

"قد اعتقلت السلطات سبعة مشتبه فيهم بينهم بريطانيان، فيما يتصل بمؤامرة تفجير الطائرات عبر الاطلسي. وأكد وزير الداخلية الباكستاني، وصول فريق التحقيق البريطاني، للاطلاع على نتائج استجواب رشيد رؤوف البريطاني الذي يعتبر "شخصية محورية""[13].

وقد قرر الرئيس برويز مشرف طرد كل الأجانب الذين يدرسون في مدارس تحفيظ القرآن في باكستان. ولكن هذا لن يؤثر على سير مصانع تفريخ الإرهاب لأن الباكستاني في أوروبا أو نيويورك يستطيع الذهاب لأي مسجد بالمدينة ليحفظ القرآن عن ظهر قلب ويركّز على آيات القتال. ولذلك كان جميع المشتركين في عملية تفجير قطارات الأنفاق بلندن من الباكستانيين المقيمين في انـگلترا.
وتتكرر نفس المأساة في إندونيسيا والفلبين وبنـگلاديش وغيرها من الأقطار الآسيوية التي يحفظ نشؤها القرآن دون أي إلمام بلغته ويعتمدون على الشيوخ لشرحه لهم. ففي إندونيسيا مثلاً

"انفجرت قنبلتان في سوق مزدحمة ببلدة تقطنها غالبية مسيحية بشرق إندونيسيا مما أدى إلى مقتل 21 شخصا في هجوم من المحتمل أن يزيد المخاوف من احتمال تجدد أعمال عنف طائفية في المنطقة. وخلف الانفجاران آثار دماء ودمار بمدينة تنتنا الواقعة في جزيرة سولاويزي الشرقية، وهي جزء من منطقة شهدت اشتباكات بين المسلمين والمسيحيين على مدى ثلاث سنوات، مما أدى إلى مقتل ألفي شخص حتى إبرام اتفاقية سلام نهاية عام 2001"[14].

فهؤلاء الذين يزرعون القنابل في وسط السوق لقتل الأبرياء، يسفّهون الحياة التي لا تعني شيئاً بالنسبة لهم لأنهم غير مؤهلين للاستمتاع بها لأن تربيتهم الإسلامية جعلت منهم روبوتات كل همها دخول الجنة في الحياة الآخرة. وقد برمجهم صانعوهم على اختيار أقصر الطرق إلى الجنة والحور العين، ألا وهو *الاستشهاد في سبيل الله وليس في سبيل الوطن*. فالذين فجروا القنبلتين في السوق لم يكن دافعهم استقلال جزيرتهم بقدر ما كان قتل المسيحيين والبوذيين في السوق لأن ذلك يضمن لهم الشهادة ودخول الجنة. أما الموت السياسي من أجل استقلال الجزيرة فلا يضمن لهم غير تمزيق أشلائهم.
أما المسلمون الناطقون بالعربية فيغسل الشيوخ أدمغتهم وهم أطفال صغار وعندما يكبرون لا يعرفون من القرآن إلا آيات السيف والتكفير. وقد رأينا نتائج غسيل أدمغتهم في السعودية عندما نسفوا العمارات السكنية التي كان يسكنها المصريون واللبنانيون في جدة.
وكما يقول المثل "فاقد الشيء لا يعطيه" فالمسلم الذي فقد حياته الدنيوية في سبيل الدخول إلى الجنة لا يحفل بحياة الآخرين ولا يمنح الأطفال الفرصة ليستمتعوا بحياتهم، فهو يقتل الكبير والصغير والمرأة والطفل حتى يفوز بحب الله وتكتب له الجنة مع عشرة ممَن يختار مِن معارفه. ويالها من تجارة رابحة. يموت مسلم واحدٌ شهيداً فيدخل الجنة عشرة.

فالذي أصبح واضحاً وضوح الشمس هو أن الإسلام يقتل الحياة في المسلم ويشجعه على قتل غير المسلم.
فلا الإسلام ولا المسلمين يحفل بالحياة.

عودة إلى الفهرس

[13] الشرق الأوسط، 20 أغسطس 2006.
[14] الشرق الأوسط 29 مايو 2005.

25 - تنبوء القرآن

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=74106

يزعم رجالات الدين المسلمون أن القرآن تنبأ بما سوف يحدث في المستقبل، وبذلك يكون قد أثبت نبوة محمد لأنَه أخبره بأشياء كانت في علم الغيب وتحققت. وضربوا بذلك مثلاً من سورة الروم: {الم 1 غُلبت الروم 2 في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون 3 في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون 4 بنصر الله ينصر مَن يشاء وهو العزيز الرحيم 5}. **ولكن هل في** هذه الآيات أي تنبوء بالغيب الذي لا يعلمه إلا الله؟ الجواب حتماً **بالنفي** لأن قراءة الآية الثانية مختلف فيها، كما اختلفوا في آيات كثيرة قبلها وبعدها. والمعروف أن القرآن عندما جُمع لم يكن مرقماً ولا منوناً. ولذلك الآية الثانية يمكن أن تُقرأ "غُلبت" بضم الغين، أو "غَلبت" بفتح الغين. وبالتالي ينعكس معنى الآية كليةً. ثم أن العرب كانوا قدعرفوا من تاريخهم ومن تاريخ غيرهم أن الحرب يوماً إليك ويوماً عليك. فسواء غلبت الروم (بضم الغين أو بفتحها)، فإن الوضع لا يستقر على ذلك وسوف ينعكس النصر أو الهزيمة في المستقبل القريب. ولهذه الأسباب التي ذكرنا لم يتفق المفسرون على *قراءة الآيات* أو *القصص التي ساقوها لتفسير الآيات*. فمثلاً يقول القرطبي في تفسيره:

"قوله تعالى "الم. غُلبت الروم. في أدنى الأرض" روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: ‹لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس، فأعجب ذلك المؤمنين، فنزلت الآيات.›"

فهذا الشرح هو بالعكس تماماً من الآية إذا قُرئت بضم الغين، كما في المصحف. لأنه حسب الآية فإن الفرس غلبوا الروم، ولم يظهر الروم على الفرس، كما قال أبو سعيد الخدري. ولهذا السبب قرأ نصر بن علي الجهضمي "غَلبت الروم" بفتح الغين. وكذلك قرأ علي بن أبي طالب ومعاوية بن قرة. ويقول القرطبي كذلك:

"وتأويل ذلك أن الذي طرأ يوم بدر إنما كانت الروم غلبت "بفتح العين" فعز ذلك على كفار قريش وسُرَّ بذلك المسلمون وبشر الله عباده أنهم سيَغلبون "بفتح العين" أيضاً في بضع سنين. ذكر هذا التأويل أبو حاتم ورُوِي عن ابن عمر وأبي سعيد الخدري أنهما قرأ "غلبت الروم" بفتح الغين. وقرأ "سيُغلبون " بضم الياء. وحكى أبو حاتم أن عصمة روى هذا. وعصمة يضعفه الإمام أحمد".

فإذاً نستنتج من هذا التفسير أن المسلمين، رغم ادعائهم أن القرآن كان مكتوباً بحياة الرسول وأن الرجال قد حفظوه عن ظهر قلب، فهم لا يتفقون على هل الآية "غُلبت" بالضمة، أم "غَلبت" بالفتحة. فلو كان الرجال قد سمعوه من النبي وحفظوه كما قاله لهم لما اختلفوا فيه كل هذا الاختلاف. ثم زاد اختلافهم أكثر عندما جاؤوا بقصص توضح سبب نزول هذه الآيات،

فقال القرطبي:

"قال ابن عباس: في قوله "الم. غلبت الروم في أدنى الأرض" قد غلبت وغُلبت، قال كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم لأنهم وإياهم أهل أوثان، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس لأن الروم أهل كتاب. فذكروه لأبي بكر فذكره أبو بكر لرسول الله (ص) فقال: أما أنهم سيغلبون (بفتح العين) "فذكره أبو بكر لهم - أي للمشركين - فقالوا: إجعل بيننا وبينك أجلاً، فإن ظهرنا كان لنا كذا، وإن ظهرتم كان لكم كذا. فجعل أبو بكر أجل خمسة سنوات، فلم يظهروا، فذكر ذلك للنبي (ص) فقال: " ألا جعلته ما دون العشرة". قال قال أبو سعيد: البضع مادون العشرة. قال سفيان: سمعت أنهم ظهروا عليهم يوم بدر. وروى سفيان: لما أنزل الله هذه الآية خرج أبو بكر الصديق يصيح في نواحي مكة: "الم. غُلبت الروم في أدني الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين" قال ناس من قريش لأبي بكر: فذلك بيننا وبينكم. زعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟ قال: بلى. فارتهن أبو بكر والمشركون وتواضعوا الرهان. وقالوا لأبي بكر: كم تجعل البضع؟ ثلاث سنين أم تسع سنين؟ قال: فسموا بينهم ستة سنين. قال فمضت الست سنين قبل أن يظهروا، فأخذ المشركون رهن أبي بكر. فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس. فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين."

واستمر القرطبي فقال:

"لما نزلت الآيات خرج أبو بكر بها إلى المشركين فقال: أسركم أن غُلبت الروم؟ فإن نبينا أخبرنا عن الله تعالى أنهم سيغلبون في بضع سنين، فقال له أبي بن خلف وقيل أبو سفيان بن حرب: ‹يا أبا فيصل فلنتناحب - أي نتراهن في ذلك›. فراهنهم أبو بكر. وجعلوا الرهان ثلاث قلائص (نوق جمع ناقة). ثم أتى أبو بكر النبي (ص) فأخبره فقال: [هلا احتطت! فإن البضع ما بين الثلاث والتسع والعشر، ولكن ارجع فزدهم في الرهان واستزدهم في الأجل]. ففعل أبو بكر، فجعلوا القلائص مائة والأجل تسعة أعوام. فغلبت الروم في أثناء الأجل. ويقال إنه ظهرت الروم على فارس يوم الحديبية على رأس تسع سنين من مناجاتهم."

ويظهر من هذا السرد أن القصص ما هي إلا روايات ألَّفها الناس فيما بعد لاحتواء الاختلاف في قراءة الآية. فأبو بكر قد راهن الكفار على خمس سنين، ثم ست سنين ثم تسع سنين. والرهان زاد من ثلاث قلائص إلى مائة .وفي رواية أبي سعيد فإن الروم ظهروا على الفرس يوم بدر، بينما في الرواية الأخرى ظهروا يوم الحديبية، أي بعد تسع سنين من الرهان. ثم هل يُعقل أن يكون أبو بكر التاجر لا يعرف معنى **البضع** حتى يشرحه له النبي. وانظروا إلى شرح النبي، "البضع ما بين الثلاث والتسع والعشر" . وكلمة "بين" تتوسط بين شيئين فقط. فإما بين ثلاث وتسعة أو بين ثلاث وعشرة.

ثم يزيد الاختلاف أكثر عندما نأتي إلى شرح " أدنى الأرض".

يقول القرطبي:

"أدنى الأرض يعني أرض الشام. وقال عكرمة: أذرعات وهي ما بين بلاد العرب والشام. وقال مجاهد: بالجزيرة وهو موضع ما بين العراق والشام. وقال مقاتل: بالأردن وفلسطين. وأدنى معناه أقرب. قال ابن عطية: فإن كانت الواقعة بأذرعات فهي من أدنى الأرض بالقياس إلى مكة. وإن كانت الواقعة بالجزيرة فهي أدنى بالقياس إلى أرض كسرى. وإن كانت بالأردن فهي أدنى إلى أرض الروم."

فلو قال شخص آخر وقتها إن الواقعة كانت بالهند، لوجدوا تفسيراً لذلك وقالوا، مثلاً، إنها أدنى بالنسبة لبغداد.

ويقول القرطبي:

"وكان في هذا الإخبار دليل على نبوة محمد (ص) لأن الروم غلبتها فارس، فأخبر الله عز وجل نبيه (ص) أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين وأن المؤمنين يفرحون بذلك لأن الروم أهل كتاب. فكان هذا من علم الغيب الذي أخبر الله عز وجل به مما لم يكن يعلمون وأمر أبا بكر أن يراهن على ذلك."

والفقرة الأخيرة هذه تحتم علينا أن نسأل:

1. لماذا أخبر الله العارف بكل شيء أن الروم سوف يغلبون في بضع سنين، والبضع بين ثلاث وعشر سنين. ألم يكن في مقدور الله أن يكون أكثر تحديداً ويقول مثلاً لنبيه إن الروم سوف يغلبون في خمسة سنوات. وحتماً لو قال ذلك وانتصرت الروم بعد خمسة سنوات فإن ذلك يكون أكثر إقناعاً للمشركين من ترك المدة محددة بأقل من عشرة سنين.
2. لماذا يأمر الله، الذي حفظ القرآن كله في لوح محفوظ قبل أن يخلق العالم، أبا بكر أن يراهن على نصر الروم، وهو يعلم أنه سوف يُحَرِّم الرهان فيما بعد {**إنما الخمر الميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه.** (المائدة 90)}.
3. هل كان نصر الروم على الفرس هو النصر الوحيد في المعارك بين الإمبراطوريتين حتى تنزل به آيات من القرآن؟
4. لماذا يفرح المؤمنون بنصر الروم أهل الكتاب، ثم يحاربونهم ويهزمونهم عدة مرات ابتداءً من السنة الثانية عشرة، أي بعد موت النبي بسنة واحدة. بل حتى قبل أن يموت النبي عندما غزا هو نفسه الروم في تبوك؟

فكل هذه القصص التي أوردوها لتفسير تلك الآيات لا تحترم عقل المؤمن ولا غير المؤمن.وحروب الروم لم تكن موقعة واحدة أو اثنين حتى يقول القرآن {**غُلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون**}. سيغلبون مَن، وكم مرة سيغلبون ويُغلبون؟ فقد بدأت حروب المسلمين مع الروم في السنة الثانية عشرة في **موقعة الفراض**

> "فقد سار خالد بن الوليد من الرضاب إلى الفراض وهي تخوم الشام، والعراق، والجزيرة وأفطر بها رمضان لاتصال الغزوات، وحميت الروم واستعانوا بمن يليهم من مسالح الفرس فأعانوهم، واجتمع معهم تغلب، وإياد، والنَّمِر، وساروا إلى خالد، فلما بلغوا الفرات قالوا له: إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم. قال خالد: اعبروا. فعبروا أسفل من خالد، وعظم في أعينهم، وقالت الروم: امتازوا حتى نعرف اليوم من يثبت ممن يولي، ففعلوا فاقتتلوا قتالاً عظيماً، وانهزمت الروم ومَن معهم (من الفرس)، وأمر خالد المسلمين أن لا يرفعوا عنهم فقتل في المعركة وفي الطلب مائة ألف." [1]
>
> "وفي سنة ثلاث عشرة من الهجرة استعمل أبو بكر أباعبيدة بن الجراح على مَن اجتمع، وأمرّه بحِمْص، وسار أبو عبيدة على باب من البلقاء. فقاتله أهلها ثم صالحوه فكان أول صلح في الشام، واجتمع للروم جمع بالعربة من أرض فلسطين فوجَّه إليهم يزيد بن أبي سفيان أبا أمَامة الباهلي فهزمهم ، فكان أول قتال بالشام بعد سرية أسامة بن زيد. ثم أتوا المدائن فهزمهم أبو أمامة أيضاً." [2]
>
> "وفي نفس السنة هزم خالد بن الوليد الروم في معركة اليرموك وقتل منهم مائة وعشرين ألفاً." [3]
>
> "وفي أول خلافة عمر بن الخطاب لما استخلف أبو عبيدة يزيد بن أبي سفيان على دمشق، وسار إلى فِحْل سار يزيد إلى مدينة صيدا، وعرقة، وجبيل ، وبيروت ، وهي سواحل دمشق على مقدمته أخوه معاوية ففتحها فتحاً يسيراً وجلا كثيراً من أهلها. ثم إنّ الروم غلبوا على بعض هذه السواحل في آخر خلافة عمر، وأول خلافة عثمان." [4]
>
> "وفي خلافة عمر بن عبد العزيز انتصر الروم على المسلمين وكانت الروم قد أغارت في البحر على ساحل اللاذقية فهدموا مدينتها وسبوا أهلها." [5]
>
> "وفي سنة خمسة وتسعين غزا حبيب بن مسلمة حصن كمخ (حصن من حصون الروم) بعد فتح شمشاط فلم يقدر عليه. وغزاه صفوان فلم يمكنه فتحه. ثم غزاه في سنة تسع وخمسين وهي السنة التي مات فيها ومعه عمير بن الحباب السلمي.فعلا عمير سوره ولم يزل يجالد عليه وحده حتى كشف الروم وصعد المسلمون ففتحه لعمير بن الحباب. ثم إن الروم غلبوا عليه ففتحه مسلمة بن عبد الملك. ولم يزل يفتح وتغلب الروم عليه." [6]
>
> "وفي سنة ثلاث وتسعين غزا العباس بن الوليد الروم ففتح سَبَسْطِية، والمرزبانين، وطرسوس، وفيها غزا مروان بن الوليد فبلغ خنجرة ،وفيها غزا مسلمة الروم أيضاً ففتح ماسيسة وحصن الحديد ، وغزالة من ناحية ملطية." [7]
>
> "واستمرت الحروب بين الروم والمسلمين إلى أيام سيف الدولة الحمداني. ففي عام 314 أخذت الروم مالطة من المسلمين. وفي سنة 330 أغار الروم على حلب فقتلوا وسبوا عشرة آلاف نسمة." [8]
>
> "وهزم سيف الدولة الروم عام 337 عند مرعش." [9]
>
> "فعاد الروم وهزموا سيف الدولة عام 347." [10]

فأغلب الحروب التي خاضها الروم كانت بينهم وبين المسلمين، ولم تكن هناك مواقع فاصلة بين الفرس والروم إلى أن هزم المسلمون الإمبراطورية الفارسية. فليس هناك من سبب يجعل المؤمنين يفرحون لنصر الروم على الفرس لأن الفرس، ومنهم سلمان الفارسي، كانوا صابئة، والقرآن يقول: {**إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابنين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون**}.

فهل في هذه الآيات ما يبرر قول القرطبي:

> "وكان في هذا الإخبار دليل على نبوة محمد (ص) لأن الروم غلبتها فارس، فأخبر الله عز وجل نبيه (ص) أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين وأن المؤمنين يفرحون بذلك لأن الروم أهل كتاب. فكان هذا من علم الغيب الذي أخبر الله عز وجل به مما لم يكن يعلمون."

لا أعتقد ذلك.

عودة إلى الفهرس

[1] الكامل في التاريخ للمبرد، ج2، ص 251.
[2] نفس المصدر، ص 255.
[3] نفس المصدر، ص 259.
[4] نفس المصدر، ص.380.
[5] فتوح البلدان للبلاذري، ص 136.
[6] فتوح البلدان، ص 192.
[7] الكامل في التاريخ، ج4، ص 279.
[8] شذرات الذهب للدمشقي، ج2، ص 324.
[9] نفس المصدر، ص 344.
[10] نفس المصدر والصفحة.

26 – 27 - الحب..الجنس..والإسلام.

2006 / 9 / 8

1 مِن 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=75008

بدأ الإنسان الأول حياته في مجموعات صغيرة لا تتعدى العشرات من الرجال والنساء .ولم تكن هناك قوانين ولا أديان، فمارسوا الجنس دون قيود. ومع مرور الزمن ومعرفتهم أن قوتهم وقابليتهم للبقاء تعتمد على قوة مجموعاتهم وكثرة رجالها الذين يصدون الحيوانات المفترسة ويصطادون الطعام، فقد شجعت هذه المجموعات من البشر الاقتران بين النساء والرجال للتناسل لتعويض ما يموت من أفرادها. ولم تكن هناك ملكية فردية، كل شيء كان مشاعاً بما في ذلك الجنس. وكما قال الدكتور علي الوردي، عالم الاجتماع العراقي

> إن مثل هذه المجتمعات لم تكن تعرف الأحادية، فهم يشبعون جماعةً إذا اصطادوا حيواناً ويجوعون جماعةً إذا لم يصطادوا. وكذلك كان الجنس عندهم جماعياً مشاعاً.

وعندما اكتشف الإنسان الزراعة والاستقرار وكبرت المجتمعات، كان قد تعدى فترة عبادة الأسلاف في أغلب المجتمعات وتعرّف على المعابد التي بُنيت لإقامة الآلهة. وحتى في هذه الفترة كان كل شيء مشاعاً وخاصة الجنس. فقد عكفت بعض المجتمعات على وضع كمية من النساء والفتيات الجميلات ليخدمن المعابد ويقدمن الجنس لزوار المعبد وللمسافرين والغرباء وغيرهم. وقد قدسوا هؤلاء النساء اللاتي خدمن آلهة السماء. وإذا انجبت إحداهن أصبح مولودها من أملاك المعبد وقام على تربيته كهنة المعبد من رجال ونساء. *ورغم أن هذه المجتمعات اعتبرت أن المرأة نجسة في فترة حيضها وحرمّت الاتصال بها جنسياً، فهي لم تفصل بينها وبين الرجال*. وفي مثل هذه المجتمعات نشأت الموسيقى وازدهر الغناء في مواسم الحج لتلك المعابد لتشجيع الآلهة على منحهم الخصوبة والإنجاب والمطر. *وخلقوا أعياداً للحب كان لحمتها وسداها الموسيقى والطرب والرقص والجنس*.
وقد استمرت أغلب المجتمعات على هذا المنوال من الحب والإنجاب دون قيود وكثر أفراد تلك المجتمعات التي لم تضع قيوداً على الحب. فمجتمعات شرق آسيا التي لم تعتنق الديانات السماوية المعروفة وطورت دياناتها الأرضية مثل الصين والهند واليابان وفيتنام *ازداد عدد السكان فيها بشكل ملحوظ*. أما مجتمعات الشرق الأوسط التي ظهرت فيها اليهودية في الألفية الثانية قبل الميلاد، فقد **قننت الاتصال بين المرأة والرجل**

- وجعلت له عقوداً ملزمة،
- وفصلت المرأة عن الرجل،
- وجعلت المرأة ملكاً للرجل لا تعاشر سواه مدى حياتها،
- وسنت عقوبة الرجم لمن تخالف القانون السماوي وترتكب جريمة الزنا.

ولذلك ظل حجم أتباع الديانة اليهودية صغيراً رغم أنها أقدم الديانات السماوية المدونة. وبما أن طبيعة الرجل والمرأة تجعل اللقاء بينهما يقود في أغلب الأحيان إلى ممارسة الجنس، فقد فرضت اليهودية على المرأة أن تتحجب في حضرة الرجال الغرباء وأن لا تغريهم بجسدها. وأعطت الزوج الحق إذا شك في أن زوجته لها علاقة مع رجل آخر *أن يأخذها غصباً عنها إلى المعبد ليستجوبها الحاخام استجواباً دقيقاً ويهددها بالانتقام الإلهي إن هي كذبت عليه*. ورغم أن الحاخام والزوج والجميع كان يعرف أن المرأة لن تعترف إن كانت لها علاقة برجل آخر لأن ذلك يعني قتلها، وأنها سوف تكذب سواء انتقم منها الإله أم لا، فقد أقنع الحاخام والزوج نفسيهما بأن نكرانها يعني براءتها. واستمرت الممارسات الجنسية ولكنها اتخذت شكل **الخفاء** بعد أن كانت معلنة للجميع ولا يستتر منها أحد. **فكل ما فعلته اليهودية يمكن تلخيصه في أنها دفعت بالعلاقات الجنسية تحت الأرض وسنت لها قوانين صارمة لا تشجع المرأة أو الرجل على الاعتراف بالعلاقة**. ولكن سيئ الحظ الذي يُضبط متلبساً بالجريمة أصبح عقابه رادعاً.
وعندما جاءت المسيحية التي مشت في خطى اليهودية، حاول المتزمتون رجم المومسات مع أن الدعارة كانت تقدم خدمة جليلة للمجتمع باشباع رغبات الرجال الذين لا يستطيعون الزواج والمسافرين الذين تركوا أزواجهم خلفهم وبذلك منعت جرائم الاغتصاب وأتاحت للمومس دخلاً يتيح لها العيش، حتى وإن كان بلا كرامة. ويبدو أن السيد المسيح كان يعرف أن الإنسان مجبول على النفاق والكذب، فعندما حاولوا أن يرجموا مومساً قال لهم: {**مَن كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر**} وطبعاً لم يستطع أحد أن يرميها بحجر لأن أغلب الرجال الحاضرين كانوا يرفلون في الخطيئة السرية وقد اتخذوا تدابير تمنع اكتشافهم وتعرضهم إلى المحاسبة. وفي القرون الوسطى في أوروبا عندما كانت المسيحية هي الحاكم عن طريق الكنيسة، وضعت الأخيرة قوانين صارمة فرضت على النساء زياً معيناً وجعلت العلاقات الجنسية قبل الزواج "تابو" يعاقب عليه المجتمع مَن يرتكبه، **وقننت الزواج الأبدي ومنعت الطلاق**، إلا أن طبيعة الإنسان وميله التلقائي إلى الجنس تغلب في النهاية على قوانين الكنيسة وأصبح الجنس الآن في أوروبا وفي جميع الأقطار المسيحية، خاصة أمريكا اللاتينية، في شبه المشاع كما كان في المجتمعات البدائية. ولم تتضرر هذه المجتمعات من إباحة الجنس، بل بالعكس قد حررت عقول الرجال والنساء وجعلتهم يمنحون كل وقتهم اثناء العمل إلى التفكير في زيادة الانتاج وكسب الخبرة، بدل التفكير المستمر في الجنس. وازداد عدد السكان في أوروبا زيادةً عظيمة في السنوات الأخيرة بعد أن كسر الناس قيود الكنيسة على الجنس ومارسوا الحب والإنجاب بحرية كاملة.
وجاء الإسلام وكان **متسامحاً** مع الحب والجنس حتى في أيام المدينة عندما كان الرجال يأتون النبي يشتكون من أنهم وجدوا رجالاً مع أزواجهم. وكل ما فعله النبي كان أن أتى **بآيات الملاعنة** التي ترغم الزوج الذي يرمي زوجته بتهمة الزنا ولا يملك أربعة شهود أن يحلف هو خمس مرات أنها كاذبة وتحلف زوجته خمسة مرات أنه كاذب. ورغم أنه بالضرورة لا بد أن يكون أحدهما كاذباً، فلم يُشرّع النبي لهم عقاباً إنما اكتفي بالتفريق بينهما، أي الطلاق. والرجل يستطيع بكل الأحوال أن يطلقها دون أن يحلف خمسة مرات. فلا عقاب هنا على المدعي ولا المدعى عليه. ولكن تحت إصرار عمر بن الخطاب أتى النبي بالحجاب وأمر النساء أن يقرن في بيوتهن ولا يبرحنها إلا بإذن أزواجهن وجعل المرأة الخادمة المطيعة لزوجها، وقال: [**لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها.**] ثم أباح ملك اليمين **وأصبحت المرأة سلعة تباع في سوق النخاسة**. وعندما جاء العصر العباسي استغل الخلفاء ملك اليمين أسوأ استغلال فاقتنوا الجواري بالمئات.

ذكر الأصفهاني أنه كان للرشيد زهاء ألفي جارية. وعن المسعودي، كان للمتوكل أربعة آلاف جارية.

وفعل الفاطميون في مصر نفس الشيء وكذلك ملوك الأندلس.

ولم ينحصر ملك الجواري في قصور الملوك والأمراء، بل تعداهم إلى منازل الخاصة وأرباب اليسار من تجار ومالكين وعلماء، ومن يليهم من طبقات الشعب.[1]

وكانت أثمان الجواري تختلف من عشرات الدنانير إلى الألوف. *وكان الأمراء يتهادون الجواري*، فقد أهدى طاهر إلى المتوكل *هدية بها مائتي وصيفة ووصيف*. بل كانت المرأة أحياناً تهدي زوجها بعض الجواري كما فعلت زبيدة مع الرشيد. وانتشر الغناء والنبيذ بين الطبقات العليا من المجتمع. *وبلغ التحرر الجنسي أعلى مستواه في الدولة الإسلامية في الأندلس* لدرجة أن ولادة بنت المستكفي، أخت الخليفة الأندلسي، كانت تقول:

أمكّن عاشقي من صحن خدي وأعطي قبلتي من يشتهيها

وانتشر شعر الغزل والموشحات وقصص الحب، وصرف الناس طاقاتهم في الأندلس للعلم والبناء بدل التفكير في الجنس الممنوع. ثم تحرك **مارد الصحوة الدينية** في أشخاص الأئمة ومَن أتى بعدهم فحرّموا الغناء والموسيقى وجعلوا الحجاب واجباً على كل النساء وحجزوهن في البيوت والقصور وأصدر السلطان العثماني

فرماناً يأمر بحمل المرأة التي تخرج إلى الشارع بدون حجاب على حمار ويُطاف بها في شوارع اسطنبول للتشهير بها، بعد أن يقصوا شعرها.

وازداد فصل النساء عن الرجال مما أدى إلى انتشار عادة مصاحبة الغلمان في الدولة العثمانية وفي مستعمراتها مثل العراق ومصر. والغريب أن الشيوخ قد رووا حديثاً عن النبي يقول: [تناكحوا تناسلوا فإني مباهي بكم الأمم يوم القيامة]. ومع ذلك ضيقوا الخناق على النساء والرجال ومنعوا الاتصال بينهم وانكبوا على تأليف **الكتب التي تقنن كل شيء للمرأة** حتى فترة حيضها واستحاضتها وطهورها ونجاستها ومتى يحل لها أن تجامع زوجها، وهل يجوز لها أن تمص لسانه أو عضوه التناسلي، وما إلى ذلك. والنتيجة الحتمية لهذا *الهوس الجنسي* كانت *ازدياد اللواط في المجتمعات المسلمة مع ازدياد أعداد العوانس، وانغماس النساء في السحاق* لاشباع الغريزة الجنسية التي لا يستطيع الإنسان السيطرة عليها. وهاهي دول الخليج الآن تعاني أشد المعاناة من ظاهرة العنوسة بين فتياتها بينما يسافر شبابها ورجالها إلى جنوب شرق آسيا وأوروبا لممارسة الجنس والحب.

وبزوال الدولة العثمانية واقتسام فرنسا وانـگلترا البلاد العربية، تحررت بعض البلاد العربية مثل مصر والسودان ولبنان وسوريا وبلاد المغرب من تحكم رجالات الدين وأصبحت للنساء حرية الخروج والتعليم والعمل واختيار ما يحلو لهن من ملابس ومستلزمات تجميل. واختلط الشباب في الجامعات وانتشرت دور السينما والأندية الليلية. وأصبح الشرق يتخلى عن الثيولوجية ويسير نحو العلمانية والتقدم التكنولوجي بعد أن تحررت عقولهم من التفكير في كيفية الحصول على الجنس وإضاعة الوقت بالتفكير فيه. ولكن **لعنة البترودولار** حلت بالبلاد العربية، وفي ظرف وجيز بعد استقلال تلك البلاد بدأت **الصحوة الدينية الثانية** التي دعمتها الدول الخليجية بدولاراتها. *وكالمتوقع فإن رجال الدين كانوا المستفيدين الوحيدين من هذه الصحوة التي ملأت جيوبهم ذهباً وفتحت لهم القنوات الفضائية ليحرضوا العامة ضد المرأة التي تخلت عن الموضة والتفت بالعباءة وانفصلت عن زملائها الرجال في مجال العمل والدرس*. وبمساعدة القنوات الفضائية ودور الفتوى استطاعوا أن **يغسلوا** عقل المرأة حتى أنها صارت تطالب بأن تُسجن في دارها وتُحرم من المكاسب التي اكتسبتها بكفاحها قبل ظهور الصحوة الإسلامية. فأصبحت النساء في البرلمانات العربية يطالبن بتطبيق الشريعة في اللبس والإرث والطلاق، أكثر مما يطالب بها الرجال، ويطالبن بإلغاء مواد دستورية تبيح للنساء المساواة بالرجل، كما حدث في البرلمان العراقي. والشخص مغسول الذهن لا يختلف عن المريض الذي يُحبس في مصحة عقلية عالية الجدران كل حياته فتصبح المصحة بالنسبة له هي العالم الطبيعي. فإذا أرادوا اخراجه من المصحة يرفض ذلك لخوفه من العالم المجهول خارج أسوار المصحة، كما في الفيلم One Flew Over the Cuckoo's Nest.

ورجال الدين الذين أصبح شغلهم الشاغل *فصل الرجال عن النساء* يعلمون علم اليقين أنهم يخلقون مجتمعاتٍ منافقة، كنفاقهم. ولأن جل وقت رجالات الدين يذهب سداً في حديث وكتابات عن *الجنس والعورة والعفة* وهم يعلمون أن عفتهم التي يدعون لها ما هي إلا عفة بالإسم وفي مخيلتهم فقط. وبعد أن رؤوا ما حدث في مجتمعات الخليج من ازدياد حالات الأمراض النفسية والإدمان والعجز الجنسي الذي يطال 34 بالمائة من الرجال السعوديين[2]، حاولوا الآن إباحة الجنس بطرق ملتوية مثل *زواج المسيار وزواج الفرند* الذي لا يختلف عن ما يفعله الغربيون من علاقة جنسية بين الرجل وصديقته، **وقد ظل رجال الدين المسلمون يتهمون الغرب بالفساد الأخلاقي بسبب هذه العلاقات التي تبنوها هم أنفسهم الآن،** بينما البلاد الغربية تفوق بلاد المسلمين في الأخلاق واحترام الإنسان وحقوقه واحترام الغير في كل المجالات.

وعقول بعض رجالات الدين عبارة عن كهوف تسكنها شياطين الجنس، فلا يفكرون ولا يتحدثون إلا بما يمت إلى المرأة والجنس. ويبررون اغتصاب الأطفال بحوادث تاريخية حدثت في القرن السابع الميلادي، وما زالوا يدافعون عن زواج البنات في سن التاسعة. وقد أفتى الإمام الخميني بحلة مفاخذة الطفلة الرضيعة، وفعل كل شيء معها إلا الإيلاج. وهذه الأفعال تُعتبر جريمة نكراء في المجتمعات الغربية التي يرمونها بالفساد.

وكنتيجة حتمية **لنفاق رجالات الدين** فقد أصبحت بلاد الإسلام عبارة عن بؤر فساد يحاولون جاهدين أن يخفوها عن أعين الناس رغم أن رائحتها قد عمت جميع أنحاء العالم. فإذا أخذنا مثلاً إيران نجد أن الدعارة فيها بلغت أرقاماً قياسية رغم تغطية النساء بالشادور ورغم رجم بعض البنات الصغيرات اللاتي غرر بهن رجال في عمر آبائهن، كما حدث في إيران مؤخراً عندما شنقوا بنت عمرها ست عشرة سنة كان قد غرر بها سائق تاكسي في عمر أبيها. ونسبة لانتشار هذه الظاهرة، أخرج رجل الدين المحافظ مسعود دهناماكي فيلماً عن الدعارة في إيران. ويتعرض دهناماكي الى انتقادات من المحافظين والإصلاحيين لإخراجه الفيلم. فقد اشتاط المحافظون غضبا شديدا، ليس لأن واحدا منهم سلط الأضواء على مرض اجتماعي، وإنما لكونه بدا متعاطفا مع المومسات. ويعتقد الإصلاحيون انه تعمد المبالغة في تصوير حجم المشكلة.[3] ويتجاهل الملالي ما يحدث من علاقات جنسية بين الشباب في المدن الإيرانية الساحلية حول بحر قزوين لأنهم لن يستطيعوا منعها. وكم من رجل دين استغل زواج المتعة ليروي ظمأه الجنسي من فتيات صغيرات معدمات. *فلماذا يمارسون البغاء ويمنعون الشباب من الاختلاط؟*

وكالعادة يدفن الملالي رؤوسهم في الرمال لتفادي رؤية المشاكل الجنسية التي تسببوا في خلقها **بقوانينهم الجائرة**، فقد أصدرت السلطات القضائية الإيرانية، قرارا بمنع صحافية إيرانية من العمل لمدة خمس سنوات، بعد نشر مقال لها حول الايدز يدعو الى معالجته في العلن، بدلا من التخفي والتستر عليه. وقال محامي الصحافية لوكالة أنباء "ايسنا" الطلابية،

---

[1] أمراء الشعر العربي في العصر العباسي،أنيس المقدسي، ص 54.

[2] سالمة الموشي، إيلاف 9 يناير 2005.

[3] نازيلا فتحي، الشرق الأوسط 27 نوفمبر 2005.

إن موكلته وتدعى الهام افروتان، مُنِعت من العمل كصحافية، ومن ممارسة حقوقها الاجتماعية لخمس سنوات، بسبب مقالها في أسبوعية "تمادون - اي هرمزغان"، بعنوان "النجعل موضوع الايدز علنيا"، موضحاً أن موكلته وهي في أوائل العشرينات من العمر، اتُهمت بـ «نشر الرذيلة» بسبب المقال[4]

فهذه الصحافية تنشر الرذيلة بمطالبتها السلطات بأخذ موضوع الايدز مأخذ الجد، والذين يبيحون مفاخذة الأطفال ينشرون الفضيلة الوهمية.

وفي بلد كالعراق تمزقه الحرب الأهلية بين السنة والشيعة باسم الله والإسلام، أصبح اختطاف البنات واغتصابهن وحتى بيعهن في أسواق الدعارة بدول الخليج أمراً مسلماً به حتى أن النساء لم يعدن يخرجن من منازلهن. **ويقوم بهذه الأعمال الملتحون الذين تسلحوا للدفاع عن الإسلام والفضيلة**. ويحدثنا رجالات الدين بالبصرة عن فرض الحجاب بالقوة على النساء حتى غير المسلمات من مسيحيات وصابئيات وغيرهن، للحفاظ على العفة، *وجامعات العراق أصبحت لا تخفي الزواج العرفي الذي أصبح موضة بين الطلبة والطالبات، رغم فرض الحجاب عليهن*.

أما الدعارة فلا يخلو منها بلد مسلم، عربي أو أعجمي، خاصة دول الخليج التي أصبحت من أكبر مراكز الدعارة في الشرق الأوسط وأصبحت تجلب المومسات من المغرب والعراق والجزائر ومصر ولبنان ودول الاتحاد السوفيتي السابقة، وحتى من روسيا. والبنات العربيات في أوروبا يمارسن الدعارة في كل المدن الأوروبية، خاصة في هولندا حيث يعملن في حوانيت الجنس المعروفة ب "المنطقة الحمراء Red District" وتكفي زيارة واحدة إلى "ميدان بيكادلي Piccadilly Circus" في لندن لنرى كمية النساء العربيات اللواتي يبعن الهوى.

وفي فرنسا، إضافة إلى الدعارة نجد الفتيات المسلمات اللاتي أصبحن يمارسن الجنس مع أصدقائهن قبل الزواج، يلجأن إلى الجراحين لترقيع **غشاء البكارة الذي يبني عليه رجال الدين مفهومهم للعفة**. فقد أجرى الجراح الفرنسي برنارد بانيال خلال العامين الماضيين فقط 200 عملية جراحية لفتيات مسلمات وكاثوليكيات ويهوديات، ولكن الأغلبية من هذه المجموعة من الجالية العربية. ويضيف بانيال:

"أعرف الكثير من الجزائريات والتونسيات اللواتي يجرين هذه العمليات الجراحية في تونس لأنها قريبة وبسبب المشكل المادي، غير أنني أسعى بدوري لإجراء العمليات هنا في فرنسا لأني لمست عندما درست في جامعة عنابة في الجزائر أن معظم الطالبات تسألنني عن كيفية إجراء عملية خياطة غشاء البكارة".[5]

وهناك من يُجري هذه العمليات في مصر والسودان واليمن. وهناك مواقع على شبكة الانترنت الآن تعلن عن ترقيع غشاء البكارة بدون جراحة في دبي ولها وكلاء في جميع الدول العربية.

ومع كل هذه الحقائق الدامغة في المجتمعات المسلمة يصر الملالي ورجالات الدين على الحديث عن العفة والشرف ويبالغون في فصل النساء عن الرجال كما يفعل خمسة آلاف ملتحي ينتمون إلى *جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السعودية*. ولكنهم يبيحون لأنفسهم كل أنواع الجنس. فكم من شيخ ملتحي ومتعمم ضاجع امرأة لا تحل له في غرفتة بالفندق عندما كان في إحدى المؤتمرات في أوروبا أو أحد عواصم الدول العربية. وكم من مؤذن ومطوع ضاجع صبياً صغيراً قبل صلاة الجمعة عندما يهش بعصاه ليدفع الرجال إلى المسجد ويندفع هو إلى غرفة خاصة بالسوق. فبدل أن يضيعوا مجهوداتهم في محاولة يائسة لفرض العفة على الطلبة والطالبات، بفصلهم عن بعض في الجامعات العربية في مصر والأردن والبحرين والسعودية وغيرها، لماذا لا يركزون مجهوداتهم في تنقية دينهم من الشوائب التي تكاد أن تقضي عليه، ويجعلونه ديناً يسراً لا يرهق المسلمين وديناً بين العبد وربه ولا دخل للدولة فيه ولا مكان لبوليس الآداب الذين يحاولون فرض المستحيل الذي يعارض طبيعة الإنسان والحيوان؟

2006 / 9 / 10

2 مِن 2

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=75186

الجنس هو أحد الغرائز التي ورثها الإنسان من أسلافه في الغابة. وبما أنه غريزة فإن الإثارة والرغبة في ممارسة الجنس تحدث تلقائياً ومن الصعب التحكم فيها. وإذا لم يشبع الرجل رغبته الجنسية ويفرغ الأكياس التي تخزّن السائل المنوي، فإنه في الغالب يحتلم ويفرغها ليجدد السائل المنوي الذي يمنح الحياة، في تلك الأكياس حتى تكون الحيوانات المنوية في أحسن حالاتها لإخصاب البويضة عندما تحين الفرصة المناسبة، لأن التخزين يُفقد الحيوانات المنوية فعاليتها وقوة حركتها. وبالإضافة إلى المحافظة على النوع من الانقراض فإن للجنس فوائدَ جسدية عديدة وكذلك نفسية، منها أن ممارسة الجنس تزيد من إفراز هورمون الاستروجين Estrogen الذي يساعد على المحافظة على بشرة المرأة ونضارتها. والجنس علاج للاكتئاب لأنه يزيد من إفراز مادة الاندورفين Endorphin في الدماغ وهذا الهورمون يزيد من الشعور بالبهجة وهو كذلك من أكثر المهدئات سلامة ومن أفضل المنومات للرجال. فلماذا يا تُرى يشدد شيوخ الدين الإسلامي على فصل النساء عن الرجال، ومنع كل ما يمكن أن يؤدي إلى علاقة حب تتوجها العلاقة الجنسية؟ فالحب أجمل شعور عرفه الإنسان، وعبر عنه الشاعر نزار قباني أحسن تعبير حينما قال:

الحبُ في الأرض بعضٌ من تصورنا إن لم نجده عليها لاخترعناه

وقال إيليا أبو ماضي عن حب الإنسان وحب الحياة وحب الطبيعة:

والذي نفسه بغير جَمَالٍ لا يرى في الوجود شيئاً جميلا
يرى الشوكَ في الورود ويعمى أن يرى فوقها الندى إكليلا
فتمتع بالصبح ما دمت فيه لا تخف أن يزولَ حتى يزولا

ويبدو أن رجالات الدين أغلبهم بغير جَمال، فلا يرون في الوجود شيئاً جميلا خلاف *بنات الحور* اللاتي ينتظرنهم في الجنة. ولذلك هم لا يرون الورود بل يرون الشوك الذي سوف يفتك بفضيلة المرأة المسلمة. ولذلك حرموها من الحب. فكم فتاة مسلمة عرفت الحب وسمت بروحها إلى طبقات الأثير؟ ولا بد أن خوف رجالات الدين من تحرر المرأة المسلمة هو الذي يدفعهم لمثل هذا السلوك ليثبتوا

---

[4] الشرق الأوسط، 5 يوليو 2006.

[5] شفاف الشرق الأوسط، 9 يناير 2006.

لأنفسهم وللنساء **أن الرجال قوامون على النساء** لأنهم أقوى وأذكى منهن. بينما تثبت الدراسات الحديثة أن المرأة لا تقل ذكاءً عن الرجل إن لم تبزه. بل هي أخصب منه خيالاً وأكثر لباقةً وأصبر على الشدائد منه. ولكنه خوف رجال الدين من تحرر المرأة لأنه سوف يُثبت خطأ كل أحكامهم عن المرأة. وقد صدق سلمان رشدي حينما قال:

"كابوس رجال الدين الإسلامي هو تحرر المرأة جنسياً".

فالمرأة المتحررة جنسياً لن تقبل أن يتزوجها شيخ ناهز السبعين وهي بعد طفلة لم تتعد عامها السادس عشر. والمرأة المتحررة جنسياً لن تقبل أن تظل في علاقة زوجية أو غير زوجية مع رجل يكاد يكون عنيناً. وحتى تظل المرأة سجينة جدران الفقه الإسلامي برع الفقهاء في مناقشة كل ما جادت به قرائحهم عن الجنس، حتى وإن كان مستحيلاً. وإليكم بعض أنواع **الفقه الجنسي** الذي شغل كبار الفقهاء عقوداً من الزمن.

- في موجبات الغسل، يقولون:

> "التقاء الْخِتانين مِنْ مُوجِبَاتِ الْغُسْلِ بِالاتفاق، لِمَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: { إذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا الأَرْبَعِ، ثم جَهَدَهَا فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ } وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ: { وَإِنْ لَمْ يُنْزِلْ }، وَلِمَا رَوَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: { إذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعبها الأربع، وَمَسَّ الختانَ الختانَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ }، وَالْتِقَاءُ الْخِتانين يحصل بتغييب الْحَشَفَةِ فِي الْفَرَجِ، ذَلِكَ أَنَّ ختان الرجل هو الجلد الَّذِي يَبْقَى بَعْدَالختان، وختان المرأة جِلدةٌ كَعُرْفِ الدِّيكِ فَوْقَ الْفَرَجِ، فيقطع مِنْهَا فِي الْخِتَانِ، فَإِذَا غَابَتْ الْحَشَفَةُ فِي الْفَرَجِ حاذى ختانه ختانها، وإذا تحاذيا فقد التقيا، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بالتقاء الختانين الْتِصَاقُهُمَا وَضَمَّ أَحَدِهِمَا إلَى الأخَرِ، فَإِنَّهُ لَوْ وَضَعَ مَوْضِعَ خِتانه عَلَى مَوْضِعِ خِتَانِهَا وَلَمْ يُدْخِلْهُ فِي مَدْخَلِ الذَّكَرِ لَمْ يَجِبْ الْغُسْلُ، وَقَالَ الدَّرْدِيرُ: الْحَشَفَةُ رَأْسُ الذَّكَرِ. وَلا بُدَّ لإِيجَابِ الْغُسْلِ مِنْ تَغْيِيبِ الْحَشَفَةِ بِكَمَالِهَا فِي الْفَرْجِ، فَإِنْ غَيَّبَ بَعْضَهَا فَلا غُسْلَ عَلَيْهِ. وَإِنْ كَانَ مَقْطُوعَ الْحَشَفَةِ أَوْ كَانَ مِمَّنْ لَمْ تُخْلَقْ لَهُ حَشَفَةٌ فَيعتبر قَدْرُهَا. قَالَ النَّوَوِيُّ: إذَا قُطِعَ بَعْضُ الذَّكَرِ، فَإِنْ كَانَ الْبَاقِي دُونَ قَدْرِ الْحَشَفَةِ لَمْ يَتَعَلَّقْ بِهِ شَيْءٌ مِنْ الأحْكَامِ، وَإِنْ كَانَ قَدْرَهَا فَقَطْ تَعَلقت الأحكام بِتغييبه كله دُونَ بَعْضِهِ، وَإِنْ كَانَ أَكْثَرَ مِنْ قَدْرِ الْحَشَفَةِ فَوَجْهَانِ مَشْهُورَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ لا يَتَعَلَّقُ الْحُكْمُ بِبَعْضِهِ، وَلا يَتَعَلَّقُ إلا بِتَغْيِيبِ جَمِيعِ الْبَاقِي."[6]

يلعبون حتى باللغة العربية ليصلوا إلى أهدافهم، فهذا الشيخ يقول إذا تحاذيا، يعني الختانين، فقد التقيا. والمتحاذيان لا يلتقيان أبداً. قضبان السكة حديد مثلاً متحاذيان ولا يلتقيان أبداً.

ورغم وصف الفقهاء لأخص خصوصيات المرأة فقد كانوا يجهلون ما يحكون عنه. فالجلدة التي يقولون عنها أنها مثل عرف الديك، هي البظر الذي في أعلى فتحة المهبل. وإذا كانت المرأة مستلقية على ظهرها فإن البظر يكون منتفخا ويتجه إلى الأسفل، وذكر الرجل بالفرج يكون أفقياً بموازة الفراش. فلا التقاء بين الختانين ولا موازاة كما يقولون. وفي الوضع الطبيعي للجنس فإن الذكر لا يمس البظر إطلاقاً. ولا بد أن خيالهم كان واسعاً فيما يتعلق بالجنس فتخيلوا أن الرجل مقطوع الحشفة يمارس الجنس. وطبعاً الرجل مقطوع الحشفة لا حاجة له بالجماع إذ أنه لن يشعر بشيء من اللذة. ثم حتى لو حاول الجماع فكيف يقيس مقدار الحشفة حتى يعرف إذا كان قد وجب عليه الغسل. هل يُركّز على الجماع أم يُركّز انتباهه على كم من القضيب مقطوع الرأس قد دخل الفرج؟ ويقول النووي

> إذا قُطع الذكر وما تبقى منه أقل من حجم الحشفة فلا تتعلق أحكام الغسل بهذا الرجل.

? وهل يستطيع رجل بقي له من ذكره أقل من حجم الحشفة أن يباشر الجماع؟

- أما الإمام الشافعي فيقول:

> "وإذا غيب الرجل ذكره في فرج امرأة متلذذا أو غير متلذذ، ومتحركا بها أو مستكرها لذكره، أو أدخلت هي فرجه في فرجها وهو يعلم أو هو نائم لا يعلم أوجب عليه وعليها الغسل. وكذلك كل فرج أو دبر أو غيره من امرأة أو **بهيمة** وجب عليه الغسل إذا غيب الحشفة فيه مع معصية الله تعالى في إتيان ذلك من غير امرأته وهو محرم عليه إتيان امرأته في دبرها عندنا وكذلك لو غيبه في امرأته وهي **ميتة**."[7]

? فالرجل الذي يعصي الله مع سابق العلم ويأتي امرأته في دبرها أو يأتي البهيمة في دبرها، هل يكترث إن اغتسل أو توضأ؟

? ومَن هذا الرجل المسلم الذي يأتي *من خير أمة أُخرجت للناس* ثم تكون له الرغبة في اشتهاء امرأةٍ ميته وينتصب ويدخل ذكره في فرجها. ***هل مثل هذا يوجب عليه الغسل أم يجب أن يُعالج في مصحة عقلية؟*** فمثل هذا الرجل مريضٌ والقاعدة تقول: ليس على المريض حرج. ولولا تشدد الفقهاء في منع المعاشرة بين الرجال والنساء لما فكر رجل في إتيان امرأة ميتة، إن لم يكن مريضاً نفسياً.

? وكيف يأتي الرجل المسلم الذي يهتم بالغسل، امرأةً غير امرأته؟ هل يضحك على نفسه أم على الله؟ يأتي امرأة غير امرأته في معصية واضحة لله ثم يغتسل ويصلي له؟

? والفقهاء من واجبهم صياغة القوانين الفقهية لكل شيء محتمل أن يحدث، ونحن نتفهم ذلك، ولكن يبدو أنهم أطلقوا لخيالهم العنان فشطح وتعدى حدود المعقول. فمن الصعب أن نتخيل أن رجلاً نائماً، وفي الغالب يكون ذكره نائماً كذلك، إلا في الصباح الباكر عندما تمتلئ المثانة بولاً وتضغط على الأعصاب التي تغذي الذكر فينتصب، تعتدي عليه امرأة بجانبه وتُدخل ذكره في فرجها، إن استطاعت، وهو ما زال يغط في نوم عميق ولا يعلم ما يحدث، ثم يجب عليه الغسل إذا أدخلت كل الحشفة بفرجها. فكيف يعرف أنها أدخلت الحشفة كلها وهو نائم لا يدري؟ وممارسة الجنس تتطلب إفراز هرمونات الأدرينالين Adrenalin والنورأدرينالين Noradrenalin وكلاهما منشط يزيد من ضربات القلب وضغط الدم وتهييج الإنسان للحرب أو الهرب، وعليه يُستبعد أن يظل نائماً وهي تمارس معه الجنس. ومرة أخرى نقول لولا تشددهم لما احتاجت هذه المرأة المحرومة من متعة الجنس إلى إدخال ذكر رجلٍ نائمٍ في فرجها.

- ويستمر الإمام الشافعي فيقول:

> "ولا نوجب الغسل إلا أن يغيبه في الفرج نفسه أو الدبر فأما الفم أو غير ذلك من جسدها فلا يوجب غسلا إذا لم يُنزل، ويتوضأ من إفضائه ببعضه إليها. ولو أنزلت هي في هذه الحال اغتسلت وكذلك في كل حال أنزل فيها. فأيهما أنزل بحال اغتسل. ولو شك رجل أنزل أو لم ينزل، لم يجب عليه الغسل حتى يستيقن بالإنزال، والاحتياط أن يغتسل."

ومع احترامنا للإمام الشافعي نقول إنه كان يتحدث عن شيء يجهله. المرأة إذا اهتاجت قبل مباشرة الجنس تفرز غدد بارثولين Bartholin glands الموجودة في شفايف (الشفرين Labia) المهبل موادا لزجة لتسهيل عملية الإيلاج، ويحدث هذا سواء أولج الرجل بها أو لم يولج. والمرأة عندما تصل ذروة متعتها لا تقذف كالرجل ولا ماء لها. والمرأة في العادة يفرز مهبلها كميات صغيرة من الإفرازات على مدى الأربع وعشرين ساعة، سواء باشرت الجنس أم لم تباشره. وقد تكرم الإمام الشافعي وأعفاها من الغسل في حال إدخال الذكر في فمها. ولكننا لا نفهم كيف يشك الرجل في أنه أنزل أم لا؟ لا اعتقد أن هناك رجلاً يشك في أنه أنزل أم لا.

---

[6] الموسوعة الفقهية الكويتية، باب الغسل.

[7] كتاب الأم، باب ما يوجب الغسل.

- ولم ينس المالكية والحنابلة أن يشددوا على الإيلاج في الميت وهل يجوز غسله مرة أخرى، فقالوا:

> ”يميلون إِلَى وُجُوبِ الْغُسْلِ عَلَى الْمُولِجِ فِي فَرْجِ الْمَيِّتِ لِعُمُومِ الأدِلَّةِ، وَلا يُعَادُ غُسْلُ الْمَيِّتِ الْمُغَيَّبِ فِيهِ عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ، وَفِي الأَصَحِّ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ لِعَدَمِ التَّكْلِيفِ، وَقَالَ الْحَنَابِلَةُ: يُعَادُ غُسْلُ الْمَيِّتَةِ الْمَوْطُوءَةِ.وَذَهَبَ الْحَنَفِيَّةُ إِلَى أَنَّهُ لا غُسْلَ فِي وَطْءِ الْمَيِّتَةِ. وَاخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي وُجُوبِ الْغُسْلِ عَلَى الْمَرْأَةِ فِيمَا لَوْ اسْتَدْخَلَتْ ذَكَرَ مَيِّتٍ فِي فَرْجِهَا: فَذَهَبَ الْحَنَفِيَّةُ وَالْمَالِكِيَّةُ إِلَى أَنَّهُ لا يَجِبُ الْغُسْلُ عَلَى الْمَرْأَةِ لَوْ أَدْخَلَتْ ذَكَرَ مَيِّتٍ فِي فَرْجِهَا مَا لَمْ تُنْزِلْ. وَذَهَبَ الشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ إِلَى وُجُوبِ الْغُسْلِ عَلَيْهَا.“[8]

- ? وهل هناك مرض وحرمان جنسي أكثر من أن يضاجع الرجل امرأة ميتة، أو امرأةٌ رجلاً ميتاً؟
- ? وبدل أن يختلف الفقهاء في وجوب غسل الميتة مرة أخرى، أما كان الأحرى بهم أن يسألوا كيف تم لهذا الرجل المحروم من الجنس الاختلاء بالمرأة الميتة بعد أن غسلوها، وفي العادة تغسلها النساء وتكفنها النساء، ليدخل ذكره في فرجها؟
- ? وهل مثل هذا الرجل يكون عاقلاً؟ فالغسل لا يجب إلا على العاقل.
- ? وهل يتطوع مثل هذا الرجل ويخبر الناس أنه قد أدخل ذكره في الميتة، حتى يعيدوا غسلها، لأن المنطق يتطلب أن يكون مثل هذا الرجل في خلوة تامة مع الميتة حتى يستطيع أن يفعل ما فعل.

> ونرى أن المالكية والحنفية كانوا أكرم من الشافعية والحنابلة على المرأة المحرومة من الجنس التي تُدخل ذكر الميت في فرجها فأعفوها من الغسل، وكان حرياً بهم أن يعوضوها عن هذا الحرمان الذي اضطرها لتفعل ما فعلت. وكان يجب أن يمنحوها جائزة نوبل لمقدرتها على إدخال ذكر ميت كصاحبه، في فرجها.

- ? ولماذا يعيدون غسل الميتة في مثل هذه الحالة وقد تنجست بعد موتها بأن أدخل الرجل ذكره في فرجها، فهل سوف يعاقبها الله إن لم يغسلوها، على عمل قام به شخص آخر وهي ميتة؟ وإلا فما الحكمة في إعادة غسلها؟
- مرة أخرى يرجع الفقهاء إلى الأطفال فيقولون:

> ”اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي اشْتِرَاطِ التَّكْلِيفِ فِي وُجُوبِ الْغُسْلِ. فَذَهَبَ الْحَنَفِيَّةُ إِلَى اشْتِرَاطِ التَّكْلِيفِ - الْعَقْلِ وَالْبُلُوغِ - فِي وُجُوبِ الْغُسْلِ، فَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا مُكَلَّفًا فَعَلَيْهِ الْغُسْلُ فَقَطْ دُونَ الآخَرِ. وَقَالَ الْمَالِكِيَّةُ: الْمُغَيِّبُ إِنْ كَانَ بَالِغًا وَجَبَ الْغُسْلُ عَلَيْهِ، وَكَذَا عَلَى الْمُغَيَّبِ فِيهِ إِنْ كَانَ بَالِغًا، وَإِلا وَجَبَ عَلَى الْمُغَيِّبِ دُونَ الْمُغَيَّبِ فِيهِ. فَإِنْ كَانَ الْمُغَيِّبُ غَيْرَ بَالِغٍ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ وَلا عَلَى مَنْ غَيَّبَ فِيهِ، سَوَاءٌ كَانَ بَالِغًا أَمْ لا، مَا لَمْ يُنْزِلْ بِذَلِكَ الْمُغَيَّبُ فِيهِ، وَإِلا وَجَبَ عَلَيْهِ الْغُسْلُ للإِنْزَالِ.“

ومرة أخرى نسأل:

- ? هل الرجل المسلم الذي يغيب ذكره في صبي لم يبلغ بعد، يحق له أن يغتسل ثم يصلي لله، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر؟

> ونلاحظ هنا أن الفقهاء كانوا يعرفون، أو تخيلوا، أن الرجال المسلمين يمارسون الجنس مع الأطفال غير البالغين، لكننا لا نرى أحكاماً بحق هؤلاء الرجال. بل ذهب بعضهم إلى القول أن الرجل إذا قبّل صبياً أو امرأةً غريبة فلا حد ولا إثم عليه.

- ولكي ننصف الفقهاء المسلمين لا بد أن نعترف أنهم قد اكتشفوا الكوندوم (الرِّفَال Condom) قبل الغربيين، فقالوا:

> ”فِي وُجُوبِ الْغُسْلِ مِنْ الإِيلاجِ بِحَائِلٍ، {قماش يحول بين الذكر والفرج} فَذَهَبَ الْمَالِكِيَّةُ وَبَعْضُ الْحَنَفِيَّةِ إِلَى أَنَّهُ لا يَجِبُ الْغُسل عَلَى مَنْ أَوْلَجَ حَشَفَته أَوْ قَدْرَهَا مَلْفُوفَةً بِخِرْقَةٍ كَثِيفَةٍ تَمْنَعُ اللَّذَّةَ، فَإِنْ كَانَتْ الْخِرْقَةُ رَقِيقَةً بِحَيْثُ يَجِدُ مَعَهَا اللَّذَّةَ وَحَرَارَةَ الْفَرْجِ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ الْغُسْلُ. وَذَهَبَ الشَّافِعِيَّةُ فِي الصَّحِيحِ وَبَعْضُ الْحَنَفِيَّةِ إِلَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ الْغُسْلُ فِي الْخِرْقَةِ الْكَثِيفَةِ ؛ لأَنَّهُ يُسَمَّى مُولِجًا، وَلِقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم : إِذَا الْتَقَى الختانان، أَوْ مَسَّ الْخِتَانُ الْخِتَانَ فَقَدْ وَجَبَ الْغُسْلُ.“

- أما الحنابلة فكانوا أكثر كرماً فذهبوا:

> ”إِلَى أَنَّهُ لا يَجِبُ الْغُسْلُ عَلَى مَنْ أَوْلَجَ بِحَائِلٍ مُطْلَقًا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنُصُّوا عَلَى كَوْنِ الْحَائِلِ رَقِيقًا أَوْ كَثِيفًا.“

- ? ولا بد أن نسأل هنا: لماذا يمارس الرجل الجنس إذا كان سوف يلف ذكره بخرقة قماش كثيفة تمنعه من أن يحس حرارة المهبل وتمنع عنه الإحساس باللذة؟ اللهم إلا إذا أراد أن يغتسل وأراد عذراً لذلك.

- ولم يكن تعريف الفرج سهلاً بالنسبة للفقهاء فاختلفوا، كالعادة، في نوعية الفرج الذي يوجب الغسل:

> ”فَذَهَبَ الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ إِلَى أَنَّهُ يَجِبُ الْغُسْلُ بِتَغْيِيبِ الْحَشَفَةِ فِي مُطْلَقِ الْفَرْجِ، سَوَاءٌ كَانَ لإِنْسَانٍ أَوْ حَيَوَانٍ، قُبُلٍ أَوْ دُبُرٍ، ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى، حَيٍّ أَوْ مَيِّتٍ. لَكِنَّ الْمَالِكِيَّةَ شَرَطُوا إطَاقَةَ ذِي الْفَرجِ سَوَاءٌ كَانَ آدَمِيًّا أَوْ غَيْرَهُ، فَإِنْ لَمْ يُطِقْ فلا غُسْلَ عَلَى ذِي الْحَشَفَةِ الْمُغَيِّبِ مَا لَمْ يُنْزِلْ. وَوَافَقَ الْحَنَفِيَّةُ الْجُمْهُورَ فِي ذَلِكَ، إلا أَنَّهُمْ استثنَوْا فَرْجَ الْبَهِيمَةِ وَالْمَيْتَةِ، وَالصَّغِيرَةِ غَيْرَ الْمُشْتَهَاةِ، وَالْعَذْرَاءِ إِنْ لَمْ يُزِلْ عُذْرَتَهَا إِذَا لَمْ يَحْصُلْ إنْزَالٌ، وَذَلِكَ لِقُصُورِ الشَّهْوَةِ فِي الْبَهِيمَةِ وَالْمَيْتَةُ وَالصَّغِيرَةُ غَيْرُ الْمُشْتَهَاةِ الَّتِي أُقِيمَتْ مَقَامَ الإِنْزَالِ فِي وُجُوبِ الْغُسْلِ عِنْدَ الإِيلاجِ.“

ويظهر هنا أن الحنفية يقولون إذا لم تحتمل البنت الصغيرة أو الحيوان ذكر الرجل المولج، أو دخول حشفة البالغ في الفرج، فلا غسل على الرجل إلا إذا أنزل.

> منتهى التسامح مع رجل يدخل حشفته في الأطفال الذين لا يتحملون، والبهائم والجنائز.

- وحتى لا ينسى الفقهاء أي شيء يمكن أن تفعله المرأة المحرومة من الجنس ، قالوا:

> ”اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي وُجُوبِ الْغُسْلِ مِنْ إيلاج ذَكَرِ غَيْرِالآدمي. فَذَهَبَ الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ إِلَى وُجُوبِ الْغُسْلِ مِنْ إيلاج ذَكَرِ غَيْرِ الآدمي كَالْبَهِيمَةِ. وَذَهَبَ الْحَنَفِيَّةُ إِلَى أَنَّهُ لا غُسْلَ مِنْ إيلاج ذَكَرِ غَيْرِ الْآدَمِيِّ.“

فالمرأة التي تأتي بخروف أو قردٍ إلى غرفة نومها وتداعبه حتى ينتصب وتدخل ذكره في فرجها يجب عليها الغسل إلا إن كانت حنفية المذهب.

- واختلاف العلماء لا ينتهي أبداً، فهم يختلفون في وجوب الغسل **إذا جامع الجني امرأة أو جامع الرجل جنية**، فقالوا:

> ”اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي وُجُوبِ الْغُسْلِ مِنْ وَطْءِ الْجِنِّ.فَذَهَبَ الْحَنَفِيَّةُ وَالْمَالِكِيَّةُ إِلَى أَنَّهُ لا يَجِبُ الْغُسْلُ مِنْ إتيانِ الْجِنِّ لِلْمَرْأَةِ، وإتيان الرَّجُلِ لِلْجِنِّيَّةِ، إِذَا لَمْ يَكُنْ إِنْزَالٌ. قَالَ ابْنُ عَابِدِينَ نقلاً عَنْ الْمُحِيطِ: لَوْ قَالَتْ: مَعِي جِنِّيٌّ يَأْتِينِي مِرَارًا وَأَجِدُ مَا أَجِدُ إِذَا جَامَعَنِي زَوْجِي لاغُسْلَ عَلَيْهَا لانعدام سَبَبِهِ، وَهُوَ الإِيلاج أَوْالاحتلام. وَاستَثْنَى الْحَنَفِيَّةُ مَا إِذَا ظَهَرَ لَهَا فِي صُورَةِ الآدمي فَإِنَّهُ يَجِبُ الْغُسْلُ.“

> فإذا جامعت المرأة جني ولم تره لا تغتسل أما لو بدا لها في صورة رجل يجب أن تغتسل.

[8] الموسوعة الفقهية الكويتية، نفس الباب.

مسكينة المرأة المسلمة التي شرّعوا لها في كل احتمالات معاطاة الجنس وهي مسجونة ببيتها لا تبرحه إلا مع محرم ومغطاة بعباءة سوداء، ولا مجال لها في لقاء حبيب أو حتى حيوان.

فالفقهاء قد اختزلوا عملية الجنس في حركات ميكانيكية تعتمد على قياس طول الجزء الذي يدخل فرج المرأة، وهل أنزل الرجل أو المرأة، حتى يجب عليهم الغسل أو عدمه.

وأجزم قاطعاً أنه ليس هناك على وجه المعمورة دينٌ آخر أو قوانين مدنية تسهب في الجنس وأوصافة بقدر إسهاب الفقه الإسلامي الذي اغتال الحب وحرم الرجال والنساء من مباشرة أجمل متعة أتاحتها لهم الطبيعة.

عودة إلى الفهرس

33 - مفردات الجنس عند العرب

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=80668

حفظت لنا كتب التاريخ قصصاً كثيرة عرفنا منها أن عرب ما قبل الإسلام كانوا مولعين بالجنس ويمارسونه بمشاعية لا تقل عن مشاعية معابد الآلهة عشتار وزوارها من المسافرين والمتعبدين. ولكن بدل راهبات عشتار اللاتي كن يمارسن الجنس المقدس مع زوار المعبد لإرضاء الآلهة، كان نساء مكة يفتحن بيوتهن للدعارة العلنية ويرفعن عليها الرايات حتى يعرف المسافر أين يجد ضالته.
وقد حفظت لنا كتب التاريخ أسماء عدد كبير من هؤلاء البغايا، منهن:

- النابغة سلمى بنت حرملة، أم عمرو بن العاص، والتي وقع عليها في يوم واحد أبو لهب بن عبد المطلب، وأمية بن خلف، وهشام بن المغيرة، وأبو سفيان بن حرب، والعاص بن وائل.
- مرجانة بنت نوف، أم عبّاد بن زياد وعبيد الله بن زياد.
- الزرقاء بنت وهب، زوجة أبي العاص بن أمية وجدة مروان بن الحكم.
- أم أبي سفيان بن حرب، واسمها حمامة.
- سمية بنت المعطل، أم زياد بن أبيه.
- قطام بنت شختة التميمية، صاحبة عبد الله بن ملجم.
- نضلة بنت أسماء الكلبية، زوجة ربيعة بن عبد شمس، وأم عُقبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة.

وهذا غيض من فيض من بغايا مكة وما جاورها. ولم يكن هذا ليكفيهم فاخترعوا عادة "الاستبضاع" *وهي عادة كان الغرض منها تحسين النسل*. فإذا اشتهر رجلٌ في القرية بالشجاعة أو الشعر، كان الرجل منهم يعتزل زوجته ويطلب منها أن تستبضع من ذلك الرجل المشهور إلى أن تحبل منه، ثم يرجع إليها زوجها ليمارس حياته الزوجية. وكان **بعض** نساء العرب قبل الإسلام **يملكن حق الطلاق** وكانت الواحدة منهن تعلن طلاقها من زوجها بتغيير موضع باب خيمتها فيعرف زوجها أنه طالق، ويعرف الرجال الآخرون أنها قابلة للنكاح فيتوافدون عليها لتختار مَن تريد منهم.

> وقيل أنه كانت هناك امرأة بمكة تُدعى أم خارجة، كانت تطلق مَن تزوجت من الرجال بعد أيام أو أشهر فيأتي إلى باب خيمتها الراغبون من الرجال ويقول أحدهم "خِطبٌ" فترد هي "نِكحٌ" فيتزوجها. وصار نكاح أم خارجة مضرب المثل، فقالوا (أسرع من نكاح أم خارجة).
> وكان لأم خارجة عدة أبناء.

ولم يكن العري يثير فيهم أي مشاعر جنسية تدفعهم إلى الهجوم على **النساء الحمس** اللاتي كن يطفن حول الكعبة عاريات كما ولدتهن أمهاتهن.

> (والحمس هم قريش ومَن ولدت قريش وكنانة وجديلة قيس " تاج العروس 4/ 132". تضاف إليهم خزاعة والأوس والخزرج وجُشم وبنو ربيعة بن عامر بن صعصعة وجذم وزبيد وبنو ذكوان من بني سليم وعمرو اللات وثقيف وغطفان والغوث وعدوان وقضاعة على رواية الازرقي " الازرقي 115/1". وكانوا إذا زوجوا امرأة منهم لغريب عنهم اشترطوا عليه أن كل مَن ولدت له فهو احمس علي دينهم.)[1]

ويتضح من أسماء القبائل هذه أن طواف العراة كان منتشراً في أغلب القبائل العربية.
ولم يكن عرب ما قبل الإسلام يستحون من ممارسة الجنس في أوضاع مختلفة ولم يستحوا من الحديث عن هذه الأوضاع.

> "قال ابن عباس إن هذا الحي من قريش كانوا يتزوجون النساء ويتلذذون بهن مقبلات ومدبرات فلما قدموا المدينة تزوجوا من الأنصار، فذهبوا ليفعلوا بهن كما كانوا يفعلون بمكة فأنكرن ذلك وقلن هذا شئ لم نكن نُؤتى عليه. فانتشر الحديث حتى انتهى إلى رسول الله - ص - فأنزل الله تعالى في ذلك {**نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم.** (البقرة 223)}. قال: إن شئت مقبلة وإن شئت باركة وإنما يعني بذلك موضع الولد."[2]
> وحتى عمر بن الخطاب مارس الجنس مع زوجته في الدبر وأتى النبي فقال له: "هلكت يارسول الله. حولت رحلي البارحة" فصمت عنه النبي.

ثم جاء الإسلام وأباح لهم جماع مَن شاءوا من النساء وملك اليمين حتى أن المغيرة بن شعبة تزوج من سبعين امرأة، غير الجواري.

> "قال عبد الله بن شوذب: إن المغيرة أحصن أربعة من بنات أبي سفيان بن حرب. وقال المغيرة نفسه: تزوجت سبعين امرأة. وكان ينكح أربعاً، ثم يطلقهن جميعاً."[3]
> ويُقال أن المغيرة طاف على تسعة من جواريه في ليلة واحدة.

ورغم هذا كان مجتمع المدينة ملئ بالخيانة الزوجية مما استوجب نزول **آية الملاعنة** لأن الرجال كانوا يَشْكُون إلى النبي من أنهم وجدوا رجالاً مع زوجاتهم.

> فمثلاً اشتكى هلال بن أمية للنبي واشتكى عويمر بن زيد العجلاني لأنَه وجد شريك بن السحماء مع زوجته.

ويظهر ولع العرب بالجنس في لغتهم التي احتوت على أسماء لا حصر لها للعضو التناسلي عند المرأة وفي أوصافه كذلك. وحتى عملية الممارسة الجنسية أعطوها اسماء تختلف من حيوان لآخر. فقالوا مثلاً: نكح الإنسان، وكام الفرس، وباك الحمار، وقاع الجمل، ونزا التيس والسبع، وعاظل الكلب، وسفد الطائر، وقمط الديك.[4]

- أما نكاح المرأة فقد تفننوا في تسميته.
  - فقالوا:
    باضعها، وذخمها، وخجأها، ووطأها، وناكها، ونكحها، وقيل للتزوج نكاح لأنه سبب الوطء المباح (لسان العرب).
  - ومن شدة غرامهم بالنكاح فقد وصفوا نزول المطر على الأرض به،
    فقالوا:
    نكح المطر الأرض، ونكح النعاس عينيه.

---

[1] جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج5، ص227.
[2] أسباب النزول للواحدي ص 47 ويقال رواه الحاكم، ولباب النقول في اسباب النزول للسيوطي ص 31.
[3] تاريخ الإسلام للذهبي، ج2، ص 229.
[4] فقه اللغة للثعالبي.

بل قالوا:
ناك المطر الأرض وناك النعاس عينيه (لسان العرب).
- وهناك كلمات مثل (بوّأ الرجل) إذا نكح. والباءة هي النكاح.
- وقالوا:
ضرب الفحل ضراباً إذا نكح.
وضربت الناقة: شالت بذنبها فضربت فرجها فمشت، وهي ضارب (القاموس المحيط للفيروزآبادي).

❖ ثم وصفوا نوعية النكاح بأوصاف مختلفة،
- فقالوا: ارتطم الرجل: إذا نكح بكل ذكره.
- والمرأة الرطوم: هي المرأة الضيقة الجهاز والضيقة الحِياء (بكسر الحاء من النوق) (القاموس المحيط).
- وقالوا: رطمها، يرطمها رطماً: إذا نكحها، وتستعمل للمرأة والأتان (الحمارة). (لسان العرب).
- وامرأة رطوم: امرأة واسعة الجهاز كثيرة الماء (عكس التعريف الأول).
- وقال أبو عمرو: الرطوم: الضيقة الحياء من النوق وهي من النساء الرتقاء. (الرتقاء تعني امرأة لا خرق لها إلا للبول. ولذلك يصعب جماعها).
- وقالوا كذلك: شفتن: يعني جامع ونكح .ولحبِ، يلحبُ: يعني نكح .وقال سيبويه: ذقطها ذقطاً: يعني نكحها. والذاقط: الذباب الكثير السفد. وذقط الطائر أنثاه، يذقطها ذقطاً: يعني سفدها. (لسان العرب لابن منظور).
- والنيك معروف، والفاعل نائك والمفعول به منيك ومنيوك. والأنثى منيكة. والنيّاك: الكثير النيك، شُدد للكثرة.
- ولكن عندما يقولون: تنايك القوم، فإنهم يقصدون: غلبهم النعاس.
- وتنايكت الأجفان: غلبها النعاس وانطبق بعضها على بعض (لسان العرب).

حتى الجفن الأعلى عندما ينزل على الجفن الأسفل يذَكّر العرب بالجنس لأن أحدهما فوق الآخر.

❖ أما عضو المرأة التناسلي ***فقد فاز بقصب السبق في عدد الكلمات العربية التي تسميه وتصفه.***
- فغير الكلمات المعروفة مثل المهبل والفرج،
نجد كلمات تصف ضيقه ووسعه وجفافه ورطوبته. فنجد مثلاً:
- الهَن، بفتح الهاء، والحِر، بكسر الحاء، وكلاهما يعني الفرج.
- أما الضلفع: فهي المرأة الواسعة الهن (القاموس المحيط ولسان العرب)
- وكذلك الخجام: المرأة الواسعة الهن.
- والمرأة الرهوى والرهو: هي المرأة الواسعة الهن. وقد أنشد ابن بري الشاعر:

لقد ولدت أبا قابوس رهو ... نؤوم الفرج حمراء العجان

وكلمة الرهو أصلاً تعني مستنقع الماء. وقال أبو سعيد:

هو ما اطمأن (انخفض) من الأرض وارتفع ما حوله. وهو الحوبة تكون في محلة القوم يسيل إليها المطر.
وفي الصحاح:(يسيل فيها المطر) والرمز إلى فرج المرأة بالأرض المنخفضة التي يسيل فيها المطر، يُظهر مكانة المرأة عند العربي.

- وهناك كذلك كلمات مثل الحِفش، بكسر الحاء، وتعني الهن (لسان العرب).
- ومن الكلمات التي يصعب نطقها نجد: المعرنفط، وتعني الهن كذلك. وقد أنشد إعرابي لرجل قالت له امرأته وقد كبر:

يا حبذا ذباذبك ... إذا الشباب غالبك

فأجابها:

يا حبذا معرنفطك ... إذ أنا لا أفرّطك

- والفلفق من النساء هي الرطبة الهن (لسان العرب).
- وكانوا يشتمون بأسماء الفرج، فيقولون إذا أرادوا سب رجلٍ: يا ابن الخجام. والخجام هي المرأة الواسعة الهن.
- أما النيزج فهو جهاز المرأة إذا نزا بظره، أي انتصب بظره.
- والشفلح هو الهن أو الحِر الغليظ الحروف المسترخي، العظيم الشفتين المسترخيهما.
- والمرأة الضخمة الأسكتين، الواسعة.
- أما الزردان فهو الهن لأنه يزدرد الأيور، أو أنه يزردها لضيقه (القاموس المحيط).
- والبيظة: تعني الرحم. قال الشاعر يصف القطا يحمل الماء إلى أطفاله:

حملن لها مياهاً في الأداوي ... كما يحملن في البيظ الفظيظا

والفظيظ هو ماء الرجل. فشبه حملهن الماء في مناقيرهن كحمل المرأة ماء الرجل في رحمها.
- أما الإسب: فهو شعر الفرج أو الأست (القاموس المحيط).
- والرّكب: هو العانة أو الفرج، لأن الرجل يركب عليه.
- الميقاب: الرجل الكثير الشرب للماء أو المرأة الواسعة الفرج (القاموس المحيط).
- الدمّاج أو الدّماح: هو الفرج.
- السفطاح، بكسر السين: الناقة الرحيبة الفرج.
- الضاد: فرج المرأة (القاموس المحيط)

وربما لهذا سموا اللغة العربية "لغة الضاد" وليس كما يقولون "لأن حرف الضاد لا يوجد في لغة أخرى."

- الشفر أو الشفير: حرف الفرج.
- العُقر، بضم العين: دية الفرج المغصوب.
- الكُظر، بضم الكاف: حرف أو طرف الفرج.
- الطنبريز، كزنجبيل: فرج المرأة.
- القحفليز، كزنجبيل: فرج المرأة.
- أبو دراس: فرج المرأة.
- الأكبس: الفرج الناتئ أي البارز.
- العُضارطي، بضم العين: الفرج الرخو والأست.

- العُمارطي، بضم العين: فرج المرأة العظيم.
- التوليص: النكاح خارج الفرج.
- الدعظ: إدخال الذكر في الفرج كله. ويقولون: دعظها به ودعظها فيه.
- البُضع، بضم الباء: الجماع أو الفرج نفسه.
- المرأة اللطفاء: اليابسة الفرج والمهزولة والصغيرة الفرج (القاموس المحيط).
- الرفغ: الإبط وما حول فرج المرأة.
- المرفوغة: المرأة الصغيرة الهن، لا يصل إليها الرجل.
- استحصف الفرج: ضاق ويبس عند الجماع.
- الرشوف: المرأة الطيبة الفم اليابسة الفرج.
- التلجيف: الحفر في جوانب البئر وإدخال الذكر في نواحي الفرج.
- الخاق باق: صوت الفرج عند الجماع.
- الخفق: تغييب القضيب في الفرج.
- الخفوق: الأتان الواسعة الدبر والتي يُسمع صوت حيائها، وكذا المرأة.
- القرن: ظهر فرج المرأة.
- العفلق: الفرج الواسع الرخو (لا علاقة لهذا الإسم بحزب البعث).
- الخشنفل: فرج المرأة.
- الفَعل، بفتح الفاء: حياء الناقة وفرج كل أنثى.
- الفلهم، كجعفر: فرج المرأة والبئر الواسعة.
- الكين: لحم باطن الفرج أو غدد فيه كأطراف النوى، وتعني كذلك البظر.
- اللخن: قبح ريح الفرج.

❖ ونسبة لهوس العرب بالجنس فقد استعملوه في الهجاء، كما قال جرير يهجو أم الفرزدق:

عجوز قد زنت ستين عاماً   وعاشت بعد ذلك أربعينا
فراحت واشترت تيساً وعنزاً   لتنظر لذة المتناكحينا

❖ وحتى ذكر الحصان لم يفلت من مفردات اللغة العربية، فنظموا فيه شعراً واخترعوا كلمات تصفه وهو قائم أو مسترخي. فقد أنشد شمر اللعين المنقري يصف ذكر حصان كان منتصباً، فقال:

وقاسِحٍ كَعمُودِ الأَثْلِ يَحْفِزُه   دَرْكاً حِصان، وصُلْب غَيْر مَعْرُوقِ
مِثْلُ الهِراوة مِيثام، إذا وقَبَتْ   في مَهْبِلٍ، صادَفَتْ داء اللخاقِيقِ

واللخاقيق هي الشقوق الضيقة.
وقالت العرب: استخق الفرس، واخق وامتخض، إذا استرخى ذكره (لسان العرب).

فهذا الشعب العربي المولع بالجنس وبأعضاء المرأة التناسلية لدرجة أنه أعطى هذا العضو أسماء تفوق في عددها أسماء السيف الذي يفتخر به العربي، والذي كان يمارس الجنس بشبه مشاعية كادت تفوق مشاعية الجنس في العالم الغربي في العصور الحديثة، **ما الذي تغير وجعله من أكثر الشعوب كبتاً وتحسراً على الجنس؟**

لا اعتقد أن الإسلام كما كان في أيام محمد هو السبب. فقد حاول الإسلام في زمن النبي أن يبيح لهم الجنس كما شاءوا من تعدد الزوجات وملك اليمين وزواج المتعة، *وجعل إثبات جريمة الزنا من المستحيلات* حتى يسهل على النساء ممارسة الجنس مع غير الزوج إذا لم يكن الزوج كافياً لإشباعهن. فما الذي حل بهذا الشعب العربي وجعله محروماً من الجنس، لا تختلط نساؤه برجاله ولا يرى الرجال النساء إطلاقاً، **حتى في غرفة النوم التي لا يحق للرجل أن يرى فيها زوجته عارية تماماً، وإلا غضب الله عليه ولعنته الملائكة، كما قال الشيخ علي جمعة، مفتي مصر حديثاً**. لماذا تعنست نساؤهم وكاد شبابهم أن يشيب قبل أن يقدم على الزواج وإشباع رغبته الجنسية؟
إنهم **الفقهاء** الذين حرّموا ما أحل الدين للناس *وجعلوا الإسلام دينَ عسر بعد أن قال نبيه إنه دين يسر*. الفقهاء الذين لا عمل لهم ينفعهم أو ينفع غيرهم في المجتمع، الذين كرسوا كل وقتهم لدراسة الحيض والاستحاضة، والطهارة من البول والنجاسة، وعذاب القبر والثعبان الأقرع. **إنهم الفقهاء الذين سجنوا الأعضاء التناسلية عند المرأة والرجل كما سجنوا العقول**. فقد كبتوا الرجال والنساء حتى وصل الكبت حد الانفجار كما حدث في قاهرة المعز عندما تحرش الشباب بالفتيات، المحجبات والسافرات، في محاولة منهم للتنفيس عن الكبت الذي يعانون منه. وهذه مجرد البداية والانفجار قادم لا محالة. وإذا لم تنفجر المجتمعات العربية فسوف تصبح تدريجياً مثل دول الخليج التي تعنست نساؤها وتضاعفت بها أعداد النساء العربيات من المغرب والجزائر والعراق ومصر وغيرها، والنساء الأجنبيات من روسيا ودول شرق أوروبا، اللاتي تجبرهن عصابات الدعارة المنظمة على بيع أجسادهن لشباب محروم لايستطيع تكاليف الزواج ولا يستطيع ممارسة الحب مع بنات بلده، أو لشيوخ ورجال أعمال أغنياء ما عادت تثيرهم نساؤهم المترهلات .

هل من أمل في أن يفهم القرضاويون والوهابيون والمتعممون من إيران والعراق ومصر والسودان واليمن أن محاولاتهم تكحيل المجتمعات العربية بفرض حجاب أسود من لون الكحل ذاته، قد أعمت المجتمع العربي فراح يتخبط دون رؤية، وأخصت الدين الذي يحاولون، كذباً، إحياءه، بل أماتوه إلا من الطقوس التي ظلوا يتشبسون بها بعد أن فقدوا الجيل الجديد من الشباب؟ لا أعتقد أن هناك أي أمل لهذا الشعب إلا إذا تمردوا على المعممين وأباحوا الاختلاط في المدارس والجامعات وباشروا تدريس أبجديات الجنس في المدارس حتى لا يتخبط الشباب في جهله عن الجنس ويخيل إليهم إذا رأوا الجفن الأعلى نازلاً على الجفن الأسفل أنه ينكحه.

عودة إلى الفهرس

31 - الإسلام يذل المرأة

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=79433

ظهر الإسلام في مجتمع ذكوري أبوي Patriarchal مثله مثل اليهودية قبله، فجارى عادات ذلك المجتمع وزاد عليها قيوداً جديدة كبلت المرأة واغتالت إنسانيتها. ففي البدء جاء القرآن ذكورياً لا يخاطب إلا الرجال ويتجاهل أنّ نصف المجتمع يتكون من النساء. المرات الوحيدة التي خاطب فيها القرآن المرأة كانت *عندما خاطب نساء النبي* فقال لهن: {**يا نساء النبي لستن كأحد من النساء**} و {**وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى... وبقية الآيات**}. وكل المخاطبة بعد ذلك كانت للرجال، حتى عندما يستعمل كلمة "**الناس**" يقصد بها الرجال فقط، كأنما النساء لا ينتمين لمجموعة الناس، فالقرآن يقول: {**زُيّن للناس حُبُ الشهواتِ من النساء. (آل عمران 14)**}. *فمن الواضح هنا أنه يقصد الرجال فقط وسماهم "الناس"*. وعندما يخاطب المؤمنين يعني الرجال: {**يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن. (الممتحنة 10)**}. ومع ذلك لا يمل الشيوخ ومَن سار في ركبهم من ترديد عبارة

(الإسلام كرّم المرأة وأعزّها)

بينما الواقع النظري والعملي يثبت لنا غير ذلك. فالإسلام في حقيقته قد أذل المرأة في كل المحاور. فلو أخذنا مثلاً:

1. الناحية المادية:

- اخترع الإخباريون المسلمون قصصاً عن الجاهلية زعموا فيها أن المرأة لم تكن ترث شيئاً مما ترك زوجها أو أبوها. ولكن الدكتور جواد علي يقول:

> "هناك روايات يفهم منها أن من الجاهليات مَن ورثن أزواجهن وذوي قرباهن، وأن عادة حرمان النساء الإرث لم تكن عامة عند جميع القبائل"[1].

ولا بد أن السيدة خديجة قد ورثت أموالها الطائلة من زوجيها اللذين توفيا قبل أن يتزوجها النبي. فالمرأة في الجاهلية كانت ترث من زوجها، وإلا لما أصبحت خديجة من أغنى أغنياء مكة. ويقول د. جواد علي كذلك:

> "وهناك رواية تذكر أن أول مَن جعل للبنات نصيباً في الإرث من الجاهليين هو "ذو المجاسد" عامر بن جشم بن غنم بن حبيب بن كعب بن يشكر، ورّث ماله لولده في الجاهلية فجعل للذكر مثل حظ الانثيين، فوافق حكمه حكم الإسلام."

فالإسلام وافق حكم عامر بن جشم وقال {**للذكر مثل حظ الانثيين**}. فالأرملة التي تعول أطفالاً مات أبوهم ترث نصف ما يرثه أخوها الأعزب إذا مات والدهما.

- وزاد الإسلام في اضطهاد المرأة فجعل نفقتها بعد الطلاق ثلاثة أشهر فقط، بعد أن كانت في الجاهلية سنةً كاملة. وقد وافق الإسلام في بدايته هذا الحكم فقال:

> {**والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصيةً لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم.** (البقرة 240)}.

- ولكن *سرعان ما خضع الإسلام لرغبة أغنياء المسلمين فنسخ الآية* هذه وأبدلها بأخرى تحدد نفقة المطلقة بثلاثة أشهر حتى يتأكد الزوج أنها غير حبلى، ولا هم له بها بعد ذلك مهما كان غنياً أو فقيرا.
- وإذا طلقها زوجها طلاقاً بائناً (بالثلاثة) فلا نفقة لها بما روي في حديث فاطمة بنت قيس أنها قالت:

> "طلقني زوجي ثلاثا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فلم يجعل لي سكنى ولا نفقة" خرجه مسلم[2].

- أما لو كانت الزوجة صغيرة بحيث لا تتحمل الممارسة الجنسية فلا نفقة على زوجها حتى يدخل بها،

> "وجملة ذلك أن المرأة تستحق النفقة على زوجها بشرطين: أحدهما: أن تكون كبيرة يمكن وطؤها فإن كانت صغيرة لا تحتمل الوطء، فلا نفقة لها وبهذا قال الحسن وبكر بن عبد الله المزنى والنخعي، وإسحاق وأبو ثور وأصحاب الرأي"[3].

- وقد تزوج النبي عائشة وعمرها ست سنوات ولم ينفق عليها إلا بعد أن بنى بها في سن التاسعة.

فالنظام الاجتماعي الذي يسمح بزواج بنت في السادسة أو السابعة من عمرها نظام لا يحترم ولا يعز المرأة.

- أما التي يموت عنها زوجها فلا نفقة لها ولا سكنى مهما كان غنى زوجها المتوفى،

> "فأما المعتدة (التي في عدتها) من الوفاة فإن كانت حائلا (غير حبلى) فلا سكنى لها ولا نفقة لأن النكاح قد زال بالموت"[4].

فالمرأة المسلمة تعيسة الحظ التي يموت زوجها المليونير لا تجب لها نفقة ولا سكن مما ترك زوجها ويُصرف عليها في عدتها من نصيبها الضئيل في الميراث.

- بل ينصح الفقهاء الزوج بألا يخبر زوجته مقدار ماله. يقول ابن الجوزي:

> "معاشرة المرأة بالتلطف لئلا تقع النفرة بينهما، مع إقامة هيبته لئلا تسقط حرمته عندها. ولا ينبغي أن يُعلِمَها قدر ماله، ولا يفشي إليها سراً يخاف إذاعته، ولا يكثر من الهبة إليها"[5].

- حتى كسوة المرأة **لا** تجب على زوجها إلا مرة واحدة بالعام حتى وإن بليت كسوتها قبل العام،

[1] تاريخ العرب قبل الإسلام، ج5، ص274.
[2] بداية المجتهد لابن رشد القرطبي، ج1، ص 416.
[3] المغني لابن قدامة، كتاب النفقات، ص 22.
[4] نفس المصدر، ص 25.
[5] أحكام النساء لابن الجوزي، ص 223.

"وعليه دفع الكسوة إليها في كل عام مرة لأنها العادة، ويكون الدفع إليها في أوله لأنه أول وقت الوجوب فإن بليت الكسوة في الوقت الذي يبلى فيه مثلها لزمه أن يدفع إليها كسوة أخرى لأن ذلك وقت الحاجة إليها وإن بليت قبل ذلك، لكثرة دخولها وخروجها أو استعمالها لم يلزمه إبدالها لأنه ليس بوقت الحاجة إلى الكسوة في العرف"[6].

- بل ذهب الفقهاء إلى أبعد من ذلك وشبهوا المرأة بالبيت المستأجر، فقالوا:

"ولا يجب عليه شراء الأدوية ولا أجرة الطبيب لأنه يراد لإصلاح الجسم، فلا يلزمه كما لا يلزم المستأجر بناء ما يقع من الدار"[7].

فالمرأة عليها أن تُصلح جسمها بنفسها *حتى يكون جاهزاً لاستمتاع الزوج متى أراد، دون أن يتكلف الصرف على هذا الجسم.*

2. كرامة المرأة

منذ الصغر تُسلب المرأة المسلمة من كرامتها وتعامل كمواطن من الدرجة الثانية.

- فعقيقة البنت (الوليمة التي تقام عند تسميتها) تُذبح فيها شاة واحدة بينما عقيقة الصبي شاتان، كما جاء في حديث ابن عباس:

"وقوله عن الجارية شاة وعن الغلام شاتان" خرجه أبو داود.

- وحتى بول البنت الصغيرة يكون أكثر نجاسةً من بول الصبي، فقد فرّق بعضهم بين بول الذكر في ذلك والأنثى، فقالوا:

"يُنضح بول الذكر ويغسل بول الأنثى"[8].

أي يُرش الماء على بول الصبي فيطهر الثوب، ولكن إذا بالت الانثى على الثوب فلا بد أن يُغسل ليطهر. وليس هناك أي سبب علمي لهذه التفرقة غير اضطهاد الأنثى لأن بول البنت لا يختلف عن بول الصبي من ناحية التركيبة الكيماوية أي المواد الموجودة بالبول وبالتالي النجاسة.

- وعندما تبلغ البنت سن التاسعة يجوز لأبيها أن يزوجها وهي كارهة، يقول المباركافوري:

"اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي تَزْوِيجِ الأبْكَارِ إذَا زَوَّجَهُنَّ الآبَاءُ. فَرَأَى أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَغَيْرِهِمْ، أَنّ الأبَ إذَا زَوّجَ الْبِكْرَ وَهِيَ بَالِغَةٌ، بِغَيْرِ أَمْرِهَا، فَلَمْ تَرْضَ بِتَزْوِيجِ الأبِ، فالنكَاحُ مَفْسُوخٌ. وَقالَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ: تَزْوِيجُ الأبِ عَلَى الْبِكْرِ جَائِزٌ، وإنْ كَرِهَتْ ذَلِكَ. وَهُوَ قَوْلُ مَالِكِ بنِ أَنَسٍ والشّافِعِيّ وأحْمَدَ وإسْحَاقَ"[9].

فالمالكية والشافعية والحنابلة يقولون بزواج البكر وهي كارهة.

- وإذا طلق الرجل زوجته له الحق في إرجاعها بدون رضاها

"وأجمع المسلمون على أن الزوج يملك رجعة الزوجة في الطلاق الرجعي ما دامت في العدة من غير اعتبار رضاها لقوله تعالى {**وبعولتهن أحق بردهن في ذلك**}"[10].

- وبعد الزواج تكون المرأة مملوكة للرجل
  - لدرجة أن النبي قال:

[لو كنت آمراً احداً بالسجود لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها] أخرجه أبو داود.

  - وقالت عائشة:

"يا معشر النساء، لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن، لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بحر وجهها"[11].

  - يقول ابن الجوزي:

"ينبغي للمرأة أن تعرف أنها كالمملوك للزوج، فلا تتصرف في نفسها ولا في ماله إلا بإذنه، وتقدم حقه على حق نفسها، وحقوق أقاربها. وتكون مستعدة لتمتعه بها بجميع أسباب النظافة، ولا تفتخر عليه بجمالها، ولا تعيبه بقبح إن كان فيه"

  - ويقول كذلك:

"وينبغي للمرأة أن تصبر على أذى الزوج كما يصبر المملوك"[12].

- وهذه المرأة المملوكة إذا اضطرت إلى الخروج من بيت زوجها

"خرجت بإذنه وفي هيئة رثة، وجعلت طريقها في المواضع الخالية، دون الشوارع والأسواق، واحترزت من سماع صوتها، ومشت في جانب الطريق لا في وسطه"[13].

- وكأن هذا التمليك لا يكفي، فأباح القرآن للرجل المسلم أن يضرب زوجته إن لم تطعه أو خاف منها نشوزاً

{واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا. (النساء، 34)**}.**

ويُقال أن النبي كره [**أن يُسألَ الرجلُ فيم ضرَبَ امرأته، إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك**][14].

- بل زادوا في تحقير المرأة فساووها بالأرض عندما أوّلوا حُلم أبي الطفيل في معركة اليمامة، *عندما رأى في حلمه أنه يدخل في فرج امرأة*، فقالوا إنه سوف يستشهد ويدفن في الأرض

"فأوَّلَ المرأة بالأرض إذ كلاهما محلُ الوطء"[15].

---

[6] المغني، كتاب النفقات، ص 8.
[7] نفس المصدر، ص 6.
[8] بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد القرطبي، ج1، ص 61.
[9] تحفة الأحوذي، باب النكاح، 755.
[10] المغني، كتاب الإيلاء، ص 409.
[11] أحكام النساء لابن الجوزي، ص 210.
[12] نفس المصدر، ص 211.
[13] أحكام النساء، ص 147.
[14] زاد المعاد لابن القيم الجوزية، ج2، ص 255.
[15] زاد المعاد، ج3، ص 346.

- فالمرأة توطأ كالأرض. وله أن يطأها متى شاء حتى وإن كانت مجنونة أو نائمة، فالرجل الذي يولي عن زوجته عليه أن ينتظر أربعة أشهر

"ولا يُطالب بالوطء فيها لما ذكرنا، فإن وطئها فيها فقد عجّل حقها قبل محله وخرج من الإيلاء كمن عليه دين دفعه قبل الأجل وهكذا إن وطئ بعد المدة، قبل المطالبة أو بعدها خرج من الإيلاء وسواء وطئها وهي عاقلة أو مجنونة أو يقظانة أو نائمة لأنه فعل ما حلف عليه"[16].

- ولكي يثبتوا أن المرأة أقل من الرجل في كل شيء، قال بعض الفقهاء إنه يجوز للمرأة أن تتوضأ بسؤر الرجل، أي ما تبقى من ماء وضوئه

"وذهب آخرون إلى أنه لا يجوز للرجل أن يتطهر بسؤر المرأة، ويجوز للمرأة أن تتطهر بسؤر الرجل"[17].

- وشهادة المرأة نصف شهادة الرجل لأنها ناقصة عقل ودين ويُحتمل أن تنسى حتى وإن حدثت الجريمة قبل ساعة واحدة، ولذلك لا بد من امرأة أخرى معها لتذكرها.
- والمرأة المسلمة لا يجوز لها أن تشهد في القضايا التي تستوجب الحدود مثل قطع اليد أو الرجم لأن شهادتها لا يعتد بها.
- وبالطبع لا يجوز للمرأة:
  - أن تؤم الصلاة،
  - ولا أن تكون قاضية،
  - ولا أن تقود أمتها لأن الحديث يقول: [**لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**].

رغم أن إنـگلترا تولت زمامها مارگريت ساتشر أكثر من عشر سنوات ونجحت. وكذلك بنـگلاديش وسريلانكا ونيوزيلندة والهند وباكستان وغيرها كثير.

3. الحياة الأسرية

- الإسلام وضع الطلاق بيد الرجل كما كانت العادة في الجاهلية. ولم يطلب الإسلام من الرجل أن يُبيّن سبب الطلاق. فهو حر في النطق بالطلاق متى شاء، حتى وإن حلف بالطلاق على صديقه أن يفعل شيئاً ورفض الصديق أن يفعله، يطلق المسلم زوجته دون ذنب جنته. وبالطبع لأن الرجل يحل له أن يتزوج أربعه نساء وعدد لا يُحصى من ما ملكت يمينه، غير زواج المتعة، فطلاق امرأة واحدة لا يؤثر عليه شيئاً بينما المرأة المسكينة المطلقة لا تأمل في الزواج من رجل آخر خاصةً إذا عرفنا أن زوجها الأول له الأفضلية في إرجاعها إليه في فترة العدة حتى بدون رضاها.
- والمرأة المسلمة ليس لها الحق في التصرف في جسدها كما تهوى. فهي ملك الرجل ويجب عليها أن تُلبي طلبه إلى ممارسة الجنس متى شاء، وليس لها الحق في الرفض حتى وإن كانت مريضة.
  - فعن أبي هريرة أن النبي قال:

[**إذا دعا أحدكم امرأته إلى فراشه فلم تأته لعنتها الملائكة حتى تصبح**] أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

  - وعن ابن عباس

أن امرأة سألت النبي: ما حق الرجل على امرأته، قال: [**لا تمنعه نفسها وإن كانت على رأس قتيب - يعني الرحل على الناقة**][18].

- وما هو حق المرأة على زوجها؟

أن يجامعها مرة واحدة كل أربعة أشهر.[19]

- ثم نأتي إلى حضانة الأطفال عندما يطلق الرجل زوجته.

فالزوجة المطلقة لها الحق في حضانة الصبي إلى سن السابعة والبنت إلى سن التاسعة ثم يأخذهم الأب. أما إذا تزوجت المرأة المطلقة رجلاً أخراً بعد انقضاء العدة فتفقد حق الحضانة حتى وإن كان عمر أطفالها عاماً واحداً.

4. المرأة والعلم

- أفتى فقهاء الإسلام أن المرأة لا تحتاج من العلم *إلا ما يكفل لها الأداء الصحيح للفرائض*، فقالوا:

"فإن كان لها أب أو أخ أو زوج أو محرم يعلمها الفرائض، ويُعرّفها كيف تؤدي الواجبات، كفاها ذلك، وإن لم يكن، سألت وتعلمت من الأشياخ وذوي الأسنان من غير خلوة بها وتقتصر على قدر اللازم."[20]

- ولا داعي لأن تتعلم المرأة لأن صوت مغزلها يساوي تلاوة القرآن، فقد قالت عائشة:

"صرير مغزل المرأة يعدل التكبير في سبيل الله والتكبير في سبيل الله أثقل من السماوات والأرض وأيما امرأة كست زوجها من غزلها كان لها بكل سدى مائدة ألف حسنة."

وقال أبو قتادة رضي الله عنه:

"صرير مغزل المرأة وقراءة القرآن عند الله سواء."[21]

---

[16] المغني، كتاب الإيلاء، ص 12.
[17] بداية المجتهد لابن رشد، ج1، ص 23.
[18] أحكام النساء، ص 210.
[19] الموسوعة الكويتية، باب الجماع.
[20] أحكام النساء، ص 102.
[21] الحاوي للفتاوى للسيوطي، ج2، كتاب الأدب والرقائق.

5. القصاص والحدود

- الإسلام لا يساوي بين المرأة والرجل حتى في كيفية إقامة الحدود. فإذا أخذنا مثلاً حد الرجم للزانية والزاني، يقول الفقهاء

إن المرأة يجب أن تُحفر لها حفرة حتى صدرها وتُنزل فيها ثم تُرجم بالحجارة، بينما الرجل يقف وسط الراجمين الذين يرمونه بالحجارة، وإن تمكن من الهرب منهم فقد نجا بحياته.

- أما المرأة التي تأتي الفاحشة فيقول عنها القرآن:

{واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا. (النساء، 15)**}.**

- أما الرجال الذين يأتون الفاحشة فيقول عنهم:

{والذان يأتيانها منكم فأذوهما فإن تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما إن الله كان تواباً رحيما. (النساء 16)**}.**

وقال الفقهاء

الإيذاء يكون بالضرب بالنعال. فكان الله تواباً رحيماً للرجال. أما النساء فيجب أن يسجن بالبيوت إلى أن يتوفاهن الموت.

فلا توبة هنا ولا رحمة.

- ودِيَّة المرأة التي تُقتل نصف دية الرجل.[22]
- أما إذا قتل الرجل زوجته فلا دية عليه ولا قصاص لأن امرأته من أملاكه،
  - كما يقول الزهري:

"لا يقتل الزوج بامرأته لأنه ملكها بعقد النكاح فأشبه الأمة".

  - ولكن ابن قدامه يقول:

"ولنا عموميات النص ولأنهما شخصان متكافئان، يحد كل واحد منهما بقذف صاحبه فيقتل به كالأجنبيين وقوله: إنه ملكها غير صحيح، فإنها حرة وإنما ملك منفعة الاستمتاع فأشبه المستأجرة ولهذا تجب ديتها عليه، ويرثها ورثتها ولا يرث منها إلا قدر ميراثه ولو قتلها غيره، كان ديتها أو القصاص لورثتها بخلاف الأمة."[23]

فحتى إذا دفع ديتها فإنه يرث نصيبه من هذه الدية. أما المرأة إذا قتلت زوجها فتقتل به.

- وأما إذا قطع رجل شفري امرأة فقد اختلف الفقهاء في حكمه،

(وفي القصاص في شفري المرأة وجهان:
أحدهما: "لا قصاص فيهما لأنه لحم لا مفصل له ينتهي إليه فلم يجب فيه قصاص كلحم الفخذين هذا قول القاضي."
والثاني: "فيهما القصاص لأن انتهاءهما معروف، فأشبها الشفتين وجفني العين وهذا قول أبي الخطاب ولأصحاب الشافعي وجهان كهذين."[24])

- أما إذا أتلف الرجل زوجته بالضرب أثناء تأديبها فليس عليه أي ضمان (عقاب)،

"وليس على الزوج ضمان الزوجة إذا تلفت من التأديب المشروع في النشوز ولا على المعلم إذا أدب صبيه الأدب المشروع وبه قال مالك وقال الشافعي وأبو حنيفة."[25]

ويتضح من هذا السرد أن الإسلام لا يعز المرأة ولا يكرّمها كما يدعون.

الشيء الوحيد الذي يقولونه في تكريم المرأة هو الآية التي تقول: {**إذا الموؤودة سئلت بأي ذنب قُتلت**}. والوأد كان بدفن البنات أحياء في الأرض، كما يزعمون.

وهم الآن يدفنون المرأة في العباءة والحجاب والخمار، فتصبح مغيّبة عن العالم كمن دُفن في الأرض. فلا فرق بين موءودة صغيرة وموءودة كبيرة.

عودة إلى الفهرس

[22] فتاوى بن باز، ج5، ص 183.
[23] المغني لابن قدامة، كتاب الجراح، ص 21.
[24] نفس المصدر، ص 41.
[25] المغني، كتاب الأشربة، ص 14.

34 - 35 - أنثى موزعة الحقيقة بين الجاهلية والإسلام
تعقيباً على عبد النور إدريس

2006 / 11 / 17

1 مِن 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=81098

كتب السيد عبد النور إدريس، القاص والباحث المغربي، مقالاً في موقع "الحوار المتمدن" بعنوان "أنثى موزعة الحقيقة بين الجاهلية والإسلام" بتاريخ 12 نوفمبر 2006، حاول فيه إثبات أن الإسلام انتشل المرأة العربية مِن وَحل الجاهلية والقتل إلى *مصاف مساواتها بالرجل*. وبما أن السيد عبد النور يحمل إجازة في الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع والأدب ومتخصص في (المرأة والكتابة)، رأيت أن أتصدى لما كتب ببعض التعقيب والتفنيد.

- بدأ السيد عبد النور مقاله بذكر عدد سور القرآن التي ذُكرت فيها المرأة والأحكام التي تنطبق عليها، فقال:

> "لقد حازت المرأة على اهتمام التشريع الإسلامي، فقد تطرق القرآن الكريم للكثير من شؤونها وبالعديد من السور التي بلغت عشر سور هي: سورة النساء، الطلاق، البقرة، المائدة، النور، الأحزاب، المجادلة، الممتحنة، والتحريم. إن هذه العناية تدل بقوة على المكانة التي تحظى بها المرأة في التشريع الإسلامي، فقد أعلى الإسلام من قدرها في مجتمع كان يستعبدها ويئدها فرد لها الحق في الحياة وأقر لها حقوقا لم يكن يستسيغها المجتمع الجاهلي قبلا." انتهى.

✍ فعدد السور التي ذُكرت فيها المرأة لا يعني كثيراً خاصة إذا أخذنا في الاعتبار عادة تكرار القرآن لنفس الموضوع في عدة سور. ثم أن المخاطب في جميع السور المذكورة هو الرجل، وذكر المرأة جاء عرضاً كأن يقول لهم "إذا طلقتم النساء" أو "فامسكوهن بمعروف أو طلقوهن بإحسان". فالمرأة لا خيار لها ولا رأي، لأن القرآن يخبر الرجال بما يجب أن يفعلوه مع النساء. وسورة الممتحنة بها ثلاث آيات فقط تتحدث عن النساء وتنصح النبي والمؤمنين بأن يمتحنوا النساء اللاتي يأتين إليهم من مكة لإعلان إسلامهن. فبدل أن يقبل النبي إسلامهن كما يقبل إسلام الرجال، أمره الله أن يمتحنهن حتى يعلم صدقهن. وإذا علم صدقهن فلا يرجعهن إلى الكفار بل يدفع لهم ما صرفوه في زواجهن، وإذا ذهبت إحدى نساء المسلمين إلى الكفار، يطالب المسلمون بما صرفوه عليها. فالمرأة في هذا السياق لا تستحق أن يثق بها النبي والمسلمون إذا أعلنت إسلامها، وهي عبارة عن سلعة لها ثمنها الذي يجب أن يتحصله الذي هربت زوجته إلى الجانب الأخر. وبما أن القرآن يحتوي على مائة وأربع عشرة سورة، وذُكرت المرأة في عشر منها، تصبح نسبة السور التي ذُكرت بها أحكام النساء تساوي ثمانية بالمائة، *مع مراعاة أن جزءاً كبيراً من الآيات في هذه السور يتحدث عن نساء النبي* وعن قصة حفصة عندما وجدت النبي في بيتها مع صفية، وعن قصة الإفك التي أُتهمت بها عائشة. وهذه أمور لا تخص المرأة.

✍ ومن الغريب أن يبدأ السيد عبد النور تعداد سور القرآن التي ذكرت فيها المرأة بسورة النساء. فتعالوا نرى ماذا تقول سورة النساء عن المرأة:

> **{إنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع}.**
> **{أعطوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه}.**
> **{يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين}.**
> **{ولكم نصف ما ترك أزواجكم من بعد وصية يوصين بها}.**
> **{ولهن الربع مما تركتم}.**
> **{واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهم أربعة منكم فإن شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا}.**
> **{واللذان يأتيناها منكم فأذوهما إن تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما}.**
> **{وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئاً}.**

✍ ويظهر من هذه الآيات *دونية المرأة في كل شيء*. حتى في الصداق يتوقع القرآن أن تتنازل المرأة عن نصيب منه للرجل فيوصيهم بأكله هنيئاً مريئاً لهم. والنساء اللاتي يأتين الفاحشة يمسكن بالبيوت حتى يتوفاهن الموت أما الرجال فيضربوا بالنعال فإن تابوا فإن الله غفور رحيم.

- ثم يصف الكاتب حالة المرأة في الجاهلية فيقول:

> "وصف القرآن الوضعية الكارثية التي كانت تعيشها المرأة قبل نزول الوحي، وخاصة منذ تلقي عائلتها نبأ ولادتها كما جاء ذلك بسورة النحل حيث قال تعالى:**{وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون.** (النحل 58-59)}. إن هذه التلاوين التي تُصبغ بها عواطف الأب الجاهلي من هذه "البُشرى" تعكس وظيفة الأنثى داخل الهرم القبلي الجاهلي وبالتالي تجسيدها لتدهور القيم الخاصة لقبيلتها (3) يقول د.محمد بلتاجي "كان الأب الجاهلي يرى الأنثى تأكل ولا تقتل عن القبيلة، ويراها مصدرا لجلب العار له حين تُؤسر من العدو فيفترشها آسرها عنوة واقتدارا أو طواعية واختيارا، فيعير الأب وقبيلته بها" (4)." انتهى.

✍ الكاتب، لا شك، يعلم أن التاريخ يكتبه المنتصر ويحاول فيه إبداء كل العيوب الممكنة في المهزوم حتى يبرر غزوه له. ويظهر هذا جلياً في كل كتب التاريخ الحديث عن استعمار الأوروبيين لأفريقيا والشرق الأوسط.

فكل كتب التاريخ التي كتبها المستعمر تُظهر الشعوب العربية والأفريقية بمظهر المتوحش المتخلف الذي حضّره الأوربي. ومؤرخوا الإسلام فعلوا نفس الشيء مع الفترة التي سبقت الإسلام والتي سموها زوراً وبهتاناً ب "**الجاهلية**" *ونسبوا لها كل قبيح وذميم*. ولكن حتى هذه الكتب الإسلامية لم تستطع أن تزيل كل الجوانب الإيجابية في حياة المرأة قبل الإسلام. فنجد القرآن نفسه يذكر لنا عظمة ومكانة بلقيس، ملكة سبأ. فما الذي جعل المرأة في اليمن تشارك في الحياة الاجتماعية وتحكم الرجال، والمرأة في الأماكن المجاورة مثل تهامة ونجد والحجاز تُدفن عند ولادتها؟ ثم إن الحفريات الحديثة في اليمن أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن المرأة في ممالك قتبان وحضرموت وغيرها كانت كاهنة ومشاركة في الحياة الاجتماعية، بل كانت إلهة. ثم إن كتب التاريخ الإسلامي مثل ‹تاريخ الطبري›

> تذكر لنا أن المرأة في شمال الجزيرة، في ما يُعرف الآن بالعراق وسوريا، كانت كذلك ملكةً، مثل الملكة الزباء بنت عمرو بن ظرب. وحتى قبل أن ينتشر الإسلام عندما بايع الأوس والخزرج محمد في بيعة العقبة، كان معهم امرأتان، هما: نُسيبة بنت كعب ام عُمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي إحدى نساء بني سَلِمة.[1]

---

[1] تاريخ الطبري، ج2، ص562.

فهل يوحي هذا بأن المرأة في الجاهلية كانت مضطهدة وتُوأد عند ولادتها؟ ثم ماذا عن "واقعة أُحد" عندما خرجت نساء مكة يشجعن رجالهن على القتال، وعندما وعدت هند بنت عتبة بن ربيعة، زوجة أبي سفيان، وحشي إذا قتل حمزة بن عبد المطلب يصبح حراً؟ هل يوحي هذا باضطهاد المرأة؟ ألا يوحي بأن هند كانت تملك العبيد وتقرر شأنهم بنفسها بعيداً عن وصاية زوجها؟
وهناك قصة امرأة مشهورة في الجاهلية، ألا وهي أم قرفة، وإسمها فاطمة بنت ربيعة بن بدر، كان العرب يضربون المثل بها لعزتها فيقولون: (أعز من أم قرفة)، وقال الأصمعي:

> "من أمثالهم اذا أرادوا العز والمنعة قالوا: إنه لأمنع من أم قرفة".
> وكان يحرس بيتها خمسون سيفاً بخمسين فارساً كلهم محرم (أي لا تحل لواحد منهم، كأن يكون أخاها أو عمها ممن لا تحل لهم.) وقد قتلها زيد بن حارثة بأمر من النبي وطيف برأسها في شوارع المدينة.

- ولكي نعرف مكانة المرأة في الفترة التي سبقت ظهور الإسلام يجب أن نرجع إلى الشعر العربي الجاهلي، الذي قال عنه السيد عبد النور في مقال له بموقع "الحوار المتمدن" بتاريخ 10 ديسمبر 2005، تحت عنوان "المرأة المثال في وجدان الشعر العربي"، قال الآتي:

> "إذا سلّمنا بفرضية وجود المرأة المثال في المعتقدات الدينية والأسطورية بالبيئة الجاهلية، فإن عودة شعراء الغزل الأموي إلى نحت نفس الصورة للمرأة تثبت وجود صورة أقدم للمرأة هي المثال أو الأصل الذي احتذاه كل الشعراء، هذه المرأة الأيقونة، التي تضمَّنت كل الصفات الأنثوية المتحركة بوجدان ومخيال الإنسان العربي، وكانت عناصر الأنموذج كاملة يتجاذبه الحضور والغياب الواقعي الشيء الذي جعل الشعراء، جاهليين وأمويين يحتذون الأصل المفقود." انتهى.

✍ فالمثال والأصل للمرأة هو الميثولوجيا الدينية التي عرفها العربي الجاهلي مِن الذين سبقوه، أي سكان بلاد الرافدين الذين قدسوا المرأة وجعلوها كاهنة وآلهة.

وحتى عرب الجاهلية أنفسهم قد احترموا المرأة لدرجة أنهم سمُّوا كل آلهتهم تقريباً بأسماء النساء، مثل اللات والعزة ومناة ونائلة. بل حتى الملائكة جعلوها بنات الله ولم يقولوا أولاد الله مع أنهم كانوا يعرفون أسماء بعض الملائكة مثل جبريل وهاروت وماروت. فهل الشخص الذي يضطهد المرأة ويئدها عند ولادتها يجعل آلهته نساء وملائكة الله نساء؟
وماذا يخبرنا الشعر الجاهلي عن المرأة المضطهدة التي كانت تُدفن حية؟ كل شعر المعلقات يخبرنا عن امرأة معززة مكرمة يحرس رجالها مخبأها ويتسلل امرؤ القيس إليها ليلاً. ونفس الشاعر كان يسامر البنات العربيات عندما يذهبن إلى الواحة للاستحمام ويذبح لهن ناقته ثم يركب مع إحداهن في هودجها ويقبلها فتقول له:

> عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزلِ

وماذا عن المرأة العربية نؤوم الضحى التي يفوح المسك من أعطافها إذا قامت من سريرها في منتصف النهار. ألم تكن المرأة تشارك الرجال سمرهم وتشرب معهم:

صبنتِ الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا

وماذا عن عزّة وبثينة وليلى وجميع النساء اللاتي ذكرهن وجن بهن شعراء الجاهلية؟ بل ماذا عن النساء العربيات الشاعرات مثل الخنساء التي كانت تقرض الشعر قبل وبعد ظهور الإسلام. وإذا نظرنا إلى معلقة عمرو بن كلثوم في الجاهلية نجده يقول عن نساء القبيلة:

إذا ما رحن يمشين الهوينا	كما اضطربت متون الشاربينا
يقتن جيادنا ويقلن لستم	بعولتنا إذا لم تمنعونا
ظعائن من بني جُشم بن بكر	خلطن بميسم حسباً ودينا

يقول الزوزني في شرح معلقة عمرو هذه:

> "فهي تدلنا على حالة العرب من حيث الدين والاجتماع والعادات والصناعات والألعاب، فتخبرنا عن طواف النساء حول الصنم وعن الرقص الديني، ومرافقة النساء للرجال في القتال."[2].

فالمرأة في الجاهلية كانت محروسة الخباء، متعطرة، تنام حتى الضحى ولا تخدم نفسها. وتشارك الرجال في القتال وفي الطواف حول الأصنام بالكعبة، وفي الرقص الديني. فهي كانت معززة مكرمة لا توأد ولا تُضطهد، بل تُعشق وتُغازل ويتعارك الرجال على طلب يدها.

- ثم استمر السيد عبد النور فقال، *في محاولة جريئة جداً للوم اليهودية*:

> "ومن المرجعيات الدينية لظاهرة الوأد الجاهلية ما جاء في سفر التكوين أن اليهودي، يملك على أولاده حق الموت والحياة، يقتلهم إذا شاء أو يقدمهم قربانا للرب. (سفر التكوين، الإصحاح 42، الآية 37)".

✍ والسيد عبد النور هنا اقتطف الآية من سياقها ليبرهن على أن اليهودية هي التي شجعت عرب الجاهلية على وأد بناتهم.
والآية في الحقيقة تحكي قصة أيوب عندما رجع أولاده من مصر وقد طلبوا من أبيهم أن يرجعوا بأخيهم الصغير إلى مصر، كما طلب منهم يوسف، حتى يُفرج عن أخيهم بنيامين. وعندما اعترض أيوب وخاف على ابنه الصغير، حلف له الابن الأكبر أنه سوف يقتل ابنه الصغير إن حدث أي مكروه لأخيه الصغير. والآية تقول {**37 وَقَالَ رَأُوبَيْنُ لأَبِيهِ: «اقْتُلِ ابْنَيَّ إِنْ لَمْ أَجِئْ بِهِ إِلَيْكَ. سَلِّمْهُ بِيَدِي وَأَنَا أَرُدُّهُ إِلَيْكَ»**}. فهل في هذه الآية ما يدل على قتل الأبناء قرباناً للآلهة؟ لماذا لم يذكر السيد عبد النور تقديم الأبناء قرابين للأصنام كما حدث عندما حلف عبد المطلب أن يذبح أحد أبنائه للآلهة إذا أصبح عنده عشرة أولاد؟ فعبد المطلب هو الذي نذر ذبح أولاده، ولم ينذر ذبح بنت من بناته للصنم. فإذا كانوا يئدون البنات، لماذا لم ينذر أن يذبح واحدة من بناته بدل ولده؟

- وعندما تحدث السيد عبد النور عن الوأد، قسّمه ثلاثة أقسام:

1. وأد الفقر: فقال "ويشكل رغبة الجاهلي في التخلص من عبء تربية أبنائه ذكورا وإناثا بدون تخصيص جنس الموؤود."
2. وأد العار: وقال "وكان يقتصر على وأد البنات الذي كانت تمارسه القبائل البارزة بالجزيرة العربية، كربيعة وكندة وطيء وتميم."
3. الوأد الميثولوجي: وقال "وهو مرتبط باعتقادهم أن البنت رجس من خلق الشيطان، فالأنثى مخلوق مدنس وهو باعتباره منظومة خرق يصنف في العقلية الجاهلية ضمن المبعدات حيث يرى الجاهلي أن واجبه الديني يدفعه للتخلص من الأنثى وتقديمها للآلهة كقربان حتى يُمنح ديمومة بقاء واستمرار النظام الثقافي الآمن."

✍ وفي الحقيقة أن كل الوأد، إذا كان قد حدث، **فقد كان خوفاً من الفقر**. ولم يكن منتشراً في مكة التي كانت تعتبر المركز التجاري للقبائل العربية وعلاوة على ذلك كانت القبائل الأخرى عندما تأتي إلى الكعبة يدر مجيئها دخلاً عظيماً على قريش. فالوأد، إن

[2] شرح المعلقات السبع للزوزني، ص 164

كان يحدث، فكان يحدث في القبائل الأخرى الفقيرة. وكانوا يقتلون البنات والصبيان خوف الفقر. فليس في ذلك أي اضطهاد للبنت. ولا أعلم من أين أتى السيد الكاتب بالنوع الثالث من الوأد الذي لم أجده في أي كتاب تاريخ أو تفسير.

- ثم يأتي الكاتب باستنتاج لا مبرر له فيقول:

> "نلاحظ أنه في حالات الوأد الثلاث تكون الأنثى هي الضحية وبذلك فقد حرك القرآن الكريم الشعور بالذنب لدى المسلم عندما قال: {**وإذا الموؤودة سُئلت بأي ذنب قتلت**. (التكوير 8-9)}، وبذلك حرك الإسلام القيم الإيجابية في المجتمع تجاه الأنثى فمنحها الحق في الحياة باعتبارها مخلوقا يتساوى مع الذكر من حيث قدسية الجنس البشري حيث يتكفل الله خالق الأنثى برزق مخلوقاته يقول: {**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم .إن قتلهم كان خطأ كبيرا**. (الإسراء 31)}، كما جاء في سورة الأنعام الآية 151، {**ولا تقتلوا أولادكم من إملاق، نحن نرزقكم وإياهم**}." انتهى .

✍ فالقرآن هنا يقول صراحةً وفي آيتين {**لا تقتلوا أولادكم**}. وكلمة أولاد تعني الصبيان والبنات، *فمن أين أتى الكاتب باستنتاجه أن في حالات الوأد الثلاث تكون الانثى هي الضحية*. هل أتى بهذا الاستنتاج لأن القرآن يقول في آية واحدة {**إذا الموؤودة سئلت بأي ذنب قُتلت**}؟ فهل الآية هذه تنسخ الآيتين الأخريتين؟ فإذا كان هناك وأد فقد طال الصبيان والبنات.

- ثم تحدث السيد عبد النور عن أنكحة الجاهلية فقال:

> "وقد تعيش الأنثى نفس الوأد على المستوى المعنوي فتصبح مخلوقا للمتعة والخدمة وإنجاب الأطفال، فقد كان عرب الجاهلية يشيئون المرأة في نظام أنكحتهم المتعدد والذي جاء على الشكل التالي." انتهى

✍ وليس هناك من شك في أن *الوأد المعنوي الذي تحدث عنه السيد عبد النور ينطبق على المرأة المسلمة حتى في عصرنا هذا أكثر مما ينطبق على المرأة العربية في فترة ما قبل الإسلام*.

فالمرأة المسلمةعلى مر العصور كانت جارية للاستمتاع فقط. وكانت عدداً من أعداد الحريم اللاتي لا يجوز لهن الخروج من منزل الزوجية إلا للقبر.

- والأنكحة التي عددها السيد عبد النور هي:

> نكاح الاستبضاع الذي كان يستعمل لتحسين النسل.
> ونكاح البعولة وفيه يخطب الرجل إلى الرجل ابنته أو وليته فيصدقها ثم ينكحها.
> ونكاح المتعة الذي لا يختلف غن نكاح المتعة المباح في الإسلام.
> ونكاح البدل الذي يتبادل فيه رجلان زوجتيهما.

وهذا لا يختلف كثيراً عما فعله مسلموا المدينة عندما جاءهم المهاجرون من مكة فكان الرجل يقول للمهاجر: هؤلاء نسائي، اخترْ أيهم تعجبك فخذها.

> ثم نكاح الضغينة الذي يتعلق بالسبايا من النساء.

والإسلام فاق الجاهلية في هذا النوع من النكاح إذ أباح لهم ملك اليمين من السبايا بدون زواج.

> ونكاح المقت الذي كان الرجل يرث فيه زوجة أبيه المتوفي، وقد حرّمه الإسلام.
> ونكاح الخذان وهو معاشرة المرأة لغير زوجها سراً.

والمدينة في الإسلام كانت مليئة بهذا النوع من الجنس حتى أن الرجال اشتكوا مر الشكوى للنبي من ذلك حتى نزلت *آية الملاعنة* التي لم تُحرّمه إنما اكتفت بالتفريق بين الرجل وزوجته.

> ثم نكاح الشغار وهو أن يتزوج الرجل أخت الرجل على أن يتزوج الآخر أخته. أي تبادل الأخوات.

وربما تكون الظروف المالية هي التي دفعتهم إلى ممارسة هذا النوع من الزواج.

✍ ولا نرى في أنواع زواج الجاهلية ما يختلف كثيراً عن زواج الإسلام.

- ولكن السيد عبد النور يقول:

> "لقد عالج الإسلام هذه الأنكحة بإلغائها عبر آيات كثيرة، ولما جاء بمفهوم يصف فيه الرجل بكونه بعلا فقد أبقى على نكاح البعولة الذي يجسد **مطلقية الطاعة** التي تكنها المرأة لرب بيتها حتى أن الكون الرباني يستاء من خروجها عن طاعته من ذلك [**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح**. (البخاري ج 7 ص: 39)]". انتهى .

إذا كان هناك أي اضطهاد للمرأة فهو فرض الطاعة العمياء عليها للزوج حتى أن الملائكة تلعنها إذا رفضت أن تلبي طلب زوجها لممارسة الجنس، حتى وإن كانت مريضة.

وللحديث بقية

2006 / 11 / 20

2 مِن 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=81275

- يقول السيد عبد النور عن المرأة في الجاهلية:

> "أما الحماية التي كانت تتمتع بها من قبل الذكور المحيطين بها (الأب، الزوج، الأخ والابن) فهي تتساوى مع الحماية التي تلقاها فرسته وبئره ومرعاه." انتهى.

✍ وهل يختلف هذا عن وضع المرأة في الإسلام؟ فما هي الحماية التي يقدمها الرجل المسلم للمرأة والتي تفوق حمايته لفرسه وماله. فقد قال الفقهاء *إن الرجل الذي يُقتل دفاعاً عن ماله يموت شهيداً أما الذي يُقتل دفاعاً عن نسائه فليس شهيداً* :

> "حدثنا سَلَمةُ بنُ شَبِيبٍ، وَحَاتِمُ بنُ سِيَاهٍ المَرْوَزِيّ وغَيْرُ وَاحِدٍ. قالُوا: حدثنا عَبْدُ الرّزّاقِ، عنْ مَعْمَرٍ، عنْ الزّهْرِيّ، عنْ طَلْحَةَ بنِ عَبْدِ الله بنِ عَوْفٍ، عنْ عَبْدِ الرّحمَنِ بنِ عَمْرِو بنِ سَهْلٍ، عنْ سَعِيدِ بنِ زَيْدِ بنِ عَمْرِو بنِ نُفَيْلٍ، عنْ النبيّ صلى الله عليه وسلم قالَ: [مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ]."[3]

---

[3] تحفة الأحوذي، 957.

ويقول عبد الرحمن بن القاسم في "المدونة" عندما سئل عن الرجال يُقتلون دفاعاً عن نسائهم، هل هم شهداء:

"(قال) لا أحفظ عن مالك فيه شيئا ولا أراهم بمنزلة الشهداء وهؤلاء بمنزلة من قتله اللصوص."[4]

وحماية الفرس في الإسلام أهم من حماية المرأة حتى أن النبي في غزواته كان يسهم للفرس سهمين وللرجل سهم واحد ولا سهم للنساء اللاتي خرجن معهم في الغزوات. **ولهذا كان الفرس عند المسلم أهم من امرأته**.

- ويسأل السيد عبد النور:

"فما هو جديد وضعية المرأة في الإسلام؟".

- ويجيب على السؤال بالآتي:

"مع حلول الإسلام بالجزيرة العربية حازت المرأة جملة من الحقوق المادية والمعنوية : منها الحقوق الإنسانية والمدنية والاقتصادية والاجتماعية كما تلقت واجباتها التي تتناسب مع الحقوق المعطاة، ولهذا "فالمؤسسات" التي هدمها الإسلام، لم تكن تنسجم مع المبادئ الأساسية للدعوة الإسلامية كالوأد والعضل والقسامة والظهار والإيلاء وحرمان المرأة من الإرث."

- ثم عرّف هذه الحقوق كالآتي:

"الحقوق الإنسانية: لقد جعل الإسلام المرأة شريكة للرجل، فأقر سبحانه بوحدة المصدر المشترك بين الرجال والنساء وبذلك دخلت المرأة دائرة المقدس الرباني وخرجت من دائرة المدنس الاجتماعي يقول تعالى: {**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء.** (النساء 1)} ويقول كذلك: {**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**}." انتهى.

✍ أولاً: فكرة أن المرأة والرجل أتيا من مصدر واحد، فكرة لم يأت بها الإسلام وإنما أتت بها اليهودية ثم المسيحية بعدها، واقتبسها الإسلام منهما. وثانياً: *الرجل نفسه ليس مقدساً في الإسلام فكيف دخلت المرأة دائرة المقدس لمشاركتها الرجل في المصدر*؟ وهل يمكن أن نستعبد المقدس؟ فالإسلام قد أباح استعباد المرأة التي يأسرها المسلمون في حروبهم؟ وما هي دائرة المدنس الاجتماعي التي خرجت منها المرأة؟ أليست المرأة في الإسلام نجسة وقت حيضها ونفاسها ولا يجوز لها أن تصوم أو تصلي أو تلمس المصحف أو تجامع زوجها وهي حائض؟

أما الآية {**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**} فعبارة عن كليشي cliché (شعار) *لا يمت للواقع بأي صلة*. فالناس في الإسلام ليسوا سواسية:

الأَمَة عقابها نصف عقاب الحرة وعدتها نصف عدة الحرة، وعورتها غير عورة الحرة. وإذا تزوج المسلم الحرة على الأمة، فللحرة الثلثان من وقته رغم أن القرآن يقول يجب العدل بين الزوجتين وإعطاء كل واحدة منهما نفس الوقت {**وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة**}

"عن ابن أبى ذئب عن ابن شهاب عن ابن المسيب أنه قال إذا تزوج الرجل الحرة على الأمة ولم تعلم الحرة أن تحته أمة كانت الحرة بالخيار إن شاءت فارقته وإن شاءت قرت معه وكان لها إن قرت الثلثان من ماله ونفسه."[5]

المرأة الحرة لا يحل لها أن تنكح عبدها

"عن شمر بن نمير عن حسين بن عبد الله عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب عن يونس أنه سأل ابن شهاب عن ذلك فقال إذا ورثت في زوجها شقصا (نصيباً) فُرق بينه وبينها فإنها لا تحل له من أجل أن المرأة لا يحل لها أن تنكح عبدها."[6]

والرجل الحر لا يجوز له أن يتزوج الأمة إلا إذا كان معدماً مادياً ولا يستطيع زواج الحرة

"قال ابن القاسم وابن وهب وعلي بن زياد قال مالك لا ينبغي للرجل الحر أن يتزوج الأمة وهو يجد طولا لحرة ولا يتزوج أمة إذا لم يجد طولا لحرة إلا أن يخشى العنت."[7]

أما المرأة العربية فلا يجوز لها أن تتزوج الموالي المسلمين

"وقال سفيان الثوري وأحمد: لا تزوج العربية من مولى، وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا تزوج قرشية إلا من قرشي، ولا عربية إلا من عربي."[8]

- ثم يتحدث السيد عبد النور عن المساواة بين الرجل والمرأة فيقول:

"إن مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة من بين المبادئ السامية التي واجه بها الإسلام عرب الجاهلية ، فلكل من الذكر والأنثى جزاءه الخاص في الآخرة كما في الدنيا: {**فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض.** (آل عمران 195)}" انتهى.

✍ ما هي المساواة التي يتحدث عنها السيد عبد النور بين الرجل والمرأة في الإسلام؟ *والآية التي أتى بها لا تقول شيئاً عن المساواة*، إنما تقول إن الله لا يضيع أجر الرجل أو المرأة ولكن كيف يجازي العمل الصالح الذي يقوم به كلٌ منهما فلا دليل عليه في الآية المذكورة.

- ويقول السيد عبد النور في تعليل عدم المساواة، وهو موقن بأنه لا مساواة بين الرجل والمرأة في الإسلام:

"وقد تضاربت الآراء في مسألة المساواة، فهناك مَن يرى أن الإسلام لم يقر بمبدأ المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة مستدلين في ذلك، اعتبار شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد في قوله تعالى: {**واستشهدوا شهيدين من رجالكم، فإن لم يكونا رجلين، فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضِلّ إحداهما فتذكِّر إحداهما الأخرى.** (البقرة 282)} وقد كان الداعي إلى ذلك ما يقره الإسلام من الانغلاق الاجتماعي الذي كانت عليه المرأة وعدم مخالطتها للرجال في ميدان المعاملات التجارية والمالية التي تحتاج المكاتبة كالبيع والقرض والإجارة والرهن والوديعة والاقراروالغصب والوقف: {**يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين مسمى فاكتبوه.** (البقرة 282)}، هذا زيادة على عدم تفتحها على الأسواق وقد تستحكم للأعراف في هذا المجال، وتكون نتيجة هذه الوضعية أن تكون خبرتها في هذا الميدان لا توازي نضج خبرة الرجل." انتهى.

---

[4] المدونة للإمام مالك، ج1، ص 184.
[5] المدونة للإمام مالك، ج3، ص 204.
[6] المدونة، ج3، ص 252.
[7] المدونة، ج3، ص 205.
[8] بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد القرطبي، ج1، ص 358.

وقد بينا في التعقيب الأول أن المرأة في الجاهلية لم تكن منغلقة، كما يدعي السيد عبد النور.
أما العذر الذي قدمة لعدم مساواتها من أن التجارة كانت تتطلب كتابة الدين والمعاملات، **فعذر أقبح من الذنب**. إذا كان هذا هو الحال، كيف اختارت خديجة بنت خويلد محمد بن عبد الله الأمي الذي ما كان يقرأ ولا يكتب، ليتاجر بمالها؟ ومن أين لخديجة كل ذلك المال الذي تاجر به محمد لو كانت المرأة في الجاهلية منغلقة ولا ترث زوجها؟ وإذا كانت المرأة في الجاهلية عديمة الخبرة بالتجارة مقارنة بالرجل، فالجواب يكمن في فتح الباب لها وتشجيعها على خوض غمار ذلك الميدان بدل عزلها نهائياً وحبسها بالبيت. وإذا كانت الأمية هي السبب فعند ظهور الإسلام كان هناك سبعة عشر رجلاً يكتبون وامرأتان: الشفاء بنت عبد الله العدوية وعائشة بنت سعد.[9] أي نسبة النساء الكاتبات من عدد الذين يكتبون كانت اثنتي عشرة بالمائة، وهي نسبة غير ضيئلة حتى يتجاهلها الإسلام.

- ثم يقول السيد عبد النور:

"أما ما لا يجوز للرجال الاطلاع عليه من أسرار النساء الداخلية فقد أجاز النبي شهادة امرأة واحدة وقد تكون القابلة مثل ذلك مثل شهادة الرضاعة ورؤية الهلال التي تقبل فيها شهادة امرأة واحدة عدل." انتهى.

وأظن السيد عبد النور يقول بغير ما يقول به فقهاء الإسلام. فالإمام مالك يقول شهادة المرأة لا تُقبل إلا في المال فقط

"هل تجوز شهادة النساء في الطلاق (قال) قال مالك لا تجوز شهادة النساء في شئ من الأشياء إلا في حقوق الناس الديون والأموال كلها حيث كانت وفى القسامة إذا كانت خطأ لأنها مال وفى الوصايا إذا كن إنما يشهدن على وصية بمال (قال) ولا يجوز في العتق ولا على شئ إلا ما ذكرت لك مما هو مال."[10]

أما بالنسبة لرؤية الهلال وأمور النساء من ولادة وحيض، فشهادة امرأتين، وليست شهادة امرأة واحدة كما قال السيد عبد النور

"قلت أرأيت الاستهلال أتجوز فيه شهادة النساء أم لا في قول مالك (قال) قال مالك شهادة امرأتين في الاستهلال جائزة (قلت) كم يقبل في الشهادة على الولادة من النساء (قال) قال مالك شهادة امرأتين (قلت) ولا تقبل شهادة المرأة الواحدة على الولادة (قال) قال مالك لا تقبل شهادة امرأة واحدة في شئ من الأشياء مما يجوز فيه شهادة النساء وحدهن."[11]

ورأي الجمهور أن شهادة الأمة والعبد لا تُقبل إطلاقاً

"أي في حال الرق، وقد ذهب الجمهور إلى أنها لا تقبل مطلقا. وقالت طائفة: تقبل مطلقا، وقد نقل المصنف بعض ذلك وهو قول أحمد وإسحاق وأبي ثور، وقيل تقبل في الشيء اليسير وهو قول الشعبي وشريح والنخعي والحسن."[12]

- ثم انتقل السيد عبد النور إلى الحقوق المادية للمرأة فقال:

"ينكر البعض على الإسلام في مادة الميراث جعل حظ الرجل يساوي حظ الأنثيين وهذا تحد كبير في مجتمع جاهلي تقتضي تقاليده وأعرافه حرمان المرأة من الميراث واقتصار ذلك على المحاربين من الرجال، بل وتصل المرأة في هذا المجتمع إلى حد أن تصبح إرثا بحد ذاتها." انتهى.

أما الإرث في الجاهلية فقد كان لأولاد الرجل الذين يستطيعون حمل السلاح ولم يكن فيه نصيب للأولاد القاصرين أو البنات

"والميراث، أي ما يتركه الرجل بعد وفاته، معروف عند أهل الجاهلية، غير أنه كان خاصاً بالكبار من أولاد المتوفي. أما الأولاد الصغار والجواري والبنات فلم يكن يدفع لهن شئ مما ترك الميت. وقاعدتهم في ذلك: ‹لا يرث الرجل من ولده إلا من أطاق القتال› "تفسير الطبري 185/4" ولهذا كان الإخوة يرثون الميت إذا لم يكن لديه أولاد. ويرثونه وحدهم أيضا إذا كانت ذريته بنات."[13]

فالأولاد الصغار الذين لا يحملون السلاح مثلهم مثل المرأة لا يرثون. وكان الأحرى بالإسلام أن ينصف المرأة ويساويها بالرجل ويقر لها نفس الإرث إذا كان قد أراد إعزازها. فنصف الحق ليس معادلاً للحق كله.

- وتحدث السيد عبد النور عن النفقة فقال:

"فعندما أقر الإسلام نفقة الزوجة وجعلها من واجبات الرجل الذي يرث حقا كاملا يعتبر بذلك حظ المرأة مضاعفا بهذا الإنفاق المفروض من جهة الزوج ومن جهة الأب أو الأخ أو العم إذا لم تتزوج وبذلك تكون هذه الوضعية غير مرتبطة بالنقص في إنسانية المرأة ولا يجعل المرأة بتاتا في مرتبة أدنى من مرتبة الرجل وهو الذي أحاط المرأة بالرعاية فضمن لها حياة اقتصادية مستقرة حيث أخلى ذمتها من أي عبء من الأعباء الاقتصادية لمعيشتها هي أو لغيرها، فجعل نفقتها على أصولها أوزوجها أو فروعها أو أقربائها في جميع ما تحتاج إليه بالمعروف." انتهى.

وقد تجاهل السيد عبد النور أن يقول إن نفقة المرأة إذا طلقها زوجها بدون أي سبب منها، هي ثلاثة أشهر فقط. وإن اتضح أنها حبلى، فالنفقة على الزوج إلى أن تضع مولودها ثم لا شيء عليه بعد ذلك. فمن أين لهذه المرأة أن تكسب عيشها؟ وحتى التي تعيش مع زوجها بدون طلاق فنفقتها الواجبة عليه هي أكلها وشربها وكسوتها في العام مرة واحدة. ولا يُطلب منه أن يدفع لها أجر الطبيب ولا أن يشتري لها العلاج. أما المطلقة بالثلاث فلا نفقة لها في مذهب أحمد بن حنبل وفي مذهب الشافعي. فأي استقرار اقتصادي هذا؟

- ثم تحدث السيد عبد النور عن الحق في التعبير والرأي، فقال:

"حازت المرأة على الحق في طلب العلم فهو فريضة على كل مسلم ومسلمة، واستمع إلى رأيها لسداده وقرره كمبدأ تشريعي عام، وبذلك تلقت المرأة العلم وأصبحت من المفتيات فيه كما جاء في الآية 34 من سورة الأحزاب: {**واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة**}. وتتجلى قمة تساوي الرجل والمرأة في تكليفهم بالوصاية على الدين من حيث وضع تعالى بيدهما مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما جاء في الآية 71 من سورة التوبة: {**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم**} ويُروى عن السيدة عائشة أنها قامت بدور كبير في مجال تلقين الأحكام ومكارم الأخلاق حيث كانت تقضي بين المسلمين في أمور الفقه والحياة." انتهى.

فالسيد عبد النور يرسم لنا صورة وردية عن المرأة في الإسلام بينما الواقع يكّذبه. فالآية التي تقول: {**واذكرن ما يُتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة**} *خاطب بها القرآن نساء النبي فقط، ومع ذلك فالآية لا تبيح للمرأة أن تكون مفتيةً*. وتجربة نساء المسلمين منذ ظهور الإسلام حتى الآن تُثبت ذلك. الوحيدة التي استشارها الرجال في أمور النساء كانت عائشة لأن النبي قال: [**خذوا نصف دينكم من الحميراء**]. ولكن حتى عائشة هذه كان يؤمها عبدها الذي لم يكن يحفظ القرآن وكان يقرأ من المصحف أثناء الصلاة:

"عن ابن شهاب قال كان خيارنا يقرؤن في المصاحف في رمضان وإن ذكوان غلام عائشة كان يؤمها (ويقرأ) في المصحف في رمضان."[14]

---

[9] فتوح البلدان للبلاذري، ص 537.
[10] المدونة، ج6، ص 44.
[11] المدونة، ج6، ص 45.
[12] فتح الباري، شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، باب شهادة العبيد والإماء.
[13] جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج5، ص 274.

فعائشة التي كانت تفتي للرجال لا يجوز لها أن تؤم الصلاة فيؤمها عبدها الذي لم يكن يحفظ من القرآن شيئاً.

- ثم يقول السيد عبد النور:

"كما لا يجوز للزوج أن يأخذ شيئا مما أعطاه لزوجته كصداق أو مهر كما منعه الإسلام من أخذ كلا أو بعضا من مالها الأصيل عملا بقوله تعالى: {وآتوا النساء صدقاته نحلة، فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا. (النساء 4}." انتهى.

✍ ولكن السيد عبد النور نسي أن يذكر لنا أن المرأة إذا أرادت أن تخلع زوجها أي تطلقه، عليها أن تفتدي نفسها منه بأن ترد له ما دفعه من صداق لها، وإذا لم يرض بذلك من حقه أن يطالبها بأكثر مما دفع لها.

- وتعرّض السيد عبد النور لموضوع شائك، وهو زواج المرأة في الإسلام، واختصره بأن قال:

"وكان من جراء ذلك أن احترم الإسلام رأي المرأة وأحسن الاستماع إليها كما وقع من رأي الخنساء بنت خذام الأنصارية في حوارها مع النبي صلى الله عليه وسلم والذي أقر فيه الرسول بأن جعله جزءا من التشريع العام وخاصة وجوب أخذ رأي المخطوبة في شريك حياتها وأخذ رأيها في مسألة زواجها، فأجابته عليه السلام وقد استخلصت حكما عدّل من تطرف الوصاية في نكاح البعولة عندما قالت ولم ينكر الرسول عليها مقالها "لقد أجزت ما صنع أبي، ولكني أردت أن يعلم الناس أن ليس للآباء من أمور بناتهم شيء" " انتهى.

✍ ورغم أن النبي قد قال [**لاَ تُنْكَحُ الثَّيِّبُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ. ولا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ. وَإِذْنُهَا الصّمُوتُ**] إلا أن الفقهاء اختلفوا في ذلك.

"قالَ بَعْضُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ: تَزْوِيجُ الأبِ عَلَى الْبِكْرِ جَائِزٌ، وإنْ كَرِهَتْ ذلِكَ. وهُوَ قَوْلُ مَالِكِ بنِ أَنَسٍ والشّافِعِيّ وأحْمَدَ وإسْحَاقَ."[15]

والنبي نفسه زوج ابنتيه لعثمان ولم يستشرهما مع أنهما كانتا ثيبتين بعد أن طلقهما أولاد أبي لهب.

"أخبرني السرى بن يحيى عن الحسن البصري أنه حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوج عثمان بن عفان ابنتيه ولم يستشرهما."[16]

وهناك سبعة من كبار الفقهاء يقولون بجواز تزويج الأب ابنته البكر بدون مشورتها

"عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه عن السبعة أنهم كانوا يقولون الرجل أحق بانكاح ابنته البكر بغير اذنها، وان كانت ثيبا فلا جواز لابيها في انكاحها الا باذنها، وهم سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وأبو بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام وعروة بن الزبير وخارجة بن زيد بن ثابت وعبيدالله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وسليمان بن يسار."[17]

وهذا ما يحدث في أرض الواقع في أغلب البلاد الإسلامية.

- ثم انتقل السيد عبد النور إلى موضوع احترام رأي المرأة في الإسلام فقال:

"إن الإسلام قد جعل المرأة تعبر عن رأيها بكل حرية ومسؤولية وما كان من تدخلاتها إلا أن تمت الاستجابة لها مما يدل على معرفتها بأصول التشريع من معرفة دقيقة بتفسير النصوص الدينية وأحكامها، الشيء الذي جعلها تدافع عن حقوقها وحقوق بنات جنسها، ويكفي دليلا على ذلك حسّها النقدي الذي نظرت فيه أسماء بنت يزيد الأنصارية إقصاء المرأة **من حملة الإنابات الإلهية** عكس الرجل الذي يتحدث الإسلام عن جزاءاته الكثيرة وفقا لمشاركته العديدة في الحياة العامة، فقد جاءت ممثلة عن النساء فعرضت وضعية المرأة على أنظار الرسول بكل دقة وبلاغة اندهش لها جميع حضور مجلس الرسول (ص) عندما قالت: «... أنا وافدة النساء إليك، إن الله قد بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبإلهك، وإنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، حاملات أولادكم، وأنتم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعة وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإن أحدكم إذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، أفنشاركم في الأجر والثواب؟» لقد كانت إجابة الرسول الكريم تجعل طاعة المرأة لزوجها في مقابل كل أنشطة الرجل التعبدية حيث قال [**افهمي أيتها المرأة، واعلمي من خلفك، أن حسن تبعُّل المرأة لزوجها، وطلبها مرضاته واتباعها موافقته، يعدُل كل ذلك**]." انتهى.

✍ لا أعتقد أننا من السذاجة بحيث نقبل أن طاعة المرأة زوجها تعادل الجهاد في سبيل الله الذي جعل الله الثواب عليه سبعين من بنات الحور اللاتي يرجعن عذراوات كلما فضهن الزوج.

القرآن والأحاديث مليئان بكل أنواع الثواب للرجل من الغلمان المخلدين وأنهر الخمر والعسل والقصور، فماذا ذكر القرآن أو الأحاديث عن ثواب المرأة في الجنة؟

كل الثواب المذكور للمرأة هو أنها إذا كانت متزوجة أكثر من زوج في الحياة الدنيا، يكون زوجها الأول هو زوجها في الجنة. هل هذا الثواب يعدل ثواب الرجال من الجهاد، أم عقاب لها؟ فزوجها الأول لو كان زوجاً صالحاً لما طلقها حتى يتزوجها رجل أخر.

أظن أن الحديث عن احترام الإسلام للمرأة وإعزازها
ما هو إلا ذر للرماد في العيون ومحاولة لإخفاء الذل وامتهان الكرامة الذي تتعرض له المرأة المسلمة من التشريع الإسلامي ومن فقهائه.
فالأقوال المحفوظة عن عزة المرأة في الإسلام لا تكفي.
نريد الحقائق على الأرض.

عودة إلى الفهرس

[14] المدونة للإمام مالك، ج1، ص 224.
[15] تحفة الأحوذي، باب النكاح، 755.
[16] المدونة، ج3، ص 157.
[17] المدونة، ج3، ص 15.

28 - ردود أفعال المسلمين على خطاب البابا بنيدكس السادس عشر

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=75912

لم يكن الإسلام في يوم من الأيام يتحمل النقد أو المعارضة، ولم يفهم المسلمون منذ أول يوم في بداية الدعوة، أن النقد قد يكون هادفاً وبنّاءً وقد يساعد على تطور وتقدم الفكر الإسلامي. ومنذ القرن الثاني عشر حينما أعلن فقهاء بغداد قفل باب الاجتهاد، أصبح على المسلم إما أن يقول ما يمجد الإسلام، حتى إن كان زوراً، أو يصمت، لأن أي زلة لسان سوف تؤدي به إلى أوخم العواقب. ومنذ ذلك الحين أصبح المسلمون **أمةً من الببغاوات** تردد ما تسمعه دون أن يكلف المسلم نفسه عناء قراءة ما يريد أن يهاجم، فالسمع يكفي.
وقد كفى السمع أغلبهم عندما سمعوا أن البابا بنيدكس السادس عشر قد هاجم الإسلام، فانبرت الأقلام للهجوم عليه وتفتحت الحناجر لوصفه **بالجهل**، نفس الصفة التي يصفون بها المسلم الذي ينتقد الإسلام. **وأنا على يقين أن ليس منهم من قرأ أوسمع خطاب البابا الذي ألقاه في جامعة ريجنسبرج بألمانيا يوم 12 سبتمبر 2006 أمام الآلاف من طلبة وأساتذة الجامعات**. وقد كان عنوان خطابه "الإيمان والعقل... ذكريات وتأملات"، فقد كان البابا أستاذاً بنفس الجامعة قبل أن ينتقل إلى الفاتيكان بروما.

- فماذا قال البابا؟

قال البابا إنه:

> "قرأ المقدمة التي كتبها البروفسور ثيودور خوري عن المناظرة التي جرت عام 1391م بالقرب من أنقرة بين الإمبراطور البيزنطي عمانويل الثاني ورجل مسلم متعلم من الفرس. وكان موضوع المناظرة هو المقارنة بين الإسلام والمسيحية والحقيقة في كليهما. ودارت المناقشة حول الإيمان في الإنجيل وفي القرآن، وركّز على مفهوم الله في الديانتين وعلى القوانين التي احتوتها كتب التوراة والإنجيل والقرآن. في الحلقة السابعة من المناظرة تطرق الإمبراطور إلى مفهوم الجهاد، ولا بد أن الإمبراطور كان يعلم عن الآية 256 من سورة البقرة التي تقول {لا إكراه في الدين}. ولا بد أن الإمبراطور كان يعلم الآيات والقوانين التي أتت مؤخراً في الإسلام بخصوص الجهاد. وقد سأل الإمبراطور مناظره وقال له: ‹أرني الجديد الذي أتى به محمد وسوف تجد فيه كل الأشياء الشريرة وغير الإنسانية مثل تعاليمه بنشر الإسلام بحد السيف›. وزاد الإمبراطور فقال: ‹العنف لا يتلاءم مع طبيعة الله ولا مع روح الإنسان›. إن الله لا يسره منظر الدماء. والأفعال غير المنطقية تتناقض وطبيعة الله. والإيمان ينبع من الروح وليس من الجسد. فمَن أراد إقناع شخص ما بعقيدة ما فعليه أن يستعمل المنطق ويبتعد عن العنف."

واستمر البابا فقال:

> "إن الرسالة المهمة التي نخلص بها من هذه المناظرة هي: أن العمل بما هو غير منطقي يتعارض مع طبيعة الله. والرسالة التي استخلصها البروفسور خوري هي أن الإمبراطور البيزنطي الذي كان قد تشبع بالأفكار الإغريقية قد اعتمد على الفلسفة المسيحية التي تشبعت بدورها بالتعاليم الهيلينية، ولذلك قال الإمبراطور ما قاله. ولكن بالنسبة إلى المسلمين فإن الله هو الأعلى Transcendent ولا تحده حدود منطقنا وعقولنا. وذكر البروفسور خوري أن ابن حزم كان قد قال: ‹إن الله لا تحده حتى حدود كلمته ولا شيء يجبره على إظهار الحقيقة لنا لدرجة أنه لو كانت مشيئته أن نعبد الأصنام لعبدناها.›"

واستمر البابا فقال:

> "إن أول شيء قاله القديس يوحنا في الإنجيل هو: في البدء كانت الكلمة Logos والكلمة "لوگوس" تعني العقل كما تعني الكلمة نفسها. ولذا كل تصرف بغير العقل مضاد لطبيعة الله."

واستمر فقال:

> "في القرون الوسطى ظهرت في المسيحية أنواع من الدعوات والأفكار أدت إلى انفصال روح المسيحية عن روح الفلسفة الإغريقية. ففي المضاد للأفكار النيرة التي عُرف بها القديس أوگستين St Augustine والقديس توما الأكويني، ظهرت أفكار دنص اسكوتس Duns Scotus التطوعية التي تقول إننا فقط نعرف عن الله ما تطوع بإخبارنا به، وما بعد ذلك هي مملكة الله التي يمكنه أن يفعل فيها عكس ما كان قد فعل خارجها. وهذا يؤدي إلى شيء شبيه بما قاله ابن حزم، ويمكن أن يؤدي إلى إله كاذب لا يلتزم الحقيقة. والله لا يمكن أن يكون أكثر قداسة وتأليهاً عندما نرفعه بعيداً عنا في إطار النظرة التطوعية، ولكن الرب الحقيقي هو الذي أبدى نفسه في هيئة الكلمة "لوگوس" وعمد وما زال يعمد إلى حبنا."

- ثم تحدث البابا

> عن المسيحية وكيف أنها فقدت صفتها الهيلينية الإغريقية في أوروبا على مراحل حتى احتضنت الفلسفة البحتة والعلوم الطبيعية. وقال إنه يجب إرجاع المسيحية إلى بساطتها التي تبدت في المسيح أي اللوگوس.

وهذا، اختصاراً، هو خطاب البابا. فهل قرأه المسلمون قبل أن يحملوا سيوفهم الدونكشوتيه ويركبوا صهوة خيولهم ليحاربوا طواحين الهواء؟ وهم *حتماً لم يطلعوا على خطاب البابا واعتمدوا على السمع من غيرهم*. فالخطاب ليس فيه أي نقد للإسلام كدين إنما انتقد فكرة الجهاد المقدس والعنف لنشر الدعوة، وعدم الاعتماد على العقل عندما يتطرق المسلمون إلى الخطاب الديني. والبابا لم يقل شيئاً من عنده ضد الإسلام وإنما روى ما حدث في الماضي من مناظرات، وهي موجودة في كتب التاريخ. فهل نحرق كتب التاريخ حتى لا يطلع البابا عليها وينقل منها؟ ولماذا لم يحتج المسلمون على الكتب التاريخية التي حملت هذ المقولات؟ بالطبع هم لم يقرأوا هذه الكتب ولم يسمعوا بما فيها إلا بعد أن ذكره البابا.
فما الذي انصب عليه غضب المسلمين في هذا الخطاب؟

- ففي الرياض، أعربت الأمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية، عن **أسفها الشديد لما ورد على لسان بابا الفاتيكان**، وتجاهله بشكل متعمد مبادئ الإسلام السمحة وتعاليمه الإنسانية التي تحث على المحبة والسلام واللاعنف والبغضاء.
- فهلا تكرمت الأمانة العامة وقالت لنا ما هي هذه التعاليم السمحة التي تحث على المحبة والسلام. هل هي تعاليم *الولاء والبراء* التي ظل الفقهاء يرددونها على مدى أربعة عشر قرناً، والتي تقول من تشبه بالكفار فهو منهم؟ أم هي *الأسوة الحسنة في إبراهيم* {قد كان لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده. (الممتحنة 4)}.
فأسوة المسلمين الحسنة هي **العداوة والبغضاء لمن لا يؤمن بما يؤمنون به**.
- أما الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الازهر، فقد عبر عن "بالغ استيائه لما نسب لبابا الفاتيكان". وقال طنطاوي في بيان أصدره أمس:

"إن الازهر يؤكد أن هذه التصريحات تنم عن **جهل** واضح بالاسلام وتنسب إليه ما ليس فيه ولا تسهم على نحو بناء في تعزيز الحوار بين أديان العالم وحضاراته وثقافاته."[1]

- وأعتقد أنه من الجهل أن ننسب الجهل إلى رجل كان أستاذ الثيولوجيا بجامعات ألمانيا لعدة سنوات. فماذا نسب البابا إلى الإسلام حتى يرميه شيخ الأزهر بالجهل؟ هل كونه قال إن الإسلام كان قد انتشر بحد السيف يجعله جاهلاً؟ فدعونا نسمع ما قاله المسلمون أنفسهم عن انتشار الإسلام بحد السيف.

- فعندما رجع النبي من الطائف إلى مكة وضحك عليه القرشيون لعدم تمكنه من إقناع أهل الطائف بدينه، قال لهم:

[وأما أنتم يا معشر الملأ من قريش؛ فوالله لا يأتي عليكم غير كبير من الدهر حتى تدخلوا فيما تنكرون وأنتم كارهون][2].

فهاهو النبي نفسه يقول إنهم سيدخلون في الإسلام مكرهين، وقد حدث يوم فتح مكة فأسلم كل مَن كان بمكة في يوم واحد. إنه منطق عظيم ذلك الذي فشل في إقناعهم على مدى عشرين عاماً ثم أسلم كلهم في يوم واحد.

- ويقول الشيخ بن باز عن أهل الكتاب والجزية:

"أما مَن سواهم {أهل الكتاب} فلا بد من الإسلام أو السيف."[3]

- ويقول ابن القيم الجوزية في زاد المعاد:

"ثم بعثَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خيلاً قِبَلَ نجد، فجاءت بثُمَامَةَ بنِ أُثال الحنيفى سيِّد بني حنيفة، **فربطه رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إلى ساريةٍ من سوارى المسجد**، ومَرَّ به، فقال: [**مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ**]؟ فقال: يا مُحَمَّدُ؛ إنْ تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وإن تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وإنْ كُنْتَ تُرِيدُ المالَ، فَسَلْ تُعطَ منه ما شئتَ، فتركه، ثم مرَّ به مرة أخرى، فقال له مِثْلَ ذلكَ، فردَّ عليه كما ردَّ عليه أولاً، ثم مرَّ مرةً ثالثةً، فقال: [**أطْلِقُوا ثُمَامَةَ**]، فأطلقُوه، فذهب إلى نخلٍ قريبٍ من المسجد، فاغتسل، ثم جاءه، فأسلم."[4]

فهل هذا هو انتشار الإسلام بالمنطق والإقناع؟ هل اختطاف الناس وربطهم إلى سارية المسجد حتى يسلموا هو انتشار بغير السيف؟

"وعندما كان النبي على مشارف مكة وذهب أبو سفيان ليجدد عهد قريش معه، قبضوا عليه، وقال له النبي: [**ويحَكَ يا أبا سفيان، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أنْ تَعْلَمَ أنِّى رَسُولُ اللهِ؟**] قال: بأبي أنتَ وأمي، ما أحلمكَ وأكرمَكَ وأوصلَكَ، أما هذه، فإن فى النفس حتى الآن منها شيئاً، فقال له العباس: ويحكَ أسلم، واشهد أنْ لا إلهَ إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله قبل أن تُضْرَبَ عُنقُك، فأسلم وشَهِدَ شهادةَ الحق."[5]

- ويقول ابن القيم كذلك:

"قال رسول الله (ص) [بُعِثْتُ بالسَّيفِ بَيْنَ يدي الساعةِ حتى يُعْبَدَ اللَّهُ وحده لا شريكَ له، وجُعِلَ رِزقي تحتَ ظِلِّ رمُحي، وجُعِلَ الذِّلَّةُ والصَّغَار على مَنْ خالف أمري، ومن تشبَّه بقَومٍ، فهو منهم]."[6]

فهل أتى البابا بشيء جديد لم يذكره المسلمون أنفسهم؟

- وفي البرلمان المصري

أعلن 115 نائبا بالبرلمان المصري رفضهم لتصريحات البابا.

أليسوا هم نفس النواب الذين طالبوا في البرلمان بعدم الاعتراف بالبهائية؟

- أما في بيروت

"فقد رد مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ محمد رشيد قباني على كلام البابا. ورأى أن ادعاء نشر الدين بالسيف يصدر عن **جهل**، أو يقصد تشويه حقيقة الدين الاسلامي."

فإذاً نستطيع أن نقول إن الطبري وابن القيم الجوزية وبن باز كانوا من الجهلاء لأنهم قالوا إن الإسلام انتشر بحد السيف.

- وكرر نفس المفتي قباني أمس بياناً قال فيه:

"إن ما صدر عن البابا بنديكت السادس عشر في محاضرته اخيراً أن تعاليم الإسلام لا تخضع لإعمال العقل، وأن الفكر الإسلامي يرفض العمل بما ينسجم مع العقل، **كما أن قوله أن الإسلام قد انتشر بحد السيف، كله غير صحيح بنصوص القرآن والسنة**."

- فدعونا نقرأ ما قاله ابن قيم الجوزية عن احترام العقل في الإسلام،
  - قال:

"فإذا تعارض النقل وهذه العقول أخذ بالنقل الصحيح، ورمي بهذه العقول تحت الأقدام، وحطت حيث حطها الله وأصحابها."[7]

- ويقول عبد الرحمن الوكيل:

"والداعون إلى تمجيد العقل، إنما هم في الحقيقة يدعون إلى تمجيد صنم سموه عقلاً، وما كان العقل وحده كافياً في الهداية والإرشاد، وإلا لما أرسل الله الرسل."[8]

وتصرفات المسلمين في جميع أنحاء العالم توحي بدوس العقول تحت الأقدام.

---

[1] الشرق الأوسط، 16 سبتمبر 2006.
[2] تاريخ الطبري، ج2، ص555.
[3] فتاوى بن باز، ج3، ص 156.
[4] زاد المعاد، ج3، ص 138.
[5] زاد المعاد، ج3، ص 212.
[6] زاد المعاد، ج1، ص 7.
[7] مختصر الصواعق المرسلة ص82-83 اختصار الموصلي.
[8] مقدمة كتاب: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول 21/1، نقلاً عن المشابهة بين المعتزلة الأوائل والمعتزلة الجدد، إعداد فؤاد بن عبد العزيز الشلهوب.

- فقد رأينا قبل عدة شهور عندما نشرت الصحيفة الدنماركية الرسوم الكاريكاتيرية عن النبي، أعطى المسلمون عقولهم إجازة طويلة المدى وجابوا الطرقات يحرقون ويدمرون الكنائس في بلادهم انتقاماً من الدنمارك، وكأنما حرق كنيسة في بغداد سوف يضير الدنمارك.
  - والآن يتكرر نفس الشيء في غزة ونابلس وغيرها من بلاد المسلمين،

فقد سادت مدينة نابلس شمال الضفة الغربية أعمال شغب وتظاهرة كبيرة رداً على تصريحات البابا بنديكتوس السادس عشر التي أثارت مشاعرجميع المسلمين في كافة أرجاء العالم، حيث قام مسلحون بعد الظهر باقتحام كنيسة كاثوليكية في حي الرافدية بعد أن أضرموا النار ببوابتها، في الوقت الذي أكدت فيه ذكرت مصادر أمنية فلسطينية أن زجاجتي مولوتوف ألقيتا صباح اليوم السبت على كنيستين في نابلس من دون أن يتسبب الأمر بضحايا أو أضرار، فيما فتح مسلحون النار على كنيسة ثالثة خالية من المصلين. وهذا هو الحادث الثاني الذي يستهدف كنائس في الأراضي الفلسطينية، بعد أن شهدت غزة يوم أمس إلقاء قنبلة يدوية وثلاث عبوات ناسفة على جدار أقدم كنيسة للروم الأرثوذكس في غزة دون أن يسجل سقوط ضحايا، إثر تصريحات البابا بنديكتوس السادس عشر حول الإسلام.[9]

- لماذا لا يحترم المسلمون عقولهم ودينهم ويردون على البابا في المحافل الدولية ووسائل الإعلام المختلفة رداً مدعماً بالمصادر يُثبت خطأ البابا، إن كان مخطئاً، بدل هذه المظاهرات الغوغائية التي تُثبت ما قاله البابا عن العنف في الإسلام وعدم احترام العقل.
  - والغريب أن الدكتور حامد الرفاعي رئيس المنتدى الإسلامي العالمي للحوار:

لمّح بإعادة النظر في اتفاقية الحوار مع الفاتيكان في حال عدم الاعتذار باعتبار التصريحات المتطرفة تهدم **وتنسف الجهود الإيجابية** التي بذلت منذ ربع قرن ونيف في سبيل تأصيل وبناء ثقافة الحوار والتعايش بين المجتمعات من خلال الحوار ما بين المنتدى الإسلامي العالمي للحوار وبين المجلس البابوي للحوار بين الأديان في الفاتيكان.[10]

- فهل هناك حقاً حوارٌ بين الأديان والقرآن لا يعترف بأي دين غير الإسلام؟

{ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. (آل عمران 85)**}.**
{إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. (البقرة 161)**}.**

وهل يستطيع رئيس المنتدى الإسلامي أن يشرح لنا النتائج الإيجابية التي تمخض عنها حوارهم مع الفاتيكان على مدى ربع قرن من الزمان؟ ثم أن الدولة السعودية التي ظلت تحاور الفاتيكان على مدى أربعين عاماً لا تسمح حتى الآن ببناء كنيسة في المملكة ولا تسمح لغير المسلمين بدخول مكة أو المدينة. فما فائدة الحوار مع أديان لا يعترف المسلمون بها أصلاً؟

- وقد قال بعض الكتاب

إن البابا قد أخطأ لأنه رئيس الكنيسة الكاثوليكية وليس فقط أستاذاً في الثيولوجيا.

- ولكني لا أعتقد أنه أخطأ فيما قال لأننا يجب أن نحكم على الأديان بممارسات وفهم أتباعها لها. فإذا كان فهم الغالبية العظمى من المسلمين لدينهم **يجيز لهم الإرهاب والقتل والدمار وذبح الآخر المختلف دون أي شجب من فقهائهم**، فلا فائدة تُرجى من ترديد آيات مثل {**لا إكراه في الدين**} **لأن المسلمين يقولون إن مثل هذه الآيات منسوخ**. ويجب على البابا بصفته رئيس الكنيسة الكاثوليكية قول الحق مما كانت العواقب.

عودة إلى الفهرس

[9] هنادي إبراهيم، إيلاف 16 سبتمبر 2006.
[10] الشرق الأوسط 17 سبتمبر 2006.

2006 / 9 / 28

29 - هل نصلب البابا أم نصلب المنطق لننصر النبي؟

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=76774

تفاوتت ردود أفعال المسلمين على محاضرة بابا الڤاتيكان التي اقتبس فيها من المناظرة التي دارت بين الإمبراطور الروماني والمسلم الفارسي عندما قال الإمبراطور

إن النبي محمد قد جاء بكل قبيح ومشين وأنه نشر دينه بحد السيف.

والإسلام، كبقية الأديان الأخرى لم يسلم من النقد والتهكم منذ أن ظهر، كما لم تسلم المسيحية أو اليهودية من ذلك. وما زال الناس يكتبون في الصحف والكتب ويذيعون من الراديو والتلفزيون آراءهم ونقدهم للمسيحية واليهودية دون أن تنقلب الدنيا على رؤوسهم. وحتى الأفلام والمسرحيات تنتقد وتتهكم على المسيح وعلى موسى ولا يخرج الناس في مظاهرات ولا يحرقون دور السينما. وفي **بداية الإسلام** كان الناس في مكة يشتمون محمد ويتهكمون عليه وكانت آيات القرآن تنصحه بأن يصفح عنهم صفحاً جميلاً. وحتى في المدينة عندما كان بعض الناس يتهكمون على القرآن،
نزلت الآيات على النبي تقول له:

{**وقد نزّل عليكم في الكتاب إذا سمعتم آيات الله يُكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره.** (النساء 140)}.

وكذلك:

{**وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وأما يُنسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين.** (الأنعام 68)}.

وكذلك قال له:

{**فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلقوا يومهم الذي يوعدون.** (الزخرف 83)}.

وكرر نفس الآية في المعارج 42.
وأخيراً قال له:

{**وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون.** (الأنعام 69)}.

فالقرآن لم ينصح النبي أن يخرج في مظاهرة ويحطم كل شيء عندما يتهكم الناس من القرآن أو من النبي نفسه، وإنما نصحه أن يهجرهم ولا يجلس معهم. وكذلك نصحه بأن ليس على الذين آمنوا أن يحاسبوا الذين يخوضون في آيات الله لأن الله سوف يحاسبهم بنفسه. وحتى قبل ظهور الإسلام عندما جاء أبرهة بجيشه نحو الكعبة وطلب القرشيون من عبد المطلب جد النبي حماية الكعبة، قال لهم عبد المطلب (إنّ للبيت ربٌ يحميه).
فإذا فهم عبد المطلب أن الله يحمي بيته ودينه، لماذا لا يفهم مسلموا اليوم أن الله يستطيع أن يحمي دينه ونبيه، خاصة أنه قال في القرآن:

{**وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الأنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم يفترون**}.

فالله جعل لكل نبي عدو من الأنس يتهكمون عليه ويتقولون عنه الأقاويل، ولو شاء الله لما فعلوا شيئاً. فإذا أمر الله نبيه أن يترك الأعداء يفترون الكذب عليه وعلى الله، لماذا يثور المسلمون للدفاع عن الإسلام بهذه الرعونة؟ ولماذا لا يتبعون ما قال به القرآن للنبي: {**والله يعصمك من الناس إنّ الله لا يهدي القوم الكافرين.** (المائدة 67)}. فالله قادر على أن يعصم نبيه من الناس والنبي ليس في حاجة للمسلمين ليدافعوا عنه. والله قادر أن يحفظ دينه، وقد قال: {**إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون.** (الحجرات 9)}.
وقد نفهم أن تخرج **الرجرجة والدهماء** الذين يكونون الغالبية العظمى من مسلمي اليوم في مظاهرات كما حدث في إندونيسيا عندما خرج أكثر من مئة من أعضاء جماعة اسلامية اندونيسية متشددة خلال تظاهرة في جاكرتا تدعو الى **"صلب البابا" بنديكتوس السادس** عشر بعد تصريحاته حول الإسلام. ورفع المتظاهرون الناشطون في جبهة المدافعين عن الإسلام، لافتات كتب عليها:

"اصلبوا البابا" و"الڤاتيكان محور الشيطان" و"النبي عظيم والبابا صغير وحقير".[1]

ولكن نعجز أن نفهم أن يدافع أساتذة في الجامعات الإسلامية، مثل الدكتور أحمد الطيب، أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية بالأزهر، عن الإسلام ونبيه *بكليشهات محفوظة تطير في وجه الحقائق المعروفة في التاريخ الإسلامي* .فقد كتب د. أحمد الطيب مقالاً بعنوان "العقيدة والعقل وبابا الفاتيكان" بتاريخ 25 سبتمبر 2006، قال فيه، مخاطباً البابا:

> "ألا تتفقون معي في أن المسيحية هي أحفل الأديان بخوارق العادات وأكثرها اعتمادا علي المعجزات في إيمانها بالمسيح عليه السلام! وهل المعجزات إلا حوادث وتصرفات تتجاوز حدود العقل وتصطدم بشرائع الكون ونواميسه!! ثم ماهي أدلة العقول التي يمكن أن أعثر عليها في الأناجيل للتصديق بسيدنا عيسي عليه السلام؟! أليست هي الخوارق والخوارق وحدها!! وماذا كانت الأدلة التي اعتمد عليها التلاميذ الإثنا عشر الذين أرسلهم يسوع لهداية الناس؟! أليست هي شفاء المرضى، وإحياء الموتي من قبورهم، وإبراء الأبرص وطرد الشياطين والأرواح النجسة!! كما يخبرنا الإصحاح العاشر في إنجيل متي!! ثم ألا تتفق معي في أن الفيلسوف الألماني كانت الذي ورد ذكره في سياق محاضرتكم إنما أحال ملف الاعتقاد المسيحي برمته إلي العقل العملي، لأنه لم يستطع أن يؤسس هذا الاعتقاد على أساس من العقل النظري وقال قولته الشهيرة: *لقد اضطررت أن أرفع المعرفة لكي آخذ مكانا للإيمان*، بينما أجمع فلاسفة المسلمين ـ وكما تعلمون ـ على تأسيس الاعتقاد الإسلامي علي العقل والعقل وحده، *يحفزهم إلي هذه* ***العقلانية*** *عشرات الآيات القرآنية التي توصل العقل كأساس للإيمان في أكثر من120 موضعا كما ذكرنا* . بل تحفزهم الآية التي تقول فاعلم أنه لا إله إلا الله." انتهى.

وليس بيننا من خلاف أن اليهودية والمسيحية اعتمدتا على المعجزات لإثبات نبوة موسى وعيسى، بينما لم يستطع محمد أن يأتي بأي معجزات عندما طلب منه القرشيون أن يأتي لهم بمعجزات مثل موسى وعيسى، وقال لهم القرآن في ذلك: {**وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذّب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرةً فظلموا بها وما نرسل الآيات إلا تخويفاً.** (الإسراء 59)}. فمحمد لم تكن له آيات لأن الناس في الماضي قد كذبوا الآيات ولم يقتنعوا بها. فهل أتى محمد بالمنطق بدل الآيات ليقنع الناس بدينه؟ لا أعتقد ذلك. ولكن بدون أي اعتبار للحقائق يقول د. أحمد الطيب للبابا:

[1] إيلاف 18 سبتمبر 2006.

"بينما أجمع فلاسفة المسلمين ــ وكما تعلمون ــ علي تأسيس الاعتقاد الإسلامي على العقل والعقل وحده".

فمَن هم فلاسفة الإسلام الذين ربطوا الإيمان بالعقل؟

- *هل قصد حجة الإسلام الغزالي*

الذي سفه الفلسفة والفلاسفة في كتابه "تهافت الفلاسفة" وكذلك في كتابه "إحياء علوم الدين".

- أم قصد ابن حزم الأندلسي الذي قال في *هجومه على المعتزلة* عندما قدموا العقل على النقل:

"لو عرف هذا الجاهل معنى العقل لم يجب بهذا السخف لأن العقل على الحقيقة إنما هو استعمال الطاعات واجتناب المعاصي وما عدا هذا فليس عقلاً بل هو سخف وحمق."[2]

- وقد أورد ابن خلكان ملخصا وبالجملة عن الفلاسفة مثل الفارابي وابن سينا، وقال:

« ولكن أكثر العلماء على كفرهما وزندقتهما حتى قال الإمام الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال والمفصح عن الأحوال:

"لا نشك في كفرهما أي الفارابي وابن سينا، وقال فيه أيضا وأما الإلهيات ففيها أكثر أغاليطهم وما قدروا على الوفاء بالرهان على ما شرطوا في المنطق ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيه ولقد قرب مذهب أرسطوطاليس فيها من مذهب الإسلاميين الفارابي وابن سينا ولكن مجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلا يجب تكفيرهم في ثلاثة منها وتبديعهم في سبعة عشر ولإبطال مذهبهم في هذه المسائل العشرين صنفنا كتاب التهافت".»[3]

- فالإمام الغزالي حكم بكفر الفاربي وابن سينا لأنهما استعملا العقل في مفهوم الإيمان.
- ويقول سيد قطب:

"هناك جفوة أصيلة بين منهج الفلسفة ومنهج العقيدة وبين أسلوب الفلسفة وأسلوب العقيدة، وبين الحقائق الإيمانية الإسلامية وتلك المحاولات الصغيرة المضطربة المفتعلة التي تتضمنها الفلسفات والمباحث اللاهوتية البشرية."[4]

وقد أفتى عدد كبير من فقهاء الإسلام بتحريم المنطق والعقل:

- فنجد مثلاً في كتاب "الحاوي للفتاوى" للسيوطي ما يلي:

"مسألة - هل العقل أفضل من العلم الحادث أم العلم. الجواب - هذه المسألة اختلف فيها العلماء ورجحوا تفضيل العلم لأن الباري تعالى يوصف بصفة العلم ولا يوصف بصفة العقل وما ساغ وصفه تعالى به أفضل مما لم يسغ وإن كان العلم الذي يوصف به تعالى قديماً ووصفنا حادث فإن الباري لا يوصف بصفة العقل أصلاً ولا على جهة القدم ومن الأدلة على تفضيل العلم أن متعلقه أشرف وأنه ورد بفضله أحاديث كثيرة صحيحة وحسنة ولم يرد في فضل العقل حديث."[5]

فجلال الدين السيوطي يقول إنه لم يرد ولا حديث واحد في فضل العقل بينما وردت عدة أحاديث عن فضل العلم أي الشريعة الإسلامية.

- وفي نفس الكتاب نجد في صفحة 339:

"فن المنطق **فن خبيث مذموم يحرم الاشتغال به**، يُبنى بعض ما فيه على القول بالهيولى الذي هو كفر يجر إلى الفلسفة والزندقة وليس له ثمرة دينية أصلاً بل ولا دنيوية - نص على مجموع ما ذكرته أئمة الدين وعلماء الشريعة فأول مَن نص على ذلك الإمام الشافعي رضي الله عنه ونص عليه من أصحابه إمام الحرمين والغزالي في آخر أمره وابن الصباغ صاحب الشامل وابن القشيري ونصر المقدسي والعماد بن يونس وحفده والسلفي وابن بندار وابن عساكر وابن الأثير وابن الصلاح وابن عبد السلام وأبو شامة والنووي وابن دقيق العيد والبرهان الجعبري وأبو حيان والشرف الدمياطي والذهبي والطيبي والملوي والأسنوي والأذرعي والولي العراقي والشرف بن المقري وأفتى به شيخنا قاضي القضاة شرف الدين المناوي، ونص عليه من أئمة المالكية ابن أبي زيد صاحب الرسالة والقاضي أبو بكر ابن العربي وأبو بكر الطرطوشي وأبو الوليد الباجي وأبو طالب المكي *صاحب قوت القلوب* وأبو الحسن ابن الحصار وأبو عامر بن الربيع وأبو الحسن ابن حبيب وأبو حبيب المالقي وابن المنير وابن رشد وابن أبي جمرة وعامة أهل المغرب."

فهذه قائمة ببعض علماء الإسلام الذين أفتوا بحرمة المنطق وعلم الكلام والعقل.

- أما ابن نجيم فيقول:

"العلم أفضل من العقل عندنا خلافاً للمعتزلة."[6]

- أما شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول عن العقل:

"فكذلك القلب الذي اعتقد قيام الدليل العقلي القاطع على نفي الصفات أو بعضها أو نفي عموم خلقه لكل شيء أو نفي أمره ونهيه أو امتناع المعاد أو غير ذلك لا ينفعه الاستدلال عليه في ذلك بالكتاب والسنة **إلا مع بيان فساد ذلك المعارض**، وفساد ذلك المعارض قد يعلم جملة وتفصيلا، أما الجملة فإنه مَن آمن بالله ورسوله إيمانا تاما وعلم مراد الرسول قطعا تيقن ثبوت ما أخبر به وعلم أن ما عارض ذلك من الحجج فهي حجج داحضة من جنس شبه السوفسطائية كما قال تعالى، والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد، سورة الشورى 16، وأما التفصيل فيعلم فساد تلك الحجة المعارضة وهذا الأصل نقيض الأصل الذي ذكره طائفة من الملحدين كما ذكره الرازي في أول كتابه *نهاية العقول* حيث ذكر أن الإستدلال بالسمعيات في المسائل الأصولية لا يمكن بحال لأن الإستدلال بها موقوف على مقدمات ظنية وعلى دفع المعارض العقلي وإن العلم بإنتفاء المعارض لا يمكن إذ يجوز أن يكون في نفس الأمر دليل عقل يناقض ما دل عليه القرآن ولم يخطر ببال المستمع."[7]

فهاهو شيخ الإسلام ابن تيمية يفتي بإلحاد الرازي لأنه استعمل الدليل العقلي في مناقشة الإيمان.

فهذه أمثلة مما قاله معظم فقهاء الإسلام الذين كفّروا المعتزلة وأهل الكلام والفلسفة وحرقوا الفلاسفة مع كتبهم وحرقوا كتب أخوان الصفا.

وما زال الجامع الأزهر يصادر الكتب ويمنع الأعمال الفنية لأنه *لا يثق بعقل القارئ المسلم في معرفة الصالح من الطالح*.

ومع ذلك يخاطب الدكتور أحمد الطيب البابا بقوله:

[2] الملل والنحل لابن حزم، ج2، ص 59.

[3] شذرات الذهب للدمشقي، ج2، ص 353.

[4] خصائص التصور الإسلامي ومقوماته للأستاذ سيد قطب، دار الشروق، ص 10.

[5] الحاوي للفتاوى للإمام جلال الدين السيوطي، ج2، الفتاوى الأصولية الدينية، مبحث الإلهيات.

[6] البحر الرائق لابن نجيم، ج8، كتاب الكراهية.

[7] تعارض العقل والنقل لابن تيمية، ج1، ص 7.

"... ومالي أذهب بعيدا وهذا هو القديس أنسليم يقول:يجب أن تعتقد أولا بما يعرض علي قلبك دون نظر... ولكم أن تقارنوا بين الإيمان المسيحي الذي يشترط عدم النظر العقلي وبين *الإيمان الإسلامي الذي يشترط سبق النظر العقلي علي كل خطوة في مشوار الإيمان*. ووقتها سنعرف إن كان الإسلام دين عقل أو دين خوارق مضادا للعقل ومضادا لجوهر الله." انتهى.

أي عقل عناه د. أحمد الطيب وهو لا شك قد قرأ كتب شيخ الإسلام ابن تيمية الذي قال:

"كلام الله *ورسوله* هو الإمام والفرقان الذي يجب إتباعه فيثبتون ما أثبته الله ورسوله وينفون ما نفاه الله ورسوله ويجعلون العبارات المحدثة المجملة المتشابهة ممنوعا من إطلاقها نفيا وإثباتا لا يطلقون اللفظ ولا ينفونه إلا بعد الإستفسار والتفصيل فإذا تبين المعنى أثبت حقه ونفى باطله بخلاف كلام الله ورسوله فإنه حق يجب قبوله **وإن لم يفهم معناه** وكلام غير المعصوم لا يجب قبوله حتى يفهم معناه."[8].

فإذا كان على المؤمن أن يقبل كلام الرسول حتى وإن لم يفهم معناه، ألا يعني هذا أن كلام الرسول لا يخضع للعقل ولا للمنطق؟ فأين الإيمان العقلي الإسلامي الذي يتفوق على الإيمان المسيحي المبنى على المعجزة؟
ويستمر شيخ الإسلام ابن تيمية فيقول:

"فإن الناس متفقون على أن كثيرا مما جاء به الرسول **معلوم بالإضطرار من دينه** كإيجاب العبادات وتحريم الفواحش والظلم وتوحيد الصانع وإثبات المعاد وغير ذلك، وحينئذ فلو قال قائل إذا قام الدليل العقلي القطعي على مناقضة هذا فلا بد من تقديم أحدهما فلو قدم هذا السمعي قدح في أصله وإن قدم العقلي لزم تكذيب الرسول فيما علم بالاضطرار أنه جاء به **وهذا هو الكفر الصريح** فلا بد لهم من جواب عن هذا، والجواب عنه أنه **يمتنع أن يقوم عقلي قطعي يناقض هذا**، **فتبين أن كل ما قام عليه دليل قطعي سمعي يمتنع أن يعارضه قطعي عقلي**، ومثل هذا الغلط يقع فيه كثير من الناس يقدرون تقديرا يلزم منه لوازم."[9]

فالدليل العقلي لا يجوز أن يتعارض مع ما سمعه أحدهم من النبي ورواه عن طريق العنعنة. فهل هذا هو الإيمان العقلي الذي عناه د. أحمد الطيب؟
وبدون أي مراعاة للحقيقة يقول د. أحمد الطيب:

"المغالطة المكرورة والمملولة أيضا، والتي تقول إن الإسلام جاء بالسيف وبالعدوان فإني أستسمح البروفيسور الكاثوليكي خوري في أن أذكره بأن نبي الإسلام لم يقل لنا في القرآن:«**لاتظنوا أني جئت لألقي سلاما علي الأرض. ما جئت لألقي سلاما بل سيفا**... **فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه، والأبنة ضد أمها... إلخ**»، ولم يأمرنا نبي الإسلام بأن نتعامل مع أعدائنا بأن:نقتل جميع الرجال والنساء والأطفال والرضع والبقر والغنم والإبل والحمير... وسعادة البروفيسور الكاثوليكي أعلم مني بهذه النصوص وبمن نسبت إليه، وفي أي الكتب المقدسة تقرأ وتتلى... وهاهنا حوار عميق يمنعني ديني من الانجراف إليه... وأكتفي بالإشارة إلي أن النساء والأطفال والرضع والبقر والغنم... إلخ. يحرم قتلهم في شريعة الإسلام، حتي وهم في معسكر العدو" انتهى.

وربما نسي د. أحمد أو تناسى أن يذكر أن القرآن يقول:

{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وأخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأؤلئك هم الظالمون. (التوبة 23)}

أليس هذا تفريقاً بين االأب والابن وبين الأخ وأخيه؟
أما قتل الأطفال والنساء فيكفي أن يقرأ د. أحمد الطيب تفاصيل قتل أطفال بني قريظة الذين أنبتوا شعر عاناتهم، وكذلك فتاوى الفقهاء الذين أجازوا قتل الأطفال والنساء إذا تترس بهم العدو.

وما فتوى الشيخ القرضاوي عن قتل أطفال ونساء اليهود ببعيدة عن الأذهان.

عودة إلى الفهرس

[8] تعارض العقل والنقل، ج1، ص 29.
[9] تعارض العقل والنقل، ج1، ص 31.

30 - أسماء الله الحسنى

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=78220

لسبب ما ظل العرب على مدى التاريخ معجبين بالأسماء وأفردوا جزءاً كبيراً في قواعد اللغة العربية للاسم ومشتقاته وأوصافه. وقسموا الاسم إلى:

1. اسم نكرة.
2. اسم معرفة: ويحتوي على الضمير مثل أنا وأنت وهو، واسم العلم مثل محمد، واسم الإشارة مثل هذا وهؤلاء، واسم الموصول مثل الذي، وجعلوا لكلٍ قواعد عديدة.

واحتار عرب ما قبل الإسلام في الاسم الذي ينادون به إلههم، فسموه "إله" أولاً، ولكن الاسم إله هو اسم نكرة ولا يجوز أن يكون إلههم نكرة، فعّرفوه ب "ال" فأصبح "الإله" وتعدلت إلى "الله". يقول الدكتور جواد علي في كتابة "تاريخ العرب قبل الإسلام":

> "**الله** وهي كلمة الجلالة، فهي "اسم علم" وهي "علم مرتجل". وقد ذهب الرأى إلى أنه من أصل سرياني أو عبراني. أما أهل الكوفة فرأوا أنه من ال "إله" أي من أداة التعريف "ال" ومن كلمة "إله". وهنالك آراء لغوية أخرى في أصل هذه اللفظة."

والاسم أصلاً هو كلمة نرمز بها إلى شخص أو شيء معين لنعرّفه أو نناديه بها. فإذا كان لكل شخص أكثر من اسم تصبح الأسماء لا قيمة لها ولا معنى. ولكن لولع العرب بالأسماء وبالأشخاص فقد أعطوا معظم رجالهم وبعض نسائهم كنية عُرفوا بها أكثر مما عُرفوا بأسمائهم الحقيقية. *وكان نساء العرب قبل الإسلام يعطين اسماً قبيح المعنى للطفل حتى لا يرغب فيه الموت فيأخذه من أمه، كأنما الموت، مثل العرب، مولعٌ بالأسماء*. وعندما جاء الإسلام كان نبيه يتشاءم من الأسماء القبيحة أو التي توحي بالشؤم أو الكوارث فيغيرها. فكان إذا أتى إليه شخص ليسلم يسأله عن اسمه فإن كان اسمه، مثلاً، "حرب" كان يقول له أنت لست حرباً بل اسمك "سلام" مثلاً.

وكعادة المسلمين فقد بالغوا في استقصاء اسم نبيهم بأثر رجعي فقالوا

> إنه محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب واسم عبد المطّلب شيبة بن هاشم، واسمه عمرو بن عبد مناف، واسمه المغيرة بن قصيّ ، واسمه زيد بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة، واسمه عامر بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان، وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم [1].

وبهذا أصبح جد النبي يحمل عدة أسماء. وحتى النبي نفسه كانت له عدة أسماء، يقول الزهري:

> "عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: سمعت النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: إنّ لي أسماءً: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر النّاس على قدمي، وأنا العاقب. قال الزّهري: والعاقب الذي ليس بعده نبيّ. متفقّ عليه."[2]
>
> وكان يُكنّى أبو القاسم. وقد وصفه الله تعالى في كتابه فقال: رسولاً، ونبيّاً أمّيّاً، وشاهداً، ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، ورؤوفاً رحيماً، ومذكراً، ومدّثّراً ومزّمّلاً، وهادياً، إلى غير ذلك. ومن أسمائه: الضّحوك، والقتّال، جاء في بعض الآثار عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: **أنا الضّحوك أنا القتّال**. ومن أسمائه: الأمين. وكانت قريش تدعوه به قبل نبوّته. ومن أسمائه الفاتح، وقثعم [3]. ويعجز الباحث عن حصر أسماء النبي الذي يعرفه جميع الناس بالاسم "محمد".

فما فائدة جميع هذه الأسماء؟

فإذا كان للنبي كل هذه الأسماء، ولجده عبد المطلب مثلها، أنستغرب أن يكون لله تسعة وتسعون اسماً؟ وكل المسلمين مقتنعون أن لله تسعة وتسعين اسماً، ولذلك أثار الباحث المصري الدكتور محمود عبد الرازق الرضواني موجة من الجدل والغضب في الشارع المصري والأزهري بسبب ما طرحه حول أسماء الله الحسنى، حيث قال:

> إن هناك 28 اسماً من الأسماء المعروفة ليست صحيحة، وليست من أسماء الله الحسنى واستبدلها بأسماء أخرى، كما أوردت صحيفة "الوطن" السعودية مؤخراً [4].

وقال عبد الرازق في برنامج تلفزيوني بثته فضائية الأوربت، حول بحثه الجديد "بحث الأسماء" وكتاب "الأسماء"،

> إن هناك 28 اسماً تنسب خطأ على أنها أسماء لله وهي: الخافض، الرافع، المعز، المذل، العدل، الجليل، الباعث، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الواحد، الماجد، الوالي، المنتقم، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، المغني، المانع، الضار، النور، الهادي، البديع، الباقي، الرشيد، الصبور.

فإذا كان الله واحداً، وقد قال في القرآن أكثر من مرة: {**ولئن سألتهم مَن خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله**} وفي جميع هذه الآيات كانت الإجابة "الله" ولم يقل حتى في آية واحدة إنه قد خلقها المنتقم أو الجبار أو المعز أو أي من الأسماء الأخرى.

فلماذا نحتاج تسعة وتسعين اسماً لخالق واحد ومعروف من قبل الإسلام باسم الجلالة "الله"؟ السبب الوحيد هو ولع المسلمين بالتفخيم.

فنبيهم أعظم الأنبياء وله عدة أسماء وهو أفضل الأنبياء عند الله، ودينهم أعظم الأديان وقد أنزله الله ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون. وعليه لا بد أن يكون إلههم أعظم الآلهة وعليه لا بد أن يكون له عدة أسماء تفوق الأسماء التي اعطاها اليهود لإلههم الذي كان يُعرف ب يهوه، وإلوهيم، وأدوناي وغيرها من الأسماء. فلا يمكن أن يسمح المسلمون لإله اليهود بأن تكون له أسماء أكثر من أسماء إلههم.

> وبعد أن أعطوا الله تسعة وتسعين اسماً اتفق الفقهاء على أن اسماء الله **توقيفية**، أي يتوقف إطلاقها على الاذن فيه، وذلك للاحتياط، احترازاً عما يوهم باطلاً، لعظم الخطر في ذلك. جاء ذلك في كتاب "المواقف" للايجي.[5]

---

[1] تاريخ الإسلام للذهبي، ج1، ص2.
[2] نفس المصدر، ص 4.
[3] نفس المصدر، ص 5.
[4] حيان ديوف، العربية نت، الجمعة 4 أغسطس 2006.
[5] فتاوى الأزهر لمئة عام، دار الافتاء المصرية، باب: من أحكام الإيمان بالله.

وقد جارى الفقهاء القرآن الذي قال لهم {**ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها.** (الأعراف 180)}. وقال كذلك {**قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى.** (الإسراء 110)}. فالله نفسه يحب أن يُدعى بالأسماء الحسنى. ولكنه لم يبين لنا ما هي الأسماء الحسنى غير الرحمن.
ولنا أن نسأل هنا: هل الخافض والمذل والمنتقم والمانع والضار من الأسماء الحسنى؟ وأي شيء حسن في مثل هذه الألقاب ؟
وللإجابة على هذا السؤال نرجع إلى ما قاله العميد الأسبق لكلية أصول الدين بجامعة الأزهر الدكتور محيي الدين الصافي:

"أسماء الله **توقيفية** أي جاء بها الوحي، والله خلق الخلق وكما خلقهم لابد أن يحاسبهم، فبعد ما أرسل الرسل بالأديان والشرائع، لابد أن يكون هناك حساب يثيب فيه الطائع ويعاقب فيه العاصي، فاسم المنتقم لله سبحانه وتعالى صفة من صفات الألوهية حيث ينتقم من الظالمين المتجبرين، فماذا ينتظر - شارون - مثلاً وما يفعله في الفلسطينيين وما يفعله الأمريكان في شعب العراق سوى الانتقام، فلابد أن يكون هناك انتقام من الظالمين المفسدين في الأرض."[6]

ويستمر العميد الأسبق فيقول:

"وكذلك "المهيمن" تعني أن الله سبحانه وتعالى يهيمن على كل الناس وعلى كل العالم ولا يخرج أحد عن إرادته لأنه هو الخالق والمسيطر على كل شيء، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم [**إن الله ينتقم بمن يبغض ممن يبغض ثم يسير كل منهما إلى النار**]." انتهى.

فإذاً حسب الحديث الذي أورده العميد الأسبق، فإن الله انتقم ممن يبغض، وهم الفلسطينيون، بمن يبغض، وهو شارون واليهود. وكذلك انتقم ممن يبغض وهم العراقيون، بمن يبغض وهم الأمريكان، وكلهم سائر إلى النار. فهل هناك أمة لا يبغضها الله؟ فالفلسطينيون مسلمون والعراقيون مسلمون ومع ذلك يبغضهم الله رغم أنه قال **وكنتم خير أمة أُخرجت للناس**. وقال عن اليهود {**يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين.** (البقرة 47)}. فنفهم من هذه الآية أن الله قد غير رأيه ولم يعد يفضل بني إسرائيل على العالمين، بل صار يبغضهم ولذلك انتقم بهم من الفلسطينيين الذين دخلوا في زمرة المبغوضين، أو أن الحديث مكذوب ولا يجوز لشخص مثل العميد الأسبق أن يستشهد به. وإذا كان الحديث صحيحاً فإن الله العالم بما سوف يحدث غاب عنه عندما قال لبني إسرائيل أنه فضلهم على العالمين، أنهم سوف يعصونه وسوف يبغضهم. ومثل هذه الأخطاء لا تجوز في حق إله عالم بالغيب.
وفي الحقيقة فإن كل الأسماء التي أعطوها الله ***ما هي إلا صفات وصفوا بها الله***. وإذا كانت الصفات يمكن أن تحل محل الأسماء فيجوز أن نسمي الله "**الماقت**" لأنه حسب الحديث الذي أورده العميد الأسبق *فإن الله ينتقم بمن يمقت ممن يمقت*. فهو إذاً ماقت. وقد ورد في صحيح البخاري:

"عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: [**يقول الله تعالى من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه.**]"

فإذاً نستطيع أن نسمي الله "السمع" و "البصر" و "الباطش" و "المتردد" لأنه يتردد في أخذ روح عبده المؤمن. وكذلك نستطيع أن نسمي الله "الماكر" لأنه يقول {**والله خير الماكرين**}. فكل هذه الأوصاف هي صفات مثل المنتقم والجبار إلخ ولكنهم جعلوها من أسماء الله الحسنى.
ويبدو أن الله لا يحب صفاتهم هذه التي وصفوه بها، فقد قال: {**سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.**} قال الفقهاء:

نزه الله نفسه عما يصفه به الخلق ثم سلم على المرسلين لسلامة ما وصفوه به من النقائص والعيوب ثم حمد نفسه على تفرده بالأوصاف التي يستحق عليها كمال الحمد[7].

فجعلوا الله يحمد نفسه على تفرده بالأوصاف التي جعلوها من أسمائه مثل الجبار والمتكبر، رغم أن الله قد قال {**سبحان ربك رب العزة عما يصفون**}.
فهل هناك سبب يجعل الله يحمد نفسه على كونه جبار ومتكبر ومنتقم؟
ويقول ابن القيم كذلك:

"أن من المدح ما يكون ذماً وموجِباً لسقوط مرتبة الممدوح عند الناس، فإنه يُمدح بما ليس فيه... وأمر آخر: وهو ظنُّ المسمى واعتقادُه فى نفسه أنه كذلك، فيقعُ فى تزكية نفسه وتعظيمها وترفُّعِهَا على غير."[8]

أليس هذا هو نفس المدح الذي زعموا أن الله قد حمد نفسه من أجله؟
ويستمر ابن القيم فيقول:

"وعلى هذا فتُكره التسمية بـ: التَّقى، والمتَّقى، والمُطِيع، والطائع، والراضى، والمُحسِن، والمخلِص، والمنيب، والرشيد، والسديد. وأما تسميةُ الكفار بذلك، فلا يجوز التمكينُ منه، ولا دُعاؤُهُم بشىءٍ من هذه الأسماء، ولا الإخبارُ عنهم بها، واللَّه عَزَّ وجَلَّ يغضَب مِن تسميتهم بذلك."[9]

فيبدو أن الفقهاء قد قرروا أن الله يحب أن يحتفظ بهذه الأسماء لنفسه ولا يحب أن يتسمى بها المسلمون. أما الكفار فإن الله يغضب عليهم إذا تطاولوا على هذه الأسماء وانتحلوها لأنفسهم، لأن الله قد وضع عليها حكراً. ياله من إله يهتم بصغائر الأمور.
ويقول عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الدكتور محمد رأفت عثمان:

"إن من يهاجمون أسماء الله الحسنى إنما هم مغرضون يتلمسون أي جانب للطعن في الإسلام، ويضيف عثمان: الله سبحانه وتعالى سمى نفسه الرحمن الرحيم، وأول كلمة عند قراءة كتاب الله هي "بسم الله الرحمن الرحيم" وليست هذه البداية بداية تجبر وإنما هي إشعار برحمة الخالق بمخلوقاته، ولا يتصور العاقل أن تكون صفة الرحمن مشتملة على ما يضادها من الأوصاف." انتهى.

فالذين يعترضون على هذه الصفات التي سموا الله بها فإنهم قوم يريدون أن يهاجموا الإسلام، كما يقول الدكتور محمد رفعت، بينما هم يهاجمون الفقهاء الذين جعلوا من أنفسهم أوصياء على الإسلام وعلى تفسير آياته، بل أوصياء على الله ذاته فيقرروا متى يغضب الله ومتى يبتسم. وكيف لا تكون صفة الرحمن مشتملة على ما يضادها عندما يقول لنا الفقهاء إن الله الرحمن الرحيم هو كذلك المنتقم الجبار الخافض المذل؟

---

[6] العربية نت.
[7] ابن القيم الجوزية، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة.
[8] ابن القيم، زاد المعاد، ج2، ص 197.
[9] نفس المصدر والصفحة.

دعونا نقارن إله الإسلام هذا الذي حمد نفسه على صفاته مثل المنتقم والمتكبر، بإله الفلاسفة. يقول الفيلسوف بيل Bayle في مناقشة التاريخ:

''التاريخ هو تاريخ الجرائم والمآسي التي عانى منها الجنس البشري. والإله الذي كان بإمكانه خلق عالم خالي من هذه الجرائم والمآسي واختار ألا يفعل ذلك، فهو نفسه مجرم كبير.''[10]

ويقول الفيلسوف الإنكليزي هيوم Hume:

''الحكمة والتفكر والتخطيط والعلم، كل هذه صفات نصف بها الله لأن هذه الكلمات تنبي عن صفات محمودة عند البشر وليس لنا في لغاتنا كلمات أو معاني أخرى نستطيع أن نعبر بها عن إعجابنا وتمجيدنا لذاته.''[11]

ويقول ڤولتير:

''الحب سوف يجعل أمة كاملة من الملحدين تعبد الإله.''

فإله الفلاسفة هو إله الحب والعطف والإبداع في خلق قوانين الطبيعة. وصفاته هي أجمل الصفات التي تعرفها لغاتنا. بينما إله الفقهاء المسلمين إله منتقم جبار ومتغطرس ومزهو بنفسه لدرجة أنه يحمد نفسه لاحتكاره هذه الصفات التي تنم عن السادية وحب الانتقام. فهل يحتاج إله الإسلام لكل هذه الأسماء الحسنى؟

عودة إلى الفهرس

[10] الشر في الفكر الحديث، سوسن نيمان، ص 18.
[11] نفس المصدر السابق، ص 155.

32 - أسطورة العدل الإلهي

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=80170

منذ أن نشأ الإنسان البدائي على هذه الأرض عرف من تجاربه أن الرجل القوي يستحوذ على القدر الأكبر من كل شيء ويظلم الضعفاء. واستمر نفس المنوال في المجتمعات الإنسانية عندما ظهرت طبقات ملاك الأراضي والتجار الذين استغلوا وظلموا الأغلبية. وكنتيجة حتمية لهذه الظواهر اخترع الإنسان مفهوم "العدل" الذي يساوي بين جميع الأفراد في أي مجتمع إنساني. ولكن هذا المفهوم النظري الجميل ظل مفهوماً نظرياً يصعب تطبيقه في عالم الواقع. وظل الإنسان يتوق إليه. ولذلك عندما اخترع الإنسان منظومة الآلهة السماوية حبى بعضها بنعمة العدل الذي صعب عليه تطبيقه، وجعل من هؤلاء الآلهة العدول نصيراً للإنسان من ظلم الظواهر الطبيعية القاسية ومن ظلم البشر وبعض آلهة الشر. واخترع الإنسان الأساطير التي ينزل فيها إله الخير لينتقم من إله الشر وينصر المظلومين. ولكن مفهوم العدل ظل مطوياً في الأساطير والقصص ولم يتحقق في المجتمعات الإنسانية.
ثم جاءت الديانات التوحيدية الثلاث وادعت أن الله هو العدل ذاته وليس هناك عدلٌ مثل عدله. ولكن هذه الديانات ناقضت نفسها **عندما قالت إن الله خلق الإنسان على صورته،** أي صورة الله، ونفخ فيه من روحه. فإذا كان الإنسان قد خُلق في صورة الله العادل وروحه جزء من روح الله، كيف امتلأ العالم ظلماً وشراً؟
وقد حاول عدة فلاسفة تفسير هذا التناقض ولم ينجحوا، مما دعا "بيل Bayle "إلى القول عن الله:

> "إما أن يكون الله راغباً في إزالة الشر والظلم من هذا العالم، لكنه لا يستطيع،
> أو أنه يستطيع ذلك ولكنه غير راغب في إزالته،
> أو هو غير راغب وغير قادر على إزالته،
> أو هو راغب وقادر.
> فإذا كان الافتراض الأول هو الصحيح، فإن الله ضعيف ولا يجوز أن يكون إلهاً. وإذا كان الثاني، فإن الله حسود، ويحسد الإنسان على حياته ويرغب له أن يستمر في ظلمه. وهذا لا يتفق والإلوهية. وإذا كان الافتراض الثالث هو الصحيح، فإن الله حسود وضعيف، وبالتالي لا يصلح إلهاً. أما إذا كان الافتراض الرابع هو الصحيح، أي أن الله راغب في إزالة الشر وقادر على إزالته، فمن المستحيل وجود الشر والظلم بهذا العالم." انتهى.

ولكن بما أن الشر والظلم موجودان بالعالم، فلا بد أن يكون الظلم آتياً من روح الله الذي نفخ بعض هذه الروح في الإنسان الذي أصبح ظالماً.
تقول سوزان نيمان:

> "ربما يكون جمال الطبيعة وانضباط قوانينها شهادةً بحكمة الخالق، ولكن المخلوق الذي خُلق في صورة الخالق لا يعكس هذه الحكمة. فإذا تأملنا تاريخ الجنس البشري وظلمه نجد أن وصف الخالق بالحكمة والجمال يصبح وصفاً لا يمكن الدفاع عنه."[1]

فإذا أخذنا الله في المفهوم الإسلامي نجد أنه يقول عن نفسه

{وما خلقتُ الجنَ والإنسَ إلا ليعبدونِ. (الذاريات، 56)}.

فإذاً السبب الأول والأخير في خلق الإنسان هو *عبادة الله*. والشخص الذي لا يعبد الله يكون قد تنكر لسبب وجوده في هذه الحياة، وسوف يعذبه الله عذاباً شديداً. ولو كان الله عادلاً لخلق الإنسان مبرمجاً لعبادته ما دام هذا هو السبب الرئيسي لخلقه وأنه سوف يُعذب إذا لم يعبد الله.
ولكن نجد في القرآن عدة آيات تقول *إن أكثر الناس الذين خلقهم الله لا يعبدونه*:

1. **{أفمن كان على بينةٍ من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمةً أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مريةٍ منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون.** (هود 17)}.
2. **{واتبعتُ ملة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون.** (يوسف 38)}.
3. **{وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين.** (يوسف 103)}.
4. **{ألمر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون.** (الرعد 1)}.
5. **{ولقد فرقناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا.** (الفرقان 50)}.
6. **{ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين.** (الصافات 71)}.
7. **{إنّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون.** (غافر 59)}.

وكان الله قد قرر حتى قبل أن يخلق الناس *أنه سوف يملأ جهنم منهم ومن الجن* كذلك، فقال:

1. **{قال اخرج منها مذموماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين.** (الأعراف 18)}.
2. **{ولو شاء ربك لجعل الناس أمةً واحدةً ولا يزالون مختلفين 118. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجِنة والناس أجمعين.** (هود 119)}.
3. **{ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين.** (السجدة 13)}.
4. **{لأملأن جهنم منك وممن يتبعك منهم أجمعين.** (ص 85)}.

فالله هنا يقول إنه لو شاء لخلق كل الناس على ملة واحدة لكنه خلقهم مختلفين حتى يبرر الكلمة التي سبقت منه {**ليملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين**}. ويبدو أن السبب الرئيسي في خلقهم هو **"ليختلفوا"** كما قال في الآيات 118 و119 من سورة هود (ولذلك خلقهم) رغم أنه قال سابقاً إنه خلق الإنس والجن ليعبدوه، والآن يقول خلقهم ليختلفوا.
وحتى لو تغاضينا عن هذا الاختلاف في سبب الخلق،

- هل يجوز لإله عادل بإمكانه أن يخلق الناس أمة واحدةً، أي على دينٍ واحدٍ، فيقلل من فرص الاختلاف والتناحر بينهم، أن يخلقهم مختلفين على عدة أديان *حتى يبر بوعده أن يملأ جهنم منهم ومن الجن*؟
- وهل لو كان الإله عادلاً أكان من المعقول أن يستجيب إلى طلب إبليس الذي عصاه ورفض أن يسجد لآدم وقال لله إنه سوف يغوي عباده، هل كان من العدل أن يسمح له بالحياة حتى يغوي العباد الذين ما خلقهم الله إلا ليعبدوه؟
- وهل من العدل أن يخلق الله الناس لسبب واحد، هو أن يعبدوه، ثم يعذبهم إذا لم يعبدوه؟

[1] Evil in Modern Thought, p 95.

? ماذا عن الناس الذين لو أُعطوا الخيار لطلبوا ألا يُخلقوا؟ والله قادر على أن يعطيهم الخيار قبل أن يخلقوا لأنه قال إنه قد أخذ كل ذرية آدم من ظهره وأخذ ميثاقهم ثم أعادهم إلى ظهره.

? وهل من العدل أن يضل الله الناس ثم يعذبهم على ضلالهم، كما يقول في سورة الأنعام، الآية 125 {**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصّعَد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون**}.

ويبدو كذلك أن الله يمكر كما يمكر المجرمون، بل أن مكره أشد من مكرهم. فهو يستدرج الذين لا يؤمنون بآياته ليرتكبوا الأخطاء ثم يعذبهم {**والذين يكذبون بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون.** (الأعراف 182)}. الاستدراج محرّم في القوانين الوضعية لأنه يغري الإنسان بارتكاب الجريمة التي ربما لم يفكر فيها لولا أن أغراه بها شخصٌ أخر. ويسمون هذا الاستدراج Baiting أي طُعم، كالطعم الذي نضعه على سنارة صيد السمك لنغري به السمك، أو Entrapment أي الغواية. ولا يُعقل أن يكون الإنسان أكثر عدلاً من خالقه.

? ثم هل يجوز للإله العادل أن يأخذ البريء بجريرة الظالم؟ وهو ما فعله الله مع قوم لوط، وعاد وثمود وغيرهم كثيرون، عندما دمّر كل القرية أو المدينة وقتل كل من فيها لأن أقلية منهم أتوا الفاحشة أو عقروا ناقة صالح؟ فما هو ذنب الأطفال في تلك المجتمعات المدمرة وهم لم يرتكبوا أي فاحشة ولم يشاركوا في عقر الناقة؟ وحتى لو كانوا قد شاركوا، ألا تقول كل القوانين الوضعية إن الطفل غير مسؤول عن أفعاله إلى أن يبلغ سن الرشد؟

ونحن نعرف الآن أن الظواهر الطبيعية من زلزال وبراكين لا يمكن أن تكون وسيلة ينتقم بها الخالق من مخلوقاته إذ أننا نعرف الآن كيف ولماذا تحدث. وقد تحدث في مناطق صحراوية أو جبلية ليس بها مخلوقات يمكن أن يريد الخالق أن يعذبهم. ألا يلقي هذا ببعض الشك في نزاهة وعدل الإله الذي يزعم أنه دمّر بعض القرى بمن فيها بهذه الظواهر الطبيعية؟

هذه النقطة الأخيرة قد شغلت الفلاسفة الأوروبيين عدة سنوات بعد الزلزال الكبير الذي أصاب مدينة برشلونة في اليوم الأول من نوفمبر عام 1755. وقد أعقبت الزلزال أمواج بحرية عاتية (تسونامي) كالتي ضربت إندونيسيا حديثاً. أدى ذلك الزلزال إلى موت آلاف الناس والحيوانات ودمر المنازل والميناء الذي كان يكتظ بالسفن التجارية. ووقتها كتب رجالات الدين المسيحي أن الزلزال كان عقاباً من الله انتقم به من المدينة التي أقامت محاكم التفتيش وشوهت سمعة المسيحية. وقال بعضهم أنه عقاب على الملايين من الهنود الحمر الذين قتلهم البرتغليون في أمريكا الجنوبية. وبعض آخر قال إنه عقاب على التفسخ الخلقي الذي أصاب البرتغال وعاصمتها لشبونة. لكنهم عجزوا أن يفسروا كيف أن الزلزال دمّر عدة كنائس لكنه لم يمس أحد الشوارع بالمدينة وكانت به كل دور المومسات والمواخير.

أما ليبنز Leibniz الذي كان قد قسّم الشر إلى ثلاثة أقسام وسمى الأول: <u>الشر الطبيعي</u> Natural evil، وهو الآلام والعذابات التي يعانيها البشر في حياتهم. والقسم الثاني هو <u>الشر الأخلاقي</u> Moral evil وهو الجرائم التي يرتكبها البشر ويكون عقابها الشر الطبيعي. أما القسم الثالث فسماه <u>الشر الغيبي</u> أي الميتافيزيقي Metaphysical evil وهو التآكل الذي يصيب المواد التي صنع الله منها العالم. وتآكل هذه المواد هو الذي يحدث الزلازل والظواهر الطبيعية الأخرى، وبالتالي لا يمكن أن نلوم الله عليها. فإذا قبلنا بهذا الطرح من أن الشر الأخلاقي هو الجرائم التي نرتكبها، فهل يجوز لإله عادل أن يعاقبنا عليها في هذه الحياة بالشر الطبيعي ثم يعاقبنا في الآخرة بنار جهنم التي لا يخرج منها داخلها ولا يموت، **وكلما نضجت جلودهم بدّلها الله بجلود جديدة؟**

والمعروف في القوانين الوضعية أن العقاب يجب أن يناسب أو يلائم الجريمة، وكما يقولون بالانـگليزية Punishment must befit the crime، فهل يكون من العدل أن يعيش إنسان ما سبعين عاماً في هذه الحياة، منها خمس عشرة عاماً أو نحو ذلك وهو طفل غير مكلف، ويعصي الله بأن لا يعبده في بقية سنين عمره، ثم يعذبه الله عذاباً سرمدياً لا نهاية له مهما طال الزمن؟ هل هذا العقاب يلائم جريمة عدم عبادة الله على مدى خمسين عاماً؟ لماذا لا يعذبه الله خمسين عاما كالتي عصاه فيها؟

وبعض الجرائم التي يعذب الله عليها الإنسان عذاباً سرمدياً **غير محددة**. فمثلاً نجد: {**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا في الأرض ذلك خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم.** (المائدة 33)}. فالجريمة هنا غير محددة. كيف يحارب الإنسان الله. وما هو الفساد الذي يسعى إليه في الدنيا؟ وحتى لو حدد الفقهاء أنواع الفساد فالعقاب غير محدد بنوع الجريمة. فنجد بعضهم يُقتل وبعضهم يُصلب وبعضهم تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وبعضهم ينفى في الأرض. فالذي يُنفي في الأرض أقل عقاباً من الذي يُصلب أو تقطع يده ورجله من خلاف، مع أن الجريمة واحدة وهي محاربة الله ورسوله. وكل هذا في الدنيا فقط ولهم في الآخرة عذاب عظيم. هل من العدل أن يُعاقب الإنسان مرتين على نفس الجريمة؟

ثم هناك من الأحاديث عن العذاب ما يشيب له الولدان. فمثلاً هناك حديث يقول:

> **"[مَرَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بِحَائِطٍ أَيْ بُسْتَانٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ، فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، ثُمَّ قَالَ: بَلَى، كَانَ أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ، فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ صلى الله عليه وسلم: لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَيْبَسَا.] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.وَعَلَّقَ ابْنُ حَجَرٍ عَلَى الْحَدِيثِ بِقَوْلِهِ: لَا يَسْتَتِرُ فِي أَكْثَرِ الرِّوَايَاتِ بِتَائَيْنِ: الْأُولَى مَفْتُوحَةٌ وَالثَّانِيَةُ مَكْسُورَةٌ.وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَسَاكِرَ: يَسْتَبْرِئُ بِمُوَحَّدَةٍ سَاكِنَةٍ مِنْ الِاسْتِبْرَاءِ" انتهى .**

? فسواء أكانت الجريمة أنه لم يستتر من بوله أو لم يستبرئ منه، هل تتطلب هذه الجريمة البسيطة، إن كانت جريمة، أن يُعذب الإنسان في قبره عذاباً مهينا وسرمدياً حتى يسمع النبي أناته وهو يبكي تحت سياط منكر ونكير؟ هل تنبئ مثل هذه الأحاديث بأي ثقة في العدل الإلهي الذي يعاقب أتفه الهفوات بمثل هذا العقاب؟

وإذا نظرنا إلى مصير الأطفال في الأحاديث فسوف نجد العجاب. فقد روى ابن هشام في سيرته

> "قال ابن إسحاق: ثم خرج حتى إذا كان بعرْق الظَّبْية قُتل عُقبة ابن أبي مُعَيْط. والذي أسر عُقبة: عبدُ الله بن سلمة أحد بني العَجْلان. قال ابن إسحاق: فقال عُقبة حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله : فمن للصبية يا محمد؟ قال: النار."[2]
>
> "وعنه عليه السلام قال: يؤتى يوم القيامة بأطفال ليس لهم رؤوس فيقول الله تعالى: من أنتم فيقولون: نحن المظلومون فيقول: مَن ظلمكم فيقولون: آباؤنا كانوا يأتون الذكران من العالمين فألقونا في الأدبار فيقول الله تعالى: سوقوهم إلى النار واكتبوا على جباههم آيسين من رحمة الله."[3]

? فالإله الذي يدخل الأطفال النار لأن أباهم حارب النبي في بدر، والإله الذي يخلق أطفالاً بلا رؤوس ويدخلهم جهنم وهم يائسين من رحمتة لأن آباءهم جامعوا رجالاً في الدبر وقذفوا منيهم فيه، يكون إلهاً عادلاً بمفهوم العدل الذي تعارف عليه الناس؟

---

[2] ابن هشام، ج3، ص 194.

[3] الحاوي للفتاوى للإمام السيوطي، ج2، كتاب الآداب والرقائق.

ليس هناك أدنى شك أن إله الإسلام الذي صوروه في شكل رجل له يدان ورجلان ويجلس على عرشه الذي يحمله ثمانية من الملائكة، **إله لا يعرف العدل الذي تعارف عليه البشر**. وإذا ادعى أي مسلم أنّ إلهه عادل فلا بد أن يكون عدلاً إلهياً غير الذي نعرفه.

ولهذه الأسباب أعلن بعض الفلاسفة مثل هيـگل **موت الله** بينما قال أخرون مثل جان جاك روسو **أن الله رحيم ولكنا لا نحتاجه ولا نحتاج رحمته**.
أما إنـگلز فقد قال:

''حتى الآن كان السؤال: ماهو الله؟ وقد أجابت الفلسفة الألمانية عليه بالآتي: الله هو الإنسان. وبعد أن فهم الإنسان هذه الحقيقة فعليه أن ينظم العالم بطريقة إنسانية تخدم مصالحه.''

وقال كذلك:

''الجنس البشري لا يمكن أن يتحرر حتى يأخذ لنفسه السلطة التي أعطاها هو لله.''[4]

وعليه سوف تظل فكرة العدل الإلهي أسطورة لأن الإله هو الإنسان والإنسان لم يستطع حتى الآن أن يمارس العدل في حياته.

عودة إلى الفهرس

[4] الشر في الفكر الحديث، سوسن نيمان، ص 106.

36 - الإسلام هو القاسم المشترك

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=82338

في عالم اليوم يحتل علم الإحصاء Statistics مركزاً متقدماً بين العلوم الاجتماعية لأنه يساعد القائمين على إدارة شؤون البلاد أو التعليم أو الصحة أو أي مجال آخر، على معرفة الحقائق على أرض الواقع وعلى التنبؤ بما سوف تكون عليه الأوضاع بعد فترة من الزمن. وتمكنهم هذه المعلومات من رسم السياسات المناسبة والتوسع في الخدمات بما يلائم المتوقع في المستقبل.
ولكن هذا العلم المهم *يكاد يكون مهمشاً في كل البلاد العربية والإسلامية*، لأنه ليس من العلوم التي أوصى بها السلف.

فالسلفيون لا يملون من ترديد المقولة المشهورة «**أطلبوا العلم ولو في الصين**» ولكنهم لا يُفصحون عن تعريفهم للعلم. فالعلم في مفهومهم هو علم الشريعة والقرآن، وما غير ذلك فهو من العلوم الفاسدة التي قتلوا من أجلها المعتزلة والفلاسفة وأهل الكلام.

وإذا نظرنا إلى الإحصاءات التي قامت بها المنظمات العالمية أخيراً، نجد أن البلاد العربية والآسيوية تحتل المؤخرة في بصات (حافلات) التقدم نحو مستقبل مشرق:

فإذا أخذنا الأمية في فئة الكبار مثلاً فهناك اليوم 771 مليون أمي بالعالم، ثلاثة أرباع هذا العدد يعيشون في اثني عشر قطراً، هي: المغرب، مصر، الهند، الصين، بنغلاديش، باكستان، نيجيريا، أثيوبيا، إندونيسيا، البرازيل، إيران، والكونغو[1].

ونلاحظ هنا أن ستة أقطار من الاثني عشر هي أقطار إسلامية، وقطران بهما أعداد كبيرة من المسلمين، هما الهند التي يُكَوِّن المسلمون فيها أكبر أقلية دينية، ويصل عددهم إلى أكثر من مائة مليون مسلم، ونيجيريا التي يسكن شمالها المسلمون البالغ عددهم حوالي 50 مليوناً من مجموع السكان الكلي الذي يقدر بحوالي 130 مليوناً. والجدير بالذكر هنا أن عدد الأميين في الشمال أكثر منه في الجنوب لأن الشمال المسلم يضع العراقيل أمام تعليم البنات، ويفضل تحفيظ القرآن للصبيان في الكتاتيب بدل تلقينهم العلوم الحديثة في المدارس.
وإذا أخذنا البلاد العربية نجد نسبة الأمية فيها في ازدياد مضطرد، ففي آخر تقرير أعدته منظمة "الأليسكو" التي يتكون مجلسها التنفيذي من وزراء التربية العرب، أفاد التقرير أن:

"أعداد الأميين الذين يزيد سنهم عن 15 سنة *في تزايد مستمر في العالم العربي خلال ثلث القرن الماضي* إذ ارتفعت من خمسين مليوناً في السنة 1970 الى 61 مليوناً في السنة 1990 ثم الى 70 مليوناً حالياً أي بمتوسط يزيد عن 35 في المئة من السكان فيما يقل المتوسط العالمي عن 19 في المئة"[2].

"ونسبة الأمية في النساء ضعف النسبة في الرجال. وتنفق البلاد العربية 1.25 بالمائة فقط من الناتج القومي على التعليم"[3].

وفي الهند خلصت لجنة، يرأسها قاضي المحكمة العليا المتقاعد راجندر ساشار "إلى أن مؤشرات التعليم والفقر في بعض الولايات الهندية أظهرت أن المسلمين يأتون في مرتبة بعد طبقة المنبوذين الهندوس - وهي أدنى طبقة. يشكل المسلمون نسبة 13 بالمائة من تعداد سكان الهند (1.1 مليار نسمة) ويساوي عددهم جملة تعداد سكان باكستان، التي انفصلت عن الهند قبل نحو 60 عاما. وأظهر التقرير كذلك العدد الكبير من النزلاء المسلمين في السجون الهندية بمختلف الولايات. ففي ولاية مهاراشترا الغربية، على سبيل المثال، يشكل المسلمون نسبة 10.6 بالمائة من النزلاء ونسبة 32.4 بالمائة من المتهمين والذين ينتظرون المحاكمة. ويظهر التفاوت بين المسلمين والمجموعات الأخرى في مجال التعليم أيضا. إذ تبلغ نسبة التعليم وسط المسلمين 59 بالمائة مقابل 65 هي نسبة التعليم في الهند، وفي المتوسط يبقى التلاميذ المسلمون في المدرسة لفترة متوسطها ثلاث سنوات وأربعة شهور مقارنة بأربع سنوات، وهي المتوسط العام في البلاد. ويعمل كثير من المسلمين في القطاع غير الرسمي، مثل البناء ونظافة الشوارع، فيما يقل عددهم في القطاع العام."[4]

وكل البلاد الإسلامية بلا استثناء تقيم مسابقات سنوية بين الأطفال لتحفيظ القرآن وتقدم الجوائز للذين يحفظون ويرتلون القرآن، ولكن لا تقيم أي من هذه الدول مسابقات للأطفال في العلوم الطبيعية مثل الهندسة وعلم الأحياء أو الكيمياء، لتشجعهم على تنمية مواهبهم في هذه العلوم المفيدة لهم ولأوطانهم.

ورغم تشدق المسلمين بأنهم خير أمةٍ أُخرجت للناس، نجد أن نسبة **الفساد** في البلاد العربية والإسلامية تفوق جميع دول وجنسيات وديانات العالم الأخرى.

ففي التقرير الذي أصدرته ‹المنظمة العالمية للشفافية›، ومقرها في ألمانيا، في العام الماضي، نجد أن السودان احتل المرتبة 144 في دول العالم بالنسبة للنزاهة وانعدام الفساد الإداري، وشاركه في نفس المرتبه الصومال. *والجدير بالذكر أن السودان هو الدولة العربية الوحيدة التي تحكمها حكومة إسلامية أتت إلى الحكم بالقوة وبقصد تطبق الشريعة الإسلامية*. والصومال الآن يقع جزء كبير منه تحت سيطرة **المحاكم الإسلامية** التي تطبق الشريعة وتقطع الأيدي وتعدم الشباب الذين يتفرجون على مباريات كرة القدم على التلفزيون. أما فلسطين التي تعاني من الحصار الإسرائيلي والفقر المدقع فقد احتلت المرتبة 107 في دول العالم في النزاهة الإدارية. وليبيا التي تمتلك ثروة عظيمة من صادرات البترول قد احتلت المرتبة 117 وتلتها الجزائر في المرتبة 97[5].

ومع أن كل الدول العربية والإسلامية التي لا تملك ثروة بترولية تعاني من الفقر وانحطاط المستوى المعيشي، نجد رجال الدين يشجعون الناس على كثرة الإنجاب ويحرّمون تحديد النسل. فالصين والهند، رغم التقدم العلمي الذي أحرزاه مؤخراً ورغم انتعاش اقتصادهما الذي أصبح يعتمد على التكنولوجيا، نجد أنهما يشددان على تحديد النسل بينما تنادي الدول العربية والإسلامية الفقيرة بزيادته. ففي منشور صدر حديثاً في العراق من مكتب المرجع آية الله العظمى الشيخ صالح الطائي وتحت عنوان "**استحباب كثرة الإنجاب**" نجده يقول:

"قد حرّم الشيخ المفيد الطوسي **العزل** وهو إخراج الآلة عند الإنزال وإفراغ المني خارج الفرج ، وتتعدد مصاديقه في هذا الزمان بوسائل منع الحمل. إنّ كثرة الإنجاب بابٌ للرزق ودرء للمفاسد وسبيل إلى إحراز الدعاء والاستغفار من الأبناء. *ولا إعتبار للدراسات والأقوال التي تبعث الرعب من كثرة الإنجاب*، وذلك للفيض الإلهي والمدد الغيبي للمسلمين والسعة في أرزاقهم المنظورة وغيرها." انتهى.

---

[1] الشرق الأوسط، 10 نوفمبر 2005.
[2] رشيد خشانة، الحياة، 17 يناير 2005.
[3] مايا مشلب، الشرق الأوسط، 30 سبتمبر 2005.
[4] سوميني سينغوبتا، الشرق الأوسط، 30 نوفمبر 2006.
[5] إيلاف 19 أمتوبر 2006.

فليتكاثر المسلمون الفقراء في انتظار أن يأتيهم المدد الغيبي من السماء كما أمد الله بني إسرائيل بالمن والسلوى، كما تقول التوراة. ونسبةً لهذا التشدد الأعمى والتمسك بآراء السلف دونما أي أعتبار للحاضر والمستقبل، نجد أن أعداد الأميين في ازدياد في العالم الإسلامي رغم المحاولات المحدودة في زيادة عدد المدارس لأن زيادة المدارس لا تواكب القفزات الجنونية في ازدياد النسل.
وفي مصر التي يزيد سكانها سنوياً بنحو 1.3 مليون نسمة حيث يبلغ عدد المواليد السنوي مليونين و750 ألف نسمة، في حين يبلغ عدد الوفيات نحو 400 ألف فقط، اعتبر نواب الأخوان المسلمين في البرلمان المصري منحة أميركية بقيمة 40 مليون دولار لتنظيم الأسرة في مصر *بأنها مخطط أمريكي إسرائيلي مشترك لضرب تنامي السكان تحت مقولة الانفجار السكاني*، وحذروا من أن ذلك يخالف الشريعة الإسلامية. وشن سيد حزين نائب الأخوان هجوماً حاداً على الاتفاقية، وقال:

> "إن تنظيم الأسرة أمر لا نختلف عليه لأن لكل أم ظروفها ولكن تزايد النسل نعمة من الله وعلى الدولة أن تنميه لا أن تحجبه، *وليكن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتة إلى {زيادة} النسل ليباهي بأمة الإسلام يوم القيامة*، هو دليلنا الإرشادي في هذا الموضوع." [6]

فمصر الصحراوية التي تعتمد في غذائها على القمح المستورد من أمريكا، ويسكن أكثر من مليون من أهلها في مقابر القاهرة مع الأموات، يجب أن تزيد في النسل *حتى يباهي النبي بهم الأمم يوم القيامة*. هل الأمة التي تعيش في الفقر والجهل والمرض وتسكن المقابر هي الأمة التي يمكن أن يباهي بها النبي الأمم المتطورة التي بلغت من الرقي ما نراه الآن؟ وتسود مثل هذه الأفكار في جميع الدول الإسلامية من بنـگلايش إلى باكستان ومن إندونيسيا إلى السودان. ولأن أغلب الدول الإسلامية تعتمد على المعونات الخارجية نجد أن مستوى الخدمات الصحية والتعليمية في انخفاض عاماً بعد عام لأن موازانات هذه الدول لا تستطيع أن تستوعب الزيادة المضطردة في السكان.

ومع ذلك ينعق الشيوخ كل يوم بالأحاديث التي تُحرّم منع الحمل وتشجع على زيادة النسل.

وإذا نظرنا إلى الدول العربية والإسلامية اليوم نجد أننا إذا استثنينا إندونيسيا وماليزيا اللتين دخلهما الإسلام عن طريق التجارة والهجرة، فإن جميعها قد دخلها الإسلام بقوة السيف وما زالت كلها تُحكم بقوة البندقية من عصابات أسرية أو جنرالات عسكريين يدعمهم وعاظ السلاطين الذين يخدرون الشعوب الجائعة بالأحاديث والآيات التي تقول {**أطيعوا أولي الأمر منكم**} و {**مَن مات وليس في عنقة بيعة مات ميتة الجاهلية**}. وحتى يتسنى لوعاظ السلاطين تخدير الشعوب وحملها على طاعة أولي الأمر، لا بد أن تظل الشعوب جاهلةً، ولذلك يصادر رجالات الدين في جميع البلاد الإسلامية الكتب والمجلات والتمثيليات ويفرضون التعتيم على عقول الناس بحجة أن الكتب تفسد عقول الشباب، كما قال الذين حاكموا **سقراط** قبل آلاف السنين.
فإذا أخذنا الجامع الأزهر مثالاً نجد أنه يصادر كل ما ينتقد السلطة السياسية وإن لم يمس الدين من قريب أو بعيد.
وفي بعض الأحيان يصادرون ما يكتب زملاؤهم في الأزهر، وكأنما شيخ الأزهر أحرص على الدين من الشيوخ الذين صادر كتبهم.
فمثلاً قد صادر الأزهر:

- الإسلام وأصول الحكم للشيخ علي عبد الرازق، لأنه أنكر دور الخلافة في الإسلام ووقف ضد طموحات الملك فؤاد في أن يكون خليفة المسلمين بعد انهيار الخلافة العثمانية.
- جهد الدين الإنفرادي لمحمد بن جابر، لخروجه عن الذوق العام.
- استحالة ظهور المسيح الدجال لمصطفى عيسى لأنه يعارض المعلوم من الدين بالضرورة.
- ملامح النصوص الأدبية في العصر الحديث للدكتور عبد الحميد علي، عميد كلية اللغة العربية في جامعة الأزهر بالزقازيق، بحجة أن الكتاب خارج عن حدود المألوف في الشعر والأدب (فلا خروج عن المألوف بالنسبة للأزهر).
- "القرآن والمرأة" للكاتبة أمينة ودود، باللغة الانـگليزية.
- ""الإسلام والمرأة دراسة لحالة إيران" للكاتبة جمالة أفشار، باللغة الانـگليزية.
- "كنز الأسرار في استحضار الجن وصرف العمار" للفيلسوف والطبيب الإسلامي ابن سينا.
- كتاب "في الشعر الجاهلي" لطه حسين.
- ومنعوا نشر ثلاثة أبحاث جامعية بقسم فلسفة عين شمس لأنها تسيء للإسلام وتطرح موضوعات إلحادية.
- وأصدر الأزهر تقريراً من 255 صفحة عن كتاب "عشق النساء" لأحمد الشهاوي. قالوا في تقريرهم إن الكاتب عبث بالقرآن والأحاديث الشريفة، وعرّضوا حياة الكاتب للخطر لأنه عبث بالقرآن ويُعتبر مرتداً.
- "مدعو النبوة في التاريخ" لوليد طوغان لأنه ينكر ماهو معلوم من الدين بالضرورة ويطعن في الخلافات الأموية والعباسية.
- كتاب "التحكيم" للكاتب الشيعي أحمد راسم النفيس، لأن الكتاب حسب زعمهم، يسيء للرسول والصحابة.

وهذا غيض من فيض من الكتب التي صادرها شيوخ الأزهر. وتتكرر نفس المأساة في الأردن والسودان واليمن والسعودية وباكستان والمغرب والجزائر وغيرها من الدول الإسلامية.
وإذا أخذنا الوثنية في عالم اليوم فإنا نجدها محصورة في بعض الدول الأفريقية وفي جميع الدول العربية والإسلامية التي يتمسح مسلموها بأبواب وحيطان ضرائح الأولياء ويؤمنون بأن باب الضريح يمكنه أن يحقق أمانيهم ويزيل عنهم المرض. ويُضحّي كثير منهم بدمه لحماية أضرحة الأولياء كما يحدث في العراق ومصر والسودان والمغرب والهند وباكستان حيث يموت المئات من الشيعة والسنة كل عام في تفجيرات أضرحة الفريق المناويء. وإذا فجر أحدهم ضريحاً في بلد مسلم يفجر المسلمون كنيسة في المقابل، رغم أن الكنيسة تُعتبر بيتاً من بيوت الله والضريح قبر لبشر. فالولي والإله متساويان عند المسلمين.
أما التفجيرات والإرهاب في عالم اليوم فقد أصبحت محصورة في البلاد الإسلامية فقط. وكل التفجيرات التي حدثت مؤخراً في أوروبا وأمريكا قام بها مسلمون. فما هو القاسم المشترك بين باكستان وبنـگلاديش وإندونيسيا ومصر وتركيا واليمن والسودان والصومال والمغرب والجزائر ونيجيريا ،وإيران وأفغانستان؟ فلا الإثنية تجمعهم جمعياً ولا اللغة ولا الموروث الثقافي ولا العادات. **إنه الإسلام وأيدولوجية السيف والطاعة العمياء**. الأيديولوجيا التي تمتلك الحقيقة المطلقة وغيرهم يمتلك السراب. الأيديولوجيا التي تؤمن بأن مَن ليس معنا فهو ضدنا ويجب تصفيته جسدياً، الأيديولوجيا التي تختصر المرأة في عضوها التناسلي وتجعلها عورة يجب سترها. ومن هذه الأيديولوجيا ينبع الجهل وتنبع الكراهية والتفجيرات.

عودة إلى الفهرس

---
[6] الشرق الأوسط، 24 مارس 2005.

37 - هل يحق لرئيس جامعة الأزهر أن يفاخر

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=82826

الدكتور أحمد الطيب، رئيس جامعة الأزهر، قد كتب عدة مقالات دفاعاً عن الإسلام، وحضر عدة مؤتمرات عُقدت في عدة أقطار لتشجيع الحوار بين المسيحية والإسلام. ولكن الدكتور قد ضن بالحقيقة في بعض مقالاته وفي بعض المؤتمرات التي حضرها ممثلاً للجامع الأزهر. وكما يقول الانـكليز "إنه اقتصد في الحقيقة He was economical with the truth" ففي آخر مقال له وتحت عنوان "تأملات في الخطاب الغربي" حاول الدكتور أن يُظهر سماحة الإسلام بهجوم كاسح على العهد القديم والديانة المسيحية، كما يفعل كل من يحاول الدفاع عن الإسلام. فهم دائماً يبدأون بالهجوم على المسيحية لاعتقادهم أنهم إذا أظهروا مساوئ المسيحية سيُظهرون محاسن الإسلام تلقائياً.

- فبدأ د. أحمد الطيب مقاله بالآتي:

> "لا يمكن للباحث في فلسفة الحروب أن يتجاهل ـ بحال من الاحوال ـ الفرق الشاسع بين آيات القرآن الكريم وآيات الكتاب المقدس حول بواعث الحروب وضوابطها ومآلاتها الأخلاقية، ولا أن يتجاهل المسار اللا إنساني الذي ارتضته حضارة الغرب في تدمير الحضارات الأخرى، وهي تترنم بآيات العهد القديم في حركات هيستيرية، أو تمسك بالإنجيل في يد والصليب في يد أخرى" انتهى.

- وليس لدينا أي شك في أن العهد القديم، الذي أصبح جزءاً من الإنجيل لأن عيسى قد بُعث إلى بنى إسرائيل لإكمال رسالة موسى، كما تقول التعاليم المسيحية، كتابٌ يحتوي على كمية مهولة من الآيات التي تحث على القتل والدمار وعدم تحمل الأخر. ولا داعي لنقل بعض هذه الآيات لأنها معروفة لدى غالبية القراء.

ولكن أن يحاول د. أحمد الطيب أن يقارن بين العهد القديم والقرآن، في محاولة يائسة لترجيح كفة القرآن، فأمر يدعو للأسف لأن الدكتور أحمد الطيب يمثل جامعة الأزهر في المؤتمرات العديدة التي تُعقد للحوار بين الأديان، والذي يود أن يحاور لا يهاجم الأديان التي أتى ليتحاور مع ممثليها *وإنما يحاول أن يجد النقاط أو المساحات التي يتقاربون فيها*، ويُظهر محاسن دينه إن كان به محاسن. ولو أراد د. أحمد أن يفعل ذلك لتحدث عن العهد الجديد الذي يخلو من آيات القتل وسفك الدماء.

- وبكل جرأة يقول د. أحمد:

> "لا يمكن للباحث أن يتجاهل المسار اللا إنساني الذي ارتضته حضارة الغرب في تدمير الحضارات الأخرى." انتهى.

- ولعمري هذا أكبر افتراء على الحقيقة عندما يتحدث د. أحمد عن تدمير الحضارات الأخرى، والإسلام هو أكثر الأديان تدميراً لكل الحضارات التي سبقته ابتداءً من الحضارة الفارسية والبيزنطية والفرعونية والنوبية والأمازيغية والأيبيرية (الإسبانية).

والإسلام، تمشياً مع مقولة الفقهاء "الإسلام يُجبُ ما قبله" فقد جَبّ أي محا جميع هذه الحضارات محواً كاملاً ولم يترك منها أثراً.

- وفي تجني واضح على الحقيقة يقول د. أحمد الطيب:

> "وحسبك دليلا على ذلك حضارة الرومان، وما كتب عن ديكتاتورياتها المتوحشة في فرض العقائد على عقول الناس وقلوبهم، ثم الحروب الصليبية التي تمثل أول حركة منظمة ـ في التاريخ المقروء ـ تتبنى دعوة واحدة تنشرها تحت ظلال السيوف." انتهى.

- ولا يسعنا هنا إلا أن نتذكر المثل الانـكليزي الذي يقول: كافاتيرة الشاي تقول للقِدر أنت أسود The kettle calling the pot black. فالإمبراطورية الرومانية كانت قد نشأت وتسلطت على العالم قبل ظهور المسيحية، وكانت وقتها إمبراطورية وثنية. وعندما اعتنق الإمبراطور الروماني قسطنطين المسيحية في عام 325 م كانت الإمبراطورية الرومانية الأولى قد انتهت وبدأت الإمبراطورية الثانية وعاصمتها بيزنطة في الشرق. ولذلك من الخطأ مقارنة ما فعلته الإمبراطورية الرومانية الوثنية مع ما فعله الإسلام أو المسيحية. أما الحروب الصليبية فقد قام بها المسيحيون رغم أن العهد الجديد يخلو من آيات القتال، ولكن الحروب نفسها كانت سياسية استعمل القائمون عليها غطاء الدين لتجنيد المحاربين بإثارة نخوتهم الدينية. والجدير بالذكر هنا هو أن الحروب الصليبية لم تقتصر على الإسلام أو الشرق العربي فقط وإنما بدأت واستمرت لفترة طويلة في أوروبا نفسها لعوامل سياسية. ولكن عندما اتجهت الحروب الصليبية إلى الشرق كان هدفها المعلن هو استرداد الأراضي المسيحية التي اغتصبها الإسلام منهم، خاصة الشام والقسطنطينية والقدس. ولا جدال في أن كل تلك الأراضي كانت مسيحية إلى أن أتى الإسلام واحتلها بحد السيف. وما أُخذ بالقوة لا يُرد إلا بالقوة، كما قال الزعيم الراحل جمال عبد الناصر.

ويجدر بنا هنا أن نتذكر أن الحروب الصليبية كانت قد بدأت في عام 1079م، وحتى ذلك التاريخ، أي على مدى أكثر من ألف عام كانت المسيحية قد انتشرت بالدعوة السلمية ولم يستعمل المسيحيون السيف إطلاقاً في نشرها. وإذا قارنا هذا مع انتشار الإسلام وعلو السيف على الدعوة، نجد أن الإسلام لم يدخل أي مدينة أو قرية أو قطر آخر عدا يثرب، إلا عن طريق السيف. وقد بدأ استعمال السيف منذ السنة الثانية للهجرة عندما بدأت سرايا وغزوات الرسول ثم تكونت الجيوش وغزت الأقطار المجاورة. والجدير بالذكر كذلك هو أن الهدف المعلن لكل تلك الحروب كان نشر الإسلام، بينما كانت الأهداف المسيحية في حروبها الصليبية استرداد الأراضي المغتصبة. ومنذ زمن طويل ظللنا نستمع للإسلامويين يرددون علينا مقولاتهم الممجوجة من أن المسلمين حاربوا دفاعاً عن الإسلام **وكان جهادهم جهاد دفع وليس جهاد طلب**.

- وسوف أستعرض هنا بعض الحقائق التي تفند هذه المزاعم واستميح القارئ عذراً في الإطالة. وسوف أبدأ بالقرآن:

> **{قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً.** (الفتح 16)**}.**

فالآية هنا واضحة المعنى وتخاطب المسلمين الذين تخلفوا عن بيعة الحديبية عندما أراد النبي أن يؤدي العمرة ومنعه القرشيون، ويقول لهم سوف تدعون إلى قوم ذوي بأس شديد، قيل هم الفرس وقيل الروم. وفي الآية شرط، وهو إما أن يدخل هؤلاء القوم الإسلام أو تقاتلوهم. وإذا لم تقاتلوهم سوف يعذبكم الله عذاباً أليماً. فهل في هذه الآية أي شك في أن الفرس أو الروم الذين لم يغزوا أرض الإسلام، كان عليهم أن يسلموا أو يقاتلهم المسلمون؟

> **{قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الأخر ولا يحرمون ماحرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.** (التوبة 29)**}.**

والآية هنا لا تقول للمسلمين قاتلوا الذين لا يومنون بالله دفاعاً عن دينكم، وإنما تقول لهم قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا يدينون دين الحق من اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية أو يدينوا بدين الحق وهو الإسلام. فاليهودي أو المسيحي كان عليه أن يسلم أو يدفع الجزية أو يحاربه المسلمون.

{وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين. (البقرة 193)}

مرة أخرى لا يحدد القرآن شروط القتال بالدفاع عن الإسلام أي جهاد الدفع كما يقول الإسلامويون، وإنما أمر المسلمين أن يقاتلوا كل من هو غير مسلم حتى يكون الدين كله لله أي يصير الكل مسلم. فالشرط كان واضحاً: إما أن تسلم ويصير الدين كله الإسلام، أو تُقتل بالسيف.

أخرج أحمد بسند حسن عن علي قال:

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [**أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء: نصرت بالرعب، وأعطيت مفاتيح الأرض، وسميت أحمد، وجعل التراب لي طهورا، وجعلت أمتي خير الأمم**]".

وقالوا في تفسير الحديث:

ونُصرت بالرعب مسيرة شهر يقذفه في قلوب أعدائي، وأحل لنا الغنائم.

فالنبي قد نُصر بالرعب على بعد مسيرة شهر. فالعدو كان يبعد عن ديار المسلمين مسيرة شهر ولم يكن قد هاجم المسلمين حتى يقولوا إنه جهاد الدفع. وواضح أن هذا جهاد طلب أي هجوم، وسلاحه ليس الدعوة وإنما الرعب.

أخرج الفرياني وعبد بن حميد والبخاري والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم

عن أبي هريرة في قوله: {**كنتم خير أمة أخرجت للناس**} قال: خير الناس للناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا الإسلام.

فهل الذين يأتون بهم بالسلاسل في أعناقهم يدخلون الإسلام بالدعوة والمنطق؟

يقول بن باز:

"التفسير كما سيأتي إن شاء الله تعالى أظهر وأوضح في معنى الآية ، ولهذا قال بعدها بقليل: {**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ**} فعلم بذلك أنه أراد قتال الكفار، لا مَن قاتل فقط ، بل أراد قتال الكفار جميعا حتى يكون الدين كله لله وحتى لا تكون فتنة والفتنة الشرك، وأن يفتن الناس بعضهم بعضا عن دينهم [1]."

يقول ابن القيم:

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [**بُعِثْتُ بالسَّيفِ بَينَ يدي الساعةِ حتى يُعْبَدَ اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له، وجُعِلَ رِزقِي تحتَ ظِلِّ رمُحي، وجُعِلَ الذِّلَّةُ والصَّغَار على مَنْ خالف أمري، ومن تشبَّه بقَومٍ، فهو منهم**]."[2]

فالنبي نفسه يقول إنه بُعث بالسيف وليس بالمنطق.

عندما جاء وفد بني تميم إلى النبي قال خطيبهم، عطارد بن حاجب:

"الحمد لله الذي جعلنا ملوكاً والذي له الفضل علينا وجعلنا أعز أهل المشرق". فطلب النبي من ثابت بن قيس أن يرد عليهم، فقال: "نحن أنصار الله، ووزراءُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، نُقاتِلُ الناسَ حتى يؤمنوا، فمن آمن بالله ورسولِه منع ماله ودمه، ومَن نكث جاهدناه في الله أبداً، وكان قتلُه علينا يسيراً، أقول هذا، وأستغفر الله العظيم للمؤمنين والمؤمنات، والسلام عليكم"[3].

ولم يعترض النبي على هذا الرد الذي يقول بكل وضوح إنهم يقاتلون من لا يسلم وكان قتله عليهم يسيراً.

يقول الذهبي عن أهل المدينة:

"وإنما كان النفاق في أهل المدينة لأن الإسلام فشا بها وعز وعلا على الشرك ، فبقي أناس في قلوبهم زيغ وغل لم يؤمنوا ، فأسلموا في الظاهر تقية وخوفاً من السيف."[4]

فحتى في المدينة هناك مَن آمن بالظاهر خوفاً من السيف.

ويقول الذهبي كذلك:

"وهكذا وصلت أمانة السنة إلى رجال التدوين من أمثال مالك وأحمد وشيوخهم ومعاصريهم وتلاميذهم غضة يفوح منها عبق النبوة هدية من الأمناء الحافظين إلى الأمناء الحافظين فكان من ذلك أثمن تراث للمسلمين بعد كتاب الله عزوجل فبهمة هؤلاء حفظ الله لنا هذه الكنوز وبسيوفهم فتح الله للإسلام هذه الممالك."[5]

يقول السيوطي:

"ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول:[إن الله أمرني أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله {فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين} قال: وإن الظالم الذي أبى أن يقول: لا إله إلا الله، يقاتل حتى يقول: لا إله إلا الله".][6]

في عام 681 ميلادية، عندما وقف القائد العربي عُقبة بن نافع على جواده، على شاطئ البحر الأبيض المتوسط في المغرب العربي، شهر سيفه وخاض بحصانه في البحر إلى أن بلغ الماء بطن الحصان، وقال:

"الله أكبر... لو لم يقف هذا البحر عائقاً في طريقي، لركبت إلى ممالك الغرب لأعلّمهم أن الله واحد، وأحكّم السيف في رقاب من يعبد غير الله ".

فهل في هذا القول شك في أن فتح إسبانيا كان جهاد طلب، وغزواً بغرض فرض الإسلام بحد السيف على ممالك أوروبا؟ فهل بعد هذا نجد من يجادل ويقول إن الإسلام لم ينتشر بالسيف؟

- ثم ينتقل د. احمد الطيب إلى الهجوم على الكنيسة الكاثوليكية فيقول:

[1] فتاوى بن باز، ج3، ص 154.
[2] زاد المعاد لابن القيم، ج1، ص 7.
[3] زاد المعاد لابن القيم، ج2، ص 278.
[4] المنتقى من مناهج الاعتدال، ص 50.
[5] المنتقى للذهبي، ص 2.
[6] الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، البقرة، الآية 281.

"ولعلنا لا نجاوز الحقيقة لو قلنا: إن قراءات الكنيسة الكاثوليكية للكتاب المقدس مسئولة الي حد كبير ــ عن إشعال نار الصراع العالمي الذي انطلقت شرارته الأولى في مواكب الحروب الصليبية المتكررة، ولا يزال العالم يصطلي بنيرانها حتي هذه اللحظة. وقد لاحظ مؤرخ الحضارات الأشهر آرنولد توينبي ــ بحق ــ أن الاعتقاد نفسه الذي دفع بني اسرائيل قديما لإبادة الكنعانيين (اصحاب الأرض الأصليين)، بأمر من الرب (في الكتاب المقدس) هو أيضا الذي دفع البريطانيين للاستيلاء على أمريكا الشمالية وايرلندا الشمالية وأستراليا، ودفع الهولنديين للاستيلاء على جنوب أفريقيا، والألمان للاستيلاء على بولندا، والصهاينة للاستيلاء على فلسطين، ولو كان توينبي حيا الآن لما تردد لحظة في الحكم بأن الاعتقاد نفسه هو أيضا ما يدفع السياسة الأنجلو - أمريكية لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية في العراق وأفغانستان ولبنان ودارفور وغيرها من مناطق التوتر في الشرق الإسلامي. وأنت حيثما نظرت إلى هذه البؤر الملتهبة فإن عينك لا تخطئ أن عقيدة ما من عقائد الكتاب المقدس تشعل هذا الصراع الدامي، وتبعثه في هذه البقعة أو تلك." انتهى.

- ولا نشك في أن الكنيسة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر قد استغلت العهد القديم لتشن حروبها الصليبية، ثم بعد ذلك استغل الإسبان والبرتغاليون والبلجيك وغيرهم فكرة الحروب الصليبية لاستعمار وإبادة الهنود الحمر والأفارقة، *ولكن هل كان تصرف المسلمين أكثر أخلاقيةً من تصرف المسيحيين*؟

ألم يستغل المسلمون الغطاء الديني لاستعمارهم الاستيطاني لكل البلاد التي فتحوها في شمال أفريقيا وفي الشام والعراق وغيرها. ماذا حدث للسكان الأصليين المسيحيين في سوريا وتركيا والعراق ومصر والمغرب وتونس والجزائر والنوبة؟ *ألم يستعمل المسلمون النصوص القرآنية لإبادتهم أو إدخالهم الإسلام عن طريق الخوف*؟ أين اللغة الأمازيغية والقبطية وأين لغة النوبة ولغة الأكراد وغيرهم؟ فالحقيقة الواضحة للعيان أن الأديان الثلاثة التي تُعرف بالأديان السماوية هي في حقيقتها إيدولوجيات استعمارية **تعمل بواسطة غسيل أدمغة أتباعها ليسهل السيطرة عليهم بواسطة ولمصلحة رجال الدين**، سواء أكانوا متعممين أو لابسي بدلات أوروبية.

- ثم انتقل د. احمد الطيب للحديث عن فلسطين، فقال:

"... لكن المأزق الحقيقي الذي يثيره عالم اللاهوت الفلسطيني، نعيم عتيق هو: كيف يقرأ المسيحي الفلسطيني نصوص العهد القديم المتعلقة بأسطورة *أرض الميعاد*. وكيف يؤمن بها وهي تبيح دمه وأرضه وعرضه ــ بلا ثمن ــ للإسرائيليين؟ ولنترك حالة المسلمين الفلسطينيين جانبا ونتساءل: ماذا يفعل المسيحيون الفلسطينيون؟ هل يؤمنون بنصوص سفر يشوع وعليهم حالتئذ أن يستسلموا طائعين للإبادة الجماعية التي يمارسها الجيش الإسرائيلي أو يقاوموا كما قاوم أجدادهم الكنعانيون، ثمتئذ عليهم أن يديروا ظهورهم لهذه النصوص؟! وكيف والإيمان بالعهد القديم جزء لا يتجزأ من الإيمان المسيحي؟! أم سيقولون مع عالمة اللاهوت الصينية بويلان ــ فيما ينقل بريور ــ إنها لا تستطيع أن تؤمن بإله يأمر بإبادة الكنعانيين في الماضي، ولا يستمع لبكاء الفلسطينيين منذ نصف قرن في عصرنا هذا؟!" انتهى.

- هذه أسئلة في غاية الوجاهة وتبين لنا ركاكة منطق الأديان وآلهتهم التي تجلس في السماء وتتفرج على المآسي التي تُرتكب في الأرض بإسمها ولا تتدخل.

ولكن لو تركنا المسيحي الفلسطيني الذي تساءل عنه د. أحمد الطيب، وأخذنا المسلم الفلسطيني، ماذا يقول هذا المسلم الفلسطيني عندما يقرأ النص القرآني عندما خاطب الله بني إسرائيل فقال:

{وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سُجّداً وقولوا حطةٌ يغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين. (البقرة 58)}.

وهذه الأرض هي فلسطين وقد قال الله لبني إسرائيل أن يدخلوها ويأكلوا منها حيث شاؤوا. ثم قال لهم:

{ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين. قالوا يا موسى إنّ فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإنْ يخرجوا منها فإنّا داخلون. قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إنْ كنتم مؤمنين. (المائدة 21 - 23)}.

فهاهو الله يقول لبني إسراءيل أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتبها لهم وإنهم سوف يغلبون. وبما أن القرآن صالح لكل زمان ومكان، فإن وعد الله لبني إسرائيل ما زال قائماً. بل زاد القرآن وقال:

{وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا. (الأعراف 137)}.

ثم قال لهم:

{يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وفضلتكم على العالمين. (البقرة 47)}.

فماذا يقول المسلم الفلسطيني عندما يقرأ هذا النص القرآني؟ وماذا ستقول عالمة اللاهوت الصينية عندما تعلم أن الله لم يستجب أو يسمع بكاء المسلمين الفلسطينيين وغير الفلسطينيين منذ نصف قرن من الزمان؟

قد غاب عن الدكتور أحمد الطيب وغيره من المتأسلمين **الذين يحاولون هدم المسيحية لرفعة الإسلام**، أنهم يقدمون لنا خدمة جليلة ويهدمون كل الأديان بهدمهم للمسيحية. فكل الأديان تزعم أن مصدرها واحد، فإذا انهدمت مزاعم أحد الأديان انهدمت مزاعم الأديان الأخرى.

فتفاخُرُ د. أحمد الطيب على العهد القديم تفاخُرٌ أجوف لأن القرآن يحتوي على نفس العدد من آيات القتال والدمار وقتل الآخر المخالف، إن لم يكن عدد مثل هذه الآيات أكثر في القرآن

عودة إلى الفهرس

38 - الإسلام والشبكة العنكبوتية

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=83104

بدأت المسيحية في فلسطين بداية متواضعة وتحمّل أتباعها اضطهاد اليهود وتعسف الرومان لفترة من الزمان ثم نزحوا شرقاً للهرب من الرومان ولنشر دعوتهم المسالمة. وانتشرت المسيحية في شبه الجزيرة العربية من الشام إلى اليمن ثم عبرت البحر الأحمر إلى الحبشة والنوبة ومصر. وباعتناق الإمبراطور قسطنطين للمسيحية في عام 325 م، أصبحت هي الديانة الرسمية للإمبراطورية وبالتالي اعتنقتها أوروبا. وكعادة الأوربيين *الذين كلما أخذوا شيئاً من الشرق أجادوه وبرعوا فيه*، فقد وحدوا الكنيسة وكرسوا إدارة المسيحية في يد البابا في روما بينما تفرقت المسيحية الشرقية إلى كنائس أرثوذكسية في الإسكندرية وبيزنطة والحبشة. وقد أدى انقسام الكنيسة الشرقية إلى ضعفها وسهّل على الإسلام اجتياح أراضيها في زمن وجيز من ظهوره.
في أوروبا الإقطاعية الزراعية قويت شكيمة البابا وتضخمت سلطته حتى أصبح الملوك والساسة يخضعون لسلطته ولا يتم جلوسهم على عروشهم إلا بعد موافقة البابا. ومع ازدياد قوة البابا ازدادت ثروة الكنيسة وأصبحت تمتلك الأراضي الشاسعة التي وهبها لها الإقطاعيون، مع فلاحيها، ليكسبوا مباركة البابا لهم وليزيدوا من سلطاتهم السياسية. وكما قال اللورد دالبيرج آكتون Dalberg Acton:

السلطة تُفسد، والسلطة المطلقة تُفسد إفساداً مطلقاً،

ففسدت الكنيسة فساداً مطلقاً واستغلت جهل اتباعها الفقراء المعدمين فباعتهم صكوك الغفران التي تضمن لهم الخلاص من العذاب يوم القيامة، وسرقت منهم طعام أطفالهم مقابل الوعود الغيبية. وتحكمت الكنيسة في كل شيء في حياة أتباعها من تعميدهم عند ولادتهم إلى زواجهم وموتهم ودفنهم وأكلهم وشربهم. وأصبحت القوانين الوضعية خاضعة للقوانين الإلهية Cannon Laws ولم يكن في مقدور أي ملك أو إمبراطور إصدار قانون يتعارض مع الشريعة المسيحية .وكبلت الكنيسة المرأة وفرضت عليها الحجاب واللباس الطويل الذي يغطي كل جسمها لدرجة أن المرأة في فرنسا كانت ترفض أن تكشف صدرها للطبيب ليفحص عليها، فأضطر الأطباء لاختراع السماعة الطبية ليسمعوا نبضات القلب عن بعد بعد أن كانوا يضعون آذانهم على صدر المريض مباشرةً.
وبحلول القرن الثالث عشر الميلادي كان التعليم قد بدأ ينتشر في أوروبا وازداد عدد الجامعات في أغلب أقطارها. وبما أن العلم يبدد خرافة الثيولوجية كما يبدد النور الظلام، فقد بدأ التمرد على الكنيسة يأخذ طابعاً علنياً بعد أن كان في الخفاء وفي أوساط القلة المتعلمة. وكردة فعل طبيعية لانتشار التمرد أقامت الكنيسة **محاكم التفتيش** التي أحرقت العلماء وكتبهم في محاولة يائسة لإيقاف عجلة التطور، وصادروا الكتب وأصبحت الكنيسة مسؤولة عن مراقبة ما يصدر مِن كتب ونظريات علمية. ولم يكن المشرفون على الكنيسة أقل جهلاً من أتباع الكنيسة. وحاكم القسيسون الجهلاء گاليليو وكوبرنكس واتهموهما بالهرطقة عندما قالوا بكروية الأرض وأن الأرض تدور حول الشمس. ولأن القسيسين كانوا يمتلكون الحقيقة الكاملة، في اعتقادهم، لم يخطر ببالهم أن يكون غيرهم على صواب وهم على خطأ.
ثم جاء الشاب الألماني مارتن لوثر الذي كان قد بدأ دراسة القانون قبل أن يغير رأيه ويدرس اللاهوت. وفي العام 1510 عندما سافر لوثر إلى روما ورأى الفساد الكنسي الذي لم يكن قد تخيله، رجع إلى ألمانيا وبدأ ينتقد الكنيسة وطالب بالإصلاح. وفي عام 1517 عندما أصدر البابا ليو العاشر صكوك غفران جديدة ليبيعها للفقراء أعلن لوثر تمرده فاتهمه البابا بالهرطقة. ولكن ذلك لم يثنه عن مواصلة الكتابة ضد الكنيسة وحث النبلاء الألمان على التمرد على الكنيسة وفصل القوانين المدنية عن قوانين الكنيسة. وتجمهر الفقراء والمعدمون حول لوثر خاصة عندما أصدر البابا منشوراً يهدد بفصل لوثر عن الكنيسة. وكان رد فعل لوثر هو حرق المنشور البابوي وسط تجمع جماهيري كبير، وانفصل عن الكنيسة وأقام كنيسته الخاصة. وكانت الكنيسة طوال تلك القرون تمانع أن يُترجم الإنجيل من اللاتينية الميتة إلى اللغات الحية، حتى يستمر احتكارهم للنصوص الدينية وحتى يوهموا العوام أن النصوص لا يفهمها غير المتخصصين. وكان من مصلحة الكنيسة التعتيم على عقول العوام، فالدين يعتمد على الجهل في انتشاره واستمراره. **ولكن لوثر ترجم الإنجيل إلى اللغة الألمانية وكانت هذه بداية النهاية للكنيسة الكاثوليكية**. ومع انتشار التعليم وقيام الثورة الفرنسية عام 1789 والثورة الصناعية، انفصلت الكنيسة عن الدولة وأصبحت شيئاً ثانوياً في حياة الفرد الأوروبي. وبعد خمسمائة عام من إصرار الكنيسة على الخطأ، اضطرت أخيراً للاعتراف بخطئها واعتذرت من گاليليو.
وتكاد مسيرة الإسلام أن تكون صورة المسيحية المنعكسة في مرآة الزمن. فالعالم الإسلامي كان قد بدأ انفتاحه الثقافي في أيام الدولة العباسية ولكن سرعان ما وضع فقهاء بغداد حداً لذلك بإعلانهم قفل باب الاجتهاد والرجوع إلى النقل بدل العقل، وأصبحت مقولة:

(لا اجتهاد مع النص) تتحكم في حياة الشرق.

وتقهقرت الحريات في العالم الإسلامي. وبمجيء الخلافة العثمانية تم استعباد المرأة وفصلها عن المجتمع في بيوت الحريم وفرض السلطان عبد الحميد على المرأة التي تخرج من دارها بلا حجاب وبرقع

أن يُحلق رأسها وتحمل على حمار ووجها صوب ذنب الحمار ويُطاف بها في الأسواق عبرةً لغيرها من النساء.

وزادت سلطة رجال الدين على العامة لأنهم تحالفوا مع السلطة السياسية *وأصبحوا وعاظ سلاطين* يؤلفون الأحاديث التي تحث الناس عل طاعة أولي الأمر، فيخضع الناس لنير الحاكم ولنير رجل الدين في نفس الوقت، وكلا السلطتين مكملٌ للأخر.
وبانهيار الخلافة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى ودخول المستعمر الغربي إلى الشرق الأوسط، بدأت نسائم الحرية الفكرية تهب على الشرق وتحررت المرأة بعض الشيء، وأصبحت مصر منبر الحضارة الشرقية وحامل شعلة العلم والتكنولوجيا. وكان يقود صرح العلم فيها - الجامع الأزهر - رجال متنورون أرادوا إصلاح ما أصابه العطب من الدين.

ولكن تجربة الحرية والعلم هذه حفر لها الأمريكان حفرة عميقة لدفنها يوم حفروا آبار البترول في المملكة العربية السعودية.

مع ازدياد تدفق البترول السعودي ازدادت البترودولارات التي تدفقت على الأشخاص والهيئات الدينية في مصر واليمن والسودان والصومال والأردن وغيرها *لإنعاش الصحوة الدينية* التي حمل لواءها جماعة الأخوان المسلمين. وبما أن *الجهل والأمية* ما زالا يعشعشان في أرض خير أمةٍ أُخرجت للناس، فقد وجدت فكرة الصحوة أرضاً خصبة ترويها الدولارات، **وبين ليلة وضحاها أصبحت مصر، أرض الكنانة، المنجم الذي يُنقّب فيه أهل الصحوة لاستخراج الأحاديث التي تحث الجهلاء على زيادة النسل وحجب عقولهم وعقول نسائهم بالحجاب**. وأصبح من الصعب على المرء أن يعرف هل هو في السعودية أم في مصر عندما يسير في شوارع القاهرة

أو يتفرج على تلفزيوناتها. وتنازل وزير العدل المصري للجامع الأزهر عن حق وزارته وحقنا جميعاً في حماية حرية الفكر، وأعطى الجامع الأزهر حق مراقبة ما يُنشر ومصادرة ما يراه غير لائق بعقولنا محدودة الفهم. وكان *داء الرقابة* قد استشرى في كل الأقطار العربية، تحمل لواءه وزارات الإعلام التي أصبح وجودها محصوراً في العالم الإسلامي فقط.

وحتى تتحكم الصحوة الدينية أكثر فينا وتزيد من جهلنا وفقرنا فقد سمح الرئيس المصري لجماعة الأخوان المسلمين المحظورة قانوناً، بخوض انتخابات مجلس الشعب تحت مسمى "المستقلون" وبمساعدة البترودولارات تمكنت جماعة الأخوان من الحصول على عدد من المقاعد في مجلس الشعب استطاعت بواسطتها أن تعقل المجلس كما يعقلون البعير في الحجاز، فلا يستطيع أن يتحرك. وأصبح المجلس يرغي ويزبد ويهدر وقته وطاقته في مناقشة تصريحات وزير الثقافة عن الحجاب بدل مناقشة الفساد الإداري والمالي وتدني الأحوال المعيشية والعلاجية والتعليمية، وانتشار الخرافة في مصر.

> وما يحدث في مصر يطال بقية البلاد العربية. فالإسلاميون قد عقلوا برلمانات الأردن واليمن والبحرين. والإسلاميون الذين لم يصلوا إلى البرلمانات عن طريق الترشيح وصلوا بالبندقية كما حدث في السودان والصومال. وأصبح الشيخ المعمم تُفتح له القنوات الفضائية ويستشيره رئيس الدولة في القوانين قبل إصدارها. ويتسابق الرؤساء والوزراء في التشديد على أن قوانين بلادهم مصدرها الشريعة الإسلامية ولا يمكن أن يسمحوا لأي قانون جديد يتعارض والشريعة السمحة، أن يرى النور. وأصبحت إقامة الشعائر الدينية هي المقياس لملئ الوظائف الحكومية، وأصبح الدشداش علامة استقامة المواطن.

وأصبحت المرآة في كل البلاد الإسلامية أقرب منها إلى الجماد من الإنسان، فهي أرض يشقها الرجل بمحراثه، كما قالت الدكتورة وفاء سلطان. ويحدث كل هذا بسبب الجهل والرقابة الصارمة التي فرضها المتعممون والسياسيون على العقول. وحتى عندما لا تجد البرلمانات العربية ما تدور حوله من القضايا الهامشية، تشغل الحكومات شعوبها بأمور دينية ثانوية، *مثل المعركة الصحافية التي دارت بين المغرب والجزائر أخيراً حول الطريقة الصوفية التيجانية*. فقد عُقد موتمر في الجزائر عن الطريقة التيجانية وتشاجر مندوبو المغرب مع مندوبي الجزائر **الذين أصروا على أن الطريقة التيجانية هي أصلاً جزائرية**، فهاجمهم مندوبوا المغرب وساندت الصحافة المغربية مندوبي ذلك البلد،

> ’’غير أن جريدة "الشروق" الجزائرية نقلت عن ما سمته شيخ الطريقة سيدي محمد لحبيب التيجاني، في تصريح للإذاعة الجزائرية يؤكد فيه أن "الزاوية التيجانية موطنها جزائري ومؤسسها جزائري والدولة الجزائرية لن تفرط فيها". وتحدثت الصحيفة عن "تزايد اهتمام بعض الأطراف منها المغرب في الاستحواذ على الإرث التيجاني بحجة أن الزعيم الروحي للزاوية الشيخ سيد أحمد التيجاني يرقد بمدينة فاس المغربية"، وربطت بين زيارة العاهل المغربي الملك محمد السادس إلى السينغال بموضوع هذه الطريقة الصوفية، وأنه يدخل في سياق "ترويج الرؤية المغربية حول مزاعم تقول إن فاس هي الأولى باحتضان المقر الدولي للطريقة التيجانية".‘‘[1]

فكل مشاكل الجهل والأمية والدعارة واستغلال الأطفال في المغرب والجزائر قد قضت عليها الحكومات الإسلامية الرشيدة ولم يبق لهم غير تبني الطريقة التيجانية ليتشاجروا عليه.

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعمُ

وكما يقولون فإن التاريخ يعيد نفسه، والعاقل مَن تعلّم من أخطاء غيره. والنار تضطرم من مستصغر الشرر. وشكراً للعلماء الحقيقيين وللعلم الحديث الذي وهبنا طوق النجاة في الابتكار العظيم الذي يسميه الغربيون الانترنت وتسميه الأعراب الشبكة العنكبوتية. ورغم أن القرآن يقول: {**وإنّ أوهى البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون**} فإن الشبكة العنكبوتية هي مارتن لوثر الشرق الأوسط وهي التي سوف تترجم القرآن بحيث يفهمه العامة كما فهم عامة الأوروبيين الإنجيل عندما ترجمه لهم مارتن لوثر. وسوف نستطيع عن طريق هذه الشبكة العنكبوتية قراءة كل الكتب التي صادرها الأزهر وغيره من المؤسسات الدينية. ولن يستطيع أي حاكم عربي أن يحجب الحقيقة عن أعيننا، رغم المحاولات المضنية التي تقوم بها جامعة الملك محمد عبد العزيز في السعودية وغيرها من الجامعات لحجب مواقع الإنترنت المستنيرة. فالجامعات التي أوجدت لنشر العلم، تخون نفسها في البلاد العربية وتصبح أداة لحجب العلم. ولن يدوم احتكار المتعممين للقرآن الذي يصرون ألا يفسره إلا هم لأنهم يحفظون أقوال السلف عن ظهر قلب. فعما قريب سوف يصبح تفسير القرآن والأحاديث في متناول الجميع *وسوف يسقط قناع حفظة الإرث السلفي*. وقد بدأت علامات الصحوة العقلية تظهر بانتشار مواقع الملحدين العرب على الانترنت، مثل موقع "لادينيين" وموقع "إلحاد". وسف يظهر غيرها الكثير من المواقع.

وقد قال عمر بن الخطاب منذ أربعة عشر قرناً من الزمان:

> "إنّ الإسلام قد بزل"

أي أصبح كالجمل البازل أي الذي وصل قمة نموه الجسدي واكتملت أسنانه ولم يبق أمامه إلا الاضمحلال.

والإسلام الآن يمر بنفس المراحل التي مرت بها المسيحية من تسلط الكنيسة على العقول إلى أفولها نهائيا. وعجلة التاريخ لن توقفها العمائم الهشة هشاشة أفكار لابسيها. وسوف تصدق نبوءة عمر عما قريب بواسطة أضعف البيوت: الشبكة العنكبوتية.

عودة إلى الفهرس

[1] إيلاف، 29 نوفمبر 2006.

2006 / 12 / 16

39 - تغيير مهمة الإله

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=83542

عندما اخترع الإنسان البدائي فكرة الإله كان غرضه من الإله أن يحمية من الصواعق والرعد وكل العوامل الطبيعية الأخرى، مقابل أن يقدم الإنسان للإله القرابين في الاحتفالات الدينية. وعندما تطورت فكرة الإله عند الإنسان بعد أن استقر وكوّن المجتمعات الزراعية، اخترع نوعين من الآلهة: آلهة الخير والحب والمطر والخصب، من جهة، وآلهة الشر والحرب والمجاعات والعواصف، من جهة أخرى. وكان غرضه من آلهة الخير أن تتدخل لحمايته من آلهة الشر، وآلهة الشر كانت لتفسير النكبات التي يتعرض لها الإنسان من موت ومرض وجنون وما إلى ذلك. وقدم الإنسان لآلهة الخير القرابين التي وصلت في بعض المجتمعات طور ذبح الفتيات الجميلات قرابين تضمن لهم تدخل الآلهة لحمايتهم أو لدفع الأنهار لتفيض وتسقي لهم أراضيهم الزراعية. وفي كل المجتمعات كان الإله هو الذي يحمي الإنسان ويدافع عنه.

ثم جاء موسى بتوراته المليئة بآيات الحرب والكراهية وعدم تحمل الغير، وطلب إله موسى من الإنسان أن يحارب ويقتل من أجل الأرض وليس من أجل أن يزيد من أعداد الناس الذين يعبدونه ويقدمون له القرابين. ولكن إله موسى لم يجلس في عليائه ويتفرج على المعارك وإنما رسم خطط القتال لداود ونزل وسار مع الجنود في معاركهم، بل سار أمامهم: {**23 فَسَأَلَ دَاوُدُ مِنَ الرَّبِّ فَقَالَ الرب: «لاَ تَصْعَدْ، بَلْ دُرْ مِنْ وَرَائِهِمْ وَهَلُمَّ عَلَيْهِمْ مُقَابِلَ أَشْجَارِ الْبُكَا 24 وَعِنْدَمَا تَسْمَعُ صَوْتَ خَطَوَاتٍ فِي رُؤُوسِ أَشْجَارِ الْبُكَا حِينَئِذٍ احْتَرِصْ، لأَنَّهُ إِذْ ذَاكَ يَخْرُجُ الرَّبُّ أَمَامَكَ لِضَرْبِ مَحَلَّةِ ـ لْفِلِسْطِينِيِّينَ».** (سفر صموئيل الثاني، الإصحاح 5)}. *ويبدو أن إله موسى كان في غنى عن كل المخلوقات ما عدا شعبه المختار*، فأوصى الملك شاؤول بقتل كل ما يتحرك {**3 فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعاً، بَقَراً وَغَنَماً، جَمَلاً وَحِمَاراً.** (سفر صماوئيل الأول، الإصحاح 15)}. وبما أن إله موسى لم يكن له أي رغبة في التعامل مع إي شعب غير شعبه المختار فقد انحاز لهم وقرر أن يمنحهم أراضي الشعوب الأخرى {**1 وَكَانَ بَعْدَ مَوْتِ مُوسَى عَبْدِ الرَّبِّ أَنَّ الرَّبَّ قَالَ لِيَشُوعَ بْنِ نُونٍ خَادِمِ مُوسَى: 2 مُوسَى عَبْدِي قَدْ مَاتَ. فَالآنَ قُمُ اعْبُرْ هَذَا الأُرْدُنَّ أَنْتَ وَكُلُّ هَذَا الشَّعْبِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنَا مُعْطِيهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. 3 كُلَّ مَوْضِعٍ تَدُوسُهُ بُطُونُ أَقْدَامِكُمْ لَكُمْ أَعْطَيْتُهُ كَمَا كَلَّمْتُ مُوسَى. 4 مِنَ الْبَرِّيَّةِ وَلُبْنَانَ هَذَا إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ نَهْرِ الْفُرَاتِ، جَمِيعِ أَرْضِ ـ لْحِثِّيِّينَ، وَإِلَى الْبَحْرِ الْكَبِيرِ نَحْوَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ يَكُونُ تُخُمُكُمْ.** (سفر يشوع، الإصحاح الأول)}. وبهذا أعلن إله موسى أنه منحاز إلى شعبه المختار يمنحهم أراضي الغير ويحارب معهم بل يقودهم في المعارك ويحميهم، مثله مثل الآلهة القدماء.

وجاء الإسلام بنفس الإله في البداية عندما كان النبي بمكة. فكان يقص عليه قصص الأنبياء الذين سبقوه وكيف أن الله عاقب الذين لم يستجيبوا لأنبيائه حتى يحمي الأخرين الذين آمنوا. *ولكن بعد الهجرة تغيرت صورة ومهمة الإله*. فأصبح الإله لا يستطيع أن يقلب الأرض أو يرسل فيضاناً على الذين رفضوا الانصياع لنبيه، فاشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ووعدهم الجنة مقابل أن يحاربوا من أجل نصرة دينه {**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يُقاتلون في سبيل الله فيَقْتُلونَ ويُقْتَلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم.** (التوبة 111)}. *فلم يعد الإله قادراً أو راغباً في القتال بنفسه كما فعل إله موسى*، **ولذلك اشترى من المؤمنين أنفسهم ليقاتلوا بالإنابة عنه.**

وأتاح القتال في سبيل الله للمؤمنين أن يصيدوا عصفورين بحجر: في الحياة الدنيا يأسرون النساء ليصبحن من ملك أيمانهم، وفي الآخرة يهبهم الله بنات الحور في الجنة. وكلما زاد قتال المؤمن من أجل الله كلما زاد عدد ملك يمينه وعدد حوريات الجنة اللاتي ينتظرنه. ووجد هذا الإله وقعاً حسناً في نفوس المؤمنين وتقربوا إليه لدرجة أنهم تخيلوه إنساناً مثلهم فجعلوا له أيدي وأرجل ووجه وآذان يسمع بها ولسان ينطق به، *ولم ينفوا عنه إلا الزواج وإنجاب الأطفال ليفرقوا بينه وبين الإنسان*. وذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية، *الذي جعل الله ينزل فعلياً كل ليلة من عرشه إلى السماء الدنيا ليسمع ويتقبل دعوات المؤمنين*، كأنما الله قد أصابه ضعف في السمع ولم يعد يسمع الدعوات وهو في عليائه فصار لا بد له أن ينزل إلى السماء الدنيا.

وبالتدريج تخلى إله المسلمين عن حماية الإنسان الذي أصبحت تفتك به الحروب والزلازل والأمراض والله لا يحرك ساكناً لحمايته. وكان من الطبيعي أن يتقلد الإنسان هذه المهمة التي تخلى عنها الإله، فينما صار الإنسان غير المسلم يحاول حماية نفسه بتصميم المباني التي تقاوم الزلزال وبإنشاء السدود التي تمنع الفيضانات وغيره، أصبح المسلم يركز جهده في حماية الإله من غير المؤمنين به، واجتهد الفقهاء في تخريج الفتاوى التي تُكفّر كل مَن اختلف معهم في الرأي ويعتبرونه عدو الله. وأصبح أعداء الله أكثر من أصدقائه وتفنن الفقهاء وغيرهم في إصباغ صفة عدو الله على غالبية الناس.

والشخص الذي يُصبغ بصبغة عداوة الله لا بد أن يُقتل ليتقرب به قاتله من الله الذي أصبح في أعينهم عاجزاً حتى عن حماية نفسه من أعدائه، فأوكل هذه المهمة إلى المتشددين في إسلامهم من الجماعات الإسلامية التي انتشرت في العالم العربي كانتشار السرطان في الجسم.

- ففي المغرب مثلاً قال أحد المتشددين الإسلامويين في المحكمة إنه ذبح المجني عليه ليتقرب به إلى الله وكان هو أول ضحية يتقرب بها إلى ربه.
- وفي هولندا عندما قتل المسلم المغربي محمد بويري المخرج السينمائي ثيو فان غوخ، قال في المحكمة إنه غير نادم وإنه قتل المخرج ليتقرب به إلى الله لأنه كان عدو الله.
- وفي العراق يذبح الإسلاميون الرجل أمام الكاميرات التي تصور العملية البربرية ويزعمون أنهم يتقربون إلى الله بذلك لأنهم يذبحون أعداء الله.

فلم يتخل الإله عن حماية الإنسان فقط وإنما **أصبح يتلذذ برؤية المسلمين يقتلون أعداءه تقرباً له،** لأنه لم يعد قادراً على قتلهم بنفسه. والجدير بالذكر أن إصباغ صفة العداوة لله كانت قد بدأت مع بداية الإسلام.

> "فقد جاء عن السيدة عائشة عندما حاربت علي بن أبي طالب في موقعة الجمل، ورجعت إلى المدينة، أنْ دخلت عليها أم أوفى العبدية فقالت لها: يا أم المؤمنين، ما تقولين فى امرأة قتلت ابنًا لها صغيرا؟ قالت: وجبت لها النار! قالت: فما تقولين فى امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفًا فى صعيد واحد، قالت عائشة: **خذوا بيد عدوة الله!!!**"[1].

فالمرأة التي تقتل ابنها تجب لها النار، أما المرأة التي تجرأت وقالت إن عائشة - أم المؤمنين - تسببت في قتل الآلاف من أبنائها المؤمنين بموقفها من علي بن أبي طالب، لم تصبح عدواً لعائشة فقط وإنما أضحت عدواً لله كذلك، فعداوة عائشة من عداوة الله.

وتدريجياً بعد أن فقد الإله مهمته الرئيسية، وهي حماية الإنسان، **فقد المقدرة على اتخاذ القرار**، فأصبح المتشددون يتخذون القرارات بالإنابة عنه. ففي العراق أصدر جيش الإسلام بياناً قال فيه:

---

[1] العقد الفريد.

> "تم استكمال التحقيقات اللازمة مع كل من المتهمين محمد هارون حماد (سوداني الجنسية) وماهر عطايا (سوداني الجنسية)، وبعد امعان النظر في قضيتهما من قبل الهيئة الشرعية التابعة للجيش الإسلامي والتحقق من الفترة التي عملا فيها وطبيعة عملهما، قررت الهيئة تعزيرهما بما يستحقان واستتابتهما". وأضاف "وبعد ظهور صدق توبتهما إلى الله ولمقاصد أخرى، تقرر اطلاق سراحهما"[2].

فأعضاء المحكمة الشرعية اتخذوا القرار بالإنابة عن الله وقرروا أن توبة السائقين إلى الله كانت توبة صادقة. وما كان لله إلا أن يوافق على هذا القرار ولم يتدخل ليخبرنا هل فعلاً كانت التوبة له توبةً نصوحة أم لا.

ولكن الغريب في الإسلام هو أن **الفقهاء يحق لهم رسمياً أن يقولوا بغير ما قال به الله في قرآنه، وتعلو كلمتهم على كلمته**. فنجد مثلاً القرآن يقول: {**إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور**. (الحج، 38)}. فالآية تقول بلا مواراة إن الله هو الذي يدافع عن المؤمنين، ولكن الفقهاء قالوا إن المؤمنين هم الذين يدافعون عن الله ويذبحون أعداءه،

- كما يذبح الجزائريون المتشددون المخالفين لهم في الرأي بزعم أنهم أعداء الله،
- وكما يذبح المتشددون في المغرب وفي العراق أعداء الله،
- وكما ذبح الإسلاميون في السودان السيد محمد أحمد طه، رئيس تحرير صحيفة الوفاق، رغم أنه كان ينتمي لجماعة الأخوان المسلمين، لكنه أصبح عدواً لله لأنه نشر جزءاً من كتاب "المجهول في حياة الرسول".
- ويسهل على الإنسان في العالم العربي كسب عداوة الله.

وبعد أن فقد الإله مهمته الرئيسية وأصبح عاجزاً يحتاج الدفاع عنه وحمايته من أعدائه، **أصبح كلامه لا معنى حقيقي له**. فنجد مثلاً:

- في القرآن: {**إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون**. (العنكبوت، 45)}.

فالمسلمون ظلوا يصلون منذ نزول القرآن قبل أربعة عشر قرناً من الزمان وحتى الآن. وقد جعلوا من شعيرة الصلاة إلهاً جديداً وأصبح الذي لا يصلي كافراً يجب قتله. وأفرد الإمام أحمد في مسنده سبعة كتب للصلاة وكتب البخاري كتاباً كاملاً عن رفع اليدين في الصلاة. وأصبحت الصلاة هي الإله الجديد ومهمته ليست حماية الإنسان وإنما تمكين المسلم من معرفة مَن هو الكافر الذي لا يصلي. والصلاة حتماً لم تنههم عن الفحشاء والمنكر. فالعالم الإسلامي اليوم، بعد أن غمرته دولارات البترول، بز جميع دول العالم في الفحشاء والمنكر ولكنهم يفعلونها في الخفاء.

- والحديث يقول: [**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.**]

فهل في ملايين المسلمين الذين يتفاخر بهم مَن يكتب عن الإسلام، من لا تمتد يده أو يمتد لسانه إلى مسلم أخر؟ وماذا عن الإسلاميين الجزائريين الذين يُفجرون أحزمتهم الناسفة في وسط المقاهي والأسواق العامرة بالمسلمين الأخرين؟ وماذا عن مسلمي العراق من شيعة وسنة وهم يفجرون بعضهم بعضاً؟

- وأخرج الطيالسي وأحمد والترمذي وحسنه والحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري قال:

> "خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة إلى مغيب الشمس، حفظها مَن حفظها ونسيها مَن نسيها، فقال: [**ألا وإن أفضل الجهاد مَن قال كلمة الحق عند سلطان جائر.**]"[3].

فمنذ أن قال النبي هذا الحديث إلى اليوم، هل وقف شيخ أو فقيه أمام سلطان من سلاطين المسلمين، وكلهم كان وما زال جائراً، وقال له كلمة حق؟ التاريخ يخبرنا أن الفقهاء ووعاظ السلاطين اكتفوا بحث الناس على جهاد القتال عند غير السلطان، وقالوا للسلطان ما يحب أن يسمعه، أو صمتوا خوفاً وتقية.

فهل يستطيع إله، جردوه من أبسط الضروريات، *وهو الدفاع عن نفسه وحمايتها*، هل يستطيع أن يُقنع أحداً بالإيمان به أو عبادته، **وهو لا يستطيع حتى أن يقرر ما يفعل بعد أن سلبه الفقهاء هذا الحق وأصبحوا هم الذين يقررون ما يحب وما يكره**، ما يشتهي وما يبغض، مَن ينظر إليه ومَن لا ينظر إليه يوم القيامة. **وكأمثلة لما قرره الفقهاء من الأشياء التي يكرهها الله ويحبها**، نورد:

- قال ابن الجوزي:

> "والله عَزَّ وجَلَّ يغضَب مِن تسمية الكفار بالأسماء التي تحمل صفاة الله."[4]
> "فبحمده وحكمته أعطى، وبحمده وحكمته حَرَم، فمن ردَّه المنعُ إلى الافتقار إليه والتذلُّلِ له، وتملُّقِهِ، انقلب المنعُ في حقه عطاءاً، ومَن شغله عطاؤهُ، وقطعه عنه، انقلب العطاءُ في حقِّه منعاً."[5]

فإذا تذلل العبد لله وتملقه أحبه الله وبدّل حرمانه إلى عطاء.

- وفي حديث عن النبي أنه قال:

[**لاَ يَخْرُجِ الرَّجُلاَنِ يَضْرِبَانِ الغَائِطَ كَاشِفِينَ عَنْ عَوْرَاتِهِمَا يَتَحَدَّثَانِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَمْقُتُ ذَلِكَ**].

- وفي حديث ذكره البخاري:

[**إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاوُبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُم وَحَمِدَ اللَّهَ، كَانَ حَقّاً عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ**][6]

فيبدو أن مهمة الإله قد تغيرت من حماية الإنسان إلى منح الفقهاء والشيوخ غطاءً دينياً ليتحكموا في العامة بإسم الإله ويملؤوا جيوبهم بما يتبقى مِن موائد السلاطين الذين نهبوا خيرات البلاد. فهل بقيت للإله أي مهمة يستطيع أن يقوم بها من تلقاء نفسه دون تدخل الفقهاء؟

وهل بقيت عند الإنسان المعاصر أي حاجة لإله لا يستطيع حمايته من تجار الدين ناهيك عن المخاطر الطبيعية؟

عودة إلى الفهرس

[2] الشرق الأوسط، 7 أبريل 2005.
[3] الدر المنثور في التفسير بالمأثور، سورة آل عمران، الآية 134.
[4] زاد المعاد، ج2، ص 197.
[5] نفس المصدر، ص 205.
[6] نفس المصدر ص 238.

40 - الأديان ليست سماوية

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=83893

في فترة ما قبل الميلاد عندما ظهرت الديانة اليهودية في منطقة فلسطين كان الإنسان ما يزال مرتبطاً جسدياً بالمنطقة التي وُلِد فيها إذ كانت الحركة وقتها محدودة لعدم وجود وسائل تنقل غير الحيوانات الأليفة مثل الحمار أو الحصان. وحتى هذه لم تكن متوفرة للجميع. ولذا انحصرت القصص الفلكلورية والعادات والتعاليم الدينية اليهودية في المنطقة التي نشأت بها. وعلى مدى أكثر من الف عام لم تنتشر اليهودية خارج فلسطين إلا بنزوح أعداد بسيطة من اليهود إلى الجزيرة العربية واليمن بعد السبي البابلي.

ثم جاءت المسيحية في نفس منطقة فلسطين، وبعد أكثر من ألف عام من ظهور اليهودية. ولما كان الإنسان لم يزل مرتبطاً بالأرض لعدم توفر وسائل التنقل السريع، فقد جاءت المسيحية وليداً يشبه أباه في أكثر الملامح التشريعية والفقهية لأن الذين أتوا بها كانوا مشبعين بالأفكار اليهودية والتعاليم الموسوية، ولذا قالوا على لسان المسيح إنه أُرسل إلى *خراف بني إسرائيل الضائعة*. فإذاً هو قد جاء لتكملة الديانة الموسوية، ولم يكن في مقدوره أن يفعل غير ذلك لأنه حتى ذلك الوقت لم يتسن للذين كتبوا الإنجيل الاختلاط بثقافات أو شعوب أخرى غير المستعمر الروماني الذي كان وثنياً في ذلك الوقت.

وفي نفس الحقبة الزمنية التي ظهرت فيها اليهودية كانت هناك مناطق أخرى من العالم تفصلها عن فلسطين مساحات شاسعة من الأرض يصعب الوصول إليها بسبل المواصلات المتاحة في ذلك الوقت، كانت قد ظهرت فيها أديان وفلسفات اجتماعية تحمل نفس تعاليم الديانة اليهودية من الوصايا العشرة التي تُحرّم القتل والسرقة والكذب والزنى وما إلى ذلك.

- فقد ظهرت في **الصين** ‹ميثولوجيا تفسر خلق العالم ووجود الخير والشر جنباً إلى جنب في العالم.›

> تقول الميثولوجيا الصينية إنه لم يكن هناك شيء قبل ظهور "بان كو" الذي عاش قبل حوالي بليونين من السنين. وقد ظل هذا هذا ال "بان كو" يخلق العالم على مدى ثمانية عشر ألف عام. ومات بعد أن خلق العالم فتجمعت أنفاسه فصارت ريحاً وسحباً، وأصبحت أناته الأخيرة الرعد، وأصبح الدم في عروقه الأنهار، وعرقه أصبح الأمطار، وعظامه الصخور، وأسنانه المعادن، وأصبحت عينه اليسرى الشمس وعينه اليمنى القمر، وشعره أصبح الغابات ولحمه الأرض ورأسه الجبال. وأما الحشرات التي كانت على جسمه أصبحت الآدميين أي الناس. ثم ظهر عدة أرباب في السماء، منهم الخيرون ومنهم الشريرون.[1]

وبنى المصلحون الاجتماعيون على هذه الميثولوجيا وجاؤوا بتعاليم لا تختلف عن اليهودية كثيراً في وصاياها العشرة. من هؤلاء المصلحين كان **كونفيشيوس** الذي ظهر قبل ألفين وخمسمائة عام وأصبحت تعاليمه ديناً يتبعه غالبية الصينيين. *وكونفيشيوس كان حكيماً لم يدع النبوة*.

- وفي **الهند** التي لا تبعد عن الصين كثيراً ولكن تفصلها جبال ووديان جعلت الاتصال بينهما في ذلك الوقت محصوراً، لم تظهر عندهم الديانات الصينية بل خلقوا ‹الميثولوجية الهندوسية› التي تقول بأن

> "براهما" كان يعيش وحده في الفضاء اللامتناهي، وكان عملاقاً ضخماً. وكان يقول "أنا أقوى من السماء وأعظم من الأرض وأرفع من كل هذه الأجرام والكواكب حولي، أنا الكل في الكل. أفعل ما أريد، وأخلق كل ما يخطر لي. أنا جوهر هذا العالم الواحد الشامل. لستُ بالذكر ولا بالأنثى. إنما أنا روح غير مشخّص في صفاته، أحتوي كل شيء وأكمن في كل شيء، لا تدركني الحواس، لأني أنا حقيقة الحقيقة. أنا براهما".[2]

وهذه الأفكار عن الإله هي نفس الفكرة التي أتت بها اليهودية والمسيحية والإسلام وادعوا أنها إيحاء من السماء. والهندوس يؤمنون *بتناسخ الأرواح* كما يؤمنون *بالنيرفانا** Nirvana بدل الجنة. وبالتدريخ ظهرت عندهم *فكرة التثليث* التي تتكون من *براهما الخالق*، *وفشنو الحافظ وشيفا المدمر*. ونسبةً لكبر مساحة الهند واختلاف جغرافيتها وصعوبة الاتصال بين الناس، ظهرت أديان أخرى في مناطق مختلفة من الهند، منها البوذية والجانتية ومذاهب أخرى.

* **Nirvana** spiritual enlightenment: in Hinduism, Buddhism, and Jainism, the attainment of enlightenment and freeing of the spiritual self from attachment to worldly things, ending the cycle of birth and rebirth

Microsoft® Encarta® 2009.

- وفي مصر التي لم تكن تبعد عن فلسطين كثيراً ولكن تفصلها عنها صحراء سيناء التي جعلت السفر في تلك الأيام دونه الموت المحقق، ظهرت ‹الديانات المصرية القديمة› من عبادة الحيوانات إلى عبادة إله الشمس رع إلى الإله الأوحد آمون، الذي ظهر في الفترة التي عاصرها موسى، حسب الروايات التوراتية والقرآنية. ولا بد أن موسى (لو كان شخصيةً حقيقية) قد تشبع بهذه التعاليم قبل أن ينتقل إلى فلسطين ويتوه في الصحراء أربعين عاماً، ولذا جاء بفكرة *التوحيد* التي لم تكن معروفة خارج مصر في تلك الحقبة.
- وقريباً نسبياً من فلسطين، وفي أرض الرافدين، ظهرت ‹ديانات تعددية› يسكن أربابها السماء ويتشاجرون ويتصالحون كما كانت تفعل آلهة الإغريق على جبل الأولمب. وظهرت الزرادشتية Zoroastrianism في بلاد فارس ومنها ظهر *الإله ميثرا* الذي سبق المسيحية في كل التعاليم التي أتت بها، وحتى احتفالات عيد الميلاد في ديسمبر.

ورغم بعد المسافات وصعوبة الترحال، فقد ولدت في بقاع كثيرة من العالم *ميثولوجيا* تحاول تفسير كيفية خلق العالم والإنسان، وتشابهت كل الميثولوجيات المختلفة في القوانين التي وضعتها لتنظيم المجتمعات ولتشيع الخير ومنع الشر. **ولا تختلف تعاليم تلك الميثولوجيات عن التعاليم التي أتت بها الديانات الثلاث التي زعمت أنها سماوية**. أما البلاد المفصولة عن فلسطين وعن بقية العالم بالبحار، مثل أستراليا وأمريكا الجنوبية وأفريقيا، فقد ظل الإنسان فيها يتعبد إلى أرواح أسلافه حتى القرن الثامن عشر عندما بدأ الرجل الأبيض رحلاته إلى أفريقيا وغيرها.

وفي الوقت الذي تعلم فيه الإنسان العربي التجارة التي أتاحت له الاختلاط بالحضارات المجاورة في الشام وفارس، وصناعة السفن التي أتاحت له الاختلاط بالحضارات البعيدة مثل الهند والسند، **جاء الإسلام فكان خليطاً من اليهودية والمسيحية والزرادشتية، وربما بعض التعاليم الهندية**.

---

[1] قصة الديانات، سليمان مظهر، ص 186.

[2] نفس المصدر السابق ص 80.

فإذا كان هناك إله في السماء، وكان قد خلق العالم وكل المخلوقات بما فيها الإنسان، لماذا خلق الغالبية العظمى منهم في الصين والهند وأفريقيا، وتركهم ليخلقوا لأنفسهم آلهة وميثولوجيا يحاولون بها التوصل إليه، ثم يجعل حفنة بسيطة تسكن فلسطين وجزيرة العرب، موضع اهتمامه ويبعث فيهم كل الرسل والأنبياء المعروفين لنا، ويجعل منهم شعبه المختار وخير أمةٍ أُخرجت للناس؟

طبعاً ليس هناك أي سبب منطقي يجعل الإله يتصرف بهذه الطريقة الغريبة، خاصة أن الأديان الثلاثة التي تدعي أنها سماوية، تخبرنا أن كل الناس ولدوا من آدم وحواء، وبالتالي هم أسرة واحدة.

فلماذا يفضل إله السماء تلك الحفنة من الناس التي عاشت في فلسطين ويهمل بقية أفراد الأسرة الواحدة؟ وما هو الجديد الذي أتت به الديانات الثلاث حتى يجعل الإله من أتباعها شعبه المختار وخير أمته؟ فكل التعاليم التي أتت بها الديانات الثلاث كانت معروفة للجنس البشري في البقاع المختلفة التي ذكرناها.

ونلاحظ أنه حتى في هذا العصر الحديث ما زال أتباع اليهودية والمسيحية والإسلام يمثلون حوالي خمسين بالمائة من سكان العالم (المسيحية 2.1 بليون، الإسلام 1.3 بليون، اليهود 14 مليون[3]. (فمجموع أتباع الثلاث ديانات هو 3.54 بليون من مجموع ما يقارب 7 بلايين من سكان العالم. وحتماً فقد كانت النسبة المئوية أقل بكثير في القرون الأولى للميلاد، فلماذا تجاهل الإله الغالبية العظمى من خلقه وركز جهده في فلسطين وما حولها؟ والجواب المنطقي لهذا السؤال هو أنه لم يتجاهلهم لأنه غير موجود أصلاً.)
والغريب أن الإسلام نفسه يؤكد لنا هذه الحقيقة. فبعد أن قال (**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**) والتي نفهم منها أن الإله خلق الناس فقط ليعبدوه ولا لشيء آخر، يقول لنا في عدة آيات أخرى:

{**ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا.** (الإسراء 89)}.
{**ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفوراً.** (الفرقان 50)}.
{**وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين.** (يوسف 103)}
{**وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون.** (الأنعام 116)}.

فالقرآن يؤكد لنا أن أكثر أهل الأرض غير مؤمنين بالله مع أن الله ما خلقهم إلا ليعبدوه. وهنا لا بد لنا أن نستشير المنطق. الإله الذي في السماء، الإله العالم القادر على كل شيء، والذي يعلم ما سوف يفعل العبد حتى قبل أن يخلقه، هذا الإله خلق آدم وأمره ألا يأكل من الشجرة الممنوعة، فعصاه آدم وأكل منها. وخلق إبليس وطلب منه أن يسجد لآدم فرفض وحاجج الله ثم طلب منه أن يمهله إلى يوم القيامة ليضل عباده، وأنذره بذلك {**قال أرايتك هذا الذي كرمتَ عليّ لئن أخرتني إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا.** (الإسراء 62)}. ومع ذلك استجاب له الإله وأخره إلى يوم القيامة ليضل عباده. ثم أرسل نوح الذي مكث في قومه ما يقرب من الألف عام يدعوهم إلى الله، فلم يتبعه إلا أهل بيته فقط، فغضب الله على الناس والحيوانات وأرسل الطوفان الذي أغرق كل شيء حي على وجه الأرض، أفما كانت هذه فرصة للإله العليم أن يخلق قوماً أكثر استجابةً له وإيماناً به؟ خاصة أن القرآن يخبرنا أن الله قد أخرج جميع ذرية أبناء آدم من ظهورهم وأخذ ميثاقهم أن يؤمنوا به {**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا.** (الأعراف 172)}. فالإله الذي احتاط لدرجة أنه أخرج جميع سكان العالم من ظهور آبائهم وأخذ ميثاقهم، وأكدوا له أنهم سوف يؤمنون به إلهاً واحداً، ثم حنثوا أيمانهم واخترعوا لأنفسهم آلهة غيره، أما كان المنطق يُحتم بعد طوفان نوح أن يخلق أناساً لا يحنثون بوعدهم ويؤمنون به ويعبدونه، لأنه ما خلق الناس إلا ليعبدوه؟ فلماذا خلق الصينيين والهنود والأفارقة بعد الطوفان وتركهم لحالهم ليخلقوا آلهتهم ولم يبعث فيهم رسولاً؟
ونحن نعرف أنه بعد الطوفان جاء قوم لوط الذين عصوه فقلب بهم الأرض، وقوم عاد وقوم صالح وقوم شعيب، وكلهم عصى الإله ورفض أن يتبع تعاليمه، فأرسل عليهم الرياح والصواعق والحر فأبادهم. واستمر في إرسال الرسل والأنبياء إلى منطقة فلسطين ليهدوا الناس إلى الإله الذي ما خلقهم إلا ليعبدوه، بينما العصيان الأكبر له كان خارج فلسطين. وكما يقول المذهب الشيعي إن الله أرسل أكثر من 120 ألف نبي ورسول، وما زال أكثر الناس لا يؤمنون. فهل عجز هذا الإله أن يتعلم من أخطائه السابقة التي أثبتت له أن الناس الذين خلقهم ليعبدوه لا يؤمنون به ولا يعبدونه؟
والغريب أن القرآن بعد أن أكد لنا أنّ أكثر أهل الأرض لا يؤمنون، رجع وقال لنا {**أفغير دين الله يبغون وله أسلم مَن في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون.** (آل عمران 83)}. وكذلك يقول {**ولله يسجد مَن في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والأصال.** (الرعد 15)}. فنفهم من هذه الآيات أن كل الناس والمخلوقات التي على الأرض والتي في السماء أسلمت لله وتسجد له طوعاً أو كرهاً، وحتى ظلالها تسجد له. فماذا حدث لأكثرية الناس الذين لا يؤمنون؟ فهل يمكن أن يكون هذا التناقض الواضح في الآيات صادراً من إله في السماء أحكم آيات القرآن قبل أن يخلق العالم؟ بالطبع لا يمكن أن يكون هذا التناقض صادراً من إله. وفقهاء المسلمين أنفسهم يعلمون ذلك ويحاولون الخروج من المأزق بشتى أنواع التفاسير.

وهنا يقول لنا المفسرون إن المسلم يسلم طوعاً لله وأما الكافر يسجد لغير الله ولكن ظله يسجد لله، ولذلك يكون قد أسلم لله كرهاً[4].

ولا بد أنهم سألوا أنفسهم: ماذا يحدث للكافر ليلاً عندما يسجد لغير الله ولا يكون له ظلٌ ليسجد لله؟ وماذا يحدث للكفار في أوروبا التي يظللها الغمام أغلب أيام العام ومِن النادر أن تجد للإنسان ظلاً حتى في منتصف النهار؟
في اعتقادي أن الأديان الثلاثة الشرق أوسطية لا تختلف عن مثيلاتها من الميثولوجيات التي ظهرت في كل بقاع الأرض وأصبحت أدياناً يتبعها أكثر سكان الأرض.

وليس هناك أديان سماوية وأديان أرضية. كل الديان أرضية وقد اخترعها الإنسان كما اخترع الإله نفسه.

عودة إلى الفهرس

[3] www.adherents.com

[4] تفسير القرطبي.

2006 / 12 / 28

41 - زغلول النجار والسموم الإسلامية

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=84508

من المعروف في علم النفس أن الإنسان الذي تعوزه بعض الصفات يصاب بمركب النقص (عقدة الدونية) Inferiority complex ويحاول جهده إخفاء ذلك النقص بالمبالغة في انتحال الصفات المضادة له. فمثلاً الشخص الذي تربى في الفقر والحرمان إذا أصاب شيئاً من المال يبالغ في إظهار الغنى. وحتى الدول والأنظمة يصيبها مركب النقص هذا وتحاول إخفاءه بانتحال الصفات المضادة. فمثلاً أغلب الدول التي كانت ترزح تحت نظام الحزب الواحد في القرن الماضي وكانت أبعد شيء عن الديمقراطية، أضافت كلمة "الديمقراطية" إلى اسمها، مثل جمهورية ألمانيا الديمقراطية، وجمهورية الكونـگو الديمقراطية، وجمهورية السودان الديمقراطية، وأخيراً الجماهيرية الشعبية الليبية، التي يوحي اسمها بأن الجماهير أو الشعب هم أصل السلطة في البلاد، بينما هم أبعد الناس عنها. ونفس الشيء ينسحب على الإسلام الذي رمى معاصروه النبي محمد بانتحال صفة النبوة وبالكذب وانتحال الشعر والزعم بأنه قرآن إلهي. كل هذه الاتهامات خلقت عقدة نقص عند المسلمين الذين بالغوا في جعل عقيدتهم الميزان الذهبي لكل العقائد الأخرى، وجعلوا نبيهم خير من وطئ الثرى وأنّ العالم لم يخلق إلا لأن الله أراد أن يرسل النبي محمد في آخر الزمان. والشيء الغريب في ادعاءات المسلمين، عدا عن أنها لا تتماشى والمنطق، فهي تتعارض مع صريح القرآن الذي هو معجزة الرسالة. فمثلاً هم يدّعون أن النبي محمد هو *حبيب الله وصفيه المفضل*، بينما نجد القرآن يقول:

{وما محمد إلا رسول خلت من قبله الرسل}
و {ما كان محمد أبا رجلٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين}
و {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم}
و {والذيم آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما أنزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}.

وهذه هي الآيات الوحيدة التي ذُكر فيها محمد في القرآن، وليس فيها ما يوحي بأن محمد *خير البرية*. بينما نجد القرآن يذكر **إبراهيم** في *إحدى وعشرين سورة* ويذكر اسمه *أربعاً وخمسين مرة*، ويقول عنه: **{ومن يرغب عن ملة إبراهيم فقد سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وفي الآخرة لمن الصالحين.** (البقرة 130)}. فالقرآن يذكر صراحةً أن **إبراهيم** *هو صفي الله*. وأما **موسى** فقد ذكره القرآن في أكثر من *تسع وعشرين سورة*، وكرر اسمه *مائة وثلاث وعشرين مرة*، وأنزل له **المن** و**السلوى** من السماء وشق له البحر. ولأن المسلمين الأوائل شعروا بعقدة النقص لأن **محمد** لم يذكر في القرآن إلا أربع مرات فقط، سمُّوا *سورة كاملة باسمه* بينما السورة التي بها ثمان وثلاثون آية لم يذكر **محمد** فيها إلا مرةً واحدة فقط. وبسبب هذه العقدة جعلوا **محمد** يؤم الأنبياء والرسل عند بيت المقدس ليلة الإسراء والمعراج، وجعلوا شفاعته يوم القيامة تفوق شفاعة جميع الأنبياء والرسل، وجعلوه خير البرية.

وباختصار فقد ألّهوا محمد ليغطوا على عقدة النقص التي يعانون منها.

ومنذ ظهور الإسلام *احتكر المسلمون كل الفضائل* ورموا بقية الشعوب والمعتقدات بالرذائل، المعروف منها وحتى غير المعروف. فبينما نجد المسيحية تركز على التسامح وحب العدو وإدارة الخد الأيسر إذا صفعك أحد على خدك الأيمن، نجد المسلمين يجهدون أنفسهم في تبخيس وازدراء بقية المعتقدات، *ويحسبون أنهم يرفعون من شأن إسلامهم إذا أحطوا من شأن الأديان الأخرى*. وقد تخصص بعض مشايخ الإسلام في مثل هذا الردح المشين. وقد فاق دكتور زغلول النجار بقية الشيوخ في هذا المضمار. وقد كتب حديثاً مقالين بصحيفة الأهرام القاهرية تحت عنوان ‹الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية›، يُبخّس فيهما اليهود ويعلن على الملأ تحريف التوراة. وقد اتخذ من سورة المائدة منطلقاً للهجوم على اليهود.

- ففي المقال الأول بتاريخ 20 نوفمبر 2006، بدأ بالآية التي تقول {**قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شرُ مكانا وأضل عن سواء السبيل**}. وبعد أن تحدث عن سورة المائدة قال:

«من الدلالات العلمية للآية الكريمة:
أولا: في قوله تعالى:{**وجعل منهم القردة**} جاءت الإشارة إلى مسخ العصاة من بني إسرائيل إلى قردة في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم يقول فيها الحق تبارك وتعالى:
{**ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين.** (البقرة 65)}.
{**وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت...** (المائدة 60)}.
{**فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين.** (الأعراف 166)}.»

- وبعد أن شرح الشيخ ما يعرفه عن القرود ونشأتها وأنواعها، قال:

"وهي حيوانات تتمتع بقدر من الذكاء، وبقدرة على التعلم ولكن القرد حيوان حاد المزاج، يتسم بالأنانية الشديدة، وبالخيانة والغدر، والميل إلي الاستغلال، وحب التملق، وعدم الوفاء، وحب الرشوة واستمرائها. ولذلك كان المسخ من مرحلة الإنسانية إلي مرحلة القردة يعتبر امتهانا وإذلالا للعصاة من بني إسرائيل وعقابا من الله ـ تعالى لهم، ولكنهم لم يطيلوا العيش ولم ينسلوا فقد روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما أنه قال: '*لم يعش مسخ من الخلق فوق ثلاثة أيام أبدا، ولم يأكل، ولم يشرب، ولم ينسل*'. ويروي الإمام أحمد عن أبي دواد الطيالسي عن ابن مسعود ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ أنه قال: 'سألنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن القردة والخنازير أهي من نسل اليهود؟' قال: [**لا، فإن الله ـ عز وجل ـ لم يلعن قوما قط فيمسخهم فكان لهم نسل، ولكن هذا خلق كان، فلما غضب الله ـ عزو وجل ـ علي اليهود مسخهم فجعلهم مثلهم.**]" انتهى.

✍ وعلى الأقل فإن القرود، باعتراف الشيخ، تتمتع بالذكاء الذي يعوز كثيراً من المسلمين. وقد أتى الشيخ بأحاديث ابن مسعود وغيره في محاولة لتغيير معنى الآية التي استعان بها. فالآية تقول: {**وجعل منهم القردة والخنازير**} وواضح من معنى الآية أن الله جعل القردة والخنازير من مسخ اليهود. ولكن لأن العلم الحديث الذي يحاول الإسلاميون التسلق عليه، قد أثبت أن القرود قد سبقت الإنسان في الظهور على هذه البسيطة بملايين السنين، ولأن هذه الحقيقة التي اعترف بها الشيخ نفسه في مقاله، تثبت خطأ الآية القرآنية، جاؤوا بأحاديث ملفقة تقول *إن الناس الذين مسخهم الله لم يلدوا ولم يكن لهم نسل*. ولكن مشكلة الأحاديث أنها تناقض بعضها البعض. ففي مقابل حديث ابن مسعود الذي يقول إن الله لم يمسخ قوماً ويجعل لهم نسلاً، نجد حديث أبي هريرة الذي يقول:

"حدثنا إسحاق بن إبراهيم ومحمد بن المثنى العنزي ومحمد بن عبدالله الرزي. جميعا عن الثقفي (واللفظ لابن المثنى). حدثنا عبدالوهاب. حدثنا خالد عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [**فقدت أمة من بني إسرائيل، لا يدري ما فعلت. ولا أراها إلا الفأر. ألا ترونها إذا وضع لها ألبان الإبل لم تشربه. وإذا وضع لها ألبان الشاء شربته؟**]. - في إشارة إلى تحريم لحم

> ولبن الإبل في اليهودية. قال أبو هريرة: فحدثت هذا الحديث كعبا فقال: أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلت: نعم. قال ذلك مرارا."[1]

- فهاهو أبو هريرة يقول إن النبي قال إن الفأر هو قبيلة بني إسرائيل الضائعة. ولم يكن وقتها قد سمع بقبيلة الفلاشا في إثيوبيا.
- وبعد أن تحدث الشيخ عن الخنازير وأنواعها وذكورها وإناثها، قال:

> "ومن المعجزات العلمية في أقوال رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ أحاديث المسخ لأنه لم يكن ممكنا لأحد من الخلق في زمن الوحي، ولا لقرون متطاولة من بعده أن يعلم بأن خلق كل من القردة والخنازير كان سابقا لخلق الانسان، ثم بدأت دراسات بقايا الحياة في صخور القشرة الأرضية تثبت ذلك بالتدريج وهي من أحدث الدراسات المكتسبة في التاريخ الإنساني. ومما يشهد للقرآن الكريم بأنه لايمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام رب العالمين؛ وشاهد للرسول الخاتم الذي تلقاه بالنبوة وبالرسالة." انتهى.

- طبعاً لا يمكن أن نتوقع من الشيخ زغلول النجار أن يكمل مقاله دون أن يتسلق على العلم الحديث ويدعي أن القرآن قد أثبت هذه الحقائق قبل العلم الحديث. فالآية التي ذكرها تقول عكس ما ادعاه. الآية تقول إن الله مسخ اليهود وجعل منهم القردة والخنازير، أي خلق اليهود سبق خلق القردة والخنازير. ولكن الشيخ *يلوي عنق الآية ليجعل خلق القرود سابقاً حتى يدعي الإعجاز للقرآن.*
- وفي مقاله الثاني تحت نفس العنوان، اتخذ من الآية 120 من نفس سورة المائدة التي تقول: {**فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً**} منطلقاً لنفث سمومه، فقال:

> "من الدلالات الإنبائية للنص الكريم، أولا: في قوله تعالى: {**فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم...**} لقد كفر اليهود ـ في غالبيتهم ـ علي زمن نبي الله موسي ـ عليه السلام ـ فعبدوا العجل، وعاودوا الكفر بتحريف التوراة وبيعها قراطيس للناس، وتركز الكفر من قلوبهم في أزمنة أنبيائهم العديدين، فقاتلوهم وقتلوهم عدوا بغير علم. وحرفوا كتبهم، وازداد الكفر تمكنا من قلوبهم زمن نبي الله المسيح عيسي ابن مريم، فأنكروا نبوته، وشوهوا سمعته وسمعة والدته ـ شرفها الله ـ وأعلنوا عليه حروب الشياطين وحاولوا صلبه ولكن الله ـ تعالى ـ رفعه إليه، واندسوا بين تابعيه في محاولة لصرفهم عن دين الله، وإصرار على تزويره وتشويهه." انتهى

- ومثله مثل كل المسلمين الذين يرددون كالببغاوات *مقولة تحريف التوراة والإنجيل دون أي دليل*، يقول الشيخ إن اليهود حرفوا التوراة وباعوها قراطيس وقتلوا أنبياءهم:

> "لتوراة موسى ـ عليه السلام ـ في الإسلام منزلة سامية، ولكن اليهود أشبعوها تحريفا وتزويرا ودسا علي الله ـ تعالى ـ، وهم اليوم يعتبرون التوراة متجسدة في الأسفار الخمسة الأولى مما يعرف بإسم العهد القديم، وهذه الأسفار الخمسة لم تدون إلا في عهد عزرا بعد وفاة موسى ـ عليه السلام ـ بأكثر من ثمانية قرون، ثم أضافوا إليها عدة أسفار مختلفة مما جعلها محل جدل في أوساطهم الدينية حتي اليوم. ويجمع دارسو العهد القديم علي أن سفر حزقيال وضع أولا، ثم ركبت حوله بقية الأسفار الموضوعة، ولذلك كان لليهود أكثر من توراة من مثل التوراة البابلية، توراة القدس، والتوراة البيضاء، و التوراة السامرية والسبعينية والعبرية واليونانية وغيرها، وبينها اختلافات جوهرية عديدة تشير الي عبث الأصابع اليهودية بها." انتهى.

- وربما لا يعلم الشيخ زغلول أن التوراة لم تتغير منذ أن كُتبت لأول مرة بعد السبي البابلي، وفي ذلك الوقت لم يكن الورق والقراطيس معروفة وقد كُتبت التوراة على ألواح من طين. فكيف باعوها قراطيس للناس؟
- ثم كنا نتوقع من الشيخ الذي يتحدث كثيراً عن العلم الحديث أن يأتينا باسم نبي واحد من الأنبياء الذين قتلهم بنو إسرائيل بدل أن يقول لنا بدون أي دليل: "وتركز الكفر من قلوبهم في أزمنة أنبيائهم العديدين، فقاتلوهم وقتلوهم". وإذا كانت التوراة وكذلك الإنجيل محرفتان لأنهما دونا بعد موت أنبيائهما بزمن طويل، فإن القرآن كذلك قد تحرف لأنه لم يُكتب إلا بعد موت النبي بحوالي عشرين عاماً. *والروايات الشيعية والسنية التي تقول بنقص وزيادة القرآن أكثر من أن نذكرها في هذه العجالة*. ولكن كلما ذُكر موضوع التحريف يهب المسلمون ليقولوا لنا: {**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون. (الحجر 9)**}. ولكن كلمة {**الذِكر**} لا تعني القرآن فقط. فنجد مثلاً:

في سورة الأعراف عندما خاطب نوح قومه قال لهم:

> {**أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا لعلكم ترحمون.** (63)}.

وفي نفس السورة عندما خاطب هود قومه قال:

> {**أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون.** (69)}.

ويقول القرآن كذلك:

> {**ولقد كتبنا في الزبور بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون.** (الأنبياء 105)}.

فالكتاب الذي جاء قبل الزبور هو التوراة. فإذاً التوراة هي الذكر.

ونجد كذلك:

> {**وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون. بالبينات والذبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون.** (النحل 43 - 44)}.

فالقرآن هنا يقول للنبي أسألوا أهل الذِكر الذين أوحينا إليهم قبلك. فأهل الذكر هنا هم اليهود والنصارى، والتوراة والإنجيل هما الذكر. وكذلك القرآن ذكر.

ثم نجد القرآن يقول:

> {**كذبت ثمود بالنذر. فقالوا أبشرٌ منا واحداً نتبعه إنا إذاً لفي ضلال وسُعر. أألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر.** (القمر 23 - 25)}.

فهاهي ثمود تقول عن صالح إنه ألقي إليه الذكر.

فإذاً كلمة {**الذِكر**} تعني كل إيحاء من الله. وبما أن المسلمين متفقون على أن التوراة والإنجيل عندما أنزلتا على موسى وعيسى كانتا كتباً سماوية من عند الله، وبما أنهما ذكر كما بينا من الآيات السابقة، فإن الآية التي تقول: {**إنا نحن نزلنا الذِكر وإنا له لحافظون**} تنطبق على التوراة والإنجيل والقرآن. فإما كلها ذكر محفوظ من التحريف وإما إنها محرفةٌ جميعاً إذ لا تفريق بين ذِكر وذِكر.

والقرآن يخبرنا كذلك: {**لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم.** (يونس 64)}. فلا يستطيع أحد أن يبدل كلمات الله. فإذا كانت التوراة والإنجيل أصلاً كلام الله فلا يمكن تغييرهما وتحريفهما.

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب الفأر وأنه مسخ.

فعلى المسلمين أن يقولوا لنا هل التوراة والإنجيل كلام الله أم هما من صنع موسى وعيسى. ولا يجوز لهم أن يقولوا إنهما أنزلتا من عند الله ثم حرفهما أتباعهما، إذ لا يمكن لأحد أن يغير كلمات الله .

- ويحاول د. زغلول النجار أن أن يُثبت أن اليهود ليسوا جنساً عرقياً صافياً، ولا أدري أهمية الأصل العرقي عندما نتحدث عن معتقد ديني، ولكن د. زغلول يقول:

> "يكفي لإثبات ذلك أن يهود الخزر(وهم يهود روسيا وأوروبا الشرقية) يشكلون أكثر من 92 % من مجموع يهود اليوم، والخزر شعب وثني قديم، تركي ـ مغولي ـ تتري الأصل عاش في المنطقة بين وادي الفولجا ووادي الدانوب، وبين البحرين الأسود وقزوين، ولا علاقة له بالمنطقة العربية ولا بالأصول السامية."

- ولا نعلم أي مصدر اعتمد عليه د. زغلول النجار في إثبات هذه النسبة المئوية. وهذا ليس مهماً إنما المهم هو أن د. زغلول يقول:

> "من هنا فإن التعبير القرآني بنو إسرائيل ليس تعبيرا عرقيا لأن القرآن الكريم يؤكد وحدة الجنس البشري ورده إلي أب واحد، وأم واحدة، ولكنه وصف لجماعة من الناس لها من الأنانية ما شجعها علي الاعتقاد الخاطئ بأنهم وحدهم هم شعب الله المختار، وأبناؤه وأحباؤه، وأن غيرهم من الخلق عبارة عن حيوانات في هيئة البشر حتي يكونوا في خدمة اليهود، وأن الرب هو رب إسرائيل والإسرائيليين فقط." انتهى .

✍ أولاً: *بنو إسرائيل في جميع آي القرآن تعني القبائل أو الأسباط الاثني* عشر الذين تحدروا من يعقوب الذي سماه الله فيما بعد إسرائيل. وسلالة الرجل الواحد لا بد أن تكون تعبيراً عرقياً. وإذا كان اعتقاد بني إسرائيل بأنهم شعب الله المختار أعتقاداً خاطئاً فإن القرآن مخطئ كذلك لأنه يقول لبني إسرائيل: {**يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين.** (البقرة 122)}. وكذلك يقول القرآن: {**ووهبنا له اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين.** (العنكبوت 27)}. فذريته هم إسحق ويعقوب، وذرية يعقوب هم الأسباط الاثني عشر. فإذا لم يكونوا شعب الله المختار، لماذا جعل فيهم النبوة والكتاب؟ *فإذاً، اعتماداً على آيات القرآن، نستطيع أن نقول إنّ الله قد فضلهم وهم شعبه المختار*. وأما مسألة أن الرب هو رب إسرائيل، فالقرآن يخبرنا أنّ فرعون قبل أن يغرق قال: {**لا إِلـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ.** (يونس 90)}. ثم يقول القرآن للمؤمنين أن يقولوا لبني إسرائيل: {**إلهنا وإلهكم واحد**}. فإذاً الإله الواحد هو الذي آمنت به بنو إسرائيل.

- **في الوقت** الذي يشجع فيه الأوروبيون المسيحيون بناء المساجد في أوروبا ودفع المعونات المالية للمدارس الإسلامية، كما حدث العام المنصرم عندما:

> *(طالب البطريرك فارثولوميو بطريرك طائفة الروم الأرثوذكس (مقره اسطنبول) السلطات اليونانية بسرعة إقامة مسجد في أثينا، والذي يدور جدل حول بنائه منذ أكثر من ثلاثين عاما)*[2]،

- **وفي الوقت** الذي

> *يرعى فيه عمدة أمستردام اليهودي اللقاءات بين الزعماء المسيحيين واليهود والمسلمين، ويدفع من بلديته الأموال لملجأ أنشأه ضباط شرطة متقاعدون في ضواحي أوسدورب للصبيان المغاربة الذين لهم سجلات إجرامية مع الشرطة*[3]،

- **وفي الوقت** الذي

> *يدعو فيه كبير أساقفة انـگلترا حكومة توني بلير إلى تغيير سياستها في الشرق الأوسط حتى لا تزيد من عزلة المسلمين البريطانيين*،

- **وفي الوقت** الذي

> *تحاول فيه الكنيسة الغربية تشجيع الحوار بين الأديان وتعقد المؤتمرات التي تدعو لها شيوخ الإسلام*،

- **نجد** د. زغلول النجار ومَن لف لفه **ينفثون سموماً أكل عليها الدهر وشرب**. فحتى لو استطاع الشيخ زغلول أن يُثبت أن الله قد مسخ بعض اليهود إلى قردة وخنازير، وهو ادعاءٌ لا تسنده أي براهين، هل لمثل هذا المسخ أي أهمية في عالم اليوم حتى يغوص الشيخ زغلول في أمهات الكتب الصفراء ليخرجه لنا في القرن الحادي والعشرين؟

إلى متى يظل زغلول النجار والقرضاوي وفقهاء الوهابية ينفثون سمومهم عن النصاري الضالين واليهود المغضوب عليهم، والمرأة العورة التي لا هم لها إلا إغراء الرجال؟

أفيقوا يرحمكم الله إن كنتم تؤمنون بوجوده بعد أن صرتم تعبدون الأولياء والحكام والبترودولارات.

عودة إلى الفهرس

[2] الشرق الأوسط، 7 ديسمبر 2005.
[3] الشرق الأوسط 26 أبريل 2005.

150 - زغلول النجار وزرقاء اليمامة

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=164353

هناك ما يجمع بين زغلول النجار وزرقاء اليمامة، وهو رؤية الأشياء البعيدة. فزرقاء اليمامة اشتهرت بأنها كانت ترى القوافل على بُعد مسيرة يوم كامل من اليمامة، ربما لموهبة نادرة منحتها إياها الطبيعة، ولكن في الغالب الأعم هي نتيجة المبالغات العربية المعروفة. أما الطبيعة العادية التي نعرفها فقد منحت الإنسان عينان بهما عدسات طرية ملتصقة في أطرافها بعضلات تتمدد وتتقلص لتغيّر تقويس عدسة العين حتى يستطيع الإنسان التركيز على الإشياء القريبة إذا تقوست العدسة أكثر، أو الأشياء البعيدة إذا تقلصت العضلات وتسطحت العدسة، ولكنه لا يستطيع أن يركز على الاثنين معاً في آنٍ واحد. ومع تقدم السنين تتصلب العدسة تدريجياً ولا تستطيع التقوس بما فيه الكفاية كي يستطيع الإنسان رؤية الأشياء القريبة، ويُقال عن مثل هذا الشخص الذي تتصلب عدسته إنه يعاني من hypermetropia أي النظر البعيد، وليس بعد النظر. ويستطيع مثل هذا الشخص أن يرى بالتفصيل جسماً يبعد عنه عشرات الأمتار، لكنه لا يستطيع أن يرى الحروف على صفحة الكتاب الذي بيده إلا بنظارة طبية.
وبما أن الدكتور زغلول النجار قد تقدمت به السنون، فهو لا شك قد تصلبت عدسته ولم يعد يستطيع رؤية الأشياء القريبة منه، ولكنه يرى بوضوح ما يحدث في الجانب الآخر من العالم. وقد شاهدت على الإنترنت مقطع فيديو يظهر فيه الدكتور زغلول النجار متحدثاً بطمأنينة وثقة مَن يعرف بواطن الأمور، ليقول لنا بكل وضوح:

"المسلمون مكلفون بإصلاح الفساد الأخلاقي في الغرب."

وطبعاً مكلفهم هو الله. ولا نشك أن الدكتور زغلول النجار قد اعتمد على الآية التي تقول:

{ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون. (آل عمران 104)}.

ولأهمية هذا الأمر الإلهي فقد تكرر في القرآن ثلاث مرات في سورتين (آل عمران والتوبة)، وحتى تتبين للناس أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أتى القرآن بالضد من ذلك فقال:

{المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم. (التوبة 67)}.

والقرآن هنا يؤكد ما قاله الشاعر العربي:

ضِدانِ لما أُستُجمعا حَسُنا   والضدُ يُظهِرُ حُسنَه الضدُ

فالمسلمون يأمرون بالمعروف والكفار يأمرون بالمنكر. وحتى لا يكون المسلمون منافقين يدعون إلى المنكر كأهل الغرب، وجب عليهم، أي كلفهم الله، إصلاح الفساد الأخلاقي في الغرب، كما يقول زغلول النجار. *وطبعاً لأن المسلمين هم خير أمة أخرجت للناس ويلتزمون تعاليم دينهم القيّم، فإن الفساد الأخلاقي لا يعرف طريقه إليهم، ولذلك وجب عليهم مساعدة إخوتهم في الإنسانية في الغرب المنحل، بالنصيحة وإصلاح الخلل بالأمر بالمعروف، وإذا لزم الأمر بالتفجيرات*:

[من رأى منكراً فليغيره بيده، وإن لم يستطع فبلسانه وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان].

وإيمان المسلمين ليس أضعف الإيمان ولذلك يغيرون باليد.

ورغم أن القرآن يحث المسلمين أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، لم أجد فيه نصاً يكلّفهم بإصلاح الانحراف الأخلاقي في بلاد الغرب، ولا أدري من أين أتى دكتور زغلول النجار بهذا **التكليف**. ولكن نستطيع أن نستنتج أن زغلول النجار، مثله مثل كل المتعصبين الملتحين، قد أقنع نفسه أن المسلمين هم الوحيدون القابضون على الحقيقة المطلقة، وغيرهم قابض على سراب، ويتبع من ذلك أن دينهم، وملبسهم، وأكلهم وشربهم هو المثل الأعلى في هذا الوجود، وعلى الآخرين تقليدهم... وليس هناك نافخ للذات Ego مثل الغرور.

وحتى لا نتوه في الأسئلة في كيفية معرفة الدكتور زغلول النجار لهذا الفساد في الغرب، وهو يعيش في الشرق، تطوع الدكتور وأخبرنا أنه كان في رحلة عمل إلى كندا، وكان يتناول الغداء مع أسرة كندية مسلمة، فدخل ابنهم الصغير من المدرسة منزعجاً وبدت عليه علامات الغضب، ولما سألوه عن السبب، قال لهم:
إن معلّمة الفصل سألت تلاميذ الفصل الأربعين: مَن منكم يعرف أباه؟
وكما يتوقع كل مسلم من خير أمة أخرجت للناس، كان الطفل المسلم هو الوحيد الذي رفع يده.
براڤو على ذلك.

والدكتور زغلول النجار رجل ينتمي إلى العلم الحديث بخيط لأنه حاز على درجة علمية في الجيولوجيا، وينتمي كذلك إلى خير العلوم: القران والسنة النبوية. وكرجل علمٍ كنا نتوقع منه أن يتفحص الأمر قبل أن ينطق بالحكم، فالطفل رجع من المدرسة ساعة الغداء، مما يدل على أنه في الصف الأول أو الثاني في المدرسة الابتدائية، أي أن عمره لا يزيد عن خمس أو ست سنوات، لأن الأطفال الأكبر سناً لا يرجعون من المدرسة وقت الغداء. فالعالِم (بكسر اللام) لا يعتمد على حديث طفل لم يتعدَ السادسة من عمره.
وثانياً: إذا لم يكن الدكتور زغلول النجار يعلم، فإن قواعد سلوك المدرسين في المدارس الغربية تمنعهم من توجيه مثل هذه الأسئلة في الفصل حتى لا تسبب حرجاً لبعض التلاميذ القلائل الذين لا يعرفون آباءهم، لأن الثقافة الاشتراكية التي تمكنت في العالم الغربي في العقدين الأخيرين أو الثلاثة، قد فرضت عليهم ما يُسمى ب Political Correctness أي الاستقامة السياسية في الأقوال والأفعال، لمحاربة التعصب وإنكار المخالف من أمثال مثلي الجنس، والسود والأطفال الذين لا يعرفون آباءهم، والأمهات غير المتزوجات، والمسلم واليهودي والبوذي. فقواعد السلوك في المقابلات التي يتم فيها اختيار المدرسين والأطباء والمدراء وغيرهم تمنع منعاً باتاً سؤال الشخص المتقدم للوظيفة عن حالته الزوجية أو دينه أو ميوله الجنسية، وتمنع مثل هذه الأسئلة في مكان العمل. *فمن المستبعد أن تكون المعلمة قد سألت ذلك السؤال.*
فذلك الطفل العربي المسلم ذو الخمس أو ست سنوات قد بالغ عندما قال إنه كان الوحيد الذي رفع أصبعه من بين أربعين تلميذاً بالفصل- هذا إذا كانت المعلمة قد سألت ذلك السؤال. آخر الإحصائيات من أغلب البلدان الغربية تدل على أن ما بين ثلاثين إلى أربعين بالمائة من الأطفال الذين تقل أعمارهم عن سبعة سنين قد ولدوا في علاقة خارج مؤسسة الزواج المتعارف عليه. ولكن هذا لا يعني أن الطفل لا يعرف أباه. كثير من هؤلاء الأطفال يعيشون في بيوت لا تقل استقراراً عن بيوت المتزوجين، حيث يسكن الأب والأم والأطفال في نفس البيت ويتصرفون تماماً مثل المتزوجين، وفي الغالب يتزوج الأب والأم بعد سنوات من الإنجاب. وأقلية من هؤلاء الأطفال يفترق آباؤهم عن أمهاتهم ولكن تفرض المحاكم في أغلب الأحيان على الأم التي تتولى رعاية الأطفال أن تسمح للأب

بزيارتهم وتسمح للأطفال بقضاء عطلة نهاية الأسبوع مع الأب. فالغالبية العظمى من الأطفال يعرفون آباءهم ولهم بهم ارتباط وثيق وحب متبادل. أقلية بسيطة جداً هم الذين لا يعرفون آباءهم.

ولنفترض أن الدكتور زغلول النجار كان مصيباً في عدد الأطفال الذين لا يعرفون آباءهم، فهل هذه الحالة محصورة فقط في الغرب حتى يكلف الله المسلمين بإصلاح هذا الفساد الأخلاقي في الغرب؟ أم أنها عاهة الدكتور زغلول النجار التي جعلته يرى المنكر البعيد ويعمى عن المنكر الذي تحت أنفه؟

- فلو أخذنا مصر المحروسة حيث يقيم الدكتور، نجد أن عدد **أطفال الشوارع** الذين لا يعرفون آباءهم في اطراد مستديم لدرجة أن البرلمان أجاز قانوناً يسمح للأم بتسجيل المولود بإسمها عندما يكون الأب غير معروف[1]. وحدث هذا رغم أن القرآن يقول: {**ادعوهم لآبائهم**}. وقال رئيس اللجنة الدستورية بالبرلمان:

"في حالة الطفل اللقيط سوف يسمى باسم أمه، أما (اسم) الأب فسيكتب اسماً وهمياً. علينا ونحن نناقش هذا التعديل أن ننظر إلى حالات إلقاء أمهات مواليدهن أمام أبواب المساجد، خوفاً من مساءلتهن عن مَن يكون أبوه." انتهى.

وظاهرة **الزواج العرفي** في مصر قد بلغت أرقاماً قياسية بين شباب الجامعات الذين لا يقدرون على تكاليف الزواج واستئجار الشقق السكنية. ومثل هذه الزيجات العرفية تنتج أطفالاً قد لا يعرفون آباءهم لأن الآباء يتنكرون لهم، كما أثبتت قصة الشابة الشجاعة هند الحناوي. آخر الإحصائيات تقول إن هناك 255 ألف حالة زواج عرفي بين شباب الجامعات وما ترتب عليه من وجود 14 ألف طفل مجهول النسب[2].

- وفي الجزائر شددت الجمعيات النسائية على ضرورة إدخال تعديلات على قانون الأسرة الجزائري ولفت الإنتباه إلى ظاهرة **الأمهات العازبات**.

وكشفت الحكومة الجزائرية تسجيل 2887 طفل يتيم خارج مؤسسة الزواج خلال سنة 2007، ويتراوح عدد هؤلاء سنويا بين 2900 و3000 طفل يتيم مولود خارج الزواج، وحسب الإحصآت الرسمية فمعدل الأمهات العازبات سنويا هو 3500 أم عازبة.[3]

- وفي السودان تقدر جمعيات حقوق المرأة عدد **الأطفال اللقطاء** بألف وخمسمائة لقيط في العام، سوى عمليات الإجهاض التي تتم في الخفاء، والسودان تحكمه شرذمة الإخوان المسلمين، الذين ينتمي إليهم الدكتور زغلول النجار، والذين صموا آذاننا بمقولتهم (*الإسلام هو الحل*).
- وقبل أسابيع نشرت الصحف المغربية ضبط عصابة تجبر القاصرات على ممارسة الدعارة

"وأشارت صحيفة "المساء" المغربية إلى أن الشبكة التي تنشط في منطقة بني ملال تعمل أيضا في تهريب فتيات عذراوات لأجل ممارسة الجنس مع الخليجيين الذين يشترطون العذراوات مقابل 1000 دولار لكل فتاة لمدة أسبوعين!".[4]

- وفي الجزائر يقول السيد محمد بغداد:

"مع ارتفاع معدلات الفقر وتراجع الإرهاب ظاهرة الدعارة تتفشي في الجزائر في زمن الانفتاح والحريات وحملة بيع كل شيء في هذا الوطن، انتشرت مظاهر الفساد في كل مكان، وأصبحت تجارة الجنس مهنة يتباه بها البعض ويتستر بها البعض الأخر تحت عناوين مختلفة خاصة عندما تمارسها فئة اجتماعية طارئة على المجتمع، ففي سنوات قليلة، أصبح هناك المليارادارات وهي تستثمر في الأجساد وتضاعف ثرواتها وتمتن علاقاتها وتوسع نفوذها على حساب فئات اجتماعية وجدت نفسها فريسة سهلة أمام مخالب هؤلاء التي لا ترحم من المراهقات الجامعيات والمطلقات".[5]

كما كشف خبراء الطب الشرعي عن وقوع 800 اعتداء جنسي ضد القاصرين سنويا في الجزائر، وجاء في بيان صدر بعد انتهاء أشغال الأيام الوطنية الثانية للطب الشرعي في مدينة عنابة أن ضحايا الاعتداء الجنسي أغلبهم من القصر دون الرابعة عشرة، وأن فئة الذكور(أقل من 12 سنة) تشكل نسبة كبيرة من الضحايا ومن ثم تأتي الإناث دون العاشرة، حيث تم تسجيل أكثر من 800 حالة اعتداء جنسي ضد أطفال دون الخامسة عشر من الجنسين.[6]

ولزيادة الطين بلة، فقد جاء في البيان الختامي

أن ظاهرة الاعتداء الجنسي على الأطفال سجلت مرحلة خطيرة في السنوات الماضية بحيث تم اغتصاب أطفال في الثالثة من العمر، كما سجلت حالات اغتصاب مواليد جدد، وهي ظاهرة وصفها الأطباء بالمرعبة... وكشف أطباء من مدينة عنابة أن الظاهرة التي صارت تؤرق المجتمع هي ظاهرة الاعتداء الجنسي داخل البيوت، حيث تم تسجيل حالات اغتصاب ارتكبها العم ضد ابنة أخيه، أو الأخ ضد أخته حيث ـ يضيف الأطباء في مداخلتهم الختامية ـ أنه تم الكشف عن 12 حالة حمل جراء اعتداء الأخ على أخته داخل البيت، منها حمل صغيرات في الخامسة عشر من العمر.[7]

- وفي التسعينات من القرن المنصرم عندما كان الملتحون الإسلاميون يعيثون في الأرض فساداً وينهبون البنوك والشركات لتمويل حملاتهم الدموية من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية السمحة في الجزائر، كانوا يخطفون ويغتصبون النساء وهم يكبرون الله،

"ذكرت مصادر شبه رسمية السنة الماضية أن 7000 امرأة تعرضن للاغتصاب في الجزائر من قبل الجماعات الإرهابية عبر 23 ولاية من ولايات الوطن، وأن من بينهن 39 فتاة انتحرن، و 198 فتاة هجرن البيت نحو مراكز اجتماعية، بينما توجد نساء انتقلن مع عائلتهن للعيش بعيدا عن مناطقهن خوفا من مواجهة الناس."[8]

- **ومنبع الإسلام** يعج بالأطفال المهربين من اليمن لأجل الدعارة، إضافة إلى المصريات والسودانيات والصوماليات والموريتانيات اللاتي يقدمن إلى المملكة بغرض أداء فريضة العمرة ثم يمارسن الدعارة إلى أن يجمعن من المال ما يكفي لشراء احتياجاتهن والهدايا إلى الأهل والأطفال، أو يقعن في أيدي الشرطة. وظاهرة الأطفال اللقطاء تتفاقم يومياً

---

[1] الشرق الأوسط 2008/4/23.
[2] إيلاف 12 يناير 2009.
[3] أشهيار عبد الجواد، الحوار المتمدن، 2008/4/23.
[4] آفاق 2008/12/11.
[5] إيلاف 2004/2/11.
[6] آفاق 2008/12/20.
[7] نفس المصدر.
[8] آفاق 2008/12/11.

"وفي آخر إحصائية منشورة في السعودية، تعثر الشرطة على ما معدله 6 لقطاء أسبوعيا متروكين في صناديق صغيرة أمام المساجد، أو في مواقع أخرى".[9]

وهذا غير الذين يُجهضون في البيوت أو العيادات الخاصة.

"وفي الإحصائية عن اللقطاء، فإن منطقة مكة المكرمة تقدمت بقية المناطق وسجلت 93 حالة، بما معدله 33,4 في المائة من الحالات المسجلة في السعودية، على الرغم من أن منطقة مكة المكرمة تشكل سكانياً ما نسبته 26.1 في المائة من إجمالي سكان السعودية. وحلت الرياض كثاني منطقة بتسجيل 57 حالة، بما معدله 20.5 في المائة من الحالات، في حين أن الرياض تشكل سكانياً ما نسبته 22.6 في المائة من أجمالي السكان. وفي إحصائية أخرى صادرة من جهاز الأمن العام وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عام 2002 شهد اكتشاف وضبط 484 وكر دعارة، في 10 مناطق في المملكة تقدمتها منطقة مكة المكرمة".[10]

فمكة المكرمة التي هي مركز العالم كما يقول بعض "العلماء" الإسلاميين، قد تصدرت الإحصاءات في الدعارة وفي أعداد اللقطاء.

وهذا شرف عُرفت به مكة من قبل ظهور الإسلام عندما كان بغاياها يُعرفن باسم "صاحبات الرايات".

وحتى الطالبات ملأن السجون السعودية بسبب الخلوة غير الشرعية

"وقالت الباحثة د. أسماء الحسين، الأستاذ المساعد بقسم علم النفس بكلية التربية للبنات في الرياض، خلال طرحها لبحث تطرقت فيه إلى الحرمان العاطفي والاجتماعي للمسجونات"، انه لوحظ كثرة الفتيات المقبوض عليهن في خلوة محرمة من قبل رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد اعتقل مركز هيئة واحد فقط في إحصائية ترصد حالات القبض خلال فترة زمنية محدودة صادرة من مركز الهيئة نفسه 6 طالبات من السنة السادسة الابتدائية إضافة إلى 57 طالبة من المرحلة المتوسطة، و91 طالبة من المرحلة الثانوية و 38 فتاة من المرحلة الجامعية".[11]

- أما إيران، بلد الثورة الدينية الخمينية والتي يحكمها الملالي بيد من حديد، فحدث ولا حرج عن **بيوت الفضيلة** التي تضم مئات الآلاف من البغايا، **وأصبحت بقدرة الملالي بيوت فضيلة بدل بيوت دعارة**. أما الإدمان على المخدرات فلا يشغل بال أحد من المسؤولين.
- وعملية ترقيع غشاء البكارة للنساء العربيات المسلمات، سواء في المغرب أو تونس أو الجزائر أو مصر أو أوروبا، خاصة فرنسا، فقد أصبحت تجارة رابحة للأطباء الجراحين.

وقد أفتى الدكتور علي جمعة، مفتي مصر، حيث يقيم الدكتور زغلول النجار، بشرعية مثل هذه العمليات لستر العيب، ومن ستر مؤمناً ستره الله يوم القيامة، كما يقول الحديث النبوي.

- والمسلمون الذين نزحوا إلى أوروبا وطلبوا اللجوء السياسي هرباً من جحيم الفساد العربي والإسلامي، بدل أن يصلحوا الفساد في الغرب كما كلفهم الله، حسب زعم زغلول النجار، نجدهم قد بالغوا في السرقة والكذب والاختلاسات من الحكومات التي آوتهم. فمثلاً في هولندا

ذُكر تقرير جديد أن 86 % من أعضاء مجالس إدارات المدارس الإسلامية التي تصرف عليها الدولة متورطون في إساءة استخدام الميزانيات... وقال نائبا وزير التربية والتعليم إنهما سيطلبان استعادة 4.5 مليون يورو، كانت قد قُدمت إلى هذه المدارس كدعم حكومي، بسبب إساءة استخدامها، وأوضحا أن إجراءات قانونية قد بدأ اتخاذها ضد العديد من المدارس.[12]

- وكأن كل هذه الإختلاسات لا تكفي، فقد ابتكر المسلمون في هولندا ودول اسكاندنافيا طريقة جديدة لسرقة أموال دافع الضرائب الذي ينفق عليهم ملايين الدولارات من بند الضمان الاجتماعي. فقد برع الرجال في زعم الطلاق من زوجاتهم، فتؤويهم الدولة في شقق بينما تسكن عوائلهم في المنزل العائلي. ثم يؤجر الرجال تلك الشقق ويستمرون في السكن مع زوجاتهم.

وهناك من رجال الدين الإسلامي من يفتي لهم بإباحة هذه الاختلاسات بفتوى تقول إن سرقة الكفار مباحة لأن أموالهم حلال على المسلمين.

فما هي المؤهلات الأخلاقية التي يمتلكها المسلمون دون غيرهم حتى يصبحوا مكلفين شرعاً من الله بإصلاح الفساد الأخلاقي في الغرب؟
فإذا أخذنا **الرشوة**، مثلاً، نجد القرآن يقول:

{ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون. (البقرة 188)}.

فرشوة الحكام والمسؤولين في البلاد الإسلامية عامةً، والعربية خاصةً، قد بلغت شأواً يفوق بمئات المرات ما يحدث في الغرب.
أما **العنف ضد المرأة والطفل في العالم الإسلامي** لا يضاهيه عنف في أي مكان آخر من العالم، والرجل المسلم مسلّح بالآية المعروفة (واضربوهن ...ألخ).

ألا يستحي الدكتور زغلول النجار بعد عرض كل هذه الحقائق أن يدّعي امتلاك المسلمين الأرضية الأخلاقية العليا ويزعم أنهم مكلفون بإصلاح الفساد؟ فلو كلّف الله المسلمين، رغم كل هذه العيوب، بإصلاح الغرب الفاسد، فإن رب الإسلام منحاز لقبيلته، أو أعمى لا يرى ما يحدث في القبيلة. صحيح اللي اختشوا ماتوا، وبقي معنا الذين لا يختشون.

وطبعاً نحن لا نستغرب أن يصدر مثل هذا الكلام من زغلول النجار والآخرين الذين يتاجرون بالإسلام، فقد زعم بوق الكراهية الإرهابي الهارب من لندن، الشيخ عمر بكري، المختبيء في مكان مجهول في بيروت،

أن المسلمين مكلفون بنشر الإسلام في جميع أنحاء المجرة حتى تخضع المخلوقات الأخرى لله.[13]

[9] أحمد البشرى، إيلاف 2008/6/1.
[10] أحمد البشرى، إيلاف، 2008/6/1.
[11] الرياض، أسماء المحمد، العربية نت.
[12] الشرق الأوسط 2008/12/25.
[13] أشرف أبو جلالة، إيلاف 2009/01/04.

وقد نسي الشيخ بكري أن ينشر الإسلام في عائلته كي تعتنقه ابنته الراقصة في الأندية الليلية بلندن. صحيح اللي اختشوا ماتوا.

عودة إلى الفهرس

الدكتور كامل النجار

مقالات
الحوار المتمدن

المجموعة III (2008)

(عدا المقالتين 94، 95، والمقالات 101، 105، 107، التي تم ضمهما **للمجموعة I**)

فهرس المجموعة III

#	عنوان المقالة	العدد	تاريخ النشر	محور المقالة
90	جناية الغزالي على عقول المسلمين	2153	2008 / 1 / 7	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
91	إرهاب إسلامي أم إسلام إرهابي؟	2186	2008 / 2 / 9	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
92	أكذوبة -لا إكراه في الدين-	2193	2008 / 2 / 16	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
93	عماد مغنية وأبومصعب الزرقاوي شهداء	2202	2008 / 2 / 25	كتابات ساخرة
96	لو شاء الله لما فعلوه	2217	2008 / 3 / 11	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
97	تأويل القرآن من أجل احتكار العلم 1	2220	2008 / 3 / 14	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
98	تأويل القرآن من أجل احتكار العلم 2	2222	2008 / 3 / 16	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
99	لماذا نساؤنا أشجع من رجالنا؟	2227	2008 / 3 / 21	حقوق المراة ومساواتها الكاملة في كافة المجالات
100	الفرق بين الشيخ والقس	2232	2008 / 3 / 26	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
102	بعض تناقضات السنة المحمدية	2242	2008 / 4 / 5	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
103	عندما يلجأ المسلمون إلى الخداع	2247	2008 / 4 / 10	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
104	الإسلام والعقل والزيتون	2254	2008 / 4 / 17	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
106	عبث نواب الإخوان الأردنيين	2261	2008 / 4 / 24	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
108	الإسلام هو الإشكال وليس الحل	2279	2008 / 5 / 12	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
109	الصلاة على محمد	2286	2008 / 5 / 19	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
126	أيهما أعظم عند المسلم... الله أم محمد؟	2418	2008 / 9 / 28	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
110	منطق الأطفال في الإيمان	2293	2008 / 5 / 26	حقوق الاطفال والشبيبة
111	لا فرق بين الإسلام وغيره من الأديان	2319	2008 / 6 / 21	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
112	الأديان لم تفد البشر	2326	2008 / 6 / 28	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
113	أسلوب قصص الأطفال في شرح القرآن	2333	2008 / 7 / 5	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
119	قصص القرآن من صنع الإنسان	2373	2008 / 8 / 14	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
114	الإسلام والرعب	2341	2008 / 7 / 13	مواضيع وابحاث سياسية
115	أيمكن أن يكون عيسى ابن الله؟	2348	2008 / 7 / 20	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
116	حوار الأديان السماوية في شبه الجزيرة الآيبيرية	2352	2008 / 7 / 24	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
117	موقف اليهودية والإسلام من الأطفال	2357	2008 / 7 / 29	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
118	نازية وزارة الصحة المصرية	2363	2008 / 8 / 4	المجتمع المدني
120	نقابة أطباء مصر تتنكر لأبوقراط	2379	2008 / 8 / 20	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
121	ما وجدنا عليه آباءنا	2386	2008 / 8 / 27	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
122	تخبط القرآن في خلق الإنسان	2393	2008 / 9 / 3	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
123	لو كان من عند غير الله	2401	2008 / 9 / 11	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
124	القرآن والسحاب والمطر	2406	2008 / 9 / 16	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
125	عندما تسرح وتمرح ديناصورات الوهابية	2412	2008 / 9 / 22	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
127	تشريح صورة القيامة	2426	2008 / 10 / 6	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
128	لا ملكية فكرية على الإسلام	2429	2008 / 10 / 9	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
129	الغيب الذي غيّب عقول المسلمين	2435	2008 / 10 / 15	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
130	الذين يفسرون القرآن بالفهلوة	2440	2008 / 10 / 20	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
131	هذا ما فعله بنا الإسلام	2447	2008 / 10 / 27	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
132	إدعاء الصلاحية لكل زمانٍ ومكانٍ	2453	2008 / 11 / 2	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
133	القرآن دستورهم	2461	2008 / 11 / 10	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
134	بعض إشكالات القرآن مع المساواة	2467	2008 / 11 / 16	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
135	الذين يتحدثون بلسانين	2474	2008 / 11 / 23	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
136	هل نطق الله بهذا الكلام؟	2481	2008 / 11 / 30	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
137	قد أخطأ الذين دافعوا عن السعودية	2488	2008 / 12 / 7	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
138	آيات تُثبت عدم وجود الله	2495	2008 / 12 / 14	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
139	تحريف الكتب - المقدسة	2502	2008 / 12 / 21	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
140	القضاء الإسلامي مكانه المتحف - السعودية مثالاً	2509	2008 / 12 / 28	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني

90 - جناية الغزالي على عقول المسلمين

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=120952

أبوحامد الغزالي (1058 - 1111 م) الذي ولد في خراسان، *كان ذا شخصية قلقة* لا تستقر على حال. درس علم الكلام على يد العالم الأشعري الجويني وبز فيه أقرانه، ثم درس الفلسفة التي استغرقت من وقته ثلاث سنوات وأدت إلى اشتهاره مما أدى إلى تعيينه مديراً على المدرسة النظامية ببغداد في سن الثالثة والثلاثين. وكانت المهمة الموكلة إليه هي *الدفاع عن المذهب السني في وجه النفوذ الشيعي الإسماعيلي*. ولكن فكر الغزالي كان مشغولاً بالبحث عن ذات الله التي لم تساعده الفلسفة ولا علم الكلام على الوصول إليها، فمعرفة ماهية الله كانت ستمنحه اليقين، **واليقين دائماً يمنح النفس الهدوء والاستقرار**، وهو ما يركن إليه المؤمنون، بينما الفلسفة لا تعرف اليقين بل تزرع الشك، ولذلك لم يستقر الغزالي بالوظيفة وتركها من أجل البحث عن الذات الإلهية. ويبدو أن البحث قد طال به دون الوصول إلى أي نتيجة، وأدى الصراع العقلي الذي نتج عن تفكيره الفلسفي المنطقي من جهة وإيمانه الوراثي بالإسلام من جهة أخرى وخوفه من عذاب جهنم، إلى حالة من الاكتئاب السريري Clinical Depression أصابته في حوالي العام 1094 م أدت إلى فقدانه المقدرة على النطق وإلى عدم القدرة على بلع الطعام. وكنتيجة حتمية لفقدان القدرة على البلع هزل جسمه وخاف أن يموت فيدخل النار إذا لم تستقر روحه القلقة على الإيمان الفطري. *وربما كان الغزالي مقتنعاً في دخيلة نفسه أن القناعة العقدية لا يثبتها علم الكلام ولا الفلسفة إذ هي حالة سايكولوجية يركن إليها المؤمن بدون برهان عقلي*. ولهذا السبب لجأ الغزالي إلى الصوفيين علّهم يهبونه تلك الحالة السايكولوجية التي تساعد روحه القلقة على الاستقرار. وهام الغزالي في الفيافي مع الصوفيين وترك عالم المشاهدة (العالم الحقيقي) إلى عالم الملكوت (عالم الروحانيات). وقد لخص الغزالي تجربته الصوفية في كتابه ‹مشكاة الأنوار›. ويبدو أن التجربة الصوفيه قد شفت الغزالي من تعارض العقل مع النقل، فرجع إلى وظيفته الأولى وكتب ‹المنقذ من الضلال›

✍ وقال فيه:

إنه من المستحيل إثبات وجود الله عن طريق الفلسفة أو علم الكلام أو المنطق.

مما لا شك فيه أن الغزالي كان رجلاً في منتهى الذكاء والمقدرة الأكاديمية، ولكن عدم مقدرته على التوفيق بين ذكائه الواضح وبين الموروث الديني الغيبي، أدى إلى اتخاذه قراراً في منتهى الخطورة –

إلغاء العقل نهائياً والاعتماد على التلقين فقط وعلى الفطرة.

وأدى هذا القرار إلى تأليف كتابه الشهير ‹تهافت الفلاسفة› الذي أنهى به دراسة الفلسفة وعمل العقل في العالم العربي. وللبرهان على هذا **الادعاء** سوف أقدم عينات من كتابات الغزالي، وسوف أركّز على كتابه ‹إحياء علوم الدين› الذي يمثل **مقبرة العقل**.

✍ يقول الغزالي، كما يقول غيره من شيوخ الإسلام:

إنّ العقل هو أساس العقيدة الإسلامية وإنّ الله قد عُرف بالعقل.

ولكن البراهين التي يأتي بها الغزالي من السنة، كلها أحاديث ضعيفة، ويعترف هو نفسه بأنها *ضعيفة ومرسلة*، ولكن مع ذلك يستشهد بها. وهذا الأسلوب يستعمله المحامون في المحاكم عندما يتفوهون ضد المدعى عليه بعبارات يعرفون سلفاً أن المحكمة لا تسمح بها، ثم يعتذرون ويسحبون العبارات بعد اعتراض محامي الدفاع. والغرض من هذا النوع من الهجوم على المدعى عليه هو *زراعة الشك في عقول المحلفين*، رغم الاعتذار الذي يقدمه المحامي لاحقاً. والغزالي رغم طول باعه في علم الحديث، اختار أن تكون غالبية الأحاديث التي استعان بها في "ربع العبادات" من كتابه المذكور، أحاديث ضعيفة ومرسلة لأنها توافق الأفكار التي يدعو إليها. فإذا كان الحديث مشكوكاً في سنده وضعيفاً، ومتنه يتعارض تعارضاً واضحاً مع العقل، كيف يستشهد به كاتب يحترم العقل.

✍ فمثلاً، يقول الغزالي:

"قال صلى الله عليه وسلم أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال الله عز وجل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم عليّ منك، بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب. الحديث أخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبي أمامة وأبو نعيم من حديث عائشة بإسنادين ضعيفين." انتهى.

فالغزالي هنا يعترف أن الحديث ضعيف الإسناد، ثم أن متن الحديث يستخف بعقل الطفل ناهيك عن الإنسان السوي. كيف يخلق الله العقل من دون جسم ثم يخاطبه كأنه يخاطب شخصاً ماثلاً أمامه؟

✍ وفي الإجابة على هذا الاعتراض يقول الغزالي:

"فإن قلت فهذا العقل إن كان عرضا فكيف خُلق قبل الأجسام، وإن كان جوهرا فكيف يكون جوهراً قائماً بنفسه ولا يتحيز، فأعلم أن هذا من علم المكاشفة فلا يليق ذكره بعلم المعاملة."[1].

فالغزالي هنا يعتمد على الغيبيات ويقول إن الحديث الضعيف هذا الذي يعارض العقل هو من علم المكاشفة، أي أنه شيء كشفه الله لقلوب المؤمنين فقط، وهو هنا قد زرع فكرة أن الإسلام يحترم العقل رغم معرفته بأن القاريء المثقف سوف يعترض على هذه المقولة.

✍ والغزالي يعتقد أن وظيفة العقل هي هداية الإنسان إلى تصديق ما يقول به النبي فقط، فهو يقول:

"فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبي صلى الله عليه وسلم ويفهمك موارد إشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم إلا به والسلام"[2].

✍ وعندما تحدث الغزالي عن علم الكلام، قال إن الناس مختلفون فيه، ولكن:

"إلى التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف. قال ابن عبد الأعلى رحمه الله سمعت الشافعي رضي الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمي المعتزلة يقول: لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يلقاه بشيء من علم الكلام"[3].

✍ ثم زاد في ذم علم الكلام، فقال:

[1] إحياء علوم الدين، ربع العبادات، ج1، ص 55.

[2] نفس المصدر ص 20.

[3] إحياء علوم الدين، العبادات، ج2، ص5.

"فاعلم أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التي ينتفع بها فالقرآن والأخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو إما مجادلة مذمومة وهي من البدع كما سيأتي بيانه وإما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها وتطويل بنقل المقالات التي أكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الأسماع وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منه مألوفا في العصر الأول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع"[4].

- وأما بالنسبة للعلوم الطبيعية مثل الفيزياء والكيمياء، فيقول حجة الإسلام الغزالي:

"أما الطبيعيات فبعضها مخالف للشرع والدين والحق فهو جهل وليس بعلم حتى نورده في أقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية إستحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء إلا أن الطبيب ينظر في بدن الإنسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون في جميع الأجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو أنه محتاج إليه وأما علومهم في الطبيعيات فلا حاجة إليها"[5].

- ويتحدث الغزالي عن تعليم **الصبيان** العقيدة الإسلامية بالتلقين، فيقول:

"اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوئه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئا فشيئا فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان أن شرحه في أول نشوئه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان".

- ولتقوية هذه العقيدة عند الصبي وحتى عند عامة الرجال فينصح الغزالي بالتكرار، فيقول:

"فلا بد من تقويته وإثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها"[6].

فهل نستغرب بعد هذا عندما نرى في التلفزيون صور الأطفال في مدارس تحفيظ القرآن وهم يقرؤون الآيات ويهتزون للأمام والخلف كالروبوتات أو كالمصاب بمرض الرعشة؟

- وحتى يؤكد لنا الغزالي إهمال العقل في الأمور العقدية، يقول:

"قال النبي صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون، أي المتعمقون في البحث والاستقصاء. حديث هلك المتنطعون أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود" انتهى.

فالتعمق في البحث والاستقصاء منهي عنه في رأي الغزالي.

- أما العلم نفسه فيقسمه الغزالي إلى قسمين:

"تنقسم (العلوم) إلى شرعية وغير شرعية وأعني **بالشرعية** ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه
ولا يرشد العقل إليه مثل الحساب،
ولا التجربة مثل الطب،
ولا السماع مثل اللغة،
فالعلوم التي **ليست بشرعية** تنقسم إلى
ما هو **محمود**
وإلى ما هو **مذموم**
وإلى ما هو **مباح**".

- ويستمر فيقول:

"وأما **المذموم** فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعوذة والتلبيسات وأما **المباح** منه فالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه أما **العلوم الشرعية** وهي المقصودة بالبيان فهي **محمودة** كلها"[7].

- ويزيد الغزالي في توضيح العلم المحمود، فيقول:

"وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا فإن هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به إلى سعادة الآخرة وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب فإنه البحر الذي لا يدرك غوره وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى في حقهم وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة"[8].

- وحتى ينمّي التلميذ مقدراته العقلية والنقدية، ينصحه الغزالي بالآتي:

"وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رأيا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالإخفاق والخسران فإن قلت فقد قال الله تعالى فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون فالسؤال مأمور به، فاعلم أنه كذلك ولكن فيما يأذن المعلم في السؤال عنه، فإن السؤال عما لم تبلغ مرتبتك إلى فهمه مذموم"[9].

فلم يترك حجة الإسلام الغزالي للطالب أي مجال لتربية نزعة الاستقلال بالرأي أو حتى السؤال فيما طرحه عليه أستاذه.

- وحتى يؤكد الغزالي عدم أحراج الاستاذ بالأسئلة الكثيرة، يورد لنا مقولة من أقول الإمام علي بن أبي طالب:

"وقد قال علي رضي الله عنه إن من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب ولا تلح عليه إذا كسل ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ولا تفشي له سرا." انتهى.

وهذا أفضل مثال لاغتيال العقل وزرع الأيديولوجية العقدية في مكانه.

- وبعد مقارنة بسيطة في علوم الطب والحساب والنجوم، خلص الغزالي إلى القول:

"وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم فإياك أن ترغب إلا فيه وأن تحرص إلا عليه." (ص 35) انتهى.

- أما العلوم الدنيوية فالعياذ بالله منها:

"حق المعلم أعظم من حق الوالدين فإن الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية والمعلم سبب الحياة الباقية ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة أعني معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك نعوذ بالله منه".

- ويورد الغزالي حديثاً عن النبي يختم به رأيه في العلوم، فيقول:

---

[4] إحياء علوم الدين، العبادات1، ص 14.
[5] نفس المصدر والصفحة.
[6] نفس المصدر، ص 4
[7] ربع العبادات، ج1، ص 10
[8] نفس المصدر، ص 25.
[9] نفس المصدر، ص 33.

"معنى قوله صلى الله عليه وسلم **نعوذ بالله من علم لا ينفع**، حديث نعوذ بالله من علم لا ينفع أخرجه ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن وهو عند ابن ماجه بلفظ تعوذوا وقد تقدم، فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم واقتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث عن الأشياء والاستقلال ولا تكثر اللجج برأيك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك أني أبحث عن الأشياء لأعرفها على ما هي عليه فأي ضرر في التفكر في العلم، فإن ما يعود عليك من ضرره أكثر وكم من شيء تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضررا يكاد يهلكك في الآخرة إن لم يتداركك الله برحمته."[10]

- ويصل حجة الإسلام الغزالي *حدود اللامعقول في امتهان العقل حين يتحدث عن عذاب القبر* ويقول إنّ إيمان العبد لا يتم:

"حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت وأوله سؤال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد في قبره سويا ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك. حديث سؤال منكر ونكير أخرجه الترمذي وصححه ابن حبان من حديث أبي هريرة إذا قبر الميت، أو قال أحدكم: أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير. وفي الصحيحين من حديث أنس إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وأنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه."[11] انتهى.

ولم يشرح لنا الغزالي كيفية سؤال الهندوس الذين تُحرق جثثهم وتصير رماداً. *إنه منتهى الاستخفاف بالعقل*، وهذا ما دعا الشيخ حسن الترابي مؤخراً إلى القول بعدم صحة سؤال القبر.

- ويأتي الغزالي بمنطق غريب في مدح العقل (بعد أن اغتاله) *وإظهار العنصرية الإسلامية البغيضة*، فيقول:

"والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى إن أعظم البهائم بدنا وأشدها ضراوة وأقواها سطوة إذا رأى صورة الإنسان احتشمه وهابه لشعوره باستعلائه عليه لما خُص به من إدراك الحيل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [الشيخ في قومه كالنبي في أمته] وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة عقله *ولذلك ترى الأتراك والأكراد وأجلاف العرب وسائر الخلق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم يوقرون المشايخ*. حديث الشيخ في قومه كالنبي في أمته أخرجه ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر وأبو منصور الديلمي من حديث أبي رافع بسند ضعيف"[12].

- وبنفس هذا المنطق الذي يجافي العقل، كفّر الغزالي ابن سينا والفارابي في كتابه ‹المنقذ من الضلال›، وقال:

"لا نشك في كفرهما - أي الفارابي وابن سينا - وقال فيه أيضا وأما الإلهيات ففيها أكثر أغاليطهم وما قدروا على الوفاء بالرهان على ما شرطوا في المنطق ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيه ولقد قرب مذهب أرسطاطاليس فيها من مذهب الإسلاميين الفارابي وابن سينا ولكن مجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلا يجب تكفيرهم في ثلاثة منها وتبديعهم في سبعة عشر ولإبطال مذهبهم في هذه المسائل العشرين صنفنا كتاب التهافت وأما المسائل الثلاث فقد خالفوا فيها كافة الإسلاميين وذلك قولهم أن الأجسام لا تحشر وأن المثاب والمعاقب هي الروح روحانية لا جسمانية ولقد صدقوا في إثبات الروحانية فإنها قائمة أيضا ولكن كذبوا في إنكار الجسمانية وكفروا بالشريعة فيما نطقوا به ومن ذلك قولهم إن الله يعلم علم الكليات دون الجزئيات وهذا أيضا كفر صريح بل الحق أنه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ومن ذلك قولهم بقدم العالم وأزليته ولم يذهب أحد من المسلمين إلى شيء من هذه المسائل وأما ما وراء ذلك من نفيهم الصفات وقولهم أنه عالم بالذات لا بعلم زائد وما يجري مجراه فمذهبهم فيه قريب من مذهب المعتزلة"[13].

- o وبسبب هذه الآراء الغريبة انتقد ابن الجوزي أبا حامد الغزالي، وقال:

"وجاء الغزالي، فصنّف لهم كتاب "الإحياء" على طريقة القوم، وملأه بالأحاديث الباطلة، وهو لا يعلم بطلانها، وتكلم في علم المكاشفة، وخرج على قانون الفقه."

- وقد ذكر الغزالي في كتاب الإحياء:

"أنه ضاع لبعض الصوفية ولد صغير، فقيل للصوفي: لو سألت الله أن يرده عليك. فقال: اعتراضي عليه فيما يقضي أشدُ عليّ من ذهاب ولدي".

- o فرد عليه ابن الجوزي:

"لقد طال تعجبي من أبي حامد الغزالي كيف يحكي هذه الأشياء في معرض الاستحسان والرضى عن قائلها، وهو يدري أن الدعاء والسؤال ليس باعتراض."[14]

- أما رأي الغزالي في المرأة فمكانه الطبيعي يجب أن يكون أحد المتاحف الغربية.

فالغزالي يقول عن المرأة:

1. يجب على المرأة أن تجلس في بيتها وتشغل نفسها بالغزل، ولا تبرح بيتها إلا نادراً.
2. يجب ألا تتعلم القراءة والكتابة وألا تتحدث مع جاراتها كثيراً، ولا تزورهن إلا للضرورة القصوى.
3. يجب أن تعتني بزوجها وتحفظ حقه في حضوره وفي غيابه ويكون همها أن ترضيه.
4. يجب ألا تخرج من منزلها دون إذن زوجها، وإذا سمح لها يجب أن تخرج في حياء، وتلبس ملابساً بالية وتختار الطرقات المهجورة.
5. يجب أن تتفادى الأسواق ولا تُسمع صوتها لرجل غريب.
6. يجب ألا تحادث أصحاب زوجها حتى في حالة الضرورة.
7. يجب أن يكون شغلها الشاغل شرفها وبيتها وصلاتها وصيامها.
8. إذا حضر إلى منزلها أحد أصحاب زوجها في غيابه فيجب ألا تفتح له الباب ولا تكلمه حفاظاً على شرفها وشرف زوجها.
9. يجب أن تكتفي بما يمنحها زوجها من الواجبات الزوجية.
10. يجب أن تكون نظيفة ومستعدة لإشباع رغبة زوجها الجنسية في أي وقت.

فجناية حجة الإسلام الغزالي على العقل

لا يضاهيها إلا جناية أبي هريرة والبخاري على السنة.

وإذا كانت هذه آراء حجة الإسلام، فماذا ننتظر من الشيوخ العاديين؟

عودة إلى الفهرس

[10] إحياء علوم الدين، ربع العبادات 1، ص 20.
[11] ربع العبادات ذ، ص 2.
[12] ربع العبادات 1، ص 55.
[13] شذرات الذهب للدمشقي، ج2، ص 353.
[14] أحكام النساء لابن الجوزي، ص 66.

91 - إرهاب إسلامي أم إسلام إرهابي؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=124361

نشر الكاتب العراقي عزيز الحاج مقالاً في موقع إيلاف الإلكتروني بعنوان "نعم إرهاب إسلامي وفاشي" بتاريخ 6 فبراير 2008. ورغم التحليل الجيد الذي أثبت به الكاتب أن الإرهاب في عصرنا هذا أصبح محصوراً في الجماعات الإسلامية أو الإسلام السياسي، فإن الكاتب قد تقاعس عن **تحليل الأسباب** التي أدت إلى تفشي هذه الظاهرة في العالم الإسلامي، ربما تقيةً منه لتفادي إهدار دمه من قبل الجماعات الإسلامية الأوروبية التي اغتالت المخرج الهولندي ثيو فان غوخ. وأنا شخصياً لا ألومه على تقيته. *ولكن لو كنا جادين في القضاء على الإرهاب فلا بد من الوصول إلى منابعه لتجفيفها*. فالإرهاب والقتل الجماعي لا يتأتى إلا في مجموعات من الناس خضعوا لعملية **أدلجة وغسيل دماغ** لفترات طويلة، وخاصة إذا حدثت في الطفولة. فالأيديولوجية تفرض على المؤدلج نمطاً معيناً من السلوك والأفكار وحتى اللباس، فالنازية تحت هتلر، والفاشية تحت موسوليني اعتمدتا على الخُطب النارية التي تمجد القومية والاثنية الآرية وعلى الخوف من العقاب إذا لم يفعل الناس ما يُقال لهم، وفرضت على شباب موسوليني القمصان السود وعلى شباب النازية الصليب المعقوف. وهذه الأدلجة جعلت من الشباب الألماني والإيطالي آلات قتل معبأة وجاهزة للانطلاق لتفتك بأعداء الرايخ الثالث وأعداء إيطاليا. وكذلك نجحت الأيديولوجية الماوية (نسبةً لماوتسي تونگ) في ڤيتنام تحت إرشاد بول بوت Pol Pot و"الخمير روج Khmer Rouge" في قتل أكثر من مليون من الڤيتناميين في حقول القتل الشهيرة. وكذلك ثورة ماوتسي تونگ نفسها التي راح ضحيتها الملايين باسم الأيديولوجية. وتنسحب نفس المقولة على الجنود النظاميين في كل جيوش العالم. هؤلاء الجنود يُؤدلجون عن طريق التمارين العسكرية المتكررة والعقاب الصارم لمَن يخالف وفرض الزي العسكري، حتى يصبحوا كالروبوتات الآلية التي تنفذ أوامر الضابط أو الجاويش دون أي محاولة لفهم أو تقنين تلك الأوامر. هذا التنفيذ الأعمى للأوامر أدى إلى موت حوالي مائة ألف جندي وجرح حوالي ربع مليون آخرين في معركة Gallipoli في الحرب العالمية الأولى في عام 1915 فيما يعرف بحرب الخنادق التي دارت بين قوات الحلفاء والجيش العثماني. هؤلاء الجنود حفروا خنادق، كلٌ في جانبه، وعلى بعد مئات الأمتار فقط من بعضهم البعض. وفي كل صباح كان الضباط يأمرون الجنود بالخروج من خنادقهم والهجوم على الجانب الآخر، ليحصدوا بعضهم بالرصاص. وعلى مدى سبعة أشهر لم يتقدم أي جيش سوى بضعة أمتار رغم الخسائر الباهظة ورغم إيمان جنود الحلفاء أنهم لن ينجحوا في اجتياح الجيش العثماني. ولكن الروح المؤدلجة جعلتهم يحاربون الأتراك نهاراً ويلعبون معهم الكرة في الأمسيات.

فهل الإسلام يجعل المسلمين إرهابيين؟ الجواب حتماً **بالايجاب**، فالإسلام اعتمد على أدلجة أتباعه منذ البداية وأوهمهم بأن القرآن هو كلام الله الأزلي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فماذا يقول لهم القرآن؟ القرآن اعتمد على عزل المسلمين وجعلهم الفئة الوحيدة الناجية، وعليه يجب عليهم عداء من لا يتبع ملتهم. وقد ركّز القرآن على العداء لله وللمسلمين من جهة، واليهود والنصارى والشيطان من الجهة الأخرى. فيبدأ القرآن أدلجة الأتباع بالآيات التالية:

{من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين. (البقرة 98)**}.**

قال الله لآدم حين أخرجه من الجنة:

{قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين. (الأعراف 24)**}.**
{وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدةٍ وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إنّ إبراهيم لأواه حليم. (التوبة 114)**}.**

كيف يكون أبو إبراهيم عدواً لله وهو لم يصنع أكثر من أن عبد الأوثان التي وجد عليها آباءه؟ وكيف يتبرأ إبراهيم من أبيه والقرآن يقول إن الله قد أوصى الأبناء بالإحسان إلى الوالدين وألا يقول لهما أفٍ ولا ينهرهما ويقل لهما قولاً كريماً **{ربِ ارحمهما كما ربياني صغيرا}**؟ لا شيء غير غسيل الدماغ والأدلجة يمكن أن يجعل الابن يتبرأ من أبيه.

{ما كان لأهل المدينة ومَن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصبٌ ولا مخمصةٌ في سبيل الله ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوٍ نيلاً إلا كُتب لهم به عملٌ صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين. (التوبة 120)**}.**

فالذي ينال من عدو المسلمين أو عدو الله تُكتب له الحسنات.
وعندما أوصى الله أم موسى قال:

{أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدوٌ لي وعدوٌ له وألقيت عليك محبةً مني ولتصنع على عيني. (طه 39)**}.**

ولا نعلم لماذا أصبح الفرعون أخناتون عدواً لله وهو كان أول فرعون يعتنق فكرة الإله الواحد بدل آلهة قدماء المصريين العديدة. وهذه الآية من الآيات **القليلة** في القرآن التي بها **ذكر المحبة**. فأغلب آيات القرآن تحث على العداوة والبغضاء.

{قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون. أنتم وآباؤكم الأقدمون. فإنهم عدو لي إلا رب العالمين. (الشعراء 75-77)**}.**

لماذا أصبحت الأصنام الحجرية التي لا تنفع ولا تضر عدواً لإبراهيم. وكيف يكون الحجر عدواً؟ إنها فكرة إقصاء الآخر.

{ودخل المدينة على حين غفلةٍ من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه. (القصص 15)**}.**

مرة أخرى نسأل كيف أصبح ذلك المصري العادي عدواً لموسى الذي تربى في البلاط الملكي ولم يختلط بالعامة؟ هل أصبح عدوه لأنه غير يهودي وموسى كان مرسلاً لليهود؟
وفي الختام يقول القرآن للمسلمين:

{وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم. (الأنفال 60)**}.**

فهذه الآية تجعل كل من لا يعتنق الإسلام عدواً لله وللمسلمين حتى إن لم يعلم بهم المسلمون. والوصية الإلهية هي إرهابهم.

العداء للآخر، مهما كان الآخر، هو الأساس الذي يقوم عليه الإسلام. فلله أعداء وللمسلم السني أعداء، وللمسلم الشيعي أعداء وأكثر الأعداء إيلاماً للأمة الإسلامية هم **اليهود والنصارى وأهل الغرب** عامةً. وكل إنسان يحاول أن ينتصر على عدوه، إما عن طريق المحاكم أو باليد أو بالقتل بأي وسيلة. *الوسيلة المفضلة عند المسلمين هي الإرهاب*، كما أوصاهم القرآن **{ترهبون به عدو الله وعدوكم}**. وهذا ما نراه يحدث الآن في العراق وقد حدث قبل ذلك في نفس البلد على مدى تاريخه الإسلامي الطويل. المسلمون السنة، كما هو معلوم،

يسمون المسلمين الشيعة "**الروافض**"، والشيعة يسمون المسلمين السنة "**النواصب**" ويبادلونهم العداء، والعدو يُستحسن أن يقتل. يقول الإمام الخميني:

"أما النواصب والخوارج لعنهم الله تعالى فهما نَجِسان من غير توقف ذلك على جحودهما الراجع إلى إنكار الرسالة."

والنجس هو اللقب الذي أطلقه القرآن على المشركين. فإذاً النواصب مشركون، والمشرك عقابه القتل. ولا يكتفي الإمام الخميني بعداء النواصب بل يتعداه إلى عداء الشيعة الذين ينتمون إلى مذاهب أخرى غير الاثني عشرية، فيقول:

"غير الاثني عشرية من الشيعة إذا لم يظهر منهم نصب ومعاداة وسب لسائر الأئمة الذين لا يعتقدون بامامتهم طاهرون، وأما مع ظهور ذلك منهم، فهم مثل سائر النواصب."[1]

بمثل هذه الآيات والكتب يؤدلجون الأطفال الأبرياء في مدارس القرآن وكتاتيبه وحسينياته.

حتى الأطفال الذين لا يتحدثون العربية في الهند وباكستان والصين وماليزيا وكردستان وغيرها، يجبرهم الشيوخ على حفظ هذه الآيات عن ظهر قلب، بالإضافة إلى آيات القتال والجهاد العديدة، ويعلمونهم أن أقصر طريق إلى الجنة وبنات الحور هو الشهادة في سبيل الله.

وحتى يشتري الشيوخ موافقة الآباء على الاستشهاد اخترعوا أحاديث عن النبي تقول إن الشهيد يشفع لسبعين من أقاربه ليدخلوا معه الجنة، ويتعشى الجميع مع رسول الله. فهل هناك جائزة أثمن من هذه؟ (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون).
وحتى تتم الأدلجة يفرض فقهاء الإسلام على الأتباع لبس الدشداشة القصيرة وإعفاء اللحية مع حلق الشارب حتى يسهل على الناس معرفة المسلم المؤدلج، وياحبذا لو وضع في فمه مسواكاً.
وبؤرة أعداء الإسلام لا تنضب فكل جمعة يزيدهم أئمة المساجد في خطبهم الأسبوعية بأنواع أخرى من الأعداء **حفدة القردة والخنازير والمغضوب عليهم والضالين، والفرنسيين** الذي منعوا الحجاب في مدارسهم **والدنماركيين** الذين رسموا الكاريكاتيرات المسيئة للرسول، ويسألون الله أن يشتت شملهم ويفني نسلهم ويجمد الدم في عروقهم (إنهم لا يلدون إلا فاجراً كفارا) كما قال نوح.
يقول آية الله الخميني عن الدعاء في السجود، يستحب أن يقال:

"اللهم إني أنشدك دم المظلوم. اللهم إني أنشدك بإيوائك على نفسك لأعدائك لتهلكنهم بأيدينا وأيدي المؤمنين."

فلا يكفي أن يجمد الله الدم في عروق كل أعدائه بنفسه، بل يجب أن يطلب منه الساجد أن يظفر بهؤلاء الأعداء ليقتلهم بيده ويتقرب بهم إلى الله. ويذكرني هذا الدعاء بما قاله الإسلامي المغربي يوسف فكري في المحكمة التي كانت تحاكمه لأنه ذبح رجلاً آخر، قال:

"كان المدعو عمر الفراك أول عدو أتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى."[2]

وعمر الفراك كان مسلماً مثله لكن الأدلجة جعلته عدواً للمسلمين. فإله الإسلام لا يختلف عن إله اليهودية في ظمئه إلى الدماء. ويقول الخميني عن الخُمس في الغنيمة:

"يجب الخُمس من المال في ما يغتنم قهراً بل سرقةً وغيلةً من أهل الحرب الذين يُستحل دماؤهم وأموالهم وسبي نسائهم وأطفالهم إذا كان الغزو معهم بإذن الإمام."[3]

فحلال على المسلم سرقة ونهب وقتل النصارى واليهود جهراً أو غيلةً لأنهم أعداء الله. ولأن الهدف قتل عدو الله وعدو المسلمين، فلا يهم أن يكون هناك مسلمون وناس أبرياء استعملهم العدو درعاً بشرياً Human Shield كما فعل صدام حسين أيام حرب الخليج الأولى عندما احتجز المدنيين الأوروبيين والأمريكان وجعلهم دروعاً في مصانع السلاح. وقد افتى فقهاء الإسلام على مر العصور أن المجاهدين يجوز لهم قتل المدنيين المسلمين الأبرياء الذين **تَتَـرس** بهم الأعداء، من أجل الوصول إلى أعداء الله، حتى يدخلوا الجنة ويتمتعوا ببنات الحور. وهذه هي الذريعة التي يعتمد عليها الإرهابيون المسلمون في العراق والجزائر والمغرب وفلسطين والشيشان وتركيا وغيرها من البلاد.

ولكن المؤسف حقاً والذي يدمغ الإسلام وإلهه بالإرهاب هو ما لجأ إليه الإرهابيون العراقيون أخيراً من تفخيخ امرأتين ذاتي عاهة عقلية لتفجير سوق الطيور في بغداد وقتل وجرح عشرات العراقيين الأبرياء. ولأن المرأتين كان ينقصهما الذكاء الذي يسمح لهما بتفجير نفسيهما، فقد استعمل الإجراميون الإسلاميون جهاز التحكم من على البعد وفجروا المرأتين ومن حولهما.

لا يمكن لشخص سوي أن يفعل ذلك في غياب الأيدولوجية الإسلامية. ولكن الشخص المؤدلج ما هو إلا روبوت في هيئة إنسان. وطبعاً لا نستغرب من استفادة الإرهابيين من ذوات العاهات العقلية أو الخلقية لأن الإسلام يعتبر مثل هؤلاء الناس مسخاً يجوز لله أن يضرب بهم الأمثال في البلاهة وعدم الفائدة:

{وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كَلٌ على مولاه أينما يوجهه لا يأتي بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على سراط مستقيم. (النحل 76)}.

فهل الأبكم لا يستطيع أن يزرع أو يعمل في مصنع أو يعمل كاتبا مثلاً؟
وكنتيجة حتمية لكل هذه الأدلجة منذ الصغر وترديد الأفكار الشوفينية (المغالاة في التعصب) chauvinism التي تمجد المسلمين وتصغّر وتحتقر الغير، نجد أن الرجل العادي في أي بلد مسلم لا يتردد في نعت غير المسلمين بأرذل النعوت والطلب من الله أن يقطع دابرهم. ولذلك لا يهتم هذا الرجل المسلم عندما يسمع أن المجاهدين قد فجروا مجمعات سكنية في السعودية أو الجزائر أو أي بلد في أوروبا. بل الغالبية منهم يحتفلون لمثل هذه الأخبار ويوزعون الحلوى في الشوارع كما حدث يوم غزوة مانهاتن المباركة عندما امتلأت شوارع العواصم العربية بالمحتفلين. ولنفس هذا السبب أعلن الأصولي المصري هاني السباعي عندما سألوه عن تفجيرات قطارات لندن، قال إنه "نصر كبير" ثم حاول فيما بعد الابتعاد بنفسه عن هذا التصريح وعزاه إلى أسامه بن لادن.
وقد يقول قائل إن الإسلام بريء من الإرهاب وإن الذين يقومون بالعمليات الاستشهادية هم *المتشددون الذين لا يمثلون الإسلام*.

☜ ولكن إذا نظرنا إلى أسماء الأحزاب والمنظمات الإسلامية في البلاد العربية نجد القتل والقتال جزءاً لا يتجزأ من سايكولوجية المنضوين تحت هذه الأحزاب. فنجد مثلاً:

- "الجماعة السلفية للدعوة والقتال" بالجزائر،
- "شباب المجاهدين" بالصومال،
- "حركة الجهاد الإسلامية" بغزة،
- "الجماعة الإسلامية الليبية المقاتلة"،
- "جماعة التكفير والهجرة" المصرية التي سفكت دماء ثمانية وستين سائحاً غربياً في الأقصر في عام 1997،

[1] تحرير الوسيلة، ج1، ص 106.
[2] أسبوعية الصحيفة المغربية 2003/4/18.
[3] تحرير الوسيلة، ج1، ص 322.

- "كتيبة الفاروق" بالجزائر،
- "جيش المهدي" بالعراق،
- "كتائب بدر" بالعراق

والقائمة تطول. والمنتمون لمثل هذه الأحزاب هم الذين اغتالوا المفكرين العلمانيين في البلاد العربية لأنهم أصبحوا مرتدين في نظر هذه الجماعات.

- *وحتى المسلم غير المنتمي لهذه الأحزاب لا يتردد في حرق كنيسة أو قتل راهب أو راهبة انتقاماً لسمعة نبي الإسلام* كما حدث في الصومال بعد خطاب البابا بنيدكت الذي انتقد فيه الإسلام، وكما حدث في بيروت والعراق وباكستان من مظاهرات وإحراق ممتلكات غربية وكنائس عندما نشرت صحيفة دنماركية رسماً كاريكاتيرياً عن نبي الإسلام.
- *وحتى النساء الأوروبيات اللاتي شاءت أقدارهن أن يتعرفن على شباب مسلمين في أوروبا واعتنقن الإسلام لإرضاء هؤلاء الرجال، أصبحن مجاهدات يفجرن أنفسهن. فمثلاً **موريل ديغوك** Muriel Degauque، المرأة البلجيكية ذات الثمانية وثلاثين ربيعاً عندما اعتنقت الإسلام بعد أن تزوجت مغربياً، تحولت إلى قنبلة بشرية وسافرت إلى العراق وفجرت نفسها عند مرور دورية أمريكية، ولم تنجح إلا في قتل نفسها.*
- وهناك عدد من الأوروبيات زوجات مجموعة **هوفستاد** Hofstade الهولندية التي كانت لها صلة بمقتل المخرج ثيو فان غوخ Theo van Gogh قد تدربن في الجهاد وصناعة التفجيرات.
- وحتى إمام المسجد الهولندي الذي اعتنق الإسلام وغير اسمه إلى **عبد الجبار فاندفين** قال في مقابلة تلفزيونية إنه يتمنى الموت للبرلماني الهولندي **خيرت ولدرز** Geert Wilders لأنه يهاجم المسلمين ويطالب بعدم السماح لهم بالإقامة في هولندا.

فما الذي حوّل هؤلاء الأوروبيين من أناس مسالمين يستمتعون بالموسيقي والرقص والحفلات إلى متعصبين يمارسون القتل في سبيل الله؟ حتماً إنها التعاليم الإسلامية وأئمة المساجد في أوربا.

- أما في البلاد العربية فالجامعات والكتاتيب والفقهاء ووعاظ السلاطين لا يتوانون في أدلجة الناس وإخراج الكتب والفتاوى التي تحض على الجهاد وقتل الكفار والعلمانيين المسلمين لأنهم أصبحوا مرتدين.

فمثلاً يوجد كتاب على الأنترنت عنوانه "الفتاوى الندية في العمليات الاستشهادية" يحتوي على فتاوى كان قد أصدرها كلٌ من الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ ناصر الدين الألباني، والشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي، والشيخ سلمان بن منيع، والشيخ سليمان العلوان، والشيخ علي الخضير الذي تاب مؤخراً بعد اعتقاله وظهر في تلفزيون السعودية ليعتذر عن فتاواه الجهادية، والشيخ سلمان العودة والدكتور أحمد عبد الكريم نجيب استاذ علم الحديث بسراييفو، والذي عمل قبل ذلك في معهد قطر الديني، ومجمع الفقه الإسلامي السوداني، ورابطة علماء فلسطين. **كل هؤلاء الشيوخ أجازوا العمليات الاستشهادية وقتل الأبرياء، وحضوا عليها.**

- *أما فقهاء الجهاد والكراهية العرب والذين هربوا من بلدانهم إلى حياة الرفاهية في الدول الأوروبية* التي منحتهم حق اللجوء وصرفت لهم أموال الضمان الاجتماعي والسكن المجاني، من أمثال الغنوشي، وعمر بكري السوري، وأبوحمزة المصري وأبو قتادة وغيرهم كثير، *فقد عضوا الأيادي التي أطعمتهم ونشروا فتاوى الحقد والكراهية* بين المصلين في مساجد لندن وبقية العواصم الأوروبية.
- *والشيوخ الذين لم تسمح ظروفهم أو لم يتمكنوا من الهجرة إلى أوروبا* مثل الدكتور محمد عمارة وزغلول النجار وبقية شيوخ الأزهر والشام وفلسطين وقطر *فقد تقيؤوا حقدهم على غير المسلمين في شكل مقالات اسبوعية بالصحف أو فتاوى في الفضائيات الإسلامية*. ولا غرابة في ذلك لأن **كراهية الغير متأصلة في التراث الإسلامي، وحتى القرآن ذكر أن** {الله لا يحب} **اثنتين وعشرين مرة، ولعن اليهود والنصارى مرات عديدة.**

ومن البديهيات أن نعترف أنه بعد كل هذه الأدلجة الإسلامية التي استمرت أربعة عشر قرناً من الزمان فقد أضحى الإسلام إرهابياً أكثر مما أضحى الإرهاب إسلامياً.

ورغم هذا نجد أحد القضاة الأمريكان يقول:

"يجب ان نحمي حريات حتى هؤلاء الذين يكنون لنا الكراهية."

(القاضي روبرت دوماد عن المواطن الأمريكي السعودي المعتقل ياسر عصام حمدي.)

إنـها مفارقات مخجلة لو كانوا يشعرون.

عودة إلى الفهرس

2008 / 2 / 16

92 - أكذوبة - لا إكراه في الدين

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=125081

كل مسلم تتحدث إليه عن التعسف الإسلامي وإجبار الناس على البقاء في الدين الذي وجدوا آباءهم عليه، أو ادخالهم في الإسلام غصباً، يرد عليك بالآية التي تقول:

{لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم. (البقرة 256)**}.**

ولكن في حقيقة الأمر **فإن هذه الآية منسوخة**. يقول القرطبي في شرحها:

"اختلف العلماء في معنى هذه الآية، فقيل إنها منسوخة لأن النبي (ص) قد أكره العرب على دين الإسلام وقاتلهم ولم يرض منهم إلا بالإسلام، رُوي هذا عن ابن مسعود وكثير من المفسرين. وقال آخرون ليست منسوخة وإنما نزلت في أهل الكتاب خاصة، وإنهم لا يُكرهون على الإسلام إذا أدوا الجزية، والذين يُكْرَهون (هم) أهل الأوثان فلا يقبل منهم إلا الإسلام. هذا قول الشعبي وقتادة والحسن والضحاك." انتهى.

فجميع المفسرين يتفقون على أن العرب والمجوس والهندوس قد أُجبروا على الإسلام، أما أهل الكتاب فتُقبَل منهم الجزية. *وكم من ملايين من أهل الكتاب كانت قد أرهقتهم الجزية والمعاملة غير الكريمة فدخلوا الإسلام مجبرين لتفاديها. ومع ذلك يقولون لا إكراه في الدين.*

وكذلك بعد أن استتب الأمر للنبي وأجبر العرب وغيرهم على الإسلام، أراد للذين من بعدهم أن يستمروا على الإسلام، ولكنه كان يعلم أن لا بد من إجبارهم على ذلك، **ولكن بطرق أخرى غير السيف**. **فطريقة الإكراه التي اختارها كانت وسيلتها الخوف والتهديد**. وهذا ما يسمونه في اللغة الإنكليزية Coercion وتعني: **إكراه، إرغام، قسر أو عنت**. فالعصابات التي تبتز أموال الحماية من البارات والمراقص الليلية في المدن الأوروبية تجبر أصحاب هذه المحلات على الدفع عن طريق الخوف، وإلا سوف يُحرق المكان. وأصحاب البارات الذين يدفعون للعصابات لا يجرؤون على إبلاغ الشرطة خوفاً من ردة فعل العصابات. تحدث هذه الممارسات رغم أن القانون الإنكليزي، مثلاً، يحظر حمل الإنسان على أداء أي عمل عن طريق الإكراه أو ال Coercion لأن مفعول الأخير لا يقل عن مفعول استعمال القوة العضلية أو السلاح، كلاهما يعطي نفس النتيجة. بل أن مفعول الخوف قد يكون أعظم من مفعول القوة العضلية.

فما هي الآيات التي يخوّف بها محمد الناس؟

{إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم. (يونس 15)**}.**
{لئن اتخذت إلهاً غيري لاجعلنك من المسجونين. (غافر 29)**}.**
{كلا إذا بلغت التراقي. وقيل من راق. وظن أنه الفراق. وألتفت الساق بالساق. إلى ربك يومئذ المساق. (القيامة 25 - 30)**}.**
{يوم يفر المرء من أخيه. وأمه وأبيه. وصاحبته وبنيه. لكل امرء يومئذ شأن يغنيه. (عبس 33 - 37)**}.**
{ولا يسأل حميم حميما. يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه. وصاحبته وأخيه. وفصيلته التي تؤويه. ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه. كلا إنها لظى. نزّاعة للشوى. (المعارج 10-16)**}.**
{هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قُطّعت لهم ثيابٌ من نار يُصّبُ من فوق رؤوسهم الحميم. يُصهرُ به مافي بطونهم والجلود. ولهم مقامع من حديد. كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍ أعيدوا فيها. وذوقوا عذاب الحريق. (الحج 19-22)**}.**
{إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً. (النساء 56)**}.**
{من ورائه جهنم ويسقى من ماءٍ صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ. (إبراهيم 15-17)**}.**

هذا الوصف ليوم القيامة ونوعية العذاب الذي سوف يكيله الله للذين لا يدخلون حظيرة الإسلام، يجعل الإنسان ترتعد فرائصه كلما قرأ هذا الآيات. أضف إلى هذا الوصف عذاب القبر والثعبان الأقرع.

ولهذا السبب فإن المسلم لا يحافظ على إسلامة حباً في الإسلام أو حباً لله كما فعل الحلاج ورابعة العدوية وبقية الصوفيين، وإنما خوفاً من عذاب جهنم وعذاب القبر، ولذلك نجد أن جل دعائهم بعد الصلاة يكون على وتيرة "اللهم قنا عذاب النار يا أرحم الراحمين."

لأن المسلم يسلم بالوراثة وهو طفل، كما يفعل أتباع الأديان الأخرى، وعندما يقرأ القرآن يتملكه خوفٌ دائم من عذاب جهنم، يكون إسلامه إكراهاً عن طريق ال Coercion وليس إيماناً برسالة الإسلام.

- لهذا السبب يحافظ شيوخ الإسلام على عقيدة المسلمين عن طريق:
  - التركيز على هذه الآيات المخيفة،
  - ومنع النقاش في الأمور الدينية (التأمل في ذات الله كفر)،
  - ثم بالضرب بالعصا:
    - كما يحدث في السعودية وأفغانستان عندما تجوب سيارات هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شوارع المدن لمنع الرجال من الاختلاط بالنساء ولحثهم على إغلاق متاجرهم والذهاب إلى المساجد.
    - وفي فلسطين أعلنت قيادة شرطة محافظة رام الله والبيرة تشكيل فرع جديد للشرطة، هو "شرطة الآداب" التي سيقع على عاتقها معاقبة الشبان الذين يخلّون بالآداب العامة ويتسكعون في الشوارع وينتهكون حرمة شهر رمضان المبارك[1].

حتى صيام رمضان يُفرض على الناس بالقوة.

- ويتكرر نفس الشيء في جميع الأقطار العربية والإسلامية في شهر رمضان وتغلق المطاعم والمقاهي لأن المسلم الصائم إذا رأى أناساً يأكلون ربما يضعف إيمانه ويترك الصيام، لأنه صائم خوفاً من النار وليس اقتناعاً.

وكم من الناس يصوم مجاملةً لآخرين وليس اقتناعاً بالصيام.

- وفي كشمير الإسلامية تجوب "كتيبة مريم" المكونة من النساء المنقبات شوارع المدينة وتقتحم الفنادق والمطاعم وبعض المنازل لضرب من يشتبهن في أنهم يمارسون شرب الخمر أو الرذيلة. تقول آسيا أندرابي زعيمة هذه المجموعة

إنّ هدفها السيطرة على الإنحلال الأخلاقي[2].

[1] الشرق الأوسط 2007/9/14.
[2] الشرق الأوسط 2005/9/7.

فالإسلام في حد ذاته لا يمنع الانحلال الأخلاقي وإنما تمنعه العصا.

❖ وبالعكس من ذلك، لأن المسيحية انتشرت عن طريق التبشير، نجد أن المسيحيين في أوروبا عندما كانوا ملتزمين بدينهم كانوا على درجة عالية من السمو الخلقي. *وقد ذكر هذه الملاحظة الشيخ محمد عبده عندما زار أوروبا وقال إنه وجد إسلاماً ولم يجد مسلمين، بينما في الشرق وجد مسلمين ولم يجد إسلاماً.*

فالإسلام لم يؤثر على أخلاقيات العرب طوال هذه القرون لأنه مفروض بالخوف وليس بالإقناع.

- وفي الهند وفي ما يُعرف بباكستان الآن، والتي تأسلمت بسيوف محمد بن القاسم الثقفي، ابن عم الحجاج بن يوسف، يؤدلج الشيوخ ملايين الأطفال في مدارس تحفيظ القرآن التي يتم التحفيظ فيها بالضرب لأن الأطفال لا يتحدثون العربية ولا يفهمونها، **ومع ذلك يحفظون القرآن عن ظهر قلب**. فزيادةً على التخويف بنار جهنم يمثل الضرب الوسيلة المثلى لحفظ الناس داخل حظيرة الإسلام. وظهر هذا جلياً عندما زارت الطبيبة البنغلادشية تسليمة نسرين التي تعيش في المنفي في الغرب بعد أن أهدر دمها فقهاء بنغلاديش، عندما زارت الهند حديثاً للترويج لأحد كتبها الذي كان قد تُرجم إلى اللغة الهندية، اقتحم ستون من رجالات الدين من حزب مجلس اتحاد المسلمين، نادي الصحافة الذي كانت تتحدث به الزائرة وأوسعوها ضرباً ورشقوها بأواني الزهور وبالمقاعد. وقال صلاح الدين عويس رئيس الحزب:

"إنه شيء جيد. وكل المسلمين في حيدر أباد سوف يقدمون التهاني للحزب."
وعرضت جماعة إسلامية هندية مبلغ أحد عشر ألف دولار أمريكي لمن يقتل نسرين لأنها معادية للإسلام[3].

فنسرين يجب أن تحترم الإسلام قسراً وعن طريق الضرب والتهديد بالقتل.

- ولأن الدين الإسلامي **يحتقر العقل ويعتمد على النقل**، يخشى القائمون عليه تحول المسلمين عنه إذا سمحوا للمبشرين من الديانات الأخرى بالعمل في البلاد الإسلامية رغم أن المبشرين الإسلاميين يعملون في جميع أنحاء العالم الآن بعد أن انهالت عليهم أموال البترول الخليجي. والقائمون على الدين لا يضعون أي اعتبار لعقول المسلمين، حتى المتعلمين منهم، ولا يثقون في مقدرتهم على الثبوت أمام حجج الفريق الآخر، ولذلك تكون أفضل وسيلة لحفظ المسلمين في حظيرة الإسلام هي المنع التام للتبشير.

ففي كل البلاد الإسلامية يُحظر على المسيحيين التبشير بدينهم. وفي مقابلة أجرتها إيلاف مع القس الكويتي الأب عمانويل الغريب، عندما سُئل عن التبشير، قال:

إنه لا يسمح لهم بالتبشير ولا ببيع الإنجيل خارج الكنيسة.

- حتى إدخال كتب الديانات الأخرى ممنوع في بعض الدول الإسلامية خوفاً من أن يتأثر المسلمون بها لأنها ربما تحتوي على حجج أكثر إقناعاً من تهديدات القرآن.
- وفي مصر اعتقلت نيابة أمن الدولة الدكتور عادل فوزي والمهندس بيتر عزت ووجهت لهم تهمة **ازدراء الأديان** ونشر الفتنة الطائفية بالبلاد والعمل على تنصير المسلمين[4].

ونلاحظ هنا أن التهمة ليست ازدراء الدين الإسلامي إنما ازدراء الأديان. وحتماً الشخص المسيحي الذي يحاول تنصير المسلمين لا يمكن أن يكون قد ازدرى الدين المسيحي. *ولكن من ينتقد الإسلام يكون قد ازدرى جميع الأديان*.

ولذا يُمنع التبشير بأي دين آخر حفاظاً على هذا الدين الهش.

- والأغرب من ذلك هو منع التبشير بالمذهب الشيعي في البلاد السنية.
  - ففي الجزائر، مثلاً، أوقفت السلطات الجزائرية أحدَ عشرَ مدرساً شيعياً بهدف تأمين وحماية الوسط المدرسي وتجنب التأثير الشيعي المباشر على التلاميذ بالمؤسسات التربوية (الشرق الأوسط 2006/12/14).
  - وفي الدوحة قد طالب **الشيخ القرضاوي** ضمن مشاركته في مؤتمر الدوحة للحوار بين المذاهب الإسلامية بـ:

«وضع حد لعمليات التبشير الشيعي المبرمجة في بعض البلدان السنية»،

- وشدد (كما نقل موقعه الالكتروني) على ضرورة وضع حد لعمليات التبشير الشيعي في بعض المجتمعات السنية، قائلا إن:

«التبشير الشيعي أمر مبرمج وترصد له ميزانيات وله برامجه العملية»،

- كما أكد أهمية اتخاذ الشيعة:

«موقفا صريحا وواضحا في مسألة سب الصحابة، ولن يحدث تقارب ما دام هناك سب للصحابة وأمهات المؤمنين»[5].

فيبدو أن إيمان المسلم بإسلامه إيمان ضحل لا يقوى حتى على مقارعة المسلمين من مذاهب أخرى ناهيك عن ديانات أخرى.

- ولأن رجال الدين يعلمون أن بقاء المسلمين في الحظيرة **مرتبط بجهلهم بالديانات الأخرى وبالإسلام نفسه**، زيادةً على التخويف من العذاب، فقد حرصوا على حجب المسلمين من الاطلاع على أي شيء فيه نقد للإسلام أو إشادة بدين آخر، وشددوا على أن عقاب ذلك هو القتل.
  - ففي أفغانستان مثلاً:
    - حُكم على الصحافي **برويز كمبخش** المحرر بصحيفة جهان ناو "العالم الجديد" والذي يبلغ من العمر 23 عاماً، بالإعدام لأنه وزع داخل الحرم الجامعي منشوراً اعتبرته المحكمة مسيئاً للإسلام[6]. والموضوع المسيء للإسلام كان عبارة عن *تفسير آيات قرآنية تدور حول حقوق المرأة*.
    - وحكمت محكمة أخرى على الصحفي **علي محقق نسب** بالسجن لأنه نشر مقالاً في صحيفة "حقوق المرأة" عن صرامة العقوبات الإسلامية على المرأة[7].

فكلما زاد الجهل في العالم العربي كلما ضمن رجالات الدين بقاء المسلمين في الحظيرة وعدم خروجهم منها حتى لا تأكلهم ذئاب الديانات الأخرى.

---

[3] إيلاف 2007/8/9.
[4] الشرق الأوسط 2007/8/10.
[5] الشرق الأوسط 2007/1/26.
[6] إيلاف 2008/1/24.
[7] الشرق الأوسط 2005/10/26.

- الملالي يخشون على الإسلام الهش حتى من مصافحة الرجل للمرأة.

فعندما صافح الرئيس الإيراني الأسبق محمد خاتمي أربعة نساء في إيطاليا، تظاهرت الأوساط السياسية والدينية في إيران واعتصم عدد من رجالات الدين وطلاب المدارس الدينية أمام المحكمة الخاصة برجال الدين في مدينة مشهد وحملوا لافتات تطالب بنزع الزي الديني عن محمد خاتمي لأنه "غدر" بالإسلام[8].

دين يكون بهذه الهشاشة بعد أربعة عشر قرناً من الزمان لابد أن يُفرض على الناس عن طريق الجبر والإكراه والعصا كي لا يغدروا به.

- ولأن الإسلام فُرِض بالسيف واستمر ويستمر عن طريق الإكراه، وليس الإقناع، يشعر رجالات الدين الإسلامي بمركّب نقص أمام الأديان الأخرى ولذلك نجدهم يهاجمون بقية المعتقدات ويتهكمون على أتباعها ويعتقدون أن تهميشها يؤدي إلى تقوية الإسلام. والأنظمة العربية الحاكمة والمستفيدة من تحكم رجالات الدين في الجماهير تساعدهم على ذلك، فهؤلاء لا يدعون فرصة تمر دون أن ينسبوا عظمتها إلى الإسلام ويدعوا إلى خدمته.
  - ففي المملكة العربية السعودية، مثلاً، عندما أمر الملك عبد الله بترقية اللواء عبد الرحمن الربيعان إلى رتبة فريق أول، هنأ الأمير أحمد بن عبد العزيز، نائب وزير الداخلية، الفريق الربيعان متمنياً له التوفيق والسداد ومواصلة عمله **لخدمة الدين ثم المليك ثم الوطن**[9]. فبالإضافة إلى الآلاف المؤلفة من رجالات الدين في المملكة، مع خمسة آلاف مطوع يعملون في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يحتاج الدين الإسلامي إلى فريق أول بالجيش مهمته الأولى خدمة الدين ثم المليك ثم يأتي الوطن بعد ذلك. والفريق أول بالجيش لا يعرف غير الإكراه بالبندقية.
- والمشكلة الكبرى في الإسلام هي برمجة عقول المتعلمين من المسلمين عن طريق هذا الـ Coercion.فمثلاً، عندما اشترت دولة ماليزيا ثمان عشرة طائرة حربية من روسيا في عام 2003، وافقت روسيا على حمل رجل ماليزي في مركبتهم الفضائية في عام 2007، ووقع الاختيار على طبيب يُدعى الشيخ مظفر شكر.
  - وبدل أن يقول هذا الطبيب أنه مسافر إلى الفضاء لخدمة العلم وإجراء تجارب علمية تفيد البشرية، قال إنه سوف يحمل معه كُتيب يشرح له شروط الصوم والصلاة وسط حالة انعدام الوزن، كأنما الشيوخ الذين كتبوا هذا الكتيب قد سافروا في الفضاء وعرفوا حالة انعدام الوزن ووضعوا شروطهم للصلاة والصيام.
  - والمحزن أكثر أن هذا الطبيب قال إنه يأمل أن يكون أقرب إلى الله عبر السفر في الفضاء، لخدمة الدين الإسلامي.
  - ليس مهماً في عقل هذا الطبيب أنه يمثل دولة ماليزيا في تلك المركبة، والمسلمون يكونون ستين بالمائة فقط من سكان تلك الدولة والبقية بوذيون (19 %) ومسيحيون (9 %) وهندوس (7 %) وآخرون (5 %). فالخوف من عذاب جهنم جعل هذا الطبيب يتقرب إلى الله على حساب الأربعين بالمئة من مواطنيه غير المسلمين.

ومادامت الأمية في العالم الإسلامي لا تقل عن 60 بالمائة في أغلب الأقطار المسلمة، فسوف يظل المسلمون في الحظيرة بالإكراه وربما الدجل والشعوذة وإحضار الشياطين. ومن يجرؤ على الخروج من الحظيرة يشهرون في وجهه الحديث [من بدل دينه فاقتلوه]. **ومع ذلك لا إكراه في الدين.**

وما أصدق أبا العلاء المعري حينما عبّر عن هذا الإكراه بقوله:

جلوا صارماً وتلوا باطلاً   وقالوا صدقنا، فقلنا نعم

عودة إلى الفهرس

[8] إيلاف 2007/6/20

[9] الشرق الأوسط 2007/1/11.

2008 / 2 / 25

93 - عماد مغنية وأبومصعب الزرقاوي شهداء

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=126054

عندما انتشرت أشلاء اللبناني الشيعي **عماد مغنية** في أحد شوارع عاصمة **الصمود العربي المتخيّل**، انقسم العالم الإسلامي إلى معسكرين: الشيعة والأخوان المسلمون وغالبية الفلسطينيين وجزء لا يستهان به من أهل السنة، اعتبروه *شهيداً*، بينما اعتبرته دول الخليج (باستثناء البحرين) وخاصةً دولة الكويت، *إرهابياً* .وفي استطلاع أجرته صحيفة إيلاف على ما يقرب من عشرة آلاف من القراء، قال أربعون بالمئة منهم أنه شهيد، وخمسون بالمئة اعتبروه إرهابياً. وعندما بعثرت القذيفة الأمريكية ببغداد أشلاء الأردني السني **أبي مصعب الزرقاوي**، انقسم العالم العربي كذلك إلى معسكرين متناحرين: أهله في الأردن وسنة العراق وشيوخ السنة القرضاوية اعتبروه شهيداً، بينما لعنه الشيعة واعتبروه إرهابياً فطيساً. فلماذا كل هذا الغضب والثورة التي تنفجر في عالمنا العربي كلما قُتل شخصٌ نذر نفسه لقتل الآخرين؟

الإجابة تكمن *في تعريف الشهيد والمزايا التي سوف يتمتع بها*، مع أقربائه والمقربين منه، في الدار الآخرة.

يقول القرطبي في **تعريف** الشهيد:

"سُمي الشهيد شهيداً لأنه مشهود له بالجنة، وقيل: سُمي شهيداً لأن أرواحهم احتضرت دار السلام، لأنهم أحياء عند ربهم، وأرواح غيرهم لا تصل الجنة، فالشهيد بمعنى الشاهد أي الحاضر للجنة"[1].

ويضيف السيوطي:

"سُمي الشهيد شهيداً لأن روحه شهدت دار السلام وروح غيره لا تشهدها إلا يوم القيامة، أو لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة، أو لأنه أشهد عند خروج روحه ما له من الثواب والكرامة، أو لأن ملائكة الرحمة يشهدونه فيأخذون روحه، أو لأن عليه شاهداً يشهد بكونه شهيداً وهو دمه"[2].

فإذاً الشهيد تدخل روحة الجنة ساعة موته بينما لا تدخل أرواح المؤمنين العاديين الجنة إلا يوم القيامة التي قد تحدث بعد آلاف السنين من الآن (لا أحد يعلم علم اليقين أين تنتظر أرواح غير الشهداء حتى يوم القيامة).

وما هي **المزايا** التي يتمتع بها الشهيد؟

1. أول هذه المزايا هو العشاء مع رسول الله (إذا لم يتأخر التفجير إلى ما بعد العاشرة مساء بتوقيت الجنة).
2. وثاني المزايا هو حفلة العرس التي تُقام للشهيد بالجنة ساعة دخول روحه وتحضرها زوجاته من الحور العين (من أربعة إلى اثنتين وسبعين حورية).

ونلاحظ هنا أن الحوريات لم يستشرهن أحد في الزواج من ذلك الشهيد وبذا يصبح الزواج زواجاً قسرياً كما يحدث في أغلب الأرياف العربية والباكستانية. ولهذا قال محمد عطا، **قائد الكتيبة في غزوة مانهاتن الشهيرة**، لرفقائه قبل صعودهم الطائرات بلحظات:

"استعدوا يا شباب فزوجاتكم في الجنة قد استعدن".

3. وثالث المزايا هو أن الشهيد يدخل الجنة رأساً بدون المرور على جهنم رغم أن القرآن يقول كل إنسان لا بد أن يمر على جهنم لفترة قد تقصر أو تطول: {**وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضيا**. (مريم 71)}.
4. ورابع المزايا أن الشهيد له الحق أن يختار سبعين من أقربائه والمحببين إليه ليدخلوا الجنة معه.

وأعتقد أن هذه مزايا تستحق أن يضحي المؤمن بنفسه من أجلها.

ولأن المزايا عديدة، يتشاجر المسلمون على تعريف مَن هو الشهيد ومَن هو الفطيس.

وطبعاً في البداية كان الشهيد هو **مَن غزا مع رسول الله وقتله الأعداء**، كما حدث مع حمزة بن عبد المطلب، عم رسول الله، ومع جعفر بن أبي طالب الذي فقد ذراعيه قبل أن يستشهد فعوضه الله بجناحين يطير بهما في الجنة، فأصبح اسمه جعفر الطيار. (ويقولون إن العرب لم يعرفوا الطيران إلا بعد أن اخترعه الإخوان رايت). ولكن مع تكاثر أعداد المسلمين، **كان لابد من توسيع قاعدة الشهادة**.

وكخطوة أولى **زاد النبي في درجات الشهداء** فجعلها أربعة درجات متفاوتات:

(الشهداء أربعة: رجل مؤمن جيد الإيمان، لقي العدو فصدق الله حتى قتل، فذاك الذي يرفع الناس إليه أعينهم يوم القيامة هكذا. ورجل مؤمن جيد الإيمان، لقي العدو فكأنما ضرب جلده بشوك طلح من الجبن، أتاه سهم غرب فقتله، فهو في الدرجة الثانية. ورجل مؤمن خلط عملا صالحا و آخر سيئا، لقي العدو فصدق الله حتى قتل، فذاك في الدرجة الثالثة. ورجل مؤمن أسرف على نفسه، لقي العدو فصدق الله حتى قتل، فذاك في الدرجة الرابعة)[3].

ثم زاد الرسول في **أنواع الشهادة**، بعد الزيادة في درجاتها، فقال:

[الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة].

يقول النيسابوري: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجه الشيخان - البخاري ومسلم[4].

- ☺ فالمطعون (مثل الخليفة عمر بن الخطاب) شهيد.
- ☺ والغريق كذلك شهيد.

- ولذلك دُهشت أشد الاندهاش عندما حاول بعض الشباب المصريين العبور إلى إيطاليا بطرق غير مشروعة وغرق بهم المركب، فأصدر الشيخ علي جمعة، مفتي الديار المصرية، فتوى تعارض حديث الرسول وتقول إن هؤلاء الشباب ليسوا شهداء رغم أنهم غرقى، لأنهم كانوا قد ألقوا بأيديهم إلى التهلكة، والقرآن يقول: {**لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**}.
- ولكن الشعب المصري الذي عُرف بتدينه الظاهري المتمثل في الزبيبة والحجاب، لم يتقبل هذه الفتوى وثارت ثائرته.

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، سورة آل عمران، الآية 140.
[2] الجامع الصغير للسيوطي.
[3] الجامع الصغير للسيوطي، ج4، فصل في المحلى بأل من حرف الشين، حديث 4955.
[4] المستدرك في الصحيحين للإمام محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، ج1، كتاب الجنائز، حديث 1300/46.

- وحتى البرلمان المصري الذي يهتم بأمور شعب مصر الدنيوية، ثار لتلك الفتوى وتقدم عدة نواب **بعدة طلبات إحاطة** إلى الحكومة وإلى لجنة الشؤون الدينية بالبرلمان للمطالبة بتراجع المفتي ومساءلته عن هذه الفتوى.
- وتحت هذا الزخم من الاحتجاجات اجتمع مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر برئاسة شيخ الأزهر الدكتور الشيخ محمد سيد طنطاوي وأصدر فتوى جديدة ترفض فتوى الشيخ علي جمعة وتؤكد أن هؤلاء الشباب ماتوا شهداء[5].

والمؤسف أنه طوال تلك الفترة التي انقضت بين إصدار الفتوى الأولى وفتوى المجمع، ظلت أرواح أولئك الشباب ممنوعة من دخول الجنة والعشاء مع رسول الله، لأن الله وملائكته كانوا في انتظار حسم الموضوع من الأزهر قبل فتح أبواب الجنة.

☺ وصاحب ذات الجنب هو الشخص الذي يصاب بالمغص الكلوي ويتلوى من الألم حتى يموت، فهو شهيد لأن ألم المغص الكلوي لا يساويه في الشدة غير ألم الولادة، ولذلك قال الرسول: [**إن المرأة التي تموت بجُمع شهيدة**].

والمرأة التي تموت بجُمع هي التي تموت أثناء الحمل وما زال جنينها في بطنها (مجتمعاً بها) أو التي تموت بعد أن تلده مباشرةً.

☺ والمبطون هو الذي أصابه الاستسقاء ببطنه نتيجة هبوط القلب أو الكبد، أو حتى الذي يصيبه الاسهال الشديد مثل ما يحدث في وباء الكوليرا، فيموت منه. كل هؤلاء شهداء.

☺ والمريض الذي يموت من أثر الحريق يموت شهيداً.

- وهذا قد يخلق مشكلة لحراس الجنة لأن المقاومة العراقية تستعمل المتفجرات التي قد تقتل الإنسان بتمزيق جسده وفي نفس الوقت تشعل النار في مكان التفجير فتُحرق بقايا جثة الميت. وفي هذه الحالة قد يصعب التأكد من سبب الموت، هل هو الحريق فيكون الميت شهيداً، أم التفجير فيكون فطيسا.
- ولهذا السبب لجأ المقاومون العراقيون أخيراً إلى صب الكاز على المخطوفين وإشعال النار بهم وهم أحياء حتى لا يلتبس الأمر على الملائكة، كما ظهر أخيراً في مقاطع الفيديو التي نُشرت على الانترنت.

وفي هذه الحالة يكون المقتول بالنار شهيداً ويكون قاتله المدافع عن دين الله شهيداً إذا قتله الأمريكان أو قتلته مليشيات القاعدة، ويجتمع الشهيدان في حفلة العرس أو في عزومة العشاء، وربما يهنيء بعضهم بعضاً.

☺ أما الذي ينهدم عليه المنزل أو الجدار، فلا خلاف أنه يموت شهيداً.

- ولهذا السبب أصبحت مصر المحروسة تتقدم جميع الدول الإسلامية في عدد الشهداء لأن المباني المصرية تنهار بسرعة إنهيار خط بارليف ويموت العشرات كل شهر.
- ومن المؤسف أن القطارات والسكة الحديد لم تكن قد أُكتشفت أيام الرسول لأن أعداد المصريين الذين يموتون في حوادث تصادم القطارات تفوق أعداد الذين يموتون من الهدم، ومع ذلك لا يدخلون في زمرة الشهداء.

☺ والذي يموت بالسل يموت شهيداً حسب الحديث الذي أخرجه أحمد بن حنبل من حديث راشد بن خنيس والطبراني من حديث سلمان[6].

☺ وكل مَن يموت بالحمى يموت شهيداً، أخرجه الديلمي من حديث أنس[7].

☺ واللديغ، أي الذي تلدغه العقرب أو يعضه الثعبان يموت شهيداً. ولذلك روت ساكنه بنت الجعد عن سراء بنت نبهان الغنوية قالت:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

[(اقتلوا) الحيات صغيرها وكبيرها وأسودها وأبيضها فإن من قتلها كانت له فداء من النار ومن قتلته كان شهيدا. ومن قتل حية فكأنما قتل كافرا.]

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

[لا يجتمع كافر وقاتله في النار أبدا]. أخرجه مسلم وغيره[8].

☺ والذي يفترسه السبع يموت شهيداً

- (للأسف لم تترك البندقية مافيه الكفاية من السباع حتى تزيد عدد الشهداء).

☺ والمتردي، أي الذي يقع من على قمة جبل أو سطح عمارة، يموت شهيداً، بل حتى الذي يخر أي يقع من على دابته (سواء أكانت جملاً أو حصاناً أو حماراً) ويموت، يكون شهيداً[9].

☺ والمقتول دون ماله شهيد.

☺ والذي يموت في السجن ويكون قد حُبس ظلماً، يموت شهيداً[10].

- وفي مصر يقولون (يا ما في السجن مظاليم). وهذا سبب آخر يجعل مصر في مقدمة الدول التي تقدّم الشهداء.

☺ والذي يموت بالطاعون على شرط ألا يكون قد حاول الهرب من البلدة التي بها الطاعون، يموت شهيداً[11].

☺ ومن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويُقتل بأمر السلطان الجائر، يكون شهيداً.

☺ المتمسك بالسنة عند فساد الأمة، يموت شهيداً، أخرجه الحاكم من حديث ابن عمر.

☺ ومن سعى في امرأته أو ما ملكت يمينه يُقيم فيهم أمر الله (مِن هجر في المضاجع وضرب) ويطعمهم من حلال، يموت شهيداً.

---

[5] محمد خليل، الشرق الأوسط 14 نوفمبر 2007.
[6] الموطأ للإمام مالك برواية الإمام محمد بن الحسن، ج2، باب ما يكون من الموت والشهادة، حديث 301.
[7] نفس المصدر.
[8] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، البقرة 36.
[9] الموطأ لمالك.
[10] نفس المصدر.
[11] من حديث جابر.

(لعنة الله على الأمم المتحدة التي حرّمت ملك اليمين).

- ☺ ومن اغتسل بالثلج فأصابه البرد يموت شهيداً[12].
- ☺ والذي يداوم على قراءة سورة يس كل ليلة يموت شهيداً[13].
- ☺ وعن أنس بن مالك أن النبي أوصى رجلاً إذا أتى مضجعه أن يقرأ سورة الحشر وقال له [إن مت، مت شهيداً].[14]
- ☺ وحتى لا ينسى الفقهاء المرأة من الشهادة قالوا:

"مَن صبر من النساء على الغيرة، تموت شهيدةً، أخرجه البزاز والطبراني من حديث ابن مسعود"[15].

- ☺ وحتى العشاق لهم مكان في الشهادة. يقول الفقهاء:

"من عشق فعفّ ثم مات، مات شهيداً".[16]

- ☺ ومن بات على طهارة ثم مات من ليلته، مات شهيداً.[17]
- ☺ وأهم الشهداء هو المرابط في سبيل الله لأن الرسول قال:

[كل ميت يختم على عمله إلا المرابط فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتان القبر].

والمرابط هو الذي يحرس حدود الدولة الإسلامية من الأعداء، وبهذا التعريف يكون عماد مغنية مرابطاً لأنه قاد حرب حزب الله الأخيرة ضد إسرائيل على حدود لبنان الجنوبية، وقاد عملية اختطاف الطائرة الكويتية "الجابرية" ليجبر الأمريكان على التنازل عن دعمهم لإسرائيل، وربما قاد عمليات تصفية في دمشق ضد أعداء الإسلام. وكذلك الأردني أبو مصعب الزرقاوي الذي بعد أن أُطلق سراحه من سجون عمان رابط بالعراق لينسف الغزاة الأمريكان وكل من تعاون معهم من الشيعة "الروافض" العراقيين حسب فتوى **شيخ دعاة الوسطية الشيخ القرضاوي**. ولأن الرسول جعل للمرابط مكانة خاصة في سلم الشهداء، لابد أن نعتبر عماد مغنية والزرقاوي شهداء، بل من أسياد شباب الجنة بعد الحسن والحسين، اللذين هما أسياد شباب الجنة دون منازع.

وهناك على الأقل خمسة وأربعون نوعاً من الشهداء، وهذا يكفل لكل مؤمن تقريباً أن يموت شهيداً، فلماذا كل هذا العراك على تحديد هل الشباب المصريون الذين غرقوا كانوا شهداء أم لا؟

عودة إلى الفهرس

حوارية صغيرة مع الدكتور كامل.

المنقح
شكراً على هذه المقالة الساخرة الرائعة **التي قطعت الشك باليقين** عند عدد لا يستهان به من المسلمين الذين لم يحسموا أمرهم بعد حول الوضع القانوني لمغنية والزرقاوي. أعتقد بعد هذه المقالة قد دخلت روحيهما الجنة!!

المنقح
عندي سؤال دكتور كامل إذا ممكن:
أولاً لماذا كل هذا الكرم الإسلامي في توسيع أصناف الشهداء؟ هل كل هذا رشاوي وتطميع بالجنة حتى ينضم أكبر عدد من الناس إلى ملكوت الإسلام؟
ثم بعد كل مَن شملهم مفهوم الشهادة هل بقي أحد من المسلمين لا يمكن اعتباره شهيداً؟!!!

الدكتور كامل
لا شك أن فكرة الشهادة أتى بها محمد لتشجيع الرجال على الغزوات ثم أضاف إليهم النساء تحت إلحاح زوجته أم سلمة. وهي نفس الفكرة التي أخذت بها الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا عندما باعت صكوك الغفران التي تضمن الجنة لمن يدفع للكنيسة.

[12] الموطأ لمالك.
[13] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج3، ما ورد في يس.
[14] الإتقان للسيوطي، ج3، المسبحات.
[15] الموطأ لماك، ج2، باب ما يكون من الموت والشهادة.
[16] الجامع الصغير للسيوطي، ج6، حرف الميم، حديث رقم 8852.
[17] نفس المصدر، حديث 8852.

96 - لو شاء الله لما فعلوه

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=127769

القوانين الوضعية في البلاد المتحضرة تقول *ان الشخص الذي يشهد جريمة في ساعة ارتكابها ولا يتدخل لوقفها أو التبليغ عنها، رغم مقدرته على ذلك، يعتبر شريكاً في الجريمة وينال نفس عقاب المجرم*، ويصف القانون الإنكليزي مثل هذا الشخص بأنه Aiding and abetting crime وأعتقد أن كل إنسان عاقل لا بد أن يوافق على محتوى هذا القانون، الذي بدونه تصبح محاربة الجريمة في غاية الصعوبة.

ولكن الجماعات الدينية المؤدلجة تعتبر أن كل جريمة **تُرتكب بحق البشر بإسم الإله عملاً مقدساً لا يُعاقب مرتكبه**، بل يُؤجَر عليه.

فلو أخذنا حروب بني إسرائيل في أرض كنعان لتبين لنا أنها كانت جرائم فظيعة لم تستثنِ النساء ولا الشيوخ ولا الأطفال الرُضع، بل حتى الحيوانات ذُبحت وأُحرقت باسم "يهوه". وكان "يهوه" يقود جيش بني إسرائيل بنفسه في بعض تلك المعارك. وبدل إدانة هذا العمل الإجرامي، يكبّر بنو إسرائيل للإله "يهوه" الذي نصرهم على أعدائهم.

ورغم أن الكتاب المقدس المسيحي يخلو من آيات العنف والقتل، فإن رجالات الكنيسة الكاثوليكية، وعلى رأسهم البابا أنسنت، قد استغلوا اسم الإله لشن الحروب الصليبية الدموية لاسترجاع الأراضي المقدسة من المسلمين. وكان الجنود الصليبيون يرفعون صليبهم يهللون ويكبرون كلما قتلوا وذبحوا أعداءهم.

وقبل مجيء الإسلام ارتكب العرب في الفترة التي تُعرف ب "الجاهلية" جرائم فظيعة بمباركة إله السماء، كما تخبرنا كتب التراث وكما يخبرنا القرآن.

فكتب التراث تخبرنا بأنهم كانوا يدفنون بناتهم أحياء .والقرآن يقول لنا:

{وكذلك زيّن لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه. (الأنعام 137)}. وكرر نفس الآية في سورة الأنعام، (الآية 140)}.

فإله السماء كان يجلس فوق عرشه يتفرج على طفلة رضيعة يدفنها إعرابي في رمال الصحراء، وهي حيةً تصرخ، لأن الشيطان قد زيّن لهم قتل أولادهم، فلا يحرك الإله ساكناً لمنع هذه الجريمة النكراء، **بل يعترف بأنه لو شاء لمنع الشيطان من أن يزيّن لهم هذه الجريمة النكراء،** ولما قتلوا أولادهم، ولكنه لم يشأ. لماذا لم يشأ؟ لأن الشيطان كان يريد أن يرد المشركين ويُلبس عليهم دينهم، وأراد الإله أن يختبرهم.

فما هو دين المشركين الذي حاول الشيطان أن يردهم عنه؟ هل كان الشيطان مسلماً فأراد أن يردهم عن عبادة الأصنام؟

ثم يزيدنا القرآن ألماً على ألم عندما يقول:

{وإذا المَوْؤودةُ سُئلت بأي ذنب قُتلت. (التكوير 8)}.

فإله السماء الذي جلس على عرشه وتفرج على الرضيعة تُقتل دون أن يحرك ساكناً لمنع هذه الجريمة، يزيد الطين بله ويسأل الموؤودة لماذا قُتلت، بينما كان الواجب أن يسأل القاتل لماذا قتلها، ويسأل نفسه لماذا لم يوقف قتل تلك البريئة؟ فهو لا شك شريك في هذه الجريمة.

ويكرر علينا القرآن في عدة آيات أن الله لو شاء لجعل كل الناس أمةً واحدةً ووضع حداً لكل هذه الاختلافات والحروب بين الأديان والطوائف. فالقرآن مثلاً يقول:

{ولو شاء ربك لجعل الناس أمةً واحدةً ولا يزالون مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين. (هود 118 - 119)}.

الله خلق الناس ليختلفوا ويقتتلوا حتى يملأ جهنم من الجن والإنس. فالشخص الذي يبرمج جهاز الكمبيوتر يكون مسؤولاً عما يسببه ذلك البرنامج من ضرر لأي شخص أو أشخاص. والإله الذي يخلق الناس مختلفين، عن عمد، حتى يتقاتلوا ولكي يبر بالقسم الذي اتخذه ليملأ جهنم منهم، يكون مسؤولاً عن خلقه:

{تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد. (البقرة 253)}.

فلو شاء الله لمنع الاقتتال بين الناس ولكن لأن الله يفعل ما يريد، كان لابد للناس أن يختلفوا في أديناهم ويقتتلوا ويذبحوا بعضهم بعضاً، والله يجلس فوق عرشه لا يحرك ساكناً. فالذي لا يمنع قتل إنسان، وهو قادر على المنع، شريك في الجريمة.

وكنتيجة حتمية لهذا التصرف الإلهي نجد أغلب الحروب الدائرة الآن بين البشر سببها الأديان. فالمقابر الجماعية في البوسنة وكرواتيا سببها الحرب بين الصرب الذين يتبعون الكنيسة الاورتودوكسية Orthodox، والكرواتيين الذين يتبعون الكنيسة الكاثوليكية، ومسلمي البوسنة. عشرات الآلاف من الأرواح أزهقت بإسم إله السماء رغم أن العرق الإثني لسكان دول البلقان لا يختلف كثيراً. وفي الحرب الأهلية اللبنانية في الثمانينيات من القرن المنصرم قُتل المئات في الحرب بين المسيحيين والمسلمين، خاصةً في صبرا وشاتيلا، ودُمرت بيروت باسم إله السماء. والحروب العديدة بين الهند وباكستان، خاصة في منطقة كشمير، سببها الدين. والحرب في أيرلندا الشمالية بين الكاثوليك والبروتستانت، مع أنها سياسية المحتوى إلا أنها كانت لاختلاف المعتقد. والمليشيات العراقية التي قتلت مئات الآلاف من العراقيين، سببها الاختلاف بين السنة والشيعة. ولو شاء الله ما اختلف جميع هؤلاء الناس وما اقتتلوا بسببه. ويبدو أن إله السماء فرض القتال على الناس ولم يكونوا راغبين فيه:

{كُتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون. (البقرة 216)}.

فإله السماء كان يعرف أن أهل المدينة لا يريدون القتال وقد كرهوه، ولكنه كتبه عليهم وأخبرهم بأن القتال فيه خيرٌ لهم، وهو الغنائم. فهو نوع من الرشوى ليقاتلوا إنابةً عنه.

{ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم أبعث لنا مَلِكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كُتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا ومالنا لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا، فلما كُتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين. (البقرة 246)}.

فحتى الذين أُخرجوا من منازلهم لم يريدوا القتال، فلما كتبه الإله عليهم هربوا إلا قليلاً، فسمى الإله الذين هربوا "ظالمين"

{ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا لزكاة فلما كُتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشيةً وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب. (النساء 77)}.

ويظهر هنا كره الناس للقتال رغم أن إله السماء كتبه عليهم، فسألوه لماذا كتبه عليهم. وطبعاً لو شاء الله لما اقتتلوا.

{يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرين يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا. (الأنفال 65)**}.**

فالإله الذي يجلس فوق سبع سموات طباقاً ويعرف أن الناس لا يريدون القتال، يشجعهم عليه ويقول لهم إن الواحد منهم يغلب عشرة من الذين كفروا. والغريب أن إله السماء استعمل نفس الإغراء مع بني إسرائيل عندما قال لهم:

{وَأَجْعَلُ سَلاَماً فِي الأَرْضِ فَتَنَامُونَ وَلَيْسَ مَنْ يُزْعِجُكُمْ. وَأُبِيدُ الْوُحُوشَ الرَّدِيئَةَ مِنَ الأَرْضِ وَلاَ يَعْبُرُ سَيْفٌ فِي أَرْضِكُمْ. وَتَطْرُدُونَ أَعْدَاءَكُمْ فَيَسْقُطُونَ أَمَامَكُمْ بِالسَّيْفِ. يَطْرُدُ خَمْسَةٌ مِنْكُمْ مِئَةً وَمِئَةٌ مِنْكُمْ يَطْرُدُونَ رَبْوَةً وَيَسْقُطُ أَعْدَاؤُكُمْ أَمَامَكُمْ بِالسَّيْفِ. (سفر لاويون، الإصحاح 26، الآيات 6-8)**}.**

فهل هذه صورة إله رحيم عادل يحب مخلوقاته وقد فضّل الإنسان على جميع المخلوقات؟ إله يقول للناس:

{ومن قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً}؟

هذا الإله يحتضن مَن يقتل الآخرين باسمه ويجعلهم شعبه المختار لأنهم ساعدوه في إبادة الكنعانيين، وعندما فقدت الأسباط مقدرتها على الإبادة الجماعية مع مرور الوقت، تخلى عنهم الإله واحتضن خير أمةٍ أخرجت للناس لأنها تذبح وتقتل مَن لا يعبده على الطريقة الإسلامية أو تفرض عليه الجزية عن يدٍ وهم صاغرون.

ويبدو أن الإله قد بدأ التخلي عن خير أمة لأنه وعدهم بالنصر على أعدائهم ولم يتحقق لهم ذلك على مدى القرون الماضية، وما زال اليهود يسيطرون عليهم، رغم أن القرآن أخبرهم أن اليهود {**كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله**} ولكنهم يرون بأم أعينهم أن نار الحرب مازالت تستعر.

وقد علل الشيخ القرضاوي عدم نصرة المسلمين بأنهم لم يعودوا مؤمنين، بل هم مسلمون فقط، والله لا ينصر إلا المؤمنين.

ويا له من إله!

عودة إلى الفهرس

2008 / 3 / 14

1 مِن 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=128111

بعد **موضة الإعجاز اللغوي** في القرآن بدأت **موضة الإعجاز العلمي** والآن ظهر لنا الشيخ أحمد صبحي منصور ليتزعم تأويل القرآن من أجل أن يحتكر العلم ويجعل نفسه مرجعاً لأهل الذكر والذين أوتوا العلم. يقول القرآن:

{كتابٌ فُصلت آياته قرآناً عربياً لقومٍ يعلمون. (فُصلت 3)**}.**

ويعني بهذا القول أن القرآن فُصّل بلغة عربية لقوم يعلمون اللغة وأسرارها.
ثم يقول كذلك:

{ولو نزلناه على بعض الأعجمين وقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين. (الشعراء 193)**}.**

فالأعجمون الذين لا يفهمون اللغة العربية لن يؤمنوا بالقرآن لأنه لا يعني لهم شيئاً. فإذاً القرآن نزل بلغة العرب الذين يفهمون لغتهم وأسرارها ويفهمون شعر المعلقات الذي هو أصعب من لغة القرآن، فهل يحتاج القرآن إلى مَن يشرحه ويؤوله للعرب؟ فإذا كان الجواب بالإيجاب، يصبح الشارحون هم أهل القرآن وبقية المسلمين يصبحون كالمستأجر الذي استأجر من أهل القرآن إيمانه لأنه لايمكن أن يؤمن الشخص بشيء لا يفهمه، تماماً كما قال القرآن عن الأعجمين.

فهل يُعقل أن يُنزل إله السماء قرآنه على أقلية تفهمه ويطلب من الجميع الإيمان به؟ فإن أبسط قواعد البلاغة تحتم على المتكلم أن يخاطب مستمعيه بلغة يفهمونها وعلى قدر مستوى عقولهم.

- يقول الفقية الحنبلي ابن القيم:

"لما كان المقصود بالخطاب دلالة السامع وإفهامه مراد المتكلم بكلامه وتبيينه له ما في نفسه من المعاني ودلالته عليها بأقرب الطرق كان ذلك موقوفا على أمرين: الأول بيان المتكلم، والثاني تمكن السامع من الفهم. فإن لم يحصل البيان من المتكلم أو حصل له ولم يتمكن السامع من الفهم، لم يحصل مراد المتكلم، فإذا بَين المتكلم مراده بالألفاظ الدالة على مراده ولم يعلم السامع معنى تلك الألفاظ لم يحصل له البيان. فلا بد من تمكن السامع من الفهم وحصول الإفهام من المتكلم فحينئذ لو أراد الله ورسوله من كلامه خلاف حقيقته وظاهره الذي يفهمه المخاطب لكان قد كلفه (يقصد المخاطب) أن يفهم مراده بما لا يدل عليه"[1]. انتهى.

فإذاً لابد أن تكون الرسالة من الله **كلاماً بيناً يفهمه السامع على ظاهر اللفظ**، وإلا يكون المتكلم قد فشل في إيصال رسالته للسامع، وهذا يُزيل بلاغة القرآن التي يزعمونها.

- ويقول الإمام الغزالي عن الحكمة:

"وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة كدأب الباطنية في التأويلات فهذا أيضا حرام وضرره عظيم فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا أيضا من البدع الشائعة العظيمة الضرر"[2]. انتهى.

فصرف ألفاظ القرآن عن ظاهر معانيها إلى معاني يريدها المؤول، أمر يقود إلى الضرر في رأي الغزالي.

- وقال ابن مسعود:

"ما من رجل يحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم"[3].

فإذاً مخاطبة الناس بحسب ما تستوعبه عقولهم هو من أبجديات المنطق والبلاغة. فهل يمكن أن يفعل الإله غير ذلك؟

- وقال قوم منهم البغوي والكواشي:

"التأويل: صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط"[4]. انتهى.

وحتى لو قلنا إن القرآن يحتاج إلى تأويل، *فيجب أن يكون التأويل بجعل المعنى يتفق مع الآية التي تسبق، والآية التي تلحق بالآية المراد تأويلها*. ولكن عندما نقرأ مقال الشيخ أحمد صبحي منصور المنشور بموقع "الحوار المتمدن" بتاريخ 2008/3/7 والموسوم "لماذا يختلف القرآنيون" نجد أن الشيخ لا يلتزم هذه القاعدة ويؤول القرآن تأويلاً يختلف عن تأويل كل الذين سبقوه في هذا المجال، ويحاول الشيخ حصر صفة "الراسخون في العلم" وصفة "الذين أوتوا العلم" في فئة قليلة من الناس، هو واحد منها.
يقول الشيخ إنه فَرض على الذين يكتبون في موقعه أن يلتزموا بالقرآن وحده دون الحديث، وقال:

"خلال هذا الإطار تأتى أجتهادات من داخل القرآن بعضها غاية فى الغرابة، تضعنا فى حيرة الجمع بين حرية الرأى والفكر وإعطاء القرآن حقه المفروض من التقديس والتقدير، لأن بعض الإجتهادات الخاطئة تأتى فى النهاية بما يمس جلال القرآن وقدسيته." انتهى.

فحرية الفكر والنقد ليس لها حدود ولا مقدس في النقد. فإذا طرح موقع أهل القرآن قرآنهم للنقاش فيجب أن يتقبلوا كل الأراء ويردوا عليها **ولا يتترسوا خلف المقدس**. ولا أدري مَن الذي أعطاه الحق في أن يصف بعض اجتهادات المشاركين بأنها خاطئة. وأقر الشيخ أن القرآنيين مختلفون فيما بينهم في الاجتهادات وفي التأويل، وسأل: لماذا يختلف القرآنيون؟ وكان جوابه:

"فى إعتقادى أن السبب هو الخلط بين الهداية العلمية والهداية الإيمانية." انتهى.

فالهداية الإيمانية، أي هداية الرجرجة والدهماء، هي:

"متاحة لكل إنسان يقرأ القرآن الكريم ويصدق أنه الحديث الوحيد الذى يجب الإيمان به." انتهى.

---

[1] الصواعق المرسلة، ص 46.
[2] الغزالي، إحياء علوم الدين، ربع العبادات، كتاب العلم، الباب الأول في فضل العلم، ص 24.
[3] ابن القيم، هداية الحيارى، ص 59.
[4] جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، النوع السابع والسبعون في معرفة تفسيره وتأويله.

أما الهداية المعرفية فخاصة بعدد قليل من الذين أوتوا العلم:

"الهداية العلمية لا تتاح إلا لأصحاب القدرة عليها من المتخصصين فى العلم الذين وهبوا حياتهم لهذه المهمة فاستحقوا أن يقال عنهم "أهل الذكر"." انتهى.

فأهل الذكر، كما يعتقد الشيخ، هم حسب قول الإنكليز The cream of the cream وهم طبقة خاصة من أهل القرآن. ولكن ما هو دليل الشيخ على هذا القول؟ يأتي الشيخ بآيات من القرآن **منزوعة من سياقها**، ليبرهن بها على ما يقول. وقد قرأنا أن البغوي قال عن التأويل إنه "صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها". فدعونا نتفحص الآيات التي أتى بها الشيخ.
يقول الشيخ عن الذكر:

"يقول جل وعلا {**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**. (النحل 43)}، و(الذكر) من أسماء وأوصاف القرآن الكريم." انتهى.

وزعم الشيخ أن أهل الذكر هم أهل القرآن.
فالشيخ، هنا لم يذكر الآية التالية لآية النحل 43، والتي تقول:

{بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون. (النحل 44)**}.**

فإذا أخذنا الآيتين مع بعض، نجد أنهما يقولان:

(وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون- بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون).

ويظهر جلياً هنا أن جملة "فاسألوا أهل الذكر" هي جملة اعتراضية، وسياق الآيتين يقول:

(وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم بالبينات والزبر).

وأهل البينات والزبر هم اليهود، ولهذا يقول القرطبي في تفسيره لأهل الذكر:

"قال سفيان: يعني مؤمني أهل لكتاب، وقيل المعنى اسألوا أهل الكتاب، فإن لم يؤمنوا فهم معترفون بأن الرسل كانوا من البشر."

فإذاً أهل الذكر ليسوا أهل القرآن كما يقول الشيخ، بل هم أهل الكتاب. وهذا يصدق قول الغزالي من أن تأويل القرآن فيه ضرر على الناس.
ثم أن كلمة "الذكر" ليست محصورة على القرآن حتى يقول الشيخ إن أهل الذكر هم أهل القرآن.
فالقرآن:

- يقول عن قوم نوح:

{أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا لعلكم ترحمون. فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك. (الأعراف 63-64)**}.**

فكتاب نوح كان ذكراً.

- ويقول لقوم عاد:

{أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون. (الأعراف 69)**}.**

- ويقول كذلك:

{ولقد كتبنا في الزبور بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون. (الأنبياء 105)**}.**

فالذكر هنا لابد أن يكون كتاب موسى لأنه سبق الزبور، كتاب داود.

فكلمة "الذكر" قد تعني التوراة أو كتاب نوح، أو القرآن.

ويظهر جلياً أن الذين ينتقون بعض الآيات بعيداً عن سياقها لا يشرحون القرآن وإنما يؤولون آياته لتعكس وجهة نظرهم. والشيخ أحمد منصور *يعتقد أن رأيه هو الرأي الوحيد الصحيح وتفسير غيره من المفسرين لا يستحق حتى الذكر*، فمثلاً نجده يقول:

"ولأنهم يرون أن القرآن الكريم هو الحق من عند الله:{وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ: سبأ 6} فلا بد أن يترتب على هذا الإيمان أن يخشى العالم ربه جل وعلا." انتهى.

ففي رأي الشيخ أن الذين أوتوا العلم هم **أقلية** من أهل القرآن، بينما نجد مفسراً كالإمام القرطبي يقول:

"قال مقاتل: الذين أوتوا العلم هم مؤمنو أهل الكتاب. وقال ابن عباس هم أصحاب محمد وقيل جميع المسلمين، وهو أصح لعمومه." انتهى.

فالذين أوتوا العلم ليسوا فقط أهل القرآن، كما يجزم الشيخ منصور.
وكعادة أغلب المسلمين الذين يقولون ما لا يفعلون، يقول الشيخ منصور:

"ومن هنا فإن منهج أولى العلم أو الراسخين فى العلم أنهم يقرأون القرآن الكريم ويفهمون مصطلحاته وفق معانيها القرآنية، ثم يستحضرون كل الآيات المتعلقة بالموضوع الواحد، ما كان منها محدد الدلالة بأسلوب علمى تقريرى "أى الآيات المحكمات" وما كان منها مفصلا وموضحا ومتشابها ، ويفهمون القرآن بالقرآن، أى يبحثون كل الآيات معا على أنها جميعا من عند الله عز وجل ، وهذا ما يفعله الراسخون فى العلم مناقضا للآخرين الذين فى قلوبهم زيغ." انتهى.

ولكنا قد رأينا في الفقرات السابقة أن الشيخ اقتطف بعض الآيات خارج سياقها وفسرها أو أولها بما يتناسب مع أفكاره، دون ذكر الآيات الأخرى التي تتحدث عن نفس الموضوع ولكنها لا تؤيد ما يذهب إليه الكاتب، مثل الآيات التي أوردناها عن كلمة "الذكر".
ويختتم الشيخ منصور مقاله باتهام جزء من الذين يكتبون في موقعه "أهل القرآن" بالجهل، حينما يقول:

"ما صلة هذا كله بالخلاف بين أهل القرآن؟ الجواب: السبب كما قلت أنه يخلطون بين الهداية الإيمانية والهداية العلمية. بمجرد أن يهتدى بعضهم إلى الإكتفاء بالقرآن وحده كتابا وحديثا "أى الهداية الإيمانية" يظن نفسه أنه قد حاز أيضا الهداية العلمية، فيكتب قبل أن يدرس، ويجتهد قبل أن يحوز أدوات الإجتهاد، ويفتى مع أنه المفروض أن يسأل، فيقع فى أخطاء مهلكة، ثم تكون الفاجعة حين يصرّ على رأيه، ويصمم عليه، عندها يكون قد تمكن منه الشيطان." انتهى.

ورغم إصرار الشيخ بأنه من الذين أوتوا العلم، *ولا يحق لغيره ابداء الرأي في القرآن*، فإني أكرر أن القرآن لا يحتاج إلى مَن يشرحه أو يؤوله لأنه كتاب رسالة دينية إلى مجموعة كبيرة من العرب تعرف لغتها والقرآن خاطبهم بها. وكل مَن يعرف اللغة العربية وقواعدها يستطيع فهم وشرح القرآن.

فمحاولة تجميل صورة القرآن أوالخروج من مأزق التناقضات عن طريق التأويل وتحميل الآيات فوق طاقتها لن يفيد القرآنيين ولا العامة من أهل السنة والشيعة الذين يقدسون الأحاديث أكثر من تقديسهم القرآن نفسه.

وفي الحلقة الثانية التي سوف أرد عليها، يركب الشيخ أحمد صبحي منصور قطار "الإعجاز العلمي في القرآن" مع الدكتور زغلول النجار، **وينطلق بنا في متاهات علمية في علم دراسة الحشرات**، الذي لا يمت للقرآن بأي صلة، **فيرتكب أخطاءً علمية يحاول الالتفاف حولها باغتصاب اللغة العربية.**
فإلى اللقاء في الحلقة الثانية.

2008 / 3 / 16

2 مِن 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=128334

يقول الشيخ أحمد صبحي منصور إن **الهداية الإيمانية** متاحة لكل شخص يقرأ القرآن مهما كان مستوى ذكائه، لأن الذين ينتمون إلى الهداية الإيمانية لا يفهمون القرآن على كل حال. أما أهل **الهداية العلمية**، فهم أولو العلم وأهل الذكر، وهو واحد منهم.
يقول الشيخ عن القرآن:

"وقال تعالى عن تيسير القرآن الكريم باللسان العربى، أى باللغة العربية التى كان ينطق بها النبى وقتها: {**فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا: مريم 97**}." انتهى.

فواضح من هذه الآية أن مهمة القرآن العربي هي إنذار العرب بالعذاب يوم القيامة إذا لم يؤمنوا بالله، ومكافأتهم بالجنة إذا آمنوا وعبدوا الله. فإذاً مهمة القرآن لم تكن تعليم الناس العلوم الطبيعية أو علم الذرة، بقدر ماهي تعريفهم بالله. فيجب على الشيوخ جعل القرآن كتاباً للعبادة في المساجد فقط بدل المحاولات اليائسة لجعله دائرة معارف Encyclopaedia، فيخسرون القرآن ويخسرون العلم كذلك.

ويستمر الشيخ في رفع مكانة "الذين أوتوا العلم" وجعلهم خبراء في علم دراسة الحشرات Entomology، فيقول:

"أى أن هناك مستويات لفهم القرآن الكريم: مستوى الهداية الإيمانية للجميع، ثم مستوى التعمق الذى لا يتاح إلا للباحثين العلماء الراسخين فى العلم. ونتوقف هنا مع مستويات فهم القرآن الكريم باعطاء مثالين للتوضيح ، الأول عن الحشرات والآخر عن الزمن." انتهى .

- ❖ وكمثال أول في علم دراسة الحشرات يأتي الشيخ بالآية:

{**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ.** (البقرة 26)}.

يقول الشيخ في شرح هذه الآية:

"فالآية السابقة تتحدث عن البعوضة الأنثى وليس الذكر، والضمير يرجع إلى البعوضة الأنثى "بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا". والراسخون فى العلم القرآنى ممن لهم خلفية فى علم الحشرات يستطيعون أن يفهموا الإعجاز القرآنى فى التركيز على البعوضة الأنثى وليس الذكر، فالبعوضة الأنثى هى التى تتعامل مع الأنسان، تلسعه وتنقل إليه الملاريا." انتهى.

- ✍ أولاً: إذا أخذنا الجانب اللغوي في الآية، نجد أن القرآن خالف البلاغة في أن المتحدث أراد أن يقول إن الله لا يستحي أن يضرب الأمثال بأصغر المخلوقات، مثل البعوضة، وكان الأجدر به أن يستمر في نفس السياق ويقول " أو ما تحتها أو أصغر منها" للمبالغة. غير أن الآية تقول "بعوضةً فما فوقها". فما فوق البعوضة يمكن أن يكون فيلاً أو حتى ديناصوراً. ولكن سياق الآية يدل على أن الله الكبير العظيم لا يستحي أن يضرب الأمثال بأصغر مخلوقاته وهي البعوضة وما هو أصغر منها.
- ✍ ثانياً: الشيخ أحمد صبحي منصور يغتصب اللغة العربية ويتلاعب بها في محاولة بائسة لجعل القرآن كتاباً علمياً. فكلمة "بعوضة" لا يُقصد بها أنثى البعوض وإنما المفرد من البعوض، الذي هو جمع ومفرده "بعوضة" وتعني الذكر والأنثى. فليس هناك كلمة في اللغة العربية تعني المفرد الذكر من البعوض. يقول لسان العرب عن كلمة "البعوض" (البعوض ضرب من الذباب معروف، الواحدة منه بعوضة.) ونحن مثلاً نقول "يراعة" وهي الواحدة من اليراع ولا نعني بها اليراعة الأنثى. ونفس الشيء ينطبق على كلمة "فراشة" وتعني الواحدة من الفراش، ولا تعني الأنثى فقط. ولأن القرآن قال (بعوضة فما فوقها) لا تعني هاء التأنيث هنا أنثى البعوض بقدر ما هي ضمير عائد على الكلمة المؤنثة ذاتها. والقرآن مثلاً يقول (الشمس تجري لمستقر لها) والشمس حتماً ليست أنثى، ومع ذلك استعمل لها هاء التأنيث لأن كلمة الشمس مؤنث مثل كلمة بعوضة.
- ✍ ثالثاً: هناك أكثر من 3500 نوع من البعوض تنقسم إلى ثلاث أقسام رئيسية، منها الأنوفيليس التي تنقل الملاريا والفلاريا وأمراضاً أخرى للإنسان. وصحيح أن أنثى الأنوفيليس هي التي تعض الإنسان والحيوان، ولكن حوالي 80 بالمائة من جميع أنواع البعوض لا تعض الإنسان وتتغذى من رحيق الزهور. وحقيقة أن انثى الأنوفيليس هي التي تنقل الملاريا ولكن هذه الحقيقة لم يعرفها العلم الحديث إلا في حوالي العام 1898 عندما اكتشفها العالم الإنكليزي "روس Ross "بمساعدة "مانسون " Mansonوبعض الأطباء الإيطاليين.
  - ☜ فكيف يُعقل أن يذكر القرآن لعرب أميين في القرن السادس الميلادي حقيقة مثل هذه لم يكتشفها العلم إلا في نهاية القرن التاسع عشر؟
  - ☜ وإذا كان القرآن فعلاً قد ذكر هذه الحقيقة المهمة، لماذا لم يكشف الله لرسوله علاج الملاريا التي كانت وما زالت تقتل الملايين من الأطفال والشيوخ؟
  - ☜ لماذا انتظرت الإنسانية حتى القرن العشرين عندما تعلّم الناس من السكان الأصليين في أستراليا Aborigines أن لحاء شجر الكينين يعالج الملاريا؟
  - ☜ لماذا تركهم الله يعالجون الملاريا ببول البعير حتى القرن العشرين؟
  - ☜ ولماذا لم يسخر الله للفقهاء والعلماء المسلمين من أهل القرآن اكتشاف علاقة انثى الأنوفيليس بالملاريا بدل أن يترك هذا الاكتشاف العظيم للكفرة الإنكليز؟
- ❖ ثم ينتقل الشيخ أحمد صبحي منصور **الراسخ في علم القرآن وعلم دراسة الحشرات إلى العنكبوت**، ويذكر الآية:

{**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ.** (العنكبوت 41 - 43)}.

ويقول الشيخ في شرح هذه الآية:

"ولقد ضرب لها مثلا بالعنكبوت حين تتخذ لها بيتا واهنا ،وهذه الأمثال التى يضربها الله تعالى للناس لا يعقلها ولا يفهمها إلا العالمون الراسخون فى العلم. هذا هو المفهوم مباشرة من الآيات الكريمة، ولكن فى الآيات إشارات واضحة بأن ما تحتويه يحتاج الى تعمق فى الفهم و العلم ، فالله تعالى يقول (وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) أى إشارة للعلم." انتهى.

- ✍ ولعلم الشيخ **فإن الشبكة التي ينسجها العنكبوت ليست بيته، فهي شبكة للصيد**. بعد أن ينصب العنكبوت الشبكة، يختبيء في شق بالحائط أو جحر بالقرب من الشبكة حتى تحط حشرة صغيرة على الشبكة وتعلق بها، فيأكلها العنكبوت. والناس الذين يعيشون في بلاد باردة يعرفون أن العناكب تدخل بيوتهم في الشتاء إذا تركوا باباً أو شباكاً مفتوحاً، حتى تعيش في دفء البيت. وهناك أحد عشر نوعاً من العناكب، خاصة في جزيرة هوايي Hawaii لا تنسج شبكة إطلاقاً وتعتمد في اصطياد الفريسة على طرق أخرى منها القفز على الفريسة، كما تقفز القطة، ومنها ما يحفر جحراً وينزل فيه ويغطيه بورقة نبات جافة وعندما تطأ حشرة على الصفقة يسحب العنكبوت الصفقة بسرعة فائقة إليه ويمسك بالحشرة. ومنها ما يبصق سماً يشل حركة الفريسة فيلتقطها العنكبوت. وهذه العناكب ليس لها شبكة وتسكن في الكهوف أو الأجحار أو تبني منزلاً من أوراق الأشجار. وهناك عنكبوت كبير مثل الترانشيلا Tarantula تعيش في الغابات وتنتقل مع الأخشاب إلى البيوت وتعيش فيها. فبيت العنكبوت ليس أوهن البيوت كما تقول الآية، لأن الشبكة الواهنة التي نراها ليست هي بيت العنكبوت.
- ❖ ومرة أخرى يتلاعب الشيخ منصور باللغة العربية ويقول لنا:

"هنا تجد فى القرآن الكريم إعجازا علميا سبق به العلم الحديث ، فحين يقول تعالى {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا. (العنكبوت 41)} فكلمة (اتَّخَذَتْ) لا تدل سوى على العنكبوت الأنثى، وهى التى تهيىء عش الزوجية للذكر ليلقحها، فاذا اتم التلقيح قتلته والتهمت رأسه، وهذا عرفه العلم حديثا، والمعجز هنا فى حرف التاء؛ (تاء التانيث) فى كلمة (اتَّخَذَتْ)." انتهى.

- ✍ لماذا كل هذا التدليس والاغتصاب اللغوي؟ ومَن المفروض أن يستفيد منه؟ هل يحاول الشيخ إقناع المسلمين بصحة القرآن وهم أصلاً مؤمنون به، أم يحاول إقناع نفسه أنه مازال يتبع ديناً إلهياً كثر حوله الشك؟
- ✍ كون القرآن قال "أتخذت" فإن هذا لا يعني أنثى العنكبوت، كما يقول الشيخ. فكلمة العنكبوت كلمة مؤنثة ولكنها تدل على الذكر والأنثى.

يقول الفراء:

(العنكبوت أنثى، وقد يُذكِّرها العرب، وقال الشاعر:

على هطالهم منهم بيوتٌ كأن العنكبوت هو ابتناها

والتأنيث في العنكبوت أكثر.) (لسان العرب).

وقال المبرد:

(العنكبوت أنثى ويذكّر).

وسمى سيبويه ما تنسجه العنكبوت غزلاً، وقال:

(الغزل مذكر والعنكبوت أنثى) (لسان العرب).

فإذاً كلمة العنكبوت كلمة مؤنثة تعني الذكر والأنثى، ولذلك قال القرآن "اتخذت" والضمير راجع إلى الكلمة المؤنثة وليس لأنثى العنكبوت، كما ادعى الشيخ. فليس هناك أي أعجاز، لا علمياً ولا لغوياً.

- ✍ وصحيح أن بعض إناث العنكبوت تأكل ذكورها بعد التلقيح، ولكن هذه نسبة ضيئلة من جميع أنواع العنكبوت. وأكثر نوع معروف بأكل الذكر هو ما يُعرف بالعنكبوت الأرملة Widow Spider وهناك فصيلة خاصة منها تعيش في أستراليا وتُعرف ب "ذات الظهر الأحمر Redback" تأكل الذكر. ولكن حتى في هذا النوع المشهور بأكل الذكور فإن حوالي 60 بالمائة فقط من الإناث هي التي تأكل الذكور. أما البقية الأخرى من العناكب فنادراً ما تأكل الذكر إلا إذا كانت جائعة، ولذلك أصبح بعض الذكور يقدمون رشوى للأنثى قبل التلقيح عبارة عن حشرة ميتة حتى تشبع الأنثى ولا تأكل الذكر.
- ❖ ثم ينتقل بنا الشيخ إلى الذباب ويذكر الآية:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ. (الحج 73)**}.**

ويتحفنا الشيخ هنا بتفسير غريب للآية، فيقول:

"الراسخون فى علم الحشرات وعلم القرآن لابد أن يتوقفوا عند قوله تعالى {وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ}، فالذباب ربما يكون الكائن الوحيد الذى يهضم الطعام قبل أن يبتلعه. أى إنه حين يأخذه قطعة من السكر مثلا فإنها يريق عليها لعابه فيتحول السكر إلى مكوناته الطبيعية فلا يصبح سكرا كما كان، ثم بعد هذا يبتلع الذباب تلك المكونات التى تم تحليلها من السكر الذى كان!! وتتم هذه العملية بسرعة بحيث يصبح من المستحيل إستنقاذ قطعة السكر التى تتحلل سريعا إلى مكوناتها الطبيعية من كربون وخلافه." انتهى.

- ✍ فقد أخطأ الشيخ الراسخ في **علم دراسة الحشرات والقرآن** لأن الذباب لا يهضم الطعام قبل أن يبتلعه وإنما طبيعة فم الذباب تجعله لا يقدر على بلع غير السوائل لأنه يستعمل خرطوماً يمتص به السوائل ولا يسمح له بشطف غيرها. ولذلك عندما يحط الذباب على قطعة سكر أو قطعة لحم فإنه يفرز لعابه ليذيب السكر أو اللحم حتى يستطيع امتصاصه. وهذا يختلف عن الهضم لأن الهضم يحتاج **إنزايمات** Enzyme وهي لا تعمل إلا في درجة حرارة معينة داخل الجسم وتستغرق وقتاً طويلاً نسبياً. فالتذويب غير الهضم. وصحيح أننا لا نستطيع استرجاع ما امتصه الذباب من سكر أو غيره، ولكن هل نستطيع استرجاع ما ابتلعه الكلب أو الهر من قطعة لحم؟
- ❖ وفي تلاعب أخير باللغة يقول الشيخ:

"ومن هنا يأتى الإختيار القرآنى للفظ (يَسْتَنقِذُوهُ): {**وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ**}، فمعنى الإستنقاذ هنا بالغة الدلالة، ليس فقط فى معنى الانقاذ لما أوشك على التحلل والضياع، وليس فقط فى السرعة و العجلة، ولكن فى (السين والتاء) وهما معا إذا جاءتا فى أول الفعل فانه يفيد الطلب، مثل استقتل واستمات واستجلب وواستعمل واستنقذ." انتهى.

- ✍ فالسين والتاء في أول الفعل لا تعني بالضرورة الاستعجال أو الطلب. فكلمة "استقتل" التي ذكرها الشيخ لا تعني الطلب والاستعجال في القتل.

يقول المنجد في اللغة والإعلام:

(استقتل يعني استسلم للقتل).

فأين الطلب هنا وأين الاستعجال؟

وفي لسان العرب نجد:

("استلبث الوحي على النبي" أي تأخر وأبطأ)

وهو عكس ما زعمه الشيخ من الاستعجال والطلب. وكذلك عندما نقول (تستنكر الدول العربية الهجوم الإسرائيلي) فليس هناك أي طلب أو استعجال. وعندما نقول: يستفحل الداء في الدول الفقيرة، فلا نعني أي استعجال أو طلب. وكذلك عندما نقول: يستريب الزوج من تصرف زوجنه، فإننا نعلن حقيقة دون طلب أو استعجال. والمثل العربي يقول: لا يستقيم الظل والعود أعوج. فليس هناك أي طلب في هذا القول. وهناك آية قرآنية تقول: {وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك دون المؤمنين. (الأحزاب 50)}. فهناك نساء وهبن أنفسهن للنبي ولم يكن يرغب بهن، وحتى إن رغب لم يكن في العملية طلب واستعجال، إنما فكر في الأمر أياماً ثم قرر أن ينكحها أو يهبها لرجل آخر، وفي كلا الحالتين هو لم يطلبها. فأين الطلب والاستعجال هنا؟
ورغم وجود سورة كاملة في القرآن اسمها "النمل" فقد نسي أو سها **الشيخ الدكتور الراسخ في علم الحشرات** أن يذكر النملة الشهيرة التي تحدثت مع أصحابها وسمعها سليمان {**حتى إذا أتوا على واد النمل قالت نملةٌ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده**}

فلم يخبرنا الشيخ عما إذا كانت هذه النملة ذكراً أم أنثى والقرآن حكى عنها بتاء التأنيث. ونرجو أن يخبرنا الشيخ عن النملة الذكر، ما هي الكلمة التي ترمز إليه حتى لا نخلط بين الذكر والإنثى عندما نتحدث عن النمل.

أتمنى على الشيخ أحمد صبحي منصور أن ينزل من قطار "الإعجاز العلمي" الذي يقوده الدكتور زغلول النجار في أول محطة يصل إليها، ويركز على رسالة القرآن الإيمانية فقط. فالقرآن ليس كتاباً علمياً، ومحاولة الشيخ جعله ذلك سوف تقود إلى تعريض القرآن للنقد والتمحيص.

اتركوا القرآن للمساجد ولن يتعرض له إنسان بالنقد.

عودة إلى الفهرس

2008 / 3 / 21

99 ـ لماذا نساؤنا أشجع من رجالنا؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=128874

الإنسان المؤدلج، سواء أكانت الأيديولوجية دينية أو سياسية، يصدّق مؤدلجيه ومع مرور الزمن وتكرار الرسالة يقتنع أنه على حق وأن غيره **يتآمر** ضده ليمحوه من الوجود. ولا يختلف هذا الإنسان عن المريض الذي يعاني من اضطرابات نفسية تحتم حبسه في مصحة عقلية تحوطها أسوار عالية وربما أسلاك شائكة فوق الجدار. المريض النفسي بعد عدة سنوات يقنع نفسه أو يقنعه سجانوه أن الأسوار العالية مهمتها أن تمنع المجتمع الخارجي من الدخول إلى المصحة ومهاجمة وسلب حقوق نزلائها. وهذه هى الحالة التي وصلت إليها المجتمعات الإسلامية بعد أربعة عشر قرناً من الأدلجة.

كل مجتمع إسلامي يعتقد جازماً أن الصهيونية والأمريكان والغرب عامة لا عمل لهم ليل نهار إلا حياكة المؤامرات ضد الإسلام.

ولا يجرؤ أحد في تلك المجتمعات على النظر حوله ليرى **الجدار** الذي نصبه لهم فقهاء الإسلام ليسجنوهم داخل الحظيرة. الأمة الإسلامية {**خير أمة أخرجت للناس**} تعيش في سجن سلب سجانوه الملتحون جميع حقوق الإنسان من نزلاء السجن، لدرجة أنهم أصبحوا يتحكمون في أتفه الأمور الحياتية للنزلاء. فمثلاً، سأل رجل قطري أحد السجانين هذا السؤال:

"كنت قد قرأت فتوي لكم بالموقع عن أن الشَعْرَ حول الدبر يستحسن حلقه كشعر العانة لما يجلبه - أي شعر الدبر - من نجاسات يمكن أن تتعلق به، وقد فعلت ما أفتيتم به وحلقته - كما أحلق شعر العانة - بالموس؛ ولكن الآن أجد شيئا بسيطا من الضيق حينما أجلس علي مقعدتي وأحيانا حينما أمشي في الشارع لأن الشعر الآن أصبح أكثر خشونة من ذي قبل (والله أعلم السبب الحقيقي) فهل عليّ بعد ذلك ألا أحلقه أم أحلقه ولا أكترث بالضيق الذي يأتيني عند الحركة أو الجلوس أم أقصره فقط دون حلقه كليةً، أم ماذا أفعل؟"[1].

فرد عليه السجان:

"الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله وعلي آله وصحبه، أما بعد: فإن حلق الشعر المذكور مستحب وليس واجباً، وعليه.. فإذا ترتب علي حلقه ضرر من مشقة أو ضيق فلا مانع من ترك حلقه لأنه مستحب وليس واجباً، لكن لا بد من أخذ الحيطة عند الاستنجاء لئلا يبقي بعض النجس عالقاً بالشعر، وإن كان ما يشعر به من الضيق لا يصل إلي درجة المشقة فإن الحلق أولي، لأنه مستحب كما أنه معين علي التمكن من طهارة المحل عند الاستنجاء، وفي حكم الحلق الإزالة بغير حلق فتكفي للإتيان بالاستحباب." انتهى.

إلى هذا الدرك وصل العقل الإسلامي بفضل أدلجة السجانين.

في أيام الدولة العباسية ملأ الخلفاء قصورهم بالخصيان ليخدموا الحريم، وازداد عدد الخصيان في قصور الخلفاء العثمانيين. ومع طول الممارسة *أصبحت مجتمعاتنا الإسلامية مليئة بالرجال الذين أخصاهم السجانون معنوياً فأصبحنا لا نجرؤ على مساءلة سجانينا، دع عنك ملوكنا ورؤساءنا*. وزال إلى الأبد افتخار عمرو بن كلثوم:

وأيامٍ لنا غرٍ طوالٍ   عصينا الملك فينا أن ندينا

وكنتيجة حتمية لهذا الخمول الرجالي هبت بعض **النسوة المسلمات** لحمل راية التمرد على السجانين أولاً وربما يلحق بهم الملوك والرؤساء مستقبلا.

مِن هؤلاء النسوة اللاتي أبدين شجاعة منقطعة النظير لا تحفل بتهديدات السجانين، نجد:

الدكتورة وفاء سلطان: هذه المرأة السورية، واستشارية الأمراض النفسية، والزوجة والأم، غنية عن التعريف. فهي تؤمن بأن الرجال والنساء المسلمين يحتاجون إلى *صدمات عنيفة متتالية حتى تنتعش خلايا أدمغتهم التي تكلست من طول الأدلجة الإسلامية* التي جعلت منهم روبوتات تتوضأ خمسة مرات باليوم وتصلي وتأكل وتنام وتمارس الجنس بدون حب، **لأن الحب مصطلح غريب عن الإسلام،** وتكره مَن هو غير مسلم. هناك الكثيرون الغاضبون على الدكتورة لجرأتها على الإسلام، ولكنهم في نهاية المطاف سوف يشكرونها على مجهودها في تحطيم ذلك الجدار الذي يفصلهم عن العالم المتحضر. الدكتورة وفاء تتسلم رسائل التهديد يومياً لكنها ماضية في الطريق الذي اختارته لنفسها.

السيدة نوني درويش: هذه السيدة الأمريكية الجنسية، العربية المنشأ، والمسلمة سابقاً، قد وجدت في نفسها الشجاعة اللازمة لتتخلى عن الإسلام وتعتنق المسيحية لأنها أكثر حباً وتعاطفاً مع الإنسان من دينها القديم. هذه السيدة ألفت كتاباً عن تجربتها عنواه ‹يدعوني كافرة They call me Infidel› وقد ظهرت على عدة قنوات تلفزيونية لتشرح تجربتها مع الإسلام ومع المسيحية. وتحدثت عن *إخصاء الإسلام لروح الإنسان وكيف يصبح المسلم آلة دمار نتيجة الأدلجة منذ الصغر*. ويمكن مشاهدتها على الرابط الآتي:

http://www.youtube.com/watch?v=evwB7YYVgIo&feature=related

الآنسة أيان هيرسي علي: هذه المرأة الصومالية الشجاعة تركت الصومال لماكينات القتل الإسلامية (المحاكم الإسلامية) ولجأت إلى هولندا لتعلن الحرب على الإسلام الذي أذلها كواحدة من ملايين النساء الذليلات في الأقطار الإسلامية. وتحدثت أيان في البرلمان الهولندي وعلى التلفزيون وفي الصحف لتشرح للغربيين *المأساة التي سمحوا بها في بلادهم عندما احتضنوا الإسلاميين الملتحين الذين أسسوا المساجد ومدارس القرآن ليغسلوا عقول الشباب العربي وبعض النساء الأوروبيات اللاتي أصبحن مسلمات لإرضاء أصدقائهن المسلمين، فجعلوا منهن إنتحاريات*. وقد ساعدت أيان المخرج الهولندي ڤان جوخ في إخراج فيلم "الخضوع" الذي أدى إلى قتله على يد شاب مغربي مغسول الدماغ سوف يقضي بقية حياته بالسجن. وقد ألفت الآنسة أيان كتابين عن الإسلام حتى الآن:

‹الكافر The Infidel›، والآخر وعنوانه: ‹العذراء في القفص The Caged Virgin› ورغم الحماية التي تتمتع بها أيان من الشرطة إلا أن حياتها في خطر من الإرهابيين المسلمين.

السيدة مينا أحادي Mina Ahadi: هذه السيدة الإيرانية الأصل الألمانية الجنسية *قد جرؤت على تكوين جمعية بألمانيا للمسلمين الذين تركوا الإسلام*، أي **المرتدين** الذي يحكم عليهم السجانون بالموت. أسمت جمعيتها: ‹The Ex Muslims of Germany› وقد

[1] (الراية القطرية 6 سبتمبر 2007.

هاجمها الملتحون الألمان من أصول تركية ومغربية ونعتوها بأبشع الألفاظ وهددوها بالقتل. ومع ذلك لم تتراجع واستمرت جمعيتها في النمو والوصول إلى غير الألمان. ويمكن مشاهدة موقعها على الرابط الآتي:
http://www.spiegel.de/international/spiegel/0,1518,468828,00.html

السيدة مريم نمازي Maryam Namazie: هذه السيدة الإيرانية الشجاعة قد تركت الإسلام وكونت جمعية:
‹The Council of Ex Muslims of Britain›.
وهي سيدة متعلمة مثقفة ومقدمة برامج تلفزيونية وكاتبة *تتحدث عن إضطهاد المرأة في إيران وعن حقوق الإنسان وتحرير المرأة عامة*. وكالعادة فقد تصدى لها الملتحون البريطانيون من داخل مساجدهم ونعتوها بكل الألفاظ النابية. ومع ذلك استمرت في نشاطها، وقد كبرت جمعيتها وأصبحت معروفة في بريطانيا وخارجها. ويمكن معاينة جمعيتها على الرابط الآتي:
http://www.ex-muslim.org.uk

السيدة تراجي مصطفى: هذه السيدة السودانية الأصل والكندية الجنسية *تجرأت وأنشأت جمعية صداقة سودانية إسرائيلية في كندا*. تقول هذه السيدة أنها *صُدمت بالواقع عندما هاجرت إلى كندا واختلطت باليهود والمسيحيين والبوذيين الذين صورهم لها تعليمها في السودان بأنهم قردة وخنازير وأعداء الإسلام وأعداء الله*. وجدت من تجربتها مع الأطباء والمدرسين والجيران اليهود أنهم إنسانيين أكثر من المسلمين، ولذلك أنشأت جمعية الصداقة السودانية الإسرائيلية. ولم تسلم هذه السيدة من الشتم والتهديد لصداقتها لليهود، رغم أنها لم تتخل عن إسلامها. وألصقوا بها التهمة المعروفة من أنها **عميلة مرتشية**. واستمرت السيدة في نشاطها ولم تتراجع رغم التهديد. ويمكن مشاهدتها على الرابط:
http://bamapachyderm.com/archives/2006/12/11/taraji-mustafa-and-the-sudanese-israeli-friendship-association/

الدكتورة تسليمة نسرين: هذه الطبيبة ذات المنشأ البنغلاديشي، تمردت على السجانين الملتحين في وطنها وكتبت عدة كتب *تهاجم فيها المعاملة غير الإنسانية التي تلاقيها المرأة المسلمة في البلاد الإسلامية*. فثارت ثائرة السجانين في بنغلاديش وضربوا الدكتورة وأحرقوا كتبها وهددوها بالقتل مما حدا بها إلى الهرب إلى بلاد الغرب الكافرة. وعندما زارت الهند حديثاً أشبعوها ضرباً وشتماً، ولكنها لم تتراجع رغم التهديد. ويمكن معاينة موقعها على الرابط الآتي:
http://taslimanasrin.com

إرشاد مانجي: هذه المرأة المنحدرة من أسرة هندية مسلمة عاشت في كينيا ثم هاجرت إلى كندا، درست الإسلام في كتاتيب كندا العديدة *واشتهرت كمذيعة وكاتبة ومتحدثة في الاجتماعات تدافع عن حقوق المثليين*. ونسبة لموقف الإسلام من المرأة عامة ومن المثليين خاصةً، تمردت إرشاد على الإسلام وقالت: *أنا لا أرفض الإسلام كدين ولكن أرفض أن أنضم إلى جيش من الروبوتات الذين لا يعرفون غير الكراهية والحقد واضطهاد المخالف في الجنس أو العقيدة*. وعندما ألفت كتابها The Trouble with Islam ثارت ثائرة المسلمين مما حدا بالناشر أن يضع زجاجاً مضاداً للرصاص بمنزلها وسيارتها. وما زالت تستلم التهديد بالقتل.

وفي إنـگلترا تجرأت أربع بنات مسلمات على الاشتراك في مسابقة ملكة جمال إنكلترا في عام 2005. هؤلاء الشابات هن: **حماسا كوهيستاني** أفغانية من أصل أوزبكي، والعراقية **سارة مندلي**، و**ديلي توبوزغولا** و**سونيا حسينيان**، وقد فازت بلقب الملكة **الآنسة حماسا**.

> «وكانت مشاركة فتيات مسلمات في مسابقة ملكات جمال انكلترا، أثار حفيظة إسلاميين في بريطانيا، معتبرين أنهن بذلك يخالفن الشريعة الإسلامية، على حد قول هاشم سليمان من معهد ليفربول للدراسات الإسلامية الذي قال:
>
> *"الشريعة الإسلامية تقتضي بحظر أي فتاة إسلامية في مسابقة من هذا النوع، فهي تعتبر خروجا على العقيدة، فمن يشاركن في هذه المسابقات يظهرن في شكل غير لائق خاصة لجهة أزيائهن"*
>
> وأضاف سليمان الذي كان يوجه كلامه للصبية العراقية **سارة مندلي** التي كانت تطمح للفوز باللقب:
>
> *"أنا ادعو سارة مندلي أن تنسحب من المسابقة فورا، ولا أدري ما الذي دعاها للمشاركة في مسابقة كهذه منذ بداية الأمر"*.
>
> وقال:
>
> *"شريعتنا تطالب المرأة أن لا تظهر على العلن إلا وجهها ويديها ولا غير هذا وكل عدا ذلك أمر محظور إسلاميا"*.»[2]

ويظهر جلياً هنا أن **الإسلام دين عنصري يفضل العرب على غيرهم**. فهذا الرجل لم يخاطب من المشتركات المسلمات غير البنت العراقية لأن الأخريات غير عربيات رغم إسلامهن، ولا فرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى. فيبدو أن البنت العراقية أكثر تقوى من المسلمات الأخريات.
كل هؤلاء النسوة يعشن خارج حدود السجن الإسلامي الفعلي في البلاد الإسلامية ويتمتعن بقدر يسير من حماية المجتمع لهن. ولكن ماذا عن النساء الشجاعات اللاتي لم تسمح لهن الظروف بمغادرة السجن الإسلامي الكبير، أو لم يردن المغادرة، ومع ذلك حملن أرواحهن على أكفهن وكتبن عن الاضطهاد والذل الذي تعانية المرأة المسلمة؟ أذكر من هؤلاء الفارسات، على سبيل المثال:
السيدة وجيهة الحويدر: التي كبلتها السلطات السعودية ومنعتها من السفر إلى البحرين لرؤية عائلتها،
والدكتورة رجاء بن سلامة: وهي غنية عن التعريف،
والسيدة غادة جمشير: التي لم تخضع للإغراء أو التهديد الذي تمارسه عليها سلطات الأمن البحرينية بإيعاز من الملتحين بالمحاكم الشرعية في البحرين.

فلماذا تجرأ كل هؤلاء النسوة على نقد وفضح الإسلام رغم التهديد بالقتل، بينما انزوى الرجال في داخل سجنهم الكبير ولاذوا بالصمت؟ ومع ذلك يقولون إن المرأة ناقصة عقل ودين. ولكنها حتماً، شاؤوا أم أبوا، ليست ناقصة شجاعة. أرفع قبعتي احتراماً لهن.

عودة إلى الفهرس

[2] إيلاف 4 سبتمبر 2005.

100 - الفرق بين الشيخ والقس

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=129346

ربما يكون أبوالعلاء المعري *أول من تنبه إلى أن شيوخ الإسلام يعوزهم المنطق والحجة ولا يعرفون الحوار وآدابه*، ولذلك يكون ردهم على أي نقد هو **الصياح والشتم**، بينما نجد رجل الدين المسيحي لا يرفع صوته حتى في وجه مَن يشتمه. يقول أبوالعلاء المعري:

في اللاذقيةِ فتنةٌ   مابين أحمد والمسيح
قسٌ يعالج غيظه   والشيخ في حنق يصيح

فالقس يكتم غيظه ويعالجه ويحاول أن يجادل بالتي هي أحسن، بينما الشيخ يقول لك: {**وجادلهم بالتي هي أحسن**} كما يقول القرآن، ثم يبدأ بالشتم والصياح واتهام المناظر **بالجهل الفاضح**. ويستمر هذا الصياح حتى في عصرنا هذا، كما رأيناه مراراً على قناة الجزيرة الفضائية في برنامج "الاتجاه المعاكس".

والمسلم عامةً، ورجل الدين خاصةً، **ينفعل لا إرادياً إذا سمع أي نقد أو تعليق على الدين الإسلامي أو النبي محمد**. ويرغي ويزبد ويوعز للعامة بالتظاهر وحرق الكنائس إذا ما تجرأ محرر صحيفة على نشر صورة من الخيال للنبي محمد.

وفي مقابل هذا نجد أن رجل الدين المسيحي يتحمل حتى الشتم والاستهزاء بالمسيح ويقول: {**اغفر لهم أبتاه إنهم لا يعلمون ما يقولون**}. بل القساوسة أنفسهم قد ينتقدون بعض جوانب المسيحية. فمثلاً نجد الأسقف ديفيد جينكز، كبير قساوسة كاتدرائية مدينة دارام Durham بشمال إنـگلترا قد ألف كتاباً عن تناقضات المسيحية، أسماه "Contradiction of Christianity"، يقول في هذا الكتاب:

> إن تصرف المسيحيين يجب أن يؤخذ على أنه يمثل مسيحيتنا حتى وإن اختلفت تصرفاتنا مع نصوص الكتاب المقدس لأن الأفعال هي التي تعكس العقيدة.

وهناك العديد غيره قد انتقدوا المسيحية واليهودية دون أن يحرق أحد منازلهم أو يقتلهم أو حتى يشتمهم. وبعض المسيحيين يدافع عن المسيحية بما يبدو للوهلة الأولى كأنه نقد. فخذ هذا المثال:

> "في مكان ما بالشرق الأوسط، يرقد عيسى المسيح مربوطاً على كنبة ورأسه ملفوفةً بسلوفين شفاف، وهو يحاول مص ذلك الغلاف من السلفين. يخرم أحدهم فتحة في السلفين ويحشو فيها خرقة بالية يدخلها بفم المسيح، ثم يقلبونه بحيث يقف على رأسه ويصب أحدهم ماءً على الخرقة ثم يهمس في إذن المسيح "إذا كنت أنت الله والمخلص، خلّص نفسك أيها الغبي الزاني .وفي هذا الأثناء يحاول المسيح أن يمتص الماء من الخرقة المبلولة فتمتلئ رئتاه بالماء بينما يركله أحدهم على معدته."

كاتب هذه الفقرة القس جايلز فريزر Giles Fraser قس كنيسة "بُتني Putney" بلندن، في صحيفة الگـارديان يوم السبت 22 مارس (آذار) 2008. وكان سبب المقال هو مناسبة الاحتفال بعيد الفصح، والغرض منه نقد أفعال الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش، الذي ينتمي إلى جماعة Born Again Christians يقول السيد فريزر:

> "إن الصليب ما عاد يذّكر الناس بعذاب المسيح يوم صلبه، لأن الصليب أصبح أداةً للزينة فقط."

وحتى يكون للمقال مفعول الصدمة الكهربائية على القارئ المسيحي، استعمل السيد فريزر هذا السيناريو عن صلب المسيح، وقال ربما يجب إعادة كتابة قصة الصلب حتى تعكس المأساة الحقيقية التي تحملها المسيح من أجلنا. ويستمر السيد فريزر فيقول:

> "قبل أسبوعين استعمل الرئيس بوش حق النقض واعترض على القرار الذي اتخذه الكونجرس الأمريكي بتجريم تعذيب المعتقلين بواسطة إغطاس رؤوسهم في الماء للإيحاء لهم بأنهم سوف يموتون غرقاً. وتعذيب الإنسان يقف في الضد من تعاليم السيد المسيح الذي مات على الصليب من أجل الناس. وفي أغلب صور الرئيس بوش بالبيت الأبيض تجده واقفاً أمام الصليب. ولكن نقضه لقرار الكونجرس الأمريكي يعني أنه لم يفهم أهمية رمز هذا الصليب." انتهى.

ويقول القس فريزر:

> "في زمن المحن والحروب يلجأ الناس إلى كبش الفداء، ويلومون المخالف لهم في اللون أو القومية أو المعتقد، كما فعلت أوروبا المسيحية مع اليهود الذين اتهمتهم بخيانة وقتل المسيح، فانتقم منهم هتلر في المحرقة المعروفة. والآن يقف الرئيس بوش أمام الصليب في المناسبات السنوية لغزو العراق ويتحدث عن انتصاراته التي أدت إلى موت مليون عراقي وأربعة آلاف جندي أمريكي، ويبيح تعذيب المخالفين له في المعتقد (لاحظ أنه لم يقل: الإرهابيين المسلمين) بينما يتحدث عن مملكة الله في السماء. ومملكة الله الحقيقية لا تعرف كبش الفداء، فجميع البشر الطيبين، بصرف النظر عن معتقداتهم سوف يدخلون إلى مملكة الله التي لا تعرف التفرقة بين الخراف والماعز." انتهى.

مقابل هذا القس الذي يدعو إلى التسامح وينتقد الرئيس بوش نقداً موضوعياً ومهذباً في نفس الوقت، نستمع إلى شيخ من الأزهر تسأله المذيعة عن موقفه من الآيات التي تبيح ملك اليمين، **فيتشنج الشيخ ويصرخ في وجه المذيعة ثم يخرج من الاستديو**. وعندما يعود الشيخ بعد أن هدأ، تقول له المذيعة: الناس بتسأل وعاوزه تعرف. والأب زكريا دائماً يتحدث عن هذا الموضوع ويطلب الرد. فيجيب الشيخ:

> ***" هو كلما ينبح كلب أنا لازم أرد عليه. دول كلاب ما يترداش عليهم".***

فهل مثل هذا الشيخ يمكن أن يستعمل خياله، لو كان له خيال، ليصف حادثة تعرض لها محمد بمكة بنفس الطريقة التي وصف بها القس صلب المسيح؟ طبعاً لا يمكن لأن شيوخ الإسلام السني أصبحوا يعبدون محمد والبخاري بدل الله.

وهل يمكن لأي شيخ من شيوخ الإسلام أن يقول في خطبة الجمعة أن جنة الله تتسع لجميع الطيبين من المسلمين والمسيحيين واليهود؟ بالطبع لن يحدث هذا لأن المسلمين هم وحدهم الذين يمثلون **الفرقة الناجية** من النار، والجميع غيرهم إلى جهنم. لا تسامح في الفكر الإسلامي المتعصب والذي يقول:

(أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)
و (لا يدخل الجنة إلا مسلم).

والسبب الرئيسي في اختلاف سلوك الشيوخ عن سلوك هذا القس هو أن القساوسة تعلموا منذ نشأة المسيحية على إدخال الناس في معتقدهم عن طريق التبشير والاقناع والكلمة الطيبة، بينما بدأ الإسلام بغزوات النبي محمد ثم تبعتها حروب الردة وغزوات الأمويين والعباسيين والعثمانيين على الأقطار والحضارات المجاورة، وحتى البعيدة عنهم في إسبانيا وشرق أوروبا. والمثل يقول (الذي شبّ على شيْ شاب عليه). ولأن الشيوخ **شبوا على دفن رؤوسهم في الرمال وتجاهل الواقع من حولهم**، تراهم عندما يخطبون في مساجدهم وفضائياتهم **يزعمون أن الإسلام هو دين السلام والمحبة** بينما جميع المناطق التي بها نزاعات وتفجيرات وقتل وإرهاب في عالم اليوم هي في بلاد المسلمين أو يقوم المسلمون بالتفجيرات والقتل فيها إن لم تكن مناطق إسلامية.

وحتى الصحف في البلاد العربية تنحو منحى الشيوخ عندما تنشر لنا بالخط العريض أن مجندة أمريكية سابقة قد اعتنقت الإسلام وسكنت السعودية، لكن هذه الصحف يصيبها الخرس عندما يعتنق الصحافي المصري مجدي علام، الذي يسكن إيطاليا، المسيحية

ويعمده البابا بنيدكت السادس عشر في مدينة الڤاتيكان أمام عدسات جميع تلفزيونات العالم وصحفه. *إنها عقدة النقص والعجز الإسلامي ولذلك يشتهر الشيوخ بالشتم لأن الشتم هو سلاح العاجز.*

في الوقت الذي يطالب الأسقف روان وليامز، كبير أساقفة كانتربري، بإدخال الشريعة الإسلامية في القوانين الإنـگـليزية، وفي الوقت الذي يطالب فيه:

> "البطريرك فارثولوميو بطريرك طائفة الروم الأرثوذكس السلطات اليونانية بسرعة إقامة مسجد في أثينا، والذي يدور جدل حول بنائه منذ أكثر من ثلاثين عاما."[1]،

نقرأ فتوى للشيخ محمد بن صالح العثيمين تقول:

> ***"لا يجوز لأحد أن يعتقد أن دين اليهود والنصارى الذي يدينون به اليوم دين صحيح مقبول عند الله مساو لدين الإسلام، بل من اعتقد ذلك فهو كافر خارج عن دين الإسلام." انتهى.***

وكذلك نقرأ:

> ***"قد أصدر الشيخ الفوزان فتوى تكفر الليبراليين العرب؛ لأنهم يدعون بمساواة المواطنة بين المسلم وغيره في إطار الدولة الحديثة؛ ما اعتبره الشيخ تحديًا للشريعة الإسلامية."***[2]

وإذا تصفحنا كتب التراث، نجد الفقية الحنبلي ابن قيم الجوزية يقول في كتابه ‹هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى› عن أهل الكتاب ما يلي:

> "وكان اهل الكتاب افضل الصنفين، وهم نوعان: مغضوب عليم، وضالون.
> فالامة الغضبية هم اليهود: اهل الكذب والبهت والغدر والمكر والحيل، قتلة الانبياء واكلة السحت - وهو الربا والرشا - اخبث الامم طوية، وأرداهم سجية وابعدهم من الرحمة، واقربهم من النقمة، عادتهم البغضاء، وديدنهم العداوة والشحناء، بيت السحر والكذب والحيل، لا يرون لمن خالفهم في كفرهم وتكذيبهم من الانبياء حرمة، ولا يرقبون في مؤمن ولا أهل ذمة، ولا لمن وافقهم عندهم حق ولا شفقة، ولا لمن شاركهم عندهم عدل ولا نصفة، ولا لمن خالطهم طمأنينة ولا أمنة، ولا لمن استعملهم عندهم نصيحة، بل أخبثهم بيهودي على الحقيقة، أضيق الخلق صدوراً، واظلمهم بيوتاً وأنتنهم أفنية، واوحشهم سجية، تحيتهم لعنة، ولقاؤهم طيرة، شعارهم الغضب، ودثارهم المقت.
> والصنف الثاني: المثلثة أمة الضلال وعباد الصليب، الذين سبوا الله الخالق مسبة ما سبه اياها احد من البشر ، ولم يقروا بانه الواحد الاحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً احد، ولم يجعلوه اكبر من كل شئ، بل قالوا فيه ما تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ، فقل ما شئت في طائفة اصل عقيدتها: إن الله ثالث ثلاثة وان مريم صاحبته وان المسيح ابنه، وانه نزل عن كرسي عظمته والتحم ببطن الصاحبة، وجرى له ما جرى الى ان قتل ومات ودفن. فدينها عبادة الصلبان، ودعاء الصور المنقوشة بالاحمر والاصفر في الحيطان، يقولون في دعائهم (يا والدة الإله ارزقينا، واغفري لنا وارحمينا). فدينهم شرب الخمور واكل الخنزير، وترك الختان، والتعبد بالنجاسات، واستباحة كل خبيث من الفيل الى البعوضة، والحلال ما حلله القس، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، وهو الذي يغفر لهم الذنوب، وينجيهم من عذاب السعير.
> فهذا حال من له كتاب، واما من لا كتاب له: فهو بين عابد أوثان، وعابد نيران، وعابد شيطان، وصابئ حيران، يجمعهم الشرك، وتكذيب الرسل، وتعطيل الشرائع، وانكار المعاد وحشر الاجساد، لا يدينون للخالق بدين، ولا يعبدونه مع العابدين، ولا يوحدونه مع الموحدين. فأمة المجوس منهم تستفرش الامهات والبنات والاخوات، دع العمات والخالات، دينهم الزمر، وطعامهم الميتة، وشرابهم الخمر، ومعبودهم النار، ووليهم الشيطان، فهم أخبث بني آدم نحلة، وأرداهم مذهباً، وأسوأهم اعتقاداً. وأمة زنادقة الصابئة وملاحدة الفلاسفة لا يؤمنون بالله ولا ملائكته ولا كتبه ولا رسله ول لقائه، ولا يؤمنون بمبدأ ولا معاد، وليس للعالم عندهم رب فعال بالاختيار لما يريد قادر على كل شيء عالم بكل شئ." انتهى.

هل ترك الشيخ ابن القيم أحداً لم يشتمه ويسفه معتقده؟

ومع ذلك يطلبون من الأمم المتحدة أن تصدر قانوناً يعاقب مَن يستهزأ بالأديان، ليمنعوا نشر الرسوم الكاريكاتيرية التي تصور محمد.

أنا لا أؤمن بالأديان ولا بوجود إله في السماء، ولكن لو اضطررت لاختيار دين فإني حتماً سوف اختار المسيحية لصدق دعوتها في القول والفعل. فالأقطار الأوروبية وحتى المواطنين العاديين يتبرعون بمبالغ طائلة لمنكوبي التسونامي والمجاعات في العالم الإسلامي، بينما يقول فقهاء الإسلام **بتحريم إرث الزوجة الكافرة من زوجها المسلم** لئلا تذهب أموال المسلمين إلى غيرهم.

وهذه قمة التسامح والاعتراف بالآخر!

عودة إلى الفهرس

[1] عبد الستار بركات، الشرق الأوسط 2005/12/7.
[2] إيلاف 2007/6/21.

2008 / 4 / 5

102 - بعض تناقضات السنة المحمدية

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=130442

تتسابق الأحزاب والجماعات الإسلامية في العالم العربي إلى **إقامة دولة الخلافة التي يكون دستورها الكتاب والسُنة**، اعتماداً على الآية التي تقول:

{...ومَن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون. (المائدة 44)**}.**

ولكن هذا التوجيه لا يقتصر على الإسلام فقط، فالتوراة بها أحكام، كما يقول القرآن:

{إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استُحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشونِ ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون. (المائدة 44)**}.**

والإنجيل كذلك به أحكام:

{وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون. (المائدة 47)**}.**

ولكنا لا نرى أهل التوراة ولا أهل الإنجيل يطالبون في هذا العصر بإقامة دولة دينية يحكمها الله من فوق سبع سموات طباقاً، على العكس من المسلمين الذين يقولون *إن الحاكمية لله* والقانون الإلهي هو الذي يسري في الدنيا.

ولكن المشكلة أن القرآن يحتوي بالكثير على حوالي مائتي آية فقط تتحدث عن بعض التشريعات مثل عقاب السرقة والزنا والطلاق والمواريث. بقية الأحكام الإسلامية كلها اجتهاد من الفقهاء الذين اخترعوا ما يُسمى بالقياس وبنوا عليه أحكامهم.

والقياس كله تقريباً مبني على **السنة القولية** وقليل من **السنة الفعلية**. ولكن كتب السنة لا تعدو أن تكون كُتباً جمعها فرقاء متخاصمون على الحكم، كل فريق ألّف وجمع أحاديث يعارض بها الفريق الآخر. *فمن النادر أن تجد حديثاً لا يناقضه حديث آخر*. وسوف أعطي هنا بعض الأمثلة من كتب التراث *لممارسات منعها نبي الإسلام ومارسها بنفسه*، كما تقول كتب التراث. وهذا التناقض الواضح نجده في كل كتب الفقة، وبين المذاهب العديدة. وهذه الكتب هي التي يدعي الإسلاميون أنها أصل الدستور الإسلامي.

- **الحجامة**

يعلم جميع المسلمين أن الحجامة والكي بالنار هما دعائم الطب النبوي، ففى صحيحِ البخارى عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عباس، عن النَّبِىِّ صلى الله عليه وسلم، قال:

[الشِّفَاءُ فى ثلاثٍ: شَرْبَةِ عسلٍ، وشَرْطةِ مِحْجَمٍ، وكَيَّةِ نارٍ][1].

ومع أن الحجامة تأخذ من المريض ولا تعطيه أكلاً ولا شراباً، جعلها الفقهاء من مفطرات الصوم:

"فعن أبى الأشعث، عن شدادِ ابن أوس، أنه مَرَّ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم زمَنَ الفتح على رجل يحتجِمُ بالبقيع لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان، وهو آخذ بيدى، فقال: أَفْطَرَ الحَاجِمُ والْمَحْجُومُ"[2].

فالحجامةُ إذاً تفطر كما قال النبي، إذا صح الحديث.

ولكن البخاري يخبرنا في صحيحه أن النبي احتجم وهو صائم:

"جوازُ احتجام الصائم، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم (احْتَجَمَ وهو صائم)، ولم يفطر. وقد حاول الفقهاء تعليل ذلك بأن قالوا: الصوابُ: هو الفِطرُ بالحِجامة، لصحته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير معارِض، وأصحُّ ما يعارَضُ به حديثُ حِجَامته وهو صائم، ولكنْ لا يَدلُّ على عدم الفِطر إلا بعد أربعة أُمور. أحدها: أنَّ الصوم كان فرضاً. الثانى: أنه كان مقيماً. الثالث: أنه لم يكن به مرضٌ احتاج معه إلى الحِجَامة. الرابع: أنَّ هذا الحديث متأخِّرٌ عن قوله: [أَفطَرَ الحاجِمُ والمحجُومُ]."[3]

فلا خلاف أن النبي، حسب الأحاديث، منع عن الحجامة للصائم ثم احتجم وهو صائم. ومحاولة الفقهاء في التبرير لا تُقنع أحداً لأن الشروط التي وضعوها شروط غير منطقية، فحسب قولهم لا يفطر الشخص المقيم بمكة وهو صائم في رمضان وليس به مرض يحتاج الحجامة، ولكن مع ذلك لا يبطل صيامه، ولكن الشخص المسافر وهو صائم صوماً تطوعياً رغم إباحة الشرع له بالفطر، وبه مرض يحتاج الحجامة، يبطل صيامه إذا احتجم. هل هناك أي منطق في هذه الشروط؟

ثم أن هناك إشكال في الأيام التي يجوز للمسلم أن يحتجم فيها والأيام التي أوصى بها الرسول:

"فقد نهى رسول الله عن الحجامة يوم الجمعة ويوم السبت ويوم الأحد ويوم الأربعاء، رواه ابن ماجه والحاكم من حديث ابن عمر، وروى أبو داود عن أبي بكرة أنه كان ينهى عن الحجامة يوم الثلاثاء"[4].

فإذاً الحجامة مذمومة يوم الجمعة والسبت والأحد والثلاثاء والأربعاء. فليس هناك غير الاثنين والخميس للحجامة. غير أن هناك حديثاً يقول:

[من احتجم يوم الخميس فمرض فيه مات فيه][5].

فلا يبقى من أيام الاسبوع للحجام ليكسب رزقه غير يوم الاثنين فقط. ولزيادة الطين بله، فهناك حديث آخر يوصي بالاحتجام يوم الثلاثاء بعد أن كان قد نهى عنها:

[من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان دواءً لداء سنة][6].

وكذلك يؤكد السيوطي على الحجامة في أيام معلومة من الشهر، فيقول إن النبي قال:

[من احتجم لسبع عشرة من الشهر وتسع عشرة وإحدى وعشرين كان له شفاء من كل داء][7].

---

[1] الطب النبوي لابن القيم، ص 39.
[2] ابن القيم، زاد المعاد، ج3، ص 271.
[3] الطب النبوي لابن القيم، ص 48.
[4] الحاوي للفتاوي لجلال الدين السيوطي، ج1، ص 324.
[5] الجامع الصغير، حديث 8329.
[6] الجامع الصغير، حرف الميم، حديث 8327.

فلا يمكن أن تصادف هذه الأيام الثلاثة يوم الخميس أو الاثنين من كل شهر. فالذي يريد الشفاء يحتجم في أي يوم من الاسبوع يصادف يوم 17، 19، 21 من أي شهر. فهذا تناقض واضح في الأحاديث.

❖ **الكي**

قد مررنا بالحديث الذي يقول:

[الشفاء في ثلاث: شُرْبَةِ عسلٍ، وشَرْطةِ مِحْجَمٍ، وكَيَّةِ نارٍ].

فالكي بالنار علاج نبوي معروف. وزاد بعضهم في الحديث:

[وأنهى أمتي عن الكي][8].

ويقول السيوطي كذلك:

"قال النبي: [**أنهاكم عن الكي وأكره الحمم**] والحمم هو الماء الشديد الحرارة"[9].

وعن عمران بن حُصين قال:

"نهى النبي (ص) عن الكي فاكتوينا فما أفلحن ولا أنجحن"[10].

فإذاً الكي، رغم فائدته المزعومة، منهي عنه في السنة.

ولكن عندما أصاب الصحابي سعد بن معاذ الأنصاري سهم في غزوة بني قريظة، كواه النبي شخصياً:

"لما رُمِى سعدُ بن معاذٍ فى أكْحَلِهِ حسَمَهُ النبىُّ صلى الله عليه وسلم، ثم ورِمَت، فحسَمهُ الثانية. و(الحَسْمُ) هو: الكَىُّ"[11].

ويؤكد الطبري كذلك:

"عن الزهري عن أنس أن النبي كوى أسعد بن زرارة من الشوكة"[12]. وأسعد بن زرارة كان نقيب بني النجار.

❖ **التبول في اتجاه القبلة**

لا يختلف الفقهاء أن النبي نهى عن استقبال أو استدبار القبلة عند التبول أو التبرز:

"روى أنه عليه السلام نهى عن استقبال القبلة، قال ابن القيم في "الهدى" ص 18 - ج 2: (*هذا الحديث عزاه الترمذي بعد تحسينه*)، وقال الترمذي في "كتاب العلل": سألت محمداً "يعني البخاري" عن هذا الحديث، فقال: (*هذا حديث صحيح، رواه غير واحد عن ابن إسحاق*). وفي حديث معقل بن أبي معقل الأسدي: (نهى رسول الله [ص] أن يستقبل القبلتين ببول أو غائط). رواه أحمد بن حنبل وأبو داود"[13].

ولكن محمد بن يحيي يقول عن عبد الله بن موسى، عن عيسى الحناط عن نافع عن ابن عمر قال:

"رأيت رسول الله (ص) في كنيفه مستقبلاً القبلة. قال عيسى: فقلت ذلك للشعبي فقال: صدق ابن عمر"[14].

وعن حبان قال:

"لقد رقيت على ظهر بيتي فرأيت رسول الله (ص) قاعداً على لبنتين مستدبراً الكعبة، مستقبلاً بيت المقدس"[15].

وقد حاول بعض الفقهاء، خاصة مالك بن أنس، **الالتفاف** حول هذا التعارض بقوله إن استقبال القبلة يُمنع في الخلاء ويباح في البيوت، غير أن أبا أيوب الأنصاري، ومجاهد، وإبراهيم النخعي، وسفيان الثوري، وأبا ثور وأحمد بن حنبل يقولون:

"لا يجوز ذلك لا في الصحراء ولا في البنيان"[16].

وعروة بن الزبير يقول:

"يجوز استقبال القبلة في الخلاء وفي البنيان."

وقد نهى النبي عن التبول قائماً كما يقول عمر بن الخطاب:

"وَحَدِيثُ عُمَرَ إِنّما رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ أَبِي الْمُخَارِقِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ عُمَرَ قال: "رآني النّبِيّ صلى الله عليه وسلم (وَأَنا أَبولُ) قَائِماً، فَقَالَ: [يَا عُمَرُ، لاَ تَبُلْ قَائِماً. فَمَا بُلْتُ قَائِماً بَعْدُ]".

وأكدت عائشة على ذلك بقولها:

"مَنْ حَدّثَكمُ أَنّ النّبِيّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَبُولُ قَائماً فَلاَ تُصَدّقُوهُ. مَا كَانَ يَبُولُ إلاّ قَاعِداً"[17].

ولكن حذيفة بن اليمان يخبرنا:

"أن النبي بال قائماً. اتفق على صحته يعني اتفق عليه البخاري ومسلم".

❖ **دفن ما يُقطع من جسم الإنسان**

قال مالك بن سليمان عن الهروي، قال حدثنا داود بن عبد الرحمن عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، قالت:

"كان رسول الله (ص) يأمر بدفن سبعة أشياء من الإنسان: الشعر، والظفر، والحيضة، والسن، والقلفة، والمشيمة"[18].

ولكن البخاري يخبرنا أن النبي كان يوزع شعر رأسه على أصحابه الذين كانوا يقتتلون عليه وعلى ماء وضوئه:

"قال البخاري في صحيحه: وزعموا أن الذي حَلَقَ لِلنبي صلى الله عليه وسلم، معمر بن عبد اللّه بن نضلة بن عوف... ، فقال للحلاق: [خُذْ، وأَشَارَ إلى جَانِبِه الأَيْمَنِ، فَلما فَرَغَ مِنْه، قَسَمَ شَعْرَهُ بَيْنَ مَنْ يَلِيه، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الحَلاَّق، فَحَلَقَ جَانِبهُ الأَيْسَر، ثُمَّ قالَ: هاهنا أبو طلحة؟ فدفعه إليه]، هكذا وقع في صحيح مسلم"[19].

---

[7] الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي، حرف الميم، حديث 8326.
[8] الجامع الصغير، حديث 2752.
[9] الجامع الصغير، حرف الألف، حديث 4941.
[10] تهذيب سنن أبي داود، لابن القيم، باب في الكي، حديث 3860.
[11] الطب النبوي لابن القيم، ص 49.
[12] تاريخ الطبري، ج2، ص 9.
[13] المجموع للإمام النووي، باب الاستطابة والاستنجاء والاستجمار.
[14] سنن ابن ماجة، ج1، كتاب الطهارة، حديث رقم 323.
[15] صحيح مسلم بشرح النووي، ج3، كتاب الطهارة، باب الاستطابة.
[16] أحكام النساء لابن الجوزي، ص 110.
[17] تحفة الأحوذي للمباكفوري، باب النهي عن البول قائماً.
[18] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، سورة البقرة، الآية 124.

فالنبي لم يدفن شعر رأسه بل قسّمه على أصحابه ليتبركوا به.

❖ **العدوى**

روي عن النبي أنه قال:

[لا عدوى ولا طيرة]

أي أن العدوى لا تنتقل من إنسان إلى آخر ولا من حيوان إلى حيوان آخر.

فقال له الأعراب:
إنّ النقبة - بداية الجرب - تقع بمشفر البعير فيجرب لذلك كل الإبل في المراح. فلا بد أن تكون عدوى.
فقال لهم النبي:

[فما أعدى الأول]!

ثم قال بعد ذلك:

[لا يورد ذو عاهة على مصح]

أي لا يورد الجمل المريض على الأصحاء، أي أنه اعترف بالعدوى[20].

ثم لما جاء وفد ثقيف لمبايعة النبي، كَانَ فِيهم رَجُلٌ مَجْذُومٌ،
فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ:

[إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ].

وهذا يدل على خوف النبي من العدوى.
ثم أضاف البخاري، **تأكيداً للخوف من العدوى** أن النبي قال:

[فر من المجذوم فرارك من الأسد].

وقال القاضي:

"قد اختلفت الآثار عن النَّبِيّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في قصَّة المجذوم، فثبت عنه الحديثان المذكوران".

وعن جابر:

"أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَكَلَ مَعَ الْمَجْذُوْمِ، وَقَالَ لَهُ: [**كُلْ، ثِقَةً بِاللهِ وَتَوَكُّلاً عَلَيْهِ**]"[21].

فهل نأكل مع المجذوم أم نفر منه فرارنا من الأسد؟

وهناك عدة أحاديث متناقضة عن

❖ **منع النبي الناس من الشرب قائماً ثم شرب قائماً،**
❖ **ومنع الناس من التنفس في الإناء إذا شربوا، وكان يتنفس ثلاث مرات في الإناء.**

ونستطيع أن نقول إن كل حديث عن النبي له حديث مضاد له. وما ينطبق على أحاديث وأفعال النبي في هذه الأمثلة ينطبق على جميع الأحاديث الأخرى التي تتناول التشريع، مثل، [من بدل دينه فاقتلوه] أو [الولد للفراش وللعاهر الحجر]. فإن لم نجد حديثاً معارضاً لها نجد آية من القرآن تقول بالعكس تماماً.
ومأساة المسلمين تكمن في **الوعاظ** الذين يخرجون عليهم بفتاوى وأحاديث تؤيد ما يقوم به الحاكم مهما كان ذلك العمل، فمثلاً عندما أنشأ وزير الداخلية السعودي مسابقة وجوائز لحفظ الحديث النبوي، خطب مفتي السعودية الشيخ آل الشيخ فقال:

"ان حفظ السنة النبوية من اسباب تعلمها والعمل بها وايضا سبب للتعرض لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم عن حفظ سنته بأن ينضره الله عز وجل حيث قال صلى الله عليه وسلم [نضّر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه]، مبينا ان حفظ السنة من أعظم المطالب وأسنى المراتب لما في ذلك من إعانة على حفظ الدين، وصيانة الشريعة"[22].

ولكن كل أهل السنة يعرفون حديث أبي سعيد الخدري الذي يقول:

[قال رسول الله (ص) لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن ومن كتب شيئاً فليمحه]. (أخرجه مسلم).

فكيف ينهي النبي عن كتابة الحديث ثم يوصي بحفظه؟
وليس بعيداً عن الأذهان فتوى مفتي الديار السورية حديثاً عندما قال:

إن حضور اجتماع القمة العربية في دمشق فرض عين على كل الرؤساء والملوك العرب، وإنّ من تخلف عنها فقد ارتكب إثماً.

وقد اعتمد الشيخ السعدون على أحاديث إجماع الأمة الإسلامية، التي لا تجتمع على ضلال.

وقد حاول الفقهاء وأهل الحديث عدة طرق **للخروج من هذا التناقض في الشريعة المحمدية،**
فنجد مثلاً ابن تيمية يقول:

"ترك القول والعمل بموجب أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ظنا أن القول بموجبها مستلزم للطعن فيما خالفها، هذا الترك يجر إلى الضلال واللحوق بأهل الكتابين"[23].

فابن تيمية يرى أن تعارض الأحاديث لا يبطل العمل بها.
أما ابن رشد القرطبي فيقول في تعارض الأحاديث:

"فذهب العلماء في هذين الحديثين ثلاثة مذاهب: أحدها مذهب الترجيح. والثاني مذهب الجمع. والثالث مذهب الإسقاط عند التعارض والرجوع إلى البراءة الأصلية إذا لم يعلم الناسخ من المنسوخ، فمن ذهب مذهب الترجيح قال بحديث ثوبان - الذي يقول أفطر الحاجم والمحجوم، وذلك أن هذا موجب حكما، وحديث ابن عباس - الذي يقول إن النبي احتجم وهو صائم - رافعه، والموجب مرجح عند كثير من العلماء على الرافع لأن الحكم إذا ثبت بطريق يوجب

---

[19] زاد المعاد لابن القيم، ج2، ص 156.
[20] الطب النبوي لابن القيم، ص 121.
[21] صحيح مسلم بشرح النووي، ج4، كتاب السلام، باب اجتناب المجذوم.
[22] الشرق الأوسط، 14 مارس 2008.
[23] ابن تيمية، رفع الملام عن الأئمة الأعلام/ ص 31.

العمل لم يرتفع إلا بطريق يوجب العمل برفعه، وحديث ثوبان قد وجب العمل به، وحديث ابن عباس يحتمل أن يكون ناسخا ويحتمل أن يكون منسوخا، وذلك شك والشك لا يوجب عملا ولا يرفع العلم الموجب للعمل"[24].

فكان لا بد لهم أن يدخلوا الناسخ والمنسوخ على الأحاديث كما أدخلوه على القرآن.

فهل يُعقل أن تبنى قوانين دولة على هذه السُنة التي يعارض بعضها البعض ولا يتفق فقهاؤها على أي حديث؟ أضف إلى ذلك تعارض آيات القرآن مع بعضها البعض ومع عدد كبير من الأحاديث؟

لا شك أن الدولة المدنية التي يصوغ الناس قوانينها بأنفسهم هي الحل والمخرج من هذا الارتباك والتعارض. وقد خطا جماعة "أهل القرآن" (إن كان للقرآن أهل) خطوة أولى في هذا الاتجاه الصحيح بأن جعلوا اعتمادهم على القرآن فقط وألغوا السنة القولية. والخطوة التالية يجب أن تكون وضع المصاحف في المساجد وجعل الدين علاقة فردية بين الشخص ومن يعبد.

عودة إلى الفهرس

[24] ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج1، ص 211.

103 - عندما يلجأ المسلمون إلى الخداع

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=130977

عندما يحاول المسلمون تجميل صورة الإسلام في الغرب فإنهم يلجؤون إلى **الخداع** لأن حقيقة الإسلام لا تسمح بتجميل صورته، خاصة بعد **غزوة مانهاتن** المباركة وذبح الغربيين في العراق كما تذبح الخراف. ويؤكد هذا الخداع فيديو أنتجته مجموعة إسلامية باللغة الإنكليزية وعرضته على موقع يوتيوب، لخداع الغربيين:

http://www.youtube.com/watch?v=uxGlf8mgLVo

هذا الفيديو يحاول الدفاع عن زواج محمد من عائشة عندما كان عمرها ست سنوات، ويزعم أن المغرضين قد حاولوا تشويه صورة الإسلام ونبيه بإشاعة ست كذبات عن زواج عائشة. يقول المسلم المدافع عن نبيه إن هذه الكذبات الست تتعارض مع كل القوانين الشرعية في جميع المذاهب الإسلامية. ويحاول تفنيد هذا الكذب عن طريق **الخداع**، مستغلاً جهل الغربيين باللغة العربية وبالإسلام، **فيقول**:

✍ الكذبة الأولى تقول إن النبي أجبر أبا بكر ليقبل زواجه من عائشة.

ورده على هذه الكذبة هو:

"إن الحديث الذي روته عائشة يحتوي على **أربعة** حقائق تدحض هذه الكذبة.

1. أولاً: النبي لم يقترح الزواج من عائشة وإنما اقترحته خولة عليه لأنها خشيت على صحته بعد موت خديجة.

ولكن المتحدث لم يشرح لنا قصده من خوف خولة على صحة محمد بعد موت خديجة. هل قصد صحته البدنية، وكان له وقتها ثلاث بنات بالغات يمكنهن الاعتناء به، بينما كانت عائشة بنت الست سنوات لا تقدر حتى على الاعتناء بصحتها ناهيك عن صحته، أم قصد صحته الجنسية وكانت خولة قد ذكرت له سودة بنت زمعة في نفس الوقت فقبل بها وتزوجها قبل عائشة بسنتين أو ثلاث[1] وحسب الحقائق المعروفة لم يكن هناك أي مبرر لخولة لتخاف على صحة الرسول، سواء أكانت صحته الجسدية أو الجنسية.

2. الحقيقة الثانية حسب زعمه هي أن أبا بكر لم يتصل بمحمد مباشرةً بل اتبع الاتكيت السائد وقتها وقال لخولة: إذهبي واذكريني لهم.
3. الحقيقة الثالثة: يقول إن سؤال أبي بكر لخولة: هل تحل له وهي ابنت أخيه؟ لم يكن سؤالاً اعتراضياً وإنما كان للإيضاح فقط، فقد كانت العادة في الجاهلية منع زواج الأقرباء غير ذوي صلة الدم (بالتبني مثلاً). وقد حرّم محمد هذا الشيء.
4. الحقيقة الرابعة: لو كان أبو بكر معترضاً على الزواج لاستعمل العذر المعروف من أن عائشة كانت مخطوبة لغيره، ولكن أبا بكر طلب من خولة الانتظار وذهب فوراً إلى خطيبها ليطلب منه الإذن. وأهم من ذلك كله فإن مباشرة العلاقة الزوجية قد حض عليه أبوبكر نفسه، مما يدحض أي افتراء من أن أبا بكر قد اعترض على الزواج. فقد روت عائشة أن أبابكر سأل النبي: ما يمنعك أن تعاشر أهلك؟ فعاشرني النبي."

(انتهى شرح المتحدث للكذبة الأولى ورده عليها).

يتضح من شرح المتحدث أنه *يحاول خداع الناس بقصص لا يتفق عليها رواة السيرة النبوية*. فكل كتب السيرة تقول إن عائشة كانت مخطوبة لابن مطعم بن عدي وقد وعد أبوبكر مطعم بأن عائشة سوف تكون زوجة ابنه، وقالت أم رومان زوجة أبي بكر:

"والله ما وعد أبوبكر وعداً قط فأخلفه".

فإذاً أبوبكر كان قد وعد عائشة لصبي في عمرها، ولكن طلب محمد يد عائشة جعله يفسخ خطبتها لابن مطعم ويزوجها لمحمد وقد بلغ عمره فوق الخمسين وقتها. أما قوله إن أبا بكر شجع محمد على معاشرتها جنسياً ***فقول لم نجد له سنداً***. كل كتب السيرة تتفق على أن أم رومان وجدت عائشة تلعب على أرجوحة مع أندادها فأخذت بيدها واحضرتها إلى المنزل، حيث كان محمد في انتظارها، فمسحت على وجهها بقليل من الماء وأصلحت شعرها وأدخلتها إلى الغرفة التي بها محمد ومعه بعض النسوة، فقام النسوة وخرجن بمجرد دخول عائشة، وضاجعها محمد في حينها.

فكتب السيرة لم تذكر أي دور لأبي بكر في إتمام الزواج أو تشجيع محمد على المعاشرة، وهو لم يكن يحتاج تشجيعاً.

✍ ثم ينتقل المتحدث إلى الكذبة الثانية المزعومة، فيقول:

"تدعي الكذبة أن النبي عاشر عائشة عندما كان عمرها ست سنوات.
وهذه الكذبة لا تستند على أي حديث بل تعتمد على فتوى شيخ سعودي، أنكرها فيما بعد كما ظهر على موقعه في الانترنت. ومعاشرة الزوجة في الإسلام، حتى بدون إيلاج، مسموح به فقط إذا بلغت سن الرشد، كما يقول حسن البصري. والحديث الذي روته عائشه (***يقصد حديث أن النبي كان إذا أراد أن يباشر إحدى زوجاته وكانت حائضاً أمرها أن تضع خرقةً على فرجها ثم يباشرها***) يثبت أنها قد بلغت" (انتهى).

ويتضح لنا خداع المتحدث هنا. فحديث عائشة*لا يثبت أنها كانت تحيض عندما تزوجها النبي ودخل بها*، فهي قد روت هذا الحديث **بعد موت محمد**، وقد مات عنها وعمرها ثمان عشرة سنة. ***فعائشة لم تذكر كم كانت سنها عندما بدأت دورتها الشهرية***. ثم إن بدء الدورة الشهرية لا يعني البلوغ الكامل (الفسيولوجي والعقلي) إنما تعني بداية البلوغ الفسيولوجي فقط. وموضوع مضاجعة البنت الصغيرة معترف به في كل المذاهب السنية والشيعية. **والخميني قد أباح مفاخذة حتى الرضيعة**. ومالك أجاز جماع الصغيرة عندما سُئل:

"أرأيت الصبية الصغيرة التى لم تُحصن، ومثلها يُجامع، إذا تزوجها فدخل بها وجامعها أيكون ذلك احصانا في قول مالك أم لا (قال) نعم تُحصنه ولا يُحصنها".[2]

فمالك يبيح جماع الصغيرة ويقول إنها تُحصن الزوج ولكن الزوج لا يُحصنها لأنها لم تبلغ بعد.

✍ ثم ينتقل المتحدث إلى الكذبة الثالثة ويرد عليها بكذبة أكبر منها، فيقول:

"الكذبة الثالثة: أن عائشة لم تبلغ سن الرشد عندما عاشرها النبي، وهذه الكذبة اعتمدت على حديث عائشة بأنها كانت تلعب بدميتها عندما أخذتها أمها إلى محمد وبنى بها، وكان عمرها تسع سنوات.
ولكن ابن حجر ذكر في فتح الباري أن الفقهاء استنتجوا من هذا الحديث أن الإسلام يبيح اللعب بالدمى بصرف النظر عن العمر كوسيلة للتعليم. ثم أن بلوغ عائشة كان واضحاً لأن المجتمعات القديمة (حتى القرن التاسع عشر) كانت تعرف أن النضوج السيكلوجي للبنت يتطابق مع البلوغ الجسدي، والبلوغ السيكلوجي كان معرّفاً بالمقدرة على إعطاء البنت أقرارها أو موافقتها بعد إدراك ما يقال لهاInformed consent وعائشة كانت قد بلغت سن الرشد، في رأي والديها، عندما طلب أبو بكر من محمد أن يعاشرها جنسياً. وعائشة نفسها قالت إذا بلغت البنت سن التاسعة فقد صارت امرأة. وعائشة لم تحض فقط وإنما بلغت واينع جسمها كما روى الفقيه داودي." (انتهى).

[1] مختصر السيرة لابن كثير ، ص 121.
[2] المدونة، ج3، ص 286.

فكون الفقهاء استنتجوا من حديث عائشة ولعبها بدميتها أن الإسلام يبيح اللعب بالدمى بصرف النظر عن العمر لا ينفي أن عائشة كانت طفلة تلعب مع الأطفال على المرجيحة وبيدها دميتها عندما أخذتها أمها إلى النبي ليجامعها، فكل كتب السيرة تتفق في أن عائشة كان عمرها تسع سنوات عندما بنى بها محمد. ثم أن المجتمعات القديمة لم تكن تربط بين البلوغ الجسدي، أي بدء الدورة الشهرية، والنضوج العقلي والسايكلوجي. فمفهوم النضوج السايكلوجي مفهوم حديث بدأ في نهاية القرن التاسع عشر. ولو كان المجتمع الإسلامي القديم يربط بين النضوج الجسدي والنضوج العقلي *لما قال محمد إن المرأة ناقصة عقل ودين*، لأن المرأة التي تحدث عنها هي المرأة عامةً - الكبيرة والصغيرة. فكيف يزعم المتحدث ربط الإسلام بين بدء الدورة الشهرية والنضوج العقلي أو السيكولوجي؟ ثم أن مفهوم الإقرار المعرفي informed consent لم يظهر إلا في نهاية القرن العشرين. وحتى في المستشفيات، لم تُدخل بريطانيا مفهوم ال informed consent قبل اجراء أي عملية جراحية إلا في العقدين الأخيرين من القرن العشرين. وفقهاء الإسلام قالوا إن سكوت البنت عندما يسألها وليها عن الزواج يعني رضاها.

فالسكوت قد يعني الحياء من الولي، وقد يعني عدم فهم المقصود، وقد يعني كل شيء إلا الإقرار المعرفي.

✍ ويستمر المتحدث ليفند الكذبة الرابعة فيقول:

"الكذبة الرابعة أن عائشة لم توافق على الزواج. والحقيقة أن عائشة كانت فخورة بهذا الزواج وروت ست فضائل وهبها لها، فقالت: "أُعطيت خصال لم تعط لأي امرأة أخرى: النبي تزوجني وعمري 7 سنوات، الملاك احضر له صورتي لينظر إليها، ورأيتُ جبريل، وعاشرني النبي وعمري 9 سنوات، وكنت أحب نسائه إليه، ومات في بيتي وفي حجري." فإذاً عائشة وافقت على الزواج وكانت فرحة به." (انتهى).

إنه المنطق **الأعرج** الذي نسمع به. كيف توافق بنت في السادسة من عمرها على زواج رجل في الخمسين؟ هل تملك طفلة الست سنوات المقدرة العقلية لإعطاء Informed Consent؟ ربما تكون عائشة قد افتخرت بعد أن كبرت لنساء النبي الأخريات بدافع الغيرة التي كانت بينهن وأرادت أن تتميز عليهن.

فلا يُعقل أن نأخذ هذا الحديث على محمل الجد ونزعم أن طفلة الست سنوات قد وافقت على الزواج.

ثم أن الحديث مليء بالمغالطات. كيف يأتي الملاك بصورة عائشة لمحمد لينظر إليها والإسلام يحرّم التصوير؟ وما هو المغزى من إحضار صورة عائشة لمحمد ومحمد كان يراها بلحمها ودمها كل مرة يحضر لزيارة أبي بكر؟ وما هو الدليل أن عائشة رأت جبريل بينما لم تره خديجة، تلك المرأة العاقلة، فكانت تسأل محمد عندما أجلسته على فخذها الأيمن إن كان جبريل ما يزال في الحجرة؟ يقول المتحدث:

✍ "الكذبة الخامسة تقول:

"إن الإسلام يبيح الجنس مع البنات قبل البلوغ وهذه الكذبة تتجاهل الآية الأولي بخصوص عدة الطلاق التي حددتها بثلاثة قروء. ولتحديد مدة العدة للبنات الصغيرات والنساء الكبار في السن واللاتي لا يحضن، جاءت الآية الثانية وحددت العدة بثلاثة أشهر، كما وضّح ابن كثير. والآية الثالثة فرضت قوانيناً للزواج الذي لم يكن قد باشر الزوج فيه زوجتهUnconsummated marriage ، وقالت الآية إن هذه النوع من الزواج ليس له عدة. وهذا ينطبق على البنات غير البالغات. والآية الوحيدة في القرآن التي تذكر "بلوغ النكاح" تشترط النمو الجسدي والعقلي للأيتام ليتولوا تصريف أموالهم. والإمام أبو حنيفة يقول "بما أن المرأة لها الحق في تصريف أموالها فهي كذلك لها الحق في قبول الزواج أو رفضه، ولذلك لا تجوز معاشرتها جنسياً قبل البلوغ لأن هذا إذا حدث فهو يناقض هذا الحق في القبول أو الرفض." والإسلام يشترط قبل المعاشرة الزوجية البلوغ الجسدي والعقلي والموافقة على الزواج." (انتهى).

ولا يخفى على أحد يقرأ العربية أن المتحدث لوى عنق الآية التي تقول: {**واللائي يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن واولات الأحمال فأجلهن أن يضعن حملهن. (الطلاق 4)**}. ويقول القرطبي في تفسيرات "**اللائي لم يحضن**" **يعني الصغيرة**. فالإسلام يبيح زواج وجماع البنت الصغيرة التي لم تحض بعد، بل أكثر من ذلك يبيح طلاقها. أما موضوع ال unconsummated marriage فيكون أثره فقط في النفقة والصداق وما إلى ذلك. أما قول الإمام أبي حنيفة فيختلف عن أقوال بقية الفقهاء الذين يجيزون للأب تزويج البكر الصغيرة بدون إذنها، ويبيحون معاشرتها في سن التاسعة. بل نجد الإمام الخميني يروي حديثاً عن الإمام الصادق:

"من سعادة المرء ألا تطمث ابنته في بيته."

ويقول كذلك:

"ولو وطأها قبل التسع ولم يفضها لم يترتب عليه شيء غير الإثم على الأقوى، وإن أفضاها بأن جعل مسلكي البول والحيض واحداً أو مسلكي الحيض والغائط واحداً حُرِّم عليه وطؤها أبداً."[3]

أي أخلاق وأي دين سماوي أو أرضي يبيح لرجل بالغ أن ينكح بنت صغيرة لا تتحمل أعضاؤها التناسلية قضيب الرجل فيخلط مجرى البول ومجرى البراز. هذا الفعل يمثل تحطيماً كاملاً لحياة تلك البنت إذ تصبح بعد الخلط فاقدة التحكم في مخرج البراز أو مخرج البول. إنها جريمة تستحق السجن وليس تحريم الوطء.

أما مسألة إذن الصغيرة في الزواج فلم يأخذ به أحد من المسلمين، حتى الإمام علي بن أبي طالب زوج ابنته أم كلثوم، وهي طفلة صغيرة، إلى الخليفة عمر بن الخطاب

"تزوج عمر رضي الله عنه أم كلثوم بنت علي رضي الله عنه وهي ابنة فاطمة رضي الله عنها وكان قد خطبها إلى علي فقال علي: ياأمير المؤمنين فهي صبية. ثم أمر عليّ ببُرد فطواه ثم قال لها: انطلقي بهذا إلى أمير المؤمنين فقولي: أرسلني أبي إليك وهو يقرئك السلام ويقول إن رضيت البُرد فأمسكه وإن سخطته فرده فلما أتت عمر قال: بارك الله فيك وفي أبيك قد رضينا. فرجعت إلى أبيها فقالت: ما نشر البرد وما نظر إلا إليَّ فزوجها إياه ولم تكن قد بلغت فدخل بها في ذي القعدة ثم ولدت له زيدًا."[4]

وحتى النبي زوج ابنتيه لعثمان بن عفان دون استشارتهما

"عن الحسن البصري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوج عثمان بن عفان ابنتيه ولم يستشرهما"[5].

أما مفتي الجمهورية المصرية الأسبق الشيخ عطية صقر فقد سأله رجل في عام 1997 عن زواج الصغيرة فأجاب:

"من المعلوم أن عقد الزواج يشترط فى صحته تمييز المتعاقدين، فإن كان أحدهما مجنونا أو صغيرا لا يميز فإن الزواج لا ينعقد، وهنا يكون للولى الحق فى عقد الزواج، فالصغيرة إن كانت مميزة لابد من استئذانها وموافقتها، أما إن كانت غير مميزة فإنه يجوز للأب والجد تزويجها بغير إذنها، لأن الغالب أنهما يرعيانها ويريدان لها الخير، وقد زوج أبو بكر الصديق رضى الله عنه ابنته عائشة من الرسول صلى الله عليه وسلم وهى صغيرة دون إذنها، حيث لم تكن فى سن يعتبر فيها إذنها، وليس لها الخيار إذا بلغت، فكان سنُّها ست سنوات. ومن أجل هذا استحب الشافعية ألا يزوجها الأب أو الجد حتى تبلغ ويستأذنها، ولا يجوز لغير الأب والجد أن يزوج الصغيرة كما رآه الجمهور، فإن زوجها لم يصح الزواج، لكن أبا حنيفة وجماعة من السلف أجازوا لجميع الأولياء وقالوا بصحة الزواج، ولها الخيار إذا بلغت، وذلك لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم زوّج أمامة بنت حمزة - وهى صغيرة - وجعل لها الخيار إذا بلغت، وهو لم يزوجها بوصفه نبيا، بل لأنها قريبته وهو وليها لأنها بنت عمه، ولو زوجها بوصفه نبيا لم يكن لها الخيار، كما قال تعالى {وما كان

[3] تحرير الوسيلة، ج2، ص 216.
[4] المنتظم في التاريخ لابن الجوزي، ج1، ص 100.
[5] المدونة، ص 157.

لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم. (الأحزاب 36)} **وقال بهذا الرأى عمر وعلي وابن مسعود وابن عمر وأبو هريرة."**[6]

✍ ثم ينتقل المتحدث إلى الكذبة السادسة التي تقول إن محمد أخترع الإسلام ليشبع رغباته الجنسية، فقال:

"إن الأديان التي كانت موجودة في شبه الجزيرة وقتها كانت **قد سمحت بكل أنواع الممارسات الجنسية الشاذة**، فمحمد لم يكن في حاجة لاختراع دين جديد ليشبع رغباته. ويذكر أن التلمود أباح بيع البنات الصغيرات (دون الثالثة) في الرق. وقال إن التلمود يقول إن البنت ذات الثلاث سنوات ويوم واحد يجوز أن تُخطب عن طريق الممارسة الجنسية. وذكر آيات من العهد القديم زعم أنها تبيح للراهب أن يتزوج بنت الثلاث سنوات، فقال (البنت غير اليهودية والتي يكون عمرها قل من ثلاث سنوات ويوم واحد يمكنها أن تتزوج راهباً) وزعم أن هذا القول في (سفر العدد، الإصحاح 31 ، الآية 17). غير أن هذه الآية تتحدث عن قتل صبيان قبائل بلعام ولا تمس الجنس من قريب ولا بعيد. ثم ذكر أن العهد القديم يقول إن الآباء والأمهات مطلوب منهم إزالة بكارة البنت قبل الزواج. وأعطى المصدر (سفر التثنية، الإصحاح 22، الآيات 13-18). ولكن هذه الآيات تقول (إِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَحِينَ دَخَل عَليْهَا أَبْغَضَهَا 14وَنَسَبَ إِليْهَا أَسْبَابَ كَلامٍ وَأَشَاعَ عَنْهَا اسْماً رَدِيئاً وَقَال: هَذِهِ المَرْأَةُ اتَّخَذْتُهَا وَلمَّا دَنَوْتُ مِنْهَا لمْ أَجِدْ لهَا عُذْرَةً. 15يَأْخُذُ الفَتَاةَ أَبُوهَا وَأُمُّهَا وَيُخْرِجَانِ عَلامَةَ عُذْرَتِهَا إِلى شُيُوخِ المَدِينَةِ إِلى البَابِ 16وَيَقُولُ أَبُو -لفَتَاةِ لِلشُّيُوخِ: أَعْطَيْتُ هَذَا الرَّجُل ابْنَتِي زَوْجَةً فَأَبْغَضَهَا. 17وَهَا هُوَ قَدْ جَعَل أَسْبَابَ كَلامٍ قَائِلاً: لمْ أَجِدْ لِبِنْتِكَ عُذْرَةً. وَهَذِهِ عَلامَةُ عُذْرَةِ ابْنَتِي. وَيَبْسُطَانِ الثَّوْبَ أَمَامَ شُيُوخِ المَدِينَةِ. 18فَيَأْخُذُ شُيُوخُ تِلكَ المَدِينَةِ الرَّجُل وَيُؤَدِّبُونَهُ 19وَيُغَرِّمُونَهُ بِمِئَةٍ مِنَ الفِضَّةِ وَيُعْطُونَهَا لأَبِي الفَتَاةِ لأَنَّهُ أَشَاعَ اسْماً رَدِيئاً عَنْ عَذْرَاءَ مِنْ إِسْرَائِيل). (انتهى).

فواضح أن المتحدث *لم يكن أميناً* في ما قاله عن الأديان الأخرى. وحتى لو كان العهد القديم والتلمود والإنجيل قد سمحوا بهذه الممارسات الشاذة، فلا يجوز أن يستعمل المسلمون هذا العذر لأنهم يدعون أن الإسلام هو آخر الرسالات وجاء ليكملها وإنه صالح لكل زمان ومكان.

فإذا كان الإسلام قد جاء مكملاً للديانات السابقة، فيجب أن يحتوي على تشريعات أكثر رقياً من سابقتها وإلا انعدمت الحاجة إلى رسالة دينية جديدة تكرر نفس التشريعات السابقة.
وإذا كان القرآن صالحاً لكل زمان ومكان، فإنه من حقنا أن نتوقع أن يكون القرآن الصالح لكل زمان ومكان أسمى وأكمل من قوانينا الوضعية الحالية.

غير أن قوانيننا الوضعية تسمو عليه بكثير في مسألة زواج البنت الصغيرة ومجامعتها.

عودة إلى الفهرس

[6] فتاوي الأزهر لمئة عام، دار الإفتاء المصرية، زواج الصغيرة.

104 - الإسلام والعقل والزيتون

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=131750

العقل هو الإمام الذي يتبعه العلماء والفلاسفة في سبر أغوار هذا العالم. هو الدليل الذي مكّن الفلاسفة من إيضاح وتعريف الفضيلة والرذيلة قبل ظهور أي دين سماوي. هو الإله بالنسبة لأكثر المفكرين لأنه يرفض الانقياد الأعمى للغير ويهدينا إلى ما فيه منفعة الإنسان ودرء المخاطر عنه. ولهذا السبب حارب الإسلام العقل وسماه الشيطان الذي يوسوس في قلوب الناس ويزعزع إيمانهم الأعمى. والقرآن سمى مناقشة أي موضوع **"جدال"** *وحذر منه مراراً وحث المؤمنين على قبول ما يقال لهم دون إبداء أي رأي*، فقال، مثلاً:

{وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون. (الأنعام 121)}.
{وما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا (غافر 40)}.
{ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. (الحج 8)}.
{وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون (الحج 68)}.
{إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير. (غافر 56)}.
{ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله أني يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الجحيم ثم في النار يسجرون. (غافر 69-72)}.

فأي نقاش لآيات الله هو جدال *عقابه ربط السلاسل بالأعناق وسحب المجادلين في الجحيم ثم رميهم في النار*. وقد أسهب الفقهاء في **تسفيه العقل والإشادة بالإيمان الأعمى** لدرجة أن المؤيد في الدين هبة الله بن عمران الشيرازي الإسماعيلي، داعي الدعاة في عصر الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، قال:

"وأما قول الملحد في النجوم: إن الناس هم الذين وضعوا الإرصاد عليها حتى عرفوا مطالعها ومغاربها، ولا حاجة بهم إلى الأنبياء في ذلك. فلو كان الناس قادرين على مثل ما قاله لكانوا قاصري القدرة عن الكلام. فهم عن وضع الإرصاد على النجوم أعجز لولا النبي الذي يخبر عن السماء"[1].

هبة الله بن عمران يقول هذا الكلام وهو يعلم أن الأعراب رصدوا النجوم قبل مجيء النبي إليهم واهتدوا بها في صحرائهم الشاسعة، وحددوا بها الشهور الحرام وميقات الحج وعبدوها.
وعندما سألوا النبي عن الأهلة، لم يخبرهم بإرصادها إنما قال لهم:

[قل هي مواقيت للناس والحج].

فكان كمن فسّر الماء بالماء.
وقد روى أهل الحديث حديثاً عن النبي يقول:

[من قال بالقرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ][2]. والحديث قد أخرجه أبو داود، والترمذي والنسائي.

فالتفكير في آيات القرآن ومحاولة إبداء الرأي بها منهي عنه وقد أخطأ حتى المصيب في رأيه. ولهذا قال الرسول:

[هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون][3] أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود.

والمتنطعون هم المتعمقون في البحث والاستقصاء.
ويقول ابن تيمية:

"كلام الله ورسوله هو الإمام والفرقان الذي يجب إتباعه فيثبتون ما أثبته الله ورسوله وينفون ما نفاه الله ورسوله ويجعلون العبارات المحدثة المجملة المتشابهة ممنوعا من إطلاقها نفيا وإثباتا لا يطلقون اللفظ ولا ينفونه إلا بعد الإستفسار والتفصيل فإذا تبين المعنى أثبت حقه ونفى باطله بخلاف كلام الله ورسوله فإنه حق يجب قبوله وإن لم يفهم معناه وكلام غير المعصوم لا يجب قبوله حتى يفهم معناه"[4].

فكلام الرسول يجب الإيمان به حتى إن لم يفهمه الشخص، وحتى إن وصل إليه عن طريق العنعنة عن عشرين شخصاً كلهم ميتون لا يستطيعون إنكار ما أُلصق بهم.
وكنتيجة حتمية لهذه الآيات والأقوال حارب الفقهاء والخلفاء العباسيون علماء الكلام من أمثال ابن المقفع وابن الراوندي وابي زكريا الرازي وأبي عيسى الوراق، **واضمحل العقل الجمعي الإسلامي الذي بات يقتات الفتاوى كما تقتات الأنعام الحشيش**. وعندما قال جابر بن حيان بتقدم المعرفة الإنسانية مع الزمن، هب فقهاء الإسلام السنيون السلفيون ليقولوا لنا:

إن العلم كله كان عند النبي وأصحابه، ثم كان بدرجة أقل عند التابعين، وبدرجة أقل من ذلك عند تابعي التابعين، وهلم جرا، حتى ينتهي العلم نهائياً.

وقد صدقوا. فلم يعد في عالم الإسلام أي علم سوى علم الحيض والنفاس والنكاح.
وقد استغل بعض المسلمين هذه الحالة من الجهل المخجل في عالم الإسلام **ليتاجروا بالدين** ويصبحوا من الذين يكنزون الذهب والفضة والدولارات. وقد تنبه بعض غير المسلمين لهذه الظاهرة واستفادوا منها خير فائدة. فبعد اشتهار زعماء *الإعجاز العلمي للقرآن* جاء باكستاني مسلم يعمل بالسعودية بنظرية *الإعجاز الكيماوي لبئر زمزم* التي يقول الروائيون عنها أنها نبعت تحت قدمي الطفل إسماعيل عندما أحضرته أمه هاجر إلى صحراء مكة هرباً من سيدتها سارة زوجة النبي إبراهيم، رغم أنه لا يوجد أي دليل تاريخي علمي على حضور إبراهيم أو هاجر إلى صحراء مكة، فهما كانا في أرض كنعان (فلسطين).

ويبدو أن هذه البئر المعجزة قد نضب ماؤها بعد موت إسماعيل فأمر الله عبد المطلب جد النبي محمد بحفرها من جديد حتى قبل أن يولد نبي الإسلام[5].

فالبئر التي حفرها مشرك قد جعل الله فيها **معجزة كيماوية** كما يقول الباكستاني طارق حسين، الذي يزعم أن وزارة الزراعة السعودية قد اختارته ليدحض ما قاله دكتور مصري من أن **ماء زمزم ليس صالحاً للشرب**، مما أزعج الملك فيصل فأمر بالتحقيق. وقد زعم هذا الطارق أن الدكتور المصري بعث برسالة إلى الصحف الأوربية (بدون تحديد) يذكر فيها رأيه عن ماء زمزم. وقام هذا الباكستاني

---

[1] من تاريخ الإلحاد في الإسلام، د. عبد الرحمن بدوي، ص 112.
[2] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج3، فصل في أمهات مآخذ التفسير.
[3] إحياء علوم الدين للغزالي، ربع العبادات، ج2، ص 5.
[4] تعارض العقل والنقل، ج1، ص 29.
[5] السيرة النبوية لابن إسحق.

البارع بفحص ماء زمزم وأخذ عينات منه أرسلها إلى مختبرات أوروبا (دون تحديد). وأثبتت التحاليل من كل المختبرات الأوروبية أن ماء زمزم يحتوي على كمية أكبر من الكميات الموجودة في الآبار المجاورة من معادن الكالسيوم والماگنيسيوم. **وعزى السيد طارق نشاط الحجاج إلى هذه المعادن في ماء زمزم**. ولكن الأهم من ذلك، كما يقول طارق،

> فإن ماء زمزم يحتوي على مادة الفلورايد التي تقتل الجراثيم.

ويقول طارق، لا فُض فوه،

> إن ماء زمزم قد احتوى على نفس الكميات من المعادن والأملاح دون أي تغيير منذ أن وُجدت البئر حتى الآن.

ولكن السيد طارق لم يذكر لنا مَن الذي حلل مياة البئر عندما وُجدت حتى نعرف أن نسبة الأملاح لم تتغير من ذلك الحين. وإذا كانت نسبة الأملاح في ماء زمزم معروفة منذ أن وُجدت، لماذا طلب الملك فيصل تحليل الماء مرة أخرى؟ وأخيراً يقول السيد طارق

> إن تحليل ماء زمزم أثبت أنه خالي من أي جراثيم تسبب الأمراض.

ثم طلب السيد طارق من كل شخص يقرأ هذا البحث العظيم أن يرسله إلى معارفه حتى يكسب أجراً عند الله، ويكسب طارق دولارات عند السعوديين.

ويبدو أن أحد الذين استلموا هذه الرسالة لم يكن مسلماً ولا حتى مسيحياً وإنما بوذياً في اليابان، كما نقلت صحيفة الرأي العام السودانية. تقول الصحيفة إن الفضل في إثبات خصائص ماء زمزم الإعجازية:

> **"يرجع إلى الباحث الياباني ماسارو أموتو، رئيس معهد هاو للبحوث العلمية في طوكيو. وقد أثبت هذا العالم أن بلورات الماء حين تتعرض للبسملة عن طريق القراءة، تحدث تأثيراً عجيباً في شكل وخواص الماء. كما أكد أن ماء زمزم يمتاز بخاصية علمية لا توجد في الماء العادي حيث أن إضافة قطرة واحدة منه إلى ألف قطرة من الماء العادي تجعله يكتسب خواصه. وقد قال هذا العالم الياباني الذي هو مؤسس نظرية (تبلورات ذرات الماء) التي تُعد اختراقاً علمياً جديداً في مجال أبحاث الماء، ومؤلف كتاب (رسائل من الماء)، إنه قد حصل على ماء زمزم من شخص عربي كان يقيم في اليابان، وإنه قد لاحظ بعد إجراء الأبحاث عليه أنه لا يشبه في بلورته أي نوع من المياه في العالم أياً كان مصدرها، ولم تتمكن كل التجارب التي أجريت عليه في المختبرات والمعامل من تغيير خاصيته، كما أوضحت أبحاثه أن البسملة التي يستهل بها المسلمون أكلهم وشرابهم لها تأثير عجيب على بلورات الماء، وأن قراءة أسماء الله الحسنى على الماء تحدث ذات التأثير في شكله وخواصه."** انتهى.

ونلاحظ هنا أن إضافة نقطة واحدة من ماء زمزم إلى ألف نقطة من الماء العادي هي نفس نسبة تركيب الدواء في طريقة العلاج المعروفة ب homeopathy [†] (المعالجة المِثْلِيّة) التي ابتدعها بعض الدجالين اليابانيين.

ولا شك أن علماء اليابان لهم باع طويل في البحث والتقصي، وهاهم، وعلى رأسهم العالم ماسارو أماتو، قد أثبتوا بما لا يدع مجالاً للشك أن ماء زمزم ليس كمثله ماء آخر في العالم، كما أن الله ليس كمثله شيء. **ونعجز أن نعرف لماذا ظل السيد ماسارو أماتو بوذياً رغم كل هذه المعجزات التي أثبتها لماء زمزم وللبسملة؟**

أما الحقائق العلمية الأكيدة فتثبت أن ماء زمزم *يحتوي على كمية كبيرة من الملح* وكذلك *تعيش به كل الجراثيم* ويموت سنوياً المئات من الحجاج بداء الكوليرا الذي يصيبهم بعد أن يشربوا من ماء زمزم. وقد انتشرت الكوليرا قبل سنتين أو ثلاث في نيجيريا وبنغلاديش وباكستان بفضل ماء زمزم الذي أحضره الحجاج في قوارير. والأماكن الإسلامية المقدسة مياهها ليست مقدسة. ففي يثرب، مدينة الرسول، اكتشف العلماء في القرن التاسع عشر في مياه الآبار دودة تنمو تحت جلد الإنسان وتخرج ذيلها من الجلد عندما يبتل الجسم لتسبب قرحة مزمنة في الأرجل. وقد سموا هذه الدودة باسم المدينة Dracunculius medinensis وتوجد هذه الدودة بكثرة في أفريقيا والهند.

وطول باع علماء اليابان ظهر في معجزة قرآنية أخرى تخص التين والزيتون. فقد قام الأستاذ الدكتور طه إبراهيم خليفة، أستاذ النباتات والعقاقير بجامعة الأزهر وعميدها السابق بإرسال كمية من التين والزيتون إلى مجموعة علماء في اليابان كانوا يبحثون في مادة "الميثالويثونيدز" التي قيل إنها تؤخر أعراض الشيخوخة وتوجد في التين والزيتون. *وقد توصل العلماء اليابانيون إلى أن خلط كمية معينة من التين مع سبع كميات مماثلة من الزيتون تعطي أفضل النتائج*. وقد بحث الأستاذ طه إبراهيم في القرآن فوجد أن الزيتون قد ورد ذكره ستة مرات صريحة ومرة توريةً في سورة المؤمنون {**وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين**}. فتصبح آيات الزيتون سبع آيات مقابل آية واحدة يذكر فيها التين. **ولما أرسل الدكتور الأستاذ هذه المعلومة إلى العلماء اليابانيين أسلم رئيسهم ولكن للأسف استمر بقية الأعضاء في بوذيتهم.**

ومن المؤسف أن ابن البيطار (ت 1248م) أشهر عالم للنباتات في القرون الوسطى، ورغم أنه كان مسلماً يقرأ القرآن، لم يتوصل إلى هذه النتيجة التي ظلت محبوسة في المصحف على مدى ألف وأربعمائة سنة حتى اكتشفها اليابانيون بمساعدة الأستاذ طه إبراهيم خليفة. والمثل العامي يقول (يضع سره في أضعف خلقه).

وحتى بعض الغربيين استفادوا من موضة *الإعجاز العلمي في القرآن* وفي المياه الإسلامية المقدسة. فعندما كنت أعمل في الدمام دعت كلية الطب بجامعة الملك فهد بتلك المدينة أستاذاً كندياً أخصائي في علم التشريح، فجاء ليحاضر طلاب كلية الطب بالدمام عن **الإعجاز القرآني في مراحل تكوين الجنين**. وثمل الطلاب من ترديد ذلك الأستاذ الآية التي تقول إن الله قد خلق الإنسان من مضغة فعلقة فعظام ثم كسا العظام لحما، وكيف أن هذه الأطوار هي نفسها التي شاهدها الاستاذ في علم الأجنة (**وكان كاذباً**).

ووسط التكبير والتهليل نسي الطلاب أن يسألوا ذلك الأستاذ الكندي لماذا ظل مسيحياً رغم كل هذا الإعجاز.

وأغلب القراء ملمون بكتابات الجراح الفرنسي موريس بوكاي الذي عمل بالسعودية في أيام حياة الملك فيصل بن عبد العزيز. وتحت تأثير الأخير، ربما مادياً أو معنوياً، على الجراح، رجع الجراح إلى فرنسا وكتب عدة كتب ومقالات *حاول فيها خلط العلم مع أساطير القصص القرآني* ليخلق منها **معجزات** تُطبع وتوزع مجاناً في باريس.

إنه الجهل المخيف الذي خيّم على بلاد الإسلام رغم أنهم يقولون إن أول ما خلق الله العقل:

> "أول ما خلق الله تعالى "العقل" فقال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له أدبر، فأدبر. فقال عزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحسن منك. بك أعز وبك أذل."[6]

وإن أول آية نزلت من القرآن كانت آية {**إقرأ باسم ربك الذي خلق**}. وإن أول آلة خلقها الله هي القلم الذي كتب به الأقدار. ومع ذلك فأغلب المسلمين أميون لا يمسكون القلم وجهلة، يؤمنون بكرامات الأولياء ومعجزات ماء زمزم والتين والزيتون.

إنها عقدة النقص التي تجعلهم يبحثون عن شيء يتفوقون به على بلاد الغرب المتحضرة. وهيهات لهم ما يطلبون.

عودة إلى الفهرس

[†] **المعالجة المثلية**
complementary disease treatment system: a complementary disease-treatment system in which a patient is given minute doses of natural substances that in larger doses would produce symptoms of the disease itself

Microsoft® Encarta® 2009.

[6] الملل والنحل للشهرستاني، ص 52.

106 - عبث نواب الإخوان الأردنيين

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=132410

يحتل الإخوان المسلمون عدداً لا يُستهان به من مقاعد البرلمان الأردني، والمفروض في هؤلاء النواب أن يدافعوا عن حقوق الشعب الأردني الذي يطحنه الفقر وغلاء المعيشة. ولكن هؤلاء النواب، كنظرائهم في مجلس الشعب المصري، وفي إمارة غزة الإسلامية وفي السودان، **لا تعلوا أصواتهم إلا للدفاع عن الحجاب وبقية قشور الإسلام، ولا تنهض همتهم للدفاع إلا عن رسول الله وأزواجه،** أمهات المؤمنين، *كأنما الذي انتخبهم لتلك البرلمانات هم رسول الله وأزواجه*. وانتخاب العضو للبرلمان لا يمنعه من الدفاع عن معتقداته الدينية، ولكن واجبه أولاً وأخيراً، هو تمثيل المواطنين الذين انتخبوه والدفاع عنهم، بدل تقديم العزاء لأسرة أبي مصعب الزرقاوي الذي أساء إلى الشعب الأردني أبلغ إساءة عندما فجر الفنادق وقتل وأعاق العشرات من الأبرياء. ولكن حرص نواب الإخوان المسلمين على تشجيع ونصرة كل من يطيل لحيته ويلبس دشداشاً ويمتطي صهوة حصان الإسلام، طغى على مسؤوليتهم الوطنية.

ونفس هؤلاء النواب هاجوا وماجوا وهددوا بالانسحاب من البرلمان إذا ما أحال النائب العام النواب الثلاثة الذين قدموا العزاء في الزرقاوي إلى المحاكمة. *لكنهم تراجعوا عن موقفهم عندما أيقنوا أنهم سوف يفقدون مقاعدهم في البرلمان وكل الفوائد التي تصاحب هذه المقاعد*. واتفق نواب الإخوان المسلمين مع رئيس الحكومة في الاجتماع الذي ضمهم بعد العزاء، أن الولاء يجب أن يكون أولاً وأخيراً للأردن وملك الأردن وشعبه الصابر، وأيدوا قول رئيس الحكومة من:

"أن الاسلام اعظم واجل من تصويره بالصور السلبية التي يراد الحاقها بأرث هذا الدين العظيم."[1]

ولكن نواب الإخوان المسلمين في كل مكان *يتحدثون بلسانين*. فقد تعهد نواب حماس الذين شاركوا في مؤتمر مكة الذي عقده العاهل السعودي الملك عبد الله في فبراير 2007 للصلح بين حماس ومنظمة فتح، باحترام كل الاتفاقيات التي عقدتها المنظمة قبل انقلاب حماس في غزة. ولكن بمجرد وصول الوفد إلى غزة قال اسماعيل رضوان المتحدث باسم حماس إن الاتفاق الذي جرى في مكة المكرمة، لا يعني اعترافا بالكيان الاسرائيلي. واضاف قائلاً:

ليس مطلوبا من الحكومة ان تعترف بإسرائيل: منظمة التحرير اعترفت وهذا شأنها[2].

فرغم وعدهم للملك عبد الله أنهم يحترمون كل اتفاقيات منظمة فتح مع إسرائيل، وكانوا يعلمون علم اليقين أن إحدى تلك الاتفاقيات كانت اتفاقية كامب ديفيد التي اعترفت المنظمة بموجبها بإسرائيل، سرعان ما تنكروا لذلك الوعد. وفعل نواب الإخوان المسلمين الأردنيين نفس الشيء بعد اتفاقهم مع رئيس الحكومة بوضع مصالح الأردن والأردنيين فوق كل أعتبار آخر.

فهاهم اليوم قد أعلنوا في مؤتمر صحفي عقدته لجنة الحملة المسماة "حملة رسول الله يوحدنا" عن موافقة مدعي عام عمان د. حسن العبداللات قبول تسجيل دعوى ضد الرسامين الدنماركيين الذين رسموا الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة لرسول الله، والمباشرة بالاستماع الى شهادة المشتكين والتي بدأت بشهادة كل من النائب د. علي الضلاعين ورئيس "حملة رسول الله يوحدنا" د. زكريا الشيخ ونقيب تجار المواد الغذائية والتموينية خليل الحاج توفيق بحضور أعضاء اللجنة القانونية في الحملة ووكلاء المشتكين المدعين بالحق الشخصي المحاميين أسامة موسى البيطار وطارق الحوامدة[3].

ومن الغريب أن يُطعّم نواب الإخوان المسلمين دعوتهم القضائية بنقيب تجار المواد الغذائية والتموينية لأن هؤلاء معروفون منذ ظهور الإسلام **بأن معبودهم هو الربح** حتى إن دعا ذلك إلى أن يطففوا الكيل والميزان رغم تحذير القرآن لهم بالويل والثبور وعظائم الأمور. وقد أكد هذا الزعم أخيراً تجار ماليزيا، ذلك البلد الإسلامي الذي يعتبره بقية المسلمين قدوتهم في نجاح الدولة الإسلامية:

فقد شهدت الاسواق التجارية الكبرى في ماليزيا انطلاق دعوة من اصحابها للعملاء بمقاطعة المنتجات الهولندية، وقالت وسائل الاعلام الهولندية (الماليزية) أمس ان الاسواق التجارية الكبرى في ماليزيا قامت بوضع علامات حمراء على المنتج الهولندي وترك الحرية للمشتري في شرائها او الامتناع عن ذلك، مع وضع لافتة كبيرة تتضمن الاشارة الى انه "لا يمكن لأي شخص ان يحاكم ديانة الاخر"[4].

فأصحاب الأسواق التجارية قد عز عليهم سحب البضائع الدنماركية من الرفوف وتكبد الخسائر في سبيل نصرة رسول الإسلام، ففضلوا ترك القرار للمستهلك بعد أن حذروه أنه لا يجوز لأي شخص محاكمة ديانة أخرى (غير أن المسلمين يحق لهم الاستهزاء بمعتقدات المغضوب عليهم وأحفاد القردة والخنازير والهندوس الذين يعبدون الأبقار).

وطبعاً قرارهم هذا كان مبنياً على أن ماليزيا دولة ديمقراطية ولذلك تركوا اتخاذ القرار إلى المستهلك.

والمضحك المحزن في نواب الإخوان أنهم سموا حملتهم **"حملة رسول الله يوحدنا"** وتوحد المسلمين والعرب من سابع المستحيلات. فمنذ أن مات النبي قبل أربعة عشر قرناً والمسلمون يهزجون بهذه المقولة التي لن تتحقق أبداً لأن رسولهم أخبرهم أن أمته سوف تتفرق إلى ثلاث وسبعين فرقة. فإن كانوا يؤمنون بنبيهم المعصوم الذي لا يخطيء فعليهم بقبول استحالة الوحدة بين المسلمين. فلا رسول الله ولا القرآن يستطيع أن يوحدهم.

"ومن جانبه ، قال رئيس لجنة المتابعة والتنسيق للحملة الدكتور زكريا الشيخ في المؤتمر الصحفي الذي عقد بالعاصمة الاردنية إن الدعوى جاءت كرد حضاري وفعال على الصحف الدنماركية التي أساءت للحبيب محمد صلى الله عليه وسلم من خلال نشرها رسوما كاريكاتورية وصفت الرسول بالإرهابي، واصفا منفذي تلك الرسوم بالإرهابيين كونهم مسوا مشاعر مسلمي العالم تحت حجة حرية التعبير مؤكدا بان الدعوى التي تم تسجيلها هي خطوة أولى تجاه ملاحقة كافة الجهات التي تريد النيل من الإسلام والرسول الكريم"[5].

وهذه الفقرة الأخيرة تُظهر عبثية نواب الإخوان المسلمين، فهم:

- أولاً: نصّبوا من أنفسهم ممثلين لجميع مسلمي العالم حينما وصف د. زكريا الشيخ منفذي تلك الرسوم **بالإرهابيين كونهم مسوا مشاعر مسلمي العالم تحت حجة حرية التعبير**. فمن أدراه أن مسلمي استراليا أو الصين أو أمريكا قد مُسّت مشاعرهم؟ وأكد الدكتور أن لجنته سوف تقوم بملاحقة كافة الجهات التي تريد النيل من الإسلام، كأنما إخوان الأردن هم وكلاء المسلمين قاطبةً.

[1] إيلاف 2006/7/12.
[2] الشرق الأوسط 2007/2/10.
[3] إيلاف 22 أبريل 2008.
[4] الشرق الأوسط 3 أبريل 2008.
[5] إيلاف 2008/4/22.

- وثانياً: ادعى الدكتور، زوراً، أن القضية التي أقاموها تمثل رداً حضارياً على الصحف الدنماركية التي أساءت إلى حبيبهم المصطفى.

> وهذه علامة طيبة تدل على أن الأردن قد تحضّر في ظرف سنة واحدة. ففي العام الماضي قاد الإخوان مظاهرات همجية تندد بالدنمارك وقادوا حملة مقاطعة البضائع الدنماركية، رغم أن المزارعين والتجار الدنماركيين لم يكن لهم لا ناقة ولا جمل في تلك الرسوم. ولكن الآن قد تحضر الأردن وأصبح يجاري أمريكا في رفع دعاوي محلية ضد المعتدين على مقدساتهم من جميع أنحاء العالم.

ولا أدري ما هي النتيجة التي يتوقع نواب الإخوان الحصول عليها من رفع هذه الدعوى العبثية. هل سوف تستطيع الأردن إرغام الدنمارك على إرسال رسامي الكاريكاتير للمثول أمام المحكمة الأردنية؟ بأي سلطة يستطيع الأردن فعل ذلك وهم لم يستطيعوا إرجاع أحمد الجلبي بعد أن هرب من الأردن، ليحاكموه على سرقة ملايين الدولارات من البنك الذي كان قد أنشأه بالأردن، كما زعمت الصحف الأردنية وقتها. وأحمد الجلبي موجود الآن في العراق على بعد كيلومترات من الأردن. والأردن لم يستطع إحضار أبي قتادة، ذلك الأردني السلفي الداعي إلى الإرهاب، من لندن بعد أن حكمت محاكمهم عليه غيابياً بالسجن. فقد رفضت لندن تسليمه إلى الأردن لمعرفة القضاة الإنـگليز بأن أبا قتادة سوف يتعرض لأبشع أنواع التعذيب لاستخلاص "اعترافاته" بما يريده المحققون. فهل استطاع الأردن أن يفعل شيئاً لفرض هيمنة قوانينه؟

من العبث أن يضيع نواب الإخوان وقت وأموال دافع الضرائب في **دونكشيهيات** لا تعود عليهم ولا على شعب الأردن بأي فائدة. فمحاولتهم تقليد أمريكا في إقامة الدعاوي على أرضها ضد مواطني بلاد أخرى، ما هي إلا قمة العبث. أمريكا تستطيع بجبروتها وبدعمها المالي الخيالي الذي تقدمه لدول العالم الثالث أن تفرض إرادتها عليهم وتحاكم مواطنيهم في گوانتانيمو أو تفرض على ليبيا دفع تعويضات للمواطنين الأمريكان الذين تضرروا من قرصنة القذافي. فهل يستطيع الأردن الذي يعيش على المنح الأمريكية والأوروبية من فرض إرادته؟ ألم يسمعوا بالحكمة التي تقول "رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه"؟

> وقد طالب نفس العضو الإخواني "ورئيس تحرير صحيفة الحقيقة الدولية زكريا الشيخ ورئيس حملة "رسول الله يوحدنا" التي تشكلت عقب نشر صحف دنماركية رسوم مسيئة للرسول، قناة "الجزيرة" بالاعتذار بعد قيام الباحثة وفاء سلطان يوم الثلاثاء بـ"التطاول على الذات الإلهية والنبي محمد والدين الإسلامي الحنيف"[6].

وغريب أن تتطاول الباحثة الدكتورة وفاء سلطان على الذات الإلهية، حسب زعمهم، على قناة الجزيرة القطرية المسلمة، ولا يقيم الإخوان دعوى على قناة الجزيرة، لكنهم يقيمون دعوى على الصحف الدنماركية لأنها تطاولت على حبيبهم رسول الله. فالله نفسه لا يستحق إقامة الدعاوى القضائية بحقه، أما محمد بن عبد الله فهو الحبيب الذي تُحرق السفارات من أجله وتقام الدعاوى وتُعقد المحاضرات والندوات وتُجمع التبرعات لنصرته. ألا يُثبت هذا أن الإسلام ما هو إلا وثنية جديدة تعبد محمد والسيدة زينب والسيدة فاطمة وغيرهم من البشر؟

> **وربما يكون من المفيد أن نذكر أن إسرائيل، ذات الإمكانات والقوى التي تفوق قوى جميع الدول العربية مجتمعة، تفكر في إقامة دعاوى في المحاكم العالمية مثل المحكمة الدولية في لاهاي والمحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، ضد الدول العربية التي تشجع مقرراتها الدراسية وأجهزتها الإعلامية على كراهة اليهود**[7].

فإسرائيل تعلم أن إقامة دعاوى ضد الدول العربية في المحاكم الإسرائيلية لا تعدو أن تكون نوعاً من لعب الأطفال.

عودة إلى الفهرس

[6] إيلاف 2008/3/5.
[7] الشرق الأوسط 2008/4/23.

108 - الإسلام هو الإشكال وليس الحل

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=134309

لا شك أن كل من يتبع ديناً أو مذهباً يعتبر أن دينه أو مذهبه هو الأفضل وإلا لما اتبعه. وهناك ما لا يقل عن أربعين ديناً ومذهبا في عالم اليوم نذكر منها على سبيل المثال: اليهودية، المسيحية، الإسلام، البوذية، الكنفوشية، الهندوسية، الشنتو، السيخ، الأيزدية، الدروز (أهل التوحيد)، الذرادشتية، البهائية والرومني (الغجر). أغلب هذه الأديان سبقت الإسلام في الظهور، وجميعها تشترك في ثلاثة أشياء :

1- إقامة الشعائر الخاصة بالدين Rituals.
2- مجموعة قوانين أخلاقية أو شريعة Code of ethics.
3- فلسفة تشرح معنى الحياة Philosophy of life.

فلا أعلم بأي شيء يتفوق الإسلام على الأديان الأخرى وبأي حق يصبح نبيه أكرم خلق الله جميعاً. المهم أن الأديان التي سبقت الإسلام، باستثناء اليهودية، لم تقم باحتكار الحقيقة وعاش أتباعها في وئام مع الطبيعة ومع المخالفين لهم في المعتقد. وكانت، وما زالت فلسفتهم: **عش واترك الآخر يعيش،** أوما كما يقول الناطقون بالإنكليزية: Live and let live. وعندما جاءت اليهودية، احتكر اليهود الإله أو احتكر الإله اليهود وجعلهم شعبه المختار وتجاهل الآخرين، أو هكذا زعم اليهود. ومن وقتها انتهت مقولة: عش واترك غيرك يعيش. ورغم أن اليهودية لم تكن ديانة تبشيرية، بل كانت خاصة فقط ببني إسرائيل، إلا أن إله التوراة فرض على اليهود قتل المخالفين وتدمير معابدهم حتى لا يعبد الناس إلهاً غيره. إنه جنون العظمة.

وجاء الإسلام هجيناً بين اليهودية والوثنية، واختار من اليهودية أبشع قوانينها ومن الوثنية عباداتها وعاداتها من تعدد الأزواج والطلاق الثلاثي والحج وتقبيل الأحجار والأضاحي. وبعد أن استتب له الأمر، خطا إلهه خطوة أبعد من خطوة "يهوه" وقال إنه إله جميع البشر وبالتالي أصبح فرضاً على جميع البشر عبادة إله الإسلام فقط، لا غير، وأصبح كل دين غير الإسلام لاغياً. وعليه احتكر المسلمون الحقيقة الكاملة وسفّهوا معتقدات الغير. وكلما تقادم الزمن كلما زاد اعتداد المسلمين بأنفسهم وبدينهم الذي لا يقبل الله ديناً غيره.

- وانطلاقاً من هذه **العنجهية** كتب أحدهم مقالاً في صحيفة "الوطن" السعودية بتاريخ 22/4/ 2008، تحت عنوان "هذا الكتاب الجديد أسوأ من الرسومات". قال الكاتب:

> "اسم الكتاب وترجمته "لماذا تركنا الإسلام: مسلمون سابقون يتحدثون بصراحة". بداية، غلاف الكتاب صورة تخيلية مفترضة ممزقة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم. ثانياً، الكتاب يتضمن اعترافات وأحاديث لمن يزعمون أنهم كانوا مسلمين ولكنهم قرروا ترك الإسلام مثيرين تساؤلات حول الإسلام وحول القرآن الكريم. ثالثاً الكتاب يحتوي على عبارات مسيئة جداً إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم." انتهى

✍ ومن البديهي جداً أن أي شخص يترك الإسلام أو المسيحية أو أي معتقد آخر، لا يتركه اعتباطاً وإنما يتركه بعد أن يكون قد أيقن أن مجموعة قوانينه الأخلاقية لا تتفق وأخلاقيات ذلك الشخص، ولذلك ترك الإسلام أو غيره. والشخص الذي يترك ديناً ويعتنق آخراً أو يصبح لا دينياً، لا بد له أن ينفس عن نفسه ذلك الضيق والحرج الذي كان يشعر به قبل أن يترك دينه. ولا غضاضة في ذلك، رغم أن التنفيس يستدعي ذم ما يتركه الإنسان حتى يبرر لنفسه ترك ذلك المعتقد. فليس من المعقول أن يترك أي شخص ديناً ما ثم يمتدحه. *ونقد الرسول محمد لا يعني بالضرورة الإساءة له*، وربما لا يراه الناقد إساءة إنما إقراراً للحقائق. وكما قال ماركس: **نقد الدين هو أساس النقد**. ولكن لأن كاتب المقال المذكور يؤمن بأن تارك الإسلام يجب أن يُقتل، فهو يضيق صدراً بهؤلاء الرجال والنساء الذين تركوا الإسلام وقالوا رأيهم فيه. فهذا الرأي بالنسبة للكاتب يمثل تحدياً للمسلمين أكبر من تحدي الرسوم التي قالوا إنها مسيئة لرسولهم .ولا يبدو أن الكاتب قد قرأ الكتاب لأنه من غير المحتمل أن يكون الكتاب قد دخل المملكة، ومع ذلك يقول الكاتب إن الكتاب يحتوي على عبارات مسيئة للنبي. ولكن المسلم لا يحتاج أن يقرأ الكتاب حتى يحكم عليه. فرؤية عنوان الكتاب تكفي.

- ثم يسأل كاتب المقال:

> "هل أصبحت الدول الإسلامية ضعيفة الإرادة لدرجة أنه أصبح بإمكان أي شخص الإساءة لديننا وكتابنا ونبينا ونحن لا حول ولا قوة؟" انتهى.

✍ وبما أن فقهاء بغداد قد أغلقوا باب الاجتهاد في القرن الثاني عشر الميلادي، *فإن الكاتب يريد للدول الإسلامية أن تغلق باب نقد الدين الإسلامي في بلاد الغرب*. وطبعاً ليس من العدل أن نلوم شخصاً يعيش في مملكة آل سعود تحت سيطرة آل عبد الوهاب وسياط المطوعين، على عدم استيعابه ما يسمى في الغرب ب **"حرية التعبير"**. فالذي ترك الإسلام أو لم يتركه يستطيع أن يكتب رأيه بكل حرية، وإذا لم نوافق على ما يقول فنستطيع أن نرد عليه ونفند كتابه. فالموضوع لا يستدعي ضعفاً أو قوة من جانب الدول الإسلامية. وبما أن الإسلام، في نظر المسلمين، هو الدين الوحيد الصحيح وما غيره منسوخ، يجوز للمسلمين الإساءة لكل الأديان ولأتباعها، ولكن لا يحق لهؤلاء الأتباع نقد الإسلام، لأن ذلك يعتبر إهانة بالغة لحساسية المسلمين المفرطة. فعندما دعت بعض منظمات المجتمع المصري إلى عقد ندوة في دار الصحافة لمناقشة مشروع مناهضة التمييز الديني خاصة ضد البهائيين،

- اعترض جمال عبد الرحيم مساعد الأمين العام لنقابة الصحفيين على الاجتماع وقال:

> "إنه يرفض رفضا قاطعا أن تصبح نقابة الصحفيين منبرا للتبشير بالخرافات والخزعبلات للحركة البهائية المدعومة من الولايات المتحدة وإسرائيل. ثم شن هجوما على نقابة الصحفيين، قائلا إنه من العيب والعار عليها أن تسعى لتأجير قاعاتها لكل من هب ودب من أصحاب الفكر المنحرف دينيا من أجل تحقيق مكاسب مالية."[1] انتهى.

✍ فيجوز إذاً للسيد جمال عبد الرحيم أن يتجاهل مشاعر البهائيين ويصف معتقداتهم بأنها خرافات وخزعبلات. ولا يجوز طبعاً أن يقول البهائي إن الإسلام خزعبلات وخرافات لأن ذلك يجرح مشاعر المسلمين.

- وعندما كتب دكتور محمد عمارة كتابه ‹فتنة التكفير› وطَبَعته وزارة الأوقاف المصرية على نفقتها، وقال فيه:

> إن المسيحيين يتساوون مع الزنادقة والمجوس وعبدة الأوثان، وإن دماءهم مستباحة.

✍ لم يتحرك الجامع الأزهر أو أي شيخ إسلامي ليدافع عن المسيحيين. وعندما ثارت ثائرة الأقباط ورفعوا دعاوى على د. عمارة،

- قال الدكتور:

[1] صحيفة "المصريون" 2/4/2008).

إن الذنب ليس ذنبه لأنه نقل ذلك من كتب حجة الإسلام الغزالي، وناقل الكفر ليس بكافر.

- فإهانة المسيحيين، سواء من جانب د. عمارة أو من جانب الغزالي، مباحة في الإسلام لأن **مشاعر المسيحيين ليست بنفس أهمية مشاعر المسلمين**.

ولكننا نسأل: ما دام ناقل الكفر ليس كافراً، لماذا أحرق المسلمون الكنائس وقتلوا المسيحيين عندما نقل البابا بنيدكت السادس عشر من محاورة الإمبراطور عمانيويل مع العالم المسلم الفارسي الأصل؟ والجواب يكمن في أن القاعدة الإسلامية هي إنه يحق لدكتور محمد عمارة وللغزالي ما لا يحق للبابا المسيحي.

- يقول الشيخ المصري د. العوا في كتابه ‹للدين والوطن›:

"لا يجوز لرجال الدين المسيحي في المجتمع الذي غالبيته من المسلمين أن يناقشوا قضايا الدين الإسلامي وقضايا الفقه الإسلامي وقضايا الشريعة الإسلامية مناقشة مَن يقبل ما يعجبه ويرفض ما لا يوافق علي هواه... "فما كان فرضا في دين الإسلام فلا يسوغ لأهل الكتاب من الأديان مناقشته مناقشة المتشككين في صحة العمل به أو ضرورة الإلتزام بما تقرر منه، وألا كان هذا تجريحا للإسلام يوغر القلوب"[2].

- فالمسلمون يجوز لهم تشريح الكتاب المقدس للمسيحيين ورفضه جملةً وتفصيلاً لأنه محرّف، أما المسيحيون فلا يجوز لهم مناقشة الإسلام في بلد مثل مصر غالبيته من المسلمين.
- وقد شرّح ابن قيم الجوزية المسيحية في كتابه "هداية الحيارى" عندما قال عن حرب محمد لأمة المسيح:

"ثم قاتلها واذلها واخرجها من ديارها وضرب عليها الجزية ، واخبر انها من أهل الجحيم خالدة مخلدة لا يغفر الله لها وانها شر من الحمير ، بل هي شر الدواب عند الله" (ص 19).

- فكل هذا القدح والذم يجب أن يتغاضى عنه المسيحيون ولا يسمحوا له أن يوغر قلوبهم *لأن مشاعرهم أقل من مشاعر المسلمين وقلوبهم ليست صافيةً كقلوب المسلمين*.
- ويجوز للدكتور زغلول النجار أن يقول في حوار مع صحيفة "القاهرة" لسان حال وزارة الثقافة المصرية، بتاريخ 2005/9/27:

"لا توجد مقارنة بين نزاهة القرآن وبين هزاءة ورداءة ما يسمى بالكتاب المقدس، فهو مثل الكشكول جمعه اليهود للنصارى، فهو كتاب مليء بالأخطاء العلمية والأخطاء الدينية والأخطاء اللغوية، فلا يقارن أبداً بالقرآن الكريم، وهم أنفسهم لا يعتبرون أن هذا نص سماوي بل نصوص بشرية تعبر عن رسالات نبوية سابق"[3].

- ويجوز للمستشار المسلم المصري السيد نوفل أن يحكم على راعي الكنيسة القبطية، البابا شنودة، بمراجعة قوانين الزواج والطلاق المعمول بها في ذلك الدين ويفرض علي البابا منح السيد عاطف كيرلس تصريحاً للزواج مرة أخرى بعد أن طلق زوجته الأولى، مع أن شريعة الكنيسة لا تقر الزواج مرة أخرى .ولكن لا يحق للبابا شنودة إبداء الرأي في الشريعة الإسلامية، كما يقول د. العوا.

وليت المسلمين اكتفوا بإعلاء دينهم فوق كل الأديان الأخرى، ولكنهم يطالبون العالم الآن بالاعتراف بأن ممارسة الجنس مع الأطفال وضربهم واستغلالهم جنسياً بنشر صورهم العارية على الانترنت من أجل الكسب المالي، وتجاهل حقوق الطفل الذي يولد خارج مؤسسة الزواج، كلها أشياء محمودة ويجب على المصريين وغيرهم عدم تعديل قوانينهم لحماية هؤلاء الأطفال.

- فقد حاولت الحكومة المصرية أخيراً **وبعد صمت دام عشرات السنين** أن تُدخل بعض التعديلات على قانون حماية الطفولة، فهب حماة دين الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، لمنع الحكومة من تمرير هذه التعديلات.

"فقد بدأ البرلمان المصري مناقشة مشروع قانون مقدم من الحكومة يمنع توثيق الزواج الأقل من 18 سنة ويجرم ختان الإناث، واستغلال الأطفال جنسياً بأي طريقة مباشرة أو عبر وسائل النشر والبث العادي والالكتروني، ويعطي الحق في تسجيل المولود المجهول الأب، باسم والدته"[4].

- فكل شخص لدية ذرة من الإنسانية لابد أن يعتبر أن هذه التعديلات تمثل حجر الأساس في حماية إنسانية الأطفال المصريين، ولكن نواب الإخوان المسلمين بالبرلمان المصري **هبوا هبة رجل واحد** لإسقاط هذه التعديلات في القانون لأنها تتعارض والشريعة الإسلامية **السمحة**.
  - شريعة تبيح نكاح الطفلة في سن التاسعة،
  - وتجيز حرمانها من المتعة الجنسية بتقطيع عضوها التناسلي لأن الرسول قال [**اخفضي ولا تنهكي**]،
  - وشريعة تبيح إلغاء وجود الطفل الذي ولد سفاحاً لأن أحد المسلمين قد غرر بأمه فحملت سفاحاً، ولا ذنب لذلك الطفل فيما حدث، ولكن الرسول قال [**الولد للفراش وللعاهر الحجر**].
  - ومعنى هذا أن الطفل يتبع للأب وتُرجم أمه، ولكن عندما يكون الأب غير معروف، تُلغي الشريعة وجود ذلك الطفل فلا يُسجل باسم والدته ولا يكون لديه شهادة ميلاد ولا يستطيع دخول المدارس لأنه يفتقد الأوراق الرسمية. وباختصار يكون ذلك الطفل لا وجود له في القانون.

وهذا مما يُسعد نواب الإخوان المسلمين لأن مهمتهم في البرلمان المصري هي حماية الشريعة السمحة وليذهب أطفال مصر إلى الجحيم.

- ولا يكتفي المسلمون بفرض إرادتهم على الأقليات غير المسلمة في بلدانهم، فهم يريدون الآن فرض إرادتهم على بلاد الكفار في جميع أنحاء العالم. فقد أصدر سيف الإسلام القذافي تحذيراً إلى السيد برلسكوني، رئيس وزراء إيطاليا المنتخب حديثاً، أن يُلغي تعيين أحد الوزراء الذي كان قد لبس قميصاً قبل عامين مطبوعاً على صدره أحد صور الرسومات المسيئة لنبي الإسلام، وإلا سوف تقطع ليبيا الامدادات البترولية عن إيطاليا. ورغم أن ذلك الوزير كان قد استقال من الحكومة السابقة بسبب هذا القميص، فإن عقابه لابد أن يكون أبدياً ويُمنع من تولي أي منصب وزاري مدى الحياة لأنه تجرأ على إساءة خاتم الأنبياء.

ولو نظرنا إلى العالم اليوم، من الشيشنيا في الشرق إلى المغرب في الغرب، مروراً بالفلبين وإندونيسيا والعراق والصومال والسودان والجزائر وباكستان وأفغانستان وغيرها من البلاد، فلا نجد قتلاً ودماراً وتفجيراً إلا في البلاد الإسلامية أو البلاد الأوروبية التي سمحت للمسلمين بحق اللجوء السياسي. فلو زال الإسلام من وجه الأرض لزالت كل هذه الحروب وسفك الدماء. فالإسلام ليس هو الحل، كما يقول مرشحوا الأحزاب الإسلامية، وإنما هو الإشكال.

عودة إلى الفهرس

[2] مجدي خليل، إيلاف 2007/7/9.
[3] موقع الأقباط متحدون http://www.coptsunited.com
[4] الشرق الأوسط 23 أبريل 2008.

109 - الصلاة على محمد

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=135023

المسلمون مغرمون بادعاء أن الإسلام يحترم العقل وأن الله عُرف بالعقل. ولكن أفعالهم لا توحي بأي أهمية للعقل. فمثلاً، لا يُذكر اسم محمد بن عبد الله إلا ويردد المسلم "صلى الله عليه وسلم" كما تردد الببغاء بعض الكلمات المحفوظة. ويبلغ هذا الترديد **حد السخف** في بعض الحالات، فقد ردد أحدهم هذه العبارة ثلاث عشرة مرة في صفحة واحدة من كتابه. فما هي الصلاة التي يطلبها المسلمون لنبيهم؟ تقول الموسوعة الكويتية:

"الصلاة أصلها في اللغة: الدعاء، لقوله تعالى "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلواتك سكنٌ لهم" أي أدع لهم. وفي الحديث "إذا دُعيّ أحدكم (للطعام) فليجب فإن كان صائماً فليصلِ، وإن كان مفطراً فليطعم" أي إن كان صائماً فليدعُ لأرباب الطعام". انتهى .

فإذاً الصلاة هي الدعاء وهي كذلك الركوع والسجود.
والكلمة مأخوذة من الكلمة الآرامية (ص ل ا) ومعناها ركع وانحنى. يقول لسان العرب:

"الصلاة هي الدعاء والاستغفار. وقال أهل اللغة: الصلاة أصلها من الصلوين وهما مكتنفا الذنب من الناقة وغيرها، وأول موصل الفخذين من الإنسان، فكأنما هو مكتنفا العصعص. والمصّلي من الخيل: الذي يجيء بعد السابق (أي الثاني) لأن رأسه يلي صلا (أي مؤخرة) ظهر الحصان المتقدم". انتهى .

ويمكن أن يقال نفس الشيء عن المصلين في صلاة الجماعة إذ يلي رأس كل مصلي مؤخرة الشخص الذي يسجد أمامه.
ويقول القرطبي في تفسيره:

"أمر الله تعالى عباده بالصلاة على نبيه محمد دون أنبيائه، تشريفاً له، ولا خلاف أن الصلاة عليه فرض في العمر مرة، وفي كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التي لا يسع تركها إلا من لا خير فيه. فإن قلت الصلاة على رسول الله واجبة أم مندوب إليها؟ قلت: بل واجبة. وقد اختلفوا في حال وجوبها، فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره. وفي الحديث [من ذُكرت عنده فلم يصل عليّ فدخل النار فأبعده الله]". انتهى.

فالصلاة، رغم ما فيها من تعظيم للإله، هي دعاء يدعو به المصلي ربه أن يرحمه أو يرحم شخصاً آخراً. والصلاة كشعيرة من شعائر االعبادة كانت معروفة للناس منذ أزمان غابرة. والمجتمعات القديمة كلها من آكاديين وبابليين وسومريين وقدماء المصريين والهنود الحمر وغيرهم كانت لهم صلواتهم الخاصة التي يتقربون بها إلى آلهتهم. والقرآن يقول عن عرب ما قبل الإسلام {وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديةً فذوقوا العذاب بما كنتم تكذبون. (الأنفال 35)}. فالصلاة إذاً ليست عبادة إسلامية خاصة وليس هناك أي سبب يجعل الله يحصرها على محمد دون بقية الأنبياء.
وهناك أنواع من الصلاة ذكرها القرآن ولكنه لم يبين لنا كيفيتها، {ألم تر إلى الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه. (النور 41)}. فصلاة الطير حتماً ليس فيها ركوع وسجود. وليس بها دعاء لأن الطيور لا تعرف كلمات الدعاء. يقول ابن الإعرابي[1]:

"الصلاة من الله هي الرحمة، ومن المخلوقين – الملائكة والإنس والجن- القيام والركوع والسجود والدعاء والتسبيح، والصلاة من الطير والهوام هي التسبيح." انتهى.

ولا نعلم الطريقة التي عرف بها ابن الإعرابي أن صلاة الملائكة والجن هي القيام والركوع والسجود وصلاة الطير هي التسبيح. فابن الإعرابي حتماً لم ير الملائكة والجن وهم يركعون أو يسجدون، ولم يكن يفهم لغة الطير والهوام حتى يؤكد لنا أن صلاتهم هي التسبيح.

لا شك إنه الخيال الخصب لرجالات الدين.

وأنواع صلاة المسلم كثيرة ومتعددة، فهو يصلي على الميت ويصلي خوفاً عندما يحدث الكسوف أو الخسوف، ويصلي طلباً واستجداء للماء عندما تشح السماء بأمطارها، ويصلي صلاة الاستخارة طالباً من الله أن يختار له القرار الصائب. وكل هذه الصلوات ما هي إلا دعاء لله ليستجيب إلى طلباتهم، وكيفية هذه الصلوات معروفة.
ولكن كيف يصلون على النبي؟ فالمسلم حتما لا يقرأ القرآن ولا يركع عندما يصلي على النبي، فهل صلاته هي أن يدعو الله أن يرحم محمد ويدخله الجنة؟ فمحمد قد أخبرهم أن الله قد اختاره من جميع أبناء آدم ليكون رسوله المفضل وأعطاه الحق في أن يبشر بعض الناس بالجنة، فبشر العشرة المعروفين بالجنة. وقال لأصحابه إن حوضه في الجنة يسع الجميع. فهو إذاً من الذين رضي الله عنهم وهداه إلى الإسلام وضمن له الجنة ورزقه مالاً وولداً.

فبأي شيء آخر يدعو له المسلم؟ فالذي يدعو الله أن يرحم محمد ويعطف عليه يكون كمن يبيع المية في حارة السقايين .
وهذا يذكرني بالحادثة التي قتل فيها عُدي، ابن صدام حسين، أحد الطباخين بقصر والده، وأراد صدام خداع الناس فحبس عدي بالحراسة، فما كان من السيد وزير العدل وقتها إلا أن كتب خطاباً مفتوحاً إلى السيد الرئيس يقول فيه "إني أخاف على إبنك منك" وتوسل للرئيس أن يطلق سراح عُدي. ولم يكن هناك أي داع لخوف الوزير لأن الأب أرحم بإبنه من الوزير.

والله أرحم بنبيه من المسلمين .ثم أن المسلمين لا يقولون "اللهم صلي على محمد" وهو طلب الرحمة له، وإنما يقولون "صلى الله عليه وسلم". وصلى فعل ماضي يفيد أن الله قد صلى وانتهى من صلاته على محمد. فإذا كان هذا هو الحال، فما الفائدة من تكرار ذكر فعل قد حدث وانتهى؟ بعضهم سوف يقول **إن الفعل الماضي هنا يقصد به المضارع** كما نقول "غفر الله له" ونقصد "يغفر الله له" ولكن لماذا نستعمل الماضي ونعني المضارع؟ لماذا لا نستعمل المضارع ما دمنا نقصده؟

ولكنها مأساة العربي، يقول شيئاً ويقصد غيره، والقرآن مليء بهذا النوع من الأقوال.

بدأت قصة الصلاة على النبي بآية قرآنية تقول:

{إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما. (الأحزاب 56)}.

والأحزاب سورة مدنية جاءت بعد غزوة الأحزاب في العام الخامس الهجري. فالصلاة على النبي لم تبدأ إلا في العام الثامن عشر من بدء الرسالة.

- فما الذي استجد وقتها حتى يطلب الله من المؤمنين أن يصلوا على نبيهم؟

[1] هو ابو عبد الله بن زياد الأعرابي من أهل الكوفة، توفي عام 231 هجرية وكان من رواة الحديث وعلامة في اللغة العربية.

- وهل حقيقةً كان فرض الصلاة على محمد دون بقية الأنبياء كما يقول القرطبي؟
- فالعقل يحتار في تعليل فرض الصلاة على محمد فقط دون بقية الأنبياء والرسل، في حين أن الله قد قال إن إبراهيم هو خليله وإن موسى هو كليمه الذي تحدث معه مباشرةً دون واسطة، وإن يعقوب كان من أفضل أنبيائه لدرجة أنه جعل كل الأنبياء من ذريته ماعدا محمد، وإن عيسى بعضٌ من روحه الذي نفخه في فرج مريم، فلماذا يا تُرى حصر طلب الرحمة على محمد فقط؟
- وإذا كان هذا صحيحاً، لماذا يقول المسلمون في الدعاء: "اللهم صلِ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم"؟
- فالله الذي صلى على إبراهيم وآله، هل يُعقل أن يحصر صلاة الناس على محمد فقط؟
- وما دامت الصلاة هي الدعاء بالرحمة، فكيف يصلي الله على المؤمنين كافة، كما يقول القرآن:

{هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما. (الأحزاب 43)**}.**

ويقول القرآن كذلك:

{الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة. (البقرة 156-157)**}.**

فهل يدعو الله قوى أخرى لترحم المؤمنين عندما يصلي عليهم أم صلاته عليهم هي رحمته لهم؟ وإذا كانت كذلك، لماذا يطلب من الملائكة أن تصلي أي تدعو للمؤمنين بالرحمة وهو قد أكد أنه يرحمهم على كل حال لأنه قال إنه يصلي عليهم؟
ولماذا طلب من النبي أن يصلي على الذين يتصدقون:

{خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلواتك سكنٌ لهم}؟

وما دامت الصلاة هي دعاء، فلماذا يُحصر الدعاء على محمد فقط، فلا بد أنه يجوز للمؤمن أن يدعو الله أن يرحم أي شخص يختاره، ولله الحق في أن يرحمه أو لا يرحمه، رغم أنه يصلي على كافة المؤمنين.

وكتب الحديث تخبرنا عن حديث عبد الله بن أبي أوفي الذي قال فيه: كان رسول الله إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: [اللهم صلِ عليهم]. فأتاه أبي بصدقته فقال: اللهم صلِ على آل أبي أوفي.[2]

فالطلب من الله أن يصلي على المخلوق ليس مقصوراً على النبي كما يقول القرطبي. وإذا كانت صلاة الله على المؤمنين هي رحمته لهم، كيف نعلل ما حدث لملايين المؤمنين الذين يبدو أن الرحمة لم تشملهم فعانوا أقسى أنواع الموت في الزلازل والتسونامي والمجاعات، وبعضهم أطفال لا ذنب لهم بعد، فماذا حدث لصلاة الله على المؤمنين؟ وابن الأثير يقول:

"لما أمرنا الله سبحانه وتعالى بالصلاة على النبي ولم نبلغ قدر الواجب من ذلك أحلناه على الله وقلنا: اللهم صل أنت على محمد لأنك أعلم بما يليق به. وهذا الدعاء قد أختلف فيه، فهل يجوز إطلاقاً على غير النبي أم لا؟ والصحيح أنه خاص له ولا يقال لغيره." انتهى.

وقد رأينا في الفقرات السابقة أن الصلاة ليست مقصورة **على** محمد، ولكن كيف يقول ابن الأثير إن صلاة المسلمين على محمد لم تبلغ قدر الواجب فطلبوا من الله ان يصلي على محمد بنفسه، لأنه أعلم بما يليق به؟ هل كان الله لا يعلم أن صلاتهم لن تبلغ قدر الواجب عندما أمرهم أن يصلوا على محمد؟

- وأهل الحديث أدلوا بدلوهم في الصلاة على النبي، فقالوا:

عندما قيل للنبي: أرأيت قول الله عز وجل {**إن الله وملائكته يصلون على النبي**} فقال: [**هذا من العلم المكنون ولولا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به. إن الله تعالى وكل بي ملكين فلا أُذكر عند مسلم فيصلي عليّ إلا قال ذلك الملكان: غفر الله لك، وقال الله تعالى وملائكته جواباً لذينك الملكين: آمين. ولا أُذكر عند مسلم ولا يصلي عليّ إلا قال ذلك الملكان: لا غفر الله لك، وقال الله وملائكته لذينك الملكين: آمين**].[3]

ومن الواضح أن هذا الحديث يتعارض مع العقل تعارضاً تاماً لأن كلماته لا تتناسب وعظمة إله خالق. فكلمة "آمين" في اللغة تعني طلب القبول. فعندما يدعو الإمام ويقول المصلون خلفه "آمين" فهم يطلبون من الله أن يستجيب للدعاء، ومعناها الحرفي "استجب". فإذا قال الملكان الموكلان بمحمد للمسلم الذي يصلي عليه: غفر الله لك، كيف يقول الله "آمين" أي استجب.

ممن يطلب الله الاستجابة؟

- وهناك حديث آخر يقول:

[من صلى عليّ صلاةً صلت عليه الملائكة عشراً].

فالملائكة التي تقول "آمين" استجابةً لذينك الملكين، تصلي عشر مرات كذلك على كل مسلم صلى على محمد. فالملايين الذين يصلون على محمد في اليوم عشرات المرات تصلي عليهم الملائكة عشر أضعاف صلواتهم. **ما أطول يوم الملائكة**. ولكن الأدهى من ذلك أن الذي لا يصلي على محمد يدخل النار فيبعده الله، كما يقول الحديث النبوي [**من ذُكرت عنده فلم يصل عليّ فدخل النار فأبعده الله**]. أليس هذا عقاباً في منتهي القسوة لمؤمن لا يدعو الله أن يصلي على محمد وهو يعلم أن الله يصلي عليه سواء دعاه أم لم يدعه؟

- وبما أن أهل الحديث كانوا دائماً في تنافس وعداء، فقد جاء أحدهم بحديث أكثر أهمية إذ قال:

قال رسول الله: [**إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلّوا عليّ فإنه من صلّى عليّ صلى الله عليه عشراً**][4].

ولكن الله نفسه كان قد أخبرنا أنه يصلي على المؤمنين دون أي شرط، فلماذا يصلي المؤمن على محمد حتى يصلي الله عليه عشراً؟ هل صلاة الله الواحدة على المؤمن لا تكفي لإدخاله الجنة؟

- وما دام الله يصلي أي يرحم المؤمنين، لماذا طلب من نبيه أن يصلي على المتصدقين

{خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلواتك سكنٌ لهم}؟

- وأخيراً: لماذا لا يسأل المسلم نفسه: لماذا يكرر الصلاة على محمد في حين أنه يعلم أن الله يصلي عليه، سواء دعوناه أم لم ندعه؟ والأغرب من ذلك أن الله أخبرنا أنه يصلي على محمد وكذلك تفعل ملائكته، ثم قال للمسلمين:

{فصلوا عليه وسلموا تسليما}

أي أطلبوا له الرحمة مني. فما الحكمة في أن يأمر الله المسلم أن يدعوه ليرحم محمد وهو قد رحمه مقدماً وأخبرنا بذلك بنفسه؟

---

[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، سورة البقرة، الآية 49.
[3] الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي، ج6، سورة الأحزاب.
[4] الواسطة بين الحق والخلق، الإمام ابن تيمية، ص 14.

هل الله مغرم برؤية المسلمين والملائكة والجن يتوسلون إليه عشرات المرات في اليوم الواحد حتى يشعر بعظمتة وأهميته؟
ما أتفه دور العقل في التراث الإسلامي.

عودة إلى الفهرس

126 - أيهما أعظم عند المسلم... الله أم محمد؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=148497

الإنسان منذ أن عرف الحياة على هذه الأرض تعلّم أن يتعرف على الأشياء المحيطة به عن طريق البصر، ولكنه بعد فترة من الزمان عرف أن البصر قد يخدعه أحيانا فيظهر له السراب كالماء. وعندئذ تعلّم أن يتأكد مما يرى باللمس إن كان ذلك ممكناً، **فاللمس هو الاختبار الحقيقي لوجود الأشياء**. وتعلّم كذلك أن يستفيد من حاسة الشم لتنبهه إلى اقترابه من فريسة أو حيوان مفترس. وأضاف إلى ذخيرته حاسة الذوق وحاسة السمع، وبذا أصبح مهيئاً لحماية نفسه وكسب قوته. فالأشياء التي لا يعرفها بواحدة من هذه الحواس أصبحت أشياء فوق الطبيعة المحسوسة، أي ميتافيزيقية. وخبرة الإنسان في هذا المجال ما زالت ضيقة. ولذلك عندما أتاح اكتشاف الزراعة للإنسان الاستقرار وأعطاه الوقت للتفكير في ما وراء الطبيعة، اخترع الإنسان منظومة الآلهة السماوية. ولكن رغم هذا الاختراع ظل يتمسح بأصنامه وقدّم لها القرابين لا بقصد الحماية من تلك الأحجار وإنما لأنه جعلها وسيلة تسعى بينه وبين تلك القوى المهولة في السماء التي سماها بعدة أسماء حسب الزمان والمكان. ورجل الصحراء البدوي في القرن السابع لم يختلف كثيراً عن الإنسان البدائي في تفكيره وطرق اتصاله بالقوى الميتافيزيقية فاستعمل اللات والعزى للتعبير عن تلك القوى التي سماها "الله" أو "أل إله". ولأن الإنسان بطبيعته يعتمد على حاسة البصر أولاً ليرى الأشياء ثم على حاسة اللمس للتأكد من حقيقة الشيء المرئي، أصبح اللمس يعني **اطمئنان** الفؤاد بالنسبة له. وعندما يلمس الإنسان جسماً، سواءً أكان جسم أمه وهو صغير يرضع، أو جسم محبوبه وهو كبير، يشعر بالاطمئنان والراحة النفسية.

ولما جاء محمد بدينه الجديد وحطّم أصنام قريش ولم يعد لهم ما يلمسون، *استعاض المسلمون وقتها بلمس محمد والحديث معه للتأكد أنه سوف يكون الصلة بينهم وبين تلك القوى المخفية في فراغ السماء*. ولأن محمداً كان يتعامل معهم في حياتهم اليومية ويحل مشاكلهم ويحكم بينهم بما أنزل الله (حسب زعمه) ويوزع عليهم الغنائم والسبايا، **أي بمعنى آخر أصبح يرزقهم**، فقد أصبح محمد أيقونةً تمثل الله للمسلمين. **ولذلك عندما مات محمد بُهت المسلمون ولم يصدقوا موته لأن الإله لا يموت.**

وحتى صناديد الإسلام من أمثال عمر بن الخطاب لم يصدقوا لدرجة أن عمر استل سيفه وأقسم ليقطعن رأس من يقول إن محمداً قد مات. وجاء أبو بكر وقال مقولته الشهيرة "**من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حيّ لا يموت**".

وهم جميعاً كانوا يعبدون الله ولكن بتجسيده في محمد. وبعد أن تأكد المسلمون أن محمداً قد مات واختفى من مسرح الأحداث، كان لابد لهم من شخص يرونه أو يسمعونه ليتأكدوا من استمرارية دينهم. وجاء البخاري ومسلم وغيرهم من *مرتزقة الحديث* وحشوا رؤوس المسلمين بآلاف الأحاديث الموضوعة والمنسوبة لمحمد مما أعطى المسلمين راحة نفسية ناتجة عن سماع أقوال محمد وكأنهم يسمعون صوته، وبالتالي فهو ما زال معهم.

فالبخاري جعلهم يتمادون في عبادة محمد الذي يمثل لهم تلك القوى الغائبة، وقدسوا البخاري لأنه حفظ لهم أقوال معبودهم.

وبما أن الجهل الذي جعل الإنسان البدائي يخترع منظومة الأديان ما زال مستمراً في الأمة الإسلامية، سواء في العامة أو في الشيوخ الذين لم يدرسوا حرفاً واحداً خارج القرآن والأحاديث والسيرة والفقه، وسموا أنفسهم "علماء" و"ورثة الأنبياء"، **ظل محمد هو الممثل الشرعي لله والبخاري هو الممثل الشرعي لمحمد**. ولذلك ما يقوله البخاري وإن تعارض تعارضاً تاماً مع العقل، يقبله المسلم وشيخه دون أي نقاش أو تفسير. ولنضرب لكم مثلاً:

✍ يقول رب السماء ورب محمد في القرآن:

{يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون. (المائدة 105)}.
{إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم. (آل عمران 177)}.
{ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظاً في الآخرة ولهم عذاب عظيم. (آل عمران 176)}.
{إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا. (النساء 137)}.
{قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون. لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعفُ عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين. (التوبة 65- 66)}.
{وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد. (إبراهيم 28)}.
{ومن كفر فإن الله غني عن العالمين. (آل عمران – 97)}.
{وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. (الكهف 29)}.
{ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين. (يونس 99)}.
{إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم. (محمد 25)}.

كل هذه الآيات القرآنية تقول **بحرية المعتقد**، ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لأن كفرهم لن يضر الله شيئاً. حتى الذين آمنوا ثم كفروا ثم رجعوا وآمنوا مرة أخرى ثم كفروا وازدادوا كفراً، **لم يقل القرآن اقتلوهم ولم يقتلهم محمد**، لأنه لو كان قد فعل ذلك لما استطاعوا أن يرجعوا إلى الإسلام ثم يكفروا مرة أخرى ثم يزدادوا كفراً.

ولكن رب القرآن بعيدٌ في عليائه لا تراه العين ولا تلمسه اليد، والبخاري محسوس ويتكلم معهم ويلمسونه فيجلب لهم الراحة النفسية. فإذاً ما يقوله البخاري لابد أن يُنزل السكينة على قلوب المؤمنين. البخاري قال:

قال رسول الله: [**من بدّل دينه فاقتلوه**].

ونفهم من هذا الحديث **أن الله ذو وجهين**، يقول لنا شيئاً ثم يقول لمحمد شيئاً آخراً ويطلب منه أن يخبرنا به في شكل حديث. فالآية التي تقول: {**لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم**} جاءت في سورة التوبة التي نزلت حوالي سنة سبعة هجرية، أي هي من آخر السور التي نزلت من القرآن وقال الله فيها للذين كفروا بعد إيمانهم إنه سوف يعفو عن بعضهم ويعذب بعضهم، فلو جاء محمد بعد ذلك وقال: [**مَن بدل دينه فاقتلوه**]، فلن يخامرني أي شك بأن الله ذو وجهين ويتحدث بلسانين. لماذا لم يقل في القرآن "مَن بدل دينه فاقتلوه"؟ فهو قد قال: {**وما فرطنا في الكتاب من شيء**}. **ولكنّ المسلمين تجاهلوا صريح القرآن المكرر عدة مرات وجعلوا عقاب المرتد أن يُقتل بعد الاستتابة.**

بل ذهب بعضهم أبعد من ذلك وقالوا إن الذي يولد في أسرة مسلمة ثم يرتد، لا يُستتاب، ويستتاب من اعتنق الإسلام عن كبر. وهذا القول يبصق في وجه المنطق.

لو كنا سوف نقتل مَن يخرج من الإسلام، فالأولى بالقتل الشخص الذي اعتنق الإسلام في الكبر بعد أن شرحوه له وأفهموه أنه لا يستطيع الخروج منه بعد أن يعتنقه، أما الشخص الذي فرض عليه أبواه الإسلام وهو طفل ولم يكن له الخيار في الأمر، من الواجب أن نسمح له أن يقرر بعد أن يكبر إذا كان يود أن يستمر في اعتناق الإسلام أم يرغب في الخروج منه. والأدهى من ذلك أن **مرتزقة**

الإسلام لم يكتفوا بالبخاري بل أضافوا أحكاماً جديدة اخترعوها هم قياساً على البخاري وقالوا إن المسلم الذي ينكر شيئاً معلوماً من الدين بالضرورة، أو يشتم محمداً أو آل بيته، يُعتبر مرتداً ويُقتل ولا تُقبل توبته، رغم أنه يقول لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وقد نفهم لو كان محمد هو الله أو ابن الله فلا نشتمه ولا نشتم أحفاده، ولكن محمد الذي قال عنه القرآن **{وما أنا إلا بشرٌ يوحى إليّ}** ***فكيف نقدّس البشر ومن بعده نقدس زوجاته وأحفاده؟ هل ظل الله يوحي إليهم كما أوحى إلى أسباط بني إسرائيل؟ أم أنها عبادة الأصنام في شكلها الحديث؟***

✍ القرآن يقول في سورة النساء، وهي مدنية ونزلت بعد البقرة، أي في حوالي سنة أربع أو خمس هجرية، أي قبل موت محمد بحوالي خمس أو ست سنوات:

{واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعةً منكم فإن شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً. (آية 15)}.

والفاحشة هنا تعني الزنا لأن القرآن استعملها في ثلاث آيات عن قوم لوط وقال:

{ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين. (الأعراف 80)}،

وكلنا يعرف ماذا كان يفعل قوم لوط. وقال كذلك:

{ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشةً. (الإسراء 32)}.

وكذلك:

{ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشةً. (النساء 22)}.

فكلها آيات تربط بين النكاح والفاحشة.
وقال كذلك:

{والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم. (آل عمران 135)}

أي الذين زنوا في السر ولم يكتشف أمرهم فتذكروا الله واستغفروا، غفر لهم.
فإذاً ليس هناك شك في أن **القرآن قصد بالفاحشة الزنا** وقال عن المرأة التي ترتكب هذا الإثم أن يحبسوها في بيتها إلى أن يتوفاها الموت أو يجعل الله لها مخرجاً، ربما يكون بالزواج. وحتى يؤكد لنا القرآن مقصده قال في سورة النور:

{والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة. (النور 2)}.

وسورة النور هي آخر سورة نزلت من القرآن ويُفترض أن يكون الله قد أنزل فيها أحدث قوانينه وأوامره. ولكن البخاري أقرب إلى الشيوخ من الله الذي في السماء. والبخاري أتى بحديث يقول:

قال رسول الله: **[الولد للفراش وللعاهر الحجر]**.

وفجأة أصبح المسلمون يطبقون شريعة اليهود الذين حاربهم محمد لأنهم لم يتبعوه وقال عنهم القرآن إنهم من المغضوب عليهم ولعنهم مراراً. فإذا كان اليهود يتبعون شريعة مزورة وملعونين في القرآن، كيف يطبق المسلمون تلك الشريعة؟ **وبناءً على حديث البخاري أصبح الرجم هو عقاب الزنا وانتهى العمل بالحبس في البيوت وبالجلد للمتزوجين.** فالمسلمون طبقوا أقبح عقوبة عرفها الإنسان في تاريخه الطويل بناءً على ما قاله لهم البخاري نقلاً عن محمد، وتجاهلوا كلام الله الصريح الذي قال الزانية والزاني عقابهم الجلد ولم يحدد إذا كان الزاني متزوجاً أو أعزباً.

هل كان الله عاجزاً عن إيضاح الفرق بين المتزوج والعازب، أم نسي أن يذكر هذا الفارق المهم، أم تغافل عنه وترك المهمة لشيوخ الإسلام ليحددوها لنا وهو لم يفرط في الكتاب من شيء؟

✍ بالنسبة للمثلية الجنسية عند الرجال فالقرآن يقول:

{واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما إن الله كان تواباً رحيماً. (النساء 16)}.

فالأمر واضح بالأذى الذي هو الضرب. فإن تابا فلا سلطان لأحد عليهما، يعني أتركوهما وشأنهما. **ولكن أهل الحديث لا تعوزهم الحيل في الوصول إلى محمد بأسانيد وطرق أخرى، فقد رووا:**

"عن غسَّان بْن مُضر، عَن سعِيد بْنِ يَزِيد، عَن أَبِي نَضرةَ قَالَ: سُئِلَ ابْن عَباسٍ: ما حدُّ اللّوطِيّ؟ قَالَ: يُنْظَرُ أَعْلَى بِنَاء فِي القَرية فَيُرْمَى منه مُنَكَّساً، ثُمَّ يُتْبَعُ بِالحِجَارَةِ"[1].

وقال جُريج عن عطاء في الرجل يأتي الرجل، قال:

"سنته سنة المرأة" (نفس المصدر والصفحة).

فإذاً أصبح عقاب اللوطي هو الرجم رغم أن رب القرآن يقول: **{آذوهما فإن تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما}.**

✍ يقول القرآن:

{قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم ولي دين. (الكافرون 1-6)}.

يكرر القرآن، إلى حد الملل، عبارات {**ما أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد**} وهذا يعني أن للمسلمين دينهم ولليهود دينهم وللمسيحيين دينهم وللبوذيين كذلك وغيرهم. ثم في سورة البقرة المدنية بعد أن استتب لمحمد الأمر، قال لهم القرآن:

{لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي. (البقرة 256)}.

فالقرآن هنا كفل الحرية الدينية للناس. ولكن البخاري أقرب وحديثه أجمل (**كما كانت موائد معاوية أدسم والصلاة خلف علي أكمل بالنسبة لأبي هريرة**)، فقد روي عن أبي هريرة:

[نحن خير الناس للناس نسوقهم بالسلاسل إلى الإسلام][2].

---

[1] المصنف في الحديث والآثار لابن أبي شيبة، ج4، كتاب الحدود.
[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج4، سورة آل عمران، الآية 110.

وبهذا الحديث أصبح إجبار الناس على الدخول في الإسلام أمراً مسلماً به. وقد يقول قائل إن القرآن نفسه قال قاتلوهم: {**حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون**}. ولكن حتى في هذه الآية فقد ترك القرآن للناس خيار دفع الجزية ليظلوا على دينهم، بينما يقول أبو هريرة نسوقهم غصباً عنهم إلى الإسلام مكبلين بالسلاسل. وهذا ما فعله المسلمون في غزواتهم في شمال أفريقيا، وفي آسيا أجبروا الناس على الدخول في الإسلام أو القتل.

فمرة أخرى يعلو قول البخاري وأبي هريرة على القرآن.

✍ يقول القرآن عن غير المسلمين الذين لم يحاربوا المسلمين في الدين ولم يخرجوهم من ديارهم:

{**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين.** (الممتحنة 8)}.

ومعروف أن الفارسيين والهنود وأهل اليمن وأهل مصر الأصليين وغيرهم لم يحاربوا المسلمين في دينهم ولم يخرجوا أحداً من دياره، فالواجب على المسلمين أن يبروهم ويحسنوا إليهم لأن ربهم يحب المحسنين. ولكن الشيخ البخاري روى أن المسلم:

[لا يُسَلِمُ ابتداءً على كافر لقوله عليه الصلاة والسلام لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه][3].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن أعياد غير المسلمين:

"كذلك نهوا عن معاونتهم على أعيادهم بإهداء أو مبايعة وقالوا انه لا يحل للمسلمين أن يبيعوا للنصارى شيئا من مصلحة عيدهم لا لحما ولا دما ولا ثوبا ولا يعارون دابة ولا يعاونون على شيء من دينهم لان ذلك من تعظيم شركهم وعونهم على كفرهم"[4].

وشيوخ السعودية منعوا حتى بيع الزهور الحمراء لأنه يذكر الناس بعيد الحب الذي يحتفل به المسيحيون، بل منعوا حتى إهداء الزهور للمرضى لأنها عادة النصارى.

فحديث محمد يعلو على القرآن وعلى العلاقات الإنسانية التي تبوح بالحب للآخر، خاصةً إذا رواه البخاري.

✍ والقرآن يأمر محمد أن يقول:

{**قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون.** (الأعراف 188)}.

فالقرآن يقول محمد لا يعلم الغيب وهو بشر لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرا. ولكن مرتزقة الحديث جعلوه يعلم الغيب وينبئ أصحابه بما سوف يحدث، وصنفوا أحاديث عديدة مثل:

[ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة].

فمحمد هنا قد علم الغيب الذي سوف يحدث بعد آلاف السنين. ولم يكتفوا بذلك بل خلقوا له من المعجزات ما يفوق معجزات جميع الأنبياء مجتمعين رغم أن القرآن قال لهم عندما طالبوا محمد بإنزال المعجزات:

{**وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذّب بها الأولون.** (الإسراء 59)}.

والغريب أن أحد شيوخ المعتزلة الذي توفي في عام 409 هجرية واسمه عبد الله بن محمد بن أبي علان، قاضي الأهواز، صنّف كتاباً جمع فيه فضائل النبي وذكر له ألف معجزة[5].

ألا يتضح من هذا السرد **مدى وثنية هؤلاء القوم** التي تجعل محمداً بن عبد الله يتفوق على ربه في الأحكام؟

القرآن يقول محمد لا يعلم الغيب، والبخاري وبقية المسلمين يؤمنون بأنه يعلم الغيب.
القرآن يقول اجلدوا الزاني، والبخاري يقول محمد قال ارجموه، فيرجمونه.

وهذا مجرد غيض من فيض من التناقض بين ما يقوله القرآن وبين ما يقوله مرتزقة الحديث عن محمد فيعمل به المسلمون لأن محمداً هو معبودهم الأول الذي يتبركون ببوله وببصاقه ويقتتلون على ما يقع على الأرض من شعره أو غلامة أظافره حين يحلق رأسه أو يقلّم أظافره، *ويسلمون عليه في قبره ويقول لهم ابن تيمية أنه يرد عليهم السلام*، رغم أنه بشرٌ ميتٌ.

فالمرتبة الأولى في إيمان المسلم يحتلها محمد ويأتي بعده الأولياء مثل السيدة زينب وأئمة المذهب الشيعي، ثم يأتي الله في المرتبة الثالثة.

عودة إلى الفهرس

[3] تفسير روح المعاني للألوسي، سورة النساء، الآية 86.
[4] الفتاوى الكبرى، ج25، باب إخراج الزكاة.
[5] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين أبو المحاسن بن تغري بردي، حوادث سنة 409.

2008 / 5 / 26

110 - منطق الأطفال في الإيمان

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=135844

كل طفل صغير في بلاد الغرب يؤمن إيماناً قاطعاً بأن بابا نويل Father Christmas (Santa Claus) موجود ويعيش في منطقة نائية جداً اسمها "لابلاند Lapland"، وفي ديسمبر من كل عام يركب الأب نويل عربته التي تجرها غزلان مخصوصة تستطيع الطيران، فتطير بها، كما يطير البُراق، في سماء المدن ليوزع الهدايا للأطفال بعد أن يدخل البيوت عن طريق مداخنها. وعملاً بهذا الإيمان الذي لا يتزحزح، يكتب الأطفال خطابات مطولة قبل عيد الكرسماس للأب نويل يطلبون فيها كل أنواع اللعب التي يتمنونها، ويعدون في المقابل بأن يكونوا أطفالاً مهذبين وطائعين لوالديهم طوال العام. ويضع الأطفال هذه الرسائل على صدر المدخنة ليأخذها الأب نويل ويعرف منها طلباتهم. وعندما يفيق الطفل في الصبح ولا يجد رسالته للأب نويل حيث تركها، يزيد إيمانه بالبابا نويل، وهو لا يعلم أن أباه أو أمه قد أخذ الرسالة. والأمهات يلجأن إلى هذا الإيمان كلما أصبح سلوك الطفل مزعجاً لهن، فتهدد الأم طفلها بأنه إذا لم يحسّن سلوكه فإن بابا نويل لن يحضر إلى منزله.

وأطفالي، كبقية الأطفال في سنهم، كانوا يؤمنون ببابا نويل. وفي يوم من الأيام جاء إبني الأصغر من المدرسة والدموع تنسكب من عينيه لأن أحد الأطفال الكبار أخبره أن بابا نويل شخصية وهمية لا وجود لها وأن الهدايا يشتريها الأهل للأطفال. وكان سماع الحقيقة مؤلماً لإبني الصغير *لأنه حطم صورة جميلة في مخيلته عن شخصية أسطورية تُحسِن إليه* وتقدم له الهدايا ثواباً كلما حسّن سلوكه.

وفكرة بابا نويل هذه هي الفكرة الأزلية التي عرَفَتْها وآمنت بها الشعوب البدائية حينما كان الوعي الإنساني في مرحلة الطفولة. **وطفولة الفكر الإنساني استمرت فترة أطول بكثير من فترة طفولة الأشخاص**. فالإنسان قد وجد على هذه الأرض منذ حوالي مليونين من السنين، كان الفكر الإنساني في معظمها في طور الطفولة. وحتى عندما ظهرت الأديان "السماوية" مع ظهور موسى قبل حوالي ثلاثة أو أربعة آلاف عام، كان الفكر الإنساني ما زال يحبو. وآمن بنو إسرائيل بموسى وبالوعود التي قطعها لهم عن إلههم "يهوه". ورغم مرور آلاف السنين ما زال هناك بعض من أتباع موسى يضعون رسائلهم إلى بابا نويل في شقوق حائط المبكى Wailing Wall بالقدس، ويعتقدون جازمين، أنه سوف يقرأ تلك الرسائل.

ونسبةً لتفاوت الأوضاع الاجتماعية فقد كانت هناك مجتمعات مثل المجتمع الأثيني في اليونان، بدأت النمو الفكري قبل غيرها، فظهر فيها الفلاسفة مثل سقراط وأفلاطون وأرسطوطاليس، الذين حاولوا سبر غور هذا العالم. وفي المقابل، **ورغم مرور سبعة أو ثمانية آلاف عام، فقد استمرت طفولة الفكر في جزيرة العرب مما أدى إلى ظهور "خاتم" الأنبياء محمد، فآمن به غالبية الأعراب، خوفاً أو طمعاً**. ورغم إيمان الغالبية فقد كان هناك قليل من العقول التي بدأت تتخطى طور الطفولة، وعرفت أن بابا نويل لا وجود له إلا في الخيال، وأن هداياه وألعابه الموعودة في الحياة القادمة ما هي إلا وسيلة يستعملها الآباء والأمهات (رجال الدين والحكام) لحمل الناس على تحسين سلوكهم وإبداء الطاعة العمياء لهم، فقال الوليد بن يزيد:

تلاعب بالخلافة هاشمي   بلا وحي أتاه ولا كتاب
فقل لله يمنعني طعامي   وقل لله يمنعني شرابي

وقد استغل أصحاب الأديان فترة طفولة الفكر الإنساني **لنشر معتقداتهم**.

- وكمثال لذلك نجد القرآن يخاطب المستمعين بمنطق قصص الأطفال. فهو مثلاً، يقول عن إبراهيم:

> **{فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون.** (الأنعام 77، 78)}.

فالمنطق هنا أغرب من الخيال. إبراهيم كان رجلاً بالغاً عندما زعم أنه نبي، وهو حتماً رأى الشمس والقمر آلاف المرات وهو طفل ينمو وعرف أنهما يأفلان كل يوم. فكيف يقول إن القمر ربه ثم لما يأفل يغير رأيه في اليوم التالي ويقول إن الشمس هي ربه؟ فهو لا شك عرف مقدماً أن الشمس سوف تغيب في نفس ذلك اليوم وسوف تشرق في اليوم التالي. ثم أن قومه في مدينة أور بالعراق لم يكونوا يعبدون الشمس في ذلك الوقت حتى يقول لهم {إني بريء مما تشركون}، فالقرآن يخبرنا أنهم كانوا يعبدون الأصنام وأن إبراهيم حطّم أصنامهم قبل أن يدَّعي النبوة. وفي الواقع هم لم يعبدوا الأصنام ولم يعبدوا الشمس، فقد كانوا في ذلك الوقت ملمين بآلهة السماء ويعرفون مردوخ وجلجامش وغيرهم من الآلهة، وكانوا يحتفلون كل عام بانتصار آلهة الخير على آلهة الشر (أليوش ايناما)، وقد عرفوا خلق الآلهة من الماء الأزلي، وما إلى ذلك.

- ثم يأخذنا القرآن بمنطق طفولي آخر فيقول في **تشجيعه للعنف**:

> **{الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن قالوا ربنا الله فلولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لَهُدِمَتْ صوامعٌ وبِيَعٌ وصلوات ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.** (الحج 40)}.

أي منطقٍ هذا؟ الله يقول لولا أنه جعل الناس يتصادمون ويتقاتلون، لهدموا الكنائس والمساجد وكل أماكن العبادة. ولأن هذا المنطق أغرب من الخيال، لجأت إلى الإمام القرطبي لأرى تفسيره لهذه الآية، فقال:

> "أي لولا ما شرعه الله تعالى للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك وعطلوا ما بنته أرباب الديانات من مواضع العبادات، ولكنه دفع بأن أوجب القتال ليتفرغ أهل الدين للعبادة. فالجهاد أمر متقدم في الأمم، وبه صلحت الشرائع، فكأنه قال: آذن في القتال، فليقاتل المؤمنون. فلولا القتال والجهاد لغُلب على الحق في كل أمة. فمن استبشع من النصارى والصابئين الجهاد فهو مناقض لمذهبه إذ لولا القتال لما بقى الدين الذي يذب عنه. وأيضاً هذه المواضع التي أُتخذت قبل تحريفهم وتبديلهم وقبل نسخ تلك الملل بالإسلام إنما ذكرت لهذا المعنى، أي لولا هذا الدفع لهدم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى الصوامع والبيع وفي زمن محمد عليه السلام المساجد." انتهى

فحسب منطق القرآن، لو عاش الناس بدون قتال، أي في وئام تام، لهدموا الكنائس والمساجد. ولكن لأن الله أباح لهم القتال، فقد حافظوا على الكنائس والجوامع.

ولو قرأنا العهد القديم لوجدنا أن الإله "يهوه" **قد أمر أتباعه بقتل الكنعانيين وتحطيم كل أماكن عبادتهم**. وكان لابد للكنعانيين أن يردوا الصاع صاعين، فحطموا معابد اليهود. والمسيحية التي كانت مسالمة لم تعرف هدم المساجد إلا في القرن الحادي عشر عندما بدأت الحروب الصليبية كرد فعل على حروب المسلمين واستيلائهم على أماكن المسيحية المقدسة. ولكن أتباع محمد قد هدموا آلاف الكنائس وأقاموا مكانها مساجدهم بعد أن حاربوا وانتصروا على غيرهم من الأقطار. والآن في العراق، ومع استمرار القتال، يحطم الشيعة مساجد السنة ويحطم السنة مساجد الشيعة ويحطم الاثنان كنائس المسيحيين والصابئة والأيزدية وغيرهم من الأديان. فدفع الناس بعضهم ببعض لم يمنع، بل زاد في هدم الكنائس والصوامع والبيع (البيع هي أماكن تعبد النصارى كما يقول القاموس المحيط)

والمساجد. وكما تقول الحكمة الإنسانية "العنف يولد العنف Violence begets violence" فالإنسان وصل إلى هذه الحكمة بعد تجارب مريرة من الحروب استمرت عدة قرون واقتنعوا بعدها أن السلم أفضل لهم.
وكما ذكرت سابقاً فإن عمر الإنسان على هذه الأرض يُقدر بحوالي مليونين من السنين، ومع أننا لا نعرف بالتحديد بداية عبادة الإنسان للأسلاف والأصنام، **فإننا نعرف أن تعدد الآلهة والأصنام لم يسبب أي حروب بين الناس**. وقد اكتشفنا معابد قديمة يرجع تاريخها إلى عشرات الآلاف من السنين مما يدل على أن الإنسان البدائي لم يحطم المعابد.

ولكن مع ظهور ما يُسمى بالأديان السماوية بدأ القتال وهدم المعابد.

وفي أوربا توقف القتال بينهم منذ أكثر من ستين عاماً ولم يُهدم مسجد أو كنيسة أو معبد طوال هذه المدة إلا في الحرب بين صربيا والبوسنية وكرواتيا حينما دمر كل جانب معابد الجانب الآخر. ولكن المنطق الإلهي يخبرنا أنه لولا القتال لهُدمت أماكن العبادة. **إنه منطق الأطفال الذي لا يرى غرابة في جمع المتناقضات**. حكى لي طبيب من نيجيريا أنه في مرة من المرات كان يعالج طفلاً أبيضَ، وبعد أن نظف الجرح ووضع عليه الضمادات، صاح الطفل: "Doctor! Your face is black". فهذا الطفل لم ير من الدكتور غير وجهه الأسود وتخيل أن بقية جسمه أبيض كجسم الطفل نفسه. ففي منطق ذلك الطفل يمكن أن يكون وجه الطبيب أسودَ وجسمه أبيضَ.
والمؤمن بأي دين لا يسأل عما يقوله له رجال الدين **حتى لا يتطرق الشك إلى عقله**. فنحن نعرف أن الديانة الهندوسية وكذلك البوذية، من أكثر الديانات سلماً، فهم لا يؤمنون بالعنف ولو كان ضد الحيوان، وهما ديانتان أقدم من الإسلام، ومع ذلك لم يهدم أي فريق منهما أماكن عبادة الفريق الآخر، رغم أنهم عاشوا معاً في الهند آلاف السنين. ولكن عندما غزا ابن القاسم الثقفي السند والهند، حطم معابد الفريقين ونهب مجوهراتها. فالقتال الذي فرضه إله الإسلام أدى إلى هدم المعابد والبيع والصوامع، وليس عدم القتال كما يقول القرآن، ولكن المسلم لا يفكر فيما يقوله القرآن وإنما يؤمن به إيمان الأطفال في بابا نويل.
✍ وفي منطق آخر أغرب من الأول يقول القرآن:

{ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى. (طه 124)}.

ونفهم من هذه الآية أن الذي لا يؤمن بإله الإسلام سوف تكون معيشته في الدنيا ضنكاً أي يعيش حياة صعبة من الفقر والهوان. ولكن عندما ننظر حولنا نجد أن الذين لا يؤمنون به يتمتعون بكل ملذات الحياة والمال والجاه. والذين يؤمنون به ويذكرونه في بنغلاديش وباكستان والصومال يعيشون في فقر مدقع وأمراض فتاكة وأكواخ لا تقيهم البرد ولا المطر. ولأني شككت في فهمي للآية التي تعارض ما نراه واقعاً، رجعت إلى القرطبي مرة أخرى، فوجدته يقول:

"معنى ذلك أن الله عز وجل جعل مع الدين التسليم والقناعة والتوكل عليه وعلى قسمته، فصاحبه ينفق مما رزقه الله بسماح وسهولة ويعيش عيشاً رافغاً، كما قال تعالى، "فلنحيينه حياةً طيبة" والمُعْرض عن الدين مستولٍ عليه الحرص الذي لا يزال يطمح به إلى الازدياد من الدنيا، مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الإنفاق، فعيشته ضنك وماله مظلمة، كما قال بعضهم: لا يعرض أحد عن ذكر ربه إلا أظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه، وكان في عيشة ضنك." انتهى.

فهل حقيقةً أن الذين لا يؤمنون بإله الإسلام ولا يذكرونه تكون أيديهم مغلولة ومسلط عليهم الشح؟ من الذي يتبرع بالملايين كل عام للبلاد المنكوبة بالزلازل والفياضانات؟ هل يتبرع المسلم العادي أو شيوخ الإسلام بأموالهم لمنكوبي الزلازل في أمريكا اللاتينية أو في الصين أو بورما التي مات فيها حديثاً أكثر من ثلاثين ألف شخص نتيجة الإعصار "نرجس"؟ المسلمون لا يتبرعون إلا نادراً، ولفلسطين فقط، بينما يتبرع المسيحيون لكل المنكوبين وفي جميع أنحاء المعمورة. وهل الذي لا يعرض عن ذكر ربه لا يتشوش عليه رزقه، كما يقول القرطبي؟ ما الذي حدث لمسلمي الصومال وإثيوبيا الذين تضربهم المجاعات كل عام وقد رأينا أطفالاً منهم أنهكم الجوع ومات ذويهم، فجلس أحد الأطفال، وهو عاري، على الأرض في انتظار الموت، بينما حط بالقرب منه الرخم[1] في انتظار أن ينقض عليه عندما يموت. **مرة أخرى منطق القرآن يقول بغير الواقع.**
✍ وكتب التراث مليئة بما يشبه **قصص الأطفال**، ولكنّ المؤمنين يصدقون بها كأنها حدثت أمام أعينهم.

من هذه القصص قصة الرجلين اللذين زارا محمد وهو طفل لم يبلغ الثانية من عمره عندما كانت ترضعه حليمة السعدية. فجاء الرجلان ومحمد يلعب مع أخيه من الرضاعة خلف خيمتهم، فشقا صدره وأخرجا قلبه وغسلاه بماء معزٍ في طست من الذهب، ثم أرجعا القلب إلى مكانه وتركاه، كما يقول ابن كثير في مختصر السيرة. **وحليمة وزوجها لم يريا هذين الرجلين إنما أخبرهم طفلهم ذو السنتين من العمر بهذه القصة، فصارت تراثاً إسلامياً.**

وفي حديث متفق عليه بين الشيخين

عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس
قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً، أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟
قالت: نعم، فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخذت خماراً لها فلفّته فيه، ودسّته تحت ثوبي، وأرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدته جالساً في المسجد ومع النّاس، فقمت عليهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرسلك أبو طلحة؟
قلت: نعم
فقال لمن معه: " قوموا"
قال: فانطلق وانطلقت بين أيديهم، حتى جئت أبا طلحة فأخبرته
فقال: يا أمّ سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنّاس وليس عندنا ما نطعمهم،
فقالت: الله ورسوله أعلم،
قال: فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل معه حتى دخل،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هلمّي ما عندك يا أمّ سليم "، فأتت بذلك الخبز،
فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتّه وعصرت عليه أمّ سليم عكّة لها فأدمته، ثم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقول،
ثم قال: " ائذن لعشرة "، فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا،
ثم قال: " ائذن لعشرة "، فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، فأكل القوم وشبعوا، وهم سبعون أو ثمانون رجلاً .[2]

يقول الشيخان البخاري ومسلم بهذه القصة ويخبرانا كذلك أن النبي رهن درعه لليهودي لأنه جاع ولم يجد قوتاً لنفسه أو لأهله.

الإيمان بالأديان والمنطق لا يقتسمان سريراً واحداً، فهما ضرتان تكره كل منهما الأخرى وإن تظاهرتا أمام الناس بأنهما تحبان بعضهما. والمؤمن بأي دين ورثه وهو طفل، لا يتطلب برهاناً عليه ولذلك يقبل منطق الأطفال الذي يقدمه له كتابه المقدس.

عودة إلى الفهرس

[1] نوع من الغربان ابيض يحط على الجيف.
[2] التاريخ الإسلامي للذهبي، ج1، ص 88.

2008 / 6 / 21

111 - لا فرق بين الإسلام وغيره من الأديان

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=138549

كل مسلم يزعم أن الإسلام هو الدين الوحيد الحقيقي وهو أكمل دين ظهر على وجه الأرض، وأنه الدين الذي لا يقبل الله غيره من عباده. والقرآن يؤكد هذا الزعم حينما يقول:

{من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. (آل عمران 85)}.

فإله الإسلام لا يقبل غير الإسلام ديناً، ولكن ما هو الإسلام؟

يقول المنجد:

"أسْلَمَ: إنقاد أو تدّين بالإسلام. وأسْلَمَ أمره إلى الله: سَلّمه له. تسالم القوم: تصالحوا وتوافقوا. استسلم: انقاد للآخر. السِلْم: المسالم، يقال: قومٌ سِلْم أي مسالمون. سَلَمَ: لدغته الحية. والسليم هو الملدوغ".

فإذاً الإسلام هو **الاستسلام** لله والانقياد له، وليس السلام كما يزعمون.

ونأتي الآن لتعريف المسلم. مَن هو المسلم؟ وسوف نبحث عن الجواب في القرآن.

- حسب التاريخ المتوفر لنا فإن أول نبي بعد آدم هو نوح. فماذا كانت ديانة نوح؟

{وقال نوح لقومه فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين. (يونس 72)}.

فنوح إذاً كان أول مسلم. وبما أن قوم نوح لم يصدقوه ولم يؤمن به إلا زوجته وأولاده وأزواجهم، فإن عديد المسلمين الذين نجوا من الطوفان كان قليلاً وربما انقرض إسلامهم مع مرور الزمن.

- ثم جاء إبراهيم.

{ما كان إبراهيم يهودياً ولكن كان حنيفاً مسلما. (آل عمران 67)}.
{ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله أصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون. (البقرة 132)}.
{ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين. إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين. (البقرة 130، 131)}.
{أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون. (البقرة 133)}.

ورغم أننا لا نعرف ما هي ملة إبراهيم إذ ليس هناك أي كتاب أو وثيقة تاريخية تعود إلى أيام إبراهيم لنعرف منها الدين الذي أتى به، إلا أننا نستطيع أن نقول إن إبراهيم كان مسلماً كما يقول القرآن، وبالتالي فإن أحفاده يعقوب وإسماعيل وإسحق كانوا كذلك مسلمين، كما يؤكد لنا القرآن، رغم أنهم أجداد اليهود.

- وجاء موسى، فقال عنه القرآن:

{وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين. (يونس 84)}
{إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا. (المائدة 44)}.

فموسى وقومه من بني إسرائيل كانوا مسلمين. والتوراة كتاب يحكم به الذين أسلموا.

- ثم جاء سليمان بن داود:

{إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا عليّ وآتوني مسلمين. (النمل 30-31)}.

- وعندما جاءته بلقيس قال:

{فلما جاءت قيل أهذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين. (النمل 42)}.
{قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لُجةً وكشفت عن ساقيها قال إنه صرحٌ ممردٌ من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمتُ مع سليمان لله رب العالمين. (النمل 44)}.

فسليمان وكذلك بلقيس ملكة سبأ كانا مسلمين، وبالتالي فإن أحفادهما لابد أنهم اعتنقوا الإسلام.

- وجاء بعد ذلك النبي لوط، فقال القرآن عن القرية التي كان بها لوط:

{فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين. (الذاريات 32-33)}.

فبيت لوط كانوا مسلمين.

- وجاء بعده يوسف:

{رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض انت وليّ في الدنيا والآخرة توفني مسلماً والحقني بالصالحين. (يوسف 101)}.

فالنبي يوسف كان مسلماً. وعليه يمكن أن نقول أن إخوانه العشرة وأباهم كانوا مسلمين.

- واليهود الذين عاصروا نزول القرآن آمنوا به وقد كانوا من قبله مسلمين، كما بينا سابقاً و كما يخبرنا القرآن:

{الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون. وإذا يُتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين. (القصص 52، 53)}.

فيهود الجزيرة كانوا مسلمين من قبل أن يأتي الإسلام.

- ثم ظهرت المسيحية مع ظهور المسيح ابن مريم، فقال القرآن إنّ الحواريين كانوا مسلمين:

{فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأنا مسلمون. (آل عمران 52)}.

ثم أكد لنا الله أنه أوحى إلى الحواريين أن يسلموا، فقال:

{وإذ أوحيتُ إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا وأشهد بأنا مسلمون. (المائدة 111)}.

إلى هنا ونحن في صحبة المسلمين من نوحٍ إلى المسيح ومروراً بيعقوب وإسحق وموسى ويوسف وجميع بني إسرائيل.

فما الذي استجد ليجعل الله يرسل رسولاً جديداً للمسلمين؟

لا شيء كان قد تغيّر في شبه الجزيرة العربية غير ظهور رجلٍ ذكي عرف كيف يستغل الشعور بالقومية، فجعل من العرب أمة مسلمة تنافس اليهود، وجعل نفسه أول مسلم رغم أن القرآن الذي أتى به يخبرنا أن كل الأنبياء قبله كانوا مسلمين.

- فهاهو يقول:

{قل أغير الله اتخذ ولياً فاطر السموات والأرض وهو يُطعِم ولا يُطعَم قل إني أُمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين. (الأنعام 14)}.

- ثم كرر زعمه بأنه أول المسلمين:

{قل إنّ صلاتي ونُسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين. (الأنعام 162، 163)}.

- وكذلك يقول:

{قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين. (الزمر 11، 12)}.

فالقرآن في هذه الآيات يأمر محمد بأن يقول إنه أول المسلمين، وفي هذا القول إجتراء على الأنبياء الذين سبقوه وأعلنوا إسلامهم، وكذلك فعل أتباعهم من الحواريين ومن بني إسرائيل.

- ثم يخبرنا القرآن إن جنس الإنسان كله مسلم:

{ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كُرهاً ووضعته كُرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه واصلح لي في ذريتي إني تبتُ إليك وإني من المسلمين. (الأحقاف 15)}.

- بل يزيد القرآن ويخبرنا أن جميع المخلوقات من إنسان وملائكة **وحيوانات** قد أسلموا لله:

{أفغير الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكُرها وإليه يرجعون. (آل عمران 83)}.

- نستطيع إذاً أن نقول إنّ الأديان "السماوية" كلها إسلام جاء به أنبياء على فترات متفاوتة في تاريخ الإنسان، وجميع الناس وحيواناتهم والملائكة مسلمون. ولتوكيد هذا المعني يقول القرآن لمحمد:

{شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعون إليه إن الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب. (الشورى 13)}.

- ثم يكرر القرآن لمحمد:

{ما يقال لك إلا ما قيل للرسل من قبلك إنّ ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم. (فصلت 43)}.

- وفي حديث عن محمد نفسه يقول الإمام أحمد عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

[الأنبياء أخوة لعلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وإني أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن نبي بيني وبينه]. رواه الشيخان.

فإذاً الله لم يوح لمحمد غير ما أوحى إلى الرسل الآخرين من نوح إلى عيسى بن مريم، وسماهم جميعاً مسلمين ورسالتهم الإسلام، وقال لهم أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه.

فما الذي يجعل فقهاء الإسلام ينفخون أشداقهم كما ينشر الطاؤوس ذيله ويزعمون أن الإسلام هو الدين الوحيد الصحيح، وأن غيره من الأديان مُحرّف وأن أتباعها ضالون؟

فالإسلام لم يأت بأي جديد لا نجده في اليهودية أو المسيحية. الصلاة والصيام والزكاة والعقوبات ومعاملة المرأة، وكل تفاصيل المحرمات من اللحوم والشراب متشابهة في الأديان الثلاثة، مع اختلاف بسيط في المسيحية. وكتب التراث الإسلامي تعترف بأن محمد لم يصم أو يفرض الصيام حتى هاجر إلى المدينة ورأى اليهود يصومون. ما اختلف فيه الإسلام من الحج والأضحية والطلاق والزواج، كلها عادات "جاهلية" اقتبسها الإسلام وكانت تُمارس في مكة قبل ظهوره.

فهلا ترك المسلمون خيلاءهم وركنوا الى أرض الواقع وتصالحوا مع بقية البشر بدل تكرار أيات الولاء والبراء التي تحض على النشوز ومعاداة غير المسلمين بدون أي سبب، وبدون أي ذنب اقترفوه؟

فالأديان، مثلها مثل الحضارة، **تكاملية**، بمعنى أن كل دين أخذ مِن الذي قبله وبنى عليه إضافات طفيفة. فدين الإسلام ليس بأحسن من المسيحية وليست الأخيرة بأحسن من اليهودية. جميعها تدعو إلى إله واحد وتشترك في أغلب العبادات والتشريع. ومع ذلك نجد المسلمين يحطمون كنائس المسيحيين ويمنعونهم من دخول مساجدهم. *وفي ماليزيا أصدرت الحكومة قانوناً يمنع على غير المسلمين استعمال كلمة "الله" لأنها مرتبطة فقط بالإسلام*. وربما لم يعلم الماليزيون أن الكلمة مأخوذة من اللغة العبرية أو السريانية وتعني "الإله" وقد كانت مستعمله قبل ظهور الأسلام بعقود عديدة. والشعر الجاهلي مليء بكلمة "الله".

عودة إلى الفهرس

2008 / 6 / 28

112 - الأديان لم تفد البشر

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=139244

عندما كان الجهل بالحقائق العلمية فاشياً بين المجتمعات البدائية لجأ الناس إلى عالم الأرواح غير المحسوس - الميتافيزيقي - في محاولة منهم لإيجاد شيء يحميهم من ضرر الظواهر الطبيعية مثل البرق والرعد، ويمنحهم نوعاً من الطمأنينة، فعبدوا **ما تيسر لهم** وجعلوه إلهاً لهم. وبانتهاء هذه الفترة من تدرج حياة الإنسان كان من المتوقع أن تنتهي الحاجة إلى الأديان وإلى الآلهة التي صنعناها بأنفسنا. ولكن يبدو أن الإنسان قد أصبح مدمناً على تخدير أحاسيسه بتهازيج وتعاويذ الأديان، تماما كما يصبح الشخص الذي يتعاطى الأفيون مدمناً عليه رغم علمه بعدم فائدته له، بل رغم إيمانه المطلق بأن الأفيون مضر بصحته. **لكن عادة الإدمان تفوق في تحكمها على الإنسان قوة المنطق.**

ويحاول الإسلاميون استغلال هذا **الإدمان** على الأديان ليبيعوا لنا أوهاماً جديدة كلما سنحت لهم الفرصة. فهاهم الآن يؤكدون لنا أن الإسلام الصالح لكل زمان ومكان، قد أتى لإتمام مكارم الأخلاق، كما يقول الحديث المروي عن محمد بن عبد الله [بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق]. **وهذا يعني أن جزءاً كبيراً من مكارم الأخلاق قد اتى به الأنبياء قبل محمد وجاء محمد لإتمامها**. فماهي هذا المكارم من الأخلاق التي أتت بها الأديان؟ وهل كان الإنسان قبل مجيء الأديان "السماوية" لا يعرف مكارم الأخلاق؟

المعلومات التاريخية التي بحوزتنا تخبرنا أن الإغريق قد انتجوا فلاسفة وعلماء كثيرين في فترة ما قبل الميلاد عندما كانوا يعبدون آلهة الأولمب المتعددة. وكانت اليونان مليئة بالأساتذة ال sophists أي السفسطائيين، كما يترجمها العرب، رغم أن الكلمة مشتقة من "الحكمة" وهم كانوا حكماء ولم يكونوا سفسطائيين. هؤلاء الأساتذة كانوا يجوبون ربوع البلاد يُدَرّسون الناس الحكمة والأخلاق المطلوبة في الشخص الذي يُعتبر مواطناً صالحاً. فهل جاءت الأديان بأكثر مما قال به فلاسفة وحكماء اليونان؟ فلو أخذنا الوصايا العشرة التي أتى بها موسى وأخذها عنه مَن تبعه من أنبياء ورسل، نجدها تقول:

لا تقتل

هذه الوصية الإلهية كانت معروفة لسقراط وغيره من الفلاسفة، بل عرفها حتى الإنسان البدائي الذي مارس القتل وعرف أنه إذا قتل رجلاً أخر فسوف يكون مصيره هو القتل كذلك. فهل تأكيد الأديان لهذه الحكمة جعلها ذات فائدة للبشر؟ فبعد ألف وأربعمائة عام من ظهور الإسلام، ومايقرب من ألفي عام من ظهور المسيحية، **هل تعلم الإنسان ألا يقتل؟** فإذا أخذنا البلاد الإسلامية، مثلاً، نجد أن القتل في السعودية في ازديادٍ مضطرد رغم تحسن المستوى المعيشي للفرد وعدم حاجته للقتل أو النهب من أجل الخبز، ورغم أن السعودية تحكمها، إسمياً، الشريعة الإسلامية "السمحة". فقد بلغ عدد حالات تنفيذ القصاص بحد السيف في المملكة في العام المنصرم 101 حالة قصاص، هذا دون الأخذ في الاعتبار عدد حالات القتل التي عفا فيها أهل القتيل عن القاتل، والتي ربما زادت عن عدد الذين نُفذ فيهم الحكم. وقال القحطاني، رئيس ‹الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان› في السعودية:

> "إن التغيرات الاجتماعية والاقتصادية أوجدت أنواعا جديدة من الجرائم مثل السطو المسلح من قبل عصابات منظمة والتوسع في حالات القتل عن غير عمد وبعض الجرائم التي تهم الرأي العام إلى درجة أنها قد تقود إلى الإعدام مثل الاغتصاب" [1].

وفي جارتها العراق فإن القتل من أجل القتل قد بلغ مستويات لا تخطر ببال أي إنسان عاقل. فالقتل على الهوية، وقتل الشرف، وقتل النساء غير المحجبات، بل وقتل الأساتذة الجامعيين، وقتل الحلاقين أصبح شيئاً مألوفاً. وكل ذلك القتل يرتكبونه بإسم الإسلام السني أو الشيعي. وفي الصومال والسودان والجزائر والمغرب العربي يُقتل الآلاف سنوياً باسم الإسلام لأن الإسلاميين المنتمين لثورات الإنقاذ في تلك البلاد يفجرون الأبرياء من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية "السمحة". وفي أفغانستان يتقاتل الطالبان مع غيرهم من الأفغان من أجل *تطبيق الشريعة الإسلامية التي أرجعت البلاد إلى العصر الحجري في السنوات التي حكم بها الطالبان.*

وفي باكستان يفجر الانتحاريون السنة أنفسهم وسط المجموعات الشيعية ويرد الشيعة بالمثل.

> ***فالوصية الأولى من إله السماء لم تفدنا بشيء.***

لا تسرق

وصية موسى الثانية. **هل أنهت الأديان "السماوية" السرقة بعد كل هذه السنين من ظهورها؟**

ففي الكويت مثلاً:

> أعلن مسؤول كبير أن الكويت استعادت 548 مليون دولار في شكاوى قضايا رفعتها في بريطانيا وإسبانيا في إطار قضايا فساد تورط فيها كويتيون ورعايا أجانب. وقال فؤاد الماجد رئيس الجهاز القانوني للحكومة، "فزنا بقرارات قضائية في بريطانيا واسبانيا واستعدنا بموجبها 11.1 مليار دولار تسلمنا منها حتى الان 548 مليونا". وتشمل القضية الثانية شركة النفط الكويتية الرسمية التي تورط فيها خمسة من قدامى المسؤولين منهم وزير النفط السابق الشيخ علي خليفة الصباح الذي أنكر الاتهامات. وثبتت محكمة بريطانية التهم الموجهة إلى بعض المسؤولين في شركة النفط الكويتية، بأنهم حققوا بطريقة غير شرعية أرباحا في الثمانينات على حساب شركتهم التي لحقت بها خسائر فاقت ال 100 مليون دولار [2]. هذا بالإضافة إلى التلاعب بالمناقصات العامة الذي يقوم به بعض النواب السلفيين كما يرد في الصحافة الكويتية. أضف إلى ذلك السرقات التي يقوم بها عامة المواطنين والمقيمين بالبلد.

وفي السودان الذي تحكمة عصابة الإخوان المسلمين بإسم الشريعة السمحة:

> كانت جرائم سرقة المال العام قد وصلت إلى 813 مليون دينار (8 مليار جنيه) في 2002 لم يسترد منها الا 8.32 مليون دينار أي 9 % تقريبا. المفاجأة المزلزلة فعلا، هي أن الاعتداء على مال الزكاة كانت نسبته 11 % من إجمالي المبالغ المسروقة. هذا يعني أن أموال "السائل والمحروم" التي تقوم بجمعها دولة الإسلام السياسي، من "السائل والمحروم" ذاته، سرقت منها أكثر من مليار جنيه!! [3].

فالسرقة هنا يقوم بها حماة الدين ووكلاء الله في أرضه.

وفي دبي ذات الغنى الفاحش:

---

[1] إيلاف 26 يونيو، حزيران، 2007.

[2] إيلاف 2 مايو 2007.

[3] خالد عويس، الحوار المتمدن، 17 أغسطس 2006.

يعيش مجتمع الأعمال في حالة من الدهشة والحيرة في نفس الوقت مع تعرض عدد من الموظفين السابقين في مصرف دبي الإسلامي إلى اعتقالات تحت شبهة الفساد كما تقول صحيفة الفاينيشال تايمز الصادرة الاربعاء [4].

يحدث هذا في أكبر بنك إسلامي يمنع الربا ولا يتعامل إلا بالمال الحلال.
ونفس الشيء حدث في البنك الإسلامي الإماراتي بلندن الذي أسسه مسلم باكستاني برأس مال من الإمارات، ونتيجةً للسرقات الهائلة انهار البنك وتوقف عن العمل.
وفي مصر المسلمة سرق الإسلاميون كل استثمارات المصريين العاملين بدول الخليج، مما أدى إلى انهيار تلك المصارف الإسلامية.
كل هذه المصارف الإسلامية كان يشجع عليها الشيوخ من أمثال القرضاوي ويديرها الإسلاميون.
وفي الجزائر تسطو الجماعات الإسلامية على البنوك وتسرق الأموال التي تعتبرها غنائم. ويشهد أكبر تنظيم مسلح في الجزائر انقساما حادا بين قياداته بسبب ما يعتبره «سوء إدارة لأموال الغنائم»، في إشارة الى الأموال التي سطا عليها التنظيم من بنوك أو أخذها عنوة من مواطنين.

وقالت مصادر أمنية لـ «الشرق الأوسط» أن النزاع الحاد الذي تشهده قيادات الجماعة السلفية للدعوة والقتال، بسبب الأموال أدى إلى التخلي عن أحد أعمدة التنظيم المسلح. ويتعلق الأمر بعبد الحميد سعداوي (يحيى أبو الهيثم) الذي يعد قائد أهم مناطق نشاط المسلحين. وذكرت المصادر أن «تائبا من الإرهاب»، تحدث عن «خلاف كبير نشب بين مجلس أعيان الجماعة السلفية وأبو الهيثم قائد المنطقة الثانية، حول أموال ضخمة تتبع للجماعة حجزتها مصالح الأمن منذ أسابيع شرق العاصمة». وأوضحت المصادر أن قيمة الأموال المحجوزة تفوق 500 ألف دولار، تمثلت في مجوهرات ومحلات وعربات وعقارات «اشتراها» سعداوي، حسب المصادر، بأموال السطو على البنوك ومقار البريد ومن «رسوم» فرضها المسلحون على سكان مناطق شرق العاصمة [5].

فيبدو أن أكبر السرقات يقوم بها ممثلوا الله في الأرض من الإسلاميين الذين يرغبون في تطبيق الشريعة حتى يتسنى لهم سرقة ما تبقى من الأموال. فالأديان قد زادت الطين بله في موضوع السرقة.

لا تكذب

الوصية الثالثة الموسوية. هل هناك بلد إسلامي أو مسيحي أو يهودي يلتزم مواطنوه الصدق؟ البلاد العربية مبنية على الكذب بين المواطنين وبين الحكام. الكل يكذب والإسلام نفسه يبيح الكذب في لبوس "**التقية**" ويبيح الكذب في الحرب لأن "الحرب خدعة" كما قال محمد بن عبد الله. وأباح الإسلام للرجل أن يكذب على زوجته.

وأباح مفتي مصر الشيخ على جمعة للبنت التي فقدت عذريتها وأجرت عملية ترقيع أن تكذب على عريسها.

وحتى عندما كان النبي حياً بينهم كذبوا عليه عندما طلب منهم التحضير لغزوة تبوك، فقال له القرآن:

{عفا الله عنك لِمَ أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين. (التوبة 43)**}.**

وعندما نزلت **آية الملاعنة** وجاءه رجل يشتكي أنه وجد العبد سُحيم على زوجته، أحضر محمد الزوج والزوجة وحلف كلٌ منهم أربعة مرات أنه صادق والخامسة، لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين. ومع ذلك عندما ولدت الزوجة تبين للجميع أنها كذبت ولم يعاقبها محمد لأنها حلفت خمسة مرات.

فالكذب في الإسلام من الممارسات المعترف بها. والحلف، مثل الصلاة، لا ينهى عن الفحشاء والمنكر، كما هو المفروض.

لا تزني

الوصية الرابعة. فالدعارة، وهي أقدم مهنة عرفتها البشرية، ما زالت منتشرة في جميع بلاد العالم، بما فيها البلاد الإسلامية التي تحكمها حكومات إسلامية، مثل إيران والسودان والسعودية. وفي أفغانستان قالت السيدة جلالي حبيب، وهي مدرسة سابقة، ومرشحة للبرلمان، عبر المترجم الدكتور وليد تميم:

"إن حقوق المرأة ومكافحة البطالة والمخدرات ومحاربة الدعارة التي بدأت تظهر كتجارة مستترة في الشارع الأفغاني تحتل النصيب الأكبر في حملتها الانتخابية." [6].

ودويلات الإمارات قد امتلأت بالنساء الروسيات والمغربيات والجزائريات **اللاتي غرر بهن تجار الجنس**. ومع هذا يسافر مئات الآلاف من الإمارات والكويت والسعودية إلى بانكوك وغيرها من دول شرق آسيا بغرض **السياحة الجنسية**.
وجميع البلاد الإسلامية بها ملاجيء للقطاء من أطفال السفاح بالإضافة إلى آلاف عمليات الإجهاض التي تتم في الأزقة والبيوت والمستشفيات. وبيوت الدعارة الخفية في إيران والسودان ومصر والمغرب العربي لا تُحصى. **فهل أفادت الأديان في منع الدعارة والزنى؟**

بل بالعكس فإن أكثر حالات ممارسة الجنس مع الأطفال، بنات وصبيان، يقوم بها رجال الدين من شيوخ وقساوسة. واللواط بالبلاد الإسلامية أكثر بكثير من بلاد الغرب.

أكرموا آباءكم وأمهاتكم

الوصية الخامسة. هذه الوصية كانت معروفة منذ أيام سقراط الذي اشتكى في مرة أن الأطفال في أيامه أصبحوا لا يحترمون كبار السن، ويأكلون وأفواههم مفتوحة. وهذا يعني أن احترام الكبار كان معروفاً قبل سقراط. فهل كنا نحتاج إلهاً ليخبرنا أن نحترم والدينا؟

لا تشهد بالزور

الوصية السادسة. جميع المحاكم في العالم تحتوي على الكتب المقدسة التي يحلف عليها المتهمون والشهود أنهم لن يقولوا إلا الحق. ومع ذلك فإن الغالبية العظمى تكذب، كما تثبت نسبة الإدانات في غالبية القضايا. والعالم الإسلامي لا يختلف عن العالم الغربي في

[4] زيد بنيامين، إيلاف 25 يونيو، حزيران، 2008.
[5] بوعلام غمراسة، الشرق الأوسط 17 ديسمبر، كانون الاأول، 2006.
[6] الشرق الأوسط 27 أغسطس، آب، 2005.

الكذب رغم الحلف على المصحف. بل بالعكس فإن العربي المسلم إذا طلبت منه أن يحلف بالسيدة زينب وهو كاذب، فلن يحلف. أما إذا طلبت منه أن يحلف على المصحف فإنه لن يتردد في ذلك، وهو يعلم أنه كاذب.

> ***فأديان التوحيد خلقت أناساً يؤمنون بالأولياء أكثر من إيمانهم بالإله، ولم تنه الكذب أو حتى تقلل منه. والإسلام قد طلب شاهدين عدلين ليقلل من شهادة الزور، وما زالت شهادة الزور هي الغالبة في جميع البلاد.***

لا تشتهي زوجة جارك أو ابنته أو خادمته

الوصية السابعة. ربما يحاول بعض الناس تفادي الوقوع في اشتهاء زوجة الجار، ولكن مَن منا يستطيع أن يقول صادقاً أنه لم يشته زوجة جاره، الصغيرة الجميلة. إنها طبيعة الإنسان. وقد عرف هذه الوصية شعراء ما قبل الإسلام في الجزيرة العربية،
فقال عنترة بن شداد:

أغشى فتاة الحي عند حليلها ... وإذا غزا في الحرب لا أغشاها
وأغض طرفي ما بدت لي جارتي ... حتى يواري جارتي مأواها

وقال المقنّع الكِندي:

أرى دار جاري إن تغيّب حقبةً ... عليّ حراماً بعده إنْ دخلتها
قليلٌ سؤالي جارتي عن شؤونها ... إذا غاب ربُ البيت عنها هجرتها

> ***وبقية الوصايا العشرة كانت عن توحيد الإله وعدم عبادة الأصنام وعدم الإساءة إلى اسم الإله. فالوصايا العشرة التي أتى بها موسى واقتبستها المسيحية واقتبسها محمد، لم تفد البشر شيئاً لأنهم لا يطبقونها رغم مرور أكثر من ثلاثة آلاف عام منذ ظهور موسى. فماذا أخذ الناس من الأديان؟***

أخذنا من الأديان:

- *كراهية المخالف لنا في المعتقد أو الممارسات*، فأنشأنا **محاكم التفتيش** في القرون الوسطى في أوروبا، وما زلنا نقيم **محاكم التكفير** بحق الشيعة والبهائيين والأيزيدية وغيرهم. وكذلك نكفّر كل المفكرين والفلاسفة الذين لا يعتقدون بما يعتقده شيوخ الإسلام.
- وتعلمنا أن *نقتل بعضنا بعضاً* إرضاءً لإله مختفي في الفضاء الخارجي ولم يجرؤ حتى الآن على إظهار نفسه للملايين الذين يتحاربون باسمه.
- كل ما تبقى من الأديان هو *الشعائر والحركات الطقوسية* مثل الصلاة والحج والصيام، وجميعها نفعلها من أجل الغير حتى يصفونا **بالتقوى**.

فالحاج يرجع من حجه ليجد باب بيته مدهون بالدهن الأبيض ومكتوب عليه الأدعية والآيات القرآنية حتى يراها الجميع ويعرف أنه قد حج. وصلاة الجماعة نؤديها بمكبرات الصوت حتى يسمع الجميع ويعرف أننا خاشعون لله ونؤدي صلواته في مواعيدها. ونخرج من الجامع لنرتكب الخطايا. أما الصيام فهو تمثيلية كبرى إذ نأكل في الإفطار والعشاء أكثر مما نأكله في اليوم العادي. ونجبر المطاعم والمقاهي أن تسكّر أبوابها حتى يعلم الجميع أننا دولة إسلامية. فالمسلم يستاء إذا رأى غيره يأكل في رمضان، بدل أن يزيده ذلك زهوا بإيمانه وصومه.
يتضح لنا الآن أن جميع التعاليم التي أتت بها الأديان كان الإنسان يعرفها قبل ظهور تلك الأديان، فماذا استفدنا من المئة وعشرين ألف رسول ونبي الذين أرسلهم الله، كما تقول المصادر الإسلامية؟ **لا شيء يفيد البشرية**.

> ***وأين هي مكارم الأخلاق التي أتى محمد لإتمامها؟ هل تمثلت مكارم الأخلاق في الاغتيالات السياسية التي أمر بها محمد أتباعه، أم في إبادة بني قريظة وسبي ونكاح نسائهم، أم في الشروط العمرية التي فرضها عمر بن الخطاب على نصارى الشام؟ أخلاق المجتمعات الأوربية الحديثة أفضل عشرات المرات من مكارم أخلاق الأديان.***

قد يقول قائل إن وضع الإنسان الراهن ليس خطأ الأديان التي بَيَّنت له الطريق القويم لكنه لم يتبعها.
ونرد على ذلك بأن الأديان كلها من صنع الإنسان وأنها وضعت قوانين تخالف طبيعة الإنسان ولا يمكن تطبيقها بدون آليات دنيوية تفرض على الناس اتباع تلك القوانين.
فلو كانت القوانين الدينية فعلاً من عند إله خالق لعرف ذلك الإله أن قوانينه لا يمكن تطبيقها، وعليه يجب تعديل القوانين أو تغيير طبيعة البشر حتى يتبعوا التعاليم الدينية. وكاتب القرآن قد عرف هذه الحقيقة ولذلك ظل يكرر في القرآن أن أكثر الناس لا يؤمنون:

{**ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا.** (الإسراء 89)}.
{**ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفوراً.** (الفرقان 50)}.
{**وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين.** (يوسف 103)}.
{**وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون.** (الأنعام 116)}.
{**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون.** (يوسف 106)}.

عودة إلى الفهرس

113 - أسلوب قصص الأطفال في شرح القرآن

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=139969

لغة القرآن، رغم أنه نزل بلسان عربي مبين، أدخلت الشارحين في **متاهات عويصة يصعب الخروج منها** لأن الآية الواحدة في أغلب السور تتحدث عن شيئين أو ثلاثة أو أربعة **لا رابط بينها**. ولا يحتوي القرآن المكتوب على علامات للفصل بين تلك الأشياء المتحدث عنها في الآية، فمثلاً نجد آية تقول:

{**وإذ قلنا إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا.** (الإسراء 60)}.

هذه الآية تتكون من أربعة جُمل لا علاقة بينها.

تبدأ ب {**وإذ قلنا إن ربك أحاط بالناس**} وهذا خطاب للنبي محمد أن ربه يعلم ما يفعله كل إنسان،

ثم تنتقل الآية إلى موضوع جديد دون أي وقفة {**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة**}، فبدون أي مقدمات تنتقل بنا الآية إلى الرؤيا التي رآها محمد إما في نومه أو عندما أُسري به إلى بيت المقدس. ولا نعلم كيف تكون الرؤيا التي رآها النائم في حُلمه فتنةً أو اختباراً لبقية الناس.

ثم يأتي موضوع جديد لا علاقة له البته بالفتنة أو الرؤيا، فنجد {**والشجرة الملعونة في القرآن**} مع العلم أن القرآن لم يذكر أي شجرة ملعونة أو غير ملعونة بجانب الشجرة المباركة التي أصلها في الأرض وفرعها في السماء، والشجرة التي في سيناء والتي يخرج منها الزيت والصبغ للآكلين، والشجرة التي بايعوا محمد تحتها، وسدرة المنتهى.

وحتى تكتمل الصورة السريالية، تنتقل الآية إلى {**ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيرا**}. الضمير في "نخوفهم" **يرجع إلى أشخاص لم تبينهم الآية، وعلى القارىء أو المستمع تخمين من هم**. وقواعد اللغة تحتم أن يُذكر الشخص أو الشيء المقصود قبل الرمز إليهم بالضمير حتى لا يتوه السامع في التخمينات.

ونسبةً للتخبط الواضح في هذه الآية، وبعدها عن بلاغة السهل الممتنع، وجد المفسرون أنفسهم أمام **معضلة** الربط بين كل هذه الموضوعات التي ذكرتها الآية، **فجاؤوا بتفسيرات لا تمت للحقيقة بصلة**.

فمثلاً يقول القرطبي في تفسير (وجعلنا الرؤيا التي أريناك فتنةً) يقول:

"كانت الفتنة ارتداد قوم كانوا أسلموا حين أخبرهم النبي أنه أسري به."

مع العلم أن هذه الآية مكية، وكان عدد الذين أسلموا بمكة لا يتعدى أصابع اليدين. فمن هم هؤلاء القوم الذين أسلموا ثم ارتدوا ولا يعرف المفسرون أسماءهم أو قبيلتهم بينما يعرفون أسماء الرجال والنساء الذين هاجروا إلى الحبشة قبيل هجرة محمد من مكة؟

ثم شطح بعض المفسرين وقالوا:

إن الرؤيا التي قصدتها الآية هي الحُلم الذي رآه محمد عندما رأى بني مروان ينزون على منبره نزو القردة.

وقد غاب عن هؤلاء المفسرين أن الآية مكية وأن محمد لم يكن له منبر في مكة حتى ينزو عليه بنو مروان، إذ أنه لم يكن له مسجد في مكة، وأن الصلاة نفسها لم يُشرّع لها إلا قبل حوالي ثلاث سنوات من هجرته إلى المدينة.

نرى في تفسير هذه الآية أن المفسرين يخترعون القصص الوهمية في محاولات يائسة للالتفاف حول تخبط آيات القرآن. وفي بعض الحالات تصل تفسيراتهم حد **الإسفاف** وتصبح مماثلة لقصص الأطفال الحديثة.

وإليكم هذا المثال من قصص الأطفال:

{**إذ عُرِضَ عَلْيه بِالْعَشِيِّ الصّافِنَاتُ الجِيادُ 31 فَقَالَ إنِيّ أَحْبَبْتُ حُبّ الخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبْي حتى تَوَارَتْ بالحِجَابِ 32 رُدوُهَا عَليّ فَطَفِقَ مَسْحاً بالسُوقِ والأعْنَاقِ 33 ولقد فَتَنّا سُلَيْمانَ وألقَيْنا على كُرْسِيّه جَسَداً ثُمَ أنَاب 33.** (سورة ص)}.

فإذا تغاضينا عن التخبط في السرد والقفز من وصف الجياد إلى غروب الشمس ثم إلى كرسي سليمان الذي ألقى الله عليه جسداً، دون أن نفهم الربط بين كل هذه الأشياء، نجد أن المفسرين قد تحولوا إلى روائيين وكُتّاب قصص خيالية، طفولية الأسلوب.

فإذا أخذنا شرح القرطبي لهذه الآيات، نجده يقول في وصف الآية 31:

"يعني الخيل، جمع جواد للفرس، كما يقال للإنسان جواد إذا كان كثير العطية غزيرها، مأخوذ من الجيد، وهو العنق، لأن طول الأعناق في الخيل من صفات فراهتها. والصافنات: الواقفات من الخيل وغيرها."

إلى هنا يبدو الشرح معقولاً، ثم تبدأ القصص الخرافية:

"قال الكلبي: غزا سليمان أهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم ألف فرس. وقال مقاتل: ورث سليمان من أبيه دأود ألف فرس، وكان أبوه أصابها من العمالقة. وقال الحسن: بلغني أنها كانت خيلاً خرجت من البحر لها أجنحة، وقاله الضحاك. وقيل إنها كانت خيلاً أُخرجت لسليمان من البحر منقوشة ذات أجنحةٍ. وقال ابن زيد: أخرج الشيطان لسليمان الخيل من البحر من مروج البحر، وكانت لها أجنحة. وكذلك قال علي، رضى الله عنه: كانت عشرين فرساً ذوات أجنحة. وقيل كانت مائة فرس. وفي الخبر عن إبراهيم التيمي: أنها كانت عشرين ألفاً، والله أعلم."

وشطحات الخيال تظهر لنا في عدد الخيل المزعومة لسليمان، هل هي ألف أم عشرون أم مائة أم عشرون ألفاً كما زعم ابن زيد؟ وهل كانت خيلاً عادية غنمها سليمان من أهل دمشق، أم كانت خيلاً مجنحةً أخرجها الشيطان من قعر البحر لسليمان؟ كان من المهم الاتفاق على أصل وعدد هذه الخيول لأنها تلعب دوراً مهماً في تفسير بقية الآيات المذكورة. ويستمر القرطبي فيقول:

"{**فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي**} يعني بالخير الخيل، والعرب تسميها كذلك. قال الفراء: الخير في كلام العرب والخيل واحد. وقال النحاس: الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة [حديث نبوي]، فكأنها سُميت خيراً لذلك. وفي الخبر أن الله تعالي عرض على آدم جميع الدواب وقيل له: اختر منها واحداً، فاختار الفرس. فقيل له اخترت عزك، فصار اسمه الخير من هذا الوجه. وسُمي خيلاً لأنها موسومة بالعز. وسُمي فرساً لأنه يفترس مسافات الجو افتراس الأسد وثباناً ويقطعها كالالتهام بيديه عن كل شيء خبطاً وتناولاً. وسُمي عربياً لأنه جيء به من بعد آدم لإسماعيل جزاءً عن رفع قواعد البيت، وإسماعيل عربي، فصارت له نِحلة من الله، فسُمي عربياً. و"حب" مفعول، في قول الفراء. والمعنى أني آثرت حب الخير فإلهاني عن ذكر ربي حتى توارت: يعني الشمس كنايةً عن غير مذكور، مثل قول الله تعالى {**ما ترك على ظهرها من دابة.** (فاطر 54)}. أي على ظهر الأرض. قال الزجاج: إنما يجوز الإضمار إذا جرى ذكر الشيء أو دليل الذكر، وقد جرى هاهنا دليل وهو قوله "بالعشي". والعشي ما بعد الزوال والتواري والاستتار عن الأبصار، والحجاب جبل أخضر محيط بالخلائق، قاله قتادة وكعب. وقيل هو جبل قاف. وقيل جبل دون قاف. والحجاب الليل، وسُمي حجاباً لأنه يستر ما فيه."

في محاولة تبرير الأخطاء القرآنية يلجأ المفسرون إلى **عدم النزاهة في العرض**. ولأن القرآن قال "حتى توارت" دون أن يكون هناك أي ذكر للشمس قبل ذلك مما يحتم على مؤلف القرآن عدم استعمال الضمير "تاء التأنيث" للرمز إلى الشمس، قال القرطبي إنّ ذلك مثل الآية التي تقول {**ما ترك على ظهرها من دابة**} وكان يقصد الأرض. وهذا المثال فيه تلاعب بالحقيقة لأن الآية 44 من سورة فاطر،

والتي سبقت الآية التي ذكرها القرطبي تقول {**أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوةً وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض**}. ولذلك عندما قال في الآية اللاحقة {**ما ترك على ظهرها من دابة**} كان من الواضح أنه يقصد الأرض. ولكن عندما قال {**إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب**} لم يكن هناك أي ذكر للشمس، لا في هذه الآية ولا في التي قبلها. فاستعمال الضمير هنا دون ذكر الشيء المقصود ليس من البلاغة في شيء.
ثم أن قولهم إن إسماعيل كان عربياً ولذلك سُميت الخيل عربية، قول يصعب فهمه إذ أن أسماعيل كانت أمه هاجر من قدماء المصريين، أي الفراعنة وكان أبوه إبراهيم من الكلدانيين من مدينة "أور" بالعراق. فكيف أصبح إسماعيل عربياً؟

ومن المحزن المضحك التمسك بجهل المفسرين القدماء والقول بأن الحجاب هو جبل أخضر يحيط بالخلائق أو هو جبل قاف الذي لا وجود له إلا في مخيلاتهم.

وتستمر قصص الأطفال في تفسير القرطبي، فيقول:

"وقيل {**حتى توارت**} أي الخيل في المسابقة. وذلك أن سليمان كان له ميدان مستدير يسابق فيه بين الخيل، حتى تتوارى عنه وتغيب عن عينيه في المسابقة، لأن الشمس لم يجِ لها ذكر. وذكر النحاس أن سليمان عليه السلام كان في صلاةٍ فجيء إليه بخيل لتُعرض عليه قد غُنمت، فأشار بيده لأنه كان يصلي، حتى توارت الخيل وسترها جدر الاصطبلات. فلما فرغ من صلاته قال "ردوها عليّ فطفق يمسح" أي أقبل يمسحها مسحاً. وفي معناها قولان: أحدهما أنه أقبل يمسح سوقها وأعناقها بيده إكراماً منه لها. وقيل المسح هنا هو القطع، أذن له في قتلها. قال الحسن والكلبي ومقاتل: صلى سليمان الصلاة الأولى وقعد على كرسيه وهي تُعرض عليه، وكانت ألف فرس، فعُرض عليه منها تسعمائة، فتنبه لصلاة العصر فإذا الشمس قد غربت وفاتت الصلاة، فاغتم وقال "ردوها عليّ" فرُدت، فعقرها بالسيف قُربةً لله، وبقي منها مائة، فما في أيدي الناس من الخيل العتاق اليوم فهي من نسل تلك الخيل. وقال القشيري: ما كان في ذلك الوقت صلاة الظهر ولا صلاة العصر، بل كانت تلك الصلاة نافلة، فشُغل عنها. وتذكر سليمان تلك الصلاة وقال على سبيل التلهف "إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي" أي عن الصلاة، وأمر برد الأفراس إليه، وأمر بضرب عراقيبها وأعناقها. ولم يكن ذلك معاقبةً للأفراس إذ ذبح البهائم جائز إذا كانت مأكولة، بل عاقب نفسه حتى لا تشغله الخيل بعد ذلك عن الصلاة. وذبحها ليتصدق بلحمها أو لأن ذلك كان مباحاً في شرعه فأتلفها لما شغلته عن ذكر الله. فأثنى الله عليه بهذا وبيّن أنه أثابه بأن سخر له الريح فكان يقطع عليها من المسافة في يوم ما يقطع منه على الخيل في شهرين. وقيل إن الهاء في قوله "ردوها عليّ" للشمس وليس للخيل. قال ابن عباس: سمعت كعباً يقول: "ردوها عليّ" يعني الأفراس، وكانت أربع عشرة، فضرب سوقها وأعناقها بالسيف، وأن الله سلبه ملكه أربعة عشر يوماً لأنه ظلم الخيل. وقال عليّ بن أبي طالب: كذب كعب. لكن سليمان اشتغل بعرض الأفراس للجهاد حتى توارت أي غربت الشمس بالحجاب، فقال الله للملائكة الموكلين بالشمس "ردوها" يعني الشمس، فردوها حتى صلى سليمان العصر في وقتها."

وهذا الشرح القصصي الطفولي يبين مكانة العنف في الإسلام. فسليمان الذي اشتغل باستعراض الخيل حتى فاتته الصلاة، اختار أن يدق أعناق الخيل بسيفه لأن الصلاة قد فاتته، وكان الأجدر به أن يعاقب نفسه على انشغاله عن الصلاة، فالخيل لم يكن لها ذنب. والأغرب من ذلك أن الله كافأه على ذبح الخيول بأن سخر له الريح. فالذبح في الإسلام جزاؤه الحور العين في الجنة أو تسخير الريح لمن يشاء. ثم يظهر لنا جهل "العلماء" مرة أخرى في الرواية المنسوبة إلى علي بن أبي طالب، الذي قال إن الله أمر الملائكة الموكلين بالشمس أن يردوها حتى يصلي سليمان العصر الذي فاته. وتستمر الدراما في الآية الآتية:

"{**ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب**} ألقى الله على كرسي سليمان شيطان اسمه صخر بن عُمير، صاحب البحر، وهو الذي دل سليمان على الماس حين أمر سليمان ببناء بيت المقدس، لأن الحجارة صوتت لما ضربوها بالحديد فأخذوا الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة ولا تصوت. واحتال الشيطان حتى سرق خاتم سليمان، ويقال أنه خدع سليمان وسرق منه الخاتم، أو سرقه من زوجته التي كانت تدعى "الأمينة" وكانت أم ولد، لأن سليمان كان لا يدخل الكنيف بخاتمه وكان يتركه عن أحد زوجاته، فسرقه الشيطان. وجلس أربعين يوماً على كرسي سليمان متشبهاً بصورته، داخلاً على نسائه، يقضي بغير الحق. واُختلف في إصابته لنساء سليمان، فحكى ابن عباس ووهب بن منبه: أنه كان يأتيهن في حيضهن. وقال مجاهد: مُنع من إتيانهن."

وطبعاً كان لابد "للعلماء" من ذكر الحيض، فاختاروا المقطع الذي يُظهر الشيطان وهو يجامع نساء سليمان وعليهن الحيض **لأن الشيطان لا يجامع في الطهارة**. وكذلك كان لابد من اختلاف "العلماء"، فقال مجاهد **إن الله منع الشيطان من مجامعة نساء سليمان**. يا لحسرة الشيطان.
وبعد كل هذا الجهل والتأليف القصصي، وضع فقهاء الإسلام خمسة عشر شرطاً يجب أن تتوفر في مَن يريد أن يفسر القرآن، وهي:

1. **الإلمام باللغة العربية وقواعدها،**
2. **الإلمام بالنحو،**
3. **الإلمام بتصريف الكلام،**
4. **الإلمام بالمعاني،**
5. **والبيان،**
6. **والبديع،**
7. **علم القراءات المختلفة،**
8. **علم أصول الدين،**
9. **علم أصول الفقه،**
10. **أسباب النزول،**
11. **والقصص،**
12. **العلم بالناسخ والمنسوخ،**
13. **العلم بالفقه،**
14. **العلم بالأحاديث،**
15. **وأخيراً: أن تكون للمفسر موهبة من الله** [1].

والغرض من هذه الشروط طبعاً هو **احتكار الدين حتى لا يستطيع أي شخص من خارج دائرة المعممين الحديث في الدين،** وبذلك يحتكر "العلماء" عقول الناس ومجالس الحكام وأموال الرعية. وهنيئاً لهم الملايين التي جمعوها من مجتمعات الجهل والمرض.

عودة إلى الفهرس

[1] العُجاب في بيان الأسباب، للعسقلاني، ص 8.

119 - قصص القرآن من صنع الإنسان

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=143962

كثيراً ما تطالعنا مواقع الإنترنت، الإسلامية منها وحتى اليسارية مثل الحوار المتمدن، بمقالات كُتاب إسلاميين مثل الدكتور أحمد صبحي منصور تتحدث عن الفن القصصي في القرآن. *وفي حقيقة الأمر ليس هناك أي نوع من الفن أو البلاغة اللغوية في قصص أو أساطير القرآن*. ورغم أن القرآن نفسه يعتبر القصص التي رواها محمد لعرب مكة نوعاً من الغيب الذي أوحاه له الله، فهي كانت قصص معروفة لعرب ما قبل الإسلام، ولذلك قالوا عنها **"أساطير الأولين"**. وبالنسبة لنا فالأمر أوضح بكثير إذ أنا قرأنا نفس القصص في العهد القديم وفي ميثولوجيا الشعوب القديمة في بلاد الرافدين وفارس والهند وغيرها. والقاريء **غير المؤدلج** عندما يقرأ القصص القرآني يُصدم بكمية التخبط والأخطاء والتعارض في تفاصيل تلك القصص مما يُقنعه أن تلك الروايات المتناقضة لا يمكن أن تكون قد صدرت من إله عالم بكل شيء .وبما أن السور والآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل تكوّن الجزء الأكبر من قصص القرآن، فسوف نأخذ مثالاً واحداً من سورة النساء التي "نزلت" بالمدينة بعد أن يئس محمد من إقناع اليهود برسالته وقرر أن يظاهرهم العداء.

> **{يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرةً فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعدما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبينا. ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً.** (النساء 153، 154)}.

فلنتوقف لحظة لنتمعن في هاتين الآيتين قبل أن نكمل بقية الآيات. أولاً: لغة القرآن هنا بعيدة عن الدقة لأن "أهل الكتاب" تعبير يطلقه القرآن على اليهود والنصارى الذين سبقوا الإسلام بكتبهم السماوية. والقرآن هنا يقول "أهل الكتاب" ويقصد بهم اليهود فقط لأنه قال بعد ذلك إنهم طلبوا من موسى أكبر من ذلك، والنصارى لم يكونوا في زمن موسى. ألا نتوقع أن يكون الله أكثر دقةً وتحديداً، وهو العارف بمَن طلب من محمد إنزال كتاب من السماء، إذا كانوا قد طلبوا منه ذلك؟ لماذا لم يقل "يسألك اليهود أن تنزل" أو "يسألك يهود يثرب أن تنزل عليهم كتاباً" لأن السورة مدنية والمدينة لم يكن بها نصارى في ذلك الوقت. ثم هل يمكن أن يكون الله بهذا التناقض فيقول عن اليهود الذين طلبوا رؤيته أنه قد أخذهم بالصاعقة، أي قتلهم عقاباً لهم، ثم يقول "اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات". فكيف يتخذون العجل وهم أموات؟ **حاول أهل التفسير الخروج من هذا المأزق** بأن قالوا إن الله أحيى† بني إسرائيل بعد أن أماتهم. *وهذا في رأيي نوع من العبث الذي لا يليق بالإله*. لماذا يقتلهم بالصاعقة لأنهم طلبوا أن يروه ثم يحييهم مرة أخرى وهو يعلم أنهم سوف يعبدون العجل (فهو من المفروض فيه أن يعرف مسبقاً ماذا سوف يفعل عبيده) ثم يصفح عنهم ثم يرفع الجبل فوق رؤوسهم ويهددهم بأنه سوف يُلقي عليهم الجبل ليقتلهم مرة ثانية إذا لم يتركوا عبادة العجل؟ وفي آية أخرى يخبرنا أن موسى قد أمر بني إسرائيل، ولا بد بوحي من الله، أن يقتلوا أنفسهم لأنهم قد عبدوا العجل، رغم أن الله قال لنا إنه قد عفا عنهم:

† د. كامل
الفعل المضارع هنا هو يُحيي، بالياء، ولذلك يكون الماضي بالألف اللينة "أحيى"

> **{وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم.** (البقرة 54)}.

فإذاً الله قتل اليهود لأنهم طلبوا من موسى أن يريهم الله، ثم أحياهم ثم هددهم برمي الجبل عليهم ثم أمرهم أن يقتلوا أنفسهم فقتلوا من بعضهم سبعين ألفاً (كما تقول كتب التفسير) قبل أن يعفوا عنهم .*هل هناك **تخبط** أكثر من هذا في سرد هذه القصة*؟ لا يمكن أن يكون مؤلف هذه القصة إله لا ينسى ولا يخطيء؟ والغريب أن موسى نفسه كان قد طلب من الله أن يظهر له لكي يراه،

> **{ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال ربِ أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً.** (الأعراف 143)}.

فالله هنا لم يقتل موسى بالصاعقة بل نسف الجبل ليثبت له أنه موجود، فلماذا قتل بني إسرائيل عندما طلبوا نفس الشيء، فهم كانوا يتبعون قدوتهم الحسنة.

وبعد أن هددهم بأنه سوف يرمي الجبل عليهم، قال لهم ادخلوا الأرض الموعودة {**وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً**}. يقول القرطبي في تفسير هذا الجزء من الآية:

> "الباب هو باب في بيت المقدس يُعرف ب "باب حطة " قال بهذا مجاهد وغيره، وقيل باب القُبة التي كان يصلي إليها موسى وبنو إسرائيل، وسُجداً، قال ابن عباس: منحنين ركوعاً."

فكيف يأمر الإله بني إسرائيل أن يدخلوا القدس سُجداً وهو يعرف أن الكنعانيين كانوا لهم بالمرصاد ليمنعوهم من دخول أرض كنعان؟ هل يدخل الجيش أرض العدو سُجداً؟ وحسب العهد القديم فإن بني إسرئيل وموسى لم تكن لهم قبة يصلون عليها وإنما كانت لهم خيمة يحفظون فيها ألواحهم المقدسة وتابوتهم ويحملونها معهم حيثما حلوا في أيام التيه. ولم يكن لبيت المقدس بابٌ يُعرف ب "باب حطة" لأن مدينة القدس بُنيت في الألفية الرابعة قبل الميلاد (بين 3200 و 2600 قبل الميلاد) لكنها لم تصبح مدينة يهودية إلا عندما احتلها الملك داود حوالي عام 1000 قبل الميلاد وبنى بها سليمان معبده حوالي عام 900 قبل الميلاد. وظهور موسى ودخول بني إسرائيل إلى أرض كنعان كان قبل ذلك بحوالي ثلاثمائة عام أو أكثر.

ثم لماذا يقول لهم الإله "ادخلوا سُجداً" وهو يعني "منحنين ركوعا"؟ ألا يعرف هذا الإله الفرق بين السجود والركوع؟

ويستمر القرآن في سرد قصة بني إسرائيل فيقول:

> **{فيما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غُلفٌ بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا.** (النساء 155)}.

القرآن لم يبين لنا كيف أخذ الله ذلك الميثاق من جميع بني إسرائيل، ولأن محمد كان ينقل من قصص التوراة التي تقول إن الإله "يهوه" قد جعل قوس قزح علامة للميثاق الذي قد قطعه على نفسه أن يورثهم أرض كنعان إذا لم يعبدوا غيره، استنتج محمد أن الله قد أخذ ميثاق بنى إسرائيل. *والقرآن كعادته ذكر الميثاق دون أن يقول لنا ماهو ذلك الميثاق*. المهم أن بني أسرائيل قد نقضوا ذلك الميثاق وكفروا بآيات الله، كما يزعم محمد، رغم أن التوراة لا تذكر شيئاً عن كفرهم بآيات الله. ولم يكن نقضهم العهد هو كل شيء بل حاسبهم الله على قتلهم الأنبياء. كيف سمح الله لبني إسرائيل أن يقتلوا أنبياءه وهو جالس على عرشه يتفرج، بينما خسف الأرض بقوم صالح لأنهم عقروا ناقة الله؟ هل ناقة الله أهم من أنبيائه؟ أم أنها العقلية الصحراوية التي تمجّد البعير؟ وكم نبي قتل بنو إسرائيل؟ القرآن لا يخبرنا حتى وإن سألنا، كما سأل غيرنا. فعندما سأل عرب مكة محمد عن عدد أهل الكهف، لم يجبهم القرآن لأن محمد لم يكن يعرف عددهم، فقال:

> **{سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم.** (الكهف 22)}.

والأعراب كانوا يعتقدون أن الله يعرف عددهم ولذلك سألوا محمد عن عددهم. فأجابهم ب **"فزورة"**.

ولكن الفقهاء لا يعجزهم شيء، فهاهو ابن قيم الجوزية يخبرنا بعدد الأنبياء المقتولين عندما تحدث عن اليهود، فقال:

"فهم قتلة الانبياء: قتلوا زكريا وابنه يحيى وخلقاً كثيراً من الانبياء ، حتى قتلوا في يوم سبعين نبياً واقاموا الاسواق في اخر النهار كانهم لم يصنعوا شيئاً." [1]

فكيف بعث هذا الإله سبعين نبياً في وقت واحد لبني إسرائيل حتى تمكنوا من قتلهم كلهم في يوم واحد؟ وماذا كان رده على تلك المجزرة النبوية الشنيعة؟ ربما لم ينفعل الله لقتل سبعين نبياً لأنهم لا يمثلون إلا نسبة ضئيلة من عدد الأنبياء الذين بعثهم. فحسب كتب التراث الإسلامي فإن الله قد أرسل مائة وأربعة وعشرين ألف نبي ورسولٍ. والغريب أن القرآن يقول لنا في نفس الآية إن الله قد طبع على قلوب بني إسرائيل بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً، ومع ذلك بعث فيهم 124000 نبي ورسول؟
وتستمر القصة:

{وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيما. وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا. بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا. (النساء 156-159)}.

وقد عرفنا من الآيات السابقة أن بني إسرائيل قد كفروا لأن الله قد ختم على قلوبهم ولم يؤمن منهم إلا القليل. ولكنهم زادوا على ذلك الكفر وقالوا عن مريم بهتاناً عظيماً، أي أنهم قالوا إن مريم حملت سفاحاً. ولكنهم لم يكتفوا بذلك القول، فأضافوا إليه قولهم إنهم قتلوا عيسى بن مريم رسول الله. هل من الممكن أن يؤمن اليهود أن عيسى رسول الله ومع ذلك يقتلونه؟ هم قتلوا الأنبياء لأنهم لم يؤمنوا بهم، حسب ما يخبرنا القرآن، *ولأن الله كان قد طبع على قلوبهم الكفر*، فكيف يقولون إن عيسى رسول الله ثم يقتلونه؟ طبعاً اليهود لم يؤمنوا برسالة عيسى ولم يقولوا إنه رسول الله، ولكن تخيل محمد أنهم قالوا ذلك.
ثم يستمر القرآن فيخبرنا أنهم لم يقتلوا عيسى وإنما قتلوا شبيهه. مَن هو هذا الشبيه الذي صلبه اليهود، كما يقول القرآن، رغم أننا نعرف أن الرومان هم الذين صلبوه؟ ذلك الشبيه إما أن يكون بشراً قد عرّضه الله للعذاب والصلب دون ذنب جناه، أو يكون ملاكاً مغلوباً على أمره لأن الملائكة لا يعصون لله أمراً. ولكن لماذا عرّض الله الشبيه لتحمل كل ذلك العذاب؟ أما كان الأجدر به أن يرفع عيسى من فوق الصليب إلى السماء حتى يراه اليهود ويقتنعوا أنه رسول الله إليهم؟ فهو قد أنزل لهم مائدة من السماء تكفي لاشباع كل بني إسرائيل، هل يعجزه أن يرفع عيسى من الصليب؟ لو فعل ذلك لآمن كل اليهود الحاضرين بدل أن يوهمهم أنهم قد صلبوا عيسى فيستمرون في كفرهم. وإذا كان الله قد رفعه إليه حياً ولم تقتله اليهود، وما زال حياً في السماء، كما يقول الحسن وقتادة:

"قال الحسن إنه لحي عند الله الآن، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون. وقال الضحاك بنحو ذلك" [2].

فإذا كان عيسى مازال حياً في السماء منذ أن رفعه الله إليه، فهذا يعني أنه خالد، والقرآن يقول لنا إن عيسى بشرٌ، وإن الله لم يكتب الخلد للبشر {**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افإن متّ فهم الخالدون.** (الأنبياء 34)}. تضارب لا مبرر له.
ويستمر القرآن في الحديث عن عيسى **بلغة مرتبكة تقبل عدة تأويلات**، فيقول:

{وإنّ من أهل الكتاب إلا ليؤمن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً}.

ولأن القرآن يستعمل الضمير بكثرة دون ذكر المقصود به، اختلف المفسرون في تفسير هذه الآية.

"قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة: المعنى ليؤمن بالمسيح "قبل موته" أي الكتابي، فالهاء الأولى عائدة على عيسى، والثانية على الكتابي. وذلك أنه ليس أحد من أهل الكتاب اليهود والنصارى إلا ويؤمن بعيسى عليه السلام إذا عاين المَلَك (ملك الموت) ولكنه إيمان لا ينفع، لأنه إيمان عند اليأس وحين التلبس بحالة الموت. فاليهودي يقر في ذلك الوقت أنه رسول الله وكذلك النصراني يقر أنه كان رسول الله" [3].

طبعاً كل هذا اللف والدوران لا يُقنع أحداً، وقد قيل إن الحجاج بن يوسف لما قرأ هذه الآية قال لشهر بن حوشب: إني لأوتى بالأسير من اليهود والنصارى فآمر بضرب عنقه وأنظر إليه في ذلك الوقت فلا أرى منه الإيمان. فقال له شهر بن حوشب: إنه حين يعاين أمر الآخرة يقر بأن عيسى عبد الله ورسوله، فيؤمن به. فقال له الحجاج: من أين أخذت هذا؟ وكان الحجاج متوقعاً أن يقول له حوشب إنه أخذه من التوراة، ولكن حوشب قال له إنه أخذه من محمد بن الحنفية، الذي لم يكن قد ولد عندما مات محمد.
ولكن الأمر لم ينته هنا بالمفسرين، فقال بعضهم إن الهاءين، أي الضميرين في الآية، يرجعان لعيسى، ولا ترجع الهاء الثانية للكتابي كما قال ابن عباس. ولذلك قال الحسن إن عيسى لم يمت ومازال حياً في السماء وعندما ينزل يؤمن به أهل الكتاب، قبل أن يموت عيسى.

كل هذا التضارب في الرواية وفي التفسير نتج من قراءة سبع أيات من سورة النساء، والقرآن يحتوي على أكثر من ست آلاف آية، ولكم أن تتخيلوا كمية التناقض بينها وكمية الاختلاف بين المفسرين. فهل يُعقل أن تكون هذه القصص عن عيسى وموسى وأهل الكهف وغيرها واردة من إله في السماء لا يعزب عن علمه شيء؟ أشك في ذلك كثيراً.

عودة إلى الفهرس

[1] هداية الحيارى، ص 18.
[2] تفسير القرطبي للآية.
[3] تفسير القرطبي.

2008 / 7 / 13

114 - الإسلام والرعب

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=140718

هنالك مثل إنكليزي يقول:

تستطيع أن تأخذ الحصان إلى الماء ولكن لا يمكنك أن تجبره على الشرب you can take a horse to the water but you cannot make it drink.

وينطبق هذا المثل على مسألة الإيمان بأي معتقد. فيمكن للشخص الذي يحمل سيفاً ويقود جيشاً عرمرماً أن يجبر الناس على اعتناق دينه الجديد، ظاهرياً، ولكن لا يمكنه أن يُدخل ذلك الإيمان إلى قلوبهم بدون إقناع. ومحمد بدأ بمحاولة إقناع قريش بدينه الجديد عندما كان في مكة، وجاء قرآنه بآيات مثل: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن. (النحل 125)}. وبعد ثلاث عشرة سنة من الموعظة الحسنة لم يتبع محمد أكثر من حوالي مائة إلى مائة وخمسين رجلاً وامرأة، أغلبهم من الفقراء والغلمان. *وعندما اقتنع محمد بفشل قرآنه في إقناع قريش، هاجر إلى المدينة وهجر الموعظة الحسنة ولجأ إلى التخويف، وانعكس هذا في القرآن المديني. فنجد **الخوف والتهديد والوعيد** أصبح العامل المكمل للسيف في نشر الدعوة، وخلا القرآن تماماً من آيات الحب والعواطف الإنسانية النبيلة الأخرى.* فهناك مثلاً حوالي **تسعة وأربعين** موضعاً ذكر فيها القرآن كلمة "يحب" ولكن أغلبها كان حباً سالباً، أي {إن الله لا يحب}. وهناك حوالي **عشرة آيات فقط تقول إن الله "يحب"**. ولكن لأن القرآن **كله تكرار**، نجده يقول: {إن الله يحب المحسنين} **خمس مرات**، و {إن الله يحب المتقين} **ثلاث مرات**، و {إن الله يحب المتطهرين} **مرتين**، والله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً واحداً. وهناك حوالي **خمس وعشرين آية تقول إن الله "لا يحب"** عدة فئات من الناس، منهم المفسدين، والمسرفين، والخائنين، وحتى الفرحين، فإن الله لا يحبهم. ثم لجأ القرآن إلى تخويف الذين لا يؤمنون بدين محمد الجديد وبالغ في وصف العذاب الذي سوف يتعرضون له يوم القيامة، وذكر جهنم والنار والعذاب **حوالي مائة وست وأربعين مرة**، فقال:

> **{هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قُطّعت لهم ثيابٌ من نار يُصَبُ من فوق رؤوسهم الحميم. يُصهرُ به مافي بطونهم والجلود. ولهم مقامع من حديد. كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها. وذوقوا عذاب الحريق.** (الحج 19-22)}
> **{إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً.** (النساء 56)}.
> **{إن شجرة الزقوم. طعام الأثيم. كالمهل يغلي في البطون. كغلي الحميم. خذوه فأعتلوه إلى سواء الجحيم. ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم.** (الدخان 43-48)}.
> **{إنا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا.** (الكهف 29)}.
> **{إنا اعتدنا للكافرين سلاسلاً وأغلالاً وسعيرا.** (الإنسان 4)}.

- والغريب أن فقهاء الإسلام يؤكدون على أن **الخوف والتهديد يلعبان دوراً مهماً في إيمان المسلم**. يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر:

> "من الأساليب الحكيمة لتعميق الإيمان باليوم الآخر، وترسيخ الاستعداد لاستقبال هذا اليوم بالإيمان والعمل الصالح، تذكير الناس بأهوال هذا اليوم وبيان أحوالهم في هذا اليوم العصيب. ومن الآيات القرآنية التي صورت أهوال هذا اليوم تصويراً ترتجف له القلوب، قوله تعالى: {**يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. (الحج 1، 2)**}. وقد افتتح سبحانه هذه السورة الكريمة بهذا الافتتاح الذي تهتز له النفوس، لكي يزداد الناس إيماناً على إيمانهم، ويقيناً على يقينهم بأن يوم القيامة حق، وأن الثواب والعقاب فيه صدق. ولفظ الزلزلة كما يقول الإمام الألوسي، التحريك الشديد والازعاج العنيف، بطريق التكرير بحيث يزيل الأشياء من مقارها، ويخرجها عن مراكزها. وقال سبحانه: إن زلزلة الساعة شيء عظيم، بصيغة الإجمال والإبهام لهذا الشيء العظيم، لزيادة التهويل والتخويف" [1].

- وكأن كل هذا الوصف لأهوال القيامة في القرآن لا يكفي، أضاف أهل الحديث **أحاديثاً تزيد في رعب المسلم**. ففي صحيح الإمام مسلم نجد:

> "عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: [**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يافلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه**]."

- والقرآن نفسه يؤكد أنه يستعمل أسلوب التخويف مع الناس بدل الإقناع، فيقول:

> **{إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم.** (يونس 15)}.
> **{وما نرسل الآيات إلا تخويفا.** (الإسراء 59)}.
> **{إنما المؤمنون الذين إذا ذكروا الله وجلت قلوبهم.** (الحج 35)}.
> **{لئن اتخذت إلهاً غيري لاجعلنك من المسجونين.** (غافر 29)}.
> **{نخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا.** (الإسراء 60)}.
> **{والذين هم من عذاب ربهم مشفقون.** (المعارج 27)}.
> **{إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا.** (الإنسان 10)}.
> **{يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا.** (الإنسان 7)}.
> **{هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً.** (الرعد 12)}.

- ثم يحاول القرآن أن يلعب على العواطف فيُذّكر المسلمين بأن هذا القرآن يُدخل في قلوب الناس وحتى في الجمادات، خشية الله والخوف من عذابه، فيقول:

> **{وإن منها ما يهبط من خشية الله.** (البقرة 74)}، /يعني الحجارة/.
> **{إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون.** (المؤمنون 57)}.
> **{يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية.** (النساء 77)}.
> **{والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة إنهم إلى ربهم راجعون.** (المؤمنون 60)}.
> **{لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله.** (الحشر 21)}.

- وقد أكد صحابة محمد أن إيمانهم كان نتيجة الخوف وليس اقتناعاً، فعندما عيّن النبي عبد الله بن حذافة أميراً على سرية، أمرهم عبد الله هذا أن يجمعوا حطبا ويوقدوا نارا فلما أوقدوها أمرهم بالاقتحام فيها، فقال لهم:

> "ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاعتي؟ وقال: [من أطاع أميري فقد أطاعني]. فقالوا: ما آمنا بالله واتبعنا رسوله إلا لننجو من النار" [2].

---

[1] جريدة الأهرام: قضايا وآراء، 2003/05/01.
[2] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج5، سورة النساء، الآية 59.

- ثم زاد أهل الحديث في تخويف الناس من يوم القيامة بأن اخترعوا أحاديث **عذاب القبر والثعبان الأقرع** الذي يعض الميت في قبره من يوم موته إلى يوم البعث، بالإضافة إلى أسئلة وعذاب منكر ونكير.

> ***ولكل هذه الأسباب مجتمعة نجد أن إيمان الغالبية العظمى من المسلمين هو إيمان بقشور الإسلام وكيفية أداء الشعائر من صلاة وصيام وحج حتى ينجوا من النار فقط، وليس لتغيير سلوكهم الاجتماعي أو لغرس الفضيلة في أنفسهم أو في النشء.***

ويظهر هذا جلياً في المملكة العربية السعودية، الأرض التي نشأ بها الإسلام. فهناك نجد هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي توظف حوالي خمسة آلاف "مطوع" **ليسوقوا** الناس غصباً إلى الصلاة كلما حان وقتها، وإجبارهم على أغلاق متاجرهم ومكاتبهم وتعطيل مصالح الناس. *لا يحدث هذا بالإقناع والموعظة الحسنة، وإنما بالعصا*. وهؤلاء المطوعون الذين يطوعون الناس بالعصا لا يتحاشون ضرب النساء بالدرة إذا انكشف شعر أو ساق إحداهن. ويضربون الذي يتجرأ ويختلي بامرأة غير محرمة في سيارته. ويضربون الشباب إذا شكوا أن أحدهم قد حاول معاكسة الفتيات في الأسواق التجارية. **وباختصار يحق لهم الضرب حتى الموت لكل من شكوا فيه أو في سلوكه.**

ومع كل هذه المآخذ يزعم الإسلاميون **أن الله قد عُرف بالعقل وإن الإسلام هو دين العقل الذي يشجع بل يطلب من المسلمين التفكر في دينهم**. وهؤلاء الإسلاميون يطلبون المستحيل من المسلمين العرب إذ أن غالبيتهم العظمى أميون لا يعرفون القراءة والكتابة ولا يقرؤون القرآن، وإن حفظ بعضهم القرآن عن ظهر قلب عن طريق التلقين، فهو لا يفهم معناه ولا فرق بينه وبين المسلم الهندي الذي يحفظ القرآن بلغته العربية ويرتله دون أن يفقه منه كلمة واحدة.

وليت الأمر وقف عند عامة المسلمين، فحتى الفقهاء الذين فسروا القرآن ماكانوا يعرفون معنى جزء كبير من كلماته الغريبة فلجؤوا إلى التخمين. ودعونا نرى تخميناتهم في هذا الشرح لبعض آيات سورة "المطففين":.

{كلا إن الأبرار لفي سجين. وما أدراك ما سجين. كتاب مرقوم. (المطففين 7-9)**}.**

أربعة كلمات فقط: سجين، والأبرار، وكتاب، ومرقوم.

ودعونا نقرأ ما كتبه المفسرون الذين يعرفون كل شيء عن القرآن:

1. قال قوم من أهل العلم بالعربية:
   "كلا" ردع وتنبيه، أي ليس ألأمر مما هم عليه من تطفيف الكيل والميزان. فهي كلمة ردع وزجر.
2. وقال الحسن:
   "كلا" بمعنى حقاً.
3. وروى ناس عن ابن عباس أنه قال:
   إن أرواح الفجار وأعمالهم "لفي سجين".
4. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله:
   سجين صخرة تحت الأرض السابعة، تُقلب فيُجعل كتاب الفجار تحتها.
5. وقال كعب:
   تحتها أرواح الكفار تحت خد إبليس.
6. وعن كعب أيضاً قال:
   سجين صخرة سوداء تحت الأرض السابعة، مكتوب فيها اسم كل شيطان، تُلقى أنفس الكفار تحتها.
7. وقال سعيد بن جبير:
   سجين تحت خد إبليس. وقال يحيي بن سلام: سجين حجر أسود تحت الأرض، تكتب فيه أرواح الكفار.
8. وقال عطاء الخرساني:
   هي الأرض السابعة السفلى، وفيها إبليس وذريته.
9. وعن ابن عباس قال:
   إن الكافر يحضره الموت، وتحضره رسل الله، فلا يستطيعون لبغض الله له وبغضهم إياه، أن يؤخروه ولا يعجلوه حتى تجيء ساعته، فإذا جاءت ساعته قبضوا نفسه، ورفعوه إلى ملائكة العذاب فأروه ماشاء الله أن يروه من الشر، ثم هبطوا به إلى الأرض السابعة وهي سجين، هي آخر سلطان إبليس فأثبتوا فيها كتابه.
10. وعن كعب الأحبار قال:
    إن روح الكافر إذا قُبضت يُصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها، ثم يُهبط بها إلى الأرض فتأبى الأرض أن تقبلها، فتدخل في سبع أرضين حتى يُنتهى بها إلى سجين، وهو خد إبليس.
11. قال مجاهد:
    عملهم تحت الأرض السابعة لا يصعد منه شيء.
12. وروى أبو هريرة عن النبي (ص) قال:
    "سجين جب في جهنم وهو مفتوح."
13. وقال في مكان آخر:
    "إنه جب مغطى".
14. وقال أنس:
    قال النبي: "سجين أسفل الأرض السابعة".
15. وقال الزجاج:
    "لفي سجين" لفي حبس وضيق شديد.
16. وقيل:
    أصله "سجيل" فأبدلت اللام نوناً.
17. وقال أسلم بن زيد:
    سجين في السماء الدنيا.

انتهى.

فماذا نفهم من هذا؟ هل سجين هي خد إبليس، أم صخرة تحت الأرض السابعة، أم حجر أسود فيه أسماء الشياطين، أم مكان تُحفظ فيه أرواح الكفار تحت الأرض، أم هي بئر في جهنم، أم مكان في السماء الدنيا؟ إنه الجهل المركّب مع ادعاء العلم والمعرفة .

عودة إلى الفهرس

115 - أيمكن أن يكون عيسى ابن الله؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=141448

تقول الأناجيل المسيحية إن يسوع ابن الله وفي نفس الوقت هو ثالث الأقانيم (الأب، الابن، الروح القدس) التي تكوّن الله الواحد. وقد تبنت الكنيسة الكاثوليكية هذا المعتقد منذ نشأتها. ورغم أن الكنيسة الأرثودوكسية الشرقية في مصر وسوريا وآسيا الصغرى كانت على خلاف بشأن إلوهية يسوع التي نفاها آريوس الإسكندراني وأيدها الأسقف المصري الاسكندر ومساعده اثاناسيوس Athanasius في السنوات التي سبقت مؤتمر "نيقا" في العام 325 ميلادي، بعد أن اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية، فقد تغلّب التيار السياسي في النهاية على التيار الاكليريوسي وتبنت الكنيسة الشرقية فكرة أن يسوع ابن الله وثالث الأقانيم. بل تزيد الكنيسة على ذلك وتقول إن كل البشر أبناء الله. وهذه طبعاً ليست أبوة بيولوجية وإنما أبوة معنوية فقط، بمعنى أنه يحنو على مخلوقاته كما يحنو الأب على أبنائه.
وعلى النقيض من ذلك يقول الإسلام إن عيسى عبد الله ورسوله، وإن كل البشر عبيد الله وإن الله لم يلد ولم يولد. *والبون شاسع هنا بين أن يكون عيسى عبداً لله وبين أن يكون ابنه وجزءاً مكوّنا للإله نفسه*.
وإذا لجأنا إلى العقل والمنطق البحت، فإن الله، إذا كان موجوداً في السماء، وهو واحد لا ثان له، فيصعب على العقل مصالحة فكرة وجود ابن لله دون أن يكون لله زوجة أو صديقة تلد ذلك الابن، كما قال القرآن {أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة}. ولكن في نفس الوقت، وبما أن الله قادرٌ أن يقول للشيء "كن" فيكون، فمن المعقول من الناحية النظرية أن يكون لله ابن رغم أن الغاية من وجود ذلك الابن لا يسهل فهمها.
والمتتبع لقصة ولادة عيسى في القرآن **يجد تضارباً في الاقوال يجعل من الصعب الجزم بأن عيسى ليس ابن الله**، والسبب في ذلك هو أن محمد كان يسمع من ورقة بن نوفل والعبيد النصارى بمكة، وبقية الفرق النصرانية مثل "الأبيونيين" و "المريميين" قصص وشرائع المسيحية المتداولة في تلك المنطقة في ذلك الوقت، وفي نفس الوقت كان ينادي بوحدانية الله، فاختلط عليه الأمر مع مرور الزمن وأتى بأفكار نصرانية في قرآنه تدعم فكرة أن عيسى ابن الله. ولكي نصل إلى مولد عيسى وأبوته لابد أن نبدأ من نقطة الصفر، وهي: هل يمكن أن يكون لإله الإسلام أبناء؟ ورغم أن القرآن يقول إن {الله لم يلد ولم يولد}، نجد آيات عديدة تحكي عن غضب الله واحتجاجه عندما قالت الأعراب إن الملائكة بنات الله أو إن لله بنات.
فنجد على سبيل المثال:

> **{ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون.** (النحل 57)**}.**

وكذلك يقول لمحمد:

> **{فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون. أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون.** (الصافات 149، 152)**}.**

ويقول كذلك:

> **{أم له البنات ولكم البنون.** (الطور 39)**}.**

فيبدو من كل هذه الآيات أن **احتجاج الله منكب على أنهم وهبوا له البنات واحتفظوا بالبنين**، أي الصبيان. فالله قطعاً لا يحب البنات، ولربما قبل بالأمر ولم يحتج لو كانوا قد وهبوا له البنين واحتفظوا بالبنات. وربما يقول البعض إن إله الإسلام الذي خلقته مخيلة رجل الصحراء، *شكلته تلك المخيلة في قالب الرجل العربي الصحراوي الذي كان يبتهج ويهلل لميلاد الصبيان الذين يساعدونه في حروبه مع القبائل الأخرى وفي سبي النساء*، ويكفهر وجهه إذا بُشر بالانثى. فكما يكون الإنسان يكون إلهه. فهذا الإله الذي يعترض على أبوة الإناث لا يعترض بصريح الآيات على أبوة الصبيان، فهو مثلاً لم يقل (أله البنون ولكم البنات)؟ ورغم أنه قال {لم يلد ولم يولد} فهذا لا يعني أنه لم يخلق لنفسه أبناءً ذكوراً دون أن يلدهم. فليس من المستحيل أن يكون له أبناء، على شرط أن يكونوا ذكوراً لأنه لا يحب البنات. ولكي نصل إلى أصل أبوة يسوع أو عيسى (كما يسميه القرآن)، دعونا نبدأ القصة من ميلاد أمه مريم.
يقول لنا القرآن:

> **{إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك مافي بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم 35 فلما وضعتها انثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وأني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم 36 فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب 37.** (آل عمران)**}.**

فامرأة عمران، أي أم مريم، وهبت مافي بطنها لله محرراً. وكلمة "محرراً" تعني أنه لا يُنتفع به لشيء في الدنيا. أي تكون في خدمة الله فقط ولا تهتم بأمور الدنيا. يقول القرطبي عن هذه الآيات:

> " "محررة" مأخوذة من الحرية التي هي ضد العبودية، وروى خصيف عن عكرمة ومجاهد أن التحرر الخالص لله لا يشوبه شيء من أمر الدنيا. يُقال: باتت فلانة بليلةٍ حُرة إذا لم يصل إليها زوجها أول ليلة، فإذا تمكن منها فهي (باتت) بليلةٍ شيباء. و "تقبلها ربها" قال قوم: التقبل بمعنى التكفل في التربية والقيام بشأنها، وقال الحسن: معنى التقبل أنه ما عذبها ساعةً قط في ليل أو نهار. و "أنبتها نباتاً حسناً" يعني خلقها من غير زيادة أو نقصان، فكانت تنبت في اليوم ما ينبت المولود في عام كامل. وجاء في الخبر أنها كانت في غرفة كان زكريا يصعد إليها بسُلم. وكان يغلق عليها الباب. وكان لا يدخل عليها إلا زكريا، حتى كبرت، فكانت إذا حاضت أخرجها من المحراب إلى منزله فتكون عند خالتها. وكانت خالتها امرأة زكريا في قول الكلبي. وكانت إذا طهرت من حيضتها واغتسلت ردها إلى المحراب. وقال بعضهم كانت لا تحيض وكانت مطهرة من الحيض."

ومن هذه الآيات يبدأ **التخبط** في قصة ميلاد عيسى بن مريم. فمريم التي وهبتها أمها إلى الله خالصةّ لخدمته ولا يُستفاد بها لشيء في الدنيا، كان من المتوقع أن تكون راهبةً بتولاً لا تتزوج، فكيف عرفت أمها أن سيكون لها ذرية فقالت {وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان}؟ فأمها كانت تعرف أنها منذورة إلى الله ولن تتزوج، فلا بد أن الله قد أوحى لأم مريم أنه قد تقبل مريم واصطفاها لنفسه وأنه سوف يضع في بطنها ذريته، لذلك طلبت منه أن يعيذ ذريتها. ثم نعرف من سياق القصة أن زكريا وضعها في غرفة في المحراب لا يصل إليها إلا بسلم وكان يُغلق عليها الباب ولا يخرجها إلا عندما تحيض، إذا كانت تحيض، فلم يكن هناك أي فرصة لمريم أن تنجب من رجل عادي وبالتالي *لم يكن هناك أي سبب يجعل أمها تطلب من الله أن يعيذ ذرية مريم من الشيطان*.
ثم يقول لنا القرآن:

> **{واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً 16 فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا 17 قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا 18 قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا 19.** (مريم)**}.**

مريم التي كانت تعيش في غرفة بالمحراب لا يراها إلا زكريا العجوز، لماذا انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً وجعلت بينها وبينهم حجاباً؟ هل كان المكان الشرقي أكثر أماناً من غرفتها بالمحراب؟ أم هل كانت على موعد مع أحد؟ وإذا كانت على موعد، فلا بد أن يكون

الموعد مع **روح الله** لأنها لم تكن ترى أي إنسان آخر غير زكريا. *وهل كان يصعب على روح الله أن تأتيها في غرفتها في المحراب؟* فقد كان الملاك يحضر لها الفواكة كل يوم في الغرفة. ولكن يبدو أن مريم عرفت أن الله سوف يضع روحه فيها وخشيت إن حملت وهي في المحراب، أن يتهموا زكريا بها، ولذلك انتبذت مكاناً شرقياً لتبعد التهمة عن زكريا. فليس هناك أي تفسير آخر لهروبها من المحراب وانتباذ مكانٍ قصي من أهلها لأن أهلها لم يكونوا يزورونها في غرفتها في المحراب.

ثم نأتي إلى مسألة روح الله التي أرسلها إلى مريم، فما هي **روح الله** التي تمثلت لها في هيئة رجل؟ يقول بعضهم إن الروح هو جبريل. لماذا تمثل لها جبريل في هيئة رجل ليخبرها أن الله قد قرر أن يهبها غلاماً زكياً؟ *نحن نعرف أن الله إذا أراد أن يفعل شيئاً إنما يقول له "كن" فيكون. فلم يكن هناك أي داعٍ ليرسل جبريل في هيئة رجل ليخبرها بذلك القرار*، أو كان من الممكن أن يرسله على هيئة امرأة عجوز حتى لا تفزع مريم منها، إذ كانت المهمة هي إعلام مريم أن الله سوف يهب لها غلاماً زكياً، والمرأة المسنة كان يمكنها إبلاغ مريم تلك الرسالة دون أن تخيفها كما أخافها جبريل الرجل فاستعاذت بالله منه. فلا بد أن تلك الروح هي روح الله، أي الله نفسه قد أتى مريم وفي هيئة رجل ليمنحها جسدياً ذلك الغلام الزكي. والدليل على ذلك نجده في القرآن نفسه الذي يقول:

{ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين. (التحريم 12)}.

فإذا نستطيع أن نقول إن روح الله أتت مريم التي كانت قد أحصنت فرجها، في هيئة رجل ونفخ ذلك الرجل في فرجها نفخةً جعلتها تحبل بعيسى. فالقرآن لا يقول (فنفخ جبريل أو نفخ روح الله في فرجها) إنما يقول {**فنفخنا فيه**} أي نفخ هو نفسه وليس رسوله الذي أرسله ليخبر مريم. ولا يكتفي القرآن بإخبارنا مرة واحدة بما حدث، فكررها مرة أخرى في سورة الأنبياء وقال:

{والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين. (الأنبياء 91)}.

فكون روح الله تمثلت في هيئة رجل ونفخ ذلك الرجل بعض روح الله في فرج مريم البتول، يعني أن عيسى جزء أو بعض من روح الله. فلو لم يكن المقصود من النفخ هو الأبوة الفعلية، لماذا لم ينفخ الرجل في أنفها أو فمها أو حتى على بطنها ثم يقول الله للابن "كن" فيكون في بطنها؟ *فالنفخ في الفرج المقصود منه توكيد أن حمل مريم لم يختلف عن حمل أي امرأة أخرى، ونتج من مجامعة رجل للمرأة في فرجها*، وبالتالي فعيسى لا يختلف عن بقية الناس، **وهذا ما أراد القرآن توكيده من أن عيسى بشر ورسول الله**.

ومريم التي لم تخرج من غرفتها بالمحراب منذ أن كانت طفلة صغيرة ولم تختلط بأي إنسان آخر غير زكريا العجوز، وزكريا حتماً لم يجلس إليها ليحدثها عن الجنس وكيف يجامع الرجل المرأة فتحبل منه، كان رد الفعل من جانبها عندما علمت أن سيكون لها غلام أن قالت:

{أنّى يكون لي غلامٌ ولم يمسسني بشرٌ ولم أك بغيا. (مريم 20)}.

كيف عرفت تلك الفتاة التي تربت في غرفة مغلقة لا يُوصل إليها إلا بسلم، أن هناك نساء بغايا يمارسن الجنس مع مَن يدفع لهن من الرجال ويمكن أن يحبلن منهم؟ ونلاحظ هنا أنها لم تقل "لم يمسسني رجلٌ" وإنما قالت {**لم يمسسني بشر**}، وطبعاً لو مستها امرأة أخرى، والمرأة بشر، فمن المستحيل أن تحبل. فهل كانت تقصد أنها تتوقع أن يمسها رجلٌ غير بشري؟

ونستطيع أن نستنتج من القصة حتى الآن أن

مريم تسللت من غرفتها إلى مكان شرقي وحدث اللقاء بينها وبين روح الله وحبلت بعيسى. فلابد أن مريم رجعت إلى غرفتها بالمحراب بعد ذلك وظلت بها إلى أن اكتمل الحمل إلى الشهر التاسع، إذا كان جنينها بشراً مثل بقية الأجنة. أو أن يكون جنينها غير بشري وحدث الحمل والولادة في نفس اليوم.

والقرآن لا يوضح لنا الذي حدث بعد اللقاء، ولكنه يقول لنا:

{فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً. فجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني متُّ قبل هذا وكنت نسياً منسيا. (مريم 22، 23)}.

فيبدو أن مريم لم ترجع إلى غرفتها ولم يفتقدها زكريا في المحراب، وكان لابد أن يفتقدها لو غابت تسعة أشهر عن غرفتها، ولو رجعت وظلت بغرفتها تسعة أشهر لظهر عليها الحمل ولعرف زكريا أنها لم تعد بتولا وربما اتهموا زكريا باغتصابها. فالظاهر أنها حملت بالجنين وانتبذت في نفس الوقت مكانا قصياً وجاءها المخاض إلى جذع النخلة في نفس اليوم. فلا يمكن أن يكون هذا الجنين بشراً بأي حال من الأحوال ويتم حمله وولادته في نفس الوقت. فلا بد أنه كان جنيناً غير بشري، والأب هو روح الله.

وللتوكيد على أن عيسى لا بد أن يكون ابن الله، فقد أخبرنا القرآن أن الله أختار مريم له شخصياً،

{يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين. (آل عمران 43)}.

فإذاً الله قد اصطفى مريم من دون نساء العالمين وطهرها من الحيض وجعلها صفيته ونفخ في فرجها حتى حبلت، فهل ترك القرآن أي شكٍ في عقل القاريء المحايد من أن الحمل نتج عن اتصال بين روح الله وفرج مريم؟

وعندما قال أهل الكتاب إن عيسى ابن الله، قال لهم القرآن:

{يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه. (النساء 171)}.

فكون عيسى كان رسول الله لا يمنع من أن يكون ابنه ورسوله في نفس الوقت. والأفضل أن يرسل الإله أو الإنسان ابنه لينفذ له مهمة صعبة. فالله في هذه الآية لا ينكر أن عيسى ابنه وإنما يقول إنه كلمته التي ألقاها إلى مريم، وقد رأينا كيف ألقاها بالنفخ في فرجها، ويقول كذلك إنه روحٌ منه، أي جزء منه.

فمن سياق قصة القرآن يتضح أن عيسى هو فعلاً ابن الله من الناحية البيولوجية. فمحاولة مفسري القرآن الاحتماء وراء جبريل وأن الله لم يلد ولم يولد، لا ترد شبهة أن الله قد نفخ في فرج مريم ابنه عيسى.

عودة إلى الفهرس

116 - حوار الأديان السماوية في شبه الجزيرة الآيبيرية

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=141876

ربما يكون من المشجع للبعض أن يدعو العاهل السعودي الملك عبد الله بن عبد العزيز إلى مؤتمر عالمي لحوار الأديان، ولكن قبل ذلك كان عليه أن يُصلح بيته في الداخل، فشيوخ **الدين الوهابي** بالمملكة هم *أكثر الناس غلواً، وتطرفاً، واحتقاراً للآخر المخالف، وتمسكاً بالسلف الذي يعتقدونه صالحاً*. **فلو أصلح الملك عبد الله بيته لما احتجنا لمثل هذا المؤتمر، لأن كل الأديان والمعتقدات الأخرى يعيش أتباعها في انسجام مع بعضهم البعض، مع اختلاف ما يؤمنون به**. فنجد بلداً مثل أمريكا مثلاً، بها جميع معتقدات العالم، ولكن الكل يعيش في أمريكا كمواطن أمريكي له نفس الحقوق وعليه نفس الواجبات، ولا دخل لمعتقده في مواطنته. **ولم نسمع يوماً بحوار بين البوذية والمسيحية لأن كلا الديانتين تدعوان للسلم والتسامح.**

والمؤتمرات عامةً لا تفيد شيئاً. هناك حكمة تقول: إذا أردت أن تقتل أمراً هاماً فكوّن له جمعية أو اعقد له مؤتمراً. ونحن، بلا شك، قد شبعنا من المؤتمرات عن الإسلام وعن المرأة المسلمة وعن فلسطين. وجميع هذه المؤتمرات لم تنجز شيئاً مما عُقدت لأجله غير إتاحة الفرصة للمؤتمرين لرؤية بلاد جديدة، خاصةً في أوروبا، وتمكين هؤلاء المؤتمرين من التسوق وشراء أحدث المنتجات الغربية.

وفي السنوات الأخيرة كثرت المؤتمرات في مكة على أساس أنها منبع الإسلام ولها مكانة خاصة في قلوب المسلمين،

- فكان هناك مؤتمر مكة لعقد الصلح بين منظمة فتح وحركة حماس، والذي عُقد تحت رئاسة خادم الحرمين الملك عبد الله في فبراير (شباط) 2007. وفعلاً حدث الصلح في مكة المكرمة **وتصافح الفريقان أمام بيت الله الحرام**، وتنفس الملك عبد الله الصعداء.

  ولكن للأسف الشديد، وقبل أن يجف الحبر على الورق، وصل وفد حماس إلى غزة وأعلن أن الاتفاق لا يعني الاعتراف بالاتفاقيات التي عقدتها المنظمة مع إسرائيل. ورجعنا إلى خانة الصفر أو خانة اليّك، كما يقول البعض.

- وكان هناك مؤتمر مكة للتقريب بين السنة والشيعة العراقيين، في أكتوبر(تشرين الأول) 2006. ووقف "العلماء" العراقيون من سُنة وشيعة أمام البيت الحرام وتعاهدوا **واتفقوا أن الدم العراقي تحرم إراقته**. وتنفس الملك عبد الله الصعداء مرة أخرى وشكر الله على نعمة الاتفاق.

  وبمجرد وصول المؤتمرين إلى بغداد والنجف سالت الدماء العراقية حتى اختلطت بماء دجلة، كما خلطها الحجاج بن يوسف قبلهم، براً بقسمه.

- وكانت هناك مؤتمرات في الأردن وفي الدوحة وفي غيرها للتقريب بين المذاهب الإسلامية أو للحوار بين الإسلام وبقية الأديان. وقد قاطع هذه المؤتمرات مَن قاطعها من الشيوخ لأن الحاخامات كانوا مدعوين لها، وحضرها مَن حضرها، لكنها لم تقدمنا قيد أنملة في طريق التقريب بين المذاهب أو الأديان.
- وفي خطوة لا تخلو من **الذكاء العربي الوراثي**، قرر الملك عبد الله عقد مؤتمر عالمي للحوار بين الأديان، شريطة أن يُعقد هذا المؤتمر في **الأندلس التي يحن المسلمون إلى استرجاعها إلى الحظيرة وطرد النصارى منها**. ويظهر الذكاء في **تفادي الإحراج** إذا عقد الملك عبد الله المؤتمر في الرياض مثلاً، *لأن بعض المؤتمرين ربما يطلب زيارة مكة التي لا يسمح المسلمون لأتباع الأديان الأخرى أو للملحدين بدخولها، لأن أرضها قد وطئتها أقدام الرسول المطهرة ولا يجوز بعد ذلك أن تطأها قدم كافر أو ملحد*. ولكن كي لا يحرم الملك عبد الله المسلمين من بركات مكة المكرمة، فقد عقد مؤتمراً مبدئياً في مكة جمع خمسمائة من "علماء" المسلمين حتى يتفقوا على **مرجعية للحوار** مع غير المسلمين. وكالعادة أختلف "علماء" المسلمين، فرفض الشيخ عكرمة، مفتي القدس مثل هذا الحوار، بينما انقسم الآخرون حول مفهوم "الحوار المستسلم" و"الحوار من دون حجج"، وهم يعنون أن غير المسلمين ليست لديهم حجج يحاورون بها، فالحجج محصورة في الإسلام فقط لأنه دين العقل ودين "إقرأ". وتأكيداً لذلك افتتح دكتور التركي، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، المؤتمر بالتأكيدات المشهورة من أن:

  "الإسلام دين حوار وإقناع واقتناع لأسباب كثيرة أولها أنه يحترم العقل الإنساني ويحث على استخدامه..الخ".
  وأكد الدكتور حسين الأهدل، المدير العام للإعلام والعلاقات العامة برابطة العالم الإسلامي، أن الهدف الرئيسي من المؤتمر هو توحيد كلمة المسلمين ووضع مرجعية لهم في الحوار مع غير المسلمين [1].
  ولكن نفس الأهدل هذا قد رفض "فكرة أن يكون هدف المؤتمر في مدريد هو التقريب بين الأديان، كان ذلك باتجاه الاسلام أو أي دين آخر، مفيداً إن فكر التقريب بين الأديان مرفوض تماماً من قبل المسلمين كما إنه مرفوض من قبل الأديان الأخرى، ففكر التقريب لن يكون مجدياً ولن يحدد موقفاً وسطاً بل أن كل أتباع الدين الراغبين في التقريب لا يهدفون إلا لاستقطاب شريحة الدين الآخر لإدخالها تحت ديانتها ومعتقداتها."
  انتهى.

بمعنى آخر فإن المسلمين يرفضون مناقشة النقاط التي تُقرّب بين الأديان لأن ذلك ربما يقود إلى التبشير بالمسيحية في بلاد المسلمين، أو إلى التبشير بالمذهب الشيعي في البلاد السنية، كما أكد الدكتور القرضاوي في مؤتمر الدوحة للتقارب بين المذاهب. والتبشير بالنصرانية في بلاد المسلمين يقود إلى السجن، كما حدث مؤخراً في الجزائر وفي مصر والسودان.

- أما المؤتمر الذي يهمنا أمره الآن هو **مؤتمر مدريد** في شبه جزيرة آيبيريا أي الأندلس. وقد ترددتُ في الكتابة عن هذا المؤتمر لأن عدداً كبيراً من الكُتاب قد طرقوه. ولكن عندما ظهر البيان الختامي وجدت نفسي مندفعاً للكتابة عنه *لأن المسلمين بدؤوا البيان الختامي، كالعادة، بكيل الثناء على الإسلام ووصفه بما يتمنونه أن يكون عليه، وهو بعيد كل البعد عما يقولون، ولم يمدحوا أي ديانة أخرى أو حتى يذكروها بالإسم.*

فدعونا نلقي نظرة على بيانهم الختامي الذي من المفروض فيه أن يعكس فكر الأديان الأخرى كذلك وليس الإسلام فقط.

- بعد أن قدم المؤتمرون خالص تقديرهم لخادم الحرمين الشريفين لرعايته للمؤتمر وافتتاحه له، وبعد أن اعتبروا الكلمة التي ألقاها **وثيقة تاريخية** مهمة تضاف إلى وثائق المؤتمر،
- شكروا الدولة الإسبانية لما تتمتع به من إرث تاريخي بين أتباع الديانات، أسهم في الحضارة الإنسانية... فما هو يا تُرى هذا الإرث الذي شكروهم عليه؟ هل هو إرث عقبة بن نافع وطارق بن زياد اللذين قتلا وسبيا مسيحيي إسبانيا قبل أن يسميها المسلمون "الأندلس"، أم هو إرث الموحدين والمرابطين الذين أجبروا اليهود على الخروج من إسبانيا وقتلوا من تبقى منهم، أم هو إرث الملك فيردنانس والملكة اليصابات اللذين استردا إسبانيا من المسلمين وقتلا ما تبقى منهم مع بقية

[1] الشرق الأوسط 2008/6/4.

اليهود، إذا لم يتحولوا إلى المسيحية؟ ومن ثم خلت إسبانيا من الإسلام والمسلمين واليهود رغم الاحتلال العربي الإسلامي الذي دام ثمانية قرون؟ **إنها المجاملات الجوفاء التي لا تقدم ولا تأخر في حوار الأديان.**

- واستمر البيان الختامي، فقال:

"وإذ يستذكرون إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1994 والمبادئ الداعية للتسامح ونشر ثقافة السلام، واعتبار عام 1995 عاماً للتسامح، وإعلانها عام 2001 عاماً للحوار بين الحضارات" انتهى.

وما دام الملك وبقية المسلمين يتذكرون دعوة الأمم المتحدة للتسامح والتي صدرت قبل ثلاث عشرة سنة، هل لنا أن نسأل خادم الحرمين:

- o أين التسامح مع المسيحيين والبوذيين في مملكتك؟
- o أين كنائسهم وكتبهم المقدسة؟
- o أين التسامح مع شيعة السعودية، أين مساجدهم وأين أساتذتهم بالجامعات السعودية؟
- o أين التسامح مع البهائية ومع الإسماعيلية؟
- o أم أن التسامح لابد أن يكون من أتباع الديانات الأخرى للمسلمين؟
- o لماذا لم يمنع الملك شيوخ الوهابية من تسمية بلاد الغرب "دار الحرب" ولماذا مازالو يمنعون بيع الورود الحمراء في فبرائر (شباط) من كل عام، ومازالوا يلقون على مسامع طلابهم دروس الولاء والبراء؟
- o وماذا عن التسامح مع الدروز ومع الأيزدية الذين يسميهم المسلمون "عبدة الشيطان" ويذبحهم مسلموا العراق ذبح النعاج؟

ربما نسي المؤتمرون أن *شيخ الإسلام ابن تيمية*، **القدوة الحسنة لشيوخ الوهابية**، قال عن الدروز:

"كفر هؤلاء مما لا يختلف فيه المسلمون، بل من شك في كفرهم فهو كافر مثلهم، لا هم بمنزلة أهل الكتاب ولا المشركين، بل هم الكفرة الضالون، فلا يباح أكل طعامهم، وتسبى نساؤهم، وتؤخذ أموالهم، فإنهم زنادقة مرتدون لا تقبل توبتهم، بل يقتلون أينما ثقفوا ويلعنون كما وصفوا".

وفتاوى ابن تيمية هذه تُدرّس في مدارس السعودية وفي مدارس الجامع الأزهر. ياله من تسامح تُحْسَدون عليه. إذا لم يتسامح المسلمون مع بعضهم، كيف يتسامحون ويتحاورون مع الكفار؟

- وقد أكد المؤتمرون على المباديء الآتية التي لا تمت لأرض الواقع بصلة، إنما تعكس اعتزاز المسلمين بدينهم ومحاولة تجميل صورته:

❖ (المساواة بين الناس على اختلاف ألوانهم وأعراقهم وثقافاتهم.) انتهى.

وطبعاً هذا الادعاء **إدعاء أجوف** لأن الإسلام من أول أيامه جعل قريش فوق جميع العرب، ثم العرب الآخرين بعدها ثم العجم من أكراد وأتراك وغيرهم ثم العبيد. وأنشؤوا فقهاً خاصاً للعبيد والإماء ما زال سارياً. وعندما قرر الخليفة عمر بن الخطاب تدوين سكان المدينة:

"دعا عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من نُسّاب قريش فقال اكتبوا الناس على منازلهم فكتبوا فبدؤوا ببني هاشم ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه ثم عمر وقومه على الخلافة فلما نظر فيه عمر قال لوددت والله أنه هكذا ولكن ابدؤوا بقرابة رسول الله الأقرب فالأقرب حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله" [2].

ويقول ابن حبان:

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، و اصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم، فأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض وأنا أول شافع وأول مشفع"[3].

فقريش أفضل الناس رغم أنهم حاربوا الإسلام حتى آخر لحظة قبل فتح مكة. *فالإسلام لا يعرف المساواة في أي شيء*، حتى الأنبياء فضل الله بعضهم على بعض، وفضّل الرجال على النساء درجات. وإذا كان الإسلام يدعو إلى المساواة بين المسلمين إن لم نقل بين كل الناس، لماذا حكمت إحدى المحاكم الشرعية في السعودية في سبتمبر (أيلول) 2006 بتطليق امرأة سعودية من زوجها السعودي المسلم **على أساس أنه غير كفء لها في النسب**، ومازالت تلك المرأة تعيش مع ابنتيها الصغيرتين في أحد السجون؟

المسلمون دائماً يقولون ما لا يفعلون، كالشعراء الذين يتبَعهم الغاوون.

❖ (سلامة الفطرة الإنسانية، فالإنسان خُلق محباً للخير، مبغضاً للشر، يركن إلى العدل وينفر من الظلم.) انتهى.

ولا أعلم من أين أتوا بهذه الصفات عن الإنسان الذي يقول عنه قرآنهم: {**إن الإنسان لظلومٌ كفار.** (إبراهيم 34)}. وكذلك عندما تحدث عن الأمانة التي حملها الإنسان، قال: {**وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً كفوراً.** (الأحزاب 72)}. ويقول: {**إن الإنسان خُلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً. وإذا مسه الخير منوعاً.** (المعارج 19-21)}.

فإضفاء الصفات الجميلة على الإنسان لا يغيّر في طبيعته الشرسة. ومحاولة الأديان تغيير طبيعة الإنسان لم تنجح في يوم من الأيام. والاعتماد على مثل هذه المقولات في الحوار لن يقدم شيئاً.

❖ (الديانات الإلهية تهدف إلى تحقيق طاعة الناس لخالقهم وتحقيق السعادة والعدل والأمن والسلام للبشر جميعا، وتدعو إلى نشر الفضيلة بالحكمة والرفق ونبذ التطرف والغلو والإرهاب.) انتهى.

فإذا كانت الديانات السماوية تهدف إلى تحقيق الأمن والسلام للبشر جميعاً:

- o لماذا غزا المسلمون فارس والروم ومصر وشمال أفريقيا وإسبانيا التي لم تهاجمهم أو حتى تسمع بهم، والسند والهند؟
- o ألم يكن من حقهم، وهم المسيحيون أو البوذيون، أن يعيشوا في سلام في بلادهم؟
- o وماذا عن الكنعانيين وبقية القبائل التي كانت تسكن أرض كنعان (فلسطين) وأبادهم أنبياء الإله "يهوه" بتشجيع منه، وبقيادة جيوشهم في بعض الحالات؟

وإذا كانت الأديان تدعو إلى الفضيلة بالحكمة وبالرفق، هل يحق لنا أن نسأل الملك عبد الله:

---

[2] تاريخ الطبري، ج2، ص 570.

[3] السيرة النبوية لابن حبان، ص 9.

- لماذا يجوب شوارع مملكته أكثر من خمسة آلاف مطوع مسلحين بالعصي والسياط لإجبار الناس على الصلاة ومنع الاختلاط؟
- ولماذا أصبحت مملكته بؤرة التعصب والغلو الوهابي ومفرخة الإرهاب في العصر الحديث؟
- ولماذا كلما زادت مظاهر التدين في العالم الإسلامي، كما في مصر والسودان وإيران، زادت معها نسبة الجرائم الأخلاقية من رشوة واغتصاب وزنى وسرقة المال العام؟

❖ (احترام الديانات الإلهية وحفظ مكانتها وشجب الإساءة لرموزها.) انتهى.

وهنا يحق لنا أن نسأل:

- إذا كان فقهاء الإسلام المجتمعون في مدريد يوصون باحترام الأديان الإلهية، ناهيك عن غيرها، هل سوف يحرقون كل كتب التراث التي تقول إن الإنجيل والتوراة كتب محرّفة وإن النصارى واليهود أحفاد القردة والخنازير؟
- وماذا عن الكتب العديدة عن أحكام أهل الذمة. وهل سوف يسمح الملك عبد الله للمسيحيين أن يدخلوا أناجيلهم إلى مملكته، حتى إن لم يسمح لليهود حتى تتحرر فلسطين؟
- ما فائدة أن نحترم الأنبياء ونؤمن بهم ونضطهد أتباع أولئك الأنبياء وننعتهم بشر النعوت؟

❖ (أهمية الدين والقيم الفاضلة ورجوع البشر إلى خالقهم في مكافحة الجرائم والفساد والمخدرات والإرهاب.) انتهى.

وإذا كان التمسك بالأديان يمنع انتشار الموبقات والمخدرات والجنس،

- لماذا بَنت المملكة الوهابية أربع مستشفيات لعلاج الإدمان؟ أليست المملكة حصن الإسلام المنيع التي يحكمها آل سعود بشريعة الله وشريعة نبيه محمد منذ تأسيسها؟
- لماذا أصبحت افغانستان، حتى في أيام الطالبان، من أكثر دول العالم إنتاجاً للأفيون، وأصبحت الآن مليئة بالمدمنين وتجارة الجنس بين الأطفال الأيتام الذين لا يجدون قوت يومهم؟ وإيران التي يحكمها الملالي منذ عام 1979 بلغت نسبة الإدمان فيها قدراً مخيفاً إذ بلغت النسبة بين طلبة الجامعات 20 بالمائة [4].

فالدين لا يحمي من الإدمان والأمراض الجنسية والبغاء إذا استشرى الفقر في الناس. وقد قال الحكماء "لا كرامة مع الفقر" وقال علي بن أبي طالب "لو كان الفقر رجلاً لقتلته."

❖ (الأسرة هي أساس المجتمع، وهي لبنته الأولى، والحفاظ عليها وصيانتها من التفكك أساس لأي مجتمع آمن مستقر.) انتهى.

الأسرة لا شك هي أساس المجتمع ولكن الطلاق شرٌ لابد منه كذلك، وهو أبغض الحلال عند الله، كما يقولون. ونسبة الطلاق في جميع البلاد الإسلامية بما فيها السعودية لا تقل عن نسبة الطلاق في البلاد غير الإسلامية. **تفكك الأسرة لا علاقة له بالدين** وإنما هو حاصل تقدم المجتمعات مادياً وحيازة المرأة على مدخول يحفظ لها كرامتها إذا كان الزوج مهيناً لها. كلما تعلمت المرأة وأصبحت مستقلة بمدخولها كلما رفضت أن تعيش في كنف رجل يذلها ويضربها. وحتى في السعودية التي يندر أن يكون للمرأة فيها دخل منفصل عن دخل الزوج نجد أن نسبة الطلاق فيها مرتفعة، ففي العام 2003 كان هناك 18 ألف حالة طلاق و 60 ألف حالة زواج [5]. *فالحديث عن الأسرة وعن الحفاظ على البيئة لا يمت للحوار بين الأديان بأي رابط*. فبدل أن يتصافح المسلمون مع أتباع الديانات الأخرى ويحاولوا فهم تلك الديانات وما ترمي إليه، وكيفية التعاون معها، قضى المؤتمرون وقتهم في نقاش الأسرة والبيئة ومحاسن الإسلام والافتخار بأنه دين الحوار والعقل.

فبنظرة سريعة على هذه الإحصاءات *نرى أن الأديان لم تغير شيئاً في طبيعة البشر التي تنحو نحو الاستيلاء على الأحسن ونحو الظلم وحب السلطة والتسلط وجمع المال*. والقرآن نفسه يقول: {**يحبون المال حباً جما**}.

والتراث الإسلامي جعل التقارب بين الأديان أمراً مستحيلاً إذ أنه لا يعترف بأي دين آخر غير الإسلام. ولم يكتف المسلمون بذلك وإنما أصروا على تسفيه بقية الأديان التي يسمونها "غير السماوية" كتلك التي يدين بها غالبية سكان العالم من بوذية وهندوسية وشنتو وغيرها وسموها فلسفات. وما زال المسلمون يصرون على أن الأديان الأخرى محرفة ولن يقبلها الله وأن **الإسلام هو الدين الوحيد الصحيح**، ومع ذلك ظلوا يدعون إلى الحوار مع الأديان الأخرى. وقد كان الشيخ عكرمة أصدق من الجميع عندما رفض فكرة الحوار.

والحوار بالطريقة الإسلامية لن يفيد شيئاً، فقد بدأه الملك فيصل عندما زار الفاتيكان قبل عدة عقود، ثم استلم الراية الجامع الأزهر الذي ظل يرسل رئيس جامعة الأزهر إلى كل المؤتمرات الغربية، ثم دخلت منظمة العالم الإسلامي وألقت بدلوها في بئر الحوار.

> ***وفي جميع هذه المؤتمرات يكتفي المسلمون بتكرار محاسن الإسلام وأنه يدعو إلى الحوار لأن النبي قد حاور الوفود المسيحية.***

فإذا كان الأمر كذلك، ماذا أنتج هذا الحوار بين المسيحية والإسلام منذ زمن النبي محمد؟

وفي الرياض

> "اجتمع مجلس الوزراء السعودي حديثاً وأشاد بكلمة الملك عبد الله في مدريد التي أكد بها أن الإسلام هو دين **الاعتدال والوسطية والتسامح** ورسالته تدعو إلى الحوار البناء بين أتباع الأديان وتبشر الإنسانية بصفحة جديدة يحل فيها الوئام محل الصراع" [6].

فها نحن نستبشر خيراً بهذه البشارة الملكية، ولكن سوف يظل المسلمون يكررون تلك العبارات ويربتون على ظهورهم مهنيئن بعضهم البعض **بوسطية الإسلام ودعوته للحوار** دون أن نرى أي نتائج محسوسة لهذا الحوار، ويظل أهل الأديان الأخرى يسمعون جعجعةً ولا يرون طحناً.

ويبدو أن المسلمين لا يعرفون ماذا يريدون بالضبط، فقد قال الملك عبد الله في كلمته:

> "حكمة الله اقتضت أن يختلف الناس في أديانهم"

ولكن هذه المقولة تتعارض تماماً مع رسالة الإسلام التي يدعو لها فقهاء الوهابية والتي قال نبيها:

> **[والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي يهودي أو نصراني ولا يؤمن بي إلا حرمت عليه رائحة الجنة].**

فليس هناك أي فرصة للاختلاف إذا أردت أن تدخل الجنة التي لا يدخلها إلا المسلمون. والقرآن أخبرنا أن **من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه**. والفقهاء قالوا:

> إن محمداً مرسل لجميع البشر ومن لا يؤمن به فهو كافر.

---

[4] صباح الموسوي، إيلاف 10 ديسمبر 2006.

[5] د. صالح عبد الرحمن سبعان، إيلاف 2004/1/24.

[6] إيلاف 2008/7/21.

فأين حكمة الإله التي اقتضت أن يختلف الناس في أديانهم؟
الطريق إلى التقارب بين الأديان هو أن يحدد المسلمون ماذا يريدون أولاً، وعليهم أن يعترفوا أن هناك مشكلة يريدون حلها. ولكنّ المسلمين لا يرون أن هناك أي مشكلة لأن الهدف من حوارهم هو إقناع الآخرين أن الإسلام هو الحق، وعليهم اتباعه حتى يكونوا في الفرقة الناجية. *فإذا اعترف المسلمون أن تعاملهم مع بقية الأديان هو المشكلة، وقتها يجب الجلوس مع غيرهم لتحديد الآليات التي نستطيع بها التغلب على تلك المشكلة، ثم العمل على متابعة آليات تنفيذ تلك الحلول*. فالقرارات التي تظل حبراً على ورق لا تفيد أحداً.
وبعض هذه الحلول يكمن في:

- تغيير الذهنية الإسلامية الفوقية،
- وتغيير مقررات المدارس التي تكيل السباب إلى أهل الذمة وأبناء القردة والخنازير،
- وعليهم إلغاء جميع الأحاديث التي هي عبارة عن أحاجي جدات لا مصداقية لها،
- واعتبار بعض آيات القرآن أحداثاً تاريخية كانت صالحة لفترة معينة، وأنها لا تنطبق على عالم القرن الحادي والعشرين،
- وعليهم أن يسمحوا للآخرين بالتبشير بأديانهم في بلاد المسلمين كما يبشر المسلمون في بلاد غيرهم.

أما إذا أصر المسلمون على الفهلوة والدعوة للمؤتمرات في باريس وبرلين ومدريد بينما تنتشر اللافتات التي تقول "طريق غير المسلمين" حول مكة والمدينة، وتنتشر المساجد في أوروبا وتخلو السعودية من أي كنيسة، فإن الحوار بين الأديان يصبح حوار الطرشان ومضيعة للوقت والمال.

عودة إلى الفهرس

117 - موقف اليهودية والإسلام من الأطفال

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=142394

احتفلت لبنان ولبست أبهى حللها لاستقبال سمير القنطار، عميد الأسرى اللبنانيين لدى إسرائيل، والذي اختطف حزب الله من أجله جنديين إسرائيليين (ايهود جولدفازر، و ألداد رجيف) في عام 2006 ليجبر إسرائيل على إطلاق سراحه في عملية تبادل الأسرى، ودفعت لبنان ثمناً باهظاً من أطفالها ونسائها (1200 قتيل) وبُناها التحتية بسبب مغامرة حسن نصر الله هذه. والجدير بالذكر هنا أن الجنديين الإسرائيليين الذين اختطفهما حزب الله قد سُلمت جثتاهما لإسرائيل بينما سلمت إسرائيل سمير القنطار بعد كل هذه السنين سميناً بديناً يتمتع بلياقة بدنية عالية. والإسلام لا يبيح قتل الأسرى، كما يقولون. والقنطار الذي دخل السجون الإسرائيلية وعمره سبعة عشر عاماً، كان قد قتل طفلة إسرائيلية عمرها أربعة سنوات بأن هشّم رأسها بعقب بندقيته، بعد أن قتل أباها (داني حران) أمام عينيها، وتسبب، بطريق غير مباشر، بقتل أختها الصغرى ذات الربيعين من العمر. فسمير القنطار في نظر الأسوياء لا يعدو أن يكون قاتل أطفال، ومع ذلك احتفلت به لبنان وفرش له حزب الله السجاد الأحمر الذي يُستعمل لاستقبال الرؤساء والملوك وألبسوه بذة عسكرية دون وجه حق. *وكان الأجدر بحسن نصر الله وحزبه أن يُطأطئوا رؤوسهم خجلاً مما فعله القنطار*. **ولكن الضمير الجمعي الإسلامي لا يستحي من قتل الأطفال، كما لا يستحي الضمير التوراتي من ذلك الفعل.** فكلاهما يقتل الأطفال باسم الإله المستتر في عليائه والذي لا يتواني عن أمر عبيده بأن يقتلوا مَن يخالفهم حتى وإن كان طفلاً بريئاً.

العهد القديم يقول لنا في المزامير:

{طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة. (المزمور 137، الآية 9)}.

وكذلك:

{حينئذ ضرب مناحيم تفصح وكل مابها وتخومها من ترصة لأنهم لم يفتحوا له. ضربها وشق بطون جميع حواملها. (سفر الملوك الثاني، الإصحاح 15، الآية 16)}.

ومرة أخرى يقول إله العهد القديم لأنبيائه:

{فالآن اذهب واضرب عماليق وحرّموا كل ما له، ولا تعف عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة، طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، جملاً وحماراً. (سفر صموئيل الأول، الإصحاح 15، الآية 3)}.

وتحدث سفر الملوك عن النذر الذي قطعه "يفتاح" على نفسه عندما قال ل "يهوه" إنه سوف يقتل أول من تقع عليه عينه عندما يرجع إلى قريته من غزواته المكللة بالنجاح. فيقول لنا العهد القديم:

{ثم أتى يفتاح إلى المصفاة إلى بيته، وإذا بابنته خارجةً للقائه بدفوف ورقص، وهي وحيدة لم يكن له ابن ولا ابنة غيرها، وكان لما رآها أنه مزق ثيابه وقال "آه يا ابنتي! قد أحزنتني حُزناً وصرتِ بين مُكدريَّ، لأني قد فتحت فمي إلى الرب ولا يمكنني الرجوع". فقالت له يا أبي هل فتحت فاك إلى الرب؟ فافعل بي كما خرج من فيك. (سفر الملوك، الإصحاح 11، الآيات 34-36)}.

وقتل "يفتاح" طفلته الوحيدة.

وعندما أراد إله التوراة أن يختبر مدى إيمان إبراهيم به، أمر إبراهيم أن يذبح ابنه الوحيد إسحق قرباناً له:

{ولما أتيا الموضع الذي قاله له الله، بنى إبراهيم هناك المذبح ورتّب الحطب وربط إسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب. ثم مد يده وأخذ السكين ليذبح ابنه. فناداه ملاك الرب من السماء وقال "إبراهيم! إبراهيم" فقال "هأنذا". فقال "لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً لأني الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني. (سفر التكوين، الإصحاح 22، الآيات 9-12)}.

هل فكّر إله التوراة في الذعر الذي قد أصاب ذلك الطفل عندما ربطه أبوه بالحبال ووضعه على الحطب واستل سكينته؟
فإله التوراة يُشجع، بل يُحث أنبياءه على قتل الأطفال وشق بطون الحوامل. وبمثل هذه التعاليم:

"حض مجلس الحاخامات في الضفة الغربية، الحكومة الاسرائيلية على اصدار اوامرها للجيش الاسرائيلي لقتل المدنيين في لبنان وغزة. وفي بيان صادر عن إجتماع لمجلس الحاخامات ونقلته القناة الاسرائيلية السابعة اكدوا ان التوراة يجيز قتل النساء والاطفال في زمن الحرب . وجاء في البيان "من يترحم على أطفال غزة ولبنان ينظر الى أطفال اسرائيل بوحشية". وطالب البيان الحكومة بان تأمر بقتل المدنيين الفلسطينيين واللبنانيين بصفتهم موالين للعدو، "وذلك بحسب ما تنص عليه التوراة"." [1]

وعملاً بمثل هذه الفتاوى أعْمَل الجنود الإسرائيليون بنادقهم في أطفال الضفة وغزة وقتلوا محمد الدرة ومئات الأطفال غيره الذين كانوا ينامون في منازلهم أو يسيرون إلى مدارسهم. **ولم تدن إسرائيل حتى الآن أي جندي قتل طفلاً فلسطينياً، فقتل الأطفال مباح في التوراة.**

وبما أن سمير القنطار ليس يهودياً، فلا بد أنه تعلم قتل الأطفال من مشايخ الإسلام الذين زرعوا في ذاكرته وهو طفل، كل الآيات والقصص القرآنية التي تبيح قتل الأطفال. فالقرآن يخبرنا ويخبر سمير القنطار بقصة موسى عندما صحب نبي الله الخضر ليتعلم منه، فقتل الخضر طفلاً يلعب مع أقرانه في الطريق، ولما سأله موسى عن ذلك أجاب:

{وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً. فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاةً وأقرب رحما. (الكهف 80، 81)}.

فالخضر هنا قتل طفلاً بريئاً بشبهة الكفر والخوف من أن يُرهق أبويه عندما يكبر. وحتى الإنسان البالغ، ناهيك عن الطفل الذي لا يُحاسب على أفعاله، بريء حتى يرتكب الجُرم وتثبت إدانته. وهذا الطفل، حتى وإن كان كافراً، رغم أنه طفل لا يُحاسب، كان من الممكن أن يؤمن عندما يكبر. *ولكن نبي الله الخضر الذي يعطينا إياه القرآن كمثل يُحتذى به، قتل الطفل باعتبار ما سوف يكون*. وتمنى على الله أن يبدل والديه بطفل أقرب رحماً. ما هو الرحم الأقرب من البنوة للأبوة؟

وفي محاكاة واضحة لما جاء في التوراة من قصة إسحق وكذلك ما جاء في قصة "يفتاح" الذي قتل ابنته الوحيدة ليبر بنذره لله، يخبرنا القرآن عن اللحظة التي حاول فيها إبراهيم ذبح إسماعيل:

{فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ما ترى قال يا ابتِ إفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين. فلما أسلما وَتَلَّهُ لِلْجَبِين. وناديناه أن يا إبراهيم. صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين. (الصافات 102 - 105)}.

[1] إيلاف 2006/7/17.

فلا "يهوه" ولا الله يتورع عن قتل الأطفال. وتبعهم نبي الإسلام في ذلك فقتل أطفال بني قريظة الذين بدأ الشعر ينبت في عاناتهم رغم أنهم لم يحاربوه ولم يتآمروا عليه. وكان من الطبيعي أن يتعلم أصحاب محمد منه، فقتلوا وأغرقوا الأطفال.

يخبرنا الطبري:

"وفي هذه السنة (سنة 104 هجرية) غزا الجراح بن عبد الله الحكمي وهو أمير على أرمينية وأذربيجان أرض الترك ففتح على يديه بلنجر وهزم الترك وغرّقهم وعامة ذراريهم في الماء وسبوا ماشاءوا." [2]

فماذا جنى الذراري حتى يغرقهم في الماء؟ وفي سنة أربعين هجرية بعث معاوية بن أبي سفيان بسر بن أرطأة إلى اليمن:

"وكان علي بن أبي طالب قد ولى عليها عبدالله بن عبدالمدان الحارثي فأتاه بسر فقتله وقتل ابنه ولقي بسر ثقل (قافلة) عبيدالله بن عباس وفيه ابنان له صغيران فذبحهما وقد قال بعض الناس إنه وجد ابني عبيد الله بن عباس عند رجل من بني كنانة من أهل البادية فلما أراد قتلهما قال الكناني: علام تقتل هذين ولا ذنب لهما، فإن كنت قاتلهما فاقتلني. قال أفعل. فبدأ بالكناني فقتله ثم قتلهما ثم رجع بسر إلى الشام. وقد قيل إن الكناني قاتل عن الطفلين حتى قتل، وكان اسم أحد الطفلين اللذين قتلهما بسر عبدالرحمن والآخر قثم." [3]

وعندما قتل جيش يزيد بن معاوية الحسين بن علي الذي كانت تصحبه زوجاته وأطفاله، بعد أن تخاذل عن نصرته أهل كربلاء الذين دعوه إلى الحضور إليهم، ذبحوا أطفاله ذبح الشاة. وكان هؤلاء الأطفال مسلمين وأحفاد نبي الإسلام (**كما تفعل يُفعل بك**).
وقد أجاز فقهاء الإسلام قتل أطفال الكفار ونسائهم، يورد الكاتب المصري محمد عبد السلام فرج، العضو في جماعة الإخوان المسلمين، في كتاب "الجهاد... الفريضة الغائبة" (وهو الكتاب الذي غسل دماغ الإسلامبولي وجعله يقتل السادات) ما يلي:

"عن ابن عباس عن الصعب بن جثامة قال قلت: يا رسول الله إنا نُصيب في البيَات من ذراري المشركين (ذريتهم) قال: هم منهم... رواه مسلم. الشرح: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حكم صبيان المشركين الذين يُبيتون فيصاب من نسائهم وصبيانهم بالقتل فقال هم من آبائهم أي لا بأس لأن أحكام آبائهم جارية عليهم في الميراث وفي النكاح وفي القصاص وفي الديات وغير ذلك. انتهى... صحيح مسلم شرح النووي 49/12) (ص 11)".

فنبي الإسلام لا يمانع في قتل أطفال المشركين لأن ما يجري على آبائهم يجري عليهم. وقد أفتى الشيخ القرضاوي بإجازة قتل أطفال اليهود الإسرائيليين **لأنهم عندما يكبرون سوف يسري عليهم التجنيد الإجباري وسوف يصبحون جنوداً في الجيش الإسرائيلي**.

فهاهو نبي الله الخضر من جديد، يحكم بما سوف يكون.

ونبي الإسلام قد حكم على أطفال المشركين بدخول النار قبل أن يحاسبهم الله:

"أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند عن علي (بن أبي طالب) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المؤمنين وأولادهم في الجنة وإن المشركين وأولادهم في النار ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {**والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمانهم ألحقنا بهم ذرياتهم**}." [4]

وقد رووا عن عائشة أنها قالت:

"سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المسلمين أين هم؟ قال: [**في الجنة**] وسألته عن ولدان المشركين أين هم؟ قال: [**في النار**]. قلت: يا رسول الله، لم يدركوا الأعمال ولم تجر عليهم الأقلام! قال: [**ربك أعلم بما كانوا عاملين، والذي نفسي بيده لئن شئت أسمعتك تضاغيهم في النار**]." [5]

وعندما بدأ محمد بالرجوع إلى المدينة بعد معركة بدر:

"قتل النضر بن الحارث، ثم أمر بقتل الأسير عُقبة بن معيط، فقال له عُقبة حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله: فمن للصبية يا محمد؟ قال: **النار**. فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري" [6].

فمحمد لا يكترث للأطفال ولا يبالي أن يقتل أباهم الأسير ويتركهم أيتاماً بلا معيل ثم يُرمى بهم في النار يوم القيامة.
ومن الطبيعي أن **يتأتم** بعض الأطفال وهم صغار أو تتخلى عنهم أمهاتهم لعدة أسباب، فتعالج المجتمعات الإنسانية هذه الظاهرة **بالتبني** لتعوض الطفل عن فقدان الوالدية وتمنحه بعض الحنان وبعض العلاقات الأسرية.

ولكن في الإسلام حُرّم التبني من أجل أن ينكح محمد زينب بنت جحش.

فاللقطاء والأيتام في الإسلام مكانهم الملاجيء حيث يتعرضون إلى سوء المعاملة والاغتصاب.

"استجابت الحكومة العراقية لحملة الغضب المحلي والعالمي حول الاوضاع المأساوية لنزلاء ميتم "فجر" في بغداد الذين تناقلت اجهزة الاعلام صورهم المرعبة وهم ملقون عراة على ارض الميتم الاسمنتية وقد تعرضوا لاعتداءات مختلفة فأعلنت عن تشكيل لجنة رسمية للتحقيق في الفضيحة بينما امر رئيس الوزراء نوري المالكي باعتقال المشرفين على الميتم لكن معظمهم هرب وتوارى عن الانظار... في وقت ارجع وزير العمل والشؤون الاجتماعية محمود الشيخ راضي تعري الصبية الى انقطاع التيار الكهربائي وشدة الحر متهما الاعلام بفبركة قصة الميتم." [7].

ولم يشرح لنا الوزير لماذا هرب المشرفون إذا كان السبب انقطاع الكهرباء.
والطفل اللقيط في الدول الإسلامية والذي لا يُعرف أبوه لا يحق له أن يُضاف إلى السجلات الرسمية في الدولة وبالتالي يُحرم من التعليم والعلاج والميراث.

ولهذا عندما حاولت الحكومة المصرية إدخال تعديلات على قوانين الطفل، منها (للأم الحق في الإبلاغ عن وليدها وقيده بسجلات المواليد واستخراج شهادة ميلاده منسوباً إليها كأم) عارض نواب الإخوان المسلمين هذا القانون لأنه يعارض الشريعة. [8]

فلا يجوز إضافة اسم أم فاسقة إلى شهادة ميلاد رسمية في دولة مسلمة لأن الحديث يقول [**الطفل للفراش وللعاهرة الحجر**]، وليذهب الطفل إلى الجحيم.
وفي الإسلام يُضرب ملايين الأطفال في الكتاتيب ومدارس تحفيظ القرآن في باكستان والبلاد العربية لتحفيظهم القرآن دون أن يفقهوا معناه. ويُضربون في سن العاشرة إذا لم يحافظوا على الصلوات. **كل هذا العنف يخلق منهم رجالاً في منتهى القسوة**. هل رأيتم كيف

---

[2] تاريخ الطبري، ج4، ص 105.
[3] تاريخ الطبري، ج3، ص 153.
[4] الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، النوع التاسع والسبعون، في غرائب التفسير.
[5] الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ج5، سورة الإسراء، الآية 12.
[6] السيرة النبوية لابن هشام، ج3، ص 194.
[7] أسامة مهدي، إيلاف 2007/7/21.
[8] عبد الستار إبراهيم، الشرق الأوسط 2008/4/23.

يتجمهر الأطفال العرب حول كلب أو قط شاء سوء حظة أن يعثروا عليه في الطريق فينهالوا عليه ضرباً بالعصي والحجارة؟ قارنوا هذا مع حنو أطفال الغرب على حيواناتهم.

ومن يتفرج على ڤيديوهات التطبير بالعراق يرى أطفالاً تضربهم أمهاتهم بالسيوف على رؤوسهم حتى تسيل دماؤهم تكفيراً عن قتل رجل مات قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام. كيف ينمو مثل هذا الطفل رجلاً سويا؟

الطفل في البلاد العربية والإسلامية يُعذب في السجون لإجباره على الاعتراف بجريمة ربما لم يرتكبها.

في العراق الذي تحكمه حكومة إسلامية غالبيتها من الشيعة، يُعذب الأطفال في السجون

"أعربت المنظمات غير الحكومية في العراق عن قلقها حيال وضع الأطفال في السجون المحلية، مشيرة إلى أنهم يتعرضون للإساءة والتعذيب خلال التحقيقات التي تُجرى معهم. وقال خالد ربيعة، الناطق باسم جمعية العدالة للسجناء:
(يتم التعامل مع الأطفال داخل السجون العراقية كأنهم راشدون. وقد أظهرت التحقيقات التي شرعنا فيها عقب إحضار بعض الأسر لخمسة أولاد إلى جمعيتنا طلباً للمساعدة النفسية بعد إطلاق سراحهم من السجن، بأن الأطفال يتعرضون للإساءة والتعذيب. لقد صدمتنا النتائج التي توصلنا إليها "خلال تحقيقنا")." [9].

وفي السودان عذبت شرطة البشير الإسلامية الأطفال الذين اعتقلتهم بعد الغزوة الميمونة من دارفور لمدينة أم درمان، كي تنتزع منهم الاعترافات.

الإسلاميون حماة شرع الله في العراق من أمثال الزرقاوي وجيش المهدي لا يتورعون عن تفجير قنابلهم في صفوف الأطفال المتجمهرين حول صنبور المياه أو حول شخص يوزع عليهم الحلوى. بل لا يتورعون عن تفخيخ طفلتين مصابتين بالقصور العقلي وتفجيرهما وسط سوق الطيور في بغداد.

وربما يقول بعض القراء إن هذه التصرفات لا يُلام عليها الإسلام وإنما يُلام الأفراد أو الجماعات الذين قاموا بها.

ولكن القرآن، دستور دولة المسلمين التي يدعو لها الإخوان، لا يحث المسلمين على احترام الطفل أو الرفق به ولا يوصيهم به مع أنه يوصي الولد بأبويه إذا بلغ أحدهما أو كلاهما عنده الكبر.

المرة الوحيدة التي أوصى فيها بالأولاد كانت تخص الميراث:

{يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين. (النساء 11)}.

ونهى عن قتل الأولاد خوف الفقر فقال:

{ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم. (الأنعام 161)}.

أما بقية الآيات التي تتحدث عن الأطفال تقول:

{واعلموا إنما أموالكم وأولادكم فتنة وإن الله عنده أجر عظيم. (الأنفال 28)}.

وكذلك:

{يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون. (المنافقون 9)}.
{لا تُضار والدة بولدها ولا مولود له بولده. (البقرة 233)}.

ليس هناك من ذِكر عن ضرر المولود بوالديه. فالقرآن يصف الطفل بأنه فتنة للوالدين، فمن أين يتعلم المسلم احترام أطفاله؟

فهل نلوم سمير القنطار على قتل تلك الطفلة اليهودية البريئة أم نلوم المعتقدات التي جعلت القائمين على تعليمه يقصون عليه قصص القرآن وقتل الأطفال وضربهم واسترقاقهم وبيعهم كالمواشي؟

عودة إلى الفهرس

[9] إيلاف 2007/10/29.

118 - نازية وزارة الصحة المصرية

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=142981

منذ الأول من أغسطس (آب) الحالي أصبح لزاما على المقبلين على الزواج في مصر الخضوع لفحوصات طبية شاملة كشرط لإتمام عقد القران، حسبما نصت عليه تعديلات قانون الطفل، التي أقرها البرلمان المصري في يونيو (حزيران) الماضي. وكل قانون أو إرشاد تتخذه الحكومة لحماية الطفل تستحق عليه الحكومة الثناء، ولكن يجب على الحكومة وزن الأمور بميزان العقل، وعدم الإضرار بحقوق الراشدين في سبيل الحفاظ على حقوق الطفل الذي ما زال في الغيب. والفحص الإجباري الذي أقره البرلمان المصري أخيراً بتوصية من وزارة الصحة *فيه تغول على حقوق الراشدين دون أي منفعة فعلية للطفل المحتمل.*

> يستلزم القانون الجديد إجراء الفحوصات الطبية الإجبارية التي حددتها وزارة الصحة المصرية بتحاليل للدم لكلا الزوجين وأشعة بالموجات فوق الصوتية على الرحم للزوجة، وفحص للسائل المنوي بالنسبة للزوج .وأوضح المصدر، الذي طلب عدم تعريفه، أن الفحوصات تشمل تحاليل الأيدز والفيروسات الكبدية بأنواعها الثلاثة، والأمراض الوراثية مثل السكري، إضافة لفحص رحم الزوجة بأشعة الموجات فوق الصوتية وفحص السائل المنوي للزوج للوقوف على قدرة كل منهما على الإنجاب.[1]

أولاً: إجراء أي فحص على شخص راشد دون رغبته فيه تعدي واضح على حقوقه الإنسانية.
وثانياً: لو افترضنا أن رجلاً وامرأةً راشدين، ومصابين بداء الأيدز قررا أن يتزوجا، أليس هذا حقاً من حقوقهما المشروعة؟ فإذا كانت الإجابة بالإيجاب، ما الفائدة التي نجنيها من إجراء هذه الفحوصات على كل من يرغب في الزواج؟ أليس الحل الأفضل هو جعل تلك الفحوصات مجانية ومتاحة لمن يشك أنه أو الشخص الذي يريد الارتباط به قد يكون مصاباً بهذا المرض أو غيره نتيجة ممارساته قبل الزواج؟ والشباب المصري في القرن الحادي والعشرين قد مارس أغلبهم الجنس قبل الزواج مع صديقاتهم اللاتي ينوون الزواج منهن أو مع غيرهن عن طريق الزواج العرفي، ونشروا أمراضهم، إن كانت بهم أمراض، قبل إعلانهم نية الزواج. كل الذي سيفعله هذا القانون هو دفع الشباب للعزوف عن الزواج الاجتماعي والاكتفاء بالزواج العرفي.
ودعونا الآن نتفحص فحوصات الدم التي يُلزم القانون العرسان الخضوع لها:

- فحص الدم للأيدز:

عندما ظهر الأيدز في بداية الثمانينات من القرن المنصرم تخوّف الأمريكان من انتشاره في بلدهم وأصدر الكونغرس الأمريكي في عام 1993 قانوناً يمنع الأشخاص حاملي الفيروس من دخول الأراضي الأمريكية. وفي الشهر المنصرم أصدر نفس الكونغرس قراراً يلغي به ذلك القانون الصادر في عام 1993 لأنه ثبت لهم عدم جدواه، فالشخص الذي يُجرى عليه الفحص قد يكون أصيب بالفيروس قبل أيام أو أسابيع قليلة قبل الفحص، ولم يتمكن جسمه بعد من تكوين الأجسام المضادة للفيروس التي يعتمد عليها الفحص. **فالنتيجة السالبة لا تعني خلو الشخص من الفيروس، بينما النتيجة الموجبة تؤكد وجود العدوى**. فلا بد أن بعض العرسان سوف يحصلون على نتيجة سالبة بينما هم يحملون الفيروس. وقد فرضت المملكة السعودية منذ أوائل التسعينات على كل الراغبين في العمل بها الخضوع لفحص الأيدز قبل منحهم فيزا الدخول إلى المملكة. ومع ذلك بلغت أرقام المصابين بالأيدز في السعودية أكثر من عشرة آلاف شخص، مع احتمال أن يكون العدد أكبر من ذلك بكثير لأن السعوديين أنفسهم لا يخضعون للفحص الإجباري عند دخولهم إلى المملكة بعد قضاء إجازاتهم في تايلاند والفلبين وممارسة الجنس مع العاهرات والغلمان. ونسأل وزارة الصحة المصرية: لماذا لا تجعل الحكومة المصرية **الكوندوم** متاحاً للشباب مع التعليم الجنسي بالمدارس وبذلك تقلل من فرص انتشار هذا المرض بدل أن تجري كل هذه الفحوصات قبل الزواج. فقد جربت حكومة يوغندا هذا الحل وقللت نسبة الإصابة بالأيدز إلى أقل من ربع الإصابات التي كانت معروفة قبل انتشار الكوندوم.
والفيروسات الكبدية تسبب تليف الكبد وسرطانه، وهي لا شك أمراض خطيرة، ولكن العالم المتحضر يعالج هذه المشكلة بتطعيم المواطنين ضد هذه الفيروسات، وخاصة Hepatitis B (التهاب الكبد الخمجي النمط ب) فلماذا لا تطعّم الحكومة المصرية المواطنين الذين تضعهم ممارساتهم أو وظائفهم (كالأطباء وأطباء الأسنان والممرضين ومدمني المخدرات) أو الذين يشكّون في أنهم ربما يكونوا قد تعرضوا للفيروس نتيجة ممارسات جنسية بدون الوقاء الذكري؟ ولو أثبتت الفحوصات الجديدة أن الرجل أو المرأة يحمل هذه الفيروسات، فسوف يكون العلاج تطعيم الشخص الآخر، فلماذا لا نطعّم من يرغب في التطعيم دون إجبارهم على الخضوع لهذه الفحوصات؟

- والغريب أن الفحوصات الجديدة تشمل الأمراض الوراثية مثل السكري، كما ذكر مراسل الشرق الأوسط، ويعجز عقلي عن فهم الغرض من هذا الفحص.

فلو ثبت أن أحد العروسين أو كلاهما يحمل جينات السكري، هل سوف تمنع الحكومة المصرية الزواج لأن الطفل المتوقع قد يكون عرضة لمرض السكري بنسبة مئوية قد تصل إلى 25 بالمئة مثلاً؟ أنا أفهم لماذا فرضت الحكومة السعودية على الراغبين في الزواج فحص الدم لأمراض الدم الوراثية مثل الثالاسيميا وفقر الدم المنجلي Sickle Cell Anaemia لأن زواج الأقارب منتشر في المملكة وكذلك أمراض الدم الوراثية. أما أن تفرض وزارة الصحة المصرية فحص الدم لجينات مرض السكري، فهذا ما لا نفهمه، وأمراض الدم الوراثية الأخرى نادرة الحدوث في مصر.

- والأغرب من ذلك أن الوزارة أضافت فحص رحم العروسة بالموجات فوق الصوتية.

ما هو الغرض من هذا الفحص غير زيادة دخل وزارة الصحة، خاصة وأن القانون الجديد حصر الفحص على المستشفيات الحكومية فقط، **فلا أظن أن أحداً في مهنة الطب يعرف الإجابة**. فالموجات فوق الصوتية قد تكشف إذا كان الرحم يحمل جنيناً صغيراً أو ورماً حميداً أو خبيثاً، وكلا الورمين نادر الحدوث في شابة في مقتبل العمر ومقبلة على الزواج. أو قد يكشف الفحص أن الرحم به فاصل يجعل منه رحمين في آن واحد، أو قد يكون الرحم غائباً بالمرة، ونسبة هذه التشوهات أو غياب الرحم نسبة ضئيلة للغاية لا تبرر إجراء الفحص على كل العرسان.

- وثالثة الأثافي هو فحص السائل المنوي للعريس.

فحص هذا السائل قد يكشف نقصاً في عدد الحيوانات المنوية أو قد يكشف بطء الحركة في الحيوانات المنوية، وكلاهما قد يقلل من نسبة الحمل ولكنهما لا يمنعانه نهائياً. وفحص السائل كذلك يمكن أن يكشف تركيبة الحامض النووي للعريس DNA، ولكننا لا نحتاج للسائل المنوي لنكتشف ذلك الحامض، فيمكننا اكتشافه من خلايا جدار الفم بواسطة قطعة من القطن نمسحها داخل الفم. فما هو

[1] محمد مصطفى، الشرق الأوسط، 2008/7/31.

الغرض من هذا الفحص الذي يعترض عليه كثير من الرجال لأنه يستدعي إنزال المني باليد؟ وهل لو أثبت الفحص أن الرجل يعاني من ضعف في الحيوانات المنوية، سوف تمنع الحكومة زواجهما لأنه ربما يكون عقيماً ولا ينجب أطفالاً، ومصر تعاني من التضخم السكاني؟ ربما تكون هذه وسيلة جديدة لتحديد النسل تجعل الحكومة تشجع زواج الرجل الذي تقل فرصة الإنجاب عنده بينما تضع العراقيل أمام زواج الرجل الذي تكون حيواناته المنوية في غاية النشاط ويزيد عددها عن المتوسط حتى لا ينتج لنا عشرين طفلاً. ثم أن ليس كل زواج الغرض منه إنجاب الأطفال.
ويبدو أن وزارة الصحة أرادت كذلك الإساءة لذكاء المواطن المصري حينما قال مصدر بالوزارة

"حددت الوزارة إجراء هذه الفحوصات داخل المستشفيات الحكومية فقط لضمان نزاهتها."[2]

يبدو أن مستشفيات الوزارة قد اشتهرت عالمياً بنزاهتها كما اشتهرت بعدد الممرضات المنقبات ولابسات القفازات. وإذا كانت الوزارة تشك في نزاهة المستشفيات الخاصة والمعامل المنتشرة بالعيادات الخاصة، لماذا لا تحث الحكومة على إصدار قوانين تنظّم عمل هذه المستشفيات والعيادات حتى ترتقي إلى مستوى نزاهة المستشفيات الحكومية؟

وكان لابد في مصر المحروسة من تدخل رجال ونساء الدين الإسلامي في هذا المشروع، فقال الشيخ مصطفى أبو السعود مسؤول حجز قاعات عقد القران بمشيخة الأزهر، أحد الأماكن المفضلة للمصريين لعقد قرانهم، قال لـ «الشرق الأوسط»:

"وزارة العدل وزعت علينا منشورا بتاريخ 15 يونيو (حزيران) الماضي، حددت فيه الأول من أغسطس المقبل، موعدا لتطبيق البند القاضي بضرورة حصول الزوجين على شهادة صحية بخلوهما من الأمراض وقدرتهما على الإنجاب كشرط لإتمام عقد القران."[3]

فقدرة الزوجين على الإنجاب مهمة جداً للجامع الأزهر لأن النبي قد قال: [**تناكحوا تكاثروا فإني مفاخر بكم الأمم يوم القيامة**]. فمن البديهي أن مليار مسلم مصري يوم القيامة سوف يكونون **سنداً قوياً للنبي في مبارزته العددية مع موسى وعيسى**. ولنفس هذا السبب يمنع الجامع الأزهر استعمال الكوندوم وحبوب منع الحمل حتى يزيد الإنجاب، وليس مهماً أن يسكن نصف الأطفال المنجبين في الشوارع أو المقابر.
من جانبها، أجازت الدكتورة سعاد صالح أستاذة الدراسات الإسلامية بجامعة الأزهر الاستمناء للحصول على عينة السائل المنوي من الشاب المقبل على الزواج، قائلة:

"ما دام الهدف منه هو المنفعة ودفع الضرر فلا مانع" انتهى.

فما دام جلب المنفعة مباحاً، لماذا يعترض الجامع الأزهر على استعمال الكوندوم وعلى تعليم النشء الحقائق عن الجنس في المدارس لتفادي إنجاب أطفال خارج الزواج ورميهم أمام أبواب المساجد؟ وأضافت الدكتورة:

" هذا الأمر جائز لأنه لو اكتشف الزوج بعد الزواج أنه غير قادر على الإنجاب سيلجأ إلى هذا الفحص لتحديد العلاج فما المانع أن يجريه قبل الزواج."

والمانع طبعاً هو أن نسبة العقم في الرجال نسبة ضئيلة للغاية لا تبرر إخضاع كل العرسان لإجراء الاستمناء باليد من أجل الفحص الإجباري. هذه النسبة الضئيلة من الرجال، إذا أرادوا الإنجاب، فيمكنهم وقتها الخضوع للكشف بمحض إرادتهم، وليس جبرياً كما هو الحال مع القانون الجديد. ثم أن الدكتورة تجاهلت الأحاديث التي تمنع العزل، أي الاستمناء خارج الفرج،

فقد روى مسلم في صحيحه من حديث عائشة عن جذامة بنت وهب أخت عكاشة قالت: حضرت رسول الله في أناس فسألوه عن العزل فقال: هذا الوأد الخفي، وفي رواية أخرى أنه الموءودة الصغرى. (صحيح مسلم، كتاب النكاح، حديث رقم 2613).

وربما تستدل الدكتورة بالأحاديث التي تبيح العزل، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ميوعة الأرضية التي يقف عليها فقهاء الإسلام عندما يستدلون بالأحاديث.
ثم أضافت الدكتورة المستنيرة:

"الكشف الطبي قد يكون ضرورة في بعض الحالات، مثل زواج الأقارب، لما قد ينجم عنه من أطفال مشوهين أو يحملون إعاقات مختلفة"، مشيرة إلى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قال "اغتربوا كي لا تضووا (تضعفوا)."

فما دام من حق ولي الأمر إصدار الأوامر التي تفيد المجتمع، لماذا لا تصدر الحكومة المصرية قانوناً يمنع زواج الأقارب، كما فعلت بلاد الغرب؟ وليس هناك من شك في أن زواج الأقارب يزيد من نسبة التشوهات الخلقية في الجنين، *ولكن قطف بعض المقولات من التراث الإسلامي وتجاهل ما يناهضها لا يفيد المجتمع بشيء*. فالدكتورة ذكرت أن عمر بن الخطاب قال: "اغتربوا حتى لا تضووا" وهو قول جميل، لكنها **تجاهلت** أن القدوة الحسنة في الإسلام، نبي الإسلام الذي قال عنه القرآن: {**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنةً لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً.** (الأحزاب 21)}. هذا الأسوة الحسنة تزوج زينب بنت جحش، ابنة عمته مباشرةً، ألا نتوقع من المسلمين اتباع سنته حتى إن أدت إلى تشويه الأجنة؟
خلاصة القول إن قانون الفحوصات الإجباري لن يفيد المواطن المصري بشيء بينما يعتدي على حقوقه الأساسية بإجباره على الخضوع لتلك الفحوصات غير المجدية. وما فعلته وزارة الصحة يذكرنا بما فعله الحزب النازي في ألمانيا الهتلرية عندما جمع ذوي التشوهات الخلقية والتخلف العقلي في مجمعات معينة وأجرى عليهم عمليات التعقيم الإجباري بخصي الرجال وإزالة مبايض النساء حتى لا ينجبوا أطفالاً مشوهين يضرون بسمعة الجنس الآري. وبدل إصدار هذا القانون كان يمكنهم اتباع سنة الرئيس كاسترو في كوبا التي تُدخل كل من يثبت الفحص حمله ڤيروس الأيدز إلى معسكر خاص يشبه السجون الكوبية ولا يُسمح للمصابين بالخروج منه أبداً إلى أن يموتوا، حتى لا ينشروا المرض في كوبا.

لماذا تختار البلاد الإسلامية الأسوأ في جميع العالم وتتجاهل المفيد الذي أثبت جدواه؟

وقد نفهم أن مصر أصبحت وهابية بفعل الحاجة المادية للدولارات السعودية، ولكن أن تتبنى الحكومة الفحص الإجباري الذي فرضته السعودية على مواطنيها نسبة لتفشي عادة زواج الأقارب وكثرة أمرض الدم الوراثية، فأمر يصعب فهمه إذ أن زواج الأقارب وأمراض الدم ليستا من سمات المجتمع المصري.

عودة إلى الفهرس

[2] نفس المصدر.
[3] نفس المصدر.

120 - نقابة أطباء مصر تتنكر لأبو قراط

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=144541

الكل يعرف أبوقراط، ذلك الإغريقي الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد وارتبط اسمه بذلك القسم الذي يؤديه كل طبيب أكمل دراسته في جميع أنحاء العالم. ذلك القسم يقول:

> "أقسم بالإله الطبيب، وآلهة الصحة والشفاء وسائر الآلهة، على أنّه - قدر استطاعتي وتقديري - سأتمسك بهذا القسم وهذا الميثاق... وأن أقصد قدر وسعي منفعة المرضى، وأمتنع عمّا يضرّهم أو يسيء اليهم. وألاّ أعطي دواءاً قتّالا ولا أشير به، ولا ما يُسقط الأجنّة. وأن أحفظ نفسي على النزاهة و الطهر، وأحافظ على السّر الطبيّ."

ومن البديهي أن القسم بالآلهة أصبح يختلف من بلد لآخر، فمنهم من يقسم بالله ومنهم من يقسم ببوذا وغيره.
أطباء مصر مثلهم مثل غيرهم أقسموا بالله العظيم أن يقصدوا ما وسعهم مصلحة المرضى والامتناع عما يضرهم. ولكن يبدو أن القسم الإسلامي لا يعني شيئاً، خاصة عند الشيوخ الملتحين، فقد

> "أشعل الشيخ عيسى قاسم، أحد أكبر العلماء الشيعة في البحرين الأجواء الانتخابية، قبيل الانتخابات البرلمانية المقررة في الخامس والعشرين من الشهر الجاري (نوفمبر، تشرين الثاني)، عندما قال في كلمة خطابية إن النائب في البرلمان البحريني غير ملزم بالالتزام بدستور 2002 وأن القسم للدستور لا يقيد النائب."[1]

ومعروف في الفقه الإسلامي أن الذي يحنث في قسمه يُكفّر عن ذلك بالمال أو الصيام.
ومصر التي قادت النهضة العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، **قد تجمعت فوق سمائها سحب الأصولية الداكنة التي تهطل على الإسلاميين بترودولارات بالملايين،** فمكنتهم من السيطرة على نقابة الصحفيين التي أساء لها السيد جمال عبد الرحيم، الأمين العام المساعد، عندما قال:

> إنه يرفض رفضا قاطعا أن تصبح نقابة الصحفيين منبرا للتبشير بالخرافات والخزعبلات *للحركة البهائية* المدعومة من الولايات المتحدة وإسرائيل، حسب قوله. وقال متسائلا: كيف توافق نقابة الصحفيين على استضافة من يسمون بالبهائيين رغم أن الأزهر وجميع شيوخه منذ قرن كامل *أفتوا بكفر معتنقي البهائية وبأنهم مرتدون عن الإسلام*. وشن هجوما على نقابة الصحفيين، قائلا إنه من العيب والعار عليها أن تسعى لتأجير قاعاتها لكل من هب ودب من أصحاب الفكر المنحرف دينيا من أجل تحقيق مكاسب مالية مقابل الإيجار.[2]

فنقابة الصحفيين تنكرت لمفهوم حرية التعبير من أجل إرضاء التعصب الإسلامي وشيوخه.
وسيطر الإسلاميون على معظم الاتحادات الطلابية والنقابات، ومنها نقابة المحامين. وحتى الجيش الذي يمول بالكامل من ضرائب المسلمين والمسيحيين والبهائيين وغيرهم، تسيطر عليه الروح الإسلاموية التي تصدر مجلة "المجاهد" والتي توزع على جميع أفراد القوات المصرية. هذه المجلة نشرت موضوعاً بعنوان ‹المسلمون والعولمة في مفترق الطرق› للشيخ عبد اللطيف محمد عمارة قال فيه:

> "الذي وضح لنا موقف أهل الكتاب من المسلمين منذ أربعة عشر قرناً فالله هو العليم بسرائرهم وما في نفوسهم من شرور وما في عقولهم من مكر ولؤم وخبث... أن التوراة والإنجيل كتموا فيها نبوة الرسول (ص) ليشتروا به ثمناً قليلاً وهو متاع الحياة الدنيا... اليهود والنصارى لا يرضون عن رسول الله ولا عن المسلمين حتى يتبعوا دينهم وملتهم والكفر كله ملة واحدة."

وحتى تكتمل صورة أسلمة مصر المحروسة أصدرت نقابة أطباء مصر، التي يسيطر عليها الإخوان المسلمون، أمراً يحظر نقل الكلى بين المسلمين والمسيحيين. وقد دافع الدكتور حمدي السيد نقيب أطباء مصر، ورئيس لجنة الصحة في مجلس الشعب (البرلمان) عن هذا القرار ونفي عنه أي شبهة طائفية أو دينية، قائلاً:

> **"إن حظر نقل الأعضاء بين مختلفي الديانة والجنسية مجرد محاولة لوقف تجارة الأعضاء التي استشرت في الفترة الأخيرة فليس من المعقول أن يتبرع قبطي لمسلم ولا العكس، كذلك لا يجوز أن يتبرع مصري لخليجي أو أوروبي، ففي هذه الحالة فإن الأمر سيصبح تجارة أو على الأقل سيكون مشوباً بشبهة الاتجار بالأعضاء البشرية، ومن هنا تدخلت النقابة لضبط الأوضاع."** [3]

وربما يعتقد السيد الدكتور حمدي السيد أنه أذكى من كل الناس ويستطيع أن يغطي على الدوافع الأصلية وراء القرار بذكر أسباب **واهية** مثل التي أتى بها. ولكن تنظيم زراعة الأعضاء هو من صميم واجبات المجلس الطبي المصري. فالجراح الذي يقوم بزراعة أي عضو لمريض يستجوب المريض والمتبرع بالعضو ويكشف عليهما ويعرف العلاقة بينهما ويستطيع أن يقرر إذا كان التبرع بالعضو نتيجة شراء أم تبرع حقيقي. وهذه مسؤولية جمعية يشترك فيها الجراح وأخصائي أمراض الكلى أو الكبد أو غيرها، والممرضون وفنيو المختبر الذين يجرون الفحص على دم المريض والمتبرع. ومن واجب أي منهم إذا أحس أن التبرع وراءه أموال، فواجبه أن ينقل شكه إلى المجلس الطبي الذي يحقق في الأمر ويعاقب الطبيب. وقد حدثت حالات مشابهة في لندن قبل حوالي عشرين عاماً عندما اعتاد جراح إنكليزي أن ينقل كلى من أفراد أتراك، يأتون بهم من تركيا إلى لندن، إلى مرضى إنكليز. نقل ممرضوا غرفة العمليات شكوكهم إلى المجلس الطبي الذي تحرى في الموضوع وأدان الجراح وأوقفه عن العمل لمدة ستة أشهر. ومثل هذا الجراح لن يجرؤ على اجراء عملية أخرى من هذا النوع. ولكن الدكتور حمدي السيد ونقابته فضلوا أن يعفوا أنفسهم وممرضاتهم المنقبات من هذه المسؤولية ويصدروا قانوناً يمنع نقل الكلى بين المسلم والمسيحي. إنه عار على نقابة الأطباء وعار على كل الأطباء المصريين الذين صمتوا ولم يحتجوا على القرار. **والصامت عن الحق شيطان أخرس.**
والغريب أن الجامع الأزهر الذي كان يعارض زراعة الأعضاء حتى السنوات القليلة الماضية، استنكر قرار نقابة الأطباء. ورغم أن شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي كعادته فضل الجلوس على الجدار وقال بإباحة نقل الأعضاء دون أن يتطرق إلى موضوع الديانة، فإن الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر السابق تحدث بعبارات صريحة وأباح نقل الأعضاء بين المسلمين والمسيحيين بقوله:

> "إن التبرع بالأعضاء جائز شرعاً ولا شبهة فيه بالتحريم أو التأثيم، لأن المسلم إنسان والمسيحي إنسان، أما الحرام فهو البيع أو التجارة بالأعضاء البشرية، غير أن التبرع بها طواعية، فلا أعرف نصاً في القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة أو إجماع الفقهاء، أو غير ذلك من المصادر الفقهية ما يحرم هذا، أو حتى يتطرق إليه، باعتباره من الأمور المستحدثة في العلوم الطبية، والتي تقتضي أن تخضع لفقه جديد، يوازن بين المصالح المعتبرة والنصوص الشرعية، فما بالنا حين ينعدم وجود أي نص يحرم ذلك."[4]

---

[1] سلمان الدوسري، الشرق الأوسط 2006/11/4.
[2] المصريون 2008/4/2.
[3] نبيل شرف الدين، إيلاف، 18 أغسطس، آب 2008.
[4] نفس المصدر.

وموقف أطباء مصر ونقابتهم لا يختلف كثيراً عن موقف الأطباء البيض في جنوب أفريقيا في سنوات "الأبرتايد". فقد نشر بروفسور في قسم الأمراض pathology ورقة في المجلة الطبية البريطانية British Medical Journal في السبعينات من القرن المنصرم قال فيها:

يمنع نقل الدم من متبرع أسود إلى مريض أبيض أو العكس لأن جيناتهم تختلف عن بعضها.

وطبعاً لم يكن هناك أي سبب علمي يساند هذه الفكرة، ولكن لأن المجلة الإنگليزية نشرت البحث أصبح نقل الدم بين الأجناس ممنوعاً، وحتى نقل المصابين البيض والسود في نفس سيارة الإسعاف كان ممنوعاً. وعندما احتج بعض الأطباء الإنگليز، وصمت الأطباء الجنوب أفريقيين، تعللت نقابة أطباء جنوب أفريقيا بأعذار كالتي قدمها الدكتور حمدي السيد.
وفي دولة إسرائيل، التي يحمل عليها الإخوان المسلمون في كل مناسبة حتى إن لم يكن لليهود دخل بها، يؤدي الأطباء الجدد نفس قسم أبوقراط ويلتزمون فيه بمساعدة أي شخص يعاني من ضائقة. وقد جاء في النص العبري، الذي يقسم به كل طلبة الطب مع انتهاء دراستهم:

"وتساعدون المريض أيا كان، سواء كان يهودياً أو أجنبياً، سواء كان من البسطاء أو من الأشراف".

ولكن في صبيحة يوم 2005/7/27 رفض مستشفى هداسة عين كيريم استقبال وعلاج مخرب فلسطيني، كان قد أصيب برصاص جنود الجيش الإسرائيلي. وقد انتظرت سيارة الإسعاف العسكرية التي أحضرت المصاب دقائق طويلة بجوار أبواب المستشفى، حتى تقرر نقل المصاب إلى مستشفى شعاري تسيديك في القدس وقد أكد البروفسور يوناتان هاليفي، مدير مستشفى شعاري تسيديك، أن المخرب المصاب وصل إلى المستشفى، وأجريت له عملية جراحية.[5]

وطبعاً أي شخص يتصرف مثل هذا التصرف فلن تعجزه الأعذار، فقد قدمت ياعيل بوسم ليفي، المتحدثة باسم مستشفى هداسا عين كيريم هذا العذر:

"لقد وصل طلب من الجيش إلى مدير المستشفى لاستقبال مصاب فلسطيني، ولكن بسبب الازدحام في قسم استقبال الطوارئ، طلب مدير المستشفى تحويل المصاب إلى مستشفى آخر. ورغم ذلك تم نقل الفلسطيني إلى المستشفى. وقد وافق مدير المستشفى على استقباله ولكن الجنود الذين نقلوا المصاب قرروا من تلقاء أنفسهم، نقله إلى مستشفى شعاري تسيديك."

فهل موقف نقابة أطباء مصر يقل شناعةً عن موقف مدير مستشفى هداسة عين كيريم أو نقابة أطباء جنوب أفريقيا العنصرية؟ واللوم كله ينصب على أطباء مصر الذين انتخبوا نقابة يسيطر عليها الإخوان المسلمون. ولن يكون حالهم مستقبلاً بأحسن من حال أهل غزة الذين انتخبوا حماس لتحكمهم فقاطعتهم كل دول العالم.
ولا نستطيع إلا أن نأسف لحال مصر التي لم يبقَ بها شيء لم يتأسلم غير بعض الأقباط وكنائسهم؟

عودة إلى الفهرس

[5] www.nrg.co.il , 28/7/2005.

121 - ما وجدنا عليه آباءنا

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=145151

الإنسان بطبعه حيوان اجتماعي يكره العزلة ولذلك يعيش في مجتمعات قد تصغر أو تكبر حسب الموضع الجغرافي وحسب ما تتيحه المنطقة من زراعة أو صناعة تكفل الغذاء لهؤلاء الناس. وبما أن الإنسان يعيش في مجموعات، فهو يتعلم من تجاربه الخاصة في الحياة ومن أفكار معاصريه لكنه يعتمد في استمرارية حياته على تجارب أسلافه الذين عاشوا هذه الحياة قبله. وينسحب هذا القول على كل مجالات المعرفة الإنسانية سواء أكانت حضارة أو معتقدات أو نظم حكم. فالحضارة **تراكمية** تضيف إليها كل مجموعة سكانية شيئاً يكثر أو يقل. وإذا نظرنا إلى بعض المجموعات البدائية التي مازالت تعيش منعزلة عن عالم القرن الحادي والعشرين في بعض جزر إندونيسيا أو أمريكا الجنوبية وبابوا نيوجيني Papua New Guinea، *نجد أن هؤلاء الناس قد توقفت حضارتهم عند الزمن الذي انفصلوا فيه عن بقية الشعوب نتيجة انفصال قطعة الأرض التي يسكنونها عن بقية الكتلة الأرضية قبل آلاف السنين*. ويعتمد أغلب هؤلاء الناس في حياتهم على الغابات التي تحتوي على عدة أنواع من النباتات، بعضها سام قد يودي بحياة من يأكله. ولكن حتى الطفل في تلك المناطق، رغم تخلفها الشديد، يعرف ما هو النبات السام ويتفاداه لأنه تعلم ذلك من الإرث الجمعي الذي وجد عليه آباءه.
وهناك بعض السلوكات في مملكة الحيوان قد تجذرت في الجينات الوراثية فأصبحت "فطرة". فمثلاً السلاحف تدفن بيضها في رمال الشواطيء، وبمجرد أن تفقس صغار السلاحف من البيض تخرج من الرمال وتتجه تلقائياً إلى البحر وتسبح منذ اللحظة التي تلامس فيها الماء. فهى لا تحتاج إلى الأم أو الأب ليعلمها كيف تصل البحر أو كيف تسبح. ولكن في المقابل هناك أشياء سلوكية كثيرة يتعلمها الحيوان الصغير من الأم أو الأب، مثل كيفية صيد الطعام وكيف يتفادى الحيوان أن يكون فريسة لغيره. فالحيوان الصغير هنا يتعلم من أمه خلاصة ما وجدت عليه آباءها.
في عالم الإنسان يولد الطفل لا يعرف شيئاً غير أن يتنفس ويبكي ويرضع ثدي أمه ويتبول. كل شيء غير هذا يتعلمه من الأم والأب والإخوة الكبار والأصدقاء والمدرسة. فنستطيع أن نقول إن الطفل الصغير يشبه السبورة النظيفة، والوالدان والمجتمع يكتبون فيها ما يتعلمه الطفل ويصبح طبيعة ثانية له. ولأن المجتمع أو القبيلة هم الذين يكتبون في هذه السبورة، فإن قناعات الإنسان واللغة التي يتعلمها والمذهب أو الدين الذي يعتنقه يعتمد على إرث ذلك المجتمع، وبالتالي على المكان الذي ولد به ذلك الطفل.
وبما أن الإيمان بأي معتقد هو نوع من **الغيبيات** أي *الإيمان بمنظومة تعاليم مصدرها إله لا يمكن أن نثبت بالبرهان وجوده أو عدمه*، ولا نستطيع إجراء تجارب عليه، يصبح الاعتقاد به نوعاً من **الوراثة الفكرية** التي يتعلمها الطفل من أسرته أولاً ثم من المدرسة والمجتمع الكبير. فلا يُعقل أن يولد طفل في أسرة كاثولكية في إيطاليا ويدرس في مدارس القرية أو المدينة وينشأ بروتستانتي أو بوذي أو مسلم .ونفس الشيء ينطبق على طفل ولد في أسرة سعودية في القصيم، تعلم أن يوقظه صوت المؤذن في الرابعة صباحاً وكلما أغفى في الظهيرة، ثم يدرس في مدارس بريدة التي تكرس نصف الوقت لدراسة الدين الإسلامي، ويعلن لنا في سن العاشرة أو بعدها أنه كاثوليكي. **فالإيمان وراثي يتبع فيه الإنسان ماوجد عليه آباءه**. *ويندر أن يغير الإنسان معتقده حتى وهو في سن الرشد*. وهناك لا شك من غيروا معتقدهم نتيجة الخوف، كما حدث في الفتوحات الإسلامية، أو لمصلحة شخصية تتبع من اعتناق الإنسان المعتقد الجديد كما فعل بعض الفلبينيين وبعض الغربيين الذين عملوا بالمملكة الوهابية في السبعينات والثمانينات من القرن المنصرم، ونالوا مكافآت مالية وتسهيلات أخرى عندما أسلموا. والحكمة العامة تقول إن لكل قاعدة شواذ. فهناك مثلاً الشاب الفلسطيني مصعب حسن يوسف الذي تربى في حضن حماس وما زال أبوه من الزعامات المعروفة في حماس، ولكنه عندما هاجر إلى أمريكا اعتنق المسيحية مما سبب انتكاسة رهيبة لوالده ولعائلته عامةً، وهو لم يغير معتقدة نتيجة خوف ولا أظنه فعل ذلك بدافع مادي. وربما يكون الفساد الخفي الذي يمارسه أعضاء حماس، رغم تدينهم الظاهر، قد لعب دوراً في تنكر هذا الشاب للإسلام.
وإذا كنا نحن البشر نعرف هذه الحقائق، فمن البديهي أن إله السماء، إن وجد، لا بد أن يعرف أن الإيمان وراثي يأخذه الإنسان مما وجد عليه آباءه. ولكن قرآن محمد جعل من مقولة "وجدنا عليه آباءنا" نوعاً من المنطق يحاول به إقناع الآخرين بالإيعاز لهم أن من من يقول ذلك فهو غبي ضال، فنجده يتحدث عن إبراهيم مع قومه، فيقول:

{إذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون. قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين. (الأنبياء 53،52)**}.**

ثم يستمر في قصة إبراهيم، فيقول:

{إذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون. قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين. قال هل يسمعونكم إذ تدعون. أو ينفعونكم أو يضرون. قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون. (الشعراء 70-74)**}.**

أولاً: لو سألت بوذي لماذا هو بوذي، لا يجيبك بأنه بوذي لأنه وجد آباءه بوذيين، وإنما يقول لك إنه بوذي لأن البوذية أحسن دين على وجه الأرض. وكذلك الحال مع المسلم أو المسيحي.
وثانياً: وكما قلنا سابقاً إن قوم إبراهيم في مدينة "أور" كانوا يعبدون آلهة السماء وليس الأصنام، ولكن لو سلمنا أنهم كانوا يعبدون الأصنام، فإن إبراهيم مثله مثل أي طفل تربي في "أور" لابد أن يكون قد عبد الأصنام وهو صغير لأنه وجد آباءه يعبدونها، وعندما بلغ سن الرشد قد تكون الفرصة سنحت له أن يخالط قوماً لا يعبدون الأصنام، فتعلم منهم ثم نادى بدينه الجديد. وبعد عشرات السنين أصبح دينه الجديد له أتباع اعتنقوه لأنهم وجدوا عليه آباءهم. والقرآن نفسه يؤكد هذا في قوله:

{أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم وإسماعيل وإسحق. (البقرة 133)**}.**

فالقرآن يقر بأن الناس يعبدون إله أجدادهم وآبائهم ولكنه في نفس الوقت يعيب ذلك على قوم إبراهيم وعلى عرب مكة. ثم ينتقل القرآن إلى مصر وقوم فرعون عندما أتاهم موسى وهارون، فيقول:

{قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين. (يونس 78)**}.**

فهاهم قدماء المصريين الذين كانوا يعبدون "رع" إله الشمس الذي وجدوا عليه آباءهم، ثم من بعده "آمون" لفترة وجيزة، ثم رجعوا إلى عبادة إله الشمس الذي وجدوا عليه أباءهم، يقولون لموسى وهارون لن نترك ماوجدنا عليه آباءنا ونؤمن بكما لتكون لكما العزة في الأرض. وهو ما نتوقعه من أي شخص يؤمن بأي دين أو مذهب. ثم ينتقل القرآن لمخاطبة عرب مكة، فيقول لهم:

{وإذ قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون. (الأعراف 28)**}.**

ثم يستمر في مخاطبتهم، فيقول:

{وإذ قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ماوجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير. (لقمان 21)**}.**

وكذلك:

{بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنا على آثارهم مهتدون. وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قريةٍ من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنا على آثارهم مقتدون. (الزخرف 22، 23)}.

فكل القرى والبلاد التي أتاها رسول أو نبي قالوا له إنا نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، ولم يقل هذا المترفون فقط بل قاله البسطاء والفقراء الذين يؤمنون بالغيبيات أكثر مما يؤمن بها المترفون. ولكن القرآن يستمر و يزيد على ذلك فيقول:

{وإذا فعلوا فاحشةً قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون. (الأعراف 28)}.

فحتى الفواحش ورثوها من آبائهم، وهاهم المسلمون يقبلون الحجر الأسود الذي لا ينفع ولا يضر لأنهم ورثوا تقبيله من محمد، ويتهافتون بالملايين لزيارة قبور الأولياء علها تشفيهم من سقم أو تجلب لهم الخير. وقد ورثوا هذه الفواحش من آبائهم .ولما استمر العرب في قول "إنا وجدنا عليه آباءنا" قال لهم محمد:

{قل أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون. (الزخرف 24)}.

وليس هناك أي دليل أن القرآن جاء **بأهدى** مما كان العرب يعرفونه في الفترة التي سبقت الإسلام. فالأديان، كالحضارة، تراكمية. إبراهيم أخذ من ميثولوجيا بابل وأور، وموسى أخذ من إبراهيم، وعيسى من موسى وهكذا. ولذلك فإن العرب كانوا يعرفون الله ويعرفون أنه خالق الأرض والسماء وهو الرازق والمميت، ولكنهم عبدوا الأصنام لتقرب الله لهم من الناحية الفيزيائية أو المحسوسة، كما يعبد المسلمون محمد أكثر مما يعبدون الله لأن محمد أقرب إلى أذهانهم من الله غير المحسوس. وكل ما فعله محمد هو أخذ عادات وممارسات العرب وإدخالها في دينه الجديد من حج وعمرة وزواج متعدد وطلاق متعدد وزواج المحلل والعدة للمطلقة والمتوفي عنها زوجها، ونجاسة المرأة الحائض، ثم زاد عليها من اليهودية والمسيحية .فليس هناك من جديد أو أهدى.

وجميع المسلمين منذ انتهاء الفتوحات الإسلامية وحتى اليوم فعلوا ويفعلون ما وجدوا عليه آباءهم، أي ولدوا مسلمين وباشروا كل شعائر الإسلام، لا لأنهم درسوا الإسلام واقتنعوا به بعد أن قارنوه مع المعتقدات الأخرى ثم اعتنقوه وهم راشدون، وإنما تعلموه واعتنقوه وهم أطفال فاتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم. ولو ظهر رسول جديد في المسلمين في هذه الأيام لقتلوه أو لقالوا له إنا نتبع ما وجدنا عليه آباءنا، تماماً كما فعلت قريش مع محمد. والتاريخ يعيد نفسه.

والإيمان يجبر الناس على أفعال لا يقرها العقل، ولكنهم يعللون ما يفعلونه بأنه جزء لا يتجزأ من شريعتهم التي وجدوا عليها آباءهم.

فمثلاً في جمهورية "نيبال Nepal "في شمال الهند، والتي يدين أهلها بالبوذية، هناك حالة من الهلع تسود الجمهورية في هذه الأيام لأن البنت التي تجلس على العرش وتجسد آلهتهم الآن، واسمها "كوماري"، قد بلغت من العمر أحد عشر عاماً وأصبح احتمال أن تبدأ دورتها الشهرية وشيكاً. وإذا حاضت وهي جالسة على العرش فإن ذلك يكون بمثابة الزلزال الذي قد يهد كل المعتقد الديني. وعليه أصبح المنجمون يعملون ليلاً ونهاراً لإيجاد بنت بديلة في سن الثالثة من العمر لتجلس على العرش كإلهة جديدة بدل كوماري [1]. فالعقل لا يقبل أن تجلس بنت الثلاث سنوات على العرش وتصبح إلهة يتقرب لها الراشدون، وإذا حاضت فسد المعتقد. لكن هذا هو الإيمان الذي وجدوا عليه آباءهم، كما وجد المسلمون آباءهم يهرولون شبة عراة حول مكعب صغير ويرجمون شيطاناً وهمياً بحجارة تصيب بعضهم قبل أن تصيب الشيطان.

ولأن الإيمان يُعمي بصيرة الإنسان، نجد المسلمين يهللون ويكبرون كلما أسلم شخص أوروبي أو أمريكي، ولكن عندما ارتد مصعب حسن يوسف عن الإسلام، كتب رجل سعودي اسمه أحمد وصفي الأشرفي، تعليقاً على الخبر، فقال:

> "أن ينقلب (صهيب) إلى (جو) كما يطلقون عليه الآن في كاليفورنيا، هذا والله ما لا يمكن أن يتصوره عقل عاقل، ومع ذلك دعونا نناقش الامر بروية، فصهيب سيبقى صهيبا، وما إرتداده عن الاسلام إلا ظرف طارئ لن يطول فهو إبن مناضل مازال يقبع في سجون إسرائيل. أقول ذلك بعد أن تعرض صهيب خاصة بعد اعتقاله في إسرائيل الى ضغوط لا يمكن لشاب في ريعان شبابه تحملها. فما رآه من استمرار تناحر أصحاب القضية في حماس وفتح فكل ينادي وبعضهم يتظاهر بما لا يعتقد فيه، وحاجته الى العمل، ومن جانب آخر ضعف إيمانه بسبب إنشغال أو نضال ذويه في أمور أبعدتهم عن مراقبة أبنائهم، بل أتاحوا له الفرصة ليهاجر الى أميركا التي وجد فيها مجتمعا وحياة مستقرة غير مجتمعه وحياته التي لم يرى فيها الا تناحرا ودماء وأصوات القنابل والرصاص، ومع تعرفه على أصدقاء جدد من بني جلدته أو من غيرهم نجحوا في إقناعه بالانسلاخ عن دينه وطبيعته ونضال أهله ووطنه، لذلك وأمام تلك المعطيات الظاهرة وما خفي منها أعظم، كان ارتداد هذا الشاب عن دينه في سابقة لم نشهدها. لا نملك إلا الدعاء له بأن ينير الله طريقه ويعود إلى رشده، وإلا فلن يخسر الاسلام شيئا بارتداده عنه."[2]

فهذا الرجل السعودي لا يقبل عقله الوراثي أن يفهم كيف ينسلخ مسلم وراثي مثله يتبع ما وجد عليه آباءه، من دين الإسلام ويصبح مسيحياً. ولتوكيد الوراثة في أمور المعتقد، يقول الرجل السعودي:

> "إن صهيب سيبقى صهيبا، وما إرتداده عن الاسلام إلا ظرف طارئ لن يطول فهو إبن مناضل مازال يقبع في سجون إسرائيل. ومن أسباب ضعف إيمانه إنشغال ذوية في أمور أبعدتهم عن مراقبته."

فإن إيمانه ليس عن اقتناع وإنما لأن ذويه قد لقنوه دينه وبمجرد إنشغالهم عنه غيّر معتقده.

قليل من الناس يجرؤ على ترك ما وجد عليه آباءه، وهذا ينطبق على محمد، وإبراهيم، وعيسى وغيرهم من الأنبياء، وعلى رجل آيرلندي يُدعى "بات كونديل .Pat Condell "هذا الرجل ولد لأبوين كاثوليكيين من آيرلندا ولكنه درس في مدارس إنكلترا التي تتبع المذهب البروتستانتي. تعذب هذا الطفل في المدرسة بسبب ما وجد عليه آباءه، فقد كانوا يعزلونه في غرفة منفرداً بينما يؤدي بقية التلاميذ الصلاة المسيحية البروتستانتية التي يبدأ بها اليوم الدراسي. وكان الأطفال الآخرون يستهزئون به لأنه مخالف لما وجدوا عليه آباءهم. عندما كبر هذا الرجل، تنكر لكل الأديان وأصبح أشهر منتقد للأديان الثلاث: المسيحية واليهودية والإسلام وأخرج عدة مقاطع فيديو video clips على موقع يوتيوب، يشاهدها الملايين. فتحيةٌ لهذا الرجل الذي تمرد على ما وجد عليه آباءه، ويمكن سماعه على هذا الرابط: http://patcondell.libsyn.com.

وخلاصة القول إن منطق القرآن الذي استعمله لإقناع العرب بأنه الدين الحق من عند إله السماء منطق أعرج يقول بغير ما يعرفه العقل وتثبته تجارب كل الشعوب والأمم. ولولا اتباع ما وجدنا عليه آباءنا لربما لم يظهر فينا أسامة بن لادن. فلو بالصدفة ولد أسامة في أسرة يهودية في اليمن، حيث كان يعيش جده قبل أن يهاجر إلى السعودية، لصار أسامة يهودياً.

فهل ينزل المسلمون من على صهوة جيادهم المتعالية ويفهموا أن الذي يعبد البقرة لديه نفس قوة الإيمان التي يدعيها المسلم، ولديه نفس مفاهيم المعروف والمنكر كما يؤمن بها المسلم، وفوق ذلك كله، لدية كل الحق أن يعبد ما يشاء. وليس هناك أي سبب يجعل محمد يحارب الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فالحقيقة لا يملكها محمد ولا إسلامه.

---

[1] صحيفة الإندبندنت الإنكليزية، عدد 14 أغسطس (آب) 2008، ص 24.

[2] الشرق الأوسط 2008/8/17.

الحقيقة تكمن في المقولة "عش ودع غيرك يعيش بسلام."

عودة إلى الفهرس

2008 / 9 / 3

122 - تخبط القرآن في خلق الإنسان

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=145980

كل الحفريات التي أجراها علماء "علم الإنسان" Anthropology وكل الهياكل العظمية التي تم اكتشافها حتى الآن، والآلات التي وُجدت مع الهياكل العظمية، تثبت لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن الإنسان كان يمشي على أربعة أطراف وكان يتسلق الأشجار ويعيش على النباتات، تماماً كما تفعل ال anthropoid apes أي القرود شبيهة الإنسان والشمبانزي الذي نشترك معه في ثمان وتسعين بالمئة من الجينات الوراثية. وطبعاً فترة تطور الإنسان من الشمبانزي إلى ما هو عليه الآن مرت بمراحل عديدة استغرقت ملايين السنين. وأقدم هيكل عظمي للإنسان وجدوه حتى الآن كان في صحراء تشاد، وسموه Sahelanthropus tchadensis وقدروا عمره بسبعة ملايين من السنين.

ولكن القرآن، مثله مثل العهد القديم، يقول إن خلق الإنسان بدأ بآدم، الإنسان الأول الذي عاش في الجنة ثم أخرجه الله منها. العهد القديم يقول إن الله خلق آدم من غبار الأرض dust of the earth، ثم خلق حواء من ضلعة وملأ مكان الضلع لحماً. والله خلق آدم في صورته، أي صورة الله، ونفخ فيه من روحه .وجاء القرآن ليجدد الأديان القديمة، كما يزعم أتباعه، فأتى بمزيج مضطرب من قصة الخلق، سواء أكان خلق الأرض والسموات والحيوانات أو خلق الإنسان. يتفق القرآن مع العهد القديم في أن خلق الإنسان بدأ بآدم في الجنة، ولكنه عندما يتحدث عن المرأة يقول {خلق لكم من أنفسكم أزواجاً}، فهو لا يصرّح بأن زوجة آدم خُلقت من ضلعه، ولكن أحاديث محمد وشرح مفسري القرآن يقول كما قال العهد القديم بأنها خُلقت من ضلعه الأعوج. وبما أن الكنيسة الكاثوليكية تقول إن بداية العالم كانت في العام 4004 قبل الميلاد، فإن خلق آدم كان في ذلك التاريخ، أي قبل حوالي ستة آلاف عام. وقد وافق فقهاء الإسلام الكنيسة في تاريخ بداية الخلق وحددوا عمر العالم بسبعة آلاف سنة، ينتهي بعدها العالم ويطوي الله الأرض بيمينه، ولذلك قال القرآن: {**اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون**. (الأنبياء 1)} وهذا الطرح بعيد كل البعد عما يقول به العلم الحديث.

ولنبدأ بخلق آدم في القرآن. يقول القرآن:

{**إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون**. (آل عمران 59)}.

فإذا تغاضينا عن الخطأ اللغوي في كلمة "**فيكون**" بدل "**كان**"، نجد أن المفسرين قالوا إن الله أرسل جبريل إلى الأرض فجمع له كمية من التراب من عدة مواضع مختلفة الألوان، فخلق من ذلك التراب جسد آدم ثم نفخ فيه من روحه، فقام آدم إنساناً سوياً له لغة يتحدث بها مع الله وعلّمه الله أسماء الحيوانات التي كانت قد خُلقت قبله (لا بد أنها كذلك خُلقت من تراب). فإذاً آدم خُلق من تراب ومن غير أب أو أم، وخُلق في صورة الله. ولكن المشكلة في الآية المذكورة أن الله قال {**إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم**} مع أن عيسى كانت له أم ورث منها نصف جيناته ولابد أنه ورث النصف الآخر من روح الله التي نفخها في فرجها، عندما قال:

{**ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا**. (التحريم 12)}.

فإذاً هناك فرق شاسع بين خلق آدم وخلق عيسى. وبما أن جبريل جمع كمية من التراب من مواضع مختلفة مما أدى إلى تنوع ألوان التربة التي جمعها، جاء بنو آدم على ألوان كثيرة متباينة، كما يقول المفسرون الذين لم يسمعوا بمادة "الميلالين" التي تلوّن الجلد وتزداد كميتها بازدياد أشعة الشمس. ولتوكيد أن الإنسان خُلق من تراب، يقول لنا القرآن {ومنها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارةً أخرى. (طه 55)} وهو يتحدث عن الأرض. ولن نتحدث هنا عن الاستثناءات الكثيرة لهذه الآية في موضوع خروج الموتى من الأرض. *المهم أن القرآن يصر على أن الإنسان خُلق من الأرض أي التراب.*

ثم زاد القرآن تفصيلاً في نوع المادة التي خلق منها آدم، فقال:

{**ولقد خلقنا الإنسان من صلصالٍ من حمإٍ مسنون**. (الحجر 26)}.

وبما أن عرب مكة لم يكونوا حرفيين ولم يعرفوا صناعة الفخار، اختلف المفسرون فيما عناه الله بالصلصال المسنون، فقالوا إن الصلصال طين يابس.

> "وقال ابن عباس: هو الطين الحر خُلط بالرمل فصار يتصلصل إذا جف، فإذا طُبخ بالنار فهو الفخار. وقال مجاهد: هو الطين المنتن، واختاره الكسائي. تقول العرب: أصِلّ اللحم إذا أنتن، مطبوخاً كان أو نيئاً. وطين صلصال أي يصّوت إذا نقرته كما يصّوت الحديد. كان أولاً تراباً أي متفرق الأجزاء ثم بُلّ فصار طيناً ثم تُرك حتى أنتن فصار حمأً مسنوناً أي متغير ثم يبس فصار صلصالاً، على قول الجمهور." [1].

فإذاً الله خلق آدم من طين يابس، ولا نعلم لماذا اختار أن يصنعه من طين يابس بدل الطين اللين الذي يسهل تشكيله. وفي قول مجاهد أضاف الله الماء إلى التراب فجعله طيناً وتركه حتى أنتن أي تعفّن وصارت رائحته نتنة، ثم جفّ فصار صلصالاً له صوت، فخلق منه آدم. وربما أختار مجاهد هذا التفسير لأن الإنسان عندما يموت ينتن وتصير رائحته كريهة. ثم يخبرنا القرآن بنوع آخر من الطين خلق الله منه الإنسان، فيقول:

{**إنّا خلقناهم من طينٍ لازب**. (الصافات 11)}.

يقول القرطبي:

> "طين لازب أي لاصق، وقال بذلك ابن عباس. أما الماوردي فقال: الفرق بين اللاصق واللازب أنّ اللاصق هو الذي قد لصق بعضه ببعض، واللازب هو الذي يلتزق بما أصابه. وقال عكرمة: "لازب" لزج. قال سعيد بن جبير: أي جيدٌ حرٌ يلصق باليد. وقال مجاهد: "لازب" لازم."

إذاً بدل الصلصال الجاف الذي يصوت كالحديد، خلق الله آدم من طين لزج يلصق باليد. وربما يكون هذا النوع من الطين قد سبب بعض المشاكل لأن الله يقول:

{**قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقتُ بيدي**. (ص 75)}.

فالله قد خلق أدم بيديه من ذلك الطين الذي يلصق باليدين. وينتقل القرآن بعد آدم إلى خلق الإنسان العادي، فيقول:

{**الذين يجتنبون كبائر الإثم إلا اللمم إن ربك واسع المغفرةِ وهو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم**. (النجم 32)}.

فالقرآن هنا انتقل بنا بدون تفصيل من خلقنا من الأرض إلى كوننا أجنة في بطون أمهاتنا. ثم بدأ يفصل لنا كيف انتقلنا من الطين إلى أن أصبحنا أجنة في بطون أمهاتنا، فيقول:

---

[1] تفسير القرطبي للآية.

{يا أيها الناس إنْ كنتم في ريب من البعث فإنّا خلقناكم من ترابٍ ثم من نطفةٍ ثم من علقةٍ ثم من مضغةٍ مخلّقةٍ وغير مخلّقةٍ لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً. (الحج 5)}.

ثم يقول:

{هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفةٍ ثم من علقةٍ ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً. (غافر 67)}.

فبعد خلق آدم من تراب أصبح خلق الإنسان من نظفةٍ أي من المني الذي يتغير إلى علقة. وطبعاً هذا الطرح لا يمكن أن يكون قد أتى من إله عالمٍ لأن المني وحده لا يخلق مضغةً، ولكن لأن محمد كان يرى مني الرجل فقط ولم يكن يعرف أن المرأة تفرز البويضة التي تحمل نصف الكروموسومات التى تكوّن خلايا الجنين كما يحمل الحيوان المنوي النصف الآخر، اعتقد أن العلقة ناتجة من المني فقط .
ويستمر القرآن في نفس الخطأ، فيقول:

{والله الذي خلقكم من تراب ثم من نطفةٍ ثم جعلكم أزواجاً. (فاطر 11)}.

ثم يدخل القرآن في تفاصيل أدق، فيقول:

{لقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين. (المؤمنون12- 14)}.

وقد شرحتُ بإسهاب خطأ هذه الآيات في كتابي "قراءة منهجية للإسلام" وبينت كيف أن العظام لا تُخلق أولاً ثم يكسوها اللحم، بل العكس تماماً يحدث فيتكون اللحم ثم تنبت العظام في داخله. وفي تطور غريب جداً يقول لنا القرآن:

{الذي أحسن كل شيء خَلَقَه وبدأ خلق الإنسان من طين. ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين. ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون. (السجدة 7-9)}.

ومن الغريب أن يصف الله المني بأنه "مهين" وهو الذي يحمل نصف مكونات خلايا الإنسان. وهذا يعني أن الإنسان خُلق من ماء مهين، فهو إذا مهين لأن الفرع يتبع الأصل. وكيف ينفخ الله من روحه في جسم مهين خُلق من ماء مهين؟ وقد اجتهد المفسرون في شرح هذه الآية وقالوا إن المني ماء مهين لأنه يخرج من نفس المجرى الذي يخرج منه البول. ويدخل هذا المني إلى الرحم ليكوّن العلقة عن طريق المهبل الذي هو مجرى دم الحيض، وهو مهين كذلك. فإذاً الإنسان يتكون من ماء مهين، ويدخل الرحم ويخرج منه عن طريق ممرٍ مهين. ومع ذلك يقول الله {**قليلاً ما تشكرون**}. كيف نشكره على خلقنا من كل هذه المهانة. وكيف يقول الله إنه أحسن كل شيء خلقه؟ **أينَ الحسن هنا**؟ وإذا كان الله قد أحسن كل شيء خلقه، كيف يقول:

{لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين}؟

فكيف يكون أسفل السافلين جزءاً من الحسن؟ ويقول عن الإنسان الذي أحسن خلقه:

{وخُلق الإنسان ضعيفا. (النساء 28)}

وكذلك:

{وكان الإنسان عجولا. (الإسراء 11)}
و **{خُلق الإنسان في عجل.** (الأنبياء 3)}.

لماذا خلق الله الإنسان في عجل وجعله عجولاً وضعيفاً؟ لماذا لم يتقن الله ما صنعه؟ ولزيادة التوضيح في خلق الإنسان يقول لنا القرآن:

{فلينظر الإنسان مما خُلق. خُلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب. (الطارق 6-7)}.

فالماء المهين أصبح ماءً دافقاً يخرج من بين الصلب والترائب. والترائب هي عظام الترقوة، والصلب معروف. فبالنسبة لمحمد فإن الماء الدافق، أي المني يأتي من بين الترقوة والصلب (من الظهر). وهو قطعاً لا يأتي من هذا الموضع. فالحيوانات المنوية تتكون في الخصية وتنتقل إلى الحيويصلات المنوية seminal vesicles بجوار البروستاتة، حيث تنتظر اللحظة المواتية لتخرج في الماء الدافق. مرة أخرى تثبت لنا هذه الآيات أن القرآن لايمكن أن يكون من عند إله عالم.
ويصر القرآن على الخطأ فيقول:

{أيحسب الإنسان أن يُترك سدى. ألم يك نطفةً من مني يُمنى ثم كان علقة فخلق فسوى. (القيامة 36 - 37)}.

مرة أخرى يتجاهل القرآن دور البويضة التي تكوّن نصف الإنسان ويكتفي بالماء الدافق الذي يراه الناس بالعين المجردة؟ والقرآن قد ذكر حقيقة علمية مهمة، كان قد لاحظها الناس منذ القدم، عندما قال:

{وجعلنا من الماء كل شيء حيّ أفلا يؤمنون. (الأنبياء 30)}.

فكل الخلايا الحية يُكوّن الماء فيها نسبة كبيرة جداً، فحوالي سبعين بالمائة من جسم الإنسان هو ماء. ولكن نلاحظ هنا أن القرآن قال: {**وجعلنا من الماء**} ولم يقل "وخلقنا من الماء" لأنه سبق أن قال "وخلقناكم من تراب". ولكن القرآن يناقض هذه الآية بقوله:

{والجان خلقناه من قبل من نار السموم. (الحجر 27)}.

ويقول كذلك:

{إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين. فسجد الملائكة كلهم أجمعون. إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين. قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ أستكبرت أم كنت من العالين. قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين. قال فاخرج منها إنك رجيم. إن عليك لعنتي إلى يوم الدين. (ص 71-78)}.

وكما نعلم فإن الجان أو الشيطان أو إبليس في المفهوم القرآني مخلوق حيّ يتزوج ويعاشر نساءه وحتى نساء المسلمين الذين لا يذكرون اسم الله قبل الجماع. وهذه المخلوقات الحية مخلوقة من النار وليس من الماء. إذاً القرآن أخطأ عندما قال: {**وجعلنا من الماء كل شيء حيّ**}. وآدم نفسه لم يُخلق من ماء بل من طين ناشف أي صلصال. وفي تعارض تام مع العلم يقول لنا القرآن:

{قل هل أنبئكم بشرٍ من ذلك مثوبةً عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير. (المائدة 60)}.

فالقرود إذاً أتت من بعض الناس الذين غضب الله عليهم فمسخهم قروداً، وليس العكس كما تقول نظرية دارون، وكما أثبت العلم الحديث.

وكل هذا التخبط في قصة خلق الإنسان يجعلنا نوقن أن القرآن مِن سجع محمد وليس من عند إله في السماء.

عودة إلى الفهرس

2008 / 9 / 11

123 - لو كان من عند غير الله

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=146768

يؤمن المسلمون أن القرآن هو **كلام الله حرفياً**، وقد كتبه في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق العالم، وأنه غير مخلوق، رغم أن ربهم يقول في القرآن: {**ألر كتابٌ أحكمت آياته ثم فُصلّت من لدن حكيم خبير**. (هود 1)}. فإذا كان الحكيم الخبير قد أحكم آيات القرآن وفصّلها كما يفصّل الخياط الملابس، فلا بد أنه كتب القرآن أو خلقه في وقت معلوم جاء بعد أن قرر ذلك الرب كتابة القرآن أو النطق به. ومن غير المعقول أن يكون الله أزلي لم يكن قبله شيء، ويكون القرآن كذلك أزلي لم يكن قبله شيء. لو صح ذلك لأصبح القرآن إلهاً بنفسه. ثم أن الله لا يتكلم لأن الكلام يحتاج حبال صوتيه ورئة تضغط الهواء عبر الحبال الصوتيه، والله، إن كان موجوداً، فهو قوة هلامية لا شكل لها لأن كرسية وسع السموات والأرض وما بينهما. فليس من المعقول أن يكون له شكل ورئة وحنجرة وحبال صوتية. وقد دفع رجال من المعتزلة أرواحهم ثمناً لقولهم *إن القرآن مخلوق وقد خلقه الله الذي أحكم آياته*.

وإذا تغاضينا عن كونه مخلوقاً أو لا، نجد مؤلف القرآن يتحدى عقولنا بقوله:

{**أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا**. (النساء 82)}.

وأنا قد تدبرت القرآن ووجدت فيه اختلافاً كثيراً وتناقضاً.

- تكفّل الله في القرآن بنصرة رسله والذين آمنوا، فقال:

{**إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد**. (فاطر 51)}.

ولكنه عجز عن نصرة رسله الذين أرسلهم إلى بني إسرئيل وسمح لليهود بقتلهم، فقال:

{**فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً**. (النساء 155)}.

فالقرآن يقر أن بني إسرائيل قتلوا الأنبياء بغير حق (**كأنما هناك قتل للأنبياء بالحق**) فأين كفالة الله بنصر أنبيائه والمؤمنين في الحياة الدنيا؟ والله كذلك عجز أن ينصر رسوله محمد والمؤمنين يوم غزوة أُحد، مما اضطر عمر وابنه وعثمان بن عفان إلى الهرب من الموقعة، وشُج وجه النبي وكُسرت رباعيتاه، فقال لهم الله:

{**وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين**. (آل عمران 166)}.

فالله بعد أن تعهد بنصرة رسله والمؤمنين في الحياة الدنيا، سمح للمشركين أن يهزموا نبيه والمؤمنين ويقتلوا منهم سبعين رجلاً مؤمناً، *كل ذلك حتى يستطيع الله أن يعلم المؤمنين منهم*. **منطق في غاية الغرابة**. والغريب أن الله، كان قد قال لمحمد:

{**يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس**. (المائدة 67)}.

يعصمك يعني يحميك. فأين كانت الحماية الإلهية لمحمد يوم أحد؟

- بعد موقعة بدر وأخذ المسلمين أسلاب القرشيين، تشاجر المسلمون فيما بينهم بسبب قسمة الغنائم، فسألوا الرسول الذي أتاه القرآن بسورة كاملة اسمها "الأنفال" قال فيها:

{**يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين**. (الأنفال 41)}.

إذاً نفهم من هذا أن الأنفال أو الغنائم كلها لله والرسول.

وبعد فترة وفي نفس السورة، قال لهم:

{**واعلموا إنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير**. (الأنفال 41)}.

فنرى هنا أن الله قد تنازل عن أربع أخماس الغنائم للمسلمين واحتفظ فقط بالخُمس له وللرسول.

وبعد فترة أخرى، وفي نفس السورة، يقول الله للمسلمين:

{**لولا كتابٌ من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم. فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم**. (الأنفال 68، 69)}.

فلولا كلمة سبقت من الله لأذاقهم شر العذاب بما أخذوا من الغنائم التي كانت كلها لله وللرسول، لكنه الآن قال لهم كلوا من الغنائم حلالاً طيباً. ثم يقول كذلك:

{**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثاهم فتحا قريباً ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً**. (الفتح 18، 19)}.

وهذه الآية من سورة الفتح التي نزلت في حوالي السنة الثامنة من الهجرة، أي في زمن متأخر جداً من البعثة وقرب نهايتها، وقال لهم:

إن كل المغانم الكثيرة أحلت لهم هنا ليأخذوها بدون أي تحديد، مع أنه قال سابقاً ولولا كلمة سبقت منه لحاسبهم على ما أخذوا من المغانم.

- وعندما سرد القرآن على محمد قصة قبيلة ثمود التي كانت تعيش في شمال غرب الجزيرة العربية، قال:

{**فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين. فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين**. (الأعراف 77، 78)}.

ثم قال في سورة أخرى:

{**إنا مرسلو الناقة فتنةً لهم فارتقبهم واصطبر. ونبئهم أن الماء قسمةٌ بينهم كل شربٍ محتضر. فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر. فكيف كان عذابي ونذر. إنا أرسلنا عليهم صيحةً واحدةً فكانوا كهشيم المحتضر**. (القمر 27 - 31)}.

فمرة أخذهم بالرجفة، ومرة بالصيحة. ولكن في مفاجأة غير منتظرة يقول لنا القرآن:

{**فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقة عاد وثمود**. (فصلت 13)}.

وحتى يؤكد لنا هذه الصاعقة قال:

{**وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين. فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقةُ وهم ينظرون**. (الذاريات 43، 44)}.

ثم أتانا القرآن بوسيلة أخرى لموتهم فقال:

{كذبت ثمودُ وعاد بالقارعة. فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية. وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية. (الحاقة 4 - 6)}.

فكيف انتقم الله من ثمود؟ هل أخذهم بالرجفة أم بالصيحة أم بالصاعقة أم بالطاغية؟ وماذا عن قوم عاد؟ هل أخذهم بالصاعقة أم بريح صرصر عاتية؟ منتهى التخبط.

❖ المرة الوحيدة التي خاطب فيها القرآن المرأة كانت:

{يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفا. (الأحزاب 32)}.

وبعد هذا المدح لنساء النبي ووصفهن بأحسن النساء وليس هناك امرأة مثلهن، غضب محمد على نسائه لسبب ما، فأنزل الله عليه **ما قاله له عمر بن الخطاب** عندما زاره ووجده مكتئباً فنصحه أن يطلق نساءه وسوف يمنحه الله أحسن منهن، فقال الله لنساء النبي:

{عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلماتٍ مؤمناتٍ قانتاتٍ تائباتٍ سائحاتٍ ثيبٍ وأبكارا. (التحريم 5)}.

وهناك مشاكل كثيرة في هذه الآية، منها:

- **كيف تكون الأزواج الجدد خيراً من نساء النبي وهن مثلهن مسلمات، مؤمنات، قانتات وتائبات؟ فكل هذه الصفات تنطبق على نساء النبي كما تنطبق على نساء أخريات معاصرات لهن، ولكن الله قال لهن وقتها** {لستن كأحد من النساء} **المؤمنات القانتات.**
- **وثانياً: كيف تكون الأزواج الجدد التائبات خيراً من نساء النبي؟ فالإنسان لا يتوب إلا إذا ارتكب معصيةً أو فاحشة، فكون الأزواج الجدد تائبات يعني أنهن قد ارتكبن إثماً أو آثاماً فلا يُعقل أن يكن أحسن من نساء النبي وأمهات جميع المؤمنين .**
- **وثالثاً: كيف تكون أزواج النبي الجدد سائحات والإسلام لا يسمح للمرأة بالخروج من بيتها؟**

❖ القرآن يقول لنا إن الله أرسل في كل أمةٍ رسولاً وأنه لا يعذب حتى يبعث رسولا. وزاد على ذلك وقال:

{وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤوها فُتحت أبوابها وقال خزنتها ألم يأتكم رسلٌ منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا. (الزمر 71)}.

وقال كذلك:

{يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين. (الأنعام 130)}.

وقال:

{وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه. (إبراهيم 4)}.

فإذاً الرسول لا بد أن يكون من نفس الأمة ويتحدث لغتهم ولكن كيف يسوق الله الهنود والصينيين والأفارقة زمراً إلى جهنم وهو لم يرسل لهم رسلاً منهم يتحدثون لغتهم؟

❖ عندما تحدث الله مع آدم في الجنة وحذره من الشيطان، قال له:

{إنّ لك ألا تجوع فيها ولا تعرى. وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى. (طه 118، 119)}.

ولكن قي سورة أخرى يقول لنا القرآن:

{يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما. (الأعراف 27)}.

فإذاً الله لم يحفظ وعده لآدم بألا يعرى في الجنة وسمح للشيطان أن ينزع عنهما ملابسهما.

❖ يقول الله للملائكة الذين يحرسون جهنم:

{احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم. (الصافات 22، 23)}.

ولكن الله نفسه يقول لنا:

{ولا تزر وازرة وزر أخرى}.

فما هو ذنب أزواج الذين ظلموا؟ فربما تكون الزوجات مؤمنات، وقد جاء نساء كثيرات من مكة إلى محمد بالمدينة ليبايعنه وتركن أزواجهن المشركين بمكة. وأنزل الله فيهن قرآنا:

{يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن. (الممتحنة 10)}.

وحتى امرأة فرعون الذي يقول عنه القرآن إنه كان طاغية وقال أنا ربكم الأعلى، كانت زوجته مؤمنة، كما يقول القرآن، وقد طلبت من الله أن يبني لها بيتاً في الجنة:

{وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت ربِ ابنِ لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين. (التحريم 11)}.

والعكس قد يحدث كما حدث مع نساء لوط ونوح عندما خانتا زوجيهما ودختلا النار:

{ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوطٍ كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين. (التحريم 10)}.

فيتبع من هذا العرض أن الزوجات لا يتبعن بالضرورة ما يفعله أو يؤمن به الأزواج، فكيف يقول الله للملائكة: {**احشروا الذين ظلموا وأزواجهم**} في جهنم؟

فيبدو أن الله قد أخذ الزوجات بجريرة أزواجهن وأدخلهن النار.

❖ يقول القرآن عن مشركي قريش:

{سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق. (فصلت 53)}.

والقرآن هنا يتحدث عن المشركين الذين عاصروا محمداً وقال إنه سوف يريهم معجزاته في أنفسهم وفي الآفاق.
ولكن عندما طلب نفس المشركين من محمد أن ينزل لهم آيات أي معجزات كالتي كانت عند موسى وعيسى، قال لهم القرآن:

{ما منعنا أن نرسل الآيات إلا أن كذب بها الأولون. (الإسراء 59)}.

ولم يُنزل على محمد أي معجزة حسية.

❖ يقول القرآن عن يوم القيامة:

{وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة. (القيامة 23)}.

ولكنه يخبرنا كذلك:

{لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار. (الأنعام 103)}.

يقول كذلك:

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون. (آل عمران 102)}.

ولكنه يقول في سورة أخرى:

{فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيراً لأنفسكم. (التغابن 16)}.

وهناك فرق كبير بين "ما استطعتم" وبين "حق تقاته". فاستطاعتنا قد لا تكون هي حق تقاته.

❖ ويصر القرآن على أن أكثر الناس لا يؤمنون بالله، فنجده يقول:

{ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا. (الإسراء 89، والفرقان 50)}.

ويقول كذلك:

{إن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن. (الأنعام 116)}.

ثم ينقض القرآن ذلك ويقول:

{أفغير دين الله يبغون وله أسلم مَن في السموات والأرض طوعاً وكرها وإليه يرجعون. (آل عمران 83)}.

فكيف نوفق بين هذا الإسلام لله طوعاً وكرهاً وبين أن أكثر الناس كافرون؟

❖ يقول القرآن مخاطباً عرب مكة:

{والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم. (النحل 81)}.

والأكنان هي البيوت. فالله جعل للناس بيوتاً في الجبال. ولا نعلم ما هي السرابيل أي الملابس التي تقينا الحر. نحن نعرف الملابس التي تقينا البرد، **غير أن الله جعل لنا ملابس تقينا الحر ونحن لا نعلم بها**. ولكن أهم من ذلك أنه قال مخاطباً ثمود، أي قوم صالح:

{واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وَبَوَّأَكُمْ في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً. (الأعراف 74)}.

فإذا تغاضينا عن أن القصور يمكن أن تكون على الجبال كما تكون على السهول، نجد القرآن هنا يقول إن ثمود كانوا ينحتون الجبال بيوتاً بينما الله كان قد جعل لهم الجبال بيوتاً.
ثم زادنا وقال:

{وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين. فأخذتهم الصيحة مصبحين. (الحجر 82، 83)}.

وكذلك:

{وينحتون من الجبال بيوتاً فارهين. (الشعراء 149)}.

ويقصد بيوتاً فارهة. وطبعاً قبيلة ثمود لم تكن لديهم الإمكانات أو العلم لنحت البيوت في الجبال إنما كانوا يبنون حيطاناً على مداخل الكهوف الطبيعية فتظهر وكأنهم نحتوها في الصخر.

وفي النهاية لا نعلم هل الله هو الذي خلق لهم البيوت في الجبال أم هم نحتوها بأنفسهم.

❖ وعندما يتحدث القرآن عن تعريف المؤمنين، نجده يدخل في "**حيص بيص**".
فيقول:

{إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم. (الأنفال 2، الحج 35)}.

ولكنه يخبرنا في مكان آخر:

{الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب. (الرعد 28)}.

ثم يقول لنا:

{الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله. (الزمر 23)}.

فالمؤمن تنتابه عدة حالات عندما يُذكر الله: يخاف قلبه ويصيبه الوجل ثم يطمئن ثم يقشعر جلده ثم يلين ثم يلين قلبه بعد ذلك.

وفي النهاية لا نعرف هل المؤمن هو مَن يطمئن قلبه بذكر الله أم من يقشعر جلده بذلك.

❖ الأطفال كانوا دائماً مشكلة في القرآن وفي آحاديث محمد.
يقول القرآن عنهم:

{وإذا بلغ الأطفال منكم الحُلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم. (النور 59)}.

ولا خلاف لدينا مع القرآن أن الذين يبلغون الحلم أي سن الرشد عليهم أن يستأذنوا قبل الدخول إلى غرف الآخرين، ولكن القرآن يقول لنا في الآية التي سبقت هذه:

{يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم في الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء. (النور 58)}.

فلا نفهم موقف القرآن من الأطفال الذين لم يبلغوا الحُلم، هل يستأذنون أم لا يستأذنون؟

❖ ويقول كذلك:

{وإن تصبهم حسنةٌ يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئةٌ يقولوا هذه من عندك قل كلّ من عند الله. (النساء 78)}.

فإذاً الحسنة والسيئة من عند الله وبمشيئته. ولكن القرآن يقول لمحمد كذلك:

{ما أصابك من حسنةٍ فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك. (النساء 79)}.

فهل السيئة من الله أو من الإنسان، وهل يستطيع الإنسان أن يفعل السيئة بدون مشيئة الله؟

❖ يقول القرآن لمحمد:

{لا أقسم بهذ البلد وأنت حلّ بهذا البلد. (البلد 1، 2)}.

ثم يقول كذلك:

{وهذا البلد الأمين. (التين 3)}.

فهاهو الله قد أقسم بمكة، بعد أن قال إنه لا يقسم بها، ومحمد بعده بها إذ أن سورة التين مكية.

ويقول كذلك:

{فلا أقسم برب المشرق والمغرب إنا لقادرون. (المعارج 40)}.

ولكنه يقسم بنفس الرب فيقول:

{فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنتم تنطقون. (الذاريات 23)}.

وقد يقول المتأسلمون **إن "لا" زائدة، وجملة "لا أقسم بهذا البلد" تعني أنه يقسم بالبلد،** فليس هناك من تضارب بين الآيات.

ولكن إذا كانت عادة الله أن يدخل الحرف الزائد "لا" قبل القسم بدون أي مبرر، فكان عليه أن يلتزم نفس القاعدة ولا يقول في الآية الثانية {وهذا البلد الأمين} وكان عليه أن يقول "ولا أقسم بهذا البلد الأمين".

- يقول القرآن:

{وإذا فعلوا فاحشةً قالوا وجدنا آباءنا عليها والله أمرنا بها قل الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون. (الأعراف 28)}.

ولكنه يقول لنا كذلك:

{وإذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا. (الإسراء 16)}.

- يقول القرآن مخاطباً جميع الرسل:

{يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون. (المؤمنون 51، 52)}.

وكذلك يؤكد:

{إنّ هذه أمتكم أمةً واحدة وأنا ربكم فاعبدون فتقطعوا أمرهم بينهم كلّ إلينا راجعون. (الأنبياء 92، 93)}.

إذاً كل الناس أمةٌ واحدة رغم تعدد الرسل. ثم يفاجئنا القرآن بقوله:

{ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدةً ولكن يُضل من يشاء ويهدي من يشاء. (النحل 93)}.

عندما دعا إبراهيم قومه لدينه الجديد ورفضوا، قال لنا القرآن:

{لقد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله. (الممتحنة 4)}.

ولكن نفس إبراهيم هذا عندما زعم محمد أنه جاء إلى مكة ليبني البيت الحرام، قال:

{وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وبني أن نعبد الأصنام. رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم. (إبراهيم 36)}.

فالعداوة والبغضاء لم تظهر هنا مع أن القرآن قال لنا إن ما فعله إبراهيم مع قومه كان شيئاً حسناً ويجب أن يكون أسوةً لنا، ولكن إبراهيم طلب من الله المغفرة للذين لم يتبعوه في مكة بينما تبرأ من أبيه وبدت بينه وبين قومه العداوة والبغضاء.

- يخاطب القرآن العرب فيقول لهم:

{واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها. (آل عمران 103)}.

ولكن القرآن يخبرنا أن الله لم يرسل في العرب رسولاً قبل محمد، فيقول:

{وما آتيناهم من كُتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير. (سبأ 44)}.

والقرآن يخبرنا كذلك أن الله لا يعذب الناس حتى يبعث لهم رسولا منهم:

{وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا}.

فكيف أصبح عرب مكة على شفا حفرةٍ من النار فأنقذهم منها بأن أرسل لهم محمد؟

- وأخيراً يقول الله عندما يتحدث عن القرآن:

{فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا إنما أُنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون. (هود 143)}.

ونلاحظ هنا أن الفعل "أُنْزِلَ" مبني للمجهول والفعل يُبنى للمجهول عندما يكون الفاعل غير معروف. فمن الذي أنزل القرآن بعلم الله؟ فجبريل لم ينزله إنما حمله من السماء إلى الأرض. المفروض أن يكون الله هو الذي أنزله وجبريل حمله إلى محمد. والقرآن يؤكد ذلك بقوله:

{ألر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور. (إبراهيم 1)}.

ولكن يبدوا أن هناك مَن أنزل القرآن بعلم الله.

فكل هذا الاختلاف الكثير في القرآن يثبت لنا أنه من عند غير الله؟

عودة إلى الفهرس

124 - القرآن والسحاب والمطر

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=147285

الطفل في الفصل الأول في أي مدرسة ثانوية الآن يعرف أن الماء إذا وصل إلى درجة حرارة معينة يتحول إلى بخار ويصعد في الهواء، وكلما صعد إلى أعلى كلما برد أكثر. وعندما يبرد البخار يتحول إلى ماء مرة أخرى. ولكن في القرن السابع الميلادي لم يكن عرب مكة وما حولها يعرفون هذه االحقائق فاستغل محمد هذا الجهل بالظواهر الطبيعية وجعل منها **محور منطقه في إقناع الناس بوجود إله يدبر أمور هذا الكون**. والمطر والرياح بعض هذه الأمور التى يدبرها الله. ولذلك نجد آيات عديدة في القرآن تتحدث عن إنزال المطر بمشيئة الله. ومن الواضح أن محمد اختار المطر لإقناع أهل مكة لأن بلدتهم صحراء جرداء لا ينزل بها المطر إلا لماماً، ولذلك كانوا يربطون العُشَر في أذناب الأبقار ويشعلون فيه النار ويدفعون الأبقار إلى قمم الجبال ثم يبتهلون إلى الله أن يُنزل عليهم المطر.

ويخبرنا القرآن أن إبراهيم عندما جاء بهاجر وإسماعيل إلى مكة قال:

{**ربنا إني أسكنتُ من ذريتي بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المحرّم.** (ابراهيم 37)}.

فكان نزول المطر لأهل مكة بمثابة إنزال المن والسلوى من السماء. وقد أكثر القرآن من ذكر المطر والأنهار والبحار لأنها كانت مفتقدة في المجتمع المكي وكانت مغرية بالنسبة لهم.

ولما كان محمد نفسه لا يعرف كيفية إنزال المطر، اعتمد على الملاحظات التي عرفها الإنسان منذ أن بدأ حياته على هذه الأرض. ورغم أن عرب ما قبل الإسلام لم يكونوا يفهمون فيزياء تكوين السحاب فقد عرفوا العلاقة بين السحاب والمطر والبرق والرعد، وعرفوا عدة أنواع من السحاب واعطوا كلاً منها اسماً يدل على محتواه من الماء، مثلاً: الراعد (الذي يرعد)، والراهج (السحاب الخفيف) و الركم (السحاب المتراكم فوق بعضه) والساري (الذي يمطر ليلاً) والمرزم (الذي يحدث أصواتاً). وكانوا يعرفون أن السحاب الذي يكثر برقه غالباً يأتي منه المطر، وذكروا ذلك مراراً في أشعارهم. يقول امرؤ القيس:

أصاح ترى برقاً أريك وميضه   كلمع اليدين في حبي مُكلل
يُضيء سناه أو مَصابيح راهبٍ   أهان السليط في الذَّبال المفتَّل

والحبي هو السحاب المتراكم الداكن اللون الذي يحتوي على كمية كبيرة من الماء تحجب ضوء الشمس فيظهر السحاب داكناً، وهو الذي يمطر. وقال شاعر آخر:

وقد أجد المياه بغير هادٍ   سوى عدي لها برق َالسحابِ

فهذا الشاعر كان يعد ومضات البرق ويعرف أن الومضات الكثيرة يتبعها الماء.

وقد لاحظ الناس أن نزول الأمطار في المناطق الحارة في أغلب الأحيان يسبقه أو يتزامن معه هبوب الرياح. يحدث هذا بسبب سخونة الهواء في تلك المناطق، وعندما يسخن الهواء يرتفع إلى الأعلى ويأتي هواء أبرد منه في شكل ريح، محملُ بالبخار من البحار القريبة، ليحل مكانه، وعندما يسخن هذا الهواء يرتفع ويكوّن سحاباً تدفعه الريح، فاستغل محمد ملاحظة أن الرياح تسبق هطول الأمطار وقال:

{**الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كِسَفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون.** (الروم 48)}.

فأهل مكة كانوا يستبشرون بالريح الذي يكون مؤشراً على قدوم الأمطار، بينما نجد أهل شمال إنـگلترا، مثلاً، يتزمرون من كثرة الرياح والأمطار. ويتضح لنا من هذه الآية أن محمد قد عرف أن الرياح هي التي تدفع السحاب إلى الأماكن التي يُمطر بها، رغم أن الذين رووا عنه الأحاديث قالوا **إنه أخبرهم إن الملائكة هي التي تقود السحاب.**

ولكن أين يوجد هذا السحاب؟ تخبرنا هذه الآية أن السحاب في السماء وأن الودق أي المطر ينزل منه. ويؤكد لنا القرآن مرة أخرى أن الماء ينزل من السماء:

{**واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا.** (الكهف 45)}.

وكما هو معروف فإن **لغة القرآن تفتقر إلى الدقة والتحديد**. فالسماء في القرآن لا تعريف لها. فهناك سبع سمواتٍ طباقاً، وهناك سماء رفعها الله بدون عمدٍ ترونها، **مما يوحي أن السماء بناء صلب مرفوع فوقنا بعمد لا نراها**.

ويؤكد لنا القرآن مشروع البناء الضخم هذا، فيقول:

{**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج.** (ق 6)}.

أي أنها صلبة وليس بها فتحات أو شقوق (لاحظ كلمة "فروج" حتى في وصف السماء لأن السماء "مؤنث").

وكذلك يقول:

{**والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون.** (الذاريات 47)}.

فإذاً ليس هناك من شك أن السماء جسم صلب فوق رؤوسنا.

ولكن كيف يكون السحاب في السماء الصلبة ونحن نستطيع الآن أن نصعد فوق السحاب بطائراتنا الحديثة؟

تظهر لنا ميوعة تعريف السماء في القرآن عندما نقرأ:

{**والفُلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيينا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون.** (البقرة 164)}.

ففي صدر الآية يقول لنا: {**وما أنزل الله من السماء من ماء**} وفي عجزها يقول لنا : {**والسحاب المسخر بين السماء والأرض**}.

وبما أن الماء ينزل من السحاب، فنستطيع أن نقول إن الماء ينزل من بين السماء والأرض وليس من السماء كما يقول صدر الآية.

ثم يقول لنا القرآن:

{**وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين.** (الحجر 22)}.

يقول ابن كثير

إن الله قال "**لواقح**" عندما تحدث عن الرياح لأنها تُلقّح النباتات وتُلقّح السحاب فينزل منه المطر.

لكن لا ابن كثير ولا محمد نفسه شرح لنا **كيف تُلقح الرياح السحاب**. نحن نعرف أن الرياح تنقل غبار الطلع pollen من النبات الذكر إلى النبات الأنثى فيلقح ذلك الطلع الأنثى لتحمل الثمار.

فهل الرياح تجامع السحاب أو تنقل إليه طلعاً لكي يُمطر؟

لقد توصل العلماء في القرن العشرين إلى تلقيح السحاب بأن يستعملوا مدافع ضخمة ترسل قنابل بها بعض أملاح الفضة (silver iodide) في السحاب، فتكوّن هذه الأملاح نواة يتكثف حولها ماء السحاب وعندما يصل وزنه إلى درجة معينة ينزل مطراً. ويسمي علماء الفيزياء هذه العملية ب seeding the clouds. فالرياح لا تُلقح السحاب إنما يُلقحه العلماء. ومن الغريب أن يقول لنا القرآن: {**وما أنتم له بخازنين**}. فالإنسان منذ القدم عرف كيف يخزن ماء الأمطار في أوعية وفي حُفرٍ يحفرها في الأرض وحتى في جذوع الأشجار، وحتى الأنهار التي هي من الأمطار بنى أهل مأرب سداً عليها وخزنوها.

ولأن محمد عاش أغلب حياته في صحراء مكة، فكل الظواهر الطبيعية التي تحدث عنها القرآن **كانت ظواهر صحراوية**، *ولذلك نجد بعض الآيات تقول بعكس ما يحدث في العالم خارج مكة*.

فنجد مثلاً القرآن يقول:

{وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون. (الأعراف 57)**}.**

وهذه الآية بمفردها تقنعنا أن القرآن ليس من عند إله في السماء. فالآية تقول إنه يرسل الرياح لتحمل السحاب فيسوقه الله إلى بلدٍ ميت فيخرج كل الثمرات. والبلد الميت أي الصحراء إذا جاءها المطر لا تخرج ثماراً إنما تنبت حشيشاً موسمياً لا يلبث أن يموت بعد أسابيع بسيطة، بينما أشجار الثمار تحتاج مصدراً ثابتاً للماء كالأنهار أو البحيرات أو المياه الجوفية، لأن الأشجار تحتاج لعدة سنوات لتنمو وتصبح قادرة على حمل الثمار.

والقرآن نفسه أخبرنا في آية سابقة:

{واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح}.

فالحشيش الذي ينبت في الصحراء بعد المطر يصير هشيما تذروه الرياح ولا يحمل ثماراً. ثم إذا كان الله يسوق السحاب إلى البلد الميت، لماذا نجد الآن أن أكثر من ربع مساحة الأرض اليابسة صحراء جرداء لا ينبت بها شيء والناس يموتون بالآلاف كل عام من المجاعات وقلة الماء؟ وفي حقيقة الأمر فإن السحاب لا يُساق إلى الأرض الميتة وإنما إلى المناطق الإستوائية التي تنزل بها الأمطار يومياً وعلى مدار العام ما عدا شهرين أو ثلاثة. ولهذا السبب نجد الغابات الكثيفة rain forests في البرازيل وعند خط الاستواء في أفريقيا. وفي أوروبا التي تحيط بها المحيطات تنزل الأمطار باستمرار معظم فصول السنة، وتكثر في المناطق الجبلية مثل منطقة البحيرات بغرب إنـگلترا، لأن الجبال تضطر الهواء لأن يصعد عالياً فيبرد أكثر وتنزل منه الأمطار. والبلد الميت لم يصر ميتاً إلا لأن السحاب لا يصل إليه، وإن وصل لا يمطر.

والقرآن يقول:

{أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أأله مع الله تعالى الله عما يشركون. (النمل 63)**}.**

ويعني هذا أن الرياح تأتي قبل المطر لتبشر الناس أن المطر قادمٌ. وفي الحقيقة فإن الرياح التي تسبق المطر في أغلب مناطق العالم لا تكون بشرى وإنما تكون كارثةً على الناس كما يحدث سنوياً في مناطق آسيا عندما تهب الرياح الموسمية the Monsoons وتصحبها الأمطار المدمرة التي تغرق القرى وتهلك الناس والزرع والحيوانات. ولولا الإعانات التي تقدمها الدول الغربية لمنكوبي الفياضانات في بنگلاديش والهند كل عام، لانقرض الناس في تلك البلاد. وفي أمريكا وجزر الكاريبي تتكرر العواصف والأمطار الغزيرة التي تدمر كل شيء في طريقها مثلما حدث من جراء العاصفة "كاترينا" التي دمرت مدينة نيو أورلينز قبل عامين وأغرقت أمطارها كل المباني، والآن تدمر العاصفة آيك مناطق شاسعة في ولاية تكساس. ومع كل هذا الدمار الذي تسببه العواصف والأمطار نجد الشيخ ابن تيمية يقول:

"وكذلك ما الموجب لأن يكون هذا الهواء أو البخار منعقدا سحابا مقدرا بقدر مخصوص في وقت مخصوص على مكان مختص به؟ وينزل على قوم عند حاجتهم إليه فيسقيهم بقدر الحاجة لا يزيد فيهلكوا ولا ينقص فيعوزوا وما الموجب لأن يساق إلى الأرض الجرز التي لا تمطر أو تمطر مطرا لا يغنيها - كأرض مصر إذ كان المطر القليل لا يكفيها والكثير يهدم أبنيتها"[1].

فالمطر لا ينزل بمقدار ما يحتاجه الناس، بل ينزل حسب نوعية السحاب والعوامل المناخية السائدة في المنطقة. وفي أغلب الأحيان تفوق كمية المطر ما يحتاجه الناس ويحدث الدمار الهائل من الفيضانات ماعدا في المناطق الصحراوية الميتة التي لم يُساق إليها السحاب ليحييها، مثل الصومال وإثيوبيا وصحراء كلهاري ومكة.

وينتقل القرآن من السحاب الذي بين السماء والأرض أو الذي في السماء إلى الرعد والبرق، فيقول لنا:

{ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال. (الرعد 13)**}.**

والرعد طبعاً ماهو إلا الفرقعات التي يحدثها انتقال التيار الكهربائي العالي من سحابة إلى أخرى مجاورة.

ولكن القرآن جعل هذه الفرقعات تسبيحاً لله. وقد تسبح الملائكة، إذا وجدت، من خيفته ولكن الرعد حتماً لا يسبح ولا يكبّر له.

ووجد مؤلفو الأحاديث النبوية مادة دسمة في الرعد والبرق وأخرجوا لنا عشرات الأحاديث عنهما.

أخرج ابن مردويه عن عمرو بن نجاد الأشعرى قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **[الرعد ملك يزجر السحاب والبرق طرف ملك يقال له روفيل].**[2]

وقال ابن عباس ومجاهد وشهر بن حوشب وغيرهم:

هو ملك يزجر السحاب بهذا الصوت المسموع كلما خالفت سحابة صاح بها فإذا اشتد غضبه طارت النار من فيه فهي الصواعق واسم هذا الملك الرعد.[3]

وأخرج ابن مردويه كذلك عن جابر بن عبد الله:

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **[إن ملكا موكل بالسحاب يلم القاصية ويلجم الرابية، فى يده مخراق ،فاذا رفع برقت واذا زجر رعدت واذا ضرب صعقت].**[4]

---

[1] الرسالة العرشية، ص 11.
[2] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج3، سورة الرعد.
[3] الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي، ص 193.
[4] الإتقان للسيوطي، ج3، سورة الرعد.

فهل نلوم هؤلاء الناس الذين رووا مثل هذه الأحاديث إذا كان القرآن نفسه يخبرنا أن الرعد هو تسبيح السحاب؟

ويؤكد لنا القرآن أن الله هو الذي يرسل الصواعق ليصيب بها من يشاء:

{**ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال.** (الرعد 13)}.

والصواعق في مكة كانت نادرة جداً في تلك الأيام إذ أن السحاب نادراً ما كان يزور مكة، مما دعا محمد أن يكثر من **صلاة الاستسقاء**. ولكن في أوروبا وأمريكا والبلاد الأخرى كانت الصواعق كثيرة الحدوث ولكن إصابة الناس بها نادرة جداً. وبحدوث الثورة الصناعية وبناء العمارات والكنائس العالية، كانت الصواعق تصيب المباني العالية وربما قتلت بعض الناس في الكاتدرائيات ذات الأبراج العالية. ولكن علماء الفيزياء اخترعوا مانع الصواعق الذي أصبح جزءاً مكملاً لأي بناية عالية وأصبحت الصواعق التي يرسلها الله ليصيب بها من يشاء، تمتصها مانعات الصواعق وتسربها في الأرض بدون حدوث أي ضرر للناس أو المباني.
ثم يقول لنا القرآن:

{**أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون.** (الواقعة 69)}.

في تلك الأيام لم يكن بإمكان عرب مكة إنزال الماء من المزن، ولكنا الآن نستطيع أن ننزل الماء من المزن متى ما شئنا، وقد أنزله علماء الصين يوم افتتاح الأولمبياد في مكانٍ بعيد عن مكان الاحتفال حتى لا ينزل المطر في ساحة الاحتفالات.

وإذا كان هناك إله في السماء وخلق كل هذه القوانين الفيزيائية، يكون نوعاً من العبث لو كسر هو نفسه تلك القوانين التي تحكم العالم. فقوله {**لو نشاء جعلناه أجاجاً**} قول مستحيل لأن الماء المالح عندما ترتفع حرارته يتبخر الماء فقط منه ويترك الأملاح في مكانها، وهي نفس النظرية التي نستعملها لإنتاج الماء المقطر الذي نستعمله في بطاريات السيارات، ولهذا السبب نجد أن البحر الميت ماؤه أكثر ملوحةً من بقية البحار لأن الماء يتبخر منه ويترك الملح الذي لا يخفف ملوحته ماء عذب من الأنهار كما يحدث في بقية البحار والمحيطات. ولذلك لا يمكن أن يصير ماء المطر أجاجاً أي مالحاً.
ولا يختلف هذا القول عن قول إبراهيم لنمرود:

{**فإنّ الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب.** (البقرة 258)}.

فرب إبراهيم لم يكن في إمكانة الإتيان بالشمس من المغرب لأن ذلك يعني إيقاف دوران الأرض حول نفسها من الغرب إلى الشرق ثم عكس الاتجاه الذي تدور فيه الأرض وجعلها تدور من الشرق إلى الغرب. وطبعاً لو حدث هذا الشيء لتحطمت كل المجرة الشمسية التي نعرفها ولمات الناس لحظتها قبل أن يروا طلوع الشمس من المغرب.
وفي مفارقة عجيبة عن الأمطار والبلاد، يقول لنا القرآن:

{**والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا.** (الأعراف 58)}.

وأهل الإسلام يقولون لنا إن مكة "المكرمة" هي أطيب بلد على سطح الأرض. ولكن الله يقول البلد الطيب يخرج نباتاً طيباً. فماذا تُخرج مكة من النبات؟ صحراء مكة لا تخرج غير الإذخر الذي كانوا يعرشون به منازلهم، والعُشر الذي ينبت في الرمال والصحارى. وفي حديث عن النبي يقول:

[**مكة لا يُعضد شجرها ولا يُحتش حشيشها ولا يُختلى خلاها، فقال له العباس: إلا الإذخر يا رسول الله فإنه للصواغين وظهور البيوت، فقال رسول الله: إلا الإذخر**][5].

فالبلد الطيب لا يُخرج إلا نباتاً طيباً والذي خبث لا يُخرج إلا نكداً.

عودة إلى الفهرس

[5] كنز العمال للمتقي الهندي، حديث 30164.

2008 / 9 / 22

125 - عندما تسرح وتمرح ديناصورات الوهابية

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=147912

دائماً وأبداً نسمع من الذين يدافعون عن الإسلام مقولتهم المكررة والممجوجة «**لا تحكموا على الإسلام بتصرفات أتباعه**». وقد نفهم ذلك إذا كان التصرف فردياً من شخص واحد، ولكن أن يكون التصرف من أعلى هيئة مسؤولة في دولةٍ إسلامية، مثل هيئة القضاء في دولة بني سعود، فلا بد أن نحكم على الإسلام بتصرفاتها. فالدولة الحديثة تقوم على ثلاث هيئات: الهيئة التشريعية، والهيئة التنفيذية والهيئة القضائية التي تشرف على سلوك الهيئتين الأخريين. ولكن للأسف فإن الهيئة القضائية في دولة بني سعود تسيطر عليها **ديناصورات وهابية** كنا نعتقد أن الزمن قد عفا عليها، وإذا بنا نكتشف أنها ما زالت تشطح وتنطح وتعربد في بلاد الرمال. وإذا كانت هذه هي الهيئة التي تشرف على الهيئتين الأخريين، فعلى الدنيا العفاء. في العام المنصرم داهمت مجموعة من رجال *هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر* منزل عائلة الحريصي بالرياض واقتادوا أحد عشر شخصاً من أفراد الأسرة إلى مكانٍ للاستجواب بتهمة حيازة الخمر. وكان من بين المتهمين شاب في مقتبل حياته، يبلغ من العمر ثمان وعشرين سنةً، واسمه سلمان الحريصي. بقية أفراد الأسرة أُطلق سراحهم بعد التحقيق ورجعوا إلى منزلهم، ولكن سلمان لم يرجع. لقد مات الشاب في معتقله. وقد أجرى الطب الشرعي فحوصاته على الجثة وقال إن الوفاة نتجت عن:

> ضرب عنيف على الرأس أدى إلى انتزاع العين اليمنى،
> إنشقاق (كسر) بالجمجمة بطول ستة سنتمرات،
> ضربة بالجهة اليمنى من الرأس نتجت عنها فتحة أدت إلى سقوط المخ.

لو عرضنا هذه الوقائع على طفل عمره عشر سنوات، فلن يتردد في أن يقول إن رجال *هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر* قد قتلوا ذلك الشاب بالضرب على الرأس بآلة صلبة مثل العصا التي يتسلح بها رجال الهيئة المذكورة. وبعد التحقيق اتهمت الشرطة رجلين من المجموعة التي داهمت منزل الأسرة. ولكن عندما قُدما إلى المحاكمة، حكمت المحكمة الأولى ببراءتهما **لأن الضرب على الرأس لا يعتبر مسبباً شرعياً للقتل**. وعندما استأنفت العائلة الحكم، رُفعت القضية إلى محكمة التمييز (الاستئناف) بالرياض، وهي أعلى محكمة بالدولة الوهابية، ويجلس فيها قضاة شرعيون ملتحون يلبسون على رؤوسهم غطاء بدون عقال (اتباعاً للسنة الوهابية) وربما يعض كل منهم على مسواكٍ من الأراك (إتباعاً للسنة المحمدية).

تداول أعضاء هذه المحكمة العليا القضية، وحتما تجاهلوا تقرير الطب الشرعي، واستشاروا ابن قدامة بدلاً من الطبيب الشرعي

(عبد الله بن قدامة، توفى عام 620 هجرية، الموافق 1223 ميلادية).

ولا شك أن العالم لم يقف متحجراً عند عام 620 هجرية، فقد تقدم العلم الحديث بخطوات حثيثة في كل المجالات، وتقدمت مملكة آل سعود بخطوات كبيرة في العقود الثلاث الماضية، وأصبحت بها مستشفيات لا تقل حداثةً عن مستشفيات الغرب، وبها جراحون للمخ والأعصاب من جميع دول العالم. وكان بإمكان الشيوخ الملتحين استشارة جراح مخ وأعصاب من مدينة الرياض في هذه الحالة لأن كل الضربات كانت موجهة للرأس مما أدى إلى سقوط المخ. ولكن الشيوخ الموقرين، سامحهم الله، إن كان موجوداً، قرروا أن يستشيروا ابن قدامة الذي لم يكن طبيباً ومات قبل 785 عاماً. فماذا أخبرهم ابن قدامة؟

قال لهم ابن قدامة، كما ظهر في حثيات محكمة التمييز:

> "أن الرأس ليس بمقتل وأن اليد ليست بأداة قتل مما يعني عدم اكتمال شروط القتل العمد."

وهذا يعني أن الضرب على الرأس لا يسبب القتل، وأن اليد ليست آلة ولذلك لا يمكن أن تسبب القتل

(وكنا نتمنى لو أن أحد أبطال الكاراتيه أو الملاكمة سدد ضربةً باليد إلى وجه أحد القضاة ليعرفوا أن اليد يمكن أن تكون أداة قتل).

> "وقد اختار القضاة المحترمون هذا الرأي من ابن قدامة رغم أن ابن قدامة قد عرض أراء أخرى مخالفة لهذا الرأي."

وابن قدامة بنى حكمه على مقولة منسوبة إلى الخليفة علي بن أبي طالب الذي قُتل عام أربعين هجرية، الموافق 660 ميلادية، عن جلد المعزز وقال فيها:

> "لكل موضع في الجسد حظ، يعني في الحد، إلا الوجه والفرج. وقال للجلاد اضرب وأوجع واتق الرأس والوجه."[1]

فالخليفة علي أباح الضرب في كل الجسد ماعدا الوجه والفرج لأنه أعتبر الضرب فيهما قد يؤدي إلى الموت، فسميا "**مقاتل**" ولكنه كذلك قال "**اتق الرأس**".

وابن قدامة نفسه يقول عن القتل العمد:

> "وجملة ذلك أن (القتل) العمد نوعان: أحدهما، أن يضربه بمحدد وهو ما يقطع ويدخل في البدن، كالسيف والسكين والسنان وما في معناه مما يحدد فيجرح من الحديد، والنحاس والرصاص والذهب، والفضة والزجاج والحجر، والقصب والخشب فهذا كله إذا جرح به جرحا كبيرا، فمات فهو قتل عمد لا خلاف فيه بين العلماء، فيما علمناه، فأما إن جرحه جرحا صغيرا كشرطة الحجام أو غرزه بإبرة، أو شوكة، نُظرت، فإن كان في مقتل كالعين، والفؤاد والخاصرة والصدغ، وأصل الأذن فمات فهو عمد أيضا."[2]

ثم يستمر:

> "النوع الثاني: أن يضربه بمثقل صغير كالعصا، والسوط والحجر الصغير أو يلكزه بيديه في مقتل، أو في حال ضعف من المضروب لمرض أو صغر أو في زمن مفرط الحر أو البرد بحيث تقتله تلك الضربة، أو كرر الضرب حتى قتله بما يقتل غالبا، ففيه القود لأنه قتله بما يقتل مثله غالبا، فأشبه الضرب بمثقل كبير. ومن هذا النوع، لو عصر خصيته عصرا شديدا فقتله بعصر يقتل مثله غالبا، فعليه القود" انتهى.

فإذاً الضرب بالعصا يسبب القتل العمد **إذا كان في مقتل**. وابن قدامة ذكر أن العين والفؤاد والخاصرة والصدغ، **مقاتل**. وبما أن الصدغ في الرأس يصبح الرأس مقتلاً. ولكن دعونا نرى إذا كان بقية الفقهاء، غير الوهابيين، يعتقدون أن الرأس مقتلٌ.

فلو تركنا الطب الحديث جانباً الآن ورجعنا إلى أقوال بقية الفقهاء، نجد أنّ أبا يوسف يقول:

> "الرأس مقتل فأشبه الوجه ولأنه ربما ضربه في رأسه فذهب بسمعه وبصره وعقله أو قتله والمقصود أدبه لا قتله، وقولهم لم يستثنه علي (بن أبي طالب) ممنوع فقد ذكرنا عنه أنه قال اتق الرأس والوجه ولو لم يذكره صريحا فقد ذكره دلالة لأنه في معنى ما استثناه فيقاس عليه."[3]

---

[1] المغني لابن قدامة، ج9، مسألة يُضرب الرجل في سائر الحدود.

[2] المغني، الجزء 45، كتاب الجراح، ص 7.

[3] المغني، ج9، ص 142.

ومالك يقول:

"يتقي المَقاتل وهي الرأس والوجه والفرج، ماعدا الأعضاء الثلاث ليس بمقتل".

فمالك لا يعتقد أن العين والخاصرة والفؤاد مقاتل، ولكنّ مالك وأبا يوسف وأغلبية الفقهاء يعتبرون أن الرأس مقتلٌ، والضرب على الرأس بعصا أو حجر أو سيف، يعتبر قتلاً عمداً.

والطب الحديث يقول إن الرأس هو العضو الذي يسبب الموت في أكثر من ثلث الذين يموتون في حوادث السيارات أو السقوط من مكان مرتفع. فمثلاً في إنـگلترا يموت كل عام بين 3500 إلى 4000 شخص في حوادث الطرق. ثلاثون بالمئة من هؤلاء يموت في الحال نتيجة تمزق الدماغ من أثر الحادث، حتى بدون أي كسر في الجمجمة. ومن الذين لا يموتون في الحال، هناك حوالي عشرة إلى خمس عشرة بالمائة يموتون بعد أيام أو أسابيع من مضاعفات الحادث على الدماغ. وفي جميع حالات إصابة الرأس التي لا تؤدي إلى الموت حالاً، إذا لم يكن هناك كسر بالجمجمة فإن احتمال حدوث نزيف بالدماغ يكون في حدود واحد من كل ثلاثمائة إصابة رأس. ولكن إذا حدث كسر بالجمجمة فإن احتمال النزيف والموت يرتفع إلى واحد من كل أربعة إصابات.

فإذا أخذنا حالة هذا الشاب سلمان الحريصي، وجد الطب الشرعي كسر برأسه يبلغ ست سنتمترات، وفتحة بالجمجمة (كسر آخر) أدت إلى خروج المخ منها. فحتى بدون الفتحة في الجمجمة فإن احتمال موته من الكسر بالجمجمة كان عالياً جداً. وإذا لاحظنا أن ذلك الشاب كان في صحة جيدة وفي مقتبل العمر عندما اعتقلته الهيئة، فليس هناك أدنى شك أن رجال الهيئة قد ضربوه ضرباً مبرحاً على رأسه أدى إلى الكسور بالجمجمة وإلى الموت. وبما أن الرأس مقتل بالنسبة لأغلب الفقهاء غير ابن قدامة، يصبح موت سلمان قتلاً عمداً وعلى الرجلين **القود** أي القصاص.

وإذا كان ديناصورات الوهابية متمسكين بالشرع فإن الشرع يمنع التجسس على الناس، ويقول **ادرءوا الحدود بالشبهات**. فلا شك أن رجال الهيئة تجسسوا على سلمان الحريصي وشكوا أن تكون في حيازته خمر ولذلك داهموا منزل الأسرة،

وهناك حديث يقول:

[لا تجسسوا لا تحسسوا].

وهناك أحاديث تقول:

[لو أن رجلاً اطلع عليك بغير إذنك فحذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك جناح.]

وكان محمد يقول:

[من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقؤوا عينه ولا دية عليهم ولا قصاص.]

فلماذا يطبق ديناصورات الوهابية بعض السنة ويمتنعون عن بعضها الآخر؟

وحتى إذا اعتبرنا أن القتل لم يكن عمداً وأن الرجلين أخذتهم الغيرة على الإسلام وحرماته وبالغا في ضرب سلمان دون أن يقصدا قتله، أليس الضرب في المعتقلات أقسى أنواع التعذيب؟ وإذا علمنا أن مملكة آل سعود قد وقعّت على وثيقة مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أوالعقوبة القاسية أو اللا إنسانية أو المهينة الصادرة من الأمم المتحدة عام 1984، ألا يتعين على المحكمة اعتبار أن الجروح والكسور التي أصابت القتيل قد نتجت من جراء التعذيب الممنوع، وبالتالي يجب محاسبة رجال الهيئة على التعذيب إن لم يكن على القتل العمد؟ ولكن القضاة المحترمين قد برأوا ساحة الرجلين واعتبروا أن الموت قضاء وقدر والضرب على الرأس (غير مقتل) كان عاملاً ثانوياً.

ولكن ماذا نتوقع من هيئة قضائية:

يؤمن قضاتها بمحادثة الجن، وتهدم شرطتها منزلاً بأمر أحد القضاة في محاكم حوطة بني تميم لأن وفداً من الجن أتى إلى محكمته وأزاح للقاضي بعض الأسرار في قضية سحر كان ينظر فيها؟ فقد كشف هذا الوفد من الجن المسلم لفضيلة القاضي الشيخ عبد العزيز الحمير سر المشعوذة سارة إبراهيم، فأمر القاضي بهدم وحرق منزلها الذي يقع في أسفل الباطن في حي الحسايا[4].

وقاضي آخر من الديناصورات حكم بطلاق امرأة سعودية من زوجها ضد رغبات الزوجين، لعدم تكافؤ النسب. وديناصور آخر حكم على المدعو ظافر بن علي بن محمد آل سعد بالسجن ثمان سنوات والجلد 2000 جلدة لأن المتهم قال لشرطي المرور الذي أوقفه وطلب مه تغيير شريط الأغاني الذي كان يستمع إليه في سيارته بشريط القرآن، وزعم الشرطي، الذي لم يكن له أي شاهد على ما حدث، زعم أن المتهم قال له "القرآن مغثة". ورغم أن القرآن والسنة يتطلبان شاهدين عدلين لإثبات التهمة (البينة على المدعي)، والشرطي لم يكن له حتى شاهد واحد، حكم الديناصور بسجن وجلد المتهم الذي أساء للقرآن[5].

وقد هجا الشاعر السعودي عبد المحسن حليت قضاة المملكة الوهابية بقصيدة طويلة، منها:

أيها المفسدون في كل أرضٍ ... قاتل الله علمكم والسماءُ
كم ذبحتم من آيةٍ وحديثٍ ... ولحِاكم كم لطختها الدماءُ
فالدساتير كالعبيد لديكم ... والقوانين في يديكم إماءُ
وتداجون ألف طاغ وطاغ ... وله وحده يكون الولاءً
وله منكم النفاق المصفى ... والركوع الطويل والإنحناءُ

وقد أدى نشر هذه القصيدة إلى سجن الشاعر سبعة عشر يوماً وفصل مدير تحرير جريدة (المدينة) محمد المختار الفال[6].

والقضاء الشرعي كان معروفاً منذ صدر الإسلام *بمداهنة الحكام وإثراء القضاة الموالين لأن القضاء الإسلامي غير مستقل ويخضع لرغبات ولي الأمر الذي يعطي المكافاءات لمن يخدم أغراضه*. وقد قال محمد بن سعيد أبو المعالي، يهجو أحد القضاة بمصر سنة 572 هجرية:

ولما أن توليتَ القضايا ... وفاض الجور من كفيك فيضا
ذُبحتُ بغير سكينٍ وإني ... لأرجو الذبحَ بالسكين أيضا

إنه من المؤسف أن تعيش هذه الديناصورات في القرن الحادي والعشرين وتصدر أحكاماً مبنية على اجتهادات رجال ماتوا في قرون غابرة. ويبدو أن ديناصورات السعودية تعيش على الدم بينما كانت الديناصورات الأصلية تعيش على الحشائش. فمن لم تقتله ديناصورات هيئة الضرب على المعروف والقتل بالمنكر، تقتله ديناصورات الهيئة القضائية ورئيسها الشيخ اللحيدان الذي أفتى حديثاً بإباحة قتل مالكي الفضائيات التي تبث برامج الضحك والمرح والسحر. وأيده أحد الديناصورات وطالب بسجن وجلد كل الصحافيين الذين انتقدوا فتوى كبيرهم الذي علمهم السحر.

[4] من كتاب "قضاء يسحق العدالة" للمؤلف تأبط خيراً، دار مصر المحروسة، ص 45.

[5] نفس المصدر، ص 22.

[6] نفس المصدر السابق.

وحال القضاء في المملكة الوهابية ينطبق على جميع البلاد التي تُحكم باسم الإسلام، سواء أكان في السودان أو في إيران أو في الصومال قبل أن تسقط حكومة "المحاكم الشرعية" أو في أفغانستان أيام حكومة الطالبان. وسوف تصبح مصر المحروسة المثال القادم عما قريب عندما يتسنم الإخوان المسلمون سدة الحكم فيها. **فالإسلام ليس له أي منظومة قضاء حديث تجاري العصر الذي نعيشه**.

والمأساة الحقيقية أنهم يزعمون أن القرآن والسنة هو دستورهم، ولكن لكل فقيه في الإسلام رأي يختلف عن الآخرين، وكما يقول الحديث:

[أصحابي كالنجوم، بأيٍ اقتديتم اهتديتم].

وهذا يفتح الباب لكل ديناصورات القضاء للاقتداء بمن شاؤوا وتجاهل ما أثبته العلم الحديث وقوانين حماية حقوق الإنسان. فهل يتعظ الذين يدلون بأصواتهم لحماس وللإخوان المسلمين ولجبهة الإنقاذ الجزائرية وغيرهم من الملتحين، فالديناصورات لم تسمع بحقوق الإنسان؟

عودة إلى الفهرس

2008 / 10 / 6

127 - تشريح صورة القيامة

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=149326

لما لم تكن لمحمد أي معجزات يبهر بها عرب الصحراء مثل تحويل السراب إلى ماء أو جعل الكعبة تتلألأ ليلاً كما تلألأت قصور بُصرى بالشام عندما وُلد محمد، كما يزعم رواة السيرة النبوية، لجأ محمد إلى **أسلوب التخويف** ليرعب الناس بأهوال يوم القيامة حتى يُسلموا وينجوا من تلك الأهوال. وهناك سورة كاملة عن يوم الحساب اسمها "القيامة" وبها أربعون آية. وبما أن فقهاء الإسلام قد زعموا أن القرآن هو معجزة الرسول، وأنه مثال يحتذي به في البلاغة والإيجاز، يتوقع قاريء القرآن أن يجد انسياباً تلقائياً في السرد وتسلسلاً منطقياً للآيات، ولغة سلسة يسهل فهمها لمن يتحدث العربية، **إذ أن "السهل الممتنع" هو أبلغ أنواع البلاغة**. ودعونا الآن نتفحص آيات سورة القيامة لنرى إن كانت تحتوي على أي بلاغة.

تبدأ سورة القيامة، كما تبدأ أغلب السور المكية القصيرة، بالقسم. ولما كانت كل كتب السيرة تتفق في أن محمداً عندما كان بمكة قبل النبوة عُرف عنه الصدق والأمانة حتى أنهم لقبوه **بالصادق الأمين**، فإنه من غير المتوقع أن يقول عرب مكة الذين وصفوا محمداً بالصدق إن الله يكذب بينما لا يكذب رسوله؟ فلماذا إذاً يقسم الله؟ الغرض من القسم هو **التوكيد** للآخرين بأن ما نقوله ليس كذباً، لأن الإنسان بطبعه يكذب منذ طفولته لينجو من العقاب، ولذلك نقسم بالإله الذي سوف يحاسبنا إذا كنا كاذبين. فالإنسان يقسم بالقوة التي يخاف أن تحاسبة إذا كذب، أو يقسم بشيء عزيز وغالي بالنسبة له ويخشى أن يفقده إن كان كاذباً، كأن يقسم بأولاده أو بشرفه، والعامة من المسلمين يقسمون بالأولياء لأنهم يعتقدون أن الولي ينفع ويضر بكونه الوسيط بينهم وبين الله. فليس هناك أي سبب منطقي يجعل الله الذي يقول إنه خلقنا من العدم أن يُقسم لنا لنصدقه، لأن عملية القسم في حد ذاتها توحي للسامع أن المتكلم يمكن أن يكذب عليه، ولذلك يقسم لينفي الكذب. والإله، إن وُجد، لا يمكن أن يكذب. وليت القسم اقتصر على قسم الله بنفسه، فهو يقسم بمخلوقاته التي خلقها، وأغلبها جماد، مثل النجوم والقمر والضحى والليل. فهو بذلك يكون كالمهندس الذي يصنع سيارة ثم يقسم لنا بسيارته أنه أحسن مهندس سيارات في العالم.

والقرآن يمنع الناس أن يقسموا بالأصنام مثل اللات والعزى لأنها جماد لا ينفع ولا يضر والله نفسه يقسم بالجماد.

تبدأ سورة القيامة بالقسم الآتي:

{لا أقسم بيوم القيامة. ولا أقسم بالنفس اللوامة}.

يقول أهل التفسير إن الحرف "لا" زائد في جميع أنواع القسم الذي يقول به الله. فهو عندما يقول {لا أقسم بيوم القيامة} يعني أنه يقسم بيوم القيامة.

هل ينم مثل هذا القسم عن أي نوع من أنواع البلاغة، عندما ننفي القول ونقصد تثبيته؟

الله يقسم بيوم القيامة، وقد نفهم هذا منه للتخويف بهذا اليوم العصيب، ولكنه يقسم كذلك بالنفس اللوامة.

ماهي النفس اللوامة، وهل هناك نفس غير لوامة؟ وما هي أهمية النفس اللوامة حتى يقسم بها الله، أم أن السجع اضطره ليقول "اللوامة"؟

ثم يسأل الله:

{أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه}.

وكلمة "نجمع" هنا توحي بأن العظام يوم البعث تكون مشتتة في القبر ومنفصلة عن بعضها البعض، وأن الله سوف يجمعها مع بعضها ثم يكسوها لحماً. وقد أعطانا الله فكرة عن جمع العظام عندما حكى لنا قصة الرجل الذي مر بحماره على قرية مهجورة وقال: كيف يحيي الله هذه القرية، فأماته الله مع حماره مائة عام، ثم أحياه قبل حماره الذي كان قد أصبح عظاماً، وقال له:

{وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً. (البقرة 259)}.

وكلمة "نشز" تعني رفع الشيء عن موضعه. فالله يرفع عظام الحمار حتى تقف كما يقف الحمار، ثم يكسوها لحماً بعد ذلك، ولا يكسوها لحماً وعظام الحمار مستلقاة على جنبها. إنها صورة أبعد ما تكون عن عملية الخلق. وفي حقيقة الأمر فلن تكون هناك عظام في القبر. العظام بعد عدة سنوات تتحلل إلى مكوناتها الأولية التي هي بروتينات وأملاح كالسيوم وصوديوم وبوتاسيوم. وتذوب هذه الأملاح في الأرض وربما تنمو أشجار فوق القبور تمتص هذه الأملاح فتختفي وتصبح جزءاً من لحاء الشجر.

فليس هناك عظام ليجمعها.

ثم يؤكد القرآن مقدرة الله، فيقول:

{بل قادرين على أن نسوي بنانه}.

من الناحية اللغوية كان يجب أن يقول (بل **قادرون** على أن نسوي بنانه) لأن "بل" حرف عطف إذا تبعها اسم أو فعل، أما إذا تبعتها جملة فتصبح حرف ابتداء. ولذلك تصبح جملة (بل قادرون على أن نسوي بنانة) جملة جديدة من مبتدأ وخبر وكلمة "قادرون" خبر المبتدأ الذي تقديره "نحن" فتصبح الجملة (بل نحن قادرون على أن نسوي بنانه).

وقد استعمل القرآن الحرف "بل" كحرف ابتداء في الآية:

{ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شرٌ لهم. (آل عمران 180)}.

فهو لم ينصب كلمة "شرّ" عطفاً على "خيراً" بل جعلها مبتدأ مرفوع لأنها أتت بعد "بل" وفي شكل جملة.

ومن الناحية التكنولوجية، فإن البنان ليس أصغر شيء في جسم الإنسان وليس من أصعبها صنعاً. فلو قال القرآن (بل قادرين على أن نسوي دماغه) لكان أبلغ وأعجز لأن الدماغ هو الأكثر تعقيداً في الصنع وفي كيفية العمل. ولو أراد الأصغر كان يمكنه أن يقول "قادرين أن نسوي أسنانه" فالسن أصغر من البنان،

ولكن السجع فرض كلمة "بنانه".

وعندما سأل الأعراب محمد عن موعد القيامة، اعتبر القرآن هذه الأسئلة نوعاً من الفجور، وقال:

{بل يريد الإنسان ليفجر أمامه. يسأل أيان يوم القيامة}.

فالسؤال غير مستحب في القرآن لأنه يفضح عدم الإلمام بالمسؤول عنه. وقد عنّف القرآن السائلين من قبل وقال لهم:

{لا تسألوا عن أشياء إن تبدَ لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين يُنزّل القرآن تُبدَ لكم عفا الله عنها والله غفور رحيم. (المائدة 101)}.

ولا نفهم كيف يعفو الله عن الأشياء المسؤول عنها. فالآية كان يجب أن تكون (عفا الله عنكم والله غفور رحيم).

وربما كان السؤال في القرآن غير مستحب لأن محمداً كان يتسلط عليه الخوف من أن يسألوه أن يُنزل لهم مائدةً من السماء كما فعل موسى، فقال لهم القرآن:

{أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سُئل موسى من قبل. (البقرة 108)}.

المهم أن الأعراب (الذين هم أشد كفراً ونفاقا) لم يلتزموا أوامر القرآن بعدم السؤال، وسألوا محمد عن موعد القيامة، فأجابهم بنوع من الوصف المخيف إذ قال لهم:

{فإذا برق البصر. وخسف القمر. وجُمع الشمس والقمر}.

ماهو البصر؟ البصر هو عملية الإبصار، أي دخول الضوء إلى العين وإثارة الشبكية في مؤخرة العين لتجعل من الضوء ذبذبات كهربائية منخفضة التيار تصل بواسطة أعصاب العين إلى مؤخرة الدماغ الذي يجمعها ويكوّن منها الصورة المرئية. فكيف يبرق هذا البصر؟ نحن نقول "برق السحاب" إذا أنتج السحاب شحنات كهربائية كبيرة قد تصل إلى مليون واط، فتقفز بين السحاب أو نحو الأرض ويتولد منها ضوء هو البرق. وتُسمى عملية قفز الكهرباء بين جسمين "**آركنج** Arcing" ودائماً أبداً ينتج عنها برق.

ولا نفهم كيف يبرق البصر.

وإذا خسف القمر فهذا يعني أن الأرض توسطت بين الشمس والقمر، وفي هذه الحالة لا يمكن أن يُجمع الشمس والقمر بدون الأرض التي هي بينهما. ولكن القرآن يقول لنا: {**إذا جُمع الشمس والقمر**}

وهذا من ناحية عملية يعني نهاية الأرض والشمس والقمر، وموت كل مخلوق حي في نفس اللحظة التي يُجمع فيها الشمس والقمر.

ولكن القرآن يستمر في السرد ويقول لنا:

{يقول الإنسان يومئذ أين المفر. كلا لا وزر. إلى ربك يومئذ المستقر}.

فالإنسان وقتها لن يكون لدية وقت ليسأل أين المفر. سيكون الموت فجأة. وسوف تتبخر الأرض وبقايا الإنسان لأن كمية التفاعلات الذرية في الشمس تساوي ملايين القنبلة الذرية التي بخّرت أجساد اليابانيين في هيروشيما وناگـازاكي. ويبدو أن القرآن هنا قفز على موت الناس يوم جمع الشمس والقمر وبعثهم من مكان غير معروف لأن الأرض تكون قد تبخرت، ووصل بنا إلى يوم الحساب. فيقول لنا:

{ينبأ الإنسان يومئذ بما قدّم وأخر. بل الإنسان على نفسه بصيرة. ولو ألقى معاذيره}.

ويظهر جلياً في هذه الآيات أثر السجع على مَن نظم القرآن، يقول القرآن: بل الإنسان على نفسه بصيرة، وبما أن الإنسان مذكر، كان لا بد أن يقول "بصيرٌ" *ولكن السجع تطلّب "بصيرة"*.

ولاحظ هنا أنه استعمل حرف "بل" للابتداء وليس للعطف، لأن ما بعد "بل" كان جملةً، ولذلك أصبحت "الإنسان" مرفوعة لأنها مبتدأ، وكلمة "بصيرة" لابد أن تكون "بصيرٌ" لأنها خبر المبتدأ.

وفجأة وبدون أي مقدمات، تترك الآيات يوم الحساب وتبدأ السورة بالحديث عن القرآن نفسه، فيقول، مخاطباً محمداً:

{لا تحرك به لسانك لتعجل به. إنّ علينا جمعه وقرآنه. فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم إنّ علينا بيانه}.

فليس هناك أي تسلسل في الطرح إذ يقفز القران من القسم بالنفس اللوامة إلى يوم القيامة والبعث وجمع الشمس والقمر ثم يتحدث عن القرآن وقراءته وجمعه.

فالله يقول لمحمد: لا تستعجل بقراءة القرآن فإن علينا جمعه وقراءته. وهذه إشارة للآيات التي كُتبت على العظام وعلى جريد النخل واحتفظ كل شخص بكمية من العظام أو الجريد في بيته. ألم يفكر إله القرآن قبل إنزاله لهذه الصورة بأنه قد يكون معرضاً للضياع بهذه الطريقة أو للتكرار غير المفيد لأن العظام وجرائد النخل لم تكن مرقّمة ويمكن خلطها بسهولة؟ وكيف يعرف الناس تسلسل الآيات والسور من مجموع كل تلك العظام والجرائد؟

أما كان الأولى أن يأمر الله محمد بإحضار الورق من الشام حيث كان يسافر في تجارته ثم يملي عليه القرآن ليُكتب بالترتيب وقت نزوله وترقّم الصفحات؟ أو ينزله مكتوباً كما أنزل التوراة؟

ويقول لنا القرآن:

{ثم إنّ علينا بيانه}

أي شرحه، وهذا يُثبت أن الذين يشرحون القرآن لا يفهمون معناه لأن الله يخبرنا في آيات أخرى أنه لا يعرف تأويل القرآن إلا الله:

{ولا يعلم تأويله إلا الله}،

أما الراسخون في العلم فيقولون آمنا به.

ثم ينتقل القرآن فجأة من الحديث عن القرآن نفسه إلى مخاطبة عرب مكة، فيقول لهم:

{كلا بل تحبون العاجلة. وتذرون الآخرة. وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة}.

ولا شك أن طبيعة الإنسان تحب العاجلة لأنه يحب أن يعيش حياة سعيدة ومريحة، والقرآن نفسه يقول لهم:

{ولا تنس نصيبك من الحياة الدنيا}.

والذي يحب العاجلة ليس بالضرورة سوف يذر الآخرة. فالجمع بين الاثنين ممكن.

ولكن القرآن يقول من يحب العاجلة سوف يترك الآخرة. ويخبرنا القرآن أن الذين يفضلون الآخرة سوف تكون وجوههم ناضرة يوم القيامة وسوف ينظرون إلى الله. ولكنه يقول لنا في سورة أخرى إن الله لا يمكن أن تدركه الأبصار:

{لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار. (الأنعام 103)}،

فلا أدري إلى ماذا تنظر تلك الوجوه الناضرة.

وقد خالج الشك عقول المعاصرين لمحمد وقتها، وروى مسلم في صحيحه:

"عن مسروق قال: كنت متكئا عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية. قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. قال: وكنت متكئا فجلست فقلت: يا أم المؤمنين، أنظريني ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل {ولقد رآه بالأفق المبين. (التكوير 23)}. {ولقد رآه نزلة أخرى. (النجم 13)}؟ فقالت: أنا أول هذه الأمة من سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: [إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض]. فقالت: أو لم تسمع أن الله عز وجل يقول: {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير}؟ أو لم تسمع أن الله عز وجل يقول: {وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا}."

فمن وراء حجاب تعني أنهم لا يرونه.

ثم يقول القرآن:

{ووجوه يومئذ باسرة. تظن أن يُفعل بها فاقرة}.

مرة أخرى يفرض السجع على مؤلف القرآن أن يستعمل كلمات لا تعني شيئاً للمعاصرين له لأنهم لم يكونوا يستعملون تلك الكلمات بنفس المعنى الذي يقصده القرآن.

وهذا يضطرهم إلى التخمين في البحث عن المعنى المقصود. الكلمة "تظن" توحي أن الوجوه الباسرة تخمن أو تخاف أن يقع عليها شر ما. ولكن الطبري يقول:

"تظن" يعني توقن وتعلم.

وهو طبعاً عكس الكلمة المستعملة. ولكن لأن المفسرين يعتقدون أن الوجوه الباسرة لابد أن يصيبها العذاب، **جعلوا كلمة "تظن" تعني ضدها، أي اليقين**.

ولا نعلم لماذا لم يقل القرآن (وجوه يومئذ باسرة. توقن أن يفعل بها فاقرة) إذا كان ما يقوله الطبري صحيحاً.

ثم نسأل: ما هي الفاقرة؟ العرب كانت تقول:

فقرته الفاقرة،

يعني كسرت فقار ظهره.
ولكن قتادة يقول:

الفاقرة هي الشر،

بينما يقول السدي:

هي الهلاك،

ويقول ابن عباس:

هي دخول النار.

فباختصار كلمة "الفاقرة" لا تعني شيئاً، أدخلها محمد تمشياً مع السجع.

وبعد أن وقف الناس للحساب وظهرت وجوه ناضرة وأخرى باسرة، فجأة يرجع بنا القرآن إلى الحياة الدنيا، فيقول:

{كلا إذا بلغت التراقي. وقيل مَنْ راقٍ. وظن أنه الفراق. والتفت الساق بالساق. إلى ربك يومئذ المساق}.

وصف للموت في غاية الجمال اللغوي، لكنه ينم عن روح سادية تستمتع بعذاب الآخرين. الروح تحشرج في الحلق والساق تلتف بالساق. كل هذا ليعلم الميت أن إلى ربه المساق، كالخراف تساق إلى المذبح.

لماذا كل هذه السادية؟ الجواب هو لأن الميت لم يصدق برسالة محمد، بل كذّبه وتولى، ثم ذهب إلى أهله يتمطى. فهذا الشخص لم يقتل ولم يسرق ولم يقطع الطريق ويهاجم القوافل، بل لم يفعل أكثر من أنه لم يصدق محمداً. وعقاباً على عدم تصديقه تتحشرج روحه في حلقه وتلتف ساقه بساقه الأخرى ويقوم بوجه باسر يوم القيامة وتكسر فقار ظهره ويرمى في جهنم. ياله من عدل إلهي.
ألم يقل الله لعيسى بن مريم:

{وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة. (آل عمران 55)**}.**

فإذاً كل من اتبع عيسى بن مريم إلى يوم القيامة يكون فوق الذين كذبوه؟ فكيف يعاقب الله المسيحيين الذين اتبعوا عيسى بهذه الصورة السادية ويلقي بهم في النار لأنهم لم يصدقوا محمد وهو كان قد وعدهم أنه جاعلهم فوق الذين كذبوا بعيسى إلى يوم القيامة؟
ونستمر مع سورة القيامة فنجد القرآن يقول:

{أيحسب الإنسان أن يُترك سُدى. ألم يك نطفة من مني يمنى. ثم كان علقةً فخلق فسوى. فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى. أليس ذلك بقادر على أن يُحيي الموتى}.

ورغم خطأ الآية من الناحية العلمية البحتة، دعونا نفترض أن الإنسان كان نطفة فقط، ثم صار علقة وخرج من الرحم إنساناً، هل يعني هذا بالضرورة أن الله هو الذي خلقه وأن الله سوف يُحيي الموتى؟

هذا مجرد استغلال للظواهر الطبيعية التي شاهدها الإنسان منذ آلاف السنين وعرفها، وزعم القرآن أنها تدل على أن الله هو الذي خلقها.
أين البرهان على أنه هو الذي خلق الإنسان حتى نقبل أنه سوف يحيي الموتى؟ ووجب علينا أن نسأل هذا السؤال لأن القرآن نفسه يصر على البرهان في عدة آيات، فمثلاً، عندما قال اليهود لن يدخل الجنة إلا اليهود، قال لهم القرآن:

{وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. (البقرة 111)**}.**

وربما زعم بعض الناس وقتها أن هناك أكثر من إله في السماء، فقال لهم القرآن:

{أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. (النمل 64)**}.**

ونحن بدورنا نسأل أين البرهان أن الله هو الذي خلق الإنسان؟ طبعاً لا برهان لديهم أن الله هو الذي خلق العالم.

أعتقد أن سورة "القيامة" بكاملها عبارة عن لوحة مخيفة الغرض منها إجبار الناس على اتباع محمد بالتخويف وليس بالبرهان.

عودة إلى الفهرس

128 - لا ملكية فكرية على الإسلام

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=149611

عوّدنا المسلمون العرب على الادعاء **بامتلاكهم الحقيقة المطلقة** بينما لا يمتلك غيرهم إلا السراب. وقد اعتدنا على ادعائهم أنهم الوحيدون الذين **يمسكون بنواصي الأخلاق الكريمة والعفة التي لم يتركوا لغيرهم منها نصيباً**. ولكن أن يدعي أحدهم الملكية الفكرية على الإسلام وهم الأقلية في الأمة الإسلامية، فهذا ما لا يُحتمل. كنت وحتى وقت قريب أقرأ لأستاذ الصحافة المصري مأمون فندي وأعتبره من ذوي الأقلام النزيهة والفكر الحر. ولكن لسبب ما، ولا أحب أن أجعل للظن مكاناً في تحديد ذلك السبب لأن بعض الظن إثم، تغيّر الأستاذ مأمون فندي، كما تغير قبله الأستاذ شاكر النابلسي، *وأصبح من الذين يكتبون من سويداء القلب، بدل من تلافيف العقل، أو الدماغ إن أردنا أن نكون علميين*. السبب الذي أثار حفيظة الأستاذ مأمون فندي وجعله يكتب مقالاً عاطفياً أكثر منه عقلياً، لا نعلمه بالضبط غير أنا نعلم أنه صب جام غضبه على كاتبة أمريكية كتبت رواية عن السيدة عائشة، زوجة الرسول،

- فقال في صحيفة الشرق الأوسط بتاريخ 6 أكتوبر 2008:

> "‹جوهرة المدينة›، رواية لم تصدر بعد لامرأة أميركية تدعى شيري جونز، لم أسمع بها من قبل طيلة عشرين عاما عشتها في الأوساط الثقافية بالولايات المتحدة" انتهى.

- وشيري جونز هذه امرأة صحفية حاولت الدخول إلى عالم الرواية بهذه القصة عن عائشة، فهي ليست امرأة مشهورة حتى يسمع بها الأستاذ فندي، ولكن كونه لم يسمع بها في العشرين عاماً الماضية لا يعني أن السيدة شيري لا تستحق أن يقرأ الناس روايتها ويكوّنوا آراءهم الخاصة عن مقدرتها الكتابية. فكل كاتب مشهور الآن لم يكن معروفاً أو مشهوراً عندما كتب روايته أو قصته الأولى.

- في هذا المقال تغلبت العاطفة على التفكير السليم عند الأستاذ فندي، فقال:

> "جوهرة المدينة نتاج متوقع في جو عام ساد أخيراً في الغرب، يظهر فيه بين الفينة والأخرى كتاب ورسامو كاريكاتير ومفكرون وسينمائيون وإعلاميون وسياسيون يستفزون المشاعرَ الأساسية لدى عموم المسلمين." انتهى .

- الأستاذ فندي الذي عاش في أمريكا ما يربو على العشرين عاماً شاهد وقرأ كتباً وأعمالاً أدبية تنتقد المسيحية واليهودية وربما شاهد مسرحيات تنتقد المسيحية، سواء أكان النقد جدياً أو في قالب التهكم satire ولا أخاله قد سمع أن تلك الكتب والأعمال الأدبية قد استفزت مشاعر المسيحيين أو اليهود عامةً، فهم الذين يقرؤون تلك الأعمال ويرتادون المسارح لرؤية المسرحيات. فلماذا يستفز أي نقد أو كاريكاتور عن الإسلام مشاعر المسلمين عامة؟ هل المسلمون فصيلة خاصة من البشر لها مشاعر تختلف عن مشاعر بقية الناس؟

- وأغرب ما قرأته من مقولات الأستاذ فندي هو قوله:

> "يدَّعي هؤلاء ‹المفكرون› الغربيون فهمهم الكافي للإسلام بما يؤهلهم لنقده في صور مختلفة، وهم لا يمتلكون أهم مفاتيح معرفة الإسلام التي تمهد لفهمه ضمن سياقه الثقافي، وهي اللغة." انتهى.

- ولعمري هذه مقولة تستحق أن تدخل التاريخ من أوسع أبوابه. فهل نسي الأستاذ فندي أن العرب يمثلون عشرين بالمائة فقط من مجموع المسلمين الذين وصل تعدادهم إلى ما يفوق مليار شخص؟ فإذا كان الشخص الذي لا يجيد العربية، حتى وإن قرأ القرآن والسيرة وصحيح البخاري مترجمة إلى اللغة الإنكليزية لا يصح له أن يكتب عن الإسلام، فماذا نفعل بمئات الكتب التي سطرها مسلمون هنود وباكستانيون وإيرانيون وحتى صينيون وأتراك عن الإسلام بلغاتهم القومية؟ هل نمنعهم الحديث عن الإسلام لأنهم لا يتحدثون العربية؟

وقليل هم الذين يقرؤون أو يتحدثون العبرية، فهل يعني ذلك أن شخصاً لا يتحدث العبرية لا يحق له أن يكتب عن اليهودية؟ ثم كيف عرف الأستاذ فندي أن السيدة شيري جونز، الصحفية والكاتبة، لا تعرف اللغة العربية، وهو قد أخبرنا أنه لم يسمع بها؟ ربما تعلمت السيدة شيري اللغة العربية في الجامعات التي يمولها الدولار البتروعربي الذي أثار حفيظة الأستاذ فندي.

- فقد قال:

> "من المتوقع أن يكون الغرب جاهلا بالإسلام، ولكن من غير المتوقع أن يمول المال العربي هذا الجهل، وهذا جوهر هذا المقال." انتهى.

- كنت أربأ بالأستاذ فندي الذي يُدرّس في بعض الجامعات الأمريكية التي لابد علمته أن **التعميم** في أغلب الأحيان يقود إلى الخطأ، وأن الأستاذ الجامعي يجب عليه ألا يلقي الكلام على عواهنة ويعممه على جميع الجامعات الأمريكية. فهو إن درّس في أكثر من جامعة واحدة، فحتماً لا يعرف كل شيء عن مئات الجامعات الأمريكية الأخرى التي لم يُدرّس بها.

- ومع ذلك يقول:

> "أول هذه الأسباب، أن القائمين على الدراسات الإسلامية في الجامعات الغربية، يشبه فهمهم للإسلام إلى حد كبير فهم المدرسين (الصعايدة) للغة الإنـگـليزية في زماني، ففي مدارس الصعيد كانوا يعلموننا كيف نفرق بين حرف «b» في اللغة الإنـگـليزية وحرف آخر مختلف تماماً هو«P» ، بأنهما (زي بعض) إلا أن الأول «بي» خفيفة والثاني «بي» ثقيلة، مع أنهما حرفان مختلفان تماماً، لا ينطبق عليهما الترقيق والتفخيم في اللغة العربية، واللذان يقعان على الحرف ذاته فيغيران صوته) انتهى.

- من المؤسف أن يصدر مثل هذا التعميم من أستاذ جامعي. فجامعات الغرب مليئة بالمستشرقين الذين يعرفون اللغة العربية ربما أحسن من الغالبية العظمى من أمة العرب الأميين. وكون المدرس الصعيدي لا يستطيع التفريق بين نطق الحروف b و p لا يعني أنه لا يفهم ما يقرأه باللغة الإنكليزية. فالنطق يختلف عن القراءة. غالبية الجامعات العربية ما زالت تُدرّس العلوم والطب باللغة الإنگليزية وجميع أساتذتها عرب لا يحسنون نطق اللغة الإنگليزية لكنهم يعرفون كل شيء عن الطب الذي درسوه ويدرّسونه باللغة الإنگليزية، تماما كما يعرفه الأطباء الغربيون. فالذي يدرس الإسلام باللغة الإنگليزية أو الفرنسية أو أي لغة أخرى يمكنه أن يفهم الإسلام أحسن مما يفهمه الأستاذ المسلم المؤدلج منذ الصغر بفكرة أن القرآن لا يخطيء والرسول معصوم من الخطأ كذلك.

- يقول الأستاذ فندي:

> "ما أريد قوله هنا، إن من يتصدون لدراسة الإسلام في الغرب لا يمتلكون المفاتيح الثقافية لفهم الإسلام. فتدريس الإسلام وتاريخه في كبريات الجامعات الغربية لا يخضع للمعايير الصارمة ذاتها التي يستخدمها الغرب في تدوين تاريخه وتفسيره. في الجامعات الغربية مثلا، لا يمكن لباحث لا يجيد اللغة الألمانية أو اللغة الفرنسية كأهلها، أن يكون متخصصاً في شؤون فرنسا أو ألمانيا، أما فيما يخص الإسلام فيكفي أن يكرر بروفسور ما عبارة «السلام عليكم» وبعض التعبيرات السياحية التي التقطها في زيارته لمصر أو الإمارات، ليعلن للملأ من دون خجل أنه خبير في الإسلام ومجتمعاته، وما صاحب ذلك من (موضة) دراسات الإرهاب" انتهى.

✍ من الغريب أن يتهم الأستاذ فندي، وبتعميم مثل هذا، كبرى الجامعات الغربية بالتساهل في اختيار أساتذتها لأقسام الدراسات الإسلامية، فاختيار أستاذ للتدريس بالجامعة لا يتم بالواسطات، وإنما بدراسة المؤهلات والبحوث المنشورة للمتقدمين إلى المنصب المعلن عنه.

✍ أنا لا أدعي أني خبير بالجامعات الأمريكية، أو حتى الإنگليزية، ولكني أعرف أن الجامعات العريقة مثل أكسفورد وكيمبردج بها كليات دراسات إسلامية تصدر من البحوث الإسلامية الجيدة والمشهود لها كمية لا يستهان بها سنوياً. ولها مطابع طبعت النادر من المصادر الإسلامية القديمة بعد أن حققها أساتذة مستشرقون يجيدون اللغة العربية، ومن بينهم عرب، يعملون بتلك الجامعات.

✍ وأنا قد درست بجامعة دارام Durham بإنگلترا وأعرف عدداً من أساتذتها المتخصصين في الدراسات الإسلامية وقد ناقشت بعضهم وعرفت أن مستوى فهمهم للإسلام يفوق مستوى البعض من أساتذة جامعاتنا العربية.

✍ وكل المخطوطات الإسلامية القديمة قد ترجمها أساتذة غربيون مستشرقون يجيدون اللغة العربية مثل الألماني نولدكه Theodor Nöldeke الذي ترجم كثيراً من المخطوطات العربية بما فيها القرآن، وريتشارد بيل (1876-1952) Richard Bell الذي عمل أستاذاً للغة العربية بجامعة أدنبرة، وبن شميش Ben Shmesh الذي ترجم كتاب "الخراج" ليحيى بن آدم، والدكتور بيشاي Bishai الذي عمل بجامعة جون هوبكنز وهارفارد كمدرس للغة العربية وقدم بحثاً عن "تأثير اللغة القبطية على اللغة العربية المصرية"، وكلود كاهين Claude Cahen الذي عمل بجامعات تركيا ثم رجع إلى السوربون في عام 1959 ليصبح أستاذاً للدراسات الشرق أوسطية، وقد قال الأستاذ **ألبرت حوراني** عن تدريس كاهين للدراسات الإسلامية:

"perhaps the most systematic attempt to apply mature sociological concepts to the realities of Islamic society".

وهناك رودولف جيير (1861-1929) Rudolf Geyer الذي كان أستاذ الشعر العربي في جامعة ڤيينا، وخاصة الشعر الجاهلي وأثره في القرآن[1].

✍ ولا ننسى أساتذة معاصرين مثل كارين أرمسترنج Karen Armstrong وبتريشيا كون Patricia Crone، وكتاباتهما عن الإسلام من أوثق الدراسات وأجودها.

✍ وقد يتذكر الأستاذ فندي أن جميع الأساتذة المصريين المعاصرين من أمثال الدكاترة مصطفى محمود، والدكتور طه حسين ومحمد عبدو وغيرهم كثير قد نالوا إجازات الدكتوراة سواء في الدراسات الإسلامية أو الدراسات العربية من جامعة السوربون، ولم يقولوا لنا إن الأساتذة في تلك الجامعة لا يعرفون الفرق بين الحروف b و p.

✍ وهل نسي الأستاذ فندي أن الذي علّم المصريين كيف يقرؤون اللغة الهيروغلوفية كان رجلاً غربياً؟ ومَن الذي أجرى جميع الحفريات واستخرج لنا الكتابات العربية القديمة مثل "المسند" وقام بفك طلاسمها ومقارنتها باللغة العربية؟ ألم يكن جلهم من الغربيين المستشرقين من ألمانيا وإنگلترا والنمسا؟ (راجع كتاب الدكتور جواد علي: تاريخ العرب ما قبل الإسلام).

- يستمر الأستاذ فندي فيقول:

> "المشكلة تبدو أكثر إزعاجا وأشد استفزازية، عندما نعرف أن كثيراً من هؤلاء الأكاديميين الغربيين الذين يديرون برامج الدراسات الإسلامية، والذين يجهلون اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم وهو أساس الإسلام كدين، يتم تمويل برامجهم بالمال العربي. العرب يتخلون عما يسمى الآن «الملكية الفكرية للإسلام» لتركه نهباً في أيدي مَنْ ليست لديهم الأدوات اللازمة للتعامل مع النص الإسلامي، سواء من حيث التراكيب اللغوية المعقدة التي تصعب حتى على أصحاب اللغة الأصلية فهمها من دون دراسة وتخصص، أو من حيث السياق الثقافي المرتبط بخصوصية الزمان والمكان" انتهى.

✍ من الذي أعطى العرب حق الملكية الفكرية للإسلام؟ ولماذا لا يكون لهم كذلك حق الملكية الفكرية على المسيحية التي نشأت في الشرق الأوسط وكانت جميع الأقطار العربية الحديثة من الصومال إلى شمال أفريقيا إلى العراق وسوريا، تدين بالمسيحية قبل أن يأتي الإسلام بسيوفه؟ وما زال ملايين من العرب المسيحيين يقطنون تلك البلاد.

✍ ثم أن العرب لم يكن لهم ملكية فكرية على الإسلام منذ أول يوم ظهر فيه الإسلام.

☜ فجميع أهل الحديث كانوا من نيسابور وبخارى،
☜ وجميع أهل التفسير كانوا من الفرس أو طبرستان،
☜ وجميع أهل الفلسفة، ما عدا ابن رشد والكِندي، كانوا من الفرس والأتراك.
☜ حتى أئمة المساجد كانوا من الموالي.

✍ ثم أن الإسلام جاء لجميع البشر، كما يقول السلمون، فما الذي يعطي المسلمين الحق لادعاء الملكية الفكرية عليه؟ فإذا كانت اللغة هي المقياس، فيسوع كان يتحدث العبرية، هل يحق للعبريين الآن ادعاء الملكية الفكرية للمسيحية بالإضافة إلى اليهودية؟

- يطلب الأستاذ فندي من الممولين العرب أن يصرفوا أموالهم في تمويل الجامعات العربية، فيقول:

> "الأولى بهؤلاء المانحين العرب أن يخصصوا كراسي للدراسات الإسلامية ويغدقوا أموالهم على الجامعات العربية التي تتحكم بشكل حقيقي في قيمة المنتج الفكري الإسلامي، فكثير مما يقال إنه اكتشاف في الغرب حول الإسلام هو أمر معروف وبديهي، ربما حتى لدى العوام، في البيئات الإسلامية. الأكاديميون العرب، هم نتاج الثقافة الإسلامية وهم الأدرى بسياقها الثقافي ولغتها، وهم بالتالي الأقدر على فهمها ونقدها الموضوعي ومن ثم تطويرها لا هدمها، إذا ما توفر المناخ العام المتسامح مع حرية الفكر."† انتهى.

† طالما أن السيد فندي يتحدث عن "مناخ التسامح مع حرية الفكر"، والسياق يوحي طبعاً التسامح مع الباحثين العربان، فلماذا لا يكون هو نفسه متسامحاً مع الباحثين الأجانب!! حتى لو أخطأوا في اجتهاداتهم؟؟

✍ ربما يكون الأستاذ فندي قد نسي كل شيء عن الشرق الأوسط لأنه عاش خارجه أكثر مما عاش به، فطلبه الاستثمار في الجامعات العربية لرفع مستوى الثقافة الإسلامية ينبيء بأنه ما زال يعتقد أن الشرق الأوسط الآن مثل الشرق الأوسط في الستينات والسبعينات من القرن المنصرم عندما كانت **الليبرالية** سيدة الموقف.

✍ الجامعات العربية الآن من الأزهر إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية تصدر آلاف الكتب،

- مثل كتاب الدكتور سعيد ناصر الغامدي "الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها" الذي يقع في ثلاثة مجلدات و2317 صفحة **ويكفر به أكثر من مائتي مبدع عربي ويهدر دمهم**. وقد منحته الجامعة إجازة الدكتوراة بدرجة الامتياز على هذا الكتاب.

- وجامعة الأزهر يدرّس بها أساتذة يفتون بشرب بول الرسول للعلاج، وأساتذة يطالبون بتطليق زوجة الأستاذ حامد أبو زيد لأنه انتقد الخطاب الديني.

هل يطلب الأستاذ مأمون فندي حرمان الجامعات الغربية من الأموال العربية حتى نصرفها على جامعاتنا كي نتحصل على المزيد من الفتاوى التكفيرية؟

أتمنى على الأستاذ مأمون فندي أن يترجم مقاله ترجمة حرفية إلى اللغة الإنگليزية وينشره بأمريكا لنرى رد فعل الجامعات الأمريكية على أحد أساتذتها المرموقين.

عودة إلى الفهرس

[1] Ibn Warraq: What the Quran Really Says, p 777.

2008 / 10 / 15

129 - الغيب الذي غيّب عقول المسلمين

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=150183

الغيب في اللغة هو كل ما غاب عنك، فنقول: غابت الشمس وهي تغيب. و**الغيبة**: هي أن تتحدث عن شخص في مجلس هو غائب عنه، وأغابت المرأة إذا غاب عنها زوجها.

أما الغيب في الخطاب الديني فهو كل ما أخبر به الرسول ولا تهتدي إليه العقول. وقال بعضهم هو الله، بينما قال آخرون هو القضاء والقدر.

وسواء أكان هو القضاء والقدر أو كل ما لا تهتدي إليه العقول، فقد سيطر هذا الغيب على عقول المسلمين منذ نشأة الإسلام وظهور القرآن الذي ذكر الغيب ومشتقاته **أربعين مرةً**، فقال:

{ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. (البقرة 3)**}.**

فالذي لا يؤمن بالغيب ليس مؤمناً بالله، وأحسن المؤمنين هو أكثرهم إيماناً بالغيب. قال ابن مسعود:

"ما آمن مؤمنٌ أفضل من إيمانٍ بغيب." [1]

والقرآن طبعاً لم يأتِ بجديد في هذا المجال لأنّ عرب ما قبل الإسلام كانوا يؤمنون بالغيب ويتوسلون للكهان ليخبروهم ما يخبيء لهم الغد. بل إن القبائل البدائة في أفريقيا وغيرها قد استعملوا الودع والأحجار كوسيلة لكشف الغيب لهم منذ آلاف السنين. فبدل أن ينهى الإسلام عن مثل هذه الممارسات ويرتقي بالعرب فكرياً، فضّل محمد أن يحافظ على الوضع القائم كما هو Status quo، **فعمّق إيمان المسلمين بالسحر والغيب**، وفتح لهم باباً لعبادة الأولياء الذين يعتقد عامة المسلمين أنهم يعلمون الغيب.

ولكن إذا كان الغيب هو ما سوف يحدث في المستقبل، فمَن الذي يمكنه معرفة الغيب؟

الله في القرآن يقول إنه هو الوحيد الذي يعلم الغيب:

{وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبةً في ظلمات الإرض ولا رَطبٍ ولا يابسٍ إلا في كتاب مبين. (الأنعام 59)**}.**

وهذا نوع من علم الغيب لا طائل من ورائه ولا يستفيد منه أحد. ما هي أهمية سقوط ورقةٍ من شجرة حتى يهتم بها الله ويعرف متى سوف تسقط أو تأكلها دابة قبل أن تسقط، ويسجلها في كتاب مبين .هذا في رأيي ادعاء لا يمكن لعقل أن يصدقه، وحتى لو صدقه بعض الناس فهو *ادعاء أجوف لا يهمنا في شيء*.

ما يهمنا هو: هل يشرك الله بعض الناس في معرفة هذا الغيب المستقبلي؟

الله يقول:

{قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون. (النمل 65)**}.**

والقرآن يأمر محمد أن يقول إنه لا يعلم الغيب:

{قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني مَلَكٌ إنْ اتبع إلا ما يوحى إليّ. (الأنعام 50، وهود 31)**}.**

وهناك أكثر من **عشرين آية** بالقرآن تؤكد أن محمد لا يعلم الغيب.

إلى هنا والأمر واضح لنا، فالله وحده هو الذي يعلم الغيب، وفي بعض الأحيان يوحي ببعض الغيب لمحمد عندما يخبره قصص القوم الغابرين ويقول له:

{ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم. (آل عمرن 44)**}.**

ولكن مثل هذا النوع من الغيب لا يهمنا لأنه عبارة عن أخبار قومٍ مضوا ويمكننا أن نجد أخبارهم في الآثار التي تركوها لنا.

ما يهمنا هو غيب المستقبل. وهذا الغيب هو الذي حاول الله أن يمنع الشياطين من سرقته من السماء فسلط عليهم الشهب والنيازك لتردعهم. فهذا الغيب لا يعلمه حتى محمد، كما نستشف من الآيات.

ولكن المشكلة التي تواجهنا في القرآن هي أن مؤلفه **لا يتذكر دائماً ما كان قد قاله من قبل فيأتي بما ينقضه**.

فهو مثلاً يقول لنا عن قصة خلق آدم وأمره الملائكة أن يسجدوا له:

{إذ قال ربك للملائكة إني خالقٌ بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين. (ص 71 - 74)**}.**

إلى هنا والأمر عادي ومفهوم لنا. وتأتي المشكلة عندما بدأ الحوار بين الله وإبليس العاصي:

{قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ أستكبرت أم كنت من العالين. قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين. قال فأخرج منها فإنك رجيم وإنّ عليك لعنتي إلى يوم الدين. (ص 75 - 78)**}**

إلى هنا والأمر يبدو عادياً كذلك لأن إبليس لم يكشف كل ما يعلم. وتأتي المفاجأة عندما يقول إبليس لله:

{قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون. قال فإنك من المنظرين. إلى يوم الوقت المعلوم. قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين. (ص 79 - 83)**}.**

وتكمن المفاجأة في أن الله قال للملائكة إنه سوف يخلق بشراً من طين وطلب منهم السجود له. وحتى تلك اللحظة لم تكن حواء قد خُلقت، فكيف عرف إبليس إن البشر الذي خلقه الله من طين سوف يكون له نسل كثيرون فحلف أن يغويهم أجمعين؟ فحتى تلك اللحظة لم يكن الله قد أفشى لهم كل السر. فكيف عرف إبليس؟ لا بد أنه يعلم الغيب وعرف أن ذلك البشر من الطين سوف تكون له زوجة ونسل يملأ الدنيا. ولم يقف علم إبليس عند ذلك الحد، بل قال لله: {**فانظرني إلى يوم يُبعثون**} فإبليس لم يعلم فقط أن ذلك البشر سوف تكون له ذرية تملأ الأرض، بل عرف كذلك أنهم سوف يموتون وسوف يُبعثون من قبورهم يوم القيامة. *فإذاً ليس هناك أي شك أن إبليس يعلم الغيب المستقبلي.*

ويظهر أن الملائكة كلهم يعلمون الغيب:

{وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفةً قالوا أتجعل فيها مَن يفسد فيها ويسفك الدماء... (البقرة 30)**}.**

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، البقرة، آية 3.

فحتى تلك اللحظة لم يكن الله قد خلق آدم، إنما كان يتحدث مع الملائكة المجتمعين قبل أن يخلق آدم وقال لهم إني أفكر في خلق خليفة للأرض. والملائكة مخلوقات من نور، لا أجسام لها ولا دماء. وحتى تلك اللحظة لم تكن الملائكة قد رأت أي دم ولم تكن تعرف عن الدم شيئاً. ولكن فجأة قالوا لله: أتخلق فيها من يسفك الدماء؟ من أين للملائكة بهذه المعلومة المهمة والله لم يخبرهم بها {ألم أقل لكم إني أعلم ما لا تعلمون}. الجواب لا بد أن يكون أن الملائكة يعلمون الغيب وعرفوا أن قابيل سوف يقتل هابيل ويسفك دمه. *فإذاً ليس الله هو الوحيد الذي يعلم الغيب، فإبليس والملائكة أجمعون يعلمون الغيب.*

ولكن يبدو لنا أن الله نفسه لا يعرف الغيب المستقبلي، فهاهو يقول للمؤمنين:

{ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب. (آل عمران 179)}.

فالله يقول إنه لن يترك المؤمنين على ماهم عليه حتى يختبرهم بالجهاد وغيره ليعرف الخبيث من الطيب. وهناك عدة آيات مثل هذه، فمثلاً:

{أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين. (آل عمران 142)}.
{أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجةً والله خبير بما يعملون. (التوبة 16)}.
{يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم. (المائدة 94)}.

فلو كان الله يعلم الغيب لعرف من يوم أن خلقهم مَن منهم الخبيث ومَن منهم الطيب، ومَن منهم سوف يجاهد في سبيله ومَن منهم سوف يتخلف. فلا داعي للاختبار إذا كان يعلم الغيب المستقبلي.

المهم أن هذا الغيب، سواء أكان الله يعلمه أم لا، فقد اقتنع به المسلمون وأقنعوا أنفسهم أن النبي، واليهود والرهبان والأولياء يعلمونه، ويمكنهم كشف المستور للمسلمين.

يقول الطبري:

"كان النبي قد بعث عَمْرًا إلى عُمان فسمع هنالك من حِبرٍ شيئا فلما رأى مصداقه وهو هناك أرسل إلى ذلك الحبر فقال حدثني بوفاة رسول الله وأخبرني من يكون بعده قال: الذي كتب إليك يكون بعده ومدته قصيرة قال ثم من، قال رجل من قومه مثله في المنزلة، قال فما مدته قال: طويلة ثم يُقتل، قال أغيلة أم عن ملاء قال غيلة، قال فمن يلي بعده؟ قال رجل من قومه مثله في المنزلة، قال فما مدته؟ قال طويلة ثم يقتل، قال أغيلة أم عن ملإ؟ قال عن ملاء، قال ذلك أشد، فمن يلي بعده قال: رجل من قومه ينتشر عليه الناس وتكون على رأسه حرب شديدة بين الناس ثم يقتل قبل أن يجتمعوا عليه، قال أغيلة أم عن ملاء؟ قال غيلة ثم لا يرون مثله، قال فمن يلي بعده قال أمير الأرض المقدسة فيطول ملكه فيجتمع أهل تلك الفرقة وذلك الانتشار عليه ثم يموت." [2].

فهذا الحبر اليهودي قد علم الغيب وأخبر عمرو بن العاص بموت النبي وبكل خلفائه من بعده حتى وصل إلى معاوية بن أبي سفيان. وبالطبع لا يغيب عن ذهن القاريء كل تلك القصص عن الراهب بُحيرى وغيره الذين تنبأوا بظهور محمد وعرفوا علامات النبوة التي كانت بكتفه قبل أن يولد محمد. وفي تعارض تام مع القرآن الذي قال لمحمد عن منافقي المدينة:

{وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مَردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم. (التوبة 101)}،

أيقن المسلمون أن خذيفة بن اليمان كان يعرف المنافقين وكان الاختصاصي رقم واحد في معرفتهم. يقول حجة الإسلام الغزالي عن حذيفة:

"وكان حذيفة رضي الله عنه أيضا قد خُص بعلم المنافقين وأُفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يُسأل عن المنافقين فيخبر بعدد من بقي منهم ولا يخبر بأسمائهم وكان عمر رضي الله عنه يسأل عن نفسه هل يعلم فيه شيئا من النفاق فبرأه من ذلك وكان عمر رضي الله عنه إذا دُعي إلى جنازة ليصلي عليها نظر فإن حضر حذيفة صلى عليها وإلا ترك." [3]

فالقرآن يقول لمحمد إنك لا تعرف المنافقين بالمدينة وما حولها، الله وحده يعرفهم. ولكن المسلمين يقولون إن حُذيفة كان يعرفهم وقد برأ عمر بن الخطاب من النفاق. وعمر، أمير المؤمنين الورع **الذي جاء القرآن بكثير مما قاله**، كان لا يصلي على الجنازة إذا غاب عنها حذيفة، لأن ذلك يعني أن حّذيفة قد عرف أن الميت كان من المنافقين لذا غاب عن الصلاة.

هذا الإلغاء الواضح للعقل لازم المسلمين على مر العصور وأصبح الذين يعلمون الغيب بعد الله، إن كان يعلمه، الأنبياء والصحابة وأحبار اليهود ورهبان المسيحية وأولياء الله الصالحين الذين تملأ قبابهم ومزاراتهم كل شبر في بلاد المسلمين، حتى العجم منهم.

يحكي السيوطي أن:

"رجلاً دخل على بعض الأولياء فاستحقره في عينه فقال الرجل في سره "حتى إذا جاءه لم يجده شيئا"، فاطّلع الولي على ذلك بطريق الكشف، فقال للرجل: يا فلان أقرأ ما بعدها."

وما قاله الرجل كان جزءاً من آية تقول:

{والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعةٍ يحسبه الظمآنُ ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه. (النور 39)}.

فهذا الرجل المسكين عندما دخل على الولي ولم يعجبه ما رأى، وقال ما قال في سره، علم به الولي الذي يعلم الغيب وطلب منه أن يتم الآية ليصل إلى أن الظمآن وجد الله عند السراب، فهذا الولي إن لم يكن هو الله، فهو لا شك يحل محل الله. *ومَن من المسلمين يستطيع الامتناع عن عبادة مثل هذا الولي والتوسل إليه؟*

بل زعموا أن مَن يدرس النجوم يستطيع أن يتنبأ بالغيب، ولا داعي وقتها للشياطين لتسترق السمع. فقد زعموا أن يحيى بن خالد البرمكي الذي كان عالماً بالتنجيم قد تنبأ بتاريخ نكبة البرامكة. فقد أخبر إسماعيل بن صبيح، قال:

"كنت يوماً بين يدي يحيى بن خالد فدخل عليه ابنه جعفر (وزير وصديق هارون الرشيد) فأشاح بوجهه عنه وتكره رؤيته، فلما انصرف عنه قلت له: أطال الله بقاءك، تفعل هذا بابنك وحاله عند الرشيد حالة لا يقوم عليها ولد ولا ولي، فقال: إليك عني أيها الرجل، فوالله لا يكون هلاك أهل هذا البيت إلا بسببه. ثم قال: أدن مني الدواة فأدنيتها، فكتب كلمات يسيرة في رقعة وختمها ودفعها إليّ وقال لي: لتكن عندك فإذا دخلت سنة سبع وثمانين ومضى المحرّم فانظر فيها. فلما كان في صفر أوقع الرشيد بهم، فظرت فيها فكان الوقت الذي ذكره." [4]

فيحيى بن خالد الذي سجنه الرشيد وقتل ابنيه جعفر والفضل مع ألف رجلٍ من البرامكة، كان قد درس النجوم وتأكد من تاريخ النكبة بزمن طويل قبل أن تحدث، لكنه لم يفعل شيئاً ولم يهرب مع أولاده، وجلس في انتظار القدر المحتوم.

---

[2] تاريخ الطبري، ج3، ص 69.
[3] الغزالي، إحياء علوم الدين، الكتاب الأول من ربع العبادات، كتاب العلم، الباب السادس.
[4] الجهشباري، الوزراء والكتاب، ص 249، نقلاً عن د. هولو جودت فرج، البرامكة، سلبياتهم وإيجابياتهم، ص 73.

وبمثل هذه الخرافة **أقنعوا عامة المسلمين أن يتركوا عقولهم بالمنازل** عندما يزورون ضرائح الأولياء ويطلبون منهم الولد والشفاء وحتى قتل الضرة. ومن الغريب أن شيوخ الإسلام مثل الشيخ المصري، الشعراوي، يؤمنون بقصص وكرامات الأولياء الذين ماتوا منذ مئات السنين. فالشيخ الشعراوي كان إيمانه في الأولياء لا يتزعزع. و كذلك كان الشيخ الشعراني، أحد أئمة العصر العثماني بمصر، يؤمن بالأولياء ويعتبر نفسه ولياً له كرامات خاصة، وقد قال:

"ومما وقع لى ان شخصا من بلاد الحبشة أسلم عندنا فى مصر، فسألته عن بلده، وعن الكنيسة الكبيرة التى فى آخر زقاق داره، وعن شجرة النبق التى فى دار جاره، فصدقنى على ذلك، ثم قال للحاضرين: "هذا صالح "، مع أننى ما رحت اليها قط بجسمى، وانما نظرت اليها بقلبى." [5]

فما دام المؤمنون يؤمنون بالغيب ويتمرغون في تراب قبور الأولياء، ويستعيذون من الشيطان الرجيم، فلن نلحق بالأمم التي سبقتنا في مضمار العلم واحترام العقول واحترام حقوق الإنسان. وسوف يظل المسلم يدفع ما في الجيب لرجالات الدين وأهل الأضرحة حتى يأتيه ما في الغيب.

ورحم الله أبا العلاء المعري الذي قال:

اثنان أهل الأرضِ: ذو عقل بلا دينٍ، وآخرُ دَيّنٌ لا عقل له

عودة إلى الفهرس

[5] أحمد صبحي منصور: الغيب والأديان، الحوار المتمدن 2007/3/21.

130 - الذين يفسرون القرآن بالفهلوة

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=150761

من الأشياء المفيدة والمستحبة أن نفسر القرآن تفسيراً عصرياً يتماشى والزمن الذي نعيش فيه، لأن تفاسير السلف مليئة بحشو يشبه إلى حد كبير قصص الأطفال، أو قصص ألف ليلة وليلة، خاصةً عندما نقرأ تفسير سورة يوسف الذي يعج بالمحاورات بين يوسف وإخوته كأنما المفسر كان قد استرق السمع لما دار بينهم من حوار، أو عندما نقرأ التفاسير عن ذي القرنين و شروق الشمس على قوم يفرش الواحد منهم أذنه ويلتحف بالأخرى. **والشيوخ عامةً يعترضون على تحديث التفاسير لأن التفاسير التي بين أيدينا هي جزء من "ثوابت" هذه الأمة،** بناءً على الحديث الذي يقول: [**إن خير القرون قرني والذي يليه**]، وبالتالي كل ما وصل إلينا من تلك القرون مقدس لا يجوز المساس به. *وما دام المسلمون يؤمنون بأن القرآن هو كلام الله حرفياً، وبالتالي لا يمكن إلغاء العمل بالآيات التي تتناقض وعصرنا الحاضر*، فأقل ما نتوقعه أن يقوم رجال الدين الإسلامي بتفسير تلك الآيات المشكلة تفسيراً يخفف من وطأتها على الناس. ومع أنّ هناك مَن يحاول تقديم تفاسير جديدة للقرآن، نجد أن أغلب الذين يكتبون عن تفاسيرهم الجديدة للقرآن يحاولون إعطاء الكلمات القرآنية معاني لا تخطر على بال مَن يتحدث العربية، وقد تصبح الكلمات بعد شرحهم، تعني عكس ما تعارف عليه الناس، وقد يحاول بعضهم جعل القرآن منافساً للموسوعة العلمية البريطانية Encyclopaedia Britannica في محتواه. **وغرضهم من الشرح الجديد ليس طرح رؤى جديدة وإنما إثبات إعجاز القرآن**. واللغة ما هي إلا أداة لنقل أفكار الناس في ما بينهم، ولكي تتم مهمة فهم الناس بعضهم بعضاً، لا بد أن تكون معاني الكلمات محددة وثابتة وإلا اختلط الفهم على الناس وأصبحت اللغة أداةً لسوء التفاهم. ومن هذا المنطلق نادى جماعة "الظاهرية" بتفسير القرآن بظاهر معانيه، أي بظاهر ما تدل عليه الكلمات. وقال الغزالي:

> "فإن الألفاظ إذا صُرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم"[1].

ومن الناس من يحاول تفسير القرآن **لتمويه ما به من عيوب** عن طريق مخادعة الناس فيأتي بمقولات كأنها حقائق علمية لا تقبل الجدل ولا تحتاج شرحاً أو توضيحاً من جانبه، أو يبالغ في تخريج الكلمات واشتقاقاتها حتى ينسى القاريء ما هو بصدده.

- فمثلاً، كتب السيد عبد الله اسكندر المالكي مقالاً ونشره في عدة مواقع على شبكة الإنترنت بعنوان ‹أخطاء في تفسير القرآن› قال فيه:

> "من الأخطاء التي وردت في كتب التفسير والتي تناقلها أجيال من المفسرين دون بحث وتمحيص بسبب ولائهم المذهبي الأعمى ذلك الخطأ الذي لن (لم) يجدوا له علاجاً إلى اليوم ألا وهو الشجرة التي لعنها القرآن الكريم" انتهى.

وهو يقصد الشجرة التي ذكرها القرآن في الآية:

{وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً. (الإسراء 60)}.

ويتضح من الآية أن هناك شجرةً لعنها الله في القرآن، رغم أن القرآن لا يخبرنا ما هي تلك الشجرة. فسرح المفسرون وشطحوا في تخمين ماهية تلك الشجرة، وقال بعضهم إنها شجرة الزقوم، بينما ذهب الشيعة إلى أنها رمز إلى بني أمية. *وكي يُظهر السيد المالكي مقدرته اللغوية وفي نفس الوقت يحشو ذهن القاريء بما لا يفيد من الكلام حتى يشغله عن موضوع البحث*، يقول:

> "ولو حكمنا لغة القرآن الكريم لوجدنا الحل الأمثل لنوعية تلك الشجرة وما المقصود منها ولو عدنا كذلك إلى المعاجم العربية وبحثنا في أصل وجذر كلمة (شجرة) لوجدنا أن أصلها من الشجار الذي يعني التشابك والتداخل الذي يحدث بين الأشياء المتماثلة أو المتشابهة التي يربطها أصل واحد ولذلك فإن تسمية الشجرة أخذت من هذا الأصل" انتهى.

وبالطبع كل إنسان عربي يعرف معنى كلمة "شجرة" ولا يحتاج إلى تعريفها من المعاجم العربية. القاريء لا يريد أن يعرف اشتقاقات الكلمة وإنما يريد أن يعرف ماهي الشجرة الملعونة.

وهنا يتبرع الشارح بإتحافنا بفقرة جادت بها قريحته، ولكنه قدمها لنا **كحقيقة علمية**، فقال:

> "ولو عدنا إلى الشجرة الملعونة في القرآن نجد الآراء التي ذهبت يميناً وشمالاً لن تفلح في تحديد مدلول تلك الشجرة لأن هذه الشجرة وصفت بأنها ملعونة واللعن لا يمكن أن يوصف به النبات أو الجماد لأن هذا الوصف لا يطلق إلا على العاقل، لأن معناه هو الطرد والبعد من رحمة الله تعالى" انتهى.

وللحقيقة والتاريخ فإن ما قاله السيد المالكي لا تسنده معاجم اللغة العربية. فاللعنة تُطلق على العاقل وعلى الجماد كما يظهر لنا من أقوال الشعراء العرب ومن الأحاديث النبوية. يقول حسان بن ثابت، شاعر النبي المفضل:

لعن الله منزلاً ببطن كوثى ... ورماه بالفقر والإمعار[2]

وقال محمد بن عروة بن الزبير، وفي رواية أخرى، ثعلب:

لعن الله بطن لقفٍ مسيلا ... ومجاحاً فلا أحب مجاحا

لقيت ناقتي به وبلقفٍ ... بلداً مجدباً وأرضاً شحاحا

(لقف اسم وادي، ومجاح اسم فرس أو موضع)[3].

فحسان لعن منزلاً والآخر لعن الوادي، فاللعن يمكن أن يوصف به النبات والجماد، على غير ما قال به السيد المالكي.

وإذا تركنا الشعر ونظرنا إلى الحديث، نجد ابن عباس قد روى حديثاً عن محمد يقول:

> "أن رجلاً قد لعن الريح عند النبي، فقال له: [**لا تلعن الريح فإنها مأمورة وأنه من لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه**]"[4].

ونلاحظ هنا أن محمد قال [**من لعن شيئاً**] ولم يقل من لعن إنساناً. فيمكننا من الناحية اللغوية لعْن العاقل وغير العاقل كالجماد والأشجار والوديان والمنازل.

وفي حديث آخر عن الحسن، قال: [**لعن الله الدانق ومن دنق**]. والدانق هو سدس الدينار.[5]

---

[1] إحياء علوم الدين، ربع العبادات، الكتاب الأول، ص 24.
[2] لسان العرب لابن منظور، ج2، حرف التاء المثلثة، فصل الكاف.
[3] لسان العرب، ج2، حرف الجيم، فصل الميم، تاريخ دمشق لابن عاسكر، ج54.
[4] تحفة الأحوذي للمباركفوري، باب ما جاء في اللعنة، حديث 1984.
[5] لسان العرب، حرف القاف، فصل الدال المهملة.

وبعد لفٍ ودورانٍ استخلص السيد المالكي أن **الشجرة الملعونة هي الفساد وأكل أموال الناس بالباطل**، فقال:

"فالفساد جزء من أغصان تلك الشجرة وكذلك أكل أموال الناس بالباطل والرشوة والزنا والسرقة والإغتصاب والربا والتصوف والإرهاب والرهبانية المبتدعة التي ما أنزل الله بها من سلطان، والخلق السيء وعقوق الوالدين والخداع والمكر والرياء وحب الظهور والغرور، كل هذا وأكثر أوراق وأغصان تابعة لتلك الشجرة التي لعنها الله تعالى في القرآن الكريم. فإن قيل: على تفسيرك تبقى آراء بعض المفسرين كما هي لأن أشرار بني أمية واليهود لا بد أن يدخلوا في هذه الشجرة؟ أقول هذا صحيح لكني إستخرجت الحقيقة من القرآن نفسه دون التبعية الببغائية المتمثلة بالمذاهب الباطلة." انتهى .

وهذا يعني أنّ تفسيره الجديد لا يختلف عن تفسير القدماء الذين قالوا إن **الشجرة الملعونة هم بنو أمية**، _غير أن السيد المالكي يدعي أنه استخرج تفسيره من القرآن وليس من كتب التفسير القديمة_. وهل يهمنا من أين استخرج تفسيره مادام لا يختلف عن تفاسير القدماء؟

ما يهمنا هنا أن الباحث أضاع وقت القاريء وفسر الماء بعد الجهدِ بالماءِ.

والغريب أن السيد المالكي أدخل الرهبانية مع الفساد والإرهاب والزنا في فروع الشجرة الملعونة، وقال:

"والرهبانية المبتدعة التي ما أنزل الله بها من سلطان".

والمسيحيون ابتدعوا الرهبنة ابتغاء مرضاة الله كما يقول القرآن:

{ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء مرضاة الله. (الحديد 27)**}.**

فكيف تكون الرهبانية التي ابتدعوها لمرضاة الله متساوية مع الإرهاب والربا والسرقة والزنا؟ هل يزني المسلم ابتغاء مرضاة الله؟ ثم أن السيد المالكي كان قد أخبرنا أن اللعنة لا تُطلق إلا على العاقل، وبهذا يكون استنتاجه كله خطأً لأن الفساد والخلق السيء وعقوق الوالدين، التي زعم أنها فروع تلك الشجرة الملعونة، ليست من العقلاء، وعليه لا يمكن أن تنطبق عليها اللعنة التي ذكرتها الآية. وفي النهاية نجد أن الذين قالوا إن الشجرة الملعونة هم بنو أمية كانوا أحسن استنتاجاً من السيد المالكي.

- وفي مقال آخر بعنوان ‹فما بكت عليهم السماء والأرض› يحاول الكاتب نفسه شرح الآية:

{أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب. (الرعد 41)**}.**

يقول الكاتب:

"وقد ذهب جمع من المفسرين إلى أن أحد وجوه تفسير هذه الآية هو موت العلماء أو أصحاب الشأن، ويؤكد ذلك قوله تعالى: {بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون. (الأنبياء 44)}. وهذا السياق أظهر للمعنى وهو نظير قوله: {إنك ميت وإنهم ميتون. (الزمر 30)}." انتهى.

وبالطبع ليس هناك أي علاقة بين الآية {**نأتي الأرض ننقصها من أطرافها**} وبين موت العلماء إذ أن الآية مكية، أي أنها جاءت في مكة قبل انتشار الإسلام وقبل أن يكون هناك **"علماء"** في الإسلام. وبعض المفسرين القدماء قالوا في شرح هذه الآية:

"يقصد بنقصها من الأطراف الظهور عليها من جانب النبي محمد، أرضاً بعد أرض، وفتحها بلداً بعد بلد مما حول مكة، قال معناه الحسن وغيره، وقيل بالقتل والسبي، والمعنى واحد" [6]

فالقدماء قالوا ينقصها بقتل وسبي الكفار، والسيد المالكي قال ينقصها بموت العلماء، هل هناك من فرق؟ ومهما حاول المفسر الجديد اللف والدوران واللعب على الكلمات، فلن يقنعنا أن نقصان الأرض من أطرافها يعني موت العلماء. والتفسير الحقيقي لهذه الآية هو اعتقاد محمد وقتها أن الأرض مسطحة ومستديرة كرغيف الخبز وأن الله ينقصها من أطرافها تدريجياً إلى أن يصل مركزها يوم القيامة.

وهناك آية تقول:

{فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين. (الدخان 29)**}.**

يقول السيد المالكي إن هناك ثلاثة مباحث في هذه الآية:

- المبحث الأول:

"ذكر جمع من المفسرين أن النبي (ص) قال: ما من عبد إلا وله في السماء بابان، باب يخرج منه رزقه، وباب يدخل فيه عمله، فإذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه الآية ثم قال: وذلك لأنهم لم يكونوا يعملون على الأرض عملاً صالحاً، فتبكي عليهم ولم يصعد إلى السماء كلام طيب ولا عمل صالح فتبكي عليهم." إنتهى.

وهذا التفسير، مع سذاجته، يبين لنا مفهوم الناس وقتها عن السماء. فهي كانت تمثل لهم بناءً صلباً له أبواب، كما للحائط أبواب. وطبعاً السذاجة تأتي من أنه إذا كان لكل شخص بابان في السماء فإن السماء سوف تصبح كالغربال بعد فترة من الزمن لأن أعداد الناس في تزايد مضطرد، وقد بلغ الأحياء الآن ما يقارب سبعة مليارات من البشر، عدا الذين ماتوا منذ البدء.

وفي مفاجأة غريبة يحاول الكاتب إقناعنا أن المفرد أكبر من الجمع، ويسأل لماذا استعمل الله مفردة "السماء" في الآية {**سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله**} ولم يقل "السموات" كما هي عادة القرآن؟ والجواب قد يُدهش الجميع لأن الشارح الجديد يحاول أن يثبت لنا أن السماء أكبر من السموات.

- ودعونا نقرأ للسيد المالكي:

"ولأجل تقريب المعنى إلى الأذهان نحتاج إلى الإطناب في الدليل، يقول تعالى: {**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين. (آل عمران 133)**}. فهذه الجنة التي أشارت لها الآية الكريمة وصفت بأن عرضها السموات والأرض مهما إختلفت الآراء التي قيلت في العرض ومهما كان نوعه في حين أن قوله تعالى: {**سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. (الحديد 21)**} والمتأمل في الآيتين يظهر له أن الجنة المعدة للمتقين لابد أن تكون أصغر حجماً من الجنة الثانية المعدة للذين آمنوا بالله ورسله لأن أعدادهم أكثر من المتقين والأولى وصفت بأن عرضها السموات والأرض والكبيرة وصفت بأن عرضها السماء والأرض" انتهى.

فلأن عدد المؤمنين أكثر من عدد المتقين، ولأن المتقين جنتهم عرضها السموات والأرض، ولأن المؤمنين الذين هم أكثر، جنتهم عرضها السماء والأرض، فلا بد أن السماء أكبر من السموات. **منطق غريب**. أليس من الممكن أن يكون الله قد أعد للمتقين قصوراً ضخمة ذات عدة طوابق تحيط بها حدائق غناء وبها خيام من زبرجد وأحجار كريمة أخرى، وبالتالي تكون جنتهم التي عرضها السموات والأرض، مع قلة عددهم، أكبر من جنة المؤمنين الكثيرين الذين أعطاهم الله فيللاً صغيرة بدون حدائق، وبالتالي تكون جنتهم التي عرضها السماء الواحدة أصغر من جنة المتقين؟ ففي حديث عبد الله بن قيس عن أبيه: [**إنّ للعبد المؤمن في الجنة لخيمةً من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلاً**][7]. فلا بد أن جنة المتقين كلها خيام بهذا الحجم ولذلك عرضها كعرض السموات والأرض.

[6] القرطبي.
[7] أخرجه البخاري، حديث 3243.

- ويستمر الباحث فيقول:

"والدليل الآخر على أن الذين في آل عمران أفضل من الذين أشارت لهم آية الحديد هو مجيء الواو الذي لم يأتي (يأت) في الحديد وهذا الواو نجده دائماً في القرآن يرافق المتقين كما في قوله: {**وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها... الآية. (الزمر 73)**}. فقوله "وفتحت" جاء مع المتقين فقط أما الذين كفروا فقال "فتحت أبوابها" دون الواو لأن في الواو خدمة عظيمة للمتقين وقد حرم منها الصنف الآخر فتأمل." انتهى.

لا شك أن الباحث قد وصل **حالةً من الضياع** † في الكلمات حاول معها التشبث بحرف الواو. وزعمه أن الواو في القرآن دائماً يرافق المتقين قول لا يخلو من المبالغة وعدم الأمانة. فإذا رجعنا إلى سورة النبأ نجد:

{**يوم يُنفخ في الصور فتأتون أفواجاً وفُتحت السماء فكانت أبواباً.** (الآيات 18، 19)}.

فنجد الواو هنا في كلمة "وفتحت" السماء ولا أثر للمتقين، بل تشير الآية لكل الخلق ومن جميع المعتقدات، بما فيهم الكفار. فإذاً الواو ليست مقصورة على المتقين كما قال السيد المالكي. وفي حقيقة الأمر فإن حرف الواو في الآية المذكورة زائد ولا معنى له بل أفسد جواب الشرط، وكان يجب أن يقول (حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها) لأن جواب الشرط لا يستلزم العطف بالواو. **وإدخال الواو هنا من المآخذ التي أُخذت على هذه الآية**. وهناك اثنان وعشرون آية في القرآن بها كلمة "المتقين" وليس هناك حرف واو في غير واحدة منها فقط.

> ***ولنا أن نسأل: لماذا لا يلجأ المعاصرون إلى تفسير القرآن بما يتطلبه العصر دون ليّ عنق الكلمات وتحميلها أكثر مما تحمل؟ لماذا الإصرار على إثبات الإعجاز سواء العلمي، أو العددي، أو اللفظي في كتاب الغرض منه التعريف بالله والحث على عبادته؟***

الشخص المطمئن إلى بضاعته لا يحاول المبالغة في وصفها، فالبضاعة الجيدة تبيع نفسها. والذين يبالغون في تكحيلهم للقرآن لتحسين صورته قد يعموه، وتنطبق عليهم المقولة "**جا يكحلها عماها**". هؤلاء المفسرون يفسدون اللغة العربية في محاولاتهم المستميتة **لتجميل صورة القرآن**. وكل إنسان يمكنه تأويل أي كلام يُقال له. فمثلاً لو قُلتُ لصبي: تسلق تلك الشجرة الجميلة. وتسلقها الصبي ووقع منها ودق عنقه، يمكنني أن أقول إني عندما قلت له تسلق الشجرة قصدت تأمل جمال تلك الشجرة، وكلمة "تسلق" هنا تعني "تأمل". فأي كلمة عندما نأولها من معناها المتعارف عليه تصبح بلا معنى.

عودة إلى الفهرس

المنقح.
† مع احترامي الشديد لسداد رأي الدكتور كامل فإنني أعتقد أن ما وصل إليه هذا المفسر ليس حالة من الضياع بل حالة هذيان Delirium صرفة.

2008 / 10 / 27

131 - هذا ما فعله بنا الإسلام

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=151483

المسلمون عامةً، وشيوخ الإسلام، خاصةً، **يعرفون أن العالم الإسلامي يبز جميع الأمم في تخلفه**، ولكنهم ينكرون أسباب هذا التخلف ويزعمون أن **الاستعمار** هو الذي أدى بهم إليه. وإذا نظرنا حولنا نرى أن الهند والولايات المتحدة الأمريكية، وكندا وأستراليا، جميعها كانت مستعمرات للتاج الملكي البريطاني، وهاهي تفوقنا بمراحل في ركب التقدم. **والسبب الحقيقي لتخلفنا، بلا شك، هو الإسلام**. وقد أحسن رجل الدين الوهابي الشيخ عائض القرني عندما وصف الفرق بيننا وبين الأوروبيين، في مقال بعنوان ‹العرب قساةٌ جفاة›، قال فيه:

> «أكتب هذه المقالة من باريس في رحلة علاج الركبتين وأخشى أن أتهم بميلي إلى الغرب وأنا أكتبُ عنهم شهادة حق وإنصاف، ووالله إن غبار حذاء محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) أحبُ إليّ من أميركا وأوروبا مجتمِعَتين. ولكن الاعتراف بحسنات الآخرين منهج قرآني، يقول تعالى: «ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة»، وقد أقمت في باريس أراجع الأطباء وأدخل المكتبات وأشاهد الناس وأنظر إلى تعاملهم فأجد رقة الحضارة، وتهذيب الطباع، ولطف المشاعر، وحفاوة اللقاء، حسن التأدب مع الآخر، أصوات هادئة، حياة منظمة، التزام بالمواعيد، ترتيب في شؤون الحياة، أما نحن العرب فقد سبقني ابن خلدون لوصفنا بالتوحش والغلظة، وأنا أفخر بأني عربي؛ لأن القرآن عربي والنبي عربي، ولولا أن الوحي هذّب أتباعه لبقينا في مراتع هبل واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى. ولكننا لم نزل نحن العرب من الجفاء والقسوة بقدر ابتعادنا عن الشرع المطهر، نحن مجتمع غلظة وفظاظة إلا من رحم الله، فبعض المشايخ وطلبة العلم وأنا منهم جفاة في الخُلُق، وتصحّر في النفوس، حتى إن بعض العلماء إذا سألته أكفهرَّ وعبس وبسر.» [1]

وقد عبس محمد قبلهم وتولى ومنع الضحك والموسيقى والرقص. وأصبح العبوس والجفاء هو حال المسلمين على مدى ألف وأربعمائة سنة من نزول القرآن الذي قال:

> {**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**. (الإسراء 9)}.

وقال كذلك:

> {**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم**. (الفتح 29)}.

فأين "**التي هي أقوم**" وأين "**الرحمة**" في العالم العربي؟ من المعروف والمؤكد أن وجود المرأة بين الرجال يهذّب من سلوكهم، وأن الموسيقى تؤدي إلى السمو بالروح والسلوك. الاختلاط ممنوع في أغلب البلاد العربية والموسيقى رجسٌ من عمل الشيطان في السعودية والكويت، فكيف نتوقع أن يتغير سلوك العرب من التوحش والتصحر إلى سلوك حضاري ينبذ القسوة والعبوس؟
وأعجبني قول الشيخ القرني إن أهل الغرب عندهم "التزام بالمواعيد وترتيب في شؤون الحياة". وكان يمكننا أن نكون مثلهم لولا أن القرآن قال:

> {**لا تَقولنّ لشيءٍ إنّي فَاعلٌ ذلك غداً. إلاّ أنْ يَشاءَ الله**. (الكهف 23، 24)}.

وهذا هو السبب الأول في تخلفنا. كل شيء متروك لله. لا إرادة للفرد ولا مشيئة له. تسأل موظف الجوازات إذا كان جوازك سوف يكون جاهزاً بعد يومين، فيقول لك "إن شاء الله". لا تستطيع أن تخطط أو تلتزم بمواعيد مع أي شخص آخر لأن كل شيء مرتبط بمشيئة الله، وأنت لا تعلم هل سوف يشاء الله لموظف الجوازات أن يختم جوازك أم لا. الحكومات والأفراد في الغرب يخططون لكل شيء باليوم والساعة ولا يقولون إن شاء الله، ودائماً يفعلون ما يخططون له من عطلات أو زواج أو غيره، حتى وإن كان بعد سنتين من اليوم الذي يحددون فيه. لي صديق طبيب قرر أنه سوف يتزوج صديقته في يوم الجمعة 2010/10/22. ومنذ الآن حجزوا الصالة بالفندق والكنيسة التي سوف يتزوجون بها. ولا نسأل لماذا دائماً يشاء الله لهم ما يشاؤون، ونظل نحن معلقين في انتظار مشيئته، وفي انتظار إكمال موظف الجوازات شرب الشاي وأداء الصلاة وربما بعض النوافل، ثم السولفة والتسبيح، قبل أن يرتب أوراق مكتبه وربما ينجز معاملة أو اثنتين قبل دخول وقت الصلاة الأخرى.
ورجال الدين يغرسون هذه **الاتكالية على الله** في الأطفال منذ الصغر بأحاديث تسيء إلى العقل، كالحديث المتفق عليه في صحيح البخاري وصحيح مسلم عن أبي هريرة أنه قال:

> **[قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال سليمان لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل، وأيم الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون]** [2].

فلأن سليمان، الذي يبدو أن الله قد أعطاه **قوة تسعين** في الجماع بينما أعطى محمد **قوة أربعين فقط**، قد طاف على تسعين امرأة في ليلته تلك يبتغي ولداً يجاهدون في سبيل الله فأتت واحدة فقط من نسائه بنصف رجل لأن سليمان لم يقل **"إن شاء الله"**. فالله يعاقب نفسه بحرمان سليمان من الأولاد الذين يجاهدون في سبيل الله لأن سليمان لم يقل إن شاء الله.

فهل يستطيع أي مسلم بعد هذا التخويف ألا يقول "إن شاء الله" حتى لو سألته عن الوقت؟
"القناعةُ كنزٌ لا يفنى"، مقولة تعلمناها صغاراً ورأيناها معلقةً على أبواب الدكاكين وعلى جنبات الحافلات، ويتغنى بها الخطباء في المساجد، مع العلم أن أغلب هؤلاء الخطباء لا يعرفون ما هي القناعة، ويرددون علينا، إذا خامرنا أي شك،

> {**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يُحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم**. (التوبة 34، 35)}.

وهم يكنزون ملايين الدولارات في البنوك الأمريكية والسويسرية. ربما لأنها دولارات ورقية وسوف تحترق إذا ما أرادت ملائكة النار أن تكوي بها جباههم. **مثل هذه الآيات والمقولات لا تحفز المسلم لكي يكد وينتج أكثر من حاجته**. فما الفائدة من العمل الشاق وزيادة الإنتاج ما دامت القناعة كنز لا يفنى؟ ولا يخطر ببال المسلم أن يسأل لماذا قال القرآن إن الذين يكنزون الذهب والفضة سوف يكوي الله بها جباههم، والله نفسه يقول لهم:

> {**زُين للناس حُبُ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة**. (آل عمران 14)}.

من الذي زين لهم كنز القناطير المقنطرة، أليس هو الله نفسه؟ لماذا حبّب الله كنز القناطير المقنطرة من الذهب والفضة للناس ثم أمرهم ألا يكنزوها. *<u>ألم يتعلم الله أنه عندما وضع الشجرة المحرمة أمام آدم وقال له لا تأكل منها، أكل منها؟</u>* أما كان الأفضل ألا يحبب لهم

---

[1] الشرق الأوسط، 14 فبراير 2008.
[2] الجامع لاحكام القرآن، ج15، سورة ص، 34 - 40.

جمع القناطير حتى لا يفقد الشيوخ الملايين عندما تحظر الحكومة الأمريكية على أموالهم في البنوك، كما فعلت مع القرضاوي والزنداني؟

الإسلام تطرّق إلى كل شيء في حياة المسلم الخاصة منها والعامة، وقنن له متى يصوم ومتى يفطر ومتى يصلي ومتى يدفن الموتى ومتى يحارب ومتى يسالم، ومتى يجامع زوجته وفي أي وضع، وأمره ببناء المساجد، وقال لنا الشيوخ:

"حدثنا شبابةُ، قَال: حدّثَنَا شعبَة عن جابِر عن عمّار عن سعيدِ بنِ جُبير عن ابنِ عَبّاس عن النّبِي صلّى الهه عليه وسلّم، قال: مَن بَنى مسجِداً مفحَصَ قَطاةٍ بَنَى اللَّهُ لَهُ بيتاً فِي الجنّةِ".

فالذي يبني مسجداً بحجم مفحص القطاة، يبني الله له قصراً في الجنة. *يالها من تجارة رابحة* ! ولهذا يتسابق المسلمون لبناء المساجد حتى يضمنوا قصورهم في الجنة. وما دام الأمر كذلك، فلماذا لا يستعمل الرؤساء العرب المال العام ليبنوا أفخم المساجد في بلادهم، فيبني الله لهم أفخم القصور في الجنة؟ خاصةً أن الإسلام لا يُفرّق بين المال العام والمال الخاص. فالمال العام هو مال أمير المؤمنين وممثل الله على الأرض، كما كان يقول هارون الرشيد عندما خاطب السحابة وقال لها: "أينما تمطرين فهو ريعي"، وكما يفعل الآن آل سعود وحكام السودان من الإخوان المسلمين .وبالمال العام بنى الرئيس عليّ عبد الله صالح مسجداً فخماً في صنعاء تكلف ملايين الدولارات، وتفوق عليه الرئيس عبد العزيز بوتفليقة، وخطط لبناء مسجد أكبر من مسجد صنعاء في الجزائر، ويقال إن تكلفة بنائه تفوق أربعة مليارات دولار أمريكي. وحتى لا يشعر مسلمو لبنان بالغبن، فقد خطط المرحوم الحريري لبناء مسجد تحتل أرضه عشرة آلاف متر مربع ويتسع لسبعة آلاف مصلي. ورغم أن المنية عاجلت وأخمدت روح المرحوم رئيس الوزراء رفيق الحريري، فإن بناء المسجد استمر على قدم وساق وتم افتتاحه يوم 2008/10/17 في حفل بهيج ضم عدة مشايخ ورؤساء ونواب. وكان من بينهم مفتي جمهورية مصر الشيخ علي جمعة، ومفتي جمهورية لبنان الشيخ محمد رشيد قباني، ومفتي عام القدس الشيخ محمد حسين، ووزراء الأوقاف من السعودية وقطر وعُمان والكويت والإمارات العربية المتحدة وفلسطين وجيبوتي، وكذلك رئيس الجامع الأزهر الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي [3]. كأنما قد تم افتتاح هذا المسجد في بلد غزاها المسلمون لتوهم وافتتحوها وبنوا بها أول مسجد في تاريخها .وبعد أن مدح شيخ الأزهر المرحومَ رفيق الحريري وقال إن الله كان قد حبب إليه حب المساجد (**ويعلم ما لا تعلمون**)، قال:

"الإسلام دين يمد يد السلام، الى كل من يمد اليه يد السلام، والأمم التي يكثر فيها عدد العقلاء هي التي تفهم هذه الحقائق، وان الاختلاف في العقائد لا يمنع من التعاون ومحاربة الارهاب والعنصرية"[4].

ويظهر من هذا الحديث أن الدول الإسلامية هي الدول الوحيدة التي بها أكبر عدد من العقلاء لأن أهل الدول الأخرى لا يعترفون أن الإسلام هو دين السلام وهم يرون القنابل تنفجر في مدنهم وقطاراتهم وحافلاتهم كل يوم.

وليس هناك من خلاف في أن التأمين على الحياة الآخرة مهم جداً ولذلك يبني المسلمون المساجد حتى يبني الله لهم القصور، وتلك مقايضة لا بأس بها، غير أن الإسلام الذي بدأ بآية "إقرأ" في بعض الروايات، وب "نون والقلم وما يسطرون" في روايات أخرى، لم يحث أبداً على تعليم الكتابة والقراءة أو بناء المدارس. لم نرَ أي حديث يقول **من بنى مدرسةً فسوف يبنى له الله كوخاً في الجنة، أو حتى يدخله الجنة بدون كوخ**. وعندما أسس محمد دولته بالمدينة لم يفتح مدرسةً ولم يهتم بالأطفال. واستمر الوضع كما هو في دولة الخلافة وفي دولة بني أمية حتى جاءت الدولة العباسية وبدأت بترجمة الكتب اليونانية ثم أسست المدارس، ولكن كلها كانت مدارس لتحفيظ القرآن والحديث، **وقد كان أساتذتها حجة الإسلام الغزالي وأمثاله الذين كفروا الفلاسفة وقتلوا الفلسفة**. وحتى الدولة العثمانية لم تهتم بإنشاء المدارس في البلاد الإسلامية التي احتلتها. وعندما جاء الاستعمار الغربي وفتح المدارس في البلاد العربية، تكتل رجال الدين على *محاربة المدارس التي تُعلّم الجغرافيا وتقول إن الأرض كروية بينما الإسلام يقول إنها مسطحة*. وحتى منتصف القرن العشرين حارب رجال الدين حكوماتهم التي حاولت فتح مدارس للبنات، *فأحاديث محمد كلها تقول لا تعلموهن القراءة والكتابة*. وكنتيجة حتمية لتجاهل الإسلام أي تعليم غير العلوم الدينية، كثرت الخلاوي والكتاتيب في البلاد العربية واستمرت الأمية كما هي. وحتى الآن يبلغ متوسط الأميين في البلاد العربية **أربعين بالمائة**.

ولم نسمع يوماً برجل أعمال غني بنى مدرسة عامة حديثة لأطفال بلده ليفاخر بأنها أكبر مدرسة عامة في البلاد العربية، كما يفاخرون بالمساجد.

أما المستشفيات العامة فحدّث ولا حرج. كم رجل أعمال بنى مستشفى عاماً للفقراء؟ وما الحاجة للمستشفيات ورجال الدين يملؤون الفضاء من فضائياتهم العديدة **بأفضال الطب النبوي والحبة السوداء وبول البعير والأدعية القرآنية التي تشفي من الأمراض**؟ أما الشيوخ أنفسهم فلا حاجة لهم بهذا العلاج فهم يشدون الرحال إلى باريس ولندن ووواشطن، كما فعل آية الله السيستاني والشيخ القرضاوي والشيخ القرني وغيرهم كثير.

ولأن القرآن يقول:

{كتابٌ أنزلناه إليك مباركٌ ليتدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب. (ص، 29)}،

يزعم الشيوخ أن القرآن يحترم العقل ويقدره ويدعو الناس لإعمال عقولهم في كل شيء إلا الذات الإلهية (تدبروا في مخلوقاته ولا تدبروا في ذاته). ولكن عندما نأتي لنستعمل عقولنا، يعاملنا شيوخ الإسلام كالأطفال ويفرضون علينا **الوصاية**، ويحددون لنا ما يمكن أن نقرأه وما يجب أن يُصادر من الكتب والمجلات من رفوف المكتبات ومعارض الكتاب التي تُقام سنوياً لعرض الكتب الدينية التي تُمثّل أكثر من ثمانين بالمئة من الكتب في أي معرض للكتاب في أي بلد عربي. ولأن شيوخ الإسلام يحترمون عقل المسلم، الذي هم أوصياء عليه، لا يسمحون له باستعمال ذلك العقل ليتدبر المذاهب الإسلامية العديدة ويختار منها ما يراه ملائماً له. والويل لذلك المسلم الذي يعتنق المذهب الشيعي بعد أن وُلِدَ سنياً، أو العكس. ولهذا السبب أرغى الشيخ القرضاوي أخيراً وأزبد لأنه اكتشف أن الشيعة يحاولون نشر مذهبهم في مصر والسودان والجزائر. *ولأن الإسلام يحترم العقل، قرر الشيخ القرضاوي أن المواطنين المصريين والسودانيين لا يستطيعون استعمال عقولهم لمقاومة التشيع ولذلك سوف يقاومه هو بالإنابة عنهم* .وقد سار الشيخ القرضاوي في خطى القائد العظيم صلاح الدين الذي كان قد قرر أن المذهب الشيعي لا يتناسب وعقول المصريين، فأجبرهم على التغيير إلى المذهب السني بعد أن منع رجال الدين الشيعة من دخول الجامع الأزهر الذي بناه الفاطميون سنة 361 هجرية، وانتهت دولتهم بموت الخليفة العاضد سنة 567 هجرية وتمت سنسنة مصر (تحويلها إلى المذهب السني) بعد مائتي سنة من التشيع، ببناء المدرسة الشافعية التي أسس لها السلطان صلاح الدين عام 566 هجرية. ولأن الإسلام يحترم عقل المسلم، فقد قرر شيوخ ورؤساء البلاد العربية محاكمة كل من يحاول التبشير بالمسيحية في الجزائر ومصر والسودان واليمن وأفغانستان، *لأن المسلم الذي يستمع إلى المبشر لا يستطيع أن يقرر أي الدينين أحسن له، الإسلام أم المسيحية*.

[3] إيلاف 2008/10/17.
[4]الشرق الأوسط 2008/10/19.

ولأن الإسلام يحترم العقل أجبر المعز بن باديس بن منصور، سلطان أفريقيا وبلاد المغرب، في القرن الخامس الهجري، أهل مملكته على التغيير من مذهب أبي حنيفة الذي كان سائداً عندهم، والاشتغال بمذهب مالك وترك كل ما عداه من المذاهب[5]. ولأن المغرب ما زال مالكياً، ولأن دستور البلاد يحترم عقل المسلم، قدمت الشرطة القضائية الداعية حسن الكتاني، الخطيب السابق في مسجد مكة بمدينة سلا المجاورة للرباط، إلى المحاكمة لأنه أثار قضايا خلافية تتعارض مع المذهب المالكي[6].

ليس من واجبات المسلم أن يقارن بين المذاهب، فالشيوخ يفعلون ذلك بالإنابة عنه.

الإسلام قد **اغتال** العقول العربية **ووأد** المرأة كذلك، فما هو الحل، وكيف الخلاص مما نحن فيه ومحاولة اللحاق بركب الحضارة والتقدم؟

- الخطوة الأولى، لا شك، هي التعليم واستعادة المناهج التعليمية من رجال الدين ووضعها في أيدي المعلمين وأخصائيي التربية، فعقول الأطفال قابلة للتوجيه نحو مستقبل أفضل، أما عقول الجيل الحالي فقد انتهى تاريخ صلاحيتها ولا يمكن تقويمها حتى لو سمح بذلك الشيوخ الذين هم الأوصياء عليها.
- والخطوة الثانية هي فصل الدين عن الدولة،
- والثالثة هي إرساء قواعد الديمقراطية.

ولكن هذه الحلول لا يتبرع بها حكامنا ولا شيوخ الإسلام، فيجب علينا أخذها بالقوة كما فعل الباريسيون في الثورة الفرنسية، وكما فعل أهل أوكرانيا في ثورتهم البرتقالية.

عودة إلى الفهرس

[5] النجوم الزاهرة من ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين بن يغري بردي، ج2، ص 165.
[6] الشرق الأوسط 2003/02/07.

132 - ادعاء الصلاحية لكل زمانٍ ومكانٍ

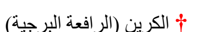
www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=152087

كل اختراع في تاريخ البشرية مرّ بمراحل متعددة من التطور ليواكب تقدم الإنسان المادي أو الاجتماعي أو الفكري أو كليها معاً، من اختراع العجلة إلى اختراع المايكروسكوب (المِجهَر). وعندما اخترع السومريون الكتابة في القرن التاسع والعشرين قبل الميلاد، كتبوا ديونهم وإنتاجهم الزراعي بالحفر على ألواح الطين التي كانوا يجففونها في الشمس. ومع تطور الفكر الإنساني تطورت الكتابة إلى النحت على الحجر ثم الكتابة على الجلود أو ورق البردي ثم على الورق الحالي. وحتى اللغة تطورت مع تطور الإنسان السومري وتفرعت إلى عدة لغات حسب المناطق الجغرافية وتجمعات القبائل، وظهرت اللغة الآرامية والسريانية والعبرية والعربية، وبالتدريج تطورت لغات وماتت أخرى لأنها لم تعد تجاري وتصلح للشعوب اللاحقة.
وبما أن الأديان من اختراع الإنسان، فهي لا تشذ عن القاعدة السابقة. فالأديان كذلك تطورت مع تطور الإنسان، وجاءت أديان وذهبت أخرى. وكل كتاب نال إعجاب معاصريه لروعته أصبح فيما بعد تاريخاً لا يصلح لمن لحقوا بهم. فمثلاً: كتاب "القانون" لابن سينا عن الطب كان المعيار الذهبي لأهل الطب في زمانه ولكنه أصبح اليوم مادة للمتاحف ليستفيد منه دارسو التاريخ وليس أطباء اليوم. وكذلك كتاب "المجسطي" في الجغرافية لبطليموس. *فسنة **التطور** تطال كل شيء وكل مجتمع وليس هناك دينٌ أو كتابٌ صالح لكل زمان ومكان. فالذي لا يجاري سنة التطور ينقرض.*
وبالنسبة للكتب الدينية "المقدسة" فقد قدسها الإنسان الذي عاصرها. وكل صاحب كتاب مقدس زعم أن إله السماء أو آلهة السماء أوحوا إليه كتابه. فمثلاً عندما جاء حمورابي، زعم أنه مرسلٌ من عند إله السماء وأنه يمثل ذلك الإله على الأرض. وبالتالي أصبحت القوانين التي سنها حمورابي مقدسة، وصلحت لزمانه وكانت طفرة كبيرة في تقدم حضارة الإنسان. ولكن عندما تبدل الزمان غير الزمان، اندثرت قوانين حمورابي لأنها لم تجد مَن يطورها ولم تعد صالحة لمن أتوا بعده. وفي اليابان، ومنذ القدم وحتى الحرب العالمية الثانية، كان إمبراطور اليابان إلهاً، وكل كلمة يقولها كانت مقدسة عند اليابانيين، ولكن بعد هزيمة اليابان في الحرب العالمية الثانية فرض الأمريكيون على الإمبراطور التخلي عن قداسته، ولم يعد إمبراطورهم إلهاً. فقد تغيّر الزمان غير الزمان مع أن المكان ظلّ كما هو.
وبالتأكيد ليس هناك إله في السماء، ولكن لو افترضنا أنه موجود وأنه أوحى لبعض الناس بما يريد، فليس هناك من شك أن كل مَن أوحي إليه صاغ ما أوحاه إليه الإله بكلماته هو، لأن آلهة السماء لا يتكلمون. فكل ما صاغه الإنسان بلغته أصبح فكراً ومجهوداً إنسانياً قابلاً للتطور أو الانقراض. والقرآن لا يختلف عن بقية الكتب "المقدسة"، فإذا كان الله قد أوحاه لمحمد، فإن الأخير قد صاغه بلغته وكلماته. والدليل على ذلك أن محمد الذي نشأ وتربي في أرض صحراوية جرداء تلهب أشعة الشمس ظهور أهلها، أكثرَ من استعمال كلمة "الظل" و "الغمام" و "الماء" في القرآن. وهذه هي الأشياء التي يفتقدها ويحن إليها إنسان الصحراء، بينما لا تثير مشاعر غيرهم في الأماكن غير الصحراوية. ولذلك نجد أن العرب قد أعطوا السحاب ما يقرب من ثلاثين اسماً: فهو المُزن، والنشء، والسحاب، والغمام، والعفر، والعارض، والعرّاض، والقزع، والكِرفي، والطخارير، الخ. وقد جاراهم القرآن في ذلك ووصف السحاب بعدة أوصاف **وجعل إنزال الماء من السحاب من أهم البراهين على وجود الله**. ولأن القرآن جاء لعرب الصحراء نجده خالياً من ذكر الجليد والثلج إلا في آية واحدة: {**ألم تر أنّ الله يُزجي سحاباً ثم يُولف بينه ثم يجعله رُكاماً فترى الودقَ يخرجُ من خِلاله ويُنزّل من السماء من جبالٍ فيها من بَرَدٍ فيصيب به من يشاء ويُصرفه عن من يشاء يكادُ سنا برقه يَذهب الأبصار.** (النور 43)}. ولأن البَرَدَ ينزل كالحجارة، اعتقد محمد أنه ينزل من جبال في السماء. فهل يُعقل أن يكون إله السماء قد قال هذا؟ ولا يغيب عن القاريء أن الجليد يغطي القارتين القطبيتين على مدار العام ويغطي كلاً من أوروبا وآسيا وأغلب أمريكا الشمالية في فصل الشتاء، كما يغطي الجبال العالية على مدار العام، حتى عند خط الاستواء، مثل جبال كلمنجارو والهملايا والإنديز، ومع ذلك لا يعيره القرآن أدنى الانتباه، ويركز على السحاب الذي يقوده ملك السحاب إلى الأماكن التي أراد الله إحياءها.
ولأن شمس الصحراء تجعل الظل شيئاً مستحباً يحتمي به الإنسان من حر الشمس، نجد القرآن يذكر الظل مراراً. فنجد:{**ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيرا.** (الفرقان 45، 46)}. ونلاحظ أن هذه الآية من صنع الإنسان لأنها تحتوي على أخطاء ومغالطات عدة، منها: مد الظل. فإن الظل يبدأ طويلاً ثم يتقلص. فهو أطول شيء عند الشروق ثم يتقلص إلى الظهيرة ثم يمتد إلى الغروب في الاتجاه المعاكس. فكان يجب أن يقول: الذي يقلّص الظل، بدل يمده لأن تقليص الظل يأتي قبل مده. ولكن لأن رجل الصحراء يتوق إلى الظل، قال لهم "مد الظل". ولا يمكن أن يجعله ساكناً لأن ذلك يعني وقوف الأرض عن الدوران حول نفسها ونهاية وجودها مع وجود الظل، فلا يمكن أن يكون الظل ساكناً مهما كانت القوى التي تحاول ذلك. ولا يمكن لله أن يقول "ثم جعلنا الشمس عليه دليلا" لأن هذا القول هو عكس الحقيقة. فالظل هو دليل على وجود الشمس ولذلك يغيب الظل ليلاً عندما تغيب الشمس، ويغيب نهاراً في البلاد التي يغطيها السحاب أغلب أيام السنة، مع وجود الشمس. والعرب يقولون "البعرة تدل على البعير" أي وجود البعرة يدل على أن هناك بعيراً بعرها. ولا يدل البعير على أن هناك بعرة. ونعجز أن نفهم كيف يقبض الله الظل إليه قبضاً يسيرا. فهو إما أن يقبضه ويجعله ساكناً أو لا يقبضه.
ثم يقول لنا القرآن:{**والله جعل لكم من خلقه ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون.** (النحل 81)}.
والله طبعاً لم يخلق الظلال، وإنما خلق - افتراضاً- الشمس والأرض، وعندما يحجب بناءٌ أو حيوان أو شجرة، أشعة الشمس عن الأرض، يتكون الظل ليدل على أن أشعة الشمس لا تصل إلى ذلك الموضع. وبمعنى آخر فإن الظل ما هو إلا ظاهرة سلبية تدل على غياب أشعة الشمس كما يدل الظلام على غياب النور. فالله لم يخلق الظلال ولا يمكن أن يدّعي أنه خلق شيئاً وهو لم يخلقه.
ونلاحظ أن القرآن يقول إن الله خلق لنا سرابيل تقينا الحر وتجاهل أن يذكر أن السرابيل تحمينا من البرد، لأن إنسان الصحراء يعذبه الحر أكثر مما يعذبه البرد، ولذلك تجاهل القرآن البرد مع أن الإنسان البدائي عندما سلخ الحيوانات، استعمل جلودها لتقيه البرد وليس الحر. وما زال الناس في أدغال البلاد الحارة عند خط الاستواء يمشون عراة بسبب الحر الشديد. وما زال الناس في أوروبا والأمريكيتين يلبسون الملابس الثقيلة لتقيهم البرد في الشتاء ويكادون أن يتخلصوا منها على البلاجات في الصيف. فالمهمة الأولى للسرابيل هي الحماية من البرد. وليس هناك سرابيل تقي من الحر. ولكنه قرآن الصحراء التي يقتل الحر ساكنها.
ولأن الصحراء لا ينبت بها إلا الشجر ذو الأوراق الصغيرة ليقلل من تبخر الماء من الأوراق، مثل شجر السدر الذي لا يُلقي على الأرض ظلاً يقي الإنسان الحر، نجد القرآن يقول: {**انطلقوا إلى ظلٍ ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب.** (المرسلات 30، 31)}. وعلينا أن نتغاضى

هنا عن السجع الذي جعله يقول "لا يغني من اللهب" إذ ليس هناك أي ظلّ، مهما كان سميكاً، يغني من اللهب. ولكن نلاحظ هنا أنهم لجؤوا إلى ظل شجرة لا ورق لها ولذلك كان ظلها ناتجاً من الفروع، فكان ذا ثلاث شُعب. إنها الصحراء ووصفها وقرآنها.
وحتى في الجنة يكون الظل شيئاً محبباً لعرب الصحراء فقال لهم عنها: {**متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا.** (الإنسان 13)}. فإذا لم يروا الشمس فهذا يعني أنهم سوف يعيشون في الظلال إلى ما لا نهاية. وتوكيداً لهذا المعنى يقول لهم القرآن: {**ودانيةً عليهم ظلالها وذُللت قطوفها تذليلا.** (الإنسان 14)}. **فقمة المتعة لعرب الصحراء هي الظل**. ونلاحظ هنا تضارب القرآن الذي قال إن الله جعل الشمس دليلاً على الظل، لكنه يقول لنا عن الجنة: {**لا يرون فيها شمساً**} وبالتالي يجب ألا يكون فيها ظل لأن الشمس دليل على الظل.

فلو كان القرآن من عند الله وقد أنزله لجميع البشر، لما تجاهل أغلبية سكان الأرض وركّز على الصحراء فقط. فهذه الأوصاف قد تُقنع إنسان الصحراء، ولكن عندما تقرؤها على شخص في بلاد الإسكيمو أو في جزيرة آيسلاند التي تغيب عنها الشمس كل فصل الشتاء ويتوق أهلها للشمس، فلن يثيرهم الحديث عن الظل إطلاقاً. ولو قرأت آيات السحاب والمطر على شخص يعيش في آيرلندا، مثلاً، لتهكم عليك لأن المطر لا يكاد يغيب يوماً عن آيرلندا التي يتوق أهلها إلى عدم نزول المطر.

الإنسان البدائي لبس جلود الحيوانات لتقيه من البرد ثم اكتشف الكهوف فاحتمى بها من البرد والمطر، خاصةً بعد اكتشاف النار التي استعملها لتدفئة الكهوف، ثم بني بيوتاً من فروع الأشجار ومن أوراقها العريضة. ونجد هذا النمط من البيوت في غابات الأمازون في أمريكا الجنوبية وفي أفريقيا وأستراليا حيث تكثر الغابات. ولكن في الصحراء حيث يسكن العرب الرّحل، نجد خيامهم مصنوعة من الشعر والوبر، فجاء القرآن بوصف تلك البيوت فقط، فقال: {**الله جعل لكم بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين.** (النحل 80)}. ونحن نعرف أن الغالبية العظمى من الناس في وقت نزول القرآن كانوا يسكنون سكناً مستقراً ولم يكونوا يصنعون بيوتهم من جلود الأنعام ولا من أوبارها. حتى قوم ثمود الذين بادوا قبل نزول القرآن، قال عنهم: {**واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً.** (الأعراف 74)}. وجميع جيران العرب من فرس ورومان وفينيقيين كانوا يسكنون بيوتاً من الطين أو الحجارة أو من الخشب، وكان أغنياؤهم يسكنون القصور. فكيف يُنزل الله قرآناً لهؤلاء القوم ويتحدث لهم عن بيوت من جلود الأنعام يستخفونها يوم ظعنهم؟
ولما كان الجمل، سفينة الصحراء التي اعتمد عليها عرب الصحراء، نجد القرآن يقول لهم: {**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت.** (الغاشية 17)}. ولو كان القرآن فعلاً صالحاً لكل مكان، لما حصر الله أمثاله في الإبل لأن هناك بلاد عديدة لا تعرف ما هو الجمل ولم يرَ أهلها جملاً إلا في الصور، وبعضهم حتى الآن لم يرَ حتى الصور. لماذا لم يذكر اللاما التي يعتمد عليها أهل أمريكا اللاتينية، ولماذا لم يذكر الكانجرو الذي ربما يكون أصعب خلقاً من الجمل؟ وماذا عن الجاموس Buffalo الذي يعتمد عليه أغلب الهنود الحمر، والفيل الذي يعتمد عليه الهنود في الأحمال والأسفار؟ فكيف نقنع هؤلاء الناس بخلق البعير؟
ويستمر قرآن الصحراء في تعداد الأمثلة من البيئة الصحراوية، فيقول لنا: {**فسيرت الجبال فكانت سرابا.** (النبأ 20)}. ويقول كذلك: {**والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماء.** (النور 39)}. فهل نتوقع أن يفهم شخص من كينيا مثلاً هذه الأمثال وهو لم يرَ السراب أبداً، أو شخص من إنكلترا أو إيطاليا؟ السراب لا يوجد إلا في الصحراء. حتى شوارع الأسفلت لا يظهر عليها السراب إلا في المناطق الحارة.
ومن هذه الفقرات يتضح لنا أن القرآن ليس صالحاً لكل مكان. **مكانه الوحيد الصحراء**. فهل هو صالحٌ لكل زمان؟ بالطبع لا. ففي زمن ظهور القرآن، عندما كان الإنسان يجهل أسباب الظواهر الطبيعية، كان من السهل على محمد إقناع الناس بأن الله هو الذي يحدد جنس المولود عندما يزرعه في الرحم، ونحن الآن نستطيع أن نفعل ذلك. والله كان الوحيد الذي يعلم ما في الأرحام، ونحن نعلم ذلك الآن. والله كان هو الوحيد القادر على إنزال المطر، وقد نجحنا الآن في فعل ذلك. والله كان الوحيد الذي يعلم أين ينزل المطر ومتى ينزل، ومؤسسات الأرصاد الجوي تستطيع أن تخبرنا بذلك قبل أسبوع أو أكثر من نزوله. **فآيات القرآن لم تعد تقدم أي دليل على وجود الله.**
أما آيات القرآن التي تتحدث عن العقوبات، مثل: {**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله.** (المائدة 38)} فلم تعد مقبولة في القرن الحادي والعشرين. قطع أيدي الناس الجياع لا يمنعهم من السرقة. وكذلك رجم الزانية، *الذي زعم الخليفة عمر بن الخطاب أنه كان في القرآن وسقط مع ما سقط منه*، لم يعد مقبولاً في هذا الزمن حتى أن جمهورية إيران الإسلامية قد أوقفت العمل به واستعاضت عنه بتعليق النساء من الكرين† crane. وهل يستطيع أي شيخ إسلامي أن يقول إن الرق ما زال مباحاً، وقد وقّعت جميع الأقطار الإسلامية على قانون إلغاء الرق؟ وماذا عن تعدد الزوجات الذي يجعل من المرأة **سلعة** نقتنيها كما نقتني أحدث موديلات السيارات؟ عدة أقطار إسلامية قد منعت تعدد الزوجات مما يثبت أنه لم يعد صالحاً للمجتمعات الحديثة.


† الكرين (الرافعة البرجية)


الرافعة البرجية

أعتقد أن الادعاء أن القرآن صالح لكل زمان ومكان إدعاء أجوف لا تسنده الحقائق. فالقرآن قد أدى مهمته في ذلك المجتمع الصحراوي وفي الزمان الذي ظهر فيه، وإذا لم يطوروا تفاسير القرآن لتضع آيات القتال والرجم وما شابهها في خانة التاريخ وإيقاف العمل بها فإن مصير قرآنهم الانقراض.

عودة إلى الفهرس

2008 / 11 / 10

133 – القرآن دستورهم

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=152900

الدساتير في البلاد العربية، مثل رمالها، لا تثبت لأكثر من عقد من الزمان. **فالرمال تغيرها الرياح والدساتير يغيرها الرئيس لتتناسب ومتطلباته أو متطلبات عائلته**. وهناك بلاد عربية دساتيرها لا تحدد الفترة الرئاسية التي لا يجوز للرئيس بعدها ترشيح نفسه، كما يحدث في الديمقراطيات الغربية. وحتى إن ملّ الرئيس من الرئاسة، تطالب الجماهير بترشيحه مرة أخرى، كما حدث في اليمن، عندما أشاع الرئيس علي عبد الله صالح أنه لا ينوي الترشح لفترة رئاسية أخرى، فنظّم الحزب الحاكم مظاهرات ضخمة طالبت بترشيح الرئيس لفترة خامسة وربما سادسة. وقريباً سوف نرى مظاهرات تطالب بتوريث ابنه الحكم. وبعض البلاد تفصّل الدستور على مقاس الرئيس، فمثلاً في سوريا كان الدستور القديم يحدد ألا يقل عمر الرئيس عن أربعين عاماً، وعندما أرادوا اختيار بشار الأسد ليرث الحكم من والده، عدلوا الدستور ليسمح له بالترشح وهو لم يكن قد بلغ الأربعين وقتها. وفي الجزائر تجري الآن التحضيرات لتغيير الدستور حتى يستطيع الرئيس عبد العزيز بوتفليقة الترشح لفترة رئاسية ثالثة وربما رابعة، وهناك الدساتير التي تسمح للرئيس أن يكون رئيساً مدى الحياة مع إجراء انتخابات صورية من وقت لآخر، مثل مصر وتونس. ولا ننسى البلاد التي يصبح دستورها كتاباً يؤلفه رئيسها مثل ليبيا وكتابها الأخضر، وفي بعض بلادنا يركب ضابط من الجيش دبابته ويعلن نفسه رئيساً ويلغي الدستور الذي لا فائدة منه أصلاً. وهناك طبعاً البلاد العربية التي لا تعرف الدساتير إطلاقاً مثل دول الخليج. وما دام الأمر كذلك فلماذا لا نترك الإسلاميين يخدعونا بدستورهم الإسلامي؟ السبب طبعاً هو أن الإسلاميين يزعمون أن المسلم لا يكذب، ويقولون لنا: من غشنا ليس منا. فهل قرآنهم دستور، كما يزعمون أم هو غش؟

مع بداية ما يُسمى *بالصحوة الدينية* في الثمانينات من القرن المنصرم كنتيجة حتمية لتدفق البترودولارات الوهابية في المنطقة، تبنى الإسلاميون شعار **"دستورنا القرآن"** ليخدعوا به العامة من الناس. *وهم يزعمون أن القرآن هو الدستور العام، والسنة النبوية هي القوانين التي تشرح وتكمّل الدستور*. ولكن القاريء للقرآن يعلم أن القرآن لا يحتوي على أي شيء يمكن أن نسميه دستوراً، ولذلك اعتمد الفقهاء على **مرتزقة الإسلام (أهل الحديث)** ليفصلوا لهم أحاديث يمكنهم أن يسموها دستوراً. والمشكلة الرئيسية في هذا الدستور أنه **جامد** لا يتغير ليجاري العصر لأن أهل الحديث كلهم قد ماتوا، ولا يُضاف إليه لأن كل إضافة بدعة وكل بدعة في النار. وعليه يصبح دستورهم ممثلاً للجانب الآخر من عملة الدساتير العربية.

فيبدو أننا لا نعرف الوسطية، فإما دساتير نغيرها بدون ضوابط، ونلغيها متى ما شاء الضباط الأحرار، وإما دستور جامد كالصخر لا تعديل فيه.

وسوف أناقش هنا مادة واحدة من هذا الدستور المزعوم، وهي التي تخص **السرقة**.

السرقة طبعاً ممارسة غير أخلاقية يقوم بموجبها السارق بالاستيلاء على مجهود الآخرين الذين كدحوا وكدوا لجمع المال أو لاقتناء شيء ثمين، فيأتي السارق ويأخذ ما عمل الآخرون على جمعه. وللسرقة أنواع، منها ما يحدث في **الخفاء**، ومنها السرقة المدعومة **بقوة السلاح** وهي ما تعارف العرب على تسميتها **بالنهب** أو **قطع الطريق**. وهناك السرقة **بالاحتيال**.

وللسرقة أسباب عديدة يجب أن يأخذها المشرعون في الاعتبار عندما يصوغون القوانين، منها **الحاجة** وعدم مقدرة السارق على توفير الغذاء أو ضروريات الحياة لنفسه أو لأهله. وهناك مَن يسرق لأنه **مدمن** على المخدرات، مثلاً، ولا يستطيع شراءها من مجهوده الفردي. وهناك مَن يسرق لأنه **كسول** ويبغض العمل ويستطيع أن يسرق ليأكل. وبعض السارقين، خاصة موظفي البنوك يدفعهم **الجشع** للسرقة. وهناك حالات نادرة تكون السرقة فيها مرضاً نفسياً يُسمى **كليبتومانيا** kleptomania. ولا يختلف اثنان بأن السارق يجب أن يُردع بالعقاب، *ولكن كل القوانين الوضعية الحديثة تستثني المرضى النفسيين من العقاب لأنهم مرضى ويحتاجون العلاج*. وبقية السارقين قد يسجنون أو تحكم عليهم المحاكم بالعمل لعدة أيام أو أسابيع في المجال الاجتماعي في نفس المدينة Community service إذا كان الشيء المسروق ذا قيمة بسيطة أو للسارق ظروف خاصة جعلته يرتكب الجريمة. أما السارق الذي يستعمل السلاح فعادةً يُسجن لسنوات طويلة.

عرب ما قبل الإسلام لم يفرّقوا بين أنواع السرقات أو كمية المسروق وحكموا، في الغالب، على السارق بقطع اليد.

ويقال إن الوليد بن المغيرة كان أول من ابتدأ القطع. وجاء الإسلام وتبنى محمد هذا العقاب للسارق، وقال في القرآن:

{والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم. (المائدة 38)**}.**

والنكال هو معاقبة الشخص بعقاب صارم يكون عبرةً لغيرة. وربما أنه من باب المصادفة أن تكون آية السرقة في سورة المائدة لأن أغلب الذين يسرقون يفعلون ذلك ليوفروا قوتاً لهم ولأطفالهم، وذلك القوت نستحضره في مخيلتنا عندما نسمع كلمة "المائدة".

ولأن الأحاديث التي يعتمد عليها دستورهم أغلبها غير متفق عليه من كل المذاهب، يصبح الاعتماد على المذهب الذي يتبعه القاضي مهماً للغاية في تطبيق هذا الدستور. فالأحاديث التي يعتمدها مذهبٌ ما، يكذبها ويضعّفها مذهب آخر. **ولأن أهل الحديث اعتمدوا على السند دون المتن، يصبح تفسير المتن هو العامل الرئيسي في فهم ذلك الدستور.**

ولكن عندما ألغت المحكمة الدستورية في تركيا في الأسابيع القليلة الماضية القانون الذي أجازته حكومة "حزب العدالة والتنمية" الإسلامي، والذي سمح للطالبات بارتداء الحجاب في الحرم الجامعي، قال السيد رجب أردوغان، رئيس الوزراء في مؤتمر صحافي:

"ينبغي ان اقول علنا ان المحكمة الدستورية ليست فوق الدستور ووفقا لدستورنا فان الحقوق والحريات الاساسية تتحدد وفقا للقانون وليس بالتفسيرات."[1]. انتهى.

وشبه جملة (ليس بالتفسيرات) هي بيت القصيد. فهل يمكن أن نطبق الدستور القرآني المزعوم بدون تفسيرات، كما طالب السيد أردوغان؟ دعونا نرى إمكانية ذلك في الفقرات التالية.

- قالوا إن أول رجلٍ قطعه محمد في الإسلام كان **الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف**، وأول امرأة قُطعت كانت **مُرة بنت سفيان بن عبد الأسد** من بني مخزرم. ولم يذكر لنا المفسرون الأشياء التي سرقها **الخيار** أو التي سرقتها **مُرة** فأدت إلى قطعهما. *وظاهر الآية لا يفرّق بين السارقين إطلاقاً، فالحكم عام ويقطع يد مَن سرق دجاجة أو سرق بعيراً، و يساوي بين مجرم متمرس ومريض نفسي.*

[1] الشرق الأوسط 2008/10/24.

- ولكن أهل الحديث (**مرتزقة الإسلام**) أتوا بحديث عن محمد يقول:

[لا تُقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدا][2].

وهذا هو **الرأي الأول**. فقد قال عمر بن عبد العزيز والليث والشافعي ومالك:

تقطع اليد في ربع دينار أو في ثلاثة دراهم (**يعني أن الدينار به اثنا عشر درهما**).

(ولذلك قالوا: إذا سرق درهمين، وهو ربع الدينار نسبةً لانحطاط الصرف ‹أي صار الدينار يساوي ثمانية دراهم نسبةً للتضخم في الأسعار› لا تقطع يده).

فإذاً القطع محدد بثلاثة دراهم ، سواء ارتفع الصرف أو نزل بالنسبة للدينار. فالقانون الإسلامي لا يأخذ تضخم الأسعار inflation في الحسبان. ولكن لأننا لا نتعامل بالدينار الآن، وبما أن قيمة الدينار في ذلك الزمان غير معروفة لنا الآن، **نجد أن فقهاء اليوم لا يتفقون على قيمة الدراهم الثلاثة التي تؤدي إلى القطع**. هذا بالنسبة **للعملة المعدنية**، أما بالنسبة **للعروض**، أي ما هو غير عملة كالبضائع أو المجوهرات، فلا يُقطع السارق إلا إذا بلغت قيمة المسروق ثلاثة دراهم، مهما كانت قيمة الصرف. وقد يكون هذا مفهوماً حتى نأتي إلى التطبيق.

- o يقول القرطبي:

إن رجلاً سرق مِجَنّاً (**المجن هو ما يُحتمى به من السلاح مثل الدرقة**) فقطع النبي يده.

ولكن المشكلة تأتي في **تقييم ذلك المجن** إذ أنه لم يكن عملة معدنية ولا ذهباً. ولا نعرف إن كان جديداً أو قديماً متهالكاً.

- o ابن عمر قال:

إن المجن قَيَّمه محمد بثلاثة دراهم،

- o وابن عباس قال:

بعشرة دراهم

- o بينما قال أنس بن مالك:

إن قيمته كانت خمسة دراهم.

فيبدو أن التخمين هنا كان سيد الموقف ولم يعرف أي منهم بكم قُيِّم ذلك المجن الذي من أجله قطع محمد يد ذلك الرجل.

- أما **الرأي الثاني** فيتزعمه أبو حنيفة الذي قال:

لا تقطع يد السارق إلا في عشرة دراهم كيلاً أو دينار ذهباً وزناً.

وحجة أبي حنيفة أن ابن عباس قال:

إن المجن كانت قيمته عشرة دراهم.

- **والرأي الثالث** قال به الدارقطني الذي قال عن عمر:

"لا تُقطع الخمس إلا في خمس" وأيده أنس بن مالك الذي قال قطع أبوبكر في مجن قيمته خمسة دراهم

(يبدو أن أهل المدينة كانوا مغرمين بسرقة المجن لأن النبي قطع به وكذلك أبو بكر).

- **والرأي الرابع** أتى به أبو هريرة وأبو سعيد الخضري إذ قالا:

تقطع اليد في أربعة دراهم فصاعداً.

- **والرأي الخامس** قال به عثمان البتي الذي قال:

إن اليد تُقطع في درهم واحد فما فوقه. وقال الطبري إن عبد الله بن الزبير قطع في درهم واحد.

- **والقول السادس** أن:

اليد تُقطع في كل ماله قيمة، وهذا قول الخوارج عن حسن البصري.

- أما قتادة فقال:

تذاكرنا القطع في كم يكون على عهد زياد فاتفق رأينا على درهمين.

وهذا هو **الرأي السابع**.

- وطبعاً لا يمكن أن نتحدث عن أي حكم شرعي دون أن نذكر البخاري ومسلم، فقد قالا عن أبي هريرة إنه قال:

قال رسول الله [**لعن الله السارق يسرق البيضة فتُقطع يده ويسرق الحبل فتُقطع يده**].

فهذا هو **الرأي الثامن**.

ويتضح لنا هنا أن القانون الإسلامي مائع ميوعة الزئبق، فيقطع السارق في بيضة أو في درهم أو في درهمين أو ثلاثة دراهم أو أربعة أو خمسة أو عشرة أو بعير أو حتى سيارة. ويكون السارق تحت رحمة صاحب المذهب الذي يتبعه القاضي الذي يحاكمه. فالقانون هنا يعتمد كلياً على التفسيرات التي رفضها السيد أرردوغان.

- ❖ ورغم كل هذا الاختلاف يقول أهل الشرع إن الجمهور قد اتفق على أن **القطع لا يكون إلا على مَن أخرج الشيء المسروق من الحرز**. *<u>والحرز هو الخزينة أو الدولاب أو المبنى وكل ما يُحفظ فيه المال ويكون عليه قفل</u>*. أما الحسن البصري وأهل الظاهر فلم يشترطوا الحرز.

وهنا يظهر اختلاف الفقهاء جلياً. فماذا يحدث إذا اجتمع أكثر من واحد واشتركوا في إخراج المال من حرزه كما يحدث هذه الأيام عندما تسرق العصابات من البنوك؟

- قالوا:

إذا اجتمع جماعة فاشتركوا في إخراج نِصاب من حرزه (**ولاحظ قولهم "نِصاب" وهم لم يتفقوا على قيمة النصاب**)، فلا يخلو إما أن يكون بعضهم ممن يقدر على إخراجه منفرداً أو بتعاونهم جميعاً. فإذا كان منهم من يستطيع إخراج الحرز بنفسه، اختلف الفقهاء فيه على قولين: الأول أنه يُقطع فيه والثاني: لا يقطع فيه، وبه قال أبو حنيفة والشافعي. وعليه إذا استطاع واحد من أفراد العصابة إخراج المال من حرزه، قال بعضهم يُقطع وقال البعض الآخر لا يُقطع. أما إذا كان لا يمكن إخراجه إلا بتعاونهم جميعاً، فإنه يُقطع جميعهم بالاتفاق من العلماء.

---

[2] أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة.

وتغيب عنا الحكمة في هذا القانون.

- وقالوا:

إن اشتركوا في السرقة بأن نقب (**حفر أو ثقب**) أحدهم الحرز وأخرج الآخر المال، فإن كانا متعاونين قُطعا معاً، وإن انفرد كل منهما بفعله دون اتفاق بينهما فلا يقطع أي منهما[3].

  - وهذا يعني إذا ثقب كل واحد منهما من جهة وأخذا المال دون أي اتفاق بينهما، لا يُقطع أي منهما. وسبب عدم القطع هنا هو أن كل واحد من السارقين يجد الحرز مثقوباً بواسطة اللص الآخر، وبالتالي لم يعد الحرز أميناً.
  - ولكن إذا تعاونا في ثقب الحيط أو الخزينة وأخرج المال واحد منهما، فيقطع الذي أخرج المال.
- ولكن المشكلة ليست بهذه السهولة، فقد قال الشافعي:

لا قطع على أي منهما لأن أحدهما نقب ولم يسرق والآخر سرق من حرز مهتوك الحرمة، أي مثقوب، وبالتالي لم يعد المال في حرز.

- وتزيد المشكلة تعقيداً:
  - فلو دخل أحدهما بعد أن ثقبا الجدار وأخرج المتاع إلى باب البيت أو الحرز، وأدخل الآخر يده وأخذه، فعليه القطع لأنه أخرج المال من الحرز، ويُجلد الأول الذي نقب الحرز لكنه لم يخرج المال منه.
  - وقال أشهب:

يقطعان معاً.

  - ولكن إن دخل أحدهما بعد الثقب وأخذ المتاع ووضعه خارج الحرز وأخذه الثاني، يُقطع الأول فقط لأن الثاني لم يأخذ المال من حرزه.
  - ولكن إذا دخل الأول وأخرج المال ووضعه في الثقب فأخذه الثاني والتقت أيديهما في النقب، يقطعا جميعاً.

والمشكلة هنا طبعاً تكون في المحكمة، مَن الذي سوف يُثبت أن أيديهما التقتا في الثقب؟ لو قال الأول إنهما التقتا وأنكر الآخر، أليست البينة على المدعي وعليه إحضار شاهدين عدلين؟ فمن أين يأتي السارق بالشهود؟

❖ ولا تنتهي المسائل هنا، فشيوخ الإسلام **الذين اتخذوا من الحديث والتنقيب فيه صناعة تفوق صناعة التنقيب عن البترول**، ناقشوا نبش القبور **واختلفوا كالعادة**، هل هو سرقة أم لا:

- فقالوا:

إن القبر حرز فيقطع النابش.

- ولكن أبا حنيفة قال:

لا قطع عليه لأنه سرق من غير حرز، ما هو معرّض للتلف (يعني الكفن) ولا مالك له لأن الميت لا يملك.

❖ أما عندما تحدثوا عن المسجد:

- اتفقوا على أن:

مَن يسرق حصير المسجد، حتى إن لم يكن للمسجد باب، يُقطع.

- غير أن أبا القاسم قال:

إذا كانت السرقة نهاراً فلا يُقطع لأن السرقة لابد أن تكون في غياب الأعين، ويحدث ذلك ليلاً في الظلام.

- ولكن سحنون قال:

إذا كانت الحصر بالمسجد خيط بعضها إلى بعض يُقطع السارق وإلا لا يقطع **إذا كانت منفردة**

(يعني الذي سرق حصيراً واحداً أو كل الحصائر، وهي لم تكن مخيطة إلى بعضها، لا يُقطع، أما إذا كانت الحصائر مخيطة مع بعضها وسرقها جميعاً، يُقطع).

- وقال أشهب:

لا قطع أبداً في شيء من حصر المسجد.

فما هو إذاً حكم من سرق حصيراً واحداً من المسجد؟ لا أحد يعلم.

❖ وشروط السارق الذي يجب عليه القطع هي:

- البلوغ
- والعقل
- وان يكون غير مالك للمسروق
- وألا يكون له عليه ولاية.

وعليه

- لا يُقطع **العبد** إذا سرق من سيده لأنه غير حر،
- ولا يُقطع **السيد** إذا سرق من عبده لأن العبد وماله ملك للسيد.

- ولا يقطع **الأب** بالسرقة من ابنه لأن الأبن تحت ولاية الأب،
- لكن يُقطع **الابن** إذا سرق من والده.

- ولا قطع على **مَن سرق من ذي المحارم** مثل العمة أو الخالة أو الأخت وهو قول الثوري،
- ولكن مالك والشافعي قالا يُقطع .

[3] القرطبي، تفسير آية السارق والسارقة.

❖ ومن المضحك تعريفهم للمسروق:
- بأن يكون مما تصح سرقته كالعبد الصغير والأعجمي الكبير.
- ولكن مالا تصح سرقته لا يُقطع فيه، مثل العبد الفصيح.

فالذي يسرق عبداً فصيحاً لا يُقطع بينما الذي يسرق أعجمياً كبيراً لا يعرف العربية يُقطع .

❖ وبعد كل هذا الجدال في **الصغائر** اتفق الفقهاء:

أن الذي يسرق مِن بيت المال لا يُقطع لأنه يملك جزءاً من ذلك المال.

ولذلك:
- عندما سرق **أبو هريرة** من بيت مال البحرين لم يقطعه عمر،
- وعندما سرق **ابن عباس** من بيت مال البصرة لم يقطعه علي بن أبي طالب، ربما لأنه هرب إلى مكة التي كانت وقتها قد خرجت من إدارة عليّ، ولكنه لم يصدر حكماً بقطعه.

وبنفس المستوى إذا سرق موظف البنك ملايين الدولارات من البنك الذي يعمل به فلا يُقطع لأنه لا يأخذ المال عينة ويخرج به من حرزه وإنما يختلسه عن طريق كتابة شيكات أو تحويل مبالغ من المال إلى حسابه الخاص دون أن يدخل إلى الحرز.

فدستور القرآن يجيز قطع يد من يسرق بيضة ليطعم نفسه،
لكنه لا يعاقب من يسرق الملايين مِن المال العام أو مِن مال زبائن البنوك.

فإذا طبقنا دستور الإسلاميين الذي هو القرآن، وقوانينهم من السنة المليئة بالثقوب كالجبنة السويسرية، وقدمنا سارقاً إلى المحكمة *فإن القاضي يجد أمامه عشرة آراء مختلفة وعليه أن يختار واحداً منها حسب تفسيره للقانون*، وتصبح العدالة كلعبة الروليت الروسية.
فربما يحكم أحد القضاة بقطع مَن سرق حبلاً بينما لا يقطع قاضي آخر من سرق تسعة دراهم لأن ابن عباس قال إن قيمة **المجن** كانت عشرة دراهم ولذلك لا يُقطع من سرق أقل من عشرة دراهم.
فهل هذا الدستور يفي بالشرط الذي قاله السيد أردودغان عندما قال:

"ووفقا لدستورنا فان الحقوق والحريات الاساسية تتحدد وفقا للقانون وليس بالتفسيرات."؟

وهل يمكن أن نحكم بلداً في القرن الحادي والعشرين بقوانين وضعها رجال في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، ويصر الإسلاميون على الحفاظ عليها دون أي تعديل لأنها من الثوابت؟ أليس من الأفضل أن نكون مثل ليبيا التي يحكمها الكتاب الأخضر؟
الدين طقوس القصد منها عبادة الإله ولا دخل له في تصريف شؤون الناس، ولهذا السبب يطالب الناس بفصل الدين عن الدولة، لأن رجال الدين يعتمدون على النقل بينما القوانين تعتمد على العقل وتستدعي التجديد من وقت لآخر، ورجال الدين يحاربون التجديد.

ورجال الدين يخدعوننا عندما يقولون لنا إن القرآن دستورهم، لأن الدستور
- لابد أن يكون مكتوباً بلغة واضحة لا تقبل التأويل والتفسيرات الخرافية
- ولا بد أن تكون الجرائم معرّفة بوضوح
- وكذلك درجات العقاب المحتمل...

ومن غشنا ليس منا.

عودة إلى الفهرس

134 - بعض إشكالات القرآن مع المساواة

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=153525

المجتمعات الحديثة قد جعلت *مساواة المواطنين في الحقوق والواجبات حجر الأساس لقوانينها*. فالكبير والصغير، والمرأة والرجل، والمسلم والمسيحي واليهودي والبوذي والهندوسيي، والذي لا دين له، كلهم سواسية أمام القانون، ولهم نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات.
وبالطبع لم يكن مجتمع مكة في القرن السابع بهذا الرقي إذ كانت القبائل تتفاخر بنسبها، كما كان الأفراد، فقال جرير يهجو آخراً، لعله الفرزدق:

فغض الطرف إنك من نُميرٍ   فلا كعباً بلغت ولا كلابا

وقال يفاخر بقبيلته:

إذا غضبت عليك بنو تيميمٍ   حسبت الناسَ كلهَم غِضابا

فجاء قرآن ذلك المجتمع ليعكس ثقافته التي تفضل بعض قبائله على القبائل الأخرى. ويفتخر المسلمون أن نبيهم انحدر من أفضل قبيلة وهي قريش، ومن أفضل البيوت في قريش وهم بنو هاشم ومن أفضل أم وأفضل أب. **فالتفاضل أصبح لحم وسدى القرآن والإسلام عامةً.**

- ولذلك بدأ القرآن **بتفضيل** الإنسان على غيره، فقال:

{ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثيرٍ ممّن خلقنا تفضيلاً. (الإسراء 70)}.

وفي اندفاع مؤلف القرآن لإثبات التفضيل، نسي أن ينتبه إلى اللغة، فقال: {**وفضلناهم على كثير ممن خلقنا**} (وكلمة "ممن" هي عبارة عن كلمتين مدمجتين، وهما "مِنْ" و "مَنْ" وتصبح الآية "وفضلناهم على كثير مِنْ مَنْ خلقنا"). ويلاحظ القاريء هنا أنه استعمل اسم الموصول "مَنْ" لغير العاقل، وهم الحيوانات والحشرات الذين فضل الله الإنسان عليهم. وكان يجب أن يقول (وفضلناهم على كثيرٍ من ما خلقنا) لأن اسم الموصول "مَنْ" يستعمل للعاقل مذكراً او مؤنثاً، بينما تستعمل "ما" لغير العاقل.
ولماذا فضّل الإنسان على بقية المخلوقات، وجميعها تسبّح بحمده كما يقول القرآن:

{تسبّح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإنْ من شيء إلا يسبّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم. (الإسراء 44)}.

والله ما خلق الإنسان إلا ليعبده، فقال:

{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدونِ. (الذاريات 56)}.

فما دام الغرض من الخلق هو العبادة، وجميع المخلوقات تعبده وتسبّح له، *فما الحكمة في تفضيل الإنسان الذي هو خصيم مبين*، كما يخبرنا:

{خلق الإنسان من نطفةٍ فإذا هو خصيمٌ مبين. (النحل 4)}.

وأكثر الناس لا يعبدون الله:

{وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون. (يوسف 106)}.

فإذاً المخلوقات الأخرى تسبح الله ولا تشرك به، وبعضها يجدد لنا الأوكسجين الذي نتنفسه، بينما الإنسان يدمر البيئة التي أورثها الله له. *فلماذا إذاً فضّل الله بني آدم؟ إنه التفضيل من أجل التفضيل ولا سبب آخر.*

- وعندما كان محمد يجتهد في استمالة اليهود إلى دينه، حاول أن يساوي بين أنبيائهم وبينه هو العربي القرشي الكريم، فقال:

{قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوبَ والأسباطِ وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم. (البقرة 136)}.

وكرر نفس الآية في سورة آل عمران، الآية 84.
وقال كذلك:

{آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحدٍ من رسله. (البقرة 285)}.

وتُعتبر هذه لفتة بارعة من القرآن في المساواة لو لم ينقضها بآيات أخريات.

- وفي استمرار محاولته استمالة اليهود والنصارى إلى دينه، *ضرب بالمساواة عرض الحائط، وأغدق التفضيل على أنبيائهم*، وقال:

{ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داوود زبورا. (الإسراء 55)}.

و قال:

{ولقد آتينا داوود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين. (النمل 15)}.

ثم قال:

{تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فمنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس. (البقرة 253)}.

وقال كذلك:

{واسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين. (الأنعام 86)}.

فما الحكمة في تفضيل بعض الرسل على بعض؟ الرسول مهمته إيصال رسالة إلى مجموعة من الناس. ونحن نختار الرسول الذي نثق به ونأتمنه على رسالتنا، فما دامت رسالة الأنبياء هي تعريف الناس بالله، وكلهم بلّغ ما أُرسل به، لماذا يفضل بعضهم على بعض؟

- مرة أخرى، وبعد أن فاضل بين الأنبياء، **خاطب الناس عامةً** فقال:

{يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم. (الحجرات 13)}.

ولو استمر القرآن على هذا المنوال لسبق فعلاً بقية الحضارات في المساواة، ولكنه لم يستمر. فجعل الناس طبقات حينما قال:

{أهم يقسّمون رحمة ربك نحن قسّمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سُخريا. (الزخرف 32)}.

قال السدي وابن زيد:

جعل بعضهم خولاً وخُدّاما، يُسخّر الأغنياء الفقراء فيكون به بعضهم سبباً لمعاش بعض.

وقال قتادة والضحاك:

يعني ليملك بعضهم بعضاً.

وقيل:

هو من السخرية التي بمعنى الاستهزاء، أي يستهزيء الغني بالفقير[1].

وأنا أميل إلى إلغاء التفسير الذي يقول إنه من السخرية أي **الاستهزاء**، لأن القرآن يقول للمؤمنين: {**يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قومٌ من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أن يكن خيراً منهن**. (الحجرات 11)}. *فإذاً التفسير المقبول هو تسخير الفقراء للأغنياء ليستغلوهم ويمتلوكهم عبيداً لهم*، فكانت هذه بداية مجتمع الطبقات الذي ساد في الدولة الأموية ثم العباسية.

فالله يفضل الأغنياء على الفقراء وهو الذي جعل الأغنياء يستغلون الفقراء لأنه قال: {**ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سُخريا**}.

فحرف اللام في كلمة "ليتخذ" هو لام التعليل الذي علل به الله رفع الأغنياء درجةً.

- واستمر القرآن في **مخاطبة الناس عامةً** فقال:

{**وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم**. (الأنعام 165)}.

مرة أخرى يستعمل القرآن لام التعليل ويقول لنا إنه رفع بعض الناس درجات فوق الآخرين، *لا لشيء إلا ليختبرهم فيما أتاهم من مال وجاه.* ولا اعتقد أن هذا السبب مقنعٌ للناس، فما هو ذنب الذين جعلهم الله فقراء حتى يتحملوا سُخرية الأغنياء لأن الله أراد أن يختبر الأغنياء فيما أتاهم؟

- ثم فاضل القرآن بين المشركين والمؤمنين، فقال:

{**ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركةٍ ولو أعجبتكم. ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم**. (البقرة 221)}.

فالقرآن هنا أصاب عصفورين بحجر واحد، إذ جعل المؤمنين أفضل عند الله من المشركين، وجعل المؤمن الحر أفضل من المؤمن العبد والمؤمنة الحرة أفضل من المؤمنة الأمة، مع أنه قال في آية سابقة: {**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**}. **وقد تكون الأمة المؤمنة أتقى من سيدتها، ولكن القرآن يبيح استعبادها ويفضل عليها الحرة.**

- ومؤلف القرآن *لا يستحي* أن يفاضل بين المؤمنات الحرائر والمؤمنات المملوكات في الرق، فيقول:

{**فإن أحصَنّ فإذا أتين بفاحشةٍ فعليهن نصف ما على المحصنات من عذاب**. (النساء 25)}.

- فالقرآن لا يقبل أن يساوي المؤمنات المملوكات بإخواتهن الحرائر **حتى في العذاب**. فالأمة المتزوجة إذا زنت أو أتت بأي فاحشة فعقابها نصف عقاب الحرة. ولذلك الأمة المتزوجة إذا زنت لا تُرجم لأن الرجم يؤدي إلى الموت وليس هناك نصف موت. *فما الحكمة في هذا القانون غير عدم المساواة من أجل التفاخر والتفاضل بين الحرة والأمة؟*
- **وحتى عُدة الأمة المتوفي عنها زوجها تختلف**. يقول القرآن:

{**والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً**. (البقرة 234)}.

ولكن الأمة التي يموت عنها زوجها فعدتها شهران فقط.

- ثم فاضل القرآن بين المؤمنين أنفسهم، فقال:

{**الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجةً عند الله وأولئك هم الفائزون**. (التوبة 20)}.

فالمؤمنون الذين هاجروا من مكة أعظم درجة عند الله من الأنصار الذين لولاهم لما قامت للإسلام قائمة.

وكنتيجة حتمية لهذا التفضيل غير المنطقي أصبح الخلفاء كلهم من قريش التي حاربت الإسلام كأشد ما تكون الحرب قبل فتح مكة، ولم يسلموا إلا بالسيف. فما هو سبب التفضيل هنا غير **القبلية** التي تفاخر بها الجاهليون؟

- وحتى الذين أنفقوا أموالهم في سبيل الله وقاتلوا من أجله، وجد القرآن سبباً للمفاضلة بينهم فقال:

{**ومالكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجةً من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا**. (الحديد 10)}.

فالذي أنفق ماله في سبيل الله قبل فتح مكة أعظم من الذي أنفق ماله بعد الفتح. *فلماذا المفاضلة والجميع قد أنفق وقاتل في سبيل الله؟*

- ثم فضل الله المحاربين على المسالمين، فقال:

{**لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة**. (النساء 95)}.

فالمؤمن المسالم الذي يحاول نشر الإسلام بالتبشير تقل درجته عند الله بالمقارنة مع المسلم الذي يحمل سيفه ويقاتل الناس حتى يؤمنوا.

- ولأن الرجال يحملون السيوف ويحاربون في سبيل الله قال لنا القرآن:

{**وللرجال عليهن درجةٌ والله عزيز حكيم**. (البقرة 228)}.

فالرجل الخامل، الجاهل، غير المتحضر، أعظم درجة عند الله من المرأة المؤمنة الصالحة التي تعتني بتربية أطفالها، وتجدد حياة المجتمعات بما تنتج من أطفال، وهو كذلك أفضل من المرأة المؤمنة الطبيبة التي تعالج المرضى. والراعي المؤمن الأمي أفضل درجة عند الله من رئيسة وزراء بنغلاديش أو رئيسة وزراء باكستان التي قتلها الرجال المفضلون.

- ولا تنتهي المفاضلة عند هذا الحد، فقد فضل الله الشخص البصير على الأعمى، وقال:

{**قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون**. (الأنعام 50)}.

فالله يفضل البصير الذي قد يكون أمي لا يجيد صنعة ولا يخدم البشرية بشيء، على الأعمى المتعلم الذي يخدم مجتمه مثل الدكتور طه حسين الذي أغنى المكتبات العربية أو أبي العلاء المعري.

والنتيجة الحتمية لهذه المفاضلات غير المنطقية هي اضطهاد المسلمين لغيرهم من أتباع الديانات الأخرى، لأن المسلمين هم خير أمة أخرجت للناس. ولذلك يدوس المسلمون بالأحذية على حقوق الإنسان غير المسلم، ويهدمون كنائسه، وتماثيله ويستهزئون بمعتقداته.

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

وكذلك يهضم الرجال المسلمون حقوق المرأة المسلمة ويجعلون منها مفرخة للأطفال، والآن أصبحت مفرخة للإرهاب بعد أن غسلوا دماغها وأقنعوها بتفجير نفسها وسط الأبرياء. وجعلوا منها عاهرة تمنح جسدها مقابل المال لزوج المتعة ولزوج المسيار ولزوج المصياف وهلم جرا.

- أما الحيوانات التي فضل الله الإنسان عليها، فحدث ولا حرج.
  - **الكلب نجس** يجب قتله ولا يستثنى إلا كلاب الصيد والحراسة. وهناك الكلاب المدربة التي تبحث عن المدفونين في ركام الأبنية المنهارة نتيجة الزلزال، وهناك الكلاب البوليسية التي تساعد رجال الأمن على اكتشاف المخدرات المهربة، وهناك الكلاب المدربة التي تقود الأعمى وتساعده على الاستمتاع بحياته. كل هذه الكلاب يجب أن تُقتل لأن القرآن فضّل الإنسان عليها ولأنه كذلك ضرب به المثل في بذل المجهود دون فائدة فقال:

    {**كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث**. (الأعراف 176)}.
  - أما **الفأرة فإنها ملعونة** ويجب قتلها لأن إحدى قبائل إسرائيل مسخها الله فيراناً، ولذلك أفتى الشيخ السعودي محمد المنجد بقتل الفأر ميكي ماوس.

وهكذا تضيع حقوق الإنسان في الإسلام بسبب التفضيل القبلي الجاهلي الذي رسّخه القرآن في عقول المسلمين.
فلا مساواة في الإسلام في الواجبات والحقوق بين الناس ولا حقوق للحيوانات.
فالمجتمع الطبقي المتعالي على الآخر وعلى المرأة وعلى العبيد والإماء هو روح الإسلام.

عودة إلى الفهرس

2008 / 11 / 23

135 - الذين يتحدثون بلسانين

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=154242

الشخص ذو الوجهين أو الذي يتحدث لبعض الناس بما يحبون أن يسمعوه، ويتحدث للآخرين بغيره، يقول عنه الإنكليز He speaks with a forked tongue، أي أنه إنسان بلسان مشقوق بالنصف ليصبح لسانين، كلسان الأفعى التي أخرجت آدم وحواء من الجنة، فيتحدث كل نصف لسان بحديث مختلف عن حديث النصف الآخر. *ويقع تحت طائلة هذا التعريف أغلب شيوخ الإسلام الذين يتحدثون للغوغاء في بلادهم عن إسلام الجهاد واضطهاد غير المسلم وحوريات الجنان، وعندما يحضرون للمؤتمرات الغربية يتحدثون عن سماحة الإسلام والتعايش السلمي مع غير المسلمين.*

شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي كان يمكنه أن يدخل التاريخ من أوسع أبوابه ويصبح اسمه خالداً في المستقبل كأول شيخ أزهر يغيّر مناهج تعليم الأزهر ويعيد للإسلام بعض ماء الوجه (إن كان له وجه). ولكن شيخ الأزهر فضّل أن يترك الأمور كما هي ويتحدث بلسانين مع بقية شيوخه،

- فيطالب بجلد الصحافيين الذين يكتبون عن صحة الرئيس الذي عصمه الله من المرض،
- ويبيح التوريث لجمال مبارك،
- ويصادر الكتب التي لا تروق للشيوخ،
- ويفتي بمنع تسجيل البهائية في بطاقات إثبات الشخصية للمصريين،
- ولكن عندما يذهب إلى نيويورك ليتحدث أمام زعماء العالم في مؤتمر حوار الأديان والحضارات، يقول، عندما يتحدث عن الإرهاب:

"إن الإرهاب هو نكبة دينية لأنه مخالفة صريحة لأحكام الشرائع السماوية التي صانت حياة الإنسان وصانت أمواله، وصانت كرامته، وصانت حقوقه من كل عدوان عليها، واعتبرت قتل نفس واحدة ظلما وعدوانا كأنه قتل للناس جميعا"[1].

فهل هناك أي ذرة من الحقيقة فيما قاله الشيخ؟

الإرهاب، طبعاً، ليس نكبة دينية وإنما نتيجة حتمية لآيات الجهاد في التوراة والقرآن، ولما فعله محمد شخصياً عندما كان يهاجم القوافل التجارية الراجعة من الشام محملة بما لذ وطاب، وكذلك عندما كان يُبيّت القبائل العربية، أي يهجم عليها في الساعات الأولى من الفجر وهم نائمون:

"كان رسول الله إذا غزا قوماً لم يغر عليهم حتى يصبح، فإن سمع آذاناً {آذان الصبح} أمسك وإن لم يسمع آذاناً أغار"[2].

وكان كذلك يجيز قتل مناوئيه غيلة وهم نيام.

وهل صانت الشرائع السماوية حياة الإنسان؟ *الشريعة الموسوية في العهد القديم تتفوق على القرآن في قسوتها وتشجيع الله لليهود بقتل كل من هو غير يهودي*. وإن أراد شيخ الأزهر فيمكننا أن نورد له أكثر من عشرين آية تحض على قتل النساء والأطفال وحرق ديارهم. أما الإسلام فتحدث في الغالب الأعم عن *قتل المؤمن*: {وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً خطئاً ومن قتل مؤمناً خطئاً فتحرير رقبة مؤمنة. (النساء 92)}. فحتى الرقبة المحررة يجب أن تكون مؤمنة، **فلا تحرير للعبيد غير المؤمنين**. *أما قتل غير المؤمن فليس مهماً وعقوبته نصف دية المسلم، ولا يُقتل المسلم بكافر.*

والغريب أن الشرائع غير السماوية مثل البوذية والكنفوشيوسية هي التي تحض على صيانة حياة الإنسان، بعكس الشرائع السماوية.
أما كرامة الإنسان فقد مرّغت الشرائع السماوية الأرض بها، وما زالت تفعل.

ويكفي أن شيخ الأزهر في القرن الحادي والعشرين طالب بجلد الصحفيين. هل هذه هي صيانة كرامة الإنسان التي تحدث عنها شيخ الأزهر؟ وهل كرامة الإنسان تُصان في الإسلام عندما يحكم قاضي سعودي بجلد طبيبين مصريين 1500 جلدة لكل واحد منهما؟ بغض النظر عن الجريمة التي اتُهِمَ بها الطبيبان، فإن الجلد للكبير والصغير، إهانة لكرامة الإنسان لا تقبلها مجتمعات القرن الحادي والعشرين. يقول شيخ الأزهر إن الشرائع السماوية حفظت كرامة الإنسان، فنرجوه أن يشرح لنا هذه الفقرات من مقررات الكتب التي يَدرسها طلبة الأزهر في عصرنا هذا، وتقول عن الجزية إنها:

"إقرار بعض الكفار على كفرهم بشرط بذل الجزية، ويمتهنون عند أخذ الجزية ويطال وقوفهم وتجر أيديهم وجوباً لقوله تعالى {وهم صاغرون}."[3]

وما هي حقوق الإنسان التي صانتها الشرائع السماوية؟ رجم الزاني والزانية وقتل مثلي الجنس، وقطع يد السارق، وطاعة ولي الإمر **حتى إن سرق مالك وجلد ظهرك**، وسجن المرأة في بيتها حتى تخرج لقبرها، ومن بدل دينه فاقتلوه.

أي حقوق ياشيخ الأزهر بقيت للإنسان لتحفظها الشرائع السماوية؟

صحيح أن القرآن يقول:

{من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنّه من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً. (المائدة 32)}.

ولكن كتاب اليهود نفسه يقول بغير ذلك:

[1] صلاح عواد، الشرق الأوسط 11:2008/14.
[2] مختصر السيرة لابن كثير، ص 336.
[3] الروض المربع، ص 199، نقلاً عن د. خالد منتصر، إيلاف 206/12/28.

{24 فَأَخذ يَشوع عخان بن زارح والْفضَّة والرداء ولسان الذَّهب وبنيه وبناته وبقره وحميره وغنمه وخيمته وكل ما لَه، وجميعُ إسرائِيل معه، وصعِدوا بِهِم إِلَى وادي عخور. 25 فقال يشوع: «كيف كدَرتنا؟ يُكَدِرُك الرّب في هذَا اليومِ!» فَرجمهم جمِيع إسرائِيل بِالْحجارة وأحرقوهم بِالنّار ورموهم بِالْحِجَارَةِ. (سفر يشوع، الإصحاح السابع)}.

فما هو ذنب بنات وأولاد عخان بن رازح الذين رجمهم بنو إسرائيل بالحجارة لأن أباهم كدّر على يشوع؟ ونفس السفر يخبرنا في الإصحاح العاشر أن بني إسرائيل أخذوا مدينة الخليل ووضعوا السيف في سكانها ولم يتركوا أحداً حياً. دمروها عن آخرها وقتلوا جميع سكانها. **فما ذنب الأطفال والنساء في الخليل؟ هل عاثوا في الأرض فساداً أو قتلوا أنفساً أخرى بغير حق فأخذ يشوع حقهم الإلهي؟**

وتعالوا نقرأ ما كتبه الدكتور أحمد الطيب، رئيس جامعة الأزهر، في مقال بعنوان "تأملات في الخطاب الغربي". يقول الشيخ الدكتور:

"ولعلنا لا نجاوز الحقيقة لو قلنا: ان قراءات الكنيسة الكاثوليكية للكتاب المقدس مسئولة الي حد كبير ـ عن إشعال نار الصراع العالمي الذي انطلقت شرارته الأولي في مواكب الحروب الصليبية المتكررة، ولا يزال العالم يصطلي بنيرانها حتي هذه اللحظة. وقد لاحظ مؤرخ الحضارات الأشهر(ارنولد توينبي) ـ بحق ـ ان الاعتقاد نفسه الذي دفع بني اسرائيل قديما لإبادة الكنعانيين (اصحاب الأرض الأصليين)، بأمر من الرب (في الكتاب المقدس) هو ايضا الذي دفع البريطانيين للاستيلاء علي امريكا الشمالية وايرلندا الشمالية واستراليا، ودفع الهولنديين للاستيلاء علي جنوب افريقيا، والألمان للاستيلاء علي بولندا، والصهاينة للاستيلاء علي فلسطين، ولو كان توينبي حيا الآن لما تردد لحظة في الحكم بأن الاعتقاد نفسه هو ايضا ما يدفع السياسة الأنجلو أمريكية لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية في العراق وافغانستان ولبنان ودارفور وغيرها من مناطق التوتر في الشرق الاسلامي. وانت حيثما نظرت الي هذه البؤر الملتهبة فإن عينك لا تخطيء ان عقيدة ما من عقائد الكتاب المقدس تشعل هذا الصراع الدامي، وتبعثه في هذه البقعة أو تلك." انتهى.

فشيخ الأزهر يقول إن:

"الإرهاب هو نكبة دينية لأنه مخالفة صريحة لأحكام الشرائع السماوية التي صانت حياة الإنسان"

بينما يقول رئيس جامعة الأزهر إن كل الحروب التي قتلت الملايين ناتجة عن عقيدةٍ ما من عقائد الكتاب المقدس. فهلا اتفق شيخ الأزهر مع رئيس جامعته على ما يقولون.

ثم استمر شيخ الأزهر:

"فدعا الجمعية العامة ومجلس الأمن إلى الوقوف وقفة رجل واحد لنشر الأمان والقضاء على العدوان والتصدي للإرهاب. وأكد أن الاختلاف في العقائد والأفكار من طبيعة البشر وقال «إن العقائد لا تباع ولا تشترى وإنما يولد كل إنسان ومعه عقيدته، ولا إكراه على العقائد لأن الإكراه على العقائد لا يؤتى بمؤمنين صادقين وإنما يؤتى بمنافقين كذابين»"[4].

فشيخ الأزهر هنا يخالف رسوله عندما قال كل إنسان يولد ومعه عقيدته لأن نبي الإسلام قال:

[كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه].

ولا يخفي على القاريء **أن الفطرة هنا تعني الإسلام**، فإذاً الرسول يقول كل مولود يولد على الإسلام بينما يقول الشيخ كل مولود يولد ومعه عقيدته. وشيخ الأزهر الذي يريد مجلس الأمن أن يتصدى للإرهاب يرسل مبعوثين من الأزهر إلى الفيلبين لنشر الإسلام

فتعتقل السلطات الفلبينية الشيخ محمد السيد سيد أحمد موسى لصلته بالإرهاب. وقد عثرت قوات الأمن خلال عملية تفتيش منزله على جهاز للتفجير عن بعد وعدد من كتيبات خاصة **بجبهة مورو** الانفصالية للتحرير، وهي جماعة متمردة تقاتل لتأسيس دولة إسلامية في جنوب الفلبين[5].

وما دام شيخ الأزهر يؤمن بأنه لا إكراه في الدين، فلماذا يصادر كُتب البهائيين ويفتي بعدم تسجيل ديانتهم في الهوية، ويكتبون بدلاً منها "مسلم"؟ ألا يُوَلّد مثل هذا الجبر **منافقين بدل معتنقين؟** ولماذا يمانع شيخ الأزهر في السماح للمبشرين المسيحيين وغيرهم من التبشير بأديانهم بينما يرسل هو الوفود من المشايخ إلى جميع أركان الدنيا ليبشروا بالإسلام؟ وربما يساعدون بحمل أجهزة التحكم في التفجير من على البعد.

يستمر شيخ الأزهر في الحديث بشقي لسانه، فيقول:

"إن الاختلاف في العقائد بين الناس لا يمنع من تعاونهم وتعارفهم ومودتهم وتبادل المنافع التي أحلها الله فيما بينهم لأن الإنسان مدني بطبعه ولا غنى له عن التعاون مع غيره"[6].

وإذا كان الأمر كذلك نرجو أن يشرح لنا شيخ الأزهر هذه الآيات:

{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق. (**الممتحنة 1**)}.

{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم. (**المائدة 51**).

وكذلك نرجو أن يشرح لنا لماذا تحفل المكتبات الإسلامية عامةً ومكتبات الأزهر خاصةً بالمراجع العديدة عن **فقه الولاء والبراء** الذي يمنع المسلمين من صداقة غير المسلمين أو تهنئتهم بأعيادهم أو حتى مواساتهم في موتاهم أو التشبه بهم في أي شيء.

واستمر شيخ الأزهر فدعا إلى احترام الأديان كلها وحذر من ازدرائها ومن التهجم على الرسل والأنبياء. ومثل هذا الحديث لا ينطلي على أحد لأن شيخ الأزهر وجميع الشيوخ يقولون ذلك **لحماية نبيهم وكتابهم المقدس من النقد**، ويخدعون الناس بقولهم إنهم يؤمنون بكل الإنبياء، ولكنهم بالطبع لا يؤمنون بكتبهم أو رسالاتهم لأن الإسلام جاء ليظهر عليها جميعاً: {هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. (التوبة 33)}. وما دام الإسلام هو دين الحق، فيتبع من ذلك أن كل الأديان غيره أديان باطلة. وإذا كان الإسلام يحترم كل الأديان، كيف سمح شيخ الأزهر لأساتذة الأزهر بتدريس كتب ابن قيم الجوزية الذي يقول:

"الأمصار التي أنشأها المشركون ومصروها ثم فتحها المسلمون عنوة وقهرا بالسيف، فهذه لا يجوز أن يحدث فيها شيء من البيَع والكنائس . وأما ما كان فيها من ذلك قبل الفتح فهل يجوز إبقاؤه أو يجب هدمه، فيه قولان في مذهب أحمد وهما وجهان لأصحاب الشافعي وغيره، أحدهما: يجب إزالته وتحرم تبقيته لأن البلاد قد صارت ملكا للمسلمين فلم يجز أن يقر فيها أمكنة شعائر الكفر كالبلاد التي مصرها المسلمون، ولقول النبي لا تصلح قبلتان ببلد"[7].

وإذا كان شيخ الأزهر والمسلمون يحترمون الأديان الأخرى، لماذا لم يعترض شيخ الأزهر على الدكتور زغلول النجار الذي قال:

---

[4] نفس المصدر السابق.
[5] الشرق الأوسط، 2007/12/24.
[6] نفس المصدر.
[7] أحكام أهل الذمة، ص 286.

"لا توجد مقارنة بين نزاهة القرآن وبين هزاءة ورداءة ما يسمى بالكتاب المقدس، فهو مثل الكشكول جمعه اليهود للنصارى، فهو كتاب مليء بالأخطاء العلمية والأخطاء الدينية والأخطاء اللغوية، فلا يقارن أبداً بالقرآن الكريم، وهم أنفسهم لا يعتبرون أن هذا نص سماوي بل نصوص بشرية تعبر عن رسالات نبوية سابقة"[8].

وعندما تنشر وزارة الأوقاف المصرية كتاباً للدكتور محمد عمارة **يكيل فيه القدح والذم للمسيحية ويهدر دم الأقباط،** *لا يحرك شيخ الأزهر الجليل ساكناً كانما الأمر لا يعنيه من قريب أو بعيد، إلا عندما يخاطب المؤتمرات الغربية*. وعندما تتأزم الأمور ضد الدكتور محمد عمارة، يأتي بعذر أقبح من الذنب ويقول إنه اقتبس إباحة دم المسيحيين من الغزالي، الذي هو حجة الإسلام.

فإذا كان ربُ الدارِ بالدف ضارباً فشيمة أهل البيت كلهم الرقصُ.

واعتبر شيخ الأزهر أن أفضل الوسائل لحل القضايا والمنازعات التي تدور بين البشر هو الحوار البناء وقال:

"إذا كان الحوار دينيا فيجب أن يدور حول نصرة المظلومين، ومساعدة المحتاجين، والعمل على نشر الفضائل وإماتة الرذائل". انتهى.

نصرة المظلومين ومساعدة المحتاجين لا يحتاج إلى شرائع سماوية تفرضها على الناس، فالحس الجمعي في أي مجتمع يفعل ذلك، ولا شك أن شيخ الأزهر قد سمع بحلف الفضول الذي أقامه عرب ما قبل الإسلام في مكة لنصرة المظلوم. وإذا قرأ المعلقات السبع لعرف أن كل الأخلاق الحميدة التي يتفاخرون بها هي نفس أخلاق عرب ما قبل الإسلام التي كانوا يفاخرون بها في شعرهم. فإذا كان شيخ الأزهر جاداً في موضوع حوار الأديان، وحتى لا يكون الحوار كحوار المملكة العربية السعودية مع الڤاتيكان الذي بدأه الملك عبد العزيز وما زال مستمراً ولم يثمر ولا كنيسة واحدة في مملكة الوهابية، فلا بد أن يتحاور المجتمعون في كل شيء ويناقشوا المسلمين في **آيات القتال وفي الجزية وفي حرية بناء الكنائس في ديار الإسلام** كما يبني المسلمون مساجدهم في كل شبر في بلاد الحرب. وكذلك لابد أن يشمل الحوار **حرية التبشير بالأديان الأخرى في بلاد المسلمين كما يبشر المسلمون في بلاد الحرب**. أما إذا كان الحوار بلسانين أو لسان ذي شقين، فلا فائدة تُرجى منه، وينطبق على المؤتمرين المثل الشعبي "أبو زيد لا غزا ولا شاف الغزو".

إنّ شيوخ الإسلام السني يمارسون التقية في المؤتمرات الغربية، ويصرّحون بغير ما يضمرون، وفي نفس الوقت يعيبون على الشيعة ممارسة التقية. فهل هم يخدعون أنفسهم أم يخادعون ربهم لأن الإنسان الغربي لا تخدعه مثل هذه الأقوال، فهو يسمع الأفعال ولا يعير الأقوال الجوفاء أذناً، ويقول "صوت الأفعال يفوق صوت الكلمات علواً".

عودة إلى الفهرس

[8] جريدة القاهرة، 2005/9/27، نقلاً عن هاني دانيل، إيلاف 2006/12/10.

2008 / 11 / 30

136 - هل نطق الله بهذا الكلام؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=154941

الإنسان، رغم تحضره الحديث نسبياً، ما زال حيواناً تسيطر عليه روح القطيع في أغلب المجتمعات البشرية. ومن السهل على الأذكياء خداع مَن يقلون عنهم ذكاءً والإيحاء لهم بما يريدون والتحكم فيهم كما يتحكم الراعي في قطيعه، وما تحكم الراعي في القطيع إلا لأنه أذكى من الحيوان. والراعي أو المزارع الغربي قد درّب كلاباً من فصيلة معينة يسمونها Sheepdog أصبحت تعرف أوامر المزارع الذي يتخاطب معها عن طريق الصفارة أو حركات اليد، فتركض حول الخراف وتجمعها في دائرة ثم توجهها حيث يريد المزارع. وفي أستراليا يسمونها Australian Shepherd، وتقوم كذلك بحراسة القطيع وحمايته من الذئاب. *فهذه الكلاب أصبحت في نظر الخراف هي الممثل الشرعي للمزارع أو الراعي.*

والإيمان بالمعتقدات الغيبية أو بالأيديولجيات السياسية يُسّهل إذكاء روح القطيع في المجتمعات. وبمجرد أن ننتمي إلى قطيع نفقد ملكة السؤال التي تولد مع الطفل وتجعله يسأل عن كل شيء يراه أو يسمعه. والسؤال، عند الكبار، يؤدي إلى الشك، وهو ما لا ترغب به الأيديولوجيات {لا تسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تسؤكم}. ولذلك نظل نردد كالببغاوات ما نحفظه ونحن صغار أو ما تمليه علينا الأيديولوجيات ونحن كبار.

فلو أخذنا مثلاً المسيحية وكتابها المقدس، نجد أن عامة المسيحيين في أوروبا حتى نهاية القرن التاسع عشر كانوا يجزمون أن الإنجيل هو كلام الله حرفيا. وفي إنـگلترا مثلاً اشتهر القس جون وليام بيرگن (1813-1888)، أسقف كاتدرائية مدينة جيجستر Chichester بدفاعه المستميت ضد ترجمة الإنجيل من اليونانية إلى الإنكليزية لأن:

"الإنجيل ما هو إلا صوت الإله. كل كتاب منه، وكل سورة، وكل آية، وكل كلمة، بل وكل حرف، هو صوت الإله" انتهى.

فلا بد أن هذا الرجل كان يعتقد أن الله تحدث لعيسى باللغة اليونانية، وإذا تُرجم الإنجيل إلى اللغة الإنكليزية، لا يعود الإنجيل كلام الله. وطبعاً خسر الأسقف معركته مع الحداثة، وفيما بعد لقبوه بلقب "المدافع عن القضايا الخاسرة The Defender of Lost Causes"، وقليل من الأوروبيين اليوم مَن يعتقد أن الإنجيل هو كلام الله حرفياً، مع أنه ما زال مقدساً لديهم.

وفي الأيديولوجيات السياسية نجد نفس الاقتناع والإيمان بما قاله زعيم أو مُنَظِّر الأيديولوجية.

- فمثلاً في الصين عندما صدر الكتاب الأحمر للزعيم ماوتسي تونگ Quotations from Chairman Mao Tse Tung في أكتوبر عام 1966، أصبح هذا الكتاب بمثابة الإنجيل لعشرات الملايين من الصينيين الذين حفظوه عن ظهر قلب. فالنسبة لهم كاد كتاب الزعيم أن يكون إنجيلاً، غير أن ماوتسي تونگ لم يزعم أنه نبي.
- وعندما أصدر هتلر كتابه الشهير "كفاحي Mein Kampf" عام 1925 وهو ما زال في السجن بتهمة الخيانة العظمى، أصبح الكتاب إنجيل الشباب النازي في ألمانيا والنمسا، وكانت هناك نسخة ذهبية منه تُقدّم كهدية للعرسان. وفي ظرف ثمان سنوات أصبح دخل هتلر من مبيعات الكتاب يعادل ثمانية ملايين دولار أمريكي. والمؤمنون به اعتقدوا كل جملة فيه حقيقة لا تقبل الجدل. وكانوا يبكون عند سماع خُطب هتلر. ولو ادعى هتلر وقتها أنه نبي اختاره الله لتنوير الجنس الآري، لأصبح كتابه كتاباً سماوياً، غير أن هتلر كانت تستهويه البزة العسكرية أكثر من اللاهوتية.

فالإيمان يشل حركة العقل ويمنع إعماله.

والمسلمون، كعادتهم في المبالغة في إيمانهم، **ادعوا ملكية الله دون غيرهم من البشر**، وزادوا وبالغوا في معتقدهم وقالوا إن كل حرف وكل كلمة في القرآن هي كلام الله حرفيا، وباللغة العربية. وكما فعل الأسقف جون وليام بيرجن عندما عارض ترجمة الإنجيل، يعارض شيوخ المسلمين ترجمة القرآن إلى اللغات الأخرى، ويقولون إن الترجمة تعكس معاني الآيات فقط ولا تمثل كلام الله، فالله يتحدث العربية فقط، التي سوف تكون لغة أهل الجنة. و يصرون على كتابة القرآن بنفس الرسم الذي كتبه به زيد بن ثابت وجماعته (كما تقول كتب التراث)، رغم أنهم قد أخطأوا في كتابة كلمات عديدة. **فالمسلمون يعتقدون أن تصحيح كتابة تلك الكلمات سوف يغير كلام الله، كأنما الله قد كتب القرآن بخط يده على جريد النخل وعلى عظام الحيوانات.**

والحقيقة الواضحة للعيان ولكل من يستعمل عقله، هي أنه لا يوجد إله في السماء. وحتى لو اعتقدوا بوجوده فهو قوى هلامية غير قادرة على النطق لأنها لا تملك مقومات نطق الكلمات. والدليل على أن القرآن، مثله مثل كل الكتب الأخرى، ليس كلام الله، **هو أن هناك آيات في القرآن لا معنى لها بالمرة**، وإذا كانت صادرة من إله في السماء فإن ذلك الإله لا يعرف كيف يصيغ الآيات، وبالتالي ليس أهلاً للعبادة، وسوف أناقش هنا بعض تلك الآيات.

{كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية. ناصيةٍ كاذبةٍ خاطئة. فليدع ناديه. سندع الزبانية. (العلق 15-18)**}.**

كل هذا الوعيد لأبي لهب الذي كان الله قد شتمه وشتم امرأته وقال إنه خالد في النار مع زوجته التي سوف تُربط من رقبتها بحبل من مسد، وهي في النار. أي حبل من مسد سوف يقاوم النار؟ المهم بعد كل هذا الشتم، قال الراوي: كلا، إن لم ينته أبو لهب من مشاكسة محمد فسوف نسفعه بالناصية. وكلمة نسفع لها معاني كثيرة، منها: يجذب، يقبض، يأخذ، يسوّد وجهه، والسفعة هي العين، ويقولون امرأة مسفوعة يعني أصابتها عين، والسفعة يعني الجنون. طبعاً كان يمكن لله أن يختار كلمة أدق معنى ولا تُدخل المفسرين في جدال. ولو اقتنعنا بما يقوله المفسرون من أنه سوف يأخذ أبا لهب بالناصية، أي شعر مقدم الرأس، ويقذف به في جهنم، كيف تكون الناصية كاذبة وخاطئة وهي شعر بالرأس؟ ولو قلنا إنه قصد بالناصية الكاذبة الخاطئة العقل الذي في الرأس، فكيف يمسك بالعقل ليقذف أبا لهب في النار؟

ثم هل من المعقول أن يتبارى الله مع أبي لهب الذي يدعو أصحابه لينصروه، فيدعو الله الزبانية؟ هل يمكن أن ينزل الله إلى هذا الحضيض، وهو الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون؟ أم أنها عصبية القبيلة، يدعو أبو لهب قبيلته فيدعو الله عصابته وبلطجيته؟

{قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعاً قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكلٍ ضعفٌ ولكن لا تعلمون. (الأعراف 38)**}.**

فالله هنا كان يجب أن يقول (قالت أخراهم عن أولاهم) وليس لأولاهم، لأنها كانت تخاطب الله ولا تخاطب أولاهم. والآية تقول إن الناس والجن يدخلون النار على دفعات، بالترتيب الزمني، فأمة نوح الذين أغرقهم الله جميعاً، يدخلون النار قبل أمة لوط، ويدخل بعدهم أمة صالح وأمة داود وهلم جرا. وتقول آخر الأمم، وهي أمة محمد، لله: ربنا ضاعف عذاب النار لأمة نوح لأنهم أضلونا، رغم أن أمة محمد لم تقابل أو تتعرف على أمة نوح حتى يضلوهم. وأمة نوح في الواقع لم يضلوا أحداً لأنهم ماتوا غرقاً قبل أن تُخلق الأمم الجديدة بعدهم. ويقول الله لأمة محمد: لكلٍ منكم ضعف العذاب في جهنم ولكن لا تعلمون. فالله هنا وافق على ماقالته أمة محمد، رغم

<u>الخطأ التاريخي الفاضح</u>، ثم قال بكل حكمة وعدل: كلكم له ضعف العذاب. فما دامت كل الأمم لها ضعف العذاب، لماذا لم يخلق العذاب مضاعفاً منذ البداية. ما الحكمة في خلق درجة من العذاب لن يستعملها أبداً بل سوف يضاعفها لكل الأمم؟

أما الأمة الأولى فلا تقبل هذا الزعم الباطل فترد على أمة محمد، بعد أن سمعت رد الله، {**وقالت أولاهم لأخرتهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون.** (الأعراف 39)}. الأمة تتكون من ملايين الناس، فتخيل ملايين من قوم نوح في الدرك الأسفل من النار لأنهم دخلوها أولاً، وبينهم وبين أمة محمد ملايين أخرى، وتتحدث أمة محمد إلى أمة نوح فترد ملايين قوم نوح: نحن لم نضلكم بل أنتم اكتسبتم العذاب لأنفسكم، فذوقوه الآن. حوار متأني كأنهم جالسون في الريڤيرا على البلاج وليس في نار جهنم التي يقول االقرآن عنها: {**فالذين كفروا قُطِّعت لهم ثيابٌ من نار يُصَبُّ من فوق رؤوسهم الحميم. يُصهرُ به مافي بطونهم والجلود. ولهم مقامع من حديد. كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍ أعيدوا فيها. وذوقوا عذاب الحريق.** (الحج 19-22)}. فهل يُعقل أن يتجادل الناس وهم في مثل هذا العذاب؟ ويستغرب المرء أي لغة سوف يستعملون في هذه المخاطبة المتأنية. هل سوف يكون لهم متسع من الوقت لتعلم لغة جديدة مشتركة بينهم؟

يقول الله لمحمد:

{**فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون.** (غافر 77)}.

فتخيل أن محمد يخامره الشك في رسالته عندما رفضت قريش اتباعه، فيسأل الله العون، فيقول له الله: أصبر إن وعدي حق، فإما أن أريك بعض العذاب الذي وعدتهم به وإما أن أتوفاك فيرجعون إلينا. أي تطمين هذا. أي شخص يمكنه أن يعطي مثل هذه النبوة. أنا يمكن أن أقول لزوجتي أعدك أنك إما أن تكسبي اللوتري أو تموتي قبل أن تكسبيها وترجعي إلى الله. هل يُعقل أن تكون هذه كلمات الله لمحمد وهو كان يعرف أن محمد سوف يموت قبل أن يرى عذاب قريش الذي وعدهم به؟ وهل في هذا القول أي تشجيع لمحمد ليستمر في رسالته؟

يقول الله لرسوله:

{**يا أيها الرسول بلّغ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته.** (المائدة 67)}.

هل وصل العجز اللغوي بالله هذا الحد؟ إذا لم تبلغ ما أرسلتك به فلا تكون قد بلغت رسالتي. فسر الماء بعد الجهد بالماء. طبعاً إذا لم يبلغ ما أتاه من الله فهو لم يبلغ رسالته. هل تحتاج هذه الحقيقة البسيطة إلى إنزال آية من السماء؟

{**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**}.

إلى هنا والأمر واضح عندما أكد الله أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها أي استطاعتها. وكان يجب أن تقف الآية هنا. ولكن الآية تستمر، وتتغير صيغة المتحدث ليصبح المسلم العادي هو المتحدث بدل الله، ويتوسل إليه:

{**ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا**}.

(وقد نفهم أن يطلب المسلم من الله ألا يعاقبه إن نسي أو أخطأ)، ولكن الغريب أن الآية تستمر ويقول المسلم لله:

{**ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به.** (البقرة 286)}.

هل هذا المسلم لا يثق في كلمة الله؟ فالله قال له في بداية الآية:

{**إن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها**}

فما معنى أن يأمره الله ويقول له قل:

{**ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به**}؟

هل يمكن أن يتكلم الله بمثل هذه الجمل التي لا تخدم غرضاً ولا تضيف جديداً، وتجعل من المسلم شحاذاً يتوسل كل عمره إلى الله أن لا يفعل شيئاً كان الله قد أخبره أنه لن يفعله؟

{**وأذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه إني مسني الشيطان بنصُبٍ وعذاب. اركض برجلك هذا مغتسل باردٌ وشراب.** (ص 41، 42)}.

أيوب أصابه مرض ربما كان طفحاً جلدياً فدعا ربه وقال له إن الشيطان قد مسه بعذاب، وطلب المساعدة والشفاء. فيقول له الله {اركض برجلك}، والركض هو الجري، فهل يجري الإنسان على يديه؟ فلو قال له (اركض)، بدون أن يزيد عليها شيئاً لفهمنا أنه أمره بالجري. وما هو الشيء الذي يربط الجري مع الماء الذي يغتسل به أيوب؟ *قال المفسرون إن الله أمره أن يضرب الأرض برجله فينبع الماء فيغتسل به ويشرب منه ليشفى*؟ وهنا نسأل: إذا أراد الله أن يقول له "اضرب الأرض برجلك" لماذا لم يستعمل كلمة "اضرب" التي كان قد استعملها أكثر من عشر مرات،

- عندما قال لموسى {**اضرب بعصاك البحر**}،
- وقال {**ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن**}،
- وكذلك {فخذ بيدك ضغثاً فاضرب به}،
- و {**واضربوا فوق الأعناق**}،
- و {**أن سر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر**}،
- و {**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**}،

ثم عندما أراد أن يقول لأيوب "اضرب برجلك الأرض" قال له "اركض برجلك"؟ فهل ملّ الله من استعمال كلمة "اضرب" فجاء ب "اركض" بدلاً عنها؟ ثم أن أيوب كان يمشي والمشي هو نوع من ضرب الأرض بالأرجل، فلماذا لم ينبع له الماء من قبل؟

وليت الآية انتهت هنا، *فبدون أي مقدمات* يقول الله في الآية التي بعدها: {**ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمةً منا وذكرى لأولي الألباب.** (ص 43)}. هل فهمنا شيئاً من هذا السرد؟ أيوب أصابه طفح جلدي، سأل الله أن يشفيه، قال له اركض برجلك تجد مغتسلاً وشراباً. ووهب له أهله ومثلهم معهم رحمةً منه. ما هذا الارتباك والتخبط والقصص المبالغ فيها؟ هل يمكن أن يكون هذا هو الله يتحدث إلينا ليقنعنا بوجوده؟

يحكي لنا القرآن قصة خصام عنيف بين أهل النار:

{**هذا فوجٌ مقتحمٌ معكم لا مرحباً بهم إنهم صالون النار. قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار. قالوا ربنا من قَدّم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار.** (ص 59-61)}.

كل هذه الأمم تتنافس على ورود النار، وبعضهم يقتحمها اقتحاماً من شدة شوقهم لها. ويقول لهم الفريق الآخر: لا مرحباً بكم في النار، فيرد الفريق الجديد: بل أنتم لا مرحباً بكم فهي نارنا، **كأنما النار منتجع صيفي في أكابولكو**. *وبدل أن يطلبوا من الله أن يعفيهم من*

النار ويسامحهم، يطلب كل فريق من الله أن يضاعف العذاب للفريق الآخر. ولأن الله كان قد عرف أننا سوف نشكك في هذا الحوار والخصام، قال لنا:

{إنّ ذلك لحقّ تخاصم أهل النار. (ص 64)}.

فلن تنفع أي وساطة لإنهاء هذا التخاصم لأنه حقّ. فقد ضاعت على الرؤساء العرب فرصة الوساطة في هذا الخصام.

{ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين. وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم. ولقد أضل منكم جبلاً كثيرا أفلم تكونوا تعقلون. (يس 60-62)}.

والمشكلة هنا تأتي من كلمة (جبلاً) لأن الله أختار ألا يُنقط حروف القرآن، أو نقطها ولكن جبريل نسي أن يضيف التنقيط، ومحمد كان أمياً لا يعرف الكتابة فلم ينتبه للأمر، فاختلط ذلك على المسلمين. ولسبب ما قرر أحدهم أن ذلك الحرف غير المنقط هو "ب" بدل "ت" أو "ث" أو "ي"، فصارت الكلمة "جبلاً" وصارت لها خمس قراءات. قرأ أهل المدينة بكسر الجيم وبكسر الباء وتخفيف اللام، فصارت (جِبِلاً). وقرأ أبوعمرو وابن عامر بضم الجيم وإسكان الباء فصارت (جُبْلا). والحسن وابن أبي إسحاق وغيرهم شددوا اللام مع ضم الجيم فصارت (جُبْلّا).وقرأ أبو يحيى والأشهب العقيلي بكسر الجيم وإسكان الباء وتخفيف اللام. **ونحتار نحن كيف نطق الله الكلمة إذا كان القرآن هو كلام الله الحرفي؟** فهل نطقها بكسر الجيم أم برفعها وهل نطق اللام بالتخفيف أم بالتشديد. وطبعاً لو احتاط الله وأضاف النقاط للحروف مع علامات الإعراب لما حدث كل هذا الاختلاف لأن الكلمة أصلاً كانت (جيلاً) وليس (جبلا) والشيطان أضل جيلاً كثيراً.

{ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أُذُنٌ قل أُذُنٌ خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمةٌ للذين آمنوا والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم. (التوبة 61)}.

هل هناك أي معنى يمكن أن يستفاد من هذه الآية؟ المشركون قالوا إن محمد أذنٌ أي سماع لكلام الغير، فيرد الله عليهم دفاعاً عن رسوله فيقول: إذا كان أُذناً فهو خيرٌ لكم لأنه يؤمن بالله ويؤمن للمومنين. **كيف يؤمن للمؤمنين؟** ألا يؤمن كل إنسان لنفسه، ولا تزر وازرة وزر أخرى؟ والذين يؤذون رسول الله بهذا القول لهم عذاب أليم. هل يُعقل أن يعذب الله الناس لأنهم قالوا إن محمداً يسمع كلام الغير؟

خلاصة القول أن القرآن لا يمكن أن يكون كلام الله حرفياً، إن كان الله موجوداً. وما حدث للكنيسة الكاثوليكية والإنجيل سوف يحدث للقرآن، شاء المسلمون أو أبوا. **إنها سنة التطور**.

سوف يأتي اليوم الذي يقول فيه المسلمون
إن القرآن كان وحياً من الله لمحمد وصاغه محمد بكلماته، وبما أن محمداً بشرٌ، فقد يخطيء في كلامه، وبهذا يستطيعون تفسير كل التناقض والأخطاء النحوية والتاريخية في القرآن.

عودة إلى الفهرس

137 - قد أخطأ الذين دافعوا عن السعودية

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=155642

طبيبان مصريان، ولا يهم من هما، يعملان بالمملكة العربية السعودية، وجهت لهما الجهات الرسمية بالمملكة عدة اتهامات وحكمت على كلٍ منهما بالسجن خمسة عشر عاماً مع الجلد 1500 جلدة على دفعات أسبوعية. وكان من الطبيعي أن تثور الصحف المصرية وتهاجم قسوة الحكم على الطبيبين المصريين لأننا عرب تشبعنا بالحديث الذي يقول "انصر أخاك ظالماً أو مظلوما". ولا أخال إلا أن الطبيبين مظلومان، ليس بعامل قسوة الحكم فقط، وإنما بالطريقة التي تعمل بها محاكم آل عبد الوهاب.

ومن الطبيعي كذلك أن تحاول الجهات الرسمية في البلدين تعليل ما حدث، وتُظهر كل جهة حكومية حرصها على سلامة مواطنيها والدفاع عنهم ودفع كل ما يمكن أن يضر بهم. ولذلك أصدرت السفارة السعودية في مصر بياناً يقول إن الطبيبين كانا يبيعان المخدرات التي تسبب الإدمان للمواطن السعودي، وبذا استحقا أشد العقاب، الذي قد يصل حد الإعدام لمروجي المخدرات. وفعلاً قد فصلت المملكة رؤوس باكستانيين وهنود، عن أجسادهم عندما ضبطوهم يبيعون المخدرات. **وزعم السفير السعودي أن الحكم على الطبيبين كان مخففاً كثيراً نسبةً لانتمائهما إلى مصر العروبة المسلمة**. ومن الجانب الآخر تعجلت السيدة عائشة عبد الهادي وزيرة القوى العاملة والهجرة، المصرية، بإصدار قرار يحظر سفر الأطباء المصريين للعمل بالسعودية حمايةً لهؤلاء الأطباء من مثل تلك المعاملة القاسية.

وكان من المتوقع كذلك أن يهب الكتاب السعوديون للدفاع عن نظامهم القانوني الذي يحاول ردع المفسدين بأشد أنواع العقوبة. ولكن من غير المتوقع أن يظهر مدافعون عن القضاء السعودي في عدد كبير من البلاد العربية وغيرها، وبهذه الأعداد الغفيرة، وبعضهم كان حتى زمن قريب من الكتاب الليبراليين الذين يهاجمون كل الأنظمة الرجعية. *ولكن سبحان مغير القلوب، كما قال محمد بن عبد الله يوم أن رأى زينب بنت جحش في خدرها*.

أوقفني مقال من مقالات المدافعين عن المملكة كتبه رئيس تحرير صحيفة "روز اليوسف" المصرية، السيد كمال عبد الله، تحت عنوان ‹نظرة جديدة على ملف الطبيبين المصريين› بتاريخ 2 ديسمبر 2008، يقول فيه:

> "أعرف أن التصدى إلى هذه المسألة فى ضوء الحديث العاطفى الذى فجرته التناولات المختلفة فى الصحف.. بمثابة مغامرة غير محمودة العواقب.. ويمكن توقع ردود الأفعال.. التى لن تقف عند حدود شن حملة اتهامات من كل نوع ضد كاتب هذه السطور.. لكن هذا كله لا يمنع على الإطلاق من أن نسجل كلمة محددة." انتهى.

واعتقد أن تنبؤ الكاتب كان مصيباً لأن المقال لا يعالج الأسباب الرئيسة التي أدت إلى الهجوم على ذلك الحكم على الطبيبين، وإنما يعطي القارىء انطباعاً بأن الكاتب يحاول تبرير حكم المحكمة على الطبيبين. يبدأ الكاتب دفاعه *بجملة يفترض أنها حقيقة*، وهي ليست بذاك. يقول:

> "هل نحن بصدد ظاهرة تقول إن جميع الأطباء المصريين العاملين فى السعودية يتهمون ـ ولا أقول يقومون ـ بالأفعال المنسوبة إلى الطبيبين؟ أم أن ذلك استثناء لم يسبق حدوثه ولا يتوقع استمراره.. بينما يمارس آلاف من الأطباء المصريين أعمالهم بانتظام فى جميع المستشفيات السعودية.. ويتمتعون باحترام بالغ ومكانة مهنية واحترافية تحفظ لهم وجودهم فى سوق العمل السعودية خصوصا والخليجية عموما.. استنادا إلى مهارة يتمتعون بها." انتهى.

هذا النوع من الحديث يخاطب العاطفة ولا يقدم رؤى جديدة أو حلولاً. فالأطباء المصريون في السعودية لا يقلون مهارةً ولا يزيدون عن زملائهم من لبنان أو سوريا أو فلسطين أو السودان أو الهند. والكل يُعامل **معاملة الأجير**. فليس هناك أي احترام لأي منهم، وتسارع السلطات بحجز جوازاتهم ومنعهم من السفر لعدة شهور أو أعوام بمجرد ان يقدم مواطن سعودي شكوى ضد أي منهم، ويقوم بعض المواطنين بشتم وضرب الأطباء في المستشفيات. ويعامل الكفيل الأطباء المكفولين لدية **معاملة الأرقاء**.

والمهم في هذا الموضوع ليس الهجوم على السعودية أو الدفاع عنها بقدر ما يهمنا الوصول إلى الطريقة التي اتبعها القضاة السعوديون في حكمهم على الطبيبين، وهل التزموا المعايير العالمية للعدالة في حكمهم.

يسأل السيد كمال عبد الله، فيقول:

> "من جانب آخر، هل هذا النوع من الأحكام المغلظة التى صدرت بحق الطبيبين متعارف عليها ضد كل المصريين.. أم أنها المرة الأولى التى يصدر فيها هذا الحكم الذى قضى بجلد كل منهما 1500 جلدة؟ وهل يتعرض المصريون فى السعودية عموما إلى عقاب مماثل ومنهجى ومتكرر.. أم أن ذلك لم يحدث إلا فى تلك الحالة فقط." انتهى.

وهنا تكمن العلة في موضوع الحكم على الطبيبين. فقد تكون هي المرة الأولى التي صدر فيها مثل هذا الحكم على طبيب، والطبيب ليس فوق القانون، وليس مهماً أن تكون هي المرة الأولى أو العاشرة. المهم لدينا هنا أمران:

1. الأمر الأول هو الوسيلة التي تمت بها المحاكمة. العدالة الطبيعية، ومنذ زمن الدولة الأثينية، تفرض علينا أن تكون المحاكمة في العلن، وأن يُسمح للمتهم، *الذي هو بريء إلى أن تثبت إدانته*، أن يجلس في المحكمة مع مَن يساعده (محامي) لدفع التهم الموجهة له، وألا تكون اعترافات المتهم قد أنتِزعت منه عن طريق التعذيب. فهل حدث ذلك في هذه القضية الخطيرة؟
2. والأمر الثاني هو عدم مواكبة أحكام القضاء السعودي لمعايير الأحكام العالمية التي تجعل العقاب مماثلاً للجريمة، بحيث لا يكون قاسياً أكثر من اللزوم، ولا متهاونا.

مع أني لا أعمل بالمملكة الآن، إلا أنني أستطيع أن أجزم، ومن تجاربي الشخصية عندما كنت أعمل طبيباً هناك، أن كل شيء تم بدون حضور الطبيبين أو السماح لهما أو من يمثلهما بمساءلة cross examination شهود الاتهام. فحسب ما صدر في الصحف أن أحد الطبيبين قد حقن زوجة كفيله عدة مرات بدواء مهديء للألم تسبب في إدمانها. فهل سمح السادة القضاة الشرعيون بالمحكمة للطبيب أو محامية بمساءلة زوجة الكفيل حتى يعرفوا إن كانت قد حُقنت بنفس الدواء عدة مرات قبل أن يحقنها الطبيب المصري، وهل هي كانت قد أدمنت عليه قبل أن يتولى علاجها ذلك الطبيب أم لا، ولماذا اختارت هي أو اختار زوجها هذا الطبيب ليعالجها، ولدى زوجها مئات الأطباء الآخرين الذين يكفلهم؟ هل اختارته لأنها أصلاً مدمنة وعرفت أنه يبيع تلك الحقن، أم اختارته لمهارته الطبية؟ إن كان الثاني هو الجواب، فلا بد أن الطبيب قد شرح لها أن أحد الأعراض الجانبية لهذا الدواء هو الإدمان. وهناك عشرات الآلاف من المرضى حول العالم قد أدمنوا على المورفين أو غيره، الذي وصفه لهم أطباء يعالجونهم، ولم نسمع أن طبيباً سُجن أو عوقب بأي نوع من العقاب لأن مريضه قد أدمن، فكل دواء له مضاعفات جانبية معروفة.

أسباب الاحتجاج على هذا الحكم ترجع إلى طبيعة النظام السعودي في تنظيم سوق العمل وفي إنجاز العدالة. هذه الأسباب يمكن حصرها في ثلاثة محاور:

1. المحور الأول: القضاة السعوديون يعتمدون على التحقيقات التي يجريها أطباء، في الغالب سعوديون، تعينهم وزارة الصحة، وكذلك يعتمدون على الاعترافات التي قد تكون انتزعت بالتعذيب، ولا تتاح الفرصة للطبيب لكي يدافع عن نفسه باستجواب المدعي، أو حتى بحضور جلسات المحكمة في بعض الأحيان. ويحدث هذا في دول كثيرة من دول العالم الثالث، ولذلك كوّن بعض المحامين الإنـگـليز جمعية خيرية اسمها "سجناء بالخارج prisoners abroad "مهمتها حضور محاكمات المواطنين البريطانيين في خارج المملكة المتحدة وتقديم العون القانوني لهم. فهل قدمت نقابة المحامين المصرية أو نقابة الأطباء المصريه أي عون لهؤلاء الأطباء للتأكد من أن محاكمتهم كانت نزيهة وراع قضاتها فيها النُظم المتبعة عالمياً؟
2. المحور الثاني: اعتماد المحاكم السعودية على قضاة شرعيين لا يعرفون غير الفقه الإسلامي والأحاديث، بينما القضايا التي تُعرض عليهم تتطلب إلماماً بشتى أنواع العلوم الحديثة. فهم يعتمدون على ما قاله ابن قدامة، مثلاً، بدل الاعتماد على ما يقوله أساتذة الصيدلة. ثم أن أحكامهم التي يصدرونها مستقاة من القرن السابع الميلادي ولا يمكن أن يقبلها الضمير الجمعي في القرن الحادي والعشرين. وبعض هؤلاء القضاة يحاور الجن المسلم الذين يؤكدون لهم صدق أو كذب المتهم ويبنون أحكامهم على ذلك.

المملكة العربية السعودية من الدول التي وقعت على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي احتفلت الدول حديثاً بمرور ستين عاماً على تبنيه. هذا الإعلان يمنع منعاً باتاً أي عقوبة تمتهن كرامة الإنسان. فهل هناك عقوبة أكثر امتهاناً للكرامة من جلد رجل بالغ عدة جلدات كل أسبوع أمام الملأ ليتفرجوا على آلامه وربما دموعه؟

3. والمحور الثالث: هو **نظام العبودية الحديث المطبق في المملكة ودول الخليج**. كل هذه الدول كذلك موقعة على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والذي يحظر حظراً باتاً نظام الرق والاستغلال للإنسان.

> نظام الكفيل الذي تطبقه السعودية هو أبشع أنواع الاستغلال للبشر، وأسوأ أنواع الرق، وقد يجبر بعض العاملين على اللجوء إلى الجريمة ليجمع أكبر قدر من المال ليتمكن من الهروب من الاستعباد.

فالكفيل، مثلاً ، يتعاقد مع وزارة الصحة على إحضار أطباء أكفاء للعمل بالوزارة وتدفع له الوزارة، مثلاً عشرة آلاف ريال شهرياً عن كل طبيب. يدفع الوكيل للطبيب أربعة آلاف ريال بالشهر ويحتفظ هو بستة آلاف ريال. فلو دفع هذا الكفيل للطبيب أجراً معقولا يمكنه من العيش المريح مع توفير بعض الراتب للمستقبل، لما احتاج الطبيب للبحث عن طرق أخرى يزيد بها مدخوله. ويجب ألا ننسى أن الطبيب المصري أو الهندي أو غيره ما جاء إلى السعودية إلا ليجمع رصيداً يوفر له حياة كريمة عندما يرجع إلى بلده.

بدل مناقشة هذه المحاور في محاولةٍ لإيجاد حلٍ مناسب، يلغي العبودية في المملكة ويزيد مدخول العاملين بها حتى لا يضطرون إلى البحث عما يزيد من مداخيلهم، يقول لنا السيد عبد الله كمال إن الدبلوماسية المصرية فعلت كل شيء ممكن لتخفيف الحكم على الطبيبين، ولكن القانون هو القانون، ولا يمكن التدخل في أحكام القضاء السعودي، كما لا يتدخل الغير في القوانين والأحكام المصرية.

ورغم تطمين السيد رئيس التحرير، **يظل الشك يخامرني،** لأن بعض الدول حاولت واستطاعت أن تصل إلى تسوية أدت إلى الإفراج عن مواطنيها بعد أن أُدينوا في قضايا أكثر خطورةً.

- فمثلاً، البريطانيون الذين أدانتهم محاكم الرياض قبل عدة أعوم بالمتاجرة بالخمور وتفجير سيارة أدى إلى قتل زميل لهم إنـگـليزي ربما كان يتاجر معهم في الخمور وخانهم، لم يُجلدوا ولم تُقطع رؤسهم، ورجعوا إلى بلدهم سالمين، بينما قُطعت عدة رؤوس باكستانية بسبب المتاجرة بالخمور.
- وهناك الأستاذ الجامعي السعودي، الدكتور حمزة المزيني الذي حكمت عليه المحكمة في الرياض بالجلد بدعوى القذف في حق زميله دكتور البراك، وأدى الضغط الأممي إلى العفو الملكي الذي أصدره الملك عبد الله عنه.
- كما أدى الضغط العالمي إلى العفو الملكي عن فتاة القطيف.

فأين وزن مصر الشقيقة المسلمة حاملة لواء الإسلام والعروبة؟

- والأمير القطري حماد بن عبد الله آل ثاني الذي أدين بممارسة الجنس مع قاصرات في تشيكيا، وحكمت عليه المحكمة بالسجن عامين ونصف العام، رجع حراً طليقاً إلى بلده بعد تدخل الحكومة القطرية التي وعدت بمحاكمته في قطر ولم تفعل.[1]
- وحتى في سويسرا بلد الديمقراطية وحقوق الإنسان، استطاع معمر القذافي أن يوقف التحقيق في القضية التي أقامها عاملا الفندق ضد ابنه هنيبعل الذي ضربهما.

فعلى قدر أهل العزم تأتي العزائمُ. فأين عزم مصر من كل هذا؟

ويخلص رئيس التحرير إلى القول بأن:

> "القانون أحد مظاهر السيادة.. ويطبق على المواطن والمقيم والزائر والوافد.. وبما فى ذلك أن نذكر بأن عشرات من المتهمين السعوديين يخضعون كل عام إلى المحاكمات فى مصر لأنهم خالفوا قانونها.. ولا أعتقد أن أحداً يمكن أن يتقبل أى تدخل فى مجريات العدالة المصرية.. أو يطلب إعفاء أى سعودى من الاتهام فى مصر لأنه سعودي." انتهى.

هل يتكرم السيد عبد الله كمال ويذكر لنا أسماء أو أعداد الأميرات السعوديات اللاتي دهسن مواطنين مصريين بسياراتهن وحاكمتهن الدولة المصرية، أو عدد أبناء الأمراء القطريين الذين دهسوا المواطنين بسياراتهم السبور (الرياضية) في طريق المطار وقدمتهم الدولة للمحاكمة؟

والجدير بالذكر أن السيدة عائشة عبد الهادي قد تراجعت عن قرار حظر سفر الأطباء المصريين إلى السعودية:

> ***"بعد أن تلقت تأكيدات من الحكومة السعودية بان الأطباء المصريين سيحصلون على عقود تضمن معاملتهم على قدم المساواة مع نظرائهم السعوديين."*** [2]

وأعتقد اعتقاداً جازماً أن هذا الوعد ما هو إلا عذر لتراجع الوزيرة عن قرارها.

[1] إيلاف 2007/09/04.
[2] إيلاف 2008/12/03.

فاليوم الذي نسمع فيه أن أبا الهول قد غنى النشيد الوطني المصري، سوف نصدق أن المملكة السعودية سوف تعامل الأطباء المصريين على قدم المساواة مع الأطباء السعوديين.
أنا لم أكتب هذا المقال دفاعاً عن الطبيبين المصريين اللذين لا أعرفهما ولا تجمعني بهما أي صلة غير صلة المهنة المشتركة، ولكني كتبته دفاعاً عن كرامة الإنسان العربي الذي يمرغها الحكام الديكتاتوريون والقوانين السلفية الموغلة في كهوف التاريخ، ويزعمون أنها قوانين إلهية. إذا كانت هذه قوانين إله السماء، فأنا أرفض هذا الإله .

عودة إلى الفهرس

2008 / 12 / 14

138 - آيات تُثبت عدم وجود الله

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=156334

الإيمان أعمى ويُعمي بصيرة الإنسان، ولذلك سَخِرَ الإسلاميون الأوائل من عرب ما قبل الإسلام وقالوا إنهم كانوا يعيشون في جاهلية، أي جهل تام، لأنهم كانوا يصنعون آلهتهم من العجوة ويتعبدون إليها ثم يأكلونها إذا جاعوا. فلو صحت هذه الروايات فإنها تُثبت أن الإيمان فعلاً يُلغي العقل. فهؤلاء الأعراب ما تعبدوا للآلهة المصنوعة من العجوة إلا لأنهم كانوا يعتقدون اعتقاداً جازماً أن تلك الآلهة تحميهم من الشر وتساعدهم على الخير، رغم أنهم صنعوها بأنفسهم.

والمسلمون الذين جاؤوا بعدهم لم يختلفوا عنهم كثيراً، **فهم صنعوا إلهاً من الأوهام بدل العجوة وتعبدوا إليه،** ويعتقدون جازمين أن هذا الإله يحميهم من الشر ويساعدهم على الخير وعلى حرب أعدائهم. فهم صنعوا إلهاً له صفات الإنسان من أيدي وأرجل ووجه وفم ينطق به ويضحك به، ويغضب ويفرح ويستحي، ويتردد، ويجلس على الكرسي ويستوي على العرش، وينزل من السماء السابعة أو ما فوقها إلى السماء الدنيا ليستجيب لدعوة الداعي، كأنما به ضعفاً في السمع فلا يسمع الدعوات وهو في السماء السابعة، فلا بد له أن ينزل إلى السماء الدنيا.

وقد كَفَّر ابن تيمية ومن بعده بن باز، كلَّ مَن أنكر نزول الله إلى السماء الدنيا ليسمع الدعوات.

وبعض المسلمين الذين جاؤوا بعدهم **ألهو** بعض الرجال الذين زعموا أنهم تجسيم الله، وآمنوا بهم لدرجة أنهم ضحوا بأنفسهم من أجل حماية ربهم الرجل.

(ظهر المقنعُ بخراسان، وكان رجلاً أعورَ قصيراً من أهل مرو ويُسمَّى حكيماً، وكان اتخَّذَ وجْهاً من ذهب فجعله على وجهه لئلاً يُرى، فسُمِّي المقنعُ وادَّعى الألوهِيَّة، وكان يقول: إن الله خلقَ آدم فتحوَّلَ في صورتِهِ ثمَّ في صورةِ نوح وهلم جرا إلى أبي مُسْلم الخراساني ثم تحوّلَ إلى هاشم، وهاشم في دعواه هو المقنَّع، ويقول بالتناسخ، وتابَعَهُ خلْقٌ من ضلاَّلِ الناس وكانوا يسجدون له من أي النواحي كانوا، وكانوا يقولون في الحرب: يا هاشم أعنّا، واجتمعَ إليه خلقٌ كثير وتحصّنوا في قلعةٍ بسيام وسنجردة وهي من رساتيق كش) [1].

فهذا الرجل الأعور القصير استطاع أن يقنع خلقاً كثيراً بأنه الله وسجدوا له وطلبوا منه النصر في الحروب. وفي سنة 141 هجرية،

"كان خروج الراوندية على المنصور، وهم قوم من أهل خراسان على رأي أبي مسلم صاحب الدعوة يقولون بتناسخ الأرواح؛ يزعمون أن روح آدم في عثمان بن نهيك وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور وان جبرائيل هو الهيثمّ ابن معاوية، فلما ظهروا جاؤوا لقصر المنصور فقالوا : هذا قصر ربنا ، فأخذ المنصور رؤساهم فحبس منهم مائتين فغضب أصحابهم وأخذوا نعشاً وحملوا السرير وليس في النعش أحد ومروا به حتى صاروا على باب السجن فرموا بالنعش وحملوا على الناس ودخلوا السجن وأخرجوا أصحابهم ، وقصدوا نحو المنصور وهم يومئذ ستمائة رجلٍ فتنادى الناس وغلقت أبواب المدينة فلم يدخل أحد" [2].

فالإيمان لا يتطلب برهاناً. والادعاء بوجود إله في السماء لا يختلف عن ما ادعاه الراوندية وغيرهم. والغريب أن المسلمين جعلوا هذا الإله الذي يشبه الإنسان في كل شيء، قادراً على صنع المعجزات وعلى خلق كل شيء بمجرد أن يقول له كن فيكون. *ولكن القرآن لم يقدم لنا دليلاً واحداً على أن الله قال لشيء كن فكان.* فهو قد خلق العالم في ستة أيام، وبنى السماء بيديه، وخلق آدم بيديه، وقدّر أقوات الأرض في أربعة أيام، وعندما حاول مساعدة المسلمين في بدر، أرسل لهم الملائكة لتساعدهم في المعركة بدل أن يقول للكفار: انهزموا فينهزمون، وعندما أراد أن يجعل مريم تحبل بعيسى، لم يقل لعيسى كن في رحمها، وإنما أرسل روحه لينفخ في فرجها الذي كانت قد أحصنته. ومع ذلك ظلوا يرددون **"سبحان الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون"،** وجعلوا سلطانه فوق كل شيء، فأنت لا ترمي بسهمك إنما الله يرمي به، وانت لا تضرب إنما الله يضرب بدلاً عنك. بل جعلوا له كنانة مليئة بالسهام التي يرمي بها. ورووا حديثاً عن عائشة:

أن النبي هبّ مذعوراً من نومه وهو يُرجّع، فقالت له عائشة: مالك أنت بأبي وأمي. فقال: سُلّ عمود الإسلام من تحت رأسي ثم رميتُ بصري فإذا هو قد غُرز في وسط الشام، فقيل لي: يا محمد إن الله تبارك وتعالى اختار لك الشام وجعلها لك عزاً ومحشراً، وذكروا أن من أراد الله به خيراً أسكنه الشام، ومن أراد به شراً أخرج سهماً من كنانته وهي معلقة وسط الشام، فرماه به فلم يسلم دنيا ولا آخرة[3].

فالله أصبح صياداً يرمي بالسهام بدل أن يقول للشيء كن فيكون.

وأسماء الله أغلبها تقول بقوته وشدة انتقامه وجبروته وبطشه، وأكد لهم القرآن ذلك حينما قال:

{إن بطش ربك لشديد. إنه هو يبدي ويعيد. وهو الغفور الودود. ذو العرش المجيد. فعّال لما يريد. (البروج 12 - 16)**}.**

فالله صاحب البطش الشديد والذي يفعل ما يريد، وصاحب كنانة السهام المعلقة في وسط الشام، لا يستطيع الانتصار لنفسه من أعدائه من البشر، فهو إما أنه ضعيف لدرجة أنه لا يستطيع ذلك، أو أنه غير موجود. *ولذلك نصّب المسلمون أنفسهم مدافعين عن الله*، رغم أن الله قد قال:

{إنّ الله يدافع عن الذين آمنوا أنّ الله لا يحب كل خوانٍ كفور. (الحج 38)**}.**

وقال القرطبي في شرح هذه الآية:

("يدافع" يعني يدفع عنهم المكروه.)

ومع ذلك لا يستطيع هذا الإله دفع المكروه عن نفسه فاشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ليدافعوا عنه.

ويبدو أن الحكومة المصرية هي من أكثر المدافعين عن الله إذ:

"قالت تقارير صحفية إن الهيئة المصرية العامة للكتاب قررت ايقاف توزيع مجلة أدبية تصدرها، لتضمنها قصيدة "تسيء إلى الذات الإلهية". ونقلت صحيفة الحياة اللندنية الجمعة 6-4-2007 عن رئيس تحرير مجلة " إبداع" الشاعر أحمد عبدالمعطي حجازي قوله إن رئيس الهيئة الحكومية الدكتور ناصر الأنصاري أبلغه بأنه اتخذ قرار الايقاف "بعدما تلقى شكاوى تعترض على مقطع يتعرض للذات الإلهية في شكل مسيء في قصيدة للشاعر حلمي سالم عنوانها: شرفة ليلى مراد"." [4]

---

[1] الكامل للمبرد، ج 5، ص 230.
[2] الكامل، ج5، ص 129.
[3] تاريخ دمشق لابن عساكر، ج1، ص 100.
[4] العربية نت، 2007/4/6.

فالله بكل سطوته لا يستطيع أن يوقف الشاعر حلمي سالم عن كتابة ونشر تلك القصيدة التي تسيء إلى ذاته الإلهية، رغم أنه قد أرسل خمسة آلاف من الملائكة المسومين لنصرة المسلمين، ولا يستطيع أن يرسل ملاكاً واحداً ليمنع هذا الشاعر من الإساءة إلية، أو حتى أن يقول له: لا تكتب هذه القصيدة، فلا يكتبها.

وكل هذا الضعف لأنه غير موجود.

ونجد في القرآن آيات عديدة تثبت لمن يتمعنها أن الله لا وجود له إلا في مخيلة المسلمين الذين خلقوه من الوهم بدل العجوة.

ولأن القرآن مليء بقصص الأولين الذين خسف الله بهم الأرض أو مسخهم قروداً وخنازيراً، أصبح المسلم عندما يقرأ تلك الآيات يصدقها دون أي برهان عليها.

ففي سورة الأعراف يخبرنا القرآن عن قوم عاد عندما تحدوا نبيهم:

{قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين. (الأعراف 70)}.

فحسب الأسطورة، استجاب الله لهم وأخذهم بريح صرصرٍ عاتية.

وعندما تحدى قوم نوح نبيهم:

{قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين. (هود 32)}،

استجاب لهم الله وأغرقهم بالطوفان.

وطبعاً ليس هناك أي دليل يثبت هذه المزاعم.

وعرب ما قبل الإسلام لم تنطلِ عليهم تلك القصص. فعندما هدد محمد عرب مكة بأن الله سوف يخسف بهم الأرض، قالوا لله:

{اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. (الأنفال 32)}.

منتهى التحدي لله الذي قال إنه خسف الأرض بقوم لوط لأن حفنةً من الرجال كانوا يمارسون اللواط، وأباد قوم صالح كذلك لأنهم عقروا ناقته، فهاهم عرب مكة يتحدون محمد وربه ويقولون له أنزل علينا حجارة من السماء. فهل استجاب رب محمد للتحدي؟

كلا لم يستجب لأنه غير موجود. فمكة ما زالت في مكانها ولم تنزل عليهم حجارة من السماء.

وعندما رفض اليهود أن يتبعوا ملة محمد لأن دينهم سابق لملة محمد، هددهم محمد بآية تقول:

{يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا. (النساء 47)}.

فأهل الكتاب من يهود ومسيحيين رفضوا أن يؤمنوا بما جاء به محمد، فماذا كان رد الله عليهم؟ هل طمس وجوههم أو مسخهم قردةً وخنازيراً، كما زعم أنه مسخ أصحاب السبت لأنهم اصطادوا السمك يوم السبت وكان قد منعهم أن يفعلوا ذلك؟

بالطبع لم يفعل شيئاً لأنه لا وجود له.

إنه إله من خيال زعم محمد أنه مسطح على العرش في السماء السابعة. وما قيمة هذه التهديدات والوعيد التي أطلقها محمد باسم الله إن كان الله لا ينفذها؟

عندما ضاقت الأرض بمحمد في مكة وقبل أن يهاجر إلى المدينة، جاء بآية تقول عن عرب مكة:

{وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذاً لا يلبثون خلفك إلا قليلاً سنة قد من أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا. (الإسراء 76)}.

إله محمد يخبره أن عرب مكة إذا أخرجوه من مكة فلن يلبثوا بها بعده إلا قليلاً. منتهى التهديد والوعيد. ولكن عرب مكة لم يستكينوا، وتجمعوا حول دار محمد ليقتلوه، فهرب وهاجر إلى يثرب. فمن الناحية العملية هم قد أخرجوه من مكة. فماذا حدث للوعيد بأنهم لا يلبثون بها بعده إلا قليلا؟

هاهم مازالوا بمكة وقد أخرجوه منها. فأين الله ووعيده؟

{لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إلهٌ واحدٌ وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم. (المائدة 73)}.

يقول القرطبي في تفسير الآية:

"إن لم ينتهوا فسوف ينالهم عذاب أليم في الدنيا وفي الآخرة."

وهاهم المسيحيون يقولون بالثالوث حتى الآن، أي بعد أكثر من ألف وأربعمائة سنة بعد نزول الآية، فأين الوعيد بالعذاب الأليم في الدنيا؟

طبعاً لن يصيبهم أي عذاب لأن الوعيد جاء من محمد الذي زعم أنه من إله السماء غير الموجود؟

هدد الله الكافرين وقال لمحمد:

{قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين. (الأنفال 38)}.

فالوعيد للكافرين هو أن ينتهوا من الكفر ويعتنقوا الإسلام، وإلا لو عادوا للكفر فسوف تصيبهم سنة الأولين الذين كفروا، أي سوف يخسف بهم الأرض أو يرسل عليهم ريحاً صرصراً عاتية أو ما شابه ذلك. فماذا حدث؟ ما زال الكافرون بالإسلام أكثر من المؤمنين به، بل خرجت أعداد غفيرة من الإسلام بعد أن اعتنقوه، كما حدث في إسبانيا والبرتغال، وكما يحدث الآن في تجمعات "المسلمون سابقاً Ex-Muslims" التي انتشرت في جميع أرجاء أوروبا وأمريكا.

فأين سُنة الأولين التي هددهم بها إله السماء غير الموجود؟

قال القرآن على لسان الله عندما تحدث عن محمد وأنه لا يبلّغ إلا ما أوحاه الله له:

{ولو تقول علينا بعض الأقاويل. لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين. (الحاقة 44 - 47)}.

فماذا حدث عندما تقول محمد بالآيات الشيطانية وقال:

[أفرأيتم اللات والعزى. ومناة الثالثة الأخرى. ثم أضاف عليها تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترجى]؟

لم يحدث أي شيء لعدة أيام حتى راجع محمد نفسه وندم على ما قال وادعى أن جبريل جاء إليه وأخبره أنه قد تقَوّل على الله بما لم يقل، فتراجع محمد عن الآيات الشيطانية الإضافية التي ألقاها الشيطان على لسانه.

فهاهو محمد قد تقول على الله بعض الأقاويل، فهل أخذ الله منه باليمين وقطع منه الوتين؟ بالطبع لم يفعل لأنه لا وجود له.

عندما تحدث القرآن عن اليهود بعد أن يئس محمد من إقناعهم بالإسلام، قال:

{وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله. (المائدة 64)**}.**

فأين العداوة والبغضاء بين اليهود؟ فهم الآن من أكثر الملل ارتباطاً بعضهم ببعض وكل واحد منهم يدافع عن إسرائيل ويتبرع بالأموال من أجلها، والحكومة الإسرائيلية تبحث عن اليهود أينما كانوا وتحضرهم إلى إسرائيل. وهاهم الآن يوقدون نيراناً للحرب كما حدث في عام 1967 وعندما أغاروا على المفاعل النووي بالعراق وكذلك بسوريا، وعندما غزوا لبنان. وانتصروا في جميع هذه الحروب، فلماذا لم يطفِ الله تلك النيران؟

والجواب حتماً: لأنه غير موجود.

{يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يحب القوم الكافرين. (المائدة 67)**}.**

زعم الإخباريون أن محمد كان يجلس تحت شجرة فجاء إعرابي فاخترط سيفه وقال للنبي: من يحميك مني؟ فقال: الله. فذعرت يد الإعرابي وسقط السيف من يده وضرب رأسه بالشجرة حتى انتثر دماغه. وكان اسم ذلك الإعرابي غورث بن الحارث، وقالوا إن النبي عفا عنه. ذكره القاضي عياض في كتاب "الشفاء".

وطبعاً القصة مصطنعة لأن الأعرابي لو كان قد انتثر دماغه لمات في الحال ولم يكن هناك أي داعي لمحمد ليعفو عنه. ثم أن اسم الإعرابي ربما كان مختلقاً لأنهم سموه غورث بن الحارث والحارث هو لقب للشيطان في الموروث الإسلامي، ولا أخال أن إعرابياً سماه أبوه غورث، فالكلمة غير عربية. ولو كان الله يتفاعل بهذه السرعة ليحمي محمد، أين كان يوم موقعة أُحد يوم شجوا وجه محمد وكسروا أسنانه فاحتمى بالجثث، وأين كان الله يوم ذهب محمد إلى الطائف يطلب الحماية منهم فرموه بالحجارة حتى أدمت قدماه، وأين كان يوم دست له المرأة اليهودية السم في اللحم، ومات محمد من أثر ذلك السم؟

طبعاً كان الله غائباً في تلك اللحظات لأنه أصلاً لا وجود له.

كل هذا الوعيد والتهديد من اختراع محمد وليس هناك أي دليل علمي من الحفريات يدل أن الله قد خسف الأرض بقوم لوط أو غيرهم، أو أنه جعل عاليها سافلها. فلو كان الله موجوداً وأصدر كل هذه التهديدات، خاصة عندما تحداه عرب مكة، لأنزل عليهم العذاب الذي طلبوه أو أي نوع آخر من العقاب هدد به، حتى يثبت لهم أنه موجود. ولكن هذا الصمت المطلق والعجز الباين في عدم تنفيذ الوعيد، يثبت أنه لا إله في السموات العلا.

عودة إلى الفهرس

2008 / 12 / 21

139 - تحريف الكتب المقدسة

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=157075

منذ بداية الإسلام اعتلى المسلمون خيولهم لفرض إسلامهم على الغير، ثم عندما تم لهم ذلك وترجلوا عن تلك الخيول، ركبوا خيول الغرور وزعموا أن إلههم هو الوحيد الجدير بالعبادة وأن قرآنهم هو الكتاب الوحيد "المقدس" لأن الإنجيل والتوراة محرفتان، وبقية كتب الديانات الأخرى ما هي إلا كتب فلسفة فقط. فهل هم على حق؟ سوف أحاول في هذا المقال أن أثبت لهم إذا كانت التوراة محرفة، فيتبع من ذلك أن كتابهم كذلك محرف، وعليهم النزول من على صهوات تلك الجياد.

من المعروف لدينا الآن أن كل الكتب "المقدسة" قد كُتبت بعد عقود أو قرون من موت الأنبياء الذين أتوا بها، ففي تلك الأزمان الغابرة *كانت الكتابة عملة نادرة يمتلكها القليلون من الكهنة*، وتُكتب على ألواح من طين وتجفف في الشمس، أو تكتب على عظام الكتف والحوض. فالتوراة كُتبت بعد حوالي خمسمائة سنة أو أكثر من موت موسى، وأول إنجيل كتب بعد حوالي خمسين سنة أو أكثر من صلب يسوع، **وكذلك القرآن جُمع بعد حوالي خمسين سنة أو أكثر من موت محمد**.

وكانت المصاحف الأولى غير منقطة مما أدى إلى تغيير كلمات عديدة سوف أذكر بعضها في متن المقال. ولم يظهر المصحف الحالي إلا بعد أن أعاد كتابته الحجاج بن يوسف بإيعاز من الخليفة عبد الملك بن مروان وقام بالتنقيط يحيى بن يعمر أبو سليمان الليثي البصري، الذي توفي عام ثمان وتسعين هجرية [1]. وقيل نقطه أبو الأسود الدؤلي، وقيل الحسن البصري.

فحتى بداية القرن الثاني للهجرة كانت قراءة القرآن عبارة عن **تخمين** لأن الحروف غير المنقطة أو المنونة جعلت الكلمة الواحدة تتقبل عدة تخمينات، بالإضافة إلى أن المصحف الواحد كان يشترك في كتابته عدة أشخاص. ولأن خط اليد يختلف من شخص لآخر، ولأن مقدرتهم الكتابية تختلف، فقد قرأ القراء بعض الكلمات المكتوبة قراءة خاطئة، فمثلاً،

{وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها. (البقرة 61)}،

فلا شك أن كلمة "فومها" كانت "ثومها" ولكن لأن الحروف غير منقطة والخط غير واضح، قرأها أحدهم "فومها". وإذا أزلنا النقاط والهمزة من كلمة "قثائها" يمكن أن نقرؤها "فتاتها" وهكذا. *فاحتمال تغيير كلمات القرآن وارد في كل آية.*

وقصة جمع عثمان للمصحف قصة لا يمكن تصديقها

- إذ أن أقدم نسخة من المصحف معروفة للمؤرخين الآن هي النسخة الموجودة في متحف بيترسبيرغ Petersburg في روسيا وترجع إلى القرن الثامن الميلادي، أي بعد حوالي مائة سنة من موت محمد.
- فلو كان عثمان قد كتب خمسة أو ثمانية مصاحف، كما تقول الرواية، ووزعها على عواصم الأمصار، لماذا لم نعثر على تلك المصاحف غير المنقطة حتى الآن؟
- ومما يُثبت أن عثمان لم يجمعه هو **وجود قطعة جلد بمكتبة الفاتيكان بروما عليها آيات قرآنية غير منقطة**، وقد أثبتت الدراسات العلمية أن عمر تلك القطعة من الجلد هو 1250 سنة، أي أكثر من مائة عام بعد وفاة محمد، كما أوضح الدكتور أحمد زكي يماني [2].

وقد استنتج د. يماني أن *بعض كتاب الوحي الأمويين* قد احتفظوا بالجلود التي كانت معهم ولم يجمعوها مع ما جُمع من القرآن في الدولة الأموية.

- ثم أن هناك الصحائف اليمنية التي عثروا عليها في سقف أحد المساجد في اليمن في الثمانينات من القرن المنصرم وبها **قرآن يختلف عن مصحف عثمان**، فاحتفظت بها السلطات اليمنية طويلاً، وأخيراً بعد الضغط من الجامعات العالمية سمحوا لبعض المستشرقين الألمان بدراسة بعضها، **وعرفنا منهم أن القرآن الذي بها يختلف عن المصحف الحالي**.
- وأي كتاب يحمله المؤمنون به في رؤوسهم أو في صدورهم كما يقول القرآن {**وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم**} كل هذه السنوات قبل أن يكتبوه، لا يمكن أن يكون نسخة طبق الأصل مما أتى به الأنبياء. فالروايات الشفهية تتغير رغم أنف رواتها ومهما حاولوا الحفاظ عليها. **وهذه طبيعة ذاكرة الإنسان**.

فإذا كان هذا التغيير غير المتعمد يُعتبر تحريفاً، فكل الكتب "المقدسة "محرفة.

بالنسبة للإسلام، وبعد أن باءت كل محاولات محمد لأسلمة اليهود بالفشل، بدأ الهجوم القولي والفعلي على اليهود وزعم المسلمون أن اليهود حرَّفوا التوراة **بغرض حذف اسم محمد منها**. ولو كان هذا هو السبب الرئيسي لتحريف التوراة، فيكفي أن يحذفوا الآية التي تبشر برسول العرب، إن كانت هناك آية بهذا المعنى.

وليس هناك أي سبب منطقي آخر يجعل اليهود الذين آمنوا بموسى وخرجوا معه من مصر وظلوا تابعين له أربعين سنة في الصحراء وهم تائهون، يحرّفوا كتابهم عمداً.

وإذا افترضنا أنهم حرّفوا التوراة، فهم لا شك فعلوا ذلك لحذف بعض العقوبات الصارمة عليهم، أو لإباحة بعض الإشياء التي حرّمها الله عليهم، أو لتحريم ما كان الأحبار يرونه غير لائق باليهود. *ولكن بالرجوع إلى التوراة الآن نجد كل شيء حرّمه الإسلام محرّم في التوراة، بل زادت عليه، وأغلب أحكام القصاص القرآنية هي نفسها الأحكام التوراتية*، فماذا استفاد اليهود من تحريف التوراة؟ ليس هناك من مصلحة لهم في تحريفها. يقول ابن قيم الجوزية:

> "فالأئمة الهارونيون هم الذين كانوا يعرفون التوراة ويحفظون أكثرها فقتلهم بختنصر على دم واحد ، وأحرق هيكلهم يوم استولى على بيت المقدس ، ولم تكن التوراة محفوظة على ألسنتهم ، بل كان كل واحد من الهارونيين يحفظ فصلاً من التوراة" [3].

أليس هذا ما حدث مع المسلمين في روايات جمع القرآن عندما حاول زيد بن ثابت جمع القرآن، فكان يأتيه الرجال، كلُ بما حفظ من آيات؟ ألم يقل زيد بن ثابت أنه بحث عن آخر آيتين في سورة التوبة فلم يجدهما إلا عند خزيمة بن ثابت، وعندما أتى بهما خزيمة ولم يكن معه شاهد قال ابن عباس:

> "إن الله جعل شهادة خزيمة بشهادة رجلين؟"

---

[1] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين بن تغري بردي، ج1، ص 103.
[2] إيلاف 2005/6/17.
[3] هداية الحيارى، ص 108.

فلم يكن هناك مَن يحفظ كل القرآن، **بل كان كل واحد يحفظ ما تيسر له**. حتى ابن مسعود، الذي طلب الله من محمد أن يقرأ له القرآن، كما تقول كتب التراث، قال

إنه حفظ من النبي سبعين سورة فقط[4].

وأغلب هذه السور كانت السور المكية القصيرة، والقرآن به مائة وأربع عشرة سورة .

وعمر بن الخطاب تعلم البقرة في اثنتي عشرة سنة [5].

فهل كان بإمكانه أن يحفظ كل القرآن في حياة النبي، مع العلم أن النبي عاش أقل من عشر سنوات بعد نزول سورة البقرة؟

وإذا لم يحفظ عمر كل القرآن، فمَن مِن الصحابة كان يمكنه حفظه؟

فلماذا يزعم المسلمون أن التوراة محرفة وقرآنهم لا يطاله التحريف؟ **هم بالطبع يعتمدون على الآية التي يرددونها دون ملل**، وتقول:

{إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون. (الحجر 9)}.

فهل الذِكر هو القرآن فقط؟ فتعالوا نقرأ هذه الآية:

{ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون. (الأنبياء 105)}.

والمعروف أن الزبور هو كتاب داود الذي أتى بعد موسى. فإذاً قوله {**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذِكر**} يعني أن الذِكر في هذه الآية هو الكتاب الذي سبق ظهور داود، أي التوراة، أو يكون الذِكر هو اللوح المحفوظ في السماء. فإذا كان هو اللوح فلا القرآن ولا التوراة يكون ذِكراً. قال أبو هريرة:

(إن الزبور هو ما أنزل على داود، و"من بعد الذِكر" يعني التوراة) [6].

وقال نوح لقومه:

{أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا لعلكم ترحمون. (الأعراف 63)}.

وقال القرآن عن قوم عاد:

{أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون. (الأعراف 69)].

وقال القرآن كذلك عندما خاطب محمد:

{وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون. (الأنبياء 7)}.

واتفق جميع المفسرين أن **أهل الذِكر هم أهل الكتاب** .فإذاً عندما قال إله القرآن إنه سوف يحفظ الذِكر، فهو لا بد قصد التوراة والقرآن وكذلك الإنجيل.

والقرآن يقول:

{ولا مبدل لكلمات الله. (الأنعام 34)}.

ويقول كذلك:

{لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا. (الكهف 27)}.

وقال كذلك:

{لا تبديل لكلمات الله. (يونس 64)}.

ونفس القرآن يقول للمسلمين:

{يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزّل على رسوله والكتاب الذي أُنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيدا. (النساء 136)}.

فالمسلمون **مأمورون أن يؤمنوا أن التوراة هي كلام الله**، ولا مبدل لكلمات الله، فكيف يقولون إن التوراة محرفة؟

ولتفادي هذه المشكلة، يقول الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري:

"إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله فوكل حفظ التوراة إليهم فلهذا دخلها بعد أنبيائهم التحريف والتبديل" [7].

فحتى لو أوكل الله لليهود حفظ التوراة، كان عليه أن يمنع تحريفها لأنه قال:

{ولا مبدل لكلمات الله}.

وإذا كانت التوراة قد حُرفت في زمن السبي البابلي، كما يزعمون، فلا شك أن الله كان عالماً بهذا التحريف. ولكنه عندما أنزل القرآن على محمد قال، عندما خاطب اليهود:

{وآمِنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم. (البقرة 41)}.

فحتى وقت نزول سورة البقرة كان الله يعتقد أن التوراة غير محرفة، لذلك قال لليهود: آمِنوا بما أنزلت لأنه مصّدق لما معكم. فلو كانت التوراة وقتها محرفة، وكان الله عالماً بذلك، لقال لهم: آمنوا بما أنزلت لأنه مصدقٌ لما كان معكم.

وكرر لهم في سورة النساء التي نزلت بعد سورة البقرة:

{يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً. (النساء 47)}.

ألا يكفي هذا التأكيد بأن التوراة وقت نزول القرآن لم تكن محرفة؟

وللتأكيد على أن التوراة لم تكن محرفة، يقول القرآن:

{إنا أنزلنا التوراة فيها هدي ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء. (المائدة 44)}.

يقول القرطبي في تفسيره:

[4] تاريخ الإسلام للذهبي، ج 2، ص 142.
[5] الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، سورة البقرة.
[6] لسان العرب لابن منظور، ج4، حرف الراء، فصل الزاي المعجمة.
[7] النشر في القراءات العشر لابن الجزري، ج1، ص 6.

"يحكم بها النبيون، قيل النبيون هم محمد وعبّر عنه بلفظ الجمع، وقيل كل من بُعث بعد موسى." انتهى.

فهل يمكن أن يأمر الله محمداً أن يحكم بالتوراة وهو يعلم أنها محرّفة؟ الجواب حتماً بالنفي. ومحمد قد حكم بالتوراة عندما رجم المرأة والرجل اليهوديين عندما زنيا، كما تقول كتب التراث.

وهذه الآية تضعنا أمام مشكلة عويصة: فإما أن الله لم يكن يدري أن التوراة محرفة ولذلك أمر محمد أن يحكم بها، أو أن التوراة ليست محرفة.

وماهو التحريف الذي أدخله اليهود على التوراة؟ يقول القرآن:

{**وإنّ منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب.** (آل عمران 78)}.

ولاحظ هنا أن القرآن يقول إن هناك فريقاً من اليهود **يلوون ألسنتهم** بالكتاب، **أي يغيرون النطق فقط**، ولا يعني هذا أنهم غيروا في التوراة نفسها. وحتى هولاء كانوا فريقاً من اليهود، وليس اليهود كلهم. ولتوكيد هذا الفهم يقول القرآن:

{**مِنَ الذينَ هادوا يُحَرِّفون الكَلِمَ عَنِ مَواضعه ويقولون سَمِعنَا وعصينَا واسمع غَير مسمع وراعنَا لَيا بِألْسنَتهم وطعنا فِي الدّين ولَو أنّهم قَالُوا سمعنَا وأطَعنَا واسمع وانظرنَا لَكَانَ خيرًا لَّهمْ وأقوم وَلَكِن لَعَنَهم اللَّهُ بِكفرهِمْ فَلاَ يؤمنون إلاَّ قَلِيلاً** (النساء 46)}.

فكل تحريفهم الذي اتهمهم به القرآن أنهم كانوا يقولون "سمعنا وعصينا" بدل "سمعنا وأطعنا". وكانوا يقولون "راعنا" ويقصدون أن محمد أرعنّ. فهل يُعتبر هذا تحريفاً للتوراة؟

يقول القرآن إن هناك فريقاً من بني إسرائيل ظلموا وبدلوا ما قيل لهم:

{**فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون.** (الأعراف 162)}.

فماذا فعل الله بالذين ظلموا؟ أرسل عليهم رجزاً كما أرسله على قوم عاد فأبادهم. فالذين غيروا فيما قيل لهم أهلكهم الله. فهل هناك حفظ للتوراة أكثر من هذا؟ بل يمكن أن نقول إن الله حفظ التوراة أكثر مما حفظ القرآن، لأن بعض الناس غيروا في آيات القرآن ولم يرسل عليهم رجزاً من السماء.

وخلاصة القول هي أن التوراة ذِكر كما القرآن ذِكر وأن إله القرآن قال إنه أنزل الذِكر وإنه حافظ له. فإذا تمكن اليهود من تحريف التوراة رغم وعد إله القرآن، فكذلك تمكن المسلمون من تحريف القرآن. ولن أتعرض هنا لما قاله غلاة الشيعة من أن جماعة السقيفة قد حرفوا القرآن وحذفوا منه الآيات التي تقول بولاية عليّ. ولكن سوف أقدّم سورة هنا اسمها سورة الحفد.

تقول سورة الحفد:

{**بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك الخير ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نخشى عذابك ونرجو رحمتك إن عذابك بالكفار ملحق**}.

فهذه السورة ليست في المصحف العثماني، وهذا يتركنا أمام خيارين لا ثالث لهما:
الخيار الأول: هذه السورة كانت من القرآن وسقطت عنه، وبالتالي القرآن قد أصابه التحريف.
والخيار الثاني: هذه السورة ليست من القرآن ولكنها تثبت أن البشر يمكن أن يأتوا بقرآن لا يقل روعة في النظم عن قرآن الله.
فعلى المسلمين أن يختاروا.

ثم أن هناك اختلافات عديدة في القرآن *لم يستطع المفسرون الالتفاف حولها* فزعموا أن النبي عندما واجهه عمر وابن مسعود وغيرهما بقراءات مختلفة عما كان قد لقنهم من القرآن، قال لهم إن القرآن نزل بسبعة أحرف للتيسير على المسلمين. واحتار الفقهاء في مسألة الحروف السبع، وحاولوا كل شيء ممكن، فقالوا هي لغات القبائل الأخرى، وقالوا غير ذلك كثير. غير أن الاختلاف لا ينحصر في **طريقة نطق الكلمات** حتى نقول إنها لهجات القبائل. ولا تنحصر قبائل العرب في سبعة، فلماذا اختار الله سبعةً منها؟ ثم أن القراءات المختلفة وصلت عشرين وأكثر، فما معنى الحروف السبعة؟

وكما تقول الروايات فإنّ عثمان أحرق جميع المصاحف المختلفة عن مصحفه وجعل القراءة على حرف واحد. فكيف يُلغي عثمان ما أنزله الله رحمةً بعباده وتخفيفاً لهم؟

حقيقة الأمر أن محمد كان يُلقن الناس في فترات مختلفة قراءات مختلفة لنفس الآيات لأنه من الصعب حفظ الآيات المتشابهات، وعندما اكتشف الأمر زعم أن الله أنزل القرآن بسبعة أحرف. ولأن محمد لقن الناس آيات مختلفات حسب ما تذكر كتب التراث، كتب ابن مسعود في مصحفه القرآن الذي سمعه من محمد وكان هذا القرآن مختلفاً عن المصحف الذي جمعه عثمان، كما تقول الروايات.

ولذلك عندما حاول عثمان جمع المصاحف الأخرى وحرقها، رفض ابن مسعود تسليم مصحفه فضربه عثمان وكسر ضلعه [8].

وكمثال لمبالغة المسلمين في أقوالهم عن حفظ القرآن من التحريف، نورد ما قاله السيد عبدالله اسكندر المالكي:

"ومن هنا يظهر **الإعجاز** الذي لا يُبارى والذي دحضتُ به حجة من أراد النيل من هذا الكتاب. لأنهم ليس لهم نصيباً من تغيير حتى حركة واحدة من القرآن الكريم فضلاً عن الحرف فضلاً عن الكلمة فضلاً عن الآية..... الخ" [9].

وكي نثبت للسيد المالكي خطأ ما قال نورد له بعض القراءات التي غيرت الحروف، والحركة، بل الكلمات.

- ففي القراءات المختلفة نجد أن القراء اختلفوا في {**إسحرٌ مبين.** (يونس 2)}، فقرأ حمزة والكسائي وخلف "لساحِرٌ مبين" بألف بعد السين وكسر الحاء، ووافقهم ابن كثير وعاصم. وقرأ الباقون بكسر السين وإسكان الحاء من غير الف فصارت سِحرٌ. وهناك طبعاً اختلاف كبير بين كلمة "سحرٌ" و "ساحرٌ" . فهذا تغيير لكلمات الله والقرآن يقول **لن تجد لكلماته تبديلاً**.
- وكذلك نجد في سورة يونس {**ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار**} بينما قرأ آخرون "ويوم نحشرهم". والسبب في هذا الاختلاف هو أن القرآن **لم يكن منقطاً فتشابهت الكلمات غير المنقطة**، فقرأ بعضهم "نحشرهم" وقرأ آخرون "يحشرهم".
- وفي الآية {**فجاسوا خلال الديار.** (الإسراء 5)}، قرأ بعضهم "فحاسوا" بالحاء بدل الجيم.
- وفي الآية {**وقضى ربك.** (الإسراء 23)} قرأ بعضهم "وصى ربك".
- وفي يونس 92 {**اليوم ننجيك**} قرأ بعضهم "ننحيك" [10].

ونجد في القرآن آيات قالها أشخاص، وليس هناك أي دليل أنها من القرآن،

[8] تاريخ اليعقوبي، ج2، ص 167، دار صادر، بيروت.
[9] إيلاف 2008/8/3.
[10] انظر كتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري.

"وقال ابن سعد في الطبقات: أخبرنا الواقدي حدثني إبراهيم بن محمد بن شرحبيل العبدري عن أبيه قال: حمل مصعب بن عمير اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى، ثم قطعت يده اليسرى فحنى على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهويقول: {**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم**}، ثم قتل فسقط اللواء. قال محمد بن شرحبيل: وما نزلت هذه الآية يومئذ حتى نزلت بعد ذلك".

أي بمعنى آخر لم تكن هذه الكلمات في القرآن، فاختلط الأمر على الناس فيما بعد وجعلوها آيةً من القرآن. **وهذه الرواية تعني أن القرآن ليس كله كلام الله**. ولذلك عندما مات محمد وزعر الناس، بما فيهم عمر بن الخطاب الذي حلف ليقتلن كل من قال بموت محمد، وعندما جاء أبو بكر وقال:

(ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل)

قال عمر:

(والذي نفسي بيده ما علمت هذه الآية حتى قالها أبو بكر.)

فكيف نصدق أن عمر لم يكن يعرف أن هذه الكلمات هي آية من القرآن؟

والدليل الآخر على أن هذه الكلمات ليست آية قرآنية هو أن الله لايمكن أن يقول عن محمد (**أفإن مات أو قُتل**) لأن الله كان يعلم أن محمد لن يقتل لأنه قال له في القرآن:

{**والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين.** (المائدة 67)}.

فلا يمكن أن يؤكد له أنه قد عصمه من الناس فلا يضرونه ثم يقول (إن قُتل)، لأنه كان يعلم أنه لن يُقتل.

فالقرآن ذِكر مثله مثل التوراة، بل كلمة "التوراة" نفسها قد تعني القرآن:

"يُعبر بلفظ القرآن عن الزبور، وبلفظ التوراة عن القرآن، وبلفظ الإنجيل عن القرآن أيضاً وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم: خفف على داود القرآن فكان ما بين أن تسرج دابته إلى أن يركبها يقرأ القرآن، فالمراد به قرآنه وهو الزبور" [11].

وبما أن التوراة قد تعني القرآن، فقول المسلمين إن التوراة محرفة يعني كذلك أن القرآن محرّف.

يقول الدكتور حسن كامل، أستاذ الفقه الإسلامي بالأزهر:

"إن الأديان الثلاثة تتفق في الضروريات، وهي: حفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال، وحفظ الدين"[12].

فكيف يشترك اليهود مع المسلمين في حفظ الدين ومع ذلك يحرفون كتابهم؟

وعلى كلٍ فإن الكتب "المقدسة" مجهود بشري يعتريه ما يعتري كل مجهودات الإنسان من أخطاء وتغيير، فليس هناك من كتابٍ يحتوي على كلمات الله. وإنما أردتُ من هذا المقال إقناع المسلمين أن كل ما حدث للذين من قبلهم حدث لهم كذلك، كما في الحديث:

[ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حَذْوَ النعل بالنعل حتى لو كان منهم من يأتي أمه علانية لكان من أمتي من يصنع ذلك وإن بني إسرائيل تفرقت اثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة] [13].

فهلا ترجّل المسلمون عن صهوات جياد الغرور وعاملوا الآخر كما يحبون أن يعاملهم الآخر؟

عودة إلى الفهرس

[11] هداية الحيارى لابن القيم، ص 80.
[12] إيلاف 2008/12/15.
[13] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج4، آل عمران 103.

140 - القضاء الإسلامي مكانه المتحف - السعودية مثالاً

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=157793

عندما استقر محمد بن عبد الله بالمدينة وأقام دويلته الدينية، أصبح هو السلطة التشريعية والسلطة القضائية وأوكل السلطة الثالثة، أي سلطة التنفيذ إلى أصحابه. وبعد موته تسلّم الخليفة تلك السلطات وأصبح هو مَن يختار القضاة الذين يعرف موالاتهم له، وأصبح القضاء اليد التي يسيطر بها الحاكم على الرعية. *واستمر الوضع على هذا المنوال في جميع الأمصار العربية حتى الآن.*
واشتهر القضاة الشرعيون على مر العصور **بالجور** و**موالاة الخليفة** على حساب الرعية، في مقابل إجزال العطاء لهم من السلطان، فأصبح القضاة من أغنى طبقات المجتمعات الإسلامية.

> يُحكى أن ركب الحُجاج من بلاد الشام في عام 355 هجرية تعرض للسطو عليه من اللصوص قُطّاع الطريق فأخذوا من قاضي طرطوس المعروف بالخواتيمي مائة وعشرين ألف دينار[1].

ويمثل هذا المبلغ من المال في تلك الأيام ثروةً عظيمة.
ومع مرور الزمن أصبح القضاة لا يتورعون عن إظهار الذل والخنوع في حضرة السلطان من أجل المال والجاه. ففي أيام الخلافة الفاطمية بمصر كان الاحتفال بنهاية الصيام مهرجاناً عظيماً يحضره الخليفة يوم العيد ويجلس على منبر المسجد،

> "فعندما يسمع قاضي القضاة الأذان يتوجه إلى المنبر فيقبل أول درجة وبعده متولي بيت المال ومعه المبخرة وهو يبخر ولم يزالا يقبلان درجة بعد درجة إلى أن يصلا ذروة المنبر فيفتح القاضي بيده التزرير ويرفع الستر ويتناول من متولي بيت المال المبخرة ويبخر هو أيضاً ثم يقبلان الدرج أيضّا وهما نازلان. وبعد نزولهما يخرج الخليفة والمقرئون بين يديه بتلك الأصوات الشجية إلى أن يصل إلى المنبر ويصعد عليه" [2].

وربما قبّل حذاء الخليفة لو كان الخليفة جالساً على المنبر.

> قليل جداً هم رجال الدين الذين خافوا ربهم وتهربوا من تولي منصة القضاء، منهم أبو قلابة الجرمي واسمه عبد الله بن زيد من الطبقة الثانية من تابعي أهل البصرة وكان فقيها عابدا طُلب إلى القضاء في عام 104 هجرية فهرب إلى الشأم وأقام به [3].

وما زال القضاة في البلاد العربية والإسلامية التي تُحكم بشريعة محمد بن عبد الله (السعودية، والسودان، وإيران) يطبقون الأحكام الجائرة التي اشتهر بها من سبقوهم. وكل هم هؤلاء القضاة هو الضرب بيد من حديد على كل من يشتّموا فيه رائحة التمرد عليهم أو على ولي الأمر، ويسمون أحكامهم التي لا ترتكز على أي قاعدة معروفة ‹أحكاماً تعزيرية›. *وكل الأحكام التعزيرية* (التي خارج الحدود المعروفة من القتل والسرقة والزنا) *خاضعة لمزاج ولي الأمر*، وله الحق في إلغائها والعفو عن المدان. يقول قاضي المحكمة الجزئية بالباحة، الشيخ الدكتور محمد بن حجر الظافري

> "إنّ لولي الأمر الحق في إسقاط العقوبات التعزيرية عمّن يرى إسقاطها عنه كما أنه له الحق بالمطالبة بإقامة العقوبات التعزيزية على مَن يرى تأديبه وتعزيره مشيراً فضيلته إلى أنّ ولي الأمر هو الذي يتصرف لمصلحة المسلمين على وجه ليس فوق يده يد. وقال فضيلته: العقوبات التعزيرية شرعت من باب السياسة الشرعية لحفظ الأمن وإقامة العدل وردع الباغي وتأديب من يستحق التأديب، وأوضح أن هذه المجموعة المتكاملة من التعازير، والسلسلة المترابطة منها وضعت بيد ولي الأمر ليقوّم بها المعوج وليقيم بها الناس على الجادة" [4].

بمثل هذه القوانين **الهلامية** تُحكم المملكة العربية السعودية التي يتربع على قمة هرمها القضائي آل الشيخ، أحفاد محمد بن عبد الوهاب. وجور أحكام القضاة الوهابيين، ينافس أحكام **قراقوش** في بعض الحالات، كما هو معروف للقاصي والداني، ولذلك قال الملك عبد الله عندما جلس على العرش، **إنّ همه الأول سوف يكون إصلاح القضاء**. وما زلنا منتظرين.
ونفس هذه القوانين غير الإنسانية طبقها الترابي والبشير في السودان وقطعوا أيادي رجال كان الفقر قد حال بينهم وبين كسب قوتهم فاضطروا أن يسرقوه، وجلدوا النساء في الميادين العامة لمخالفتهن الزي الإسلامي في الملبس، **وشنقوا المفكر السوداني محمود محمد طه بعد محاكمة قراقوشية**. والحال لا يختلف في إيران التي أعدم فيها القاضي خلخالي مئات الضباط وكبار الموظفين في عهد شاه إيران.
وصلني إيميل من أحد الأطباء الذين اكتووا بنار الظلم القضائي الوهابي، يحكي فيه مأساته، وهو طبيب أردني يعيش في مصر، اسمه دكتور نبيه عبد الرحمن أسعد عثمان، أخصائي أطفال. عمل بمستشفى الأطفال بالطائف منذ العام 1980 حتى غادر المملكة هذا العام بعد السجن والجلد.
قبل حوالي اثنتي عشرة سنة عملت معهم طبيبة سعودية في قسم الأطفال. في يوم من الأيام أتت الطبيبة إلى مكتبه وحكت له عن علاقاتها الجنسية ببعض الزملاء السعوديين، منهم مَن هو الآن أخصائي أمراض القلب بالطائف، ومنهم مَن هو مسؤول كبير بوزارة الصحة بالرياض، وأنها ترغب في إجراء عملية ترقيع غشاء البكارة في مصر لأنها تنوي الزواج، وطلبت منه المساعدة في ذلك لأنه يعرف مصر ويعيش بها. اعتذر الدكتور عن مساعدتها لكنه أقسم لها أنه سوف يحفظ أسرارها ولن يبوح بها لأي شخص.
بعد مضي اثنتي عشرة سنة على هذه المكالمة تقدمت الطبيبة السعودية بشكوى ضد الدكتور نبيه تتهمه بإرسال رسائل على الجوال ورسائل خطية يشتمها بها. تم توقيف الطبيب بمركز شرطة النزهة وعومل معاملة غير كريمة. يقول دكتور نبيه إنه عندما أخبر المحقق بملابسات الشكوى وبعلاقات الطبيبة بأطباء سعوديين، وذكر أسماءهم له، هدده المحقق بالقتل ورفض أن يكتب أي محضر للجلسة. أصيب الدكتور بنوبة قلبية من سوء المعاملة وأدخل مستشفى الملك فيصل بالطائف، وأثناء وجوده بالمستشفي أحضرت الشرطة محضراً ملفقاً وطلبوا منه التوقيع عليه دون أن يقرؤوه، فوقع مجبراً.
اقتحمت الشرطة شقته وفتشوها، ودسوا بها رسائل مطبوعة تسيء إلى الدكتورة السعودية، كما يقول دكتور نبيه. وبسرعة زوجوا الدكتورة التي كانت قد بلغت من العمر خمسين عاماً، لتفادي إحراج الطبيبة إذا أجروا عليها الكشف الطبي الذي سوف يثبت فض غشاء البكارة
أحيلت القضية إلى المحكمة الجزئية بالطائف بعد خمسة أشهر وحددت جلسة الحكم يوم 1427/8/18 هـ قضية رقم 2/120. وفي بداية الجلسة ادعى المدعي العام أن زميلات الشاكية شهود على ما حدث. لم يسأل القاضي الشاكية بتاتاً ولم يستدع الشاهدات، وبني

---

[1] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين بن تغري بردي، ج2، ص12.
[2] نفس المصدر، ص 46.
[3] النجوم الزاهرة، ج1، ص 126.
[4] قضاء يسحق العدالة، نظام قضائي ضد الإصلاح السياسي في السعودية، للكاتب تأبط خيراً، دار مصر المحروسة، 2005، ص 301.

حكمه على الشهادات التي قدمها المدعي العام من الزميلات وعلى اعتراف المتهم الذي أجبر عليه، رغم أن المتهم أخبر القاضي أن الاعتراف منتزع منه انتزاعاً.
حكم عليه القاضي الشرعي بالسجن سنة، وثمانين جلدة حد القذف، ومائة جلدة إضافية، ثم ترحيله من المملكة بعد انقضاء المدة المقررة في السجن. وسحق ذلك القاضي العدالة سحقاً تاماً إذ أن الشريعة الإسلامية تستدعي شهادة رجلين بالغين، أو رجل وامرأتين.
ولم يستجوب القاضي الشاكية ولم يجتهد في معرفة التلفون الجوال الذي أرسلت منه تلك الرسائل، مع العلم بأن شركة الهاتف تستطيع أن تحدد التلفون والتاريخ والمكان الذي أرسلت منه تلك الرسائل، ولم يستعن بخبراء الخط ليعرف إذا كانت الرسائل الخطية صادرة من الطبيب أم لا.
أخبر القاضي دكتور نبيه أن الحكم سوف يرفع إلى محكمة التمييز وإذا أراد أن يقدم لائحة يعترض فيها على الحكم عليه أن يقدمها في اليوم التالي لأن القاضي سوف يكون في إجازة لمدة خمسين يوماً تبدأ في اليوم بعد التالي.
كتب الدكتور لائحة الاعتراض بمساعدة محام وأرسلها مع أخيه إلى المحكمة لأنه كان بالحبس. رفض القاضي أن يستلمها بدون حضور المحامي. وعندما حضر المحامي، رفض استلامها منه بدون توكيل من الدكتور، فأحضرت الشرطة الدكتور لإعطاء التوكيل.
كل هذه المناورات كان الغرض منها **تعطيل استلام الاعتراض** كي يُرسل الحكم إلى محكمة التمييز دون عريضة، فتوافق عليه المحكمة. بعد قراءة العريضة نقضت محكمة التمييز الحكم ولكن ظل دكتور نبيه بالسجن خمسين يوماً حتى رجع القاضي من إجازته لأن المحكمة بالطائف رفضت إطلاق سراحة حتى يرجع القاضي الذي حكم عليه، مع العلم أن الحكم الابتدائي لا يُنفذ إلا بعد الموافقة عليه من محكمة التمييز. ولكن مع ذلك حبسوا الدكتور نبيه خمسين يوماً. وحتى بعد أن نقضت محكمة التمييز الحكم، أصر القاضي على *تنفيذ حد القذف لأنه حق خاص*، ونفذ الجلد على الطبيب بتاريخ 1427/12/4 هجرية، أمام مستشفى الملك عبد العزيز حيث تعمل الطبيبة الشاكية، إمعاناً في الإهانة، ورحلوا الطبيب من المملكة.
ولا يخفى على القاريء أن الفقهاء يرددون علينا الحديث الذي يقول: [ادرءوا الحدود بالشبهات]، وهناك عدة شبهات حول هذا الاتهام، ولكن قاضي الأرض داهن في القضاء، وجلد الطبيب بالشبهة وحرمه من مكافأة عدة سنوات خدمة بالمملكة الوهابية، ثم رحّله عنها.
وهناك مئات، إن لم تكن آلاف حالات الظلم الذي وقع على العاملين الأجانب بالمملكة، منهم سارة جين ديماتيرا التي كانت في التاسعة عشرة من العمر عندما وصلت إلى السعودية في تشرين الثاني (نوفمبر) 1992م من موطنها في الفيليبين لمباشرة العمل كعاملة منزل، وبعد أربعة أيام تم القبض عليها بتهمة قتل مخدمتها، وهي جريمة تنكر سارة أنها ارتكبتها. ولا تزال سارة سجينة في سجن الدمام منذ ذلك الحين. وبعد مضي خمس سنوات على إلقاء القبض عليها علمت منظمة العفو الدولية وآلاف الأشخاص من جميع أنحاء العالم أنه قد حكم عليها بالإعدام، ولكن يبدو أن سارة لم تكن تعلم بذلك الحكم الذي صدر ضدها في عام 1997، وبعثت برسالة إلى أمها تقول:

> "في رسالتي الأخيرة قلت إنهم أبلغوني بأنه ينبغي علي أن أبقى هنا مدة سنة أخرى ليصل المجموع إلى خمس سنوات، لكنني لست واثقة من ذلك لأنهم لم يستدعوني إلى المحكمة بعد. وما زلت غير قادرة على التحدث إلى القاضي، وبعد أشهر ستكون قد مضت خمس سنوات على وجودي هنا".
>
> لم تُقدم سارة إلى محاكمة علنية ولم يسمحوا لها بالحصول على مساعدة قانونية سواء عقب إلقاء القبض عليها أو خلال أي إجراءات قضائية، ولم يتم اطلاعها على ما اتخذ ضدها من إجراءات قانونية، وكذلك حرمت من الاتصال الفوري بالقنصلية الفيليبينية. سوف تظل سارة بالسجن لمدة عشر سنوات أخرى إلى أن يبلغ الابن الأكبر للضحية سن الثامنة عشرة ويقررما إذا كان سوف يقبل بالتعويض بدلاً من إعدامها أو يطلب تنفيذ الإعدام بحقها [5].

تقول منظمة العفو الدولية عن القضاء السعودي:

> ***"إن نظام القضاء الجنائي في المملكة العربية السعودية يؤدي إلى انتهاكات لحقوق الإنسان تنشأ وتدوم في ظل السرية التي يقوم عليها النظام برمته، بدءاً من القبض على الأشخاص واحتجازهم وانتهاءً بجميع المراحل المختلفة للمحكمة. وهو نظام يولد سوء المعاملة والتعذيب ويديمها ولا يتيح أي فرصة للإنصاف، كما أنه نظام يقوم على التمييز بما في ذلك التمييز ضد الأقليات الدينية والنساء والعمال المهاجرين والأشخاص المتهمين بانتهاك القواعد السلوكية الصارمة للبلاد"*** [6].

هل يمكن أن نصدق أن خادمة منزل عمرها تسع عشرة سنة، وقد وصلت لتوها إلى المملكة، يمكن أن تقتل مخدمتها بعد أربعة أيام؟ وأين أبسط قواعد العدل وإعطاء المتهم الفرصة للدفاع عن نفسه؟
وحديثاً قامت سيدة سعودية برفع دعوى على مطلقها بسبب اقدامه على تزويج ابنتهما البالغة من العمر ثماني سنوات لرجل يكبرها بخمسين عاما! وقال عبدالله الجطيلي محامي الزوجة، إن الطفلة تلميذة في المدرسة ولا تعرف أنها متزوجة، وأن المواثيق الدولية تستوجب الحكم لها بالطلاق! **ولكن المحكمة السعودية الشرعية حكمت بصحة الزواج ورفض القاضي الدعوى** التي أقامتها الأم لأنها «غير ذي صلة» كونها مطلقة والأب هو الولي الشرعي على الطفلة!

> وقد علق رجل الدين السلفي محمد عبدالله الهبدان بأن الزواج صحيح، وأن ما تقوم به الدول الاسلامية من تحديد لسن زواج الفتاة أو الفتى مخالف للشريعة، ويعد «تضييقا» على الناس ما أنزل الله به من سلطان. وقال أن المعيار الذي يسمح بهذا النوع من الزواج هو «شرط عدم الاضرار بالفتاة وبمدى قدرتها على تحمل الوطء»، فإن كانت تتحمل العملية الجنسية فلا ضرر من تزويجها [7]. الأم أصبحت غير ذي صلة بطفلتها التي حملتها تسعة أشهر وأرضعتها واعتنت بها، لأنها أصبحت مطلقة.

ما أهون الطفل و المرأة في القضاء الإسلامي.

الدكتور نبيه عبد الرحمن والآنسة سارة جين والطفلة السعودية ذات الثمانية أعوام ما هم إلا أمثلة بسيطة من آلاف الأمثلة التي برع القضاء الإسلامي الوهابي في إخراجها لنا يومياً. **والمثل الشعبي المصري الذي يقول "يا ما في السجن مظاليم" يستحق أن يكون مثلاً سعودياً خالصاً، إذ ليس هناك مظاليم في سجون العالم كله يعادلون المظاليم في سجون المملكة الوهابية**. وكل هذا الظلم يُكال على السعوديين والأجانب باسم محمد بن عبد الله القرشي وشرعه الذي لا يعرف تعريفاً واضحاً للجريمة ولا عقاباً يتناسب والجرم. ومع هذا تصدق الشعوب الإسلامية أن *الإسلام هو الحل*، وتتنافس المنظمات الإسلامية مثل الإخوان المسلمين وطالبان والجماعات السلفية في الجزائر وباكستان وغيرها في تطبيق الشريعة الإسلامية التي لا تعرف غير الرجم والبتر.
انتقدت صحيفة وشنطن بوست الأمريكية المعاملة السيئة ضد الأجانب في السعودية، ونشرت تقريرا في 7 ديسمبر تناولت فيه حملة "الرحمة" للرفق بالإنسان في المملكة والتي جرت تحت عنوان "لا تجردني من انسانيتي". وصاحب التقرير صورتان الأولى لإحدى

[5] قضاء يسحق العدالة، تأبط خيراً، ص 311.
[6] نفس المصدر، ص 314.
[7] أحمد الصراف، القبس الكويتية، 2008/12/23.

الخادمات الأجنبيات وهي منحنية تحت أقدام "سيدتها" وأمامها إناء أكل الكلاب أو القطط، بينما الصوره الثانية لسائق أجنبي مقيد وفي فمه لجام شبيه بلجام الحمير أو الأحصنة وتمسك بنهاية اللجام "سيدته" الجالسة في المقعد الخلفي من السياره [8].

الشعب السعودي يعامل الأجانب بكل ازدراء، كما تعامل الحكومة الشعب السعودي، والحديث يقول "كما تكونوا يولى عليكم". والقضاء السعودي ما هو إلا اليد اليسرى للعائلة المالكة التي تخنق الشعب والعاملين الأجانب بكلتا يديها.
فهل حان الوقت لإيداع قوانين الشريعة متحف التاريخ وفتح الباب إلى المسلمين عامةً، والسعوديين خاصةً حتى يستنشقوا نسيم الحضارة؟

عودة إلى الفهرس

[8] آفاق، 2008/12/18.

الدكتور كامل النجار

مقالات

الحوار المتمدن

المجموعة IV (2009)

#	عنوان المقال	العدد	تاريخ النشر	محور المقال
141	إله السماء لا يعلم شيئاً	2516	2009 / 1 / 4	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
143	إله السماء مهندس فاشل	2530	2009 / 1 / 18	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
175	ماذا ترك العلم لإله السماء؟	2816	2009 / 10 / 31	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
176	عَوْدٌ على بدء - الرجوع إلى الفيزياء	2819	2009 / 11 / 3	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
142	ثورة الحسين والتجارة التي لا تبور	2523	2009 / 1 / 11	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
144	نقد الأديان والتعصب	2534	2009 / 1 / 22	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
145	رسالة مفتوحة إلى رب السماء	2540	2009 / 1 / 28	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
146	نشر الإسلام على حساب الأيتام	2546	2009 / 2 / 3	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
147	الأديان تجرد الإنسان من إرادته	2552	2009 / 2 / 9	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
149	الذين يكرهون الحياة	2565	2009 / 2 / 22	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
151	نظرة جديدة على - مجمع البحرين- القرآني	2607	2009 / 4 / 5	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
152	الرسل والأنبياء مضيعةٌ للوقت - كما يقول القرآن	2614	2009 / 4 / 12	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
153	تعقيبات القراء على الرسل والأنبياء	2621	2009 / 4 / 19	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
154	لندنستان والإخوان 1-2	2628	2009 / 4 / 26	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
155	لندنستان والإخوان 2-2	2635	2009 / 5 / 3	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
156	من هو كامل النجار	2642	2009 / 5 / 10	سيرة ذاتية
157	مع القراء مرة أخرى	2649	2009 / 5 / 17	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
158	الصحوة التي تسبق الموت	2656	2009 / 5 / 24	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
159	السيد المرادني ودفاعه البائس عن القرآن	2661	2009 / 5 / 29	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
160	إجابات للقراء عن موضوع الدفاع عن القرآن	2663	2009 / 5 / 31	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
161	أفتخر بأني أنثى	2667	2009 / 6 / 4	الادب والفن
162	إبراهيم بن نبي والمفاهيم الخاطئة 1	2670	2009 / 6 / 7	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
164	إبراهيم بن نبي والمفاهيم الخاطئة 2	2677	2009 / 6 / 14	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
163	الحبُ في مدينةِ الزحام	2674	2009 / 6 / 11	الادب والفن
165	يا نهدها	2681	2009 / 6 / 18	الادب والفن
167	مرة أخرى أعتذر	2688	2009 / 6 / 25	الادب والفن
166	متى ينتهي هذا الصلف؟	2684	2009 / 6 / 21	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
168	ردود على القراء	2691	2009 / 6 / 28	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
169	تفنيد أركان الإسلام الخمسة	2715	2009 / 7 / 22	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
148	الصلاة ليست إيحاءً إلهياً	2558	2009 / 2 / 15	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
170	لماذا نقد الإسلام دون غيره؟	2722	2009 / 7 / 29	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
171	ملحد أم لا ديني؟	2725	2009 / 8 / 1	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
172	ماذا أراد عائض القرني من نشيده؟	2762	2009 / 9 / 7	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
173	إله أم صنم؟	2807	2009 / 10 / 22	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
174	تعقيباً على القراء	2810	2009 / 10 / 25	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
177	حصاد الهشيم - الحلقة الأولى	2823	2009 / 11 / 8	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
178	حصاد الهشيم - الحلقة الثانية	2825	2009 / 11 / 10	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
179	حصاد الهشيم - الحلقة قبل الأخيرة	2827	2009 / 11 / 12	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
180	حصاد الهشيم - الحلقة الأخيرة	2830	2009 / 11 / 15	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
181	نفاق وعاظ السلاطين	2838	2009 / 11 / 24	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
182	إنجازات الحوار المتمدن	2851	2009 / 12 / 7	ملف - في الذكرى الثامنة لتأسيسه ,- 2009-12-09- الحوار المتمدن إلى أين؟
183	على نفسها جنت براقش - النباح حول المآذن	2858	2009 / 12 / 14	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
184	مع القراء عن نباح الكلاب	2862	2009 / 12 / 19	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
185	خرافة العصر الذهبي في صدر الإسلام 1-3	2865	2009 / 12 / 22	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
186	خرافة العصر الذهبي في صدر الإسلام 2-3	2869	2009 / 12 / 26	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
187	خرافة العصر الذهبي في صدر الإسلام 3-3	2873	2009 / 12 / 30	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني

141 - إله السماء لا يعلم شيئاً

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=158569

يتطلع الإسلاميون إلى حكمنا بالدستور القرآني الذي لا يتغير ولا يتبدل رغم تغير الأزمنة، وهم طبعاً مخطئون في تصورهم هذا إذ أن الدساتير والقوانين يجب أن تتغير حسب الزمان والمكان، كما يقول توماس جيفرسون الرئيس الأمريكي الثالث، وأحد المؤسسين الأوائل للجمهورية، في رسالة بعث بها إلى صموئيل كيرشيفال Kercheval في عام 1816:

"بعض الناس، ينظرون إلى الدساتير نظرات نفاق. ويعتقدون بأن الدساتير هي العهد وهي الميثاق، وأنها بذلك مقدسة، لا تُمسُّ ولا تُجسُّ. ومثل هؤلاء يُنسّبون إلى عصر سابق من الحكمة، وليس إلى البشرية الحاضرة، ويفترضون أن ما وضعوه من دساتير هو فوق التغيير والتعديل. وأنا بالضرورة لست رجل قانون، لأقول أو أقوم بتغييرات متتابعة في القوانين والدساتير، ولكني أعتقد بأن القوانين والدساتير يجب أن تصاحب جنباً إلى جنب تقدم العقل البشري. فتغيير القوانين والدساتير واجب، كلما تطور العقل البشري، وزاد تنويره، وتكشفت الحقائق، وتغيرت السلوكيات والآراء والقيم. فلا يمكن للرجل أن يلبس ملابس طفولته. كما لا يمكن لمجتمع متحضر الآن، أن يخضع لحكم الأسلاف." انتهى.

وسوف أحاول في هذا المقال **أن** أثبت للإسلاميين أن دستورهم القرآني قد كتبه إله لا يعلم عن عالمنا شيئاً، وبالتالي لا يجوز له أن يكتب لنا دستوراً ينظم حياتنا. نحن، كما يملي علينا العقل، أحق من إله السماء بكتابة وتغيير دساتيرنا، ويجب على الإسلاميين دفن مفهوم "**الحاكمية لله**" الذي قال به الخوارج ثم أحياه الشيخ السلفي المودودي، ذو الأصول الهندية، ونشره على الملأ الإسلامي الإخواني سيد قطب.

- في البدء أخبرنا إله القرآن بمزاعم كثيرة عن نفسه يصعب عليه إثباتها لنا. فهو، مثلاً، يقول:

{عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير. (الأنعام 73)}.

ويقول كذلك:

{والله يعلم ما تسرون وما تعلنون. (النحل 19)}.

ويقول:

{ألا يسجدوا لله الذي يُخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون. (النمل 25)}.

و:

{يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور. (التغابن 4)}.

وقال كذلك:

{قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم مافي السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير. (آل عمران 29)}.

فهل حقيقةً أن الله يعلم ما نسر وما نجهر به، وهل يعلم الغيب قبل أن يحدث؟ القرآن نفسه ينقض هذا الادعاء غير المدعوم بأي دليل. فالله الذي يقول إنه قد خلقنا ودبر لنا كل شيء في حياتنا قبل أن نُخلق، لا يحتاج أن يختبرنا ليعلم إن كنا مؤمنين أم لا، فهو الذي برمجنا كما يبرمج الإنسان الكمبيوتر، فلا يخرج الكمبيوتر عن تنفيذ ذلك البرنامج. والاختبار هو الوسيلة التي نلجأ إليها لكشف ما نجهله عن الناس، مثل مستوى تحصيل الطلبة في المدارس.

فهل يحتاج الله أن يختبر مخلوقاته إذا كان فعلاً يعلم ما يسرون وما تخفي صدورهم؟

- تعالوا نقرأ ما يقوله لنا القرآن عن المنافقين الذين لم يكن محمد يعرفهم:

{أم حسب الذين في قلوبهم مرضٌ أن لن يُخرج الله أضغانهم. ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم. ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم. (محمد 29 - 31)}.

في هذه الآيات يزعم إله السماء أنه لو يشاء لأرى محمد المنافقين ليعرفهم. ويقول لمحمد إنه سوف يعرفهم بلحن القول، أي بالأخطاء التي يظهرونها عندما يتحدثون باللغة العربية، فاللحن هو الخطأ في النحو، أي بمعنى آخر أنهم من غير عرب البادية الذين كانوا يجيدون العربية (مع ملاحظة أن القرآن يقول إن الأعراب أشد كفراً ونفاقاً) والأعراب هم أهل البادية، فإذاً المنافقون هم بعض أهل المدينة من الحضر الذين يعيش معهم محمد.

فإذا كان الله يعلمهم فعلاً لماذا لم يظهرهم لرسوله ليتفاداهم؟

(مع العلم أنه قد أطلع حذيفة بن اليمان على كل المنافقين بالمدينة، ولم يطلع نبيه عليهم. وكان **عمر بن الخطاب** لا يصلي على رجل مات إذا غاب حذيفة عن الجنازة، لأن هذا يعني أنه كان من المنافقين)[1].

وفي نفس الآية يترك الله الحديث عن المنافقين ويقول لرسوله إنه سوف يختبرهم كلهم ليعلم المجاهدين منهم وسوف يبلو أو يختبر أخبارهم.

فإذا كان الله يعلم المنافقين، لماذا يختبر كل أهل المدينة؟ وكيف يختبر أخبارهم؟

ويقول كذلك:

{ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقصٍ في الأموال والأنفسِ والثمراتِ وبشّر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. (البقرة 155)}.

كم من الزمن يحتاج الله ليختبر الناس حتى يعلم الصابرين منهم؟ أتكفيه عدة أيام أم شهور؟ يبدو أنه يحتاج إلى سنوات وأجيال حتى يتم اختباره. فهناك مجموعات من البشر اعتادوا الجوع والنقص في الثمرات والأموال، حتى هزلوا وكادت أضلاعهم أن تقفز من جلودهم، ويموت أضعافهم من شيوخ وأطفال كل عام في مجاعات متكررة، والله ما زال يختبرهم ليعرف الصابرين منهم. وماذا عن النقص في الأموال؟ ثلاثة أرباع سكان العالم الآن يعيشون **تحت خط الفقر** الذي اتفق عليه علماء المال والاجتماع. والأقلية تعيش في بزخ يصعب علينا أن نتخيله.

هل يحتاج إله القرآن أن يختبرهم لأجيال قادمة حتى يعلم الصابرين منهم؟
وماذا عن الذين ماتوا من الجوع أثناء الاختبار، هل علم الصابرين منهم قبل أن يموتوا؟

- حتى الموت خلقه من أجل أن يختبرنا:

[1] عمدة القاريء، لبدر الدين العيني، ج8، كتاب الجنائز، باب ما يكره في الصلاة على المنافقين.

{الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور. (الملك 2)}.

وإذا تغاضينا عن أن الموت لا يحتاج أن يُخلق، لأن نهاية الحياة هي الموت، والموت عبارة عن مصطلح يعني توقف القلب والدماغ عن العمل، وهذا لا يحتاج أن يُخلق، ولكن مع ذلك يقول إنه خلق الموت والحياة ليختبرنا حتى يعرف أينا أحسن عملاً. ألم يقل سابقاً إنه قدّر أعمالنا قبل أن يخلقنا وكتبها في اللوح المحفوظ؟

{ما أصاب من مصيبةٍ في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها. (الحديد 22)}.
{هو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم إنّ ربك سريع العقاب وإنه غفور رحيم. (الأنعام 165)}.

فإله السماء رفع بعضنا فوق بعض درجات ليختبرنا.

- ولكن يبدو أن اختباره لا نهاية له لأنه قال إنه رفع الرجال فوق النساء درجة منذ بدء الخلق وما زال يختبرهن، ورفع الذين أوتوا العلم درجات، وغالبيتهم استغلوا علمهم الديني في النفاق ومساندة الحكام من أجل العطايا منذ بدء الإسلام، وما زال الله لا يعلم أينا أحسن عملاً، ولابد للاختبار أن يستمر.
- ثم يخبرنا أنه سريع العقاب قبل أن يقول إنه رحيم.

أين سرعة هذا العقاب من قضاة السعودية وإيران والسودان الذين رفعهم درجات فاجتهدوا في جعل علمهم سُلّماً للتقرب من السلطان ولسحق العدالة؟

- ثم يتخذ الاختبار الإلهي *منحىً غريباً*، فهو يقول:

{هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً (هود 7)}.

فهو خلق السموات والأرض في ستة أيام بدل ستة دقائق، ليختبرنا ويعلم أينا أحسن عملاً.

هل فهم القاريء شيئاً من هذا التعليل الغريب؟ أم هو مجرد رغبة الله العارمة في الاختبارات؟ ما هي العلاقة بين خلقه السموات والأرض في ستة أيام وبين أينا أحسن عملاً؟

- وأغرب من ذلك أنه قال:

{يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم. (المائدة 94)}.

فالله خلق الحيوانات حتى نصيدها بالرماح وبالأيدي، ولكن ليس بالشراك أو بالصقور الجارحة أو الكلاب، حتى يعلم الله مَن يخافه بالغيب. فهو افترض أن الصيد في موسم الحج يكون سراً وبالانفراد، فلا يصيدون جماعة أو أمام الناس، وكل هذه الشروط حتى يعلم الله الذين يخافونه في الغيب.

ألم يقل لنا إنه يعلم ما تخفي صدورنا ويعلم الغيب؟ فلماذا يريد أن يختبرنا بالصيد ليعرف من يخافه في الغيب؟

- وبعد كل هذه **الاختبارات غير المنطقية**، يتهكم الله على الناس ويسألهم مراراً:

{أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين. (آل عمران 142)}.

يقول القرطبي:

إن الحرف "ما" في "لما" زائد،

وعليه تصبح الآية "ولم يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين". فالله لم يعلم الذين جاهدوا والصابرين، ولذلك لا يجوز للمؤمنين أن يطمعوا في دخول الجنة حتى يعلم الله ذلك.

فها هو يعترف أنه لا يعلم المجاهدين ولا الصابرين وليس من حق المسلم أن يطمع في دخول الجنة حتى يعلم الله المجاهدين.

- ويستمر في سؤاله:

{أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يُفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين. (العنكبوت 2)}.

فلا يكفي أن يشهد الإنسان بلا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فلا بد له من الاختبار كما اختبر الله الذين من قبلنا. فلا بد لله أن يعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين.

فهو رغم أنه زعم في البدء أنه يعلم خائنات الأعين وما تخفي الصدور، لا بد له من فتنة الناس، أي اختبارهم حتى يعلم علم اليقين مَن هم الذين صدقوا القول ومن هم الكاذبون.

- ولكن هناك شرط أخير يجب أن يجتازه المسلم:

{أم حسبتم أن تُتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجةً والله خبير بما يعملون. (التوبة 16)}.

وكي يترك الله المسلمين في حالهم لا بد له أن يعرف الذين جاهدوا ولم يتخذوا من دون الله والرسول والمؤمنين أصدقاء وأولياء يتقربون إليهم من غير المسلمين، وهذا ما يسميه الفقهاء **الولاء والبراء**. وكان لا بد لله أن يستعمل لغة غير مألوفة وصعبة الفهم، فبدل أن يقول "يتخذوا أولياء أو بطانة" قال "يتخذوا وليجةً" والوليجة مشتقة من ولج، يلج ولوجاً. أي دخل يدخل دخولاً. ويصبح معنى الآية أن الله لن يترك المؤمنين وشأنهم حتى يعلم الذين جاهدوا والذين لم يتخذوا من دونه أو من دون المؤمنين أولياء من الكفار يدخلون فيهم.

وفي نهاية الآية يذكّرنا بأنه خبير بما يعملون. والخبير طبعاً لا يحتاج أن يختبر عباده.

- والله الخبير بما يعمل الناس، يقول:

{ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميّز الخبيث من الطيب. (آل عمران 179)}.

فليس كل المؤمنين طيبين، مع أنهم خير أمةً أُخرجت للناس، فهناك منهم الخبيث ومنهم الطيب، ولا بد لله أن يختبرهم ليعلم ويميّز الخبيث من الطيب.

فيتضح من هذه الآيات أن الله لا يعلم عنا أي شيء،

- فهو لا يعرف المجاهدين من القاعدين،
- ولا يعرف الصادقين من الكاذبين،
- ولا يعلم الذين يخشونه في الغيب فلا يصطادون الصيد وهم محرمون في مكة،
- ولا يعرف الذين يتخذون بطانة من الكفار بدل المسلمين،
- ولا يعرف الصابرين من غيرهم.

ولكي يعرف هذه الأشياء لا بد له أن يختبر عباده بعدة اختبارات، منها الجوع والمرض والفقر وفقد الأحبة والقبول بأن نكون أقل درجة من غيرنا ونخدمهم بلا تزمر حتى نرضي الله.
فهل مثل هذا الإله الذي **يجهل** كل شيء عنا، يمكنه أن يكتب لنا دستوراً أبدياً يبيح للحاكم أن يقطع أيدينا وأرجلنا من خلاف ويرجمنا ويصلبنا ويجلدنا وينفينا عن ديارنا؟ العقل يقول لا، وألف لا. والعقل هو الحكم في النهاية، كما يقول ابن الراوندي:

"العقل هو الذي يمتحن قيمة النبوة فإما أن تتفق تعاليم النبي مع العقل وحينئذ فلا لزوم لها وإما أن تتناقض وإياه حينئذ فهي باطلة."[2]

عودة إلى الفهرس

[2] عبد الرحمن بدوي ، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ص 139

143 - إله السماء مهندس فاشل

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=159991

يزعم إله السماء أنه خلق الأرض والسماء والحيوانات والنباتات، فنستطيع أن نقول إنه مهندس الكون. وكل مهندس يحترم نفسه لا بد له من مكتب أو معمل به لوح كبير يرسم فيه الأفكار التي تخطر له عندما يفكر في بناء ماكينة أو سيارة، وعندما تكتمل الفكرة ويجري عليها كل الحسابات ويتأكد من صمودها للاختبار، يبني ماكينة أو سيارة واحدة يسميها prototype أي النموذج الأولي ويجري عليها التجارب العملية أي الاختبارات، فإذا أثبتت فعاليتها وصلاحيتها لما صُممت من أجله، يبدأ الانتاج التجاري وإلا تُعاد الماكينة إلى لوح الرسومات drawing board مرة أخرى لإجراء التعديلات اللازمة عليها.

فإذا أخذنا مهندس الكون الذي زعم أنه خلق الأرض والسماء، نجده يزعم أن له لوحاً محفوظاً فوق العرش قد كتب فيه كل شيء عن مخلوقاته، وكتب فيه كتبه المقدسة، ومن وقت لآخر يمحو أشياء من ذلك اللوح ويكتب أشياء جديدة مكانها، {**يمحو الله ما يشاء ويُثبّت وعنده أم الكتاب.** (الرعد 39)}. فيبدو أنه يجري بعض التجارب أو يغيّر رأيه بخصوص بعض الأشياء التي كان قد قررها، فيمحو ما قرره من قبل ويكتب مكانه القرار الجديد. إلى هنا يبدو إله السماء كالمهندس البشري، إلا أنه يختلف عن المهندس البشري بأنه زعم أنه أحسن كل شيء خلقه {**الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين.** (السجدة 7)}.

وكذلك نجده يقول بعد أن خلق الأرض: {**وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين.** (فصلت 10)}. فهو بعد أن خلق الأرض واطمأن لصمودها وعرف أنها سوف تؤدي الوظيفة التي خُلقت من أجلها، بارك فيها، وهذا هو **ختم الجودة**، ثم قدر فيها أرزاقها في أربعة أيام. وإذا عرفنا أن اليوم الإلهي يساوي ألف عام مما نعد {**يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون.** (السجدة 5)}، وفي بعض الروايات خمسين ألف عام مما نعد {**تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.** (المعارج 4)}، نجد أن المهندس قد أهدر آلاف السنين في خلق الأرض وتقدير أقواتها للبشر والحيوانات والحشرات، فلا بد أن تكون هذه الأرض في غاية دقة الصنع وفي غاية الجودة كذلك لأنه قضى آلاف السنين في خلقها.

ولكنا نعرف الآن أن الأرض عندما بردت نزلت درجة حرارتها إلى ما تحت الصفر وغطاها الجليد عن بكرة أبيها، فلم يكن هناك قوت كافي لا للحيوان ولا للإنسان، وقد أدى ذلك إلى موت كثير من الحيوانات والبشر. ثم ذاب الجليد وانتهى *العصر الجليدي الأول* ليتبعه عصر *جليدي ثاني ثم ثالث*، انتهى قبل حوالي أربعة عشر ألف عام. وعندما خرج الإنسان من كهوفه وجد أن الأرض جميعها تغطيها الغابات الكثيفة التي لا تصلح إلا للحيوانات. فتعلم الإنسان صيد الحيوانات وأكل لحومها وعاش عليها إلى أن اكتشف الزراعة حديثاً.

فيبدو أن تدبير الأقوات لم يراعِ فيه اختلاف النوعية، فالديناصورات والأفيال وغيرها كان يرفع رأسه إلى أقرب شجرة ويأكل، بينما الإنسان كان عليه أن يركض، ربما لأيام، خلف حيوان صغير يصطاده.

ومع مرور الزمن تصحرت أجزاء كبيرة من الأرض لأن المهندس لم يكن قد أعد لها ما يكفي من الماء. والآن أكثر من ثلث الأرض اليابسة صحراء لا تصلح لعيش الإنسان ولا الحيوان. فهناك الصحراء الكبرى في شمال أفريقيا ومساحتها 3.5 مليون ميل مربع (9 مليون كيلومتر مربع). وهناك الصحارى في شبه الجزيرة العربية ومساحتها مليون ميل مربع. وهناك صحراء جوبي Gobi في الصين ومنغوليا، ومساحتها نصف مليون ميل مربع. ومجموع مساحة صحارى أستراليا (Great Victoria, Gibson & Simpson) 576000 ميل مربع. إضافة إلى الصحارى الصغيرة في جنوب غرب أفريقيا وفي أمريكا الشمالية، والأجزاء التي يغطيها الجليد على مدار العام Antartica (القطب المتجمد الجنوبي) ومساحتها خمسة ملايين ونصف المليون ميل مربع،و The Arctic (القطب المتجمد الشمالي) ومساحتها 5.4 مليون ميل مربع. وما زالت الصحارى في اتساع وعدد السكان في ازدياد مضطرد. فإذاً الأرض لا تكفي تماماً لما خُلقت من أجله، وهو إطعام الإنسان والحيوان، وكلاهما يموت الآن في المجاعات. ومع ذلك يقول لنبيه أن يقول لنا: [**تناكحوا، تناسلوا، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**]. فمِن أين نطعم هذه الأفواه الجائعة؟

بالإضافة إلى ذلك نجد أن قشرة الأرض بها *مناطق ضعف* يسمونها Fault lines يسبب احتكاكها مع بعضها البعض زلازلاً تقتل كل سنة آلاف الأبرياء من البشر والحيوانات الذين لا ذنب لهم سوى أن بلدانهم تقع بالقرب من تلك الخطوط. وخطوط الضعف التي تحت البحار تسبب التسونامي الذي رأينا ما يسببه من دمار عندما ضرب إندونيسيا. فلو كان الذي صمم هذه الأرض مهندس من البشر لقدمناه إلى محاكمة عاجلة بسبب سوء التخطيط والاستعجال في خلق الأرض قبل أن يتأكد من صلاحيتها لما خُلقت من أجله، رغم العدد الهائل من السنين التي قضاها في الخلق. فنحن الآن نقرأ عن مهندسين في اليابان وفي مصر التي يكثر بها انهيار العمارات، يقدمون إلى المحاكمات لأن تصميم عماراتهم لم يكن بالجودة المتوقعة لتصمد أمام الزلزال أو أمام ازدحام الناس بها.

ثم بعد خلق الأرض والسماء، وسوف أترك السماء الآن لأنها مصطلح يصعب تحديد معناه، خلق إله السماء، أو زعم أنه خلق، الإنسان والحيوان. ولماذا خلق الإنسان؟ {**وما خلقت الجنّ والإنسَ إلا ليعبدون.** (الذاريات 56)}. فما دام السبب الرئيسي الذي من أجله خلق إله السماء الإنسان هو **العبادة**، كان يجب على المهندس أن يتأكد أن هذا الإنسان وذلك الجن سوف تتم برمجتهم بحيث يؤدون الوظيفة التي خُلقوا من أجلها. وقد بدأ هنا كما يبدأ مهندس البشر بأن صمم prototype واحد وهو آدم وحواء واختبرهما بالشجرة المحرمة، *ووجد أنهما لا ينصاعان لأوامره، ولكن بدل أن يعيدهم إلى لوح التصميم ليعيد تصميمهما، أنزلهما إلى الأرض وتركهما*.

وبما أن المهندس كان في عجلة من أمره وخلق الجن والإنس دون أن يتأكد من برمجتهم، تمردوا عليه. إبليس تحداه ورفض السجود ثم حاججه وبعد ذلك طلب منه أن يمهله حتى يوم يبعثون، *فاستجاب المهندس لطلبه لأنه لم يكن يملك خياراً آخراً*. أما الإنسان فقد عصاه كذلك من أول يوم في الجنة واستمر في عصيانه على الأرض التي جعله خليفته عليها. بل تحداه وأصبح عدوه اللدود {**من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين.** (البقرة 98)}. وعندما أُسقط في يد المهندس بدأ بإرسال الرسل في محاولة يائسة لإصلاح الإنسان وإعادته إلى الجادة كي يعبد المهندس. وأخيراً اضطر المهندس بعد أن أرسل 124000 نبي ورسول أن يقر بالفشل، فقال:

{**ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا.** (الإسراء 89)}.
{**ولقد صرفناه بينهم ليذّكروا فأبى أكثر الناس إلا كفوراً.** (الفرقان 50)}.
{**وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين.** (يوسف 103)}.
{**وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون.** (الأنعام 116)}.
{**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون.** (يوسف 106)}.
{**وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين.** (يوسف 103)}.

فنستطيع، بكل تأكيد، أن نقول إن المهندس قد فشل فشلاً ذريعاً فيما كان يطمح إليه من خلق الإنسان الذي أصبح عدواً مبيناً بدل أن يعبد المهندس.

وإذا رجعنا إلى صنع الإنسان نفسه، *نجد أن المهندس لم يحسن التصميم إطلاقاً*. وقد كنا نفترض أن المهندس كان عالماً بما سوف يصير من تكاثر الناس على الأرض ومن قلة مصادر القوت، خاصة بعد التصحر المتزايد. فكان عليه أن يصمم إنساناً في درجة عالية من الإتقان في استعماله للطاقة التي نستمدها من الطعام المتناقص بسبب التصحر. ولكن واقع جسم الإنسا يُثبت أن **أكثر من نصف الطعام الذي يستهلكه الفرد يتبدد في شكل حرارة لا يستفيد منها الجسم،** بل قد تضر به كما يحدث سنوياً في موسم الحج عندما يموت الحجاج من ضربة الشمس heat exhaustion. ففي مثل هذه الحالات، ونسبة للزحام وارتفاع حرارة الطقس في الصيف وهرولة الحجاج، ينتج الجسم كمية من الحرارة فائقة ترفع درجة حرارة الجسم لما فوق الأربعين درجة مئوية، فتتوقف الإنزايمات Enzyme عن العمل ويموت الإنسان.

فالمهندس الذي صمم الجسم لتعمل إنزايماته بين درجات الحرارة 36 إلى 40 درجة مئوية، كان عليه أن يصمم استهلاك الطاقة بحيث يصرفها الجسم في توليد الحركة فقط بدل أن يذهب أكثر من نصفها في شكل حرارة غير مفيدة قد تعطل عمل الإنزايمات. الرجل متوسط الحجم والوزن ينتج من الطاقة 686 kcal/mol وأقل من نصف هذه الكمية يستعمله الجسم في أداء وظائفه وتخزين جزء منها بينما يذهب الباقي هدراً في شكل حرارة.[1]

ونقطة أخرى مهمة في جسم الإنسان أخطأ فيها المهندس لأنه لم يجرِ أي دراسات على تصميمه، هي كمية الحيوانات المنوية التي يفرزها الرجل أو الحصان، مثلاً، عند الجماع. فالمرأة أو انثى الحيوان تفرز بويضة واحدة بينما يفرز الرجل في المتوسط خمسمائة مليون حيوان منوي عندما يقذف، ويفرز الحصان ثمانية مليارات من الحيوانات المنوية، ولا يدخل البويضة غير حيوان منوي واحد فقط ليلقحها.[2]

تخيل كمية الطاقة التي تصرفها الخصيتان لتكوين كل هذه الحيوانات المنوية وكمية الطاقة التي يخزنها كل حيوان منوي لتمكنه من السباق نحو البويضة، وكل هذه الحيوانات تموت بعد أن يسبقها واحد فقط ليدخل البويضة. أي مهندس بشري ينتج آلة بهذا الحجم من تبديد الطاقة لا يمكن أن يستمر في العمل مع أي شركة.

وخلق المهندس في جسم الإنسان الزائدة الدودية التي تساعد الحيوانات آكلة العشب على هضم وامتصاص الطعام بينما الزائدة ليس لها أي مهمة معروفة في جسم الإنسان، وقد يحدث بسببها موت الإنسان إذا التهبت ولم يشخص الطبيب الحالة بالسرعة المتوقعة. وهناك حالات عديدة من الأخطاء التي يمكن أن تصيب الجنين في طور التكوين، منها التصاق التوأمين في الرأس أو الصدر أو البطن، وما ينتج من ذلك من معاناة للتوأمين تنتهي بموتهما معاً في أغلب الأحيان.

عندما يصمم المهندس سيارة أو طائرة، يصب جل اهتمامه على الماكينة التي تسيّر السيارة أو الطائرة، ولكنه لا ينسى المظهر العام والشاسيه والكوابح الخ، ولكن يبدو أن مهندس الكون قد اهتم بالشاسيه أكثر من اهتمامه بالماكينة عندما صمم الإنسان. إذا كسر الإنسان عظماً يلتئم ذلك العظم ويرجع كما كان، وإذا جرح جلده يلتئم ذلك الجرح وربما يترك علامة بالجلد تدل على مكان الجرح. ولكن إذا قطع الشخص نخاعه الشوكي أو أتلف دماغة في حادث، وهذه هي الماكينة التي تسيّر الإنسان، فإن ذلك العطب لا يمكن إصلاحه. هل يُعقل أن يصمم مهندس بشري سيارة لا يمكن إصلاح العطب بماكينتها؟

هذه أمثلة بسيطة لسوء تخطيط مهندس السماء الذي كنا نربأ به من أن يرتكب مثل هذه الأخطاء لو كان فعلاً هو الذي خلق الكون ودبره تدبيراً. ويصبح من السهل علينا أن نثبت الآن أن مهندس الكون قد قدم لنا مزاعم بعيدة عن الحقيقة عندما قال إنه أحسن كل شيء خلقه.

عودة إلى الفهرس

[1] http://www.elmhurst.edu/~chm/vchembook/5900verviewmet.html
[2] http://everything2.com/index.pl?node_id=557413

2009 / 10 / 31

175 - ماذا ترك العلم لإله السماء؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=190086

كل الأديان، وخاصة الدين الإسلامي، اتخذت من العوامل الطبيعية التي لم تكن مفهومه للقدماء، وسيلة لإقناعهم بأن إله السماء هو الذي يتحكم في الرياح والأمطار والحياة والموت. **وبالغ القرآن في الاعتماد على هذه الظواهر ونسبها كلها لله وجعلها منطقه الوحيد لإقناع الناس بوجوده.** ولكن الآن مع تقدم العلم اتضح لنا أن إله السماء غير الموجود، لا يتحكم في الظواهر الطبيعية إنما تتحكم بها قوانين الفيزياء وطبيعة كوكب الأرض.

اعتمد القرآن اعتماداً شبه كلي على المطر والسحاب والرياح والماء لإثبات وجود الله، فقال:

{**هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشيء السحاب.** (الرعد 12)}.

وقال كذلك:

{**هو الذي يرسل الرياح بُشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميتٍ فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات.** (الأعراف 57)}.

واستعمل القرآن تلك الكلمات ست وثلاثين مرة، في ثلاثين سورة، كلها مكية ماعدا خمس سور مدنية. *ونلاحظ هنا أن محمداً عندما كان ضعيفاً في مكة حاول إقناع الناس برسالته بمنطق السحاب والماء الذي كان يفتقده أهل مكة.*

ونحن نعرف الآن أن الهواء عندما يسخن وتزداد حرارته من أشعة الشمس، يتمدد وبالتالي يصبح أخف وزناً ويصعد إلى أعلى فيأتي الهواء من المناطق الباردة ليحل مكانه. ولما كانت الأرض تدور حول محورها من الغرب إلى الشرق، فإن أغلب الرياح تأتي في أغلب الأوقات من الغرب باتجاه الشرق لأن دوران الأرض يسحبها في ذلك الاتجاه. ولكن في القارات الكبيرة مثل آسيا، عندما يصعد الهواء الساخن تأتي الريح مندفعة من الغرب والشرق لتملأ الفراغ الكبير الذي تركه الهواء الصاعد بكميات كبيرة.

ولأن الرياح غالباً تأتي من الغرب وتصطدم بسلسة الجبال التي أغلبها في الجانب الغربي من القارات، ترتفع الرياح والسحاب المشبع بالرطوبة فوق الجبال. وكلما ارتفع أكثر كلما برد وانكمش وتساقطت الرطوبة التي يحملها في شكل أمطار. ولذلك نجد الأمطار في غرب الولايات المتحدة أكثر منها في شرقها. وفي إنگلترا واسكتلندا كذلك نجد أن الرياح ترتفع فوق المرتفات الغربية وتهطل الأمطار بكثرة في غرب البلدين. وعندما تصل الرياح الغربية إلى بحر الشمال في شرق إنگلترا وتكون قد فقدت أغلب رطوبتها، تتشبع بالرطوبة مرة أخرى من بحرالشمال، فتنزل الأمطار في غرب أوروبا أكثر مما تنزل في شرقها. وعندما تصل الرياح إلى جبال الألب العالية ترتفع وتبرد وينزل المطر في سويسرا وإيطاليا أكثر مما ينزل في غرب تركيا وما جاورها. أما في آسيا التي تتسابق نحوها الرياح من المحيط الهادي شرقاً ومن المحيط الأطلنطي غرباً، وترتفع الرياح فوق جبالها العالية، تزداد سرعة الرياح لتملأ الفراغ الكبير الذي خلفه تصاعد كميات كبيرة من الهواء الساخن، وتهب **رياح المنسون** التي تغمر البلاد بكميات مهولة من الأمطار في بنگلاديش والفلبين وغيرها، ولذلك تكثر الوفيات من الفياضانات كل عام. *ولو بشرَ محمد أهل هذه البلاد بالأمطار لرجموه بالحجارة.* أما الجزر المحاطة بالمياه من كل الجهات، مثل آيسلاندا وآيرلندا، فتنزل بها الأمطار على مدار العام. ولأن أمريكا الجنوبية يحيطها المحيط الأطلنطي شرقاً والمحيط الهادي غرباً، وعرضها أقل بكثير من عرض أمريكا الشمالية، تصبح كالجزيرة وتكثر بها الغابات المطرية rain forests. وحتى في الجزيرة العربية نجد أن هطول الأمطار بغرب الجزيرة، حيث تكثر المرتفعات الجبلية، أكثر منه في المناطق الشرقية الصحراوية، ولذلك يصيّف السعوديون في مرتفات الطائف لخضرتها واعتدال طقسها. ولهذا فإن كل صلوات الاستسقاء ما هي إلا مضيعة للوقت فالله لا يقود السحاب حيث يريد، وإنما تقوده قوانين الفيزياء.

ولأن قوانين الفيزياء لا تتغير، نستطيع الآن أن نتنبأ بتوقيت نزول المطر وقوة الرياح وكمية الماء النازل، بأكثر من أسبوع قبل نزولها. فإذا كان الله هو الذي يرسل الرياح بُشرا ويسوق الماء إلى الأرض الميتة، لما استطعنا أن نتنبأ بموعد نزول الأمطار لأن الله يختار الأماكن التي ينزل بها الأمطار رحمةً لعباده المتقين حسب مزاجه. والأرض الميتة، مثل صحارى أفريقيا وأستراليا، إذا نزلت بها الأمطار فهي لا تُخرج من كل الثمرات كما يقول القرآن، بل تخرج حشيشاً تأكله الدواب. هل منكم من رأى شجرة تفاح نبتت في صحارى الجزيرة العربية عندما ينزل المطر شُحاً بها مرة أو مرتين في العام؟ ثم أن الله بعدما يقود السحاب إلى بلدةٍ ماء، نستطيع الآن تفريق ذلك السحاب من فوق البلدة، كما حدث في موسكو عند اجتماع زعماء العالم بها قبل عدة سنوات، وكما حدث في الصين عندما انعقد بها الموندیال واستطاع العلماء تفريق السحاب عن مكان حفل الافتتاح.والبرق ما عاد يخيفنا كما يقول القرآن:

{**هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً.** (الرعد 12)}.

ويقول كذلك:

{**ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء.** (الرعد 13)}.

فنحن نفهم الآن ما هو البرق وكيف يمكن أن نحتمي منه. أما الصواعق التي يرسلها الله ليصيب بها من يشاء بدل أن يخسف به الأرض، فقد اخترع لنا بنيامين فرانكلين The lightening rod في عام 1749 ولم تعد الصواعق تهدم المباني وتقتل الناس كما كانت تفعل عندما كان يرسلها الله بدل الصواريخ.

وإذا تحدثنا عن خلق الجنين في الأرحام، نجد أن القرآن يعطي صورة خاطئة لمراحل تكوين الجنين (قراءة منهجية للإسلام، لكامل النجار، ص 155). ولا يكتفي بذلك، بل يقول لنا {**الله يعلم ما تحمل كل أنثى.** (الرعد 8)}. ونحن الآن نستطيع أن نعلم ما تحمل كل أنثى منذ الأسبوع الثاني عشر من الحمل. فالله ليس هو الوحيد الذي يعلم ما في الأرحام. ثم يزيد القرآن ويقول لنا:

{**ونقر في الأرحام ما نشاء.** (الحج 5)}.

والأطباء الآن يستطيعون أن يقروا في الأرحام ما يشاءون من ذكر أو أنثى. ويقول لنا القرآن:

{**هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء.** (آل عمران 6)}.

فإذا كان فعلاً هو الذي يصور الناس في الأرحام، فهو يصور توائم ملتصقين عند الرأس أو البطن، ونحن نستطيع فصلهم، ويصور آلاف الناس في حالة فسيولوجية مزدوجة hermaphrodite †† وهذا يعني أن المولود يحمل الأعضاء الذكورية والأنثوية في آن واحد وتكون نفسية أغلبهم تميل إلى الأنوثة نسبةً لطبيعتها الهادئة غير المشاكسة. ونحن نستطيع أن نغير هؤلاء الأشخاص ونجعلهم ذكوراً أو إناثاً كما يختارون. وهو كذلك يصوّر أطفالاً مشوهين، نقوم نحن بإصلاح تشويهاتهم الخلقية، وبذلك نكون قد غيرنا إرادة الله، والقرآن يقول لنا:

{**لا تغيير لخلق الله.** (الروم 30)}.

†† Hermaphrodite **المخنث**

والحالة هي **الخنوثة** hermaphrodism

وحتى النطفة التي يقول القرآن إنها تنزل من بين الصلب والترائب ومنها يُخلق الإنسان، تمكن العلماء في مدينة نيوكاسل في شمال شرق إنگلترا من خلق حيوان منوي في المختبر، وفي السنين القادمة حينما يتمكن العلماء من إنتاج هذا الحيوان المنوي بكميات وفيرة، فسوف يصبح خلق الأجنة بدون الحاجة إلى رجل شيئاً اعتيادياً.
يقول القرآن في تمجيد عظمة الله:

{أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً. (الشورى 50)}.

فالله الذي يتفاخر بأنه يجعل من يشاء عقيماً، قد اضمحلت قوته بفضل تقدم العلم وأصبحنا الآن بواسطة أطفال الأنابيب والحيوانات المنوية المنتجة في المختبرات، والأمومة بالإنابة surrogacy أن نجعل من يخلقه الله عقيماً ينجب من الأطفال ما يشاء.
وبالنسبة للدجاج الذي يتكون جنينه في البيضة بنفس طريقة تكوين جنين الإنسان، أي بالتقاء كروموسومات x أو y مع كروموسوم الأنثى x، ويكون الفروج ذكراً أو أنثى، نستطيع أن نجعل البيضة الملقحة بالكروسومات xy والتي حتماً سوف تنتج فروجاً ذكراً، نستطيع في حوالي عشرة بالمئة منها إذا حفظنا البيضة في درجة حرارة تقل عدة درجات عن حرارة الجسم، ولمدة ثلاثة أيام، أن ننتج فروجاً يحمل الجينات الذكورية ولكنه يبيض كالأنثى[1] وهذا يثبت أننا يمكن أن نغير ما كان إله السماء قد قرره مسبقاً. وهناك كذلك مجال الاستنساخ الذي مكننا من إنتاج حيوان مطابق تماماً لحيوان آخر دون أي لقاء بين ذكر وأنثى، وهي نفس الفكرة التي زعمت الأديان أن الله قد خلق بها حواء من ضلع آدم. فالعلماء لا يقلون مقدرةً عن الله في الاستنساخ وخلق حواءات كثيرات من خلية واحدة يأخذونها من جسم الإنسان أو الحيوان.
واعتمد القرآن كلياً على دوران الشمس الظاهري حول الأرض وجعل من هذا الدوران محور الإيمان بوجود الله، فقال لنا على لسان إبراهيم عندما حاور النمرود:

{إذ قال إبراهيم ربي الذي يُحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن ربي يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، فبهت الذي كفر. (البقرة 258)}.

ونفهم من هذه الآية أن إبراهيم قد اقتنع أن الملك يستطيع أن يُحيي ويُميت، ولذلك قال له إن ربي يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب. وطبعاً كاتب هذه الآية ما كان يعرف شيئاً عن دوران الكواكب وإلا لما قالها. فنحن نعرف الآن أن الشخص إذا وقف بمركبة فضائية فوق كوكب عطارد Mercury أربعة أيام قبل ال perihelion وهو الزمن الذي تتساوى فيه سرعة دوران الكوكب حول نفسه مع سرعة دورانه حول الشمس، فسوف يرى الشمس تشرق من مكان ما وترتفع إلى منتصف السماء ثم تعود أدراجها وتغرب من حيث أشرقت، وهذا يعني أن في النصف الثاني من اليوم فإن الشمس تأتي من المغرب. وهناك على الأقل كوكب واحد يمكن أن تأتي فيه الشمس من المغرب، أي من المكان المفترض أن تغرب فيه[2]. فنحن نعلم الآن أن الشمس يمكن أن تأتي من المغرب ولكن في كوكب آخر. وربما لو أبطأت سرعة دوران الأرض حول نفسها حتى عادلت سرعة دورانها حول الشمس، يحدث نفس الشيء هنا.
ثم يقول لنا القرآن:

{يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان. (الرحمن 33)}.

واتفق كل المفسرين أن هذه الآية أتت للتعجيز. وإذا نظرنا لبنية الآية نفسها نجد بها خطأ علميا ألا وهو أن قطر الدائرة هو الخط الذي يوصل بين نقطتين متقابلتين على محيط الدائرة، وأقطار الأرض هي جهاتها الأربع (شمال، جنوب، شرق، غرب) وبما أن السماء هي الفراغ المحيط بنا، فإن السماء لا قطر لها لأنها غير محدودة المعالم، وليس لها أقطار لأنه لا يوجد بها شمال وجنوب وشرق وغرب. وعلى كلٍ ها نحن قد تحدينا الإعجاز ونفذنا من أقطار الأرض، وما سلطاننا إلا العلم الذي قال لنا القرآن عنه:

{وما أوتيتم من العلم إلا قليلا. (الإسراء 85)}.

والإسلاميون يقولون لنا إن السلطان هو العلم، أي أننا نفذنا بسلطان كما قال القرآن. *<u>ولكن كلمة سلطان وردت في القرآن ثمان مرات، ولا واحدة منها تعني العلم</u>*:

{قالت رسلهم أفي الله شكٌ فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشرٌ مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين. (ابراهيم 10)}.
{قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشرٌ منكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله. (ابراهيم 11)}.
{هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه إلهاً لولا يأتون عليهم بسلطان بيّن. (الكهف 15)}.
{وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين. (الذاريات 38)}.

ففي جميع هذه الآيات *<u>يتضح لنا أن السلطان يعني المعجزة، وليس العلم</u>*. والله لم يعطنا معجزة نستطيع بواسطتها أن ننفذ من أقطار السموات والأرض، إنما نفذنا بمجهود عقول العلماء.
وأخيراً يقول لنا القرآن:

{إذا مرضتُ فهو يشفين. (الشعراء 80)}.

ونحن نعلم الآن أن القرآن والله لا يشفيان أحداً بدليل أن "**أحب الخلق إليه، ومن خُلق العالم من أجله**" كما يقول شيوخ الإسلام، كان يعاني من داء الشقيقة migraine طوال حياته وكان يعتكف في حجرته أياماً وهو يعاني الصداع والقيء، فلماذا لم يشفه ربه، كما قال؟ وهاهم شيوخ الإسلام من القرضاوي إلى عائض القرني إلى غيرهم الكثير يشدون الرحال إلى **بلاد العلم للعلاج** بعد أن ثبت لهم أن ربهم لا يشفيهم حين يمرضون وإنما يشفيهم العلم الحديث.

وبدل أن يُنقِص الله الأرض من أطرافها كما يقول القرآن،
فقد أثبت العلم أنه يُنقِص ساحة الادعاءات الوهمية حول الله، وقد بدأ قطرها في النقصان،
وفي المستقبل القريب سوف تتلاشى كل الدائرة من حوله.

عودة إلى الفهرس

[1] مجلة البي بي سي، فوكص، عدد أكتوبر 2009، ص 66 BBC Focus, science & technology.
[2] http://en.wikipedia.org/wiki/Mercury_planet

176 - عَوْدٌ على بدء - الرجوع إلى الفيزياء

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=190341

عندما تحدثت عن الفيزياء وقوانين الطبيعة في مقالي الأخير عن العلم واضمحلال قوة الإله، **تبارى المعلقون الإسلاميون في الردود التي كان أغلبها عقيماً**، يسأل عن الروح وعن القوى التي خلقت القوانين الطبيعية، وهذا بالطبع جدال بيزنطي عقيم لا يصل إلى نتيجة، تماماً كالجدال الذي دار في الماضي وما زال يدور حول هل جاءت الدجاجة أولاً ثم باضت، أم جاءت البيضة أولاً ثم فقست فصارت دجاجة. ومع ذلك سوف أكرس جل هذا المقال للرد على هذه التعليقات، إثراءً للنقاش والتزاماً بأدب "الحوار المتمدن".

- أبدأ بالرد على السيد رمزي ميركاني، صاحب التعليق 6، والذي يقول:

> "اسأل استاذ كامل لماذا لم يتكلم عن الموت و الروح عندما قال عز وجل-وسألونك عن الروح قل الروح من امرى ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا-ارجو ان تبين ما موقف العلم من مسألة الموت والروح ولماذا يموت الانسان،لأن المسألة ليست مرتبطة بالسن ولا المرض ولا الحوادث،هل استاذ كامل يقدر ان يهرب من الموت كما يقول عز وجل-يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة."

✍ الموت هو النهاية الحتمية لكل كائن حي من حيوان أو نبات. والسبب في حدوث الموت هو تآكل الأعضاء الحيوية في جسم الحيوان أو النبات مع مرور الزمن. فالقلب تضمحل عضلاته مع مرور السنين، ولا يستطيع ضخ الدم اللازم لاستمرار عمل الدماغ والكبد والكلى وما شاكل ذلك. وحتى الدماغ نفسه تموت خلاياه بالتدريج ويضمحل حجمه مع سنوات العمر. وعندما يتعطل القلب أو الدماغ يموت الكائن. وحتى الآلات المصنّعه، مثل السيارة، تتآكل أجزاؤها المهمة مع مرور الزمن وتتوقف عن العمل وتموت. فالموت لا يتوقف على خروج الروح إذ ليس هناك روح. الروح مصطلح أطلقه الناس على شيء مبهم يبتغون من ورائه الخلود. وهو مصطلح عرفه البابليون والفراعنة والهنود الحمر، قبل أن يأتي الإسلام بقرون. هم كانوا يعرفون أن الإنسان يموت ويتحلل جسده وينتهي إلى لا شيء، ولكن رغبتهم في الخلود جعلتهم يأتوا بهذا المصطلح الذي يسمح لهم بالاستمرار في حياة أخرى.

العلم الحديث يستعيض عن الروح بمصطلح "وعي" consciousness فإذا فقد الإنسان الوعي، يصبح كالميت الذي لا يعي ما حوله ولا يتفاعل معه ولا يستطيع إطعام نفسه. وإذا لم يتدخل الطب ويمنحه الأوكسجين والغذاء الوريدي والأدوية، فسوف يموت فعلياً في النهاية. فالمريض فاقد الوعي قد يكون قادراً هلى التنفس ويكون قلبه قادراً على ضخ الدم حول الجسم، لكن دماغه لا يعمل بالقدر المطلوب ليحفظ له وعيه. فهل مثل هذا الشخص ما زالت روحه بجسده؟ وإذا كانت روحه بالجسد، لماذا لا تعمل عملها المفروض عليها، وهو منح الحياة؟ وإذا كانت روحه قد خرجت من الجسد، فلماذا ظل القلب ينبض والرئتان تتنفسان؟ وأنا يمكنني أن أجري عملية جراحية لمثل هذا المريض وأستخرج قلبه من صدره وأوصل شرايينه و أوعيته الكبيرة بماكنة صناعية تقوم بضخ الدم حول الجسم، ومع ذلك يظل الإنسان فاقد الوعي ولا قلب له، فهل هو ميت أم حي يُرزق؟ وهل روحه ما زالت في جسده؟ والقلب الذي نُخرجه من مثل هذا المريض يمكننا أن نضعه في محلول طبي معين، ويظل ينبض. فهل تقسمت الروح ما بين القلب والجسد المسجى على السرير، أم أن القلب ينبض بلا روح؟

ثم أن محمد الذي أتى بالقرآن **استعمل كلمة "الروح" دون أن يفهم ما هي**. ولذلك عندما سأله المشككون به عن الروح، قال لهم: {**الروح من أمر ربي**}. والدليل الآخر أنه لم يكن يعرف معنى الروح أو النفس، هو اعتقاده بأن النائم تخرج روحه وتصعد للسماء ثم يردها الله له عندما يفيق، وقد جاء بآية في القرآن تقول: {**الله يتوفى الأنفس حين موتها، والتي لم تمت في منامها، فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى.** (الزمر 42)}. **فالروح مصطلح هلامي لا معنى محدداً له، ولذلك لا يستطيع العلم خلق الروح، كما تحدانا بعض المعلقين أن نخلق روحاً.**

ثم أن القرآن عندما يتحدث عن تكوين الجنين يقول: {**ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر.** (المؤمنون 14)}. وقد اتفق جميع فقهاء الإسلام على أن الله يرسل ملكاً في الاسبوع الثامن عشر من خلق النطفة، فيدخل الملك إلى الرحم وينفخ في الجنين الروح ويحدد جنسه وعمره. ولذلك يمنع الفقهاء إجهاض الجنين بعد الاسبوع الثامن عشر لأن الروح تكون قد نُفخت فيه. ونحن نعرف أن الخلايا من البويضة ومن الحيوان المنوي تبدأ بالانقسام والتشكيل لأعضاء الجسم منذ الوهلة الأولى. فكيف تنقسم هذه الخلايا وتتزايد ازدياداً مضطرداً حتى تصل الاسبوع الثامن عشر وهي ليس بها روح؟ هل يجوز عقلاً أن تنقسم الخلايا الميتة وتتخصص لتصبح خلايا عصبية أو خلايا عضلية؟ فخلاصة القول أن الروح مثل الإله، محض خيال.

- أما زياد السعودية صاحب التعليق 12،
  - فيقول:

> "بالنسبه لكلامك عن المطر فأنت مع احترامي لعلمك ايضا تكلمت في القشور ولم تدخل في الجوهر فنحن نعلم ان هناك منخفظ جوي ومرتفع جوي والرياح تنتقل من المرتفع الى المنخفظ حاملة معها رذاذ الماء المتبخر من المحيطات ليتكثف ويتجمع وينزل مطر ولكن انت تجاهلت هذا الغلاف الجوي الذي تجري فيه الرياح محمله بالمطر لماذا لا ينتشر في الفضاء الخارجي الفسيح لماذ يبقى حول الارض كل مليارات السنين هذه من عصر الديناصورات الى الان اليس الجاذبيه الارضيه هي من يحافظ عليه من الضياع في الفضاء الخارجي هل تعلم وانت لا تجهلك مثل هذه الامور انه لو كانت هذه الجاذبيه اقل من هذا المستوى بقليل لتفرق هذا الغلاف الذي يحمل المطر في الفضاء الخارجي واصبحت الارض غير صالحه للحياه ولو كانت اعلى من هذا المستوى بقليل لأصبح هذا الغلاف الجوي ماده سائله بفعل الضغط واصبحت الارض ايضا غير صالحه للحياه طيب يادتور كامل الا تشك ان هناك من يعلم ان الجاذبيه بهذا القدر يجعل هذا الغلاف بهذا الشكل فجعل الجاذبيه على هذا القدر الملائم لبقاء الغلاف الجوي على ماهو عليه اليس اله يستحق العباده." انتهى

✍ الجاذبية الأرضية تجذب الرياح نحو الأرض سواء أكانت الرياح محملة برزار المطر أو جافة. والجاذبية هي عبارة عن السرعة التي يسقط بها الجسم نحو مركز الأرض. وكل الكواكب والنجوم لديها جاذبية تعتمد على وزن وحجم الكوكب. وجاذبية الأرض g1 بينما جاذبية القمر تساوي 0.166 وجاذبية المشتري 2.36. والسبب في تكوين الجاذبية هو الدوران. كل جسم يدور حول نفسه بسرعة كبيرة يخلق قوة تجذب الأشياء نحو مركز الجسم. والطائرات الحربية الحديثة التي تطير بسرعة تعادل ضعف سرعة الصوت أو أكثر، عندما ترتفع في حلقة دائرية أثناء الاستعراضات العسكرية أو في القتال، تخلق جاذبية تعادل جاذبية الأرض مرتين أو ثلاثة مما يؤدي في بعض الحالات إلى إغماء الطيار لأن الدم لا يستطيع التغلب على الجاذبية ليصل إلى دماغه. فالجاذبية لم يخلقها الله وإنما خلقتها البگ بانگ Big Bang وقت الانفجار العظيم الذي جعل الأجسام تنتشر حول الشمس بسرعة هائلة وتدور حول نفسها نتيجة الانفجار. وعليه لا يستحق الإله الوهمي العبادة لأنه زعم أنه خلق الجاذبية.

- ويستمر السيد زياد، فيقول لي:

"انت هنا تهمش عقلك ولو استعملت عقلك لأخبرك انه ليس هناك اجابه الا ان يكون هناك من علم بذلك فجعل هذه الجاذبيه بهذا القدر فهو يستحق العباده."

- فيا سيد زياد! من فينا الذي همش عقله هنا؟
  - ثم يستمر زياد فيقول:

"طيب من الذي جعل طبيعة الماء بهذا الشكل الذي يسمح له بالتبخر مع الرياح ثم بعد ذلك يتكثف ويمطر على ارض في حاجته هل هو اله يعلم بحاجة اليابسه لهذا الماء فقدر ذلك ام هي صدفه." انتهى.

- الماء ما هو إلا أوكسجين وهايدروجين اتحدا فتكون منهما الماء. نستطيع الآن أن نجري تياراً كهربائياً في الماء ونرجعه إلى أصله - أوكسجين وهايدروجين - فليس هناك من خلق الماء لأنه يعلم حاجة الأرض إليه. لو كان هذا هو سبب خلق الماء لما رأينا ثلث اليابسة عبارة عن صحارى قاحلة.
  - ويستمر السيد زياد على نفس المنوال ويسأل أسئلة تفترض أن الله هو الذي خلق هذه الأشياء، فيقول:

"طيب من الذي جعل هناك مرتفع ومنخفض جوي لكي تنتقل هذه الرياح بالماء الذي حملته من مكان لاخر هل هذه صدفه ايضا ام ان هناك من يعلم الحاجه لهذا المرتفع والمنخفض الجوي فكونها هل هي صدفه ايضا. اتمنى عليك سيد نجار ان تحترم عقولنا ولا تعطينا كلمه مبهمه هي عوامل فيزيائيه فقط وتترك القاري في حيره." انتهى.

- العوامل الطبيعية هي التي تخلق المنخفض الجوي الذي يتسبب في هطول الأمطار يا سيد زياد. والمنخفض والمرتفع الجوي ما هو إلا تعبير علمي يرمز إلى ضغط الهواء في منطقة معينة تحددها حرارة الطقس وتمدد الهواء، ولا دخل لأي قوى وهمية في خلق المنخفض الجوي. وأنا لولا أني أحترم عقول القراء لما كتبت هذه المواضيع العلمية.
  - ثم يقول زياد:

"طيب بالنسبه للجنين انت كذلك مع احترامي لعلمك سطحي هنا جدا في البداية من جعل الذكور ولاناث في الانسان وغيره ينجذبون لبعضهم هل هي الطبيعه ام ان هناك من كان يعلم ان هذا ضروري للتواصل بين الجنسين حتى يتم التلقيح. من الذي خص الرجال بالحيوانات المنويه والنساء بالبويضات لماذ لا يختلط الحابل بالنابل ويصبح هناك بعض الذكور لديهم بويضات وبعض النساء لديهن حيوانات منويه ام ان هناك من يعلم بوجوب اختلاف الذكور عن الاناث لكي تتم عملية التخصيب." انتهى.

- فإذا كنت أنا كطبيب درس علم الأجنة embryology، سطحياً، فأرجو أن تزودنا بما هو أعمق مما ذكرته أنا ولا تكتفي بالأسئلة البديهية. تكاثر النوع بدأ بالأميبا التي هي أقدم حيوان معروف لنا وتتكون من خلية واحدة فقط. تنقسم هذه الخلية لتكون أميبتين وكل واحدة بدورها تفعل نفس الشيء. ثم جاءت البكتيريا والڤيروسات لتفعل نفس الشيء. والخطوة التالية كانت حيوانات مثل الهايدرا التي تحمل في جوفها البويضات والحيوانات المنوية أو ما يعادلها. وبعد مليارات من السنين تطورت الحيوانات وانفصلت إلى ذكر وأنثى. وهناك الآن أنواع من النمل لا تحتاج أنثاه إلى ذكر لتلد نملة صغيرة.
  - ثم يقول زياد:

"لو كان هناك شخص لا يوجد لديه حيوانات منويه نهائيا هل يعقل ان نستطيع جعله ينجب ابناء من صلبه ويحمل نفس صفات حمظه النووي. ولو كانت هناك امرأه ليس لديها بويضات بتاتا هل نستطيع جعلها تنجب على هذي السؤالين اترك الاجابه لك سيد نجار" انتهى.

- ونقول للسيد زياد حسناً فعلت بتركك الإجابة لي لأن المرأة العقيمة تكون عقيمة رغم وجود المبيضين الذين ينتجان البويضات، وليس لأنها لا تملك بويضات. هناك أسباب عديدة للعقم رغم وجود المبيضين، منها نقص في الهرمونات التي تساعد المبيض على إفراز البويضات، ومنها انسداد الأنبوب الذي ينقل البويضة من المبيض إلى الرحم، ومنها أورام حبيبية بالرحم. والطب الحديث يستطيع علاج كل هذه الحالات. ونفس الشيء ينطبق على الرجل. فالرجل الذي لديه خصيتان بالصفن ينتج حيوانات منوية ولكنها قد تكون ضعيفة الحركة أو بها تشوهات تجعلها غير صالحة لتخصيب البويضة. وهناك قلة من الرجال يمكن أن تفشل الخصيتان عندهم في النزول إلى الصفن وتظل الخصيتان بالبطن، وهذ يتسبب في موت الحيوانات المنوية نسبة لارتفاع حرارة البطن. فأسباب العقم كلها معروفة لدينا ونستطيع علاج أغلبها، ولا دور لإله السماء فيما نفعل.
  - ولا أدري من أين أتى السيد زياد بمعلوماته حينما قال:

"فقد اثبت العلم الحديث ان الكون كروي والكره لديها عدد لانهائي من الاقطار ولدي يقين انك تعلم ذلك. والى الان لم يستطيع احد الخروج من الكون بل لم يستطيع احد الوصول للمريخ القريب جدا من الكره الارضيه بالمقاييس الفلكيه ومن ذلك الاعجاز مستمر الى الان" انتهى.

- ونقول للسيد زياد إن الكون ليس كرويا، ولم يثبت العلم الحديث ما قلتَه. الكواكب والنجوم كروية ولكن الكون مسطح ولا حدود له، وليس له أقطار. إذا كان العلم الحديث قد أثبت ما تقول فأرجو أن توافينا بمصادرك لذلك، ولا تردد كما يردد شيوخ الإسلام **"وقد أثبت العلم الحديث"**. ثم أن المركبة الفضائية الأمريكية قد وصلت إلى المريخ وأرسلت صوراً في غاية الجمال منشورة بالانترنت.

- أمّا زياد العربي صاحب التعليق 13،
  - يقول بكل بساطة وعفوية:

"النيازك تحيط بالأرض من كل جانب وتضرب سماء الأرض وتخترقها ولكنها تسقط في الأماكن غير المأهولة... لماذا؟" انتهى.

- يا سيد زياد العربي! أولاً: الأرض ليس لها سماء حتى تضربه النيازك وتخترقه رغم الآية التي تقول {**والسماء بنيناها بأيدٍ**}. فليس هناك بناء وليس هناك سماء صلبه تخترقها النيازك. ثانياً: هناك في العلم الحديث قاعدة اسمها قانون الاحتمالات probability law وهذا القانون له معادلة نستطيع بواسطتها أن نحسب احتمال حدوث أي شيء. فمثلاً في إنگلترا عندما يشتري الشخص تذكرة لوتري، حسب العلماء فرصة كسبه الجائزة الأولى وقالوا إنها واحد في 13 مليون فرصة. وعليه، بما أن أكثر من 60 بالمائة من سطح الأرض تغطيه المحيطات، وتغطي الصحارى الخالية من البشر ثلث اليابسة، يكون احتمال سقوط النيزك في منطقة مأهولة، نسبة ضئيلة جداً.
  - ثم يقول زياد العربي:

"لنتأمل هذه الاية الكريمة: (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) [الأنعام: 59]. ولو شاء لأسقط هذه الحجارة على البشر ولكنها رحمة الله بعباده فهو القائل: (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ) [الأنعام: 65]. إن هذه النتيجة تدل على أن العملية لا تحدث بالمصادفة ولو كان الأمر كذلك لما استطاعت هذه النيازك التمييز بين المناطق المأهولة أو غير المأهولة، ولكن الله تعالى الذي خلق هذه الحجارة وقدر لها أن تسبح في الفضاء وقدر لها أن تدخل الغلاف الجوي، هو الذي سخر لنا سماء لتحفظنا من شر هذه النيازك! والحقيقة هذه الظاهرة والتي تثير عجب العلماء لا تثير العجب لدينا نحن المسلمين لأننا نعلم أن الله تعالى هو الذي سخر كل شيء لخدمتنا، وليست المصادفة المزعومة." انتهى.

- يمكن لأي شخص أن يزعم أنه قادر على أن يفعل أشياء عديدة، ولكن الحقيقة تظهر عندما ينفذ الشخص أو الإله ما يقول. إله محمد قال إنه **أرسل حجارة من سجيل** على جيش أبرهه الحبشي، وأرسل الحجارة على قوم عاد، لكنه فشل في إرسال نفس الحجارة

على جيش الحجاج بن يوسف حينما دك الكعبة. ولو كان قد سخر لكم سماء تحفظكم من النيازك، كيف سقط الحجر الأسود بالقرب من مكة، وهو حجر نيزكي؟ وأنا أوافقك بأن المسلمين لا يثير عجبهم شيء، وهل يتعجب من لا يفكر؟

- السيد عبد الله بوفيم، صاحب التعليق 23،
  - يثني على زياد السعودية ويقول:

"اخونا الكريم، لقد اجبت الدكتور كامل النجار بما يفي لأدعانه لرب العالمين، وإني لجد موقن أن كامل النجار يقر بوجود الله الخالق له ورغم أنفه" انتهى.

- وأنا أشكر السيد عبد الله **الذي جعلني مؤمناً رغم أنفي**، وهو هنا يعكس عقلية كاتب القرآن الذي يقول: {**له أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون.** (آل عمران 83)}.
  - ثم يقول:

"لم يفصل لنا النجار من خلق بصمته المخالفة لبصمات جميع البشر السابقين واللاحقين" انتهى.

- يا سيد عبد الله البصمات لم يخلقها الله ليساعد الشرطة على التعرف على الجاني. البصمات تكونت تدريجياً والغرض منها زيادة مساحة سطح الأصابع لأنها عبارة عن نتوءات فوق سطح الجلد وهي بالتالي تزيد مساحة السطح ليتمكن الأصبع من القبض على الأشياء الملساء دون أن تنزلق من اليد، وكذلك زيادة مساحة الجلد في الأيادي تؤدي إلى زيادة الرقعة الجلدية التي تعرق لتبرد الجسم عندما يتبخر العرق. ولأن الإنسان نشأ في أفريقيا الحارة وكان يركض خلف حيوانات الصيد كان يحتاج إلى التبريد بواسطة العرق في الأيدي والوجه لأن بقية الجسم كان يغطيه شعر كثيف. فالبصمات نتجت عن حاجة الإنسان إليها. وكون البصمات مختلفة فهذا يرجع إلى الجينات وقانون الاحتمالات. فنحن لا نستطيع أن نقول إن البصمة الموجودة في مسرح الجريمة تطابق أصابع هذا الشخص ولا أحد غيره، وإنما نقول إن هذه البصمة تطابق أصبع هذا الشخص، واحتمال أن تطابق أصبع شخص آخر هو واحد في 10 مليون، مثلاً.
  - وبرع السيد عبد الله عندما قال:

"اعجب لعقلك يا دكتور كامل النجار، لو تدبرت نفسك وبدنك حقا لأدركت أنه لم يخلق عبثا ولو كنت طبيبا كما ذكر الأخ الكريم زياد فانت بلا شك حاقد وطبع على قلبك، لأن مستواك يمكنك من دراسة خلية واحدة من جلدك لترى أنك لو جمعت عقول العالمين كلها ما استطاعوا أن ياتو بمثلها، فلترفق بنفسك دكتور وإني اراك جاحدا بل وجاهلا أو متجاهلا تدعوا للكفر البواح رغم كونك ربما تعلم الحقيقة" انتهى.

- وهذا مستوى مَن يزعمون أن الإسلام يحث على الحوار وعلى استعمال العقل.
- أما السيد مجدي فقد برع في تعقيباته التي فاقت طول المقال الأصلي، **ومثله مثل كل المسلمين، بدأ بالسؤال التقليدي**:

" انا لا يهمني باقي ما جاء في المقال ولكن شيء واحد حكم وفيصل في كل ما قيل. الخلية الاولي النطفة الاولي من اين اتت. الروح هل يستطيع ان يصنعها انسان وبالتالي اين تذهب بعد موت الجسد واين هي في الجسد اين يتم رصدها داخل الجسد او داخل اي نواة وخلية اولية لاي شيء حي" انتهى.

- وطبعاً الرد البديهي على مثل هذه الأسئلة هو "ومن خلق الله، وماذا كان قبله؟" وكل تعليقات مجدي تدور حول نفس الأسئلة الغيبية التي لا جواب لها، وبما أن مجدي لا يهمه ما جاء في المقال غير الروح، فأنا لا تهمني أسئلته البيزنطية.
- أما جائزة التعليقات فتذهب إلى السيد أحمد صاحب التعليق 24، الذي عنوانه "مسكين" ويقول فيه:

"يا نجار افهم قبلا ماهية العلم وبعدها اكتب ما بدا لك طالما الكى بورد يحوى كل الحروف لم اسمع او اقرأ لاحد من العلماء الطبيعيين ان قال هذه الترهات. يانجار انك سوى متفرج اصبت بصدمة حضارية هزت كيانك. فعلا وبصدق مسكين" انتهى.

- **وأنا أربأ بنفسي وعلمي من النزول إلى مستوى شخص صفيق لهذه الدرجة ولا يعرف أدب الحوار.**

وأعتذر للقراء عن طول المقال، وأشكر كل الذين اتفقوا معي فيما ذهبت إليه والذين أثنوا على المقال، وآسف أني لا استطيع ذكرهم بالاسم حتى لا يطول المقال أكثر من اللازم.

عودة إلى الفهرس

يقترب مما فعله عمار من أجل الإسلام. فما الذي جعل الحسين سيد الشهداء وحرم عمار من هذا اللقب؟ ولماذا المواكب تندب الحسين ولا تندب عمار بن ياسر؟ وهل فضّل الله الحسين عليه أو على أبي ذر الغفاري إلا لنسب الحسين إلى جده؟ وكيف نوفق بين هذا التصرف وبين قول القرآن {إن أكرمكم عند الله أتقاكم}، وقول محمد بن عبد الله: **لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى؟**

- يستمر الكاتب فيقول:

"وحين تستذكر الإنسانية كل عام ذكرى استشهاد الأمام الحسين (ع) بالنظر لما تحتويه الذكرى من عبر ودروس وقيم، وتعني فيما تعنيه الواقعة ليس فقط ما حدث في واقعة الطف من قتال القلة المؤمنة مع جيش الطغيان والظلم جيش سلطة الحاكم يزيد، وليس ماجرى بعد ذلك من قتل وسبي خلافاً لما تعارفت عليه قيم العرب والرجولة من قيم في القتال والمنازلة والحروب والأسر وخلافا لأعراف المنتصر وقيم الفرسان والقيم الإنسانية الأخرى." انتهى.

هل الإنسانية محصورة في الفئة الشيعية من خير أمة أُخرجت للناس؟ أنا لم أرَ المواكب تخرج في لندن أو باريس أو نيويورك أو الصين أو الهند لتستذكر ذكرى استشهاد الحسين. لا بد أن هذه البلايين من البشر لا تمت للإنسانية بصلة لأنها لا تستذكر استشهاد الحسين. ويستغرب المرء عندما يقرأ: "وليس ماجرى بعد ذلك من قتل وسبي خلافاً لما تعارفت عليه قيم العرب والرجولة من قيم في القتال والمنازلة والحروب والأسر وخلافا لأعراف المنتصر وقيم الفرسان".

هل يتحدث الكاتب عن عرب الجزيرة العربية قبل الإسلام الذين كانوا يعيشون على الحروب والنهب أم عرب الإسلام بعد أن أباح محمد لأتباعه سبي ونكاح الأسيرات وسلب الموتى في ميادين القتال، وقال: لكل رجلٍ سلب قتيله؟

- وهل قام الحسين بثورة على يزيد؟ يقول لنا الكاتب:

"كما أن القيمة التي نستقيها من الواقعة تتمثل في صمود الثائر رغم يقينه ومعرفته بعدم وجود توازن أو تعادل بين قوته وقوة السلطان، الا أن القيم التي تقيد الحسين وتملي عليه المواقف والخطوات التي يتقدم بها في دنياه مستندا على اسس دينه، وتمسكه بعقيدته التي يعتقدها أنها الحق ورفضه مبايعة الحاكم الطاغية الباغي يزيد بن معاوية ولو بالكلام" انتهى

الحسين لم يقم بأي ثورة، وإنما خُدع بالرسائل التي توالت عليه من الكوفة تطلب منه الحضور إليهم ليبايعوه بالخلافة، وقد نصحه عبد الله بن عباس وابن عمر وأخ الحسين، محمد بن الحنفية وعدد كبير من الصحابة بعدم الذهاب إليهم[3] لأنهم كانوا قد خدعوا أباه (علي بن أبي طالب) قبله وتخلوا عنه. *ولكن بريق سلطة الخلافة* **جعله** *يصر على الذهاب إلى الكوفة*، فأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل ليختبر صدقهم، فقال له مسلم إنهم صادقون وقد بايعوه، فتحرك من مكة، *ربما بتشجيع من عبد الله بن الزبير، الذي أراد الانفراد بمكة وطلب الخلافة لأنه كان يعلم أن الحسين سوف يُخذل ويقتل*. وسار الحسين في ستين رجلاً من أنصاره مع حريمه وأطفاله[4] ويقال إنهم كانوا تسعة عشر رجلاً و نساء و صبياناً من اخوته و بناته و نسائه ، فتبعهم محمد بن الحنفية وأدرك الحسين قبل الخروج من مكة فحاول مرة أخرى أن يثني الحسين عن خروجه لكنه لم يستطع.[5]

وعندما وصل الحسين إلى الطف، وعلم بمقتل ابن عمه مسلم بن عقيل أراد الرجوع ولكن قبل أن يتمكن من ذلك وافته سرية عمر بن سعد و طلبوا منه أن يستأسر لهم، فأبى وطلب أن يردوه إلى يزيد، أو يرجع من حيث جاء أو يلحق بالثغور، فامتنعوا من إجابته ثم لحقهم جيش يزيد يقوده شمر بن ذي الجوشن ولم يظهر ولا رجلٌ واحد من أهل الكوفة لنصرة الحسين. ولما رفض الحسين عرض ذي الجوشن بأخذه إلى والي الكوفة عبيد الله بن زياد دارت المعركة غير المتكافئة.

ولنا أن نسأل هنا: لماذا دخل الحسين المعركة غير المتكافئة؟ ألم يعلم ما قاله جده من أن الحرب خدعة؟ لماذا عرّض أزواجه وأطفاله لمثل هذا المصير وهو كان يعلم علم اليقين أنه مقتول لأن رجاله الستين لم يكن في مقدورهم التغلب على جيش ذي الجوشن ذي الآلاف؟

فحتى لو تغلب إيمانه على عقله وردد الآية: {**إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا.** (الأنفال 65)}. فالرجل المؤمن يغلب عشرة، والستين الذين كانوا مع الحسين كان يمكنهم أن يغلبوا ستمائة، رغم أن الآية منسوخة وقد قلل الله العدد فيما بعد عندما علم ضعفاً في المؤمنين، كان لا يعلمه سابقاً، وجعل المؤمن يغلب اثنين فقط: {**والآن خفف الله عنكم وعلم أنّ فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين.** (الأنفال 66)}. ولكن حتى لو غلب عشرة فما زالت المعادلة في صالح ذي جوشن، فلماذا دخل الحسين المعركة؟

وإذا كان رفض بيعة يزيد ثورةً فقد رفض عبد الله بن الزبير بيعته وخرج مع الحسين من المدينة إلى مكة في نفس الليلة، وقتله الحجاج بن يوسف بعد حرب استمرت عدة أسابيع بعد أن رمى مكة بالمنجنيق. فما الفرق بين الحسين وعبد الله بن الزبير؟ فالأول حفيد النبي والثاني ابن الزبير بن العوام ابن عمة النبي وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وكلاهما رفض مبايعة يزيد وطلب الخلافة لنفسه.

فلا الحسين ولا الحسن بن علي ولا عبد الله بن الزبير قام بثورة، إنما الذين قاموا بثورات ضد السلطة الغاشمة وضد الاضطهاد هم **الخوارج** الذين لم يطالبوا بالخلافة لأنفسهم وإنما طالبوا بالحاكمية لله وحده. وقد ثاروا في الكوفة سنة43، و52، و58 هجرية. وفي البصرة سنة 45 هجرية. وفي الأهواز سنة 59 هجرية. وفي البحرين سنة 73 هجرية وفي طبرستان سنة 77 هجرية، واستمرت ثوراتهم حتى سنة 105 هجرية. فهذه كانت ثورة حقيقية وليست كثورة الحسين .

ثم هناك الذين ثاروا على الظلم والإجحاف، منهم الزنوج في البصرة وكانت ثورتهم التي استمرت عدة سنوات وتمكنوا خلالها من الاستيلاء على البصرة وأسر الذين ظلموهم، ثورة حقيقية على الظلم والسخرية التي تعرضوا لها من ملاك الأراضي ومن الدولة الإسلامية. وكانت ثورتهم تشابه الثورة الفرنسية في أسبابها ومطالبها، **وأصبحت الثورة الفرنسية مناراً لأوروبا بينما تجاهلت كتب التراث ثورة الزنج التي سبقتها.**

وكانت هناك ثورة عبد الله بن الجارود الذي شق عصا الطاعة على الحجاج بن يوسف الذي سقى العراقيين من كأس الذل والمهانة عدة سنوات. وهناك ثورة المطرف بن المغيرة بن شعبة الذي خلع طاعة الحجاج بن يوسف وعبد الملك بن مروان، وانضم إلى شبيب بن يزيد الشيباني وجماعته الذين كانوا يحاربون من أجل إعادة الحكم بحدود الله وبسنة نبيه.

فإذا كانت هذه ثورات، يكون من الإجحاف تسمية رحلة الحسين إلى الكوفة ثورة. فهي أقرب إلى المؤامرة السياسية منها إلى الثورة. ولكن رجال الدين الشيعة سموها ثورة وخدعوا البسطاء ليصدقوا بها ويحيوا ذكراها كل عام ويحجوا إلى كربلاء ليصرفوا ما ادخروه طوال العام على المزارات التي يجمع ريعها رجال الحسينيات والمرجعيات لتضاف إلى أموال الخمس.

وقد نفهم أن يجلد رجال الكوفة الذين غرروا بالحسين وخذلوه، أنفسهم بالسلاسل **ندماً** على تفريطهم في حفيد نبيهم، بعد أن خذلوا أباه قبله، ولكن نعجز أن نفهم سبب جلد رجال وأطفال العراق وإيران أنفسهم اليوم تكفيراً عن خيانة لم يرتكبوها، وقرآنهم يقول لهم: {**لا تزر وازرة وزر أخرى**}.

- ويستمر الكاتب فيقول:

[3] ابن سعد في الطبقات، 360/5.

[4] أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين، د. عبد السلام الترمانيني، دار طلاس، دمشق، ثورات من أجل الخلافة.

[5] الطبقات لابن سعد 266/5.

"ولهذا فقد أتسع عقل الحسين في تلك اللحظات العصيبة ملتزما بموقفه السياسي والديني والأنساني، ومعبرا أمينا عن رغبة الناس في عدم قبول الحاكم." انتهى.

وأنا أستطيع أن أفهم أن يلتزم الحسين بموقفه السياسي الطالب للخلافة لنفسه، أما كيف يكون ملتزماً بموقفه الديني والقرآن يقول له: {**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون.** (النساء 59)}. فعندما خرج معاوية على الخليفة عليّ بن أبي طالب حاربه عليّ. فالحسين تنازع على الخلافة مع يزيد، وبما أن الرسول لم يكن موجوداً وقتها، كان يجب عليه أن يرد الأمر إلى الله إن كان مؤمناً، والله يقول له أطيعوا أولي الأمر منكم. فيزيد كان من حقه أن يحارب الحسين كما حارب الخليفة عليّ بن أبي طالب معاوية. وكيف يكون الحسين قد التزم موقفه الإنساني وهو يعلم أن نصف جيشه يتكون من النساء والأطفال الذين سوف يكونون عرضة للسبي والقتل؟

وقد اعترف الكاتب نفسه بذلك حينما قال:

"وكما نعرف ايضا أن القلة التي قادها الحسين بن علي (ع) لايمكنها بالتأكيد أن تنتصر بالقوة على جيش الامبراطورية المدجج، ومعرفة عدم التكافؤ مع الأصرار على الأستمرار على ذات الخط يشكل جدلية بين السيف والكلمة، فالصراع بين الحاكم والمحكوم، وبين السلطان وبين رفض الحسين كان بين القوة ومعنى الرفض." انتهى.

فهل كان لاستمرار الحسين في العناد ومحاربة جيش السلطان أي ذرة من الإنسانية واعتبار ما سوف يؤول إليه حال النساء والأطفال الذين اصطحبهم معه بدل تركهم بمكة إلى أن ينتصر ويتسلم الخلافة؟ وكيف يكون الاستمرار على ذات الخط يشكل جدلية بين السيف والكلمة؟ فالحسين لم يحارب بالكلمة وإنما حارب بالسيف كما حارب جيش ذي الجوشن، ولو كانت حرب الحسين بالكلمة فقط لقبلنا بتسميتها ثورة ثقافية أو علمية.

- والكاتب الآخر قال:

"عاشوراء حركة من اجل الانسان، وهي لكل زمان ومكان، وان من يجتهد ليحصر نهضة الامام الحسين السبط عليه السلام بطائفة معينة او حتى بدين معين، انما يظلم الناس والبشرية، ويظلم نفسه قبل ان يظلم الحسين عليه السلام".

هل حلّ الحسين السبط مكان إله السماء؟

ما قام به الحسين لم يكن ثورة بأي شطحة من شطحات الخيال، ولكن رجال الدين الشيعة جعلوه ثورة تدر عليهم ملايين الدراهم كل عام. وكان الأمل معقوداً على المتعلمين من المذهب الشيعي لتنوير الرجرجة والدهماء حتى تتخلص من الخرافة وتُلبس الإسلام ثوباً يمت، ولو بشيء يسير، إلى الحضارة، ولكن عندما يكتب مثقفوا الشيعة مثل هذه المقالات، فقد ذهب الأملُ أدراج الرياح.

عودة إلى الفهرس

144 - نقد الأديان والتعصب

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=160401

في مقالات عديدة سابقة قلتُ إن الأديان من صنع الإنسان، والإنسان هو الذي خلق الآلهة التي تطورت بتطوره. فبعد أن كان الإله حجراً أو جذع شجرة قديمة ميتة كانت تزين وسط القرية في أيام خلت، أصبح الإله في هيئة إنسان ينزل من السماء ليصارع يعقوب، وينهزم أمامه

{24 بَقِيَ يَعْقُوبُ وَحْدَهُ. وَصَارَعَهُ إِنْسَانٌ حَتَّى طُلُوعِ الْفَجْرِ. 25 وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ضَرَبَ حُقَّ فَخْذِهِ فَانْخَلَعَ حُقُّ فَخْذِ يَعْقُوبَ فِي مُصَارَعَتِهِ مَعَهُ. 26 وَقَالَ: «أَطْلِقْنِي لأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ». فَقَالَ: «لاَ أُطْلِقُكَ إِنْ لَمْ تُبَارِكْنِي». 27 فَسَأَلَهُ: «مَا اسْمُكَ؟» فَقَالَ: «يَعْقُوبُ». 28 فَقَالَ: «لاَ يُدْعَى اسْمُكَ فِي مَا بَعْدُ يَعْقُوبَ بَلْ إِسْرَائِيلَ لأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللهِ وَالنَّاسِ وَقَدِرْتَ». (سفر التكوين، الإصحاح 32)}.

ثم أصبح الإله كالإنسان يرسل ابنه الوحيد لينقذ البشرية بإراقة دمه، ثم تعالى الإله بعد ذلك وأصبح إنساناً بيدين ورجلين ووجه وعواطف إنسانية من غضب وضحك وما إلى ذلك، وأصبح يجلس فوق كرسية أو يستلقي على عرشه فوق السماء السابعة وينزل من وقت لآخر إلى السماء الدنيا (التي لا نعرف حدودها بعد) ليستمع إلى دعاء المغلوب ويستجيب إلى دعوته، لأن دعوات البشر لا تستطيع أن تصل السماء السابعة التي تبعد عنا ملايين الأميال [**بين كل سماء والأخرى مسيرة خمسمائة عام**] (حديث نبوي).

وفي مقال لاحق عن ضرورة الأديان للإنسان، وتعقيباً على مقال للأستاذ عصام عبد الله، أستاذ الفلسفة بجامعة عين شمس، قلت إن الأديان ليست ضرورية لإنسان القرن العشرين الذي شب عن الطوق المعرفي وأصبح يعلم كل قوانين الطبيعة ويستطيع تفسير كل ما تلقيه الطبيعة نحوه. فإنسان اليوم لا يحتاج إلى دين سماوي أو دين فلسفي.

والأديان، كالحضارة، عملية تكاملية، لا ينفرد بها شعب أو قبيلة أو جنس دون الآخرين. كل دين أخذ مما وجده قبله. فالديانة اليونانية تشبعت بالأفكار الفارسو - هندية، واليهودية تشبعت من العقائد البابلية ومن الديانات المصرية القديمة، ثم جاءت المسيحية تكملةً لليهودية وبنفس لغتها الآرامية، وجاء الإسلام وتعكز على اليهودية واستلف من المسيحية بعض تشريعاتها وميثالوجيتها (أساطيرها). فالمصدر واحد وإن تشعبت الفروع.

وقلت كذلك لشيوخ الأزهر، وعلى رأسهم الدكتور أحمد الطيب رئيس جامعة الأزهر، إن محاولتهم تسخيف المسيحية اعتقاداً منهم أن ذلك يقوي من موقف الإسلام، **مغامرة فاشلة بالنسبة لقضيتهم** لأن دحض أي دين يعني بالضرورة دحض كل الأديان السماوية الأخرى لأنها مكملة لبعضها البعض. وإله السماء الإسلامي هو نفسه إله السماء اليهودي وكذلك المسيحي. وقد عرف فرعون، في الميثولوجية الإسلامية، هذه الحقيقة عندما قال:

لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل.

والغرض من نقد الدين ليس هو سلب المؤمنين إيمانهم الذي يغذي أرواحهم وحيواتهم القاحلة، *بقدر ما هو محاولة لنزع الأغلال التي كبلهم بها رجالات الدين على مر العصور*، وتمكينهم من الحركة بدون أغلال حتى يستطيعوا قطف الأزهار الحقيقية بدل الزهور الاصطناعية التي يقدمها لهم رجالات الدين في شكل صكوك غفران أو وعد بدخول جنةٍ لحمها وسداها الممارسات الجنسية مع الحور العين.

وما دام الغرض من النقد هو نزع الأغلال، فقد نزع المسيحيون حول العالم أغلالهم بعد الثورة الصناعية وأصبح الدين بالنسبة لهم أمراً شخصياً بين الإنسان ومن يؤمن به. وحتى بالنسبة لليهودية فقد أصبح أغلب اليهود في أمريكا وأوروبا علمانيين لا يهمهم ما يقوله الحاخامات اليهود.

> ***ولكن العالم الإسلامي ما زال مكبلاً بسلاسل رجالات الدين وبالجهل والمرض. وبما أن العنف أصبح المسيطر الأول على حياتنا منذ منتصف القرن العشرين وحتى الآن، أصبح من الطبيعي والمنطقي أن نحاول فهم أسباب ودوافع الذين يمطروننا بهذا العنف صباح مساء. وأظن أن أي شخص محايد لن يتردد في القول إن تسعة وتسعين بالمئة من الإرهاب الذي ينغص حياة البشر في جميع الأقطار يقوم به رجال ونساء مسلمون.***

والمؤسف طبعاً أن هؤلاء المسلمين يستهدفون الأبرياء الذين قد يكون فيهم المسلم وغير المسلم. فالذي يحدث في العراق الآن من تفخيخ السيارات والحيوانات والنساء، وتفجير المساجد والكنائس والمزارات، يقوم به مسلمون ضد مسلمين، يختلفون عنهم في المذهب، أو ضد مسيحيين لا ناقة لهم ولا جمل في ما حدث في العراق (اللهم إلا إذا اعتبرنا أن وجود طارق عزيز في حكومة حزب البعث سبباً كافياً لقتل المسيحيين).

والمشكلة في الدين، أي دين، سواء أكان "سماوياً" أو "فلسفياً" كما يسميه المسلمون، وإن لم يكن العنف في نصوصه فإن رجالات الدين المرتزقة الذين يتكسبون من بيعه **للرجرجة والدهماء**، لا يعجزهم لي عنق النصوص وإيجاد كلمة أو عبارة تبيح لهم ربط العنف بالدين، وبالتالي تبرر لهم ما يفعلون. وفي مثل هذه الحالات يكون نقد رجالات الدين هو المطلوب، أما نقد الدين فيكون إجحافاً لأن ذلك الدين لا يحض على القتل و الكراهية.

ورغم أن الأناجيل المسيحية الرسمية الأربعة ليس بها أي عنف غير الآية التي تقول:

{34 لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلاَماً عَلَى الأَرْضِ. مَا جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلاَماً بَلْ سَيْفاً. 35 فَإِنِّي جِئْتُ لِأُفَرِّقَ الإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ وَالاِبْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. 36 وَأَعْدَاءُ الإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ. (إنجيل متّى، الإصحاح العاشر)}،

والتي لم يقصد منها كاتب الإنجيل السيف الحقيقي إنما سيف رمزي يرمز إلى تعاليم المسيحية التي تفرق بين الابن الذي يؤمن وأبيه الذي يكابر، أو العكس، فإن رجال الكنيسة الكاثوليكية اتخذوا من هذه الأية ما يبررون به الحروب الصليبية وكل أنهار الدم التي تبعت ذلك. بل قبل ذلك قد استغلت الإمبراطورية الرومانية المسيحية التي لم تكن قد شبت عن الطوق بعد، ليستعمروا أغلب بقاع العالم المعروف في ذلك الزمان باسم إله السماء.

فكان نقد الكنيسة يومها، وليس نقد الدين، هو المطلوب، وقد قام به عدة رجال يتحلون بالشجاعة، وانتقدوا الكنيسة الكاثوليكية دون أن يتعرضوا إلى نقد الإسلام أو اليهودية، وانتهت سطوة الكنيسة الكاثوليكية عندما انهال عليها النقد من كل صوبٍ. فهل كان هؤلاء الرجال محقين في نقدهم للكنيسة الكاثوليكية دون غيرها؟ نعم، كانوا محقين في رأيي لأن الكنيسة الكاثوليكية وقتها كانت القوة الوحيدة التي تدعو إلى القتل وإلى صلب وحرق المفكرين وحرق الساحرات واستغلال الفقراء.

ورغم تسامح غالبية رجالات الدين المسيحي في عصرنا هذا فإن هناك بعض القساوسة، خاصةً في أمريكا، ممن يُقَوّلون الأناجيل ما لم تقل، ليبرروا عنفهم، فمثلاً، أحد قساوسة الكنيسة اللوثرية في أمريكا قال في قاعة المحكمة، بعد أن قتل طبيباً يقوم بعمليات الإجهاض، إنه ليس إرهابياً لأنه لا يستسيغ العنف من أجل العنف، وإنما استعمل العنف ليقاوم عنفاً أكثر منه، وهو قتل الأجنة في بطون أمهاتهم. وقد اعتبر هذا النوع من العنف دفاعاً عن حدود الله، وليس هجوماً[1].

وعندما استعمل القس جون هيل John Hill مسدسه ليقتل الدكتور جون بريتون وحارسه الخاص وهما في طريقهما إلى عيادة أمراض النساء والولادة، امتلأت الصحف الأمريكية بخطابات التشجيع لذلك القس من جماعة Defensive Action Movement أي ‹جمعية العمل الدفاعي عن المسيحية›.

ففي منطق هؤلاء القساوسة المسيحيين أن الإنجيل يبيح لهم الدفاع عن الأجنة بقتل الأطباء الذين يقومون بعمليات الإجهاض (مع العلم أن عدد الأجنة التي تجهض من تلقاء نفسها يفوق عدد الذين يجهضم الأطباء بعشرات المرات). فمنطقهم يسمح لهم بقتل طبيب يقدم خدمات جليلة لمجتمعه من أجل حماية جنين لم يولد بعد، وكان عليهم أن يقتلوا الإله الذي يجهض ملايين الأجنة كل عام، ويسمون قتل الأطباء هجوماً دفاعياً لحماية شرع الله، *تماماً كما يبرر القرضاوي الجهاد واستعمار بلاد الغير وقتلهم وسبي نسائهم بقوله إنه جهاد الدفع وليس جهاد الطلب.*

وقد تفوق القس الأمريكي مايك براي Mike Bray على بقية القساوسة بأن أباح قتل السياسيين الأمريكيين مثل وزيرة العدل في إدارة الرئيس كلينتون، جانيت رينو، لأنها سمحت لل اف بي آي FBI باقتحام معسكر ديفيد كريش في ويكو بتكساس، واتهمهم بالكفر. وعذره في إباحة القتل لأتباعه هو أن السياسيين الأمريكيين هم "الوثنيون الجدد" neo pagans، في مقابل المحافظين الجدد neo cons. وطالب بإقامة حكومة أمريكية تحكم بشرع الله وقوانين الإنجيل Biblical Law. فهؤلاء القساوسة الأمريكان هم النسخة الغربية من الإخوان المسلمين. فهل لهؤلاء سندٌ من الإنجيل؟

وعندما لم يجد القس مايك براي آيات في الإنجيل تبرر دعوته لقتل السياسيين، زعم بأن اثنين من حواري المسيح كانا عضوين في الجمعية اليهودية التي تمردت على الرومان،وكانوا يعرفون باسم "الغيورون" The Zealots، وبالتالي يصبح التمرد على الحكومة اتباعاً لتعاليم حواري المسيح. وما أوهى العذر، ولكنه استطاع أن يقنع به أتباعه.

ولأن الأناجيل المسيحية لا تشجع على العنف بل تدعو إلى المحبة والإخاء وإدارة الخد الآخر، لا أرى وجاهة في نقدها عندما يكون دافعي للنقد هو العنف واضطهاد الغير سواء أكان المرأة أو المخالف في المعتقد. بعض رجالات الدين المسيحي هم الذين دعوا، ويدعون إلى العنف تحت مبررات هذيلة لا تمت إلى المسيحية بصلة. فالنقد في هذه الحالة يجب أن يوجه لرجالات الدين وليس للمسيحية نفسها.

حتى الديانة البوذية المسالمة لم تنجُ من العنف الذي شجع عليه رجالات الدين دون سند من نصوصهم المقدسة. فقد استغل رجل دين في اليابان، يُدعى "أساهارا" Asahara، في عام 1995، الإيحاء ليقنع أتباعه بإن اليهود والماسونيين والشيوعيين سوف يعيثون في الأرض فساداً وسوف يشعلون حرباً عالمية ثالثة تفني جميع البشر، ما عدا أتباعه الذين سوف يحصنهم بلقاحات تحميهم من آثار الغازات السامة التي سوف يستعملها الأعداء. وسمى تلك الحرب Armageddon. وأنشأ معاملاً لإنتاج اللقاح، وأقنع طبيباً اختصاصياً في جراحة القلب، وعلماء كيمياء، بإنتاج غاز السارين السام وزرعه في أنابيب في قطارات الأنفاق في طوكيو في مارس 1995 ليوهم أتباعة بصدق تنبؤاته. ومات بعض الركاب الأبرياء وتسمم المئات.

والمخيف أن أتباعه وأغلبهم من المتعلمين، إذ أن نسبة الأمية في اليابان ضئيلة جداً، قالوا في الصحف، بعد أن اعتقلت السلطات ذلك الزعيم، لا بد أن السيد The Master كانت له أسباب دينية للقيام بما قام به لأنه كان قد تنبأ لهم بتاريخ حدوث تلك المجزرة قبل عام من حدوثها الفعلي. ولم يخطر ببالهم أنه هو الذي اختار ذلك التاريخ لقتل الأبرياء منذ مدة طويلة وقد جلب المعدات للمقربين منه لإعداد السارين.

وكل هذه الأمثلة لا تعطي مبرراً كافياً لنقد المسيحية أو البوذية، لأن تعاليم الديانتين لا تشجع على العنف والإرهاب، وجاء التشجيع من قلة قليلة من رجالات الدين المسيحيين أو البوذيين. أما إن كانت الديانتان مليئتين بالخرافة والقصص الميثولوجية، فهذا لا يعنيني، فإن أراد الناس أن يؤمنوا بالميثولوجيا فهذا شأنهم، **فهدم الميثولوجيا ليس هو غايتي ما دامت الميثولوجيا لا تضرني**. ولكني أنتقد الميثولوجيا الإسلامية لأنها تضرني وتضر الناس في جميع أنحاء العالم.

يحدث كل هذا العنف في أديان لا تبرر العنف ولا تدعو له، فما بالك بدين كاليهودية أو الإسلام؟ فرغم كل الآيات التي تبيح القتل وضرب رؤوس أطفال العماليق بالحائط، وما شابه ذلك، يحاول حاخامات اليهودية أسباباً أخرى تبيح لهم قتل العرب وحتى قتل اليهود غير المتدينين. فمثلاً عندما قتل يغال أمير، إسحق رابين، رئيس وزراء إسرائيل لأنه عقد اتفاقاً مع ياسر عرفات فيما يعرف بمعاهدة أوسلو، قال يؤول ليرنر Yoel Lerner، أحد المتعصبين، وهو يعلم أن اليهودية تُحرّم قتل اليهودي يهودياً آخر، إن التوراة تبيح إيقاف من يمثل خطراً أخلاقياً Moral Danger على اليهود. وفسر عملية "الإيقاف" بالقتل، وزار القاتل في السجن مع مجموعة كبيرة من أنصاره، يوم عيد ميلاد القاتل، وغنوا أمام السجن وقدموا الكعك للمارين. فمثل هؤلاء المؤمنين الذين رضعوا العنف مع حليب أمهاتهم المؤمنات بتعاليم اليهودية، لا تشبع نهمهم للقتل جميع آيات العنف التوراتي، فيبحثون عن مبررات أخرى.

وقد سأل سائل: لماذا أركز أغلب نقدي على الإسلام ما دامت اليهودية مشبعة بالعنف؟. فأنا كعربي يهمني العرب أكثر من غيرهم، وبما أن أكثر من تسعين بالمئة من العرب يرزحون تحت نير هذا الدين الذي يدعو إلى العنف واضطهاد الغير، فإني أجد نفسي مضطراً لمحاولة تنوير بعض العقول العربية إن أمكنني ذلك. ثم أن اليهودية ليست ديانة تبشيرية ولا تدعو لانتشارها خارج بني إسرائيل. وقد تخلص أغلب اليهود من نير المشنا والمدراشا، وأصبحوا علمانيين يقفون مع اللاعنف ومع الحق، فنجد مشاهير اليهود في أمريكا من أمثال دستن هوفمان ورالف فين يصرحون للإذاعات الأمريكية أن اليوم الذي قامت فيه إسرائيل كان يوم دفن الإنسانية. وكذلك يفعل بعض اليهود المتنورين في إنگلترا، مثل النائب البرلماني جيرالد كوفمان. وهناك جماعات من اليهود الأورثودكس يعارضون قيام دولة إسرائيل ويدعون إلى إزالتها. وفي إسرائيل نفسها نجد جماعة "السلام الآن" وجماعات حقوق الإنسان الإسرائيلية تدين السياسات الإسرائيلية وتدعو إلى السلام وإلى احترام حقوق الإنسان في الأراضي المحتلة.

فهل سمعنا أي مشاهير عرب مسلمين يدعون لإدانة مشايخ الإرهاب ويشيدون بمجهود جماعات حقوق الإنسان الإسرائيلية؟

ورغم أن إسرائيل تبالغ في ردها على صواريخ حماس وصواريخ نصر الله، وهم يفعلون ذلك بدوافع سياسية، فإننا لم نسمع أن أي يهودي أو صهيوني فجر نفسه في نادٍ ليلي في برلين أو في جزيرة بالي في إندونيسيا أو في الطائرات الأمريكية. نعم، هناك الحاخامات المتشددون مثل كاهاني الذي اغتاله الإسلاميون في نيويورك، وهناك المتعصبون مثل الدكتور باروش جولدستين الذي فتح

[1] Terror in the Mind of God, Mark Juergenmeyer, p 9.

نيران بندقيته على المصلين الفلسطينيين وأصبح قبره مزاراً للمتعصبين من اليهود. وليس هناك من شك في أن أي إنسان عاقل يدين مثل هذه العمليات ويدين التعاليم الدينية التي تشجعها. وقد انتقدتُ أنا التوراة وعنفها عدة مرات.
بالنسبة للمسيحية فقد مضت أيام محاكم التفتيش وقتل الساحرات وتشجيع العنف الإلهي إلا في أمريكا حيث الجماعات المتطرفة التي تقتل الأطباء لتمنع الإجهاض. وهؤلاء ليس لهم سند من كتابهم المقدس. *وأتباع الكنيسة الأرثودوكسية الشرقية سواء في مصر أو روسيا أو الحبشة، هم أكثر الناس التزاماً بالسلم*. ولكن لكل قاعدة شواذ. فالمسيحيون الأرثودوكس في صربيا قد لجأوا إلى العنف لأسباب أثنية. فهل نلوم الكنيسة الأرثودوكسية على ذلك؟ فالكنيسة المسيحية قد تخلت في معظمها عن العنف، فما هو السبب الذي يدعوني إلى انتقاد المسيحية التي لم تكن قد شجعت العنف أصلاً؟
أما الإسلام فلا تكاد تفتح صفحة من **السور المدنية** ولا تجد بها آيات تحض على الكراهية والقتل واضطهاد نصف المجتمع المسلم. ولا تفتح جهاز تلفزيون بالبلاد العربية أو موقع إنترنت إسلامي وإلا تجد شيوخ الإرهاب والكراهية في أبهى حللهم يحثون على قتل المرتد والكافر والصهيوني ويدعون الله أن يشتت شمل اليهود ويرمّل نساءهم ويأتم أطفالهم.
وبما أن الإسلام قد خرج من رحم اليهودية، فنقد الإسلام هو نقد مباشر لليهودية كذلك، فنقد الفرع بالضرورة يكون نقداً للأصل، فلولا الأصل لما نبت الفرع.

وأنا انتقد الدين الإسلامي في محاولة لإفهام المسلمين أنهم ليسوا خير أمة أخرجت للناس، ودينهم ليس أفضل من معتقدات غيرهم، وعليهم التخلي عن العنف وادعاء الأفضلية على بقية البشر ومحاولاتهم الدائمة لفرض معتقدهم على غيرهم من البشر. فإن تخلوا عن العنف ومحاولة فرض دينهم على الآخرين، فليس هناك أي سبب لنقد معتقداتهم. فليؤمن من أراد بالحجر ويعبده، فلا دخل لي في ذلك ما دام لا يرميني بذلك الحجر.

لا أرى المسيحيين يحاولون رميي بحجر ولا أرى البوذيين أو الهندوس يفعلون ذلك. **المسلمون وحدهم هم الذين يقذفون الناس بالمتفجرات وبتهمة الكفر والإلحاد وما يتبع ذلك من إباحة دمائهم وتطليق أزواجهم، وكل ذلك بسند قوي من القرآن والسنة. والإسلام هو الدين الوحيد الذي يزعم أتباعه أنه دينٌ ودولة**. والدولة هي السياسة. والسياسية والسياسيون وبرامجهم التي يعتمدون عليها هي أكثر الأشياء عرضةً للنقد في العالم، وعليه من حقي أن أنقد ذلك الدين الذي يدفعهم لمثل تلك الأعمال ويريد أن يحكمني بقوانينه، دون نقد الديانة المسيحية من أجل النقد أو من أجل أن يقول الناس إني محايدٌ في نقدي. وكما يقول المثل الإنكليزي Charity begins at home فأنا عليّ محاولة إصلاح بيتنا قبل بيوت الآخرين.

عودة إلى الفهرس

145 - رسالة مفتوحة إلى رب السماء

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=161048

قد قررت أن أكتب هذه الرسالة المفتوحة إلى رب السماء، امرأةً كان أو رجلاً، لأني لا أعرف عنوانه لكي أرسل له رسالة مغلقة. كل ما أعرفه أنه يعيش في السماء، وبما أن هناك سبعة سماوات، يصبح تحديد المكان صعباً على ساعي البريد. اليهود الأرثوذوكس يعتقدون أنه ينزل من عليائه في وقتٍ ما، إما ليلاً والناس نيام، أو متخفياً بما يشبه طاقية الإخفاء نهاراً، فلا يراه أحد، لكنه يمر على حائط المبكى ويجمع كل خطاباتهم التي يتركونها له في شقوق وتجاويف ذلك الحائط القديم. وبما أن العرب لا يملكون إلا حائط مسجد الصخرة، وبما أنّ إسرائيل تمنعنا من الوصول إليه، يصبح أملي الوحيد في إرسال هذه الرسالة إلى رب السماء هو كتابتها كرسالة مفتوحة، على أمل أن رب السماء سوف يلاحظها من بين ملايين المقالات والرسائل على الإنترنت – خاصة رسائل الشيخ "گوگل" وابن عمه "هوت ميل" دون أن ننسى "ياهو" الذي ربما أشتقه مؤسسه من "يهوه".

أيها الإله الملك القدوس! المؤمنون بك يصدقون ما أخبرتهم به ولا يخامرهم الشك في أي كلمة من وحيك المقدس. وقد كنتُ في صغري من المصدقين. ولكن عندما كثرت مخالفات وعودك لنا، أصابني الشك في صدق ما تقول. وسوف أعطيك أمثلةً لإخلاف وعودك لنا:

- إنك قلت لنا:

{**يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**. (محمد 7)}.

وكذلك قلت لنا:

{**إنْ ينصركم الله فلا غالب لكم وإنْ يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون**. (آل عمران 160)}.

ولكن منذ أن تغلب جيش النمسا الصغير على قوات الإمبراطورية العثمانية وفك حصار ڤيينا بمساعدة جيش المجر الأصغر منه، عام 1683م لم نشهد أي نصر لجيوش المسلمين، رغم أنهم ما زالوا يصلون خمس مرات باليوم، ويصومون ويحجون، وتجري حكومة خادم الحرمين مسابقات حفظ القرآن بين ضباط وجند الله، ويُخرج بعضهم الزكاة ويرسلها خلسةً إلى تورا بورا ليساعدوا الذين يجاهدون لإعلاء كلمتك، ويلعنون أعداءك ويشتمونهم، بل حتى يرفعون عليهم **قضايا الحسبة** في مصر والمغرب والبحرين والأردن بحجة سبهم للذات الإلهية بعد أن تعتقل الشرطة مَن يسبون الذات الملكية أو الذات الأميرية (وأعترف لك بأن عبيدك قد بالغوا في تمجيد حكامهم وأسبغوا عليهم لقب "الذات" الذي هو ملكك الخاص). وفي المغرب والجزائر والعراق ذبحوا الرجال والنساء تقرباً لك (مع مشابهة هذه الممارسات بالقربان التي كنا نقدمها للأصنام بمكة قبل إرسال رسولك الأخير). فهاهم المؤمنون قد نصروك على أعدائك بأفواههم وبأعمالهم، فلماذا لم تنصرهم، وانت القائل {**إن تنصروا الله ينصركم**}؟

- بل أراك قد زدت الأمور تعقيداً وقلت: {**أمن هذا الذي هو جُندٌ لكم ينصركم من دون الرحمن إلا إنْ الكافرون إلا في غرور**. (الملك 20)}.

ولكنا قد رأينا أنّ جُند الكافرين قد نصروا عبيدك المؤمنين في الكويت عندما غزاهم جيش القائد المؤمن صدام حسين الذي بنى أكبر مسجد في البلاد العربية وقتها في بغداد، وكتب على علم البلاد "الله أكبر"، ويقال إنه كتب القرآن بدمه. وجاء جُند الكفار ودحر ذلك الجيش المؤمن ورماهم بحجارة من طائرات الاف 16 التي لا تخطيء الهدف، فجعل أجساد الجنود البواسل الأبرياء الذين أمرهم صدام بغزو الكويت، **كعصف مأكول** على طريق البصرة.

- وكذلك عبادك الصالحون في البوسنا وكوسوفو كانوا قد اعتمدوا عليك ودافعوا عن مساجدك التي هي بيوت الرحمن، وطالبوا بالانفصال حتى يطهروا البوسنا وكوسوفو من الكفار، وحتى يقيموا شرعك في محاكمهم بدل النظام الشيوعي الذي فرضه عليهم المرحوم تيتو، فجاءت جيوش الصرب وحصرتهم ورمتهم بما يشبه المنجنيق يومياً حتى كادت تفنيهم، وبقية المؤمنين في جميع أنحاء العالم **لا يملكون إلا أن يرفعوا أكفهم بالدعاء**، ضارعين إليك لتنتصر إخوانهم في البوسنا وكوسوفو، *ولم تحرك ساكناً*، حتى عندما ذبحوا النساء والرجال والصبيان المسلمين وهم في حماية جنود الأمم المتحدة في سربرينسكا (إذا كان الاسم عجمياً فالعب به).

وجاء **جُند الكفار بقيادة اليانكي** ودكوا حصون الصرب وفكوا الحصار عن المؤمنين، ومكّنوا محكمة مجرمي الحرب من القبض على سلوبان ميلوسوفتش، زعيم الصرب وأخذه إلى لاهاي حيث مات مغبوناً على ضياع مجده. فيبدو أن جُند الكفار قد نصروا المؤمنين من دون الرحمن الذي لم يحفظ وعده لجنده وخذلهم {**وإنْ يخذلكم فمن الذي ينصركم**}. فهأنت قد خذلت المؤمنين ونصرتهم جيوش الكافرين.

- وهل لنا أن نعرف مع من تقاتل في المعارك التي دارت وتدور بين اليهود والمسلمين؟

إنك قلت لداود: {**وَعِنْدَمَا تَسْمَعُ صَوْتَ خَطَوَاتٍ فِي رُؤُوسِ أَشْجَارِ الْبُكَا حِينَئِذٍ احْتَرِصْ، لأَنَّهُ إِذْ ذَاكَ يَخْرُجِ الرَّبُّ أَمَامَكَ لِضَرْبِ مَحَلَّةِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ**. (سفر صموئيل الثاني، الإصحاح الخامس، الآية 24)}، وكذلك قلت للمسلمين: {**إن الله يدافع عن المؤمنين**}. فهل لنا أن نعرف حقيقة أين تقف من هذه الحرب الأبدية؟

- عندما تحدثت عن اليهود الذين أصبحوا أعداءك الألداء بعد أن كانوا شعبك المختار، وغضبت عليهم ولعنتهم وجعلت منهم القردة والخنازير، قلت لنا: {**وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين**. (المائدة 64)}.

ولكن منذ عام 1948 وهم يوقدون نيران الحرب وينتصرون علينا **ولا نرى أثراً لمجهودك في إطفاء نيران حربهم**. فهاهم الآن قد دكوا *إمارة غزة الإسلامية* وقتلوا أكثر من 1300 مواطن، أغلبهم من النساء والأطفال، وقتلنا منهم ثلاثة عشر جندياً. وهذا يعني أن الجندي اليهودي يساوي مائة من المؤمنين. ولكنك كنت قد قلت لنا في الآية 65 من سورة الأنفال: {**إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قومٌ لا يفقهون**}. هذا يعني أن الجندي المؤمن يغلب عشرة من الكافرين. ولكن كما يظهر من الأرقام في الحرب الأخيرة التي لم تطفِ نارها إلا بعد أن تدخلت الحكومات الأوروبية، *فإن جند الرحمن الصابرين والذين يُقدر عددهم بثلاثين ألف مسلح حمساوي لم يقتلوا إلا ثلاثة عشر جندياً من بني إسرائيل*. (طبعاً هذه الأرقام تستثني قادة حماس الذين لاذوا بالمخابيء تحت الأرض ثم أعلنوا علينا النصر الإلهي).

- ونحن مقدرون أنك قلت لنا في الآية 66 من نفس السورة إنك قد علمت فينا ضعفاً: {**الآن خفف الله عنكم وعلم أنّ فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإنْ يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين**}.

هل لنا أن نسألك متى علمت فينا هذا الضعف فأنزلت عدد الذين نغلبهم بإذنك من عشرة كفار للمؤمن الواحد إلى كافرين فقط للمؤمن الصابر؟ فإذا علمت هذا الضعف بهذه السرعة حتى أنك أنزلت هذه الآية مباشرة بعد سابقتها، لماذا لم تعلمه من قبل وكنتَ قد كتبت هذا القرآن في اللوح المحفوظ من قبل أن تخلق الأرض أو السماء؟ وحتى لو قبلنا بالنسبة الجديدة فإن الثلاثين ألف مسلح الحمساويين الصابرين كان يجب أن يغلبوا ستين ألفاً من اليهود الغازين، بإذن الله، ولكنّ ذلك لم يحدث. **فهل منعت إذنك عن المؤمنين الصابرين لأنك تعلم أن لحاهم ومسابحهم ما هي إلا ذريعة يخدعون بها البسطاء، أم أنك غضبت عليهم لأنهم اتخذوا أحمدي نجاد وبشار الأسد أولياء نعمتهم بدل أن يتخذوا الرحمن وليهم؟**

- وهل لنا أن نسألك لماذا تخليت عن النساء والأطفال في غزة، وهم المؤمنون الصابرون، وكنت قد قلت لنا: {**إنّ الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوانٍ كفور**. (الحج 38)}.

هل شَابَ إيمان أطفال غزة ونسائها شائب لا نعلمه، أم علمت أنهم خوانون وأنت لا تحب كل خوانٍ كفور؟ وحتى لو شاب إيمانهم شائب، ألست أنت القائل: {**ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان**. (النساء 75)}؟
فقد تخاذل بقية المؤمنين العرب ولم يقاتلوا في سبيل المستضعفين من النساء والأطفال، فهل ضعفت أنت كذلك ولم ترسل الملائكة ذات الأجنحة المتعددة لتنصر النساء والأطفال المستضعفين؟ فكيف تطلب من المؤمنين أن يقاتلوا في سبيل النساء والأطفال المستضعفين ولا تفعل أنت ذلك عندما يتقاعسون؟ هذه مجرد أسئلة نعجز أن نجد الأجابة عليها.

- وما دمنا نتحدث عن بني إسرلئيل، ألم توعدنا أنك سوف ترسل من يسومهم العذاب إلى يوم القيامة حين قلت: {**وإذ تأذّنَ ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم**. (الأعراف 167)}.

فلماذا لا تفي بوعدك للمؤمنين؟ كنت قد سلطت عليهم هتلر المجرم النازي الذي قتل منهم ستة ملايين، وسامهم سوء العذاب لمدة لا تتجاوز الخمس سنوات، فأين مَن يسومهم العذاب إلى يوم القيامة، وهم الآن يسومون عبيدك المؤمنين في لبنان وفلسطين سوء العذاب بعد أن ساموا عبيدك في سورية ومصر والأردن سوء العذاب في أعوامٍ مضت؟
تقول عن نفسك إنك سريع العقاب، ولكنا لم نر سرعة عقابك هذه إلا في أطفال باكستان وشمال الصين عندما زلزلت أرضهم وهدمت المدارس على رؤوسهم، لأنهم ربما كانوا يدرسون نظرية دارون فغضبت عليهم. نحن نعلم السبب في غضبك على إندونيسيا بسبب توافد السياح الغربيين المنحلين أخلاقياً، ولذلك أرسلت عليهم التسونامي فأهلك ضرعهم وزرعهم ونساءهم وأطفالهم. ولكن أين سرعة عقابك لبني إسرائيل، ولماذا لا نراك تجعل منهم قردةً وخنازيراً جدداً؟

- قال لنا رسولك إن المساجد هي بيوت الله، وإن من يبني مسجداً تبني لـه قصراً في الجنة، فشرعنا نبني المساجد في غزة بدل المستشفيات والمدارس، *فخجلت لنا منظمة اللاجئين (الأونروا) وبنت المدارس بغزة نيابةً عنا حتى نقول للعالم الخارجي إنّ لدينا مدارس ومستشفيات كبقية خلق الله*، واستمرينا في بناء بيوتك وعندما بلغت أعداد بيوتك المائتين أو يزيد قليلا، جاء جيش بني إسرائيل وقصف وهدم اثنين وتسعين مسجداً، عندما كان بعضها مليئاً بالمصلين الذين استشهدوا من أجلك. إنا نعلم أنك سوف تسخّر أصحاب البترودولارات ليبنوا مساجدَ أخرى في غزة تحل محل ما أنهدم منها، فتبني لهم قصوراً في الجنة تباهي قصورهم في الرياض ودبي وغيرها، **ولكن أين الانتقام ممَن قصف بيوتك العديدة؟** ألا تأخذك الحمية على بيوتك، أم أن الحمية من عمل الجاهلية؟
- ثم ماذا عن موتانا الذين لم يتركهم جيش بني إسرائيل ليواصلوا جلسات عذاب القبر مع منكر ونكير، فقذفت طائراتهم خمس مقابر (ثلاث منها في غزة) مما أدى إلى تطاير جثث الموتى، ولا ندري إذا أصاب القذف منكرَ ونكيرَ أم لا، إذ أننا لا نستطيع رؤيتهما، أم أنك أنذرت منكر ونكير فتركا القبور قبل سقوط القذائف؟
- قد تخلصت جميع بلادك من ملوكها فلم يعد هناك ملك متسلط إلا في بلاد المسلمين التي أصبحت بفضلهم مراتعاً للفساد والزنا والرشوة والتعذيب، ونحن على علم أنك مالك الملك تعطي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء.

فهؤلاء الملوك الجالسين على رؤوسنا ونحمل عروشهم فوقها كما يحمل عرشك ثمانية من الملائكة المقرنين، ما زالوا يسوموننا سوء العذاب بإرادتك، ولا احتجاج على إرادتك، ولكن ما دامت هذه رغبتك، وأنت تعلم ما يفعل الملوك، لأنك قلت لنا: {**إنّ الملوك إذا دخلوا قريةً أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك هم يفعلون**. (النمل 34)}، لماذا تسلطهم على عبادك المؤمنين دون غيرهم، لينشروا الفساد وأنت لا تحب المفسدين؟

- وكذلك قلت لنا، وصدقناك: {**وإذا أردنا إن نهلك قريةً أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا**. (الإسراء 16)}.

ولا أخالك لا ترى كمية الفسق الذي يحدث في بلدك المقدس ومهبط وحيك الأخير، وكذلك في دويلات الخليج العربي وفي إيران ومصر وبلادك المفضلة الشام. وكل هذا الفسق يقوم به المترفون القلائل بينما الغالبية العظمى من عبادك الصالحين لا يجدون حتى الفول المدمس ليسدوا به رمقهم، فأصبحوا يأكلون مصارين الدجاج الذي يبيعون لحمه للمترفين في مصر. فهل أنت مهلك تلك القرى لتحفظ وعدك لنا؟ وإن أهلكتها كما وعدت، فما هو ذنب المعدمين وأطفال الشوارع والأطفال اللقطاء والنساء الفقيرات اللاتي غرر بهن المترفون؟

- تقول لنا في القرآن: {**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان**. (البقرة 186)}.

ولا يخفى عليك أن هناك مئات الملايين، كل يوم جمعة على الأقل، يرفعون أيديهم لك بعد أن يصلوا ركعتين، ويظلون يلحون في سؤالك نصف ساعة على الأقل، أن تنصر المسلمين وأن تشتت شمل اليهود وترمّل نساءهم، ألم تكن قريباً من هؤلاء فتستجيب حتى لدعوة واحد فقط منهم وتنصر المسلمين؟ وعندما تنزل من السماء السابعة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر في العشر أيام الأخيرة من رمضان، حين لا ينام المسلمون ليلاً، ويظلون يطلبون نصرك لهم، ألم تسمعهم حتى وأنت في السماء الدنيا؟

- يخبرنا أبو هريرة أن رسولك قال لهم على لسانك: [**ربَ أشعث أغبر رث الثياب لو حلف على الله لأبره**]. ألم تجد في ملايين المسلمين رثي الثياب، الذين يتغذى القمل على أجسادهم الهذيلة في بنغلاديش والصومال والسودان وباكستان وأفغانستان، من يحلف عليك لتنصر المسلمين، فتبره؟
- نحن نعلم أن العرب متخصصون في فن الوساطة، وأنت شجعتهم على ذلك حينما قلت لهم: {**إن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إنْ يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً**. (النساء 35)}. فأنت تشجعهم على الواسطة في أخص الخصوصيات، ألا وهو الخلاف بين رجل وزوجته، وتوصي بنفس الوساطة عندما تختلف فرقتان من المسلمين ويلجأ كلٌ إلى سلاحه، تقول لنا: {**وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين**. (الحجرات 9)}.

فماذا نفعل عندما تقتتل فرقتان من المؤمنين في الصومال، تمد المملكة الوهابية إحدى الفرقتين بالسلاح بينما تمد الجمهورية الليبية الفرقة الأخرى، **فكيف نعرف التي بغت على الأخرى**، وكلاهما يقاتل من أجل السلطة؟ ومع مَن نحارب، هل نصطف خلف الوهابيين أم خلف الليبيين؟ وماذا عن اليمن حينما يقتتل الحوثيون مع قوات الدولة، وتمد إحداهما ليبيا وإيران بالسلاح بينما تمد المملكة الوهابية

الفرقة الأخرى؟ وتتكرر المأساة في أفغانستان، فيمد الغرب تحالف الشمال بالسلاح بينما تمد باكستان والمملكة الوهابية قوات الطالبان؟ أليس من الحكمة أن تتدخل بما لديك من قوة ونفوذ وتنصر فريقاً على الآخر وتنهي هذا الاقتتال الذي شغل المؤمنين منذ أول غزوة على قافلة قرشية حتى الآن؟

إذا وصلتك رسالتي هذه أرجو منك أن تظهر لنا نفسك ولو مرة واحدة حتى يراك الجميع فيؤمنوا بك ويتبعوا تعاليمك فيعم العالم السلام والوئام الذي تطلبه أنت ونحن نطلبه كذلك. لا أرى أي سبب وجيه يجعلك تخفي نفسك عنا طوال هذه الملايين من السنين. فظهورك مرة واحدة فقط، كما ظهرت لموسى، يكفي أن يقنع مَن لا يقتنع.

وأختم هذه الرسالة مع حبي وتقديري.

عودة إلى الفهرس

146 - نشر الإسلام على حساب الأيتام

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=161654

أي مواطن مصري يستطيع أن يحدثك عن تدني الخدمات الطبية في مصر المحروسة وانعدام الأدوية والمعدات بالمستشفيات الحكومية مما يضطر المواطن المصري لشراء العلاج من الصيدليات الخاصة وأخذه للمستشفيات لعلاج أقربائه. والسبب في ذلك يرجع إلى عوامل كثيرة، أهمها الفساد الإداري وسرقة المال العام والانفجار السكاني المريع بسبب أحاديث [تناكحوا تناسلوا]، مما أدى إلى عجز الدولة عن تحمل نفقات علاج مواطنيها.
والكل يعرف أن مصر الرئيس المؤمن أنور السادات وخليفته حسني مبارك تدار بالتعاون الخفي مع الإخوان المسلمين والجامع الأزهر والوهابية السعودية عن طريق بترودولاراتها لتخدير حواس المواطنين بنشر مظاهر التدين الكاذب الذي زاد من تفشي الرشوة والمحسوبية وسرقة المال العام وكبت الحريات العامة تحت غطاء محاربة الإرهاب الإسلامي **الذي يتفجر "عند الطلب" وحسب الضرورة السياسية**، حتى تستطيع الحكومة العمل بقانون الطواريء الذي ظل ساري المفعول منذ بدء الثمانينات من القرن المنصرم.
والغريب أن مصر التي لا تستطيع علاج مواطنيها، أصابها القلق لأن تنزانيا رفضت قبول مساعدات طبية مجانية مقدمة من مصر:

"أعربت السفارة المصرية في دار السلام عن قلقها إزاء قرار الحكومة التنزانية رفض تقديم خدمات طبية مجانية في عيادة المركز الإسلامي المصري بمدينة شانجومبي. وقد اكد السفير المصري وائل نصر خلال مؤتمر صحافي ان حكومة دار السلام رفضت إصدار تصريح للمركز الإسلامي المصرى بتقديم خدمات طبية مجانية لشعب تنزانيا."

وأضاف السيد السفير:

"ان العيادة المصرية ليست ربحية، مشيرا ان الأطباء وغيرهم من العاملين يتقاضوا مرتباتهم من السفارة، مؤكدا انفاق ما يقرب من 900 ألف دولار أميركي على شراء الأدوية والمعدات وغيرها. وتوجد جميع الأدوية والمعدات معطلة بلا عمل في مقر السفارة في دار السلام."[1].

وطبعاً تنزانيا رفضت العرض لأن المركز الطبي الإسلامي ما هو إلا وسيلة تبشيرية لنشر الإسلام تحت غطاء المساعدات الطبية واستغلال حاجة هؤلاء المرضى التنزانيين الفقراء لتحويلهم إلى الإسلام. ومن المؤكد لو كانت هذه المساعدات غير مشروطة بربطها بالإسلام لما ترددت تنزانيا في قبولها، فهم يقبلون المساعدات الطبية من أمريكا وبريطانيا والاتحاد السوڤيتي (سابقا) وغيرهم كثير.
ويحق لنا أن نسأل لماذا تصرف الحكومة المصرية بواسطة سفارتها في تنزانيا على الأدوية والمعدات ورواتب الأطباء في ذلك المركز الطبي الذي وصفته بالإسلامي، بينما أموال الضرائب التي تجمعها حكومة مصر المحروسة وتصرف منها على ذلك المركز يدفع أربعين بالمئة منها المواطنون الأقباط، والبهائيون والشيعة وبعض اليهود، وكل هؤلاء يعتبرهم الأزهر كفاراً تباح دماؤهم؟ فلماذا تصرف مصر أموالهم في نشر الإسلام؟
بينما يحدث مثل هذا التبشير الإسلامي المصري في بلاد أفريقية عدة، يصرح رئيس جامعة الأزهر، الدكتور أحمد الطيب:

"أن الأزهر ليس جهة تبشيرية، وإنما هو مؤسسة تعليمية حرة ولا يملك أجندة سياسية ولا تنظيمية لدولة بعينها."[2]

والجامع الأزهر الذي ينكر التبشير يرسل شيوخه ودعاته إلى جميع أقطار العالم، بما فيها الفلبين التي احتجزت أحد شيوخ الأزهر لارتباطه بالإرهاب مع جماعة أبي سياف في جنوب البلاد. *فهل من حق الحكومة المصرية صرف أموال الشعب على نشر الإسلام في أدغال أفريقيا أو جنوب شرق آسيا بينما تعجز عن تقديم العلاج لمواطنيها؟*
ونحن نقدّر رغبة مصر في مساعدة جيرانها الأفارقة الفقراء، ولكن حكومة مصر التي يمدح جامعها الأزهر وشيوخ فضائياتها السنة النبوية، لا بد أنها سمعت بالحديث الذي يقول: [من كان عنده فضل ظهر فليجد به على من لا ظهر له]. ويقال إن هذا الحديث قال به النبي في غزوة تبوك عندما جاءه البكاؤون الذين يطلبون الشهادة في الغزوة ولكن لم تكن عندهم خيول ولا حمير يركبونها ليصلوا إلى تبوك، بينما كان هناك من يملك أكثر من حمار أو بغل. فطلب من الأغنياء مساعدة الفقراء الذين لا يملكون ظهراً يركبونه. *فهل مصر المحروسة المسلمة لديها فضل ظهر من العلاج لتجود به لكفار تنزانيا من أجل إدخالهم في الإسلام؟*
وقد نفهم أن تكون لدول الخليج النفطية بعثات إسلامية تبشيرية علاجية في الأقطار الأفريقية. وفعلاً هناك عدة جمعيات إسلامية في بلاد أفريقية فقيرة مثل تشاد التي دخلها الإسلام في عام 46 هجرية مع جيوش عقبة بن نافع. فهل تحتاج تشاد التي دخلها الإسلام قبل أن يدخل السودان أو الصومال أو الهند إلى تبشير من الدول المسلمة؟ تشاد التي يغلب عليها الإسلام تستفيد من أموال الجمعيات الإسلامية الآتية:

- لجنة مسلمي أفريقيا ومقرها في الكويت ولها مكتب إقليمي في تشاد بالعاصمة أنجمينا وأربعة فروع تابعة له بالمحافظات التشادية.
- هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ومقرها في جدة بالمملكة العربية السعودية ولها مكتب إقليمي في تشاد.
- المنتد ى الإسلامي العالمي ومقره في لندن.
- الندوة العالمية للشباب الإسلامي ومقرها في الرياض المملكة العربية السعودية.
- منظمة الدعوة الإسلامية ومقرها في الخرطوم - السودان.
- الوكالة الإسلامية السودانية.
- جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومقرها بالجماهيرية العربية الليبية.

وتتواجد نفس الجمعيات في عدة دول أفريقية أخرى. والجمعية العربية الليبية التي لا تخفي كونها جمعية تبشيرية، تكونت عام 1972 ولها فروع في تنزانيا ومالي وبوركينا فاسو والنيجر وغانا وبنين وأوغندا. وقد صرفت على الإعانات الطبية بين عامي 2000 و2004 مبلغ 11586000 (ما يقرب من اثني عشر مليون) دولار أمريكي. وهذا المبلغ لا يمثل عبئاً مادياً على الجمهورية الشعبية الليبية التي صرفت أكثر من أربعة مليارات دولار أمريكي تعويضاً لذوي المواطنين الأمريكان الذين تفجرت بهم طائرة بانام الأمريكية فوق لوكربي في اسكتلندا.
ومما يؤسف له أن مصر ودول الخليج وحتى السودان الفقير إلى ربه، يصرفون ملايين الدولارات في أفريقيا لأسلمة الأفارقة ولكنهم لا يهتمون بتعليم هؤلاء المسلمين الجدد أو بإيجاد مصانع أو مزارع لهم تضمن لهم الاكتفاء الذاتي والعيش الكريم

[1] محمد حميدة، إيلاف 2009/1/30.
[2] آفاق 2009/1/2.

"وهنا يجري بناء المساجد بنشاط كبير بفضل التمويل من دول الخليج ودعاتهم الوهابيين، وهذه الدول ليس لها نفس الرغبة بتمويل فرص العمل" [3].

ومصر التي صرفت مبلغ تسعمائة ألف دولار أمريكي على مركز صحي إسلامي واحد في قرية صغيرة في تنزانيا، لها مركز صحي إسلامي آخر في نفس البلد في دار السلام، ومراكز أخرى في أقطار أخرى، ولا يعلم أحد كم من الملايين تصرفها مصر في عمليات التبشير هذه. وهذه المبالغ تمثل عبئاً كبيراً على المواطن المصري الذي لا يجد العلاج لنفسه أو لأطفاله ولا يستطيع حتى شراء الفول المدمس ويعيش بعض أطفالهم في الشوارع ويسكن بعضهم في المقابر.

ويظهر النفاق الإسلامي في أن مصر التي تبعث مبشريها لكل أقطار العالم وتصرف على المراكز الصحية الإسلامية في أفريقيا، تعتقل مَن يحاول التبشير في مصر ذاتها، فقد

"بدأت نيابة أمن الدولة العليا بمصر تحقيقاً موسعاً أمس، مع اثنين من الأقباط، قالت الشرطة إنهما يديران موقعاً إلكترونياً باسم «منظمة مسيحيي الشرق الأوسط»، على شبكة المعلومات العالمية الإنترنت، ويبثان فيه بالاشتراك مع آخرين مواد إعلامية مناهضة للإسلام. ووجهت النيابة لكل من الدكتور عادل فوزي ممثل المنظمة، والمهندس بيتر عزت منير مراسل موقع «الأقباط المتحدون» الإلكتروني، تهمة ازدراء الأديان، ونشر الفتنة الطائفية في البلاد، والعمل على تنصير المسلمين." [4]

فمحاولة تنصير المسلمين تعاقب بالسجن ولكن محاولة أسلمة التنزانيين المسيحيين لا غبار عليها وتصرف عليها الدولة التي تعيش على الإعانات الأمريكية. حتى الشيعة لا يسمح لهم بنشر مذهبهم في مصر التي كانت فاطمية حتى حولها صلاح الدين الأيوبي إلى المذهب السني،

"أحالت أمس مباحث أمن الدولة بمصر محمد الدريني، رئيس المجلس الأعلى لآل البيت (التجمع الرئيسي للشيعة في مصر)، إلى نيابة أمن الدولة، لاتهامه ببث دعايات كاذبة من شأنها إثارة الرأي العام عن وجود تعذيب داخل السجون المصرية في كتابه «عاصمة جهنم»، ولاتهامه بازدراء الأديان والسعي لنشر الفكر الشيعي في مصر بالتعاون مع آخرين." [5]

فمصر الثورة التي تزعم أنها دولة مبنية على المواطنة وليس على المعتقد، تسرق القوت من أفواه اليتامى لتصرفه على التبشير الإسلامي في أفريقيا، وتحارب التبشير المسيحي فيها، فإذا لم يكن هذا كيلاً بمكيالين، فما هو الكيل بمكيالين الذي يتهم به الإسلاميون الغرب في كل مناسبة وبغير مناسبة؟ ولم يبق للشعب المصري إلا أن يردد المثل العربي (ما بقي من اللص أخذه العراف).

عودة إلى الفهرس

[3] National Geographic, nr 91-23, 5/2008 (نقلاً عن موقع الذاكرة)

[4] عبده زينة وآخرون، الشرق الأوسط 2007/8/10.

[5] محمود عبد المقصود، الشرق الأوسط 2007/10/3.

147 - الأديان تجرد الإنسان من إرادته

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=162315

منذ أن بدأت فكرة الأديان عند الإنسان قبل آلاف السنين، ظهرت طبقة **الكهنة** الذين نصّبوا من أنفسهم حراساً للمعبد ولتماثيل الآلهة، وأصبحوا الناطقين الرسميين باسم الآلهة. وما داموا قد تحملوا مشقة حراسة المعابد ومحتوياتها ومشقة ترجمة أفكار وأوامر ونواهي الآلهة للعباد، فقد فرضوا لأنفسهم أجراً يتقاضونه من المؤمنين لقاء ما يقدمونه لهم من خدمات جليلة. وأصبح هذا الأجر هو المسيطر على عقول كهنة المحراب منذ ذلك الزمن السحيق حتى يومنا هذا. ومع ازدياد سلطة رجال الدين ازداد طمعهم في الأجر المادي وتفننوا في طرق جمع هذا الأجر من أعشار وأخماس وهبات وأموال نتبرع بها للمزارات المقدسة وفتاوى يتقاضون عليها الأجر من شركات الاستثمار ومن البنوك الإسلامية، *إضافةً إلى الهبات التي يتقاضونها من ولي الأمر عندما يفتون بما يحب*. وآخر صيحة في فنون جمع المال هي ما ابتكره رجال الدين في العراق بدخولهم البرلمان كأعضاء يتقاضون رواتبهم بالدولار وبكميات لم تخطر حتى على بال صدام حسين، بينما يقضون وقتهم في الحج أو في السفر إلى المؤتمرات في العواصم الأوروبية لممارسة زواج المسيار أو زواج المتعة. ولكي يستطيع رجال الدين جمع كل هذه الأموال لابد لهم من السيطرة على أمرين:

1. الأمر الأول هو **احتكار** monopoly تفسير كلام الآلهة، ولذا أتوا لنا بكتب "مقدسة" لغتها خليط من الدجل والفولكلور الشعبي، وزعموا أنهم وحدهم القادرون على فهم تلك الألغاز الإلهية، ولا يجوز لغيرهم الخوض في التفسير. وعلى سبيل المثال فقد وضع رجال الدين الإسلامي خمسة عشر شرطاً يجب أن تتوفر في مَن يحاول تفسير القرآن، وقرآنهم يزعم أنه أتى "بلسان عربي مبين".
2. والأمر الثاني هو السيطرة على عقول أتباعهم **بسلب** إرادة وتفكير المؤمنين وجعلهم كالروبتات Robots يتحركون حسب برامج معدة مسبقاً لهم.

وكل الأديان تشترك في هذه الصفة - صفة سلب إرادة المؤمن، ولكن الدين الإسلامي يتفوق على جميع الأديان في هذا الصدد إذ أنه آخر الأديان، وبالتالي تعلم كهنته من تجارب الذين سبقوهم. بدأ الدين الإسلامي بسلب إرادة المؤمن وتركيزها بيد الله، فقال الله لهم:

> {**وما تشاءون إلا أن يشاء الله.** (الإنسان 30)}.
> {**ولو أننا نزّلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قُبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون.** (الأنعام 111)}
> {**وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون.** (يونس 100)}.
> {**من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم.** (الأنعام 39)}.
> {**ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء.** (النحل 93)}.
> {**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى.** (الأنفال 17)}.

فالمؤمن لا حول له ولا قوة فهو عبارة عن قطعة شطرنج تحركها إرادة الله ولا يستطيع المؤمن أن يفعل شيئاً لم يقدره له الله. ثم بالتدريج استلم رجال الدين إيصال أوامر هذه السلطة المطلقة إلينا، بعد أن كان يوصلها لنا الأنبياء. فتلاحقت علينا الفتاوى من كل الأديان بدءاً باليهودية التي تنقل للمؤمنين اليهود ما يبيحه لهم الله، فمثلاً

> "نقلت النسخة العبرية لموقع صحيفة «هآرتس» على شبكة الإنترنت عن الحاخام يسرائيل روزين، رئيس معهد «تسوميت» وأحد أهم مرجعيات الإفتاء اليهود، أنه يتوجب تطبيق حكم «عملاق»، «على كل من تعتمل كراهية إسرائيل في نفسه»، إذ ينص الحكم على قتل الرجال والأطفال وحتى الرضع والنساء والعجائز، وسحق حتى البهائم." [1]

فالجنود اليهود الذين ذاق أجدادهم الأمرّين من محارق النازية، وقامت دولتهم على المباديء الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان، وضعوا عقولهم في خوذاتهم وعملوا بفتوى الحاخام روزين.

وفي القرون الوسطى نقل رجال الكنيسة الكاثوليكية إلى المؤمنين كل ما أراده الله بهم وما أباحه لهم وأصبح الملوك لا يصدرون أمراً إلا بعد ان يستشيروا البابا أو مَن ينوب عنه عن حكم الله في ذلك الأمر. وبالتدريج أصبح رجال الكنيسة هم الذين ينفذون ما يريده الله، فأنشاؤوا محاكم التفتيش *لتفتش في ضمائر المؤمنين وتعرف من منهم يجب أن يُحرق بالنار ومن منهم سوف يدخل الجنة*. ثم تطور الأمر إلى تخويل رجال الكنيسة *بيع صكوك الغفران* لمن لا تكون أعماله مرضية لله تماماً وربما لا يدخل ملكوت السماء، فيشتري صك الغفران من رجال الكنيسة ويضمن دخول مملكة الله. ووضع المؤمنون عقولهم في جيوبهم واشتروا صكوك الغفران.

ولم يختلف رجالات الدين الإسلامي عن من سبقوهم فباع محمد صكوك الغفران (**التبشير بدخول الجنة**) إلى عثمان بن عفان عندما تبرع بجزء كبير من ماله للمجهود الحربي فأخبره محمد بأنه [**لا يضيره ما يفعله بعد اليوم**] فهو مبرأ من الذنوب ويدخل الجنة دون حساب. ومع ازدياد الخدمات التي قدمها رجال آخرون لمحمد أو للمسلمين ازداد عدد المبشرين بالجنة إلى عشرة رجال، ليس بينهم امرأة واحدة، فالنساء لا يملكن المال كعثمان ولا السيوف القاتلة كسيف علي بن أبي طالب أو طلحة بن عبيد الله.

وفي عصرنا هذا الذي امتلأ بنقابات العمال في أغلب بلاد العالم وأصبح العمال يغتصبون حقهم من صاحب المصنع عن طريق الاضراب عن العمل، تصدى شيوخ الدين ووعاظ السلاطين إلى هذا العبث الذي لا يرضي الله فأصدروا لنا الفتاوى من عدة أقطار إسلامية تمنع الأضرابات. فمثلاً،

> "قال الدكتور محمد الطبطبائي عميد كلية الشريعة في جامعة الكويت بأن الإضراب عن العمل هو نوع من انواع التمرد والعصيان على ولي الأمر، وهو محرّم شرعاً، لأن المطالبة بزيادة الأجر ليست حقا فالحق هو ما تمّ الاتفاق عليه بين العامل وولي الأمر عند التعاقد." [2]

فالدكتور الطبطبائي لم يسمع بالتضخم المالي السنوي Inflation لأنه ليس من ذوي الدخل المحدود ولا يتأثر بالتضخم. وأعطى المؤمنون عقولهم إجازة أبدية واتبعوا فتوى الطباطبائي.

> وفي السعودية قال الشيخ اللحيدان خلال المحاضرة التي ألقاها بعنوان "أثر العقيدة في محاربة الإرهاب والانحراف الفكري" إن أول مظاهرة شهدها الإسلام في عهد الصحابي الجليل عثمان بن عفان "كانت شراً وبلاء على الأمة الإسلامية"، واصفاً تعبير الجماهير عن مواقفها عبر التظاهر بأنه "استنكار غوغائي، إذ ان علماء النفس وصفوا جمهور المظاهرات بمن لا عقل له"[3]. واختتم اللحيدان محاضرته بتحريم المظاهرات المؤيدة لأهل غزة لأنها تشغل الناس عن ذكر الله.

---

[1] الشرق الأوسط 2008/3/26.
[2] جريدة القبس، الكويت 2003/8/4.
[3] آفاق، 2009/1/4.

فالشيخ هنا استعان بعلماء النفس، بعد الله، ليسلب إرادتنا في التعبير عما يجول بداخلنا، ووصفنا بالغوغاء وبمن "لا عقل له" وهو محق في وصفه إذ أن الدين لم يترك للمؤمنين عقولاً.

"وفي مصر أصدر الشيخ يوسف البدري أحد أشهر علماء الدين في مصر فتوى يحرم فيها المشاركة في الإضراب ويؤكد أن من يشارك فيه (آثم) شرعاً، والأهم أنه طالب الرئيس مبارك ألا يستجيب لأية دعوة للاستقالة تأتيه من (العوام والروبيضات)على حد وصف البدري لدعاة الإضراب، والأهم أن البدري طالب مبارك بأن يقتدي بالخليفة الراشد عثمان بن عفان الذي رفض أن يتنازل عن الحكم حين طالبه بذلك مجموعة من المصريين".[4]

فهذه إرادة الله في استمرار حكم مبارك التي نقلها لنا الشيخ يوسف البدري المخول تفسير إرادة الله، فهل نستطيع مخالفة إرادة الله ونحن من (العوام والروبيضات). ولا يفوتنا هنا أن الشيخ البدري استعمل لغة الدين الغامضة هنا فسمانا "الروبيضات". ولمن لا يعرف معنى هذه الكلمة الغريبة *فهي تصغير "الرابضة" وتعني الرجل التافه أي الحقير* - ينطق في أمر العامة. وهذا هو تفسير النبي محمد للكلمة، كما يقول القاموس المحيط.

وعندما بدأ المسلمون يتحدثون عن الديمقراطية والانتخابات، قال حزب التحرير الاسلامي في فلسطين:

"إن من يشجع الانتخابات التشريعية الحالية هي الدول " الكافرة" والاستعمارية وأكد على أنها محرمة شرعا. واشار الحزب في كتيب الى ان هذه الانتخابات تبدو في ظاهرها وكأنها مجرد انتخابات عادية تفرز ممثلين عن الناس في مجالس النواب ليكونوا وكلاء في الرأي عمن انتخبوهم وليمارسوا عملية المحاسبة والمساءلة السياسية ولكنها في الواقع ما هي سوى مشروع إستعماري جديد تعرضه اميركا وحلفاؤها على الاقطار الاسلامية".[5]

فعلى المسلم (الروبيضة) طاعة ولي الأمر الذي ألبسه الله قميص الحكم كما ألبسه لعثمان بن عفان، ولا داعي للانتخابات الاستعمارية المحرمة شرعاً.

وبعض وعاظ السلاطين قد جرؤوا على عصيان أمر الله بطاعة ولي الأمر وأصدروا فتاوى مثل فتوى الشيخ أحمد بدر الدين حسون مفتي سورية،

"أن حضور القمة العربية في دمشق واجب شرعي، لأنها فرض عين على القادة العرب، ومن يتخلف عنها من دون عذر إلا من مرض أو خوف أن يقتل فهو آثم".[6]

فالشيخ هنا يطالب بقتل أولياء الأمور الذين أمر الله بطاعتهم وعدم الخروج على أوامرهم. وكل تمرد يبدأ بحادثة واحدة ثم ينتشر. فرجال الدين يحاولون الاستيلاء على سلطة الرب.

ومع مرور الوقت بدأ رجال الدين، الذين لم يكتفوا بكل هذه السلطة لتمثيل الله على الأرض، استلاب سلطة الله منه وأصبحوا يقررون له ما يريده. فمثلاً أصدر أحد القساوسة في العام 2005 فتوى في قبرص تقول إن مَن يصوت في الاستفتاء، الذي أجرته السلطات لمعرفة رأي المواطنين في عملية توحيد شطري الجزيرة، ب "نعم" للتوحيد، لن يدخل ملكوت السماء. **فهذا القس قرر أنه من حقه أن يفرض على الله مَن يدخل ملكوته ومَن لا يدخل**. ووضع المؤمنون عقولهم في صناديق الاقتراع وصوتوا ب "لا" حتى يدخلوا الجنة.

"وفي إسرائيل كان الحاخام عوفاديا يوسيف قد أفتى في شهر ديسمبر (كانون الأول) الماضي بأن كل من يصوت لحركته «سيدخله الرب المرتبة الخامسة من جنة عدن». وجاء في الفتوى في حينه «إن من يصوت من أجل الرب، فسيدخله المرتبة الخامسة من جنة عدن، لا أقول، لا سمح الله، هذه وجهة نظري، بل أقول رأي التوراة." [7]

ودخل المؤمنون زرافاتٍ ووحداناً إلى جنة الله بعد أن صوتوا للحاخام عوفاديا.

وفي جميع البلاد الإسلامية نجد شوارع وحدائق تحمل أسماء الشهداء الذين قرر رجال الدين أو أولياء الأمر جعلهم شهداء حتى إن قتلوا في عملية إنقلاب عسكري لاستلاب السلطة الشرعية. *وأصبح إسباغ صفة الشهيد تجارة دينية يتبارى فيها رجال الدين السنة مع الشيعة والدروز مع حزب الله، وحزب الله مع الحكومة اللبنانية الخ.*

فالله أصبح متفرجاً في عليائه ولا دخل له في تحديد الشهداء.

وفي العراق قررت مؤسسة الشهداء، ولا بد بعد أن استشارت المرجعيات الدينية، إسقاط صفة الشهيد عن الجنود الذين قتلوا في حرب الثمان سنوات ضد إيران، فتظاهر أمام مبنى دائرة تقاعد النجف، العشرات من ذوي ضحايا حرب الثماني السنوات مع إيران في الثمانينات من القرن الماضي ضد القرار.[8]

فصفة الشهيد الذي يُقتل في سبيل الله أصبح يقررها رجال الدين، وليس الله الذي مات المؤمنون من أجله. بل أصبح رجال الدين يقررون مَن هو عدو الله ومَن هو حبيبه، وبالتالي يقررون عقاب أعداء الله بالذبح أو التفجير.

فبعد كل هذه القرون من **استلاب سلطتهم وعقولهم**، أصبح المؤمنون عاجزين عن اتخاذ أي قرار بأنفسهم، وازدادت طلباتهم على رجال الإفتاء، حتى في أتفه الأمور، مثل حلق شعر العانة أو شعر الدبر. وأصبح نهمهم لمَن يقودهم ويتخذ لهم القرارات لا يشبع. فنجدهم مثلاً يدعون الله أن يفعل لهم كل شيء يخطر على البال، مثلاً:

(اللهم علمنا علماً ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً. وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. واجعلنا ممَن يسمعون القول فيتبعون أحسنه.)

فهذا الدعاء يوضح مدى الاتكالية التي وصل إليها حالنا. فنحن ندعو الله أن يعلمنا العلم الذي ينفعنا ولا يضرنا، ولا نكتفي بهذا بل نطلب منه بعد أن علمنا العلم الذي ينفعنا أن ينفعنا بما علّمنا. فنحن لا نستطيع أن ننفع أنفسنا بالعلم النافع الذي علمنا إياه. ثم بعد ذلك نطلب منه أن يرينا الحقَ حقاً والباطل باطلاً. فنحن لا نستطيع أن نميز بين الحق والباطل، فلا بد لله أن يرينا ما هو حق وما هو باطل. وكل هذا لا يكفي، فلا بد له أن يرزقنا اتباع الحق الذي أرانا إياه وكيف نجتنب الباطل الذي أظهره لنا. وحتى إذا استمعنا إلى أقوال الناس، لا نستطيع أن نميز أيهم أحسنه لنتبعه، فلا بد لله أن يجعلنا نتبع أحسن القول. ونحن عاجزون حتى أن نختار بين أمرين في حياتنا، فنصلي صلاة الاستخارة ونطلب من الله أن يختار لنا أحسن الأمرين.

فهل بعد هذا يمكن أن يصيبنا الذهول عندما نركب إحدى الطائرات السعودية أو المصرية ونسمع ذلك الصوت الذي يرتّل علينا:

{الحمد لله الذي سخّر لنا هذا وما كنا له بمقرنين}؟

فنحن لا نصنع الأشياء ولا نشكر الذين صنعوها لنا، بل نشكر الله الذي سخّر بقية الناس ليخترعوا ويصنعوا لنا ونحن جالسين في الظل والمسواك في الأفواه في انتظار أن يعلمنا الله العلم النافع لنا، ثم ينفعنا بما علّمنا. فالدين قد سلبنا الإرادة والعقل والعزيمة وكل ما يميز الإنسان عن الحيوان. ومع هذا نسمع يومياً من يردد علينا أن الإسلام يحترم العقل.

---

[4] الشرق الأوسط 2008/5/4.
[5] إيلاف 2006/1/17.
[6] الشرق الأوسط 2008/3/29.
[7] الشرق الأوسط 2009/2/2.
[8] الشرق الأوسط 2009/2/2.

يقول ستيفن واينبيرج، عالم الفيزياء الأمريكي:

يحتاج الرجل الطيب إلى الدين لكي يقوم بعملٍ شرير For good people to do evil things, it takes religion

ويقول الشيخ محمد الطباطبائي، إمام مسجد الكاظمية:

"الغرب ينادي بالحرية والتحرر، الإسلام لا ينادي بذلك. الإسلام يرفض هذه الحرية. الحرية الحقيقية هي طاعة الله."

وليهنأ المسلمون باحترام الإسلام لعقولهم وبحريتهم التي يهبها لهم.

عودة إلى الفهرس

2009 / 2 / 22

149 - الذين يكرهون الحياة

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=163656

بما أن حياة الإنسان قصيرة نسبياً ومليئة بالمشاكل الحياتية، يحاول الناس الترفيه عن أنفسهم بشتى الوسائل التي تجلب لهم السعادة وتنسيهم همومهم. **والضحك هو وسيلة التعبير عن هذه السعادة**. **الحب** من جانبه يجلب السعادة لكثير من الناس، ويعبر الإنسان عن حبه للآخرين بالاحتضان وبالقبلات - لأطفاله، لزوجه، لعشيقته أو عشيقها، وتوكيداً لهذه السعادة نقدم الهدايا في المناسبات العديدة التي نحتفل بها. **والموسيقى** تلعب دوراً مهماً في التعبير عن الحب والاستمتاع به. وحتى بعض الحيوانات، كالقرود مثلاً، تتبادل القبلات والاحتضان وتصدر أصواتاً تعبر عن سعادتها. والكلاب والقطط تبدي حبها لأصحابها بالمواء ولعق الوجه.

> ***وتهتم البشرية جمعاء، ومنذ نشأتها، بالاحتفال بمظاهر الحب بإقامة المهرجانات والكرنفالات، مثل كرنفال البرازيل الشهير، ما عدا الأمة الإسلامية التي تُظهر البغض في الله أكثر من الحب فيه.***

ورغم أن القرآن يقول للمسلمين:

{**واعلموا إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد.** (الحديد 20)}،

وكذلك:

{**وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو.** (الأنعام 32)}،
{**إنما الحياة الدنيا لعب ولهو.** (محمد 36)}،

فقد قرر شيوخ الإسلام تسفيه الحياة الدنيا التي قال لهم قرآنهم:

{**ولا تنسَ نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله إليك.** (القصص 77)}،

فمنعوا الحب والقبلات والغناء والموسيقى وحتى الضحك البريء بين الأطفال، وقالوا لهم:

(الضحك بلا سبب قلة أدب).

أما الضحك بين البالغين **فمكروه كراهية التحريم** ويجب أن يستبدل بالبكاء، فعن عائشة قالت:

مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم يضحكون فقال: لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً.[1]

وقالوا عن عطاء السليمي، من الطبقة الرابعة من تابعي أهل البصرة وكان من التابعين المجتهدين:

أقام أربعين سنة لم يرفع رأسه إلى السماء حياءً من الله تعالى ولم يضحك وكان إذا أراد أن يتوضأ ارتعد وبكى فقيل له في ذلك فقال: إني أريد أن أقدم على أمر عظيم قبل أن أقوم بين يدي الله تعالى.[2]

فهذا الرجل اختصر حياته في التعبير عن الخوف من الله، وليس الحب له.
وليتهم اكتفوا بمنع الضحك والحب، ولكنهم تمادوا في **كراهية الحياة الدنيا** فحرّموا على المرأة، التي هي أصل الحياة، كل شيء حتى الطيب خارج منازلهن

"عن عبد الرزاق عن الثوري عن عاصم بن عبيد الله عن عبيد مولى أبي رهم عن أبي هريرة قال استقبلته امرأة يفوح طيبها لذيلها إعصار، فقال لها: يا أمة الجبار أنّى جئت؟ قالت: من المسجد، قال: أله تطيبتِ؟ قالت: نعم، قال: فارجعي فإني سمعت حبيبي أبا القاسم صلى الله عليه وسلم يقول: لا يقبل الله صلاة امرأة تطيبت لهذا المسجد او للمسجد حتى تغتسل كغسلها من الجنابة".[3]

وعن عبد الرزاق عن بن جريج عن عطاء قال كان (الرسول) ينهى أن تطيب المرأة وتزين ثم تخرج قلت والناكح؟ قال والناكح.[4]

وتمادوا في منعهم الناس الاستمتاع بجميل الروائح فمنعوا الطيب والنظافة في الحج، الذي هو أصلاً شعيرة جاهلية لعبادة الأصنام، **وكان عرب ما قبل الإسلام يغتسلون ويتطيبون في الحج، بل اتخذوه موسماً للحب وشعر الغزل والفخر**. عن الزهري وسعيد بن جبير وابن سيرين والحسن:

لا يجوز أن يتطيب المحرم قبل إحرامه بما يبقى عليه رائحته بعد الإحرام، وإذا أحرم حرُمَ عليه الطيب حتى يطوف بالبيت، وإليه ذهب محمد بن الحسن، واختاره الطحاوي، وهذا مذهب عمر وعثمان وابن عمر وعثمان بن العاص. وقال الطرطوشي: يكره الطيب المؤنث كالمسك والزعفران والكافور والغالية والعود ونحوها، فإن تطيب وأحرم به فعليه الفدية.[5]

وفي الصحيحين، أن رجلا جاء إلى النبي بجبة مضمخة بطيب، فقال: "يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمرة في جبة بعد ما تضمخ بطيب؟ فأنزل الوحي على رسول الله فلما أفاق قال: أين السائل عن العمرة أنفا؟ فالتمس الرجل فأتى به، فقال عليه الصلاة والسلام: أما الطيب الذي بك فاغسله عنك ثلاث مرات، وأما الجبة فانزعها ثم اصنع ما شئت في عمرتك كما تصنع في حجتك" [6].

فهم لا يريدون للإنسان أن يستمتع في حياته ولو للحظةً عابرة يشتم فيها العطر الجميل، ويفضلون أن تزكم أنوف الحاج في زحمة الحج وفي ذلك الحر المبالغ فيه، رائحة العرق الذي يتصبب من الناس. وهم يعتقدون أن الله مثلهم يفضل أن يشم رائحة عرق الرجال والنساء، كما اشتم رائحة الشواء بعد طوفان نوح، كما تقول التوراة. ومنعوا الحاج حتى من الاستحمام،

"واختلفوا في الحمام فكان مالك يكره ذلك، ويرى أن على من دخله الفدية. وقال أبو حنيفة والشافعي والثوري وداود: لابأس بذلك. وروي عن ابن عباس دخول الحمام وهو محرم من طريقين، والأحسن أن يكره دخوله لأن المُحْرِمْ منهي عن إلقاء التفث".[7]

ويذهب الخميني أبعد من ذلك

ويُحرّم غطس رأس الحاج في الماء أو أي سائل آخر.[8]

---

[1] أسباب النزول للنيسابوري، سورة النجم.
[2] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج1، ص 142.
[3] المصنف لعبد الرزاق الصنعاني، ج4، كتاب الاعتكاف.
[4] نفس المصدر والصفحة.
[5] عمدة القاري، لبدر الدين العيني، الجزء 9، كتاب الحَجّ، باب الطِّيبِ عِنْدَ الإِحْرَامِ.
[6] بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد القرطبي، ص 238.
[7] بداية المجتهد لابن رشد، ص 239.
[8] تحرير الوسيلة، ج1، ص 390.

ويُمنع الحاج من تقليم أظافره أو حلق شعره أو حتى قتل القمل برأسه. فالنظافة تفسد الحج كما يفسده الطيب، وقديماً قالوا:

(إنّ طيب الوردِ مؤذٍ بالجُعَلِ) أي الخنافس.

ويبدو أن الله مغرم بشم الروائح الكريهة،

فقد أسند أبو عمر عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أُعطيتْ أمتي خمس خصال في رمضان لم تعطهن أمة قبلها: خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك .[9]

فرائحة فم الصائم أطيب عند الله من الطيب. فكل شيء جميل محرّم، وكل شيء ذي رائحة كريهة وقذر مستحب. فقد وصل بهم كره الحياة أبعاداً فلكية.

ومن كره الشيوخ للحياة وللأشياء الجميلة، منعوا الرجل والمرأة من الكلام وقت الجماع، ومنعوا المرأة من التجرد من ثيابها في غرفة النوم،

"لا تكثروا الكلام عند الجماع، فإن منه يكون الخرس والفأفأ في الولد وليغط أحدكم رأسه ومؤخرته ولا يجامع قائماً ولا على جنب ولا على ظهر ولا في شدة حر ولا برد ولا وهو يدافع الأخبثين، فمنه يكون الحصباء والبواسير، وليحذر أحدكم الجماع في وقت امتلأ البطن فمن ذلك يكون اليرقان، وفي عقب الفصاد والاحتجام وشرب الدواء فإنه يورث مرض السل والغشاوة في العين" [10].

فذلك الحديث الجميل قبل الجماع، الذي يسمونه "حديث الوسادة" pillow talk ممنوع، وحديث المرأة أثناء الجماع ممنوع، والتجرد من الملابس ممنوع. **الشيء الوحيد المسموح به هو الدعاء الإسلامي قبل الولوج**. فالذين يكرهون الحياة **جعلوا** *من المعاشرة الجنسية حركات ميكانيكية القصد منها إنجاب الولد الصالح فقط*، ولتذهب العواطف إلى الجحيم.

- ورغم أن القاعدة الفقهية في الإسلام هي

الإباحة لما لم يأت به نص،

- ورغم أن القرآن يقول:

{قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصةً يوم القيامة. (الأعراف 32)}،

فقد أخذ الكارهون للحياة على عاتقهم *تحريم كل شيء من الطيبات حتى لم يتركوا للمؤمن غير الهواء ليتنفسه*، وحتى الهواء قتروا فيه على المرأة التي يجب أن تغطي أنفها وفمها بالخمار، مما يجعل التنفس صعباً عليها.

كل وسيلة من وسائل التعبير عن العواطف الإنسانية أصبح محرماً. فقد حرّم شيوخ الوهابية إهداء الزهور الجميلة للمرضى لأن السلف لم يهدوها لمرضاهم، **ولكن الشيوخ يستعملون الموبايل ويركبون الكاديلاك كأنما كان السلف الصالح يركبها**. وهم ينامون في القصور بينما كان عمر ينام تحت الشجرة، ويسافرون بالدرجة الأولى على طائرات البوينج وكان عمر يسافر على حماره.

عيد الحب الذي يعرف باسم فالنتاين، من الأشياء التي تدخل الفرحة على قلوب الشباب العاطلين عن العمل في البلاد الإسلامية، ويخفف من وعثاء [11] غربتهم الداخلية. كل ما يفعله الشاب هو تقديم وردة حمراء إلى حبيبته لتوكيد حبه لها. ولكن شيوخ الإسلام من السودان إلى أفغانستان، ومن الجزائر إلى بنغلاديش، مروراً بالكويت والسعودية، قد جندوا حناجرهم وأقلامهم لمحاربة هذا العيد.

يقول الشيخ إبراهيم بن محمد الحقيل:

"أن المقصود من عيد الحب في هذا الزمن إشاعة المحبة بين الناس كلهم مؤمنهم وكافرهم وهذا مما يخالف دين الإسلام فإن للكافر على المسلم العدل معه، وعدم ظلمه، كما أن له إن لم يكن حربيا ولم يظاهر الحربيين البر من المسلم إن كان ذا رحم عملا بقوله تعالى {**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين. (الممتحنة: 8)**}. ولا يلزم من القسط مع الكافر وبره صرف المحبة والمودة له، بل الواجب كراهيته في الله تعالى لتلبسه بالكفر الذي لا يرضاه الله سبحانه." انتهى.

وهذا هو الوجه الحقيقي لإسلام الذين يكرهون الحياة. الحب بين كل الناس حرام. يجب على المسلم أن يضمر الحقد والكراهية للناس وللحياة.

وفي مصر

"كانت احتفالات طلبة الإخوان المسلمين بعيد الحب لها طابع مختلف عن زملائهم بالمدارس والجامعات. في الوقت الذي طغت فيه المظاهر المميزة لهذا العيد على الأجواء، مثل الملابس الحمراء وتبادل الورود والهدايا بين الطلبة، كان الطلبة الإخوان يحتفلون بهذه المناسبة على طريقتهم الخاصة واستغلوها فرصة للسخرية من زملائهم ومحاولة لإقناعهم نبذ هذه الأفكار الغربية. وقام الإخوان بتنظيم حملة موازية حملت اسم "أعظم حب ... حب الله ورسول الله" وطافت قوافلهم حرم الجامعات" [12].

فهؤلاء الطلبة الجامعيون **الذين تسلط كره الحياة على عقولهم**، لم يعودوا يستطيعون التفرقة بين أنواع الحب المختلفة. فهم يعتقدون أن الإنسان مؤهل لنوع واحد فقط من الحب، **وهذا الحب يجب أن يكون لله ولرسوله**. والإنسان طبعاً يعرف عدة أنواع من الحب، ويستطيع أن يحب الله ورسوله وفي نفس الوقت يحب أطفاله ووالديه وزوجته أو حبيبته، حباً مختلفاً عن حبه لله.

من المؤسف أن كرههم للحياة وتعصبهم أفقد الجامعات في البلاد العربية والإسلامية مهمتها الرئيسية، ألا وهي تنمية مقدرة التفكير المستقل وملكة النقد البناء لكل ما يُعرض على الطالب، حتى تؤهله الجامعة لمعترك الحياة المليء بالمتناقضات، فيستطيع أن ينتقد ما يعبر طريقه حتى يصل إلى الاستنتاج الصحيح. ولكن الجامعات في بلادنا لا تختلف عن المدارس الإعدادية، **فالطالب الجامعي يُلقن العلم تلقيناً وعليه فقط الحفظ وتقيؤ ما يحفظه وقت الامتحان**. فالنقد، مثله مثل الفلسفة، حرام. وبهذه الوسيلة يضمن رجال الدين نمو "كره الحياة" وازدياد الحب لله ولرسوله.

كارهوا الحياة ومانعوا الحب للجميع، لا تهمهم التناقضات بين أقوالهم وأفعالهم، **فهم قد اعتادوا على هذا التناقض** في دراستهم للدين الإسلامي الذي تناقض سنة نبيه ما جاء به القرآن. فهم الآن قد حرّموا بيع الزهور الحمراء في عيد الحب،

ولكن في نفس الوقت يطالب ملتحوا حماس إسرائيل بالسماح لأهالي غزة بتصدير الكارنيشن الحمراء إلى أوروبا لتصلها قبل بداية عيد الحب، وفعلاً سمحت إسرائيل بعبور 25000 وردة حمراء في طريقها إلى أوروبا.[13]

وغزة كانت من أكبر المصدرين للورود الحمراء لعيد الحب قبل الحرب الإسرائيلية الأخيرة. فزراعة الورود الحمراء وتصديرها إلى أوروبا من أجل الاحتفال بعيد الحب مباح شرعاً، ولكن أن يقدم الشباب المسلم في غزة تلك الورود إلى مِن يحبون، محرّم شرعاً. وهم كذلك يحرمون تعاطي المخدرات كالأفيون، ولكنهم يشجعون مزارعي أفغانستان على زيادة إنتاج الأفيون الذي يصدرونه إلى أوروبا

[9] الجواهر الحسان في تفسير القرآن، لعبد الرحمن الثعالبي، سورة البقرة.
[10] كشف الغمة عن جميع الأمة، للشعراني، ج2، كتاب الصداق، باب البناء على النساء.
[11] الوعثاء يعني المشقة كما يقول القاموس المحيط.
[12] محمد حميدة، إيلاف 2009/2/15.
[13] The Independent, 13 February 2009.

لتدمير حياة الكفار ولشراء المتفجرات. ولا يهمهم إن أدمن جزء كبير من مواطني البلاد الإسلامية مثل أفغانستان نفسها، وإيران، والسعودية، وباكستان. *فكل ما يضر الكفار مستحب حتى وإن أضر بعض المسلمين، على مبدأ التترس الذي يبيح قتل المسلمين للوصول إلى الكفار*. لا أعتقد أن هناك كرهاً للحياة أكثر من هذا، وهذا هو الفقه الإسلامي الحنيف.
ليت الملتحين وعوا قول الشاعر:

إلهي جميلٌ يحب الجمال فما لعباده لا يعشقون

الحكمة العامة تقول إن الغرض من الرسالات السماوية هو إسعاد البشرية وهداية الإنسان إلى القيم العليا التي تنظم حياتهم الدنيوية، فأي قيم عليا نستخلصها من هذا الدين الذين يدعو إلى إظهار الكراهية للحياة ولعواطف الإنسان وللمخالف في المعتقد ولاضطهاد المرأة التي تشاركهم نفس الدين؟ تنعكس تعاليم هذا الدين الصحراوي في معاملات الناس اليومية في المتاجر والمقاهي والمطاعم، حيث **يسود التجهم** ويقل الابتسام وينعدم الكلام، والكل يستمع لآيات القرآن التي تنبعث من كل مكان في الشوارع والمتاجر والحافلات. وكلما زادت مظاهر التدين الكاذب كلما زاد كره الناس للحياة، مما يحدو ببعض الملتحين في أفغانستان وباكستان إلى الطواف بالشوارع ليصبوا ماء النار على وجوه الطالبات والنساء السافرات.
ليت شيوخ الإسلام وعوا مقولة الرسام الهولندي الشهير فان گوخ Vincent van Gogh :

"ما من شيء أكثر فناً من حب الآخرين."

عودة إلى الفهرس

151 - نظرة جديدة على مجمع البحرين القرآني

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=167925

مع انتشار الصحوة السلفية "المباركة" وارتفاع أصوات السلفيين الذين يدعون إلى **إحياء التراث**، يجدر بالباحثين نبش الغبار عن ذلك التراث الذي خلّفه لنا رجال يجهلون ما كانوا يكتبون عنه، سواءً أكان المكتوب عنه سيرة الرسول أو الأحاديث المروية عنه أو حتى تفسير القرآن. فكل الذين كتبوا التراث اعتمدوا على روايات شفهية لا تختلف عن قصص الجدات عن الغول والسعلوة.
من المعروف لدينا الآن أن كتب السيرة النبوية ظهرت بعد وفاة محمد بأكثر من مائة عام، وكان أول من كتب عنها هو ابن إسحق الذي توفي عام 152 هجرية، ثم تبعه ابن هشام (ت 218 هجرية)، وابن سعد الأندلسي (ت 230 هجرية) وابن كثير (ت 774 هجرية). فهؤلاء المؤرخين تفصلهم فجوة زمنية طويلة عن طفولة وشباب محمد، وحتى الذين عاصروه لم يكونوا قد اهتموا بطفولة صبي يتيم، فقير. ومع بدء الدعوة للإسلام انشغل أهل مكة بمحاربته ولم يكن يهمهم تاريخ طفولته أو أسفاره. فكل ما كُتب عن حياة محمد قبل الرسالة أو بعدها *ما هو إلا تخمين وتأليف مسلمين يريدون رفع قدر نبيهم.*
ولذلك لا نجد في كتبهم أي ذكر لأسفار محمد إلى اليمن، وفارس، والشام ومصر عندما كان يعمل بالتجارة مع خديجة بنت خويلد. وقد أدت هذه الرحلات إلى توسيع أفق محمد وإلمامه بجغرافية تلك البلدان وعادات أهلها وحضاراتهم، مما ساعده على صياغة آيات قرآنية تحتوي على تلك المعلومات التي بهرت معاصرية الذين لم يكونوا قد زاروا تلك البلاد.

> وعندما أتى المفسرون لشرح تلك الآيات التي تحتوي على جغرافية المناطق التي لم يروها، شطح خيالهم فأتونا بقصص أشبه بالأساطير اليونانية، بينما التفسير أوضح من الشمس في رابعة النهار.
> والمفسرون، كرواة السيرة النبوية، كانت تفصلهم مئات السنين عن نبي الإسلام، فالطبري توفي عام 310 هجرية، والقرطبي عام 671 هجرية، وابن كثير عام 774 هجرية. *فتفاسيرهم ما هي إلا تخمين وقصص ميثالوجية*، لا تختلف عن كتبهم عن التاريخ الإسلامي.

وكان الدكتور علي الوردي يسمي المؤرخين الإسلاميين من أمثال الطبري والمبرد وابن عساكر **"الإخباريين"** لأنهم كانوا فقط ينقلون الأخبار دون أي تمحيص أوتدقيق في محتوى ما ينقلون.
فإذا أخذنا مثلاً قصة موسى والنبي الخضر - **الذي لا وجود له إلا في المخيلة الإسلامية للمفسرين الذين اختلقوا القصص الوهمية عنه** - نجدهم يقولون:

> "إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: مَن هو أعلم الناس؟ فقال: أنا. فعتب الله عليه وقال له إن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك. وهو يعني نبي الله الخضر." [1]

وعليه نجد موسى يجتهد في الوصول إلى **مجمع البحرين**، الذي لا يعرف المفسرون مكانه، حتى يلتقي هذا العبد الذي فاقه علماً. وبدل أن يجشم موسى نفسه كل هذا العناء في السفر ليتعلم من ذلك العبد، كان بإمكانه أن يسأل الله أن يعلمّه ذلك العلم، والله لم يرُدّ له طلباً من قبل، حتى عندما سأله أن ينزل لهم مائدة من السماء، نزلت مطبوخة كأحسن ما يكون الطبخ.
يقول القرآن:

> **{وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقبا.** (الكهف 60)}.
> **{فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما.** (الكهف 61)}.

وكان ارتباك المفسرين واضحاً في تعريف البحرين ومكان التقائهما.
قال قتادة:

> "هو بحر فارس والروم"
> (بحر فارس هو ما يُعرف الآن ببحر العرب، وبحر الروم هو الخليج الفارسي الذي يصر العرب على تسميته الخليج العربي).

وقال مجاهد:

> "هو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال إلى جنوب، في أرض فارس من وراء أذربيجان (**يقصد بحر غزوين**)، فالركن الذي لاجتماع البحرين مما يلي الشام هو مجمع البحرين. وقيل هما بحر الأردن وبحر القلزم (**البحر الأحمر**). وقيل مجمع البحرين عند طنجة. وقال بعض أهل العلم: هو بحر الأندلس من المحيط، حكاه النقاش". [2]

فليس هناك ما يجمع بين كل هذه البحار. كل مفسر يفسر حسب البحار التي يعرفها.
ويبدو من تفسير الآيات في سورة الكهف أن موسى وفتاه أخذا سمكاً مملوحاً واجتهدا في السير لبلوغ مجمع البحرين هذا (رغم أن التراث اليهودي يخبرنا أن موسى غاب عن قومه مرة واحدة فقط عندما ذهب إلى جبل سيناء لاستلام الوصايا العشرة). ولما بلغا صخرة معينة ارتاحا بها، ونسي الغلام السمك عند الصخرة، وفي اليوم التالي طلب منه موسى أن يأتيه بالسمك للغداء، وهنا يخبرنا القرآن أن الفتى قال:

> **{أرأيت إذ آوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان.** (الكهف 63)}.

فأين يا تُرى مجمع البحرين الذي بالقرب منه صخرة ارتاح بظلها موسى وفتاه؟ موسى هذا كان قد خرج لتوه من مصر مع بني إسرائيل، فكان في صحراء سيناء. المنطق والجغرافيا يخبرانا أن مجمع البحرين هو مكان التقاء خليج العقبة مع خليج السويس. وكان موسى (حسب الميثولوجيا التوراتية والإسلامية) قد هرب من مصر بعد أن قتل الرجل المصري، وذهب إلى مِدْيَنَ (في الأردن)، فلا بد أنه مر بين خليج العقبة وخليج السويس. وفي المرة الثانية عندما خرج مع بني أسرائيل، ضرب البحر (خليج السويس) بعصاه فانفلق البحر لهم ودخلوا صحراء سيناء ووصل موسى إلى طورها (ولا ندري لماذا لم يسلك الطريق الذي سلكه أولاً حول خليج السويس ولم يكن الفرنسيون قد حفروا قناة السويس بعد).
ويزيدنا القرآن توضيحاً عندما يقول:

> **{مرج البحرين يلتقيان. بينهما برزخ لا يبغيان.** (الرحمن 19، 20)}.

فالبحران اللذان يلتقيان وبينهما برزخ لا بد أن يكونا خليج العقبة وخليج السويس وبينهما رمال سيناء. ولكن ابن عباس يقول لنا:

---

[1] حديث رواه أبي بن كعب (http://islamqa.info/ar/147071).
[2] تفسير القرطبي.

"إنهما بحر السماء وبحر الأرض. وقال مجاهد: في كل عام يلتقي طرفاهما. وقال الحسن وقتادة: هما بحر فارس والروم. وقال ابن جريج: إنه البحر المالح والأنهار العذبة".[3]

وكان لا بد للمفسرين من الرجوع إلى أبي هريرة لإعطاء تفسيرهم الختم النبوي الشريف، فذكروا عن أبي هريرة عن النبي:

[أن الله كلم الناحية الغربية من البحر، فقال: إني جاعل فيك عباداً لي يسبحوني ويكبروني ويهللوني ويمجدوني، فكيف أنتِ لهم؟ فقالت: أغرقهم يا رب. قال: إني أحملهم على يدي. ثم كلم الناحية الشرقية، فقال: إني جاعل فيك عباداً يسبحوني ويكبروني ويهللوني ويمجدوني، فكيف أنتِ لهم؟ قالت: أسبحك معهم إذا سبحوك، وأكبرك معهم إذا كبروك، وأهلل معهم إذا أهللوك، وأمجدك معهم إذا مجدوك. فأثابها الله الحلية وجعل بينهما برزخاً، فتحول أحدهما ملحاً أجاجاً وبقي الآخر عذباً.][4]

ولو عرف المفسرون أن محمداً قد وصل إلى سيناء وملتقى خليج العقبة مع خليج السويس، لأراحوا أنفسهم وأراحونا. فمحمد قد وصل إلى المنطقة التي تحتلها "شرم الشيخ" حالياً، و هناك بالقرب منها دير للرهبان المسيحيين اسمه دير سانت كاثرين St. Catherine's Monastery.

وهذا الدير هو أقدم دير في العالم لم تنقطع العبادة به منذ إنشائه، حسب ما يقول الأب جستن Father Justin، الذي يرأس الدير حالياً، وتحيط بهذا الدير تلال وصخور وبه مكتبة تحتوي على مخطوطات نادرة جداً. وتقول إحدى المخطوطات إن محمداً قد زار الدير واستقر به لبضعة أيام في القرن السابع الميلادي، وكتب عهداً للرهبان بخط يده يمنحهم الحماية المحمدية.

تقول المخطوطة:

"إذا حلّ اي من الرهبان على جبل، أو في قرية أو أي مكان مأهول، أو في البحر أو الصحارى أو في كنيسة أو مصلى، فسوف أكون في وسطهم."

وهذه المخطوطة محفوظة في مكتبة الدير حسب ما يقول ماثيو تيغ Matthew Teague في مجلة National Geographic في عدد مارس 2009 صفحة 106.

ولأن الدير يقع على سفح جبل سيناء، ذكر محمد في الآية على لسان غلام موسى: {أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت}. فمحمد هنا يحكي تجربته الخاصة عندما وصل إلى مجمع البحرين ونزل بالدير، على لسان موسى. وهذه المخطوطة مع جغرافية المكان تثبت لنا أن مجمع البحرين هو مكان التقاء خليج العقبة مع خليج السويس.

والمخطوطة تثبت كذلك أن محمداً لم يكن أمياً بل كان يقرأ ويكتب لأن هذه المخطوطة قد كتبها هو بنفسه.

ونفس هذا الجهل الذي كان منتشراً بين المفسرين قد كان سائداً بين أهل الحديث مثل البخاري ومسلم. وهذا هو التراث الذي يصر الإسلاميون السلفيون على الحفاظ عليه، وإرجاعنا مئات السنين إلى الخلف لنقتدي به. فهل هناك من أمل لهذه الأمة؟

عودة إلى الفهرس

[3] تفسير القرطبي.
[4] تفسير القرطبي.

152 - الرسل والأنبياء مضيعةٌ للوقت - كما يقول القرآن

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=168595

في البدء عندما انتشر الإسلام في يثرب ثم في مكة بعد الفتح، كان أغلب المسلمين أميين، فانبهروا بآيات القرآن وصدقوا كل ما قاله لهم محمد من قرآن وأحاديث، **رغم التناقض الواضح في كثير من آيات القرآن ورغم غياب المنطق منه**. وفي النصف الثاني من أيام الدولة الأموية ثم في الدولة العباسية ظهر أفراد وحركات شككوا في القرآن وناقشوا الآيات التي تناقض آيات أخرى، وتحدثوا عن الإرادة الإلهية مقابل الإرادة البشرية، وشكك بعضهم في العدل الإلهي الذي يقرر للناس إيمانهم أو كفرهم ثم يحاسبهم على ما فعلوا. وكانت حركة **المعتزلة** في مقدمة هذه الحركات التي ناقشت الإرادة والعدل الإلهي، رغم إيمانهم المطلق بالإسلام، فلاقوا العنت والذبح من الخلفاء بإيعاز من رجالات الدين.

ولكن الدارس للقرآن دراسة علمية **محايدة** يجد أن القرآن يقول إن الإنسان لا يعتمد على الرسل والأنبياء ليقرر هل يؤمن أم لا، لأن الله هو الذي يختار للإنسان أن يؤمن أو يكفر. ولذا يصبح إرسال الأنبياء للناس مضيعةً للوقت ما دام الله هو الذي يقرر الإيمان والكفر، وكان بإمكان الله أن يستغني عنهم ويقرر باليانصيب مَنْ من الناس سوف يدخل الجنة ومَن منهم سوف يدخل النار . ولو فعل ذلك لوفر على نفسه وعلينا إرسال 124 ألف نبي ورسول، كما يقول التراث الإسلامي.

ولإيضاح هذا الافتراض نبدأ أولاً بالآيات المكية عندما كان محمد يحاول إقناع قريش بالمنطق، نجده يقول:

{فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يُصعد في السماء. (الأنعام 125)}.

فالإيمان هنا ليس عملية بشرية وإنما قدر إلهي. مَن يشرح الله صدره يسلم ومن يجعل صدره ضيقاً لا يسلم.ويؤكد القرآن هذه الحقيقة في قوله:

{ولو أنّنا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله. (الأنعام 111)}.

فليس هناك من شك أن أي إنسان يرى الملائكة ويكلمه الموتى لا بد له أن يقتنع بنبوة محمد لكنه لا يستطيع أن يؤمن إلا أن يشاء الله، فمشيئته هو بنفسه لا تكفي. ويزيدنا القرآن توكيداً فيقول لنا:

{وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون. (يونس 100)}.

فالإنسان، مهما اقتنع بحديث الأنبياء والرسل، يحتاج الإذن من الله لكي يؤمن. وكذلك:

{من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم. (الأنعام 39)}.

والصراط المستقيم في القرآن يعني الإسلام، والله هو الذي يختاره للعبد:

{من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا. (الكهف 17)}.

فكيف يهتدي الإنسان وقد أضله الله؟

ويقول القرآن لمحمد:

{إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي مَن يضل. (النحل 37)}.

فرغم حرص محمد على هداية أعمامه وعماته، فإن الله قد أضلهم وأخبر محمد ألا يضيع جهده في محاولة إقناعهم. ولذلك لم يسلم من أعمامه العشرة غير حمزة والعباس (الذي أسلم قبيل فتح مكة) ولم تسلم من عماته الأربع غير واحدة.

ثم يخبره مرة أخرى:

{إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء. (القصص 56)}.

فمحمد الذي أرسله الله هدى للناس لا يستطيع أن يهدي أحداً، بل الله يهدي مَن يشاء، وهو الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون:

{ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدةً ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء. (النحل 93)}.

فمسألة الإيمان والهداية عبارة عن "الوتري"، الله يقرر من يهتدي ومن يضل:

{إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون. (يونس 96)}.

فواضح أن الله قد قرر مسبقاً أن هناك أعداداً معينة من البشر قد قال فيهم كلمته قبل أن يخلقهم، وما دامت كلمته قد حقت عليهم فلن يؤمنوا حتى إذا أرسل لهم مليون نبي ورسول...

وقال الله عن القرآن:

{ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا. (الشورى 52)}.

فما كل من يسمع القرآن سوف يهتدي به، الله يهدي به من يشاء.

ويقول:

{ولقد بعثنا في كل أمةٍ رسولا فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة. (النحل 36)}.
{وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. (الأعراف 43)}.

فلا إيمان بدون هداية الله. بل يذهب القرآن أبعد من ذلك ويقول إن الله أخرج ذرية آدم كلها من ظهره قبل أن يُخلقوا وأخذ ميثاقهم ليعترفوا له أنه ربهم وليؤمنوا به:

{وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا... (الأعراف 172)}.

ولا نعلم كيف أخذ الله ذرية آدم من ظهور أبنائه أو من ظهره (باعتبار أنهم حيوانات منوية) وجعلهم يشهدون، فالجنين لا يتكون إلا بعد أن يدخل الحيوان المنوي في البويضة ويلقحها. فهؤلاء الذين أخذهم الله من ظهور آبائهم كانوا أنصاف مخلوقات، ومع ذلك شهدوا بأن الله ربهم. وهذه مهمة مستحيلة حتى على الله، فنصف المخلوق لا يمكن أن يوجد، دع عنك نطقه بالشهادة. ولكن رغم هذه الشهادة قرر الله أن الإيمان بالرسل يخضع لمشيئته هو سواء شهد الحيوان المنوي أم لم يشهد.

حتى الأنبياء والرسل لم يكن تحمّلهم الرسالات عن اقتناع وإنما بأمر إلهي، فهاهو يونس يقول:

{وأمرت أن أكون من المؤمنين. (يونس 104)}.

وما عليه إلا تنفيذ الأمر الإلهي. وربما لعدم اقتناعه بالرسالة قفز من المركب فابتلعه الحوت.

وحتى محمد لم يسلم من تلقاء نفسه وإنما أُمر بذلك:

{قل إني أُمرتُ أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين. (الأنعام 14)}.

ويؤكد مرة أخرى:

{إنما أُمرتُ أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرّمها وله كل شيء وأُمرتُ أن أكون من المسلمين. (النمل 91)}.

فمحمد كان من المحتمل أن يكون مسيحياً مثل معلمه ورقة بن نوفل، ولكنه أُمر أن يكون من المسلمين، فلا خيار له.
وهاهو شعيب يقول لقومه إنه لا يستطيع الرجوع إلى ملتهم إلا إذا شاء الله ذلك:

{قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد أن نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله. (الأعراف 89)}.

فشعيب ترك ملة قومه ليس عن اقتناع شخصي ولكن لأن الله نجاه منها، ولن يستطيع أن يغير رأيه ويعود لملة قومه، رغم تهديدهم له، إلا إذا شاء الله ذلك.
وهناك مَن قرر الله أنهم لا يستحقون نعمة الإيمان فختم على قلوبهم وأفواههم وأسماعهم، فليس هناك أي أمل في نجاتهم لأنهم لم يعودوا يسمعون ما يُدعون إليه، وبالتالي لا يمكنهم أن يؤمنوا:

{أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون. لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون. (النحل 108، 109)}.

وهذه عينه من العدل الإلهي. فهو قد طبع على قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وجعلهم يوم القيامة خاسرين:

{وجعلنا على قلوبهم أكنّةً أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا. (الإسراء 46)}.

فما هي الحكمة من محاولة محمد إقناع قومه إذا كان الله قد ختم على قلوبهم وجعلهم يهربون عند سماع القرآن؟
ولزيادة التوكيد يقول لنا:

{إنا جعلنا على قلوبهم أكنّة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن تدعوهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً. (الكهف 57)}.

فالله قد قرر أنهم لن يهتدوا أبداً مهما حاول رسوله. فلماذاً إذاً بعث بالرسول؟
ويخبرنا القرآن أن الله قد خلق رجالاً ونساءً، لا ليؤمنوا وإنما ليملأ بهم جهنم:

{ولقد ذرأنا لجهنم من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون. (الأعراف 179)}.

فهؤلاء الناس لا يستطيعون أن يفعلوا أي شيء يدخلهم الجنة لأن الله قد خلقهم للنار وجعلهم كالأنعام لا يفقهون شيئاً. يقول القرطبي في تفسيره:

"خلق الله للنار أهلاً بعدله".

ونِعم العدل.
وللتأكيد يقول لنا القرآن:

{ولو شيئنا لأتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين. (السجدة 13)}.

فلو ترك الخيار للناس ربما آمنوا لكنه كان قد أقسم أن يملأ جهنم من الناس والجن ولذلك لا بد أن يمنعهم من الإيمان برسله حتى يبر بقسمه.
وعندما هاجر محمد إلى يثرب وازداد عدد المؤمنين به الذين كان الله قد قرر لهم الإيمان، لم يخفف محمد القيود المفروضة على إرادة الإنسان، فقرآن المدينة يخبرنا:

{فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين. (الصف 5)}.

فالذي يخطيء مرة واحدة ويتحول عن الإيمان، يزيغ الله قلبه فلا يهتدي أبداً.

{ختم الله على قلوبهم وعلى أسماعهم وعلى أبصارهم غشاوةً ولهم عذاب عظيم. (البقرة 7)}.

فلم يكتفِ بالختم على القرشيين في مكة إنما ختم كذلك على بعض أهل يثرب وما حولها:

{ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً. (المائدة 41)}.

فحتى الذين آمنوا قد يفتنهم الله فيرتدوا عن إيمانهم، ولذلك نجد موسى يحتج:

{قال موسى إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء. (الأعراف 155)}.

ففي النهاية نجد أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وليس مهماً أن يكون قد أرسل لهم رسلاً أم لم يرسلهم.

{ما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون. (التوبة 115)}.

فالله في حكمته وعدله يهدي بعض الناس ثم يبين لهم ما يتقون، ثم يضلهم بعد أن عرفوا، لأنه عادل ولا يحب أن يضلهم قبل أن يعرفوا. والإنسان في كل ذلك كقطعة الشطرنج لا خيار له. وفي تحدٍ واضح للمنطق، يقول لنا القرآن:

{وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم. (إبراهيم 4)}.

هل هنالك أي منطق في هذه الآية؟ ما الفائدة من إرسال رسول بلسان قومه ليشرح لهم بلغتهم رسالة السماء ليفهموها حق فهمها ثم بعد ذلك يهدي الله من يشاء ويضل من يشاء؟ أين العقل الذي يحترمه الإسلام؟

وأما الذي يتخذ قراراً غير ما قرره له الله، فسوف يندم على ذلك:

{وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون. (فصلت 17)}.

فكيف تجرأ ثمود على استحباب شيء غير الهدى الذي اختاره لهم الله؟ فالخيار هو ما اختاره الله فقط. ولذلك نسمع جموع المسلمين يرددون في مناسبات الموت أو الإصابة (**الخيرُ في ما اختار الله**).
وعندما تحدث القرآن عن بني أسرائيل وقولهم إنهم كفروا وإن قلوبهم غلف، قال القرآن إن الله هو الذي طبع الكفر في قلوبهم ولذلك لن يؤمنوا إلا قليلا:

{فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا. (النساء 155)}.

وبما أن رسول الإسلام هو أعلم بالقرآن من غيره فقد شرح الإرادة لهم في الحديث:

[ما منكم من أحدٍ إلا وقد عُلم مقعده من الجنة ومقعده من النار، فقال بعض الصحابة: فيم العمل يارسول الله؟ فقال: إعملوا فكلٌ ميسر لما خُلق له، إما أهل السعادة وإما أهل الشقاوة] (صحيح مسلم).

فكل إنسان محكوم عليه أن يعمل ما كُتب له في اللوح المحفوظ حتى إن كان شراً مستطيراً كالكفر بالله فيصبح من أهل النار لأن الله قرر ذلك. ثم أكد ذلك بحديث آخر:

[إن الله قد قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء] (صحيح مسلم).

فالله قد اختار مسبقاً من منا سوف يؤمن ويدخل الجنة ومن منا سوف يكفر ويُشوى في نار جهنم. ولكن كعادة القرآن في التناقض نجده يقول:

{وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. (الكهف 29)}.

فكيف لنا أن نشاء الإيمان وهو قد ختم على قلوبنا وأبصارنا وأسماعنا وقال لنا لن تشاؤوا إلا أن يشاء الله؟

{من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل إنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً. (الإسراء 15)}.

منتهى التناقض والاطراب.

فهل من المعقول أن يكون هناك إله عادل في السماء يقرر للناس قبل أن يخلقهم أنهم لن يؤمنوا، ثم يرسل لهم رسلاً يكلمونهم بلغتهم ليفهموا ما يريده الإله منهم، وهو كان قد قرر مسبقاً أن بعضهم لن يؤمنوا وسوف يملأ بهم جهنم؟ منطق معوج كاعوجاع ذمم رجال الدين، خاصةً المسلمين منهم.

لا شك أن العقل هو الإله.

عودة إلى الفهرس

2009 / 4 / 19

153 - تعقيبات القراء على الرسل والأنبياء

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=169273

أولاً: أقدم شكري لموقع الحوار المتمدن لسماحه للقراء بكتابة تعليقاتهم على المقالات المنشورة. هذه التعليقات تفيد الكاتب وتمنحه الفرصة ليعرف تأثير المقال على القراء.

ثانياً: أود أن أشكر كل القراء الذين ردوا على التعليقات على مقالي الأخير وأيدوا وجهة نظري التي تقول إن الرسل والأنبياء لا يفيدون البشرية بشيء إذ أن الله قد قرر مسبقاً مَن سوف يؤمن ومَن سوف لا يسمح له بالإيمان كي يستطيع أن يملأ جهنم بالإنس والجن، ليبر بقسمه. وكما قال ثيودور بيزا Theodore Beza تلميذ وخليفة كالفين:

> "ما دام الله هو المقتدر والعالم، فيتبع من ذلك أن الإنسان ليس بمقدوره أن يفعل شيئاً لخلاصه لأن كلمة الله لا تتغير، والله قد قرر مسبقاً ومنذ الأزل أن ينقذ بعض الناس وينزل الآخرين في عذاب مستديم".[1]

بعض المعلقين ذكروا بعض النقاط التي أود أن أعقب عليها.

- ولنبدأ بالسيد الريان الذي وصف المقال بالسطحية ثم قال:

> "لنفرض أن ما يعتقده المؤمنون حقيقة وجاءت حياة البعث حقاً ونجوا هم فماذا ستقول هناك أنت؟ وأيضاً سنضع أنه لا يوجد بعث ولا نشور ماذا خسر المؤمنون؟ لا شيء، سيعتبرون صلاتهم وصومهم صحة ورحلتهم إلى الحج نزهة وتصدقهم إحسان ومعروف وهكذا لبقية الأمور. إذاً هم لم يخسروا ولكن أنت ماذا سيكون فعلك لو أن الأمر حقيقة؟؟؟"

- سُئل الفيلسوف الإنكليزي برتراند رسل نفس هذا السؤال، فرد على السائل بقوله:

> *"سأقول لله إنك أعطيتني عقلاً أفكر به وطلبت مني أن أستعمله، وفي نفس الوقت لم تقدم لي الأدلة الكافية بوجودك حتى يقتنع عقلي."*

وسألت فتاة أمريكية الأستاذ ريتشارد دوكنز بعد أن القى محاضرة عن الإلحاد، قالت له:

> ماذا لو كنت مخطئاً في تصورك وكان هناك بعث وحساب؟

فقال لها:

> *بما أنك فتاة بيضاء وأمريكية فأستنتج أنك مسيحية وتعتقدين أن كل الأديان الأخرى ليست أديان حقيقية وأن الله موجود، ماذا لو كنتِ أنت على خطأ؟*

ثم أن هذا النوع من الإيمان الذي تقول عنه فهو ليس إيماناً بالله وإنما تأميناً ضد عذاب جهنم إذا ثبت أن هناك بعث، تماماً كما نؤمّن على حياتنا مع شركات التأمين ضد الحوادث. فإذا حدث للشخص المؤمن حادث أقعده عن العمل تدفع له شركات التأمين ما يكفل معيشته، وإذا لم يحدث له حادث إلى أن يموت يكون قد أنفق مالاً دون مقابل. فهذا إيمانٌ بالخوف من جهنم وتأميناً على الحياة وليس اقتناعاً بالله أو بالإسلام.

وإذا كنتُ أنا على صواب، وليس هناك بعث ولا حياة أخرى، فقد خسر المسلمون كثيراً: **احتقار عقولهم** التي لم يستعملوها، **وضياع وقتهم** في تكرار حركات مستهجنة يسمونها صلاة لا تفيدهم جسدياً، إذ هي أبعد شيء عن الرياضة، ولا تفيدهم أخلاقياً إذ هم يرتكبون جميع أنواع المآبق بمجرد خروجهم من المسجد رغم أن القرآن يقول **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** وعالمنا الإسلامي يطفو على بحرٍ من الفحشاء والمنكر من القول والفعل. أما رحلتهم إلى الحج فهي أبعد شيء عن النزهة. ويبدو أن الكاتب لم يحج، وإلا لرأى بأم عينه الإرهاق والتعب الذي يصيب الحجيج من شدة الزحام والحر المبالغ فيه، زيادةً على الأمراض التي يرجعون بها إلى بلادهم نتيجة شربهم ماء زمزم الملوث بالكوليرا والدوسنتاريا والأمراض الأخرى. بل بعضهم يموت مدهوساً تحت الأقدام في الحج. فهل يستوي من يتنزه في الحج بمن يتنزه في شارع الشانزليزيه أو في هايد بارك؟ استعمل عقلك يا سيد الريان، فقد قال ابن الراوندي انتصاراً للعقل :

> "والعقل هو الذي يمتحن قيمة النبوة فإما أن تتفق تعاليم النبي مع العقل و حينئذ فلا لزوم لها و إما أن تتناقض و إياه و حينئذ فهي باطلة".[2]

أو كما قال الفيلسوف إيمانيويل كانت:

> "حيث تنتهي حدود العلم تبدأ حدود الإيمان".

فالعقل هو الإله.

- أما المعلق الآخر رشدي علي فيبدو أنه لا يعرف الفرق بين التاريخ والقرآن، إذ كتب في تعليقه باللغة الإنكليزية (الترجمة من عندي):

> التاريخ مكان حساس للغاية للحديث عن القرآن بمعلوماتك البسيطة التي تحصل عليها من كتب المدارس الثانوية. لتكتب عن التاريخ عليك أن تمتلك وسائل أخرى كثيرة.

- وأنا طبعاً لم أكتب عن التاريخ وإنما انتقدت آيات قرآنية. وأرجو من السيد رشدي أن يتعلم الفرق بين التاريخ والقرآن قبل أن يُعلق على المقالات التي تظهر على موقع الحوار المتمدن.

- أما السيد يقين الخفاجي فيقول:

> "لو أعطيتك سكين وقلت لك إن هذا يستعمل في عدة أمور مفيدة وقمت أنت باستخدامه في القتل والترويع فهل هذا الاستخدام الخاطيء يلقي بالذنب عليك أم عليّ؟ كما العقل فإن الذي وهبك إياه (سمه ما شئت) أوجب عليك استعماله في الخير وإن أنت استخدمته في الشر استحققت العقاب وهذا متعارف عليه في القوانين الوضعية فكيف في الامور الشرعية!!! أما ذكرك بعض الآيات الكريمة حول أن الله سبحانه وتعالى سيعاقب العاصين فهذا من اطلاعه ومعرفته بالامور الغيبية فأنت لا تنكر أن هناك أمور تعلم قبل وقوعها وهذه علمت من خلال البحث والمعرفة والدراسة مثلاً عند ذهابنا إلى الدكتور واخذ العلاج بعد ذلك نشفى فهل ذلك يعني ان الدكتور يعلم الغيب ام ان العلم جاء من درايه وبحث مسبق مع بعد المثل عن قدره الله سبحانه وتعالى فانه يعلم ان سيكون مؤمن وكافر وكان ارسال الرسل والانبياء للهدايه والتبليغ والقاء الحجه كما تفعل الدول الان لابلاغ القوانين وتعريفها حتى لا يبقى للناس التملص والكذب لغرض النجاه من العقوبه واذا اراد الكاتب العلم والبحث اكثر في مضامين الايات الكريمه فاحيله الى كتاب(الميزان في تفسير القران) فهنالك ابحاث قيمه تغنيه وتجيب عن تساؤلاته ان كان من الباحثين او اذا كان من المعاندين فالهدايه من ..... " انتهى.

---

[1] Karen Armstrong, A History of God, p325.

[2] عبد الرحمن بدوي ، من تاريخ الإلحاد في الإسلام ص 139.

- أولاً نقول للسيد الخفاجي إنه لم يوفق في اختيار المثل الذي قدمه لأن السكين أصلاً تم اختراعها ليس للأعمال الخيرة والمفيدة إنما للذبح والقتل والتقطيع، الذي قد يكون مفيداً للإنسان لكنه مضر للغاية بالحيوان الذي له نفس الحق في هذه الحياة، وقد وُجد على الأرض قبل الإنسان.

وإذا استعمل الإنسان السكين لقتل أخيه الإنسان كما يفعل الإسلاميون الذين يودون التقرب إلى الله بذبح أعدائه، فهذا في نظرهم عمل مجيد لأن القرآن يخبرهم أن يستعملوا السكين ليقتلوا أعداء الله: {**فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب.** (محمد 4)}. فضرب الرقاب لا يكون إلا بالسيف الذي هو سكين طويلة. فالأمور الشرعية شجعت على استعمال السكين في الأعمال الشريرة.

أما الأمور التي تُعرف قبل وقوعها فهي ليست غيبيات كما يتوهم السيد الخفاجي. العلماء الحقيقيون يدرسون الأشياء ويطبقون القوانين ثم يصلون إلى استنتاجاتهم. فعلماء ناسا عندما يطلقون مركبة فضائية الغرض منها النزول على سطح المريخ، يستطيعون بتطبيق سرعة المركبة وبعد المريخ عن الأرض أن يقرروا مسبقاً ان المركبة سوف تحط على المريخ بعد أربع سنوات وشهراً وثلاثة أيام وسبع ساعات وعشر دقائق وخمسين ثانية. فهذا العلم بالمستقبل ليس من الغيبيات التي تؤمن أنت بها.

وعندما تزور الطبيب فهو يقرر أن العلاج سوف يفيدك بناءً على التجارب العديدة التي أجراها العلماء على أنواع الأمراض ومسبباتها وطرق علاجها. فهو حتماً لا يعتمد على الغيبيات. *فالغيب هو العمود الفقري الذي تعتمد عليه الديانات وننكره نحن لأننا نعتمد على العقل الذي يضطهده الإسلام، كما يظهر من مقولات فقهاء وأئمة الإسلام*. فمثلاً يقول حجة الإسلام الغزالي:

العقل لا يبصر إلا بنور الشرع.

أما إحالتك لي لكتاب "الميزان في تفسير القرآن" للشيخ محمد حسين الطبطبائي، فأنا في غنى عنه لأني لا أحتاج مفسراً يشرح لي القرآن الذي قال عنه محمد إنه نزل بلسان عربي مبين، وأنا أجيد اللغة العربية. ولعلمك فقد قرأت أجزاء من الكتاب المذكور ولم أجد فيها ما يخرج عن **سفسطة** رجال الدين الآخرين.

- أما علي، أحد المعلقين، فقد سأل ثلاثة أسئلة:

1. السؤال الأول

في حجة التحدي في الإتيان بمثله (القرآن) أو حتى ببعضه.

- والإجابة على ذلك أن العرب كان بإمكانهم الإتيان بمثل القرآن وربما أحسن منه، وبعض الشعر الجاهلي دليل على ذلك. ولكن خوفهم من القتل إن حاولوا جعلهم يتقاعسون عن تلك المهمة غير الصعبة. وهناك من الفلاسفة المسلمين الذين يفاخر بهم الإسلاميون اليوم رغم أنهم كانوا قد رموهم بالزندقة في الماضي، من قال بذلك. فمثلاً الفيلسوف الرازي قال:

"إنكم تدعون أن المعجزة قائمة موجودة- وهي القرآن- وتقولون: من أنكر ذلك فليأت بمثله ... إن أردتم بمثله في الوجوه التي يتفاضل بها الكلام، فعلينا أن نأتيكم بألف مثله من كلام البلغاء والفصحاء والشعراء وما هو أطلق منه ألفاظاً وأشد اختصاراً في المعاني، وأبلغ أداءً وعبارةً وأشكل سجعاً"[3]

وكمثال على بلاغة كلام العرب نذكر خطبة قس بن ساعدة الأيادي:

"أيها اناس اسمعوا وعوا، وإذا وعيتم فانتفعوا. إنه من عاش مات. ومن مات فات. وكل ماهو آت آت. مطر ونبات. وأرزاق وأقوات. وآباء وأمهات. وأحياء وأموات. وجمع وشتات. وآيات بعد آيات. ليل موضوع. وسقف مرفوع. ونجوم تغور. وأراض تمور. وبحور تموج. وضوء وظلام. وبر وآثام. ومطعم ومشرب. وملبس ومركب. ألا إن أبلغ العظات. السير الفلوات، والنظر الى محل الأموات.. إن في السماء لخيرا. وان في الأرض لعبرا. ليل داج. وسماء ذات أبراج. وأرض ذات رتاج. وبحار ذات أمواج. مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون. أرضوا بالمقام فأقاموا. أم تُركوا هناك فناموا. أقسم بالله قسما حقا. لا آثما فيه ولا حانثا. إن لله دينا هو أحب إليكم من دينكم الذي أنتم عليه.. تَبا لأرباب الغفلة. من الأمم الخالية. والقرون الماضية. يا معشر إياد. أين الآباء والأجداد. وأين المريض والعواد. وأين الفراعنة الشداد. أين من بنى وشيد وزخرف ونجد. وغره المال والولد. أين من بغى وطغى. وجمع فأوعى. وقال أنا ربكم الأعلى. ألم يكونوا أكثر منكم أموالا. وأطول منكم آجالا. طحنهم الثرى بكلكله. ومزقهم بتطاوله. فتلك عظامهم بالية. وبيوتهم خاوية. عمرتها الذئاب العاوية. كلا بل هو المعبود...".

فهذا الكلام لا يقل بلاغةً عن القرآن.

2. السؤال الثاني يقول:

استمرار القرآن كنص كما هو عليه من كتابته وحتى الوقت الحالي دون تحريف أو تزييف.

- والجواب المختصر هو أن القرآن مر بمراحل عديدة قبل أن يكتمل في شكله الحالي، فقد كانت هناك عدة مصاحف تختلف عن بعضها البعض في عدد السور وفي بعض الآيات والكلمات، كمصحف أبي بن كعب ومصحف ابن مسعود ومصحف علي بن أبي طالب. ولولا أن عثمان استعمل القوة والقسر وحرق تلك المصاحف لعرفنا مستوى التحريف في القرآن. وهناك مخطوطات يدوية للقرآن عُثر عليها في القرن الماضي في جامع بصنعاء اتضح منها أن القرآن المكتوب بها يختلف عن المصحف الحالي. **فمقولة إن القرآن لم يتغير أو يُحرف، مقولة إسلامية لا يدعمها الواقع.**

3. والسؤال الثالث كان:

إن القرآن متفرد في الشكل والصياغة.

وأظن أن الجواب الأول يجيب على هذه النقطة.

- السيد محمد الخليفة يقول:

كيف يؤمن المعتزلة وهي الحركة التي قامت على العقل في قراءة القرآن وتركت النقل، أن تؤمن إيماناً مطلقاً بالإسلام وكتابه الذي هو القرآن، كما تقول وهم يرون هذا القرآن يعج بالمتناقضات ناهيك عن تركيبه اللغوي والنحوي، أليس سؤالاً جديراً بالطرح والمناقشة من قبل المثقفين، مؤمنين وغير مؤمنين؟

- وأنا بدوري أرحب بالنقاش في هذا الموضوع، غير أن رأيي الخاص هو أن حركة المعتزلة ظهرت والإسلام لم يزل حديثاً وقد اعتنقه كل سكان الجزيرة العربية **غصباً وبعد حروب الردة**. وقد ولد كلهم في أُسر إسلامية وورثوا الإسلام من آبائهم، كما يفعل كل المسلمين الآن. ثم بدأ الشك يتسرب إليهم ولكن كان من الخطورة بمكان أن يخرج المعتزلة ويشككوا في كل الإسلام. ولهذا السبب أظهروا للعامة إيمانهم المطلق بالإسلام كدين، ثم بدؤوا بعلم الكلام، أي المنطق الذي أوضح لهم التناقض، *فرفضوا الصفات التي ألصقها الفقهاء بذات الله*، كاختبار لمعرفة رد الفعل. ثم بالتدريج قال بعضهم إن القرآن أوحاه الله إلى محمد وكتبه محمد بلغته ومن هنا ظهر التناقض فيه. ومن الذين وجدوا تناقضاً في القرآن جعلهم يتشككون كان أبو الحسن بن إسماعيل الأشعري قبل أن يتنكر للمعتزلة ويصبح من أهل الحديث والنقل. ولو طال بهم الأمد فلربما انتقدوا جميع القرآن وربما ارتدوا، غير أن الخليفة الواثق لم يمهلهم وأشبعهم تقتيلاً وتعذيباً فخففوا من انتقاداتهم.

- أما القاريء الذي كتب تعليقه باسم أحمد، قال:

---

[3] الفهرست لابن النديم، طبع مصر، سنة 1929، ص 470. نقلاً عن تاريخ الإلحاد في الإسلام للدكتور عبد الرحمن بدوي، 1993، سيناء للنشر.

"كامل النجار عقائدي بالدرجة الأولى ولن أقول ملحد لأن كثير من الملحدين أناس في أعلى الدرجات أم كامل النجار يتبع في نقضه وصب جم حقده على القرءان على الموروثات والتفسيرات التى يتبعها السلفييون في فكرهم وعقائدهم مع إختلاف التبرير فهم يبررون بها لكمال الله والدين وهو يبرر بها لنقص الله والدين وكامل يتحدث عن النظرة المحايدة للقرءان ولو كان محايدا وترك مرجعيته السلفية جانبا لعجز أن يأتي بمعنى واحد صحيح لكلمة واحدة في القرءان وحتى لا يكون الكلام على عواهنه أتحدى هذا النجار أن يقول لنا معنى كلمة الله بعيدا عن مفهومها السلفي الموروث ولا يقتصر التحدي على هذه الكلمة فقط بل على أي كلمة في أي أية أوردها في موضوعه هذا أو غيره ووقتها سيجد نفسه خاويا خواء من يهاجمهم بل أضل سبيل" انتهى.

✍ من الطبيعي إذا حاورت شخصاً يعتنق مبدأً مغايراً لك أن تحاول أن تفنّد ما يعتمد عليه في منطقه، ولهذا السبب أفند آيات القرآن والأحاديث. ولكن هذا لا يعني أني عقائدي فأنا فقط أحترم عقلي ولا أرضى له الإنقياد بالمنقول. ولا أدري كيف يستطيع السيد أحمد أن يقول لو إني كنتُ محايداً فلن أفهم ولو كلمة واحدة من الآيات القرآنية التي ذكرتها في مقالي. هل فهم السيد أحمد معنى الآيات التي يدافع عنها؟ إذا كان قد فهمها فأؤكد له أن فهمي لا يقل عن فهمه، وإذا كان هو لم يفهمها، فكيف يدافع عن شيء لا يفهمه؟

وعليه أعتقد أن كل الذين حاولوا في تعليقاتهم إثبات وجود الله أو كمال القرآن لم يوفقوا في إقناعي.

عودة إلى الفهرس

2009 / 4 / 26

1 مِن 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=170037

كتبت السيدة سهام فوزي مقالاً بعنوان (جمهورية إسلامستان الكبرى) بموقع الحوار المتمدن بتاريخ 2009/4/6:

شرحت فيه الهدف الأكبر للجماعات الإسلامية، ألا وهو حكم العالم كله بالشريعة الإسلامية. وقد ذكرت السيدة سهام أن الرسائل الإلكترونية انهالت عليها بالنقد والتقريع.

وفي الحقيقة فإن ما ذكرته الكاتبة الفاضلة لا يتعدى أن يكون الرأس الطافية لجبل جليدي هائل يختفي تحت الماء.
جماعة الإخوان المسلمين منظمة ملأت العالم بالعنف والتفجيرات بهدف إخضاعه لسيطرتهم وتطبيق الشريعة الإسلامية. فالجماعة منذ تأسيسها عام 1928 على يد حسن البنا، *لم تخف هدفها النهائي: وهو السيطرة على العالم كله بالإسلام*. وللوصول إلى هذا الهدف يطبق الإخوان سياسة ميكافيللي التي تقول إن "**الغاية تبرر الوسيلة**". وهم لا يتورعون عن استعمال أي وسيلة حتى إن كانت التعاون مع الشيطان إذا كانت ستوصلهم إلى هدفهم المنشود. فقد تعاونوا مع المخابرات الأمريكية لمحاربة الشيوعية، وتعاونوا مع المخابرات البريطانية لمحاربة جمال عبد الناصر، وتعاونوا مع النازية للقضاء على اليهود، وتعاون مؤسسهم حسن البنا مع الملك فاروق ضد حزب الوفد في مؤتمر الإخوان الرابع سنة 1936 لمبايعة الملك فاروق،

«وكتب إليه يقول:
"وإن لنا في جلالة الملك المسلم أملا."
وعندما قال زعيم الوفد مصطفى النحاس:
"الشعب مع الوفد."
قال البنا:
"الله مع الملك."» [1]

وقد صرح جون لوفتس John Loftus المدعي العام الأمريكي السابق:

أن جهاز المخابرات الأمريكية CIA قد دمر في عام 2004 جميع أشرطة التسجيل التي تخص تعاونهم مع الإخوان المسلمين.

ومنذ البدء اتخذت الجماعة قراراً بالعمل نحو هدفهم بصبر شديد وتؤدة حتى لا تصطدم مع الحكومات في مصر أولاً، ثم في البلاد الإسلامية ثم بقية العالم. وقد أكد المرشد الحالي لحزب الإخوان المسلمين في مصر، محمد مهدي عاكف هذه الإستراتيجية حديثاً عندما قال:

"نحن نتعاطى مع الأمور بصبر شديد وحكمة." [2]

ومنذ البدء كذلك اتخذت الجماعة قراراً **باستعمال التقية**، بمعنى أن يُظهروا للناس غير ما يخفون، *فلبسوا لباس التقوى وزعموا أنهم الطبيب الذي يود تخليص المريض من الداء، بينما هم في حقيقة الأمر السرطان الذي ينهش في جسد ذلك المريض*. وتكوّن **السرية التامة وعدم البوح بأسرار الجماعة جزءاً** مهماً من البيعة التي يؤديها كل عضو جديد ينضم إليهم. وحركة الإخوان المسلمين هي الأم لكل الحركات الإسلامية التي نشأت في القرن العشرين، ولكن كنوع من التقية منح الإخوان تنظيماتهم في بلاد العالم الأخرى مسميات مختلفة مثل حزب التقوى والجهاد، وجبهة الإنقاذ في الجزائر، وحزب الدعوة والإصلاح في المنطقة السنية في إيران، والذي نفى المتحدث باسمه حديثاً أن يكونوا قد قطعوا علاقتهم مع تنظيم الإخوان العالمي[3]، والجماعة الإسلامية بقيادة الشيخ عمر عبد الرحمن، والجهاد الإسلامي بقيادة الظواهري، والمهاجرون في لندن بقيادة عمر بكري، وحزب التحرير في لندن بقيادة أبي قتادة الأردني، وعسكر طيبة، وحماس، وأسماء أخرى عديدة. كل هذه الجماعات تنتمي إلى، وتدين بِـ **تعاليم وأهداف منظمة الإخوان المسلمين وتربطها بهم علاقات وشيجة.**
والإخوان، كجزء من التقية، **يبيحون الكذب على الناس**، والإسلام عموماً يبيح الكذب، بل يحث عليه إذا كان فيه منفعة للمسلمين:

[كل الكذب مكتوب إلا أن يكذب الرجل في الحرب فإن الحرب خدعة، أو يكذب بين اثنين ليصلح بينهما، أو يكذب لامرأته ليرضيها][4].

وبفضل هذه التقية أصبحت منظمة الإخوان **أكثر زئبقيةً** من الزئبق نفسه. والإخوان يعتقدون أنهم في حالة حرب مع جميع حكام العالم لأنهم لا يطبقون الشريعة، كما قال منظرهم سيد قطب، في كتابه "معالم على الطريق"، ولذا يباح لهم الكذب ما داموا في حالة حرب.
*وكمثال لهذا الكذب المباح نجد السيد سالم الفلاحات، المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين الأردنية ينفي وجود أي علاقة تنظيمية للإخوان الأردنيين مع منظمة حماس في غزة. ونحن نعلم أنه في العام 1977 قد تم توحيد منظمات الإخوان المسلمين في غزة والضفة الغربية والأردن تحت مسمى "**جماعة الإخوان المسلمين في بلاد الشام**"*. وعندما هرب ممثل حماس خالد مشعل من الكويت في عام 1990 بعد الغزو العراقي، فتحت له جماعة الإخوان المسلمين الأردنية مكتباً في عمان ظل به إلى أن سممه الموساد الإسرائيلي فحوّل مكتبه إلى دمشق.
وفي مقابلة مع مراسل صحيفة إيلاف قال الشيخ محمد مهدي عاكف، المرشد العام:

"لا يوجد تمييز ديني في مصر. هذا كلام فارغ." [5]

ولا يخفى، طبعاً، على أحد أن التمييز الديني في مصر قد فاحت رائحته الكريهة حتى وصلت عنان السماء، ومع ذلك ينفيه السيد المرشد العام، رغم أن بقية الإخوان من د. محمد عمارة إلى د. شاهين يبيحون دم الأقباط ويكفرون البهائيين في الصحف والإذاعات المصرية.

الأهداف المعلنة للجماعة منذ تأسيسها هي:

---

[1] (قميص غزة للسيد إمام عبد العزيز شريف) الشرق الأوسط 2009/4/23.
[2] محمود عبد الرحيم، إيلاف 2008/5/22.
[3] نافذة مصر، 2008/11/20.
[4] تخريج أحاديث الأحياء للحافظ العراقي، ج2، حديث 7.
[5] محمود عبد الرحيم، إيلاف 2008/225.

1. تكوين الفرد المسلم كي يكون مكتملاً بدنياً وذهنياً وإسلامياً - والاكتمال البدني يتكون من الرياضة والتدريب العسكري الذي تقوم به الجماعة في جبل المقطم وفي معسكرات الشباب التي تقيمها في الصحراء بعيداً عن الأعين المتطفلة.
2. تكوين الأسرة المسلمة بتنشئة الأطفال على تعاليم الإسلام، وتكوين المجتمع المسلم الذي يتقبل، بل يطالب بتطبيق الشريعة.
3. تكوين الحكومات الإسلامية في جميع البلاد الإسلامية.
4. إعادة الخلافة الإسلامية حتى تجتمع الأمة تحت قائد واحد.
5. السيطرة على العالم بالإسلام.

وقد يلاحظ القاريء أن هذه الأهداف هي نسخة معربة من أجندة هتلر عندما كان يحلم بالنازية ويخطط لها. فهو قد بدأ بتحضير الفرد الألماني عندما كتب كتابه:"ماين كانف" Mein Kampf (كفاحي)، وشرح أهدافه. ثم كوّن الشباب النازي ودربهم عسكرياً وذهنياً. وحضّر المجتمع الألماني بأن أقنعهم أنهم الجنس الآري وبالتالي هم الأسياد على جميع أجناس العالم The Master Race . ثم كوّن الحكومة النازية، ثم حاول السيطرة على العالم بالنازية، وكاد ينجح لولا دخول أمريكا مؤخراً في الحرب.
وقد كان، بل وما زال، الإخوان معجبين بهتلر والنازية، وقد كرّموا الشيخ أمين الحسيني بعد أن زار ألمانيا واجتمع مع هتلر الذي بعثه إلى البوسنه لتجنيد المسلمين في الجيش الألماني، واستطاع الحسيني أن يجند عشرين ألفاً من الشباب المسلمين في الجيش الألماني.
ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية آووا الحسيني بالقاهرة مع عدد لا يستهان به من النازيين الهاربين من محاكم نورينبيرج. وقد توفي في التسعينات في القاهرة طبيب معسكرات النازية د. أربرت هايم الذي اعتنق الإسلام وآوته الجماعة حتى مماته في عام 1992.
وإعجاب الإخوان بالنازية لا يقف عند هتلر بل يمتد إلى جوزيف گوبلز، وزير الإعلام والدعاية النازي الذي قال:

"اكذب..اكذب..اكذب، حتى يصدقك الآخرون".

ولهذا السبب يكذب علينا المرشد العام وجميع قيادات الإخوان في جميع أقطار العالم وينكرون ما قالوه حتى وإن كان مسجلاً صوتياً، كمقولة:

"طز في مصر".

(انظر الفيديو الذي يسجل زيارة الحسيني لهتلر http://www.youtube.com/watch?v=d51poygEXYU).
والإخوان أصبحوا خبراء في تمويه الحقائق وإخفاء قصدهم والاستشهاد بآيات مبتورة من القرآن **لأنهم يعتبرون كل شخص ليس من جماعتهم ناقصاً عقلياً**. فمثلاً، يقول دكتور فضل، منظّر جماعة الجهاد الإسلامية وأحد أمرائها، في كتابه الجديد "قميص غزة":

"فدون ذلك أمور لا تحتمل عقول الناس ذكرها الآن، وقد أُمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم."[6]

منتهى الاستعلاء على بقية المسلمين ناهيك عن غير المسلمين الذين لا يفهمون الإسلام. ويقول نفس الأمير:

"شاع بين الناس في العقود الأخيرة أن قضية فلسطين هي أم القضايا الإسلامية والعربية ... وهذه هي أم القضايا: غياب الشريعة وضياع الخلافة."

وضياع الخلافة هو السبب الذي من أجله أنشأ حسن البنا جماعة الإخوان المسلمين. فأهداف الجهاد الإسلامي والإخوان المسلمين هي نفسها وإن تعددت أسماء التنظيمات.
وللإخوان وسائل عدة لتحقيق غايتهم بجانب **التقية**، منها **العنف**، و**السيطرة على اتحادات الطلبة والعمال**، و**إنشاء المدارس والمؤسسات المالية تحت أسماء هلامية**، لغسيل الأدمغة ولتمويل مخططاتهم، وكذلك **بناء المساجد** في أوروبا وأمريكا لتجنيد الشباب في التنظيم ومن ثم في المنظمات الجهادية، و**الاستعانة بالإنترنت وفتح مواقع عدة تجند الشباب في التنظيم**.
العنف هو سلاح الإخوان المفضل بعد التقية. وما زال للجماعة جناح عسكري للتدريب والاغتيالات، سماه حسن البنا **"التنظيم السري"** وما زال سرياً. وقد ترأسه كبار أعضاء الإخوان المسلمين مثل محمد الغزالي، وعبد الرحمن السندي وعبد العزيز كامل، وأحمد عادل، ومحمود الصباغ. هذا التنظيم هو الذي قام بمحاولة إغتيال جمال عبد الناصر عام 1954 ومحاولة اغتيال الرئيس حسني مبارك في إثيوبيا عام 1995. ورغم إنكار الجماعة أنهم يدربون شبابهم عسكرياً، فقد صرح المرشد العام إبان حرب غزة الأخيرة:

أنه مستعد لإرسال مليون شاب إلى غزة لتحريرها.[7]

وكان قد صرح قبل ذلك:

باستعداده لإرسال عشر آلاف شاب مدرب إلى لبنان لمساعدة حزب الله.

وهذا يُثبت أن التنظيم مازال يدرب الشباب عسكرياً ويعلمهم حمل السلاح والتفجيرات.

«وقد صرح المرشد أن أسامة بن لادن (وهو ينتمي إلى تنظيم الإخوان ولذا انضم إليه الظواهري في أفغانستان) بأن الشيخ أسامة مجاهد وهو يؤيده في جهاده. ونفس المرشد صرح في مؤتمر نقابة المحامين حديثاً أن الجهاد ليس لهواً وأنه يحتاج إلى تكنولوجيا متطوره وأن الإخوان مستعدون لذلك.».[8]

وقال مرشدهم حسن البنا لأعضاء الجماعة في أحد مؤتمراتهم:

عندما يبلغ عددكم اثني عشر ألفاً اخبروني لأغزو بكم كلَ جبارٍ عنيد.[9]

يقول نفس الدكتور فضل:

"عندما كنت في باكستان قال لي أحد قدامى الإخوان المسلمين المصريين، وهو الأستاذ عبد العزيز علي (أبو أسامة)، وهو مدرب عسكري، قال لي عام 1986: ((إن الإخوان أرسلوه لتدريب الإخوان السوريين في معسكراتهم بالعراق عام 1982))."

فالإخوان يبعثون المدربين العسكريين إلى كل البلاد لتدريب كوادرهم.
ونفس سياسة العنف يتبعها جميع تنظيمات الإخوان المسلمين في جميع الأقطار، بما في ذلك أوروبا وأمريكا.

وقد اعترف إخوان الكويت بتدريب شبابهم عسكرياً.[10]

---

[6] الشرق الأوسط 2009/4/21.
[7] الشرق الأوسط 2009/1/31.
[8] د. رفعت السعيد في روز اليوسف.
[9] قميص غزة للدكتور الفضل.
[10] د. المطلق في موقعه http://www.al-mutlaq_article_2008_11_12.htr.

وفي سوريا كان للإخوان تنظيم مسلح قام بتصفية الأطباء والمهندسين ومحاضري الجامعات وغيرهم من الليبراليين أمام طلبتهم بالجامعات، وذبحوا طلاب مدرسة المدفعية في عام 1979 وكان هدفهم الاستيلاء على الحكم بالقوة، ولكن حافظ الأسد قضى عليهم ودمر حماة بسببهم.
وفي السودان ما زال للإخوان ميليشيات مسلحة رغم أن الحكومة الحالية حكومة إسلاموية كان عرّابها الشيخ حسن الترابي زعيم الإخوان المسلمين بالسودان. وقد ألّف كاتب سوداني، عبد الله غلاب، كتاباً عن تجربة السودانيين مع أول حكومة للإخوان المسلمين، سماه The First Islamist Republic وصف فيه النظام بأنه:

> Reign of terror, a system of institutionalized torture .(أي سلطة الرعب، نظام تقنين التعذيب)

والإخوان في الصومال تحت قيادة الشيخ شريف، خاضت وما زالت تخوض حرباً أهلية رغم أن شيخ شريف قد أصبح رئيس الحكومة الانتقالية.

ونفس سياسة التدريب العسكري والتفجيرات متبعة من إخوان باكستان الذين ينضوي أغلبهم في جماعات مثل "*عسكر طيبة*" الإرهابية التي أسسها الأخ المسلم حافظ سليم.

وفي الجزائر قامت *جبهة الإنقاذ الإسلامية* التي أسسها الشيخ الإخواني محمد الغزالي عندما أصبح رئيساً لجامعة الجزائر بعد أن رشحته منظمة الإخوان المسلمين بمصر لتولي ذلك المنصب، بقتل المواطنين واغتصاب النساء ونهب البنوك والمحلات التجارية لتمويل حملتهم الشعواء من أجل الوصول إلى كراسي الحكم.

وفي غزة أصبحت الاغتيالات والتعذيب طبقاً يومياً تقدمة منظمة الإخوان المسلمين "حماس" لأعضاء منظمة فتح، وحتى لمواطني غزة غير المنتمين إلى فتح، وقد أكدت منظمة هيومان رايتس ووتش هذه الحقائق وطلبت من حماس إيقاف الاغتيالات والتعذيب.
أما باكستان فقد أصبحت دولة مهددة بالانهيار من جراء العنف اليومي الذي يمارسه الإسلاميون من أجل تطبيق الشريعة، وقد نجحوا في تطبيقها في وادي سوات وجلدوا النساء وأغلقوا مدارس البنات، (وقاموا بهدم 220 مدرسة للبنات).

> والآن يطالب إمام المسجد الأحمر، الذي حاول الهرب من مسجده المحاصر عام 2007 متنكراً بزي امرأة، بتطبيق الشريعة في كل باكستان وجميع بلاد العالم، ويقول إنه لا يخشى الاستشهاد في سبيل الله، رغم تنكره كامرأة عندما دقت الشهادة على باب مسجده.

وحتى في بريطانيا فهناك حوالي أربعة آلاف شاب بريطاني مسلم من أصول باكستانية قد تخرجوا من معسكرات تدريب "عسكر طيبة".

وفي أمريكا قام الشيخ عمر عبد الرحمن مع محمود أبو حليمة ورمزي يوسف بتفجيرات برج التجارة العالمي في نيويورك عام 1993، وجميعهم أعضاء في التنظيم رغم أن شيخ عمر عبد الرحمن قد انحاز جانباً عنهم وأسس "الجماعة الإسلامية " التي تسوق أعضاءها نحو نفس أهداف الإخوان.

ورغم كل هذا ينكر المرشد العام محمد مهدي عاكف أن الجماعة تمارس أو حتى تؤمن بالعنف كوسيلة لتحقيق أهدافهم. ولكن نظرة عابرة إلى الرمز الرسمي للإخوان المسلمين تفضح إيمانهم بالعنف. فالرمز يتكون من دائرة بها سيفان متقاطعان، فوقهما المصحف وتحتهما الكلمة (وأعدوا) التي هي بداية الآية {**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم**}. وفي الجزء الأعلى من الدائرة مكتوب:

"الله غايتنا والرسول زعيمنا والقرآن دستورنا والجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا".

فهل هناك إعلان عن العنف أوضح من هذا؟ وفي نفس الوقت، وكنوع من التقية، يردد علينا فقهاؤهم أحاديث مثل [**دخلت امرأة النار في هرة، لا هي أطعمتها وسقتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض**]. يا للعطف والحنان الإسلامي المتدفق على الهرة، بينما يبيد أعضاء الجماعة آلاف البشر الذين يقفون في طريق تنفيذ أهدافهم.

ولأن جماعة الإخوان تعمل بصبر شديد وتؤدة، كما قال مرشدها العام حديثاً، فما زالت الجماعة في المرحلة الثانية من مراحلها الخمس، *مما حدا ببعض شباب الجماعة في مصر إلى انتقاد المرشد العام لبطء التدرج في المراحل المعلنة وطالبوا باستقالته*. فالجماعة ظلت منذ تكوينها تنشر دعوتها في البلاد الإسلامية ثم توسعت وفتحت فروعها في الدول الأوروبية وفي الأمريكيتين، حتى وصلت فروعها الآن إلى حوالي سبعين بلداً حول العالم، بينما يملك حزب التحرير (الذي كان قد أسسه الشيخ تقي الدين النبهاني الذي ينتمي للإخوان المسلمين) فروعاً في أربعين دولة.

ولكن رغم كل هذا الانتشار فما زالت الجماعة في مرحلة تكوين الفرد ذهنياً وعسكرياً، وتكوين الأسرة المسلمة بدءاً بإنشاء المدارس الدينية التي تعلم الأطفال منذ نعومة أظفارهم أنهم *خير أمة أخرجت للناس* وتعليمهم أن الآخرين على خطأ ولذا يجب عليهم تعلم الجهاد عندما يكبرون حتى ينشروا دين الله القيم. يقول الدكتور فضل، منظر الجهاد الإسلامي:

> "وأنا في خواطري هذه اهتمامي الأول بالأمور الدينية لا السياسية، وذلك لتحذير الشباب المحب للإسلام والجهاد من مغامرات هؤلاء وأمثالهم التي لا صلة لها بدين الإسلام."[11]

فكل اهتمامهم ينصب على الشباب الذي يؤمن بالجهاد.

> واهتمامهم بالنشء يظهر في عدد المدارس الدينية التي قد أنشأوها، ففي بلد مثل باكستان يرزح مواطنوه تحت الفقر والمرض، توجد 30000 مدرسة دينية لتعليم القرآن والأحاديث. وفي اليمن السعيد هناك حوالي 330000 تلميذ وطالب يدرسون في مدارس القرآن التي لا تخضع لمراقبة وزارة التربية والتعليم.[12]
>
> وفي أوروبا تتكفل الجماعة بتمويل *مدارس نهاية الأسبوع* Sunday Schools لتعليم أطفال الجاليات المسلمة القرآن والأحاديث التي تُنمي فيهم روح الاستعلاء على غير المسلمين. وبالنسبة للشباب تقيم الجماعة المساجد التي تجندهم في صفوف الجماعة ثم تغسل أدمغتهم وتعدهم للجهاد. ففي بريطانيا مثلاً يوجد حوالي **ألف وخمسمائة مسجد**، منها حوالي ستمائة مسجد تابعة للإخوان المسلمين.[13] وفي فرنسا يصل عدد المساجد إلى حوالي **1550** بينما يفاخر مسلمو ألمانيا بحوالي **2400** مسجد.

وعندما أُنشئت الجماعة عام 1928، كان دستورها ينص على أن الإخوان منظمة مكتفية ذاتياً ولا تقبل تبرعات إلا من أعضائها المنتظمين. ولكن لكي تنتشر الجماعة في أوروبا وأمريكا كان لابد لهم من إيجاد مصادر أخرى للتمويل لأن اشتراكات الأعضاء وحدها لا تكفي.
في الحلقة القادمة سوف أناقش مصادر التمويل وماذا يصنع الإخوان بهذه الأموال.

---

[11] قميص غزة.
[12] حسين الجرباني، الشرق الأوسط 2005/4/23.
[13] الياس توما، إيلاف 2005/11/14.

2009 / 5 / 3

2 مِن 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=170770

في البدء اعتمدت جماعة الإخوان المسلمين على تبرعات الأعضاء وقامت ببعض الأعمال الخيرية مثل رعاية الأرامل والأيتام من أجل أن تكسب ود المواطنين. ولكن الأوضاع تغيرت في عام 1954 بعد محاولتهم الفاشلة لاغتيال جمال عبد الناصر في المنشية، واستعداء النظام الحاكم الذي اعتقل وسجن أعضاء كثيرين من الجماعة. وقد تمكن بعض الأعضاء النافذين من الهروب من مصر إلى سوريا والأردن والسعودية، حيث وجدوا أحضان النظام السعودي مفتوحة لهم ليساعدوا المملكة في الخلاص من جمال عبد الناصر الذي كان قد بدأ تأليب الشارع العربي ضد حكم العوائل في دول الخليج.

وكان من ضمن الأعضاء النافذين الذين هربوا إلى سوريا ثم السعودية، *سعيد رمضان* زوج ابنة حسن البنا البكر، الذي وجد أذناً صاغية من الملك فيصل. أقنع سعيد رمضان الملك فيصل بأهمية فتح مراكز نشاط إسلامي في أوروبا، فوافق الملك فيصل على طلب سعيد رمضان وفتح له خزانة المملكة العربية السعودية. هاجر سعيد إلى سويسرا عام 1958 لينشيء المركز الإسلامي في جنيف. وقتها تصادف أن الحكومة الألمانية قررت بناء مسجد في ميونخ للمسلمين الذين نزحوا إليها بعد الحرب العالمية الثانية. ولما كان سعيد رمضان محملاً بدولارات السعودية، سافر إلى ميونخ وتولى بناء المسجد والمركز الإسلامي هناك، وأصبح هذا المركز أهم مكتب لتجنيد الشباب المسلم في صفوف الإخوان.[14]

رجع سعيد رمضان إلى سويسرا وأنشأ *المركز الإسلامي* الذي افتتحه الملك خالد، وكان يصرف عليه ستة ملايين دولار سنوياً. هذا المركز أصبح كذلك من أهم الأماكن التي تجند المحاربين وترسلهم إلى أفغانستان. واستمر سعيد رمضان في الحصول على البترودولارات لتمويل نشاطات الإخوان المسلمين في أوروبا، وعندما توفي سعيد رمضان عيّن الإخوان المسلمون أحد الأعضاء البارزين في مصر لملاحقة البنوك السويسرية لاسترداد الأموال الطائلة التي كانت تحت تصرف سعيد رمضان ولكنهم فشلوا في استردادها.

وكان هناك عضوان من الإخوان المسلمين في سويسرا، مصطفى ندى وأحمد هوبر (نازي سويسري أسلم وانضم إلى الإخوان) اللذين تمكنا من إنشاء *بنك التقوى* في جزيرة البهاما عام 1988 برأس مال يقدر بمائتين وستة وثمانين مليون دولار، قدمتها لهم "رابطة العالم الإسلامي Muslim World League.[15] ولهذا البنك فروع في الجزائر وليكتنستاين Liechtenstein وإيطاليا ومالطة وبناما وسويسرا. وقد اتهمت وزارة الخزانة الأمريكية *بنك التقوى* بغسيل الأموال من أجل المنظمات الإرهابية مثل القاعدة وحماس وجماعة "حزب النهضة" التونسية وجبهة الإنقاذ الجزائرية، وقدرت أن البنك حول ما لا يقل عن ستين مليون دولار لهذه المنظمات.

وفي لندن عينت منظمة الإخوان المسلمين السيد أحمد الهلباوي ليكون خبيرهم في الإرهاب والناطق الرسمي باسمهم. واستطاع الهلباوي تكوين The Muslim Council of Britain (المجلس الإسلامي البريطاني) الذي عينه توني بلير، رئيس الوزراء السابق، مستشاراً للحكومة في أمور الإسلام والمسلمين ببريطانيا. الناطق الرسمي باسم هذا المجلس هو السيد عزام تميمي، الذي كان الناطق الرسمي باسم جماعة الإخوان المسلمين الأردنية قبل أن يهاجر إلى لندن. وعزام تميمي يكن كل الولاء لمنظمة حماس، وعمل بإخلاص لجمع الأموال لدعم المنظمة. واستطاع أن يقنع الحكومة البريطانية التي سمحت له بتكوين جمعية خيرية باسم إنتربال Interpal مهمتها مساعدة الفلسطينيين. وهذه الجمعية تتمتع بإعفاءات ضريبية مثلها مثل كل الجمعيات الخيرية. والمثير للانتباه في هذه الجمعية أن رئيسها هو السيد إبراهيم حويط، ونائب الرئيس الدكتور عصام مصطفى الذي يرأس في نفس الوقت مؤسسة "إئتلاف الخير" Union of Good التي أنشأها الشيخ *يوسف القرضاوي* في جدة لمساعدة الفلسطينيين. وقد قدم برنامج بانوراما التابع لإذاعة ال "بي بي سي" حلقة عن نشاطات جمعية إنتربال والدور الذي ربما لعبه عصام مصطفى في تحويل أموال إنتربال إلى حماس. وبعد عرض هذا البرنامج أخضعت رئاسة الجمعيات الخيرية البريطانية جمعية إنتربال للتحقيق مرتين، ورغم أنهم لم يستطيعوا أن يثبتوا التهمة إلا أنهم صرحوا بأن الحسابات والنفقات لم تكن محفوظة بطريقة جيدة. وقد صنّفت وزارة الخزانة الأمريكية جمعية إنتربال كجمعية تساعد الإرهابيين وحظرتها.

وفي نفس الوقت حظرت وزارة الخزانة الأمريكية التعامل مع جمعية "إئتلاف الخير" في عام 2008 على أساس أنها تمول حماس عن طريق إنتربال وجمعية ASP السويسرية ومؤسسة سنابل اللبنانية.

وأسس كذلك سعيد رمضان بمساعدة الفرنسي فرانسوا جينو *البنك العربي التجاري* بجنيف، وكانت مهمة هذا البنك دعم التسلح والإرهاب الإسلامي.

أما في ألمانيا فالشخص الرئيسي لتمويل الإسلاميين هو الأخ المسلم إبراهيم الزيات، وزير مالية الإخوان في أوروبا، ورئيس الجمعية الإسلامية بألمانيا، حيث يقيم. وهو من المطلوبين في مصر وقد حكمت عليه المحكمة العسكرية غيابياً بعشر سنوات سجن. وهو رجل أعمال ناجح يجمع الأموال من ألمانيا وغيرها لبناء المساجد ويتاجر في العقارات. ويتعاون الزيات مع رئيس الجمعية الإسلامية التركية Milli Görus بألمانيا، وهو ابن أخ رئيس وزراء تركيا. هذه الجمعية تكونت عام 1971 ولديها بين 26000 و 28000 ألف عضو في ألمانيا ولها فروع في فرنسا وهولندا والنمسا والدنمارك والسويد وإنگلترا. وتقول الجمعية إن مجموع أعضائها بأوروبا يبلغ **300000**. هذه الجمعية تسيطر على بناء المساجد والمدارس والتعاونيات. وقد اعتقلت الشرطة الألمانية حديثاً إبراهيم الزيات ورئيس الجمعية التركية وتحقق معهم بتهمة جمع الأموال بغطاء ديني واستعمالها لأغراض سياسية.[16]

وفي أمريكا افتتح الأخ المسلم مصطفى شلبي "مركز الكفاح للاجئين" في بروكلين بنيويورك، وكان تمويل المركز غامضاً واشتهر بتجنيد المحاربين وإرسالهم إلى أفغانستان. وعند موت مصطفى شلبي كان رصيد المركز مليوني دولار أمريكي. ولأن المركز كان ناجحاً في التجنيد، أراد الشيخ عمر عبد الرحمن ومحمود أبو حليمة الاستيلاء عليه، ورفض مصطفى شلبي أن يتخلى عنه، فقُتل في ظروف غامضة.

وكان هناك كذلك عبد الرحمن العمودي، من الإخوان المسلمين بإرتيريا، الذي نزح إلى الولايات المتحدة ونال الجنسية الأمريكية، وكانت له اتصالات عديدة بليبيا ودول الخليج. واستطاع في وقت وجيز أن يجمع أموالاً طائلة وأظهر نفسه على أنه من الإسلاميين الوسطيين واستطاع أن يخدع وزارة الدفاع الأمريكية "البنتاگون" فعينوه مستشاراً للوزارة لشؤون الإسلام في القوات الأمريكية.

[14] http://www.islam-watch.org/AdrianMorgan/Muslim-Brotherhood-War-On-West.htm

[15] نفس المصدر.

[16] آفاق 2009/3/24.

وكان من الزوار المعروفين للبيت الأبيض في ولاية الرئيس جورج دبليو بوش. ولكن يبدو أن العمودي كان يغسل الأموال لدعم الإرهاب، وقد ألقت السلطات الأمريكية القبض عليه في أحد المطارات الأمريكية ووجدوا بحقيبته آلاف الدولارات، واعترف أنها كانت أموال ليبية الغرض منها تدبير عملية إغتيال الملك عبد الله بن عبد العزيز. وقد قدموه للمحاكمة تحت تسعة عشر بنداً تتضمن غسيل الأموال وتمويل الإرهاب وتجنيد المحاربين.

أما في آسيا فكان رجلهم الأول لتمويل العمليات هو السعودي محمد جمال خليفة (أبو البراء)، صهر بن لادن وصديقة الشخصي منذ أيام الدراسة بجامعة الملك عبد العزيز. قضى خليفة عدة سنوات في باكستان أيام الغزو السوفيتي لأفغانستان، قال إنه كان يبني فيها المساجد والمدارس للنازحين. ثم انتقل إلى الفيليبين وأنشأ "الجمعية الخيرية" التي تغير اسمها فيما بعد إلى "الجمعية الخيرية العالمية". وكان الممول الرئيسي لجماعة أبي سياف الفيليبينية. وفتح عدة شركات عالمية اعتبرتها الإدارة الأمريكية واجهات الغرض منها تمويل الإرهاب. وفي عام 1994 اعتقلته السلطات الأمريكية ووجدوا بحوزته كتيبات عن تصنيع القنابل وأرقام تلفونات لشخصيات مهمة في عالم الإرهاب. وقد قُتل محمد جمال خليفة في منجم ألماظ كان يمتلكه في جزيرة مدغشقر في يناير 2007.

وفي غزة، كما في مصر، فإن الإخوان يملكون عدة شركات لبيع الأثاث، والسيارات، والأجهزة الكهربائية، ودكاكين ملبوسات وأدوات كهربائية وكمبيوترات. وقد اعترف أعضاء حماس الذين اعتقلتهم السلطة الفلسطينية بأنهم يديرون شركات تملك ملايين الدولارات.[17] يقول الدكتور فضل في كتابه "قميص غزة":

> إن الإخوان قد أنشأوا التنظيم العالمي الذي يسيطر على منظمات الإغاثة وعلى الجامعات.

ويقول كذلك:

> إن إمبراطورية الإخوان إمبراطورية عالمية أغنى من بعض الدول.

فالإخوان المسلمون التي بدأت بتبرعات الأعضاء، كيف استطاعت أن تجمع أموالاً تفوق موازنات بعض دول العالم الثالث إذا لم يكونوا متعاونين مع الأنظمة العربية الحاكمة، خاصةً في الخليج، ومع المنظمات الإسلامية الأخرى، التي هي وليدتها على أي حال؟ ثم ماذا يصنع الإخوان المسلمون بكل هذه الأموال؟ هم يستعملون هذه الأموال في الآتي:

1- بناء المساجد والصرف على أئمتها الذيم يتدربون على غسيل أدمغة الشباب لتجنيدهم في المنظمات الإرهابية. وقد أثبتت الشرطة البريطانية أن ثلاثة من الشباب الباكستانيين الذين فجروا البصات (الحافلات) وقطارات المترو بلندن عام 2005 كانوا من رواد المسجد الذي يؤمه أبو قتادة الفلسطيني الأردني.

2- الصرف ببذخ على اتحادات الطلاب الإسلامية بالجامعات الغربية لكي يتسنى لهم تجنيد الطلبة في منظمتهم. أجرت منظمة *Centre for Social Cohesion* البريطانية مسحاً في الجامعات البريطانية ضم عينة من 1400 طالب مسلم. 32 % منهم قالوا إن القتل من أجل الدين يمكن تبريره. 59 % قالوا على المرأة لبس الحجاب. 40 % قالوا إن الشريعة الإسلامية يجب أن تكون متضمنة في القوانين البريطانية. 33 % قالوا إنهم يؤيدون رجوع الخلافة. 68 % قالوا إن الإسلام والديمقراطية لا يتعارضان. 40 % عارضوا الاختلاط. هؤلاء الطلبة الذين تربوا في إنكلترا وتعلموا بها قد غُسلت أدمغتهم بواسطة جمعيات طلابية تمولها المنظمة، وكما يقول الدكتور فضل، منظر "الجهاد" إن الجماعة قد أنشأت التنظيم العالمي الذي يسيطر على الجامعات.

واستعانت الجماعة بأنظمة الحكم الخليجية التي دفعت تبرعات سخية للجامعات الأوروبية واستطاعت بواسطتها أن تتغول على حرية التعبير بين الأساتذة في تلك الجامعات، فأصبحت الجامعات تحظر أي نقاش قد يسبب حرجاً للمسلمين، كما يقول أدريان مورغن في موقع Centre for social cohesion. وكنتيجة لهذا الغسيل الدماغي يوجد الآن في هولندا **حوالي عشرة آلاف شاب ملتحين يرفضون مصافحة النساء**، ونساؤهم يرتدين البرقع. تقول إحدى الشابات مغسولة الدماغ:

> "أنا ألبس البرقع بدون أن يجبرني أحد بينما المرأة في المجتمع الغربي مضطهدة لأن المجتمع يتوقع منها أن تظهر جسدها ليحكم عليها من مظهرها الخارجي."[18].

وكأنما هي لا يحكم عليها الإسلاميون من مظهرها الخارجي. الشخص الذي يُغسل دماغه يصبح ببغاء يردد ما أملاه عليه مدربوه دون أي تفكير.

3- إنشاء جمعيات عديدة للتأثير على صانعي القرار السياسي. فمثلاً في إنگلترا أنشأ كمال الهلباوي مؤسسة المجلس البريطاني الإسلامي الذي انخدع به رئيس الوزراء *واعتبره الممثل الشرعي للمسلمين المعتدلين*، فأصبح يستشيرهم في كل كبيرة وصغيرة تخص الإسلام. وهم يفعلون ذلك لأنهم يعرفون أن الحكومات لا تتعامل مع الأفراد مهما كانوا معتدلين وإنما تتعامل مع المؤسسات. هذا التنظيم اكتسب ثقة الحكومة واستغل أفراده هذه الثقة لتنفيذ برامجهم. فمثلاً ألّف تميمي، الناطق الرسمي باسم المجلس الإسلامي، كتاباً عنوانه:

"راشد الغنوشي، ديمقراطي بين الإسلامويين" Rachid Ghanouchi, Democrat Within Islamism.

وطبعاً راشد الغنوشي يبعد عن الديمقراطية بعد الشمس عن الأرض، وهو المطلوب في تونس والمحكوم عليه بالسجن المؤبد عام 1992 عندما هرب إلى مصر ثم إلى السودان في استضافة الشيخ حسن الترابي الذي استضاف قبله أسامة بن لادن والإرهابي كارلوس الأرجنتيني. ولكن الفكرة من الكتاب هي إقناع الحكومة البريطانية باعتدال راشد الغنوشي الذي تحاول الحكومة طرده من البلاد.

وأنشأ تميمي كذلك *The Institute for Islamic Political Thought* ويقيم هذا المعهد محاضرات يدعو لها السياسيين وصناع القرار **ويكون المتحدثون في الندوات من الإخوان المسلمين الذين يستعملون الخداع ويقولون للسياسيين إنهم يؤمنون بالتعددية والديمقراطية، وكل القيم الغربية، بينما يخططون للخلافة التي لم تسمع بالديمقراطية**. وقد أثبت الإخوان هذه الحقيقة عندما كان النائب البريطاني جورج گالوي، الصديق الحميم للفلسطينيين وللمقبور صدام حسين، مجتمعاً مع بعض المسلمين في دائرته الإنتخابية في محاولة منه لكسب أصواتهم في الإنتخابات عام 2005، فهجمت مجموعة من الشباب المسلم المسلحين بالمدي والسواطير على الاجتماع وقالوا للمجتمعين:

> إن الديمقراطية بدعة، وكل من يشترك في التصويت مرتد.

اكتشفت الشرطة بعد التحقيق أن المهاجمين ينتمون إلى حزب *التحرير*، أحد أذرع الإخوان المسلمين. وأعضاء هذا الحزب هم الذين غيروا اسم لندن إلى "اندستان" وصرح أبو عز الدين، أحد قيادي الحزب بلندن:

> أن هدفهم رفع علم الإسلام على مكتب رئيس الوزراء وعلى قصر ملكة إنگلترا.

---

[17] الشرق الأوسط، 2008/12/6.

[18] آفاق 2009/4/4.

4- إنشاء مواقع عدة على الإنترنت لتجنيد الشباب في المنظمة وأسلمة الشباب غير المسلمين. وهناك آلاف المواقع التي تدار من إنگلترا لهذا الغرض **وتملأ صفحاتها التصريحات المضادة للديمقراطية والتعددية**. فمثلاً في موقع "Islambase" نجد مقالاً لأبي حمزة المصري، يقول فيه:

"حاربوا غير المسلمين حتى يسلموا أو يعطوا الجزية وهم صاغرون"، ويدعو إلى إقامة الخلافة وقتل المسلمين العلمانيين.

وفي نفس الموقع هناك مقال باسم الأردني أبو محمد المقدسي:

يحثهم على الجهاد وتجاهل من ينتقدهم وقتل أعداء الله.

أما أبو عز الدين فيقول:

هل أنا مسلم بريطاني؟ طبعاً لا، لأن المسلم البريطاني هو الذي يكون ولاؤه للملكة وللضمان الاجتماعي، أما المسلم الحق ولاؤه لله والنبي والمسلمين.

5- إنشاء المدارس التي تعلم الأطفال الأصولية. يقول عمر بكري، الهارب من إنگلترا، في تسجيل صوتي على نفس الموقع بتاريخ 2008 /4/12

"يجب تربية الأطفال ليكونوا قادرين على نشر الإسلام بالدعوة والجهاد" (Centre for Social Cohesion).

فمنظمة الإخوان المسلمين سوس ينخر في أساس المجتمعات الغربية كي تنهار وتقوم فوق أنقاضها الخلافة الإسلامية التي لم تقدم للعالم الإسلامي أي شيء إيجابي على مدى ألف وأربعمائة عام. وطبعاً موضوع الخلافة بالنسبة لهم ما هو إلا واجهة يختفون خلفها.

والهدف الرئيسي لحملتهم هو جلوسهم على كراسي الحكم الوثيرة
وقتل وأسر من لا يسلم وسبي النساء البيض حتى يستمتعوا بما ملكت أيمانهم.
إنهم بلا شك أساطين النازية الجدد.

عودة إلى الفهرس

2009 / 5 / 10

156 - من هو كامل النجار

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=171443

ليس من الضروري للقاريء أن يرى صورة الكاتب أو يعرف تفاصيل حياته الشخصية ليحكم على ما يكتب، بل بالعكس، فإن نشر صورة الكاتب قد يأتي بنتائج غير مستحبة، فمثلاً نشر صورة فتاة جميلة تحت عنوان المقال تجذب القاريء الذكر إلى قراءة المقال ولكنها قد تقود إلى عدم التركيز على القراءة، وربما استحسان المقال وإن لم يكن بالضرورة حسناً. كما أن صورة تفضح قميء الكاتب قد تجعل القراء ينصرفون عن قراءة مقاله. ولو عرف القاريء الإسلامي، مثلاً، أن كاتب المقال شيوعي، فقد لا يقرأ المقال.
يجب أن يكون القاريء متأثراً فقط بمحتوى المقال، دون أن تكون بذهنه أي صورة للكاتب حتى يستطيع أن يحكم على ما يقرأ دون أي تأثيرات عاطفية. فمثلاً نحن نقرأ شعر الحطيئة والمتنبي وجرير والفرزدق، ونعجب به أيما إعجاب دون أن نرى صوراً تعرّفنا بهم.
ويقال إن النعمان بن المنذر، ملك الحيرة، سمع الكثير عن المُعيدي الذي كان لصاً ظريفاً أصبح حديث المدينة لتفننه في التلصص وذيوع صيته بين الناس، فأرسل في طلبه. فلما قدم عليه المعيدي، استحقره النعمان لأنه كان دميم الخلقة، وقال:

"تسمع بالمعيدي خيرٌ من أن تراه"

فأصبحت مثلاً. ولكن المعيدي كان لبقاً وذكياً، فرد على المنذر بقوله:

أبيت اللعن! إن الرجال ليست بجزر تُجزر، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه[1].

فأفكار الكاتب التي تمثل قلبه، وأسلوب عرضه لأفكاره التي تمثل لسانه، هو كل ما يحتاجه القاريء.
ولكن منذ سنوات يعلق بعض القراء بأني قبطي، ويقول آخرون بأني صهيوني أو مأجور للصهاينة، وما إلى ذلك. وأظن أن أغلب القراء يعرفون أني **لا ديني، أي ملحد**، ولو قررتُ في يوم من الأيام أن اعتنق ديناً فسوف يشرفني أن أنتمي إلى الأقباط الذين عانوا الأمرين من عمرو بن العاص وجند الله الصحراويين وأحفادهم، وما زالوا يعانون، ومع ذلك هم مسالمون *لأن النص المقدس في المسيحية لا يحث على العنف والإرهاب، بل يحث على إدارة الخد الآخر لمن يصفعنا، بالعكس من النص المقدس الإسلامي الذي يغري مَن يرتكب العنف بجزاء وفير في جنة الفردوس.*
ما كنت لأكشف بعض المعلومات عن نفسي بعد أن امتنعت عن ذلك كل هذه السنين، لولا تعليق أحد الكتاب والذي كنت أعتقد حتى وقت قريب أنه كاتب موضوعي وعلماني لا يهتم بمعتقدات الآخرين. ولكنه أدهشني حينما قال بثقة العارف ببواطن الأمور:

إنه لا يستغرب هجوم كامل النجار على الإسلام لأن كامل النجار قبطي.

فهو جزم على شيء لا يعرفه، فهل يمكن أن نثق فيما يكتب؟

لسان الإنسان أو قلمه يفضح شخصيته أكثر مما تفعله الصورة الفوتوغرافية.

يقال أن أحد العلماء الكبار ببغداد كان ضريراً واعتاد أن يجلس في المسجد بعد صلاة العصر يعظ المستمعين له الذين يلقون عليه الأسئلة ويتحاورون معه. وفي يومٍ من الأيام كان بمجلسه والناس يتحدثون إليه، وفجأة صمتوا عندما دخل عليهم رجل وسيم يبدو عليه الوقار في ملبسه ومشيته. ولما طال صمتهم سأل العالم مَن كان بالقرب منه عن السبب وعلم بدخول الرجل الوقور. فقال العالم الضرير للزائر: **تحدث حتى أراك**.

فحديث الكاتب أو كتابته مقالاً يجعلنا نراه بوضوح أكثر مما تتيحه لنا الصورة.

ويذكرني تعليق ذلك الكاتب بقصة الإمام الشافعي الذي كان يعاني من الروماتزم بمفاصل ركبتيه، وكان عندما يجلس ليعظ الناس يمد إحدى رجليه بالتناوب. وفي يوم من الأيام دخل عليهم رجل يبدو عليه وقار العلم، فجمع الشافعي رجله الممدودة احتراماً لعلم الرجل. وعندما فتح الرجل فاه وتحدث، سأل الشافعي: متى تكون صلاة العشاء قضاءً؟ فرد عليه الشافعي بأن صلاة العشاء لا تكون قضاءً حتى مطلع الفجر. فقال له الرجل: وإذا لم يطلع الفجر؟ فقال الشافعي: لقد آن للشافعي أن يمد رجله.

على العموم، وحتى لا يتخبط المعلقون، فإن كامل النجار كان مسلماً في صغره وشبابه، وقد تربى في بيئة دينية وارتاد مدارس تحفيظ القرآن في الصغر، وأصبح عضواً بجماعة الإخوان المسلمين في المرحلتين الثانوية والجامعية. وبعد أن تخرّج في الجامعة طبيباً، ظل يحافظ على الصلاة والصيام. ثم رحل إلى إنگلترا للتخصص في الجراحة، *فتبين له الفرق الواضح كالشمس بين نفاق وكذب المسلمين وغرورهم الأجوف بدينهم الذي يُحرّم التواصل مع غير المسلمين، بل يحثهم على العداء لهم، وبين لطف وحضارة الإنگليز واحترامهم للمخالف*، تماماً كما قال الشيخ الوهابي عائض القرني حديثاً عندما ذهب إلى باريس للعلاج وأدهشه تهذب الفرنسيين واحترامهم له وبشاشتهم في وجهه.
تدريجياً بدأ كامل النجار يبتعد عن الإخوان المسلمين وعن الإسلام عامة.

> ***وكانت القشة التي قصمت ظهر البعير هي الفترة التي قضاها بالمملكة العربية السعودية، عندما عمل جراحاً بها لعدد من السنين.***

في السعودية لا يقوم الفرد المسلم بأداء الفرائض طواعيةً وحباً لدينه، إنما *خوفاً من المطوعين* الذين يجلدون ظهور الناس في الأسواق وقت الصلاة ويجبرون أصحاب المتاجر على إغلاقها حتى يحتشد الجميع في المساجد، خاصة يوم الجمعة، وكأنه يوم الحشر. وفي المسجد يصم آذان المصلين المجبرين، والمرضى بالمستشفيات وفي البيوت، صوت الإمام وهو يقرأ {**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**}.
فهل هناك نفاق أكثر من هذا. رأى كامل بأم عينه رجلاً أوروبياً كان يدخن سيجارة في السوق في رمضان، وربما كان الرجل حديث العهد بقوانين المملكة وإلا لما تجرأ أن يدخن، وفي لحظات انهالت عليه عصي المطوعين الذين ظهروا في لحظات من حيث لم نحتسبهم. ويقولون لنا {**ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة**}.
سمع النجار الملك خالد يتحدث في التلفزيون في الثمانينات من القرن المنصرم عندما بدأ شبح متلازمة نقص المناعة المكتسب (الايدز) يهدد العالم. فقال الملك خالد دون أن يطرف له جفن:

[1] شرح ديوان ابن الفارض، للبوريني والنابلسي.

"الحمد لله احنا دينا وعاداتنا وتقاليدنا تحمينا من هذا المرض لأنه ما عندنا الممارسات التي تجلب المرض."
وكان طبعاً يعني اللواط. ولا أظن أن هناك شخصاً في العالم كله، ناهيك عن العالم العربي، لا يعرف مدى تفشي اللواط في المملكة وفي الخليج عامةً، وخاصةً سلطنة عُمان. وقد انتشر الايدز بالمملكة الآن بالرغم من مزاعم الملك. ورأى النجار الغش والخداع في المعاملات التجارية وخاصةً في حراج السيارات المستعملة. ورأى ما صنعوا بالمرأة السعودية رغم ترديد مقولة *إن الإسلام أكرم المرأة*.

كل هذا النفاق جعل كامل النجار يشك في وجود إله في السماء يمكن أن ينزل ديناً لحمه وسداه النفاق والتناقض بين القول والفعل. وكما قلت، كانت هذه هي القشة التي قصمت ظهر البعير، فتحول كامل النجار إلى ملحد ينكر وجود إله في السماء. وبالضرورة لم يعد النجار يؤمن بالإسلام ولا بالمسيحية ولا اليهودية، وطلّق تنظيم الإخوان المسلمين طلاقاً بائناً لا رجعة فيه.

متزوج وله أولاد لا يعتنقون أي دين، ولهم مطلق الحرية في الاعتقاد. فلا يهم كامل النجار معتنق الإنسان بقدر ما يهمه سلوك ذلك الإنسان وحبه للغير وتسامحه مع المخالفين له، واعتناقه فلسفة: **عش واترك غيرك يعيش**.
صنّف كامل النجار ثلاثة كتب باللغة العربية وهي: دراسة منهجية للإسلام، والدولة الإسلامية بين النظرية والتطبيق، وتأملات في القرآن. نُشر الكتابان الأولان على الإنترنت وكذلك في نسخة ورقية. وصنّف كذلك كتاباً باللغة الإنكليزية عن الإسلام وعنوانه:
Islam –Misogyny & Intolerance

وبالعربية هو: الإسلام – كراهية النساء وعدم التسامح.
ويعمل كامل النجار حالياً إستشاري في الجراحة بإنگلترا. وهذا هو كامل باختصار.

عودة إلى الفهرس

157 - مع القراء مرة أخرى

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=172126

بعد أن أقدم شكري إلى جميع القراء الذين أثنوا على مقالي الأخير، أود أن أعقب على بعض التعليقات التي تعرضت إلى نقد أو معارضة ما جاء في المقال، وبعض الردود التي قدم أصحابها أسئلة موجهة لي.

- بعد تعليقة الأول المؤيد، وخارجاً عن مضمون المقال يعلق الأخ إسماعيل الجبوري عن غياب المرأة في قائمة المعلقين، فيقول:

> "ولكني أستغرب لم أر ولو امرأة واحدة ضمن هذا العدد من المعلقين ولا سيما وأن الكثير من بحوث ومقالات النجار تدافع عن مظلومية المرأة في الإسلام. ال هذا دليل علة أن المرأة المسلمة تقدس عبوديتها التي كرمها عليها دين محمد؟"

✍ وفي الحقيقة قد علقت السيدة أم محمد ولم تبخل على شخصي بالثناء، وكذلك علقت السيدة جوليا روبرتس، وهي الأخرى كانت كريمة جداً بالإطراء. وتبعتهما الشاعرة والناشطة في مجال حقوق الإنسان، السيدة بلقيس حميد حسن. ولكني عموماً أتفق كلياً مع الأخ الجبوري في غياب المرأة عن الإدلاء بالرأي في المقالات التي تُنشر وفي المجالات الثقافية العديدة. وقد كتبت في مرة سابقة أن خمس وستين في المائة من عينة من نساء مصر في أحد الاستطلاعات الصحفية قلن إنهن لا يوافقن أن تكون المرأة رئيسة جمهورية. وهذا يثبت ما يقوله علماء النفس من أن الطفل إذا وُبخ كثيراً وكال من كان حوله عليه اللوم، يفقد ذلك الطفل ثقته بنفسه ويشكك في مقدرته على إنجاز أي شيء مفيد، ويصبح عنده ما يُسمى ب Low self esteem[†] أي يصبح قليل الاعتزاز بالنفس. والمرأة المسلمة، بعد قرون من الاضطهاد واتهامها بنقصان العقل والدين أصبحت تعاني من قلة الاعتزاز بنفسها وببنات جنسها، بينما أصبحت المرأة الغربية رئيسة وزراء ورئيسة جمهورية ووزيرة دفاع ورائدة فضاء. *وهذا هو تكريم الإسلام للمرأة.*

[†] تبخيس الذات

- السيد أحمد خيري يقول في تعليقه:

> "ولكن دعنى سيدى اناقشك فى بعض مما تقوله فانت و كثير من الاصدقاء الملحدين دائمى الربط بين الاديان و الله و لا اعلم لماذا هذا الربط التعسفى فسمة ايمان لا دينى قائم على العقل فقط فالايمان باله مفارق لا يتدخل فى الكون وقوانينه تهدم الاسس الفلسفيه لنظريتك للاله و لكنى لا ادعوك للايمان بالله فقطعا انت حر فى قناعاتك و لكنى فقط اود ان تتخلى عن منطلقاتك الدوغمائيه و ان تطلق افاق عقلك لاعلى و ان تتجرد من اى ترهات ايدولوجيه و ان تتحلى بالموضوعيه فى النقد التى للاسف تغيب عنك رغم حسن نيتك التى احسبها كذلك." انتهى.

✍ أنا لم أسمع ولا مرة واحدة بشخص لم يربط الدين بالآلهة، فالأديان لم تنشأ إلا بعد أن شعر الإنسان بالخوف من مظاهر الطبيعة التي لم يفهمها وأراد قوة ميتافيزيقية تحميه من تلك القوة الطبيعية التي تهدده بالموت والدمار. ثم أتت فكرة الخلود والحياة بعد الموت التي يطمح إليها الإنسان. وبالطبع إذا مات الإنسان فلا بد له من إله يحييه بعد الموت لينعم بالخلود بعد ذلك. فالأديان دائماً مرتبطة بالإله. ولكن العكس صحيح، فهناك من الفلاسفة من قال بوجود إله لكنه لم يبعث الرسل والأنبياء وهو لا يتدخل في حياة الناس. ولكن مثل هذا الإله لا معنى لوجوده، كما قال السيد مختار ملساوي في تعليقه. وإذا آمنا بمثل هذا الإله فيجب أن نسأل أنفسنا: لماذا إذاً خلق هذا الإله العالم والمخلوقات؟ هل كان قرار الخلق قراراً عشوائياً اتخذه الإله في ساعة سأم ثم نفض يده عن مخلوقاته، أم أنه خلق المخلوقات بقرار مدروس، ولكن بغرض التسلية فقط حتى يتفرج على مخلوقاته لقتل الوقت ومنع السأم؟ مثل هذا الإله يصعب على العقل تقبله.

- السيد سلام الشمري يقول في تعليقه:

> "ان التسمية التي يطلقها اعداء التنوير عليكم هو كلمة ملحدين وهم يقصدون بها ما معناه لاديني لكن هذه الكلمة تعني عموماً عدم الايمان بالاديان السماوية اي ان المتهم بها قد يكون وثنيا لكنه ليس بالضرورة غير مؤمن بمفاهيم الغيب والكلمة لاتغطي هذا الجانب بالضرورة وهي تعني فقط الانحراف عن الدين الحق. مالا افهمه هو قبولكم بهذه الصفة وتسمون انفسكم بها رغم عدم انطابقها على ماتريد ان تصف نفسك به وكلمة لاديني ايضا غير كافية فهي تشمل المارقين عن الدين عندا وليس بالضرورة اقتناعاً او من يحمل كراهية للدين لسبب ما ان افضل صفة وجدتها في اللغة تحمل معنى عدم الايمان بالغيب هي كلمة دهري (من الدهر) وقد استخدمها الجاحظ عدة مرات وتعني الايمان بأن الدهر(الزمن) والتربة(المادة) قديمان منذ الأزل ولم يوجدا بفعل مسبب او خالق اليست هذه الكلمةاصح بدل كلمة ملحد القبيحة." انتهى.

✍ ومع احترامي الكثير لما قاله السيد سلام إلا أني لا أتفق تماماً معه. ففي الحقيقة أن كلمة "ملحد" مشتقة من الفعل "لحدَ" الذي له معاني كثيرة، منها "لحدَ الميت"، أي دفنه. واللحد هو الشق الذي يُحفر في جانب القبر لدفن الميت، وسُمي اللحد لأنه في جانب القبر وليس في وسطه، بمعنى آخر أن الشق حاد عن الوسط أي تجنب الوسط. والعرب تقول: "لحد السهم"، إذا أخطأ هدفه أو حاد عنه. ولحد الإنسان عن الدين، مال وحاد عنه وطعن فيه. والملحد هو الكافر بالدين والمائل عنه. وكانت هناك فرقة اسمها "الملاحدة" وهم كفار بدين الإسلام، سموهم فيما بعد ب **"الدهريين"**. وكلمة "الدين" تشمل كل معتقدات الإنسان. فالوثنية دين مثلها مثل دين الإسلام أو البوذية، لأن الوثني يؤمن بصنم أو طوطم أو بأرواح أحفاده التي يعتقد أنها تنفعه أو تضره. فكل اعتقاد هو دين، **وكل دين يؤمن أتباعه بالغيب وبالمعجزات**. ولذلك لا أرى غضاضة في أن يسمى الإنسان الذي لا يؤمن بالأديان "لا ديني" لأنه إذا رفض الأديان فهو يرفض مصدر الأديان، وهو الآلهة. والدهري الذي يؤمن بأن الدهر لا خالق له، يرفض الآلهة وبالتالي يرفض الأديان. فالكلمتان لا فرق بينهما في مفهومي. وكذلك لا أرى مانعاً من استعمال كلمة "ملحد" لنفس الشخص.

- القاريء جاسم والقاريء محمد عبد القادر الفار لفت نظرهما قولي: «لو قررت في يوم من الأيام أن أعتنق ديناً فسوف يشرفني أن أنتمي إلى الأقباط». يقول السيد جاسم:

> "أنت حر فيما تعتنق لكن أليس هذا فخ وقعت به؟ ثم يضيف: ولا أعرف من أين جاء بالدليل على انتشار اللواط بسلطنة عمان." انتهى.

✍ أولا: الحرف "لو" هو حرف امتناعٍ لامتناع، أي بمعنى آخر، امتنعت النتيجة لامتناع الفعل. ونجد في القرآن: {**يود أحدهم لو يُعمّر ألف سنة**. (البقرة 96)}. وكذلك: {**وقال الذين كفروا لو أنّ لنا كرةً فنتبرأ منهم**. (البقرة 167)}. فالحرف "لو" استُعمِل هنا للمستحيل، فلا يمكن أن يُعمر الإنسان ألف سنة، ولا يمكن أن تكون لهم كرةٌ أخرى بعد الموت.ويمكنني أن أقول: لو كنتُ الله لما خلقت الإنسان. وطبعاً يستحيل أن أكون الله (لأنه لا وجود له). وبالتالي عندما قلت: لو قررت أن أعتنق دينا، فهذا يعني أنه ليس في نيتي أن اعتنق ديناً. فليس هناك أي فخ لأقع فيه. ولكني اعتقد أن المسيحية أفضل من الإسلام للذين يعتنقون الأديان *لأن نصوصها المقدسة لا تشجع على العنف بينما الإسلام يحض عليه*. أما بالنسبة لموضوع اللواط في السلطنة فيكفي السيد جاسم ظاهرة "أولاد السلطان" المعروفة بمسقط. وإذا أراد دليلاً آخراً فنسوق له الآتي:

''والانحراف الجنسي موجود اليوم بابشع صوره في سواحل الخليج الفارسي في جهتيه الايرانية والعربية. وتعد مسقط مركز هذا الانحراف. وهناك يجوز لرجل ان يتزوج رجلاً آخر ويعاشره معاشرة الازواج. ويقال عن الرجل المزفزف انه " إنستر".''[1].

- أما السيد محمد عبد القادر الفار فيضيف:

''ولكن أن يتشرف بأن يكون مسيحياً وهو يقول بأنه لاديني ،، لا بل وأن يثني على إنسانية المسيحية ونصوصها ،، فهذه تضع علامة استفهام كبيرة جداً على لا دينيته !! المسيح -بفرض وجوده- لو كان فعلاً إنسانياً كما قلت وكان ممتثلاً لادعائه عن الخدود والاتجاهات - والذي لا تخلو سيرة محمد نفسه من مثيلاتها من المزينات- لكفر أول ما كفر بالعهد القديم الإجرامي ودعا إلى الكفر به ،،، لكنه بفرض وجوده كان إما منافقاً أو جباناً لا يتشرف إنسان يقدس اللاعنف وحقوق الإنسان باتباعه -هذا أصلاً إذا قبل الإنسان اللاديني الذي يفترض أنه حر ومتحرر بأن يكون من القطعان المتبعة لرعاة القطعان'' انتهى.

✍ أقول للسيد عبد القادر الفار: إذا كان هناك شيء جميل في أي معتقد ديني أو فلسفي يجب علينا الاعتراف به حتى وإن لم نكن من أتباع ذلك المعتقد. المسيح جاء في قوم كانوا يعتنقون اليهودية، وتربى كيهودي بينهم، فلم يكن من الممكن له أن يهاجم اليهودية إذا كان في نيته كسب الناس إلى دينه الجديد، تماماً كما فعل محمد عندما اعترف بكل الأنبياء وقال إن قرآنه أتى ليكمل ما سبقه من الكتب. ولكن رغم ذلك قال المسيح لأتباعه: {**سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. 39 وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضاً. 40 وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضاً. 41 وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِداً فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ. 42 مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ.** (إنجيل متى، الإصحاح الخامس)}. فالمسيح هنا رفض مفهوم العين بالعين والسن بالسن لاحتوائه على عنف غير مبرر، ورفض كل حروب وغزوات أنبياء اليهودية بدعوته وممارسته للسلم، وهو بالتالي قد رفض تعاليم التوراة. والسيد المسيح لم يكتب الأناجيل ولم يضف العهد القديم إلى كتاب الأناجيل، وإنما فعل ذلك أتباعه.

ثم يستمر ويقول:

''كشخص لاديني ،،،إذا اضطررت أن أتبع ديانة ما فلا بد أنني سأنأى بنفسي أول ما أنأى عن كل الديانات الإبراهيمية وفروعها وأي شيء يمت لها باي صلة ،، ولن أجد أفضل من وصايا الملحد النبيل بوذا ،، مع تحفظي على اعتبار البوذية ديانة أصلاً.'' انتهى.

ونسأل السيد عبد القادر الفار: كيف يكون بوذا ملحداً وهو يدعو إلى دين قد اعتنقه أكثر ممن اعتنق الإسلام وهو نفسه أصبح إلهاً للبوذيين؟ والشخص إذا اضطر تحت تهديد الموت فسوف يعتنق أي ديانة تُفرض عليه، سواء أكانت إبراهيمية أو فلسفية. أما أنا فلن أختار الديانات الإبراهيمية ولا البوذية.

ويسأل السيد عبد القادر الفار:

''هل رأى أي منكم بوذياً يفجر نفسه في الجيش الصيني عند احتلال الصين للتبت ؟؟ هل يستطيع بوذي أن يقتل ثم يقول أن قتلت لأنني أحب بوذا وبدافع حبي له واتباعي له قتلت ... لقد كان بوذا مخلصاً بشكل تام لنهج اللاعنف وكان عنده أولوية لا أولوية قبلها ... فاستحق لقب النبيل ... أما المسيحية فحدث عنها ولا حرج !!'' انتهى.

وأنا اتفق معه أن الديانة البوذية ديانة مسالمة في الغالب، ولكن لكل قاعدة شواذ، فقد أطلقت جماعة شوكو أوساكارا البوذية الغاز السام في قطارات طوكيو في فبراير 2004 وقتلوا اثني عشر شخصاً وأصابوا 5500 آخرين، وحكم على زعيمهم بالإعدام[2]. وإذا كان بوذا مسالماً فكذلك كان المسيح، بعكس محمد الذي كان يملك تسعة سيوف وعدداً من الدروع والحراب.

وبدون أي اقتباس من مقالي الذي كان للتعريف بنفسي، يقول السيد عبد القادر:

''أما التكرار المعتاد للبرهان الطفولي عن أن الغرب طالما كان متحضرا وكان الشرق متخلفا فلا بد أن عقيدة الغرب الدينية هي السبب وعقيدة الشرق الدينية هي السبب (مع اشمئزازي من العقيدتين) فهو أسلوب يتجاهل كافة البنى التحتية للمجتمعات والتي قد ينتج عنها في ما ينتج ما يجعل هذا راقياً لطيفاً وذاك جافاً غليظاً ... ولا يصلح كدراسة علمية بل كوعظ في كنيس أو كنيسة أو مسجد أو حسينية أو أي صومعة من صوامع الكذب والزيف المنتشرة في أنحاء العالم.'' انتهى.

ما هي البنى التحتية التي أدت إلى تخلف الشرق غير الدين الإسلامي الذي ألغى العقل وحصر التفكير في الحيض والنفاس والوضوء والفتاوى؟ هل يستطيع السيد عبد القادر أن يأتينا بسبب آخر غير ما يزعمه الإسلاميون من أن الاستعمار هو الذي خلّفهم، مع أن الاستعمار لم يحدث إلا في القرن التاسع عشر بينما هم متخلفون منذ أن غزاهم الإسلام؟ ثم أن الغرب لم يتقدم بسبب عقيدته الدينية، ولم يقل أي أحد بذلك، بل بالعكس فهو لم يتقدم إلا بعد أن فصل الدين عن الدولة. أما "التكرار المعتاد للبرهان الطفولي" الذي قال به السيد عبد القادر فلا بد أنه من ممارساته هو إذ أنا لم أكرر أي برهان طفولي، ولم أقل إن الغرب قد تقدم بسبب معتقداته.

- السيد أحمد خيري يعود مرة أخرى ليرد على الأخ مختار ملساوي الذي قال له إن وجود إله لا يتدخل في مشاكل العالم يعني أن هذا الإله وجوده مثل عدمه، فرد السيد أحمد خيري بقوله:

''هذه ليست بالفكرة الجديدة فسبق أن طرحها المعري والرازي والراوندي وفولتير وروسو والربيون عموماً.'' انتهى.

✍ أولاً: المعري لم يقل إن السماء تحتوي على إله محايد لا يتدخل في شؤون الكون. المعري أنكر وجود الإله بالمرة عندما قال:

ضحكنا وكان الضحكُ منا سفاهةً　　وحقَّ لسكان البسيطة أن يبكوا
تحطمنا الأيام كأننا زجاجٌ　　ولكن لا يُعادُ لنا سبكُ

وقال كذلك:

أفيقوا أفيقوا يا غواةُ فإنما　　دياناتكم مكرٌ من القدماء

فهو هنا يقول إنه لا يوجد إله ليسبكنا بعد الموت كما يسبك الزجاج المكسور وإن الديانات ليست من السماء. فهو لم يذكر إلهاً محايداً لا يتدخل في شؤون العالم. أما ابن الراوندي فلم تصلنا إلا مقتطفات من كتبه الثلاثة: "الزمرد" الذي انكر فيه النبوة، و "الدامغ" الذي انتقد فيه القرآن، وكتاب "فضيحة المعتزلة" بعد أن تخلى عن الاعتزال. وهو لم يناقش وجود الإله بتاتاً في هذه الكتب وإنما أنكر الرسل والأنبياء حينما قال:

''إنْ الرسول أتى بما كان منافراً للعقول مثل الصلاة وغسل الجنابة ورمي الحجارة والطواف حول بيت لا يسمع ولا يبصر، والعدو بين حجرين لا ينفعان ولا يضران، وهذا كله مما لا يقتضيه عقلٌ، فما الفرق بين الصفا والمروة إلا كالفرق بين أبي قبيس وحرى، وما الطواف على البيت إلا كالطواف على غيره من البيوت''[3].

وأعتقد أن ابن الراوندي كان إلهه عقله فقط، ولا إله فوقه.

- أما السيد محمد الخليفة الذي ركب الطائرة من الرياض إلى لندن ليقتني كتبي،

✍ فلا أستطيع أن أقول له غير:

---

[1] علي الوردي، مهزلة العقل البشري، ص 10.
[2] الشرق الأوسط 2006/9/16.
[3] تاريخ الإلحاد للدكتور عبد الرحمن بدوي.

"كل مشقة في سبيل العلم هي جهاد بالقلم لنشر نور العقل بدل نشر دين الإسلام بالسيف. وجزاء الجهاد العلمي هو دخول جنة العقل اللا متناهية."

أشكرك على جهادك الكبير وأتمنى لو أني عرفت قبل سفرك لأرسلت لك الكتابين إلى عنوانك بالرياض (إذا سلما من مقص الرقيب على صناديق البريد).

- السيد حسين عبد الله نور الدين يسألني إن كنت أعتقد أن أغنية "لا تكذبي" لكامل الشناوي كانت تلميحاً لقصة عائشة في حادثة الإفك.

✍ ورغم تشابه مضمون القصتين إلا أني اعتقد أن القصيدة لا تنطبق على عائشة لأن عائشة سرحت في الخلاء ليلاً لقضاء حاجتها ولم يكن القمر بازغاً وقتها ولم يكن أديسون قد اكتشف المصباح الكهربائي وقتها، ولذلك لا أعتقد أن محمد قد رآها وعيناها في عينيه، في، خديه، في شفتيه، الخ.

- أما السيد نادر قريط فيقول في الثناء على محمد عبد القادر الفار:

"فرغم شبابه اليافع إلا أنه برهن على تجربة عظيمة غنية تفوق بعض - عواجيز - الكتابة ومن قلعوا أضراسهم."

✍ ولن أعلق على مثل هذه الفقرة وأترك الحكم للقاريء.

وفي الحقيقة فإن الفقرة الوحيدة في تعليقة التي تستحق تعليقي عليها هي قوله:

> "سأكون شاكرا لو دلني الكاتب على وثيقة واحدة معاصرة لعمر بن العاص .. أو الوالي الأموي عبدالعزيز بن عبدالملك .. لكني أظن أن روايته وكل معلوماته تتضح من نفس الإناء الذي يشرب منه الأصوليون ومن نفس المجلدات الأسطورية لحدثنا فلان عن فلان .. وهذا الأمر لاتنفع معه رواية الشافعي سواء مدّ رجله أو وضعها على رأسه." انتهى.

أولاً أعراب الصحراء الذين رافقوا عمرو بن العاص إلى مصر المحروسة كانوا أميين لا يعرفون تدوين التاريخ، ولذلك يصعب وجود وثيقة معاصرة له من مصدر عربي، ولكن هناك وثيقة كتبها القس جون، أسقف كنيسة "نيكيو" واسمها Chronicle of John كُتبت بين عامي 693 م و700 م، يقول فيها:

> "إن نير المسلمين أثقل من النير الذي وضعه فرعون على رقاب بني إسرائيل. فعندما تقدم عمرو بن العاص في مصر احتل مدينة بهنسة بالقرب من الفيوم وقضى على كل سكانها. كل من سلّم نفسه لهم قتلوه، ولم يستثنوا العجزة ولا النساء ولا الأطفال. وكان مصير الفيوم هو نفس مصير بهنسة. وفي "نيكيو" فإن كل السكان وضعوا للسيف."[4]

ولا أعلم ما هو دخل الوالي الأموي عبد العزيز بن عبد الملك في هذه القصة. فعمرو بن العاص فتح مصر سنة عشرين هجرية، وأصبح واليها حتى عزله عثمان بن عفان سنة 25 بعد أن اقتحم عمرو الإسكندرية بحجة أنهم تمردوا عليه وقتل ونهب ما استطاع، ولكن الخليفة عثمان لم يصدقه فعزله. وتبعه ولاة آخرون، ثم رجع عمرو والياً على مصر لفترة ثانية في عام 39 هجرية. أما عبد العزيز بن عبد الملك فلم يتول شؤون مصر إطلاقاً، إنما تولاها عبد العزيز بن مروان سنة 75 هجرية، أي بعد أكثر من خمسين عاماً من فتحها، وكان وقتها قد انتهى القتل والدمار الذي سببه عمرو بن العاص.

يقول السيد قريط:

> "وهناك دلالات على أن زوجة هرقل الوصية على العرش البيزنطي بعد وفاة زوجها حوالي 640 قامت بتسليم مصر لأمراء دمشقيين - أمويين .. بدون قتال." انتهى

أولاً نقول للسيد قريط أن مصر فتحها عمرو سنة 20 هجرية، الموافقة لسنة 640 ميلادية في خلافة عمر بن الخطاب، ولم أسمع عن أي مؤرخ قال بغير ذلك. وإذا كانت زوجة هرقل قد أعطت أمراء دمشق مصر فلا بد أنها كانت في مقابل أن لا يهاجم العرب القسطنطينية. وإذا كان هذا هو الحال فلا بد أن الجانبين كتبا معاهدة بذلك. ونحن نعلم أن القسطنطينية كان بها جامعة وأساتذة منذ نشأتها سنة 350 ميلادية. ونحن نعلم كذلك أن حصار المسلمين للقسطنطينية بدأ عام 671 م، أي في ظرف ثلاثين سنة فقط من منحهم مصر. فلو صحّت الرواية التي يقول بها السيد قريط، يكون المسلمون قد خانوا عهدهم مع زوجة هرقل. هل يا تُرى عجز طلاب وأساتذة تلك الجامعة في القسطنطينية عن تدوين أحداث بهذه الأهمية؟ وكنت أتوقع من الكاتب أن يذكر لنا مصادره عن هذه المعلومة، خاصةً وهو كان قد طلب مني وثيقة تثبت أن عمرو بن العاص قد قتل وسبى الأقباط.

وبدون أي دليل يقول الكاتب:

> "لقد كشف الكاتب من خلال جملة واحدة كتبها: جورج جلوي صديق الفلسطينين وصدام المقبور (إنتهى) عن عداء وإحتقار لصداقة الفلسطينين وإعتبارها مثلبة تستحق الإدانة، وهذا برأيي عداء لمبادئ وقيم الضمير." انتهى.

وأظن أن السيد قريط قد حمّل الجملة أكثر مما تحتمل. أنا قلت إن الإسلاميين اقتحموا اجتماع السيد جالوي صديق الفلسطينيين، وصديق المقبور صدام. وصدام قد مات، وكل ميت يُقبر. فما هي الصفة التي يريدني أن أسبغها على صدام؟ هل أقول المرحوم صدام؟ وهو حتماً غير مرحوم بسبب المقابر الجماعية العديدة التي ما زال الشعب العراقي يكتشف المزيد منها. فلو أصبح صدام مرحوماً، وهذا يعني أن الإله قد غفر له، يجب على الناس قبر هذا الإله. كل ما تعنيه الجملة السابقة هو أن جورج جالوي صديق للفلسطينيين ويدافع عنهم وكذلك كان صدام صديقاً لهم، ومع ذلك اقتحم الإسلاميون الاجتماع بدل أن يقدروا صداقة جالوي للفلسطينيين ولصدام صديق الفلسطينيين. وهذه الجملة ليس بها أي عداء للشعب الفلسطيني، ولا لمباديء وقيم الضمير، ولكن بعض الناس يصطادون في الماء العكر.

وأرجو أن يكون الكُتاب الذين خلعوا أضراسهم قد أبانوا بعض الحقائق لمن يصغرهم سناً.

وأعتذر لطول المقال.

عودة إلى الفهرس

[4] Bat Ye'or: Les Chrétientés d' Orient entre Jihad et Dhimmitude, VII-XX siècle. Paris, 1991.
نقلاً عن ابن الوراق ‹لماذا أنا لست مسلماً، ص 220›.

2009 / 5 / 24

158 - الصحوة التي تسبق الموت

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=172889

كان محمد بن عبد الله قد دخل في غيبوبة قصيرة وهو على فراش موته في بيت عائشة، واجتمع نساؤه وبعض أصحابه النافذين حول سريره. واقترح عمه العباس أن يلدّوه (يصبوا دواءً في جانب فمه حتى يسيل على عنقه). فلما ألدوه، أفاق وطلب الحبر والدواة ليكتب لهم كتاباً، ولكنه سرعان ما غاب عن وعيه مرة أخرى ومات. وهذه هي الصحوة التي تسبق الموت. صحوة قصيرة وقد تكون عنيفة في بعض الأحيان.

يمر الإسلام في هذه الأيام بما اتفق غالبية الإسلاميين وغيرهم على تعريفه ب "الصحوة الإسلامية" ولكن بعض الكتاب الليبراليين أعطوا هذه الظاهرة اسم "الإسلام السياسي". وأعتقد أن هذه التسمية قد جانبها التوفيق. فليس هناك، في منظوري، إسلام سياسي وإسلام ديني. الإسلام أصلاً سياسي، بدأه محمد بدافع سياسي هدفَ منه إلى توحيد العرب وخلق مملكة عربية. وأول ما بدأ به كان الغزوات التي سيطر بها على القبائل العربية وكون منها دولته بالمدينة. ثم سيطر خلفاؤه على الدول المجاورة ذات الحضارات العريقة وبنوا عليها الإمبراطورية الإسلامية، وهذه كلها أفعال سياسية لا تمت لأي دين بصلة، إذ الدين دعوة سلمية إلى عبادة الخالق. ثم جاء في القرن التاسع عشر وما بعده من نادى **بأن الإسلام دينٌ ودولة**، والدولة لابد لها من سياسة، وبالتالي تم توكيد أن الإسلام سياسة متقمصة لباساً دينياً. ثم جاء أبو الأعلى المودودي **وقال بالحاكمية لله**، التي تبناها منظّر الإخوان المسلمين سيد قطب، فجعل منها العمود الفقري لحركة الإخوان المسلمين الذين يطالبون بحكم الشريعة الإسلامية، وإرجاع الخلافة التي سوف تصبح التاج على رأس الحركات الإسلامية، ويصبح الإخوان ساسة البلاد. فالإسلام في المدن كله سياسي.

في اعتقادي أن هناك الآن إسلامَين: الإسلام البدوي، والإسلام الحضري. *الإسلام البدوي هو الإسلام الذي يتكون من الأركان الخمسة دون أي رتوش إضافية مِن مَن يسمون أنفسهم "علماء" و"فقهاء".*

> *فالإسلام البدوي الذي تتبعة الغالبية العظمى من المسلمين المعاصرين الأميين الذين يقطنون البوادي والقرى في غالبية الدول الإسلامية مثل ليبيا والسودان والصومال وموريتانيا وبوادي الشام وبوادي الأردن، وغيرها، هو الإسلام الذي لا يعرف متبعوه منه شيئاً غير شهادة أن لا إله إلا الله، و إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان والحج، لمن استطاع إليه سبيلا. فالقرآن والفقه عبارة عن طلاسم بالنسبة لهم.*

وحتى هذه الأركان الخمسة لا يطبق البدو الأميون منها غير ثلاثة: شهادة أن لا إله إلا الله، والصوم والصلاة. فهم لا يؤدون الزكاة لأن الفقر والمرض لم يترك لهم فائضاً من إنتاجهم يؤدون منه الزكاة. أما الحج إلى بيت الله الحرام فدونه شوك القتاد، فهم بالكاد يقدرون على إطعام أطفالهم فمن أين لهم تكلفة السفر والإقامة بجوار الكعبة ليطوفوا حولها؟ وهذه **الغالبية الصامتة** هم البسطاء أصحاب الإسلام البدوي البسيط الذي سوف يستمر إلى أن يدمر البشر هذا الكوكب الجميل، أو إلى أن تنطفيء جذوة الشمس ويقتل الأرضَ الجليدُ.

> *أما الإسلام الحضري فهو إسلام معاوية بن أبي سفيان وهارون الرشيد ومن جاء بعدهم من خلفاء الغلمان والجواري والفتوحات. فنشوء المجتمعات الحضرية في المدن الإسلامية أدى إلى خلق طبقة من المتحضرين نسبياً الذين عرفوا الحكومات والسياسة. واحتياج الخلفاء والحكام إلى مَن يعاونهم في أمور الحكم وإخضاع مواطنيهم المتحضرين نسبياً الذين ربما تطلعوا إلى المشاركة في إدارة أمور الدولة، أدى إلى خلق طبقة "فقهاء" و "علماء" الدين الإسلامي الذين شغلوا أنفسهم بتلقيح الإسلام بتشريعات طاعة أولي الأمر، والولاء والبراء وفقه الحيض والنفاس، وفقه الرق والجواري. وبذا وُلد الإسلام الحضري.*

استمر الإسلام الحضري مشغولاً بفقه الحريم والولاء والبراء، ومعاملة الذميين حتى بداية القرن العشرين، عندما شاء حظنا العاثر أن تكتشف أمريكا وإنـگلترا البترول في صحارى شبه الجزيرة العربية. ونتيجةً لهذا الاكتشاف وتدفق أموال النفط على دول الخليج التي أرادت الحفاظ على الحكم العائلي في وجه التطورات الاجتماعية الناصرية، صرفت المملكة العربية السعودية وحدها ما يُقدر بست وثمانين مليار دولار في الثلاثة أو الأربعة عقود الماضية، لتمويل الإخوان المسلمين والوهابية والحركات الإسلامية الأخرى لإشعال جذوة "الصحوة الإسلامية" لكي ينشغل العامة بأمور الدين ويتركوا العوائل الحاكمة تكدس الأموال وتعزز سلطتها حتى يسرح ويمرح أمراؤها وصبيانهم في عواصم الدول الغربية التي تكتظ بالجواري البيض، والمسارح والأندية الليلية.

ومع تدفق الأموال على الإسلاميين انتشرت الأحزاب الإسلامية تحت عدة مسميات، يجمعها الأمل في تولي إدارة البلاد. وسموا هذه الطفرة الكبيرة في عدد الأحزاب الإسلامية "صحوة إسلامية" فرضت على الناس التمسك بمظاهر الدين من حجاب ولحي ودشداشات قصيرة، *بينما الغالبية العظمى من أتباع الإسلام ما زالوا يفترشون الأرض ويلتحفون أركان الإسلام الثلاثة*. هذه الغالبية من أتباع الإسلام البدوي البسيط، لن يصحوا من نومتهم هذه ولن يعرفوا "الصحوة".

ولكن جماعة الإخوان المسلمين وبقية الجماعات الإسلامية يعرفون أن صحوتهم قصيرة قصر صحوة محمد بن عبد الله، رغم أنهم جمعوا الأموال الطائلة وأنشأوا البنوك وشركات الاستثمار وجندوا الشباب المسلم لخدمة مآربهم وتعاونوا مع الشيطان من أجل الوصول إلى أهدافهم. فهم يعرفون أن صحوتهم قصيرة لأنها مرتبطة بدولارات النفط الذي سوف ينضب قريباً، ويعرفون أن التاريخ يعيد نفسه. وقد سبقتهم الكنيسة الكاثوليكية في هذا المضمار. وكذلك أنذرهم رسولهم عندما قد قال لهم:

> **[يأتي على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى لو كان فيهم من نكح أمه علانية كان في أمتي مثله، إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلها في النار إلا ملة واحدة].**

فمحمد هنا يقول لهم إن التاريخ حتماً يعيد نفسه. وبما أن المسلمين يؤمنون بأحاديث محمد أكثر من إيمانهم بالقرآن، فعليهم مراجعة التاريخ لأنهم سوف يتبعون خطى الكنيسة الكاثوليكية وخطى اليهودية حذو النعل بالنعل.

قال الفيلسوف روبرت دارنتون Robert Darnton في القرن الثامن عشر:

> "كلما قل عدد الأميين، كلما قل عدد الذين يقبلون بتأجيل ثوابهم أو جوائزهم إلى الآخرة".

فالأغنياء يريدون ثوابهم في هذه الحياة ليستمتعوا بثرواتهم. ولهذا السبب، عندما شعرت الكنيسة أن الأميين في أوروبا قد قل عددهم بعد الثورة الصناعية، استثمرت الكنيسة أموالها في الأراضي والعقارات وأصبحت ثروتها تقدر ببلايين الدولارات، وأصبح رجال الكنيسة من أغنى الأغنياء. وكذلك الحال الآن مع *الإسلام الحضري*، فقد استثمروا أموالهم في الأوقاف التي استولوا بها على الأراضي والمباني ووقفوها باسم الدين ولكن **ريعها** يرجع لهم ولأولادهم. واستثمروا في كل الأعمال التجارية والفتاوى وأصبح رجال الدين الإسلامي يفضلون جني ثوابهم في هذه الدنيا قبل الآخرة، وظهرت طبقة أصحاب الملايين من أمثال القرضاوي والملالي رجال

الأعمال في الجمهورية الإيرانية الإسلامية وفي دولة الإسلام السودانية، ونواب الإخوان المسلمين في الكويت الذين يسجلون شركاتهم بأسماء أولادهم ويمنحوهم العقود الحكومية، وشيوخ الوهابية الذين يسكنون القصور الفاخرة ويتعالجون في أوروبا **بينما ينصحون مواطنيهم بشرب لبن وبول البعير للعلاج**، ويرددون عليهم حديث [شفاء أمتي في جرعةٍ من عسل أو كيةٍ من نار]. ولكننا لا نرى شيوخاً يكتوون بالنار بدل الذهاب إلى باريس للعلاج.

بعد محاكم التفتيش في إسبانيا في القرن السابع عشر، تدهور وضع إسبانيا كقوة عظمى، فعزا المفكرون الأوروبيون سبب التدهور إلى محاكم التفتيش وما جلبته من سمعة سيئة إلى إسبانيا. ولهذا السبب قررت فرنسا أن تستمر في اضطهاد أقلياتها من البروتستانت ولكن بطريقة أخف وطأة من محاكم التفتيش حتى لا تتقهقر كما تقهقرت إسبانيا، فلجأت إلى حرمانهم من الوظائف في الدولة وحرمان أطفالهم من التعليم، وضيقت عليهم الخناق. والبروتستانت الذين حاولوا الهرب إلى دول أكثر انفتاحاً مثل بروسيا وهولندا كان مصيرهم المشانق. وكان من القلائل الذين نجحوا في الهرب إلى هولندا، الفيلسوف بيير بيل Pierre Bayle، ففضح تلك الممارسات. وعندما عجزت السلطات الفرنسية في القبض عليه، قبضوا على أخيه في فرنسا وعذبوه حتى الموت.[1]

نفس ممارسات اضطهاد المخالفين وتعذيبهم وحتى قتلهم تمارسها السلطات الدينية الإسلامية بمساعدة السلطة المدنية في جميع الأقطار الإسلامية، من باكستان في الشمال إلى السودان في الجنوب، ومن الصومال في الشرق إلى المغرب في الغرب، حيث تعتقل السلطات المدرسين الشيعة وتسجنهم ويتم طردهم من البلاد في بعض الحالات. وحيث يُمنع غير المسلمين من إدخال أطفالهم مدارس المسلمين، كما يحدث في السعودية. ولا داعي للتعرض لما يحدث في مصر من اضطهاد للأقباط، والبهائيين والشيعة ومنعهم من دخول الكليات العلمية في جامعة الأزهر. وبما أن فرنسا اضطرت أخيراً للتخلي عن عزل واضطهاد البروتستانت، فإن الحركات الإسلامية سوف تضطر غصباً عنها للتخلي عن ممارساتها البغيضة وفقه الولاء والبراء. **وقد رأينا إنكارهم لتلك الممارسات عندما يزورهم وفد من الكونگرس الأمريكي، وقد أصبح شيخ الأزهر خبيراً في هذا النوع من النكران**. ولكن الضغوط الأمريكية والأوروبية المتزايدة سوف تجبرهم على التخلي عن سياساتهم البغيضة.

اضطهدت الكنيسة المرأة واعتبرتها حاضنة الرذيلة التي تقود الرجال إلى التهلكة ففرضت عليها أن تغطي جسدها بالكامل، وحرمتها من المشاركة في أمور السياسة وإدارة الأعمال. وحتى القرن التاسع عشر كانت المرأة الأوروبية تلبس الفساتين الطويلة وتغطي رأسها بفوطة وتلبس القفازات على يديها، فكان منظرها لا يختلف عن نساء المسلمين المحجبات. وحتى عندما سمحوا لها بالذهاب إلى البلاجات كانت ترتدي سروالاً طويلاً يصل إلى قدميها وقميصاً يغطي إلى المعصم. ولاعبات التنس في القرن العشرين كن يلبسن الفساتين الطويلة ذات الأكمام الطويلة، وقبعة تغطي الشعر. وحرموا المرأة من حق التصويت والانتخاب حتى نهاية الحرب العالمية الثانية. ولكن المرأة الأوروبية تمردت وأجبرت الكنيسة على إزالة قيودها.

في عالمنا الإسلامي ما زالت المرأة تعيش ما عاشته المرأة الأوروبية قبل مائتي عام. ولكن بوادر التمرد بدأت تظهر لدى بعض النساء الشجاعات مثل د. وفاء سلطان، ومريم نمازي ورفيقاتها في لندن وفي جميع العواصم الغربية حيث أنشأ النساء مجالس المسلمين النابذين لإسلامهم الوراثي Ex-Muslims Councils وغيرهن الكثيرات. وحتى المرأة الكويتية بدأت تمردها وصوتت لأختها المرأة في الانتخابات البرلمانية الأخيرة *رغم فتاوى خفافيش الظلام الإخوانية* الذين لم يحصلوا على غير مقعدين بينما حصلت النساء على أربعة مقاعد. وكما تقول الأعراب: **أول الغيث قطرٌ ثم ينهمر**. وشاء الإسلاميون أم أبوا سوف تتحرر المرأة المسلمة من قيودها في الإسلام الحضري، ولكن سوف تظل أختها في الإسلام البدوي ترتدي خيمتها وتسحقها الأمية والتقاليد القبلية.

حاولت الكنيسة واستطاعت طوال قرون منع انتشار الفكر المتحرر فسجنت وقتلت العلماء، ثم خففت من وطأتها واكتفت بمصادرة وحرق الكتب التي تشكك في تعاليمها. فمثلاً أحرقت الكنيسة الدكتور سرفيتيوس مع كتبه في سويسرا، كما صادرت وأحرقت كتاب جاك جاك روسو Creed of the Savoyard Vicar في باريس، كما صادرت بروسيا كتاب الفيلسوف كانط:

Religion Within the Limits of Reason Alone.

فخوفهم من العقل والمنطق جعلهم يحرقون الكتب.

وبلادنا الإسلامية، خاصة مصر التي كانت حاملة شعلة النهضة في العالم العربي، ما زالت تصادر وتحرق كل كتاب يتحدث عن الإسلام بغير ما قاله السلف، *ونصّبوا من عمائمهم وطرابيشهم أوصياء على العقل*. وليتهم اكتفوا بذلك، ولكنهم للأسف ما زالوا يعيشون بعقلية الكنيسة في القرن الثامن عشر، وما زالوا يقتلون المفكرين، إما بالمشانق كما فعل حسن الترابي في السودان مع محمود محمد طه، أو بالفتاوى كما حدث مع فرج فودة وكثير من المفكرين غيره. ولكن مع انتشار الإنترنت فسوف تصبح مصادرتهم الكتب كمن يبصق في الريح فيرتد البصاق إلى وجهه.

في أوروبا القرن السابع عشر منعت السلطات الكنسية تدريس الفلسفة في المدارس لأن الفلسفة تدحض الغيبيات. ثم ازدادت دائرة المنع وشملت كل الكتب التي تتحدث عن الجنس باعتبار أنها تقع في دائرة الخلاعة Pornography. فمنعوا مثلاً كتاب عشيق الليدي تشاترلي Lady Chatterley's Lover. وحتى الآن تحاول الكنيسة منع تدريس نظرية التطور لداروين.

وفي بلادنا الإسلامية ما زالت الفلسفة محرمة، خاصة في بلاد مثل باكستان والسعودية والكويت. أما المسرح والغناء والموسيقى والتربية الجنسية والتربية البدنية للبنات فمحرمة في كثير من البلاد الإسلامية. *أما نظرية داروين فهي الكفر البواح*. لكن عقارب الساعة تتقدم وقريباً سوف تحذو أغلب البلاد الإسلامية حذو لبنان في الفن، وسوف تنتج الكويت برامجها الخاصة عن "ستار أكادمي" الذي يحاول إخوان الكويت منع بثه الآن؟ وسوف تصبح التربية الجنسية مقررة في جميع المدارس عندما يتغلب العلم قريباً على جهل رجال الدين الذين يفعلون المستحيل لمنع ومصادرة الإنترنت، أو الشبكة العنكبوتية التي سوف تقضي على قصورهم رغم ضعف بيوت العنكبوت، كما يزعم القرآن. (وفي الحقيقة فإن خيط العنكبوت تفوق قوته قوة الفولاذ بخمس مرات).

قد يفلح الإسلاميون في العقدين أو الثلاثة القادمات من السيطرة السياسية على بلاد إسكاندنافيا مثل النرويج والسويد لتساهلها الشديد معهم، ولزيادة أعدادهم بمستوى يفوق زيادة السكان الأصليين الذين تكتفي الأسرة منهم بطفل واحد أو اثنين، بينما تنجب الأسرة المسلمة بين ثمانية وعشرة أطفال. ولكن سيطرة الإسلاميين في تلك البلاد سوف تؤدي إلى ازدياد تأييد الأحزاب اليمينية المتطرفة في بقية أوروبا وسوف ينتفض الأوروبيون ضد الإسلام والإسلاميين، وربما حملوا السلاح، ووقتها سوف ينقرض الإسلام في أوروبا كما انقرض في إسبانيا،

ويصبح الإسلام غريباً كما بدأ، وتنطفي جذوة صحوتهم القصيرة. ويقول العقل "آمين".

عودة إلى الفهرس

[1] Evil in Modern Thought, Susan Neiman, p 117

159 - السيد المرادني ودفاعه البائس عن القرآن

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=173408

نشر السيد المرادني في موقع الحوار المتمدن مقالاً بعنوان ‹عن الإسلام والأخطاء النحوية في القرآن› بتاريخ 200/5/28،

- بدأه بالقول:

"إن تاريخ الإساءة للدين الإسلامي طويل وممتد ويمكن القول أنه بدأ مع بدء الرسالة الإسلامية قبل ما يزيد عن 1400 عام" انتهى.

✍ ويبدو أن السيد المرادني يخلط بين النقد، الذي هو أساس التقدم في كل المجالات، وبين الإساءة. **فالبنسبة له أي نقد للإسلام هو إساءة له.**

فأنا مثلاً، نشرت كتاباً في نقد الإسلام والقرآن لم أنطق فيه بكلمة واحدة تنم عن شتم أو إساءة لمحمد أو للقرآن، وإنما بينت الأخطاء العديدة في القرآن. فهل هذه إساءة للقرآن؟

- واستمر السيد الغالي فقال:

"وبعد انتشار الدعوة الإسلامية في المدينة وما حولها بدأ بعض اليهود المعادين لرسالة الإسلام بترويج الأكاذيب من أن محمد (ص) قد سرق بعض ما جاء في التوراة بعد أن قام بعملية تحريف لهذه السرقات" انهى.

✍ فكون محمد قد اقتبس من التوراة ومن المسيحيين الذين كانوا حوله، ومن الديانات الأخرى كالصابئة والزرادشتية، ليست أكاذيب، وإنما حقائق علمية أثبتها الدارسون لعلم الأديان المقارن، وذكرت أنا بعضها في كتابي.

وكل دين ظهر حتى الآن، اقتبس مما سبقه من الأديان وزعم رسوله أنه جاء ليكمل ما قبله، وهذا ما ظل القرآن يكرره في عديد من الآيات. وكمية الكلمات غير العربية التي وردت في القرآن دليل ساطع بأن محمد اقتبس مما حوله.

- وفي أسلوب تعودنا عليه في الكتب الصفراء وفي مناظرات برامج "الرأي والرأي الآخر" في تلفزيون قناة "الجزيرة"، يقول السيد المرادني:

"أما اليوم ومع التطور المذهل الذي شهده العالم في جميع المجالات ومع توفر العلوم والمعرفة ووسائل الاتصال فقد ظهرت على السطح افتراءات جديدة للإساءة إلى الإسلام ولشخصية الرسول الكريم... وعلى الرغم من توفر وسائل الحصول على العلم والمعلومات اليوم، فقد كان من المفروض أن تكون هذه الافتراءات قابلة للإثبات... إلا أن هذه الأكاذيب الهزيلة إن دلت على شيء فإنها تدل على جهل وحماقة من أطلقها على العكس مما هو متوقع." انتهى.

✍ فكل من ينتقد الإسلام **جاهل أحمق** كما يعتقد السيد المرادني. وطبعاً كل ما كثر الشتم والسب في المقال، كلما تبين ضحالة المستوى العلمي للكاتب. *فلو كان لديه من الحجج ما يرد به على الآخرين، لما لجأ إلى الشتم*. ولكنها عادة الإسلاميين.

فمثلاً نجد حجة الإسلام الغزالي يقول عن مناوئيه:

"فإن القائل بقدم الأرواح مغرور جاهل لا يدري ما يقول." [1]

ويقول ابن القيم الجوزية:

"وفي قول أبي بكر الصِّدِّيق لعروة: امصُصْ بَظْرَ اللاَّتِ، دليلٌ على جواز التصريح باسم العَوْرة إذا كان فيه مصلحة تقتضيها تلك الحال، كما أذن النبي صلى الله عليه وسلم أن يُصرِّح لمن ادَّعى دعوى الجاهلية بِهَنِ أبيه، ويقال له: اعضُضْ أيْرَ أبيك، ولا يُكَنَّى له، فلكل مقام مقال". [2]

فإذا كان أبوبكر يشتم عروة ويقول له "أمصص بظر اللات"، ويصرح الرسول للمسلمين أن يقولوا لمن لا يتفق معهم في الرأي "أعضض أير أبيك"، ماذا نتوقع من السيد المرادني وأمثاله.

في محاولة بائسة منه للدفاع عن القرآن ينقل لنا السيد المرادني ما قاله المفسرون قبل مئات السنين دون أن يضيف عليه شيئاً من عنده، وكأننا لم نقرأ كتب التفسير. فقد حاول المفسرون قبله الفهلوة والدوران حول اللغة العربية في حركات بهلوانية لم تبهر أحداً غيرهم.

- والسيد المرداني يقوم بنفس الحركات البهلوانية ويقول:

"وفي هذا المقال سوف نتحدث بعون الله عن التهمة المزعومة التي تقول باحتواء القرآن على أخطاء نحوية والتي يروج لها بعض جهلة اللغة العربية، وسوف نطرح بعض الآيات القرآنية التي يظن البعض احتوائها على هذه الأخطاء." انتهى.

✍ وأنا بدوري سوف أقوم، بدون عون الله، على تفنيد كل ما نقله لنا من افتراءت على اللغة العربية، وأثبت له أن القرآن مليء بالأخطاء اللغوية.

- والغريب أن يتهمنا السيد المرادني بالجهل بقواعد اللغة العربية، بينما يكتب هو:

"وسوف نطرح بعض الآيات القرآنية التي يظن البعض احتوائها على هذه الأخطاء".

✍ وأظن أن أي طالب ثانوي يستطيع أن يقول للسيد المرداني كلمة "احتوائها" خطأ نحوي كبير إذ أن الكلمة مفعول به ويجب أن تكون "احتواءها". **فالذي يتهم الآخرين بالجهل بالنحو يجب أن يكون أعلم من سيبويه عندما يكتب**. والذي بيته من زجاج لا يرمي الآخرين بالحجارة.

والآية التي حاول السيد المرادني أن يرقص حولها تقول:

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. (المائدة 70)}.

- فماذا قال السيد المرداني في إثبات جهل الآخرين؟ قال:

"الإعتراض: يجب أن ينصب المعطوف على اسم (إنّ) لتصبح (والصابئين) كما وردت في سورة البقرة. في الآية الأولى جاءت الصابئون لأن الواو هنا استئنافية من باب إضافة الجملة للجملة وليست معطوفة على الجملة التي قبلها.. ومن الواضح أن الجملة تحتوي على أكثر من اسم موصول.. وعليه فإنه لا يلزم للإسم الموصول الثاني أن يكون تابعاً لـــ (أنّ) فالواو هنا استئنافية كما قلنا... ولذلك رُفِعَت الصائبون للإستئناف على انها اسم مبتدأ محذوف الخبر وتقديره (والصابئون كذلك) أي في حكمهم. ولقد استخدم هذا الأسلوب من عدم عطفهم على ما قبلهم للدلالة على أن الصابئين هم أشد هذه الفرق ضلالاً والمعنى هو: كل هؤلاء الفرق إن آمنوا وعملوا الصالحات سيقبل الله توبتهم وحتى الصابئون الأكثر ضلالاً فإنهم إن آمنوا كانوا أيضاً" انتهى.

---

[1] (إحياء علوم الدين، كتاب العبادات، ص 36).

[2] زاد المعاد، ج 3، ص 154.

✍ فلو وافقنا أن الواو هنا استئافية وليست حرف عطف، فإن الاستئناف يكون لبداية جملة كانت قد انقطعت بجملة اعتراضية، أو لبداية جملة جديدة مثل أن نقول: "يظن الطلاب أن النجاح لا يحتاج إلى جهد، وإنهم لمخطئون." فالجملة الأولى انتهت بظن الطلاب الخاطئ، وبدأنا أي استأنفنا جملة جديدة تبين خطأ الطلاب. وبيت الشعر الذي أورده السيد المرادني والذي يقول:

وإلا فاعلموا إنا- وأنتم بغاة- ما بقينا في شقاق

فجملة "وأنتم بغاة" جملة اعتراضية، أي جملة جديدة في وسط البيت، ولذلك بدأها الشاعر بواو الاستئناف. ولكن إذا نظرنا إلى الآية المذكورة فليس بها جملة اعتراضية، ولم تنتهِ الجملة الأولى لكي يستعمل كاتب القرآن واو الاستئناف ليبدأ جملة جديدة. الآية تقول إنّ الذين آمنوا واليهود والصابئين والنصارى وكل من آمن بالله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون. فالواو في الآية واو عطف، لا مجال للتنكر لذلك. وعليه كان يجب عليه أن ينصب "الصابئون" لتصبح "الصابئين"، كما في آية البقرة.

- ومرة أخرى يخطيء السيد المرادني في النحو فيقول:

"وحتى الصابئون الأكثر ضلالاً فإنهم إن آمنوا كانوا أيضاً."

✍ ولعلم السيد المرادني فإن "حتى" حرف نصب إذا دخلت على الفعل المضارع، ولكنها تصبح حرف جر إذا دخلت على الإسم. وعليه كان يجب أن يقول "وحتى الصابئين" وليس "الصابئون" كما ذكر.

- السيد المرادني يقول:

إن القرآن رفع "الصابئون" (للدلالة على أن الصابئين هم أشد هذه الفرق ضلالاً) انتهى.

✍ ولكن بقية المفسرين لا يقولون ذلك. يقول القرطبي في تفسيره:

"قال السدي: الصابئة فرقة من أهل الكتاب، وقاله إسحق بن راهويه. قال ابن المنذر لا بأس بذبائح الصابئين لأنهم طائفة من أهل الكتاب. وقال الإمام أبو حنيفة: لا بأس بذبائحهم ومناكحة نسائهم. وقال الخليل: إنهم قوم يشبه دينهم دين النصارى يزعمون أنهم على دين نوح." انتهى.

فلماذا إذاً يخبرنا السيد المرادني أن القرآن رفع كلمة "الصابئون: للدلالة على أنهم أشد هذه الفرق ضلالاً؟" هل هذا تفسير جديد من اختراع السيد المرادني؟ وحتى لو كانوا أشد الفرق ضلالاً، لماذا دخلهم كاتب القرآن في وسط الجملة ولم يكمل الجملة، ثم يستأنف جملة جديدة ليخبرنا أن الصابئة - أشدهم ضلالاً- سوف يغفر لهم؟

وليس هناك من شك في أن كاتب القرآن أخطأ هنا، ولكن المسلم الذي يفسر القرآن لا يصدق أن القرآن قد أخطأ ولذلك يلف ويدور ليجد تبريراً للخطأ.

فتعالوا نقرأ ما قاله المفسرون القدامى الذين نقل عنهم السيد المرادني. يقول القرطبي:

"والذين هادوا معطوف، وكذا "الصابئون" معطوف على المضمر في "هادوا" في قول الكسائي والأخفش. قال الزجاج: المضمر المرفوع يقبح العطف عليه حتى يؤكد."

فهنا عندنا جملة ظاهرة كل كلمة فيها معطوفة على التي قبلها، وهو الصحيح. ولكن البهلوانات قالوا إن "الصابئون" معطوفة على ضمير محذوف، أي مضمر، وعلينا البحث عنه. **فهل من البلاغة في شيء أن نترك الكلمة الواضحة ونعطف على ضمير مضمر يجب أن نبحث عنه؟** وهاهو الزجّاج يقول لهم:

أن مثل هذا العطف قبيح.

فهل تجوز القباحة في القرآن؟ ويستمر القرطبي، فيقول:

"قال الفراء إنما الرفع في "الصابئون" لأن "إنّ" ضعيفة فلا تؤثر إلا في الاسم دون الخبر، "والذين" هنا لا يبين فيه الإعراب فجرى على جهة واحدة الأمران، فجاز رفه الصابئين رجوعاً إلى أصل الكلام" انتهى.

أي بهلوانية هذه؟ كيف تكون "إنّ" التي لها عدة أخوات يعملن عملها، ويسمى الباب "إنّ وإخواتها"، كيف تكون ضعيفة فلا تؤثر إلا في الاسم، ماذا حدث لخبر إنّ؟ إنها الفهلوة لا غير.

ويستمر القرطبي أكثر، فيقول:

"قال الخليل وسيبويه: الرفع محمول على التقديم والتأخير، والتقدير هنا إن الذين آمنوا والذين هادوا، من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والصابئون والنصارى كذلك" انتهى.

هل في الآية المذكورة أي تأخير أو تقديم؟ الآية واضحة وذكرت أربعة أديان لا يكون هناك خوف على متبعيها. فلماذا كل هذا اللف والدوران لتفسير خطأ واضح للعيان؟

أما ابن كثير فقد جاء بحجة مختلفة جداً، فقال:

"لما طال الفصل حسُن العطف بالرفع".

وأعقلهم كان جلال الدين السيوطي في تفسير الجلالين،

فتجاهل إعراب كلمة "الصابئون" كأنها لم تكن.

- بعد استعراض **العضلات البهلوانية** في آيات أخرى، يقول السيد المرادني:

"الحقيقة أن هناك العشرات من الآيات التي يتم تداولها بين هؤلاء الجهلة للدلالة على وجود أخطاء نحوية في القرآن الكريم بحسب زعمهم المتهالك... والحق أن جميع هذه الآيات الكريمات تدل على جهل من أطلقها ومن يقوم بالترويج لها. ولا يتسع المجال لذكرها كلها في هذا المقال. إن هذه التهم السخيفة لا تصدر إلا عن أحمق أعماه الجهل والتعصب." انتهى.

✍ فإذا كنا جهلة وحمقى ولا نفقه في النحو ولا خمسة بالمائة، كما قال السيد المرادني، فما هي صفته هو وقد ارتكب خطئين فاضحين في مقال قصير كهذا؟ وكم هي نسبة فهمه للنحو؟ هل تزيد على الخمسة بالمئة التي منحنا إياها.

يبدو أن السيد المرادني على وشك كتابة مقال آخر من نفس المعيار يقوم فيه بحركات بهلوانية جديدة. وأنا أتوسل إليه باسم قراء الحوار المتمدن أن يترك جهاز الكمبيوتر ويلعب كرة سلة أو كرة قدم لأن الرياضة مفيدة للجسم، وكما يقول المثل: العقل السليم في الجسم السليم.

تحياتي

عودة إلى الفهرس

2009 / 5 / 31

160 - إجابات للقراء عن موضوع الدفاع عن القرآن

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=173594

الغالبية العظمى من القراء، خاصةً قراء "الحوار المتمدن" يستوعبون ما يقرءون وتكون تعليقاتهم على الموضوع منطقية ولاتخرج عن صلب المقال، ولهؤلاء القراء أقدم شكري الجزيل. بعض القراء، ربما لشيء في نفس يعقوب، يبدو عليهم سوء فهم ما قرؤوا، وربما يكون لهم العذر لأن أسلوب الكاتب قد يكون في بعض المرات غير واضح. ولهذا السبب أحاول أن أهتم بالأسلوب أكثر من اهتمامي بالنحو أو الإملاء فيما أكتب. ولا أتعرض للأخطاء النحوية للكتاب الآخرين إلا في حالات نادرة عندما يحاول الكاتب الدفاع عن لغة القرآن ويتهم الآخرين بأقذع الألفاظ لأنهم يجهلون قواعد اللغة، كما يزعم. من هؤلاء الكتاب الذين ركزتُ على أخطائهم النحوية كان الشيخ نهرو طنطاوي، وأنتهز هذه الفرصة للاعتذار له لأن مقالاته اللاحقة بينت أنه رجلٌ يتوخى الوسطية والصالح العام لإخوانه وإخواته المسلمين.

- فيما يتعلق بمقالي الأخير عن دفاع السيد المرادني عن القرآن، سوف أبدأ بالتعليق رقم 6 من السيد "أبو علي" الذي سأل عن اسم كتابي.

✍ عنوان كتابي الأول كان "قراءة نقدية للإسلام" ونُشر أولاً على موقع "كتابات" للأخ الكريم الزاملي. ولكني أدخلت على الكتاب عدة إضافات وتعديلات قبل أن يُنشر ككتاب مطبوع، وقرر الناشر تعديل الإسم إلى "قراءة منهجية للإسلام"* تحاشياً لمقص الرقيب. واسم الناشر هو مؤسسة "تالة للطباعة والنشر".

- التعليق السابع كان من السيد غالي المرادني، وقال فيه بعد شكري على بيان الأخطاء النحوية التي وقع بها:

> "ومن باب رد المعروف فأقول لك بأن مقالتك احتوت على أكثر من خطأ إملائي... ثلاثة فيما هو واضح... وهكذا ترى معي أنه من السهل جداً تصيّد أخطاء الآخرين... على كل حال سألتمس لك العذر لأنك فيما يبدو كتبت مقالتك على عجل مختلط ببعض الغضب وهذا أمر طبيعي.."
> انتهى.

✍ وقد وضع السيد المرادني أصبعه على مكان الوجع، فأنا فعلاً كنت مملوءاً بالغضب عندما كتبت ردي في عجالة. وسبب غضبي هو ضياع وقت القراء في ترديد كليشهات أكل عليها الدهر وشرب، يحاول بها الكاتب الدفاع عن ما لا يمكن الدفاع عنه. وإن كنتُ قد ارتكبت أخطاءً إملائية نتيجة الاندفاع، فإني أعتذر عنها.

- يستمر السيد المرادني فيقول:

> "ومن ناحية أخرى وبصرف النظر عن كل الكلام الإنشائي الوارد في مقالتك والذي أجهدت نفسك كثيراً في كتابته فيما يبدو، فإنني مضطر للإعتذار عن التعليق عليه لأنه لا يقدم ولا يؤخر.. فأقوال فلان عن علان عن ابن كذا وكذا ليس حجة على القرآن" انتهى.

فإذا كان كلامي إنشائياً وهو لا يقدم ولا يؤخر لأن أقوال فلان عن فلان ليس حجةً على القرآن، لماذا إذاً اقتبس لنا السيد المرادني من أقوال الزمخشري وسيبويه والشعراء الجاهليين، في دفاعه عن القرآن؟ فهل النقل عن الزمخشري وسيبوية أفضل من النقل عن القرطبي؟

- يستمر السيد المرادني فيقول عن الجملة الاعتراضية والاستئناف بحرف الواو:

> "وللتأكيد على أن الشعر الجاهلي يحتوي على العديد من هذا الأسلوب سأذكر لك قول الشاعر ضابئ بن الحارث البرجمي:
> فإني - وقيار - بها لغريب   فمن يك أمسى في المدينة رحله."
>
> انتهى.

✍ لسبب ما ظهر بيت الشعر على شاشتي معكوساً، فسبق عجز البيت صدره. والبيت يقول:

فمن يك أمسى بالمدينة رحله   فإني - وقيارٌ بها - لغريب.

وهذا البيت كذلك يثبت ما قلته في مقالي من أن الجملة الاعتراضية يمكن بدؤها بواو الاستئناف. فالشاعر هنا يقول: فمن يك أمسى بالمدينة رحله، فإني غريب بها. وشبه جملة - قيارٌ بها - جملة اعتراضية في وسط بيت الشعر، ولذلك بدأها الشاعر بالواو. وهذا غير الذي جاء في الآية.

- ويبدو أن السيد المرادني انطبق عليه قولي في مقدمة هذا المقال، فساء فهم ما كتبته، فهو يقول

> "وعلى كل حال فهذه هي المرة الأولى التي أسمع فيها أن الجملة الإعتراضية يجب أن تأتي بعد انتهاء الجملة التي سبقتها.. فتعريف الجملة الإعتراضية أنها الجملة التي تقع بين متلازمين كالفعل والفاعل أو المبتدأ والخبر أو الصفة والموصوف.." انتهى.

✍ ولو رجعنا إلى مقالي سوف نجد أني قلتُ بالحرف:

> **"فإن الاستئناف يكون لبداية جملة كانت قد انقطعت بجملة اعتراضية، أو لبداية جملة جديدة."**

فالاستئناف يأتي لبداية الجملة التي انقطعت بالجملة الاعتراضية، وهذا يعني أن الجملة الاعتراضية جاءت في وسط الجملة التي يريدها الكاتب أو الشاعر، ولذلك يبدأ جملته مرة أخرى بعد الجملة الاعتراضية، بحرف الواو. وقولي "أو لبداية جملة جديدة" قولٌ معطوف على الجملة السابقة لأن الحرف "أو" حرف عطف. فأنا لم أقل أن الجملة الاعتراضية يجب أن تأتي بعد انتهاء الجملة الرئيسية.

- ثم يقول:

> "على كل حال فليس من المستغرب أن تلجأ فقط للحديث عن هذه الآية وتتجاهل غيرها من الآيات التي تدعون احتواءها على أخطاء نحوية فهي أكثرهم قابلية للإيحاء بوجود الخطأ." انتهى.

✍ الآية الأخرى التي يتحدث عنها السيد المرادني هي الآية 163 من سورة النساء التي تبدأ {**لكنْ الراسخون في العلم... والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة**}. وأنا لم أتجاهل الآية لأنها يصعب تفنيدها، وإنما تفاديتها تفادياً للتكرار لأن النحو فيها لا يختلف عن الآية التي ناقشتها، فهي تنصب المعطوف على المرفوع. ولو تكرّم السيد المرادني وقرأ كتابي المذكور لوجد فيه تفنيدي لتلك الآية بالذات.

- ثم يقول:

> "الواقع يا سيد كامل أنه ومن خلال قراءتي لمقالاتك على موقع الحوار المتمدن وجدتك مشغولاً جداً في الكتابة عن الإسلام بشكل خاص... وفي اتهام الإسلام والمسلمين بالتخلف والجهل والكذب... وأنهم على وشك الانقراض والزوال... واستغرب حقاً انشغالك الدائم بهذا الأمر... فإذا كان الحال كما تقول فلماذا تشغل نفسك وتنهمك أشد الانهماك في متابعة الكتابة عن الإسلام والمسلمين بقصد الإساءة أو النقد كما تقول؟؟؟ إن هذا يدل على أن انتشار الإسلام وتمسك المسلمين به أمر يصيبك بالذعر أنت ومن هم مثلك" انتهى.

- ما دام السيد المرادني يقرأ كل كتاباتي بالحوار المتمدن، ويعرف أني أكثر الكُتاب انتقاداً للإسلام، كان عليه أن يذكرني صراحةً في عنوان المقال الذي أصلاً كان قد قصدني به، بدل التعميم.

أما إنشغالي بالمسلمين وتخلفهم يرجع لسببين رئسيين: الذين أكتب لهم مسلمون عرب وأنا عربي ويهمني مصير العرب. وثانياً: أنا ولدت وتربيت في مجتمع مسلم وكنت مسلماً، وعليه يهمني حال المسلمين.

- ويستمر السيد المرادني فيقول:

> "ولو كنت مقتنعاً حقيقة بأن الإسلام سينقرض لما لزمك إلا أن تجلس وأنت مرتاح البال والخاطر لتشاهد فناء الإسلام باطمئنان... فالكاذب لا بد أن يذوي ويزول.. وعلى كل حال فالتذكر لنا مثالاً تاريخياً واحداً عن شخص أو أشخاص قاموا بما تقوم به على مر الأزمان وخلال ظهور أي دين... إنك لن تجد ولو مثالاً واحداً على ذلك... لن تجد إلا مئات من المعارضين الذين امتهنوا الخداع والتلبيس في مواجهة أنبياء صادقين.. وكان الفلاح للأنبياء" انتهى.

- أنا مقتنع أن الإسلام سوف ينقرض، ولكنه لن ينقرض من تلقاء نفسه. **العلم والخلاص من الخوف هما ما سوف يؤدي لانقراض الإسلام**. ولهذا السبب أنا لا أجلس وأنتظر النتيجة. أنا أكتب من أجل إزالة الخوف وتنوير بعض العقول التي خيّم عليها ظلام الإسلام. أما بالنسبة لقوله إن الأنبياء كانوا دائماً منتصرين، *قول يغالط ما يقول به القرآن*، فالقرآن يقول إن بني إسرائيل غضب الله عليهم لقتلهم الأنبياء بغير حق. فإذاً كل الأنبياء لم ينتصروا، بل انتصر عليهم معارضوهم وقتلوهم. أما بالنسبة للأمثلة التي طلبها مني، فيكفي أن أذكر له الدور الذي لعبه مثقفوا وفلاسفة أوروبا في القرون الوسطى وأدى إلى فصل الدين عن الدولة واضمحلال سطوة المسيحية في أوروبا.
- السيد مختار كالعادة ملأ تعقيبه بالمفيد من الأقوال التي لا أحتاج تعقيباً عليها.
- أود فقط أن أعقب على لغة "أكلوني البراغيث" التي وردت في تعليقه. وأنا لا أعلم من أين أتى ابن هشام بأنها لغة بعض العرب، ولم يذكر لنا مَن هم هؤلاء العرب.

كل ما في الأمر أن القرآن جاء مليئاً بأخطاء تشبه "أكلوني البراغيث" وبدل الاعتراف بالأخطاء هذه، زعم ابن هشام وغيره من أهل الإسلام أنها لغة بعض العرب. ونحن نعرف أن القرآن لم ينزل بكل اللهجات العربية وإنما نزل فقط بلسان محمد الذي كان من قبيلة قريش. وقد أزعجني تفسير أحد الإسلاميين في موقع "أهل الحديث" للغة أكلوني البراغيث، فقال:

> "أكل فعل ماضي، والواو علامة الجمع والنون للوقاية، والياء مفعول به والبراغيث فاعل."

والحقيقة هي أن أكل فعل ماضي مبني على الفتح، والواو ضمير الجمع في محل رفع الفاعل، والنون للوقاية والياء ضمير المتحدث في محل نصب المفعول به، والبراغيث فاعل ثاني. ولأن الفعل لا يجوز أن يكون له فاعلان، قال النحاة بغلط هذه الجملة.

- السيد طلعت خيري يقول:

> "أتركونا من اللغة العربية واجعلونا في صبي الآية".

- وهذا قول جميل لأن صلب الآية يقول كلّ من آمن بالله واليوم الآخر فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

> ولو تبع الإسلاميون هذه الآية لما رأينا الشقاق بين المذاهب والأديان ولما رأينا الجثث تملأ طرقات العراق وباكستان والصومال. ولكن الإسلاميين يهمهم فقط النط والقفز على حبال الوهم والتركيز على النحو والإعجاز القرآني للتلاعب بعقول البسطاء الذين يزرعون بينهم البغضاء وكره الآخر.

- السيد رعد الحافظ يقول:

> "وقد كان العلامة علي الوردي يعاني من مسألة النحو وأوضح يوما عدم جدوى القواعد في اللغة والتشدد بها لأنها قيد على اللغة وفي النهاية يجوز كسره فلماذا مضيعة الوقت أصلا وصرف الجهود في هذا الاتجاه بدل الاهتمام بالعلوم الاخرى المفيدة للبشر" انتهى.

- وأنا اتفق مع السيد رعد كل الاتفاق، فما اللغة إلا وسيلة لإيصال أفكارنا للآخر، وما دام الأسلوب سهلاً ويفهمه الآخر دون التباس، فالنحو لا يهم. ولكن مشكلة اللغة العربية هي علامات النصب والكسر والضم، التي حسب علمي لا توجد في اللغات الأخرى. ولذلك وجب التركيز على النحو حتى لا يختلط الفهم. ففي آية مثل: {**إنما يخشى الله من عباده العلماء**} يصبح سوء الفهم وارداً بدون النحو والترقيم، لأن ظاهر الآية يدل على أن الله يخشى العلماء، بينما روح الآية يعني أن العلماء هم الذين يخشون الله، وهنا يأتي دور النحو وعلامات التشكيل.
- السيد سالم يقول:

> "هل النحو العربي بني على القرآن ام انه موجود قبل القرآن .. لأن التاريخ اكد ان اول من وضع اسس النحو هو ابو الأسود الدؤلي بأمر من علي بن ابي طالب وبعدها جاء علماء اللغة الفراهيدي وسيبويه وغيرهم .. فاذا كان النحو موجود قبل القرآن فمن وضع هذا النحو ، هل هم شعراء ما قبل الاسلام او كان هناك علماء لغة ..واذا آمنا بهذا فان علماء اللغة بعد الاسلام لابد وان يؤيدوا لما موجود في القرآن لانهم يؤمنون ان هذا القرآن منزل من الله فلا يمكن ان يخطئ وعليه سيضعون النحو على ما موجود في القرآن وبهذا كيف يكون شكل الخطأ النحوي في القرآن على هذا الاساس" انتهى.

- المعروف لنا هو أن النحو وُضع بعد نزول القرآن بفترة طويلة، وقد بدأه أبو الأسود الدؤلي الذي مات بطاعون البصرة عام 69 هجرية، ولكنه لم يكتمل إلا بعد عقود طويلة.

وحسب كتب التراث فإن العرب في البادية كانوا يتحدثون اللغة العربية **بالسليقة** كما نتحدث نحن العامية اليوم. وجاء علماء النحو واستخلصوا من شعراء الجاهلية ومن الخُطب التي عثروا عليها مثل خطبة قس بن ساعده وغيره، أصول النحو.

> ***وعندما وجدوا أن بعض آيات القرآن لا تطابق النحو الذي استخلصوه من شعر الجاهلية، قاموا بحركاتهم البهلوانية ولووا عنق النحو ليخضع للقرآن، بدل العكس. ويجب أن لا ننسى أن القرآن نسخه على الورق رجال شبه أميين، ومن هنا جاءت تهجية بعض الكلمات مخالفة لما نكتبه الآن.***

- السيد نسيب عادل أثار نقطة مهمة، ألا هي إعراب كلمة "النصارى" في الآية. فلو كانت الواو قبل كلمة "الصابئون" واو استئناف، فإن كلمة "النصارى" معطوفة عليها وبالتالي هي مرفوعة. فإذا كان الله قد رفع كلمة "الصابئون" ليدلل على كفرهم وفسقهم، فهل النصارى كذلك كافرون وفاسقون؟
- الإجابة عند السيد المرادني.
- صاحب التعليق 18 رمزي ميركاني يطلب مني:

> أن أحصر كتاباتي في الطب وأعطي الخبز الديني لخبازه.

- وليته سمى لنا ذلك الخباز، هل هو القرضاوي، أم القرني، أم الزنداني؟ هؤلاء هم الخبازون الذين سمموا الأمة العربية بخبزهم الملوث بالأحقاد والإحن. فإذا أراد السيد رمزي أن يستمر في أكل خبزهم فليهنأ به.
- وكذلك سامر يطلب مني

أن أترك الدين وأكتب عن مشاكل العرب الكثيرة التي أدت إلى تخلفهم حتى يستطيعوا أن يتقدموا كبقية الأمم.

- ✍ هل يستطيع السجين مكتوف اليدين والرجلين أن يتحرك؟ **الإسلام هو الأغلال التي تكبل الأمة العربية وتمنعها الحركة**، فإذا لم تنكسر تلك الأغلال فليس هناك أي حراك للأمة العربية.
- ✍ وكم أنا سعيد أن تنضم السيدة مها إلى قائمة النساء اللاتي تحررن من تلك الأغلال بمساعدة كتاباتي، وخاصةً في السعودية، منشأ الإسلام ومعقل التطرف. فلها شكري على تعقيبها.
- ▪ السيد المغترب يسأل عن تفسير ألف لام ميم، وما شابهها في القرآن.
- ✍ وطبعاً كل هذه الحروف طلاسم استعملها محمد ليوهم الأعراب أن القرآن ليس من تأليفه ولذلك هو، مثلهم، لا يعرف معنى تلك الحروف. وقد انطلت الخدعة عليهم. **ما فائدة أن يخاطب الإمام مستمعيه بحروف لا يفهمومها؟ فهو كمن يتحدث للأعراب بلغة صينية.**
- ✍ لا يفوتني هنا أن أشكر السيد Sz والسيد يوسف روف، والسيد عزيز، والسيدة الفضلى أم محمد، وزهرة الجلنار ياسمين علي، والسيد علي، والسيد مختار، والسيد جلال العراقي، والشاعر الكبير رياض الحبيب، والسيد جميل، والأمبابي والسوري، والسيد زغال، وكل الذين عقبوا على المقال.

تحياتي للجميع. وكما قال الشاعر:

ما ضر إنْ أنا شيعيٌ وليلاي علوية   فاحتلاف الرأي لا يفسد للود قضية

ملحوظة: لكي أرتاح قليلاً من مناكفة الإسلاميين، قررت أن أبدأ بنشر بعض قصائدي في مروج التمدن حتى تنتعش روحي قليلاً قبل أن أبدأ في الكتابة عن الإسلام مرة أخرى. وسوف أبدأ بنشر القصائد من بداية الأسبوع القادم، إن شاء العقل.

عودة إلى الفهرس

2009 / 6 / 4

161 - أفتخر بأني أنثى

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=174000

عزيزي القاريء:
لا أدعي أني شاعرٌ، لكني أهوى الشعر وقد حاولت منذ صباي أن أملأ أوقات فراغي - وما أندرها مع دراسة الطب - بنظم بعض الأبيات. فهذه محاولات هاوي فقط، فأرجو ألا تعاملني كمحترف، ورفقاً بالهواة.
نظمت هذه المقاطع بمناسبة يوم المرأة العالمي في عام 2006 لشعوري بضياع المرأة في عالمنا العربي.

لا تغضبْ مولاي
ولا تعتبْ
إدبني بالضربِ إذا شئتَ
ذكرني ...ذكرني كي لا أنسى
أني أنثى
والأنثى مخلوق ناقصْ
لسعادة سيدها تسعى
لولاها لما كان الشيطانْ
...
أرجوكَ إلهي!! لا تغضبْ
عاملني برفقٍ وحنينِ
إني قارورةُ طيبٍ... لا أفهمْ
عقلي مصنوعٌ من طينٍ
وأنتَ الزارعُ
تُعمِلُ محراثكَ في أرضي
تزرعُ في الرحم جنيني
يترعرعُ...
يصبحُ رجلاً
يدوس بنعليه ... تاريخي
تاريخَ المرأةِ
فالمرأةُ مخلوق حيرانْ
...
مَنْ قال بأنّ المرأةَ تفهمْ
المرأةُ تاريخٌ أبكمْ
مذ خلق الله الإنسانْ
والمرأةُ تعلمْ
بأنّ غشاءَ بكارتها
كنزٌ تحفظه لسيدها
فالمرأةُ لا تسوى شيئاً
إنْ ضاع غشاءُ بكارتها
فغشاء المرأة كنز الأسرةِ
والجيران
...
أسْعِدني مولاي بغفرانك
فأبي علمني - وأنا أحبو -
طلبَ الغفرانْ
مأذون القرية ردد في أذني
آياتِ القرآنْ
أمي قالت:
المرأة تصبح بالطاعةَ إنسانْ
فامنحني - ياربي - بعض الإحسانْ
...
إني أنثى
وضعفُ الجسدِ يلازمني
لكنّ حناني أكثرُ من صبري
غفراني أطول من عمري
لكنك يا رجلاً
لا يعرفُ كيف يعاملني
فأنا عشتارُ

أنا ڤينوسُ
أنا بلقيسُ
إلهُ الكون يغازلني
أنا التاريخُ
أنا الأصلُ
وكل حضارتكم تأتي مني
عقلي... عدة مراتٍ، أكبرُ من صدري
وذكائي أثقبُ من بصري
ولذا ... أفتخرُ
بأني أنثى

عودة إلى الفهرس

2009 / 6 / 7

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=174345

مع أني كنت مزمعاً أن أتوقف عن الكتابة لفترة استجمام قصيرة، أثارني هذا البحث الغريب فقررت أن أفنده على حلقات ربما تصل إلى أربع.

السيد إبراهيم بن نبي أستاذ في علم الفيزياء من الجزائر، ومع أن غالبية علماء الفيزياء يؤمنون بالطبيعة إلهاً، فإنه من حق السيد بن نبي أن يؤمن بالله وبمحمد وبقرآنه. ولكن بدل أن يستفيد من علمه في الفيزياء ليشرح ظواهر الكون الفيزيائية بلغة مبسطة للعامة حتى يستبينوا من أمرهم شيئا، اختار السيد بن نبي أن يكون عضواً في عدة مواقع إسلامية، مثل أهل التوحيد ومعراج القلم، *ليرد على الملاحدة*، كما يقول في أحد المواقع. والسيد بن نبي يهوى دراسة اللسانيات، ولذلك كتب بحثاً مطولاً من ثلاثين صفحةٍ، عنوانه "ذكورية الخطاب القرءاني وهم بصري أم حقيقة موضوعية؟" يحاول فيه إرساء قواعد جديدة للغة القرآن تزيل عنه تهمة الذكورية في خطابه.

وقد تكرّم السيد أحمد (إبراهيم)، أحد الذين علقوا على مقالي الأخير، وأرسل لي رابط البحث الذي ربما يعتبره قد فتح آفاقاً جديدة لإنصاف القرآن، وطلب مني قراءته كي أستفيد منه.

وهناك عدة مآخذ على البحث، منها:

- بناء البحث على فرضيات مغلوطة،
- وكذلك بعض الأخطاء في فهم السيد بن نبي لمفردات اللغة العربية وقواعدها، رغم اهتمامه باللسانيات.

وحتى عنوان المقال لا يخلو من الخطأ اللساني. فهو يقول "ذكورية الخطاب القرءاني وهم بصري أم حقيقة موضوعية؟"، وبالطبع ليس هناك وهم بصري، إذ الوهم آلية من آليات العقل تجعلنا نعتقد بشيء غير حقيقي ونؤمن به، ويقابل كلمة الوهم العربية كلمة Delusion في اللغة الإنكليزية. ولذلك سمى الأستاذ ريتشارد دوكنز Dawkins كتابه عن الإله The God Delusion، أي وهم الإله، بينما البصر يخدعنا بمنظر مؤقت مثل السراب مثلاً، أو مثل حركات الحواة السريعة، نستطيع بسرعة أن نكتشف زيفها. ويقابلها في اللغة الإنكليزية كلمة illusion أي "الخدعة" والكلمة قريبة من Delusion.

- يقول الكاتب في بداية بحثه:

> ’’يأيها الناس إنّا خلقناكمـ من ذكر و أنثى و جعلناكمـ شعوبا و قبائل لتعارفوا،إنّ أكرمكمـ عند الله أتقاكم؛ إنّ الله عليم خبير" الحجرات:13.
> هل خطاب القرءان موّجه للذكور طبيعة و خطاب الأنثى فيه تابع لخطاب الذكر و لا تميّز الأنثى في هذا الخطاب إلاّ بقرينة قوّية دالة على تمييزها بالخطاب. و هل أدوات التمييز بين الجنسين في القرءان من تاء مربوطة و ضمائر متصلة و منفصلة و بنى الجموع المؤنثة و ما قاله اللغويون صحيح في هيكلة هذا التمييز في جعل الأنثى تبع. هل هذه الأيات موجهّة للذكر حصرا :
>
> "و زوجناهم بحور عين"
>
> "أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيد طيبا" المائدة:6
>
> "أحلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نساءكم"
>
> "فانكحوا ما طاب لكم من النساء، مثنى و ثُلاث و رُباع"‘‘

- ويستمر السيد بن نبي، فيقول:

> ’’إنّ القواعد اللغوية متأصلة في عمق ذاكرتنا بحكم تكرارها في المدرسة و الخطاب اليومي و لا نكاد نتنصل منها و تنحو تعابيرنا هذه في صناعة حكمنا على الجنس الأخر و نرتكب خطأ كبيرا في إعتبار أيات القرءان مرأة للغتنا اليومية الذكورية رغم غياب الأدلة الموضوعية على إسقاطنا هذا كما سنرى.‘‘ انتهى.

✍ أولاً: الآية التي بدأ بها السيد إبراهيم بحثه، والتي تقول "أيها الناس" هي من الآيات المدنية القليلة التي تخاطب الناس عامة. أكثر من تسعين بالمئة من آيات القرآن التي تبدأ ب "أيها الناس" هي آيات مكية، عندما لم يكن لمحمد أتباع ولذلك كان يخاطب الناس عامة. وكل آيات المدينة، ما عدا القليل منها، يخاطبهم ب "المؤمنون" أو "يا أيها الذين آمنوا". فكلمة "الناس " خطاب موجه للجميع ولكن "المؤمنون" موجه للرجال لأنهم عدة الحرب. وفي آيات مدنية أخرى عندما يتحدث محمد عن النساء المسلمات يقول {**يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن.** (الممتحنة 10)}. فهو هنا، لا شك، يخاطب الرجال المؤمنين ويطلب منهم امتحان النساء المؤمنات. وكذلك الآيات التي ذكرها السيد بن نبي أعلاه، خاصة التي تقول: {**فانكحوا ما طاب لكم من النساء**} تخاطب الذكر دون الأنثى لأن الله لا يُعقل أن يخاطب الجنسين ويقول لهم انكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع، لأن هذا يعني إما أن الله أراد أن يقول للنساء كذلك: أنكحن أربعةً من الرجال، أو أربعةً من جنسكن، أي كنّ سحاقيات، ولتنكح كل منكن أربع نسوة. أو أن الله أراد أن يقول للذكر: انكح أربعة رجال أو أربع نساء. فليس هناك أي تفسير آخر لهذه الآية غير الخطاب الذكوري القرآني.

✍ ثانياً: أغلب لغات العالم الحية تخاطب الذكر بغير خطاب الأنثى، وحسب علمي، لا تشذ إلا لغات معدودة عن هذه القاعدة، منها اللغة الإنگليزية التي يتوحد فيها خطاب المذكر والمؤنث.

ولا أشك أن السيد بن نبي يتحدث اللغة الفرنسية التي هي أكثر اللغات تعقيداً في مخاطبة الجنسين. فاللغة ما هي إلا وسيلة للتخاطب بين مجموعة من البشر اتفقوا على تعريف معاني الكلمات التي يتداولونها، حتى يسهل التفاهم بينهم. وإذا اتفقوا على معاني الكلمات المتداولة، يكون من الغباء تغيير معنى بعض الكلمات كما يحلو لنا. وتوكيداً لهذا المعنى يقول القرآن: {**وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم.** (إبراهيم 4)}. فالقرآن نزل على أعراب تعارفوا على مخاطبة الذكر بغير خطاب الأنثى. وهذا كان لسانهم، ولذلك جاء رسولهم بلسانهم ليبين لهم. وأعتقد أنه يكون ضرباً من العبث لو أرسل الله رسولاً للأعراب بلغتهم، ثم أنزل لهم قرآناً تختلف فيه صيغة المخاطب عما ألفوه وتحدثوا به. والقرآن نفسه يقول: {**بلسان عربي مبين.** (الشعراء 195)}. وكررها فيما لا يقل عن عشر آيات أخرى. وقواعد اللغة العربية لم تأتِ من فراغ، إنما أتت من محاولة النحاة استنباط القواعد من لغة المخاطبة اليومية ومن شعر الشعراء الجاهليين، الذي كان محمد يستسيغه ويفهمه ويحث حسان بن ثابت على قرضه. وحسان استعمل نفس لغة العرب في مخاطبة الأنثى التي تختلف عن مخاطبة الذكر، ولم يقل له محمد إن لغة القرآن تقول بمخاطبة الأنثى كالذكر.

- يحاول السيد بن نبي طمس وقائع التاريخ عندما يقول:

"و إذا الموءودة سُئلت (8) بأي ذنب قُتلت) (التكوير 9). لا يسعنا إلاّ أن نقول أنّ الموءودة أنثى بحكم وجود التاء المربوطة في الأيات و نشرح الوعد بجعله مرادفا للدس في التراب و قتل الوليدة، والأية في الحقيقة تتحدث عن أمر أشمل و أعمق وقبل الدخول في التفاصيل اللغوية ألخص دليلي للأية في أنّ من يوءد في الحرب أو في السلم ويردم في الحفر ليس جنسا واحدا إسمه الأنثى بل هو الإنسان. يُردم في الحفر أو يُلقى في الأبار أو يُحرق في الأفران أو تُحفر له الأخاديد العميقة ليُلقى هناك و ينطفأ بردمها ذكر الجريمة هو الإنسان ذكرا و أنثى و أيات التكوير تتحدث عن هذا تحديدا وهذا هو مفهوم الوءد فيه. أليس إعتبار الموءدة أنثى إتهام للقرءان من حيث نسيانه لوءد الذكور" انتهى.

وإذا تركنا اشتقاق كلمة "وأد" وركزنا على الحروب التي يقول السيد بن نبي إن الموءود فيها هو الإنسان من ذكر وأنثى، *نجد أن هذا القول ينافي حقائق الفترة الزمنية التي جاء فيها القرآن*. ففي تلك الحقبة لم تكن النساء جزءاً من جيوش العرب المتقاتلين، بل كان القتال أصلاً لحماية المرأة من السبي أو لسبي المرأة من القبائل المهزومة. فالمرأة كانت تلزم الخدر حين يذهب الرجال إلى الحرب. وحتى في زمن غزوات محمد لم يخبرنا التاريخ عن نساء قُتلن في الحرب. فالذي يُردم في الحفر ويُلقى في الآبار هو الرجل، كما حدث في موقعة بدر عندما رمى محمد جثث القرشيين في القليب، ولم تكن بينهم ولا امرأة واحدة. فقول إن الموءودة أنثى ليس اتهاماً للقرآن، وإنما إحقاقاً للحق. والقرآن نفسه عندما أراد أن يتحدث عن وأد الصبيان، قال: {ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم. (الأنعام 151)}.

- يستمر بن نبي فيقول:

"قرأت في النت في إحدى المنتديات هذا النص الذي أنقله حرفيا: "الإسلام يخاطب ذكرا في الأساس، و الأنثى عرض بالنسبة له، لذا نجد سورة تسمى بالنساء لإحتواءها على الكثير من الأحكام الخاصة بهنّ، و لا نجد سورة تسمى بالذكور، لأنّ القرءان كلّه خطاب للذكور و أمّا النساء فاستثناء، و الإله الإسلامي ذكر و لو على المستوى اللغوي، وقد فرّق بين الذكر و الأنثى في الشهادة و الميراث و التعدد و الطلاق. هي ليست شبهات كي لا ينبري لنا البعض مدافعا أنّ هذا ليس في الإسلام، ولكن الإسلام ليس بكائن حي ينطق شارحا نفسه، و إنّما ينطق به رجال، و هذه رؤيتنا للقراءة السائدة و بعض آثارها"." انتهى.

ويرد بن نبي بالآتي:

"كلام منطقي جدّا و عيبه الوحيد أنّه يستند إلى مفاهيم الكهنوت في إصدار حكمه. فالإسلام عند هذا الكاتب هو من يخاطب. مع أنّ الإسلام أرضية و ليس حقائق، فالإسلام في مفهومه القرءاني هو أرضية السلم الإجتماعي تحديدا كما أنّ الديموقراطية أرضية و الديكتاتورية كذلك. و الإسلام بهذا لا يُنشأ الحقائق و لا التنمية و لكنّه أرضية لنشوءهما. و يطلق هذا الكاتب لفظ النساء على جمع الأنثى و يراه مرادفا و هو في هذا يخالف عربية القرءان فما علاقة لفظ النساء بلفظ أنثى و إناث على مستوى الجذر ؟ و لم يدر الكاتب أنّ الذكر في القرءان يمكنه أن يكون من النساء و أنّ الأنثى يمكنها أن تكون من الرجال و أنّ مفهوم النساء متعلق بالتأخر في أمر ما سعيا و كسبا و قوامة أو حركة و لا علاقة له بجنس" انتهى.

✍ فالسيد بن نبي قد قالها بنفسه: الإسلام أرضية وليس حقائق. وهذا هو عين الصواب.

فالإسلام ميثولوجيا كهنوتية تعوزه الحقائق، لكنه أرضية خصبة لزراعة الدجل والغيبيات في عقول النشء. أما قوله "إن الإسلام في مفهومه القرءاني هو أرضية السلم الاجتماعي تحديداً كما أن الديمقراطية أرضية" قولٌ يجانبه الصواب. فالإسلام لم يكن في يوم من الأيام سلماً اجتماعياً. أين السلم الاجتماعي من غزوات محمد وخلفائه الذين دمروا الحضارات المجاورة، وحتى البعيدة عنهم، مثل الهند؟ أين السلم الاجتماعي في استرقاق الناس وبيعهم في سوق النخاسة؟ الإسلام لا يمكن أن يقارن بالديمقراطية. وكما قال هو "الإسلام لا يُنشيء الحقائق ولا التنمية" وهذا واضح جداً من حال المجتمعات الإسلامية اليوم بعد مرور ألف وأربعمائة عام على بدء الإسلام. أما قول السيد بن نبي "و لم يدر الكاتب أنّ الذكر في القرءان يمكنه أن يكون من النساء و أنّ الأنثى يمكنها أن تكون من الرجال و أنّ مفهوم النساء متعلق بالتأخر و لا علاقة له بجنس"، فيعجز عقلي عن فهمه. المرأة أصبحت رجلاً والرجل أصبح أنثى في لغة القرآن. ولكن كيف نفسر آيات في القرآن كالتي خاطبت نساء النبي: {**يا نساء النبي لستن كأحد من النساء**}؟ فواضح هنا أن القرآن قصد الأنثى في الخطاب عندما قال يا نساء النبي، اللهم إلا إذا كان السيد بن نبي يريد أن يقول لنا إن النبي كان له نساء من الذكور. وهناك آيات أكثر صراحةً: {**ألكم الذكر وله الأنثى. تلك إذاً قسمة ضيزى.** (النجم 21)}. وكذلك: {**فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى، والله أعلم بما وضعت، وليس الذكر كالأنثى.** (آل عمران 36)}. فالقرآن نفسه يقول لنا ليس الذكر كالأنثى. وعندما قالت الأعراب إن لله البنات، قال الله تلك إذاً قسمة ضيزى، أي غير عادلة. فكيف يكون الذكر مساوياً للأنثى والله نفسه يحتج على ذلك ويقول لنا "ليس الذكر كالأنثى"؟

ولا أفهم كيف يكون مفهوم النساء متعلقاً بالتأخر في السعي والكسب والقوامة والحركة. فعند ظهور القرآن كانت خديجة متقدمة على محمد في الكسب والقوامة، فهي التي كانت توظفه، فهل يعني هذا أن خديجة كانت الرجل ومحمد كان من النساء لأنه كان متأخراً في الكسب؟ وفي أغلب البلاد العربية الآن نجد أن حوالي ستين بالمئة من طلبة كليات الطب من الإناث، وكلهن سوف يصبح كسبهن متقدماً على الرجل، فهل نعكس الأمور الآن ونقول إن النساء هن الرجال لأنهن يملكن القوامة المادية، أي التقدم على أزواجهن، والرجال هم المتأخرون في الكسب، وبذا يصبحون من النساء؟

- ثم يقول السيد بن نبي:

(و يستفتونك في النّسآء؟ قل الله يفتيكم فيهن و ما يُتلى عليكم في الكتاب في يتامى النسآء الّتي لا تؤتوهنّ ما كتب لهنّ و ترغبون أن تنكحوهنّ و المستضعفين من الولدان و أن تقوموا لليتامى بالقسط؛ و ما تفعلوا من خير فإنّ الله كان به عليما" النساء :127هل هناك "يتامى الإناث"!! هذه الأية وحدها تنسف زعم الكهنوت أنّ النساء هي جنس الإناث دون أن يغوص القارئ في بنية القرءان اللفظية و أنّها عربية أي جذرية و أنّ إنتفاء العلاقة في الجذر بين النساء و الإناث يجعلهما مفهومان مختلفان. كل هذا لا يأتي دون تحوير شامل لقواعد كهنوتية لغوية علينا هدمها لإستحالة تطابقها مع موضوعها إذ هي تؤسس قواعد كثيرا ما تتجاوزها لتتعذر بالشذوذ اللغوي و السماعي و القياسي. و عبارة الكاتب الأخيرة تؤكد أن قراءة النص القرءاني الذي يسميه خطأ الإسلام هي قراءة بشرية مرحلية تاريخية) انتهى.

✍ وأظن أن العكس هو الصحيح هنا، وأنّ هذه الآية تكفي لنسف نظرية السيد بن نبي الجديدة.

ونعم هناك يتامى الإناث، أي البنات الأيتام وهناك يتامى الصبيان أي الولدان، كما تقول الآية. كل ما فعله كاتب القرآن هو حذف التعريف من الكلمتين، فبدل أن يقول "اليتامى الإناث" قال يتامى الإناث. فاليتامى لا بد أن يكونوا صبياناً أو فتيات، ولذلك ذكرت الآية النوعين. ولو تمعن السيد بن نبي في الآية لوجد (يستفتونك في النساء...وترغبون أن تنكحوهن.. ولا تؤتوهن ما كُتب لهن) فهل قرأ السيد بن نبي في تاريخ العرب أن المرأة تدفع المهر وتنكح الرجل الذي تريد؟ فمقولة إن انتفاء الجذر بين النساء والإناث تنفي أن يكون النساء إناثاً، مقولة لا معنى لها. فليس هناك أي علاقة جذرية بين كلمة صبي وبين كلمة رجل، ولكن الجميع يعلم أن الصبي إذا كبر أصبح رجلاً وليس امرأةً. وحسب علمي كل القراءات، سواء للقرآن أو غيره هي قراءة بشرية، والقرآن أتى به محمد ليقرأه البشر بلسانهم، ولم يأت به ليقرأه الله أو الملائكة، أما كونها قراءة مرحلية تاريخية، فالقرآن نفسه، بل الأديان عموماً ما هي إلا مرحلة تاريخية مرّ بها الإنسان في طفولته العلمية، وقد بدأ يتخطاها الآن بعد أن بلغ مرحلة الشباب العلمي وهو في طريقه إلى النضوج الكامل الذي سوف يقود إلى فناء الأديان عموماً.

- وبعد أن تحدث السيد بن نبي عن نشوء قواعد اللغة العربية وجدال أهل الكوفة وأهل البصرة في القواعد، قال:

"هذه القواعد اللغوية أصبحت بحكم تكرارها كتابة و نطقا سننا جارية في حياتنا كسريان السنن الكونية الموضوعية و من هذه القواعد التي وضعها هذا الكهنوت قواعد التذكير و التأنيث. و يظهر أنّ هذه القواعد محكمة البناء و لكنّها في بناءها الداخلي متهافتة كما سنرى في بقية

البحث و أول ضربة قاضية توّجه لهذه القواعد هو إفتقادها للعَلْمانية Universality. و ليسمح لي القارئ أن أستعمل لفظ العلمانية في سياق معرفي لا علاقة له بالإطار الأيديولوجي و إن كان في نظري يحمل نفس المفهوم. فالعلمانية معناها في إستعمالي لها في البحث إحاطتها بكل جزئيات القاعدة أي بالتعبير البسيط لا يمكن لقاعدة أن تكون علمانية إن لم تستطع إحتواء كل الأمثلة التي تدّعي سريان القاعدة عليها. فلا يُمكننا أن نقول أنّ الفاعل إن كان جمعا مذكرا سالما يُرفع بالواو و النون و نجد فاعلا جمعا مذكرا سالما منصوبا بالياء و النون. فإمّا أن تعريفنا في تقسيمنا للجملة خاطئ من حيث إعتبار وجود فعل و فاعل و مفعول و ...و أو أنّ الخطأ في قواعد الإعراب أو أنّ الخطأ في كل هذا. و لا يمكن إعتبار قاعدة في القرءان إن لم تكن علمانية و هذا هو الفرق بين البنية و القواعد تحديدا." انتهى

- وكما قلتُ سابقاً، فليس هناك لغة حية تخلو من القواعد، كما أن الظواهر العلمية الطبيعية لها قواعد تحكمها.

ويدعي السيد بن نبي أن قواعد التأنيث والتذكير في اللغة العربية ضعيفة البناء الداخلي، ويستمد سنده من أننا لا يمكن أن نقول إذا كان الفاعل جمعاً مذكراً سالماً يُرفع بالواو والنون، ونجد فاعلاً جمعاً مذكراً سالماً منصوباً بالياء والنون. وأظن أن السيد بن نبي أراد أن يقول "لا يمكن أن نجد فاعلاً مرفوعاً بالياء والنون" وليس منصوباً بالياء والنون كما جاء في جملته، إذ أن الفاعل دائماً مرفوع، وإذا نُصب أصبح مفعولاً به.

والشخص الذي يُقدم بحثاً مطولاً في بُنية لغة القرآن ويريد أن يلقي باللائمة على النحاة، لا بد أن يكون ملماً بقواعد اللغة النحوية والإملائية. ولكن السيد بن نبي لا يعطي القاريء الانطباع بأنه ملمٌ بتلك القواعد، نسبةً لكثرة الأخطاء التي وردت في هذا الجزء من البحث، فمثلاً، نجده يقول: "نشرح الوعد بجعله مرادفا للدس في التراب." والكلمة الصحيحة هي الوأد. ويقول: "أو تُحفر له الأخاديد العميقة ليلقى هناك و ينطفأ بردمها ذكر الجريمة". والكلمة الصحيحة هي ينطفيء. ويقول: "أليس إعتبار الموءدة أنثى إتهام للقرءان من حيث نسيانه لوعد الذكور"، والصحيح هو وأد الذكور، وكذلك كان عليه أن يقول "اتهاماً للقرآن" بدل "اتهام للقرآن" لأن كلمة "اتهام" هنا خبر ليس منصوب. ويقول: "الإسلام بهذا لا يُنشأ الحقائق و لا التنمية و لكنّه أرضية لنشوءهما". والصحيح هو لا ينشيء الحقائق، وأرضية لنشوئهما وليس لنشوءهما. ويقول: . "و يظهر أنّ هذه القواعد محكمة البناء و لكنّها في بناءها الداخلي متهافتة." والصحيح هو في بنائها الداخلي.

وسوف أناقش في الحلقة القادمة خطأ الفرضيات العلمية التي بنى عليها نظريته الجديدة في لغة القرآن.

2009 / 6 / 14

2 مِن 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=175049

- في الحلقة الأولى رأينا أن السيد بن نبي قد قال إن أي قاعدة لا بد أن تكون علمانية أي شمولية، تشمل وتفسر كل جزئيات القاعدة.
- ثم قدم لنا شرحه لهذه الجملة، فقال:

"لا يمكن إعتبار قاعدة في القرءان إن لم تكن علمانية و هذا هو الفرق بين البنية و القواعد تحديدا. إذ كما سنرى فاللغويون يؤسسون قواعد مجزأة لا ترتقي إلى مستوى العلمانية و يحاولون التقليل من حجم هذه الكارثة لعجز القاعدة عن إحتواء كل الأمثلة بقولهم بالشاذ في بناء اللغة أو متذرعا بتنوّع اللهجات في نفس اللغة. وهذه طريقة تفتقد العلمية في دراسة القرءان. فبنية القرءان كما أوضحناه في بحوث المنهج بنيوية كاملة علمانية لا شذوذ فيها و لا إتباع للسان بشر و لا لنثرهم و أنّ بنيته محكمة لا شذوذ للفظ و لا إنفلات كما هو الحال في الكتاب (الكون). فنحن نسعى إلى تأسيس قواعد علمانية سواء في الفيزياء أو البيولوجيا و نؤسس لنظريات تفسر جميع جزئيات الظاهرة و لا يمكننا أن نعتبر القاعدة تخص فقط بعض أجزاء الظاهرة و لا يمكن للعلماء في الحقل الكوني أن يتذرعوا بالشذوذ إذ هذا يعني حتف نظرياتهم. فمعادلات نيوتن تخص كل الظواهر الميكانيكية فهي علمانية في تركيبها و عند إكتشاف شذوذ في تفسيرها لظواهر دوران كوكب .Mercureبدأت النظرية في التململ و بدأ البحث في محاولة إستبدالها حتّى تمّ تغييرها إلى نظرية علمانية أوسع و أرحب هي النظرية النسبية العامة لأينشتاين لتفسير كل الجزئيات و الظواهر السابقة و الجديدة التي لم تستطع نظريات نيوتن تفسيرها ووقفت عاجزة" انتهى.

- ونقول للسيد بن نبي أن التوفيق قد جانبه في بناء نظريته الجديدة، لأنه بناها على فرضيات مغلوطة.

فليس هناك قاعدة علمية أو أدبية تضم وتفسر كل جزئيات القاعدة. والمثل المعروف في العربية والإنكليزية يقول "لكل قاعدةٍ شواذ" Every rule has an exception. وهذا القول ينطبق على كل العلوم الطبيعية. كما ينطبقُ على اللغات، فمثلاً: في اللغة الإنكليزية، فالقاعدة تقول إن الحرف آي I دائماً يسبق الحرف إي E في هجاء الكلمات، إلا، وهذا بيت القصيد، إذا تبع الحرف آي حرف سي C. فنقول: Field حيث يسبق الحرف آي حرف إي، وهو القاعدة. لكننا نقول Receive حيث يسبق الحرف إي حرف آي. وما ينطبق على اللغة الإنكليزية أخاله ينطبق على أغلب اللغات.

أما في العلوم الطبيعية فنجد في "جدول مندلييف" Mendeleyev للعناصر الكيميائية Periodic Table أن القاعدة تقول: إن قدرة كل المعادن على جذب الإلكترونات تقل عن قدرة المواد غير المعدنية، باستثناء الغازات النبيلة مثل غاز النيون. فالغازات النبيلة تشذ عن القاعدة العلمية.

Metals generally have a lower electron affinity than non-metals, with the exception of the noble gases.

- وإذا أخذنا المثال الذي قدمه هو عن كوكب عطارد Mercury، وهو أقرب الكواكب للشمس، نجده يقول:

"فمعادلات نيوتن تخص كل الظواهر الميكانيكية فهي علمانية في تركيبها و عند إكتشاف شذوذ في تفسيرها لظواهر دوران كوكب Mercury بدأت النظرية في التململ و بدأ البحث في محاولة إستبدالها حتّى تمّ تغييرها إلى نظرية علمانية أوسع و أرحب هي النظرية النسبية العامة لأينشتاين لتفسير كل الجزئيات" انتهى.

- وهذا الشرح غير دقيق، وغير علمي أبداً، رغم أن السيد بن نبي أستاذ فيزياء. نظرية نيوتن عن كوكب عطارد لم يظهر بها شذوذ أبداً، ولم تُغيّر بنظرية النسبية، كل ما هناك أن نيوتن في عصره الذي كان يفتقد الإمكانات العلمية المتاحة الآن، قادته حساباته إلى أن درجة تذبذب محور كوكب عطارد precession حين يدور حول نفسه هي 5557 ثانية قوسية Arcsecond، في كل مائة سنة، وجاءت نظرية آنشتاين وأعادت حسابات التذبذب فقدرته ب 5560 Arcsecond في كل مائة عام. وحتى يكون القاريء على بينة مما نقصده، فإن الدائرة بها 360 درجة. فإذا أخذنا درجة واحدة وقسمناها إلى 60 قسماً فهذا يعطينا دقيقة آركية أو قوسية واحدة Arcminute أي واحد على ستين من الدرجة الواحدة. وإذا قسمنا الدقيقة القوسية إلى ستين قسماً، فهذا يعطينا ثانية آركية أو قوسية، وهي تساوي الرقم 1 مقسوماً على 129600 الذي هو محيط الدائرة والذي يساوي 0.0000077 وهذا هو مقدار الثانية الأركية. فالفرق بين حسابات نيوتن وآنشتاين تساوي ثلاثة ثواني قوسية كل مائة سنة. ويتضح من ضآلة

القيمة الحسابية أن الفرق يكاد لا يذكر. فنظرية النسبية لم تكتشف شذوذاً في نظريات نيوتن وإنما أكدتها بالعلم الحديث مع إجراء تغيير طفيف على حساب الذبذبة في محور هذا الكوكب.

ثم هناك دوران الكواكب التسعة وكلها تدور حول محورها من الغرب إلى الشرق، ما عدا كوكب الزهرة الذي يدور من الشرق إلى الغرب. وكذلك في علم الأجنة فالقاعدة هي إذا التقى الحيوان المنوي الذي يحمل الكروموسوم x مع البويضة التي دائما تحمل الكرموسوم x فإن المولود يكون انثى، وإذا اجتمع الحيوان المنوي الذي يحمل الكرموسوم y مع البويضة، فالمولود يكون ذكراً. ولكن لأن الطبيعة تقول لكل قاعدة شواذ، هناك مئات الآلاف من الناس لهم أعضاء الإناث وأعضاء الذكور مجتمعه، ويسمون Hermaphrodite[†] أي الجنس الثالث. فنرى الفرد منهم له أثداء المرأة ونعومتها مع أنه يمتلك عضواً تناسلياً ذكورياً وبنفس مقياس الرجل العادي، ويستطيع أن يجامع المرأة ويقذف. وهذا كذلك يثبت أن لكل قاعدة شواذ. *<u>فافتراض السيد بن نبي أن القاعدة العلمية لا يكون بها شواذ، افتراض خاطيء، وقد بني عليه نظريته، وكل ما بُني على خطأ فهو خطأ.</u>*

- ونأتي الآن إلى القرآن، حيث يقول السيد بن نبي:

> "فبنية القرءان كما أوضحناه في بحوث المنهج بنيوية كاملة علمانية لا شذوذ فيها و لا إتباع للسان بشر و لا لنثرهم و أنّ بنيته محكمة لا شذوذ للفظ و لا إنفلات" انتهى.

✍ فكيف تكون لغة القرآن لا اتباع فيها للسان بشر، فاللغة، أي لغة، هي اختراع بشري، والقرآن يقول لمحمد الذي هو من البشر: {**فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لدا.** (مريم 97)}؟ فإذا القرآن كان ميسراً بلسان محمد، وقد قرأه على أصحابه بعدة طرق مختلفة سموها فيما بعد بالأحرف السبعة، ألا يُثبت هذا أن لغة القرآن لغة بشرية؟

ثم كيف يدعي السيد بن نبي أن لغة القرآن لا شذوذ فيها للفظ ولا انفلات؟ بالنسبة لشذوذ اللفظ، يقول القرآن {**وجعلوا لله شركاء الجن وخرقوا له بنين وبنات.** (الأنعام 100)}. فعندما يتحدث القرآن عن قصة الخلق يقول في كل الآيات "وخلقوا" أو "وخلقنا" ومع ذلك شذ هنا وقال "وخرقوا" له بنين وبنات، وهو يقصد أنهم خلقوا له بنين وبنات. والخرق في لسان محمد الذي أتى به القرآن هو الخزع أي جعل فتحة بالشيء، فنقول "خرق السفينة" مثلاً. والقرآن نفسه يقول {**فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها.** (الكهف 71)}. فواضح أن الآية الأولى بها شذوذ عن لغة القرآن نفسه، ناهيك عن لسان العرب. وهناك كم هائل من الشذوذ في لغة القرآن إملاءً ونحواً.

- وبعد أن تحدث السيد بن نبي عن قواعد التأنيث والتذكير، قال:

> "و لكنّنا نفاجأ و نحن نقرأ بعض بلاغات القرءان :
>
> "قال إبراهم فإنّ الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر" البقرة:258
>
> "فلمّا رءا الشمس بازغة قال هذا ربّي هذآ أكبر، فلمّآ أفلت قال لا أحب الأفلين" الأنعام:78
>
> ونحن هنا أمام خيارات تأتي على أحد القواعد بلا شك، فإمّا أن نقول أنّ الشمس كلفظ يصح تأنيثه و تذكيره و هذا ما قاله اللغويون مؤكدين أنّ تأنيث الشمس معنوي أو مجازي و أذكاهم قال سماعي. و هذا قول يفتقد الدليل حتّى في عبارات ما أسموه بالشعر الجاهلي.
>
> و إمّا أن نقول أن التاء المربوطة في بازغة لا تدل على التأنيث و هذا الكلام صعب قوله في قواعد اللغويين." انتهى.

✍ ويبدو أن السيد بن نبي قد خلط في قواعد النحو هنا. فالعرب دائماً قالوا إن الشمس مؤنث والقمر مذكر، وهو بالطبع تأنيث وتذكير معنوي، فالشمس جماد ولا يمكن أن يكون تأنيثها فعلياً. والقرآن نفسه ذكر الشمس خمسين مرة، وفي كل مرة كانت مؤنثاً. وقوله إن الشعر الجاهلي ليس به دليل عن تأنيث الشمس، قولٌ خطأ. معلقة طرفة بن العبد تقول:

ووجهٌ كأن الشمس ألقت رداءها　　　عليه، نقيُ اللون لم يتخددِ

فطرفة بن العبد قد خاطب الشمس بالتأنيث. أما الآية {**فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر، فلما أفلت قال لا أحب الآفلين**} فالشمس فيها مؤنث كذلك بدليل أنه قال: لما أفلت، والتاء للتأنيث. أما قوله: هذا ربي، هذا أكبر، فهو هنا يرمز باسم الإشارة "هذا" إلى الرب، وليس الشمس، وبما أن الرب مذكر، فلا بد أن يكون اسم الإشارة الذي يرمز إليه مذكراً. فهو كأنما يقول: هذا الشيء هو ربي. فليس هناك أي سبب لتغيير قواعد النحو.

- ثم يستمر السيد بن نبي فيقول:

> "2 ـ المؤنث اللفظي ما لحقته علامة التأنيث كالتاء المربوطة و ألف التأنيث المقصورة و ألفه الممدودة: امرأة، ناقة، حسنى ،صفراء.
>
> يكفي لتسقط هذه القاعدة أن نقرأ هذا البلاغات التالية :
>
> "لئلاّ يكون للناس عليكم حجّة" البقرة:150
>
> ففي فعل التذكير "يكون" و المؤنث "حجة" تنافر حسب القواعد اللغوية و يذهب هؤلاء كالعادة إلى تقدير المحذوفات في النص القرءاني ليتلاءم مع ما أرسوه من قواعد." انتهى.

✍ وليس هناك أي تنافر أو حجة في الآية، فالعرب الذين جاء بلسانهم القرآن يقولون، كما قال شاعرهم الجاهلي:

ألهى بني تغلب عن كل مكرمةٍ　　　قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثومِ

فالكلمة "ألهى" للمذكر، و"قصيدة" مؤنث. ولم يقل الشاعر "قد ألهت". فالشاعر يقول: الشيء الذي ألهى بني تغلب، قصيدةٌ قالها عمرو، فالكلمة "ألهى" راجعة للشيء.

أما الآية التي ذكرها من البقرة وهي {**لئلا يكون للناس عليكم حجة**} وقال إنها تنسف القواعد، فإنها بالعكس تنسف نظريته الجديدة التي تقول إن لغة القرآن شمولية وليس بها شواذ. فالقرآن يقول لنا:

{**ولئلا يكون للناس عليكم حجة.** (البقرة 150)}. مذكر ومؤنث
{**لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.** (النساء 165)}. مذكر ومؤنث
{**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله.** (البقرة 193)}. مؤنث ومؤنث
{**أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب.** (البقرة 266)}. مؤنث ومؤنث

فنجد "يكون" مع المؤنث "حجة، مرتين. ونجد "تكون" مع المؤنث "فتنة" و"جنة" مرتين. فكاتب القرآن يستعمل ما تيسر له من الكلمات المعروفة في لغة العرب، وبإعرابها المتفق عليه.

- ويستمر السيد بن نبي، فيقول:

> ""قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف و ألقوه في غيابات الجبّ يلتقطه بعض السيارة إن كنتمـ فاعلين" يوسف:10 "يلتقطه" للتذكير و "السيارة" للتأنيث حسب قواعد اللغويين و هم يتذرعون أنّ التاء المربوطة تستعمل في جمع التكسير لتدل على جمع القلّة و هم بهذا قضوا على علمانية القاعدة و كان يجب أن تُصاغ القاعدة بالشكل التالي :"ورود التاء المربوطة في أخر لفظ لا يعني بحال أن اللفظ مؤنث" " انتهى.

✍ والخطأ الذي ارتكبه السيد بن نبي هنا أنه لم ينتبه إلى أن الفعل "يلتقطه" يعود على الفاعل "بعض" وكلمة السيارة مضاف إليه، وليست الفاعل. وكان يمكن أن يقول يتلقطه بعض الرجال، أو يلتقطه بعض النساء، أو يلتقطه بعض الرهبان. فكلمة بعض لم

[†] **المخنث** (الجمع المخنثون). وهذه الحالة تدعى **الخنوثة** hermaphrodism

تتغير مع تأنيث وتذكر المضاف إليه. فليس هناك أي داعي لتغيير قاعدة التاء المربوطة التي ترمز إلى المؤنث. القاعدة الجديدة يجب أن تكون:

"إنّ الذي يتصدى للدفاع عن لغة القرآن لا بد له أن يكون ملماً بكل قواعد اللغة العربية المتعارف عليها قبل الخوض في البحث".

- ثم ينتقل بنا السيد بن نبي إلى سورة يوسف، التي هي أصلاً محل انتقادات كثيرة لدرجة أن بعض النقاد قالوا إنها فيلم "بورنو" تصف الجنس أكثر مما تصف رسالة يوسف، فيقول:

> "و قال نسوة في المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه!! قد شغفها حبّا، إنّا لنراها في ظلال مبين" يوسف:30. فإعتبار المفسرين للنساء على أنّه جمع أنثى أدّى إلى إعتبار النسوة إناثا بطبيعة الحال و الأية في الحقيقة لا تتحدث عن جمع إناثي قليل العدد (جمع قلّة) بل عن تجمع يشبه بتعبيرنا الحزب سياسي الضعيف مقارنة بالعزيز و القوي بتماسك أفراده الدالة عليه تاؤه المربوطة و هذا الحزب يسعى للولادة و الظهور لإهتمامه بقضايا السلطة و هو يحاول التشكيك بأخلاقيات بيت العزيز ليصل بتأثيره إلى مبتغاه.و نلاحظ أنّ تاء امرأت العزيز جاءت مفتوحة للدليل على إقترانها بالعزيز و السكين ليس آلة كما اعتقد المفسرين بل أقرب مشتقاته في القرءان السكن / سكينة ... الدال على هدوء الذات و معاني الإطمئنان للشيء و كأنّ إمرأت العزيز وضعت أعضاء هذا الحزب المتنفذين في مكان هادئ و أعطتهم ما به يسكنون من أكل و شرب و لهو في إنتظار مجيء يوسف، و لما ظهر و جرى معه الحديث و التعرف و الإستئناس المعبر عنه بالقول حدث تقطيع الأيدي و ليس هذا القطع بترا لعضو في الجسم بل هو تقطيع للرابط بين أعضاء هذا الحزب فالقطع في القرءان ليس مرادفا للبتر." انتهى.

- "وقالت نسوة في المدينة" فجأةً **وبقدرة قادر أصبحت حزباً سياسياً يحاول استلاب السلطة من عزيز مصر**، والدلالة على ذلك التاء المربوطة في "نسوة".

ياله من إله أكروباتي يجيد مخاطبة الناس بلغتهم ولكن في شكل رموز غير مفهومة للمخاطب، واستمرت غير مفهومة على مدى ألف وأربعمائة عام حتى جاء الأستاذ بن نبي ليشرحها للناس.

هل يُعقل أن يكون الأستاذ جاداً فيما يقول؟ وهذا الحزب الذي يشكك في أخلاقيات بيت العزيز، تدعوه زوجة العزيز إلى قصرها وتقدم لهم الأكل والشرب بدل أن تعتقلهم. وتمنحهم السكينة بدل السكاكين التي يأكلون بها تلك الوليمة. ولكنا لا نعلم في هذه التمثيلية موقع يوسف من الأحزاب، هل هو مع الحزب الجديد أم مع حزب العزيز؟ لا بد أن يكون يوسف مع حزب العزيز لأنه كان متعاوناً مع امرأة العزيز، ولما ظهر يوسف، قطّع أعضاء الحزب الجديد المفترض أن يكون مكوناً من نساء ورجال، الروابط بينهم بمجرد ظهوره. لا بد أن هذا الحزب كان يفتقد أي أيديولوجية تربط أعضاءه بعضهم ببعض، ولذا قطعوا روابطهم *وتفرقوا أيدي سبأ* بمجرد أن حدثهم يوسف. ولكن الغريب أن يوسف المتعاون مع امرأة العزيز انتهى في السجن، بينما نعم أعضاء الحزب المناويء بحريتهم. **أعتقد أن هذه مهزلة في التأويل لا تليق بأستاذ فيزياء.**

والغريب أن يقول السيد بن نبي: (نلاحظ أنّ تاء امرأت العزيز جاءت مفتوحة للدليل على إقترانها بالعزيز). فإذاً التاء المفتوحة تدل على العزة. ولكن كيف يفسر السيد بن نبي هذه الآيات، وهو الذي يقول **إن لغة القرآن منظومة علمانية كاملة وشاملة ليس بها أي شواذ كبقية القواعد العامة**:

{**ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين**. (آل عمران 61)}. التاء مفتوحة في لعنت الله.
{**أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة**. (آل عمران 87)}. التاء مقفولة في لعنة الله.
{**إذ قالت امرأت عمران ربي إني نذرت لك**. (آل عمران 35)}. التاء مفتوحة في امرأت.
{**وإن كان رجلٌ يورث كلالة أو امرأةٌ**. (النساء 12)}. التاء مقفولة في امرأةٌ.
{**الذين بدلوا نعمت الله كفراً**. (إبراهيم 28)}. التاء مفتوحة في نعمت.
{**ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته**. (البقرة 211)}. التاء مقفولة في نعمة.

وإلى اللقاء في الحلقة القادمة.

عودة إلى الفهرس

2009 / 6 / 11

163 - الحبُ في مدينةِ الزحام

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=174742

أحبائي...
وعفواً إنْ دعوتكمُو أحبائي
لأن الحبَ في وطني
رخيصٌ مثل دود الأرضِ
منبوذٌ بطول بلادنا
بالعرض
يضيعُ بليَل وحدته
ويحضنه الضياعْ

أحبائى...
غريبٌ كنت في وطنى
لأنى قد تخذتُ† الحبَ آلهةً
سجدتُ له بكل تبتلِ العُشاق
فرشتُ له رموشَ العينِ والأحداقْ
وعشتُ مشرداً فى الأرضِ
بلا ذنبٍ
سوى أنى عشقتُ صبيةً فى الحيْ
ضفائرها كليلِ شتاءِ قريتنا
طويلٌ... مابه نجمةْ
تواكبُ مولد الإصباحْ
ونهداها ...... قبابُ المسجدِ الأقصى
إذا تبصرهما تنداحْ
وعيناها...... كمجدِ الله...... واسعةٌ
ومن منكم لمجدِ الله لا ينصاعْ

أحبائى...
غريبٌ كنت فى بلدى
غريب مله الترحالْ
فجئتُ إلى مدينتكمْ
أضمدُ حبي المجروحْ
أغذيه مشاعرَكمْ
أطوفُ به محافلكمْ
لأنفثَ فيه بعض الروحْ
وهيهاتَ......
مدينتكم بلا إحساسْ
مسطحةٌ عواطفُها
مقوسةٌ ضمائرُها
يغلفها الضياعْ

ورغمَ كثافة الأضواءْ
ورغمَ تعددِ الخطباء
يموتُ الحبُ مقتولاً بجنح الليلِ
ينزفُ فى أزقتها صديداً
يملأ الطرقاتْ
ويجرفُ فى جوانبه
مسابحَكمْ
مساجدكمْ
وكلَ كنائسَ الأحياء
بلا استثناء
ففيها ماتَ بعضُ الحبِ
مصلوباً على الأطماعْ

أحبائي...
وعفواً إنْ دعوتكمو أحبائي

لأن الحبَ يقتلُ فى مدينتكم
سأرحلُ عن مدينتكم
بدون وداعْ

عودة إلى الفهرس

2009 / 6 / 18

165 - يا نهدها

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=175463

يانهدها
ياجامحاً كخيالها
حطم قيودكَ وانطلقْ
مزق عليها قميصها
ابصق على ستيانها
أصعد علواً وانخفض
أرقص على أضلاعها
أو نِمْ غريراً هانئاً
واحلم بكفِ حبيبها
وقت اللقاء

يانهدها
يازنبقه
يافتنةً بالعازفين عن الهوى متربصه
ياوهج نيران المجوس المُحرقه
نيرونُ ماتَ
فهل ورثت المِحرقه
أم غررت بك طفلةٌ
تهوى مداعبة السباعِ الجائعه
لا تدرى أنّ الإفتراسَ غريزةٌ
والسبعُ يفترس الظباء

يانهدها
أنا لست قديساً يحوقلُ من ملامسةِ النساء
أو راهباً بالديرِ ينتظر المساء
أنا شاعرٌ متمرسٌ فى الحبِ
موفور العطاء

لكننى يانهدها
أخشى عليك من الجياعْ
أخشى المشايخَ
يحملون مسابحاً متوهجه
وعيونهم كالمطرقه
تهوي على كل النهود الواعده
فيحوقلون تملقاً
يتسلقون مآذن الحلماتِ
في الهزع الأخير من العِشاء

يانهدها
كن ثائراً
كن راهباً متبتلا
كن قاتلاً
كن ماجناً أو ناسكا
كن كيف شئت تمردا
إنّ التمردَ شيمة النبلاء

عودة إلى الفهرس

2009 / 6 / 25

167 - مرة أخرى أعتذر

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=176195

آعتذر للحبِ ..بعد حبيبتي
أنا أعتذرْ
فالحبُ لم اختره
جاء مباغِتاً واختارني
حط الرحالَ بقلبي دون مشورتي
ضيفاً عزيزاً مقتدرْ

وحبيبتي... كسحابةٍ
في الصيفِ جاءت عابره
لم تنتظر أنْ أرتوي من مائها
أو أستظلَ ظلالها
نزلت بقلبي
أسعدتني بحبها
وتفجرت في داخلي
نيرانُها
فعبدتها
صليتُ في محرابها
أصبحتُ طفلاً عندها
وحلمتُ بالحلوى على أهدابها
وسألتها:
هل تشتهيني حبيبتي؟
ياليتني قد متُ يومَ سألتُها
إذ كان رد حبيبتي كالصاعقة
كعواصفٍ بغيومها متلبده
هطلتْ عليّ
بكل أنواع الردود القاتله
وتزاحمت في مسمعي كلماتها
قد عنّفتني حبيبتي
وتبرأت من حبنا
قالتْ بأني قد قتلت الحبَ
يوم سألتها
وصلبته في متجر الجنسِ الرخيصِ
صلبتُها
لم يبقَ إلا أن أغيبَ
واعتذرْ لحبيبتي
هل تسمعيني حبيبتي؟
لك اعتذر

عودة إلى الفهرس

2009 / 6 / 21

166 - متى ينتهي هذا الصلف؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=175788

عُقِد في تونس قبل أيام المؤتمر الرابع عشر للدراسات الموريسكية برئاسة السيد عبد الجليل التميمي، رئيس اللجنة الدولية للدراسات الموريسكية (تتخذ من تونس مقرا لها)، الذي قال:

> إن المشاركين في المؤتمر سيطلبون من إسبانيا تقديم اعتذار رسمي للعالم الإسلامي عما اقترفته أيديهم من جرائم في حق المسلمين في القرن السادس عشر للميلاد، والإقرار بأخطاء الماضي من أجل بناء حوار الحضارات على أسس متينة.

ومن اللافت للنظر أن المؤتمر شارك به أكثر من 55 باحثا من اليابان والهند وإسبانيا وعديد من الدول العربية والإسلامية.
ويبدو أن السيد عبد الجليل التميمي والمؤتمرين جميعاً*قد وضعوا العربة أمام* الحصان. فمن الذي يجب عليه أن يعتذر للآخر؟
وتبدو الإجابة واضحة من دعوة السيد التميمي اليابان لحضور المؤتمر. اليابان، ذلك البلد الذي أجبر آلاف الفتيات والنساء الكوريات على العمل كمحطات استراحة للجنود اليابانيين ما بين 1932 و 1945. كان عمر أغلب النساء اللاتي سموهن "نساء الراحة" comfort women بين أحد عشر عاماً واثنتين وثلاثين سنةً، وفرضوا على كل واحدة منهن أن تستقبل ثلاثين جندياً في اليوم. وعندما خسرت اليابان الحرب، **قتل بعض الجنود أنفسهم لشعورهم بالعار من الهزيمة**، وفي نفس الوقت قتلوا بعض نساء الراحة الكوريات.
وكان الجنود أنفسهم يلقبون هؤلاء النسوة البائسات Sen Pees. وكلمة sen كلمة تحقير في اللغة اليابانية وتعني كوري، وكلمة Pees كلمة صينية تعني أشفار المهبل.
وظلت الحكومة اليابانية تنكر حدوث هذه المأساة الإنسانية حتى العام 1990 عندما تمكن أحد الباحثين اليابانيين من العثور على وثائق رسمية تثبت حدوث المأساة وتثبت أن الحكومة اليابانية كانت على علم بالمشروع منذ البداية. وحتى الآن لم تقدم اليابان أي اعتذار للنساء المتضررات والباقيات على قيد الحياة، ولا للحكومة الكورية. فمشاركة وفد اليابان تتماشى والموقف الإسلامي من المآسي التي ارتكبوها بحق الغير.
فالمسلمون هم الذين عبروا البحر الأبيض المتوسط وغزوا إسبانيا، رغم أن الأخيرة لم تفعل شيئاً ضد الإسلام. فمنذ أن وقف القائد عقبة بن نافع على حصانه بالقرب من مدينة أغادير المغربية غلى شاطيء المحيط الأطلسي ورفع سيفه نحو إسبانيا في عام 681 م وصاح "الله أكبر"، ذاق الإسبان الأمرين من جيوش وخلفاء المسلمين حتى عام 1492 حينما انتصر الملك فيردناند على ممالكهم المتصارعة.

> فموسى بن نصير فاق في قسوته كل الحدود المعروفة آنذاك. فقد وصفه المؤرخون المسيحيون في ذلك الوقت **بأن قلبه لا يعرف الرحمة**، فقد أحرق المدن وأمر بتعذيب النبلاء والحكام وأمر بقتل الأطفال والنساء المرضعات.[1]

فعندما طرد الملك فيردناند المسلمين من إسبانيا إنما كان قد طرد الغزاة من أرضه، وهو ما نسمعه الحين من الإسلاميين الذين يقولون لن يكون هناك أمن في العراق إلا بطرد الغزاة.
ومن المستغرب أيضاً دعوة الهند إلى هذا المؤتمر المسخ.

> فعندما أرسل الحجاج بن يوسف الثقفي ابن عمه محمد القاسم إلى بلاد السند في عام 712 م **كانت أوامره إنزال الدمار والتخريب بالكفار**. وعندما بلغ الحجاج أن محمد القاسم قد عفا عن بعض الرجال الهنود، عنّفه الحجاج وأصدر أوامره له **بقتل كل الرجال البالغين وسبي النساء والأطفال**. ولذلك عندما دخل جيش ابن القاسم مدينة براهمن أباد، قتل ابن القاسم ستة آلاف أسير من الهنود.[2]

وعندما يتحدث المؤتمرون عن طرد المسلمين من إسبانيا، فبدل أن يطلبوا من إسبانيا الاعتذار على طرد الغزاة، كان عليهم أن يذكروا اليهود الذين طردهم المسلمون من بلادهم عندما احتلوها. وكذلك الذين أُجبروا على اعتناق الإسلام، والذين قُتلوا. فمثلاً:

> «في عام 1033، قتل المسلمون ستة آلاف يهودي في مدينة القيروان.
>
> وفي مراكش ارتكب المسلمون مجزرة في الحي اليهودي في عام 1232.
>
> وفي عام 1828 ارتكب المسلمون مجزرة بحق اليهود في بغداد.
>
> وفي عام 1839 قتل المسلمون مئات اليهود في مدينة مشهد بإيران.
>
> وفي إسبانيا نفسها فقد قتل المسلمون أعداداً غفيرة من اليهود بالقرب من مدينة قرطبة في عام 1010.
>
> وفي مدينة غرناطة Granada في عام 1066 أثناء تظاهرات المسلمين في ذلك العام، قتل المسلمون جميع سكان المدينة من اليهود والبالغ عددهم ستة آلاف.» [3]

وبعد مجازر اليهود جاء طردهم من البلاد العربية.

> ففي عام 1066م، وفي تونس التي يجتمع بها المؤتمرون، طرد المسلمون كل يهود مدينة القيروان الذين لم يُقتلوا مع إخوانهم في المجزرة السابقة عام 1033.
>
> وفي عام 1770، وكذلك في عام 1786، طرد المسلمون اليهود من مدينة جدة إلى اليمن.
>
> وفي العام الماضي طرد تنظيم الشباب المؤمن من أنصار الحوثيين، خمسة وأربعين يهودياً من مساكنهم في محافظة صعدة.[4]

وإذا تحدثنا عن المسلمين العثمانيين فقد أشبعوا شرق أوروبا وبلاد البلقان قتلاً وسبياً ونهباً وتعذيباً مما لا يتسع المجال لذكره، وفرضوا على الأوروبيين جزية تُدفع بالأطفال بدل الدنانير.

> **فكانوا يأخذون كل عام مئات الأطفال الذين ضموا الصبيان منهم إلى الجيش بعد التدريب، والإناث أصبحن خادمات بيوت. فكم أم أضحت ثكلى على فلذة كبدها التي أخذها السلطان العثماني.**

وفي العقود القليلة الماضية أعتذرت الدول المتحضرة عن ماضيها الأسود،

- فاعتذرت الكنيسة لليهود عن المحرقة النازية، ليس لأن الكنيسة قد شاركت فيها، ولكن لأن موقفها كان سلبياً ولم تنطق بكلمة حق ضد المحرقة. **ولأن الساكت عن الحق شيطان أخرس، اعتذرت الكنيسة**.

---

[1] Andrew Wheatcroft, Infidels, Penguin Books, 2003, p 66.
[2] Ibn Warraq, Why I am not a Muslim, Promethus Books, 1995, p 220.
[3] نفس المصدر، ص 228.
[4] محمد الخامري، إيلاف، 2007/1/21.

- واعتذرت الكنيسة الكاثوليكية مرة أخرة للعالم گـاليليو لما لحقه من تعسف رجال الدين عندما قال إن الأرض تدور حول الشمس.
- واعتذرت بريطانيا عن ماضيها في العبودية، رغم أنها هي التي منعتها، ولكن لأن سفنها التجارية كانت تستورد العبيد من أفريقيا، اعتذرت الحكومة البريطانية.
- واعتذرت إيطاليا حديثاً لليبيا عن فترة الاستعمار الطلياني لذلك البلد ووافقت إيطاليا على دفع خمسة مليارات دولار تعويضاً لليبيا.
- كما اعتذر الكونگرس الأمريكي في الأسبوع المنصرم عن تاريخ استعباد السود بأمريكا.
- واعتذر البابا بنيدكت السادس عشر عن كلمته التي أصابت المسلمين بالهستريا الجماعية قبل نحو عامين من الزمان.
- واعتذر الأمريكان كذلك للهنود الحمر عما أصابهم في القرنين الماضيين.
- واعتذرت حكومة أستراليا من السكان الأصليين الذين كان الرجل الابيض يصطادهم كما يصطاد الحيوانات.

فهل من الممكن أن يترك المسلمون **صلفهم الأجوف**

- ويعتذروا عن ماضيهم الأحمر والأسود للهند، وشمال أفريقيا، بما فيها تونس التي يُعقد بها **هذا المؤتمر الخالي من الحياء،** فإن ربهم لا يستحي من الحق، كما يقول محمد في القرآن (واللي استحوا ماتوا).
- هل يمكن أن نسمع اعتذاراً من المسلمين لأقباط مصر الذين ذاقوا الهوان والذل والموت على أيدي الجيوش والقبائل العربية التي استوطنت بلادهم واضطهدتهم؟
- هل يمكن أن نسمع اعتذاراً من الأتراك على مجزرة الأرمن التي حدثت في عام 1915 وقتل فيها الأتراك ما يقرب من مليون أرمني ورحّلوا البقية عن ديارهم؟
- هل نسمع اعتذاراً للأكراد الذين استلب المسلمون في العراق وإيران وسوريا وتركيا وطنهم وأذاقوهم القتل والتنكيل، الذي ربما كان آخره ما فعله بهم صدام حسين وما تفعله سوريا وإيران وتركيا الآن من قصف القرى وقتل المتظاهرين المسالمين؟

أتمنى أن يترك المسلمون صلفهم وعنجهيتم الفارغة التي يستمدونها من "كنتم خير أمة أخرجت للناس". فإذا كانت هذه هي خير أمة أخرجت للناس، فعلى الإنسانية العفاء.

عودة إلى الفهرس

168 - ردود على القراء

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=176461

أغلب القراء يتفقون مع ما أكتبه ولهم شكري، وبعض القراء قد يعترضون على ما أقول، وبعضهم يقدم أسئلة ويطلب الإجابة. سوف أحاول جهدي أن أجيب على الجميع، ولكن ضيق المساحة قد لا يسمح بذلك. فللقراء الذين تسقط أسماؤهم سهواً أو لضيق المساحة، أقدم اعتذاري.

- السيد نبراس يقول في تعقيبه:

(هناك أشياء كثيرة يجب على المسلمين الاعتذار عنها، منها الغزوات والجرائم التي إرتكبت طوال التاريخ الإسلامي بما فيها غزوة نيويورك وواشنطن وماتبعهما عن تزوير التاريخ والإدعاء بأن المسلمين لهم فضل على الحضارة الأوروبية*

*عن الكذب والتدليس الرخيص ومايسمى بالإعجاز العلمي وربطة بمتشفات الحضارة التي يعتبروها كافرة.) انتهى.

✍ وأنا أوافق السيد نبراس فيما ذهب إليه وأضيف أن المسلمين لم يقدموا للحضارة الإنسانية شيئاً يُذكر.
فالصفر الذي يقولون إنهم اخترعوه، كان قد اخترعه الهنود قبلهم، وقام المسلمون بسرقة الاختراع عندما احتلوا السند والهند. أما الطب والفلسفة والمنطق فلم يأتِ العرب والمسلمون فيها بجديد، ولكن لهم الفضل في ترجمة الثقافة الإغريقية وحفظها من الضياع (وللعلم فقد قام بالترجمة مسيحيو سوريا والعراق إذ أن العرب المسلمين كان محمد ومن بعده عمر بن الخطاب قد منعاهم من تعلم اللغات الأخرى خوف اكتشافهم ما حوت عليه الحضارات الأخرى واقتبسه محمد منها). وكما قلنا سابقاً فإن لكل قاعدة شواذ. والشواذ هنا هو علم الجبر الذي بدأه أبو بكر الخوارزمي ولكن وقفت إنجازاته في بداية الطريق **عندما قرر الفقهاء أن كل علمٍ غير علم الشريعة، علم لا ينفع**، وظلوا يرددون دعاء محمد [اللهم قنا شر علم لا ينفع]. وكذلك علم النباتات الذي برع فيه ابن البيطار، وابن الهيثم الذي كان له باع في البصريات (وثلاثتهم من أصول فارسية).

- السيد طلعت خيري يقول:

(هذا يعني ان البشريه على مختلف الاديان والقوميات نكل بعضهم بعض اشد التنكل .. الاعتذار لايكفي ودفع الاموال غير مجزي لمستوى الكارثه هل تستطيع ان تعطينا ستراتيجيه نتبعها نحنوا البشريه تقيني كوارث تقع على بني البشر مستقبلا وتجعل الشعوب تعيش بامان واستقرار . قبل ان تجيب على هذا السؤال لابد من ان تذكر لنا اساب الصراعات البشريه وخاصة الصراعات الدينيه ومن هو الذي يدفع بتلك الصراعات لانك منتقد حتى يكمل انتقادك لابد ان تثبت لنا بانك اكبر عقلا واكثر تغيرا في واقع الحياة البشريه) انتهى.

✍ الاستراتيجية الوحيدة التي يمكن أن تنفع البشرية وتنهي الاقتتال والكراهية الدينية هي *فصل الدين عن الدولة*، حتى يكون كل المواطنين سواسية أمام القانون ولا فرق بين مسيحي وبوذي وخير أمة أخرجت للناس. أوروبا عاشت قروناً طويلة في حروب دموية بين الكاثوليك والبروتستانت، ثم في الحروب الصليبية بينهم وبين المسلمين، ولم تتوقف الحروب الدينية إلا بعد فصل الدين عن الدولة، وجعل الدين شأناً فردياً بين الإنسان ومعبوده. ومنذ الحرب العالمية الثانية لم تشهد أوروبا حرباً إلا في البلقان وبسبب الأديان (الصرب الأرذوكس ضد المسلمين وضد الكروات الكاثوليك). **وإذا لم يعجبهم هذا الحل فالرجوع إلى التعددية الإلهية يجنب الناس الحروب الدينية إذ أن الشعوب التي كانت تعبد آلهة متعددة لم تنشأ بينهم أي حرب بسبب الدين.** ولا أظن، ولا يمكن لي أن أدعي، أن عقلي أكبر من بقية العقول. **فعقلي لا يختلف عن عقل الشيخ بن باز، غير أني فتحت عقلي للعلوم، وأغلق بن باز عقله لها.**

- السيد سردار أحمد يقول:

(لا أعرف هل الأوروبيين أغبياء ومغفلين عندما يخضع البرلمان الأوربي لمجموعة زعران ويفتي البرلمان الأوربي بمنع كل شيء خاص بالنبي محمد'أم أنهم من أجل تصريف بضائعهم يتخلون عن كل شيء حتى سلامة أطفالهم بالمستقبل، في دول لا تضع أية خطوط حمر لمواطنيها حتى لو كانت تجاه رئيس الدولة، أو تجاه الديانة السائدة(المسيحية) لكنها تضع خطوط حمر لمواطنيها تجاه الإسلام والمسلمين، ثم بعد ذلك يأتي الشيخ حاج أوباما ويفتي بان المسلمون والامريكان أخوة من زمان، وأن الحجاب شيء جميل ورومانسي وطاهر وشريف، وان لا يوجد هناك شي أسمه علمانيين أو أقليات او أي شي، واليوم نسمع بأنه يجب أن تعتذر أسبانيا عن أناس هجموا عليها بشراسة وأحتلوها، وتأثيرها السلبي لا زال حتى اليوم واضح فيها،..هناك دولتان في أوروبا وهي اليونان وأسبانيا ...لا يمكن مقارنتها مع باقي الدول الأوربية الأكثر رقياً وحضارة،.. ليش؟؟!! لأن المسلمون كانوا هناك ذات يوم) انتهى.

✍ مشكلة الأوروبيين ذات جذعين:

- الجذع الأول هم جماعات الضغط السياسي الذين يؤمنون بالمُثل العليا من المساواة وإدارة الخد الآخر لمن يسيء إليك. هؤلاء النفر من الناس أعدادهم قليلة ولكن أصواتهم عالية ولذلك يؤثرون على السياسيين الذين يخشون فقدان الأصوات عند الانتخابات، ولذلك يرضخون لجماعات الضغط، والمثل الأمريكي يقول: ‹العجلة التي تُحدث أكثر الأصوات تستحوذ على القدر الأكبر من التشحيم.›
- والجذع الآخر هو الجهل التام بالإسلام وبقية الديانات الشرقية. ولذلك هم لا يعرفون ما يخبئه لهم الإخوان المسلمون في الأعوام القادمة. ولهذا السبب هم سعداء بما يقدمون للاجئين السياسيين من ديار خير أمة، ويريدون الحفاظ على مشاعرهم الحساسة تجاه نقد الإسلام، وكما يقول المثل الإنكليزي: Ignorance is bliss أي **الجهل هناء وسعادة**. فجهل الأوروبيين بالإسلام يجعلهم فريسة سهلة لخداع الإسلاميين. أما الدول الأوربية المتخلفة فهي كما ذكر السيد سردار: إسبانيا واليونان، ونضيف إليها البوسنة، وألبانيا، والبرتغال، وشرق أوروبا. وجميع هذه الدول احتلها المسلمون وزرعوا فيها المآذن والتخلف.

- السيد سعد السعيدي يحتج على استعمال كلمة "المسلمون" ويقول:

(على طول مقالتك لا نراك إلا مردداً كلمة المسلمون : المسلمون قاموا بكذا والمسلمون كذا ....الخ. كأننا بك تريد ان تقنعنا بان الفتوحات كانت كلها حملات دينية اسلامية هدفها استعباد الناس شرقاً وغرباً. هل انت متيقن من هذه الفكرة ؟ شئ آخر، لم تذكر لنا لاي سبب ذهب المسلمون ـ سنسميهم هكذا لانه لا نتوافر على تسمية اخرى ـ لغزو الاندلس. هل هو للاستفادة من خيراتها ام كجسر للعبور الى أوروبا ام لدرء الخطر عن حدود الدولة العباسية شرقاً ام ماذا ؟ ان تحديد هذه النقطة ستساعدنا على تحديد من الذي سيتوجب عليه الاعتذار. هذا إذا كان موضوع الاعتذار هذا بذي اهمية.) انتهى.

✍ الفتوحات لم تكن حملات دينية، فالدين لا يُفرض على الناس بالسيف إنما ينتشر بالتبشير، كما فعلت المسيحية والبوذية. الفتوحات الإسلامية كانت **للإستيلاء على أموال ونساء الأمم الأخرى تحت غطاء ديني**. وقد قال عمر بن الخطاب في خطبته الشهيرة للمسلمين:

"هناك أمتان - أمة قد تملكتموها وأصبح جهدها وعرقها لكم، وأمة تخاف منكم لا تعرف متى يأتيها غضب الله."

وفتح إسبانيا لم يكن لنشر الإسلام ولا لدرء الخطر عن حدود الدولة العباسية التي كانت الصين أقرب إليها من إسبانيا، (السلطة السياسية في الأندلس كانت أموية) وإنما كان الغزو للإستيلاء على خيرات إسبانيا ومن ثم استعمالها كقاعدة للإنطلاق منها إلى بقية أوروبا. وقد حاولت جيوش المسلمين غزو فرنسا ولكن طبيعة الحدود الجبلية بين شمال إسبانيا وجنوب فرنسا، وقوة الجيش الإسباني المسيحي الذي تجمّع في تلك المنطقة الجبلية حالت دون نجاحهم.

- أما السيد أبو هزاع كالعادة يقول:

> (مصادر الكاتب الجالس وراء كومبيوتره تدل على ضعف المنهجية في الكلام المنشور أعلاه. قلنا من قبل أن سبب إنحطاط الثقافة العربية هي وجود اللامختصين في ساحات لاناقة لهم فيها ولاجمل. عندما إبتدأت بقراءة سلسلة مانشره الكاتب عن مذابح بحق اليهود استوقفني مثال أورده الكاتب عن مذبحة جرت في بغداد في عام ١٨٢٨. بالطبع لام الكاتب الإسلام ككل بشأن هذه المذبحة. هذا التعميم دلالة الجهل كما يقولون. هل الإسلام بمذاهبه الكثيرة مسؤول عن تلك المذبحة. ماهو تعريف المذبحة؟ كم يجب أن يكون عدد القتلى حتى تعتبر حادثة عنيفة مذبحة؟ ثانياً إذا نظرنا إلى من هم المصادر حول تأريخ تلك المذبحة لوجدناهم إبن الوراق عدو الإسلام والمسلمين أو بني موريس، كما ورد في الويكيبيديا التي يبدو أن كاتبنا المحترم يعدها أحد مصادره الرئيسية. ماهو المستوى المعرفي الحقيقي للكلام هنا؟ المصادر مشكوك بها ومع ذلك فإن وقعت تلك المذبحة فلماذا لوم الإسلام؟ حاكم بغداد في تلك اللحظة كان داوود باشا، الذي لم ينسى أصله المسيحي وإن كان قد أجبر على الإسلام فهل للإسلام علاقة بما حدث. داوود باشا محدث وتاريخه يدل على ذلك وتلك المذبحة وقعت في خلال حكمه. نقطة أخرى بإسعادة الكاتب ألا وهي أن بريطانيا وفرنسا أخذتا تتدخلان في شؤون الأقليات في العراق في تلك الفترة وقصة بريطانيا وطلب الملكة فكتوريا من الباب العالي ضمان حقوق الصابئة مثلاً تدل على أن الغرب في تلك اللحظة مشارك بسكوته عن مذابح كهذه. قراءة المقال المنشور أعلاه تدل على قلة دراية أكاديمية بتاريخ المنطقة. المتعصب يحاول أن يطوع الحقيقة لغايات أيديولوجية مما يضعف منطقه...مع التحية) انتهى.

✍ يخيل إليّ أن السيد أبا هزاع كان جالساً على الفروة وراء محبرته ومن حوله المصادر النادرة المرتصة على أرض الغرفة عندما كتب تعليقه هذا. الكل يجلس وراء الكمبيوتر هذه الأيام، وأنا لا أشذ عن هذه القاعدة.

وإذا كانت آفة الثقافة العربية هي وجود اللامختصين،

> فآفة الأمة العربية كلها تأتي من العقول التي لا تعرف غير الشتم ووصف المعارض بالجهل، كما فعل السيد أبو هزاع. ولا أعلم كيف عرف السيد أبو هزاع أني لست مختصاً في دراسة التاريخ الإسلامي، فهل كوني طبيباً يمنعني من التخصص في التاريخ الإسلامي؟ أما مصادري لا أعتقد أنها تدل على ضعف المنهجية بأي حال من الأحوال. ولكن كل من يتعرض للإسلام بالنقد لا بد أن يجد الإسلاميون فيه عيباً لأنهم لا يعرفون معنى النقد، وخاصة النقد الذاتي الذي هو أعلى مراتب النقد. فالإنسان لا يرى وجهه إلا بمساعدة المرآة التي تبين له ما يحتاجه وجهه من تغيير ليصير مقبولاً أو جميلاً. والنقد هو المرآة. وعندما يأتي النقد من شخص تربى في الإسلام، يكون بمثابة النقد الذاتي. ولا يكون هذا الشخص عدواً للإسلام وعدواً لله، كما يحلو للإسلاميين تسميتهم.

- فالمصدر الأول الذي أتيتُ به هو السيد ابن الوراق، وهو باكستاني نشأ في أسرة دينية وحفظ القرآن صغيراً. ثم تخرج في جامعة گلاسكو الاسكتلندية بعد أن حاز على البكالوريوس في الفلسفة واللغة العربية. فمَن أكثر فهماً للإسلام وجدير بنقده أكثر منه؟ عندما قال مارتن لوثر عن محمد إنه الابن البكر للشيطان، من الممكن أن نقبل أنه كان عدواً للإسلام. وعندما قال ڤولتير كذلك عن محمد، في روايته الدرامية "غلو النبي محمد " Le fanatisme du Mahomet le Prophete:

"هذه الرواية كُتبت لمعارضة مَن أوجد ديانة باطلة وعنيفة، وإذا لم أكتب تمثيلة عن قسوة وأخطاء نبي مزيف، فعن مَن أكتب"

يمكن أن نعتبر أن ڤولتير كان عدواً للإسلام. أما أن يكتب ابن الوراق عن الإسلام مستنداً على آيات القرآن والأحاديث وسيرة النبي، وكتب التاريخ الإسلامية، فلا يمكن أن نسميه عدواً للإسلام. **فالإسلام هو عدو نفسه لاحتوائه على متناقضات لا يمكن حصرها، سواء في القرآن أو الأحاديث**. والكاتب الذي يبين تلك المتناقضات ليس عدواً للإسلام ولا لله الهلامي الذي يختفي في أدمغة الإسلاميين.

- أما المصدر الآخر الذي ذكرته فهو السيد أندرو ويتكروفت، وهو أستاذ التاريخ في جامعة گلاسكو، وكتابه The Infidels موثق بأكثر من خمسمائة مصدرٍ.

> ***وكعادة الإسلاميين يقول السيد أبو هزاع إن المصادر مشكوك بها، تماماً مثل أي حديث يفضح ضحالة علم محمد وأتباعه، يقولون لنا إن الحديث ضعيف أو مرسل، حتى وإنْ وُجد الحديث في الصحيحين.***

ويظهر تصلب وعداء الإسلاميين في قول أبي هزاع: "حاكم بغداد في تلك اللحظة كان داود باشا الذي لم ينسى أصله المسيحي وإن كان قد أُجبر على الإسلام". فالمسيحي، حتى وإن أسلم، متهم في دوافعه وفي جميع أعماله. وكيف أُجبر داوود على الإسلام، والإسلاميين اليوم يقولون لنا إنّ القرآن يقول لا إكراه في الدين؟ **فكروا قبل أن تكتبوا.**

✍ شكري للسيد رعد الحافظ على الإطراء وعلى قصة اللاجيء العراقي في أمريكا.

أغلب اللاجئين المسلمين، ومن كل الجنسيات، يتحدثون عن الطرق العديدة التي يستعملها بعض اللاجئين لاستنزاف دوائر الضمان الاجتماعي في البلاد التي أعطتهم حق اللجوء. **والإسلام يبيح لهم ذلك على أساس أن الكافر تصح سرقته لأن ماله ملكٌ للمسلمين.** يخبرني صديق عزيز بالنرويج أن في أوسلو لاجيء إسلامي ملتحي يوصي أولاده بالسرقة من السوبرماركت لأن ما يأخذونه ما هو إلا استرداد الحق المسلوب، ولا أدري لماذا لم يسترد أهل الإسلام الحق الذي استلبه صدام حسين من أموالهم، والحق الذي ما زال يستلبه آل سعود وآل الصباح وآل "نهيان".

- السيد علي يقول:

> (إذا كان مايقوله السيد أبوهزاع صحيحا فيما يخص مصادرك التاريخية فإن ذلك سيكون مزعجا جدا ... أرجو التفاتتكم لهذه النقطة في تعقيبكم على التعليقات) انتهى.

✍ وأقول للسيد علي: الكاتب عليه أن يذكر مصادره فقط، وعلى القاريء إذا شك في حياد المصدر أو في مؤهلاته أو ما شابه ذلك، أن يقتني الكتاب أو الصحيفة ويطالع الكلام المذكور ومطابقته للأصل، ثم يتفحص مؤهلات كاتب المصدر، ويصدر حكمه في قبول المصدر أو رفضه. وقد بينت كل مصادري للقراء الكرام. وعلى من يشك بها أن يثبت لنا أنها مصادر غير جديرة بالاعتبار، ولا يكتفي بترديد الشبهات. بالنسبة للإسلاميين، كل مصدر غير أبي هريرة والبخاري، مصدر غير موثوق به.

- السيدة ريما تقول:

> (لماذا يغضبون عندما امر الاسبان بإخراج المسلمون و اليهود وشرطوا ان لا يبقى بأراضيها الا مسيحيا ؟ الم يوصي محمد بان لا يبقى بجزيرة العرب الا مسلماً) انتهى.

✍ وقد أصابت السيدة ريما عين الحقيقة.

> ألم يطرد عمر يهود خيبر من بلادهم ويشردهم في الشام بحجة أنه لا يجتمع في جزيرة العرب دينان؟

وقد تعلم الإسبان من قسوة المسلمين أيام حكمهم في الأندلس، فأنزلوا أشد أنواع القسوة والإبادة والتنصير القسري بهنود أمريكا اللاتينية عندما احتلوها واستوطنوا بها. وقد سبوا النساء لراحة الجنود تماماً كما فعل محمد ومِن بعده خلفاؤه ونزولاً بموسى بن نصير وبقية خلفاء بني أمية بالأندلس. غير أن هنود أمريكا اللاتينية لم تكن لهم قوة الملك فردناند ليطردوا الإسبان من بلادهم.

- السيد عبد الله أبو شرخ يقول:

(طالما أن الكاتب الرائع كامل النجار قد تناول موضوع الاعتذار عن جرائم ومذابح وحشية تم ارتكابها في التاريخ، ولا تسقط بالتقادم، تمنيت فقط لو ان الكاتب طالب إسرائيل بالاعتذار للشعب الفلسطيني عن تهجيره من أرضه وعن المذابح التي ارتكبها اصهاينة بحق الأبرياء العزل، ذلكلكي يصبح المقال اكثر توازناً وموضوعية.) انتهى.

✍ وهأنذا أمام الملأ أدين إسرائيل عشرات المرات على تهجير الفلسطينيين من أرضهم. ولكن يجب ألا ينسى السادة المسلمون أن القرآن يقول:

{وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني أسرائيل. (الأعراف 137)**}.**

فقرآنهم يقول إن الله أورث بني إسرائيل الأرض المباركة (فلسطين). فلو كانت التوراة وحدها قد قالت ذلك لكان لنا حجة عليهم ولكن القرآن أكد أنهم ورثة الأرض المباركة. وهم يتذرعون بحقهم الإلهي في أرض فلسطين والقرآن يؤيدهم.

- والسيد محمد فادي الحفار يقول:

(أنتم هنا سيدي الدكتور كامل النجار تقتطعون الماضي وتطرحون منه بعض أحداثه. بالطبع فإن المؤتمر قائم على أساس غير عادلة من إعتذار إسبانيا للعرب لأن العرب كانو هم المحتلين زمن الفتواحات الإسلامية. غير أنه وفي نفس الوقت فقد كان الروم قبلها هم الغزات للعرب مما أدى للثورة العربية متمثلة برسالة الإسلام..) انتهى.

✍ وأظن أن السيد محمد فادي قد أخطأ في التاريخ. فجزيرة العرب لم تتعرض لأي غزو من الروم، وقد حزن المسلمون عندما خسر الروم حربهم مع فارس، ولكن محمد أتاهم بآيات تقول لهم إن الروم قد خسرو معركتهم مع الفرس ولكن سوف يغلبون فيما بعد **{غُلبت الروم في أدنى الأرض وهم بعد غلبهم سيغلبون}**. ففرح يومها المسلمون وهللوا وكبروا. فلا دخل للروم في الثورة العربية المتمثلة في الإسلام.

وأقدم جزيل شكري للسادة أوشهيوص هلشوت، صهبان اليمني، مايسترو، كنعان ايرميا، Lamis، جميل، و xbox لموافقتهم على ما جاء في مقالي.

واستميح القراء العذر لأني، ونسبة لظروف قاهرة، سوف أكون في مدينة أخرى لمدة شهرين أو ثلاثة، ولأن مكتبتي ومراجعي كلها سوف تكون بعيدة عني، فقد لا استطيع الكتابة طوال هذه الفترة.

عودة إلى الفهرس

169 - تفنيد أركان الإسلام الخمسة

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=178867

الذي يؤمن بأي دين ورثه من آبائه ورضعه مع حليب أمه لا يفكر في الشعائر التي يمارسها ولا يدور بخلده أن يسأل نفسه عن **مغزى أو فائدة تلك الشعائر، فهي بالنسبة له فروض دينية يجب أن يقوم بها. وأغلب هذه الشعائر تتعارض مع العقل والمنطق السليم**. فإذا أخذنا الإسلام مثالاً، نجد أنه مبني على خمسة أركان، إذا هدم المؤمن ركناً منها يكون قد هدم الدين كله. فتعالوا نناقش هذه الأركان الخمسة.

1- الركن الأول هو شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

والشهادة من الناحية القانونية تنقسم إلى شهادة بصرية وشهادة سمعية. والشهادة البصرية هي التي يكون الشاهد بها قد رأى بأم عينه ما حدث، والشهادة السمعية لا تؤخذ إلا إذا سمع الشاهد بأذنه ما قاله المتهم. أما إذا كانت الشهادة السمعية مأخوذة عن شخص ثالث سمع ما دار بين المتهم والمجني عليه، فهذا النوع من الشهادة يُعتبر شهادة نقلية hearsay ولا يؤخذ بها في المحاكم. والقرآن قد أقر بذلك عندما قال:

{من شهد منكم الشهر فليصمه. (البقرة 185)}.

فالشاهد يتحتم عليه أن يقسم اليمين أنه رأى الهلال بأم عينه. وحتى في هذه الحالة لا يصدق جميع المسلمين شهادته ويصرون على رؤية الهلال بأنفسهم أي في بلدتهم، ولهذا يختلف بدء الصيام في البلاد الإسلامية. فالشهادة يجب أن تكون برؤية العين. ويقول القرآن توكيداً لاعتماد الشهادة برؤية العين:

{واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فامسكوهن في البيوت. (النساء 15)}.

فالأربعة الذين يشهدون لابد أن يكون كلٌ منهم قد رأى المرود في المكحلة. فلا يجوز أن يقول أحدهم إن الشاهد الأول أخبرني أنه قد رأى المرود في المكحلة. ويقول القرآن كذلك:

{والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهدا فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً. (النور 4)}.

فالذي يشهد بشيء لم يره بعينه أو يسمعه بأذنه، يُعتبر كاذباً منافقاً ويأمر إله القرآن المسلمين بألا يقبلوا شهادته مدى حياته. وكذلك:

{لولا جَاؤوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون. (النور 13)}.

وعندما كسر إبراهيم أصنام قومه، يؤكد لنا القرآن أنهم قالوا:

{فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون. (الأنبياء 61)}.

فالشهداء هنا كان لا بد لهم أن يكونوا قد رؤوا إبراهيم يكسر الأصنام أو سمعوه يقر بأنه هو الذي كسر أصنامهم. ومن يشهد بغير ما رأى أو سمع، يقول عنهم القرآن إنهم شهداء زور، ولذلك قال في وصف المؤمنين:

{والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً. (الفرقان 72)}.

فإذاً، حسب القرآن، إذا قال المسلم: أشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، يكون قد شهد زوراً. فهو لم يرَ الله ولم يسمع منه مباشرة، ولم يرَ محمداً أو يسمع منه مباشرةً. فكيف له أن يشهد أن الله موجود وأنه الوحيد في السماء ولا إله آخر غيره؟

سوف يقول المسلمون إنهم عرفوا وجود الله بالعقل والمنطق. ولكن المشكلة هنا أن الإنسان الذي يستنتج شيئاً ما بالعقل لا يستطيع أن يشهد عليه إذ استنتاجه **حاصل عملية فكرية قابلة للصواب كما هي قابلة للخطأ**. فأنا مثلاً أستطيع أن أقول إني أعتقد بوجود مخلوقات ذكية في واحدٍ أو أكثر، من مليارات المجرات التي في الكون، لأن العقل يقبل أن يكون أحد الكواكب في تلك المجرات قد تهيأت به ظروف الحياة كما تهيأت بالأرض. ولكني رغم استنتاجي هذا لا أستطيع أن أشهد بوجود هذه المخلوقات. وهذا ما يفعله المؤمنون بالدين.

فهم حتماً لم يستنتجوا وجود الله، وإنما فُرض عليهم وهم أطفال لا يفكرون.

وقد شب جميع المسلمين بعد العقد الأول من الهجرة على تصديق فكرة أن الله موجود وأن محمداً رسوله رغم أنهم لم يعاصروا محمداً ولم يناقشوه ليقنعهم بأنه رسول الله، ولم يدرسوا وهم أطفال نظريات الفلسفة والعلوم الطبيعية ليستنتجوا أن الله موجود.

فالاستنتاج الوحيد هنا هو أن المسلمين يشهدون شهادة زور عندما يشهدون بوجود الله وأن محمداً رسوله.

والمسلمون طبعاً يعتمدون على القرآن في شهادتهم السماعية ولكن القرآن كعادته يغالط بعضه بعضاً. فبعد أن أكد لنا أن الشاهد لا بد أن يرى أو يسمع ما يشهد به، نجده يأتي لنا بعدة آيات عن الشهادة، لا نستطيع أن نقول عنها إلا أنها **هلامية** لا تفيد شيئاً في الشهادة. فهو مثلاً يقول لنا:

{شهد الله أن لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم، قائماً بالقسط لا إله إلا هو. (آل عمران 18)}.

فلمَن شهد الله، وكيف شهد لهم، ولماذا أصلاً يشهد الله وهو الخالق والآمر والناهي؟ فهل هناك مَن يستطيع أن يجادله في ما يقول فيضطر الله للشهادة. وهل نأخذ شهادة المدعي على نفسه كما هي دون أي دليل؟ فقد شهد تمامة بن حبيب بن مروان في حوالي السنة الثامنة بعد الهجرة أنه رسول الله وصدقه بنو حنيفة واتبعوه، لكن محمداً لم يصدقه وبالتالي لم يصدقه المسلمون وسموه "مسيلمة الكذاب". فما هو الفرق بين أن يشهد الله أنه الإله الوحيد وأن يشهد تمامة بن حبيب أنه رسول الله؟ ولأن مؤلف القرآن كان يعرف أن الشهادة السماعية لا قيمة لها، قال لمحمد:

{قل هلمّ شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرّم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم. (الأنعام 150)}.

فالأعراب قبل الإسلام ورثوا عن أجدادهم أن الناقة التي وهبوها لله يحرم أكل لحمها، وكانوا على استعداد أن يشهدوا بذلك. ولكن لأن شهادتهم سماعية ورثوها من أسلافهم، ولم تأتِ إليهم من الله مباشرةً، قال القرآن لمحمد إذا شهدوا بأن الناقة محرمة فلا تشهد معهم. فإله القرآن لم يكن واثقاً أن محمداً الذي نشأ في نفس البيئة وآمن بما آمنوا به، لن يشهد معهم، ولذلك أمره ألا يشهد معهم.

والقرآن يحتوي على حوالي ثمان وعشرين آية عن الشهادة، أغلبها شهادة الله على نفسه وشهادته على المنافقين، وشهادة جلود وأبصار الكافرين عليهم يوم القيامة، مثل:

{حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون. (فصلت 20)}.

والعقل طبعاً يرفض أن يكون جلد الكافر قد رأى ما فعله صاحبه في حياته ليشهد عليه يوم القيامة. ثم أن القرآن يخلط بين الشهادة وبين الفكرة أو الرأي، كما قال لنا في سورة يوسف:

{قال هي راودتني على نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين. (يوسف 26)}.

فهذا الشاهد من أهلها لم يكن في الغرفة عندما هم يوسف بمضاجعة امرأة العزيز، ولم يسمع ما دار بينهما، وإنما قدم رأيه أو نصيحته بأن يتفحصوا قميص يوسف، فإن كان قد تمزق من دبر فهي كاذبة. فهل هذه شهادة حتى يقول لنا القرآن: **وشهد شاهدٌ من أهلها؟**
ثم تصبح الشهادة أكثر ميوعةً وهلاميةً عندما يقول القرآن:

{فكيف إذا جئنا من كلِ أمةٍ بشهيدٍ وجئنا بك على هؤلاء شهيدا. (النساء 41)}.

فكيف يشهد محمد على شاهد من أمة المايا (الهنود الحمر في المكسيك) وهو لم يكن قد سمع بهم أصلاً؟ ويزيد القرآن من هلاميته فيقول:

{وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا. (البقرة 143)}.

فهل من المعقول أن يشهد المسلمون على الأمم الأفريقية التي تعيش في الأدغال وهم لا يعرفون عنهم شيئاً؟ وكيف يكون الرسول شاهداً على مسلم عاش في القرن الحادي والعشرين؟

فالخلاصة أن الشهادة الإسلامية عامةً وشهادة المسلمين بوجود الله وأن محمداً رسوله هي شهادة زور لا يُعتد بها.

2- الركن الثاني من الإسلام هو إقامة الصلاة

والإسلام طبعاً لم ينفرد بشعيرة الصلاة، فهي كانت معروفة لجميع أتباع الديانات الأخرى التي سبقت الإسلام. **والدليل** على أنها إضافة أتى بها محمد من عنده هو *أن الإسلام لم يفرض الصلاة على المسلمين إلا في السنة العاشرة من بدء الرسالة رغم أن عدد المسلمين في تلك السنوات كان قد بلغ الثمانين أو نحوها، كما تقول كتب التراث*. والسيدة خديجة التي كانت أول من آمن بمحمد وإسلامه وعاشت معه عشرة سنوات بعد بدء الرسالة لم تعرف الصلاة لأنها لم تكن قد فُرضت بعد، وهي ركن من أركان الإسلام، مَن أقامها فقد أقام الإسلام، ومَن هدمها فقد هدمه. فهل السيدة خديجة كان إسلامها ناقصاً؟ ثم أن الصلاة عندما قرر محمد فرضها على أتباعه بدأها بركعتين في الصباح وركعتين في المساء حتى بعد هجرته إلى المدينة، ثم زاد من عددها وعدد ركعاتها عندما اختلط باليهود وبسلمان الفارسي وعلم منهم طريقة أداء الصلاة وعددها وعدد ركعاتها.
ثم أن الصلاة في حد ذاتها **شعيرة** مليئة بالطقوس والحركات التي لا تقدم ولا تؤخر. والصلاة نفسها لا تقدم ولا تأخر بدليل أن المسلمين منذ فرض الصلاة ظلوا يصلون ويكثرون من الدعاء لله بترميل نساء اليهود وإعلاء شأن المسلمين، وما زال اليهود يتكاثرون وما زال المسلمون في ذيل قائمة الأمم المتخلفة والفاشلة.
ثم أن القرآن يقول لنا: {**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**}، فهل اختفت الفحشاء أوالمنكر في العالم الإسلامي؟ فرغم صلواتهم التي تعطل التجارة والأعمال بالمؤسسات، ما زال الفساد المالي والإداري والأخلاقي يتفاقم في الدول الإسلامية، وتكفينا إيران مثالاً. وحتى لو اعتبرنا أن الصلاة الإسلامية نوع من الرياضة، فهناك أنواع عدة من الرياضة أكثر فائدةً وأقل مضيعةً للوقت.

فهذا الركن من الإسلام ركنٌ يمانيّ فائدته كفائدة الحجر الأسود الذي وضعوه في الركن اليماني من الكعبة.

3- الركن الثالث من الإسلام هو إيتاء الزكاة

والزكاة ما هي إلا ضريبة عرفها الإنسان منذ أن اكتشف الزراعة وأقام نوعاً من الحكومات القبلية أو العشائرية. فضريبة الدخل كانت معروفة منذ أيام حمورابي ودول المدينة اليونانية. وجاءت اليهودية بعدة أنواع من الزكاة التي كانوا يقدمونها لخزينة الدولة قربانا لله أو تكفيراً عن السيئات، بالإضافة إلى ضريبة العُشر من المحاصيل والأنعام. والدول الحديثة جميعها تفرض الضرائب على مدخول مواطنيها، وبنسبة أعلى من الزكاة أضعاف المرات. وتصرف الدول من هذه الضريبة على التعليم والصحة والضمان الاجتماعي للفقراء، وما إلى ذلك. بينما الزكاة ظلت ثابتة على ربع العشر، أي اثنين فاصل خمسة بالمائة من الدخل، وهي نسبة ضئيلة جداً لا تكاد تؤثر في متطلبات الدولة. وبالإضافة إلى ذلك لم يحدد الإسلام أن الحكومة هي المسؤولة عن جمع الزكاة، إنما ترك أمرها سائباً لدافعها. فيجوز دفعها لأقرباء المسلم مباشرةً، **وهذا يفتح الباب إلى التهرب من دفعها**. وقد نشأت الآن في إمارة غزة الإسلامية لجان لجمع الزكاة من المواطنين الذين يعيشون تحت خط الفقر ولكنهم يتقاضون أجراً شهرياً بسيطاً.

> "وقامت لجان الزكاة بتعليق إعلانات تطالب أرباب الأسر الفقيرة بتسجيل أسمائهم لديها لكي يتم كفالة أسرهم من قبل أشخاص يمارسون أعمالا ويتقاضون رواتب شهرية بانتظام. وكانت لجنة الزكاة في مخيم المغازي للاجئين وسط القطاع، أول من بادر إلى القيام بمشروع كفالة الأسر الفقيرة، وقال أحمد الحاطي، رئيس لجنة الزكاة في مخيم المغازي إنه تقرر طرق باب كل شخص يعمل ويتقاضى راتبا شهريا مهما كان بسيطا، بحيث نحاول أن نقنعه بدفع أي مبلغ حتى لو كان لا يتجاوز العشرين شيكلا (خمس دولارات)." [1]

وهذا الذي يجمعونه بطَرق الأبواب وإجبار الناس لدفع جزء من راتبهم الشهري، ليس زكاة بالمعنى الإسلامي، وإنما ضريبة إضافية على أصحاب الراتب الشهري، **إذ أن قانون الزكاة الإسلامي يقول يجب أن يحول الحول على المال قبل أن تجب عليه الزكاة**. وصاحب الراتب الشهري البسيط الذي يُجبر على دفع خمسة دولارات، لا تجب عليه الزكاة أصلاً. ثم أن هناك أصنافاً عديدة من المزروعات والجواهر والخيل معفية من الزكاة. إضافةً إلى أن المُزارع أو التاجر الذي يتاجر بالمواشي يمكنه أن يتهرب من دفع الزكاة ببيع مواشية بمدة يسيرة قبل إتمام الحول عليها، ويشتري بالمال مواشي جديدة لا تجب عليها الزكاة إلا بعد سنة كاملة أخرى.

[1] الشرق الأوسط 2009/7/19.

والقرآن حدد أوجه صرف الزكاة التي يحصل عليها ولي الأمر في أوجه معلومة لا تتضمن المستشفيات ولا التعليم ولا الضمان الاجتماعي، بل تتضمن رشوة النافذين في المجتمع من غير المسلمين حتى يؤلّف ولي الأمر قلوبهم فيسلمون. فركن الزكاة ركنٌ منهدم، لا يعلو فوق سطح الأرض كثيراً.

4- الركن الرابع من الإسلام هو صوم رمضان

كيف يُعقل أن يطلب إله السماء من الناس عبادته بالجوع والعطش؟ يقول أهل الإسلام إن الحكمة من الصيام هي جعل الأغنياء يحسون بجوع وعطش الفقراء. فهل هناك فقير ممنوع من شرب الماء؟ وإذا كانت هذه هي الحكمة، فلماذا يصوم الفقراء الذين عرفوا الجوع والحرمان طوال حياتهم؟ والمسلمون عموماً يصومون النهار ويأكلون بالليل أضعاف ما كانوا يأكلونه بالنهار، وتزيد بدانتهم في شهر الصيام.

والعبادة التي تضر بالمؤمن لا يمكن أن يكون قد فرضها إله عادل. فالصيام في حر الجزيرة العربية وشمال أفريقيا يتسبب في فقدان السوائل من الجسم مما ينتج عنه إصابة الكلى بمضاعفات تؤدي إلى فشلها. وهناك الآن في السعودية أكثر من ثمانية آلاف مريض بالفشل الكلوي يعتمدون على غسيل الكلى. وإذا لم يتبرع لهم مواطنوهم بالكلى، يسافرون إلى مصر أو الهند لشراء كلية من رجلٍ فقير يضطره فقره أن يبيع إحدى كليتيه.

فالصيام هنا يضر بالصائم، كما يضر بالفقير الذي يبيع كليته. فأي حكمة إلهية في هذه الشعيرة؟

5- الشعيرة الخامسة في الإسلام هي حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً

والحج طبعاً شعيرة وثنية كان الغرض منها عبادة الأصنام قبل الإسلام، وعبادة الحجر الأسود الذي يمثل كبير الأصنام بالكعبة، في الإسلام. **ولا يمكن بحال من الأحوال أن يقبل العقل أن الإسلام جاء ليحارب عبادة الأصنام، ثم يتبنى أقدس المقدسات عند الوثنيين،** ومنها السعي بين الصفا والمروة، ورمي الشيطان بالجمرات، والشيطان أصلاً مخلوق من نار، فما فائدة رميه بالجمرات؟ والإنسان لا يستطيع أن يرى الشيطان، فكيف يرمي شيئاً لا يراه؟ وهل الشيطان غير المرئي سوف يظل واقفاً كل عام في نفس المكان حتى يرميه المسلمون بجمراتهم؟

وكما يضر الصيام بالصائم، يضر الحج بالحجيج. فمنهم مَن يموت دهساً بالأقدام، ومنهم مَن يُصاب بالكوليرا مِن ماء زمزم، ومنهم مَن يموت بضربة الشمس أو الحريق، ومنهم مَن تغرق به العبارات المصرية في البحر الأحمر، ومنهم مَن قد يموت من انفلونزا الخنازير. **فهل الحكمة الإلهية تتطلب كل هذه المعاناة والضرر بالحجيج؟**

والحج أصلاً شعيرة قديمة قدم الإنسان، ومعروفة في أغلب الديانات. فالهندوس يحجون كل عام بالملايين إلى نهر جانجيز المقدس Ganges ليغطسوا فيه ويغسلوا ذنوبهم، ومن ثم يرجعون إلى قراهم كيوم ولدتهم أمهاتهم، بلا ذنوب. والوثنيون الدرويدز Druids في إنگلترا كانوا وما زال بعضهم يحجون إلى هيكل من الحجارة اسمه Stonehenge تم بناؤه في شكل دائرة من الحجارة حوالي العام 3100 قبل الميلاد. وهناك بالجزر البريطانية حوالي 900 دائرة حجرية كان يحج إليها الوثنيون قبل الميلاد، كما كانت هناك عدة كعبات في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام. وقدماء اليونان كانوا يحجون إلى الأكروبولس على قمة جبال الأولمب.

فشعيرة الحج شعيرة وثنية مائة بالمئة، ويستحيل أن تكون مفروضة من عند إله في السماء.

فأركان الإسلام الخمسة لا يستقيم واحد منها مع العقل السليم، فكيف يؤمن بها المسلمون ويفاخرون بها غيرهم؟ فعلاً إن التأدلج يعمي الإنسان المؤدلج عن الحقيقة.

عودة إلى الفهرس

2009 / 2 / 15

148 - الصلاة ليست إيحاءً إلهياً

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=162945

الصلاة هي مناجاة الإله وطلب ما يحتاج إليه الإنسان من ربه، مع الشكر لذلك الرب على نعماته. وهي عبادة مفروضة على مَن يؤمن بالآلهة، سواء أكان هؤلاء الآلهة في السماء أو على الأرض، أو على قمم الأولمب الأثينية. وقد كتب عدد كبير من الكُتّاب عن الصلاة وتاريخها، منهم الدكتور جواد علي الذي أبدع في كتابة "تاريخ الصلاة". *ولكني أود في هذا المقال التركيز على الصلاة في الإسلام وتدرج تشريعها، ومناقشة إذا كان هذا التشريع فعلاً تشريعاً إلهياً.*

إذا كان الأنبياء مرسلون من عند إله في السماء يعلم الغيب وما يخفى، فلا بد لمثل هذا الإله أن يوحي لأنبيائه بتشريعات يعرف الإله مقدماً أنها تشريعات مفصلة ومحكمة وتمثل ما يريده ذلك الإله، خاصةً إذا كان التشريع يتعلق بالطريقة التي يريد الإله من الناس أن يعبدوه بها. ومثل هذه التشريعات **لا تحتاج تدرجاً** في سنها لأنها طقوس عبادة لا تمس ما تعارف عليه المجتمع من قوانين تجارة أو امتلاك العبيد أو قوانين العقاب التي توصلت إليها المجتمعات بعد آلاف السنين من التجارب والأخطاء، وبالتالي يصعب عليهم التخلي عنها دفعةً واحدةً ولذلك من المحتمل عقلاً أن يتدرج التشريع الجديد في مثل هذه الأشياء.

ولكن طريقة العبادة لا تتغير كما تتغير التشريعات الأخرى إذا استجد في المجتمع ما يبرر ذلك. فقد نفهم أن يتدرج الإسلام، مثلاً، في تحريم الخمر لأن شرب الخمر كان سائداً في المجتمع وقد يقف تحريمها حائلاً بين قبول الإسلام وبين الذين يحبون الخمر. **والتشريعات الإسلامية عامةً، نادراً ما جاءت مكتملة، أغلبها جاء متقطعاً وفي جرعات صغيرة إن دلت على شيء فإنما تدل على أن محمد كان يتعلم هذه التشريعات من الممارسة ومما يسمعه أو يراه بعد أن يسن التشريع الجديد، فيغير ويبدل في التشريعات بما تقتضيه ظروف الحوادث.** فالصيام مثلاً بدأ بصيام يوم عاشوراء، كما يفعل اليهود، ثم صار صيام يوم كل شهر، ثم صيام عشرة أيام في رمضان، ثم شهر رمضان كله.

فلماذا تدرج محمد على مدى عدة سنوات في فرض الصلاة وفي استكمال ركعاتها وأوقاتها؟ والجواب الحقيقي هو أن محمد لم يكن يعرف ما هي الصلاة. كل ما كان يعرفه أن اليهود والنصارى كانوا يصلون. يقول ابن رشد القرطبي عن الصلاة:

"الصلاة عبادة محضة غير معقولة المعنى يقصد منها القربى فقط، لذلك لا يسأل المؤمن لماذا كان عددها خمسا ولماذا تفتقر إلى النية."

وما دامت الصلاة عبادة محضة لا تخضع للعقل، كان من المفروض أن ينزل الله تشريعها مكتملاً دون أن يخشى على رسوله من سؤال المؤمنين عنها، ولكنه لم يفعل.

وأول ذكر للصلاة جاء في القرآن كان في سورة الإسراء وجاء فيها:

{أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إنّ قرآن الفجر كان مشهودا. (الإسراء 78)}.

ونحن نعرف أن سورة الإسراء جاءت في آخر سنوات محمد بمكة، أي في حوالي السنة العاشرة من بدء الرسالة. وهذا هو الزمن الذي فرض فيه محمد الصلاة، بعد موت خديجة في السنة العاشرة من بدء الرسالة.[1] وعندما فرضها كانت في الفجر وفي غسق الليل. وكانت ركعتين في الفجر وركعتين في الغسق.

وتعلم محمد الركوع والسجود من جماعة من اليهود يقال لهم (السامريون) The Samaritans. كانت هذه الفرقة من اليهود يركعون ويسجدون، تماماً كما يفعل المسلمون الآن.[2] وقد أصبحت صلاتهم تلك من العبادات القديمة جداً فتخلى عنها أغلبهم ولكن هناك فرقة ما زالت تمارس هذا النوع من الصلاة.

(انظر الفيديو على هذا الموقع http://www.youtube.com/watch?v=0aHWASyMjwg)

وبناءً على ما تعلمه محمد من هذه الفئة من اليهود، جاء بآيات في القرآن مثل:

{يا مريم اقنتي إلى ربكِ واسجدي واركعي مع الراكعين. (آل عمران 43)}.

لأن مريم كانت يهودية وافترض محمد أنها كانت تصلي صلاة السامريين ذات الركوع والسجود. وأصبحت صلاة المسلمين تتكون من قراءة القرآن والركوع والسجود. ولكنها ما زالت ركعتين في الصباح وركعتين في المساء.[3]

ثم جاء في شرح سورة الإسراء، التي كانت تنزل في شكل آيتين أو ثلاث على فترات متقاربة، أن الله فرض على أمته خمسين صلاة ولكن بعد تدخل موسى ورجوع محمد إلى الله عدة مرات طالباً تخفيض الصلاة على أمته، انتهى التشريع بخمس صلوات في اليوم، ورغم ذلك طلب موسى من محمد أن يرجع إلى الله ويطلب تخفيضها لأن خمس صلوات في اليوم كثيرة على عباده، ولكن محمد اكتفى بالخمس **لأنه استحى أن يسأل الله تخفيضاً أكثر.**

وفي بداية الأمر كانت الخمس صلوات ركعتين في كلٍ إلى أن هاجر محمد إلى المدينة. والسبب في أنه اختار خمس صلوات هو اتصاله بالفرس في أثناء ترحاله في التجارة، وعرف منهم أن صلاتهم خمس مرات في اليوم

"صلاة الفجر "كاه أشـهن" وصلاة الصبح "كاه هاون" وصلاة الظهر "كاه رقون" وصلاة العصر "كاه أزيرن" وصلاة الليل "كاه عيوه سرتيرد"." [4]

وفي السنة الأولى من قدومه إلى المدينة زاد صلاة الحضر إلى أربع ركعات في الظهر، وأربع في العصر وأربع في العشاء - وكانت صلاة الحضر والسفر ركعتين.[5] ولكنه صلى الصبح ركعتين كما كان، وزاد ركعةً في المغرب. ثم زاد صلاة الضحى، وصلاها كما يقول مجاهد ركعتين، وأربعاً، وستاً وثمانياً.[6] **ويظهر من هذا أنه كان يصلي الضحى حسب المزاج من ركعتين إلى ثماني ركعات.**

ثم أشكل على الناس موضوع القراءة في الصلاة، إذ كان محمد يقرأ في بعض الصلوات ولا يقرأ في الأخرى، فكان ابن عباس لا يقرأ في صلاة السر وقال:

---

[1] شذرات الذهب للدمشقي، ج1، ص14.
[2] الشخصية المحمدية لمعروف الرصافي، ص 451.
[3] السيرة النبوية لابن هشام، ج2، ص 86.
[4] ديورانت، قصة الحضارة، المعتقدات، ص 395، نقلاً عن حسن عياش، الحياة الدينية عند العرب قبل الإسلام، رسالة الدكتوراة.
[5] المنتظم في التاريخ لابن الجوزي، ج3، ص 14.
[6] زاد المعاد لابن قيم الجوزية، ج1، ص 153.

" "قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلوات وسكت في أخرى" فنقرأ فيما قرأ ونسكت فيما سكت. وسئل هل في الظهر والعصر قراءة؟ فقال: لا، وأخذ الجمهور بحديث خباب "أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر، قيل فبأي شيء كنتم تعرفون ذلك؟ قال: باضطراب لحيته"." [7]

فمحمد لم يخبر أصحابه أنه كان يقرأ في السر في الركعات التي لم يسمعوه يقرأ فيها جهراً، وإنما تخيل بعضهم أنه كان يقرأ سراً لأن لحيته كانت تضطرب، بينما قال ابن عباس إنه لم يكن يقرأ في السر. فلو كان فعلاً يقرأ القرآن في الظهر والعصر سراً لوجب عليه أن يخبر أصحابه. ثم ماهي الحكمة في قراءة السر في بعض الركعات، هل كان الله يخشى أن يسمع الكفار قراءة القرآن، مثلاً. **ليس هناك أي سبب منطقي يجعل بعض الركعات سراً وبعضها جهراً، غير ما تعلمه محمد من اليهود الذين يعتبرون الصمت في بعض ركعات الصلاة نوعاً من الخشوع.**[8]

وأما صلاة الفجر ذات الركعتين فكان اختلاف الصحابة في القراءة في الركعتين كبيراً، ففي صفة القراءة المستحبة فيهما، ذهب مالك والشافعي وأكثر العلماء إلى أن المستحب فيهما هو **الإسرار**، وذهب قوم إلى أن المستحب فيهما هو **الجهر**.[9] فلم يكن أحد في حياة محمد يعرف إذا كانت القراءة في الركعتين سراً أم جهراً.

وفي البدء كان أصحاب محمد يتكلمون في الصلاة كما قال زيد ابن أرقم:

"كنّا نتكلّم فى الصّلاة، يُكلِّم الرّجلُ صاحبه، وهو إلى جنبه فى الصلاة حتّى نَزَلَتْ: {وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ} [البقرة: 238]، فأُمِرْنا بالسُّكُوتِ، وَنُهِينا عَنِ الكَلاَمِ." [10]

فحتى نزول سورة البقرة (بدأ نزولها في السنة الثانية بعد الهجرة واكتملت بعد حوالي ست سنوات) كانوا يتحدثون في الصلاة ويبصقون كأنهم بالأسواق، وهذا يؤكد أن الإمام (النبي) لم يكن يقرأ في كل الصلوات جهراً لأنه لو قرأ جهراً لاستمعوا له بدل أن يتكلموا.

وبعد الهجرة بدأت غزوات الرسول وكثر السفر فصارت الصلاة العادية مشقة على المسافرين وفيها تأخير عليهم، وكان محمد يعرف أن اليهود كانوا يقصرون صلاتهم في السفر[11] ولذلك أتى محمد بالآية التي تقول:

{وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا في الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا. (النساء 101)**}.**

وسورة النساء نزلت حوالي السنة الرابعة بعد الهجرة، أي بعد سبع عشرة سنة من بدء الرسالة. وأباح لهم قصر الصلاة إذا خافوا أن يهجم عليهم الذين كفروا. لكن فيما بعد أصبح المسلمون يقصرون الصلاة بناءً على المسافة التي يسافرها المسلم وليس بناءً على خوفه أن يفتنه الذين كفروا.

ولكن هذا التشريع كان **مطاطاً** ولم يلتزم به محمد ولا عائشة ولا ابن مسعود ولا عثمان

"حج بالناس هذه السنة عثمان وضرب فسطاطه بمنى ، وكان أول فسطاطٍ ضربه عثمان بمنى ، وأتمّ الصلاة بها وبعرفة فكان أول ما تكلم به الناس في عثمان ظاهراً حين أتمّ الصلاة بمنى فعاب ذلك غيرُ واحدٍ من الصحابة". [12]

"روى هشام بن عُروة، عن أبيه، أنها (عائشة) كانت تُصلي في السفر أربعاً، فقلت لها: لو صليتِ ركعتين، فقالت: يا ابن أختي! إنه لا يشق عليّ." [13]

"قال الشافعي رحمه اللّه: لو كان فرضُ المسافر ركعتين، لما أتمها عثمان، ولا عائشة، ولا ابنُ مسعود، ولم يَجُزْ أن يُتمها مسافر مع مقيم، وقد قالت عائشة: كلُّ ذلك قد فعل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، أتم وقصر، ثم روى عن إبراهيم بن محمد، عن طلحة بن عمرو، عن عطاء بن أبي رباح، عن عائشة قالت: كُلّ ذلك فعل النبي صلى الله عليه وسلم، قصر الصلاة في السفر وأتم." [14]

فيبدو أن التشريع كان بشرياً محضاً ولم يكن إلهياً، وكان تنفيذه حسب المزاج.

وهذا هو الإمام الشافعي يشكك في أن قصر الصلاة كان تشريعاً ربانياً.

وبما أن أهل المدينة لم تكن لهم حرفة ولا تجارة تشغلهم طوال اليوم غير الغزوات، رأى محمد أن يستغل أوقات فراغهم عندما لم يكونوا غازين، في الصلاة، فزاد عليهم عدة صلوات أخرى سماها **نوافل**. فبعد أن طلع ونزل بين السموات عدة مرات في محاولته تقليل عدد الصلوات، واكتفى بخمسة في اليوم، قرر أن يزيدهم، فأتى **بصلاة الوتر** وقال أن الله قد زادها عليهم ففي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده:

"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "إن الله قد زادكم صلاة وهي الوتر فحافظوا عليها"". [15]

فكيف يزيد الله صلاة إضافية على المسلمين بعد أن أنقصها من خمسين إلى خمسة لأن المسلمين لا يطيقون أكثر من خمسة صلوات، كما توسل له محمد؟

ثم زادت النوافل حتى قال الإمام الخميني:

"إن الركعات المندوبة أكثر من أن تُحصى، ومنها الرواتب اليومية وهي ثمان ركعات للظهر قبله، وثمان للعصر قبله، وأربع للمغرب بعده، وركعتان من جلوس للعشاء بعده، وركعتان للفجر قبله، وأحدى عشرة ركعة نافلة الليل، وصلاة الليل ثمان ركعات، ثم ركعتا الشفع، فعدد ركعات النوافل أربع وثلاثون ركعة، ضعف عدد الفرائض." [16]

فهل هناك أي سبب منطقي يجعل محمد يصعد وينزل ويساوم الله لتقليل عدد الصلوات اليومية، ثم يزيد الله ضعفها فيما بعد، تماماً كما يفعل السياسيون الآن عندما يعدون بتقليل الضرائب المباشرة كي يكسبوا الأصوات في الانتخابات، وبمجرد استلامهم الحكومة يخفضون الضرائب المباشرة، كما وعدوا، ولكنهم يزيدون في الضرائب غير المباشرة أضعاف ما نزلوه من الضرائب المباشرة؟

ثم هناك **صلاة الكسوف وصلاة الخسوف، وصلاة العيدين، وصلاة الاستسقاء وصلاة الاستخارة وصلاة تحية المسجد، وصلاة الفتح وصلاة الجنازة**. وهذه الصلاة كانت عبارة عن أوكازيون في عدد تكبيراتها،

"كان النبي صلى الله عليه وسلم يكبر على الجنائز أربعا وخمسا وستا وسبعا وثمانيا حتى مات النجاشي، فصف الناس وراءه وكبر أربعا، ثم ثبت صلى الله عليه وسلم على أربع حتى توفاه الله." [17]

---

[7] بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد القرطبي، ج1، ص 90.

[8] http://www.geocities.com/buddychai/Religion/JewishPrayer.html?200913

[9] بداية المجتهد لابن رشد القرطبي، ج1، ص 148.

[10] زاد المعاد، ج3، ص 12.

[11]) Mishna Berachoth IV.4, cited in The Origins of the Koran, Ibn Warraq, p 183.

[12] الكامل في التاريخ للمبرد، ج2، سنة 29، ذكر إتمام الصلاة.

[13] زاد المعاد لابن القيم، ج1، ص 220.

[14] زاد المعاد لابن قيم الجوزية، ج1، ص 220.

[15] بداية المجتهد لابن رشد، ج1، ص 64.

[16] تحرير الوسيلة للخميني، ج1، ص 123.

فلولا موت النجاشي لظل عدد التكبيرات غير معروف.
ثم كان هناك موضوع الأذان للصلاة،

"وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها، بغير دعوة، فهمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها أن يجعل بوقاً كبوق يهود الذين يدعون به ، لصلاتهم ، ثم كرهه ثم أمر بالناقوس ، فَنُحِتَ ليُضرب به للمسلمين للصلاة . وبينما هم على ذلك جاء عبد الله بن زيد بن ثعلبة للنبي وقال إنه رأى في المنام رجلاً يحمل ناقوساً وأراد عبد الله أن يشتريه منه للصلاة، فقال له الرجل هل أدلك على خير من ذلك، وذكر له الأذان." [18]

فالأذان لم يوحيه الله لمحمد وإنما حلم به مسلم عادي.
أما القبلة التي يصلون عليها فقد بدأها ببيت المقدس كما كانت تفعل اليهود، ثم حولها إلى الكعبة بعد حوالي سنتين في المدينة، وعندما كان يسافر في غزواته كان يصلي على ناقته في بعض الأحيان وتكون قبلته في اتجاه سير الناقة

"عن ابن عمر، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصلي في السفر على راحلته حيثُ توجهت، يُومئ إيماءً صلاةَ الليل، إلا الفرائضَ ويُوتر على راحلته." [19]

ولما استفسر الصحابة عن ذلك أتى لهم بالآية التي تقول:

{ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم. (البقرة 15)}.

فيتضح من هذا السرد أن تشريع الصلاة كان خبط عشواء دون أي تخطيط يليق بإله في السماء قد فرض ذلك التشريع. ويكفي هذا التخبط بإقناع أي إنسان لا يفكر بعاطفته بدل عقله أن محمداً لم يكن يتلقى وحياً من السماء وإنما كان يطور التشريع حسب ما يتعلمه مع مرور الزمن واحتكاكه بالأفراد الذين أتوا من ثقافات مغايرة مثل سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان. فالتشريعات الإلهية يجب أن تكون مدروسة قبل أن تنزل للأنبياء، ويجب كذلك أن تكون ثابتة ولا تتغير إلا إذا تغيرت الظروف الاجتماعية بعد مئات السنين، لأن الإله يعلم ما سوف يكون مستقبلاً.

عودة إلى الفهرس

[17] بداية المجتهد لابن رشد القرطبي، ج1، ص 169.
[18] سيرة ابن هشام، ج4، ص 36.
[19] زاد المعاد لابن القيم، ج1، ص 221.

2009 / 7 / 29

170 - لماذا نقد الإسلام دون غيره؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=179612

هل من حق الإنسان أن ينتقد الدين؟ يقول كارل ماركس:

إن النقد هو أساس التقدم، ونقد الدين هو أساس النقد.

فبدون النقد لا يمكن أن نكتشف الأخطاء، وبالتالي لا يمكننا أن نصحح تلك الأخطاء التي تعطل النمو الاقتصادي والاجتماعي. والمشكلة في الأديان هي أنها من انتاج العقل البشري في طور طفولته العلمية. والآن، وقد شب الجنس البشري وبلغ مرحلة النضوج الفكري، فلا بد أن يعيد النظر في إنتاج طفولته التي امتدت آلاف السنين.

ولأن الإنسان وقت ظهور الأديان كان طفلاً من الناحية العقلية، أصبح من السهل استغلاله بواسطة بعض الأشخاص الأذكياء الذين **نصّبوا من أنفسهم أولياء على تعاليم وأموال الآلهة**. وهذه الطبقة من **الكهنوت** عاشت عالة على المجتمعات، وفي نفس الوقت كدست الأموال الطائلة في خزائن الآلهة، التي هم حراسها.

اكتشف علماء الأنثروبولوجي حديثاً معبداً ضخماً في شمال كمبوديا، في مدينة أثرية اسمها أنجكور Angkor. يبدو أن هذه المدينة كانت من أعظم المدن في القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر، ولكنها انهارت، ربما نتيجة الفياضانات أو عوامل أخرى. وما زالت أنقاض مبانيها موجودة. من ضمن هذه الأنقاض، وجد العلماء المعبد الضخم الذي احتل منطقة شاسعة في وسط المدينة بجوار قصر الحاكم. أظهرت النقوشات المنحوتة على جدران المعبد أن طبقة الكهنة الذين كانوا بالمعبد كانت تضم 12640 كاهناً وخادماً، كانوا يأكلون ما ينتجه 66000 مزارع، أي حوالي 3000 طن من الأرز كل عام. بالإضافة إلى المعبد الرئيسي كان هناك معبدان أصغر من ذلك، ويخدمهما عدد كبير من الكهنة. قدر العلماء أن الأرز الذي كان يستهلكه كل الكهنة كان يستنزف عرق 300000 مزارع، مع العلم أن سكان المدينة في ذلك الوقت كان يُقدر بحوالي 750000 شخص.[1]

هل هناك أي سبب منطقي يبرر هذا الاستنزاف باسم الإله أو الآلهة المتعددة؟ بالطبع ليس هناك أي سبب غير عدم نضوج الفكر الإنساني الذي سمح لطبقة الكهنة المرتزقة بامتصاص عرق وجهد المزارعين، بدون أن يقدموا لهم أي مردود فعلي غير بيعهم السراب والوعود الزائفة بأنهم سوف يدخلون الجنة أو ملكوت الإله إذا انتجوا الأرز في خدمة الإله.

وفي محاولة مني لمحاربة مثل هذا التضليل والاستغلال للبشر، أكتب مقالاتي في نقد الدين. وأعتقد أن أغلب قراء الحوار المتمدن، وقبلهم قراء موقع - كتابات - **يعرفون أني لا ديني**، وقد ذكرت مراراً أني لا أؤمن بأي دين. ولكن مع ذلك، كلما كتبت مقالاً في نقد الإسلام، ينبري البعض لاتهامي بأني مسيحي أو صهيوني أو مأجور للصهاينة لأني لا أنتقد الأديان الأخرى. وأنا، طبعاً، لست بحاجة لنقد الأديان الأخرى لعدة أسباب:

- أولها، أن الدين المسيحي *قد انتقده أهله، وهم أعرف به مني*، في مئات الكتب والمقالات.

وما على القاريء إلا أن يدخل على موقع أمازون ويكتب Criticism of Christianity وسوف يجد مئات الكتب التي كتبها كبار النقاد المسيحيين، وبعضهم من الذين درسوا الديانة المسيحية جل وقتهم. أذكر منهم عالم الرياضيات الفرنسي باسكال Blaise Pascal الذي كان قد كرس حياته منذ سن الثلاثين إلى أن مات، لدراسة الدين المسيحي. يقول باسكال:

> Men never do evil so completely and cheerfully as when they do it from religious conviction.
>
> (الرجال لا يفعلون الشر بطريقة مكتملة وبسرور بالغ، كما يفعلونه عندما يكون دافعهم الإيمان الديني.)

وكذلك يقول بنجامين وتشكوت (Benjamin Whichcote (1609 - 1683)) الذي كان قساً تخرج في جامعة كيمبردج البريطانية وعمل بها كعميد كلية الدراسات الدينية:

> Among politicians the esteem of religion is profitable; the principles of it are troublesome.
>
> (في أوساط السياسيين يكون الاحترام الناتج من مظهر التدين مربحاً لهم، ولكن ركائز الدين قد تسبب لهم المشاكل.)

وهذا يعني أن الدين مستغل من قِبل رجالات الدين أنفسهم ومن قِبل السياسيين، الذين يتاجرون به لخداع العامة، كما يتاجر به الكهنة أنفسهم. ويقول نفس الرجل:

> The longest sword, the strongest lungs, the most loud voices, are false measures of truth.
>
> (إن أطول سيف، وأقوى رئة، وأضخم صوت، هي مقاييس كاذبة للحقيقة.)

وكل هذه الصفات نجدها مجسمة في رجال الأديان من أمثال القس إيان بيسلي Ian Paisley في إيرلندة الشمالية، إلى بيلي جريم Billy Graham في تلفزيونات الولايات المتحدة، مرورا بمشايخ الإسلام. أرجو مشاهدة هذا المقطع:

http://www.youtube.com/watch?v=UAUPGRXQ1yI

أما بيل گيتس Bill Gates، الملياردير وأكرم مَن تبرع للأعمال الخيرية في البلاد الفقيرة، يقول:

> Just in terms of allocation of time resources, religion is not very efficient. There is a lot more I could be doing on a Sunday morning.
>
> (من ناحية الفائدة من الزمن، نجد أن الدين ليس وسيلةً ناجعة. فأنا يمكنني أن أفعل أشياء كثيرة ومفيدة في صباح يوم الأحد.)

وهذا بالطبع نقد للمسيحية لضياع وقت المؤمنين يوم الأحد، فما بالك بضياع وقت المسلمين خمسة مرات باليوم، مع إضافة شهر كامل في رمضان؟

واليهودية كذلك لم تنجُ من نقد اليهود المتنورين. وزيارة واحدة إلى موقع أمازون سوف تقنع مَن لم يقتنع بأن اليهود العلمانيين من أكثر الناس نقداً لليهودية. وأنا شخصياً قد كتبت عدة مقالات انتقدت فيها العنف غير المبرر الذي دعا له إله العهد القديم - إلوهم - ونفذه الاتباع الأوائل من أصحاب موسى. ولمن يريد قراءة نقد اليهودية باللغة العربية فيمكنه الاطلاع على كتاب ‹نقد الدين اليهودي› للسيد جميل خرطبيل من فلسطين. وأنا لا أستطيع أن أضيف شيئاً لما قاله السيد جميل.

ولكن بالنسبة للمسلمين، فإن من ينتقد اليهودية دون أن يشير إلى جرائم إسرائيل، يُعتبر مأجوراً للصهيونية العالمية. وعلى هؤلاء أن يفهموا أن دولة إسرائيل قامت بقرارات سياسية استجابةً للحركة الصهيونية التي هي حركة سياسية في المقام الأول، ولو أنها اكتست

[1] National Geographic, 1 July 2009, p34

المسوح الديني. **وقوانين دولة إسرائيل قوانين مدنية بحتة**. وبالتالي أي نقد لسياسات وأفعال إسرائيل يُعتبر نقداً سياسياً، وأنا لست من المؤهلين لنقد السياسة، بل أزيد وأقول إني أكره السياسة وأربابها.

- والسبب الثاني لنقدي الإسلام من دون الأديان الأخرى، **هو معرفتي بالدين الإسلامي** الذي ورثته يوم أن وُلدت ولم يكن لي الخيار في تلك الورثة.

والعرب يقولون: *أهل مكة أدرى بشعابها*. وعليه عندما أنتقد الإسلام من داخله يكون نقدي أكثر وقعاً على القاريء من نقد شخص غربي تعلم اللغة العربية وانتقد الإسلام. ورغم أني قرأت كثيراً في المسيحية واليهودية والزرادشتية والبوذية، يظل علمي بالإسلام أكثر من علمي بالأديان الأخرى. ثم ماذا يفيد نقدي للمسيحية أو اليهودية وقد نقدهما مَن هو أعلم بهما مني؟ **فنقدي لن يزيد شيئاً على نقدهم ويصبح تكراراً ممجوجاً**. ولكن بالنسبة للإسلام فإن النقد لم يكن معروفاً أو مسموحاً به قبل ظهور الإنترنت على المسرح.

فقد عودنا شيوخ الإسلام على مصادرة كل كلمة لا تكيل المدح لدينهم الضعيف الذي يخشون عليه من كلمات الكتاب المتنورين، الذين يودون كشف المستور في تاريخ وتعاليم الدين الإسلامي.

وبما أن الظروف أتاحت لي أن أهجر بلاد الشيوخ ومكنتني من الكتابة الحرة على مواقع الإنترنت العديدة، أكون خائناً لأمتي من بني يعرب وللمسلمين عامةً إذا لم أبين لهم ما أعرفه عن الإسلام. والمسلمون أنفسهم يقولون **الصامت عن الحق شيطان أخرس**، وأنا لا أريد أن أكون شيطانياً أخرساً لأن القرآن يشتم الخرس ويستهزيء بهم {**إنّ شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون. ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون.** (الأنفال 22، 23)}.

وأعتقد أن إلهاً يخلق أشخاصاً صماً، بكماً، ويشبههم بالدواب أو أقل من الدواب، ثم يقول انه لو علم فيهم خيراً لأنطقهم، يستحق النقد أكثر من إله اليهود الذي أوصى موسى بقتل رجال ونساء وأطفال الكنعانيين.

وهناك شيء محفور في التعاليم الإسلامية يحوّل الإنسان السوي إلى إنتحاري يفجّر نفسه بين الأبرياء من الناس. فلو أخذنا مثالاً من الرجال والنساء الغربيين الذين اعتنقوا الإسلام ثم فجروا أنفسهم أو تآمروا على التفجيرات ولكن الشرطة اعتقلتهم قبل ارتكاب جرائمهم، نجد:

أمريكا:

''في بيان ان الشرطة الفدرالية اعتقلت صباح الاثنين هؤلاء الرجال السبعة، بينهم اب وولديه، الذين اتهموا رسميا من قبل محكمة الاربعاء الماضي. والمعتقلون هم ستة اميركيين ومقيم بشكل شرعي وتتراوح اعمارهم بين 21 و39 عاما. وقد احيلوا فورا الى قاض فدرالي في رالبغ بكارولينا الشمالية حيث يقطنون. واتهم هؤلاء بتقديم دعم مادي لنشاطات ارهابية والتآمر لقتل وخطف وجدع اشخاص في الخارج. واذا ثبتت التهم الموجهة اليهم قد تصدر احكاما بالسجن مدى الحياة بحقهم. واشارت وزارة العدل الى ان اكبرهم دانييل بويد تلقى "تدريبا من النوع العسكري في معسكرات ارهابية" في باكستان وافغانستان بين 1989 و1992. وجاء في القرار الاتهامي ان دانييل بويد الذي عاد الى الولايات المتحدة التقى بين 2006 و2009 الاشخاص الستة الاخرين، وقد جمع اموالا ودرب اشخاصا على استعمال السلاح وكذلك على الاستراتيجية العسكرية ونظم رحلات لشبان مسلمين كانوا اعتنقوا مؤخرا الاسلام خصوصا باتجاه اسرائيل.''[2]

أمريكا:

''قال مسؤولون في مدينة نيويورك إن السلطات في المدينة ألقت القبض على أربعة أشخاص بتهمة التخطيط لتفجير كنيس يهودي ومركز إجتماعي ملحق به، ولإسقاط طائرات عسكرية باستخدام صواريخ (ستينغر) المحمولة على الكتف. وجاء في بيان اصدره مكتب الادعاء العام في المنطقة الجنوبية في نيويورك ان تهمة التخطيط لايقاع تفجير بالقرب من كنيس يقع في منطقة ريفرديل في ضاحية برونكس قد وجهت للمتهمين الاربعة. وقالوا إن الاربعة هم جيمس كروميتي المعروف بعبدالرحمن، وديفيد وليامز المعروف بداود، واونتا ويليامز المعروف بحمزة ولاغوير باين المعروف بامين او الموندو. وقال ليف داسين ممثل الادعاء في المنطقة الجنوبية بنيويورك: "إن المتهمين كانوا يرومون القيام بهجمات ارهابية، وقد اختاروا اهدافهم وحصلوا على الاسلحة الضرورية لتنفيذ خططهم.''[3]

إنكلترا:

''حُكم أمس في لندن على شاب بريطاني (22 سنة) اعتنق مؤخرا الإسلام، بالسجن المؤبد الذي لا تقل مدته عن 18 سنة، وذلك لإدانته بمحاولة شن اعتداء انتحاري في مطعم بمدينة اكستر (جنوب غرب) في مايو (أيار) الماضي. وكان نيكي رايلي الذي مثل أمام محكمة أولد بيلي بلندن باسم محمد شريف سيد عليم، أقر في أكتوبر (تشرين الأول) الماضي بأنه أعد لاعتداء ولمحاولة قتل. وكان تم توقيفه في 22 مايو (أيار) 2008 في مطعم بوسط مدينة اكستر. وأصيب الشاب بجروح في وجهه بسبب انفجار مبكر لقنبلة يدوية الصنع كان يحاول تركيبها في حمام المطعم.''[4]

ألمانيا:

''تبدأ الأربعاء في ألمانيا محاكمة أربعة إسلاميين متهمين بالتخطيط لارتكاب اعتداءات تستهدف أساسا مصالح أميركية، وكان يمكن أن تكون لو نجحت، أكثر دموية من تلك التي وقعت في مدريد في 2004 وأدت إلى مقتل 191 شخصا. وسيمثل أمام محكمة الجنايات الخاصة في دوسلدورف (غرب) ألمانيان اعتنقا الإسلام هما فريتز غيلوفيتس ودانيال شنايدر، والألماني من أصل تركي أتيلا جيليك، والتركي آدم يلماظ، في محاكمة تستغرق يومين.''[5]

ألمانيا:

''أعرب خبراء ألمان يعملون في مجال مكافحة الإرهاب عن قلقهم من الألمان الذين يعتنقون الإسلام لأنهم أقل تعرضا للشبهات عن غيرهم. من ناحية أخرى كشف وزير الداخلية الألماني عن وجود عناصر من جماعة "الشكر طيبة" الإرهابية والتي يعتقد أنها تقف وراء تفجيرات مومباي الهندية في ألمانيا. وبحسب إذاعة دويتشه فيلله الألمانية فقد أكد الخبراء الألمان أن 15% من أعضاء المجموعات الإسلامية الخطرة هم من الألمان الذين بدلوا دينهم، والمثل الأهم على ذلك مجموعة زوارلاند التي اعتقلت وهي تعد لتنفيذ سلسلة من التفجيرات الإرهابية في ألمانيا وعلى رأسها الألمانيان فريدس جلوفيتس ودانييل شنايدر المنتسبان إلى اتحاد الجهاد الإسلامي، بحسب إذاعة دويتشه فيلله الألمانية. كما أعرب رئيس جهاز الاستخبارات الألمانية في هذا الإطار عن قلقه من اعتماد تنظيم القاعدة الإرهابي على الألمان المسلمين لأنهم أقل تعرضا للشبهات عن غيرهم. قال إريرس بوغلو "هذا الأمر ينسحب تقريبا على أعضاء اتحاد الجهاد الإسلامي الذين اعتقلوا في سبتمبر 2007، وقد صدمنا الأمر نفسيا لأن ألماناً اعتنقوا الإسلام شاركوا بصورة كبيرة في التخطيط للاعتداء.''[6]

العراق:

''ومما يثير الدهشة ان ثانية مفجرة انتحارية من منتسبات «القاعدة» كانت موريل ديغوك، البلجيكية البالغة من العمر 38 عاما، التي تحولت الى الاسلام وسافرت الى العراق أواخر عام 2005 لتنفذ عملية انتحارية. (فجرت ديغوك حزامها الناسف عند عبور دورية أميركية

[2] إيلاف 2009/7/28.
[3] بي. بي. سي 2009/5/21.
[4] الشرق الأوسط 2009/1/31.
[5] الشرق الأوسط 2002/4/20.
[6] آفاق 2008/12/13.

بالقرب منها في بعقوبة الواقعة إلى شمال بغداد، في نوفمبر (تشرين الثاني) 2005، حيث قتلت نفسها من دون قتل أي أميركي). كذلك هو الحال مع زوجات عدد من أعضاء مجموعة هوفستاد، التي كانت لها صلة بقتل السينمائي الهولندي ثيو فان غوخ بامستردام عام 2004، وشاركن في تدريبات مع أزواجهن، بل رافقت إحداهن زوجها في مهمة فاشلة لقتل النائبة النسوية هيرسي علي"[7]

هؤلاء الرجال والنساء كانوا مسيحيين طوال حياتهم ولم يقوموا بأي عمليات إرهابية، وبمجرد اعتناقهم الإسلام أيقنوا أن واجبهم هو تفجير الأبرياء.

قد يقول قائل إن هذا ليس خطأ الإسلام وإنما خطأ مَن علمهم الإسلام. وهنا لنا أن نسأل: من أين أتى الذين أدخلوهم في الإسلام بتعاليمهم الإسلامية؟ ألم يتعلموها على أيدي شيوخ مسلمين في بلادهم عندما كانوا صبياناً بالمدارس وعلمهم الشيوخ الآيات التي تقول:

{إنّ شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون. (الأنفال 55)}.

وكذلك:

{فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب. (محمد 4)}.

فهل بعد هذا يعتقد الذين هاجموني، لأني لم انتقد الأديان الأخرى، أني إذا انتقدت المسيحية فسوف يقلل نقدي لها من بشاعة تعاليم الإسلام. سوف أظل أركز نقدي على الإسلام

لأنه الدين الوحيد الذي يدعو لقتل من لا يعتنقه، وقتل من يخرج منه حتى وإن ورثه وهو طفل، وما زال أتباعه يضطهدون المرأة ويسجنونها في بيتها أو في حجابها، رغم أن الأديان الأخرى قد تخلت عن اضطهاد المرأة الذي مارسته في الماضي.

المشكلة في الأديان هي أن المؤمن بأي دين يجزم أن دينه هو الدين الوحيد الصحيح، حتى وإن لم يدرس الأديان الأخرى ليقارنها بدينه. فنجد مثلا شخصاً مثل بنجامين فرانكلن (1706 - 1790) والذي كان من الآباء الذين أسسوا الولايات المتحدة، وكان من مشاهير علماء الفزياء، واخترع الشريط الذي يمتص الصواعق lightning rod، يقول:

The moral and religious system which Jesus Christ transmitted to us is the best the world has ever seen, or can see.

(التعاليم الأخلاقية والدينية التي أوصلها لنا السيد المسيح هي أحسن تعاليم عرفها العالم، أو يمكن أن يعرفها.)

والمسلمون يزعمون أن دينهم ألغى جميع الأديان السابقة، وبالتالى هو أحسنهم، وكذلك يقول اليهود، شعب الله المختار.

وهذا ما جعلني أترك الأديان وأقتدي بمقولة إبراهام لنكولن:

When I do good, I feel good; when I do bad, I feel bad. That is my religion.

(عندما أعمل خيراً أشعر بالسعادة، وعندما أفعل سيئاً أشعر بأني سيء. وهذا هو ديني.)

ولهذه الأسباب المذكورة، يكون نقد الدين الإسلامي هو نقد لجميع الأديان.

عودة إلى الفهرس

[7] الشرق الأوسط 2007/8/13.

171 - ملحد أم لا ديني؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=179914

ملحد أم لا ديني؟

أولاً أود أن أشكر جميع الذين علقوا على مقالي الأخير بالمدح أو بالاعتراض والذم. وأخص بالشكر الذين ردوا نيابةً عني على بعض التعليقات النشاذ مثل تعليق السيد طلعت خيري الذي يصر على كتابة مقال كامل في تعليقاته التي لا تعدو أن تكون آياتٍ وسوراً من قرآن، نحن أصلاً لا نعترف بأنه من عند إله السماء. فتعليقات السيد طلعت خيري هي حرث في البحر، على أفضل الوجوه.
أود في هذا المقال أن أعلق على ما جاء في تعليق السيد د. محمود مراد البنا، الذي يقول فيه:

"يقول كامل النجار عن نفسه انه -لاديني- ... والمعروف أن اللادينى هو شخص لا يعتنق أى دين من الأديان القائمة - ولكنه مع ذلك يؤمن بوجود قوة خالقة مهيمنة على الكون حافظة له .. فهل يحدثنا الأستاذ النجار عن تلك القوة التى يؤمن بها - كمفاجأة طيبة للقراء .. ؟! ومع ذلك فأنا أخشى أن يكون الأستاذ النجار قد خلط دون قصد بين الإلحاد واللادينية. عموما أتمنى منه تعليقا على تلك النقطة التى أراها محور اهتمام متابعوا كتاباته." انتهى.

ثم علّق على ذلك د. الرزمنجي، فقال:

"كلي فضول لمعرفة الرد علي سؤال د. محمود مراد البنا." انتهى.

وأنا إذ أشكر الدكتورين على تعليقيهما، أود أن أؤكد لهما أني قصدت لا ديني لأن اللغة العربية أضحت **لغة جامدة** لا تتفاعل مع مستجدات العصر الحديث. فهي أصبحت بمنأى عن كل المصطلحات الحديثة، خاصة العلمية منها، والطبية والصيدلانية، واكتفى القائمون عليها بالترجمة الحرفية من اللغة الإنكليزية لكل المصطلحات الحديثة.
اللغة العربية لم تحدد بالضبط ما هو الإلحاد أو الزندقة. وبما أن أهل اللغة العربية يرجعون دائماً إلى القرآن، بصفته مرجعهم الأخير في البلاغة، دعونا نرى ما يقوله القرآن عن الإلحاد:

{ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يُلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون. (الأعراف 180)**}.**

يقول القرطبي في تفسيره:

"يُلحدون – الإلحاد: الميل وترك القصد، يٌقلب: ألحد الرجل في الدين. وألحد إذا مال. ومنه اللحد في القبر لأنه في ناحيته. والإلحاد يكون بثلاثة أوجه: أحدها: بالتغيير فيها كما فعله المنشركون، وذلك أنهم عدلوا بها عما هي عليه فسموا بها أوثانهم، فاشتقوا اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان. قاله ابن عباس. الثاني: بالزيادة فيها. والثالث: بالنقصان منها، كما يفعله الجهال الذين يخترعون أدعية يسمون فيها الله تعالى بغير أسمائه".

يظهر من هذا الشرح أن *الإلحاد لا يعني نكران وجود إله في السماء، إنما يعني إشراك غيره في نفس الأسماء والصفات. والذي يميل عن الدين الإسلامي ميلاً بسيطاً يقال عنه ملحد.*
ثم يقول لنا القرآن:

{ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشرٌ ولسان الذي يُلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين. (النحل 103)**}.**

فالذين يُلحدون إليه هنا تعني الذي يميلون إلى أنه يعلم محمد القرآن. وكان رد إله القرآن أن يقول إن الشخص المقصود أعجمي بينما القرآن عربي. *مرة أخرى، الإلحاد يعني الميل عن الشيء وليس إنكاره.*
ويستمر القرآن فيقول لنا:

{إنّ الذين يُلحدون في آياتنا لا يخفون علينا أفمن يُبقى في النار خيرٌ أم من يأتي آمناً يوم القيامة أعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير. (فصلت 40)}.

فالإلحاد هنا يعني *الخوض في آيات القرآن وتغييرها، ولا يعني نكران وجود الإله.*
وإذا تركنا القرآن جانباً ورجعنا إلى الفقهاء، نجد القنوجي يقول:

"فمن بلغ رشده في العلم، ينبغي أن يبث إليه حقائق العلوم، وإلا فحفظ العلم وإمساكه عمن لا يكون أهلا له أولى به، فإنّ بث المعارف إلى غير أهلها مذموم. وفي الحديث: (لا تطرحوا الدُّرَّ في أفواه الكلاب). وكذا ينبغي أن يجتنب إسماع العوام كلمات الصوفية، التي يعجزون عن تطبيقها بالشرع، فإنه يؤدي إلى انحلال قيد الشرع عنهم، فيفتح عليهم باب الإلحاد والزندقة.".[1]

نجد هنا أن طرح علوم الصوفية على العامة، يفتح باب الإلحاد عليهم لأنهم يعجزون عن تطبيق الشرع. فعدم تطبيق الشرع يعني الإلحاد، رغم أن العامة من المسلمين مؤمنون بالقرآن وبالله. وإذا تغاضينا عن الحديث النبوي الذي يصف العوام بالكلاب (بعض آداب الإسلام) نجد أن الإلحاد لا يعني نكران وجود الله.
ويقول نفس الفقيه:

"ديوان أبي العلاء المعري، وكان متهما في دينه، يرى رأي البراهمة، لا يرى أكل اللحم، ولا يؤمن بالبعث، والنشر، وبعث الرسل، وشعره المتضمن للإلحاد كثير."[2]

وهنا يخبرنا القنوجي أن أبا العلاء المعري كان متهماً بالإلحاد لأنه كان يرى رأي البراهمة الذين يؤمنون بتناسخ الأرواح، وبأن روح الإله تحل في الإنسان والحيوان.

فإذن أبو العلاء كان لا يؤمن بالدين الإسلامي أو المسيحي، لكنه كان يؤمن بدين البراهمة، ومع ذلك قالوا إنه ملحد.

وإذا نظرنا إلى شعر أبي العلاء المعري، نجده ينكر الأديان عندما يقول:

في اللاذقيةِ فتنةٌ ما بين أحمد والمسيح   قُسٌ يعالج غيظه، والشيخ في حنق يصيح
أفيقوا أفيقوا يا غواةُ فإنما   دياناتكم مكرٌ من القدماء
ويعتري النفس إنكارٌ ومعرفةٌ   وكل معنى له نفيٌ وإيجابُ

فأبو العلاء المعري في هذه الأبيات *ينكر الأديان، ولكنه لم يصرح أبداً بأنه ينكر وجود الإله إلا في بيتٍ واحد قال فيه:*

تحطمنا الأيام كالزجاج   ولكن لا يُعاد لنا سبكُ

وحتى في هذا البيت قد يكون منكراً فقط لفكرة الأديان التي تقول بالبعث والنشور، وليس بالضروري منكراً للإله. ومع ذلك كان يُعتبر ملحداً.

---

[1] أبجد العلوم للقنوجي، المجلد الأول: الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، الباب الرابع في فوائد منثوره.
[2] أبجد، ج2، باب الدال المهملة.

أما لسان العرب لابن منظور، يقول عن الإلحاد:

"واللَّحْد: الشَّقُّ الذي يكون في جانب القبر موضع الميت لأَنَّه قد أُمِيل عن وسَط إِلى جانبه، وقيل: الذي يُحْفر في عُرْضه.

والضَّريحُ والضَّريحة: ما كان في وسطه، والجمع أَلْحادٌ ولُحُود.

والمَلْحود كاللحد صفة غالبة؛ قال:

حتى أُغَيَّبَ في أَثْناءِ مَلْحود *

ولَحَدَ القبرَ يَلْحَدُه لَحْداً وأَلْحَدَه: عَمِلَ له لحْداً، وكذلك لَحَدَ الميتَ يَلْحَدُه لَحْداً وأَلْحَده ولَحَد له وأَلْحَدَ، وقيل: لَحَده دفنه، وأَلْحَده عَمِلَ له لَحْداً.

وفي حديث دفْن النَّبي - صلى الله عليه وسلم -: (أَلْحِدُوا لي لَحْدا) وفي حديث دفنه أَيضاً: (فأَرسَلُوا إِلى اللاحدِ والضارِحِ). أَي: إِلى الذي يَعْمَلُ اللَّحْدَ والضَّريحَ. الأَزهريّ يقول: قبر مَلْحود له ومُلْحَد وقد لَحَدوا له لَحْداً؛ وأَنشد: أَناسِيّ مَلْحود لها في الحواجب *

شبَّه إِنسان العين تحت الحاجب باللَّحد، وذلك حين غارت عيون الإِبل من تعَب السَّيْر.

أَبو عبيدة: لحَدْت له وأَلْحَدْتُ له ولَحَدَ إِلى الشَّيء يَلْحَدُ والتَحَدَ: مال.

ولحَدَ في الدِّين يَلْحَدُ وأَلْحَدَ: مالَ وعدَل، وقيل: لَحَدَ مالَ وجارَ.

ابن السكيت: المُلْحِدُ العادِلُ عن الحقّ المُدْخِلُ فيه ما ليس فيه، يقال: قد أَلْحَدَ في الدِّين ولحَدَ أَي: حاد عنه، وأَلحَدَ الرَّجل أَي: ظَلَم في الحَرَم، وأَصله من قوله تعالى: {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ} [الحج: 25] أَي: إِلحاداً بظلم، والباء فيه زائدة. ومعنى الإِلحاد في اللُّغة: المَيْلُ عن القصْد. ولَحَدَ عليَّ في شهادته يَلْحَدُ لَحْداً: أَثِمَ. ولَحَدَ إِليه بلسانه: مال.

قيل: الإِلحادُ فيه الشَّك في الله، وقيل: كلُّ ظالم فيه مُلْحِدٌ وفي الحديث: (احتكارُ الطَّعام في الحرم إِلحادٌ فيه). أَي: ظُلْم وعُدْوان. وأَصل الإِلحادِ: المَيْلُ والعُدول عن الشَّيء."[3]

وهنا نجد أنّ من يخزن الطعام في الحرم ملحدٌ، ومن يعدل في شهادته ملحدٌ، والذي يشك في الله ملحدٌ. والذي يشك في الله لا يعني بالضرورة أنه لا يؤمن بآلهة آخرين غير الله.

أما الأصفهاني فيقول:

"وقوله: {عالم الغيب والشهادة، أي: ما يغيب عنكم وما تشهدونه، والغيب في قوله: {يؤمنون بالغيب} ما لا يقع تحت الحواس ولا تقتضيه بداية العقول، وإنما يعلم بخبر الأنبياء عليهم السلام، وبدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد".[4]

فبالنسبة للأصفهاني فإن من ينكر الغيب، حتى وإن آمن بمحمد وبالإسلام، أو بالمسيحية، فهو ملحد.

ويقول الأصفهاني في نفس الكتاب:

"ألحد، وألحد فلان: مال عن الحق، والإلحاد ضربان: إلحاد إلى الشرك بالله، وإلحاد إلى الشرك بالأسباب. فالأول ينافي الإيمان ويبطله. والثاني: يوهن عراه ولا يبطله. ومن هذا النحو قوله: {ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم} وقوله: {وذروا الذين يلحدون في أسمائه} والإلحاد في أسمائه على وجهين: أحدهما أن يوصف بما لا يصح وصفه به. والثاني: أن يتأول أوصافه على ما لا يليق به".

مرة أخرى يؤكد لنا الأصفهاني أن الإلحاد لا يعني نكران وجود الله.

وإذا نظرنا إلى تعريف الإيمان بالآلهة في اللغة الإنكليزية، نجد:

Theist: شخص يؤمن بوجود قوة ذكية خلقت العالم وما زالت هذه القوة تدير شؤون هذا العالم (الله). ومنها جاءت كلمة theology أي علم الأديان.

Pantheist: شخص لا يؤمن بوجود إله في السماء، إنما يستعمل كلمة إله أو God لترمز إلى الطبيعة.

Deist: شخص يؤمن بأن هناك قوة ذكية خلقت العالم، ولكن تلك القوة لا تتدخل في شؤون وإدارة هذا العالم. والكلمة مشتقة من deity، وتعني الإله. وهذا هو إله الفلاسفة والعلماء من أمثال أرسطو واسبينوزا وأنشتاين.

Atheist: شخص لا يؤمن بوجود إله ولا بالأديان.

Agnostic: شخص محايد، ليس متأكداً من وجود إله ولكنه في نفس الوقت ليس متأكداً من عدم وجوده. فهو شخص يجلس على السور، وربما يقفز في الجانب الذي يؤمن بالإله مستقبلاً أو ربما في الجانب الآخر.

ولأن اللغة العربية لم تسعفني بكلمة تصف ماهيتي، **اخترت أن أقول إني لا ديني**، *لأن كلمة ملحد كلمة فضفاضة ولا معنى محدداً لها*. وأنا، حسب اللغة الإنكليزية، **atheist**، والقوى الوحيدة التي أؤمن بها هي عقلي.

وكما قال إبراهام لنكولن: عندما أعمل خيراً، أشعر بالسعادة، وعندما أعمل عملاً سيئاً، أشعر أني سيئ. وعقلي هو إلهي.

أرجو أن أكون قد أجبت على تساؤلات الدكتورين الكريمين.

عودة إلى الفهرس

[3] لسان العرب لابن منظور، ج3، حرف الدال المهملو، لإصل اللام.
[4] مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني، كتاب الغين.

172 - ماذا أراد عائض القرني من نشيده؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=183856

الشيخ الدكتور المليونير والداعية الإسلامي عائض القرني غني عن التعريف، فمَن لم يشاهد على الفضائيات الداعية للإسلام في وسط مملكة آل سعود - وكان الأجدر به أن يدعو للإسلام في أدغال أفريقيا أو في حوض الأمازون، حيث لم يسمع الناس بالإسلام - فلا شك قد قرأ له مراراً في الصحف السعودية عندما تحدث عن فظاعة تعامل المسلمين مع بعضهم، تلك الفظاعة التي لم يكتشفها إلا بعد أن سافر إلى فرنسا طلباً لعلاج مفاصله التي لم ينفع معها عسل النحل ولا الكي بالنار، كما يوصي الحديث النبوي الذي يقول:

[شفاء أمتي في جرعةٍ من عسل أو كيةٍ من نار].

والشيخ القرني ليس غريباً على المنازعات الفقهية أو الأدبية في الصحف والفضائيات، وغالباً ما تكون له اليد العليا في تلك المنازعات، ولكنه في الشهور الأخيرة قد أدخل نفسه في متاهات من الشعر وفخاخ العنصرية البغيضة مما يجعل الخروج منها صعباً حتى على شخص متمرس في الجدال مثل الشيخ القرني.

والسؤال هنا هو: لماذا نظم الشيخ القرني، أو خُيلَ إليه أنه نظم، شعراً يمجد به الله، وسمى ذلك النظم "لا إله إلا الله". فهل الله في البلاد الإسلامية عامة، وفي السعودية خاصةً، يحتاج إلى شعر يمجده حتى يعرف الناس قدره؟ ألا تكفي آلاف مكبرات الصوت على مآذن المساجد والتي تصدح في اليوم خمس مرات بـ "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد وله الملك، وهو على كل شيء قدير"؟

وهل أتى الشيخ القرني بشيء جديد يضاف إلى صفات الله التي ملأ الشيوخ بها آلاف الكتب من قبل؟ بالطبع لم يأت الشيخ بكلمة واحدة جديدة في مدح الله لم يسبقه عليها مُداح الصوفية من زمن رابعة العدوية والغزالي عندما تصوّف وقبل أن يصيبه الاكتئاب نتيجة ما توصل إليه من حقائق تتعارض من إيمانه الموروث.

ولماذا اختار الشيخ القرني أن ينظم ما يعتقد أنه شعرٌ والقرآن يقول لنا:

{والشعراء يتبعهم الغاوون. ألم ترَ أنهم في كل وادٍ يهيمون. وأنهم يقولون ما لا يفعلون. (الشعراء 224 - 226)} ؟

والحديث النبوي يقول:

[لئن يمتليء جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتليء شعراً].

ولزيادة الطين بلة، فقد أقنع الشيخ القرني الفنان محمد عبده بتلحين وترنيم ذلك النشيد من دون مصاحبة الموسيقى التي هي أصلاً روح الغناء والإنشاد، ولهذا السبب سمح محمد بن عبد الله لأتباعه، وفي حياته، بدق الطبول والغناء في الأعراس. وإصرار الشيخ على حجب الموسيقى من النشيد *يجعله كمن يمسك العصا من وسطها*. وهو بهذا الموقف قد جعل نفسه عرضةً لتهكم المتزمتين وأضحوكةً في أعين العلمانيين.

أما كلمات النشيد أو القصيدة المزعومة، **فهي أبعد شيء عن الشعر**، وطول النشيد جعله مملاً للغاية. ولم يلتزم الشيخ الصدق في محاولته تمجيد الله، فوصفه بكل صفات الرحمة والعطف، بينما يصف الله نفسه في القرآن بأنه شديد العقاب، ومنتقم، وجبار، وسريع الحساب، وخير الماكرين، ويقتر الرزق على من يشاء، ويدعو المؤمنين لقتل الكافرين وجز رقابهم.

فالشيخ القرني هنا لا يختلف عن شخص يحاول وصف الحجاج بن يوسف بالرحمة، وكلنا يعرف أن الحجاج قال عن نفسه في خطبته الشهيرة في العراق:

> "أنا ابن جلا وطلاع الثنايا، متى أضع العمامة تعرفوني. إن أمير المؤمنين عبد الملك نثر كنانته فعجم عيدانها فوجدني أمرّها عوداً واصلبها مكسرا فوجهني إليكم ورمى بي في نحوركم فإنكم أهل بغي وخلاف وشقاق ونفاق فإنكم طالما أوضعتم في الشر وسننتم سنن الغي فاستوثقوا واستقيموا فوالله لأذيقنّكم الهوانَ ولأمرينّكم به حتى تدروا ولألحُونكم لحوَ العودِ ولأعَصُبنّكم عصب السلمة حتى تذلّوا ولأضربنّكم ضربَ غرائبِ الإبلِ حتى تذروا العصيان وتنقادوا ولأقرعنّكم قرع المروة حتى تلينوا إني والله ما أعِدُ الا وفَيت ولا أخلق إلا فريَت فإياي وهذه الجماعات فلا يركبن رجل إلا وحده ، اقِسمُ بالله لتقبلن على الإنصاف ولتدعنّ الإرجافَ وقيل وقال وما تقول وما يقول وأخبرني فلان أو لأدعن لكل رجلٍ منكم شغلًا في جسدِه فيمَ أنتم وذاك ، والله لتستقيمن على الحق أو لأضربنّكم بالسيفِ ضرباً يدعُ النساء أيامى والولدان يتامى".[1]

وبعد هذا التعريف بنفسه، قتل الحجاج 120 ألف شخص وسجن 33 ألفاً.[2]

فإذا نظم شخصٌ ما نشيداً يمجد به الحجاج ويصفه بالرحمة، هل يمكن أن يعيره أي شخص عاقل أقل درجة من الاهتمام؟

أما كلمات النشيد فتقول:

لا إله إلا الله أبداً بها حق وصواب
كلمة من عالم الغيب ربك جا بها
لا إله إلا الله فضاضة الصخر الصلاب
أحمد المختار للخلد يسبقنا بها
و لا إله إلا الله الريح تشهد والسحاب
والجبال الراسية كلها وهضابها
و لا إله إلا الله أكبر سؤال أعظم جواب
الرعود أصواتها والبروق أثوابها

فالشيخ هنا يأتي بمزاعم تناقض ما يقول به التاريخ المعروف. فوحدانية الإله أتت في خطوات تكاملية صاحبت تطور الإنسان البدائي، ولم تكن من الغيب في شيء، ولم يسبق بها أحمد أو محمد، فقد سبق بها أخناتون، فرعون مصر قبل الميلاد، ثم تبعه شخصية خرافية سموها موسى (**الذي هو أخناتون نفسه**) ثم تبعه يسوع ومن ثم شعراء ما قبل الإسلام من أمثال أمرؤ القيس وأمية بن أبي الصلت. وكان الأجدر بالشيخ أن يخبرنا كيف عرف أن الريح والسحاب يشهدان بوحدانية الله. فإذا كان الجماد يشهد بوحدانية الله، فما حاجة الشيخ لنظم النشيد؟ ألا يعرف البشر وحدانية الإله وقد عرفها الجماد؟

---

[1] الكامل في التاريخ للمبرد، ج4، ص 138.
[2] شذرات الذهب للدمشقي، ج1، ص 109.

ويستمر الشيخ القرني فيقول:

شوف ثمود البغي ماتوا بناقة في شراب
وغار ثور بالحمامة يرد أعرابها
وقوم نوح كالضفادع بطوفان عُباب
وصار قوم شعيب مثل الجيف بأشعابها
كلهم عبد الطمع يا ذياب في ثياب
كشرّت بأنيابها واحتمى مخلابها
لا ترجاهم تراهم سراب في سراب
فوّض أمرك للمهيمن يفتّح بابها
وإيش بقي من مال قارون وأصحاب العياب
زر مقابرهم ترى البوم قد غنّى بها.

ومع ركاكة الأسلوب، يرتكب الشيخ أخطاء لا تليق به، ويشبه قوم نوح وقت الطوفان بالضفادع، والضفادع طبعاً تعيش في الماء ولا تغرق به كما غرق قوم نوح.

ونجد الشيخ القرني يكرر علينا ادعاءات القرآن التي تزعم أن الله قد أهلك أمماً لا تحصى لمجرد أنهم لم يصدقوا مَن ادعوا أنهم أنبياء ورسل من عند الله، مع أن الشيخ يحاول أن يلصق بالله كل الصفات الجميلة.

وقد نجح الشيخ في **تصوير إله سادي يبطش بمن يستعمل عقله ولا يتبع الأوهام**. ثم أن الشيخ يناقض نفسه في مقال سابق عندما تحدث عن قسوة بعض الآباء السعوديين الذين عذبوا أو قتلوا أطفالهم، فقال:

> "وبسبب هؤلاء المردة العتاة القساة الجفاة يمنع القطر من السماء، وتجدب الأرض، وتموت البهائم، وتذبل الأشجار، وفي حديث قدسي يقول الله عز وجل عن الظلمة: «وعزتي وجلالي لولا شيوخ ركع، وأطفال رضع، وبهائم رتع، لخسفت بكم الأرض خسفاً»".[3]

فكيف يقسم الله بعزته وجلاله أنه لولا الأطفال الرُضع، والبهائم الرُتع، والشيوخ الرُكع لخسف بنا الأرض، وهو يدعي أنه قد خسفها بكل الشعوب الذين ذكرهم الشيخ القرني في نشيده؟ ألم يكن بينهم أطفال رُضع وبهائم رُتع عندما أهلكهم؟ أم أن أطفال المسلمين وبهائمهم أعظم قدراً عند الله من أطفال قوم نوح وقوم لوط وقوم شعيب وثمود وعاد؟

> "عندما سُئل الشيخ عايض القرني على قناة «دليل» الفضائية عن رده على انتقادات الكاتب قينان الغامدي والروائي عبده خال لقصيدته التي غناها محمد عبده، قال إن هذه القصيدة بلغت الآفاق، وإن الغامدي وخال لا يستطيعان تقويمها لأنهما ليسا شاعرين. كيف ينتقدان القصيدة.. ولو أحضرنا عجوزاً نيجيرية تبيع الفصفص لعرفت في الشعر أفضل منهما، ولو مكثا ليالي لينظما بيتاً واحداً من الشعر لما استطاعا، ولذلك يجب على من ينتقد أن يكون شاعراً، معتبراً أن هناك الكثير من الشعراء المتخصصين أشادوا بكلمات القصيدة واعتبروها من أفضل القصائد التي قيلت في هذا الباب."[4]

ولا يخفى على القارئ هنا أن الشيخ يحاول مجاراة أسلوب القرآن عندما قال للأعراب إنهم لن يستطيعوا أن يأتوا بسورة واحدة مثل سور القرآن، حتى وإن استعانوا بالجن. وليت الشيخ تكرم علينا بإسم أحد الشعراء المتخصصين الذين أشادوا بقصيدته حتى نستطيع أن نحكم بأنفسنا إن كانوا فعلاً من الشعراء المتخصصين. ولكن الأدهى من ذلك أن الشيخ، في غمرة حماسه للهجوم على قينان الغامدي وعبده خال، نسي أبسط قواعد السلوك المهذب، وركن إلى العنصرية التي تسكن في عقله الباطن، وزعم أن عجوزاً نيجيرية تبيع الفصفص تعرف في الشعر أفضل من الناقدين.

قد يقول الشيخ أو المدافعون عنه إنه اختار النيجيرية العجوز لأنها لا تعرف اللغة العربية، ولكن المملكة العربية السعودية تعج بملايين الأجانب من أوروبا وأمريكا وبنغلاديش وباكستان وغيرها، ممن لا يعرفون العربية، فلماذا اختار النيجيرية مع العلم أن النيجيريين بالمملكة أقل عدداً من أي جنسية أخرى؟ والسبب الحقيقي طبعاً هو لون النيجيرية التي لا تصلح حسب التعاليم الإسلامية إلا أن تكون من الإماء.

والعنصرية طبعاً متأصلة في البلاد العربية منذ أن ظهر العرب على وجه هذه البسيطة.

- **فقبل الإسلام** كان تفاخر العرب بالأنساب وليس بالأفعال أو المنجزات. ولذلك كانوا ينادون عنترة بن شداد بـ "العبد" لأن أمه كانت حبشية، رغم أن أباه كان عربياً.
- **وجاء الإسلام واحتضن عنصرية العرب،**
  - وجعل قريش أفضل الناس،
  - يليهم بقية العرب،
  - ثم المسلمون من الأعاجم الذين سموهم **العلوج** والأعاجم،
  - ويلي هؤلاء الزنوج.
- **وما زالت البلاد العربية من أكثر البلاد عنصريةً**.
  - ففي مملكة آل عبد الوهاب *يستطيع القاضي أن يطلق امرأةً من زوجها لعدم تكافؤ النسب*. وما زال البدو ينظرون إلى الدواسر نظرة دونية.
  - وفي العراق، ما زال أحفاد العبيد الذين قاموا بثورة الزنج في البصرة، مضطهدين.
  - وفي لبنان يسمون الفستق السوداني فستق العبيد.
  - وفي مصر يتهكم المصريون على النوبة من جنوب مصر ويسمونهم "البرابرة".
  - وفي السودان يضطهد الشماليون أهل الجنوب الذين لم يختلطوا بالعرب ويدعونهم بـ "العبيد" في حين أن السودانيين الشماليين أنفسهم يصبحون عبيداً في دول الخليج وفي مملكة آل سعود.
  - وفي المغرب والجزائر يتهكمون على الأمازيغ ويسمونهم البربر، كما سماهم الرومان.
  - وفي ليبيا يتهكم أهل الشمال على القبائل الجنوبية التي اختلطت دماؤهم مع القبائل الأفريقية.
  - ونصف السكان في موريتانيا ما زالوا عبيداً.

ومع ذلك يكرر علينا الشيخ القرني وبقية الشيوخ المقولة الممجوجة "لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى". فما الذي أدرى الشيخ القرني أن العجوز النيجيرية التي تبيع الفصفص ليست أتقى منه، حتى يضرب بها المثل في الجهل؟

[3] الشرق الأوسط 2009/5/19.
[4] جميل الذيابي، الحياة اللندنية، 2009/9/6.

كان الأولى بالشيخ القرني أن يتفادى الشعر كلياً لأن قدوته محمد بن عبد الله قتل الشعراء وأنكر مراراً وتكراراً أنه شاعرٌ. والقرآن يقول عن محمد {**وما علمناه الشعر وما ينبغي له**}. وأغلب فقهاء الإسلام أنكروا الشعر والشعراء. يقول الغزالي:

"مر محمد رسول الله برجل والناس مجتمعون عليه، فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجلٌ علامة، فقال: بماذا؟ قالوا: الشعر وأنساب العرب، فقال: علمٌ لا ينفع وجهلٌ لا يضر."[5]

ولو اقتدى الشيخ القرني بالإمام الشافعي لوفر على نفسه وعلينا كثيراً من العناء. يقول الشافعي:

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيدِ

فإذا كان الشيخ القرني يعتبر نفسه من العلماء، فالشعر مزرٍ به، فليتجنبه.

عودة إلى الفهرس

[5] إحياء علوم الدين، ربع العبادات، ج1، ص 19.

173 - إله أم صنم؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=188943

الأطفال لا خيار لهم في اتباع الملل والأديان. كل طفل يصحبه أبوه إلى المسجد أو إلى الكنيسة أو الهيكل، فينشأ الطفل على نفس معتقدات أبيه. وعندما كان محمد بن عبد الله طفلاً كان يكفله عمه أبو طالب الذي كان يعبد الأصنام اللات والعُزى وغيرهما بتفانٍ شديد جعله يتمسك بعبادتهم على فراش موته ويرفض أن يؤمن بإله محمد الجديد. فأي طفل تربى في مثل هذا المحيط الأسري لا بد وأنه تعلم عبادة الأصنام، ولم يشذ محمد عن هذه القاعدة. بل بالعكس، فقد تشبع محمد بتقديس الأصنام، ولذلك خلق إلهاً صنماً أكبر من الأصنام المعروفة في ذلك الوقت.

ولما كان الصنم لا ينفع ولا يضر، ولا يُظهر للناس أي أفعال ملموسة، أراد محمد أن يصبغ على صنمه الكبير صفات عديدة من القوة والطغيان، عجز عن إظهارها لمشركي قريش عندما تحدوه وطلبوا منه أن ينزل عليهم آية، أي معجزة تقنعهم بوجوده، فقال لهم محمد على لسان الله: {**وما منعنا أن نُرسل بالآيات إلا أن كذّب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرةً فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً.** (الإسراء 59)}.

فإذاً هذا الإله رفض أن يُنزل المعجزات على محمد لأن ثمود كذبت بالناقة المبصرة، لكنه بعد ثمود أنزل على عيسى بن مريم معجزات عديدة، منها إحياء الموتى، كما يخبرنا في القرآن، فلماذا أرسل عيسى بكل هذه المعجزات بعد أن كذبت ثمود بالناقة، ثم تحجج بتكذيب ثمود عندما طلبت قريش من محمد الإتيان بأي معجزة؟ والجواب طبعاً هو أن صنم محمد لم يكن باستطاعته إنزال أي معجزة، فهو صنم virtual †، بلغة الإنترنت، أي هو صنم موجود فقط في عالم الخيال في عقولنا.

† افتراضي

ولتفخيم هذا الصنم أتى محمد بآيات تزعم أن إلهه خلق العالم والناس والنبات والحيوان، فقال: {**لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكورَ. أو يزوجهم ذُكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً.** (الشورى 49، 50)}.

وعندما سمع القرشيون هذه الآيات، لا شك تعجبوا كيف يجعل هذا الإله رسوله عقيماً، فقد تزوج محمد أكثر من عشرين امرأة بعد خديجة ولم ينجب من أي منهن، رغم أن كلهن، ما عدا عائشة، كن متزوجات قبله وأنجبن أطفالاً من أزواجهن السابقين. فلا بد أن محمد قد توسل إلى إلهه الجديد أن يرزقه أطفالاً من هؤلاء النساء، خاصة بعد أن عيروه في مكة بأنه أبتر، أي لا بنون له يورثونه. ولكن الأصنام لا تسمع ولا تجيب الدعاء. وقد يكون من الجدير هنا أن نقارن ما يقوله إله محمد مع ما يقوله إله موسى. فقد قال إله موسى لبني إسرائيل: {**14 مُبَارَكاً تَكُونُ فَوْقَ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. لا يَكُونُ عَقِيمٌ وَلا عَاقِرٌ فِيكَ وَلا فِي بَهَائِمِكَ.** (سفر التثنية، الإصحاح السابع)}. فعلى الأقل وعد إله موسى شعبه المختار بإلا يكون فيهم ولا في بهائمهم عقيم. ولكن في الواقع لم يستطع إله موسى الإيفاء بوعده، كما لم يستطع إله محمد. فموسى، كمحمد خدع الناس بمقدرات وهمية لصنمه.

ولأن محمد كان متأثراً بتعايم الجاهلية وعبادة الأصنام العديدة، فقد جعل صنمه الأكبر رئيساًعلى جميع الأصنام، وقال لهم في القرآن: {**فتبارك الله أحسن الخالقين**. (المؤمنون 14)}. وقال كذلك: {**أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين.** (الصافات 125)}. فهذا **اعتراف واضح** من محمد بأن إلهه عبارة عن صنم من ضمن الأصنام الأخرى مثل بعل واللات والعُزى، لكنه أحسنهم في الخلق. فإذا كان إلهه قد خلق العالم، فبقية الآلهة كذلك اشتركوا في الخلق، ولكن هو أحسن الخالقين. وطبعاً كل هذا ادعاء لا يستطيع محمد أو غيره إثباته. ولكنه على كل حال اعتراف بأن هناك خالقين غيره. وهناك كذلك رازقون غيره {**قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين.** (سبأ 39)}.

ولتأثر محمد بالأصنام التي رآها منحوتة على هيئة إنسان، أعطى إلهه الجديد جميع صفات الإنسان، فهو يضحك ويفرح ويغضب وله يدان - كلتاهما يمين كما يقول المفسرون- وله ساقان وقدمان ويمشي ويهرول، كما الحجيج في مكة، ويتسطح على العرش، وينزل للسماء الدنيا ثم يصعد للسماء السابعة، بل ينزل من تحت كرسيه سائلٌ مثل المني

"ثم يرسل الله من تحت العرش منياً كمني الرجال، فتنبت أجسامهم ولحمانهم من ذلك الماء كما تنبت الأرض من الثرى".[1]

وهذا التفسير يثبت أن محمد وصنمه لم يكونا يعرفان أن المني وحده لا ينبت جنيناً.

ولكن هذا الإله الجديد، رغم وعوده التي لا تتحقق، فهو قوي متين، إذا أراد شيئاً أن يقول له "كن" فيكون. وزعم محمد، كما في التوراة، أن هذا الإله قد خسف الأرض بقوم لوط وعاد وثمود، وأغرق قوم نوح. ولا يحصر قوته في العقاب الجماعي غير الأخلاقي فقط، وهو الذي يقول لنا: {**لا تزر وازرة وزر أخرى**} وإنما يستطيع أن يخسف الأرض بشخص واحد فقط، دون أن يصيب مَن حوله مِن الناس. وقد فعل ذلك، كما يزعم القرآن، مع قارون الذي استبد بماله الكثير، فقال القرآن: {**فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين.** (القصص 81)}. وهذه الأسطورة نقلها محمد من التوراة التي زعمت أن صنم موسى خسف الأرض بخيمتين من بين جميع الخيام، كان يقف أمامهما قورح وأصحابه:

{**20 وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ: 21«افْتَرِزَا مِنْ بَيْنِ هَذِهِ الجَمَاعَةِ فَإِنِّي أُفْنِيهِمْ فِي لحْظَةٍ!» 22فَخَرَّا عَلى وَجْهَيْهِمَا وَقَالا: «اللهُمَّ إِلهَ أَرْوَاحِ جَمِيعِ البَشَرِ هَل يُخْطِئُ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَتَسْخَطَ عَلى كُلِّ الجَمَاعَةِ؟» 23 فَقَال الرَّبُّ لِمُوسَى: 24 «كَلِّمِ الجَمَاعَةَ قَائِلاً اطْلعُوا مِنْ حَوَاليْ مَسْكَنِ قُورَحَ وَدَاثَانَ وَأَبِيرَامَ». 25 فَقَامَ مُوسَى وَذَهَبَ إِلى دَاثَانَ وَأَبِيرَامَ وَذَهَبَ وَرَاءَهُ شُيُوخُ إِسْرَائِيل. 26 فَقَال لِلجَمَاعَةِ: «اعْتَزِلُوا عَنْ خِيَامِ هَؤُلاءِ القَوْمِ البُغَاةِ وَلا تَمَسُّوا شَيْئاً مِمَّا لهُمْ لِئَلا تَهْلكُوا بِجَمِيعِ خَطَايَاهُمْ». 27 فَطَلعُوا مِنْ حَوَاليْ مَسْكَنِ قُورَحَ وَدَاثَانَ وَأَبِيرَامَ وَخَرَجَ دَاثَانُ وَأَبِيرَامُ وَوَقَفَا فِي بَابِ خَيْمَتَيْهِمَا مَعَ نِسَائِهِمَا وَبَنِيهِمَا وَأَطْفَالِهِمَا. 28 فَقَال مُوسَى: «بِهَذَا تَعْلمُونَ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَرْسَلنِي لأَعْمَل كُل هَذِهِ الأَعْمَالِ وَأَنَّهَا ليْسَتْ مِنْ نَفْسِي. 29 إِنْ مَاتَ هَؤُلاءِ كَمَوْتِ كُلِّ إِنْسَانٍ وَأَصَابَتْهُمْ مَصِيبَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ فَليْسَ الرَّبُّ قَدْ أَرْسَلنِي. 30وَلكِنْ إِنِ ابْتَدَعَ الرَّبُّ بِدْعَةً وَفَتَحَتِ الأَرْضُ فَاهَا وَابْتَلعَتْهُمْ وَكُل مَا لهُمْ فَهَبَطُوا أَحْيَاءً إِلى الهَاوِيَةِ تَعْلمُونَ أَنَّ هَؤُلاءِ القَوْمَ قَدِ ازْدَرُوا بِالرَّبِّ». 31 فَلمَّا فَرَغَ مِنَ التَّكَلُّمِ بِكُلِّ هَذَا الكَلامِ انْشَقَّتِ الأَرْضُ التِي تَحْتَهُمْ 32 وَفَتَحَتِ الأَرْضُ فَاهَا وَابْتَلعَتْهُمْ وَبُيُوتَهُمْ وَكُل مَنْ كَانَ لِقُورَحَ مَعَ كُلِّ الأَمْوَالِ.** (سفر العدد، الإصحاح 16)}.

وكان هذا برهان موسى على أن الرب قد أرسله، وياله من برهان.

ولكن الصنم المحمدي الذي طغى على بقية الأصنام وزعم لنفسه هذه القوة الخارقة، كان في الحقيقة أضعف من أي صنم عادي، ولذلك عندما أراد محمد أن يشجع أتباعه على القتال في موقعة بدر قال لهم إن الإله سوف يرسل لهم ملائكة يحاربون في صفوفهم: {**يمدكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسموّن.** (آل عمران 125)}. واقتنع عبدة الأصنام بهذا الإدعاء وأيقنوا أن الملائكة تحارب في صفوفهم.

ولما لم يكن أي منهم قد رأى الملائكة في المعركة، اختلفت رواياتهم في وصفها، فقال بعضهم كانت الملائكة على خيول بيضاء، يلبسون عمائم بيض أرسلوها على أكتافهم، وقال آخرون بل كانت عمائهم صفراء كعمامة الزبير بن العوام. ولم يسأل أي من **مغسولي الدماغ** لماذا تحتاج الملائكة إلى حصين وهي ذات أجنحة تطير بها من السماء إلى الأرض في لمح البصر، كما فعل جبريل مراراً، في زعم محمد.

[1] الدر المنثور للإمام جلال الدين السيوطي، ج7، سورة فاطر، الآية 9.

ولو اقتنعنا بأن الملائكة فعلاً حاربت معهم، فإن الملائكة لا تقل ضعفاً عن الصنم الأكبر. فكل الذين قُتِلوا في بدر من قريش كانوا سبعين رجلاً، وكان جيش محمد يتكون من ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً.[2] فإذا كان حصيلة قتال خمسة آلاف من الملائكة مدججين بالسلاح، ومعهم ثلاثمائة من المسلمين سبعين قتيلاً فقط، فإن ضعف الملائكة هنا لا يحتاج دليلاً. ومع ذلك يقول لنا القرآن: {**لينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز**. (الحج 40)}. فأين هذه القوة والله يشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ليدافعوا عنه وينصروه؟

هذا الإله الضعيف يعد المؤمنين بجوائز جنسية من الحور والغلمان ليدافعوا عنه لأنه لا يستطيع فعل أي شيء مما ادعى لنفسه من خسف الأرض وإرسال الشهب والبرق ليصيب به مَن يشاء. فإذا كان باستطاعته أن يفعل هذه الأشياء، لماذا يحتاج جند الله وحزب الله وغيرهم لينتقموا له من أعدائه؟ لماذا لا يخسف الأرض بسلمان رشدي بدل أن يعتمد على الخميني ليصدر فتوى بإهدار دمه الذي ما زال يجري في عروقه بعد مرور أكثر من عشرين عاماً على الفتوى؟ ولماذا لم نسمع بأنه قد تدخّل في أي مأساة إنسانية سببها عبيده المؤمنون الذين يقاتلون بالإنابة عنه؟ فمثلاً في الصومال يتقاتل المسلمون فيما بينهم، كل فريق يدعي أنه الممثل الشرعي لله في الأرض وأنه يريد تطبيق الشريعة الإسلامية الصحيحة. فنتج عن قتالهم دمار الصومال وموت الآلاف من البشر والدواب، ونزوح ثلاثمائة ألف رجلٍ وامرأة وطفل من ديارهم واستقروا في صحراء قاحلة في شمال كينيا، لا ماء بها ولا زرع، ويسكنون عُششاً مصنوعة من الجلود والكرتون، يحاصرهم الجوع والعطش. ومع ذلك يستقبل هذا المعسكر الذي تشرف عليه الأمم المتحدة، ستين ألف نازح شهرياً. *ولولا كرم أهل الكتاب في الغرب لماتوا جوعاً*، والصنم الأكبر يقول لنا: {**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها**}. فأين رزق هؤلاء البؤساء المرضى الذين شُردوا من ديارهم من أجله؟ ألا تهز هذه المأساة كل كائن حي؟ فلماذا لم يتحرك إله محمد لإيقاف هذه الحرب التي تدار من أجل حورياته وغلمانه المخلدون؟ ولكن هل سمعنا بصنم يتحرك.

وإذا لم تحرك مأساة الصومال فيه ساكناً، ألا يرى الملتحين في باكستان يفجرون إخوانهم المسلمين من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية، وقد فجروا حتى الطالبات في الجامعة الإسلامية؟ وقد أدت الحرب بينهم إلى نزوح مئات الآلاف من الباكستانيين الفقراء من أكواخهم. ولا داعي للحديث عما يحدث من تفجير الملتحين إخوانهم المسلمين في العراق وأفغانستان والسعودية بحجة التعاون مع الجيوش الأجنبية. لو لم يكن الإله صنماً وهمياً لحركته هذه المآسي التي تحدث بإسمه وتحت بصره، وهو يدعي أنه بصير عليم.

> ***إله المسلمين صنم كبير اعتاد المؤمنون عبادته والتوسل إليه لينصرهم على أعدائهم وما هو بقادر على نصر نفسه، ولذلك لجأ المسلمون إلى أصنام أخرى علها تساعدهم، فصنّموا محمد نفسه، ثم أهل بيته وصحابته، ثم رجال الدين والحديث من أمثال البخاري ومسلم. وأما نساء المسلمين فقد صنمن السيدة زينب والسيدة فاطمة وغيرهما وأصبح التمسح بقبورهن أكثر نفعاً لهن، من الناحية النفسية، من الدعاء إلى الله مباشرةً.***

وإذا لم يكن هذا الإله صنماً فليخسف الأرض بريتشارد دوكنز وكروستوفر هيتشين وربما كامل النجار لأنهم أعداؤه ولا يؤمنون بوجوده. فقد مللنا التهديد والوعيد بقوة زائفة لا وجود لها، ولم يرها أحد من الناس. أما التستر وراء {**إن الله يمهل ولا يهمل**} ما عاد يقنع أي عاقل.

عودة إلى الفهرس

[2] سيرة ابن كثير.

174 - تعقيباً على القراء

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=189368

كل كاتب يسعده أن يتفاعل القراء، إيجاباً وسلباً، مع ما يكتب، وقد تكرم عدد غير قليل من الذين قرؤوا مقالي الأخير عن الصنم الأكبر بالتعليق على المقال. الغالبية العظمى اتفقوا معي ورحبوا بمعاودتي الكتابة بعد انقطاع فرضتْه عليّ ظروف العمل. وأنا بدوري أشكرهم على المشاركة وأعتذر أني لن أستطيع أن أذكر كل الذين علقوا بالإسم، ولكن كعادتي أود أن أخص بالشكر السيدات اللاتي علقن على المقال، لا تحيزاً للنساء، وإنما تشجيعاً للمرأة المسلمة التي عانت الأمرين من اضطهاد الإسلام لها، ووأدها في الكبر. وسوف أقصر تعليقي على الذين انتقدوا المقال أو قدموا بعض الأسئلة.

- وأبدأ بالشكر للقارئة صاحبة التعليق رقم 9، وقد أطرت عليّ كثيراً وسألت:

"أما من مقدام شجاع في طول وعرض هذا المجتمع يهز هذا اليقين الساذج؟"

✍ وهناك بالطبع كُتاب كثيرون يحاولون قشع هذا الظلام الداكن عن مجتمعاتنا، أخص منهم صلاح الدين محسن، ووفاء سلطان، ونورا محمد، ونادر قريط (رغم تعصبه للقومية العربية). وأعتذر لمَن لم أذكره هنا.

- أما السيدة ياسمين زهرة الجلنار التي نبتت في صحراء الجزيرة العربية القاحلة، وصاحبة التعليق رقم 18، فتقول:

"لو فكر المسلمون بعقولهم لما صلوا على محمد كل مرة يذكرون اسمه، وكيف يصلي الله على إنسان أرسله هو للناس."

✍ والحقيقة هي أن المسلمين ألّهوا محمداً بحياته، واستجاب هو لهم بآية قرآنية تقول:

{**إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً**}.

وطبعاً أي إنسان لديه ذرة من العقل لا يمكن أن يقبل أن هذه الآية من عند إله السماء، إذ كيف يخبرنا إله السماء أنه وملائكته يصلون على النبي ثم يطلب منا أن نصلي عليه؟ *والغرض من الصلاة هو طلب المغفرة من الله وسؤاله العفو عن المذنب وإدخاله الجنة*. أليست صلاة الله وملائكته كافية لإدخال محمد الجنة؟ إنها **نرجسية محمد** التي جعلته يقول على لسان الله:

{**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره.** (التوبة 24)}.

فمحمد يجب أن يكون أحب للمسلم من نفسه وزوجه وأطفاله، وإلا سوف يعاقبه الله. وهل هناك شيء أو إنسان أحب للمرء من أطفاله؟ ونفس الشيء قاله عيسى:

{**من أحب أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقني ومن أحب ابناً أو ابنة أكثر مني فلا يستحقني.** (سفر متّى، الإصحاح العاشر، 37)}.

فيبدو أن محمداً قد رأى إخلاص المسيحيين وحبهم لعيسى فأراد أن يكون حب المسلمين له أكثر من حب النصارى لعيسى. فمحمد كان يقول إنه حبيب الله وإنه أكرم الخلق، وعلماء النفس يقولون عن مثل هذا الشخص megalomaniac.(هَوَس تضخيم الذات).

- السيدة الفضلى أم محمد، صاحبة التعليق 19، كعادتها، رحبت بعودتي للكتابة، ولها شكري، وقالت:

"عندما كنت أقرأ القرآن بعين المقدس له كانت تستوقفني كثيراً الآية {فتبارك الله أحسن الخالقين} وكنت أتساءل كثيراً عن معناها وبعد محاولات البحث عن التفاسير لم أجد لها تفسيراً مقبولاً بل التفاسير أقل ما يقال عنها مضحكة ولكني اكتشفت أن قائلها هو عمر وأن محمد أعجبته فأضافها لقرآنه الأمر الذي يؤكد أن إلهه هو فعلاً صنم."

✍ والحقيقة أن آيات كثيرة في القرآن قالها عمر واقتبسها محمد. وهناك آيات أخرى قالها أبو بكر وأضافوها للقرآن، مثل:

{**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قُتل انقلبتم هلى أعقابكم.** (آل عمران 144)}.

بل هناك آيات قالتها الطيور والحشرات، مثل:

{**يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده.** (النمل 18)}.

- أما سارة صاحبة التعليق رقم 20 فتقول:

إنها تؤمن بالله وتراه يستحق العبادة بفعل الصالحات مدى حياتها، ولكن لديها مئات الأسئلة حول النصوص الدينية. وتقول إن كامل النجار يجيب على بعض هذه الأسئلة لكنها لا تقبل إجاباته لأنه لا هي ولا كامل يملك الحقيقة.

✍ وأقول لسارة: لا أحد يملك الحقيقة، وكلنا نبحث عنها من زوايا مختلفة، وقد قال أحد الحكماء "الحقيقة واحدة ولكن الحكماء يعطونها أسماء متعددة".

فقد تكون الحقيقة عندها هي الإيمان بالله، بينما الحقيقة عندي هي العمل الصالح. وإذا فعلت سارة الخير مدى حياتها تكون قد عاشت حياتها كما يملي عليها ضميرها ولكن دون خوف من إله في السماء سوف يعاقبها، وهذا بالنسبة لي هو الوصول إلى الحقيقة. وإذا لم تقتنع سارة بإجاباتي فاللوم على عاتقي لأني لم آتها ببراهين يقبلها عقلها، فهي غير ملومة. ولكن أن تؤمن بالله لأن الكتب السماوية قالت بوجوده دون برهان، فهو ما لا أقبله لها.

- السيدة ناهد صاحبة التعليق 34 تقول:

"سيدي الفاضل لا أظن أن الجزئية الأولى من مقالك صحيحة في اسلوب الطرح، فالمنطق يقول انه اذا اردت ان اناقش احدا في معتقداته المفروض ان ابدا حيث تفكيره وبه انتقل الى مستوى اخر. المقصد من ذلك ان مقارنتك ان الـه محمد هو صنم كغيره نحته محمد وصممه كافضل الرازقين، او الخالقين وما الى ذلك، فبالتحليل الاسلامي ان رب العمل هو رازق وبالتالي فان الههم في الاسلام هو خير الرازقين."

✍ وأقول لناهد: الحقيقة أن رب العمل ليس رازقاً، وإنما هو **تاجر** يشتري من العامل مجهوده مقابل مبلغ من المال.

الرازق هو الذي يعطيك مالاً أو طعاماً دون مقابل. والله لا يفعل ذلك بدليل أن الملايين في البلاد الفقيرة يموتون من الجوع والله لا يرزقهم طعاماً كما يقول. وفي نفس الوقت فإن الله جعل من نفسه تاجراً يشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم مقابل دخولهم الجنة:

{**إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة.** (التوبة 111)}.

وهو كذلك يقترض منهم المال:

{**من الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة.** (البقرة 245)}.

فإذا كان قرآن محمد يجعل من الله تاجراً، مثله مثل رب العمل، فهذا يثبت أن الله صنمٌ خلقه محمد في صورته لأن محمد كان يعمل بالتجارة. أما القول بأننا إذا ناقشنا المؤمن يجب أن نبدأ بمستوى تفكيره، فقول لا أتفق مع السيدة ناهد فيه لأن المؤمن لا يفكر في إيمانه إنما يعتنقه منذ صغره ويؤمن أنه يمتلك الحقيقة الكاملة وغيره على ضلال. ولذلك يجب أن نصدم المؤمن بالحقائق التاريخية المغيبة عنه، وبالنقد اللاذع الذي لا يجامل. *والإيمان أصلاً لا يتفق مع العلم*. يقول الفيلسوف كانط: "حيث تنتهي حدود العلم تبتديء حدود الإيمان."

المؤمن لا يناقش نقاشاً منطقياً كما نرى من مداخلات السيد طلعت خيري، الذي لو قرأ لابن الراوندي لعرف كيف يناقش. يقول ابن الراوندي:

> *"العقل هو الذي يمتحن قيمة النبوة، فإما أن تتفق تعاليم النبي مع العقل، وحينئذ فلا لزوم لها، وإما أن تتناقض وإياه، وحينئذ فهي باطلة."*

- التعليق 46 من Pure وأظنها سيدة، تقول:

"عرفتك عن طريق الصديق لا ديني. أقرأ لك كلما دعاني الصديق وكتبنا عنك في منتدى الراوندي. والآن حان دورك لتقرأ للأصدقاء وتشاركنا في تجمعاتنا، فهل تقبل دعوتي؟"

✍ وأنا بدوري أشكر Pure وأقبل دعوتها وأعدها بأني سوف أزور الموقع وأقرأ ما يقول الأصدقاء كلما سنحت لي الفرصة.

- أما السيدة تانيا الشريف صاحبة التعليق 58:

لم تعلق على الموضوع وإنما شكرت السيد طلعت خيري على حججه الدامغة وتحدت كامل النجار وكل القراء أن يردوا عليها.

✍ ولا يسعني إلا أن أقول للسيدة تانيا أين هي الحجج التي أتى بها طلعت خيري حتى نرد عليها؟

نحن نقول إن القرآن من تأليف محمد، وخيري يرد علينا بآيات قرآنية ليفند ما قلنا. عندما يرد خيري بالعقل والمنطق فسوف نفند حججه. ويبدو أن تانيا تستعمل أسلوب محمد في التحدي عندما قال للقرشيين أتحداكم أن تأتوا بسورة مثل سور القرآن، فردوا عليه:

{**لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين.** (الأنفال 31)}.

ونحن لو نشاء لرددنا على طلعت خيري.

- وأخيراً، وليس آخراً، جاء تعقيب السيدة Sunlight وقالت:

"وحق كل جميل في هذا الكون الفسيح .. أحبك".

✍ وبعد شكري للسيدة أقول لها كما قال الشاعر العربي قديماً:

أحبها وتحبني ويحـ   ـبُ ناقتها بعيري

- السيد المتعب صاحب التعليق رقم 3

يطلب مني أن أكتب عن احتكار المسلمين وغيرهم لله.

✍ وأعد السيد المتعب أني سوف أكتب عن هذا الاحتكار متى ما توفر لي الوقت. وشكراً له.

- السيد أبو أحمد، صاحب التعليق رقم 6، يقول:

"يا سيد النجار أنت تجهل مفهوم أي كلمة أوردتها سواء من القرآن أو التوراة وعندك الآية تساوي المعجزة والناقة تساوي الجمل والحيوان يساوي البهيمة وكله خلطبيتة على كله عندك يا دكتور ومحاولاتك إقحام التوراة في هجومك لن تواري حقدك المدفوع على القرآن بالأخص رغم كامل جهلك بكل لفظ فيه.... لكن السؤال الجوهري الذي يتهرب منه من هم متورطين مثلك في وحل الكتب الصفراء وإرث المرويات دون تكليف أنفسكم عناء البحث المحايد من داخل القرآن أو التوراة هذا إذا كانوا فعلاً معنيين بالبحث وليس بالشهرة والمصلحة وتأليف الجيوب وإرضاء الأرباب. السؤال هو: هل أنت مصدق بهذه الكتب الدينية الموروثة التي تستدل بها ليلاً نهاراً في كل كتاباتك؟"

✍ إذا كان السيد أبو أحمد لا يعرف أن القرآن يستعمل كلمة "آية" ليعني بها معجزة، فهذه مشكلته وليست مشكلتي.

القرآن يقول:

{**سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة.** (البقرة 211)}.

ويقول القرطبي في تفسير هذه الآية:

"الآيات التي أتى بها موسى من فلق البحر والظلل من الغمام والعصا واليد وغير ذلك. فهذه كلها معجزات أي آيات."

وإذا كان السيد أبو أحمد لا يصدق بكتب التراث وبتفسير المفسرين القدامى، فليشرح لنا هذه الآية المذكورة. وأنا بدوري أسأل أبو أحمد إذا كان لا يصدق بكتب التراث، كيف تعلم دينه؟ هل قرأ القرآن وشرحه بنفسه وتجاهل كتب السنة؟ ما أسهل أن نتهم الآخرين بالجهل، أو كما قال الشاعر:

نعيب زماننا والعيب فينا   ولا لزماننا عيب سوانا.

أما كوني أكتب لأملأ جيوبي أو لإرضاء الأرباب، فقول أترفع عن الرد عليه.

- المواطن المغربي صاحب التعليق 15، رجل فكاهي وأسلوبه ساخر جداً وجميل، خاصة عندما قال:

"أنتم تستغلون مشاغل الله بالشرق الأوسط ومحاولته إيجاد الحل للأديان والثقافات لكي تعيثوا في الأرض فساداً. عندما سيعود سوف أخبره، ملاعين".

✍ الفكاهة فاكهة الحياة فزدنا منها.

- لا ديني، صاحب التعليق 37،

أرسل لي الرابط لمقال قد نشره بموقع اللادينيين عن نفس فكرة الصنم الأكبر،

✍ وقد قرأت موضوعه ووجدتُ تشابها كثيراً في الأفكار. *فتوارد الخواطر يدل على تشابه التفكير*. أود أن أشد على يديه وأقول له أن يستمر في تعبيد الطريق معي ومع غيري من الكُتاب المتنورين.

- حيدر البطيخ، صاحب التعليق 38، يقول:

"ما زاد النجار في الإسلام خردلة. للوهلة الأولى عندما بدأت بقراءة هذا الموضوع ظننت أن هذه الكلمات وتلك المقالة بحق تنويرية أو تساعد على قيادة الشباب العربي إلى مستويات تجعله يفكر بشكل نظيف وصحي في اختيار العقيدة السليمة والدين الأمثل له من دون الانطلاق من دون اتباع سياسة القطيع إلا أنني صدمت عندما أمضيت عميقاً في نصوص المقالة وجدتني أتمثل ببعض كلمات الجواهري (يا سيدي أسعف فمي) ألا نزال بهذه الترهات ومحاولة إثبات أنني الأصح وأن الطرف الاخر هو المليئ بالأخطاء ونعتقد بتلك القصص (قصص العجايز) انا الله ينزل على بقلة ويمني كالرجل ....اما جدير بنا على الأقل ان نحترم الاسلام كعقيدة او مبدا حيث اثبت وجوده وانتشاره في فترة مظلمة وحالكة وهي مرحلة الجاهلية. وهل تعتقدون ان رجالات الجاهلية كانت تنطلي عليهم خدع محمد كما تدعون بأن له صنم قد كونه من بنات افكاره ويعرفون انه صنم محمد ويسكتون حيث انهم كانوا حتى في اصنامهم لا يؤمنون. محمد تحدى قريش بآية صغيرة حيث قال لهم اتوني بمثلها وهذ التحدي ما زال قائم لحد الان. على العموم ما ذكرته ان محمد عقيم ليس له دليل من الصحة لان محمد قد انجب اثنين من الاولاد (قاسم وابراهيم) وقد توفوا وكان استمرار ذريته من قبل بنته فاطمة وان ابا طالب لم يمت مشركا والا لم ينهي الرسول عن ارتباط المسلمات بالمشركين ويدع فاطمة بنت اسد (والتي تعتبر من اولى المسلمات) تبقى تحت كنف ابا طالب المشرك. وهناك نقاط اخرى تدل على انك فقير جدا في اللغة العربية والاحاطة بالمواضيع التي تكتب عنها. الدهر ادنى محمد ثم ادناه ليقول النجار وامثاله ما يقول."

✍ هذا التعليق يثير عدة نقاط يعاني منها القارىء المسلم:

1. الاعتقاد بأن الفرد المسلم يمكن أن يختار العقيدة التي يريدها.

فحيدر البطيخ يقول: إنه اعتقد أن مقالي سوف يساعد الشباب العربي ويجعله يفكر بشكل نظيف في اختيار العقيدة السليمة.

- هل كان في تاريخ الإسلام الطويل مثال واحد عن شاب عربي استطاع أن يفكر ويختار عقيدته، وشيوخ الإسلام متفقون على أن تارك الإسلام يقتل؟
- أم أن حيدر يعتقد أن العقيدة السليمة هي الإسلام فقط؟
- وإذا كان الإسلام هو العقيدة السليمة، فما هو الداعي للتفكير؟

2. يقول حيدر: "ألا نزال بهذه الترهات ومحاولة اثبات انني الاصح والطرف الاخر هو المليء بالاخطاء ونعتقد بتلك القصص (قصص العجايز) ان الله ينزل على بقلة ويمني كالرجل؟"

فإذا كانت قصص التراث ما هي إلا قصص عجائز فهذا **يلغي كل السنة التي أوصلها لنا نفس المؤرخين من أمثال البخاري وغيره**. وهذا يترك القرآن كمصدر وحيد للإسلام. والمشكلة الأخرى هي أن القرآن نفسه مليء بقصص العجائز من أمثال أهل الكهف والهدهد الذي نقل أخبار بلقيس إلى محمد وذي القرنين. فماذا بقي لنا من الإسلام؟

3. يقول حيدر: "اما جدير بنا على الأقل ان نحترم االاسلام كعقيدة؟"

والجواب طبعاً **"لا"**، لأن الإسلام لا يحترم العقائد الأخرى ويدعو أتباعها أحفاد القردة والخنازير ويقول عنهم أنهم ضالون. فلماذا نحترم الإسلام كعقيدة؟ الذي يريد الاحترام من الآخرين عليه أن يحترمهم أولاً.

4. يقول كذلك: "هل تعتقد أن رجالات الجاهلية كانت تنطلي عليهم خدع محمد؟"

ونقول له أولاً وصف الفترة ما قبل الإسلام بالجاهلية هو وصف مزري، اخترعه المؤرخون الإسلاميون لرفع شأن الإسلام. وفي الحقيقة تلك الفترة كانت أكثر علماً وانفتاحاً من العصر الإسلامي الأول. وكان رجالهم يعرفون خدع محمد ولذلك قالوا له *إن إسلامه ما هو إلا أساطير الأولين*.

5. يقول كذلك: "ان ابا طالب لم يمت مشركاً والا لم ينهى الرسول عن ارتباط المسلمات بالمشركين ويدع فاطمة بنت أسد تبقى تحت كنف أبي طالب."

ولمعلومية السيد حيدر فإن الآية التي تمنع زواج المسلمات من المشركين لم تنزل إلا بعد الهجرة إلى المدينة:

{**يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن.** (الممتحنة 10)}. وسورة الممتحنة مدنية. وكان أبو طالب قد مات وقتها.

6. الجهل باللغة العربية. **هذه التهمة يكيلها كل أمي متعصب للإسلام** على غيره من البشر الذين ينتقدون الإسلام. السيد حيدر يقول:

"هناك نقاط كثيرة تدل على جهلك باللغة العربية والإحاطة بالمواضيع التي تكتب عنها."

ولو قرأنا تعليق السيد حيدر بطيخ القصير *لعرفنا مستوى علمه باللغة العربية*، فالرجل أمي أو يكاد يكون،

إذ يقول: "انني صدمت حينما أمضيت عمقاً في نصوص المقالة"

وكان المفروض أن يقول "عندما تعمقت بالمقالة".

ويقول كذلك: "لان محمد قد انجب اثنين من الاولاد (قاسم وابراهيم) توفوا"،

والصحيح أن يقول "توفيا".

ثم يقول: "الدهر ادنى محمد ثم ادناه ليقول النجار وامثاله ما يقول". ويقول: "والا لم ينهي الرسول"

والصحيح "لم ينه" لأن لم حرف جزم يجزم الفعل المضارع الناقص بحذف حرف العلة.

وأي شخص ملم بأبسط قواعد اللغة يستطيع التعرف على ركاكة الاسلوب والأخطاء النحوية في تعليقة. ولو أخذنا الجملة الأخيرة فقط، لرأينا أن الدهر لم يدني محمد، لأن الدنو معناه أن يقرّب الشيء ويجعله قريباً كما يقول القرآن: {**فكان قاب قوسين أو أدنى.** (النجم 9)}. والسيد حيدر أراد أن يقول إن الدهر حط من قدر محمد، فقال "أدنى محمد". *فالرجاء من السيد حيدر بطيخ أن يتعلم قواعد اللغة قبل أن يتهم الآخرين بالجهل بها.*

- السيد إياد العراقي التركماني يقول عن نزول الماء الذي يشبه المني من تحت العرش:

"سيدي الكاتب المحترم انني بصراحة لم أجد آية المني هذه في سورة فاطر الآية 9 وبدايتها مَن كان يريد العزة، فأين هي آية المني وما دخل هذا بموضوع التلقيح الإلهي."

✍ يبدو أن السيد التركماني قد اختلط عليه الأمر. فالفقرة التي ذكرتها في المقال عن نزول الماء هي شرح المفسرين للآية 9 من سورة فاطر، كما أورده الإمام السيوطي في ‹الدر المنثور›.

بهذا القدر أكتفي وأعتذر من القراء الكرام الذين امتدحوا المقال ودافعوا عني ولم أذكرهم بالاسم لضيق المجال.

عودة إلى الفهرس

177، 178، 179، 180 - حصاد الهشيم

2009 / 11 / 8

الحلقة الأولى

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=190935

أيام دراستي بالجامعة قرأت كتاباً للكاتب والشاعر المصري الراحل إبراهيم عبد القادر المازني (1890 - 1949) بعنوان ‹حصاد الهشيم›، ونسبةً لأن العنوان يعكس الحالة التي وصلنا إليها عن طريق *الصحوة الإسلامية* المباركة، قررت أن "أستعير" هذا العنوان من المازني.

عندما بدأ الإسلام في المدينة، أصبح محمد شيخ قبائل الأنصار (الأوس والخزرج)، وكأي شيخ قبيلة أصبح هو مصدر التشريع والتنفيذ في إدارة شؤون أتباعه. لم تكن هناك دولة بالمعنى المفهوم والذي كان سائداً في دول الجوار مثل فارس وبيزنطة (تركيا الحالية) والشام الرومانية. ولأن المدينة كانت بها قبائل يهودية متمكنة ومسيطرة على الاقتصاد، وكان هناك بعض المسيحيين الذين لم يؤمنوا به وبالتالي لم يسلموا زمام أمرهم له، حاول محمد أن يفرض رأيه عليهم وأتى بآية بعد الهجرة مباشرة تقول للمؤمنين أن يردوا النساء الكافرات إلى الكفار ويمسكوا النساء المؤمنات، وكل فريق يطلب من الفريق الآخر ما انفقه في زواجه، وقال: {**ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم خبير.** (الممتحنة 10)}. ولما علم أن المسيحيين لن يقبلوا بحكمه، جاء بآية أخرى تقول: {**وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون.** (المائدة 47)}. وحتى يُرضي اليهود، جاءبآية أخرى تقول: {**إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونورٌ يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحقظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس وأخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون.** (المائدة 44)}. فإله محمد رضي للمسيحيين أن يحكموا بالإنجيل، ولليهود أن يحكموا بالتوراة فيما بينهم. وكل الآيات التي تتحدث عن الحكم في القرآن تقول: يحكم بينكم أو أحكم بينهم. *والحكم بين الناس فيما شجر بينهم من خلاف، يختلف عن التحكم في الناس، أي حكوماتهم*. ولما جاء القرآن على ذكر اختيار حكامهم قال: {**وأمرهم شورى بينهم**}.

> فالحكم في القرآن يعني فض منازعات الناس في أمور الزواج والطلاق والميراث والزراعة، وما إلى ذلك، لكنه لا يعني منع الناس من اختيار القوانين التي تناسبهم خارج الأحكام البسيطة التي جاءت في القرآن عن السرقة والزنا والقتل والطلاق والأمور العائلية.

ولكن في القرن العشرين ظهر الهندي أبو الأعلى المودودي (1903 - 1979) الذي أخذ الجزء الأخير من آية المائدة المذكورة أعلاه {**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون**} وادعى أن الحكم لله على العباد ولا يحق لهم حكم أنفسهم بقوانين وضعية **وبذلك تصبح الحاكمية لله**. *وأخذ سيد قطب هذا الادعاء وجعله أساس دعوة الإخوان المسلمين الذين يحلمون بتطبيق الشريعة على العالم كله.*

ومنذ أن بدأت مملكة آل سعود تضخ ملياراتها لدعم الإخوان المسلمين والحركات الإسلامية المنشقة عنها، أو المتولدة منها، في محاولتهم الخلاص من جمال عبد الناصر الذي كان يؤلب الشعوب العربية للثورة على حكم العوائل، بدأنا نسمع بكليشيهات مثل "**الإسلام هو الحل**" و "**الإسلام دينٌ ودولة**" و "**الحاكمية لله**".

- وبمساعدة آل سعود وباكستان، تمكنت مجموعة "طالبان" من السيطرة على أفغانستان بقوة السلاح.
- وبمساعدة آل سعود كذلك تمكن حسن الترابي من الركوب على دبابة اللواء عمر حسن البشير واغتصاب الحكم من حكومة السودان المنتخبة ديمقراطياً ليطبّق شرع الله.
- وفي إيران تمكن الخميني من إلهاب حماس الجماهير المتعطشة للحرية والخلاص من حكم الشاه، ونجح في القيام بثورته الإسلامية عام 1979.
- وفي غزة انقلبت حركة الإخوان المسلمين المتمثلة في حركة حماس، على منظمة التحرير الفلسطينية، لتقيم الحاكمية الإلهية في إمارة غزة.
- وتمكنت الأحزاب الإسلامية كذلك من السيطرة على الحكومة في العراق بعد الغزو الأمريكي.
- وفي الصومال ظل الإسلاميون الذين يرفعون العلم السعودي في مسيراتهم يتقاتلون فيما بينهم للفوز بتمثيل الله على أرضه.

فهذه ستة أقطار يحكمها ممثلو "الإسلام دينٌ ودولة".

تعريف الدولة هو:

> «رقعة من الأرض لها حدود جغرافية متعارف عليها، ويسكنها مجموعات من الناس، قد يكونون من أصول إثنية متقاربة، مثل اليابان والصين، أو من أصول إثنية مختلفة ومتعددة، ومعتقدات عديدة، مثل أغلب بلاد أوروبا الغربية بعد الغزو الإسلامي الحديث.»

وللدولة واجبات نحو مواطنيها، وعلي المواطنين واجبات نحو دولتهم، ولهم حقوق متفق عليها عالمياً منذ عام 1948 عندما أجازت الجمعية العمومية للأمم المتحدة منظومة "حقوق الإنسان".

من واجبات الدولة لمواطنيها:

1. توفير التعليم للنشيء
2. توفير الأمن للمواطن والحفاظ على ممتلكاته ونفسه وأسرته
3. توفير العلاج للمواطنين من المهد إلى اللحد
4. مساواة الجميع أمام القانون
5. إتاحة الفرصة للمواطنين لاختيار من يحكمهم
6. توفير فرص العمل للمواطنين وكفالة من لا يجد عملاً

فإذا كان الإسلام دينٌ ودولة، وإذا كان هو الحل لجميع مشاكلنا، فلننظر ماذا حصدنا في العقود الثلاثة الماضية من المزارع الإسلامية في الأقطار المذكورة أعلاه

التعليم

أفغانستان

كانت أفغانستان من أوائل الدول الإسلامية التي بدأ بها التعليم في القرن التاسع عشر. وكانت أول بلد إسلامي تصدر به صحيفة يومية في ذلك القرن. وقد سمحت الدولة بتعليم البنات، وتخرجت بجامعاتها طبيبات ومهندسات. ومع قدوم "طالبان" وسيطرتهم على الحكم، أغلقوا مدارس البنات ومنعوا تعليمهن وحتى خروجهن من المنازل. وبالنسبة للصبيان غيروا المناهج القديمة وأصبح التركيز على العلوم الدينية وكتاتيب تحفيظ القرآن.

وحتى بعد سقوط طالبان، ظل المقاتلون الإسلاميون يحرقون مدارس البنات

"وبعد اربع سنوات من سقوط طالبان، لا تزال نسبة الفتيات الملتحقات بالمدارس في افغانستان الاقل في العالم حيث ان اقل من 10 بالمئة من الفتيات يلتحقن بالمدارس الثانوية، حسبما جاء في تقرير للامم المتحدة هذا الشهر."[1]

ولم يكتف مناضلوا طالبان بحرق المدارس، بل زادوا وقطعوا رؤوس المدرسين

"قتل مسلحون من حركة طالبان الاصولية مدرسا في مدينة تقع وسط أفغانستان، في أحدث الهجمات التي تستهدف المدرسين والمدارس هناك. ونقلت وكالة أسوشيتد برس عن مسؤولين قولهم إنّ المشتبهين قطعوا رأس المدرس معلم عبد الحبيب، حيث تمّ العثور على جثته مقطوعة الرأس في منزله بمدينة قلعة. وقال علي خيل المتحدث الحكومي إنّ المؤشرات تبعث على الاعتقاد بكون عملية القتل تمّت مساء الثلاثاء بعد أن اقتحم المسلحون منزل الضحية. وكان المدرس عبد الحبيب يعمل مدرسا في مدرسة الشيخ ماثي بابا التي تضمّ أطفالا وبنات. وأضاف ان حركة طالبان المخلوعة ضد تعليم البنات. والقى نبي خوشال مدير المنطقة التعليمية بإقليم زابل بجنوب افغانستان باللائمة في عملية الاغتيال لعناصر من تنظيم طالبان، التي تسعى لاثارة الفوضى في افغانستان. وسبق لهؤلاء أن وزّعوا منشورات العام الماضي في مدينة قلعة تدعو إلى اغلاق مدارس البنات مهددين بقتل المدرسين. واشار الى ان 100 مدرسة ضمن الاشراف التعليمي لإدارته التعليمية التي يشرف عليها بجنوب افغانستان، وتشمل 170 مدرسة قد اغلقت ابوابها العام الماضي بسبب عدم توفر الحماية الامنية. وأوضح ان ادارته التعليمية تشرف على تعليم نحو 35 الف طالب وطالبة، بينهم 2700 فقط من البنات".[2]

وما زال مقاتلوا طالبان يجوبون الشوارع على دراجاتهم البخارية ليدلقوا حامض الكبريت على وجوه الطالبات وهن في طريقهن إلى مدارسهن. ويتكرر نفس السيناريو في وادي سوات الباكستانية لأن طالبان باكستان يطبقون الشريعة الإسلامية السمحة في الوادي.

السودان

بدأ التعليم في السودان مع بداية الحكم التركي الذي أنشأ مدارس للصبيان. ثم جاءت ثورة المهدي الدينية فأغلقت جميع المدارس واستعاضت عنها بالكتاتيب التي تدرّس القرآن فقط. ومع بداية الاستعمار البريطاني أنشأ الإنگليز المدارس للصبيان وللبنات، وأقاموا أول جامعة بالبلاد. وكان التعليم في السودان مجانياً للصبيان والبنات حتى المرحلة الجامعية. استمر هذا الوضع في السودان إلى عام 1989 عندما جاءت حكومة **ثورة الإنقاذ الإسلامية**، فأنقذت الأطفال من التعليم بعد أن أزالت يدها عنه. متوسط دخل الأسرة في السودان أربعمائة دولار سنوياً، أي دولار واحد باليوم. فكيف يتسنى لرب الأسرة إطعام أطفاله ثم تعليمهم بذلك الدولار الوحيد، **مع مراعاة أن حكومة الإنقاذ تحارب تحديد النسل؟**

"كان مجموع ما صرفته حكومة الإنقاذ على التعليم في الفترة 1995 - 1997 لا يتعدى 1.4 % من الناتج القومي، في حين بلغت هذه النسبة على التوالي في بلد كساحل العاج 5 % وكينيا 6 % وسيشل 10 %."[3]

التعليم في دولة السودان الإسلامية ليس إجبارياً، ولكن زي الطالبات إجباري

"وأمر الرئيس بفرض هذا الزي "الإسلامي" على جميع الطالبات بالجامعات السودانية. ويتكون الزي الإلزامي من جلباب فضفاض طويل وقميص فضفاض وغطاء للرأس (خمار) وفق "الشروط الاسلامية"."[4]

مستوى التعليم في الجامعات انحط إلى ما تحت خط الصفر، ورفضت الجامعات الغربية الاعتراف بالشهادات السودانية. وينعكس هذا الانحطاط على مستوى النضوج الفكري لطلاب تلك الجامعات وتصرفاتهم في الندوات الجامعية.

"قُتل طالب وجُرح نحو 9 طلاب آخرين في صدامات طلابية وقعت امس بجامعة النيلين في الخرطوم، واستخدمت الشرطة الغاز المسيل للدموع والهروات لتفريق الطلاب، وخلفت الصدامات حال توتر في قلب العاصمة السودانية، حيث طوقت الشرطة مباني الجامعة والمناطق المحيطة".[5]

وكان سبب الصدام أن الطلبة الإسلاميين المنتمين إلى حزب البشير قدموا مشروعاً في الندوة يستوجب اعتبار الطلبة الشماليين الذين قُتلوا في الحرب بين الجنوب والشمال، شهداء، فاعترض الطلبة الجنوبيون على ذلك، ومن ثم دارت المعركة بين الطرفين، بدل أن يناقشوا الموضوع بالمنطق والحجج، كما هو متبع في جامعات العالم المتحضر،

وهذا هو تأهيل دولة الإسلام لقادة المستقبل - من رأى منكم منكراً فليغيره بيده.

"والأدهى من ذلك أن الشهادات فوق الجامعية أصبحت تُوزع على مؤيدي الحزب الحاكم كنوع من الاعتراف بالجميل. "تدل الاحصائيات التى تبرز ارتفاعا يفوق الخيال فى أعداد الذين منحتهم الجامعات السودانية شهادات الدكتوراه والماجستير فى اوقات بلغت فيها معدلات النقص فى اعداد الاساتذة المؤهلين كل مبلغ، وشهدت فيه المبانى والاجهزة والمراجع والمعينات العلمية انهيارا مريعا، واصبح التهرؤ فى المعايير الاكاديمية سمة ثابته ومضطردة. اى انه كلما ازداد التدهور فى بنيات التعليم العالى وهياكله تضاعفت اعداد (الدكاترة) وحملة صكوك الاساتذية الذين تنتجهم ذات البنيات والهياكل المتردية".[6]

وفي تقرير أعده خبير أمريكي نجد الآتي:

"يقول التقرير انه فى وقت شهد هجرةً مكثفة للكوادر العلمية المقتدرة وتبعثرها فى بلدان الشتات، فان عدد الجامعات السودانية ارتفع من سبعة عشرة الى سبع وسبعين جامعة. وان الرصد لحركة اساتذة الجامعات يشير الى انه خلال فترة قصيرة جدا لا تتجاوز العامين ترك الخدمة فى جامعة الخرطوم، اكبر واعرق الجامعات السودانية، مائة واثنى عشر استاذا جامعيا، تم استبدالهم بطلاب دراسات عليا وكادرات اخرى غير مكتملة التأهيل".[7]

[1] إيلاف 2005/10/30.
[2] الشرق الأوسط 2006/1/5.
[3] خالد عويس، الحوار المتمدن، 2006/8/17.
[4] نفس المصدر.
[5] إسماعيل آدن ومصطفى سري، الشرق الأوسط 2007/2/9.
[6] مصطفى عبد العزيز البطل، صحيفة "الأحداث" السودانية، 4 نوفمبر 2009.
[7] نفس المصدر.

وفي الوقت الذي تتوق فيه معظم دول العالم الثالث إلى دفع الشباب لتلقي العلوم الحديثة، نجد في سودان ثورة الإنقاذ الإسلامية أن الدعوة للشباب *تحولت من السعي وراء العلوم الحديثة إلى السعي وراء القرآن*، يقول موقع وزارة العلوم والتكنولجيا المشرف على التعليم العالي والبحوث، ما يلي:

"موقع وزارة العلوم والتكنولوجيا السودانية على الشبكة الدولية، وفي الوثيقة المسماه (رسالة الوزارة) او (مهمة الوزارة) ويقابلها فى الانكليزية مصطلح (Mission Statement)، و فى معرض التنويه بالمهام المسندة اليها فى موقعها الالكترونى اندلقت الى حديث مستفيض عن مفهوم التوجيه الالهى للمسلمين باتخاذ الاهبة لملاقاة اعدائهم، وعن كوننا خير امة اخرجت للناس كما اراد لنا الله، وعن دورنا الريادى بين الامم وعن كون الله استخلفنا فى الارض، وكلفنا بالتصدى لقوى الشر والعدوان، وعهد الينا بالتفكر فى القرآن، والتماس صبغة الله فى الكون، واتباع هدى رسوله الكريم فى طلب العلم كسبيل لمعرفة الخالق."[8]

التعليم في السودان انهد من أساسه ولن يستقيم إلا بعد عقود من نهاية دولة "الإسلام دين ودولة"

"قالت دراسة كُشفت في الخرطوم، إن 40 % من تلاميذ المدارس في مرحلة الأساس الابتدائي في مدارس العاصمة الخرطوم لا يجيدون القراءة ولا الكتابة. وأيد نواب في برلمان ولاية الخرطوم ما جاء في الدراسة، وقالوا إنها تمثل الواقع، وشنوا هجوما عنيفا على الطريقة التي تسير بها العملية التعليمية في الولاية، وقال أحد النواب لـ «الشرق الأوسط» إن التدني أصبح شاملا من التلاميذ إلى الأساتذة إلى المناهج".[9]

ولم تكتف الحكومات الإسلامية بإفساد التعليم والشهادات فوق الجامعية، بل أفسدت مواطنيها فشرع الآلاف من السعوديين والإيرانيين والسودانيين والعراقيين في شراء شهادات مزورة من جامعات مرموقة في الغرب، فاختلط الحابل بالنابل، وما عدنا نعرف مَن هو البروفسور الحقيقي ومَن هو الذي اشترى شهادته أو منحته الحكومات الإسلامية اللقب مكافأة له. وهذا ما آل إليه العلم في سودان "الإسلام دينٌ ودولة".

المملكة العربية السعودية

رغم انتشار الجامعات بالسعودية، *فإن التعليم عامة يسيطر عليه رجال لا يعرفون غير العلوم الدينية*. هؤلاء الرجال أفتوا بتحريم تعلم اللغة الإنكليزية قبل المرحلة الجامعية

"في خطوة إستثنائية تنهي جدلاً واسعًا إستمر سنوات عدّة، وسيطرة مكثفة للمؤسسة الدينية، كشف مدير تعليم البنين في جدة عن نية وزارة التربية والتعليم السماح للمدارس الأهلية (بنون وبنات)، بإختيار المناهج وطرق التدريس ولغة التعلم فيها، باستثناء مناهج الدين واللغة العربية، التي أوجبت تدريسها باللغة العربية، في خطوة لتنويع المسارات الدراسية في جميع مراحل الدراسة في السعودية، متوقعاً أن يتم تطبيق هذا القرار إبتداءً من العام الدراسي المقبل، ضمن شروط حددتها للمدارس المعنية. علماً أن المدارس الحكومية السعودية لا زالت حتى الآن ممنوعة من تدريس اللغة الإنكليزية في المراحل الإبتدائية والمتوسطة، وذلك بسبب تدخل المؤسسة الدينية التي ترى في ذلك غزوا ثقافيا يهدد اللغة العربية، والثقافة العامة".[10]

يحدث هذا في الوقت الذي تفرض حكومات الدول الغربية على التلاميذ، ومنذ الدراسة الابتدائية، تعلم لغتين إضافيتين بجانب اللغة الأم. ولذلك نجد مواطني الدول الإسكندنافية يتحدثون الإنگليزية والفرنسية بطلاقة، مع الاحتفاظ بلغتهم الأم التي لم تهددها اللغات الأخرى.

وتدريس الفلسفة ممنوع في المدارس والجامعات السعودية، على أساس أن الفلسفة تقود إلى المنطق، ومن تمنطق فقد تزندق.

> ***والسعودية تكاد أن تكون الدولة الوحيدة التي يفوق فيها عدد حاملي شهادة الدكتوراة في العلوم الإسلامية عدد حاملي نفس الشهادة في العلوم التطبيقية.***

وكل عام تقام المسابقات بين الطلبة في حفظ وتجويد القرآن، ولم نسمع أن مسابقة قد أقيمت بين الطلبة لتشجيع موهبة الاختراع أو التفوق في العلوم الطبيعية. وأغلب خريجي الجامعات السعودية يحملون مؤهلات في العلوم الإسلامية أو الأدبية التي لا تحتاجها دولة ناشئة كالسعودية مما أدى إلى ازدياد أعداد الخريجين العاطلين عن العمل في المملكة. وبالإضافة إلى ذلك، تُمنع البنات من الابتعاث للخارج لنيل المؤهلات فوق الجامعية، رغم أن عدد الطالبات في الكليات العلمية، خاصةً الطب، يفوق عدد الذكور، كما يمنعن من العمل في غير التدريس. ثم أن جامعة الملك سعود أصبحت الجهة الوحيدة المنوط بها إحكام الرقابة على الإنترنت وحجب المواقع التي لا تروق لشيوخ الوهابية، مع العلم أن مهمة الجامعة هي نشر العلم والمعرفة وليس حجبهما.
وما زالت المملكة تصرف ملايين الدولارات على المدارس السعودية في البلاد العربية والأوروبية والأمريكيتين، **لتعليم الأطفال السعوديين بالخارج فقه الولاء والبراء وكراهية غير المسلمين**. وقد بدأ الكونجرس الأمريكي أخيراً تحقيقاً في مناهج المدارس السعودية بأمريكا. وعندما افتتح الملك عبد الله جامعة "ثول" حديثاً لتكون أول جامعة متخصصة في الدراسات فوق الجامعية، تبارى رجالات الدين في وصفها "وكراً للفساد" لأن الدراسة بها مختلطة، وقد مُنعت "هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" من دخول حرمها الجامعي. ولم تحظ أي جامعة سعودية أو عربية بمكان في التصنيف الأمريكي لأحسن 500 جامعة في العالم، ولكن كما يقول المثل Money talks فقد ظهرت فجأة جامعة الملك سعود في قائمة أحسن 500 جامعة في التقرير الصيني. وهي نفس الجامعة التي تمنع انتشار الانترنت.

إيران

رغم أن عدد طلاب الجامعات قد زاد زيادة ملحوظة بعد الثورة الإسلامية، *فإن نوعية التعليم قد انحطت*، وأصبح التركيز على إحالة المدرسين العلمانيين إلى التقاعد الإجباري، ومحاكمة وسجن أساتذة الجامعات غير المنضوين تحت لواء الثورة. وكما في السودان والسعودية، *أصبح التركيز على زي الطالبات هو الشغل الشاغل لوزارة التربية والتعليم*.

"دعا الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد امس، الى بذل جهود جديدة لتطهير الجامعات الايرانية من تأثير الفكر الليبرالي والعلماني، منتقدا في الوقت ذاته مشاركة الجامعيين الايرانيين في مؤتمرات علمية بالخارج، قائلا ان بعضها هدفه التغرير... وقال أحمدي نجاد في كلمة القاها امام تجمع طلابي، «أقول للطلاب الشبان ان تغيير النظام التعليمي العلماني المهيمن على جامعاتنا منذ 150 عاما سيكون صعبا، إلا انه علينا ان نقوم بهذه المهمة معا.» لقد تم اتخاذ اجراءات في هذا الصدد، الا انها ما زالت غير كافية. وفي يونيو (حزيران) الماضي، تمت احالة 40 استاذا جامعيا الى التقاعد المبكر".[11]

---

[8] نفس المصدر.
[9] إسماعيل آدم، الشرق الأوسط، 7 نوفمبر 2009.
[10] إيلاف 2007/4/5.
[11] الشرق الأوسط 2006/9/6.

وما زالت أعداد الطلبة الإيرانيين بالسجون تكاد تفوق أعدادهم بالجامعات.

وقد نشرت صحيفة نيويورك تايمز مقالاً يتناول الحملات التي تشنها القيادات الإيرانية ضد مناهج العلوم الإنسانية في الجامعات الإيرانية مشيرة إلى أنها قد تكون إيذاناً بانطلاق عمليات تطهير في الجامعات. وقد قال آية الله خامنئي إن دراسة العلوم الاجتماعية تزرع الشكوك واللا يقين، ودعا المدافعين الأشاوس عن الإسلام إلى مراجعة العلوم الإنسانية التي تدرس في الجامعات، قائلاً إنها تروج للعلمانية[12].

وهذا ما آلت إليه إمبراطورية فارس التي كانت ترفل في العلم والحضارة عندما كان محمد يرعى الغنم وعندما أقيمت مدينة البصرة من القصب بجوار قصور فارس. وبفضل العباسيين أصبحت البصرة وبغداد مراكزاً لترجمة الفلسفة والكتب اليونانية التي نورت بعض العقول الإسلامية. والآن خلت المدينتان من العلم بفضل الصحوة الإسلامية.

العراق

بعد سقوط نظام البعث، انصب هم الدوائر الشيعية التي كانت مضطهدة في عهد صدام حسين، على تغيير مناهج التعليم لجعلها دينية وشيعية. وركزت بعض الدوائر على قتل وتهجير الأساتذة حتى يخلو لها الجو فتفعل ما تشاء بالتعليم.

"جددت المرجعية الدينية في النجف مطالبتها بتغيير المناهج التدريسية التي كتبت في زمن النظام السابق ومراعاة ما يثير حفيظتها. وقال الشيخ خالد النعماني، نائب رئيس مجلس محافظة النجف: لدينا مدرسة اهل البيت لماذا تلغى أفكارها ومن حقنا ان ندرس أفكارها وهذه ليست طائفية ومن حق كل طائفة ان تدرس افكار طائفتها في العراق وليس مفروضا علينا أن ندرس تاريخ شخصيات تفرض علينا من قبل النظام السابق. لا اظن اخواننا السنة ولا الشيعة يرضون بذلك لأنها خارجة عن المنظومة الدينية وهي صنعت صناعة. ما قيمة الإعمار والبناء ونحن لم نغير شيئا في التدريس.. أولادنا لا يعرفون معنى التوحيد والشرك ومعنى النبوة، ونحن في النجف مستعدون لان نضع مناهج كاملة لوزارة التربية التي تماطل في الروتين. أما رئيسة لجنة التربية في مجلس محافظة النجف سهيلة الصائغ، فطالبت بان «يكون هنالك إنصاف، مثل ما هو موجود في بعض المواد التي فيها مدح وإسهاب في المدح لبعض الخلفاء والشخصيات .. نريد ذلك أيضا لأئمتنا الذين لهم الباع الطويل والصوت الأول والقلم الأول في كل المجالات حتى في المجالات العلمية»."[13]

فالتعليم تحت القيادة الشيعية انحصر في معرفة الفرق بين التوحيد والشرك ومعنى النبوة.

كليات الطب بالعراق كانت، مثل مثيلاتها التي أسسها الإنگليز بالأردن والسودان، من أشهر الكليات خارج بريطانيا، وأصبحت الآن تعاني من نقص الأساتذة ونقص المعدات، وتدهور مستواها العلمي كثيراً بعد سقوط النظام البعثي وتولي رجالات الدين زمام الأمور. المليشيات الدينية قتلت الأطباء وأساتذة الجامعات وأجبرت البقية على الهجرة خارج العراق. وما حدث للجامعات السودانية العريقة تحت حكومة "الحاكمية لله" حدث لجامعات العراق العريقة، وانهار التعليم في كلا البلدين.

الصومال

أما الصومال فلم يعد بها أي تعليم إذ دمرت الحرب، بين الفئات الإسلامية المتقاتلة على السلطة، جميع المدارس، *وأصبحت الكتاتيب القرآنية هي المكان الوحيد للتعليم*.

أما غزة

تلك الإمارة الإسلامية الفريدة، *فقد أصبح الشغل الشاغل لحكامها الملتحين هو فرض الزي الإسلامي على الطالبات والمحاميات، والتركيز على تجويد القرآن في المساجد بدل المدارس التي دمرتها الحروب مع إسرائيل.*

ولزيادة منع أي علم غير القرآن فقد أحرق شباب حماس مقاهي الإنترنت حتى لا يتعرض النشيء إلى رؤية مواد غير إسلامية، وأكملوا جميلهم بحرق مكتبات المسيحيين.

وليست هناك، حسب علمي، أي دراسات جادة تقارن مستوى التعليم في غزة مع التعليم في مناطق الضفة الغربية أو بقية الدول العربية.

هذا حصادنا في البند الأول من بنود واجبات الدولة لمواطنيها، وهو حصاد مزري لا يصلح للدواب في القرن الحادي والعشرين ناهيك عن نشيء هو رصيد الأمة العربية والإسلامية للمستقبل.

فهل حصادنا في البنود الأخرى يدعو للتفاؤل؟ سوف نرى في الحلقات القادمة التي سوف أنشرها تباعاً كل يومين إذا مكنني الوقت من ذلك.

---

[12] إيلاف 2009/9/2.
[13] الشرق الأوسط 2008/11/12.

2009 / 11 / 10

الحلقة الثانية

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=191159

الأمن والكرامة

واجب الدولة الثاني نحو مواطنيها هو توفير الأمن والكرامة لهم. فهل توفر دولة "الإسلام دينٌ ودولة" الأمن لمواطنيها مع كثرة ادعائهم أن الإسلام ابتكر حقوق الإنسان قبل أن يعرفها الغرب، **وأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وإذا تداعى عضوٌ منه تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحمى**؟ فدعونا نمر مروراً سريعاً على الدول المحكومة بالشريعة.

السعودية

أمن المواطن أو المقيم هو آخر ما تفكر به حكومة الدولة الوهابية. أمن العائلة المالكة هو الشغل الشاغل لهم. أمن المواطنين تقدمه الدولة السعودية كجائزة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مقابل صمت رجال الدين عما تفعله العائلة المالكة. الهيئة أصبحت سلطة تثير الخوف في أنحاء المملكة، كما يقول سلطان القحطاني في إيلاف، عدد 30 يوليو 2006. ويقول كذلك:

> "من مساء كل يوم خميس تكمن سيارة من نوع جي.ام.سي ذات لون أزرق قاتم في زاوية معتمة لأحد الشوارع الخلفية التي تجاور شارع التحلية في العاصمة الرياض، والذي يكون عادة مكتظاً بالشباب من الجنسين خلال هذا اليوم الذي يوافق إجازة نهاية الأسبوع في المملكة العربية السعودية. وهذا الكمون به تربص من قبل أحد خلايا هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الرياض بمدخل العوائل الخلفي الخاص بأحد محال بيع القهوة الأميركية ومشتقاتها، بغية الحصول على صيد من أولئك العشاق السعوديين الذين تنشط مواعيدهم في هذا المكان وفي مثل هذا التوقيت" انتهى.

هذه الشرطة الدينية أصبحت البعبع الذي يتجسس على المواطنين ويقتحم منازلهم بغير إذن ويعتقل ويعذب المعتقلين، وفي بعض الحالات يموتون من التعذيب تحت هراوات رجال الهيئة، التي يصدر قضاءهم المسيس البراءة بحقهم لأن "الرأس ليس بمقتل"، بمعنى آخر يمكن لرجال الهيئة ضرب المواطنين على رؤوسهم حتى يموتوا، ولا مسؤولية لهم في ذلك.
يحدث هذا رغم أن هناك حديث رواه مالك عن أبي هريرة يقول: [لا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا]. وهناك قصة تُروى عن عمر بن الخطاب:

> "كان يعس بالمدينة من الليل، فسمع صوت رجل في بيت يتغنى، فتسور عليه، فوجد عنده امرأة وعنده خمر، فقال: يا عدو الله أظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته، فقال: وأنت يا أمير المؤمنين لا تعجل على أن أكون عصيتُ الله واحدة فقد عصيتَ الله في ثلاث. قال الله: {لا تجسسوا} وقد تجسست، وقال {وأتوا البيوت من أبوابها. (البقرة 189)} وقد تسورت علي ودخلت علي بغير إذن، وقال الله {لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها}. قال عمر رضي الله عنه: فهل عندك من خير إن عفوت عنك؟ قال: نعم، فعفا عنه وخرج وتركه"[14].

المواطن السعودي لا يعرف إذا خرج من بيته صباحاً هل يعود له مساءً أم تقتنصه أيدي الهيئة أو الشرطة أو غيرها بسبب **دعوى حسبة** أقامها ضده شخص ما. حتى أساتذة الجامعات تطالهم يد "العدالة" القضائية في مملكة الوهابية ويجلدون كما كان يُجلد العبيد والإماء في صدر الإسلام، والأستاذ حمزة المزيني خير مثال على ذلك بعد أن رفع عليه زميل في الجامعة دعوى حسبة لأنه انتقده في مقال بالصحف، فحكمت المحكمة بحبسه أربعة أشهر وجلده مائتي جلدة. و أستاذ علم النفس في جامعة أم القرى حُكِم عليه 180 جلدة و8 أشهر سجن لأنه جلس مع امرأة في مقهى عام.

> ***والجلد يطال المدرسين والمدرسات والأطباء وحتى الذين يحكم عليهم بالإعدام. والغرض منه إذلال المواطن حتى لا يجرؤ على انتقاد أولي الأمر.***

يحدث هذا رغم أن هناك حديث يقول: [**لا يجلد فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله**][15] ولكن المحاكم السعودية تحكم بألفي جلدة أو أكثر، إمعاناً في الإذلال.
والمواطن أو المقيم الذي يسوء حظه ويدخل سجون آل سعود يتعرض لأسوأ أنواع التعذيب والمهانة، كما يظهر من النداء الذي قدمه أبناء القصيم المسجونين بالرياض

> "نرفع اليكم معاناتنا من داخل السجون السعودية، حيث انطلقت رحلة الظلم والاضطهاد في يوم الجمعة الموافق 7-6-1428 هـ حينما نقلتنا السلطات السعودية على متن ثلاث طائرات مسحوبين على الأرض، مكبلين بالقيود والسلاسل مدفوعين بركل أقدام الجنود إلى سجن الملز بالرياض (موقعنا حالياً)، ثم بدأ مشوار العذاب من داخل أسوار السجن باستخدام جميع أساليب التعذيب من لكم على الوجه، والإسقاط على الأرض وضرب الوجوه بالأقدام ومنع المياه والطعام إلا بنسب قليلة جداً والإطلاع على العورات بفتح أبواب دورات المياه علينا أثناء قضاء الحاجة أكرمكم الله والضرب بالسياط، والصعق الكهربائي، والسحب من اللحية، والركل بالأقدام على المناطق الحساسة، وإجبارنا على السهر بفتح الأنوار الكاشفة على وجوهنا، وكل هذه الأساليب تمارس معنا من قبل الجنود وهم واضعين أقنعة على وجوههم."

ولأن الإسلام يبيح الكذب للمؤمن، أنكر الأمير نايف وزير الداخلية وجود أي تعذيب بالسجون السعودية

> "نفى وجود تعذيب في السجون السعودية. وقال: «فتحنا السجون أمام منظمات حقوق الإنسان، وزوار أجانب»."[16]

وكاتب المقال رأى بأم عينه آثار التعذيب في السجون السعودية عندما كان يعمل جراحاً بالمملكة.
وهناك بالطبع **الخوف من التكفير** الذي ربما يقود إلى الاغتيال على أيدي المتزمتين، وما أكثرهم في السعودية. وهم لا يكتفون بتكفير شخص واحد، بل يكفّرون شريحة واسعة من المجتمع - شريحة الشيعة - الذين تستخرج المملكة البترول من أراضيهم في شرق المملكة وتهمشهم ولا تعتبرهم مواطنين. فها هو إمام الحرم المكي الذي عيّنه الملك عبد الله حديثاً، **وصف علماء الشيعة بـ"الكفار".**
وقال الكلباني في مقابلة مع قناة بي. بي. سي ضمن برنامج "في الصميم"

[14] الدر المنثور للسيوطي، ج7، سورة الحجرات، الآية 12.
[15] الجامع الصغير للسيوطي، ج6، حرف لا، حديث 9951.
[16] إيلاف 2009/4/1.

"إن الشيعة لا يحق لهم أن يكونوا مُمثّلين في "هيئة كبار العلماء" التي تعتبر أعلى هيئة دينية في المملكة العربية السعودية. وسئل الكلباني، الذي عيّنه الملك عبد الله بن عبد العزيز في سبتمبر 2008 لإمامة المصلين في مكة المكرمة، إن كان "مع من يكفرون الشيعة"، فأجاب بأن تكفير "عامة الشيعة (مسألة) يمكن أن يكون فيها نظر، أما بخصوص علمائهم فأرى أنهم كفار، بدون تمييز."[17]

أما كرامة الإنسان في مملكة آل سعود الحديثة فلا مكان لها. **الرق** هو أشد أنواع الإذلال للفرد، ولذا ألغت عصبة الأمم الرق عام 1926 **ولكن مملكة آل سعود لم تلغه إلا عام 1963، وحتى هذا الإلغاء ما زال حبراً على ورق**. فقد اخترعت المملكة نظاماً جديداً للرق أسمته "**الكفيل**". فالكفيل يستطيع أن يبيع مكفوله، بمعنى أن يبيع كفالته لشخص آخر، ويستطيع أن ينكح ما شاء من كفيلاته الأسيويات العاملات بالمنازل، ويستطيع ضرب مكفوله. وما زال الحرم المكي يشرف عليه عبيد أخصياء. **والاتجار بالبشر ظل معمولاً به في المملكة منذ سنوات رغم انتقاد هيئات حقوق الإنسان لهذا العمل المشين**. فهم يبيعون الأطفال المخطوفين من اليمن للعمل في المنازل أو الدعارة، والأطفال المستوردين من الصومال والسودان ليستعملوهم في سباق الجمال. وظلت المملكة تغمض عيونها عن هذا السلوك حتى الآن.

"في أول اجتماعاتها، شَرَعت لجنة مكافحة جرائم الاتجار في الأشخاص في السعودية، في إعداد خطة وطنية لمكافحة مثل هذا النوع من الجرائم... واجتمع الممثلون عن تلك الجهات أمس برئاسة الدكتور بندر العيبان رئيس هيئة حقوق الإنسان، حول طاولة الاجتماع الأول لمكافحة جرائم الاتجار بالأشخاص. وأوكل إلى هذه اللجنة، بحسب معلومات «الشرق الأوسط»، متابعة أوضاع ضحايا الاتجار بالأشخاص لضمان عدم معاودة إيذائهم."[18]

ولأن المواطن السعودي اعتاد على التعذيب وتربى على الخوف وأصبح يعترف للشرطة بكل شيء لتفادي التعذيب،

"نصحت وزارة الخارجية السعودية، رعاياها الذين يتوقع أن يتواجدوا بكثافة خارج البلاد، خلال الشهر الجاري، بالتزام الصمت حين التحقيق معهم أو استجوابهم من قبل سلطات البلدان التي سيتواجدون فيها صيف هذا العام."[19]

ولنا أن نسأل: ما دامت السلطات تنصح المواطنين بالصمت عند الاعتقال في بلاد الغرب، لماذا تعذبهم في سجونها لينطقوا؟

السودان

منذ أن اغتصبت الجبهة الإسلامية الحكم عن طريق إنقلاب قاده المشير عمر البشير، وغيرت اسمها إلى "جبهة الإنقاذ"، أصبح السودان سجناً كبيراً لمواطنية، حتى المسيحيين منهم. **أول ما فعلته جبهة الإنقاذ كان إنشاء المحاكم الشرعية التي انصب جلُ همها في جلد النساء اللاتي لا يتقيدن باللباس الشرعي**. وما قصة الصحفية السودانية لبنى أحمد حسين ببعيدة عن الأذهان.
في محاكاة واضحة للمملكة الوهابية، أنشأت حكومة الإنقاذ **هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، وسمتها *جهاز الأمن العام*، وأصبح المواطن عرضة للحبس في "بيوت الأشباح" وللتعذيب والتنكيل

"يكتب المفكر اليساري السوداني الحاج وراق عن معارض شيوعي تعرض للتعذيب (ادخلوا له زجاجة في مستقيمه!) وهذا لم يكن مجرد ادعاء وانما اثبته الكشف الطبي! أحد اشكال التعذيب التي يقشعر لها وجدان كل شريف، والتي تعرض لها الطبيب عمر التاج النجيب! وقبله تعرض طلاب جامعة أم درمان الاهلية، ومعتقلو (إقليم) دارفور و(حزب المؤتمر) الشعبي، وقبلهم الألوف في بيوت الاشباح من الديمقراطيين والمعارضين الى شبيه لهذه الممارسات الوحشية، مما يطرح بإلحاح قضية التعذيب في البلاد: أهي تجاوز لبعض افراد في أجهزة الأمن ام مظهر من مظاهر انتهاكات حقوق الانسان في البلاد؟.ويثير وراق هنا نقطة جديرة تماما بالمناقشة. فالدولة "الإسلامية" ما تزال بعد 17 عاما عاجزة عن احترام حقوق الانسان، وما تزال بعيدة عن أي قانون "أخلاقي وضعي" ناهيك عن أي وازع ديني !! وبطبيعة الحال فقد أدرك السودانيون بعد مرور بضعة أشهر فقط على حكم الإسلامويين بأن "الدولة الإسلامية" ما هي إلا "معتقل كبير" ترتكب فيه أفظع الجرائم وأكثرها وحشية بضمائر تستأنس بنصوص القرآن والأحاديث الشريفة. ما حدث للدكتور عمر التاج **ظل ممارسة "أصيلة"** لأجهزة الأمن التابعة لدولة الإسلامويين. ولنتعرف على عدل دولة الإسلامويين، وأخلاق هذه الدولة، من خلال قراءة جزء من رسالة (العميد) محمد أحمد الريح الموجهة لوزير العدل السوداني في 15 أغسطس 1993:"تعرضت شخصيا للاغتصاب وإدخال أجسام صلبة داخل الدبر، وقام بذلك النقيب عاصم كباشي وآخرون لا أعرفهم. الإخصاء بضغط الخصية بواسطة زردية والجر من العضو التناسلي بنفس الآلة وقد قام بذلك النقيب عاصم كباشي عضو لجنة التحقيق. القذف بالألفاظ النابية والتهديد المستمر بإمكانية إحضار زوجتي وفعل المنكر معها أمام ناظري بواسطة عاصم كباشي وآخر يحضر من وقت لآخر لمكان التحقيق يدعى صلاح عبد الله وشهرته صلاح قوش"."[20]

ثم أعلنت جبهة الإنقاذ **الجهاد ضد أبناء جنوب السودان لأنهم مسيحيون أو لا دين لهم**. وأصبح ديدن قوات الشرطة هو الهجوم على البصات (الحافلات) المدرسية في الخرطوم لاصطياد الصبيان الذين في مرحلة التعليم الثانوي، وأخذهم إلى معسكرات يتم فيها تجنيدهم إجبارياً وإرسالهم إلى ساحة القتال في الجنوب دون علم ذويهم.

"ومن خلال إعلان الجهاد فقد السودان أكثر من مليون ونصف المليون قتيل سوداني وشردت هذه الحرب الضروس عشرات الآلاف من البشر نزحوا إلى الدول المجاورة مثل مصر و كينيا ويوغندا وإثيوبيا، هذا علاوة على الأطفال الذين تيتموا والنساء اللائي ترملن والجرحى الذي فقدوا أطرافهم بفعل الألغام الأرضية."[21]

ثم جاءت **حرب الإبادة في دارفور** عن طريق مليشيات الجنجويد وطيران جبهة الإنقاذ، فقتلوا الآلاف واغتصبوا النساء وشردوا أكثر من مليوني شخص عن قراهم. *وكل هذا بدافع نشر الإسلام في دارفور*

"ومن خلال حرب دارفور تتضارب الأرقام مابين 50 ألف قتيل إلى 150 ألف قتيل إضافة إلى الذين تشردوا ولازالوا إلى هذه اللحظة يكابدون آلام الحرب والتشريد بين الحدود السودانية التشادية، وما حدث للأهالي من تأثيرات نفسية جراء قصف الطائرات لهم وهدير الدبابات، مسألة لا يمكن ان تُتَصور حيث لازالت هناك بعض التجاوزات من (الجنجويد) وغيرهم، ويحدث هذا برغم ندم قادة الحركة الإسلامية على ضياع فرص السلام مع الجنوبيين في أوقات سابقة."[22]

فأمن المواطن السوداني قد ذهب مع رياح ثورة الإنقاذ. وأمن المواطن وحقه في العيش في منزل بناه بشق الأنفس أصبح مهدوراً من قبل حكومة الإنقاذ

"سجل وزير البنى التحتية بولاية الخرطوم اعترافت جديدة بفشل حكومته في تصريف مياه الامطار ما اسفر عن مقتل نحو "10" اشخاص ، تدمير نحو " 21 " الف منزل، ونحو " 180 " مدرسة في العاصمة الخرطوم ، وحمل الوزير حكومة بلاده مسؤولية الفشل .

[17] إيلاف 2009/4/1.
[18] تركي الصهيل، الشرق الأوسط، 2009/11/9.
[19] الشرق الأوسط 5 يوليو 2009.
[20] خالد عويس، الحوار المتمدن 2006/8/17، نقلاً عن موقع سودان للجميع.
[21] خالد أبو أحمد، كتابات، 2005/12/14.
[22] نفس المصدر.

ووصف جهاز الحكومة العامل في هذا المجال بـ"الكسيح". واعترف بان الفشل سببه عدم إكمالها العمل في تطهير المصارف القديمة والحديثة بالولاية، وأشار لعدم كفاءة المهندسين الذين تم اختيارهم لرصف الطرق والشوارع."[23]

أما أمنه الغذائي فلا يعلم به إلا إله قادة ثورة الإنقاذ التي أتت لتثبت للناس أن الإسلام "دينٌ ودولة".

إيران

إيران الشاه لم تكن الدولة المثلى التي يجب أن يُقتدى بها، ولكنها حتماً كانت أحسن مما آل إليه حال إيران الخميني. فحكومة الخميني الدينية عملت منذ البدء على تركيز دكتاتوريتها على المواطنين، فأنشأت مجالساً غير منتخبة هدفها استمرار السلطة الدينية في الحكم، وسمتها "**مجلس تشخيص مصلحة النظام**" و "**مجلس صيانة الدستور**" و "**مجلس الخبراء**" وما شابه، ونرى هنا أن تشخيص مصلحة النظام أهم من تشخيص مصلحة المواطنين.

إيران التي أعطت المرأة حق التصويت عام 1906، أصبحت الآن لا هم لها إلا مطاردة المرأة في الشوارع وجلدها إذا لم تحكم لف الشادور حول جسمها. وأصبحت الشرطة الدينية تقوم بحملات سنوية في الشوارع لإجبار النساء على اللباس الإسلامي.

أمن المواطن الإيراني أصبح من مخلفات الماضي بعد أن استولت "قوات الحرس القومي" و "الباسيج" على توطيد أمن الدولة الدينية **وأصبح التعذيب والتنكيل والقتل من سمات الحياة في إيران التي نزح عنها كثير من صحافييها ومثقفيها**. وفي خطوة نادرة أقر القضاء الإيراني بحدوث التعذيب في السجون

"أقر القضاء الإيراني اليوم، في تقرير لا سابق له، بوقوع ممارسات تعذيب وعزل في السجون الإيرانية، لكنه أوضح أن ذلك "كان في الماضي"، في وقت أبدت فيه المحامية الإيرانية شيرين عبادي الفائزة بجائزة نوبل للسلام قلقها إزاء تدهور الوضع الصحي للصحافي المعارض أكبر غانجي، واحتجت على منعها من زيارته في السجن. و تحدث التقرير الذي أعده رئيس القضاء في طهران عباس علي علي زاده، و لوبشكل غير مباشر، عن انتزاع اعترافات عن طريق ممارسة التعذيب وسوء المعاملة واعتقال الاشخاص لسنوات عديدة بدون محاكمة."[24]

وقبل ذلك كان قد اعترف القضاء بالممارسات غير القانونية

"طهران ـ ا.ف. ب: في خطوة غير معهودة، انتقد القضاء الايراني ممارسات الشرطة، مقارنا ما يتعرض له بعض المساجين بالممارسات التي ارتكبها عدد من الجنود الاميركيين في سجن ابو غريب العراقي."[25]

وفي المظاهرات الأخيرة التي عمت إيران بعد تزييف الانتخابات الرئاسية الأخيرة، شاهد العالم كله قوات الباسيج وهم في ملابس مدنية على دراجاتهم النارية Motorcycles أو مختبين في العمارات المجاورة للميادين العامة، وهم يصطادون المتظاهرين بأسلحتهم النارية.

أما الذين اعتقلتهم الشرطة فقد تعرضوا للاغتصاب وانتزاع الاعترافات الكاذبة منهم ثم تقديمهم لمحاكمات صورية أفضت إلى إعدام بعضهم وسجن الآخرين. أما سجن وتعذيب الطلبة فحدث عنه ولا حرج، فقد مات عدد كبير من الطلاب في المعتقلات الإيرانية مما دعا الاتحاد الأوربي للاحتجاج لدى إيران

"أعربت رئاسة الاتحاد الاوروبي التي تتولاها فنلندا حالياً عن «قلق شديد» بشأن حقوق الانسان في ايران والمدافعين عنه، داعية للتحقيق في وفاة الناشط الطلابي اكبر محمدي في السجن. وقالت فنلندا في بيان صادر عنها أمس: «يشعر الاتحاد الاوروبي بقلق شديد بخصوص وضع المدافعين عن حقوق الانسان الايرانيين». وقال الاتحاد انه «سيتابع عن كثب حالة منوشهر محمدي، شقيق أكبر محمدي، كما يتابع حالة جميع الناشطين الطلاب الايرانيين المسجونين حاليا»."[26]

والتجسس على المواطنين لا يقل حدة عن ما يحدث في السعودية

"اعلن في طهران عن اعتقال 230 مشاركاً في حفل لموسيقى الروك الشيطانية بمدينة كرج في محافظة طهران تمت الدعوة اليها عن طريق الانترنت. وقال الامير رضا زارعي قائد قوات الشرطة في محافظة طهران: هذه هي المرة الاولى التي تتم فيها الدعوة لعشرات من الفتيات والصبايا باسلوب جديد عن طريق الانترنت وعلى مستوى دولي، حيث ان معظم المعتقلين هم من ابناء الاغنياء وعدد منهم من الايرانيين المقيمين في الخارج تمت دعوتهم للمشاركة في حفلة موسيقية شيطانية و صاخبة."[27]

شباب يجتمعون في منزل خاص لإقامة حفلة فتتهجم عليهم الشرطة الدينية وتعتقلهم. *إنها حقوق الإنسان الإسلامية.*
أما حقوق النساء وسلامتهن من الاعتقالات والاغتصاب فأمر لا يهم القيادة الإيرانية

"في أعنف تصريحات علنية له منذ فترة ضد المنظمات النسائية فى إيران، قال الزعيم الأعلى لإيران آية الله على خامنئي أنه لا يتعين على الناشطات النسويات العبث بالشريعة الاسلامية من اجل الترويج لمبادئ حقوق النساء في ايران. وتأتي تلك التصريحات بعد صدور حكم بسجن ناشطة نسوية ايرانية لمدة 34 شهرا، وجلدها عشر جلدات، بسبب حضورها تجمعا محظورا حول حقوق النساء."[28]

أما **الأقليات** في إيران فلا حقوق لها تحت حكم الملالي

"إقليم الأحواز العربي المحتل من إيران منذ عام 1925 لم يتوقف شعبه عن النضال من أجل الحرية والكرامة والاستقلال، وخلال مسيرته النضالية تتعامل الأنظمة الإيرانية من نظام الشاهنشاه إلى نظام الخميني وخامئني مع المناضلين الأحوازيين بوحشية منقطعة النظير، خاصة من خلال أسلوب الإعدامات التي أودت بعشرات من هؤلاء المناضلين الذين كان آخر من أعدمتهم السلطات الإيرانية هو المناضل (زامل باوي) بتاريخ الحادي والثلاثين من يناير لعام 2008، ثم قامت باعتقال غالبية أفراد أسرته بما فيهم والده الحاج (سالم باوي) وأشقائه الخمسة (محسن وعماد وهاني ومسلم وأسد باوي) وتعريضهم لشتى أنواع التعذيب. وفي الرابع عشر من فبراير لعام 2007 وبدون أية محاكمات أعدمت السلطات الإيرانية أربعة ناشطين أحوازيين هم: المهندس سعيد حميدان، والمدرس ريسان سواري، وقاسم سلامات، وماجد البوغبيش، وفي الرابع والعشرين من نوفمبر لعام 2006 تم إعدام مجموعة لا تقل عن سبعة أشخاص مما أثار احتجاجات عنيفة في مختلف أرجاء العالم، إذ تمّ إعدامهم بطرق وحشية دون تمتعهم بأية حقوق قانونية أو محاكمات مدنية عادلة."[29]

ودولة الملالي تقتل وتسجن المسلمين السنة كما تفعل الدول السنية مع الشيعة و "مافيش حد أحسن من حد" كما يقول المثل.

---

[23] الشرق الأوسط 5 سيتمبر 2009.
[24] إيلاف 24 يوليو 2005.
[25] الشرق الأوسط 6 مايو 2005.
[26] الشرق الأوسط، 25 أغسطس 2006.
[27] إيلاف 4 أغسطس 2007.
[28] الشرق الأوسط 5 يوليو 2007.
[29] أحمد أبو مطر، إيلاف 18 فبرائر 2008.

غزة

وفي إمارة غزة يسود جو من الخوف على المواطنين بسبب **التعديات الصارخة** على حقوق الإنسان في غزة، سواء من إسرائيل أو أمراء الإمارة نفسها من قياديي حماس. فالقتل والتنكيل ب "**الأعداء**" من فتح لم يعد من الممكن لحماس إخفاؤه.

"في الوقت الذي اتهمت فيه حركة فتح، حركة حماس، باعتقال وإعدام عدد من أنصارها في قطاع غزة أثناء العدوان الإسرائيلي الأخير وبعده، ردت حماس بقولها إنها أعدمت عملاء، وهي بذلك تنفي تهم فتح، وتغمز في اتجاه أن ناشطين من فتح متورطون فعلا في التخابر مع الإسرائيليين، وهي اتهامات تنفيها فتح على أي حال. ووزعت حركة فتح، كشفاً يتضمن أسماء عشرات الناشطين الذين ينتمون للحركة، وقالت إن حماس أعدمتهم. وكانت السلطة الفلسطينية، اتهمت مسلحي حماس رسميا بإعدام العديد من المواطنين في القطاع أثناء العدوان الإسرائيلي. ونشرت وكالة الأنباء الفلسطينية الرسمية، ومواقع فتح، كشفا بقتلى الحركة، وقالت إن مليشيات حماس خلال فترة العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، أقدمت على إعدام 17 من كوادر ونشطاء حركة فتح، فيما أطلقت واعتدت بالضرب على المئات منهم."[30]

ويقول مراسل الإندبندنت البريطانية في القدس دونالد ماكينتاير في تفاصيل التقرير عن منظمات معنية بحقوق الإنسان

> "إن التعذيب يمارس بصورة منتظمة على الفلسطينيين الذين تعتقلهم الاجهزة الأمنية التابعة لحركة فتح في الضفة الغربية وكذلك الذين تعتقلهم حركة حماس في قطاع غزة. وينقل المراسل عن منظمة الحق الفلسطينية المعنية بحقوق الانسان قولها "إن ما بين 20 إلى 30 في المئة من الأشخاص الذين يعتقلون بصورة عشوائية في الضفة والقطاع يعانون من الضرب المبرح والضرب بالسياط وإجبارهم على الوقوف أو الجلوس في أوضاع مؤلمة لساعات وغيرها من العقوبات المهينة"."[31]

فلا فرق بين الإسلام دين المحبة الذي تمارسه حماس وبين الحكومات المدنية المتسلطة.

واستمرأت حماس **قتل المعارضين لها تحت زعم أنهم جواسيس لإسرائيل**. ولم تقدم حماس أي منهم للمحاكم إنما أعدمتهم بالتهمة فقط

> "قال الغصين "المتحدث باسم المقاومة" إن المقاومة أبلغت وزارة الداخلية أنها قتلت عملاء أثناء الحرب، أو حذرتهم، وهذا التحذير شمل إطلاق النار وقصصا أخرى. وبحسب الغصين، فإن «من حق المقاومة أن تحمي ظهرها، لكن في الوضع الطبيعي هذا مرفوض، أما في الحرب فإن إجراءاتنا لم تكن طبيعية، وإذا وجدت فصائل المقاومة مَن يعمل ضدها، فمن حقها أن تتعامل معهم، ونحن نحقق في كل قضايا القتل»."[32]

وبذا أصبحت حماس مثل الكاوبويات الأمريكان الذين كان شعارهم "إفتح النار أولاً ثم حقق فيما بعد".

أما **قتل المسيحيين وإحراق مكتباتهم** ما عاد يحرك في المواطنين أي عاطفة

> "اعلن مصدر طبي فلسطيني الاحد ان شابا فلسطينيا يعمل سكرتير جمعية الكتاب المقدس المسيحية التابعة للطائفة المعمدانية كان خطف السبت، قتل على ايدي مجهولين في غزة بينما اكدت وزارة الداخلية التابعة لحماس ان هذه "الجريمة" لن تمر"من دون عقاب". وقال المصدر الطبي انه "تم العثور اليوم على رامي خضر عياد (31 عاما) مقتولا في مدينة غزة وعليه اثار تعذيب"."[33]

وقد مرت سنتان على قتل هذاالشاب ولم تعاقب حماس أي شخص، كما وعدت.

أما **المرأة** في إمارة غزة فوضعها أصبح لا يختلف كثيراً عن وضع الحصان الذي يجر عربة الكارو، فهو يّضرب ويُجوّع ولا يُشكرعلى مجهوده الخارق رغم الضعف والوهن. والفرق الوحيد هو أن الحصان لا يُقتل مهما صدر منه لأنهم يعتمدون عليه، أما المرأة فتُقتل لأتفه الأسباب *وباسم الشرف الإسلامي الرفيع.*

فالحكومات الإسلامية التي تطبق "شرع الله" وتدعي إقامة العدل بين الناس، لا تختلف في انتهاك عروض وحقوق مواطنيها عن الحكومات غير الإسلامية، فكلاهما يفعل ذلك، غير أن الدولة الإسلامية تفعله بإسم الله.

2009 / 11 / 12

الحلقة قبل الأخيرة

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=191452

المساواة أمام القانون

من واجبات الدولة الحديثة أن يكون لها قانون واضح البنود، ولا يقبل التأويلات الشخصية، وان يكون ذلك القانون سارياً على الجميع، مواطنين ومقيمين، دون أي تفرقة بينهم. ولا يُستثنى من القانون أي فرد، حتى الوزراء والرؤساء. ويجب أن تكون الأحكام التي يصدرها القانون على المخالفين مذاعة على جميع الناس كي يثقوا في العدالة القضائية.

"Justice has to be done and to be seen to be done."

هذا المثل الإنكليزي ترجمته غير الحرفية هي:

"العدالة يجب أن تُنفّذ وأن تُرى أنها تُنفّذ حتى تكتمل"

فأين مكان الدول المحكومة بالشريعة الإسلامية من هذا المستوى المطلوب؟

---

[30] الشرق الأوسط 2009/1/25.
[31] إيلاف 2008/7/29.
[32] الشرق الأوسط 2009/2/4.
[33] إيلاف 2007/10/7.

السعودية

المملكة الوهابية ليس لديها دستور أو قوانين مكتوبة، فدستورهم القرآن والسنة، والقوانين متروكة لاجتهادات القضاة الشرعيين. وهناك طبقة من الناس فوق القانون، فأمراء آل سعود وأميراتهم فوق القانون إذ هم يمتلكون الدولة بمن فيها ويسمون الجنسية السعودية "التابعية". فالكل تابع لابن سعود، *والتابع ليس كالمتبوع في الحقوق*. وحتى بين الأمراء والأميرات فليس هناك مساواة أمام القانون، فقرآنهم يقول لهم (وليس الذكر كالأنثى) ولذلك نعرف أسماء وعدد الأمراء ولكن لا أحد يعرف حتى عدد الأميرات، ناهيك عن أسمائهن.

نحن نعرف أن الكحول ممنوع في المملكة ويعاقب شاربه بالجلد والحبس، وبائعه بالقتل، ولكن هذه القوانين لا تنطبق على الأمراء.

> في كتابها الشهير The Oil Sheikhs تقول الصحفية الأمريكية ليندا برادفورد التي عاشت عدة سنوات في المملكة واختلطت بالأميرات، تقول إنها حضرت حفلات عديدة أقامها الأمراء، ووصفت الحفلة التي أقامها أمير مكة الراحل وزوجته المصرية واختلط فيها الرجال بالنساء لابسات الملابس الكاشفة للصدر، واحتساء بعض الحاضرين الخمور والشمبانيا مع وقع الموسيقى والرقص.

لو فعل هذا أي مواطن سعودي لقطعوا رأسه.

القضاء في المملكة في حالة يُرثى لها، كل قاضي يحكم حسب مزاجه، فمثلاً:

> "انتقد الشيخ مخلف بن دهام الشمري تناقض الأحكام الشرعية في قضايا مماثلة، واستشهد بحكم قاضي محكمة بيشة على شابين سرقا خروفين وتم الحكم عليهما بالسجن لمدة ثلاث سنوات و ألف جلدة لكل منهما، بينما حكم قاضي المويه بالطائف على شابين سرقا 10 من الضأن و5 من الماعز بالسجن شهر ونصف و(200) جلدة."[34]

> "وحكم قاضي على مراهق 16 سنة بالسجن 15 عاماً و2000 جلدة لمحاولته اغتصاب زوجة. بينما حكم قاضي آخر على مغتصب طفلة بالسجن 4 سنوات مع 400 جلدة."[35]

الأجانب الغربيون مثل الإنگليز والأمريكان لا يُحكم عليهم بالجلد أو الموت، **وقد أثبتت الحوادث مراراً أن الأوروبيين لا تطالهم نفس العقوبة التي تطال الآسيويين أو السعوديين**، وما قصة الرجال الإنگليز الذين فجروا سيارة زميلهم الإنگليزي بالرياض والذي كان مشتركاً معهم في بيع الكحول، مما أدى إلى موته، ببعيدة عن الأذهان، فقد رُحلوا إلى بلدهم بعد قضاء عدة شهور في السجن دون أن يجلدوا أو يُعدموا لقتلهم زميلهم. أما الآسيوي الذي تُضبط معه كمية من الكحول أو الحشيش فإنه يُعدم.

والأهم من التناقض هو أن المواطنين والمقيمين ليسوا سواسية أمام هذا القانون غير المكتوب. يقول التقرير الأمريكي عن حرية الأديان:

> "وقد واجه غير المسلمين والمسلمين الذين لا يلتزمون هذا التفسير، الكثير من التمييز السياسي والاقتصادي والقانوني والاجتماعي والديني ، بما في ذلك محدودية فرص العمل والتعليم ، وانخفاض مستوى التمثيل في المؤسسات الرسمية، وتقييد حرية ممارسة المعتقد الديني وبناء أماكن العبادة والمراكز الاجتماعية. بل أن هناك الكثير من الحالات التي اتهم فيها رجال من *هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر* (المطوعين)، أو الشرطة الدينية، بالتحرش وسوء المعاملة والقتل. كذلك فإن هناك العشرات من العمال الأجانب وأفراد أسرهم ممن القي القبض عليهم ورحلوا إلى بلدهم على خلفية ممارستهم لشعائرهم الدينية. هذه الحوادث تسببت في ممارسة كثير من غير المسلمين عبادتهم خفية وعلى وجل، وبطرق تبقيهم بمنأى عن أعين الشرطة ورجال *هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر* (المطوعين). كذلك ظلت الكتب السعودية مدعاة للقلق بالنظر لاستمرار ما تحتويه من دعوة للتحريض ضد الشيعة، والإسماعيليين، واليهود والمسيحيين، وغيرهم من الطوائف الدينية." انتهى.

المتعاقد الأجنبي، خاصةً لو كان عربياً أو آسيوياً، وشاء حظه العاثر أن يقوده إلى المحاكم السعودية إثر حادث سيارة أو أي مشادة كلامية، فالأجنبي هو الخاطيء على السعودي، ولا تقدم المحكمة أي مبررات.

> وهناك نكتة عن هذه العدالة تقول إن شرطي المرور اتصل على الضابط المناوب وقال له هناك حادث مريع في الشارع الفلاني. فرد عليه الضابط بقوله: الأجنبي غلطان، فقال له الشرطي: كلاهما أجنبي، فرد الضابط: إذاً المصري هو الغلطان.

فقد أثبتت السعودية أن الشريعة الإسلامية لا تصلح قانوناً لدولة في القرن الحادي والعشرين إذ أن الشريعة اجتهادات فردية مبنية على أحاديث ظلت شفهية لأكثر من قرن ونصف القرن، وبالتالي لا يمكن التأكد من صحتها. والشريعة نفسها لا تساوي بين الناس الأحرار والعبيد، ولا بين المسلم وغير المسلم. والقرآن نفسه لا يساوي حتى بين الأنبياء والرسل، ويقول إن الله فضل بعضهم على بعض. فهل إذا كان الله نفسه لا يساوي بين الناس، يمكن لقانون مستمد من القرآن أن يفعل ذلك؟

السودان

مع نجاح إنقلاب الإسلامويين في عام 1989 **أُلغي الدستور المدني في البلاد وحل محله الدستور الإسلامي (القرآن والسنة)** الذي يقول صراحةً إن المسلم أعلى درجةً من المواطن المسيحي أو اليهودي أو الشيوعي "الملحد". وبما أن السودان كان به أكبر حزب شيوعي في العالم العربي، وبما أن جنوب السودان الذي يكّون مواطنوه المسيحيون وغير الدينيين حوالي ثلث مواطني السودان، *فقد أصبح بين ليلةٍ وضحاه أكثر من ثلث المواطنين أناسٌ من الدرجة الثانية دستورياً.*

> "طالبت الرابطة الشرعية لعلماء ودعاة السودان الحكومة السودانية بمراجعة قرارها القاضي بمنح الحزب الشيوعي التصديق لممارسة نشاطه السياسي، ودعت لحله وضرورة حظر نشاطه السياسي في البلاد، واعتبرت أن إيمانه بالمبادئ الماركسية اللينينية وسعيه لاستقطاب الشباب من خلال أنشطته الأخيرة بالأحياء، يضر بمسيرة الدولة ويكون خصما عليها، ودعت السلطات الأمنية لوضع الشيوعيين في (جحورهم) حماية للمسلمين... من بين الفتاوى (التي أصدرتها الرابطة) عدم جواز زواج الشيوعي بالمسلمة، وأنه لا بد من تطليق زوجته المسلمة عنه."[36]

ثم سرّحت الحكومة آلاف الموظفين غير الإسلاميين من وظائفهم وحلت محلهم إسلاميين غير أكفاء لكنهم موالين للنظام. وتبعت ذلك ببيع شركات الدولة إلى الإسلاميين الممولين من البنوك الإسلامية، فأصبح الإسلاميون من جميع مشارب الحياة يسكنون القصور الفاخرة ويمتلكون أحدث موديلات السيارات المستوردة بينما بقية المواطنين ازدادت فقراً ومرضاً. وهؤلاء الأغنياء يستطيعون شراء ذمم الشرطة والقضاة ولا يخضعون لنفس القانون الإسلامي الذي أجازوه.

---

[34] آفاق، 2009/2/8.

[35] نورة عبد العزيز الخريجي، الوطن السعودية، 2008/5/13.

[36] مصطفى سري، الشرق الأوسط، 30 أغسطس 2009.

وفي بداية حكومة الترابي وجدت شرطة الآداب نائب الترابي في منتصف الليل في سيارته بصحبة امرأة غير زوجته، فادعى أنه وجدها في الطريق ليلاً وأراد أن يوصلها لدارها حمايةً لها من الذئاب البشرية، ولم تقم حكومة الترابي والبشير عليه الحد كما يقيمونه على المواطن العادي.

والشيوخ المعرفون بفتاواهم التي تهدر دماء المثقفين لا ينطبق عليهم قانون "التشجيع على القتل"، ففي مذكرة رفعها مثقفوا وكتاب السودان إلى الرئيس عمر البشير، نجد:

''تعلمون ولا بد، أن مجموعة تضم 14 إسلامياً ـ بينهم قادة تنظيمات سياسية وشخصيات متنفذة في السلطة ـ قد أصدرت بياناً يحمل فتوى بتكفير صريح لتنظيم طلابي (الجبهة الديمقراطية) ولأحزاب ومعتنقي الديمقراطية والاشتراكية والموالين للنصاري، على حد تعبير الفتوى التي تم نشرها على نطاق واسع في الرابع من يونيو 2003 م. وقد سبق أن صدر بيان خلال شهر مايو 2003 م يهدر دماء كتاب وصحفيين وسياسيين وقضاة ومحامين في قائمة تضمنت أسماءهم، ودعت الي قتلهم مقابل أجر معلوم (عشرة مليون جنيهاً للرأس!). كما سبق هاتين الواقعتين في السنوات الماضية من التسعينات تصاعد لثقافة العنف التي نتجت عنها اغتيالات مشهودة في دور العبادة في مناطق مختلفة من العاصمة الخرطوم منها حادثة الجرافة ومسجد أنصار السنة بالحارة الأولى بأم درمان وبعض المدن الأخرى، كحادثة ود مدني. وشهدت ذات الفترة حادث اغتيال الفنان المغني خوجلي عثمان ومحاولة اغتيال الفنان المغني عبد القادر سالم طعناً بالسكين في دار الفنانين بأم درمان بذات الرؤية التكفيرية وفي ذات المناخ، علاوة على تصاعد القمع والعنف الطلابي.''[37]

وكل هؤلاء الذين قُتلوا لم تتمكن السلطات من إدانة أي شخص بقتلهم لأن هناك أناسٌ فوق القانون.

قبل خمسة أعوام تقريبا

''انهارت بناية تابعة لجامعة الرباط في الخرطوم، والجامعة بدورها تابعة لوزارة الداخلية كعمل استثماري في التعليم العالي لهذه الوزارة. وبالاضافة للخسائر المادية، قتل مواطن بسيط في هذا الحادث. وبعد ضغوط شعبية تعرضت لها الحكومة الإسلاموية بهدف تشكيل لجنة تحقيق، برأت لجنة التحقيق وزير الداخلية (آنذاك) الفريق عبدالرحيم محمد حسين، ملقية المسؤولية على الشركة المسؤولة عن البناء. ونفت اللجنة ذاتها أن يكون الوزير (الإسلاموي المقرب من أمير المؤمنين) قد أثرى (ثراء حراما) من وراء "صلته" بالشركة. هذا يعني ببساطة أن للوزير صلة بالشركة التي (غشت) في مواد البناء، وتسببت بمقتل انسان واهدار مال عام. وكشفت تقارير صحافية بعد ذلك أن الشركة ذاتها هي التي قامت بتشييد بيت الوزير في ضاحية "غاردن سيتي" على شاطيء النيل الخلاب. وعندما استقال وزير الداخلية من منصبه إثر الاحتجاجات، عينه البشير وزيراً للدفاع.''[38]

فبعض الناس لا تطالهم يد القانون القصيرة في تلك البلاد، والطويلة في غيرها. وقد أدان الشيخ الترابي، الذي أتى بالبشير إلى الحكم، القضاء السوداني واتهمه بالقصور:

''اتهم الترابي القضاء السوداني بالقصور، وقال انه تحامل على أعضاء من حزبه يتعرضون الى المحاكمة بتهم تتلعق بـ «محاولات تخريبية».''[39]

فعندما يكون القانون هلامياً وغير مكتوب بل يعتمد على تفسيرات الشيوخ لموروث تحوم حوله الشبهات، يصبح من المستحيل مساواة المواطنين أمامه، ويصبح من المستحيل كذلك وجود قضاء غير مسيس.

إيران

إيران الخميني دستورها هو **دستور القرآن وسنة آل البيت**، الذي لا يعرف مساواة البشر ولذلك جعل النساء أول ضحياه

''النظام الايراني تمكن في اقل من سنة من فرض الحجاب على النساء الايرانيات، وذلك بطرد الموظفات والعاملات اللواتي رفضن ارتداء الحجاب من المؤسسات الحكومية والجامعات والمستشفيات، واعتقال النساء السافرات في الشوارع من قبل شرطة الاداب وحبسهن.''

وكأن ذلك لا يكفي، فزادت أسباب اضطهاد النساء تحت

''حكومة يعتقد احد ابرز علمائها، وهو رئيس مجلس الخبراء، ان العمود الفقري للنساء اقل طولا مما لدى الرجال وعقلهن ناقص مما يجعلهن غير مؤهلات لتولي المناصب القضائية والأمنية والسياسية في البلاد. فقبل عشر سنوات لم يكن باستطاعة الطالبات مواصلة دراساتهن الجامعية في مائة وتسعة عشر فرعا دراسيا في الجامعات، الان تقلص هذا الحظر الى 17 فرعا.''[40]

وبالطبع يتصدر الملالي قائمة المواطنين الذين يعاملهم القانون بطريقة غير التي يعامل بها كافة المواطنين،

فقد أصدرت فائزة ابنة رفسنجاني صحيفة "زن" النسائية ونشرت خطاباً من الإمبراطورة السابقة فرح ديبا إلى الشعب الإيراني بمناسبة عيد النيروز، فاعتقلتها السلطات وأغلقت صحيفتها، ثم حُكم عليها بالسجن، ولكن لأنها ابنة رفسنجاني استبدلت المحكمة السجن بغرامة مالية.[41]

وغيرها من النساء سُجن بسبب عدم الاحتشام في مكان عام.

أما الأقليات العرقية والعقائدية فحقوقها مهضومة تحت قوانين الدولة الإسلامية،

''فقد أثبتت الإحصائيات الصادرة عن مراكز الدراسات الإيرانية الشبه رسمية إن نسبة الفرس من عدد سكان إيران البالغ 65 مليون نسمة تقريبا يقدر بـ 40 % فقط مقابل مجموع الشعوب والقوميات الأخرى... ولكن رغم ذلك فإنهم أصحاب السلطة العليا في الدولة ولغتهم هي اللغة الرسمية في البلاد والمفروضة قهرا على باقي الشعوب من دون أن يسمح لهذه الشعوب بإظهار هوياتها الثقافية أو السياسية... وعلى صعيد التعليم أظهرت الدراسة حجم التفاوت بين أعداد الطلبة الفرس الذين يحصلون على مقاعد دراسية في جامعات ومعاهد البلاد وبين زملائهم من أبناء الشعوب الإيرانية الأخرى. فعلى سبيل المثال أن عدد الطلاب في جامعة شمران في إقليم الأحواز في العام الدراسي (2000 - 2001) كان ثلاثون ألف طالب منهم ألفين طالب عربي فقط، أما عدد الطلاب البلوش في جامعة سيستان و بلوشستان في العام الدراسي (2002 - 2003) 9 طلاب فقط. علما إن عدد البلوش في إيران يتجاوز المليوني نسمة.''[42]

السُنة في إيران مستباحة حقوقهم، وحتى مساجدهم تهدمها دولة الملالي

''في إطار حملتها لاغلاق وهدم العديد من المدارس والمساجد السنية بالإضافة إلى اعتقال وإعدام العديد من علماء أهل السنة في مختلف المحافظات والأقاليم فقد قامت السلطات الإيرانية بإغلاق المسجد الوحيد لأهلهم في مدينة "فاضل آباد" بمحافظة غلستان شمال إيران بعد ثمان سنوات من بنائه''[43]

[37] الحوار المتمدن 2009/9/11.
[38] خالد عويس، الإسلام السياسي والدولة، الحوار المتمدن 2006/8/17.
[39] الشرق الأوسط 2005/12/1.
[40] الشرق الأوسط 2005/6/11.
[41] نفس المصدر.
[42] صباح الموسوي، إيلاف 2005/12/14.
[43] إيلاف 2008/6/1.

أما حرية الاختيار وحقوق الإنسان فلا مكان لها في القانون

"اضطر عدد من صالونات الحلاقة الرجالية للإغلاق لاتهامها بالقيام بقصات شعر لا تنسجم مع القوانين التي تفرضها السلطات الدينية الإيرانية. وقال قائد الشرطة محمد علي نجفي لصحيفة «اعتماد» الايرانية «ان 13 حلاقا للرجال لا يحترمون توجيهات النقابة المهنية اضطروا لاغلاق صالوناتهم خلال الخمسة عشر يوما الاخيرة». واوضح ان جمعية الحلاقين صنفت نتف الحواجب للذكور بين «الانماط الغربية المنحرفة». واضاف «ان احد عشر صالون تجميل للنساء اغلقت ايضا لعدم حصولها على ترخيص قانوني او لارتكابها مخالفات مثل ممارسة الوشم المحظور بموجب توجيهات وزارة الصحة»."[44]

وهذه هي المساواة بين المواطنين تحت حكم الدستور الإسلامي الذي سبق الدساتير الغربية في اكتشاف حقوق الإنسان، كما يزعم الملالي وبقية المسلمين.

الصومال

والحديث عن الصومال لا يطول إذ ليس بها أي قانون أو دستور. كل ما هناك هو حركة الشباب الإسلامية التي تحكم من فوهة البندقية وترجم الفتيات الصغيرات بتهمة الزنا، وفتحت النار و قتلت بعض الرجال عندما وجدوهم يتفرجون على مباراة كأس العالم على التلفزيون وقت الصلاة.[45] وقتلت طبيباً رمياً بالرصاص لأنه رفض إيقاف التدخين. وكذلك

"حظرت الحركة على المنظمات الإنسانية استيراد الأفلام السينمائية والممارسات الجنسية خارج إطار الزواج، وتشجيع إنشاء جمعيات نسائية وأن لا تعتبر يومي السبت والأحد عطلة نهاية الأسبوع. ومنعت أيضا الاحتفال بالأعياد الأجنبية وعيد الميلاد ورأس السنة والاحتفال باليوم العالمي للمرأة واليوم العالمي للإيدز. وكانت سلطات حركة الشباب في مدينة «بلد حواء» القريبة من الحدود الصومالية الكينية قد أغلقت الأسبوع الماضي مكاتب ثلاث منظمات نسائية بحجة أن الإسلام لا يسمح للنساء بالعمل."[46]

العراق

أما العراق **فلا يمكن حصر الضيم الذي أصاب ويصيب المواطنين عامة، والنساء خاصة،** والمواطنين العراقيين المسيحيين والصابئة بعد استلام المليشيات الدينية (سنية وشيعية) زمام الأمور في الفراغ الذي نتج عن إسقاط نظام البعث، وتطبيقهم الشريعة الإسلامية، *كلٌ حسب فهم مذهبه للشريعة المطاطية*. وكما يقول القرآن: {**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون**}.

2009 / 11 / 15

الحلقة الرابعة والأخيرة

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=191684

العمل والضمان الاجتماعي

من ضمن واجبات الدولة لمواطنيها **إتاحة الفرصة** لهم لإيجاد عمل مناسب، **وكفالة** من لا يجد العمل أو لا يقدر عليه لظروف صحية أو كبر. ففي الدول الغربية تصرف الدولة على الأرامل وكبار السن والمقعدين والعاطلين عن العمل. فهل دول منظومة "الإسلام دينٌ ودولة" تفعل شيئاً من هذا القبيل؟

السعودية

رغم غناها الفاحش لم تبدأ المملكة بالعمل بنظام الضمان الاجتماعي إلا عام 1999 م، ولم يشمل النظام كل المواطنين بعد بدليل أن الفقر والتسول منتشران في المدن السعودية الكبيرة مثل الرياض والخبر والدمام وجدة. ونسبةً لعدم وجود مصانع أو مزارع كبيرة بالقرى في البوادي، فإن أعداداً كبيرة من المواطنين هاجرت إلى الرياض وجدة طلباً للعمل أو لتحسين وضعهم المالي. وقد ساعدت هذه الهجرة على نمو أعداد المهمشين الذين يسكنون المناطق الشعبية

"أكدت دراسات متعددة نفذتها وزارة الشؤون الاجتماعية إضافة إلى دراسات أخرى قام بها باحثون مستقلون حول الفقر في مدينة الرياض أن أحد ابرز أسباب تفشي الظاهرة يعود إلى نوعية المهاجرين إليها من المناطق الأخرى. ولفتت الدراسات إلى وجود ارتباط بين الفقر في الرياض وغالبية المهاجرين إليها من المناطق الأخرى بسبب أن دافع الهجرة اقتصادي حيث أن جل المهاجرين إلى العاصمة من الفقراء أو الباحثين عن عمل. وأوضحت البحوث أن الفقر مرتبط ببعض الشرائح الاجتماعية أكثر من غيرها، حيث تشكل المجتمعات المحلية البسيطة جزءاً من الفقراء إضافة إلى الأميين وأصحاب الأعمال غير المهارية وكبار السن والأرامل والمطلقات."[47]

ورغم هذه الأعداد المتزايدة من الفقراء في المدن السعودية، ما زال تجار الإقامات يجلبون العمال غير المهرة والسواقين وحتى رعاة الإبل من آسيا والصومال والدول العربية. وربما يكون السبب في جلب السواقين من دول آسيا أن الرجل السعودي لا يطمئن لرجل سعودي آخر يختلي بزوجته أو بناته في السيارة، رغم ازدياد التدين الظاهري، أو لأن الرجل السعودي يتأفف من العمل كسائق رغم أنه عاطل عن العمل. **وإذا كان هذا هو السبب فإن من واجب الحكومة محاولة تغيير عقليات المواطنين عن طريق التعليم الممنهج. غير أن المملكة تركت الإشراف على التعليم للمؤسسة الدينية التي افتتحت المدارس والكليات الدينية وخرّجت أعداداً غفيرة من حملة الشهادات الدينية التي لا تفيد حاملها في سوق العمل.**

ونسبةً لازدياد نسبة الطلاق في المملكة فهناك أعداد كبيرة من الأرامل اللاتي لا يجدن من يعولهن وأطفالهن مما يضطرهن إلى القبول بزواج المسيار وزواج المؤانسة وما شابه ذلك. ثم أن الفقر قد ساعد على ازدياد **العنف الأسري ضد المرأة والأطفال،** حسب ما أظهرت الدراسات الاجتماعية. **ودولة في غنى السعودية من المفروض ألا يكون بها أي فقراء،** ولكن الأموال الطائلة التي صرفتها المملكة على درع اليمامة وبقية التسلح الفائض عن الحاجة، والرشاوي التي دفعتها شركات الأسلحة لأصحاب النفوذ وأضافتها لقيمة

---

[44] الشرق الأوسط، 2007/8/26.
[45] شفاف الشرق، 2006/7/7.
[46] الشرق الأوسط 2009/11/11.
[47] الشرق الأوسط 2005/7/31.

العقد، والأموال التي قد تجاوزت عشرات المليارات من الدولارات والتي أنفقتها المملكة في تقوية الجماعات الإسلامية من الإخوان المسلمين وطالبان وغيرهم، وكذلك الملايين التي تصرفها على بناء المساجد في جميع بقاع العالم، جعلت الإمكانات المتوفرة للصرف على الضمان الاجتماعي وعلى الفقراء أقل مما يجب أن تكون عليه. وكنتيجة لهذه السياسات الخاطئة تكدست أعداد الشباب العاطلين عن العمل، وهم زخر الأمة لما بعد نفود البترول.

إيران

رغم أن إيران تأتي في المرتبة الثانية بعد السعودية في تصدير البترول، فقد أساء الملالي استغلال مال البترول مما فاقم الفقر بين مواطنيها وأدى إلى استقالة وزير المالية في حكومة أحمدي نجاد الأولى.

"وفي ذات الوقت ازداد غنى الملالي القياديين، ونشرت الصحف مؤخراً أخباراً عن فضائح رفسنجاني بعد أن رفض تأييد أحمدي نجاد. ومن بين المرشحين محسن رضائي، الذي قال إنه يريد أن يعيد للإيرانيين 1.1 مليار دولار اختفت من عوائد النفط الإيراني عام 2007، مشيرا بشكل ضمني إلى اتهامات عديدة لحكومة أحمدي نجاد بإخفاء مبالغ طائلة من عوائد النفط وعوائد أخرى لاستخدامها في أنشطة أخرى غير معلن عنها. وعلى الرغم من أن شعاراته الاقتصادية كانت نقطة قوته في انتخابات 2005، فإن الاقتصاد حاليا هو نقطة ضعف أحمدي نجاد الأساسية، مع بلوغ البطالة 12.5 % والتضخم 18 %، وتقنين استخدام الكهرباء والبنزين، مما أدى إلى استياء بالغ في الشارع الإيراني الذي يتهم كثيرون منه الآن الرئيس بعدم المعرفة الاقتصادية. وكان الرئيس الإيراني عندما سئل مرة عن عدم اتساق سياسته الاقتصادية وتضارب قراراته، رد قائلا: «أصلى لله أن لا أفهم أبدا في الاقتصاد»."[48]

وقد أدت سياسات الحكومة الرعناء التي صرفت الأموال الطائلة على مليشيات الباسيج وتسليح الحرس الثوري بجانب الجيش، إلى إفقار عامة الشعب بينما تصرف الحكومة مليارات الدولارات علي نشر المذهب الشيعي في جميع أنحاء العالم. فهي تصرف بسخاء على حزب الله الذي أعلن زعيمه حسن نصر الله أنه مستعد لإعمار كل ما دمرته إسرائيل في لبنان بعد النصر الإلهي المشهور.

"وحين سئل عن مصدر تلك الأموال قال أنها من تبرعات مرشد الثورة الإيرانية علي خامنئي و من تبرعات خزينة مقام إمام الشيعة الثامن علي بن موسى الرضا الموجود في مدينة مشهد."[49]

وتتبرع الحكومة بمبالغ طائلة وأسلحة للسودان، والحوثيين في اليمن، وحماس في غزة، وإلى حكومة حميد كرزاي في أفغانستان ليسمح للحزارى الشيعة بتمرير قوانيهم الشيعية في البرلمان كما حدث أخيراً وأجاز كرزاي قانوناً منفصلاً للشيعة في أفغانستان *<u>يسمح للرجل الشيعي أن يضرب زوجته ويطلقها إن رفضت أن تستجيب لمطالبه الجنسية.</u>*

حكومة الملالي التي تُعمّر في لبنان وغيرها، فشلت "أن تُعمّر مدينة "بم" الإيرانية التي لحق بها دمار هائل جراء الزلزال الذي أصابها قبل نحو ثلاثة سنوات وما تزال كما هي ولم يتم إعادة إعمارها رغم أن النظام الإيراني قد تلقى مساعدات مالية كبيرة جدا من المجتمع الدولي تكفي لإعمار المدينة مرتين ولكنه لم يفعل. كما لا تزال عشرات المدن و آلاف القرى في إقليم الأحواز والمناطق الإيرانية الحدودية مع العراق والتي لحق بها الدمار جراء حرب الثمانية سنوات وعلى الرغم من مضي أكثر من سبعة عشر عاما على انتهاء الحرب إلا أن تلك المناطق ما تزال بدون إعمار ولم يتم حتى تنظيفها من الألغام وغيرها من المخلفات الأخرى التي تحصد سنويا أرواح أعداد كبيرة من الرعاة والمزارعين الأبرياء من أبناء تلك المناطق." [50].

والنتيجة الحتمية لهذه السياسة هو فقر المواطن الإيراني

"افاد تقرير للبنك المركزي الإيراني نشرته صحيفة «سرمايه» الإيرانية ان 14 مليون ايراني في الاقل يعيشون دون عتبة الفقر، وهو رقم يظهر زيادة كبيرة خلال عام. وكتبت الصحيفة ان مجلة «الاحصاءات الاقتصادية» الفصلية التي يصدرها البنك المركزي «تدل على ان 14 مليونا في الاقل يعيشون دون عتبة الفقر بايران» من نحو 70 مليون نسمة."[51]

وقالت نفس الصحيفة إن دخل أسرة مكونة من أربعة أشخاص هو 420 دولار سنوياً. وقالت كذلك إن 10.5 % من سكان المدن، و11 % من سكان الأرياف يعيشون تحت خط الفقر. وبلغت نسبة التضخم في يونيو 2008، 26 % بينما نفس النسبة في الدول الغربية تتراوح بين 2 و 2.5 %.

وكالعادة فإن النساء والأطفال هم أكثر المعانين من هذا الفقر. وقد دفع الفقر في إيران آلاف الأرامل إلى امتهان الدعارة لكسب ما يقيم أودهن وأود أطفالهن الأيتام، كما ازدادت أعداد المتسولين في المدن الإيرانية. يحدث هذا في بلد يجني المليارات من النفط كل عام

"نقلت الصحيفة عن مسؤول كبير بقطاع النفط قوله ان ايرادات البلاد من صادرات النفط تجاوزت 29 مليار دولار في الاشهر الاربعة الاولى من السنة الفارسية التي بدأت في 20 مارس اذار."[52]

ولكن ماذا نتوقع من حكومة إسلامية يقول رئيسها إنه يصلي لله كي لا يعلّمه الاقتصاد؟

السودان

نجحت ثورة الإنقاذ التي قادها حسن البشير بإيعاذ من حسن الرابي في شيئين:

1. أنقذت مسؤولي الحكومة من الإخوان المسلمين وعوائلهم من الفقر، فأصبحوا يسكنون القصور ويأكلون ما لذ وطاب من الطعام، وفتحوا حسابات بالبنوك السويسرية إحتسابأ لليوم الأسود،
2. ونجحت في سحق أخلاقيات الشعب السوداني وزادتهم فقراً وجهلاً على فقرهم، فأصبح 95 % من الشعب أكثر فقراً بينما امتلك 5 % من المواطنين، وهم من جماعة الإخوان المسلمين كل الثروة.

أصبحت رائحة الفساد الحكومي، باعتراف حسن الترابي، تزكم الأنوف.

"يكون الأمر منطقيا لو أن رجالات دولة الإسلام السياسي يعيشون بالكيفية ذاتها التي فرضوها على المواطن السوداني. فقد كانت جملة الاعتداءات على المال العام، باستثناء قطاع المصارف من سبتمبر 2004 وحتى نهاية اغسطس 2005 تقدر بـ (542 مليون دينار، يعني 5 مليارات جنيه)، ولنلاحظ أن ما تم تخصيصه لجهاز الدولة من ميزانية العام 2003 (أي العام السابق) كان 913.000 مليار جنيه... المفاجأة المزلزلة فعلا، هي أن الاعتداء علي مال الزكاة كانت نسبته 11% من إجمالي المبالغ المسروقة. هذا يعني أن أموال "السائل والمحروم" التي تقوم بجمعها دولة الإسلام السياسي، من "السائل والمحروم" ذاته، سرقت منها أكثر من مليار جنيه!!"[53]

---

[48] الشرق الأوسط، 9 مايو 2009.
[49] صباح الموسوي، إيلاف، 5 أغسطس، 2007.
[50] نفس المصدلا أعلاه.
[51] الشرق الأوسط، 2008/8/5.
[52] إيلاف 2008/8/8.
[53] خالد عويس، الحوار المتمدن، 2006/8/17.

وعندما انتشرت فضائح السرقات من المال العام، اضطرت الحكومة لاعتقال بعض الشخصيات الكبيرة، ثم أطلقت سراحهم دون أن يسددوا ما سرقوه

"شنت الحكومة السودانية حملة اعتقالات على عملاء البنوك السودانية المتعثرين في سداد ما عليهم من تمويل طالت حتى الان نحو 237 من كبار المستثمرين ورجال المال والاعمال في البلاد، ومنهم شخصيات لامعة وذلك بتهمة تخريب القطاع المصرفي. وقررت السلطات السودانية عدم الافراج عن رجال الاعمال البارزين هؤلاء الا بعد تسديد ما عليهم من متأخرات. وقال مسؤول في النيابة «انها حرب لن تنتهي الى ان تعود الامور الى نصابها.»"[54]

مع العلم أن كل موظفي البنوك ينتمون لجماعة الإخوان المسلمين، وإلا لما استطاعوا أن يحصلوا على وظيفة في البنوك.

"انتشرت المحاكم في كل مكان بعد أن أعدت لها كافة الإمكانيات البشرية والمادية ولكنها عجزت أن تحاكم إلا الضعفاء من الناس وأما الذين أثروا من مال الشعب في مأمن من المحاسبة، برغم الحاكمية التي يدعون زورا وبهتانا أنها حاكمية الله."[55]

أصبح 95 % من أهالي السودان فقراء معدمين لا يطيقون حتى تكاليف العلاج الذي أصبح مخصخصاً بعد أن كانت الدولة تقدمه بالمجان قبل ثورة الإنقاذ. وأصبح السودان يتصدر قائمة الدول الفاشلة

"ففي دليل "الدول الفاشلة" لعام 2006 الذي يصدر في واشنطن، تصدّر السودان الترتيب العالمي!!. وتعريف الدول الفاشلة هي تلك ‹التي لا تملك فيها الحكومة سيطرة فعالة على أراضيها، والتي لا توفر الأمن المحلي أو (الخدمات العامة) لمواطنيها، وتفتقد إلى احتكار استخدام القوة›. لكن "الدولة الإسلامية" لا تفخر بترتيبها المتقدم وسط "الدول الفاشلة" فحسب، فمؤسسة الشفافية الدولية في تقريرها الأخير صنفت السودان بحسبانه الدولة العربية الأكثر فسادا وبين (الدول العشر الأكثر فسادا في العالم). يبقى هنا أن نثير سؤالاً جوهريا: ترى مَن يُفسد "في الأرض" في السودان؟"[56]

والقرآن يقول: {**ولا تطيعوا أمر المسرفين. الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون. (الشعراء 151، 152)**}. فهل لمثل هؤلاء الحكام طاعة من شعوبهم المغلوبة على أمرها بقوة السلاح؟

وخلاصة القول أن الشعارات الخاوية التي ظل يرفعها الإسلاميون، وخاصة الإخوان المسلمين، ما هي إلا شعارات جوفاء تنافي حقيقتهم عندما يرتقون سدة الحكم. *فالإسلام "دينٌ ودولة" أثبت فشله الكامل في إدارة شؤون الدول التي سيطر عليها منذ بدء الإسلام وحتى الآن.*

وقد أثبت الإسلاميون أنهم أكثر فساداً من الحكومات الديكتاتورية، ولا يقلون ديكتاتوريةً وتسلطاً عن أي حاكم مستبد.

كل همهم الاحتفاظ بكراسي الحكم التي اغتصبوها عن طريق الإنقلابات العسكرية أو قوة السلاح كما حدث في السودان وأفغانستان، والآن يحاول طالبان باكستان اغتصاب السلطة بالتفجيرات وقتل المدنيين في الأسواق وفي مدارسهم، كما يفعل إسلاميوا العراق من سنة وشيعة، أو عن طريق الوراثة العائلية كما في دول الخليج. والكل يدعي أنه سوف يطبق العدل ويبسط الأمان في ربوع البلاد. ولكن تجارب المسلمين في البلاد التي حكمتها الشريعة يجب أن تكون درساً لمن له ذرة من العقل، ولكن هل توجد عقول في رؤوس المؤمنين بالوراثة {**إنا وجدنا آباءنا على ملةٍ وإنا على آثارهم مهتدون.** (الزخرف 22)}.

ليس هناك حكومة إسلامية واحدة أنجزت العدالة في البلد الذي تحكمه، أو طبقت أي شيء من البنود الستة التي يجب أن تتوفر في أي حكومة رشيدة، وهي التعليم، توفير الأمن للمواطن، توفير العلاج، مساواة الجميع أمام القانون، توفير فرص العمل وكفالة من لا يجد عملاً أو لا يقدر عليه لظروف صحية أو كبر في السن، وإتاحة الفرصة للمواطنين ليختاروا من يحكمهم.

فالحكومات الإسلامية الفاشلة تدعو المواطنين للتصويت في انتخابات مزورة يعلمون مسبقاً أنهم سوف يفوزون فيها، كما حدث في إيران مؤخراً، أو يقومون باستفتاء على الرئيس في حكومة الحزب الواحد كما يحدث في السودان، فحكومة البشير التي اعتلت سدة الحكم في عام 1989، أي قبل ثلاثين عاماً، سوف تجري أول انتخابات تعددية العام القادم. وبعض الحكومات الإسلامية لا تعترف بالانتخابات أصلاً مثل الحكومة السعودية. وأغلب فقهاء الإسلام لا يعترفون بالديمقراطية ويقولون إن الشورى هي الديمقراطية الحقة. وقد نشر موقع المقريزي بلندن، الذي أسسه الأخ المسلم دكتور السباعي المصري، قائمة تضم 76 شيخاً وداعية يعارضون الاشتراك في أي انتخابات. **ومع ذلك يكرر الشيخ القرضاوي في خطبه أن الديمقراطية من روح الإسلام.**
وعندما ننتقد الحكومات الإسلامية، يردد الإسلاميون مقولتهم المشهورة "**تلك أخطاء في التنفيذ وليس على الشريعة لوم**"

ولكن إذا كانت الشريعة أو القوانين الإلهية غير قابلة التطبيق، وظل المسلمون عاجزون عن تطبيقها على مدى 1400 سنة، ألا يوحي هذا بفشلها في مواكبة الحياة؟

وكيف نتوقع من رجل لم يدرس في حياته غير القرآن والأحاديث أن يدير أمور البلاد في مجتمع أممي أصبح كالقرية الصغيرة، تتنافس فيه كل الدول على كسب المال والنفوذ لتحسين حياة مواطنيها، ورؤساء الدول الإسلامية يدعون الله ألا يعلمهم الاقتصاد؟
ليس هناك للمسلمين أي فرصة للحاق بركب الحضارة والتقدم ما لم يفصلوا الدين عن الدولة، فالدين عبادة فردية يقدمها المؤمن لمن يعتقد أنه خلقه، فالأديان لم تظهر لحكم الناس وإنما لتدعوهم إلى عبادة الخالق.

عودة إلى الفهرس

[54] الشرق الأوسط، 7 أكتوبر 2008.
[55] خالد أبو أحمد، كتابات، 2005/12/14.
[56] خالد عويس، نفس المصدر.

2009 / 11 / 24

181 - نفاق وعاظ السلاطين

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=192787

لا شك أن الأديان، منذ نشأتها، استغلها الكُهان للسيطرة على الناس وعلى أموالهم، ثم جاءت الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا القرون الوسطى وأكملت حلقة الاستغلال لأتباعها، حتى الملوك منهم، *وأصبح **البابا** هو ممثل الله على الأرض والحاكم بأمره*، وخضع له الملوك والأمراء. وما زال رجال السياسة يحسبون ألف حساب لرأي الكنيسة، خاصة في البلاد المتخلفة مثل البرازيل والأرجنتين والمكسيك، إذ أن أصوات الشعوب في تلك الأقطار تذهب لمن تؤيده الكنيسة.
ولكن الوضع في الإسلام جاء معكوساً

منذ أن أذل معاوية بن أبي سفيان رقاب الصحابة بموائده الدسمة وعطائه الذي لا ينضب. ومن وقتها ظل شيوخ الدين رهن إشارة الحاكم، ولذا سماهم دكتور علي الوردي "وعاظ السلاطين".

- هؤلاء الوعاظ مهمتهم تقيؤ الفتاوى والوعظ في المساجد، ثم على القنوات الفضائية وعلى رسائل الموبايل، لتخدير الشعوب وضمان خضوعها لولي الأمر حتى وإن جلد ظهرها.
- هؤلاء الوعاظ يفتون بما قاله الصحابة وبما كان عليه السلف الصالح، ويمنعون عامة المسلمين من التمتع بالحياة الدنيا مقابل دخولهم الجنة والتمتع بالجنس والخمر.
- ولكن نفس هؤلاء الوعاظ يغضون الطرف عما يرتكبه أولياء الأمر من مخالفات صريحة لفتاواهم، ويغضون الطرف عما أفتوا به إذا كان لهم مصلحة مادية في الأمر.

فإذا أخذنا مملكة آل سعود مثالاً، نجد:

1. أصدر الفقهاء وأهل الفتوى فتاوى عديدة تُحرّم التأمين على الحياة وشراء أسهم البنوك والشركات الاستثمارية على أساس أنها من ‹**بيع الغرر**› الذي لا يعرف الشاري حقيقة ما يشتريه إلا بعد عدة سنوات. ولكن عندما عيّنت هذه الشركات والبنوك شيوخ الإفتاء لينصحوا الناس بما تقوله الشريعة "السمحة"، قفز عدد الذين اشتروا الأسهم إلى حوالي ثلاثة ملايين شخص، وليذهب بيع الغرر إلى الجحيم

"تواصل الفتاوى الشرعية ضغطها على مسيرة الاكتتابات القادمة وفي مقدمتها الاكتتاب في الطرح الأولي لأسهم شركة المملكة عقب ما تناقلته صفحات الانترنت من مد وجزر على خلفية إصدار عدد من الفتاوى الشرعية التي أطلقها بعض أعضاء هيئة كبار العلماء ومنهم الشيخ عبدالعزيز المنيع والأطرم والفوزان إضافة إلى عدد من المشايخ الأخرين وأخرهم الشيخ محمد العصيمي بتحريم الاكتتاب في أسهم المملكة استنادا إلى عملها في نشاطات محرمة من بينها العمل في نشاطات مصرفية ربوية ومؤسسات إعلامية ذات تصنيفات ومجالات نشر محرمة إضافة إلى عقارات وفنادق تحوي نشاطات محرمة من ملاهي ليلية تقدم المشروبات الكحولية كما وصفتها هذه المواقع، وكان مما استدل به الناس في حديث مجالسهم عدم وجود البنوك الشرعية ضمن البنوك المستلمة للاكتتاب."[1]

ولكن رغم المعاملات الربوية التي تقوم بها تلك الشركات والبنوك، فإن شيوخ الفتاوى لا يمانعون من العمل بها كمستشارين شرعيين يتقاضون مئات الآلاف من الريالات لتساعدهم في بناء قصورهم الفخمة. وحسب حجم المبلغ الذي تدفعة الشركات للشيوخ يصنف هؤلاء الشيوخ الشركات على أساس أنها "نقية" او "غير نقية"

"وبات أمرا طبيعيا أن "تتسلل" الفتاوى إلى سوق الأسهم، فهناك أكثر من ثلاثة ملايين مستثمر حسب إحصاءات شبه رسمية، ويطغى على سلوك المستثمرين فيه، وبحسب تقديرات غير رسمية ربما تصل نسبة من يستندون إلى "الفتوى" إلى نحو 60 في المائة، فهم يتفاعلون مع الفتاوى الشرعية التي يطلقها بعض العلماء، والتي تصنف الشركات إلى نقية وغير نقية"[2].

2. أصدرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتوى رقم 20034 بتاريخ 2007/5/3، وتحت رئاسة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، فتوى بتحريم الاحتفال بعيد الزهور أو تقديم الزهور في المهرجانات وحتى للمرضى بالمستشفيات، لأن السلف الصالح لم يكونوا يقدمون الزهور.

"وبناء على ما تقدم فإنه لا يجوز إقامة عيد الزهور، لأنه في الأصل من أعمال غير المسلمين فهو تشبه بهم، والواجب تركه واجتنابه طاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم كما لا يجوز للمسلم المشاركة في هذا العيد أو غيره من الأعياد المحدثة في الإسلام، لان ذلك من التعاون على الإثم والمعصية، وقد نهى الله عز وجل عن ذلك بقوله: {ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله أن الله شديد العقاب. (المائدة من الآية 2). وليعلم أن تغيير الأسماء لا يغير الأحكام ، فتسمية الأعياد المحدثة بالاحتفالات أو المهرجانات أو غير ذلك لا يغير من حكمها شيئاً، لان العبرة بالحقائق والمعاني لا بالألفاظ والمباني كما هو مقرر عند العلماء، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبيأ محمد وعلى آله وصحبه وسلم." انتهى.

ولكن نجد أن الأمر يختلف عندما يقوم به ولي الأمر في المملكة:

"وشهداء الواجب (الجنود الذين فقدوا حياتهم في محاربة الإرهاب) لم يغيبوا أبدا عن الوطن وقيادته ممثلة في خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز والأمير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد، فلا تمر مناسبة دينية أو وطنية في البلاد دون استذكارهم واستحضار أمجادهم، ودعمهم معنويا وماديا من خلال أسرهم وذويهم... وفي عيد الفطر المبارك الماضي كرم الأمير نايف بن عبد العزيز أبناء الشهداء وذويهم بإهدائهم باقات من الورد ومعايدات بالإضافة إلى دعم مادي مجز لكل أسرة"[3].

فعندما يحتفل ولي الأمر بالشهداء ويقدم باقات الورود إلى ذويهم، لا يكون هذا تشبهاً بالكفار وأعيادهم، رغم أن اللجنة الدائمة للإفتاء قالت:

"وليعلم أن تغيير الأسماء لا يغير الأحكام ، فتسمية الأعياد المحدثة بالاحتفالات أو المهرجانات أو غير ذلك لا يغير من حكمها شيئاً، لان العبرة بالحقائق والمعاني لا بالألفاظ".

فهل تجرأ واحد من الشيوخ الذين خرّجوا لنا تلك الفتوى بالاعتراض على تقديم باقات الزهور في الاحتفال لأنها ليست مما كان يفعله الصحابة؟ وهل احتج شيخ من شيوخ الإفتاء على كمية الزهور المبالغ بها التي تحيط بأولياء الأمر عندما نشاهدهم على شاشات التلفزيون وهم يصافحون الزائرات الغربيات؟

---

[1] خالد العبود، إيلاف 2007/7/9.
[2] نفس المصدر.
[3] ماجد الكناني، الشرق الأوسط 2009/11/23.

3. التأمين على الحياة أو ضد الحريق أو الاشتراك في أقساط شهرية من أجل ضمان دخل للعامل بعد التعاقد، كلها حرام في الشريعة الإسلامية "الغراء" كما يظهر من فتاواهم، فقد أفتى الشيخ السعودي العثيمين بحرمة التأمين على الحياة، فقال:

"التأمين على الحياة ما أعرف معناه تماماً ولكن ما أظن أحداً يؤمن على الحياة لأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ولا ينفع فيه التأمين وإذا كان التأمين يراد به أن الإنسان يدفع دراهم في مقابل أنه إذا مات يُضمَّن لورثته شيء معين من المال فهذا حرام لأنه من الميسر إذ أن الدافع مغامر فلا يدري أيكسب أكثر مما دفع أو أقل وكل معاملة تكون دائرة بين الغنم والغرم فإنها من الميسر المحرم الذي لا يجوز إلا ما استثناه الشرع في مسألة الرهان على الخف والنصل والحافر." [4]

كما أفتى الشيخ جاد الحق علي جاد الحق بتاريخ 12:1980/14، بحرمة التأمين ضد الحريق، فقال:

"إذا كان واقع عقد التأمين من وجهة هذا القانون أنه يعتبر عملية احتمالية حيث جاءت أحكامه فى الباب الرابع من كتاب العقود تحت عنوان عقود الغرر لأن مقابل القسط ليس أمرا محققا، فإذا لم يتحقق الخطر فإن المؤمن لن يدفع شيئا ويكون هو الكاسب، وإذا تحقق الخطر ووقع الحريق مثلا فسيدفع المؤمن إلى المؤمن له مبلغا لا يتناسب مع القسط المدفوع، ويكون هذا الأخير هو صاحب الحظ الأوفى فى الأخذ، وبذلك يتوقف أيهما الآخذ ومقدار ما يأخذه من عملية التأمين على الصدفة وحدها، وإذا صور الضمان والتضمين في الشريعة الإسلامية لنحتكم إليها في مشروعيةهذا العقد أو مخالفته لقواعدها." [5]. انتهى

فكل أنواع التأمين على السيارات أو ضد الحوادث الشخصية، أو التأمين الصحي، كلها حرام لأنها تُعتبر "بيع غرر" لا يعرف المشتري ما ينتج عنه إلا مستقبلاً. ولكن عندما سمحت المملكة السعودية بإنشاء شركات التأمين التي أصبحت تدفع عوائد أكبر من شركات تأمين دول الخليج، مما أدى إلى تحول أغلب الذين يشترون صكوك التأمين إلى الشركات السعودية، **لم ينطق ولا شيخ واحد بحرمة هذا العمل لأن شركات التأمين تستأجرهم كمستشارين شرعيين.**

شدد أحد الخبراء الاقتصاديين في السعودية على أن الخدمات الصحية المقدمة من وزارة الصحة حالياً لا تستطيع مواكبة التزايد المستمر في عدد السكان سواء مواطنين أو مقيمين، مشدداً على دور المؤسسة العامة للمعاشات والتقاعد ومؤسسة التأمينات الاجتماعية في التأمين على متقاعديها، إلى جانب دور الضمان الاجتماعي ووزارة الشؤون الاجتماعية في توفير وثائق التأمين الصحي للمواطنين المعتمدين لديها من غير العاملين أو العاجزين، وهو ما يراه يساعد في تسريع انهاء اجراءات إلزامية التطبيق للتأمين الطبي وصدر نظام الضمان الصحي التعاوني في المملكة العربية السعودية بقرار مجلس الوزراء رقم (71) بتاريخ 1420/4/27هـ الموافق 1999/8/11 م. [6]

ولم ينبس أي من الشيوخ ببنت شفه ليقول إن التأمين على الصحة بيع غرر.

4. من المعروف أن شيوخ الوهابية *يبنون مذهبهم على كراهية غير المسلم، وخاصة كراهية المسيحي*، ودفع المسلمين إلى عدم التشبه بالكافرين، وعدم تقليدهم في أعيادهم وعاداتهم واحتفالاتهم. ولكن عندما قرر أحد الأمراء إنشاء فرع لحركة الكشافة العالمية التي كان قد أسسها الإنكليزي بادن باول للشباب في عام 1908، وأصبحت لها فروع في جميع أنحاء العالم، لم يعترض شيوخ الوهابية على هذه البدعة. وأصبحت الدولة تحتفل بعيد الكشاف سنوياً

"عقد الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض أمس اجتماعا مع العاهل السويدي كارل گوستاف السادس عشر وذلك بمركز الملك فهد الثقافي في الرياض، وناقش معه العديد من الموضوعات التي تهم الحركة الكشفية وسبل تطويرها، وفي نهاية الاجتماع منح ملك السويد الأمير سلمان بن عبد العزيز زمالة بادن باول الكشفية. كما ألقى الدكتور عبد الله العبيد كلمة رحب فيها بالحضور، واوضح أن إرادة الجميع تمثلت في تعزيز مبادئ السلام وترسيخ ذلك من خلال تربية الاجيال الذي يتمثل في جانب منه بإقامة هذا المعرض ومن خلال تحقيق اهداف جمعية الكشافة العربية السعودية التي تسعى إلى نشر الثقافة الكشفية وتشجيعها وتنظيمها في انحاء المملكة وفق الأسس والمبادئ الكشفية العالمية وتوجيه الشباب وإعدادهم خلقيا وثقافيا واجتماعيا، وأبرز مبادرة خادم الحرمين الشريفين برعاية هدية السلام إيمانا منه بأهمية الكشافة في نشر السلام في العالم، ورأى انها بدأت تثمر بجمع كلمة 28 مليونا من الشباب على كلمة السلام والوئام، معتبرا هذا المعرض الكشفي العالمي للسلام الذي يقام على وطن السلام احد هذه الثمار إلى جانب ما شهدته مدينة الجبيل في ربيع 2005، حيث التقى اكثر من 2000 شاب يمثلون 85 بلدا من كافة انحاء العالم وما تم تحقيقه في صيف 2007 بالمملكة المتحدة في المخيم الكشفي العالمي الـ 21 من نشر لثقافة السلام بين الجموع المشاركة التي زادت عن 42000 كشاف، وقال «كل ذلك شاهد اخر على إسهام الكشافة في تحقيق مبدأ نشر ثقافة السلام بين مختلف المجتمعات سعيا لتطبيق مفهوم السلام على ارض الواقع»." [7]

فإذا لم يكن هذا تشبهاً بالكفار، فلا أدري ما هو التشبه بهم، ورغم ذلك لازم الصمت شيوخ الوهابية ولم ينطقوا بملمة ضد هذا الاحتفال غير الإسلامي لأن راعيه أمير.

5. أما الصور في الإسلام فأمر لا لبس فيه

(وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [**الذين يصنعون الصور يُعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم**].)

وكذلك

[لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة.] متفق عليه.

ومع ذلك بدأ شيوخ الوهابية يظهرون على الفضائيات وينشرون صورهم على مواقعهم بالإنترنت، ولا ينبسون بكلمة ضد صور الملوك والأمراء التي تزين جدران مكاتب الدولة، فوعاظ السلاطين يعرفون أن أي نقد للصور سوف يؤدي إلى فصلهم عن العمل وبالتالي تجويعهم.

6. الحج، تلك العبادة الوثنية التي ما زال المسلمون يقدسونها، يقول عنها القرآن: {ولله على الناس حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا. (آل عمران 97)}. فحج البيت ليس مطلوباً إلا لمن استطاع إليه سبيلا، وحتى محمد نفسه لم يحج إلا في آخر سنة في حياته، وحج مرة واحدة فقط. ولكن جهلاء "علماء" المسلمين، وقادتهم وعموم شعوبهم يتفاخرون بعدد المرات التي حجها كل منهم. ثم أصبح الحج مدالية يعلقها كل حاج على باب داره الذي يصبغ باللون الأبيض ويُكتب عليه "حاج"، ولكسب قلوب الشعوب المغلوبة، *أصبح الحكام يوزعون الحج كجوائز لمن لا يستطيع إليه سبيلا*، رغم أن الإسلام لا يطلب منهم ذلك. فقد تكرم خادم الحرمين الشريفين باستضافة العشرات من دول البلقان لأداء الحج على نفقته

"توجه ضيوف خادم الحرمين الشريفين البلقانيون إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج على نفقة العاهل السعودي الملك عبد الله بن عبد العزيز، وذلك بعد ظهر أمس، حيث ودعهم السفير السعودي لدى البوسنة عيد بن محمد الثقفي، إثر حفل أقيم لهم بهذه المناسبة في مركز «خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز... وهذه اللفتة تدل على العناية العظيمة التي يوليها ولاة الأمر في المملكة العربية السعودية للمسلمين في جميع أنحاء العالم».

وتابع:

---

[4] http://www.ibnothaimeen.com/all/noor/article_5433.shtml

[5] فتاوى الأزهر لمئة عام، من أحكام التأمين، التأمين ضد الحريق.

[6] خالد العبود، إيلاف 2009/10/11.

[7] الشرق الأوسط، 2008/2/24.

«إلى جانب 90 حاجا من البوسنة وكرواتيا وصربيا سينزلون ضيوفا على خادم الحرمين، هناك ضيوف أيضا من دول أوروبا الشرقية والبلقان والقوقاز ووسط آسيا وأفريقيا، وهي البوسنة وألبانيا وكوسوفو وكازاخستان وتركمانستان وطاجيكستان وأرمينيا وقبرص وصربيا ورومانيا وأوكرانيا وكرواتيا وأوزبكستان وقيرغيزستان وأذربيجان وبلغاريا والتشيك ومقدونيا واليونان وروسيا البيضاء وغينيا كوناكري، إلى جانب ضيوف من دول أخرى»، وأشار السفير السعودي إلى أن خادم الحرمين الشريفين استضاف حتى موسم حج العام الماضي 14068 حاجا، مما يعني أن الرقم تجاوز الـ 15 ألفا هذا العام." [8]

ولم نسمع شيخاً واحداً ينصح خادم الحرمين بأن الحج يجب أن يكون من مدخرات الحاج نفسه، وإلا لا يكلفه الله بحج البيت العتيق. **ولكن مَن منهم يستطيع أن ينصح الملك؟** ونسي الشيوخ الأحاديث التي يرددونها علينا مثل: [**خير الجهاد كلمة حق عند سلطانٍ جائر**].

7. وكي لا تفوت فرصة اكتساب الأجر على وزير الداخلية، فقد

"وجه الأمير نايف بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية السعودي باستضافة أسر شهداء الواجب من الضباط والأفراد الذين سقطوا خلال المواجهات مع الفئات الضالة وذوي الفكر المنحرف في جميع أنحاء المملكة، لأداء مناسك الحج لهذا العام، وذلك وفق المتبع في كل موسم، على نفقة وزارة الداخلية." [9]

وما علينا من الآية التي تقول: {**ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها**}. الأرامل يتسولن في شوارع الرياض ووزارة الداخلية تصرف الأموال على أسر الضحايا لأداء الحج الذي لا يكلفهم الله به، والشيوخ قد حط على رؤوسهم الرخم فهم لا ينطقون.

8. من المعروف في جميع دول العالم في هذا العصر الحديث، أن الانتاج هو عبارة عن سلعة يبيعها العامل إلى صاحب المصنع، وبالتالي من حق العامل أن يرفض بيع سلعته إذا لم يرق له السعر المعروض، ورفض انتاج السلع هو ما تعارف على تسميته ب "الإضراب" وقد يخرج العمال في مظاهرات لحشد التأييد لموقفهم. ولكن وعاظ السلاطين الذين يهتمون برضاء ولي أمرهم وصاحب نعمتهم أكثر من اهتمامهم بالعمال، قد خرجوا علينا بفتاوى تُحرّم الإضراب والمظاهرات في الدول الإسلامية.

"اعتبر رئيس المجلس الأعلى للقضاء في السعودية الشيخ صالح اللحيدان أن المظاهرات التي شهدها الشارع العربي ضد غارات إسرائيل على قطاع غزة من قبيل "الفساد في الأرض، وليست من الصلاح والإصلاح ... ونقلت صحيفة الحياة اللندنية عن اللحيدان قوله خلال محاضرة القاها الجمعة في جامع الإمام تركي بن عبدالله بالرياض قوله إن المظاهرات حتى إذا لم تشهد أعمالاً تخريبية "فهي تصد الناس عن ذكر الله، وربما اضطروا إلى أن يحصل منهم عمل تخريبي لم يقصدوه". وأضاف متعجباً: "متى كانت المظاهرات والتجمعات تصلح"[10].

وتسابق شيوخ الإسلام للركوب على قطار تلك الفتوى، فتبعتها فتاوى من مصر ومن الأردن ومن الكويت تُحرّم المظاهرات والإضرابات.

ولا يسعنا إلا أن نذكرهم بقرآنهم:

{ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يُردوا إلى عذاب عظيم. وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم. (التوبة 101، 102)**}.**

عودة إلى الفهرس

[8] عبد الباقي خليفة، الشرق الأوسط 2009/11/22.
[9] الشرق الأوسط، 2009/11/23.
[10] آفاق 2009/1/4.

182 - إنجازات الحوار المتمدن

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=194151

تحتفل الحوار المتمدن بعيد ميلادها الثامن هذا الشهر، وبعد أن نبارك لها هذا العيد نسأل أنفسنا ونسأل هيئة التحرير إن كانت "الحوار المتمدن" قد أنجزت ما كان يصبو إليه محرروها؟ وبما أن الحوار قد أعلنت منذ يومها الأول أنها *صحيفة علمانية يسارية*، فعلينا أن نقرر إذا كانت قد خدمت الاتجاهات اليسارية أو العلمانية أو كليهما.

لو لم تظهر "الحوار المتمدن" هل كان وضع اليسار قد تغير إلى الأسوأ؟ بالطبع لا يمكننا أن نجيب بالإيجاب على هذا السؤال لأن وضع اليسار تتحكم فيه عوامل عدة، أهمها رأس المال الذي تتحكم به الدول الغنية التي تحاول دائماً استغلال العمال والطبقات المهمشة في المجتمعات الإنسانية. ورغم التقدم الذي أحرزه العمال عامةً واليسار خاصةً في القرن العشرين، فقد بدأت عجلة الزمن تدور عكس مصالحهم مما أدى إلى انخفاض ملحوظ في عضوية اتحادات العمال وفي عضوية الأحزاب الشيوعية واليسارية عامةً.

وبالطبع لا يمكننا أن نتوقع من "الحوار المتمدن" أن تغير هذا الواقع العالمي، ولكن كان للحوار أثرٌ كبير في نشر مفاهيم وثقافة اليسار، خاصة في أوساط الأجيال الشابة التي لم تعاصر ثورات العمال والمزارعين في سبعينات القرن المنصرم. وحتى في أوساط المخضرمين الذين عاصروا تلك الثورات ولكنهم لم يتفاعلوا معها لأسباب أيديولوجية. فأنا مثلاً قد كنت منتمياً لجماعة الإخوان المسلمين في تلك الحقبة، ولذلك لم أهتم بأجندة اليسار ولم أقرأ أي شيء عن الشيوعية والاشتراكية. ولكن بفضل الحوار المتمدن وكُتابها البارزين من أمثال السيد فؤاد النمري وغيره، فقد توسعت معرفتي بالشيوعية والاشتراكية وكل ما يتصل باليسار. ولا شك هناك كثيرون غيري قد استفادوا من هذا الزخم الكبير من الكتابات الاشتراكية بالموقع، ولذلك يمكننا أن نقول إن الحوار المتمدن قد ساهمت بقدر كبير في نشر مفاهيم اليسار الاشتراكي.

وماذا عن العلمانية، هل ساعدت الحوار المتمدن في التقارب بين اليسار والعلمانية؟ في اعتقادي أن العلمانية، إذا كنا نقصد بها فصل الدين عن الدولة ومحاربة استغلال البسطاء بواسطة المتاجرين بالدين، فلا شك أن الحوار المتمدن قد دمجت الاثنين معاً وأصبح اليسار والعلمانية شيئا واحداً. فكل كتابات العلمانيين بالحوار تصب في نفس مصب اليسار، والعكس صحيح. وما يميز الحوار المتمدن عن غيرها من المواقع الالكترونية هو رحابة صدر الحوار وإفساح المجال للإسلامويين والبعثيين والقوميين وغيرهم لعرض بضاعتهم بالحوار رغم أنها صحيفة يسارية علمانية. *وهذا يدل على أن الأفكار اليسارية لا تخشى طرح الأفكار المعارضة*، وهو عكس ما يفعله المتاجرون بالدين الإسلامي الذين يصادرون كل ما يختلف معهم من الآراء. وبهذا تكون الحوار المتمدن قد خدمت اليسار بإثبات أنه لا يخشى عرض الأفكار البالية.

بالنسبة للمرأة فقد فتحت الحوار المتمدن ذراعيها لاحتضان الكاتبات من جميع المشارب الأيديولوجية والثقافية، ولا يكاد يخلو أي عدد من الحوار من مواضيع عن حقوق المرأة ومساواتها بالرجل، غير أن مثل هذه الأمور لا تأتي أكلها في ثمان أو عشر سنوات. فعلى الحوار المتمدن أن تستمر في مشوارها الطويل.

هل يعني هذا أن الحوار المتمدن قد أنجزت كل ما كان يصبو إليه محرروها وأصبحت فوق النقد؟ بالطبع لا. فهناك نقاط تستحق إعادة النظر فيها. فمثلاً تنشر الحوار يومياً مقالات عديدة بلا تاريخ، وعندما يود الكاتب أن يستشهد بمقال من الحوار، لا يستطيع أن يحدد التاريخ الذي نُشر به المقال. ولأن الحوار تنشر عدة مقالات في اليوم، يصبح من المستحيل على هيئة التحرير قراءة كل تعليقات القراء قبل نشرها، مما يؤدي إلى نشر تعليقات مخالفة لقواعد النشر وبها إساءات شخصية للكاتب أو الكاتبة. وكذلك فإن الحوار تسمح للمهرجين بنشر عدة تعليقات من كاتب واحد تفوق في مجموعها عدد كلمات المقال الأصلي.

ولكن في العموم فإن الحوار قد استحقت أن تلبس تاج الصحافة بفخر في عيد ميلادها الثامن.

عودة إلى الفهرس

2009 / 12 / 14

183 - على نفسها جنت براقش - النباح حول المآذن

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=195146

لا شيء يكشف نفاق أهل الإسلام أكثر من حقوق الإنسان التي يتباكون عليها عندما يكون الأمر محصوراً في أوروبا، ويتنكرون لها في بلاد الإسلام. وأهم بند في منظومة حقوق الإنسان هو حرية الاعتقاد وضمان ممارسة الفرد شعائر دينه دون أي تدخل من الدولة. واعتماداً على هذا البند، صال الإسلاميون وجالوا عندما صَوَّت مواطنو سويسرا على حظر بناء المآذن فوق المساجد، لأن المآذن ترمز إلى ادعاء المسلمين الرفعة والعلو على مواطني تلك الدول.

ونسبة **لكذب المسلمين ونفاقهم**، لم يذكر أي واحد منهم أن سويسرا لم تمنع بناء المساجد، وإنما منعت بناء المآذن.

ولكن لأن المسلمين قد وثّنوا رموز دينهم، وألّهو نبيهم، أصبح الحجاب، والمآذن، وقبور الأولياء تمثل لهم الدين الصحيح، ونسوا أو تناسوا أن جوهر الدين هو المعاملة الحسنة وتقبل المختلف باعتبار أنه أخ في الإنسانية. ("عامل غيرك كما تحب أن يعاملك غيرك" من أقوال المسيح.)

فما دامت سويسرا تسمح ببناء المساجد، وبها أكثر من مائتي مسجد، أربعة منها بمآذن، وبها حوالي 400 ألف مسلم، عشرة بالمائة فقط منهم يحملون الجنسية السويسرية، ما هو السبب وراء كل هذه الزوبعة؟ السبب الرئيسي هو رغبة المسلمين، ممثلة في جماعة الإخوان المسلمين، في السيطرة على أوروبا وتحويلها إلى بلاد إسلامية بعد أن تتضاعف أعداد المسلمين المهاجرين إليها.

وما المآذن إلا حجة واهية. فالإسلام لم يعرف بناء المآذن إلا في خلافة بني أمية.

فمسجد الرسول الذي بناه محمد كان عبارة عن بناء من الطين وسقفه من الجريد، وكان بلال يؤذن أمام المسجد، وفي بعض المرات كان يصعد على سطح أحد المنازل ليؤذن حتى يسمع الناس صوته. ومسجد عمرو بن العاص الذي بناه في مصر عام 673 ميلادية كان به أربعة مربعات صغيرة على أركان السقف، ولم تكن تُستعمل للأذان. واستمر بناء المربعات الصغيرة على سطوح المساجد في سوريا والمغرب حتى النصف الثاني من القرن الثالث عشر. أما المئذنة الطويلة وبها درج لصعود المؤذن، فأول ما بُنيت كان في سامراء في العراق في منتصف القرن التاسع، ثم في القاهرة.

أما المسجد الأقصى الذي شُرع في بنائه في عام 685 م في عهد بني أمية، واكتمل بناؤه عام 715 م لم تكن به مآذن. أول مئذنة بُنيت به كانت مئذنة باب المغاربة التي بُنيت عام 1278 م، ثم مئذنة باب الغوانمة عام 1297، ثم مئذنة باب السلسلة عام 1329 م، ومئذنة باب الأسباط عام 1367.

فهل كانت صلاة محمد وأصحابة وصلاة بقية المسلمين حتى بناء مآذن الأقصى، صلاة ناقصة لأن المساجد لم تكن بها مآذن؟

وأغلب المآذن في القدس ومصر والشام بُنيت في عهد *المماليك الذين لم يكونوا يعرفون من الإسلام غير اسمه*، **لذلك بالغوا في بناء المآذن العالية ليثبتوا للناس أنهم حريصون على الإسلام ويعزّونه أكثر مما يعزه بقية المسلمين**. ومن وقتها أصبح التمسك بقشور الإسلام هو ديدن المسلمين. ولذلك نقرأ الآن في الصحف عن المسابقة بين الحكام المسلمين لبناء أضخم مسجد في العالم أو لبناء أطول مئذنة. ففي المغرب يبلغ ارتفاع مئذنة مسجد الحسن الثاني في الدار البيضاء 210 متراً. ولكن إيران تود أن يكون لها قصب السبق في بناء أطول مئذنة أو منارة، وما زال البناء جارياً في منارتين، يبلغ طول كلٍ منهما 230 متراً. وهذا يذكرنا بما قاله فرعون لهامان عندما طلب منه أن يبني له صرحاً عالياً يوصله إلى السماء {**وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعليّ أبلغ الأسباب.** (غافر 36)}.

ولم نستغرب عندما هاجم الشيخ القرضاوي، رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ورئيس المجلس الأوروبي للبحوث والإفتاء، قرار الشعب السويسري حظر بناء المساجد، فقال:

> "إن حظر بناء المآذن في بعض البلاد الأوروبية سوف يؤدي إلى إثارة ضغائن المسلمين وزرع الحقد في نفوسهم. وقال كذلك في خطبة الجمعة بمسجد عمر بن الخطاب بالدوحة: إن السماح للمسلمين في الغرب بإظهار شعائر دينهم من خلال المساجد والمآذن يشعرهم بأن الناس متساوون وأنهم يتمتعون بنفس الحقوق التي يحظى بها أتباع الديانات الأخرى." [1]

يا للكذب والهراء، فبريطانيا بها أكثر من 1550 مسجداً بمآذن عالية، فإذا كانت المآذن تشعرهم بأنهم متساوون مع البقية ولهم نفس الحقوق، لماذا يتآمرون على تفجير الحافلات وقطارات الأنفاق، ولماذا يصدح أبو حمزة المصري، وعمر بكري والغنوشي وغيرهم **بأن علم الإسلام سوف يرفرف على قصر بكنغهام؟**

وقد تجاهل الشيخ القرضاوي عندما قال:

> إن حظر بناء المآذن في بعض البلاد الأوروبية سوف يؤدي إلى إثارة ضغائن المسلمين وزرع الحقد في نفوسهم،

فضغائن المسلمين ظلت مثارة ضد النصارى واليهود منذ أن أحرق محمد نخيل بني النضير وأباد بني قريظة. وهاهو الشيخ السعودي الفوزان قد أصدر *فتوى تكفر الليبراليين العرب*،

> "لأنهم يدعون بمساواة المواطنة بين المسلم وغيره في إطار الدولة الحديثة؛ ما اعتبره الشيخ تحدياً للشريعة الإسلامية، وذاك في مقتضى رده على سؤال عن الفكر الذي يدعو إلى الحرية التي لا ضابط لها إلا القانون الوضعي حيث يتم المساواة بين المسلم والكافر بدعوى التعددية، ويجعل لكل فرد حريته الشخصية التي لا تخضع لقيود الشريعة ويحاد بعض الأحكام الشرعية التي تناقضه؛ كالأحكام المتعلقة بالمرأة، أو بالعلاقة مع الكفار، أو بإنكار المنكر، أو أحكام الجهاد، الأحكام التي يرى فيها مناقضة لليبرالية، حسب نص السؤال الموجه إليه." [2]

فمساواة المسلم بغيره التي يقول بها القرضاوي، يعتبرها الفوزان ردة عن الإسلام. فالمسلم يعلو ولا يُعلى عليه.

والمسلمون لا يكفون عن القول *إن كلّ مَحدث بدعة، وكل بدعة ضلالة*. وبما أن المآذن لم تكن موجودة في عصر محمد، فلا بد أنها بدعة، وقد سُئل مفتي مصر الأسبق، الشيخ عطية صقر نفس هذا السؤال في عام 1997، فرد عليه بالآتي:

> "من المعلوم أن الأذان شرع لإعلام الناس بدخول وقت الصلاة وندائهم لشهود صلاة الجماعة فى المسجد ، وهو علامة على أن أهل هذا الحى الذى أذن فيه مسلمون. ومن أجل كثرة من يستجيبون للأذان فيصلون، وكثرة من يسمعون ليشهدوا للمؤذن، كان من السنة رفع الصوت بأقصى ما يمكن، ولهذا استحان الأولون عليه بأن يؤذن المؤذن على مكان مرتفع، وحدث فى أيام النبى صلى الله عليه وسلم أن بلالا كان يؤذن من فوق بناء مرتفع بجوار المسجد، فاتخاذ مكان عال للأذان عليه مشروع ومستحب، وتبعا لسنة التطور بنيت أبراج عالية فى المساجد للأذان، وهى التى تسمى بالمآذن أو المنارات، لأن الأنوار كانت ترفع عليها فى مناسبات الأفراح"

---

[1] الشرق الأوسط 9 نوفمبر 2009.

[2] محمد العلي، إيلاف، 2007/6/21.

وأضاف الشيخ:

"وأما البدعة - في الشرع - إذا كان فيها إعانة على طاعة شرعية، فإنها تكون بإذن من الشارع، ولو بطريق الإشارة، كما تقدم، فهي بدعة حسنة، فلا تدخل تحت: كلُّ بدعة - في الشرع - ضلالة" انتهى.

فما دام الأذان من على المئذنة العالية الغرض منه إعلان أن أهل ذلك الحي مسلمون، هل نلوم أهل سويسرا إذا منعوا بناء المآذن لأنها تتغول على أحيائهم؟ ثم أن الشيخ يقول:"وتبعا لسنة التطور بنيت أبراج عالية في المساجد للأذان." فهل سنة التطور اقتصرت فقط على بناء المآذن، أم أنها تمتد إلى التطور المذهل في حقل الإنترنت الذي جعل لكل مسلم لديه جهاز كمبيوتر أن يُشغّل الجهاز ليرفع له صوت الأذان في موعدة، خمسة مرات في اليوم، وحتى إن لم يكن له جهاز كمبيوتر، فلا بد أن لديه تلفون موبايل أو ساعة منبه، وكلها تستطيع أن تخبر المسلم بمواعيد الصلاة دون أي حاجة للمئذنة والمؤذن. فلماذا نأخذ بسنة التطور عندما توافقنا، ثم نتركها إذا تعارضت مع أهدافنا؟ وكيف تكون البدعة حسنة إذا خدمت الشريعة، والحديث النبوي يقول [كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار]؟

ويبدو أن شيوخ المسلمين تهمهم حرية العبادة فقط في أوروبا وأمريكا، فعندما سئل أحد شيوخ الإفتاء في السعودية عن الحكم في بناء الكنائس في جزيرتهم الطاهرة، أحال السؤال إلى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، وعضوية كل من الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الغديان، بكر بن عبد الله أبو زيد، وصالح بن فوزان الفوزان، بتاريخ 1421/1/5 هجرية، فأفتت اللجنة الموقرة بالآتي:

«كل دين غير دين الاسلام فهو كفر وضلال. وكل مكان يعد للعباده على غير دين الاسلام، فهو كفر وضلال. ومن زعم ان اليهود على حق او النصارى على حق سواء كان منهم او من غيرهم فهو مكذب لكتاب الله واجماع الامه، وهو مرتد عن الاسلام. ولهذا صار من ضروريات الدين تحريم الكفر الذي يقتضي تحريم التعبد لله على خلاف ما جاء في شريعة الاسلام. وتحريم بناء معابد يهوديه او نصرانيه او غيرها. سواء كانت كنيسه أو معبد تعتبر معابد كفريه. ولهذا اجمع العلماء على تحريم بناء المعابد الكفريه مثل الكنائس في بلاد المسلمين، ولا يكون فيها من شعائر الكفار لا كنائس ولا غيرها... ويجب هدم الكنائس والمعابد الكفريه اذا احدثت في الاسلام.» انتهى.

وحتى لا يهب المدافعون عن الإسلام ويقولوا إن هذه الفتوى أتت من شيوخ الوهابية المتزمتين، دعونا نقرأ ما أفتى به الإخوان المسلمون في مصر، ففي فتوى أصدرها الشيخ محمد عبدالله الخطيب يقول فيها عن حكم بناء الكنائس في ديار الإسلام،

«هناك ثلاثة أنواع من البلاد: الأول: بلاد أحدثها المسلمون وأقاموها كالمعادي والعاشر من رمضان وحلوان، وهذه البلاد وأمثالها لا يجوز فيها إحداث كنيسة ولا بيعة، والثاني ما فتحه المسلمون من البلاد بالقوة كالإسكندرية بمصر والقسطنطينية بتركيا، فهذه أيضاً لا يجوز بناء هذه الأشياء فيها، وبعض العلماء قال بوجوب الهدم لأنها مملوكة للمسلمين، والقسم الثالث: ما فتح صلحاً بين المسلمين وبين سكانها، والمختار هو إبقاء ما وجد بها من كنائس وبيع على ما هي عليه في وقت الفتح، ‹ومنع بناء أو إعادة بناء ما هدم منها›، وهو رأي الشافعي وأحمد إلا إذا اشترطوا في عقد الصلح مع الإمام إقامتها، فعهدهم إلي أن يكثر المسلمون علي البلد، وواضح أنه لا يجوز إحداث كنيسة في دار الإسلام.» انتهى.

وواضح من هذه الفتاوى أن المسلمين يؤمنون بالمعاملة بالمثل فقط في حالات الغزوات والحروب لأن القرآن يقول لهم:

{فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم. (البقرة 194)}.

وكذلك:

{وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به. (النحل 126)}.

فلكي يعامل المسلمون غيرهم معاملة بالمثل في السلم، لابد أن يؤمن غيرهم بنفس إيمانهم، كما يقول القرآن:

{فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق. (البقرة 137)}.

وقد تظاهر أكثر من خمسمائة شخص في برن بسويسرا احتجاجاً على نتيجة الاستفتاء الذي أباح بناء المساجد بدون مآذن:

"تظاهر نحو 500 شخص معظمهم من المسلمين امام مبنى البرلمان السويسري السبت احتجاجا على نتيجة الاستفتاء التي اظهرت رغبة غالبية السويسريين في منع بناء مآذن جديدة. ورفع المتظاهرون لافتات كتب عليها "نحن مسلمون، لسنا هتلر". واراد منظمو التظاهرة التاكيد للشعب السويسري ان الاسلام دين مسالم يوصي المؤمنين به باحترام الاديان الاخرى"[3].

وقد تجاهل المتظاهرون أن يخبروا الشعب السويسري أن الدين الإسلامي الذي يوصي باحترام الأديان الأخرى، يقول قرآنه:

{ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين}.

وإذا كانت حرية العبادة هي سبب التظاهرات في الغرب وفي بلاد المسلمين،

فقد أحرق المستوطنون في الضفة الغربية، في قرية ياسوف بالقرب من مدينة نابلس مسجداً ودمروه بالكامل[4].
وكذلك منعت إسرائيل الشيخ عكرمة صبري، إمام وخطيب المسجد الأقصى من دخول المسجد الأقصى لأداء الصلاة ، ولم يحتج على هذا التعدي على حرية العبادة إلا النائب الأردني أحمد الطيبي[5].

والظاهر هنا أن المسلمين يعرفون أن الإسرائيليين أقوى منهم ويعرفون القرآن أكثر مما يعرفه المسلمون أنفسهم، ولذلك لا يتظاهرون عندما تحرق إسرائيل المساجد لأنهم لا يستطيعون أن يقولوا للإسرائيليين إن الإسلام يوصي المؤمنين به أن يحترموا الأديان الأخرى، **لأن الإسرائيليين يعرفون ما فعله محمد ببني قريظة وبني النضير.**

وكما جنت براقش على نفسها بنباحها عندما هاجم اللصوص القرية، فسوف يجني المتزمتون من الإسلاميين على أنفسهم وعلى غيرهم بكثرة نباحهم بسبب منع بناء المآذن، فقد بدأ الشعب الأوروبي المتسامح بالشعور بالخطر المحدق بهم من جراء هجرة اللحى والدشادش والحجاب والنقاب، فصوتوا لأحزاب اليمين المتطرف، والتي كانت مختفية طوال القرن العشرين في الأركان المظلمة من السياسة الأوروبية. ففي بريطانيا فاز حزب الجبهة القومية البريطانية British national front بمقعدين في انتخابات البرلمان الأوروبي، وكذلك ارتفع نجم أحزاب اليمين المتطرف في سويسرا، والنمسا وفرنسا. وسوف تتبع بقية دول أوروبا هذا النمط، ووقتها سوف تختفي اللحى والدشادش اختياراً حتى لا يظهر المسلم دينه، كما فعل اليهود أيام الحكم النازي.

عودة إلى الفهرس

[3] إيلاف، 2009/12/12.
[4] الشرق الأوسط 2009/12/12.
[5] إيلاف 3 ديسمبر 2009.

184 - مع القراء عن نباح الكلاب

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=195758

بعض الإسلاميين، كالمتوقع، احتجوا على استعمالي كلمة "النباح" لوصف ما يفعله المسلمون كرد فعل على كل ما يحدث في أوروبا ويمس الإسلام. وبعض القراء المتعاطفين مع طرحي لم يعجبهم استعمال كلمة "النباح" لأن ذلك ينقص من قدر الكاتب لأنه قد نزل إلى مستوى الإسلاميين، ومع احترامي لآرائهم سوف أرد عليهم في هذا المقال.
قبل أن أقدم شكري إلى القراء الذين ساندوني، سوف أرد على المعترضين.

- عبد الله بوفيم، صاحب التعليق رقم 4، يقول:

"كلامك في بعض منه مفيد وقد يكون منطقيا وعلميا واستدللت بالقرآن الكريم، ومن حيث لم تعي، ولكن رغم ذلك فانك لم تنل بعد التربية الكافية، لأنك عندما وصفت كلام المسلمين بالنباح تكون سميتهم الكلاب وبذلك تكون منطلقا من محيطك الذي تربيت فيه والذي لا تسمع فيه ربما إلا النباح والنهيق كنت بداية الأمر احسبك عاقلا ودكتورا لكنك متصابي يا كامل بالإسم لكنك في الحقيقة ما تزال ناقصا وهيهات أن تكون كامل العقل والمنطق." انتهى.

KN وأنا أشكر السيد بوفيم على لغته المهذبة، وأؤكد له أن تربيتي مستقاة من القرآن لأني تربيت على أيدي الإخوان المسلمين. فإذا كان تشبيهي لهرج المسلمين بنباح الكلاب يدل على سوء التربية، فالرجاء من السيد بوفيم أن يخبرنا عن تربية مَن يقول:

{ما سلككم في سقر. قالوا لم نك من المصلين. ولم نك نطعم المسكين. وكنا نخوض مع الخائطين، وكنا نكذب بيوم الدين. حتى أتانا اليقين. فما تنفعهم شفاعة الشافعين. فمالهم عن الذاكرة معرضين. كأنهم حمرٌ مستنفرة. فرت من قسورة. (المدثر 42 - 51)**}.**

هؤلاء الناس البسطاء لم يقترفوا أي جريمة أو إثم. كل ما فعلوه أنهم لم يصلوا ولم يطعموا المسكين، ومع ذلك وصفهم القرآن بالحمير النافرة من الأسد.
ويقول القرآن عن الذي لم يستمع لرسالة السماء:

{ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا. (الأعراف 176)**}.**

فكل من لم يؤمن برسالة محمد، شبهه الله بالكلب.
واستمع إلى لقمان ينصح ابنه:

{ولا تصعر خدك للناس ولا تمشي في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور. واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير. (لقمان 18، 19)**}.**

فقط لكونه صعر خده للناس ومشى في الأرض مرحاً ورفع صوته، وصف الله صوته بصوت الحمير. ولو وصفت أنا أصوات بعض المؤذنين التي تنبعث من مكبرات الصوت على المآذن، بصوت الحمير، لقامت قائمة السيد بوفيم. **وأصوات بعض المؤذنين أنكر من صوت الحمير.**
وقد وصف القرآن الذين لم يستجيبوا لقصص محمد بأنهم صمٌ بُكمٌ عميٌ:

{مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يرجعون. (البقرة 17، 18)**}.**

وفي هذا الوصف تحقير وإذلال للأعمى والأبكم والأطرش، الذين لا ذنب لهم فيما أصابهم (بإذن الله).
وماذا عن وصفه بني إسرائيل بالقوم الفاسقين بعد أن كانوا شعبه المختار:

{قال إنها محرمة عليهم أربعين سنة يتوهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين. (المائدة 26)**}.**

ثم ماذا عن المستوى الخلقي لكاتب القرآن عندما نزل إلى مستوى الردح والشتم لأبي لهب، وزوجته التي لا ذنب لها فيما فعل زوجها:

{تبت يدا أبي لهب وتب. ما أغنى عنه ماله وما كسب. سيصلى ناراً ذات لهب. وامرأته حمالة الحطب. في جيدها حبل من مسد. (المسد 1 - 5)**}.**

فهاهو الله يشتم زوجة أبي لهب بكونها حمالة الحطب. هل كان يفضلها أن تكون من صاحبات الرايات اللاتي كن يكسبن قوتهن من الدعارة؟
واستمع إلى إله القرآن يصف اليهود بالحمير لأنهم لم يؤمنوا بمحمد:

{مثل الذين حُملّوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله. (الجمعة 5)**}.**

فهل يكفي هذا الردح والشتم من كاتب القرآن ليقنع السيد بوفيم أن وصف ما يفعله المسلمون من تهريج، بنباح الكلاب لا يخرج عن تربية القرآن الذي وصف كاتبه بأنه على خلق عظيم؟ فيا سيد بوفيم! الذي بيته من زجاج يجب ألا يرشق بيوت الآخرين بالحجارة.

- أما صاحب التعليق رقم 5، هادي القيسي، يقول للسيد رزكار:

"العزيز رزكار تحية خالصة هل ان وصف احتجاج المسلمين بنباح الكلاب لا يتعارض مع قوانين النشر في هذا الموقع؟ نحن نعرف ان هذا الموقع يساري ولانك ايها العزيز رزكار تسكن الغرب فحتما تعرف ان الاحزاب اليسارية وقفت ضد حظر المآذن ولا يمكن ان تقوم صحيفة يسارية بوصف احتجاج المسلمين بنباح الكلاب."

KN إذا التزم السيد رزكار بما يطلبه منه السيد القيسي، فيجب أن يحذف كل آيات القرآن المذكورة أعلاه، وكذلك أحاديث محمد التي تسفه غير المسلمين، مثل حديثه عندما قتل الأعمى الشاعرة عصماء، فقال محمد: [**لا ينتطح فيها عنزان**]. وهذا يعني أن الشاعرة عصماء أقل من العنزة ولذلك لا ينتطح فيها عنزان. وليس من المعقول أن نطلب من الصحف اليسارية منع نشر نقد الإسلام لأن ذلك يؤلب مشاعر المسلمين لكونهم حساسين أكثر من اللزوم.

- السيد الرمضاي، صاحب التعليق رقم 8، يقول:

"د كامل انا متابع متعلم مما تكتب ولا اخفيك انني اروج لمقالاتك وبصدق انني كتبت هذه الملاحظة بدافع الاستفزاز الذي اصابني من العنوان واعدك باني ساكتب ملاحظة بعد القراءة. ما استفزني د كامل هو استخدامك لصيغة الاستهزاء والتشبيه بالكلاب وانا الذي كنت اشعر بقوة الوعي عندما كنت تنتقد القران لما يرد فيه من استهزاء وتهكم وتشبية بالحيوانات."

KN أعتذر للسيد الرمضاي إذا كان قد تأذى من وصف الهرج والمرج الإسلامي وحرق السفارات وتفجير دور النشر، بنباح الكلاب. وأؤكد للسيد الرمضاي أن نباح الكلاب في الغرب ليس شتيمة، وأن الكلاب تقوم بأعمال جليلة يعجز عنها البشر، مثل الوفاء التام لصاحبه، البحث عن الجثث والناس المدفونين تحت الأنقاض، والبحث عن الأفيون وما شابهه من عقاقير مضرة يهربها تجار الأفيون

من طالبان وغيرهم. ثم أن الكلاب في الغرب تقوم بقيادة العميان وتمكينهم من الخروج من منازلهم دون الحاجة لغيرهم من البشر. فلا شك أن مثل هذا الكلب أفضل بكثير من بعض النازحين إلى الغرب ليعيشوا عالة على المجتمع ثم يهاجمونه في كل يوم.

- السيد أبو أحمد، صاحب التعليق رقم 27، يقول:

> "رغم عدم أهمية الطقوس عندي لكن هناك حقوق وليس معنى أن تنقص في مكان يجب أن تنقص في غيره لكن أعجب النفاق من المؤلفة جيوبهم هو القول بأن المهاجر المسلم الذي يسعى ليل نهارا من أجل لقمة العيش في أوروبا يسعى للسيطرة على أوروبا وتحويلها إلى دولة إسلامية فهذا لا يعدو عن كلام السُطل يبدو أن كثرة المطبلين يجعل الهز بدون عقل."

KN يا سيد أبو أحمد! ماذا حدث للمعاملة بالمثل؟ هل أصبح بناء المآذن في أوروبا حق لا ينتقص منه منع بناء الكنائس في بلاد المسلمين؟ ماذا عن قول القرآن:

{إن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به}؟

المسلمون يعاقبون المسيحيين بمنعهم من بناء الكنائس، ألا يحق للمسيحيين أن يعاقبوا المسلمين بمثل ما عوقبوا به؟ أما قوله إن المسلم المهاجر يسعى ليل نهار من أجل لقمة العيش، فقول يدعو للحياء من قائله.

> **الغالبية العظمى من النازحين المسلمين في دول أوروبا وأمريكا يعيشون على الضمان الاجتماعي ولا يستحون من سرقة المال العام على أساس أن مال الكافر مباح للمسلم.**

ولمعلومية السيد أبو أحمد أنا استشاري جراحة وراتبي يكفيني ويزيد ولا احتاج أن أكون من المؤلفة جيوبهم. وعلى كلٍ فإن تأليف الجيوب من اختراع صلعمهم عندما ألف جيوب أبي سفيان. **فلماذا تلومون الناس بما سنه محمد؟ ألا تتبعون السنة النبويةً؟**

- السيد رائد جبر، صاحب التعليق 37 يقول:

> "على كل حال على نفسها جنت براقش عندما اصطففتم كراهة في الاسلام والمسلمين مع التيار اليميني المتطرف الذي استخدم الخوف من المهاجرين وسيلة للوصول الى السلطة عند ذلك لن يفلتكم هذا الحزب النازي وربما يلتف الحبل حول رقابكم وتشنقون على اعتبار انكم شرق اوسطيون مهما ادعيتم انكم علمانيون او كنسيون او ملاحدة قد تكون هذه فرصة لليمين المتطرف النازي ان يبعث بكم الى غرف الغاز او يرسل اجسادكم لتطحن ويستخرج منها دهن يستخدم مانعا للصدأ وتسيير المركبات ؟!"

وأنا أتفق معه على أن الطوفان عندما يأتي سوف يلتهم العلمانيين مع الإسلاميين، ولا ذنب للعلمانيين غير أنهم من الشرق الأوسط، مثلهم مثل الإسلاميين. ولا يسعنا إلا أن نشكر أصحاب اللحى والدشادش على هكذا مصير. ولكن هذا لا يمنعنا من أن ننتقد ما يقومون به

- السيد ناشري، صاحب التعليق رقم 31، يقول:

> "الدكتور كامل ...حتى لو ورد بالقرآن تشبيها لاهل الكتاب بالكلب وتشبيه اليهود بالقردة والخنازير الا انني اربأ بك ان تنزل الى هذاالمستوى من الخطاب البدوي البذئ ، اخلاقك واخلاقي لاتسمح لنا باستخدام مثل هذه الالفاظ لانك توجه خطابك لمسلمين وتامل ان يسمعوا ويعوا ويعيدوا التفكير بما يعتقدونه مسلمات فهل يخاطب المعلم تلميذه بلفظ : ياحمار ..بحجة ان والد التلميذ يستخدم هذااللفظ في مخاطبة الآخرين ؟"

KN والسيد ناشري محق في تعليقه، ما كان عليّ أن أنزل إلى هذا المستوى الخطابي القرآني، ولكن في بعض الأحيان يطفح الكيل وينطق الإنسان بما لا يُستحب، كما قال الشاعر ابن السكيت:

يُصاب الفتى من عثرةٍ بلسانه   وليس يُصابُ المرء من عثرةِ الرِجلِ

ولم يبق إلا أن أشكر السيدات والسادة أبو مراد، صلاح يوسف، عصام، إبراهيم جركس، حكمت العسلي، أبو لهب المصري، السيدة أم محمد ومتمرد وحكمت، لردهم على السيد بوفيم. وأشكر السيد غريب الحاج صابر، وفيصل البيطار، والعقل زينة، ومواطن، ومايسترو، وعايد وعلي، وعلوان، وسعود الوراق لتقديمه استشارة مجانية للسيدة أم بوفيم، وكنعان شماس ارميا، وصباح إبراهيم، وحسن الشامي، ويوسف العراقي، ووائل، وسارة، ويوسف إبراهيم وأحب أن أطمئنه أن الكلبة السوداء في طريقها إليه وقد تأكدت شخصياً من السيد بوفيم. وكذلك أشكر السيد شاكر وعبد الله السيد، وزينة وأبو صليب وبرادير، ومحمد بودواهي، وشوقي ومشاري الكويتي، وأعتذر لمن سقط اسمه من قائمة الشكر.

عودة إلى الفهرس

2009 / 12 / 22

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=196216

يردد الإسلاميون عبارات جوفاء محفوظة، تخلو من أي معنى حقيقي. فكثيراً ما نسمعهم يقولون "لا تخلطوا بين الإسلام والمسلمين"، أو "لا تحسبوا أخطاء المسلمين على الإسلام". ثم يزيدون الطين بلة بأن يحاولوا إرجاعنا إلى عصر الإسلام الذهبي، الذي لا يوجد إلا في مخيلتهم.

فهل يمكن الفصل بين ما يفعله المسلمون وبين الإسلام؟

كل التجارب العلمية يُحكم عليها بنتائجها. فإذا كانت نتيجة التجربة لا تخلص إلى ما ادعاه أو زعمه صاحب النظرية العلمية، يُحكم على تلك النظرية بالفشل، ويُلقى بها في سلة المهملات، ويبحث الباحثون عن بديل لها. فالمسلمون، منذ بدء الإسلام وحتى يومنا هذا، توارثوا القرآن والأحاديث والسيرة النبوية. وكل هذه الموروثات هي الأساس الذي يتربى عليه المسلم منذ الصغر. فإذا كان الإسلام يوصي المسلم بألا يسرق، ويظل المسلم يسرق، فهناك خللٌ في أحد أطراف المعادلة. فإما أن يكون المسلم لا يتبع تعاليم دينه، أو أن دينه غير قابل للتطبيق. فلو كان الذي يسرق شخصٌ واحد أو مائة أو ألف، وبقية المسلمين لا يسرقون، فليس هناك من شك في أن العيب في القلة الذين يسرقون. ولكن إذا كان غالبية المسلمين يسرقون، في حين أن تعاليم الإسلام تنهاهم عن السرقة، فحتماً يكون الخلل في تعاليم الإسلام التي فشل المسلمون في تطبيقها على مدى ألف وأربعمائة عام. فالإله الذي أصدر هذه التعاليم، كان لا شك يعرف الحكمة التي تقول "إذا أردت أن تُطاع، فأمر بالمستطاع".

فأي تعاليم يعجز أتباع الأديان عن إتباعها، تكون تعاليم نظرية لا فائدة تُرجى منها، ووجودها مثل عدمه. وعليه، لا يمكن الفصل بين ما يفعله المسلمون، وبين تعاليم دينهم.

فأي أفعال يقوم بها المسلمون، خاصة المتدينين منهم، لا بد أنّ لها سنداً في القرآن أو السنة، وإلا لما فعلوها.
تعاليم الأديان، التي هي من صنع الإنسان، الغرض منها شحذ همة المؤمن بها على فعل الخير والامتناع عن الأفعال المشينة. وتشترك كل الأديان في أبجديات السلوك القويم، مثل: لا تسرق، لا تقتل، لا تزني، لا تكذب، تصدق ببعض مالك للفقراء، وساعد الأيتام، وما إلى ذلك.

فهل غيّرَ الإسلام في سلوكيات العرب على مدى الألف والأربعمائة عام الماضية †، وهل كان المسلمون الأوائل أكثر إسلاماً من مسلمي اليوم؟

أي بمعنى آخر:

هل كان في بدء الإسلام عصرٌ ذهبي، اختفى بالتدريج من حياة الأجيال اللاحقة؟

هذا السؤال طرحته عليّ السيدة الفضلى أم محمد، في تعليقها على آخر مقال لي عن المآذن، وسوف أحاول هنا الرد عليه.
فلنبدأ من الصفر، يوم دخل محمد المدينة وبايع الأنصار وكوّن جيشه العرمرم. فماذا فعل المسلمون الأوائل بتعاليم الإسلام، بل ماذا فعل نبي الإسلام نفسه بتلك التعاليم؟

1. *لا تقتل*

{من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً. (المائدة 32)**}.**

وهذه الوصية وصية جميلة جداً، لا تختلف عن وصايا موسى في التوراة ويسوع في الإنجيل. ولكن هل اتبع محمد هذه الوصية، وهل اتبعها أصحابه ومَن عاصرهم؟

محمد حتماً كان أول من سنّ سنة الاغتيالات السياسية في جزيرة العرب.

العرب كانوا يقتلون من أجل الثأر، فجاء محمد وأدخل الاغتيالات السياسية عندما أمر أتباعه بقتل كعب بن الأشرق، وابن أبي الحقيق، والشاعرة عصماء، وابن أبي رافعة، وخالد بن سفيان بن نبيخ الهذالي وغيرهم. كل هؤلاء اغتيلوا خلسةً دون أي حق ولا فسادٍ في الأرض. كل ما فعلوه أنهم هجوا محمداً أو رفضوا أن يمجدوه، فاغتالهم محمد، وأصبح الاغتيال وسيلة معروفة في الإسلام، فاغتالوا عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وهؤلاء كانوا خلفاءهم الراشدين. واستمرأ المسلمون القتل باسم الإسلام

"سار خالد بن الوليد إلى أمغيشيا - وقيل اسمها: منيشيا - فأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله لأن أهلها أعجلهم المسلمون أن ينقلوا أموالهم، وأثاثهم، وكراعهم وغير ذلك، وأرسل إلى أبي بكر بالفتح. ومبلغ الغنائم، والسبي، وأخراب أمغيشيا، فلما بلغ ذلك أبا بكر قال: عجزت النساء أنْ يلدن مثل خالد."[1]

وقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة من أجل أن يتزوج أرملته، والذنب الوحيد الذي قُتل به مالك هو قوله إنه لن يدفع الزكاة إلى أبي بكر، وإنما سوف يصرفها على الفقراء من قبيلته، والإسلام لا يفرض على المسلم تسليم الزكاة إلى السلطة المركزية، بل يمكنه صرفها على أهل بيته. فأي فساد في الأرض أدى إلى قتل مالك؟

يقول ابن قيم الجوزية:

"وأمّا نبي الملحمة، فهو الذي بُعث بجهاد أعداء اللّه، فلم يجاهد نبي وأمته قطُّ ما جاهد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وأمّته، والملاحم الكبار التي وقعت وتقع بين أمته وبين الكفار لم يُعهد مثلُها قبله، فإن أمته يقتلون الكفار في أقطار الأرض على تعاقب الأعصار،وقد أوقعوا بهم من الملاحم ما لم تفعله أمّة سواهم".[2]

فهل كل هذه أمم أفسدت في الأرض، أم قتلهم محمد وأصحابه دون حق ودون أي فسادٍ في الأرض، ويكون بذلك قد تنكر للآية التي أتى بها. فكل هذا القتل الذي قام ويقوم به المسلمون يرجع إلى تعاليم الإسلام، فلا يمكن أنْ نقول لا تلوموا الإسلام بأفعال المسلمين.
وعندما غزا يزيد بن المهلب طبرستان، صالحه واليها وسلمه المدينة ليدخلها صلحاً

"ودخل يزيد المدينة فأخذ مما كان فيها من الأموال ، والكنوز ، والسبي ما لا يحصى ، وقتل أربعة عشر ألف تركي." [3]

[1] الكامل في التاريخ للمبرد، ج2، ص 242.
[2] زاد المعاد، ج1، ص 38.

† **تعليق من المنقح:**
أعتقد أن هذا السؤال قد يوحي بمغالطة تقوم على افتراض أن: العرب السابقين للإسلام كانوا يرتكبون كل السلوكيات الشاذة المنافية للسلوكيات القويمة (التي يُفترض جدلا أن الأديان لاسيما الإسلام واليهودية قد دعت إليها).
ولكن معلوماتنا عن عرب ما قبل الإسلام لا تشير إلى أنهم كانوا بمثل نذالة مافرضه الإسلام وغيره من نذالات يندى لها جبين الإنسانية جمعاء؛ ليس بمعايير Creteria عصرنا فحسب، بل وبمعايير الأمم التي سبقت العربان أو واكبتهم عندما جاءهم **وباء الإسلام.**
ولذلك، أعتقد أن على المرء أن يثبت أولاً أن عرب ما قبل الإسلام كانوا على درجة من الانحطاط تبرر مجئ تعاليم جديدة لكي تُقوّم انحطاطهم! قبل أن يطرح هذا السؤال.

ومن قتل نفساً بغير نفس أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً.
فالقتل بدأ مع الإسلام واستمر حتى الآن فأصبح قتل أي مواطن في بلد عربي حدثاً لا يحفل به أحد، كما حدث في مدينة حماة السورية وفي المقابر الجماعية العراقية، وفي التفجيرات التي نراها الآن في باكستان والعراق والصومال وبلاد أوروبا العديدة. فقتل النفس التي حرّم الله ظل من أسهل الأشياء عند المسلم لأن القرآن يقول له:

{واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل. (البقرة 191)**}.**

وعندما قتل المسلمون أغلب الكفار وأدخلوا ما تبقى منهم في الإسلام بالسيف، بدؤوا بقتل بعضهم البعض، فكانت معركة الجمل ومعركة صفين اللتين راح ضحيتهما عشرات الآلاف من المسلمين، من أجل تنازع السلطة بين معاوية وعلي بن أبي طالب. ثم قتلوا أبناء الصحابة المقربين من محمد، مثل محمد بن أبي بكر الذي قتلوه ثم وضعوه في جوف حمار وأشعلوا النار به. ثم قتلوا الحسين بن علي وقطعوا رأسه وأرسلوها ليزيد. وتضاعف قتل المسلمين في الدولة العباسية ثم في الدولة العثمانية التي حكمت كل بلاد الشرق الأوسط، واستمر القتل إلى يومنا هذا.

فلم يتغير أي شيء في الإسلام، فإن الإسلام بدأ دموياً وسوف يستمر دموياً (جُعل رزقي تحت رمحي).

2. لا تسرق

السرقة، في رأيي، هي أخس عمل يمكن أن يقوم به الإنسان، لأن السارق، وبفضل مجهود بسيط، يستولي على جهد وعرق الشخص الذي يتعرض للسرقة، دون أن يحفل السارق بمشاعر المسروق وبما يصيبه ويصيب أسرته جراء تلك السرقة. والسرقة طبعاً قديمة قدم الحيوان على هذه الأرض. فالضبع يتحين الفرص في الغابة، ثم يسرق الفريسة التي قتلها الأسد إذا انشغل عنها الأسد لحظة، أو يجتمع عدة ضباع ويهجمون على الأسد، فيفر ويترك فريسته التي تعب في صيدها، للضباع. وفي هذه الحالة تكون الضباع قد نهبت الأسد. فالسرقة والنهب يدخلان من نفس الباب.

- فإذا بدأنا بالسرقة، فقد بدأت في الأيام الأوائل من تاريخ الإسلام.

فهاهو أبو هريرة الذي أسلم عام سبع للهجرة، قد أوكله النبي على أموال الزكاة، فسرق منها

"فقد ثبت في الصحيح عن النبي حديث أبي هريرة لما وكله النبي بحفظ زكاة الفطر فسرق منه الشيطان ليلة بعد ليلة وهو يمسكه فيتوب فيطلقه فيقول له النبي فعل أسيرك البارحة فيقول زعم أنه لا يعود فيقول إنه سيعود فلما كان في المرة الثالثة قال له دعني أعلمك ما ينفعك إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي." [4]

فمحمد لا بد أنه عرف أن أبا هريرة كان يسرق ويتهم الشيطان، فلم يعاقبه. ومن وقتها انتشرت السرقة في المسلمين الأوائل.

ففي أيام الخليفة عثمان، تشاجر عبد الله بن مسعود مع سعد بن وقاص

"وسبب ذلك أنّ سعداً اقترض من عبد الله بن مسعود من بيت المال قرضاً فلما تقاضاه ابن مسعود لم يتيسر له قضاؤه فارتفع بينهما الكلام فقال له سعد : ما أراك إلا ستلقى شراً هل أنت إلا ابن مسعود عبدٌ من هذيل ؟ فقال : أجل والله إني لابن مسعود وإنك لابن حمينة"[5].

أما حمزة بن عبد الله بن الزبير، فقد ولاه أبوه على البصرة، فأخذ قدراً كبيراً من مال البصرة عندما عزله أبوه، فلما بلغ أبوه الخبر، قال لحاه الله قد أردت أن أفاخر به بني أمية فنكص.[6]

ولا عقاب من أمير المؤمنين على ابنه.

وحبر الأمة ابن عباس، سرق بيت مال البصرة وهرب إلى مكة، ولما طالبه ابن عمه الخليفة علي بن أبي طالب بالمال، حلف له لئن لم يكف عنه سوف يذهب بالمال إلى معاوية ليحاربه به.

واشترى ابن عباس الجواري والخدم بأموال المسلمين.
أما يزيد بن المهلب الذي كان والياً على خراسان، فقد سرق جميع الأموال، فسمع به عمر بن عبد العزيز

"لا أجد في أمرك إلا حبسك فاتق الله وأدّ ما قبلك فإنها حقوق المسلمين ولا يسعني تركها وحبسه بحصن حلب ، وبعث الجراح بن عبد الله الحكمي فسرحه إلى خراسان أميراً عليها، وأقبل مخلد بن يزيد من خراسان يعطي الناس ففرق أموالاً عظيمة ، ثم قدم على عمر فقال له: ‹يا أمير المؤمنين ان الله منع هذه الأمة بولايتك وقد ابتلينا بك فلا نكن نحن أشقى الناس بولايتك، علام تحبس هذا الشيخ ؟ أنا أتحمل ما عليه فصالحني على ما تسأل› فقال عمر: لا إلا ان تحمل الجميع." [7]

"وفي خلافة عمر بن الخطاب كانت السرقة منتشرة في المدينة وفي البصرة وفي الكوفة وغيرها، وقد بنى سعد قصرا بحيال محراب مسجد الكوفة اليوم فشيده وجعل فيه بيت المال وسكن ناحيته ثم إن بيت المال نُقب عليه نقبا وأُخذ من المال وكتب سعد بذلك إلى عمر ووصف له موضع الدار وبيوت المال من الصحن مما يلي ودعة الدار فكتب إليه عمر أن انقل المسجد حتى تضعه إلى جنب الدار واجعل الدار قبلته فإن للمسجد أهلا بالنهار وبالليل وفيهم حصن لما لهم"[8].

فعمر لم يقل لسعد ضع المصحف ببيت المال ليمنع السرقة، وإنما أمره بنقل بيت المال قبالة المسجد حتى يراقبه المصلون. والسرقة كانت متفشية في المدينة في خلافة عمر بن الخطاب.

"فيحدثنا أهل الذكر أن عمر بن الخطاب جاء الى عبد الرحمن بن عوف في وقتٍ متأخر من الليل، فقال له عبد الرحمن: ما جاء بك في هذه الساعة يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: رفقةٌ نزلت في ناحية السوق خشيت عليهم سُراق المدينة"[9].

فالخليفة كان يعلم أن المدينة مليئة بالسارقين، رغم قطع الأيدي. وقد علّق عمر قطع الأيدي في **عام الرمادة** الذي استمر ست سنوات، لأن السرقة قد تفشت في جميع أرجاء المدينة.

- ومع السرقة كان هناك **النهب**، الذي بدأه محمد **بالإغارة** على قوافل قريش.

ويزعم الإسلاميون أن محمداً كان يسترد أموال المسلمين الذين هاجروا من مكة وتركوا أموالهم للكفار.

---

[3] الكامل في التاريخ للمبرد، ج4، ص 306.
[4] شذرات الذهب للدمشقي، ج1، ص 64. وكذلك تفسير القرطبي، الآية 255 من البقرة.
[5] الكامل في التاريخ، ج2، ص 471 .
[6] الكامل في التاريخ، ج4، ص 71.
[7] الكامل في التاريخ، ج4، ص 320.
[8] تاريخ الطبري، ج2، ص 480.
[9] تاريخ الطبري، ج2، ص 567.

وهذا دفاع لا يمسك الماء. فمن الذي هاجر من مكة إلى المدينة غير العبيد والفقراء الذين آمنوا بمحمد من أمثال عبد الله بن مسعود وبلال بن رباح. الشخصان الوحيدان اللذان كان لهما أموال بمكة هما عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وربما أبو بكر كان لديه بعض المال. وقد أخذ هؤلاء أموالهم معهم **بدليل أنهم تبرعوا بالكثير لتكوين جيش محمد وقد أعطاهم محمد صكوك الغفران وبشرهم بالجنة في مقابل سخائهم**. بقية المهاجرين إلى المدينة كانوا فقراء، فخاواهم محمد مع الأنصار ليطعموهم ويسكنوهم.

فغزوات محمد على قوافل مكة لم تكن إلا نهباً أباحه لنفسه وللمسلمين،

في حين أن القرآن يقول من يقطع الطريق وينهب، عقابه:

{إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تُقطَع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفوا في الأرض. (المائدة 33)}.

وقد نفذ محمد هذه العقوبة في الأعراب الذين سرقوا نياقه وقتلوا الراعي. فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وسمل عيونهم وتركهم في الشمس حتى ماتوا.

لكنه أباح قطع الطريق لأصحابه فجمعوا الأموال الطائلة حتى أن طلحة بن عبيد الله الذي لم يكن يملك إلا حصاناً واحداً في المدينة، أصبح من أغنى الأغنياء

"قال الواقدي: حدثني إسحاق بن يحيى، عن موسى بن طلحة، أن معاوية سأله: كم ترك أبو محمد من العين؟ قال: ترك ألف ألف ومائتي درهم، ومائتي ألف دينار، فقال: عاش سخياً حميداً، وقتل فقيداً."[10].

وهذا يعني أنه ترك مليون درهم ومائتي ألف دينار. أما الزبير بن العوام فيقول عنه الذهبي:

"وثبت في "الصحيح" أن الزبير خلف أملاكاً بنحو أربعين ألف ألف درهم وأكثر، وما ولي إمارة قط ولا خراجاً، بل كان يتجر ويأخذ عطاءه، وقيل: إنه كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فربما تصدق بخراجهم"[11].

فهذا الرجل الذي لم يتول إمارة ، ولا جمع خراج، ترك أربعين مليون درهم وأكثر من ألف مملوك ولم يكن يملك شروى نقير عندما هاجر إلى المدينة.

وسوف نناقش في الحلقات القادمة تفشي الرشوة والمحسوبية وفساد القضاة والوزراء في صدر الإسلام وعصره الذهبي.

2009 / 12 / 26

2 مِن 3

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=196722

3. *الرشوة*

في اعتقادي أن الرشوة هي أكبر آفة تنخر في جسد المجتمع، كما ينخر السوس في الخشب. فالذي يدفع الرشوة يحصل على امتيازات لا يستحقها بمؤهلاته، ولكنه يشتريها بماله ويحرم المؤهلين منها. وفي النهاية يتسنم مواقع صنع القرار أشخاص غير مؤهلين، ولصوص في نفس الوقت، همهم استرجاع ما دفعوه في الرشوة أضعافاً مضاعفةً من قوت عامة الناس.
والقرآن يقول:

{ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون. (البقرة 188)}.

وهذا تحذير واضح للمسلمين بألا يرشوا الحكام والذين في السلطة ليسمحوا لهم بأكل أموال الناس بغير حق. ولكن هل التزم نبي الإسلام ومن بعده الأتباع المؤمنون بهذا التحذير المهم؟

في **موقعة هوازن**، انهزم المسلمون باديء الأمر وفروا من حول الرسول الذي صار ينادي بأعلى صوته، أيها الأنصار أنا رسول الله. فرجع إليه الأنصار وحاربوا ببسالة وانتصروا، وأخذ المسلمون كمية كبيرة من الجمال والأغنام والسبايا، ويبدو أن بعض المسلمين أخذ أسلاباً بسيطة من القتلى قبل تقسيم الغنائم، فخطب فيهم محمد، وقال:

[فأدوا الخيط والمخيط ، فإنّ الغلول (السرقة من الغنائم) **يكون على أهله عاراً وناراً وشَنَاراً يوم القيامة، فمن أخذ شيئاً فليرده.]**

فردوا الأشياء البسيطة التي كانوا قد أخذوها، مثل سرج البعير أو الرسن، ثم أعطى محمد المؤلفة قلوبهم، وكانوا من أشراف الناس، فأعطى أبا سفيان وابنه معاوية، وحكيم بن حِزَام، والعلاء بن جارية الثقفي، والحارث بن هشام، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو؛ وحُوَيْطب بن عبد العزى، وعيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، ومالك بن عوف النصري، كل واحد منهم مائة بعير، وأعطى دون المائة رجالاً، منهم مخرمة بن نوفل الزهري، وعمير بن وهب بن عمرو، وسعيد بن يربوع.[12]

ولم يعط الأنصار الذين نصروه ولا بعيراً واحداً. وكانت غزوة هوازن بعد فتح مكة، وكان أبو سفيان وغيره قد أسلموا يوم الفتح ولم تكن هناك حاجة لتأليف قلوبهم.
وفي نفس هذا الوقت قُتل عبدٌ لمحمد، أصابه سهم من الكفار يوم خيبر، فقال المسلمون : هنيئا له الجنة ، فقال لهم النبي:

[كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها من المغانم يوم خيبر ولم تصبها القسمة، لتشتعل عليه نارا] [13].

فهذا العبد المؤمن الذي ضحى بحياته، يدخل النار من أجل شملةٍ أخذها من الغنائم، و يعطي محمد أغنياء قريش مائة بعير لكل رجل، كي يستميلهم إلى الإسلام. **مع العلم أن محمد كان يجود بما ليس له**. فالإبل التي وزعها على المؤلفة قلوبهم لم تكن إبله وإنما إبل قبيلة هوازن الذين غزاهم محمد ونهب إبلهم ونساءهم وأطفالهم.

فلو كان محمد قد وزع هذه الإبل على الفقراء، كان من الممكن أن نقول إنه روبن هود العرب الذي يأخذ من الأغنياء ليعطي الفقراء، غير أن روبن هود العرب فعل العكس.

وهذه رشوة بكل معاني الكلمة، لأن محمد أعطاهم الإبل ليحصل منهم في المقابل على دخولهم في الإسلام. واستمرت هذه الرشوة حتى ألغاها عمر بن الخطاب، وقال إن الإسلام قد قويت شوكته ولم يعد في حاجة لتأليف القلوب.

---

[10] تاريخ الإسلام للذهبي، ج2، ص 173.
[11] نفس المصدر ص 166.
[12] الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج2، ص 142.
[13] فتاوى بن باز، ج5، ص 226.

والغريب أن القرآن الذي **منع** الرشوة في الآية المذكورة أعلاه، **أباح** رشوة المتنفذين والأغنياء وجعل لهم نصيباً من أموال الزكاة مع الفقراء والعبيد:

{إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل. (التوبة 60)}.

فالذين يرفضون الاقتناع برسالة الإسلام، يشتري المسلمون ضمائرهم بالمال إذا كانوا من الأغنياء المتنفذين، أما الفقراء فلا رشوة لهم. (الأديان عموماً جاءت لخدمة الأغنياء).

فهاهم شيوخ السعودية يسكنون القصور ويملكون الحسابات المليونية بالبنوك، والإخوان المسلمون لهم شركات في جميع أنحاء العالم يقدر رأس مالها بمئات الملايين من الدولارات، وشيوخ قم وطهران أصبحوا من أغنى رجالات الأعمال، كما فعل نظراؤهم في حكومة ثورة الإنقاذ في السودان. وفي جميع هذه البلاد ازداد الفقراء فقراً.

رجلٌ واحد في تاريخ الإسلام رفض أن يرتشي بالإبل ليعتنق الإسلام،

"وهو نصير بن الحارث بن علقمة القرشي، من مسلمة الفتح، ومن حكماء قريش، وقيل إن النبي أعطاه مائة من الإبل من غنائم حنين، يتألفه بذلك. فتوقف في أخذها وقال: لا أرتشي على الإسلام." [14]

ومحمد قتل النضر بن الحارث، شقيق نصير بن الحارث، بعد موقعة بدر لأن النضر كان رجلاً مثقفاً قد سافر في بلاد فارس والشام وعرف أصل القصص التي كان يقصها محمد على أتباعه.

قصة جُعيل بن سراقة تثبت لنا أن محمداً كان يتجاهل الفقراء الذين يقاتلون في صفوفه، ويرشي الأغنياء الذين لا يحتاجون المال: "جُعال بن سراقة الضمري ويقال: جُعيل، وغيّر النبي إسمه فسمّاهُ عمر. وكان دميماً قبيح الخلق إلا أنه كان رجلا صالحا أسلم قديما وشهد أحدا والمشاهد بعدها وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيرا إلى المدينة بسلامتهم في غزاة ذات الرقاع، ولما قسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمِ حنين قال سعد بن أبي وقاص: يا رسول اللّه أعطيت الأقرع وعيينة وتركت جُعيلاً! فقال: **[والذي نفسي بيده لجُعيل خير من طلاع الأرض كلها، مثل عيينة والأقرع، ولكني تألفتهما ليسلما ووكلت جعيل بن سراقة إلى إسلامه]**." [15].

وعندما فشل محمد في إقناع عمه "أبو جهل" برسالته الجديدة، عمد إلى الرشوة ليدخله في الإسلام

"حدثنا ابن حميد قال حدثنا سلمة عن أبان بن إسحاق عن عبدالله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال أهدى رسول الله صلى الله عليه و سلم عام الحديبية في هداياه جملا لأبي جهل في رأسه برة من فضة." [16]

ولأن محمداً قد استن سنة الرشوة رغم تحذير القرآن، فقد انتشرت الرشوة في جميع محافل الدولة الأموية وكذلك العباسية

"وفي سنة 349 بذل القاضي الحسين بن محمد الهاشمي مائتي ألف درهم على أن يُقلد قضاء البصرة، فأخذ منه المال ولم يُقلد. قلت يرحم الله من فعل معه ذلك وخاتله ويرحم من يقتدي بفعله مع كل من يسعى في القضاء بالبذل و البرطيل." [17]

فالرشوة كانت معلومة حتى في تعيين القضاة.

والقضاة، منذ فجر الإسلام، اشتهروا بموالاة الحاكم وجمع المال بكل الطرق المتاحة لهم

"غضب المتوكل على أحمد بن أبي جاود القاضي وآله وصادرهم وأخذ منهم ستة عشر ألف ألف درهم." [18]

فمن أين لقاضي نزيه أن يجمع ستة عشر مليون درهم؟

وفي سنة 237 للهجرة عزل المتوكل يحيى بن أكثم عن القضاء وأخذ منه مائة ألف دينار وأخذ له من البصرة أربعة آلاف جريب.[19]

كتب الخليفة المأمون أيام محنة خلق القرآن، إلى إسحق بن إبراهيم الخزاعي، نائبه على بغداد

"وأما الفضل بن غانم فأعلمه أنه لم يخف على أمير المؤمنين ما كان منه بمصر وما اكتسب من الأموال في أقل من سنة " يعني في ولايته القضاء." [20]

فالقضاة في صدر الإسلام كانوا مشهورين بأخذ الرشاوى وكنز المال بأسرع وسيلة ممكنة لأن فترة توليهم المنصب غير معروفة، وقد يُعزل القاضي بعد أشهر من توليه المنصب.

يقول المقريزي إن

"القادر، الخليفة العباسي، جمع في بغداد مجلساً من القضاة والأشراف والفقهاء وجعلهم يكتبون محضراً يتضمن القدح في نسب الخلفاء الفاطميين ونفيهم من الانتساب لعلي بن أبي طالب. (ففعلوا وأصدروا محضراً بذلك) وكتب نسخاً من هذا المحضر فسُيرت في الآفاق." [21]

فكل هؤلاء المرتشين من قضاة وفقهاء، استجابوا لطلب الخليفة ولم تهمهم الحقيقة بقدر ما كانت تهمهم كروشهم التي كان يملأها لهم الخليفة. وهؤلاء الفقهاء والقضاة هم الذين كان عليهم حفظ تعاليم الدين الإسلامي. ولم يتغير أي شيء في موقف الفقهاء والقضاة منذ بداية الإسلام، فهاهم فقهاء الوهابية يطوعون الدين لمتطلبات آل سعود، والذي يخالف الأوامر يُزاح من منصبه الكبير وربما يفقد قصره المنيف والعقود السخية مع الفضائيات. وفي إيران يفعل القضاة ما يريده النظام ويغلقون الصحف ويسجنون، بل يعدمون من يعارض النظام. وفي السودان هناك هيئة علماء السودان التي لا تعدو أن تكون بوقاً لحكومة الإنقاذ الإسلامية، وتصدر الفتاوى التي تشد من أزر البشير.

فهل منكم من رأى أي قاضي شرعي في أي بلد، يبدو عليه الهزال وضعف الجسم، من عدم الأكل الدسم أو من مخافة الله؟

يقال إن معاوية أعطى ذات مرة جماعة من الزعماء كلاً مائة ألف، إلا رجلاً واحداً حيث أعطاه سبعين ألفاً. فاحتج الرجل على هذا التفريق وسأل عن السبب فيه، فأجابه معاوية قائلاً: " إني اشتريت من القوم دينهم.. ووكلتك إلى دينك" فقال الرجل: " وأنا فاشتر مني ديني"[22].

ورجال الدين منذ فجر الإسلام كانوا، وما زالوا **صيادين للفوائد**، مثلهم مثل الأمراء والملوك والرؤساء.

"في سنة 329 توفي بجكم التركي الأمير أبوالخير، كان أمير الأمراء قبل بني بويه وكان عاقلا يفهم العربية ولا يتكلم بها، بل يتكلم بترجمانه ويقول أخاف أن أتكلم فأخطيء والخطأ من الرئيس قبيح. وكان عاقلا سيوسا عارفا يتولى المظالم بنفسه. قال القاضي التنوخي: جاء رجل من الصوفية إلى بجكم فوعظه بالعربية والفارسية حتى أبكاه، فلما خرج قال بجكم لرجل: احمل معك ألف درهم وأدفعها إليه. فأخذها الرجل

[14] تاريخ الإسلام للذهبي، ج2، ص 99.
[15] المنتظم في التاريخ لابن الجوزي، ج4، ص 136.
[16] تاريخ الطبري، ح2، ص 124.
[17] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لجمال الدين بن تغري بردي، ج1، ص 431.
[18] شذرات الذهب للدمشقي، ج2، ص 126.
[19] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج1، ص 305.
[20] نفس المصدر، ص 270.
[21] وعاظ السلاطين، علي الوردي، ص 216.
[22] وعاظ السلاطين، علي الوردي، ص 223.

ولحقه، وأقبل بجكم يقول: ما أظنه يقبلها، فلما عاد الغلام ويده فارغة قال بجكم: أخذها؟ قال نعم. فقال بجكم بالفارسية: كلنا صيادون ولكن الشباك تختلف." [23]

وبالطبع لم تمت السنة التي سنها محمد في الرشوة بموته، يقول البلاذري

"قالت امرأة من بجيلة يقال لها أم كرز: إن أبي هلك وسهمه ثابتٌ في السواد (جنوب العراق). وإني لن أسلم. فقال لها (عمر): يا أم كرزا! إن قومك قد أجابوا. فقالت له: ما أنا بمسلمة أو تحملني على ناقة ذلول عليها قطيفة حمراء وتملأ يدي ذهبًا. ففعل عمر ذلك." [24]

فعمر لم يحاول إقناع المرأة بسماحة الإسلام أو بأنه دين السلام، وهي تعلم ما هو لأن أباها قد قتل بسببه، فلجأ عمر إلى الرشوة لإدخالها في الإسلام.

واستمرت الرشوة منذ حياة محمد إلى يومنا هذا، ونخرت قوائم الحكم في جميع الدول الإسلامية منذ دولة المدينة، مروراً بدولة بني أمية، ثم الدولة العباسية، واستفحل أمرها في الخلافة العثمانية، ثم في دول الإسلام الحديثة، الغنية منها والفقيرة، وفتح الحكام والمسؤولون حسابات سرية في بنوك سويسرا التي منعت بناء المآذن، وامتنع أصحاب الحسابات عن التعليق على قرار منع بناء بناء المآذن، خوفاً على أموالهم.

4. *الكذب*

علمونا في الصغر أن الصدق منجٍ والكذب حرام، وأن محمداً قد اشتهر *بكونه الصادق الأمين*. والقرآن مليء بالآيات التي تحض على عدم الكذب، ولكن كالعادة فإن ما يقوله القرآن والأحاديث شيء، وما يفعله نبي الإسلام وأتباعه شيء آخر. ففي الحديث

[إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك، ولا تجعل فطرك وصومك سواء.][25]،

نرى أن محمد كان يعلم أن المسلمين يكذبون في كل يوم ويؤذون الخادم ويتلفظون بالألفاظ النابية، ولذلك طلب منهم أن يكفوا عن هذه الأشياء **في رمضان فقط** حتى لا يكون صومهم مثل فطرهم. أما بقية العام فليكذبوا ويزنوا وليؤذوا الخادمين لهم.

والإسلام أباح للمسلم الكذب في عدة مواقع

"أخرج البيهقي عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [لا يصلح الكذب إلا في ثلاث: الرجل يكذب لامرأته لترضى عنه، أو إصلاح بين الناس، أو يكذب في الحرب]." [26]

وأضافوا كذلك أن الرجل يحل له أن يكذب **إذا كان في كذبه منفعة للإسلام والمسلمين**. وهذا ما ظل يفعله المسلمون على مر القرون، ومن ثم تبنته جماعة الإخوان المسلمين وبقية الجماعات الإسلامية المنشقة عنها، فأصبحوا يكذبون على المسلمين، وعلى الغربيين المسيحيين، وحتى على أنفسهم.

في سنة 9 هجرية، أراد محمد أن يغزو الروم في تبوك، وكان الفصل صيفاً شديد الحرارة، ولم يكن محمد يملك حتى الطعام لجيشه، فلما دعا للغزوة، اعتذر له أكثر من ثمانين رجلاً وسمح لهم بالتخلف. وعاتبه ربه في القرآن (الذي هو أصلاً من تأليفه) فقال له

{عفا الله عنك لِمَ أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين. (التوبة 43)**}**.

فرب محمد كان يعلم أن جزءاً كبيراً من الذين اعتذروا كانوا كاذبين. وعندما رجع محمد من الغزوة، أتاه حوالي ثمانين رجلاً من المتخلفين وذكروا له كذباً الأسباب التي دعتهم للتخلف، فسامحهم محمد واستغفر لهم. ومحمد وربه كانا يعلمان أنهم كاذبون

{لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون. (التوبة 42)**}**.

ثلاثة رجال فقط، هم كعب بن مالك، ومررة بن ربيعة العمري وهلال بن أمية، لم يكذبوا عليه وأخبروه أنهم تخلفوا لعدم رغبتهم في الحرب، فعاقبهم محمد بأن منع المسلمين من التحدث إليهم، وأمر بفراقهم لزوجاتهم. واستمر هذا الوضع لمدة شهرين حتى كاد بعضهم أن ينتحر، ثم أتى محمد بآية قرآنية تعفو عنهم

{وعلى الثلاثة الذين خُلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم. (التوبة 118)**}**.[27]

فأين حكمتهم التي تقول إن الصدق منجٍ؟ فكل الذين كذبوا عفا عنهم محمد، رغم أنه كان يعلم أنهم قد كذبوا، وإلهه أخبره أنهم كاذبون، والثلاثة الذين قالوا الصدق عاقبهم محمد ومنع عنهم حتى السلام، وفرقهم من زوجاتهم.

والكذب بنى وعشعش في المجتمعات الإسلامية منذ أول يوم فيها. فعندما دخل محمد المدينة وأسلمت الأوس والخزرج، بنى محمد مسجده بالمدينة، فبنى مسلمون آخرون مسجداً بقريتهم ودعوا محمداً ليصلي به، فأمر محمد بإحراق ذلك المسجد الذي سماه "مسجد الضرار" وأتى بآية تقول:

{الذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن أن أردنا إلا الحسنى والله يشهد أنهم لكاذبون. (التوبة 107)**}**.

ومساجد الضرار كثرت في الإسلام منذ أيام دولة بني أمية وحتى الآن. كم مسجد استعمله المسلمون الأوائل ليسبوا من على منبره علي بن أبي طالب أو معاوية أو يزيد أو غيره، بمساعدة أئمة الإسلام المنتفعين من موائد معاوية الدسمة. وكم من مسجد بناه المنافقون في البلاد العربية والإسلامية ليزكوا أنفسهم ويزعموا أنهم حريصون على الإسلام، وربهم يعلم أنهم لكاذبون. وكم من مسجد شيعي بناه الشيعة ليفرقوا المسلمين، وكم مسجد سني بناه السنة في البلاد الشيعية لتفريق المسلمين؟ وكم مسجد شيعي دمره مسلمون سنة، والعكس كذلك.

فطوال تاريخ الإسلام كان الكذب والرشاوى ونفاق القضاة ورجالات الدين من العلامات المميزة لذلك التاريخ الطويل. فمتى بدأ عصر الإسلام الذهبي، ومتى انتهى؟ فتحديد هذا العصر مهم للغاية لأن السلفيين والإخوان المسلمين يودون أن يرجعونا لذلك العصر الهلامي الذي يستحيل تعريفه، ولو بالتقريب.

في الحلقة القادمة سوف أتحدث عن الزنا، والحيل الشرعية، والتعذيب في الإسلام.

2009 / 12 / 30

[23] النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ص 414.
[24] فتوح البلدان للبلاذري، ص 280.
[25] الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، تفسير سورة البقرة، الآية 281.
[26] الدر المنثور للسيوطي، ج2، تفسير سورة النساء، الآية 114.
[27] انظر تفسير القرطبي للآية.

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=197290

5. الزنا

كل الأديان، التي يقال عنها سماوية، والتي يقال عنها فلسفية، قد حرّمت الزنا. والسبب الرئيسي في تحريم الزنا هو سيطرة الرجال على الأديان. فالله مذكر، وكل الرسل والأنبياء ذكور. وقد جاء الإسلام مبالغاً في تحريم الزنا، خاصةً للمرأة.
يقول القرآن:

{وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن... (النور 31)**}.**

وكذلك:

{واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا. (النساء 15)**}.**

كأنما النساء يفعلن الفاحشة بدون مشاركة الرجال.

ورغم هذا التشديد على الفاحشة، هل كان صدر الإسلام يخلو من الزنى؟

الزنى في المدينة كان مجال الترفيه الوحيد فيها، وكان هذا سبب نزول آية الملاعنة.

فقد أكثر الرجال الشكوى إلى محمد من أنهم وجدوا رجالاً آخرين على بطون زوجاتهم، مثل هلال بن أمية الذي اتهم زوجته بالزنى مع شريك بن السحماء، وكذلك عويمر العجلاني اتهم زوجته مع شريك. وقال سعد بن معاذ الذي اهتز له عرش الرحمن يوم مات:

والله إن وجدت مع امرأتي رجلاً لأضربنه بالسيف.[28]

وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش، أخت زينب بنت جحش، كانا أول من رمى عائشة بالزنى مع صفوان بن المعطل، وصدقهما محمد ولم يكلم عائشة لأكثر من شهر. ولذلك جاء محمد بعدة آيات في سورة النور، وهي آخر سورة أتت في المدينة، حاول فيها إيجاد حل لهذه المشكلة العويصة. أول آية كانت

{والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون. (النور 4)**}.**

ورغم التهديد بجلد الرجال الذين يتهمون النساء بالزنى، لم تختفِ ادعاءات الرجال ضد زوجاتهم، فجاء محمد بالآيات التالية:

{والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخامسة أنّ لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين. ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله أنه لمن الكاذبين. والخامسة أنّ غضب الله عليها إن كان من الصادقين. (النور 6 - 9)**}.**

وكالمتوقع، فإن هذه الآيات لم تفعل شيئاً بالنسبة لمنع الزنى **لأن الآيات تقف على أرضية مائعة جداً**. كل المطلوب من الزوج أن يحلف خمسة مرات أنه صادق وتحل لعنة الله عليه إن كان كاذباً. وتفعل المرأة نفس الشيء. وأكيد أن أحدهما كاذب، ولا عقاب لأي منهما غير لعنة الله التي هدد بها كثيراً من قبل بالنسبة للكاذبين، والمنافقين، والمتخلفين عن القتال. ولذلك حلفوا جميعاً ولم يستطع محمد أن يفعل أكثر من أن يفرّق بين الأزواج، والزوج أصلاً بإمكانه أن يطلق المرأة دون اللجوء إلى الحلف خمسة مرات. **فالآية أصبحت إضافة لا أثر لها في الحياة العملية.**

واستمر الزنى في صدر الإسلام، رغم جلد الشهود لتثبيطهم عن الشهادة، كما فعل عمر بن الخطاب في أمر المغيرة بن شعبه، عندما رآه ثلاثة رجال يزني بأم جميل، ورؤوا المرود في المكحلة، غير أن أخاهم الرابع قال إنه رآهما عريانين، وراءه يتحرك على أم جميل التي كانت ترفع رجليها فوقه، وسمع أصواتاً. غير إنه لم يرّ المرود في المكحلة، فجلد عمر الشهود الثلاثة وأبرأ ذمة المغيرة[29].

"وروي عن عمر أنه كان يوما يتغدى إذ جاءه رجل يعدو وفي يده سيف ملطخ بالدم ووراءه قوم يعدون خلفه فجاء حتى جلس مع عمر فجاء الآخرون فقالوا يا أمير المؤمنين إن هذا قتل صاحبنا، فقال له عمر ما يقولون؟ فقال يا أمير المؤمنين إني ضربت فخذي امرأتي بالسيف، فإن كان بينهما أحد فقد قتلته. فأخذ عمر سيفه فهزه ثم دفعه إليه وقال: إن عادوا فعد"[30].

جيء إلى عمر بامرأة حامل ليقيم عليها الحد بعد أن اعترفت أمامه بالفجور، فأمر بها أن تُرجم، فجاء عليّ وأخرجها من الحفرة، وسأل عمر إن كان قد انتهرها، فأجاب بالإيجاب، فقال عليّ: سمعت رسول الله يقول لا حد على معترف بعد بلاء. فأخلى عمر سبيلها[31].

وجيء إلى الخليفة علي بامرأة مع رجل قد فجر بها، فقالت المرأة: لقد استكرهني، فأسقط عليّ عنها الحد[32].

والأمثلة أكثر من أن أذكرها في هذه العجالة.

والأسوأ من زني الزوجات أن وطء الصبيان الصغار والبنات، كان معروفاً لدى المسلمين الأوائل.

يقول القرطبي في شرحه للآية الرابعة من سورة النور:

"قال إسحق إذا قذف الرجل غلاماً يُطأ مثله فعليه الحد، والجارية إذا جاوزت التاسعة مثل ذلك. وقال ابن المنذر: لا يُحد من قذف من لم يبلغ. وفي حديث عليّ بن أبي طالب، أن امرأة جاءته وقالت إن زوجها يأتي جاريتها، فقال لها: إن كنتِ صادقة رجمناه، وإن كنتِ كاذبة جلدناك. فقالت: ردوني إلى أهلي".

فهذا الشرح يبين أن المسلمين الأوائل كانوا يرتكبون الفاحشة مع الصبيان الذين لم يبلغوا العاشرة، وكذلك مع البنات الصغيرات، وإلا لما ذكر هذا الشيء فقهاء الإسلام.

وحديث عليّ يثبت أن الزنى كان متفشياً لكن إثباته كان من المستحيلات لعدم توفر أربعة شهداء، ولخوف المشتكي من الجلد، كما حدث للمرأة التي قالت: ردوني إلى أهلي. فالزنى كان منتشراً ولكن التبليغ عنه كان يُحد منه الجلد.
كل هذا الزنى كان يحدث **رغم تزايد عدد السبايا** في المدينة وغيرها،

ويقال إن المغيرة بن شعبة طاف على تسعة من جواريه في ليلة واحدة، وتزوج بسبعين امرأة وطلقهن.[33]

[28] تفسير القرطبي للآية 4 من سورة النور.
[29] تاريخ الإسلام للذهبي، ج2، ص 229. وكذلك تاريخ الطبري، ج2، ص 493.
[30] المغني لابن قدامة، ج8، مسألة فيه القود إذا اجتمع عليه الأولياء.
[31] صحيفة الراية القطرية، تاريخ 2003/11/30، قسم الفتاوى.
[32] نفس المصدر.

فماذا تفعل السبعون امرأة اللاتي طلقهن المغيرة غير الزنى؟ كيف يشبعن رغباتهن الجنسية بعد أن طلقهن هذا الفحل المغوار؟

ويبدو أن محمداً لم يكن يعتبر الزنى متعارضاً مع تعاليم دينه الجديد، ففي حديث عن أبي ذر، أخرجه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة، يقول أبو ذر إن محمداً قال:

[ما من عبدٍ قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق ثلاثاً، ثم قال في الرابعة: على رغم أنف أبي ذر.]

وفي مرةٍ أتى رجلٌ اسمه ماعز إلى محمد، وقال: "إنه أصاب حرةً حراما، وقالها أربع مرات ،كل ذلك يعرض عنه النبي، فأقبل في الخامسة، فقال له النبي "أنكتها"؟ قال نعم. قال حتى غاب ذلك منك في ذلك منها كما يغيب المرود في المكحلة والرشاء في البئر؟ قال نعم. قال هل تدري ما الزنى؟ قال نعم. أتيت منها حراما ما يأتي الرجل من امرأته حلالا. قال فما تريد بهذا القول؟ قال اريد أن تطهرني. قال فأمر به فرجم."[34]

هذا الرجل اعترف أربع مرات أنه زنى بامرأة حرة، مسلمة، وتغافل عنه محمد. ولما كررها في الخامسة، *استعمل محمد كلمة سوقية حتى يعطي الرجل فرصة لأن يغيّر رأيه وينجو من العقاب*. وبعد تأكيد الرجل أنه زنى، سأله محمد: وماذا تريد بهذا الحديث؟ فواضح أن الزنى كان متفشياً عندهم وأن محمد كان يغض الطرف عنه، حتى في حالة الاعتراف، ناهيك عن الذين يفعلون الفاحشة ويستترون، رغم قول القرآن:

{والزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة}.

فمسلمو صدر الإسلام لم يختلفوا عن مسلمي اليوم في ارتكاب الزنى والتستر عليه، اتباعاً للحكمة الإسلامية "إذا بُليتم فاستتروا". تعاليم الإسلام جعلت من المسلمين **نعاما** يعرف أن الفواحش ترتكب على نطاق واسع، ولكن يدفن رأسه في الرمال طلباً للستر.

وما نراه في دول الخليج من الاتجار بالنساء في سوق الدعارة، ما هو إلا امتدادٌ للعصر الذهبي في صدر الإسلام.

6. *الصدقة*

عندما استقر الإسلام في المدينة وكثرت الفتوحات والأموال على المسلمين، فرض محمد عليهم الصدقة، أي الزكاة. ومن ضمن الصدقة المفروضة كانت **صدقة التمر**. فكان المسلمون يخرجون التمر الصيص الذي لا يصلح للبيع ويعلقونه على الحبال بين الاسطوانتين في المسجد ليأكل منه الفقراء. فأتاهم محمد بآية تقول:

{يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تُغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد. (البقرة 267)}[35].

وكانوا كذلك يشترون الطعام الرخيص ليتصدقوا به

"عن ابن عباس قال: كان اصحاب رسول الله - ص- يشترون الطعام الرخيص ويتصدقون فانزل الله: {**يأيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم**}."[36]

فواضح أن المسلمين الأوائل الذين عاصروا محمداً لم يكونوا مقتنعين بالإسلام عن فهم وطيب خاطر، ولكن فُرض عليهم بالسيف، ولذلك كانوا يتحايلون على الأحكام بشتى الوسائل.

كان المسلمون الأوائل يتزاحمون على بيوت محمد ليحدثهم عن الدين الجديد، وفي نفس الوقت ليأكلوا ما يقدمه لهم من طعام بفضل غزواته الكثيرة التي وفرت له الخمس من كل الغنائم، وعندما كثرت أعدادهم واحتاج محمد إلى زيادة في المال لإطعامهم، أتاهم بآية تقول:

{يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة. (المجادلة،11)}.

وبمجرد أن نزلت الآية خلت مجالس محمد من المستمعين لرفضهم تقديم الصدقة، فاضطر محمد للإتيان بآية أخرى تنسخ هذه الآية:

{أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون. (المجادلة،13)}.

فألغى محمد الصدقة التي طلب منهم تقديمها له، فازدحمت مجالسه مرة أخرى. فالمسلمون الأوائل والصحابة لم يعيشوا في عصرٍ ذهبي، وكانوا أكثر تشككاً في الإسلام من المسلمين اللاحقين، لكن لكونهم أعراباً أشد نفاقاً من غيرهم، تظاهروا بقبول الإسلام.

وأول شيء فعلوه عندما مات محمد هو ارتدادهم عن الإسلام زرافاتٍ ووحدانا، حتى أخضعهم أبو بكر بعد حروب الردة التي شملت أغلب القبائل العربية واستمرت لأكثر من عامٍ كامل. والذي ردهم إلى الإسلام بسيفه كان خالد بن الوليد الذي لم يسلم إلا قبل سنتين من موت محمد.

نفس هؤلاء المسلمين الأوائل الذين عاشوا في العصر الذهبي، كانوا يتحايلون على الزكاة بأن يشتري أحدهم بقراً أو أغناماً ويبيعها بعد عدة أشهر ولكن قبل أن يحول عليها الحول ويشتري بثمنها خرافاً يحتفظ بها تسعة أو عشر أشهر ثم يبيعها ويشتري الإبل مرة أخرى، **وبهذه الطريقة يتفادى دفع الزكاة**.

يقول الإمام مالك في المدونة:

"قال ابن القاسم: قلت لمالك فالغنم تباع بالابل أو البقر والبقر تباع بالغنم (قال) ليس في شئ من هذه زكاة حتى يحول عليها الحول من يوم اشترى الابل والبقر والغنم التى صارت في يديه وانما شراؤه الابل بالغنم وان مضى للغنم عنده ستة أشهر بمنزلة مالو كان عنده ذهب أو ورق فأقامت عنده ستة أشهر ثم اشترى بها ابلا أو بقرا أو غنما فانه يستقبل بالماشية من يوم اشتراها حولا ولا ينظر في هذا إلى اليوم الذى أفاد فيه الدنانير والدراهم وانما ينظر في هذا إلى يوم اشترى الماشية بالدنانير والدراهم فيحسب من ذلك اليوم حولا ثم يزكى." [37]

يقول حجة الإسلام الغزالي في مهمة الفقهاء:

"وأما الزكاة فالفقيه ينظر إلى ما يقطع به مطالبة السلطان حتى أنه إذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهرا حكم بأنه برئت ذمته، وحكى أن أبا يوسف القاضي كان يهب ماله لزوجته آخر الحول ويستوهب مالها {أي تهبه له قبل أن يتم عندها الحول}، إسقاطا للزكاة ،فحُكي ذلك لأبي حنيفة رحمه الله فقال: ذلك من فقهه، وصَدَقَ، فإن ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته في الآخرة أعظم."[38]

---

[33] تاريخ الإسلام للذهبي، ج2، ص 208.
[34] المصنف، لعبد الرزاق الصنعاني، ج7، باب هل على المملوكين نفي أو رجم، حديث 13314.
[35] تفسير ابن كثير للآية، وكذلك أسباب النزول للواقدي.
[36] المقبول لابن عمر الأزهري، ص 147، نقلاً عن خليل عبد الكريم، النص المؤسس.
[37] المدونة، ص 320.
[38] إحياء علوم الدين، ربع العبادات، ج1، ص 11.

و**الحيل الشرعية** التي أتى بها الفقهاء للتحايل على أحكام القرآن عديدة ولا يمكن ذكرها كلها في مقال بهذا الحجم. وكل هذه الحيل كانت تُمارس في العصر الذهبي للإسلام أيام الإمام مالك وبقية الأئمة الكبار.

7. *التعذيب*

أصبحت الدول الإسلامية الآن أشهر دول العالم في تعذيب المعارضين السياسيين واختفائهم قسرياً، لدرجة أن أمريكا أرسلت بعض المعتقلين في سجن غوانتانيمو بكوبا إلى الأردن والمغرب ومصر وغيرها لاستخلاص الاعترافات منهم تحت التعذيب. فمن أين أتى الحكام العرب بهذه السادية، وهل خلا عصر الإسلام الذهبي من هذه الممارسات؟

التعذيب في الإسلام بدأ بغزوات الرسول، خاصة غزوة خيبر:

"أتى النبي بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق – وكان عنده كنز بني النضير- فسأله فجحد أن يكون له علم بالكنز، فأتى النبي برجل من يهود، فقال الرجل للنبي: إني قد رايت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة. فقال النبي لكنانة: أرايت إن وجدناه عندك، أآقتلك؟ قال: نعم. فأمر النبي بالخربة فحُفرت فأخرج منها بعض كنزهم ثم سأله ما بقي فأبى أن يؤديه، فأمر به رسول الله الزبير بن العوام فقال: " عذبه حتى تستأصل ما عنده " فكان الزبير يقدح بالزند في صدره حتى أشرف على الهلاك، ثم دفعه رسول الله إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه." [39]

وتبع ذلك تعذيب أم قرفة:

"فلما أسرها زيد بن حارثة، أمره النبي أن يقتلها، فقتلها قتلاً عنيفاً، ربط برجليها حبلين ثم ربطهما إلى بعيرين حتى شقها. فأمر النبي بالطواف برأسها في دروب وأزقة المدينة."[40]

ومنذ ذلك الوقت أصبح التعذيب في الإسلام وقطع الرؤوس وسمل الأعين، شيئاً طبيعياً لا يثير أي تقزز في نفوس المسلمين.

وعندما قتل ابن ملجم الخليفة علي بن أبي طالب

"أحضروا ابن ملجم، فاجتمع الناس، وجاءوا بالنفط والبواري، فقال محمد بن الحنفية، والحسين، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب: دعونا نشتف منه، فقطع عبد الله يديه ورجليه، فلم يجزع ولم يتكلم، فكحل عينيه، فلم يجزع، وجعل يقول: إنك لتكحل عيني عمك، وجعل يقرأ: "إقرأ بسم ربك الذي خلق" حتى ختمها، وإن عينيه لتسيلان، ثم أمر به فعولج عن لسانه ليقطع، فجزع، فقيل له في ذلك. فقال: ما ذاك بجزع، ولكني أكره أن أبقى في الدنيا فواقاً لا أذكر الله، فقطعوا لسانه، ثم أحرقوه في قوصرة، وكان أسمر حسن الوجه، أفلج، شعره مع شحمة أذنيه، وفي جبهته أثر السجود. ويروى أن علياً رضي الله عنه أمرهم أن يحرقوه بعد القتل." [41]

وهؤلاء كانوا أبناء الخليفة علي، الذين رضعوا من ثدي الإسلام الذي كان لتوه قد أنجب الخلفاء الراشدين.

وعندما عزل الخليفة يزيد بن معاوية الوليد بن عقبة عن المدينة، استعمل عليها عمرو بن سعيد الأشدق، فقدمها في رمضان فدخل عليه أهل المدينة، وكان عظيم الكبر واستعمل على شرطته عمر بن الزبير لِمّا كان بينه وبين أخيه عبد الله من البغضاء. فأرسل عمر بن الزبير إلى نفر من أهل المدينة فضربهم ضرباً شديداً لهواهم في أخيه عبد الله، منهم أخوه المنذر بن الزبير، ثم جهز عمرو بن سعيد عمر بن الزبير في جيش نحو الفى رجل إلى أخيه عبد الله بن الزبير فنزل بالأبطح وأرسل إلى أخيه يقول له بر بيمين يزيد، وكان يزيد قد حلف ألا يقبل بيعته إلا أن يؤتى به في جامعة، وقال حتى أجعل في عنقك جامعة من فضة لا ترى. فأرسل إليه أخوه عبد الله جيشاً فرّق جماعته وأصحابه، ثم أقاد عمرا بكل من ضربه ومات عمر تحت السياط.[42]

وهذا ما يحدث بين الإخوان في دين المنصور بالرعب.

فإذا كانت هذه تصرفات نبي الإسلام وأبناء خلفائه الراشدين، فأين كان العصر الذهبي للإسلام؟ هل كان في عصر الحجاج بن يوسف، أم عصر يزيد بن معاوية، أم في عصر هارون الرشيد؟ عصر الإسلام الذهبي لا يوجد إلا في مخيلة السلفيين الذين ينظرون إلى الحياة الدنيا بمنظار داكن يحجب عنهم ضوء العقل، ويزين لهم قباحات ما كان يفعله سلفهم الصالح، فيرونها بلون الزهور،ويحجب عن أنوفهم نتانة الصديد الذي يفوح من تاريخ الإسلام، خاصة العصر الذهبي المزعوم. وكل تفجيرات الإسلاميين التي نراها اليوم- في العراق وأفغانستان وباكستان لا تساوي عُشر الدماء التي أسالتها سيوف مَن كان قد أمره إلهه بقتال الناس حتى يقولوا: *لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله*.

خخخ

عودة إلى الفهرس

[39] تاريخ الطبري، ج2، ص 135.
[40] النص المؤسس ومجتمعه، خليل عبد الكريم،ص 174. وكذلك إمتاع الأسماع للمقريزي، الطبعة الأولي 1981، ج1، ص 210.
[41] تاريخ الإسلام للذهبي، ج2، ص 197.
[42] شذرات الذهب للدمشقي، ج1، ص 66.

الدكتور كامل النجار

مقالات

الحوار المتمدن

المجموعة V (2010)

فهرس المجموعة V

#	عنوان المقالة	العدد	تاريخ النشر	محور المقالة
188	المسلمون يحتكرون كل شيء حتى الله	2886	2010 / 1 / 12	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
189	الإسلام يزرع الجهل والخزعبلات في أتباعه	2891	2010 / 1 / 17	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
190	يقولون ما لا يفعلون	2897	2010 / 1 / 23	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
242	عمر عائشة عندما تزوجها محمد	3202	2010 / 12 / 1	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
243	هل يمكن تأريخ القرآن أو الإسلام؟	3206	2010 / 12 / 5	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
244	توضيحاً لإشكالات بعض القراء	3209	2010 / 12 / 8	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
191	تاريخ وماهية القرآن 1- 3	2933	2010 / 3 / 3	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
192	تاريخ وماهية القرآن 2 – 3	2936	2010 / 3 / 6	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
193	تاريخ وماهية القرآن 3 – 3	2940	2010 / 3 / 10	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
194	تعقيباً على تعليقات القراء على تاريخ القرآن	2943	2010 / 3 / 13	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
195	تأملات في القرآن المكي 1-4	2978	2010 / 4 / 17	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
197	تأملات في القرآن المكي 2-4	2982	2010 / 4 / 21	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
199	تأملات في القرآن المكي 3-4	2986	2010 / 4 / 25	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
201	تأملات في القرآن المكي 4-4	2989	2010 / 4 / 28	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
196	في رحاب القراء 1	2980	2010 / 4 / 19	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
198	في رحاب القراء 2	2984	2010 / 4 / 23	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
200	في رحاب القراء 3	2987	2010 / 4 / 26	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
202	في رحاب القراء 4	2991	2010 / 4 / 30	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
203	القرآن ونساء النبي	2993	2010 / 5 / 2	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
204	في معية القراء	2995	2010 / 5 / 4	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
205	القرآن وبنو إسرائيل 1-4	2997	2010 / 5 / 6	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
208	القرآن وبنو إسرائيل 2-4	3001	2010 / 5 / 11	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
209	القرآن وبنو إسرائيل 3-4	3003	2010 / 5 / 13	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
210	القرآن وبنو إسرائيل 4-4	3005	2010 / 5 / 15	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
206	في استراحة القراء 1	2998	2010 / 5 / 7	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
207	يهود الأندلس	2999	2010 / 5 / 9	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
211	طول اليوم الإلهي	3009	2010 / 5 / 19	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
212	البطريرك إبراهيم وأساطير الشرق 1-2	3012	2010 / 5 / 22	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
213	البطريرك إبراهيم وميثولوجيا الشرق 2-2	3015	2010 / 5 / 26	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
214	كيف خلقنا الآلهة والأديان 1-2	3031	2010 / 6 / 11	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
215	كيف خلقنا الآلهة والأديان 2-2	3039	2010 / 6 / 19	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
216	مقارنة بين البوذية والإسلام	3044	2010 / 6 / 25	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
217	لماذا يزداد تخلفنا	3050	2010 / 7 / 1	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
218	نساؤهم ونساؤنا	3060	2010 / 7 / 11	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
219	شيخ الأزهر الجديد وتربيع الدائرة 1-2	3064	2010 / 7 / 15	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
220	شيخ الأزهر الجديد وتربيع الدائرة 2-2	3066	2010 / 7 / 17	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
221	الدكتور سيد القمني وتخلف المسلمين	3077	2010 / 7 / 28	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
222	الدكتور سيد القمني وتأخر المسلمين: تعقيباً على القراء 1-2	3080	2010 / 7 / 31	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
223	الدكتور سيد القمني وتأخر المسلمين - تعقيباً على القراء 2-2	3081	2010 / 8 / 1	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
224	تخاريف رجال الأزهر 1	3084	2010 / 8 / 4	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
225	تخاريف رجال الأزهر 2	3087	2010 / 8 / 7	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
226	تخاريف رجال الأزهر 3	3090	2010 / 8 / 10	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
227	تخاريف رجال الأزهر - الحلقة الأخيرة	3093	2010 / 8 / 13	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
228	كيف خسر المسلمون بإلغاء العبودية؟	3098	2010 / 8 / 18	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
229	لجان البحوث الدينية وتفاهة البحث	3151	2010 / 10 / 11	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
230	الكون بين العلم والدين	3155	2010 / 10 / 15	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
231	تساؤلات القراء	3160	2010 / 10 / 20	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
232	كيف أتينا إلى الوجود	3162	2010 / 10 / 22	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
233	كامل النجار في حوار مفتوح مع القارئات والقراء حول التشكيك والإلحاد في الأديان	3164	2010 / 10 / 24	مقابلات و حوارات
234	ما هي مهمة الأديان؟	3173	2010 / 11 / 2	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
235	الإسلام لا يحترم العقل	3176	2010 / 11 / 5	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
236	في معية القراء مرة أخرى	3178	2010 / 11 / 7	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
237	إله الإسلام في الميزان	3183	2010 / 11 / 12	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
238	الخوف والجهل هما حجر الأساس	3186	2010 / 11 / 15	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني

188 - المسلمون يحتكرون كل شيء حتى الله

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=199038

الاحتكار دائماً وأبداً يؤدي إلى تحكم المحتكِر (بكسر الكاف) بالمحتكَرين (بفتح الكاف) واستنزافهم مادياً أو معنوياً أو الاثنين معاً، فعندما يحتكر مقاول أو تاجر استيراد الاسمنت، مثلاً، يصبح هو المتحكم في أسعار الاسمنت وبالتالي في أسعار المباني وقدرة الناس على شراء أو بناء منازلهم. وكلما زاد تحكمه كلما زادت ثروته وقوته ومقدرته على شراء ذمم المسؤولين بالحكومات. ولذلك تحارب الحكومات في البلاد المتقدمة كل أنواع الاحتكار، ولكن حكوماتنا العربية والإسلامية تغض الطرف عن الاحتكار لما يعود عليها من أصحاب الاحتكار. فمثلاً في إيران، أصبح الحرس الثوري يحتكر غالبية المشاريع التجارية والصناعية الكبرى. ويقال إن أي مشروع يُطرح في المزاد، وتفوق قيمته المليون دولار، يفوز به الحرس الثوري تلقائياً. فأصبح الحرس الثوري حكومة داخل الحكومة، وأصبح نفوذه أكبر من نفوذ رئيس الدولة.
والإسلام منذ ظهوره، مكّن المسلمين من احتكار عمليات السطو على البلاد الأخرى واسترقاق مواطنيها، واحتكر كذلك المواطنة. فالمسلم لا موطن له إذ أن موطنه هو أمة الإسلام، حيثما كانت. فالقوميات لا مكان لها في الإسلام. وليتهم اكتفوا بذلك، فهم لا يؤمنون بالمقولة العالمية **live and let live** أي **عش واترك غيرك يعيش**. فالغير إذا لم يعتنق الإسلام، فلا قيمة لحياته. فمن حق المسلم أن يغزوه ويقتله أو يفرض عليه الجزية إمعاناً في إذلاله واحتقاره.

- وعليه فقد احتكر المسلمون الاتصال بين السماء والأرض، وقسّموا المعتقدات إلى سماوية وفلسفية.

فأصبحت الديانات المسالمة من بوذية Buddhism وهندوسية Hinduism وشانتو Shinto وكنفوشية Confucianism ، أدياناً فلسفية، أي من صنع الإنسان، والإسلام واليهودية والمسيحية، أدياناً سماوية. وعندما ازداد احتكار المسلمين للمعتقدات وزادت بالتالي قوتهم المادية والمعنوية، *أعلنوا أن اليهودية والمسيحية أصبحتا لاغيتين لأن أتباعهما قد حرَّفوا الكتب السماوية التي أتى بها موسى ويسوع، وعليه خلا الجو للإسلام بأن يصبح الدين السماوي الوحيد.*
والقرآن شجعهم على هذا الاحتكار عندما قال:

{إن الدين عند الله الإسلام. (آل عمران 19)}.

وكذلك:

{ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. (آل عمران 85)}.

ولا يسع أي إنسان لديه ذرة من العقل إلا أن يشكك في حكمة هذا الإله الذي أرسل 124 ألف نبي ورسول (حسب الزعم الإسلامي) ثم قرر أخيراً أن ديناً واحداً فقط هو الصحيح ولن يقبل أي دين آخر كان قد أرسل به رسلاً وأنبياء من قبل وطالب الناس باتباعهم. وقال القرآن عن يسوع:

{إني جاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إليّ مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون. (آل عمران55)}.

وهذه الآيات تظهر التضارب والتناقض الكبير في هذه السورة من القرآن. ولكن مع ذلك احتكر المسلمون الاعتقاد بالله وجعلوه ملكهم الخاص دون أن يكلفوا أنفسهم الانتظار إلى يوم القيامة حتى يحكم الله بينهم وبين مَن اتبع يسوع (عيسى بن مريم).

- ثم احتكر المسلمون مفهوم التوحيد

وزعموا أنهم الوحيدون الذين يعبدون إلهاً واحداً مع أن فكرة التوحيد بدأت عند قدماء المصريين عندما عبدوا آمون طوال فترة حكم الفرعون أخناتون، ثم رجعوا إلى التعددية بعد موته. ومن بعدهم عبد بنو إسرائيل إلهاً واحداً، وكان غيوراً جداً وحذرهم من عبادة آلهة آخرين معه:

{22 فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ أَنَّنِي مِنَ السَّمَاءِ تَكَلَّمْتُ مَعَكُمْ. 23 لاَ تَصْنَعُوا مَعِي آلِهَةَ فِضَّةٍ وَلاَ تَصْنَعُوا لَكُمْ آلِهَةَ ذَهَبٍ. 24 مَذْبَحاً مِنْ تُرَابٍ تَصْنَعُ لِي وَتَذْبَحُ عَلَيْهِ مُحْرَقَاتِكَ وَذَبَائِحَ سَلاَمَتِكَ غَنَمَكَ وَبَقَرَكَ. فِي كُلِّ الأَمَاكِنِ الَّتِي فِيهَا أَصْنَعُ لاِسْمِي ذِكْراً آتِي إِلَيْكَ وَأُبَارِكُكَ. (سفر الخروج، الإصحاح 20)}.

والمسيحيون يعبدون إلهاً واحداً ذا ثلاثة أقانيم، وهذا لا يتعارض مع الوحدانية في شيء. ولكنها سطوة المتسلط المحتكر الذي يفرض على الناس ما يريد، دون أي دليل. وقد قال شيوخ الإسلام في فتاواهم:

"لا يوجد على وجه الأرض دين حق سوي الإسلام، من أصول الإسلام أنه يجب الاعتقاد بكفر كل من لم يدخل في الإسلام من اليهود والنصاري. كما لا يجوز لمسلم الأستجابة لدعوة بناء مسجد وكنيسة ومعبد في مجمع واحد لأن في ذلك أعتراف بدين غير الإسلام."[1]

- ورغم تاريخ الإسلام الدامي الذي اشتهر:
  - بأحادية الحكم الذي أصبح وراثة من الأب إلى الابن،
  - وبقتل المعارض بحجة الزندقة، كما فعل خالد القسري عندما ذبح الجعد بن درهم يوم عيد الأضحى وقال إنه *يضحي به لله بدل كبش الفداء*،

جاء المسلمون الجدد واحتكروا مفهوم الديمقراطية وزعموا أنها من روح الإسلام.
وقال كبيرهم الذي علمهم السحر، الشيخ المصري القطري يوسف القرضاوي:

"قال بعضهم إن الديمقراطية بدعة مستوردة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. قلت لهم لا، جوهر الديمقراطية ليس مستورداً، جوهر الديمقراطية هي الشورى هي النصيحة في الدين، هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هي حرية النقد والتعبير."

فجماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السعودية هي من روح الديمقراطية، حسب قول القرضاوي. وما زال المسلمون يزعمون أن الديمقراطية نظام حكم نشأ مع الإسلام، رغم أن مفهوم الشورى الذي ورد في آية واحدة فقط في القرآن:

{وأمرهم شورى بينهم}

[1] اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء بالمملكة العربية السعودية، رئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز- وعضوية الشيخ عبد العزيز آل الشيخ- الشيخ و الدكتور صالح بن فوزان الفوزان فتوى رقم 19402 عام 1993.

لم يُطبق أبداً طوال تاريخ الإسلام الطويل، *والكل يعلم أن الشورى غير الديمقراطية*. وهاهي المملكة العربية السعودية قد أنشأت مجلساً للشورى يُعَين نصف أعضائه الملك عبد الله، فهل هناك ديمقراطية في مملكة آل سعود. وهل تجتمع الملكية مع الديمقراطية، والقرآن نفسه يقول لنا:

{إنّ الملوكَ إذا دخلوا قريةً أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة كذلك هم يفعلون}.

ولكن قوة الاحتكار تجعل المسلمين يفترضون ما يريدون دون أي دليل، ولا يسألهم احد. فقد أصبحوا مثل إلههم:

{لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون. (الأنبياء 23)}.

- ولا يكفي المسلمين احتكار الدنيا ونساءها ومعتقداتها، فاحتكروا الجنة وقالوا على لسان محمد إن الجنة لا يدخلها إلا مسلم:

[قال رسول الله (ص) أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة قلنا نعم قال أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة وما انتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر، وذهب جماعة إلى أن الثلثين جميعاً من هذه الأمة وهو قول أبي العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحاك قالوا (ثلة من الأولين) من سابقي هذه الأمة (وثلة من الآخرين) من هذه الأمة في آخر الزمان][2].

- ثم احتكروا الله نفسه وقرروا أنه يحب محمداً أكثر من حبه لجميع الأنبياء والرسل، فجعلوه خاتم الأنبياء وحبيب الله الذي يصلي عليه مع ملائكته كل يوم.

ودليلهم الوحيد على هذه المحبة وعلى أن محمداً خاتم الأنبياء، حديث زعموا أن محمداً قد قال لهم فيه **إنه خاتم الأنبياء وأنه حبيب الله**. وفي غمرة حماسهم لتأليه رسولهم نسوا أو تناسوا أن القرآن يقول لنا:

{ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسنٌ واتبع ملةَ إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيمَ خليلا. (النساء 125)}.

فليس هناك أحب من الخليل. ثم قال عن موسى:

{ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلّم الله موسى تكليما. (النساء 164)}.

فإذا لم يكن موسى حبيب الله لما كلمه مباشرةً. وقال عن يسوع:

{إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة. (آل عمران 55)}.

فهل هناك تكريم أكثر من هذا؟

- وذكر القرآن موسى أكثر من مائة وثلاثين مرة،
- وذكر إبراهيم عشرين مرة وعيسى عشرين مرة كذلك،
- ولم يذكر محمد غير أربعة مرات فقط.

ومع ذلك أصبح محمد حبيب الله وأفضل خلق الله. وهذه ميزة الاحتكار التي يتمتع بها المحتكر. يُقال إن فورد صاحب مصنع السيارات الأمريكية كانت كل سياراته مطلية باللون الأسود فقط، ولما طالب بعض الأمريكيين بأن يتيح لهم فورد فرصة اختيار ألوان سياراتهم، رد عليهم بقوله:

"طبعاً، يمكنكم اختيار أي لون تريدون ما دام أسوداً."

- ولم يكفِ المسلمين احتكاراتهم لكل الأشياء، فقرروا احتكار اسم الله،

وعندما نشرت صحيفة هيرالد ويكلي المسيحية، والتي تصدر بلغة المالاي كلمة "الله"، هاج وماج المسلمون،

"وقال جميل خير جوهري ان مجلس الافتاء الوطني رأى في ابار/مايو 2007 ان كلمة "الله" يمكن ان تستخدم من قبل المسلمين وحدهم في ماليزيا، حسبما نقلت وكالة الانباء "برناما" ليل السبت الاحد. واضاف انه "من المهم بالنسبة للمسلمين حماية استخدام الكلمة واذا كان هناك اي محاولة لاهانة الكلمة او لسوء استخدامها علينا ان نتخذ اجراءات قانونية بموجب الدستور الفدرالي"."[3].

وفعلاً أصدرت الحكومة قانوناً يحظر على غير المسلم استعمال كلمة "الله". بالطبع، رفعت الصحيفة الأمر إلى القضاء، وقررت المحكمة يوم الخميس ان الصحيفة الكاثوليكية تتمتع "بالحق الدستوري" في استخدام كلمة "الله"، مؤكدة أن منع استخدام الكلمة من قبل الحكومة "غير شرعي وباطل ولاغ". واعترض مسلمون على الحكم وقالوا إنهم سينظمون تظاهرات ضده. وفعلاً تظاهر المسلمون ضد القرار وأحرقوا ثلاث كنائس، ثم أحرقوا كنيسة رابعة يوم 2010/1/10.
ورغم هذه الهمجية الإسلامية، قال روبرت تان، كاهن إحدى الكنائس في كوالالمبور:

"بغض النظر عمّن قام بهذا العمل، إذا تعرفوا على الشخص فإنني أريد أن أذهب إليه وأعانقه وأقول له يا أخي أنا أحبك. لن يكون لي أي مشاعر سيئة نحوه."[4]

ولأن الغالبية العظمى من المسلمين، حتى العرب، ناهيك عن الذين لا يتحدثون العربية، لا يقرؤون القرآن، وإن قرأوه لا يفهمونه، غاب عن الذين أفتوا وعن المتظاهرين أن كلمة "الله" كان يستعملها عرب ما قبل الإسلام، وأخذها محمد عنهم. والقرآن نفسه يقول في أكثر من عشر آيات:

{ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنئ يؤفكون. (الزخرف 87)}.

وكذلك

{ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله. (لقمان 25)}.

بالإضافة إلى الشعر الجاهلي الذي مجد فيه الشعراء الله.

ولكن جهل المسلمين مصيبة نعجز أن نجد لها حلاً.

أما الذين يفتون، فهم أجهل من العامة في أغلب الأمور، عدا الأحاديث وقصص الأنبياء. وهناك مثل إنكليزي يقول:

Little knowledge is dangerous.

---

[2] تفسير البغوي، ج4، سورة الواقعة، الآيات 37-40.
[3] إيلاف 2010/1/3.
[4] الشرق الأوسط 2010/1/11.

والسبب الرئيسي وراء محاولة المسلمين احتكار الحقيقة المطلقة، والفضيلة وسائر الأشياء، هو شعورهم بعقدة النقص.

فهم يرون العالم قد تحرك مسرعاً إلى الأمام *وتركهم في القرن السابع مع الصحابة ومَن جاء بعدهم من بخاري ومسلم ونيسابوري*. ولتأكيد أنهم يعيشون في الماضي السحيق، زعموا أن العلوم كلها قد خرجت من عند المسلمين، وراحوا ينقبون في كتب التاريخ الإسلامي عن علماء حقيقيين يفتخرون بهم، فلم يجدوا غير الفارسيين وأهل بخارى وأهل السند والأتراك ليفتخروا بهم. وتناسوا أن مَن يفتخرون بهم الآن هم نفس العلماء الذين كفَّرهم معاصروهم من أمثال أبي حامد الغزالي الذي كفّر الفارابي وابن سينا وكل الفلاسفة.
وفي حقيقة الأمر فإن المسلمين لم يقدموا للعلم إلا شذرات، وكان أحسن ما قاموا به هو ترجمة التراث اليوناني والروماني إلى العربية. وأغلب الترجمات قام بها مسيحيوا العراق والشام. والعدد البسيط من المسلمين الذين اشتغلوا بالعلوم الطبيعية لم يكونوا عرباً، ولم يكتشفوا في العلوم لأنهم مسلمون، وإنما لميولهم الشخصية وللفرصة التي أتاحتها لهم ترجمة التراث اليوناني. فلو لم يجبرهم المسلمون على اعتناق الإسلام، لقاموا بنفس تلك الاختراعات.
وقد فطن الغربيون إلى حاجة المسلمين للتشبث بعلماء الماضي، فقاموا بإرسال علماء غربيين، دفع لهم الزنداني وبعض شيوخ الخليج مبالغاً طائلة من المال ليحاضروا في جامعات الشرق الأوسط عن **عظمة الإسلام**. وفي آخر التقليعات في هذا المجال، افتتح "ليبرتي ساينس سنتر" في أمريكا معرضاً عن إعادة اكتشاف علوم المسلمين. بدأت الشرق الأوسط الحديث عن هذا المعرض بالسؤال التالي:

> "مَن صمَّم أول جهاز طيران؟ اذا كانت إجابتكم أن مَن صممه هما الأخوان رايت في القرن التاسع عشر، أو حتى ليوناردو دافنشي في القرن الخامس عشر، فلعلكم ستفاجأون بأنكم لم تقتربوا من الإجابة الصحيحة، فالمستندات تبين أن عباس بن فرناس هو أقدم شخص معروف، شيد وقاد جهازاً للطيران في القرن التاسع، وفي الأندلس في إسبانيا الإسلامية."[5]

وعباس بن فرناس لم يقم باختراع آلة الطيران، وإنما صمم جناحين ربطهما إلى ذراعيه وطلع على جبل وألقى بنفسه منه ليطير، غير أنه وقع ودق عنقه. ومحاولته ربما تكون قد فتحت الباب لعلم الباراشوت ولكن حتماً ليس للطيران. وإذا عرفنا أن ابن فرناس كان أمازيغياً، أجبرته جيوش المسلمين على اعتناق الإسلام بعد أن قتلوا وسبوا عشرات الآلاف من بلده، *نعرف أن محاولته لم تكن بدافع الإسلام وإنما بدافع عقله الذي كان يبحث عن حقيقة العالم.*
و"مركز ليبرتي ساينس" قد طورته مؤسسة «إم. تي. إي. استوديوز» التي تتخذ من مدينة كيب تاون ومن دبي مقرات لها. وإذا عُرف السبب بطل العجب.

ورغم كل هذا الاحتكار وتبخيس الديانات الأخرى، يحاول المسلمون ذر الرماد في عيون الغربيين ويدعونهم إلى حوار الديانات الذي لا يخدم غرضاً غير إتاحة الفرصة لأخذ صور الملوك والشيوخ في مدن العالم الغربي. وبما أن لإسلام يبيح لهم الكذب والخداع، خاصة في الحرب، وهم يزعمون أنهم في حرب مع الغرب، فسوف يستمرون في ذر الرماد في العيون الغربية.

عودة إلى الفهرس

[5] الشرق الأوسط 2007/7/21.

2010 / 1 / 17

189 - الإسلام يزرع الجهل والخزعبلات في أتباعه

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=199734

الأديان وليدة مجتمعاتها، وبالتالي تأتي بصورة تعكس طبيعة تلك المجتمعات. عندما كانت المجتمعات تتكون من ما يسميه علماء الاجتماع hunter gatherer أي الإنسان الذي يصطاد الحيوانات ويجمع الثمار من الأشجار، كانت سرعة الحركة والتنقل من سمات تلك المجتمعات، ولذلك كان إلههم صنماً صغيراً يسهل حمله معهم أينما حلوا. وباكتشاف الزراعة واستقرار المجتمعات، بدأت فكرة الآلهة المتعددة والمتخصصة في شتى فروع الحياة الإنسانية، بخيرها وشرها. وكانت هذه الآلهة تسكن السماء. *وكل الأديان الحديثة، سواء ما يُسمى منها سماوية أو فلسفيه، نتجت في مجتمعات زراعية مستقرة تعرف وتعتني بالزراعة والري، ولذلك سموا آلهتهم بأسماء تعكس هذه المتطلبات الدنيوية، مثل إله البحر، وإله السحاب وإله الخصب وما إلى ذلك.*

الإسلام هو الدين الوحيد الذي نشأ في صحراء جرداء، **عند قومٍ لم يعرفوا الاستقرار ولا السلطة المركزية**، وتسيطر على طبيعتهم عوامل الصحراء القاسية، والتي تتطلب نصرة القبيلة لأن الفرد في صحراء الربع الخالي لا يختلف عن ذرات الرمال التي تحيط به، فلا بد له من عُصبة تحميه من الطبيعة ومن القبائل الأخرى. ولذلك قال محمد:

[انصر أخاك ظالماً أو مظلوما].

فالانتماء للإسلام عند المسلم هو **بمثابة القبيلة** التي تحميه من القبائل الأخرى.

> ولما كانت القبيلة تعجز عن حماية الفرد من الموت والمرض والعوامل الطبيعية، احتاج إنسان الصحراء إلى قوى فوق الطبيعة وغير مرئية له لتساعده، فخلق منظومة الجن والسحر واعتقد أن الجن يستطيع أن ينصره ويضر بأعدائه، ويجلب له الخير إذا رضي عنه، أو الشر إذا غضب عليه.

ولما كان **الجهل** هو سيد الموقف في الصحراء، والقاعدة تقول **إن فاقد الشيء لا يعطيه**، جاء محمد بدين لا يفهم رائده عن الطبيعة أكثر مما يفهمه البدوي العادي، ولذلك تبنى محمد كل معتقدات قبائل الصحراء وجعلها جزءاً مهماً من دينه الجديد.

ومن أوائل السور المكية في قرآنه الجديد، كانت سورتا المعوذتين:

{قل أعوذ برب الناس.ملك الناس. إله الناس. من شر الوسواس الخناس. الذي يوسوس في صدور الناس. من الجِنةِ والناس}،

ثم:

{قل أعوذ برب الفلق. من شر ما خلق. ومن شر غاسق إذا وقب. ومن شر النفاثات في العقد. ومن شر حاسدٍ إذا حسد}.

> ولكي يُثبت لأتباعه من البدو أن الكُهان يستطيعون أن ينفثوا في الخيط ويعقدونه وتستمر تلك العقد في احتواء الشر والأذى للناس إلى أن يقرأ محمد عليها القرآن، فيبطل مفعولها، *أتى بقصة مرضه الذي سببه له أحد اليهود عندما نفث في* ***خيطٍ إحدى عشرة عقدةً*** *ودفنه في بئر.* فمرض محمد وأوشك على الهلاك لولا مجيء جبريل بالرسالة السماوية التي كشفت لمحمد مكان النفاثات في العقد، فأخرجوا الخيط من البئر وقرأ محمد المعوذتين (ومجموع آياتهما إحدى عشرة آية) فشُفي محمد لتوه.

- فبدل أن يحاول محمد محاربة السحر والدجل، كما فعلت اليهودية قبله، جارى ما وجد عليه آباءه. والمثل الإنگليزي يقول:

  If you can't beat them, join them.

وهاهو محمد قد شاركهم جهلهم وخرافاتهم لأنه لم يكن مؤهلاً علمياً لمحاربة الجهل والخرافة، وكما قلنا: **فاقد الشيء لا يعطيه.**

- وزاد محمد من *توطين الخرافة في مجتمعه* بآيات عديدة من القرآن تؤكد وجود الجن، والشياطين، والسحر الذي أنزله الله من السماء وبعث به الملكين هاروت وماروت إلى بابل ليعلموا الناس السحر الذي يُفّرق بين الرجل وزوجته، فقال:

  {فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم. (البقرة 102)}.

فهاهو رب محمد يرسل الملكين *ليتعلم منهما الناس ما يضرهم ولا ينفعهم*. ولكن هذا الضرر الذي يحاول الساحر إنزاله بالمدعو عليه، لا يصيبه إلا بعد أن يأذن الله للسحر بالعمل. *فالله شريكٌ في ضرر الناس مع السحرة.*

ولتوكيد مفهوم السحر والجن والشياطين، أتى محمد بسورة كاملة سماها سورة الجن، وبها ثمان وعشرون آية، أي تقل بعشر آيات فقط عن سورة محمد نفسه. *وجعل محمد لهذا الجن مقدرات فائقه تجعله يستطيع أن يغيّر حتى الوحي الإلهي*، كما حدث في قصة الآيات الشيطانية.

{وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته. (الحج 52)}.

فكيف يستطيع البدوي مقاومة جن أو شيطان بهذه القوة والمقدرة، فليس أمامه إلا أن يقرأ عليه القرآن ليستعيذ به، وبالتالي يصبح القرآن هو المسيطر على حياته.

- ثم تطور **استفحال الجهل** في الرسالة المحمدية لدرجة أن الإنسان العادي، وليس الكاهن فقط، يستطيع أن ينظر إلى إنسان آخر أو حيوان، *فيصيبه بالعين الشريرة التي تقضي عليه بالمرض أو بفقدان ثروته أو بتطليق زوجته.*

وجاء محمد بآية قرآنية تؤكد هذا الخوف:

{وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لمّا سمعوا الذِكر ويقولون إنه لمجنون. (القلم 51)}.

فالذين كفروا كادت أعينهم أن تزلق محمد. يقول النيسابوري في سبب نزول هذه الآية:

> "نزلت حين أراد الكفار أن يعينوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصيبوه بالعين فنظر إليه قوم من قريش فقالوا: ما رأينا مثله ولا مثل حججه، وكانت العين في بني أسد حتى إن كانت الناقة السمينة والبقرة السمينة تمر بأحدهم فيعينها ثم يقول: يا جارية خذي المكتل والدرهم فأتينا بلحم من لحم هذه، فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر." [1]

فلو كان فينا من بني أسد عددٌ كبير لما احتجنا لكل الجيوش العربية لحرب إسرائيل، فكان يكفي أن ينظر بنو أسد إلى الإسرائيلي فيقع ميتاً أو مريضاً.

- ومن مفهوم هذه العين اللعينة ظهرت **منظومة الحسد**.

---

[1] أسباب النزول للنيسابوري، سورة القلم، الآية 51.

وكالعادة جاء محمد بآيات تدعم هذا المفهوم:

{أعوذ برب الفلق... ومن شر حاسدٍ إذا حسد. (سورة الفلق)}.

ثم أردف في سورة النساء في ذم اليهود:

{أم يحسدون الناسَ على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم مُلكاً عظيما. (الآية 54)}.

مع ملاحظة أن اليهود هم نسل إبراهيم من ابنه إسحق (حسب التراث الإسلامي واليهودي)، فكيف يحسدون المُلك في أنفسهم؟

وبالطبع عشعش الحسد واستفحل في المجتمعات الإسلامية حتى أصبح المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها يعلقون الخرز الأزرق على أطفالهم خوفاً من العين. وفي العراق وبعض البلدان الأخرى يعلقون على أبواب منازلهم كفاً من خشب أو غيره، به فتحة في منتصف الكف على هيئة العين، **ليكف ذلك الكف عين المارة من أمام ذلك البيت فلا يحسدون ساكنيه،** كأنما بيتهم قصر من قصور سليمان أو بلقيس.
ولباس الخرز، الأزرق منه والأحمر، عادات أتت إلينا من القبائل الأفريقية البدائية التي يحب أفرادها التزين بالألوان الصاخبة وبريش النعام أو ريش الطاؤوس الملون. وقد استغل عرب ما قبل الإسلام هذه القبائل البدائية وباعوهم الخرز مقابل العبيد والإماء والأحجار الكريمة. **وجاء الإسلام فجعل الخرزة الزرقاء وقاءً من العين.**

وقال محمد في أحد أحاديثه:

[إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب]. [2]

وأخرج البيهقي عن أبي هريرة أن محمداً قال:

[لا يجتمع في جوف عبدٍ الإيمانُ والحسد].

ولذلك عندما يرى المسلم طفلاً جميلاً ويقول إنه جميل، ترتفع الأصوات ب **"ما شاء الله"**. ولأن المسلم يردد كالببغاء دون أن يعي ما يقول، نجده يردد "ما شاء الله" دون أن يفكر فيما يقوله. فكيف يمكن لمقولة "ما شاء الله" أن ترد العين عن الصبي الجميل؟ فالقرآن يخبرنا أن السحرة الذين تعلموا من هاروت وماروت لا يضرون أحداً إلا بعد أن يأذن لهم الله. فلو كان الله قد قرر أن يصيب ذلك الطفل بالأذى من عين الحاسد، فسوف يصيبه الأذى **لأن ما قدّره الله لا يُرد**. وكل شيء يحدث بمشيئته. فمقولة "ما شاء الله" فقط تؤكد أن الضرر يحدث بمشيئته، ونحن نعلم هذا مسبقاً. فلماذا تكرار هذه المقولة؟
وهذا التكرار الأعمى لا يختلف عن تهليلهم "الله أكبر". فشبه الجملة هنا ناقص المعنى ولا يفيد السامع شيئاً. لو قالوا "الله كبير" لعرفنا قصدهم. أما أن يقولوا "الله أكبر" فلا نفهم منها شيئاً. فهو أكبر مِنْ مَنْ؟ هل هو أكبر من الشخص، أم من الصنم أم من العالم بأسره؟
وما هو هذا الحسد الذي جعل أصحاب البصات (الحافلات) المهلهلة في المدن والقرى الإسلامية يكتبون بالخط العريض على بصاتهم (حافلاتهم): "عين الحسود فيها عود"؟

"الحسد هو أن يتمنى الرجل زوال النعمة عن صاحبه سواء تمناها لنفسه أم لا، وهو حرام .والغبطة أن يتمنى لنفسه مثل ما لصاحبه وهو جائز. قال الكلبي لا يتمنى الرجل مال أخيه ولا امرأته ولا خادمه ولكن ليقل اللهم ارزقني مثله." [3]

يقول الكلبي هذا وكان يجب عليه أن يستغفر الله له ولنا، لمنعه الرجل من أن يتمنى امرأة أخيه، وقد تمنى محمد امرأة ابنه بالتبني.
ويقول النسفي في تفسيره:

"الحسد هو الأسف على الخير عند الغير." [4]

بينما يقول الحافظ المنذري:

"تصعد الحفظة بعمل العبد حتى يجاوزوا به إلى السماء الخامسة كأنه العروس المزفوفة إلى بعلها فيقول لهم الملك الموكل بها: قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه ،أنا ملك الحسد. إنه كان يحسد الناس ممن يتعلم ويعمل بمثل عمله، وكل من كان يأخذ فضلا من العبادة يحسدهم ويقع فيهم. أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري) (الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، ج1، افتتاح الكتاب في الإخلاص واتباع السنة."

ويقول نفس المنذري:

"والمراد بالحسد هنا الغبطة وهو تمني مثل ما للمحسود لا تمني زوال تلك النعمة عنه فإن ذلك الحسد المذموم." [5]

ويقول القاموس المحيط:

"حَسَدَهُ الشيءَ، وعليه، يَحْسِدُه ويَحْسُدُه حَسَداً وحُسوداً وحَسادَةً، وحَسَّدَه: تَمَنَّى أن تَتَحَوَّلَ إليه نِعْمَتُه وفَضِيلَتُه، أو يُسْلَبَهُما، وهو حاسِدٌ من حُسَّدٍ وحُسَّادٍ وحَسَدَةٍ، وحَسُودٌ من حُسُدٍ. وحَسَدَنِي اللّهُ إن كنْتُ أحْسُدُكَ، أي: عاقَبَنِي على الحَسَدِ. وتَحاسَدوا: حَسَدَ بعضُهم بعضاً) (القاموس المحيط، للفيروزآبادي، باب الحاء."

فإذاً الحسد قد يكون تمني زوال نعمة الغير، أو تمني انتقال تلك النعمة للحاسد، أو حتى غبطة الحاسد وتمني أن تكون له نعمة كنعمة المحسود، دون زوال نعمة الأخير. ولا يختلف تعريف الحسد في القاموس الإنگليزي. فكلمة حسد envy، تعني في القاموس الإنـگليزي:

Mortification or ill-will, or longing occasioned by others good fortune.

وكلمة mortification تعني إماتة الجسد أو الشهوات. فالحاسد الغربي يحاول أن يقتل رغبته بما عندك، أو قد يتوق لأن يملك مثل ما تملك، وفي حالات أخرى قد يُكن لك نوايا سيئة. ولكن في الغالب عندما يقول لك الشخص الغربي إنه يحسدك على عملك أو رحلاتك فإنما يتمنى أن يكون مثلك. وفي بعض الأحيان عندما يكون عملك شاقاً، قد يقول لك أحدهم:

I do not envy you.

[2] الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، ج2، سورة النساء، الآية 54.
[3] تفسير البغوي، ج1، سورة النساء، الآية 33.
[4] تفسير النسفي، ج1، سورة البقرة، الآية 83.
[5] نفس المصدر، ج2، كتاب قراءة القرآن.

فلا نجد هنا أحاديث عن يسوع أو موسى تهدد الحاسد بعقاب رادع، ولا وجود لملك الحسد الذي يمنع أعمال العبد من الصعود إلى السماء السادسة وما فوقها.

فالغيبيات اللا معقولة، مثل **الجن** الذي يسكن جسم الإنسان ويشاركه في معاشرة زوجته، ويستخرجه الشيخ بالضرب المبرح الذي قد يودي بحياة المصاب، **والشياطين، وإبليس** الذي نكيل له اللعنات صباح ومساء، **والعين، والحسد**، والشفاء الذي نطلبه في **جرعةٍ** من عسل أو كيةٍ من نار، وآيات القرآن التي نكتبها على اللوح ونمحوها بماء نشربه للعلاج، **والتمرغ** بأضرحة الأولياء ليخاطبوا الله نيابةً عنا حتى يمنحنا ما نطلب منه، رغم أنه يقول في القرآن:

{وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون. (البقرة 186)}،

كل هذه الخزعبلات لا نجدها إلا في الإسلام. فهل هناك أي أمل في أن تتقدم هذه الأمة لتلحق بركب الحضارة؟

عودة إلى الفهرس

2010 / 1 / 23

190 - يقولون ما لا يفعلون

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=200548

هناك بعض أمراض نفسية تصيب المريض بإنفصام في الشخصية، فيتصرف بشخصيتين متضادتين، فقد يظهر المريض في وقت ما بمظهر الشخص الوقور المتزن، ثم بعد ساعات يظهر بشخصية القاتل المتعطش للدماء، وقد يقتل من يصادفه في الطريق دون سابق أي معرفة بينهما. الإنگليز يصفون مثل هذا الشخص بأنه Dr Jekyll and Mr Hyde الذي خلده الروائي الاسكتلندي روبرت لويس ستيفنسن في روايته التي تحمل نفس العنوان.
وهذا بالضبط هو حال الإسلام وشيوخه المتاجرين به والدول الإسلامية. ولا يخفى على أحد *أن الأمة العربية أمة صوتية* تعتمد على الخطب الجوفاء التي تجافي الحقيقة في أغلب الأوقات. ولذلك يتفوه فقهاء الإسلام ووعاظ سلاطينه بعدة كليشيهات محفوظة منذ مئات السنين، رغم أنها لا تعكس جوهر الإسلام. وبما أن الكذب والخديعة مباحان لهم، فقد أجادوا تمثيل دور دكتور جيكل ومستر هايد.
ويظهر هذا جلياً في مؤتمراتهم العديدة التي ينامون في أغلبها ويخرجون لنا في النهاية ببيان ختامي لا يسمن ولا يغني من جوع. ولا يسع المرء إلا أن يسأل لماذا تنفق السعودية ملايين الدولارات على المؤتمرات الإسلامية التي لا تقدم، بل تؤخر من شأن الأمة.
ففي مايو (أيار) من العام الماضي (2009) استضافت السعودية، لمدة 3 أيام المؤتمر الثامن لاجتماعات وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية، وذلك في محافظة جدة تحت عنوان: «الأمن الفكري ودور وزارات الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في تحقيقه»، بمشاركة 62 دولة، حسب ما جاء في الشرق الأوسط. وناقش المؤتمر عدة موضوعات، أبرزها:

- خطة الارتقاء بالمساجد موقعا ورسالة،
- وخطة إصدار كشاف عن الأوقاف في العالم الإسلامي،
- والتجديد في الفكر الإسلامي والخطاب الديني بين الثوابت والمتغيرات،
- ودور الدعوة الإسلامية في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية،
- وحوار الأديان والحضارات،
- ومشروع برنامج الوسطية منهج وحياة،
- والتنصير في بلاد المسلمين،
- وتقرير حول تقدم العمل بصندوق الاستثمار في ممتلكات الأوقاف بالبنك الإسلامي،
- وتقرير عن إنجازات المشاريع التنفيذية لتنسيق جهود الدول الإسلامية في الأوقاف.

ونظرة سريعة لعدد هذه المواضيع المدرجة في أجندة المؤتمر تقنعنا أن المؤتمرين لن يجدوا وقتاً كافياً لدراسة وتمحيص كل هذه الأجندة في الثلاثة أيام التي يضيع نصفها في العناق والتقبيل والوضوء والصلاة.

> "وأكد الشيخ صالح آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد السعودي ورئيس المجلس التنفيذي للمؤتمر، على أن رسالة المسجد تأتي الدعامة الأساسية لبناء الأمة الواحدة في عقيدتها وأخلاقها وآدابها، فالمسجد يترجم رسالة الإسلام، وهو طريق لجمع الكلمة ووحدة الصف، فلا مجال لأن ينحرف المسجد عن هذه الرسالة لأن الإسلام جاء ليربي في الأمة العزة."[1]

وقد تغاضى الشيخ عن حقيقة أن المسجد، ومنذ أول يوم دخل فيه محمد المدينة وبنى مسجده، *أصبح المسجد أداةً للفرقة والشقاق* بعد أن بنى بعض المسلمين مسجداً آخراً ودعوا محمداً ليصلي فيه، فسماه محمد **مسجد الضرار**، وأمر بهدمه. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت المساجد *مكاناً للنيل من الخصوم المذهبيين*، كما حدث أيام معاوية بن أبي سفيان عندما استعمل مساجد الشام والعراق لسب علي بن أبي طالب ومؤيديه، ومن بعده استمر ابنه يزيد على نفس المنوال، بينما استعمل عبد الله بن الزبير مساجد المدينة لسب يزيد الذي سموه **بالفاسق**، وكما يحدث الآن في مساجد الشيعة في العراق وإيران واليمن والبحرين وباكستان، والتي يُسب فيها عمر وأبو بكر وعائشة، ويقابل ذلك مساجد أهل السنة في بقية البلاد الإسلامية التي يُسب فيها "الروافض". ولذلك تمنع السلطات الدينية إقامة مساجد للبهائيين في مصر، وللشيعة في المملكة السعودية. *فكيف يقول الشيخ صالح آل الشيخ إن المسجد هو طريق لجمع الكلمة ووحدة الصف؟* وهل توحد صف المسلمين منذ إنعقاد مجلس سقيفة بني ساعدة؟ والكل يعلم أن مملكة آل سعود وآل الشيخ قد شجعت المساجد على تبني الخط المتشدد وحشو عقول الشباب بآيات الجهاد والحور العين. ولم تتحرك الدولة لضبط المساجد إلا عندما طالتها التفجيرات التي كانت قد عمت جميع أنحاء العالم ونفذها الشباب السعودي الذي تربى في تلك المساجد.
ثم ما هي رسالة الإسلام؟ هل جاء ليربي في الأمة العزة، والقرآن يقول {**فإن العزة لله جميعاً**. (النساء 139، فاطر 10)}، أم جاء ليهدي الناس إلى عبادة رب السماء الذي سماهم عبيد الله، بدل أبناء الله. وهل للعبيد عزة؟
ثم أكد الشيخ:

> "على أهمية تكوين قاعدة معلومات شاملة عن الأوقاف تتضمن حصر وتسجيل جميع الأوقاف في البلدان الإسلامية، ليمكن من خلال ذلك حصر وتسجيل جميع البيانات المتعلقة بالأوقاف في العالم الإسلامي، بحيث تكون هذه البيانات مشروعا رائدا ومفيدا في وجود (أطلس كشاف) عن الأوقاف في العالم الإسلامي، يوثق ويحصر ويضبط جميع أعيان الأوقاف، مبينا أن المملكة تقدمت بخطة متكاملة في هذا الشأن خلال اجتماعات الدورة التاسعة للمجلس التنفيذي لمؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية في دول العالم الإسلامي الذي عقد في الكويت قبل أربع سنوات." [2]

وهذا الطرح يُثبت أن الأمة الإسلامية أمة صوتية فقط. فالمملكة قد تقدمت بطلب إنشاء كشوفات للوقف الإسلامي قبل أربع سنوات في مؤتمر الكويت، ولم يحدث شيء بخصوص التوصية، وهاهم يناقشونها مرة أخرى. والسبب في أنَّ شيئاً لم يحدث هو أن القائمين على الأوقاف مشغولون بنهبها.
ففي عهد المماليك بمصر كان الرجل الغني يهب أمواله اسمياً للوقف،

> "والأهم من ذلك كله أن يجعل نفسه القائم على الوقف ،أي إن كل أملاكه تكون تحت يده ومحصنة من المصادرة عن طريق التنازل الظاهري عنها ووقفها صوريا للانفاق على تلك المؤسسة الدينية ، بينما يكون النصيب الأكبر من الدخل له هو ولورثته ، باعتبارهم القائمين على الوقف." [3]

وفي مصر الحديثة:

---

[1] الشرق الأوسط، 22 مايو 2009.
[2] نفس المصدر.
[3] احمد صبحي منصور، الحوار المتمدن، 2009/5/17.

"عندما راى الشيخ الذهبى ما يحدث من سرقة لأوقاف المسلمين حاول التدخل مستخدما سلطته القانونية ضد مرؤوسه محمد توفيق عويضة (رئيس هيئة الأوقاف) ، فلم يفلح ، استغاث بمجلس الوزراء فاكتشف أنه يؤذن فى مالطة ، أخيرا لجأ الشيخ الذهبى الى مجلس الشعب ليشكو موظفا يعمل عنده ، وهذه سابقة لم تحدث من قبل ، وتفسيرها أن الشيخ المغلوب على أمره ذهب الى مجلس الشعب ليكشف المستور ليخلى مسئوليته وليرضى ضميره وعوقب على ذلك بأن إغتالته جماعة التكفير كما يقولون." [4]

وأضاف وزير الأوقاف السعودي:

"أن أحد المعلقين من رؤساء الوفود على الورقة، أكد أهمية الطرح، وقال: «لو كانت هذه الورقة لدينا منذ مدة في العالم الإسلامي وبهذه الأفكار، لما ضاع الكثير من الأوقاف." [5]

فيبدو أن سرقة أموال الأوقاف متفشية في جميع الدول الإسلامية.
ثم استمر الشيخ صالح آل الشيخ، فقال:

"حثنا القرآن على الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، فالإسلام يشرع مخالطة الناس والتعامل معهم أيا كانت اتجاهاتهم على أساس القول الحسن والفعل الجميل، ما لم يظلموا أو يعتدوا. وأكد أن «التجديد في أمر الدين، والتجديد في وسائل الإبلاغ، والتجديد فيما يدخل في نطاق الاجتهاد، هذا من واجبات المجتهدين والمصلحين؛ لأنه لولا التجديد أو التحديث ونقل الناس إلى ما هو أفضل من التنظيمات، أو من الاجتهادات الفقهية وما أشبه ذلك، لبقي الناس بعيدين عن هذا الدين." [6]

ولغة الشيخ هنا ما هي إلا ترديد للكليشيهات، إذ هي لا تمت لتعاليم الإسلام بشيء. فتعالوا نقرأ ما يقوله القرآن عن مخالطة الناس والتعامل معهم بالقول الحسن.

{ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم أولياء ولا نصيرا. (النساء 89)}.

وكل ما فعله القوم في مكة أنهم تمنوا أن يكفر المسلمون، وهذا شيء طبيعي أن يتمنى الإنسان أن يكون الآخرون مثله. فالمسلمون عندما يبشرون بإسلامهم يحدوهم الأمل في أن يكفر الآخرون بأديانهم ويعتنقوا الإسلام. ولكن بدل أن يجادل أهل مكة بالتي هي أحسن، أوصى رب الإسلام المسلمين بأن يأخذوا هؤلاء البؤساء ويقتلوهم حيث يجدونهم. وهذا هو الحوار الإسلامي. وكأن هذا لا يكفي، نجد القرآن يحث المسلمين بمقاطعة المسلمين الذين آمنوا في مكة لكنهم لظروف خاصة بهم لم يهاجروا إلى المدينة، فقال عنهم:

{والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا. (الأنفال 72)}.

فحتى المسلم الذي لم يهاجر مع محمد إلى المدينة لا يسمح الإسلام بتوليهم ومعاملتهم كأصدقاء. وأوصى محمد أتباعه في المدينة عام تسعة هجرية، أن يقاطعوا الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فأصبحوا مختلفين .ومع ذلك يقول لنا الشيخ:

"حثنا القرآن على الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن، فالإسلام يشرع مخالطة الناس والتعامل معهم أيا كانت اتجاهاتهم."

ولا يسعنا هنا إلا أن نقول للشيخ، كما قال قرآنه:

{كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون. (الصافات 3)}.

ويقول الشيخ:

"لولا التجديد أو التحديث ونقل الناس إلى ما هو أفضل من التنظيمات، أو من الاجتهادات الفقهية وما أشبه ذلك، لبقي الناس بعيدين عن هذا الدين".

فما هو التجديد والاجتهاد الذي قام بها فقهاء الإسلام منذ القرن الثاني عشر الميلادي عندما أقفل فقهاء الكوفة باب الاجتهاد؟ فهل ما اصدره مجلس البحوث بالجامع الأزهر من العلاج ببول الرسول ورضاع الكبير يُعتبر اجتهادا وتجديداً؟
ويستمر الشيخ فيقول:

"إن الإسلام هو دين القوة كما أنه دين السلام، وهو دين الاعتدال والحوار والاحترام للآخر."

ياله من إدعاءٍ أجوف. احترام الآخر هو قوله:

{حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون}.

"وشدد المؤتمرون على أهمية الاتصال مع الآخر، كون الغرب دأب على أن يقدم مصطلحات جديدة ينسبها إلى الإسلام والمسلمين بغرض تغريب الفكر الثقافي الإسلامي وتقديم أجندة خاصة من جانبه عن طريق صياغة مقترحات عن الإسلام في أساسها سيئة السمعة في الغرب مثل الأصولية والإرهاب وغيرها، وذلك نوع من الغزو الثقافي الحوار." [7]

وهل نلوم الغرب إن صاغ مقترحات سيئة السمعة عن الإسلام بعد أن بنى لهم المساجد وآواهم من خوفٍ وأطعمهم من جوع، ثم جاء الشباب السعودي ليفجر برجي التجارة بنيويورك، وجاراهم الباكستانيون بتفجير قطارات وبصات (حافلات) لندن، وجاراهم الأصوليون الجزائرون والمغاربة بتفجيرات مدريد وباريس؟ ألا يعرف هؤلاء الشيوخ قول الحق، والحديث يقول لهم:

[قل الحقَ ولو كان مراً.] [8]

"ومن جهته اعتبر القاضي محمود عبد الحميد الهتار وزير الأوقاف والإرشاد بالجمهورية اليمنية أن الأمن الفكري يعد أساسا للأمن المجتمعي، ذلك لأن كل عملية إرهابية لا بد لها من فكر تستند إليه وتنطلق منه أيا كان ذلك الفكر، سواء أن كان دينيا أو غير ديني، مشددا على أن الفكر لا يواجَه إلا بالفكر، وأن المشكلات الفكرية لا تُحَلّ إلا عن طريق الحوار، معربا عن اعتقاده أن الحوار والمناصحة يمثّلان أفضل الحلول لهذه المشكلات."

وقد أصاب القاضي اليمني في أن الإرهاب لا بد له من فكر يستند إليه وينطلق منه، وأن الحوار هو الحل الأمثل. فمقولة الإسلاميين *أن الإرهاب لا دين له، مقولة كاذبة* أكد كذبها القاضي اليمني في كلمته، كما أكدته جميع التفجيرات في العشرين عاماً الماضية، **إذ لم يحدث أي تفجير قام به شخص غير مسلم**. ولكن لأن القاضي محمود وزير في دولة الإرهاب اليمنية التي تكمم أفواه مواطنيها وتحرمهم الحوار، لم يتعرض الوزير لاعتقال وسجن المعارضين ومنع الصحف من الصدور في بلاده لأن آراءها تختلف عن رأي الحكومة. وكان الأولى به أن يقدم نصيحته تلك للرئيس علي عبد الله صالح الذي يسمح لوعاظ السلاطين المتراكمين حول قصره الرئاسي بأن يصدروا فتاوى تكفر جميع أعضاء الحزب الإشتراكي اليمني.

[4] نفس المصدر.
[5] الشرق الأوسط، 2009/5/26.
[6] الشرق الأوسط، نفس التاريخ.
[7] نفس المصدر.
[8] كنز العمال للمتقي الهندي، ج15، حديث 43572.

وقد قالت وزيرة حقوق الإنسان باليمن، السيدة أمة العليم السوسوة، في مقابلة مع الشرق الأوسط:

"أتمنى أن تُعطى مساحة من الحريات للمعارضة اضافة للموجودة حالياً، ونحن في وزارة حقوق الانسان نطالب بمساحات أكبر لأن ذلك سيكون في مصلحة اليمن ولأنه من حق كل ألوان الطيف السياسي أن يعبروا عما يريدون من تصورات للمستقبل وأن يكون صوتهم عالياً وأعتقد أنه لا توجد أي حساسية لأن الطبيعي هو تعدد الرؤى ولكن لدى الجميع في النهاية ثوابت في السياسة اليمنية يتفق عليها من هو في المعارضة ومن في الحكومة." [9]

فحتى السياسة جعلوا لها ثوابت تتفق عليها الحكومة والمعارضة، مع أن السياسة هي فن الممكن، وهدفها مصالح الدولة، وتتغير مواقف السياسيين كما يتغير الطقس في البلاد الغربية، ولا يمكن أن يكون بها ثوابت. لكن يبدو أن ثوابت الإسلام تنسحب على كل شيء له علاقة بالمسلمين.
وأضافت:

"تلقينا رسالة وجهت إلينا من الحزب الاشتراكي تفيد أن هناك بعض المناهج في التربية والتعليم تدعو لتخوين الحزب وتكفر أعضائه. وبموجب هذه الرسالة قامت وزارة التربية والتعليم بعمل ورشة عمل كاملة منذ ثلاثة أسابيع للبحث في الكتب المدرسية بمستوياتها الدراسية عن هذا المضمون." [10]

وهذا هو نوع الحوار الإسلامي الذي يُكفّر من يختلف عنهم في الرأي ويربي قادة المستقبل على ذلك التكفير بحشو عقولهم بالمناهج التكفيرية.
أما مفتي السعودية الشيخ آل الشيخ فقد قال:

"إن عالمنا الإسلامي جزء من ذلك العالم، والعالم الإسلامي يشكو من تحالف الأعداء وهجومهم على الإسلام ومن جرأة بعض المنافقين على قضايا الأمة وعبادتها وثوابتها، كما يشكو من ضعف فكري عند بعض أبناء المسلمين مما يستدعي من بعض العقلاء والمفكرين والمسؤولين أن يوحّدوا صفهم ليضعوا الخطط المناسبة لإنقاذ الأمة."

فليت مفتي السعودية يتصل بالرئيس البشير قائد ثورة الإنقاذ الذي أنقذ السودان بفضل أسلمة قوانينه وجلد صحافياته وسجن معارضيه. والشيخ المفتي يجزم أن العالم الإسلامي يشكو من تحالف الأعداء وهجومهم على الإسلام وجرأة المنافقين على قضايا الأمة، ويغمض الشيخ عينه عن تآمر الدول الإسلامية على بعضها البعض وعن نفاق "علمائها" آكلي أموال الأوقاف، وعن فساد حكامها الذين هم أولو الأمر **{وأطيعوا أولي الأمر منكم}**.
فالشيخ هنا يضرب بالحوار عرض الحائط ويتهم المسلمين الليبراليين الذين ينتقدون منهاج الكبت والتعصب في السعودية، بأنهم منافقون يتهجمون على **ثوابت الأمة وعبادتها**. *وليت الشيخ المفتي يعرف أن الحياة ليست بها أي ثوابت غير الجماد.* كل شيء من تعاليم وتقاليد وعادات ولغات، يجب أن تتحرك وتواكب عصرها وإلا انقرضت. فحتى الرمال التي تحيط به في الربع الخالي وفي صحراء الرياض ليست ثابتة، بل متحركة مع الرياح.
الورقة الوحيدة في المؤتمر التي تستحق أن تُسمى ورقة، هي ورقة الدكتور المصري سالم عبد الجليل، التي قُدمت في الجلسة السادسة بعنوان «التجديد في الفكر الإسلامي والخطاب الديني بين الثوابت والمتغيرات»، عن أهم وسائل تجديد الفكر الإسلامي، والتي تتمثل في تدريس مادة مناهج البحث العلمي في المدارس والجامعات الإسلامية، والتركيز على نشر البحوث التي تتناول التراث وإخراجه بشكل يتلاءم مع المستجدات العلمية الحديثة، وربط بحوث الدراسات الحديثة بمشكلات العصر. وطلب طرح الحلول القابلة للتنفيذ مثل مشكلات الأمية والفقر والمرض والتخلف والهزيمة النفسية.
ولا أعتقد، رغم ورقة الدكتور سالم، أننا سوف نتخلص من إدعاءات شيوخ الإسلام **الفارغة**، والتي تتعارض تعارضاً تاماً مع نصوص القرآن والأحاديث. *فعقليتهم هي عقلية المنهزم التي تبالغ في إعطاء صورة معاكسة للواقع*، كما كان يفعل الإذاعي المصري أحمد سعيد أيام حرب الأيام الستة مع إسرائيل، عندما كان يجهش بالبكاء ويصيح أن الجيوش العربية أضحت على بُعد عشرة كيلومترات من تل أبيب، وتهلل له الجموع المغلوبة على أمرها.
ورغم إدراج فقرة "التنصير في بلاد المسلمين" في أجندة المؤتمر، لم يحتو البيان الختامي عن أي شيء يتحدث عن التبشير.

فالتبشير بالنسبة لهم هو السماح لهم بنشر الإسلام في الغرب بالكذب والخداع وزواج النساء الغربيات وتحويلهن إلى الإسلام، أما أن يعاملوا المسيحيين بالمثل ويسمحوا لهم بالتبشير في بلاد المسلمين، فهذا "تابو" يحرّمه الإسلام لأن الدين عند الله الإسلام فقط، ولأن دين الإسلام من الهشاشة بحيث لا يستطيع أن يقف أمام التبشير المسيحي.

وكم من مسيحي سُجن وعّذب في الجزائر ومصر والسودان والمغرب بتهمة التبشير للمسيحية. الكيل بمكيالين هو القاعدة في بلاد الإسلام، رغم أن القرآن يقول لهم:

{واوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خيرٌ لكم وأحسن تأويلا. (الإسراء 35)}.

وللأسف فسوف يظل المسلمون يقولون مالا يفعلون، ولذلك أتى فقهاؤهم بمقولة:

"اتبعوا أقوال العلماء ولا تتبعوا أفعالهم."

لأن أفعالهم فعلاً مشينة.

عودة إلى الفهرس

[9] الشرق الأوسط.
[10] نفس المصدر.

242 - عمر عائشة عندما تزوجها محمد

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=236834

بعد ألف وأربعمائة عام من اغتصاب الشيوخ لطفلات في أعمار حفيداتهم لأن نبيهم تزوج بنت أبي بكر وهي طفلة في السنة السادسة من عمرها، وبنى بها وهي بنت تسعة أعوام،*كما تقول جميع كتب الأحاديث وكتب السيرة النبوية*، وبعد أن خرجت رائحة البيدوفيليا paedophilia أي نكاح الأطفال، من صندوق باندورا الإسلامي، **شعر بعض الشباب في الغرب بالحرج من سلوك رسولهم**، ذلك السلوك الذي لا يمكن الدفاع عنه في الغرب كما هو الحال عندنا في الشرق عندما يقول لنا الشيوخ أن تلك العادة كانت متفشية في زمن الرسالة لأن الطقس الحار يساعد على نضوج الفتيات في سن مبكرة. وقد نسي هؤلاء الشيوخ أو تعمدوا النسيان بأن محمداً زعم أنه نبي مرسل من عند الله، فسلوكه يجب أن يكون غير سلوك معاصريه وإلا لما كان هناك حاجة لإرساله إن لم يغيّر سلوك معاصريه. ثم أن حر صحراء نجد ما زال كما كان أيام محمد، فهل تبلغ البنات الآن في السعودية في سن تقل عن بنات الإسكندرية مثلاً، وهي أقل حراً من مكة؟

دفع هذا **الخجل** بعض شباب الإسلام في الغرب إلى محاولة ترميم كتب التراث واللف حولها **لزيادة عمر عائشة عندما بنى بها محمد**.

من هؤلاء الشباب رجلُ يُدعى تي أو شانافز T O Shanavas وهو طبيب بولاية كنتكي بالولايات المتحده، وهو كذلك نائب الرئيس *لمؤسسة البحوث الإسلامية Islamic Research Foundation International* في ولاية كنتكي. هذا الطبيب قال في مقال يحاول فيه الدفاع عن محمد بزيادة عمر عائشة:

> "However, most people in our Islamic Center of Toledo, including me, would not think of betrothing our seven years daughter to a fifty-two year-old man. If a parent agrees to such a wedding, most people, if not all, would look down upon the father and the old husband."

> "على كل، فإن غالبية الناس في مركز توليدو، بما فيهم أنا، لا نفكر في خطوبة بناتنا ذوات السبعة أعوام إلى رجل عمره اثنان وخمسون عاماً. وإذا وافق أحد الآباء على زواج مثل هذا، فإن الغالبية، إن لم يكن الجميع، سوف يحتقرون الأب والزوج العجوز."
> انتهى.

وحتى لا ينظر الناس في الغرب باحتقار للرجل الذي تزوج طفلة في سن السادسة، بحث الكاتب في عدة مراجع عربية واستعان ببعض الكتب التاريخية التي قالت إن أسماء بنت أبي بكر كانت تكبر أختها غير الشقيقة، عائشة، بعشر سنوات، *وبنى على ذلك فرضية حسابية تقول إن عائشة كان عمرها ثمان عشرة سنة عندما تزوجها محمد.*

وجاء كاتب مصري شاب يُدعى إسلام بحيري، يعمل صحفياً بجريدة "اليوم السابع" الإسلامية، وترجم محتويات البحث الذي قام به الدكتور شانافاز، **ونسب البحث لنفسه دون أن يذكر اسم الدكتور في أي سطر في مقاله.** وقال إنه حائز على ماجستير في الدراسات الإسلامية من جامعة بريطانية.

> ***ولو قبل شيوخ الإسلام بهذا البحث واعتبروه مخرجاً لهم ومنعوا زواج الأطفال تيمناً برسول الإسلام، لشكرناهم ولما تعرضنا لهذا البحث بأي نقد رغم سطحيته ورغم عملية السرقة المخجلة.***

ولكن شيوخ الإسلام من سُنة وشيعة، وعلى رأسهم شيوخ الأزهر الذين مثّلهم الشيخ يوسف البدري في مناظرات متلفزة، أصروا على أن البخاري معصوم، وبما أنه قال إن عائشة كان عمرها ست سنوات عندما تزوجها محمد، فإن هذا العمر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وشذ عن هذا الدفاع عن البخاري الشيخ جمال البنا الذي نشر مقالاً في صحيفة "المصري اليوم" بتاريخ 13 أغسطس 2010، أشاد فيه بالباحث بحيري، وقال:

> "لم يقنع بأن يفندها {الروايات} بمنطق الأرقام ومراجعة التواريخ، ولكنه أيضاً نقد سند الروايات التى روى بها أشهر الأحاديث الذى جاء فى البخارى ومسلم، وأثبت فى الحالتين ذكاءً، وأصاب نجاحاً، من ناحية التواريخ، عاد الصحفى الشاب إلى كتب السيرة (الكامل ــ تاريخ دمشق ــ سير أعلام النبلاء ــ تاريخ الطبرى ــ تاريخ بغداد ــ وفيات الأعيان)، فوجد أن البعثة النبوية استمرت 13 عاماً فى مكة و10 أعوام بالمدينة، وكانت بدء البعثة بالتاريخ الميلادى عام 610، وكانت الهجرة للمدينة عام 623 م أى بعد 13 عاماً فى مكة، وكانت وفاة النبى عام 633 م والمفروض بهذا الخط المتفق عليه، أن الرسول (ص) تزوج عائشة قبل الهجرة للمدينة بثلاثة أعوام، أي فى عام 620 م. وهو ما يوافق العام العاشر من بدء الوحي، وكانت تبلغ من العمر 6 سنوات، ودخل بها فى نهاية العام الأول للهجرة أى فى نهاية عام 623 م، وكانت تبلغ 9 سنوات، وذلك ما يعني حسب التقويم الميلادي، أنها ولدت عام 614 م، أى فى السنة الرابعة من بدء الوحي حسب رواية البخاري، وهذا وهم كبير. ونقد الرواية تاريخياً بحساب عمر السيدة عائشة بالنسبة لعمر أختها (أسماء بنت أبى بكر ــ ذات النطاقين): تقول كل المصادر التاريخية السابق ذكرها إن أسماء كانت تكبر عائشة بـ 10 سنوات .كما تروي ذات المصادر بلا اختلاف واحد بينها أن أسماء ولدت قبل الهجرة للمدينة بـ 27 عاماً ما يعنى أن عمرها مع بدء البعثة النبوية عام 610 م كان 14 سنة، وذلك بإنقاص من عمرها قبل الهجرة 13 سنة وهى سنوات الدعوة النبوية فى مكة، لأن (27 ـ 13 = 14 سنة)، وكما ذكرت جميع المصادر بلا اختلاف أنها أكبر من عائشة بـ 10 سنوات، إذن يتأكد بذلك أن سن عائشة كان 4 سنوات مع بدء البعثة النبوية فى مكة، أى أنها ولدت قبل بدء الوحي بـ 4 سنوات كاملات، وذلك عام 606 م. ومؤدى ذلك بحسبة بسيطة، أن الرسول عندما نكحها فى مكة فى العام العاشر من بدء البعثة النبوية كان عمرها 14 سنة، لأن (4 + 10 = 14 سنة) أو بمعنى آخر أن عائشة ولدت عام (606 م) وتزوجت النبى سنة (620 م) وهى فى عمر (14) سنة، وأنه كما ذكر بنى بها ـ دخل بها ـ بعد (3) سنوات وبضعة أشهر، أى فى نهاية السنة الأولى من الهجرة وبداية الثانية عام (624 م) فيصبح عمرها آنذاك (14 + 3 + 1 = 18 سنة كاملة) وهى السن الحقيقية التى تزوج فيها النبى الكريم عائشة." انتهى.

أولاً: لا أعلم كيف غاب عن الشيخ جمال البنا أن كُتب الكامل ــ تاريخ دمشق ــ سير أعلام النبلاء ــ تاريخ الطبرى ــ تاريخ بغداد ــ وفيات الأعيان، كلها كُتب تاريخ وليست كتب سيرة، وكل كتب السيرة من ابن إسحق، وابن سعد، وابن هشام وابن حبان، تقول إن محمداً تزوج عائشة وعمرها ست سنوات. وكتب التاريخ التي ذكرها السارق، أقصد الباحث، لا تجمع على التواريخ التي ذكرها. وعلينا أن نتذكر أن هذه الكتب كلها لم تظهر في الوجود إلا في حوالي نهاية القرن السابع وبداية القرن الثامن الميلادي، *ولذلك لم يعاصر كاتبوها الأحداث وإنما نقلوا لنا روايات شفهية تناقلها الناس أكثر من مائة عام قبل أن يجمعها هؤلاء المؤرخون*. ولهذا السبب لا يمكن الاعتماد على التواريخ التي أتت بها.

ثم أن أمة الإسلام، تلك الأمة الأمية التي لا تكتب ولا تحسب، كما قال نبيهم، لم يكونوا يهتمون بتاريخ ميلاد أو وفاة أي شخص، حتى شيوخ قبائلهم، دع عنك تاريخ ميلاد أو وفاة بنات أبي بكر الذي لم يكن معروفاً وقت ولادة بنته أسماء في الجاهلية. أمة محمد لم تتفق حتى على تاريخ وفاة أسماء بنت أبي بكر كما سوف نستعرضه في المقال، فكيف يتفقون على تاريخ ولادتها وهي كانت نكرة في ذلك الوقت، كما كان أبوها؟

أغلب الكتب تتفق أن الدعوة المحمدية بدأت عندما كان محمد في عمر الأربعين، اعتماداً على حساب عكسي بعد أن أصبح رسولاً ثم مات، فقالوا إنه ولد عام الفيل، **وعام الفيل هذا لا يعرف أحد تاريخه بالضبط**. فإذا هم لم يعرفوا تاريخ ولادة نبيهم، كيف يعرفون تاريخ ولادة أسماء بنت أبي بكر؟ ولكن عدداً كبيراً جداً من الناس، بعد أن أسلموا وبعد أن أصبح محمد مشهوراً، عاصروا زواجه من عائشة وعاصروا ولادة عائشة، وبالتالي يكون احتمال قولهم إن عمرها كان ست سنوات عندما تزوجها، قولاً أكثر قبولاً من قولهم عن تاريخ ولادة أسماء.

على كلٍ، تتفق أغلب المصادر على أن البعثة بدأت عام 610 ميلادية وأن محمداً ظل في مكة ثلاث عشرة سنةً، وفي المدينة عشر سنوات، وكانت هجرته إلى المدينة بداية عام 623. وتزوج عائشة قبل الهجرة بثلاث أعوام، عندما توفيت خديجة في نهاية عام 620. كل هذه التوايخ تقريبية وبحساب تراجعي لأن المسلمين لم يكن عندهم تأريخ حتى بدأه عمر بن الخطاب عندما أصبح خليفة المؤمنين بعد موت محمد وأبي بكر. واختار عمر أن يبدأ التاريخ بهجرة محمد إلى المدينة. فكل التواريخ قبل ذلك اليوم هي توارخ تقريبية ومحسوبة بأثر رجعي. يقول "الباحث" المصري عن تاريخ زواج عائشة:

> "وهو ما يوافق العام العاشر من بدء الوحى، وكانت تبلغ من العمر 6 سنوات، ودخل بها فى نهاية العام الأول للهجرة أى فى نهاية عام 623 م، وكانت تبلغ 9 سنوات، وذلك ما يعنى حسب التقويم الميلادى، أنها ولدت عام 614 م، أى فى السنة الرابعة من بدء الوحى حسب رواية البخارى، وهذا وهم كبير." انتهى.

فإذا تزوجها محمد بعد موت خديجة في نهاية عام 620 وعمرها ست سنوات، تكون عائشة قد وُلدت بداية عام 615، أي بعد أربع أو خمس سنوات من بدء الرسالة. ولأن محمداً قد هاجر إلى المدينة في بداية سنة 623، ودخل بعائشة في نهاية نفس العام، يكون عمر عائشة يوم دخل بها تسع سنوات، كما تقول كتب السيرة.

ولكن الباحث بدأ بحثه بنقد هذه الرواية تاريخياً معتمداً على عمر أسماء، فقال:

> "وبحساب عمر السيدة عائشة بالنسبة لعمر أختها أسماء بنت أبى بكر ــ ذات النطاقين: تقول كل المصادر التاريخية السابق ذكرها إن أسماء كانت تكبر عائشة بـ10 سنوات." انتهى.

ولا يسعنا إلا نقول إن الباحث، خاصةً المصري، كان بخيلاً بذكر كل الحقائق، فإن المصادر التي ذكرها لا تتفق بأن أسماء كانت تكبر عائشة بعشر سنوات، كما ذكر. فمثلاً، يقول الإمام الذهبي في كتابه "سير أعلام النبلاء":

> "كانت أسماء أسن من عائشة ببضع عشر سنة."

والبضع قد يصل إلى عشرة. فيمكن أن تكون أسماء أكبر من عائشة بتسع عشرة سنة وبضعة أشهر، وليس عشر سنوات كما يذكر الباحث، الذي بنى حساباته على الرقم عشرة.

يقول صاحب شذرات الذهب - الدمشقي المعروف بابن العماد:

> "وتوفيت أم عبد الله بن الزبير بعد مصاب ابنها بيسير وهي أسماء بنت أبي بكر الصديق وهي في عشر بعد المائة وهي من المهاجرات الأول ومن أهل السوابق في الإسلام وهي ذات النطاقين رضي الله عنها." انتهى.

فإذا توفيت أسماء في عام 73 هجرية، وكان عمرها 110 من السنين، فهذا يعني أنها وُلدت عام 37 قبل الهجرة، أي قبل أربع وعشرين سنة من بدء الرسالة (37-13)، فعندما بدأ محمد رسالته كان عمر أسماء 24 سنة، بينما ولدت عائشة بعد أربع أو خمس سنوات من بدء الرسالة، وبذلك يكون الفرق بينهما حوالي ثمان وعشرين سنة أو يزيد، وليس عشر سنوات كما يقول الباحث. ولأن الباحث يصر على أن الفرق بين أسماء وعائشة عشر سنوات فقط، فإذا استعملنا الأرقام الجديدة يصبح عمر عائشة عندما تزوجها محمد ثمان عشرة سنة (28 وهو عمر أسماء – 10 وهو الفرق بينهما) فيصبح عمر عائشة 18 سنة يوم تزوجها بمكة، زائداً 3 سنوات قبل الهجرة، وسنة بعد الهجرة، فيكون عمرها يوم دخل بها 22 سنة.

لم يعرف الناس تاريخ موت أسماء حتى بعد أن أصبحت مشهورة وأصبح ابنها عبد الله أميراً للمؤمنين. يقول ابن كثير في "البداية والنهاية":

> "وقد عمّرت أسماء دهرا صالحا وأضرت فى آخر عمرها وقيل بل كانت صحيحة البصر لم يسقط لها سن وأدركت قتل ولدها فى هذه السنة كما ذكرنا ثم ماتت بعده بخمسة أيام وقيل بعشرة وقيل بعشرين وقيل بضع وعشرين يوما وقيل عاشت بعده مائة يوم وهو الأشهر وبلغت من العمر مائة سنة ولم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل رحمها الله وقد روت عن النبى ص عدة أحاديث طيبة مباركة رضى الله عنها ورحمها. (ص 178)" انتهى.

فإذا قال بعض المؤرخين إنها ماتت بعد موت ابنها بخمسة أيام، وقال آخرون بمائة يوم، فكيف يتفقون على تاريخ ولادتها في الجاهلية عندما كانت نكرة؟

ويقول صاحب كتاب "أسد الغابة في معرفة الصحابة" عن موت خديجة وموت أبي طالب:

> "وفي السنة العاشرة أول ذي القعدة وقيل: النصف من شوال توفي أبو طالب وكان عمره بضعاً وثمانين سنة، ثم توفيت بعده خديجة بثلاثة أيام، وقيل بشهر، وقيل: كان بينهما شهر وخمسة أيام، وقيل: خمسون يوماً ودفنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون، ولم تكن الصلاة على الجنائز يومئذ، وقيل: إنها ماتت قبل أبي طالب وكان عمرها خمساً وستين سنة." انتهى.

هل كانت أسماء بنت أبي بكر أشهر من أبي طالب الذي ربى محمداً، أم كانت أشهر من خديجة التي تزوجت محمداً وآوته وأطعمته؟

إذا لم يعرف المؤرخون تاريخ موت أبي طالب، وهل توفي قبل خديجة أم بعدها، وهل ماتت خديجة بعد أبي طالب بثلاثة أيام أم بخمسين يوماً، فهل سوف يعرفون تاريخ ولادة أسماء بنت أبي بكر في الجاهلية وهم لم يعرفوا حتى يوم ولادة رسولهم محمد؟

هل يمكن أن نقوم بعمليات حسابية مبنية على تواريخ هلامية مثل هذه، نغالط بها كل الأحاديث وكتب السيرة التي قالت إن عائشة كان عمرها ست سنوات عندما تزوجها محمد؟

كل التاريخ الإسلامي **مشكوك فيه**، وخاصةً أعمار الناس. وحتى اليوم سوف نجد في القرى العديدة المنتشرة في الشام والعراق واليمن وغيرها قرويين لا يعرفون تاريخ ميلادهم لأن العمر والوقت لا أهمية لهما في القرى، فهل كان أهل القرى والخيام قبل ألف وأربعمائة سنة يهتمون بتاريخ ميلاد الأفراد؟
ومما يزيد الطين بلة أن السيد إسلام بحيري، الذي قدم نفسه على أنه حائز على ماجستير في الدراسات الإسلامية من جامعة بريطانية، اضطر في آخر الحلقة السادسة من مناظرته مع الشيخ يوسف البدري أن يقول:

"أنا لم أعش يوماً في إنگلترا"

عندما قال له يوسف البدري:

"أنتَ لست اختصاصياً في الدراسات الإسلامية لأن شهادتك من إنگلترا".

فهل يملك هذا الشخص شهادة ماجستير من إنگلترا، وهل يمكن أن نثق في بحثه المترجم من غيره دون ذكر اسم مَن قام بالبحث؟

والخلاصة أن البحث لم يُثْبِت لنا أن عائشة كانت أكبر من تسعة سنوات عندما دخل بها محمد.

عودة إلى الفهرس

243 - هل يمكن تأريخ القرآن أو الإسلام؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=237285

في مقالي الأخير تعرضت للمحاولة الفاشلة من بعض الإسلاميين لإزالة تهمة البيدوفيليا عن رسولهم بزيادة عمر عائشة تسع سنوات اعتماداً على مقولة أحد المؤرخين الإسلاميين بأن أختها الكبرى أسماء بنت أبي بكر كانت تكبرها بعشر سنوات، كأنما المؤرخ قد رأى بأم عينيه شهادة ميلاد أسماء. وكما ذكرت سابقاً **فإن الأمة العربية أمة صوتية** اعتمدت في حفظ تراثها على النسّابين ورواة القصص الذين حفظوا الأنساب والقصص عن ظهر قلب لأنهم لم يعرفوا الكتابة، وإن عرفها منهم القليل، فلم تتوفر لهم أدوات الكتابة إذ أن أول مصنع للورق في شبه الجزيرة العربية أُنشيء عام 178 هجرية / 795 ميلادية في بغداد.

وحتى يسهل حفظ التراث العربي، والإسلامي فيما بعد، اعتمد الرواة ومؤلف القرآن على **السجع** الذي يسهل حفظة على الأميين. ويخبرنا التراث الإسلامي أن محمداً بن عبد الله عندما هاجر إلى المدينة أصدر أمراً للمؤمنين منعهم بموجبه من كتابة أي شيء عنه غير القرآن، حتى لا يختلط عليهم القرآن بالحديث. ولهذا السبب لم يبدأ **تدوين** الأحاديث، *أو بالصحيح صناعتها*، إلا في نهاية القرن الأول الهجري، أي بعد مرور أكثر من مائة عام على وفاة مَن زعموا أنه قال تلك الأحاديث. وانسحب نفس الشيء على التاريخ الإسلامي إذ أن تدوينه لم يبتدِ إلا في القرن الثامن الميلادي، الثاني من الهجرة، واعتمد مؤرخوه على **الروايات المعنعة** مثل الأحاديث، حيث يقول الطبري، وغيره من المؤرخين: **حدثني فلان عن فلان**.

وبالطبع، إذا كانت الأمة أمية لا تكتب ولا تنحت الصخور كما فعل غيرها من الأمم، يصبح من العسير التحقق من تاريخها، *ولذا يجزم أغلب المشتشرقين وبعض الباحثين العرب المعاصرين أن القرآن نفسه لم يبدأ بالظهور إلا في أيام الخليفة عبد الملك بن مروان*، وربما تشهد قبة المسجد الأقصى بذلك إذ تُعد من أقدم الشواهد التاريخية الإسلامية نسبةً لنقش اسم عبد الملك بن مروان مع بعض آيات قرآنية بها، ويرجع ذلك التاريخ إلى سنة 70 هجرية / 692 ميلادية.

رواة السيرة النبوية والمؤرخون المسلمون زعموا أن محمداً كان يملي القرآن على كُتاب الوحي بمجرد أن يأتيه جبريل بآيات جدد، ثم جُمع القرآن في عهد أبي بكر، ثم في خلافة عمر، وأخيراً في خلافة عثمان. ولكنا حتى الآن لم نعثر على أي قرآن مكتوب يرجع إلى ذلك التاريخ. أقدم نسخة من القرآن بين أيدينا هي نسخة سمرقند المكتوبة بالخط الكوفي، وكذلك مخطوطات صنعاء التي وُجدت في سقف أحد المساجد بصنعاء عام 1965، وتلك المخطوطات كذلك مكتوبة بالخط الكوفي الذي لم يظهر في المخطوطات إلا حوالي النصف الثاني من القرن الأول الهجري. وقد أرجع خبراء الخط مخطوطات صنعاء إلى العام 710 - 715 م.

ففي غياب الحفريات والمراجع الموثقة خطياً، كيف يتسنى لنا تأريخ القرآن أو نشأة الإسلام؟ المسلمون **المخدرون بقداسة الوحي** لا يعنيهم تأريخ القرآن لأنهم قد آمنوا بما أخبرهم به كُتاب السيرة النبوية، والمستشرقون حاولوا أن يدلفوا في كلمات القرآن وترتيب آياته وسوره علهم يأتونا بالخبر اليقين. وكان أكثر المستشرقين دلفاً في آيات القرآن الألماني نولدكه Noldke، والاسكتلندي بيل Bell والمجري گولدزيهر Goldziher. ورغم المجهود العظيم الذي بذله هؤلاء الباحثون، لم يتمكن أي منهم من تأريخ القرآن تأريخاً يمكن الاعتماد عليه. وهناك عدة أسباب لهذا الفشل.

أول هذه الأسباب

هو عدم جمع القرآن كرونولوجياً، أي حسب تاريخ نزوله. يخبرنا فقهاء الإسلام أن محمداً كان عندما تأتيه آية **يقول لكتبة الوحي ضعوها في المكان الذي تُذكر فيه الآية الفلانية**. وكنتيجة لهذه التوجيهات يمكن أن يضع كُتاب الوحي آية أتت في المدينة في سورة أتت في مكة. وقد حدث هذا كثيراً. فنجد مثلاً سورة المزمل المكية بها آيتان أتيتا بالمدينة، هما: {**واصبر على ما يقولون،** الآية 10}، و{**إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى الليل،** الآية 20}. ويمكن لأي شخص أن يحكم أن الآية 20 ليست من سورة المزمل لأن طولها أضعاف طول بقية الآيات الأخرى وجرسها الموسيقي مختلف. وهناك على الأقل اثنان وثلاثون سورة مكية بها آيات مدنية (المزمل، الفلق، الناس، المرسلات، ق، الأعراف، يس، الفرقان، مريم، الواقعة، الشعراء، النمل، القصص، الإسراء، يونس، الحجر، الأنعام، لقمان، سبأ، الزمر، الشورى، الزخرف، الجاثية، الأحقاف، الكهف، النحل، إبراهيم، الأنبياء، المؤمنون، السجدة، العنكبوت، المطففين) راجع الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.

السبب الثاني

رواة السيرة النبوية اخترعوا قصصاً يملأون بها الفراغ في القصة، وقد لا تتفق تلك الروايات مع ما يكتبه قاص آخر. فمثلاً يخبرنا ابن هشام **أن سبب إسلام عمر كان دخوله على أخته ووجدها تقرأ صحيفة بها آيات من سورة طه،** وبما أن عمر أسلم باتفاق الرواة في العام السادس من بدء الرسالة، كان يمكننا أن نقول إن سورة طه قد جاءت في العام السادس من بدء الدعوة أو قبله. ولكن الصحابة الآخرين ذكروا قصصاً مختلفه عن إسلام عمر، فمجاهد مثلاً ذكر **أن عمر كان ماراً في المساء أمام الكعبة فرأى محمد يصلي متجهاً إلى الشام، فجلس من ورائه واستمع إليه يقرأ القرآن، فحن قلبه وبكى، ثم أعلن إسلامه.** فأصبح من الخبل أن نجزم أن سورة طه قد نزلت عام ستة أو قبله من بدء الرسالة.

السبب الثالث

عندما يذكر القرآن حوادثاً معينة لا يؤرخها لنا ولا يذكر في أي مكان حدثت حتى نستطيع أن نبحث عن تاريخها. فمثلاً يقول لنا:

{غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غليهم سيغلبون. (الروم 3)}.

وبما أن القرآن لم تكن به علامات ترقيم لا نستطيع أن نقول هل **غُلبت** الروم بضم القاف أم **غلبت** بفتح القاف. **وأدنى الأرض** مكان غير محدد خاصة إذا علمنا أن الروم كانوا في بيزنطة والشام وتبوك. وقد دارت أكثر من أربعين معركة بين الروم والفرس وبين الروم والعرب على مدى التاريخ الإسلامي حتى سقطت القسطنطينية. فمثل هذه الحوادث التي يذكرها القرآن لا تساعدنا في تأريخه، بل تزيد الماء تعكراً.

السبب الرابع

إدخال كلام عادي قال به محمد في وقتٍ ما في صلب القرآن. فمثلاً قال محمد في حجة الوداع مخاطباً المسلمين:

[اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً.]

وعندما اكتمل المصحف العثماني وجدت هذه المقولة طريقها إلى سورة المائدة في الآية الثالثة. وقد اتفق المؤرخون أن حجة الوداع كانت في العام التاسع بعد فتح مكة. فهذه الآية في سورة المائدة قد تساعد المؤرخين في القول إن سورة المائدة أتت في العام التاسع، ولكن المشكلة تأتي عندما ندرك أن محمد قال لهم في نفس الخطبة اليوم أكملت لكم دينكم، وهذا يعني أن كل التشريعات الإلهية قد اكتمل نزولها بنهاية ذلك اليوم. ولكننا نعرف أن سورة المائدة لم تكن آخر سورة نزلت من القرآن، فقد جاءت بعدها حسب الترتيب الزمني سورة النور ثم سورة براءة.
وسورة النور جاءت بعدة تشريعات مهمة مثل:

{الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة}.

وكذلك:

{والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة}.

وكذلك آية الملاعنة:

{والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين}.

فإذاً الآية التي تقول اليوم أكملت لكم دينكم، إما أنها لم تكن قرآناً أصلاً، وإما أنها قرآن ولكن لم تأتِ مع سورة المائدة، وإما أن محمداً لم يقل الآية في حجة الوداع سنة تسع. فليس من السهل على المؤرخ أن يجزم بأي تاريخ لهذا الحدث.

ويزيد المفسرون الطين بلة بأن يقولوا إن حادثة الإفك التي أُتهمت فيها عائشة بالاختلاء بالشاب صفوان بن المعطل حدثت عندما كان محمد في طريق عودته من غزوة المريصيع - بني المصطلق- التي اتفق المؤرخون أنها كانت في العام الخامس الهجري. فالآيات التي تحدثت عن حادثة الإفك وبرأت عائشة كانت في نفس سورة النور:

{إن الذين جاءوا بِالإفْكِ عصبةٌ منكم. (النور 11)}.

وحسب اتفاق المؤرخين فإن سورة النور جاءت في العام الثامن الهجري، فكيف تكون حادثة الإفك في العام الخامس وتبرئة عائشة تأتي في سورة النور في العام الثامن؟

فالواضح من هذا السرد أن كل ما ذكره المؤرخون المسلمون عن بداية الإسلام وعن نزول القرآن وجمع المصاحف ما هو إلا قصص جدات يحكيها الناس للتسلية أو لتخدير العقول كي ينام الجميع نوماً هادئاً.

وأعتقد أن ما قاله المستشرقون عن أن القرآن لم يكتمل جمعه وكتابته إلا في نهاية القرن الثامن الميلادي،
قول يستحق الاهتمام به،
وعلى المسلمين أن يفندوه بالدليل والحجة إن كان لهم سندٌ قد غاب عنا.

عودة إلى الفهرس

244 - توضيحاً لإشكالات بعض القراء

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=237562

اعتاد القراء أن يقرؤوا تعليقي على تعقيباتهم في نفس المقال، وأنا أحاول أن أفعل ذلك عندما يسمح لي وقتي، ولكن ظروفي الخاصة لا تسمح بذلك بعد كل مقال. وهذه المرة عندما تأخر الرد على التعقيبات انبرت أقلام ثائرة تتهمني بالتهرب من الإجابة لعجزي عن دحض ما يقولون. ولا يسعني إلا أن استميح هؤلاء الثوار عذراً للتأخير في الرد.

- افتتح التعقيبات السيد شاهر الشرقاوي **بهجوم شخصي على الكاتب ولم يتعرض لأي كلمة من موضوع المقال عن تأريخ القرآن،**
  - فقال:

> (ألم تكن مسلما يوما ما؟؟ وهل احد قال لك ايام كنت مسلما من الاخوان المسلمين ان ترتيب المصحف الحالى بجميع اياته هو ترتيب نزول حسب تاريخ نزول كل اية؟؟؟؟؟ شئ غريب جدا!!!!) انتهى.

الإخوان المسلمون لا يتحدثون في اجتماعات الأسرة عن القرآن وترتيب السور في المصحف، وإنما يتحدثون باستمرار عن شنق حسن الهضيبي، وسيد قطب، وعن التحضير للثورة المسلحة التي تعيد الخلافة. والمدارس في البلاد الإسلامية لا تحدث الطالب عن ترتيب السور في المصحف، *إنما تكتفي بالقول إن القرآن كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه*، **وتفرض على الطالب حفظ أجزاء معينة من القرآن**. النقاش في القرآن ممنوع منعاً باتاً منذ أيام الخليفة عمر بن الخطاب الذي ضرب رجلاً مسلماً يقال له صبيغ على رأسه بعرجون النخل حتى كاد يقتله، مما اضطر الرجل أن يقول له: "**إن اردت أن تقتلني فاقتلني قتلاً جميلاً**"[1]. وكل ذنب ذلك الرجل أنه سأل عن متشابه القرآن وسمع به عمر فاستدعاه وضربه.

المسلمون لا يجرؤون على السؤال عن أي شيء في القرآن ويكتفون بمقولة "سبحان الله".

فلا الإخوان المسلمون ولا أساتذتي أخبروني أن سور القرآن في المصحف ليست بترتيب النزول. وأنا لم أسأل لخوفي من درة عمر.

- ثم يقول السيد الشرقاوي:

> "هل انت متأكد انك الدكتور كامل النجار المسلم والاخوانجى السابق .ام انك استغليت اسمه وانتحلت شخصيته .لتبدو بهذا الشكل. الذى يظهر ضحالة ثقافتك الاسلامية من اساسه." انتهى.

وأخيراً لجأ الكاتب الإسلامي إلى أسلوب الإسلاميين المعروف من **اتهام الخصم بالجهل** دون إبداء الدليل على ذلك الجهل، وقد كان السيد الشرقاوي قد تظاهر بالأدب الجم في تعليقاته في بداية مداخلاته معي، ولكن سرعان ما غلب الطبع التطبع.

- السيد جفري عبدو يقول:

> "يجب ازالة القدسية عن الكتاب المبين كما نادى بذلك الراحل محمد أركون حتى نتمكن من دراسته دراسة علمية والا فاتنا الركب لأن القرآن هو المرجعية المعتمدة في جميع الدول الإسلامية ويمكن أن يعزى سبب تخلفها لهذا الكتاب و ما يتضمنه، هذا من جهة ومن جهة أخرى فان عاملي الخوف والجهل يجعلان من الصعب على أمة نسبة الأمية فيها متفشية أن تقبل بإعادة تأريخ القرآن." انتهى.

وهذا هو الرأي الصواب الذي ينادي به كل متنور، ولكن هيهات أن يحدث ذلك لأن الإسلام كله هش لا يستطيع أن يقف في وجه النقد. أما القرآن فهو كما قال المفكر المصري الدكتور حسن حنفي عبارة عن "سوبرماركت" يحتوي على السلطة مع الأدوات الكهربائية. ولهذا السبب لا يمكن أن يزيلوا عنه القداسة التي حفظته طوال هذه القرون بفضل التخويف من نقده أو حتى محاولة فهمه، ومن يحاول ذلك سوف تهوي على رأسه درة عمر بن الخطاب.

- السيد ماجدي ماجد يقول:

> "سيد كامل نجار الحقيقة جاهدت نفسي كثيرا لقراءة (مقالك) لكن لم استطع رغم محاولاتي العديدة، فالموضوع غير مترابط ابدا، ولجوءك لاستخدام مصطلحات مثل البيدوفيليا و كنرولوجياً وغيرها لا ارى له مبرر لهذا التعقيد سوى التحايل على عقل المتلقي ظنا منك انه سينبهر بكتاباتك." انتهى

وأنا أشكر السيد ماجدي على محاولاته العديدة لتكملة قراءة المقال، ولكني أتساءل: ما الذي يدفعه لتكرار المحاولة لإكمال المقال وهو يعرف رأيي في الإسلام؟ ولماذا أصلاً يحاول قراءة مقالاتي؟ أما استعمال كلمة بيدوفيليا فقد فرضه عليّ فقر اللغة العربية لمصطلح يصف نكاح الأطفال الذي يمارسه المسلمون بدون أي وازع من ضمير، تيمناً بالقدوة الحسنة. ولأن نكاح الأطفال لا يحتاج تبريراً في لغة المسلمين، لم يهتم علماء اللغة بصياغة مصطلح يعبر عنه، ولذلك أضطررت لاستعمال كلمة بيدوفيليا.

- أشكر السيد عدلي جندي على قوله:

> إن تاريخ ديانة اخناتون منحوت في الصخور، والإسلام الذي أتى بعد ذلك لا يوجد عليه دليل واحد يؤكد لنا تاريخ القرآن.

وكما قال:

> على المسلمين أن يبحثوا ويتأكدوا من تاريخ قرآنهم قبل مهاجمة الذين يوضحون لهم الحقائق العلمية التي يتفادى شيوخ الإسلام الخوض فيها.

شكري للسيد ياسر السروجي صاحب التعليق رقم 6 على الإطراء، كما أشكر السيد سعيد المغربي، صاحب التعلق رقم 7 كذلك على إطرائه.

- السيد طلال السوري، صاحب التعليق رقم 8، علّق على قولي إن محمداً كان عندما تنزل عليه آية يقول لكاتب الوحي: ضعها في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا، بالقول:

> إنه لا بد أن تكون هناك عدة سور في طور التنزيل في وقت واحد، وقد يستغرق نزول سورة واحدة عدة سنوات.

[1] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ص 251.

- وأنا أؤكد له أن هذا هو الرأي الذي يتفق عليه فقهاء الإسلام، وقد ذكروا أن تنزيل سورة البقرة استغرق ست سنوات. **وهذا هو السبب الرئيسي في تخبط القرآن وتكرار آياته وسوره بشكل ممل. فإذاً كان محمد يستلم آيات لا يجمع بينها أي شيء ويضطر إلى توزيعها على سور نزلت قبلها بعدة سنوات، كيف يتذكر هو أو كاتب وحيه أن تلك الآية لم تُذكر من قبل في تلك السورة التي أشار إليها؟** والغريب أنهم يقولون إن القرآن الذي كتبه الله في اللوح المحفوظ واحتفظ به من قبل أن يخلق العالم، استعجل في إرساله من السماء السابعة إلى بيت العزة في السماء الدنيا عندما بعث محمداً، ومع ذلك استغرق تنزيل سورة البقرة ست سنوات، وكان يترك عدة سور مفتوحة لإكمالها فيما بعد.

> ***فلماذا العجلة في إنزال القرآن إلى بيت العزة، وقد استغرق إكماله ثلاث وعشرين سنةً؟ أما كان الأجدر به أن ينزله في سور متكاملة وحسب الترتيب الذي كتبه به في اللوح المحفوظ؟***

- السيد محمود محمد، صاحب التعليق 9، يقول:

> "د.كامل مقالاتك لا بها نفع ولا ضر فانا لا ارى فى كتاباتك ما يضرنى فى دينى ولا ينفعنى فى حياتى فارجو الكف عن العبث فى الدين لاننا-وان ثبت كلامك-لن نشك فى الدين. وشكرا." انتهى.

- ولا أظن أن هذا التعليق يحتاج رداً مني، فهو يُثبت ما يقوله أكثر المتنورين من **أن الإيمان يُعمي البصر والبصيرة ويضحي بعقل المؤمن الذي، مثل السيد محمود، لا يشك في إيمانه حتى إن أثبتنا له صحة ما نقول**. أما طلبه أن نكف عن العبث في الدين، فطلب مرفوض رفضاً باتاً، ولن نكف عن نقد الإسلام حتى يكف الإسلام عن التدخل في حياتنا الشخصية وفي محاولة أتباعه فرضه على العالم أجمعين.
- السيدة إقبال قاسم حسين، صاحبة التعليق 10، تقول:

> "ولذا يجزم أغلب المستشرقين وبعض الباحثين العرب المعاصرين أن القرآن نفسه لم يبدأ بالظهور إلا في أيام الخليفة عبد الملك بن مروان، وربما تشهد قبة المسجد الأقصى بذلك إذ تُعد من أقدم الشواهد التاريخية الإسلامية نسبةً لنقش اسم عبد الملك بن مروان مع بعض آيات قرآنية بها، ويرجع ذلك التاريخ إلى سنة 70 هجرية / 692 ميلادية. ياأستاذ كامل النجار حيرتنا،يعني معني كدا فتح مصر بواسطة عمروبن العاص والذي ارسل اخيه بالرضاع عبدالله ابن ابي السرح لاخضاع النوبة، وكل ذلك حدث في عهد الخليفة عمربن الخطاب،الذي قال لعمروبن العاص اخرب بيت مصر لتعمير مدينة الاسلام،كل هذا التاريخ كذب وتزييف؟؟؟؟!!!!، هل هذا بحث تقي صمد التلال؟؟؟!!!!،ارجو ان تطلعنا علي هذا البحث ،الذي يستحق القراءة."
> انتهى.

- أولاً: أعتذر للسهو الذي وقعت فيه عندما قلت إن الإسلام لم يظهر إلا في أيام عبد الملك، وقد قصدت أن أقول إن المصحف نفسه، لم يظهر إلا في أيام عبد الملك بن مروان، الذي قال: "**أخشى شهر رمضان الذي وُلدت فيه، وجمعت القرآن فيه**". وليس هناك أي شك في أن المسلمين احتلوا مصر في أيام عمر بن الخطاب. وكون أن عمرَ كان خليفةً يعني أن محمداً جاء قبل ذلك وبعد موته وموت أبي بكر أصبح عمر خليفةً. فالإسلام ظهر قبل أن يصبح عبد الملك خليفة للمؤمنين. **ولكن أغلب المستشرقين يعتقدون أن المصحف لم يظهر إلا أيام عبد الملك، عندما بنى المسجد الأقصى سنة 70 هجرية. ولذلك يصبح تاريخ القرآن مكان شك**. والمقال كله يتحدث عن تاريخ القرآن. ولعلم السيدة إقبال فإن عبد الله بن أبي السرح لم يكن أخا عمرو بن العاص بالرضاع، وإنما كان أخا عثمان بن عفان. أما تاريخ احتلال مصر ففيه من التزييف الكثير ولكنه قد حدث في عهد عمر.
- أشكر السيد محمود الفرج الذي رد على السيد شاهر الشرقاوي، فقال:

> "في حاجات كثيره غلط ونعرفه والكثير صامتيين ومطئطئي الرؤوس وفي حاجات غلط وسرقات بحوث كما سرق اسلام البحيري وسرقات اموال من المواطنيين كما سرقها يوسف البدري علما انا احترم رائيك في الدفاع عن الدين الاسلامي الحنيف ومحمد ولكن دفاعك هجومي عنصري منفعل ربما حتى من يتفق معك في الرأئ لا يتفق مع اسلوبك في الكتابة الاستاذ كامل يطرح التاريخ ومصادره ويقارن عليك بمصادر اخ شاهر فالعاطفة للناس البسطاء ولا تقدم ولا تؤخر استاذي العزيز الشرقوي." انتهى.

- فله الشكر.
- السيد أحمد عمر، صاحب التعليق 11،
  - يقول:

> إن القرآن انتقل عن *طريق الحفظ في الصدور وليس التدوين*، وحتى الآن لابد لحافظ القرآن من أن يتعلمه من قارئ. وهذه مأساة المسلمين الذين يرفضون الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة في التعليم. هناك الآن دي في دي DVD عليها ترتيل القرآن بواسطة أشهر المرتلين، وهناك المصحف الرقمي كذلك، فلماذا يعتمد الشخص على من يلقنه القرآن كالببغاء؟ الباكستانيون والإندونيسيون يعلمهم الشيوخ أن يحفظوا القرآن باللغة العربية رغم جهلهم بتلك اللغة. وهم يرددون القرآن كما حفظوه دون فهم معانية. وكذلك يفعل الأميون العرب الذين يحفظون بعض السور عن ظهر قلب ليصلوا بها، ولكنهم يجهلون معنى ما حفظوه. فهل هذه شهادة للقرآن؟

  - ويستمر السيد أحمد فيقول:

> "العرب الى الان تستطيع ان تقرا وتحفظ اشعار ماقبل الاسلام. ميزة العربى الحفظ." انتهى.

- انظروا كيف يردد المسلمون الكليشهات دون فهم معانيها. كل شعوب الأرض ما زالت تحفظ شعرها القومي، والعرب ليس لديهم أي ميزة عن غيرهم في الحفظ. وكما يقولون "**التكرار يعلّم الحمار**".
- السيد محمد البدري، صاحب التعليق 13، يقول:

> إن المؤمنين يقفزون فوق التفاصيل التي توضح تناقضات ما يؤمنون به.

- وهذه حقيقة تتضح من نوع تعليقات الإسلاميين، كما ذكر السيد البدري. وأنا أتفق معه **أن المؤمن لا ينقد بل يحاول ترميم ما هدمه النقد**. وأتفق معه كذلك على أن مصيبتنا الكبرى هي غياب النقد. فله شكري على التعقيب.
- السيد مدحت محمد بسلاما، صاحب التعليق 15، يقول:

> "ولكن ثق بأن كثيرين من شبابنا وشاباتنا يستفيدون كثيرا من فكرك التنويري الذي لابد من يأتي بثمار خيرة لإنقاذ شعوبنا المغلوب عليها بحكم قرآن يعج بالهمجيات والتناقضات والأساطير والأضاليل." انتهى.

- وأنا سعيد جداً أن بعض الشباب العربي يستفيد من كتاباتي، وأنا أعقد أملي على الشباب لأن كبار السن الذين تربوا على الاستسلام لإله السماء لا نتوقع منهم الاستفادة مما يقرؤون، إذا كانوا أصلاً يقرؤون، لأنهم قد اقتربوا من نهاية مشوارهم الدنيوي ويرجون أن يُحسن الله خاتمتهم حتى يستمتعوا بعذارى الجنة ويتفادوا عذاب يومٍ مستطير، يوم تذهل كل مرضعةٍ عما أرضعت.
- السيد بلال محمد، صاحب التعليق 16، يقول:

إن القرآن مخلوق وتاريخي مهما حاولوا أن يبرئوه من ذلك بقولهم إن الله كتبه في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق العالم واحتفظ به كل هذه المليرات من السنين حتى تزوج محمد زوجة ابنه بالتبني ونكح الطفلة عائشة، ثم أنزله.

- وهذا هو المنطق ولكن يضيع المنطق في شرقنا المنكوب، فله شكري.
- السيد أحمد ناشر، صاحب التعليق 18، يقول:

تناقض القرآن يدل على أن له أكثر من كاتب واحد.

- وهذا ما قال به بعض الباحثين الغربيين، وقراءة القرآن بعقل نقدي تُثبت هذه الحقيقة. ولكن الحقائق في الإسلام لا يملكها إلا الشيوخ ووعاظ السلاطين مثل شيخ الأزهر السيد أحمد الطيب الذي ترأس اجتماع لجنة البحوث بالأزهر يوم 6 ديسمبر 2010 للرد على تقرير اللجنة الأمريكية حول حرية الأديان، وأصدر بياناً يقول:

"وحول دعوى منع الحكومة المصرية حرية التبشير بالمسيحية، أوضح مجمع البحوث الإسلامية أن لكل صاحب دين سماوى فى مصر حرية عرض دينه والدفاع عنه والدعوة إليه، أما الممنوع فهو التنصير الذى تمارسه دوائر أجنبية غربية، والذى جاء إلى بلادنا مع الغزو الاستعمارى منذ القرن التاسع عشر." [2]

ولعلم الشيخ أحمد الطيب نورد ما أوردته جريدة الشرق الأوسط قبل عامين:

"وجهت النيابة لكل من الدكتور عادل فوزي ممثل المنظمة، والمهندس بيتر عزت منير مراسل موقع «الأقباط المتحدون» الإلكتروني، تهمة ازدراء الأديان، ونشر الفتنة الطائفية في البلاد، والعمل على تنصير المسلمين، كما تحقق النيابة في بلاغ تلقاه النائب العام المستشار عبد المجيد محمود، من الداعية الإسلامي يوسف البدري و12 محامياً، ضد المحامي القبطي ممدوح نخلة، مدير مركز الكلمة لحقوق الإنسان، الذي أقام دعوى قضائية للمسلم (محمد حجازي)، الذي أعلن أنه تحول من الإسلام إلى المسيحية، وطالب في دعواه بإثبات ديانته الجديدة في بطاقة الهوية الوطنية." [3]

فهل الدكتور عادل فوزي دائرة أجنبية غربية، أم أنها مداهنة السلطان على حساب الحقيقة؟

- السيد إسماعيل زرزر، صاحب التعليق 18، يقول:

إن البحوث لم تثبت وجود شخصيات حقيقية لموسى وعيسى، ولكنه يعتقد أن محمداً شخصية حقيقية.

- وأنا أوافقه الرأي بأن موسى شخصية أسطورية وعيسى أو يسوع شكك بعض الباحثين فيه وقالوا **إنه كان رجلاً عادياً ثار ضد الاحتلال الروماني**. وأغلب المستشرقيين والمؤرخين العرب يقولون إن محمداً كان شخصية حقيقية ولكن رسالته أصابها التضخيم من أجل التقديس حتى فقدت مصداقيتها.

وكما يقول السيد زرزر إن المسلمين متخندقين ضد فصل الدين عن الدولة وجعله علاقة شخصية بين الإنسان وربه. فهم يجاهدون من أجل نشره في جميع أنحاء العالم ومن أجل تمكينه من السيطرة على أخص خصوصيات حياتنا الشخصية، ولذا يجب على كل متنور نقد هذا الدين المتسلط.

- السيد سلام بغدادي، صاحب التعليق 19، يقول، بعد الإطراء:

هناك إشكال في عنوان المقال، وكان يجب أن يكون "تأرخة القرآن" أو "ضبط تاريخية القرآن".

- وبعد شكري له، أقول **أن الفعل "أرّخ" تأريخاً أو مؤارخةً، يعني كتب تاريخ الشيء، كما يقول المنجد**. ونحن نقول "كتب" يكتبُ، كتابةً. ونقول "هل يمكن كتابة التاريخ". وبالتالي "أرّخ" تأريخاً، فيمكن أن نسأل "هل يمكن تأريخ القرآن؟ وعلى العموم أسدي للسيد سلام شكري على المداخلة.
- السيد سامي صالح، صاحب التعليق 20، يقول:

"من الواضح أن كاتب المقال عبثيا ، لايهدف الى شئ محدد بل يحاول بكل ما اوتي من قوة الابتعاد عن تناول هموم العرب الحالية ومصائبهم العظيمة المتمثلة في غياب الديمقراطية والعقلانية والاعتراف بالاخر ، لم اقرأ له شئ يتناول رأيه في النظم السياسية العلمانية العربية ولماذا تفشل في كل حين ولماذا تفشل كل دعواتهم وتخطيطهم ، لا نقبل منه القاء اللوم على السلام فهو منهم براء وهم لاينتمون له نريد رؤية واضحة لما يدور حولك إن كنت تملك رؤية." انتهى.

- وأنا بعد أن أشكر السيد سامي أقول له، كما قلت مراراً، إني أكره السياسة ولا أتعاطاها، ولا يمكنني الكتابة في كل مواضيع العالم. أنا متخصص فقط في دراسة الأديان المقارنة، وإذا كان السيد سامي من هواة القراءة عن مشاكل العالم العربي السياسية، فما عليه إلا أن يبحث عن كاتب آخر يقرأ له بدل إضاعة وقته في قراءة مقالاتي.
- السيد أبو هزاع هواش
  - يسأل:

"أولاً ماعلاقة العرب بالإسلام إذا أخذنا بعين الإعتبار أن معظم المسلمين ليسوا بعرب وأن معظم العرب ليسوا على إتجاه ديني واحد ولايمكننا القول بأن كل العرب مسلمون، مع أخذ حجم السنة بعين الإعتبار."

- علاقة العرب بالإسلام هي أن الإسلام جاء بلسان عربي مبين وبدأ في الحجاز ثم غزا بقية البلاد. وكون غالبية المسلمين ليسوا عرباً يرجع إلى **طبيعة الإسلام العدوانية التي حكمت السيف في أعناق غير المسلمين وأدخلتهم الإسلام عنوةً**.
  - السؤال الثاني:

"إذا كان العرب ظاهرة صوتية وكما نعرف أن الصوت ينقل نص وللصوت مزايا عديدة قد عرفت عنها الثقافة العربية الكثير وأنتجت نظريات صوتية مرعبة كالظاهر والباطن التي لم تعرفها النظرية الأدبية الأوروبية إلا لخمسينات وستينات القرن العشرين فالسؤال هنا هو كيف تتمسخر حضرتك من صوتية لغة ولاتأخذ بعين الإعتبار مايمكن أخذه من الصوتيات ونظرياتها العديدة؟"

- عندما نقول إن العرب أمة صوتية فلا نعني أنهم الوحيدون الذين يملكون الصوت. كل أمة لها صوت، وإنما نعني أنهم اعتمدوا، وما زالوا *يعتمدون على الكلمة المسموعة دون المكتوبة لأنهم أمة أمية*. وهذا لا يعني أنهم لم يأتوا بنظريات مختلفة ولكن هذه النظريات ظل أغلبها **شفهياً** واختفت لأنها لم تكن موثقة بالكتابة. والذي يذكر الحقائق لا يتمسخر.
  - ثم يقول:

"سؤال آخر: تتكلم حضرتك عن الفراغ التدويني بين عصر النبوة وعصر التدوين وسؤال هنا هو حول لماذا لم تتكلم حضرتك عن الوضع السياسي وهل نعرف حقاً مادار في العصر الأموي الأول."

- طبعاً لا نعرف ما دار في العصر الأول الأموي بالتدقيق لأنهم لم يدونوا لنا ما دار في ذلك العصر واكتفوا بالقصص الشفهية.
- السيد عمرو إسماعيل صاحب التعقيب 22، يقول:

[2] جريدة الأهرام 2010/12/6.
[3] الشرق الأوسط، 2007/8/10.

"إن عدم ترتيب القرآن حسب النزول أدى إلى بلبلة الفهم للقرآن، فأصبح (الامر ان المسلمين يتعبدون بالقرآن المكي الروحاني ويمارسون السياسة والعنف بالقرآن المدني. اذا اتهم احد الاسلام بالعنف تجد الآيات المكية جاهزة لنفي التهمة. واذا قال احد ان الاسلام دين فقط ويجب فصله عن السياسة تجد القرآن المدني جاهز لاثبات انه دين ودولة. كل من يعارض الدكتور كامل في هذا المقال يعارض بالعواطف وليس بالعقل.)."

- وأنا أشكر السيد عمرو على المداخلة التي أتفق معه فيها.

- سيد على العوادي، صاحب التعليق 23، يقول:

"ما لم يصرّح به الدكتور النجار هو أن تأريخ العرب والإسلام مزوّر ومبني على النقل الشفاهي . نعم لم تؤيد الأبحاث الأركيولوجية الأحداث التي ينقلها إلينا تأريخنا الحالي . ونعم إن تأريخنا المنقول متناقض الى حد الضحك . ولكن نعم نحن مخدرون بقدسية القديم قرآناً وميراثاً وشخوصاً لأننا وبصراحة عبدة أوثان."

- وأشكر السيد سيد علي على تعقيبه وأوافقه عليه.

- السيد يوسف حنا بطرس يقول:

"استاذي العزيز سؤالي لماذا اخفيت مخطوطه اليمن التي عثر عليها في سقف احد المساجد هل لانها مختلفه عن المصحف الحالي اختلافا جوهريا والا لماذا اليس هذا معناه ان الاسلام من صنع ورقه ابن نوفل والراهب بحيره ومحمد والصحابه لاغراض سلطويه."

- أُخفيت المخطوطات اليمنية في سقف المسجد لأنها تختلف عن مصحف عثمان، وقد نشرت مقالاً سابقاً عن ماهية القرآن قدمت فيه عينة من تلك المخطوطات تبين أنها مختلفة عن مصحف عثمان وكان القائمون عليها يخافون عليها ولذلك حفظوها في سقف المسجد. وليس هناك من شك أن القرآن من تأليف محمد ومن جاء بعده ولم يكتمل جمعه في المصحف الحالي إلا في نهاية القرن الثامن الميلادي.

- السيد س السندي
  - يقول:

"أولا : حقا ما يشغلني كيف إستطاع اليهود أن يحفظو تاريخهم وتوراتهم وزبروهم قبل الميلاد بألف وخمسمائة عام ... ونزولا وإكراما للأحبة المسلمين وللأخ شاهر لنقل منذ ألف عام ... ولم يستطيع خاتم النبيين وصحبه الموالين من أن يحفظو صحف القرآن ألأولى حتى لا يتيه السفهاء أوالفقهاء ويكثر القيل والقال في التفسير والتنزيل والتاريخ والإسلام؟"

- في الحقيقة فإن التوراة ظلت شفهية حتى حوالي العام 500 قبل الميلاد بعد أن رجع يهود السبي من بابل، فكتبوا التوراة. أما الإسلام الذي جاء بعد ذلك بحوالي ألف عام لم يدونونه **لأنهم كانوا يفتخرون بأنهم أمة أمية لا تكتب ولا تحسب حتى يزيلوا عن محمد تهمة أنه كان يكتب القرآن بنفسه**.

  - ويسأل السيد السندي

"تساءل الثاني هو ما الجديد الذي أتى به محمد وجبريله في دين المسلمين ... والذي كانت البشرية تفتقده وتنتظره ولم يكن في حضارات وأديان ألأقدين ...!؟"

- وفي الحقيقة فإن الإسلام لم يأتِ بأي جديد بل اقتبس من اليهودية وقصص النصارى المحرفة مثل المريميين والأبيونيين، وأخذ كذلك أغلب عادات الوثنيين العرب وجعلها قرآنا. ويمكنك مراجعة كُتيبي "التشابه والاختلاف بين اليهودية والإسلام" لترى أن محمداً لم يأتِ بأي جديد.

- السيد إدريس سالم، صاحب التعليق 27، يقول:

"مايثير إستغرابي هو السبب في عدم كتابة النبي محمد لقرأنه وإشرافه بنفسه على حفظه وتدوينه لما يمثله هذا الكتاب من قيمه عظيمة لدى المسلمين بإعتباره الدستور والوثيقة الاهم للتعريف بهذا الدين ثم ان قوله- تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلو بعدي ابدا -يدل على القرآن والسنة كانتا مدونتان على عهده وهذا مايراه الشيعة فهو يقولون ان محمدا لم يك أميا بل قد قام بجمع القرآن بنفسه في مصحف واحد جعله عند أبنته فاطمة،اليس كذلك دكتورنا الفاضل." انتهى.

- وفي الحقيقة إن محمداً لم يكن أمياً بالمرة وإنما ادعى ذلك ليوهم الناس بأن ما يقوله وحيٌ من الله لأنه لا يعرف الكتابة. أما كونه جمع القرآن في حياته وتركه عند فاطمة، فهذه واحدة من الادعاءات الخالية من أي حقيقة تدعمها. **لماذا لا ينشر الشيعة هذا المصحف الذي كتبه محمد؟**

- السيد خلف الكاشف يتهكم ويقول:

"سؤالي ياستاذي العزيز هو عن اية كنت اطلعها في القران في احدى السور وعلى ما اظن انها كانت سورة النجار وكانت هذه الايات تقول (اانجار وما ادراك ما النجار انها صنعة وفيها رزق حلال) ولكن الان عندما اتصفح الايات والسور لااجد لها ذكر في المصاحف الموجودة على النت فهل قاموا بحذفها وتبديلها."

- ربما حذفوا الآية لأن شيوخ الإسلام أرادوا أن يحوّشوا على الصناعة والرزق الحلال.

- السيد طالب الطالب يقول:

"أظن أن النجار يتقيء الآن والسبب مايقرؤه من تعليقات بائسة لاتريد ان تعترف بخرافة الاديان ولاخرافة الخالق السوبر ولاتعترف ان القران كتبه محمد! علما هناك الف دليل على ذلك !لكن لافائدة فمدمن المخدرات لايمكن الاقلاع عن مخدره ويحاول اقناع نفسه قبل اقناع الاخرين ليستمر مسطولا فذلك اربح له بدل ان يشغل دماغه المسطول بالتفكير ويصحى من المخدر--والعاقل يفهم." انتهى.

- علاج المدمن يكاد يكون من المستحيلات. شكراً على التعقيب سيد طالب.

- السيد علي السوري يقول للسيد الشرقاوي:

"إذا كانت جميع إثباتاتك على شاكلة إثباتك أن عدم كتابة محمد للوحي يثبت فعلاً أنه كان يوحى اليه به فما هي الفائدة من الحوار معك." انتهى.

- وأنا أشكر السيد السوري على تعقيبه السديد على السيد شاكر الشرقاوي.

- السيد موجيكي المنذر يقول لشاكر الشرقاوي:

"رغم الاختلافات الجوهرية، والتباينات المتوازية التي لن تلتقي (حسب ظني) في القناعات بيني وبين السيد شاهر الشرقاوي إلا أنني قد وجدت نفسي مجبراً على احترام لغته وأسلوبه. اسمحْ لي سيد شاهر الشرقاوي أن أبثّـك حزني وأسفي لأني وجدت فيك إنساناً متعقلاً يملك أدوات المعرفة والمنطق ولكن بمواد أولية مستنفذة المفعول (حسب ظني أيضاً. تقبل ملاحظتي برحابة صدر راجياً منك إعادة ترتيب العناصر الأولية ضمن محاكماتك العقلية، فحضرتك حسب رأيي المتواضع إنسان رائع في بيئة غير مناسبة." انتهى.

- ولكن للأسف رأينا أن الطبع غلب التطبع عند السيد الشرقاوي في تعليقه الأخير على النجار.

- السيدة سارة حامد تقول:

"صراحة ليس لدي ما اعلق عن مقال الدكتور وتاريخية القران لانني ارى ان هكذا مقالات. توجه وبالتحديد لحراس العقيدة في السعودية والازهر في مصر وقم في طهران. فهل هؤلاء سيقرؤون هذا المقال طبعا لا. القارئ البسيط لا يستفيد من هكذا مقال من وجهة نظري." انتهى.

✍ ويؤسفني أن أختلف مع السيدة سارة لأني أعتقد أن القاريء العادي أذكى بكثير من رجالات الأزهر وقم لأن القاريء العادي درس العلوم والدين وربما الفلسفة في بعض الحالات، ولذلك يستطيع أن يحكّم عقله فيما يقرأ وينتقده إن رأى به إعوجاجاً، بينما رجل الدين لم يدرس في حياته غير فقه الحيض والنفاس والأحاديث والقرآن.

- السيد كامل حرب يقول:

"عزيزى دكتور كامل لقد بدا عملك ياتى بالثمار وبدات العقول المصداه تتفتح وتنقب فى دهاليز الايات المحمديه الخزعبليه،انه ارث ضخم وطويل وتفكيكه يحتاج الى مجهودات جباره وعمل دؤوب وكما ترى من تعليقات المتشنجين كتعليقات المدعو الشرقاوى،لقد بداوا فى البكاء والعويل واللطم والصراخ وايضا التهديد والوعيد ولكن هيهات ايها الافاقين فلن تستطيعوا الوقوف امام تيار التنوير وعهد السيف ولى الى الابد،لقد انطلق الجنى من القمقم ولن يعود ابدا ،استمر يا دكتور." انتهى.

✍ شكراً على التعقيب ونحن قد بدأنا المسيرة، وكلُ من سار على الدرب وصل.

✍ أشكر صاحب التعقيب 38 على رده على السيد الشرقاوي. وأشكر السيد عيسى النابلسي كذلك على تعقيبه، كما أشكر السيد كوريا الرابن. وأشكر السيد العربي الجزائري على رده على السيد الشرقاوي وعلى ذكر الآيات العديدة التي تثبت ما نذهب إليه.

- السيد بسيوني بسيوني يقول:

"للاسف يهرب النجار من الرد على الاسئله والكلام المفحم الذى يظهره على حقيقته مجرد مدعى علم ومتعصب ومتطرف واتحداه الدخول فى نقاش علمى على اسس ديمقراطيه وبحريه بدون حذف او منع اتحداك يا نجار." انتهى.

✍ قد أكون مدعي علم ومتعصب ولكني لا أفهم لماذا يتحداني بسيوني وهو لم يقل كلمة واحدة في نقد المقال حتى نحذفها. ثم أني قلت مراراً، لمن يفهم، أني لا أتدخل في حذف التعليقات والأمر متروك لهيئة تحرير الحوار المتمدن. وأشكر السيد سعيد المغربي على رده على بسيوني بسيوني إنابة عني.

✍ وأشكر كذلك السيدة انتصار الخفاجي على تعقيبها.

- السيدة إقبال حسين تعدت على الطب حينما قالت:

"لست من مؤيدي الاعجاز العلمي للقران ولكن مثلك الذي اتيت به يدينك ولا يساعدك،فخصيتين الرجل توجد اولا في الظهر ثم تنزل بعد ذلك اسفل لكيس الصفن،حتي ان اي طبيب يجري فحصا للطفل ليتأكد من نزول الخصيتين لكيس الصفن،ويحكي ان رجل قد تزوج ولكن بعد الزواج اكتشف ان من تزوجه رجل لكن لم تنزل الخصيتين من الظهر فأعتقدوا انه امرأة،تأكد من كلامي بسؤال طبيب." انتهى.

خصيتا الرجل ومبيضا المرأة يتكونان في خلايا تُعرف بالميزوديرم المتوسط intermediate mesoderm، أي الطبقة الوسطى من خلايا الميزوديرم، الذي يكون الكلى كذلك. تبدأ الخصيتان والمبيضان بالظهور عندما يكون الجنين في الاسبوع الثالث أو الرابع من العمر وطوله من الرأس إلى أخمص القدمين لا يتعدى 3 سنتيمترات. هذا الميزوديرم يوجد في البطن ويرقد مباشرة أمام العمود الفقري لكنه ليس جزءاً منه، كما يرقد الشريان الرئيسي "الأورتا" أو الأبهر أمام الظهر وهو ليس جزءاً منه. وتبدأ الخصيتان والمبيضان بالنزول نحو الأسفل حتى يستقر المبيضان بالحوض وتنزل الخصيتان من فتحة في جدار البطن إلى الصفن. وعندما يقول القرآن أن الله أخذ من ظهور بني آدم ذرياتهم فهذا يعني أن الخصيتين والمبيضين في الظهر، وهذا خطأ علمي شنيع. أما قولها إن رجلاً تزوج ووجد أن زوجته رجلٌ لم تنزل خصيتاه، **هو ونسة المشاطات بعينه** إذ أن الطفل الذي لم تنزل خصيتاه إلى الصفن يكون قضيبه طبيعياً وظاهراً للعيان وينمو نمواً طبيعياً ولكن قد يصبح ذلك الرجل عقيماً عندما يتزوج لأن حرارة البطن تقتل الحيوانات المنوية، فليس هناك أي احتمال أن يتصوروه امرأة. وأعتقد أن تعقيب السيدة إقبال رقم 59 الذي يقول:

(أنا في انتظارالرد من شيخكم يا ايها التابعيين المريديين،فانتم لاتملكون عقولا تفكر لترد عليّ ،ننتظر كلنا شيخكم،الذي تنازلتم له عن مهمة التفكيروتشغيل العقول ليقوم هو بذلك نيابة عنكم)

تعقيب لا يجب أن يصدر من سيدة متعلمة، ناهيك عن أنها تكتب في موقع "الحوار المتمدن".

قليلاً من احترام الغير أيها المعقبون.

عودة إلى الفهرس

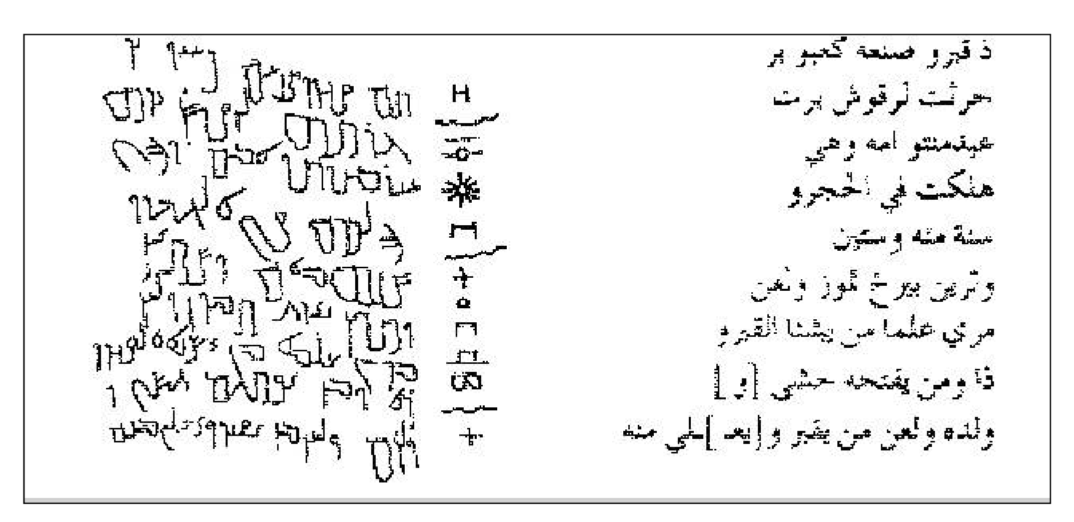
www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=205976

التاريخ علم له أصوله وقواعده ويخضع للفحص والتمحيص كما تخضع بقية العلوم التطبيقية والنظرية. وكل معلومة تاريخية يجب أن يكون لها سند كتابي أو تصويري أو نحت يُثبت صحتها ويخضع للتحليل العلمي. فنحن عندما نتحدث عن تاريخ الأسر الحاكمة في مصر القديمة لابد أن نستوثق من ذلك التاريخ بالرجوع إلى الكتابات الفرعونية التي عثر عليها الباحثون في مقابر الفراعنة وفي أهرامات مصر العديدة ومكتبات الاسكندرية وغيرها. وكذلك الحال بالنسبة للتاريخ اليوناني القديم والتاريخ الروماني والفارسي وغيره من تاريخ الأمم السابقة.

وإذا لم تثبت الحفريات والمخطوطات كل نواحي حادثة بعينها، يمكن أن نلجأ إلى الاستنتاج من **القرائن** التي ترتبط بتلك الحادثة، فإذا اتخذنا مثالاً من تاريخ الحرب العالمية الثانية، وفترة الحكم النازي في ألمانيا والدول التي استولت عليها بقوة السلاح، نجد بحوزتنا صوراً فوتوغرافية وأفلاماً وثائقية عن المعتقلات والمحرقة التي قام بها جهاز الجستابو الهتلري بحق اليهود والغجر وغيرهم من الاثنيات الأخرى. ولكن هذه الوثائق لا تثبت لنا أن شخصاً أو أشخاصاً بعينهم قد قادوا اليهود وأدخلوهم إلى غرف المحرقة، رغم أننا نعرف أسماء قواد الجستابو وأسماء بعض المسؤولين الذين أشرفوا على معسكرات الاعتقال. وفي مثل هذه الحالات يمكن أن نلجأ إلى القرائن ونسأل أنفسنا لماذا يهرب طبيب بالجيش النازي بمجرد وصول الحلفاء إلى أطراف برلين؟ فالطبيب جوزيف منغلي Josef Mengele هرب متنكراً إلى الأرجنتين وخضع لعمليات جراحية لتغيير مظهره. وعندما قال بعض الناجين من المحرقة إن بعض الأطباء كانوا يجرون تجارب على المعتقلين بتلك المعسكرات، نستطيع أن نقول بما يشبه التأكيد إن دكتور منغلي قد شارك في تلك التجارب، وإلا لماذا هرب وهو لم يكن محارباً بالجيش بل طبيباً لا يدعوه عمله إلى الهرب. وسوف ألجأ لمثل هذه القرائن عندما اتحدث عن التاريخ الإسلامي.

تاريخ جزيرة العرب في أغلبه **غير موثق حتى الآن** إلا في اليمن ومنطقة الهلال الخصيب. ففي اليمن لدينا مخطوطات ونقوش حجرية عديدة منذ الألفية الثانية قبل الميلاد تخبرنا عن الدولة المعينية وملوكها وآلهتها ومعابدها، وكذلك عن دولة حضرموت ودولة سبأ وبناء سد مأرب وترميمه بواسطة الحاكم الحبشي أبرهه، وغير ذلك الكثير.

منطقة الحجاز وأواسط الجزيرة العربية لم يعثر الباحثون فيها على أي مخطوطات باللغة العربية للفترة التي سبقت الإسلام، بل عثروا على مقاطع صغيرة تدل على أن اللغة العربية كانت لغة يتحدث بها الناس لكنها كانت تفتقر إلى النقاط وعلامات التنوين وحروف العلة Vowels التى تمثل الحروف a, o, e, i في اللغة الإنكليزية، واستعاض عنها أهل العربية بالفتحة، والضمة، والكسرة، والتنوين لاحقاً. وعلامات الترقيم هذه قد أخذها أهل اللغة العربية من اللغة الآرامية أو السريانية بعد ظهور الإسلام. وأقدم مخطوطة عُثر عليها حتى الآن هي مخطوطة "الرقش" أو "الرقشة" ويرجع تاريخها إلى عام 267 ميلادية المصدر[1]



الكتابة على يسار المخطوطة عبارة عن خليط من النبطية والعربية التي ليس بها أي نقاط أو علامات ترقيم. والكتابة العمودية إلى يمينها هي كتابة ثمودية. والكتابة التي على يمين الصورة هي فك تلك الرموز النبطية والعربية إلى اللغة العربية المعاصرة. ويظهر من هذه المخطوطة أن اللغة العربية لم تكن لغة مكتوبة كما هي اليوم.

فإذا كانت هذه هي الكتابة العربية حتى عام 267 ميلادية، أي قبل حوالي ثلاثمائة سنة قبل ظهور القرآن، نستنتج من هذا أن اللغة العربية لم تكن لغة مكتوبة ومقروءة وإنما لغة تخاطب بين الناس في الغالبية العظمى من الوقت. ويذهب بعض علماء اللغات إلى أن العربية المكتوبة في أيام ظهور القرآن كانت كلمات عربية مكتوبة بالحروف الآرامية أو السريانية لأن اللغتين الآرامية والسريانية كانتا لغة الكتابة السائدة في ذلك العصر.

[1] MSM Saifullahm Mohammad Ghoneim & Shibli Zamam. From Alphonse Mingama To Christoph Luxenberg: Arabic Script & the Alleged Syriac Origins of the Quran.

عليه نستطيع أن نقول إن التاريخ الإسلامي **كله تاريخ شفهي لم يُكتب إلا بعد أن تطورت اللغة العربية وأُدخلت عليها النقاط وعلامات الترقيم في نهاية القرن الأول الهجري ومنتصف القرن الثاني.** فتاريخ يعتمد على ذاكرة الرواة على مدى مائة عام أو يزيد، تاريخ لا يمكن الوثوق به إطلاقاً. وفي هذه الحالة لا يمكننا إلا الاعتماد على القرائن فقط.
ولكن الإشكال في الإسلام هو أن المسلمين **يأخذون كل ما يسمعونه من رجالات الدين مأخذ الجد ويعتبرونه حقيقة لا تقبل الجدل،** ناهيك عن التفكير فيما سمعوا أو نقده. وإذا أخذنا مثلاً قصة زواج محمد من خديجة وعدد أطفاله منها، يتضح لنا مدى ركاكة ذلك التاريخ. فكل كتب السيرة وتاريخ البخاري وكتب الأحاديث متفقة على أن محمد تزوج خديجة عندما كان عمره خمس وعشرين سنةً وكان عمرها أربعين سنةً، وكان لها زوجان قبله. وأنجبت له عدداً من الأطفال لم يتفق الرواة على عددهم أو ترتيب ولادتهم.
يقول ابن كثير في مختصر السيرة النبوية:

"قال ابن عباس كان أكبر ولد رسول الله القاسم، ثم زينب، ثم عبد الله، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية" (ص 512).

وقال أبو الفرج المعافى بن زكريا الجريري، عن ابن عباس:

"ولدت خديجة من النبي ابنه عبد الله ثم ولدت له زينب ثم ولدت له رقية ثم ولدت له القاسم ثم ولدت الطاهر ثم ولدت المطهّر ثم ولدت الطيب ثم ولدت المطيّب ثم ولدت أم كلثوم ثم ولدت فاطمة، وكانت أصغرهم" (نفس المصدر ونفس الصفحة).

ففي هذه الرواية ولدت خديجة عشرة أطفال لمحمد. وكلا الروايتين عن ابن عباس، وهذا يبين لنا إما أن ابن عباس كان يعتمد على ذاكرته التي يبدو أنها خانته كثيراً، أو أن الرواة عنه كانوا يكذبون.
ونحن نعرف من علم وظائف الأعضاء physiology أن المرأة بعد سن الأربعين يقل عندها إفراز هورمونات الأنوثة ويبدأ عندها ما يُعرف في الطب ب menopause ويقول عنه العرب "سن اليأس" الذي يبدأ فيه عدم انتظام الدورة الشهرية، وبالتالي يصبح احتمال الحمل ضعيفاً، وفي الغالبية العظمى من النساء تتوقف الدورة في سن الخامسة والأربعين ويصبح الحمل غير ممكنٍ بعد ذلك. فمن المستحيل علمياً أن تلد امرأة تزوجت في سن الأربعين عشرة أطفال قبل أن تموت وعمرها خمس وستون سنة. ثم أن محمد الذي ولد له من هذه المرأة الأربعينية كل هؤلاء الأطفال، كيف لم تلد له عائشة البكر ولا صفية الشابة التي تزوجها ليلة قتل زوجها، ولا أي زوجة أو محظية من زوجاته العديدات ومحظياته الشابات من اليهوديات مثل ريحانه، أي طفل مع أن أغلب زوجاته كان لهن أطفال من أزواجهم قبله؟
القرائن تؤكد لنا هنا أن خديجة لم تلد لمحمد الأطفال الذين نسب المؤرخون الإسلاميون أبوتهم له، وربما كانوا أطفال خديجة من زوجيها السابقين. وإذا اعتمدنا **تاريخ الإخباريين** هذا فإن فاطمة وهي أصغر أطفال محمد تزوجها علي بن أبي طالب سنة اثنين هجرية وكان عمرها خمس عشرة سنة.[2] وخديجة توفيت عام عشرة من بدء الرسالة، أي قبل ثلاث سنوات من الهجرة. فإذاً كان عمر فاطمة عشر سنوات عندما توفيت أمها. وخديجة ماتت وعمرها 65 سنة. إذاً لابد أنها ولدت فاطمة وعمرها يومئذ خمس وخمسون سنة. وهذا في رأيي أمر لا يمكن القبول به من ناحية علمية. *ولكن مجرد ذكر هذه الحقيقة يجعل من الكاتب شخصاً مرتداً وشاتماً للرسول، عقابه السيف، كما يقول ابن تيمية في كتابه "الصارم المسلول على شاتم الرسول".*
تاريخ الإسلام كله، بما فيه تاريخ نزول وجمع القرآن، **تاريخ مزيف كتبه الرواة** بعد مرور عشرات السنين بعد ظهور الإسلام، وكان الغرض الرئيسي منه هو *تأليه محمد وتمجيد الإسلام عامةً، والقرآن على وجه الخصوص.*
وسوف استعرض في الحلقة القادمة إستحالة أن يكون القرآن الذي بين أيدينا هو القرآن الذي يقول المسلمون إنه نزل على محمد من عند الله بواسطة جبريل.

2010 / 3 /6

2 مِن 3

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=206502

لم يترك لنا عرب ما قبل الإسلام أي مخطوطات باللغة العربية التي كانت، كما يبدو، لغة غير مكتوبة، مثل عدة لغات في العالم استعملها أقوام قد اندثروا وما زال بعضهم يعيش في أمريكا اللاتينية وفي أفريقيا، وهم يتحدثون لغات لا تُكتب حتى الآن. بل هناك الآن في العالم أكثر من ست آلاف لغة حية، أغلبها لا يُكتب، ومنها 473 لغة مهددة بالانقراض لأنها غير مكتوبة ولأن المتحدثين بها أصبحوا أقلية.[3] المخطوطة التي ظهرت في الحلقة الأولى تُثبت لنا أن العربية لم تكن لغة مكتوبة بالحروف التي نعرفها الآن إلا في اليمن (دولة معين، وسبأ وحضرموت)، حتى قبل حوالي ثلاثمائة سنة من ظهور الإسلام. وبالتالي فإن ما زعمه الإسلاميون من أن الشعر الجاهلي كان يُكتب ويُعلق على جدران الكعبة، وسموه المعلقات، إنما هو **اقتراع إسلامي** لا دليل عليه فعلياً ولا عقلياً، كما قال بذلك الدكتور طه حسين. إذ كيف يُعقل أن يكتب الشعراء معلقاتهم الطويلة واللغة العربية المكتوبة لم تكن قد شبت عن الطوق حينها؟ وعلى ماذا كتبوها قبل أن يعلقوها على جدران الكعبة، إذا كان القرآن الذي جاء بعد فترة الجاهلية كان يُكتب على العظام والجريد؟

كم لوحاً من أكتاف الخراف تحتاجها معلقة أمريء القيس، وكيف علقوها على الكعبة؟

وحتى عندما بدأ محمد دعوته كان الذين يكتبون العربية يُعدون على أصابع اليدين، وكانت الحروف غير منقطة ولم يكن التنوين قد عُرف وقتها، وقد ذهب بعض علماء اللغة إلى القول إن العربية كانت تُكتب بحروف آرامية تعلموها من مسيحيي الشام (كما نفعل الآن عندما نرسل رسائل تكست (نصية) على التلفون الجوال فنكتب alsalamu alaykum بالحروف الإنگليزية). ويزعم المسلمون أن محمداً كان يملي القرآن على كُتاب الوحي من أمثال زيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان الذي لم يسلم إلا بعد فتح مكة في العام الثامن الهجري، أي قبل سنتين من موت محمد، ودخل الإسلام مكرهاً، **ولذا لا نستبعد أن يكون قد كتب ما لم يقل به محمد، إذا كان فعلاً كاتباً.** يخبرنا الرواة أن محمداً كان يملي عليهم آية ثم يقول لهم ضعوها مع الآيات التي تُذكر فيها البقرة أو النجم. فهل كانت لديهم طريقة آركايف (أرشفة) archive يرجعون إليها ليجدوا العظام التي بها البقرة. وماذا يفعل المسلم الذي كان قد حفظ تلك الآيات منذ عدة سنوات ثم أدخلوا عليها آيات جديدة لم يحدد محمد موقعها من السورة؟

---

[2] العجاب في بيان الأسباب، لابن حجر العسقلاني، ص 77.

[3] http://www.ethnologue.com/nearly_extinct.asp .

ثم زعم المؤرخون المسلمون أو "الإخباريون" كما يسميهم الدكتور جواد علي في كتابه عن تاريخ العرب قبل الإسلام، لأنهم نقلوا الأخبار كما سمعوها دون أي تمحيص، وسموها تاريخاً، *زعم هؤلاء الإخباريون أن القرآن كله كان مكتوباً قبل وفاة محمد*. ثم زعموا أن أبا بكر جمع تلك الكتابات في مصحف وأودعه عند حفصة بنت عمر، زوجة محمد. ثم أخبرونا أن الخليفة عثمان، وتحت إصرار معاذ بن جبل الذي سمع في العراق روايات عديدة مختلفة للسورة الواحدة من القرآن وخاف على المسلمين من الشقاق بسبب ذلك الخلاف، أوكل جمع القرآن إلى الشاب زيد بن ثابت الذي قال لعثمان:

"**كيف أجمع ما لم يجمعه رسول الله في حياته**".

فإذا كان أبو بكر قد جمع القرآن، لماذا احتاج عثمان لجمعه مرة أخرى؟ ولماذا أوكل عثمان جمعه للشاب زيد بينما كان هناك فطاحل الصحابة من أمثال أُبي بن كعب الذي قال له محمد "**إن ربي قد أمرني أن أقرئك القرآن، فقال: الله سماني لك، قال نعم، فذرفت عيناه**"[4]، وعبد الله بن مسعود الذي قال عنه أبو موسى الأشعري "**لقد رأيتُ رسول الله وما أرى ابن مسعود إلا من أهله**". فهذا الرجل الذي كان يصحب محمداً ليلاً ونهاراً وحفظ عنه أكثر من تسعين سورة، **لماذا تركهم عثمان واختار الشاب زيد بن ثابت، إذا كان الله قد ذكر أبي بن كعب بالإسم؟**

وإذا كان عثمان قد جمع القرآن في مصحف واحد وجعل منه ست نسخ وزعها على الأمصار، كما تقول الروايات، لماذا لم نعثر حتى الآن على أي نسخة من تلك المصاحف؟ هل يُعقل أن يتسابق المسلمون على نخامة محمد وبصاقه وشعر رأسه عندما يقصه الحلاق، ويفرطون في الاحتفاظ بأول مصحف يجمع القرآن في كتاب واحد؟ وهاهم في السعودية الآن يقيمون المزادات العلنية لبيع الآثار النبوية النادرة

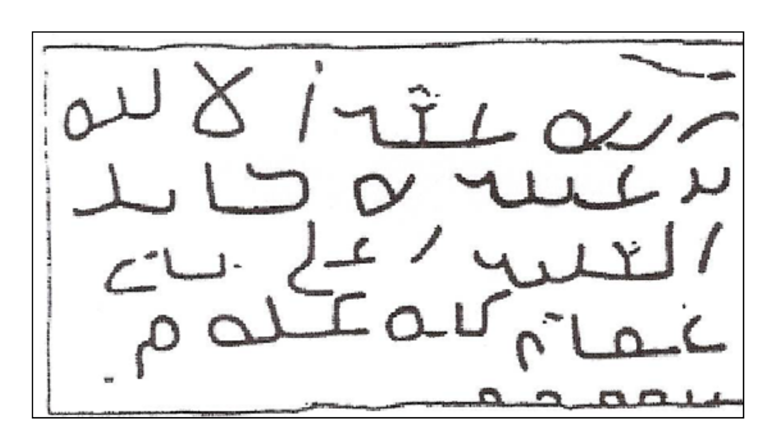
> "وكشفت هناء الطويرقي، مديرة القسم النسائي بالمستودع الخيري في السعودية، أنه تم عرض أغلى قطعة في معرض المقتنيات الأثرية بـ17 مليون ريال (4.5 مليون دولار)، وهي عبارة عن سجادة كانت على القبر النبوي الشريف قبل إزالتها، وأوضحت أن المعرض يضم قطعا أثرية نبوية ودينية وتاريخية ثمينة وصلت التأمينات عليها إلى ملايين الريالات."[5]

حقيقة الأمر **أن تاريخ جمع القرآن ما هو إلا قصص خيالية ألّفها الإخباريون المسلمون في القرن الثاني الهجري**. والمصحف الذي بين أيدينا اليوم مكتوب بالخط الكوفي الذي لم يكتمل في صورته النهائية التي كُتب بها القرآن إلا في نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني، كما يقول خبراء اللغات.[6]

وإذا علمنا أن الكوفة نفسها لم يتم إنشاؤها إلا في العام السابع عشر من الهجرة بعد موت محمد وأبي بكر، وفي خلافة عمر بن الخطاب، لأيقنا أن الخط الكوفي نشأ بالتدريج وعلى عشرات السنين قبل أن يكتمل ويُعرف بالخط الكوفي تمييزاً له عن الخط الحجازي. وحتى الخط الكوفي لم يكن منقطاً وليس به علامات ترقيم كالتي بالمصحف المسمى "مصحف عثمان".

ونحن نعلم الآن من قصص الإخباريين أن الذين كتبوا القرآن بحياة محمد كانوا عدة أشخاص كان لكلٍ منهم مصحفه الخاص. فماذا حدث لمصحف ابن مسعود ومصحف أبي بن كعب ومصحف علي بن أبي طالب ومصحف عائشة؟ لعل اكتشاف المخطوطات القرآنية في اليمن في عام 1965 عندما انهار جزء من الجامع الكبير في صنعاء يثبت لنا أن محاولة ضبط القرآن في مصحف واحد متفق عليه لم تكلل بالنجاح في القرن الأول الهجري. فلو اجتمع المسلمون على مصحف واحد جمعه عثمان، لماذا جعل البناؤون سقفاً إضافياً في مسجد صنعاء وأخفوا فيه مئات المخطوطات القرآنية ثم أحكموا بناء السقف وظلت تلك المخطوطات في **حرزها** لا يعلم بها أحد حتى انهار جزء من سقف ذلك الجامع في عام 1965؟ إخفاء المخطوطات في سقف الجامع يُثبت أن الذين أخفوها لم يكونوا مقتنعين بأن مصحف عثمان هو القرآن الصحيح، وخوفهم من مصادرة ما يعتبرونه القرآن الصحيح، جعلهم يخفون قرآنهم في سقف الجامع.

هذه المخطوطات التي حاولت السلطات الدينية في اليمن التكتم عليها ومنعت الخبراء المستشرقين من الاطلاع عليها إلا بعد جهد جهيد، تثبت لنا الاختلاف في مخطوطات القرآن القديمة. وحتى هذه المخطوطات نفسها يظهر فيها بوضوح المجهود الذي قام به من نسخوها لإزالة بعض الآيات وكتابة آيات أخرى فوقها. وسوف أعرض صور بعض هذه المخطوطات في هذا المقال لتوضيح اختلافها عن "مصحف عثمان". ولنبدأ بنوعية الكتابة في أيام ولادة محمد بن عبد الله في القرن السادس.[7]



هذه المخطوطة العربية أرخها ليتمان Littmann بالقرن السادس الميلادي، ويظهر فيها غياب النقاط وعلامات التنوين، وهي تشبه تماماً ما كانت عليه الكتابة السريانية في ذلك الوقت. وبما أن أغلب الذين كانوا يكتبون في ذلك الوقت هم مسيحيو الشام الذين كانوا يتحدثون السريانية وكتبوا بها الإنجيل وكل الأدعية الدينية التي كان يصعب على القاريء العادي فك رموزها، فقد طلبوا من الأسقف يعقوب من مدينة أديسا في مقاطعة أنطاكية Jacob of Edessa (ت 708 م) أن يخترع حروف علة Vowels كما في اللغة اليونانية لتسهيل قراءة اللغة، وامتنع أولاً لخوفه من أن ذلك سوف يفسد كل الكتب الدينية التي كُتبت وقتها بدون حروف علة، وأخيراً وصل إلى

[4] صحيح البخاري، كتاب التفسير، حديث 4676.
[5] حليمة مظفر، الشرق الأوسط، 2005/10/7.
[6] أنظر مارتن لنجس وياسين صفادي:
M Lings & Y H Safadi, The Qur'an: Catalogue of Exhibition of Quranic Manuscripts At The British Library.
[7] نقلاً عن: http://www.islamic-awareness.org

حل وسط واخترع حروفاً تُكتب فوق السطر أي فوق حروف الكلمة حتى لا تؤثر في كتابة الكلمة نفسها. وقبل ذلك كانت الأصوات المختلفة يُعبر عنها بنقاط ملونة على الحروف لتميزها عن نقاط الحروف نفسها، وهذه الحروف الصغيرة المكتوبة فوق الكلمات هي نفس الطريقة المتبعة في كتابة المصحف بالخط الكوفي، وكذلك النقاط الملونة، فقد كان ناسخوا القرآن بالخط الكوفي يضعون نقاط حمراء على يمين الحرف لتدل على الفتحة، وعلى يساره لتدل على الضمة.
وهذه مخطوطة عربية عُثر عليها في مصر، كُتبت عام أربع وعشرين هجرية.

(a)

١- بسم الله

٢- أنا زهير كتبت زمن توفي عمر سنة أربع

٣- وعشرين

ويظهر من هذه المخطوطة أن اللغة العربية حتى في أيام عمر بن الخطاب لم يكن بها نقاط أو علامات تنوين. والحرف "ر" كُتب مثل الحرف "د" والحرف "ز" في كلمة زمن، كُتب مثل الحرف "ذ"، والحرف "ن" في كلمة عشرين، يشبه الحرف "ز". فكيف كانت كتابة القرآن في أيام محمد؟
نحن لا نعلم بالضبط مَن هو الشخص الذي أدخل النقاط في اللغة العربية، ولكنا نعرف أن المؤرخين العرب زعموا أنه أبو الأسود الدؤلي المتوفي عام 69 هجرية. وهذه النقاط لم تنتشر حتى نشرها يحيى بن يعمر المتوفي عام 90 هجرية وناصر بن عاصم الليثي المتوفي عام 100 هجرية. ثم جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفي عام 170 هجرية وأدخل النحو وعلامات التنوين (الفتحة والضمة والكسرة).

فإذاً "مصحف عثمان" الذي بين أيدينا الآن ويحتوي على النقاط وعلامات التنوين لابد أنه كُتب بعد موت الخليل بن أحمد، أي حوالي نهاية القرن الثاني الهجري وبداية القرن الثالث الهجري، وهذا ما يقول به المستشرقون المتخصصون في الدراسات الإسلامية.

وسوف نبين في الحلقة القادمة بعض الاختلافات في كلمات القرآن الذي يزعم المسلمون أنه ذِكر محفوظ.

2010 / 3 / 10

3 مِن 3

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=207112

بما أن اللغة العربية لم يكن قد اكتمل تطورها عندما جاء محمد بالقرآن، ولما كان كُتاب الوحي يتناوبون في كتابته حسب وجود بعضهم وغياب البعض الآخر عندما يقول محمد إن جبريل قد زاره وأعطاه آيات من القرآن، *فإن ما كتبه بعض الكتاب لم يكتبه الآخرون*، ولما كانت الآيات مكتوبة على العظام والجلود كل آية أو آيتين في مكان، ولما كان القرآن قد نزل على فترة ثلاث وعشرين سنةً، فإنه لا محالة أن الذين حاولوا جمعه في مصحف واحد قد لاقوا مشاقاً عظيمه في جمعه وكتابته، *إذ أن مستوى القدرة على الكتابة كان مختلفاً بين الكُتاب كما كانت طريقة كتابة كل منهم تختلف عن الآخر*. وعندما جاء زيد وأعوانه لكتابة القرآن قرأ كل واحد منهم الكلمات غير المنقطة حسب **تخمينه** أو حفظة للكلمة. ولا شك أن هذا أدى إلى اختلاف بعض كلمات المصحف الجديد عما كان في المصاحف الأخرى مثل مصحف أبي بن كعب أو ابن مسعود. **ولذلك جاء اللاحقون من الفقهاء بمقولة القراءات المختلفة** وزعموا أن محمد عندما جاءه عمر برجل يقرأ القرآن بغير ما حفظه عمر عن محمد، قال له محمد **[إن القرآن نزل بسبعة أحرف]**، فأصبحت القراءات سبع، ثم عشر، ووصلت إلى خمس وعشرين قراءة.[8] وكل ذلك بسبب الحروف غير المنقطة التي تجعل من قراءة الكلمة تخميناً يختلف من شخص لآخر.
فعندما جاؤوا لترتيب سور القرآن، اختلفوا:

- في طول كل منهن،
- وفي عدد الآيات،
- وفي ما هو قرآن أو دعاء كان يردده محمد.

وفي النهاية نجد "مصحف عثمان" خليطاً غير متجانس من الآيات المكية المحشورة في وسط السور المدنية، والعكس كذلك.

ثم أن ترتيب السور *لم يكن حسب تسلسل النزول* وإنما اختار زيد بن ثابت أن يضع السور *حسب طولها*. وحتى طول السور نفسه حدث به ارتباك كثير واختلف الصحابة فيه. فمثلاً سورة الأحزاب التي تحتوي على ثلاث وسبعين آية في "مصحف عثمان"، *أصرّ كلّ من عائشة وأبي بن كعب وابن مسعود أنها كانت في مثل طول سورة البقرة قبل أن يجمع زيد "مصحف عثمان".*

[8] النشر في القراءات العشر لابن الجزري، ص 18.

ثم هناك الاختلاف في عدد سور القرآن، إذ أن مصحف عثمان يحتوي على مائة وأربع عشرة سورة، بينما مصحف أبي بن كعب يحتوي على سورتين إضافيتين هما سورة الحفد وسورة الخلع، بينما مصحف ابن مسعود يحتوي على مائة واثنتي عشرة سورة فقط، إذ انه لم يعتبر سورتي المعوذتين من القرآن وإنما كانتا أدعية يرتلها محمد.

ولا نعلم كيف يقول الله لمحمد إن القرآن نزل بسبعة أحرف، بينما يقول له القرآن:

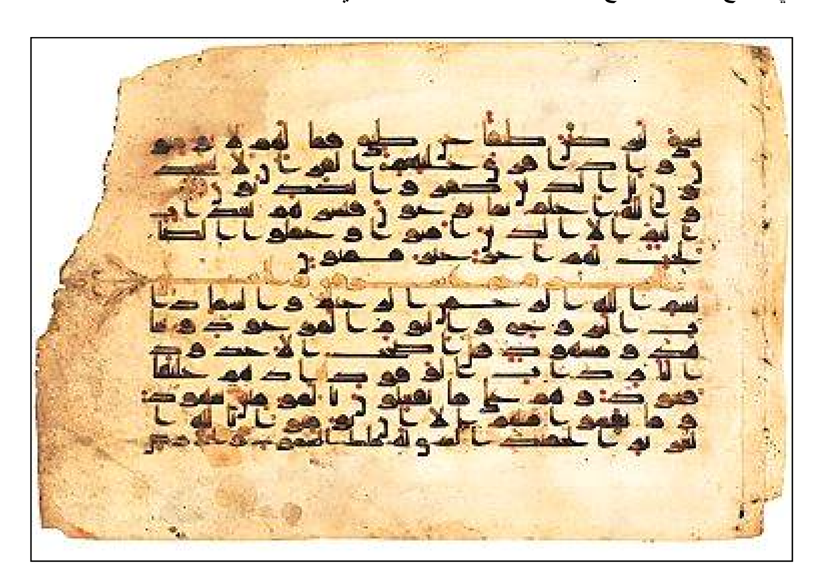
{فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لُدا. (مريم 97)}.

واليسر طبعاً هو عكس العسر، فعندما يقول (يسرناه بلسانك) يعني أنه تسهيلاً للأمور نزل القرآن بلسان محمد، وهو اللسان المكي، فكيف يقول يسرناه ثم يقول له أنزلناه بسبع أحرف حتى يختلف الناس في قراءته؟ وفي رواية عن عمر بن الخطاب، زعموا أنه سمع رجلاً يقرأ سورة يوسف، فقال الرجل (ليسجننه عتى حين) وهي في "مصحف عثمان" (ليسجننه حتى حين) فقال له عمر " من أقرأك هذا؟ قال ابن مسعود ، فكتب عمر إلى ابن مسعود:

"سلام عليك، أما بعد فإن الله أنزل القرآن فجعله قرآنا عربياً مبينا وأنزله بلغة هذا الحي من قريش، فإذا أتاك كتابي هذا فأقرىء الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل."[9]

ونستنتج من هذا أن مقولة نزول القرآن بسبعة أحرف مقولة ابتكرها فقهاء الإسلام للخروج من مأزق الاختلاف الكبير في قراءة سور القرآن لأن محمداً كان ينسى الآيات مع طول الوقت ويقرأ القرآن في الصلاة بطريقة مختلفة حسب ما يتذكره، فيحفظ عنه المسلمون ما سمعوه منه ولذلك حدث الاختلاف بين الصحابة في قراءة القرآن.

وقد سقط من المصحف العثماني كلمات وآيات كثيرة كان المسلمون قد حفظوها، ويظهر لنا ذلك جلياً من بعض المخطوطات التي وجدت بصنعاء، والتي يرجع تاريخها للربع الأول من القرن الثامن الميلادي، كما تقول Anne Marie Schimmel.



ففي هذه المخطوطة اليمنية نجد السطر السابع قد طُمس تماماً، والسطر الثامن بداية سورة البروج التي تقول في المصحف العثماني.

{بسم الله الرحمن الرحيم. والسماء ذات البروج. واليوم الموعود. وشاهد ومشهود. قُتل أصحاب الأخدود. إذ هم عليها قعود. وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد. الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد}.

بينما في القرآن اليمني غير المنقط نجد في بداية السطر الثامن:

(بسم الله الرحمن الرحيم. والسما ذات البروج. واليوم الموعود. وشاهد ومشهود. قُتل أصحاب الأخدود. إلا في كتاب الوفود (الوقود) إذ هم عليها قعود. وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود.)

فشبه الجملة (في كتاب الوفود) ليست بالمصحف العثماني.

ولأن الناس كانوا يقرؤون القرآن بتخمين الكلمات غير المنقطة، نجد مثلاً في مصحف عثمان:

{والشمس تجري لمستقر لها. (يس 8)}،

نجد ابن عباس يقرأ:

(والشمس تجري لا مستقر لها).

ويقول السيوطي في الإتقان في علوم القرآن عن الخليل بن أحمد إن الآية (**فجاسوا في الآرض**) قد قرأها آخرون (**فحاسوا في الأرض**). وفي سورة الإسراء (**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا**) قرأ آخرون (**وصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا**). وفي سورة البقرة (**وانظر إلى العظام كيف نُنشزها**) قرأ آخرون (**وانظر إلى العظام كيف ننشرها**).

والأمثلة لقراءة التخمين أكثر من أن نحصرها في هذا المقال.

ونستنتج من كل هذا أن تاريخ جمع القرآن تاريخ يشوبه الغموض ولا يمكن التحقق منه لمخالفته المنطق ولعدم وجود مخطوطات تُثبت لنا ما يزعمه الإسلاميون.

[9] المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، ج4، سورة يوسف، الآية 35.

ثم نأتي الآن إلى ماهية القرآن، أي محتوياته والفائدة منه. ونسأل أنفسنا: هل أتى الإسلام بأي جديد يستدعي إرسال رسول بعد يسوع أو موسى؟ والجواب هنا أن الإسلام لم يختلف عن اليهودية والمسيحية إلا في الآتي:

1. إباحة الغنائم والسبي لمحمد وأتباعه، وقد افتخر محمد بذلك كما يقول أهل الحديث، إذ قال لأصحابه:
2. [فُضلت على الأنبياء بست - وفيها - أُحلت ليّ الغنائم.]
3. قتال الناس حتى يسلموا أو يعطوا الجزية.
4. امتهان كرامة المرأة وجعلها أسيرة بيتها وخادمة لزوجها.
5. جعل الله مأذوناً يزوج محمد ممن أراد من النساء، وينزل آياتٍ تحل مشاكل محمد مع أزواجه من عائشة إلى زينب إلى حفصة وزمعة.

ما عدا ذلك فكل شيء في الإسلام من صيام وصلاة وزكاة والحج ومنع الربا ووحدانية المعبود والإحسان إلى الوالدين والجار والقسط في التجارة والموازين، والطلاق والزواج والميراث، وعقاب السارق والزاني، وعقاب الجروح (السن بالسن)، كلها موجودة في إحدى الديانتين السابقتين أو في كليهما. بل بعضها كان ممارساً في "الجاهلية"، **فما هي الفائدة التي جنتها البشرية من الرسالة الجديدة؟** وما الحكمة في أن يرسل الإله رسولاً بقرآن يجعل من الإله نفسه **شخصاً نرجسياً** يحب نفسه لدرجة الجنون
ويقول:

{ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون.}

ويقول:

{ما من شيء في السماء والأرض إلا يسبح بحمده}.

ثم يصف نفسه:

بأنه خير الماكرين وبأنه شديد العذاب وبأنه سوف يملأ جهنم من الإنس والجن لأنهم لم يؤمنوا بالرسالة الجديدة التي ليس بها أي جديد؟

ماهي الفائدة التي أتت إلى البشرية من قرآن يقنن العبودية ويجعل الرجل عبداً لرجل آخر ثم كليهما عبيداً لإله نرجسي لا يطربه إلا صوت خضوع الفقراء وهم يتوسلون إليه ويصلون إليه ويطلبون مغفرته عن ذنوب لم يرتكبوها، وهو يصلي مع ملائكته على بشر أرسله رسولاً؟
ولغة القرآن، رغم جمال بعض السجع الذي بها، **لغة ركيكة**، مليئة **بالتكرار الممل** الذي لا يخدم غرضاً، بل يوقع كاتب القرآن في مغالطات هو في غنى عنها، كما بينت سابقاً في تكرار قصة عاد وثمود الذين قال لنا عنهم أنهم هُلكوا بالصيحة، ثم بالرجفة، ثم بالريح العاتية. ولولا التكرار لما وقع في هذا الاضطراب. وكمثال آخر للتكرار الذي يجلب الاضطراب:

{ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا. (الإسراء 89)}.
{ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفوراً. (الفرقان 50)}.
{وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين. (يوسف 103)}.
{وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون. (الأنعام 116)}.

ثم يقول لنا بعد أن أخبرنا أن أكثر الناس كافرون:

{أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون. (آل عمران)}.

فكيف يسلم كل مَن في الأرض طوعاً أو كرها، ثم يكون أكثر الناس كافرين؟

وكمثال آخر على التكرار غير المفيد: قال لنوح أن يقول لقومه:

{قل لا أقول لكم عندي خزائن الأرض ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن اتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير. (الأنعام 50)}.

ثم قال لمحمد أن يقول:

{ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا قول إني ملك. (هود 31)}.

أما قمة التكرار فهي سورة الرحمن، وتكرار {**بأي آلاء ربكما تكذبان**}. ومثال آخر للتكرار الذي لا معنى له، قوله:

{كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم. (التوبة 69)}.

هذه الآية الأخيرة قد ضربت بالبلاغة عرض الحائط، ويصعب أن نصدق أنها أتت من إله في السماء خلق اللغة العربية، كما يقولون، وجعلها لغة آدم ولغة أهل الجنة.

وكمثال على ركاكة لغة القرآن ومحتوى الآيات نقدم:

{وإذ قلنا إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا. (الإسراء 60)}.

في طب النفس هناك مصطلح للشخص الذي لا يستطيع أن يركّز على موضوع واحد، فيقفز من فكرة إلى أخرى دون توقف، ومثل هذا الشخص يقولون عنه إنه يعاني من flight of ideas. فماذا يفهم القاريء من هذه الآية التي تقفز من فكرة إلى أخرى دون توقف؟ *ثم أن القرآن لم يذكر أي شجرة ملعونة قبل هذه الآية أو بعدها.*
وكمثال آخر على ركاكة لغة القرآن والسهو الآدمي فيه نجد:

{ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت أخوانكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتا. (النور 61)}.

فالآية بدأت بإعفاء الأعمى والمريض والأعرج من الغزوات، ثم دخلت في الأكل من بيوت الذين عددهم بتكرار ممل، كان في إمكانه أن يقول لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوت عوائلكم أو أصدقائكم. ولكنه عدد كل الأقرباء، *ولأنه بشر يسهو كما يسهو الآخرون، نسي*

أن يذكر بيوت أولادكم وبيوت أجدادكم. فإذا التزمنا بالمذكورين في الآية فلا يجوز للمسلم أن يأكل من بيت ابنه أو ابنته المتزوجين، ولا بيوت جده أو جدته لأن القرآن لم يذكرهم.
ويقول لنا الإسلاميون إن كل كلمة في القرآن هي كلام الله الذي أوحاه إلى محمد عن طريق جبريل، ولكن نجد في القرآن آيات تحدثت بها حيوانات وطيور، فمثلاً حديث الهدهد مع سليمان:

{فقال أحطتُ بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين. إني وجدت امرأةً تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرشٌ عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله. (النمل 22-23)}.

فهذه الآية بها خطأ تاريخي كبير إذ أن التاريخ المخطوط في "المسند" يخبرنا أن سكان مملكة سبأ كانوا يعبدون آلهة في السماء منذ الألفية الثانية قبل الميلاد، أي من قبل ظهور سليمان. ويذكر لنا المسند أسماء هذه الآلهة. فأهل سبأ لم يكونوا يعبدون الشمس. ثم أن الكلام في الآية لم يقله الله وإنما قاله الهدهد.
وكذلك نجد:

{قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون. (النمل 18)}.

فهذا ليس كلام الله وإنما كلام نملة. فالقرآن هنا ينقل لنا أحاديث خرافية لم تحدث، تماماً كما نقل لنا الإخباريون أحاديثاً عن محمد لم يقلها.

ومما يُثبت أن القرآن ليس كلام الله، وجود الناسخ والمنسوخ في القرآن. فالإله الذي يرسل رسوله بقرآن مكتوب في اللوح المحفوظ من قبل أن يخلق الخلق، لابد وأنه راجع ذلك القرآن وتأكد أنه خالي من المتناقضات قبل أن يرسله إلى رسوله. ولكن هناك أكثر من مائتي آية تناقض بعضها، فقال مؤلف القرآن إنها منسوخة أي ملغية. فلماذا إذاً أنزلها على رسوله وهو يعلم أنها ملغية؟ ولماذا احتفظ بها رسوله في القرآن وظل المسلمون يرددونها باستمرار مع أن أحكامها قد أُلغيت؟

وفي الختام فإن القرآن ليس ذِكراً محفوظاً وليس كلام الله، الذي أصلاً لا وجود له إلا في المخيلة الجمعية للبشر، وإنما هو تأليف بشري تدرج بعدة مراحل كتابية حتى اكتمل في صورته النهائية في نهاية القرن السابع الميلادي أو بداية القرن الثامن.

عودة إلى الفهرس

194 - تعقيباً على تعليقات القراء على تاريخ القرآن

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=207534

نسبةً لأن التعليقات كانت على ثلاث حلقات، فلن استطيع أن أذكر بالاسم كل القراء الكرام الذين علقوا على الموضوع وأضافوا بعض المعلومات أو الذين أطروا على الموضوع أو على الكاتب. ولكني سوف أحاول الرد على بعض الأسئلة و بعض النقاط التي تحتاج توضيحاً أكثر.

- أشكر السيد أمجد المصري على تعليقة في الحلقة الأولى، عندما قال:

> "لذا فأنا أتوقع عقب قراءتى للمقال أمرين:- الأول- أن يتطاول بعض الاسلامويين من عينة (بوفيم-عماره-بسيونى-الجرزاوى) و من على شاكلتهم على شخص الكاتب فيلصقوا به ما شاءوا من النقائص التى لا تعدو أن تكون نقائصهم،الثانى-أن يخصص الكاتب مقالاً لاستعراض ردود هؤلاء على مقاله،و أنا لا أتفق معه مسبقاً فى منحاه هذا الذى يعد احتفاء بالمتطاولين و المتنطعين،و أرجو أن يعذر خلافى معه حول ذلك الأمر".

✍ لا خلاف بيننا. أنا أرد على القراء الذين يثيرون نقاط تستحق الرد أو الذين يسألون سؤالاً عن أمر لم يكن واضحاً في المقال. أما الذين يشتمون أو يصفون المقال بأنه موضوع فاشل، فلا أضيّع وقتي ووقت القراء في الرد عليهم.

- السيد سليمان صاحب التعليق 3 بالحلقة الأولى يقول:

> "هناك استنتاج واحد وهو لم ينجب محمد اطفال حتى ابراهيم ابن مابور المصرى ومحمد كان يعرف انه غير قادر على الانجاب ولذلك صبر على عائشه بعد واقعة صفوان ثلاثون يوميا وليفهم القاري لماذا شهر".

✍ وفعلاً هذه **نقطة مهمة** تستحق الدراسة لأن محمداً عندما ثار عليه نساؤه وطلبن معاملتهن بالمثل مع عائشة وأرسلن السيدة الشجاعة أم سلمة لتخبره بما تطلب نساؤه، غضب محمد واعتزل نساءه شهراً كاملاً ثم رجع إليهن. وعندما علم باختلاء عائشة مع صفوان بن المعطل، خاصمها شهراً كاملاً قبل أن يأتي بقرآن يبريء ذمتها. فهناك احتمال كبير أنه شك في سلوك نسائه وفي عائشة وامتنع شهراً حتى يتبين له إن كانت إحداهن حاملاً.

- السيدة sunlight صاحبة التعليق 24 في الحلقة الأولى تقول:

> "فقد سبق أن نعت محمد بالابتر وتقاتلو المحمديون على أن يوعزون ذلك النعت لكونه لم ينجب أولاد مع علمنا بوجود ولدين نسبا له هم عبد الله وقاسم ، وأدعوا كونه أبتر لأنهما ماتى ولم يستمرى بالحياة ولكن من هنا يجب أن ندرك .بأن محمد نعت بالأبتر لكونه لم ينجب أطفال ولم تكن له ذرية."

✍ وأنا أتفق كامل الاتفاق مع السيدة sunlight بأن العرب عندما قالوا إن محمداً أبتر، كانوا يقصدون أنه لا عقب له، أي لا أطفال له. ولكن الإسلاميين حاولوا تغيير الصورة بأن زعموا أن الأبتر هو الذي لا صبي له يحمل اسمه. وأصل كلمة "الأبتر" حسب تعريف القواميس العربية هو الحمار مقطوع الذنب، أي لا ذنب له يهش به الذباب. وجاؤوا بقصص خرافية متناقضة لتوضيح رأيهم. فمثلاً يقول ابن حجر العسقلاني في كتاب "الإصابة في تعريف الصحابة، ج5، حرف القاف":

> *"كان القاسم قد بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجيبة، فلما قُبض قال العاص بن وائل: لقد أصبح محمد أبتر، فنزلت {إنا أعطيناك الكوثر} عوضاً عن مصيبتك يا محمد. فهذا يدل على أن القاسم مات بعد البعثة. وقالت فاطمة بنت الحسين عن أبيها: لما هلك القاسم قالت خديجة: يا رسول الله درت لبينة القاسم، فلو كان الله أبقاه حتى يتم رضاعه. قال إن تمام رضاعه في الجنة."*

والتناقض في هذه القصة واضح وضوح الشمس إذ أن خديجة ماتت سنة عشرة من بدء البعثة، وكان عمرها وقت ذاك حوالي 65 سنة إذ أنها تزوجت محمد وعمرها 40 سنة وبدأت الرسالة بعد 15 سنة من الزواج. فإذا كان القاسم، وهو أكبر الأطفال المنسوبين إليه، ما زال رضيعاً عندما بدأت الرسالة، وقد در ثديا أمه الحليب، وأخته فاطمة، وهي أصغرهم، كان عمرها عشر سنوات عندما ماتت خديجة بعد عشر سنوات من بدء الرسالة، كما بينت في الحلقة الأولى من المقال، تكون فاطمة قد ولدت في السنة الأولى من الرسالة، والقاسم ما زال رضيعاً. فكيف ولدت خديجة عشرة أطفال في سنة واحدة؟ فلا أشك أن محمداً لم تلد له خديجة أي طفل.

- قارئة الحوار المتمدن، صاحبة التعليقين 27 و 28 في الحلقة الأولى، والتي وجدتني بعد معاناة طويلة في البحث، لها شكري على بحثها عني، وهي تقول في تعقيبها على داليا:

> "من بعد إذن الأستاذ أرجو التوضيح لو سمحت: لفت نظري عبارة في عنوان تعليقك: مصحف عثمان ، كيف تسمحون لأنفسكم أن تنسبوا المصحف للخليفة عثمان لا للنبي محمد صاحب المصحف ؟ أعلم كيف تمّ تجميع وتوحيد صحف القرآن على عهد الخليفة، فإن كنتم تحفظون له هذا الجميل بذكر اسمه كما سبق: مصحف عثمان، أفليس هذا فتْئاً عن اسم النبي وتجاوزاً له؟ وإن قلتِ لي أنه تمييز له عن غيره من المصاحف العديدة (فاطمة ، علي ... فإن هذا الشرح يدخل تحت بند أحداث التاريخ التي جرت وانتهت في حين أن المصحف شيء من المقدس الثابت الذي لا يجوز برأيي إشراك أحد فيه سوى المعني به أقصد السيد محمد . برأيي أنكم تشركون عندما تجملون الله والنبي وعثمان في مسمى واحد ،إلا إذا كان أصحاب عثمان وأهله أرادوا أن يكون لهم نصيب من الكعكة ففرضوا هذا الاسم عليكم ، طيب ، إن كان هذا ، كيف ترضونه لأنفسكم اليوم ؟ اسمه مصحف محمد لا عثمان . وشكراً."

✍ أقول للسيدة العزيزة قارئة الحوار إن كلمة "المصحف" لم تكن معروفة في أيام محمد، وإنما استعارها العرب فيما بعد من اللغة الحبشية. كان القرآن أيام محمد يعرف ب "الكتاب" أو "الفرقان" أو "القرآن". وعندما تم جمع القرآن بعد موت محمد وتعلم العرب اللغات الأجنبية والكتابة المنقطة، سموا ما جمعوه "مصحفاً". وحتى يوهمونا بأن القرآن كان قد جُمع أيام الخلفاء الراشدين، جاءوا بهذه التسميات مثل مصحف عثمان ومصحف ابن مسعود. وأصبح هذا المصطلح متعارفاً عليه منذ أكثر من ألف سنة، ولذلك أصبح جزءاً من اللغة وعلينا الالتزام به رغم تعارضه مع المنطق، كما ذكرتي في تعليقك.

- السيد "المترصد" يقول في تعليقه رقم 1 على الحلقة الثانية:

> "لكن هناك رواية طلب فيها الرسول التوراة ليحكم بها وقد وضعها على وسادة اي غالبا ستكون مكتوبه على جلد خفيف بحيث يسهل وضعها والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا لم يكتب القران بنفس الطريقه الجواب في اعتقادي انه لم تكن هذه الطريقه موجودة وهذه الروايات باطله رواية اخرى اية رضاعة الكبير التي اكلتها الشاة على ماذا كتبت حتى تاكلها الشاة ايضا روايه بعيدة عن المنطق حتى امتلاك الصحابه لمصاحف لا ادري كيف كتبوها واين وضعوها وتخيل الحيز الذي ستاخذه في بيوتهم لا ادري اجدها بعيدة عن المنطق هذه الروايات ثم ما الفائدة من جمع ابو بكر للقران في مصحف واحد والروايات تقول ثمة اختلافات في مصاحف الصحابه."

- التاريخ الإسلامي مليء بالقصص الخرافية والمؤلفة بعد عشرات السنين من بداية الإسلام. ولكن هذا لا يمنع أن يكون محمد قد طلب التوراة ليقرؤها ووضعها على وسادته، لأن اليهود في ذلك الوقت كانوا قد استقروا في اليمن وفي الشام، حيث كانت المدارس المسيحية قد علمت الناس القراءة والكتابة. وبما أن الشام كان قد تأثر بالحضارة اليونانية ثم الرومانية، وقد تاجروا مع الهند والصين، التي تم فيها اختراع الورق قبل آلاف السنين، فقد عرفوا الكتابة على الورق وعلى الجلود. ولا يُستبعد أن يكون يهود يثرب كانت لديهم نسخ من التوراة مكتوبة على ورق. أما قصة الآيات التي أكلها الداجن أي الماعز في بيت عائشة، فقد كان القرآن وقتها يُكتب على العظام وعلى جريد النخل. فربما أكلت الماعز الجريد الذي عليه الآية. على العموم كل قصصهم سماعية لا يمكن الوثوق منها إطلاقاً.

- السيد نادر قريط
  - يقول في تعليقه رقم 3 بالحلقة الثانية:

> "ما ذكره الكاتب عن مخطوطات جامع صنعاء الكبير يشوبه بعض الإلتباس، فاللقى التي عُثر عليها في الجهة الغربية من الجامع هي كسور متفرقة من حوالي 900 قرآن تعود لقرون عديدة تمتد حتى القرن 15 و16 م وليست من فجر الإسلام فقط والمكان كان مخبأ أو ملحقا بمكتبة الجامع لحفظ النسخ التالفة والخارجة عن التداول."

- وبعد شكري للسيد قريط على التعقيب، أقول له إن أغلب المخطوطات التي عُثر عليها كانت أجزاءً مكسرة من أوراق، أرجعتها الدراسة بالكربون إلى منتصف القرن الأول الهجري وما بعده. وقد تم حتى الآن تسطيح ومعالجة حوالي 15 ألف قطعة. وقد صوّر منها الأستاذ Gerd Puin عدداً كبيراً رغم معارضة السلطات الدينية باليمن، وأخيراً تمكنت اليونسكو من اصدار سي دي يحتوي على عدة codecies أي أجزاء من مصاحف غير مكتملة ومن فترات مختلفة. ولكني لم أقرأ أبداً أنها بلغت 900 مصحفاً، ولم يقل أي باحث، حسب علمي، أن الحرز الذي وجدت به كان لحفظ النسخ التالفة أو كان مكتبةً. لماذا يضعون المكتبة في سقف مغلق لا يعلم به أحد؟ النسخ التي عُثر عليها أتلفتها طريقتهم في حفظها إذ وضعوها في جوالات وأغلقوا عليها السقف فأتلفتها الرطوبة. وقد نشر الأستاذ Puin مقالاً عنها في عام 1999 في مجلة Atlantic Monthly قال فيه:

> My idea is that the Koran is a kind of cocktail of texts that were not all understood even at the time of Muhammad. Many of them may even be a hundred years older than Islam itself. Even within the Islamic traditions there is a huge body of contradictory information, including a significant Christian substrate; one can derive a whole Islamic anti-history from them if one wants. The Qur'an claims for itself that it is 'mubeen,' or clear, but if you look at it, you will notice that every fifth sentence or so simply doesn't make sense. Many Muslims will tell you otherwise, of course, but the fact is that a fifth of the Qur'anic text is just incomprehensible. This is what has caused the traditional anxiety regarding translation. If the Qur'an is not comprehensible, if it can't even be understood in Arabic, then it's not translatable into any language. That is why Muslims are afraid. Since the Qur'an claims repeatedly to be clear but is not—there is an obvious and serious contradiction. Something else must be going on.

  - ثم قال السيد قريط:

> "نقش زهير لعام 24 هـ لم يُعثر عليه في مصر كما تقول بل في شمال السعودية قرب مدينة الحُجر التاريخية وعثر عليه إبراهيم الغبّان رئيس السياحة والآثارفي السعودية (أظن عام 2003) وشخصيا ولأسباب عديدة أشكك بهذا النقش وأظن أنه مفبرك؟؟ المصدر الذي استقيت منه المعلومة قال إنها عُثر عليها في مصر.".

- وأنا أشكر السيد قريط على تصحيح المعلومة ولو أنه لم يذكر لنا المصدر الذي استقى منه. وليس المهم أين وجدت طبعاً، وإنما المهم محتواها. ورغم أن السيد قريط يشكك بها لأسباب عديدة، وله الحق في ذلك، غير أني لم أقرأ مصدراً علمياً شكك بها.

- السيد مصلح المعمار يقول:

> "السؤال الذي يطرح نفسه هل اللوح المحفوظ يحتوي على الحركات والنقاط على الكلمات ؟ اليست هذه الأضافات من صنع الأنسان وبالتالي تعتبر اضافة لمحتويات اللوح وزيادة على كلمات القرآن ؟ ألا تعتبرهذه الأضافات البشريه هزيمه علميه ولغوية لمخترع هذا اللوح لأنه جاء بكلمات مبهمه بمستوى اقل من ثقافة ذلك الزمان فقام البشر بترميمها بالحركات والنقاط ؟ وهل هناك لوحان لأله القرآن احدهما مكي مسالم يدعوا للخيروالتعايش السلمي بين القبائل وحرية التدين والآخر مدني قتال يحطم العقل البشري ويخربه؟"

- فعلاً هذا سؤال يستحق الرد عليه من الإسلاميين. القرآن يقول لنا:

{**نون والقلم وما يسطرون.** (القلم1)} وكذلك: {**الذي علّم بالقلم.** (العلق 4)}.

ومع ذلك لم ينزل القرآن مكتوباً ولم يكتبه الصحابة بالتنقيط أو علامات الترقيم. فأي قلم كان يتحدث عنه القرآن؟ وهل كتابة القرآن في عهد محمد كانت تختلف عن كتابته في اللوح المحفوظ؟ وما هو العلم الذي علمه الله الإنسان بالقلم؟ الإنسان دب على هذه الأرض منذ ملايين السنين، وتعلم الموسيقى والرقص والنحت وصناعة الآلات واخترع العجلة قبل أن يتعلم الكتابة. وأول نوع من الكتابة ظهر في شكل رسومات كالتي نراها في الكتابة الهريغلوفية في حوالي العام 2000 قبل الميلاد. والحروف بدأت في سومر بعد ذلك. فهل فعلاً علّم الله الإنسان بالقلم؟

- السيد "عراقي" صاحب التعليق رقم 7، يقول:

> "اللغة العربية كتبت في البداية باحرف آرامية وهي ما تسمى بالكرشونية ويوجد نماذج منها في اديرة العراق، دير مار بهنام مثلا . مع التقدير."

- وأقدم شكري للسيد العراقي لإضافة هذه المعلومة.

- "واحدة من الناس" صاحبة التعليق رقم 14، تقول:

> "معقول الاسلام مش دين سماوى ؟ والقرآن مش محفوظ ومحمد مش نبى؟؟ انا متابعة مقالاتك من فترة لكن الحقيقة صعبة عليا اوى لدرجة انى احيانا كثيرة ابكى وانا اقرأ مقالاتك. ياترا اعمل ايه عشان اقدر اعيش من غير الايمان باساطير الاولين ؟"

- وأقول "الواحدة من الناس" إني آسف جداً إذا كانت مقالاتي تجلب لها المتاعب لدرجة البكاء. هذا يدل على أن العقل الواعي بدأ يناقش العقل الباطن الذي ملأه آباؤنا بالخزعبلات التي أصبحت جزءاً من شخصياتنا. وهذه علامة طيبة تدل على الشك في المسلمات، **ولولا الشك لما تقدم الإنسان ولظل في الغابة مع بقية الحيوانات.** العمل هو أن تفتحي عقلك الواعي وتتيحي له الفرصة لكي يناقش العقل الباطن في كل الموروثات. وإذا لم يتمكن عقلك الواعي من التغلب على العقل الباطن، فعيشي في الجنة التي صنعها لنا الاعتقاد بالغيبيات ومعاداة الحياة.

- السيدة أمل منصور، صاحبة التعليق 21، تقول:

> "أنا من المتابع لكتابات واقراءها بكل شغف ومتعة لما تظفية علي من طمأنينة عندما اقرائها وتؤكد لي بأنني رغم وحدتي في هذا الجزء من العالم الا ان هناك خيرين في انحاء العالم - مثلك- يحمل شمعة ويقول انظري فالمكان ليس مظلم ولا موحش .

سؤالي لك وهو مايتردد في مخيلتي الى الأن هو: لماذا هذة السنين وهؤلاء البشر يسيرون كالخراف خلف هذا الدجل؟ وخاصة مثل طقوس الحج ؟"

- وأقول للسيدة أمل لا تيأسي من وحدتك فأنت لستِ وحيدة في الرياض. هناك العشرات من السيدات والرجال الذين يراسلوني وهم في نفس المركب معك. **روح القطيع جزء لا يتجزأ من تكوين الإنسان الذي هو أصلاً حيوان**، لا يفرقه عن بقية الحيوانات غير العقل. وبما أن الموروث الإسلامي يقتل عقل الإنسان وهو ما زال طفلاً بتحفيظة القرآن قبل أن يعرف الكتابة، أصبح الإنسان المسلم، والذي غالباً ما يكون أمياً، قد تخلى عن عقله الواعي وأصبح يعيش بالعقل الباطن، فلم يتقدم عن مرحلة الحيوان إلا قليلاً. وبما أن الحيوانات تتبع قائد القطيع دون تفكير، كذلك يفعل من غسل الإسلام دماغه.
- السيد عمار صاحب التعليق 24، يقول:

"اذا كان الله واحد وهو اله جميع المخلوقات من البشر في العالم لماذا جاء قرآن محمد باللغة العربية فقط ؟ كان من المفروض ان يستفاد من الله كل انواع الاجناس البشرية. وان يكون لكل جنس قران ولغته وبالتالي يصير عدد لغات الله الاف و الاف ومن ثم يصبح الله ليس واحدا مما يثبت عدم وحدانيته."

- سؤال مهم خاصة عندما نقرأ القرآن ونجده يقول:

{وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم. (ابراهيم 4)}.

فكل الرسل الذين سبقوا محمد تحدثوا إلى قومهم بلسانهم، إلا محمد الذي جاء باللسان العربي لجميع سكان العالم الذين يتحدثون أكثر من 6 آلاف لغة. وأصلاً لماذا أرسل الرسل ليشرحوا للناس إذا كان هو يضل من يشاء ويهدي من يشاء؟

- في تعليقات الحلقة الثالثة، سأل السيد الهابس:

"لماذا فات أخانا النجار التعرض للأخطاء اللغوية الكثيرة والفاضحة في القرآن؟"

- وفي الحقيقة لم أعلق على أخطاء القرآن اللغوية والعلمية لتفادي التكرار، فقد كتبت فصلاً كاملاً في كتابي "قراءة منهجية للإسلام" وكذلك في كتابي الثاني "تأملات في القرآن" والذي أرسلته لدارين للنشر ولكن يبدو أنهم خافوا من عواقب نشره فلم ينشروه.
- السيد brader صاحب التعليق رقم 9 يقول:

"الصحيح ان سوره الانعام على لسان محمد وسوره هود تخص نوح. مع فائق التقدير."

- وللسيد brader شكري على تصويبه. فعلاً أنا قد عكست الآيتين وقلت على لسان نوح ما قاله محمد.
- السيد إدريس صاحب التعليق 10، يقول:

"على ذكر تعدد القراءات فقد قرات مرة عن قراءة اخرى للاية 74 من سورة الفرقان حيث في مصحف عثمان نجد {**واجعلنا للمتقين اماما**} بينما في قراءة اخرى نجد (واجعل لنا من المتقين اماما) اما فيما يخص الاخطاء اللغوية فاليك مثلا هاتين الايتين 38 و 39 من سورة النحل {واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون . ليبين لهم الذي يختلفون فيه و((ليعلم)) الذين كفروا انهم كانوا ((كاذبين))} .فاذا تأملنا جيدا هاتين الايتين سنجد ان هناك خطأين هما الذين وضعتهما بين 4 اقواس. يقول المفسرون ان المشركين استبعدوا فكرة ، البعث بعد الموت ، ولم يصدقوها، ولهذا تراهم اقسموا جهد ايمانهم، وتقول الاية ايضا بأن اكثر الناس وهم الكفار (على ذمة المفسرين) لايعلمون قدرة الله و لهذا ينكرون امكانية البعث. اذا ، اذا كان اولئك الكفار ينكرون امكانية البعث جهلا لقدرة الله ، فهل يصح ان نطلق عليهم صفة (كاذبين) ؟فمتى نقول عن شخص ما انه كاذب ؟ عندما يزعم صحة امر وهو يعلم انه ليس صحيحا ، عندئذ نقول انه (كاذب). اما عندما يزعم امرا اعتقادا منه انه صحيح وهو ليس كذلك ،فعندئذ نقول انه (مخطئ) .فالكفار عندما اقسموا جهد ايمانهم ،فعلوا ذلك اعتقادا منهم انهم على صواب في انه لا بعث بعد الموت . واذن الاصح ان يقال (مخطئين) بدل (كاذبين)." انتهى.

- بعد الشكر للسيد إدريس فإني أوافقه في كل ما ذكر. وكما قلت سابقاً فإن عدد القراءات قد وصل إلى خمس وعشرين قراءة، وما أكثر الآيات التي يختلفون فيها ويصعب حصرها في مقال. وفعلاً إن استعمال كلمة "الكاذبين" لا تتماشى ومضمون الآية.
- السيد محمد البدري صاحب التعليق 16، يقول:

"امتنع العقل العربي، عامدا متعمدا، عن التحليل العميق لتاريخية القرآن او لنقد تطور اللغة العربية الشفاهية قبل الكتابية. فكلاهما تعرض لعوامل كثيرة كان اخطرها دخول العرب بالغزو الي مناطق تعرف الكتابة والتدوين وهنا اضطر البعض من غير العرب لاقامة قواعد من نحو وصرف له مثل سيبوية والفراهيدي وقبلهما ابو الاسود الدوؤلي محاولا وضع الاحرف المتحركة والنقاط لتمييز الحروف التي يمكن ان تستبدل فيما بين بعضها العض. هذا التحول هو الاهم في تاريخ اللغة العربية ولغة القرآن علي وجه الخصوص ما يجعل القرآن منتج للعصر العباسي بجدارة وليس من منتاجات قريش زمن حياه محمد."

- وأقول للسيد البدري إن هذا هو عين الحقيقة. فالقرآن لم يكتمل إلا في العصر العباسي بعد أن تعلم العرب ما ترجمه المسيحيون عن اللغة اليونانية في العصر العباسي.
- السيد jeffry صاحب التعليق 22، يقول:

"لعجيب يا دكتور أنه رغم جميع التحليلات التي قمت بها في هذا الموقع أو في مواقع أخرى لتفند بها القرآن إلا أن هناك من يعالج به رغم تقدم الطب مصداقا للآية التي تقول،تنزل من القرآن ما هو شفاء و رحمة للعالمين والأعجب أن هناك من يشفى. مارأي السيد الطبيب ؟ و رجاءا لا تقل لي بأن الأمر مجرد اعتقادات وأن ذلك راجع لأسباب نفسية و...و....و".

- وأقول للسائل إن الأمراض التي تصيب الإنسان ليست كلها عضوية، هناك أمراض يتوهمها الإنسان ويعتقد أنه مصاب بها، بينما هي في مخيلته فقط. ونحن في الطب الحديث عندما نجري تجارب على المرضى، نعطي بعضهم كبسولات حمراء، مثلاً، بها عقار فاعل، ونعطي النصف الآخر كبسولات حمراء مثل الأولى غير أنها تحتوي على مسحوق غير فاعل، وعندما يسألهم الطبيب عن مفعول العلاج، يقول عدد كبير من الذين أخذوا الكبسولات غير الفاعلة إنهم تحسنوا. وهذا ما نسميه في الطب التأثير المُوهِم Placebo effect. ولو كان علاج القرآن شافياً لماذا يسافر الشيخ القرني والشيخ القرضاوي وغيرهم من الشيوخ إلى أمريكا وفرنسا للعلاج؟

ونسبةً لطول المقال فسوف أشكر السيدات والسادة الذين علقوا ولم يسألوا، وأخص منهم السيدة أم محمد، والسيدة سناء، والسيدة مرثا، والسيدة العقل زينة، والسيدةsunlight، والسيدة "قارئة الحوار المتمدن"، والسيدة ميريام، والسيدة maria، والسيدة "بسمة العمر"، والسيد "شرق عدن"، والسيد مصلح المعمار، والسيد لطيف شاكر، والسيد أبو سبلم، والسيد فريد، والصديق العزيز فؤاد النمري، والسيد نزار النهري، والسيد رعد الحافظ، والسيد مايسترو، وconan، والسيد عبد النور، و السيد mohamed، والسيد أبو فراس، والسيد محمد البدري، والسيد "المترصد"، والسيد جحا القبطي، والسيد طيف شاكر، والسيد علوان، والصديق "علي"، والسيد "سوري"، والسيد عمار، والسيد الهابس، والسيد أمجد المصري، والسيد عبد القادر أنيس، والسيد essaiyd ، والسيد عقيد، و السيد

xbox، والسيد لا ديني، والسيد Bora3y. وأستميح مَن لم أذكر أسمه عذراً. وأعتذر كذلك لأني سوف أغيب عن الحوار المتمدن لمدة سبعة أو ثمانية أسابيع نسبة لظروف عملي.

عودة إلى الفهرس

حسب ما يقول المفسرون فإن القرآن قد كُتب في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الله العالم، ثم أُنزل هذا القرآن على محمد في القرن السابع الميلادي، وأنزله منجماً، في شكل آيتين أو ثلاثة مع بعض. فإذا كان هذا هو الحال، فيجب أن يكون القرآن مكتملاً من كل الوجوه اللغوية والتاريخية والتشريعية. وكان يجب أن تنزل سوره بالترتيب المكتوب به في اللوح المحفوظ. ولكن، حسب ما تخبرنا كتب التراث، فإن محمداً كان عندما يخبر أتباعه بآية جديدة، *يقول لهم ضعوها في السورة التي تُذكر فيها البقرة، مثلاً. ونستنتج من هذا أن الله لم يخبر محمداً بأسماء السور، وبالتالي لم يكن للسور أسماء في اللوح المحفوظ. وبالتالي لا يمكن أن نعرف إذا كان عدد آيات سورة البقرة، مثلاً، في المصحف هو نفس عدد آياتها في اللوح المحفوظ لأن سورة البقرة نزلت على مدى ست سنوات*، وفي هذه الأثناء كانت تنزل آيات أخرى يضعها محمد في سور أخرى. فهناك **ارتباك شديد** في محتوى وترتيب سور القرآن. وزاد من هذا الارتباك أن زيد بن ثابت عندما جمع القرآن، لم يتبع نزول السور بالتسلسل التاريخي، وإنما كتبها حسب طولها، فزاد هذا من الاضطراب الذي يعاني منه القرآن.

فإذا درسنا القرآن حسب ترتيب النزول، نجد أن الغالبية العظمى من السور نزلت بمكة، عندما كان محمد ما زال في طور التلميذ للقس ورقة بن نوفل وللراهب بحيرة وغيرهم من الأرقاء الأحباش المسيحيين. ولذلك جاءت السور المكية **قصيرة مضطربة في معانيها وفي الحقائق التاريخية**، وأغلبها عبارة عن قصص عن الأمم السابقة ورسلها.

- فلنبدأ بأول سورة نزلت في مكة، وهي سورة "العلق". تقول السورة إياها:

{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى (6) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى (7) إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى (8) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (9) عَبْداً إِذَا صَلَّى (10) أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى (11) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (12) أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى (13) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (14) كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ (15) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (16) فَلْيَدْعُ نَادِيَه (17) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (18) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (19)}.

هل كان الإله يخاطب محمداً أم يخاطبُ شخصاً آخراً. فمحمد، كما يُجمع مؤرخوا الإسلام، كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب. فكيف يقول له الإله إقرأ، وماذا يقرأ إذا كانت هذه أول سورة نزلت عليه ولم تكن مكتوبة حتى يقرؤها، بل رتلها له جبريل؟ والقرآن نفسه يقول له فيما بعد:

{ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون. (العنكبوت 48)}.

فاستعمال كلمة "اقرأ" هنا استعمال خاطئ لأن الإنسان يقرأ الكلمات المكتوبة، وجبريل لم يُحضِر لمحمد صحيفة مكتوبة حتى يقول له {إقرأ}.

ثم تستمر السورة فتقول {**خلق الإنسان من علق**}. وفي الأديان الثلاثة فإن آدم هو أول إنسان خلقه رب السماء، وخلقه من تراب، فكان الأولى به أن يقول: "خلق الإنسان من تراب" ولكن **السجع فرض عليه كلمة "علق".** وهو في الحقيقة لم يخلقه من علق لأن العلقة مرحلة متأخرة من مراحل تكوين الجنين، الذي يُخلق من نطفة، ثم مضغةٍ، ثم علقة، كما يقول القرآن في آيات لاحقة. وعليه لا يمكن أن يكون الإنسان قد خُلق من علق، فمن أين أتى العلق؟

{**إقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم**}؟ هل تعلم الإنسان كل شيء بالقلم؟ نحن نعرف أن الإنسان في مسيرته الحضارية تعلم أن يميز بين الثمار السامة وتلك التي يمكن أكلها من تجاربه المريرة عندما شاهد بعض أفراد القبيلة يموتون بعد أن أكلوا أنواعاً معينة من الثمار، وعلّم الإنسان أبناءه وأحفاده تلك المعلومات عن طريق الكلام، قبل أن يتعلم الكتابة؟ ثم إن الإنسان تعلم الزراعة وتدجين الحيوانات والصيد والغناء والموسيقى قبل أن يخترع الكتابة أو القلم. فتعليم الإنسان لم يكن بالقلم الذي جاء في نهاية مراحل تطور الإنسان.

الآية التالية تقول: {**علّم الإنسان ما لم يعلم**}. والمنطق يخبرنا أن الإنسان إذا كان يعلم شيئاً فأنت لا تُعلّمه ذلك الشيء، وبالتالي تكون كلمة "علّم" بالضرورة تعني أنك تُعلّم الإنسان ما لا يعلم، وإلا لما احتاج لأن تُعلّمه. وبالتالي تكون الآية {علم الإنسان ما لم يعلم} آية زائدة لا معنى لها.

ثم يقول له: {**أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى**}. وهذه أول سورة "نزلت" على محمد، ولم يكن وقتها قد عرف الصلاة التي لم تُفرض إلا في العام العاشر من بدء الرسالة. يقول ابن حجر العسقلاني:

"لم يكن قبل الإسراء صلاة مفروضة لا عليه ولا على أمته إلا ما كان يفعله الرسول من التهجد أثناء الليل." [1]

وكلمة "التهجد" تعني ترتيل آيات القرآن والدعاء، فكيف نهى هذا الشخص محمداً من أن يصلي ومحمد لم يكن قد تعلم الصلاة الإسلامية بعد، والصلاة لم تكن قد فُرضت عليه؟

ثم يقول له: {**كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية**}. فمن الناحية اللغوية، *كلمة نسفع كلمة غريبة على العرب*، **وقد حاول المفسرون جعلها من اللغة؛** فقال القرطبي:

"العرب تقول سفعت بالشيء إذا قبضت عليه وجذبته بقوة".

فحتى لو كان هذا القول صحيحاً، *لماذا اختار رب محمد استعمال غريب اللغة* وكان بإمكانه أن يقول: "لنأخذنه بالناصية"؟ فمحمد، لا شك، كان متأثراً بما كان يسمعه من الكهان الذين كانوا يستعملون غريب الكلام لإيهام السامع بقدرتهم على الاتصال بالسماء وتلقي الكلام من الجن. وبالنسبة للإملاء وللنحو كان يجب أن يقول "**النسفعن**" للتوكيد، ولكنه قال (لنسفعا). **فيبدو أن جبريل أو محمد أو من نسخ الآية، لا يعرف الهجاء الصحيح**.

---

[1] السيرة الحلبية 302/1، نقلاً عن جواد علي: تاريخ الصلاة.

ثم يستمر فيقول: {ليدعُ ناديه سندعُ الزبانية}. **فالله هنا قد نزل إلى مستوى العصابات ولجأ إلى البلطجية.** فهو يقول لمحمد: فليدعُ هذا الشخص أصحابه ليتقوى بهم وسوف ندعُ نحن الزبانية. **هل يحتاج الله إلى الزبانية ليقاتل هذا الشخص؟** ثم إذا كانت هذه أول سورة "أنزلها" على محمد، ومحمد لم يكن وقتها قد أعلن نبوته ولم يكن قد دعا قريشاً إلى التوحيد، فمَن هو هذا الشخص الذي منعه صلاته واضطر الله إلى أن يلجأ إلى استدعاء الزبانية؟ هل سبق القرآن الأحداث فأنزل الله هذه السورة أولاً وكان ينوي إنزال سور أخرى قبلها، أم أن الله علم أن أبا جهل بن هشام سوف يعادي محمداً فأخبره بهذه العداوة قبل أن تحدث؟ وإذا كان الرأي الأخير هو الصواب، فما هي الحكمة أو الفائدة من إخبار محمد في أول سورة أن أبا جهل سوف يعاديه؟ فإخباره بهذه العداوة لم يمنع حدوثها.

وفي آخر آية في هذه السورة يقول له: {كلا لا تطعه واسجد واقترب}. **فهل كان محمد وقتها يعرف السجود، والصلاة لم تكن قد فُرضت عليهم ولم يكن جبريل قد علمه شيئاً بعد؟**

فأول سورة من القرآن نزلت على محمد لم تخبره شيئاً عن الله الذي اختاره رسولاً، ولم تخبره ما هي رسالته، وإلى مَن يوجهها، إنما تحدثت له عن الصلاة والسجود وعداوة أبي لهب. هل كانت هذه أفضل طريقة يُعرّف الله بها نفسه إلى محمد الذي خاف من جبريل وظن أنه قد مسه الجنون؟

- السورة الثانية التي أتت بمكة كانت سورة "القلم" التي تقول:

{ن والقلمِ ومايسطرون. ما أنت بنعمة ربك بمجنون. وإنّ لك لأجراً غير ممنون. وإنك لعلى خُلق عظيم. فستبصر ويبصرون. بأيكم المفتون. إنّ ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين. فلا تطع المكذّبين. ودوا لو تُدهن فيدهنون. ولا تطع كل حلاف مهين. هماز مشاء بنميم. إن كان ذا مالٍ وبنين. إذا تُتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين. سنسمه على الخرطوم.}

تخيل محمد بعد أن جاءه جبريل بالسورة الأولى فخاف وارتجف وظن أن الشيطان قد مسه بالجنون، وذهب إلى خديجة لتطمئنه، وبعد فترة رجع إلى غار حراء، فجاءه جبريل ليقول له: {ن والقلم وما يسطرون}، ما معنى نون؟

ثم مرة أخرى يقول له: {القلم وما يسطرون}. ما علاقة محمد بالقلم حتى يكررها له جبريل في سورتين متتاليتين. ومَن هم الذين يسطرون؟ لا بد أن هذه الآيات كانت طلاسماً بالنسبة لرسول جديد اختاره رب السماء لينشر كلمته ويُعرّف الناس به. **فإذا كان الله مغرماً بالقلم إلى هذا الحد، لماذا اختار رسولاً أمياً لا يعرف القلم؟**

وتسلسل الأحداث فيه ارتباك واضح. محمد هو الذي اعتقد أنه قد مسه الجنون حين رأى جبريل لأول مرة وأراد أن يقتل نفسه وقال "لا تتحدث عني بها قريش". فقال له الله: {ما أنت بنعمة ربك بمجنون}. إلى هنا والأمر معقول، ولكن القرآن يقول له: {فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون}. فمحمد حتى تلك اللحظة لم يكن قد اقتنع بأنه رسول، ولم يخبر قريشاً بدعوته الجديدة، وبالتالي لم يقل أحد إنه مجنون، فلماذا يقول له القرآن: {فستبصر ويبصرون بأييكم المفتون}؟

والآية التالية أكثر غموضاً: {إنّ ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين}. فمحمد، كما قلنا، لم يكن حتى تلك اللحظة قد أبلغ أحداً برسالته، فلماذا استباق الأحداث والكلام عن مَن يتبع السبيل وعن مَن يضل؟ **أما كان الأفضل أن يقدم الله نفسه لرسوله ويخبره ما هو الله وما صفاته وما هو المطلوب من محمد أن يُبلّغه للناس؟**

وتستمر سورة القلم، ويقول الله لمحمد: {فلا تطع المكذبين. ودوا لو تُدهن فيدهنون}. لماذا الحديث عن المكذبين وهو لم يكن قد تحدث إليهم حتى يعرف إن كانت قريش سوف تصدقه أم لا؟ ومرة أخرى يستعمل القرآن المبهم من الكلام، *فكلمة يدهنون كلمة غريبة في سياق الآية*، ولم يفهمها المعاصرون ولذلك أتى المفسرون **باثني عشر تفسيراً** لها، من الكذب إلى اللين على الأعداء إلى الاعتراف ببعض آلهة قريش. **فهل هذه بداية موفقة لرسالة من المفروض فيها أنها لكل البشر، في حين أن أهل اللغة العربية لم يفهموها، وحتى الرسول الجديد نفسه لم يفهم المقصود ب "ن"؟** وفي رأيي أن محمداً أتى بهذه النون في بداية السورة ليوهم السامع بأن القرآن ليس من تأليفه وإنما هو من عند الله والدليل على ذلك أن محمداً نفسه لا يعرف معنى "ن."

ثم تستمر السورة، فيقول له الله:

{لا تطع كل حلاف مهين. هماز مشاء بنميم. مناعٍ للخير معتدٍ أثيم.عُتُلٍ بعد ذلك زنيم. إن كان ذا مالٍ وبنين. إذا تُتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين. سنسمه على الخرطوم}.

هل هذا رب السماء يتحدث إلى محمد، أم محمد نفسه يتحدث عن شخص ذي مال يبغضه ويتخيل أنه سوف يعاديه ويسفه أقواله؟ هذه لغة لا تليق برب السماء الذي يستطيع أن يسحق هذا الشخص في رمشة عين. **لماذا كل هذا الردح والشتم والتهديد بأن يكويه يوم القيامة أو يضع علامة على أنفه**. لماذا لا يرسل رب السماء صاعقة تقتله وينتهي منه، وهو كان قد قرر أن هذا الشخص لن يسلم وسوف يعاند رسوله، ولذلك أقسم أن يسمه يوم القيامة على الخرطوم. وما هي أهمية هذه العلامة على الأنف يوم القيامة والناس مشغولون بأنفسهم لدرجة أن الإنسان منهم يفر من أمه وأبيه وصاحبته التي تؤويه، ويوم تذهل المرضعة عما أرضعت. فهل سوف يلاحظ وقتها أي إنسان أن أبا جهل أو أبا لهب موسوم على خرطومه؟ هل كان أبو جهل بهذه الأهمية بحيث يتحدث عنه الله في ثاني سورة "ينزلها" على رسوله الجديد، قبل أن يقدم نفسه لرسوله ويشرح له الرسالة المطلوب منه توصيلها؟

وتستمر السورة، فيقول الله:

{إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين. ولا يستثنون. فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون. فأصبحت كالصريم. فتنادوا مصبحين. أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين. فانطلقوا وهم يتخافتون. أن لا يدخلها اليوم عليكم مسكين. وغدوا على حرد قادرين. فلما راءوها قالوا إنا لضالون. بل نحن محرومون. قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبّحون. قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين}.

محمد لم يكن بعد قد عرف رسالته أو حتى تأكد له أنه رسول، وهاهو الله يخبره عن أصحاب الحديقة الذين أقسموا ألا يدخل حديقتهم مسكين، فأحرقها الله ليلاً وهم نائمون. وفي الصباح عندما تبين لهم ما حدث، لاموا أنفسهم لأنهم كانوا ضالين، فآمنوا بالله. **منتهى السذاجة في المنطق والسرد**. لو كانت هذه حديقتي وأحرقها الله ليلاً لأني قلت لن أسمح لمسكين بدخولها، لكفرت به عشرات المرات بدل أن أؤمن به. ولماذا أحرقها الله ليلاً وهم نائمون إذا كان الغرض هو إقناعهم بوجود الله. لماذا لم يحرقها نهاراً وهم ينظرون حتى يقتنعوا بالمعجزة هذه؟ **إنها نفس قصة الإسراء الذي حدث ليلاً والناس نيام**. ونفس قصة قوم لوط الذين خسف بهم الأرض وهم نائمون.

كل معجزاته تحدث ليلاً حتى لا يراها الناس ومع ذلك يؤمنون بها.

ويبدو أن الله قد حكم على كل من لا يتبع محمد بأنه مجرم، ولم ينتظر حتى يوم القيامة ليحاسب الناس ويحكم عليهم بأعمالهم .فيقول في نفس السورة:

{إنّ للمتقين عند ربهم جناتٍ ونعيم. أفنجعل المسلمين كالمجرمين. مالكم كيف تحكمون. أم لكم كتاب فيه تدرسون. إنّ لكم فيه لما تخيرون. أم لكم أيمانٌ علينا بالغةٌ إلى يوم القيامة أن لكم بما تحكمون}.

في ثاني سورة "تنزل" على محمد، **يُقَسّم ربه الناس إلى مسلمين ومجرمين،** حتى قبل أن يعرف محمد نفسه ما هو الإسلام. فالذي لا يتبع محمداً ويصبح مسلماً **يجعله رب الإسلام مجرماً**. فهل نلوم المسلمين الذين قسموا العالم إلى فسطاط الحرب وفسطاط الإسلام، إذا كان ربهم قد قسّم الناس إلى مسلم ومجرم؟ ويبدو لي أن كاتب القرآن كانت لديه عقدة نفسية من القلم والكتابة. فهو قد ذكر القلم مرتين، وهاهو يذكر الكتاب الذي فيه يدرسون قبل أن يشرح لمحمد أبجديات رسالته.
ثم يستمر فيقول:

{أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين. يوم يُكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون. خاشعةً أبصارهم تُرهقهم ذلةٌ وقد كانوا يُدعون إلى السجود وهم سالمون. فذرني ومن يكذب بهذا الحديث. سنستدرجهم من حيث لا يعلمون. وأملي لهم أن كيدي متين}.

هذا سيناريو مخيف لا شك في ذلك. يوم يكشف الله عن ساقه ويدعو الكافرين للسجود فلا يستطيعون، ربما لأن مفاصلهم أصبحت متصلبة لا تنحني، ونراهم خاشعين وترهقهم الذلة لأنهم كانوا يُدعون إلى السجود في الدنيا فيرفضون. ثم يقول الله لمحمد: اتركني مع مَن يكذب بهذا الحديث المنزل إليك، فسوف أستدرجهم من حيث لا يعلمون لأن كيدي متين. هل هذه لغة وهل هذه صفات تليق برب السماء الذي يقول في بعض آيات القرآن: {ادعو إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة}؟ **هل التهديد بهذا العذاب السادي واستدراج الناس إليه بالكيد والمكر يعتبر حكمة وموعظة حسنة؟** ولماذا كل هذا التهديد، ومحمد لم يكن بعد قد بدأ بدعوة الناس إلى الإيمان بالله؟
وفي آخر السورة يقول الله لرسوله:

{وإن يكاد الذين كفروا ليزلقوك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون. وما هو إلا ذكرٌ للعالمين}.

فإذا كانت هذه ثاني سورة "تنزل" على محمد الذي لم يكن بعد قد تأكد من نبوته، ولم يكن قد أسلم معه غير خديجة فقط، وكان يدعو بعض معارفه سراً، *متى سمع الذين كفروا الذكر ورفضوا أن يؤمنوا به حتى يهددهم رب القرآن بكل أنواع العذاب؟*

كنتُ أتوقع أن تكون أول ثلاث أو أربع سور من القرآن تعريفاً لمحمد بربه الجديد، وبالوحدانية الإلهية، ثم تعريف محمد بالشيء الذي يطلب منه ربه توصيله إلى بقية البشر، وكيفية دعوة الناس إلى معرفة الله والإيمان به وحده، ونبذ الأصنام، وكيف يتعامل مع الذين يخالفونه الرأي.

ولكن ما حصلنا عليه من أول سورتين "نزلتا" على محمد كان تخبطاً وحديثاً عن القلم والكتابة، وتهديداً للناس حتى قبل أن يسمعوا بالرسالة الجديدة، وقصة في منتهى السذاجة تشرح للناس كيف أن الله يجعل الكافرين يؤمنوا به بعد أن يحرق حدائقهم ليلاً وهم نائمون.
سوف نتابع بقية السور المكية في الحلقات القادمة، إن شاء العقل وسمح الوقت.

2010 / 4 / 21

2 مِن 4

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=212407

- ثالث سورة "نزلت" على محمد كانت سورة "المزمل" التي تقول:

{يا أيها المزمل. قم الليل إلا قليلا. نصفه أو انقص منه قليلا. أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا. إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلا. إنّ ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلا. إنّ لك في النهار سبحاً طويلاً. واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا. رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا. واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلا. وذرني والمكذبين أولى النعمة ومهّلهم قليلا. إنّ لدينا أنكالاً وجحيما. وطعاماً ذا غُصةٍ وعذاباً أليما. يوم ترجف الأرض والجبالُ وكانت الجبالُ كثيبا مهيلا}.

جاءت هذه السورة ومحمد ما زال خائفاً من جبريل عندما رآه بالغار وشعر بالبرد وطلب من خديجة أن تزمّله بثيابه، كما زعموا.
وفي هذا الجو المشحون بالخوف، يقول رب القرآن لمحمد:

{قم الليل إلا قليلا. نصفه أو انقص منه قليلا. أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا}.

يبدو من الوهلة الأولى أن مَن كتب هذه الآيات لديه مشكلة مع الحساب، فهو يقول له: {**قم الليل إلا قليلا**}. ونفهم من هذا أن المطلوب منه أن يقوم الليل كله إلا قليلاً منه، يعني حتى قبيل الفجر بقليل. ولكنه يشرحها بقوله: {**نصفه أو انقص منه قليلا**}. يعني قم نصف الليل أو أقل من النصف، ربما ثلث الليل. ثم يضيف: {**أو زد عليه**}. فماذا يفهم السامع من هذه الآيات؟ يقوم الليل كله إلا قليلاً منه، أم يقوم ثلث الليل، أم النصف، أم يزيد على النصف قليلاً فيصبح ثلثين؟ **أما كان الأجدر أن يقول له قم ما تيسر من الليل؟** ولكن **قافية السجع** أجبرته أن يقول "قليلا"، فاضطر إلى الزيادة والنقصان. **فواضح من هذه الآيات أن من كتبها كانت تعوزه مَلَكة ترتيب أفكاره قبل النطق بها، وهذا الكاتب لايمكن أن يكون إلهاً.**
والغرض من قيام الليل كله إلا قليلا هو ترتيل القرآن. ولكنا نرى هنا أن القرآن لم يكن قد "نزل" منه إلا سورتين قصيرتين قبل هذه السورة، فهل طلب الإله من رسوله أن يقوم الليل كله ليرتل سورتين قصيرتين من القرآن؟ أم أنه استعجل بهذه الآية وأتى بها في بداية الرسالة وهو كان يعلم أن القرآن لن يكتمل إلا بعد مرور أكثر من عشرين عاماً؟ **أما كان الأفضل أن يؤخر هذه الآية حتى يكتمل القرآن ليجد محمد ما يكفي من الآيات للترتيل طوال الليل؟** وإذا رتل القرآن طوال الليل، فهو حتماً سوف ينام طوال النهار، فمتى يقوم بنشر رسالته؟

{**إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلا. إنّ ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلا**}. يقول الإله لمحمد إنه سوف يُلقي عليه قولاً ثقيلاً من الآيات، وإنّ ناشئة الليل أشد وطئاً وأقوم قيلا. والقاريء للقرآن لا يجد فيه قولاً ثقيلا بالمرة. هل آيات مثل: {**إنا أعطيناك الكوثر**} أو {**قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون**} قولٌ ثقيلٌ؟ وما هي ناشئة الليل؟ يقول القرطبي:

"قال العلماء: ناشئة الليل أي أوقاته لأن أوقاته تنشأ أولاً فأول، يُقال نشأ الشيء ينشأ إذا ابتدأ وأقبل شيئاً بعد شيء. والمراد هو ساعات الليل الناشئة فاكتفى بالوصف عن الاسم." انتهى.

وفسر الماء بعد الجهد بالماءِ. وهل يا ترى أن ساعات النهار لا تنشأ شيئاً فشيئاً مثل ساعات الليل؟ فلماذا تكون ساعات الليل أشد وطئاً وأقوم قيلا؟

وعندما جاءوا لشرح "أقوم قيلا" قال القرطبي:

"إن القراءة بالليل أقوم منها بالنهار أي أشد استقامة واستمراراً على الصواب لأن الأصوات هادئة والدنيا ساكنة فلا يضطرب على المصلي."

ونستطيع أن نفهم أن القرآن جاء في زمن لم يكن عرب الصحراء قد عرفوا حياة الليل، فكانوا ينامون بعد مغيب الشمس بقليل. ولكن يبدو أن كاتب القرآن لم يحتط للقرن العشرين وما بعده. فالليل في نيويورك لا يختلف عن النهار في شيء من ناحية الضوضاء والصخب، وأصوات الطائرات والقطارات وموسيقى الراب. وحتى في بلاد إسلامية مثل القاهرة وجاكارتا، فالليل لا يختلف عن النهار كثيراً. وفي هذه البلاد لا تكون ناشئة الليل أشد وطئاً ولا أقوم قيلاً. **وكلمة "قيلا" غير مفهومة المعنى لأن المصدر من الفعل "قال" هو "قول" وأقرب شيء إلى "قيلا" هو "القيلولة" أي رابعة النهار، وهي حتماً لا تنطبق على ناشئة الليل.**

{**إنّ لك في النهار سبحاً طويلا. واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا**}.

رب القرآن هنا يطلب من محمد أن يقوم الليل إلا قليلاً لأن له في النهار سبحاً طويلاً. يقول المفسرون إن "سبحاً" تعني فراغاً، أي أن لك فراغاً لحاجاتك بالنهار، وقيل فراغاً طويلاً لنومك (القرطبي). وكلمة "سبحاً" كلمة **فرضها السجع** فرضاً على الكاتب، فلم يكن لمحمد في النهار سبحٌ او سباحة أو تسبيح يستدعي إدخال هذه الكلمة في الآية. فإن هذه الآية جاءت في صحراء جرداء ليس بها ماء ولا سباحة.

ونفهم من ذلك أن القرآن جاء لأناس لا يعملون أبداً، فهم يقومون الليل إلا قليلاً، ثم ينامون بالنهار لأن النهار به سبحٌ طويل.

ونرى هذه الصورة بوضوح في شهر رمضان حيث يقوم الناس نصف الليل أو يزيدون عليه، في مشاهدة المسلسلات التلفزيونية والأكل، ثم ينامون أغلب ساعات النهار وتتعطل المعاملات. وبعد هذا يقولون إن القرآن صالح لكل زمان ومكان.

{**رب المشرق والمغرب فاتخذه وكيلا**}.

الوكيل هو مَن ينوب عن الشخص في أداء مهمةٍ ما. فمثلاً هناك وكيل بيت المال الذي يقوم بتصريف شؤون بيت المال بالإنابة عن الخليفة وهو مسؤول للخليفة. وهناك الوكيل القانوني (المحامي) الذي يُدافع عن المتهم، وهو مسؤول للمتهم. وهناك وكيل العريس الذي ينوب عنه في مراسم الزواج، كما فعل النجاشي عندما أصبح وكيل محمد في زواجه من أم حبيبة التي كانت في الحبشة وقتها. **"ووكل إليه الأمر: سلّمه له وتركه له"**. تواكلوا: اتكل بعضهم على بعض. فكيف يتخذ محمد الله وكيلاً ينوب عنه؟ ويبدو أن الله ينوب عن كل الناس: {**قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل.** (آل عمران 173)}. وينوب حتى عن الأشياء: {**وهو على كل شيء وكيل.** (الأنعام 100)}. *<u>والمنطق يخبرنا أن محمد هو الوكيل عن الله في الأرض، يقوم بما يقوله له الله، فكيف يصبح الله وكيلاً لمحمد ومسؤولاً له؟</u>*

{**واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً. وذرني والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا. إنّ لدينا أنكالاً وجحيماً وطعاماً ذا غُصةٍ وعذاباً أليما**}.

عندما نهجر شخصاً نفعل ذلك لأننا غاضبون عليه، فكيف يكون الهجر جميلاً، أما كان أبلغاً لو قال "هجراً طويلا"؟ وفي ثالث سورة من القرآن يلجأ ربه إلى التهديد والوعيد والتخويف، فيقول: {**ذرني والمكذبين أولي النعمة ... إنّ لدينا أنكالاً وجحيماً**}. أين حض الإنسان على استعمال عقله لتحليل آيات القرآن حتى يقتنع أو لا يقتنع بوجود الله أو نبوة محمد؟ ولكن بدل التفكير يهدد رب القرآن المكذبين به الأغنياء (أولي النعمة) بالجحيم والأنكال. وذلك لأن تجار مكة الأغنياء رفضوا أن يصدقوا رسالة محمد. فليسترح فقراء العالم فلا أنكال تنتظرهم لأنهم ليسوا ذوي نعمةٍ.

{**يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيبا**}.

رب القرآن يصف للعرب يوم القيامة يوم ترجف الأرض فتصبح الجبال كثيباً مهيباً، أي تصبح مثل كومة من الرمال. ولكنا نرى الآن كيف أن الأرض ترجف مع الزلازل التي تصيب بلاد العالم وتتهدم المنازل والمباني الخراصانية كلها وتظل الجبال كما هي، لا تتحول رمالاً. فالجبال جذورها في باطن الأرض، ولا تندك الجبال حتى تندك الأرض نفسها، ووقتها لن يبقى قبر ولا إنسان ولا حيوان، حيّ أو ميت، ليحاسبه الله. القرآن هنا يعتمد على **التخويف** برسم صور مهولة ليوم الحساب، حتى وإن كانت الصورة مستحيلة الحدوث وتتعارض مع منطق العقل. وبعد كل هذا يصر أهل الإسلام أن الإسلام يحترم العقل ويشجع على استعماله.

وتستمر سورة المزمل:

{**إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا. فعصي فرعونُ الرسول فأخذناه أخذاً وبيلا. فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدانَ شيبا. السماء منفطر به كان وعده مفعولا. إنّ هذه تذكرةٌ فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا**}.

رب القرآن يقول في سور لاحقة إنّ محمداً لم يكن يعلم بقصص الأنبياء السابقين حتى ذكرها له الله في القرآن:

{**ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم مَن قصصنا عليك ومنهم مَن لم نقصص. (غافر 78)**}،

وكذلك:

{**ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم. (آل عمران 44)**}،

فإذا كانت قصص الأنبياء من الغيب الذي يوحيه الله لمحمد، فهو حتى تلك الساعة لم يكن قد قص عليه قصة فرعون وموسى في السورتين اللتين أنزلهما له، *ولا بد كذلك أن عرب مكة في ذلك الوقت كانوا يجهلون هذه القصص كما جهلها* محمد،

فكيف يتحدث لهم رب القرآن في ثالث سورة "تنزل" إليهم عن عصيان فرعون لموسى قبل أن يحدثهم عن فرعون الذي كانوا لا يعرفون عنه شيئاً؟

فلماذا لم يشرح لهم قصة فرعون أولاً قبل أن يهددهم بمصيره؟ إنه يحدثهم عن هلاك فرعون وعن يوم يجعل الولدان شيباً حتى يخاف عرب مكة ويتبعوا محمد لتفادي مصير فرعون، ومع ذلك يقول لنا: {إنّ هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا}، ومن لا يشاء أن يتخذ السبيلَ فلن يتقي يوما يجعل الولدان شيبا. فهو هنا يقول لنا: *لكم مطلق الحرية أن لا تؤمنوا بالله، ولكن إذا استعملتم حريتكم في الاختيار فسوف نعذبكم عذاباً أليماً*. وكيف تكون السماء في ذلك اليوم منفطرة، أي منشقة، وهو يقول في آيات أخرى إنه سوف يطوي السماء بيمينه، {يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب. (الأنبياء 104)}. **فهل السماء منشقة أم مطوية؟**
ونجد بعد هذه الآيات:

> **{إنّ ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يُقدّر الليل والنهار عَلِمَ أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن}.**

مرة أخرى يرجع كاتب القرآن إلى قيام الليل *ومشاكله مع الحساب*، فيقول إنه يعلم أن محمد يقوم أدنى من ثلثي الليل، وهذا يعني أنه يقوم ربع أو ثلث أو نصف الليل، ولكنه لا يكتفي إلا بالتكرار غير المفيد، فيقول له "نصفه وثلثه" وما دام النصف والثلث أقل من الثلثين، فلا داعي لذكرهما لأنه قال إنه يعلم أن محمد يقوم أقل من ثلثي الليل.
ثم يقول لنا في جملة طويلة غير مفيدة:

> **{الله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم}.**

ونستطيع أن نفهم أنه يقدّر الليل والنهار (مع أنه لم يقدم لنا أي دليل)، ولكن لا نستطيع أن نفهم قوله: {**علم أن لن تحصوه**}، ما هو الشيء الذي لا نستطيع أن نحصيه أو نحسبه؟ وكوننا لا نستطيع أن نحصي هذا الشيء، **أيكون هذا سبباً له ليتوب علينا من ذنب لم نقترفه؟**
ونستمر في السورة فنجد:

> **{فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واقرضوا الله قرضاً حسناً}.**

مؤلف القرآن أو ناسخه **قد وقع في خطأ جسيم في هذه الآية**، فقوله: {**وآخرون يقاتلون في سبيل الله ... وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**} إما أن تكون هذه الآية من سورة مدنية أُدخلت هنا عن طريق الخطأ، أو أن مؤلف القرآن قد أخطأ في التاريخ، لأن القتال لم يُشرع للمسلمين إلا بعد أن هاجر محمد إلى المدينة وقويت شوكته بالأنصار، والصلاة لم تُفرض على المسلمين إلا في العام العاشر بعد بدء الرسالة، والزكاة فُرضت في نهاية حياة محمد بالمدينة، وهذه السورة هي ثالث سورة أتت من القرآن، وكانت في بداية إشهار محمد لرسالته، ***فكيف يطلب منهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وهما لم يكونا قد فُرضتا بعد؟***
وللخروج من هذا **المأزق** يقول ابن كثير:

> "هذه الآية، بل السورة كلها مكية ولم يكن القتال شُرع بعد، فهي من أكبر دلائل النبوة لأنها من باب الإخبار بالغيب." انتهى.

فرب القرآن عالم الغيب عرف أنه سوف يفرض القتال والصلاة بعد عشر سنوات، والزكاة بعد عشرين سنة، ولم يستطع أن يكتم هذا السر عن محمد فأخبره في ثالث سورة أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، وهذ علامة من علامات النبوة.

> ***مشكلة المسلم هي أنه من المستحيل عليه أن يقول إن محمداً أو ناسخ القرآن قد أخطأ ولذلك يأتون بكل حركة بهلوانية ليقنعوا أنفسهم بصدق القرآن، وليذهب العقل إلى الجحيم فلا حاجة له لأن التفكير في غير مخلوقات الله حرام "تفكروا في مخلوقاته ولا تتفكروا في ذاته"، هكذا قال فقهاء الإسلام.***

ولم ينسَ محمد أن يطلب من الناس أن **يقرضوا الله قرضاً حسناً**. تخيل نبياً جديداً يأتي برسالة من المفترض فيها أن تكون لعامة الخلق، وبدل أن يشرح لهم هذه الرسالة، يطلب منهم في ثالث سورة أن يقرضوا الله قرضاً حسناً. نحن نعلم أن محمداً كان فقيراً، **فهل كان رب السماء كذلك فقيراً حتى يستعجل بالاستلاف من الناس قبل أن يسلموا؟** وإذا كان فقيراً لماذا يقول: {**ذرني ومن خلقتُ وحيداً وجعلت له مالاً ممدودا**}. من أين أتى بهذا المال ليمده لهذا الشخص وهو يطلب من الناس أن يقرضوه قرضاً حسناً؟

- أما السورة الرابعة التي أتت بمكة، فهي سورة "المدثر" التي تقول:

> **{يا أيها المدثر. قم فأنذر. وربك فكبر. وثيابك فطهر. والرجز فاهجر. ولا تمنن تستكبر. ولربك فاصبر}.**

هذه الآيات من سورة المدثر كان يجب أن تكون أول آيات أتت من القرآن لأنها تتحدث عن التوحيد وهجر الأصنام والحرص على الطهارة، وتأمر محمد أن يُشهر رسالته، أي أنها تعريف مختصر بالإسلام، ولذا كان من الأفضل أن تكون بداية القرآن. ورغم أن الآيات ترمز إلى محمد ب "المدثر" وهو ما فعله محمد في أول يوم أتاه جبريل، فخاف منه وقال لخديجة [**دثريني، دثريني**]، إلا أن رب القرآن "أنزلها" بعد ثلاث سور سبقتها.
ثم يلجأ رب القرآن مرة أخرى للتهديد والوعيد، فيقول:

> **{فإذا نُقر في الناقور. فذلك يومئذ يوم عسير. على الكافرين غير يسير. ذرني ومن خلقت وحيدا. وجعلت له مالاً ممدودا. وبنين شهودا. ومهدت له تمهيدا. ثم يطمع أن أزيدَ. كلا أنه كان لآياتنا عنيدا. سأرهقه صعودا}.**

وكلمة "الناقور" فرضها السجع المنتهي بالحرف "ر"، والكلمة المتعارف عليها هي "الناقوس" الذي كان المسيحيون يضربونه على كنائسهم. فإذا نُقر في الناقوس، فذلك يومئذ يوم عسير. والجملة هنا واضحة المعنى، لكنه يزيد، فيقول: {**على الكافرين غير يسير**}. وهذا تكرار لا معنى له، لأنه لو كان عسيراً، فهو غير يسير على الكافرين وعلى المؤمنين كذلك.
ومرة أخرى يطلب منا أو من محمد أن يتركه مع ذلك الشخص الذي تحدث عنه وهدده في أول سورة، فيقول:

> **{ذرني ومن خلقتُ وحيدا وجعلت له مالاً ممدوا}.**

ألم يُخلق كل إنسانٍ وحيداً؟ هل محمد خُلق في مجموعة من التوائم مثلاً؟. هذا الشخص الغني ذو الأولاد الشهود والمال الممدود، سوف يرهقه الله صعوداً كما أرهقت آلهة اليونان "سيزيف" وجعلته يدفع الصخرة إلى أعلى الجبل، لتتدحرج إلى أسفله، فيصعد بها مرة أخرى وهو مرهق. فما فعلته آلهة اليونان مجتمعه يستطيع إله محمد أن يفعله منفرداً.
ثم يأتي لنا بآيات **تُلجم كل عقل**:

> **{إنه فكّر وقدر. فقُتل كيف قدّر. ثم قُتل كيف قدّر. ثم نظر. ثم عبس وبسرَ. ثم أدبر واستكبر. فقال إن هذا إلا سحرٌ يؤثر. إنّ هذا إلا قول البشر}.**

فهذا الشخص الذي تجرأ أن يفكر ويقدر، قُتل لأنه قدّر. ثم قُتل مرة أخرى كما قدّر. ثم بعد أن قُتل مرتين (ولا نعلم كيف يمكن أن يُقتل مرتين)، نظر، ثم عبس وبسر. ثم أدبر واستكبر. فكيف لهذا الشخص الذي قُتل مرتين أن ينظر ويعبس. **وكلمة "بسر" فرضها سجع الكهان لأنها لا تعني شيئاً لناطق العربية،** وحاولوا الالتفاف حولها، فقال القرطبي:

"بسر، يعني كلح وجهه وتغير لونه."

وجاء ببيت شعر لشاعر زعم أنه جاهلي:

صبحنا تميماً غداة الجفرِ بشهباءَ ملمومةٍ بَسِرة

هذا البيت من الشعر **ركيك جداً** ويُستبعد أن يكون لشاعر جاهلي .ولا ندري كيف تكون الخمر الشهباء كالحة ومتغيرة اللون، بينما قال عنها الشاعر الفحل أبو نواس:

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها إنْ مسها حجرٌ مسته سراءُ

ولكنه الاحتيال على اللغة لتعني ما يريدون.

وهذا الشخص الذي تجرأ وقال إن القرآن قول بشر، رد عليه القرآن بالتالي:

{سأصليه سقر. وما أدراك ما سقر. لا تبقي ولا تذر. لواحةٌ للبشر. عليها تسعةُ عشر. وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكةً وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر}.

بعد خمس آيات قصيرة مسجوعة، يأتي مؤلف القرآن بآية تكاد تكون مساوية لنصف سورة المدثر في الطول، *وغير مسجوعة* كبقية آيات السورة، **فهي حتماً ليست من السورة ،إنما أُدخلت هنا عن طريق الخطأ**. *وإله القرآن لا يمل من تكرار الوعيد والتهديد بالعذاب.* في هذه المرة فسوف يُصلي ذلك الشخص الذي قال إن القرآن قول بشر، سيصليه سقر. ولأن الأعراب وقتها لم يعرفوا كلمة "سقر"، قال لهم **{وما أدراك ما سقر}**. وكاتب القرآن استعمل هذا السؤال مع كل كلمة غريبة لا يفهمها العرب، فقال مثلاً:

{وما أدراك ما الحاقة} و
{ما أدراك ما القارعة} و
{وما أدراك ما الطارق} و
{ما أدراك ما العقبة} و
{ما أدراك ما سجين} و
{وما أدراك ما عليون}.

فكل هذه الكلمات **ليست عربية،** وحتى لا يسأل الناس محمد عن معناها، قال لهم **"وما أدراك"**، *يعني لا أحد يعرف عنها شيئاً فلا تسألوا.* وإذا نظرنا إلى وصف "سقر" **نجد أن المكانة الأولى كانت للسجع قبل المعنى،** فهو يقول: **{لواحةٌ للبشر. عليها تسعة عشر}**. "لواحةٌ للبشر" لا تعني أي شيء للقاريء. هل سقر تلّوح بالبشر أم تلوح لهم أم تغير لونهم، *لا أحد يعلم ما المقصود هنا*. ثم لماذا عليها تسعة عشر ملكاً ليعذبوا البلايين من البشر يوم القيامة، بينما يرسل هذا الإله خمسة آلاف من الملائكة مسومين (معممين) ليقاتلوا ألف مشرك من قريش في موقعة بدر؟ *هذه الآية تؤكد أن مؤلف القرآن لديه مشكلة في الحساب.*
ثم ما معنى هذه الآية:

{وما جعلنا عِدتهم إلا فتنةً للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا. ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون}؟

هل قصد إله القرآن "وما جعلنا عددهم" أي التسعة عشر، إلا اختباراً للكفار؟ ابن كثير يوافق على هذا التفسير ويقول:

"أي أنه ذكر عدتهم تسعة عشر اختباراً منه للناس ليستيقن الذين أوتوا الكتاب، أي يعلمون أن هذا الرسول حق لأنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله."

وكلمة "عِدة" رغم أنها قد تعني العدد، إلا أن العرب كانوا يستعملونها لعدة المرأة المطلقة أو المتوفي عنها زوجها، وكذلك كانوا يعنون بها المتاع أو الآلات، فنقول: **أعدوا للحرب عدتها من السهام والرماح**. فلماذا استعمل مؤلف القرآن غريب الكلام ولم يقل: "وماجعلنا عددهم"؟ ثم أن الكتب السماوية الأخرى لم تذكر أن حراس جهنم تسعة عشر، ولكن ابن كثير وغيره **يستغلون جهل المسلمين بالكتب الأخرى فيزعمون أنها قالت ما لم تقله**. ولا نفهم كيف يكون قراره أن يجعل حراس جهنم تسعة عشر اختباراً للكفار. هل لو جعلهم خمسة آلاف، كما فعل في بدر، يفقد الاختبار معناه؟ وبما أن **التكرار** سمة من سمات القرآن، يقول لنا: **{ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب}**. فإذا استيقن أهل الكتاب، فهذا يعني أنهم لم يرتابوا، وليس هناك أي فائدة من ذكر شبه الجملة **{ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب}**.
ثم تدخل سورة "المدثر" في **مرحلة القسم الذي يُكثر منه إله القرآن في السور اللاحقة،** فتقول:

{كلا والقمر. والليل إذا أدبر. والصبح إذا أسفر. إنها لإحدى الكبر. نذير للبشر. لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر}.

هذه الآيات تؤكد وثنية الإسلام، الذي هو امتداد لفترة "الجاهلية" التي أخذ محمد كل معتقداتها وعاداتها وجعلها جزءاً من القرآن، مثل الحج والطواف بالكعبة، وتقديم الأضحية، والزواج المتعدد، والطلاق ثلاث مرات، ثم زواج المحلل، والعدة بالنسبة للأرملة والمطلقة. فعرب ما قبل الإسلام قبل أن ينزحوا من اليمن إلى منطقة الحجاز كانوا يعبدون القمر، ويعتقدون أنه تزوج الشمس وانجبا النجوم، مثل الشعرى الذي عبدوه وذكره القرآن **{رب الشعرى}**. *فعبادة القمر كانت من صلب معتقدات الجاهلية البعيدة عن الإسلام، ولذلك يقسم به رب القرآن كثيراً.* ولهذا السبب نجد القرآن المكي يحتوي على سورة كاملة اسمها "القمر" وسور أخرى اسمها "الشمس" و"النجم" و"الضحى" و"الليل" و"الفجر".

ولنفس هذا السبب نجد صورة الهلال تعلو مآذن الجوامع وترفرف على أعلام البلاد الإسلامية، فهو يمثل لهم إلههم القديم.

{والليل إذا أدبر. والصبح إذا أسفر}.

ما فائدة هذا القسم بالليل وبالصبح، وما هو الهدف منه؟
وتستمر السورة، فتقول:

{كل نفس بما كسبت رهينة. إلا أصحاب اليمين. في جنات يتسألون عن المجرمين. ما سلككم في سقر. قالوا لم نك من المصلين. ولم نطعم المسكين. وكنا نخوض مع الخائضين. وكنا نكذب بيوم الدين. حتى أتانا اليقين. فما تنفعهم شفاعة الشافعين. فمالهم عن التذكرة معرضين. كأنهم حُمرٌ مستنفرة. فرت من قسورة}.

ونحن نفهم أن كل نفسٍ بما كسبت رهينة، ولكن القرآن يستثني أهل اليمين {**إلا أصحاب اليمين**}. فيبدو أن أصحاب اليمين لا يُسألون عن أعمالهم، وكل بقية البشر يسألون لأنهم مجرمون، وقد دمغهم رب القرآن بهذا الوصف في الدنيا دون أن ينتظر إلى يوم القيامة ليحاسبهم ويقرر وقتها إن كانوا مجرمين أم لا. وعندما يسألهم أهل اليمين عن سبب وجودهم في سقر، يقولون: {**لم نك من المصلين**}.
فهذا هو إله القرآن للمرة الثالثة، وفي رابع سورة منه يقول **إن سبب دخولهم النار أنهم لم يكونوا من المصلين، والصلاة لم تكن قد فُرضت بعد**. ويحيرني كثيراً هذا الجدل بين أهل الجنة وأهل النار، ولا أفهم كيف يمكن لأهل النار التي سوف تكون مقراً للغالبية العظمى من البشر، وبالتالي يكون حجمها أكبر مما يمكن أن نتصوره، وسوف تكون حرارتها قد بلغت مئات الدرجات المئوية نسبةً إلى حجمها الكبير وعدد المعذبين بها، فكيف يستطيع أهل اليمين الاقتراب من هذه النار العظيمة لدرجة أنهم يستطيعون التحدث مع أهلها؟ وهل يستطيع الشخص الذي يُشوى جلده ثم يغيره الله بجلد جديد، أن يتحدث مع أهل اليمين ويشرح لهم لماذا هو في النار؟ ورب القرآن يقول لنا عن جهنم: {**إنا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بها سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه.** (الكهف 29)}. وفي حديث ابن سعيد الخدري الذي أخرجه الترمذي، يقول محمد:

[إنّ لسرادق النار أربعة جدر كثيفة كل جدار مسافة أربعين سنة].

فهل يُعقل أن يقترب أهل اليمين من جهنم التي عليها أربعة جدران ليتحدثوا إلى أهل النار الذين يقول عنهم القرآن: {**أما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفيرٌ وشهيق.** (هود 106)}. فأهل النار مشغولون بالألم والزفير والشهيق، فحالهم لا تسمح لهم ان "يسولفوا" مع أهل الجنة ويشرحوا لهم سبب وجودهم في النار. ولكنها السادية التي انطوت عليها نفس مؤلف القرآن الذي يصر على وصف أنواع العذاب المهين الذي سوف يسلك فيه المجرمين.
وفي نهاية السورة يقول إله القرآن:

{بل يريد كل امريء منهم أن يُؤتى صحفاً مُنشرّة. بل لا يخافون الآخرة. كلا إنه تذكرة. فمن شاء ذكره. وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة}.

وكعادة كاتب القرآن، يقول **إن الإنسان مسيّر ومخيّر في آنٍ واحد**، فهو يقول {**فمن شاء ذكره**} ولكنهم لا يستطيعون أن يذكروا إلا أن يشاء الله {**وما يذكرون إلا أن يشاء الله**}.

2010 / 4 / 25

3 مِن 4

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=212863

- خامس سورة "نزلت" بمكة هي سورة "الفاتحة" التي تقول:

{بسم الله الرحمن الرحيم (1) الحمد لله رب العالمين (2) الرحمن الرحيم (3) مالك ويوم الدين (4) إياك نعبد وإياك نستعين (5) إهدنا الصراط المستقيم (6) صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين (7)}.

أولاً: هذه السورة **ليست قرآناً منزلاً من رب السماء**، إنما هي شكر ومدح يقول به محمد للإله الذي مكنه من تنصيب نفسه ملكاً على العرب ورسولاً لهم، وكونهم يقولون "آمين" في نهايتها يُثبت أنها دعاء كان محمد يردده ويطلب من ربه أن يتقبله **لأن "آمين" تعني "تقبّل منا"**.
وسورة الفاتحة تقول، بعد البسملة: {**الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم**}، وهذه الجملة لا تضيف أي جديد للبسملة ولا لما سبقها من السور لأن كل السور السابقة تبدأ ب {بسم الله الرحمن الرحيم} *ما عدا سورة التوبة*. فكونه غيّر "بسم الله" إلى "الحمد لله" لا يضيف أي جديد.
ثم تقول: {**مالك يوم الدين**}. واختلف الناس في قراءة هذه الآية، فقال بعضهم (ملك يوم الدين). وربما كانت "ملك" أقرب إلى الحقيقة لأن محمداً كان يعتبر نفسه ملكاً على العرب، يأمر وينهي ويقتل ويحيي، ويجمع الأنفال من المحاربين. فكونه ملك أو مالك يوم الدين لا تعني أي شيء لأن الدين ليس واحداً وليس للأديان يوم معلوم. ولو كان الإله قد طلب من محمد أن يقول هذا الدعاء، فهو إذاً إله **نرجسي** لا يحب غير نفسه ويطلب من الناس أن يمجدوه ويستجدوه سبع عشرة مرة في اليوم في الصلاة ، وبعد ذلك يطلب منهم قيام الليل ليرتلوا القرآن الذي يبدأ بسورة الفاتحة. فكأن الناس لا عمل لها إلا تمجيد هذا الإله النرجسي.
{**إياك نعبد وإياك نستعين**}. *هذه لغة شخص يشكر ربه*، ولو كان المتحدث هو الله، لقال (إياي أعبد وإياي استعين). ولكن لأن المتحدث هو محمد، فيقول لربه: إياك نعبد وإياك نستعين.
{**إهدنا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعمت عليهم**}، *وواضح هنا أن محمداً يطلب من ربه أن يهديه إلى الصراط المستقيم*، ولا يُعقل أن يقول الله (إهدنا الصراط المستقيم). **ولكن كعادة المفسرين، فقد قالوا إن الآية مسبوقة بكلمة "قل" المحذوفة،** فتصبح السورة: (قل الحمد لله رب العالمين). **ولكن لماذا حُذفت كلمة "قل"** والقرآن يذكرها صراحةً في **أكثر من مائة وثلاثين آية أخرى**، منها: {**قل أعوذ برب الناس، وقل أعوذ برب الفلق**}؟ **ومَن الذي حذفها؟** هل حذفها الله بدون أي مبرر منطقي، أم حذفها محمد وبذلك يكون قد غيّر في كلام الله؟

- واختلف المفسرون في عدد آيات هذه السورة،

فقال بعضهم إنها سبع آيات لأنهم جعلوا البسملة آية من آيات السورة، بينما لم يعتبروا البسملة آية من آيات بقية سور القرآن. وبعضهم جعلها ست آيات فقط.

- والذين جعلوها سبع آيات أعطوها أسماء عديدة،

- فسماها بعضهم "السبع المثاني" لأن هناك آية تقول: {**ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم.** (الحجر 87)}.

ولأن المفسرين لم يفهموا المقصود من **السبع المثاني**، زعموا أنه يقصد سورة الفاتحة ذات الآيات السبع. ولكن المشكلة هنا أن آيات الفاتحة ست وليست سبع. ثم أن "السبع المثاني" أتت في سورة "الحجر" وترتيبها هو 54 حسب ترتيب "النزول"، بينما "الفاتحة" كانت السورة الخامسة. **فكيف يرمز الله في السورة الخامسة إلى معنى سوف يذكره في السورة 54؟**

- وقال بعض المفسرين إن سورة الفاتحة اسمها "الشفاء" لما ورد عن الدارمي مرفوعاً، قال:

"قال رسول الله [الفاتحة شفاء من كل سم]."

ومن الغريب أن يقول محمد هذا الحديث وهو مات مسموماً بالشاة التي قدمتها له اليهودية يوم غزوة خيبر. فهل نسي محمد أن يقرأ الفاتحة ليشفيه ربه من السم؟

- وقالوا إن اسمها "أم الكتاب"

"لأن فيها من الصفات ما ليس لغيرها، حتى قيل: إنّ جميع القرآن فيها. وهي خمس وعشرون كلمة تضمنت جميع علوم القرآن."[2].

إذا كانت هذه السورة تحوي جميع علوم القرآن، فليس في القرآن أي علوم لأن سورة الفاتحة ليس بها غير دعاء يمجد به محمد ربه.

- ♦ واختلف المفسرون حتى في مكان نزول هذه السورة،
- فقال ابن كثير:

"هي مكية، قاله ابن عباس وقتادة، وقيل مدنية، قاله أبو هريرة ومجاهد وعطاء. ويقال نزلت مرتين، مرة بمكة ومرة بالمدينة. وحكى أبو الليث السمرقندي أن نصفها نزل بمكة ونصفها نزل بالمدينة".

فلو كانت "الفاتحة" سورة "أنزلها" الله على محمد لما اختلف الناس في مكان نزولها. ولكن لأنها دعاء كان محمد يردده، لم يتذكر أحد من الصحابة متى نزلت عليه. فلو كانت قد نزلت عليه وطلب من كاتب الوحي أن يكتبها، لما اختلف الناس في مكان نزولها. وبالطبع ليس هناك أي سبب منطقي يجعل الله ينزل هذه السورة القصيرة مرتين، اللهم إلا إذا عرف أن رسوله وبقية المسلمين لا يستطيعون حفظ هذه الآيات الست. وكذلك لا يُعقل أن يكون قد أنزل نصفها بمكة، وانتظر أكثر من عشر سنوات لينزل الثلاث آيات الأخرى بالمدينة.

وآخر آية في سورة الفاتحة تقول: {**غير المغضوب عليهم ولا الضالين**}. ويمكننا أن نفهم أن بعض الناس قد يضلون عن الطريق المستقيم، ولكن لا نفهم كيف يمكن لإله في السماء قد خلق كل هذا الكون بمجراته ونجومه وكواكبه أن يغضب على مخلوقات ضعيفة مثل الإنسان. **وفي حقيقة الأمر أن الغاضب هو محمد وليس الله**، وسبب غضب محمد هو أن اليهود لم يصدقوه فصب جام غضبه عليهم. وبما أن المسيحيين كذلك لم يصدقوه، قال المفسرون إن المغضوب عليهم هم اليهود، والضالين هم المسيحيون.

والنتيجة هي أن سورة الفاتحة تثبت أن كل ما قال به محمد من دعاء أو تهجد مثل الفاتحة وسورتي المعوذتين {*أعوذ برب الناس، وأعوذ برب الفلق*} اعتبره الصحابة قرآناً. ولذا منع محمد الصحابة أن يكتبوا عنه أي حديث، وقال فقهاء الإسلام إنه منعهم حتى لا يختلط عليهم الحديث بالقرآن. وهو قد اختلط فعلاً.

- السورة السادسة التي "نزلت" بمكة هي سورة المسد:

{تبت يدا أبي لهب وتبّ. ما أغنى عنه ماله وما كسب. سيصلى ناراً ذات لهب. وامرأته حمالة الحطب. في جيدها حبل من مسد}.

وأبو لهب، كما نعلم، هو عم محمد، وكان قد أيقن أن محمداً ليس رسولاً ولا نبياً، ولذلك كان يتهكم عليه. فغضب عليه رب السماء، ذلك المقتدر الذي خسف الأرض بقارون لأنه تبجح بماله على بني إسرائيل، ولكنه لم يستطع أو لم يرد أن يخسف رمال مكة بأبي لهب، مع أن خسف الرمال أسهل بكثير من خسف أرض مصر الصلبة، فلجأ إلى الشتم. {**تبت يدا أبي لهب وتبّ**}. {**ما أغنى عنه ماله وما كسب**}، تماماً كما لم يغنِ عن قارون ماله. "أبو لهب" هذا كان واحداً من تسعة أعمام لمحمد لم يؤمنوا به، فلماذا صب إله القرآن جام غضبه عليه ولم يذكر أعمامه الآخرين؟ القرآن لا يخبرنا بالسبب **ولكن المفسرين قالوا إن أبا لهب كان يرمي الأوساخ على محمد عندما يسجد، وكان يتبعه في مجالسه ويقول للناس لا تصدقوه**. ورغم أن هذه معارضة سلمية يقوم بها كثير من الناس - كالذين يرمون السياسيين بالبيض - فإن إله القرآن لم ترق له هذه الحرية الفردية، فتوعد أبا لهب بالنار {**سيصلى ناراً ذات لهب**}. **ونفس هذا الإله قال إنه لا يحكم على الناس بأعمالهم قبل يوم القيامة**، يوم يعطي كل واحد منا كتابه ليقرؤه، ويزن أعمالهم ثم يحكم عليهم حسب الكفة التي ترجح من الميزان: {**وأما من ثقلت موازينه. فهو في عيشة راضية. وأما من خفت موازينه. فأمه هاوية**. (القارعة 6-9)}. ولكننا نراه هنا قد استعجل ولم ينتظر الميزان، فحكم على أبي لهب بالنار الخالدة ذات اللهب. *هل عجز إله القرآن أن يعطي رسوله منطقاً يُقنع به أبا لهب، أو عجز أن يهدي أبا لهب، وهو القائل لمحمد*: {**إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء**}؟

وإذا اعتبرنا أن إله القرآن تمكن منه غضبه على أبي لهب وأصدر حكمه سريعاً قبل انتظار الميزان، فما هو ذنب امرأته حمالة الحطب، حتى تُصلى ناراً ذات لهب؟

يقول المفسرون إنها كانت ترمي الشوك في طريق محمد. يا للهول! رمي الشوك في طريق أفضل خلق الله يوجب الشواء في النار إلى الأبد. أليس من العدل الطبيعي أن يكون العقاب مساوياً للجريمة؟ ثم نسأل أنفسنا: لماذا عيّر الله هذه المرأة بحمل الحطب، والحديث المشهور يقول لنا: [**لئن يحمل أحدكم حبله ليحتطب، خيرٌ من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه**]. ولماذا وصف زوجة أبي لهب بحمالة الحطب، بينما قال إن زوجها كان غنياً ولكن لم يغنِ عنه ماله؟ فهل زوجة الغني تحمل الحطب؟ والذي يحيرني أكثر هو أن هذه المرأة المسكينة، والتي سوف تُصلى ناراً ذات لهب، سوف يكون في عنقها حبلٌ من مسد لا يدوم إلا لحظاتٍ في النار. فلماذا اختار إله السماء أن يضع في عنقها حبلاً من سعف النخيل بينما لديه أغلالٌ من حديد؟ {**ولهم مقامع من حديد**. (الحج 21)}.

والخلاصة أن سورة المسد لم تضف إلى علمنا بالإسلام أي شيء، ولا بمعرفة ماهية الله فوق الذي كنا نعرفه من السور السابقة، وهو أنه إله يلجأ إلى التهديد والوعيد بعد كل آيتين أو ثلاثة.

ولنا أن نسأل هنا: إذا كان هذا الإله مهتماً بأمر ملايين الناس وأرسل لهم رسولاً ليهديهم إليه، لماذا لم يركّز قرآنه، خاصة السور الأولى منه لهدايتهم **بدل أن يشغل نفسه بشتم رجلٍ واحد وامرأته؟**

- السورة السابعة حسب ترتيب "النزول" هي سورة "التكوير" وترتيبها في المصحف 81. تقول هذه السورة:

{إذا الشمس كورت. وإذا النجوم انكدرت. وإذا الجبال سُيّرت. وإذا العشار عُطلت. وإذا الوحوش حُشرت. وإذا البحار سُجرت. وإذا النفوس زُوجت. وإذا الموءودة سُئلت. بأي ذنب قُتلت. وإذا الصحف نُشرت. وإذا السماء كُشطت. وإذا الجحيم سُعرت. وإذا الجنة أُزلفت}.

[2] القرطبي، تفسير الفاتحة.

يكاد أن يكون هذا الجزء من السورة، صورة طبق الأصل من خطبة قس ابن ساعدة الأيادي التي يقول فيها:

> "إنه من عاش مات. ومن مات فات. وكل ماهو آت آت. مطر ونبات. وأرزاق وأقوات. وآباء وأمهات. وأحياء وأموات. وجمع وشتات. وآيات بعد آيات. ليل موضوع. وسقف مرفوع. ونجوم تغور. وأراض تمور. وبحور تموج. وضوء وظلام. وبر وآثام. ومطعم ومشرب. وملبس ومركب. ألا إن أبلغ العظات. السيرفي الفلوات، والنظر الى محل الأموات. إن في السماء لخيرا. وان في الأرض لعبرا. ليل داج. وسماء ذات أبراج. وأرض ذات رتاج. وبحار ذات أمواج."

القس ساعدة ومحمد، كل منهما كان متأثراً بسجع الكهان. فالجزء الأول من سورة التكوير *ما هو إلا سجع وقعه جميل على النفس ولكن محتواه خالي من أي معنى أو فائدة*. فمحمد يعطينا عدة شروط مسجوعة لا يمكن أن تحدث وعلى الحياة بشر ليشاهدوها ويقتنعوا بها. فهو يقول {إذا الشمس كُورت}، وهو طبعاً كان يتخيل أن الشمس قرص مسطح يسجد عند العرش كل ليلة ليطلب الإذن بالشروق. ثم يقول {وإذا النجوم انكدرت}. لم يكن العرب المعاصرون لمحمد يعرفون كيف تنكدر النجوم، فذهب المفسرون مذاهب عدة في تفسيرها.
يقول القرطبي:

> "انكدرت يعني تساقطت وتناثرت." وأتى بحديث عن محمد يقول: [**لا يبقى في السماء يومئذٍ نجم إلا سقط في الأرض حتى يفزع أهل الأرض**]".

وقال الضحاك:

> "تساقطت وذلك أنها قناديل معلقة بين السماء والأرض."

وطبعاً لجهلهم في تلك الأيام بماهية النجوم، حسبوها أجساماً صغيرة يمكن أن تسقط على الأرض، ولم يخطر ببالهم أن النجم الواحد أكبر من الأرض آلاف المرات، وأكبر من شمسنا عشرات، بل بعضها أكبر بمئات المرات. فلو سقط نجم على الأرض، لما بقيت أرض ولا أناس يفزعون، كما قال محمد في الحديث، ناهيك عن سقوط جميع النجوم على الأرض التي هي عبارة عن رأس دبوس بالنسبة لمجرة واحدة. فإذا كان الناس والحيوانات سوف يتبخرون بمجرد سقوط النجم على الأرض، مَن الذي سوف يشاهد هذه الشروط التي وضعها محمد ليوم الحساب؟

{وإذا العشار عُطلت}. العشار هي النوق الحوامل، فكيف تُعطل هذه النوق؟ يقول المفسرون إن الناقة الحامل كانت أعز شيء للعربي، فإذا جاء يوم الحشر وقام العرب من قبورهم ورءوا نياقهم العواشر لم يهتموا بها لأنهم مشغولون بأنفسهم، وهذا يعني أنهم عطلوها. وفي الحقيقة فإن العاطل أو المعطل هو جيد المرأة إذا لم تكن عليه القلائد والمصوغات، كما يقول امرؤ القيس:

وجيدٍ كجيد الريم ليس بفاحش   إذا هي نصته ولا بمعطل

{وإذا البحار سُجرت}. المسجور هو الشيء الملآن. يقول المفسرون:

> "إذا سُجرت البحار، يعني مُلئت حتى يفيض بعضها على بعض فتصير شيئاً واحداً. وقيل أرسل مالحها على عذبها".[3]

ولأن أهل مكة لم يكونوا يعرفون الكثير عن البحار، ولم يعرفوا أنها أصلاً متصلة بعضها ببعض، وأنها شيء واحد، بهرهم هذا الحديث واعتبروه برهاناً على مقدرة الله. وطبعاً ليس هناك أي بحار عذبه ليخلطها بالمالحة. **فكل تفاسيرهم خبط عشواء بلا علم**.
وتظل الأية سجعاً لا يفهمه أحد.

{وإذا النفوس زوجت}. والنفس في لغة القرآن هي الشخص أو الإنسان، والقرآن يقول: {لا تعلم نفسٌ بأي أرض تموت}. فإذاً عندما يقول {إذا النفوس زُوجت} يعني إذا الناس زوجوا. وهنا احتار المفسرون فقال بعضهم:

> **الزواج هنا معناه أن يُجمع الرجل مع القوم الذين كانوا يعملون عمله، أي يجمع أهل اليمين مع بعض وأهل جهنم مع بعض**.

وقال بعضهم:

> **إنما هو زواج أهل اليمين بالحور العين**.[4]

فالنفوس متزوجة الآن، والإنسان يصادق ويختلط بمن هم من شاكلته، كما يقولون في المثل: إن الطيور على أشكالها تقع، فليس هناك أي شرط أو تهديد في هذه الآية، **ولكنه السجع يشجع الساجع أن ينظم أكبر عدد من الكلمات ذات الوقع المتشابه.**

{وإذا السماء كُشطت}. يكشط: تعني يسلخ الجلد عن الجمل أو عن الكبش، وتعني كذلك القلع عن شدة التزاق، أي الفصل بين شيئين ملتصقين. فكيف يكشط الله السماء؟ قال المفسرون:

> **إن الله ينزع السماء من مكانها كما تنزع الجلد عن الكبش**.

فالسماء حسب فهمهم هي بناء سميك كالسقف يمكن أن ينزعه الله من مكانه. وهذا يرجع لفهمهم للآية التي تقول إن السماء والأرض كانتا رتقاً، أي ملتصقتين، ففصلهما الله عن بعض. والكشط كذلك يعني إزالة النتوءات، فنقول: كشطت الحائط، أي جعلته أملساً. **فكيف يجعل السماء ملساء؟**

{وإذا الجحيم سُعرت، وإذا الجنة أزلفت}، أي إذا أشعل الله نار جهنم وقرّب الجنة من المتقين، أو قرّب المتقين من الجنة. كل هذه الشروط التي سجعها القرآن، لابد لها من جواب شرط. فما هو جواب الشرط لهذا السجع الجميل؟ أي لماذا يفعل الله كل هذه الأشياء؟ الجواب هو حسب الآية اللاحقة {علمت نفسٌ ما أحضرت}. **كل هذه المعجزات الخيالية إذا قام بها الله، فسوف تعلم النفوس ما فعلت في الدنيا**. هل لابد أن يكون العذاب مسبوقاً بمهرجان يبين عظمة الله؟ وما الفائدة من تبيان عظمة الله يوم الحساب، وهو لن يسمح للمذنبين بالرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا به ويحسّنوا سلوكهم؟ كل هذا المهرجان قبل العذاب يعكس **روحاً سادية** لا تليق برب السماء.

انتهز محمد فرصة أن العرب كانوا مولعين بالشعر والسجع، فسجع لهم كلاماً جميلاً عن الأشياء التي سوف تحدث يوم البعث، ولذلك انبهر العرب بهذا السجع دون أن يتفحصوا معناه، ولم يكن بإمكانهم أن يتفحصوه لأنهم كانوا يجهلون العلوم الطبيعية مثل الفيزياء وعلم الفلك (إلا ما رءوه بالعين المجردة)، ولذلك صدقوا محمداً وقدسوا قرآنه لجمال السجع ولأنه أدخل الخوف في قلوبهم من عذاب الله إذا لم يؤمنوا بما يقوله لهم محمد.

ثم يترك إله محمد المعجزات المذكورة، ويبدأ **بالقسم الذي له مكانة خاصة في قلبه**، فيقول: {فلا أقسم بالخُنس. الجوار الكُنس. والليل إذا عسعس. والصبح إذا تنفس}. **كل الكلمات في هذه الآيات كلمات غريبة على المعاصرين لمحمد ولم يفهما أي منهم**، ولكنهم حفظوها لجمال سجعها.
يقول المفسرون:

> "الخُنس: هي الكواكب لأنها تخنس نهاراً، ويقال هي الكواكب السيارة دون الثابتة. وقال الضحاك إنها النجوم الخمسة – زحل، المشتري، المريخ، الزهرة، عطارد – لأنها تخنس في مجراها، وتكنس، أي تستتر."

---

[3] القرطبي.
[4] القرطبي.

يتضح من شرحهم أنهم لم يكونوا يعرفون معاني الكلمات، ولا حتى الفرق بين الكواكب والنجوم، فجاءوا بتفاسير لا تستهوي إلا العقول الفارغة.

أما {الليل إذا عسعس} فتفسيرهم لها **يفضح مدى تهافتهم على شرح مالا يعرفون معانيه**. يقول القرطبي:

"أجمع المفسرون على أن "عسعس" يعني أدبرَ. وقالوا تعني "دنا من أوله وأظلم". وقالوا: أقبل بظلامه. وقالوا: عسعس يعني ذهب. والخليل يقول: عسعس يعني أقبل أو أدبر."

فهل فهمنا ما هو معنى "عسعس"؟ وأين هو إجماع المفسرين الذي قال به القرطبي؟ وهذه **حيلة المفسرين**، دائماً يقولون قد أجمع العلماء، أو أجمعت الأمة، **مع أن العلماء والأمة لم يُجمعوا على أي شيء منذ أول يوم ظهر به الإسلام.**

على أقل تقدير فإن *خُمس القرآن يتكون من آيات تحتوي على كلمات غير مفهومة للعرب*، ناهيك عن غير المتحدثين بالعربية. ومع ذلك يقول صاحب القرآن إنه **"قرآنٌ مبين"**.

فإذا كان هذا هو القرآن المكي الذي جاء به محمد في بداية دعوته ليقنع به أهل مكة، فلا غرابة أن وصف أبو لهب، وأبو جهل، وأبو سفيان قرآنه بأنه من سجع الكهان وقالوا عن محمد إنه كاهن، فهذه السورة لوحة فنية من السجع لكنها تخلو من أي محتوى قد يفيد الإنسان في معرفة رسالة الإسلام.

2010 / 4 / 28

4 مِن 4

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=213263

- السورة الثامنة التي أتت بمكة هي سورة "الأعلى"، والتي تقول:

{سبِّح اسم ربك الأعلى. الذي خلق فسوى. والذي قدّر فهدى. والذي أخرج المرعى. فجعله غُثاءً أحوى. سنقرئك فلا تنسى. إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يَخفى}.

كل هذه السورة عبارة عن جُمل مسجوعة **ومليئة بالادعات** التي لا يمكن اثباتها. وإضافة إلى ذلك تحتوي السورة على آيات قد يُفهم منها أن الآلهة متعددة، وليس هناك إله واحد. فالآية الأولى تقول: {**سبح اسم ربك الأعلى**}. وكما هو معروف، فإن "الأعلى" صيغة تفضيل، فنقول "عالي" ثم "أعلى منه" ثم "الأعلى" وهو فوقهم جميعاً، و "واطي" و "أوطى منه" و"الأوطى". فإذا كان ربه هو الأعلى، فلا بد أن هناك أرباب عاليون ولكن هو أعلى منهم، *فلا يمكن أن يكون أعلى من لا شيء*.

{**الذي خلق فسوى**} ما هي إلا ادعاء ليس عليه من برهان، والقرآن نفسه مغرم بطلب البرهان من الآخرين، فقال على لسان اليهود:

{وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين. (البقرة 111)}.

وقال على لسان عرب مكة:

{أم اتخذوا من دونه آلهةً قل هاتوا برهانكم. (الأنبياء 24)}.

ثم يقول الله عن نفسه:

{أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم. (النمل 64)}.

ثم يقول عن الأمم يوم القيامة:

{ونزعنا من كل أمةٍ شهيداً فقلنا هاتوا برهانكم. (القصص 75)}.

فهذا الإله المغرم بطلب البرهان من الآخرين، **كان يجب عليه أن يقدم لنا برهاناً بأنه هو {الذي خلق فسوى}** خاصةً أنه يقول في سورة "المؤمنون": {**فتبارك الله أحسن الخالقين.** (14)}. **فما دام هو أحسن الخالقين، فهناك خالقون غيره وهو أحسنهم**، فكيف نعرف أنه هو الذي خلقنا ولم يخلقنا الآلهة الآخرون، خاصة أن جسم الإنسان ينقصه الكمال الهندسي الذي نتوقعه من إله هو أحسن الخالقين، أي كما يقول الإنكليز: master builder فجسم الإنسان آلة تصرف معظم الطاقة التي يحصل عليها الإنسان من الطعام في شكل حرارة تذهب هباءً. فإذا كان الله هو أحسن الخالقين فكان المتوقع منه أن يخلق آلة أكثر إتقاناً.

{**والذي قدّر فهدى**}. فما دام هو قد قدر لكل شخص مصيره، وهدى من يحب أن يهدي، فلماذا أرسل الرسل والأنبياء؟

{**والذي أخرج المرعى. فجعله غثاء أحوى**}. المرعى هو المكان الذي ترعى به الإبل والمواشي، ولكنه استعمل الكلمة هنا ليعني بها الحشائش التي تنمو بتلك البقعة. والحشائش عندما يتم نموها وتنضج الحبوب أو البذرات التي تحملها، يكون دورها في الحفاظ على الجنس قد اكتمل، فتموت كما تموت أسماك السالمون عندما تلد صغارها لتحل مكانها. والنباتات عندما تتم دورتها تصير صفراء لأنها لا تحتاج إلى إنتاج طعامها بعد أن تمت مهمتها، وبالتالي تتوقف عن انتاج مادة الكلوروفيل التي تعطي النبات اللون الأخضر، فتصفر الأوراق، ثم تموت. ولكن مؤلف القرآن هنا يقول لنا إنه جعل تلك النباتات {**غثاء أحوى**}. وكلمة "غثي" تعني "جفّ"، فنقول: "غثي الوادي" إذا جف. و"غثي الماء" إذا علاه الزبد من شدة اندفاع الماء. فكيف جعل مؤلف القرآن تلك الحشائش غثاء. ثم أن كلمة "أحوى" مشتقة من "الحوة" التي هي سمرة الشفة، مثل "اللُمى" الذي هو سمرة الشفة كذلك، وقد سمى العرب المرأة الي بها سُمرة بشفتها "حواء" و"لُمى". فهذه صفة جمال في المرأة، فكيف جعل مؤلف القرآن الحشائش غثاءً أحوى؟ ارتبك المفسرون في هذا الأمر،

وقالوا يجوز أن يكون "أحوى" حالاً من المرعى، ويجوز أن يكون صفة لـ "غثاء" والمعنى أنه صار كذلك بعد خضرته، أي صار الحشيش أسودَ بعد خضرته. وقالوا: فجعله أسود من احتراقه وقِدمه[5].

---

[5] القرطبي.

فهل منكم من رأى النبات إذا استوى صار أسود؟
ثم يقول {**سنقرئك فلا تنسى. إلا ما شاء الله**}. فالله سوف يُقريء محمداً القرآن - رغم أن جبريل هو الذي طلب منه أن يقرأ - ويطلب منه ألا ينسى ما سوف يقرئه إياه، إلا ما شاء الله له أن ينسى. ونحن نعرف أن محمداً كان بشراً مثلنا، والبشر ينسى مهما كانت قوة ذاكرته، ومحمد قد نسي وسها في الصلاة عدة مرات. *فإذا كان الله نفسه يشاء له أن ينسى، كيف يقول له سوف نقرئك فلا تنسى؟* وما دام الله يطلب منه ألا ينسى القرآن، لماذا لم يُنزل عليه القرآن مكتوباً في صحف كما أنزل الوصايا العشر على موسى منقوشةً على الحجر، وبذا يضمن أن القرآن لن يُحرّف أو تُنسى منه آيات؟ **ونفهم من هذه الآية أن الله قد شاء لمحمد أن ينسى بعض الآيات، وبالتالي لا يمكن أن يكون القرآن ذِكراً محفوظاً.**

وتستمر سورة "الأعلى" {**إنه يعلم الجهر وما يخفى. ونيسرك لليسرى. فذكر إن نفعت الذكرى. سيتذكر من يخشى. ويتجنبها الأشقى. الذي يصلى النار الكبرى. ثم لا يموت فيها ولا يَحيى**}. مرة أخرى يدعي أنه يعلم الجهر وما يخفى. وكلنا يعلم الجهر لأنه كلام مسموع، أما كونه يعلم السر، فهذا **ادعاء ينقصه البرهان** الذي يطلبه منا رب القرآن.

{**فذكر إن نفعت الذكرى**}. هذه الآية أتت فقط **لتجاري السجع في السورة**، ولا معنى لها. فإذا كانت الذكرى قد نفعت، فلا داعي للتذكير مرة أخرى. فنحن دائماً نذكر الشخص الذي لم ينتفع من القول أو الفعل الماضي، أو لم يوفِ بعهده.

{**سيتذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى**}. مرة أخرى فرض **السجع** على مؤلف القرآن أن يستعمل صيغة التفضيل في غير مكانها، فيقول {**ويتجنبها الأشقى**}، وهذا يعني أن الشقي لا يتجنب الذكرى، وإنما يتجنبها الأشقى منه. وهذا الأشقى سوف يصلى {**النار الكبرى**}. وهذا يعني أن هناك ناراً صغرى، وناراً أكبر منها، ثم النار الكبرى التي هي أكبر من كل النيران الأخرى. ولكنا نعلم من القرآن أن جهنم واحدة ولها أسوار {**وأحاط بهم سرادقها**}.

وهذا الأشقى الذي يصلى النار الكبرى {**لا يموت فيها ولا يَحيى**}. ونفهم من ذلك أنه في **حالة غيبوبة**، فلا هو حي ولا هو ميتٌ. والإنسان في حالة الغيبوبة لا يشعر بالألم. فما فائدة العذاب في جهنم إذا كان الشخص المعذب في حالة غيبوبة ولا يشعر بالألم؟

ثم تستمر السورة، فتقول: {**قد أفلح من تزكى. وذكر اسم ربه فصلى. بل يؤثرون الحياة الدنيا. والآخرة خيرٌ وأبقى. إن هذا لفي الصحف الأولى. صحف إبراهيم وموسى**}. وإذا تذكرنا أن هذه السورة هي ثامن سورة "نزلت" بمكة، التي "نزل بها ستٌ وثمانون سورة" لعرفنا أنها أتت في بداية الرسالة، *والزكاة لم تفرض على المسلمين إلا في آخر سنتين من حياة محمد بالمدينة*، **لعرفنا أن كاتب القرآن قد سها، كما سها من قبل، وتحدث عن الزكاة والصلاة قبل أن يُفرضا بزمن طويل.**

وكل هذه الادعاءات التي أتى بها رب القرآن كانت مذكورة في الصحف الأولى {**صحف إبراهيم وموسى**}. وبما أن إبراهيم شخصية ميثولوجية لم يكن لها وجود فعلي، ولم نعثر حتى الآن على ما يدل على وجود إبراهيم في الحفريات أو في التاريخ، يتضح لنا أن مؤلف القرآن الذي يطلب البرهان، ذكر لنا صحفاً خيالية لا برهان عليها.

وكل سورة "الأعلى" لم تقدم لنا شيئاً مفيداً بجانب الادعاءات التي لا يمكن الاعتماد عليها.

- السورة التاسعة حسب ترتيب "النزول" هي سورة :الليل" الذي يقسم به رب القرآن، فيقول:

{**والليلِ إذا يغشى. والنهار إذا تجلى. وما خلق الذكر والأنثى. إن سعيكم لشتى**}.

القرآن في أغلبه يعتمد على الظواهر الطبيعية التي لم تكن مفهومة لعرب ما قبل الإسلام، فيقسم بالليل وبالنهار إذا تجلى أو ظهر، ثم يقسم بخلقه للذكر والأنثى، **ويفترض أن ما دامت هذه الأشياء موجودة، فهو إذاً خالقها**. وطبعاً هذا الإفتراض ربما كان مقبولاً لمعاصري محمد في القرن السابع، أما الآن بعد أن قدم لنا العلم ما ساعدنا على فهم بدء نشأة الإنسان، فإن ادعاء القرآن الذي ينقصه الدليل، لا يقنعنا. فكل هذا القسم بالآيات الثلاث لابد له من جواب قسم، وجواب القسم الذي قدمه لنا هو {**إنّ سعيكم لشتى**}، أي أن أعمالكم مختلفة، منها الصالح ومنها الطالح. هل يحتاج الإله الذي خلق هذا العالم أن يقسم لنا في ثلاث آيات ليقول لنا إنّ أعمالنا مختلفة؟ كون أعمالنا مختلفة حقيقة عرفتها البشرية منذ نعومة أظفارها، فلو أن أي شخص قال لنا إن أعمالنا مختلفة، لصدقناه دون أن يقسم، **فلماذا احتاج الإله الذي خلق العالم أن يقسم لنا؟ وبدل أن يقسم بعزته، يقسم بالليل والنهار.**
وتستمر السورة:

{**فأما من أعطى واتقى. وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى. وأما من بخل واستغنى. وكذب بالحسنى. فسنيسره للعسرى**}.

مؤلف القرآن هنا يعكس الآية ويضع العربة أمام الحصان عندما يقول: {**فأما من أعطى واتقى. وصدق بالحسنى. فسنيسره لليسرى**}. فالإنسان الذي أعطى وصدق بالحسنى واتقى، لا يحتاج للتيسير لليسرى لأنه من طبعه قد أعطى وتصدق وفعل كل ما هو مستحب، فلماذا يحتاج الها لييسره لليسرى وهو كان يفعلها بطبعه؟ والعكس صحيح كذلك. فالشخص الذي بخل واستغنى وكذب بالحسنى لا يحتاج للإله لييسره للعسرى.
ثم يقول:

{**إنّ علينا للهدى. وإنّ لنا للآخرة والأولى. فأنذرتكم ناراً تلظى. لا يصلاها إلا الأشقى. الذي كذب وتولى**}.

ونفهم من هذه الآيات أن رب القرآن التزم بأن عليه الهدى، ولذا كنا نتوقع منه أن يهدي جميع الناس فيؤمنوا به ويكونوا صالحين. ولكن الحقيقة عكس ذلك تماماً، **فأربعة أخماس أهل الأرض لا يؤمنون بإله القرآن**.

{**فأنذرتكم ناراً تلظى. لا يصلاها إلا الأشقى. الذي كذب وتولى**}.

دائماً وأبداً يلجأ إله القرآن إلى التهديد والوعيد. ومع أنه قال إنّ عليه الهدى، وهو **إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**، قد عرف أنه سوف يفشل في هدى الناس جميعاً ولذلك أنذرهم بنار تلظى. وهذه النار لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذّب وتولى، أما الشقي فلا يصلاها.
ويستمر فيقول:

{**وسيتجنبها الأتقى. الذي يؤتي ماله يتزكى. وما لأحد عنده من نعمة تُجزى. إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى. ولسوف يرضى**}.

ولأن **السجع** أجبر مؤلف القرآن، نجده يستعمل **صيغة التفضيل** في آيات عديدة في هذه السورة. فالنار التي أعدها للأشقى، سوف يتجنبها الأتقى. فالتقي لا يتجنب النار إلا إذا صار أتقى وأعطى ماله وتزكى. ثم أن إله القرآن يناقض نفسه في سورة لاحقة عندما تحدث عن جهنم، فقال: {**وإنْ منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً**. (مريم 71)}. فكل إنسان سوف يرد النار، فكيف يتجنبها الأتقى؟ محمد قال إن الذي يعطي ماله سوف يتجنب النار *لأن محمداً كان فقيراً في شبابه ولذا كان كل همه جمع المال، ولهذا السبب تحدث بكثرة عن الزكاة في الآيات المكية قبل أن يفرض الزكاة على أتباعه في آخر أيامه بالمدينة.* وهناك آيات عديدة في القرآن تتحدث عن المال، وتضعه قبل كل شيء آخر في الآية. فمثلاً

{**المال ، والبنون زينة الحياة الدنيا**. (الكهف 46)}.
{**وتحبون المال حباً جماً**. (الفجر 20)}.

{وقال لهم نبيهم إنّ الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال. (البقرة 247)}.

وهذه الآية الأخيرة تعكس ما كان يجول في عقل محمد عندما أعلن نبوته وقال العرب يومها كيف يبعث الله محمداً رسولاً وفي العرب رجالٌ **أشهر وأغنى** منه مثل الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي. ومحمد ذكر هذا االقول في القرآن: {**قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجلٍ من القريتين عظيم.** (الزخرف 31)}.

والسبب في تكرار إعطاء الزكاة في السور المكية هو أن محمداً اليتيم الفقير، كان ينوي أن يجمع ضريبة من أتباعه يسميها زكاة.

ولكن لما لم يتبعه في مكة غير الفقراء والمعدمين من أمثال بلال وابن مسعود وأبو ذر الغفاري، اضطر إلى تأجيل جمع الزكاة، ولكنه ظل يذكرها في القرآن الذي كان قد حفظه مسبقاً. وعندما هاجر إلى المدينة ورأى الغنى النسبي للأنصار، طمع مرة أخرى في جمع ضريبة منهم، فأتى بآية تقول: {**يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقةً.** (المجادلة 12)}. *ولما رفض الأنصار دفع تلك الضريبة، ألغى محمد الآية. ثم استعاض عن الضريبة بالخُمس الذي صار يجمعه من الغزوات، وهنا نفهم سبب نزول السورة التالية (العاديات) بمكة.*

- فإذا نظرنا إلى سورة العاديات، وهي من السور الأوائل بمكة، وقد وضعها الإمام السيوطي رقم 13 في النزول، *نرى فيها أن محمداً منذ البداية كان هدفه أن ينشر رسالته بالسيف والغزوات التي توفر له المال والسبايا*. وفي هذه السورة التي أتت ربما في العام الثاني من بدء الرسالة، نجده يقول:

{والعاديات ضبحا. فالموريات قدحا. فالمغيرات صبحا. فأثرن به نقعا. فوسطن به جمعا. إنّ الإنسان لربه لكنود. وإنه على ذلك لشهيد. وإنه لحب الخير لشديد. أفلا يعلم إذا بُعثر ما في القبور. وحُصل ما في الصدور. إنّ ربهم بهم يومئذٍ لخبير}.

محمد هنا يتحدث عن الخيول في معركة حامية الوطيس، يعلو الغبار فيها على كل شيء، وتثير حوافر الخيل شراراً عندما تخبط على الصخور أو الأرض الصلبة. فلماذا أتى محمد بهذه السورة في بداية رسالته قبل أن يشرح للناس ما هي الرسالة ومَن هو هذا الإله الذي يريد للناس أن يعبدوه. ولماذا يصف نبي جاء ليقنع الناس بالمنطق بوجود الله معارك تحتل الخيول فيها الصدارة؟

الاستنتاج الوحيد الذي يمكن الوصول إليه هو أن محمداً كانت تراوده فكرة أنه سوف يصبح مَلكاً نبياً مثل داوود وسليمان اللذين كان قد سمع بهما من اليهود، وأعجب بهما وأتى بسور قرآنية طويلة عنهما. وكان يطمع أن تكون مملكته ممتدة في جميع جزيرة العرب وما جاورها، ولذلك كانت حاجته إلى الخيل والمال ظاهرة.

وبعد أن وصف تلك المعركة بخيولها، قال لنا {**إنّ الإنسان لربه لكنود**} أي إن الإنسان **جاحد** لنعمة ربه. وهذا الإنسان الكنود الجاحد يشهد بذلك على نفسه {**وإنّه على ذلك لشهيد**}. ثم اختلطت الكلمات على محمد، فقال: {**وإنه لحب الخير لشديد**}. فالضمير هنا راجع إلى الإنسان، ***ولكن عندما وجد المفسرون صعوبةً في مصالحة هذه الآية مع الآية السابقة التي تقول إن الإنسان جاحد نعمة الله، قالوا إن الضمير هنا راجع إلى الله الذي يحب الخير للبشر***، رغم أن قرآن مكة أغلبه تهديد ووعيد بعذاب أليم للبشر، فلا نعلم كيف يحب الله الخير للبشر. وسبب **اضطراب المفسرين** هو هذا الإنسان الكنود الذي يجحد نعمة الله، كيف يكون حبه للخير شديد؟ فإذا كان الإنسان شديد الحب للخير، ويود أن يكون خيراً ونافعاً للغير، لا يُعقل أن يكون جاحداً في نفس الوقت، لأن الآخرين سوف يجحدون خيره. وللخروج من هذا المأزق **قال بعض المفسرين إنّ "الخير" هنا تعني المال، وبذلك يكون الإنسان محباً للمال.** وكل إنسانٍ سواء أكان خيراً أو شريراً، فلابد أنه يحب المال لأنه الوسيلة الوحيدة للتعامل بين الناس.

وبعد وصف المعارك واتهام الإنسان بأنه جاحد ويحب جمع المال، قال محمد في القرآن: {**أفلا يعلم إذا بُعثر ما في القبور. وحُصل ما في الصدور. إنّ ربهم بهم يومئذ لخبير**}. فإذا كان هو ربهم الذي خلقهم وهم معترفون بذلك، فلابد أنهم كانوا يعرفون أن ربهم هذا خبير بهم، وليس هناك أي سبب يجعلهم ينتظرون حتى يوم القيامة، يوم يُبعثر ما في القبور، ويُنشر ما في الصدور، ليعلموا أن ربهم بهم خبير. **الثلاث آيات الأخيرة مجرد حشو وإتمام للسجع حتى يكون طول السورة معقولاً.**

فإذا تأملنا في القرآن المكي نجد أن أغلبه سور عن الظواهر الطبيعية مثل الفجر والعصر والليل والشمس والقمر والبروج والطارق، وكل هذه أسماء سور مكية زعم صاحب القرآن أن الله هو الذي أوجدها؛ ثم هناك سور عن الأنبياء السابقين مأخوذة من التوراة، مع بعض التحريف في الأسماء، فنجد موسى وطه وعيسى ويس ومريم ويونس وهود ويوسف ولقمان ونوح وإبراهيم، ثم سورة عن الأنبياء تكرر أسماء من ذكرهم منفردين. وهناك سور عن محمد نفسه مثل المزمل والمدثر والكوثر التي يدافع فيها عن محمد وأنه ليس أبتراً إنما عدوه هو الأبتر، وسورة المسد التي يشتم فيها أبا لهب وزوجته. وتكتمل الصورة بالقرآن المدني الذي يتحدث بإسهاب عن نساء محمد وما أحل له من الجواري والنساء اللاتي يهبن أنفسهن له، وعن تزويج محمد بزينب بنت جحش، وعن تآمر نسائه عليه ويمكن لله أن يهبه خيراً منهن إن طلقهن. وما تبقى من القرآن يتحدث عن بني إسرائيل وموسى.

فهل القرآن جاء لهداية أعراب الجزيرة العربية أم جاء فقط ليقص عليهم قصص بني إسرائيل ونكاح محمد؟

واعتقد أن هذه الحلقات الأربع عن السور المكية التي أتت في بداية الرسالة لتهدي الناس إلى عبادة إله واحد، تثبت لنا أن السور لم تكن في الحقيقة مهتمة بالهداية أو شرح الرسالة بقدر ما هي مهتمة بالتهديد والوعيد والشتم والسجع وجمع المال. *وفيها ما يتعارض مع الوحدانية كما ذكرنا.*

ولا غرو أن أغلب أهل مكة لم يؤمنوا بهذا القرآن الذي لم يشرح لهم عن الإسلام أي شيء، وكان فيهم خطباء وكهان قد أتوا بسجع لا يقل جمالاً عن الآيات المكية .

عودة إلى الفهرس

2010 / 4 / 19

1 مِن 4

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=212198

بما أن موضوع القرآن المكي قد يحتل أربع حلقات أو أكثر، وهذا يجعل الرد في حلقة واحدة إما مختصراً لدرجة تفقده الفائده، أو طويلاً لدرجة الملل، فقد رأيتُ أن أرد على القراء بعد كل حلقة، وأرجو أن يجد هذا قبولاً لديهم.
كالعادة، لن أذكر السادة والسيدات الذين اتفقوا معي بالرأي ومدحوا بعض فقرات المقال، فهم الغالبية ويعرفون أن ذكرهم وشكرهم دائماً على لساني. ولن أذكر كذلك الأقلية من القراء الذين لا يعرفون غير اتهام الكاتب بالجهل، فهؤلاء لا يستحقون الذكر.

- أبدأ بالتعليق رقم 7، من السيد ماجد جمال الدين، الذي قال:

"ذكرت في المقال :"فهل كان محمد وقتها يعرف السجود، والصلاة لم تكن قد فُرضت عليهم ولم يكن جبريل قد علمه شيئاً بعد" قبل فترة في إحد ألمنتديات ألحوارية رأيت فلم فيديو قصير من أليوتيوب ، شد إنتباهي لأهميته ألقصوى . فيه يظهر شخص من إحدى ألطوائف أليهودية ألأصولية وهو يصلي صلاة كاملة في كنيس في أورشليم ألقدس . .. تمتمات ألمصلي وحركاته من قيام وركوع وقعود وسجود كانت نسخة طبق ألأصل من ألصلاة كما يعرفها ألمسلمون ، بحيث أن ألرائي ولو عن قرب ألذي لا يميز أللغة على ألأكثر سيجزم بأنه مسلم لشدة ألإعتقاد و ألإنطباع ألذي خلفته أكاذيب ألقرون بأن هذه ألصلاة محض إسلامية" انتهى.

✍ هذا المقطع من الڤيديو ظل متواجداً على الانترنت منذ فترة طويلة وقد أشرتُ إليه في مقال سابق قبل عدة أشهر. وليس هناك من شك أن محمداً تعلم الصلاة والوضوء والتيمم من اليهود وأدخلها في الإسلام بالأقساط، من ركعتين في الصبح وركعتين في المساء، إلى خمس صلوات بعضها أربع ركعات وبعضها ركعتين وبعضها ثلاث. ولكنني عندما سألت في هذا المقال: هل كان محمد وقتها يعرف السجود والصلاة لم تكن قد فُرضت، قصدت أن أبين أن محمداً الذي زعم أن جبريل علّمه كل شيء، قال في أول آيات "نزلت" عليه: {**أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى**}، وفي ذلك الوقت من بدء الرسالة لم يكن جبريل قد علمه الصلاة أو الوضوء، وكان عليه ألا يذكر الصلاة في أول سورة "نزلت" لو كان القرآن فعلاً من عند الله. ولكن ذكر الصلاة في أول سورة يؤكد لنا أن محمد كان قد تعلم الصلاة من اليهود قبل بدء رسالته، ولذلك ذكرها في أول سورة رغم أن جبريل لم يعلّمه إياها، ولم يكن لله أو لجبريل أي سبب ليستعجل بذكر الصلاة في أول سورة، وهو يعلم أنها لن تُفرض عليهم إلا بعد عشر سنوات.

- أرنستو تشي غيفارا، يقول في التعليق رقم 10:

"إن القران الذي يعتبره المسلمون كتابا مقدسا لا يقبل النقاش وأن كل ما جاء فيه حقيقة مطلقة إضافة إلى أنه حمل حقائق علمية مند قرون إستطاع العلم مؤخرا الوصول إلى البعضها يحمل في داخله تناقضات جمى يمكن أن نتحدث عن بعضها. يقول الله في إحدى أياته سبح بسم ربك الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم إستوى على العرش. إن هذه الأية تضم تناقضات صارخة فكيف يعقل أن الله خلق السماوات والأرض في ستة أيام ونحن نعلم أن اليوم هو دورة واحدة للأرض حول نفسها إذن كيف حدد المدة الزمنية قبل خلق الأرض وإذا كان يقصد باليوم شيئ أخر غير الدي نعرف فما المانع من ذكره؟" انتهى.

✍ وهذا السؤال مهم جداً لأن اليوم في عُرف الإنسان، كما ذكر السيد أرنستو، هو الفترة الزمنية التي تستغرقها الأرض لتدور حول محورها دورة كاملة. وهذا الوقت هو أربع وعشرون ساعة في عالمنا اليوم. ولكن عند بدء الأرض وقت البگ بانگ Big Bang (الانفجار العظيم)، كانت الأرض تدور بسرعة أكبر مما هي عليه الآن، وقد حسب العلماء أن طول اليوم قبل أربعة ملايين من السنين كان ثمان عشرة ساعةً فقط. فهل خلق الله السموات والأرض عندما كان اليوم 18 ساعة، أم حسب يومنا الحالي وهو 24 ساعة؟ **شيوخ الإسلام قالوا في الماضي إن اليوم المقصود في القرآن هو اليوم الأرضي كما نعرفه،** لأن اليوم الإلهي يعادل ألف سنة مما تعدون وأكثر. **أما شيوخ اليوم الذين أفحمتهم تناقضات القرآن التي ظهرت تباعاً على الانترنت، حاولوا الفهلوة، فقالوا إن اليوم في القرآن هو يوم إلهي يصف فترة زمنية محددة حسب القصة التي تتحدث عنها الآية،** فقد يكون اليوم ألف سنة مما نحسب أو مليون سنة أو أكثر، لأن عمر الكون الآن يُقدر ب ثلاثة عشر بليون سنة بينما عمر الأرض يزيد قليلاً عن أربعة بليون من السنين، وظهور الإنسان كان قبل حوالي ثلاثة مليون ونصف المليون فقط من السنين. ولأن القرآن يقول إنه خلق السماء في يومين والأرض في يومين وأعد فيها قوتها في يومين، ثم خلق آدم في اليوم السادس، **وقع الشيوخ في ورطة كبيرة أرادوا القفز فوقها بالحركات البهلوانية، فجعلوا اليوم الإلهي يوماً بلا تحديد.**

- قاسم السيد، صاحب التعليق 11، يطلب منا ألا نؤذيه بهكذا مواضيع، ويقول:

"للاسف تتكرر كثير من هذه الموضوعات التي تتناول الدين عموما والاسلام على وجه التحديد كان يسرنا لو كان كتاب هكذا ابحاث لونظروا لمباديء العدل الاجتماعي التي نادت بها الاديان قاطبة وهي تعبر عن مرحلتها التاريخية وبالتالي هي ثورات عظيمة في اوانها لاتقل قيمة هذه الثورات عن الثورة الفرنسية بمباديء العدل الاجتماعي التي اتت بها والثورة الامريكية التي اوصلتنا الى تحرير العبيد ثم ثورة اكتوبر التي ادت الى بناء اكبر نموذج اشتراكي في العالم وكل الثورات تتعرض للتأمر والانحراف والالتفاف عليها اضافة الى ان التبدلات الاجتماعية والتطورات الحضارية تسلب الاديان كثير من بهائها خصوصا اذا تولى الدعوة اليها الصهاينة المتعصبون او المسيحيون المنحرفون او السلفيين الضيقي الافق من المسلمين" انتهى.

✍ أعتقد أن السيد قاسم قد أساء للثورة الفرنسية وثورة أكتوبر عندما ساواهما مع رسالات الأديان. اليهودية أباحت لأتباع موسى أن يخرجوا من مصر ليحتلوا أرض فلسطين ويقتلوا أطفالها ورجالها ويسبوا نساءها. ثم أباحت لهم تحطيم معابد وآلهة القبائل التي كانت تعيش في تلك الأرض من قبلهم. ثم حرّمت على اليهودي أن يتعاطى الربا من يهودي آخر لكنه حلال عليه أن يتعاطى الربا من غير اليهودي. وأباحت كذلك الرق وأباحت قتل الولد الذي يعق بوالديه. فهل هذا عدل اجتماعي نادت به الأديان؟ **أما الإسلام فقد أباح نفس هذه الأشياء وأضاف عليها قتل مِن لا يؤمن بمحمد ورسالته،** كما دفن وعطّل المرأة المسلمة وحرم المجتمع من مشاركتها في بنائه، فأي عدالة اجتماعية أتت بها الأديان؟ الديانة المسيحية كانت الوحيدة التي لم تُشرّع للرق والضرائب والقتل، غير أن رجالات الكهنوت تمكنوا من استعباد جماهير المؤمنين بواسطة صكوك الغفران ومصادرة الأراضي الزراعية وفرض العمل التطوعي في تلك المزارع على المؤمنين الفقراء. أليس هذا إجحافاً من السيد قاسم أن يساوي رسالة الأديان برسالة ثورة أكتوبر أو الثورة الفرنسية؟

- السيد أو السيدة هيما 4000 كتب تعليقات عدة بلغة مهذبة
  - يقول فيها:

إن الصوفية يفهمون القرآن غير فهمنا له، ومن ذلك الآية التي تقول (علّم الإنسان ما لم يعلم) وقال إن هذا نوع من العلم يضعه الله في عقل أو قلب أحد الصوفية المختارين.

✍ ولكن غاب عن السيد أو السيدة هيما أن الصوفي ليس "الإنسان" لأن الآية تقول: {علّم الإنسان}، ووصف الإنسان ينسحب على كل شخص وليس الصوفي فقط. ثم أن الآية تقول {علّم بالقلم} والعلم الذي يقول عنه هيما أن الله قد وهبه للصوفي، ليس تعليماً بالقلم، وإنما تعليماً **بالإيحاء**، مثله مثل التنويم المغناطيسي عندما يفيق المنوم ويردد كلمات لا معنى لها.

- ويستمر السيد هيما فيقول:

"زكرت استازى الطيب ان زيد او ابا ماكان هو او هم جماع القران الكريم مسايرا للموروث الاسلامى الخاطيء للاسف فالحقيقة ان محمد علية السلام هو كاتب القران بيدة الشريفة وهو ايضا مبوبة ومنظم ترتيب سورة واياتة وهو من امر بعمل نسخ من القران تم توزيعها على اصحابة وعلى بعض القرى المجاورة وادعو حضرتك لفتح المصحف وتمعن فى صفحة واحدة منة فقط وستعرف ان محال ان يكون احد غيرة من كتب القران فالالف فى كتاب او كتب والهاء المفتوحة فى رحمة ورحمت ونعمة ونعمت والميم ع السطر والميم تحت السطر وو وو كلها لها دلالات فى الفهم القرانى يستحيل انها اتت اعتباطا او جاءت بالصدفة ممايدعونا للتأكيد ان محمد علية السلام هو كاتب القران راسمة وجامعة وليس" انتهى.

✍ من أين أتى السيد هيما بهذه المعلومات التي لم يقل بها أحدٌ غيره؟ هل هو من الصوفية الذين يعلمون ما لا نعلمه، أم له مصادر أخرى لم يتحفنا بها. أرجو من السيد هيما أن يذكر لنا مصادره لهذا الكلام الذي يتعارض تماماً مع ما تذكره كتب التاريخ الإسلامي.

- أما السيد خريج مايكروسوفت، فيبدو لي أنه تخرج من مايكروسوفت باللغة الصينية ولم يتخرج من مايكروسوفت الأمريكية التي كشفت المغطى وفتحت العقول، فهو يقول:

"يواصل الدكتور النجار تهجمه على القرآن وهو شأنه وهنا أود أن أختصر الكلام. نحنا أمام نص مقدس نسميه نحن القرآن الكريم ولا أعتقد أن هناك مغفل ينكر وجود هذا النص المقدس بين أيدينا الآن والسؤال. إذا كان النص الذي بين أيدينا الآن هو كلام نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فمن أين أتى به وكلنا نعرف سيرة حياته؟؟ هل سبق وأنتجت اللغة العربية بكل ثرائها نصا كهذا النص؟؟ هل تمكن أديب أو شاعر عربي من الوصول ولو حتى للبنية اللغوية التي تميز القرآن ؟؟ لا السابقون ولا اللاحقون سيأتون بنص كهذا لأنه ببساطة من عند الله الذي لا يؤمن به الدكتور النجار وكل ما يسميه نقد للأيات وترتيب السور وكل التفاصيل الأخرى هو لعب ولهو لا قيمة له لأننا أمام نص بين أيدينا .أنا لا أتحدث عن نص غيبي موجود في السماء وإنما أقصد النص المحتوى في كتاب الله الآن؟ لماذا لا تأتون بمثله واكتبو ما شئتم من المعاني والقيم والمبادئ والكفر بالله والإلحاد وكل تراهاتكم وسأكون أول مؤمن بكم" انتهى.

✍ أولاً القرآن نص مقدس لبعض المسلمين، وغالبية أهل الأرض لا يقدسونه، ثم أن هناك من قال بعدم قدسيته منذ أوائل ظهور الإسلام، وقال كبار المعتزلة والأشعرية بذلك.

- فمثلاً إبراهيم النظام قال عن إعجاز القرآن:

"أنه من حيث الإخبار عن الأمور الماضية والآتية ومن جهة صرف الدواعي عن المعارضة، ومنع العرب عن الاهتمام به جبراً وتعجيزاً، حتى لو خلاهم لكانوا قادرين على أن يأتوا بسورة من مثله: بلاغة وفصاحة ونظماً." [1]

- أما عيسى بن صبيح، الملقب ب "المردار" راهب المعتزلة، فقال:

"إنّ الناس قادرون على مثل القرآن: فصاحةً، ونظماً، وبلاغة." [2]

- ويقول ابن حزم الأندلسي:

"وقالت أيضاً هذه الطائفة المنتمية إلى الأشعرية أن كلام الله تعالى عز وجل لم ينزل به جبريل عليه السلام على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وإنما نزل عليه بشيء آخر هو عبارة عن كلام الله تعالى وأن الذي نقرأ في المصاحف ويكتب فيها ليس شيء منها كلام الله وأن كلام الله تعالى الذي لم يكن ثم كان ولا يحل لأحد أن يقول إنما قلنا أن لله تعالى لا يزايل الباري ولا يقوم بغيره ولا يحل في الأماكن ولا ينتقل ولا هو حروف موصولة ولا بعضه خير من بعض ولا أفضل ولا أعظم من بعض." [3]

فهذا هو يا خريج مايكروسوفت كتابك المقدس الذي ظل المغفلون من أمثالنا يقولون إنه ليس مقدساً وإنه من صنع محمد، وليس كلام الله. فإذا كان لديك أي دليل غير الإعجاز فأتنا به. أما فصاحة العرب القدماء والاتيان بما يشبه القرآن سوف أتعرض له في الحلقة القادمة. وإليك الآن هذه الكلمات لتخبرنا إن كانت قرآنا أم لا؟

(اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونخنع لك ونخلع ونترك من يكفرك اللهم اياك نعبد ولك نصلى ونسجد واليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخاف عذابك الجد ان عذابك بالكافرين ملحق).

وللعلم، فإن هذه الكلمات ليست موجودة في المصحف، فمَن هو قائلها؟ وكما قال السيد عبد القادر أنيس في تعليقه رقم 38:

"فكرة إعجاز القرآن فرضت فرضا من طرف المؤمنين به الذين مارسوا القمع والتنكيل على كل معارض لها. وعليه فالقرآن ليس معجزا لأنه معجز بلغته وبمستوى المعرفة التي جاءت فيه، بل هو معجز بالقوة وليس بالفعل. معجز بالترهيب وليس بالحقيقة. ولو أمكن لنا في بلاد المسلمين أن نقارن القرآن بما أنتجه العلماء ورجال القانون والأدب والفلسفة لما احتجنا إلى كبير عناء لتبيان ضعف الحلول والمعارف التي قدمها.".

- السيد صهبان اليمني أثار نقطتين في غاية الأهمية، وهو قوله:

(القول بان القرآن قد كُتب في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الله العالم يثير في الحقيقة جملة من لقضايا والتساؤلات من ذلك كيف يكون القران موجودا منذ بدء الخليقة ويرسل الله رسلا وانبياء بكتب اخرى كالتوراة والانجيل ...الخ فمعنى ذلك انه قد ضحك على دقونهم ودقون الامم التي بعثوا اليها اذ ابقى على الكتاب الكامل المكمل في خزانته واعطاهم كتبا هزيلة قابلة للنسخ المستقبلي ... هذه نقطة والنقطة الاخرى تعني ان سريان احكام القران لم تكن ممكنة في ذلك الوقت وانما هي صالحة للفترة التي سيظهر فيها محمد والا لكانت وضعت موضع التطبيق منذ بداية ارسال الرسل).

✍ وأنا من جانبي أتفق مع السيد صهبان كل الاتفاق، ونرجو من الإسلاميين أن يجيبوا على هاتين النقطتين.

- السيدة سارة تقول في تعليقها:

"أنا عن نفسي اؤمن بالقران على انه كلام الله تعالى وافسره على انه من الاه له كل صفات الكمال ولست مجبورة ان اخذ بتفسير السلف ففي زمانهم كان هناك الرق وفي زماننا لا. كل التفاسير التي تلحق بالانسان ظلما وخاصة المراءة فانا غير ملزمة بها لانها من اجتهاد بشر مثلي اجتهد ولم يصب بل اخطاء وخاصة في حق المراءة يبقى الايمان شيئ جميل للنفس البشرية-في عصر القرية الكونية نحن لا نؤمن بالوراثة بل نؤمن باستعمال العقل" انتهى.

✍ ومع احترامي الكثير للسيدة سارة إلا أنها تؤمن بأن القرآن هو كلام الله لأنها ومنذ الصغر سمعته من أمها وأبيها ومدرستها، ومن المذيع بالراديو والتلفزيون.

---

[1] الملل والنحل للشهرستاني، ص 48.

[2] نفس المصدر، ص 56.

[3] الملل والنحل، ج2، ص 17.

ولذلك أصبح الإيمان بأن القرآن كلام الله جزءاً لا يتجزأ من طبيعتها، وإلا لماذا ظلت سارة مسلمة وليست بوذية مثلاً؟ وتقول سارة **(كل التفاسير التي تلحق بالانسان ظلما وخاصة المراة فانا غير ملزمة بها لانها من احتهاد بشر مثلي)** ولكن الآيات الآتية ليست من قول المفسرين، إنما هي قرآن يعامل فيه الله المرأة معاملة مختلفة عن معاملة الرجل. القرآن يقول:

{**واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن.** (النساء 34)}.

كل هذا لأن الرجل خاف من زوجته نشوزاً أو كراهية فقط. ولكن المرأة التي تخاف من زوجها نشوزاً، يقول لها:

{**وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يُصلحا بينهما والصلح خيرٌ.** (النساء 128)}.

فالمرأة لا يجوز لها أن تهجره في المضاجع أو تضربه. وهذه هي عدالة القرآن.

وأقدم شكري لكل من علّق على المقال، حتى وإن شتمني واتهمني بالجهل، كما فعل السيد المرادني.

2010 / 4 / 23

2 مِن 4

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=212654

التعليقات على هذه الحلقة زادت على الأربعين، وعليه لا يمكنني الرد علىها جميعاً، وسوف أرد على الذين سألوني توضيحاً لنقاط معينة أو أسئلة لم أتطرق لها في المقال. وأقدم شكري العميق إلى الذين أطروا على المقال وأعتذر لهم عن عدم ذكرهم بالاسم.

- يوسف العراقي، صاحب التعليق رقم 1، يقول:

"ولهذا فأنا اري ان لا نقسوا على النبي محمد كل هذه القسوة في المحاورة فيما جاء به من سور وافكار في القرأن، وهو انسان قد عاش في تلك البيئة البدوية المسكونة بالجهل والظلامية والتخلف ونقول له يا محمد لمذا لم تأت لنا بأيات محكمات تتناسب وعقلية القرن الواحد والعشرين ؟ فأن لم تفعل فما بلغت رسالتك !! فلو ان محمد امتلك عقلية الحضارة الأنسانية الحالية وقرا هذه الأيات لضحك منها واعلن عن حقيقتها. ولهذ ارى ان يتم التوجه وتسخير الأفكار نحو تلك القوى الظلامية الحالية التي تلهث يوميا الى سحب المسلمين الى الماضي فتنسف مدارس البنات على طالباتها وتدعو الى وضع المراة داخل كيس اسود من القماش وتقسيم العالم الى بلاد اسلام وبلاد كفر ،مع احترامي للكاتب الفاضل." انتهى.

✍ وأنا اتفق مع السيد يوسف فيما قال بخصوص توجيه الهجوم على قوى الظلام المعاصرة، وهذا ما يدفعني إلى الكتابة. ولكن قوى الظلام المعاصرة تبني كل قواعدها ونظرياتها على ما قاله لهم محمد من **أن القرآن هو كلام الله الأزلي**، ولكي نهاجم هذه القلاع الظلامية هجوماً يقضي عليها **لابد من ضرب الأساس الذي بنوا عليه قلاعهم**، حتى تنهار تلك القلاع ولا يعاد ترميمها. وإذا تفحصنا أيديولوجية القاعدة وجماعات الإرهاب الأخرى، وشيوخ الوهابية الذين يسجنون المرأة، *نجد أن تلك الأيديولوجية مبنية بشكل عام على أحاديث وأفعال محمد أكثر منها على القرآن*، ولذلك أرى أن نقد ما أتى به محمد من أقوال وأفعال هو خير وسيلة لهدم تلك القلاع.

- السيدة سناء، صاحبة التعليق رقم 2، تقول:

"ما يميّز القرآن هوالتّكرار المملّ والحشو الّذي يشوّه النّص .فكيف يكون كتابا مبينا للعالم كلّه ،كما يقول الإسلاميّون،بينما يستعصي على العربي فهمه ؟وإذا لم يكن كذلك لماذا يحتاج كتاب واحد لألاف المفسّرين والفقهاء لتبيان معانيه وأحكامه الّتي مازالت غامضة رغم كل الكتب الصّفراء الّتي ينضح بها الخزون الإسلامي؟ المشكلة هي في موت العقل الّذي أصبح جثّة هامدة .تحيّة لك على جهدك في التّوضيح والتّنوير." انتهى.

✍ القرآن لا شك مليء بالتكرار الممل الذي لا يفيد القاريء بأي معلومة جديدة مثل قصة موسى التي كررها بالتفصيل في أكثر من سبع سور، والقصة كلها لا تتعدى إخراج بني إسرائيل من مصر، وشق البحر لهم، وإنزال المن والسلوى، وتيههم في الصحراء ثم استقرارهم بالأرض المباركة التي وعدهم بها الله. وهذه المعلومات البسيطة لا تستدعي كل هذا التكرار، ولكن لأن القرآن "نزل" على مدى ثلاث وعشرين سنةً، **فإن محمد كان ينسى ما قد قاله قبل عشر سنوات، فيكرره دون أن يعلم أنه كان قد ذكره من قبل بتفاصيل مختلفة.** وكما قالت السيدة سناء، *فإن كثرة التفاسير تبرهن أن القرآن لم ينزل بلسان عربي مبين حتى يفهمه العرب، ناهيك عن الهنود والباكستانيين والأفغان وغيرهم من أمة المليار مسلم الذين لا يعرفون حتى قراءة القرآن، ناهيك عن فهمه.* وسوف نرى من ردود بعض الإسلاميين هنا أن الآيات القرآنية تعني شيئاً مختلفاً لكل قاريء.

- الأستاذ رعد الحافظ تنبه للخطأ الإملائي الذي وقعت فيه عندما كتبت "قصة" بدل "غصة"

✍ وله شكري على التنبية، وأنا دائماً أقرأ المقال مرتين أو ثلاث مرات قبل إرساله، ولكن كاتب المقال يكون ذهنه قد كوّن صورة معينة للمقال تمنعه من ملاحظة الأخطاء الإملائية في أغلب الأحيان، فأرجو المعذرة.

- السيد مصلح المعمار، صاحب التعليق رقم 6، قدّم تحليلاً منطقياً للاسم "جبريل"

✍ وأنا اتفق معه في كل ما قال، لأن كتب السيرة تخبرنا أن محمد كاد أن يقتل نفسه وتوقف عنه الوحي عدة أشهر عندما مات ورقة بن نوفل. **فلا شك أن ورقة كان هو جبريل، وبعد موته تحمّل الرسالة أشخاص آخرون مثل الراهب بحيرة وغيره الكثير.**

- صاحب التعليق رقم 22، والذي لا استطيع نطق اسمه الذي يبدو أنه غير عربي،

هاجم كتابي "قراءة منهجية للإسلام" وقال إنه غير منهجي وسطحي وعليه فقد نصّب من نفسه مدافعاً عن الإسلام، وقال إنه سوف يفند ما قلته في كتابي عن الإسلام.

✍ وطبعاً أنا لا أمنعه من ذلك، فليكتب ما شاء ربه له أن يكتب (وما تكتبون إلا أن يشاء الله)، وليحكم القاريء على ما يقرأ.

- أما الأخ عبد الله صاحب التعليق 24،
  - فيقول:

"يا استاذ كامل النجار كلامك رائع وجميل ومادة شهية للنقاش ولكن ألا ترى أن 1000 حرف للتعليق لا تكفي للرد على كل ما كتبت نحن نتوكل على الله وندعوك إلى حوار ونقاش على أرض الواقع يتم تسجيله على الفيديو ليعرض في يوتيوب الحوار المتمدن ندعوك إلى جامع الإيمان في دمشق، أو جامع الرفاعي في ركن الدين بدمشق أيضا، وبحضرة فضيلة الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي لنتحاور في هذا الكلام في جامع الإيمان يوم الاثنين -أي يوم اثنين- أو في جامع الرفاعي بركن الدين بعد صلاة الجمعة ومرحبا بك في بيت الله." انتهى.

- أشكر السيد عبد الله على دعوته الكريمة إلى بيت الله، ولكني حتماً لا أنوي تقديم عنقي إلى الجلاد في سوريا التي يخاف حكامها من الكلمة أكثر من خوفهم من طائرات اف 16 الإسرائيلية.

وعندما تخلو زنزانات النظام من سجناء الضمير وسجناء الكلمة، فسوف ألبي الدعوة، ولكن ليس في بيت الله الذي لا اعترف به. أما الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي فلا يختلف عن بقية وعاظ السلاطين المسلمين، والذي يدخل على موقعه بالانترنت يلاحظ عناوين خطبة الجمعة في مسجده، مثل "عودة التطاول على رسول الله في الغرب". فحتى الحديث عن محمد يعتبره الشيخ **تطاولاً** عليه، كأنما هو الذات الإلهية التي منعونا من التفكر بها، ناهيك عن نقدها والتطاول عليها. والسيد عبد الله يعلم أنه لا يمكن لكاتب علماني أن ينتقد محمد أو القرآن في بلد مسلم.

- وبسرعة البرق ينسى السيد عبد الله اللغة المهذبة التي بدأ بها تعليقة رقم 24، فيقول في التعليق 25:

"إن التعليقات تصدر عن أناس جاهلون في أصول اللغة العربية وفي معانيها وفي أبعادها هذا القرآن نزل باللغة العربية لغة الإبداع لغة المعاني." انتهى.

- وكان الأحرى بالسيد عبد الله أن يتأكد من لغته قبل مهاجمة الآخرين، فهو يقول "تصدر عن أناسٍ جاهلون" والصحيح "جاهلين" لأنها صفة للناس، وصفة المجرور مجرورة.

- ويستمر فيقول:

"وإن التشويش الذي يحاول البعض إدخاله على الدين معظمه نابع من أناس إما حاقدون أن النبوة لم تكن فيهم كما المعتاد، أو أنهم أناس ليسوا أهل لغة." انتهى.

- وهو هنا يتهم المعلقين بأنهم يهود لأن النبوة أصلاً كانت فيهم، أو أنهم جهلاء بأصول اللغة العربية. وهي التهمة الجاهزة في جعبة كل الإسلاميين حتى وإن تظاهروا بالوداعة والأخلاق الحسنة.

- ويستمر السيد عبد الله فيقول:

"ومعظم التعليقات تحمد وتمجد كاتب المقال، لاضير في ذلك فهو يمثل زمرتكم زمرة من يدعون بأن الطبيعة هي أمهم وأنهم حسب دارون تطوروا من قردة الى بشر. أما نحن فنعتقد بما اخبر به خالق كل شي في قولة تعالى: إنا خلقنا الانسان في احسن تقويم." انتهى.

- ليست زمرتنا وحدها التي تقول بإن الطبيعة هي الخالقة وأن الإنسان تطور تدريجياً من حيوانات أخرى مثل القرد، فكل مَن له ذرة من العلوم الحديثة يعرف أن نظرية التطور والارتقاء صحيحة والدليل عليها هو الهياكل العظمية التي بحوزتنا الآن والتي تُظهر عملية التطور هذه. أما الذين يؤمنون بالقرآن فالأجدر بهم أن يأتوا بالآيات كاملة غير منقوصة، فالآية التي ذكر نصفها السيد عبد الله تقول: {**إنا خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين**}. فالسيد عبد الله ومَن يؤمن معه بالقرآن وجميع البشر أصبحوا أسفل سافلين. وهذا عكس ما نراه في الهياكل العظمية المكتشفة حتى الآن. فكيف يرد ربه الإنسان إلى أسفل سافلين ثم يطلب منه أن يؤمن به ويقدسه؟

- ويستمر السيد عبد الله فيقول:

"وعندما ينكب مئات وألاف المفسرين على تفسير كتاب واحد فذلك لشدة ما فيه من معاني وإعجاز لغوي وعلمي وأبعاد علمية كانت مكتشفات ووسائل ذلك العصر قاصرة عن ادراكها." انتهى.

- ونحن نسأل السيد عبد الله: أليس من أبجديات البلاغة أن تخاطب الناس بما يفهمونه؟ فإذا كان بعد ألف وأربعمائة عام ما زال الناس يختلفون في فهم الآيات، مَنْ هم الذين أراد الله مخاطبتهم بهذا القرآن كي يفهموه ويؤمنوا بالذي أنزله؟ وإذا كان فهم معاصري محمد للقرآن قاصراً فكيف آمنوا به، **هل آمنوا بالخداع المحمدي دون أن يفهموا القرآن؟** وإذا كان محمد قد شرحه لهم والمفسرون المعاصرون يقولون بغير ما يقول به الذين سمعوا من محمد، يكون محمد قد شرح لهم شرحاً خاطئاً لا يمثل ما يريد الله قوله.

- السيد صالح الصويلح، صاحب التعليق 31، ذكر معلومات تمثل الحقيقة التي لا مراء فيها عن تأثير الأبيونيين والنساطرة على محمد، وعن جهل إله القرآن بعدد أهل الكهف وبعدد سكان المنطقة التي أرسل إليها يونس، فجاء القرآن مبهماً عن عدد أهل الكهف وعن المائة ألف أو يزيدون.

- لماذا لم يقل عددهم الحقيقي بدل "أو يزيدون"؟

- أما السيد طلعت خيري

- فقد كتب عشرة تعليقات على المقال لم يقل فيها شيئاً غير ترديد آيات القرآن الذي نحن بصدد نقده وإثبات أنه صناعة بشرية بحتة. فهل يعتقد السيد خيري أنه أفحم المعلقين؟ أقترح على إدارة الحوار المتمدن عدم نشر تعليقات السيد خيري لأنها لا تفيد القاريء وتملأ حيز التعليقات بما لا ينفع الناس.

- السيد مجيد من المغرب، صاحب التعليق رقم 40، يقول:

"لقد اصابت المفكرة القديرة وفاء سطان عندما قالت في احدى مقالاتها- ليس شرطا ان يكون الله شاعرا-.. كلام معقول فكتاب موجه الى البشرية جمعاء كما يقول المسلمون اكيد عند الترجمة لن يبقى فيه سجع . ولا فائدة من البحث عن كلمات في اللغة المترجم اليها لتكون بقافية في ختام الايات ، بل الاهم من كل دالك هو مضمونه الذي وجب ان يكون مقنعا ومتفوقا على كل النظم البشرية وتشريعاتها في كل زمان ومكان، وكيف لا وهو من عند الاله ؟ فهل حصل هدا ؟ كلا ابدا فحتى فيما يسمى بعصرهم الدهبي اقصى ما قدم المسلمون هو ترجمة كتب اليونانيين مع اضافات بسيطة ومحتشمة في بعض العلوم واختراع الاسطرلاب والبوصلة، وسياسيا عجزو عن تقديم نظام سياسي راقي، فبعد فشل تجربة الخلفاء الراشدون استورد الخلفاء الغير الرشدون النمودج الهرقلي الوراثي فبقو عليه من الامويين الى العثمانيين الى ال سعود.ايها المسلمون صح نومكم وطاب يومكم ، كسرو الاغلال وحطمو القيود وتسلحو بالشجاعة للتحريرمن قبضة تراث سلفي عتيق يوما بعد يوم يتاكد كل عاقل انه ابن زمانه." انتهى.

- وقد أصاب السيد مجيد كبد الحقيقة. إقرأ أي آية من القرآن باللغة الإنكليزية وسوف تجد أنها كلام عادي لا يُقنع أحداً، وهذا يثبت أن **إعجاز القرآن في سجعه**. جرده من السجع فيتجرد من الإعجاز المزعوم.

- وجدي، صاحب التعليق رقم 42، يقول:

"أريد من حضرتك يا أستاذ كامل إن تبدو لنا رايك في موضوع تشخيص الحالة العقلية و الطبية لمحمد. فحسب كتب الحديث كان محمد - عند الوحي - يزبد فمه و يرتجف و يخور مثل الصبية و قد كانت الحالة تأتيه بصفة مفاجأة ، و قد انقطعت عنه مرات ، كما كان يتعرق بصفة كبيرة و يحمر وجهه حتى في الطقس البارد وهذا إن دل فإنما يدل على إنه كان يعاني من مرض الصرع ، و أريد رايك في هذا الموضوع." انتهى.

- وأقول للسيد وجدي إن داء الصرع به عدة أنواع تختلف في علاماتها وكيفية تشخيصها. ومنها صرع كامل وصرع جزئي، وصرع يتميز بغياب المصروع عن ما حوله رغم وجوده الفعلي مع الناس ولكنه يكون في حالة انعزال تام عما حوله أثناء نوبة الصرع، ويُسمى هذا النوع من الصرع absence seizure. أما النوع الأكثر حدوثاً هو الصرع الكامل grand mal وينتج هذا الصرع من شدة تهيج الأعصاب غير الإرادية sympathetic system فيغمى على المريض ويتسع حجم بؤبؤ العين، وتزداد سرعة ضربات القلب، ويتعرق الإنسان كثيراً وربما يزبد حول الفم ويعض لسانه، ويصعب وقتها فتح الفم لأن العضلات تظل

مشدودة إلى أن تنتهي النوبة. وبعض المرضى قد يتبول على نفسه. وعندما تنتهي النوبة يظل المريض في حالة نوم عميق نسميها post ictal state قد تستمر لمدة ساعتين أو أكثر. وبعض مرضى الصرع تعتريهم علامات يعرفون معها أنهم سوف تصيبهم نوبة صرع. هذه العلامات تختلف من مريض إلى آخر، ولكن الأكثر حدوثاً هو رنين بالأذن، أو سماع أصوات أو رؤية أشياء غير موجودة أو أشخاص غير موجودين بالغرفة. *ويبدو من كتب السيرة النبوية أن محمداً كان يمر بمثل هذه الأعراض قبل أن يُغمى عليه، وعندما تنتهي النوبة، ينام فترة من الزمن ثم يفيق ويقول لمن حوله إنه جبريل أتاه بالوحي*. ونستغرب لماذا لم يحدث نفس الشيء عندما كان جبريل يزور موسى مثلاً، وقد قال ورقة بن نوفل لخديجة:

إن الذي رآه محمد هو نفس الناموس الذي كان ينزل على موسى.

- أما السيد بسيوني صاحب التعليق 44، يقول في لغة لا تليق بالحوار المتمدن:

"ليه يا نجار بتمنع تعليقاتى لو انك مؤمن بالديمقراطيه وبقدرتك على اداره حوار عقلانى من طرفين لماذا تمنع تعليقاتى يا نجار اما صحيح نجار." انتهى.

وأقول للسيد بسيوني: أنا لست نجاراً رغم أني أجيد النجارة، ولكني طبيب جراح غضب عنه وعن كل الإسلاميين الذين يبخسون الناس أشياءهم، والقرآن الذي يدافعون عنه يقول لهم: {**ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين**. (الشعراء 183)}. ثم أني لا أتدخل في نشر أو حجب التعليقات، وإدارة الحوار المتمدن لا ترسل لي التعليقات. أي قرار بالمنع يصدر من هيئة تحرير الموقع.

- ومازن عنبرة، صاحب التعليق 46، إسلامي آخر يبخس الناس أشياءهم ويعصي رب القرآن بذلك، ويقول:

"لماذا يا نجار لا تجيب الا على الذين يمدحوك أو ترى أن في مدخلاتهم عيب أو نقص. أن كنت كما يعتقد هؤلاء ولكي تثبت صورتك وافكارك عندهم. فأجب دعوة الأخ عبد الله الى جامع الأيمان في دمشق. وأني والله مع غضبي من الكلام الذي تتفوهون وتتجرؤون به على رب العزة لست بحزين منكم ولكني حزين عليكم. فللكتاب رب يحفظه." انتهى.

فلماذا يا سيد مازن عنبرة، تغضب من كلامنا عن الله، هل أنت وكيل الله في الأرض، أم أن ربك غير قادر على أن يغضب لنفسه وينتقم من الذين أغضبوه؟ فإذا كان للكتاب ربٌ يحميه، لماذا لا يحمي هذا الرب نفسه من النقاد، وهو كان قد قال لمحمد: {**الله يعصمك من الناس**}. فلماذا لا يعصم نفسه أولاً بدل أن يعتمد على المؤمنين ليدافعوا عنه {**والذين يقاتلون في سبيل الله**} لماذا لا يقاتل في معاركه بنفسه؟

- السيد بسيوني
  - يقول في التعليق 47:

"لفت نظري محاولة التفسير في أول المقالة عن قيام الليل وقد ذكرت أن هناك خطأ في حساب الليل بقولك يقول رب القرآن لمحمد: قم الليل إلا قليلا. نصفه أو انقص منه قليلا. أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا)،أعتقد ياسيدي الفاضل الآية تأمر بقيام الليل إلا قليلا،ثم تذكر بإمكانية قيام نصف الليل أو نقصان الليل قليلا أو زيادته عن النصف وترتيل القرآن ترتيلا،فالآية تأمر صراحة بعدم قيام الليل كله، وتصفه على الأقل،هذا في رأيي قمة التناسق القرآني حتى يتسنى للناسك الحصول على قسط وافر من الراحة يمكنه من أداء عمله بالنهار فالعلم الحديث يحدد أن الإنسان الطبيعي لابد وأن يأخذ قسطا من الراحة 8 ساعات يوميا قسمها القرآن كالتالي حوالي 3 ساعات بعد الظهيرة وحوالي 3 ساعات بعد العشاء وساعتين قبل الفجر وصفها القرآن بثلاث عورات لكم." انتهى.

يؤسفني ألا أتفق مع السيد بسيوني في تحليله، فالقرآن يلف ويدور حول نصف الليل وزد عليه أو أنقص منه قليلا، وكان من الممكن أن يقول (<u>قم ما تيسر من الليل</u>). ثم أن الإنسان يحتاج إلى ثمان ساعات متواصلة من النوم وليست مقطعة على ثلاث وجبات، ولهذا السبب أجاز البرلمان الأوروبي قبل ثلاث سنوات قانوناً يفرض على الحكومات أن تريح الطبيب في مرحلة التدريب عشرة ساعات متواصلة من الراحة قبل أن يبدأ نوبته القادمة.

- ثم يستمر السيد بسيوني فيقول:

"هناك نقطة أخرى ياأستاذي الفاضل،بالنسبة لأول سور من القرآن نزلت بمكة وهي العلق والقلم والمدثر من الواضح أن جبريل كتب لمحمد ماأراده أن يقرأه وبما أنه كتبه فبالتأكيد كانت الكتابة بالقلم،ما المانع في فهم الآيات بهذه الطريقة." انتهى.

بالطبع جبريل لم يكتب لمحمد شيئاً وإلا لأظهر محمد إلى أتباعه تلك الكتابة كما أظهر موسى لأتباعه الألواح التي كتبها الله له؟ ولماذا يكتب جبريل لمحمد ويطلب منه أن يقرأ وهو يعرف أن محمد أمي لا يكتب ولا يقرأ؟ هل يكون الله قد نسي أن يخبر جبريل أن محمداً أمي، رغم أن جبريل جاءه فيما بعد بآيات تقول لمحمد: {**ما كنت تقرأ قبله من كتاب أو تخطه بيمينك**}؟

- وأخيراً يقول السيد بسيوني في **استنتاج لم يسبقه عليه أحد**:

"توضح السور أن الوحي حدث في فصل الشتاء-ياأيها المزمل- و-ياأيها المدثر-وبالربط بين سور القرآن سوف نكتشف أن جميع الوحي بالرسالات السماوية كان بفصل الشتاء،فها هو موسى أوقد النار ليستأنس بها من البرد حينما كلمه الله بالوادي المقدس، وها هي مريم تضع المسيح في شهر أغسطس أو سبتمبر أوان الرطب-وهزي إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا-ولو طرحنا تسعة أشهر-فترة الحمل-حينما جاءها ملاك الرب سنجد أن الوحي أو الملاك جاءها في شهر ديسمبرأو يناير(فصل الشتاء)وهناك آية قرآنية تقول إنا أنزلناه في ليلة القدر،والضمير هنا يعود على الذكر بجميع الديانات السماوية،وربما هذا يرجح أن ليلة القدر تأتي دائما بفصل الشتاء كما تقول أحد الآراء وبما أن الله وصفها بليلة القدر أي الليلة العظيمة فقد قالت بعض الآراء إنها ليلة العابدين وهي أطول ليلة في السنة وتُسمى فلكيا بليلة الإنقلاب الشتوي وهي مقدسة منذ القدم." انتهى.

وأظن الكل يعرف أن ليلة القدر تأتي في العشر الأواخر من رمضان، ورمضان يتغير ظهوره سنوياً لأن السنة القمرية تقل عن السنة الشمسية بعشرة أيام، وقد شهدتُ رمضان في السعودية في عز صيف يوليو وأغسطس، وهذا ينسف نظرية أن الوحي جاء في الشتاء. محمد كان يشعر بالبرد وطلب من خديجة أن تزمله بملابسه بعد أن زعم أنه رأى جبريل، والخوف من جبريل هو الذي جعله يشعر بالبرد، وليس فصل الشتاء. ولو كان الفصل شتاءً لما ذهب محمد إلى غار حراء بملابس صيفية ثم رجع إلى خديجة وطلب منها أن تزمله بملابسه الشتوية. ثم أن قصة مريم وحملها بعيسى بعد أن نفخ الله في فرجها، المقصود منها إظهار المعجزات، ومن هذه المعجزات أن مريم لم تنتبذ من أهلها مكاناً شرقياً لمدة تسعة أشهر وإنما حدث الحمل والولادة في فترة وجيزة جداً قد لا تتعدى اليوم الواحد الذي غابته عن أهلها. وإذا كان الفصل هو فصل نضوج التمر على النخل لما احتاجت مريم إلى الله أن يقول لها: {**هزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا**} فالكل يعرف أنه إذا هزيت النخلة سوف يتساقط بعض الرطب، ولكن القرآن قال لها ذلك كنوع من المعجزة لأن النخلة لم يكن بها تمر وقتها ولكن قال لها هزيها يسقط عليك التمر، حتى يبين معجزته لها.

بهذا القدر اكتفي واعتذر للسيدات والسادة الذين أطروا على المقال أو الكاتب ولم أذكرهم بالاسم نسبة لطول هذا المقال.

2010 / 4 / 26

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=213087

سوف أحاول الإجابة على كل التعليقات هذه المرة.

- ونبدأ بالتعليق رقم 1، من السيدة سناء، التي قالت:

"ملك يوم الدّين معناها ملك يوم القيّامة كما ذكر المفسّرون .أمّا بالنسبة لأبي لهب وأبي جهل وأبي سفيان وغيرهم فقد شيطنهم التّراث الإسلامي الّذي امنت به وصدّقته ردحا من الزّمن إلى أن استفقت من الغيبوبة وأدركت أنّهم كانوا مجرّد مفكّرين معارضين لمحمّد الّذي لم يأت بأيّ برهان مادّي على نبوّته،فأستحقّوا كلّ دلك الهجوم والسّباب.تحياتي". انتهى.

✍ التراث الإسلامي لا يعرف أو يعترف بمَن يخالف ما يقولون، وكذلك لا يعترف بالفشل. ولذا كرسوا كل مجهوداتهم في تلطيخ سمعة المعارضين الذين لم يقتلهم محمد، فوصفوهم بكل أوصاف السوء، ابتداءً بأبي لهب، وأبي جهل وهند زوجة أبي سفيان وعبد الله بن أبي بن سلول. ولدرء الفشل الإسلامي *اخترعوا ابن سبأ الذي استطاع أن يحرك المسلمين كيف شاء لدرجة أنه أصبح إلهاً ثانياً في التراث الإسلامي*، يستطيع أن يحرك جيوشاً بأكملها. وكلنا صدق بهذه الترهات عندما كنا صغاراً وخوفونا بنار جهنم وعذاب القبر والثعبان الأقرع.

- التعليق رقم 2، من صباح الكنجي، يقول:

"وإذا البحار سُجرت... لها معنى آخر عند الموصليين ويستخدمونها فيقاد النار أو التنور فهم يقولون اسجر التنور اي اشعله واوقده.. واسجر الحطب اي اوقدها.. هنا وبحكم طرح مفهوم المتناقضات في هذه الاية قد يكون المقصود من (وإذا البحار سُجرت انها قد ولعت اي اشتعلت فيها النار... ومن المحتمل ان يكون لجذر هذه الكلمة علاقة باللغات القديمة فاللغة المحكية عند اهل الجنوب في العراق بمختلف لهجاتها تستخدم كلمة اسجر في ذات المعنى اي احراق الشيء او اشعال النار فيها..وقد وردت في هذا النص الذي تحدثت عنه والمنسوب للقرآن بصيغة الماضي المحتمل". انتهى.

✍ كما هو معروف فإن اللغة العربية هي لغة أهل البادية، والبادية يعوزها الانضباط في المواعيد وفي العواطف وكذلك الاتفاق على معنىً واحد لكلمات كثيرة. وفي حالات كثيرة نجد كلمة تعني شيئاً وضده. وكلمة "سجر" لها عدة معاني: فهي تعني أوقد وأحمى، ولذا قالت العرب "سجر التنور". وسجر النهر تعني ملأه،

ولكن قتادة يقول "سجر النهر" يعني ذهب ماؤه.
وقال الزجاج "سُجر الماء" تفجر. والمسجور هو المملوء وكذلك الفارغ الذي ليس به شيء.
وقال الفراء: المسجور هو اللبن الذي ماؤه أكثر من لبنه، أي مغشوش بالماء. والرجل يسجر الماء في حلقه يعني يصبه فيه.

ولا بد للبدوي أن يذكر الناقة،

فقالوا: سجرت الناقة إذا حنّت إلى وليدها.
والأسجر هو الشخص الذي يخالط بياض عينيه احمرارٌ، وقالوا يخالط سواد عينيه احمرارٌ.

أما الآية {إذا البحار سُجرت}

قال عنها ابن سيده: "لا وجه للآية إلا أن تكون البحار ملئت ناراً". والقرآن يقول {والبحر المسجور. (الطور 6)}، ويعني أن البحر سوف يكون نار جهنم.
وقالوا: الشَعر المسجور هو الشعر المرسل على الظهر.

ولأن الكلمة تعني كل هذه الأشياء، كنا نتوقع من إله القرآن أن يكون أحسن حالاً من البدوي فيستعمل كلمات لا تقبل التأويل، ولكن يبدو أنه كان مغرماً بالتأويل فأنزل قرآناً (لا يعلم تأويله إلا الله).

- التعليق رقم 3 للسيد وجدي، يقول:

"الأستاذ كامل، لقد ذكرت في مقالك إن محمد مات مسموماً، هل بإمكانك إن توضح لنا صحة هذه الفرضية من ناحية طبية ... خاصة إن محمد ذكر لعائشة عند موته إن سبب ما يشعر به آلام هو اللحم المسموم، و قبل موته كان جسمه يتعرق بغزارة و يصاب بحالات إغماء و هذيان (عندما طلب القرطاس والقلم ليكتب كتابا لا يظل الناس به أبداً) .. كما تذكر الروايات إن أحد صحابته ممن أكل معه ذاك اليوم مات متأثراً بالسم ... لكن غاب عني الفترة الممتدة بين حادثة التسميم و موت محمد .. أيمكن إن تكون متقاربة؟؟؟". انتهى.

✍ يقول ابن كثير في مختصر السيرة:

"أهدت زينب بنت الحارث إلى رسول الله شاةً مصلية، وأكثرت فيها من السم، ثم جاءت بها إليه. فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله. فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله فلفظها وقال "إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم". ومات بشر من أكلته التي أكل" (ص 343).

✍ أغلب السموم يكون مفعولها سريعاً ولكن هناك سموم تعمل ببطء وقد يظهر مفعولها بعد عدة شهور أو سنوات. فمثلاً التسمم بالزئبق قد يكون بطيئاً ويتلف الكلى وفي هذه الحالة قد يُغمى على المريض في المرحلة النهائية قبل الموت. وكذلك التسمم بالرصاص lead. أما ما قيل من أن محمداً كان يتصبب عرقاً ويصاب بالإغماء، فربما يكون هذا راجعاً إلى داء الصرع.

- سام حمودي، صاحب التعليق 4، يقول:

"اقول لطلعت لعله يفهم ما اقول (عرب وين وطنبورة وين) لهذا ارجو طلعت ان يقرا المقال جيدا فهو كالقران مكتوب بالعربية لعلكم تفقهون". انتهى.

✍ ولكن المسكينة طنبورة كانت صماء وبكماء، ولكن طلعت خيري **مصاب بإسهال في اللسان ولا يعرف كيف يتحكم في إسهاله.**

- محمد عبد الله، صاحب التعليق 5، يقول:

"يقول النجار سجع جميل وتهديد بعذاب أليم هو ما جعل العرب يؤمنون. السجع المتكلف هو ما أدى لركاكة اللغة وعامة الناس لا يخافون نار جهنم ولذلك مات محمد دون أن يؤمن عامة العرب بالرغم من أن محمداً أنفق ثروة هائلة ورثها عن خديجة في رشىً لزعماء القبائل كي يؤمنوا برسالته . لم يؤمن عامتهم فشن عليهم أبو بكر حرباً شعواء لاجتباء الجزية أو الزكاة سماها حروب الردة والشيخ العلامة خليل عبد الكريم يؤكد أن العرب لم يؤمنوا بداية كي يرتدوا بل كان مطمعهم المال والنساء وقائد حروب الردة خالد بن الوليد مثال على ذلك فقد قتل مالك بن نويره واغتصب زوجته حال قتله . آمن العرب فقط بالفيء ينهبونه من الشعوب المجاورة وبخطف نسائها لتمتلكها أيمانهم كإماء ــ يسمون هذا حضارة عربية إسلامية وهو عار وشنار". انتهى.

✍ الناس الذين عاصروا محمد، أسلم أغلبهم **بعامل الخوف** من سيوف محمد ولذلك ارتدوا بعد موته، ولكن هناك، وخاصة في المدينة، من آمن لأن السجع قد أسرهم. والسبب في ذلك طبعاً هو أن العربي كان أمياً لا يكتب ومن المستحيل عليه أن يحفظ النثر، ولكنه بسهولة يحفظ الشعر والسجع. وهذا السجع القرآني خوفهم بالنار وتغيير الجلود عندما تنضج، فخافوا وآمنوا. ولا شك أن العائد من الغزوات، سواء أكان المال أو الجواري، كان له أثرٌ كبير في إسلام بعض الأعراب، ولذلك كانوا يستلفون

المال لشراء الخيل والجمال حتى يتسنى لهم المشاركة في الغزوات. أما خالد بن الوليد، **سيف الله المسلول الذي رفض أبو بكر إغماده بعد مقتل مالك بن نويرة**، فقد لا يكفي مقال كامل لذكر ما ارتكب من جرائم في حق الأعراب.

- العقل زينة تقول في التعليق 7:

"إنه قرآن مبين وأهدي تلك الجملة إلي الزميل طلعت هذا قولك ليشرح لنا بعد مرور 1430 عاما من تبيانه المبين والسهل والمعجزة ...!!!كيف للزميل بعد مضي تلك السنوات لا زال يشرح لنا مقاصد هذا الكتاب المبين والذي حفظه رب القرآن لئلا يخربه أحدا أو يزوره مزور أو يضيف إليه حاقد أو جاهل_ وليتهم أضافوا ما يساعدنا علي تصديقه و قبوله_؟وكيف إله القرءان لا يعرف أن النجوم هي مجرات ضخمة وتفوق حجم الأرض مرات_ وليست كلمبة غاز تضئ غرفة_..وان السماءهي إنعكاسات الضوء علي غازات وأبخرة وليست مادة صلبة يمكن شقها_ وربما رواد الفضاء إستطاعوا في رحلاتهم قطع أجزاء منها لبيعها للهواة_ وإخيرا غفلته عن العلماء الذين سيفضحون سذاجته في فبركة أكاذيبه بجمل مسجوعة لا معني لها في كتاباتهم وإكتشافاتهم". انتهى.

- محمد كان ابن زمانه ولم يعرف أن الأرض كروية وأن النجوم هي شموس في مجرات عظيمة. كان يعتقد أنها فوانيس معلقة بين الأرض والسماء، وأن هناك سبعة سموات والنجوم والكواكب محصورة في السماء الدنيا {**وزينا السماء الدنيا بمصابيح**}. وكان يعتقد أن السماء بناء صلب {**وقد بنيناها بأيد**} ولا يمنعها من السقوط على الأرض إلا الله الذي يمسكها {**ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس رءوف رحيم**. (الحج 65)}. ولكن كلما ظهر جيل جديد من المنتفعين بتفسير القرآن، كلما ظهرت تفاسير جديدة تجرد الكلمات العربية من معانيها المتعارف عليها، ويصبح الله كأنما كان يتحدث إلى أهل مكة باللغة الفرنسية أو اليابانية، وآخر تفسير حديث قرأته كان للآية: {**فإذا السماء انشقت فكانت وردةً كالدهان**. (الرحمن 37)}. أخذ المفسر الجديد صورة نشرتها مؤسسة ناسا الأمريكية لانعكاس الأضواء في الأجزاء العليا من المجرة الشمسية، وأظهرت خليطاً جميلاً من الألوان، يغلب عليها اللون الأحمر.

قال المفسر الجديد إن هذه هي الوردة التي قصدها القرآن في الآية السابقة.

وقد تجاهل المفسر الحديث أن سورة الرحمن نزلت بصحراء مكة التي لم يعرف عربها ألوان الزهور، وأن القرآن لم يذكر الزهور والورود إطلاقاً، وأن هذه الآية تتحدث عن يوم القيامة يوم تنشق السماء. وكلمة "وردة" التي وردت في الآية ووصفها بأنها "كالدهان" حتماً لم تكن هي الصورة المنشورة لأن الصورة يغلب عليها اللون الأحمر، ولم يعرف العرب وقتها دهاناً غير القطران والسمن.

- مايسترو صاحب التعليق 9، يقول:

"وأقسم إن شعر امرئ االقيس وعنترة بن شداد ولبيد بن ربيعة وزهير بن أبي سلمى وتأبط شراً ، وغيرهم من فحول شعراء عصر ما قبل الاسلام، لهو أسهل على الفهم من سجع محمد وقراءنه الذي لا يتفق على فهمه اثنان ، فكيف لأمة كاملة أن تجمع على هذه الترهات، وإذا ما كان هذا صحيحاً فتلك الأمة هي أجهل أمة أخرجت للناس". انتهى.

- وما قاله السيد مايسترو هو **عين الحقيقة**. فالقرآن المكي أخذه محمد من التوراة وسجعه بكلمات الشعر الجاهلي الجميل، وقد ذكرت في كتابي "تأملات في القرآن" المنشور على بعض مواقع الإنترنت، عدة شعراء اقتبس محمد شعرهم ووضعه في القرآن.

- السيد مجيد من المغرب، صاحب التعليق 10، يقول:

"لدي ملاحظات حول سورة اللهب
ايمان المسلمين ان القران مكتوب في اللوح المحفوظ مند الازل يطرح سؤال حول مسؤولية ابو لهب فيما قام به ضد محمد
تناقض محتوى السورة وما فيه من شتم وردح مع ايات اخرى تامر بالدعوة بالحكمة والموعظةالحسنة والصفح والعفو عند المقدرة
تتناقض مع اية تقول قل يا عبادي الذين اسرفو على انفسهم لاتقنطو من رحمة الله ان الله يغفر الدنوب جميعا
من الغرابة ان ينزل الاله خالق الاكوان والانسان الى مستوى المهاترة مع مخلوق بسيط من مخلوقاته
اخيرا ارى ان خير من ينزه الاله الحقيقي- افتح قوس لااقول انه فوق طاقة العقل البشري ادراك ماهيته او جنسه- قلت هو الملحد ان صح هدا النعت ان لم يكن شتيمة، ودالك لان الاله اعظم واجل من الوصف الدي وصفه به محمد والقران والمسلون يقولون تبارك وتعالى وسبحانه وعظم شانه دون ادراك معناها وبلا تمعن... ولكم تحياتي ودمتم". انتهى.

- كل النقاط التي ذكرها السيد مجيد نقاط تستحق إيضاحاً من الإسلاميين، إذ كيف يكتب الله القرآن قبل بدء الخلق ببلايين السنين، ويحكي به عن عذاب أبي لهب وزوجته. ألا يعني هذا أن الله قد قفل خط الرجعة على أبي لهب ومنعه من التوبة والإيمان بمحمد. وهناك من آمن بمحمد وسرق وزنى وقتل، وقال محمد إن الله سوف يغفر له لأنه نطق بالشهادتين. هل الله يهمه أن يقول الناس إن محمد رسول الله فيتجاهل كل أعمالهم السيئة، والأديان أصلاً جاءت كما يقولون لهداية البشر إلى السلوك المستقيم، أكثر مما يهمه السلوك الجميل من شخص لم يقل إن محمداً رسول الله؟ إنه قرآن محمد الذي كان هدفه الوحيد حمل الناس للاعتراف بمحمد اليتيم، الفقير، الذي أراد أن ينصّب نفسه ملكاً على العرب.

- السيدة الفضلى أم محمد، صاحبة التعليق رقم 11، تقول:

"إن الانسان الضعيف الذي لا حيلة له يلجأ إلى الصراخ والشتم والسب حتى يدافع عن أفكاره ومعتقداته ولهذا تجد الكثير من المسلمين ولانهم ليست لديهم القدرة على الرد على الكثير من المواضيع التي تكشف حقيقة الاسلام تجدهم يلجأون إلى الشتم والسباب ، ولكن رب السماء وهو قادر على كل شيء والذي يقول للشيء كن فيكون هل يحتاج إلى السباب والشتم حتى يدافع عن أفكاره ومعتقداته !!! ان محمد ونتيجة لعدم قدرته على الرد على كبار القوم في مجتمعه تخيل ان اله السماء يدافع عنه فقام على لسان الله يسب ويشتم كل من يخالفه بالراي حتى لو كانوا أهله المقربين ، ومن القرآن تعلم المسلمون السب والشتم". انتهى.

- فعلاً مَن كان يملك الحجة المنطقية ليرد بها على خصومه فما عليه إلا أن يطرحها لهم ليفحمهم، كما زعم القرآن نفسه عندما جادل إبراهيمُ النمرودَ، فقال القرآن إن إبراهيم قال للنمرود إن ربي يأتي بالشمس من المشرق فأْتي بها من المغرب، فبُهت النمرود ولم يحر جواباً. رغم سذاجة الطرح إلا أن محمد يؤمن في داخل نفسه أن الحجة القوية تُفحم الأعداء، فلماذا لجأ إلى الشتم والتهديد؟ الجواب طبعاً لأنه لا يملك الحجة.

- طالب، صاحب التعليق 12، يقول:

"هذا المثل الجميل يطلق على العالم او الكاتب عندما يبوح بعلمه ويكتبه بين الجهلاء اللذين لايقرؤن ولا يكتبون-هذه الحقائق الدامغة للدكتور وغيره من الفطاحل اللتي لاتخاف من هؤلاء جرابيع البشرية اللتي عايشة بالخرافات الدجل والنصب على البلهاؤ--لاينفع معها مهما يكتبون فهم في نومهم وجهلهم غارقون!لكن اعوول على الاجيال القادمة لعلها تفهم هؤلاء الدجالين وقدوتهم الحرامي النصاب القاتل اللذي لايذكرونه الا واللقب والتمجيد له!وكما قال المتنبي(الاهبل لايصدق الرصافي ولاغيره ولاالدكتورالنجار--لانه معتز بجهله ويفضل ان يموت جاهلا وحمار)والعاقل يفهم". انتهى.

- الأجيال القادمة لابد سوف تعي وتتخلص من هذه الخزعبلات لأنها تعتمد الآن على تلقين الأطفال بالضرب والخوف. ولكن عندما يقتنع شخص واحد، رجلاً كان أو امرأة، بأن الإسلام عبارة عن ميثولوجيا وكذبة كبيرة، فإن هذا الشخص سوف ينقذ طفلين أو ثلاثة عندما يُرزق بأطفال، وبالتدريج سوف يقل عدد الأطفال المؤدلجين إلى أن تنتهي الخرافة نهائياً.
- السيد شوقي، صاحب التعليق 13، كال الإطراء على شخصي وعلى المقال، وأنا أشكره بحرارة وإني سعيد لاتفاقه مع ما أكتب.

- شرق عدن، صاحب التعليق 14، يقول:

"يجب التنويه على ان السفاح خالد ابن الوليد حينما دخل على خيمه مالك بن نويره فانه قتله وفصل راسه بالسيف ثم طبخ الراس فى قدر كبير واكلها بتلذذ وبعد ان انتهى من طعامه دخل على زوجته واغتصبها ويقال انها كانت على قدر كبير من الجمال وهذا الحدث ان دل على

شئ فانه يدل على ان عصر الرسول الاسود كان اكل الاعضاء البشريه عاده طبيعيه بين هؤلاء الوحوش الكاسره وانا متاكد تماما ان الرسول فعل نفس الشئ فى غزواته الاجراميه والدمويه". انتهى.

- وفي الحقيقة إن الروايات تختلف كثيراً في هذا الموضوع. أغلب الرواة قالوا إنه فصل رأس مالك واستعمله كإحدى الأثافي التي يضعون عليها القدر. وكنتيجة حتمية لقرب الرأس من النار فقد شوته النار، ولكن لا أظن أن خالد قد أكله. ولكن ليس هذا هو المهم، المهم أنه سيف الله المسلول ويعمل بما نهى عنه الله. محمد قال: **لا تمثل بالجثث**، وهذا هو سيفه المسلول يمثل بجثة رجل قُتل ظلماً وعدواناً **لكي يستحل سيف الله فرج زوجته لأن محمد قال لهم في خطبة الوداع**: [**أوصيكم بالنساء فهن عوان عندكم، قد استحللتم فروجهن باسم الله**].

- صالح الصويلح، صاحب التعليق 20، يقول:

"أستاذ الكبير، سلمت وسلم قلمك الذي تحول إلى معول يهدم خرافات شدتنا إلى الماضي وجعلتنا أضحوكة بين الأمم. لعل من أكثر الآيات التي سببت إحراجا للشيوخ هي: وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (التكوير 5)، حيث قال الماوردي في النكت والعيون: فيه أربعة تأويلات لكلمة (حشرت) هي: جمعت، أو اختلطت، أو ماتت، أو حشرت إلى القيامة للقضاء فيقتص للجمّاء من القرناء. ويفسر القرطبي التأويل الأخير فيقول: وعن ابن عباس أيضاً قال: يُحْشَر كل شيء حتى الذُّباب. قال ابن عباس: تحشر الوحوش غداً: أي تجمع حتى يُقتصَّ لبعضها من بعض، فيقتصّ للجَمّاء من القَرْناء، ثم يقال لها كوني تراباً فتموت. وهذا أصح مما رواه عنه عِكرِمة". انتهى.

- خيال شاطح تمتع به محمد، لكنه يصلح لقصص الأطفال أكثر مما يصلح لنشر رسالة من إله السماء. إله السماء خلق الوحوش لتأكل اللحم الذي تصطاده من الغزلان والحمير الوحشية وغيرها، فكيف يقتص من هذه الوحوش وهي لم تفعل أكثر من ما أملته عليها الغريزة التي وضعها فيها إله السماء؟ والوحش الذي يركض خلف فريسة ويصطادها بشق الأنفس، من الطبيعي أن يهاجم أي وحش آخر يقترب من الفريسة، ويعضه ويضربه، فكيف يقتص منه إله السماء؟ وماذا عن الذبابة التي قال محمد اغمسوها في الشاي لأن في جناحها الآخر شفاء السم الذي تحمله في الجناح المقابل. فهل سوف يحاسب الذباب على نقل الأمراض للناس، أم على نزوله على مخلفات البشر الجسدية؟

- السير جلاهاد، صاحب التعليق 23، رد بالإنابة عني على السيد طلعت خيري، فقال:

"أولا هذه ليست تناقضات. التناقض هو عندما يقول الشخص شيئا ثم يقول عكسه اي تماما كما يفعل فقهاكم. اما ما تقوله انت(وسناخذ ما تسميه التناقض رقم 1 مثلا) فعلي خير الوجوه انك سيادتكم فاتت عليكم الفكره (you missed the point) لم تفهم ما قاله الكاتب فهو في واد وسيادتكم في واد". انتهى.

- وأنا أشكر السيد سير جلاهاد على رده، ولو أني اعتقده مضيعة لوقته الثمين لأن السيد طلعت خيري لا يهمه ما يُكتب عنه ما دام مسموحاً له بترديد ما شاء من آيات القرآن الذي نحن بصدد نقده والقول بأنه ليس إلهياً، ومع ذلك هو يحاول إقناعنا به. وهو هنا لا شك **يحرث في البحر**، ولكن لا يهمنا من أمره شيء ما دام مستمتعاً بالحرث في البحر. نرجو ألا يسجر الله البحر وطلعت خيري مازال يحرث به.

- السيدة سوسن علي، صاحبة التعليق 24، تقول لطلعت خيري:

"القارئ طلعت خيرى إكتشف أربع تناقضات فى مقال من الحجم الكبير للدكتور النجار،بينما وجد الدكتور النجار عشرات التناقضات فى سورة صغيرة كسورة الفاتحة .فهذا يعنى أن د . النجار أكثر علما و بلاغة من هذا النبى المزعوم و المسحور والمسموم". انتهى.

- شكراً للسيدة سوسن على استنتاجها المنطقي. وأرجو مستقبلاً ألا تضيع وقتها الثمين في الرد على السيد طلعت خيري.

- السيد الكاشف، صاحب التعليق 25، يقول:

"من عقل لهم به يتدبروا ولم يكن لهم سوى الشتائم حجج ما كان لهم يوما قوائم عليها استندوا الاسيوف بها على الرقاب سلطوا وهاهم احفادهم في الظلامات يتخبطوا متمسكين بقشاش القمح من الغرق تحية لك يااستاذي العزيز على هذه الصولجانات التي تذري بها على الرؤوس الخاوية واضافة صغيرة ان ابن مسعود كان يمحي الفاتحة والمعوذتين من قرانه وهو احد كتبة الوحي والذين قال عنهم محمد ان ياخذوا القران عنهم ولكن لدي سؤال اذا لم يكن قد سمي القران في عهد محمد حتى وفاته او المصحف فمن اين اتت الاحاديث والى طلعت خيري هذا السؤال لماذا زوج ابو لهب ابنيه لبنات محمد قبل ان يعلن نبوته وطلقهما بعد سورة الاسراء واذا لم تصدق كتب التاريخ التي كتبها مؤرخيكم وبالاخص السيرة فانت تعترف بعدم مصداقية كل ما جاء بها وبذلك انت تنفي مصداقية كتابك ورسولك لانه لايوجد شيء يدعمها الا الكتب التي تطعن بها وبعد في امانك مراجعة ما قاله ابو لهب قبل ان يقول محمد الاية فيه وستجد التشابه بينهما ودائما انت تحاول ان تدافع بايات القران للدفاع عن القران وملاحظة بسيطة عسى تعي ما تكتب اقتباس من تعليقك".

- لا خلاف بين كتب التراث أن ابن مسعود محا سورة الفاتحة وسورة أعوذ برب الناس وسورة أعوذ برب الفلق من مصحفه واعتبرهما أدعية كان محمد يتهجد بها. وابن مسعود هو نفس الشخص الذي قال له محمد **إن الله يقريك السلام، ولم يصدق ابن مسعود أن الله يذكره بالاسم، وعندما أكد له محمد ذلك، بكى.** فكيف نعتبر هذه السور من القرآن وهو لم يعتبرها، ومع ذلك حياه الله؟

- وفي التعليق 26، أعتقد أن السيد الكاشف أضاع وقته في الرد على السيد طلعت خيري الذي لم يفهم ما قرأ في مقالتي عن خسف الأرض.

- أقدم شكري للسيد Kader صاحب التعليق 27، وأرجو ألا يغضب عليه الإسلاميون لأنه شارك الله في أحد أسمائه الحسنى.

- السيد رسلان صاحب التعليق 30، يقول:

"كل يوم يزداد يقيني اكثر فأكثر بأن السيد المناضل كامل النجار يدق عصب الامه في كتاباته التي اعتبرها اكثر من منطقيه و منهجيه وحياديه تكشف الواقع المرير للامه التي للأسف ننتمي اليها ولكن سؤال محير فعلا ما هو النظام او الايدلوجيه التي ترونها بديلا عن الاسلام لنا كأمه اسلاميه و عربيه فثقافتنا و عاداتنا و تقاليدنا لا تسمح لنا بالابتعاد عن المنهج الاسلامي من وجهه نظري المتواضعه فوجود نظام او ايدلوجيه مثل الدين الاسلامي قد (قد التشكيك)قد تحمينا من كثير من الامور فان تطبيق البعض من مبادئه السمحه قد تحمينا من الوقوع في كثير من العادات السيئه التي لا تقبلها مجتمعاتنا الشرقيه. انا شخصيا احس براحه كبيره عند الصلاه و التقرب من الله و الدعاء و لكن في نفس الوقت انا متأكد من صحه و دقه كلام الدكتور كامل النجار". انتهى.

- وأقول للسيد رسلان إني لا أحاول إزالة الديباجة الإسلامية عن الأمة العربية والمسلمة كذلك. وأنا لا انتقد المسيحية أو البوذية أو السيخ أو الهندوس لأنهم لا يحاولون إجبار الآخر على اعتناق ديانتهم ولا يحاولون السيطرة على العالم لفرض هيمنتهم وشريعتهم عليه، ولا يعزلون نصف المجتمع بزعم سد الذرائع. اجعلوا الإسلام ديناً بين الفرد وربه واتركوا بقية الناس لإدارة شؤونهم بأنفسهم، ولن يتطرق أحد للإسلام بعد ذلك. أو انبذوا الإسلام واعتنقوا البوذية لأنها ديانة مسالمة وتوصي بنفس الوصايا العشرة التي أتي بها موسى ونقلها عنه محمد، *والنتيجة سوف ترضي الله ان كان موجوداً وسوف تنجي العالم من شرور التفجيرات السنية والشيعية وتهديم بيوت الله في العراق*. ولكني لا أفهم قولك "**من وجهه نظري المتواضعه فوجود نظام او ايدلوجيه مثل الدين الاسلامي قد (قد التشكيك) قد تحمينا من كثير من الامور فان تطبيق البعض من مبادئه السمحه قد تحمينا من الوقوع في كثير من العادات السيئه**" فهل يمكنك أن تذكر لنا أي عادة سيئة منعنا الإسلام من ارتكابها على مدى الألف واربعمائة سنة الماضية؟ عالمنا الإسلامي يغص بالسرقات، خاصة سرقة المال العام، وبالزنا والقتل وشهادة الزور والتمثيل بجثث الموتى، كما يحدث في العراق، واستغلال المرأة في الدعارة في جميع البلاد الإسلامية من المغرب إلى باكستان،

مروراً بالخليج، والاعتداء الجنسي على الأطفال، وحتى المحارم منهم، ولا أتحدث هنا عن وعاظ السلاطين مثل القرضاوي وشيوخ الوهابية ورئيس الجامع الأزهر.

إذا تعطيني مثلاً لشيء سيء تفاديناه بسبب كوننا مسلمين، فسوف أضع قلمي اليوم ولن أكتب عن الإسلام شيئاً.

- جمال صاحب التعليق 31، يقول:

"هذا الكلام وكل ما يكتب في الحوار المتمدن لاقيمة له التغيير الثقافي والاجتماعي يحتاج مئات السنين الحل والحل الوحيد للدول الناطقة بالعربية هو الاستثمار في الصناعة (الصناعات المتقدمة) والبحث العلمي هذه طريق التغيير الوحيدة التي ستقود الى تغير فكري واجتماعي". انتهى.

✍ وأقول للسيد جمال إن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحده. والمزارع الذي يشق الأرض ويلقي بالبذور لا يتوقعها أن تستقيم على ساقها في اليوم التالي. كل شيء يستغرق وقتاً، والمهم أن نبدأ الرحلة مهما كانت طويلة، وكما قال الشاعر العربي:

علىّ أن أسعى وليس   علىّ إدراكُ النجاحِ

- السيدة إقبال حسين، صاحبة التعليق 32، تقول:

"اشكرك يادكتور كامل النجار..قرآن محمد ربما لم يخيف العرب .لكنه زرع الخوف والقهر في عقولنا ..طفل يقرأ كل يوم كلمات عنيفه مثل تشوي جلودهم ويسقون الرصاص ام النحاس المذاب مع ذلك القسم الغليظ بالكنس ومش عارف ايه تخيل مايصيب هذا الطفل..اشكرك وانت تساعدنا علي تنظيف عقولنا من هذه الاوساخ التي دمرت حياتنا" انتهى.

✍ وأنا أشكر السيدة إقبال، وكما قلت في التعليق أعلاه، عندما ننقذ الأطفال من هذا الطوفان، نكون قد أدينا مهمتنا.

- السيد موسى، صاحب التعليق 35، يقول لطلعت خيري وللسيد بسيوني:

"ليه الله بتاعكو انت والبسيوني ما راح المدرسة واتعلم عربي أنا لو صلحتله انشاء في اللوح المحفوظ لأديته صفر مكعب علشان فيه أكثر من مائة غلطة لغوية" انتهى.

✍ سؤال وجيه نرجو أن يجيب عليه السيدان.

- السيد محمد البدري، صاحب التعليق 26، يقول:

"فارق كبير بين قصاري السور التي هي منقولة من سجع كهان مكة وبين اجزاء اخري من القرآن عكست الحالة المعنوية وظروف قائل النص، ونموذجها الايه الثانية من سورة الحشر بنصها -هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ -. الارتباك والركاكة وفقدان القدرات اللغوية ظاهر فيها بوضوح لا لبس في هذه الايه. فقائلها كان في معركة وفي وضع لا يسمح له بالنظم والسجع والتقفية. بعكس زمن خديجة بنت خويلد الثرية بمالها ورياشها وفي ظروف تجعل الشعر والوزن والقافية والنقل المباشر من كلام ورقة ابن نوفل ممكنا بل ومرحبا به" انتهى.

✍ وهذه حقيقة وهي أن قرآن مكة مسجوع ومتسامح عندما كان محمد معتمداً على خديجة لتعيشه بينما تفرغ هو لجمع القصص وكتابة السجع الجميل بمساعدة ورقة بن نوفل وغيره. ولكن عندما هاجر إلى المدينة وتزوج بتسعة نساء ولم يكن يملك ما يعولهن به، اضطر إلى القيام بالغزوات، وكان يغزو مرتين أو ثلاثة في كل عام، فلم تتح له ظروفه المادية ولا العملية، الوقت الكافي لينتج سجعاً جميلاً، فجاء القرآن المدني باهتاً ومليئاً بالقتل والدمار والسبي. **وبعض آياته في غاية الركاكة، مثل**: {**لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم.** (آل عمران 188)}. وبعض الآيات بها **تناقض عجيب**، فمثلاً قال عن إبراهيم: {**فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا.** (مريم 49)}. ثم قال في سورة إبراهيم عن إبراهيم نفسه: {**وقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحق إن ربي لسميع الدعاء.** (إبراهيم 39)}. فهل وهب له إسحق ويعقوب، أم إسحق وإسماعيل؟

- السيد عبد القادر أنيس، صاحب التعليق 39، يقول:

"زارني صديق في البيت فأقرأته ما كتب الدكتور النجار فبُهت . قال لي بأنه يقرأ هذه السور منذ خمسين سنة ولم ينتبه إلى تهافتها. كيف لم ينتبه إلى ذلك؟ إنه الإيمان الأعمى يا صديقي. إنه الدمار الذي تحدثه أسرنا ومدارسنا يوميا في عقول ناشئتنا".

- السيد جمال صاحب التعليق رقم 31 قال:

"إن هذا كلام لا يفيد، وطالب بالاهتمام بالصناعات المتقدمة. هذه مأساة الفكر عندنا. في الجزائر مثلا: بنت الدولة آلاف المؤسسات التعليمية وعشرات الجامعات والمدارس العليا. اليوم يبلغ عدد الخريجين مئات الآلاف وأغلبهم في الفروع العلمية والهندسية. كما استوردت الدولة مئات المصانع وبعثت عشرات الآلاف من الطلبة للدراسة في أرقى الجامعات. أفلست المصانع وبيعت خصخصت أو صارت عالة على ميزانيات الدولة. لماذا؟ ببساطة لأن المحيط العام الديني والثقافي والاجتماعي والسياسي لا يشجع على الإبداع بل يعاديه. كذلك لا تصنع التربية عندنا مبدعين لأنها تشحنهم منذ الصغر بخرافات الدين التي تخصي عقولهم .استيراد الآلة لا يكفي بدون استعياب العقلية والذهنية الحرة التي أنتجتها، وهي فرطنا فيها باسم الدين والأصالة وفصل التكنولوجيا عن الحداثة وشروطه." انتهى

✍ الدين دائماً وأبداً يفسد الدولة، لأن كل أصحاب دين يعتقدون أنهم أفضل من معتنقي الأديان الأخرى، ولا تتقدم أي أمة إلا إذا فصلت الدين عن الدولة. كل أمة تتحدث عن "**ثوابتها**" أمة فاشلة لأنه ليس هناك ثوابت، حتى الأرض نفسها تدور. كل أمة من الأمم مرت بمراحل مختلفة من التطور الفكري والعقدي والصناعي. وكلما تطورت عادات ومعتقدات الأمة كلما زاد تطورها. ولكن المسلمين يريدون التمسك بعادات القرن السابع التي يسمونها، زوراً وبهتاناً، ديناً، وهي ليست ديناً إنما تقاليد اجتماعية أكل عليها الدهر وبال.

واستيراد سيارات الرولز رويس وأحدث الطائرات الحربية وحتى المصانع، لا تقدم الأمة، كما قال السيد عبد القادر، إذا ظلت العقول مربوطة كالبعران في القرن السابع الميلادي.

وأعتذر للقراء عن طول المقال.

2010 / 4 / 30

4 مِن 4

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=213510

- السيد محمد البدري صاحب التعليق رقم 1، يقول:

"الفاضل د. النجار، تحية لك وللصياغات المنطقية في مقالك وجميع مقالاتك التي لو كان هناك عقل سليم لمن سمع نصوص الاديان لما كنا في حاجة الي كل هذا الجهد لاصلاح ما افسدته الاديان من بشر. بعد الثورة العلمية والمعرفية فان هذه النصوص التي لا تخضع لاي معيار منطقي او عقلي هي العائق اما الناس في اوطاننا انما في تحالفات السلطة السياسية مع كل هذا الجيش من الكهنة والمشايخ والفقهاء والدعاه والجهلاء والمتخلفين عقليا لبقاء عقول الناس في حالة ضياع وتوهان عن حقائق الاوضاع علي الارض. فحالة الهذيان الديني تجعل عقول الناس مشغولة بترتيب الاوضاع في السماء وعوالم الغيب من اجل تحقيق الاحلام الغير قابلة للتحقق. وهذا بالضبط ما تريده السلطة الاستبدادية الغير ديموقراطية الفاسدة. هنا نكتشف لماذا كان الحكم بالدين دائما وابدا مشروط بالاستبداد والعكس صحيح ايضا مما يدل علي صحة الطرح الرابط بين الدين والاستبداد والفساد وتخريب الاوطان كقاعدة لا شواذ لها. شكرا لك مرة اخري". انتهى.

- الأديان "السماوية" لم تظهر إلا بعد أن اكتشف الإنسان الزراعة واستقر في المناطق الزراعية حول دجلة والفرات والنيل، وعندما سيطر الأقوياء على الأرض احتاجوا إلى الأيدي العاملة، فاخترعوا منظومة الدين لتمكنهم من السيطرة على الفقراء واستغلالهم في زراعة الأرض مقابل رضا الإله وإدخالهم الجنة. وقد استغلت الكنيسة الكاثوليكية هذا المبدأ وسخرت الفقراء لزراعة أراضي الكنيسة دون أي مقابل مادي. ثم جاء الإسلام وقال قرآنهم: {**أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سُخريا ورحمت ربك خيرٌ مما يجمعون.** (الزخرف 32)}. فرب السماء فضّل بعض الناس على بعض حتى يسخّر الأقوياء الضعفاء، ورحمة ربه للضعفاء أفضل من المال الذي كان ممكناً لهم جمعه من مجهود عضلاتهم. ولهذا السبب حارب المسلمون بكل قواهم وأموالهم **النظرية الشيوعية** التي نادت بمساواة الناس. وقد قال بعض الفلاسفة **إن السياسة تفسد الدين، والدين يفسد السياسة**. وقد استغل أبناء سعود هذه المقولة وبالغوا في صرف البترودولارات لتمكين الدين في السياسة حتى يفسد الاثنان. والنتيجة هي ما نراه اليوم في أفغانستان والعراق والسودان ومصر المحروسة. فبعد أن كانت هذه الأقطار في بداية القرن العشرين من رواد النهضة في الشرق الأوسط، وكانت المرأة قد بلغت شأواً بعيداً في الحضارة والمشاركة في الحياة الاجتماعية وفي التعليم، أصبحت اليوم بفضل الوهابية بؤراً للفساد وسجوناً مقننة للمرأة، وكل ذلك بفضل البترودولارات السعودية. فشكراً لآل سعود.

- صاحب التعليق رقم 2، من اليمن، يقول

"فارجومنك سيدي انت والدكتورة وفاء وكل الزملاء ان تنتقلوا من حيز الكتابة الى حيز العمل التنظيمي وفقوا وجهات النظر القومية والليبرالية والشيوعية طالما انها جميعا تلتقي في محاربة لا معقولية ولا انسانية الاسلام. انسوا ماحدث بين روزفلت واستالين وبين الشيوعيين والراسماليين ايام الحرب الباردة ركزوا على ماهو اهم اليوم. اصنعوا حزبا عربيا علمانيا يجمع كل محاسن الفلسفات الانسانية. فقط يرفض الاسلام والتخلف والمرض والاستعباد". انتهى.

- اقتراح جميل من السيد "من اليمن" ولكنه غير ممكن التطبيق على أرض الواقع لأن الأحزاب تحتاج المال والتفرغ للعمل من أجل نشرها، ونحن لا نملك المال الذي يقارن بأموال آل سعود، ولا نستطيع التفرغ. وعليه لا نستطيع أكثر من الكتابة في الوقت الحالي.

- وليد، صاحب التعليق 3، يقول:

"ذكر عالم ديني اسلامي من اصحاب الشهادات العليا بالتخلف والغباء الازهري وعلى قناة المحور ان جسد محمد لا يزال سليما في قبره لم يتعفن ولم يتفسخ ان صح هذا التخريف. فعليهم بالبرهان والدليل من اقمار ناسا او حفرقبره للرجوع الى دون جوان نساء الجزيرة والايمان به من جديد". انتهى

- وهذا الرجل الجاهل قد استقى علمه من كتب التراث،

فقد روى ابن سعيد عن الحجاج عن ثابت عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [الأنبياء أحياءٌ في قبورهم يصلّون].
وفي حديث آخر عن ثابت عن أنس عن النبي قال: [الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة ولكنهم يصلّون بين يدي الله عز وجل حتى ينفخ في الصور].

فإذا كان محمد قد أطعمهم هذا الهراء، فلهم العذر في أقوالهم هذه **لأن محمد بالنسبة للمسلم أكثر أهمية من الله نفسه**. فحديث محمد ينسخ آيات القرآن، كما حدث في سورة النور عندما قال الله في القرآن: {**الزانية والزاني فاجلدوا كل منهما مائة جلدة**}، وجاء محمد ورجم الزانية، فأصبح حكم الزنا الرجم.

- السيد رعد الحافظ، صاحب التعليق 4، تكرّم مشكوراً وبيّن لي بعض الأخطاء الإملائية، وقال:

"أغلاط إملائية بسيطة
الغفاري ، جاءت الفقاري
الموريات ، جاءت المويات
بالهداية ، جاءت بالهدايا
سؤال للدكتور (فسنيسرهُ للعسرى) ، أليس يُفترض بالإله أن يفعل العكس مع الشرير ؟ أقصد لماذا يُسهّل عليهِ درب الشرّ؟ على الأقل يمنعهُ حتى لايُضّل الآخرين ؟". انتهى

- وأنا أشكر السيد رعد، وأعرف أنني كثيراً ما أخطيء في الإملاء ولكن عندما أراجع المقال لا أنتبه لهذه الأخطاء، وقد أثبت بعض الباحثين حديثاً أن العقل يقرأ أول حرف وآخر حرف من الكلمة ويتعرف على الكلمة المخزونة في العقل الباطن، وقد ظهرت هذه الدراسة على الانترنت بعدة صيغ. وربما لهذا السبب يفوت عليّ تصحيح الأخطاء لأن عقلي الباطن يقرأ أول وآخر حرف فقط. أما بالنسبة للإله وتسخيره للمجرمين، فقد قالها إله القرآن في آيات عديدة **إنه يمد لهم في غيهم، ويمكر عليهم وهو خير الماكرين، ويزيدهم طغياناً حتى يصطادهم يوم القيامة ليملأ بهم جهنم لأنه كان قد أقسم أنه سوف يملأ جهنم من الإنس والجن.**

- السيدة سناء، صاحبة التعليق 5، تقول:

"المسلم العادي يقرأ كالببّغاء من غير فهم.أذكر وانا صغيرة كان اغلب الاوليّاء يرسلون أبناءهم، لشيخ القرية، لحفظ القرآن وعندما ينتهي الطّفل من حفظ الحزب الاخير ،الذّي يبدا بسورة الاعلى،كانت تقام له إحتفاليّة وتقدّم له هديّة إكراما له على حفظ كلام اللّه.ويا سعده من حفظ سبّح.الغريب انّ لا الكبار ولا الصّغار ولا حتّى الشّيخ الوقور كان يعي شيئا ممّا يقرأ.المهمّ -التّكرار-بمعنى ترديد القرآن حتّي يحفظ عن ظهر قلب .وهكذا ترسّخ في وعي النّاس -قدسيّة كلام اللّه الّذي لا يجيز حتّى التّفكير في ما يقرأ بل تفرض عليه القبول بكل كلمة حتّى لو إعترضت مع المنطق .تحيّة على مجهودك وعلى ثقافتك الواسعة راجيّة أن لا تغيب عن محبّيك كثيرا". انتهى.

- وهذه للأسف هي مأساة العالم الإسلامي. نزرع الجهل والتعصب في أدمغة الأطفال منذ نعومة أظافرهم، فيصبح الجهل جزءاً أساسياً من شخصياتهم، والعرب قالت: "***التعليم في الصغر كالنحت في الحجر***" لا يمكن إزالته بسهولة. ولهذا السبب يجب أن نفصل الدين عن الدولة ونجعل التعليم في يد الدولة وبإشراف اختصاصيين في التعليم. يجب أن نترك عقول الصغار تنمو وتتفتح على العلم الحقيقي والمنطق، دون أن نجبرهم على حفظ القرآن كالببغاوات. كان لي صديق باكستاني بالسعودية، اختصاصي في جراحة الأذن والحنجرة، كان يرتل لي بعض آيات القرآن بلغة عربية، ولكنه لا يفهم معنى أي كلمة نطق بها. وهذه أمة محمد التي سوف يكاثر بها الأمم يوم القيامة.

- السيد Brader صاحب التعليق 6، يقول:

"الجمله لا يصلاها الا الاشقى احدى الادله على وجود اكثر من مؤلف لقران فهي ركيكه ولا تضاهي الكثير من الجمل البليغه فيه.فجمله سيصلاها الاشقى اكثر بلاغه واكثر منطقيه. سؤال ليس بعيد عن الموضوع ....لماذا يرسل الخالق اربعه انبياء من عائله واحده تسكن البراري/ابراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف/ هل يرسلهم لحاجه الناس للانبياء ؟واذا كان كذلك فلم لم يرسل اي نبي منذ الف واربعمائه عام

> والناس بحاجه للانبياء في كل زمان ومكان؟ هل القران صالح لكل زمان ومكان؟فلماذا لم ينزله الخالق اول مره ويكفي العباد كل الشرور والمصائب التي عانى وسيعانيها البشريه؟". انتهى.

- القرآن، على رأي علماء الأديان المستشرقين، حتماً له أكثر من مؤلف واحد، ولم يكتمل بصورته النهائية إلا في القرن الثامن، أي بعد أكثر من مائة عام من موت محمد. ويظهر ذلك:
  - في ركاكة بعض الآيات،
  - وفي إدخال آيات لا تنسجم في السجع ولا في المعنى، في وسط آيات مكية مسجوعة.

أما لماذا أرسل الله إبراهيم، وابنه إسحق، ويعقوب ابن إسحق، ثم يوسف بن يعقوب، فأمر لا يمكن تفسيره لأن الرسالة الإلهية تحتاج لأكثر من عدة أجيال لترسخ في الناس. فهل أرسل الله أبناء هذه العائلة بنفس الرسالة، كل عشرين سنة مثلاً، وهو مضيعة لوقت الرسل ولا داعي له، أم أرسل كل واحد برسالة جديدة، وهذا يُظهر **تذبذب** هذا الإله وعدم ثبوته على هدف معين ورسالة واحدة. ولو أصلاً أرسل القرآن أولاً لأنه خلقه قبل أن يخلق العالم، كما يقول المفسرون، لما انتهينا إلى ما نحن عليه الآن من تناحر بين الأديان. ولكن يبدو أن الإله، مثله مثل حكام روما في الماضي البعيد، كانوا يملون من حياة الترف في القصور فبددوا مللهم بإقامة حلبات المصارعة بين الرجال الأقوياء. فلا بد أن الإله ملّ من حياة الوحدة، فأرسل عدة رسل بعدة رسائل مختلفة حتى يجلس فوق عرشه ويتفرج على المصارعات بين أتباع الأديان المختلفة.

- السيد مايسترو، صاحب التعليق 7، يقول:

> "الشكر الجزيل للدكتور النجار على هذه السلسلة الرائعة، وبعد يمكن هضم كل ما جاء في القرآن من قصص الأنبياء واليهود، ولنعتبرها قصص مثل الروايات التي نقرأها، فلا ضير من وجود الخيال فيها، أما الذي لم أفهمه باتاً فهو سورة العاديات تلك، فهذه السورة لم (تدخلي في زور) كما يقولون بالعامية المصرية، وصدق الدكتور كامل في رده بمقالته بالأمس على أحد المعلقين حيال ترجمة القرآن إلى الإنگليزية، فلو ترجمنا هذه الآية إلى اللغة الإنگليزية واطلع عليها أحد الإنگليز وقرأها، لظن نفسه أن يتابع سباق خيول على المضامير الترابية". انتهى.

- كل الشكر للسيد مايسترو على قراءته للمقال وعلى الإطراء. أما القرآن المترجم إلى الإنگليزية لا يرقى إلى مستوى كتابات شكسبير (أو شيخ الزبير، كما قال القائد الدائم، صاحب القرآن الأخضر، الزعيم معمر القذافي).

- السيد نبيل كوردي العراقي، صاحب التعليق 8، يقول:

> "إذا الرجل صاحب او كاتب هذه التي تسمى آيه (سبح باسم ربك) وكل ما جاء في كتابه المسمى قُـــرآن، أن كان محمد أو بحيرا الراهب أو سواه كُتابةُ، لا يتجاوز قدرهُم قدر السيد الكذاب صالح المطلك في القائمه العراقيه العلاويه البعثيه، لا بل يتطابقان تطابقاً تــاماً من حيث كونهما كذابين يخترعون الأمور (لقشمرة الناس)، هؤلاء ذهبوا وولوا وشبعوا موتا، وصالح الغير صالح وأمثالهُ الورثه. شكراً للعزيز الدكتور النجار وشجاعته في هذا المجال، لقد كنتُ ومنذُ طفولتي غير مؤمنٍ بهذه الخرافات، واليوم تحقق حلمي به وبالدكتوره العزيزه وفاء سلطان وبقية الرواد وطريق المليون ميل يبدأ بخطوه واحده ولا بد لهذ التخلف الخرافي بامتياز أن ترى وتقرأ أجيالنا القادمه في كتب التاريخ حقلاً يقول، كان ياما كان في قديم الزمان دجالين كذابين (بالمناسبه، الدجل، الشعوذه، اللعب على الذقون، الدكتاتوريه، هذه الأمور الساقطه، يقودهم دوماً ساقطٌ كذاب، والتارخ شاهدٌ على ذلك) دمروا البشريه بأكاذيبهم الخرافيه، ثم يسطر الكتاب أسماء تلك المجموعه من الكذابين وفي مقدمتهم صاحبنا ويقرأون في ذيل الكتاب وفي الصفحه الأخيره أسم صــــــالح المطلـــــك". انتهى.

- أنا للأسف، أكره السياسة والسياسيين ولا أعرف عنهم الكثير. صديقي الدكتور عبد الخالق حسين هو مرجعي في الأمور السياسية وقد قرأت له مقالاً أمس في الحوار المتمدن، عن صالح المطلك هذا. وأشكر السيد نبيل على قراءته لمقالي وعلى الإطراء الذي كاله على شخصي وعلى الدكتورة وفاء، فأنا والدكتورة وفاء سلطان، والسيدة الشجاعة ياسمين يحيى، و د. طارق حجي، وسيد القمني، وعساسي عبد الحميد، و صلاح الدين محسن، وغيرنا الكثير، نحاول بدء رحلة المليون ميل بخطوة واحدة، وأرجو أن يأتي سريعاً من يبدأ الخطوة الثانية حتى تستمر الرحلة إلى مبتغاها.

- السيد جمال داود، صاحب التعليق 9،
  - يقول:

> "استاذنا الكبير النجار: تحية طيبة. مقالك هذا اثار الكثير من التساؤلات الملحة والمنطقية في ذهني وذهن اغلب السادة القراء منها ان كان الله قد خلقنا وسوّانا وسخّر لنا كل ما يدور حولنا فما ذنب انسان العصور الجليدية التي كان يناضل ويكافح من اجل البقاء ومثله من عاش في العصور الحجرية والحديدية والبربرية في حين اننا نعيش في عصر التكنولوجيا والتقنية الرقمية والابعاد الثلاثية وكل شئ متاح بكبسة زر صغيرة في حين كان الانسان في ذلك الوقت يقضي نصف يومه في مطاردة الفرائس والبحث عن الحبوب ليقتات ويستمر على قيد الحياة !!!؟؟؟
> سؤال آخر: ان كان الله حفظ الذكر منذ الأزل في عليائه لماذا لم ينزله في عصرنا هذا على الاقل ليتم حفظه وتوثيقه بواسطة وحدات الخزن الحديثة والرقائق الالكترونية بدلا عن الرقاع واللخاف والعظام والجلود وصدور الرجال وبذلك سيضمن الله عدم ضياع ولو كلمة واحدة او حرف واحد من كلامه الصالح لكل زمان ومكان!!!؟؟؟
> لا اريد الاطالة ولكن هناك سؤال آخر وليس اخير". انتهى.

- الله، إن كان موجوداً، لابد أنه إله قاسي القلب، رغم أنه يردد في القرآن أنه رحيم وعطوف، فهو جلس في عليائه ملايين السنين، يتفرج على الإنسان البدائي الذي كان يصاب بتقيح في الأسنان، وليس هناك أشد ألماً من ألم الضرس الملتهب، ولا يجد ما يخدر به الألم أو يقتل الجراثيم، وكان هذا الإنسان يتألم لعدة أسابيع إلى أن تنتشر العدوي ويصيبه تسمم الدم فيموت متألماً، والله جالس على عرشه يتفرج دون تقديم أي مساعدة. واستمر هذا الوضع إلى القرن التاسع عشر عندما اكتشف الإنسان دون أي مساعدة من الجالس على العرش، البنج العمومي، ثم الموضعي، ثم كمية هائلة من الحبوب المهدئة للألم. وبفضل هذه الاختراعات أصبحت الولادة بلا ألم، وأمكن إجراء العمليات الجراحية المعقدة التي تطيل حياة الإنسان رغم أن القرآن يقول إذا جاء أجل الله لا يؤخر. وطبعاً لو أنزل القرآن في عصر التكنولوجيا لما ضاع منه شيء، ولما احتاج أن يحفظ هو الذكر، ولكنه يعلم أن أي رسالة في القرن العشرين سوف تذهب سدى لأن العقل الإنساني لم يعد كما كان. ولا أدري لماذا استعجل وانزل القرآن في القرن السابع الميلادي، وكان بإمكانه أن ينتظر حوالي ألف سنة فقط، وهو قد انتظر ثلاثة عشر بليون عام منذ خلق العالم وهو جالس على عرشه وبجواره قرآنه الذي خلقه قبل أن يخلق العالم. فقد كان بإمكانه أن ينتظر ألف عام أخرى وينزل القرآن في عصر العولمة فنلتقطه كلنا على الانترنت في نفس اللحظة وبذا لأمكنه أن يوفر على جبريل كل تلك الرحلات المكوكية بين الأرض والسماء السابعة.

  - ويستمر السيد جمال داود فيقول:

> "سؤال: اين هو الله الان ولماذا لم يعد الانسان يسمع منه اي جديد ؟؟؟ هل التزم الصمت ملايين السنين ليتكلم من خلال وسيط او مرسال وبعدها التزم الصمت الى الابد؟؟؟ لماذا لا يفعل ذلك بصورة دورية وعلى مرأى جميع البشرية واممها ليقطع الشكوك والريبة في وجوده وانبياءه ورسله ؟؟؟ لماذا لا يرسل نبيا للبشرية في عصرنا هذا مع علمه ان الانسان دخل عصر التكنولوجيا والفضاء ولم يعد يقتنع بالمرويات والميتافيزيقيات والماوراءيات والطبريات والزمخشريات؟؟؟ ما ذنب الاجيال التي ستنشأ بعد 500 او الف عام ان لم تؤمن بالله او بمحمد او بغيره من الانبياء؟؟؟". انتهى.

- وأنا كذلك أستغرب من هذا الإله الذي قال إن السماء مُلئت حرساً شديداً لمنع الشياطين من التنصت للحديث بين الله والملائكة، وأنه نصّب شهباً مثلما نصّب صدام حسين صواريخ "سكود" حول بغداد ليحميها من الأمريكان ولم يفلح، وفشلت شهب السماء في منع الإنسان من النفوذ من أقطار السموات والأرض بعد أن قال لنا: {**يا أيها الإنس والجن إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات**

والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان}. وها نحن نفذنا من أقطار الأرض دون أي سلطان أو إذن منه، وصرنا نسترق السمع والصور بآلاتنا العديدة التي تدور مع الأفلاك. وأجهزة التصنت بأمواج الراديو جلبت لنا أصوات عديدة من المجرات البعيدة ولكنا لم نسمع الله يتحدث مع ملائكته.

- السيد كمال، صاحب التعليق 11،

كتب عن السيد بسيوني بسيوني الذي هاجمني في مقال ركيك بموقع الحوار المتمدن، وتعجب السيد كمال لماذا لم يجد مكاناً للتعليق على مقال بسيوني.

✍ والسبب طبعاً هو أن السيد بسيوني يعرف مسبقاً رأي السادة القراء في كتاباته، فمنع التعليقات كلياً، ورحم الله أمرءاً عرف قدر نفسه.

- السيد د. راشد طه، صاحب التعليق 12، يقول:

"شكر لاحدود له للمفكر الكبير الدكتور كامل النجار الذي ستذكره الأجيال بالتأكيد من خلال فكره الرفيع وتحليله العميق وأسلوبه العلمي المنهجي الدقيق . وأنا في الواقع من متابعيه الشغوفين. وأرجو أيضا أن ألفت انتباهه لنقطة مهمة وهي إذا تابعنا المنطق الديني الإسلامي ، كيف يمكن لإله خلق هذا الكون الفسيح الذي نسجل فيه أبعادا زمكانية يصعب تصورها بلغت مجرات ونجوم على بعد أكثر من خمسة عشر ألف مليون سنة ضوئية (وكل سنة ضوئية هي قرابة عشرة آلاف مليار كيلومتر)أن يدعى ليصلي على محمد وآله وصحبه !! كيف يمكن أن يصلي الله الذي يطلب من المسلمين على الأقل أن يصلوا له ؟ فهل يمكن التفكير بماهية الصلاة -الإلهية - هذه على بشر عاديين جدا ومنهم من آل الرسول من لم يسلم وبقي كافرا حتى بعد وفاة محمد ؟؟". انتهى.

✍ وأنا كنت قد نشرت مقالاً عن الصلاة على المصطفى في موقع الحوار المتمدن قبل عدة أسابيع، أرجو الرجوع إليه لتعرف رأيي في الصلاة على خير الأنام. بالنسبة للمسافات التي يصعب علينا تخيلها، والتي تفصل الأرض عن المجرات البعيدة، **فإن جبريل كان ينزل في طرفة عين من السماء السابعة إلى مكة ليحل مشاكل محمد مع صفية وغيرها**. ياله من ملاك تفوق سرعته سرعة الضوء بملايين المرات. فالضوء من تلك المجرات يستغرق مئات الأعوام ليصلنا، بينما يصل جبريل في لحظات عندما يطلبه محمد.

- السيد عبد القادر أنيس، صاحب التعليق 13، يقول:

"الناس عبيد ما تعودوا وهم أعداء ما جهلوا- بهذه المقولة فقط أستطيع أن أفهم كيف تمكنت أفكار بسيطة مثل هذه أن تهيمن على عقول ملايين الناس على مدى قرون طويلة. طبعا نجد لدى كل الشعوب خرافات وتخاريف يحسبونها حقائق مطلقة، ويحسبون ما عند الغير أكاذيب مطلقة. ومع فقد تمكنت شعوب كثيرة من تجاوز موروثاتها العتيقة أو على الأقل حسنتها وعدلت فيها ماعدا نحن .تحياتي". انتهى.

✍ السيد عبد القادر! **الناس فعلاً عبيد ما تعودوا عليه**. قبل يومين شاهدت على البي بي سي برامجاً عن منبع النيل من بحيرة تانا في إثيوبيا، وبما أن إثيوبيا هي أقدم الأماكن التي ظهرت بها المسيحية الشرقية، فإن الناس هناك تعودوا أن يقدسوا ما يقوله أو يفعله قساوستهم. وأقنعهم هؤلاء القساوسة أن منطقة معينة من بحيرة تانا ماؤها طهور ويشفي من جميع الأمراض. وبنوا جداراً حول تلك المنطقة وجعلوا عليه حراساً من القساوسة يباركون الماء الذي يغرفه الناس المحليون والسياح، مقابل أجر معلوم. وترى الناس يحملون الجرار المليئة بهذا الماء الطاهر الطهور، ويستحمون به عرايا كما ولدتهم أمهاتهم. تماماً كما يفعل الهندوس الذين يحجون بالملايين إلى نهر الجانجيز Ganges ويستحمون فيه عرايا ويشربون ماءه، وهو نفس ما يفعله الحجاج المسلمون الذين يغرفون ماء زمزم إلى بلادهم ليشفي المرضى ويزوج العوانس بالمغرب. وفي نهاية الأمر كل هذه المعتقدات ما هي إلا خرافات دينية لا أساس لها من الصحة، ولكن الجهل يعطيها الديمومة والقدسية.

✍ شكري الكثير للسيد كنعان شماس ايرميا لإطرائه على المقال وعلى قراءته لما أكتب.

- شرق عدن، صاحب التعليق 15، يقول:

"الدكتور كامل شكرا لهذا البحث العلمى الرائع لفضح هذا الهراء الصلعمى ولكن يجب ان نعلم ان الطريق طويل جدا وشائك وايضا صعب،يجب ان نعرف ان الحوار المتمدن ماهو الا نقطه فى محيط من الجهل والخرافات ودعنى اسالك كم هو عدد الذين يقراون الحوار المتمدن فى مقابل الملايين الجاهله والمغيبه عقليا والمدروشين والسذج وايضا فى المقابل يجب ان لاننسى الدور القذر لمملكه الخراب والماكينه الاعلاميه الجباره المدعمه ببلايين الدولارات لدعم هذا العفن المحمدى فى ارجاء المعموره 6 وايضا استخدام الرشوه مع رؤساء العالم الغربى لكى يغضوا الطرف ويسمحوا ببناء مساجد الخراب،انهم ينتشروا مثل السرطان،فى اعتقادى يجب التركيز تماما على علاقه البزنس بين مملكه الخراب والرؤساء الفاسدين فى العالم الغربى وبسببهم سوف يستفحل سرطان الاسلام فى العالم وسوف يكون السبب فى دمار هذا العالم للاسف الشديد". انتهى.

✍ وقد أصاب السيد – شرق عدن – كبد الحقيقة. فكل مأساتنا الحالية نتجت من النفط السعودي وبترودولارته. قبل بداية السبعينات من القرن المنصرم لم نكن نعرف الدشداشة القصيرة ولا حلق الشوارب وإطالة اللحى، ولا الحجاب الذي طغى على نساء مصر. ما زلت أذكر في الثمانينات عندما كنت بالقاهرة وكانت الشابات يلبسن الميني جوب، ويتغزل بهن الصبيان بأقوال مثل "مال الأمر زعلان". ولم نسمع وقتها باغتصاب كما يحدث الآن رغم انتشار الحجاب. الدين الإسلامي دين المظهر الذي لا يهمه المخبر. *كلما انتشر التدين المظهري في بلاد مثل مصر والسودان وإيران واليمن، كلما زاد الفساد*. والفقهاء في دين الإسلام يقولون "الشريعة بالظاهر". فما يظهره الفرد هو ما يهمهم. فالذي يضع الباذنجان الحار على جبهته ليكوي بها زبيبة ويطلق لحيته، يصبح مفتي بين ليلةٍ وضحاها، ولا يهم مقدار ما يمارسه من فساد في حياته الخاصة.

- السيد صالح الصويلح، صاحب التعلق 16، يقول:

"أحسنت يا أستاذ، وإن كان الموضوع يستحق كتابا ضخما وليس أربع مقالات فقط. يؤمن المسلمون بأن القرآن سواء المكي منه أو المدني له مصدر واحد هو الله، ولم يفسر لنا أحد لماذا الاختلاف الواضح بين قسميه، فالمكي يتميز بالعبارات القصيرة السهمية المسجوعة بأسلوب كهان الجاهلية والتي تحوي مفردات غريبة مازالت تحير المفسرين، وتفتتح السور بأقسام غريبة بعضها القسم بكائنات غامضة مثل: وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (المرسلات 1- 5)، و(الصافات 1-4)، و(النازعات 1-5) وغيرها. يقولون أنها الملائكة أو الرياح أو غيرها لأنها جاءت بصفاتها وليس باسمائها. ثم نجد أن الأقسام في القرآن المدني جلها بالله. كذلك يسمى وسيط الوحي بالروح في المكي بينما يصبح جبريل في المدني، ويكثر اسم الرحمن في المدني ويتكثف في سورة مريم المرسلة للنجاشي حيث ينتشر الاسم هناك وفي اليمن بينما يندر هذا الاسم في المدني". انتهى.

✍ فعلاً موضوع نقد القرآن يحتاج إلى مجلد ضخم، وقد كتبت كتابا سميته "تأملات في القرآن" ذكرت فيه مصادر القرآن، ولغته الركيكة، والأخطاء النحوية وغيره، وقد أرسلته لعدة ناشرين بالدول العربية، لكنهم جبنوا أن ينشروه رغم أني لا أطلب منهم أي نصيب من بيع الكتاب. ربما أنشره على حلقات بموقع الحوار المتمدن إذا سمح لي المشرفون عليه.

✍ شكري وتقديري للسيد وديع حداد على الإطراء. ولم أكن أعرف أن هناك رابطة أصدقاء الدكتور النجار، وإني لمن الشاكرين لهؤلاء العصبة من الأصدقاء.

✍ وشكري كذلك للسيد سليمان صاحب التعليق رقم 22.

- السيد مصلح المعمار، صاحب التعليق 27، يقول:

"تحية للأستاذ الفاضل د. كامل النجار على هذا التنوير العقلاني الصادق في تفسير الآيات القرآنيه ، كم يعجبني ان يقوم استاذنا الفاضل بتوثيق هذه السلسله من المقالات وضمها في كتاب يسمى موسوعة ابن النجار في تفسير آيات القرآن ، وحتما ستعتمد الأجيال القادمه

في بحوثها على هذه الموسوعة ومنهم من سيقول مستقبلا حدثنا فلان عن فلان نقلا عن موسوعة ابن النجار كذا وكذا بدلا من النقل عن البخاري والسيوطي وأبن كثير وعنعنة ابي هريره وأبن اسحق ..الخ ، تحياتي للأستاذ د.كامل النجار وللجميع". انتهى.

- كامل النجار يجد صعوبة في نشر كتبه، فكيف له بنشر مقالاته في كتاب، وقد نُشرت كل هذه المقالات بموقع الحوار المتمدن، ولهم جزيل شكري على إتاحة الفرصة لي لكي أنقل للقراء ما يجول بخاطري. إذا كان هناك أي ناشر يود نشر مقالاتي في كتاب فهو حر في أن يفعل ذلك دون خوفه من أن أطالبه بمردود من النشر.
- السيد الكاشف، صاحب التعليق 28، يقول:

"هنالك الكثير من الاسئلة حول هذه المواضيع مثلا لو ان الها يتوجب عليه القسم حتى يصدقه الاخرين فهل هذا معناه ان هذا الاله عرف الكذب عنه سابقا ام ان مؤلف القران عرف عنه الكذب فصار يقسم على اساس ان القسم من الاله هذه النقطة الاولى ولماذا على هذا الاله ان يقسم وهو قادر على كل وكان باستطاعته ان يرسل احد ملائكته او يعمل معجزة في الولت والمكان وكل شيء كان ليكون قد استقام واذا كان مدعي القران اله لماذا يقسم بخليقته الم يستطع ان يثبت نفسه ولماذا يطلب زكاة اليس هو المعطي والرزاق والغني...الخ ولماذا يتوعد بعذاب النار بالانتقام في الاخرة وكان يستطيع يفعل ما يشاء في الحال كما يدعي ولماذا الانتظار الطويل الا اذا كان هذا الاله او مدعي القران عاجز ويتحسن الفرصة للانقضاض على مخالفيه وتزداد الاسئلة ولو شئت ان اسطرها لما كفاني عدة ايام من كتابتها واخيرا تحية وتقدير خالصة لك سيدي الكاتب على سلسلة المقالات الرائعة التي انرت بها حتى العقول المظلمة وننتظر المزيد ودمتم لنا ذخرا". انتهى

- فعلاً لماذا يحلف الإله، والمؤمنون بقرآنه يعترفون أنه الإله ويصدقونه ويصدقون رسوله، فلماذا يحلف إذا لم يكن يعرف أنه متهم بالكذب؟ المعتزلة قالوا إن الله قادر على كل شيء، وبالتالي فهو قادر على أن يكذب وأن يعذب الأطفال .ربما لهذا السبب هو يحلف حتى يُفحم المعتزلة. ولكن لماذا لا يحلف بعزته بدل الحلف بالنجوم والكواكب والليل؟ أما تأخير الحساب إلى يوم القيامة فليس الغرض منه إتاحة الفرصة للكافر أن يغير رأيه وإنما هو عجز الإله من إنزال العقاب الفوري، وحتى لا ينكشف عجزه، قال بتأخير العذاب إلى يوم القيامة.
- السيد عقلاني من الكويت، صاحب التعلق 29، يقول:

"إن من يرفض هذا الدين من أبنائه كثيرون ومن طلوعه حتى يومناهذا ولكنه يخفون هذا الرفض لان الاسلام وضع حدود وسن السيف ضد من يعاديه أو يخرج منه ناهيك عن تفرقه من الزوجه وكراهية مجتمعه له ، يحكى ان رجل في عهد عمر بن الخطاب كا ن يسأل الصحابة عن بعض التناقضات في القرآن فجاء يوما إلى عمر فسأله عن والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيراتي صبحا ، وما علاقتها بالدين ، فقام عمر وضربه بعصى على رأسه فأغمى عليه فلما أفاق ضربه مرة أخرى فأغمى عليه فلما أفاق سأله عمر هل فهمت الايات فقال فهتها هكذا يتعاملون مع من يبحث عن الحقيقة ، بدل من استخدام العقل والمنطق ويفخر المتدينون بفعل عمر مع ذاك الرجل". انتهى

- فعلاً الإسلام يُفرض على الناس **بالضرب والتلقين**، حتى الأطفال يضربونهم في سن العاشرة إذا تأخروا عن أداء الصلاة. أما عمر فقد كان يضرب بِدُرته الناس لأتفه الأشياء التي لا تعجبه، فمثلاً يُحكى عنه أنه ضرب رجلاً كتب آية من القرآن بخط صغير، فغضب عمر وضربه بدرته. **وهذا هو استعمال العقل في الإسلام**.
- السيد وضاح صاحب التعليق 30، يقول:

"تحية إجلال لهذا الفكر العقلاني المستنير ، وليسمح لي الدكتور الفاضل كامل النجار.. بأن اطرح سؤالا طالما راودني منذ اكثر من ثلاثين عاما ..!! متسائلا ولازلت ، هل سلسلة الأنبياء بدءا من إبراهيم .. ومابعدة إنتهاءا بمحمد . هل يحملون نفس الجينات الوراثية ، وبالتالي اختيروا ليحملوا صفة النبوة .. وأين في فلسطين وجزيرة العرب ،،!!؟؟؟". انتهى

- طبعاً محمد لم يكن يعرف عن الجينات أي شيء ولذلك قال إن الله خلق آدم من تراب وخلق حواء من ضلعه، وبذلك تكون حواء مستنسخة من آدم وتحمل جينات مطابقة لجيناته، وبالتالي كل أطفالهم سوف يحملون نفس الجينات ويكونوا نسخة طبق الأصل من آدم. وطبعاً الحقيقة غير ذلك. أما الأنبياء والرسل فجميعهم، ما عدا آدم، من أسرة واحدة وهي أسرة إبراهيم، تلك الشخصية الميثولوجية التي لم يكن لها وجود في عالم الواقع. وبهذا يُثبت الإله أن المحسوبية nepotism جزء لا يتجزأ من الأديان.
- السيد عبد المنطق، صاحب التعليق 31، يقول:

"عندما يفقد الشخص أبجديات التحليل المنطقي تصعب معه أية محاولة للدخول في نقاش بناء. المؤمن لا يفرق بين المسببات و النتائج، بين التفسير و التأويل أو التفسير و التبرير. فإذا كانت هناك قوة مدركة بداتها خالقة للكون وأجادت أن توصل لنا رسالة ما فئنها لن تحتاج لأي واسط أورسول للقيام بهذه المهمة. الرسول تكمن مهمته في إيصال رسالة بين مرسل و متلقي استحال الربط المباشر بينهما. هذا يغنينا عن الدخول في نقاش قضية فرعية كالقرآن و جزاياته التي لا تنتهي تبريراتها لدى المسليمين . مع كل تشجيعي لمثل هذه الأبحاث لأننا بحاجة إلى العمل في مختلف الاتجاهات لتحفيز أكبر عدد ممكن من الناس، فكل لديه نقطة محددة مختلفة من شخص لآخر تشكل المنعطف للخروج من الوهم إلى الحقيقة بكل ملابساتها". انتهى.

- المنطق والإيمان ضدان لا يجتمعان، ومن هنا يعتمد الإيمان على المعجزات التي تخرق القوانين الطبيعية، وهذا يجعلنا نتساءل لماذا يخلق الله قوانين ونواميس للكون ثم يكسرها هو أولاً؟ منطق إلهي غريب. والمسلم طبعاً يتعلم وهو طفل صغير في كتاتيب تحفيظ القرآن، أن العقل لا حاجة له، المهم هو الحفظ والتسليم بما يحفظ، ولا داعي لإزعاج نفسه بالتفكير الذي قد يقود إلى الشك بالله ثم الشرك.
- فاهم إيدام، صاحب التعليق 32، يقول:

"وددت أولا يا دكتورنا الجليل أن أسهب باعتراض يتمحور حول ما يلي. ـ هل من الممكن أن يُحدث تجريد الكلمات من مرادفاتها الغريبة، والتي تصل احياناً إلى التعارض المطلق، وأخذها على الشائع الأعم، أو حتى ما كان شائعاً أعم، أقول هل يُحدث هذا شبه غصّة في بلعوم المقال؟؟؟ فبلاغة المرادفات التي من الممكن أن تقلب المعنى، ربما تستحق وقفةً أطول؟؟

لكنني تذكرت دراسة لأحد (كبار) المفكرين الأسلاميين، ينتصر فيه لحديث لا اتذكره، لكنه بمعنى (مَن أكل من تمر عكّه، كأنما زار مكّه)!! أو كلام قريب على هذا، لكنه بنفس المعنى. وفيه يُجيب هذا المفكر على معتبري الحديث بلا معنى ـ سوى فائدة التجّار ـ بأن اللّه يُرسل.. ومحمّد يبلّغ.. ونحن نستجيب!! ولا يهمّنا أن العلم أو المنطق لايرى أفضلية لتمر عكّه على تمر اليمن أو العراق. ألا يمكن، تسائل البعض! اعطاء الحديث بعداً تأويلياً، ينتشله من عبثية اعتباره ضمن دائرة اللاهوى التي يختصّ بها النبي؟؟

فتمسّك المفكر بالشائع الأعم، وتفسير الحديث كما هو عليه. والقصور في العلوم والمعارف البشرية التي لا تستطيع كشف السر. ففكرت..! وعلى مَ الأعتراض إذاً؟؟؟ ووددت تسجيل إعجابي. وشكراً". انتهى.

- اللغات بدأت عندما اتفق أكثر من شخص في مكان ما على وصف حيوان أو شجرة أو نور في السماء، بكلمة معينة أصبحت ترمز إلى ذلك الشيء بعينه. وبالتدريج انتشرت تلك الكلمات من الآباء إلى الأبناء، وظلت تحمل نفس المعنى، وإلا لكانت اللغة مائعة ولا تخدم غرضاً في تحذير أفراد المجموعة من حيوان مفترس، أو تبشيرهم باصطياد فريسة للعشاء. ولما جاء الشعراء، اضطروا لتغيير معاني بعض الكلمات لأن القافية اضطرتهم لذلك، وقد يكون المعنى الذي اختاروه هو العكس لما تعنيه الكلمة، ولذلك قال أهل اللغة: **<u>يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره</u>**. وسموا مثل هذه الاختلافات طباق وجناس وما إلى ذلك. أما أن تضطر القافية إله السماء لاستعمال كلمات لتعني ضدها، فهذا حتماً غير مقبول.

بالنسبة للأحاديث فكلها بضاعة كاسدة بدأها الحرامي الأكبر أبو هريرة الذي كان يعمل بكرشه، أي لا يطلب إلا إطعامه مقابل أي عمل يقوم به، ولما أطعمه معاوية الطعام الدسم، أكثر من الأحاديث التي تمجد الأمويين. وجاء بعده التجار أصحاب البضائع الكاسدة ورووا أحاديث تشجع الناس على شراء بضائعهم، فمثلاً هناك حديث، <u>لا بد أن قائله كان تاجر خضروات</u>، رواه الترمذي عن محمد يقول: [**عليكم بالقرع فإنه يزيد في الدماغ**]. ولا أعلم لماذا يحتاج المسلم إلى زيادة في دماغ لا يستعمله.

- السيد حسين عبد الله نور الدين يطلب مني ألا أتوقف عن كتابة تأملات أخرى، وسوف أحاول جهدي أن أكتب كل ما يدور بخاطري. وله شكري وتقديري.
- السيد عقلاني الكويت يقول

إن العدس والبقل والبصل أفضل من الناحية الغذائية من المن والسلوى،

- وهو محق في ذلك إذ أن العدس والفول المصري يحتويان على كمية كبيرة من البروتينات تعوّض الإنسان عن أكل اللحم. ولا شك أن محمد قد أخطأ حينما جعل الفطر الذي ينمو في رمال الصحراء (الفَقّع) أفضل من الفول والعدس.
- السيدة إقبال حسين تطلب مني أن أتحدث عن المرأة في القرآن، ويالها من قصة حزينة تلك التي تتحدث عن تكريم المرأة في الإسلام. كنتُ قد كتبتُ سابقاً مقالاً عنوانه "الإسلام يذل المرأة". إذا أرادت السيدة إقبال يمكن أن أرسله لها.
- العقل زينة تقول:

إنه يمكنك أن تقرأ صفحات بسيطة في أي كتاب وتعرف ما هو هدف الكاتب، والشيء الذي تدور القصة حوله، أما المصحف فلا أحد يعرف ماذا يريد أن يقول لنا.

- وهذه حقيقة تشكر عليها السيدة "العقل زينة".
- أقدم شكري للسيد عايد على إطرائه للمقالات.
- السيدة مرثا تسأل:

لماذا لم ينزل محمد أي تشريعات لقومه في مكة لمدة 13 عاماً.

- وفي الحقيقة لولا أن الأنصار عزموه إلى المدينة وآمنوا به، لمات الإسلام بموت محمد لأنه طوال إقامته بمكة لم يتبعه غير حفنة من الفقراء والعبيد، وحتى في أخريات أيامه بمكة عندما طلب من أتباعه أن يهاجروا إلى الحبشة، كان عدد الذين هاجروا ثمانين شخصاً بما فيهم النساء والأطفال. ولهذا السبب لم يُنزل محمد أي تشريعات لأنه كان موقناً أن دينه لن ينتشر، ولكن ماذا نفعل مع الأنصار الذين آمنوا به ونصروه؟
- السيد قادر
  - يسأل:

كيف استطعت أن أوفق بين العمل والكتابة.

- وفي الحقيقة منذ حوالي 15 سنة وأنا أقرأ على الأقل ساعتين كل يوم، وأكتب النقاط المهمة في Data Base والآن عندما أريد أن أكتب مقالاً استطيع بسهولة أن أجد مراجعي في ال .Data Base
  - ثم يسأل

إذا كان هناك أي شيء جديد في القرآن والإسلام عامةً.

- أنا بالنسبة لي الإسلام صورة تكاد تكون طبق الأصل من اليهودية والعرف الجاهلي، مع إضافة رتوش هنا وهناك.

الشيء الجديد في القرآن هو
إباحة نكاح السبايا لمحمد، وفرض الخُمس من الأنفال لله ولمحمد وأهل بيته.

عودة إلى الفهرس

203 - القرآن ونساء النبي

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=213794

بما أن المسلمين يعتبرون القرآن كلاماً نطق به الله عن طريق جبريل، وهو دستورهم الذي يقول عنه **القرآنيون** إنه يجمع بين دفتيه كل تعاليم الإسلام ولا يحتاج إلى أي أحاديث نبوية تشرح معانيه، فيجب علينا قراءة هذا القرآن قراءة نقدية تبين التناقضات العديدة به، والتي لا يمكن أن تكون قد أتت من إله في السماء يعلم السر وأخفى.

وليس هناك من شك في أن محمد استغل موقعه من الدعوة الجديدة **لإشباع رغباته الجنسية** التي لم يتمكن من إشباعها مع خديجة التي كانت تكبره بخمسة عشر عاماً، وكان زواجه منها زواجاً مسيحياً قام بالإشراف عليه القس ورقة بن نوفل، ابن عمها، ومعلّم محمد الأول، **الذي توقف الوحي لمدة ستة أشهر بعد موته**. وذلك الزواج المسيحي لم يسمح لمحمد بالطلاق ولا بتعدد الزوجات.

هذا الوضع خلق لمحمد عقدة نفسية عميقة جعلته يتصرف مع النساء بعد موت خديجة، تصرف الصائم الذي سمع مدفع الإفطار. ونتج عن هذا التصرف خلل كبير في بنية القرآن عندما تحدث عن النساء عامةً، وعن نساء النبي خاصةً.

وسوف أتعرض هنا لتناقضات القرآن ومؤلفه، سواء أكان يجلس في السماء السابعة أو في بيت من الطين في يثرب.

قد عرفنا من كتب التراث الإسلامي أن محمداً عاش بمكة بعد بدء رسالته ثلاث عشرة سنة، وعاش بالمدينة عشر سنوات. تزوج محمد خديجة بمكة وعاشت معه خمساً وعشرين سنة، عشر منها بعد بدء الرسالة، إلى أن توفيت في العام العاشر منها. في الثلاث عشرة سنة التي عاشها بمكة بعد بدء الرسالة، كشف محمد لأتباعه ستاً وثمانين سورة من القرآن قال إنها نزلت إليه من السماء.

في كل السور المكية الست والثمانين *لم يذكر القرآن أي شيء عن حياة محمد الخاصة أو عن زوجته خديجة أو عن العلاقات الجنسية المباحة لمحمد*، كأنما خديجة التي كانت تعوله مادياً وكانت أول من شجعه على اعتبار نفسه رسولاً من الله، وأول من آمن بدعوته الجديدة، لا تسوى آية واحدة من رب السماء، بينما ذكر رب السماء **زيد بن محمد** الذي تنكر محمد لأبوته بسبب زينب، بالاسم، فقال {**ولما قضى زيد منها وطراً**}. وتحدث مؤلف القرآن عن **أبي لهب** و**أبي جهل**، و**الوليد بن المغيرة**، عندما كان محمد بمكة، وبعد أن هاجر إلى المدينة وتزوج رهطاً من النساء، كرّس القرآن عدة آيات **لعائشة** وحادثة الإفك، ولمناكفات **حفصة** وعائشة مع محمد، ولتآمر كل أزواجه ضده. **أما كان الأولى بمؤلف القرآن أن يذكر المرأة التي لولاها لما أُتيح لمحمد أن يتفرغ للرسالة الجديدة؟**

وبعد موت خديجة تزوج محمد سودة بنت زمعة، ثم **الطفلة عائشة** ذات السنوات الست وهو بمكة. ولكن القرآن صمت صمتاً كاملاً عن هذه الزيجات، ولم يذكر إن كان مسموحاً لرسول الله أن يتزوج امرأةً واحدة أم عشرين امرأة.

وبعد أن هاجر محمد إلى المدينة وقويت شوكته بالأنصار، واكتسب مالاً وفيراً من أموال الخُمس التي تدفقت عليه بعد نجاح الغزوات، بدأت تظهر الآيات التي تتحدث عن نساء محمد.

أول سورة جاءت بالمدينة كانت سورة البقرة التي فتحت **باب الغزوات** لمحمد فاشتغل بالحرب واقتناء السبايا.

ثم جاءت سورة الأنفال بعد موقعة بدر **لتؤكد للمسلمين أن كل الأنفال لله ولرسوله**، وطبعاً لم يكن له ممثل في الأرض يستلم نصيبه من الأنفال غير محمد نفسه.

ثم أتت سورة آل عمران ولم تذكر شيئاً عن نساء محمد. وكان محمد في ذلك الوقت قد دخل في النصف الثاني من عقده السادس **وكثرت نساؤه وما ملكت يمينه**، وهو كان رجلاً بشراً عادياً مثلنا، كما يقول لنا القرآن: {**قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يُوحى إليّ.** (الكهف 110)}.

ونحن نعرف أن الرجل البشر إذا بلغ الخمسين وما فوقها تتدنى مقدرته البدنية والجنسية بمقدارٍ كبير عما كانت عليه في عز الشباب، وقد يصعب عليه إشباع رغبات زوجة واحدة ناهيك عن تسعة زوجات وما ملكت يمينه.

وهنا أتى محمد بسورة الأحزاب، التي رغم اسمها لم يذكر بها الأحزاب إلا في خمس آيات فقط، بينما **تحدثت السورة عن علاقات محمد الجنسية وزوجاته في أكثر من عشرين آية**. وسورة الأحزاب هي رابع سورة أتت بالمدنية، والسورة رقم 90 حسب ترتيب "النزول". فبعد أن أنزل الله تسع وثمانين سورة لم يذكر فيها نساء رسوله، **خطر له أخيراً أن يُنظّم البيت النبوي بالمدينة**، وكان محمد وقتها قد تزوج سودة بنت زمعة، وعائشة، وحفصة بنت عمر، وأم سلمة، وأم حبيبة. فخاطبهن القرآن، وكانت أول مرة يخاطب فيها القرآن المرأة، فقال:

{**يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفا.** (الأحزاب 32)}.

فالقرآن هنا وضع الشروط والقيود على نساء النبي اللاتي كن يختلطن بالرجال عندما يزورون بيوت محمد، وقد رأى محمد شباباً أقوياء يزورون بيوته. وكبشر، مثلنا، لابد أنه شعر بشيء من الريبة. فجاء بهذه الآية ليقول لزوجاته من أجل أن يكن أفضل من بقية النساء عليهن أن يتقين الله وأن يتحدثن بطريقة لا توحي للرجال بأي مضمون جنسي حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض، وما أكثر القلوب المريضة في الأعراب الذين زامنوا محمد.

ثم جاءت الزلزلة الكبرى عندما رأى محمد بنت عمته زينب بنت جحش، وهي شبه عارية، وتمتم وقتها: [**سبحان الله مقلب القلوب**]. فسمع الله هذه التمتمة وأوعز إلى زيد بن محمد بالتبني أن يطلق زينب حتى يتزوجها محمد. ولكن لتطييب خاطر زيد، قال له محمد: [**اتق الله وأمسك إليك زوجك**] *ولم يكن جاداً فيما قاله*. وطبعاً حدث هذا الكلام في خلوة بين محمد وابنه زيد، ولكن رب محمد يعلم الأسرار: {**يعلم السر وأخفى.** (طه 7)}، فأنزل آية في نفس سورة الأحزاب، تقول لمحمد:

{**وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمتَ عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيدٌ منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرجٌ في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً.** (الأحزاب 37)}.

ولأن محمداً كان يستحي من أصحابه، والله لا يستحي من الحق، قرر الله أن يبدي للعيان ما كان محمد قد خبأه في صدره، وهو رغبته في زواج زينب.

يخبرنا الإسلاميون أن الله قرر أن يكشف ما في صدر محمد ليثبت للمؤمنين أنه لا حرج عليهم في زواج نساء أولادهم بالتبني إذا طلقوهن.

وطبعاً لم يكن كافياً أن يخبر الله المؤمنين بذلك الحق المكتسب بآية في القرآن فقط، فلا بد لمثل هذه الخطوة الجبارة أن يبينها الله بالفعل وليس بالقول فقط ،لأنه كان يخاطب أمةً من الأميين. فزوج الله زينب لمحمد بلا مأذون ولا شهود، لأن رب محمد كان هو المأذون والشهود، ومن أحسن من الله شهادةً؟ وجاء محمد إلى بيت زينب وطبّق القول بالعمل ودخل بها بلا مقدمات {**ونِعمَ أجر العاملين.** (العنكبوت 58)}.

ولأن بعض الأعراب الذين في قلوبهم مرض لاموا محمد على زواج طليقة ابنه بالتبني، كان الرد الفاحم من رب محمد أن يقول:

{**ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين.** (الأحزاب 40)}.

وبجملة واحدة حرّم الله التبني الذي مارسته البشرية على مدى آلاف السنين، وما زالت الأمم المتقدمة تمارسه على نطاق واسع من أجل رعاية الأيتام واللقطاء.

ولزيادة التبرير لذلك الزواج السماوي أنزل رب محمد:

{**ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدورا.** (الأحزاب 38)}.

فزواج محمد من زينب هو فرض فرضه الله عليه لحكمة يعلمها هو. ويبدو أن محمداً لم يكن له مفر من هذه الزيجة *لأنها سنة الله في الذين سبقوا*. ومع أن القرآن يقول لنا هذه سنة الله في الذين من قبلنا، لم يعطنا الله مثلاً على نبي أو رسول آخر كان قد تزوج طليقة ابنه بالتبني، وعلينا أن نعتمد على شيوخ الإسلام ليأتوا لنا بالأمثال من سنة الله هذه.

ويظهر الكرم الإلهي الفائض لمحمد في نفس السورة عندما قال له:

{يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي أتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأةً مؤمنةً إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصةً لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرجٌ وكان الله غفوراً رحيما. (الأحزاب 50)}.

أولاً لغة القرآن هنا **تجعل من الزوجة مومساً** يعطيها الرجل أجرها مقدما ليمارس معها الجنس متى شاء {أزواجك اللاتي أتيت أجورهن} وكان من المستحسن أن يقول (مهورهن) أو (صداقهن) *حتى لا يصبح الزواج خدمة يقابلها أجر*. ثم بعد أن أحل الله لمحمد جميع أزواجه اللاتي دفع مهورهن، وجميع ما ملكت يمينه مما أفاء الله عليه من الغزوات، أحلّ له كذلك بنات أعمامه وبنات عماته وبنات أخواله وبنات خالاته اللاتي هاجرن معه. والمقصود من هذه الآية هو التوكيد على صحة زواجه من زينب بنت جحش لأن أعمام محمد التسعة لم يؤمن منهم إلا حمزة قبل نزول هذه الآية، والعباس آمن بعد فتح مكة، أما الآخرون فماتوا على كفرهم. *وبالطبع فإن الأعمام الذين لم يؤمنوا لم يكن من المحتمل أن يزوجوا بناتهم لمحمد*. وأما بنات عماته فلم تهاجر معه إلا زينب لأن عماته لم يسلم منهن غير اثنتين فقط، ولم تذكر لنا كتب التاريخ الإسلامي هجرة عمته الأخرى التي أسلمت، أو هجرة بناتها إن كان لها بنات. **فكل الآية كان المقصود بها زينب بنت جحش، رغم أنه لم يذكرها بالاسم.**

ثم يزيد الكرم الإلهي *فيحل الله لمحمد أي امرأة وهبت نفسها له بشرط أن تكون قد وقعت موقعاً حسناً في نفس رسول الله*، لأن الله لا يمكن أن يطلب منه أن يتزوج امرأة قبيحة أو كبيرة في السن لا يمكن أن يشتهيها محمد، لذلك قال: {**إن أراد النبي أن يستنكحها**} . وكلمة "يستنكحها" هنا **كلمة غريبة** لأن الفعل على صيغة يستفعل تعني أن شخصاً ما فعل شيئاً إنابةً عن شخص آخر، كأن يقول الأب للعريس "لقد استنكحتك ابنتي"، وعندما يقول {**إن أراد النبي أن يستنكحها**} نفهم منها أن النبي أنكحها لرجل آخر، ولكن القرآن يقصد هنا أن النبي نفسه أراد أن ينكحها.

وقد أفاض الله في توضيح النساء اللاتي أحلهن له *حتى لا يكون في نفس محمد أي حرج*. ولكن يبدو أن محمد لم يكتف بالنساء اللاتي وهبن أنفسهن له، فكان يطلب من أي امرأة جميلة يراها أن تهب نفسها له، كما فعل مع أميمة بنت النعمان عندما قال لها: هبي نفسك لي، فقالت له: وهل تهب الملكة نفسها للسوقة. وجملة {**قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم**} جملة اعتراضية لا معنى لدخولها في الآية لأن الحديث كله عن النساء اللاتي أحلهن الله لمحمد وليس للرجال الآخرين.

ثم يضيف القرآن في الآية اللاحقة من نفس السورة:

{تُرجي من تشاء منهن وتؤي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جُناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزنّ ويرضين بما أتيتهن كلهن والله يعلم مافي قلوبكم وكان الله عليماً حليما. (الأحزاب 51)}.

لا مثيل لهذا الكرم الإلهي الذي سمح لمحمد أن يأوي إليه مَن يريد من النساء اللاتي يهبن أنفسهن له، وأن يؤخر قراره بالنسبة للأخريات فلربما ملّ من بعض من اللاتي آواهن، فيختار من اللاتي في الانتظار.

ويبدو أنّ كل هذا الكرم ليس المقصود به محمد وإنما هو هبة من الله لأولئك النساء حتى تقر أعينهن بمضاجعة محمد ولا يحزنّ ويرضين بما أتاهن محمد. منتهى الحلم على أولئك النساء البائسات. وهذا نوع من إكرام الإسلام للمرأة.

وبعد كل هذا الكرم أراد رب محمد أن يكون عادلاً في حق النساء، فقال لمحمد:

{لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن أزواجاً ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً. (الأحزاب 52)}.

وهنا يحذر الله رسوله أنه لا يحل له أي نساء بعد هذا العدد الهائل من الحريم، ولا يجوز لمحمد أن يبدل هؤلاء الأزواج اللاتي حددهن الله في آياته بأزواج أخريات حتى وإن أعجبه حسنهن. فالله يعلم أن (العين لا يملاها إلا التراب) كما يقول المثل العامي.

وطبعاً بعد أن أباح الله كل هؤلاء النسوة لمحمد وهو في منتصف الخمسينات من عمره، ولأن محمد كان يعرف أنه لن يستطيع إشباع رغبة كل هؤلاء النساء، التجأ إلى ربه الذي أنزل تحذيراً للرجال الآخرين:

{يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناءه ولكن إذا دُعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيما. (الأحزاب 54)}.

وبما أن المثل العامي يقول: ‹أبعد البيضة من الحجر والأنثى من الذكر›، فإن محمداً أراد أن يمنع الرجال الآخرين من دخول بيوته حتى لا تتاح لهم فرصة مناجاة نساء النبي، *لأنه كان يعرف أن أكثرهم في قلبه مرض*، وقد حذره الله عندما أمر نساء النبي أن لا يخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض. ومن باب الاحتياط منعهم من الجلوس ببيوت النبي في انتظار أن يكتمل طهي الطعام لأن الطعام تطهوه النساء، والجلوس في الانتظار يخلق فرصة للكلام مع النساء.

وحتى يكتمل **الحجر** على نساء النبي **منع** الله المؤمنين من أن يتزوجوا نساء النبي بعد موته أو الاختلاط بهن. ويبدو أن محمداً لم يكن يعلم أن **الحميراء** التي كان عمرها ثمان عشرة سنة عندما توفي محمد، سوف تأتي بحديث يبيح رضاع الرجل الكبير حتى يتمكن من الدخول عليها وعلى غيرها.

وبالطبع إذا منع الله المؤمنين من دخول بيوت النبي، فلن يستطيع منع نساء النبي من الخروج لقضاء حاجتهن، فاحتاط لذلك وقال:

{يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يُعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً. (الأحزاب 59)}.

فمن أجل حماية نساء النبي أصبح الحجاب أو إدناء الجلابيب فرضاً على كل نساء المؤمنين.

والسبب الذي قدمه القرآن **سبب واهي جداً**، لأنه يقول إن الغرض من ذلك هو أن يعرف الرجال أن المرأة التي تدني جلابيبها هي امرأة مسلمة فلا يتعرضون لها.

وبالطبع يمكن لأي امرأة مسلمة أو مشركة أن تدني جلابيبها عندما تخرج فلا يعاكسها الرجال الذين كان يجب على محمد أن يعاقبهم بدل أن يُحجّب النساء، لكنه اختار أن يضع العربة أمام الحصان. وحتى يطمئن محمد أكثر على نسائه، قال لهن القرآن:

{وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا. (الأحزاب 33)}.

من السهل علينا أن نفهم أن يأمرهن رب محمد بالقرار في بيوتهن حتى لا تُتاح لهن فرصة اللقاء برجال آخرين، أما أن يأمرهن بإيتاء الزكاة فأمر يصعب فهمه إذ لم تكن أي منهن تعمل عملاً يدر عليها دخلاً، ولم تكن أي منهن من الأغنياء، بل قد بلغ بهن البؤس أن طلبنا من النبي أن يزيد مصروفهن، فغضب محمد وجاء بآية تقول لهن: {**يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً.** (الأحزاب 28)} .

فكيف يأمر رب محمد هؤلاء النساء الفقيرات بإيتاء الزكاة التي تُخرج من المال الفائض بعد أن يحول عليه الحول ولا يصرفه صاحبه؟ أمرٌ لم يتطرق له الفقهاء.

ومع أن نساء النبي هن **أمهات المؤمنين وقدوتهم الحسنة**، فإن رب محمد لم يكن متأكداً من حسن سيرتهن، فقال لهن:

{يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشةٍ مبينةٍ يُضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا. (الأحزاب 31)}.

والمعروف أن *الفاحشة المبينة هي الزنا*، وعقاب الزنا هو الرجم للمتزوجة، وإدخالها النار يوم القيامة. فكيف يضاعف لها العذاب. فعذاب الرجم لا يمكن أن يُضاعف، وعذاب جهنم لا يُعقل أن يضاعف لأن النار هي النار التي تشوي الجلود والتي يبدلهم الله بجلود غيرها. فلا يمكن أن نتخيل كيف يُضاعف هذا العذاب. *ثم أن الآية تنم عن عدم الثقة في سلوك أمهات المؤمنين*.

ثم جاءت حادثة الإفك عندما اختلت عائشة بصفوان بن المعطل، فجاءت سورة النور، والتي هي رقم 24 في المصحف ولكنها رقم 102 في ترتيب النزول، مليئة بالآيات التي تحاول تبرئة **عائشة** ومنع المؤمنين عن ترديد قصة عائشة وصفوان، وبدأت من الآية 11

{إن الذين جاءوا بالإفك عصبةٌ منكم لا تحسبوه شراً بل هو خيرٌ لكم لكل امريءٍ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم. (النور 11)}.

والذي تولى كبره هو حسان بن ثابت، الذي جلده محمد، ثم أصبح شاعره المفضل، ولكن **الإخباريين** حاولوا تبرئة حسان فزعموا:

أن الذي تولى كبره كان عبد الله بن أبي بن سلول.

وتستمر الآيات من 11 إلى 20 في تفنيد حادثة الإفك. ثم يختمها بالآية 23 التي تقول:

{إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لُعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم}.

وطبعاً فإن كل نساء النبي كن محصنات غافلات مؤمنات، فويل لحسان بن ثابت من جهنم.

ولما ضاجع محمد مارية القبطية في غرفة حفصة وانكشف أمره، طلب من حفصة أن تستره ولا تخبر أحداً، وفي المقابل أقسم أن يُحرّم عليه مارية ولا يقربها بعد ذلك. ولكن رب محمد أشفق عليه وأتى بسورة التحريم، وهي السورة رقم 107 حسب ترتيب النزول، وسماها التحريم لأن محمداً قد حرّم على نفسه إحدى ملكات يمينه، فقال له ربه معاتباً:

{يا أيها النبي لِمَ تُحرّم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم. (التحريم 1)}.

والغريب أن الأنبياء الآخرين لما حرّموا على أنفسهم أشياء معينه *لم يعاتبهم الله وأقر ما حرموه*، فمثلاً عندما حرَم يعقوب على نفسه بعض الطعام، قال القرآن: {**كل الطعام كان حِلاً لبني إسرائيل إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة.** (آل عمران 93)}. فلم نسمع إله القرآن يعاتب يعقوب أو يسأله لماذا حرّم على نفسه ذلك الطعام الذي أحله الله له ولبني إسرائيل.

ثم تستمر سورة التحريم:

{وإذ أسرّ النبي إلى بعض أزواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت مَنْ أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير. (التحريم 3)}.

ومن الواضح أن إله السماء (إن وُجِد) لا يمكن أن يقول هذه الكلمات لأن محمد أخبر حفصة بتحريم مارية، وحفصة أخبرت عائشة، ولما ذكرت عائشة الحديث إلى محمد، عرف أن حفصة قد أعلمتها. فهل تحتاج هذه القصة إلى أن يخبر العليم الخبير محمداً بما حدث؟ وإذا كان العليم الخبير قد أخبره بما قالت حفصة لعائشة، لماذا عرف بعض الحديث وأعرض عن بعض؟ ألم يخبره ربه بكل الحديث، أم لم يصدق بعض ما أخبره به ربه؟

وعندما انتشرت القصة بين نساء محمد، غضب محمد وهجرهن شهراً كاملاً، ثم جاء بالآية التي تقول لنسائه:

{عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيباتٍ وأبكارا. (التحريم 5)}.

وربما **نسي** صاحب القرآن أنه كان قد قال لنفس نساء النبي:

{يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن. (الأحزاب 32)}.

فمن أين يأتي بنساء خيراً منهن؟ هل أراد أن يوحي لنا أن نساء النبي لم يكن يتقين الله؟ لأنهن لو أتقين الله فلن يكون هناك نساء مثلهن، دع عنك خيراً منهن. فكل الصفات التي ذكرها في الآية تنطبق على زوجات محمد. فهن مسلمات ومؤمنات، وقانتات وتائبات وثيبات وأبكارا.

> أما سائحات فليس هناك من يعرف المقصود بها. وأظن أن المقصود كان "ساجدات" ولكن لأن الكلمات لم تكن منقطة، ولأن الخط كان يقوم به أشخاص شبه أميين، فقد اختلطت الحروف على الذين جمعوا القرآن فحولوا كلمة ساجدات إلى سائحات. ، اعتقد مَنْ نسخ الآية لاحقاً أنها "سائحات" بيص."

ولا نفهم كيف يقول رب محمد لنساء النبي: {**عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن**}؟ ألم يقل له في سورة سابقة: {**لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن أزواجاً ولو أعجبك حسنهن.** (الأحزاب 52)}. فكيف يبدله أزواجاً خيراً منهن؟ وهذا سهو بشري لا يمكن أن يأتي من إله في السماء، وهو لا شك *نتيجة الاعتماد على الذاكرة دون الكتابة*. وإذا كان القرآن قد نزل من عند إله السماء لجميع أهل الأرض، كما يزعمون، ومهمة الكتب المقدسة هي هداية الناس ليعبدوا رب السماء، فما هو المبرر لأن يُنزل رب السماء أكثر من ست عشرة آية في سورة الأحزاب، وأكثر من عشر آيات في سورة النور، وأربع آيات في سورة التحريم عن نساء محمد؟

> هل إشباع الرغبات الجنسية المحمدية يقود إلى الإيمان برب السماء؟

ألم يكن من الأفضل أن ينزل آيات عن الأفيال من أجل إقناع الهنود، وآيات عن الكانـگـارو kangaroo من أجل إقناع سكان أستراليا من الأبروجنيس "السكان الأصليين"، وربما آيات عن بيوت الجليد †Igloo لإقناع الأسكِمو، مثلما أتى بآيات عن البغال والحمير وبيوت الوبر لإقناع البدو؟

أعتقد أن كل هذه الآيات عن نساء محمد **تثبت أن القرآن صناعة بشرية بحتة**. ولأنه صناعة بشرية نجده ***قد بخس المرأة حقها***، وهو يقول لنا {**لا تبخسوا الناس أشياءهم**}. فلو كان محمد في عز الشباب عندما هاجر إلى يثرب، وكان له زوجة واحدة فقط، *لما عامل الإسلام المرأة معاملة الخادمة أو المومس التي يجامعها زوجها بأجر.*

> وكنتيجة حتمية لغيرة محمد على نسائه العديدات اللاتي لم يكن من الممكن له إشباعهن جنسياً في ذلك العمر، فرض قيوداً شلت حركة المرأة وعطلت نصف المجتمع وأدت إلى تخلف المسلمين الذي نراه بايناً لنا ولغيرنا.

وحتى يغطي محمد على **الشك في إشباع نسائه** جاء بأحاديث مثل: [**أوتيت في الجماع قوة أربعين رجل**]. ويالها من أمنية يستحيل تطبيقها حتى في عصر الڤياگرا Viagra.

عودة إلى الفهرس

† **Igloo**: dome-shaped Inuit house: an *Inuit* dwelling, usually dome-shaped and built from blocks of packed snow.
مساكن السكان الأصليين الذين يطلق عليهم اسم Inuit. - في المناطق القطبية الشمالية وفي جزيرة گرينلاند وفي آلاسكا. وتكون أسقف هذه المساكن بشكل قباب. وتُبنى المساكن بقطع جليدية.

نقلا عن:

204 - في معية القراء

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=214025

بما أن عدد التعليقات قد زاد على الستين، فلن أستطيع أن أذكر كل صاحب تعليق بالإسم، وعليه سوف أركّز على التعليقات التي تحتوي على أسئلة أو نقاط تستحق التوضيح، وأرجو أن يعذرني مَن لا أذكره بالإسم.

- السيد عمار أحمد الياسري، صاحب التعليق 2، يقول:

> "أثمن جهودك المضنية في التفتيش بين افخاذ عائشة عن مني محمد ولكني اعتقد لو انك صرفت نصف هذه الجهود في اختصاصك الطبي لجنى المجتمع فوائد جمة. واعاهدك طالما ان الهندوس يعبدون البقر وبعضهم يعبد فرج المرأة فسيظل المسلون يقدسون نبيهم." انتهى.

أود أن أؤكد للسيد عمار أني لا أفتش بين أفخاذ عائشة لأن ذلك يؤذي الله ورسوله، والله لا يستحي من الحق. ولكني أفتش في كلمات عائشة تلك الطفلة المظلومة التي زوجها أبوها لشيخ يكبره بسنتين أو ثلاثة، ومات ذلك الشيخ وعمر عائشة ثمان عشرة سنة، وعاشت حتى جاوزت الستين عاماً دون رجل يجلب لها السعادة في ليالي يثرب الطويلة الصامتة.

أما المجهود الذي أصرفه في الكتابة فهو مجهود يأتي بثماره يومياً فقد تحرر أناس كثيرون من هوس الإسلام بمساعدة ما أكتب.

وربما يكون هؤلاء الأشخاص قد ساورهم الشك قبل أن يقرؤوا كتاباتي، وكل ما فعلته مقالاتي هو إعلامهم بأنهم ليسوا من الشواذ لأنهم شكوا في الإسلام، فهناك مثلهم الكثيرون الذين تركوا الإسلام نهائياً. وقد يكون بعضهم قد جنى راحة نفسية من هذه المعلومة، ولذلك لم يضع جهدي سدىً. وفي مجال تخصصي، فالحمد لعشتار، قد وصلت قمة الهرم التخصصي ولا أريد المزيد. أما كون الهندوس يعبدون البقر أو فرج المرأة، فذلك شأنهم فهم لا يفرضون عبادة البقر علينا كما يفعل المسلمون **بدينهم الصحراوي الذي يكره التمدن والحضارة**. وسوف أتعرض لرأي السيد عمار عن نقد الدين في تعليق لاحق.

- السيدة سناء، صاحبة التعليق 7، تقول:

> "كنت متخوّفة من غيابك لكنّني استبشرت خيرا بهذا المقال الّذي جاء مباشرة بعد المقالات الأربعة السّابقة.ما يحيّرني حقّا:كيف يسمح اللّه لنبيّه بأن يتزوّج كل هذا العدد من النّساء ويامرفي الوقت نفسه برجم إمراة بتهمة الزّنا؟ثمّ ما هوّ الزّنا؟اليس نكاح ما ملكت اليمين زنا؟ وماذا يسمّى زواجه من صفيّة بنت حيي؟وماذا يسمّى تسرّيه بماريّة وريحانة؟وماذا وماذا....ثمّ ماذا عن آية-وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمْ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ.-هل جاءت لخداع النّاس.هل اللّه الّذي يحاسب شابا على علاقة ويوسع لنبيّه في النّكاح إله عادل؟ ما هذا التّناقض؟ولانّ الأفعال أبلغ من الأقوال ،فلا يمكنني التّصديق بنبوّة محمّد رغم إيماني به زمنا طويلا وأعترف أنّني كنت اجهل هذه الفضائح.أمّا عن عدم زواجه على خديجة فالسّبب واضح فهي وليّة نعمته الّتي إنتشلته من القاع وما كان يجرؤ على إدخال ضرّة عليها لأنّ النّتيجة معروفة.تحياتي."
> انتهى.

المشكلة الرئيسية في الإسلام هي **الازدواجية في المعايير**. محمد أباح لأتباعة أربعة زوجات ولنفسه عدداً غير محدد. ثم أضاف ملك اليمين، ثم {**امرأة وهبت نفسها للنبي خالصةً لك دون المؤمنين**}. القائد الناجح هو الذي يقود بالمثل، ولأن الأعمال أعلى صوتاً من الكلمات، فالقائد الذي يضرب المثل لمرؤسيه بسلوكه هو القائد الذي يستحق الاحترام. ولهذا السبب نجد شيوخ الإسلام الآن يقولون للعامة: "***اتبعوا أقوال العلماء ولا تتبعوا أفعالهم***"، *لأن أفعالهم مشينة رغم خطبهم الرنانة وفتاواهم الجاهزة*. وحتى أمهات المؤمنين، فإن قصص الضرار بينهن لا تشرف أي امرأة عادية. ومحمد كان يقول للشباب الفقراء أن يستعففوا حتى يغنيهم الله من فضله، ولكن الله طوال الألف وأربعمائة عام الماضية لم يغن شباب المسلمين الذين ما زال أكثر من نصفهم لا يستطيع الزواج بسبب الفقر. **إنها فعلاً أمةٌ ضحكت من جهلها الأمم.**

- السيد Brader صاحب التعليق 8، يقول:

> "أعتقد ان سبب زواج محمد المتكرر كان بالاضافه الى تعويض الحرمان الجنسي نظرا لزواجه بامراه تكبره بخمسه عشر عاما 'هو محاوله الانجاب'فيبدوا ان محمدا كان عاقرا لانجب ومن هناجاء لقبه الابتر. تشير المصادر ان بنات خديجه عدا فاطمه هن لزوج اختها هاله التي ماتت وتركتهم عند في رعايه خديجه. لماذا لم ينجب محمد اطفالا من اي من نسائه؟ هل ابراهيم من صلب محمد'الرجلالشيخ؟وهل وجد ابراهيم فعلا؟ لماذا يزوج الله محمدا من نساء الاخرين منفوقالسماء السابعه ولا يبشره بغلام كما فعل مع ابراهيم وزكريا ومريم؟ من هم ال محمد واهل بيته؟ لماذا يطلب محمد من ربه استبدال القبله ولا يطلب منه غلاما؟ عشرات الايات الخاصه بالحياه الجنسيه لمحمد وتنظيم غرف نومه'وعدم وجود ايه واحده عن نسله؟؟؟؟" انتهى.

أسئلة وجيهة جداً. لماذا بشر الله إبراهيم وسارة العجوزين بإسحق، وبشر زكريا وزوجته العجوز بغلام زكي، ولم يبشر محمد بشيء. ومن المؤكد أن الأطفال الذين نسبوا لمحمد كانوا أطفال خديجة من زواجها السابق أو كما تكرم السيد المعلق بأنهن بنات أختها. وإبراهيم لم يكن ابن محمد بدليل أن عائشة قالت له **"لا أرى به شبها بك."**

- السيد مسلم مسالم صاحب التعليق 11، يقول:

> (انني من عوام الناس و ثقافتي ثقافة فنية - كومبيوتر - و في أمس الحاجة إلى من يرشدني يا دكتور و يا سادتنا و سيداتنا الأفاضل في الأمور التالية : -ملك اليمين -الزنى أو الزنا أو الزناء -الربا أو الرباء أو الربى) انتهى.

سبي النساء في الحروب كان معروفاً لكل المجتمعات البدائية في أفريقيا وفي أوروبا وآسيا فيما بعد. ومارسته كذلك الحضارة اليونانية ثم الرومانية، **وكان أسر النساء نوعاً من الجائزة التي يقدمها قائد الجيش المنتصر لجنوده البواسل**. وجاءت الديانة اليهودية وجعلت أسر البنات اللاتي لم يعرفن الرجال هدية إلهية للجنود الذين يحاربون لإعلاء إسم الإله يهوه. ومع أن تعاليم المسيح لم تذكر الحرب كوسيلة لنشر المسيحية إلا أن **رجال الكنيسة** *أباحوا سبي النساء في الحروب الصليبية التي خاضتها الكنيسة في القرنين العاشر والحادي عشر*.

أما الإسلام فقد فاق جميع الديانات الأخرى **بأن جعل أسر النساء واجباً إلهياً على الذين يقاتلون في سبيل الله**، بما فيهم الرسول نفسه. وجاء وعاظ السلاطين من بعدهم وأنشاؤوا فرعاً كاملاً في الفقه الإسلامي يختص بالإماء والعبيد، وزواجهم وبيعهم وقيمتهم المادية، وجواز نكاح الإماء دون رغبتهن. وإذا كان رب الدار بالدف ضارباً، فشيمة أهل البيت كلهم الرقصُ. وسمى المسلمون إمتلاك نساء الغير ب "**مُلك اليمين**".

أما **الزنى** فهو مصطلح إسلامي بحت وهو **مصطلح هلامي كالدين الذي أفرخه**. فالرجل الذي يمارس الجنس مع امرأة أو طفلة ليست زوجته أو ملك يمينه، يكون قد زنى، *ولكن إذا طلب منها أن تهب نفسها له، كما فعل محمد، فهذا لا يُعتبر زنا*. وعند الشيعة الآن إذا قالت المرأة للرجل "***زوجتك نفسي***" وهم في غرفة في فندق مثلاً، وجامعها ثم سافر كلٌ في طريقه، فهذا لا يُعتبر زنا، وإنما **زواج متعة**. ونفس الشيء ينطبق على **زواج المسيار**، و**زواج الفرند** *الذي أباحه مجمع فقهاء السنة في مكة قبل عامين أو ثلاثة*. والرجم في حالات الزنا دائماً وأبدا يكون على المرأة ولا أحد يجهد نفسه في محاكمة الرجل الذي زنى بها، فالرجل المسلم فوق قانون الزنا

الإسلامي، ونرى هذا السلوك في مملكة آل سعود بكثرة، وآخر مثال له هو فتاة جدة التي اغتصبها أربعة رجال وحملت من أحدهم، لم يهتم أحد بمحاكمة الرجال، ولكن البنت حكموا عليها بالسجن سنة والجلد مائة سوط بعد أن تضع مولودها.
أما **الربا** فهو كذلك مصطلح إسلامي أتى به محمد لتحريم الربح على المقايضات التجارية، لأنه كان في شبابه يستلف كثيراً من اليهود الذين كانوا يطالبونه بربح معين على ما استلفه منهم، وعندما أصبح **الحاكم بأمره** في الجزيرة منع الربا، مع أن أكبر مرابي كان عمه العباس وكذلك سيف الله المسلول خالد بن الوليد بن المغيرة. وطبعاً لا يمكن لأي معاملات تجارية أن تتم بدون فرض ربح معين على الاستلاف من البنوك أو من الأشخاص.

- مواطن عادي، صاحب التعليق 14، يقول:

> "تحية للمفكر و الكاتب كمال النجار. هذا الموضوع الذي ناقشته اليوم كان من الأسباب لتركي الإسلام حديثا.وكنت أتسائل دائما كيف يمكن تزويج الفتاة الناقصة العقل و الدين في سن التاسعة بينما لا يستطيع الولد فعل ذلك رغم أن الرجال قوامون على النساء " انتهى.

✍ السبب في اختلاف زواج البنت من زواج الصبي **سبب عملي أكثر منه ثيولوجي**، فالبنت لا تحتاج لأن ينتصب عضوها التناسلي لتمارس الجنس، فالرجل المسلم يمكنه أن يفرض نفسه عليها ويقتحم خصوصيتها بقضيبه المنتصب، أما الصبي في سن التاسعة فلا يعرف الانتصاب وبالتالي لا يمكنه ممارسة الجنس (إلا من رحم ربي).

والآية (الرجال قوامون على النساء) **ربما كان تفسيرها جنسياً أكثر منه دينياً**. فالرجل العربي **الجلف**، الذي أصبح فيما بعد **"الرجل المسلم"** لا يعرف كيف يداعب زوجته ويهيأها للجنس، ولا يهمه إن كانت تستمتع بالجنس أم لا. كل ما يهمه هو أن يقذف هو ماءه. وهو دائماً يفعل ذلك وهو من فوق المرأة، ولا يقبل، على ما أعتقد، بأن تكون المرأة فوقه أثناء الممارسة، وهو دائماً يطأها، ولذلك قالوا الرجال قوامون على النساء، أي قائمون من فوقهن. **إنه دين الصحراء.**

- السيد العقل زينة، صاحب التعليق 16،

✍ له مني الاعتذار لأني اعتقدت أنه أنثى، والاعتذار ليس لأن الأنثى أقل من الذكر، ولكن لأني أخطأت "الجندر Gender"، ولا أقول كما قالت امرأة زكريا عندما وهبت ما تحمله في بطنها لله، ووضعتها بنتاً وقالت (وليس الذكر كالأنثى)، والأنثى طبعاً أفضل من الذكر، فهي واهبة الحياة.

- يقول السيد العقل زينة:

> (كان صلعم يخضع بمكة إلي سادته ولذا السور والآيات بكتابه المحفوظ كانت تقوم علي أسس ومبادئ سادته من زوجة واحدة ودعوة بالتي هي أحسن وهكذا....أما عندما ماتت الست خديجة ولي نعمته هي وإبن عمها فقد تحرر من قيود السادة وكان قد تعرف علي لعبة الكهنوت وسلطانه و أصبح دون مرشد وساعدته طبيعة مجتمعه البدوي الغارق في خرافاته واصنامه وساديات تجاه الآخر ..تملكت عليه ساديته ولم يضع أي إعتبار للقيم والأخلاق التي أملاها عليه سادته بمكة وتحول إلي ديكتاتور مجرد من كل القيم والعرف والتقاليد فقط ساديته هي التي تحركه .. جنس سلطة.. ثروة.. أتباع يحتمي بهم ويبرمجهم بحسب ما تمليه عليه ساديته ومثال : قام بقتل قبيلة بني قريضة برغم معاهداته معهم ليس فقط بل نكح صفية ليلة مقتل عوائلها دون إنقضاء عدتها؟؟ بالله عليكم هل تغير الإله المكي من إله مسالم وديع إلي وحش كاسر مريع لمجرد أن مجموعة من الخلق لم تستسغ كلمات رجل سادي؟؟هل يعقل أن يصدق عاقل أن مدير إدارة الكون يتأثر بحفنة من المارقة؟اي مدير باي مصلحة لا يمكن أن يعالج بعض الخلافات ما بين عمال وموظفي مصلحته بفرض القتال ضد الفرقة المارقة ؟مدير وليس إله) انتهى

✍ وأعتقد أن تحليل السيد العقل زينة قد أصاب كبد الحقيقة، وله الشكر.

- السيد مصلح العمار صاحب التعليق 17، يقول:

> "الحقيقه بعد ان غرست السيدة خديجه فكرة ومخطط النبوه في عقل محمد لتأسيس دين ودوله لحماية قوافلها ، صدق محمد قولها وأسلم وجهه لها مطيعا خاشعا لها من أجل قوة المال التي كانت تملكه وقوة نفوذها ونفوذ ابن عمها المرشد الروحي لمحمد القس ورقه بن نوفل ، فهذه الطاعه كانت بلا حدود وأرتاح محمد وتحمس لهذه المهمه كجندي مطيع لسيده الأمر ، لم يكن محمد يفكر سوى ليومه ولعصره ولم يحسب بأنه سيأتي يوم وستنكشف حقيقته ، لذلك استمر بالكذب وقمع المعارضين بأسم الهه الذي صنعه بنفسه" انتهى.

✍ وما زال هذا القمع الصلعمي يطغى على حياتنا في البلاد الإسلامية من بنغلاديش، إلى باكستان، إلى المغرب، مروراً بالسودان والسعودية وإيران. **وسوف يظل هذا القمع ما دام الهلال أو النجم يرفرف على أعلام تلك الدول ليذكر الناس أن الإله "المقة" سوف يكبر ويصبح قمراً كاملاً بفضل البترودولارات الوهابية، ويومها سوف يصبح القمر إلهاً كما كان قبل الإسلام.**

- السيد وسام هاشم، صاحب التعليق 20، يقول:

> "شكل نزع القداسة عن النصوص الدينية مهمة جليلة تتيح إمكانية جادة وفعلية للتفكّر البشري في ما جاءت به الكتب الدينية وما يحاذيها من فقه الحافة وتأويلات وتفاسير أصبحت مع الأيام من ذات الطبيعة التقديسية في نظر الناس العاديين الذين انطلت وتنطلي عليهم خدع الأديان وقداساتها الملوثة بلوثات الغايات والأهداف البشرية والنوازع الإنسانية التي لا تتخارج عن كونها نوازع تملّك سلطوية، هذا ما كان مع محمد ومن قبله أو من بعده، وهذا ما يكون اليوم مع كل أولئك الذين يستخدمون الأديان ويستوظفونها لمصالحهم ولغاياتهم وأهدافهم الدنيوية والسلطوية الخاصة. هذا المقال إحدى المحاولات الجادة للكشف عن حقيقة النص الديني الذي مهما بولغ في تقديسه أو محاولة تأويله وتفسيره، فسيبقى التأويل والتفسير العقلاني غير الخاضع للمسبقات الأسطورية والخرافية هو الأقرب إلى الحقيقة النقدية التي من أهدافها العظيمة؛ تلك الكشوفات البشرية في التنقيب عن طبقات النص الأكثر قربا واقترابا من الحقيقة التي طمرتها النصوص الدينية تحت وابل من القصف الخرافي والأسطوري الممنهج وغير الممنهج لقوى التديّن السلطوي وحراس التقليد والتبجيل والإتباع اللاعقلاني." انتهى.

✍ وأنا أتفق مع السيد وسام في أن إزاحة ستار القدسية عن النصوص الدينية هو مفتاح النجاح في دحر قوى الظلام التي سيطرت وتسيطر على عقولنا في القرن الحادي والعشرين. وهذا القول هو عكس ما يقول به السيد عمار أحمد الياسري الذي ينادي بنقد فلسفي للأديان دون التعرض للشخصيات النافذة والرموز الدينية. والفلسفة، كما يعرف الجميع، ينحصر عدد المتناولين لها في فئة صغيرة تُعنى بتنظير ما وراء الطبيعة، ولكن نحن هنا نعاني من مشكلات حقيقية تتطلب حلولاً تمس الجماهير العريضة، ولذا لا بد أن نخاطب السواد الأعظم من المسلمين في محاولة جادة لإزالة الغشاوة عن عيونهم. وكي نفعل ذلك لابد لنا من نقد الرموز المقدسة لأنه لا قدسية للأبقار فوق الخراف. وإن كان المسيح قد جاء ليقود خراف إسرائيل الضائعة، فنحن ننوي أن نقود خراف الأعراب المضيعة. *ومن الناحية العملية لا يمكن لنا أن ننتقد الدين نقداً جاداً إلا إذا أزلنا عنه القدسية*. ونجد الآن في الدول الغربية المسيحية نوعاً خاصاً من نقد الأديان يُسمى satire[†] يتهكم فيه الممثلون على الشخصيات الدينية من قساوسة ورهبان، إلى المسيح نفسه والبابا وتمثيلهم في هيئة مثليين أو شخصيات بلهاء، ولا يثور الناس على ذلك ويقولون يجب أن نبعد الرموز المقدسة عن التهكم.

[†] الهجو أو الهجائية.

- مالك، صاحب التعليق 21، يقول:

> "منذ طفولتي وحتى في شده ايام تديني لم استسغ هذه الايه وكنت كلما مررت بها اسرع في قراءتها ولا اريد التفكير والتعمق بها لاني كنت احس ان هناك سر سينسف جميع ما كنت اعتقد به وتبين انني كنت علي حق فيما بعد ما معنى قضى منها وطرا هل اله السماء عجز عن التحدث عن العلاقه الزوجيه بصوره اكثر احتراما لمشاعر الزوجه علي الاقل اين هي المشاعر والاحاسيس والحب بين الزوجين في هذه الايه ثم هل ان زواج الرجل من طليقه ابنه بالتبني يهذه الاهميه لينزل بها قران صريح وبالاسماء الصريح كاسم زيد بينما يغفل القران عن موضوع الخلافه بعد النبي ولم يذكر من هو الخليفه بالاسم ليجنب المسلمين فتنه ادت الي حروب وصراعات وقتل طالت حتي احفاد النبي ولازال القتل مستمر الي يومنا هذا" انتهى.

- الإسلام عامةً، والقرآن بصفة خاصة، لا يتحدث عن الزهور والهدايا والحب بين الرجل وزوجته، أو بين الرجل وأطفاله، وإنما يعامل المرأة كمرضعة لأطفال الرجل يعطيها أجرها إن طلب منها إرضاع طفله يوم يطلقها. والأطفال عبارة عن فتنة للمسلم {**إنما أموالكم وأولادكم فتنة لكم**}. العواطف الإنسانية غائبة عن القرآن، ولذلك تجد شيوخهم متجهمين، لا يعرفون الابتسام وكلماتهم تتساقط **كبعر الحمير** في كل مكان فيه احتفال واجتماع نساء مع رجال. الجنس بدون عواطف هو الذي يسيطر على عقولهم كما سيطر على مؤلف القرآن الذي يقول: {**نساؤكم حرث لكم**} والحديث الذي ورد في خطبة حجة الوداع عندما قال محمد: [**أوصيكم بالنساء فإنهن عوان عندكم، استحللتم فروجهن بشرع الله**] ولم يقل احتللتم قلوبهن بحبكم.

الحب كائن مفقود في الثقافة الإسلامية، ولذلك يحاربه شيوخ الوهابية في عيد الحب العالمي.

- محتار، صاحب التعليق 22، يسأل:

كيف استطاع محمد تغيير التاريخ لهذا الحد؟

- وفي الحقيقة محمد غير التاريخ **لأنه جاء في أمة أمية في القرن السابع، وما زال نصفها أمي في القرن الحادي والعشرين**. الشخص الأمي **شخص سماع فقط ولا يملك الوسائل التي يستطيع بها التأكد مما سمع**. ولما كانت الأمة **أمة صوتيه تعتمد على السماع والترديد**، استطاع محمد أن يغسل عقول مَن حوله بقصص خرافية عن طلوعه إلى السماء وملاقاة ربه وبقية الأنبياء. وجاء بعده مَن زرع في العقول الغارقة **آلاف الأحاديث** التي زعموا أن محمداً قالها، *فزادت الأمة جهلاً ودجلاً وعبدت محمد وأصبح كل فرد يقول عن محمد (بأبي أنت وأمي) يارسول الله*. شخص مستعد أن يضحي بأبيه وأمه، من أجل شخص لا يعرف عنه إلا ما سمعه من أحاديث، شخص قابل لأن يصبح **قنبلة موقوتة ويضحي بنفسه**، كما ضحى بأبيه وأمه، من أجل دخول جنة المصطفى. وبظهور القنابل الانتحارية بدأت البشرية فصلاً جديداً في تاريخ الأديان.

لماذا الإصرار من شيوخ الدين على تركيز المفاهيم الخاطئة للدين؟

- رجال الدين، منذ أقدم العصور، تعلموا كيف يسيطرون على الملك بإسم الآلهة، وبالتالي يسيطرون على مقاليد الدولة. في الإمبراطورية الإغريقية كان الكهنة هم أصحاب السلطة الحقيقية وكان باستطاعتهم تغيير الإمبراطور إذا لم يتفق مع مشاريعهم. وحدث نفس الشيء في الامبراطورية الرومانية. وفي مصر الفراعنة تسبب الكهنة في موت أخناتون الذي دعا للوحدانية وأجلسوا مكانه الفرعون الذي أعاد عبادة الإله آمون. **وفي دول الخلافة الإسلامية أصبح رجال الدين وعاظ سلاطين**، يعظون السلطان بما يوافق هواه حتى يسهل لهم اقتناء المال والجاه وبالتالي استطاعوا أن يجعلوا من السلطان معتزلياً أو أشعرياً، يقتل مَن يقول بأن القرآن غير مخلوق، والآخر يقتل مَن يقول إن القرآن مخلوق. ورجال الكهنوت في مملكة آل سعود يتمتعون بسلطة واسعة وثراء فاحش لأن الشعب مغيب بالمفاهيم الخاطئة للدين.

ما هي التفاسير الجديدة لعلماء التفسير العلمي للقرآن؟

- وما هذا إلا **دجل جديد** من رجال الدين ليقتنوا المال والجاه. ولما استطاعوا أن يفعلوا ذلك **لولا جهل الأمة التي يفسرون لها**. فلو جاء أحدهم وفسر القرآن تفسيراً علمياً في موقع الحوار المتمدن لضحك عليه القراء، ولكن في مصر يصفقون لهم، والمصريون كان عندهم نكتة عن أنور السادات تقول "العلمُ نور، ولكن الجهل أنور".

- أقدم شكري الزائد للسيدة آمال، صاحبة التعليق 23، والشكر كذلك للسيدة إقبال حسين، صاحبة التعليق 23، تلك المرأة الحرة التي تعيش في بلاد الحرية مع الرئيس المخدوع أوباما الذي يحاول جاهداً التقرب من جماعة الإخوان المسلمين، *ولا يعرف أنه يلعب مع الثعابين*. وأشكرها كذلك على تعقيبها على السيد عمار الياسري. ويسعدني أن تكون السيدتان من القراء الذين يعلقون على المقالات.

- السيدة آشورية، صاحبة التعليق 26، تقول:

"أي روحانية يجدونها من خلال قرأة هكذا أيات سفيه ومخزية لأ تتكلم الأ عن شخص مريض نفسي معقد لأ يترأى أمام عينيه غير الفرج والنكاح والنساء ، ويتفاخر المسلمين بأسمه وبمغامراته اللأخلأقية ، وأي علأقة أو صلة ستربطهم بألههم أثناء ترديدهم لهكذا أيات بذيئة لأ يتقبلها العقل والعاقل . وأي أله هذا لأ يطيب له الأ سماع كلمات جنسية شهوانية" انتهى.

- محمد عرف كيف يسيطر على عقلية الرجل العربي الأمي بتعدد الزوجات وإباحة ملك اليمين، ثم توزيع الأنفال عليهم بعد أن ينهبوها من القبائل المسالمة التي لم تحاربهم. **فما دام الرجل البدوي الذي ما كان يملك شروى نقير أصبح من أصحاب الأموال، ويملك الجواري مع أربع زوجات، ويملك الخيول والجمال، ألا نتوقع منه أن يقدس صاحب نعمته محمد الذي وفر له كل هذه الأشياء؟ وبما أن أمة إقرأ لا تقرأ وتكتفي بسماع القصص فقط، فسوف يظل محمد مقدساً لهم ويصلون عليه كلما ذكروا اسمه، ويغضون الطرف عن شهوانيته وسلوكه الشخصي.**

- السيد عبد القادر أنيس، صاحب التعليق 28، يسأل:

"لماذا أفلست المصانع؟ لماذا أفلست الجامعات؟ لماذا لا يبدع مهندسونا وتقنيونا؟ لماذا عجزنا عن بناء مجتمعات قابلة للحياة؟ إنه الدين عندما تكون لرجاله الجهلة الكلمة العليا في حياة الناس وعندما تصادر الحريات لصالح العبودية وعندما يتحكم الأموات في الأحياء وعندما يقول فقهاؤنا أنه لا يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ويصدقهم الناس ويؤمنون أن القرآن منبع كل العلوم وأن مثالهم الأعلى هو الماضي. نقد الدين كما يفعل الدكتور النجار ضرورة حضارية لنزع القداسة عنه وتجاوزه. يجب أن نتحرر من قيود محمد وعقده الجنسية، ولن نتمكن من ذلك ما دامت ناشئتنا تتعرض للخصي المتكرر من المهد إلى اللحد" انتهى.

- وقد أجاب السيد عبد القادر على تساؤلاته، وأنا اتفق معه مائة بالمائة، وأضيف أن المصانع تفلس لأن أمة إقرأ أصبحت متمسكة بالقشور والتدين المظهري الذي بسببه يوقفون المصانع والمتاجر لأداء الصلاة مرتين أو ثلاثة باليوم، ويعطلونها بالكامل في رمضان.

- السيد أبو سامر صاحب التعليق 29، يقول:

"تعدد الزوجات والتسري بالجواري شريعة يهودية عرفها المجتمع العربي قبل الأسلام وبعده ولم يعتمدها القرآن الا من باب احتواء الواقع الذي فرضته ظروف الأقتصاد والثقافة في عالم القرن السابع الميلادي . وأذا كان تعدد الزوجات يبدو الآن مقتصرا على المسلمين وحدهم ، فذلك أمر مرده الى أن اليهود ابطلوا العمل بهذه الشريعة منذ القرن العاشر للميلاد بسبب اضطرارهم للعيش في مجتمعات مسيحية تحرم الزواج بأكثر من أمرأة واحدة فيما توجهت اسرائيل الحديثة الى تبني قانون مدني يعتبر تعدد الزوجات جريمة عقوبتها الحبس والغرامة.أن الفقة والفقهاء هم الذين يشوهون الأسلام وسمعته ويربطونه بنظمهم البدائية" انتهى.

- في الحقيقة تعدد الزوجات في الجاهلية وبدون حد أعلى قصة ملفقة كتبها المسلمون للدفاع عن الزوجات الأربع. القرآن قال الجاهليون كانوا يقتلون بناتهم، من أين لهم هذه الأعداد الهائلة من النساء التي تسمح لهم ان يتزوجوا ثمانية أو عشرة زوجات. ثم كيف تفرض ظروف الاقتصاد تعدد الزوجات، الاقتصاد كان متدهوراً في مكة في تلك الأيام، وبالكاد كان الرجل يطعم نفسه وأولاده حتى أن القرآن قال لهم: {**لا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم**}. ونحن نعلم أن أغنى الأغنياء قبل الإسلام لم يكن لهم أكثر

من زوجة واحدة. فأبو سفيان وعثمان بن عفان وأبو بكر وعمر والوليد بن المغيرة، كلهم كانوا أغنياء ولم يتزوجوا أكثر من واحدة إلا بعد أن اسلموا. وكل أصحاب محمد الذين هاجروا إلى الحبشة لم يكن لأي منهم أكثر من زوجة واحدة.

وحتى لو افترضنا أنه الظروف الاقتصادية أدت إلى تعدد الزوجات في الجاهلية، ألم يأتِ الدين الجديد ليغير المجتمع، فلماذا حرّم الربا الذي كان شريان التجارة والاقتصاد وسمح بتعدد الزوجات؟

- السيدة مرثا، صاحبة التعليق 36، تسأل:

أيهما أرحم للناس، تبني طفل يتيم أم زواج محمد من زينب؟

✍ وفي الحقيقة فإن زواج زينب قد أساء إلى الإسلام في أكثر من جهة، وكونه حرّم التبني فقد كب الملح على جروح البشرية التي سببتها الأديان، خاصة الدين الإسلامي. وحتى بعد أن تزوج زينب كان بإمكانه أن يبيح التبني وإذا طلق الابن زوجته فليتزوجها أبوه بالتبني إذا كان بعده متصابياً ويريد زوجة إضافية ليزيدها إلى حريمه.

- السيد رعد الحافظ، صاحب التعليق 37،
  - يقول:

"عن أبي هريرة قال: شكى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبريل قلة الجماع. فتبسم جبريل حتى تلألأ مجلس رسول الله، من بريق ثنايا† جبريل. ثم قال: أينَ أنتَ عن أكل الهريسة؟ فإن فيها قوة أربعين رجلا ؟" انتهى.

✍ وهذا حديث صحيح متفق عليه، ولكن الذين أكلوا الهريسة بعده لم يصل عداد النكاح عندهم إلى أربعين، وإنما اقتصر على واحد أو اثنين، في حالات بسيطة.

- ويسأل السيد رعد:

"ثم ما معنى هذا الرقم المبالغ بِهِ ليقوم به بشر ؟ ألم يتحول الأمر الى عقوبة ؟" انتهى.

✍ وهذه لا شك مبالغة زائدة عن حدود المبالغات. لو جامع الرجل في ليلة واحدة أكثر من خمس مرات فلن يستطيع أن يقذف أي مني لأن الحويصلات التي يتخزن بها المني خلف البروستاتة تكون قد أفرغت من المخزون، وإذا استمر الرجل في الجماع فغالباً يقذف دماً بدل مني. أما إذا وصل إلى ثلاثين مرة فلا شك أن الكفن يكون في انتظاره.

✍ أشكر السيدة ناهد صاحبة التعليق 38، والسيد Kader صاحب التعليق 39 على الإطراء.

- السيد عامر طاوسي، صاحب التعليق 40، يقول:

"مقالك لا علاقة له بالروح العلمية†† التي يمكن ان تجعل من بحثك في ظل غيابها بحثا هداما ومغرضا الهدف منه الاساءة الى اعظم الخلق محمد صلى الله عليه وسلم. ولكن هيهات ان يفلح صبي مثلك فيما عجز عنه من هم اعظم منك خبثا وحنكة في قلب التاريخ. إقرا الى زيغريد هونكه وفايشر والمستشرقين المنصفين. لتعلم عظمة محمد وتعففه وتعاليه الى النزوات" انتهى.

✍ وأنا إذا كنت صبياً فلن أعلق على السيد عامر طاوسي بأكثر من تعليق العقاد على إحسان عبد القدوس حينما قال له: **"يا إبني، وقد تكون إبني"** وهذا يؤكد للسيد الطاوسي أني لست صبياً. وسوف أترك بقية التعليق للقراء الكرام.

- السيدة بثينة، صاحبة التعليق 46، تقول:

"ولنتذكر أن الوحيد الذي ذَكره القرآن بالاسم جهرة هو **زيد ابن حارثه** لسبب فريد (هو) أن هناك طرف **ساومه على ترك زوجته له لمضاجعتها**. وبقي الرجل حيا يشهد ما ساوم عليه رسوله الكريم، فكان لا بد من إعادة الاعتبار له أمام الجماعة فهو من الصحابة، وليس أعظمهم شرفا ولا نسبا ولا سبقا الى الاسلام. كان الثمن رخيصا جدا فلم يدفع المستفيد شيئا سوى تخليص المرأة من زوجها بكلمات الوحي. "

"لكن *الديوس* زيد ابن حارثة دخل التاريخ فأصبح المسلمون يرددون اسمه كلما قرأوا سورة الاحزاب".

✍ وهذا، لعمري، أجمل تلخيص لذِكر زيد في القرآن وعدم ذكر عمر بن الخطاب الذي كان محمد يدعو ربه أن يُعِزَّ الإسلام بأحد العمرين، ثم أن هناك خمس آيات قالها عمر ووافقه عليها رب السماء وأنزلها قرآنا. فكيف لا يذكر رب السماء عمر، بينما يذكر زيد بن حارثة الذي لم يفعل أكثر من أن تنازل لمحمد عن زوجته زينب.

- السيدة قارئة الحوار، صاحبة التعليق 48، تقول:

"لشد ما يؤلمني موقف السيد محمد من السيدة سودة بنت زمعة، قرأت جيدا عن نساء النبي لكني لم أقف من كل السير إلا عند سودة المسكينة التي سُوّدتْ أيامها حتى اضطرت للتنازل عن يومها للسيدة عائشة بعد كل تلك الخدمة. يقولون أن الاسلام كرّم المرأة، وأنا أراه قد بخس المرأة حقها وأهانها واختصرها للنصف في كل معاملاته لذا أختصر قراءتي للآية التالية كالآتي: - إن المسلمين والآت والمؤمنين والآت والقانتين والآت والصادقين والآت والصابرين والآت والخاشعين والآت... والإين) فروجهم (والحافظات) أعدّ الله لهم مغفرة وأجرا عظيما." انتهى.

✍ محمد لم يختصر المرأة إلى نصف الرجل فقط، *وإنما اختصرها إلى النصف الأسفل من جسمها، فجعل كل تشريعاته تخص نصفها **الأسفل فقط***. وأضاع الفقهاء مثل أحمد بن حنبل سنوات من أعمارهم في التشريع للحيض وأنواع الدم النازل من المهبل، وقضى بعضهم سنوات يتجادلون فيما إذا كان الغسل واجباً على المرأة إذا جلست القرفصاء لتبول ودخل جزء من البول في الفرج.

ولذلك قال الخميني عن فقهاء السنة "فقهاء الحيض والمرحاض".

✍ أقدم شكري للسيدة ليلى إبراهيم، صاحبة التعليق 49، وللسيد توماس جولدستون صاحب التعليق 50، على الإطراء.

- من اليمن، صاحب التعليق 52، يقول:

"لو علم الله تعالى ماعلمه البرت انشتاين ماكان اقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق لتركبن طبقا عن طبق. لو علم الله تعالى ورسوله صلى عليه وسلم ان كامل النجار سيخلق في القرن العشرين وسيطول به العمر الى عصر الانترنت ماكان ارسل محمد الى العرب والعجم ولا زوجه ولا تدخل في شؤنه" انتهى.

✍ حتى بدون علم ألبرت أينشتاين ما كان هناك أي سبب لرب السماء أن يقسم لنا، ولكنه محمداً متقمصاً شخصية رب السماء، ولذلك أقسم بالشفق الذي لا يمكن أن يراه رب السماء وهو جالس على عرشه في السماء السابعة، والأرض بالنسبة له كرأس دبوس وسط المجرات العظيمة في الكون. والشفق يحدث عندما تغيب الشمس في منطقة معينة من الأرض لتشرق في أخرى بسبب دوران الأرض حول نفسها، وإله السماء فوق عرشه سوف يرى الشمس والأرض تحته ويرى جميع جوانب الأرض ولكنه لا يرى الشفق لأنه انعكاس ضوء الشمس بعد أن تغيب عن جهة معينة من الأرض.

† أفهم من هذا الحديث أن جبريل كان شكله بشريا بدليل أن له ثنايا (أسنان) ويبتسم!!

†† غريب وعجيب أمر هؤلاء المتأسلمين يا دكتور، فكلما تعكر مزاج أحدهم مِن كلماتك يتهمك بانعدام "الروح العلمية" أو "المنهج العلمي"! أو "الجهل بالإسلام"، أو... أو...
ولكأن هؤلاء قد علّمهم إسلامهم المنهجية العلمية أو الروح العلمية؟
وأنا أستطيع أن أجزم من خلال تقميشاتي (هذا المصطلح يستعمله د. علي زيعور [صاحب الدراسات الشهيرة تحت عنوان: ‹التحليل النفسي للذات العربية: أنماطها السلوكية والأسطورية›] بمعنى **جمع مِن هنا وهناك** Pick up.)
أن غالبية المتعلمين، بمَن فيهم حاملي الشهادات العليا، في بلاد الإسلام العربي (كي لا أعمم) لا يعرفون معنى "المنهج العلمي". وأصلاً لو بحثنا كيف يمكن للمرء أن يتعرف على مفهوم هذا المصطلح، فالمفروض أنه يُكتسب من خلال دراسة الفلسفة في المقام الأول ومن ثم تأتي الدراسات المتقدمة في الجامعات لترسخه نظرياً وتطبيقياً. فإذا علمنا أن تدريس الفلسفة محرم في عدد من دول العربان، ولا يكاد يحظى باهتمام يُذكر في البلدان التي تسمح بتدريسها (مثلاً عندنا في سوريا تُدرس الفلسفة بكتيب وحيد هزيل في السنة الحادية عشر وغالبية الطلبة ينجحون بهذا المقرر بالآلية الببغائية المعروفة). وحتى في البيئات الأسرية المتعلمة (التي تشجع أولادها على القراءة) لا نجد لدى الأهل اهتماما بزرع هذا المفهوم وتشجيعه. فإذا انتقلنا إلى المحيط الاجتماعي العام يبدو مصطلح "المنهج العلمي" وكأنه ينتمي إلى كوكب آخر!!
فإذا تقدم الطالب بدراسته ووصل إلى الاسطبلات العربية (معذرة أقصد ما يسمى الجامعات العربية) فلن تزيد لديه آليات التعليم الجامعي أي شئ في مجال فهم مناهج العلم واكتساب الروح العلمية. فكلنا يعلم أن الحصول على شهادة جامعية في الاسطبلات العربية أسهل مِن الحصول على شهادة حفظ القرآن في الكتاتيب!
فإذا كان هذا حال المتعلمين أصحاب التدين الوراثي العادي، فماذا عن المهووسين والمخدرين دينياً بشأن "الروح العلمية"!
يبدو لي أن صاحب التعليق هنا يفهم "الروح العلمية"، مِن خلال مَن استشهد بهم من *المستشرقين المنصفين*، هي تلك الروح التي توافق هواه الإيماني الأعمى!

كان العقل والقلم في عونك يا دكتور كامل، كم عليك أن تتحمل مِن اتهامات الجهل بأنواعه!

دكتور كامل:
شكراً لك على هذا التعقيب وأنا لا أهتم كثيراً لهؤلاء الذين يتهمونني بانعدام المنهج العلمي، فهم ببغاوات يرددون ما يسمعون دون فهم.

- أشكر السيد صالح الصويلح صاحب التعليق 54، على الاطراء وأوافقه في النقاط التي أثارها.
- ذو الهمة، صاحب التعليق 55، يقول:

> "لأرى ورغم متابعتي الكثيرة لما ينشر من كتاباتك إلا سطحيه في التحليل إن دلت على شيء فإنما تدل على رأي لا يحكمه منطق، ولا يسوغه شيء سوى التباكي على هؤلاء ((الجهلاء)). !! الذين تشفق انت وزمرتك المطبلة لك عليهم من بحر الظلمات الذي يسبحون فيه، فوظفت وقتك الثمين في تحليل محمد وحياة محمد وزوجات محمد والقوة الجنسية لمحمد بعد ان استنفذت غالب ما في جعبتك من مخزون اسود تجاه هذا الرجل ، دون ان تحاول ولو بشكل بسيط ان تمس شغاف قلوبنا او تخاطب عقولنا كما يفعل العديد من كتاب هذا الموقع المحترم، فكفا يا نجار ، انك تشعرنا بالتقزز" انتهى.

- وقد صدق السيد ذو الهمة أني لم أمس شغاف قلبه لأني لا أخاطب القلوب، وإنما أخاطب العقول، ولو كان له عقل فإني حتماً قد خاطبته لكنه لم يسمعني، وما كل العقول يستعملها أصحابها.
- أما السيد غالي المرادني، صاحب التعليق 56،
- فإني أربأ بنفسي عن النزول إلى دركه، وأشكر السيد Alal صاحب التعليق 59 الذي رد على المرادني إنابةً عني.
- أشكر السيد محمد البدري صاحب التعليق 57 على تعليقه، وكذلك أشكر السيد أبو سامر، صاحب التعليق 58 الذي يقول:

> إن الأديان نرثها من آبائنا أما سلوكنا الأخلاقي فيعتمد على الوعي والضمير ولا علاقة له بالأديان.

شكراً له.

- غيور، صاحب التعليق 62، يقول:

> "اتسأل أين التمدن في الهجوم على الأديان (وبشكل خاص) الاسلام ؟ رغم أنكم تدعون أنكم لن تنشروا أي إساءة للأديان، ثم من أين تأتون بهؤلاء الدجالين الذين يَّدعون العلم ليخربوا عقائد الناس ويشجعونه على الرذيلة ؟ أعتقد أن النقاش في أمور الدين والعقيدة ليس هنا مكانه (إذا أردتم حواراً متمدناً) كما تدعون ، أسأل كاتب المقال ، ماذا لو جاء إنسان جاهل ليعلمك أصول وقواعد الطب ؟؟ هل ستصغي لما يقول ؟ ؟؟؟ طبعا لا ، فكيف تريد منا ان نقتنع بآرائك وانت أبعد ما يكون عن العلم الذي تحاول ان تخوض فيه ؟؟؟ طبعا انا أعرف ان هذا التعليق لن ينشر لكن هذا غير مهم ..... فأنا سأفعل كل ما بوسعي لأنبه لخطر مثل هؤلاء المرتزقة المغرضون بكل الوسائل الممكنة .." انتهى.

- وربما لا يعلم السيد غيور أنه في عصر الانترنت ليس هناك جاهل إلا في شرقنا العجيب. المريض الأوروبي أو الأمريكي الآن يقرأ كل شيء عن مرضه في الانترنت وعندما يأتي إلى العيادة يناقش الطبيب وكأنه زميل في المهنة. وأنا قرأت عن الإسلام والأديان الأخرى أكثر مما قرأ بعض شيوخ الإسلام وأعتقد أني مؤهل مثلهم للكتابة عن **دين الصحراء** الذي دمر حياتنا طوال هذه القرون.
- وأشكر السيد الباحث عن الحقيقة، صاحب التعليق 63، على الإطراء.
- ولا يفوتني أن أشكر السيد الكاشف على رده على السيد بسيوني بسيوني.
- وأشكر كذلك كلاً مِن طال، ونولا المصري، وعلي هيثم، وصباح ناظم، وأحمد بسمار، وبطرس بيو، وفاهم إيدام، وعقلاني الكويت، والكاتريوس و Rostom و Hawzeen وأعتذر من كل قاريء علق على الموضوع ولم أذكره بالاسم.

- **وشكراً للقراء الذين صوتوا ولم يعلقوا، وما أكثرهم.**

عودة إلى الفهرس

205، 208، 209، 210 - القرآن وبنو اسرائيل

2010 / 5 / 6

1 مِن 4

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=214295

هنالك حقد أعمى في الإسلام على اليهود والكفار وعلى المرأة عامةً، ولكي نفهم أسباب هذا **الحقد** علينا أن نرجع إلى القرآن ونتفحص آياته وندرس ما يقف خلف تلك الآيات ويؤجج نيران ذلك الحقد الذي ظل يستعر فينا منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام. وقد قرأت أغلب كتب التراث الإسلامي عن أسباب النزول، ووجدت بها **قصصاً خرافية** لا تصلح لمدارس الروضة في الدول العلمانية، *ولكنها تمثل عين الحقيقة للمسلمين، وتُعتبر من* ***"ثوابت"*** *هذه الأمة، وكلها تبريرات واهية لهذا الحقد الأعمى*. ومن المؤكد أنه لا يُخفى على القارئ المطلع أن محمداً قد "استلف" محتوى معظم آيات القرآن من العهد القديم ومن الفُرق المسيحية التي كانت منتشرة في الجزيرة العربية وأرض الشام، مثل "المريمية" و"الأبيونية"، ورغم أن أعداد المسيحيين في الجزيرة كانت تفوق أعداد اليهود أضعافاً مضاعفة، فإن **حجر الأساس** في دعوة محمد كان مبنياً على **كسب اليهود**، ولذلك ذكرهم في أكثر من عشرين سورة وذكر موسى في أكثر من ثلاثين سورة، وأكثر من مائة آية، ولم يذكر المسيحيين إلا نادراً، **كأنما القرآن قد جاء لبني إسرائيل**.

الهدف الأول لمحمد كان إقناع اليهود بدعوته لأن اقتناع اليهود بالدعوة كان سوف يُثبت نبوته نسبةً *للمكانة الرفيعة التي كان اليهود يحتلونها في الحجاز بعلمهم وبسيطرتهم على الصياغة، والزراعة والتمويل، وبكونهم أصحاب أقدم ديانة سماوية*. وقد أظهر محمد **إعجابه باليهود** بتقليدهم في أشياء كثيرة، منها الطريقة التي كان يصفف بها شعر رأسه، وتعيين اثني عشر نقيباً لجيوشه فيما بعد، في إشارة ظاهرة للاثني عشر نقيباً الذين ذكرتهم التوراة، ثم ذكرهم محمد في قرآنه حين قال: {**ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا فيهم اثني عشر نقيباً.** (المائدة 12)}. وقد كان محمد يأمل أن يجتذب اليهود إلى دعوته إذا:

- أظهر لهم علمه عن أنبيائهم،
- وأظهر أولئك الأنبياء في صورة جميلة،
- وصلى نحو قبلتهم في القدس،
- وصام عاشوراء.

وكان في البدء يتودد إليهم بآياته القرآنية ولكن عندما فشل في اجتذابهم بدأ بمهاجمتهم بآيات أخرى قبل أن يهاجمهم عسكرياً ويقضي عليهم فعلياً. وكان موقفه من اليهود **متذبذباً**، يقرظهم في بعض الأيام، ويصب جام غضبه عليهم في أيامٍ أخرى. *وبسبب هذا التذبذب في موقفه من اليهود نجد أن آيات القرآن التي تتحدث عن بني إسرائيل مرتبكة في تسلسلها التاريخي وفي محتواها*. ويمكننا أن نقبل هذا التخبط من البشر ولكن لا يمكن أن نقبله من إله في السماء خلق البشر ثم أصبح يتصرف مثلهم.

- أول سورة تحدث فيها عن بني إسرائيل كانت سورة الأعراف المكية، التي رقم تسلسلها حسب الظهور هو 39، و"نزلت"حوالي سنة تسعة من بدء الرسالة وهو ما زال بمكة، والسبب في تأخير الحديث عن اليهود كان راجعاً إلى أن اليهود كانوا بيثرب ومحمد كان بمكة يحاول كسب تأييد قريش، ولما واجهته قريش بالرفض، ولقي نفس الرفض من قبيلة ثقيف بالطائف عندما التجأ إليهم، بدأ الحديث عن اليهود في محاولة لكسب تأييدهم وربما النزوح إليهم في يثرب.

يقول في أول آية عن اليهود على لسان موسى:

{**حقيق عليّ أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينةٍ من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل.** (الأعراف 105)}.

وهذه الآية من الآيات القلائل التي يظهر فيها تأثير الإنجيل على محمد، فالقاريء للإنجيل يجد آيات عديدة تبدأ ب "والحقيقة أقول لكم" ومحمد هنا قال {**حقيق عليّ أن لا أقول**}، كأنما المتحدث ورقة بن نوفل.

ولأن محمداً لم يكن ملماً إلماماً كاملاً بتاريخ اليهود، نجد اضطراباً في الآيات عندما يردد قصة فرعون وموسى في مصر. وحسب القصة القرآنية فقد امتنع فرعون عن إرسال بني إسرائيل مع موسى، وزاد في تسخيره لهم، فكان رد بني إسرائيل لموسى:

{**قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون.** (الأعراف 120)}.

ونفهم من هذه الآية أن الله ربما يُهلك فرعون عدوهم اللدود ويستخلفهم في أرضه (مصر). وعندما أصر فرعون على رفضه خروج بني إسرائيل، سأل موسى ربه أن ينزل العذاب على المصريين، فأنزل عليهم القمل والجراد والفيضانات، وقال القرآن:

{**ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشف عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل.** (الأعراف 134)}.

ونفهم من هذا أن بني إسرائيل كانوا مستعبدين في مصر ضد رغباتهم وأن فرعون ما كان يسمح لهم بالخروج من مصر إلى أن أرسل الله عليهم العذاب، وحتى بعد العذاب نكث فرعون بوعده وطارد بني إسرائيل حتى البحر. وسنرى بعد قليل أن القرآن يناقض نفسه في هذا الخصوص. ويبدو أن إله القرآن أخذته الشفقة على بني إسرائيل فأغرق فرعون وجنوده وقال:

{**وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارقَ الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحُسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون.** (137)}.

ولا نستطيع أن نحدد من هذه الآية أي أرض قصد الله أن يورثها بني إسرائيل، هل هي أرض مصر أم أرض كنعان في فلسطين؟ يقول المفسرون إن الأرض التي بارك فيها هي أرض فلسطين (أرض كنعان). فبعد أن رثى لحالهم عندما كانوا مستضعفين في مصر، وأورثهم مشارق الأرض ومغاربها في فلسطين، قال:

{**وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون.** (138)}.

هذه الآية منقولة بتحريف من التوراة التي اتهمت بعض قبائل بني إسرائيل بعبادة أصنام القبائل التي كانت بأرض كنعان وقتها، وهذا حدث بعد أن انتهت مدة التيه بالصحراء ودخل بنو إسرائيل الأرض الموعودة. ولكن محمد جعلها في بداية التيه بعد أن عبروا البحر وذهب موسى لميعاد ربه في طور سيناء. ومن المستبعد أن يرتد كل اليهود ويطلبوا من موسى أن يصنع لهم صنماً بعد أن رءوا المعجزات التي فعلها الإله من أجلهم وبعد أن شق لهم البحر وعبروا بأمان وأغرق فرعون وجنوده. ولكن محمد أتى بهذه الآية ليقول إن اليهود قومٌ جاحدون للمعروف، فبعد أن أخرجهم الله من مصر وشق لهم البحر، تنكروا له وطلبوا من نبيهم أن يصنع لهم تمثالاً ليعبدوه.

فمحمد كان يعرف أن المنافس الوحيد له في الجزيرة العربية هم اليهود أصحاب أقدم دين سماوي، ولذلك أراد أن يمهد الأرض لقتالهم فيما بعد إذا لم يتبعوه.

حسب الرواية القرآنية فإن جميع بني إسرائيل طلبوا من السامري أن يصنع لهم عجلاً فصنع لهم عجلاً له خوار، وعبدوه، حتى رجع موسى. والقرآن يقول لنا في نفس سورة الأعراف:

{إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضبٌ من ربهم وذلةٌ في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين. (الأعراف 152)}.

ولكنه قال لنا في الآية 137 من نفس السورة: {لقد تمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل} فكيف يتم كلمته الحسنى عليهم وفي نفس الوقت تكون لهم الذلة في الحياة الدنيا؟ هذا تناقض بسيط إذا ما قُورن بتناقضات القرآن في أمور أخرى كثيرة.
وبعد أن قص على الأعراب واليهود قصة خروج بني إسرائيل من مصر وأظهر أنه يعرف بعض تاريخ اليهود والتوراة، حاول محمد أن يستميل اليهود إلى دعوته فقال في نفس السورة:

{الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويُحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم. (الأعراف 157)}.

وهذا **الادعاء** بوجود اسم محمد مكتوباً في التوراة والإنجيل **كان فرية كبيرة من محمد** إذ لا وجود لمثل هذه النبوة لا في التوراة ولا في الإنجيل. الإنجيل الذي كان مكتوباً بالآرامية ذكر **المخلص** الذي سوف يأتي لبني إسرائيل آخر الزمان، وكلمة المخلص أو **البرقليط**، تعني **"المحمود الخصال"** وترجمها من كان يُدرّس محمد إلى "محمد" أو "أحمد"، وكلاهما خطأ. ولو صدق اليهود واتبعوا هذا النبي الأمي، ما هو المعروف الذي كان سيأمرهم به والقرآن نسخة من التوراة التي أتى بها موسى؟ وماذا كان سيحرّم عليهم لو اتبعوه وموسى كان قد حرّم عليهم الدم ولحم الخنزير والخمر ولحم الجمل ونكاح الأمهات والأخوات والميسر والسحر والربا؟ فليس هناك ما هو حرام في الإسلام وحلال في اليهودية حتى يُحرّمه لهم محمد، كما ليس هناك ما هو حلال في القرآن وحرام في اليهودية **ما عدا لحم الجمل**. ولا نعلم ما هي الأغلال التي كانت على بني إسرائيل بعد أن خرجوا من مصر، وكان محمد سوف يزيلها عنهم لو اتبعوه. **كل الآية عبارة عن ادعاءات جوفاء لا تدعمها أي حقائق.**
ثم زاد محمد من تقريظ اليهود آملاً أن يعترفوا به، فقال في نفس السورة:

{ومن قوم موسى أمةٌ يهدون بالحق وبه يعدلون. (159)}.

فواضح في هذه المرحلة أنه لم يستطع أن يقرر هل هم قوم جاحدون لمعجزات الله وطلبوا أن يصنع لهم موسى صنماً، وبالتالي سوف يجحدون معروف محمد عليهم، أم هم أمة تهدي بالحق وتعدل. وطبعاً كان من صالحه أن يقول إنهم أمة تهدي إلى الحق، حتى إذا آمنوا به يتقوى موقفه بهم. ويبدو أن بعض اليهود الذين زاروا مكة في تلك الحقبة بغرض التجارة قد سمعوا بعض قرآن محمد واستهزءوا به، فأراد محمد أن يقلل من قيمة هؤلاء النفر من اليهود المستهزئين به، فقال في سورة الأعراف:

{فبدّل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون. (162)}.

وهذه **مقدمة** لما كان محمد ينوي أن يفعله ببني إسرائيل إنْ لم يصدقوا أنه الرسول المرتقب. وأظن أن **الإنذار** لليهود ظاهر في هذا الآية: *استهزئوا بقرآن محمد وسوف يصيبكم الرجز كما أصاب السابقين منكم الذين استهزءوا بالتوراة وغيروا فيها؟*
وما زلنا في سورة الأعراف، ويبدو أن محمداً **قد ساوره الشك في اتباع اليهود له،** فقال:

{فلما عتوا عما نُهوا عنه قلنا لهم كونوا قِردةً خاسئين. (الأعراف 166)}.

ويبدو أن محمد، في ساعة غضب، قد أحرق مراكبه التي توصله لليهود، فقال إن الذين عتوا من اليهود مسخهم الله قردة خاسئين. *ولا بد أن هذه الآية كانت القشة التي قصمت ظهر البعير بالنسبة لليهود، فيستحيل عليهم بعد هذا أن يؤمنوا بمحمد*. وزاد محمد من الضغط على اليهود، وهو ما زال بمكة وأغلب اليهود كانوا بيثرب، فقال لهم في نفس السورة:

{وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب. (الأعراف 167)}.

ولا نعلم لماذا بعد أن قال إن فيهم أمة يدعون إلى الخير ويعدلون، يطلب من ربه أن يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة. فلا بد أن أحداً من اليهود الذين كانوا يزورون مكة بغرض التجارة قد رفض التعاون مع محمد أو رفض أن يسلفه بعض المال. ولكن يبدو أن رب السماء لم يستجب لهذا الطلب من محمد لأن بني إسرائيل الآن هم الذين يسومون الآخرين سوء العذاب والقيامة على الأبواب، وقد ظهرت علاماتها، كما يقول شيوخ الإسلام.

- ثم بعد ذلك جاءت سورة طه المكية، وترتيبها في "النزول" 45، فقال إله القرآن لموسى وهارون:

{فأتياه فقولا إنّا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآيةٍ من ربك والسلام على من اتبع الهدى. (47)}.

فبعد أن تحدث في السورة السابقة عن شق البحر لهم وإخراجهم من مصر وطلبهم من موسى أن يصنع لهم صنماً، ثم توريثهم فلسطين، وجعلهم قردةً خاسئين، رجع في سورة طه التي جاءت بعد الأعراف، فقال لموسى وهارون اذهبا إلى فرعون وقولا له. **فاضطراب التسلسل القصصي والتاريخي في هذه السور لا يحتاج إلى تبيان.**
ثم في الآية 80 من سورة طه، يقول:

{يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزّلنا عليكم المن والسلوى. (طه 80)}.

ولكن رب موسى لم يواعد كل بني إسرائيل بالجانب الأيمن من الطور، وإنما واعد موسى فقط، ثم فيما بعد أخبره أن يختار وفداً من قومه يأتي معه، حسب الرواية القرآنية {**واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا.** (الأعراف 155)}. فالقرآن يفقد الانضباط في سرد الوقائع المزعومة.
ثم خاطب بعد ذلك بني إسرائيل فقال لهم:

{كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى. (طه 81)}.

وكالعادة استعمل مؤلف القرآن **غريب التعبير والكلمات،** فقال (لا تطغوا فيه) أي لا تطغوا في الرزق. والطغيان هو تجاوز المعقول، *فما هو الضرر لو طغوا في طيبات ما رزقهم؟* اختلف المفسرون في ذلك،

> فقال بعضهم: أي لا تحملكم السعة والعافية أن تعصوا. وقال آخرون: إن المعنى ألا تكفروا النعمة ولا تنسوا شكر الله، وقيل لا تستبدلوا بها شيئاً آخر، وقيل: لا تدخروا الطعام لأكثر من يوم وليلة.[1]

فهل فهم العرب ما قاله القرآن؟ وما فائدة آيات مثل هذه في إقناع عرب مكة أن محمداً جاء ليدعو إلى عبادة إلهٍ واحدٍ في السماء، وأنه رسول الله؟ ثم أن هذا إنذار غريب من نوعه لبني إسرائيل الذين يقول لهم أن يأكلوا من طيبات ما رزقهم، ولكن إذا أسرفوا في الأكل فسوف يغضب عليهم، ومن غضب عليه الله فقد هوى في نار جهنم.

[1] القرطبي.

فيبدو أن نية الغضب عليهم والانتقام منهم كانت مبيتة منذ البداية، لأننا لا نرى سبباً لغضب الله عليهم إذا أسرفوا في الأكل، فكثير من المسلمين الآن يسرفون في الأكل، وجميعهم يسرف في رمضان، ولا يغضب عليهم الله.

ورجع مؤلف القرآن في رواية بني إسرائيل إلى خروجهم من مصر وطلبهم من السامري أن يصنع لهم صنماً، فقال لموسى الذي كان قد ذهب إلى لقائه بالجبل:

{**فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري.** (طه 85)}.

ولا نعلم لماذا أتى الله بكل تلك المعجزات ليقنع فرعون بالسماح لبني إسرائيل بمغادرة مصر، وشق البحر لهم، ثم يقول لموسى إنه قد قرر أن يختبر قومه فسلط عليهم السامري ليضلهم. لماذا لم يختبر إيمانهم قبل أن يخرجهم من مصر بدل أن يضيّع مجهوده ومجهود موسى في إخراجهم ثم يتضح له أنهم لا يستحقون ذلك المجهود؟ ولماذا أصلاً احتاج أن يختبرهم وهم لم يطلبوا منه أن يخرجهم من مصر. هو قرر من تلقاء نفسه أن يرسل موسى ليخرجهم، فلماذا يفتنهم؟ الغرض من وراء هذه الآيات هو أن محمداً كان يعرف درجة الاحترام الذي كان الأوس والخزرج يكنونه ليهود يثرب، **فأراد أن يخلخل ذلك الاحترام تدريجياً** حتى يسهل عليه فيما بعد القضاء على اليهود حتى تخلو له جزيرة العرب، فبدأ بمحاولة تشكيك الأوس والخزرج في قوة إيمان اليهود بربهم.

- ثم جاءت سورة الشعراء المكية ورقمها 47، ليقول فيها لموسى وهارون:

{**فأتيا فرعون فقولا إنّا رسول رب العالمين. أنْ ارسل معنا بني إسرائيل.** (الشعراء 16، 17)}.

مرة أخرى رجع لمخاطبة موسى وهارون وإرسالهم إلى فرعون، وهذا تكرار لا يفيد شيئاً ويقود إلى الملل، ولكن التكرار سمة من سمات القرآن، ولذلك كرر نفس قصة موسى وفرعون في أكثر من سبعة سور. *فهو بهذا التكرار الممل إما أنه يفترض أن العرب لا يفهمون إلا إذا كرر عليهم نفس القصة مراتٍ عديدة، أو أنه كان ينسى أنه قد روى نفس القصة، فيرويها مرة أخرى.*

ويستمر في سورة الشعراء، ويخبرنا ما قاله موسى لفرعون:

{**وتلك نعمةٌ تُمنّها عليّ أنْ عَبّدْت بني إسرائيل.** (الشعراء 22)}.

هذه الآية بلغت من **الركاكة** في لغتها ومحتواها مستوىً يجعل من الصعب علينا أن نصدق أنها أتت من عند الله لأن موسى يقول لفرعون: تلك نعمة تمن بها عليّ لأنك استعبدت بني إسرائيل. فكيف تكون نعمة وفرعون قد استعبد بني إسرائيل الذين هم قوم موسى، والذين من أجلهم أرسل الله موسى إلى فرعون؟

ويستمر فيقول:

{**فأخرجناهم من جناتٍ وعيونٍ. وكنوز ومقام كريم. كذلك وأورثناها بني إسرائيل.** (الشعراء 57 - 59)}.

ماذا قصد إله القرآن أن يقول هنا؟ هل أخرج فرعون وقومه من جنات وعيون، أم أخرج السحرة الذين أتى بهم فرعون، أم أخرج بني إسرائيل؟ **من الصعب علينا أن نجزم** لأن القرآن كان يتحدث عن السحرة الذين جمعهم فرعون، ثم فجأة قال {**فأخرجناهم**} دون أن يخبرنا لمن يرجع هذا الضمير في الآية: {**فأرسل فرعون في المدائن حاشرين. إنْ هؤلاء لشرذمة قليلون. وإنهم لنا لغائظون. وإنا لجميع حذرون**} ثم فجأة قال: {**فاخرجناهم من جنات وعيون**}. فهل ما زال المتحدث هنا فرعون الذي كان مغتاظاً من موسى وقومه، فقال إنه أخرجهم من جنات وعيون، وهم كانوا عبيداً مسخرين، أم المتحدث هو الله الذي لا يجوز أن يكون بنو إسرائيل له غائظين؟ ثم أورث هذه الجنات والعيون لبني إسرائيل. فهل أورث بني إسرائيل فلسطين أم مصر؟ وكيف يُخرج بني إسرائيل من مصر مع موسى ثم يورثهم إياها. وقد حاول بعض المفسرين تبرير هذا الاضطراب فقالوا:

قصد بالوراثة هنا الذهب والحُلى التي استعارها بنو إسرائيل من المصريين.

كيف يورث بني إسرائيل الحلى التي استلفتها نساؤهم من نساء مصر؟ فهذه الحلى لم تكن ملكه حتى يورثها لبني إسرائيل.

وفي نفس السورة يعترف إله محمد بعلماء بني إسرائيل **ويجعلهم المرجع النهائي في الحكم على صحة القرآن،** لأنهم لو استهواهم إطراء محمد لهم واعترفوا بالقرآن لأصبح محمد ملكاً رسولاً دون منازع، فيقول عن أعراب مكة:

{**ألم يكن لهم آيةً أن يعلمه علماءُ بني إسرائيل.** (الشعراء 197)}.

فنفس علماء بني إسرائيل هؤلاء هم الذين "استلف" محمد منهم آيات القرآن، فهم كانوا يعلمونه، أي يعلمون القرآن، لأنه صورة طبق الأصل من تعاليم التوراة، ولذلك أراد محمد تأييدهم له في بداية الدعوة. وكالعادة لف المفسرون وداروا هنا،

وقالوا إن الله يقصد أن بني إسرائيل قد علموا بنبوة محمد،

فجعلوا الضمير في الآية راجع لمحمد بينما الآية كانت تتحدث عن القرآن ولا بد أن يرجع الضمير إلى القرآن.

- والسورة التي أتت مباشرةً بعد سورة الشعراء كانت سورة النمل، وترتيبها 48. ويقول فيها:

{**إنّ هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون.** (النمل 76)}.

لماذا يقص القرآن على بني إسرائيل أكثر الذي كانوا فيه يختلفون؟ فهل القرآن نزل لبني إسرائيل أم نزل إلى الأعراب الذين لم يقص عنهم أي شيء حتى الآن؟ *إنها رغبة محمد الجامحة في أسلمة اليهود، أو على الأقل تأييدهم له، فبالغ في قصص اليهود*. محمد يزعم أنه جاء برسالة جديدة لعرب الجزيرة الذين لم يكن قد جاءهم رسول قبله، وبدل أن يشرح لهم في السور المكية عن ربه ورسالته، يتحدث في أكثر من مائة آية مكية عن بني إسرائيل وكتبهم وما اختلفوا عليه. **وتودده إلى اليهود كان متذبذباً، يعلو وينخفض حسب المزاج العام.**

- وفي سورة القصص التي تلت، وهي رقم 49، يقول:

{**ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين.** (القصص 5)}.

مرة أخرى يرجع إلى مصر واضطهاد اليهود بها، ويقول إنه راد أن يمن عليهم ويجعلهم أئمةً للناس. فلماذا إذاً غير رأيه وجعل منهم القردة والخنازير بدل أن يجعلهم أئمة للناس؟ وإذا كانت توراتهم تحمل الهدى وتؤهلهم لأن يكونوا أئمةً للناس، لماذا أرسل محمداً بالقرآن؟

وفي جهل تام بطبيعة الحكم في مصر وبمستوى الحضارة التي كانت سائدة وقتها، يقول القرآن:

{**وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمتُ لكم من إله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين.** (القصص 38)}.

ففرعون الذي يرمز إليه القرآن هو **الفرعون أخناتون الذي كان أول من دعا إلى الوحدانية،** فليس من المعقول أن يقول لقومه (ما علمت لكم إلهاً غيري)، *ثم أن هامان لم يكن في مصر مع فرعون وإنما كان سكرتير الملك في بلاد فارس*. وفي مصر في تلك الأيام كان المصريون قد بنوا الإهرامات من الحجارة الكبيرة وجعلوها أعلى بناء كان معروفاً للإنسان وقتها، وقد برعوا في الهندسة وعرفوا قياس الزوايا والمثلثات وغيره، فكيف يقول فرعون لهامان: {**فاوقد لي يا هامان على الطين**} ليبني له صرحاً ليبلغ السماء؟ فلا شك

أن فرعون قد عرف وقتها أن البناء الذي يقيمه الإنسان له حدود إذا تعداها انهار، فكيف يقول لهامان ابنِ لي صرحاً لأصل إلى إله موسى، وإله أخناتون الجديد نفسه في السماء البعيدة؟ أكيد لو كان هذا القرآن من إله السماء لتجنب هذه الأخطاء. وسنكمل في الحلقات القادمة.

2010 / 5 / 11

2 مِن 4

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=214882

- السورة رقم 50 حسب ترتيب "النزول" والتي جاءت بمكة هي سورة "الإسراء" التي كان اسمها سورة "بني إسرائيل"

"عن الشعبي عن عبد الله قال: كنا جلوساً مع عمر بن الخطاب فتذاكرنا فضائل القرآن فقال رجل: خاتمة بني إسرائيل، يعني سورة الإسراء، هي آية العز: قل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك."[2]

فواضح أن محمداً كان مغرماً باليهود لدرجة أنه سمى سورة كاملة باسمهم. يقول في هذه السورة:

{وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا. (الإسراء 2)}.

وهذه الآية **حتماً ليست من عند الله** لأنه يقول لبني إسرائيل: لا تتخذوا من دوني وكيلا. والوكيل هو الشخص الذي ينوب عن شخص آخر كلّفه أن يقوم بعمل ما بالإنابة عنه. فمثلاً الأب يكون وكيل ابنته في الزواج، فكيف يطلب الله ألا يتخذ بنو إسرائيل وكيلاً غيره؟ فهل الإنسان يوكّل الله أن يقوم بعمل إنابةً عنه؟ أليس المتحدث هو محمد الذي هو وكيل الله في الأرض، كما زعم، ويقوم بهداية الناس بالإنابة عن الله؟ وما دام قد أعطى موسى الكتاب وجعله هدّى لبني إسرائيل، لماذا إذاً طلب من محمد أن يُدخل بني إسرائيل في الإسلام؟ ألا يكفيهم الهدى الذي أعطاهم؟ هل أعطاهم هدًى ناقصاً وأراد أن يكمله؟ و محمد لم يكن ملماً بتاريخ بني إسرائيل ويظهر هذا في الآية الرابعة من نفس سورة الإسراء حين يقول:

{وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدنّ في الأرض مرتين ولتعلُنّ علواً كبيرا. فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأسٍ شديدٍ فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولا. ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموالٍ وبنينَ وجعلناكم أكثر نفيرا. (4-6)}.

قد اختلط الأمر على مؤلف القرآن، فيقول إنه قضى لبني إسرائيل، و{**إذا قضى أمراً أن يقول له كن فيكون**}. فهو قرر لبني إسرائيل إنهم سوف يفسدون في الأرض مرتين، فإذا جاء موعد أولى المرتين اللتين يفسد فيهما بنو إسرائيل، فسوف يرسل الله عباداً له أشداء يجوسون خلال بيوت بني إسرائيل يقتلون ويخربون. فالله كان قد قرر في الكتاب قبل أن يُخلقوا، أنهم سوف يفسدون في الأرض مرتين، وهذه هي المرة الأولى. فلماذا يرسل مَن يدمر بيوتهم لأنهم نفذوا مشيئة الله؟ ثم لماذا بعد كل هذا الفساد يرد الله الكرة إلى بني إسرائيل فيغلبون هؤلاء العباد، ويمدهم الله بالمال والبنين، فكيف يجازيهم بالمال والبنين وهم قد أفسدوا في الأرض؟ وعلى العموم رب القرآن يقول: {**وإذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا**}. فالفساد هو مشيئة الله التي يأمر بها عباده المترفين، ولذلك قال له موسى احتجاجاً:

{أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء. (الأعراف 155)}.

فلماذا يعاقب به الناس؟ ثم قال لهم بعد الإفساد في الأرض مرتين، سوف يعلون علواً كبيراً، ولكنه أخبرنا في سورة سابقة أنه يسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة. فكيف يكون بنو إسرائيل عالين علواً كبيراً وفي نفس الوقت هناك من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة؟ محمد كان يجهل تاريخ بني إسرائيل، فتاريخهم مليء بالمعارك بينهم وبين القبائل التي كانت تسكن أرض كنعان، وقد كان النصر حليف بني إسرائيل مرات عديدة، كما كانت الهزيمة قد حلّت بهم مرات كثيرة. وهذه كانت طبيعة المجتمعات في ذلك الوقت. ثم كيف يمدهم الله بأموال وهو يطلب أن يستلف المال منهم، كما قال في سورة المائدة المدنية:

{ولقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وبعثنا فيهم اثني عشر نقيباً وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً. (المائدة 12)}.

فهو هنا يريد أن يقترض منهم قرضاً حسناً بدل أن يمدهم بالمال، وقد ذكرت كتب التراث أن محمداً كان يستلف من اليهود ويرهن عندهم درعه، **فهل المتحدث هنا هو الله أم محمد؟** يبدو واضحاً هنا أن محمد كان طامعاً في أموال اليهود وأراد أن يستميلهم لدينه أو على الأقل للاعتراف به رسولاً وتسليفه المال اللازم لغزواته.

ويستمر في سورة الإسراء فيقول عن بني إسرائيل:

{فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعاً. (103)}.

فهنا رجع مؤلف القرآن إلى مصر وفرعون الذي أراد أن يستفز، أي يطرد، بني إسرائيل من مصر، فإذا كان فرعون قد أراد أن يطردهم من مصر، لماذا تدخل الله وأرسل موسى ليخرجهم منها، ألم يكن الأفضل أن يترك فرعون يستفزهم من الأرض ثم يختبرهم الله بعد أن يخرجوا من مصر؟ وفي الآية اللاحقة يقول:

{وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا. (الإسراء 104)}.

فمن بعد أن أغرق فرعون ومَن معه، قال لبني إسرائيل اسكنوا الأرض، أي أرض مصر. مرة أخرى نحن في حيرة من أمرنا. هل أعطى رب القرآن بني إسرائيل مصر أم أرض كنعان؟ وقد سبق أن قال لبني إسرائيل في سورة البقرة، أن يسكنوا مصر، عندما طلبوا منه الطعام الذي كانوا قد اعتادوا عليه في مصر من فول وعدس وثوم، فقال:

{إذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يُخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرَ فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة. (البقرة 61)}.

فموسى كان متأكداً أن الله أعطى بني إسرائيل أرض مصر بعد أن أغرق فرعون، فقال لهم "اهبطوا مصر" إن أرادوا أكل الفول والعدس.

- وبعد سورة الإسراء جاءت سورة يونس المكية، ورقمها 51، فقال فيها لموسى:

{(وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين. (يونس 87)}.

---

[2] كنز العمال للمتقي الهندي، طبعة 1989، حديث رقم 4060.

فإذا كان فرعون قد استعبد بني إسرائيل وجعلهم عبيداً عنده يزرعون الأرض ويقيمون في أكشاك أو ما شابهها في الحقول، كيف يوحي الله لموسى وأخيه أن يبنوا بيوتا لبني إسرائيل (الذين كان عددهم حسب العهد القديم يزيد على ثلاثمائة ألف) ويجعلوا أبوابها نحو القبلة؟ هل كان موسى حاكما على مصر يسمح أو لا يسمح ببناء بيوت لبني إسرائيل؟ لأن محمداً جاء من بيئة لم تعرف الحكومات المركزية، اعتقد أن مصر كانت مثل مكة، كل من أراد أن يبني بيتاً بناه. مع أن كلمة فرعون تعني ملك، فمصر في ذلك الوقت كانت لها حكومات مركزية مستقرة وكل شيء كان يُخطط بواسطة الحكومة، كما حدث عندما أعلن أخناتون دينه الجديد الذي يدعو إلى الوحدانية، وبنى "Akhet Aton" "تل العمارنة" عاصمة جديدة لحكمه بتخطيط جميل ومنتظم، كما تدل الآثار.

ولكن رب القرآن هنا يطلب من موسى وهارون أن يبنوا لبني إسرائيل بيوتاً ويجعلوا أبوابها متجهة نحو القبلة (القدس). يا ترى من أين لموسى الإمكانات لبناء بيوتٍ لثلاثمائة ألف أو يزيد؟ وهل يسمح له فرعون؟

ثم ينتقل مؤلف القرآن فيقول لنا:

{ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدقٍ ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العِلمُ إنّ ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون. (يونس 93)}.

هذه الآية **لا تفيد القاريء أو السامع أي شيء**، خاصةً إذا كان القاريء يريد أن يعرف عن الله شيئاً. لقد بوأ بني إسرائيل مبوأ صدق، ما هو مبوأ الصدق هذا؟ ولماذا بوأهم إياه وهو يقول إنه جعل منهم القردة والخنازير؟ وبعد أن كان بنو إسرائيل متفقين، لماذا أعطاهم العلم الذي جعلهم يختلفون {فما اختلفوا حتى جاءهم العلم}؟ والغرض من وراء هذه الآية كان *محاولة شق صف اليهود واستمالة بعضهم ليعترفوا به*، فهو يقول هم أصلاً مختلفون في العلم الذي جاءهم، وهذا الاختلاف قد يقود بعضهم للاعتراف به، على أساس أنّ عدو عدوي صديقي. وهو هنا يقول إنه سوف يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، بينما الآية السابقة في سورة النمل تقول: {**إنّ هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون.** (النمل 76)}. فإذا كان القرآن قد قص عليهم أكثر الذي هم فيه مختلفون، فلا حاجة لله يوم القيامة ليحكم بينهم فيما اختلفوا فيه، فقد أخبرهم به في القرآن.

والذي يقرأ القرآن *لا يجد فيه آية واحدة تقص على بني إسرائيل ما كانوا فيه يختلفون*، ناهيك عن (أكثر الذي كانوا فيه يختلفون). مرة أخرى يرمي مؤلف القرآن **بالادعاءات غير المسنودة بأي دليل**.

- ثم جاءت سورة هود، ورقمها 52، فقال فيها:

{أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمةً أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون. (هود 17)}.

محمد هنا يعترف أن كتاب موسى كان إماماً ورحمةً للناس، فلماذا احتاج الله أن يبعث محمداً بالقرآن؟ فمحمد ما زال يتودد لليهود، بكتبهم ورسلهم طمعاً في الاعتراف به رسولاً من عند الله. فهو كان يعتقد أنه لو اعترف بكتابهم فسوف يعترفون بكتابه الذي يبدو أن محمداً نفسه كان يشك فيه، فقال له مؤلف القرآن: {**فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك**}.

ثم يأتي محمد بآية غريبة المحتوى:

{ولقد آتينا موسى الكتاب فاختُلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقُضي بينهم وأنهم لفي شكٍ منه مريب. (هود 110)}.

لم يقل أحدٌ إن اليهود اختلفوا في التوراة ولكن محمد يقول إن اليهود لفي شك منه، وهذه مجرد فرية، واليهود متفقون على توراتهم، وإن اختلفوا فربما في المشنة وكتب التراث الأخرى التي توازي كتب الحديث عند المسلمين. ورغم أن الضمير في الآية واضح أنه يرجع إلى كتاب موسى، فإن المفسرين قالوا:

إن الضمير هنا يرجع إلى القرآن ومحمد.

وإذا كان الله هو الذي أنزل على اليهود كتابهم، وكان يعلم أنهم سوف يختلفون فيه، لأنه يعلم المستقبل، لماذا سبقت منه الكلمة بأن لا يقضي بينهم في الدنيا، فاضطر أن يقول {لولا كلمة سبقت من ربك}؟ *ويخيل إليّ أن الغرض من هذه الآية هو أن محمداً كان يعرف أنه يأخذ أغلب آياته من قصص التوراة التي يقصها عليه ورقة بن نوفل أو بعض المعارف من اليهود، فأراد أن يحتاط لنفسه فيما إذا ظهرت منه آيات تختلف عن التوراة، فيمكنه أن يقول إن كتاب موسى نفسه مختلف فيه من اليهود أنفسهم ولذلك لا غرابة أن تأتي آيات قرآنية مختلفة عن آيات التوراة.*

- ثم جاءت سورة غافر، ورقم "نزولها" 60، ويقول فيها عن موسى:

{فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين إلا في ضلال. (غافر 25)}.

ومؤلف القرآن هنا أخطأ في التاريخ خطأً لا يُغتفر، ففرعون كان قد علم من كهنته أن مولوداً جديداً في بني إسرائيل سوف ينهي حكمه، ولذلك أمر بقتل صبيان اليهود وإحياء بناتهم، وكان هذا قبل أن يولد موسى، ولذلك أوحى الله لأم موسى أن تضعه في التابوت وتلقي به في اليم. فقتل الصبيان كان سابقاً لهذه الآية بعشرات السنين. ونحن الآن نتحدث عن الفترة التي جاء فيها موسى رسولاً، فلماذا يقول مستشاروا فرعون: اقتلوا أبناءهم واستحيوا نساءهم، وهي سياسة كانت مطبقة منذ عشرات السنين؟

وتستمر سورة غافر:

{ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب. هدًى وذكرى لأولي الألباب. (غافر 53، 54)}.

وهذه الآيات الغرض منها فقط هو **التودد إلى يهود يثرب**، لأنه لا جديد فيها حتى "ينزلها" الله مرة أخرى، ولو أنه اعترف أن كتاب موسى هو هدىً وذكرى لأولي الألباب، وما دام الأمر كذلك فلا حاجة لكتاب جديد هو صورة طبق الأصل من كتاب موسى.

- السورة رقم 62 هي سورة "الشورى" المكية التي يقول فيها:

{الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حُجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير. (الشورى 15)}.

يحاول محمد هنا أن يتقرب إلى اليهود ويتصالح معهم، لأن قريش في ذلك الوقت كانت قد فرضت عليه وعلى عشيرته حصاراً اقتصادياً فأراد أن يتقرب إلى اليهود علهم يتاجرون معه أو يعترفون به فيعترف معهم عرب مكة، فيقول لهم: لا حُجة بيننا وبينكم وربنا وربكم واحد. ولكن هذه المصالحة لا تدوم طويلاً. ونحن نسأل هنا: إذا كان لا حجة بينهم، وربهم ورب اليهود واحد، والقرآن قال إن كتاب موسى هدّى لأولي الألباب،

لماذا لم يترك محمد اليهود في دينهم، ولماذا يقول القرآن إن الله جعل منهم القردة والخنازير؟

- بعد سورة الشورى جاءت سورة الدخان المكية، ورقمها 64 حسب ترتيب "النزول". يقول فيها:

{ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين. من فرعون إنه كان عالياً من المسرفين. ولقد اخترناهم عن علمٍ على العالمين. (الدخان 30-32)}.

فرغم أنه قال في السور السابقة إن فرعون أراد أن يستفزهم من الأرض ويخرجهم من مصر، يقول لنا هنا إنه نجى بني إسرائيل من العذاب المهين من فرعون، مما يعني أن فرعون كان يستعبدهم ويحتفظ بهم ضد إرادتهم. ثم أن الله اختارهم عن علم على بقية الخلق،

فجعلهم شعب الله المختار. ولكن يبدو أن عِلم هذا الإله عِلمٌ بشري لا يعرف ما يحدث في المستقبل لأن الله قد غضب على شعبه المختار وأمر رسوله أن يقتل منهم من يشاء ويطرد الباقين من جزيرة العرب. وبعد ذلك غضب على شعبه المختار وجعل منهم القردة والخنازير، فكيف يقول إنه اختارهم عن علم؟ **يبدو أن علمه مثل علم شيوخ الوهابية الذين ما زالوا يصرون أن الشمس تدور حول الأرض**.

- ثم أتت سورة "الجاثية" والتي هي رقم 65، وقال فيها:

{ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحُكم والنبوةَ ورزقناهم من الطيباتِ وفضلناهم على العالمين. (الجاثية 16)}.

ولأن محمداً كان لا يزال بمكة تحت الحصار القرشي، ولم يخالط يهود يثرب، كان أمله معقوداً على استمالتهم عندما يهاجر إلى يثرب، ولذلك كرر هنا أن الله اختار بني إسرائيل وفضلهم على العالمين بعد أن جعل فيهم النبوة والكتاب.

- السورة التي أتت بعد الجاثية مباشرةً كانت سورة الأحقاف المكية، ورقمها 66. يقول فيها لعرب مكة:

{قل أرأيتم إنْ كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إنّ الله لا يهدي القوم الظالمين. (الأحقاف 10)}.

وهذا هو بيت القصيد الذي كان محمد يضمره في قلبه، **وهو أن يشهد بنو إسرائيل بصحة القرآن**، لكنهم لم يفعلوا. فشهادة شخص واحد من بني إسرائيل بأن القرآن من عند الله كانت تمثل نصراً كبيراً لمحمد وإلهه، فاستعجل إله القرآن وأتى بهذه الآية ليقنع عرب مكة بصحة رسالة محمد لأن واحداً من اليهود قد آمن بالقرآن.

ثم جاءت سورة السجدة، وترتيبها 75، فقال فيها:

{ولقد آتينا موسى الكتابَ فلا تكن في مِريةٍ من لقائه وجعلناه هدًى لبني إسرائيل. وجعلنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا لَمّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون. إنّ ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) (السجدة 23 - 25)}.

وهنا **يكيل إله القرآن المدح لبني إسرائيل الذين جعل منهم أئمة يدعون إلى الله**. فما زال الأمل معقوداً على بني إسرائيل أن يخرجوا محمد وعشيرته من تلك العزلة التي فرضتها عليهم قريش. *ولكن كعادة القرآن في استعمال الضمير دون أن يسبقه بما يوحي لنا بالشيء أو الشخص الذي يرمز إليه ذلك الضمير*، يقول القرآن {**فلا تكن في مِريةٍ من لقائه**} ولا نعلم مَن هو المقصود هنا، هل هو الكتاب، أم موسى أم الله أم شخصٌ أو شيء آخر. ذهب المفسرون عدة وجوه في ذلك

فقال بعضهم إنه قصد كتاب موسى، وقال آخرون إنه قصد لقاء موسى ليلة الإسراء، بينما قال آخرون المقصود هو ملك الموت.

ولكن المهم هنا أن القرآن يمجد بني إسرائل حتى قبيل هجرة محمد من مكة، لأن سورة السجدة من السور التي أتت قبل الهجرة بقليل.

- وفي آخر سورة قبل الهجرة، وهي سورة العنكبوت ورقمها 85، يقول لنا:

{ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون. (العنكبوت 46)}.

وهذه كانت **الكعكة** التي رماها إلى بني إسرائيل قبل أن يلتحق بهم في يثرب، **وكان طامعاً أن يستقبلوه بالأحضان** بعد أن يسمعوا هذه الآية التي تقول ما معناه *إن التوراة بها آيات الله التي تهدي إلى الحق*. وما دام الأمر كذلك فلا يحتاج اليهود إلى آيات جديدة تزيد ما عندهم.

وعندما هاجر محمد إلى يثرب ورفض اليهود، رغم الإطراء، اتباع الدين الجديد، تغيرت لهجة القرآن عندما تحدث عن بني إسرائيل، وسوف نرى ذلك في الحلقة الثالثة.

2010 / 5 / 13

3 مِن 4

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=215165

قد رأينا في الحلقتين الأولى والثانية **تذبذب** القرآن المكي *بين مدح بني إسرائيل وذمهم*، ومحمد ما زال في مكة. وعندما هاجر إلى المدينة واختلط مع يهودها ورأى مزارعهم ودكاكين صياغتهم، طمع في تعاونهم معه ومده بالمال اللازم لتكوين جيشه الذي كان يُعِده لقطع الطريق على قوافل مكة ولإخضاع القبائل المجاورة. وكان قد رمي لليهود **كعكةً** في آخر سورة نزلت بمكة عندما قال لهم لا حجة بيننا وبينكم وإلهنا وإلهكم واحد، *وكان شبه متأكد أنهم سوف يقابلونه بالأحضان*.

وعندما شعر أن اليهود لن يتعاونوا معه، لم يقطع الأمل وظل يطري عليهم وفي نفس الوقت يخطط لإبادتهم.

وقد كانت خطته أن يألب الأوس والخزرج عليهم بالإيحاء لهم أن اليهود لا يستحقون أن يثق بهم العرب لأنهم قومٌ **جاحدون** للمعروف ويتنكرون للعهود، **وجبناء** لا يحبون القتال. ولكي تنجح خطته فلا بد له أن يضرب إسفيناً بين الأوس والخزرج من جهة، واليهود من الجهة الأخرى، لأنهم كانوا متحالفين، بنو قريظة مع الأوس، وبنو قينقاع مع الخزرج. وكان نساء الأوس والخزرج إذا مات للمرأة أكثر من طفل صغير، ترسل مولودها الجديد لليهود ليتربى عندهم لأنهم أهل كتاب وقد يحمي إلههم طفلها من الموت. وقد شب أغلب هؤلاء الأطفال على اليهودية، وعندما أجلى محمد بني قينقاع عن المدينة، أراد الأنصار أسلمة أبنائهم الذين تربوا في بني قينقاع، فرفضوا، ويقال إن هذا هو سبب نزول الآية: {**لا إكراه في الدين**}.[3] وبعد أن يضرب محمد إسفينه ويمهد الأرضية بهذا الإيحاء، يطلب من الأوس والخزرج أن يحاربوا اليهود.

- فأول آية ذُكر فيها اليهود بعد الهجرة كانت في سورة البقرة، التي كانت أول سورة "نزلت" عليه في المدينة.

هذه السورة **فتحت الباب إلى القتال والهجوم على الرافضين للإسلام**، ولكنه في نفس الوقت لم يشأ أن يغلق الباب أمام كسب ود اليهود، فجاء في سورة البقرة:

{يابني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم وإياي فارهبون. (البقرة 40)}.

عندما جاءت هذه الآية كانت اليهودية قد ظهرت قبل حوالي ألف وثمانمائة عامٍ، فما هو العهد الذي قطعه اليهود مع الله في عصر موسى ولم يوفوا به طوال هذه السنين حتى يطلب منهم في القرآن أن يوفوا بعهده؟ وإذا كانوا لم يوفوا به منذ أيام موسى، هل من

[3] تفسير القرطبي للآية.

المحتمل أن يوفوا به في القرن السابع الميلادي؟ مِن دراسة القرآن والعهد القديم، نعلم أن الله قد طلب من اليهود أن يعاهدوه على ألا يعبدوا إلا إياه ولا يشركوا به أحداً، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، ويظهروا الإحسان لوالديهم، وكعلامة على هذا العهد أظهر الله قوس قزح في السماء ليذكر بني إسرائيل بذلك العهد، كما تقول التوراة.

فهل أخل اليهود بهذا العهد؟

- اليهود في عهد محمد كانوا يصلون، وقد تعلم محمد الصلاة منهم،
- وكانوا يصومون وقد تعلم الصيام منهم،
- وكانوا مخلصين للإله الواحد لدرجة أنهم ضحوا بحياتهم تحت سيوف محمد ليحتفظوا بدينهم بدل التحول إلى الإسلام.

فيبدو أنهم قد أوفوا بعهدهم، فلماذا لم يوفِ هو بعهده معهم بأن يجعلهم الأعلون وشعبه المختار ويضمن لهم الأرض التي أورثهم إياها؟ لماذا سمح للرومان بتحطيم هيكل سليمان في القدس وطرد اليهود خارج فلسطين؟ وقبل ذلك لماذا سمح لـِ "بختنصر" البابلي بسبيهم وترحيلهم إلى بابل والله كان قد فضلهم على العالمين وأسكنهم الأرض التي بارك فيها ووعدهم بها؟ وهذا كان عهده معهم. **فهو الذي أخل بالعهد معهم**. وهل هذه العهود مع اليهود في ذلك الزمن السحيق تستدعي نزول آيات في القرآن الذي نزل بلسان عربي مبين وكان الغرض منه هداية عرب مكة وما حولها: {**وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها.** (الشورى 7)}؟

محمد أراد أن يذكر يهود يثرب أن الله قد فضلهم على العالمين وجعلهم شعبه المختار، وكرد فعل لهذا الجميل يجب على اليهود أن يؤيدوا محمداً.

وفي الآية 47 من نفس سورة البقرة، يقول لبني إسرائيل:

{يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين}.

القرآن يقول لمحمد: {**لا تمنن تستكثر**} وهاهو إله القرآن يمنن على بني إسرائيل للمرة الثانية في نفس السورة، وللمرة الخامسة أو السادسة في القرآن، بأنه فضلهم على العالمين. *فيبدو أن إله القرآن ينصح الناس بما لا يفعله هو.*

ثم تستمر سورة البقرة في مخاطبة اليهود:

{وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبّحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاءٌ لكم من ربكم عظيم. (49)}.

فما زال إله القرآن هنا **يحاول التودد لبني إسرائيل** ويذكرهم بالجميل الذي له عليهم لأنه نجَّاهم من فرعون الذي كان يذبح صبيانهم، مع أنه قال في آية سابقة إن فرعون كان يود أن يستفزهم من الأرض، وإله القرآن يقول إنه هو الذي نجاهم من فرعون. **ورغم أنه كرر هذه الآية عدة مرات في السور المكية، فقد رأى أن يكررها مرة أخرى في أول سورة تنزل في المدينة.**

ربما كان محمد هو من اخترع سياسة گوبلز "اكذب، اكذب، ثم اكذب، حتى يصدقك الآخرون" بمئات السنين قبل ولادة گوبلز.

وهو يقول في الآية إن قتل صبيان اليهود واستحياء بناتهم كان بلاءً عظيماً، أي اختباراً لبني إسرائيل، فلماذا إذاً اختبرهم مرة أخرى عندما عبروا البحر: {**فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري**}؟ والفتنة هي الاختبار. فإذا كان بنو إسرائيل قد نجحوا في الاختبار الأول عندما قتل فرعون صبيانهم، فلم يكن هناك أي داعي لاختبارهم مرة أخرى. وإذا كانوا قد رسبوا في الاختبار بمصر، كان يجب على رب القرآن أن يتركهم في ذلهم في مصر.

وعندما لم يفلح تذكير اليهود بعهدهم مع الله وبالجميل الذي له عليهم، لجأ محمد إلى **الخطة "ب"** وهي أن *يُذكر الأوس والخزرج أن اليهود لا يحفظون الجميل ولا يوفون بعدهم*، وكان قد كتب صحيفةً مع يهود المدينة يضمن سلامتهم إذا التزموا الحياد، ولكن في سريرته كان ينوي الاستيلاء على أموالهم ومزارعهم، فجاء بآية من القرآن في سورة البقرة تقول:

{وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم. (البقرة 53، 54)}.

فمحمد هنا يريد أن يذكرهم بالعهد الذي قطعوه مع ربهم عندما أخرجهم من مصر، ثم طلبوا من السامري أن يصنع لهم عجلاً ليعبدوه، فخانوا عهدهم مع ربهم. فذكرهم محمد أن الله قال لهم أن يقتلوا أنفسهم لما خانوا العهد معه، ومحمد سوف يقتلهم لخيانة عهدهم معه

(يقول مفسروا القرآن إن بني إسرائيل قتلوا من بعضهم سبعين ألفاً عندما أخبرهم موسى أن يقتلوا أنفسهم).

وحتى يكون محمد في موقف القوي عندما يتفاوض مع اليهود، حاول أن يشعرهم أنهم أذلة في بلاد العرب، فقال:

{وضُربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق. (البقرة 61)}.

مع انه قال في آيات سابقة إن من قوم موسى أمة يدعون إلى الخير: {**ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون.** (الأعراف 159)}. **وليس هناك في تاريخ اليهود ما يدل على أنهم قتلوا نبياً واحداً، ناهيك عن قتل الأنبياء**. *وهل هناك قتل للأنبياء بالحق؟* {**ويقتلون النبين بغير الحق**}.

وليس في تاريخ اليهودية ما يوحي بأنهم كذبوا بآيات الله، فلماذا ضرب عليهم الذل والمسكنة وباءوا بغضبه؟

كان **اليأس من إيمان اليهود قد بدأ يتسرب إلى عقل محمد**، فقال له إله القرآن:

{أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريقٌ منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه. (البقرة 75)}.

وهذا المنطق *معوج إلى أبعد الحدود* لأن الفريق قد يتكون من بضعة أشخاص، فلو آمنا أن فريقاً من اليهود كانوا يسمعون القرآن ثم يحرفونه، أو التوراة ثم يحرفونها، هل يعني هذا أن بقية اليهود لا يمكن أن يؤمنوا حتى يقول إله القرآن: {**أتطمعون أن يؤمنوا لكم**}؟ ولماذا لم يمنعهم من تحريف القرآن أو التوراة، وهو القائل: {**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**}.

الغرض من الآية كان تهيئة عقول الأوس والخزرج إلى أن اليهود، الذين كانوا متحالفين معهم، لن يؤمنوا بالرسالة الجديدة وعلى الأوس والخزرج أن يعاملوهم كأعداء بدل حلفاء.

ولكي **يؤكد لليهود أنهم لا يحفظون العهد**، قال:

{وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى والمساكين وقولوا للناس قولاً حُسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون. (البقرة 83)}.

ومع أن يهود يثرب قد أوفوا بهذا العهد مع الله، فقد جاء محمد بهذه الآية إنذاراً مبطناً ليهود يثرب بأن الدائرة سوف تدور عليهم رغم الاتفاقية التي أبرمها معهم، لأنهم أعرضوا عن ذكر الله ولم يؤمنوا بمحمد. ولكن إله القرآن يناقض نفسه في نفس هذه السورة ويقول لبني إسرائيل:

{وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون. (البقرة84)}.

فكيف أخذ ميثاقهم ألا يسفكوا دماءهم وفي نفس الوقت قال لهم اقتلوا أنفسكم، عندما عبدوا العجل، وقد سفكوا دماء سبعين ألفاً منهم؟ فهو الذي دفعهم لعدم الوفاء بميثاقهم معه بألا يسفكوا دماءهم. واستمر إله القرآن وقال لهم:

{ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسرى تفادوهم وهو محرّم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض. (البقرة 85)}.

فإله القرآن هنا يُظهر نفسه بأنه حريص على مصلحة بني إسرائيل ويُحرّم عليهم إخراج بعضهم البعض من بيوتهم. ولكنه كالعادة يناقض نفسه ويقول في سورة الأحزاب، وهي رابع سورة تنزل بالمدينة:

{وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً. (الأحزاب 26)}.

وأتت هذه السورة بعد غزوة بني قينقاع الذين طردهم من المدينة، وغزوة بني قريظة الذين ذبحهم. فلماذا يُحرّم على بني إسرائيل إخراج بعضهم البعض من منازلهم، ويخرجهم هو من صياصيهم ويقذف في قلوبهم الرعب؟

وحتى يوحي محمد لعرب يثرب أن دينه من عند الله وأن اليهود معروفون بنكران الجميل وقتل الأنبياء، قال:

{... أفكلما جاءكم رسولٌ بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون. (البقرة 87)}.

وأراد هنا أن يقول لأهل يثرب إنه من فريق الأنبياء الذين كذبهم بنو إسرائيل، مع أن بني إسرائيل آمنوا بكل الرسل والأنبياء الذين ذكرهم القرآن، بل كان كل الرسل منهم، ما عدا محمد. ولم يذكر لنا تاريخ اليهودية أنهم قتلوا نبياً أو كذبوا أحداً من أنبيائهم. فلماذا وصمهم محمد بهذه **الكذبة الشنيعة** إذا لم يكن قد نوى ذبحهم وطردهم؟ وتأكيداً لتكذيب اليهود بالرسل، قال عنهم:

{ولما جاءهم كتابٌ من عند الله مصدقٌ لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين. (البقرة 89)}.

فمحمد هنا أراد أن يصطاد عصفورين بحجر واحد:

- فهو يقول إن كتابه من عند الله ومصدق للتوراة التي عند اليهود،
- وأن اليهود كفروا به رغم أنهم كانوا يعرفون أنه الحق من عند الله.

فإذا كذبه اليهود وهم يعرفون أنه من عند الله، يصبح واجباً على عرب يثرب أن يؤيدوا محمداً دفاعاً عن العروبة (أنا وابن عمي على الغريب). ولأنهم كذبوا محمداً لعنهم الله بعد أن كانوا شعبه المختار.

وللمرة الثالثة في سورة البقرة يقول إله القرآن لبني إسرائيل:

{يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين. *(البقرة 122)*}.

فلماذا كل هذا المن على اليهود بأنه فضلهم على العالمين، بينما قال لهم في الآية 89 السابقة {**لعنة الله على الكافرين**}. **كيف فضلهم على العالمين ولعنهم في نفس الوقت؟**

ولما لما يستجب بنو إسرائيل للدعوة، بدأ إله القرآن بالتهديد، فقال في نفس السورة:

{سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آيةٍ بينةٍ ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب. (البقرة 211)}.

فعندما أيقن أن يهود يثرب لا أمل فيهم *بدأ يهددهم تهديداً ظاهراً بدل التهديد المبطن في الآيات السابقات*، وقال لهم إن الله شديد العقاب. ولما لم يأتِ هذا التهديد بالثمار المرجوة منه، **أراد إله القرآن أن يمهد الطريق لقتالهم**، فطمأن أهل يثرب أن اليهود **جبناء** ولن يثبتوا في القتال، فقال:

{ألم ترَ إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم أبعث لنا مَلكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كُتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارينا وأبنائنا فلما كُتب عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين. (البقرة 246)}.

وهذه الآية لا يمكن أن تكون من عند الله الذي يعلم كل شيء. واضح أن محمداً لم يكن يعرف اسم نبي بني إسرائيل الذي طلبوا منه أن يأتيهم بملك ليقاتلوا معه، وكان قد سمع القصة من بعض اليهود، فقال {**إذ قالوا لنبي لهم**}. وذلك النبي هو صموئيل كما يقول العهد القديم:

{فاجتمع كل شيوخ القرية وجاءوا إلى صموئيل إلى الرامة. وقالوا له: "هو ذا أنت قد شخت وإبناك لم يسيرا في طريقك فالآن اجعل لنا ملكاً يقضي لنا كسائر الشعوب". (صموئيل 1، الإصحاح 8، الآيات 4، 5)}.

ومن المؤكد أن محمداً لم يكن يعرف تاريخ اليهودية جيداً، فقال في نفس السورة:

{وقال لهم نبيهم إنّ آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقيةٌ مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة إنّ في ذلك لآيةً لكم إن كنتم مؤمنين. (البقرة 248)}.

فالتابوت لم تكن به بقية مما ترك آل موسى وآل هارون، الذين هم نفسهم آل موسى، وإنما كان بالتابوت الألواح التي كتب الله عليها الوصايا العشر. ولم تكن الملائكة تحمله وإنما كان الكهنة من أفراد قبيلة لاوي هم الذين يحملون التابوت كلما تحركت القبائل اليهودية من مكان لآخر.

ثم يئس محمد وشمّر عن ساعده *وأعلن الحرب على اليهود في آخر سورة البقرة*، فقال:

{وقاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين. (البقرة 193)}.

يقول القرطبي في تفسيره إن سبب القتال هو الكفر. وبما أن المدينة لم يكن بها من الكفار غير اليهود، فإن الآية تعني قتال اليهود.

- وبعد أن صبر محمد فترةً وجيزة ليرى إذا كان اليهود سوف يؤمنون به أم لا، أتى بسورة آل عمران، وترتيبها 89، وقال فيها:

{ضُربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبلٍ من الله وحبلٍ من الناس وباءوا بغضبٍ من الله وضُربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. (آل عمران 112)}.

كل هذه الآيات التي تقول إن بني إسرائيل كانوا يقتلون الأنبياء بغير الحق، ولم يذكر لنا القرآن ولا مرة واحدة اسم نبي قتله بنوا إسرائيل. وقد كرر هنا **أن الله قد ضرب عليهم الذل والمسكنة**،

وقد أثبت التاريخ أن إله القرآن لم يكن يعرف أن اليهود سوف يسيطرون على العالم بذكائهم وتفوقهم في المعاملات المالية. وهاهم الآن يسيطرون على السياسة الخارجية لأمريكا والاتحاد الأوروبي، ويفرضون رأيهم على الحكومات الغربية والشرقية، فأين هي المسكنة التي ضُربت عليهم؟ وأين الذلة؟

ثم احتار محمد في ما يقوله عن اليهود، فجلس على الجدار ولم يقرر على أي جنب ينزل، فقال:

{لو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون. (آل عمران 110)}.

فرغم وصف اليهود والمسيحيين بالفسق، **كان الأمل ما زال يراود محمداً**، ولذلك أتى بآية في نفس السورة حاول بها أن يغري أهل الكتاب باتباعه، فقال:

{ليسوا سواء من أهل الكتاب أمةٌ قائمةٌ يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ويؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروفِ وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين. (آل عمران 113، 114)}.

فما زال محمد رغم إعلان الحرب على اليهود، يطمع في أن يغيروا رأيهم ويعترفوا به. ولكن إذا كان أهل الكتاب (يهود ومسيحيون) يتلون آيات الله آناء الليل ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، هل يحتاجون إلى اعتناق الإسلام الذي لا يأمر بأكثر من ذلك؟ أم أنها السياسة التي أراد محمد أن يطبقها ليصبح ملكاً على العرب، كما قال أبو سفيان للعباس يوم فتح مكة:

"إنّ مُلك ابن أخيك قد بلغ شأواً بعيدا."؟

ثم كرر هذه الآية في نفس السورة، فقال:

{وإنّ من أهل الكتاب من يؤمن بالله وما أُنزل إليكم وما أُنزل إليهم خاشعين لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم. (آل عمران 199)}.

فإذاً نفهم من هذه الآية أن آيات التوراة والإنجيل هي آيات الله وأن أهل الكتاب لا يشترون بها ثمناً قليلاً. فلماذا أراد إله القرآن أن يحولهم إلى الإسلام ما دام لهم أجرهم عند ربهم بما حفظوا مما أُنزل عليهم؟ فما زال محمد هنا يتذبذب بين لعن اليهود وبين مدحهم بأنهم يؤمنون بالله ولا يشترون بآياته ثمناً قليلاً.

- بعد مذبحة بني قريظة وطرد بني قينقاع من مساكنهم إلى خيبر، جاء محمد بسورة الأحزاب، رقم 90 في النزول، والتي تقول:

{وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً. (الأحزاب 26)}.

ففي هذه المرحلة كان محمد قد أيقن أن اليهود لن يقبلوا به نبياً، فقرر أن يقطع حبل الوصل بهم ويذبحهم عن بكرة أبيهم لولا تدخل عبد الله بن أبي سلول الذي أنقذ بني قينقاع من سيوف محمد لأنهم كانوا حلفاء الخزرج.

- ثم جاءت سورة الممتحنة، ورقمها 91 في ترتيب "النزول"، فقال فيها:

{يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور. (الممتحنة 13)}.

فلم يكتف محمد بطرد اليهود إلى خيبر وذبح بني قريظة، فأراد أن يعزل نساء وأطفال اليهود الذين سباهم المسلمون في يثرب، وكذلك يهود خيبر ويمنع الاختلاط بهم حتى يكونوا فريسةً سهلة له عندما ينقض عليهم.

> وقد بنى فقهاء الإسلام فقهاً كاملاً في عدم تولي المؤمنين للذين كفروا من النصارى واليهود والبوذيين والسيخ والهندوس والكونفوشيوسيين والشنتو واللادينيين في أدغال أفريقيا وفي ديار الغرب، وسموه **فقه الولاء والبراء**.
> إنه فقه امتلاك الحقيقة المطلقة ومَن لا يتبع تلك الحقيقة فلا يستحق أن يعاشره المؤمنون الطيبون، بل لا يستحق أن يعيش أصلاً.

وسوف نكمل في الحلقة الأخيرة.

2010 / 5 / 15

4 مِن 4

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=215470

بعد أن قتل محمد يهود بني قريظة وهَجَّر الباقين إلى خيبر والشام، واستقر له الأمر بيثرب التي خلت من اليهود، **بدأ محمد بوضع التشريعات اللازمة لمملكته، خاصة تشريعات النساء التي كانت تمثل له الهاجس الأكبر بعد اليهودية**. ولكن في دخيلة نفسه كان لا يزال يخطط للإستيلاء على أموال اليهود في خيبر، خاصةً وأن بني النضير قد حملوا معهم كميات كبيرة من الذهب لأنهم كانوا صاغة المدينة. ومحمد كان في حاجة لذلك الذهب *لأن قوافل مكة قد نضبت وغزواته على القبائل المجاورة لم تدر عليه غير الإبل والأغنام والنساء، وهو يريد المال لتوسعة جيشه*.

- فجاء محمد بسورة النساء، رقم 92 حسب "نزول" السور، وكان أغلبها عن الزواج والطلاق وعدة المرأة المطلقة، ولكنه في وسط هذه التشريعات لم ينس أن يُذكّر أتباعه باليهود ويألبهم عليهم، فقال:

{يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبيناً. (النساء 153)}.

فهل يستطيع أحد أن يلوم بني إسرائيل على طلبهم أن يُنْزِل لهم كتاباً من السماء إذا كان رب السماء قد أرسل لهم ألواحاً كتبها هو بنفسه قبل ظهور محمد بأكثر من ألف وخمسمائة سنة، ثم جاء محمد بآيات شفهية - آيتين أو ثلاثة كل عدة أسابيع - وقال إن الله قد أرسلها مع جبريل الذي لم يره أحد؟ من حق اليهود أن يتوقعوا من أي نبي جديد أن يحضر معه ألواحه التي كتبها الله بخطه، كما فعل مع موسى. والقرآن نفسه يقول لنا:

{وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظةً وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوةٍ وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأوريكم دار الفاسقين. (الأعراف 145)}.

فإذا كان قرآن محمد نفسه يعترف بأن الله كتب الألواح لموسى، فمن حق اليهود أن يتوقعوا أن يكتب الله ألواحاً لمحمد، خاصةً وأن محمداً أمي لا يعرف كيف يكتب القرآن. **والغريب في هذه الآية أن الله يقول لموسى أن يأمر قومه أن يأخذوا بأحسنها**. فهل ما أنزله الله لموسى فيه الحسن وغير الحسن، *أم هي هفوة من محمد؟* والآية القرآنية بها خطأ إملائي واضح، فهي تقول: {**سأوريكم دار الفاسقين**} ولا شك أنّ الأصل كان (سأُورِثكم دار الفاسقين) بعد أن يهلك الفاسقين، وهم اليهود. ولكن لأن الحروف لم تكن منقطة في الأصل، كتبها شخص فيما بعد (سأوريكم).

ثم إذا كان قد كتب في ألواح موسى: {**من كل شيء موعظةً وتفصيلا**} لماذا طلب محمد من اليهود أن يُسْلِموا وكتابهم به كل شيء، ولماذا أصلاً أرسل الله محمد وكتاب موسى موجود في المدينة وبه كل شيء مفصل تفصيلا؟ ثم أن محمد قد اختلط عليه الأمر هنا فهو يقول إن أهل الكتاب، أي اليهود، قد سألوا موسى أن يريهم الله جهرةً، ولكن القرآن نفسه يناقض تلك الرواية ويقول لنا إنّ موسى هو الذي طلب أن يرى الله جهرة:

{ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال ربِ أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني. (الأعراف 143)}.

والغريب أن الله في هذه الآية لم يغضب من موسى بل جعل له سلطانا. ولكن في الآية السابقة عندما قال إن أهل الكتاب سألوا موسى أن يريهم الله جهرةً، أخذتهم الصاعقة لأنهم طلبوا أن يروا الله. هل هذا إله عادل يعامل الناس بالتساوي؟ ومسألة الشك في وجود إله السماء مسألة طبيعية، وقد سبقهم إبراهيم في ذلك فقال لربه:

{رب أرني كيف تُحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي. (البقرة 260)}.

فاليهود، إن كانوا قد طلبوا أن يروا الله جهرة، فإنهم أرادوا أن تطمئن قلوبهم. ولا غبار على ذلك، *ولا نعلم لماذا أبادهم الله بالصاعقة ثم أحياهم مرة أخرى، ليستمروا في معاندتهم له*، كما سوف نرى. إنه مجهود ضائع لا عائد منه.
واستمر محمد في سورة النساء في إشانة سمعة بني إسرائيل فقال:

{وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً وقولهم إنّا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم. (النساء 156، 157)}.

أولاً مريم كانت فتاة يهودية ولم تكن نبية أو رسولاً، وعندما حملت وهي لم تكن قد تزوجت، تكلم جميع أهل قريتها بذلك، فهل هذا سبب كافي لرب السماء أن يسخط على اليهود؟ ألا يتحدث المسلمون في قراهم عن الفتاة التي تحمل دون زواج، بل يذبحونها، وألم يتحدث أصحاب محمد عن عائشة عندما اختلت بصفوان بن المعطل؟ فهل غضب الله عليهم وجعل منهم القردة والخنازير؟ ثم أن اليهود وقت ظهور عيسى لم يعترفوا به رسولاً، فكيف يقولون: {**قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله**}؟

هذا، بلا أدنى شك، قرآن من تأليف محمد.

وعندما لم يجد شيئاً آخراً يلومهم به، لجأ إلى الخداع، وهو القائل: **الحرب خدعة**، فقال في نفس السورة:

{**فبظلم من الذين هادوا حرّمنا عليهم طيباتٍ أُحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا. وأخذهم الربا وقد نُهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليما.** (النساء 161)}.

ولكنه قال لنا في سورة سابقة:

{**كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة**}.

وهذا يعني أن التوراة لم تُحرّم عليهم إلا ما حرّم إسرائيل على نفسه. فإذاً رب السماء لم يحرم عليهم طيباتٍ أُحلت لهم لأنهم تحدثوا عن مريم بالبهتان أو لأنهم كفروا. أما بخصوص الربا فإن التوراة تُحرّم أخذ الربا من اليهودي ولكنها تبيحه من غير اليهودي، فكونهم أخذوا الربا من غير اليهود لا يضيرهم بشيء. والربا كان تعاملاً معترفاً به في جزيرة العرب

"استقر التعامل بالربا في مجتمع الجزيرة باعتباره من **الدخول الريعية** *التي تضخ لهم مالاً دون بذل أي مجهود مثله مثل عرق العبيد وأفخاذ الاماء اللائي دأبوا على تشغيلهن في الدعارة*. ومن بين أكبر المرابين: العباس بن عبد المطلب الجد الأعلى للعباسيين، وخالد بن الوليد بن المغيرة. قال السدي: "نزلت آية الربا في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية". فقال النبي: [**ألا إن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب**]."[4]

ففي الوقت الذي نزلت فيه الآية عن اليهود وأخذ الربا كان العباس عم محمد يتعامل بالربا، ولم يسلم ويضع محمد رباه إلا بعد فتح مكة عام ثمانية من الهجرة، ووقتها قال محمد: [**أول ربا أضعه ربا العباس**]. فالذي بيته من زجاج لا يرمي الآخرين بالحجارة. أما قوله في نفس الآية:

{وأكلهم أموال الناس بالباطل}

قول يناقضه القرآن بنفسه حين يقول:

{**ومن أهل الكتاب مَن إنْ تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم مَن إنْ تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً.** (آل عمران 75)}.

فالذي تأمنه من اليهود بقنطار من الذهب يرده إليك، وحتى الذي تأمنه على دينار يرده إليك إذا كنت عليه قائماً، فأين أكلهم أموال الناس بالباطل؟ ثم أليست هذه طبيعة البشر في كل مجتمع إنساني؟ أم أن رب السماء لا يعرف أن هذه طبيعة البشر، فيلوم كل أهل الكتاب؟ ألم يقل القرآن للمؤمنين:

{**ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون.** (البقرة 188)}.

فلماذا حرّم بعض الطيبات التي كانت أُحلت لبني إسرائيل لأنهم أكلوا أموال الناس بالباطل، ولم يحرّمها على المؤمنين الذين يعطوا أموالهم للحاكم ليأكلوا أموال الناس بالباطل؟

- **ثم صمت القرآن فترة طويلة عن ذكر اليهود**، ولم يتطرق لهم إلا في السورة 109، وهي سورة "الصف" التي يقول فيها:

{**وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحرٌ مبين.** (الصف 6)}.

وطبعاً هذه كانت **خدعة ومحاولة يائسة من محمد لإثبات نبوته**. فعيسى لم يقل لبني إسرائيل إن نبياً سوف يأتي بعده، ناهيك أن يسميه لهم، وعيسى كان يتحدث الآرامية، فلو قال لهم إنّ نبياً سوف يأتي من بعدي، فهو حتماً لم يقل اسمه أحمد، وإنما رمز له ب "المخلص" الذي سوف يأتي في بني إسرائيل.

- وفي سورة المائدة، وترتيبها 112، قال:

{**ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا فيهم اثني عشر نقيباً وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار.** (المائدة 12)}.

كان قد بقي من القرآن سورتان فقط بعد المائدة، وكان يهود المدينة قد ذُبِحوا وهُجروا، ومع ذلك تتحدث سورة المائدة عن **الميثاق** الذي أخذه الله مع موسى، وعن عدد النقباء في بني إسرائيل. وقد استفاد محمد من هذه الآية وعيّن اثني عشر نقيباً أو أميراً على جيشه لأنه كان يعتقد أن دين اليهود من عند الله، وما دام الله قد بعث في اليهود اثني عشر نقيباً، فلماذا لا يُعيّن محمد اثني عشر نقيباً ليثبت أنه نبي كأنبياء اليهود؟.

وإذا كان الله قد قال لليهود إنه معهم إذا أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وآمنوا برسله، فلماذا تركهم لمحمد ليذبحهم وهم كانوا قد آمنوا بكل الرسل الذين بعثهم إليهم وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة؟ الشيء الوحيد الذي لم يفعله بنو إسرائيل أنهم لم يقرضوا الله قرضاً حسناً، ولم يقرض يهود يثرب محمداً قرضاً حسناً كان قد طلبه منهم عدة مرات لتجهيز جيشه، ولهذا السبب وحده، غضب الله على يهود يثرب وأطلق يد محمد فيهم.

فلو كانوا أقرضوا الله (محمد) قرضاً حسناً لأدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار (مع أن فقهاء الإسلام يقولون لا يدخل الجنة إلا مسلم). ثم ما معنى أن يُعزروا رسله؟ **التعزير** هو العقاب الذي يفرضه الحاكم على مرتكب الاثم الذي ليس له عقاب واضح في التشريع، فكيف يعزر بنو إسرائيل الرسل؟ فلا بد أن الكلمة المقصودة هي "يُعززوهم" ولكن لأن القرآن لم يكن منقطاً، كتبها ناسخوا القرآن "يعزروهم" {**وإنا نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**}.

ثم يرجع محمد بعد كل هذه السور في القرآن التي كرر فيها قصة موسى وبني إسرائيل، فيقول في سورة المائدة:

{**وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤتِ أحداً من العالمين.** (المائدة 20)}.

ومرة أخرى يمن على بني إسرائيل ويذكرهم بأفضال الله عليهم وأنه جعل منهم الأنبياء والملوك وفضلهم على العالمين. ويوم أتت هذه الآية كان محمد قد ذبح يهود بني قريظة وهجّر بني قينقاع وبني النضير. ويا له من تفضيل على العالمين.

ولأن محمداً كان يعرف أن يهود خيبر أغنياء وكان ينوي قتلهم ومصادرة أموالهم، وكان يعرف أنهم يتحصنون في قلاعهم، أراد أن يوحي للمسلمين أن اليهود **جبناء** ولن يقاتلوهم، فقال:

{**قالوا يا موسى إنّا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون.** (المائدة 24)}.

---

[4] النص المؤسس ومجتمعه، خليل عبد الكريم.

وطبعاً اليهود لم يقولوا هذا لموسى وإنما حاربوا القبائل الكنعانية أينما وجدوهم، بل تحاربت القبائل اليهودية مع بعضها وقتلوا الآلاف من بعضهم. فاليهود لم يتهربوا من الحرب ولم يخذلوا موسى، ولكنها الدعاية المحمدية لإيهام المسلمين أنهم قادرون على هزيمة اليهود المتحصنين في قلاعهم في خيبر.
تستمر سورة المائدة فتقول:

{من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم أن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمفسدون. (المائدة 32)}.

هل تذكرون أنه قال لهم في إحدى السور المكية إنه كتب عليهم أن يفسدوا في الأرض مرتين، *وهاهو هنا يجعل أكثرهم مفسدين باستمرار*. ولا ننسى أنه قال عن بني إسرائيل إنه اختارهم عن علمٍ وجعلهم شعبه المختار، ألم يكن يعلم أن كثيراً منهم لمفسدون في الأرض؟ فهاهو إله القرآن يقول لبني إسرائيل ألا يقتلوا نفساً بغير نفس ومن أحيا نفساً فكأنما أحيا الناس جميعاً. وفي الآيات السابقة رأينا أنه فرض على بني إسرائيل الصلاة والزكاة وعدم الشرك به، والإحسان إلى الوالدين والجار والمساكين، وقال لهم كذلك السن بالسن والعين بالعين، وفرض عليهم رجم الزاني والزانية، وحرّم عليهم الدم ولحم الخنزير والخمر والربا،

فلماذا إذاً احتاج أن يبعث محمداً بالإسلام ورسالته لم تزد على هذه الأشياء التي كان قد فرضها على بني إسرائيل؟

ولم يكتفِ محمد بقتل بني قريظة وتهجير بني النضير، فقال:

{وقل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبةً عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير. (المائدة 60)}.

فلأن يهود خيبر ما زالوا في الجزيرة العربية استمر محمد في صب جام غضبه عليهم وتحقيرهم، فجعلهم قردةً وخنازيراً.
وبعد أن قتل محمد بني قريظة وشرّد بقية القبائل اليهودية، أتى بآية في سورة المائدة تقول:

{وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلت أيديهم ولُعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما أُنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين. (المائدة 64)}.

القرآن طلب من اليهود أن يقرضوا الله قرضاً حسناً، فقال بعض من اليهود إن يد الله مغلولة، فشتمهم الله ولعنهم وقال إن يد الله مبسوطة ينفق كيف يشاء. هل يحتاج رب السماء أن ينفق المال، *وإذا كانت يداه مبسوطتين وينفق كيف يشاء، لماذا طلب من اليهود أن يقرضوه قرضاً حسناً*، ثم كرر نفس الطلب من المؤمنين؟ أما قوله إنه ألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، فقول يعوزه الدليل. فعندما طرد يهود بني قينقاع من ديارهم، ذهبوا إلى خيبر حيث يقيم بعض اليهود وسكنوا معهم وشاركوهم في مساكنهم ومزارعهم. واليهود اليوم من أكثر الناس الذين يساعدون بعضهم سواء في أمريكا أو أوروبا أو إسرائيل. وكذلك قوله إن الله يطفيء نار الحرب كلما أوقدها بنوا إسرائيل **قول لا ينطبق على الواقع**. فاليهود حتى قيام دولة إسرائيل سنة 1948 لم يوقدوا أي نار للحرب، حتى عندما ذبحهم محمد وأجلاهم إلى خيبر، وعندما أخذ مزارع "فدك" منهم، لم يحاربوه ولم يوقدوا ناراً للحرب. ولكن منذ 1948، فقد أوقدوا عدة نيرانٍ للحرب وكسبوها، ولم نرَ لله مفعولاً في إطفاء تلك النيران.
ثم تستمر السورة، فتقول:

{لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلاً كلما جاءهم رسولٌ بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون. (المائدة 70)}.

وهذا مجرد افتراء على بني إسرائيل. فقتل رسولٍ حدثٌ مهم لا يمكن أن يتجاهله التاريخ، وتاريخ بني إسرائيل لم يذكر أي رسول قد قُتل. وكيف سمح الله لبني إسرائيل أن يقتلوا رسله، ألم يقل في القرآن:

{إنّ الله يدافع عن الذين آمنوا. (الحج 38)}؟

فهل كان رسله غير مؤمنين فسمح لبني إسرائيل بقتلهم؟ وماذا فعل عندما قتلوهم؟ فلو أخذنا أي دولة قد أرسلت سفيرها إلى دولة أخرى وقتلته تلك الدولة للجأت الدولة المُرسِلة إلى الحرب لتنتقم لسفيرها، فهل فعل الله شيئاً عندما قتل بنوا إسرائيل رسله؟ وإذا كان لم يفعل شيئاً لماذا خذل رسله؟ **ألا توحي هذه الآية بأن الله لا وجود له**، وإلا لكان انتقم لرسله الذين قتلهم بنوا إسرائيل؟
ويبدو أن رب القرآن قد يئس أخيراً من بني إسرائيل فقال:

{لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوّد وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. (المائدة 78)}.

وطبعاً لا داوود ولا عيسى بن مريم قد لعن بني إسرائيل، مجرد ادعاء من محمد لا يسنده أي دليل.
وتستمر السورة فتقول:

{كانوا لا يتناهون عن منكرٍ فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون. ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون. (المائدة 79، 80)}.

فبنوا إسرائيل الذين صادقوا الأوس والخزرج قبل أن يسلموا وتولوهم، سخط الله عليهم وسوف يدخلهم النار إلى الأبد.

فرب القرآن يكره أن تتصادق الشعوب وتعيش مع بعضها في وئام.

ثم يختار رب القرآن أن يألب المسلمين على اليهود الباقين فيقول:

{لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأنّ منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون. (المائدة 82)}.

فإذاً قد شهد رب القرآن، وهو خير الشاهدين، أن اليهود أكثر الناس عداوة للذين آمنوا، وعليه لا نتوقع من الذين آمنوا إلا أن يفوقوا في عداوتهم لليهود **تلك العداوة التي زعم رب القرآن أن اليهود يضمرونها للذين آمنوا**. **وهذا هو إشعال نار الحرب ضد يهود خيبر**.

- ثم جاء في السورة قبل الأخيرة في القرآن، وهي سورة التوبة، وترتيبها 113، بآية صريحة في حث المؤمنين على قتال يهود خيبر، فقال:

{وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون. (التوبة 12)}

ونحن نعرف من كتب التراث أن محمداً لم يوقع عهداً إلا مع يهود المدينة ثم في العام السابع الهجري مع أهل مكة (صلح الحديبية). وعندما "نزلت" هذه الآية كانت مكة قد سلّمت له وأسلم أبو سفيان وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص. فالذين نقضوا عهدهم هم اليهود، وقد اتخذ محمد هذا عذراً لقتل بني قريظة، والآن يريد أن يتخذ نفس العذر لقتل يهود خيبر، فقال:

{قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشفِ صدور قوم مؤمنين. (التوبة 14)}.

وفي آية أكثر صراحةً من سابقتها، يقول محمد للمؤمنين:

{قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحقِ من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون. (التوبة 29)}.

فاليهود والمسيحيون لم يعد لهم مكان في مملكة محمد.

وكنتيجة حتمية لملء رؤوس الأنصار والمهاجرين بنفاق بني إسرائيل وبالتحريض على قتالهم، سار محمد على رأس جيشه إلى خيبر سنة سبعة من الهجرة، وحاصر اليهود في حصونهم حتى نزلوا إليه فعذب زوج صفية ليكشف له مكان الذهب، فرفض. وهنا قتله محمد بدم بارد وقتل أبا صفية ثم تزوجها ودخل بها في نفس الليلة، وصادر جميع مزارع خيبر من اليهود، وصالحهم على أن يزرعوها ويرسلوا له نصف المحاصيل سنوياً. وهكذا تمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل.
ثم أخيراً لجأ محمد إلى إشاعة الأكاذيب، لتبرير ما فعله بيهود خيبر،فقال:

{وقالت اليهود عُزيرٌ ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّا يؤفكون. (التوبة 30)}.

أي إنسان يعرف مثقال ذرة عن اليهود يعرف أنهم لم يقولوا عُزير ابن الله، **وعُزير أصلاً اسم لا وجود له في التوراة ولا يعرفه اليهود**، ولا يمكن أن يقولوا إنه ابن الله. ولما اكتشف المفسرون هذه الحقيقة بعد أن تعلموا قراءة التوراة، أتوا **بتفاسير مضحكة للخروج من هذا المأزق**. يقول القرطبي:

"سبب ذلك أن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم، فخرج عُزير يسيح في الأرض، فأتاه جبريل فقال أين تذهب؟ قال أطلب العلم، فعلّمه التوراة كلها، فجاء عُزير بالتوراة لبني إسرائيل وقال إن الله قد حفّظني التوراة، فجعلوا يدرسونها من عنده وقالوا إنّ هذا لم يحدث إلا لأن عُزير ابن الله، حكاه الطبري."[5]

فهل الله يلعب مع بني إسرائيل؟ أنزل لهم الألواح بخط يده، فعبدوا العجل، فقال لهم اقتلوا أنفسكم، فقتلوا سبعين ألفاً منهم، ثم غفر لهم، ثم قتلوا الأنبياء من بعد موسى، فغضب عليهم ورفع التوراة عن صدورهم، ثم حفّظها لعُزير ليحفظها لبني إسرائيل بعد أن رفعها عن صدورهم. ثم بعد هذا يقول المفسرون إن التوراة محرفة. هل تدخل مثل هذه القصص أي عقل سليم؟

ثم زاد القرآن الطين بلةً عندما قال في الآية التي تلت هذه:

{اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أُمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون. (التوبة 31)}.

مرة أخرى **أحرج القرآن المفسرين** لأنهم يعرفون أن اليهود لم يتخذوا أحبارهم أرباباً من دون الله، ففكرو ثم قدروا، ثم أتوا بالقصة التالية لتفسير هذه الآية:

"سُئل حذيفة عن قوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً، هل عبدوهم؟ قال: لا، ولكن أحلوا لهم الحرام فاتبعوه وحرّموا عليهم الحلال فحرموه".

اليهود عندهم التوراة والمشنا فيهما تفصيل كل المحرمات من كل أنواع الطيور والحيوانات وغيرها، وهم حتماً ملتزمون بها أكثر من التزام المسلمين بحلالهم وحرامهم. ألم يلُم رب القرآن محمداً نفسه لأنه حرّم على نفسه ما أحله الله له (مارية القبطية)؟ وماذا عن شيوخ الوهابية الذين حرموا إهداء الزهور للمرضى، ورب القرآن لم يذكر الزهور في كتابه. وهاهم الشيوخ قد أحلوا زواج المسيار وزواج الفرند وقد حرّم الله زواج المتعة.

فهل اليهود اتخذوا رهبانهم أرباباً أم اتخذ المسلمون شيوخهم أرباباً من دون الله؟ أم أنه الحقد على اليهود والنصارى لأنهم لم يؤمنوا بمحمد؟

ونرى هنا أن رب القرآن أو محمد لم يعرف كيف يتعامل مع اليهود في جزيرة العرب *لأن محمداً كان يرى فيهم قوة معترف بها*، ولو آمنوا به لاعترف به العرب، *ولذلك حاول أن يكسب ودهم* بأن **تشبه** بهم **وصلى** لقبلتهم **وصام** عاشوراء. ولكن في بعض الأوقات كان *ييأس منهم* ويأتي بآيات تهاجم اليهود وتسبهم. ثم *إذا احتاج لمالهم* من أجل غزواته، يأتي بآيات أخرى تُقرّظ بني إسرائيل.

وكنتيجة لهذا التذبذب الواضح أتى القرآن متخبطاً ومتناقضاً في كثير من آياته عن بني إسرائيل،
كما تناقض في أمور أخرى كثيرة.
ولكن محمداً لم يكتفِ بالتناقض في أقواله بل ذهب أبعد من ذلك
فقتل اليهود وهجّرهم وسبى نساءهم وأطفالهم واستحوذ على أموالهم
تحت غطاء إلهي من آيات القرآن.

عودة إلى الفهرس

[5] تفسير القرطبي.

206 - في استراحة القراء 1

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=214509

- السيد - من اليمن - صاحب التعليق رقم 1، يقول عن إله القرآن:

(مازال يعتقد ان الشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم. والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. لاالشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون يا ااعيني . مازال يعتقد ان الشمس والقمر على مستوى واحد من الارتفاع في السماء) انتهى.

✍ وبعد شكري له على الإطراء، أوافقه في أن إله القرآن يظهر من خلال آياته بأنه عربي من الصحراء لم يكن الفلك من اختصاصاته ولا يعلم منه غير الذي نراه بالعين المجردة. فهو يرى الشمس تغيب ليظهر القمر، الذي بدوره يغيب لتظهر الشمس. والغريب أن جماعة فيثاغورس كانوا قد توصلوا إلى الحقائق العلمية عن كروية الأرض ودورانها حول نفسها سنة 500 قبل الميلاد، وإله القرآن ما عرف ذلك.

- السيد طارق، صاحب التعليق 2، يقول:

(هرطقة فكرية محضة ... أتمنى كتابة شيء قيّم يحترم العقول والأديان والنفوس، حتى ولو كان علمانياً) انتهى.

✍ والسيد طارق لا يعلم أنه قد ناقض نفسه بنفسه، فالذي يحترم الأديان لا يمكن أن يحترم العقول لأن الأديان ميثولوجيا والعقل يحترم العلم فقط. تحياتي له.

✍ تحياتي وشكري للسيد مايسترو، صاحب التعليق 3، وليس لدي ما أضيفه على تعليقه عن اليهود.

- السيد عمار أحمد الياسري، صاحب التعليق 4، يقول:

(الدكتور العزيز كامل النجار. لقد ذكرت في تعليق لك انك علماني ولا تدين بديانة ما، وافهم من ذلك انك تقف على مسافة واحدة من كل الاديان وهذا ما ننتظره من باحث عالم مثلك، ولكن الا ترى انك تميل الى انتقاد الاسلام دون غيره؟ واذا كان هناك حقد اعمى على اليهود فهل تستطيع ان تخصص موضوعا عن اليهود في الاندلس ولماذا هرب اليهود بعد تحرير الاندلس من المسلمين؟ سانتظر منك هذا الموضوع لكي تزيدنا علما.. اتمنى ان تكون قد شاهدت البرنامج في العربية عن اخواننا اليهود المهجرين من العراق وتسمع كلمات حنينهم للعراق ولجيرانهم المسلمين. واتمنى ان يدلو كاتبنا الرائع حسقيل قوجمان او كاتبتنا اليسارية سعاد خيري لنرى الصورة الحقيقية.) انتهى.

✍ لقد كررت مراراً أنني لا ديني، ولكني أنتقد الإسلام دون غيره *للمصائب التي جرها*، وما زال يجرها لنا. ولن انتقد البوذية أو المسيحية أو أي ديانة أخرى يحتفظ بها أتباعها في كنائسهم ومعابدهم ولا يجبرونا على اتباعها معهم، *ولا يدعون أنهم يملكون الحقيقة المطلقة وغيرهم لا يمتلك غير السراب*. أما بخصوص الحقد الأعمى على اليهود فسوف أكتب مقالاً منفصلاً عن ذلك بعد الانتهاء من السلسلة الحالية. وسوف أتعرض لاضطهاد اليهود في الأندلس والمغرب وتونس وغيرها. أما يهود العراق فيستحقون أن ننصب لهم نصباً تذكارياً، فهم، رغم أن العراق طردهم، ما زالوا يحنون له لأنه وطنهم، وقد قال الشاعر:

وحبب أوطان الرجالِ إليهمُ　　مآربُ قضاها الشبابُ هنالك

- السيد علي، صاحب التعليق 5، يقول:

(في رأيي الشخصي أن محمد لم يكن يهمه أن استمالة اليهود للدين الجديد ففي بدء الدعوة قال محمد لقبيلته -أدعوكم أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم - يبعني أنه لا مكان لليهود لأن محمد كان واثقاً من عدم إيمان اليهود برسالته ظهر اليهود على سطح الأحداث في يثرب ولم يكن محمد حريصاً على إيمانهم أما الصلاة بإتجاه القدس أو صوم يوم العاشر فهي أمور لجعل اليهود على الحياد فقط وبعث بعض الإطمئنان لنفوسهم لأن العدو الحقيقي كان في مكة أي قريش فالتاريخ يخبرنا بأن محمد قد تحول عن بيت المقدس قبل غزوة بدر وقبل أن يصبح قوة تحسب لها حساب محمد كان ذكياً جداً من هذه الناحية فقد أمسك الأمور من المنتصف ومنع أي حلف بين اليهود وبين قريش وقضى على الإثنين إنها قمة التفكير الإستراتيجي) انتهى.

✍ أود أن أختلف مع السيد علي هنا وأعتقد أن محمداً كان همه الأول اعتراف اليهود بنبوته، ولذلك حاول استرضاءهم بكل الوسائل الممكنة وعندما فشل لجأ إلى الشتم والقوة. أما أهل مكة فلم يكونوا أعداءه لأنه كان رجلاً قبلياً في المقام الأول، ورغم أن الأنصار هم الذين نصروا دينه، ولولاهم لما قامت للإسلام قائمة، **فقد جعل الأمر في قريش حتى إن بقي منهم رجلان**. *وعندما دخل مكة فاتحاً أوصى قواده بعدم قتل القرشيين. ولو كانوا أعداءه لأعمل فيهم السيف.* وتحويل القبلة إلى بيت المقدس حدث في العام الثاني بعد الهجرة، كما يقول الطبري، ج2، ص 17. ويقول ابن الجوزي في كتابة "المنتظم في التاريخ" أنه حدث بعد 18 شهراً من الهجرة. وذلك بعد أن يئس محمد من إقناع اليهود بنبوته. وكون أن محمداً كان ذكياً فلا خلاف على ذلك. كان عبقرياً في السياسة وقد استفاد منه معاوية بن أبي سفيان، كاتب وحيه، بعكس ابن عمه علي الذي التزم الأخلاقيات الدينية.

- السيد - من اليمن - صاحب التعليق 6، رد على السيد الياسري بالآتي:

(ليس شرطا ان يقف العلماني او الانسان الحر موقفا واحدا من جميع الاديان !!هذا تعنت يا اخي . البوذية لم تقتل ولم تسب ولم تغتصب النساء اليهود كذلك لم يقتلوا احدا من اجل ان يبدل دينه ويؤمن بالتوراة ومع هذا قد كتب الدكتور كامل اكثر من مقال ينتقد ماجاء في العهد القديم . فلماذا تريدون الانسان ان ينتقد في المقال الواحد كل الديانات السماوية والارضية الموجودة اين الموضوعية اذن؟. ثم لا يوجد في اليهود اليوم ولا في المسيحيين من يدعوا الى اقامة الخلافة اليهودية ولا المسيحية ولافتح اسواق النخاسة ودور البغاء والعهر ولا الغزوات والسبي والنهب . الاسلام هو الدين الوحيد الذي يصطدم اصطداما كليا مع كل قيم الانسانية والمدنية والرحمة والحداثة) انتهى.

✍ وليس لدي ما أضيفه لهذا الطرح غير الشكر.

- السيد ذو الهمة، كعادته وعادة كل الإسلاميين، يقول في التعليق 7:

(ما ارى من مهذا المقال إلا تكراراً لما سبق من مقالات دون ان ترتقي في موضوعك إلى درجة البحث العلمي الموضوعي الحيادي، ما ارى سوى تجنّي اعمى على الاسلام تحديدا دون غيره دون ان تحاول البحث بطريقة علمية عن الخلفيات التاريخية للصراع التاريخي بين اليهود والرسول محمد ، وعلاقة الدعوة الاسلامية بهذا الصراع وتأثيركل منهما على الآخر(الصراع التاريخي، الدعوة الاسلامية). واذا بقيت مقالاتك بهذا المستوى فسوف لن تكلفنا لاحقاً عناء قراءة هذه (التأملات!! !!-تأملات ليس أكثر) والرد عليها.) انتهى.

✍ وأنا من جانبي لا أعرف ما هو البحث العلمي الذي يريدني ذو الهمة أن أرتقي له. **ليته يكتب لنا بحثاً عن أخلاقيات الإسلام حتى نتعلم منه طريقة البحث العلمي**. أنا في مقالاتي لا أحاول أن أفرض آرائي على الناس لأني أعلم أن رأيي قد يكون خاطئاً، وهذا عكس ما يعتقده الإسلاميون من أن أفكارهم فقط هي الصحيحة وأفكار غيرهم خاطئة. لكني مثل الفيلسوف الإنكليزي برتراند رسل الذي قال:

"أنا غير مستعد أن أموت من أجل أفكاري لأنها قد تكون خاطئة."

وإذا كان ذو الهمة يعتقد أنها خاطئة فليفندها بدل أن يستمر في مقولته المشهورة "لم ترتقِ لمستوى البحث العلمي".

- السيد عبد القادر أنيس صاحب التعليق 8، رد على السيد الياسري رداً منطقياً ليس عندي ما أزيده عليه، فله الشكر.
- كل الشكر للسيد عقلاني من الكويت، صاحب التعليق 9، الذي قال

إن القرآن لم يثبت حتى الآن أنه من الله وكل ما به يتعارض مع العلم.

- وهذه حقيقة يُشكر عليها.
- شكري للسيد جلال حبش صاحب التعليق 10 على إطرائه.
- السيد رعد الحافظ صاحب التعليق 11، يقول:

(طالما راودني هذا السؤال المهم الذي تطرحهُ من بين تساؤلاتكَ المنطقية يا أستاذنا. لماذا كل هذا العناء في إخراج بني إسرائيل من مصر ، وبعد كل تلك المصائب التي حلّت بفرعون وأتباعهِ ؟ ثم يحدث الإختبار والإنتقام وتفريقهم الى 12 فرقة ، وحرمانهم سنين طويلة من لذائذ الطعام ، ثم توفير العدس والبقل لهم ، ثم عقابهم مدى الحياة بوصفهم قردة خاسئي وغير ذلك . ألم يكن محوهم من على الخريطة أسهل ؟ أو ترك فرعون ليبيدهم عن بكرة أبيهم ؟) انتهى.

- شكري للسيد رعد الحافظ وأرجو أن يجيبنا بعض الإسلاميين على هذه الأسئلة.
- شكرى للسيد علي هيثم صاحب التعليقات 12، 19، 20، و 21.
- صاحب التعليق 13 يسأل:

لماذا الكاتب لا ينتقد التوراة والإنجيل.

- ولقد أجبت على هذا السؤال مرات عديدة.
- السيد انسطو تشي غفارة، صاحب التعليق 14، يقول:

(بالرجوع إلى التاريخ نجد أن ماورد في القران ماهو إلا كلام فارغ لا معنى له فالصراع بين العرب واليهود أو ما بات الأن يعرف بالنزاع العربي الصهيوني هو في الواقع دو جدور إقتصادية على عكس ما يدعيه البعض فمن خلال إستنطاقنا للحقائق التاريخية نجد أن اليهود قد إنتشروا في العالم لأسباب إقتصادية -تجارية بالأساس-فهم كانوا يتعاطون التجارة نظرا للضروف الجغرافية لمنطقة الشرق الصعة إلا أنه بعد ماتعاقب على الشرق مجموعة من الإمبراطوريات والتي كان أمراءها يشكلون بالنسبة لليهود مصدر الثروة خاصة حين بدأ الملوك يبحثون عن الرفاهية فشكل اليهود المزود الوحيد بمواد الرفاهية وبعد الإنهيارات كان اليهود مضطرين لتغيير أماكن إقامتهم فإتجهوا إلى وجهات مختلفة كانت أروبا الغربية أهمها إلا أن التطور الإقتصادي لأوروبا الغربية وخاصة بعد صعود الرأسمال الصناعي وتحطيمه للرأسمال التجاري طرد اليهود من هذه المناطق وتعرضوا للإضطهاد من النبلاء و البرجوازية لممارستهم الربا) انتهى.

- مع احترامي لرأي السيد غفارة، أقول إن اليهود كأقلية منذ بدء الرسالة الموسوية، كان عليهم أن يثبتوا وجودهم ويبرعوا في مجالات تضمن لهم بقاءهم، لأن الأقليات دائماً مضطهدة، وخاصة في أوقات الشدة الاقتصادية. وقد أثبت اليهود ذكاءهم في العلوم وفي الاقتصاد وتحكموا في اقتصادات جميع البلدان التي استقروا فيها، ولذلك كتب شكسبير روايته المشهورة "تاجر البندقية" ليظهر فيها تحكم اليهود في اقتصاد إيطاليا. وتشتتهم في أقطار العالم لم يكن نتيجة الاقتصاد وإنما نتيجة الاضطهاد الذي عانوه منذ السبي البابلي حوالي سنة 500 قبل الميلاد ثم التهجير الروماني لهم من فلسطين مرتين، ثم التهجير العربي الإسلامي، ثم الإبادة النازية. ومع ذلك ما زالوا مسيطرين على الاقتصاد العالمي وعلى جوائز نوبل للعلوم والاقتصاد. وهذا حال الفلسطينيين في العالم العربي وحال كل الأقليات، فالفلسطينيون من أكثر العرب تعليماً وقد برزوا في مجالات عديدة في العالم العربي وفي أمريكا حيث يستطيع الإنسان أن يثبت جدارته، بعكس الدول الإسلامية التي يعتمد كل شيء فيها على الواسطة، والترقيات حسب التقرب من المسؤولين أو الانتماء إلى نفس الحزب، خاصة إذا كان حزباً إسلامياً مثل جماعة الإخوان المسلمين.
- السيد حازم، صاحب التعليق 15، يقول:

(أسكن قرب مسجد ولي جار مسيحي ونسمع سويا ايام الجمعة دعوات الشيخ على اليهود والنصارى ومرة قال لي - يا جاري العزيز الا يعرف الشيخ وهو من سكان الحي اني اسمع شتائمه ودعواته كل جمعة !!؟؟ ونتبادل التحية لو التقينا في الشارع وانا المبادر دائما!! لأنه حرام عليه ان يقول لي السلام عليكم حسب تعاليم نبيه وحتى لا احرجه اقول - كيفك يا جار فيرد الحمد لله على الايمان اذا فكرت تبيع منزلك فان عندي مشتري وانا افهم قصده طبعا !!! وكل خطبة جمعة نفس الشتائم والدعوات ويسعد مسا الطيبين) انتهى.

- وهذه حال المسلمين في كل مكان، **مَن ليس معهم فهو ضدهم**. ومَن هو ضدعم لا يستحق أن يعيش (لنا الصدر دون العالمين أو القبر).
- السيدة سناء، صاحبة التعليق 16، تقول:

(عندما كنت تحت تأثير الإسلام وكنت أقرأ القرآن،كانت تساورني الكثير من الشّكوك بسبب الأرتباك والتّفكّك والإضطراب الّذي ادخلني في حيرة كبيرة وأستعصى عليّ فهم تلك الآيات المتناقضة، أوعزت ذلك لمحدودية معرفتي بالقرآن وأسباب نزوله،فبدات أسأل العارفين بأمور الدّين كما بدات أقرا بعض كتب التفسير علّها تبدّد حيرتي.فكيف يكون كتابا سماويّا ويكون بهذا الغموض والخلط؟وإذا كنت انا العربيّة لا أفهمه.كيف سيفهمه من لايعرف لغة الضّاد؟المهم لم اجد جوابا مقنعا سوى التّقديس والتّمجيد المتكرّر وإتّهامي بالجهل.وفعلا صدّقت في وقت ما ذلك الإتّهام الباطل.لكن عقلي الباطن بقي مشكّكا في القرآن.فاللّه في تصوّري أكبر من ان ينزل تلك الخزعبلات ولا يمكن ان يكون كلامه ركيكا ولا يضاهي جمالية وبلاغة شعرعنترة أو امرؤ القيس ولا يمكن للّه ان يخلق البشر ثمّ يبعث الرّسل ليفرّقوا بينهم. وإذا كنت لا اعترف ولا أحترم أبا أو أمّا يفرّقان بين أبنائهما في المعاملة.كيف أؤمن بربّ محمّد الّذي كان السّبب في حروب وصراعات لا منتهيّة .مرّة اخرى شكرا وإلى الأمام) انتهى .

- والمشكلة أن المليار مسلم الذين يفاخرون بهم لا يفهمون القرآن، وهم راضون بذلك ويعترفون أن القرآن لا يفهمه إلا خريجوا الأزهر ومدارس النجف. فإذا كان المسلم العادي لا يفهم القرآن، لماذا هو مسلم، وكيف أسلم؟ وكيف يدافع عن كتاب هو لا يفهمه ويحتاج للقرطبي أو الطبري ليشرحه له، **كأنما المفسرون لهم خط اتصال مباشر مع مَن قال القرآن**. إنها الأدلجة. المؤدلج لا يفكر بل يتبع الخطى المرسومة

مشيناها خطًى كُتبت علينا ومن كُتبت عليه خطًى مشاها

- أشكر السيد سعد الشروكي، صاحب التعليق 17، على رده على ذي الهمة.
- أشكر السيد مجيد من المغرب، صاحب التعليق 18 على تحليله المنطقي لموقف محمد من اليهود.
- السيد عبد الأمر بالفسق، صاحب التعليق 22، يقول:

(لي ملاحظتان صغيرتان لا تقللان من قيمة ما كتب أستاذنا: تذكر التوراة قصة العجل الذهبي أثناء فترة التيه في سيناء تماما كما في القرآن وتدعي أن هارون أخو موسى هو صانعه. شرب الخمر غير محرّم عند اليهود) انتهى

- شكراً للسيد عبد الآمر بالفسق، وفعلاً العهد القديم يقول في سفر الخروج، الإصحاح 32، إن هارون هو الذي صنع لهم العجل. ولا غرابة في أن يقول القرآن إن السامري صنع العجل لأن محمد كان ينقل القصص من التوراة ويغير بها ما يراه غير مناسب. ففي رأيه أن هارون كان رسولاً مع موسى ولذلك لا يمكن أن يصنع لهم العجل، فجاء باسم السامري الذي لا وجود له ولا يعرف عنه المفسرون أي شيء، **وقالوا أنه كان رجلاً من قرية مصرية اسمها سامرة**. بالنسبة للملاحظة الثانية التي تقول إن اليهودية لم تحرّم الخمر، فالتوراة مثل القرآن لم تقل بالتحريم صراحةً ولكنها أتت بآيات استنتج منها الحاخامات التحريم كما استنتج فقهاء

الإسلام التحريم من آيات عديدة عن الخمر لم تقل أي منهن صراحةً أن الخمر حرام. تقول التوراة: {8 **وَقَالَ الرَّبُّ لِهَارُونَ: 9 «خَمْراً وَمُسْكِراً لاَ تَشْرَبْ أَنْتَ وَبَنُوكَ مَعَكَ عِنْدَ دُخُولِكُمْ إِلَى خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ لِكَيْ لاَ تَمُوتُوا. فَرْضاً دَهْرِيّاً فِي أَجْيَالِكُمْ.** (سفر لاويون، الإصحاح 10، الآية 8)}. فهي هنا منعت الخمر على قبيلة لاوي وعلى أجيالهم القادمة. وتقول كذلك: {(4 **لَيْسَ لِلْمُلُوكِ يَا لَمُوئِيلُ لَيْسَ لِلْمُلُوكِ أَنْ يَشْرَبُوا خَمْراً وَلاَ لِلْعُظَمَاءِ الْمُسْكِرُ. 5 لِئَلاَّ يَشْرَبُوا وَيَنْسُوْا الْمَفْرُوضَ وَيُغَيِّرُوا حُجَّةَ كُلِّ بَنِي الْمَذَلَّةِ.** (سفرالأمثال، الإصحاح 31-4)}. وهناك آيات كثيرة أخرى تدعو اليهود للامتناع عن شرب الخمر.

- السيد مجيد من المغرب، صاحب التعليق 25، يقول في رده على السيد الياسري:

(واقول لك ان تحييد النصوص ليس بالامر الهين وهي المترسخة في العقل الجمعي لقرون، والسبيل الاوحد الى دالك هو نزع عنها صفة القداسة لتظهر على حقيقتها صناعة بشرية وهدا بالظبط ما يقوم به مشكورا الاستاد كامل النجار. اما قولك انه ليس هناك حقد على اليهود فهدا افتراء، في المغرب والجزائر عندما ينعت احد ب- اليهودي- معناه انه شخص قبيح الخلق ويحمل صفات مشينة. وهناك حقد اعمى في العقل الجمعي وكراهية شديدة لليهود، ولاغرابة في دالك مادامت مرجعية المسلم هو القران والسنة.) انتهى.

- وتأكيداً لما قال عن وصف الإنسان ذي الأخلاق القبيحة باليهودية، لمّا كنتُ في السعودية كان السعوديون يقولون عن الكويتيين أنهم يهود العرب لأنهم بخلاء ويحبون الفلوس .ولما عملتُ بالكويت، سمعت بعض الكويتيين يقول إن الفلسطينيين هم يهود العرب. وللسيد مجيد شكري.

- السيد أبو فراس، صاحب التعليق 26، يسأل:

(سؤال الى كافة ألمؤمنين؟! من هو ألذي يأمر وينهى ويحل ويحرم ويضع عن أهل ألكتاب اصرهم في ألآية 157 من سورة ألآعراف ألتي وردت في مقال ألدكتور) انتهى.

- حسب الآية السابقة فإن المتكلم هو إله اليهود "يهوه" الذي استمر في الحديث وتكلم عن الرسول النبي الأمي. سهوة بسيطة من محمد.
- شكراً للسيد كنعان شماس أيرميا على تعليقه.

- السيد هشام محمد علي، صاحب التعليق 28، يقول:

(واليوم أكثر من أي وقتٍ مضى أستغرب مقتل كعب ابن الأشرف، لهجائه محمداً أو المسلمات. والقرآن يقول -والبادئ اظلم-.والبادئ كان محمداً عندما تطاول عليهم كشعب، وعلى ألهتهم، تاريخهم، أخلاقهم، عقولهم، أتهمهم بأشنع التهم. فأين العجب لو هجا أحدهم محمد. وإن كان حقاً نبياً، قد بعث -رحمةً للعالمين- فهل ترد الرحمة على الشتيمة بالقتل غدراً؟.... القرآن ومفسروه، يؤكدون أن فلسطين هي المكان الذي ورثه اليهود. ولكن الحديث في مثل هذه الآيات في هذا الزمن فتنة -والفتنة أشد من القتل-. يقول البعض أن القدس ملك نبي زمانه وليست لأمة بعينها، وبما أن محمد خاتم الأنبياء فهي ملكه وبالتالي هي ملك المسلمين. وبعبارة أدق هي ملك العرب، لأن المعركة سياسية بالطراز الأول.. لماذا لم تكن ملك موسى فوهبها لليهود ولا يحق لنبي أن يأخذ من قومٍ هبة من سبقه من زملائه؟ والذي استهجنه أكثر من كل ذلك، هو حلة دم اليهودي، واليوم أكثر من ذي قبل! لماذا يُقتل شخص لمجرد إنتمائه لدين ولد عليه كما حال المسلمين وغيرهم؟) انتهى.

- محمد كان أول مَن أدخل القتل غدراً ولأسباب سياسية، في الأديان. فهو قد أمر بقتل أكثر من عشرة أشخاص، بما فيهم سيدات، غدراً، منهم على الأقل اثنين من اليهود. بالنسبة للأرض المباركة التي أورثها الله لبني إسرائيل فقد اتفق المفسرون أنها فلسطين، ولا أعلم لماذا التباكي الآن على فلسطين إذا هم اعترفوا أن الله أورثها بني إسرائيل؟ هذا ما يحدث عندما نخلط الدين بالسياسة. فلا يمكن أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر بالبعض الآخر.

فإن كان الله قد أورث اليهود فلسطين، فهي حقهم الإلهي، وإن كان لم يورثهم إياها، فعلى المفسرين مراجعة تفسير سور القرآن التي تتحدث عن بني إسرائيل.

- السيدة ميريام، صاحبة التعليق 29، تقول:

(أنا عايشة مع اليهود واراهم كيف يعيشون ناس متعلمين متثقفين والمتطرفين فيهم قلال كثيرا الآن الجيل الجديد مستعد أن يعيش حياة طيبة مع العرب لكن تصرفات العرب وهمجيتهم وفتاويهم ضد اليهود لا تترك مجال للسلام ، حقد الاسلام من أول يوم عليهم وحتى الآن يقضي على اي محاولة للتقاهم) انتهى.

- أنا شخصياً أعيش وأعمل مع زملاء يهود وأجدهم من أكثر الناس تهذيباً مع المسلمين ولا يتدخلون في شؤون غيرهم، ومع ذلك يشتمهم المسلمون في المساجد ويسألون الله أن يشتت شملهم ويحرق زرعهم ويُأتم أطفالهم. إنه الحقد الأعمى الذي يجعل مسلماً في باكستان لم يضره اليهود بأي شيء، يدعو الله أن يُرمّل نساءهم.
- شكري للسيد يوسف حنا بطرس على تعليقه رقم 30.

- السيد حسام من الأردن، صاحب التعليق 31، يقول:

(مهما فعلت لن تغير ايها الكاتب من عقول المسلمين لان الاعلام الاسلامي اقوى حتى من الاعلام الصهيوني سيبقون يمجدون السلف الفاسق ويرهبون الناس. انهم اناس لا امل منهم حتى عنا في الجامعة الهاشمية قاطعوا الانتخابات وصل خبر مقاطعتهم لموقع الجزيرة وهذا دليل على قوة اعلامهم) انتهى.

- شكراً للسيد حسام على التعليق، والكل يعرف أن قناة الجزيرة قناة إخوانية يشرف عليها الشيخ القرضاوي الأب الروحي للإخوان المسلمين، والكل يعرف كذلك أن الإخوان المسلمين، بعد أن أمدتهم مملكة آل سعود بالبترودولارات من غير حساب، كونوا منظومة إعلامية دعوية عمت جميع دول العالم، ولكن كل ذلك **لن يمنع كشف عورات القرآن وجهل المفسرين الذين لعبوا بعقول المسلمين الجهلاء كل هذه القرون**. وفي نهاية الرحلة سوف ينتصر العقل على الدعاية الإسلامية ويكشف للمسلمين أن القرآن من تأليف بشر، يخطيء كثيراً، وقد يصيب قليلاً.

- السيد سمير البحراني، صاحب التعليق 32، يقول:

(لا يخفى ان كارودي قد تحول الى الاسلام كما يقال فاذا كان هذا صحيحا الم يطلع على اخطاء القرآن العلمية والتاريخية كما تقولون وهو آت من لب الحضارة الغربية وما الذي جعله يعتنق الاسلام اذا كانت هناك اخطاء في كتاب الاسام؟؟ . هل عدم معرفته ام ما ذا؟) انتهى.

- وأقول للسيد سمير الجواب هو دولارات السعودية التي جعلت من د. موريس بوكاي عالماً في التشريح وفي الجراحة وفي اللغة العربية التي تعلمها على الكبر بعد أن تعرف على الملك فيصل. والآن تطبع السعودية الآلاف من الكتيب الذي ألّفه عن القرآن والإنجيل وتوزعها مجاناً في فرنسا. ونفس الشيء ينطبق على گارودي وعلى كل العلماء المسيحيين الذين يدعوهم الشيخ الزنداني بالتمويل الوهابي ليلقوا محاضرات عن جمال وصدق القرآن، وهم ما زالوا مسيحيين، وكما يقول المثل الإنگليزي money talks.

- السيدة آمال، صاحبة التعليق 33، تقول:

(جعلني مقالكم أتذكّر الشيخ الكويتي عثمان خميس ، في حوار له مع شيوخ الشيعة على قناة المستقلة ، ليثبت لهم عدم صحة الإمامة ، وأنها غير موجودة في الاسلام قال بالحرف : "لو دخل علينا الآن يهودي وقال في القرآن آية تقول : يا بني إسرائيل وجعلناكم أئمة على العالمين..!! لا يستطيع أحد أن يقول له لا..لا ...؟؟ وكان هذا ليدحض رأي شيوخ الشيعة حول الإمامة..." رغم هذا أرى صحة هذه الآية فقط ، حيث نجد أنّ اليهود يسيطرون على العالم سياسياً و إقتصادياً وعلمياً...!!!أما بخصوص روضات الدول العلمانية أنا متأكد أنها أفضل من مدارسنا ومعاهدنا و جامعاتنا ، في التربية وتعليم المثل والاخلاق وحقوق الانسان.) انتهى.

- فعلاً بنو إسرائيل هم أئمة العالم لأنهم أهل أول دين "سماوي" وقد اختارهم الله وفضلهم على العالمين، وكتب لهم بخط يده الألواح التي بها هدًى لأولي الألباب. ومن ناحية الذكاء أعتقد أن أمة أنجبت أينشتاين تستحق أن تكون إمامة على أمة أنجبت بن باز والقرضاوي.
- أشكر السيد ضياء صاحب التعليق 34 على رده على السيد ذي الهمة.

- السيد ابن المكلا صاحب التعليق 35، يقول:

(طيب يا كامل النجار. انت شرحت وفصلت وانتقدت من خلال المعلومات التي جمعتها من خلال خبرتك في الحياة. اكن الا تلاحظ انك مكشوف الظهر . يعني تهاجم من دون سلاح من دون عدة وعتاد فانت اذن ضعيف الحجه . افكارك هذه اذا اردت ان تغير بها تفكير الناس اجعلها في قالب اجمل من هذا ضع فيها ادلة علمية ادلة واضحه ليتبين للقارى انك على صواب. اما ان تعتقد اعتقادات خاطئة وتفسر تفاسير بمزاجك فلن يصدقك الا اصحاب العقول المنغلقة. كلامك هذا كله ممكن اي شخص يفهم في الدين الاسلامي ان يرد عليك رد العقول وليس رد الالسن) انتهى.

- أرجو من السيد ابن المكلا أن يقرأ تعليقه ويتمعن في كلماته. ما دخل كشف الظهر مع هجومي من دون سلاح. هل لو هاجمت بسيف سوف يكون ظهري مستوراً؟ وما هي الأدلة العلمية التي يؤيدها أكثر من أدلة القرآن نفسه؟ هل يريدني أن أقول: "وجعلنا منكم القردة والخنازير" هي في مقام المعادلة الفيزيائية x+y-2z=0 ؟ وهو يقول **أي شخص يفهم في الدين يمكن أن يفند أقوالي، لماذا لم يفندها هو؟** وإذا كان هو لا يفهم في الدين كيف عرف أن أقوالي غير صحيحة، ولماذا يتبع ديناً هو لا يعرف فيه شيء؟ **فمَن هو صاحب العقل المغلق؟**

- السيد جيفري، صاحب التعليق 36 يقول:

(بعض أسباب النزول تشير إلى أن اليهود كانوا يسألون النبي عن أشياء فيجيبهم قائلا بأنه أخبر بالجواب وحيا من الله فيردعليه السائل منهم صدقت. وهنا بيت القصيد كيف يقول اليهود للنبي إنه صادق في الرد على أسئلتهم التعجيزية ثم لا يستجيبون حين يدعوهم للإسلام؟ أليست هذه الروايات كلها موضوعة و أن اليهود لم يسألوا النبي قط لأن موقفهم منه كان واضحا من البداية؟ ما مدى صحة ذكر النبي في التوراة والإنجيل؟ حتى و إن أنكرت ذكره في هذين الكتابين فإن المشايخ يؤكدون على أن فلانا اليهودي و علانا المسيحي قد أسلما لأنهما تأكدا من وجود المسيا في التوراة و الإنجيل،. المعروف عن اليهود أنهم أصحاب علم و تجارة فلماذا سمح الأوس و الخزرج بإبادتهم؟. وتقبل تحياتي يا دكتورنا الجليل) انتهى.

- طبعاً، كما تعلم، أن كل قصص أسباب النزول كتبها المفسرون الإسلاميون بعد مئة سنة من موت محمد، **ولأن محمداً في ذلك الوقت أصبح إلهاً جديداً للمسلمين، تنسخ أحاديثه صحيح القرآن، فلا يمكن لمسلم أن يقر أن محمداً قد أخطأ**، ولذلك كل إجابة أعطاها لليهود لابد أن تكون مفحمة لهم وتقود إلى إسلامهم، مع العلم أن كتب التاريخ مثل الطبري وغيره تقول إن ثلاثة يهود فقط أسلموا يوم حاصرت جيوش محمد بني قريظة وقتل منهم حوالي ألف رجل وصبي. وهذه نفس قصص مواقع الإسلام الحالية على الإنترنت والتي تزغرد بأن گارودي وفلان وعلان قد انبهر بالقرآن وأعلن إسلامه، لكنهم يغضون الطرف عن مئات العلماء الذين دفعوا لهم آلاف الدولارات ليحاضروا في السعودية واليمن عن عظمة القرآن وهم ما زالوا مسيحيين. أما الأوس والخزرج فهم سبب المصيبة الكبرى التي ألمت بالعالم العربي لأنهم احتضنوا محمد بعد أن رفضته مكة. ورغم أن يهود يثرب كانوا المسيطرين على الزراعة والتجارة والدين في يثرب وقد أحسنوا إلى الأوس والخزرج وتحالفوا معهم ضد أعدائهم *إلا أن الفوز بالغنائم ودخول الجنة للاستمتاع بالحور العين، تغلبا على ضمائر الأوس والخزرج الذين كان الجوع سوف ينهيهم لولا وجود اليهود، وتحالفوا مع محمد وقضوا على اليهود.*

- السيد صفاء إبراهيم، صاحب التعليق 38، يقول:

(لم اجد في كل كتاباتك غير الحقد الشخصي ضد محمد اعرف ان العلمانية فصل الدين عن الدوله. الدين محترم كأعتقاد والدولة مؤسسة للادارة وكل في طريق **اما ان تكون العلمانية هي كراهية محمد فهذا ما لم نعرفه الا منك**. للاسف انت بعيد عن المنطق العلمي بعدنا عن بلوتو. ولا يغرنك هؤلاء المطبلين فكل يغني على ليلاه) انتهى.

- **لو فصل المسلمون الدين عن الدولة لما انتقد أحد قرآنهم ولا نبيهم**، ولكن مشكلتنا أن قرآنهم أصبح دستوراً لبلاد مثل مصر العظيمة فدمرها في عقدين من الزمن، **وأحاديث نبيهم أصبحت المشعل الذي يقود شيوخ الوهابية في الظلام المطبق الذي لفوا به مملكة آل سعود**، وتلك الأحاديث نفسها، مثل: [**تركت فيكم ما لو تمسكتم به لن تضلوا: عترتي وكتابي**]، هي التي تُفجر القنابل في مساجد العراق وفي كنائسه. **افصلوا الدين عن الدولة وسوف نتركهم في جهلهم.**

- السيد محمد البدري، صاحب التعليق 39، يقول:

(أنا لا اتعجب من العداء للمرأة واليهود في القرآن. فالطرفين المذكورين هما اضعف الاطراف في مجتمع يثرب فكان من الممكن التهامهم بهدف والتغذي بهم فكريا اولا ثم ماديا واستمتاعيا فيما بعد. فهل يرفض المحاربين الحرب وفرض الدين بعد ان اعطوا حقوقا للنهب والسلب والسبي للاموال والنساء من فوق سبع سماوات. بدا التهام جزيرة العرب بالتهام الابرياء اولا والضعفاء ثانيا بالاستيلاء علي الههم وكلامه ثم ثرواتهم ونسائهم. فاذا كان هذا هو التاسيس للدولة المحمدية فهل يمكن ادراك لماذا كل هذه الدفاعات عن الاسلام بالقول انهم ابناء قرده وخنازير وان النساء عورة وقوارير. اذا لم يتم هذا يوميا فان التاسيس سينهار ويتحرر كل من وقع في ربقة الاسلام.) انتهى.

- وهذا القول يوضح لماذا تحالف الأوس والخزرج مع محمد ضد يهود يثرب الذين كان لهم الفضل في إطعامهم وإكسائهم. فللسيد محمد البدري الشكر.

- السيد زاهر زمان، صاحب التعليق 40، يقول:

(لسيد / كامل النجار كما أن الكثير مما جاءت به الكتب التى يقول أصحابها بأنها سماوية من عند الآله الساكن فى السماء ، يتعارض مع مااكتشفه العلم الحديث ، كذلك فإن عدم التزامك الدقة فى تفسير الكثير من الآيات التى يعتقد بها المسلمون فى قرآنهم ، ينزع عنك صفة الناقد والناقض المحايد ..انك تقحم تفسيراتك الشخصية فى الكثير من الآيات الواردة فى القرآن ..) انتهى.

- ما دام الكثير في تلك الكتب السماوية يتعارض مع العلم الحديث، فلماذا تنزع تفاسيري للقرآن عني **صفة الناقد المحايد** لأني وضحت تلك الأخطاء؟ هل لأنها آيات يؤمن بها المسلمون لا يجوز نقدها. ثم إذا كان تفسيري تفسيراً فردياً، هل تفسير ابن كثير أو تفسير الطبري أو تفسير الزمخشري، تفسير قامت به **لجنة محايدة؟ مَن أعطى أولئك المفسرين الحق في أن يفسروا القرآن، وحرمني أنا من ذلك الحق؟** أليس القرآن كلاماً عربياً مبيناً، وأنا ملم بقواعد اللغة العربية، فلماذا لا أفسر القرآن.

هل قال رب القرآن لا يفسر قرآنه إلا الطبري والزمخشري؟

- السيدة الفضلى أم محمد، صاحبة التعليق 41، تقول:

(أستاذنا العظيم ان ما كتبته في سلسلة المقالات الأخيرة هي أجمل ما قراته من تفاسير القرآن في حياتي فهو التفسير العقلاني وأتمنى أن يتم تجميع التفاسير كلها في كتاب تحت اسم التفسير العقلاني للقرآن . واقول لمن يكرر استفساره عن الكامل وتركيزه على نقد الاسلام ارد عليهم أن يقرأوا ما كتبه الدكتور الكامل في سيرته الذاتية فقد كان مسلما ورأى من ويلات الاسلام ما دفعه لنقد الاسلام وهو يوجه خطابه للمسلمين وهذا هو الصواب. كما أود أن ابين لكل من يدعي أن كتابات الكامل لا تفيد أقول للعلم إن كتابات الكامل قد نورت لي حياتي وحياة الكثيرين من الناس ولولا الخوف من قطع الرقاب لأعلن الكثير من المسلمين السابقين الردة على هذا الدين. أما تعليقي على ما في المقال فانا استفسر ما سبب اعتراض المسلمين على احتلال اسرائيل لفلسطين الم يذكر لهم قرآنهم ان ربهم أعطاهم مشارق الأرض ومغاربها وبارك لهم فيها اي أنه بموجب هذا التصريح فإن اسرائيل لها أراضي المشرق والمغرب وليس فلسطين فقط أو مصر) انتهى.

- وأنا أشكر السيدة أم محمد ولا أضيف شيئاً إلى تعليقها الذي يوضح أن تفسيري للقرآن يجد آذاناً صاغية عند الذين استطاعوا أن يخرجوا أنفسهم من الحظيرة، ويفكروا لأنفسهم دون أن يكون الراعي واقفاً فوق رؤوسهم.
- السيد عمرو إسماعيل، صاحب التعليق 42، يقول:

> (القرآن المكي هو نسخه صحراويه للمسيحية و القرآن المدني هو نسخه صحراويه للتوراة حسب ما كان متوفرا من معلومات) انتهى.

وهذه حقيقة تستحق أن يعيها الناس. فالقرآن المكي جاء متسامحاً تسامح معلمه المسيحي ورقة بن نوفل. وعندما تقوى بالأوس والخزرج جاء قرآنه المدني نسخة من توراة موسى. فمحمد لم يأتِ بأي شيء جديد. والشكر للسيد عمرو.

- السيد مصلح المعمار، صاحب التعليق 43، يقول:

> (السؤال الذي يطرح نفسه ، ان كانت التوراة جاءت بمبدأ توحيد الله قبل الأسلام فلماذا لم ينصرف محمد لتحويل الوثنيين فقط الى الأسلام وترك اليهود ليعبدوا الله بطريقتهم لأجل التعايش السلمي ؟ اذن محمد كان له تصميم وآفكار مبيته ضد اليهود كما حلل ذلك د. كامل وهذه الأفكار انكشفت حين قام محمد بأبادة اليهود في الجزيرة وسلب اموالهم ، فآلموضوع كله لم يكن التبشير بدين التوحيد لأن اليهود عرفوا الله الواحد قبل الأسلام بقدر ما كان مجرد اطماع ونية سلب اموال اليهود آنذاك بأسم الدين الجديد هذا من ناحيه ، ومن ناحيه اخرى لو كان اله محمد اله حقيقي لعرف وتنبأ مقدما ان اليهود لن يتركوا دينهم ليتحولوا الى الأسلام وبآلتالي لا جدوى من قتلهم وطردهم من الجزيره العربيه وعليه فآلموضوع كله ليس أوامر من عند الله ولا يتعدى عن عداوه وآطماع شخصيه وحسد على ثراء اليهود آنذاك (ولو اجتمع الأنس وآلجن لما استطاع محمد ان يكررها ثانية في هذا العصر) انتهى.

- رسالة التوحيد لم تكن من اختراع محمد، فقد سبقه موسى بذلك، وسبقهما الفرعون أخناتون، وسبق محمداً كذلك الفرس الذين أتوا بديانة "ميثرا Mithraism " التي كانت نسخة سابقة من المسيحية وتدعو إلى التوحيد. وحتى المسيحية نفسها بدأت بالتوحيد الذي لم يختلف عليه اثنان حتى مؤتمر نيقا الذي اعترف بالأقانيم الثلاث وأعطى فرصة للمسلمين فيما بعد ليتهموا المسيحية بالتعددية. وفكرة التوحيد كانت معروفة لعرب ما قبل الإسلام من الأحناف وغيرهم، ومحمد لم يأتِ بفكرة التوحيد ولم يأتِ بدين جديد، وإنما جاء بمنظومة سياسية تمكن العرب من السيطرة على غيرهم وتجعله ملكاً عليهم كما قال أبو سفيان يوم فتح مكة. وقد ظلم محمد اليهود بإسم دينه الجديد، ولكن دارت الأيام وهاهم اليهود يأخذون بثأرهم.
- السيد عراقي، صاحب التعليق 45، يقول:

> (تحية للاستاذ العزيز كامل . السامريون ، وفي الاغلب هم السومريون ، قبائل كانت تسكن اسفل وادي الرافدين وقد اسكنهم الكلدانيون في فلسطين في القرن السادس قبل الميلاد . فمن اين جاء السامري ايام موسى؟ اما للاخ الذي ذكر يهود الاندلس فأقول : نعم كان اليهود يعاملون افضل مما يعاملون في اوروبا والسبب يعود لان الحكم في الاندلس لم يكن اسلاميا وانما علمانيا، فكيف تفسر انتشار الحانات والغناء والرقص في مدن الاندلس؟ احترامي) انتهى.

- أشكر السيد عراقي على هذه المعلومة، ولكن فطاحلة التفسير القرآني قالوا:

> *إن السامري كان شخصاً مصرياً من قوم فرعون واسكنته أمه في مغارة حتى جاء موسى ليخرج بني إسرائيل. وهذا السامري قد ولد في قرية مصرية اسمها سامرة.*

ولكن للأسف لم يبينوا لنا أين مكان هذه القرية المصرية.

- السيد محمد، صاحب التعليق 46، يقول:

> يقول الله (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِيْنَ كَفَرُواْ أَنَّ السَّمَوَاْتِ وَ الأَرْضَ كَاْنَتَاْ رَتْقَاً فَفَتَقْنَاْهُمَاْ(الأنبياء : 3) . لقد بلغ ذهول العلماء في مؤتمر الشباب الإسلامي الذي عقد في الرياض 1979م ذروته عندما سمعوا الآية الكريمة و قالوا: حقاً لقد كان الكون في بدايته عبارة عن سحابة سديمية دخانية غازية هائلة متلاصقة ثم تحولت بالتدريج إلى ملايين الملايين من النجوم التي تملأ السماء . عندها صرح البروفيسور الأمريكي (بالمر) قائلاً إن ما قيل لا يمكن بحال من الأحوال أن ينسب إلى شخص مات قبل 1400 سنة لأنه لم يكن لديه تليسكوبات و لا سفن فضائية تساعد على اكتشاف هذه الحقائق فلا بد أن الذي أخبر محمداً هو الله) و قد أعلن البروفيسور(بالمر) إسلامه في نهاية المؤتمر) انتهى.

- لقد وقع السيد محمد فريسة سهلة لخداع الشيخ الزنداني الذي مولته منظمة المؤتمر الإسلامي ليجند علماء الغرب المسيحيين ليصدحوا بعظمة القرآن بينما يحتفظون بمسيحيتهم وآلاف الدولارات التي دفعها لهم الزنداني مع تذاكر طائرة درجة أولى لهم ولزوجاتهم وإقامة مجانية في أفضل فنادق المملكة. **وللأسف فإن الإسلاميين يرددون كذب الزنداني دون أي شك من جانبهم أو سؤال أنفسهم "لماذا ظل هؤلاء العلماء على دينهم مادام الإسلام بهذه العظمة."**

هذه نبذة من مقال طويل كتبه دانييل گولدن في صحيفة "وول ستريت جيرنال" يكشف أن البروفسور "بالمر" لم يُسْلِم ولم يشترك أصلاً في المؤتمر بعد أن أعطاه الزنداني الآية المذكورة وطلب منه أن يمتدح القرآن:

> Similar prodding failed to sway geologist Allison "Pete" Palmer, who was working for the Geological Society of America. He stuck to his position that Muhammad could have gleaned his science from Middle Eastern oral history, not revelation. On one video, Mr. Zindani acknowledges that Mr. Palmer still needs "someone to point the truth out to him," but contends that the geologist was "astonished" by the accuracy of the Quran. Mr. Palmer says that s an overstatement

فالسيد بالمر الأمريكي لم يسلم ولم ينبهر بعظمة الآية المذكورة، بل بالعكس قال إن محمد يمكن أن يكون قد أخذ هذه المعلومة من العلوم التي كانت موجودة في زمانه في الشرق الأوسط.

- السيد أمازيغي، صاحب التعليق 48، يقول:

> (أستغرب من يعترض عل الدكتور كامل ويتهمه بالجهل او عدم الموضوعية اانه ناقد فاشل - فالحين بس بالكلام ؟طيّب فنّدوا ما يقولة بمقال مستقل - ام هو التعصب الاعمى التمسك بالخرافات التي تعطيهم ايمان وهمي وشعور بالراحة هو السبب في عدم تقبلكم لهكذا مواضيع ؟؟ عزيزي الدكتور كامل. منذ ان قرات لك قبل سنة قلبت حياتي كلها فقد كنت شاكا بالقران من قبل ومقالاتك وابحاثك زادت من شكوكي حت رفضته كاملاً ..منذ تسعة أشهر)انتهى.

- وأقدم شكري للسيد أمازيغي وأطلب من الإسلاميين الرد بمقال منفصل يفندون فيه مقالاتي، على شرط ألا تكون مقالاتهم بمستوى مقالات السيد بسيوني بسيوني. وأقول للسيد أمازيغي إن طارق بن زياد ربما كانت تساوره نفس الشكوك التي ساورتك عندما عبر المضيق ليلحق بموسى بن نصير لفتح الأندلس، ولذلك حدثت مشادات بينهم أدت إلى ثورة الأمازيغ على العرب في الاندلس.
- السيد عباس علي، صاحب التعليق 48 يقول:

> (بكلمات المتنورين أمثال كامل النجار سوف ينكسر سيف الأسلام وينكشف زيف وكذب ألأنبياء جميعا وعلى رأسهم دجّال مكة القائل: أمرت أن أقاتل الناس جميعا ولم يقل أمرت أن أهدي الناس وهو القائل أيضا جعل رزقي تحت ظل رمحي ... محمد كان ميكافيللي في سياسته ومهادنته لليهود في البداية عندما كان ضعيفا وما أن قويت شوكته حتى حاربهم وغزاهم فقتل رجالهم وسبى نساءهم وباع أبناءهم في سوق النخاسة وطردهم من موطنهم وأرضهم رافعا شعار ألأرض ملك لله وللرسول ... ودليل أخر على ميكافيلية محمد تنازله عن رسالته النبوية المزعومة عند كتابة بنود صلح الحديبية ورضوخه لقريش بقبول كتابة محمد بن عبدالله بدلا من محمد رسول الله .. فهل يستطيع المسلم أن يتبرأ من ألأسلام كما تنازل محمد عن رسالته ليحقق مكاسب في الحديبية ؟؟ ونحن عندما ندين تصرفات محمد ألأرهابي فلا يعني هذا أن اليهود أبرياء ... بل هم أساس شر بلاء الأديان بأختلاقهم لعقيدة قومية سماوية من لدن يهوه ألههم المزعوم ... ولكن لكل مقام مقال .. فهم كشعب كانوا في يثرب وما حولها ضعفاء وأغنياء ومحمد أستنبط حجج وأيات ليسلبهم أموالهم ونساءهم وأرضهم .. فالغاية تبرر نزول ألأية) انتهى.

✍ فعلاً فإن محمداً قد سبق ميكافيللي في اختراع سياسة "الغاية تبرر الوسيلة".
لم يأت أي من الأديان الأخرى بقوانين تتدخل في خصوصيات الناس الدنيوية مثل الإسلام الذي قنن للرجل كيف يعاشر زوجته، وللمرأة كيف تهب نفسها لرسول الرحمة ثم لزوجها. كل ذلك حتى تكون له السلطة المطلقة على البشر، ثم أتى بالآية: {**ومَن لم يحكم بما أنزل الله فقد ضل ضلالاً بعيداً**}. *موسى ترك أمر الكهنة والحكم لأخية، ويسوع لم يأتِ بأي تشريع دنيوي لعقاب المذنب، وبقية الأديان مثل الهندوسية والبوذية لم تتدخل في* حكم *الناس الدنيوي*.
محمد *فقط هو الذي شرّع لحكومة دنيوية وجعل السيف عمودها الفقري، ثم الخداع السياسي فأباح لأتباعه الكذب وقال الحرب خدعة، وأباح لهم تعذيب المعارض السياسة كما عذب كنانة بن الربيع بعد غزوة خيبر*. وأباح للمرأة أن تشترك معهم في الغزوات وحتى أن تدافع عنه النساء في موقعة أحد عندما هرب عنه عمر وعثمان، ثم لما استتب له الأمر قال لهن: {**وقرن في بيوتكن**} وجعلهن ناقصات عقل ودين.

لا بد أن ميكافيللي قد درس سيرة محمد.

عودة إلى الفهرس

207 - يهود الأندلس

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=214677

لأني وعدت أن أكتب مقالاً منفصلاً عن يهود الأندلس، قررت أن أنشره الآن قبل أن أتابع سلسة القرآن وبنو إسرائيل[†]، فأرجو أن يعذرني القراء على ذلك.

كي نفهم ما أصاب اليهود في الأندلس لابد من معرفة تاريخ تلك البقعة من الأرض قبل وصول العرب إليها. كانت المنطقة الجنوبية وجنوب غرب شبه جزيرة آيبيريا (إسبانيا والبرتغال) تعرف باسم The land of the vandals وهم جماعة من القبائل الجرمانية التي احتلت تلك البقعة في القرن الرابع الميلادي، واشتق الإنگليز من اسمهم كلمة Vandalism أي "التخريب ونذالة الأخلاق"، وربما اشتق العرب كلمة الأندلس من أرض الأنذال أو الأندال. ثم جاءت قبائل جرمانية أخرى وهزمتهم وأقامت مملكة الڤيزي گوث Visigoth التي حكمت جزءاً من فرنسا وجزيرة آيبريا في بداية عام 415 م. كان سكان تلك الأرض يدينون بالمسيحية وقد عمروا عدداً كبيراً من الكنائس. وفي القرن الخامس الميلادي دخل اليهود إلى إسبانيا كتجار واستقروا بها وعمل بعضهم كجنود في جيوش الڤيزي گوث التي كانت تغير على أجزاء من أوروبا الشرقية. وقد كفلت حكومة الڤيزي گوث لهم حرية العبادة وعاملتهم باحترام.[1]

في عام 589 تحول الملك ريكارد إلى الكاثوليكية بعد أن كان بروتستانت وأصدر فرمان Elvera *الذي فرض على اليهود قوانين تعسفية أجبرتهم على لبس شارات خاصة حتى يسهل التفريق بينهم وبين المسيحيين، وأسكنوهم في أحياء خاصة بهم*. وفي عام 612 اعتلى العرش الملك Sisebut الذي طرد اليهود من مملكته ولكنهم عادوا لها بالعام 675.

في عام 91 هجرية (710 م) دخل موسى بن نُصير الأندلس على رأس جيش صغير وظل بها إلى أن التحق به طارق بن زياد سنة 711 م واحتل قرطبة وسافيل ، التي كانت بها جالية يهودية كبيرة كلفها طارق بن زياد حماية المدينة. *وقد سمح المسلمون لهم بمزاولة مهنهم وعبادتهم على شرط أن يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون، كما يدفعها السكان الأصليون المسيحيون.*

اكتمل غزو الأندلس في عام 716 م، ونزحت أعداد كبيرة من المسلمين من المغرب ومصر واليمن لتستقر في الأندلس. ونسبةً للزيادة السريعة في أعداد المسلمين الذين نزحوا إلى الأندلس وحاجتهم إلى مساجد،

- حوّل المسلمون أغلب الكنائس والمعابد اليهودية إلى مساجد،
- وفرضوا على أهل الذمة ألا يبنوا كنائساً أو معابداً جديدة ولا يرمموا ما انهدم مما تبقى لهم من كنائس إلا بإذن من الجهات المختصة.[2]

في باديء الأمر اشتغل اليهود بالتجارة وترجمة التراث الإغريقي إلى اللغة العربية، وترجمة المشنا وغيرها من التراث اليهودي. وقد برع منهم يهود كثيرون مما دعا الخلفاء المسلمين إلى تعيينهم وزراء في البلاط وكتبة وحُجّاب وأطباء للخلفاء وعائلاتهم، مثل الطبيب حسداي بن شبروت، الذي كان طبيب الخليفة العادل عبد الرحمن الثالث. ولم يمضِ زمن طويل حتى نزح أغلب يهود مصر الذين كانوا يعانون من اضطهاد الخلفاء الفاطميين إلى الأندلس.

وبالطبع لم يقبل السكان المحليون ولا اليهود بهذه المعاملة في بداية الأمر، ولذلك ثار السكان في مدينة طليطلة Toledo في عام 713 م *مما حدا بموسى بن نصير أن يبيح المدينة لجنوده لمدة 3 أيام، ذبح خلالها كل أعيان المدينة*. وقد خاف المسلمون أن تنتشر مثل هذه الثورة إلى بقية المدن الأندلسية، **فعملوا على عزل أهل الذمة في أماكن سكن خاصة وفرضوا عليهم لبس شارات معينة حتى يسهل معرفتهم.** وقد فرضوا ضرائب عالية على المنتجات الزراعية مما أدى إلى هجرة القرويين إلى المدن الكبيرة تفادياً للضرائب.[3]

وانتشر الفقر بين السكان الأصليين واليهود غير التجار **مما اضطرهم للعمل كخدم للعرب وعمال تدليك في الحمامات العامة. وإذا اعتدى أي من أهل الذمة على مسلم، فإن الحي الذي يسكن به ذلك المعتدي يفقد حماية الدولة لأنهم خرجوا عن الذمة، وبالتالي يُستباح الحي من جانب المسلمين.**

بنهاية القرة الثامن الميلادي جعل حكام الأندلس المذهب المالكي المذهب الرسمي للدولة، *وأصدر القضاة أحكاماً متعسفة ضد اليهود والمسيحيين*. وكمثال لهذا التصرف نعرض ما أصدره القاضي المالكي ابن عابدون في العام 1100م:

> "لا يُسمح لأي يهودي أو مسيحي أن يلبس لبس الأعيان، أو القضاة أو الأغنياء. بل يجب احتقارهم والبعد عنهم. ويُمنع منعاً باتاً مبادرتهم بالسلام لأن الشيطان قد تملكهم وأنساهم ذكر الله. فهم أولياء الشيطان {**إستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إنّ حزب الشيطان هم الخاسرون.** (المجادلة 19)}".

ومنع ابن عابدون بيع الكتب العلمية لليهود والمسيحيين لأنهم قد يترجمونها وينسبونها لأنفسهم.

في العام 1066 وفي مدينة غرناطة Granada اغتال مجهولون الوزير اليهودي صموئيل بن نغريلا وابنه، وعندما ثار اليهود، اندلعت عمليات قتل وحرق ونهب لممتلكات اليهود، ويُقدر عدد اليهود الذين قُتلوا في تلك السنة بخمسة آلاف شخص. وانتشرت الثورات في عدة مدن، منها طليطلة التي كانت قد ثارت عام 713، وثارت مرات عديدة بعد ذلك (761، 784، 797، 806) وفي الثورة الأخيرة قـُتِل سبعمائة شخص. والمدن الأخرى التي قامت بها ثورات كانت Saragosa في 781 و881، Cordova في 805، 805، Merida 813، 828، 868.[4]

وبما أن الخلافة في الأندلس كانت أموية، **فقد تصرف حكامها بالنسبة للأجناس غير العرب، نفس تصرف الأمويين في الشام، فجعلوا العرب المسلمين أعلى طبقة، تليهم طبقة الأمازيغ، مع أنهم مسلمون ويكونون غالبية الجيش الفاتح، لكن نصيبهم في الأندلس كان الأراضي الجبلية غير الصالحة للزراعة.** والطبقة الأخيرة والأدنى كانت طبقة أهل الذمة من يهود ومسيحيين. ولأن العرب سَبُوا نساء المسيحيين وجعلوهن ملك يمين، فقد ولدت تلك النساء أطفالاً تربوا في الإسلام، ومن آباء عرب، ومع أنهم ببداية القرن التاسع أصبحوا يمثلون غالبية المسلمين في الأندلس إلا أنهم لم يرتقوا لطبقة العرب المسلمين وظلوا معلقين، لاهم طبقة دنيا ولا هم من أهل الشأن، وسمو هم *المولدون*.

وكنتيجة للاحتقار والفقر الذي عاناه المسيحيون واليهود، تحولت أعداد كبيرة منهم إلى الإسلام في محاولة للخروج من تلك الدائرة المفرغة، *ولكنّ المسلمين العرب كانوا يشكون في إسلامهم وأقاموا لهم **محاكم تفتيش** تحقق في إسلامهم*، قبل أن يقيم الإسبان

† توضيح من منقح المقالات.

ترتيب هذا المقال زمنيا يأتي بعد المقالة الأولى (رقم 205) من سلسلة المقالات الأربعة المعنونة "القرآن وبنو اسرائيل" أي بعد المقالة رقم 206 مباشرة. ولكنني ارتأيتُ أن أحافظ على تسلسل وحدة الموضوع فأدرجت المقالات الأربعة المذكورة تباعاً ثم أوردتُ المقال الخاص بالردود على تعليقات القراء (المقال رقم 206) ثم المقال الحالي.

[1] The Jewish Encyclopedia > Spanish Jewish Chronology .

[2] www.jihadwatch.org/2004/04/andalusian-myth-eurabian-reality .

[3] نفس المصدر.

[4] نفس المصدر أعلاه.

المسيحيون محاكم التفتيش المشهورة. وهذه الطبقة من اليهود والمسيحيين الذين تأسلموا، سماهم أهل الأندلس الأصليون **Mozarabs** أي **المستعربون** وظفروا بالاحتقار من المسلمين ومن السكان الأصليين.

وفي العام 1085 جاء يوسف بن تشفين على رأس "المرابطين" ليرابط على ثغور الأندلس، وخاض معركة الزلاقة Zalaca ضد الملك الفونس وكسبها بمساعدة يهود المدينة. وبعدها جمع يهود مدينة Lucena التي كانت بها كلية يهودية تحت زعامة الحاخام إسحق بن الخياط وإسحق الفاسي وطلب من اليهود أن يتحولوا إلى الإسلام. وبعد جهد جهيد **ورشاوى كبيرة** إلى وزراء ابن تشفين، وافق الأخير على تأجيل دخول اليهود في الإسلام. ثم رجع يوسف إلى المغرب وحل مكانه ابنه علي الذي تودد لليهود وعين منهم وزراء مثل سليمان بن المعلم، وأبراهام بن مائير، وأصبحت قرطبة وسافيل وغرناطة مراكز تعليم يهودية مشهورة. ولكن هذه الفترة الذهبية لليهود لم تدم طويلاً.

ثم جاءت جيوش "الموحدون" من البربر عام 1130 *وكانوا كالطالبان في أفغانستان*. كان تمسكهم بالشريعة الحرفية تمسكاً أعمى أدى إلى **التنكيل باليهود والمسيحيين**، وإجبارهم على النطق بالشهادتين أو السجن والتعذيب. وقد ذكر المؤرخ اليهودي أبراهام بن داوود كل هذه الممارسات غير الإنسانية. ونسبة لشك الموحدين في صدق إسلام اليهود والمسيحيين الذين أسلموا قسراً، فقد شكل الموحدون ***محاكم التفتيش الديني*** قبل ثلاثة قرون من مثيلاتها في المسيحية فيما بعد. وقد أدت هذه المحاكم إلى أخذ الأطفال من هؤلاء اليهود والمسيحيين الذين تحولوا إلى الإسلام ووضعهم في رعاية أسر عربية مسلمة حتى يضمنوا تربيتهم تربية إسلامية صحيحة. وقد كان الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون قد عاصر هذه الفترة من تاريخ الأندلس ورحل مع أسرته إلى فاس، ثم إلى مصر الفاطمية. وكتب موسى بن ميمون:

> "لقد اضطهدنا العرب اضطهاداً لا مثيل له، وأجازوا قوانيناً تعسفية ضدنا. ولم يحدث في تاريخ الأمم أن أجازت أمة قوانين تضطهدنا وتحط من كرامتنا كما فعل العرب في الأندلس".[5]

كتب المؤلف ريتشارد فليتشر Richard Fletcher، الذي يعمل محرراً بصحيفة الديلي تلغراف، عدة كتب عن الأندلس، منها كتابه "Moorish Spain" الذي يقول فيه:

> "إن شهادات من عاصر غزو الموحدين إسبانيا، وعاش تلك التجارب المرة، *تكذب كل ما قيل عن تسامح المسلمين مع الغير في الأندلس*. وقد كانت الأندلس طوال تاريخها أرض صراعات عديدة، أما تسامحهم فاسأل عنه يهود غرناطة Granada، الذين ذُبحوا عام 1066، والمسيحيين الذين هجّرهم المرابطون إلى المغرب في عام 1126."

يقول المؤلف الإسباني داريو فيرنانديز موريرا Dario Fernandez-Morera:

> "إن القول أنّ مملكة المسلمين في إسبانيا في القرون الوسطى، والتي اختلطت فيها جميع الأديان والأجناس في تجانس تام، *هي أكبر كذبة يعيشها عالم اليوم*. فالأساتذة بالجامعات يقولونها، الصحفيون يكتبونها، والسياح الذين يزورون قصر الحمراء يصدقونها، وحتى صحيفة "وول ستريت جيرنال" صدقت هذه الكذبة وقالت: ‹إن الحكام المسلمين في الماضي كانوا أكثر تسامحاً مع الأديان الأخرى من الحكام المسيحيين فيما بعد›."

ويستمر فيقول:

> "ولكن المشكلة أن هذا الحديث هو أكبر كذبة في التاريخ." [6]

عبد الرحمن الأموي (734-788) الذي كان يُعرف بالمهاجر، والذي هرب من الشام بعد الثورة العباسية، تعاهد مع البربر واليمانية وبعض الشوام ودخل الأندلس على رأس جيش قوامه أربعين ألف رجل وهزم الحاكم العباسي عام 756 ونصّب نفسه حاكماً. وقد استطاع أن يحافظ على الهدوء بين المسلمين والمسيحيين واليهود بواسطة جيشه القوي. وهذا الحاكم هو الذي أمر بتدمير كاتدرائية قرطبة ليبني مكانها الجامع المشهور. وفي عهد عبد الرحمن الثاني حدثت قصة الشهداء المسيحيين التي راح ضحيتها ثلاثة عشر قسيساً وراهبة واحدة، قطعوا رؤوسهم في ساحة عامة في قرطبة لأنهم شتموا رسول الإسلام. *وبالطبع خاف اليهود وبقية المسيحيين بعد ذلك ولزموا أماكنهم.*

عبد الرحمن الثالث (912-961) ربما كان الأكثر تسامحاً مع اليهود والمسيحيين في الأندلس، ولكن عندما جاء المنصور بعده (ت 1002) تغيرت الأحوال **وأصبحت الأندلس ديكتاتورية عسكرية**. وحرق المنصور كتب المسيحيين وأحرق مدينة برشلونة في عام 985 وسبى من لم يمت في الحريق.[7]

ونتيجة للانقسامات والصدامات التي حدثت بين البربر والعرب، وبين العرب أنفسهم من يمانية وشوام ومن القبائل العربية المختلفة مثل قبيلة تميم، تقسمت الأندلس إلى طوائف في بداية العام 1031. واستمر التناحر بينهم إلى أن جاء المرابطون وفرضوا سيطرتهم على الأندلس بقوة السلاح، **وبقوة إيمانهم الطالباني**.

> "ونتيجة لهذه الصراعات كانت هناك ثلاثة فترات فقط في تاريخ الأندلس ساد فيها الهدوء بالقوة:
> الفترة الأولى كانت في القرن العاشر، في خلافة قرطبة،
> والفترة الثانية كانت في القرن الحادي عشر في دولة المرابطين الذين أتوا من المغرب لنجدة المسلمين،
> والفترة الثالثة كانت في القرن الثاني عشر في دولة الموحدين المغاربة كذلك.
> وفي الفترات التي تخللت هذه الدول كانت الحروب الأهلية هي الطابع العام في الأندلس." [8]

وصحيح أن المسيحيين تحت قيادة الملك فيردناد وزوجته الملكة اليزابيث بعد أن هزموا المسلمين وحرروا إسبانيا من **الاستعمار الاستيطاني العربي**، قد طردوا المسلمين واليهود من شبه الجزيرة، إلا أن أي شخص محايد لا يمكن أن يلومهم على طردهم لأنهم يمثلون بقايا الاستعمار البغيض. وقد حزت كل الدول العربية حزو الملك فيردناند عندما تحررت بلادهم من الاستعمار الغربي، فطردوا كل ما له علاقة بالاستعمار، وغيروا اللغات الرسمية إلى اللغة العربية، وهذا تصرف مفهوم على اعتبار أن الشعوب التي تحررت تريد أن تقطع علاقتها بالمستعمر وكل ما يذكرها به. وبعض الدول العربية زادت وبالغت في كراهيتها للمستعمر وللغرب عامة وطردت اليهود الذين رأى فيهم الناس تمثيلاً للمستعمر لأنهم ربما تعاونوا معه واحتلوا مناصباً قيادية، فطردوا اليهود من تونس ومن ليبيا ومن اليمن ومن العراق ومن جدة، خاصةً بعد قيام دولة إسرائيل، وقد كان أغلب هؤلاء اليهود مواطنين مخلصين لأرض أجدادهم ومستعدين للتضحية بدمائهم من أجلها، ولم تكن رغبتهم الهجرة إلى إسرائيل.

عودة إلى الفهرس

---

[5] jihad watch.
[6] www.firstprinciplesjournal.com/articles.aspx?article=1364&t
[7] نفس المصدر.
[8] Andrew Wheatcroft: Infidels, A history of the Conflict between Christiandom and Islam, p.69, Penguin Books, 2004.

211 - طول اليوم الإلهي

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=215915

ظلت خير أمة أخرجت للناس تعاني من الجهل والفقر منذ ميلادها وحتى الآن، ولكن بفضل البترودولارات التي جناها النفط لمملكة آل سعود، ظن ملوكهم وفقهاؤهم أنه بإمكانهم شراء العلم والحضارة وجعل إسلامهم مهيمناً على جميع الأديان الأخرى. وصرف ملوك السعودية بسخاء على بعض العلماء الغربيين ليزمروا للإسلام في المجلات العلمية والمقابلات الصحفية وفي المحاضرات والكتيبات المأجورة. واحد من هؤلاء الذين صرف عليهم آل سعود هو الدكتور الفرنسي الكاثوليكي **موريس بوكاي Maurice Bucaille**. هذا الطبيب ذهب للعمل في المملكة الوهابية في عام 1973، عندما كان عمره ثلاثةً وخمسين عاماً، وعمل كطبيب خاص للملك فيصل، وكذلك كمستشار طبي للرئيس المصري السابق أنو السادات.

عندما بدأ هذا الطبيب عمله في قصر الملك فيصل، في عام 1973، لم يكن يتحدث العربية، كما قال في كتابه "الإنجيل والقرآن والعلم، ص 128". وقال إنه مدين للملك فيصل الذي شرح له الإسلام بنفسه. وفي ظرف ثلاث سنوات تعلم هذا الطبيب الفرنسي ذائع الصيت اللغة العربية وأتقنها، ودرس المصحف من الغلاف للغلاف، وكتب كتابه المذكور أعلاه عام 1976، والذي قال فيه:

"إن الإنجيل يحتوي على كمية خرافية من الأخطاء العلمية، بينما القرآن لا يحتوي على غلطة علمية واحدة."

وهو لا يشك أن القرآن من عند الله لأن محمداً الأمي لم يكن في مقدوره أن يأتي **بكل هذه الحقائق العلمية** قبل ألف وأربعمائة عام، إذا لم يكن الله قد أوحى له بذلك. *ومع كل هذا التقريظ للإسلام لم يسلم هذا الطبيب*، كما يقول **د. وليام أف كامبل** الذي كان الطبيب الخاص للعائلة الحاكمة في تونس لمدة عشرين عاماً، وكتب كتاباً يفند به كتاب د. بوكاي. *ودفع الملك فيصل لهذا الطبيب الكاثوليكي المعجب بالإسلام ستة ملايين دولار مقابل كتابه المليء بالمغالطات*. ولقد مكنّته هذه الملايين من التخلي عن مزاولة مهنة الطب كلياً في عام 1982، أي بعد تسع سنوات من دخوله المملكة، ليتفرغ للكتابة وعمره يومئذ اثنان وستون عاماً.

طبعت المملكة العربية السعودية هذا الكتيب في مطبعة Tahrike Tarsile Qur’an, Inc بنيويورك، وكانوا يوزعونه مجاناً في أوروبا. وقد أرسله لي صديق يعيش بباريس.

ولا يسع الإنسان العاقل إلا أن يتعجب من هذا **العبقري** الفرنسي الذي تعلم اللغة العربية في ثلاث سنوات وأجادها لدرجة أنه أصبح ينتقد تفاسير ابن كثير والطبري، ويستعيض عن بعض شروحهم بشرحه هو الذي أعطى للكلمات العربية معاني جديدة لم تكن قد خطرت ببال المفسرين القدماء.

وامتلأت مواقع الإنترنت بالمقالات التي تمتدح هذا الرجل العبقري وتضفي عليه ما لا يمتلكه من التخصصات الطبية والعلمية. وكما يتوقع القاريء، فإن أغلب المقالات كتبها باكستانيون لا يفهمون من القرآن غير بسم الله الرحمن الرحيم، ولكن دفعهم إيمانهم الأعمى لتقريظ كتاب يقرّظ كتاباً هم يجهلون محتواه. واعتلى بعض الملتحين العرب هذه الموجة وهم راكبون على سيرفبورد[1] من تصميم أبي هريرة، ونصحوا شبابهم بقراءة هذا الكتاب الذي كتبه مسيحي تنفس أريج الإسلام في المملكة الوهابية **وتمرغ في رمال دولاراتها الخضراء.**

من الكلمات التي أعطاها الدكتور بوكاي معنى جديداً، كلمة "يوم". يقول بوكاي:

"ليس هناك أي غموض في الإنجيل عندما يقول إن الله خلق العالم في ستة أيام واستراح في اليوم السابع. وكلمة "يوم" في الإنجيل تعني الفترة بين شروق الشمس والشروق الذي يليه مباشرةً، أو مغيب الشمس والمغيب الذي يليه مباشرة. وهذا التعريف مبني على دوران الأرض حول محورها. وبناءً على هذا التعريف، لا يمكن أن يكون هناك مصطلح "يوم" قبل أن تكون الأرض نفسها قد وُجدت وبدأت تدور حول الشمس (**وأظنه قصد حول نفسها**). ونفس الوصف نجده في القرآن الذي يقول إن عملية الخلق تمت في ستة أيامٍ. ولا نستطيع أن نلوم المفسرين الذين ترجموا كلمة "يوم" بمعناها المتعارف عليه، وهناك تفاسير قليلة جداً تقول إن كلمة "أيام" يجب أن تؤخذ على أنها تعني "فترات طويلة من الزمن" أي فترة غير محددة، ولكنها دائماً طويلة جداً، مثل الآية 5 في السورة 32، التي تقول {يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنةٍ مما تعدون}. وكذلك الآية 4 من السورة 70 {تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة}. وفكرة أن اليوم في القرآن قد يعني خمسين ألف سنة قد حيرت المفسرين القدماء لأنهم لم يعرفوا طول المدة الزمنية التي استغرقها تكوين الكون كما نعرفها نحن اليوم. وعليه يجب أن نفهم خلق العالم في ستة أيام يعني في ستة فترات طويلة أو نوبات زمنية" انتهى.

فاليوم في القرآن لا يعني يوماً من أيامنا، وإنما يعني فترة زمنية غير محددة. وقد أصاب الدكتور في وصف المدة الزمنية بأنها غير محددة، فليس في القرآن شيء محددٌ. والدكتور بوكاي كان يرمز هنا إلى أن الكون (المجرات والشموس العديدة) تكون قبل 13.7 بليون (مليار) سنة، بينما الأرض عمرها لا يزيد على 4.6-4.3 بليون سنة. فإذا طرحنا عمر الأرض من عمر الكون (السموات) نحصل على الرقم 9 بليون سنة، وهو المدة التي خلق الله فيها السماوات والأرض. وبما أنه خلقها في ستة أيام، أي ست فترات متساوية، فكل فترة تساوي بليون ونصف البليون من السنين، أي بليون وخمسمائة مليون سنة – وهذا هو طول اليوم الإلهي كما يزعم دكتور بوكاي. ولكن إذا وافقنا دكتور بوكاي بأن هذا هو طول اليوم القرآني، أو الإلهي، فسوف تواجهنا مشاكل عديدة في الآيات القرآنية الأخرى التي لم يتطرق لها الدكتور.

فلنبدأ بالآيات البسيطة، مثل: {**قال رب اجعل لي آيةً قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالٍ سوياً.** (مريم 10)}. هذا كان زكريا يسأل ربه أن يجعل له معجزةً بعد أن حملت زوجته العجوز، فقال له ربه ألا يكلم الناس ثلاث ليالٍ سويا. والقرآن طبعاً لم يقصد لزكريا أن يمتنع عن الكلام ليلاً عندما لا يكون هناك حوله من يكلمه، ثم يكلمهم في النهار، وإنما استعمل كلمة ليلة كناية عن اليوم كله. وإذا حسبنا هذه الثلاث ليالي أو أيام بحساب فترات د. بوكاي، نجد أن ربه قد طلب منه أن يصوم عن الكلام أربعة بلايين وخمسمائة مليون سنة مما نعد أو نحسب. وهذه السنين أكثر من عمر الأرض الذي قدره العلماء.

وهاهو زكريا نفسه في سورة آل عمران يطلب من ربه آيةً {**قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا.** (آل عمران 41)}. فإذاً قد أكد لنا القرآن أن ربه كان يقصد ثلاثة أيام عندما قال لزكريا {**ثلاث ليالٍ سويا**}. فهل يمكن أن يصوم زكريا عن الكلام لأربعة بلايين من السنين ونصف البليون؟

ثم واعد الله موسى كي يقابله في طور سيناء، فقال: {**وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة.** (الأعراف 142)}. وكالعادة فإن إله القرآن عندما يقول "ليلة" يقصد اليوم كله. فكم يوم سوف يغيب موسى عن قومه؟ أظن أغلب القراء سوف يحتاجون إلى حاسبة إلكترونية تحسب لهم 40 ليلة مضروبة في أربعة بلايين ونصف البليون ليحصلوا على عدد الأيام التي سوف يغيبها موسى.

---

[1] Surf board لوح من الخشب يتزلج به الناس على أمواج البحر.

ثم نمر على مسألة العُمرة والحج والحجيج الذين يمارسون الجنس بين العمرة والحج (مُتعة الحج)، فقال لهم ربهم: {**فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهَدْي فمَن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام.** (البقرة 196)}. فهذا الحاج الفقير الذي لا يملك ثمن الخراف ليقدمها قرباناً وتكفيراً إذا مارس الجنس بين العمرة والحج، عليه أن يصوم ثلاثة أيام في مكة، وهي تعادل 15500000000 سنة بحسابات د. بوكاي. وليت هذا يكفيه، فعندما يرجع إلى بلده فعليه أن يصوم سبعة أيام. هل تسوى ممارسة الجنس في مكة كل هذا الصيام؟ ولقد أخطأ القرآن هنا في الشرط الذي وضعه إذ قال: {**وذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام**}، وإذا لم يكن أهله، يعني زوجته أو أزواجه، معه في مكة، وقد استمتع بالعمرة، يكون قد زنى، وعليه يجب أن يُرجم ولا داعي للصوم. **وقد تجاهل أغلب المفسرين هذا الشرط، ولكن الشافعي أتى فيه بقولين، أحدهما يقول إنّ كلمة "أهله" كناية عن نفسه. وكيف تكون نفسه غير حاضرة المسجد الحرام ويكون قد أدى العُمرة ومارس الجنس؟ وطبعاً الحل الأمثل هو حذف حرف النفي "لم" وتصبح الآية مستقيمة المعنى.**

وماذا عن قوم ثمود البؤساء الذين سخر الله عليهم ريحاً صرصراً عاتية، فقال: {**سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوما.** (الحاقة 7)}. وأنا شخصياً لا أستطيع حساب السنين التي سوف تعصف فيها هذه الريح العاتية. وحسب فترات د. بوكاي الزمنية الطويلة، فإن هذه الريح ما زالت تهب عليهم وعلينا.

ثم لما عقروا ناقة صالح، قال لهم: {**فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب.** (هود 65)}. وأظن قوم صالح ما زالوا مستمتعين في ديارهم في انتظار قضاء الثلاثة أيام قبل أن ينزل عليهم عذاب الله، إذا استعملنا **طول اليوم البوكائي**.

وقد نسي الدكتور بوكاي أن يخبرنا عن طول الشهر القرآني أو الإلهي، فالقرآن يقول لنا: {**إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم.** (التوبة 36)}. بحساباتنا نحن البشر العاديين، فإن الشهر القمري يتكون من ثلاثين يوماً، وعدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً لتكملة السنة البشرية أو الأرضية. فإذا كان طول اليوم الإلهي هو أربعة بلايين من السنين، ونصف البليون، فأظن حتى الكمبيوتر قد يعجز عن حساب السنة الإلهية هذه.

وإذا صدقنا حسابات الدكتور بوكاي، فيمكننا الآن الذهاب إلى ذلك الكهف الشهير الذي نام به أصحاب الكهف، الذين قال عنهم القرآن: {**ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا.** (الكهف 25)}. فحسب رأي الدكتور بوكاي، فما زالوا نائمين.

وهناك آيات كثيرة أخرى يذكر القرآن فيها عِدة المرأة المطلقة وعِدة المتوفي عنها زوجها، وعِدة الحرة وعِدة الأمة، وفترة إرضاع المولود الجديد.

> فإذا وافقنا على تعريف الدكتور ليوم القرآن، فسوف يتضح لنا **ضحالة** تفكير وتفسير دكتور بوكاي، **وضحالة** تفكير **وضحالة** إيمان الذين طبعوا ووزعوا كتابه، **وأضحل** منهم الذين قرءوا الكتاب وهللوا له وكتبوا مقالات طويلة في الانترنت يقارنون بين إيمان دكتور بوكاي وكفر د. كامل النجار.

والشيء الذي لم يفكر فيه دكتور بوكاي عندما جاء **بتفسيره السخيف** هذا هو عملية الخلق نفسها. فهو عندما تحدث عن المجرات في الفضاء (السماء) قال:

> "إن الأرض تبعد عن الشمس 93 مليون ميل، وبلوتو، أبعد الكواكب عن شمسنا (عندما كان بلوتو كوكباً) يبعد عن الشمس أربعين مرة بعد الأرض عن الشمس. وضوء الشمس الذي يستغرق ثمان دقائق ليصل إلينا ، يستغرق ست ساعات ليصل بلوتو. وإذا ضاعفنا المسافة بين بلوتو والشمس، نحصل على قطر المجرة الشمسية".

وهذه مجرة واحدة من بلايين المجرات في الفضاء. فتعالوا نقرأ ما يقوله القرآن عن خلق هذه المجرات والأرض التي لا تمثل أكثر من نقطة هي أصغر من رأس الدبوس في الكون الفسيح.

> {**قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض أئتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين.** (فصلت 9-11)}.

خلق الأرض في يومين، أو تسعة بلايين من السنين بحساب دكتور بوكاي، ثم صرف أربعة أيام (ثمانية عشر بليوناً من السنين) ليخلق في الأرض أقواتها ويدبر أمرها. ثم خلق جميع هذه المجرات وشموسها التي تفوق شمسنا بمئات أو آلاف المرات، وكواكبها التي لا تُحصى عدداً، وبعضها أكبر من أرضنا عشرات المرات، خلق كل هذا في يومين فقط، وهي المدة الزمنية التي احتاجها ليخلق الأرض فقط، ناهيك عن جبالها وأنهارها وغاباتها. هل يمكن أن يقتنع إنسان عاقل بمثل هذه الحسابات، سواءً أكان اليوم يوماً عادياً من أيامنا، أو يوماً من أيام د. بوكاي والقرآن؟

وعملاً بهذه الأبعاد الشاسعة بين المجرات، نستطيع أن نقول بعد أن نقرأ هذه الآية: {**يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون.** (السجدة 5)}، أن الله أو العرش لا بد أن يكون في آخر مجرة في الفضاء، لأن الأمر الذي يدبره الله في السماء ويرسله مع ملائكته إلى الأرض، ثم يرجع الملك إليه ليخبره ما فعل، يستغرق ألف سنة مما نعد، وهو يوم إلهي واحد كما تقول الآية. ولكن هذا اليوم أقصر بكثير من اليوم الإلهي الذي حسبه لنا الدكتور بوكاي في قصة الخلق.

ورب السماء نفسه غير متأكد من طول اليوم الإلهي، فقال في آية أخرى: {**تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.** (المعارج 4)}. ولا يختلف اثنان في أن الروح هو جبريل، ويبدو أن جبريل يعرج من الأرض إلى السماء في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما نعد. ولكن رغم طول هذا اليوم الإلهي، فإنه ما زال أقصر من يوم د. بوكاي بقدر كبير.

ولكن ما يحيرني هو أن جبريل كان يأتي في لمح البصر عندما يشعر أن محمداً يحتاجه لحل معضلة جنسية مع إحدى نسائه، فمثلاً عندما طلق زيد زينب بنت جحش في عصر يومٍ حار، نام محمد فترة قصيرة ثم هب جالسا وهو يبتسم وقال: [**من يخبر زينب عني أن الله قد زوجنيها**]؟ فإذا كان جبريل يعرج من الأرض إلى السماء في خمسين ألف سنة، كيف وصل بهذه السرعة الفائقة ليخبر محمداً بزواجه من زينب؟ وإذا كانت رسالة محمد لم تستغرق إلا ثلاثاً وعشرين سنة فقط، كيف استطاع جبريل أن يأتيه بكل هذه الآيات القرآنية التي جعل منها محمد مصحفاً؟ ولله في خلقه شؤون. والذي يحيرنا أكثر هو غياب تلك القدرة الإلهية الفائقة التي قال عنها في القرآن: {**بديع السموات والأرض وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون.** (البقرة 117)}. وهذا الإله واثق من مقدرته هذه لدرجة أنه كرر هذه الآية سبع مرات أخرى في آل عمران، والأنعام، والنحل، ومريم، ويس، وغافر. ولكن مع ذلك استغرق خلق الأرض أربعة أو ستة أيام كما قال في القرآن، أو بلايين السنين، كما قال د. بوكاي. وليس هناك أي تفسير منطقي يفسر لنا لماذا لم يقل الله للأرض والسموات "كن" عندما قرر خلقهن، فيكونوا، اللهم إلا إذا أراد أن يسلي نفسه بالبناء لتبديد الوقت كما قال: {**والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون.** (الذاريات 47)}.

والجدير بالذكر هنا أن دكتور بوكاي بعد نجاحه الفكري والمادي بهذا الكتاب، كتب كتاباً آخراً عن نظرية داروين "تطور الأجناس" سماه What is the origin of man قال فيه عن نظرية داروين *إنها خاطئة مائة بالمائة وإنها تتعارض مع نظرية الخلق في الإنجيل وفي القرآن*. فماذا يمكننا أن نقول؟ [†]

[†] ببساطة نقول كما يقول المثل الشائع: «رزق الهبل على المجانين»، ولكن بعد تعديل طفيف ليصبح المثل: "رزق المستهبلين (بوكاي) على المجانين (المتأسلمون)".

عودة إلى الفهرس .

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=216313

أكتب هذه المقالة بتشجيع من الصديق فؤاد النمري الذي طلب مني توضيح إذا ما كنت اعتقد أن قصة إبراهيم قصة حقيقية أم أسطورة.

في الأزمنة السحيقة من تاريخ البشر، وقبل أن يخترع الإنسان الكتابة، لجأت المجتمعات البدائية إلى القصة **لحفظ تاريخها ومعتقداتها**. هذه القصص كانت تُنقل شفهياً من جيل إلى آخر بواسطة الجدات أو الأجداد عندما يقصون على أحفادهم قصصاً تساعدهم على النوم. *ولما كان الشعر أسهل للحفظ من الكلام غير المسجوع، كانت أغلب قصص المجتمعات في شكل شعر أو كلام مسجوع*. بعض هذه القصص كانت عن **تصورات تلك المجتمعات لقصة الخلق**. مَن خلق الإنسان والأرض والبحار والنجوم، والشمس والقمر، وبعضها عن **الأبطال** الذين أنقذوا تلك المجموعة من الناس من أعدائها أو من الحيوانات الكاسرة. **وكل مجتمع بشري أتي بقصص تشرح قصة الخلق حسب مفهومهم في ذلك الزمان.** وأغلب قصص الخلق تدور حول إله أو مجموعة من الآلهة شقوا حيواناً أو أحد الآلهة أو بطلاً خرافياً إلى شقين، وخلقوا من أحد الشقين الأرض ومن الشق الآخر السماء، بمعنى أن السماء والأرض كانتا جسماً واحداً {**رتقاً**} كما يقول القرآن.

وبمرور الزمن واستقرار الإنسان في مجتمعات زراعية حول مصادر المياه، كان اهتمامهم ينصب حول خصوبة الأرض وكثرة المحاصيل الزراعية، وربطوا هذه الخصوبة بالأنثى، واهبة الحياة، وجعلوا أغلب آلهتهم نساءً. وقد أثبتت الحفريات أن الهياكل العظمية التي عُثر عليها من تلك الحقبة لا تحمل أي آثار عنف أو كسور بالعظام، *مما يدل على أن فترة تأليه الأنثى كانت فترة هدوء وسلام في تاريخ البشرية*، وقد برزت من الآلهة الأنثى الإلهة عشتار في سومر وتيمات في بابل، وڤينوس في اليونان. ثم بدأت الخلافات تنشب بين المجموعات البشرية عندما كثرت **المنافسة** على الأراضي والمياه، وبدأت الحروب بينهم مما أدى إلى ظهور أبطال محليين في تلك المجتمعات، استطاعوا أن يتغلبوا على الأعداء. وعندما مات هؤلاء الأبطال أرادت المجتمعات أن تحفظ قصصهم للأجيال القادمة، فخلقوا **قصصاً خرافية** عن بطولاتهم وانتصاراتهم للقبيلة أو المدينة. وكل جيل زاد في تلك القصص إلى أن أصبح البطل **شخصية أسطورية تمتلك مقومات خارقة للطبيعة**. وبعض هؤلاء الأبطال رُفع إلى درجة الألوهية، كما حدث مع جلجامش، ملك دهوك في الألفية الثالثة قبل الميلاد، وسرجون الأكادي.[1]

وحل الإله الرجل مكان الإلهة الأنثى وطغى الرجل على المرأة *واضطهدها حتى يُرسي قواعد ألوهيته*. وبعد أن أصبح الآلهة رجالاً أبطالاً كان لابد لمَن تتصل معه الآلهة على الأرض أن يكون رجلاً. ولهذا السبب كان جميع الأنبياء رجالاً.

ربما تكون الميثولوجيا قد بدأت في أوقات متقاربة في سومر في جنوب العراق، وفي مصر، وفي الهند في الألفية الثالثة قبل الميلاد حسب ما توصل إليه علماء الحفريات. وقد نزحت بعض المجموعات البشرية من الهند، التي كانت تمتد حتى أفغانستان الحالية، وزحفوا جنوباً وغرباً وأصبحت هذه المجتمعات أصل ما يُعرف الآن **بالجنس السامي**. وقد حمل هؤلاء النازحون معهم قصصهم الميثولوجية إلى الأماكن الجديدة التي استقروا بها كما حملوا آلهتهم. وأثرت تلك القصص في ميثولوجيا الأماكن التي استقروا بها، كما تأثرت قصصهم بقصص الشعوب الأصلية في تلك المناطق التي نزح إليها الهنود، ولذلك نجد نفس الآلهة القديمة في سومر وفي المدن الآكادية وفي الحضارة الآشورية والبابلية، مع تغيير أسماء الآلهة لتتناسب والمجتمع الجديد، ولكن احتفظوا بقصص تلك الآلهة وبكيفية خلقها للعالم.

بدأت قصة **الوحدانية الإلهية** في مصر بظهور الفرعون الكاهن أخناتون الذي دعا إلى عبادة إله واحد هو *إله الشمس*، وممثله في الأرض هو *كاهنه أخناتون وزوجته نفرتيتي*. ولكن هذه الديانة الجديدة لم تدم طويلاً وانتهت بموت أخناتون وتولي *توت عنخ آمون* الطفل سدة الحكم. ورجعت مصر إلى **التعددية** تحت تأثير الكاهن الذي كان يصرّف أمور الدولة باسم الفرعون الطفل. وبما أن منطقة فلسطين (كنعان) كانت تحت سيطرة الفراعنة في ذلك الوقت، هرب أو نزح كهنة أخناتون إلى أرض كنعان وحملوا معهم فكرة التوحيد التي استغلها الشعب العبري فيما بعد ليخلق منها قصة البطريرك *أبراهام* الذي أصبح أباً للأديان الإبراهمية الثلاثة: اليهودية، المسيحية، والإسلام.

تُرجع بعض الدراسات في علم الأجناس أصل الشعب العبري إلى الهند، على أساس أن الشعوب السامية كلها تتكون من القبائل التي نزحت من الهند القديمة، وكان المؤرخ والأنثروبولوجست البريطاني گودفري هيگنز (1772-1833) Godfrey Higgins مِن أوائل المؤرخين الذين قالوا بهذا.[2]

فالقبائل العبرية التي نزحت من الهند في الألفية الثالثة قبل الميلاد أو قبلها، وسكنت لفترة في سومر وبابل، ثم استقرت في منطقة الهلال الخصيب، قد تأثرت بالميثولوجيا الهندية أولاً ثم بالميثولوجيا السومرية والبابلية والآشورية، ثم فكرة التوحيد من مصر، وخلقت من الخليط ميثولوجيا البطريرك أبراهام. فما هي قصة أبراهام وهل كان شخصية حقيقية أم فولكلور شعبي عبري؟

لأن الكتابة في الألفية الثالثة قبل الميلاد كانت في طفولتها عندما اخترع السومريون الكتابة المعروفة الآن بـِ The Cuneiform Writing أي الكتابة المسمارية والتي ترمز إلى الكلمات بأشكال كالهرم، لم يسجل لنا التاريخ أي شيء عن أبراهام. **وكل ما نعرفه عنه هو القصة المعروفة في التوراة (العهد القديم).** وقصة العهد القديم لم تبدأ كتابتها إلا في حوالي العام 950 قبل الميلاد عندما سجل اليهود في المملكة الجنوبية من إسرائيل التوراة التي تُعرف الآن بال Jehovist، نسبة للإله **يهوه** Jehova، ثم تبعهم اليهود في المملكة الشمالية في القرن الثامن قبل الميلاد بكتابة نسخة من التوراة تُعرف الآن بال Elohist نسبةً للإله **إلوهيم** Elohim, Eloa. وفي القرن الخامس قبل الميلاد قامت مجموعة من الكهنة بجمع الجزءين في كتاب واحد، *مع المحافظة بقدر الإمكان على الروايتين المختلفتين*. ويُعرف هذا الكتاب باسم Priestly وهو النسخة الحالية من العهد القديم.

---

[1] David Leeming, Jealous Gods Chosen People, p 55.
[2] http://www.viewzone.com/matlock.html.

Abraham or **Abram**
first patriarch in Bible: in the Bible, the first patriarch, seen by Jews as the father of the Israelites through his son Isaac, and by Muslims, who call him Ibrahim, as the father of Arab peoples through his son Ishmael

يحمل كتاب العهد القديم في طياته **عدة تناقضات عن شخصية أبراهام لأن للكتاب عدة مؤلفين**، وبالضرورة يحدث الاختلاف بينهم لأن كل مؤلف أو مجموعة من المؤلفين يسردون القصص كما سمعوها *نسبةً لعدم وجود أصل مكتوب ينقلون عنه*. وما دامت القصص قد تناقلها الناس شفهياً على مدى مئات السنين، فمن المستحيل أن تحتفظ بأصولها كما حدثت، أو كما رويت أول مرة.

حسب قصة العهد القديم، فإن أبراهام كان يعيش مع والده تارح Terah وأخويه الاثنين في مدينة أور Ur في جنوب العراق. قرر الوالد الذي كانت مهنته صناعة التماثيل من الطين، النزوح شمالاً مع ابنيه الباقيين لأن الثالث كان قد مات بعد أن أنجب لوطاً، وكان أبرام قد تزوج من سراي Sarai فنزحت العائلة شمالاً حتى وصلوا مدينة حاران Haran في جنوب تركيا، واستقروا هناك لفترة طويلة، وتوفي الأب هناك. في هذه الأثناء سمع أبرام من إله في السماء أخبره أن ينزح من جديد إلى أرض سوف يخبره بها عندما يصلها. وهذا الإله اسمه **يهوه**، وهو يختلف عن الآلهة الأكاديين في تلك الفترة الذين كانوا متعددين وكانت أسماؤهم: إيا Ea ، آنو Anu، بيل Bel ، شماش Shamash، شن Sin (إله القمر)، وعشتار Ishtar إلهة الحب والجنس المقدس. ويبدو أن أبرام قد رفض كل هؤلاء الآلهة واختار إلهاً جديداً يحمل إسماً عبرياً.

نزح أبرام وسراي ولوط غرباً حتى وصلوا مدينة دمشق. تقول بعض الروايات إنهم استقروا فترة في دمشق، وتذهب بعض الروايات إلى أن أبرام أصبح الملك الرابع على دمشق، كما يقول المؤرخ اليهودي جوزيفس. ثم واصلوا تلك الرحلة الطويلة جنوباً حتى وصلوا أرض كنعان التي أقام بها أبرام معابداً لإله السماء. *وهنا قطع الإله عهداً مع أبرام ووهبه كل الأرض من النيل إلى الفرات لتكون له ولسلالته إلى ما لا نهاية*. ثم أصابت أرض كنعان مجاعة، فقرر أبرام وسراي ولوط النزوح جنوباً إلى مصر والسفر عبر صحراء سيناء. ولم يخبرنا العهد القديم لماذا لم ينزح أبرام شمالاً ويرجع إلى دمشق التي لم تكن بها مجاعة ولا تفصلها عنه صحراء جرداء كصحراء سيناء.

عندما وصلوا إلى مصر خاف أبرام أن يقتله المصريون ويستولوا على زوجته الجميلة والتي تصغره بعشر سنوات، فاتفق معها أن تقول إنها أخته بدل زوجته، ووافقت سراي. وفعلاً أعجب الفرعون بجمالها الخارق واتخذها زوجةً وأغدق على أخيها الهدايا من جمال ومواشي وخدم وحشم ومال. ولكن الفرعون اكتشف أن سراي هي زوجة أبرام ، فوبخ أبرام على ما فعل وطرده من مصر مع زوجته وابن أخيه وكل الهدايا التي كان قد أغدقها عليهم.

وفي طريق عودتهم إلى أرض كنعان، مروا بأرض عليها أحد الملوك العرب، فلجأ أبرام إلى نفس الكذبة التي جلبت له الهدايا، وقال إن سراي هي أخته. وأعجب الملك بسراي واتخذها زوجةً وأغدق الهدايا على أبرام. ثم عرف الملك أنها زوجة أبرام وردها له مع الهدايا الكثيرة من مواشي وغيره، وأرسلهم في طريقهم. ولما كانت الجمال والمواشي التي أصبحت بحوزتهم لا تسمح أعدادها بالرعي في مكان واحد، اتفق أبرام ولوط على أن يفترقا. سافر لوط شرقاً إلى الأردن، وسافر أبرام شمالاً إلى فلسطين.

بعد فترة من الزمن استعرت الحرب بين مجموعة من خمسة ملوك تحالفوا ضد أربعة ملوك من مملكتي سدوم Sodom وقمورية Gomorrah حيث كان لوط من المواطنين. وانتصر تحالف الملوك الخمسة وهزموا ملوك سدوم وأخذوا لوطاً ومواشيه ضمن السبايا والغنائم. ولما سمع أبرام بذلك أخذ ثلاثمائة وثمانية عشر رجلاً من أهل بيته مدربين على القتال ولحق بجيوش الملوك المنتصرين، فهزمهم وأنقذ ابن أخيه لوطاً وأمواله وبقية السبايا.

أصبح أبرام مشهوراً وغنياً بعد هذا العمل العظيم، ولكنه كان مهموماً أنه لا ولد له يرث أمواله الطائلة. هنا تدخلت سراي وطلبت منه أن ينام مع خادمتها المصرية هاجر علها تنجب له ولداً. وفعلاً نام معها وحبلت هاجر وأنجبت له إسماعيل .وبعد عددٍ من السنين ظهر له الإله الذي في السماء وأخبره أنه سوف يمنحه ابناً باراً يصبح الملوك من ذريته التي سوف يفوق عددها عدد النجوم، وأنه قد جدد العهد معه على شرط أن يغير اسمه إلى **أبراهام**، واسم سراي إلى **سارة** sarah، وأن يختن نفسه وكل أهل بيته من الذكور ومَن يولد بعدهم في ملته، وسوف يمنحهم الإله الأرض من نهر مصر إلى الفرات. ثم بعد البشرى الإلهية حبلت سارة وأنجبت له إسحق الذي ورث أموال أبيه. *أصبح إسحق فيما بعد أباً لكل القبائل اليهودية، بينما أصبح إسماعيل أباً للقبائل العربية*

ولكن عندما كان إسحق صغيراً قرر الإله الذي في السماء اختبار قوة إيمان أبراهام، الذي لم يخطر ببال الإله اختباره طوال كل السنين التي سافر فيها من حاران حتى وصل أرض كنعان ومصر وأنجب إسماعيل. والاختبار كان صعباً جداً إذ كان الإله قد طلب من أبراهام أن يذبح الطفل الذي منحه إياه على الكبر، ووافق أبراهام وأخذ إسحق إلى أعلى الجبل ووضع السكين على عنقه. في هذه اللحظة ظهر ملاك ومعه كبش الفداء الذي ذبحه أبراهام بدل إسحق.

وأصبحت قصة الفداء بالكبش من ركائز الدين الجديد. وأخذت المسيحية نفس القصة من العهد القديم، ثم تبعهم الإسلام وبالغ محمد في قصة أبراهام الذي أصبح إبراهيم في الإسلام، وزعموا أنه ذهب بإسماعيل إلى مكة وبنى الكعبة التي كانت أول بيت لله بناه على الأرض.

فهل كان أبراهام فعلاً شخصاً حقيقياً أم قصة ميثولوجية استقاها الشعب العبري من ميثولوجيا الهند وسومر وآكاد ومصر؟ منذ القرن الثامن عشر بدأ الفلاسفة الأوروبيون من أمثال سبنوزا Spinoza وڤولتير Voltaire التشكيك في قصة إله التوراة وفي وجود أبراهام وحتى موسى كذلك، بل شكك بعض المؤرخين في قصة يسوع المسيح من طريقة ولادته إلى صلبه. في عام 1907 قدم البروفسور روبرت دِك ويلسون Robert Dick Wilson عالم اللغات وأستاذ الدراسات العبرية بجامعة برنستون في بنسلڤانيا محاضرة عن أبراهام، قال فيها:

"إن إجماع رجالات العلم يقول إنه من المشكوك فيه أن يكون هناك رجل اسمه أبراهام قد عاش فعلاً في فترة ما من التاريخ."[3]

وقد كان بروفسور ويلسون هذا من جماعة الكنيسة البرسبتيريان Presbyterian Church وقد كان يؤمن أن أبراهام كان شخصية حقيقية، ولكي يُثبت ذلك تعلم 45 لغة وكان يقرأ الإنجيل بتسعة لغات.[4]

ومع ذلك لم يستطع أن يقنع كل الحاضرين بما قاله لأن قصة أبراهام في العهد القديم تحتوي على **كمية من التناقضات تجعلها في حيز الميثولوجيا**. فمثلاً يخبرنا العهد القديم أن تارح رُزق بأبرام عندما كان عمره سبعين عاماً (**التكوين، 11 - 26**). وتقول نفس القصة إن تارح مات في حاران وكان عمره مائتين وخمس سنوات، مما يعني أن أبرام الذي لم يغادر حاران إلا بعد أن مات أبوه، كان عمره مائة وخمس وثلاثين سنةً عندما ترك حاران. ولكن العهد القديم يقول إن أبرام كان عمره خمساً وسبعين سنة عندما ترك حاران (**التكوين 12، 4**). والفرق شاسع بين 75 و 135. ثم أن الأعمار التي ذكرها العهد القديم تخالف ما نعرفه الآن عن أعمار الناس في تلك الفترة التي كانت الأمراض فيها تفتك بالناس وهم ما زالوا في مقتبل العمر. فمتوسط عمر الفرد في ذلك العهد كان نادراً ما يتجاوز الأربعين سنة. ومع تحسن الغذاء والعلاج وقلة الحروب والاقتتال، زاد متوسط عمر الفرد تدريجياً حتى وصل الثمانين في الدول النامية في عصرنا هذا. ولكن العهد القديم يخبرنا أن تارح مات وعمره 205 من السنين، وسارة ماتت وعمرها 127 سنة وأبناء

[3] نيويورك تايمز 24 مارس 1907.

[4] http://en.wikipedia.org/wiki/Robert_Dick_Wilson.

إسحق ماتوا بعد أن زاد عمر كلٍ منهم عن المائتي عام. كل هذا يجعلنا نعتقد أن قصة أبراهام قصة لا تمت للواقع بصلة، ولذلك تدخل حيز الميثولوجيا، مثلها مثل قصة نوح الذي عاش 950 سنة، وآدم الذي زاد عمره عن الألف عام.
يقول العهد القديم إن أبرام كان عمره ستاً وثمانين سنةً عندما أنجبت له هاجر ابنه إسماعيل، ولكنا نعرف أن أبرام كان لا يزال في حاران عندما كان عمره ستاً وثمانين سنة، وسارة لم تمتلك هاجر إلا بعد أن رجعوا من مصر. ويقول العهد القديم عندما كان أبراهام قد بلغ مائة عامٍ من العمر، بشره إلهه بإسحق، وكانت سارة قد بلغت تسعين عاماً من العمر (**تكوين 17، 1 - 17**)، ومع ذلك أنجبت ولداً.
يوم أن جدد إله أبراهام العهد معه وأمره أن يختتن ويختن جميع أهل بيته من الذكور، كان عمر إسماعيل ثلاثة عشر عاماً يوم ختنه أبوه بعد ولادة إسحق بأسبوع (**التكوين 17، 25**). وقتها أمرت سارة أبراهام أن يطرد هاجر وابنها من البلدة، فوضع أبراهام إسماعيل على كتفي هاجر وأعطاها قربة مليئة بالماء وطردها (**تكوين 21، 14**). ولكن إسماعيل كان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنةً وليس من المعقول أن تحمله هاجر.
توفيت سارة وعمرها مائة وسبعة وعشرون عاماً ودفنها أبراهام في مغارة المكفيلة* بعد أن اشتراها من الحتيين The Hittites (**تكوين 23، 1 - 7**). ولكن كل التنقيب حتى الآن لم يجد أثراً لسارة أو أبراهام في تلك المغارة، رغم حرص الإسرائيليين على ذلك.

* هل التهجئة صحيحة؟
أعتقد أن التهجئة صحيحة وهي ترجمة للاسم الإنكليزي في العهد القديم.

بما أن أبرام ترك حاران بعد موت أبيه الذي كان عمره 205 سنوات عندما مات، وكان عمر أبرام حوالي 135 سنة، وربما استغرقت رحلته إلى كنعان خمس سنوات أو يزيد، يكون عمر أبرام عندما قرر الذهاب إلى مصر حوالي مائة وأربعين عاماً، وبما أن سارة تصغره بعشر سنوات، فعمرها يومئذ يكون مائة وثلاثين عاماً، فهل يمكن أن تكون بذلك الجمال الذي يجعل فرعون مصر يتخذها زوجةً ويغدق على أبرام الهدايا؟ والعهد القديم يخبرنا أن سارة حملت بإسحق وعمرها تسعون عاماً وهذا يُعتبر مستحيلاً من الناحية العلمية حتى في عصرنا هذا، ناهيك عن ذلك الزمن السحيق.
ثم إذا نظرنا إلى قصة أبراهام عندما أخذ من رجال بيته 318 رجلاً مدربين على القتال ولحق بجيوش مكونة من تحالف خمسة ملوك من بلاد كنعان، فهل يُعقل أن يهزم 318 رجلاً يقودهم أبراهام الذي كان عمره حوالي 140 سنة، هذا الجيش العظيم الذي هزم جيوش أربعة ملوك؟

أم أنها فكرة تمجيد البطل الأسطوري وجعله إلها حسب الميثولوجيا البابلية؟

جزء كبير من علماء الأجناس والمؤرخين للأديان يقولون أن أبراهام ما هو إلا نسخة عبرية من ميثولوجيا الهند عن الإله **براهما** Brahma خالق الكون. وقد كانت زوجته تدعى Saraswathi ولا شك أن تشابه الأسماء يقوي من احتمال أن يكون أبراهام هو نفسه براهما الشخصية الميثولوجية.[5]
ثم إذا أخذنا قصة الفداء، وأمر إله أبراهام له أن يذبح ابنه الوحيد إسحق، كما يقول العهد القديم، فإن هذه القصة ليست فريدة في نوعها، فقد سبقتها قصص الميثولوجيا الهندية وميثولوجيا ما بين النهرين، وحتى الميثولوجيا الإغريقية **بقصص التضحية من أجل الآلهة**. وقد كانت بعض الحضارات القديمة تبالغ في هذه التضحية وتهب للإله الأطفال قرابيناً يذبحونهم في معابدهم أو يُلقون بهم في الأنهار كي تمنحهم الآلهة المياه اللازمة وقت الفيضان لتسقي لهم الأراضي الزراعية، كما كان يحدث في مصر. يقول لويد جراهم Lloyd M Graham في كتابه Deception & Myth in the Bible الذي صدر عام 1975:

> "قصة الفداء من القصص القديمة جداً وبدأت في الهند عندما أمرت الآلهة النبي شيفا Siva أن يحرق ابنه في كومة من الحطب funeral pyre وفي اللحظة الأخيرة قبل أن يشعل النار أتت الآلهة بحيوان وحيد القرن لفداء الطفل."

وفي روما القديمة كانوا يقدمون الأطفال والبنات خاصةً، قرابين للآلهة، وقد أصدر الكونـگرس الروماني قانوناً في العام سبعة وتسعين قبل الميلاد، منع بموجبه القرابين الآدمية.
ومن الأخطاء التاريخية في العهد القديم نجد أن أبراهام كان يمتلك كمية كبيرة من الأغنام والجمال (**تكوين 12، 16**)، ويقدر علماء الأديان أن قصة أبراهام نشأت في حوالي العام 1800 قبل الميلاد حسب جينولوجيا† Geneology التوراة، ولكن الجمل لم يُهجن وينتشر في الجزيرة العربية وشمال أفريقيا إلا في حوالي عام ألف قبل الميلاد.[6]

† **جينولوجيا (دراسة تاريخ العائلات):** دراسة تاريخ العائلات والذرية الناشئة عن الأجداد.

Geneology
study of history of families: the study of the history of families and the line of descent from their ancestors.

ثم أن الحفريات في فلسطين وفي بلاد ما بين النهرين لم تثبت حتى الآن أن أبراهام قد ظهر في تلك البلاد. ثم أن المصريين في الفترة التي يفترض أن يكون أبراهام قد زار فيها مصر (1600 - 1800 قبل الميلاد) كانوا قد اعتادوا على كتابة التاريخ على أوراق البردى وعلى الحجارة المصقولة، ولم يظهر في التاريخ المصري أي أثر لأبراهام هذا ولا لزواج الفرعون بامرأة جميلة ثم اكتشف أنها زوجة رجل آخر. يقول البروفسور سايز Sayce في كتابه Early History of the Hebrews المجلد الثامن، ما يلي:

> Cuneiform tablets have been found relating to Chodorlahomor and the other kings of the East mentioned in the 14th chapter of Genesis, while in the Tel-el-Amarna correspondence the king of Jerusalem declares that he had been raised to the throne by the arm of his God, and was therefore, like Melchisedech, a Driest-king. But Chodorlahomor and Melchisedech had long ago been banished to mythland and criticism could not admit that archaeological discovery had restored them to actual history.

والترجمة المختصرة لهذه الفقرة هي:

> أن بعض الكتابات المسمارية التي عُثر عليها تذكر **كدرلعومر** وبعض ملوك الشرق الذين ذكرهم العهد القديم، كما وجد في تل العمارنة مراسلات من ملك القدس تقول إن ذراع ربه رفعته إلى العرش. وكان مثله مثل الملك "ملكي صادق"، ولكنا نعرف الآن أن كدرلعومر وملكي صادق قد تمت إضافتهم إلى عالم الميثولوجيا منذ أمد بعيد ولم تفلح الحفريات في إعادتهم إلى عالم الواقع.

وهذا يعني أن كثيراً من الأسماء والشخصيات التي ذكرها العهد القديم هي شخصيات ميثولوجية لا غير.
ثم أن الهدف الأساسي من أي دين هو تعليم الأتباع الأخلاق الحميدة، فهل قصة أبراهام فيها شيء من الأخلاق الحميدة؟ فهو مثلاً قدم زوجته مرتين، مرة لفرعون مصر ومرة لملك العرب، إما خوفاً من القتل كما تقول التوراة وإما طمعاً في الهدايا، وتقديم الزوجة إلى رجل آخر ليعاشرها معاشرة الأزواج، مهما كان السبب، لا شك نوعٌ من تسيب الأخلاق. ثم أن أبراهام الذي أنجبت له هاجر إسماعيل، وأنجبت له سارة إسحق، ثم تزوج أبراهام **قتورة** التي ولدت له ستة صبيان، وكان لديه عدد من الجواري ربما ولدن كذلك، قد ترك هذا النبي المرسل من عند إله السماء، كل ما يملك لابنه إسحق، كأنما الآخرين لم يكونوا أطفاله:

> **{وأعطى إبراهيم إسحق كل ما كان له. وأما بنو السراري اللواتي كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحق إبنه شرقاً إلى أرض المشرق وهو بعد حيٌ. (تكوين 25، 5 - 6)}.**

وواضح من صياغة القصة أن كاتبها من بني إسرائيل لأنه فضّل إسحق على جميع الأبناء الآخرين، بل طرد الآخرين من الأرض الموعودة. فلو كان هذا النبي فعلاً شخصاً من لحم ودم أرسله إله السماء لهداية الناس، لا يُعقل أن يقبل منه الإله هذا التصرف غير

[5] http://tribes.tribe.net/solarmythologynastrotheology/thread/e76ae63b-6608-4aa5-a33a-537573fba714
[6] http://www.livius.org/caa-can/camel/camel.html.

اللائق بحاكم، ناهيك عن نبي مرسل. فكل الدلائل هنا تشير إلى أن قصة إبراهيم لا تختلف كثيراً عن الميثولوجيا في بلاد الرافدين التي زعموا أن إبراهيم جاء منها.

ونسبةً لعدم وجود أي دليل تاريخي من الحفريات أو أي دليل عقلي على صحتها، يجب أن تُعتبر قصة إبراهيم أسطورة من أساطير الأولين.

وسوف نتحدث في الحلقة القادمة عن أسطورة النبي إبراهيم في الإسلام.

2010 / 5 / 26

2 مِن 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=216791

العهد الجديد (الإنجيل المكون من أربعة أناجيل رئيسية) لم يتحدث عن النبي إبراهيم **إلا في محاولة إرجاع نسب يسوع إلى إبراهيم.** ولكن بما أن المسيحية جاءت تكملة لليهودية، فالنبي إبراهيم يمثل شخصية حقيقية بالنسبة للمسيحيين، ويعتبرونه الأب الأول للأديان الإبراهيمية. وكذلك يفعل الإسلام.

عندما جاء محمد برسالته في نهاية القرن السادس الميلادي وبداية القرن السابع، كان عرب الحجاز على علم بقصة النبي إبراهيم من اختلاطهم باليهود وبالمسيحيين الذين كانوا منتشرين في الجزيرة. وكذلك كانت مجموعة الأحناف مثل أمية بن أبي الصلت، على علم بقصة إبراهيم كما جاءت في العهد القديم.

ومحمد لا شك سمع قصة إبراهيم من ورقة بن نوفل، ولكنه زاد فيها زيادات جعلتها حتماً تنتمي إلى الميثولوجيا إن لم تكن قد فعلت ذلك من قبل.

وقد ذكر محمد قصة إبراهيم في القرآن **في أكثر من 120 آية موزعة على ثلاثين سورةً**، أغلبها مكية عندما كان يقص على القرشيين قصص الأنبياء. محمد لم يكن يعلم تفاصيل نشوء إبراهيم أو من أين أتى، أو من أين بدأ رحلته. ولم يذكر القرآن من نسب إبراهيم إلا أباه الذي سماه **آزر**. وكعادة القرآن في تجاهل النساء، لم يذكر القرآن سارة أو هاجر مثلما فعل مع زينب بنت جحش عندما ذكر زيد بن حارثة واكتفى عن اسم زينب بأن قال {**فلما قضى زيد منها وطراً**} *كأنما هي ماعز أو بقرة شرب من ضرعها حليباً وقضى وطره*. ولم يذكر القرآن أي أعمار لإبراهيم أو إسماعيل أو إسحق.

ولأن محمداً كان في *عداوة دائمة مع اليهود في المدينة*، لم يرد لهم أن ينفردوا بامتلاك قصة إبراهيم، فقال:

{ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين. (آل عمران 67)}.

ثم ادعى أنه أولى الناس بالنبي إبراهيم الذي يعتبره اليهود جدهم الأول، فقال:

{إنّ أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين. (آل عمران 68)}.

فهو هنا قد احتكر إبراهيم وجعله مسلماً، *وهذا التصرف هو واحد من ركائز الميثولوجيا*،

"التي من وظائفها إرساء قواعد السلوك للمجتمع الذي تظهر فيه، كما تقول ميرسيا إلياد."

"One of the foremost functions of myth is to establish models for behaviour".[7]

فكون محمد زعم أن إبراهيم الذي ظهرت قصته حوالي 2300 سنة قبل ظهور الإسلام، كان حنيفاً مسلماً ولم يكن يهودياً أو مسيحياً، وأن محمداً والمؤمنين أحق الناس به، **يجعل احتمال أن قصة إبراهيم ميثولوجيا احتمالاً يقبل التصديق لأن محمداً أراده أن يكون المثل الأعلى لسلوك المسلمين**، وبذا يكون قد استوفي الشرط الأهم في الميثولوجيا. وكما قلنا في الحلقة الأولى إن من خصائص الميثولوجيا أن كل جيل يزيد عليها شيئاً جديداً، فها هو محمد قد زاد *وجعل إبراهيم حنيفاً*. ولكن رغم هذا الادعاء، فلا محمد ولا أحبار اليهود ولا المسيحية شرحوا لنا ما هي رسالة إبراهيم إذا كان فعلاً أبا الأنبياء. فكل نبي لا بد أن تكون له رسالة معينة. لكن القرآن لم يقل لنا حتى إسم كتاب إبراهيم، إذا كان له كتاب، رغم أنه عدّد لنا التوراة والإنجيل والزبور والفرقان والكتاب والذِكر. **كل ما طلبه منا القرآن هو اتباع ملةّ إبراهيم حنيفاً، ولكن لا محمد ولا غيره كان يعرف ما هي ملةّ إبراهيم لأن إبراهيم لم يكن نبياً ولم يأت برسالة معلومة، ولم يحاول أن يدعو لربه لا في مصر ولا في كنعان وإنما اكتفى بإقامة معبد ليهوه في أرض كنعان**، وبجمع الهدايا من فرعون مصر ومن الملك العربي بعد أن وهبهم زوجته. **فلا التوراة ولا القرآن يخبرنا أن إبراهيم كان له أتباع أو أنه دعا إلى رسالة معينة**. وكل هذا التجاهل للرسالة التي هي أهم من الرسول نفسه، *تجعلنا نقول إن إبراهيم كان أسطورةً لا مكان له في عالم الحقيقة*.

والقرآن يقول: {**وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسان قومه. (إبراهيم 4)**}، وهذا يجعلنا نستغرب لماذا اختار إله السماء أن يبعث إبراهيم الذي كانت لغته الكلدانية أو السومرية لأنه نشأ في اور الكلدانية، إلى أرض كنعان حيث يتحدث الناس اللغة الآرامية؟ ألا يهم هذا الإله أن يفهم الناس في أرض كنعان رسالة إبراهيم الذي سافر مئات الأميال من جنوب تركيا إلى فلسطين ليوصل هذه الرسالة لهم؟ ولكن لأن إبراهيم كان شخصية ميثولوجية ولا رسالة له، لم يهتم المفسرون بلغته ولم يذكروها لنا. ويبالغ محمد في احتضان إبراهيم لدرجة أنه قال: {**فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله.** (الروم 30)}. فهو هنا جعل ملة إبراهيم هي الفطرة الطبيعية لبني البشر وأن الإنسان يتبع فطرته التي فطره الله عليها وبالتالي لا بد أن يتبع ملة إبراهيم غير المعروفة لمحمد أو لغيره.

ويبدأ **تخبط القرآن** واضحاً عندما حاول محمد الحديث عن الأصنام وعن ما قاله إبراهيم لأبيه، فقال: {**وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين.** (الأنعام 84)}. وطبعاً آزر لم يكن أبا إبراهيم. حتى ابن عباس الذي كان طفلاً عندما توفي محمد، عرف هذه الحقيقة:

"أخرج ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس قال: إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه آزر إنما كان اسمه تارح. وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: معنى آزر: الصنم. وأخرج عن السدي قال: اسم أبيه تارح واسم الصنم آزر. وأخرج عن مجاهد قال: ليس آزر أبا إبراهيم."[8]

---

[7] Mircea Eliade, "Myth and Relaity" 1963.

[8] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، النوع السابع والستون في أقسام القرآن.

فالعرب ومنهم محمد وكذلك الأحناف لم يكونوا يعرفون أصل إبراهيم لأنهم استقوا معرفتهم من الفرق المسيحية بالشام، والإنجيل المسيحي لم يتحدث عن إبراهيم بأي تفاصيل.

ثم يحدثنا القرآن، وبإسهاب، عن حوار إبراهيم مع قومه عن عبادة الأصنام، فيقول لنا في قصة أشبه بقصص الأطفال إن إبراهيم حطم أصنام قومه (لأن محمداً كان يتحدث عن الأصنام التي رآها بالكعبة واعتقد أن قوم إبراهيم في سومر أو اور كلدان كانوا يجمعون أصنامهم في مكان واحد مثل الكعبة التي كان بها 360 صنماً) فقال القرآن على لسان إبراهيم:

> **{قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين. وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين. فجعلهم جذذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون. قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين. قالوا سمعنا فتىً يذكرهم يقال له إبراهيم. قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون. قالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم. قال بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم إن كانوا ينطقون) (الأنبياء 56 - 63)}.**

إبراهيم حلف لهم ليكيدن بأصنامهم عندما يدبرون، وعندما حطمها ورجع القوم ورءوا ما صنع قالوا: مَن صنع هذا؟ مع أن إبراهيم كان قد حلف لهم أنه سوف يكيد بها. {**فقالوا سمعنا فتىً يذكرهم يقال له إبراهيم**}، وبالطبع لو كانت القصة حقيقية لكان كل الناس في المدينة يعرفون إبراهيم لأنه كان يناقشهم ويناقش أباه في موضوع عبادة الأصنام وحلف لهم أنه سوف يحطمها. وتهديده بتحطيم الأصنام كان كفيلاً أن يجعله مشهوراً بينهم، ولكن بكل بساطة يقول القرآن: {**سمعنا فتىً يذكرهم يقال له إبراهيم**}. وإبراهيم كان عمره وقتها 135 سنة حسب الميثولوجيا العبرانية، وحتى لو كان عمره 75 سنة كما يقول العهد القديم، فإنه لم يكن فتىً. فإذا كان إبراهيم فتىً بهذا العمر، فكم يكون عمر الشيخ عندهم؟ كل القصة محبوكة حول الأساطير التي كان محمد يسمعها من ورقة بن نوفل ومن بعض اليهود الذين لم يكونوا بأعلم منه بشخصية إبراهيم.

وحسب الميثولوجيا العبرانية فإن تارحَ، أبا إبراهيم، كانت مهنته صناعة الأصنام الصغيرة من الطين وبيعها، ومعنى هذا أن إبراهيم تربى مع الأصنام وعرفها طوال حياته قبل أن يترك اور إلى حاران. وقد سكن بحاران حتى صار عمره 135 سنة.

> **فكيف نتوقع من شخص مثل هذا أن يثور ويحطم الأصنام؟**
> **فليس هناك من شك أن محمداً كان يتحدث في هذه السورة المكية عن نواياه إذا ما تمكن من دخول مكة منتصراً.**

والغريب أن القرآن جعل إبراهيم يدعو لدينه الجديد في وسط قومه في اور أو حاران، ويدعوهم إلى عبادة الرب الواحد ويحطم أصنامهم ليجبرهم على عبادة إلهه الجديد، بينما القصة التوراتية تقول إن يهوه أمر أبراهام بالخروج من حاران إلى الأرض المقدسة في أرض كنعان. *وكلما كثر الاختلاف في الروايات كلما زاد احتمال أن تكون القصة ميثولوجيا.*

ثم يقص علينا محمد قصة خلاف إبراهيم مع النمرود، فيقول:

> **{قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين. قلنا يا نارُ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم. (الأنبياء 68-69)}.**

وهذه صورة طبق الأصل من الأساطير القديمة عندما كانت الآلهة تتشاجر مع بعضها وتقذف اللهب على الخصم ولكن الخصم يحتمي من النار بسحر إلهي فلا يصيبه أذى. وهذه القصة من اختراع بنات أفكار محمد لأن العهد القديم لم يذكر النمرود في الكتب الخمسة الرئيسية إلا في سفر التكوين، الإصحاح 10، ليقول عنه:

> **{إن كوش ولد نمرود الذي ابتدأ يكون جباراً في الأرض. الذي كان جبارَ صيدٍ أمام الرب. لذلك يقال "كنمرود جبار صيدٍ أمام الرب". وكان ابتداء مملكته بابل وأرك وأكد وكلنة في أرض شنعار. (الآيات 8 - 19)}.**

ولكن أحبار اليهود ذكروه في المدراش وقالوا إنه كان ابن كوش، وحفيد حام، والحفيد الأعظم لنوح. ومعنى هذا أن نوح أنجب حام، وحام أنجب كوش، وكوش أنجب النمرود. يعني أن النمرود هو الجيل الثالث بعد نوح، وبما أن الفترة الزمنية بين الأجيال حوالي 30 سنة، يكون الفرق التاريخي بين نوح وبين النمرود حوالي 100 سنة. وأغلب المصادر تقول إن الطوفان حدث حوالي سنة 2300 قبل الميلاد، وهذا يجعل النمرود من الجيل الذي عاش حوالي العام 2200 قبل الميلاد، ولكن قصة إبراهيم ترجع إلى حوالي العام 1800 قبل الميلاد، *وبذا لا يمكن أن يكون النمرود قد عاصر إبراهيم*. هذا من الناحية الميثولوجية، أما في الحقيقة فإن النمرود كان ملكاً آشورياً واسمه الحقيقي هو Tukulti Ninurta وقد احتل بابل عام 1225 قبل الميلاد.[9] وعليه لا يمكن أن يكون قد عاصر إبراهيم.

وكلمة النمرود مشتقة من الكلمة العبرية marad وتعني "**الثائر**" والعهد القديم يقول إنه محارب جبار أمام الرب، أي ثائر على رسالة الرب. وربما لأنه هزم جيوش بابل واحتلها وربما أدخل بها آلهته لتحتل مكان آلهتهم، زعم كُتاب الميثولوجيا اليهودية أنه محارب أمام الرب. *وقد أخذ محمد هذه الأسطورة كما هي وزاد عليها، وجعل النمرود يتجادل مع إبراهيم،* وعندما غلبه إبراهيم بحجة ضعيفة جداً بأن قال له إن ربي يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرب، بُهت النمرود، وكان يمكنه أن يقول لإبراهيم: بل اجعل ربك يأتي بها من المغرب، فيبهت إبراهيم. بعد هذه المجادلة أمر النمرود بإلقاء إبراهيم في النار، وتدخل رب السماء وقال للنار: {**كوني برداً وسلاماً على إبراهيم**}. ولم تصب النار إبراهيم بأي أذى. **حوار وأفعال تصلح للميثولوجيا بكل حذافيرها**.

وطبعاً لا يمكننا أن نتخيل أن تصبح النار برداً لأن ذلك ضد قوانين الطبيعة. يقول الفيلسوف الهولندي سبنوزا:

> "الله هو قوانين الطبيعة التي تحكم العالم."[10]

فلو كسر الله قوانين الطبيعة يكون قد حطم نفسه.

وتختلف قصة المشنا عن إلقاء إبراهيم في النار عن قصة القرآن، فتقول المشنا:

> He [Abraham] was given over to Nimrod. [Nimrod] told him: Worship the Fire! Abraham said to him: Shall I then worship the water, which puts off the fire! Nimrod told him: Worship the water! [Abraham] said to him: If so, shall I worship the cloud, which carries the water? [Nimrod] told him: Worship the cloud! [Abraham] said to him: If so, shall I worship the wind, which scatters the clouds? [Nimrod] said to him: Worship the wind! [Abraham] said to him: And shall we worship the human, who withstands the wind? Said [Nimrod] to him: You pile words upon words, I bow to none but the fire - in it shall I throw you, and let the God to whom you bow come and save you from it!
>
> Haran [Abraham's brother] was standing there. He said [to himself]: what shall I do? If Abraham wins, I shall say: "I am of Abraham s [followers]", if Nimrod wins I shall say "I am of Nimrod s [followers]". When Abraham went into the furnace and survived, Haran was asked: "Whose [follower] are you?" and he answered: "I am Abraham s!". [Then] they took him and threw him into the furnace, and his belly opened and he died and predeceased Terah, his father.
>
> هذه الفقرة تقول إن النمرود طلب من إبراهيم أن يعبد النار، فقال له إبراهيم: هل أعبد الماء كذلك لأن الماء يطفيء النار، فقال له النمرود: اعبد الماء. فقال إبراهيم: وهل أعبد السحاب الذي يحمل الماء، فقال له النمرود: اعبد السحاب. فرد إبراهيم: وهل أعبد الريح التي تحمل السحاب، فقال له النمرود: اعبد الريح. فرد إبراهيم: وهل نعبد الإنسان لأنه يقاوم الريح، فقال له النمرود: أنت تلقي الكلمات فوق الكلمات، وأنا لا أنحني لغير النار التي سوف ألقيك فيها ولسوف نرى إن كان ربك سوف يحميك منها. وكان هاران، أخو إبراهيم واقفاً عند ذلك المشهد،

[9] Jealous Gods, Chosen People by David Leeming, p 15.
[10] Karen Armstrong: A History of God, p 359.

فقال إن خرج إبراهيم سالماً فسوف أقول إني من أتباع إبراهيم، وإن هلك إبراهيم وفاز النمرود فسوف أقول إني من أتباع النمرود. ولما خرج إبراهيم من النار سالماً سألوا هاران، فقال إنه من أتباع إبراهيم، فألقوا به في النار وانشق بطنه ومات وبذا سبق أباه في الموت.

واضح من قصة المشنا *أن فكرة اليهود عن قصة النمرود تختلف اختلافاً كبيراً عن فكرة محمد عنه*، ولذلك لا يمكن أن تكون القصة حقيقية وبها كل هذا الاختلاف بين اليهود والمسلمين.

والتعليل الوحيد لكل هذا الاختلاف هو أن القصة لم تحدث، وتخيل كل جانب محتوى الرواية وكيف حدثت وماذا قال إبراهيم.

يقول أليكساندر هايدل Alexander Heidel أول من ترجم أسطورة جلجامش في كتابه المعنون:
The Gilgamish Epic and the Old Testament Parallels, 1948

"إن ملحمة جلجامش كُتبت في ألواح من الطين في حوالي العام 2000 قبل الميلاد وقد كان اسمه Huwawa وحوره العبريون فيما بعد إلى YHWH وبما أن ملحمة إبراهيم حدثت في نفس المنطقة من الأرض، فإن التشابة الكبير بين القصتين يجعل احتمال أن تكون قصة إبراهيم هي نفسها قصة جلجامش، احتمالاً معقولاً."

ومما يقوي احتمال أن تكون القصة أسطورة أن اليهود يزعمون أن أبراهام نزح من أرض العراق إلى الأرض الموعوده في فلسطين، وعندما طلبت منه سارة أن يطرد هاجر وابنها إسماعيل، طردهما وتاهت هاجر في صحراء الأردن {**فَمَضَتْ وَتَاهَتْ فِي بَرِّيَّةِ بِئْرِ سَبْعٍ.** (التكوين، إصحاح 21، الآية، 14)}. بينما يزعم المسلمون أن إبراهيم عندما ولدت له هاجر إسماعيل، أخذ هاجر وابنها الصغير إلى مكة، وتركهم هناك وخاطب ربه وقال: {**ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرّم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون.** (إبراهيم 37)}. وزاد أهل التفاسير في القصة وقالوا إن إسماعيل كان يبكي من العطش ويرفس برجليه في التراب وأن أمه لم تقدر على تحمل المنظر فراحت تهرول بين الصفا والمروة تبحث عن الماء. ثم جاءها الملاك وأخبرها أن الماء نَبَع تحت أرجل إسماعيل.

ونفهم من هذه الآية أن إسماعيل كان طفلاً صغيراً، ولكن الميثولوجيا في العهد القديم تخبرنا أن إسماعيل كان عمره 13 سنة عندما طرد إبراهيم هاجر وإسماعيل من عند سارة. ويحتار المرء في فهم السبب من وراء ترك إبراهيم طفلاً رضيعاً وأمه في وادٍ غير ذي زرع. أما كان من الأفضل أن يتركهما في واحة في يثرب حتى يكبر إسماعيل ثم يرجع إليهما ويأخذه إلى مكة ليساعده في بناء الكعبة؟ ونحتار أكثر في فهم لماذا سافر إبراهيم بهاجر وإسماعيل من أرض كنعان، قاطعاً صحارى الأردن، ليصل إلى صحراء أخرى ووادٍ غير ذي زرع في مكة.

ومما يقوي احتمال أن القصة ما هي إلا اسطورة، أنه لا يوجد لدينا أي سند تاريخي لهذه الرحلة من كنعان إلى مكة.

وعندما استقر محمد بالمدينة وانتصرت دعوته، فكر في مسألة الحج، فأتى في سورة البقرة بآيات عن بناء الكعبة، فقال:

{وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيلُ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمةً مسلمةً لك وارنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت الحكيم. ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه. ولقد اصطفيناه في الدنيا وأنه في الآخرة لمن الصالحين. إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين. ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون. أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوبَ الموتُ إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون. (البقرة 127 - 133)}.

والإشكال هنا أن إسماعيل كان طفلاً صغيراً عندما تركه إبراهيم مع أمه في الصحراء، حسب سورة إبراهيم المكية. ولكن فجأة أصبح رجلاً في سورة البقرة، يساعد أباه في رفع قواعد البيت المحرّم. وبالطبع لم يبنِ إبراهيم ولا إسماعيل الكعبة، بدليل أن إبراهيم عندما أخذ هاجر والطفل إسماعيل إلى مكة قال لربه: {**بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرّم**} مما يعني أن البيت بمكة كان قائماً قبل وصول إبراهيم. الكعبة بناها العماليق أو جرهم كما تقول كتب التاريخ الإسلامي. *وأغلب الظن أن المسيحيين الأوائل في جزيرة العرب هم الذين بنوها ككنيسة لهم بدليل أن محمداً عندما فتح مكة ودخل الكعبة، وضع يديه على صورة مريم وصورة عيسى اللتين كانتا على الجدار، وقال لأتباعه أن يمحو بقية الصور.* وهذا يدل على أنها كانت كنيسة بها صورة العذراء ويسوع والملائكة. فحتى بناء الكعبة أصبح أسطورة في القرآن الذي جعل إبراهيم مسلماً، ثم سها وقال على لسان إبراهيم: {**ربنا واجعلنا مسلمين**}. والأسطورة الإسلامية تجعل إبراهيم يسأل ربه أن يبعث في العرب رسولاً منهم. بل يزيد مؤلف القرآن ويزعم أن يعقوب قبل أن يموت سأل أولاده ماذا يعبدون بعده: '**فقالوا إنهم سوف يعبدون إله إسماعيل، ولن يموتوا إلا وهم مسلمون'**. أين الحقوق الأدبية هنا. العبرانيون يؤلّفون القصة فيستولي عليها كاتب آخر ويغيّر فيها تغييراً كبيراً يَحْرِم المؤلف الأصلي من أي حقوق أدبية. أين صدق الأنبياء المرسلين. إما أنّ محمداً قد أضاف هذه الرتوش أو كُتّاب التوراة قد كذبوا. **وإذا اختلف اللصان ظهر المسروق.**

وهذه الآيات تؤكد لنا أن قصة إبراهيم ما هي إلا ميثولوجيا من صنع الخيال الإسلامي والعبراني، يضيف كل فريق إليها ما يسند موقفه، وإله السماء مستوي على العرش لا يحرك ساكنا لفض هذا النزاع. فهل كان إبراهين مسلماً حنيفاً أم كان يهودياً وأباً لإسحق الذي أتى من صلبه كل الأنبياء والرسل المعروفين، ما عدا محمداً.

ثم نأتي للاختلاف الكبير بين القرآن والتوراة في قصة الفداء. العهد القديم يقول إن الإله أمر أبراهام أن يذبح ابنه الوحيد، إسحق. مع أن إسحق لم يكن ابنه الوحيد لأن إسماعيل ولد قبل إسحق. ولكن نسبة للنظرة العبرانية الدونية لغير اليهود، اعتبر كُتّاب العهد القديم أن إسماعيل لا يرتقي إلى مستوى أن يكون ابن أبراهام لأن أمه هاجر غير يهودية. وبذا أصبح الفداء لإسحق. ولكنْ المسلمون يقولون إنّ الفداء كان لإسماعيل، رغم أن إبراهيم لم يكن ساكناً بمكة مع هاجر بل رجع إلى زوجته سارة وبالتالي لا يمكن أن يكون الفداء قد حدث في مكة كما يقول المسلمون. والقرآن يقول:

{فبشرناه بغلامٍ حليم. فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبتِ أفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين. فلما أسلما وتلّه للجبين. وناديناه أن يا إبراهيم. قد صدّقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين. إن هذا لهو البلاء المبين. وفديناه بذبح عظيم. (الصافات 101 - 107)}.

ويتبين من هذه الآيات أن المقصود بالفداء هو إسحق وليس إسماعيل كما يزعم المسلمون لأن القرآن يقول في نفس السورة:

{وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين. (112)}.

فالله لم يبشر إبراهيم بإسماعيل لأن إسماعيل ولدته هاجر وكانت فتاة في مقتبل العمر، وكان طبيعياً أن تحمل بعد المعاشرة الجنسية، ولكن بشّره بإسحق لأن سارة كان عمرها 90 سنة وقد انقطعت عنها الدورة، كما يقول العهد القديم، ولذلك بشره بإسحق. ولما كانت الآيات أعلاه تقول:

{وبشرناه بغلام حليم، فلما بلغ معه السعي قال إني أرى في المنام أن أذبحك}

يصبح من الواضح جداً أن المقصود هو إسحق. فلو كانت القصة حقيقية لأخبر الله محمداً باسم الطفل المفدي، ولكن كل القصة ميثولوجيا، وكما قلنا سابقاً إنّ واحدة من سمات الميثولوجيا أن كل جانب يضيف إليها ما يسند موقفه.

وأعتقد أن قراءة هاتين الحلقتين عن إبراهيم يجعل موقف القائلين أن القصة ميثولوجيا وأن ابراهيم شخصية أسطورية، موقفاً أقرب إلى التصديق من موقف القائلين بأن إبراهيم كان شخصيةً حقيقية. والذين يقولون بأنه شخصية حقيقية ليس لديهم دليل واحد يقدمونه لنا غير إيمانهم العقيدي الذي لا يمكن أن يصمد في وجه التحليل المنطقي للقصة.

عودة إلى الفهرس

2010 / 6 / 11

1 مِن 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=218800

لا شك أن الإنسان البدائي الذي كان يعيش في الكهوف وتحيط به الغابات المليئة بالحيوانات المفترسة كان يخشى أشياء كثيرة أهمها **الظلام والموت**. فعندما تغيب الشمس ويكتنفه الليل كان يخشى أن يفترسه أسد أو نمر، خاصةً قبل اكتشاف النار. ولذلك كان القمر في الليالي المقمرة، يمثل له حارساً يُمَكِّنَه من رؤية الحيوانات المفترسه، ويسمح له في نفس الوقت بالجلوس مع أهله في حلقة لتبادل السمر في جوٍ باردٍ مريح بعد أن تغيب الشمس الحارقة في موطن الإنسان الأول أفريقيا. ولهذا أصبح القمرُ محبباً إليه، فجعله إلهاً يتوسل إليه ويطلب منه ألا يغيب عنه، رغم أن القمر أصغر من الشمس ولا يطلع عليه كل ليلة، كما تفعل الشمس كل يوم، ولكنه مع ذلك يبدد الظلام فيساعد الإنسان على البقاء حياً. وحتى بعد أن هاجر الإنسان البدائي شمالاً إلى آسيا وأوروبا، ظل يعبد القمر ويرمز به إلى الجمال، خاصةً عندما يتحدث عن الأنثى.

وفي منطقة ما بين النهرين حيث بدأ تكوين المدن والمجتمعات البشرية، كان الإله "سن Sin "إله القمر، أو "نانا Nanna "كما كان يُعرف في مدينة اور، من أهم الآلهة. وكانوا يرمزون له بثور له قرون كبيرة، وفي النصف الثاني من الشهر عندما ينحدر القمر ويضمحل، كانوا يرمزون له بشيخ كبير له لحية بيضاء، ينفذ بحكمته قرارات الآلهة، وهو المسؤول عن تعيين الملوك، ومنحهم التاج والصولجان. وكانت له زوجة اسمها "بنجال" أي السيدة العظمى، وقد ولدت له السيدة بنجال "شمس" إله الشمس، وعشتار، ربة الزهرة.[1]

وفي اليمن، منشأ العرب العاربة، كان "المقة" هو إله القمر، الذي كانوا يجلسون في ضوئه في الليالي المقمرة ليقصوا القصص ويتسامروا. وعندما هاجر القحطانيون شمالاً، حملوا معهم إله القمر وجعلوا له معبداً في "مقة" التي أصبحت فيما بعد مكة. واستمر إله القمر يُعبد في عدة مجتمعات في أفريقيا وآسيا.

ومع اكتشاف الزراعة في منطقة ما بين النهرين وفي مصر، عرف الإنسان أن الشمس مهمة جداً لنضوج المحاصيل الزراعية وتوفير الطعام له، ومن ثم أصبح "شمس" كبير الآلهة، وخاصةً في مصر، حيث كان اسمه "رع" وكان له قصرٌ منيفٌ في مدينة "هليوبولوس" تصطف تماثيل الأسود عند مدخله ويموج داخله بالكهنة الذين يُعَلمون الناس كيفية عبادة "رع". يفتح إله الشمس عينيه، فيبزغ الفجر على الوجود، ويهتف الناس والآلهة على ضفاف النيل

> "تباركت يا رع .. يا خالق السموات والأرض .. يا مرسي الجبال وساقي البحار .. يا رسول الفرح والحرارة والضوء إلى أرض السلام".
> ومن الشرق تبدأ دورة الإله كل يوم، لتنتهي بعد ذلك في الغرب، حيث يختفي موكب رع في ظلمات الأفق، فتظلم الأرض، وتضيء ظلمات العالم السفلي ... إقليم الجحيم الرابض في الأعماق. وهناك يستمر موكب الإله على صفحة نهر كبير، يخترق وادياً يتفرع إلى اثني عشر فرعاً، تفصل كل واحد منها عن الآخر جدران هائلة ذات أبواب ضخام.[2]

ونلاحظ هنا أن النهر ينقسم إلى اثني عشر وادياً، وهي عدد أشهر السنة، وقد أصبح هذا العدد مهماً في اليهودية حيث انقسمت القبائل العبرية إلى اثنتي عشرة قبيلة، وفي الإسلام فيما بعد، حيث ضرب موسى بعصاه الحجر فانبجست منه اثنتي عشرة عيناً، وأصبح لمحمد اثنا عشر نقيباً لجيشه. وكان الناس، كل الناس في مصر، يسجدون لرب النور كل صباح (ومن هنا جاءت صلاة الفجر في اليهودية والإسلام).

وظل "شمس" كبير الآلهة في مصر، ولكن اسمه وشكله تغير مع تغير الممالك. ففي ممفيس كان اسمه "حورس" ويمثله إنسان برأس صقر. ثم أصبح آمون، وكان يمثله جسم إنسان برأس كبش. وحتى عندما جاء الفرعون أمنحوتب الرابع ودعا إلى الوحدانية، كان إلهه الواحد هو الشمس، الذي سماه "أتون" ورمز له بقرص الشمس وأشعتها الذهبية، وغيّر هو اسمه من أمنحوتب إلى أخناتون. وانتشرت عبادة إله الشمس إلى عدة مجتمعات بشرية في آسيا وأوروبا.

ولما كان الإنسان البدائي يخاف كذلك من الموت، ولا يعرف له تفسيراً مفيداً، ولا يعرف لماذا يموت الإنسان بعد حياة وجيزة لا تتعدى الثلاثين أو الأربعين سنة، **تخيل أن حياته هذه ما هي إلا رحلة وجيزة إلى عالم آخر سوف يعيش فيه إلى الأبد**. وكان في البدء، يعتقد أن حياته الثانية في ذلك العالم المجهول سوف تكون مثل حياته هذه، ولذلك بدأ يدفن الملوك بعد تحنيطهم، في قبور كبيرة بها جميع أنواع الطعام، والأثاث وحتى الخدم الذين كانوا يضحون بهم عندما يموت الملك. وكانوا يزودون الميت بتعاويذ مأخوذة من كتاب "الموتى" الديني، كي تساعدهم في استئناف حياة سعيدة في العالم الآخر. وببداية العام 3400 قبل الميلاد أصبحت المقابر الضخمة المزخرفة بالرسوم والمليئة بكل أنواع الطعام والشراب، شيئاً اعتيادياً بالنسبة للموتى الأغنياء.[3]

وبالطبع استفاد الكهنة من هذه الطقوس استفادة مادية، وكلما زاد لهم أهل الميت في العطاء، زادوا هم في التعاويذ التي يدفنونها مع الميت. *وقد بلغ الكهنة شأواً كبيراً في الغنى والسلطة والنفوذ بحيث أصبح بيدهم التحكم في كل شيء من ثروة البلاد وسياستها*.[4]

وانتشرت طبقة الكهنة المسيطرين على الأحياء من وراء خدمة الأموات في آسيا وأوروبا منذ ذلك الوقت الممعن في القدم. وما زال **وعاظ السلاطين** هم المستفيد الأوائل من الأديان وقد تشعبت تجارتهم لتشمل الفتاوى التي تحدد للناس كيف يعزفون عن الحياة الدنيا كي يستمتعوا بالحياة القادمة.

وقد عرف قدماء المصريين أن بعض الناس في هذه الحياة خيرّون وبعضهم مجرمون، فكان لا بد أن يُحاسبوا على أعمالهم في الآخرة، فتخيلوا قاعة ضخمة هي محكمة الآخرة، التي في وسطها ميزان توزن فيه الحسنات والسيئات، ويستجوب الإله أنوبيس الموتى. فمن رجحت حسناته، قاده الآلهة المحيطون بأنوبيس إلى جنة الأموات الصالحين حيث يستمتع بالسعادة الدائمة، وأما من رجحت مساوئه، فإنه يُسلم إلى الإلهة "معات" كلبة سيد الأمنت "الدار الآخرة" لتفترسه.[5] وهكذا أصبح الخوف من تلك الكلبة هو الوازع للإنسان **لطاعة الكهنة وفعل كل ما يرضي الإله**.

---

[1] سليمان مظهر، قصة الديانات، مكتبة مدبولي، 2002، ص 75.
[2] نفس المصدر، ص 28.
[3] Jealous Gods & Chosen People, David Leeming, Oxford University Press, 2004, p 10
[4] قصة الديانات، ص 47.
[5] قصة الديانات، ص 46.

فالأديان منذ الأزل اعتمدت على عامل التخويف من العذاب ولم تعتمد على وازع الضمير.

حياة الاستقرار الزراعي قادت الإنسان في العصر الحجري لأن يفكر في كيفية خروج الغلال من الزرع الأخضر، وبالتالي كيفية تكوين الطفل في بطن أمه، ثم كيفية وجود العالم نفسه. وبذا بدأت **ميثولوجيا قصة الخلق**. بالنسبة لقدماء المصريين فإن إله الشمس "رع" عندما كبر وتعب، اعتلى ظهر البقرة الإلهية " نوت" التي هي ابنته، فارتفعت أكثر وتقوست حتى أصبحت كالقبة. غير أن نوت لم تستطع أن تصمد طويلاً، وكادت تنهار تحت ثقل رع، فخارت قواها ووهنت قوائمها، ولم تجد بداً من طلب العون، عندئذٍ قال رع:

"يا ولدي شو! ضع نفسك تحت ابنتي نوت وآزرها في حملي، واجعلها تستند على ذراعيك القويتين من الجانبين."
وأطاع شو وسلمت نوت من السقوط، وامتد بطنها حتى صار قبةً زرقاء صارت هي نفسها فيما بعد السماء، وراح رع ينشر على صفحتها النجوم لتنير الليل.

أما في مملكة ممفيس التي أتت بعد زوال مملكة هليوبوليس، كان الإله " بتاح" هو خالق السماء والأرض والبشر وكل الأشياء. وقال كهنته إنه خلق الأشياء كلها بأن فكر فيها قلبه ثم نطق بها لسانه، أي بصورة أخرى، فقد نشأ الكون أول الأمر صورة في ذهن الإله بتاح، ثم نطق به، فكان. أي قال له كن، فكان.

وفي مملكة طيبة كان الكهنوت يعتقدون أن "آمون" عندما جاء إلى الوجود لم يكن هناك شيء كائن، لهذا كان هو خالق نفسه بنفسه، ثم جاءت الآلهة بعده إلى الوجود. وهو لم يكن له أب أو أم. والإله "رع" كذلك خلق نفسه بنفسه، ففي البدء لم يكن هناك غير محيط أزلي مظلم... هو " نون"، برز منه إله الشمس بقدرةٍ فيه... وكان هو نفسه رع، تماماً كما كان هو نفسه أيضاً الإله **المُبديء**[6] "آتوم" وكانا مقترنين معاً. ثم خلق من نفسه وبطريقة مادية أول زوج من الآلهة، هما "شو" إله الهواء، و"تفنوت" إلهة الندى. ومن هذين وُلد "جِب Gib" إله الأرض و"نوت" إلهة السماء. وكانت الأرض والسماء رتقاً ففتقهما "شو".[7]

في سومر في الألفية الرابعة قبل الميلاد، كان الإله أنو Anu هو الإله الأب الذي كان هو السماء، وقد انفصل منذ البدء عن لصيقه "يوراس" أو "كاي"، الذي هو الأرض، وبهذا الانفصال قد أفسح مجالاً لخلق الكون. وقد كان آنو عجلاً كبيراً خواره الرعد، ومنيه الذي يتدفق دائماً هو المطر الذي يخصّب به الأرض "كاي". وفي بعض المدن السومرية كانوا يعتقدون أن الإلهة أنتو Antu هي السماء وأن حليبها الذي ينزل من ضرع السحاب، هو المطر الذي يخصّب الأرض.[8] وفي الميثولوجيا البابلية كانوا يعتقدون أن الإله أنو كان ابن الإله أنشار والإلهة كنشار.

كان الإله آنو أهم إله في أوروك بالنسبة للميثولوجيا السومرية، لكنه فقد بعض أهميته مع مرور الزمن للآلهة الجدد أمثال مردوك، وإنليل والإلهة أنانا "عشتار". يقول صمويل كريمر في كتابه "الميثولوجيا السومرية" إن الكون كان يُعرف ب "أنكيan-ki" وهذه الكلمة تتكون من "آن" وتعني السماء، و "كي" وتعني الأرض. وقد ظهر هذا الكون في شكل جبل من الماء الأزلي تحت الإلهة نامو Nammu. فالأرض والسماء كانتا جسماً واحداً، وكان لا بد لهما من الانفصال حتى يخلقا مجالاً لبقية الخلق. وعليه فقد رفع إله السماء "آن" نفسه إلى أعلى، بينما أنزل الإله "إنليل" إله الهواء، أمه الأرض إلى أسفل، وبذا ترك فضاءً لبقية الخلق. ثم تكاثر الآلهة الذين كانوا يفلحون الأرض. وقد صعب عليهم هذا العمل، خاصة على الإله إنكي Enki ابن "نامو" كبيرة الآلهة. وقد كان إنكي يحب النوم، فاقترحت عليه أمه أن يخلق بشراً يفلحون الأرض نيابةً عنه وعن بقية الآلهة. ولكن أنكي الكسلان طلب من أمه أن تأخذ بعض الطين من الأرض التي كان ينام عليها، وتصنع منه أشكالاً بشرية، وبذا خلقت نامو البشر الذين أصبحوا يعملون بالزراعة بدل الآلهة.[9]

قصة الخلق السومرية تقول إن العالم لم يكن شيئاً وكل ما كان هناك هو "إبسو" المحيط الأزلي، و"تيمات" المياه المالحة. ومع مرور الزمن اختلط الماء بالفضاء، ومن اختلاطهما خرجت أشياء أخذت تنمو وتتخذ لها أشكالاً عديدة. ثم ظلت ترتفع حتى استقرت في أعلى وكان منها كل آلهة النور. وأطلت "تيمات" إلى المخلوقات الجديدة، وهالها ما رأت، فهم لا يريدون غير النور، وهي تهوى الظلام. وقررت تيمات أن تتخلص منهم وأن تشن عليهم حرباً لا هوادة فيها. وظلت تيمات تعمل بلا انقطاع، ومن جوفها جاءت الوحوش المفترسة وانطلقت الثعابين ذات السم وخرجت الكلاب والعقارب. كل هذه الحيوانات كانت تتحرك تحت إمرة الوحش "كنجو" العملاق الذي وعدته تيمات بالزواج إذا تغلب على آلهة النور وقد ملأ الخوف آلهة النور وحاولوا الصلح مع تيمات.

وفي قصة الخلق البابلية تجلت مقدرة الكهنة في "الانيوما أليش Enuma Elish "التي وُجدت مدونة على أقراص طينية في مكتبة نينوى، ويرجع تاريخها إلى الألفية الثانية قبل الميلاد، وفي هذه الميثولوجيا البابلية انتهى دور الإلهة الانثى واهبة الخصب، وحل مكانها الإله "مردوك Murduk " في أيام نبوخذ نصر الأول. استطاع مردوك أن يقتل "تيمات" الشريرة، وشق جسدها إلى شقين، رفع أحدهما ليكون السماء، وخفض الآخر ليكون الأرض. وعندما رفع مردوك السماء نثر على صفحتها الكواكب. ثم قسم السنة إلى شهور وجعل لكل شهر ثلاثة كواكب. كما جعل لإله القمر حكم الليل وإضاءته، ومنحه كل شهر يوماً يستريح فيه .وقدر مردوك أن الآلهة كانت في حاجة إلى من يصلي لها ويعبدها، فانحنى مردوك على الأرض وشرع يعجن التراب بدمائه ويصنع من الطين ناساً تقوم على خدمة الآلهة والصلاة لهم. وهكذا خُلقت البشرية. قارن سبب خلق البشر هنا مع سببه في القرآن {**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدونِ**}.

وجاء حمورابي (1792-1750 قبل الميلاد) ووسع مملكته شمالاً وجنوباً إلى أعالي نهر دجلة، وضم بلاد الآشوريين إليها ووصل إلى الخليج الفارسي. وجعل حمورابي "مردوك" إله مملكته الواسعة واستخرج من تعاليم تلك الفلسفة الميثولوجية قوانيناً كتبها على حجر كبير في وسط بابل كي يطلع عليها كل إنسان. وما زالت قوانين حمورابي تلك تتفوق على قوانين الأديان الإبراهيمية التي أتت بعدها.

وفي الهند، في حوالي العام 560 قبل الميلاد، حلمت الملكة "مايا" بأن أربعةً من الملائكة في ثيابٍ بيض يتقدمون منها ويحملونها بكل محتويات حجرتها ويطيرون بها إلى أعلى قمة في جبال الهملايا، حيث تقوم شجرة باسقة خضراء، ويضعونها تحت ظلها. ولا تكاد الملكة تطل حولها حتى تقترب منها أربع ملكات يدخلنها الحمام ويلبسنها ثياباً جميلة ويعطرنها بعطور رائعة، ثم يحملنها إلى منزل آخر مصنوع من الفضة، وتضعها الملكات على فراش مقدس، وهناك يهبط فيل أبيض من فوق جبل ذهبي ويتقدم منها، وفي خرطومه غصن من نبات البشنين، ويمس الفيل جانب الملكة الأيمن ويدخل في رحمها. ويذكرنا هذا الحلم **بسدرة المنتهى** التي هي في السماء السابعة، كما كانت تلك الشجرة الخضراء الباسقة على قمة جبال الهملايا، وهي أعلى قمة في العالم. والفيل الأبيض يمثل قصة مريم في القرآن عندما أرسل الله لها روحه فتمثلت لها بشراً سوياً، ونفخ في فرجها، فأدخل عيسى في رحمها، كما دخل الفيل في رحم الملكة. ولكن الميثولوجيا الهندية كانت أكثر تهذيبا، إذ أدخلت الفيل من جنب الملكة، وليس من فرجها.

وجاء حكماء المملكة ليفسروا للملك ذلك الحلم الغريب، وبشروا الملك بأن الملكة سوف تلد غلاماً إما أن يصبح ملكاً أو يهيم على وجهه في الأرض ويصبح البوذا الذي يكشف نقاب الجهل عن هذا العالم. وفعلاً حملت الملكة وعندما جاءها المخاض جلست تحت

---

[6] الإله الذي بدأ الخلق، فهو المبديء والمعيد كما يقول القرآن.
[7] قصة الديانات ص 29.
[8] Jealous Gods & Chosen People, p 38.
[9] Kramer, Samuel Noah, Sumerian Mythology, New York, 1961, p41.

شجرة، بعد أن حجبها الخدم بستار خاص، ولما أرادت النهوض مدت يدها إلى غصن الشجرة فانحنى من تلقاء نفسه حتى قارب كفها. ولم تكد تنهض حتى كان تحتها طفل تلقفته أيدي أربعة من البراهمة، فوقف المولود فجأة، وتقدم إلى الأمام سبع خطوات، ثم صاح في صوت عذب:

أنا سيد هذا العالم وهذه الحياة هي آخر حياة لي.[10]

ومع الأيام وصل الأمير سيدهاتا جاوتاما مرتبة "البوذا" أي **المستنير**، وأصبحت الليلة التي وصل فيها إلى تلك المرتبة تُعرف بالليلة المباركة، والشجرة التي كان يجلس تحتها أصبحت تُعرف بشجرة "البو" أي **الشجرة المقدسة**. وأوصى بوذا أتباعه باتباع الطريق ذي الثمان شعب:

- الإيمان بالحق، وهو الإيمان بأن الحقيقة هي الهادي للإنسان.
- القرار الحق، بأن يكون المرء هادئاً دائماً لا يفعل أذى بأي مخلوق.
- الكلام الحق، بالبعد عن الكذب والنميمة وعدم استخدام اللفظ المشين.
- السلوك الحق، بعدم السرقة والقتل وفعل شيء يأسف له المرء فيما بعد.
- العمل الحق، بالبعد عن العمل السيء مثل التزييف وتناول السلع المسروقة وعدم أخذ المرء ما ليس له.
- الجهد الحق، بالسعي دائماً إلى كل ما هو خير والابتعاد عما هو شر.
- التأمل الحق، بالهدوء دائماً وعدم الاستسلام للفرح أو الحزن.
- التركيز الحق، وهذا لا يكون إلا باتباع القواعد السابقة وبلوغ المرء مرحلة السلام الكامل.

هذا ما كان من قصة خلق العالم وخلق الآلهة منذ أيام الإنسان في العصر الحجري، حتى ظهور بوذا في منتصف الألفية الأولى قبل الميلاد.

فالوصايا التي أتى بها بوذا هي نفس الوصايا العشر التي أتى بها موسى. فهل أتت الأديان الإبراهيمية أو "السماوية" بقصص أو أخلاقيات تزيد عما أتى به إنسان العصر الحجري من خيال ومُثل تحكم عالمه البدائي؟

سوف نرى في الحلقة القادمة.

2010 / 6 / 19

2 مِن 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=219608

في فترة حكم الفرعون أخناتون (1366-1347 قبل الميلاد) وفي أثناء الاضطرابات السياسية التي تبعت اعلان الدين الجديد - دين التوحيد - فقدت مصر سيطرتها على أرض كنعان. وقد أظهرت المكاتبات الدبلوماسية لتلك الفترة قلق الساسة المصريين من وجود أعداد كبيرة من الغرباء Apiru الذين رمزوا إليهم ب "بدو يهوه" في شرق الدلتا في صحراء سيناء.[11] ويُجمع عدد كبير من الدارسين لتاريخ مصر القديم أن هؤلاء الغرباء Apiru أو Habiru هم القبائل العبرية التي نزحت من شمال مصر إلى أرض كنعان في حوالي العام 1250 قبل الميلاد (بعد أن فقدت مصر السيطرة على ذلك الإقليم) وهم الأساس لقصة "الخروج" التوراتية [12] وبما أنهم أصلاً كانوا في شمال الدلتا وفي صحراء سيناء، لم يكن هناك أي سبب لموسى ليضرب البحر بعصاه لينفلق لهم إذ لم تكن قناة السويس موجودة في ذلك الوقت، وكان الطريق لأرض كنعان مفتوحاً لهم.
وحتى ذلك التاريخ، أي أيام حكم أخناتون، لم تُظهر السجلات المصرية أي ذكر للنبي إبراهيم الذي زار مصر مع زوجته الجميلة "سراي"، كما تقول التوراة، ولا لموسى الذي ألقى عصاه فابتلعت كل حبال[13] وعصوات السحرة المصريين .ولكن السجلات المصرية قد أظهرت أن بعض "الغرباء" الذين كانوا في مصر ربما كانوا عبيداً قد هربوا وتبعهم الجنود المصريون.[14]
ويجمع معظم المؤرخين أن قصة النبي إبراهيم التوراتية تدور فصولها في حوالي العام 1800 قبل الميلاد وما بعده. وفي تلك الحقبة من الزمن، أي نهاية الألفية الثالثة والنصف الأول من الألفية الثانية قبل الميلاد، كانت منطقة ما بين النهرين "مسوبوتوميا" قد عرفت التأريخ وأرخت لهذه الفترة بالتفصيل في الألواح الطينية لمملكة سومر ومملكة ألآكاديين والبابليين، وخاصةً فترة حمورابي (1792-1750 قبل الميلاد) التي صادفت ظهور الإله مردوك، وكتابة قوانين حمورابي. فأي حدث مهم مثل ظهور النبي إبراهيم وتحطيم الأصنام وإلقاء إبراهيم في النار، كان لا بد أن يذكره مؤرخو ذلك الزمان، ولكن لا يوجد أي ذكر لمثل هذه الأحداث بينما ذكرت الألواح أن الفرس Elamites عندما تغلبوا على بابل، أخذوا تمثال الإله مردوك إلى بلادهم، وعندما غزاهم الملك نبوخذ نصر الأول، استرد ذلك التمثال المهم. فلو كان إبراهيم قد حطم كل التماثيل، فلا شك أن المؤرخين كانوا سيدونون ذلك الحدث الخطير.
بدأت قصة الديانات السماوية مع رجوع العبريين الذين كان الملك نبوخذ نصر قد أسرهم من أرض كنعان وأخذهم إلى بابل. وبعد أن تشبعوا بالمثولوجيا البابلية والسومرية والآشورية، رجعوا إلى أرض كنعان وكتبوا الميثولوجيا العبرية في حوالي العام 500 قبل الميلاد، **وجعلوا بدايتها قصة إبراهيم**، ثم ظهور موسى الذي أخرجهم من مصر من تحت ظلم الفرعون، وعبورهم البحر، وبقية قصص أنبيائهم العديدين. وزعموا أن "يهوه" قد أخرجهم من مصر واختارهم على العالمين **وجعلهم شعبه المختار**، ووهبهم أرض كنعان لأنهم عاشوا طوال حياتهم بلا أرض.

ويتفق معظم المؤرخين الحديثين على أن قصة وشخصية النبي إبراهيم هي قصة من الأساطير ولا وجود لها في عالم الحقيقة، وينطبق نفس الشيء على قصة موسى، الذي نسج العبريون تفاصيلها على قصة الفرعون أخناتون (1366- 1347)، وهي الفترة التي اتفق المؤرخون أن قصة "الخروج" من مصر دارت حوادثها فيها.

---

[10] قصة الديانات، ص 100.

[11] Weinfeld, Moshe, Israelite Religion, Encyclopedia of Religion, v.7, p 483.

[12] Jealous Gods & Chosen People, David Leeming, Oxford University Press, 2004, p17.

[13] السحرة في مصر ألقوا الحبال والعصي كما يقول القرآن {(وألقوا حبالهم وعصيهم. (الشعراء 44)}.

[14] Weinfeld, p 484.

فهل أتت الأديان الإبراهيمية بأي جديد، سواءً في قصة الخلق، أو في الأخلاق وسلوكيات البشر، غير ما كان معروفاً للسومريين والبابليين والآشوريين وقدماء المصريين أو قدماء اليونان؟ لم تذكر لنا الميثولوجيا العبرية ولا الإنجيل المسيحي ولا القرآن أي شيء عن الديانة التي أتى بها إبراهيم، غير ما ذكره القرآن من أن إبراهيم كان مسلماً حنيفاً. وإذا تركنا إبراهيم وحنيفيته، نجد أن قصة الأديان السماوية تبدأ بقصة الخلق التوراتية، ثم الخروج من مصر بقيادة موسى.

قصة الخلق

أي بداية الكون، تبدأ في العهد القديم بطيران روح يهوه على الماء، قبل أن يخلق الأرض والسموات. اليهودية تخبرنا أن الله خلق العالم في ستة أيام واستراح في اليوم السابع. وبدأ بأن خلق الأرض، ثم:

{قال الله "ليكن نورٌ" فكان نور. وفصل الله بين النور والظلمة ودعا النور نهاراً، والظلمة ليلاً. وقال الله ليكن جَلَدٌ في وسط المياه، وعمل الله الجلد وفصل بين المياه التي تحت الجلد والتي فوق الجلد، ودعا الله الجلد سماء، وكان ذلك يوماً ثانياً} انتهى.

ومع أننا الآن يمكن أن نضحك من سذاجة تفكير السومريين والبابليين في قصة الخلق، فإن قصة الخلق في التوراة لا تقل سذاجة. فالله خلق الأرض في الظلام، ثم قال في اليوم الأول "ليكن نورٌ". ولا يمكن أن يكون هناك يوم أول والشمس لم تخلق بعد لأن الله خلق جَلَداً في اليوم الثاني ودعا ذلك الجلد "سماء". ولا يمكن أن تكون الشمس قد وجدت بدون سماء. ثم أن النور والظلام لم يكونا شيئاً واحداً حتى يفصلهما الله، ولا يمكن لهما أن يجتمعا. و السماء أو الجَلد، خلقها الله لتفصل الماء الذي تحت الجلد من الماء الذي فوق الجلد. فما هو الماء الذي فوق السماء. فهم كانوا، كالبابليين والسومريين، يعتقدون أن السماء جسم صلب بناه الله، أو قال له كن، فكان. وماهو الشيء الذي كان يسند الماء الأزلي قبل أن يخلق الله الأرض؟ فالقصة طبعاً لم تحدث بهذا التسلسل لأنه تسلسل ميثولوجي لم يحدث في أرض الواقع وإنما كتبوه على منوال الميثولوجيات السابقة.

وفي الإسلام يعم الاضطراب قصة خلق السموات والأرض التي يقول فيها إنه خلق الأرض في يومين وخلق أقواتها في يومين أو أربعة أيام، وخلق السموات في يومين، ثم صمت ولم يخبرنا ماذا فعل في اليوم السابع ليكمل أيام الأسبوع. ومرة يخبرنا أنه خلق الأرض أولاً، ثم يعود في آيات أخريات ويخبرنا أنه خلق السموات أولاً. ولم يخبرنا القرآن ماذا كان يسند الماء الذي استقر عليه العرش، فالماء لا يستقر على فراغ. **وقد رأينا في مقال سابق محاولة د. بوكاي أن يصالح خرافة الخلق في القرآن مع العلم الحديث، عندما زعم أن اليوم القرآني لا يعني اليوم الذي تعارفنا عليه**. وكاتب القرآن الذي يقول إن الله خلق الأرض في يومين وقدر أقواتها في يومين ثم استوى إلى السماء وهي دخان، لم يكن يعرف أن اليوم لا يمكن أن يحدث إذا كانت السماء والشمس لم تخلقا بعد. فكل حساباته في أيام الخلق حسابات خاطئة، سواءً كانت أياماً أو فترات زمنية غير محددة، كما يقول د. بوكاي...

فقصة الخلق في التوراة والقرآن لا تختلف عن قصص الخلق في الميثولوجيات القديمة.

وقد رأينا في الميثولوجيا البابلية أنه لم يكن هناك شيء سوى "إبسو" ذلك المحيط الأزلي، و"تيمات" بحيرة المياه المالحة، وعندما اختلط الماء بالفضاء، ظهرت الآلهة العديدة، ثم قتل مردوك تيمات وشق جسدها نصفين، وخلق من النصف الأول السماء ومن النصف الثاني الأرض. وقد رأينا كذلك أن الإله بتاح في هليوبولس كان يخلق الإشياء بأن يفكر فيها ثم ينطقها فتكون، وقد فكر في السماء والأرض فكانتا. وقد استعار كُتّاب الميثولوجيا اليهودية والإسلامية فكرة أن الماء الأزلي وجد منذ الأزل، ووضعوا عليه العرش. ثم زاد محمد في الإسلام الآية التي تقول: {**سبحانه إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**}، واعتبر الإسلاميون أن هذه الآية تبين مقدرة الله العظيمة، ولكن المشكلة هنا هي أن كهنة "بتاح" كانوا قد سبقوا الله بهذه الفكرة، فلا جديد هنا. ويفاخر مدعو الإعجاز العلمي في القرآن بأن القرآن يقول: {**إن السماء والأرض كانت رتقاً ففتقناهما**}، وهذا لا يتعارض، في رأيهم، مع نظرية "البگ بانگ Big Bang "، ولكن كل الميثولوجيات القديمة تخبرنا أن الآلهة شقت بقرة أو إلهة وخلقت من نصفها الأول السماء ومن النصف الثاني الأرض، كما فعل مردوك عندما شق تيمات. وهذا يعني أن السماء والأرض كانتا رتقاً، ثم فصلتهما الآلهة. بينما تخبرنا الميثولوجيا المصرية أن الإله رع خلق من نفسه وبطريقة مادية أول زوج من الآلهة هما "شو" إله الهواء، و"تفنوت" إلهة الندى. ومن هذين وُلد "جِب Gib "إله الأرض و"نوت" إلهة السماء (وكانت الأرض والسماء رتقاً ففتقهما "شو").[15] فحتى التعابير القرآنية قد سبقتهم إليها الميثولوجية المصرية.

ثم تأتي قصة خلق الإنسان التي تقول الميثولوجيا اليهودية إنها بدأت بخلق آدم من تراب قبل حوالي سبع آلاف وخمسمائة سنة، وأسكنه الله الجنة. وأنام الله آدم وخلق من ضلعه المرأة (حواء)، وأكل آدم وحواء من الشجرة الممنوعة، فاعتبر الله هذا الأمر خطيئة لا يمكن أن يغفرها لهما فأخرجهما من الجنة. ونقل محمد القصة بحذافيرها إلى الإسلام. ولم يوضح لنا أي منهما *كيف كان الأكل من تلك الشجرة خطيئة لا تُغتفر*، بينما سمح الله لأولاد آدم أن يعاشروا إخواتهم جنسياً ليعمروا الأرض، ولم يعتبر الله أنها خطيئة أن ينكح الرجل أخته من أمه وأبيه؟ والله هو الذي فرض عليهم أن ينكحوا إخواتهم لأنه لم يخلق لهم نساء أخريات، والداعي إلى المعصية عاصي، كما يقول فقهاء الإسلام.

الميثولوجيا المصرية تخبرنا أن إله الشمس "رع" كبير الآلهة، خلق البشر في فمه ثم تفلهم على الأرض.[16] ولا بد أن قدماء المصريين قد شاهدوا بعض الأسماك التي تحمل بيضها في فمها إلى أن يفقس ثم تُخرج الأسماك الصغيرة من فمها، فجعلوا رع مثل السمكة تبصق أطفالها من فمها. أما الإله "بتاح" فقد فكر في خلق البشر بذهنه ثم نطق بالفكرة فكان البشر.

في الميثولوجيا السومرية نجد أن الإلهة "نامو Nammu "فكرت أن تطلب من إبنها الكسلان "انكي Enki "أن يخلق مخلوقات تفلح الأرض بدل الآلهة الذين ملوا حرثها، فطلب هو منها أن تأخذ قبضةً من الطين الذي كان ينام عليه في المستنقعات بالأرض وتخلق منه أشكالاً طينية وتنفخ فيها الروح، فخلقت البشر.[17]

بينما تخبرنا الميثولوجيا البابلية أن مردوك توصل إلى أن الآلهة في حاجة إلى من يصلي لها ويعبدها، وإذاً فلتكن المعجزة هي خلق الإنسان. وانحنى مردوك على الأرض وشرع يعجن التراب بدمائه ويصنع من الطين ناساً تقوم على خدمة الآلهة والصلاة لهم وعبادتهم.[18] وقد استعار القرآن هذه الفكرة، وقال: {**ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون.** (الذاريات 56)}. فالميثولوجيات القديمة تفادت الحرج الأخلاقي الذي وقع فيه الإسلام، كما وقعت فيه اليهودية من قبله، وجعل أبناء آدم ينكحون إخواتهم لأن الله خلق جوزاً واحداً فقط من البشر، بينما الآلهة القدماء خلقوا كل البشر دفعة واحدة وبذا أتاحوا للرجال أن يتفادوا نكاح إخواتهم. وعلى أقل تقدير، فإن أخلاقيات السومريين كانت أعلى درجةً من أخلاق كُتّاب الميثولوجيا الإبراهيمية.

---

[15] قصة الديانات، ص 29.

[16] قصة الديانات، سليمان مظهر، مكتبة مدبولي، 2002، ص 30.

[17] Jealous Gods & Chosen People, p 42.

[18] قصة الديانات، ص 63.

قصة الطوفان

بنهاية العصر الجليدي الأخير قبل حوالي اثني عشر ألف عامٍ، ذاب الجليد الذي كان يغطي أجزاءً كبيرة من الأرض، فارتفع سطح البحار وغطت المياة أجزاء كبيرة من الأرض. وبالطبع ماتَ عدد كبير من الناس والحيوانات، ولكن مَن نجا منهم نقل قصة تلك المآسي إلى أحفاده، ونقلوها هم بدورهم إلى أطفالهم وأحفادهم. وعندما بدأ الإنسان كتابة الميثولوجيا في مصر واليونان وميسوبوتيميا، كان لابد لهم من ذكر الطوفان. ففي جميع الأساطير القديمة تغضب الآلهة على الإنسان، وتختار شخصاً واحداً ينجو مع أسرته من الطوفان المدمر الذي ترسله الآلهة على الناس العاصين. فالميثولوجيا البابلية تخبرنا أن الإنسان لم يعد ذلك الإنسان الطيب الذي خلقه مردوك في صورته، وغضبت الآلهة على المخلوقات، وكان أكثر الآلهة غضباً هو الإله مردوك، الذي قرر أن يرسل طوفاناً عارماً ليهلك البشر ويمحو به آثار أعمالهم السيئة، غير أن "آي Ea "إله الحكمة، أخذته الشفقة على البشر واعتزم أن يُنجي منهم على الأقل رجلاً وامرأة... يحفظان سر الخلق. وكان "شمس نيشتين" وزوجته هما اللذان وقع عليهما اختيار الإله. وفي ذلك اليوم، وبينما كان شمس نائماً، جاءه صوت الإله في الحلم يقول: انهض يا بن "أوبارا توتو"، يا من أطعت الآلهة وحفظت العهد الذي وضعوه فيك. انهض فاهدم بيتك واصنع من الخشب فلكاً تضع فيه كل ما تحتاجه لحياتك، وخذ معك حبةً حيةً من كل شيء، نحميها كما نحميك من الطوفان الذي سيحل على الأرض التي امتلأت بالشر والفساد والطغيان... وانطلق نيشتين إلى الفلك ومعه زوجه وأبناؤه وضم الفلك بين جنباته كميات كبيرة من الخمر والزيت، وأكوام حبوب، وزوجين من كل حيوان، ومن خلفه أغلق الباب. ومرت بالأفق سحابة سوداء غطت كل الأرض، يسوقها الإله "رامان" مطلق الرعود، ومن خلفه الإلاهان " نابو" ومردوك يفتحان للمطر كل طاقات السماء.[19]

وفي إحدى ملحمات جلجامش البابلية في اللوح رقم 11 (وهناك على الأقل خمسة ملحمات مختلفة لجلجامش)، نجد جلجامش، الإنسان المعرض للموت، يطلب من أتنابشتيم أن يشرح له كيف تمكن من إحراز الخلود، فيخبره عن قصة الطوفان، وكيف أن الإله "آي Ea " قد جاءه في الحلم وأخبره عن الطوفان القادم ونصحه أن يبني مركباً لينقذ نفسه وأسرته وعينات من كل الأحياء، وأعطاه مقاسات ذلك المركب (وتكاد تكون هي نفس المقاسات التي ذكرها كُتاب التوراة). وجاء الطوفان الذي دمر الدنيا واستمر سبعة أيام. وعندما هدأت العاصفة أرسل أتنابشتيم قمرية لتجد لهم أرضاً يابسة، فعادت القمرية بلا نتيجة، ثم أرسل طائراً صغيراً فعاد إلى المركب، وعندما أرسل الغراب ولم يعد الغراب إلى السفينة، عرف أتنابشتيم أنهم قد نجوا. فقدم أتنابشتيم القرابين إلى الآله، فمنحه الإله إنليل الخلود. ولما أبدى جلجامش رغبته في الحياة الأبدية، تحداه أتنابشتيم أن لا ينام لمدة سبعة أيام، ولكن البطل جلجامش لم يستطع أن يقاوم النوم ونام في اليوم الأول، فخبزت زوجة أتنابشتيم رغيفاً عن كل يوم ظل فيه جلجامش نائماً. وعندما أفاق جلجامش ورأى الخبز قد عطب، عرف أنه إنسان ولا يمكنه أن يحوز على الخلود. وقبل أن يترك جلجامش، أخبره أتنابشتيم عن نبات في قاع البحر سوف يمنحه الخلود إذا استخرجه وأكله. وتمكن جلجامش من إخراج النبات من قاع البحر، لكنه نام قبل أن يأكله، فمرت حية وأخذت النبات وأكلته فأحرزت الخلود، ولهذا تغير الحية جلدها كلما كبرت عليه.[20]

ويظهر جلياً أن قصة الفيضان في التوراة والقرآن، وقصة الحية التي أدخلت الشيطان إلى الجنة ليغري آدم وحواء، بعد أن طرده الله منها، هي صورة طبق الأصل من أسطورة جلجامش، ولم تغير التوراة ولا القرآن إلا الأسماء.

ففي التوراة رسا المركب على جبال أرارات Ararat بينما في القرآن رست على "الجودي" بتركيا وفي ملحمة جلجامش، رسا المركب على جبل "نسير Nisir". ويتغير اسم الشخص الذي اختارته الآلهة لينجو مع زوجته ليعمر الأرض، ففي بعض الروايات السومرية كان اسمه "تجتوح" و كان "كزيزوتروس" عند الآشوريين، و "دوكاليون" عند الإغريق. وفي اليهودية والإسلام هو "نوح". ولا تختلف قصة نوح في التوراة والقرآن عن الميثولوجيا القديمة إلا في بعض الرتوش. ونلاحظ أن القرآن أخذ قصة الخبز الذي خبزته زوجة اتنابشتيم عندما نام جلجامش وفسد الخبز، واستعملها في قصة الرجل الذي مر على قرية خاوية فقال كيف يحيي الله هذه القرية بعد موتها، فأماته الله مائة عام مع حماره، ولما أحياه سأله كم سنةٍ نام، فقال إنه نام يوماً أو بضعة يومٍ، فقال القرآن:

{قال بل لبست مائة عامٍ فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلنك آيةً للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير. (البقرة 259)}.

غير أن كاتب القرآن أخطأ وقال إن الطعام لم يتسنه، أي لم يفسد، وهو العكس من المطلوب، لأن الله لو أراد أن يثبت له أنه نام مائة عام، كان لابد أن يريه طول المدة بفساد الخبز أو الطعام، فإذا ظل الطعام طازجاً فهذا يعني أنه نام يوماً واحداً.

ولو أجاز سكان بابل في العصور الحجرية قصة الطوفان، فلا يمكننا أن نجيز أخلاقياتها التي تعاقب الأبرياء عقاباً جماعياً لأن بعض الناس قد أفسدوا في الأرض. فما هو ذنب الأطفال، والحيوانات العديدة التي أغرقها الطوفان الإلهي؟ فلا الأطفال ولا الحيوانات يمكن أن يكونوا قد أفسدوا في الأرض. **فالإله الجديد الذي خلقته الميثولوجيا الإبراهيمية لم يكن أكثر عدلاً أو حكمة من آلهة سومر وبابل،** وإن أحاطه الكهنة الجدد بكل ألقاب الرحمة والعطف. **وما زال وعاظ السلاطين في المغرب، والسعودية ومصر يزعمون أن الزلزال أو التسونامي الذي ضرب إندونيسيا قبل سنوات، كان نتيجة غضب الله على مسلمي إندونيسيا لأنهم سمحوا بفساد السياح في أنديتهم الليلية،** كأنما الله لا يرى ما يحدث في أندية لندن وباريس ونيويورك.

موسى والسلة

تقول التوراة، كما يقول القرآن، إن فرعون أمر بقتل كل صبيان اليهود لأن السحرة قد أخبروه أن طفلاً يهودياً سوف يتسبب في نهاية حكمه. ولما وُلد موسى وضعته أمه في سلة في النيل ووجدته ابنة أو زوجة فرعون وأخذته وربته في القصر. والقصة بكاملها مأخوذة من الميثولوجيا الآكادية التي تقول إن الملك "سرجون Sargon "وُلد من أم وضيعة وأب غير معروف، ووضعته أمه في سلة في نهر الفرات واختفت. ووجده رجل فقير وأخذه ورباه كأبنه. وقد اعتنت به الإلهة عشتار. وعندما كبر أصبح ملكاً ثم إلهاً. والميثولوجيات القديمة مليئة بنفس القصة مع تغيير بسيط في السيناريو.

نجاسة المرأة

اليهودية سبقت الإسلام في جعل المرأة نجساً إذا بدأ عندها الطمث (الحيض) ومن ثم تبعها الإسلام في ذلك وقال:

{يسألونك عن المحيض قل هو أذًى فاعتزلوا النساء في المحيض حتى يطهرن. (البقرة 222)}.

[19] قصة الديانات ص 65.

[20] Jealous Gods & Chosen People, p 60.

وفكرة طهارة المرأة عند الحيض لها سابقة في قصص الميثولوجيا السومرية: فعندما وصلت الإلهة " ننليل Ninlil "سن البلوغ وبدأ عندها الطمث، أمرتها أمها أن تذهب إلى النهر لتتطهر، ولكن عليها أن تتفادى الذهاب إلى القناة التي في الغالب ما يتربص بها الإله "إنليل Enlil "الذي سوف يغتصبها إذا ذهبت إليها. وبالطبع شعرت الفتاة أنها منجذبة إلى القناة، وفعلاً اغتصبها "إنليل" قبل أن تتطهر، واجتمع مجلس قضاة الآلهة المكون من خمسين إلهاً، ونفوا إنليل إلى العالم السفلي لأن الإلهة "ننليل" لم تتطهر قبل أن يغتصبها، ولكن ننليل لحقت به إلى العالم السفلي وضاجعها عدة مرات وأنجبت منه آلهة كثيرين.[21] فالمرأة نجس منذ بلوغها وعليها دائماً أن تتطهر من هذا الدم النجس، الذي لم يكن من اختيارها وإنما فرضه عليها الإله الخالق، وجعله لعنةً عليها. وتبنى الإسلام، كما تبنت اليهودية نجاسة المرأة ولم يسألوا أنفسهم لماذا أصبح هذا الدم نجساً وهو دم عادي لا يختلف عن الدم الذي يدور في أجسام الرجال، وهو نفس الدم الذي يغذي الجنين إذا حبلت المرأة. فإذا كان هذا الدم نجساً فكل الناس، بما فيهم الأنبياء، نجسون لأنهم تغذوا بدم نجس.

نساؤكم حرث لكم

محمد قال لأتباعه {**نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنّى شئتم.** (البقرة 223)}. فهو هنا جعل المرأة كالحقل يرمي الرجل فيه بذرته فتنتج أطفالاً كما ينتج الحقل قمحاً عندما يرمي المزارع فيه البذرة المناسبة. وحتى هذه الفكرة البدائية عن المرأة أخذها محمد من قصص الميثولوجيا البدائية التي كانت متداولة في سومر ونقلها الرواة شفاهة عبر العصور. ففي الميثولوجيا السومرية، جاء رجلان لخطبة الإلهة "إنانا Inanna"، أحدهما مزارع والآخر راعي اسمه "دوموزي Dumuzi"، ونصحت والدة إنانا ابنتها أن "تفتح بيتها" لدموزي وتفضله على المزارع، فجهزت إنانا جسدها وعطرته بأطيب العطور، وعندما جاءها "دوموزي" غلبت عليهما الرغبة، وطفقت إنانا تغني:

> "أشفاري كمركب السماء ... كالقمر الجديد ... ملؤه الرغبة العارمة ... وحقلي غير المحروث يرقد بوراً".

ويجيبها دوموزي:

> "أنا دوموزي، الراعي..المزارع الملك.... سوف أحرث حقلك."[22]

ولا يفوتنا أن نلاحظ هنا أن والدة إنانا نصحتها أن "تفتح بيتها" للراعي وليس للمزارع، وهذا الاختيار يشبه الاختيار الذي اتخذه الله عندما قدم إبنا آدم - قابيل وهابيل- قرباناً لله، فرفض الله قربان قابيل لأنه قدم حزمةً من السنابل و كان صاحب زرع، وقبل من هابيل الذي قدم كبشاً لأنه كان صاحب غنم، كما يقول القرطبي في شرح الآية:

> **{واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتُقُبل من احدهما ولم يُتقبل من الآخر قال لأقتلنك. (المائدة 27)}.**

هل كان إله الإسلام يحب رائحة الشواء كما أحبها يهوه؟

فيضان الدم

استعان العبريون بالميثولوجيا المصرية عندما كتبوا توراتهم فجعلوا الإله يرسل على مصر فيضاناً من الدم عندما رفض الفرعون أن يسمح لبني إسرائيل بالخروج من مصر،
فقال الإله لموسى:

> **{9 وَيَكُونُ إِذَا لَمْ يُصَدِّقُوا هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ وَلَمْ يَسْمَعُوا لِقَوْلِكَ أَنَّكَ تَأْخُذُ مِنْ مَاءِ النَّهْرِ وَتَسْكُبُ عَلَى الْيَابِسَةِ فَيَصِيرُ الْمَاءُ الَّذِي تَأْخُذُهُ مِنَ النَّهْرِ دَماً عَلَى الْيَابِسَةِ. (سفر الخروج، الإصحاح 4)}.**

وقال محمد:

> **{فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمّل والدم آياتٍ مفصلاتٍ. (الأعراف 133)}.**

وقصة فيضان الدم مأخوذة من قصة الإله "رع":

> "وأطل رع حزيناً إلى شعبه المسكين وملأه الأسى، وهتف فيمن حوله من أرباب السماء أن يأتوه سراعاً برسل حاذقين أسرع جرياً من الهواء. وعندما أتوا أمرهم بالذهاب إلى جزيرة "فيله" وإحضار كمية هائلة من ثمار الرمان والخشخاش. وما هي إلا لحظات حتى كانت الثمار قد وصلت، وكان الإله قد استدعى طحان هليوبوليس وأمره بعصر الثمار ومزجها بمسحوق حب الشعير، وعندما امتزجت كل تلك الأشياء، نتج عنها مزيج مسكر بلون الدم البشري، يملأ ستة آلاف مكيال. وأمر رع بنقل المكاييل إلى كل أنحاء الأرض، وصب الرسل السائل الأحمر في كل مكان، فامتلأت به الكهوف والحقول والأنهار. وجاء الصباح ونهضت حاتور تستأنف دورة التقتيل وعب الدماء وأطلت فإذا طوفان شامل يشبه الدم يغريها ويدعوها لري الظمأ. وراحت تعب من السائل المسكر وهي تظنه دماً بشرياً."[23]

ونلاحظ هنا أن التوراة قالت إن الله أمر موسى أن يغرف ماءً من النيل ويصبه على الأرض فيتحول دماً يغمر مصر، كأنما موسى يستطيع أن يغرف من النيل ما يغمر أرض مصر. بينما يقول القرآن: {**فأرسلنا عليهم الطوفان... والدم**} فالله أرسل الدم مباشرةً دون وسيط، ربما لأنه أكثر دمويةً من يهوه.

المرأة العاقر والبشارة بالولد

التوراة ومن بعدها القرآن جعلا زوجة إبراهيم، سارة، عاقراً، وكذلك زوجة زكريا، وبشرهما الله بأن زوجتيهما سوف تلد كلٌ منهما ذكراً. والفكرة مأخوذة من الميثولوجيا المصرية عندما بشر الإله بتاح "ساتني" ابن الفرعون "أوزيناريس" الذي كان يتوق إلى إنجاب ولد بأنه ستنجب امرأته العاقر ولداً يسميه "سنوزيريس" يأتي بالخوارق، وبالفعل لم يكد سنوزيريس يرى النور حتى هتف باسم بتاح ثم سجد يصلي.[24]
وكذلك في الميثولوجيا الهندية نجد أن الملكة:

> "لم تكد تنهض حتى كان تحتها طفل تلقفته أيدي أربعة من البراهمة، فوقف المولود فجأة، وتقدم إلى الأمام سبع خطوات، ثم صاح في صوت عذب: أنا سيد هذا العالم وهذه الحياة هي آخر حياة لي."[25]

---

[21] Jealous Gods, p 44.
[22] Wolkstein, Diane, and Samuel Noah Kramer, Inanna: Queen of Heaven and Earth, New York: Harper and Row, 1983, p 47.
[23] قصة الديانات، ص 32.
[24] قصة الديانات، ص 44.
[25] قصة الديانات، ص 100.

والقرآن بنى على هذه القصة وجعل عيسى ينطق في المهد:

{فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا. قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا. (مريم 29-30)}.

ومن الجدير بالذكر هنا أن الإنجيل، كتاب يسوع، لم يذكر أن يسوع تكلم في المهد، ولكن محمد رأى أن القصة تكون أكثر إثارةً وإمتاعاً إذا تكلم عيسى في المهد، كما فعل الطفل في الميثولوجيا المصرية وفي الميثولوجيا الهندية.

الإنجاب العذري

جاءت المسيحية في القرن الأول لتزعم أن يسوع ولدته مريم بنت عمرام اليهودية دون أن يمسها رجل، مع أن مريم كانت مخطوبة ليوسف النجار وقتها. وقد تزوجا فيما بعد وانجبت مريم على الأقل ثلاثة إخوان ليسوع. ويعتقد المسيحيون أن الروح القدس Holy Spirit هو الذي وضع الجنين في رحم مريم. وجاء القرآن بعد ذلك وجعل من هذا الحدث ركناً أساسياً في الإسلام، وبالغ في قصة مريم وتتبع قصتها من قبل أن تحمل بها أمها، وكيف أن أمها نذرت ما في بطنها لله، والعناية بمريم في المحراب بواسطة زكريا، ثم حملها بعيسى بعد أن نفخ الله أو جبريل في فرجها، وصلبه وعروجه إلى السماء. وجعل الإسلام من مريم أفضل امرأة مشت على سطع الأرض، ولذلك سوف تكون زوجة محمد في الجنة، ليضيفها إلى زوجاته في الدنيا. وطبعاً قصة "الإنجاب العذري" قصة معروفة في الميثولوجيات القديمة كلها. وربما بدأت القصة مع ظهور عشتار في سومر، وظهور بغاياها المقدسات في المعابد السومرية. وكانت بغايا المعابد السومرية يُعرفن ب "العذارى المقدسات Holy Virgins"، ولم يكن هذا اللقب يعني أنهن كن عذراوات فعلياً، وإنما معنوياً لأنهن لم يكن متزوجات من رجال، وإنما كن "زوجات الإله God's Brides" وأي طفل أنجبنه من علاقاتهن الجنسية مع زوار المعابد من الرجال، كانوا يعرفون ب "مواليد العذراوات". وقد سماهم العبرانيون فيما بعد Bathur. ولكن الإغريق لم يكن لهم كلمة مرادفة، فترجموا الكلمة العبرية Bathur إلى Parthenioi التي تعني حرفياً "الولادة من عذراء" وأصبح مولد يسوع فيما بعد من أم عذراء.[26]

وفي الميثولوجيا الإغريقية، فقد أخفت الإلهة ديمتير Demeter ابنتها العذراء بيرسيفوني Persephone في كهف خارج أثينا حتى لا يجدها الإله زيوس الذي كان يغتصب العذارى. ولكن زيوس عرف مكان بيرسيفوني ودخل الكهف في هيئة ثعبان مما أدى إلى أن تحبل بيرسيفوني بابن دون أن يمسسها رجل، وسمت طفلها دايونيسس Dionysus وربته في الكهف لتحميه من غيرة نساء زيوس.

وهناك قصص عديدة مماثلة في الميثولوجيا الرومانية عندما جاء الإله زيوس في هيئة شعاع من الشمس أو رزاز من ذهب، وجعل العذراء "داني Danae "تحمل وتلد طفلاً ذكراً. وفي الميثولوجيا الفارسية نجد أن زرادشت قد ولدته أمه العذراء بعد أن زارها أحد الآلهة.

فلا القرآن ولا الإنجيل قد جاء بشيء جديد لم يكن معروفاً في الأساطير القديمة.

وكنا نتوقع أن يأتي القرآن الذي أتى بعد كل الأديان الأخرى، بقصة يقبلها العقل، ولكنه كرر ما جاء في الإنجيل دون أن يذكر لنا الحكمة في أن تلد امرأة عذراء طفلاً نفخه الله في فرجها. ولما كان الله قد أعطى عيسى كل المعجزات الممكنة من إحياء الموتى وشفاء المرضى والمشي على الماء وإطعام آلاف الرجال من رغيف خبز واحد أو سمكة واحدة، ماذا يزيده من المعجزات مولده من عذراء كانت مخطوبة لرجل على وشك أن يتزوجها؟ فموسى وُلد من امرأة عادية وتمتع بكل المعجزات وكلمه الله شخصياً، ولم ينقص من قدره مولده من امرأة متزوجة.

القرآن يزعم، دون أي دليل، أن كل شيء موجود من أرض، وسماء، وبشر، وجبال، وبحار قد خلقها الله، ويصدق المؤمنون هذه المزاعم، تماماً كما صدق قدماء المصريين مزاعم كهنة الإله "آتون" عندما كانوا يرددون في صلواتهم

"بزوغك جليل في أفق السماء يا آتون، يا حي يا مبديء الحياة. إذا صعدت في أفق السماء الشرقي أفضت على الأرض جمالك. أنت خالق الجنين في بطن أمه، أنت خالق نطفة الإنسان. أنت واهب الحياة للجنين في رحم أمه، كيف لا وأنت المربي في الرحم. أنت معطي نفس الحياة لكل مخلوقاتك. أنت فاتح فم الجنين بالكلام ومعطيه حاجاته يوم تلده أمه. أنت الإله الأحد لا شريك لك في الملك. خلقت الأرض بإرادتك، ولما كنت وحيداً في هذا الكون خلقت الإنسان والحيوان، الكبير منها والصغير، والمخلوقات التي تدب في الأرض والتي تطير بأجنحتها."[27]

فلو ناقشنا قدماء المصريين عندما كان الفرعون أخناتون ملكاً على مصر، لقالوا لنا إن الإله أتون (الشمس) موجود، وهو الواحد الأحد لأن الإنسان والحيوان والسماء والأرض لا يمكن أن يكونوا قد خلقوا أنفسهم بأنفسهم، فلا بد لهم من خالق، وذلك الخالق هو أتون. مع أن آتون نجمٌ جماد. وهذه هي نفس الحجج التي يقدمها لنا المؤمنون اليوم، وفي القرن الحادي والعشرين، عندما يتهكمون على نظرية دارون والبج بانج ويقولون لابد لهذا الكون من خالق، وخالقه هو الله، مع أنهم لم يروا الله كما رأى قدماء المصريين آتون. وقد آمن قبلهم السومريون والبابليون بأن مردوك أو تيمات قد خلقوا السموات والأرض والناس، والدليل الوحيد على ذلك هو **إيمانهم**.

وهكذا لا تختلف الأديان الإبراهيمية أو السماوية، في شيء عن القصص الميثولوجية التي تخيلها إنسان العصر الحجري في سومر وأكاد وبابل ومصر واليونان.

ولم يكتف أنبياء الوهم الإبراهيمي بنقل القصص الخرافية القديمة فقط، وإنما نقلوا حتى طريقة تأليف أسماء الآلهة القديمة. فقد درج القدماء على تسمية آلهتهم بأسماء مسجوعة يسهل على الأميين حفظها، مثل: ننليل وإنليل، أنشار وكنشار، لاهمو ولاهامو. ونجد أن أهل التفسير القرآني سموا الملائكة بأسماء مسجوعة كذلك، مثل منكر ونكير، إسرافيل وعزرائيل، هاروت وماروت، وهلم جرا، وسموا أبناء آدم وبناته بأسماء مسجوعة مثل هابيل وقابيل.

فالأديان كلها ميثولوجيا نسجها الإنسان البدائي وتمسكنا نحن بها بدون أي دليل عقلي أو فعلي.

عودة إلى الفهرس

[26] http://www.infidels.org/library/modern/james_still/virgin_birth.html

[27] قصة الديانات، ص 50.

2010 / 6 / 25

216 - مقارنة بين البوذية والإسلام

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=220296

الأديان قديمة قدم الإنسان على هذه الأرض. والشيء الذي يجمع بين كل الأديان هو نشوء **طبقة من المنتفعين الانتهازيين** الذين يستغلون جهل الناس بحقيقة الأديان، فيجعلون من أنفسهم سدنة تلك التعاليم ليستفيدوا مادياً وسلطوياً منها. هذه الطبقة من الرجال، سواءً أكانت كهنة، أو قساوسة أو شيوخ، أضافوا إلى الديانات أضعاف ما قال به مؤسسوها، وجعلوا من كل دين فُرقاً عديدة، يسود بينها الشقاق وعدم الثقة.

كل الرجال الذين أتوا بالتعاليم الدينية، سواءً زعموا أن إله السماء قد أرسلهم (موسى، يسوع، محمد) أو أقروا أنهم رجال عاديون وليسوا أنبياء (كونفوشيوس، بوذا، زرادشت) أتوا بتعاليم يمكن حصرها في عدة نقاط مهمة تكرر ما عرفه الإنسان من تجاربه على مر آلاف السنين، وهي: (**لا تقتل، لا تسرق، لا تزني، لا تكذب، عامل الآخرين كما تحب أن يعاملوك**). وبعد موت هؤلاء الرجال تسلم الانتهازيون أصحاب الكروش واللحى، زمام الأمور، *وأضافوا من التعاليم ما يفيدهم شخصياً وكذلك ما يساعد الطبقة الحاكمة على السيطرة على الشعوب مقابل أن يغض الحاكم طرفه عما تفعله هذه الطبقة من الانتهازيين*. ولكي يضمن هؤلاء الكهنة تشبث العامة بالدين، خلقوا قصصاً خيالية عن الأنبياء جعلت بعضهم يفوق في قدراته إله السماء نفسه، بل جعلت من بعضهم آلهة يعبدها أتباع الدين. من هؤلاء الرجال الذين ألهمهم الكهنة بعد موتهم كان الأمير "سيدهاتا جوتاما Siddhartha Gautama "الذي ولد أميراً وتربى في قصور فخمة حتى بلغ السادسة عشرة، ودرس كل كتب "الفيدا" التي هي الكتب المقدسة في الديانة الهندوسية. وتزوج ابنة عمه وأنجبت له زوجته طفلاً. لكنه في مرة من المرات خرج من القصر ورأى الفقر والمرض والموت في شوارع المدينة، فقرر أن يترك حياة القصور ويهيم على وجهه في الغابات والفيافي حتى يجد العلاج لمعاناة الناس. وعندما بلغ مرحلة الاستنارة، **سموه بوذا، أي المستنير**. بوذا لم يقل إنه نبي أو إله، وإنما رجل عادي يبحث عن الحقيقة، ولكن بعد موته بدأ الكهنوت تأليه بوذا ونسجوا حوله القصص، فقالوا عندما كانت أمه حبلى به، كان الجنين يبدو واضحاً في رحمها وهو جالسٌ القرفصاء. وعندما ولدته أمه تحت الشجرة، مدت الشجرة أغصانها إليها حتى اقتربت من يديها لكي تمسك بالغصن وتنهض .ووقف المولود فجأة وتقدم إلى الأمام سبعة خطوات ثم صاح في صوت عذب:

> أنا سيد هذا العالم وهذه الحياة هي آخر حياة لي.

ولما كانت البوذية تقول بتناسخ الأرواح، قالوا إن بوذا عاش خمسمائة وثلاثين نوعاً من الحياة. فعاش إلهاً اثنتين وأربعين مرة، وملكاً خمساً وثمانين مرة، وأميراً أربعاً وعشرين مرة، وعالماً اثنتين وعشرين مرة، كما عاش لصاً مرتين، "**مع أن بوذا كان يعلّم أتباعه ألا يسرقوا**".[1] بعد سنوات في الغابات، يصوم ويعذب جسده حسب تعاليم ديانة "براهما" اكتشف بوذا أن الحكمة التي كان يبحث عنها موجودة في داخله، وعليه أن ينقب في نفسه عن ضالته. ووصل إلى أول قوانين الحكمة:

> من الخير يجب أن يأتي الخير، ومن الشر يجب أن يأتي الشر.

أصبحت الليلة التي اكتشف فيها بوذا هذه الحكمة تسمى "الليلة المباركة" والشجرة التي كان يجلس تحتها، سموها **شجرة "بو" أي شجرة الحكمة**. والبوذية لا تعتقد في أي إله، ولا تهتم البوذية بالعلاقة بين الإنسان والرب، ولذا قال بوذا لأتباعه عندما أخبرهم بقانون الحياة:

> "إذا كنتم مقتنعين معي بأن هذا القانون صحيح، فإن كل القرابين التي نقدمها لآلهتنا العديدة وكل صلواتنا لها، حمق وهراء."

وقال لهم:

> "إن الماء يتدفق من فوق التل إلى الأسفل، والنار ساخنة دائماً، ومهما قدمنا من صلوات لجميع الآلهة فهي لن تستطيع أن تجعل الماء يصعد التل، ولن تملك أن تجعل النار باردةً. ذلك لأن في الحياة قوانين تجعل هذه الأشياء كائنة على ما هي عليه. فما يتم حدوثه لا يمكن إلغاء حدوثه ولو قدمنا القرابين لكل أنواع الآلهة".[2]

قال بوذا هذه المقولة قبل 2500 سنة، وجاء فلاسفة التنوير في أوروبا في القرن الثامن عشر وتبنوا نفس هذه الفكرة،

> وهي أن الإله هو قوانين الكون التي لا تتبدل.

تعتمد البوذية في تعاليمها على أن الإنسان **مسؤول عن تصرفاته** ويجب أن يتصرف بما يُرضي ضميره، بينما يقول الإسلام إن أفعال الإنسان **تُقدر له يوم ينفخ الله فيه الروح في بطن أمه**

> **{ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير.** (الحديد 22)}

وكذلك:

> **{وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى}.**

> **ولذا نجد أن المسلمين اتكاليون إلى أبعد الحدود، يعتمدون على الله في كل شيء. من الأدعية المفضلة في الإسلام "اللهم أعنا أن نرى الخير خيراً فنتبعه، ونرى الشر شراً فنتجنبه". فالمسلم لا يستطيع أن يفرق بين الخير والشر إلا إذا أعانه الله.**

البوذية تقول إن لا شيء ثابت، التغيير ممكن في كل الأشياء، بينما الإسلام يقول إن كل تعاليم الإسلام ثابته، وكل أقوال وأفعال محمد وأصحابه هي من **ثوابت الأمة**.

> **لذلك تراهم في كل مؤتمراتهم يخرجون علينا بقرارات تقول باحترام حقوق الإنسان مع *مراعاة الثوابت، التي هي دونية المرأة ودونية غير المسلم*.**

تحدث بوذا عن أربعة حقائق فقط:

1. حقيقة المعاناة ويسمونها Dukkha.
2. حقيقة أصل المعاناة ومنبتها Samudāya.
3. حقيقة نهاية المعاناة Nirodha.
4. حقيقة الطريق لنهاية المعاناة Magga.

---

[1] قصة الديانات، سليمان مظهر، ص 131.
[2] قصة الديانات، ص 124.

تأتي المعاناة في أشكال عدة، منها الشيخوخة، المرض، والموت. وتذهب المعاناة أبعد من ذلك لأن الحياة ليست مثالية، ولا ترقى دائماً إلى تطلعاتنا. فالإنسان معرض إلى الرغبات التي يصعب تحقيقها، ولكن حتى لو حققناها فهي لا تدوم، فاللذة لا تدوم، وإن دامت تصبح مملة.

وأسباب المعاناة ثلاثة:

1. الرغبة والجشع،
2. الجهل والوهم،
3. الحقد والنوايا السيئة.

وأما في الإسلام فإن أسباب المعاناة هي إرادة الله:

{ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين. (البقرة 155)}.

فكل المعاناة هي اختبار من الله الذي لا يمل الاختبارات. حتى الأطفال الصغار عندما يصيبهم السرطان أو التشوهات الخلقية، فإن ذلك اختبار من الله لوالديهم.

عندما يتحرر البوذي من الرغبات والأطماع يصل إلى **النيرفانا التي تعني "الإطفاء"** أي يطفيء الإنسان عوامل الشر في نفسه وهي الطمع والوهم والحقد. وعندما يصل الإنسان إلى هذه المرحلة يغمره شعور بالسعادة الروحية، بلا خوف أو أي إحساس سالب، وبذا يملأه العطف على كل الأشياء الحية، بما فيها الحيوانات.

أما في الإسلام فمنتهى السعادة هي أن يحب المسلم في الله ويكره في الله، وأن يصبح الرسول أحب إليه من آبائه وزوجه وأطفاله:

{قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره. (التوبة 24)}.

البوذية لا تهتم كثيراً بما يحدث بعد الموت لأنهم يؤمنون بالتناسخ. فالميت سوف تحل روحه في شخص جديد. أما في الإسلام فالميت يبدأ رحلة العذاب في القبر والأسئلة الكثيرة من منكر ونكير، والضرب وعض الثعبان الأقرع. ولذا يخوف أئمة الصلاة المسلمين بعذاب القبر ليضمنوا منعهم عن التفكير.

للبوذية ثمانية أركان هي:

1. **الإيمان بالحق**: وهو الإيمان بأن الحقيقة هي الهادي للإنسان، (فالهداية لا تأتي من آلهة في السماء).
2. **القرار الحق**: بأن يكون المرء هادئاً دائماً لا يفعل إذًى بأي مخلوق، إنسان أو حيوان أو طائر.
3. **الكلام الحق**: بالبعد عن الكذب والنميمة وعدم استخدام اللفظ المشين.
4. **السلوك الحق**: بعدم السرقة أوالقتل أوفعل شيء يأسف له المرء فيما بعد.
5. **العمل الحق**: بالبعد عن العمل السيء مثل التزييف وتناول السلع المسروقة وعدم أخذ المرء ما ليس له.
6. **الجهد الحق**: بالسعي دائماً إلى كل ما هو خير والابتعاد عما هو شر.
7. **التأمل الحق**: بالهدوء دائماً وعدم الاستسلام للفرح أو الحزن Meditation.
8. **التركيز الحق**: وهذا لا يكون إلا باتباع القواعد السابقة وبلوغ المرء مرحلة السلام الكامل "نيرفانا".

هذه الأركان الثمانية يطبقها المرء في كل لحظات حياته، بينما في الإسلام هناك أربعة أركان أساسية، وهي:

1. شهادة لا إله إلا الله،
2. والصلاة،
3. وإيتاء الزكاء،
4. والصوم،
5. والركن الخامس هو الحج لمن استطاع إليه سبيلا.

الشهادة تقال مرة واحدة فتكفي، والصلاة خمسة مرات في اليوم، والمفروض فيها أن تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولكنها حتماً لا تنهي حتى الشيوخ عن المنكر، ناهيك عن العامة. والصوم مرة في السنة، والزكاة مرة في السنة. فالصلاة خمس مرات باليوم هي الوازع للمسلم في حياته اليومية، وكلنا يعرف كيف ينقد المسلم صلاته كما ينقد الديك الحب، ثم يهرول الرجلُ إلى متجره أو موعده، **ولا يتأنى في الصلاة إلا إذا كان موظفاً حكومياً يصلي في وقت العمل**. اختصر الفقهاء الإسلام في الطقوس من وضوء وصلاة وحج وإطالة اللحى وتقصير الثياب وإظهار الزبيبة على الجبهة، بينما كان بوذا يهتم فقط **بسلوك الفرد**، أما الطقوس وشعائر العبادة وما وراء الطبيعة واللاهوت، فكلها عنده لا تستحق النظر.[3]

تعتمد تعاليم بوذا كلياً على عدم العنف Non-violence نحو أي مخلوق حي *ولذلك لا تتبنى البوذية مشروع القصاص كالإسلام* {**ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب.** (البقرة 179)}. تشجع البوذية أتباعها أن يمتنعوا عن إيذاء أو جرح أو قتل المخلوقات الأخرى. وعقاب القاتل لا يكون بالقتل بل بالتأهيل rehabilitation وقد قال بوذا:

"إذا أساء إليّ أحدٌ من الناس، سوف أرد إساءته بالحب من جانبي. وكل ما كثر الشر من جانبه، كلما كثر حسن النية من جانبي."

والمقابل في الإسلام هو: {**العين بالعين والسنُ بالسن**} كما في اليهودية. وإذا فقأ شخص عين شخص آخر، يفقأ القاضي عين المعتدي. ثم هناك قطع اليد وقطع الأيدي والأرجل من خلاف، والرجم. وفي كل كتب الفقه تجد جزءاً كبيراً مقسماً لعدة فصول، عن الجروح.

وبعكس ما قال به بوذا عن الذين يسيئون إليه، قال محمد: [**من لي بهذا الرجل فقد آذى الله ورسوله؟**]، فقتلوا ابن أبي الحقيق غدراً لأنه هجا محمداً، كما قتلوا كعب بن الأشرف. ولابن تيمية كتاب كامل ‹الصارم المسلول على شاتم الرسول› يبيح قتل مَن يشتم الرسول حتى إن تاب واعتذر، مسلماً كان أو غير مسلم، رجلاً كان أو امرأةً مثل الشاعرة عصماء بنت مروان التي قتلها عمير، وقال عنها رسول الله:

[لا ينتطح فيها عنزان].

حتى الدفاع عن النفس لا يبيح للراهب البوذي أن يقتل. وقد قال بوذا:

"حتى لو قطّعك اللصوص عضواً عضواً بمنشار ذي شفرتين، فإن فكرت بعقلك أن ترد العدوان، فأنت لم تتبع تعاليمي".

ولكن بالنسبة للدولة فإن السلطات السياسية هي التي تبيح الحرب وقتل الأعداء أو أسرهم. وفي البوذية كالإسلام، ليس هناك سلطة دينية مركزية، كما يحدث في المسيحية، ولذلك تختلف المجموعات البوذية في تطبيق مبدأ الحرب والقتل دفاعاً عن النفس. ففي سيريلانكا عندما حملت الأقلية الهندوسية في شمال الجزيرة السلاح في وجه الغالبية البوذية في الجنوب، استعمل الجيش السنهالي الجنوبي كل أنواع الأسلحة مما أدى إلى قتل ما يزيد عن خمسين ألفاً من الجانبين.

---

[3] قصة الديانات 138.

هناك مجالات كثيرة تختلف فيها التعاليم البوذية عن التعاليم الإسلامية، منها:

خلق العالم

الديانة الهندوسية التي كانت سائدة بالهند قبل البوذية تقول إن الإله براهما خلق العالم. بوذا قال لتلاميذه:

"لا أصدق أن براهما خلق شيئاً، ولا أنه خلق هذا العالم، فالعالم سيبقى إلى الأبد ولن ينتهي. وكل ما ليست له نهاية ليست له بداية."

الإسلام يقول إن الله خلق العالم من عدم في ستة أيام، وأن هذا العالم سوف ينتهي يوم يُنفخ في الصور فيطوي الله الأرض في إحدى يديه والسماء في الأخرى، وتصير الجبال كالعهن المنفوش.

الناس سواسية

قال الكهنة لبوذا:

إن كتب الفيدا تعلمنا أن براهما خلق الناس طبقات وطوائف.

فرد عليهم بوذا:

"هذا ليس صحيحاً طبقاً للقانون الأول للحياة، فالناس لا ينقسمون إلا إلى فريق صالح وفريق شرير، فالصالحون صالحون، والشريرون شريرون ولا تأثير للأسرة التي يولدون فيها."

فلا تفضيل بين الناس في البوذية إلا بأعمالهم الخيرة أو الشريرة.
الإسلام يهتم بالأنساب إلى أبعد الحدود، ويجعل الناس، حتى الأنبياء منهم، طبقات، يفضّل الله بعضهم على بعض دون أي أسباب منطقية:

{انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وتفضيلا. (الإسراء 21)}.
{**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض.** (النساء 34)}.
{**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فمنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس.** (البقرة 253)}.

وقد فضل محمد قريشاً على بقية العرب وجعل الحكم فيهم رغم أنهم حاربوا الإسلام أكثر من أي قبيلة أخرى. وفضل بني هاشم على بقية قريش. وجاء بعده الفقهاء وفضلوا العرب على العجم وجعلوا من التفضيل سياسة الدولة الرسمية.

"يقول الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - بشكل قطعي لا لبس فيه: ولم يثبت في اعتبار الكفاءة في النسب حديث، وأما ما أخرجه البزار من حديث معاذ رفعه: [العرب بعضهم أكفاء بعض، والموالي بعضهم أكفاء بعض] فإسناده ضعيف. نعم وورد في الصحيح ما يدل على فضل العرب، وفضل قريش على العرب وفضل بني هاشم على قريش، ولكن لم يرد ذلك في أمر الكفاءة."[4]

وما زال التفاخر بالإنساب مستمراً إلى يومنا هذا. وفي السعودية تطلق المحاكم النساء من أزواجهن *إذا رأت أن النسب غير متكافيء*. ثم يأتي فقهاء الإسلام ويقولون إن محمد قال: [**لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى**] و[**الناس سواسية كأسنان المشط**].

الإجهاض

البوذية تفرض على البوذي أن يتحمل المسؤولية الكاملة عن أي قرار يتخذه، ولذلك ليس هناك سياسة محددة بالنسبة للإجهاض. **إنه قرار فردي**. ولكن لأن البوذية تمنع القتل وتعتبر أن الجنين "حيّ" من لحظة تخصيب البويضة، فإن البوذيين المحافظين يعتبرون الإجهاض قتلاً، بينما يبيحه آخرون، خاصة إذا كان الجنين سوف يولد متخلفاً عقلياً أو مشوهاً جسدياً، فيتعذب في حياته. وقد قال الدالاي لاما:

"إذا الجنين سوف يولد متخلفاً عقلياً، أو إذا كانت الولادة سوف تسبب ضرراً للأم، فإن هذه الحالات يمكن أن يُباح فيها الإجهاض. وأنا شخصياً أعتقد أن الإجهاض يجب أن يُباح أو يُمنع في كل حالة على حدة."[5]

بالنسبة لاستعمال موانع الحمل، فإن البوذية تمنع كل ما يؤذي أو يقتل الجنين، ولذلك هم يعترضون على "اللولب coil" الذي يضعه الطبيب داخل الرحم ليمنع التصاق البويضة المخصبة بجدار الرحم، ويعتبرون هذا قتلاً عمداً. ولكنهم في الغالبية يبيحون استعمال حبوب منع الحمل لأنها تمنع التخصيب. *والأهم هنا أن القرار قرار فردي يتحمل الشخص تبعاته بنفسه*. **البوذية لا تعتبر إنجاب الأطفال واجباً دينياً**.
في الإسلام يُمنع منعاً باتاً استعمال أي وسيلة من وسائل منع الحمل لأن محمد يريد أن يكاثر الأمم يوم القيامة بعدد المسلمين. وفي أيام حياة محمد فقد أباح لأصحابه "العزل" أي أن يقذف الرجل خارج الفرج، ولكنه عاد وحرّم ذلك. وكل وسائل منع الحمل من حبوب ولولب وواقي ذكري، وربط أنابيب المرأة أو ربط الأنابيب المنوية في الخصية ممنوعة. أما الإجهاض فلا سبيل له، حتى وإن كان الجنين مشوهاً جسدياً ومتخلفاً عقلياً. **فالإسلام يعتبر الإنجاب واجباً دينياً حتى إن كان الأب فقيراً لا يملك شروى نقير**، فإن الله سوف يرزق المولود: {**لا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم.** (الإسراء 31)}.

التبرع بالأعضاء

ليس هناك أي قانون يجيز أو يمنع التبرع بالأعضاء، وبما أن البوذيين يؤمنون بتخفيف المعاناة عن المصاب، فأغلبهم يعتبر التبرع بالأعضاء نوعاً من **الأفعال الخيرية**. ورغم أن البوذية تدعو لاحترام جسد الميت، فإن أخذ عضو من الجسد بعد الموت لا يُعتبر نقصاً للجسد. ولكن التعاليم البوذية تحتم عدم إزعاج الجسد حتى تخرج منه الروح تماماً، وهذا يسبب بعض المشاكل للأطباء لأن الجسد إذا مات تماماً وتوقف القلب عن النبض فإن الأعضاء تتلف بسرعة كبيرة ولا تصلح بعد ذلك للنقل لإنسان آخر. فنقل الأعضاء يجب أن يتم والقلب ما زال ينبض. ولكن بعض الأعضاء مثل القرنية بالعين يمكن حصدها بعد أن يتوقف القلب لأنها لا تعتمد على الدم في غذائها.
في الإسلام يعتبر الفقهاء أن جسم الإنسان ليس ملكاً له وإنما ملك الله الذي سلفه إياه، ولا يجوز أبداً للمسلم التبرع بما لا يملك. ولكن أخيراً بعد طول جدال أجاز الأزهر في أبريل 2007 نقل الأعضاء من الميت إلى الحي.

المرأة

لما ذاع صيت بوذا وانتشرت تعاليمه دعاه أبوه أن يزور مملكته، وعندما دخل القصر قالت له الملكة باجاباتي: إن البراهمة وهي عقيدة بلادنا لا تسمح للنساء بالاشتراك في الأعمال الدينية، ولكنك تقول إن تعاليمك هي لجميع الطبقات ولجميع الطوائف، فهل هي للنساء

---

[4] محمد عبد اللطيف آل الشيخ، جريدة الجرائد، إيلاف 2007/4/24.
[5] نيو يورك تايمز، 1993/11/28.

كما للرجال؟ قال بوذا: **إنها كما تقولين**. قالت الملكة: إذن يجب أن تكون هناك أخوات راهبات كما يوجد رهبان. ووافقها بوذا. ومنذ ذلك اليوم *نظم بوذا قواعد للراهبات*، وأقامت الملكة باجاباتي أول منظمة للأخوات الراهبات البوذيات، وكانت الأميرة يوسودهارا زوجة بوذا أول امرأة تلتحق بالرهبنة.[6]

البوذية تساوي بين المرأة والرجل في كل شيء روحي spiritual، والراهبة البوذية تقوم بكل الواجبات التي يقوم بها الراهب، ولكن من الناحية الاجتماعية فوضع المرأة يختلف حسب البلد الذي تعيش فيه.

ففي الهند وسيريلانكا وتايلاند، مثلاً، *تُعتبر المرأة نجسة ويجب الابتعاد عنها*. ويرجع هذا الفهم إلى كتابهم الموسوم Tripitake وهو عبارة عن تعاليم وتشريعات البوذية كما سجلها الرهبان الذكور حوالي العام 90 قبل الميلاد. قبل ذلك كانت كل التعاليم شفهية تتناقلها الأجيال جيلاً عن جيل. ولأن بوذا طلب من أتباعه في البداية الابتعاد عن الملذات، منع الرهبان أنفسهم من معاشرة النساء ولذلك جعلوا المرأة نجسة حتى يساعدهم ذلك على الابتعاد عنها. البوذية لا تحدد عمراً لزواج المرأة، وأعداد غفيرة من النساء يتزوجن وهن أطفال دون العاشرة، بل تسمح تعاليمهم بانخراط المرأة المتزوجة في سلك الرهبنة إذا لم يكن عمرها يقل عن اثنتي عشرة سنة. وفي المجتمعات المتخلفة يضرب الرجل المرأة ويذلها دون أي عقاب **ولكن ليس في التعاليم البوذية ما يسمح له بضربها**.

أما موقف الإسلام من المرأة فلا يحتاج أن أكتب عنه، فهي ناقصة عقل ودين ولا يجوز لها أن تئم الرجال في الصلاة. ولما أمت الدكتورة الأمريكية من أصل باكستاني، آمنة ودود، الصلاة في نيويورك، تلقت عدة تهديدات بالقتل. ومن حق الرجل أن يضربها دون إبداء أي أسباب، ولا أحد يسأله عن الأسباب.

الحيوانات

البوذية تطلب من أتباعها معاملة الحيوانات بنفس الرفق الذي يعاملون به الإنسان لأن روح الإنسان بعد موته قد تحل في جسم حيوان. وعليه لا يجوز قتل أو جرح أي حيوان لأن به روح تخشى الموت والألم كما يخشاهما الإنسان.

ويسمح بعض البوذيين بإجراء التجارب العلمية على الحيوانات بشروط عديدة، منها: أن تكون التجارب تجرى لسبب وجيه، استعمل الحيوان فقط إذا لم يكن هناك بديل لإجراء نفس التجربة، صمم التجربة لتفادي أذى أو ضرر الحيوان بقدر الإمكان، تفادى قتل الحيوان إذا أمكن.

القرآن لا يظهر أي نوع من الاحترام أو الرفق بالحيوان، بل بالعكس يستهزأ بالحيوان فيقول مثلاً:

{إن أنكر الأصوات لصوت الحمير}،
{كالحمار يحمل أسفاراً}،
{إنّ شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون. (الأنفال 22)}.

والأحاديث بها تناقض عجيب،
فنجد مثلاً:

[دخلت امرأة النار في قطة، لا هي أطعمتها وسقتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض].

ثم نجد حديثاً آخراً يقول:

[لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب].

وكذلك الكلب الأسود يقطع الصلاة كما تقطعها المرأة.

وهناك حديث نبوي يقول:

[اقتلوا الحيات صغيرها وكبيرها وأسودها وأبيضها وإن مَن قتلها كانت له فداءً من النار ومن قتلته كان شهيداً][7].

وحديث آخر في صحيح مسلم يقول:

[من قتل الوزغ في أول ضربة كانت له مئة حسنة، وفي الثانية دون ذلك].

وكل عام يذبح الحُجّاج حوالي نصف مليون خروف دون أن يكونوا في حاجة لأكل لحومها، وإنما لأداء الشعائر فقط. أما إجراء التجارب على الحيوانات فلا حرج من ذلك ولا شروط، وشيوخ الإسلام أصلاً لا يتطرقون إلى الحديث في مثل هذه الأمور.

وعلى مر السنين انقسمت البوذية إلى قسمين رئيسيين يختلفان في عشرة نقاط لا تسوى الاختلاف، منها:

- هل مسموح لأتباع العقيدة أن يحفظوا الملح في إناء؟
- هل مسموح للبوذي أن يتناول وجبته اليومية عندما يكون عرض ظل الشمس حوالي أصبعين؟
- هل يجوز للمؤمن أن يتناول أكثر من وجبة واحدة من الطعام في اليوم؟
- هل يكون آثماً مَن يتناول اللبن الآخذ في التخمر دون أن يُخض؟

وهذا هو حال المرتزقة في جميع الأديان، يشغلون الناس بتوافه الأمور وينسون أهم تعاليم الأديان.

أرجو أن يكون هذا المقال قد أجاب ما طلبته مني الدكتورة العظيمة وفاء سلطان، وقد أيدت ذلك الطلب السيدة إقبال حسين، فأرجو أن يكون فيه إجابة لها كذلك.

عودة إلى الفهرس

[6] قصة الديانات، ص 133.
[7] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، سورة البقرة، 36.

217 - لماذا يزداد تخلفنا

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=220996

الطفل يؤلد وعقله صفحة بيضاء خالية من الحروف والأفكار. والداه ثم مجتمعه يسطرون السطور الأولى في تلك الصفحة البيضاء، فيتعلم الطفل الكلام ثم المعتقد ثم، في الغالب، الحرفة التي يعمل بها أبوه. وتستمر حياته بنفس منوال حياة أبيه، إلا إذا كان محظوظاً وعاش في بيئة تتيح له الدراسة في مدارس نظامية.

العرب، طوال تاريخهم المعروف، اعتمدوا على نقل خبراتهم **شفهياً**، ولم يهتموا بتعلم الكتابة إطلاقاً، رغم أن جيرانهم في سومر وفي فارس وبيزنطة وفي ممالك اليمن قبل الميلاد، تعلموا الكتابة وأرَّخُوا لملوكهم وحروبهم ومعتقداتهم. وعندما جاء الإسلام كان حامل رايته أمياً، كما زعم هو بنفسه في القرآن، وكان عدد الذين يكتبون لا يتعدى أصابع اليدين والرجلين:

> "وكان بعض اليهود قد علم كتابة العربية وكان يعلم الصبيان بالمدينة في الزمن الأول فجاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون، وهم سعد بن عبادة بن دليم والمنذر بن عمرو وأبي بن كعب وزيد بن ثابت فكان يكتب العربية والعبرانية ورافع بن مالك وأسيد بن حضير وسعد بن الربيع وأوس ابن خولى وعبد الله بن أبي المنافق."[1]

والبقية أميون. واستمر تناقل الدين الجديد شفهياً حتى منتصف القرن الثاني الهجري *لدرجة أن الإمام مالك بن أنس لم يكتب حرفاً واحداً من "المدونة الكبرى" وإنما اعتمد على الدروس الشفهية فقط، وكتب تلميذه عبد الرحمن بن القاسم المدونة ونقلها عنه الإمام سحنون بن سعيد التنوخي*. فحتى كبار فقهاء الإسلام ربما لم يكونوا يعرفون القراءة والكتابة وإنما اعتمدوا على السماع من شيوخهم. مثل هؤلاء الشيوخ هم الذين قادوا أمة الإسلام التي يتفاخر قرآنهم بأن الله: {أرسل في الأميين رسولاً} أمياً مثلهم. وما زالت الأمية في *خير أمة أخرجت للناس* تتعدى الأربعين في المئة في الرجال، والسبعين بالمئة في النساء. وماذا عن قادتنا السياسيين والدينيين حتى اليوم؟ القادة الدينيون، أي الشيوخ، أصبحوا من حملة الألقاب الأكاديمية مثل "دكتور" و "بروفسور" في الشريعة (تشبهاً بالكفار الذين منعهم دينهم عن التشبه بهم). ولكن هؤلاء الدكاترة والبروفسورات لم يدرسوا شيئاً خارج نطاق القرآن والسنة والفقه. فهم أميون بالنسبة للعلوم الطبيعية والفلسفة، وبذلك ما زال فهمهم للكون ولنظرية التطور فهماً طفولياً أمياً جعل كبير علماء المملكة العربية السعودية الأسبق، الشيخ عبد العزيز بن باز يجزم:

> "أن من يقول بأن الأرض كروية وتدور حول الشمس فقد افترى على الله الكذب، فالله يقول إن الشمس تجري لمستقر لها، وبذلك أصبح ناكراً لما هو **معروف من الدين بالضرورة**، ويجب توبته، وإن لم يتب، يجب قتله."

فإذا كان الأعمى يقود فاقد البصر، ماذا نتوقع من خط سيرهما معاً؟

فإذا كان بن باز يؤكد في القرن العشرين إن الأرض مسطحة والشمس تدور حولها، نجد في أوروبا في القرن الثامن عشر، رجال دين مسيحيين برعوا في الهندسة والرياضيات وعلم الفلك والجيولوجيا والفيزياء، وكان لطروحاتهم في تلك العلوم أثرٌ كبير في ظهور النظريات العلمية التي قدمت العلم خطوات عملاقة، رغم تصلب الكنيسة الكاثوليكية في محاربة العلم. والفضل يرجع لرجال الدين هؤلاء في تعايش العلم مع الدين في القرن الثامن عشر، ثم ترجيح كفة العلم في القرن التاسع عشر وما بعده، وتقدم أوروبا خطوات جبارة في ظرف زمني وجيز، في حين نجد رجال الدين الإسلامي مستمرين في تجهيل العامة ومنعهم من اقتناء العلوم الحقيقية، وبيعهم بدلاً عنها سراب الجهل والغيب والحور العين. والحكمة الأزلية تقول ‹فاقد الشيء لا يعطيه›.

فليس هناك رجل دين إسلامي واحد برع في الفيزياء أو الرياضيات أو الكيمياء، وهي الأساس لفهم الكون والإنسان.

من رجال الدين المسيحي الذين أفادوا العلوم الطبيعية حتى قبل القرن الثامن عشر، نجد:

- ☺ روبرت كروسيستي (1175-1253) Robert Grosseteste. ولد هذا الرجل في أسرة فقيرة ودرس علوم اللاهوت، وأصبح فيما بعد أسقف مدينة لنكولن، ومحاضراً في جامعة أكسفورد. ولكن كل منجزاته الدينية تضمحل أمام سمعته كأحد أكثر الرجال علماً في زمانه، فقد حاز على الماجستير في الرياضيات والبصريات والعلوم الطبيعية science لدرجة أنه غطى على منجزات تلميذه المشهور روجر بيكون، ويقول مؤرخو العلوم الطبيعية أن روبرت هذا كان رائد الحركة العلمية في أكسفورد، التي ما زالت تميز جامعة أكسفورد على الجامعات البريطانية الأخرى. من منجزات روبرت هذا: "تعليقات على فيزياء أرسطو" و "نقد التقويم الروماني القديم" Julian Calendar مما أدى إلى تغيير ذلك التقويم بالتقويم الحالي تحت البابا گريگوري الثالث عشر. وقدم كذلك دراسات في البصريات، والموسيقى والرياضيات.
- ☺ الأسقف إجنازيو دانتي Ignazio Danti (1536 - 1586). ولد هذا الرجل في إيطاليا، في مدينة بيروجيا Perugia ودرس اللاهوت في جامعتها، وانضم إلى المجموعة الدينية The Dominicans في عام 1555. وكانت له هوايات عديدة منها علم الفلك، الرياضيات، البصريات، الهندسة المعمارية، الهندسة المدنية، علم السوائل Hydraulics، وعلم الخرائط. في عام 1574 أثبت أن الأيكونوكس Equinox أي اليوم الذي يتساوى فيه طول الليل مع طول النهار، يجب أن يكون أحد عشر يوماً قبل موعده في التقويم الـگريگوري. وأشتهر أكثر بالخرائط التي رسمها للمدن الإيطالية، وقد كلفه البابا بايوس الخامس Pius V و البابا گريگوري الثالث عشر برسم خرائط أهم المدن الإيطالية.
- ☺ القس مارين مورسين (1588 - 1648) D Marin Mersenne. صديق وزميل ديكارت Descartes في الدراسة. عُين قساً عام 1612. واشتهر شهرة واسعة في دوائر علماء الرياضيات، وسموا الأعداد التي لا تقبل القسمة إلا على نفسها أو الرقم 1 Prime numbers باسمه. وجادل بحماس عن قوة عقل الإنسان Human reasoning. وكان يراسل ديكارت وتوماس هوبس وباسكال. وكان يعقد اجتماعات دورية لأغلب العلماء الأوروبيين. وتبرع بجسده للبحوث العلمية.
- ☺ جين فيلكس بكارد Jean-Felix Picard. حاز على لقب مؤسس علم الفلك في فرنسا. أصبح هذا القس أول شخص في أوروبا يقيس حجم كوكب الأرض في عام 1669. وقد حسب أن قطر الأرض هو 6326 كيلومترا، وقد أثبتت الآلات الحديثة أن مقاساته تختلف عن المقاسات الحقيقية بنسبة 0.44 %. وقد استفاد إسحق نيوتن من مقاساته في حساب الجاذبية الأرضية. وكان من مؤسسي الأكاديمية الفرنسية. وقد سموا أحد الأودية في القمر باسمه، وكذلك المسلسل التلفزيوني.Star Trek

[1] فتوح البلدان، البلاذري ص 535.

† علم الوراثة genetics. بخصوص الفرق بين علم الوراثة والجينات الرجاء مراجعة الملاحظة في الهامش الجانبي في المقال: "كيف أتينا إلى الوجود" في نفس هذه المجموعة الخامسة.

☺ گريـگور مندل Gregor Mendel (1822-1884). هذا القس النمساوي هو أبو علم الوراثة† بدون منازع، وقد أجرى تجاربه على نبات البسلة Pea pods. وقد عرف وقتها أن بعض الجينات الوراثية مهيمنة Dominant وبعضها متنحي Recessive وقد تعرفنا على كل الأمراض الوراثية واحتمالات إصابة المواليد بها من دراسات القس مندل.

☺ القس آرمند ديفيد David Armand (1826-1900). هذا القس بدأ حياته العملية مبشراً في الصين، وكان مغرماً بعلم الحيوان Zoology وعلم النباتات Botany وعلم الجيولوجيا. وقد اشتهر لدرجة أن الحكومة الفرنسية طلبت منه إرسال عينات من النباتات التي درسها إلى باريس. وعند رجوعه إلى باريس في عام 1888 م قدم محاضرة في المؤتمر العالمي للعلماء الكاثوليك.

☺ القس يوليوس نيولاند Julius Nieuwland (1878-1936). القس نيولاد ولد بأمريكا من أبوين من بلجيكا، ودرس علم الكيمياء بجامعة نوتردام، وعُين قساً عام 1903. وحصل على دراسات عليا في علم النبات وفي الكيمياء. وعُين أستاذاً في علم النبات بجامعة نوتردام. وقد كان أول من اخترع المطاط الصناعي Neoprene. يُستعمل هذا المطاط في تغليف أسلاك الكهرباء وأسلاك التلفونات، وفي سقوف بعض المنازل. وقد حاز على عدة جوائز علمية.

☺ القس جورج لاميتي Georges Lemaitre (1894-1966). هذا القس البلجيكي كان عالماً في الرياضيات وعلم الفيزياء. وبعد أن عُين قساً انضم إلى جامعة كمبردج بإنگلترا ودرس العلوم الطبيعية، وتخصص في علم الفلك، وفي نظرية النسبية لأينشتاين. وتأكد له أن العالم متحرك وفي حركة اتساع، وأن كل المادة والطاقة كانت متركزة في نقطة واحدة. وهزأ العلماء وقتها بنظريته وسموها Big Bang (الانفجار الكبير) كنوع من السخرية بها. وعندما قدم محاضرته عن بداية العالم صفق له أينشتاين الذي كان حاضراً بالاجتماع. والآن أصبحت بگ بانگ هي النظرية المقبولة عالمياً.

☺ القس ستانلي جاكي Stanley Jaki ولد في المجر عام 1924 وما زال حياً. عينه البابا جون بول الثاني في عام 1990 في الأكاديمية البابوية. نال درجة الدكتوراة في Nuclear Physics ويجيد خمس لغات، وألف ثلاثين كتاباً. وقال:

"إن العلم لا ينمو إلا في محيط مسيحي."

هذه مجرد نبذة عن بعض رجال الدين المسيحي في أوروبا منذ القرن الثامن عشر الميلادي وما قبله، وبهم تقدم العلم خطوات حثيثة. فماذا يقابلهم في "علماء" *خير أمة أُخرجت للناس*؟

- "علماء" الأزهر شغلوا أنفسهم
  - ☹ بفقه الولاء والبراء والحيض والنفاس حتى سماهم الخميني:

"علماء الحيض والمرحاض".

  - ☹ والقليل منهم الذي حاز على درجة علمية مثل د. زغلول النجار، استعمل درجته العلمية للكذب على العامة بما أسماه "الإعجاز العلمي في القرآن".
- وقد كون الأزهر "مجمع البحوث العلمية" الذي تخصص في مصادرة الكتب التي تنتقد الإسلام أو الصحابة، بدل أن يبحث في العلوم.
  - ☹ **وأفتى أن الفلسفة تنكر ما هو معروف من الدين بالضرورة، ومنعوا تدريس الفلسفة بالمعاهد الأزهرية.**
  - ☹ وأفتوا كذلك أن الصليب يسيء إلى مشاعر المسلمين.
  - ☹ واعترضوا على توحيد الأذان في مصر لأن ذلك يختلف عن السنة النبوية الشريفة.
  - ☹ ولم نقرأ أي بحث علمي لهذا المجمع البحثي الشهير، بل قرأنا الكثير عن محاربته للعلم وسعيه لتكيم الأفواه، فقد طالب شيخ الأزهر السابق طنطاوي بجلد الصحفيين الذين ينتقدون الأزهر أو الرئيس مبارك.
  - ☹ وفي نفس الوقت أجازوا رسالة دكتوراة لطالب أزهري عنوانها ‹رسالة الكفران› كفّر صاحبها مجلة روز اليوسف والسيدة التي أنشأتها، فاطمة اليوسف. وقال الدكتور فرحات المنجي لمحرري روز اليوسف:

"أعيب عليكم الحرية الزائدة عن اللازم التي تصطدم بثوابت العقيدة فأنتم المجلة الوحيدة التي أخذت موقفا ضد الدين!! وأضاف: لا حرية في ثوابت الدين".

- وقد أفاق مجلس البحوث الأزهري الموقر من نومه عندما علم باستيراد غشاء البكارة الصناعي الذي أنتجته الصين إلى مصر،
  - ☹ فأصدر بيانا يؤيد:

"مطالبة الدكتور عبد المعطي بيومي عضو مجمع البحوث الإسلامية بتطبيق حد الحرابة (القتل) على مَن يقوم باستيراده باعتباره يمثل مفسدة في الأرض ويبيح الرذيلة."

  - ☹ أما الدكتورة آمنة نصير الأستاذ بجامعة الأزهر، فقد قالت:

"أنا لا أدري إلي أي مرحلة وصلت قيم المجتمع، وأعني أثمن قيمة التي ترتبط بالفتاة وعفافها وحياتها النظيفة التي تربت داخل أسرة تحوطها بالقيم والثقافة المعتدلة حتي تصل إلي بيت زوجها وهذا هو المضمون. أما أن يحدث في مسألة عفافها تلاعب فهذا هو الغش والخداع، وهي كارثة أن يفقد الرجال الثقة في البنات".[2]

- وفي نيجيريا هناك جماعة دينية سياسية إرهابية اسمها جماعة «بوكو حرام»، التي تعني باللغة السواحلية ‹التعليم الغربي حرام›، واشتبكوا مع السلطات الحكومية عدة مرات مما أدى ألى قتل العشرات من أنصارها بينهم نائب قائدهم. وبدأت الاشتباكات في ولاية بوتشي بعد اعتقال أعضاء في الجماعة، وامتدت إلى ثلاث ولايات أخرى، وأُحرقت الجماعة مراكز شرطة وكنائس وسجون.[3]
- وفي ماليزيا، الدولة التي يعتد بها الإسلاميون لتقدمها الاقتصادي وديمقراطيتها، *رغم قولهم إن الحاكمية لله فقط*، ففي هذه الدولة التي يكون المسلمون فيها ستين بالمئة،

أصر "علماؤها" على منع غير المسلمين من استعمال كلمة "الله" لأنها تخص إله الإسلام فقط.

ونسوا أن الكلمة هي "إله" معرفة بالألف واللام، وكان العرب يستعملونها في شعرهم قبل ظهور الإسلام بعشرات السنين. وقد ذكر القرآن هذه الحقيقة.

---
[2] إيلاف 4 أكتوبر 2009.
[3] الشرق الأوسط 1 أغسطس 2009.

- وفي باكستان وأفغانستان يصر "علماء" المسلمين على تحريم تعليم البنات لأن رسول الإسلام قال: [**لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهن القراءة والكتابة**]. فالمرأة ناقصة عقل ودين، وإن أردنا أن نعلمها لنزيد في رجاجة عقلها، يحرق الفقهاء مدارس البنات حتى لا تتعلم.
- أما في مملكة الوهابية، ومهبط الوحي الجبريلي، فإن العلوم الحديثة لا تدخل في قاموس "العلماء" من دكاترة وبروفسيرات.
  - ☹ فمثلاً عندما ادعى شاهدان من البدو أنهم رءوا هلال رمضان، وقال أهل الفلك أن الهلال لا يمكن أن يكون قد ظهر تلك الليلة، أجابهم مفتي المملكة بأن سَوَّغ:

(قبول شهادة الشاهدين اللذين شهدا برؤية هلال ذي الحجة سنة 1425هـ بأنهم "ليسوا أطفالا وأنهم لا يخفى عليهم حال القمر لأنهم أهل رعي وإبل").

فشهادة اثنين من البدو أقسموا على المصحف، تفوق شهادة علماء الفلك، لأن البدو أهل إبل ورعي. وقد صدق عمر بن الخطاب حينما قال:

"لا يصلح للعرب إلا ما يصلح لإبلهم."

- ☹ وأما المفتي الحالي الشيخ عبد العزيز آل الشيخ فقد نصح الذين يقولون أن الخسوف والكسوف ظواهر كونية، بأن يتوبوا إلى الله، فقد:

"ردّ سماحة مفتي عام المملكة ورئيس هيئة كبار العلماء الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ على مَن يقولون ان كسوف الشمس وخسوف القمر ،ظواهر كونية ولا علاقة لها بالذنوب والخطايا ، وقال: 'إنها تنعقد سببا للعذاب،وأنها تكسف على المسلم والكافر ، وأنهم يعلمون موعد الكسوف والخسوف بدقة..' واكد سماحته ان هذه أخطاء يقع فيها هؤلاء المتقوّلون بذلك لان الكسوف والخسوف آيتان من ايات الله يخوّف بهما عباده ، وقال سماحة المفتي العام : إن من يقولون بان الكسوف والخسوف ظواهر كونية مخالفون لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطالب من يقولون ذلك ويكتبون باقلامهم هذه الاراء والافكار ان يتوبوا الى الله عز وجل ، ويتبعوا سنة رسول الله."

- ☹ سُئل الشيخ السعودي أبن العثيمين:

مر الرسول بحلقتين من الناس، واحدة حلقة ذكر، والأخرى حلقة علم، فجلس مع حلقة العلم، فهل يجوز الجلوس في حلقات الذكر؟

فكان رده:

"هذا الحديث لا أعلم صحته ولا أظنه يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكن الاجتماع على العلم لاشك أنه من أفضل الأعمال لأن العلم نوع من الجهاد في سبيل الله فإن الدين إنما قام بالعلم والبيان والقتال لمن نابذه وعارضه ولم يخضع لأحكامه وأما الذكر فإن الاجتماع أيضاً على الذكر لا بأس به ولكنه ليس الاجتماع الذي يفعله بعض الصوفية يجتمعون جميعاً ويذكرون الله تعالى بصوت واحد أو ما أشبه ذلك إنما لو يجتمعوا على قراءة القرآن أو ما أشبه هذا مثل أن يقرأ أحد والآخرون ينصتون له ثم يديرون القراءة بينهم فهذا ليس فيه بأس ولا حرج فيه."[4]

فالدين قام بالعلم الشرعي وقتال من نابذه ولم يخضع لأحكامه، وتُعتبر العلوم الدينية جهاد في سبيل الله.

- ☹ وقد أفتى الشيخ السعودي الكبير محسن العبيكان بجواز التداوي بالسحر، ولما هاجمه بعض شيوخهم، رد بالآتي:

"أن عددا من الأئمة والفقهاء أباحوا حل السحر من قبل ساحر منهم سعيد بن المسيب والحسن البصري والإمام احمد وابن الجوزي والإمام البخاري ونص عليه عدد من فقهاء الحنابلة في كتبهم المعتمدة التي يفتي بها ويحكم بها القضاة في السعودية."[5]

- أما "علماء" باكستان وبنغلاديش والسودان والصومال، فحدث عنهم ولا حرج.

فهل بعد هذا نستغرب لماذا يزداد تخلفنا كلما ازدادت الأمم تقدماً؟ وما أصدق مقولة القس ستانلي جاكي عندما قال:

إن العلوم لا تنمو إلا في محيط مسيحي.

وأنا لا أحاول بهذا المقال الدفاع عن المسيحية، فأنا رجلٌ لا ديني، ولكن إحقاق الحق واجب علينا. فالمجتمعات العربية برمجها رجال الدين الجهلاء **بأن تجتر ماضيها وتتغذى عليه كما يجتر البعير طعامه من معدته وقت الحاجة**. وقانون نيوتن للحركة يقول إن كل جسم يتحرك في خط مستقيم إلى أن تتدخل قوة أخرى لتوقفه أو تغير اتجاه مساره. ونحن للأسف يقودنا رجال دين ليس بمقدورهم تغيير مسارنا لأنهم لا يملكون المقومات العلمية لذلك.
وقبل أن يرد علينا الإسلاميون بأمجاد العلوم الإسلامية في الدولة العباسية، نقول لهؤلاء إن الذين برعوا في العلوم الطبيعية لم يكونوا من رجالات الدين، والقليل من رجالات الدين الذين حاولوا الخوض في الفلسفة أو ماهية الوجود، كفّرهم شيوخ الدين من أمثال حجة الإسلام الغزالي ورموهم بالإلحاد وحرقوا كتبهم، *حتى عباس بن فرناس الذي حاول الطيران بأجنحة من صوف الطير، ودق عنقه ومات، لم يسلم من تكفيرهم*. وأغلب الذين نجحوا في العلوم الطبيعية فعلوا ذلك لأنهم ينحدرون من حضارات غنية بالعلم مثل فارس وبيزنطة، ولم ينجحوا لأنهم كانوا مسلمين، بل لأن ترجمة التراث اليوناني إلى العربية أتاحت لهم الفرصة ليبحثوا في العلوم الطبيعية.

بعض هذه المعلومات منقولة بتصرف من المصادر الآتية:

- www.catholic.com/thisrock/2008
- http://en.wikipedia.org.wiki/George_Lema
- Bill Bryson: A Short History of Nearly Everything

[4] فتاوى الشيخ ابن العثيمين.
[5] شفاف الشرق، 8 يوليو 2006.



عودة إلى الفهرس

218 - نساؤهم ونساؤنا

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=222070

في بداية حياة الإنسان على هذا الكوكب، بعد أن انفصل عن القرد Apes ومشى على رجلين، كان مصدر الرزق الوحيد هو الصيد وجمع الثمار من الأشجار. ولما كان الرجل غير مرتبطٍ بتربية الأطفال، احتكر هو الصيد وربما ترك جمع الثمار للأنثى. ونتيجةً للجهد العضلي الذي كان يبذله في الركض وراء الحيوانات أصبح الذكر يمتلك عضلات أكبر وأقوى وزاد حجمه تدريجياً.
ومع اكتشاف الزراعة، شاركت المرأة في الزراعة والرعي بالإضافة إلى إنجاب وتربية الأطفال، واعترف لها المجتمع بذلك لكونها واهبة الخصب وواهبة الحياة، فجعلوها إلهةً. وقد انسحب هذا المفهوم على جميع المجتمعات البدائية التي امتهنت الرزراعة أو الرعي وجعلت آلهتها إناثاً، كما في المجتمع العربي الجاهلي الذي كانت آلهته اللات والعُزى ومناة. ولكن لا شيء يدوم إلى الأبد. بالتدريج حل الإله الذكر مكان الأنثى واضطهدها ليمنع أي محاولة من جانبها لاسترداد مكانتها الأولى.
وجاءت اليهودية وبخّست المرأة إلى أقل درجة ممكنة وجعلتها نجساً يجب الابتعاد عنه إلا وقت إشباع الرغبة الجنسية للرجل. والنجس لا يحق له ملامسة الكتب المقدسة ولا الاشراف على الرجال أو مشاركتهم عبادتهم.
وبما أن المسيحية جاءت تكملة لليهودية، فلم يتحسن وضع المرأة إلا قليلاً، وظلت منبوذة في الكنيسة الكاثوليكية، لا يجوز لها أن تتبوأ مركز القيادة.

ثم جاء محمد بإسلامه الذي بالغ في تحقير المرأة رغم *ادعاء المسلمين أن الإسلام كرّم المرأة.*

ومع ثورة مارتن لوثر في ألمانيا ونشوء الكنيسة البروتستانتية Protestant في بعض الدول الأوروبية، خاصة إنگلترا، كان من المتوقع أن تحتل المرأة مكاناً رفيعاً في الكنيسة، ولكن ذلك لم يحدث إلا في القرن العشرين عندما سمحت الكنيسة للمرأة بأن تكون قسيسة، ولكنها حتى الآن ممنوعة من أن تكون أسقفاً Bishop. وأما الكنيسة الكاثوليكية فما زالت تمنع على المرأة أن تكون قسيسة ولكن تشجعها على أن تكون راهبةً. ولكن بعد موت الراهبة يمكن أن يرفعها البابا إلى مصاف "سينت Saint" (قديسة) بعد أن كانت هذه الدرجة من القداسة مقصورة على الرجال فقط. وقد رفّعت الكنيسة الكاثوليكية أكثر من خمسمائة امرأة في العالم إلى درجة Saint.
اعتمد الذين يعارضون مشاركة المرأة في المجالات الدينية أو الاجتماعية على أعذار واهية مثل أن طبيعة المرأة البيولوجية تختلف عن طبيعة الرجل وبالتالي هي غير مهيأة للقيام بأعمال الرجل. ولكن في حقيقة الأمر فإن التكوين الجسدي anatomy ووظائف الأعضاء في المرأة البالغة (في غير أوقات الحمل والرضاعة) لا تختلف عن وظائف أعضاء الرجل إلا في أن المرأة تمتلك رحماً صغيراً لا يزيد حجمه عن قبضة اليد، وتفرز غددها الصماء هورمون الأنوثة الأستروجين بكميات قليلة، وهورمون الذكورة التستوسترون بكميات أقل. وفي الرجل يحدث العكس فيفرز جسمه هورمون التستوسترون بكميات قليلة وكذلك هورمون الأنوثة الاستروجين بكمية أقل. وحتى الأعضاء التناسلية متشابهة، فالرجل يحمل أعضاء الأنثى ولكن في حجم صغير جداً، والمرأة تحمل أعضاء الذكر مصغرة. فالشفران الكبيران هما عبارة عن الصفن – جلد الخصيتين – في الرجل، والمبييضان هما الخصيتان. وتنمو الخصيتان في الجنين الذكر في البطن، في نفس المكان الذي ينمو فيه المبيضان، ثم تنزلان قبل الولادة من البطن إلى الصفن. والبظر هو العضو الذكوري مصغراً. ويتكون جسم الإنسان من ستة وأربعين كروموسوم، يشترك الرجل والمرأة في خمسة وأربعين منها، ويفترقان في كرموسوم واحد فقط. فلا التكوين الجسدي ولا الفسيولوجي يمنع المرأة من القيام بما يقوم به الرجل.
وهناك قانون في علم الفسيولوجي يقول إن أي عضو في جسم الإنسان إذا لم يُستعمل بكثرة يضمحل. ولما سجن الرجل المرأة في البيت ومنعها من الصيد والركض، اضمحلت عضلاتها. ولكن اليوم، وفي أوروبا وأمريكا نرى نساءً قد واظبن على التردد على مراكز التدريب العضلي gym فكبرت عضلاتهن إلى مستوى يفوق عضلات تسعين بالمئة من الرجال، ومنهن من تلعب الركبي Rugby وتفوق قوتها العضلية قوة كثير من الرجال. والتحقت المرأة بالجيوش وأصبحت تؤدي كل المهام التي يؤديها الرجل، وحتى في الشرطة أصبحت المرأة الأوروبية والأمريكية قائدة يطيعها الرجال. وفي السياسة أصبحت المرأة رئيسة جمهورية أو رئيسة وزراء في دول العالم الأول.
ولما كان التعليم على مر العصور ممنوعاً على المرأة حتى في أوروبا إلى نهاية القرن الثامن عشر، لم تتفتح مقدراتها الذهنية بمستوى تفتح المقدرات الذهنية في العلماء الرجال الذين درسوا في الجامعات وحضروا المؤتمرات والاجتماعات العلمية، مثلها في ذلك مثل الرجل الأمي. ولكن عندما سمحوا للمرأة بالتعليم ودخول الجامعات، أثبتت المرأة أن عقلها يفوق عقل الرجال في بعض الوظائف مثل الذاكرة والتفكير في عدة اتجاهات في وقت واحد (الفكير خارج الصندوق)، وتفوقت على الذكور في المنافسات العلمية. وهاهن الإناث يكوّن أكثر من ستين بالمئة من طلاب كليات الطب في أغلب دول العالم، بما فيها الدول العربية (خاصةً في السعودية والكويت وبقية دول الخليج التي لا يميل شبابها من الذكور إلى التحصيل العلمي بقدر ميلهم إلى اللهو ومطاردة الظباء (فالصيد هو أول وظيفة تعلمها الرجل في بداية حياته) .
وإذا نظرنا إلى تاريخ المرأة العلمي في أوروبا منذ القرن الثامن عشر نجد نساءً يشار إليهن بالبنان، من أمثال:

☺ ماريا أجنيسي (1718 - 1799) Maria Agnesi

كان أبوها استاذ الرياضيات بجامعة بولونيا في إيطاليا، وكان من المتعارف عليه في ذلك الوقت هو أن تدرس بنات النبلاء في الدير Convent ويتعلمن الدين، والتدبير المنزلي والحياكة. ولكن والد ماريا استأجر لها مدرسين خصوصيين فتعلمت منهم خمسة لغات (الإغريقية، اللاتينية، الفرنسية، العبرية والإسبانية) كما درست الفلسفة والعلوم الطبيعية. وكان أبوها يعقد اجتمعاتٍ دورية بمنزله لزملائة العلماء فكانت ماريا بنت الثلاثة عشرة سنة تجادلهم بكل اللغات، وخاصة اللاتينية التي كانت لغة العلم.
وفي عام 1738 نشرت مناظراتها في كتاب احتوى على مواضيع مثل ميكانيكا الأجرام السماوية، ونظرية نيوتن في الجاذبية. وفي عام 1738 نشرت كتاباً في الرياضيات يحتوي دروساً في الجبر والحساب والمثلثات Trigonometry والهندسة المستوية Geometry وفي عام 1750 عُينت أستاذاً في الرياضيات بجامعة بولونيا، فكالنت أول أنثى تصبح أستاذاً للرياضيات في أوروبا.

☺ ماريا ميتشل (1818 - 1889) Maria Mitchell

كان والدها متخصصاً في علم الفلك وكانت ماريا مسؤولة مكتبة المدينة Librarian فاستغلت وقتها في قراءة كتب الرياضيات والفلك، وأصبحت تساعد والدها في حسابات مواقع النجوم، واكتشفت نجماً مذنّباً Comet سُمي باسمها. وعندما أُنشئت أول جامعة

للنساء في أمريكا عام 1865، أصبحت ماريا أول أستاذة لعلم الفلك بتلك الجامعة Vassar College. وأُنتخبت رئيسة جمعية تقدم العلوم الأمريكية Association for the Advancement of Science.

☺ ماري كيوري Marie Curie

ولدت في بولندا وتعلمت حتى المستوى الجامعي ولكن لم يُسمح لها بالدراسات العليا فهاجرت إلى باريس والتحقت بجامعة السوربون حيث درست الفيزياء ثم الكيمياء. اكتشفت الإشعاع الذري في مادة مشعة سمتها بولونيوم على اسم بلدها الذي حرمها من الدراسات العليا. ثم اكتشفت الراديوم بعد ذلك. وتُعتبر ماري كيوري أم الفيزياء الحديثة. وكانت أول امرأة تشغل وظيفة أستاذ بجامعة السوربون. وأول شخص في تاريخ جائزة نوبل ينال جائزتين: الأولى في الفيزياء عام 1903، والثانية في الكيمياء عام 1911.

☺ ماري سومرڤيل Mary Somerville

ولدت عام 1780 في اسكوتلندا وعندما كان عمرها خمسة عشر عاماً رأت مسائل من الجبرا في إحدى المجلات، فعكفت على دراستها وحلها. وحصلت على كتاب يوكليد Euclid's Elements of Geometry ودرسته بنفسها. وبعد أن تزوجت ابن عمها درست العلوم والرياضيات. وفي عام 1826 بعد أن تزوجت للمرة الثانية، ارتحلت إلى لندن وبدأت تنشر مقالات علمية عن البحوث التي كانت تجريها بنفسها. في عام 1826 نشرت بحثاً مطولاً نالت عنه الجائزة الذهبية من الجمعية الملكية لعلماء الجغرافيا. ثم ترجمت وأضافت إلى نظرية العالم الفرنسي لابلاس عن ميكانيكا الأجرام السماوية La Places's Celestial Mechanics. أُنتخبت بعد ذلك عضواً في الجمعية الملكية لعلماء الفلك، وكانت أول امرأة تصبح عضواً بتلك الجمعية. ونشرت عدة كتب، منها On the Molecular and Microscopic Science.

☺ وهناك عدة نساء أوروبيات وأمريكيات نلن جائزة نوبل في العلوم، منهن:

Marie Curie و Maria Goeppert Mayer في علم الفيزياء.

Marie Curie و Irene Joliot Curie و Dorothy Crowfoot Hodgkin و Ada Yonath في الكيمياء.

كما حازت اثنتا عشرة امرأة على جائزة نوبل في الفيسيولوجي والعلوم الطبية، واثنتا عشرة امرأة نالتها في الثقافة والكتابة Literature.

هذا ما كان من أمر نساء الغرب. فإذا كانت المرأة الغربية قد أثبتت كفاءتها الذهنية والبدنية لتقوم بكل ما يقوم به الرجل، وربما فاقته في بعض الميادين، فلماذا ظلت المرأة العربية على مدى العصور جاهلة، وأمية وموءودة تحت خيمة سوداء أسوأ من وأدتها تحت التراب؟

لا يشك أي عاقل في أن **السبب هو الإسلام الذي جعل من المرأة شيطاناً** يدعو للانحراف ويغري الرجال بالفاحشة، كما أنها ناقصة عقلٍ ودين. وقد قال رسول الإسلام:

[لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن سورة النور والغزل].[1]

والأحاديث مثل هذا كثيرة في البخاري وغيره. والإسلام قد جعل المرأة أقل من الرجل في كل شيء،
فبدأ بالقرآن الذي يقول:

{وللرجال عليهن درجة بما فضّل الله بعضهم على بعض}،

وتبع ذلك سنة نبي الإسلام الذي:

جعل عقيقة الصبي عند ولادته شاتين، وعقيقة البنت شاةً واحدةً.
وقال إذا بال الصبي على الثوب، يُنضح الثوب بالماء ولكن إذا بالت الطفلة على الثوب فيجب أن يُغسل الثوب كله،

مع أنه من الناحية العلمية فليس هناك أدنى اختلاف بين بول الطفل الذكر وبول الطفل الأنثى.

وبمثل هذه التعاليم غسل الفقهاء عقول الصبيان والصبايا منذ نعومة أظافرهم فكبروا على يقين أن الله يفضل الرجل على المرأة. وتيقنت المرأة على أنها خُلقت لإمتاع الرجل جنسياً ولخدمته، وبالتالي فهي لا تحتاج العلم لتقوم بهذه الوظائف.

- يقول علي بن عمر بن حسام الدين البصيري، المعروف بابن البتنوني، في كتابه ‹في مكايد النساء› إن رسول الإسلام نصح ابنته فاطمة، فقال لها:

"يا فاطمة ما من امرأة قالت لزوجها أف لكَ إلا لعنها الله تعالى والملائكة يا فاطمة ما من امرأة عبست في وجه زوجها إلا غضب الله عليها، وغضب عليها زبانية جهنم. فإن مانعته في الفراش لعنها كل رطب وياس. يا فاطمة ما من امرأة صلت ودعت لنفسها ولم تذكر زوجها. إلا رد الله عليها صلاتها حتى تدعو لزوجها. يا فاطمة ما من امرأة لبست ثيابها وخرجت من بيتها بغير إذن زوجها إلا لعنها كل رطب ويابس حتى ترجع الى بيتها. يا فاطمة ما من امرأة نظرت الى وجه زوجها وعبست في وجهه الا غضب الله عليها وغضبت عليها الملائكة. يا فاطمة ما من امرأة كشفت وجهها على غير زوجها، إلا أكبها الله على وجهها في النار. يا فاطمة ما من امرأة أدخلت في بيتها ما يكرهه زوجها إلا أدخل الله عليها في قبرها سبعين حية وسبعين عقرباً من عقارب جهنم يلدغونها الى يوم القيامة. يا فاطمة ما من امرأة صلت تطوعاً ولم تستأذن زوجَها، إلا رد الله عليها صلاتها."

حتى الصلاة لا يقبلها الله إلا إذا كانت بإذن الزوج، فكيف بالتعليم؟

فالمرأة المسلمة مهمتها في الحياة العناية بزوجها وطاعته وعدم الخروج من منزلها إلا بإذنه، وبالتالي ليس هناك من داعٍ إلى تعليمها القراءة والكتابة، ناهيك عن علوم الرياضيات والفلك والفيزياء.

- واستمر شيوخ الدين في تعنتهم ضد تعليم المرأة إلى يومنا هذا. فقد أفتى الشيخ السعودي بن حميد بالآتي:

"وألفت نظر ولاة الأمور إلى أنه لا مانع من توسيع تعليم المرأة على المنهج الذي يقره الدين وتعاليمه، مع التمسك بالحجاب، وبالأخلاق الفاضلة، وكما كان التعليم في زمن السلف الصالح .مثل تعليم التوحيد، والطهارة، والصلاة، وأحكام الحيض، والنفاس، وأمور دينها الواجب عليها، وتربية أولادها وتدبير منزلها، وغير ذلك من الأمور النافعة لها، وهذا فيما يظهر ونظن هو هدف الحكومة أيدها الله ورغبتها .ولذا: جعلوها منوطة بالمشائخ، وقد عينوا برياستها شيخا منهم، مؤملين فيه السير بمدارس البنات على الهدف المنشود، ولكن يا للأسف بأول سنة شوهد تبدل الأمر وسوء الحال .فقد نشرت جريدة البلاد بعددها رقم 703 في 1380/12/3هـ مقالا للرئيس المذكور، يتضمن عزمه على إدخال مواضيع الحساب والهندسة والجغرافيا بمناهج مدارس البنات في السنة الدراسية القادمة، لأن هذه المواضيع لم تكن تدرس هذه السنة . أيها المسلمون: يا أهل الغيرة والأنفة، اسمعوا لهذا التصريح الشنيع الذي يقصد منه إرغام أهل الخير، ومجاراة الأمم المنحلة في تعليم بناتكم الحساب والهندسة والجغرافيا، ما للنساء وهذه العلوم، تضاف إلى ما يزيد عن إحدى عشر درسا، غالبا لا فائدة فيها، إنها لمصيبة وخطر عظيم على مجتمعنا."[2]

فهل لم يفهم هذا الشيخ الكبير الحديث الذي ينافح به الإسلاميون عن الإسلام وفرض العلم على كل مسلم ومسلمة عندما قال نبي الإسلام: [**اطلبوا العلم ولو في الصين**]؟ فهذه الفتوى من الشيخ بن حميد تُثبت أن العلم المقصود هو حفظ القرآن والأحاديث فقط.

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج12، سورة النور، الآية 1.
[2] الدرر السنية، ج 16، ص 79 - 84، نقلاً عن شبكة "أنا المسلم".

ومثل هذه التربية لا تنتج إلا خرافاً تتبع الراعي حيث ذهب، وتحجب العقل قبل الرأس.

- ولذلك لم يذكر لنا التاريخ الإسلامي أي امرأة اشتهرت بالعلم طوال تاريخ الإسلام الطويل إلا "قرة العين" التي ولدت في غزوين عام 1814 واشتهرت بجمالها وذكائها الفائق وعلمها المتين في القرآن والحديث. وقد بزت الرجال في وقتها كما يقول العلامة العراقي علي الوردي:

> "كان الكثير من الذين عرفوها وسمعوها في أوقات مختلفة من حياتها يذكرون لها دائما انها فضلا عما اشتهرت به من العلم والغزارة في الخطب فان القاءها كان من السهل الممتنع وكان الناس اثناء تكلمها يشعرون باهتزاز وتأثير الى اعماق قلوبهم مفعمين بالاعجاب وتنهمر دموعهم من الآماق." انتهى.

فهل يسمح رجال الدين لمثل هذه المرأة أن تبزهم في العلم والخطابة؟ بالطبع لا يمكن أن يسمحوا لها، ولذلك:

> "ربطت من شعرها بذيل بغل فسحبت الى المحكمة وهناك صدر الحكم باحراقها حية غير ان الحكومة أوعزت بتأخير الاحراق الى مابعد موتها فخنقت ثم القيت جثتها الى النار." كما يقول علي الوردي.

- بقية النساء العربيات ذكرهن المؤرخون ليس لعلمهن ولكن لجمالهن أو تمردهن على الحجاب. يقول المؤرخون عن عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، زوجة مصعب بن الزبير بن العوام التي تزوجها عمر بن عبد الله بعد موت مصعب، أنها كانت تمتنع من لبس الحجاب رغم إصرار أزواجها – وقد تزوجت ثلاث مرات – وكانت فائقة الجمال، كبيرة العجيزة لدرجة أن بعض النساء كن يتغزلن بعجيزتها.[3] وقال عنها الذهبي في سير أعلام النبلاء:

> "كانت أجمل نساء زمانها وأرأسهن ، وحديثها مخرّج في الصحاح".

فهي برعت، كما برعت بعدها قرة العين، في العلوم الدينية فقط. وحدثتنا كتب السيرة عن عائشة بنت أبي بكر التي كانت تفوق الرجال في رواية الحديث وحفظ القرآن، ولا غرو في ذلك إذ كانت زوجة محمد صانع الاثنين.

- وتحدثت كتب السيرة عن بعض نساء المسلمين اللاتي حاربن مع جيوش المسلمين ضد الروم، والنساء اللاتي دافعن عن محمد في موقعة أُحد عندما هرب عنه عمر وعثمان بن عفان.
- وببداية الدولة العباسية أصبحت المرأة تشتهر بالغناء والرقص في قصور الخلفاء العباسيين. ورغم انفتاح الدولة في عهد المأمون على الترجمة والعلوم الطبيعية، لم تشتهر أي امرأة بالعلم أو الكتابة.
- وجاءت الخلافة العثمانية فبنت بيوت الحريم في قصور السلاطين وأصدر السلطان عبد الحميد مرسوماً يقضي بأن:

> يُقص شعر أي امرأة تخرج من منزلها دون الحجاب والخمار، ثم توضع على حمار ليطوف بها في القرية ووجها صوب ذنب الحمار.

- وحتى في عصرنا هذا لم نسمع عن امرأة عربية عُرفت عالمياً في المجال العلمي غير السيدة زها حديد، المعمارية العراقية التي صممت بعض المباني الشهيرة بأوروبا وأمريكا ودول الخليج.
- ورغم انتشار التعليم الجامعي للمرأة في العالم العربي، ما زال الشيوخ يقفون لها بالمرصاد ويمنعون ابتعاثها للخارج لنيل الدراسات فوق الجامعية.
- وفي السعودية لا يُسمح للطبيبة بالتخصص إلا في أمراض النساء والولادة وطب الأطفال. وما زالت بعض الطبيبات في السعودية يلبسن الخمار ولا يرى المريض منهن إلا العينين.
- وحتى عندما تتعلم المرأة، فبدل أن تجد التشجيع من زملائها الرجال ومساعدتها على الحصول على أعلى الوظائف، نجد مثلاً القضاة المصريين يحتجون على تعيين المرأة قاضية بالمحكمة العليا لأن القرآن يقول: {**الرجال قوامون على النساء**} ولا يجوز أن تكون المرأة قاضية بالمحكمة العليا لأنها سوف تكون أعلى مرتبةً من أغلب القضاة الذكور.
- أما الأمير نايف بن عبد الغزيز فقد قال في كلمته يوم افتتاح مجلس الشورى السعودي إنه لا يرى ضرورة لوجود المرأة بالمجلس.[4]

وفي بلاد يتصرف حكامها وشيوخها ومتعلموها بهذا القدر من الاحتقار للمرأة، لا يمكن لنسائها أن يلحقن بإخواتهن في البلاد المتقدمة إلا إذا ضغطت المنظمات العالمية والحكومات الغربية على حكامنا المستبدين للجم رجال الدين، الذين هم الأداة في يد الحكام لتطويع المواطنين، ونحن نعرف أن رجال الدين لا يستطيعون مخالفة ما يقوله الحاكم ولا يجرؤون على معارضته رغم جعجعتهم الكثيرة عن قول الرسول: [**خير الجهاد كلمة حق في وجه سلطان جائر**]. وقد أثبت الملك عبد الله بن سعود ذلك حين أنشأ جامعة ثول الجديدة وسمح فيها بالاختلاط، فلم يعارض ذلك إلا اثنين أو ثلاثة من من الشيوخ، وعندما فقدوا وظائفهم، صمت الآخرون صمت القبور. فالدين عند هؤلاء تجارة يربحون منها قوتهم.

الحل الثاني هو أن تثور النساء على تلك القيود كما ثارت النساء الأوروبيات والأمريكيات من أجل نيل حقوقهن في التصويت في الانتخابات وفي التمثيل في البرلمانات. ولكن للأسف فإن غسيل الدماغ الذي تعرضت وتتعرض له المرأة المسلمة منذ ميلادها، جعل الثورة حلاً لا يمكن أن يحدث إذ أن الشيوخ جعلوا من المرأة المضطهدة **أشرس المدافعين عن الإسلام الذي يذلها.**

والحل الأخير والأصعب هو ثورة الشعوب العربية من أجل تطبيق الديمقراطية التي يبدو أنهم يخافونها كما يخافها حكامهم لأن الإسلام يفرض على المسلم الطاعة العمياء لولي الأمر حتى إن سرق ماله وجلد ظهره. وقد علمهم الشيوخ أن الديمقراطية كفر بواح مثلها مثل الشيوعية.

وأعتقد أن المرأة المسلمة، عربية كانت أو أعجمية، سوف تظل ترفل في خيمتها السوداء إلى أمدٍ غير قصير. ولا يسعني إلا أن أقول: كانت عشتار في عونها.

عودة إلى الفهرس

[3] كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني في باب أخبار عائشة بنت طلحة.
[4] الشرق الأوسط، 2009/3/25.

2010 / 7 / 15

1 مِن 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=222530

هناك مثل إنكليزي يقول A New Broom Sweeps All أي أن 'المكنسة الجديدة تكنس كل شيء أمامها'. وعندما توفي شيخ الأزهر السابق الشيخ محمد سيد طنطاوي وعيّن الرئيس حسني مبارك الشيخ أحمد الطيب، رئيس جامعة الأزهر، مكانه، كنت أعتقد أن الدكتور أحمد الطيب الذي تعب من السفر إلى أوروبا وأمريكا لحضور مؤتمرات حوار الأديان، ورأى بأم عينيه تسامح الأوروبيين والأمريكان مع المسلمين الذين بنوا جامعاً في كل شارع من شوارع العواصم الأوروبية، في حين تغيب الكنائس في العواصم العربية، كنت أعتقد أنه سوف يضع خطاً تحت تردد شيخ الأزهر السابق في الاعتراف بالغير، ويبدأ بتنقيح مقررات مدارس وجامعة الأزهر حتى يُخرّج لنا شباباً يعرف التسامح مع المختلف ويعتمد على العقل بدل النقل من كتب الأزهر الصفراء.

ولكن للأسف بدأ شيخ الأزهر الجديد يتتبع خطى سلفه، كما تتبع سلفه خطى الذين سبقوه، **وحاول منذ البدء تربيع الدائرة** بدل أن يحاول توسيعها لتحتوي الآخر المخالف. ويبدو أن الدكتور أحمد الطيب لا ينوي تنقيح التراث العتيق بل ينوي طلاءه بلون جديد، ربما يكون أكثر جاذبية لعامة الناس. وهاهو في مقابلة مطولة مع مكرم محمد أحمد بصحيفة الأهرام، _يعجن ويلت نفس الكليشهات القديمة عن صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان، نفس الكليشهات التي رددها شيوخ الدولة العباسية، دون الاتيان بأي جديد يتناسب والقرن الحادي والعشرين الذي نعيش فيه._

- سأل السيد مكرم شيخ الأزهر الجديد:

> _"فضيلة الإمام الأكبر، بعد تعيينك شيخا للأزهر، قلت إن هناك ثوابت أساسية تحكم الأزهر وتحكم مَن يتقلد منصب الإمام الأكبر، أهمها وسطية الأزهر واعتداله، وعالميته باعتباره المرجعية الصحيحة للإسلام، ما هو المقصود بالضبط من **الوسطية** وهل هي نقطة هندسية في مكان وسط بين الغلو في التطرف والغلو في التفريط؟"_

السؤال واضح وضوح الشمس ولا يحتاج لفاً ودوراناً، بل إن السائل نفسه قد أجاب عليه بقوله هل الوسطية نقطة هندسية بين الغلو في التطرف والغلو في التفريط؟ ولكن شيخ الأزهر يلف ويدور ويهاجم اليهودية والمسيحية، ثم يدّعي بدون أي دليل أن الأزهر هو الذي يمثل الإسلام الصحيح،

فيقول:

> "وفيما يتعلق بتعريف الوسطية فإني أري أن الإسلام يساوي الوسطية، والوسطية تساوي الإسلام، وهذه الحقيقة ليست أمرا مستنبطا صدر عن أذهان العلماء أو استقراء جاء به نفر من الشراح، وإنما هو أمر منصوص عليه نصا واضحا في القرآن في الآية الكريمة (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء علي الناس) سورة البقرة آية143 والوسطية هي العدل. والرسول عليه السلام قال: أوسطكم أكثركم عدلا، ومن هنا تستطيع أن تقول وأنت مطمئن إما أن يكون المسلم وسطيا أو لا يكون مسلما، لأن المسلم صحيح الإسلام لا يستطيع أن يتزحزح عن الوسطية لا إلي اليمين ولا إلي اليسار. ووسطية الإسلام ليست وسطية أرسطو الذي يعتبر الفضيلة وسطا بين رذيلتين، ولا هي وسطية رياضية أو حسابية، وإنما هي وسطية أخلاقية اجتماعية كونية، تنظر إلي الكون بمعيار المفاضلة العادلة بين نقيضين متضادين أن تكون ماديا حسيا كما كان بنو إسرائيل في التوراة، يحلون قتل الآخر وخداعه بل وسرقته إن كان علي غير دينهم من الأغيار أو تكون روحانيا تعطي للآخر خدك الأيمن إن صفعك علي خدك الأيسر، وإذا طلب أحد رداءك تتركه حتي لو كنت محتاجا إليه، كما تقول المسيحية أما الإسلام فيتبني قاعدة مغايرة(وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) سورة النحل آية126، والحقيقة أن وسطية الإسلام هي اعتراف بالفطرة الإنسانية السوية التي ترفض العبودية والرق التي كانت جزءا من النظام الاجتماعي في عهود اليهودية والمسيحية، كما ترفض فكرة وجود منبوذين بين البشر بحكم أقدارهم، كما تقول عقائد الهنود، ففي الإسلام يتحدد موقف المسلم بأن يكون وسطا بين المادة والروح، يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ويعمل لآخرته كأنه يموت غدا، وليس مقبولا من المسلم أن يغفل عن دنياه لصالح آخرته أو العكس، وهذه الوسطية هي التي صنعت حضارة الإسلام ونشرت الدين الإسلامي، وجعلت أقواما عديدين يتقبلونه باعتباره دين الفطرة وطوق النجاة الذي ينقذ البشرية من جاهليتها."
> انتهى.

هذه لا شك أطول إجابة لسؤال بسيط لتعريف **الوسطية**. شيخ الأزهر هنا يتبع الحكمة التي تقول ‹**خير وسيلة للدفاع هي الهجوم**› فلكي يُعرّف بوسطية الأزهر المزعومة، كان لابد له أن يهاجم اليهودية، فيقول إنهم كانوا يقتلون المخالف ويخادعونه ويسرقونه.

وطبعاً لا يخطر ببال شيخ الأزهر أن المسلمين، منذ بدء الإسلام، ارتكبوا وما زالوا يرتكبون كل هذه المثالب التي ذكرها عن بني إسرائيل.

وعلى الأقل يكفي بني إسرائيل أن القرآن نفسه يقول:

> {**من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في لأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً.** (المائدة 32)}.

بينما يقول للمسلمين:

> {**فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب.** (محمد 4)}.

وكذلك:

> {**فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم.** (النساء 89)}.

وتاريخ الإسلام مليء بالقتل والسلب وحز الرؤوس وإرسالها بالمئات إلى خليفة المسلمين. أما سرقة المخالف وتحليلها فما على شيخ الأزهر إلا أن يسأل أي إمام جامع في النرويج أو أي إمام جامع في أي دولة أوروبية ليسمع منهم تحليل سرقة السوبرماركت الأوروبي **لأن مال الكافر مباح**. وقد قال أحد الشيوخ في النرويج:

> إن السرقة من السوبرماركت ليست سرقة وإنما استرداد حقوق مسلوبة.

وكان لا بد لشيخ الأزهر أن يهاجم المسيحية لأن يسوع طلب من أتباعه أن يديروا الخد الآخر لمن يصفعهم، وهذه قمة التسامح ونبذ الأخذ بالثأر الذي اشتهرت به المجتمعات العربية قبل وبعد الإسلام. ولكن يبدو أن شيخ الأزهر لا يعجبه العجب ولا الصيام في رجب. فهو في مرات سابقة هاجم المسيحية لأن يسوع قال:

> {**لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض. ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً.** (إنجيل متى، الإصحاح 10)}،

وهو الآن يهاجمهم لإدارة الخد الآخر والصفح عن الجاني.

والجدير بالذكر هنا أن الدكتور أحمد الطيب عندما تحدث في مؤتمر في روما عن "صورة أوروبا في مرآة العالم العربي" في عام 2004،

قال:

"إن الحوار يجب أن يقوم على أساس الاعتراف بالآخر والابتعاد عن محاولات تذويب الهويات وتحقير الثقافات واعتماد منطق الاستعلاء والتفوق والإملاء وادعاء امتلاك الحقيقة في مشاريع الإصلاح."

فأين حديثه هذا من إجابته هذه التي تُحقّر الثقافات الأخرى وتستعلي على الأديان الأخرى بدون أي سبب واضح؟
وبدون أي احترام للحقيقة أو لعقل القارئ، يقول شيخ الأزهر الجديد:

"والحقيقة أن وسطية الإسلام هي اعتراف بالفطرة الإنسانية السوية التي ترفض العبودية والرق التي كانت جزءا من النظام الاجتماعي في عهود اليهودية والمسيحية، كما ترفض فكرة وجود منبوذين بين البشر بحكم أقدارهم، كما تقول عقائد الهنود." انتهى.

ألا يستحي هذا الرجل من شيء؟ ما هي وسطية الإسلام التي ترفض الرق والعبودية؟ ومتى رفض الإسلام فكرة المنبوذين؟

الرق كان يمثل العمود الفقري للاقتصاد الإسلامي بعد أن حرّم محمد الربا.

وما قتل أبو لؤلؤة عمر بن الخطاب إلا لأن أبا لؤلؤة اشتكى لعمر من سيده المغيرة بن شعبة لأنه كان يأخذ أغلب ما يكسبه أبو لؤلؤة من النجارة، فقال له عمر **إن لسيده عليه حقاً وهو لا يرى أن المغيرة قد بالغ في ذلك الحق،** فقتله أبو لؤلؤة.
بل إن محمداً نفسه امتلك العبيد والإماء طيلة حياته وأعتق في مرضه الأخير قبل أن يموت أربعين شخصاً.[1] فلماذا احتفظ محمد بكل هذا العدد من العبيد والإماء إلى ما قبل وفاته بقليل؟ بل كان يتبرع بالعبيد والإماء لمن يريد، فيوم أن قدمت عليه الشيماء بنت الحارث بن عبد العُزى بعد موقعة هوازن وقالت له إنها أخته في الرضاعة، وهب لها "**ثلاثة أعبد وجارية، ونعما، وشاءً، وسماها حذافة**".[2]
فهو هنا يهدي العبيد والإماء كما يهدي الشخص ساعةً في وقتنا هذا.
ولا يخفى على شيخ الأزهر عدد العبيد والجواري في قصور خلفاء بني العباس وقصور سلاطين بني عثمان في أيام الخلافة العثمانية.
بل ما زال العبيد والإماء يتجرعون كاسات الذل في اليمن، وموريتانيا.
ولا يخفى كذلك على شيخ الأزهر عدد أبواب الرق في كتب الفقه العديدة التي تمتليء بها مكتبات الأزهر، وأحاديث رسول الإسلام التي تقول: [**إيما عبد أبق من سيده لا تقبل صلاته حتى يعود لسيده**]. حتى إله الإسلام ينحاز إلى السيد ضد العبد الآبق.

فأين وسطية الإسلام التي تأبى الرق والعبودية؟

أما هجوم الشيخ على العقيدة الهندوسية لأنها قبلت بطبقة المنبوذين، فعلى الأقل يملك الهندوسيون الشجاعة الأدبية التي تمكنهم من الجهر بما يؤمنون به على عكس المسلمين الذين يمارسون التفرقة العنصرية ثم يقولون لنا [**لا فرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى**].
فكتب الفقة تقول لنا:

"لا يجوز زواج العربية من الموالي".[3]

وكذلك:

"لا يجوز للحر زواج الأمة إلا إذا كان معدما".[4]

وإذا تزوج الرجل أمة على زوجته الحرة:

"فمن حق الحرة أن تطلب الطلاق، وإن اختارت أن تظل معه فلها الثلثان من ماله ووقته وللأمة الثلث".[5]

وما زالت المحاكم السعودية تطبق تكافؤ النسب بين الرجل وزوجته، ويمكنها أن تطلق المرأة من زوجها إذا وجدت أن النسب غير متكافيء.

فأيهما أفضل، الهندوسية التي تبوح بمعتقداتها أم الإسلام الذي يخبي مشايخه عيوبهم في جوف الكتب الصفراء ويمارسون ما يخفون؟

وكان بإمكان شيخ الأزهر الجديد أن يكتفي بتعريف وسطية الإسلام على أنها:

"وسطية أخلاقية اجتماعية كونية، تنظر إلي الكون بمعيار المفاضلة العادلة بين نقيضين متضادين"

كما ذكر في أول إجابته، والنقيضان المتضادان هما الغلو في التطرف والغلو في التفريط، كما ذكر السيد مكرم محمد أحمد الذي أجرى المقابلة. ولكن شيخ الأزهر الجديد أراد أن يزج بالمسيحية واليهودية والهندوسية في رده بدون أي مبرر غير تبخيس تلك الأديان ليثبت، كما يعتقد، وسطية الإسلام، ويالها من وسطية تقول:

[من بدل دينه فاقتلوه]

و"من يتولى النصاري واليهود فإنه منهم".

{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم. (المائدة 51)}

- ثم سأل السيد مكرم محمد أحمد شيخ الأزهر الجديد:

"*فضيلة الإمام: هناك في الغرب مَن يصر علي أن الإسلام **انتشر بحد السيف،** وهناك بين المسلمين من يري أن السيف هو الرمز الصحيح للإسلام*."

وكان هذا هو رد شيخ الأزهر:

" ليس صحيحا أن الحضارة الإسلامية فرضت نفسها علي العالم بحد السيف، الإسلام انتشر في العالم **لأنه دين الفطرة ودين العقل** الذي خاطب عقول الناس وقلوبهم، وساوي بين البشر ودعا إلي العدل، ولا يصلح السيف رمزا للإسلام لأن الإسلام رحمة وعدل، والمسلم لا يحمل سيفه عدوانا علي الآخرين، وإنما يحمله للدفاع عن الأرض والوطن والعقيدة والإسلام يحض المسلم علي أن يكون قويا قادرا علي الدفاع عن وطنه ودينه ونفسه، لكنه لا يحرضه علي العدوان علي الآخرين.†" انتهى.

† إذا لم يكن الإسلام يحرض على العدوان على الآخرين، فما هو مبرر وجود فقه "جهاد الطلب" عند المسلمين يا سيادة العريق في الوسطية!!
؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

أولاً الفطرة ليس لها دين أو ثقافة. الفطرة هي تصرف عفوي زرعته الجينات في الإنسان والحيوان للحفاظ على الجنس. فالجنين أول ما يولد يصرخ ليملأ رئتيه بالهواء ثم يبحث عن الثدي ليرضع. وإذا امتلأت مثانته بال. هذه هي الفطره. خذ مولوداً كهذا وضعه في غابة مع حيوانات أليفه، فهو لن يتكلم عندما يكبر ولن يعرف إله المسلمين من غيره لأنه لم يُلقن تلك الأشياء كما نلقن أطفالنا الكلام والمعتقد. ولو كان هناك دين بالفطرة لما احتاج إله السماء، إن وُجِد، أن يبعث رسلاً للناس. فإله السماء لا يرسل رسلاً لتعلّم صغار الأسماك كيف تسبح. هي تسبح بالفطرة لحظة فقسها من البيضة.
يقول شيخ الأزهر إن الإسلام لم ينتشر بحد السيف، ولكن هناك فتوى من الجامع الأزهر تؤكد انتشار الإسلام بالسيف. تقول الفتوى:

[1] المنتظم في التاريخ لابن الجوزي، ج4، ص 17.
[2] زاد المعاد لابن قيم الجوزية، ج3، ص 254.
[3] بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد القرطبي، ص 349.
[4] المدونة للإمام مالك بن أنس، ج 3، ص 205.
[5] المدونة، ج3، ص 204.

"الرد على من يقول إن الجهاد في الإسلام للدفاع فقط: ويجدر بنا في هذا الصدد الرد على من قال إن الجهاد في الإسلام للدفاع وإن الإسلام لم ينتشر بالسيف، وهذا قولٌ باطلٌ ردده عدد كبير ممن يبرز في مجال الدعوة الإسلامية، والصواب يجيب به رسول الله (ص) عندما سئل أي الجهاد في سبيل الله؟ قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله. فالقتال في الإسلام هو لرفع كلمة الله في الأرض، سواء هجوماً أو دفاعاً. الإسلام انتشر بالسيف ولكن في وجه أئمة الكفر الذين حجبوه عن البشر، وبعد ذلك لا يُكره أحدٌ. فواجب على المسلمين أن يرفعوا السيف في وجوه القادة الذين يحجبون الحق ويظهرون الباطل وإلا لن يصل الحق إلى قلوب الناس. وفي رسالة الرسول إلى أهل نجران: أما بعد فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب والسلام".[6]

فهاهو صوت الأزهر الرسمي يقول إن الإسلام انتشر بالسيف، ويأتي الآن الشيخ أحمد الطيب، شيخ الأزهر الجديد، فيحاول تجميل صورة الإسلام وطلاءه بألوان زاهية عله يخدع الغرب، وكما قال رسولهم: [**الحرب خدعة**]، والشيخ صرح عدة مرات **أن الغرب يشن حرباً على الإسلام**، وهذا يبيح له الكذب والخداع لأنه في حالة حرب.

وإذا رجعنا إلى أمهات كتب الحديث، نجد الحديث النبوي الذي يقول:

[بُعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعبد الله وحده لا شريك له وجُعل رزقي تحت ظل رمحي].

وحتى لا ينبري أحد المعلقين ويقول إن هذا الحديث ضعيف، نورد هنا بعض المصادر:

1. فقد رواه أحمد في ‹مسنده›،
2. وذكره ابن تيمية في ‹السياسة الشرعية للراعي والرعية›، الباب الثاني، الأموال،
3. وكذلك في ‹الفتاوى الكبرى› لابن تيمية، ج 8، فصل في قدرة الرب،
4. وذكره ابن كثير في ‹مختصر السيرة›، ج 3، سورة الحديد، الآية 25.
5. وفي ‹المبسوط للإمام السرخسي›، ج 5، كتاب السير.
6. وكذلك في ‹النهاية في غريب الحديث والأثر›، للإمام ابن الأثير، ج 4، حرف اللام.

فها هو رسول الإسلام يقول إنه بُعث بالسيف حتى يسلم كل شخص، وجعل الله رزقه تحت ظل رمحه، ومع ذلك يأتي شيخ الأزهر الجديد لينكر أن الإسلام انتشر بالسيف.

وفي المصادر الإسلامية الأخرى نجد:

"قال عبد الرزاق عن معمر، عن قتادة: كانت العرب لا دين لها، فأكرهوا بالسيف. ولا يُكره اليهود ولا النصارى ولا المجوس إذا أعطوا الجزية".[7]

ويقول ابن قيم الجوزية:

"إن الله سبحانه افتتح غزو العرب بغزوةِ بدر، وختم غزوهم بغزوة حُنَيْن، ولهذا يُقْرَنُ بين هاتين الغزاتين بالذكر، فيقال: بدرٌ وحُنَيْن، وإن كان بينهما سبعُ سنين، والملائكة قاتلت بأنفسها مع المسلمين في هاتين الغزاتين، والنبيُّ صلى الله عليه وسلم رمى في وجوه المشركين بالحصباء فيهما، وبهاتين الغزاتين طُفِئَت جمرةُ العرب لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين، فالأولى:خوَّفتهم وكسرت من حَدِّهم، والثانية: استفرغت قواهم، واستنفدت سهامَهم، وأذلَّت جمعهم حتى لم يجدوا بُداً من الدخول في دين الله."[8]

فالعرب لم يجدوا بداً من الدخول في الإسلام بعد أن دوختهم سيوف محمد .

ويقول ابن القيم كذلك في ‹هداية الحيارى›، ص 9:

"والسيف إنما جاء منفذا للحجة مقوما للمعاند، وحدا للجاحد، قال تعالى: لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز . فدين الإسلام قام بالكتاب الهادي ونفذه السيف".

ولو قرأ شيخ الأزهر تاريخ المغازي، وغزوات رسول الله ومَن أتى بعده ودمر فارس والعراق والمغرب ومصر والسند، لعرف كمية الدماء التي سفكها المسلمون من أجل نشر الإسلام ومن أجل سبي الصبايا البيض (**بنات الأصفر**).

ولا أظن أن هناك تاريخاً بشرياً أكثر نتانةً من تاريخ الإسلام.

وهاهي الدولة السعودية حيث أتى محمد بدينه، **تضع السيف على علمها القومي لتذكرنا بسيوف محمد الذي كان يمتلك منها تسعة أسياف**.

وجماعة الإخوان المسلمين بمصر ما زالت تضع سيفين فوق صورة المصحف، كرمز للجماعة الإسلامية الإخوانية وتكتب تحت السيفين: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة".

فالإسلام لولا السيوف التي جندها محمد أولاً ثم أبو بكر بعد موت محمد، لما قامت له قائمة.

يتبع.

2010 / 7 / 17

---

2 مِن 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=222738

- سأل السيد مكرم محمد أحمد الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر الجديد:

"فضيلة الإمام: لماذا تراجعت مكانة الأزهر كمرجعية معتدلة للعالم الإسلامي أمام المذاهب المتشددة وأفكار التطرف؟! وهل تآكلت مرجعية الأزهر لأنه أصبح خاضعا لولي الأمر؟! أم لأنه فقد القدرة علي التجديد؟! أم لأن شيخ الأزهر لا يأتي بالانتخاب؟!"

السؤال في منتهى الوضوح: هل فقد الأزهر مكانته القيادية في العالم الإسلامي لأن ولي الأمر أصبح يتحكم فيه ويعين شيخه، أم لأن الأزهر فقد القدرة على التجديد.

ودعونا نقرأ رد شيخ الأزهر:

"علينا أن نتلمس الأسباب الصحيحة التي أدت قبل50 عاما إلي أن ينزوي الأزهر في ركن معزول علي حين سيطرت علي الساحة المذاهب والتيارات المتشددة ولدي اقتناع كامل تسانده الوثائق بأن النظام الحاكم في مصر أراد في هذه الفترة إضعاف دور الأزهر بعد أن اختار الاشتراكية مذهبا للحكم ليظل الأزهر مجرد مسجد ينحصر دوره في دروس الدين لأن للمعسكر الاشتراكي موقفه الواضح المعادي للدين، بدعوي أن الدين أفيون الشعوب ومن الضروري العمل علي تقليل دوره لأنه بمثابة النقيض للفكر الاشتراكي الذي يعتنق الإلحاد." انتهى.

---

[6] فتاوى الأزهر لمئة عام، باب أحكام متفرقة، 1326 الفريضة الغائبة والرد عليها.
[7] العجاب في بيان الأسباب، لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني، ص 432.
[8] زاد المعاد، ج3، ص 256.

هذا هو **اللف والدوران** الذي يتقنه الشيوخ كما يتقنون لف العمامة حول الرؤوس. جمال عبد الناصر كان منتمياً لجماعة الإخوان المسلمين، كما كان نائبه أنور السادات. فهل نادى جمال عبد الناصر بتهميش الأزهر لأن الدين أفيون الشعوب؟ إتقِ ربك أيها الشيخ.
ونلاحظ هنا أن الشيخ تجنب الحديث عن خضوع الأزهر للرئيس مبارك الذي يعين شيخ الأزهر. يقول شيخ الأزهر:

إن النظام الحاكم أراد أن يكون الأزهر مسجداً ينحصر دوره في دروس الدين فقط.

أليس هذا هو السبب الرئيسي الذي أنشأ الفاطميون الجامع الأزهر من أجله؟ ما هي الأدوار الأخرى التي يريد شيخ الأزهر لمؤسسته أن تقوم بها؟ هل ينوي أن يقوم الأزهر بأبحاث في الفيزياء أو علم الفلك؟

- وبالطبع لم يقتنع السيد مكرم محمد أحمد بهذا الرد، فقال لشيخ الأزهر:

"ما أذكره بافضيلة الإمام أن أساس المشكلة يعود إلي قانون تطوير الأزهر الذي صدر عام1960 والذي لايزال موضع خلاف بين الأزهريين حتي اليوم، لأن هناك من يعتقدون أن تطوير الأزهر كي يجمع بين التعليم المدني الحديث والتعليم الديني كي يتخرج منه الطبيب الأزهري والمهندس الأزهري الذي يجمع بين المهنة والدعوة الدينية يمثل خطوة إلي الامام لأنه يوجد داعية عصريا يستطيع أن يسهم في تقدم حياة الشعوب في أفريقيا، وغير أفريقيا كما أن هناك من يعتقدون أن الهدف من ذلك كان إضعاف الدور الديني للأزهر؟!" انتهى.

ورد الشيخ بما يلي:

"السؤال ممتاز ومهم، والإجابة الصحيحة عنه تلخص الوضع الذي نحن عليه الآن، صحيح أن فكرة القانون جيدة وجميلة، لكن مع الأسف جاء التطبيق سيئا وهو ما أفسد الفكرة وجعلها خاوية الوفاض، لأن القانون تمت صياغته علي عجل وقيل إنه صيغ في ليلة واحدة، وقد كنت من أوائل الذين طبق عليهم النظام الجديد عندما صدر القانون عام1961، وكان علي أن أدرس المنهجين: منهج وزارة التربية والتعليم بالكامل ومنهج الأزهر كاملا علي مدي خمس سنوات وبرغم صعوبة الجمع بين المنهجين واصلنا الدراسة لأن التعليم كان لايزال منضبطا وقويا، ومع الأسف تغير الحال، ولم يعد الطلاب قادرين علي هضم المنهجين وأصبح الطالب ضعيفا هنا وضعيفا هناك، ومازاد من سوء الموقف أن كل من ينجح في الثانوية الأزهرية لابد أن يدخل الجامعة بمن فيهم الحاصلون علي50% والآن نحاول إصلاح الموقف من خلال إنشاء شعبة للعلوم الأزهرية إلي جوار شعبتي الأدبي والعلمي يدخلها من يريد التخصص في العلوم الدينية ابتداء من أولي ثانوي ويشترط فيمن يتقدم إلي هذه الشعبة أن يكون من حفظة القرآن ودرس آداب وقواعد اللغة العربية." انتهى.

يعترف شيخ الأزهر أن جمال عبد الناصر حاول تطوير الأزهر بأن أضاف إليه الكليات العلمية ومع ذلك يقول الشيخ:

إن النظام الاشتراكي حاول تهميش الأزهر لأنهم يعتقدون أن الدين أفيون الشعوب.

واضح أن الأزهر فشل في جميع المجالات لأن شيوخه وقادته فضلوا الحل الإسلامي، أي مسك العصا من الوسط (مثل وسطيتهم المزعومة) ووضعوا قدماً على المركب والقدم الأخرى على الطوف. ما هي الفائدة للإسلام أو للأزهر من تدريس الطب والهندسة؟

هل تخريج طبيب أزهري يعمل في أفريقيا سوف يكسب مسلمين جدداً أكثر مما يمكن أن يكسبهم شيخ معمم لم يدرس الطب؟ أم أن هناك طب إسلامي نحن لا نعلم به ويُدرّس فقط في جامعة الأزهر؟

ولم يقل لنا شيخ الأزهر لماذا كان الطلاب في الستينات يستوعبون منهاج وزارة التربية والتعليم مع مناهج الأزهر، ولكنهم الآن ضعفوا ذهنياً ولم يعد بمقدورهم الجمع بين المنهجين. ألا يرجع ذلك إلى ضعف الأساتذة الذين يدرسونهم؟ أولئك الأساتذة الذين لا يعرفون من العلوم الطبيعية إلا حساب رواتبهم وبدلات السكن والمعيشة؟ ولماذا لم يمتنع شيوخ الأزهر في عام 1961 عن تدريس المنهجين، ويصمدوا في وجه الحكومة ليستمروا في تدريس مناهج الأزهر فقط؟ ولماذا لم يغربلوا مناهج الأزهر مع مناهج وزارة التعليم ويأتوا بمناهج حديثة يمكن أن يفهما الطلاب؟ ألم تكن تلك فرصة لهم لتحديث مناهج الأزهر العتيقة التي تعتمد على كتب صفراء كُتب بعضها قبل أربعمائة سنة؟ أم أنها طاعة أولي الأمر حتى إن سرق مالك وجلد ظهرك، التي يوصي بها الإسلام؟
والآن يحاول شيخ الأزهر إصلاح الضرر بإنشاء *شعبة للعلوم الأزهرية* يدخلها مَن حفظ القرآن ودرس قواعد اللغة العربية. وهنا يعترف شيخ الأزهر أن العلوم الأزهرية التي من أجلها وُجد الأزهر هي العلوم الدينية، ولذلك سوف ينشيء شعبة للعلوم الأزهرية. ولكن نسبة لعزوف الطلاب عن مثل هذا النوع من الدراسات يحاول الأزهر الآن أن يغريهم بحزمة من الحوافز تشجع الطلاب علي الدخول إلي هذه الشعبة أهمها أن يتكفل الأزهر بكل مصاريف الدراسة والإقامة. ويأمل شيخ الأزهر أن تخرج هذه الشعبة الجديدة **علماء أقوياء في الدين**. *وهذا اعتراف منه أن "العلماء" الذين خرّجهم الأزهر منذ الستينات وحتى الآن لم يكونوا أقوياء في الدين.*

وهذا هو السبب الرئيسي في هزال الأزهر الذي أصبح علماؤه يفتون برضاع الكبير وبالتبرك بفضلات النبي، بدل أن يجتهدوا في تنقية الدين من خزعبلات أحاديث البخاري التي ينحصر أغلبها في حياة محمد الجنسية ومصه لسان عائشة وهو صائم ومباشرتها وهي حائض.

- سأل السيد مكرم شيخ الأزهر:

" هل أفهم من اجاباتك بافضيلة الإمام أن استعادة الأزهر لدوره ومكانته وقف علي تخريج علماء ودعاة أجلاء، وأن الأمر لا علاقة له بسيطرة ولي الأمر علي الأزهر أو تعيين شيخ الأزهر بدلا من انتخابه؟!"

وكان رد الشيخ:

"دعنا نكن صرحاء في الرد علي هذا السؤال، لأنه ما من مؤسسة دينية في العالم أجمع يمكن أن تكون خارج إطار دولتها، أو يطلب منها العمل ضد نظام الدولة، بما في ذلك الفاتيكان الذي برغم أنه دولة داخل الدولة إلا أنه جزء من النظام الغربي لا يخرج عن سياساته العليا، وعندما سألوني في قطر عن مدي تبعية الأزهر للحكومة آثرت أن يكون ردي مختصرا وقلت لهم: هل يستطيع الشيخ القرضاوي أن ينطق حرفا ضد نظام سمو أمير قطر، وما أستطيع أن أؤكده لك وأنا شيخ الأزهر أن مؤسسة الأزهر لاتحمل أجندة الحكومة علي عاتقها، لكن الأزهر لا ينبغي أن يكون ضد الحكومة لأنه جزء من الدولة وليس مطلوبا منه أن يبارك كل ما تقوم به الحكومة، وعندما جئت شيخا للأزهر وافق الرئيس مبارك علي استقالتي من عضوية المكتب السياسي للحزب الوطني كي يتحرر الأزهر من أي قيد، ولا أظن أن هناك دولة إسلامية تتمتع فيها المؤسسة الدينية بما يتمتع به الأزهر من مكانة وكرامة وتحرر، وبالمناسبة أنا لست ضد انتخاب شيخ الأزهر من هيئة علمائه، لكنني أخشي الشللية والمجاملة التي أفسدت انتخابات عمداء الكليات!!"

وطبعاً ليس هناك مَن يطلب من الأزهر أن يعمل ضد الدولة، ولكنا نتوقع من شيخ الأزهر ومن قادته أن يكونوا مستقلين عن الحكومة مثلهم مثل أي جامعة غربية لها حريتها في اختيار مناهجها وسيلة اختيار اساتذتها وطلابها دون أي تدخل من الدولة. فالفاتيكان لا يسمح للحكومة الإيطالية بالتدخل في قراراته، كما لا تسمح الكنيسة الإنجيلية للحكومة الإنگليزية بالتدخل في قراراتها. ولكن عندما يكون رئيس جامعة الأزهر عضوا في الحزب الحاكم، وعضواً فاعلاً في مشيخة الأزهر، ثم يختاره مبارك شيخاً للأزهر، يصبح استقلال الأزهر أثراً بعد عين. وكون الشيخ القرضاوي (وهو خريج الأزهر) لا يجرؤ على نقد القيادة القطرية ليس عذراً لشيخ الأزهر أن يكون إمّعةً للحكومة المصرية. القرضاوي يمثل نفسه وجماعة الإخوان المسلمين ويبحث عن مصالحه الشخصية، بينما شيخ الأزهر يمثل أهم مؤسسة دينية في العالم الإسلامي السني، وشتان بين الوضعين.
أين إباء السلف من أمثال سعيد بن المسيب عندما رفض القيام من مجلسه في المسجد النبوي للسلام على الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين، فجاء إليه الوليد ليسلم عليه والشيخ جالسٌ لم يقم من مجلسه؟ [9]
ويخبرنا شيخ الأزهر:

[9] تاريخ الطبري، ج4، ص 9.

أنه ليس ضد انتخاب شيخ الأزهر من أعضائه لكنه يخشى الشللية.

أليست هذه طبيعة الديمقراطية وحرية الانتخاب أن يكون الناس شُللاً وراء من يعتقدون أنه المرشح الأفضل؟

- وعندما قال السيد مكرم محمد أحمد للشيخ:

"شيخنا الجليل: مع الأسف تحول الدين في نظر البعض إلي مظاهر وطقوس شكلية، تقصير الجلباب وتطويل اللحي والاهتمام بصغائر الأمور وتسييس الدين والمباهاة بالتشدد؟!"،

كان رد شيخ الأزهر:

"أعود فأقول إنه في غيبة دور الأزهر نشط السلفيون ونشطت بعض المذاهب الوافدة، وحاولت الوهابية أن تملأ الفراغ وانتشر فقه البادية، علي حساب فقه الوسط، ووجدنا عشرات الكتب التي كان يطبعها الأزهر لترويج فكر الوسطية خاصة كتب الأشعري وتفسير الجلالين وقد أعيد طباعتها خلسة في الخارج، وأضيف إلي حاشيتها تفسيرات وإضافات لم تكن موجودة في النسخ التي طبعها الأزهر لترويج أفكار متشددة رفضها الأزهر علي طول تاريخه، ومع الأسف فإن قلة امكانات الأزهر قيدت قدرته علي تحجيم هذه الأفكار في ظل انتشار موضة الفضائيات التي مع الأسف يروج بعضها للتطرف ويروج بعضها للخرافة." انتهى.

ولماذا غاب دور الأزهر في مصر؟ قد نفهم تقلص دور الأزهر في أفريقيا مثلاً لقلة الإمكانات، مع أن الأزهر يبعث بعشرات الشيوخ إلى الفيلبين وماليزيا وغيرها لنشر الفكر الأزهري. فهل تقلص عدد الشيوخ في مصر مما جعل دور الأزهر يغيب، أم ركب شيوخ الأزهر **قطار البترودولارات الوهابية** مع غيرهم وأصبحوا يزمرون مع المزمرين؟ التلفزيون الرسمي والصحافة الرسمية في مصر مفتوحة لشيوخ الأزهر ولكنا لم نسمع منهم غير **الفتاوى المضحكة وتحليل الاستثمار في المؤسسات المالية الإسلامية** التي عينت الشيوخ مراجع دينية لها، ثم اختلست أموال المستثمرين وأعلنت إفلاسها.

وهل تحدث علماء الأزهر في الصحف أو التلفزيون الحكومي عن تغلغل الوهابية البدوية في الحياة المصرية؟ *بل بالعكس باركوا انتشار الزبيبة وتقصير الجلاليب وتحجيب النساء وارتداء الخمار، حتى للممرضات*. وإذا كان شيخ الأزهر مقتنعاً بتغلغل الوهابية في مصر، أليس من واجبه التصريح بالحرب ضد هذا التغلغل الذي يناهض وسطية الأزهر المزعومة؟

- وعندما سأل السيد مكرم الدكتور أحمد الطيب:

"ألا تمثل قناة أزهري الأزهر؟!"

كان رده أغرب من الخيال عندما قال:

"هي تستخدم اسم الأزهر في غفلة منه، وقد اعترضنا على ذلك لكن الإمام الراحل د.سيد طنطاوي قال: دعوها تحمل هذا الاسم لكنها لا تمثل الأزهر!" انتهى.

قناة فضائية تستعمل اسم الأزهر ولا تمثل آراءه، بل تنشر التطرف الديني والخزعبلات، ويقول شيخ الأزهر السابق:

دعوها تحمل هذا الإسم لكنها لا تمثل الأزهر.

أي منطق هذا؟ لماذا لم يرفع الأزهر دعوى قضائية ضد القناة؟ هل نستطيع أن نلوم الحكومة إذا كان شيخ الأزهر يرى الخطأ ويتغاضى عنه إرضاءً لها؟ وإذا كان شيخ الأزهر الجديد غير راضي بما قاله شيخ الأزهر السابق، لماذا لم يتخذ هو خطوات لمنع هذه القناة من استعمال اسم الأزهر؟ **إنه لعذر أقبح من الذنب**.

ولماذا يقول الأزهر إن تلك القناة لا تمثل رأيه؟ يقول الدكتور أحمد الطيب:

"المسئول عنها ليس عالما أزهريا والقناة قائمة بأموال غير مصرية وهناك شكوى حول مصالح خارجية لا تدعو إلي الاطمئنان ومن هنا رفض مجمع البحوث الإسلامية أن تمثل هذه القناة الأزهر." انتهى.

بمعنى آخر **فإن القناة ممولة من الوهابية بالبترودولارات السعودية**، ويتهافت الشيوخ الأزهريون على تقديم البرامج بها من أجل أكل العيش، رغم الشكوى من وجود أجندة خارجية بالقناة، أي نشر الوهابية بمصر. وفعلاً قد انتشرت الوهابية الصحراوية بمصر ورجال الأزهر لا يحركون ساكناً وقد تقلص دوره في مصر كما صرح بذلك شيخ الأزهر نفسه. فما هي الأجندة التي يحملها شيخ الأزهر الجديد لإصلاح العطب الذي أصاب مؤسسة الأزهر؟

- قال السائل لشيخ الأزهر:

"هناك من الدعاة من يتحدثون عن آية السيف في القرآن الكريم التي تدعو إلي قتال الكفار حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله؟!".

فرد شيخ الأزهر:

"آية السيف نزلت في أمر الخارجين علي الدين الذين قاتلوا المسلمين وأخرجوهم من ديارهم وأوقعوا بالمسلمين ظلما شديدا، وهذا ما يؤكده سياق الآية في إطار ما سبقها وما لحقها من آيات والفكر القرآني الصحيح ينص علي أنه لا إكراه في الدين، وعندما خاطب الله الرسول الكريم قائلا: أفأنت تكره الناس حتي يكونوا مؤمنين سورة يونس آية99 كان القصد من الاستفهام في أول الآية إنكار أن يكره الرسول الكريم الناس علي الإيمان." انتهى.

شيخ الأزهر وأمثاله من الشيوخ لا يفترون عن ترديد المحفوظ من الكلام. مَن هم الذين قاتلوا المسلمين وأخرجوهم من ديارهم؟ *لم تذكر لنا كتب التاريخ أي قتال بين القلة الذين اتبعوا محمد بمكة وبين بقية المكيين*. ربما ضايقوهم مما اضطر محمد إلى نصح أتباعه بالهجرة إلى الحبشة وهاجر هو إلى المدينة دون أي قتال. ثم لما جاء أهل مكة لقتاله بالمدينة في السنة الخامسة بعد الهجرة، نزلت فيهم سورة الأحزاب التي كانت رابع سورة تنزل بالمدينة وترتيب نزولها هو 90. وآية السيف جاءت في سورة التوبة وهي السورة رقم 113 حسب ترتيب النزول، أي جاءت بعد فتح مكة وبعد أن صالح محمد أقاربه القرشيين وعفا عنهم وقال لهم: [**اذهبوا فأنتم الطلقاء**].

فإذا كانت آية السيف نزلت في أمر الخارجين على الدين والذين حاربوا الرسول في مكة، لماذا احتفظ الله بها في اللوح المحفوظ إلى ما بعد فتح مكة والصلح الذي جرى بينهم وبين المسلمين؟ هل أراد الله أن ينكأ الجراح بعد أن التأمت؟

وما دام دين الإسلام يقول **لا إكراه في الدين**، هل يمكن أن يشرح لنا شيخ الأزهر الموقر هذه الفتوى التى صدرت عن فضيلة الشيخ عبد اللطيف حمزة، مفتي الديار المصرية، وخريج الأزهر، في عام 1983، عندما سأله مدير الإدارة العامة بوزارة الداخلية:

"أحد المسيحيين قد رغب فى الزواج من مسلمة فأشهر اسلامه وتزوج منها وكان متزوجا من قبل بمسيحية وأنجب منها ولدين على الديانة المسيحية وأنه لدى بلوغهما سن السادسة عشر استخرجت بطاقة شخصية لكل منهما أثبت بخانة الديانة أنهما مسلمان طبقا لديانة والدهما الظاهرة وبعد بلوغهما السابعة والثلاثين والخامسة والثلاثين أبديا أنهما ظلا على عقيدتهما الأولى المسيحية ويرغبان تغيير بيانات بطاقتهما الشخصية باثبات الديانة المسيحية الباقيين عليها" انتهى.

فكان رد الشيخ المفتي:

"وما أبداه الولدان من رغبة فى تغيير بطاقتهما وإثبات الديانة المسيحية فيها يكونان به مرتدين عن دين الإسلام والحكم الشرعى يقضى بقتل المسلم الذى بدل دينه إذا أصر على ردته ولم يتب ولم يرجع إلى الإسلام متبرئا مما فعل وهذا الحكم لا يتنافى مع الحرية الشخصية لأن حرية العقيدة لا تستتبع الخروج عن الإسلام بمؤشرات المادة أو التضليل وإذا كان فى واقع الحال أن حد الردة بقتل المرتد إذا أصر على ردته غير منفذ الآن فإن حماية المجتمع تقتضى انزال العقوبات الرادعة بهما باعتبارهما مخالفين للنظام العام الذى تأمر القوانين بالتزامه" انتهى.

أطفال تربوا مع أمهم المسيحية بعد أن تركها أبوهم الذي أسلم ليتزوج بامرأة أخرى، وعندما بلغا سن السادسة عشرة استخرج لهما أبوهما بطاقة الأحوال الشخصية وسجلت الوزارة أنهما مسلمان لأن الأب مسلم، **يبدو بدون أن يستشيرهم أحد**. وفي سن الخامسة والثلاثين قالا إنهما ظلا طوال الوقت مسيحيين ولم يسلما، لماذا يُحكم عليهما بالردة والقتل؟ والشيخ يقول لا إكراه في الدين؟ وحتى لو أسلما وهما في الطفولة **ولا تكليف عليهما**، والآن يريدان الخروج من الإسلام، لما يكرهان على البقاء مسلمين؟ وماذا عن كل المسلمين الذين أسلمهم أباءهم وهم أطفال، والآن بعد أن كبروا قرروا الخروج من الإسلام، لماذا يحكم عليهم بالردة وهم لم يختاروا اعتناق الإسلام عن فهم ودراية؟

- سأل السيد مكرم الدكتور أحمد الطيب:

"فضيلة الإمام الأكبر لماذا يتخلف المسلمون؟! ولماذا تنتشر بينهم الخرافات برغم أن الإسلام يعتبر التفكير واستخدام العقل فريضة واجبة؟"

ورد شيخ الأزهر بالرد المتعارف عليه بين الشيوخ لكل أنواع الأسئلة، مثل: لماذا يصيب التسونامي أراضي المسلمين، مثلاً؟ والرد دائماً هو "**أنهم عصوا الله**"، فكان رد شيخ الأزهر على السؤال: لماذا يتخلف المسلمون:

> "لأن المسلمين تجاهلوا الدين الصحيح، لأن الإسلام في ينابيعه الأولي يحض علي التفكير والعلم ويضع فروقا واضحة بين المسلمات الغيبية وبين الخرافات، وفي ظل الإسلام الصحيح قامت الحضارة الإسلامية التي أنجزت الكثير في العلم والطب والفلك والهندسة لأن الإسلام لم يضع قيدا علي استخدام العقل، وحذر من الفرقة التي تسبب الضعف، وهذا عكس ما حدث في الغرب الذي لم يحقق تقدمه إلا بعد أن أقصي دور الدين لصالح العقل، لأن الكنيسة كانت سلطة استبداد وجهل تنكرت للعقل كما تنكرت للعلم!!" انتهى.

الإسلام يأمر باستعمال العقل وفي نفس الوقت يأمر بالإيمان بالجن والملائكة التي تقود السحاب، والسحاب الذي يزمجر تسبيحاً لله عندما يضربه الملك بالعصا، ويؤمن بالبراق النبوي الذي تفوق سرعته سرعة الضوء، ويؤمن بالشمس التي تسجد عند العرش وتطلب الإذن بالشروق في اليوم التالي ثم تغيب في عين حمئة، ويؤمن بذي القرنين الذي بلغ مشرق الشمس وبنى سداً من النحاس والحديد لم يكتشفه الجيولوجيون حتى الآن. ويؤمن بأن نملة قد تحدثت اللغة العبرية وسمعها النبي سليمان وتبسم ضاحكاً من قولها. سبب تأخر المسلمين، كما يقول الشيخ، في القرن الحادي والعشرين **هو أن المسلمين تجاهلوا صحيح الدين مع أن جلاليبهم قد قصرت، ولحاهم زادت طولاً ومسابحهم كبرت حباتها، وسيماهم على جباههم زادت سواداً حتى وإن كان بعضها ناتجاً من الباذنجان الأسود المحمى في الفرن، ونساؤهم تحجبن ولبسن الخمار والقفازات. وقاطعوا البنوك الربوية واستثمروا في المؤسسات الإسلامية. ومع ذلك هم قد تجاهلوا صحيح الدين.**

> **واين هو صحيح الدين هذا؟ هل هو في مصر أم في مدارس قُم أم في النجف أم في باكستان أم أفغانستان مع الملا عمر والشيخ أسامة بن لادن؟ الرجاء أن تحددوا للمسلمين صحيح الدين حتى يتبعوه فلا يعاقبهم الله بالزلازل والتخلف عن بقية العالم.**

الأزهر يحتاج رجلاً شجاعاً مثل سعيد بن المسيب، لا ينحني للحاكم، ينفض الغبار عن كتبهم الصفراء وينقح **صحيح البخاري الذي أضحى أقدس من القرآن** ونُسخت بسببه آيات صريحة من القرآن. الأزهر يحتاج رئيساً لا سياسياً عضواً بالحزب الحاكم. ولكن أين نجد مثل هذا الرجل الذي لا تأخذه في الله لومة لائم؟

نص المقابلة الكامل في إيلاف، جريدة الجرائد، بتاريخ 10 يوليو 2010:
www.elaph.com/Web/Webform/SearchArticle.aspx?ArticleId=577984&sectionarchive=NewsPapers

عودة إلى الفهرس

2010 / 7 / 28

221 - الدكتور سيد القمني وتخلف المسلمين

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=224003

الدكتور القمني، بدون أي شك، مفكر كبير وكاتب متمكن من مادته التي يكتب عنها، وأنا أتابع أغلب ما يكتب وأتفق معه في معظمه. ولكن كما يقول المثل العربي: ‹لكل جواد كبوة ولكل سيف نبوة›، فقد نبا الدكتور القمني في مقاله الموسوم: ‹هل الإسلام هو سر تخلف المسلمين؟› المنشور في موقع الحوار المتمدن بتاريخ 2010/7/27.

حاول الدكتور القمني أن يلقي باللوم في تخلف المسلمين، الذي لا يشك فيه أي ذي بصيرة، على شيوخ الدين الإسلامي، ويعفي الإسلام من هذا التخلف. وهو في هذا المقال بات كمن يلوم المرأة التي تُغتصب على جريمة الاغتصاب لأنها لم تغطِ جسدها بالعباءة، بدل أن يلوم الرجل الذي اغتصبها.

فشيوخ الإسلام لم يأتوا بأقوال مقتبسة من البوذية أو الماركسية، **وإنما نطقوا بما أتى به القرآن وكُتب الأحاديث**. فالإسلام هو الذي اغتصب تلك العقول البريئة، سواء أكانت عقول العامة أو عقول الشيوخ، رغم أنها عقول محجبة ولم تعرف السفور الفكري منذ مجيء الإسلام.

- شيوخ الإسلام قد بالغوا في عدائهم للعقل وكفروا كل مَن تحدث بغير ما يتحدثون به، فلامهم الدكتور القمني على ذلك بقوله:

"لا مخرج لمشايخنا من هذا الفخ التاريخي إلا الاعتراف للناس بصدق الإيمان، وسحبهم كل تكفيراتهم وتأثيمهم للمسلمين البسطاء الذين لم يتربحوا بهذا الإسلام لا اليوم ولا أمس، ولم يقبضوا الهبات والأموال والصدقات والزكاة والرضي السلطاني ليحافظوا عليه. حافظوا عليه فقط لأنه دينهم وجزء عظيم من ثقافتهم وهويتهم، حافظوا عليه وهم يأكلون الفقر والفقر يأكلهم، ولأنهم ببساطة يحبون دينهم ويرفضون التخلي عنه." انتهى.

✍ هؤلاء المسلمون البسطاء الذي يمثلون أكثر من تسعين بالمئة من تعداد المسلمين، هم الطبقات الكادحة من الفلاحين والعمال والحرفيين والنساء اللاتي لا عمل لهن غير إنتاج وتربية الأطفال. وهم في الغالبية **أميون** لا يفهمون لغة خطباء المساجد، إن سمح لهم كسب قوتهم بارتياد المساجد. ولكن مع ذلك "حافظوا عليه فقط لأنه دينهم وجزء عظيم من ثقافتهم وهويتهم، حافظوا عليه وهم يأكلون الفقر والفقر يأكلهم، ولأنهم ببساطة يحبون دينهم ويرفضون التخلي عنه" كما يقول الدكتور القمني. فما الذي جعل هؤلاء البؤساء يحبون دينهم ويرفضون التخلي عنه؟ السبب الرئيسي في ذلك هو **الثقافة الإسلامية** التي شربوها مع لبن أمهاتهم وهم أطفال. هم تربوا على أن الدين الإسلامي هو **الدين الوحيد الصحيح** وما غيره محرّف وأتباعه ضالون. تعلموا ذلك في بيوتهم قبل أن يرتادوا المساجد أو كتاتيب تحفيظ القرآن.

فالثقافة الإسلامية التي استقاها آباؤهم بالوراثة هي المسؤولة عن هذا التخلف، وهي التي جعلتهم يعتبرون الإسلام هويتهم الوحيدة. وقد استقوا هذه الثقافة من تعاليم وأفعال محمد وتناقلوها شفهياً على مر العصور، فأصبحت طبيعة ثانية لهم كالفطرة، لا تحتاج إلى شيوخ الإسلام لزرعها فيهم.

- يسأل الدكتور القمني:

"فهل يبدو من ذلك أن الإسلام هو الذي أدى إلى تخلف الأمة؟ إن السؤال هنا يُغفل تقدم الأمة الإسلامية خلال القرون الأربعة الأول. إذن الإسلام ليس سبب التخلف!!" انتهى.

✍ من الغريب أن يصدر مثل هذا الاستنتاج من رجل بمكانة الدكتور القمني، لأن الاستنتاج **مبني على فرضية غير صحيحة**. فهل فعلاً تقدمت الأمة الإسلامية خلال القرون الأربعة الأولى من تاريخ الإسلام؟

- القرن الأول من تاريخ الإسلام ومنذ هجرة محمد إلى المدينة، انقضى معظمه
  - ☜ في غزوات محمد الشهيرة،
  - ☜ وفي الحروب الاستعمارية التي شنها عمر بن الخطاب على مصر والعراق وفارس،
  - ☜ ثم القتال على السلطة بين معاوية وعلي بن أبي طالب،
  - ☜ ثم القتال بين الخوارج وعلي بن أبي طالب.
  - ☜ وتبع ذلك قتال معاوية وابنه يزيد وبقية خلفاء دولة بني أمية مع أهل مكة والمدينة ومع الحسين بن علي،
  - ☜ ثم في إخماد الثورات العديدة على بني أمية والتي كان الحجاج بن يوسف فيها *سيف معاوية المسلول*، كما كان خالد بن الوليد سيف الإسلام الذي رفض أبو بكر الصديق أن يرده إلى غمده رغم الجرائم العديدة التي ارتكبها.
- ثم جاءت الدولة العباسية في القرن الثاني واستمرت ستة قرون
  - ☜ لم تشهد شيئاً من التقدم غير *بيت الحكمة* الذي ترجم التراث الإغريقي والروماني إلى العربية، **وكان الفضل في ذلك راجعاً إلى المترجمين النصارى** من أمثال حُنين بن إسحق الذي كان كبير المترجمين للمأمون.
  - ☜ ثم جاء الخليفة المتوكل وشن حرباً ضروساً على **المعتزلة** الذين كانوا قد استفادوا من ترجمة التراث الإغريقي وحاولوا النهوض بالفكر الإسلامي،

فقتل المتوكل أعداداً كبيرة من أصحاب الفكر الحر وأجبر الشيوخ والفقهاء على *تبني فكرة أن القرآن أزلي وليس مخلوقاً*.

  - ☜ وبقية خلفاء الدولة العباسية شغلوا أنفسهم بجباية الضرائب التي صرفوها على القصور واللهو والمجون.
  - ☜ القلائل من المفكرين المسلمين الذين استفادوا من ترجمة التراث الإغريقي كانوا فارسيين أصحاب حضارة عريقة وعلم، أُجبروا على الإسلام. *فنبوغهم في الفلسفة والمنطق لم يكن لأنهم أسلموا وإنما لأنهم كانوا أهل علم واستغلوا فرصة ترجمة التراث الإغريقي إلى العربية، فزادوا في علومهم وطوروها*. وكان هناك أفرادٌ يُعدون على أصابع اليدين من العرب. وحتى هذه القلة من المفكرين حاربهم فقهاء الإسلام من أمثال حجة الإسلام الغزالي وكفروهم وحرقوا كتبهم.
  - ☜ وبما أن الدولة العباسية كانت قد غصت بالعبيد والموالي، شغلت ثورات الزنج والبرامكة والموالي أغلب سنوات الدولة.
  - ☜ ولم يُثبت لنا التاريخ أي تقدم حضاري سوى الفن المعماري الذي اقتضته حاجة الخلفاء إلى بناء قصور فخمة تحتوي الغلمان والجواري والزوجات. وحتى الفن المعماري كان مصمموه من فارس وبيزنطة وبقية البلاد ذات الحضارات السامقة التي احتلها المسلمون.

- والجدير بالذكر أن القرنين الثاني والثالث بعد الهجرة شهدا ظهور فقهاء المذاهب الأربعة السنية (مالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل)، الذين شتتوا المسلمين إلى مذاهب متناحرة عقائدياً، *مع ظهور البخاري الذي ملأ الإسلام بكل أنواع الخزعبلات*.
- فالتقدم الوحيد في العلوم في تلك الفترة من تاريخ الإسلام انحصر في سرقة الصفر من الهند والزعم بأنه اختراع إسلامي، ثم بداية علم الجبر وعلم النبات وبعض البصريات، وفي نفس الوقت، والشكر للبخاري، أصبح العلاج ببول البعير والحبة السوداء المقومات الرئيسية لعلاج الأمراض في كل أجزاء الإمبراطورية الإسلامية.

فهل كان هناك فعلاً تقدم في القرون الأربعة الأولى من تاريخ الإسلام؟

- يقول الدكتور القمني:

"لكن إذا كان ذلك كذلك وأنه دين تحضر فلماذا نحن اليوم متخلفون؟ يبدو أن هناك أختلاطا ما في المسألة يؤدي إلى التباسها، هو أن الدين في حد ذاته كدين ليس طرفا في الموضوع، إنما هو خارج اللعبة وبرئ من التخلف كما هو برئ من التقدم. وأن الإسلام كدين في حد ذاته لم يكن عنصرا في إنجازات الرازي والفارابي وابن الهيثم، وليس عنصرا في اختفاء العلماء من بلادنا منذ هذه الكوكبة اليتيمة التي نستدعيها نندب عليها حضارتنا الموؤدة دفاعا عن الإسلام والإسلام منها برئ. فبالإسلام نفسه تقدمت دول أخرى في شرقي آسيا أطلقوا عليها لفورتها القاطرة نحو قطار الحضارة باسم النمور الآسيوية... وبالإسلام نفسه تعيش بقية دول المسلمين في مؤخرة الأمم. إن المشكلة ليست في الدين ولا في أي دين. لكنها في كيفية استثمار هذا الدين، فهناك من استثمره في التقدم، ومنه من يستثمره في التخلف." انتهى.

✍ طرح الدكتور القمني هنا عدة نقاط أجد نفسي عاجزاً عن قبولها.

1. يقول اولاً:

"إذا كان الإسلام دين تحضر، فلماذا نحن متخلفون؟"

وقد وجدت صعوبةً جمة في فهم أن يكون الإسلام دين تحضر. لكي نفهم ذلك علينا أن نُعرّف كلمة "حضارة". يقول قاموس أميركان هيرتدج American Heritage Dictionary الحضارة هي:

"An advanced state of intellectual, cultural, and material development in human society, marked by progress in the arts and sciences, the extensive use of record-keeping, including writing, and the appearance of complex political and social institutions."

"الحضارة حالة متقدمة من التطور العقلي، والثقافي، والمادي في مجموعة بشرية، من علاماتها التقدم في مجالات الفن والعلوم، وانتشار التدوين، بما فيه الكتابة، وظهور أنظمة سيلسية واجتماعية متقدمة." انتهى.

ويقول سارتر في بيانه التاريخي في مؤتمر السلام ونزع السلاح عام 1962:

"الثقافة هي وعي الإنسان الدائم التطور بنفسه وبالعالم الذي يعيش ويعمل ويكافح فيه. وإذا كان هذا الوعي صحيحاً وإذا لم يزوّر تزويراً متعمداً منظماً، فإننا سنترك بالرغم من أخطائنا وجهالاتنا تراثاً سليماً للاحقين، وأما إذا أخضعنا عملنا لنزعات العدوان فإننا سنجعل أطفالنا الذين يستهلكون هذه الحقائق المسمومة فاشيين أو يائسين، ألا فلنحذر هذا الخطر المهدد."[1]

فهل كان للإسلام حضارة، حتى في القرون الأربعة الأوائل التي ذكرها دكتور القمني؟

- بالطبع لم تكن هناك أي حضارة أو تطور عقلي لأن الذين استفادوا من ترجمة التراث الإغريقي كانوا أقلية، وقد تأكد فقهاء الإسلام وأولي الأمر من تكفيرهم وحرق كتبهم، **وظل العامة من المسلمين في أميتهم**. *حتى بعض الفقهاء كانوا أميين أو لا يحسنون الكتابة، مثل الإمام مالك الذي كان يعتمد على الإلقاء الشفهي في دروسه، وجمع طلبته، بما فيهم محمد القاسم كتاب المدونة للإمام مالك.*

فالقرآن لم يوص بتعلم القراءة والكتابة، ومحمد والخلفاء الراشدون لم ينشئوا مدرسة واحدة تعلم الناس القراءة والكتابة. وكذلك الحال في الدولة الأموية. واستمر أغلب المسلمين أميين كرسولهم، حتى يومنا هذا.

- أما مجالات الفن والعلوم فقد حرّم الإسلام الفنون من غناء ورسم ونحت، وبقية العلوم فقد حصرها الإسلام في العلوم الدينية فقط، **وكان محمد يتعوذ من شر علم لا ينفع.**
- أما الأنظمة السياسية المتقدمة فلم يكن لها وجود في الإسلام منذ أن قال القرآن: {**أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم**}، وظل نظام الحكم وراثياً منذ بداية الدولة الأموية إلى نهاية الخلافة العثمانية في عام 1924. *وما زال العالم الإسلامي كله يُحكم بالوراثة أو بالبندقية العسكرية.*

فحسب تعريف الحضارة لم تكن هناك أي حضارة إسلامية.

فهل نلوم شيوخ الإسلام على ذلك أم نلوم التعاليم الإسلامية نفسها التي

- لم يحض القرآن فيها على تعلم القراءة والكتابة.
- وحرم القرآن الفائدة على الديون وبذلك قضى على نظام الشركات المتقدم الذي كان تجار مكة قد برعوا فيه وأقاموا عدة أنواع من الشركات تعمل بنظام المرابحة والبيع المؤجل، وبرعوا كذلك في تحديد المقاييس والأوزان التي ما زال بعضها مستعملاً في عالم اليوم. ألغى الإسلام كل هذه الشركات وأتى محمد بديلاً عنه بوزن الصاع، وأصبحت الزكاة تقاس بصاع أو صاعين من الشعير بدل الوزن.
- وفرض الإسلام على الرعاة والمزارعين والتجار ضرائب العُشر وغيرها مما أدى إلى إفقار العامة وإغناء الخلفاء والوزراء.

فهل يمكن أن نلوم شيوخ الإسلام على هذه التشريعات القرآنية والسنة المحمدية؟

2. أما قول الدكتور:

"فبالإسلام نفسه تقدمت دول أخرى في شرقي آسيا أطلقوا عليها لفورتها القاطرة نحو قطار الحضارة باسم النمور الآسيوية."

قول لا يمكن أن نقبله. فالنمور الأسيوية هي: هونج كونج، وسنغافورة، وكوريا الجنوبية، وماليزيا، وبعضهم يضيف تايوان للقائمة. فالأولى والثانية دول علمانية يدين أغلب سكانها بالبوذية، وكوريا الجنوبية أغلبها كاثوليك وهي دولة علمانية، وماليزيا التي يكوّن المسلمون فيها حوالي 60 بالمائة، يحكمها قانون علماني ويغلب على سكانها المسلمين الفقر والجهل، وجُل رأس مالها في أيدي الأقلية الصينية الذين يكوّنون حوالي ثلاثين بالمئة. **فتقدم ماليزيا لم يأت بسبب الإسلام، بل رغماً عنه.**

3. أما قوله الآخر:

[1] علي شبيب ورد: العنف والسلام في الخطاب الثقافي-إيلاف 27 أبريل 2005.

"إن المشكلة ليست في الدين ولا في أي دين. لكنها في كيفية استثمار هذا الدين، فهناك من استثمره في التقدم، ومنه من يستثمره في التخلف."

قول نختلف معه فيه. كل الأديان منذ نشأتها *شجعت على تقوية نفوذ رجالات الدين لأنهم الحافظون لكلمات الإله*. فالأديان لا تنطق بتعاليمها إنما ينطق بها **ممثلو الإله** على الأرض، وكلٌ بحسب تأويله للنص. وبما أن النصوص في كل الأديان قابلة للتأويل فقد تَعَود رجالات الدين على تأويلها لصالحهم وصالح الحكام، مقابل رشاوى السلاطين لهم، ولا لوم عليهم في ذلك **لأنها الطريقة الوحيدة التي يكسبون بها قوتهم**. فالمشكلة في الأديان التي أتت بنصوص مائعة وقابلة لعدة تأويلات. وقد أوّل رجالات الكنيسة الكاثوليكية النصوص بما يبيح لهم السيطرة على العامة وحتى على الملوك، وقتلوا العلماء الحقيقيين اعتماداً على هذه النصوص، وبذلك أخروا تطور العلم والبشرية. وجاراهم فقهاء الإسلام في نفس الأسلوب. فالأديان تؤخر البشرية، وليس لدينا حتى مثالاً واحداً لدين أدى إلى تقدم البشر ثقافياً أو مادياً أو حتى أخلاقياً لأن رجالات الأديان يعظون بالتقوى ويأتون بما يندى له الجبين من الأفعال، وكل ذلك اعتماداً على تأويل النصوص.

- وقد أدان الدكتور القمني الدين الإسلامي بنفسه عندما قال:

"فإن منظومة الخلافة الإسلامية المسربلة بالدين وحلف رجاله المحترفين كانت هي نموذج الدمج الكامل للسلطات دينية ودنيوية، باحتساب النبي الذي حاز كل السلطات بيديه في دولته الناشئة، نموذجا سنيا للحكم بحاكم مطلق السلطات والنفوذ وبرأي ديني واحد مطلق السيادة، غير مفرقين ما بين النبي كنبي أوحد خاتم النبيين، وبين ذواتهم كوارثين للنبوة والتي لا تورث." انتهى.

✍ فإذا كان نبي الإسلام نفسه قد كرّس كل السلطات في يديه، وأمر بالاغتيالات السياسية بدون أي خوف من محاسبة الآخرين له **لأنه هو ممثل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية**، كيف نلوم شيوخ الإسلام إذا فعلوا أو طالبوا بفعل ما فعله نبي الإسلام؟ ولماذا يكون نبي الإسلام مختلفاً عن كل الأنبياء قبله، فيسوع لم يملك السلطات الدنيوية في يديه، وكذلك لم يفعل موسى الذي جعل أمور الدنيا في يد الكهنة من قبيلة لاوي.

وإذا كان الإسلام القصد منه تقدم المسلمين سياسياً ومادياً، لماذا لم يُشرّع محمد لنظام الحكم بعده، ويعلمهم كيف يتبادلون السلطة، قبل أن يموت؟ أم أن الموت فاجأه وهو ما زال في انتظار الصبي الوريث؟

- ثم يقول الدكتور القمني:

"وفي الوقت الذي تفتح الدنيا أبوابها للنقد لأنه باب المستقبل ونافذة النور لإصلاح الشأن باستمرار نحو الأفضل بجميع ألوان النقد لذلك هي تتقدم ، فإن المسألة عندنا تقوم على مبدأ الستر وتجميل التاريخ الإسلامي ، والذب عنه ، وإحدى وسائل هذا الذب هو عدم كشف عواره ، وإن أي نقد سوف يصب في خانة العداء للإسلام." انتهى.

✍ صحيح أن شيوخ الإسلام لا يتقبلون النقد، ولكنهم بذلك يتبعون خطى رسول الإسلام الذي يقول لهم في القرآن:

{وما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا. (غافر 40)}

والجدال هو النقاش وتبيان الخطأ، أي النقد.

وكذلك:

{إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير. (غافر 56)}.

وكذلك:

{وقد نزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتهم آيات الله يُكفر بها ويُستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديثٍ غيره إنكم إذاً مثلهم. (النساء 140)}.

فالنقاش في آيات الله ممنوع منعاً باتاً.

«وعندما قال محمد لأصحابه في موقعة بدر:

[إذا رأيتم أحداً من بني هاشم فلا تقتلوه]

ورد عليه أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بقوله:

"*أنقتل آباءنا وأبناءنا ونترك العباس، والله لئن لقيته لألحمنه بالسيف*".

فلجأ محمد إلى عمر بن الخطاب الذي أراد أن يقتل حذيفه لنقده ما قال رسول الله.» [2]

فالنقد غير محتمل إطلاقاً، لا في القرآن ولافي أفعال وأقوال محمد.

فشيوخ الإسلام لديهم سند من القرآن والسنة لمنع النقد. ولذلك عندما انتقد صالح بن عبد القدوس، وعبد الكريم بن أبي العوجاء، وأبو عيسى الوراق، وبشار بن برد، وحماد عجرد، وأبان بن عبد الحميد اللاحقي، ومحمد بن عبد الله بن المقفع، وعبد المسيح الكندي، وأبو الحسن أحمد بن يحيي الراوندي (ت 298هجرية وألف كتاب "الدامغ" وكتاب "الزمرد" في نقد القرآن) الإسلام، كان مصيرهم القتل أو السجن وحرق الكتب.

- ويقول د. سيد القمني كذلك:

"وبينما تستفيد الشعوب من نكساتها وهزائمها في منافساتها الحضارية من أجل إصلاح الذات والتقدم على طريق المنافسة، فإننا نلجأ في هزائمنا لنقف صفوفا وراء مشايخنا لنعلن الحروب في المساجد ضد الأعداء بالدعاء والتزام الطقوس إثباتا للرب أننا صالحون، وأنه سينظر إلينا بشفقة وبسامحنا ويبرز للدنيا عجائبه فجأة ، فتزول أمريكا وإسرائيل وربما كل الشعوب المتحضرة لنبقى نحن أسيادا على المسكونة دون أن تحقق هذه الدعوات سوى مزيد من الخسائر والتخلف في الواقع." انتهى.

✍ فمن أين أتى شيوخ الإسلام بهذه الأدعية على اليهود والنصارى؟ ألم ترد في القرآن:

{وقال نوح ربِ لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا. إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا. (نوح 26، 27)}.

فكل شيء يقوله رجال الدين الإسلامي يأتي من الكتاب والسنة.

يؤسفني أن أختلف مع الدكتور سيد القمني في هذا المقال، وأرجو أن يتقبل اختلافي معه بروح النقد الذي لا يعلو عليه أحد أو نص.

عودة إلى الفهرس

[2] ملخص السيرة لابن كثير، ص 217.

222 - 223 - الدكتور سيد القمني وتأخر المسلمين: تعقيباً على القراء

2010 / 7 / 31

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=224301

أشكر كلَ من علق على المقال، سلباً أو إيجاباً، وقد صب أغلب التعليقات في مجرى *تبرير أسلوب السيد الدكتور سيد القمني* الذي تجبره ظروف إقامته في مصر على **اتخاذ التقية درعاً ضد سهام وحراب حراس المعبد القديم** الذين لن يتوانوا في قتله وربما سحله في شوارع القاهرة كما قتل الرهبان المتحمسون لمسيحيتهم الفيلسوفة هيباشيا في الإسكندرية عام 415 ميلادية، وقطعوا جسدها إرباً إرباً لأنها كانت تنتقد تعاليم الكنيسة. ولأن الدين أفيون يدمنه المعتنق، فكل شيء يخطر على بال الإنسان يمكن أن يقوم به المخدرون من دون أي وخز في الضمير لأنهم يفعلون ما يفعلون من أجل الإله الذي في السماء، والذي سوف يجزيهم الجنة أو ملكوت السماء جائزةً على حسن صنيعهم بقتل إنسان صنعه هو في صورته ونفخ فيه من روحه، وكان بإمكانه ألا يصنعه إطلاقاً ويوفر على المخدرين كل هذا العناء. ولكنه في حكمته الأبدية **أراد لهؤلاء المخدرين أن يستمتعوا في دنياهم بنشوة الذبح والسحل وشم رائحة الدماء،** كما استمتع هو برائحة الشواء الذي قدمه له نوح، بعد أن نجا من الطوفان.
لم يكن قصدي من المقال الهجوم على شخص السيد الدكتور القمني، فشخصه لا يجب أن يكون موضعاً للنقد، وكذلك لم أحاول أن أشكك في علمه أو في الظروف القاهرة التي يعيشها في قاهرة المعز، ولكني شعرت بعد قراءة موضوعه الأخير أن **التقية** ربما زادت عن المطلوب، وهو تفادي نقد الإسلام أو مؤسسه **كي لا تثور ثائرة المخدرين** من أمثال الشيخ يوسف البدري. ولكن عندما قال الدكتور:

> "فهل يبدو من ذلك أن الإسلام هو الذي أدى إلى تخلف الأمة؟ إن السؤال هنا يغفل تقدم الأمة الإسلامية خلال القرون الأربعة الأول. إذن الإسلام ليس سبب التخلف!"،

شعرت أن هذه النقطة بالذات تحتاج توضيحاً حتى لا يلتبس الأمر على بعض الذين يقرؤون المقال، فما كل قاريء يحسن قراءة ما بين السطور.

- كان أول المعلقين السيد شهدي علي صالح، وهو، في اعتقادي، نفس الشخص الذي كتب التعليق رقم 2 بإسم داليا محمد علي.

✍ ولا اعتقد أن التعليقين يحتاجان رداً مني لأنهما لم يحتويا على غير الشتم الذي يجيده المخدرون، وليس بمقدوري مجاراتهما.

- السيد طرفه بن العبد، صاحب التعليق رقم 9.

✍ أقدم له شكري على تصحيح الخطأ الذي الذي وقعت فيه عندما قلت إن عثمان بن عفان رفض أن يغمد سيف الله المسلول، والصحيح هو أن أبا بكر هو الذي رفض. أما تصحيحه الثاني بخصوص النمور الآسيوية وأنّ تايوان هي النمر الأحق من ماليزيا، فهو موضوع يعتمد على مَن نقرأ له من المحللين السياسيين والاقتصاديين، فبعضهم يقول تايوان وبعضهم يقول ماليزيا. وعلى كلٍ فهي نقطة جانبية لا تؤثر في القول أن النمور دول علمانية وليست إسلامية، كما جاء في المقال الأصلي.

- السيد سامر السامر أعطانا رابطين للقس جون شلبي.

✍ وله كل الشكر على ذلك إذ أن هذا القس فعلاً رجلٌ يؤمن بإنسانية الإنسان أكثر من إيمانه بيسوع. وما أجمل أن يكون هناك رجال دين بهذا المستوى من الإنسانية والفهم عندما يتحدثون عن الله والأديان. وأنا الآن أقرأ كتاب عنوانه God without Religion كتبته راهبة بوذية سابقة، وربما ألخصه للقراء في مقالٍ قادم.

- السيدة إقبال حسين صاحبة التعليق رقم 12، تقول:

> إن الشعوب يمكن أن تجعل الدين سبباً للتطور أو سبباً للتخلف.

✍ وكان سوف يسعدني كثيراً لو كانت قد قدمت لنا مثالاً من شعبٍ واحدٍ فقط جعل الدين أداةً للتقدم. الدين لا يمكن أن يكون أداةً للتقدم لأن أتباع كل دين يعتقدون أن دينهم هو الأصح وغيرهم يركض خلف السراب، وبالتالي هم يُقصُون الآخر المخالف. ولا يمكن أن يتقدم المجتمع وأفراده يُقصُون المخالف، وهي نفس الفكرة التي اعتمد عليها النازيون عندما جعلوا الجنس الآري فوق جميع البشر، والنازية كانت ديناً أرضياً لأتباعها، ولو أن هتلر أعلن نفسه نبياً لاتبعوه كما اتبع المورمون جوزيف سميث عندما زعم أنه نبّي مرسل. وديانة المورمون، رغم أنهم يسمون أنفسهم The Church of the Latter Saints فهم ليسوا قديسين. فدينهم يقول **إن الرجل الأسود هو الشيطان، ويبيح لهم زواج أي عدد من النساء شاؤوا**. وقد عرضت قناة ناشونال جيوجرافك National Geographic حديثاً حلقة عن أحد قساوسة المورمون متزوج من 24 امرأةً ولديه منهن 121 طفلاً. فأين التقدم في مثل هذا الدين الذي لا يختلف كثيراً عن الإسلام الذي يبيح ملك اليمين وتعدد الزوجات.

- السيد عبد الكريم الموسوي، تحت عنوان "ترفق بالقمني" يقول:

> "لكن أرجو أن تعلم أن المفكر القمني يعيش بين فكيّ الأرهاب ، الدولة والمشايخ .ومؤلفاته تشعّ مابين أسطرها بملاحظاتك ،أتمنى أن يدوم عطائكما وقبله صحتكما".

✍ وأنا إذ أشكر السيد الموسوي أؤكد له أنه لا خلاف بيني وبين دكتور القمني، كل ما حدث هو ملء السطور التي تركها الدكتور خالية، فملأتها نيابةً عنه.

- السيدة أليسا سردار، صاحبة التعليق 14، تقول:

> "انا كثير ما اقرأ ان الاسلام رائع ولكن المشكلة في المسلمين ولكن لا ازال ارى ان رأي الدكتورة وفاء سلطان هو الصحيح عندما قالت: المشكلة الحقيقية هي الاسلام نفسه وليس المسلمين وبالعكس المسلمين لا يزال الخير في قلوبهم والدليل انهم لا يطبقون احكام القصاص التي اتت في الدين الاسلامي مثل السارق تقطع يده".

✍ وبعد شكري للسيدة أليسا أود أن أخالفها الرأي وأقول إن المسلمين لم يتركوا قطع الأيدي من تلقاء أنفسهم وإنما أجبرتهم ظروف القرن الحادي والعشرين على التقليل منها أو قطع الأيدي في الخفاء. والدليل على ذلك ما نشاهده في السعودية عندما يقطعون عنق المدان يوم الجمعة ويصطف كل مَن كان في المسجد في حلقة حول المدان ويهتفون ويهللون عندما تقطع رأسه على الأرض. وفي

إيران قد شاهدت مقاطع فيديو لرجال يرجمون نساءً بجريمة الزنا، وتقاطيع وجوه الذين يرمون الحجارة تشهد بتلذذهم لذلك المنظر لأنهم يتقربون إلى إلههم برجم أولئك النساء.

المسلم البسيط مخدر إلى حد السكر بدينه ولا يتورع عن فعل أي شيء مذكور في القرآن أو السنة.

- السيد منجي بن علي، صاحب التعليق 16، يقول:

"إن الاديان يمكن تشبيهاها بالسكين تلك الاداة اليوميه العمليه المهمه فاذا ما قام فرد ما باستخدام السكين كاداة للقتل فهل نقوم بالاستغناء عنها لان شخص ما استخدمها للقتل وهل قرار القتل يملكه الانسان ام السكين؟ وهذا ينطبق تماما على كل الاديان او المعتقدات..والاسلام مند البد الى يومنا هذا قد اعتنقه ملايين الافراد والسؤال لماذا لم يتحول الجميع الى ارهابيين؟ اذا السلوك الاجرامى يكمن فى الانسان نفسه والذى يبحث عن مبرر ما لكى ينجوا بفعله ولا شك اذا لم يجد هذا الشخص المعتقد المناسب فانه سيصنع معتقد يناسبه تماما..واذا كانت الاديان او المعتقدات هى مجرد مفاهيم(او اداة) تبريريه فان كل فئه او جماعه ستعتنق الدين الذى يناسب قدراتها الذهنيه وليس العكس فالدين لايصنع تقدم او تخلف ولا يصنع سلوك اجرامى او اخلاقى".

✍ ويؤسفني أن أقول للسيد منجي إن التشبيه الذي استعمله تشبيه خاطيء لا يمكن اعتماده إذ أن السكين أداة جامدة *بينما الدين أيديولوجية ناطقة بلسان المعلمين والشيوخ*، وهي الأيديولوجية التي يتربى عليها الطفل فيكبر وهو لا يعرف غيرها. فإذا قال له الشيخ إن الله يقول **اقتلوا الكافرين حيث ثقفتموهم**، فهو لا يستطيع إلا أن ينفذ ما قاله الله، والدليل هو هذه الأعداد الكبيرة من الشباب المخدر الذين يفجرون أنفسهم في العراق وأفغانستان وتركيا ولندن وباريس وموسكو ومانهاتن وغيرها. والسلوك الإسلامي لا يكمن في الفرد. الفرد يولد ودماغه صفحة بيضاء، بيئة البيت هي التي تجعل منه مجرماً. والشخص الذي تربي على دين معين لا يستطيع أن يصنع لنفسه معتقداً جديداً، وفي الإسلام لا يستطيع حتى أن يعتنق معتقداً آخر، ناهيك عن أن يصنع لنفسه معتقداً جديدا.

وإذا كان الدين لا يصنع تقدماً أو سلوكاً إجرامياً، لماذا ذبح المسلمون يهود بني قريظة الذين عاشوا معهم في وئام وإخاء مئات السنين، حتى أتى محمد بدينه الجديد؟

- السيد محمد أحمد أسعد، صاحب التعليق 17، يقول:

"كل نقد يهدف إلى تقويم حياة الإنسان مقبول على شرط أن يكون في الاتجاه الصحيح ويتسم بالحق والصدق. لا أحد يستطيع أن ينكر هذه الكلمات ولكن دعني أقول لك إن لم يكن نقد القمنى للوضع كاملاً فإنه رغم ذلك في الإتجاه الصحيح حتى أنت لم تستطيع الابتعاد عن هذه الحقيقة في بداية مقالك كل شيء يبدء بعدم تنظيم وعشوائية لا نستطيع طلب النظام خلال فترة قصيرة، أعلم أن ا لاوضاع ما عادت تحتمل انتظار! ولكن 14 قرن ليست بالأمر الهين! لا أستطيع إلا أن أقول لك في نهاية كلماتي ليت كل شيوخ الإسلام حالياً كمثل القمني إن لم تكن هذه أمنيتي فهي أمنيتك!!".

✍ ما كنت أعرف أن للنقد طريقين، واحد صحيح والآخر خطأ. شكراً للسيد محمد أحمد لتعريفي بهذه الحقيقة التي غابت عني. ويبدو أن نقد الدكتور القمني لمشايخ الإسلام دون نقد الإسلام هو نقد في الاتجاه الصحيح أما نقدي أنا للإسلام يبدأ بعشوائية وهو نقد في الطريق الخطأ. كلما عاش الإنسان أطول كلما تعلم أكثر. وأصلاً لو كان شيوخ الإسلام مثل الدكتور القمني لما تأخرنا كما هو الحال الآن. ويبدو أن السيد محمد أحمد يعرف دخيلة نفسي وجزّم أن هذه امنيتي، فشكراً مرة أخرى.

- السيد رعد الحافظ

✍ دائماً لبق ودبلوماسي في تعليقاته وليس لدي جديد أضيفه لما قال به، فشكري له.

- السيد شامل عبد العزيز يقول:

"هناك خلل في الأتباع وهم الأغلبية .. هناك أزمة ثقافية حقيقية .. من يحاول أن يبريء الدين من سبب التخلف يذهب بعيداً في رؤياه.. هو العقيدة التي يتمسك بها اكثر من مليار ويعتبرونها الهوية ويسألون عن كل شيء من نظر الإسلام حتى لو لم يكونوا ملتزمين بفروضهم الدينية ... الدين الإسلامي شكل عقلية غالبيتنا بصورة مباشرة او غير مباشرة .. واعتقد ان الدين له النسبة الكبرى في تخلف المجتمعات والحل هو الفصل على ان يكون شأناً فردياً .. وأنا مع السيد رعد في جزء من تعليقه من ناحية التقية في بعض الأحيان في مجتمعات غالبيتها تعتنق هذا الدين .. ويبقى دكتور القمني قامة كبيرة مع التقدير للجميع".

✍ الطفل الذي يولد لوالدين مسلمين لا يسمع حتى اسم المسيح، ناهيك عن بوذا وكونفوشيوس، حتى يصل المرحلة الجامعية، وهو بذلك يصبح كالطريق ذي الاتجاه الواحد. وعقليته تكون مبرمجة برمجة إسلامية ويصبح من العسير عليه أن يفكر خارج نطاق الشريعة. ولذلك نحن متخلفون وكل علوم القرن العشرين وما قبله تمر على أغلبنا مرور الكرام. ولذلك عندما سألت صحيفة إيلاف الإلكترونية القراء عن سبب ارتفاع حرارة الأرض، كان عدد القراء الذين استجابوا للسؤال حوالي 7 آلاف، 29 بالمئة منهم قالوا إن السبب هو الغضب الإلهي. فهل نستغرب بعد ذلك لماذا نحن متخلفون؟ وأتفق مع السيد شامل في أن الدكتور سيد القمني سوف يظل قامة سامقة في المحيط العربي

- السيد منتظر بن المبارك، صاحب التعليق 21، يقول:

"المسيح أراد أن يثبت صدق رسالته بالمحبة والمعجزات، بينما حاول النبي الأمي أن يثبت رسالته بالأيات الكونية في القرآن والغنائم. انتهت المعجزات وبقيت المحبة التي أفادت الحضارة الغربية ـ رغم تجاوزات السياسة ـ كما انتهت الغنائم وبقيت الأيات الكونية التي أثبت العلم عدم صدقيتها، فلا الشمس غربت في عين حمئة ولا انشق القمر. لا توجد آية في القرآن تتحدث عن العمل إلا العمل الصالح من صلاة وزكاة وصوم، ولا توجد آية تتحدث عن العلم إلا العلم اللدني. بينما المسيحية لم تفرض نمط حياة معين حتى في الصلاة والصوم، تدخل الإسلام في أدق تفاصيل حياة المسلم حتى طريقة الأكل والاستنجاء. المسيحية جعلت أتباعها ابناء لله، بينما جغل الكتاب المبين اتباعه عبيد لله.) انتهى.

✍ وهذه عين الحقيقة ولا أستطيع أن أضيف شيئاً هنا، فله شكري.

- السيد سمير سمير صاحب التعليق 22، يقول:

"انا لا اظن ان هذا هو رائي القمني ولكن حتى ينجو من القتل علية ان يقول هذا واظن ان المعنى في قلب الشاعر." انتهى.

✍ قد يكون السيد سمير محقاً في قوله، ولكن القاريء لا يعرف دائماً ما في قلب الشاعر، وعلى الشاعر أن يفصح، ولو بالتورية، عما يريد أن يقوله.

- السيد يوسف رفا يقول:

"الحل للمسلمين هو، فصل القرأن المكـي عن المدني،اي نعم ايات المكية الحنفية قبل جمعها وخلطها بلمدنية هي صالحة لكل زمان ومكان/كفاية للمسلمين~ صيام،صلاة،زكاة،حج، ولا اكراه في الدين،وجادلهم بلأحسن.قرأن المدني سقط مع سقوط الخلافة العثمانية،جاء مكانها عصبة ثم هيئة الأُمم ولا مكان ل هيئة الأمر والمنكر،مكان آيات السـيف والجهاد كون نظام الشرطة والجيش للدفاع عن الدولة الحديثة/ومكان باب فقه بيع وشراء العبيد كون محلها وزارة العمل ونقابات العمال/ ومكان الجزية انشأ بنك دولي لإستلاف قرضاً حسناً/وبدل درس وحفظ القرآن يحل محله حفظ وتحليل النظرية النسبية وبهكذا!يصعد الشاب المسلم بكل سهولة على سطح القمر، بدل من تفجير نفسه للصعود الى جنة حور العين!!!" انتهى

✍ هذا الرأي، ولا شك، جميل جداً ويمكن أن يحل أغلب المشاكل التي نعاني منها، ولكن بما أن المسلم، وخاصة المعممين منهم، يعتقدون أن القرآن كلام الله حرفاً بحرف، فمن من الشيوخ يملك الشجاعة الكافية ليقول بفصل القرآن المكي عن المدني. **فلو تجرأ أي منهم بهذا القول لقتلوه بحد الردة، ومع ذلك يقولون لا إكراه في الدين**. وقد أنشأ الجامع الأزهر لجنة من كبار "علمائه" سماه لجنة البحوث العلمية، ولا ندري أي بحث قد قاموا به حتى الآن. وهذا هو مجال البحث الحقيقي ولكن الأزهر ما زال يغرز كعبيه في

الأرض ويقاوم القوى التي تحاول دفعه إلى الإمام. حتى صحيح البخاري المليء بكل أنواع الخزعبلات، يخاف فقهاء الأزهر من نقده وتصفيته من الأحاديث التي تعارض القرآن معارضة صريحة وتجعل من العقل شراعاً يمتليء بالهواء الساخن. *فلا أمل في فصل القرآن المكي من المدني.*

- السيد خالد سليمان، صاحب التعليق 24، يقول:

> "يا استاذ انا قلت في احد تعليقاتي لسيد القمني يشتهي ينتقد الاسلام ولكن يستحي والصحيح يخاف ولكن الاسباب يعرفه السيد القمني" انتهى.

✍ طبعاً الدكتور القمني يخاف على حياته، فهو بشر يحب الحياة كما يحبها أي إنسان آخر غير مخدر بالحور العين. الخوف غريزة تتحكم فينا ولا نستطيع، في الغالب، التحكم بها. وأنا لا ألوم الدكتور القمني على الخوف.

- السيد ستفان كلاس، تعليق 25، يقول:

> "وارى من المضيعه للوقت وحتى السذاجه ان نستمر في شتم الماضي والتاريخ و ادانته...فمحمد كان ابن بيئته و زمانه بكل بساطه..اما نحن فلسنا ابناء حاضرنا و لا نريد ان نعترف بمسؤوليتنا التاريخيه و الوجوديه وهذه هي ايضآ مادة للبحث و التساؤل و الدراسه...والا ما هي هذه القوه الخارقه التي تركها تؤثر فينا و تحكمنا ذاك البدوي الامي؟؟؟؟ الا يحق لنا التساؤل لماذا لا تنتج مجتمعاتنا الا المتسلطين و المستبدين ...هل نحن ضحية الجاهل محمد منذ اكثر من اربعة عشر قرنآ ونحن نغتال الفكر و التفكير ...ثم اصبحنا ضحية الاستعمار و الامبرياليه.و..وو..اذن كم نحن ضعفاء و مستلبون و لا نملك من امرنا شيئآ..اليس هذا هروبآ و عدم قدرة على الفعل و المبادره؟؟؟؟" انتهى.

✍ نحن لا نشتم الماضي ولا نشتم محمد ولا الإسلام، وإنما نحاول الوصول إلى جذور المشكلة التي جعلتنا نتخلف، وبدون الرجوع إلى الماضي لا يمكن لنا أن نبني المستقبل لأن العلم والحضارة تراكمية، ويقوم حديثها فوق الذي سبقه، فإذاً لا بد لنا من نبش الماضي حتى نصل إلى الأساس الذي بُني عليه الإسلام. وعندما نصل الأساس علينا أن ننقب فيه لنعرف إن كان جزءٌ منه صالحاً للبناء عليه، أم يتوجب علينا نسف كل الأساس والبدء من جديد.

- السيد مصطفى حقي، تعليق 28، يقول:

> "أستاذنا الفاضل ، شكراً لمقالكم والذي أعتبره إكمالاً لمقال السيد القمني ، وباعتقادي لايمكنه أن يدخل في التفصيلات المؤلمة والمحرضة ، وهو في غنى عنها ، والمهم ان رسالة السيد القمني واضحة لكل لبيب وليس ماكان أفضل مما كان" انتهى.

✍ وأشكر السيد مصطفى حقي على التعليق ولكني أذكرّه أن ليس كل من يقرأ مقالات السيد الدكتور القمني لبيب ويقرأ ما بين السطور. أنا شخصياً لا أجيد القراءة بين السطور وأحب أن أقرأ المكتوب على السطر. وأنا أقدّر موقف الدكتور القمني وأعتبر مقالي تكملة وتوضيح لما لم يقله في العلن.

- السيدة ميس أمازيغ تقول:

> "مازلنا نطالب من الدكتور القمني مزيدا من الجرأة في تبليغ الرسالة اننا نتقن القرائة بين السطور لكن ابناء الالفية الثالثة ينتظرون بشغف عظيم رفع الستائر و الأطلالة عليهم بلا خوف ولا وجل ما دام التاريخ قد سجل وسجل التاريخ لن يمحيه اعداء الأنسانية. حقا ان سبب تخلف المسلمين انما هو المعين الذي نهل منه حراسه و الدليل بسيط متى كان الدين الذي يامر ان اسلم تسلم دينا؟ هل رب محمد كان قاتلا بالتحريض؟" انتهى.

✍ السيد القمني هو الوحيد الذي يستطيع أن يعرف مدى الخطر الذي سوف يتعرض له إذا تعدى الخطوط الحمراء، ونحن لا نستطيع أن نطلب منه أن يُلقي بأيديه إلى التهلكة، كما فعل السيد النابلسي قبل حوالي 3 سنوات عندما وصف الدكتور القمني بالجبن الفاضح. وهناك مثل عامي معبّر يقول: ‹الجمرة تحرق الذي يطأ عليها›. وقد أثبتت التجارب صدق هذا المثل عندما وطأ جعد بن درهم، والحلاج، وابن المقفع وجاليليو وغيرهم الكثير من المفكرين تلك الجمرة. أما أبناء الألفية الثالثة سوف يرون النور بدون مساعدة الكتاب التنوريين لأن أموال البترول سوف تنضب بعد خمسين إلى مائة عام، ووقتها سوف تتوقف الفضائيات وتطول الجلاليب وتقصر اللحى ويبحث شيوخ الإسلام عن عمل يدر عليهم بعض الرزق ولن يتفرغوا لهذا الهراء من الفتاوى والتكفير. وقتها سوف تنجح جهود التنويريين.

- السيد كامل علي، تعليق 30، يقول:

> "أنا من المؤمنين بهدم الخرائب ورفع الانقاض قبل البدء ببناء جديد على ان نجري فحص للتربة قبل البدء باسس البناء انّ السبب الاساسي في تخلّف المسلمين هو تشريعات محمّد فلو استطعنا من اقناع الجموع المنومَّة مغناطيسيا عن طريق التلقين والايحاء بان الاديان مؤلفات بشرية وهي نتاج المجتمعات التي ظهرت فيها وهذه الاديان بنت زمانها ومكانها ولا تصلح لعصرنا والعصور القادمة نكون قد حققنا الخطوة الاساسية للاصلاح" انتهى.

✍ وهذا هو ما يجعلنا نواصل الكتابة رغم ضآلة المردود في الوقت الحالي لأن المؤمنين مخدرون، وعلاج المدمن على الأفيون يستغرق وقتاً طويلاً، ودائماً يقاوم المدمن في بداية العلاج وقد يعتدي على الطبيب والممرضة لأنهما يحاولان حرمانه من الأفيون. ولكن في النهاية يشكرهما على ما قاما به...

2010 / 8 / 1

2 مِن 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=224376

- السيد مازن 199 يقول:

> "الدين هو اخطر الامراض الذي فتكت بالبشرية الئ يومنا هذا الخلل ليس بمن اخترع الدين الخلل الكبير هم الناس من كل الاديان لا فرق بين مسلم او مسيحي لكل شخص اختيار اما الصواب او الخطآ فعلا نيت الانسان اما ان تكون منحصرة او متفتحة اكثر و الشعوب هم فريقين الاول متخلف انتيهازي يرفض الاخر منشط للجهل والتدين ويريد ان يحكم العالم بتخلفة وجهلة اما الثاني يحب الخير متفتح بكل انواع الحياة يقيس الدنيا بالعقل ومتآثر جداً بالاحداث الكونية والانسانية بحت و يرفض بالغيبيات الذي كلف من الزمن مقابر من البشر بآسم الدين وهل من عقل التقبل في زمن الجاهلية و التخلف الشعوب والامم ان نعاصر الجاهلية في كل زمان ومكان لان الدين مرض خطير وافة معدية ويجب ان تعالج الامراض الدينية بالعلم وكسر الامية الكل يقرآ ويكتب ويكون العقل الانسان حر بدون قطرة دم او دكتاتورية الذات . المجتمع الحر يصنع المعجزة والمعجزة لا تاتي من فراغ لان الشعوب تصنع مالا يفكر به الاخر" انتهى.

✍ كل الأديان أيديولوجيات، **والشخص المؤدلج في الغالب الأعم لا يفكر بل يترك الأيديولوجية تفكر له**. وإذا كانت الأيديولوجية *إقصائية* كل همها تذويب الآخر المخالف واضطهاده {**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء**}، تخلق تلك الأيديولوجية من أتباعها قنابل تعمل بالرموت كنترول ويفجرها رجل الدين في وسط مجمع للأسواق بين المسلمين، ويسمون ذلك **التترس، ويبيحون قتل المسلم من أجل الوصول للكافر.** هذه الأيديولوجية التي تسيطر على العالم الإسلامي لابد لها من عدو لكي تعيش. وإذا لم يكن العدو أمريكياً أو إنـگليزياً، يخلقون من الشيعة أو السنة أو الإسماعيلية أعداء ويفجرونهم كما يحدث في باكستان الآن، حيث يفجر

السنة مساجد الإسماعيلية ومساجد الشيعة، ويرد عليهم الشيعة بتفجير مساجدهم، ثم يقول لنا الشيوخ الذين يسيطرون على القنابل المخدوعة: {**إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله. (التوبة 18)**}. فالحقد الأعمى قد أعماهم حتى عن قرآنهم فأصبحت الآية عندهم (**إنما يهدم مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر**). أتفق مع السيد مازن في أن محو الأمية من العالم الإسلامي سوف يساعد على تقهقر هذه الأيديولوجية، ولكن كيف ينتشر محو الأمية والعلم إذا كان الفساد وسرقة المال العام هما الطابع المميز للدول الإسلامية، سواء كان يحكمها نظام إسلامي كإيران والسودان أو نظام مدني متغطرس كمصر واليمن، وإذا كانت السعودية تصرف ملايين الدولارات سنوياً لإنشاء كتاتيب تحفيظ القرآن في اليمن وباكستان.

فمحو الأمية في البلاد الإسلامية حلم بعيد المنال.

- السيد عادل حزين، تعليق 33، يقول:

"كتبت تعليقا موجزا على مقال الدكتور القمنى وبعد ذلك قرأت هذا المقال الوافى وتمنيت لو كنت قرأته قبلا ووضعته كاملا تعليقا على مقال القمنى وعلى أيضا رد الأستاذ الدكتور حجى... السؤال هو هل ممكن أن نحفظ هذا المقال ونظل نعقب به على كل مقال لا يشخص الإسلام بحق؟" انتهى.

✍ تشخيص الإسلام تشخيصاً صحيحاً ليس هو الإشكال، فالدكتور القمني والدكتور طارق حجي وغيرهم يعرفون التشخيص الصحيح للإسلام، ولكن ظروفهم ربما أملت عليهم أن يكتبوا غير ما يضمرون. وأنا لا ألومهم على ذلك، أما أن يدافع كاتب علماني عن الإسلام وهو يعرف التشخيص الصحيح، فهذا في رأيي استغلال لثقة القاريء في ذلك الكاتب. وأنا أشكر السيد عادل حزين على الإطراء.

- السيد حكيم العارف

كتب تعليقاً يرد به على السيد شهري،

✍ ولو أنه لا يستحق الرد، فله شكري الجزيل.

- الدكتور عمرو إسماعيل، تعليق 35 و 36،
  - يقول:

"العلاج الناجح .. هو العلاج الذي صمد أمام تحدي الزمن وأمكن تكراره بنجاح في مراكز متعددة .. وهو نفس الشيء في السياسة والاقتصاد .. العلاج الناجح .. الذي اثبت نفسه في كل دولة في العالم تبنته .. من اسرائيل .. الي اليابان شرقا .. ومن تركيا الي الولايات المتحدة غربا .. هو الديمقراطية والعلمانية التي تفصل الدين عن الدولة والتي تحترم حقوق الانسان وحرية العقيدة .. واقتصاد السوق الحر الذي يخضع للرقابة ولا يتجاهل العدالة الاجتماعية. كلنا نعرف اسباب تخلفنا .. ولكن اقصي مايمكن تحقيقه هو ما فعله فلاسفة التنوير في الغرب .. فصل الدين عن الدوله.. وسحب البساط من تحت اقدام الفكر السلفي الديني مع الابقاء بل وتشجيع الفكر الديني الصوفي. في المسيحية هناك العهد القديم والعهد الجديد .. وانتصر العهد الجديد. في الاسلام الامر معكوس فالعهد الجديد اصبح هو القديم (القرآن المكي).. والعهد القديم اصبح هو الجديد الذي انتصر (القرآن المدني) .. في رأيي ما يحاوله سيد القمني هو محاولة اصلاح المعادلة.. هي محاولة قد يتهمه البعض فيها بالتقية ولكنهاالامل الوحيد" انتهى.

✍ لا شك أن فصل الدين عن الدولة هو الحل، ولكن كيف لنا فصل الاثنين إذا كان دستور جماعة الإخوان المسلمين هو كتاب سيد قطب "معالم على الطريق" الذي تبنى فيه آراء الشيخ الهندي المودودي، الذي قال **إن الحاكمية لله**، والبشر ليس من حقهم أن يصوغوا قوانين تحكمهم لأن قوانين الله هي الحاكمة. وكلنا يعرف أن الإخوان أصبحوا كالأخطبوط الذي مد قرونه Tentacles في أكثر من سبعين دولة بفضل الأموال السعودية التي تدفقت عليهم ليبنوا المساجد والمدارس في أوروبا وأمريكا وآسيا. وكما يقول المثل العربي ‹الحيةُ لا تلد إلا حيةً›. ومنذ أن اخترع فقهاء الإسلام **مصطلح الناسخ والمنسوخ ليحلوا إشكال التناقض في القرآن، أصبح القرآن المكي المتسامح منسوخاً ملقى في سلة المهملات، وأصبح الجهاد والترس هو الإسلام الحقيقي.** أعتقد أن المستقبل القريب قاتمٌ جداً، وأملنا الوحيد هو نضوب النفط من مملكة الخراب. وكما قال الدكتور عمرو: **كلنا نعرف أسباب تخلفنا، ولكن الحل هو الإشكال.** وصراحةً أنا أعتقد إذا استعمل الدكتور القمني التقية أو جازف بحياته وكتب صراحةً ما يعتقده، فلن يتغير شيء إلى أن ينضب البترول.

  - ويستمر د. عمرو فيقول:

"نحن نحتاج ثلاثتكم رغم ذلك .. ثورية كامل النجار وتقية سيد القمني و طارق حجي حتي يأتي رجل دولة قوي وكاريزماتيك منحاز الي العدالة الاجتماعية والعلمانية والديمقراطية فيسرع التحول في مجتمعاتنا نحو الحل الوحيد الناجح أن يكون الدين لله والوطن للجميع" انتهى.

✍ ومن أين لنا بمثل هذا الرجل القوي الذي يؤمن بالديمقراطية والعدالة الاجتماعية؟ إذا اعتمدنا على الانتخابات في البلاد العربية، فإن الإخوان المسلمين سوف يستلمون الحكم في جميعها، إذا لم يزور الحزب الحاكم نتائج الانتخابات. الطريقة الوحيدة لوصول مثل هذا الرجل إلى دفة الحكم هو الانقلاب العسكري، ولكن لمعرفتنا بالمستوى الثقافي لضباط قواتنا المسلحة، فالأمل ضعيف أن يأتي من بينهم رجلٌ رشيد. وقد نلتفت حولنا ونرى الذين وصلوا إلى الحكم بانقلابات عسكرية: البشير، حسني مبارك، القذافي. لا أمل إطلاقاً في ظهور أتاتورك جديد في البلاد العربية.

- السيد الفي المصري، تعليق 39، يقول:

"اعتقد يا دكتور ان مقالك هذا ليس المقصود منه هو ابلاغ د.القمنى شىء لا يعلمه تمام العلم و الادراك كما يعمل كف يده..ولكنك كتبته لتملاء ما بين السطور والمساحات المتروكه بيضاء فى مقال دالقمنى ....دكتور القمنى يكتب و هو داخل القفص و يحتاج ان يبقى رقبته بعيده الى اقصى مدى عن يد السياف اللعين ..فلك كل الشكر على اضاءه الطريق و ارشاد العباد و فتح الاعين عسى ان يكون هناك من يريد ان يبرء من الخرف والهلوسه والدروشه اللا محدوده." انتهى.

✍ اتفق مع السيد الفي المصري فيما أتى وبه وله شكري، وللدكتور القمني العذر.

- السيد سليمان الفقي، تعليق 41 يقول:

"لم اقرا للقمنى لانه يعرف الحقيقه ويتجنب الخوض فيها لم اقرا له لاننى قرءة احدى كتبه وكان استنتاجى ان القمنى واحمد صبحى منصور يقدسون الاسلام ومحمد فالسيد القمنى فى احدى كتبه ايد معجزة موسى بشق البحر الاحمر وكذب معجزة يشوع ابن نون بشق نهر الاردن لماذا؟ لان معجزة موسى تكلم عنها القران بالرغم ان شق النهر اسهل من شق البحر. اما الاستاذ احمد صبحى فهو تلت مسلم ويستخدم من التلت المكيات فقط ولا يعترف بالمدنيات. انا اسف بالرغم من عدم خطئ لاننى لا اعرف ان ادفن راسى فى الرمل كالنعامة الاسلام سبب رئيسى لتخلف الشعوب اينما حل الاسلام حل الخراب واذا عربت خربت" انتهى.

✍ لا أعتقد أن السيد القمني يقدس القرآن وإنما فرضت عليه ظروفه أن يتفادى الصدام الذي سوف يخسره حتماً. أما أحمد صبحي منصور، رغم أنه يحاول هدم السنة التي هي أساس المشاكل في الإسلام، **فلا زال يتجرع من الأفيون ويدافع عن إعجاز القرآن وقصصة الخرافية**. ولكنه في نفس الوقت يتخندق، ولو مؤقتاً، مع الذين ينتقدون الإسلام. فرغم أنه يستعمل فأساً صغيرة ليهدم الأجزاء العليا من الحائط، ونحن نستعمل المعاول الكبيرة لنهدم الأساس، فمشاركته تصب في الصالح العام وعلينا التريث في نقده.

- السيد العربي الجزائري، صاحب التعليق 42، يقول:

"أليس ما صرح به الدكتور القمني يعتبر شجاعه، فهل تطلب المزيد من محاطٍ بتحجر عقلي تعدادهم ملايين. مثلٌ كردي قديم يقول (أذا ذهبت الى بلاد العميان، ضع يديك على عينيك) والدكتور القمني ولد في بيئة عميان ولكنهُ لم يضع يديه على عينيه بل صرخ فيهم بأنهم عميان وصراخةُ فيهم كان بمقاييس يعرفها هو، فبربك لا تطالبهُ بأكثر، فالعميانُ هناك شراذمٌ مخدره وقتله" انتهى.

✍ أوافق السيد المعلق وله جزيل شكري، وأنا لم أطالب الدكتور بإلقاء نفسه إلى التهلكة وإنما أردت أن أوضح ما كان سوف يكتب لو كان في غير المكان الذي هو به.

- السيد ناصر سعيد الشهابي، تعليق 43، **خلط الفسيخ بالعسل** وتحدث عن استعمار الرومان للشرق الأوسط وكيف أنهم أذلوا المسيحيين. فقال:

"كيف لا تعلم ان الشرق القديم كان تحت الاحتلال الروماني والفارسي وان الرومان والفرس كانوا يذلون المسيحيين الذين هم من قبائل عربية من تغلب وطيء وتميم ويرغمونهم على مذهب دولة الاحتلال ويلزمونهم الجزية وهم على دين المسيح مثلهم ويستغلونهم في التوسع الامبراطوري وقد جعلوا الشرق سلة لروما من الاغذية والاموال مقوقس مصر عامل الرومان كان يجبي عشرون مليونا سنويا يرسل بتسعة عشر مليونا منها الى روما ويحتفظ بالباقي ان سادتي العرب هم الذين حرروا الانسان في الشرق القديم من الاحتلال الاجنبي وجاء نتيجة لدعاء عشرات الالاف من المضطهدين المسيحيين ولاول مرة عرفت الدنيا حرية العقيدة وحرية مزاولتها بفضل سادتي العرب المسلمين" انتهى .

✍ وهذا بالطبع لا يمت للتاريخ الحقيقي بأي صلة. الرومان اضطهدوا اليهود في أرض كنعان ولم يضطهدوا المسيحيين وإنما فرضوا الضرائب على الكل، فنزح أغلب المسيحيين الذين كانوا مضطهدين من قِبل اليهود. و بعد أن اعتنقت الإمبراطورية الرومانية المسيحية أفاد وجودها في المشرق تلك البلاد حضارياً فعبدت لهم الطرق وعلمتهم الإدارة وأنشأت لهم المكتبات والكنائس. فلا مقارنة بينهم وبين الإسلام الذي لم يبنِ ولا مدرسة واحدة في أي بلد احتلوه واستقروا به، ولم يعبدوا طرقاً *إذ كان همهم جمع العشور والجزية ونكاح السبايا وبناء الجوامع*. وهل ممكن للسيد الشهابي أن يخبرنا بمصير تلك القبائل المسيحية من تغلب وطي وتميم؟ ماذا كان مصيرهم تحت سيوف خالد بن الوليد؟

- السيد على المشاط، تعليق 45، يقول:

"إن البيئة العربية تعج منذ آلاف السنين بالايمان بالخرافة والسحر ولو لم يكن الأسلام لوجد العرب عقائد أخرى لها شيوخها وفقهائها لهم سطوتهم ومنزلتهم في عقول العامة. فالوندوز الخرافي هوالمهيمن دائما على هده الشعوب .. وان ظهر بعض النوابغ فهم شدود عن القاعدة العامة أو أتو من شعوب أخرى. فالعامة هي التي تصنع الشيوخ والفقهاء ... وهي التي تصنع الحاكمين المستبدين لهدا لا أمل في تفكر عقلاني ولا في نشوء ديمقراطية حقيقية في هده الشعوب" انتهى.

✍ ومع شكري للسيد على المشاط أود أن أذكره أن قبائل عربية كثيرة كانت قد اعتنقت المسيحية قبل الإسلام، وكل شمال أفريقيا ومصر والسودان كانت دول مسيحية إلى أن جاءت ***جحافل بدو الصحراء*** يدفعهم تملك بنات الأصفر فاستعمروا تلك البلاد وحولوها إلى الإسلام عنوة أو عن طريق الجزية التي أثقلت كواهلم فدخلوا في الإسلام لتفادي الجزية. ونسبةً لأن الإسلام لم يعلم الناس في تلك البلاد غير الجن والرقية وأحاديث الرسول، انتشرت الخرافة بينهم. **تلك الخرافة التي تقول إن محمد عندما كان يجلس في الصحراء لقضاء حاجته كانت الأشجار تأتي إليه لتحجبه عن الناس**.

الجهل هو حجاب العقل، وهذا هو الحجاب الذي يعتمد عليه الإسلام أكثر من اعتماده على حجاب النساء.

- السيد مايستر برتو يقول:

"وكنت قد قارنت في أحد تعليقاتي على المقالة الأخيرة للأستاذ رعد الحافظ، ذكرت فيه مقارنة بينك وبين القمني، وكيف أنك تنتقد الاسلام وشيوخه دون وجل، أما الدكتور القمني، فيميل إلى نقد الشيوخ دون الاسلام نفسه ومؤلفه محمد، الذي قام بالأعمال التي ذكرتها سيادتك بالضبط في هذا المقال، وهو يعتبر قدوة شيوخ الاسلام الذين يقومون باتباع سنة نبيهم فقط لا غير، إذن كما قلت العلة في الاسلام نفسه وفي مؤسسه وليس في شيوخه الذين يتحملون جزءً يسيراً من هذه الفوضى" انتهى.

✍ أسلوبي في الكتابة يختلف عن اسلوب دكتور القمني، لأن الدكتور يستعمل التقية للحفاظ على حياته بينما أعيش أنا في الغرب حيث يحكم القانون سلوك الناس ويتيح لهم حرية التعبير. وكما يقول المثل ‹الأيام حبلى› فربما تتمخض الأيام عن نبذ دكتور القمني للتقية إذا تغيرت الظروف.

- السيد يوسف رفا يسأل:

"سؤال دكتور محمد قبل موته بدأ يعهد بالخلافة لابن عمه وزوج ابنته علي بن ابي طالب فقال علي منى وانا منه وهو ولي كل مؤمن بعدى وفي مرة اخرى اخذ بيد علي وقال من كنت مولاه فهذا مولاه اللهم والي من والاه وعادي من عاده. اعتقد محمد بهذه الاحاديث انه قد ضمن الخلافة لابن عمه علي واطمأن اكثر عندما بدأ اتباعه من باقي القريشيين يهنئون علي على منصب الخلافة حيث قال عمر الخليفة الثاني لعلي بن ابي طالب هنيئا ل يا علي اصبحت وامسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة. وعند احتضارمحمد في بيت عائشة والغرفة مليئة باتباع محمد من القريشيين الكل ينتظرون موت محمد ليصبح خليفة من بعده وادرك محمد ان قريش قد توحدت وسوف تأخذ الخلافة من ابن عمه علي لذلك تدخل محمد مرةاخرى وهو في سكرات الموت وحاول ان يؤكد على احقية الخلافة لعلي وقال اهل السنة من القريشيين ان محمد يهذي ولا يعي ما يقول ويجب عدم الاستماع لما يقول انه في سكرات الموت وعندما سمع محمد" انتهى.

✍ المشكلة في السنة أنها روايات تناقلها الناس شفهيا لمدة 150 سنة بعد وفاة محمد. ثم جمعها البخاري وأمثاله **عن طريق العنعنة** عن أناس كانوا قد ماتوا ولا سبيل لهم لإنكار الأحاديث التي ألصقوها بهم. *فليس هناك حديث واحد يمكن اعتماده على أنه حديث صحيح*، ولذلك قصة الخلافة حوّرها كل فريق لما يخدم أغراضه. ولكن المحير في الأمر أن رب محمد كان يعرف أن محمداً سوف يموت دون أن يكون له أبناء ذكور يرثون النبوة كما فعل أنبياء بني إسرائيل، *فلماذا، إذا كان الإسلام دينٌ ودولة كما يزعمون، لم يرسل رب الإسلام آيات لمحمد تبين للناس نوع الحكومة التي يريدها لهم ربهم؟* وفي النهاية قد أصبح علي بن أبي طالب خليفةً ولم يغير في الأمر شيئاً غير أنه بدأ حروب المسلمين ضد بعضهم وقتل أتباعه اثنين من الذين بشرهم محمد بالجنة (طلحة والزبير)، وقتلوا عمار بن ياسر الذي قال عنه محمد، كما يزعمون، إن عمار تقتله الفئة الباغية. وقال كذلك: [**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**] وها نحن بعد كل هذه السنين نقول "رضي الله عنه" عن أناس مصيرهم النار، كما يقول نبي الإسلام.

إنها الخرافة الإسلامية في أبشع صورها

- السيد عهد صوفان، تعليق 50، يقول:

"نعم رجال الدين هم ضحايا المعتقدات الدينية هم نتاجها المشوه ولا يجوز محاسبة من تشوه بل المحاسبة لمن سبب هذا التشوه الانسان صناعة البيئة التي يولد ويعيش فيها والبيئة الطيبة تصنع الانسان الطيب والبيئة الفاسدة تصنع الانسان الفاسد لا بد من قول الحقيقة المجردة التي تغتصب في بلادنا كل يوم وتذبح كل يوم انت صادق ورائع اتمنى لك التوفيق" انتهى.

✍ وأنا اتفق مع السيد عهد وأقدم له شكري.

- السيد جاسم الأصيل يسأل ويقول:

"أقرأ مقالاتك منذ شهر تقريبا وقرأت كتابك : الدوله الإسلاميه بين النظريه والتطبيق وفهمت من ذلك بعدم إعترافك بأن القرآن كلام منزل من الله على الرسول محمد وأن آيات القرآن من تأليف محمد وبمساعده من ورقه بن نوفل نقلا عن التوراه والإنجيل ، سؤالي هو كيف يمكن

لشخص بدوي لا يقرأولا يكتب تأليف القرآن بآياته المتعدده المواضيع ، ما إمكانيات هذا الشخص العلميه والفكريه وقوة الذاكره لتأليف القرآن حسب رأيك ، ولمذا لم تأتي بأدله وبراهين تثبت نقل القرآن من التوراه والإنجيل، وماهي الآيات القرآنيه المنقوله من التوراه والإنجيل" انتهى.

✍ الإجابة يا سيد جاسم تجدها في كتابي المنشور على الأنترنت "التشابه والاختلاف بين اليهودية والإسلام" وإذا لم تحصل عليه يمكنني أن أرسله لك بالإيميل. تحياتي.

- السيدة نرمين رباط، تعليق 52، تقول:

"تحية لك على هذا المقال الواضح الجريء دوماً ككل مقالاتك ، قرأت ما كتب الاستاذ قمني ولم أقتنع به ، أشكرك أن وضحت لي أمور ما كانت واضحة تماما" انتهى.

✍ وهذا ما قلته سابقاً من أن القراءة بين السطور ليست متاحة لكل الناس وأنا منهم. شكراً للسيدة نرمين.

- السيد أحمد عمر، تعليق 53، يقول:

"هل تعلم يا كامل النجار بان النبى محمد عليه الصلاة والسلام تنبأ بفتح القسطنطينية قبل ان تفتح بأكثر من 750 عام -لتفتحن القسطنطينية فلنعم الامير اميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش -والحديث صحيح وموجود فى - مسند احمد حديث بشر بن سحيم حديث رقم 19471 وايضاً فى مسند احمد - مسند عبد الله بن عمرو ، حديث رقم 6804 والتاريخ يشهد بأن السلطان محمد الفاتح كان من اعدل سلاطين العثمانيين ولم يرتكب مجزرة واحد ولم يقتل المدنيين المسيحيين بل تسامح معهم ،، مثلما تنبأ النبى" انتهى .

✍ وقد رد السيد عادل حزين عليه وله شكري. أريد أن أضيف لعلم السيد أحمد عمر أن جيوش المسلمين عندما فتحت القسطنطينية استباحوها لمدة 3 أيام كما كانت عادة المسلمين، وارتكبوا مجازر لا يكفي مقال واحد لفضحها، وعليه أن يقرأ لمؤرخين غير إسلاميين حتى يعرف ما غاب عنه ولا يردد كالببغاء ما كتبه المؤرخون الإسلاميون وحاولوا فيه تجميل صورة الإسلام. أنصحه أن يقرأ كتاب Infidelsللبروفسور أندرو ويتكروفت Andrew Wheatcroft أستاذ التاريخ بجامعة گلاسكو الاسكتلندية، وسوف يجد في صفحة207:

"يوم 28 مايو عام 1453، دخلت جيوش الالجنسارية القسطنطينية، وكالعادة استباحوا المدينة 3 أيام. في بديء الأمر قتلوا كل من صادفوه حياً حتى سال نهر من الدم من كنيسة سانت ميري في أعلى الجبل إلى المرفأ. ثم دخل الجنود الكنائس العديدة ونهبوا كل ما بها من ذهب وفضة وقتلوا كل مَن كان محتميا بها. وفي عصر اليوم الثالث دخل السلطان محمد إلى المدينة وتوجه رأساً إلى كنيسة حاجي صوفيا، وهناك أمر بوقف استباحة المدينة وأمر كذلك بتحويل الكنيسة إلى جامع."

- الدكتور سيد القمني: كنت أنوي أن أرد على التعليق رقم 53 الذي كتبه الدكتور سيد القمني أمس وقال فيه:

"اراك اوضحت و ابنت عن مكنون ارادتي في ظل تقية مطلوبة لمن يصر على البقاء في الوطن."

✍ ولكن للأسف اختفى التعليق رقم 53 وحل مكانه تعليق السيد أحمد عمر. وأنا لا أكن أي سوء نية نحو الدكتور القمني وإنما أردت توضيح ما خشي هو من توضيحه. ولكني الآن غير متأكد إذا كان هو مَن كتب ذلك التعليق. وإذا كان هو الذي كتب التعليق ثم سحبه، فهذا يعني أن الدكتور سيد القمني لم يتحمل النقد الذي يكيل منه لرجالات الدين، وأنا أظنه أكبر من ذلك.

- السيد رشدي على، تعليق 55، يقول:

"أود ان اقول ان الحاضنة هي الاساس بما يخص مسألة الحضارة. صحيح كان اغلب العلماء من جنسيات ليست عربية.. لكنهم ابدعوا بفضل الاجواء الصحية التي وفرها لهم البيت العربي وهو ما يطلق عليه حضارة. هل كان لاعبو المنتخب الفرنسي (وجميعهم من اصل افريقي) ان يفعلوا ما فعلوه في بلدانهم الاصلية؟ وكذلك الحال مع علماء عرب يعيشون في أوروبا وامريكا؟ ثم ان الضربات التي وجهها الاسلام للتجار في ذلك الزمان كانت في صالح العبيد والفقراء، اي انها كانت قفزة نوعية في مواجهة الجور والاستغلال." انتهى.

✍ شكراً للسيد رشدي وليسمح لي أن أختلف معه. اللاعبون في التيم (الفريق) الفرنسي لو لم يظهروا مهارة ممتازة في أوطانهم لما اشترتهم الأندية الفرنسية. الشخص الذي عنده مهارة ومستعد للارتقاء إلى أعلى عليه أن يترك وطنه الشرق أوسطي ويستقر بأوروبا حيث الإمكانات والحرية تتيح له أن يصل إلى القمة في مجال تخصصه. **أوطاننا موبوءة بالدين الإسلامي الذي يتحكم في كل صغيرة وكبيرة في حياتنا الخاصة، ويفعل ذلك بالجبر (هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)**. أما الضربات التي وجهها الإسلام للتجار لم تكن في صالح العبيد والفقراء إذ أن العبيد لم تكن لهم تجارة، فهم كانوا بضاعة تباع في سوق النخاسة، فكيف يكون تحريم الربا في صالحهم. وإذا كان محمد يدعو لتحرير الرقيق لماذا احتفظ لنفسه بأكثر من عشرين عبداً وأمة طوال حياته ثم أعتقهم وهو على فراش الموت؟ **أرجو أن تنقبوا في التاريخ الإسلامي ولا ترددوه كما سمعتموه.**

- السيد فاهم إيدام يقول:

"في الحقيقة لا نعلم بعد كيف يمكن فصل الانحطاط الذي وصلت له طوائف المسلمين، عن النصوص والمقولات المقدّسة لديهم؟ باستثناء بعض الممارسات. كيف ـ مثلاً ـ فصلهم عن السلف الذي في قراءة مختلفة للدكتور القمني أثبت انهم سلف غير صالح في جميع الحالات؟ كيف يمكن تغيير فهم النصوص المباشرة المعنى ـ كقتل المرتدّ، على سبيل المثال ـ بسوى تركها جملةً وتفصيلاً..؟؟؟ وتركها هو تعطيل لأوامر الله، شاء من شاء وأبى من ابى..!! وبرأيي المتواضع فان تطوير الاسلام والمسلمين حتى الوصول الى احقية وصفهما بالحضاريين، يتطلّب اهمال نصف القرآن وثلاثة أرباع الاحاديث، هذا بالاضافة الى تطبيق فصل الدين عن الدولة سلفاً. سؤال ...هل الخلل في التطبيق فقط، ام هو في اصل النظرية.؟؟ أعتقد انه مازال قائماً ـ وهو ما يطرحه الدكتور النجار ـ ومحاولة الاستماتة من مفكرين كبار كالقمني وابو زيد ـ على سبيل المثال ـ مازالت من دون امثلة عمليّة" انتهى.

✍ والجواب هو أنه لا يمكن فصل الانحطاط عن النصوص التي تمنع المسلم من موالاة شقيقه أو شقيقته وحتى أمه وأبيه إذا لم يسلموا: {**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون.** (التوبة 107)}. كيف يمكن أن نبني علاقات إنسانية ومحبة بين البشر والقرآن يمنعنا أن نصادق حتى آباءنا أو إخواننا إن لم يسلموا؟

الإسلام عدو الإنسانية الأول ولا يهتم بغير المسلم، والقرآن في أغلب آياته يتحدث فقط عن المؤمن فيقول: {**وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً.** (النساء 92)}، وكذلك: {**ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها.** (النساء 93)}.

فقتل غير المؤمن سواء أكان خطأً أو متعمداً لا يهم الإسلام في شيء. كيف يمكن أن تستوعب الإنسانية مثل هذه النصوص؟ ويسأل السيد فاهم: هل الخلل في التطبيق أم في النظرية؟ وأظن الإجابة واضحة من الآيات أعلاه.

- د. رمضان الصباغ يقول:

"المشكلة الاساسية تكمن فى محاولات تجميل التراث وايجاد المبررات لما حدث فى الماضى -- مايقوله الشيوخ موجود فى القران والسنة - وما يردده الارهابيون كذلك - لماذا يخيف نقد الفكر الدينى اصحاب العقول المتحجرة على خزعبلات الماضى - لقد كانت الاديان دائما ضد الابداع فى الفكر او الفن او العلم . وضد حرية الرأى والتعبير ، وهذا وفقا للنصوص الدينية نفسها. اذا كان لنا ان نتقدم فلنبدأ بالنقد حتى تخرج الاوهام من العقول ويكون الابداع ممكنا" انتهى.

✍ الأديان كلها ضد العلم الحقيقي *لأنه يكشف زيفها*، ولكن الإسلام يقف في جانب لوحده، فيحرّم حتى الموسيقى والغناء. وقبل عدة أسابيع أصدر الشيخ كلبان إمام المسجد المكي فتوى أباح بها **بعض أنواع الغناء غير الماجن**، فثارت ثائرة القنوات السعودية وهاجموه في شخصه وفي عِرضه حتى اضطر للتراجع عن الفتوى. *لا أمل إطلاقاً في تحديث الدين الإسلامي وكتبه الصفراء*. الحل الوحيد هو فصل الدين عن الدولة، وترك المخدرين في جوامعهم يستمتعون بأفيونهم، ولكنه حل يصعب الوصول إليه.

- السيدة ميس أمازيغ تقول للدكتور القمني:

> "(بل اراك اوضحت و ابنت عن مكنون ارادتي في ظل تقية مطلوبة لمن يصر على البقاء في الوطن) انها كلمات تدمي القلب ايها العظيم و دالة على الأرهاب النفسي الذي يتعرض له خيرة ما اعطت ارض مصر الحبيبة بل وكل ارض يصول فيها و يجول حراس المعبد القديم لا لشيء الا لأشباع بطون لن يشبعها الا التراب تبا لمسؤولينا الذين لن يستحقوا حتى رعاية قطعان الحيوانات البكماء انا نقدر مقوفك و لك ان تختار طريقة تبليغ رسالتك مادام قراؤك يجيدون القرائة بين السطور و انا لنتمنى لك كامل السعادة في حياتك كما نتمنى ان تعيش حتى ترى بام عينك ان ما كنت ترنو اليه قد تحقق و انا للأرهابيين لبالمرصاد" انتهى.

✍ ولكن للأسف قد حُذف ذلك التعليق الذي أدمى قلبك. ولا أدري إذا كان سبب حذف التعليق هم حراس المعبد القديم أم حراس المعبد الجدد من العلمانيين.

- السيد سامي غطاس يقول:

> (سبق لي ان قمت بالتعليق على مقال للدكتور القمنى و اتهمت الرجل بالتقية الواضحة و الان و بعد قراءتى لتعليق سيادته رقم ـ ٥٣ ـ لا يسعنى الا ان اكن كل احترامي لهذا العملاق و لا استطيع ان انسى العزيزة د وفاء سلطان كل الحب و التقدير لكم جميعا) انتهى.

✍ ولا تعليق لي على السيد سامي غطاس غير الشكر الجزيل على تعليقه.

- الدكتورة العظيمة وفاء سلطان تقول:

> "أتفق مع كل حرف كتبته، وأنا بدوري أحترم وأقدّر الدكتور القمني، ولكن لا أعرف ما الذي يدفع بإنسان متمكن مثله لأن يقوض من مصداقيته التي خاطر بحياته ليبني عرشها في مقالة واحدة. قد يكون الظرف الذي يعيشه، مَن يدري؟ لقد تعلمت منك ومنه الكثير وأشكرك على نقدك البناء هذا، أملة في أن يعيد السيد الدكتور القمني النظر فيما كتب مؤخرا." انتهى.

✍ وأنا بدوري أشكر الدكتورة العظيمة، ومثلها آمل أن يعيد دكتور القمني النظر.

- السيد مجد الجبلي، تعليق 63، يقول:

> "كلامك يادكتور نجار عاطفي وغير علمي وخصوصاً وصلتك الغير منطقية حول العصر العباسي الذي الحقيقة تقول بأنه كان متقدماً في مراحل متعددة في حياته حسب تعريفك نفسه بتاع قاموس الأمريكان هيرتيج. إرجاعك فضل الترجمة للمسيحين فقط غير منطقي لوجود الديانات الكثيرة في مدن الدولة العباسية من بقايا ديانات المنطقة. كلامك عاطفي وغير علمي. أما عن الأصل العنصري لفلان أو علان فجلبه إلى النقاش غير صحيح ولايفيد لأن الدولة العباسية ضمت الأعراق المختلفة وتصنيفهم عرقياً تفكير متخلف. هذا منطق ساذج وغير علمي وبالطبع عنصري. هل أعماك التعصب عن رؤية دور دولة غنية مثل الدولة العباسية على وضع ترجمات ونصوص في أيدي رعاياها؟ أما عن الثورات ضد الدولة العباسية فلم تكن من قبل العبيد فقط يا مؤرخنا المحترم" انتهى

✍ يبدو أن السيد الجبلي لا يجيد قراءة التاريخ ولا حتى إجادة ما يقرأه. أنا قلت في مقالي: "شغلت ثورات الزنج والبرامكة والموالي أغلب سنوات الدولة" فرد سيادنه بالآتي:

> (أما عن الثورات ضد الدولة العباسية فلم تكن من قبل العبيد فقط يا مؤرخنا المحترم).

وليت السيد الجبلي يحترم نفسه أولاً ويتعلم لغة الحوار، ولكني أطلب المستحيل من إسلامي **لا يعرف غير الشتم والسخرية**. أما قوله عن أن الدولة العباسية الغنية لم تعجز عن وضع ترجمات في أيدي رعاياها، فهاهي الدولة السعودية من أغنى دول العالم ويعيش مواطنوها في القرن الحادي والعشرين، فما هي الترجمات التي وضعتها في أيدي مواطنيها وهي تصرف ملايين الدولارات في طباعة القرآن وصحيح البخاري؟ ولعلم السيد الجبلي فإن غنى الدولة العباسية كان كله من ملك الخلفاء ولم تر العامة منه شيئاً، ويقال إن هارون الرشيد رأى يوماً سحابةً فقال:

> **أينما أمطرت فلي ريعها.**

- السيدة ليلى إبراهيم تقول:

> "الدكتور القمنى يكتب من داخل مصر والدكتور كامل يكتب من خارجها ولهذا يحاول القمنى ان يكون دبلوماسيا حذرا وهذا هو السبب. اما الدكتور النجار فيقول ماهو مقتنع به بلا مواربه او مجاملة او دبلوماسيه وشكرا للاثنين فقدت استفدت من كتابتهما كثيرا" انتهى.

✍ وأنا بدوري أشكر السيدة وأتفق معها أن الكثيرين قد استفادوا من كتابات الدكتور القمني.

✍ أقدم جزيل شكري للسيد الزميل صلاح محسن على قراءته للمقال والتعليق عليه.

- الدكتور سميح عيد يقول:

> (أرجوأن تتفهم وتقدر الظروف التى يعيشها د. القمنى ، وأنا صديق مقرب منه.. وأنكما لو تبادلتما المواقع الجغرافية ؛ فلسوف تراعى حسابات كثيرة فى كتاباتك .. القمنى هو الوحيد الباقى - بعد فرج فودة ونصر حامد أبو زيد ، وكل بمنهجه وأسلوبه - واالذى يرد على تيارات لإسلام السياسى منطلقاً من ذات الأرضية.....
> ملحوظة: الحجاج بن يوسف الثقفى (41 - 95 هجرية)كان يعمل فى خدمة الخليفة عبد الملك بن مروان وإبنه الوليد بن عبد الملك ... تحياتى ...) انتهى.

✍ أنا أفهم وأقدر ظروف الدكتور القمني وهجومه على الشيوخ دون الإسلام، وهذا النوع من التقية لا مانع منه، أما أن يقول الدكتور **إن الإسلام لا يمنع التقدم وإن الدولة الإسلامية أظهرت تقدماً في القرون الأربعة الأول**، فهذا ما لا يدخل في التقية.
بالنسبة للحجاج بن يوسف، فعلاً هو كان في خلافة عبد الملك وليس معاوية، فشكراً على الملاحظة.

عودة إلى الفهرس

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=224650

يحمل الموقع الرسمي لوزارة الأوقاف المصرية على الانترنت كتاباً عنوانه ‹حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين›. وقد قامت نخبة من "**علماء**" الأزهر بتأليف هذا الكتاب، منهم: الدكتور محمود حمدي زقزوق وزير الأوقاف، دكتور عبد الصبور مرزوق، دكتور عبد العظيم المطعني، دكتور علي جمعة محمد، دكتور محمد عمارة، ودكتور محمود حمدي مرزوق. وليس من شك في أن هذه نخبة يُحسب لها حساب.

تقول مقدمة الكتاب، التي كتبها السيد وزير الأوقاف:

"هذا الكتاب يُفند مائة وسبعة وأربعين شُبهة حول الإسلام العظيم".

ويبدو من عنوان الكتاب أن اللجنة الموقرة لا تجيد قواعد اللغة العربية التي نزل بها القرآن الذي يدافعون عنه. فالتمييز في العنوان هو كلمة "شُبهة" وهي مؤنث، ولذلك يجب أن يكون العدد المميز "مائة وسبع وأربعين" وليس "سبعة" كما ورد في العنوان، لأن تمييز الأعداد المركّبة من 11 وما فوقها يكون الجزء الأول فيها عكس التمييز من ناحية التذكير والتأنيث، فنقول "انتظرت رجوعك أربعةَ عشرَ يوماً وثلاث عشرةَ ليلةً". وقد فطن الدكتور حمدي زقزوق لهذه القاعدة أخيراً، وقال في نهاية المقدمة:

"والكتاب الذى نقدمه اليوم إلى القارئ الكريم يتضمن الرد على مائة وسبع وأربعين شبهة، وقد اشترك فى هذا العمل العلمي الكبير عدد من العلماء المعروفين ممن لهم باع طويل في مجال الدراسات الإسلامية." انتهى.

لن أحاول هنا أن أرد على كل الشبهات لأني في هذه الحالة سوف أضطر إلى تأليف كتابٍ كامل أفند به حججهم الواهية التي لا تختلف إطلاقاً عما هو مكتوب في كتب القدماء، التي تستشهد بالشعر الجاهلي (والقرآن أصلاً مسروق من الشعر الجاهلي). ولكني سوف أختار بعض ردودهم على بعض الشبهات وأفندها كلما سمح لي وقتي إنْ شاء العقل.

1- الشبهة رقم 14: نصب الفاعل

- قالوا:

"هذه شبهة خفيفة الوزن، تدل على أمرين راسخين فيهم: الأول: *جهلهم الفاضح* بقواعد اللغة العربية. الثانى: *تهافتهم الأعمى* على تصيُّد الشبهات، والبحث عن العيوب والنقائص." انتهى .

وقد رأينا من العنوان أن الشيوخ لا يحسنون القواعد أكثر من غيرهم، **ولكنهم لا بد لهم أن يصموا المخالف بالجهل.**

✍ والمشكلة تكمن في الآية:

{وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماماً، قال: ومن ذريتى قال لا ينال عهدي الظالمين}.

وطبعاً مؤلف القرآن أخطأ هنا وقال: {**لا ينال عهدي الظالمين**} بدل (الظالمون) التي هي الفاعل.

- فقال الشيوخ:

"الفعل "نال" فعل متعدٍ إلى مفعول واحد، قال الله تعالى: {ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً. (الأحزاب 25)}. الفاعل "واو الجماعة" والمفعول "خيراً. أما فى هذه الآية التى اتخذوها منشأ لهذه الشبهة {لا ينال عهدي الظالمين} فالفاعل هو "عهدي"، مرفوع بضمة مقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة ل "ياء" المتكلم، والمفعول به هو "الظالمين" وعلامة نصبه هى "الياء" لأنه جمع مذكر سالم، يُنصب ويُجر ب "الياء" والمعنى: *لا ينفع عهدى الظالمين*. ومجىء "الظالمين" منصوباً هو *قراءة الجمهور من القراء*. وليس فى مجىء "الظالمين" منصوباً على المفعول به خلاف بين **العلماء**. بل إنهم نصوا على أن من خواص الفعل "نال" أن فاعله يجوز أن يكون مفعولاً، ومفعوله يجوز أن يكون فاعلاً، على التبادل بينهما، قالوا: لأن ما نالك فقد نلته أنت." انتهى.

✍ وهنا يقوم الشيوخ **بحركات بهلوانية عظيمة ويحاولون صرف انتباهنا إلى أشياء أخرى غير نصب الفاعل**، فيخبرونا أن "نال" فعل متعدٍ إلى مفعول واحد، وهو غير الفعل المتعدي إلى مفعولين. وماذا يهمنا إذا كان الفعل متعدٍ لمفعول واحد أو اثنين أو ثلاثة؟ فهذه ليست نقطة الخلاف. **وهم كالعادة يشغلون القاريء بتوافه الأمور ليشغلوه عن الأمر الأهم.**

*فمثلاً ابن كثير عندما فسر الآية: {**لا ينال عهدي الظالمين**} شرح العهد بأكثر من أربعة شروح ثم تحدث عن الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم وعن حلق العانة ونتف الإبط والختان وكيف ختن إبراهيم نفسه بالقدوم، ولم يتطرق لنصب الفاعل إطلاقاً، كأنما هو شيء عادي أن ننصب الفاعل.*

أما شيوخ الأزهر فحاولوا صرف انتباهنا بإعراب آية أخرى تحتوي على كلمة "ينالوا" وهي: {**ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً**}. وحتى هذه الآية تُظهر أن الكافرين لم ينالوا خيراً، فكلمة "نال" تعني "حاز عليه" كما يقول القاموس المحيط للفيروز آبادي. وبالتالي يمكن أن نقول إن في الآية سبب الخلاف: لا ينال الظالمون العهد، أي لا يحوزوا عليه. وبما أن "الظالمون" هم أشخاص يجوز لهم حيازة الأشياء، وبما أن العهد شيء غير محسوس ومعنوي فقط، *فالمنطق يقول إن الشخص يحوز على الشيء غير المحسوس، ولا يُعقل أن يحوز الشيء غير المحسوس على الشخص أو الأشخاص*. ولذلك **الظالمون هم الفاعل والعهد مفعول به**. وقد اختلف المفسرون في كلمة العهد نفسها عدة اختلافات:

*فقال ابن عباس: هو **النبوة**. وقال مجاهد: هو **الإمامة**، وقال قتادة: هو **الإيمان**.*

فكل هذه الأشياء من نبوة وإمامة وإيمان، يحوز عليها الشخص فيصبح نبياً أو إماماً أو مؤمناً، فالشخص هو الفاعل. ولا يمكن أن تحوز الإمامة أو النبوة الشخص ليصبح مفعولاً به.

وفي تفسير القرطبي للآية المذكورة، يقول:

*"حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة في قوله "لا ينال عهدي الظالمين" قال: **لا ينال عهد الله في الآخرة الظالمون**".*

فواضح هنا أن عهد الله هو المفعول به والظالمون هو الفاعل.

فقول شيوخ الأزهر:

"أما فى هذه الآية التى اتخذوها منشأ لهذه الشبهة {لا ينال عهدى الظالمين} فالفاعل هو "عهدي"، مرفوع بضمة مقدرة، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة ل "ياء" المتكلم، والمفعول به هو "الظالمين" وعلامة نصبه هى "الياء" لأنه جمع مذكر سالم، يُنصب ويُجر ب "الياء" والمعنى: لا ينفع عهدى الظالمين."

قول أقل ما يقال عنه إنه **بهلوانية ولعب بالكلمات لتبرير خطأ واضح للعيان وضوح الشمس في صحراء مكة وقت القيلولة**. وقد ضرب الشيوخ بالأمانة العلمية عرض الحائط عندما قالوا:

"وليس فى مجىء "الظالمين" منصوباً على المفعول به خلاف بين العلماء."

ولم يذكروا لنا، كما ذكر القرطبي في تفسيره للآية:

*"وقرأ ابن مسعود وطلحة بن مصرف **"لا ينال عهدي الظالمون"** بالرفع".*

وكذلك قال الطبري في تفسيره:

"ذُكر أنه في قراءة ابن مسعود "لا ينال عهدي الظالمون"؛ وإنما جاز الرفع في "الظالمين" والنصب، وكذلك في العهد لأن كل ما نال المرء فقد ناله المرء." انتهى.

وآخر جملة في قول الطبري فيها **تغول** على الحقيقة لأني مثلاً قد نلت شهادة جامعية ولكن الشهادة لا يمكن أن تنالني. فحتى الطبري يمارس الحركات البهلوانية ليبرر خطأ القرآن.

وحتى تكتمل التمثيلية أتى شيوخ الأزهر بآية من سورة الحج تقول:

{لن ينال الله لحومُها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم}.

فالقرآن الذي بين أيدينا الآن بعد أن نقّحه الحجاج بن يوسف وأبو الأسود الدؤلي وغيرهم، **جعل الله المفعول به ولحومها الفاعل**، وهو منطق يقلل من قيمة الله فيجعله مفعولاً به والفاعل اللحوم وهي جماد. والمنطق يُحتم علينا أن نقول إن الله لن ينال لحومها، لأن الله ليس جماد ويمكنه أن يحوز على الأشياء ولا تحوز الأشياء عليه.

وعلينا أن نتذكر أن المصحف عندما جُمع في البدء لم تكن الكلمات منقطة أو منونة وليس عليها علامات الرفع والنصب. ولا بد أن الآية كانت: "لن ينال الله لحومها ولا دماءها".

ولكن مع الزمن ودخول علامات الترقيم لحق بالآية تحوير فأصبح الله الحي القيوم مفعولاً به والجماد فاعل.

وإليكم رابط الموقع حتى تروا بأعينكم تخاريف رجال الأزهر:

http://www.eld3wah.net/html/truth-islam/index.htm

وإلى اللقاء في حلقة قادمة من الشبهات ورجال الأزهر، وشكري للسيد محمد سُحيم الذي أرسل لي هذا الرابط.

2010 / 8 / 7

2 مِن 4

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=225032

2- الشبهة رقم 6: الكلام المتناقض

- يقول كبار "علماء" الأزهر:

"جاء فى سورة النساء: {أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً}. ولكنّ الناقدين يقولون: «نجد فيه *التناقض الكثير* مثل:

• كلام الله لا يتبدل،	o كلام الله يتبدل.
• {لا تبديل لكلمات الله. (يونس 64)}،	o {وإذا بدلنا آية مكان آية. (النحل 101)}.
• {لا مبدل لكلماته. (الكهف 27)}،	o {ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها. (البقرة 106)}.
• {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون. (الحجر 9)}،	o {يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب. (الرعد 39)}.»."

انتهى

- ✍ هذه هي الشبهة التي أراد "علماء" الأزهر دحضها للمرة الأخيرة حتى لا يقول بها قائل بعد اليوم، فبماذا أتوا لدحض هذه الشبهة التي هي حقيقة ماثلة لكل ذي عقل؟
- يقول "علماء الأزهر":

"الصورة الأولى للتناقض الموهوم بين آية يونس: {لا تبديل لكلمات الله} وآية النحل {وإذا بدلنا آية مكان آية..} لا وجود لها إلا فى أوهامهم ويبدو أنهم يجهلون معنى التناقض تماما. فالتناقض من أحكام العقل، ويكون بين أمرين كليين لا يجتمعان أبداً فى الوجود فى محل واحد، ولا يرتفعان أبداً عن ذلك المحل، بل لا بد من وجود أحدهما وانتفاء الآخر، مثل الموت والحياة. فالإنسان يكون إما حيّا وإما ميتا ولا يرتفعان عنه فى وقت واحد، ومحال أن يكون حيّا و ميتاً فى آن واحد؛ لأن النقيضين لا يجتمعان فى محل واحد." انتهى.

- ✍ يحاول الشيوخ هنا خلط الأوراق **لتشتيت** تركيز القاريء، فهم يجمعون بين التناقض اللغوي والتناقض الوجودي أو تناقض مكونات الوجود.

فالتناقض اللغوي فرع كبير من فروع بلاغة اللغة العربية يُسمى **الطباق**، حيث يجمع الشاعر أو المتحدث كلمتين متضادتين في بيت شعر أو جملة واحدة، كما قال الشاعر العربي:

الوجهُ مثلُ الصبحِ مُبْيضٌّ والشَعرُ مثلُ الليلِ مُسودُّ
ضدانِ لما أستجمعا حَسُنا والضدُ يُظهرُ حسنه الضدُ

أما **التناقض الوجودي** مثل بارد وساخن أو ميت وحي، فهذه صفات لمكونات الوجود من معادن وخلايا حية وأجرام سماوية. فسخونة الماء تنفي عنه البرودة، ولا يمكن أن يكون الماء ساخناً وبارداً في نفس الوقت، كما لا تكون الخلية حية وميتة في نفس الوقت، لأن ذلك يتطلب تغييراً في فيزياء الأجسام يحولها من حالة طبيعية إلى حالة مضادة لها.

ونحن هنا نتحدث عن آيات القرآن التي هي **كلام منطوق أو مسموع**، وما الكلام إلا لغة تتكون من كلمات تعارف عليها البشر لتعني أشياء محددة يفهمها كل مَن يتحدث تلك اللغة. **فليس هناك مجالٌ لإدخال التناقض الوجودي في نقاش آيات القرآن**. وقولهم:

"فالتناقض من أحكام العقل ، ويكون بين أمرين كليين لا يجتمعان أبداً في الوجود في محل واحد".

تعريف لا يمت للعلم بشيء، إذ أن كلمة "الأمر" كلمة **مبهمة** يمكن أن تنطبق على أي شيء يخطر ببال الإنسان. وهناك أحكام أو قوانين الطبيعة التي لا يمكن أن يكون بينها تناقض لأن التناقض هنا يعني نهاية القوانين التي تحكم العالم وبالتالي نهاية الوجود، ولذلك اعتبر فلاسفة التنوير في القرن التاسع عشر *أن الله هو قوانين الطبيعة*. ولكن من ناحية الأجسام المحدودة فيمكن أن يجتمع الشيئان المتناقضان في مكان واحد في الوجود. فمثلاً عين الإنسان يجتمع بها الأبيض والأسود، وهما ضدان متناقضان. وفي نواة أي خلية حية Nucleus يجتمع عدد من الجزئيات الموجبة (البروتونات) Protons مع عددٍ مساوٍ من الجزئيات السالبة (الالكترونات) Electrons. وفي جسم الإنسان تجتمع الخلايا الميتة مع الخلايا الحية، فجميع الخلايا السطحية في جسم الإنسان خلايا ميتة، وما تحتها خلايا حية، وبالتالي يمكن أن يجتمع الحي والميت في جسم واحد.

وعليه فإن دفاع الشيوخ عن تناقض آيات القرآن بمحاولة الزج **بتعريفات غير صحيحة** في صلب النقاش، دفاع لا يُقنع المطلعين. أما إذا أرادوا إقناع العامة وأنصاف المتعلمين بذلك فقد يفلحون في مسعاهم، *وهؤلاء أصلاً لا يحتاجون إقناعاً*.

- ثم يقول لنا الشيوخ:

"محال أن يكون إنسان ما لا حي ولا ميت فى آن واحد وليس فى القرآن كله صورة ما من صور التناقض العقلي إلا ما يدعيه *الجهلاء* أو *المعاندون*. والعثور على التناقض بين الآيتين المشار إليهما محال محال؛ لأن قوله تعالى فى سورة يونس {لا تبديل لكلمات الله} معناه لا تبديل لقضاء الله الذى يقضيه فى شئون الكائنات، ويتسع معنى التبديل هنا ليشمل سنن الله وقوانينه الكونية. ومنها القوانين الكيميائية، والفيزيائية وما ينتج عنها من تفاعلات بين عناصرالموجودات، أو تغييرات تطرأ عليها، كتسخين الحديد أو المعادن وتمددها بالحرارة، وتجمدها وانكماشها بالبرودة. هذه هى كلمات الله عزّ وجلّ." انتهى.

- وهذا هو **المنطق الزئبقي** الذي اشتهر به شيوخ الإسلام،
  - واستطاعوا بواسطته تغيير معاني الكلمات المتعارف عليها بين الناس،
  - وأعطوا بعض الكلمات معانٍ هي الضد لما تعارف عليه أهل اللغة.

فلو كانت كلمات الله هي القوانين الطبيعية من انكماش وتمدد المواد الطبيعية بفعل الحرارة والسخونة كما يقول الشيوخ، فكيف نفسر هذه الآيات من القرآن:

{قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا. (الكهف 109)}؟

فنحن نعرف أن المداد يُستعمل لكتابة الكلمات المنطوقة، وواضح من الآية هنا أن الله أراد بكلمة "كلمات" الكلام المنطوق باللغة العربية وليس تبريد وتسخين الحديد. فالله لا يحتاج إلى القلم والدواة ليكتب قوانين الطبيعة.

وكذلك يقول لنا القرآن:

{ولو أنما في الأرض من شجرةٍ أقلامٌ والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله. (لقمان 27)}.

مرة أخرى يتضح لنا أن كلمات الله تعني الكلمات التي تُكتب بالمداد والأقلام، وليس القوانين الطبيعية كما يزعم الشيوخ الزئبقيون.

والآن بعد أن عرفنا أن كلمات الله هي الكلمات اللغوية، نرجو من الشيوخ أن يبينوا لنا معنى:

- هذه الآيات المتناقضة لغوياً:

{فوربك لنسألنهم جميعا عما كانوا يفعلون. (الحجر 92)}،
{ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون. (القصص 78)}،
و{فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فيومئذ لا يُسأل عن ذنبه أنس ولا جان. (الرحمن 36 - 39)}.

فهل يسألهم الله يوم القيامة أم لا يسألهم؟ أليس هذا تناقضاً واضحاً حتى لفاقد البصر؟

- وكذلك:

{يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله واصلحوا بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين. (الأنفال 1)}.

فالأنفال أي الغنائم كلها لله ولرسوله. ثم يقول لنا في نفس السورة:

{واعلموا أنَّما غنمتم من شيءٍ فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير. (الأنفال 41)}.

والآن أصبح نصيب الله والرسول من الغنائم هو الخُمس فقط وأربعة الأخماس الباقية للمقاتلين. حدث هذا التناقض بين الآيتين في نفس السورة،

فهل يبدل الله فكره بهذه السرعة؟ أم هذه ليست كلمات الله؟ أم أن التناقض هنا تناقض في قوانين الطبيعة وليس في القرآن؟

- ويستمر الشيوخ في تبريراتهم الخاطئة، فيقولون:

"ولا تناقض فى العقل ولا فى النقل ولا فى الواقع المحسوس بين مدلول آية: {لا تبديل لكلمات الله} وآية: {وإذا بدلنا آية مكان آية}.لأن معنى هذه الآية: إذا رفعنا آية، أى وقفنا الحكم بها، ووضعنا آية مكانها، أى وضعنا الحكم بمضمونها مكان الحكم بمضون الأولى. قال جهلة المشركين: إنما أنت مفتَرٍ. فلكل من الآيتين معنى فى محل غير معنى ومحل الأخرى. فالآية فى سورة يونس {لا تبديل لكلمات الله} والآية فى سورة النحل: {وإذا بدلنا آية مكان آية..} لكل منهما مقام خاص، ولكن هؤلاء الحقدة جعلوا الكلمات بمعنى الآيات، أو جعلوا الآيات بمعنى الكلمات زوراً وبهتاناً، ليوهموا الناس أن فى القرآن تناقضاً. وهيهات هيهات لما يتوهمون." انتهى.

- قد لا يكون هناك تناقض في النقل، *ولكن هناك تناقض كبير في العقل*. فالآية، كما أوضحنا لهم أعلاه، تعني الكلمات في السورتين المذكورتين ولا تعني القوانين الكونية. *ولأن الشيوخ نزعوا الآيات التي أتوا بها عن سياقها العام ولم يأتوا بما بعدها، اعتقدوا أنهم يمكن أن يخدعوا الناس*. والآية التي ذكرها الشيوخ مبتورةً تقول:

{وإذا بدلنا آيةً مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون. قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبّت الذين آمنوا وهدًى وبشرى للمسلمين. ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلّمه بشر لسان الذي يُلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين. (البقرة 101 - 103)}.

وأعتقد أنه ليس هناك أدنى شك في أن القرآن عندما قال: {**وإذا بدلنا آية مكان آية**} يقصد الآية القرآنية التي نزل بها جبريل، وجبريل لم ينزل لمحمد بقوانين الطبيعة. والدليل على أنه قصد الآيات المنطوقة هو قوله: {**ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يُعلّمه بشر ولسان الذي يُلحدون إليه أعجمي**}. فالقرآن هنا يتحدث عن الآية التي تُنطق باللسان، وليس الآية بمعنى المعجزة أو القوانين الطبيعية. وليس هناك أي مقام خاص لبعض الآيات، فالآيات جميعها في نفس المقام لأنها جميعاً كلام الله، كما يقول الشيوخ. وإذا بدل الله آية بآية أخرى وألغى الحكم بالآية الأولى ووضع مكانها آية أخرى، **أليس هذا تغييراً لكلام الله؟** والذي يحيرنا أكثر أنه يقول في نفس السورة، بعد أن غير الآيات:

{ما ننسخ من آية أو ننسها نأتي بخير منها أو مثلها. (البقرة 106)}.

فإذا كان سوف يأتي بآية مثلها، لماذا نسخها في المقام الأول؟

- ويستمر الشيوخ في غيهم واتهام الآخرين بالجهل، فيقولون:

"أما الآيتان {لا مبدل لكلماته} و{ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها} وقد تقدم ذكرهما فى الجدول السابق. هاتان الآيتان بريئتان من التناقض *براءة قرص الشمس من اللون الأسود*: فآية الكهف {لا مبدل لكلماته} معناها لا مغير لسننه وقوانينه فى الكائنات. *وهذا هو ما عليه المحققون من أهل العلم ويؤيده الواقع المحسوس والعلم المدروس*. وحتى لو كان المراد من "كلماته" آياته المنـزلة فى الكتاب العـزيز "القرآن" فإنه - كذلك - لا مبدل لها من الخلق فهي باقية محفوظة كما أنزلها الله عز وجل، إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها." انتهى.

✍ وكالعادة، حاول الشيوخ **تمويه الحقيقة** فبتروا الآية من سورة الكهف، والآية تقول:

{وَاتْلُ ما أوحي إليك من ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً}.

فكلمة {**لا مبدل**} جاءت بعد التلاوة، أي بعد أن قال له: {**وَاتْلُ ما أوحي إليك**}. ولا أظن أن إنسان عاقل يمكن أن يقول إن الكلمات هنا مقصود بها سنن الطبيعة، *فمحمد لم يكن يتلو سنن الطبيعة وإنما يتلو الآيات التي أتى بها جبريل، كما قال*. وحتى إذا كان المقصود من "الآيات" هو سنن الله في الكائنات، فنحن نستطيع الآن تغيير بعض سننه في الكائنات.

☜ فسنة الحياة تقول لابد أن يجامع ثور بقرةً حتى ينتج عن هذا اللقاء عجل صغير .ولكن نحن الآن بإمكاننا أن نستنسخ عجل صغير من خلية واحدة من بقرة دون أن يمسها ثور.

☜ وقد نجح *العلماء الحقيقيون* في خلق خلية في المختبر لا تختلف عن الخلايا الحية الأخرى، وهذا أول الطريق، وسوف يخلقون خلايا أخرى كثيرة في المستقبل، وربما يخلقون جراثيم ومخلوقات أخرى.

☜ ومن سنن الكون أو آيات الله، يقول الله في القرآن: {**ونقر في الأرحام ما نشاء.** (الحج 5)}، ونحن الآن نستطيع أن نقر في الأرحام ما نشاء.

فإذاً سنن الله أو آياته يمكن تغييرها، وليس كما يقول الشيوخ: "لا يستطيع أحد أن يغير سنن الله فهي باقية محفوظة كما أنزلها الله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها."

- وقد تنازل الشيوخ بعض الشيء وقالوا:

"وحتى لو كان المراد من {كلماتـه} آياته المنـزلة فى الكتاب العـزيز "القرآن" فإنه - كذلك - لا مبدل لها من الخلق فهي باقية محفوظة كما أنزلها الله عز وجل." انتهى.

✍ فكلمات الله كما نعرفها قد غيرها الله عدة مرات، وغيرها أصحاب محمد مرات عديدة وقرءوا القرآن قراءات بها كثير من الاختلاف بين الآيات.

☜ فمثلاً: {**فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه.** (القصص 15)}، قرأها سيبويه (فاستعانه الذي من شيعته)، لأن الحروف لم تكن منقطة.

☜ وكذلك: {**بل الذين كفروا في عزة وشقاق.** (ص 2)}، قرأها بعضهم (في غرة وشقاق).

☜ وكذلك: {**لتكون لمن خلفك آية**}، قرأها ابن مسعود وغيره (لتكون لمن خلقك آية).

☜ وفي سورة المعارج: {**تعرج الملائكة والروح إليه**}، قرأها ابن مسعود (يعرج الملائكة والروح إليه) على أساس أن الملائكة ليست إناثاً حتى نقول تعرج. والقرآن نفسه كان قد نفى الأنثوية عن الملائكة وقال عن المشركين إنهم يسمون الملائكة أسماء الأنثى: {**إن الذين لا يؤمنون ليسمون الملائكة تسمية الأنثى.** (النجم 27)}، وقال لهم محمد في الحديث: [**ذكّروا الملائكة ولا تؤنثوهم**][1]، ولذلك قرأ ابن مسعود (يعرج الملائكة).

فسواءً كانت كلمات الله هي قوانين الطبيعية أو كلماته المنطوقة فكلاهما يمكن تغييره، وقد غيرهما البشر مراراً وتكراراً.

- ثم استمر شيوخ الأزهر وقالوا:

"أما آية البقرة: {ما ننسخ من آية} فالمراد من الآية فيها المعجزة، التى يجريها الله على أيدى رسله. ونسخها رفعها بعد وقوعها. وليس المراد الآية من القرآن، وهذا ما عليه المحققون من أهل التأويل. بدليل قوله تعالى فى نفس الآية: {ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير}." انتهى.

✍ نعم عرفنا أن الله (إنْ وُجد) على كلٍ شيء قدير، ولكن متى أتى بمعجزة للأنبياء السابقين ثم رفعها. وكيف يرفع مثلاً معجزة شق البحر الأحمر وعبور بني إسرائيل وإغراق فرعون وجنوده (إذا كانت قد حدثت) بعد أن عبر العبرانيون البحر ثم رجع البحر كما كان؟ هل يشق الله البحر مرة أخرى ويرجع بني إسرائيل إلى مصر ويُحيي فرعون؟

أرجو من شيوخ الأزهر أن يحترموا عقول الناس حتى وإنْ كانوا لا يحترمون عقول بعضهم البعض.

- ثم يتحفنا الشيوخ بأغلى دررهم فيقولون:

"أما الآيتان الأخيرتان الواردتان فى الجدول، وهما آية الحجر: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} وآية الرعد: {يمحو الله ما يشاء ويثبت} فلا تعارض بينهما كذلك؛ لأن الآية الأولى إخبار من الله بأنه حافظ للقرآن من التبديل والتحريف والتغيير، ومن كل آفات الضياع وقد صدق إخباره تعالى، *فظل القرآن محفوظاً من كل ما يمسه مما مس كتب الرسل السابقين عليه فى الوجود الزمنى*، ومن أشـهرها التوراة وملحقاتها. والإنجيل الذى أنزله الله على عيسى عليه السلام. أما الآية الثانية: {يمحو الله ما يشاء ويثبت} فهى إخبار من الله بأنه هو وحده المتصرف فى شئون العباد دون أن يحد من تصرفه أحد. فإرادته ماضية، وقضاؤه نافذ، يحيى ويميت، يغنى ويفقر، يُصحُّ ويُمْرضُ، يُسْعِد ويُشْقِى، يعطى ويمنع، لا راد لقضائه، ولا معقب على حكمه {لا يُسأل عما يفعل وهم يُسـألون} فأين التناقض المزعوم بين هاتين الآيتين يا ترى؟ التناقض كان سيكون لو ألغت آية معنى الأخرى. أما ومعنى الآيتين كل منهما يسير فى طريقٍ متوازٍ غير طريق الأخرى فإن القول بوجود تناقض بينهما ضرب من الخبل والهذيان المحموم ولكن ماذا نقول حينما يتكلم *الحقد والحسد* ويتوارى العقل وراء دياجير الجهالة الحاقدة؟ نكتفى *بهذا الرد الموجز المفحم*، على ما ورد فى الجدول المتقدم ذكره." انتهى.

✍ أولاً يجب على شيوخ الأزهر أن يكونوا أمناء مع أنفسهم ولا يبخسوا الناس أشياءهم. فالذِكر لا يعني القرآن فقط.

☜ فهاهو القرآن يقول لقوم نوح:

{أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا لعلكم ترحمون. (الأعراف 63)}.

☜ ويقول لقوم هود:

{أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون. (الأعراف 69)}.

☜ ويقول لمحمد:

{وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون. (الأنبياء 7)}.

[1] القرطبي في شرح الآية 1 - 4 من سورة المعارج.

وأهل الذِكر في زمن محمد كانوا اليهود الذين نزل عليهم الذكر قبل القرآن ولذلك نصح الله نبيه أن يسألهم عن الأنبياء السابقين وعن رسالاتهم. فنرى هنا أن الذكر لا يعني القرآن فقط، بل كل الرسالات السماوية. فإذا قال الله إنه أنزل الذِكر وإنه له لحافظ، فهذا يعني أنه حفظ التوراة والإنجيل من التحريف، *ولكن مع ذلك يصر شيوخ الأزهر أن التوراة والإنجيل محرفتان.*

وهذا في حد ذاته يُثبت أن قرآنهم ليس من عند الله لأن الله لم يفِ بكلمته ويحفظ الذِكر الذي في التوراة والإنجيل.

أما التناقض فواضح في أنه قال إنه نزل الذِكر وإنه له لحافظ وفي نفس الوقت يقول: {**يمحمو الله ما يشاء ويُثبّت**}. وقد ذكر السيوطي في الإتقان:

«أنّ مسلمة بن مخلد الأنصاري قال لقوم ذات يوم: "اخبروني بآيتين في القرآن لم يُكتبا في المصحف"، فلم يخبروه وعندهم أبو الكنود سعد بن مالك، فقال مسلمة: "إنّ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ألا أبشروا أنتم المفلحون، والذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم أولئك لا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قرةِ أعين جزاءً بما كانوا يعملون"»[2].

فإذاً الله قد محا هذه الآية من القرآن، **وهذا يُثبت أن كلام الله يتغير**. وإذا كان لم يمحها، فإذاً القرآن ناقص ومحرّف لأن هذه الآية في نظمها لا تختلف عن آيات القرآن العادية وهي غير موجودة بالمصحف الذي بين أيدينا. وكذلك تغيب عن المصحف سورة الحفد والرفد والمعروفة.

- وكان الشيوخ كرماء في ردودهم على الملحدين، فأضافوا هذا القول:

"وهناك شبهة أخرى يمكن سردها بإيجاز:
1 - إنهم توهموا تناقضاً بين قوله تعالى: {يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه فى يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون. (السجدة 5)}. وبين قوله تعالى: {تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة. (المعارج 4)}. وفى عبارة شديدة الإيجاز نرد على هذه الشبهة الفرعية، التى تصيدوها من اختلاف زمن العروج إلى السماء، فهو فى آية السجدة ألف سنة وهو فى آية المعارج خمسون ألف سنة، ومع هذا الفارق العظيم فإن الآيتين خاليتان من التناقض. ولماذا ؟ لأنهما عروجان لا عروج واحد، وعارجان لا عارج واحد. فالعارج فى آية السجدة الأمر، والعروج عروج الأمر، والعارج فى آية المعارج هم الملائكة والعروج هو عروج الملائكة. اختلف العارج والعروج فى الآيتين. فاختلف الزمن فيهما قصراً أو طولاً. *وشرط التناقض* - لو كانوا يعلمون - *هو اتحاد المقام.*" انتهى.

- أولاً: ما هو الأمر الذي يدبره الله من السماء؟ اختلف شيوخ الإسلام في تعريفه،

فقال ابن عباس: هو القضاء والقدر، وقيل نزول الوحي مع جبريل، وقيل يدبر أمر الدنيا أربعة: جبريل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل. جبريل موكل بالريح والجنود، ميكائيل موكل بالقطر والماء، ملك الموت بقبض الأرواح وإسرافيل ينزل بالأمر عليهم.

وهذا هو الأمر الذي يدبره الله من السماء إلى الأرض في ألف سنة مما نعد. ثم يعرج هذا الأمر إليه في يوم كان مقداره ألف سنة. فهذا الأمر الذي يدبره الله في السماء وينزله إلى الأرض، سواءً أكان القدر أو الوحي، يعرج إليه في يوم مقداره ألف سنة مما نعد. وكيف يعرج هذا الأمر إليه بهذا البطء؟ أليست الملائكة هي الرسول بين السماء والأرض؟ فعروج الأمر يعني في الواقع عروج الملائكة.

- ثانياً: الروح هو جبريل حسب قول القرآن: {**نزل به الروح الأمين.** (الشعراء 193)}. فإذاً الملائكة أو إسرافيل ينزل بالأمر إلى بقيتهم في ألف سنة، ثم يصعد جبريل وميكائيل إلى السماء في يوم مقداره خمسين ألف سنة.

كيف نزل جبريل في لمح البصر ليخبر محمد أن الله زوجه زينب بنت جحش مباشرةً بعد أن طلقها زيد؟

فيبدو أن جبريل عندما ينزل من السماء تساعده الجاذبية الأرضية فينزل في لمح البصر، ولكن عندما يعرج إلى السماء تعمل الجاذبية عكسه فيكون معراجه في خمسين ألف سنة مما نعد. وحقيقة الأمر أنه ليس هناك أي اختلاف في عروج الملائكة وعروج الأمر لأن الأمر لا يعرج بنفسه إنما تحمله الملائكة، ومنهم جبريل.

فكفانا أيها الشيوخ من بهلوانياتكم وانظروا من منا في دياجير الظلام.

2010 / 8 / 10

3 من 4

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=225283

3- خرّف رجال الأزهر تخريفاً كثيراً في جوابهم على الشبهة رقم 9، ألا وهي الناسخ والمنسوخ

- فقالوا:

(النسخ فى اللغة هو الإزالة والمحو، يقال: نسخت الشمسُ الظلَّ، يعنى أزالته ومحته، وأحلت الضوء محله. ثم تطورت هذه الدلالة فأصبح النسخ يطلق على الكتابة، سواء كانت نقلاً عن مكتوب، أو ابتدأها الكاتب بلا نقل. والنُّساخ أو الوراقون هم جماعة من محترفى الكتابة كانوا ينسخون كتب العلماء ينقلون ما كتب فيها فى أوراق جديدة فى عدة نسخ، مثل طبع الكتب الآن.) انتهى.

- إلى هنا وقولهم متزن ويمكن أن نقبله رغم أن أهل القرآن (الشيخ أحمد صبحي منصور وهو شيخ أزهري سابقاً، يجزم جزماً قاطعاً أن النسخ تعني الكتابة ولا تعني الإلغاء).
- ويستمر شيوخ الأزهر فيقولون:

"أما النسخ فى الشرع فله عدة تعريفات أو ضوابط، يمكن التعبيرعنها بالعبارة الآتية: "النسخ هو وقْفُ العمل بِحُكْمٍ أَفَادَه نص شرعى سابق من القرآن أو من السنة، وإحلال حكم آخر محله أفاده نص شرعى آخر **لاحق** من الكتاب أو السنة، لِحكمة قصدها الشرع، مع صحة العمل بحكم النص السابق، قبل ورود النص اللاحق. والنسخ موجود بقلة فى القرآن الكريم، مثل نسخ حبس الزانيات فى البيوت حتى الموت، وإحلال الحكم بالجلد مائة والرجم حتى الموت محل ذلك الحبس." انتهى.

- وأضاف الشيوخ في المراجع شرحاً لهذه الجُمل، فقالوا:

"هذا التعريف راعينا فيه جمع ما تفرق فى غيره من تعريفات الأصوليين مع مراعاة الدقائق والوضوح. الجلد ورد فى القرآن كما سيأتى. أما الرجم فقد ورد قوليا وعمليا فى السنة، فخصصت الجلد بغير المحصنين." انتهى.

- وسوف أبيّن لاحقاً عدم مصداقية هذا القول.
- أولاً نبدأ بتعريفهم للنسخ الشرعي حيث قالوا:

---

[2] الإتقان في علوم القرآن، ج2، 25، نقلاً عن الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن نصر البغدادي، ص 31.

"النسخ هو وقْفُ العمل بِحُكْمٍ أَفَادَه نص شرعى سابق من القرآن أو من السنة، وإحلال حكم آخر محله" انتهى.

ما كل نسخ في القرآن جاء بعد الحكم المنسوخ. *هناك آيات ناسخة جاءت في الترتيب قبل الحكم الذي ينوي مؤلف القرآن نسخه*.
فمثلاً الآيتان اللتان ذكرهما الشيوخ:

{والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصيةً لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج. (البقرة 240)}،
و**{والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا.** (البقرة 234)}.

فالآية الأخيرة نزلت أولاً وجعلت العِدة أربعة أشهر وعشرة أيام. ثم جات الآية 240 من نفس السورة لتقول إن العدة سنة كاملة. ولكن لسببٍ ما أصبحت الأولى ناسخةً لـِ التي أتت بعدها. وهذا طبعاً يعكس منطق الأشياء كلياً ويوحي لنا أحد ثلاثة احتمالات:

1. الاحتمال الأول هو أن الله لم يحكّم آياته كما قال واختلط عليه الأمر.
2. الاحتمال الثاني هو أن جبريل لم يحفظ الآيات كما أعلمه الله.
3. والاحتمال الثالث هو **أن محمداً هو مؤلف القرآن وقد سها كما يسهو جميع البشر** وخلط بين عادات الجاهلية وبين رسالته لأن عدة المتوفي عنها زوجها كانت سنة كاملة في الجاهلية.

فعلى الشيوخ أن يختاروا أخف الاحتمالات ضرراً لهم.
والغريب أن الشيوخ بعد أن اعترفوا أن هناك نسخاً في الآيتين المذكورتين، عللوا ذلك برحمة الله وتربية المجتمع،

- فقالوا:

"وحكمة التشريع من هذا النسخ ظاهرة هى التخفيف، فقد استبعدت الآية الناسخة من مدة العدة المنصوص عليها فى الآية المنسوخ حكمها ثمانية أشهر تقريباً، والمعروف أن الانتقال من الأشد إلى الأخف، أدعى لامتثال الأمر، وطاعة المحكوم به.. وفيه بيان لرحمة الله عز وجل لعباده. وهو هدف تربوى عظيم عند أولى الألباب." انتهى.

✍ وغريب منطق الشيوخ هنا. الله ينزل الآية رقم 234 التي تقول إن العِدة أربعة شهور وعشرة أيام، *ثم* **بعد** *خمس آيات يأتي بآية زائدة لا فائدة منها تشريعياً ولا تعليمياً للمجتمع وهي الآية 240*، ويقول إن العدة سنة كاملة، وتنسخ الآية الأولى الآية الثانية حتى قبل أن تنزل.

- ☜ فلماذا أنزلها الله وهو يعلم أنه قد نسخها قبل أن تنزل؟
- ☜ وأين هو الانتقال من الأشد إلى الأخف؟ بل بالعكس هو انتقل من الأخف إلى الأشد.
- ☜ وأين البيان لرحمة الله لعباده؟
- ☜ وفي بعض الأحيان نجد الآية الناسخة تعقب الآية المنسوخة في نفس السورة. فمثلاً في سورة المجادله، يقول الله للمؤمنين:

{يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقةً ذلك خيرٌ لكم وأطهر فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم. (المجادلة 12)}.

فعندما كان محمد بالمدينة في أول عهده وكان فقيراً طلب من المؤمنين الذين يأتون إليه **ليسمروا معه** أو يسألونه عن الدِين، أن يقدموا له صدقة. ولكنّ المؤمنين لم يكونوا بذلك السخاء المتوقع منهم، فأبوا أن يقدموا له الأموال؛ والنتيجة أن الآية التي أتت مباشرةً بعد ذلك نسخت، أي ألغت، الصدقة وقت المناجاة:

{أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقاتٍ فإذ لم تفعلوا تاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون. (المجادلة 13)}.

فاكتفى محمد بالطاعة بدل الصدقة.

فأي إله ذلك الذي خلق القرآن قبل أن يخلق العالم وحفظه في لوح محفوظ تحت عرشه، لا يستطيع أن يعرف إذا كان المؤمنون سوف يدفعون الصدقات لمحمد أم لا، فاضطر أن ينسخ هذه الآية بالآية التي تليها؟ أليس هذا من تأليف محمد نفسه؟

ثم أن الشيوخ قد قالوا عن النساء اللاتي يأتين الفاحشة:

"الجلد ورد فى القرآن كما سيأتي. أما الرجم فقد ورد قوليا وعمليا فى السنة، فخصصت الجلد بغير المحصنين".

فالقرآن الذي حفظه الله في اللوح المحفوظ بلايين السنين (13.7 بليون سنة) وحكّم آياته لدرجة أن الشيوخ يقولون "محكم التنزيل" عندما يتحدثون عن القرآن، ومع ذلك يتخبط رب القرآن في حكم الزانية: فيقول **احبسوهن في البيوت حتى الموت**، ثم يغير رأيه ويقول **اجلدوهن**. ثم يأتي البخاري بحديث عن أبي هريرة يقول إن اليهود بالمدينة أتوا بامرأة ورجل قد زنيا وسألوا محمد أن ينفذ فيهم حكم السماء، فرجمهما محمد ولذلك أصبح عقاب الزنا الرجم للمتزوجين.

ألا يغضب هذا الإله لنفسه بعد أن بذل كل هذا الجهد في حفظ القرآن ونسخ بعضه، ثم يأتي محمد ويرجم اليهودية وبذا يُلغى حكم الله؟

شيوخ الإسلام لا يملون من ترديد أن الإسلام يحترم العقل ويشجع على التدبر. فما دام الأمر كذلك ألا يتدبر الشيوخ هذه القصة الواهية التي ألغت محكم التنزيل؟

اليهود لم يصدقوا برسالة محمد، وهم كانوا قد عاشوا في المدينة حتى من قبل أن يولد جد محمد، ولهم رهبانهم ودينهم الذي عجز الاحتلال الروماني عن إثنائهم عنه، وعجز كذلك محمد أن يثنيهم عنه وفضّل بنو قريظة السيف على تبديل دينهم،

- ☜ فهل يُعقل أن يأتوا برجل وامرأة منهم لمحمد ليحكم فيهم؟
- ☜ ما هو السبب الذي يجعلهم يحضرون الرجل والمرأة الزانيين لمحمد ليحكم عليهم؟
- ☜ وماذا فعلوا في الذين زنوا من قبل هذا الزوج بمئات السنين؟ هل قالوا لهم: "روحوا في طريقكم يهوه يساعدكم"؟
- ☜ وإذا كان الغرض اختبار محمد، ألم يكن كافياً أن يسألوه عقاب الزاني والزانية سؤالاً شفهياً فيخبرهم بالجواب؟ هل كان لابد من البيان بالعمل؟

وقصة البخاري هذه عن اليهودي واليهودية مأخوذة من قصة لا يصدقها عقل طفل، ناهيك عن شيوخ الإسلام.
« رُوي عن عروة بن ميمون الأودي قال قيل له اخبرنا بأعجب شيء رأيته في الجاهلية، قال: "رأيتُ الرجم في غير ابن آدم. إن أهلي أرسلوني في نخلٍ لهم أحفظها من القرود، فبينا أنا يوماً بالبستان إذ جاء القرود فصعدت نخلةً فتفرقت القرود فاضطجعوا، فجاء قرد وقردة فاضطجعا فأدخلت القردة يدها تحت القرد فاستثقلا نوماً فجاء قردٌ فغمز القردة فسلت يدها من تحت القرد فذهبت معه فأصاب منها القرد، ثم رجعت القردة إلى القرد فذهبت تُدخل يدها في المكان الذي كانت فيه فانتبه القرد فقام فشم دبرها فصاح صيحةً فاجتمعت القردة فقام واحد منهم كهيئة الخطيب، فوجهوا فى طلب القرد فجاءوا به بعينه وأنا أعرفه، فحفروا لهما فرجموهما".».

كل هؤلاء الشيوخ بما فيهم البخاري، صدقوا هذه القصة وتسببوا في نسخ صريح القرآن. لم يخطر ببال واحد منهم أن يسأل مَن الذي عقد قران ذلك القرد على القردة حتى تكون زوجته ويحق عليها الرجم، إذا كانت القرود قد اتبعت ملة موسى وأباحت الرجم.
وفي الغالب فإن القصة جاءت توكيداً لقصة القرآن التي تقول إن الله مسخ بعض أفراد اليهود إلى قردة وخنازير. وبما أن القرود كانت بشراً يهوديا قبل المسخ، لا بد أنهم احتفظوا بدينهم وهم قرود.

- ويستمر شيوخ الأزهر، فيقولون:

"أما القسم الثانى، فقد ذكروا فيه آيات على أن فيها نسخاً وهى لا نسخ فيها، وإنما كانوا فيها حاطبى ليل، لا يفرقون بين الحطب، وبين الثعابين، وكفى بذلك حماقة. وها نحن نعرض نموذجين مما حسبوه نسخاً، وهو أبعد ما يكون عن النسخ. **النموذج الأول**: {لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى. (البقرة 256)}، {قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون. (التوبة 29)}. زعموا أن بين هاتين الآيتين تناسخاً، إحدى الآيتين تمنع الإكراه فى الدين، والأخرى تأمر بالقتال والإكراه فى الدين وهذا خطأ فاحش، لأن قوله تعالى {لا إكراه فى الدين} سلوك دائم إلى يوم القيامة. والآية الثانية لم ولن تنسخ هذا المبدأ الإسلامى العظيم؛ لأن موضوع هذه الآية {قاتلوا} غير موضوع الآية الأولى: {لا إكراه فى الدين}." انتهى.

✍ شيوخ الأزهر فلقوا رؤوسنا **بثوابت الإسلام** التي ورثوها من السلف الصالح، فتعالوا نقرأ ما قاله السلف الصالح عن آية {**لا إكراه في الدين**}.

يقول القرطبي في تفسيره للآية:

"اختلف العلماء في هذه الآية على ستة أقوال،
***الأول:** قيل إنها منسوخة لأن النبي قد أكره العرب على الإسلام وقتلهم ولم يرض منهم إلا الإسلام. قال سلمان بن موسى قال: نسختها {يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين. (التوبة 73)}. ورُوي هذا عن ابن مسعود وكثير من المفسرين.*
***الثاني:** أنها غير منسوخة وإنما نزلت في أهل الكتاب خاصةً وأنهم لا يُكرهون على الإسلام إذا أدوا الجزية، والذين يُكرهون هم أهل الأوثان. هذا قول الشعبي والحسن والضحاك.*
***والثالث:** هو رأي ابن عباس الذي قال إنها نزلت في الأنصار لأن نساءهم اللاتي لا يعيش لهن ولد كن إذا ولدت إحداهن مولوداً جديداً كانت تهوده. ولما أجلى النبي يهود بني النضير عن المدينة أراد صبيان العرب المتهودون أن يذهبوا معهم وحاول أهلهم منعهم، فنزلت الآية.*
***والقول الرابع:** أنها وردت في السبي متى كانوا من أهل الكتاب لم يجبروا، وإن كانوا مجوساً أو وثنيين يُجبرون على الإسلام" انتهى.*

فإذاً غالبية السلف الصالح قالوا إن الآية منسوخة، وحتى الأقلية الذين قالوا إنها غير منسوخة، قالوا بذلك بالنسبة لأهل الكتاب، وأكدوا أن المجوس والوثنيين يُجبرون على الإسلام. فإذاً هناك تضاد بين لا إكراه في الدين وبين آيات القتال. والدليل أن كل الشيوخ الحاليين يؤمنون بأنها منسوخة هو موقفهم من المسلم المرتد، الذي يتفقون على قتله.

فإذا لم يكن هذا إكراهاً في الدين، ما هو الإكراه؟

- ويستمر رجال الأزهر فيقولون:

"**النموذج الثانى**: {يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما. (البقرة 219)}، {إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه. (المائدة 90)}. والآيتان لا ناسخ ولا منسوخ فيهما. بل إن فى الآية الثانية توكيداً لما فى الآية الأولى، فقد جاء فى الآية الأولى: {فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما} ثم أكدت الآية الثانية هذا المعنى: {رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه} فأين النسخ إذن ؟ أما المنافع فى الخمر والميسر، فهى: أثمان بيع الخمر، وعائد التجارة فيها، وحيازة الأموال فى لعب الميسر "القمار" وهى منافع خبيثة لم يقرها الشرع من أول الأمر، ولكنه هادنها قليلاً لما كان فيها من قيمة فى حياة الإنسان قبل الإسلام، ثم أخذ القرآن يخطو نحو تحريمها خطوات حكيمة قبل أن يحرمها تحريماً حاسماً، حتى لا يضر بمصالح الناس." انتهى.

✍ وكان من الممكن لرجال الأزهر أن يروا التعارض الفاضح في آيات القرآن عن الخمر لو كانوا نزيهين مع أنفسهم وأتوا بآيات سورة النحل التي تقول:

{وإنَّ لكم في الأنعام لعبرةً نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين. ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سَكَراً ورزقاً حسناً إنَّ فيّ ذلك لآية لقوم يعقلون. (النحل 66، 67)**}**.

وحسب السياق التاريخي فإن سورة النحل مكية وسبقت سورة البقرة ثم سورة المائدة المدنيتين. وبما أن مكة لم يكن بها نخيل أو أعناب، كانت آيات سورة النحل عبارة عن عربون ليهود المدينة لتشجعهم على اتباع محمد. والعربون قال لهم فيه:

{ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سَكَراً ورزقاً حسناً إنَّ فيّ ذلك لآية لقوم يعقلون}.

فمحمد هنا يقول لهم من هبات الله عليكم أنه جعل لكم النخيل والأعناب تتخذون منه خمراً مسكراً ورزقاً حسناً، وإنّ في ذلك لآيةٍ لقوم يعقلون. فالخمر هنا كان من تسخير الله لهم ليتخذوا منه رزقاً حسناً وسكراً.

فما الذي تغير عندما وصل محمد إلى المدينة، وفجأة أصبح الخمر المسخر من الله، فيها إثم كبير، بل إن إثمها أكبر من نفعها؟ الشيء الوحيد الذي تغير هو أن اليهود لم يُهبّوا لأخذ محمد بالأحضان ويؤمنوا به. فجاءت آية البقرة إنذاراً لهم. ثم تلتها سورة المائدة التي قال فيها إنما الخمر والميسر رجس من عمل الشيطان.

كيف أصبحت الخمر رجس من عمل الشيطان وكانت قبل ذلك من نِعم الله على العباد يتخذون منها سَكراً ورزقاً حسناً؟ إذا لم يكن هذا تعارضاً ونسخاً، فلا ندري ما هو النسخ والتعارض.

أما قول شيوخ الأزهر:

"أما المنافع فى الخمر والميسر، فهى: أثمان بيع الخمر، وعائد التجارة فيها، وحيازة الأموال فى لعب الميسر "القمار" وهى منافع خبيثة لم يقرها الشرع من أول الأمر، ولكنه هادنها قليلاً لما كان فيها من قيمة فى حياة الإنسان قبل الإسلام، ثم أخذ القرآن يخطو نحو تحريمها خطوات حكيمة قبل أن يحرمها تحريماً حاسماً ، حتى لا يضر بمصالح الناس".

فقول أقل ما يقال عنه إنه **قول غير أمين**. لأن منافع الخمر أكثر من ذلك بكثير، فهي تُفرح الإنسان وتنسيه همومه، وقبل اكتشاف "المخدر العام" كانت العمليات الجراحية تُجرى للمريض تحت تأثير الخمر الذي تقدمها له المستشفى. وفي العصر الحديث هذا فإننا نستعمل الكحول في تطهير الجروح وفي علاج المرضى الذين يشربون ماء رادِيتر Radiator السيارات إذا تاهوا في الصحراء. وكذلك نستعملها في علاج ما يُعرف ب Fat Embolism وهي حالة خطيرة من مضاعفات كسور العظام الكبيرة مثل الفخذ أو الحوض، عندما يتسرب النخاع من العظم ويدخل الدم ويستقر في الرئة. ففوائد الخمر تفوق إثمها الذي فُرض مؤخراً بعد أن كانت رزقاً حسناً.

وقولهم:

"إن الشارع اتخذ في تحريم الخمر خطوات حكيمة حتى لا يضر بمصالح الناس".

فكذلك **قول تعوزه الأمانة أو فهم اقتصاد جزيرة العرب قبل الإسلام**. فتجارة المرابحة، وبيع الأجل، والقروض الربحية (الربا) كانت هي حجر الأساس للاقتصاد. ولم يتورع محمد عن تحريم الربا وكل أنواع البيوع المهمة بجرة قلم، وقضى على تجارة مكة. فالربا كان

أهم من بيع الخمر. فلماذا لم يتدرج في منع الربا وبيع الغرر وغيرها كما تدرج في الخمر؟ السبب الرئيسي هو أن اليهود كانوا بنوك ذلك الوقت، فكانوا يمنحون القروض بالفائدة ويتحكمون في تجارة وتصنيع الذهب والفضة وتجارة التمور. *وعندما رفضوا اتباع محمد قرر تدميرهم اقتصادياً بمنع الربا وكل أنواع البيوع الأخرى، قبل أن يجليهم من المدينة ويقتل بعضهم ويستولي على متاجرهم ومزارعهم وبيوتهم.*

فالاقتصاد المحمدي أتى بكارثة للعالم العربي ما زلنا نعاني منها، والوحيدون الذين استفادوا من التشريع الإسلامي في تحريم الربا هم الشيوخ الذين يعملون مستشارين شرعيين للبنوك الإسلامية ومؤسسات الاستثمار الإسلامية التي تنهب أموال المغتربين.

2010 / 8 / 13

الحلقة الأخيرة

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=225613

4- *حاول رجال الأزهر الرد على الشبهة 27*

- وهي أن القرآن **يستعمل الضمائر في غير مكانها المتعارف عليه**، مما يؤدي إلى تشويش المعنى في ذهن القاريء أو السامع. ولكن ردهم كان كعصاة موسى التي انقلبت ثعبانا يتلوّى، وهي لم تنقلب في الحقيقة وإنما اعتقد الناظرون أنها فعلت. والأمر كله كان سحراً وخداعاً.منشأ الشبهة: هي الآية التي تقول:

{إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً. (الفتح 8، 9)}.

- يقول لنا الشيوخ في أصل هذه الشبهة التي قال بها المكذبون:

"وموطن هذه الشبهة ـ عندهم ـ هو الضمائر الثلاثة في: "تعزروه" ـ "توقروه" ـ "تسبحوه". ذكروا هذا، ثم قالوا: "وهنا ترى اضطراباً فى المعنى، بسبب الالتفات من خطاب محمد إلى خطاب غيره، ولأن الضمير المنصوب فى قوله "وتعزروه وتوقروه" عائد على الرسول المذكور آخرا. وفى قوله "وتسبحوه" عائد على اسم الجلالة المذكور أولاً. هذا ما يقتضيه المعنى، وليس فى اللفظ ما يعينه تعيينا يزيل اللبس. فإن كان القول: وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً عائدا على الرسول يكون كفرا لأن التسبيح لله فقط، وإن كان القول"وتعزروه وتوقروه وتسبحوه" عائدا على الله يكون كفرا؛ لأن الله سبحانه وتعالى لا يحتاج لمن يعزره ويقويه"." انتهى.

- هذه هي الشبهة كما عرضها المشككون، وهو عرض واقعي لأن تركيب الجملة بكل هذه الضمائر فعلاً يخلق تشويهاً في المعنى. ولنبدأ بالخطاب في الآية: الله هنا يخاطب محمد ويقول له: {**إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا**}، والكلمة التي تلي ذلك تقول {**لتؤمنوا**}، فهو هنا ترك خطاب محمد وخاطب الأعراب جميعهم. *وهذا ليس من البلاغة في شيء*. وكانت الجملة سوف تكون أوضح وأبلغ لو قال: "إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا ليؤمنوا". ولكن الكلمات لم تكن منقطة وقتها، كتب الناسخ فيما بعد {**لتؤمنوا**}. ولو اعترف الشيوخ بذلك فسوف يكون قرآنهم محرفاً. ولذلك يستعملون عصاة موسى ليوهمونا أن فهمنا خاطيء وهم العارفون.

ثم تنتقل الآية بدون أي توقف أو فاصل لتقول للأعراب: {**لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا**}. وبما أن الواو هو حرف عطف، فإن الكلمات الثلاث معطوفة على بعض. *والإشكال الأكبر هو اختيار مؤلف القرآن لكلمات تقبل عدة تفسيرات*، مع أنه يقول إنه أنزله قرآناً عربياً مبيناً. ومن هذه الكلمات التي تقبل عدداً كبيراً من التأويلات هي كلمة "وتعزروه". فما هو معنى هذه الكلمة؟ يقول لسان العرب لابن منظور:

"التعزير: ضرب دون الحد لمنع الجاني من المعاودة وردعه عن المعصية. وقيل هو أشد الضرب. وعزّره: ضربه أشد الضرب. والعزر: المنع. والعزر كذلك: التوقيف على باب الدين. وحديث سعد يدل على أن التعزير هو التوقيف على الدين لأنه قال "لقد رأيتني مع رسول الله وما لنا طعام إلا الحُبلة وورق السمّر، ثم أصْبَحَتْ بنو سعدٍ تُعزرّني على الإسلام، لقد ضللتُ إذاً وخاب علمي"."

فأصل التعزير هو **الضرب للمنع**. وقد حاول المفسرون الإسلاميون تغيير معنى الكلمة في حديث سعد، الذي كان مع رسول الله وتحمل معه الجوع، ثم حاولت قبيلة بني سعد تعزيره، وهوكان يعني منعه وصده عن الإسلام، لأنه يقول في الحديث: "إذاً لقد ضللتُ وخاب علمي." يعني هذا أنه لو استمع لهم لضل وخاب علمه. فإذاً المعنى الواضح للكلمة هنا هو **التوقيف والمنع من الدخول في الدين الجديد**. ولكن المسلمين فيما بعد زعموا أن التعزير تعني "التوقير والتعظيم وهو أيضاً التأديب ومنه **التعزير الذي هو الضرب دون الحد**، كما يقول "مختار الصحاح" لأبي بكر الرازي. ويقول الأصفهاني في "مفردات ألفاظ القرآن":

التعزيز: النُصرة مع التعظيم، والتعزير: ضرب دون الحد وذلك يرجع إلى الأول لأن التأديب نُصرة، فمن قمعته عما يضره فقد نصرته.

فلماذا اختار مؤلف القرآن كلمة بهذا القدر من المعاني بدل أن يقول "التعززوه" وهي تعني لتقووه أي تزيدونه قوةً. وفي اعتقادي أن الكلمة أصلاً كانت "التعززوه" وولكن لعدم وجود النقاط على الحروف، خلط الناسخ بين الراء والزاي، ولم يضع نقطة على الزاي، فأصبحت راءً، وبذلك أصبحت الكلمة "التعزروه" بدل "التعززوه". وقد اختصر صاحب "لسان العرب" بأن قال:

"ولو كان التعزير هو التوقير لكان الأجود في اللغة الاستغناء بها، فالنُصرة إذا وجبت، فالتعظيم داخل فيها." انتهى.

فإذاً "تعزروه" لا تعني تعظموه وتقدروه، وإنما تعني تضربونه ضرباً شديداً.

وهذا يُثبت أن الكلمات التي اختارها مؤلف القرآن تجعل قرآنه أبعد شيء عن أنه بلسان عربي مبين.

- ولكن دعونا نقرأ تخاريف رجال الأزهر في هذه الشبهة.

"ونقول لهؤلاء الكارهين لما أنزل الله على خاتم رسله :نحن ـ المسلمين ـ لا نسبح أحداً غير الله، ولا نعبد أحداً غير الله، ولا نرفع حاجاتنا إلى أحدٍ غير الله، ولا نطلب غفران ذنوبنا من أحدٍ غير الله، ولا نقدم كشف حساباتنا إلى أحد غير الله، ولا نرجو ولا نخاف أحداً غير الله. والكتاب الذى أنزله الله على خاتم رسله لا لفَّ فيه ولا دوران، ولا قلق ولا اضطراب، لا فى مبانيه، ولا فى معانيه، ولا فى مقاصده وقيمه، فمن توهَّم فيه اضطراباً فالاضطراب فى عقله هو، وفى فهمه هو لا يتعداه إلى كتاب الله، ولا إلى المؤمنين به." انتهى.

- هل هذا رد رجال أذكياء يعرفون ما يتحدثون عنه. نحن نعلم أنهم كمسلمين لا يؤمنون بغير الله ولا يطلبون غفران ذنوبهم من غيره، مع أنهم يرجون أن يتوسط لهم محمد يوم القيامة، فالواسطة هي ما يجيدونه. ولكن كل هذه الخطرفات لا ترد على الشبهة في الآية المذكورة، وهي أن مؤلف القرآن يستعمل الضمائر كما لو كانت صلصة "كيتشب" يرشها على جميع كلمات القرآن.

والشيوخ إياهم، بدل أن يفندوا ما قلناه، نحن المشككين، يقولون لنا:

"والكتاب الذى أنزله الله على خاتم رسله لا لفّ فيه ولا دوران، ولا قلق ولا اضطراب، لا فى مبانيه، ولا فى معانيه، ولا فى مقاصده وقيمه، فمن توهّم فيه اضطراباً فالاضطراب فى عقله هو، وفى فهمه هو".

ويا له من ردٍ مفحم.

- ولا شك أن رجال الأزهر نفخوا صدورهم استعلاءً عندما جاءوا بردهم النهائي، وقالوا:

"والآية التى وصفوا تركيبها بأنه أدى إلى اضطراب المعنى المؤدى إلى الكفر، أجلى من الشمس فى رائعة النهار ومرجع الضمائر الثلاثة، التي اتخذوا منها منشأً لهذه الشبهة محددة ـ عقلاً وشرعاً ـ دون أى التواء. فالضمير في "وتسبحوه" عائد على الله قطعاً دون أدنى شك. لأن التسبيح عبادة، ولم يؤذن الله لعباده أن يعبدوا أحداً غيره: {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه} {اعبدوا الله ما لكم من إله غيره} {يعبدونني لا يشركون بي شيئاً}. أما مرجع الضمير فى "وتعزروه" فهو الرسول دون خلط أو تشويش. وأما الضمير فى "وتوقروه" فلا مانع لا عقلاً، ولا شرعاً أن يكون عائداً على الله، لأن توقير الله هو إكباره وتعظيمه، وقد قال نوح لقومه موبخاً لهم: {ما لكم لا ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً} ويجوز أن يكون عائداً على الرسول، وتوقيره هو احترامه وإنزاله منزلته من التكريم والطاعة." انتهى.

✍ وقد تكون الضمائر محددة شرعاً في أذهانهم، **أو هكذا خُيل إليهم**، ولكنها حتماً غير محددة لا عقلاً ولا لغوياً. فالضمير في لغة العرب يرجع إلى اسم مذكور مباشرةً قبل الضمير. ولذا عندما يقول مؤلف القرآن: {لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه}، فالضمائر الثلاثة المعطوفة على بعض ترجع للإسم الذي سبقها، وهو "رسوله". وقولهم:

"فالضمير فى "وتسبحوه" عائد على الله قطعاً دون أدنى شك. لأن التسبيح عبادة ، ولم يؤذن الله لعباده أن يعبدوا أحداً غيره".

قول غير صحيح لأن الله أمر إبليس أن يسجد لآدم، والسجود عبادة. وفي اعترافهم وقولهم إن الضمير الأخير يجوز أن يكون راجعاً إلى الله أو إلى محمد، يُؤكد قولنا إن القرآن ليس لساناً عربياً مبيناً، وإلا لما جاز أن تكون ضمائره غير محددة ويجوز للقاريء أو السامع أن يرجعها لمن يشاء.

البلاغة اللغوية تعني إيجاز الكلام وتبيان المقصد بدون أي لف أو دوران. ومَن يخاطب الناس بلغة مبهمة قابلة للتأويل لا يمكن أن يكون الله.

ويُثبت لنا رجال الأزهر، دون قصدٍ منهم، أن رب الإسلام إله منحاز، خلق بشراً يتفاوت مستوى الذكاء عندهم، بل بعضهم معوقاً ذهنياً، وما أكثرهم في بلادنا، وأنه أنزل قرآنه على أمةٍ من الأميين الجهلاء، بلسان عربي مبين.

- ومع ذلك يقول رجال الأزهر:

"والخلاصة: القرآن خطاب للعقلاء الأذكياء، وليس خطاباً للمتغابين أو الأغبياء، وفى الإنسان حاسة كثيراً ما يعوّل عليها القرآن فى خطابه، تستجلي خفايا معانيه، وتدرك روائع إيماءاته ودقائق أسراره. تلك الحاسة هى الخصائص العقلية، والملكات الذهنية أو الذوقية المثقفة." انتهى.

✍ فالإله الذي يخلق أغبياء ويتجاهلهم ولا يخاطبهم بقرآنه، **إله متغطرس لا يستحق العبادة**. فهو، حسب رد شيوخ الأزهر، **أنزل قرآناً للأذكياء فقط** الذين حباهم بملكة الخصائص العقلية والملكات الذهنية المثقفة. فكيف توقع الله من العبيد الأميين الفقراء أمثال بلال وعمار بن ياسر وغالبية البدو في صحراء نجد أن يفهموا قرآنه ويؤمنوا به؟

ألا يؤيد قول رجال الأزهر قول الذين قالوا إن الإسلام لم ينتشر بالفهم والإقناع وإنما بقوة السيف؟

وحتى نزيد رجال الأزهر تخبطاً، نورد لهم هنا بعض آيات القرآن التي تحتاج عصاتهم السحرية:

{إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز. (فصلت 41)}.

☜ جملة مبتورة لا يفهم القاريء القصد منها. إنّ الذين كفروا بالذِكر، ماذا يحدث لهم؟ كل الذي يخبرنا به القرآن إنه كتاب عزيز.

{يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام. (المائدة 1)}.

☜ ما هو الرابط بين الوفاء بالعقود وبهيمة الأنعام التي أُحلت للمؤمنين؟

{فاصبر إن وعد الله حق فإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا يرجعون. (غافر 77)}.

☜ ماذا يقصد مؤلف القرآن أن يقول في هذه الآية؟ فإما نريك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك. كلام مائع لا يعني شيئاً على الإطلاق. إما نريك بعض العذاب الذي وعدناهم وإما نتوفينك. كل إنسان يعرف أنه سوف يتوفى، فكان الأجدر أن يريه بعض العذاب الذي وعدهم. فهذا مثل قولي لشخص: إما تسافر أو تموت.

{وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً. (الأنفال 44)}.

☜ فكلمة "ويقللكم" كان من المفروض أن تكون "ويكثركم" لأنه يُري المؤمنين أنّ أعداءهم قليلون، بينما يُري المشركين أنّ أعداد المؤمنين كثيرة. ولذلك كلمة "ويقللكم" هي العكس مما أراد الله قوله.

وهناك الكثير من مثل هذه الآيات، ربما أتعرض لها في مقالٍ منفصل مستقبلاً.

أما الآن فأكتفي بهذه الحلقة في الرد على تخاريف رجالات الأزهر لأن بقية ردودهم تستعمل عصاة موسى نفسها ولا تضيف جديداً.

عودة إلى الفهرس

228 - كيف خسر المسلمون بإلغاء العبودية؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=226169

وصلني إيميل من قارئة تعيش بأمريكا يحمل رابطاً لموقع "سودان أون لاين" حيث كتب فيه أحد الإسلاميين موضوعاً عنوانه: ‹**كيف خسر المسلمون بإلغاء الرق**›[†]. *وقد تحسّر الكاتب فيه على الحسنات الإلهية التي حُرِم منها المسلمون بإلغاء العبودية لأنه لم يعد في مقدورهم الآن إعتاق رقبة كفارةً عن ذنوبهم*. لم أصدق أن شخصاً في القرن الحادي والعشرين يمكن أن يتحسر على تحريم العبودية، ولكن الأيديولوجية التي تربينا عليها قد ألغت فينا العواطف الإنسانية، مثل حب الإنسان لأخيه الإنسان، كما ألغت عقولنا. هذا هو الرابط الذي أتحدث عنه وأرجو من القاريء أن يزور هذا الموقع قبل أن يكمل قراءة هذا المقال حتى يتعرّف على نوعية العقول التي نتعامل معها

http://www.sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=300&msg=1279130718

الإنسان والحيوان يولد بجينات تتحكم في صفاته الجسدية والعقلية وكذلك تسلحه بمقومات الحياة والحفاظ عليها. من مقومات الحياة المشتركة بين الإنسان والحيوان غريزة الخوف. عندما يتفاجأ الإنسان أو الحيوان بشيء يخيفه، مثل حيوان مفترس، فالجينات قد برمجته أن يتخذ واحداً من احتمالين: إما أن يهرب أو يقف مكانه ويتعارك مع الحيوان المفترس. علماء وظائف الأعضاء يسمون هذا التصرف الغريزي التعارك أو الفرار Fight or Flight. عند الخوف يفرز الجسم كمية هائلة من **الأدرينالين** لزيادة سرعة نبضات القلب ليزيد كمية الدم في العضلات لتساعد الحيوان أو الإنسان على الفرار أو التعارك، وكلاهما يحتاج إلى عضلات متغذية بالدم والأوكسجين. الغالبية العظمى من الناس والحيوان تهرب حفاظاً على الحياة، وبذا تنجو من الأسر والسبي، والأقلية تصمد وتتعارك، وفي الغالب تفقد حياتها أو تُوسر ليصبحوا عبيداً. يقول **استوكلي كارمايكل**، زوج المغنية الأمريكية السوداء **مريم ماكيبا**:

> "الفرق الوحيد بين السود في أمريكا والسود في أفريقيا، هو أن أجداد السود الأمريكان وقفوا وحاربوا تاجر الرقيق الأبيض، فأسر بعضهم ونقلهم إلى أمريكا، بينما هرب أجداد السود الأفارقة فظلوا في إفريقيا".

فالرقيق الذين يتحسر كاتب المقال على فقدانهم كانوا في الغالب أشجع وأقوى وأشرف من أسيادهم، *ولكن الفقه الإسلامي جعلهم في درجة الحيوان*.

وفي بعض المواقف لا يستطيع الإنسان أو الحيوان أن يهرب لأن طريقه مسدود أو به عاهة تمنعه الهرب. في مثل هذه المواقف، إذا لم يمت الإنسان أو الحيوان، يتأقلم مع الوضع الجديد ويتعلم أن يقوم بأفعال تضمن له الاستمرار في الحياة. فمثلاً، الأسد أو الفيل، رغم قوته وضخامته، يتعلم في السيرك circus أن يقوم بحركات بهلوانية تسلي المتفرجين، مقابل أن يطعمه صاحب السيرك ويحافظ على حياته. هذه الحيوانات تتعلم الرقص أو القفز داخل حلقة تشتعل النار على جوانبها، بوسائل التدريب التي أتقنها ملاك السيرك، مثل الضرب إذا لم يقم الحيوان بالحركات المطلوبة، وإذا قام بها كما ينبغي، فإن المدرب يعطية حلوى أو قطعة لحم ويصفق له الجمهور، بمعنى آخر يُعطى جائزة reward عندما يفعل ما يطلبه منه المدرب. وعلى المستوى الأوسع نرى جميع الحيوانات المدجنة مثل البقر والحمير والإبل، تحمل الأثقال وتتحمل الضرب من الإنسان وتحرث الأرض، مقابل إطعامها والحفاظ على حياتها. هذه الحيوانات قبل تدجينها كانت متوحشة تعيش في حرية تامة وتفعل ما تريد. ولكن بعد مرور آلاف السنين على تدجينها أصبحت مبرمجة على عبوديتها للإنسان ولا تعرف حياةً غير حياة الأسر. وإذا أطلقت حيواناً أليفاً، ففي الغالب يسير عدة أميال ليتنسم نسيم الحرية، لكن الجوع والتعود على الحياة التي لا يعرف غيرها يضطرانه إلى الرجوع إلى سيده، فمثل هذا الحيوان قد فقد الخبرة التي تمكنه من العيش في الطبيعة القاسية.

الخوف قد يكون **فعلياً**، عندما نقابل شخصاً مسلحاً مثلاً، أو قد يكون **معنوياً** بأن نخاف من العذاب في الحياة الأخرى. وقد استغل رجالات الدين، منذ أن بدأت الأديان، هذا الخوف المعنوي لِيَحْمِلوا العامة على القيام بأفعال معينة تعود بالنفع على رجالات الدين، الذين يتهددون المؤمن بالعذاب الأبدي إذا لم يفعل ما يقولونه، ويلوحون له بالجنة التي تمثل الحلوى، كجزاء على حسن تصرفاته.

ومنذ أن عرف الإنسان الاستقرار في المجتمعات الزراعية، عرف الحروب وأسر المهزوم واستعباده. أما في المجتمعات الرعوية مثل جزيرة العرب، فإن الحروب كانت:

- لنهب الحيوانات للفائدة من ألبانها ولحومها لعدم توفر ما يسد رمق الحياة من مزروعات،
- وكذلك لسبي النساء لانتاج أكبر عدد من الصبيان لتقوية القبيلة.

ولذلك كان الرق في جزيرة العرب قبل الإسلام محصوراً في العبيد المستوردين من أفريقيا مثل عنترة بن شداد الذي كانت أمه حبشية، أما بالنسبة للرجال العرب أنفسهم فالمهزوم إما أن يُقتل في المعركة أو يرجع إلى ديارة بعد أن يكون قد فقد كرامته ومواشيه ونساءه، ليستعد لمعركة قادمة. ولهذا استمرت **"أيام العرب"** أي المواقع بينهم مئات السنين.

وظّف رجال الدين في جزيرة العرب، قبل الإسلام، الخوف المعنوي من عذاب الآخرة مما جعل بعض الملتزمين بالأديان وقتها يتبرعون أن يكونوا **عبيداً للآلهة** علها تحنو عليهم وتعفيهم من عذاب الآخرة، فنجد بعض القبائل وبعض الأشخاص سموا أنفسهم عبيداً لتلك القوى الميتافيزيقية، وأصبحوا يعرفون بأسماء مثل: عبد شمس، عبد مناف، عبد العزى، عبد اللات، عبد القيس، عبد المطلب، عبد مناة، عبد الأشهل، عبد مدان، عبد الشهرى. ولكن غالبية الأشخاص والقبائل سموا أنفسهم بأسماء حيوانات مفترسة، تيمناً بأن يكون رجالهم مثل تلك الحيوانات المفترسة، مثل أسد، ونمر، وفهد. ومنهم من تسمى بأسماء أشياء صلبة وقوية مثل حجر وصخر وسيف وقوس، أملاً في أن يكون كالمسمى صلابةً. وبعضهم سمى أولادهم بأسماء حيوانات وضيعة، في نظرهم، مثل كلب وضب وثعلب، علها تكف عنهم العين.

ثم جاء الإسلام واستعمل **عامل الخوف** في وصف جهنم وصفاً تقشعر له الأبدان، وجعل من الناس عبيداً لله بدل أن يكونوا مجرد مخلوقاته، فقال في القرآن: {**نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم. وأن عذابي هو العذاب الأليم**. (الحجر 49، 50)}. *ولتفادي ذلك العذاب الأليم ارتضى المسلمون العبودية لله*، وتأكيداً لذلك سموا أولادهم بأسماء العبودية، **فأصبح أولادهم عبيداً ليس لله فقط وإنما لجميع أسمائه الحسنى**.

فنجد مثلاً: عبد الله، عبيد الله، عبد الرحمن، عبد الرحيم، عبد المعبود، عبد الملك، عبد المالك، عبد القدوس، عبد القيوم، عبد السميع، عبد العليم، عبد العالم، عبد الواحد، عبد الأحد، عبد الخالق، عبد النور، عبد السلام، عبد المؤمن، عبد المهيمن، عبد العزيز، عبد الجبار، عبد الباري، عبد الغفار، عبد الغفور، عبد الوهاب، عبد الرزاق، عبد الرازق، عبد الفتاح، عبد الباسط، عبد الحكيم، عبد الحكم، عبد اللطيف، عبد الحليم، عبد العظيم، عبد الشكور، عبد الحفيظ، عبد الحافظ، عبد الجليل، عبد الكريم، عبد الودود، عبد المجيد، عبد الماجد، عبد الحق، عبد الحميد، عبد الحي، عبد القيوم، عبد الصمد، عبد القادر، عبد القدير، عبد البر، عبد الرؤوف، عبد

[†] عزيزي د. كامل وضعت المقال الذي تشير إليه في نهاية مقالك، لكي يُتاح للقارئ مراجعته؛ وذلك لسببين:
1. تمكين القارئ من ربط مقالك مع ما جاء في المقال المذكور.
2 ربما يأتي يوم يُرفع فيه مقال هذا المتأسلم المتخلف المأفون من الموقع الوارد فيه، وبالتالي يُتاح لقراء الغد وقراء المستقبلين القريب والبعيد أن يطلعوا على المقال المذكور عندما يقرؤون مقالاتك التي تتصف بالخلود، حتى بعد زوال الإسلام نهائيا ولو بعد عدة قرون.
إذا وجدت حضرتك الفكرة غير مناسبة فحذف تلك المقالة يكلفنا، كالعادة، مجرد "كبسة زر".
شكراً لك على إضافة المقال. أعتقد أنها فكرة جميلة

العاطي، عبد المعطي، عبد الهادي، عبد الباقي، عبد الصبور، عبد المولي، عبد المنعم، عبد الإله، عبد ربه، عبد الساتر، عبد الستار، عبد العال، عبد المتعال، عبد البر، عبد المقصود، عبد المحمود، عبد المطلب، عبد المحسن، عبد المنان، عبد الرفيع، عبد الناصر، عبد الرشيد، عبد الغني، عبد المغني، عبد الرقيب، عبد رب الحسين، عبد رب الرسول، عبد التواب.
كيف يمكن أن يسمي إنسان عاقل ابنه "**عبد المهين**" أو "**عبد الجبار**"؟ *ونلاحظ هنا أن أسماء العبودية تنحصر فقط في الرجال، أما المرأة فلا ترقى إلى أن تكون عبدة الله لأنها* ***شيطان*** *يغري الرجال بارتكاب المعاصي*، وكما قالت امرأة زكريا:

{وليس الذكر كالأنثى. (آل عمران 36)**}.**

ولم يكتفوا بالعبودية لله، بل تطوعوا أن يكونوا عبيداً لبشر مثلهم، فسموا أولادهم: عبد النبي، عبد الرسول، عبد الأمير، عبد الحسين، عبد الزهراء، عبد الإمام، عبد السادة، عبد المهدي، عبد الرضا، عبد العلي. وهذه ظاهرة غريبة لا نجدها إلا في الأسماء الإسلامية، فلا نجد في الغرب مثلاً من سمَّى أولاده "عبد يسوع" أو عبد زيوس أو عبد أبولو، رغم أن الأوروبيين مروا بمراحل الوثنية ثم التعددية ثم المسيحية. ومن الغريب أن بعض مسيحيي الشرق العربي قد تأثروا بهذه البيئة وسموا أولادهم "عبد المسيح"، رغم أن المسيح نفسه قد قال لهم إنهم أبناء الله، ولكنهم اختاروا العبودية تماشياً مع الروح العربية التي أدمنت العبودية. والغرب الذي عرف العبودية قبل الميلاد، سواء كانت ناتجة من الحروب، أو الناتجة من عدم سداد الديون، في أثينا وروما وغيرها، قد تخلصوا تدريجياً من الرق، إما طوعاً أو بالقوة كما فعل إبراهام لنكولن في أمريكا، واعتذروا عن ماضيهم، وأقاموا المتاحف التي تحكي قصة الرق، لإثبات خجلهم من ماضيهم.
وحتى حيوانات السيرك المستعبدة أصبح لها في الغرب مدافعون عنها استطاعوا أن يجبروا المجالس البلدية في أغلب المدن على منع مالكي السيرك من استعمال الحيوانات في عروضهم.

بينما نجد كاتباً إسلامياً لا يستحي أن يتحسر على إلغاء الرق الذي حرمهم من إعتاق رقبة لم يكن لهم الحق أصلاً في استعبادها.

والذي يدمن العبودية لا يرى تناقضاً في استعباد غيره، مثل اليهود الذين عانوا الأمرين من النازية عندما كانوا مستضعفين، فأصبحوا يمارسون نفس أساليب النازية على الفلسطينيين لأنهم الآن في موقف القوي، ولا يرون عيباً في تعذيب وقتل واغتصاب الفلسطيني.
وفي العالم العربي الذي أدمن العبودية خوفاً من الله ومن سيوف محمد، أصبحوا في موقف القوي عندما فتحوا البلاد المجاورة وشمال أفريقيا، فأباحوا لأنفسهم استعباد المهزومين. وجاء فقهاء الإسلام فيما بعد، عندما كثر عدد العبيد والجواري في دولة الإسلام، وشرّعوا للعبودية والخوف والطاعة العمياء، وجعلوها في مراتب:

- تبدأ الطاعة العمياء في الطفولة للأب أو زوج الأم، الذي يضربهم على الصلاة في العاشرة،
- ثم في المدرسة التي يُطاع فيها المعلم طاعة عمياء ويُسمح له بضرب الأطفال لتعليمهم الطاعة الكاملة (لك اللحم ولنا العظم)،
- ثم عندما يكبر المسلم يطيع ولي الأمر طاعة عمياء لأن ولي الأمر هو ممثل الله في العباد، وقد أوصى القرآن بطاعته عندما قال: {**أطيعوا أولي الأمر منكم**}،
- وقمة هرم الطاعة العمياء هي طاعة الرسول وطاعة الله. وقال القرآن:

{تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار. (النساء 80)}.

أي أن العبودية جائزتها الجنة. وكذلك:

{يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم. (النساء 59)}.

- ثم قال محمد: [**من علّم عبداً آيةً من كتاب الله صار له عبداً**].[1] وأصبح المسلم عبداً للأيدولوجية الإسلامية، وعبداً لله ولأوليائه. وبعد أن استمرأوا هذه العبودية بدءوا غزواتهم المباركة واستعبدوا رجال ونساء البلاد التي فتحوها، فصار لعبد الله عبيدٌ كُثر.

وحاول عبد الله تبرير امتلاكه عبيداً وإماء، فزعموا أنهم يعاملونهم معاملة الحر، وجاؤوا بأحاديث تزعم ذلك: [**لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أبيض ولا لأبيض على اسود إلا بالتقوى كلكم لآدم وآدم من تراب**].[2] ولكن كعادة الإسلام في تناقض نصوصه، ألّف نفس الفقهاء مجلدات في فقه العبيد حشوها بآيات من القرآن والأحاديث ليضعوا كل القيود الممكنة على العبيد.
فمثلاً نجد في القرآن آيات تبيح ملك اليمين من السبايا وتبيح للرجل المسلم أن ينكح ملك يمينه دون أي شروط، حتى وإن كانت الأمة قد أسلمت. ويزيد على ذلك ويجعل الإماء أقل درجة من الحرة، فيقول:

{ومن لم يستطع منكم طَوْلاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات. (النساء 25)**}.**

فالمؤمن الذي لا يستطيع مادياً أن يتزوج الحرة المحصنة، فليتزوج واحدةً من الإماء المسلمات. فالأمة المسلمة أقل مرتبةً من الحرة المسلمة.
ونفس المعنى نجده في الحديث:

[أطيعوا أولي الأمر منكم حتى وإن كان عبداً حبشياً رأسه كالزبيبة].

فكلمة "حتى" هنا للمبالغة في الأمر وللتبخيس، و**محمد** كان يعلم أن الذي رأسه كالزبيبة لا يمكن أن يكون ولي أمر المؤمنين لأنه قال في حديث آخر:

[سوف يظل هذا الأمر في قريش حتى وإن بقى منها اثنان].

وقال كذلك:

[كل عبد أبَق من سيده لا تُقبل صلاته حتى يعود إليه].

فكيف يمكن أن يصبح هذا العبد الذي لا تقبل صلاته إن حرر نفسه، ولياً على أمور المؤمنين؟
من الناحية العلمية وخاصةً وظائف الأعضاء، ليس هناك أي فرق بين امرأة عربية وامرأة رومية سبتها جيوش المسلمين وباعوها كأمة في سوق النخاسة. والقرآن يقول: {**والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا.** (البقرة 234)}. والغرض من عِدة الأربعة أشهر وعشرة أيام هو التأكد من خلو الرحم من الجنين. ولكن عندما جاء الأمر للأمة أي ملك اليمين، أخرج مالك عن سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار، قالا:

[1] كشف الخفاء للإمام العجلوني، حديث رقم 2543.
[2] الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ج11، ص 195.

عِدة الأمة إذا توفي عنها زوجها شهران وخمس ليال.

وعن ابن عمر قال:

عِدة أم الولد إذا هلك سيدها حيضة واحدة.[3]

وأم الولد هي الأمة التي يعاشرها سيدها وتلد له طفلاً أو أكثر.
وبالطبع ليس هناك أي سبب لتقصير عِدة الأمة إلى نصف عِدة الحرة غير *العنصرية العربية*. فمدة الحمل متساوية في كليهما.
وتستمر العنصرية العربية حتى في **العقاب**، فالحرة المتزوجة إذا أتت بفاحشة تُرجم، أما الأمة المتزوجة إذا أتت بفاحشة، تُجلد فقط لأن القرآن يقول عن الإماء:

{فإذا أحصن فإن أتين بفاحشةٍ فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب. (النساء 25)**}.**

فما هو الفرق بين أن تزني امرأة عربية مسلمة وأخرى جلبوها من شمال أفريقيا وأسلمت وتزوجت؟
وحتى **عورة** الأمَة تنحصر بين السرة والركبة، بينما عورة الحرة كل جسمها. فالأمة هي نصف الحرة في كل شيء، وهي مسلمة مثلها، تماماً كما جعل الإسلام المرأة نصف الرجل وأباح له استعبادها برأي فقهاء الإسلام من أمثال الغزالي.
مسلمان، أحدهما عربي حر والآخر فارسي أسروه وجعلوه عبداً فأسلم وظل عبداً. إذا قتل الفارسي عربياً، يُقتل الفارسي، ولكن إذا قتل العربي العبد الفارسي لا يقتل بدمه. يقول القرطبي:

"أجمع العلماء على أن قوله تعالى: {وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً} إنه لم يدخل فيه العبيد وإنما أُريد به الأحرار دون العبيد، فكذلك قوله عليه السلام: [المسلمون تتكافأ دماؤهم]، أُريد به الأحرار خاصةً، والجمهور على ذلك".[4]

ويقول المتقي الهندي:

"عن الأحنف بن قيس عن علي عن عمر في الحر يقتل العبد، قالا: فيه ثمنه ما بلغ".[5]

هل يسمح ضمير إنسان سوي، حتى إذا امتلك جارية، أن يضاجعها وتحمل منه وتلد له ولداً، أن يبيعها؟ يقول ابن رشد القرطبي:

« "كان أبو بكر الصديق وعلي رضوان الله عليهما وابن عباس وابن الزبير وجابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدري *يجيزون بيع أم الولد*، وبه قالت الظاهرية من فقهاء الأمصار". وقال جابر وأبو سعيد: "*كنا نبيع أمهات الأولاد* والنبي عليه الصلاة والسلام فينا لا يرى بذلك بأسا" واحتجوا بما روي عن جابر أنه قال: "كنا نبيع أمهات الأولاد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وصدر من خلافة عمر، ثم نهانا عمر عن بيعهن".».[6]

الرجل المسلم الحر يجوز له أن يجمع بين أربع زوجات، **أما العبد المسلم فلا يجوز له** قال أبو حنيفة والشافعي:

"لا يجوز له الجمع إلا بين اثنتين فقط. وسبب اختلافهم هل العبودية لها تأثير في إسقاط هذا العدد كما لها تأثير في إسقاط نصف الحد الواجب على الحر في الزنا، وكذلك في الطلاق عند من رأى ذلك. وذلك أن المسلمين اتفقوا على تنصيف حده في الزنا: أعني أن حده نصف حد الحر، واختلفوا في غير ذلك".[7]

ومع ذلك يردد المسلمون أن الإسلام أكرم العبيد وأوصى بعتقهم، كما أكرم المرأة وأعزها. وهم يعرفون حق المعرفة أن مقابل كل عبد أعتقوه، جلبت جيوشهم آلاف العبيد الجدد.

وفي النهاية، وبعد مرور أكثر من ألف عام على آيات عتق العبيد كانت حصيلة الأمة من العبيد والإماء أضعاف أضعاف ما أعتقوه.
ورغم أن العالم كله قد حرّم الرق ما زال الرق ممارساً في اليمن وموريتانيا. أما دول الخليج، بما فيها السعودية والكويت، ما زالوا يمارسون **الرق الحديث** عن طريق **الكفيل للعمالة المستوردة**، نساءً ورجالاً. وما زالوا يعاملونهم معاملة لا ترقى إلى مستوى الإنسانية، ناهيك عن إدعائهم بأن لا فرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى.
وبما أن الإسلام كله مبني على **التناقض**، لم يقف أي مسلم ليسأل نفسه عن المقولة المشهورة المنسوبة إلى عمر بن الخطاب:

"متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً"،

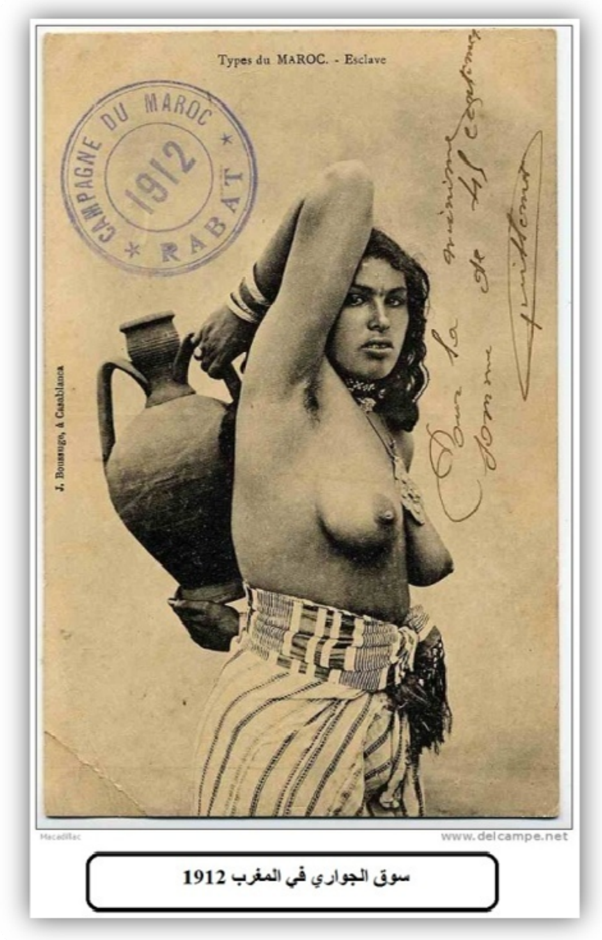
وما زالوا يرددونها دون أي تفكير.
فكيف يُعقل أن يقول عمر هذه المقولة وهو الذي كان يملك ثمانية من العبيد، وقد اشترى عبده "أسلم" سنة إحدى عشرة بمكة من ناس من الأشعريين[8]. وهو الذي أرسل جيوشه لغزو فارس والشام ورجعوا بمئات الآلاف من السبايا، وزعهم عمر على المسلمين.

فالأمة التي:

- تنازلت عن عقولها لفقهاء الإسلام،
- وفقدت عاطفة حب الآخر المختلف عنها،
- وتسلحت بفقه الولاء والبراء،
- وبررت لأفرادها الذين هم عبيد الله وعبيد الأولياء أن يمتلكوا عبيداً مسلمين مثلهم ويبيعونهم في سوق النخاسة بيع الحيوان،

لا نستبعد منهم أن *يحنّوا* إلى تلك الأيام الخوالي التي كانوا يغزون فيها بلاد تبعد عنهم آلاف الأميال
ليسبوا نساءهم
ويستعبدوا رجالهم،
ويسخروهم لخدمتهم
بينما يتفرغوا هم لنكاح الإماء.

[3] الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، ج1، سورة البقرة 281.
[4] الجامع لأحكام القرآن، ج5، سورة النساء، آية 92.
[5] كنز العمال، ج5، كتاب القصاص والقتل، حديث 40176.
[6] بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج2، باب أمهات الأولاد، ص 120.
[7] بداية المجتهد لابن رشد، ج2، ص 367.
[8] الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج2، ص 204، والمنتظم في التاريخ لابن الجوزي، ج4، ص 47.



هذه الصورة الفوتوغرافية، التي عثرث عليها في أحد مواقع الويب، تظهر جارية عارية الصدر في أحد أسواق الجواري في الرباط/ المغرب في عام 1912.

عودة إلى الفهرس

كيف خسر المسلمون بإلغاء الرق؟

بقلم سيد أحمد مهدي

http://www.sudaneseonline.com/cgi-bin/sdb/2bb.cgi?seq=msg&board=300&msg=1279130718
http://www.muslm.net/vb/showthread.php?t=370827

هذه الشريعة: عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكمة كلها[9]، هكذا دون تردد سطر **ابن القيم** رحمه الله تعالى هذه الكلمات بثقة العالم الرباني الموقن بحكمة الله تعالى وكمال دين الإسلام، قد يقولها سواه كثير، لكن ما إن تتعارض الشريعة مع القضايا التي صارت مسلمة في الثقافة الغربية ومؤسساتها التي فُرضَت على العالم، حتى يصبح الإسلام في قفص الاتهام، يحتاج إلى من يدافع عنه ويؤول نصوصه وتاريخه لتتلاءم مع ميثاق حقوق الإنسان،وميثاق الأمم المتحدة، ومبادئ الثورة الفرنسية...

قال أحدهم: "إذا أردت أن تُصدَّق كذبتك فأكثر تردادها"، لقد انبهرنا بالثقافة الغربية وهيمنتها إلى حد صدقنا فيه بعض الكذبات من كثرة ما رددت علينا، وصرنا نتصور بعض القضايا بمفاهيم غير إسلامية، ثم نناقشها على ذلك الأساس.

ابتدع الكفار لحماية ثقافتهم وأفكارهم أنبازا يقذفون بها من حاد عن صفهم، صار بعضنا اليوم في البلاد الإسلامية يخشى أن يُقذف بها إذا تكلم بالحق: معادٍ للسامية (لمن يعادي اليهود)،كاره للمثليين (لمن يتبرأ من عمل قوم لوط)،جنسي (لمن يرى قوامة الرجل على امرأة)، عنصري واستعبادي (لمن يسلّم بمشروعية الاسترقاق).

أثار أعداء ديننا شبهة إقرار شريعتنا للرق للطعن في الإسلام، فانبرى العلماء والمفكرون للرد على شبهات المبطلين، وإن كان معظمهم أفلح في إظهار الفارق بين "*رقنا*" و"*رقهم*"،فإن جمهور من تكلم في قضية الرق خلص إلى أن الإسلام عمل على إلغاء الرق وإعدامه، وأن ما نعيشه في العصور المتأخرة من منع الاسترقاق إنما هو من بركة الإسلام وأن تلك نعمة ينبغي أن نشكرها.

والحق أن إلغاء الرق من *المصائب العظيمة* التي مني بها المسلمون بسبب ابتعادهم عن شريعة ربهم و تقاعسهم عن نصرة دينه سبحانه وتعالى، وانقطع بانقطاع الرق سبل كثيرة من سبل الخير في الدنيا والآخرة على المسلمين، نعم... لقد خسر المسلمون بإلغاء الرق نعماً كثيرة اقتضتها حكمة الله تعالى في تشريع هذا النظام المحكم العادل.

ولك أن تسأل - أيها القارئ الكريم -: ماذا خسر المسلمون بإلغاء الرق؟ اذكر لنا شيئا من ذلك مصداقاً لدعواك!

سأعدد لك - أيها القارئ الكريم - في هذا المقال - إن شاء الله تعالى - شيئا مما وقفتُ عليه من النعم التي حُرمتها أنا وأنت وكل مسلم بسبب إلغاء الرق، هذه المصيبة التي ينبغي أن نحتسب أجرها عند الله تعالى، فأقول: خسر المسلمون بإلغاء الرق...

1. سبيلا من سبل الدعوة إلى الله تعالى

خير لك من حمر النعم..من الدنيا وما فيها..أن يهدي الله تعالى بك رجلا..أن يعتقه من الخلود في النار بسببك، هذا هو حلم كل مسلم.

كان استرقاقُ المسلمين الكفار من أعظم سبل الدعوة إلى الإسلام وإنقاذ الناس من الكفر، ذلك أن الكافر إذا أُسر [بضم الألف] وعاش بين ظهراني المسلمين ورأى حسن معاملتهم فإنه لا يلبث أن يقتنع بهذا الدين العظيم فيسلم، وإن لم يسلم هو أسلمت ذريته التي تنشأ في بيئة إسلامية، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها، فإن عددا لا يحصيهم إلا الله تعالى من الرقيق دخلوا في الإسلام ثم صاروا أو صار أبناؤهم وأحفادهم علماءً وملوكا ومجاهدين يدافعون عن الإسلام وينصرونه، فسبحان مقلب القلوب، وسبحان من يخرج الحي من الميت، قال **الشنقيطي**: ومن المعلوم أن كثيرا من أجلاء علماء المسلمين ومحدثيهم الكبار كانوا أرقاء مملوكين، أو أبناء أرقاء مملوكين، فهذا **محمد بن سيرين** كان أبوه **سيرين** عبداً **لأنس بن مالك**،وهذا **مكحول** كان عبدا لامرأة من هذيل فأعتقته،ومثل هذا أكثر من أن يحصى كما هو معلوم[10]

وهذا **الجيش الإنكشاري** سيف **الدولة العثمانية** المسلط على أعداء الدين، كان أصله من سبي **النصارى** من الغلمان الذين أنشئوا على حب الإسلام والجهاد في سبيل الله سبحانه[11]، وقامت **دولة المماليك** في **مصر والشام** التي دفع الله بها كيد **المغول والصليبيين**، وكان أسلافهم من الرقيق والسبي[12].

2. سبيلا من سبل الأجر

عن **أبي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّمَا رَجُلٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا اسْتَنْقَذَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ مِنْ النَّارِ[13]، لقد كان إعتاق الرقيق مكرمة في الجاهلية والإسلام، وكان المسلمون يهرعون إلى الإعتاق إذا ألمت بهم المصائب وحلت بهم النوائب ورؤا آيات العذاب، فعَنْ **أَسْمَاءَ** رضي الله عنها قَالَتْ: لَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْعَتَاقَةِ فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ[14]، وكثيرا ما نقرأ في كتب التاريخ أن فلانا من الملوك أو الأغنياء ألمَّ به مرض أو مصاب فأعتق جميع غلمانه، أما في مواسم الخير فكان سلفنا يتسارعون إلى إعتاق العبيد في العشر الأواخر من رمضان وفي يوم عرفة عند الموقف عسى أن يعتق الكريم جل جلاله رقابهم من النار.

كأني بك أيها القارئ الكريم الراغب في رحمة الله تحترق شوقا لأن تعتق نسمة مؤمنة، وترى الفرح والسرور على وجه ذلك العتيق، وتسمعه يلهج لك بالدعاء أن:"أعتَقَ الله من أعتقني!" لكن أنّى لنا ذلك، فقد ألغي الرق فإنا لله وإنا إليه راجعون، إن الأجر الذي حرمناه بانقطاع هذا السبيل من سبل الخير لمن أعظم المصائب المترتبة على إلغاء الرق.

3. سبيلا من سبل الاستعفاف والإعفاف

صار الزواج معضلة من معضلات العصر بين شباب المسلمين، لأن قسمة قضاء الوطر في عصرنا ثنائية : زواج أو زنا! وكانت قسمة أسلافنا ثلاثية : زواج أو زنا أوتسري! قال تعالى مبينا صفات المؤمنين: وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (المؤمنون 5-6)، وقال تعالى: وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ (النساء 25).

والكلفة في الحالتين: التسري بملك اليمين أو نكاح الأمة، أقل وأيسر من نكاح الحرة، فلعلك ترث أمة أو تُوهبُها أو تدخر لتشتريها كما تدخر لشراء الثلاجة والسيارة! بخلاف الحرة التي لا يُتوصل إليها إلا بالوسائل العظيمة والأموال الجزيلة ثم تشترط عليك الشروط الكثيرة. أما الأمة فأنت سيدها تأتمر بأمرك وتنتهي بنهيك[†]...

تخيل أيها القارئ الكريم أننا لا نزال ننعم بنعمة الرق، أليس في ذلك سبيل إحصان لجحافل العازبين في مجتمعاتنا؟ أليس نكون كُفينا آفات العزوبة من تهتك أخلاقي وأمراض نفسية، بل... وعمليات انتحارية! لكن كان أمر الله قدراً مقدوراً وما أصابنا فبما كسبت أيدينا.

ثم لعلك تقول :هاهي ذي فائدة الرق في إحصان الرجل، فما فائدته في إحصان المرأة؟

فأقول :هب أن المسلمين استعادوا قوتهم وغزوا أقواما من الكفار وسجنوا رجالهم أو قتلوهم، فما يُفعل بنسائهم من ينفق عليهن... من يحميهن... من يحصنهن ويعفهن؟

قال **صاحب الظلال**: على أنه يحسن ألا ننسى أن هؤلاء الأسيرات المسترقات لهن مطالب فطرية لا بد أن يُحسب حسابها في حياتهن ولا يُمكن إغفالها في نظام واقعي يراعي فطرة الإنسان وواقعه، فإما أن تتم تلبية هذه المطالب عن طريق الزواج وإما أن تتم عن طريق تسري السيد ما دام نظام الاسترقاق قائماً كي لا ينشرن في المجتمع حالة من الانحلال الخلقي والفوضى الجنسية لا ضابط لها حين يلبين حاجتهن الفطرية عن طريق البغاء أو المخادنة كما كانت الحال في الجاهلية[15].

تالله إن السبي رحمة للبشر - كفاراً ومسلمين- لو كانوا يعلمون، فتأمل كيف تكون المرأة امرأة كافر محارب للإسلام، ثم يقتل زوجها في الحرب فتقع في سهم رجل من المسلمين، فيتسراها، فتصير من حريمه يصونها ويحصنها ويحفظها ويحرم ديننا -الذي ذم الدياثة[††] - عليه أن يُفَرِّط في عرضها. قال الشيخ **الطاهر ابن عاشور**: وألحق التسري بالنكاح في صحة النسب الناشئ عنه لأن السيد إذا اتخذ أمته سرية له حاطها من حراسته بأقوى مما يحوط به إماء الخدمة بدافع مركب من الجبلة والعادة، فإذا صارت أم ولد له صارت لها أحكام خاصة[16].

4. سبيلا من سبل التفرغ للعبادة

[†] لاحظ أيها القارئ الكريم كيف يبرر هذا الكاتب العجيب آلية الحصول على اللذة الجنسية بمنطق تجاري بحت حيث يستعمل مفردة "**الكلفة**" - ولربما لا تكلفك الأَمَة شيئاً للتسري بها إذا كنت محظوظاً وآلت إليك هذه الأَمَة بالإرث - ولو فرضنا جدلاً أن كلفة نكاح الحرة أقل من كلفة الجارية أو الأَمَة، إذن لزال هذا المبرر للتسري بالجواري والإماء وبالتالي زوال أحد مبررات العبودية الإسلامية!!!

[††] **الدياثة** تعني القوادة، (القاموس المحيط). ومنها أتت الكلمة العامية **ديوس** في بعض اللهجات الدارجة في بعض الدول العربية الدالة على مَنْ يمارس مهنة **القوادة وتسهيل الدعارة**.

---

[9] أعلام الموقعين- ابن قيم الجوزية-ت عصام الصبابطي 1425-2004 المجلد 2 الجزء 3 ص3.
[10] أضواء البيان-محمد الأمين الشنقيطي-دار الفكر-1415-1995 250/7.
[11] انظر تاريخ الدولة العثمانية –شكيب أرسلان-ت حسن السماحي سويدان-دار ابن كثير /دار التربية-ط1-1422-2001 ص 58 وما بعدها.
[12] انظر التاريخ الإسلامي –محمود شاكر-المكتب الإسلامي-ط4-1411-1991 (21/7-22).
[13] متفق عليه واللفظ للبخاري.
[14] البخاري كتاب الجمعة باب من أحب العتاقة في كسوف الشمس.
[15] في ظلال القرآن - سيد قطب - دار إحياء التراث الإسلامي - ط 4 - 1386-1967 248/2.
[16] مقاصد الشريعة الإسلامية - محمد الطاهر بن عاشور - ضمن "محمد الطاهر بن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة" - محمد الحبيب بن الخوجة - طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة قطر 436-437.

عَنْ **ابْنِ عُمَرَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْعَبْدُ إِذَا نَصَحَ سَيِّدَهُ وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ[17]، في هذا الحديث وفي نظائره حِكَم لِمَن تأمل، فإن الله تعالى خلقنا في هذه الدنيا لعبادته، والعزيمة شغل كل وقت الحياة بعبادته تعالى، لكن من رحمته سبحانه رخص لنا وخفف علينا ووضع عنا الآصار والأغلال، ثم مع ذلك جعل الأجر العميم في أمور نفعلها لمعاشنا كالأكل والنوم وقضاء الوطر من الأزواج والفرح بالذرية إذا نوينا بها طاعة الله، وجعل تعالى لمن بلي بنوع شغل زائدٍ أجرُه في ذلك الشغل إن أحسن فيه، أليس جعل جنة المرأة في طاعة زوجها لما كانت وظيفتها الاشتغال بطاعته وخدمته، وجعل سبحانه مضاعفة الأجر للعبد في حسن خدمة سيده لما كانت تلك وظيفته، فهذا العبد المشغول صباحا ومساء بخدمة سيده لو لم يُجعل ثوابه في ذلك عظيما لأرهق ولشق عليه أن يؤدي وظيفة العبد ثم يعبد عبادة السيد، لذلك فُرِّغ لعبادته وهي حسن الخدمة للسيد، فسبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى!

لكن همة ساداتنا من السلف الذي ابتلوا بالرق تفوق الجبال، قال سيدنا **أبو العالية**: كنا عبيدا مملوكين، منا من يؤدي الضرائب، ومنا من يخدم أهله، فكنا نختم كل ليلة، فشق علينا حتى شكا بعضنا إلى بعض،فلقينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعلمونا أن نختم كل جمعة، فصلينا ونمنا ولم يشق علينا[18].

ثم إنك قد تعجب من كثرة صلاة سلفنا وكثرة صيامهم وتفرغهم للعبادة والتلاوة والذكر والتسبيح بما لا نستطيع معشار عشره، فنحن يلزمنا الذهاب صباحاً إلى الدوام، فنكدح ثمانية ساعات ثم نعود مرهقين إلى بيوتنا فنرتمي على فرشنا صرعى أخي الموت!نعم... قد بورك لسلفنا في أوقاتهم، ومن هذه البركة أن سخَّر الله تعالى لهم الغلمان والعبيد الذين يكفونهم المهنة وأشغال البيت، فاعجب من حكمة الله في تشريع الرق ...ثم اعجب ...ثم اعجب ...

وإليك هذه القصة عن **أسماء** رضي الله عنها لترى كيف يعتق العبد حراً لمّا يكفيه مؤنة الشغل، عَنْ **أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ** قَالَتْ:" تَزَوَّجَنِي الزُّبَيْرُ وَمَا لَهُ فِي الْأَرْضِ مِنْ مَالٍ وَلَا مَمْلُوكٍ وَلَا شَيْءٍ غَيْرَ فَرَسِهِ، قَالَتْ فَكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ وَأَكْفِيهِ مَئُونَتَهُ وَأَسُوسُهُ وَأَدُقُّ النَّوَى لِنَاضِحِهِ وَأَعْلِفُهُ وَأَسْتَقِي الْمَاءَ وَأَخْرُزُ غَرْبَهُ وَأَعْجِنُ ....وَكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوَى مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الَّتِي أَقْطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَأْسِي وَهِيَ عَلَى ثُلُثَيْ فَرْسَخٍ ....حَتَّى أَرْسَلَ إِلَيَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ فَكَفَتْنِي سِيَاسَةَ الْفَرَسِ فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَتْنِي[19].

5. سبيلا من سبل الرزق

رأينا قبلُ أن الله تعالى سخر لسلفنا العبيد والغلمان والإماء يكفونهم أمر المهنة وكثير من أمور الاسترزاق، فهذا سبيل رزق حُرمناه بإلغاء الرق، بل كانت تجارة الرقيق النافقة يوم كانت سوق الجهاد قائمة من أعظم دعائم الاقتصاد الإسلامي، فهذه مدينة **الجزائر** -حرسها الله- أيام الجهاد في أوائل العهد العثماني كان قائمةُ اقتصادها على الغنائم والسبي مما يناله المجاهدون في غزوهم البحري.

ثم إن شرعنا أوجب الإنفاق على الرقيق وإطعامهم وكسوتهم، لا يُطعمون فضلة الطعام ولا يُكسون بالي الثياب، بل تطعمه مما تطعم وتكسوه مما تلبس، قال النبي صلى الله عليه وسلم: إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمْ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ[20].

فكون العبد رقيقا باب من أبواب الرزق لطائفة من الناس خرقي أو سذج لا يحسنون الاسترزاق، أو لا تُتاح لهم فرص العمل، فالعبد في الغالب غريب عن أهل البلد،وكان هو أو آباؤه كفاراً محاربين للإسلام، فمن كان ليوظفه لو كان حراً؟ لذلك نص بعض العلماء على رجحان عدم إجزاء عتق من لا يقوم على نفسه في الكفارات، قال **الشيخ السعدي**: الحكمة تقتضي أن لا يجزئ عتق المعيب في الكفارة؛ لأن المقصود بالعتق نفع العتيق، وملكه منافع نفسه، فإذا كان يضيع بعتقه، وبقاؤه في الرق أنفع له فإنه لا يجزئ عتقه، مع أن في قوله: (تحرير رقبة) ما يدل على ذلك؛ فإن التحرير: تخليص من استحقت منافعه لغيره أن تكون له، فإذا لم يكن فيه منافع لم يتصور وجود التحرير. فتأمل ذلك فإنه واضح[21].

6. سبيلا من سبل إكرام المسلمين ومعاقبة الكافرين

قال **الشنقيطي** رحمه الله: وسبب الملك بالرق: هو الكُفر، ومحاربة الله ورسوله، فإذا أقدر الله المسلمين المجاهدين الباذلين مهجهم وأموالهم، وجميع قواهم، وما أعطاهم الله لِتكون كلمة الله هي العليا على الكفار - جعلهم ملكاً لهم بالسبي. إلا إذا اختار الإمام المن أو الفداء. لما في ذلك من المصلحة على المسلمين، وهذا الحكم من أعدل الأحكام وأوضحها وأظهرها حكمة، وذلك أن الله جلَّ وعلا خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه، ويمتثلوا أوامره ويجتنبوا نواهيه...وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة...وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة ليشكروه...فتمرد الكفار على ربهم وطغوا وعتوا، وأعلنوا الحرب على رسله لئلا تكون كلمته هي العليا، واستعملوا جميع المواهب التي أنعم عليهم بها في محاربته، وارتكاب ما يسخطه، ومعاداته ومعاداة أوليائه القائمين بأمره. وهذا أكبر جريمة يتصورها الإنسان. فعاقبهم الحكم العدل اللطيف الخبير جلَّ وعلا عقوبة شديدة تُناسب جريمتهم. فسلبهم التصرف، ووضعهم من مقام الإنسانية إلى مقام أسفل منه كمقام الحيوانات، فأجاز بيعهم وشِراءهم، وغير ذلك من التصرفات المالية، مع أنه لم يسلبهم حقوق الإنسانية سلباً كلياً. فأوجب على مالكيهم الرفق والإحسان إليهم، وأن يطعموهم مما يطعمون، ويكسوهم مما يلبسون، ولا يكلفوهم من العمل ما لا يطيقون، وإن كلفوهم أعانوهم[22].

7. سبيلا من سبل علو الهمة في المروءة

لو تساوى الناس في الغنى والفقر، والرفعة والوضاعة، والصحة والمرض، لاختل ناموس الحياة ولما احتاج بعضهم إلى بعض، ولما ميزوا بين الحسن والقبيح، فإن الضد يظهر حسنه الضد، لذلك رفع الله سبحانه وتعالى عباده بعضهم فوق بعض درجات ليفتن بعضهم ببعض، وليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً، ومن ذلك أن خلق تعالى أناسا سخرهم ليكونوا عبيدا وخلق أناسا سخرهم ليكونوا أحراراً وفرق الله سبحانه وتعالى بينهم كونا وشرعا، قال **ابن قيم** رحمه الله تعالى: أما جلد قاذف الحر دون العبد فتفريق لشرعه بين ما فرق الله بينهما بقدره، فما جعل الله سبحانه العبد كالحر من كل وجه لا قدرا ولا شرعا، وقد ضرب الله سبحانه لعباده الأمثال التي أخبر فيها بالتفاوت بين الحر والعبد، وأنهم لا يرضون أن تساويهم عبيدهم في أرزاقهم، فالله سبحانه وتعالى فضل بعض خلقه على بعض، وفضل الأحرار على العبيد في الملك وأسبابه والقدرة على التصرف، وجعل العبد مملوكا والحر مالكا، ولا يستوي المالك والمملوك، وأما التسوية بينهما على أحكام الثواب والعقاب فذلك موجب العدل والإحسان، فإنه يوم الجزاء لا يبقى هناك عبد ولا حر ولا مالك ولا مملوك[23].

وقال **الشيخ الطاهر ابن عاشور** رحمه الله: لفظ الحرية في اللغة العربية كان يطلق على السلامة من النقائص التي كانوا يعتبرونها من صفات العبيد[24]. لذلك جاء في كلام العرب وأشعارهم وأمثالهم ما يدل على هذا المعنى كقولهم: وعد الحر دين عليه، وتجوع الحرة ولا تأكل بثدييها.

فهذه الحقيقة الواقعة كانت حافزاً للأحرار أن يُعلُوا همتهم في المروءة فلا يشابهوا الأخلاق التي تفشو في العبيد فيُعيَّروا بذلك، وكانت حافزاً للعبيد أيضاً أن يسموا إلى الحرية بالمكاتبة فجاء ديننا بالحث عليها، قال الله تعالى: وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا(النور 33).

ثم أُلغي الرق، وحرر العبيد من الاسترقاق وبعضهم لمّا يحرر بعد من مساوئ الأخلاق التي كانت مستساغة في حقهم أو متجاوز عنها أيام كونهم رقيقا، ثم اختلط الأحرار والمحررون وامتزجت أخلاقهم فضاعت الكثير من خصال المروءة لانعدام الحافز لتحصيلها.

8. سبيلا من سبل التخفيف في التكاليف

كما فضل الله تعالى الناس بعضهم على بعض في المروءة، فقد جعلهم سبحانه درجات في منازل العبادة والتكليف كل حسب مقدرته، لذلك سلط الله تعالى برحمته البلاء على عباده بقدر إيمانهم، ونحن نعلم أن الرق سببه الكفر، فالمسلم من الرقيق إما أن يكون حديث عهد به أو منحدراً من أسرة قريبة عهد به ترسخت فيها بعض العادات، ثم إن العبد في مشغلة غالباً عن تعلم أمور الدين، وذلك من أسباب التجاوز والتخفيف، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجاوز عن كثير من أفاعيل الأعراب التي لو فعلها حر لاستحق عليها العقوبة الموجعة. من أجل ذلك خفف الله سبحانه وتعالى برحمته على الرقيق في تنصيف الحد وسقوط الجمعة والزكاة...وتنصيف العدة على الإماء، وخُفف على الإماء في أمور الحجاب والستر.

قال **ابن القيم** في بيان حكمة جعل حد الرقيق على النصف من حد الحر: فلا ريب أن الشارع فرق بين الحر والعبد في أحكام وسوى بينهما في أحكام فسوى بينهما في الإيمان والإسلام ووجوب العبادات البدنية كالطهارة والصلاة والصوم لاستوائهما في سببهما، وفرق بينهما في العبادات المالية كالحج والزكاة والتكفير بالمال لافتراقهما في سببهما، وأما الحدود فلما كان وقوع المعصية من الحر أقبح من وقوعها من العبد من جهة كمال نعمة الله تعالى عليه بالحرية، وأن جعله مالكاً لا مملوكاً ولم يجعله تحت قهر غيره وتصرفه فيه، ومن جهة تمكنه بأسباب القدرة من الاستغناء عن المعصية بما عوض الله عنها من المباحات، فقابل النعمة التامة بضدها واستعمل القدرة في المعصية فاستحق من العقوبة أكثر مما يستحقه من هو أخفض منه رتبة وأنقص منزلة، فإن الرجل كلما كانت نعمة الله عليه أتم كانت عقوبته إذا ارتكب الجرائم أتم...فإن العبد كلما كملت نعمة الله عليه ينبغي له أن تكون طاعته له أكمل وشكره له أتم ومعصيته له أقبح وشدة العقوبة تابعة لقبح المعصية، ولهذا كان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالماً لم ينفعه الله بعلمه، فإن نعمة الله عليه بالعلم أعظم من نعمته على الجاهل، وصدور المعصية منه أقبح من صدورها من الجاهل، ولا يستوي عند الملوك والرؤساء من عصاهم من خواصهم وحشمهم ومن هو قريب منهم ومن عصاهم من الأطراف والبعداء، فجعل حد العبد أخف من حد الحر جمعا بين حكمة

---

[17] متفق عليه.

[18] سير أعلام النبلاء - ترجمة أبي العالية.

[19] متفق عليه وأوردته هنا باختصار.

[20] متفق عليه.

[21] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان-عبد الرحمن بن ناصر السعدي-ت. عبد الرحمن بن معلا اللويحق-دار ابن حزم-ط1-1424-2003 ص173

[22] أضواء البيان 3/29-30 باختصار.

[23] أعلام الموقعين المجلد1 الجزء2 ص361.

[24] أصول النظام الاجتماعي في الإسلام - محمد الطاهر بن عاشور –دار سحنون /دار السلام ط2-1427-2006 وأورد رحمه الله تعالى على ذلك شواهد من الحديث النبوي وأشعار العرب ص 151-152.

الزجر وحكمة نقصه، ولهذا كان على النصف منه في النكاح والطلاق والعدة، إظهارا لشرف الحرية وخطرها وإعطاء لكل مرتبة حقها من الأمر كما أعطاها حقها من القدر، ولا تنتقض هذه الحكمة بإعطاء العبد في الآخرة أجرين بل هذا محض الحكمة، فإن العبد كان عليه في الدنيا حقان حق لله وحق لسيده، فأعطي بإزاء قيامه بكل حق أجراً، فاتفقت حكمة الشرع والقدر والجزاء والحمد لله رب العالمين[25].

خاتمة

إن من تمعن في نصوص الكتاب والسنة ونظر في كتب الفقه و التاريخ والأدب ليستخلص أضعاف ما ذكرتُه من حِكم الرق ومنافعه التي حُرمناها في زماننا هذا، وكان القصد من هذا المقال

- *أولا* أن نصحح مفاهيمنا على ضوء النصوص الشرعية، ولا نبالي إن نخر الكفار، فإن الكافر مهما عظم شأنه عند قومه أقل وأذل من أن يعبأ برأيه ويسمع لقوله في مثل هذه القضايا التي كفانا ديننا العظيم معالجتها،
- *ثم* أن نسعى إلى تحصيل نعم الله تعالى التي حُرمناها بشؤم ذنوبنا بالعودة إلى تطبيق شرعه واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

عَنْ **ابْنِ عُمَرَ** قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ[26].

نسأل الله تعالى الهداية والسداد.

عودة إلى الفهرس

[25] انظر أعلام الموقعين المجلد1 الجزء2 ص394-395.
[26] أبو داود وصححه الألباني في الصحيحة رقم 11.

229 - لجان البحوث الدينية وتفاهة البحث

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=231653

ما من شيء في الغرب إلا وأخذه المسلمون وجعلوه من صميم الإسلام. فإذا أخذنا موضوع البحوث العلمية التي نشأت في الغرب وأنتجت الكثير المفيد للبشر، نجد أن المؤسسات الدينية الإسلامية قد تبنت تلك الفكرة وأنشأت لجاناً للبحوث العلمية مثل (مجمع البحوث الإسلامية)، وهو أعلى هيئة شرعية في مشيخة الأزهر. وكذلك نجد (اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء) بالسعودية. وهناك لجان مماثلة في كل البلدان الإسلامية.

فماذا قدمت هذه اللجان من بحوث لتأصيل أو تحديث الإسلام من قرآن وسنة؟ ما زال مجمع *البحوث الإسلامية* بالأزهر عاجزاً أن يقدم بحثاً واحداً في صحيح البخاري الذي يعج بالأحاديث التي تجعل من الله صنماً كبيراً ومن محمد دجالاً يقول للبدو الذين عاصروه:

إن الملائكة شقت صدره وأخرجت قلبه وغسلته في طشت من ذهب، ثم ردته إليه.

وقد تحداهم عدة أشخاص في مصر وخارجها أن يراجعوا صحيح البخاري ويحذفوا الأحاديث التي تسيء إلى العقل أولاً ثم إلى ربهم ورسولهم. وبدل أن يقوموا بالبحث الذي نتوقعه منعهم لأنهم في مجمع *البحوث الإسلامية*، هددوا باللجوء إلى المحكمة لإسكات الأصوات المطالبة بالبحث.

وآخر بحث قرأناه وصدر عن مجمع *البحوث الإسلامية* الذي عقد اجتماعاً كبيراً برئاسة شيخ الأزهر الراحل السيد طنطاوي كان البحث القيّم الذي أنكر فتوى الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية عندما أفتى

بأن الشباب المصريين الذين يغرقون في البحر الأبيض المتوسط في محاولتهم التسلل إلى إيطاليا لا يموتون شهداء.

ولأن لقب الشهيد قد أصبح من أهم الألقاب الإسلامية، وقد حُصر أخيراً في المغاوير الذين يفجرون أنفسهم وسط أطفال المدارس المصطفين لاستلام الحلوى من الجنود الأمريكان بالعراق، كان لا بد *لمجمع البحوث الإسلامية* **من إجراء بحث عميق في أمهات الكتب الصفراء** ليسبغوا لقب الشهيد على أولئك الفقراء البائسين الذين اضطرتهم ظروفهم المعيشية إلى اقتحام أمواج البحر في زوارق لا تصلح لنقل المواشي، فغرقوا قبل الوصول إلى مبتغاهم.

وقال المجمع في بيان أصدره عقب جلسته الطارئة:

"هؤلاء الشباب الذين لقوا حتفهم قبالة السواحل الايطالية شهداء، بنص حديث النبي صلى الله عليه وسلم، «الغريق شهيد»، ولأنهم خرجوا بحثا عن الرزق الحلال، وطلبا لتحسين دخولهم وأحوالهم المعيشية، وهذه المقاصد قد احلتها شريعة الإسلام ودعت إليها".[1]

وبالطبع لم يهتم الباحثون الأزهريون بالبحث عن الأسباب التي أدت إلى محاولة التسلل إلى إيطاليا لتحسين الأوضاع المعيشية. فالتسلل خلسةً إلى إيطاليا عمل لا تقره القوانين الدولية ولا قوانين إيطاليا أو قوانين مصر نفسها. **ولأن شيوخ الإسلام يقيمون الحد إذا سرق فيهم الضعيف، ويتغاضون عن السارق الغني،** *فليس من مهمة مجمع البحوث البحث فيما آلت إليه أموال مصر المسروقة بواسطة أولي الأمر في الدولة مما جعل أعداداً غفيرة من المواطنين يسكنون المقابر ويضطر بعضهم إلى اقتحام البحر*. المهم أن يثبت بحثهم أن الحديث الذي رواه أبو هريرة عن الغريق حديث صحيح وينطبق على هؤلاء الشباب المصريين الذين ماتوا. أما الشباب الأحياء في القاهرة، الذين يسحقهم الفقر والفاقة ولا يستطيعون الزواج بسبب غلاء المهور وغلاء إيجار الشقق السكنية مما أدى إلى تضخم العنوسة بالقاهرة وإلى **تفشي ممارسة الجنس بين الشباب** الذين قد زادت فيهم مظاهر التدين الخارجي من تطويل اللحى وإظهار الزبيبة على الجبهة، فليسوا مما يستدعى البحث العلمي الإسلامي ليجد حلاً لهذه الظاهرة، فيكفي هؤلاء الشباب **زواج المسيار** الذي أقره الأزهر أخيراً ومنحهم الرخصة لممارسة الجنس. وقد أثبت البحث القيّم هذا أن الذي يحاول تحسين أوضاعه المعيشية حتى لو كانت محاولته عن طريق التسلل والخداع أو سرقة أموال الدولة أو الارتشاء، فإن قصده شريف ويدخل ضمن المقاصد التي أحلتها شريعة الإسلام ودعت إليها.

وحتى لا يفوت *اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء* بالسعودية شرف البحث الديني، فقد اصدرت هذه اللجنة أخيراً **بحثاً يدافع عن شرف السيدة عائشة أم المؤمنين التي لم تنجب طفلاً في حياتها،** فعوضها الله بدل ذلك بلايين الأطفال من مختلف الجنسيات الآسيوية والأفريقية والعربية وحتى بعض الأوروبيين والأمريكان البيض الذين اعتنقوا الإسلام مؤخراً.

"أكدت اللجنة بعد الاطلاع على ما تناقلته وسائل الإعلام من القذف والسب والطعن في عرض زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، مكذبا للكتاب والسنة المطهرة وإحقاقا للحق ودفعا عن عرض أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، الذي هو عرض النبي صلى الله عليه وسلم، «أنه من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة وجوب محبة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوقيرهم والترضي عنهم، فهم الذين صحبوا خاتم الأنبياء والمرسلين، وهم الذين عايشوا نزول الوحي، وهم الذين مدحهم الله في كتابه وأثنى عليهم المصطفى عليه الصلاة والسلام في سنته، وكفى بذلك منقبة وفضيلة، قال الله تعالى «وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ»، وقال تعالى «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا»، وقال تعالى «مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ»".[2]

فكون هؤلاء الرجال أشداء على الكفار ورحماء فيما بينهم، وكونهم عاصروا محمداً، لا يوجب على المسلم محبتهم واحترامهم. المحبة لا تُفرض على الناس وإنما يقتنيها صاحبها بعمله واحترامه للغير. فهل كان أصحاب محمد يحترمون الغير أو يحترمون بعضهم بعضاً؟ ألم يشتم الأنصار بعضهم بعضاً وكادوا أن يتقاتلوا بالسيوف عندما قال محمد في المسجد بعد حادثة الإفك:

"[يا معشر المسلمين مَن يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي]
وكان يقصد *ابن أبي سلول*، فقال له سعد بن معاذ:
أنا أعذرك منه يارسول الله. فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.
فقام إليه سعد بن عبادة زعيم الخزرج، وقال له: لعمرك لا تقتله ولا تقدر على قتله.
فقام أسيد بن حضير، من الأوس وقال لمعاذ بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين."[3]

فهاهم الأنصار أصحاب محمد الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، يشتمون بعضهم البعض ويتهمونهم بالنفاق. وقد أيدهم القرآن عندما قال لمحمد إن مَن حوله من الأعراب في المدينة قوماً مردوا على النفاق. فلماذا يجب علينا احترامهم وتبجيلهم وهم لم يحترموا بعضهم بعضا والله قد وصف بعضهم بالنفاق؟

---

[1] الشرق الأوسط 2007/11/14.
[2] الشرق الأوسط 2010/10/10.
[3] المنتظم في التاريخ لابن الجوزي، ج3، ص 80.

وشدد بيان اللجنة على:

"أن من معتقد أهل السنة والجماعة أن المرء لا يبرأ من النفاق إلا بسلامة المعتقد في الصحابة وآل البيت، يقول الطحاوي "ومن أحسن القول في أصحاب النبي وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذرياته المقدسين من كل رجس فقد برئ من النفاق"." انتهى.

الذي يذكر أو يكرر ما قاله التاريخ عن عائشة أو عن الحسن بن علي أو أبي هريرة ليس منافقاً. المنافق، حسب ما يقول حديث محمد، آيته ثلاث: [**إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر.**][4] وقد نفهم أن يكون اعتقاد المسلم صحيحاً إذا آمن بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر. أما أن يضيف شيوخ الدين طبقةً أخرى من الأصنام البشرية كأصحاب محمد وبناته وأحفاده، ***فهذا هو توثين الإسلام بلا جدال.***

يبدو أن شيوخ الإسلام يقرؤون القرآن ولا يتفكرون في معانية. فقد أثار نقمة شيوخ الوهابية ما قاله الشيخ الحبيب، رجل الدين الشيعي الكويتي (سابقاً) عن عائشه وحادثة الإفك. وحادثة الإفك المشهورة قد بدأها ونشرها أصحاب محمد من الأنصار، خاصة حسان بن ثابت، شاعر محمد المقرب منه، وكذلك حمنة بنت جحش، بنت عمة محمد وأخت زوجته زينب بنت جحش. وقد أثبت القرآن ذلك عندما قال للمؤمنين:

{**إن الذين جاءوا بالإفك عُصبةٌ منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خيرٌ لكم لكل امريء منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذابٌ عظيم.** (النور 11)}.

وقد أمر محمد بجلد حسان بن ثابت ثمانين جلدةً، وكذلك حمنة بنت جحش ولكنه لم يقم حد القذف على ابن أبي سلول لعلو مكانته عند الخزرج وخوف محمد من ثورتهم إذا عاقبه. وعندما التقى صفوان بن المعطل بحسان بن ثابت وسمع الشعر الذي نظمه حسان عنه، ضربه بسيفه وكاد يقتله، فذهب حسان إلى محمد الذي طلب منه أن يتنازل عن حقه على صفوان وأعطاه قصراً بالمدينة مع الجارية المصرية سيرين.[5]

فإذا كان محمد نفسه قد صفح عن حسان وقدم له رشوة، وإذا كان رب الإسلام نفسه يقول للمؤمنين إن حادثة الإفك ليست شراً لكم بل هي خيّر، لماذا تثور ثائرة شيوخ الوهابية فيطلبون من اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء لتقوم بهذا البحث العظيم عن السيدة عائشه؟ حقاً قد أجهدوا أنفسهم بهذا البحث العظيم دونما أي سبب وجيه.

ومرة أخرى يذكرهم القرآن بأن لا يزكوا السيدة عائشة أو خالد بن الوليد الذي سفك دماء المسلمين في حروب الردة، أو المغيرة بن شعبة الذي زنى بأم جميل وشهد عليه ثلاثة من أقرانه وكلهم أصحاب محمد. القرآن يقول للشيوخ إن الله يزكي من يشاء:

{**ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم.** (النور 21)}.

والغريب في لجان البحوث العلمية هذه وظلهم من نواب الإخوان المسلمين في مصر والأردن وغزة، أنهم يسمعون كل يوم أن العراقيين والصوماليين يفجرون المساجد بمَن فيها، وأن المستوطنين اليهود يهدمون المساجد في الضفة الغربية وفي غزة ويحرقون المصاحف، ولا تتحرك عضلة من عضلات ألسنتهم لتقول شيئاً، وبالطبع لن تتحرك عقولهم لأنها في إجازة طويلة الأمد. **ولكن ما أن يذكر شخص ما محمد أو عائشة حتى تثور أوكار الدبابير**. وقد ثارت ثورة نواب الإخوان المسلمين الأردنيين قبل عامين وقالوا إنهم قد أقاموا دعوى قضائية في الدنمارك لجلب رسام الكاريكاتير الشهير لمحاكمته في الأردن. وحتى الآن يسود الصمت عن هذه الدعوى. **وهم يعرفون، بالطبع، أن ذاكرة الجماهير قصيرة وسوف تنسى هذه البطولات العنترية مع الزمن.**

وقد رفع رجل أمريكي دعوى في المحاكم الأمريكية ضد الله في نفس أيام ثورة الرسوم الكاريكاتيرية، ولكن الهجوم على الله لم يستأثر بأي بحث من لجان البحوث العلمية الإسلامية، فهو أقل شأناً وشرفاً من عائشة أم المؤمنين جميعاً.

عودة إلى الفهرس

[4] مختصر تفسير ابن كثير، سورة البقرة، الآية 204.
[5] تاريخ الطبري، ج2، ص 115.

230 - الكون بين العلم والدين

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=232002

اسمحوا لي أن أهنيء موقع الحوار المتمدن والعاملين به، خاصة الأخ رزكار، على نيلهم جائزة ابن رشد. وهذا دليل على رحابة صدر القائمين على الموقع وإفساح المجال حتى للسلفيين، رغم يسارية الموقع. ونتمنى للحوار التقدم وإفساح المزيد من الحريات، خاصة فيما يتعلق بتعليقات القراء لأنها تثري النقاش، وإن كان بعضها الهدف منه تحويل نظر القاريء عن موضوع النقاش.

***

قبل آلاف السنين، وقبل أن يُدجّن الإنسان الحمار والبعير، كان العالم المعروف له محدوداً بالمسافة التي كان يستطيع أن يسيرها على الأقدام. وحتى بعد اختراع العجلة وتصنيع المركبات الخشبية التي كانت تجرها الأحصان والبغال، ظل عالم إنسان تلك القرون محدوداً إلى أن تمكن من تصنيع المراكب الضخمة التي استطاع بواسطتها ركوب البحر والسفر إلى الهند من الشرق الأوسط، والسفر من اليونان أو روما إلى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. وخرائط العالم في وقت بطليموس تختلف كلياً عن خرائطه الآن. ولهذا السبب جاءت الديانات السماوية الثلاثة في **منطقة جغرافية محدودة** انحصرت فيها تعاليم تلك الأديان لأن كل دين اقتبس من أتباع الدين الذي سبقه في نفس المنطقة.

جاءت التوراة (العهد القديم) بمفهوم ذلك العالم البدائي المحدود واقتصرت قصصها على مصر وأرض كنعان واليمن. ونسبةً لشح العلم في تلك الأيام، جاءت فكرة خلق العالم والإنسان في التوراة كوصف لما رآه كاتب التوراة بالعين المجردة، وفي تلك المنطقة الجغرافية المحدودة. وتخيل الكاتب أن الإله خلق السموات والأرض في ستة أيام واستراح في اليوم السابع حتى يُعلّم الإنسان أن يستريح في نهاية الأسبوع. وبالطبع **كان خيال كاتب التوراة محدوداً نسبةً لمحدودية خبراته وعلمه،** فعندما جاء ليشرح أين كان الإله قبل أن يخلق السموات، قال إن عرشه كان على الماء. ولم يقل لنا أين كان هذا الماء قبل أن تُخلق السموات والأرض، وعلى ماذا كان الماء مستقراً حتى يحمل عرش الإله.

والمسيحية التي أتت بعد حوالي ألف عامٍ من اليهودية، وبدأت في نفس المنطقة الجغرافية، **أخذت قصة الخلق كشيء مسلّم به وردد كاتبوا الإنجيل أن الله خلق الكون في ستةّ أيام.**

ولما جاء محمد بعد حوالي ستمائة سنة من يسوع، وتعلم تعاليم اليهودية والمسيحية من معاصريه، **كرر نفس قصة الخلق مع إضافة بعض الرتوش التي اقتضتها ضرورة أن الإسلام دين جديد ولا بد أن يأتي بأشياء جديدة.** محمد اعتمد في تجديد أفكاره عن خلق العالم على الأشياء المحسوسة والمرئية له. وكان يعتقد، كما اعتقد بطليموس، أن الأرض مسطحة وأن الشمس تدور حولها، وأن النجوم هي مصابيح وضعها الله في السماء الدنيا من السموات السبع المتطابقة، ليهتدي بها المسافرون ليلاً، _وليرجم بها الجن عندما يحاولون استراق السمع عندما يكون الله يتحدث إلى ملائكته عن أحوال العالم_. أما القمر فقد ظن محمد أنه خُلق لتحديد الشهور للناس، فقال: {**يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس**}. والشمس التي تغرب في عين حمئة كل مساء، ثم تسجد تحت العرش وتطلب الإذن للشروق، تشرق عند أناس لم يجعل الله لهم من دونها ستراً. ويعتمد هؤلاء الناس في المشرق في غذائهم على الأسماك، كما يقول المفسرون. أما مفهوم الليل والنهار فقد كان بالنسبة لمحمد عبارة عن عملية سلخ: {**وآيةٌ الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون. والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم. والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم. لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌ في فلك يسبحون.** (يس 37-40)} .

يتضح من هذه الآيات أن محمداً كان يعتقد أن الشمس والقمر يجريان في نفس المدار ولكن لا يجوز لأحدهما أن يدرك الآخر. _أما كون القمر يمر بمنازل حتى يصير كالعرجون القديم، فهو تشبيه لا يمكن أن نتخيله_. فالعرجون هو طلع النخلة الذي ينمو عليه التمر. وبعد نضوج وحصاد التمر يصبح الطلع عرجوناً قديماً، أي قطعةً من ألياف قديمة. فكيف يصبح القمر كالعرجون القديم فلا علم لنا بذلك.

وعندما جاء محمد لخلق السماء والأرض، **دخل في حيص بيص،** كما يقولون، لأن العهد القديم والإنجيل لم يذكرا التفاصيل التي أرادها محمد. فقال محمد: {**قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين.** (فصلت 9-11)}. فالله خلق الأرض في يومين، ثم قدّر فيها أرزاقها من نبات وأشجار وحيوانات في يومين، ثم أمر الأرض والسماء التي كانت دخاناً أن يأتيا إليه، فخلق السماء بدون عمدٍ نراها، في يومين كذلك.

ويصبح تعريف السماء الإسلامي مشكلة عويصة لم تُحل حتى الآن. فالله يقول: {**والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون.** (الذاريات 47)}. ونفهم من هذه الآية أن السماء بناءٌ صلب بناه الله بأيدٍ ثم رفعه دون أي عمد نراها. ويؤكد لنا ذلك بقوله: {**والسماء رفعها ووضع الميزان.** (الرحمن 7)}. ولكن الإسلامويين الجدد حاولوا التملص من هذا المعنى وقالوا إن السماء هي كل ما سما فوقنا. ولا نفهم كيف نقسّم الهواء فوقنا إلى سبعة سموات طباقاً. فإذاً مخيلة محمد جعلت الله يخلق الأرض وأقواتها في أربعة أيام، ثم يخلق السماء بنجومها وكواكبها في يومين.

فماذا يقول العلم عن الكون؟

الكون بدأ بالبج بانج Big Bang قبل 13.7 بليوناً من السنين. خلق الإنفجار مجرات عديدة بما فيها المجرة الشمسية التي تحتوي على شمسنا. هذا الكون الفسيح يبلغ قطره مليون مليون مليون مليون (10^{24})[†] ميل، أي 1000000000000000000000000 ميلاً. وهذا فقط هو قطر الكون المرئي لنا، أي الذي يصلنا منه نور. فالفضاء الكوني لا حدود له. ولتقريب هذه المسافات إلى عقولنا يكفي أن نتذكر أن سفينة الفضاء ڤويجر voyager التي أطلقتها مؤسسة ناسا الأمريكية في عام 1977 ما زالت تسافر في الفضاء بسرعة هائلة وقد أصبحت الآن على بعد 10 بلايين[††] من الأميال عن الأرض وما زالت على حافة مجرتنا الشمسية. بعد هذا سوف تدخل في المنطقة المعروفة باسم interstellar space أي فضاء ما بين المجرات، وهناك أكثر من بليون مجرة أخرى.

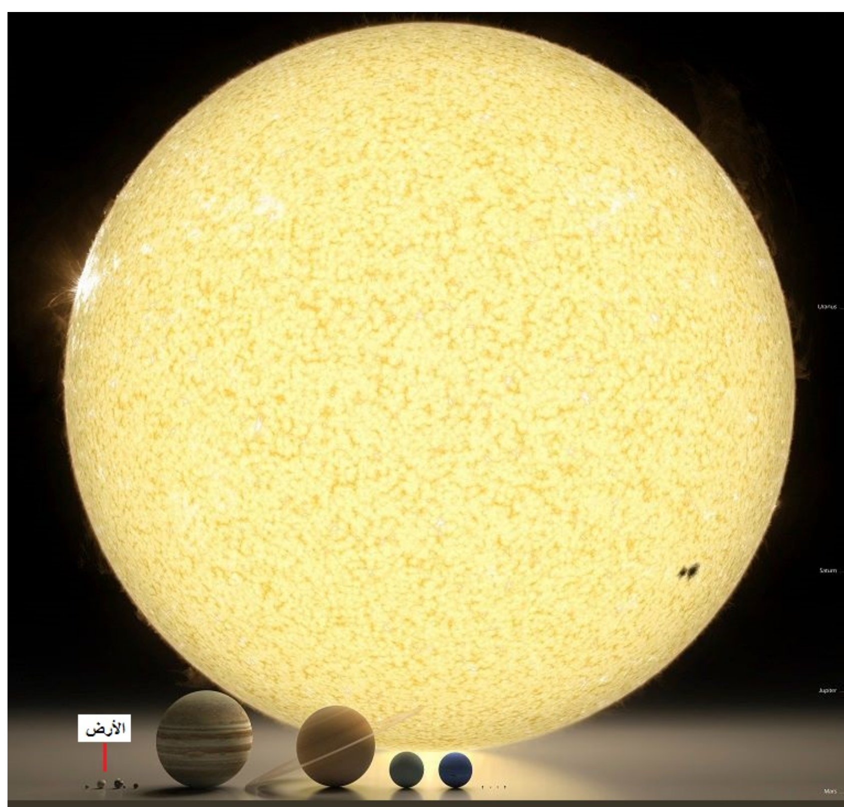
وفي محاولة لتقريب حدود مجرتنا الشمسية يمكن أن نرسمها رسم تقريبي يحتفظ بالمقاسات المعروفة، على ورقة طويلة جداً، ولكي نفعل ذلك علينا أن نضغط حجم الشمس والكواكب. فإذا جعلنا الأرض بحجم بذرة الباسلة pea سيكون كوكب المشتري Jupiter على بُعد 300 متراً من الأرض على ورقة الرسم البياني. أما بلوتو Pluto فسوف يكون على بعد اثنين كيلومتراً ونصف الكيلومتر. أما أقرب نجم إلينا، وهو المعروف ب Proxima Centauri سوف يكون على بعد 16000 كيلومتراً.

† يُطلق على هذا الرقم تسمية: Septillion في النظام الأمريكي لتسمية الأرقام الكبيرة.

Quadrillion في النظام الأوروبي لتسمية الأرقام الكبيرة.

†† فقط للتوضيح فإن البليون (ألف مليون) Billion (10^9) هو المقابل الأمريكي والبريطاني للمليار Milliard المستعمل في أوروبا عدا بريطانيا.

وإذا عرفنا أن أقرب كوكب إلى الشمس هو عطارد Mercury يليه الزهرة Venus ثم الأرض، ثم المريخ Mars ثم المشتري Jupiter ثم زحل Saturn ثم Uranus ثم Neptune ثم بلوتو، لعرفنا كبر حجم المجرة الشمسية. فلو وقف إنسان على بلوتو واستطاع أن يرى الشمس فسوف يكون حجمها بحجم رأس الدبوس. ويكفي أن نعرف أن المريخ الذي هو رابع كوكب من المجموعة الشمسية، يبعد عن الأرض، التي هي ثالث كوكب من المجموعة الشمسية، بحوالي 276 مليون كيلومتراً.[1]



مجموعتنا الشمسية

هذه الأبعاد الشاسعة في المجرة الواحدة، وهناك أكثر من بليون مجرة، خلقها الله في يومين. والأرض التي لا تساوي رأس دبوس بالنسبة لنجوم المجرة، خلقها الله في يومين ثم خلق أقواتها في يومين. فهذا الإله قضى أربعة أيام ليخلق الأرض وخلق كل هذه المجرات في يومين فقط. فالاحتمال الوحيد هنا هو أن الله أمسك بالطين وخلق الأرض وكورها في يومين بيديه، ثم جلس وزرع الأشجار والحشائش في يومين كذلك. وفجأة تذكر أن عليه أن يخلق المجرات بكواكبها ونجومها التي يزيد حجمها عن حجم الأرض مئات المرات في يومين فقط، فقال للمجرات "كوني" فكانت، لأنه **إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون**. *ولا ندري لماذا لم يقل للأرض كوني فتكون*. ربما يكون قد أصابه الملل من الاستواء على العرش بدون أي عمل فقرر أن يخلق الأرض بيديه بدل أن يقول لها "كوني."

أما شمسنا فقد تكونت قبل حوالي 4.6 بليوناً من السنوات. فقد تجمعت كمية من الغازات وغبار الفضاء الجوي في شيء يشبه السحاب، قطره 24 بليون كيلومتراً. 99.99 بالمئة منه كونت الشمس، وقليل من هذا الغبار تجمع مع بعضه ليكون أرضاً صغيرة نمت تدريجياً على مدى 200 مليون سنة لتصل حجم الأرض الآن. وفي البداية كانت هذه الأرض عبارة عن كتلة من المادة المنصهرة وعلى درجة حرارة عالية جداً. وبالتدريج برد سطح الأرض وكون قشرتها الخارجية وما يزال مركزها منصهراً. وفي نفس الوقت الذي تكونت فيه الأرض وما زالت منصهرة، ارتطم جسم سماوي بحجم المريخ بالأرض مما أثار غباراً تجمع تدريجياً ليتكون منه القمر. والدليل على ذلك أن صخور القمر بها كميات ضئيلة جداً من الحديد لأنه تكون من قشرة الأرض التي بها كميات بسيطة من الحديد، بينما أغلب الحديد بالأرض في جوفها.

ولا نعلم أي قمر يرمز إليه القرآن عندما يقول: {**صار كالعرجون القديم**}. فهناك الآن في مجرتنا الشمسية فقط تسعون قمراً على الأقل. وبما أن الأقمار تدور حول كواكبها التي تدور حول الشمس، فليس هناك أي احتمال أن يتسابق القمر مع الشمس حتى يقول لنا القرآن:

{لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌ في فلك يسبحون} .

وقرآن محمد تحدث فقط عن الأشياء المرئية بالعين المجردة ولم يذكر بتاتاً أي شيء عن المكروبات[†] Microbe التي لولاها لما كانت هناك حياة على الأرض. فالمكروبات ذات الخلية الواحدة أو الخلايا العديدة كانت أول أنواع الحياة التي بدأت في المحيطات على أرضنا هذه بعد أن برد سطحها. وهذه المكروبات هي التي تولد الأوكسجين الذي تحتاجه كل الحيوانات والنباتات. ولذلك استمرت الأرض لمدة بليونين من السنين بدون حياة أخرى حتى بلغت نسبة الأوكسجين في الجو نسبته الحالية التي تسمح بالحياة على سطح الأرض. والبكتريا هي التي تأخذ النتروجين من الهواء وتحوله إلى حوامض الأمينو أسيد Amino acides في التربة التي تعيش عليها النباتات. المصانع الحديثة التي تنتج المخصبات الزراعية fertilizers عليها أن تسخّن المواد الخام إلى 500 درجة مئوية وتضغطها بضغط ما يعادل 300 مرة الضغط العادي، لتصنع المخصبات. والبكتريا تصنع ذلك بكل سهولة. ومكروبات الألغي أي الطحالب Algae التي تعيش في المحيطات تنتج يومياً 150 بليون كيلوجرام من الأوكسجين الذي يطفو على سطح البحر ثم يختلط بالهواء الذي نتنفسه. ولولا هذه المكروبات لما بدأت الحياة، وحتى لو بدأت لما استمرت لأن استمرارنا في الحياة يتطلب إعادة

[1] نقلاً عن: Bill Bryson, A Short History of Everything.

[†] من بعد إذنك د. كامل.

توضيح للقراء على ضوء ما لاحظته (في المقال التالي لهذا المقال) من سوء فهم وسوء استخدام من قبل بعض القراء بخصوص بعض المصطلحات البيولوجية التي ذاع استعمالها بالعربية، ومنها مصطلح "ميكروب أو مكروب (الجمع ميكروبات أو مكروبات)".
الميكروب بالأصل كلمة فرنسية تعني حرفيا "كائن حي متناهي الصغر"، ويترجمها المعجم الطبي الموحد بـِ: "الحَيُّ المجهري (الجمع أحياء مجهرية)".
وهي متداولة أيضا في اللغة الانـكليزية ومرادفة تماما لكلمة Microorganism والتي ترجمتها أيضا **أحياء مجهرية**.
في اللسان العربي الدارج **غالباً ما تعني كلمة ميكروب "جرثوم أو جراثيم"** Bacterium (Bacteria).
والأشخاص غير المطلعين على المصطلحات البيولوجية لا يظنون أن هناك كائنات حية أخرى تتبع للأحياء المجهرية، مثل الفيروس أو الطحالب أو الطفيليات. من هنا ترسخ، على ما أظن، مفهوم الميكروب على أنه **جرثوم فحسب** في التداول الدارج، عند الناس غير المتخصصين وحتى عند شريحة واسعة من المتعلمين.
فإذا أتينا للتعريف الاصطلاحي العلمي للميكروب أو الكائنات المجهرية Microorganism نجد التعريف التالي في موسوعة "انكارتا":

Microbe: microscopic organism (microorganism). The term commonly includes bacteria, archaea, protozoa, algae, fungi, viruses, and microscopic parasites.

Microsoft ® Encarta ® 2009.

واضح من هذا التعريف أن الكائنات المجهرية (الميكروبات) تشمل ليس فقط الجراثيم (Bacteria)، بل وأيضا وحيدات الخلايا البدائية archaea, protozoa والفيروسات، والطحالب algae، والفطور، والطفيليات المجهرية.
أخيرا لا بد من التوضيح أن مفهوم الميكروبات (أو الأحياء المجهرية) لا يعني بحال من الأحوال الكائنات وحيدة الخلية فقط Unicellular، بل ويشمل كذلك الكائنات العديدة الخلايا Multicellular. وبالمناسبة فإن بعض مستعمرات الطحالب تُشاهد بالعين المجردة. كما في الصورة أدناه.



استعمال المواد البروتينية أي biodegradation وهو أن تحلل البكتريا الأجسام الميتة وتحولها إلى حوامض أمينية (نتروجين) يستعملها النبات لينمو، فتأكل الحيوانات هذه النباتات لتنمو هي، ثم نأكل نحن لحوم، أي بروتينات هذه الحيوانات لنبني أجسامنا، وهكذا. وحتى فضلاتنا تحولها البكتريا إلى حوامض أمينية مفيدة. كل هذا المجهود الجبار من جانب المكروبات لم يحظ بأي ذكر في الكتب المقدسة التي يُقال إنها أتت من عليم قدير يسكن السموات السبع، وفي الواقع هو خيال يسكن العقول المؤدلجة إذ ليس هناك سماء وإنما فضاء أبدي.
ولو تخيلنا أن عمر الأرض وهو 4.5 بليون سنة يمكننا ضغطة في يوم واحد من أيامنا، أي 24 ساعة فقط، تكون الحياة المكروبية قد بدأت الساعة 4 صباحاً. واستمرت لمدة 16 ساعة على هذا المنوال. وفي الساعة الثامنة مساءً ظهرت أول النباتات المائية ثم بعد عشرين دقيقة ظهرت الأسماك. وفي الساعة العاشرة مساء ظهرت نباتات الأرض وبعض الحيوانات. في الساعة 11 مساءً ظهرت الديناصورات. وفي الساعة 11 وأربعين دقيقة ليلاً انقرضت الديناصورات. ويظهر الإنسان في الساعة 11 والدقيقة 59 ليلاً.
وعندما جاءت الكتب "المقدسة" لتصف خلق الإنسان، قالت إن الله خلق آدم من تراب ونفخ فيه من روحه ثم خلق حواء من ضلعه. ولو حدث هذا فإن حواء تكون قد وُجدت عن طريق الاستنساخ من آدم، وبالتالي فهي تحمل نفس جينات آدم بالكامل. وعليه سوف يرث أطفالها نفس الجينات، وعليه تكون كل الأجيال حاملة لنفس الجينات المتشابهة ولا فرق بين إنسانٍ وإنسانٍ آخر، أي كأن كل البشر توائم متطابقين .identical twins وطبعاً هذا لا ينطبق على الإنسان ولا الحيوان.

فلو كان موسى أو يسوع أو محمد يعرف هذه الحقائق، بل لو كان رب السماء المزعوم على علم بهذه الحقائق العلمية لما قالت الأديان إن الله خلق العالم في ستة أيام وكان عرشه على الماء. ونستنتج من قصة خلق الكون أنه لا وحيٌ أتى من السماء ولا نزل كتابٌ منها، كل ما في الأمر أن العقل البشري البدائي سرح في الفضاء وتخيل أن هناك آلهةً خلقت هذا العالم.

عودة إلى الفهرس

231 - تساؤلات القراء

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=232597

كنت أنوي كتابة مقال عن كيفية نشوء الإنسان وبقية مملكة الحيوان في هذا الكون، ولكن بعض تساؤلات قراء المقال السابق عن "الكون بين العلم والدين" جعلتني أُرجيء كتابة المقال الجديد ربما إلى الأسبوع القادم. هناك بعض القراء مثل السيد أسامة البيومي، أعادوا علينا *حجج الإسلاميين الذين غيروا معاني الكلمات العربية إلى معانٍ تخدم غرضهم في محاولة جعل القرآن كتاب هندسة معمارية وهندسة بيولوجية ومرجع في علم الفلك كذلك*. ولن أطيل كثيراً في ردي على السيد البيومي إذ أنه لم يأت بجديد فيما ذهب إليه. وليسمح لي السادة والسيدات الذين أثنوا على المقال ألا أذكرهم بالاسم نسبة لضيق الوقت والمجال، وأكتفي بشكري الكثير لهم.

- أول الذين سألوا كان أبو أسعد السوري الذي قال:

> (ثمة مبدأ فيزيائي يقول: لا تخلق المادة من عدم ولا تفنى بعد وجود. هذا يفترض أن ثمة شيئا سابقا للمادة هندس وجودها. ما هو هذا الشيء؟ قوة ميتافيزيقة لا نعي وجودها؟ في الخلايا الحية ثمة شيئا اسمه ميتوكوندريا metochondria هذه الميتوكوندريا تشكل جزء متناهي في الصغر من الخلية ومع ذلك عملها يعادل عمل أكبر معمل كيميائي في العالم. هل يكفي الإنفجار الكبير bing bang لتفسير نشوء الميتوكوندريا؟ أم أن ثمة قوة ميتافيزيقية أخرى ساهمت بتشكيلها. باختصار أنا أؤمن أن الصدفة وحدها لا تكفي لتعليل نشوء الكون والحياة عليه. أنا أعتقد أن ثمة مهندسا عظيما مسؤول عن نشوء الكون والحياة عليه. أنا أسمي هذا المهندس الله وسمه أنت ما شئت. أتفق أن الإنسان رسم الله على صورته ومثاله وأنشأ الأديان لغايات استعمارية ربما ولكن هذا أمر لا شأن لله به.) انتهى.

✍ صحيح أن المادة لا تُخلق من عدم ولا تفنى بعد وجودها. وهذا يقودنا إلى المهندس البارع هذا. هل هو مادة أم لا شيء؟ إذا كان مادةً فلا بد له من خالق أوجده ولابد لخالقه من خالق قبله، وهكذا إلى ما لا نهاية. وإذا لم يكن مادةً فهو لا شيء، وبالتالي لا وجود له. وقد ناقش الوجوديون هذا الطرح مناقشات مستفيضة عندما تحدثوا عن الماهية والوجود.

أما بالنسبة للمايتوكوندريا mitochondria فلم تأتِ من الانفجار الكبير Big Bang إذ أن البگ بانگ مختصة بخلق الكون المادي أي النجوم والكواكب. المايتوكوندريا نتجت من اندماج بكتريوم مع بكتريوم آخر في عملية تشبه ما يُسمى symbiosis أي الفائدة المشتركة أي التعايش. أحد الباكتريوم انصهر في الآخر وتكونت منه المايتوكوندريوم. أما عمل المايتوكوندريا فلا يساوي عمل أكبر معمل كيماوي في العالم. المايتوكومدريا هي ما يُسمى Powerhouse الخلية، بمعنى أنها تقوم بالتفاعلات الكيماوية الضرورية لحياة الخلية ولحياة المايتوكوندريا نفسها، ولكن تلك التفاعلات على المستوى المايكروسكوبي فقط وليس هناك أي مجال لمقارنتها بأكبر مصنع كيماوي في العالم. ويمكن أن نعبر عنها بأنها بكتريوم داخل بكتريوم آخر، وبالتالي تقوم بانتاج الغذاء لخليتين صغيرتين لا نراهما بالعين المجردة. وليس هناك أي قوة ميتافيزيقية خلقتها .وإذا كنت تؤمن بأن هناك مهندساً بارعاً خلق الحياة، فلا بأس عليك ولا علينا من إيمانك هذا، ولا نطمح في أن نزلزل ذلك الإيمان ما دام لا يضيرنا.

أغلب الناس يختلط عليهم أمر الصدفة فيظنون أن الصدفة لا يمكن أن تخلق عالماً مكتملاً. ولكن الصدفة التي يتحدث عنها العلماء هي صدفة من نوع آخر. ففي الكون ملايين الكواكب التي صادف أن قربها الشديد من شموسها أو بعدها الشديد عن تلك الشموس جعل حرارتها لا تساعد على نشوء الحياة بها. وهناك كواكب ما زالت في هيئة غازات لا يمكن لأي نوع من الحياة أن يقوم عليها. الصدفة التي يتحدث عنها العلماء هي ما يطلق عليها الإنگليز كلمة serendipity وربما الأفضل أن نطلق عليها **"حسن الطالع"** أو **"المصادفة الفريدة"** وهي تتمثل في أن كوكب الأرض صدف أن استقر على مسافة مناسبة من الشمس، جعلت حرارته تتذبذب تذبذباً ضئيلاً طوال العام، مما هيأ المناخ المناسب لنشوء الحياة به. ومن الممكن جداً أن يكون هناك كوكبُ آخر في المجرات العديدة في الكون، يحتل نفس مسافة الأرض من الشمس، وبالتالي تسمح ظروفه بقيام حياة بايولوجية عليه لكننا لم نكتشفها حتى الآن نسبةً للمسافات الشاهقة التي تفصلنا عن مثل ذلك الكوكب.

- السيد وصفي أحمد يقول:

> (اولا احييك على جراتك الكبير للدخول في هذه المواضيع الخطرة في عالمنا الاسلامي. اود تصحيح بعض المعلومات التي وردت في المقال مثل المكروبات احادية الخلية و المتعددة وهذ لا يصح لان المكروبات اي البكتيريا كلها احادية الخلية . اما الطحالب فهي فهي لاتصنف اليوم على انها مكروبات لان المكروبات كلها بدائية النواة اما الطحالب فكلها حقيقية النواة . اما العرجون القديم فهو تشبه لشكل القمر عندما نراه هلالا فالعرجون اي عثق التمر يصير بعد قطعه و قرب يباسه يشبه الهلال اي ان العرجون هو لتوضيح الصورة لا اكثر و شكرا) انتهى.

✍ أشكر السيد وصفي على المداخلة وأختلف معه في التعريف. فكلمة "مكروبات" ترجمتها بالإنكليزية Microorganisms أي المخلوقات الصغيرة جداً لدرجة أن أغلبها لا نراه إلا تحت المجهر. والمايكرواورجنيسم هذه تحتوي على البكتريا والطحالب Algae وبعض الحيوانات مثل ال Plankton. أغلب هذه المكروبات تتكون من خلية واحدة ولكن لكل قاعدة شواذ. فمثلاً الألغي منها ما هو متعدد الخلايا: ومنها ما يُسمى Flagellates ولها أذناب تستعملها للحركة. والسبب في أني ذكرت الألغي مع المكروبات هو أن الألغي تنتج كميات هائلة من الأوكسجين بالمشاركة مع البكتريا. يقول بل برايسون في كتابه:

A short History of Everything

> إن الألغي وبقية المكروبات تنتج 150 بليون كيلوجرام من الأوكسجين سنوياً (ص 370).

ولم أفهم قصد السيد وصفي من قوله:

> (اما الطحالب فهي لاتصنف اليوم على انها مكروبات لان المكروبات كلها بدائية النواة اما الطحالب فكلها حقيقية النواة).

لا أعرف ماذا يعني ب "بدائية النواة" إذ أن البكتريا لا نواة لها بالمرة.[†]

أما قوله عن تشبيه القمر بالعرجون القديم فقول لا نقبله إذ أن القرآن يقول: {**والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم**} . وحتى تُستعمل للتدرج، فهو يقول القمر يبدأ هلالاً ثم يمر بمنازل حتى يصير كالعرجون القديم، ثم يبدأ دورته من جديد. ونفهم من الآية أن القمر قبل نهاية الشهر القمري يصبح كالعرجون القديم، ثم يبدأ الشهر الجديد بالهلال. فكون **عثق النخل** بعد يباسه يصبح معقوفاً كالهلال، لا ينطبق على الآية إذ أن الهلال هو البداية وليس النهاية.

- السيد شاهر الشرقاوي
  - يقول:

> (عندما يتحدث القران عن خلق العالم اووالارض والسماوات .لا يسوق معلومات علمية ..دقيقة جدا .كالتى سقتها لنا بل يذكرها بداعى التدبر والتفكر فى خلق الله عموما ضع فى حسبانك يا استاذ كامل البيئة والمستوى الثقافى والحضارى والتعليمى والبيئى الذى بعث اليهم رسول الله هل كنت تريد منه ان يكلمهم عن الكومبيوتر والنت والسيارات والطائرات ..ونظرية الانقجار الكبير بدلا من ان يكلمهم عن الخيل والبغال

---

† بدائية النواة يقابلها: Prokaryote
أما حقيقية النواة فيقابلها: Eucaryote

أظن أن الدقة تقتضي القول أن البكتريا تفتقر لوجود نواة تشغل حيزا محدداً ضمن السيتوبلاسم ومحددة بغشاء نووي nuclear membrane .

السيد وصفي أحمد يخلط بين الميكروب والبكتريا فيظنهما مترادفتان لمعنى واحد (بدليل عبارته "...لان المكروبات اي البكتيريا..."). صحيح أن البكتريا جزء من المكروبات ولكن العكس غير صحيح فليس كل مكروب هو بالضرورة بكتريا، فقد يكون جرثومة او ڤيروس أو طفيلي. كما يمكن أن يكون وحيد الخلية أو متعدد الخلايا.

شكراً لك على هذا الشرح الوافي.

والحمير والسماوات والشمس والقمر؟؟؟ هل الشمس ثابتة ؟؟؟ هل قال القران ان الشمس تغيب فى عين حمئة ؟ هو قال (وجدها)اى .هو رأها ..هكذا ..خيل اليه هذا ..ربما كان مشهد الغروب عن بعد الذى راه ذو القرنين يعطى لمن يرى هذا المنظر انها تغرب فى عين ماء او شئ من هذا القبيل مثلا) انتهى.

لا لم أكن أتوقع من محمد أن يكلمهم عن الكمبيوتر فمحمد ابن بيئته، وإذا كان أبناء البيئة في ذلك الوقت يجهلون كل شيء عن العالم الخارجي، فكذلك كان محمد. وفاقد الشيء لا يعطيه.

ولكني كنت أتوقع من إله محمد أن يقول للعرب وقتها: (**والأرض كورناها وجعلناها تدور حول الشمس**) بدل أن يقول لهم: {**والشمس تجري لمستقر لها**} فالشمس لا تجري وإن كانت تدور حول نفسها.

وكنت أتوقع من إله محمد **أن يتكلم بلغة واضحة لا تقبل التأويلات**. فهو يقول عن ذي القرنين إنه عندما بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عينٍ حمئة. فكل من تكلم العربية وقتها لابد أنه فهم أن الشمس تغرب في عينٍ حمئة. لماذا لم يقل (وخُيل لذي القرنين أن الشمس تغرب في عينٍ حمئة)؟

- ويستمر السيد الشرقاوي فيقول لنا:

(لا تتعامل مع القران هكذا ..مثل الصياد .والباحث عن اى شئ يتصور انه خطأ .ولو من وجهة نظره .ونتيجة لعدم معرفته بدقائق اللغة ..كى يثبت ما يحب ان يثبته ..وهو ان القران كلام محمد وليس كلام الله) انتهى

عندما يصبح شيوخ الإسلام صيادين يبحثون عن كل اكتشاف جديد من الغرب ليجدوا كلمة في القرآن ينزعونها عن سياقها ليثبتوا أن القرآن كتاب علمي، فمن حق الآخرين الغوص في أخطاء القرآن العلمية واللغوية ليردوا بها على الصيادين. أما من ناحية اللغة العربية فإني أؤكد للسيد الشرقاوي **أني أملك ناصيتها أكثر من شيوخ الإسلام**، وإذا كنت أنا لا أفهم لغة القرآن فإن اللوم يقع أساساً على رب القرآن الذي يخاطب العرب بلغة لا يفهمها أغلبهم، **والبلاغة تستدعي أن يخاطب المتكلم مستمعيه بما يفهمون وإلا لأصبح كنافخ القربة المثقوبة.**

- ويقول السيد الشرقاوي:

(قصص الخلق المذكورة فى التوراة والاتجيل .غير مذكورة بهذا الشكل على الاطلاق فى القران حتى الايام الست ..ليست هى ايامنا هذه وانت تعلم ان هناك يوم ب50 الف سنة .وان هناك يوم بالف سنة ..اى ان حسابات الله ليست كحساباتنا) انتهى.

ولعلم السيد الشرقاوي فإن القرآن نقل نفس قصة الخلق من العهد القديم الذي قال إن الله خلق العالم في ستة أيام وكان عرشه على الماء، فقال القرآن: {**هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء**. (هود 7)}. وذكر الأيام الستة في الأعراف ويونس وهود والفرقان والسجدة وقاف والحديد. ولا يهم إذا كان طول اليوم ألف عام أو مليون عام، فالمهم هو أنه خلق الأرض وأقواتها في أربعة أيام أو أربعة ملايين سنة، وخلق بقية الكون في يومين أو مليونين من السنين.

- السيد أسامة البيومي
  - يقول:

(ذكرت أن محمد كان يعتقد كما إعتقد بطليموس أن الأرض مسطحة وأن الشمس تدور حولها...،بعيدا عن الأحاديث المنحول الكثير منها هل ورد آية في القرآن تقرر أن الأرض مسطحة؟؟كل ماذُكر في القرآن ان الأرض ممدودة-والأرض مددناها-فمن القائل بأن فعل- مد- يعني فقط مستوية؟ لما لايُفهم المد على أنه منحنى كرة، فالقرآن لم يحدد شكل المد...وهل هناك آية تحدد صراحة أن الشمس تدور حول الأرض..القرآن قرر أن الشمس والقمر يدوران في فلك،فهل العلم أثبت عكس ذلك كأن أثبت أن أحدهما أو كليهما ثابت لايتحرك؟(

بعيداً عن الأحاديث، سواء أكانت منحولة أو إسرائيلية، القرآن نفسه يقول: {**والأرض بعد ذلك دحاها. أخرج منها ماءها ومرعاها.** (النازعات 30، 31)}. *وكلمة دحا تعني سطّح*، كما تسطح النعامة الأرض قبل أن تضع بيضها. والشاعر العربي الذي لا أذكر اسمه الآن يقول:

إن أنسى لا أنسى خبازاً مررت به   يدحو الرقاقة وشك اللمح والبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرةً   وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرةٌ   من الماء يُلقى فيه بالحجر

فواضح أن الخباز يكوّر العجين ثم يدحوه ليصير رغيفاً. *فلا يمكن للمسلمين أن يغيروا معاني الكلمات لتتناسب مع ما يستجد من الكشوفات العلمية*. ثم أن الماء لم يخرج من الأرض كما يقول القرآن وإنما تكون من اختلاط الأوكسجين مع الهايدروجين في الغلاف الجوي ثم سقط على الأرض وانساب إلى داخلها. فكون العرب كانوا يحفرون الآبار في زمن محمد لإخراج الماء، لا يعني أن الماء تكون في داخل الأرض حتى يخرجه الله لري الزرع.

- ثم يقول السيد البيومي:

(ذكرت أن محمد كان يعتقد كما إعتقد بطليموس أن الأرض مسطحة وأن الشمس تدور حولها...،بعيدا عن الأحاديث المنحول الكثير منها هل ورد آية في القرآن تقرر أن الأرض مسطحة؟؟كل ماذُكر في القرآن ان الأرض ممدودة-والأرض مددناها-فمن القائل بأن فعل- مد- يعني فقط مستوية؟ لما لايُفهم المد على أنه منحنى كرة، فالقرآن لم يحدد شكل المد...وهل هناك آية تحدد صراحة أن الشمس تدور حول الأرض..القرآن قرر أن الشمس والقمر يدوران في فلك،فهل العلم أثبت عكس ذلك كأن أثبت أن أحدهما أو كليهما ثابت لايتحرك؟) انتهى.

كلنا يعرف أن النجوم هي في الواقع شموس، ولكن المشكلة أن القرآن قال: {**وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً**} وكلنا يعلم أن النجوم تبعد عنا ملايين الأميال، وليست في السماء الدنيا وإنما في الأغوار البعيدة من الفضاء الكوني. وأقرب نجم إلينا هو Proxima Centauri الذي يبعد عنا ب 4.22 سنة ضوئية، وضوءه خافت لدرجة أنه لا يُرى بالعين المجردة، ولذلك لم يتم اكتشافه إلى في التسعينات من القرن المنصرم. فقول القرآن إنه زيّن السماء الدنيا بمصابيح قول تجافيه الحقيقة. ثم ما معنى كلمة "وحفظاً" ألا تعني أن النجوم تحفظ السماء من استراق السمع؟ وهل فعلاً تفعل النجوم ذلك؟

- ثم يقول السيد البيومي:

(استكمالا لموضوع القمر تذكر أن محمدا قد ظن أن القمر قد خُلق لتحديد الشهور للناس..ربما قصدت الآيه-يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج..والأهلة هي منازل القمر والعرب تعرفها والمقصود بالأهلة هنا هي منازلها وأوقاتها كظرف زمان فما هو وجه الخطأ في ذلك؟!!فهل يوجد آية في القرآن تقول أن الله خلق القمر لذلك فقط أم كان السؤال عن أوقات ومنازل الأهلة،فما هو وجه الخطأ في أن يذكر القرآن أن أوقات ومنازل الأهلة هي مواقيت للناس؟) انتهى.

وجه الغرابة هو أن العرب عرفوا التوقيت بالأهلة قبل أن يأتي القرآن بمئات السنين، وعندما سألوا محمداً عن الأهلة قصدوا كيف يتغير الهلال إلى قمر مكتمل، وكان جواب رب القرآن هو: {**يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس**}. أليس في هذا الجواب استخفافٌ بعقول الناس؟ هم سألوا عن الهلال ولم يسألوا عن منازل القمر، وما هي منازل القمر التي تجعله يظهر أهلة في دورة واحدة أي في شهر قمري واحد؟ منازل القمر هي الدورة التي يتحول فيها القمر من موضع في السماء إلى موضع آخر لكنه لا يصير هلالاً إلا مرة واحدة في دورته هذه. والقرآن يقول: {**والقمر قدرناه منازل حتى صار كالعرجون القديم**} أي حسب قول المفسرين: حتى صار هلالاً في آخر المنازل.

- السيد سعد اليذيدي يقول:

(دكتور كامل كلامك سليم ولاغبار عليه . ولكن يادكتور أعرف الكثير من أصدقائي مقتنع بكلامك ميه في الميه ولكنهم لايتخيلون أن يعيشوا أو يموتوا لادينيين !لأنهم حسب رأيهم يقولون أن الإيمان هو الضمان لك في الحياة وبعد الممات وأنه في النهاية إنت غير خسران إذا آمنت في حياتك وكسبان بعد مماتك في حالة وجود الله وحياة أخرى بعد الممات. لماذا يادكتور لاتركزون في مقالاتكم على النوع من الناس .والفكر ؟) انتهى

✍ ماذا أقول لمثل هؤلاء يا سعد. هذا ليس إيماناً وإنما هو صك تأمين على الحياة. إذا صار هناك بعث نجينا لأننا آمنا، وإذا لم يصر بعث فلن نخسر شيئاً. ولكنهم في الحقيقة خسروا كل شيء. **خسروا عقولهم التي منعوها من التفكير وخسروا الاستمتاع بملذات الحياة الدنيا التي لا حياة بعدها،** وخسروا ربهم الذي آمنوا به لأن إيمانهم ليس عن اقتناع بالرب وإنما للتأمين فقط وبدافع الخوف من عذاب جهنم.

- السيد منتظر بن المبارك يقول:

(لكن لي سؤال: أين في العهد القديم أو العهد الجديد قيل أن عرش الله كان على الماء) انتهى.

✍ العهد القديم يقول في سفر التكوين: {**1 فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ. 2وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ.**} وقد شرح المفسرون العرب الآية على أن جسم الله وروحه كانت ترف على الماء، وبالتالي أخذها محمد وأدخلها في قرآنه. أما العهد الجديد بما أنه جاء مكملاً للعهد القديم فلم ينشغل كاتبوه بخلق الكون لأن العهد القديم كان قد شرح ذلك بإسهاب.

- السيد العربي الجزائري يقول:

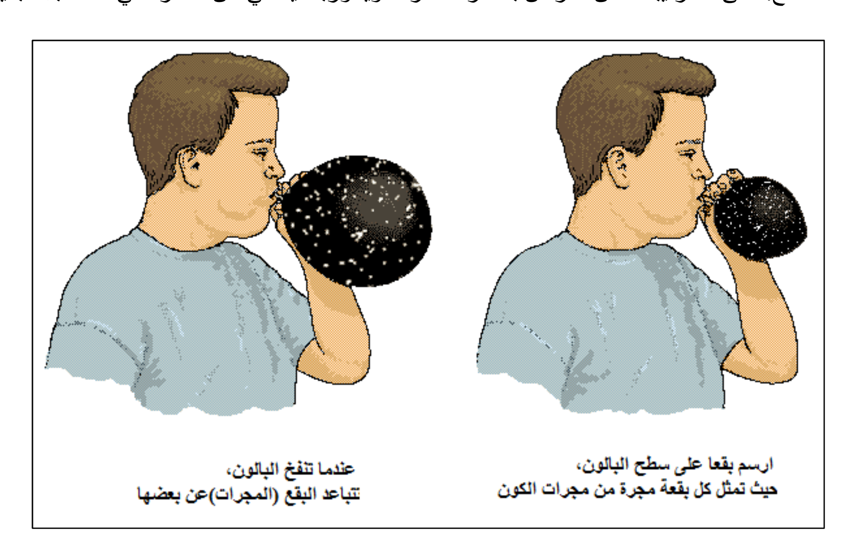
(لقد كتبت بأن المكروبات ذات الخلية الواحدة أو الخلايا العديدة كانت أول أنواع الحياة التي بدأت في المحيطات على أرضنا هذه بعد أن برد سطحها. وهذه المكروبات هي التي تولد الأوكسجين الذي تحتاجه كل الحيوانات والنباتات. ولذلك استمرت الأرض لمدة بليونين من السنين بدون حياة أخرى حتى بلغت نسبة الأوكسجين في الجو نسبته الحالية التي تسمح بالحياة على سطح الأرض. سؤالي: لماذا العملية لم تكون مماثلة على سطح الكواكب الأخرى في كل الكو) انتهى.

✍ كما قلت سابقاً إن الصدفة شاءت أن تكون الأرض على بعد معين من الشمس أتاح لها أن تحتفظ بدرجة حرارة معينة لا تتغير إلا قليلاً أثناء العام. وهذه الحرارة هي التي سمحت للمكروبات أن تبدأ حياتها وتنتج لنا الأوكسجين. الكواكب الأخرى المعروفة لنا إما أنها قريبة جداً من شموسها وبالتالي حرارتها عالية جداً لا تسمح بالحياة، وإما أنها بعيدة جداً ومتجمدة ولا تسمح بالحياة. أما في المجرات الأخرى فقد تكون هناك ظروف موائمة للحياة وقد تكون هناك حياة على بعض الكواكب لكنها من البعد عنا بحيث لا نستطيع الوصول إليها.

- السيد سروان أمين يقول:

(يقولون العلماء ان الكون يتمدد او يتوسع، اني اسأل، كيف يتمدد؟ على حساب ماذا؟ ماذا هناك خارج الكون، ماذا تسمى هذا الفراغ، الم يقولون ان الانفجار العظيم هي التي اخلقت الزمان والمكان؟ اطلب الجواب من الاستاذ الفاضل كامل النجار او اى واحد من الكتاب، وشكرا) انتهى.

✍ أمسك بيدك بالونا وضع بعض النقاط على سطحه ثم انفخ البالون وسوف ترى أن النقاط تبتعد عن بعضها البعض كلما نفخت في البالون. وهذا ما يحدث في الكون إذ تدفع قوة الطرد المجرات عن بعضها البعض وبما أن الكون فراغ شاسع تتمدد المجرات في هذا الفضاء الشاسع. حتى القمر يبتعد عن الأرض بمقدار سنتمر سنوياً وربما يختفي عن أنظارنا في المستقبل البعيد.



- السيد حسن البصري يقول:

(أنا من المعجبين بمقالات حضرتك، و أرجو أن تسمح أن أبدي ملاحظة حول بعض المعلومات التي تبدو متشابكة و مختلطة، لقد فهمت من مقالك أن بلوتو هو حدود المجرة الشمسية و هناك بلايين المجرات في الكون، لكن حسب معلوماتي فليس هناك مجرة شمسية بل المجموعة الشمسية التي تقع على حافة مجرتنا المعروفة بدرب التبانة، و التي تحوي أكثر من مئة مليار نجم،و كذلك بلوتو لم تعد تحسب ككوكب كما المريخ أو المشتري...و شكرا) انتهى

✍ أنا ذكرتُ في المقال أن بلوتو (سابقا) كان من الكواكب لكنه لم يعد. وهو أبعد كوكب عن شمسنا لكنه ليس آخر حدود مجموعتنا الشمسية the solar system وليس آخر شيء في مجرتنا وهي درب التبانة. سفينة الفضاء الأمريكية التي ظلت تعبر الفضاء من العام 1979 قد وصلت إلى حافة مجرتنا (درب التبانة). أعتذر لك إذا حدث خلط في الفهم.

- السيد ديار العقراوي يقول:

(ذكرت النجوم:يقول القران:فلا اقسم بموقع النجوم:اي ان الذي نراه هو فقط مواقعها الظاهرية:::لانها يمكن ان تكون قد زالت منذ الاف السنين 9::ثم استوى الى السماء وهي دخان...اخر الاكتشافات تقول ان اصل الكون من غبار...ويقول القرانكفكانتا رتقا ففتقناهما:::اي الانفجار الكبير.....) انتهى.

✍ أولاً: النجوم التي نراها نجوم حقيقية ولم تختف ونستطيع قياس بعدها عنها. النجوم التي اختفت تترك black holes لا نراها ولكن نستطيع تحديد مكانها لأنها تحني الفضاء بطريقة معينة يعرفها العلماء. والنجوم التي شاخت وأصبحت قريبة من الموت تظهر في التلسكوبات بلون أصفر بينما النجوم الحية تظهر بيضاء.

فقول القرآن عن مواقع النجوم قول بعيد عن الحقيقة وربما سببه أن محمداً كان يعتقد أن الله يرجم الشياطين بالنجوم فيصبح موقعها خالياً. أما فتق السماء عن الأرض فقصة قديمة ذكرتها الأساطير المصرية القديمة والبابلية والسومرية وغيرها ولا جديد في القرآن عن ذلك.

عودة إلى الفهرس

2010 / 10 / 22

232 - كيف أتينا إلى الوجود

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=232806

منذ أقدم العصور، وعلى الأقل منذ حوالي 7 آلاف سنة عندما اخترع الإنسان الكتابة وترك لنا مدونات عرفنا منها، أن الإنسان ظل يبحث عن سر وجوده في الحياة وكيف أتى إليها وما هو المصير الذي ينتظره بعد الموت. فنجد مثلاً قبائل البشونغو Boshongo في أفريقيا الوسطى كانوا يعتقدون أن في البدء كان الظلام والماء والإله بومبا Bumba. وفي أحد الأيام كان الإله بومبا مصاباً بألم في معدته، وبدأ يستفرغ ما في المعدة، فخرجت الشمس أولاً. وبعد فترة بخرت الشمس بعض الماء فظهرت اليابسة. ولكن الإله بومبا كان لا يزال يعاني من ألم المعدة والاستفراغ، وخرج من معدته القمر والنجوم وبعض الحيوانات كالنمر والتمساح والسلحفاة، ثم الإنسان.
بينما قبائل الهنود الحمر في أمريكا الوسطى - قبائل المايا- يقولون في البدء لم يكن غير البحر والسماء والخالق. ولكن الخالق شعر بالأسى لأنه لم يكن هناك مَن يحمده على خلق السماء والبحار، ولذلك خلق الأرض والجبال والأشجار وأغلب الحيوانات. ولكن لأن الحيوانات لا تتكلم ولا تستطيع شكره، قرر أن يخلق الإنسان. في تجربته الأولى خلق الإنسان من طين وتراب، ولكن هذا الإنسان كان يخرج أصواتاً كالحيوانات ولم يكن يعرف الكلام. عندها قرر الخالق أن يترك الإنسان يذوب في الماء، ومن ثم خلق الناس من الخشب، لكنه وجدهم من غير بريق، فقرر قتلهم لكنهم ركضوا إلى الغابات عندما علموا بنيته. ولأنهم كانوا يركضون بسرعة فقد تلف أغلبهم وتحولوا إلى قرود عندما وصلوا الغابة. وأخيراً خلق الإله الناس من الذره الشامي corn الذي يميل لونه إلى الأبيض أو الأصفر.[1]
وكل الحضارات القديمة من مصرية وسومرية وإسكاندنيفية وإغريقية، وغيرها، أتوا بقصص مماثلة حاولوا من خلالها تعليل كيفية وجود الإنسان في الحياة ودور الآلهة في إدارة تلك الحياة. وكل هذه الأساطير قد ماتت مع تقدم العلم الحديث. فكيف جاء الإنسان إلى الحياة؟ وهل هناك إله خالق خلقه بيديه أو قال له كن فكان؟
غالبية علماء ومثقفي العالم اليوم يؤمنون بنظرية البـگ بانـگ Big Bang ونظرية الارتقاء لدارون. ولكن العلم يخبرنا أن البـگ بانـگ عندما حدث وانتشر الكون في أقل من ثانية إلى أبعاد شاسعة، لم يكن بالكون من المادة غير غاز الهايدروجين، وقليلٌ من غاز الهيليوم وأثراً من الليثيوم. والسبب في ذلك هو أن غاز الهايدروجين هو أبسط الغازات تكوينا إذ أن الذرة منه atom تحتوي على بروتون واحد ونيوترون واحد[†]، وفي بعض الحالات اثنين. وغاز الهيليوم تحتوي نواته على اثنين من البروتونات واثنين من النترونات، وقد نجم من اختلاط ذرتين من الهايدروجين انتجتا ذرة واحده من الهيليوم. وعندما اختلطت ذرة من الهيليوم مع ذرة من الهيدروجين، نتج عنهما الليثيوم الذي تحتوي ذرته على ثلاثة بروتونات. وهذا يكاد أن يكون القانون في كل الأشياء عندما تتكون فتبدأ بالأبسط ثم الذي يليه في المرتبة.
وكما قلنا في المقال السابق عن الكون إن الأرض بدأت تتكون قبل 4.6 بليون سنة، غير أنها كانت كتلة منصهرة في درجة حرارة عالية لا تسمح بالحياة. وتدريجياً بردت قشرة الأرض وترسبت بها المياه لتُكون المحيطات، ولكن على مدى ملايين السنين لم تظهر بها أي علامات حياة. والسبب في ذلك هو أن الهايدروجين والهيليوم ليسا كافيين لبدء الحياة. كل الخلايا تحتاج إلى الكربون في تكوينها. والكربون يحتوي على ستة بروتونات هايدروجين في النواة، ولا يمكن تكوينه من الهيليوم في درجة حرارة منخفضة. لكي يتكون الكربون نحتاج إلى درجة حرارة عالية جداً قد تصل إلى مائة مليون درجة على مقياس كيلڤن Calvin. وهذه الدرجة من الحرارة لا يمكن الحصول عليها إلا في داخل نجم أكمل حياته وبدأ يتقلص على نفسه فترتفع حرارته إلى ملايين الدرجات. في مثل هذه الحرارة يتكون الكربون وبقية المواد الثقيلة التي تحتاجها الخلية. ولكن كيف ننقل هذا الكربون من داخل النجم المحترق إلى بقية الكواكب؟ الإجابة أتى بها عالم الفيزياء الإنگليزي فريد هويل Fred Hoyle في الخمسينات من القرن المنصرم عندما قال إن النجم المحترق إذا كان ضخماً فقد ينفجر ويصبح **سوبرنوڤا** Supernova. هذا الانفجار العظيم ينشر الكربون في الفضاء الجوي، والكواكب التي تتكون بعد انفجار السوبرنوڤا تحتوي على الكربون والمواد الثقيلة الأخرى بالإضافة إلى الهيدروجين والهيليوم.
لكي تتكون خلية حية فإنها تحتاج إلى كربون وهايدروجين وأوكسجين ونيتروجين وقليل من الكبريت والكالسيوم والفوسفات. وجميع هذه المواد أصبحت متواجدة في الغلاف الأرضي بعد أن بردت الأرض وتكونت بها المحيطات. اجتماع هذه المواد في الماء أدى إلى خلق بكتريا Bacterium تتكون من خلية واحدة. وتأكيداً لهذه النظرية فقد تمكن الباحث الأمريكي كريغ فنتر من تجميع هذه المواد في أنبوب في المختبر وأنتج منها كروموزوم Chromosome وقام بزراعته في خلية بكتريا فارغة بعد أن أخرج كل محتوياتها. وراقب تلك الخلية لعدة أسابيع إلى أن ملأت الغلاف وبدأت تتكاثر مثلها مثل البكتريا الطبيعية. **فالبروفسور فنتر لم يحتج إلى قوة ميتافيزيقية ولا إلى أن ينفخ الروح في البكتريا الجديدة.** هي بنفسها كوّنت نفسها.
والمهم في البكتريا أنها يمكن أن تعيش بدون أوكسجين وتتنفس أي غاز يوجد حولها. فقد أكتشف العلماء حديثاً في جزر البهاما كهوفاً مائية عمقها حوالي 300 قدماً ومملوءة بماء البحر. هذه الكهوف ليس بها ذرة من الأوكسجين ومليئة بغاز ثاني أوكسيد الكبريت Sulpher dioxide هذا الغاز يقتل الإنسان في ثواني ولكن البكتريا في تلك الكهوف تعيش عليه.
وزيادة على ذلك فإن هذه المواد تتجمع في الفضاء الكوني وتكوّن حوامض الأمينو Amino acids التي تتكون منها البروتينات. ففي سبتمبر 1969 ارتطم جسم سماوي بالأرض في أستراليا في منطقة Murchison شمال ملبورن. وجمع الأهالي حوالي 90 كيلوجراماً من بقايا هذا الميتيورايت أي النيزك Meteorite. حدث هذا في نفس الوقت الذي رجع فيه رواد الفضاء الأمريكان بعينات من صخور القمر. وعندما حلل العلماء ذلك الجسم وجدوا أن عمره 4.5 بليون سنة، أي نفس عمر الأرض تقريباً. ووجدوا أنه يحتوي على 74 نوعاً من حوامض الأمينو.[2] وتحليل صخور القمر أثبت أن بها أمينو أسد و بوليمرز، وهي جزيئات Molecules تجمعت مع بعضها في سلسال. والسكريات كذلك تتجمع في الفضاء لتكون نشويات. وقد دفع هذا الاكتشاف بعض العلماء إلى القول إن بذور الحياة أتت إلى الأرض من الفضاء عبر الأجسام السماوية ووجدت الظروف مواتية للحياة فنمت الحياة على الأرض. ويسمي العلماء هذه العملية panspermia[††].
ظهرت البكتريا بمجرد أن برد سطح الأرض ولكن على مدى بليونين من السنين ظلت البكتريا تعيش في المحيطات وتتنفس الغازات الموجودة في الماء وتفرز الأوكسجين كفضلات. وبالتدريج ارتفعت نسبة الأوكسجين في الماء وفي الجو حول الأرض مما أتاح الفرصة لنشوء حياة أكثر تعقيداً من البكتريا.

[†] والكترون electron واحد أيضا. ومن جهة ثانية فإن اتحاد ذرتي هايدروجين بشكل جزيء molecule هايدروجين "H_2". وهو الشكل الذي يتواجد به الهايدروجين في الطبيعة (حيث لا يمكن لذرة الهايدروجين لوحدها أن تتواجد بشكل حر في الطبيعة لحاجتها لمشاركة الكترون آخر من ذرة أخرى (الهايدروجين أو غيره). [لا أجد حاجة لذكر المصادر فالانترنيت في متناول الدكتور كامل]. (أرجو أن تصوبني).

كلامك صحيح وأرجو أن تثبته في الهامش.

[††] نظرية نشوء الحياة.

[1] نقلاً عن ستيفين هوكنج: The Grand Design, p 123.
[2] بل برايسون، ص 356.

لأن الأجسام المتحركة ترتطم ببعضها البعض، يقدر العلماء أن اثنين من البكتريا اصطدما ودخلت إحداهما في الأخرى أو ابتلعتها الأخرى وتوقف نموها وأصبحت جزءاً غير متحرك من البكتريوم الأولى. وبالتدريج انصهرت هذه البكتريوم في جسم الأولى وكونت ما يُعرف الآن ب المايتوكوندريوم mitochondrium الذي أصبح مصدر الطاقة للبكتريوم الأولى، وهو المكان الذي تجري فيه جميع العمليات الكيماوية. ولكن هذه المايتوكوندريم تحتفظ بحوامضها النووية المختلفة عن البكتريوم الذي يحتويها، كما تحتفظ بالمسنجر دي ان آى الخاص بها Messenger DNA، مما يدل على أنها كانت بكتريوم مختلف. واستمرت هذه البكتريا كما هي لملايين السنين. وبما أن البكتريا تتوالد بالانشطار، يحدث بعد كل مليون عملية انشطار اختلاف بسيط في ترتيب حوامض الأمينو فيظهر مخلوق مختلف يُقال عنه **ميوتانت** mutant (طافر أي مصاب بطفرة Mutation) أغلب هذه الميوتانت تموت ولكن بعضها يكون أكثر قابلية للتأقلم مع الظروف السائدة، فينتشر بسرعة. ونتيجةً لهذا التغيير ظهرت حيوانات أخرى ذات خلية واحدة ولها نواة nucleus مثل الأميبا. هذه الأميبا تحتوي على 400 مليون معلومة وراثية[†] genetic information. والأميبا كذلك تتوالد بالانقسام. وتدريجياً، وبعد حوالي بليون سنة التحمت بعض هذه الخلايا مع خلايا أخرى مماثلة ونتج عن ذلك حيوانات ذات خليتين أو أكثر. وبما أن هذه المكروبات تتوالد بالانقسام ويحدث بها ميوتانت، فقد ظهرت نتيجةً لهذا الاختلاف حوالي 30800 نوع من الأميبا و26900 نوع من الطحالب Algae.

وبعد ملايين من السنين ظهر ما يُعرف ب trilobites أي الحيوانات الصغيرة ذات الثلاثة فصوص: رأس وصدر وذنب. وهناك اليوم في متحف التاريخ الطبيعي بلندن 20 ألف نوع من هذه الثلاثيات، كلها متحجرة. ويقدر العلماء أنها ظهرت قبل 540 مليون سنة وعاشت حوالي 300 مليون سنة قبل أن تنقرض. ونتيجةً لتواجد الميوتانت فيها فقد ظهرت بعد ذلك حيوانات تُسمى profallotaspis وهي تشبه الأسماك. لها أطراف وخياشيم وأعصاب ودماغ صغير جداً ولها عيون يتكون داخلها من أعمدة صغيرة من الكالسايت calcite (الصخور الرملية). وتُعتبر هذه العين البدائية أول نوع من العيون. وبالطبع تطورت تلك العين البدائية إلى أن وصلت إلى مستوى عيوننا الآن.

في العام 1909 وبالصدفة اكتشف الأمريكي ولكوت Walcott منطقة معينة في أحد الجبال في كندا تعرف الآن باسم Burgess Shale في مقاطعة كولومبيا البريطانية تحتوي على حوالي 40 ألف نوع من الحيوانات البحرية المدفونة في منطقة رخوة من ذلك الجبل. يرجع عمر هذه الحيوانات إلى 500 مليون سنة. بعض هذه الحيوانات كان لها قشرة خارجية shell وبعضها كان لها خمسة عيون وبعضها بلا عيون بالمرة. من هذه الحيوانات كان هناك حيوان سماه العلماء Opabinia كانت له خمسة عيون وأنف كأنف الخنزير ومخالب في أطرافه. كل هذا حدث نتيجة الأخطاء التي تحدث في الانشطار وتؤدي إلى ظهور الميوتانت الذي ينمو مختلفاً على سابقيه. من هذه الميوتانت وجدوا حيوان يُعرف باسم Pikaia gracilens وهو أول حيوان ظهر له عمود فقري. وأغلب الحيوانات في ذلك الوقت كانت تتكون من طبقتين من النسيج العضوي وكل الحيوانات اليوم تتكون من ثلاث طبقات.

مع مرور الملايين من السنين تطورت تلك الحيوانات البحرية الصغيرة وكبر حجمها وظهرت بينها حيوانات مفترسة مثل سمك القرش. بعض الحيوانات البحرية بدأت تجازف وتهرب من الماء إلى اليابسة، ولكن كان عليها أن تتعلم أن تتنفس الأوكسجين مباشرةً بدل أخذه من الماء. وطبعاً التحول استغرق ملايين السنين وظهرت حيوانات برمائية تستطيع أن تعيش في الماء وفوق اليابسة.

تلك الحيوانات التي تعلمت العيش على اليابسة استفادت من نسبة الأوكسجين العالية في الجو في ذلك الوقت إذ بلغت 35 % فنمت الحيوانات بسرعة فائقة وبأجسام ضخمة. في مثل هذه الظروف ظهرت الديناصورات واستعمرت اليابسة على مدى ملايين من السنين. ثم انقرضت الديناصورات بفعل ارتطام أجسام سماوية (نيازك) meteorites بالأرض أو لسبب آخر، وخلا الجو لحيوانات أصغر حجماً وأكثر ملاءمة للعيش بالظهور.

كل الحيوانات من أسماك وسمك القرش والديناصورات والطيور وغيرها، كلها تشترك في أن لها أربعة أطراف وفي نهاية كل طرف توجد 5 أصابع. الطيور جعلت من أطرافها العليا أجنحة. وإذا شرّحنا جناح الطير نجد به نفس عظام ذراع ويد الإنسان، أي عظم الذراع ثم عظمين في الساعد ثم 8 عظام صغيرة في مفصل الرسغ ثم عظام اليد. ونفس الشيء نجده في الزعانف الأمامية لسمك القرش والسمك العادي. وهذا يدل على أن جميع الحيوانات تكونت من جد أعلى واحد. يقسّم العلماء أصل الحيوانات إلى أربعة أقسام رئيسية اعتماداً على عدد الثقوب الموجودة بالجمجمة. هذه الأقسام هي:

Synapsids ولها ثقب واحد، ثم
Diapsids ولها ثقبان، ثم
Anapsids ثم
Eurapsids.

الأنابسد تطورت إلى سلاحف، والديابسد تطورت إلى أربعة أقسام، قسم منها أعطى الديناصورات، وقسم أعطى الثدييات Mammals.

99 % من هذه الحيوانات البدائية انقرض ولم يبق منها إلا التي تأقلمت واستطاعت أن تُنمّي جيناتها لتوائم طبيعة المنطقة التي تعيش بها. الثديات انقسمت إلى عدة أقسام منها القرود. وفيما بعد تطور نوع من القرود إلى Apes وبعد مرور ملايين السنين تفرّع من ال Apesالشمبانزي والإنسان البدائي. وظهر الإنسان البدائي أولاً في أفريقيا. وقد عثر علماء الأنثروبولوجي على جمجمة إنسان في صحراء تشاد يرجع عمرها إلى أربعة ملايين من السنين. أما أول هيكل عظمي شبه كامل كان هو "هيكل لوسي" الذي عُثر عليه في الحبشة وقدّر العلماء عمره بحوالي 3 مليون سنة، يزيد أو ينقص قليلاً. وقد أثبت هيكل لوسي أن الإنسان مشى على قدمين بينما كل الحيوانات الأخرى تمشي على أربعة. وما زال الإنسان المعاصر يحمل في داخله جزءاً من الهيكل العظمي الذي ينمو منه الذنب. وما زلنا نحمل نفس الجين الذي يُثبت الذنب في القرود غير أن هذا الجين معطل في الإنسان. **وأكثر من 98 % من جيناتنا مشتركة مع الشمبانزي مما يُثبت أننا انحدرنا من جد واحد**. والفرق بين حمار الوحش zebra والحصان في الجينات أكبر من الفرق بيننا والشمبانزي.

عودة إلى الفهرس

[†] سيدي العزيز أنت سيد العارفين.
فكلمة genetic هي الصفة من genetics أي **علم الوراثة** وبالتالي فعبارة genetic information تعني **"معلومات وراثية"** وليس جينية gene. لأن الاسم والصفة في الانكليزية لكلمة جين gene متماثلان. في حين نقول بالعربي جين وجيني.
وللدقة يمكننا القول: "هذه *الأميبا تحتوي على 400 مليون معلومة وراثية ضمن جيناتها*".
أما أن نقول "*أن الأميبا تحتوي ...عن الجينات*" فالسؤال الذي يطرح نفسه عندئذ: أين تحتفظ الأميبا بهذه المعلومات عن الجينات، إذا كانت الجينات نفسها هي خازنة الشفرات الوراثية؟

هذا التعليق هنا دفعني إليه كثرة اللغط والالتباس الذي بثّ الحظه لدى الكثير من الكتاب غير المتخصصين، وأحيانا بعض المتخصصين، بالتعامل مع مصطلحات العلوم. وبالذات في مجال علم الوراثة حيث يكثر الخلط بين مفهومي genetic و gene.

وبالمناسبة هذا التعليق لا علاقة له بمسألة استعمال وترجمة المصطلح الانكليزي أو العربي. بل بالتشوش الذي ينجم ربما عن التفريق بين gene و genetic و genetics.

المعذرة على الإطالة، المملة ربما.
وأخيرا أرجو أن تصوبني مع الشكر.

233 - كامل النجار في حوار مفتوح مع القارئات والقراء حول التشكيك والإلحاد في الأديان

حاوره: مازن الوراق

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=232975

من اجل تنشيط الحوارات الفكرية والثقافية والسياسية بين الكتاب والكاتبات والشخصيات السياسية والاجتماعية والثقافية الأخرى من جهة، وبين قراء وقارئات موقع الحوار المتمدن على الانترنت من جهة أخرى، ومن أجل تعزيز التفاعل الايجابي والحوار اليساري والعلماني والديمقراطي الموضوعي والحضاري البَنـَّاء، تقوم مؤسسة الحوار المتمدن باجراء حوارات مفتوحة حول المواضيع الحساسة والمهمة المتعلقة بتطوير مجتمعاتنا وتحديثها وترسيخ ثقافة حقوق الإنسان وحقوق المرأة والعدالة الاجتماعية والتقدم والسلام.
حوارنا - 11 - سيكون مع الأستاذ كامل النجار:حول التشكيك والإلحاد في الأديان.

1. في جاهلية العرب (مرحلة ما قبل الإسلام) دأبت *دوائر الإعلام الإسلامي* على تصوير تلك المرحلة بالجهل والإنغلاق والبداوة العنيفة، لتدلل على أن الإسلام كدين هذب تلكم البشر وجعلهم صالحون للتعايش، *لكن هناك ما يدل على أن الأمر كان معكوساً*، فالظاهرة الدينية في مكة وقريش ظاهرة (منفتحة) وهي ضد إنغلاق الدين الجديد، كيف يمكن أن نفسر الانفتاح الديني (الجاهلي) والإنغلاق الديني (الإسلامي)؟

✍ [**الإسلام يُجبُ ما قبله**]. هذا الحديث المروي عن محمد بن عبد الله هو الذي يُثبت لنا طبيعة الإسلام الاقصائية المغلقة.
وبما أن كل كتب التراث الإسلامي بدأت بالظهور في القرن الثامن الميلادي وقد كتبها مسلمون كانوا قد عاصروا ظهور الحركات المشككة في مصداقية القرآن مثل المعتزلة والقدرية وغيرهم الذين رءوا أن الإسلام لم يأت بجديد، *حاول المؤلفون المسلمون إعلاء الإسلام بتحقير الفترة التي سبقته*. ولكن الحقائق التاريخية تقول بغير ذلك.
فالعرب، خاصةً القحطانيين في اليمن، قد كانت لهم حضارات عريقة عرفت الكتابة والتأريخ بفترة طويلة قبل الميلاد، وكانوا متمكنين من التكنولوجيا في ذلك الوقت فبنوا سد مأرب والمعابد العديدة، وعبّدوا الطرق وبنوا القصور الشاهقة. ومملكة العرب الأنباط التي كانت عاصمتها "البتراء" ما زالت تحتفظ بآثار تلك الحضارة العريقة التي يستطيع الإنسان مشاهدتها اليوم. وكانت هناك مملكة تدمر في بلاد الشام وكانت على اتصال مع الرومان، وقد هزم "ملكها أذينة" الفرس. وجاءت بعده "الملكة الزباء" التي غزت مصر. ولا ننسى مملكة الحيرة الشهيرة التي كانت مركزاً مهماً لتعليم المسيحية. وفي سنة 1962 قامت بعثة أمريكية من المستشرقين الأمريكان، بزيارة مواضع من المملكة العربية السعودية، فزارت "سكاكة" والجوف وتيماء ومدائن صالح والعلا وتبوك، وظفرت بنماذج من فخار قديم، ونقلت صوراً لكتابات ثمودية ونبطية، أهمها الكتابات التي وجدوها في قمة "جبل غنيم" الذي يقع على مسافة ثمانية أميال من جنوب "تيماء"... وقبائل عاد وثمود قد ذكر القرآن في عدة مواضع أنهم كانوا يملكون من التكنولوجيا ما مكنهم من نحت الجبال ليبنوا فيها بيوتاً. والكتابة الثمودية كانت معروفة إلى وقت قريب من ظهور الإسلام.
أما عرب مكة، وخاصةً قبيلة قريش فقد كان همهم التجارة التي برزوا فيها وتواصلوا مع اليمن والحبشة والروم في الشام وتعلموا منهم الكثير ورجعوا بالإماء والعبيد الذين كانوا في أغلبهم مسيحيين. *ورغم أن أهل مكة كانوا يعبدون الأصنام إلا أنهم لم يجبروا عبيدهم على عبادتها*. وقد كان الغلمان الأحباش يتدارسون الإنجيل فيما بينهم وكان محمد يزورهم ويستمع إلى قصصهم، كما ذكرت كتب التراث. وقد ظهرت في تلك الفترة **حركة الأحناف** الذين كانوا يؤمنون بالوحدانية لاختلاطهم باليهود والمسيحيين.
وبما أن القبائل العربية العديدة كانت لها أصنامها الخاصة و"كعباتها" العديدة، فقد أيقن العرب وقتها أن القبائل هذه لن تغيّر آلهتها لإرضاء قريش، **وبذا تعلموا التسامح الديني** واتفقوا أن تضع كل قبيلة صنمها في الكعبة بمكة، ولم يذكر لنا التاريخ أن حرباً قد نشأت بين القبائل بسبب تعدد الآلهة.

فكل ما كتبه المؤرخون المسلمون عن فترة ما قبل الإسلام كان طمساً للحقائق لأن الإسلام يُجب ما قبله.

فعرب ما قبل الإسلام عرفوا الحضارات العديدة وتعاملوا معها وتعلموا التسامح الديني. **ولم يكن الدين شغلهم الشاغل ولذلك لم يضيقوا أجواء الحرية على المعتقدات العديدة التي كانت معروفة في ذلك الوقت لأن قريش كان همها منصباً على التجارة وسلامة القوافل، ولذلك عقدوا المعاهدات والأحلاف مع القبائل المختلفة التي كانت تختلف عنهم في الاعتقاد الديني.** وقد أظهروا تقدماً في التجارة مكنهم من إنشاء وممارسة عدة أنواع من المشاركات التجارية لم تظهر مثيلاتها في الغرب إلا في عهود متأخرة جداً مثل *البيع المؤجل وبيع المزابنة*، وهو بيع التمر وهو على رؤوس النخل قبل أن ينضج، *وبيع المزايدة*، وهو مثل المزاد العلني، *وبيع الجملة* دون وزن أو كيل، *والبيع بالأجل*، وهو أن يبيع التاجر المشتري البضاعة على أن يدفع الشاري ثمنها بعد مدة محددة، *والعقود طويلة الأمد*، وهي أن يشتري شخص أو شركة محصول حقل معين لعدة أعوام قادمة، كما تفعل شركات السوبرماركت الآن. ولكن الإسلام حرّم أغلب هذه المعاملات كما حرّم الربا.
ولما كان الدين **وليد بيئته**، فقد جاء دين محمد الجديد *متسامحاً لأبعد الحدود عندما كان محمد بمكة*، فأتى بآيات مثل: {**لكم دينكم ولي ديني**}. ولكن عندما هاجر إلى المدينة وتقوى بالأنصار أراد أن ينشر دينه الجديد في كل أنحاء الجزيرة العربية *ولم يكن أمامه إلا أن يفرضه بالقوة على القبائل العربية الأخرى*. ولما كان محمد يعرف أن (حليمة ترجع إلى قديمها)، **أصر على محو كل المعتقدات الأخرى حتى لا يرجع العرب إلى قديمهم، فجعل عبادة الأصنام كفراً بواحاً، والمسيحية واليهودية محرفتان، وبذلك يكون الإسلام هو الدين الوحيد.** ومن هنا بدأ *الإنغلاق والتشدد وعدم الاعتراف بالآخر*، وجاء محمد بالآية التي تقول: {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه}. وزاد رجال الدين الإسلامي فيما بعد على هذا التزمت ونبذ الآخر إرضاءً لرسولهم.

2. من منطلق عدم القناعة أو تشكيك بأديان الوحي (حسب تسمية محمد أركون)، كان هناك نوع من النزوع لدى النخبة العربية في كل المراحل التاريخية المؤسسة للعقل الجدلي، خروج عن (الإيمان) والدخول في (الكفر) بوصفه مجال حيوي، لفاعلية العقل، كيف يمكن النظر إلى مثل هكذا فعاليات متضادة؟

✍ العقل البشري لا حدود له إذا تُرك على سجيته، وهو دائماً يتشكك ويبحث عن الإجابات لأسئلته العديدة والمتجددة بحسب تغيير الزمان والمكان.

هذا العقل البشري هو الذي جعل المفكرين قبل الميلاد يبحثون في الفلسفة لمعرفة القوانين التي تحكم هذا العالم، فظهر أرسطو وأفلاطون وفيثاغورس وغيرهم من العلماء.
وبظهور الأديان السماوية فرض رجال الدين على هذا العقل الثائر المتشكك أن يقبل بأن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم خلق آدم وحواء في الجنة. ولما ظهر للعقل المتشكك أن *الأديان تناقض نفسها* وتقول إن الله قد خلق العالم في ستة أيام، وفي نفس الوقت تقول: إن الله إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. فليس من المنطق الذي يمكن أن يقبله العقل البشري أن تكون لذلك الإله تلك المقدرة التي تجعله أن يفكر في الشيء فيقول له كن فيكون، وفي نفس الوقت يشغل نفسه على مدى ستة أيام متتالية في خلق العالم. فلماذا لم يقل له كن فيكون في لحظة واحدة؟
مثل هذه الأسئلة وغيرها جعلت العقل (غير المغسول) *يتشكك في سماوية الأديان ويحاول الرجوع إلى حرية التفكير*. ينطبق هذا القول بحذافيره على الإسلام الذي علّم أتباعه أن يتفكروا في مخلوقات الله ولا يتفكروا في ذاته، لأن ذاته مموهة وهلامية لا يمكن تحديديها.
وبما أن الإسلام انتشر بحد السيف وبدون إقناع، كما حدث لصفية زوجة محمد التي كانت يهودية حتى غزاهم محمد وقتل أباها وزوجها أمام عينيها، وفي نفس اليوم أسلمت وتزوجها **المنصور بالرعب**، كما يقول عنه خليل عبد الكريم. فإن المسلمين الأوائل كانوا يشكون في الإسلام **ولكن الخوف جعلهم يعتنقونه**. وبمجرد أن مات محمد ارتدت **معظم القبائل العربية** عن الإسلام ورجعت إلى قديمها كما ترجع حليمة إلى ما تطمئن إليه.
أما النخبة العربية المسلمة فقد كانت تُجاهر بشكها في الإسلام منذ البداية كما فعل كاتب الوحي *عبد الله بن أبي السرح*، ومعاوية بن أبي سفيان، الذي لم يسلم إلا بعد فتح مكة وأصبح كاتباً للوحي، ثم استعمل المصحف الذي رفعه جيشه على الرماح لخديعة علي بن أبي طالب. وكما فعل الوليد بن يزيد عندما مزق المصحف وقال له:

إذا لاقيت ربك يوم حشر فقل ياربي مزقني الوليد

وقال كذلك:

تلاعب بالخلافة هاشميّ بلا وحي أتاه ولا كتابُ
فقل لله يمنعني طعامي وقل لله يمنعني شرابي

وقال أبو العلاء المعري:

يلينا من قريش كل عامٍ أميرٌ محدثٌ أو مستشارُ
لنا نارٌ نُخوّفها فنخشى وليس لهم، فهل يخشون، نارُ

ثم جاء بعد ذلك **المعتزلة** في نهاية الدولة الأموية وبداية العباسية *فجاهروا بأفكارهم التشككية مما أدى بهم إلى المقاصل* لأن رجالات الدين مغسولي العقول لم يستطيعوا مجاراة عقول المعتزلة الحرة. وحدث نفس الشيء في المسيحية عندما عجزت الكنيسة عن مجابهة المفكرين بالمنطق، لجأت إلى **محاكم التفتيش** لتلجم العقل الحر الذي لا يخشى النار أو العذاب الأبدي الذي يخوفون به العامة، ولا يخافون هم أنفسهم منه، كما يقول أبو العلاء المعري.
العقل الحر يرفض أديان الوحي *المقيدة لحريته* ولذلك يفضل الكفر أو الإلحاد لينزع عنه القيود. فمثلاً في العام 230 قبل الميلاد عندما كانت اليهودية والأديان الوثنية في اليونان تقول إن الأرض مسطحة وإن الشمس تدور حول الأرض، أي كما يقول القرآن: {**والشمس تجري لمستقر لها**}، تمعّن العالم أريستاركوس Aristarchus من علماء جزر أيونيا اليونانية في ظل الأرض على وجه القمر عندما حدث خسوف القمر في ذلك العام، واستطاع أن يستعمل هندسة الجوميتري Geometry ليقيس حجم الشمس من قياسه نسبة ظل الأرض على وجه القمر، **وأثبت أن الشمس أكبر بمرات عديدة من الأرض، وقال وقتها إن الأجرام الصغرى لابد أن تدور حول الكبرى، وليس العكس. وبذلك أثبت أن الأرض هي التي تدور حول الشمس.** وبالضرورة حاربه رجال الدين ورفضوا نظريته. ولذلك ينحو العقل الحر نحو الكفر والإلحاد تفادياً للقيود الدينية، وبما أن النخبة العربية هم أصحاب العقول النيرة، كان نزوعهم إلى الكفر شيئاً طبيعياً.

3. الإسلام الأصولي غالباً ما يحاول أن يجعل من رفض (محمد) للتعدد الديني في الجزيرة العربية وفق مقولته [لا يجتمع في الجزيرة دينان]، قداسويا لاستعداء الآخر، لذا بروز الالحاد كوجهة نظر معبرة عن وجود قيمة عقلية موازية، يصنفها الإسلام الأصولي على أنها حرب شاملة ومفتوحة عليه، كيف نُدْرج مقولات القرآن عن التسامح بموازاة مقولاته عن القصاص من الملحدين وأصحاب الديانات الاخرى؟

✍ كما قلتُ سابقاً فإن محمداً أراد أن يمحو جميع المعتقدات الأخرى من عقول وقلوب أتباعها حتى يكون الإسلام هو الدين الوحيد في الجزيرة العربية، وحتى لا يكون للناس معتقدٌ آخر يرتدون إليه بعد الإسلام، ولذلك جاء بهذا الحديث بعد تصفية اليهود ونفيهم من المدينة. ولولا بقية من الاحترام لأستاذه ورقة بن نوفل الذي علّمه أغلب القصص القرآنية، لقضى على المسيحيين (النصارى) كذلك حتى يخلو الجو للإسلام.
وقد استغل رجال الدين الإسلامي هذا الحديث *لطرد الأديان الأخرى من الجزيرة ومنع أتباعها من بناء دور للعبادة أو حتى امتلاك كتبهم المقدسة مثل الإنجيل والتوراة*. ومع ذلك المنع يطالب المسلمون بالسماح لهم ببناء المساجد والمدارس في بلاد المسيحيين **ويعتبرونه حقاً إلهياً لهم دون غيرهم**. وكل مَن يختلف معهم في هذا الشأن فهو في حرب مع الإسلام.
وبما أن الغرب عامةً قد تخطى مرحلة الأديان وأصبح جزء كبير من أهله ملحدين، فقد اعتبر رجال الدين الإسلامي رفض الأديان في الغرب حرباً على الإسلام خاصةً، لخوفهم من انتقال عدوى الإلحاد إلى البلاد الإسلامية. ورغم أن البلاد الغربية قد فتحت أبوابها للمسلمين الهاربين من اضطهاد إخوانهم المسلمين وآوتهم ومنحتهم المنازل والطعام والمدارس والعلاج مجاناً، فإن ذلك لم يشفع لهم عند رجال الدين المسلمين الذين ما زالوا يقسمون العالم إلى فسطاط الإيمان وفسطاط الكفر.
ولأن الإسلام **دينٌ هش لا يتحمل القراءة النقدية**، يصبح الحل الوحيد المتاح لرجال الدين الإسلامي للحفاظ على الإسلام هو **تخويف الناس بالقتل إذا ارتدوا عن الإسلام وبفرض الجزية علي غير المسلم إذا لم يدخل حظيرة الإسلام**.
وبما أن الإسلام لا يحترم العقل، فإن رجال الدين الإسلامي - الذين يهاجمون المسيحية واليهودية كل يوم في قنواتهم الفضائية وفي مساجدهم ويمنعون المسيحيين من ترؤس المسلمين ومن الانخراط في جيوش البلاد الإسلامية - *لا يرون تناقضاً بين أفعالهم وأقوالهم بأنهم يحترمون جميع الأديان*. ورجال الدين الإسلامي بالطبع قد تعلموا هذا السلوك من تراثهم الملئ بالدم والقتل واضطهاد الآخر الذي يجدونه في أحاديث محمد. فقد روى ابن عباس عن محمد حديثاً يقول: [**قريش أهل الله، فإذا خالفتها قبيلة من العرب صاروا حزب إبليس.**][1]
فالذي يخالف قريش يصبح من حزب الشيطان، فما بالك بمَن يخالف الإسلام كلياً من الملحدين والمرتدين الذين يستعملون عقولهم فيما يقرؤون ويسمعون.

[1] الجامع الصغير للسيوطي، ج2، حديث رقم 1612.

4. الآن تحديدا، تنشأ أصولية مسيحية ممثلة بالرأس الكنسي البابا بنيدكتوس السادس عشر، في هجومه اللاذع وغير (الأخلاقي) على مفكرين عالميين كبار مثل خوزيه ساراماكو الذي وصفه الڤاتيكان يوم موته بالبذرة الفاسدة والمتطرف الشعبوي والملحد عديم الروح، إلى جانب ذلك نجد أن البابا الألماني يحمل نزعة (نازية) في تحامله على تصاعد الفكر الالحادي في أوروبا، من زيارته الى بريطانيا وحديثه عن بريطانيا (المسيحية) صاحبة الحروب المقدسة، ما الذي يحدث يا ترى في المؤسسة المسيحية لتسير نحو التشدد؟

✍ الكنيسة الكاثوليكية كانت طوال تاريخها متشددة ضد العقل وقد أحرقت وقتلت الآلاف من المفكرين بتهمة **الهرطقة** لأنهم قالوا بما يخالف تعاليم الكنيسة.

وفي العصر الحديث عندما ظهرت الشيوعية في روسيا وانتشرت تعاليمها إلى بلاد أخرى مثل الصين وڤيتنام وأفريقيا وكوبا، ذعرت الكنيسة الكاثوليكية كما ذعر حكام أمريكا وظهرت حركة *المكارثية* في أمريكا لمنع انتشار الشيوعية. ولخوف الكنيسة من انتشار الفكر الشيوعي الذي قال *إن الدين أفيون الشعوب*، لجأت الكنيسة الكاثوليكية إلى زيادة تعصبها **واتهمت كل المفكرين الشيوعيين بالهرطقة،** وكان من ضمن من طالته بتلك الفرشاة، الروائي البرتغالي الشهير، والشيوعي المتمكن خوزيه ساراماكو الذي كان قد نشر في عام 1991 روايته الشهيرة (رواية الإنجيل حسب يسوع المسيح) مما أغضب الكنيسة، ولذلك وصفه الفاتيكان بعد موته بالبذرة الفاسدة لأنه يؤثر في الشباب.

وتماشياً مع سياسة الكنيسة وخوفها من الشيوعية، تخلى الڤاتيكان عن واجبه الأخلاقي في الحرب العالمية الثانية عندما كاد هتلر أن يبيد اليهود الأوروبيين، ولاذ بالصمت ولم ينطق ببنت شفه ليدين ذلك الهولوكوست، وكان ذلك مهادنة لهتلر لأنه حاول غزو روسيا وكان **الفاتيكان** يأمل أن ينجح هتلر في مهمته ويقضي على الشيوعية الروسية. *وهي نفس الفكرة التي كان يُعوّل عليها الإخوان المسلمون والشيخ أمين الحسيني عندما زار هتلر وساعده بتجنيد الآلاف من شباب بوسنيا في الجيش الألماني*، واحتضنت جماعة الإخوان المسلمين الشيخ الحسيني عندما هرب إلى القاهرة بعد هزيمة هتلر.

والآن بعد أن افتضح تخاذل الڤاتيكان عن إدانة الهولوكست، اعتذر البابا جون بول الثاني من اليهود كما اعتذر من العلماء من أمثال گاليليو. **والڤاتيكان، كالأزهر، لا يتعلم من التاريخ**. وهاهو البابا بنيدكتوس السادس عشر يمتدح تاريخ بريطانيا في الحروب الصليبية ويشدد على أن بريطانيا دولة مسيحية، خوفاً من انتشار الإسلام في أوروبا مما قد يؤدي إلى إضعاف المسيحية، وكذلك في محاولة يائسة منه لصرف النظر عن الفضائح الجنسية التي ارتكبها قساوسته في أمريكا وآيرلندا والكنائس الكاثوليكية في بريطانيا. فالكنيسة الكاثوليكية بدأت تشعر بتضييق الخناق عليها في الآونة الأخيرة فحاول البابا اتباع الحكمة التي تقول (**خير وسيلة للدفاع هي الهجوم**).

5. بالعودة إلى الحقبة الإسلامية، يبدو أن **أول محاولة لكسر القداسة** بسؤال إلحادي مباشر كان عن خلق القرآن، فرضية المعتزلة الكبرى، التي واجهها الأصولي المتشدد ابن حنبل، فيما لأول مرة في التاريخ ولعلها آخر مرة أيضا، تقف المؤسسة السياسية بثقلها الديني الى جانب الفكر في مواجهة الخرافة، برأيك كيف نحلل تلك الظاهرة؟ وكيف ندرس إعادة صياغتها الآن؟

✍ أعتقد أن أول من انتقد القرآن وقال إنه مخلوق كان **الجعد بن درهم** الذي قال إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، وبالتالي فإن القرآن مشكوك في صحته ولا يمكن أن يكون أزلياً كالله نفسه، فضحى به خالد القسري والي الخليفة هشام بن عبد الملك بالعراق عام 124 من الهجرة.

وأما قصة خلق القرآن التي قال بها المعتزلة فقد كانت بالنسبة لهم مسألة وحدانية، فإذا كان القرآن أزلياً فقد شارك الله في أزليته، وعليه لا بد أن يكون القرآن مخلوقاً. وقد تبنى الخليفة العباسي المأمون هذه الفكرة وأمر كبير قضاته أن يستدعي جميع رجالات الدين ويسألهم إن كان القرآن مخلوقاً أم أزلياً، وكل من يقول أزلياً يُعفي من منصبه الرسمي وتسقط شهادته ويمنع من الفتوى. فاستجاب جميع **وعاظ السلاطين** للدعوة وقالوا إن القرآن مخلوقٌ، *إلا أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح قالا إنه أزلي.*

ثم جاء الخليفة المعتصم بعد المأمون واستمر على منوال أخيه المأمون، واوصى ابنه الواثق بعده أن يستمر كذلك على هذا المنوال ففعل وأمر بامتحان أهل الثغور فقال جميعهم بخلقه إلا أربعة أمر الواثق بقتلهم.

ولم يدم الحال للمعتزلة طويلاً إذ بعد أن انتهت خلافة الواثق وتملك الحكم الخليفة المتوكل، *أصبح مَن يقول بخلق القرآن يقتل*، فقتلوا أعداداً كبيرة من المعتزلة وانتهت صولة العقل. فالدولة لم تقف بكل ثقلها مع المعتزلة إلى جانب الفكر إلا في فترة قصيرة جداً من عام 813 هجرية إلى عام 847، أي مدة 34 سنة فقط. والسبب في وقوف الدولة مع العقل هنا كان بسبب أن المأمون كان يعتنق الفكر المعتزلي فأوصى أخاه المعتصم الذي أوصى ابنه الواثق بتلك السياسة.

> ***فالدولة الإسلامية في جميع عصورها وقفت مع وعاظ السلاطين ضد العقل لأن مصلحتها مع الوعاظ وليست مع العقل الذي قد يطيح بها وبالدين نفسه.***

أغلب الناس يقولون إن التاريخ يعيد نفسه، بينما تقول قلة من الفلاسفة إن التاريخ كالماء الذي يجري تحت الكُبري، فذلك الماء لن يرجع رغم أن النهر ما زال يجري تحت الكُبري، وكذلك التاريخ لا يرجع. وعليه لا أعتقد تلك الظاهرة يمكن إعادتها في زمننا هذا، خاصة مع ازدياد السلطة الأبوية التي تمارسها مملكة الوهابيين بصرف البترودولارات على كل مَن يحاول أن يرجعنا إلى العصور الوسطى.

عودة إلى الفهرس

234 - ما هي مهمة الأديان؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=233881

- عقّبت القارئة إقبال حسين على مقالي السابق عن "كيف أتينا إلى الوجود" وقالت:

"لكن الا يحق للملحدين سؤال انفسهم لماذا تطور الانسان دون بقية الحيوانات؟ وماذا كان دور الاديان في ذلك؟اليس التخويف بالعذاب في اليوم الاخر علي الاعمال التي تضر مصلحة الجماعة اوالمجتمع وكذلك الجزاء علي الاعمال الخيرة،لعبت دورا كبيرا علي ترويض حيوان قرد وجعلت له عقل وضمير يحاسبه،حتي اذا كنت غير متأكدة من ارسال رسل او لا،فكرة الاديان الهام من الخالق للانسان،واصرار الاديان علي تكريم الخالق، له دليله لماذا لم تتطور باقي الحيوانات مثله." انتهى.

✍ وكان عليها أن تسأل: « *هل الأديان طورت الإنسان وجعلت له ضميراً يحاسبه لأنها هددته بالعقاب في الآخرة إذا فعل شراً، وبالثواب إذا فعل خيراً* »؟

الإنسان بدأ مسيرته في الحياة من قبل حوالي ثلاثة ملايين من السنين حسب ما أظهرت لنا الهياكل العظمية التي عثرنا عليها، ولكنه في تلك الفترة كان أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان. ثم ظهر إنسان الهومو سابين Homo sapiens وهي كلمة مشتقة من اللغة الرومانية وتعني "الإنسان الحكيم"، قبل حوالي 200000 سنة تقريبا وترك الغابات وعاش في السافانا savanna† في سهول أفريقيا ثم هاجر بعضهم إلى أوروبا وآسيا. عيش الإنسان في السهول أجبره أن يعتمد على الصيد الذي كان يحتاج إلى تنظيم مجموعات تتعقب وتصطاد الحيوانات الكبيرة. وعندما يصطادون حيواناً كانت كل المجموعة من صيادين ورجال كبار السن والنساء والأطفال يشتركون في الأكل، **فلم تكن هناك ملكية فردية**. كل شيء كان مشاعاً ومشتركاً، حتى الجنس كان مشاعاً بينهم.

† السافانا
أرض عشبية مبسوطة، يتخللها أحياناً أشجار مبعثرة، في المناطق المدارية وما تحت المدارية.
grassy plain: a flat grassland, sometimes with scattered trees, in a tropical or subtropical region.

ولأن مهارات الناس تختلف كما تختلف بنيتهم، ظهر نوع من الرجال أكثر مهارة في الصيد من الآخرين، وأصبح هذا الرجل الماهر **قائداً** للمجموعة، وظهر نوع من التسلسل الاجتماعي hierarchy. وبالتدريج أصبح رئيس المجموعة هو المطاع وله الأولوية في كل شيء. وتعلم الزعيم أن يختار لنفسه أجمل النساء وحظر على الآخرين الاقتراب منهن. *وبالتدريج تعلم الإنسان البدائي أن يعيش في مجموعات لها نُظم معينة تفرض عليه أن يقترن بامرأة واحدة أو اكثر ولا يقترب من نساء الآخرين وأن يكون مسؤولاً عن تربية النشء، وأن يطيع الزعيم.* ومع ازدياد حجم دماغ الإنسان إلى مستواه الحالي - حوالي 1500 سنتمتر مكعب - تعلم الإنسان الذي أصبح يعيش في مجموعات أو قرى، أن يسيطر على غرائزه ووضع **تابوهات** Taboo معينة لممارسة الجنس ولاختيار الشريك وللاحتفال بالشراكة وبلوغ الصبيان سن الرجولة التي تسمح لهم بالاقتران وممارسة العلاقات الجنسية.[1]

ثم اكتشف الإنسان الزراعة التي أدت إلى نمو مجتمعات أكبر وإلى **الملكية الفردية** التي أدت فيما بعد إلى **الإقطاع** ونمو الطبقات الفقيرة العاملة في مزارع الإقطاعيين، واحتاج الإقطاع إلى أيدي عاملة رخيصة وأدى ذلك إلى العبودية. *كان لابد لهذه المجتمعات الجديدة أن تُشرّع قوانين تحمي الملكية الفردية التي كانت في الغالب في أيدي الإقطاعيين والمتنفذين في المجتمع*، وتُعاقب السارق والقاتل والعبد الذي يهرب من سيده. ونشأت عادات وتقاليد تعارفت عليها القبيلة أو القرية، وهي ما تُعرف في اللغة الإنگليزية، المأخوذة من اللغة اللاتينية، بكلمة Morals. وهي تُعبر عن تصرفات المجموعة ككل، بينما الكلمة ethics تُعبّر عن أخلاقيات الفرد أو المهنة، وتُعرف *بفلسفة الأخلاق* التي تهتم بمعرفة الخير والشر، والصح من الخطأ، والفضيلة والرذيلة.

وقبل أن تظهر الأديان السماوية كتب أرسطو (384-322 ق.م) عن فلسفة الأخلاق وقال:

"عندما يتصرف الشخص وفق طبيعته أي فطرته، فسوف يعمل صالحاً ويكون سعيداً في نفسه. السعادة هي قمة عمل الخير والإنسان له ثلاث طبائع: نباتية Vegetableوهي التي تتعامل مع النواحي الجسدية، وطبيعة حيوانية Animal تتعامل مع الشعور والعواطف، وطبيعة عقلانية Rational وهي التي تتعامل مع العقل. فالطبيعة النباتية يمكن اشباعها بالتمارين الرياضية، والطبيعة الحيوانية يمكن اشباعها بإشباع الغرائز والشهوات، والطبيعة العقلية يمكن اشباعها بالمنطق. والوسطية في كل شيء محببة، أما الإفراط فهو لا أخلاقي. والإنسان لا يجب أن يعيش فقط، بل يجب عليه أن يعيش حياة كريمة تحكمها الوسطية في كل شيء مع الفضيلة." انتهى.

وقال كذلك:

"نحن لا نتصرف التصرف الصحيح لأننا نملك العفة والتفوق الأخلاقي، بل نحن نملك العفة والتفوق الأخلاقي لأننا نتصرف التصرف الصحيح." انتهى.

وأفلاطون وسقراط اللذين سبقا أرسطو تحدثا كذلك عن الأخلاق ومقوماتها وأهميتها للمجموعات البشرية. فقال سقراط:

"من أصابه أذى من شخص ما، يجب ألا يرد الأذى لمن أصابه به لأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نبرر الشر، وعليه لا يمكن أن نبرر رد الأذى أو نفعل شراً ضد أي إنسان مهما عانينا على يديه." انتهى.

وهناك فلاسفة كثيرون من القدماء، مثل إبكيوروس Epicurus (341-270 ق.م) الذي قال:

"الثروة لا تنبع من كونك تمتلك الكثير بل الثروة تنبع من كونك ليس لديك متطلبات كثيرة."

وجاءت بعد أرسطو مدرسة الـ Hedonism أي **فلسفة اللذة**. وتُعرف هذه المدرسة بمدرسة الـ Cyreniac الإغريقية التي نشأت في القرن الرابع قبل الميلاد ومؤسسها هو أريسطوبوس Aristippus of Cyrene في مدينة شحات Shehhat في منطقة الجبل الأخضر في ليبيا. كان أتباع هذه المدرسة يعتقدون *أن الخير الوحيد في الإنسان هو اللذة*، التي لا تعني فقط غياب الألم بل ممارسة الأحاسيس المحببة إلى الإنسان. ولكنهم في نفس الوقت اعترفوا بأن *هناك واجباً اجتماعياً على الفرد*، وأن الإنسان يمكن أن يتحصل على المتعة من الاهتمام بتحسين ظروف الأخرين altruism دون أن يتوقع الإنسان مردوداً من المجتمع. هذه المدرسة رفضها المجتمع وقتها وانتهت في أقل من قرن من الزمان، مما يدل على أن المجتمعات الإغريقية القديمة كانت لها أخلاقيات ترفض عيش الإنسان من أجل اللذة فقط.

وفي الهند كذلك ظهرت **مدرسة هودونية** حوالي العام 600 قبل الميلاد، وكانت تُعرف بفلسفة Cārvāka. تقول هذه المدرسة إن تعاليم الهندوسية في كتبهم المقدسة تعاليم مكذوبة والكهنة كذابون وليس هناك أي حياة بعد الموت، وعليه يجب أن يكون الاستمتاع هو الهدف من الحياة.

وظهرت في الهند كذلك **الفلسفة البوذية** التي تدعو إلى قيم وأخلاق أعظم مما دعت إليه أي ديانة سماوية. وفي مقال قبل عدة أسابيع قارنت بين البوذية والإسلام بما لا يدع مجالاً للشك أن *الأخلاق البوذية في كل المجالات تتفوق على أخلاق الديانات السماوية*.

وفي الصين ظهر **كونفوشيوس** وجاء بفلسفة أخلاقية عظيمة، وقال:

أن ترى الخير ولا تفعله، يعني أنك تنقصك الشجاعة.

---

[1] نقلاً عن كتاب: History of Ethics to 30 BC, by Sanderson Beck.

وقال كذلك:

عقل الرجل السامي مليء بالاستقامة والعدل، وعقل الرجل المنحط مليء بالمكاسب الشخصية.

وفي حضارات ما بين النهرين (سومر وبابل) جاء **حمورابي** إلى الحكم بعد أن مات أبوه في عام 1848 قبل الميلاد، وكوّن إمبراطورية ضخمة حكمها بقوانين أخلاقية تسمو في بعض نواحيها على الأديان السماوية. وقال إن الهدف من وراء قوانينة التي أصدرها هو:

أن تسود العدالة أرجاء المملكة، وأن تحطم الشريرين وتمحو الشر، وأن تمنع القوي من اضطهاد الضعيف.

فمثلاً المادة التاسعة من قانون حمورابي تقول:

إذا افتقد شخص شيئاً ما من ممتلكاته ووجده عند شخص آخر، وقال ذلك الشخص إنه اشتراه من تاجر وبحضور شهود، يُحضر المتهم التاجر والشهود، ويُحضر المدعي شهود يثبتون أن ذلك الشيء ملكه. وإذا لم يثبت التاجر أو شهوده امتلاك الشيء المذكور، يُعتبر التاجر سارقاً ويُقتل وترد لصاحب الشيء المفقود ملكيته. وإذا لم يحضر الشاري التاجر ليثبت أنه اشتراها منه يعتبر الشاري سارقاً ويُقتل.

المادة 14 تقول:

إذا سرق أي شخص طفل شخصٍ آخر، فسوف يحكم عليه بالقتل.

المادة 21:

إذا نقب سارقٌ جحراً بحائط أحد البيوت وسرق منها فسوف يُقتل السارق أمام ذلك الجحر.

المادة 32:

إذا أُسر رجلٌ في الحرب واشتراه تاجر من آسره وأحضره إلى المدينة، يحق لذلك الجندي أن يشتري حريته من التاجر، وإذا لم يتوفر له المال اللازم يدفع المعبد ثمنه إنابةً عنه. حقله ومنزله وحديقته يحتفظ بهم لنفسه.

المادة 39:

يستطيع الرجل الحر أن يكتب منزلاً أو حقلاً أو حديقة اشتراهم بحر ماله، لزوجته.

المادة 42:

إذا أجّر شخص حقلاً لرجل ليزرعه وادعى الرجل أن الحقل لم ينتج محصولاً، فعليه أن يُثبت أنه لم يزرع الحقل وإلا وجب عليه أن يدفع لصاحب الأرض محصولاً مساوياً لمحصول المزارع الذي يجاور حقله ذلك الحقل المستأجر.

المادة 53:

إذا بنى مزارع حاجزاً للماء في حقله ولم يصنه وانكسر الحاجز وأغرق الحقول المجاوره فسوف يُباع ذلك الرجل ويوزع ثمنه على المتضررين.

المادة 112:

إذا ائتمن رجل مسافر ذهباً أو فضة إلى رجلٍ آخر لحين عودته، وإذا أخذ المؤتمن تلك الأمانة فعليه أن يدفع لصاحب الأمانة خمسة أضعافها.

المادة 122:

إذا أودع رجلٌ أمانة عند رجل آخر فعليهما أن يكتبا بها كتاباً في حضرة الشهود.

المادة 127:

إذا قذف أي شخص شخصاً آخراً أو زوجة شخص آخر ولم يُثبت ما قاله فسوف يُعرض على القضاة ويضع القضاة علامة على جبهته بالفصد.

المادة 129:

إذا بوغتت زوجة رجل مع رجل آخر وكانا يمارسان الجنس فسوف يُقيّد كلاهما ويُلقى بهما في النهر، ولكن من حق الزوج أن يصفح عن زوجته ومن حق الملك أن يصفح عن الرجل الزاني.

المادة 134:

إذا أُسر رجل في الحرب واتضح أن منزله خاوي وليس به ما يطعم الزوجة فمن حق الزوجة الذهاب إلى منزل رجل آخر.

المادة 136:

إذا هرب رجل من منزله ولم يعد، من حق زوجته أن تنتقل إلى رجلٍ آخر. وإذا عاد الزوج فيما بعد فليس من حقه إرجاع زوجته.

المادة 137:

إذا طلق رجلٌ زوجته يجب عليه أن يعيد إليها مهرها ويقتطع لها جزءاً من حقله أو حديقته لتعول نفسها وأطفالها.

المادة 142:

إذا اختلف زوج مع زوجته وقالت له الزوجة: إني لا استطيع العيش معك، ولم يكن من جانبها أي سوء معاملة، فسوف يرد لها الزوج مهرها وترجع لمنزل والدها.

المادة 145:

إذا تزوج رجل على زوجته الأولى وأحضر الزوجة الثانية لتعيش في نفس المنزل، فالزوجة الثانية لا تُعامل بالتساوي مع الأولى.

المادة 145:

إذا أُدين رجل بمضاجعة ابنته فسوف يطرد ذلك الرجل من المدينة.

قانون حمورابي به أكثر من 282 مادة تغطي كل شيء من القتل إلى جرح إنسان بواسطة حيوان يمتلكه شخص آخر.

هذه القوانين وُضعت قبل ظهور الأديان السماوية، فهل جاءت الأديان بأكثر من قوانين حمورابي؟

ظهور المجتمعات واختلاط الناس بالغرباء أدى إلى تفعيل القوانين والأخلاقيات التي نظمت حياة تلك المجتمعات، ولم تكن تلك القوانين وليدة يومٍ واحد أو عامٍ واحد وإنما كانت تراكمية كحضارة الإنسان. **وقد اكتملت كل هذه الأخلاقيات قبل ظهور ما يُسمى بالأديان السماوية.** ولم يكن للأديان أي تأثير في صياغة أخلاقيات المجتمعات.

ولكن بعض الأديان السماوية، وخاصة المسيحية، أضافت *بعض التحسينات الطفيفة على أخلاقيات المجتمع* مثل مَن صفعك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر. وكذلك من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر.

أما الديانة اليهودية فكانت ديانة ناتجة عن شعور بالضياع وبالذل الذي عاناه اليهود في السبي البابلي، ***فجاءت ديانتهم مليئة بالقتل واضطهاد المرأة النجسة واضطهاد القبائل الكنعانية وقتلهم وحرق معابدهم.*** أما تشريعات اليهودية فكانت تشريعات **أقرب إلى السادية** منها إلى تعاليم ربانية. الابن الذي لا يطيع والديه يقتل. الرجل الذي يمارس الجنس مع بهيمة يقتل. إذا اتهم رجل زوجته بالخيانة فعليها

أن تأتي إلى المعبد حيث يخلط لها الكاهن بعض الماء مع التراب ثم يطلب منها أن تشربه ويقول لها إذا كنتي صادقة ولم تخوني زوجك فإني أطلب من الإله ألا يضرك هذا الماء، ولكن إذا كنتي كاذبة فليقطّع الماء أحشاءك ولتتورم بطنك ولتضمر أفخاذك. **ومنعت اليهودية اليهود أن يتعاملوا بالربا مع بعضهم ولكن أجازت لهم الربا مع الغريب.** وجزء كبير من قوانين اليهودية **يعج بالعنصرية** ضد ال gentiles أي الغرباء غير اليهود.
أما الإسلام فلم يأت بأكثر مما أتت به اليهودية والمسيحية *غير إضافة بعض العادات الجاهلية إلى القوانين الإسلامية*. فبالنسبة للطفل نجد أن الإسلام منع التبني وجعل الطفل المولود من علاقة خارج الزواج طفلاً غير شرعي لا يأخذ اسم أبيه ولا يرثه. وبما أن التبني محرّم في الإسلام فإن الطفل غير الشرعي إما تقتله والدته أو يصبح من أبناء الشوارع الذين يربون بعضهم بعضاً بعيداً عن أخلاقيات المجتمع. والإسلام كذلك فرض على الأب أن يضرب أبناءه ليجبرهم على الصلاة عند بلوغ العاشرة، وأن يزوج الأب ابنته الرضيعة إلى مَن يراه مناسباً لها، وجعل سن البلوغ للطفلة العام التاسع من عمرها لأن محمداً بنى بعائشة في التاسعة من عمرها.
بالنسبة للمرأة فإن الإسلام جعلها عورة لا يجوز لها أن تكشف من جسمها شيئاً سوى لزوجها، ومنع عليها الخروج للعمل خشية الاختلاط بالرجال، وفي نفس الوقت قَصّر فترة العدة للتي يموت زوجها من سنة كاملة كما كان في الجاهلية إلى أربعة أشهر تصرف لها فيها نفقتها من تركة زوجها المتوفي، وبعد الأربعة أشهر لا حق لها في النفقة، *وإذا كان إرثها قليلاً فليس أمامها إلا بيع جسدها لتعيش*. فرض الإسلام على الذي يقذف المرأة أن يأتي بأربعة شهود رءوا المرود في المكحلة، **وفي نفس الوقت فرض على المرأة التي تتعرض إلى الاغتصاب أن تأتي بأربعة رجال شهدوا الاغتصاب ورءوا المرود في المكحلة، وهو أمر مستحيل أدى إلى تجريم المرأة التي تتجرأ وتشتكي للسلطة الاغتصاب الذي وقع عليها.** الإسلام جعل شهادة المرأة نصف شهادة الرجل وفي نفس الوقت حدد شهادتها فقط في الأمور المالية، ولا يجوز للمرأة أن تشهد في أي جريمة تستدعي حد الرجم أو القتل، وبالتالي لا يحق لها أن تشهد في جريمة قتل حتى وإن رأت القاتل بأم عينها وهو يرتكب جريمته.
العبيد والإماء *كالبضائع في الإسلام*، لا حقوق لهم ويمكن للمالك أن يبيع الأمة حتى إن كانت متزوجة، وبيعها يُفسخ زواجها. وأطفالها ملك سيدها. العبد يُقتل بالحر ولكن الحر لا يُقتل بالعبد {**الحرُ بالحرِ والعبدُ بالعبدِ والأنثى بالأنثى.** (البقرة 178)}.
الإسلام أباح للرجل أن يكذب في ثلاث حالات: في الحرب، ولزوجته، وليصلح ذات البين. والكذب هو الكذب مهما كانت مبرراته. **وقد استغل المسلمون طوال العصور هذه الرخصة حتى أصبح الكذب طبيعة ثانية للمسلم.**

نرى اليوم في الدول الغربية أعداداً غفيرة من المسلمين اللاجئين يسرقون أموال الإعانة التي تقدمها الدولة لمدارسهم الدينية كما حدث في هولندا مؤخراً.[2]

ونتيجةً لكذب الرجل على زوجته أصبحت المرأة على مر العصور تكذب على زوجها وعلى أهلها قبل الزواج وتستعين بغشاء البكارة الصناعي على ذلك، **وقد بارك مفتى مصر الشيخ علي جمعة هذا الغش.**

وكل ما يحافظ على بقية الأخلاق في البلاد الإسلامية هو القوانين الوضعية والأحكام الديكتاتورية. وقد رأينا طبيعة المسلم في غياب تلك القوة الرادعة في العراق وفي الصومال بعد انهيار السلطات فيهما. أصبح المسلم يُفجِر مساجد الله وكنائسه، ويقتل على الهوية ويسرق البنوك ببندقيته ويستبيح عرض النساء في المعتقلات أو حتى في بيوتهن ما دام يحمل سلاحاً أقوى من سلاح الغير.

وتبنى الإسلام العنصرية اليهودية وجعل محمد أمته خير أمة أخرجت للناس، وجعل العرب القرشيين أعلى مرتبة، وبعدهم العرب من غير قريش ثم العجم المسلمين ثم العبيد ثم أهل الكتاب من يهود ونصارى، *وشرّع محمد لفقه الولاء والبراء الذي منع حتى البدء بالسلام على أهل الكتاب*.

ما هي نوعية الأخلاق التي أباحت لمحمد أن يرسل أتباعه ليقتلوا عصماء بنت مروان خلسةً وطفلها نائم على صدرها؟
أي نوع من الأخلاق يبيح لمحمد أن يقول لأتباعه قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون؟

بعض الناس يجادل بأن الأديان هي التي ارتقت بالناس أخلاقياً وكان الناس قبلها كالحيوان لا أخلاق لهم. بدأت الأديان السماوية قبل أكثر من ثلاثة آلاف عام، وهذه مدة كافية جداً للناس أن يتعلموا ويمارسوا الأخلاق التي علمتهم إياها الأديان. فهل المؤمنون من يهود ومسيحيين ومسلمين في عالم اليوم يتمتعون بأخلاق أكثر علواً ومنزلةً من أخلاق قدماء الأغريق في أيام سقراط وأرسطوطاليس؟
دعونا نأخذ أمثلة من الأقطار الإسلامية،

- ولنبدأ **بمصر:**
التي زادت فيها مظاهر التدين الخارجي في الثلاثة عقود الأخيرة،
نجد أن الفساد الأخلاقي قد زاد أضعافاً منذ بدء الصحوة المزعومة،
فالتحرش بالنساء، حتى المحجبات منهن وصل إلى نسبة 84 % في آخر إحصائية،
السرقة سواء في الشوارع أو من البيوت أو سرقة المال العام منتشرة بكثرة،
الممارسات الجنسية خارج نطاق الزواج في ارتفاع مضطرد وقد باركها شيوخ الأزهر عندما حللوا زواج المسيار وزواج الفرند وغيره،
الخداع في التجارة والمعاملات الفردية أصبحت نوعاً من **الفهلوة**، والذي ينجح في خداع الغير يعتبر نفسه فهلوي وذكي،
اضطهاد وقتل الأقباط بلغ مستوياتٍ غير مسبوقة في تاريخ مصر، رغم أن المسلمين يزعمون أنهم يحترمون جميع الأديان السماوية.

- وطبعاً الوضع أكثر سوءاً في **إيران**
حيث تجمعت الثروة في أيدي الملالي والحرس الثوري،
وازداد عامة الناس فقراً مما أدى إلى نفور الناس من الدين،
وانتشار الدعارة والمخدرات،
وحبس الناس حبساً تعسفياً وتعذيبهم لدرجة أن بعضهم يموت في الحبس.

- **والسعودية** التي تُعتبر أغنى دولة في الخليج:
ما زال بعض نسائها المطلقات والأرامل يتسولن في الأسواق والطرقات،
بينما تصرف الحكومة بلايين الدولارات على تصدير المذهب الوهابي إلى باكستان ومصر وغيرها،
وما زال *رجال هيئة الأمر بالمعروف* يطاردون الناس في الأسواق بالعصا لإجبارهم على ارتياد المساجد،

[2] الشرق الأوسط 2008/12/25.

وما زال عدد الأطفال اللقطاء يزداد أمام المساجد رغم تقنين الدعارة بمسميات حديثة مثل زواج المسيار وزواج الفرند.

- **واليمن والسودان** لا يختلفان عن السعودية:
  في الفساد الإداري،
  وتجميع الثروة في أيدي النخبة الحاكمة،
  مع ازدياد فقر المواطنين،
  وانتشار الدعارة المبطنة.

فهل ساعدنا التدين وجعلنا أفضل أخلاقاً من المجتمعات الغربية التي يقل فيها التدين؟ لا أعتقد ذلك. وهل أفادت الأديان الجنس البشري بإضافة أخلاق جديدة لم تكن معروفة لقدماء الإغريق وقدماء الرومان والمجتمعات البشرية القديمة؟ حتماً لا.

عودة إلى الفهرس

235 - الإسلام لا يحترم العقل

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=234229

الإسلام والعقل

كل الأديان والمعتقدات لا تخضع لحكم العقل لأنها "إيمان" **والإيمان هو التصديق بما ليس عليه أي برهان،** وبالتالي لا يحتاج الإنسان لإعمال عقله ليؤمن بشيء ما. ولكن المشكلة أن المسلمين تمسكوا بكلمتين وردتا في القرآن وضخموهما بدرجة مبالغ فيها *ليثبتوا أن الإسلام هو الوحيد بين الأديان الذي يعترف بالعقل ويحث على استعماله*. والكلمتان هما "يتفكرون" و "يعقلون". والقرآن استعمل الكلمتين استعمالاً يؤكد للمؤمن أن الله خلق العالم وجميع ما به، ثم يطلب منه أن يتفكر في تلك المخلوقات .القرآن لا يحث على *التفكير الحقيقي الذي يقود إلى الشك*، الذي ربما يقود إلى الإيمان الحقيقي أو إلى الإنكار. فالقرآن يقول:

{**فمثلهم كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون.** (الأعراف 176)}.

فالقرآن يقول للمسلم إن الذين كذبوا بالإسلام مثل الكلب، يلهث إن حملت عليه ويلهث إن تركته، فهلا تفكرتم في ذلك؟ هل السيناريو هنا يستدعي أي تفكير؟

المؤمن آمن بالقرآن نتيجة التهديد بالسيف أو ورثه من أبويه ويجزم أنه كلام الله، والله يقول له إن الذين لم يعتنقوا الإسلام كالكلب، يلهث كل الوقت، فهل هناك حاجة لكي يتفكر ذلك المؤمن؟ وفيم يتفكر إن أراد التفكير؟

حوالي 99 بالمائة من المسلمين لا يعرفون أن الكلب لا يملك غدداً بالجلد تفرز العرق الذي يتبخر ويبرّد الجسم، ولذلك يلهث بلسانه الكبير حتى يتبخر الماء من اللسان ويبرد الجسد. ويحدث هذا فقط في البلاد الحارة مثل صحراء مكة، أما في البلاد الباردة فإن الكلب لا يلهث إلا إذا ركض لفترة طويلة وارتفعت حرارة جسمه. فهل كان في مقدور المؤمن أن يتفكر في لهاث الكلب؟ أم كان عليه أن يتفكر في التشبيه غير اللائق الذي استعمله رب القرآن للذين لا يؤمنون به، مع أنه قال لنا في مكان آخر:

{**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا.** (الإسراء 70)}.

فهل الذين كذبوا بآياته لا ينتمون إلى فصيلة بني آدم الذين كرّمهم على كثير ممن خلق، ولذلك شبههم بالكلب؟
ثم يقول لنا القرآن

{**إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابةٍ وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآياتٍ لقوم يعقلون.** (البقرة 164)}.

مرة أخرى المسلم يقرأ هذه الآية **ولا يخامره شك** في أنها كلام الله، وأن الله فعلاً خلق كل هذه الأشياء ويتحكم بها كيف يشاء، ويسمع من الشيوخ أن الله ينزل المطر، ونصلي له صلاة الاستسقاء إذا لم ينزله، والسفن التي تمخر عباب البحر بما ينفع الناس، من صنع الله.
فهل هناك مجال للعقل هنا حتى يقول لنا القرآن {**لقوم يعقلون**}؟

الأمر هنا محسوم بالنسبة للذين آمنوا، القرآن يقول لهم إن الله يفعل كل هذه الأشياء، وهم يقولون: صدق الله العظيم، ففيم يتفكرون؟

لو كان القوم يعقلون لسألوا: وماذا عن الفلك التي تجري في البحر بما يضر الناس، مثل حاملات الطائرات، وحاملات صواريخ تماهوك التي ضربت بغداد من على بُعد مئات الأميال، هل هي آيات كذلك من آيات الله أم من آيات الشيطان؟ ولكن طبعاً لا أحد يسأل مثل هذا السؤال.
ودعونا نقرأ تعريف فقهاء الإسلام للعقل للذي يتفاخرون باحترامه:

"القلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر، قال الله تعالى: {**كذلك لنثبت به فؤادك.** (الفرقان 32)} وقال: {**ألم نشرح لك صدرك.** (الشرح 1)}، يعني في الموضعين قلبك. وقد يعبر به عن العقل، قال الله تعالى: {**إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب.** (ق 37)} أي عقل، لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين. والفؤاد محل القلب، والصدر محل الفؤاد، والله أعلم."[1]

فالقرآن يعبر بالقلب عن تلك الوظيفة المرتبطة بالدماغ في الرأس، والتي وحدها تختص بالتفكير والتدبر. والقرآن يستعمل ذلك التعبير *لأن القلب هو محل العقل في قول الأكثرين*. ولا يكفي رب القرآن أن يجعل القلب مكان التفكر، بل يزيد إليه وظيفة أخرى حينما يقول:

{**أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذانٌ يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.** (الحج 46)}.

فالقلب هو أيضاً أصل البصر. فالمؤمن الذي يسير في الأرض ويرى الجبال والأشجار فيقول **"سبحان الله الذي خلق هذا"** يكون قد تفكر بقلبه الذي رأى الأشجار والجبال. وهذا هو مستوى التفكر الذي يدعو له القرآن، أي التوكيد على أن الله هو الذي خلق كل شيء، والذي لا يصل لهذه الدرجة من التفكير يصبح كالكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث.
وأصل كلمة العقل مشتقة من عَقَلَ، أي ربط، فنقول "عقل البعير"، وعقل الدواء البطن، أي أوقف الأمعاء عن إفراز الفضلات فأصاب الشخص الإمساك، وعقل القتيل: أدى ديته. فيبدو أن العقل العربي مرتبط بالمنع من الحركة.
يقول القنوجي في كتابه أبجد:

"وعلوم العقل لا دخل لها في الشريعة، وإن العَالِم بها لا يدخل في مفهوم (العلماء ورثة الأنبياء) والله تعالى قد أغنانا عن الكتب السابقة، التي أنزلت على الأنبياء عليهم السلام، بما أنزله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجمع فيه كل خير، واحتوى على كل فضيلة لفظاً ومعنىً وعلماً وحكمة وغير ذلك، فكيف نرجع إلى كتب الحكماء لا نعلم أذلك عنهم، من ذات أنفسهم، أو عن وحي إلى رسول منهم؟ وأول ما خرج ذلك في دولة بني العباس، وأكثر من أخرجه المأمون ووقع الاشتغال به، والمحن والفتن، وهلك به جماعة أوقعهم في الكفر والزندقة" (ج1/ 135) انتهى.

يبدو أن مفهوم فقهاء الإسلام للعقل في ذلك الوقت أنه كان هشاً أوقعته ترجمة الكتب الإغريقية في زمن المأمون في الزندقة والكفر. ولذلك لا حاجة بالمسلم لقراءة كتب الحكماء لأنه لا يعلم إذا كانت كتبهم وحياً من الله أم من إنتاج عقولهم التي في قلوبهم. وربما تحمله على الزندقة.
يقول نفس المصدر عن العقل:

[1] الجامع لأحكام القرآن، سورة البقرة، 7.

"على أنه لو كان لا بد منه في العلم، لكان الصحابة كلهم ليسوا بعلماء، لأنهم لم يعرفوا علوم المعقول، وكذا من بعدهم من التابعين ومن تبعهم ولا قائل به في العالم، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب]."[2]

إذاً لو كان العلم مرتبطاً بالعقل وليس بالشرع، لأصبح صحابة محمد كلهم غير علماء، وبما أن محمداً قال:

[خير القرون قرني والذي يليه]،

يصبح بالضرورة أن يكون أصحاب محمد علماء حتى وإن لم يقرءوا كتب الحكماء الناتجة عن العقل.
والعقل في الحقيقة ما هو إلا تراكم التجارب التي تمر بالشخص منذ ولادته إلى موته، يُضاف إليها ما تعلمه من الكتب أو من المعلم.
ولكن بالنسبة لفقهاء الإسلام فإن العقل مهما ارتقى *لا يحتاج صاحبه إلى قراءة أي شيء خلاف الشرع*.
ولتوكيد أن العلوم الشرعية فوق مستوى العقل، يقول نفس المصدر:

"وإني أقول بعد هذا: إنه لا ينبغي لعالم أن يدين بغير ما دان به السلف الصالح، من الوقوف على ما تقتضيه أدلة الكتاب والسنة، وإمرار الصفات كما جاءت، و رَدّ علم المشابه إلى الله - سبحانه -، وعدم الاعتداد بشيء من تلك القواعد المدونة في هذا العلم، المبنية على شفا جرف هار من أدلة العقل، التي لا تعقل، ولا تثبت، إلا بمجرد الدعاوى والافتراء على العقل بما يطابق الهوى، ولا سيما إذا كانت مخالفة لأدلة الشرع الثابتة في الكتاب والسنة، فإنها حينئذ حديث خرافة، ولعبة لاعب."[3] انتهى.

فبالنسبة للمسلم، كل ما لا يثبت بالكتاب والسنة يصبح دعاوى وافتراء على العقل، والعقل منه براء.
القواميس الإنـگليزية تُعرّف العقل بأنه:

Human consciousness manifested in thought, perception, emotions, will, and memory.
حالة الوعي في الإنسان المتمثلة في الفكر، والإدراك، والعواطف، والعزيمة، والذاكرة.

أي هو القوة التي تمكنا من معرفة ماهية أنفسنا وما يحيط بنا بما تمليه علينا من حب الاستطلاع والسؤال وبما تثيره فينا من خوف ورهبة أو حتى استحسان يجعلنا نريد أن نعرف مصدر ذلك الشيء وماهيته، أي صفاته.
منذ البدء لم يحترم القرآن عقل المسلم، وفرض عليه الإيمان بما يقول به القرآن ومحمد دون أي أسئلة. يقول القرآن للمؤمنين:

{يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبدى لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تُبدَ لكم. (المائدة 101)}.

وبما أن السؤال هو القوة الدافعة للعقل للاكتشاف والمعرفة، فإن منع الناس من السؤال هو **وأدٌ للعقل**.

ولذلك تعلم المسلمون منذ البداية التسليم بما يقوله لهم محمد دون أي نقاش أو أسئلة.

ولتوكيد ذلك يقول لهم القرآن:

{وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم. (الأحزاب 36)}.

فإذا قضى محمد شيئاً أو قال بحكمٍ *فليس للمسلم الخيار في استعمال عقله* في محاولة لتبرير ذلك الأمر أو رفضه. هذا أمر إلهي يُقبل بدون أي نقاش.
ولذلك كانت الأفكار السائدة منذ بدء الرسالة تقول إن أفعال الإنسان كلها **مقدرة** له **ومكتوبة** في اللوح المحفوظ قبل أن يُخلق ذلك الإنسان، اعتماداً على الآية التي تقول:

{وما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها. (الحديد 22)}.

وكذلك:

{قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا. (التوبة 51)}.

وزاد أهل الحديث بعض الأحاديث التي قوّت من هذا الفكر، مثل الحديث الذي يقول:

[إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة، حتى يموت على عمل أهل الجنة، فيدخل الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار، حتى يموت على عمل أهل النار، فيدخل النار.][4]

وهذا يعني أن الإنسان **مسيّر** ولا خيار له في عمل الشر، ومع ذلك يعاقبه الله على أعماله، *وبالطبع فإن العقل الحر لا يمكن أن يقبل بهذا المنطق*.
وقالوا كذلك إن القرآن **كلام الله الأزلي**، مثل الله ذاته، وهو غير مخلوق. وطبعاً هذه الأفكار كانت **تتناقض مع كثير من آيات القرآن نفسه إلا أن جمهور فقهاء المسلمين تقبلوها بدون أي سؤال**. وظهرت فِرق مثل الجبرية تقول إن الإنسان **مجبر** على فعل الخير والشر، وإن الله يمكنه أن يعاقب المؤمن الذي فعل خيراً طوال حياته، ويجزي المجرم الذي يفعل الشر طوال حياته، *لا لسبب إلا لأنه قادر على فعل ذلك، وهو لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون*.
ثم جاء المعتزلة (فرسان العقل) وقالوا:

"معاذ الله ان يكون الله مسؤولاً عن الشر في هذا العالم، فالله لا يصدر عنه الا الخير لأنه الخير المحض. أما الشر فينتج من أعمال الإنسان، الذي هو وحده المسؤول عن أعماله، خيراً كانت أم شراً".

وقالوا كذلك:

إن القرآن مخلوق ولا يمكن أن يكون أزلياً لأنه في هذه الحالة يشارك الله في الأزلية، وبالتالي تنتفي صفة الوحدانية عن الله.

وأضافوا:

أن الله قد أرسل رسلاً قبل محمد وأوحى إليهم كتباً مقدسة فلا بد أن تلك الكتب، أي كلام الله بها، لا بد أن يكون مخلوقاً وإلا لصارت هناك عدة كتب تشارك الله في الأزلية. وبالتالي نرجع إلى تعددية الآلهة.

وبالطبع صدمت هذه الأفكار كثيراً من **فقهاء الإسلام الذين لم يعتادوا على المنطق واستعمال العقل**، فانشق أبو الحسن الأشعري عن المعتزلة وكوّن *فرقة الأشعرية* **التي تبنّت الخط المضاد للمعتزلة وأيدت الجبرية وغيرهم من الفرق التي تضع النقل فوق العقل**. ومع أن المأمون والمعتصم والواثق ساندوا المعتزلة وأعلوا شأنهم على مدى ثلاثة عقود، فقد قويت شوكة الأشعرية والحنابلة مع اعتلاء المتوكل سدة الحكم، وانتهت صولة *فرسان العقل* الذين قُتل بعضهم وسُجن البعض الآخر وأُحرقت كتبهم.
ومع نهاية المعتزلة ركّز الفقهاء على النقل والتمحيص في القرآن والأحاديث *لإظهار تفوق القرآن على الأديان الأخرى ولإثبات أنه من عند الله*.

[2] أبجد للقنوجي، ج1، الفصل الأول في تعريف العلم.
[33] أبجد للقنوجي، ج1، الفصل الأول في تعريف العلم.
[4] المستدرك على الصحيحين للإمام النيسابوري، ج2، حديث 4001.

"قال بعض الفضلاء: علم التفسير لا يتم إلا بأربع وعشرين علماً وعد الإمام الشافعي في مجلس الرشيد ثلاثاً وستين نوعاً من علوم القرآن. وقال بعض العلماء: العلوم المستخرجة من القرآن ثمانون علماً، ودون فيها كتب. وقيل: إن العلوم الحكمية تتضمن خمسة عشر فناً إلا أن فروعها أكثر من خمسين، ثم قال: والمختار عندي أن عدد العلوم أكثر من أن يضبطه القلم."[5]

فبدل أن يعملوا بما جاء في القرآن من بعض الأخلاق المعروفة مثل النهي عن الكذب ومنع السرقة وعدم محاباة الحاكم وأكل أموال الناس بالباطل، **شغل فقهاء الإسلام أنفسهم والرعية:**

- ☹ بالتنقيب في القرآن عن العلوم الخفية،
- ☹ وأحصوا عدد آياته وعدد حروفه،
- ☹ والمواضع التي يستحسن عندها البكاء عندما يصل إليها القاريء وما إلى ذلك.

وجاء الإمام الشافعي (767-820 م) وقال عن فكر المعتزلة:

"لأن يُبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه – ما عدا الشرك – خيرٌ له من أن ينظر في الكلام، أي الفلسفة."[6]

فبالنسبة للشافعي، ارتكاب كل المعاصي أفضل من دراسة الفلسفة.

ثم جاء الغزالي (حجة الإسلام) (1058-1111 م) الذي كان من أهل الفلسفة أولاً ثم تصوّف ثم رجع إلى الأصولية، فألف كتابه "تهافت الفلاسفة" الذي أنهى به علم الكلام (الفلسفة). وقد قال الإمام الغزالي في كتابه "المنقذ من الضلال والمفصح عن الأحوال"

"لا نشك في كفرهما، أي الفارابي وابن سينا."[7]

فالغزالي وكذلك ابن الجوزي وأغلب فقهاء الإسلام كفّروا الفلاسفة ومنعوا دراسة الفلسفة والمنطق لأنها تناقض الشريعة.

وجاء بعد الغزالي عبد الرحمن بن الجوزي، الذي يقول عنه علي بن محمد المحمدي (محقق كتاب ابن الجوزي – أحكام النساء):

"كان الفلاسفة من بين الذين كشف عن شبهاتهم، وأبطل معتقداتهم وبيّن أن سبب ضلالهم من جهة أنهم انفردوا بآرائهم وعقولهم، وتكلموا بمنتهى ظنونهم من غير الالتفات إلى الأنبياء.... ثم قال إن المتبعين للفلاسفة لا مستند لكفرهم إلا علمهم بأن الفلاسفة كانوا حكماء، أتراهم ما علموا أن الأنبياء كانوا حكماء وزيادة؟"[8]

فابن الجوزي يعتبر أن كل الفلاسفة ومن اتبعهم كفار.

وقد حاول الفيلسوف ابن رشد إنقاذ الفلسفة فكتب كتابه الشهير "تهافت التهافت" يفند فيه آراء الغزالي، ولكن للأسف لم يصمد العقل أمام **معاول** الأشعرية والغزالي وابن الجوزي، فانتهت صولة فرسان العقل وأهل الكلام، **وحلّ النقل مكان العقل**. واشتغل المسلمون بتوافه الأمور. نقل الغزالي عن بعضهم:

"إن القرآن يحتوي سبعاً وسبعين ألف علم ومئتي علم، كذا ذكره في الباب الرابع من كتاب آداب التلاوة من أحياء العلوم. ونقل السيوطي عن القاضي أبي بكر بن العربي أنه ذكر في (قانون التأويل): إن علوم القرآن خمسون علماً وأربعمائة علم وسبعة آلاف علم وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة، *إذ لكل كلمة، ظهر وبطن وحد ومطلع*." انتهى.

أي بالقرآن 77450 علماً (هنيئاً لزغلول النجار والشيخ الزنداني).

ومع موت العقل بدأ عصر الانحطاط في العالم الإسلامي، وركز الفقهاء على السند دون المتن في نقل الأحاديث وحتى القصص التاريخية.

فإذا استوثقوا من السند عن فلان عن علان، لم يهمهم محتوى النص أو القصة مهما تعارض مع العقل. فنجد مثلاً:

"عن سفيان عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال جاءت الحمى تستأذن على النبي (ص) فقال من أنت قالت الحمى، قال أتعرفين أهل قباء، قالت نعم، قال اذهبي إليهم فذهبت إليهم فنالوا منها شدة فشكوا ذاك إلى رسول الله (ص) فقال إن شئتم دعوت الله فكشفها عنكم وإن شئتم كانت لكم كفارة وطهورا. قالوا تكون لنا كفارة وطهورا." [9]

أي إنسان لديه ذرة من العقل لا يمكن أن يصدق أن الحمى، التي هي ارتفاع في درجة حرارة الجسم بغرض قتل المكروبات Microbes التي دخلت الجسم، يمكن أن تتكلم مع رسول الله وتعرف مكان أهل قباء. **ولكن المهم عندهم أن السند كان قوياً.**
وفي مثال آخر يقول الدمشقي، صاحب كتاب شذرات الذهب:

إن سعيد بن جبير قرأ القرآن كله في ركعة واحدة في البيت الحرام.[10]

فلو افترضنا أن قراءة الآية الواحدة تستغرق عشر ثواني، والقرآن به حوالي 6300 آية، نجد أن قراءة القرآن كله تستغرق 18 ساعة على الأقل. فهل يُعقل أن يقف هذا الشيخ العجوز ثمانية عشرة ساعة في ركعة واحدة؟ ألا يبول أو يشرب؟
يقول ابن قيم الجوزية عن اليهود في كتابه "هداية الحيارى" ص 18:

"واما خَلَفهم فهم قتلة الانبياء: قتلوا زكريا وابنه يحيى وخلقاً كثيراً من الانبياء، حتى قتلوا في يوم سبعين نبياً واقاموا الاسواق في اخر النهار كانهم لم يصنعوا شيئاً."

مِن أين أتوا بسبعين نبياً في يوم واحد ليقتلوهم، وأين كان الله، ألا يدافع عن أنبيائه؟
وبما أن العقل قد حنطه *الأشعريون*، حاول فقهاء الإسلام إيهام الناس بأنهم ما زالت لهم عقول، فجاءوا بما أسموه **علم الجرح والتعديل**، الذي يجرح ويُشرّح الرجال الذين رُووي عنهم الحديث. ولا نعلم كيف استطاعوا أن يثبتوا في القرن الثامن الميلادي أن فلان الذي عاش في القرن السادس كان ثقةً وعلينا أن نثق أنه سمع هذا الحديث من محمد. وإحقاقاً للحق فإن "علماء" الحديث لم يكونوا أول من فكر في هذه العنعنة والإسناد، فقد روى *أفلاطون* قصة عن شاب إغريقي يتحدث عن القارة المفقودة – أتلانتس:

Plato (428-348 BC) in the Timaeus and Critias dialogs, Critias gives an account he heard when he was only ten from his ninety-year-old grandfather, who heard it from his father, who got it from Solon, who heard it from priests in Egypt.

وترجمتها:

أن الشاب كريتاس حكى أنه عندما كان في العاشرة من عمره سمع من جده الذي كان في التسعين من عمره، والذي بدوره سمع القصة من أبيه، الذي سمع القصة من المؤرخ سولون، الذي كان قد سمعها من كهنة مصر. [11]

[5] أبجد، للقنوجي، ج2، ص 7.
[6] أحكام النساء لابن الجوزي، ص 69.
[7] شذرات الذهب للدمشقي، ج2، ص 353.
[8] أحكام النساء لابن الجوزي، ص 69.
[9] تاريخ بغداد، للبغدادي، ج3، ص 29.
[10] شذرات الذهب، ج1، ص 108.
[11] من كتاب تاريخ الأخلاق، للمؤلف ساندرسون بيك.

والقصة المذكورة تحكي أن قارة اتلانتس الاسطورية كانت تقع غرب مضيق جبل طارق، وكانت بها حضارة متقدمة جداً، أعظم مما عرفه اليونان في ذلك الوقت.
وما زال الغواصون والعلماء يبحثون عن أتلانتس منذ ظهور هذه القصة قبل أكثر من 2500 سنة، ولا أثر للقارة المفقودة.
فهل **عنعنة** فقهاء الإسلام تختلف عن عنعنة أفلاطون عن ذلك الصبي؟ بالطبع لا يمكن أن يقبل العقل أن البخاري الذي عاش بأكثر من مائة وخمسين عاماً بعد وفاة محمد **استطاع أن يوثق كل تلك الأحاديث** ويزعم أن الشخص الذي أخبره بالحديث أقسم أنه سمع نفس الحديث من فلان الذي بدوره اقسم قبل أن يموت أنه سمع الحديث من علان الذي أصبح وقتها في عداد الموتى، وهكذا إلى أن وصل إلى أبي هريرة الذي أقسم أنه سمع الحديث من محمد. *ويكفي أن نعرف تاريخ أبي هريرة لنحكم أنه كان انتفاعياً يؤلف الأحاديث من أجل أن يُدعى إلى موائد معاوية الدسمة.*

ولولا هذه الأحاديث غير العقلانية لما بُلينا بما يحدث الآن من تفجيرات، وقمع للنساء بإسم السنة المطهرة التي لا تعدو أن تكون خيوط عنكبوت نسجها أبو هريرة وساعدته الحميراء.

وإذا تركنا الأحاديث العنكبوتية ونظرنا في القرآن نفسه، **نجد تناقضاً يحتار فيه العقل**.
فمثلاً:

- نجد القرآن يقول عن الجنة:

{متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا. (الإنسان 13)}.

- ولكنه يرجع ويقول لنا:

{ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا. (الإنسان 14)}.

فإذا كانت الجنة ليس بها شمس، من أين جاءت الظلال الدانية؟ ألا تتكون الظلال من اصطدام أشعة الشمس بجسم بينها وبين الأرض أو الحائط؟ ولكن العقل لا مكان له بجانب آيات القرآن.

- ويقول لنا:

{أحشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم. (الصافات 22، 23)}.

فما هو ذنب الأزواج هنا، إذ ليس بالضرورة أن تكون زوجة الظالم ظالمة، وقد أعطانا القرآن مثلاً من زوجة فرعون عندما قالت: **{رب ابنِ لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله.** (التحريم 11)}.

- ويخبرنا القرآن كذلك:

{لا تزر وازرة وزر أخرى}.

فلماذا إذاً أمر ملائكته أن يحشروا الذين ظلموا وأزواجهم في جهنم؟
وهذه مجرد أمثلة بسيطة **لما يعج به القرآن من تناقض.**

فهل هناك أي احترام للعقل في الإسلام، أم أن تعاليم الإسلام هي مجرد أوامر وليس لمؤمن ولا مؤمنة الخيرة في أمرهم فيما قضى الله ورسوله؟

ادعاء الإسلاميين أن القرآن يحث على استعمال العقل، ادعاء **أجوف** لا سند له من الحقيقة، تماماً كادعائهم أن أول آية نزلت من القرآن كانت آية (إقرأ)، وبالتالي فإن القرآن يحض على العلم والقراءة. فإذا كان بعد 1400 سنة من نزول تلك الآية ما زال أكثر من ستين بالمائة من المسلمين أميين، ماذا حدث للحض على تعلم القراءة والعلم؟ ولنقدم لكم عينة من تفكر المسلمين واستعمالهم للعقل، أرجو قراءة هذه الفقرة من موقع فلسطيني اسمه "المعهد العربي" ويزعم أصحابه أنه

"متخصص في عصرنة الحضارة الإسلامية وإخراجها من القيود التاريخية والمذهبية".

في هذا الموقع المتنور كتب شخص يدعي أنه صحفي وكاتب، رداً على مقال لي بعنوان "إله السماء مهندس فاشل"، فكتب هذا الصحفي التنويري:

> "هل تمعنت في خلقك في جسمك وشكلك وانفك وأذنك وطولك وشعرك ... هل تمعنت بالسماء والنجوم المؤلفة والكواكب والشمس والقمر ... هل تمعنت بالحيوانات والطيور ... هل نظرت الى الجبال والأشجار ... عيب عليك ان تقول هذا الكلام وادعوا الله لك بالهداية قبل فوات الأوان فإذا لم تهتد ادعوا الله أن يخزيك ويذلك في الدنيا والاخر." انتهى.

وهذا هو تفكر المسلمين في آيات القرآن وفي خلق السموات والأرض.

عودة إلى الفهرس

2010 / 11 / 7

236 - في معية القراء مرة أخرى

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=234501

بدايةً أود أن أشكر كل الذين علقوا على مقالي الأخير (الإسلام لا يحترم العقل) سواء بالتقريظ أو النقد أو حتى التهكم. وبعد إذن القراء أود أن أركّز أغلب ردودي على شخصين قاما بكتابة عدة تعقيبات **ذبحا فيها اللغة العربية**، وكنت أنوي قبل اليوم أن أكتب مقالاً بعنوان (نحن نذبح كل شيء حتى اللغة). وقد أتاح لي هذان الكاتبان الفرصة لأبين ما أقصد بذبح اللغة. ولا شك أن أغلب البشر في هذا العصر قد شاهدوا جيش الله وجيش المهدي وجيش محمد يذبحون أعداداً لا يُستهان بها من البشر بإسم الله وهم يكبرون ويهللون لذلك الإله الذي لا يرتوي من الدماء البشرية. وفلسفة هؤلاء الجيوش الإسلامية **التي تمتهن العقل** وتؤمن بأن الله سوف يغضب غضبة مضرية على المسلمين إن لم يوفروا له الدماء البشرية، لا تختلف عن فلسفة قبائل الأزتك Aztec في أمريكا اللاتينية.

> ***تلك القبائل كانت تعتقد أن الإله هويتزلوبوتشلي*** Huitzilopochtli ***عندما كان صغيراً ذبح أخته إلهة القمر وألقى بجثتها إلى سفح الجبل. وإذا أرادت قبائل الأزتك أن تستمر في الحياة عليها أن تقدم القرابين البشرية للآلهة على قمة الجبل وإلقائها إلى السفح بعد ذبحها. وإذا لم يفعل الأزتك ذلك فإن الآلهة سوف تموت وسوف تنتهي دورة الحياة على الأرض. ولذلك كانوا يقومون بالغارات على القبائل المجاورة لأسر الرجال والنساء الذين يقدمونهم قرباناً للآلهة.*** [1]

انقرض الأزتك مع آلهتهم في القرن السادس عشر الميلادي مع دخول الإسبان إلى أمريكا الجنوبية، **وما زال هناك نوع من الأزتك يعيش بين ظهرانيننا في الشرق الأوسط في انتظار مجيء الإسبان.**

هناك بعض المعلقين الذين ربما قرءوا عبارة مترجمة إلى العربية ترجمة غير أمينة الغرض منها الإيحاء بأن ما يقوله العلماء دائماً يُثبت صحة القرآن، أو أنهم فهموا الترجمة فهماً خاطئاً.

- يقول المعلق رقم 12، السيد إبراهيم زيد:

> (يرى بعض العلماء أن هناك علاقة قوية بين القلب والعقل، وقد أكدها العالم بولييي بيرسال مؤلف كتاب شفرة القلب الذي قام بأبحاث على حالات كثيرة، لأناس تمت زراعة قلب لهم وتغيّرت سلوكياتهم إلى سلوكيات أصحاب القلوب المتوفاة، معتبرا أن هذا دليل قوي على أن كلا من القلب والمخ يؤثر في الآخر. وأن هذا يظهر جليا كذلك عندما يتلاقى شخصان لأول مرة، فيرسل قلب أحدهما موجات لمخ الآخر فيقع الطرفان في حب بعضهما بعض) انتهى.

✍ للأسف هذه معلومة لا تمت للعلم بشيء. الكاتب لم يبين لنا تخصص هذا العالم، هل هو طبيب جراح، أم باطني، أم طبيب أمراض عصبية أم أخصائي علوم نفسية psychologist. **العلم لا يؤمن بالتأويلات ولا بالتخمين**. **العلم يؤمن بالتجربة** التي إذا أجريناها على مائة عينة أو مائة شخص، تعطي نتائج متشابهة أو متطابقة في الغالبية العظمى منهم. أما إذا صحت الملاحظة في 10 بالمئة مثلاً، فيمكن تفسير هذه النتيجة بقانون الاحتمالات probability law أو بما يعرف بمفعول ال placebo. ولا يمكن تعميم مثل هذه النتائج. ونحن نعرف أن هناك صلة وارتباطاً بين الدماغ (وليس العقل) والقلب عن طريق أعصاب نسميها autonomous nervous system أي منظومة الأعصاب المستقلة التي لا نتحكم فيها إرادياً. فإذا ارتعب الشخص لأي سبب، يزيد الدماغ من النبضات الكهربائية في هذه الأعصاب مما يجعل القلب يزيد من عدد ضرباته ليمكن العضلات من الحصول على كمية أكبر من الدم الذي سوف تحتاجه عندما يركض الإنسان المرتعب. أو إذا ارتفع ضغط الدم ارتفاعاً يهدد بانفجار الشرايين الصغيرة في الدماغ، يقوم الدماغ بإرسال نبضات كهربائية بواسطة هذه الأعصاب لإبطاء ضربات القلب وخفض ضغط الدم. ولكن عضلات القلب لها مركز خاص في القلب لتوليد النبضات الكهربائية الكهربائية مما يجعل القلب يستمر في عمله إذا توقف الدماغ نتيجة حادث مثلاً. ولكن العكس ليس صحيحاً. فإذا توقف القلب يتلف الدماغ في دقائق معدودة. ولأن القلب له مركزه الخاص لتوليد النبضات الكهربائية، فإن جراحي القلب عندما يحصدون[2] قلباً من شخص توفي في حادث حركة مثلاً، يضعون القلب في محلول خاص ليحافظوا على القلب النابض أثناء ترحيله من مستشفى إلى آخر، ومع أن القلب يظل ينبض في الفترة التي يكون فيها خارج الجسم ومحفوظاً في صندوق لترحيله، فهو معزولٌ تماماً عن أي تأثير خارجي. وعندما يُزرع القلب الجديد في مريض آخر، لا يكون هناك أي ارتباط بين القلب الجديد ودماغ والمريض الذي نُقل إليه لأن الأعصاب التي كانت تربط القلب بالدماغ تكون قد قُطعت أثناء عملية الحصد. ويُسمى هذا القلب denervated organ أي عضو منزوع الأعصاب. فكيف لهذا القلب المعزول عصبياً عن الدماغ أن يؤثر في دماغ المريض الجديد؟ أو كيف لعقل المريض أن يؤثر في القلب المزروع؟ ليس هناك أي تأثير من القلب المزروع على دماغ المريض. وهناك بعض المرضى الذين يعانون من هبوط القلب وتكون حياتهم في خطر، ولم يتمكن الأطباء من العثور على قلب مناسب للمريض، ينزع الأطباء قلب المريض ويزرعون في صدره قلباً اصطناعياً من المعدن يعمل بواسطة ماكينة خارجية إلى أن يتحصلوا على قلب مناسب له. وقد يستمر المريض عائشاً على هذا القلب الصناعي عدة شهور. فهل يؤثر دماغ هذا المريض على قلب من المعدن؟ ليس هناك أي دراسة علمية حتى الآن تُثبت أن المريض الذي يُزرع في صدره قلب من شخص توفي نتيجة حادثٍ ما، يستولي على عواطف أو تفكير الشخص الميت، خاصةً وأن القلب الجديد ليس لديه أي اتصال عصبي بالدماغ (تنمو الأعصاب فيما بعد وتتصل بالقلب الجديد بعد فترة قد تمتد إلى عدة شهور أو سنين). بعض المرضى الذين تُزرع فيهم أعضاء من أشخاص ماتوا نتيجة حادث، يصيبهم نوع من الاكتئاب النفسي عندما يفكرون في الشخص الذي مات ومنحهم الحياة، ويصابون بعقدة الذنب ويلومون أنفسهم على أنهم استمروا في الحياة بينما مات الشخص الآخر. وهذه الحالة النفسية قد تجعل بعضهم يغير سلوكه وعاداته، وربما يتوأم سلوك المريض الجديد مع سلوك الشخص المتوفي إذا كان يعرف عنه شيئاً. ***<u>وهذا تأثير نفسي وليس عضوياً</u>***. والخلاصة أنه لا علاقة البته بين القلب المزروع ودماغ أو عقل المريض الذي زُرع في صدره قلب جديد. بعض القراء قد يقرأ المقال ويطلع من المولد بدون حمص، كما يقول المثل المصري.

- السيد عبد الرضا حمد جاسم، صاحب التعليق رقم 28، يقول عني:

> (من شيوعي ملحد إلى ....).

✍ ولا أعلم كم مرة يجب أن أردد أني لست شيوعياً لأني كنت من جماعة الإخوان المسلمين، حتى يفهم بعض القراء ولا يلقون التهم جزافاً. لو كنت شيوعياً لأثمرت سنوات شبابي بما يفيدني ولكني ضيعتها في دراسة البنا والهضيبي والإسلام.

- عبد الرضا:

---

[1] نقلاً عن: National Geographic, November 2010, p 133.

[2] جراحو نقل الأعضاء يقولون Harvest the organ أي يحصدون العضو.

- يقول:

(الغريب انك تجزم ان هناك 99 %من المسلمين لايعرفون ان الكلب لايملك غدد بالجلد..من قال ذلك ربما 89% فكيف تحدد ذلك ..انا اقيس مواضيعك وأرهاصاتك التي لا تقدم ولا تؤخر على هذا المقياس) انتهى.

✍ يا سيد عبد الرضا! التكهن سواء بنتائج الانتخابات أو بالرضا عن سياسة الحاكم، يُبنى على آراء عينة صغيرة من الناس تُختار اختياراً عشوائياً لتمثل أهل البلد. ثم نستعمل معادلات علم الإحصاء لنقرر النسبة المحتملة في السكان. أنا سألت عشرات المسلمين حولي في البلاد العربية التي عملت بها وفي إنگلترا إن كانوا يعرفون أن الكلب لا يملك غدداً للعرق في جلده، ونسبة 99 بالمئة منهم لم يعرفوا. وحتى لو كانت النسبة 89 بالمئة فهي نسبة عالية جداً.

- يستمر عبد الرضا فيقول:

(تكرر ومن غير وعي كما لمست عباره تدل على انك مؤمن عندما تقول في اكثر من موضع:قال الله تعالى..هذا يدل على ان باطنك غير ظاهرك) انتهى.

✍ يا سيد عبد الرضا! الكلام الذي أضعه بين قوسين هو ليس قولي وإنما قول من نقلتُ عنه، وإن قال هو "قال الله تعالى" فلا يجوز لي أن أحذف كلمة "تعالى" لأني لا اتفق مع قائلها. الذي يقتبس عليه أن يقتبس الجملة كما وردت. هل فهمت الآن لماذا أقول بعض الأحيان "الله تعالى" أو "محمد صلى الله عليه وسلم"؟

- صاحب التعليق رقم 40:

الذي يعتقد أن الكلب أفضل من أي كنسي وملحد،

✍ *يُثبت لنا أن المسلم يحترم جميع الديانات الأخرى كما يطلب منه القرآن عندما يقول إن اليهود والنصارى والصابئة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وهذا المسلم الغيور أثبت أن عقله في قلبه، فليهنأ به.*

- ناصر محمد، صاحب التعليق 41 والتعليق 42، يقول:

إن عقيدة التثليث لا يمكن أن يفهما العقل وقد قال بذلك عدة قساوسة ذكر أسماءهم.

✍ ما الذي أدخل عقيدة التثليث في مقال عن عدم احترام الإسلام للعقل؟ هل لو أثبت السيد ناصر أن المسيحية لا تحترم العقل، يصبح في مفهومه أن الإسلام سوف يكون الفائز لأنه لا يحترم العقل كما لا تحترمه المسيحية؟ **كلما تحدث شخص عن الإسلام يهب الصناديد الذين باعوا أنفسهم لله بالهجوم على المسيحية أو اليهودية، وهم يثبتون بهذا الهجوم أن الإسلام فعلاً لا يحترم العقل** ولكنه في نظرهم يظل أفضل من المسيحية لأنها بدورها لا تحترم العقل. وهناك مثل إنكليزي يقول:

two wrongs do not make a right

أي أن الخطأ الأول لا يبرر الخطأ الثاني.

لماذا لا يدافع الإسلاميون عن دينهم فقط ويتركون الأديان الأخرى الخاطئة في نظرهم؟

- وقد أحسنت السيدة آمال صقر مدني بالرد على السيد ناصر محمد عندما قالت له:

(يا أخي المسيحيون يقولون عن مسيحهم ثلاث في واحد ولا عشرون في واحد أنت شو حار جمارك، هل بإيمانهم هذا يضرون عليك؟ أو يجبروك على اتباعة...؟ مسيحهم وهم حرّين فيه يعملوا منه الله أو ابن الله أو من عشيرة أو قبيلة الله. هم أحرار.) انتهى.

- السيد شاهر الشرقاوي، صاحب التعليق 49،

✍ مناظر يلتزم أدب الحوار الذي يقول المسلمون إن القرآن قال به قبل 1400 سنة عندما قال: {**وجادلهم بالتي هي أحسن**}.

- يقول السيد شاهر في رده على مقولة إن الكفار كذلك أبناء آدم حسب المفهوم الديني وكان يجب على القرآن ألا يشبههم بالكلب، يقول:

(كى نفهم هذه الاية يا سيد كامل علينا اولا ان نعرف .ما معنى الادمية والانسانية ...البنى ادم هو كل انسان حافظ على فطرته واخلاقياته وانسانيته .وعزته ورفض ابتداءا ان يعبد غير الله .واتصف بصفات الفطرة من نظافة وجمال وحب للخير وللحق وللكمال الانسانى ..هذه هى ايات الله ..فكل من يخالف الفطرة ..وليست الغريزة ..فهو يخرج عن حدود ادميته ولا يستحق ان يطلق عليه بنى ادم او انسان) انتهى.

✍ مع احترامي للسيد شاهر أقول إن هذه الجملة تعطي مثالاً **لتدليس اللغة العربية**. كل آيات القرآن والأحاديث وكتب التراث تقول عن الإنسان إنه نسل آدم، وبالتالي كل الناس بنو آدم. ولو أخذنا بمنطق السيد الشرقاوي الذي يقول إن فطرة الإنسان هي النظافة وعدم التعبد لغير الله، لوجدنا أن كل الناس الذين ظهروا على وجه هذه الأرض من قبل 200000 سنة لم يكونوا أبناء آدم لأنهم كانوا يعيشون في الغابات ثم في الكهوف ولم يستحموا قبل اكتشاف النار لأن الماء كان بارداً جداً وقد عاشوا في كهوف ليس بها وسائل تدفئة. **فحتماً لم تكن النظافة من فطرتهم**. حتى عرب مكة قبل الإسلام وبعده بقرون عديدة لم تكن النظافة فطرتهم لأنهم عاشوا في صحراء لا ماء بها *<u>ولذلك أباح لهم محمد التيمم</u>*. وحتى في منتصف السبعينات عندما زرت السعودية وتجولت في البادية الشمالية، لم أرَ بدوياً واحداً نظيفاً، **وكانوا ما يزالون يستعملون الحجارة والرمل لمسح مؤخراتهم**. أما العبادة لإله واحد، سمه الله إن شئت، لم يعرفها الإنسان إلا مع بداية الديانة الموسوية حوالي عام 1300 قبل الميلاد. وحتى في ذلك الوقت فقد انحصرت العبادة لله في بضعة آلاف من العبريين، وظل بقية أهل الأرض يعبدون زرادشت والأصنام والطواطم وغيرها. **فإذاً الآدمية انحصرت فقط في المسلمين أهل المدن الذين عرفوا النظافة بعد أن غزوا الحضارات الأخرى وتعلموا منها النظافة.** وهذا الطرح ينسف الفكر الأساسي في الإسلام الذي يقول إن كل البشر أبناء آدم وحواء.

- وعندما قلت إن الإسلام لا يحترم العقل ويمنع السؤال، قال السيد شاهر:

(تقول انك كنت مسلما وتحفظ القران ..فهل نسيت كل الايات التى تبدء بكلمة يسألونك ..قل ؟؟؟؟!!.وهل نسيت كل الايات التى ترد بالاجابة على هذه الاسئلة؟؟؟!!!) انتهى.

✍ وأقول للسيد شاهر: لم أنس تلك الآيات وأجوبة القرآن عليها. تعالوا نقرأ تلك الآيات والإجابة عليها:

{يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما. (البقرة 219)**}**.

المسلمون سألوا محمداً عن حكم الإسلام في الخمر والميسر، وبدل أن يقول لهم الخمر حلال أو حرام، أجابهم إجابة سياسي مخضرم لا يود أن يُنفّر عنه الذين يحبون الخمر، فقال لهم: فيها منافع للناس وضررها أكثر من نفعها. لماذا لم يُحرّمها كما حرّم أكل الميتة؟

{يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علّمتم من الجوارح مكلبين تعلّموهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب. (المائدة 4)**}**.

سؤال واضح من المسلمين الأوائل لمحمد: ماذا أحل الله لهم من الأكل؟ جواب محمد كان: أحلت لكم الطيبات. ما هي الطيبات؟ لحم الخنزير من الطيبات عند أغلب أهل الأرض، ولكن محمد لم يعتبره من الطيبات ولم يحدد لهم ماهي الطيبات من الطعام، كما حددتها التوراة. ثم يقول لهم: {**وما علّمتم من الجوارح مكلبين**}. وهنا يجب أن نبيّن أن كلمة "مكلبين" ليست كلمة عربية وقد اختلف المفسرون في

تفسيرها، وقال أغلبهم إنها تعني أصحاب الكلاب الذين طلب منهم محمد أن يعلموا الكلاب الصيد كما علمهم الله. الكلاب لا تحتاج للإنسان أن يعلمها الصيد، فقد اصطادت الكلاب قبل الإنسان بملايين السنين، والصيد غريزة بالنسبة لها، ثم أن الله لم يُعلّم الناس الصيد وإنما تعلموه بالتجربة على مدى آلاف السنين، وبدؤوا بآلات حجرية بسيطة. فإذا كان الله هو الذي علمهم الصيد، لماذا لم ينزل لهم من السماء آلات يعلمهم بها الصيد؟. فالإجابة كلها **هلامية** لا تفيد السائل أي فائدة عن سؤاله لمحمد: ماذا أُحل لهم.

{يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو. (الأعراف 187)**}.**

هل هناك إجابة أكثر تهرباً من هذه؟

وقال نفس الشيء عن الروح عندما سألوه عنها، فقال لهم:

{الروح من أمر ربي}.

هل أفادت هذه الأجوبة العقل الجمعي العربي؟

{ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين. (البقرة 222)**}.**

المسلمون أرادوا أن يعرفوا من رب محمد ما هو الحيض، ولماذا تحيض المرأة ولا يحيض الرجل، فكان جواب محمد:

{قل هو أذى فاعتزلوا النساء}.

إجابة لا شك مستفيضة تحترم عقل السائل.

{ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً. فيذرها قاعاً صفصفاً. لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا. (طه 105 - 107)**}.**

أرادوا أن يعرفوا شيئاً عن الجبال التي قال لهم محمد إن الله جعل على الأرض رواسي حتى لا تنقلب بهم، فكان جواب محمد: {**الجبال ينسفها ربي نسفاً**} . كأنما الله إرهابي يستعمل الداينمايت لينسف الجبال. مرة أخرى إجابة لا تفيد العقل شيئاً.

{ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا. (الكهف 83)}.

عندما سألوه عن ذي القرنين، وهو الإسكندر الأكبر، جعله نبياً وصل إلى مغرب الشمس فوجدها تغرب في **عين حمئة** من الطين الأسود. وهذا يمثل قمة الاحتقار للعقل.

- يستمر السيد شاهر فيقول:

(هذه الايات التى انتقيتها يا دكتور انت تعلم جيدا (اذا كنت كما تقول كنت مسلما)انها نزلت لاسباب محددة جدا ولوقائع خاصة جدا .وان كلمة (قضى)لها دلالة ان هذا حكم خاص وليس امرا عاما او ارشاد مثل باقى الاحكام والايات). انتهى.

✍ هذه الإجابة تعكس تخبط مَن يحاول جعل القرآن ملائماً للعصر. *كل فقهاء المسلمين وعامتهم يقولون إن القرآن صالح لكل زمان ومكان، ثم يأتي السيد شاهر فيقول إن الآيات المذكورة جاءت في مناسبات تاريخية معينة للإجابة عليها وهي لا تنطبق على الكل، وبذلك يصبح القرآن أو جزء منه إجابات تاريخية لا تنطبق على عالم اليوم.* والمثال الذي أعطانيه لكلمة (قضى) لا يساعدنا في شيء. لأنه يقول إن كلمة (قضى) لها دلالة أن هذا حكم خاص وليس أمراً عاماً. ونفهم من ذلك أن الله لما قال في القرآن

{وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا. (الإسراء 23)**}،**

كان يقصد المجموعة التي خاطبها وقتها ولا يقصد عامة الناس، وبالتالي ليس على عامة الناس أن يعبدوا الله أو يحسنوا إلى الوالدين.

✍ السيد شاهر، رغم أسلوبه المهذب، *لا يستطيع، كأي إسلامي، أن يمسك لسانه أو قلمه عن وصف الشخص المختلف بالجهل*، فعندما قلتُ ما ذنب الأزواج حتى يقول الله للملائكة أن يلقوا الذين ظلموا وأزواجهم في جهنم،

- قال السيد شاهر:

(طبعا هذا التعليق بالذات كان ثالثة الاسافى كما يقولون..لانها اظهرت يا استاذ كامل خبرتك الضعيفة باللغة العربية ومعانيها. ازواجهم هنا تعنى (أشباههم)اى الظالمين المتوافقين معهم فى المعصية والظلم لعباد الله ..مثل رئيس العصابة ورجالته ...لان علاقة الزوجية .(.اى زوج من شئ ما) تقتضى المشابهة .مثل زوج شربات ..مثلا .او زوج احذية ..او اى اثنين من البشر اجتمعا وتوافقا فى شئ او اشياء محددة) انتهى.

✍ السيد شاهر هنا لم يذبح اللغة العربية فحسب، بل مزق أشلاءها إرباً إرباً وألقى بها من قمة جبل الأزتك. أي لغة لا بد أن تكون كلماتها ذات معاني محددة يفهم منها كل من تحدث تلك اللغة نفس المعنى، وإلا تصبح اللغة لا فائدة منها وتنقرض. فأنا لو قلت اليوم **"إن الإسلام ديانة نازية فاشية"** سوف يفهم كل من يقرأ العربية قصدي. ولكن إذا هاجمني الإسلاميون وأصدروا فتوى بحقي يمكنني أن أقول إن كلمة "نازية" تعني مرتفعة لأننا نقول "نزا التيس على العنزة" أي اعتلاها وبالتالي تصبح كلمة نازية تعني ديانة تعلو الديانات الأخرى. أو يمكنني أن أقول إن كلمة "نازية" تعني مسالمة وفاشية تعني "حب الخير"، أو أي معنى يخطر ببالي <u>لأن الكلمات ليست لها معاني محددة حسب مفهوم الإسلاميين. وهذا ما يحاول الإسلاميون فرضه علينا عندما يلوون أعناق الكلمات والآيات.</u> السيد شاهر يقول أزواجهم تعني "أشباههم" ولا تعني زوجاتهم. فنرجو من السيد شاهر أن يشرح لنا معنى هذه الآيات البينات:

{والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم. (المؤمنون 5 - 6)**}.**

فهل يقصد الله هنا المؤمنين الذين يحفظون فروجهم إلا على أشباههم من الرجال؟

{والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات. (النور 6)**}.**

فهل يقصد الله هنا الذين يقذفون أشباههم من الرجال؟

{جنات عدنٍ يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم. (الرعد 23)**}.**

هل يقصد من صلح من أشباههم من الرجال وذرياتهم؟ وهناك آيات عديدة أخرى فيها كلة أزواجهم التي تعني زوجاتهم وليس أشباههم.

✍ ويضيف السيد شاهراً جملة لا بد تجعل سيبويه والخليل بن أحمد الفراهيدي يتقلبان في قبريهما إذا لم تكن أجسادهما قد تحللت بعد وصارت تراباً،

- قال:

(فكل علاقة تربط بين اثنين من البشر هى علاقة (زوجية .)الاب والابن ..الزوج والزوجة ..الاخ واخيه ..الرئيس والمرؤوس وذلك فى حالة توافقهما وتشابههما فى الاراء..فاذا كان الاب ظالما ..وابنه مثله ...ظالما .فهما (زوجان ظالمان)واذا كان الزوج ظالما وامرأته تساعده على الظلم .فهما زوجان ظالمان ..اما اذا اختلفا فى المنهج والتوجه فى الحياة فلا يطلق عليهما اسم زوجان) او ازواج) انتهى.

- وأنا هنا أترك الحكم للقاريء العربي، واستثني الباكستاني والهندي والإندونيسي والصيني المسلم، لأن كل هؤلاء لا يعرفون العربية، إلا من رحمه العقل. **وليحترس القاريء المتزوج لأن زوجته إذا اختلفت أفكارها عن أفكاره فهما ليسا زوجان**.

- أما السيد نبيل عبد الله صاحب التعقيبات 57 إلى 61 فيقول:

إنه بالصدفة قرأ تعقيباً لي في أحد المقالات، (فهو لا يقرأ مقالاتي)،

وبعدها يقول:

(تقول أيضا في أحد حواراتك أن القرآن يقول أن الله اتخذ من إبراهيم خليلا بينما يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم -وإنك لعلى خلق عظيم-، إذن فنحن المسلمون كيف يقبل عقلنا أن نقول بأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو أعظم من إبراهيم عليه السلام بل وأنه أعظم رجل في التاريخ. أجيب قائلا..فإن كان الكلامُ كلامَ الله (وهو كذلك) لقلنا صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم، ولقلت لك سيد كامل أن القرآن مكمل بعضه بعضا وأن الثناء وعظم منزلة محمد(صلى الله عليه وسلم) عند الله أكبر من إبراهيم عليه السلام فالله عز وجل يقول:(إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبي يأَيُّهَا الَّذِينَ ءامنوا صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيما)، وأيضا (وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَلَمِينَ) وهو شرف لم يحض به أي نبي أو رسول من قبله..وهناك آيات عديدة أخرى. وإن كان الكلام كلام محمد (صلى الله عليه وسلم) كما تقول وأن صفة الخليل أفضل من صفة ذي الخلق العظيم كما تقول ايضا، فكيف يعقل ويقبل..) انتهى

- أولاً: القرآن كتبه محمد بنفسه ولابد أن يثني على نفسه بأن يقول إن الله وملائكته يصلون على النبي. القرآن نفسه يقول لنا: {**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدونِ**} ومحمد من الإنس الذين خلقهم الله ليعبدوه، **فكيف إذاً يصلي الله على محمد؟ أليست الصلاة عبادة؟ هل الله يعبد محمد؟**

ثم أن مسألة التفضيل في القرآن قد شملت تقريباً كل إنسان، فهاهو يقول:

{إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين. (آل عمران 33)**}.**

ويقول كذلك:

{وإسماعيل واليسع ويونس وكلاً فضلنا على العالمين. (الأنعام 86)**}.**

والعالمين تشمل جميع البشر، ومحمد بشر، فإذاً الله فضلهم على محمد...

وكذلك:

{وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاكِ وطهركِ واصطفاك على نساء العالمين. (آل عمران 42)**}.**

فإذاً مريم هي أفضل نساء العالمين.

ولكن الله يقول لنساء النبي:

{لستن كأحد من النساء إذا اتقيتن}.

- فالموضوع هنا أصبح *خيار وفقوس*، كما يقول المثل. الله يفضل آدم لأنه أول نبي، ثم يفضل إبراهيم أب الأنبياء، ثم يفضل قبائل بني إسرائيل على العالمين، ثم يفضل إسماعيل ويونس لأنهم من الأعراب، ثم يفضل *خير أمة أُخرجت للناس*. فليس هناك من حدود لتفضيل الله للناس، ومع ذلك يقول لنا القرآن

{إن أكرمكم عند الله أتقاكم}.

فالأم تريزا حسب هذا المنطق يجب أن تكون أكرمنا عند الله لأنها لاشك كانت أتقانا.

وأكتفي بهذا القدر من الردود وأعتذر لمَن لم أجيب على تساؤلاته نسبة لضيق المساحة.

عودة إلى الفهرس

2010 / 11 / 12

237 - إله الإسلام في الميزان

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=234944

لا يخفى على أي عقل مطلع ومستنير أن الآلهة **اختراع بشري محض** بدأ مع بداية نمو عقل الإنسان عندما بلغ مرحلة الهومو سابينز Homo sapiens أي الرجل الحكيم، الذي ظهر في أفريقيا قبل 140000 سنة، ثم زحف إلى أوروبا وآسيا قبل 100000 سنة. كل مجموعة من هؤلاء الناس خلقت آلهتها في صورتها. في أفريقيا خلقوهم في شكل طواطم من الخشب ورؤوس حيوانات، وفي أوروبا خلق اليونانيون والرومان آلهة رجال يمثلون القوة والبطش مثل زيوس Zeus كبير الآلهة وبوسايدون Poseidon إله البحر العنيف، ونحتوا لهم تماثيل تُظهر عضلاتهم المفتولة، وخلقوا آلهة نساء يمثلن الخصوبة والحب والجمال مثل أفروديات Aphrodite وڤينوس Venus، ونحتوا لهن أجمل التماثيل. وحتى في العصور الحديثة عندما رسم الرسامون الأوروبيون مريم العذراء وطفلها، جعلوهما أبيضان بشعر أشقر وعيون زرقاء، بينما رسمهما الأفارقة الذين اعتنقوا المسيحية بشعر أسود وملامح داكنة وأنف أفطس. وكما قال أحد الظرفاء:

لو كان للخيل إله وكان في إمكان بعض الخيل أن ترسم، لرسموا إلههم حصاناً.

يتهكم *أهل السيرة النبوية والقصاصون الإسلاميون* على عرب ما قبل الإسلام ويقولون إنهم كانوا يصنعون آلهتهم من العجوة ثم يأكلونهم عندما يجوعون. وقد غاب عن هؤلاء القصاصين أن الإيمان هو الإيمان الذي لا تعتمد قوتة على نوعية الإله. إذا كانوا قد صنعوا إلههم من العجوة، فهم لا شك قدسوه وعاملوه بكل الاحترام كما يعامل المسلم اليوم ربه، لأن مَن يؤمن بشيء ما لا يستهزيء به. وهاهم الحجيج كل عام يتزاحمون على الحجر الأسود ليقبلوه، وهم يعلمون أنه حجر لا ينفعهم ولا يضرهم، ولكنه الإيمان بأنه حجر من الجنة وقد قبّله محمد قبلهم.

عرب ما قبل الإسلام عبدوا آلهة من الشجر، مثل ذات أنواط التي كانوا يعلقون عليها سيوفهم في موسم الحج. وقد نفهم ذلك لأن منطقة مكة صحراء تلهب أشعة شمسها رؤوس وظهور العرب. وعندما يجدون شجرة ضخمة في وسط الصحراء تظلهم بظلالها الوارفة، فقد نفهم تعلقهم بها واعتبار أنها هبة من الله ولذلك هم يتعبدونها كوسيلة تربطهم بالله:

{والذين اتخذوا من دون الله أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون. (الزمر 3)}.

فعرب ما قبل الإسلام كانوا يعتقدون أن هناك في السماء إلهاً اسمه الله وهو الذي خلق الأرض والسموات، حسب ما يقول قرآن محمد، وهو الذي تربى في وسطهم وعرف آلهتهم وعباداتهم، ولكنهم لم يستطيعوا أن يرسموا صورةً لهذا الإله البعيد.

جاء محمد ليشرح للأعراب مفهوم **الله المجرد الذي لا تراه العين،** فلم يفلح في وصفه لهم ولم يصدقه الأعراب واستمروا في عبادة أصنامهم التي تدركها أبصارهم وتلمسها أيديهم. أراد محمد أن يقرّب صورة الإله لهم، ولما كان محمدٌ بشراً مثل بقية البشر الذين خلقوا آلهتهم في صورتهم، *خلق محمد ربه في صورته وصورة البيئة الصحراوية التي تربى بها*. تلك الصحراء المعروفة **بقساوتها وجبروتها.**

- فجعل محمد إلهه رجلاً من الصحراء، **سريع الغضب** كإله موسى الصحراوي.
  - جاء محمد بعدة آيات في القرآن تخبر عن غضب الله:

{فباءوا بغضب على غضبٍ وللكافرين عذاب مهين. (البقرة 90)}.
{ولكن من شرح بالكفر صدره فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم. (النحل 106)}.

  - وهناك أكثر من **اثنتي عشرة آية** تهدد بغضب الله على الكافرين.
  - ولا يطفيء هذا الغضب الإلهي إلا الصدقة في السر، يقول آية الله العظمى الخميني:

"صدقة السر تطفيء غضب الرب".[1]

  - وغضبه يهدد محمد نفسه، فيقول:

{ولو تقول علينا بعض الأقاويل. لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين. (الحاقة 44، 46)}.

كل هذا العنف وقطع الوتين وسفك الدماء يحدث لو تقول عليه بعض الأقاويل، وهذا يدل على عنف هذا الإله.

وتبع محمد ذلك التهديد **بقصص عن الأمم السابقة التي غضب الله عليها فخسف بها الأرض،** أو أرسل عليها ريحاً صرصراً عاتية وغيرها من طرق الدمار الإلهي. وأضاف له تسعاً وتسعين اسماً منها الجبار، المتكبر، المنتقم، القوي، المتين، المقتدر، المنتقم، الضار، المانع. وكل هذه الأسماء والصفات **التي تنم عن القوة ما هي إلا ادعاءات لا تثبت أمام الواقع** الذي سوف نعرضه.

- وبما أن البدو كانوا مشهورين **بالمكر والدهاء،** جعل محمد إلهه ماكراً:

{ومكروا ومكر الله والله خيرُ الماكرين. (آل عمران 54)}.

- وجعل له جسماً يستوي على العرش،
- وجعل له يدان (كلتاهما يمين)، أي لا يد يسرى له،
- وله كذلك ساق يكشف عنها ويضعها في جهنم لتمتليء،
- وله أعين تحرس مركب نوح:

{واصنع الفلك بأعيننا ووحينا. (هود 37)}.

وكل هذه الصفات التي كالوها على الله جعلت المغيرة بن سعيد، الذي كان يؤمن بالتجسيم، يقول:

"إن الله على صورة رجل على رأسه تاج وأن أعضاءه على عدد حروف الهجاء."[2]

فقبض عليه خالد القسري وأحرقه حياً. وهذا هو نفس خالد القسري الذي كان قد ذبح الجعد بن درهم لأنه أنكر أن الله كلم موسى.

---

[1] تحرير الوسيلة، ج1، ص 284.
[2] الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج4، ص 430.

- لما كان محمدٌ قد نشأ في بيئة مليئة بالكهان الذين يقسمون بكل ما هو غريب ليوهموا السامع بأنهم على اتصال بالجن، فقد جعل محمد من إلهه كاهناً يقسم بالنجم إذا هوى، وبالخيل التي تثير الغبار في المعارك، ويقسم بالليل وبالفجر وبالشفق، بل يقسم حتى بحياة محمد نفسه، فيقول:

{لعمرك إنهم في سكرتهم يعمهون. (الحجر 72)}.

- فإله محمد أصبح بشراً في مظهره وفي مخبره كذلك، وإلا لما احتاج أن يقسم بكل هذه الأشياء كي يصدقه العرب. الإله الخالق، إن وُجد فعلاً، لا يحتاج أن يقسم لعباده لأن القسم يوحي للسامع بأن الإله في مقدوره أن يكذب، ولذلك أقسم لهم بأنه يقول الحق. والكذب، بالطبع، لا يجوز على الإله.
- بل زاد محمد في تقزيم إلهه بأن جعل ذلك الإله يشك في كل فرد وفي كل نبي أو رسول، تماماً كما يفعل البدوي في الصحراء، ويصر على أخذ العهد أو الميثاق من عبيده كلما قرر شيئاً ينطبق عليهم أو على أفعالهم:

{وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا. (البقرة 83)}.
{وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب. (آل عمران 81)}.
{وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب. (آل عمران 187)}.
{وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا. (الأعراف 172)}.

- ولا يكتفي هذا الإله البشر الشكاك بأخذ الميثاق من الرسل، بل يبعث من أمامهم ومن خلفهم ملائكة يتجسسون عليهم ليتأكد أنهم قد بلّغوا رسالات ربهم:

{إلا من ارتضى من رسولٍ فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً. ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم. (الجن 27، 28)}.

- ويشهد هذا الإله لنفسه أنه هو الله :

{شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم. (آل عمران 18)}.

لمن شهد هذا الإله؟ فإن كانت شهادته للناس فلم يسمعها أحد، وإن كانت لنفسه فلا فائدة منها .ولماذا شهد وهو الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون؟

- وحتى عندما يغفر لعباده لا بد له من شاهد ليشهد عليه حتى لا يغير رأيه:

"يدنو الرّبُّ تبارك وتعالى عشيةَ يومِ عرفة مِن أهل الموقف، ثم يُباهي بهم الملائكة فيقول: (أُشْهِدُكُم أنّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُم)".[3]

فما هي أخلاقيات هذا الإله البشر التي أراد لمحمد أن ينشرها بين العالمين؟

- ☜ أول هذه الأخلاقيات هو اقتناع الإله بأن **الغاية تبرر الوسيلة** (ميكيافيللي). يقول حجة الإسلام الغزالي:

"قال صلى الله عليه وسلم إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم. حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم أخرجه النسائي من حديث أنس بإسناد صحيح." [4]

المهم عند إله محمد هو انتشار دينه حتى لو قام بعملية الانتشار هذه قُطاع الطرق، والمفسدون في الأرض والمرتشون (**المؤلفة قلوبهم**) من أمثال أبي سفيان. *ولهذا السبب نجد أن الإخوان المسلمين يستعملون كل طرق الخداع لنشر الإسلام في أوروبا* ويرشون بعض العلماء الشرهين بالبترودولارات السعودية ليظهروا في مقاطع ڤيديو تمجد الإسلام، وهم ما زالوا مسيحيين.

- ☜ ليس لإله الإسلام قواعد معينة للحكم على الأعمال، **فهو يفعل ما يشاء دون أي اعتبار** لما يفعله الإنسان. يقول الدمشقي في كتابه "شذرات الذهب" ما يلي:

"سأل أبو الحسن الأشعري أستاذه أبا علي الجبائي عن ثلاثة إخوة كان أحدهم مؤمناً برا تقياً، والثاني كان كافراً فاسقاً شقياً، والثالث كان صغيراً فماتوا فكيف حالهم، فقال الجبائي أما الزاهد ففي الدرجات، وأما الكفار ففي الدركات، وأما الصغير فمن أهل السلامة. فقال الأشعري إن أراد الصغير أن يذهب إلى درجات الزاهد هل يؤذن له، فقال الجبائي: لا لأنه يقال له أخوك إنما وصل إلى هذه الدرجات بسبب طاعته الكثيرة وليس لك تلك الطاعات، فقال الأشعري: فإن قال الصغير (للرب) ذلك التقصير ليس من عندي فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة، فقال الجبائي: يقول الباري جل وعلا: كنتُ أعلم لو بقيت لعصيت وصرت مستحقاً للعذاب الأليم، فراعيت مصلحتك. فقال الأشعري: فلو قال الأخ الأكبر (الكافر) يا إله العالمين كما علمت حاله فقد علمت حالي، فلمَ راعيت مصلحته دوني؟ فانقطع الجبائي. ولهذه المناظرة دلالة على أن الله تعالى خص من شاء برحمته وخص آخر بعذابه." [5]

إله محمد **يعلم الغيب**، وقد علم أن الطفل عندما يكبر سوف يكفر فأماته صغيراً ليمنع كفره رحمةً به، وفي نفس الوقت علم أن الأخ الأكبر سوف يكفر وسمح له بالعيش حتى كبر وكفر ولم يراع مصلحته. هل هناك منطق في هذا السناريو قد خفي علينا؟

- ☜ أباح إله الإسلام لنبي الله الخضر عندما كان في رحلته مع موسى إلى البحر، أن يقتل طفلاً يلعب مع أقرانه في الطريق، والتعليل كان أن الله علِم أن ذلك الطفل إذا كبر سوف يرهق والديه بالكفر، فأباح قتله رحمةً بوالديه. **أي أخلاق هذه التي تبيح قتل الطفل رحمةً بوالديه؟** ولو سأل الوالدين لفضلا أن يموتا فداءً لطفلهم. ولكن الذي ليس له أطفال لا يعرف مدى استعداد الوالدين للتضحية من أجل الأبناء.
- ☜ جعل فقهاء الإسلام من الله **إلهاً نرجسياً لا يحب إلا نفسه**. يقول الشيخ بن باز، مفتي السعودية الأسبق وأكبر علمائها الدينيين:

"قال جل وعلا لنبيه صلى الله عليه وسلم : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، يعني الفاتحة سماها صلاة لأنها ركن الصلاة، فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي، وإذا قال الرحمن الرحيم قال الله أثنى علي عبدي، وإذا قال مالك يوم الدين قال الله مجدني عبدي، لأن التمجيد كثرة الثناء، وإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين قال الله سبحانه: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل." [6]

فهذا الإله الذي ما خلق الجن والإنس إلا ليعبدوه، لا يهتم بأعمالهم ولا بسلوكهم ما داموا يمجدونه ويكيلون عليه الثناء.

---

[3] زاد المعاد لابن القيم، ج1، ص 21.
[4] إحياء علوم الدين، ربع العبادات، ج1، ص 32.
[5] شذرات الذهب، ج2، ص 303.
[6] فتاوى بن باز، ج7، ص 109.

☜ إله الإسلام لا يهمه **أن المسلمين الأوائل كانوا يجبرون إماءهم على البغاء ليجنوا من وراء ذلك الأموال،** فقال لهم في سورة النور، التي هي من آخر السور التي جاءت المدينة:

{ولا تُكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يُكرههن فإن الله من بعد إكرههن غفور رحيم. (النور 33)}.

فالإماء مسلوبات الإرادة **يجوز للمسلم الذي يمتلكهن أن يجبرهن على البغاء،** والله بعد هذا الجبر غفور رحيم.

فالمنطق يخبرنا أنه لا يُعقل أن يقول إنه سوف يغفر للإماء فهن مجبرات ولا خيار لهن وليس من العدل محاسبتهن. فلا بد أنه سوف يغفر للذي أجبرهن. هل هذه هي الأخلاق المثلى التي جاء محمد ليتممها؟

☜ لأن محمداً كان يعرف أن إلهه لا يستطيع أن يحمي نفسه أو ينزل العقاب بأعدائه، رغم صفات القوة والجبروت التي وصفه بها، وقد كان عرب مكة قد طلبوا منه أن ينزل عليهم حاصباً[7]** من السماء أو ينزل عليهم عذاباً:

{وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. (الأنفال 32)}،

لم يستطع إله محمد أن ينزل عليهم حجارةً من السماء أو عذاباً أليماً. وأمام هذا **العجز الإلهي** ما كان من محمد إلا أن *يجعل الله يشتري من المؤمنين أنفسهم ليدافعوا عنه مقابل إدخالهم الجنة ومنحهم الحور العين.* ولما جاء المسلمون ليدافعوا عنه في بدر وارتعشوا من الأعداد الهائلة لجيش القرشيين، قال لهم محمد أن الله أرسل خمسة آلاف من الملائكة على خيولهم ليحاربوا مع المسلمين. خمسة آلاف من الملائكة وجيش محمد مقابل ألف قرشي. وأثبتت الملائكة ضعفها كذلك، فتقتلوا من القرشيين سبعين رجلاً فقط. وكل رجلٍ في جيش محمد عيّن المشركين الذين قتلهم وأعطاه محمد سلبهم. فإذاً الملائكة لم يقتلوا أحداً رغم جيشهم المتفوق عددياً على الكفار ورغم خيولهم المسومة. **فإذا كان الرب نفسه عاجزاً، كيف نتوقع من الملائكة أن تكون ذات قوةٍ وشأن؟**

وبناءً على هذه الصفات والأخلاق التي منحها محمد لربه وتبين منها للأعراب أن إله محمد إله ضعيف لا يستطيع أن ينتقم من أحد رغم الادعاء بأن اسمه المنتقم، تجرأ بعض الناس وادعوا الألوهية. سنة إحدى وستين ومائة، كان ظهور عطاء المقنع الساحر الملعون الذي ادعى الربوبية بناحية مرو بالعراق واستغوى خلائق لا يحصون. قال ابن خلكان في تاريخه:

"عطاء المقنع الخراساني لا أعرف اسم أبيه وكان مبدأ أمره قصارا من أهل مرو وكان يعرف شيئاً من السحر والنيرجات فادعى الربوبية من طريق المناسخة وقال لأشياعه والذين اتبعوه إن الله تعالى تحول إلى صورة آدم عليه السلام فلذلك قال للملائكة اسجدوا فسجدوا له إلا إبليس فاستحق بذلك السخط ثم تحول من صورة آدم إلى صورة نوح ثم إلى صورة واحد فواحد من الأنبياء عليهم السلام والحكماء حتى حصل في صورة أبي مسلم الخراساني ثم زعم أنه انتقل منه إليه فقبل قوم دعواه وعبدوه وقاتلوا دونه." [8]

فهذا الرجل ادعى الألوهية واتبعه خلق لا حصر لهم وقاتلوا دونه، *وهذا يُثبت أن الإيمان ما هو إلا عملية غسيل للأدمغة بدون أي برهان.* وهذا الإله الجديد لم يكن بمقدوره أن يدافع عن نفسه، ومات مقتولاً.
وشيوخ الإسلام الحاليين، لا شك، **يعرفون ضعف إلههم وهشاشة دينهم،** فلذلك يجردون ألسنتهم وحناجرهم لتخويف المشككين، ويستغلون قوانين السلطات السياسية المتاجرة بالدين مثلهم، لحماية هذا الإله الضعيف الذي يرتج عرشه من شاب في عقده الثالث من العمر أنشأ موقعاً على الانترنت قال فيه إنه الله. فثارت ثائرة شيوخ الإسلام في الضفة الغربية، وجندوا المخابرات العسكرية والمدنية، لا لتكشف لهم عما يخبئه ناتنياهو لهم، ولكن لتصطاد هذا الشاب الذي أرهب رب السماء. وعثروا عليه وسوف يقدمونه للمحاكم العسكرية، وليس المحاكم المدنية، لأنه جندي يحارب رب السماء، والجنود يخضعون للمحاكم العسكرية.
والإسلام نفسه لا يقل هشاشةً عن إله السماء.

"اعلنت وزارة الاعلام الخميس ان الحكم بالاعدام الصادر مؤخرا في افغانستان بحق صحافي اتهم بالاساءة الى الاسلام ليس نهائيا وان القضاء سينظر في تلك الحالة "بانتباه كبير". واضافت الوزارة في بيان ان ادانة الصحافي برويز كمبخش (23 عاما) لم تصدر في اطار نشاطاته كصحافي بل لانه وزع داخل الحرم الجامعي منشورا اعتبرته محكمة شمال البلاد مسيئا للدين. وبالتالي شددت وزارة الاعلام على ان ليس لها صلاحيات للتدخل في تلك القضية." [9]

دعت منظمة مراقبة حقوق الإنسان (هيومن رايتس ووتش) السلطات المغربية اليوم إلى اسقاط كافة الإجراءات القانونية، بحق أفراد تم اعتقالهم بسبب تخطيطهم للخروج في نزهة خلوية إلى الغابة في احتجاج وصفته بالصغير على قانون يمنع المسلمين من المجاهرة بالإفطار في رمضان. [10]

هذه المجموعة كانت تنوي الذهاب إلى غابة ليعلنوا أنهم لا يصومون رمضان، فاعتقلتهم الشرطة وصادرت مأكولاتهم وقُدموا للمحاكمة. الفطور في رمضان يهز عرش الرحمن ولذلك أصدرت جميع الدول الإسلامية *قانوناً يُجرّم المجاهرة بفطور رمضان* لأن ذلك **يؤذي مشاعر المسلمين** حتى وإن كان الأكل في غابة بعيدة عن أعين المسلمين.
حكمت محكمة جزائرية أمس على أربعة أشخاص بالسجن مع وقف التنفيذ، بعد إدانتهم بممارسة شعائر غير اسلامية في مكان غير مرخص له، وبرأت اثنين آخرين من نفس التهمة.

وأغلقت محكمة الجنح بتيارت (300 كلم غرب العاصمة) ملف الشبان الستة الذين اعتقلتهم قوات الأمن يوم 9 مايو (أيار) الماضي، بشبهة إقامة قداس في محل تجاري دون الحصول على رخصة من السلطات. وحكمت على واحد منهم بستة أشهر سجنا غير نافذ وغرامة مالية قيمتها بالعملة المحلية ألفي يورو. وحكمت على ثلاثة آخرين بالسجن شهرين مع وقف التنفيذ وغرامة بقيمة ألف يورو لكل واحد منهم. وبرأت اثنين آخرين من تهمة التبشير. [11]

مجرد إقامة قداس مسيحي في الجزائر **تزعزع عرش الرحمن** فتهب شرطة الدولة لاعتقال هؤلاء الكفرة الذين لم يكبّروا لإله محمد.
خطب صعصعة بن صوحان في بني عبس بعد واقعة صفين بين الخوارج وعلي بن أبي طالب، فقال:

"وقد والله ذُكر لي أن بعضهم (الخوارج) في جانب من الحي وأنا باحث عن ذلك وسائل، فإن كان ما حكي لي ذلك حقا، *تقربت إلى الله تعالى بدمائهم فإن دماءهم حلال.*" [12]

---

[7] يعني حجارةً من السماء كما أنزل على قوم عاد.
[8] شذرات الذهب للدمشقي، ج1، ص 248.
[9] إيلاف، 24/1/2008.
[10] إيلاف، 2009/9/20.
[11] الشرق الأوسط، 2008/6/4.
[12] تاريخ الطبري ج3، ص 180.

ومنذ ذلك التاريخ أصبح المؤمنون يتقربون إلى ربهم بدماء أعدائه من الشيعة والملحدين والمعارضين للحكومات الإسلامية، والليبراليين من أمثال فرج فودة ونجيب محفوظ وحسين مروه.

"دخلت قصيدة «شرفة ليلى مراد» للشاعر المصري حلمي سالم، رئيس تحرير مجلة «أدب ونقد» عضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة، منعطفا جديدا، حيث وقع أول أمس أكثر من مائة شخصية إسلامية بينهم رجال دين ومحامون وأطباء ومهندسون بيانا يطالبون فيه باستتابته، واعتبروا أن قصيدته مسيئة للذات الإلهية."[13]

وكما أمَرَ محمد بقتل الشاعرة عصماء خلسةً لأنها هجته،
يعتقد الذين وقّعوا على العريضة أن إله الإسلام قد فوض لهم استتابة الشاعر أو قتله لأنه أساء للذات الإلهية.

ولا أحد يعلم لماذا لم ينتقم الإله المنتقم لنفسه من الشاعر،
ربما لأنه كرسوله محمد،
لا يقتل بيده وإنما عن طريق المؤمنين المخدرين.

ورغم كل هذا الضعف الإلهي الذي استمر منذ بداية الإسلام، يقول **محمد** في القرآن:

{إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور. (الحج 38)}.

عودة إلى الفهرس

[13] الشرق الأوسط 2007/10/29.

2010 / 11 / 15

238 - الخوف والجهل هما حجر الأساس

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=235313

أطلقت أمس الحكومة العسكرية في بورما سراح المناضلة الحائزة على جائزة نوبل للسلام أونغ سان سوتشي من الحبس المنزلي الذي دام سبع سنوات. وأول كلمات قالتها عندما خاطبت الجموع التي احتشدت أمام منزلها، كانت:

"يجب أن نعمل سوياً ونتغلب على الخوف".

التغلب على الخوف هو الخطوة الأولى في رحلة التغيير في أي ناحية من نواحي الحياة. إذا كان منكم مَن يسوق سيارته ليلاً في الريف البريطاني فلا بد أنه لاحظ تصرف الأرانب عندما يفاجئها ضوء السيارة. يسيطر الخوف على الأرنب ويشل حركته فيتسمر في مكانه إلى أن تدوسه السيارة.

الخوف من الغرائز التي زرعتها الطبيعة في الحيوان كوسيلة للحفاظ على النوع. الخوف هو الذي يجعل الحيوان يهرب عندما يرى حيواناً مفترساً. ولكن الإنسان، ونتيجةً لنمو عقله، استطاع أن يسيطر جزئياً على الخوف، أو يتظاهر بأنه لا يخاف.

يقول الفيلسوف الأيرلندي والسياسي المحنك أدموند بيرك Edmund Burke (1729-1797):

"No passion so effectively robs the mind of all its powers of acting and reasoning as fear".

"ليست هناك عاطفة تسلب العقل كل قواه للعمل والتفكير مثل ما يفعل الخوف".

ويقول الفيلسوف الإنكليزي برتراند راسل Bertrand Russell (1872-1970):

"Fear is the main source of superstition and one of the main sources of cruelty. To conquer fear is the beginning of wisdom".

"الخوف هو المصدر الرئيسي للخرافة وأحد أهم مصادر القسوة. هزيمة الخوف هي بداية الحكمة".

وكما يعلم غالبية القراء فإن *الخوف من الموت والحلم بالخلود* كان السبب الرئيسي في بداية منظومة الأديان التي وعدت الإنسان بالخلود في الدار الآخرة Hereafter. الأديان البدائية لم تسهب في شرح الآخرة واكتفت بأن جعلتها جنة مليئة بالفواكه والطيبات. وجاءت اليهودية بعد ذلك ولم تهتم كثيراً بوصف الآخرة التي سموها Olam Ha-Ba وترجمتها "العالم القادم"، وقالت إن الإنسان عندما يموت تذهب روحه إلى جنة عدن إذا كان من الطيبين الفاعلين للخير، أو تذهب إلى جهنم Gehinnom إذا كان من أهل الشر. وعرّفوا جهنم بأنها مكان سكن الأوغاد. ولم تشرح التوراة أو المشنا أو أي كتاب مقدس عند اليهود جهنم أو جنة عدن كما شرحهما الإسلام. كل ما تقوله المشنا عن الجنة هو:

‹إن الخيرين في الجنة لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون، ولا يوجد بالجنة حسد أو كره للآخر ولا عناء. كل ما يفعله الخيرون هو الجلوس وعلى رؤوسهم التيجان، وهم يستمتعون بالحضور الإلهي›.

وجاء الإسلام وأخذ نفس فكرة جنة عدن وجهنم من اليهودية، لكنه بالغ في وصف الاثنين وزاد رتوشاً من خيال محمد لأنه كان يعرف **ما يخيف البدو** ساكني بيوت الشعر، وهو النار التي تقضي على الأخضر واليابس إذا اشتعلت بالخيمة عندما تكون الزوجة تطهو الطعام أو تغلي القهوة. وعرف كذلك **ما يستهويهم** من الجنس والخمر واللبن، فجعل منها أنهاراً بالجنة مع حورٍ عين. ولكنه برع في تخويفهم بيوم القيامة وبجهنم

حاول محمد استعمال الإقناع في بداية دعوته في مكة، ولما لم يكن قرآن مكة يحتوي على حجج مقنعه بأنه رسول الله أو أنه أتى بدينٍ جديد، لجأ محمد إلى استعمال **التخويف من العذاب** ليقنع قريش ومَن حولها، فجاء بآيات عديدة في السور المكية لتخويف الناس:

{وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً. (الإسراء 59)}.
{ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيرا. (الإسراء 60)}.
{يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون. (النحل 50)}.
{وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم) (الذاريات 37)}.
{وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من المحسنين. (الأعراف 56)}.
{تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون. (السجدة 16)}.

ورغم هذا التخويف فشل محمد في اجتذاب القرشيين إلى دعوته ولم يتبعه بعد ثلاثة عشرة سنة من التبشير إلا حفنة من الفقراء والعبيد مع أبي بكر وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب الذي كان طفلاً وقتها. حتى أعمامه وعماته لم يصدقوه ولم يؤمن بدعوته غير عمه حمزة. *ولهذا لجأ محمد إلى السيف لنشر دعوته*، فأسلمت له مكة والطائف وخيبر بالسيف والحصار.

وحتى بعد أن **نُصر بالرعب على مسيرة شهر**، كما قال في الحديث، لم يضمن جانب العرب حديثي العهد بالإسلام، فاستمر في الاتيان بآيات التخويف في القرآن المدني:

{يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار. (النور 37)}.
{هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشيء السحاب الثقال. (الرعد 12)}.
{يسبح الرعد بحمده والملائكة خيفةً ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال. (الرعد 13)}.
{يا أيها الناس اتقوا ربكم إنّ زلزلة الساعة شيء عظيم. يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حملٍ حملها وترى الناس سُكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. (الحج 1، 2)}.

بدأ محمد سورة الحج بهاتين الآيتين اللتين تبعثان الخوف في قلب القاريء والسامع.

فقهاء الإسلام يعترفون أن التخويف مهم جداً لزيادة إيمان المسلم أو للحفاظ عليه. يقول شيخ الأزهر السابق، محمد سيد طنطاوي:

"من الأساليب الحكيمة لتعميق الإيمان باليوم الآخر، وترسيخ الاستعداد لاستقبال هذا اليوم بالإيمان والعمل الصالح: تذكير الناس بأهوال هذا اليوم وبيان أحوالهم في هذا اليوم العصيب. ومن الآيات القرآنية التي صورت أهوال هذا اليوم تصويرا ترتجف له القلوب، قوله تعالى {يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم. يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكاري وما هم بسكاري ولكن عذاب الله شديد. (سورة الحج: الآيتان2,1)}. وقد افتتح سبحانه هذه السورة الكريمة بهذا الافتتاح الذي تهتز له النفوس، لكي يزداد الناس إيمانا على إيمانهم، ويقينا على يقينهم بأن يوم القيامة حق، وأن الثواب والعقاب فيه صدق... وترى أيها العاقل الناس في هذا الوقت الشديد الهول، ترى هيئتهم كهيئة السكاري من قوة الرعب والفزع، وما هم عن الحقيقة بسكارى، لأنهم لم يشربوا ما يسكرهم، ولكن شدة عذابه سبحانه للظالمين، هي التي جعلتهم بهذه الحالة التي تشبه حالة السكارى في الذهول والاضطراب. وشبيه بهاتين الآيتين في بيان أهوال الحساب قوله تعالى: {يأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا، إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور. (لقمان:33)... والحق أن حديث القرآن عن أهوال يوم الحساب،

حديث لا تكاد تخلو منه سورة من سور القرآن الكريم، واقرأ على سبيل المثال الجزء الأخير من أجزاء القرآن الكريم، تجده مع أن سوره من السور القصيرة نسبيا، زاخرا بالحديث عن أهوال يوم القيامة، قال تعالى: {فإذا جاءت الصاخة. يوم يفر المرء من أخيه. وأمه وأبيه. وصاحبته وبنيه. لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه. (عبس:33 ـ37)}."[1] انتهى.

إذاً الخوف مهم للحفاظ على المسلم في الحظيرة، ولذلك تزخر سور القرآن المكي بالتخويف من يوم القيامة، كما يقول شيخ الأزهر. *وما زال الخوف والتخويف هو السلاح المفضل لشيوخ الإسلام في خطب الجمعة وعلى الفضائيات لحفظ الأميين والجهلاء في حظيرة الإسلام*. بالنسبة للمثقفين فإن شيوخ الإسلام يستعملون التخويف باللجوء إلى المحاكم وبمصادرة الكتب والمجلات والأفلام، وبتكفير المثقفين وتطليق زوجاتهم منهم، مما يضطرهم إلى اللجوء السياسي خارج أوطانهم، إذا لم يقتلهم معتوه بعد فتوى من فتاوى الخميني أو الشيخ محمد الغزالي.

والخوف عند المسلم ليس فقط من عذاب يوم القيامة، ولكنه **كذلك الخوف من المجتمع المسلم إذا خرج الشخص عن التعاليم والممارسات الإسلامية**. فالخوف مما يمكن أن يقوله الجيران عن الشخص إذا خرجت أخته من المنزل دون محرم، ولذا تكثر جرائم قتل البنات في عالمنا الإسلامي خوفاً من العار (وإذا بليتم فاستتروا). والخوف كذلك يُلجم ألسنة القليل من شيوخ الإسلام الذين يزعمون أنهم قد تخلوا عن التطرف وأصبحوا يدعون **للوسطية**. هؤلاء الشيوخ لم ينبس واحد منهم ببنت شفة عندما فجر الإرهابيون كنيسة سيدة النجاة في بغداد خوفاً من وصفه بالموالي للنصارى واليهود {**ومن يتولهم منكم فإنه منهم.** (المائدة 51)}.

إبليس كان المخلوق الوحيد الذي لم يفلح معه اسلوب التخويف، ولذلك رفض أن يسجد لآدم عندما أمره الله بذلك، وقال لله:

{أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إَلاَّ قَلِيلاً. (الإسراء 62)}.

ولما هزم إبليس الخوف وجابه إله السماء، بل أخبره أنه سوف يغوي عباده إلى يوم الدين، لم يستطع الله أكثر من يقول له: اذهب فقد منحتك إلى يوم القيامة.

إذا هزمنا الخوف من الله سوف نهزم الله ذاته، كما فعل إبليس.

يعالج أطباء الأمراض النفسية المرضى الذين يعانون من الخوف غير الطبيعي - فوبيا Phobia- من العناكب، مثلاً، بمجابهتهم بالعناكب مما يسبب لهم رهبة وصراخ، ولكن في النهاية يتغلب المريض على خوفه ولا تعود العناكب تسبب له ذلك الرهاب.

المسلم الأمي أو البدوي لا يستطيع أن يجابه خوفه من الله لأن عقله لا يستطيع أن يستوعب فكرة أن القرآن ليس كلام الله، وبالتالي كل آيات التخويف مفروغ من صحتها، **وهي تكبله كما يكبل الجنزير أرجل السجين**. المؤمن المثقف يستطيع أن ينهل من العلم ما يثبت له بطلان فكرة الله ونبوة محمد، وبالتالي يمكنه أن يتغلب على خوفه من الله ويفسح المجال لعقله لينمو أكثر.

إذا تخلص كلٌ منا من خوفه ودرس الكتب الدينية المقدسة كما يدرس أي كتاب علمي أو تاريخي دون خوف أو توجس مما سيفعله به رب السماء، **سوف نجد أن الأديان لم تقدم لنا سوى أفكاراً بدائية عن العالم وبدايته**. **كل الأفكار الدينية تتعارض مع العلم والعقل**. وحتى أخلاقيات الأديان ما هي إلا تكراراً لما عرفه الإنسان في بداية حياته في المجتمعات البدائية.

وبعض أخلاقيات المجتمعات البدائية تتفوق على أخلاقيات اليهودية والإسلام.

كل ما جنته البشرية من الأديان هو الفرقة إلى مذاهب وأديان متعددة، كلٌ منها يُحرّض على الآخر، مما أدى إلى نشوب عدة حروب دينية بين أتباع الأديان المختلفة، وبين أتباع الدين الواحد من أصحاب المذاهب المختلفة.

يقول سير وليام درموند، الفيلسوف الاسكتلندي:

"He who will not reason is a bigot; he who cannot is a fool; and he who dares not is a slave".
"متعصب هو ذلك الشخص الذي لا يفكر، وأحمق هو ذلك الذي لا يستطيع أن يفكر. أما الذي لا يجرؤ على التفكير، فليس من شك في أنه عبد من العبيد".

عودة إلى الفهرس

[1] الأهرام، قضايا وآراء، 2003/5/1.

الدكتور كامل النجار

مقالات

الحوار المتمدن

المجموعة VI (2011)

فهرس المجموعة VI

#	عنوان المقالة	العدد	تاريخ النشر	محور المقالة
245	تفجير كنيسة الإسكندرية ودموع التماسيح	3237	2011 / 1 / 5	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
246	الثعبان الإسلامي متعدد الرؤوس	3307	2011 / 3 / 16	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
247	مستقبل الثورات العربية	3333	2011 / 4 / 11	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
248	حوار مع الإسلاميين	3351	2011 / 4 / 30	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
249	حوار مع الإسلاميين 2	3373	2011 / 5 / 22	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
250	حوار مع الإسلاميين 3	3375	2011 / 5 / 24	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
252	الإسلاميون وتعاملهم مع النقد	3385	2011 / 6 / 3	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
251	ختان الذكور في الماضي والحاضر	3379	2011 / 5 / 28	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
253	لعنة آل سعود	3399	2011 / 6 / 17	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
254	أسئلة لم يتطرق لها المسلمون	3407	2011 / 6 / 25	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
255	ردود مفصلة عن الرضاع	3414	2011 / 7 / 2	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
256	متى ظهر الإسلام؟ 1-2	3422	2011 / 7 / 10	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
257	متى ظهر الإسلام 2-2	3433	2011 / 7 / 21	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
258	الرسم القرآني - بعض الإيضاحات	3464	2011 / 8 / 22	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
259	الإسلام فقط وماذا عن بقية الأديان؟	3500	2011 / 9 / 28	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
260	نقد الإسلام وتعقيبات القراء	3505	2011 / 10 / 3	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
261	حول الأقليات في العالم العربي	3511	2011 / 10 / 9	ملف حول قيام الدولة الفلسطينية و القضية الكردية وحقوق الأقليات وحقها في تقرير المصير في العالم العربي
262	لقد دمر الإسلام عقولنا	3517	2011 / 10 / 15	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
263	إعجاز قرآني أم تخاريف؟	3523	2011 / 10 / 22	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
264	ثورة ليبيا واغتيال القذافي	3527	2011 / 10 / 26	المجتمع المدني
265	اغتيال القذافي ونظرية المؤامرة	3529	2011 / 10 / 28	المجتمع المدني
268	أنواع المسلمين وكيف نتعامل معهم	3545	2011 / 11 / 13	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
269	إله القرآن يتوه في الجبال	3566	2011 / 12 / 4	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
272	إلى الجبال نعود مرة أخرى	3596	2012 / 1 / 3	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
270	هل علينا نقد الدين نقداً علمياً؟	3570	2011 / 12 / 8	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
271	شكراً للسيدة فرح نادر وللجميع	3588	2011 / 12 / 26	سيرة ذاتية

245 - تفجير كنيسة الإسكندرية ودموع التماسيح

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=240672

لقد سئمنا سماع الاسطوانة المشروخة التي تقول *إن الإسلام دين السلام*، والتي يذيعها علينا الإسلاميون عقب كل حادث إرهابي دموي يصيب المسيحيين. الإسلام دين دموي يحاول القائمون عليه والمتاجرون به أن"**يستعبطوا**" الناس. يزعم هؤلاء التجار أن الذين يقومون بالتفجيرات هم *أقلية اختطفوا الإسلام، وأنهم لا يفهمونه حق الفهم*. ولكن نظرة سريعة لمنشورات هذه الفئات التي تقوم بالتفجيرات تبين لنا أنهم يفهمون الإسلام حق الفهم ويدللون على أفعالهم بآيات صريحة من القرآن أو بأحاديث من البخاري ومسلم. فمثلاً نجد فتوى من الشيخ ناصر الدين البغدادي، من دولة العراق الإسلامية، عن مسيحيي العراق، يقول فيها:

> **"**إعلم رعاك الله أن حالَ النصارى - وأهل الكتاب بِصورة عامّة - لا يَتعدى الحالات التالية:
> إما أن يكونوا أهل حرب: وهو الأصل فيهم .
> وإما أن يكونوا أهل أمان: وهو للحربي إن دخل بلادنا بِأمانٍ لِطارىء ما، كالرسل، أو من دخل يريد أن يَسمع كلام الله.
> أهل عهد وصلح: وهم الحربيون الذين اضطررنا لأن نُصالحهم أثناء الحرب في مُدة مُحددة.
> أهل ذمة : وهم الذين يعيشون بيننا وَيقطنون بِلادنا مُقرين بجريان أحكام الشريعة الإسلامية عليهم من إعطاءِ الجزية عن يدٍ وهم صاغرون؛ وغيرها من الاحكام المُلزمة لهم للعيش في بلاد المسلمين، فهؤلاء أهل ذمتنا يَجب علينا حِمايتهم وعدم إكراههم على الدخول في ديننا، مُقابل دفع الجزية والإلتزام بِشروط عقد الذمة. فإن نقضوا عُهودهم انفسخ العهد بَيننا وبينهم ورجعوا إلى الأصل الأول وصاروا أهل حرب لا أمان لهم، قال تعالى:
>
> **{قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ** (التوبة 29)}
>
> والناظر في نصارى العراق يَجد نُصرتهم المشهورة المعلومة لِحكومة الردة العراقية، بل ومُناصرتهم لإخوانهم عُبَّاد الصليب قوات الإحتلال الأمريكية، وما يفعله كبيرهم في العراق البَطريرك عَمانوئيل دلي الثالث من ولاء ونصرة لأعداء الله المُحاربين؛ ومُحاربة لعباد الله الموحدين إلا دليل على حَربهم الظاهرة المعلنةعلى الإسلام والمسلمين.**"** انتهى.

هذا الرجل يفهم الإسلام كما فهمه محمد وكما فهمه أبو بكر وعمر، وقد ذكر في بقية الفتوى أقوالاً عدة قالها أبو بكر. وبالتالي فإن هذا الرجل وأمثاله في المنظمات الإرهابية الأخرى مثل منظمة الجهاد المصرية، وشباب الصومال، والإخوان المسلمين، والقاعدة، وجيش محمد، ومنظمة بدر، وعسكر طيبة الباكستانية، ليسوا أقلية لا تفهم الإسلام، *وإنما هم اللسان الناطق بمحتوى الإسلام الصحيح*. وعندما يتشدق مثل هذا المفتي ويقول عن المسيحيين إنهم أهل ذمة يعيشون في بلادنا، وينسى أو يتناسى أن مصر والعراق وأفغانستان والصومال، كانت بلاداً مسيحية قبل أن يغزوها جيش الصحراء، لا نسمع شيخاً واحداً يعترض على مثل هذه الفتاوى التحريضية، بل يشجعونها بالصمت وبالمال، بل وبإرسال المتطوعين ليفجروا أنفسهم في الكنائس.

وواضح من الآية المذكورة أعلاه أن الله ومحمد وبقية المسلمين، يعتبرون أن دين محمد هو الدين الحق وما سواه باطل، إذ تقول الآية:

> **{وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}.**

فالمسيحيون، رغم أن دينهم سبق دين محمد، ورغم أن القرآن يقول إن المسلمين يؤمنون بما أُنزل على محمد وعيسى وموسى، فإن أهل الكتاب هؤلاء لا يدينون دين الحق إذا لم يُسلموا. ولذلك فرض رب الإسلام على المسلمين قتال أهل الكتاب هؤلاء حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون.

وعلى غير عادتها، وبعد صمت فاق صمت أهل الكهف، خرج علينا مجلس الوزراء السعودي بإدانة تفجير كنيسة الإسكندرية:

> "جدد مجلس الوزراء السعودي إدانة المملكة العربية السعودية للتفجير الإرهابي الذي وقع في مدينة الإسكندرية وعبّر عن تعازيه للرئيس محمد حسني مبارك ولحكومة وشعب مصر ولأسر الضحايا وتمنياته للمصابين بالشفاء العاجل."[1]

كأنما الرئيس حسني مبارك في حاجة لتعازي مجلس الوزراء السعودي، وكأنما الشعب المصري الذي أصبح البترودولار الوهابي مرسوماً على جباه أغلب رجاله، ويغطي الحجاب والخمار أجسام أغلب نسائه، ويقتل مسلموه في جنوب مصر المسيحيين على المزاج ويحرقون كنائسهم، كأنما هذا الشعب يحتاج تعزية مجلس الوزراء السعودي، الذي لو أمسك عليه بترودولارته منذ سبعينات القرن الماضي ولم يفتح جيوبه العميقة لجماعة الإخوان المسلمين، لما حدث ما حدث. مصر السبعينات لم يكن بها زبيبة وجلباب قصير ولم تشهد تفجيرات لا في الكنائس ولا في الطرقات ولا في حوانيت صاغة الذهب اليهود.

وكما يقول المثل الانـگليزي:

> "The leopard cannot change its spots". "
> الفهد لا يستطيع تغيير النقاط على جلده"

وقد انطبق هذا المثل على حكومة السعودية:

> "حينما أعرب مجلس الوزراء السعودي على لسان وزير الثقافة عن أمله في أن يتحقق لشعب العراق ما يصبو إليه من أمن واستقرار ونماء في ظل حكومته الجديدة وبما يحفظ للعراق إسلامه وعروبته وسيادته." انتهى

هذا الاستعلاء على الغير ونكران حقهم التاريخي هو الذي أدى وسوف يؤدي إلى المزيد من التفجيرات. مجلس الوزراء الموقر لا يحفل بالآشوريين أو الكرد أو الصابئة أو الكلدان أو غيرهم من مكونات أطياف الشعب العراقي. المهم أن يظل العراق مسلماً وعربياً رغم أن الصفتين قد انتحلتهما الأمة الإسلامية بعد أن غزت جيوشها عراق الأمس الآشوري الكلداني السومري المسيحي الصابئي. فهؤلاء هم أصحاب أرض العراق التي يريد مجلس وزراء الوهابية أن يسلبهم هذا الحق ويجعل أرضهم إسلامية عربية.

هذا الاستعلاء هو الذي حمل الشيخ السعودي الفوزان على:

> "اصدار فتوى تكفر الليبراليين العرب؛ لأنهم يدعون بمساواة المواطنة بين المسلم وغيره في إطار الدولة الحديثة؛ ما اعتبره الشيخ تحدّيًا للشريعة الإسلامية."[2]

عدم مساواة المسلم بغيره من المواطنين في البلد الواحد هو الذي أدى إلى تفجير كنائس المسيحيين في العراق وفي مصر لأن المسيحي المصري ليس مساوياً للمسلم المصري.

---

[1] الشرق الأوسط 2011/1/4.
[2] إيلاف 2007/6/21.

عدم المساواة هذا هو الذي حمل الدكتور محمد عمارة لتأليف كتاب أباح فيه دماء وأموال الأقباط **لأنهم لا يدينون دين الحق**، وقد طبعت وزارة الأوقاف ذلك الكتاب على نفقة الدولة.[3]

ولم يتحرك يوماً شيخ الأزهر أو مساعدوه أو مدرسوه ليدينوا مثل هذا العمل الجبان الذي يحض على الإرهاب والتفجيرات. والصمت طبعاً علامة من علامات الرضا.

هذا الصمت وهذا الرضا هو الذي شجع د. زغلول النجار في حوار له مع ‹جريدة القاهرة› - لسان حال وزارة الثقافة المصرية - في سياق حوار صحفي أُجري معه بتاريخ 27 سبتمبر 2005 أن يقول:

"لا توجد مقارنة بين نزاهة القرآن وبين هزاءة ورداءة ما يسمى بالكتاب المقدس، فهو مثل الكشكول جمعه اليهود للنصارى، فهو كتاب مليء بالأخطاء العلمية والأخطاء الدينية والأخطاء اللغوية، فلا يقارن أبداً بالقرآن الكريم، وهم أنفسهم لا يعتبرون أن هذا نص سماوي بل نصوص بشرية تعبر عن رسالات نبوية سابقة" انتهى!!

وعندما نهاجم الإسلام يقولون لنا إن الإسلام يعترف بعيسى بن مريم وأمه وبرسالته. وحتى لا تفوت على دار الإفتاء المصرية بالأزهر فرصة ذرف دموع التماسيح على مسيحيي مصر المغلوبين على أمرهم،

"جددت دار الإفتاء إدانتها للحادث في بيان أصدرته أمس مؤكدة تحريم الإسلام القاطع للاعتداء على الأبرياء بوجه عام، بغض النظر عن دياناتهم وأعراقهم وجنسياتهم، داخل وخارج دور العبادة وكذلك تحريم الاعتداء على دور العبادة الخاصة بغير المسلمين."[4]

يا للنفاق!! متى حرّم الإسلام الاعتداء على الأبرياء؟ وما هو تعريف البريء في القاموس الإسلامي؟ هل يهود بني المصطلق الذين لم يكونوا حتى من ساكني المدينة، ولم يتآمروا مع أي قبيلة ضد محمد، وكانوا في الصباح الباكر يسقون إبلهم وأغنامهم عندما هجم عليهم جيش محمد وقتل رجالهم وسبى نساءهم، هل هؤلاء أبرياء أم مجرمون؟ **القرآن به أكثر من ثمان وعشرين آية تسمي كل من لا يؤمن بالإسلام "مجرماً"**

{فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يُرد بأسه عن القوم المجرمين. (الأنعام 147)**}.**
{أفنجعل المسلمين كالمجرمين. (القلم 35)**}.**

قرآن محمد لم ينتظر يوم الحساب ليحكم ربه بين الناس فيقرر من هو المجرم ومن هو البريء. *اتخذ إله محمد قراراً مسبقاً بأن كل من لا يصدق محمداً فهو مجرم*. فهل يستطيع شيوخ الأزهر نفي صفة الإجرام عن أقباط مصر الذين لا يؤمنون بقرآن محمد لأنهم يؤمنون برسالة يسوع التي يزعم المسلمون أنهم يؤمنون بها كذلك؟ فإذا لم يستطع رجال الأزهر إزالة صفة الإجرام عن الأقباط، يصبح تفجيرهم حقاً مشروعاً للملتحين لابسي الدشداشات الوهابية.

كفانا كذباً على الذقون وبكاءً بدموع التماسيح. فتاوى الأزهر لن تغيّر شيئاً، كما لا تغيّر إدانة الشيخ المصري **يوسف القرضاوي،** قطري الجنسية، شيئاً.

فهو قبل يومين
أدان تفجير الكنيسة بالإسكندرية،
لكنه أباح تفجير وذبح المدنيين العراقيين الذين عملوا مع الجيش الأمريكي كمترجمين من أجل كسب لقمة العيش لهم ولأسرهم الفقيرة.
وأباح كذلك تفجير الأطفال في إسرائيل لأنهم سوف يصبحون جنوداً عندما يكبرون.

حُرمة الدم، كالحرية، لا تتجزأ، إما أنها كلها ممنوعة أو كلها مسموح بها.

ليس هناك أي وسيلة لنفي الإرهاب عن الإسلام أو محاولة إصلاح الإسلام لأن القرآن مليء بآيات القتل والذبح ودفع الجزية وتحقير غير المسلم ووصفه بالمجرم.

الأمل الوحيد هو فصل الدين عن الدولة حتى لا يتخذ رؤساء الجور من الإسلام سلاحاً يفتك بغير المسلم، عندما يجعلون المادة الثانية من دساتير البلاد الإسلامية، والتي تقول إن الشريعة هي المصدر الأول للقوانين التي تحكم المواطنين، مسلمين ومسيحيين ولا دينيين وشيعة وبهائيين، حائطاً يرتكزون عليه لكسب تأييد الإسلاميين وسجن أو قتل غيرهم.

والمرور السريع على الكتب التي ما زالت تُدرّس في مدارس الأزهر التي تضم عشرات الآلاف من التلاميذ والطلبة المسلمين، يكشف لنا سبب تفجير كنائس المسيحيين. أحد هذه الكتب يقول:

"فى باب عقد الذمة وأحكامها: معنى عقد الذمة إقرار بعض الكفار على كفرهم بشرط بذل الجزية... ويُمتهنون عند أخذ الجزية ويطال وقوفهم وتجر أيديهم وجوباً لقوله تعالى {**وهم صاغرون**}، وفى ص 200 يأخذ التمييز الدينى صورة بشعة لو طبقت ستؤدى بالمجتمع إلى التهلكة فيوصى الكتاب بألا يدفنوا فى مقابرنا ولابد من حذف مقدم رؤوسهم وشد الزنار ودخول الحمامات بجلجل أو خاتم رصاص برقابهم ويركبون الحمير لا الأحصنة وبغير سرج، ولايجوز تصديرهم فى المجالس ولا القيام لهم ولا مبادئتهم بالسلام ولاتهنئتهم ولاتعزيتهم أو عيادتهم ويمنعون من إظهار ناقوسهم ويلجئون إلى أضيق الطريق".[5]

تلاميذ تحشو المؤسسة الدينية رؤوسهم بمثل هذا الهراء وهم ما زالوا أطفالاً، كيف نتوقع منهم معاملة القبطي كمواطن له نفس الحقوق وعليه نفس الواجبات؟

عودة إلى الفهرس

[3] العربية نت 2007/1/9.
[4] الشرق الأوسط 2011/1/4.
[5] د. خالد منتصر، أنقذوا طلاب الأزهر، إيلاف 2006/12/28.

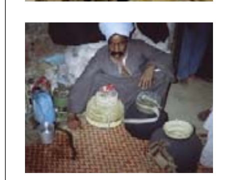
246 - الثعبان الإسلامي متعدد الرؤوس

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=250788

في الميثولوجيا اليونانية القديمة هناك ثعبان متعدد الرؤوس اسمه الهايدرا The hydra of Lerna وقد كان يقتل ويفسد كل شيء يعترض طريقه. وقد كلفت الآلهة البطل هيراكليوس بقتل الهايدرا، ونجح هيراكليوس في مهمته. ولا بد أن قدماء المصريين قد سمعوا بهذه الميثولوجيا، التي أخذها عنهم العبرانيون ثم أخذها محمد وربطها بقصة موسى الذي ألقى عصاه فانقلبت ثعباناً التهم جميع ثعابين الحواة[†]. وللأسف لم يمت ثعبان موسى مع سيده بل عاش في رمال الصحراء حتى عام 1928 عندما خرج بعد سقوط الخلافة العثمانية. وفي زمن وجيز أصبحت لثعبان موسى عدة رؤوس مثل الهايدرا، ومد رؤوسه في عدة بلاد عربية أولاً ثم أصبح عابراً للقارات، كالصواريخ النووية متعددة الرؤوس.

† الحُواة جمع الحَاوِي. من يرقي الحيَّات ويجمعها من يقوم بأعمال غريبة تشبه السِّحر يتَّخذ الحاوي من الأسواق والسَّاحات العامَّة مكانًا لإبراز مهاراته.
- معجم المعاني على الانترنيت





اشتهر هذا الثعبان متعدد الرؤوس **بالكذب** *لأن الإسلام يبيح للمسلمين الكذب إذا كان فيه مصلحة لهم وللإسلام*، وأصبح من المستحيل الإمساك بهذا الثعبان أو بما يصدر عنه من أحكام وفتاوى، لأن حديثه أملس كجلده، ويمكنه بنفس السهولة التي يتخلص بها من جلده أن يتنكر لما صدر عنه من قول أو فعل. وانتشر هذا الثعبان متعدد الرؤوس إلى سبعين بلداً حول العالم، وولد ثعابين صغيرة بأسماء مختلفة مثل حركة النهضة في تونس، وحزب العدل والإحسان في المغرب، وجبهة الإنقاذ في الجزائر، وحماس في غزة، وحركة الرفاه في تركيا وغيرها الكثير. تعتمد فلسفة هذا الثعبان على قاعدتين:

- النوم مع السلطان في سرير واحد،
- والتعامل مع الشيطان من أجل الوصول إلى سدة الحكم.

وبالطبع تعلمت الحركات الإسلامية وتعلم شيوخها هذه الفلسفة وأصبحوا من البارعين فيها.

- فإذا نظرنا حولنا في الشرق أو الغرب، نجد أن النوم مع السلطان قد أنجب لنا **وعاظ السلاطين** الذين أصبحت مهمتهم في الحياة، بجانب جمع المال وبناء القصور، *تخدير الشعوب بفتاوى تحث على طاعة السلطان وتُحرّم الخروج عليه*. ففي الأسابيع القليلة الماضية، وبعد انتشار ثورات الشباب في البلاد العربية، تبارى وعاظ السلاطين في نشر الفتاوى التي تُحرّم المظاهرات والاضرابات.

> الشيخ **يوسف البدري** أحد أشهر علماء الدين في مصر
> **"**أصدر فتوى يحرم فيها المشاركة في الإضراب ويؤكد أن من يشارك فيه (آثم) شرعاً، والأهم أنه طالب الرئيس مبارك ألا يستجيب لأية دعوة للاستقالة تأتيه من (العوام والروبيضات) على حد وصف البدري لدعاة الإضراب، والأهم أن البدري طالب مبارك بأن يقتدي بالخليفة الراشد عثمان بن عفان الذي رفض أن يتنازل عن الحكم حين طالبه بذلك مجموعة من المصريين**"**[1]
>
> ووصف **الشيخ عبد العزيز آل الشيخ** مفتي عام السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء، وسائل الإعلام التي «تُجيش» الشعوب ضد حكامها بـ «أعداء الله»، و«المنافقين»، الذين يسعون لأن تعم الفوضى بين الناس، بحسب وصف الشيخ عبد العزيز آل الشيخ. ولم يؤيد الشيخ عبد العزيز آل الشيخ الخروج في مظاهرات سلمية في رده على أسئلة أحد الحاضرين، وقال «لا أجد الخروج في مظاهرات سلمية ذا جدوى، فهذا حماس مؤقت، لا فائدة منه، فالمظاهرات لا يمكن أن تُخلف سوى العويل والصياح، وقد تقود إلى عدم الانضباط.[2]
>
> ووافقت **لجنة كبار العلماء** في السعودية مع مفتيها وأصدرت بياناً يُحرّم المظاهرات،
> وأضاف البيان أن السعودية قائمة على "الكتاب والسنة والبيعة ولزوم الجماعة والطاعة" وأن الإصلاح والنصيحة فيها لا تكون بالمظاهرات والوسائل والأساليب التي تثير الفتن وتفرق الجماعة، وهذا ما قرره علماء هذه البلاد قديماً وحديثاً من تحريمها، والتحذير منها.
>
> وكذلك فعل **شيوخ اليمن** الذين يسمون أنفسهم "علماء اليمن"
> وأصدروا بياناً يُحرّم المظاهرات والخروج على ولي الأمر، ثم كلّفهم علي عبد الله صالح بالقيام بالوساطة بينه وبين المحتجين، وقد اجتهدوا في مهمتهم غير أن التوفيق لم يكن من نصيبهم.

من فلسفة الثعبان التصريح بشيء ما ثم العمل بعكس ما صرّح به. يقول **الشيخ محمد الصالح الحدري** التونسي الذي كان عضواً مهماً في حركة *النهضة* الإسلامية الإرهابية، والذي انشق عنها بعد ثورة الياسمين وكوّن حزباً إسلامياً جديداً، يقول:

> **"**لاحظت خلال عقود من الزمن أن هناك فرقاً واضحاً بين القول والفعل، وأقر بأن هناك عناصر متزمتة في حركة النهضة، وأنا من الذين أدانوا في حينها عمليات التفجير والرمي بماء النار التي نفذتها الحركة خلال الثمانينات وبداية التسعينات، وعلى الرغم من تبرؤ القيادات حالياً من تلك الأفعال ونسبتها إلى القواعد التي لم تلتزم بقراراتها، فإن ذلك يبدو لي من باب المستحيل إذ المعروف أن كل أعضاء حركة النهضة منضبطون ولا يمكن القيام بمثل تلك العمليات دون الرجوع إلى القيادات.**"**[3]

فهاهو شاهدٌ من أهلها يقول إن الحركة قامت بالفجيرات وبرمي الحامض على وجوه النساء غير المحجبات، في الوقت الذي يصرح فيه **الشيخ راشد الغنوشي** رئيس حركة *النهضة* بأن حركته ديمقراطية وتنبذ العنف وتؤمن بالتعددية.
وبما أن لهذا الثعبان عدة رؤوس، فقد قام أحد رؤوسه في أفغانستان بتطبيق نفس الأفعال التي كانت تقوم بها حركة النهضة في تونس، ورموا الحامض على وجوه طالبات المدارس.
أما في إيران فقد صرح **قائد الشرطة**:

> بأن المشاركين في المسيرات غير الشرعية سيواجهون معاملة أقسى وستتصدى لهم السلطة القضائية بحزم أكبر. وأضاف: يُعتبر بعض المحتجين يوم الأحد "أعداء الله" وستتم مواجهتهم بحزم.[4]

وحديثاً شن الرئيس الإيراني **محمود أحمدي نجاد**:

> هجوما حاداً على من وصفهم بالمستبدين في المنطقة الذين يقتلون شعوبهم بالسلاح الأمريكي، وأشار إلى الحوادث التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط مؤكداً أن الرؤساء المستبدين في المنطقة يقتلون أبناء وطنهم بأسلحة أمريكية.[5]

فالمتظاهرون ضد السلطة الإيرانية أعداء الله ويجوز قتلهم بأسلحة إيرانية، أما المتظاهرون في البلاد العربية فهم أبطال ولا يجوز قتلهم بالأسلحة الأمريكية.
إنها رؤوس الثعبان العديدة تتحدث بآراء مختلفة.

---

[1] الشرق الأوسط 2008/5/4.
[2] الشرق الأوسط 2009/1/14.
[3] الشرق الأوسط 2011/3/10.
[4] الشرق الأوسط 2009/12/31.
[5] الشرق الأوسط 2011/3/1.

أما مملكة آل سعود فقد صوتت مع الجامعة العربية على فرض حظر الطيران فوق ليبيا لأن العقيد القذافي يقتل شعبه، بينما يقتل الجنود السعوديون متظاهري القطيف الذين تجرأوا على الخروج في مظاهرة، وأرسلت آلاف الجنود والسيارات المدرعة إلى البحرين لمساعدة ملك البحرين على قمع المتظاهرين وقتلهم. ولذلك أخرج لنا فقهاء الإسلام حكمة تقول:

"اتبعوا أقوال الفقهاء ولا تتبعوا أفعالهم."

- أما الذراع الآخر من فلسفة الثعبان فهو التعامل مع الشيطان من أجل الوصول إلى دفة الحكم.

فالشيخ حسن البنا بدأ حركته في مسجد في الإسماعيلية بنته له الشركة الإنـگليزية التي كانت تدير قناة السويس. ومن ثم تمكن جهاز المخابرات البريطاني MI6 من الاتصال بالبنا واستعماله فيما بعد بواسطتهم وواسطة السي آي اى CIA للتخلص من جمال عبد الناصر والتغلب على الاشتراكية والحزب الشيوعي المصري.[6] كما استعان الملك فؤاد ومن بعده فاروق بحسن البنا ضد الحركات القومية المطالبة بخروج الإنـگليز من مصر، ففي مظاهرات عام 1936 ضد الإنـگليز، كان الإخوان يهتفون:

"الله مع الملك، والشعب مع زغلول".

وبالطبع يد الله هي العليا وسوف ينتصر مَن كان معه الله. وفي عام 1937 عندما تُوج الملك فاروق، كان بلطجية الإخوان يحفظون النظام في احتفالات التتويج. وأغدق فاروق المال على البنا الذي كان يمده بالمعلومات عن الأحزاب اليسارية. وكانت للبنا والإخوان اتصالات عديدة بالسفارة الأمريكية والسفارة البريطانية. وكوّن الإخوان نقابات عمالية هدفها الأول إفشال إضرابات النقابات اليسارية.
وفي ثلاثينات القرن الماضي تعاون الإخوان مع الحزب النازي في ألمانيا وأرسلوا **الشيخ أمين الحسيني** إلى ألمانيا لمقابلة هتلر. وقد أكدت وثائق حكومية سويسرية أن سعيد رمضان، صهر حسن البنا، كان عميلاً للإنـگليز والأمريكان.[7] وقد اجتمع الإخوان مع **نورمان داربشير**، رئيس MI6 في جنيف لتدبير محاولة اغتيال جمال عبد الناصر.
أما في إيران فقد اشترى السي آي اي بالاشتراك مع المخابرات البريطانية، ولاء الملالي للتخلص من مُصدق، رئيس وزراء الشاه، لأنه كان ذا ميول شيوعية وقد أمم شركة البترول الأنـگلو - إيرانية .Anglo Iranian Oil Company وقد كان رجل السي آي اي في إيران هو **آية الله أبو القاسم كشاني،** أستاذ الخميني وممثل الإخوان المسلمين في إيران. وقد دفع له السي آي اي مبالغ طائلة من المال لتأجير مرتزقة يخرجون في مظاهرات تطالب بإقالة مُصدق ورجوع الشاه الذي كان قد هرب من إيران وقتها.[8] واستأجر كشاني مرتزقة وأمرهم برشق المساجد بالحجارة وزعم أنهم من حزب Tudeh الشيوعي، لتشويه صورة الشيوعيين. وعندما رجع الشاه إلى عرشه اشترى كذلك ولاء الملالي ودفع لهم بسخاء، كما يقول **فريدون هوفيدا،** سفير إيران الأسبق بالأمم المتحدة.
تعاون إسلاميو مصر وغزة والضفة الغربية مع مناحم بيگن، وآرييل شارون في محاربة حركة التحرير الفلسطينية ذات الميول اليسارية. وفي النهاية تمخض هذا التعاون بين الموساد والإسلاميين في خلق حركة حماس بقيادة **الشيخ أحمد ياسين** في عام 1986. واستمرت حماس، بتشجيع من الموساد، بقتال أعضاء منظمة فتح أينما كانوا. وعندما بدأت الانتفاضة الفلسطينية في عام 1987 لم تشترك حماس بها، مما دعا **ياسر عرفات** إلى التصريح بأن

"حماس قد خلقتها إسرائيل وأغدقت عليها الأموال وفتحت لها أكثر من سبعمائة منشأة منها المدارس والمساجد وحتى الجامعات".

وفي يوم 4 يونيو عام 1983 أصاب أعضاء الإخوان المسلمين بغزة ما لا يقل عن مائتي طالب من أنصار فتح في جامعة غزة الإسلامية.
وفي أفغانستان احتضن السي آي اي الأستاذ الإسلامي **غلام محمد نيازي،** أستاذ الثيولوجي بجامعة كابول، وأغدقوا عليه الأموال ليكوّن حركة "الشباب المسلم Muslim Youth "وببداية عام 1972 انضم **عبد الرسول سياف،** و**حكمتيار** و**رباني** إلى منظمة الشباب المسلم تحت رعاية السي آي اي. وأخيراً خلق السي آي اي، عن طريق السعودية وباكستان، حركة طالبان، ومولها عن طريق السعودية.
ورغم أن إسرائيل كانت، وما زالت، العدو الأول لإيران، حسب الدعاية الإيرانية، كانت إسرائيل الممول الرئيسي لإيران الخميني بالأسلحة من عام 1980 إلى عام 1987، وأمدت إسرائيل حكومة الخميني بأسماء أعضاء اليسار الإيراني.[9] وفي عام 1980 زار أحمد كشاني، **ابن آية الله سيد ابو القاسم كشاني،** إسرائيل لتسهيل تصدير السلاح من إسرائيل إلى إيران.

هذا الثعبان الأملس ذو الرؤوس المتعددة، والذي صرح مراراً في الماضي بأن الديمقراطية بدعة لأن الإسلام يملك الشورى، وصرح عدد من رؤوسه أن الانتخابات حرام، يحاول الآن هذا الثعبان الالتفاف على مكتسبات ثورات الشباب في تونس ومصر.

ففي تونس رجع الشيخ **راشد الغنوشي،** الذي عاش في لندن لأكثر من عشرين عاماً، إلى تونس وصرّح أن حركة النهضة تؤمن بالديمقراطية وسوف تشترك في الانتخابات ولكنها لن ترشح أحداً للرئاسة. وبالطبع هذه خطة مرحلية أولى تمكن حركة النهضة من بناء قواعدها بعد أن انشقت عنها عدة شرائح، وبعد أن فقدت مَن يقودها عندما هرب الغنوشي إلى لندن.
أما الرأس المصري فقد تآمر مع حكومة الضباط لترميم الدستور القديم بحيث يحتفظ الإخوان بالمادة الثانية، ثم صرح **كبيرهم** بأنهم يؤيدون حكومة مدنية بمرجعية إسلامية. وهذا التصريح يعني بالعربي الفصيح أن الإخوان يريدون تكوين مجلس إسلامي مثل **مجلس تشخيص** مصلحة النظام الإيراني، الذي يفرض رأيه على البرلمان، وبالتالي يكون هذا المجلس هو الحاكم الفعلي، *ويصبح البرلمان عبارة عن واجهة للديمقراطية فقط*. أو يمكنهم إذا فازوا بالانتخابات أن يصوت برلمانهم بأن يتنازل عن كل واجباته عن رقابة الأجهزة الحكومية لرئيس الجمهورية.

"لأول مرة في تاريخ برلمانات إيران منذ تأسيس مجلس الشورى الوطني بعد الثورة في مستهل القرن الماضي، تخلى البرلمان الإيراني «مجلس الشورى الإسلامي» عن أحد أهم مسؤولياته القانونية ووظائفه الدستورية لصالح الولي الفقيه متخطيا بذلك لما وصفه نائب إصلاحي معارض لقرار البرلمان «حدود الوكالة الممنوحة من قبل الناخب الإيراني للنواب». وبموجب لائحة 198 الملحوظة رقم 7 للقانون الداخلي للبرلمان فان النواب قد سلبوا عن أنفسهم مسؤولية الرقابة على المؤسسات والدوائر التابعة للولي الفقيه أي قائد البلاد آية الله علي خامنئي. وعند إرسال اللائحة بعد مصادقة البرلمان عليها الى لجنة صيانة الدستور لابداء رأيها، أعادت اللجنة اللائحة الى البرلمان، وأدخل البرلمان تعديلات في اللائحة التي تشير الى أن مسؤولية التحقيق والتفحص (في أداء ونزاهة أجهزة الحكم) لن تشمل مجلس الخبراء ومجمع تشخيص مصلحة النظام ولجنة صيانة الدستور بشكل قاطع. وبالنسبة لبقية المؤسسات والأجهزة التابعة للولي الفقيه فان إذن المرشد ضروري مسبقا، أي لا يمكن على سبيل المثال التحقيق والتفحص في أداء ونزاهة وسلوكيات الإذاعة والتلفزيون ومؤسسة

[6] the Devil’s Game, Robert Dreyfuss, p 47.

[7] نفس المصدر ص 79.
[8] نفس المصدر، ص 110.
[9] نفس المصدر، ص 274.

المستضعفين ومؤسسة الشهيد ومنظمة التبليغات الإسلامية وممثليات الولي الفقيه في الخارج وتصرفات ممثليه مهما بلغ سوء تصرفاتهم إلا إذا سمح الولي الفقيه بذلك".[10]

وهذه هي الديمقراطية التي يصبو إليها الثعبان الإسلامي الأملس.

وفي محاولة يائسة لطمأنة الثوار أشاد زعماء الإخوان المسلمين بالنظام الديمقراطي في تركيا، وهم يعلمون علم اليقين أن تركيا بعد أتاتورك كانت دولة علمانية بحتة يشرف الجيش والقضاء المستقل على علمانيتها، حتى جاء حزب الإخوان المسلمين بقيادة **أوردغان** وبدأ في نخر قواعد الدولة العلمانية، كما ينخر السوس قواعد البناء، فبدأ **أوردغان** بإخصاء المؤسسة العسكرية بتهمة التآمر على نظام الحكم، ثم تحول إلى القضاء وحاول تعديل الدستور *ليبعد القضاء عن الإشراف على التشريعات البرلمانية*. وقريباً سوف تتحول تركيا، بعد أن تيأس من انضمامها إلى المجموعة الأوروبية، إلى دولة إسلامية مثل إيران.

فالديمقراطية والثعبان الإسلامي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يجتمعا. فبعد أن أصبح الجيش المصري حليفاً للثعبان، هل نطمع في ظهور هيراكليوس يقتل لنا ذلك الثعبان الأملس متعدد الرؤوس؟

عودة إلى الفهرس

[10] الشرق الأوسط 2008/12/12.

247 - مستقبل الثورات العربية

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=254418

مما لا شك فيه أن الشعوب العربية قد ملت فساد وتسلط الحكومات العسكرية وحكم العائلات، وعندما بدأت شرارة الثورة في تونس تفاءل أغلب الناس خيراً. وعندما تلت ذلك الثورة المصرية، زاد التفاؤل بين الناس. *وأنا من موقعي كدارس للحركات الإسلامية، لم يراودني أمل انتشار الديمقراطية في بلادنا المنكوبة لعلمي أن الأفاعي الإسلامية سوف تلتف حول تلك الثورات وتخنقها* كما يفعل الثعبان الذي يُعرف في اللغة الانـگليزية بـ Constrictor. هذا الثعبان، بخلاف الثعابين الأخرى، لا يملك أي سُم في أنيابه، ويعتمد على قتل فريسته بالالتفاف حول صدرها ثم يُقلّص عضلاته ليمنع الفريسة من التنفس إلى أن تموت، وهذا ما سوف يفعله الإسلاميون بثورات الشعوب المنكوبة.
وقد بدأت أول علامات هذا الالتفاف في تونس الخضراء عندما رجع الثعبان الإخواني **الشيخ راشد الغنوشي** إلى تونس بعد هروبه إلى لندن قبل أكثر من عشرين عاماً عندما ظهر دوره في الجماعات التونسية الإرهابية وحكمت عليه الدولة بالسجن. عاش الغنوشي في لندن كلاجيء سياسي يستفيد من حرية الحركة والتعبير المتاحة لكل فرد في إنـگلترا، ويعيش على الضمان الاجتماعي. ومع ذلك ظل يهاجم الديمقراطية الغربية ويتآمر مع الإسلاميين من أمثال **عمر بكري** و**أبو حمزة المصري** للنيل من تلك الديمقراطية. رجع **الغنوشي** إلى تونس واستقبلته الجماهير استقبال الأبطال. وكانت أول رحلة له خارج تونس إلى السودان ليزور كبير الأفاعي **الشيخ حسن الترابي** الذي تآمر على الديمقراطية في السودان وأوعز إلى **عمر حسن البشير** بانقلابه المشؤوم الذي أنهى الديمقراطية في السودان وأقام مكانها أول حكومة إسلامية في تلك البلاد، فانتشر الفساد والمحسوبية ونهب المال العام من جانب الملتحين الذين يتاجرون بأفيون الشعوب. ولعل **الغنوشي** ذهب إلى السودان ليتعلم من **الترابي** كيف يمكن *لحزب النهضة* الإسلامي في تونس إنجاز ما أنجزته حركة الإخوان المسلمين في السودان.
أما في مصر فقد تخاذل الإخوان المسلمون، أكبر وأكثر التنظيمات توغلاً في الأرياف والأحياء الفقيرة في المدن، حيث يعشعش الجهل والفقر والتدين الساذج، عن المشاركة في التظاهر ضد الطاغية **حسني مبارك**، رغم أنه سجن وعذّب كبار المسؤولين بالجماعة. وبعد نجاح الثورة دعت الجماعة زعيم الثعابين **يوسف القرضاوي** ليخطب في الجماهير في ميدان التحرير حتى يتسنى لهم اختطاف الثورة. ثم تآمر الإخوان كعادتهم، مع المجلس العسكري لاجهاض الثورة وإقامة الشريعة الإسلامية. وقال الإخواني المصري **هاني السباعي**، الهارب من مصر إلى لندن بعد مقتل السادات:

> "يا أحفاد عمرو بن العاص وعبادة بن الصامت وعبد الله بن حذافة، احمدوا ربكم أن وفقكم الله أن نزع الخوف من قلوبكم، لا تجعلوا رايتكم شرقية ولا غربية لكن اجعلوها إسلامية".[1]

وبهذه الجملة البسيطة محا **هاني السباعي**، عشرة ملايين مصري قبطي لأنهم ليسوا أحفاد عمرو بن العاص وفي نفس الوقت أعطانا صورة سريعة عما ستؤول إليه الأمور عندما يتسلم الإخوان السلطة. وبفضل نجاح الثورة رجع السيد **كمال الهلباوي**، الناطق السابق باسم جماعة الإخوان في الغرب إلى مصر، بعد هروبه منها بعد اغتيال السادات

> "بالطبل والمزمار استقبلت قرية كفر البنانون، مركز شبين الكوم، الدكتور كمال الهلباوي المتحدث الإعلامي الأسبق باسم الإخوان في الغرب بعد غياب 23 عاماً في منفاه في بريطانيا مساء الثلاثاء الماضي وعقدت القرية حفلاً ومؤتمراً شعبياً استمر حتى ساعات الفجر الأولى."[2]

هذه القرية، وأمثالها كثير في مصر، سوف تصوت للهلباوي والإخوان المسلمين في أي انتخابات عامة، وسوف يفوز الإخوان بالغالبية المطلقة لتمثيل شعب مصر، وسوف تصبح مصر دكتاتورية إسلامية تلحق بإيران والسودان وغزة.
أما في اليمن التي قُتل فيها مئات الشباب في ثورتهم ضد الجاويش **علي عبد الله صالح**، الذي تربع على عرشه أكثر من ثلاثين عاماً ونهب أموال الشعب كما فعل مثله **حسني مبارك** و**زين العابدين بن علي** و**عمر البشير**، كوّن جهلاء اليمن الذين يدعون أنفسهم زوراً وبهتاناً ب - علماء اليمن - كوّنوا لجنة للوساطة بين المتظاهرين والجاويش، للحفاظ علي عرش الأخير مع إجراء بعض الإصلاحات والرتوش على نظامه الفاسد. وعندما تنجح الثورة سوف تقوم نفس اللجنة بالالتفاف حول الحكومة الانتقالية وفرض الشريعة الإسلامية حتى يتمكن الشيوخ من سرقة المال العام وتكميم أفواه الشعب باسم الله.
أما في سوريا العظيمة، فقد صرح **الشيخ محمد سعيد البوطي**، إمام جامع الإيمان بدمشق،

> "بأنه اجتمع مع بشار الأسد وإن القيادة السورية استجابت لاقتراحات القيادات الدينية بمنح الحريات والإصلاح ومكافحة الفساد وإنهاء حكم الحزب الواحد». وقال: «إن مجموعة من رجال الدين تقدمت باقتراحات وتمت الاستجابة لها، منها إعادة كل المنتقبات اللائي تم فصلهن من عملهن، وإعادة المهندسين والمهندسات الذين أبعدوا عن المحافظات، ومرسوم تأسيس معهد الشام العالي للدراسات الشرعية، وتعليمات بفتح قناة فضائية دينية ترعى الإسلام الحق الذي لا يميل إلى الشرق ولا إلى الغرب".[3]

ونفهم من ذلك أن مئات الشباب الذين قُتلوا في درعا وغيرها من المدن السورية، قد ضحوا بحياتهم لا لإسقاط النظام وإنما للسماح للمعلمات المنقبات بالرجوع إلى وظائفهن وافتتاح قناة فضائية دينية. ومع سقوط النظام سوف تتدفق الأموال من السعودية والسودان وتنظيم الإخوان العالمي لتمكين إخوان سوريا من كسب الانتخابات العامة وتكوين الحكومة، وفي هذه الحالة يكون على مسيحيي سوريا السلام، وفي الأرض الحروب وبين الناس العداوة والبغضاء، وبقية الشعب السوري عليهم أن يطيلوا اللحى ويقصّروا الجلاليب ويحفوا الشوارب.
وليس هناك من شك في أن الإخوان سوف يشترون كل الانتخابات في البلاد التي تنجح فيها الثورات لأنهم يعتمدون على عاملين مهمين:

- **الأول هو البترودولارات التي تجود بها السعودية والبنوك الإسلامية التي انتشرت في الأرض كما ينتشر المرض المعدي،**
- **والسبب الثاني هو اعتمادهم على الخداع وتضخيم صورتهم أو صورة من يدور في فلكهم، حتى يشعر الشخص العادي كأنه أمام شخصية عظيمة وعالم لا يُشق له غبار.**

---

[1] الشرق الأوسط 2011/1/31.
[2] الشرق الأوسط 9 أبريل 2011.
[3] الشرق الأوسط 2011/4/7.

فالمسلمون قد ضخموا صورة محمد إلى درجة جعلته أعظم من ربه، وفي العصر الحديث ضخموا صور شخصيات كثيرة مثل **حسن البنا** الذي عمل مدرساً في المدارس الابتدائية، وكذلك ضخموا صورة **سيد قطب** وجعلوا منه علماً في رأسه نارٌ. وكذلك ضخموا صورة **الشيخ جمال الدين الأفغاني** و**الشيخ محمد عبده**.

فإذا أخذنا جلال الدين الأفغاني مثلاً نجد أن الصحافة الإسلامية وبعض المؤرخين مثل الإسلامي السوري **رشيد رضا**، قد جعلوا منه مصلحاً دينياً لم يظهر مصلح مثله منذ الخلافة الراشدية. ولكن في حقيقة الأمر فإن الرجل كان يفترش الكذب ويلتحف الخداع. حتى لَقَبه - الأفغاني - كان كذبة على الجماهير. ففي مقال للأفغاني في مجلة Journal des Débats الباريسية بتاريخ 6 أبريل 1883 كانت هناك فقرة، في الغالب الأعم كتبها الكاتب اللبناني **خليل غانم**، تقول:

> "إن أفغاني ولد في كابول من عائلة مرموقة في عام 1848 وقد شارك في الحركات السياسية في مناصرة -أفضل خان - ثم هرب إلى الهند ومنها إلى استنبول حيث أكرمه السلطان وعينه ليلقي دروساً في الدين في جامع السلطان أحمد، وقد أشعل فتيلة الحماس في العلماء."[4]

وفي حقيقة الأمر فإن **الأفغاني** قد ولد في إيران وتربى كشيعي هناك، وعندما سافر إلى روسيا وتطوع أن يخدم في الدائرة السرية، أرسله الروس إلى إيران لجمع معلومات عن الشاه الذي كان متعاوناً مع الإنگليز. وعندما غضب عليه أمين السلطان وأراد أن يعتقله، احتمى **جلال الدين الأفغاني** في ضريح **الشاه عبد العظيم** لمدة سبعة أشهر، إلى أن تدخل السفير الروسي مع أمين السلطان واحتج على حصر الأفغاني في الضريح.

> ووقتها سأله أمين السلطان بأي حق، وما هو السبب الذي دفع السفير الروسي إلى التدخل في أمر اعتقال مواطن فارسي؟ ووقتها صمت السفير الروسي.[5]

والحقيقة الثانية هي أن **جمال الدين الأفغاني** *كان ملحداً في الخفاء، وكان يعتبر أن الأديان كلها، بما فيها الإسلام، سيئة*. يقول الفيلسوف والمفكر الفرنسي **أرنست رينان** الذي كان قد تعرف على الأفغاني في باريس:

> (Sheikh Jamal al-Din is an Afghan entirely liberated from the prejudices of Islam; he belongs to those active races of upper Iran, on the confines of India, were the Aryan spirit still actively survives under the superficial veneer of official Islam... he gave me the impression, while talking to him, that I had in front of me one of my ancient acquaintances, such as Avcenna or Averoes, or some other one of those great unbelievers, who for five centuries, upheld the the tradition of the human spirit)
>
> (إن الشيخ جمال الدين الأفغاني متحرر بالكامل من تحيّز الإسلام، وينتمي إلى الأجناس الراقية في إيران، في حدود الهند الذي ما زالت الروح الحرة للجنس الآري تعيش تحت قشرة الإسلام السطحية. وقد أعطاني، عندما كان يتحدث معي، الانطباع بأنه أحد معارفي القدامى مثل ابن سينا وابن رشد أو أحد الملحدين الكبار الذين حافظوا على مدى خمسة قرون على الروح الحرة في الجنس البشري.)[6]

وفوق ذلك كان **الأفغاني** يستعمل الإسلام كغطاء لنشاطاته السياسية. *فقد كان عضواً بارزاً في المحافل الماسونية في مصر*، وتآمر على اغتيال **الخديوي إسماعيل باشا** مما أدى إلى نفيه من مصر إلى استانبول، حيث بدأ يتدخل في السياسة فطرده السلطان من استانبول. وطُرد كذلك من إيران. ثم عمل كعميل للمخابرات الروسية، والمخابرات الفرنسية، ثم أخيراً الإنگليزية. ومع ذلك يتحدث الإسلاميون عن **جمال الدين الأفغاني** كمصلح ديني أراد تحديث الإسلام ليعاصر الحداثة.

وبمثل هذا الكذب يخدع الإسلاميون الناس ويرشون بعضهم حتى يتمكنوا من الاستيلاء على السلطة. ولهذه الأسباب مجتمعة أخشى على ثورات الشباب العربي وتضحياتهم الجسام.

عودة إلى الفهرس

[4] Elie Kedourie – Afghani and Abduh, p 41.

[5] نفس المصدر، ص 58.

[6] منقول من مقتطفات في مقدمة كتبها أرنست رينان لمجلة العروة الوثقى التي كان يصدرها الأفغاني ومحمد عبدو في باريس.

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=257136

على مدى ستة أشهر أو يزيد، وصلتني عدة إيميلات من بعض القراء يسأل كلٌ منهم سؤالاً يحاول بواسطته إثبات وجود إله في السماء وأن هذا الإله أرسل محمداً لينقل إلى البشر متطلبات ذلك الإله. وقد أجبت على بعضهم إجابة مختصرة. وقبل حوالي أسبوعين وصلني إيميل من قاريء يُدعى **محمد أهل** جمع فيه كل الأسئلة السابقة، والتي تنتشر بكثرة في المواقع الإسلامية، وجعل عنوان الإيميل "أشياء لم ولن تخطر ببالك".

- يقول محمد أهل:

> (قرأت بالآونة الاخيرة مقالاتك، لا شك انك انسان ذكي وعالم... ولكن أريد ان اخبرك بشيء لا اظن انه قد خطر على بالك... سافترض جدلا ان رايك صحيح في امور العدل وان الاله ناقد نفسه في اشياء مثل لماذا لم يبين نفسه علانية ولماذا ارسل الرسل ولماذا خلق السماء والارض في 6 ايام مع انو قادر ان يفعلها في لحظة كما ورد في اية كن فيكون وهكذا... لكن ماذا ان كان كلامك صحيح في ان هاذا يتنافى مع المثالية ولكن افرض ان هنالك فعلا اله وفعل كل هذا ! ولا تسالني لماذا طبعا، فعله لشيء في نفسه مثلا لا نعلمه... وهو يريد ان يعاقب كل من لم يصدق رسله ومن لا يقدس كلامه الغير مثالي مثلا !!ماذا ستفعل حينها ؟؟؟) انتهى.

- ✍ يتضح من هذا السؤال أن السائل يعرف أن هذا الإله المفترض يفعل أشياء لا يقرها العقل السليم ويقول أشياء تناقض بعضها، ويعذب الناس بدون مبرر مقبول، ومع ذلك يؤمن هذا السائل بهذا الإله خوفاً من العواقب إذا ثبت أن هذا الإله فعلاً موجود. فإيمانه هذا بدافع الخوف فقط وليس بالاقتناع بما يقول هذا الإله، **ولذلك يسألني ماذا سوف أفعل إذا ثبت وجود هذا الإله**. وأنا من جانبي لا أؤمن بهذا الإله وسوف أقول له يوم القيامة، كما قال الفيلسوف الانـگليزي برتراند رسل عندما سألوه نفس السؤال:

> *(سأقول للإله إنك منحتني عقلاً أفكر به ولكنك لم تمنحني ما يكفي من الأدلة على وجودك، فلم يقتنع عقلي بك).*

فالعقل الحر لا يمكن أن يفكر تحت تأثير الخوف، أو كما قال الفيلسوف الهولندي باروخ سبينوزا:

> *(ليس للحرية الفلسفية حدود، فاما ان نفكر بكل حرية، واما الا نفكر ابدا).*

أما كون هذا الإله يفعل أشياء غير منطقية لسبب يعرفه هو، دون أن يبين لنا السبب، فهذا المنطق يتعارض مع العدالة الطبيعية natural justice التي يعرفها الإنسان بغريزته. وكما تقول الحكمة الشعبية: (إذا عُرف السبب بطل العجب). فلو أخبرنا هذا الإله بالأسباب التي جعلته يتخذ تلك القرارات غير المنطقية أو لماذا يعذب بعض المذنبين ويعفو عن بعض، لبطل تعجبنا من قراراته التي تبدو لنا متحيزة.

- يستمر السيد محمد أهل فيقول:

> (ثانيا عندي استفسار بموضوع الاعجاز العلمي في القرءان .. (سالتها خمسين الف مرة ولم يجبني احد) .. لو وجدت تفسيرا لما ساقول فعلا ستحدث دوامة عظيمة في نفسي ان اقتنعت بنقدك طبعا .. اولا/ اية " مرج البحرين لا يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان " .. قرأت ردك على السائل بانه قانون فيزيائي معروف .. ولكن كيف علم محمد قبل 14 قرن بهذا القانون ! وهو من سكان الصحراء ! وهو كان أمياً ! اساسا كيف كتب كل هذا الكلام وهو امي ؟)

- ✍ أولاً: الآية تقول: {**مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان**}، والآية فيها تناقض واضح إذ أن كلمة – مرج – تعني خلط، ومنها جاءت كلمة – المروج – وهي الحقول الواسعة الخضراء التي لا ترى بينها فواصل، فتبدو وكأنها حقل واحد. فعندما يقول مرج البحرين يلتقيان، فهذا يعني أنهما يختلطان بدون فواصل. ثم يقول لنا: بينهما برزخ فلا يبغيان. فكيف يخلطهما حتى يصبحا كالمروج، ثم يكون بينهما برزخ أي حاجز؟ والقانون الفيزيائي الذي تحدثتُ عنه في مقال سابق، هو اختلاط الماء العذب من الأنهار مع ماء البحر المالح. في بداية مصب النهر يمكن أن تغرف ماءً عذباً من البحر، ولكن بعد حوالي مائتي متر من المصب فسوف يكون الاختلاط قد اكتمل، ولن تستطيع أن تجد ماءً عذباً في البحر عند تلك النقطة. وأفضل مثال لهذه العملية يمكنك أن تراه في صور نهر النيل في الخرطوم عندما يلتقي النيل الأزرق القادم من جبال الحبشة محملاً بكميات كبيرة من الطمي، ويلتقي بالنيل الأبيض القادم من بحيرة فكتوريا والمنساب عبر أراضي مسطحة لا تمده بالطمي، فيظهر لونه مختلفاً عن النيل الأزرق الآتي من الجبال محملاً بالطمي، وعندما يلتقيان يمكنك أن ترى الماء الأزرق يسير جنباً إلى جنب مع الماء الأبيض، ثم يختلط النهران ويصبح نهر النيل بلون واحد. فمحمد لم يكن بحاجة لفهم القانون الفيزيائي إذ أن الظاهرة واضحة للعيان وقد عرفها كل من عاش في مناطق مصبات الأنهار في البحار. كل ما في الأمر أن محمداً نقل لنا الصورة في كلام مسجوع.

- ثم يستمر السيد محمد فيقول:

> (قال الله: {**وَالشَّمْسُ تَجْرِيْ لِمُسْتَقَرٍّ لَهَاْ ذَلِكَ تَقْدِيْرُ الْعَزِيْزِ الْعَلِيْمِ**. (يس. 38)}. و قد أثبت العلم الحديث أن الشمس تسير بسرعة 43200 ميل في الساعة و بما أن المسافة بيننا و بين الشمس 92مليون ميل فإننا نراها ثابتة لا تتحرك و قد دهش بروفيسور أمريكي لدى سماعه تلك الآية القرآنية و قال إني لأجد صعوبة بالغة في تصور ذلك العلم القرآني الذي توصل إلى مثل هذه الحقائق العلمية التي لم نتمكن منها إلا منذ عهد قريب.) انتهى.

- ✍ كلما حاول الإسلاميون إثبات الإعجاز العلمي للقرآن كلما أدخلوا أنفسهم وقرآنهم في مطبات هم في غنًى عنها.

محمد كان يصف الظاهرة المرئية للناس منذ الأزل، وهي أن الشمس تبدو لهم أنها تسير من الشرق إلى الغرب ثم تختفي حتى اليوم التالي، ولذلك قال لهم {**والشمس تجري لمستقر لها**} والمستقر هو مكان الراحة والاستجمام. وعندما سأل المعاصرون محمداً عن المستقر قال لهم:

> إنها تذهب وتسجد تحت العرش حتى يأذن لها ربها بالشروق في اليوم التالي.

فمحمد لم يكن يعلم شيئاً عن دوران مجرة درب التبان وأن الشمس واحدة من مليارات النجوم التي تفوقها حجماً والتي تدور حول مركز المجرة، وإلا لما قال لنا إن الله خلق الأرض في يومين ودبر أقواتها في يومين ثم خلق السماء بكل نجومها وكواكبها ومجراتها في يومين فقط. أي مهندس هذا الذي يخلق كوكباً واحداً في أربعة أيام ثم يخلق بلايين النجوم والمجرات في يومين؟

- ✍ ومن أساليب خداع الإعجازيين قولهم: (**ولقد أثبت العلم الحديث**). شبه الجملة هذه لا تخدم أي غرض. العلم الحديث غير ثابت وكل نظرية لها مؤيدوها ومعارضوها، وكلٌ يقدم أدلته.

وحتى يكون النقاش ذا فائدة، فعلى الإسلاميين أن يذكروا لنا اسم العالم ومكان نشر نظريته، والصفحة المذكورة بها، وتاريخ النشر، حتى نتمكن من مراجعة الموضوع بأنفسنا. أما قولهم - قد أثبت العلم الحديث - فهو أسوأ أنواع الخداع والكذب على الناس. ثم أن هذا البروفسور الأمريكي غير المعروف بالاسم، إذا كان قد اقتنع بهذا الحشو، لماذا لم يسلم ويعلن إسلامه للناس، أم أن البترودولار يتحدث باسمه؟

أما بخصوص جريان الشمس، فهي تتحرك مع جميع نجوم وكواكب مجرة درب التبان Milky Way حول مركز المجرة، وتسير الشمس بسرعة 220 كيلومتراً في الثانية، مما يجعل سرعتها 792000 كيلومتراً في الساعة، وليس 43200 - كما أثبت العلم الحديث- أو كما جاء في قول السائل. والشمس لا تستقر عندما تكمل دورتها حول مركز المجرة كل 250 مليون سنة. فالشمس لا مستقر لها بعكس ما يقول محمد. فلو كان القرآن من عند الله، لماذا لم يذكر لنا جريان الأرض حول نفسها أو حول الشمس ولو مرة واحدة بينما ذكر جريان القمر الذي يدور حول الأرض، وجريان الشمس الذي يستغرق ملايين السنين. فالواضح أن محمداً كان يصف الظواهر التي يراها الإنسان بالعين المجردة، أو أن ربه كان يجهل أن الأرض تدور حول نفسها مرة كل 24 ساعة وتدور حول الشمس في 365 يوماً.

- ثم ينتقل السيد محمد أهل إلى موضوع آخر، فيقول:

(قال الله: {**وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِيْ السَّمَاءِ.** (الأنعام 125)}. و الآن عندما تركب طائرة و تطير بك و تصعد في السماء بماذا تشعر؟ ألا تشعر بضيق في الصدر؟ فبرأيك مَن الذي أخبر محمداً صلى الله عليه و سلم بذلك قبل 1400 سنة؟ هل كان يملك مركبة فضائية خاصة به استطاع من خلالها أن يعرف هذه الظاهرة الفيزيائية؟ أم أنه وحي من الله تعالى؟؟؟) انتهى.

✍ لا أدري إذا كان السيد محمد قد سافر بالطائرة أم لا، ولكني عندما أسافر بها لا أشعر بأي ضيق في صدري لأن الهواء في الطائرة مضغوط لدرجة تجعله قريباً من ضغط الهواء عند سطح البحر. أما إذا صعدت إلى 30000 قدم بدون طائرة حديثة فسوف تموت في أقل من ثانية، ليس فقط لأن الأوكسجين معدوم على هذا الارتفاع، ولكن كذلك لأن درجة حرارة الطقس تهبط إلى ما تحت الصفر بعشرات الدرجات ويتجمد جسم الإنسان. وعندما جاء محمد بهذه الآية المذكورة أعلاه وسأله معاصروه عنها، شرحها لهم، ونقل مَن جاء بعدهم هذا الشرح.

يقول ابن المبارك عن ابن جريج:

(ضيقاً حرجاً، رجلٌ بلا إله إلا الله حتى يستطيع أن يدخل قلبه الإيمان كأنما يُصعّد في السماء من شدة ذلك) نقلاً عن تفسير ابن كثير.

ويقول النحاس:

(معنى هذه الآية أن الكافر من ضيق صدره كأنما يريد أن يصعد إلى السماء وهو لا يقدر على ذلك، فكأنه يستدعي ذلك، وقيل المعنى كاد قلبه يصعد إلى السماء نبوّاً عن الإسلام)

ففهم محمد والمعاصرين له لهذه الآية هو أن من لا يعتنق الإسلام يكون خلاصه يوم القيامة مستحيلاً كمن يريد أن يصعد إلى السماء. فليس هناك أي علاقة لهذه الآية بضغط الهواء أو قلة الأوكسجين عندما نرتفع في الفضاء. فضيق الصدر هنا ضيق معنوي فقط.

- ويستمر السيد محمد فيقول:

(قال الله: {**وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً.** (النبأ 7)} و قال الله: {**وَأَلْقَى فِيْ الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيْدَ بِكُمْ** (لقمان 10)} بما أن قشرة الأرض و ما عليها من جبال و هضاب و صحاري تقوم فوق الأعماق السائلة و الرخوة المتحركة المعروفة باسم (طبقة السيما) فإن القشرة الأرضية و ما عليها ستميد و تتحرك باستمرار و سينجم عن حركتها تشققات و زلازل هائلة تدمر كل شيء .. و لكن شيئاً من هذا لم يحدث.. فما السبب ؟ لقد تبين منذ عهد قريب أن ثلثي أي جبل مغروس في أعماق الأرض و في (طبقة السيما) و ثلثه فقط بارز فوق سطح الأرض لذا فقد شبه الله تعالى الجبال بالأوتاد التي تمسك الخيمة بالأرض كما في الآية السابقة ، و قد أُلقِيَت هذه الآيات في مؤتمر الشباب الإسلامي الذي عقد في الرياض عام 1979 و قد ذهل البروفيسور الأمريكي (بالمر) و العالم الجيولوجي الياباني (سياردو) و قالا ليس من المعقول بشكل من الأشكال أن يكون هذا كلام بشر و خاصة أنه قيل قبل 1400 سنة لأننا لم نتوصل إلى هذه الحقائق العلمية إلا بعد دراسات مستفيضة مستعينين بتكنولوجيا القرن العشرين التي لم تكن موجودة في عصر ساد فيه الجهل و التخلف كافة أنحاء الأرض) كما حضر النقاش العالم فرانك بريس مستشار الرئيس الأمريكي (كارتر) و المتخصص في علوم الجيولوجيا و البحار و قال مندهشاً لا يمكن لمحمد أن يلم بهذه المعلومات و لا بد أن الذي لقنه إياها هو خالق هذا الكون ، العليم بأسراره و قوانينه و تصميماته) قال الله: {**وَ تَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللهِ الَّذِيْ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ.** (النمل 88)} كلنا يعلم أن الجبال ثابتات في مكانها ، و لكننا لو ارتفعنا عن الأرض بعيداً عن جاذبيتها و غلافها الجوي فإننا سنرى الأرض تدور بسرعة هائلة (100ميل في الساعة) و عندها سنرى الجبال و كأنها تسير سير السحاب أي أن حركتها ليست ذاتية بل مرتبطة بحركة الأرض تماماً كالسحاب الذي لا يتحرك بنفسه بل تدفعه الرياح ، و هذا دليل على حركة الأرض ،فمن أخبر محمداً صلى الله عليه و سلم بهذا ؟ أليس الله ؟؟ وايضا هذه توافق النظرية النسبية لآينشتااين) !!انتهى.

✍ بالنسبة للسؤال الأول وهو أن الله جعل الجبال أوتاداً حتى لا تميد الأرض بنا، فالمعروف أن محمداً عاش في منطقة مكة الجبلية وتعجب، كما تعجب غيره من الناس من علو الجبال ومهمتها .وقد سأل الأعراب محمداً عن كيفية تكوين الجبال، فكان رده {**ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً.** (طه 105)}. ونجد أن القرآن المكي ذكر كلمة "الجبال" 24 مرة، وكلمة "رواسي" تسع مرات، وكلمة " جبل" ثلاث مرات، وكلمة "الجبل" مرتين". وجميع هذه الآيات في سور مكية ماعدا آية واحدة في سورة مدنية وهي سورة الرعد. وهذا يُثبت أن القرآن من تأليف محمد لأنه عندما انتقل إلى المدينة التي تعوزها الجبال، لم يتحدث عن الجبال إلا في الآية الثالثة من سورة الرعد. وإذا كانت الجبال ثابتة وهي أوتاد لتمنع الأرض من الميد، فكيف يقول عنها: {**ويوم نسيّر الجبال وترى الأرض بارزة.** (الكهف 47)} وكذلك: {**يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا.** (الطور 9-10)}. فإذاً الجبال ثابتة وسوف يسيّرها الله يوم القيامة، ومع ذلك يقول لنا: {**وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب**}. وإذا كانت تمر مر السحاب، كيف تكون أوتاداً؟

✍ أما تشبيه السيد محمد لقشرة الأرض التي تطفو على طبقة السيما التي تتحرك وبالتالي نتوقع أن تتشقق قشرة الأرض، فتشبيه غير دقيق. فإذا أخذنا بيضة الدجاجة فإن قشرتها بداخلها سوائل تتحرك كلما حركنا البيضة، والبيضة لا تتشقق إلا عندما يكتمل نمو الجنين بداخلها، والجنين نفسه يكسر ويشقق القشرة، ووقتها لا يكون هناك أي سائل بالبيضة. أما الأرض فإن قشرتها تطفو فوق مادة منصهرة تحت ضغط عالٍ جداً بسبب التفاعلات الكيموفزيائية التي تحدث بها وينجم عنها ارتفاع شديد في درجة الحرارة وفي الضغط، وعندما يصل الضغط لدرجة معينة تتحرك أجزاء من طبقة الأرض وتنزلق تحت بعضها البعض عند مناطق معروفه اسمها fault lines تجري تحت القارات، كما حدث في اليابان منذ أسابيع. وقد استغربت عندما قال السيد محمد أهل (و سينجم عن حركتها تشققات و زلازل هائلة تدمر كل شيء .. و لكن شيئاً من هذا لم يحدث.. فما السبب ؟) ألا يتفرج السيد محمد على صور وأخبار الزلازل التي تحدث في اليابان وتركيا وإيران وإندونيسيا باستمرار؟

- يقول السائل:

(لقد تبين منذ عهد قريب أن ثلثي أي جبل مغروس في أعماق الأرض و في (طبقة السيما) و ثلثه فقط بارز فوق سطح الأرض لذا فقد شبه الله تعالى الجبال بالأوتاد التي تمسك الخيمة بالأرض) انتهى.

✍ وهذا كذلك قولٌ مغلوط. الجزء المختفي من الجبل يعتمد طوله على سمك قشرة الأرض التي تختلف من منطقة إلى أخرى، ففي قاع المحيطات قد يكون سمك القشرة 8 كيلومترات، بينما في اليابسة قد يصل إلى 40 كيلومتراً. فإذا أخذنا جبال الهملايا، وهي

أعلى جبال في العالم إذ تبلغ قمة افرست 7962 متراً من سطح الأرض، يكون الجزء المخفي، وهو ثلثان، 15924 متراً، أي أن قاعدة الجبل تكون مستقرة على القشرة الأرضية على بعد عدة كيلومترات فوق المادة المنصهرة the mantle. ولو كان ثلثا الجبل تحت الأرض منغمسة في السيما، أي ال mantle، لذاب الجبل لأن درجة حرارة السيما قد تصل عدة آلاف درجة مئوية لأن ال mantle أو ما سميته السيما هو عبارة عن طبقة من الصخور الذائبة بمفعول الحرارة الشديدة.
والقرآن يقول إن الله ألقى في الأرض جبالاً: {**وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم.** (النحل 15)}. والإلقاء يكون من الأعلى إلى الأسفل. ونفهم من هذا أن الله ألقى الجبال من السماء إلى الأرض يوم خلق الأرض قبل أربعة بلايين من السنين. ولكننا نعلم علم اليقين أن جبال الهملايا تكونت قبل 40-50 مليون سنة فقط، عندما اصطدمت قشرة الأرض الهندية Indian tectonic plate التي كانت تسير بسرعة 15 متراً في العام بقشرة الأرض الأسيويروبية ونتج عن الاصطدام ارتفاع قشرة الأرض من قاع المحيط لتكون جبال الهملايا، والدليل على ذلك أن تحليل الأرض في قمة الجبل أثبت أنه يتكون من حجر رملي من قاع المحيط marine limestone. وأغلب الجبال نتجت عن انفجار قشرة الأرض نتيجةً للضغط العالي. فالله لم يُلق على الأرض جبالاً وإنما خرجت الجبال من جوف الأرض.

- أما كون الله أنزل الجبال لتكون كالأوتاد حتى لا تميد بنا الأرض، فقول رجل بدوي لا يعرف غير الخيام والأوتاد. محمد كان يعتقد، كما اعتقد بطليموس قبله، أن الأرض مسطحة ولذلك احتاجت أوتاداً لمنعها من أن تميد، أي تنقلب بنا كما ينقلب الطبق. فلو كان الأمر كذلك لماذا لم تنقلب الأرض من قبل أربعة بلايين من السنين عندما لم تكن جبال الهملايا موجودة؟ ونحن الآن نعرف أن الأرض كروية وبالتالي لن تميد حتى لو نسفنا جميع الجبال من سطح الأرض. فتشبيه الجبال بالأوتاد قد يكون مناسباً لشخص عاش في القرن السابع الميلادي، لكنه حتماً تشبيه بدوي بسيط لا يمت للحقيقة بصلة، ناهيك عن الإعجاز العلمي.
- يقول السيد محمد:

> (قد أُلقِيَت هذه الآيات – يقصد آية الجبال أوتادا - في مؤتمر الشباب الإسلامي الذي عقد في الرياض عام 1979 و قد ذهل البروفيسور الأمريكي (بالمر) و العالم الجيولوجي الياباني (سياردو) و قالا ليس من المعقول بشكل من الأشكال أن يكون هذا كلام بشر و خاصة أنه قيل قبل 1400 سنة لأننا لم نتوصل إلى هذه الحقائق العلمية إلا بعد دراسات مستفيضة مستعينين بتكنولوجيا القرن العشرين التي لم تكن موجودة في عصر ساد فيه الجهل و التخلف كافة أنحاء الأرض) كما حضر النقاش العالم (فرانك بريس) مستشار الرئيس الأمريكي (كارتر) و المتخصص في علوم الجيولوجيا و البحار و قال مندهشاً لا يمكن لمحمد أن يلم بهذه المعلومات و لا بد أن الذي لقنه إياها هو خالق هذا الكون ، العليم بأسراره و قوانينه و تصميماته) انتهى.

- لقد ذكرت في مقال سابق في موقع الحوار المتمدن أن الشيخ اليمني عبد المجيد الزنداني، رئيس لجنة الإعجاز العلمي في القرآن، والتي تمولها مملكة الوهابية، قد دفع مبالغاً طائلةً من المال لبعض العلماء الأمريكيين الذين يعبدون الدولار، وأعطاهم آيات معينة مترجمة إلى اللغة الانـگليزية، وطلب منهم الذهاب إلى الرياض مع زوجاتهم وتكفل الزنداني بدفع تذاكر الدرجة الأولى على الطائرات، وبالغرف الفخمة في أحسن الفنادق، ليقولوا ما ذكره السيد محمد. وبعد مرور عشر سنوات تمكن صحفي أمريكي من التحدث إلى هؤلاء العلماء، وقد أجمع كلهم على أنهم خُدعوا ولم يكونوا يعرفون القصد من الزيارة. والدليل على ذلك أنه لم يسلم منهم ولا عالم واحد رغم الكلام المحفوظ الذي رددوه في قاعات الجامعات السعودية. *فالعالم الذي يقتنع بمثل هذا الكلام لابد له أن يعلن إسلامه أو يكون منافقاً.*
- يقول السيد محمد:

> (قال الله: {**وَتَرَى الْجِبَاْلَ تَحْسَبُهَاْ جَاْمِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَاْبِ صُنْعَ اللهِ الَّذِيْ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ.** (النمل 88)}. كلنا يعلم أن الجبال ثابتات في مكانها ، و لكننا لو ارتفعنا عن الأرض بعيداً عن جاذبيتها و غلافها الجوي فإننا سنرى الأرض تدور بسرعة هائلة (100ميل في الساعة) و عندها سنرى الجبال و كأنها تسير سير السحاب أي أن حركتها ليست ذاتية بل مرتبطة بحركة الأرض تماماً كالسحاب الذي لا يتحرك بنفسه بل تدفعه الرياح، و هذا دليل على حركة الأرض ،فمن أخبر محمداً صلى الله عليه و سلم بهذا ؟ أليس الله ؟؟ وايضا هذه توافق النظرية النسبية لآينشتااين) !!انتهى

- أولاً: القرآن جاء لعرب بدو أميين على لسان نبي أمي، فكيف يخاطبهم الله بهذا المنطق ويطلب منهم أن يتخيلوا أنهم ارتفعوا فوق جاذبية الأرض ونظروا إلى الجبال من ذلك العلو. وحتى لو صعدوا فعلياً ونظروا إلى الجبال فلن يروا غير نقاط سوداء على سطح كرة أرضية بحجم القمر أو أقل حجماً. وسوف لن يروا دوران الأرض لأن مراكبهم الفضائية تدور في غلاف الأرض وبسرعة دوران الأرض وبالتالي لا يرون دوران الأرض. ولو ارتفعوا فوق الغلاف الجوي فإنهم لن يروا الأرض إلا نقطة صغيرة سوداء وبالتالي لن يروا الجبال. **فما هذا المنطق المعوج؟** أما محاولة استعمال هذه الآية لإثبات أن الأرض تدور أو تسير، فهي محاولة بائسة، **بل أكثر بؤساً من الشيوخ الذين أتوا بها**. القرآن ذكر جريان الشمس والقمر والأفلاك في كثير من الآيات، *ولكنه لم يذكر دوران الأرض أو أنها تجري لمستقر لها، ولا مرة واحدة*. **هل كان هذا سهواً من الله أم جهل بما يحدث؟** وأعتقد أن إدخال النظرية النسبية لأينشتاين في هذه المحاولة البائسة ما هو إلا **إثبات على ضمور عقول شيوخ الإعجاز العلمي الذين يتشبثون بالأسماء العلمية المشهورة للإيحاء للقاريء أن الشيوخ يفهمون العلم الحديث، وماهم بفاهميه.**
- وأخيراً يقول السيد محمد أهل:

> (قال الله {**كُلَّمَاْ نَضِجَتْ جُلُوْدُهُمْ بَدَّلْنَاْهُمْ جُلُوْدَاً غَيْرَهَاْ لِيَذُوْقُواْ الْعَذَاْبَ.** (النساء 56)}. و قد أثبت العلم الحديث أن الجسيمات الحسية المختصة بالألم و الحرارة تكون موجودة في طبقة الجلد وحدها، و مع أن الجلد سيحترق مع ما تحته من العضلات و غيرها إلا أن القرآن لم يذكرها لأن الشعور بالألم تختص به طبقة الجلد وحدها. فمن أخبر محمداً بهذه المعلومة الطبية؟ أليس الله ؟؟) انتهى.

- شيوخ الدين لا يستطيعون حتى نقل المعلومات الطبية الصحيحة إلى قرائهم الإسلاميين، فقولهم إن الجسيمات الحسية المختصة بالألم لا توجد إلا في الجلد، قول خاطيء مائة بالمائة. هل شاهدت يا سيد محمد لاعب كرة انكسرت رجله في الميدان؟ هل رأيت الألم في وجه اللاعب الذي انكسر عظم رجله؟ هل رأيت أمرأةً في ساعات وضع جنينها والألم يعتصر أحشاءها؟ الجسيمات الحسية للألم موجودة في أعضاء كثيرة أخرى غير الجلد، منها الغشاء الذي يلتف حول العظام periosteum، والغشاء الذي يحيط بالأمعاء في البطن peritoneum، والغشاء الذي يغلّف الأضلاع داخل الصدر pleura وأعضاء كثيرة أخرى. الدماغ هو العضو الوحيد بالجسم الذي يخلو من هذه الجسيمات الحسية. فالذي أخبر محمداً بمعلوماته كان رجلاً جاهلاً مثله.

فالذي يحاول أن يستعمل العلم لإثبات الإعجاز العلمي للقرآن عليه أن يكون ملماً بالعلم أولاً، لأن فاقد الشيء لا يعطيه .

2011 / 5 / 22

2 مِن 3

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=260020

في البدء أتقدم بالشكر لكل من قرأ المقال ولكل من علق عليه. وبما أن التعليقات فاقت الثلاثمائة وخمسين تعليقاً، فلا يمكنني الرد عليها جميعاً، ولذا سوف أركز على الإسلاميَيَن: أبو ريان الدبعي وعصام. وأود أن أشكر السيدة/الآنسة نرمين عياد على أسئلتها العديدة التي كشفت مستوى تفكير الإسلاميَيَن. السيدة نرمين - بعد مداخلاتها الأولى غير الموفقة عن الإعجاز العددي - أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك أن **العقل إذا تخلص من سلاسل القيود الدينية يمكنه أن يحلق بعيداً في مجال حرية التفكير، كما يمكنه الوصول إلى كشف الحقيقة رغم طبقات الصدأ العديدة التي خلفتها لنا قرون الرضوخ إلى الأساطير الصدئة**. وأود هنا أن أهنيء السيدة نرمين على سعة إطلاعها في الإرث الإسلامي الأسطوري، وعلى إلمامها العميق بتناقضات القرون العديدة.

- أما السيد أبو ريان فلم يخرج في تعليقاته عن نمط الشيوخ الذي تعودنا عليه، فهو مثلاً يقول لي:

(دكتور النجار أنت تقول بان الفيلسوف الانـگـليزي بيرتراند رسل قد قال عندما سألوه نفس السؤال: (سأقول للإله إنك منحتني عقلاً أفكر به ولكنك لم تمنحني ما يكفي من الأدلة على وجودك، فلم يقتنع عقلي بك)وهذا هو ردك أنت ايضاً للأله حين ياتي لمسألتك ،هذا إن كان هنالك إله بحسب زعمك وزعم الفيلسوف ،لكن تعال لنكن جهلاء وأميين لبعض الوقت وليس فلاسفة ، لنفرض أن الأله رفض حجتك وقال لك أنا السيد اليوم وأنا الملك فسادخلك جهنم جزاء لمافعلت ،بصرف النظر عن كونه عادلاً أو غير ذلك فالمسألة محسومة عنده بأنك للنارلامحالة كانت لديك حجة أولم تكن ، فبماذا سترد اوكيف ستتعامل مع الموقف ؟؟هل ستتغلب عليه بعقلك الذي أوصلك إلى هذا ؟وإن كنت لأظن أن عقلك ليس عقلاً بل هوىً وجحود،هوىً يتلاعب بك) انتهى

✍ أولاً أنا لم أزعم بأني فيلسوف، ولكني أؤكد له أني لست أمياً مثل شيوخه، فإن أراد هو أن يزعم أنه فيلسوف، فهذا شأنه، أما قوله (لكن تعال لنكن جهلاء وأميين لبعض الوقت)، قول لا يعكس الحقيقة إذ يدل على أن السيد أبا ريان قد تمكن من العلم ويريد أن ينتحل شخصية الجاهل لبعض الوقت، بينما أسلوب ومحتوى حواره لا يعكس ذلك العلم. أما إلهه الذي سوف يقول لي بأني سوف أدخل النار بغض النظر عن حجتي لأن المسألة محسومة عنده، فإن هذا لا يدعو إلى الاستغراب لأن رب القرآن قد قال:

{ولو شيئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين. (السجدة 13)}.

فهو قد قرر مسبقا أنه لا بد أن يملأ جهنم من الإنس والجن. فهو الديكتاتور الذي تعلم منه صدام حسين والقذافي ومبارك. وإذا كان السيد أبو ريان يعتبر عقلي ليس عقلاً بل هوى، فهذا كذلك شأنه ولن أنزل بمستوى عقلي إلى مستوى عقله.

- يقول السيد أبو ريان في تعقيبه رقم 145:

(كما أنني أريد أن أضيف نقطة هامة وهي التي أنت تركز عليها دايماً وهي ، أن البعض لايعبد الله إلا خوفاً من عقابه أو طمعاً فيما عنده / وهناك من يعبده أفتراضاً وأحتياطاً ، كما أنه يوجد من يعبد الله حباً فيه كونه خالقه وموجده وأنه قد اختاره هو ورشحه من بين تلك الملايين من الحيوانات المنوية ليكون مشروع خلق وإنسان يظهر لعالم المادة والوجود ، وهولاء هم العباد الأحرار) انتهى.

✍ ربما لا يعلم السيد أبو ريان أن الفرس يقذف أضعاف ما يقذفه الرجل من حيوانات منوية ولا يصل إلى بويضة الأنثى غير حيوان منوي واحد، فهل الحصان الناتج من هذا الاختيار هو حصان حر يعبد الله الذي يقول في القرآن:

{أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون. (آل عمران)}.

الله لا يختار الحيوان المنوي الذي يصل إلى البويضة. الحيوانات المنوية تتسابق نحو البويضة بسبب عملية كيماوية تُسمى chemotaxis والحيوان الأسرع والأقوى يصل إلى البويضة قبل الملايين الأخرى التي تموت. وهذا يدل على أن الخالق، إن وُجِد، **لم يُحسن الخلق ولا يقتصد فيما يخلق**. ثم أننا الآن نمتلك آلاف البنوك لتخزين الحيوانات المنوية التي يتبرع بها الرجال، والطبيب يستطيع أن يفحص تلك الحيوانات ويختار ما يراه الأنسب ثم يزرعه في رحم المرأة، دون أي تدخل من الله أو ملائكته أو رُسله. ثم مَن هم الذين يعبدون الله حباً فيه والقرآن يقول لنا في وصف المؤمنين:

{والذين هم من عذاب ربهم مشفقون. (المعارج 27)}.
{إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا. (الإنسان 10)}.
{يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا. (الإنسان 7)}.
{إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا. (الإنسان 10)}.
{هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً. (الرعد 12)}.

أما الكفار فيقول عنهم:

{إنا اعتدنا للكافرين سلاسلاً وأغلالاً وسعيرا. (الإنسان 4)}.

فواضح أن الخوف من ذلك اليوم الرهيب هو سبب إيمان المؤمنين وليس حباً في الله.

- يقول أبو ريان في نفس التعليق:

(إن العقل حين خلقه الله أدرك أن له خالق لكن لم يستطع إدراكه بذاته الناقصة فشهد لله بالوحدانية والكمال).

✍ أي عقل يتحدث عنه أبوريان؟ آدم عندما خلقه الله حسب مفهوم القرآن، لم يكن له عقل، بل كان له دماغ فقط. العقل هو الفكر والتجارب التي نختزنها على مر السنين. وآدم لم يكن يعرف شيئاً ولذلك علّمه الله الأسماء. وحتى عقل آدم الضئيل في ذلك الوقت لم يشهد لله بالوحدانية بدليل أنه لم يستمع لما أمره به واستمع إلى ما قاله له إبليس وعصي ربه. العقل المعاصر المطلع لا يشهد لله بالوحدانية ولا يشهد حتى بوجوده. أنا أستطيع أن أؤكد لك أن عقلي لا يشهد لله بالوحدانية وكذلك لا يشهد له عقل استيفين هوكنز ولا عقل ريتشارد دوكنز ولا عقول كثير من قراء الحوار المتمدن.

- يقول السيد أبو حيان[†] في التعليق رقم 167:

(دعنا من كل الأنبياء والرسل والكتب السماوية وغير السماوية ، ولنرحل أنا وأنت في رحلة فكرية بسيطة في عالم الإنسان وجسده المعقد وكذلك التركيب الدقيق لهذا الكون الواسع الذي لانعلم منه إلا قطرة من بحر بل من محيط ، ولنبحر أيضاً في تلك اللا مرئيات والتي نعترف بها ونقر بوجودها رغم عدم رويتنا لها كالجاذبية والذبذبات والأكسجين ،وإن للأكسجين وحده لوقفة تستحق الأكبار كونه أتى من أجل كل كائن حي بل ربما غير الحي ، هذا التركيب وهذا النسق وهذا التوافق كتوافق الرجل والمراة والاتصال الذي ينتج عنه بقاء النوع ، هل كل هذا ليس له موجد أو خالق ؟؟؟سمه ماشئت إله ، رب ،خالق ، واجب الوجود ، علة العلل ، العقل الكلي ، الأول ،الآزل ، القديم ، ،المهم أنك تعترف في نهاية تفكيرك وبحثك بمكون لهذا التكوين وأنه لم ياتي هكذا صدفة رغم أن الصدفة ذاتها هي ذات لابد لها من مكون وموجد) انتهى.

[†] يبدو أن هنالك تداخل بين أبو ريان وأبو حيان! فهل هما نفس الشخص أم شخصان مختلفان؟

- أبو حيان هنا يتحدث عن موضوع ناقشناه من قبل وقلنا إن الجاذبية والكهرباء رغم أننا لا نراهما لكنا متأكدون من وجودهما لأننا نستطيع أن نقيسهما، ونرى مفعولهما في تجاربنا، بل نستطيع أن نصنّعهما في المختبر. ولكن هل نستطيع قياس أو مفعول الملائكة أو الجن أو الله؟ هناك فرق كبير بين **اللامرئيات الحقيقية مثل الجاذبية والكهرباء** وبين **اللامرئيات الأسطورية** مثل الخالق والجن. أما الصدفة فليست ذات وليس لها خالق. الصدفة عملية حسابية نستطيع أن نحسب احتمالات حدوثها بتطبيق قانون حسابي. فمثلاً إذا عرفنا عدد الذين اشتروا تذاكر يانصيب في أسبوع معين، نستطيع أن نحسب احتمال فوز أي مشتري بالجائزة. وهذا القانون أو formula اخترعها المتخصصون في الرياضيات. فليس هناك أي خالق للصدفة.
- يستمر أبو حيان فيقول في تعقيبه رقم 168:

> (ولما كانت العصور المتأخرة أستخدم الرب وسائل أخرى منها ،(**المؤمنين المجاهدين في سبيله** ،**إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ**)،،وليس الإرعابيين الذين نراهم اليوم من أندسوا بين جند الله وأنتحلوا شخصياتهم) فأعطاهم الرب الفرصة للفوز برضاه عن طريق الجهاد والقصاص ممن ينكرون فضله وربوبيته وألوهيته ، وهي أيضاً من وسائله ، لانك لونظرت إلى الجهاد وقتال الكفار والمعتدين لوجدته لم يصرح به في بداية الخلق البشري وكذلك في بداية البعثة النبوية لمحمد ، وبهذا أعطى الله المؤمنين الفرصة لينالوا رضاه والفوز بجنته وإحسانه على أن يكونوا يده التي تفتك بالخارجين عن سلطته ونظامه وقوانينه ،وبهذا أخذ القصاص الإلهي من الخارجين عن نظامه منحاً آخر بعد أن كان مقتصراً على الوسائل المسخرة الطبيعية المسيرة وذلك بمشاركة المُخير الحر (الإنسان)في هذا الأمر فهو الخليفة للرب) انتهى.

- أين هذا الإله الخرافي الذي استرجل على قوم لوط فخسف بهم الأرض، وعلى قوم ثمود وعاد وأهلكهم بالصيحة أو بالريح العاتية؟ لماذا أصبح الآن بعد أن انتشر العلم وعرفنا ضعفه، يشتري من المؤمنين أنفسهم ليقاتلوا في سبيله؟ أين ملائكته الذين كان يرسلهم في بدر وفي غيرها من المواقع لتهزم المشركين؟ هل انقرضت الملائكة ولم تعد قادرة على قتل الكفار؟ ثم أن هذا الإله يقول لنا إنه إذا أراد شيئاً فيقول له كن، فيكون، فلماذا لا يقول للكفار "موتوا" فيموتون، بدل أن يشتري من المؤمنين أنفسهم ليقتلوا الكفار؟ ثم لماذا يستأجر الله المؤمنين ليقتلوا الكافرين وهو كان قد قال لنا في قرآنه:

> {هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره. (فاطر 39)}.

وهذا يعني أن الكافر عليه كفره وسوف يحاسبه الله يوم القيامة، فلماذا يستأجر المؤمنين ليقتلوه ثم يحاسبه في الآخرة، وكل ذلك لأنه لم يسجد لهذا الرب الديكتاتور الظالم. ثم أن كلمة "خليفة" في اللغة العربية تعني الشخص الذي يخلف الحاكم أو المالك بعد موته كما خلف أبوبكر محمد. فلماذا يجعلنا الله خلائف في الأرض وهي أرضه، هل مات هو أو اختفى حتى نخلفه.

وإذا كان الله يقتل الخارجين عن سلطته بأيدي المؤمنين، لماذا لم يقتل إبليس الذي كان أول من خرج عن سلطته؟

- ثم يدخلنا السيد أبو حيان في سفسطة لا طائل من ورائها، فيقول عن آدم في تعليقه رقم 232:

> (إن الله أصطفى آدم...الخ) والإصطفاء لايكون إلا من بين مجموعة ؟؟؟!!!نعم ستتعجب لهذا وستقول أن هذا القول لم يقل به أحد ، وأنا أقول لك بل قال به المسعودي وبعضاً من الصحابة وقال به عبدالصبور شاهين وقال به الكثيرون من العقلاء ولكن لم يُسمع لقولهم لأنهم خالفوا أقوال المتقدمين من اصحاب الأديان التي لاتستند إلى دليل قوي من الكتاب أو من السنة أو العقل ، ومن هذه الفكرة يتضح لنا جلياً أن آدم كان نبياً على قومه الذي كان منهم ،ومن هذا القول نخرج بفكرة جديدة من نتايجها أن البشر وسلالتهم لم تأتي من أخوين كما يروج علماء الجهل لهذا ،لأن الله أعظم من أن يجعل مبداء التناسل من أخوين ، ولكي تستوعب الفكرة كاملة عليك بقراءة نظرية أسمها (آذان الأنعام)وأما الجنة فهي جنة سخرها الله لآدم فيها كل مايريده هو وزوجه ومن معه على الأرض .... نعم ومن معه فقد كانوا مجموعة وليس زوجان فقط كما يقال والدلايل في هذا والشواهد كثيرة ، كقوله تعالى ، أهبطوا منها جميعاً) انتهى.

- أولاً: الشخص الذي يحاور في موقع الحوار المتمدن عليه أن يعطينا المصادر التي أخذ عنها معلوماته، ويذكر لنا اسم الكتاب والصفحة وتاريخ طباعة الكتاب، ولا يكتفي بأن يقول لنا قد ذكره المسعودي أو عبد الصبور شاهين.

وثانياً: القرآن الذي يدافع عنه أبوريان يقول:

> {إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين. فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين. فسجد الملائكة كلهم أجمعون. إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين. قال يا إبليس ما منعك ألا تسجد لما خلقت بيديّ أستكبرت أم كنت من العالين. قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين. قال فاخرج منها إنك رجيم. ،ان عليك لعنتي إلى يوم الدين. (ص 71 - 78)}.

فالآية هنا واضحة وضوح الشمس، وهي تتحدث عن شخص واحد خلقه الله بيديه ونفخ فيه من روحه وأمر ملائكته أن تسجد له. ثم زادنا القرآن توكيداً، فقال:

> {وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى. فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى. إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى. وإنك لا تظمأ فيها ولا تضحى. فوسوس له الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى. (طه 116 - 120)}.

فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة، فهل هذه اللغة تعني أن آدم كان شعباً كاملاً وخاطبه ربه بصيغة المثنى؟ إذا كان الأمر كذلك **فإن رب القرآن حتماً يعاني من ضعف في اللغة العربية**، وإذا لم يكن الأمر كذلك، فإن المتسفسطين من أمثال المسعودي وعبد الصبور شاهين عليهم أن يخرصوا قبل أن تفقد اللغة العربية معانيها.

- وقد زاد السيد أبو حيان في امتهان عقولنا وعاملنا كما أننا باكستانيون أو هنود لا نفهم اللغة العربية، فقال في تعقيبه 233:

> (وقوله بدت لهما سوأتهما وسواتهما ليس مثنى بل جمع مثنى ، وقوله ،فأما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلاخوف عليهم ....الخ) وهذه تفيد الجمع ، وأريد هنا أن أشير إلى نقطة مهمة وهي أن آدم كان أسم جنس وفرد معاً وليس أسم فرد فقط كقولنا مثلاً الخيل، فهي للواحد وللمجموعة) انتهى.

- أهل النحو في اللغة العربية يقولون إن هناك جمع مذكر سالم، وجمع مؤنث سالم، وجمع تكسير ولم أسمع قط بجمع مثنى. وكلمة مثنى تعني اثنان، فكيف يكون للاثنين جمع؟ هل يعني السيد أبو ريان أن الاثنين تجمع فتصبح أربعة؟ وعندما قال القرآن:

> {فإما يأتينكم مني هدى}

كان رب القرآن يتحدث عن آدم وحواء وذريتهما بعد أن يتكاثروا.

أكتفي بهذا القدر في تعقيبي على السيد أبو ريان، وسوف أعقّب في المقال القادم على ردود السيد عصام التي بلغت شأواً من التلاعب بالألفاظ لم يسبقه عليه أحد.

2011 / 5 / 24

- قبل أن أرد على السيد عصام أود أن أعقّب على سؤال السيد أيمن في تعليقه رقم 148 الذي يقول فيه:

(لي فقط تعليق بسيط بخصوص البحرين. بالطبع كل ما ذكرته حضرتك صحيح لكن القرآن هنا يتكلم عن حالة خاصة وهي البحرين -دولة البحرين- حيث يوجد على الشريط الساحلي للبحرين ينابيع مياه عذبة تبع بإستمرار في مستوى اقل من مستوى مياه البحر. أي تنبع في البحر نفسه لذلك تكون المياه عند الشواطئ عذبة ويمكن الشرب منها وكلما تعمقت للداخل تزداد الملوحة تدريجياً. هذه الظاهرة قديمة جداً في البحرين ويعلمها كل العرب حتى من لم يسافر إليها ومحمد نفسه ارسل أحد صحابته للبحرين لتوصيل رسالته لكسرى كذلك لو أكملنا الآية سنجده يتكلم عن اللؤلؤ والمرجان والبحرين معروفة بإستخراج اللؤلؤ) انتهى.

- شكراً يا سيد أيمن على التعليق ولكن اسم البحرين اسم حديث لأنها في التاريخ القديم كان اسمها دلمون وقد كانت تحت الحكم الفارسي. أما كلمة "البحرين" فقد كان العرب يطلقونها على الجزء المعروف الآن بالقطيف في شرق المملكة العربية السعودية.[1]

أما مسألة المياه العذبة التي تنبع في البحر المالح فليست محصورة في البحرين فقط، وبما أن الكرة الأرضية كتلة واحدة ومتصلة بعضها ببعض تحت البحار، فإن المياه الجوفية قد تنبع في قاع البحار ولكنها بسرعة تختلط مع المياه المالحة. وبخصوص اللؤلؤ والمرجان فقد كان جميع سكان الشواطيء في الإمارات العربية والكويت والبحرين وقطر والقطيف وغيرها يصطادون اللؤلؤ من البحار. ولا أعلم حسب دراستي للتاريخ الإسلامي أن محمداً قد أرسل وفداً إلى البحرين، ولكن هذا لا ينفي أنه فعل. ولكن التراث يخبرنا أن عمر بن الخطاب أرسل أبا هريرة والياً على البحرين، ثم عزله بعد أن سرق أموال بيت المال.

بالنسبة للجلد والأعصاب وألم الحرق، فإن الطبقة السطحية من الجلد epidermis غنية جداً بالأعصاب، أما الطبقة الثانية وهي المعروفة ب dermis فليس بها أعصاب. وإذا احترقت الطبقة السطحية فقط فإن الألم يكون مبرحاً أثناء الحرق، وعندما يتوقف الحرق يزداد الألم أكثر لأن الهواء عندما يمر فوق تلك الأعصاب المحروقة يزيد من ذبذباتها الكهربائية فيزيد الألم، ويكون لون الجلد المحروق أحمرَ. أما إذا استمر الحرق لمدة أطول وحرق جميع الطبقة السطحية وبدأ في الطبقة التي تحتها فإن الألم في تلك المنطقة يختفي ويصبح لون الجلد أبيضاً وملمسه يصبح كجلد الحيوان المدبوغ leathery وإذا وخزت تلك المنطقة بدبوس أو إبرة فإن الشخص المحروق لا يحسها. والطبقة السطحية تحترق في أقل من ثانية ثم يمتد الحرق إلى العضلات والأجزاء الداخلية ثم إلى العظام. وهذا يبين لنا مدى سطحية تفكير مَن كتب القرآن لأن الله سوف يكون عليه أن يغيّر جلود كل البلايين من الناس في النار كل ثانيتين أو ثلاثة، وعندما ترتفع درجة حرارة الجسم الداخلية رغم تجديد الجلود فإن الدماغ يذوب ويموت الإنسان ولا يشعر بالألم فيصبح العذاب مضيعة للوقت. وكذلك فإن جميع إنزايمات Enzyme الجسم تعمل في درجة حرارة الجسم العادية وهي 37 درجة مئوية وإذا ارتفعت الحارة إلى 42 درجة تتوقف الإنزايمات عن العمل ويموت الإنسان. فما فائدة تغيير الجلود والإنسان ميت لا محالة. في الماضي القريب كان الحُجاج في مكة يموتون من ضربة الشمس لأن حرارة أجسامهم كانت تصل إلى 42 درجة مئوية أو تتعداها، وما زالت هناك بعض الحالات القليلة كل عام. أما الكفار في أوروبا فإنهم غير معتادين على الحرارة وعندما ترتفع درجة الحرارة في الصيف إلى 30 درجة مئوية يموت المئات منهم بسبب الحرارة. وبما أن هؤلاء الكفار البيض هم المرشحون إلى دخول جهنم (بالطبع مع كامل النجار) فإنهم سوف يموتون قبل أن يدخلوها لأن درجة الحرارة بالقرب منها سوف تفوق عشرات الدرجات المئوية.

- وأبدأ الآن مع السيد عصام الذي بلغت تعقيباته حوالي المئتين أو يزيد.
- ولنبدأ بتعليقه رقم 152 على السيدة نرمين، حين يقول لها:

(واضح جدا أن الأخت متخبطة، وأنا لم أطلب منها قراءة القرآن فقط. أنا طلبت منها أن تبحث عن أجوبة لأسئلتها في مكان غير هذا المكان. مَن يسأل عن الدين يذهب لفلاسفة الدين عزيزي وليس لخصوم الدين!! وهناك كتب من أناس فلاسفة متخصصون فيها إجابات أعتقد على أسئلة العزيزة نرمين) انتهى.

- السيد عصام لا يريد أن يعترف أن لكل قطعة نقدية وجهان يختلفان، فالذي يريد أن يدرس العملة عليه أن يتفحص الوجهين، وكذلك الذي يريد أن يدرس الإسلام عليه أن يتعرف على آراء المؤيدين والمعارضين بنفس القدر.

والسيدة نرمين يبدو لي أنها تعرف الآراء الإسلامية معرفة عميقة لا تختلف عن معرفة رجال الدين، ولذلك هي تدخل على مواقع الملحدين حتى تتعرف على آرائهم لأن الذي يحصر نفسه في المواقع الإسلامية لن يعرف نقد الإسلام،

والنقد، كما يقول ماركس، هو أساس التقدم.

ولعلم السيد عصام ليس هناك فلاسفة في الدين لأن الدين والفلسفة ضدان لا يجتمعان. **الفلسفة تبحث عن الحقيقة العقلية والدين ينشر الأساطير**. والفلاسفة القليلون في تاريخ الإسلام مثل ابن سينا والرازي فقد اتهموهم بالكفر والزندقة وحرقوا كتب بعضهم. فإن نصيحتي للسيدة نرمين هي ألا تسمع نصيحتك.

- في التعليق رقم 157 يقول السيد عصام:

(بالنسبة لعذاب الجاحدين فالله سبحانه وتعالى غير محدود وأفضاله ونعمه علينا غير محدودة وبالتالي الجحود به جريمة غير محدودة تستحق عقابا غير محدود هو النار) انتهى.

- لم أسمع من قبل أن كمية العقاب تعتمد على حجم الشيء أو الشخص الذي أُرتكبت ضده الجريمة. لأن الله غير محدود يكون عذابه غير محدود، ولكن القرآن يقول لنا:

{إن تكفروا فإن الله غني عنكم ولا يرضى لعباده الكفر. (الزمر 7)}

ويقول كذلك:

{ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا. (آل عمران 176)}.

فما دام كفرنا لن يضر الله شيئاً والله غني عنا، لماذا يعذبنا إن كفرنا به، أليس هذا انتقاماً لا مبرر له، ولذلك قال عن نفسه (المنتقم الجبار)؟ ولماذا فرض الله علينا أحكاماً مثل السن بالسن والعين بالعين، وقال إذا عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به. فلا بد أن نفهم من هذه الآيات أن العقاب يجب أن يكون مماثلاً للجريمة. وإذا افترضنا أن الله غير محدود وأنا كفرت به، فيجب أن يكون عقابي بطول مدة كفري به. فالإنسان يعيش في الغالب الأعم حوالي ثمانين عاماً، منها 15 أو 18 وهو طفل غير مكلف، وربما منها عشر سنوات وهو مصاب بالزاهيمر ولا يدري ما يفعل أو يقول، والقرآن نفسه يقول إن الله رد الإنسان إلى أرذل العمر كي لا يعلم من بعد علم شيئاً. فإذاً من الثمانين عاماً هناك 25 عاماً لا يُحاسب عليها الإنسان. فالإنسان الذي كفر بالله 55 عاماً يعذبه الله عذاباً أبدياً. أي عدل إلهي هذا خاصة أنه يقول لنا إن كفرنا لا يضره شيئاً.

- وفي نفس التعليق يقول لنا السيد عصام:

[1] تاريخ العرب ما قبل الإسلام، جواد علي.

(بالنسبة لآية الصابئون فكلا الوجهين صحيح، ينفع أن تكون صابئين وينفع أن تكون صابئون. قواعد النحو عزيزتي ظهرت بعد نزول القرآن الكريم وتغيرت وتطورت كثيرا على مر السنين في العقود الوسطى والقرآن الكريم نفسه كان من أهم المصادر التي اعتمد عليها النحويون في صناعة قواعد النحو) انتهى.

- طبعاً هذا التعليل لا أساس له من الصحة إطلاقاً. فالقرآن يقول لمحمد:

{فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً. (مريم 97)}.

ولسان محمد كان هو لسان الأعراب في البادية .ولهذا السبب كان الميسورون من أهل مكة يبعثون أولادهم إلى البادية ليتعلموا اللغة. وكل ما فعله النحويون أنهم حللوا كلام الأعراب واستخرجوا منه النحو .فالنحويون لم يخترعوا كلاماً عربياً جديداً. والنحو لم يتطور بعد سيبويه (الذي عاش في القرن الثاني للهجرة).

وأما قوله إن القرآن كان من أهم مصادر النحو، فقول غير صحيح. بل بالعكس كان المفسرون يستشهدون بالشعر الجاهلي على صحة كلمات النحو في القرآن.

وابن عباس كان يقول الشعر ديوان العرب، وقال للمسلمين الأوائل:

إذا التبس عليكم في القرآن شيء، ابحثوا عنه في الشعر.

فكون قواعد النحو أتت بعد القرآن لا يغيّر في النحو شيئاً لأن اللغة العربية كانت موجودة قبل القرآن. ولذلك الإدعاء أن الصابئين والصابئون كلاهما صحيح إنما هو نوع من الفهلوة والبهلوانية الحديثة.

- وفي تعليقه رقم 161 عن مرج البحرين يلتقيان، يقول السيد عصام:

(والعرب قبل نزول القرآن الكريم لم يذكروا في أدبياتهم هذه الظاهرة الطبيعية الفريدة. كما أن ذهاب الرسول إلى الشام قبل نزول القرآن الكريم لا يمكن أن يكون قد عرفه على ظاهرة مرج البحرين. فأدبيات الشوام قبل نزول القرآن الكريم لا تذكر مثل هذه الظاهرة ولا المخطوطة السينائية تذكرها) انتهى.

- عصام يلقي الكلام على عواهنه كأنه معلم في مدرسة ابتدائية يتحدث إلى أطفال. يقول إن العرب قبل نزول القرآن لم يذكروا في أدبياتهم هذه الظاهرة. أي أدبيات يتحدث عنها قبل نزول القرآن؟ هل ترك لنا عرب ما قبل الإسلام الأميون أي أدبيات مكتوبة نرجع إليها؟ وهل عرب البادية في صحراء الحجاز كانوا يعرفون البحر حتى يتحدثوا عنه في أدبياتهم؟ أما بالنسبة للشام فقد كانت قبل الإسلام عاصمة الإمبراطورية الرومانية، وقبلها كانت الإمبراطورية اليونانية. فهل كان يهم الرومان مرج البحرين وخلق برزخ بينهما حتى يتركوا لنا أثراً في أدبياتهم عنه. الرومان كان يهمهم أن يكون البحر قريباً من تجمعاتهم حتى يستطيعوا استعمال سفنهم في التجارة وفي الحروب. أما بيزنطة اليونانية التي شغلها مثل هذا الجدل العقيم فقد انهارت تحت وطأة الرومان. محمد سافر إلى غزة وسيناء وربما وصل شرم الشيخ ورأى ملتقى خليج السويس مع خليج العقبة، حسب ما يقول بعض المؤرخين، فجاء بقصة **مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان**. ولم أفهم ما يقصده السيد عصام بالمخطوطات السينائية. هل يقصد المخطوطات التي أُكتشفت في كهوف البحر الميت؟ هذه المخطوطات تتحدث في أغلبها عن التوراة والإنجيل ولا دخل لها بمرج البحرين.

- وقد دهشت لقول الأستاذ عصام في نفس التعليق:

(تبديل الجلود حتى يشعر الجاحد بالعذاب دليل على أن مؤلف القرآن الكريم (وهو الله سبحانه وتعالى) يعلم أن الجلد مسئول عن الاحساس. هذا لم يكن معروفا للعرب وقتها) انتهى.

- يا سيد عصام الإنسان اكتشف النار قبل أكثر من 400 ألف سنة، ربما عندما ضرب البرق غابة واشتعلت بها النيران. ومن وقتها تعلم الإنسان كيف يشوي اللحم في النار، ولا بد أن عدداً كبيراً منهم حرقته النار. وعرب ما قبل الإسلام، أي قبل حوالي 1500 سنة كانوا يعرفون كل شيء عن النار وعن آلام الحريق، وكانوا يعالجون المحروق ببعض الأعشاب. وماذا عن جيرانهم الفرس الذين كانوا يعبدون النار لمعرفتهم بفوائدها وأضرارها؟ فلا تبخس الناس علمهم. وأرجو أن تخفف من توكيدك لما تقول وكأنه حقائق علمية مثبتة بينما هو ضرب من الفهلوة.

- وفي التعليق رقو 172 يقول السيد عصام:

(8. الشعوب المتقدمة تقدمت لأنها أخذت بالأسباب والقرآن الكريم وضح لنا ما هي الأسباب من طلب للعلم والعمل الجاد وقد كنا متقدمين منذ قرون عندما أخذنا بالأسباب وتأخرنا الآن بعد أن تركنا الأسباب وبسبب ظروف أخرى خارجية منها الاستعمار مثلا الذي نهب ثروات بلادنا وأهان البلاد والعباد) انتهى.

- كلام إنشائي عائم. في أي آية وضَّح لنا القرآن أن الأسباب هي طلب العلم والعمل الجاد؟ وهل كان في زمن محمد أي عمل غير الغزوات والصلاة؟ **حتى سيوفهم التي حاربوا بها صنعها لهم اليهود.**

والأعراب في زمن محمد كانوا يحتقرون الأعمال اليدوية، وما زالوا.

- وما أسهل أن نعلق مشاكلنا وتخلفنا على شماعة الاستعمار. أمريكا كانت مستعمرة إنـگليزية، وكذلك الهند. واليابان كانت مستعمرة أمريكية، وكوريا الجنوبية كانت مستعمرة يابانية، والفلبين كانت مستعمرة هولندية ثم أمريكية. فهل منعهم تاريخهم من التقدم؟

نحن لم يمنعنا من التقدم غير ذلك الدين الصحراوي الذي يضطهد المرأة ويعيش على أمنيات الآخرة واحتقار الحياة الدنيا. والقرآن عندما قال (أعملوا فسوف يرى الله أعمالكم والمؤمنون) إنما كان يقصد الصلاة والزكاة والغزوات إذ لم يعرف العرب وقتها أي عمل آخر.

- وفي التعليق رقم 173 يفاجئنا السيد عصام باكتشاف جديد يفوق اكتشاف الجاذبية إذ يقول:

(بالنسبة للجنة عزيزي، ففي الجنة ستنتفي صفات الذكورة والأنوثة ونصبح جنسا واحدا، والحور العين والغلمان المخلدون ليسوا للجماع بل للخدمة والاقتران. أما عن القصور وأنهار العسل فلا أعلم أين المشكلة؟ تذكر عزيزي أننا من روح وجسد ومثلما والجسد يحتاج إلى غذاء مثلما الروح تحتاج إلى غذاء كذلك) انتهى.

- ما هذا الهراء يا عصام؟ هل سوف يفتح الله مطعماً به نادلات في منتهى الجمال وعاريات الصدور، وصبيان مخلدون ليقدموا للمؤمنين الطعام والشراب فقط؟

مَن أخبرك أن بنات الحور لسن للجماع؟ هل لديك اتصال بالسماء أم أخبرتك آيات القرآن بذلك؟ وإذا أخبرك القرآن بذلك نرجو أن تذكر لنا الآيات التي اعتمدت عليها. **كفى حذلقةً وإفكاً على الناس**. القرآن يقول: {**وزوجناهم بحور عين**} فهل الأزواج لسن للجماع؟ وإذا لم تكن بنات الحور للجماع، قد يكون البدل هم الغلمان المخلدون الذين إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً. وما هو غذاء الروح في الجنة؟ المؤمن في الجنة لا يحتاج أن يعبد الله لأنه عَبَده في الدنيا فأدخله الله الجنة. فماذا يفعل المؤمن في الجنة بعد أن يأكل الفواكه ويشرب اللبن ويغطس في أنهار الخمر ويسكر ثم يخرج من النهر ويجد اثنين وسبعين حورية أمامه، هل يؤمهن في صلاة جماعة أم يرجع إلى المطعم في انتظار الخدمة؟ **هل تفسرون القرآن بالتخمين؟**

- وفي التعليق رقم 174 تزيد اكتشافات السيد عصام فيقول:

(والشخص غير المؤمن هو من اختار عدم الإيمان بإرادته الحرة. والله سبحانه وتعالى لا يأمر المؤمن بقتل غير المؤمن بل أعطى كل شخص الحرية المطلقة في الإيمان بما يريد وفوق هذا فإن قتل أي إنسان بدون وجه قتل هو مثل قتل الناس جميعا. أما الأنبياء فلم يظهروا فقط في الشرق الأوسط بل كل المجتمعات القديمة من اليابان إلى الصين إلى الهند إلى أوروبا إلى إفريقيا إلى الأمريكتين عرفت رسلا) انتهى.

✍ أي إرادة يا سيد عصام والقرآن يقول لنا:

{فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا. (الأنعام 125)}.
{وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون. (يونس 100)}.
{من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا. (الكهف 17)}.
{ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء. (النحل 93)}.
{ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً. (المائدة 41)}.

فهل الإيمان هنا بالإرادة الحرة؟ وإذا لم تكف هذه الآيات لتبين لك أن الإنسان المسلم مسلوب الإرادة، استمع إلى محمد نفسه يقول:

{وأمرت أن أكون من المؤمنين. (يونس 104)}.

فمحمد نفسه أمره الله أن يكون من المؤمنين. وكذلك يقول:

{إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد}.

فالقرآن مفروض عليه فرضاً. فأين الإرادة الحرة؟ أما الآية التي تقول إن قتل الإنسان كقتل الناس جميعاً فهي آية كُتبت في التوراة لبني إسرائيل، كما يقول القرآن:

{ومن أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا}.

أما في القرآن فقد كتب للمؤمنين:

{اقتلوهم حيث ثقفتموهم}.

أما قولك إن الأنبياء لم يظهروا فقط في الشرق الأوسط بل في كل المجتمعات القديمة من اليابان إلى الصين إلى الهند إلى أوروبا إلى أفريقيا إلى الأمريكتين، فقول مضحك للغاية. هل يمكنك أن تذكر لنا اسم أي نبي ظهر في أفريقيا التي أهملها الله وهمشها مع أنها أصل نشوء الإنسان؟ بل زاد على التهميش أن جعل أهلها عبيداً وقال عن القصاص:

{العبد بالعبد والحر وبالحر والأنثى بالأنثى}.

فحتى في القصاص لا يساوي إله الإسلام بين البدوي والأفريقي الأسود. أما الصين واليابان فهم يدينون بالبوذية التي لا تعترف بخالق للكون. وأهل البلد أنفسهم لم يزعموا يوماً أن الله أرسل لهم نبياً. **فهل أصبحتَ المتحدث الرسمي باسم الصينيين واليابانيين؟** لأن القرآن يقول:

{وأرسلنا في كل أمة رسولا}

لا يعني أن تكون مؤرخاً يمتهن الخداع ويطلق تصريحات يخجل منها حتى السياسيين المعروفين بالكذب والنفاق.

- في تعليقه رقم 182 يُظهر لنا السيد عصام انفصام شخصية الإسلاميين، فهو يقول في كل ردوده للسيدة نرمين أن الأحاديث والسنة والتفاسير أتت متأخرة جداً عن القرآن ولا يُعتد بها، ولكنه في هذا التعقيب عن مكر الله يقول:

(هذا معنى المكر في الآية الكريمة من لسان العرب: قال أَهل العلم بالتأْويل: المكر من الله تعالى جزاء سُمي باسم مكر المُجازَى كما قال تعالى: وجزاء سيئة سيئة منها، فالثانية ليست بسيئة في الحقيقة ولكنها سميت سيئة لازدواج الكلام، وكذلك قوله تعالى: فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه، فالأول ظلم والثاني ليس بظلم ولكنه سمي باسم الذنب ليُعلم أنه عِقاب عليه وجزاءٌ به) انتهى.

✍ فهنا يأخذ السيد عصام بأقوال أهل العلم بالتأويل، ولكن عندما يحاول الخروج عن آرائهم ويأتي لنا بتأويل من موقع أهل القرآن، يقول إن التفاسير والتأويلات القديمة لا يُعتد بها.

- ولنعطيك مثالاً على مراوغة السيد عصام، إقرأ تعقيبه رقم 195:

(أولا ليس كل ما تعلمناه بالمدارس صحيحا. ثانيا ما يسمى بحروب الردة وردت في مصادر متأخرة جدا عن العصر المفترض أن تكون قد حدثت فيه لهذا هي غالبا أسطورة. ثالثا حتى لو حدثت حروب الردة هذه فالإسلام شئ وأفعال المسلمين شئ آخر فليس كل من قال أنا مسلم يطبق تعاليم الإسلام حقا) انتهى.

✍ فحروب الردة لأنها تثبت أن الإسلام فُرض بالسيف على عرب الجزيرة، أصبحت أسطورة لأنها وردت في مصادر متأخرة جداً. ولكن لا مانع من استعمال هذه المصادر المتأخرة إذا كانت تسمح للسيد عصام بالالتفاف حول مكر الله. والإسلاميون دائماً يقولون لنا، عندما تغلبهم الحجة، «**إن الإسلام شيء والمسلمون شيء آخر**»، فهم لا يطبقون الإسلام الصحيح. فإذا كان أبوبكر لم يطبق الإسلام الصحيح، فمَن هو الذي يمكن أن يطبق الإسلام الصحيح؟ هل شيوخ الأزهر يطبقون الإسلام الصحيح، وهل ملالي قُم وطهران يطبقون الإسلام الصحيح، وهل طالبان يطبقون الإسلام الصحيح؟ وإذا كان كل هؤلاء لا يطبقون الإسلام الصحيح وينضمون إلى خليفتهم أبي بكر، فيجب أن نضع الإسلام في المتحف لأنه دين انقرض بعد محمد مباشرة ولم يطبقه خليفته وصديقه ورفيق هجرته تطبيقاً صحيحاً.

- في تعقيبه رقم 196 على السيدة نرمين بخصوص قرآن الشيعة، يقول:

(لا توجد طائفة شيعية واحدة تتعبد بهاتين السورتين. لقد قرأت هاتين السورتين وهما فعلا على وزن القرآن الكريم ولكنهما ركيكتين لغويا جدا) انتهى.

✍ سورة الحفد التي يقول عنها السيد عصام إنها ركيكة لغوياً، تقول:

{اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثني عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكفار ملحق}.

وإليكم هذه الآيات من القرآن:

{أفمن هذا الحديث تعجبون. وتضحكون ولا تبكون. وأنتم سامدون. (النجم 59 - 61)}.

فهل سورة الحفد أكثر ركاكة من هذه الآيات؟

بهذا القدر أكتفي الآن، ولكن لأن السيد عصام كان قد احتكر كل التعليقات فزادت ردوده على المائتين، فربما أفرد له مقالاً آخراً.

عودة إلى الفهرس

2011 / 6 / 3

252 - الإسلاميون وتعاملهم مع النقد

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=261686

لا أظنه يُخفى على أحد *طريقة تعامل الإسلاميين مع من ينتقدهم أو ينتقد معتقداتهم البالية، فهم دائماً يسعون إلى تسفيه شخص الكاتب واتهامه بالجهل والكذب*. ثم يبحثون في صحفهم عن شيء قاله شخص ما يدحض به نظريات أو أقوال يعترف بها غالبية العلماء، مثل ما فعلوا مع نظرية التطور المشهورة والمعترف بها عالمياً، عندما هللوا وكبروا ونشروا أقوال حفنة ضئيلة من العلماء الأمريكان المتدينين الذين يحاولون تكذيب النظرية لأنها تتعارض مع قصة الخلق الدينية. ولكنهم في الغالب الأعم يذكرون في مقالاتهم، دون وعي منهم، مقتطفات تُثبت عكس ما يؤمنون به.

وكمثال لما أقوله سوف استعرض هنا نقداً لكاتب إسلامي يُدعى حسام الدين، نشره في موقع "التوحيد" يرد به على بعض مقالاتي.

- عنوان مقال السيد حسام الدين ‹سُخْفٌ غير مضحك›، ويقول فيه:

(كلام المتعالم مثيرٌ للضحك دافعٌ للغمّ ، وهذا معروفٌ لمن جرّبه ، فإن وُضِعَ على هذا التعالم طبقةٌ من الألفاظ الرنانة و المصادر العلمية ، و صار هذا التعالم موجّهًا للتهجم على الثوابت جرأةً و افتراءً ، فإنه - بتلك الطبقة و هذا التوجه - يصير التعالم سُخْفًا غير مضحك) انتهى.

- فهو هنا يتبع القاعدة الإسلامية المعروفة – اتهام الكاتب بالجهل والتعالم – لأنه يستعمل حقه في النقد، وذلك تهجم على "الثوابت" في عرفهم، وعليه يكون ذلك النقد جرأةً وافتراءً. وإذا ذكر الكاتب مراجعه في البحث، وفي الغالب الأعم تكون تلك المراجع باللغة الانـﮕليزية، لأن المراجع العربية التي تنتقد الإسلام تكاد تكون معدومة، يصبح ذلك التعالم "سخفاً غير مضحك"، كما يقول الكاتب.

- ثم يزيدنا السيد حسام الدين علماً عندما يتحدث عن أشياء لا يعرف عنها شيئاً، كقوله:

(و لا أضرّ على المتعالم من ثناءٍ على علمه، فإن الثناء يعمل في المتعالم كعمل الشتاء البارد في البروستاتا المتضخمة !! و لذا كان من الرحمة بالمتعالم الوقوف به عند حده) انتهى.

- ورغم أني طبيب متعالم، أحب أن انصح السيد حسام الدين بأن لا يكتب عما لا يعلم، فالشتاء لا يفعل شيئاً بالبروستاتة المتضخمة. كل ما يفعله الشتاء بصاحب البروستاتة المتضخمة أنه يقلل من تبخر الماء من جسم المريض عن طريق الجلد لأن الإنسان لا يعرق بكثرة في الشتاء، فتقوم الكلى بالتخلص من ذلك الماء الزائد بإفراز كميات أكبر من البول، فيضطر صاحب البروستاتة المتضخمة للتبول مرات عديدة تفوق عدد المرات التي كان معتاداً عليها في الصيف. فالبرد بحد ذاته لا يفعل شيئاً بالبروستاتة، بل بالعكس قد يستعمل الجراحون البرودة في إزالة البروستاتة، وهو ما يسمونه .cryosurgery فالكلام عن البروستاتة لم يرد في أحاديث أبي هريرة ولا في القرآن. وكما يقول المثل الشعبي المصري "**مد رجليك على قدر لحافك**."

- ثم زعم السيد حسام الدين أني كررت جملة "الطبيعة تكره الفراغ" عدة مرات في فقرة واحدة وترجمتها إلى اللغة الانـﮕليزية، وهذا ما أثار حفيظته، فقال:

(فكذلك الملحد .. يعرف جملة واحدة .. فيلوكها بلسانه كما تلوك الأنعام غذاءها .. و يديرها في فمه .. و يكررها و يجترها و يعيد صياغتها و يترجمها إن استطاع .. فتكون الجملةُ جُمَلًا .. و الحبة قبة .. و النملة فيلًا .. و الجهول عالمًا .. و أعمى القلب متأمِّلًا .. و الحقود ناقدًا .. و الرويبضة متكلمًا .. و إنا لله و إنا إليه راجعون) انتهى.

- أرجو أن يتعلم القاريء من هذا الاسلوب المهذب والبلاغة النادرة التي استوحاها الكاتب من القرآن الذي وصف الذين لم يتبعوا محمداً بأنهم {**كالأنعام بل أضل سبيلا**}. والسيد حسام الذي أعاب عليّ تكرار جملة واحدة، قد أتحفنا بمترادفات سبع تفيد نفس الشيء، وهو تكرار الجملة. ولكن السيد حسام نسي أن ربه يكرر نفس الجملة أو الكلمة في نفس الآية أو نفس السورة تكراراً يفوق عدد مترادفات السيد حسام الدين في الفقرة السابقة.

فنقرأ مثلاً:

{**قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم ولي دين**}.

ثم نقرأ:

{**وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني.** (المائدة 110)}.

ثم أنصح السيد حسام الدين بقراءة سورة الرحمن ويحسب لنا كم مرة كرر ربه جملة {**فبأي آلاء ربكما تكذبان**}. فهل بعد كل هذا التكرار أصبح إله حسام الدين ككامل النجار يجتر ما لاكه ثم يديره في فمه ثم يعلكه مرة أخرى؟ أم هل أصبح إلهاً رويبضةً؟

- ثم يتحفنا السيد حسام الدين بإحدى درره النادرة، فيقول:

(في علم البلاغة يتكلمون عن شيء اسمه براعة الاستهلال، و هي أن يفتتح المتحدث كلامه بما يمهد الطريق لموضوعه، لكن الكاتب افتتح كلامه بما يقلب عليه و على موضوعه ظهر المجن، فكانت منه براعة لكنها ليست في الاستهلال بل في غيره) انتهى.

- وهذا الكلام صحيح ولا اعتراض عليه، ولكن نرجو من السيد حسام الدين **أن يبين لنا براعة الاستهلال في سور القرآن** التي تزيد على العشرين والتي يستهلها ربه بحروف مثل **كهيعص**، أو **الم** أو **طه**. فهل مهد ربه الطريق إلى ما يريد أن يقوله في السورة عندما استهلها بمثل هذه الحروف؟

- وعندما يحاول الإسلاميون الاستدلال بأقوال بعض العلماء، يأتون بالترجمة العربية التي غالباً ما تكون خاطئة أو محرفة، اعتماداً على مَن ترجمها لهم، فهو مثلاً، يقول نقلاً عن ديورانت:

(و قال هندي من قبيلة " أبيبون " ما عساه أن يحير عالمًا من علماء الميتافيزيقا ، إذ قال في لهجة كونفوشية : " إن آباءنا و أجدادنا كانت تعنيهم هذه الأرض وحدها لا يرجون شيئًا " سوى أن ينبت لهم السهل كلأً و يفجر لهم ماء لتطعم جيادهم و تشرب ، إنهم لم يشغلوا أنفسهم أبدًا بما كان يجري في السماء ، و بمن ذا عسى أن يكون خالق النجوم و حاكمها .و لما كان الإسكيمو يسألون من ذا صنع السماوات و الأرض كانوا يجيبون دائمًا بقولهم " لسنا ندري ")) " قصة الحضارة 1- 98) انتهى.

- ولعلم السيد حسام الدين فإن الكنفوشيوسية ليست لهجةً، وإنما هي ديانة سُميت على اسم من أتى بها، وهو كونفوشيوس. ثم أن الكنفوشيوسية لم تكن في الهند وإنما في الصين. وإذا حدث أن قال هندي بهذا القول لديورانت، فهذا لا يعني أن القدماء لم يهتموا بالسؤال عن من خلقهم وخلق عالمهم الذي يعيشون فيه. فأهل بلاد ما بين النهرين من السومريين والآكاديين وغيرهم، شغلتهم هذه الأسئلة وأتوا بعدة أساطير تفسرها. وقدماء المصريين فعلوا نفس الشيء. والقبائل العديدة في أفريقيا وأمريكا اللاتينية

شغلتهم هذه الأسئلة وأتوا بأساطيرهم العديدة لتفسيرها. فكون هندي واحد قال لديورانت ذلك القول لا ينفي الحقيقة التي ذكرتها في مقالي عن الدين وأساطير الأولين.

وما يهمني في مقال السيد حسام الدين المليء بالمهاترات هو مفهوم الإسلام للنقد عندما يأتي في شكل سؤال.

- يقول السيد حسام الدين، بالإنابة عن المسلمين:

(ففي ديننا الإسلام ..
من سُئل عمّا لا يدري يقول: " لا أدري " و يحرم عليه الكذب..
و في ديننا الإسلام..
من سأل عما لا يفيد فقد وقع في مكروه كراهة تنزيه أو تحريم..
و في ديننا الإسلام..
من حاول الكلام فيما لا تدركه العقول فقد وقع في مكروه أو محرم) انتهى

✍ هل سمع السيد حسام الدين في أي من القنوات الفضائية في البلاد العربية شيخاً سُئل عن شيء في الدين أو علم الفلك أو الكيمياء أو نظرية التطور، أو حتى نظرية النسبية لأينشتاين، التي لا يفهمها إلا قليل من علماء الفيزياء، **يقول "لا أدري"** لان الكذب محرمٌ عليه؟

وانظروا إلى مفهوم الإسلام عن السؤال: "من سأل عما لا يفيد فقد وقع في مكروه". الإنسان يسأل عن الأشياء التي لا يفهمهما، أو يريد إيضاحاً أكثر حتى يتسنى له فهمها فهما كاملاً. فكيف يعرف السائل مقدماً أن ما يسأل عنه لا يفيد؟ وهل هناك شيء من العلم لا يفيد؟ أم أن السيد حسام الدين عمل بدعاء نبيه محمد الذي يقول: [**اللهم قنا شر علم لا ينفع**]؟

وإذا كان عقل السيد حسام الدين لا يدرك بعض الأشياء، كما هي عقول شيوخ الإسلام، فإن عقول بعض الناس تدرك كل ما حولها وتريد المزيد من العلم والبحث عن الغائب عنها من العلم. فالقاعدة التي أتى بها السيد حسام الدين من **أمهات الكتب الصفراء** تمنع الكلام في الميتافيزيقية مثل الملائكة والجن ووجود إله في السماء، لأن شيوخ السلف كانوا، وما زال شيوخ اليوم، يعتقدون إن الميتافيزيقية لا تدركها العقول.

ولهذا السبب كفّروا وقتلوا الفلاسفة الذين تجرأوا وكتبوا عما لا تدركه عقول الشيوخ. فبالنسبة للإسلام، السؤال يقود إلى الشك، والشك يقود إلى الإلحاد.
ولذلك حرّموا السؤال: {يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبد لكم تسؤكم}

وحتى يدعم السيد حسام الدين موقفه من منع السؤال استدل بأقوال الشيخ المالكي أبوالقاسم بن فيرة الشاطبي الذي وُلد وتربى في مدينة الشاطبة بالقرب من قرطبة في الأندلس، التي يقولون عنها إنها كانت منبع العلم الحديث، وانتشر منها العلم إلى أوروبا. فماذا يقول الإمام الشاطبي الذي ما زالت المدارس والمعاهد في البلاد الإسلامية تحمل اسمه، مثل مدرسة الإمام الشاطبي لتحفيظ القرآن بدومة الجندل، ومعهد الإمام الشاطبي بالمغرب. يقول العسقلاني عن الشاطبي في محاولة شرح صفة "ابن فيرة" التي ترد في اسمه، وتعني "الحديد" في لغة أهل الأندلس الأصليين:

(احتمال أن يكون إشارة إلى قوة المسمى في الدين وشدة بأسه على الأعداء المارقين، وكثرة نفعه للموحدين).

- ونلاحظ هنا التركيز على شدة بأسه على الأعداء المارقين الذين يسألون الأسئلة المكروهة. يقول هذا الشاطبي، حسبما أورده السيد حسام الدين:

(لكراهية السؤال مواضع نذكر منها عشرة مواضع:
أحدها : السؤال عما لا ينفع في الدين ، كسؤال عبد الله بن حذافة " من أبي ؟.. "
و ثانيها : أن يسأل بعدما بلغ من العلم حاجته ؛ كما سأل الرجل عن الحج " أكل عام ؟؟ " مع أن قوله تعالى " و لله على الناس حج البيت " قاض بظاهره أنه للأبد لإطلاقه ، و مثله سؤال بني إسرائيل بعد قوله " إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة"
و ثالثها : السؤال من غير احتياج إليه في الوقت ، و كأن هذا – و الله أعلم – خاص بما لم ينزل فيه حكم ، و عليه يدل قوله " ذروني ما تركتكم " ، و قوله " و سكت عن أشياء رحمة بكم لا عن نسيان فلا تبحثوا عنها "
و رابعها : أن يسأل عن صعاب المسائل و شرارها كما جاء في النهي عن الأغلوطات..
و خامسها : أن يسأل عن علة الحكم و هو من قبيل التعبدات أو السائل ممن لا يليق به هذا السؤال كما في حديث قضاء الصوم دون الصلاة.
و سادسها : أن يبلغ بالسؤال إلى حد التكلف و التعمق ، و على ذلك يدل قوله تعالى " قل ما أسألكم عليه من أجر و ما أنا من المتكلفين..."
و سابعها : أن يظهر من السؤال معارضة الكتاب و السنة بالرأي..
و ثامنها : السؤال عن المتشابهات و على ذلك يدل قوله تعالى " فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه. "
و تاسعها : السؤال عما شجر بين السلف الصالح..
و عاشرها : سؤال التعنت و الإفحام و طلب الغلبة في الخصام) " الموافقات : 4- 265 فما بعدها) انتهى

✍

- **فحتى سؤال بسيط** مثل "مَن أبي" في بلاد يمنع فيها الإسلام التبني، وتمتليء بأطفال الشوارع، **يكون سؤالاً مكروهاً لأنه ليس سؤالاً في الدين،** كما تقول قاعدة الشاطبي الأولى.
- أما بنو إسرائيل الذين قال لهم موسى في رواية القرآن غير المدعومة بأقوال التوراة، عندما قال لهم: {**إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة**}، وكما نعلم فإن بني إسرائيل كانوا اثنتي عشرة قبيلة، بعض أفرادها كانوا يملكون الأبقار، وعندما أتاهم موسى بذلك الطلب، كانوا يريدون أن يعرفوا وصف تلك البقرة حتى يعلموا لمَن هي، وأين يجدونها. ولكن الإمام الشاطبي، ومعه السيد حسام الدين، **لم يعجبهم هذا السؤال. فكان الواجب على بني إسرائيل أن يمسكوا بأول بقرة تصادفهم ويذبحوها رضاءً لله، فإن اعترض مالكها فالويل له من الله.**
- **أما السؤال عن أشياء لم يذكرها القرآن، فهذا كفر حسب القاعدة الرابعة للشاطبي، لأن الله قد سكت عنها رحمةً بالعباد.** فالقرآن لم يذكر حد شارب الخمر، ومحمد لم يصرح به في واحد من تلك الأحاديث المنسوبة له، ومع ذلك لا يحق للمسلم أن يسأل عنه لأن القرآن سكت عنه رحمة بالمسلمين.
- وحسب القاعدة الرابعة، **فإن الذي يسأل عن مسألة صعبه،** مثل لماذا طلب الله من الملائكة أن تسجد لآدم، **فمثل هذا السائل جزاؤه جهنم.**
- والذي يسأل عن علة الحكم، مثل لماذا سمل محمد عيون العرنانيين الذي سرقوا إبله، ثم قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وتركهم في الشمس حتى ماتوا، **فالسائل هنا يرتكب إثماً لا يغفره الله،** حسب القاعدة الخامسة.
- أما إذا **سألت عن شيء يعارض الكتاب والسنة،** كأن تسأل كيف استطاع البراق النبوي أن يصل السماء السابعة ويرجع في نفس الليلة بمحمد سالماً معافى لم يؤثر به انعدام الأوكسجين خارج الغلاف الجوي، ولم يحرقه الاحتكاك بالغلاف الجوي كما يحرق كل الأجسام الصلبة من نيازك وغيرها، **فهذا سؤال يخرج المسلم من الملة،** كما تقول القاعدة السابعة.

- أما الذي **يجرؤ على السؤال عن قتال الصحابة أو خيانة نسائهم لهم في المدينة، أو عن زوجات محمد ومؤامراتهن عليه، فلا شك يستحق الخلود في نار جهنم،** كما تقول القاعدة التاسعة، *لأن الصحابة منزهين وكلهم عدول*، رغم أن ابن عباس سرق بيت مال البصرة، وأبا هريرة سرق بيت مال البحرين.

فالقاعدة الرئيسية في الإسلام: لا تسأل، واتبع ما يخبرك به الشيوخ. ومع ذلك لا يمل الإسلاميون من ترديد مقولة: «إن الإسلام يحترم العقل» – بشرط ألا يفكر ذلك العقل ولا يسأل.

- ثم يلخص لنا السيد حسام الدين الموضوع عن السؤال بقوله:

(فتلك مواضع يكره فيها السؤال و ستظل فراغًا ورغم ذلك نهينا في ديننا الإسلام عن ملء الفراغ بالهراء أو بالأساطير أو بالتفيهق أو بما فعل الكاتب).

✍ ويحضرني هنا المثل العربي الشهير "**شهاب الدين أضرط من أخيه**"

وهذا هو الموقع لمن أراد أن يستزيد علماً:

http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?t=14346

عودة إلى الفهرس

251 - ختان الذكور في الماضي والحاضر

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=260860

نزولاً عند رغبة القارئة السيدة إنانا فقد رأيت أن أتحدث عن ختان الذكور في الأديان (اليهودية والإسلام) وفي التاريخ القديم الذي نملك عليه دليلاً. وسوف أتحدث كذلك عن كيفية الختان وأضراره وفوائده المزعومة. فقد سبقت عملية ختان الذكور الديانة اليهودية بعدة قرون. ولدينا شواهد تاريخية موثقة عن إجراء ختان الذكور في سوريا في القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد، وفي مصر في القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد،

> فقد رُوي عن هيرودوت أنه سأل الفينيقيين والسوريين عن عادة الختان فقالوا: إنهم أخذوها من المصريين، وإن المصريين يمارسون الختان حفظاً على النظافة، فالنظافة عندهم أهم من الجمال.[1]

فيبدو أن قدماء المصريين كانوا أول من مارس ختان الذكور، **ولأسباب غير دينية**. وربما يكون السومريون أو الأكاديون أو غيرهم من أهل بلاد مابين الرافدين قد مارسوا ختان الذكور، ولكننا لا نملك أي شواهد تاريخية على ذلك. وإن كانت مثل هذه الشواهد موجودة فإني غير مطلع عليها.
بالنسبة إلى قدماء المصريين فهناك صور منحوتة على جدران مقابر الأسرة السادسة (2345- 2181 قبل الميلاد) تبين صبياناً أثناء عملية الختان. وهناك كذلك مخطوطة باسم شخص يُدعى اوها Uha يقص فيها مناسبة ختانه مع مجموعة من الصبيان.
وفي أفريقيا جنوب خط الإستواء، وخاصة فيما يُعرف الآن بكينيا والنيجر ونيجريا والكونغو، فإن القبائل الأفريقية دأبت منذ قبل التاريخ على ختان الصبيان عندما يبلغون سن الرشد. وكانت العملية، وما زالت تُجرى على مجموعة من الصبيان البالغين لتعريف القبيلة أن هؤلاء الصبيان قد شبوا عن الطوق وأصبحوا مقاتلين أشداء. ويُسمي علماء الاجتماع هذه الظاهرة Rites of passage أي *طقوس الانتقال من مرحلة إلى أخرى*. وقد ذكر السيد نيلسون مانديلا حفلة ختانه مع أنداده من القبيلة في كتابه الأول:

> a long walk to freedom.

وهناك مَن يعتقد أن بعض المجتمعات البدائية التي كانت تذبح بعض أطفالها سنوياً قرباناً للآلهة قد استبدلت تلك العادة بالختان الذي كان يُجرى في المعابد كنوع من إراقة الدم عند قدمي الإله . وقبل قدوم الإسكندر الأكبر إلى الشرق الأوسط كانت عادة ختان الذكور منتشرة بكثرة في سوريا وبقية الهلال الخصيب، *ولكن الإغريق عموماً، والإسكندر الأكبر خصوصاً، كانوا يكرهون الختان، وقد أدى وجودهم في الشرق إلى اضمحلال تلك الممارسة*. وقد ذكر المؤرخ الإغريقي هيرودوتس Herodotus في القرن الخامس قبل الميلاد أن الختان يمارسه فقط المصريون والأحباش والفينيقيون الذين يعيشون بالقرب من الأنهار. وببداية القرن الميلادي الثاني انحصرت عملية الختان في الامبراطورية الرومانية في اليهود، والمسيحيين اليهود وكهنة المعابد المصرية القديمة والنبطيين. فلماذا ختن قدماء المصريين ذكورهم من أجل النظافة؟
عندما يُولد الطفل الذكر تكون الغلفة، أي الجلد الذي يغطي حشفة الذكر، محكماً حول الحشفة وبه فتحة صغيرة في آخره تسمح بخروج البول. وعندما يبول الطفل تتبقى قطرات من البول تحت الغلفة وتتحلل بفعل البكتيريا وتتجمع بين الغلفة والحشفة، مما ينتج عنها تجمع مادة بيضاء كريهة الرائحة، تُسمى بالإنكليزية Smegma ومع مرور السنين ونمو العضو الذكوري، يمتط الجلد حول الحشفة وينتج عن ذلك زيادة الفتحة في الغلفة حتى تسمح بخروج الحشفة كلياً عند الانتصاب. ووقتها ينتهي تجمع المادة البيضاء كريهة الرائحة لأن البول لا يعود يتجمع بين الجلد والحشفة. ووجود هذه المادة قاد القدماء للبحث عن طريقة للخلاص منها، فاهتدوا إلى عملية الختان.
وبما أن تاريخ الأديان يزعم أن بني إسرائيل كانوا في مصر إلى أن أجلاهم فرعون مصر، وليس هناك إجماع على ذلك، فيبدو أن بني إسرائيل قد تعلموا هذه العادة من قدماء المصريين أو من السوريين بعد أن سكن بنو إسرائيل أرض كنعان.
وختان الذكور كان معروفاً لعرب ما قبل الإسلام، فقد ذكر الطبري في تاريخه:

> "قُتل مع عثمان بن عبدالله غلام له نصراني أغرل قال فبينا رجل من الأنصار يستلب قتلى من ثقيف إذ كشف العبد ليستلبه فوجده أغرل فصرخ بأعلى صوته يعلم الله أن ثقيفا غرل ما تختتن قال المغيرة بن شعبة فأخذت بيده وخشيت أن تذهب عنا في العرب فقلت لا تقل ذلك فداك أبي وأمي إنما هو غلام لنا نصراني ثم جعلت أكشف له قتلانا فأقول ألا تراهم مختنين".[2]

ويبدو أن عرب ما قبل الإسلام، خاصة في ثقيف ويثرب، قد تعلموا الختان من اليهود نسبة لاختلاطهم بهم في المنطقتين المذكورتين.
انتشر ختان الذكور بين اليهود، خاصةً بعد رجوعهم من السبي البابلي وزعموا أن الرب قد قطع عهداً مع النبي إبراهيم أورث بموجبه أرض كنعان لليهود، وقد طلب من إبراهيم أن يختتن ويختن جميع الذكور ببيته كعلامة على هذا العهد. وفي المقابل تعهد الرب بإظهار قوس قزح عندما تمطر السماء ليذكر اليهود بهذا العهد. **ومن ثم اجتهد حاخامات اليهود في تبرير الختان وزعموا أن له فوائد صحية، تماماً كما يزعم شيوخ الإسلام أن الصيام له فوائد صحية عديدة.** فمثلاً يقول المؤرخ الروماني فيلو جوديوس Philo Judaeus (50 قبل الميلاد - 20 م):

> إن الغلفة تمنع المني من الوصول إلى رحم الانثى، وبالتالي فإن الختان يساعد على التكاثر.

ومن الواضح أن هذا الرجل كان على جهل تام بعملية الانتصاب عند الرجل. فعندما ينتصب القضيب تتراجع جلدة الغلفة لتصبح جزءاً من جلد القضيب وتكشف الغلفة كلياً. أما موسى بن ميمون (1135-1204 م) فقد قال:

> إن الختان يجب أن يكون من أجل الإيمان فقط لأنه عملية مؤلمة لا يمكن للمرء أن يختارها من تلقاء نفسه لأي سبب من الأسباب. وقال إن قطع الجزء الحساس من جلد القضيب يؤدي إلى إلى التقليل من متعة الرجل.

أما تلميذه إسحق بن يداح في القرن الثالث عشر الميلادي فقد قال:

> "ختان الذكور يقلل كذلك من شبق المرأة لأن المرأة عندما تمارس الجنس مع رجل غير مختون فإن شهوتها تزداد وتصل إلى الذروة عدة مرات أثناء العملية، وهذا يزيد من شبقها. أما عندما تمارس الجنس مع رجل مختون فهي قلما تصل إلى الذروة، ولذلك فإن ختان الذكور يقلل من شبق النساء ويحافظ على عفتهن".

بالنسبة إلى المسيحيين فقد كانوا يمارسون ختان الذكور في بدء انتشار الدعوة لأنهم كانوا يهوداً قبل ذلك. ولكن رجال الدين المسيحي، وخاصة Paul of Tarsus فقد أثنوا المسيحيين عن ممارسة الختان.

---

[1] حسن عبد الله عياش، رسالة الدكتوراة، ص 115.
[2] تاريخ الملوك للطبري، ج2، ص 169.

ثم ظهر محمد على المسرح، ورغم أن عشيرته كانت وثنية ولا تمارس الختان إلا نادراً، **فقد زعم أتباعه أنه وُلد مختوناً، ولذلك أصبح الختان سنة يجب اتباعها.** وتتفق جميع كتب السيرة النبوية على أن محمداً وُلد مختونا، وتقول بعضها إنه ولد كذلك مسروراً، أي مقطوع حبل السرة. وفي حقيقة الأمر فإن محمداً وُلد وبه تشوه خلقي يُسمى hypospadias وفي هذه الحالة فإن فتحة الذكر التي يخرج منها البول تكون ممتدة في الجزء الأسفل من الحشفة وقد تصل إلى البارز من الحشفة الذي يُسمى corona. والأطفال الذين يولدون بهذا التشوه يمتنع عندهم نمو جلد الغلفة من الأسفل ويكون الجزء العلوي صغيراً لدرجة أن الطفل يبدو وكأنه مختون. ويؤدي هذا النقص إلى تشتت البول عندما يتبول الطفل.

يقول عبد الله بن مسعود إنه حضر مع النبي مبايعة القبائل العربية ولم يسمع محمداً يسأل أي رجل بايعه إن كان مختوناً أم لا، ولم يكشف لباس أحدهم ليرى إن كان مختوناً.

فالختان في الإسلام ليس سنةً ولكن لأن محمداً في بداية دعوته كان يحب التشبه باليهود، سار من جاء بعده على طريقه **وقلدوا اليهود في كل شيء**، خاصة أن الذين نصروا محمد في دعوته كانوا أهل يثرب المتداخلين مع اليهود، وقد تعلموا منهم عملية الختان.
عملية الختان نفسها تختلف من مكان إلى الآخر. فبالنسبة لليهود كانت العملية تتم بقطع الجزء الزائد أمام الحشفة عندما يكون القضيب مسترخياً، وكانوا يسمون هذه العملية milah. ثم مع مرور الزمن زادوا من الجزء المقطوع وأصبحت العملية تُعرف ب Brit Pen'ah. وفي بعض الأماكن لا يكتفي الحلاق بقطع الغلفة بل يسلخ أغلب جلد القضيب.
أما الغلفة التي يقطعونها في الختان فهي جزء متخصص من جلد القضيب ومبطنة بطبقة حساسة من الأنسجة تُسمى mucosa. هذه الطبقة مليئة بالأعصاب الحساسة، وعندما ينتصب القضيب تصبح هذه الطبقة من الخارج وتأتي مباشرة بعد نتوء الحشفة، ولذلك تزيد من لذة الرجل عندما تحتك بجدار المهبل. وقطع هذا الجزء من الجلد يقلل من استمتاع الرجل بالجنس. كما أن عملية الختان في أغلب المجتمعات يقوم بها حلاق القرية الذي لا يعرف من الطب إلا اسمه، وبالتالي تحدث مضاعفات عديدة، بعضها يؤدي إلى موت الطفل المختون، وبعضها يؤدي إلى عاهة مستديمة. فقد رأيت حالتين قطع فيهما الحلاق نصف الحشفة ونتج عن ذلك فقدان الطفل للغلفة ونصف الحشفة مما سوف يؤدي إلى عدم تمكنه من ممارسة الجنس ممارسة طبيعية.

هل للختان فوائد؟

هناك حالات التهاب في الحشفة Balanitis، وحالات ضيق مخرج البول الذي ينتج عن تليف فتحة الغلفة Phimosis، هذه الحالات يكون علاجها بالختان، أما غير ذلك فلا فائدة إطلاقاً للختان. ولهذا السبب توصي الجمعيات الطبية في أمريكا وكندا وأستراليا ونيوزيلندا وإنگلترا وغيرها بعدم إجراء الختان. فلماذا إذاً ينتشر الختان حتى في المجتمعات المتقدمة مثل أمريكا؟
في عام 1870 كان هناك طفل أمريكي عمره 5 سنوات لا يستطيع مد رجليه وعجز الأطباء عن علاجه، فجاء جراح عظام أمريكي يُدعى لويسساير Lewis Sayre وفحص الطفل ووجد لديه التهاب بالغلفة، فقام بختانه. وبعد عدة أسابيع تمكن الطفل من مد رجليه. وبما أن ذلك الجراح كان نائب رئيس إتحاد الأطباء الأمريكيين، فقد أخذ معظم الأطباء بنصيحته دون تمحيص وقاموا بإجراء ختان الصبيان كعلاج لحالات عدة مثل الروماتيزم وأمراض المفاصل والفتق والتهاب المثانة، وما إلى ذلك. ومن ثم انتشر الختان إلى كندا وأستراليا ونيوزيلندا.
وفي عام 1855 زعم جراح أمريكي متدين من جماعة ال Quakers[†] المسيحية أن الختان يمنع انتشار مرض الزهري الذي كان متفشياً في جميع أنحاء العالم. وبسرعة تبنى الأطباء هذا الزعم وباشروا ختان المواليد الذكور كنوع من الوقاية. وفي عام 1890 صدر كتاب لطبيب أمريكي عنوانه كل شيء عن الطفل All about the baby زعم فيه المؤلف أن الختان يقلل من ممارسة الصبيان للعادة السرية، فزاد عدد الآباء الذين ختنوا أطفالهم الذكور. وقد وصل عدد الأطفال الذكور المختونين في أمريكا إلى 72 % في عام 1950. وحتى عام 1999 وصل عدد الذكور المختونين في في منطقة الحزام المسيحي Bible Belt إلى 80 % بينما تقلصت النسبة في منطقة سان فرانسيسكو ولوس أنجليز إلى 37 %. وقد دفع التفوق الأمريكي وربما الوجود الأمريكي في بلاد مثل كوريا الجنوبية التي يعتنق أغلب سكانها الكاثوليكية، إلى انتشار ختان الذكور حتى وصلت النسبة في عام 2005 إلى 90.%، وظهرت أخيراً بعض الدراسات التي زعمت أن الختان يمنع أو يقلل من انتشار متلازمة نقص المناعة المكتسبة (الايدز) AIDS ولكن في المقابل ظهرعدد من الدراسات النقدية لتلك النظرية. ولو أخذنا مثلاً بلداً مثل زامبيا في أفريقيا، فإن الختان منتشر فيها منذ آمادٍ بعيدة، ومع ذلك بها أعلى نسبة من الايدز بعد جنوب أفريقيا. وجنوب أفريقيا نفسها أصدرت قانون حماية الطفولة لعام 2005 الذي جعل ختان الذكور جريمة يعاقب عليها القانون.
البلاد الإسلامية كافة تمارس ختان الذكور، وبعضها يمارس ختان الإناث دون أي دليل ديني أو علمي يساند تلك الممارسات. فالشيوخ يزعمون أنها سنة ويجب اتباعها، وفي نفس الوقت يدرّسون الأطفال الحديث الذي يقول [**لعن الله الواشمة**] لأن الوشم يغير خلق الله.

فإذا كان الوشم يغير خلق الله، ما بال قطع أجزاء من الجسم خلقها الله الذي يقول في القرآن إنه أحسن كل شيء صنعاً؟ فإما أن الله لم يحسن صنعه، أو أن المسلمين لا يهمهم ما يقوله القرآن.

عملية الارتقاء التي أصبحت مقبولة في جميع المحافل العلمية تقول إن عملية التطور تتخلص من كل ما لا يتواءم مع محيطة وبيئته، وتحافظ على المفيد الذي يخدم تطور النوع. فإذاً الغلفة مفيدة للرجل والنوع وهي تحمي الحشفة من الاحتكاك بالملابس الداخلية، وفي نفس الوقت تزيد من المتعة الجنسية، فلماذا يقطعها القاطعون؟

عودة إلى الفهرس

[†] Quakers (or Friends, as they refer to themselves) are members of a family of religious movements collectively known as the Religious Society of Friends.

en.wikipedia.org

253 - لعنة آل سعود

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=263674

قبل اكتشاف النفط في مملكة الوهابية، كانت إنگلترا قد تعاقدت مع الملك سعود على دفع راتب له بمبلغ 5000 جنيه سترليني شهرياً، مقابل أن يكون ممثل مصالحها في منطقة الشرق الأوسط. وكان العميل الانـگليزي فيلبي هو الذي يقوم بدفع المبلغ للملك.[1] وبالطبع كانت المملكة حديثة التكوين عبارة عن صحراء يقطن أغلب سكانها في الخيام السوداء حول الواحات ولم تكن حكومة الملك سعود تقدم لهم أي خدمات لأن مبلغ الخمسة آلاف جنيه كانت لاحتياجات الملك وأسرته. وحتى بعد اكتشاف النفط في ثلاثينات القرن المنصرم، كان أغلب مدخول النفط يذهب للشركات الأمريكية ممثلة في شركة أرامكو بالظهران، والتي كانت تدفع للملك جزءاً بسيطاً من الدخل كل عام. وفي هذه الأثناء كان شعب المملكة يعتمد بشكل كبير على البواخر التي كانت تأتي من مصر والسودان محملة بالبضائع والخراف. وحتى كسوة الكعبة كانت تاتيهم سنوياً من سلطنة دارفور في غرب السودان، ثم تولت مصر الكسوة بعد ذلك. وتدريجياً ازداد مدخول المملكة من واردات النفط مع ازدياد اعداد الآبار النفطية الجديدة. ولسوء حظ العالم العربي ظهر في الخمسينات نجم الرئيس المصري جمال عبد الناصر الذي دعا إلى القومية العربية وإنهاء عهد الملوك في الشرق الأوسط، مما أثار سُخط آل سعود.

انصب هم آل سعود في تلك الفترة على إنهاء حكم عبد الناصر عن طريق تمويل الجماعات الإسلامية في مصر وفي بقية البلاد العربية، فاحتضنوا أفراد الإخوان المسلمين الذين كانوا قد هربوا من مصر بعد محاولة إغتيال جمال عبد الناصر عام 1954. أغدق آل سعود المال والوظائف الجامعية على جماعة الإخوان المسلمين بينما كانت أجزاء كبيرة من الشعب السعودي ما زالت تعيش في الخيام ولا تعرف الصرف الصحي، ولا الطرق المعبدة ولا المياه النقية.

بعد موت عبد الناصر في عام 1970 واعتلاء أنور السادات، الرئيس المؤمن، سدة الحكم وانفتاح مصر على السوق الحرة لاغتيال اشتراكية عبد الناصر، رجع الإخوان المسلمون من السعودية محملين بالبترودولارات لنشر الفكر الديني في ربوع مصر وغيرها، كخير وسيلة للحفاظ على نظام آل سعود، ولتعبيد الطريق لتمكين الإخوان من حكم مصر حتى تكون مصر سنداً لآل سعود.

وكتطبيق عملي لهذه النظرية تفتق ذهن الأمير محمد الفيصل، ابن الملك فيصل، عن فكرة إنشاء البنوك الإسلامية، واستعان بشخصيات دينية إخوانية في مصر منهم مفتي الجمهورية، والسيد عبد العزيز حجازي رئيس الوزراء الأسبق، وعثمان أحمد عثمان، والشيخ يوسف القرضاوي، ويوسف ندا، والشيخ عمر عبد الرحمن مؤسس *الجماعة الإسلامية*، والمسجون حالياً في أمريكا بعد إدانته في تفجيرات مركز التجارة العالمي في نيويورك، فأنشأ *بنك فيصل الإسلامي* في مصر في عام 1976 بعد موافقة السادات على شروط معينة منها: ضمان عدم تأميم البنك مستقبلاً، وعدم خضوع البنك الإسلامي لقوانين البنوك في مصر، وعلى أن يعمل البنك في سرية كاملة دون الخضوع لمراجعة حساباته، وأن يُعفى من الضرائب المصرية.[2]

كان جميع المتنفذين في بنك فيصل الإسلامي من الإخوان المسلمين الذين استفادوا من تمويل البنك في ترشيح وفوز أعضاء البرلمان المتعاطفين مع الإخوان، وإنشاء مؤسسات وصحف إسلامية تنشر أفكار الوهابية والإخوان في مصر. وعندما زاد ثراء الإخوان في مصر بعد أن كانوا قبل ذلك يعتمدون فقط على الاشتراكات من أعضاء الجماعة نفسها، بدءوا نشر البنوك الإسلامية الإخوانية في الأردن، والكويت، والسودان وتركيا. وبذا استطاعت مملكة آل سعود من نشر نفوذها الوهابي في تلك البلاد، بل تعدتها إلى البلاد الإسلامية الفقيرة مثل باكستان وأفغانستان. فأغدق آل سعود عن طريق البنوك الإسلامية الصرف على الحكام الديكتاتوريين مثل الجنرال ضياء الحق وملى عمر لنقل تلك البلاد إلى المذهب الوهابي المتعصب.

أما في الكويت التي كانت دولة منفتحة على القرن العشرين وكان نساؤها لا يعرفن الحجاب، وجامعاتها مختلطة، خشي آل الصباح من التأثير الناصري على شبابهم، بالإضافة إلى تخوفهم من الأعداد الغفيرة من الفلسطينيين العاملين في الكويت في ذلك الوقت والذين كانوا يميلون إلى الإشتراكية والشيوعية، فاستعان أمير الكويت بجماعة الإخوان المسلمين الأردنية التي كانت مساندة للملك حسين في حرب سبتمبر ضد حركة فتح في الأردن، وكذلك استعان بحركة الإخوان المسلمين الكويتية الصغيرة في ذلك الوقت، وكانت تُعرف باسم "حركة الإصلاح"، فنصحوه بحل البرلمان وإنشاء بنك التمويل الكويتي في عام 1977 تحت سيطرة الإخوان. وكما في مصر، فقد منحت العائلة المالكة هذا البنك نفس الشروط التي حصل عليها بنك فيصل في مصر، منها الاعفاء الكامل من مراقبة البنك المركزي، والعمل في سرية تامة، **واحتكار سوق الاستثمار الإسلامي** إذ منعت الحكومة إنشاء أي بنك إسلامي آخر في الكويت. واستطاع بنك التمويل الكويتي أن يصبح بين ليلة وضحاها ثاني أكبر بنك في الكويت، وبدأ باستقطاب القبائل البدوية والصرف عليهم وإدماجهم في حياة المدينة حتى يكونوا الوقاء العازل للعائلة المالكة من أهل المدينة الذين كان أغلبهم من الأثرياء الكارهين لآل الصباح. وبالطبع أحضر البدو معهم إلى المدينة كل القيم الصحراوية المحافظة على التراث والعادات الجاهلية - الإسلامية. وفي وقت قصير جداً أصبحت مدينة الكويت مدينة محافظة حسب النظرة الإسلامية، ومنعت مدارسها تعليم الموسيقى واختلاط التعليم، وتحجبت نساؤها، وصعد نجم الإخوان في البرلمان الكويتي، الذي أصبح يشغل جل وقته في جلسات تُدين مَن تجرأ وشتم الصحابة أو تحدث عن زوجات الرسول، أو رسم كاريكاتور لنبي الإسلام. وأجاز برلمان الكويت مصادرة الكتب والمجلات والصحف وحتى أفكار الناس. وانتهت كويت الستينات التي كانت تصدر مجلة العربي وحل مكانها اصدار كتب الحديث التي تعج بقصص عذاب القبر ونار جهنم. والآن انقلب السحر على الساحر وأصبح نواب الإخوان في البرلمان شوكة في خاصرة العائلة الحاكمة وأصبح عملهم الرئيسي مساءلة الوزراء من آل الصباح في البرلمان وإسقاط الحكومة تلو الأخرى بهدف إضعاف المؤسسة البرلمانية وربما الإيعاز إلى ضباطهم بالجيش لعمل انقلاب عسكري إخواني على طريقة البشير والترابي في السودان.

وفي السودان افتتح بنك فيصل الإسلامي فرعاً له في الخرطوم **وحصر التوظيف بالبنك على المنتمين لجماعة الإخوان المسلمين،** وكذلك التسليف كان لا يُمنح إلا للأعضاء المسجلين مع الجماعة. وفي فترة وجيزة نمت طبقة من الأثرياء الإخوانيين الذين استعملوا ثروتهم الجديدة في تدعيم أسس الوهابية من بناء المساجد وإنشاء الصحف والمجلات المؤيدة للنشاط الإسلامي، وفرضوا على المرأة السودانية ارتداء الزي الإسلامي السعودي، المعروف بالعباءة. وانتشرت مدارس تحفيظ القرآن والقنوات الفضائية ومحطات الراديو التي تُدعّم مكانة الإسلاميين. وفي ظرف وجيز أُنشئت بنوك إسلامية أخرى بلغت في مجملها خمسة بنوك. وازداد فقر السودانيين غير المنتمين لجماعة الإخوان المسلمين، وتقهقر وضع المرأة السودانية التي كانت من أوائل النساء العربيات اللاتي سُمح لهن بالتصويت

[1] The Devil's Game, Robert Dreyfuss, p 42.

[2] نفس المرجع أعلاه، ص 165.

ودخول البرلمان كعضو فاعل. واختفى، أو كاد، صوتها في الحياة العامة، إلا صراخها عندما تُجلد في الميادين العامة لارتدائها البنطال بدل العباءة.

أما في الجزائر فقد كانت جبهة الإنقاذ الجزائرية على علاقة وطيدة بآل سعود الذين قدموا لها البترودولارات بسخاء.[3] وقد أُنشئت جماعة الإخوان المسلمين في الجزائر، والتي ولدت لنا "جبهة الإنقاذ"، بواسطة جماعة الإخوان المسلمين المصرية بتمويل سعودي كامل. فقد أرسلت مصر الشيخ محمد الغزالي ومجموعة من المحاضرين الإسلاميين للتدريس بجامعة الجزائر فأنشأوا ونشروا فكر جماعة الإخوان. وبالطبع لم يرمش جفن لآل سعود عندما يئست جبهة الإنقاذ من تولي السلطة بعد أن استلمها الجيش وألغى نتائج الانتخابات التي كانت سوف تأتي بالإسلاميين إلى الحكم، فبدءوا حربهم الغاشمة ضد المواطنين الجزائريين، وسرقوا البنوك واغتصبوا النساء وفجروا الرجال في الأسواق والأماكن العامة. كل ذلك يهون في سبيل حفاظ آل سعود على ملكهم وإحاطته بدول إسلامية تدعمه.

أيادي آل سعود الطويلة قد طالت الأردن الذي كانت تمده السعودية بالنفط مجاناً عن طريق أنابيب شركة التابلاين التابعة لشركة أرامكو، وبالتالي كان استمرار حكم الملك حسين يعتمد على إرضاء آل سعود والأمريكان. ولذلك فرضت السعودية على الملك حسين الاعتراف بحزب الإخوان المسلمين في الأردن وحل جميع الأحزاب الأخرى. ونسبةً لسوء علاقة سوريا وحزب البعث مع مملكة آل سعود، فقد أوعز الأخيرون للملك حسين باستعمال إخوان الأردن في مؤامرة مع إسرائيل وبعض أعضاء جماعة الإخوان السوريين الذين كانوا يتدربون في معسكرات الكتائب السرية في لبنان تحت إشراف إسرائيل، بشن تفجيرات في سوريا في عام 1981 لزعزعة النظام وتمكين الإخوان من السيطرة على الحكم. وقد اعترف الملك حسين بعد أربعة سنوات بتلك المؤامرة ضد سوريا واعتذر من حكومة حافظ الأسد.[4]

ظل البترودولار هو الملك الرئيسي في جميع أنحاء العالم الإسلامي، ثم تعداها إلى غيرها. وبنهاية القرن العشرين أصبحت البنوك الإسلامية الدجاجة التي تبيض ذهباً للإسلاميين، وتُفرّخ لنا الوهابية من تلك البيضات الذهبية. فبنهاية العام 2004 كان هناك 270 بنك إسلامي، رأس مالها 260 بليون دولار[5]. كل هذا المال الإسلامي كان وراءه الأمير محمد الفيصل وصالح بن عبد الله كامل، أخو زوجة الملك فهد. وقد أنشأ الأخير بنك البركة في جدة، وكان أهم أعضائه الشيخ يوسف القرضاوي .وقد باض بنك البركة في جدة بيضة جديدة فقست في جزر البهاما تحت مسمى "بنك التقوى" الذي أنشأه يوسف ندا، عضو الإخوان المسلمين.

ولما لم يكن لبنك البركة في جدة، أو بنك التقوى في البهاما أي حاجة لنشر الوهابية، عمل البنكان في تمويل الإرهاب الإسلامي ممثلاً في القاعدة. ولما كانت عائلة آل سعود قد اعتمدت اعتماداً كلياً على المؤسسة الدينية الوهابية ومنحتها حق تنظيم مناهج التعليم في المملكة، وكثر عدد الخريجين الذين لا يؤهلهم تعليمهم الديني لأداء أي وظيفة حكومية، وزاد عدد الشباب العاطلين وبدأ الفراغ يلعب بعقولهم مما جعل آل سعود يخافون من اشتعال نار الثورات عليهم، وخاصةً بعد أحداث الحرم المكي في عام 1979التي قادها جهيمان العتيبي، وأدت إلى قصف المسجد الحرام بواسطة مدفعية الجنود السعوديين (في غياب الطير الأبابيل)، تفتقت ذهنية آل سعود ومستشاريهم من الأمريكان عن وسيلة تشغل الشباب المتشددين وتصرف أنظارهم بعيدا عما يدور في مملكة الوهابية من فساد، **فوجدوا في أفغانستان ضالتهم فقاموا بتمويل وإرسال الآلاف من الشباب السعوديين لمساعدة المجاهدين الأفغان في قتالهم ضد الروس**. ثم قاموا بإنشاء المدارس الدينية الوهابية في مخيمات اللاجئين الأفغان في باكستان، وهي نفس المدارس التي تعلم فيها قادة وجنود طالبان.

ولما ازداد الطلب على تمويل الإرهابيين في كل أنحاء العالم، جند آل سعود حلفاءهم الخليجيين لفتح *بنك التجارة والتسليف العالمي* *Bank of Credit and Commerce International* في لندن تحت إدارة باكستانية. وقد اشتهر البنك بتمويل الإرهاب وغسيل الأموال والمتاجرة بالمخدرات حتى أصبح اسمه غير الرسمي Bank of Crooks and Criminals International وقد انهار ذلك البنك في عام 1988، ووضعت أمريكا بنك التقوى في البهاما على قائمة المنظمات التي تمول الإرهاب ومنعت التعامل معه.

ثم أنشأت مملكة آل سعود *منظمة المؤتمر الإسلامي والرابطة الإسلامية* بتمويل من بنك التنمية الإسلامي في جدة Islamic Development Bank، وأصبحت هتان المنظمتان رأس الرمح الذي اخترق جسد الدول الإسلامية بواسطة البترودولارات التي تضخانها في تلك الدول لنشر الفكر الوهابي وتخلف المجتمعات تحت اسم التنمية. ثم زادت المملكة على ذلك بأن ضاعفت عدد الجمعيات الخيرية التي كانت تجمع التبرعات من رجال الأعمال لدعم نشاط القاعدة. وبلغت التحويلات من الجمعيات الخيرية السعودية والخليجية إلى القاعدة في أفغانستان، بين عامي 1979 و 1989 ستمائة مليون دولار، كما تقول مجلة "الوطن العربي". وقد انفقت السعودية في العقدين الأخيرين مبلغ 87 بليون دولار لنشر المذهب الوهابي في جميع ربوع العالم، حسب شهادة أحد الخبراء أمام الكونـگرس الأمريكي في 26 يونيو 2003.

ولم يكتف آل سعود بذلك، بل فتحوا مدارس التعليم الوهابي في جميع البلاد الإسلامية وفي أوروبا والأمريكيتين لأدلجة الأطفال المسلمين وتعليمهم الوهابية التي تحث أتباعها على كراهية غير المسلم، وإضمار العداء للمخالف، حسب الفتاوى السعودية التي تمثل الجزء الأكبر من مقررات تلك المدارس، كما أثبت البحث الذي قام به الكونـگرس الأمريكي حديثاً. في تقرير مجلس الوزراء السعودي السنوي،

> "أوضح الدكتور صالح العايد، الأمين العام للمجلس أن التقرير السنوي احتوى على مساعدات مالية أكثر من 84 مليون ريال استفاد منها 150 جهة إسلامية في 55 دولة، كما كان من أبرز إنجازات المجلس المساعدة في إنشاء 22 جامعاً و 16 مركزاً إسلامياً في قارات العالم المختلفة".[6]

هذه الدول الفقيرة التي يموت مواطنوها من الأمراض المزمنة ومن الجوع، تتبرع لها المملكة الوهابية لبناء الجوامع والمراكز الإسلامية لتخرج لها المؤدلجين بالوهابية، بدلاً من تخريج ممرضين ومسعفين طبيين لمساعدة المرضى. ورغم كل هذا البذخ في تمويل الأدلجة والإرهاب، ما زال مواطنو السعودية يعيشون في الفقر ويعاني شبابها من الجنسين من البطالة. وقد أكدت دراسات متعددة نفذتها وزارة الشؤون الاجتماعية حول الفقر في مدينة الرياض، أنه

> "شكلت الأمية والبطالة وارتفاع نسبة الإعالة في الأسرة السعودية وانخفاض الدخل لدى رب الأسرة العامل أو انعدامه لغير العامل والحوادث الشخصية كوفاة الزوج أو هجره لأسرته أو دخوله السجن أو فصله من العمل وعدم الوعي الاجتماعي للأسر الفقيرة أبرز مسببات الفقر في مدينة الرياض".[7]

---

[3] Algeria, the Next Fundamentalist State, Graham Fuller, p xx.

[4] جريدة التايمز اللندنية، 12 نوفمبر 1985.

[5] The General Council of Islamic Banks and Financial Institutions, Agence France Presse, April 25, 2004.
(نقلاً عن روبرت درايفوس، لعبة الشيطان).

[6] الشرق الأوسط، 2009/7/6.

[7] الشرق الأوسط، 2005/7/31.

وما زالت شوارع الرياض والدمام والخُبر تعج بالنساء المتسولات. فبدل إنشاء نظام ضمان اجتماعي يعتني بالأسر الفقيرة وباليتامى والمطلقات وذوي العاهات، تصرف المملكة مليارات الدولار على نشر الوهابية والإرهاب في ربوع العالم.

وما يعنينا هنا أن الأموال الضخمة التي منحتها المملكة للإخوان المسلمين وغيرهم من الإسلاميين سوف تمكن هؤلاء من إغتيال الثورات العربية الحديثة ومحاولة إقامة أنظمة ديمقراطية في تلك البلاد لأن الإسلاميين هم الوحيدون الذين يملكون المال لشراء أصوات الفقراء الأميين وبذلك يفوزون في تكوين حكومات ما بعد الثورات، ويصبحون الساعد الأيمن لآل سعود واستمرار حكمهم العائلي الفاسد.
والآن نرى أن الأخطبوط الوهابي يحاول توسيع الرقعة الحامية له بضم الأردن والمغرب إلى مجلس التعاون الخليجي لزيادة عدد الملوك في المجلس، وحتى يتسنى للأخطبوط قمع محاولات التغيير الديمقراطي في تلك البلاد بإرسال جيوش مجلس التعاون لقتل المتظاهرين، كما فعلوا في البحرين. فليس هناك أي هدف آخر من ضم المغرب الذي لا تربطه بالخليج أي رابطة غير نظام الحكم الملكي العائلي.

وتلك لعمري لعنة فرعونية لا تقاربها أي لعنة أخرى.

عودة إلى الفهرس

254 - أسئلة لم يتطرق لها المسلمون

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=264703

المسألة الأولى

إذا تفرج المرء على مقطعي الڤيديو أدناه، سيجد شيخين: أحدهما وهابي والآخر سلفي، يناقشان فتوى رضاع الكبير. كلاهما متفقان أن الحديث المذكور في صحيح مسلم، والمرفوع إلى محمد بن عبد الله، حديث صحيح،

قاله عندما سألته زوجة أبي حذيفة عن دخول سالم عليها بعد أن نزلت آية تحريم التبني التي أباحت لمحمد زواج زينب بنت جحش، زوجة زيد، ابنه بالتبني، فقال لها **أرضعيه**. فقالت كيف أرضعه وهو كبير، فتبسم "المعصوم" وقال لها: **لقد علمت أنه كبير**. فأرضعته زوجة أبي حذيفة فانشرح صدر زوجها وأصبح سالم يدخل عليها ويخرج في أي وقتٍ شاء. وكانت زوجة أبي حذيفة عاقراً ولذلك تبنت سالم الذي ترعرع في بيتها وكان يعتبرها أمه.

العالم من حولنا يدور ويتغير بسرعة دوران الأفلاك، ونحن ما زلنا ندور كحمار الساقية في حلقة مفرغة تربطنا من أعناقنا وتشدنا إلى القرن السابع الميلادي، الذي لن نبرحه، كما يبدو. ورغم تكالب الشيوخ على اقتناء الدرجات العلمية من "دكتور" إلى "بروفسور" فإنهم لم يتعرضوا إلى المسائل الأبجدية التي أتت في القرآن والسنة وتتطلب البحث منهم، إنما اكتفت لجان البحوث في الأزهر وفي الجامعات السعودية بعجن وتجديد تشكيل الطحين القديم الذي ورثوه من القرن السابع.
وعلى سبيل المثال سوف أناقش هنا ثلاث مسائل لم يسأل الشيوخ أنفسهم الأسئلة التي تمكنهم من فهم ما يفتون فيه.

إلى هنا ولا خلاف في القصة بين الوهابي والسلفي، ولكن ظهر خلافهما عندما قال الوهابي إن رضاع الكبير لا يجوز من الثدي، ولكن تعصر المرأة ثديها في ماعون وتعطي الرجل المراد إرضاعه الحليب ليشربه. وقال الآخر يجب على الرجل إلتقام الثدي.
والسؤال الذي لم يسأله الوهابيون هو: **هل ألقمت زوجة أبي حذيفة ثديها لسالم، أم عصرته وأعطت سالم الحليب ليشربه؟** وإذا كان الأخير هو الجواب، من أين أتت زوجة أبي حذيفة بالحليب؟ نحن نعرف أن ثدي المرأة لا يدر حليباً إلا إذا كانت المرأة حبلى أو مرضعاً لأن الثدي يحتاج إلى هرمون اسمه prolactin تفرزه الغدة النخامية التي توجد في قاع الدماغ عندما يزيد مستوى هرمون البروجيسترون في دم المرأة عندما تحبل. وزوجة أبي حذيفة كانت عاقراً لم تحبل ولم تلد، وسالم الذي تبنته صغيراً كان قد كبر وأصبح رجلاً. فثدياها عندما أمرها محمد بإرضاع سالم، كانا عبارة عن كيسين فارغين، لا برولاكتين ولا بروجيسترون قد مر عليهما. *فهي حتماً لم تحلب منهما حليباً ليشربه سالم*. فالمنطق هنا يقول إن الشيخ السلفي كان مصيباً في قوله إن الرجل عليه أن يرضع ثدي المرأة بالتقامه في فمه. ولكن حتى في هذه الحالة فلن يحصل على حليب إلا إذا كانت المرأة شابة حبلى أو مرضعاً. **فإذن عملية إرضاع الكبير هي عملية رمزية فقط**. وسواء إن رضعها خمس رضعات أو عشر رضعات، فالنتيجة واحدة: *لن يحصل على حليب وإنما يحصل على رخصة فقط*. والرخصة لا تُحلب في ماعون ليرضعها الرجل الكبير. فإذاً لماذا كل هذا **الجدل** بين الشيوخ والحقائق واضحة وضوح الشمس وتقول إن زوجة أبي حذيفة قد ألقمت ثديها المترهل والفارغ في فم سالم، الذي لم يحصل على أي حليب. ولماذا عاقب الأزهر الشيخ الذي أفتى بإرضاع الموظفة زميلها في المكتب ما دام الموضوع أصلاً يتعلق بالرخصة والمتعة الحسية وليس بالحليب؟ ولماذا يدور الشيوخ الملتحون حول موضوع تافه كهذا ويطرحون كل ما في جعبتهم من أحاديث وعنعنة ليثبتوا وجهة نظرهم البالية دون أن يفكروا في سؤال أنفسهم عن أبجديات مقومات الرضاع؟

وهذا الحديث يثبت لنا أن محمداً لم يكن يعلم عن أمور النساء شيئاً، أو أن الحديث موضوع ومحمد لم يقل به، وكلاهما أمر خطير.

المسألة الثانية

المسلمون عامةً، والشيوخ خاصةً، قد فلقوا رؤوسنا على مدى مئات السنين بتنبؤات القرآن وزعموا أنه تنبأ بأشياء لم تكن قد حدثت وقتها، ويستدلون على ذلك بالآية المكية:

{**غُلبت الروم. في أدنى الإرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون.** (الروم 2 - 4)}.

وتخبرنا كتب التراث الإسلامي أن أبا بكر راهن بعض أصحابه بعدة دنانير على انتصار الروم في سنتين، ووقتها سوف يفرح المؤمنون. والسؤال الذي لم يسأله المسلمون أنفسهم هو: **لماذا يفرح المؤمنون بانتصار الروم، ولماذا يسمي الله أو محمد سورة كاملة باسم الروم؟ ولماذا عندما قويت شوكة محمد في المدينة أصبح الروم أعداءه فغزا تبوك، معقل الروم في جزيرة العرب، والذين لم يكونوا قد أظهروا له أي عداء؟** وعلينا هنا أن نقرأ التاريخ من مصادر محايدة لنعرف إذا كان محمد قد تنبأ بشيء ما.
حسب المصادر الإسلامية فإن محمداً قد ولد في عام الفيل (حوالي 570 م) وبدأ رسالته وعمره أربعون عاماً، أي عام 610 م. وعمل قبل الرسالة تاجراً يسافر في قوافل مكة إلى الشام صيفاً، وإلى اليمن شتاءً. فماذا كان يجري حوله في سوريا والعراق واليمن وفارس في تلك الفترة؟ سوريا كانت وقتها مسيحية تحت الغساسنة التابعين للحكم الروماني في بيزنطة (تركيا)، ولكنها كانت تعتنق المسيحية النسطورية أو اليعقوبية، بينما كان العراق جزءاً من الإمبراطورية الساسانية الفارسية التي كانت تعادي الرومان، وكان أغلب أهل الحيرة وما حولها من أهل ميسوبوتوميا (بلاد ما بين النهرين) يتبعون المذهب النسطوري. وأتباع كلا المذهبين النسطوري واليعقوبي كانوا يعتقدون أن للمسيح ماهية واحدة، أي ما يُعرف ب Monophysite، بينما كانت الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية بعد مؤتمر "نيقيا" في عام 325م هي الاعتقاد بأن المسيح له كيانان: كيان إلهي وكيان بشري. وفي عام 578 م، أي عندما كان محمد طفلاً، اعتنق البيت الحاكم في بيزنطة المذهب الكاثوليكي فأصبح المسيح هو الابن الإله.
فنفهم من هذا الطرح أن أغلب العرب في أيام ظهور محمد كانوا مسيحيين نساطرة أو يعقوبيين يؤمنون بوحدانية ماهية المسيح التي نادى بها آريوس في الإسكندرية في بداية ظهور المسيحية، وقال إن المسيح إنسان. وكانت الإمبراطورية الساسانية في إيران تساعد هؤلاء العرب ضد الإمبراطورية الرومانية التي كانت تعتنق المسيحية الكاثوليكية التي تقول بازدواج ماهية المسيح، وكانت تساعدهم من منطلق: "عدو عدوي صديقي".
والحروب بين الفارسيين والرومان البيزنطيين بدأت قبل أن يولد محمد، وكان النصر دائماً حليف الفرس نسبة لضخامة أعدادهم وحسن تدريب جيوشهم، وقد احتلوا اليمن علم 572 م، وفلسطين سنة 614 م (أي في أيام بدء رسالة محمد بمكة) بعد أن كانت المنطقتان خاضعتين للرومان. وبما أن محمداً كان تاجراً يسافر في القوافل إلى الشام (وفلسطين كانت جزءاً من الشام)، وإلى اليمن، قبل أن يبدأ رسالته في عام 610، فقد عاصر هذه الحروب وربما شهد انتصار الفرس على الروم. فكونه جاء بآية في مكة في حوالي العام 615 تقول {**غُلبت الروم في أدنى الأرض**} فلا جديد فيها ولا غرابة لأنه عاصر انتصار الفرس وأخذهم فلسطين من الروم. أما قوله

{**وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين**} _ما هو إلا تخمين وخبط عشواء_ (لأنه لو كان قد عرف هذه الحقيقة عن طريق الوحي من السماء لكان في إمكانه تحديد وقت انتصارهم، ولما اكتفى بالقول في "بضع سنين" لأن البضع غير محدد وقد يمتد من عامين إلى عشرة أو أكثر) لأن الحروب دوائر، كل جيش طوال التاريخ الإنساني انتصر مرات وانهزم مرات، ولا بد أن محمداً في إحدى سفراته إلى الشام (سوريا الحالية) قد رأى تحضيرات الجيش الروماني في سوريا بعد هزيمتهم في فلسطين لأن الإمبراطور الروماني هيراكليوس كان رأس الكنيسة الكاثوليكية والمسؤول عن حماية الأماكن المقدسة في فلسطين، خاصة كنائس القدس، وكان أَخْذُ فلسطين من جانب الفرس ضربةً مؤلمة له. ولذلك كرس الإمبراطور كل وقته لجمع أكبر جيش ممكن من بيزنطة والشام، والإشراف على تدريبهم بنفسه. وقد قاد الجيش بنفسه كذلك في المعركة التي دارت بين الروم والفرس يوم 5 أبريل عام 622 في أرمينيا، وانتصر الرومان فيها. **فهل الرهان على مثل هذه النتيجة يحتاج إلى نبي؟**

المهم هنا هو السؤال الذي لم يسأله المسلمون: إذا كان القرآن يقول قد كفر الذين قالوا إنما المسيح ابن الله، وإذا كان مسيحيوا العراق وسوريا في ذلك الوقت يتبعون المذهب النسطوري الذي يقول بوحدانية ماهية المسيح وأنه إنسان، وكان الفرس حلفاءهم ومؤيديهم، لماذا يفرح المسلمون بانتصار الرومان وكان الأحرى بهم أن يفرحوا لانتصار الفرس؟ فإذاً لم يكن هناك أي تنبؤ، بل لم يكن هناك من سبب لفرح المؤمنين بانتصار الروم الكاثوليك الذين ما زال المسلمون يعادونهم حتى اليوم.

المسألة الثالثة

يقول لنا القرآن في سورة المائدة المدنية:

{**يسألونك ماذا أحِل لهم قل أحل لكم الطيبات وما عَلَّمْتُم من الجوارح مكلبين تعلّمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب.** (المائدة 4)}.

سورة المائدة ترتيبها في "النزول" هو 111 من أصل 114 سورة بالقرآن، أي أنها أتت بعد فتح مكة وفي نهاية حياة محمد. وهذه الآية من الآيات القلائل بالقرآن التي أعطى فيها محمد جواباً مباشراً لسؤال سأله إياه المؤمنون.

فما الذي أحله لهم القرآن؟ كل الطيبات دون تفصيل، ثم من الصيد ما اقتنصته لهم الصقور والكلاب "مكلبين" التي يدربونها على اصطياد الحيوانات. فإذاً الحيوان الذي يصطاده كلب الصيد ويعض على رقبته حتى يموت، يجوز للمسلمين أكله بعد أن يسموا الله عليه عند سلخه أو طبخه.

ثم يخبرنا القرآن في نفس سورة المائدة:

{**اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم.** (5)}.

فهذه رخصة صريحة من القرآن للمسلمين أن يأكلوا طعام أهل الكتاب باستثناء لحم الخنزير لأنه ذُكر في المحرمات، وما أُهل به لغير الله، كالأصنام مثلاً. وبما أنه لا يوجد في عالم اليوم مَن يعبد الأصنام أو يذبح لها، يصبح طعام أهل الكتاب حِلاً للمسلم ماعدا لحم الخنزير.

والسؤال هنا: لماذا يحل للمسلم أن يأكل فريسة اصطادها كلب ولا يُسمح له أن يأكل لحم خروف مذبوح في أماكن ذبح الحيوانات في الغرب، خاصة أن المذابح في الغرب لا تُهل على الحيوان المذبوح أي تهاليل ولا تذكر أي اسم عليه، ويكون الحيوان مغمي عليه من الصعقة الكهربائية للرأس حتى لا يشعر الحيوان بسكين الجزار تقطع رقبته. هل الكلب يسمي الله عندما يهجم على الفريسة ويعض رقبتها؟

طبعاً السبب الرئيسي في تحريم طعام أهل الكتاب في الغرب هو الدعاية للأماكن التي يباع فيها اللحم "الحلال"، وهي **خدعة كبرى** يقوم بها الملتحون من باكستان وبقية البلاد الإسلامية حيث يوهمون الزبون بأن اللحم مذبوح بالطريقة الإسلامية، أي إلقاء الخروف على جنبه والتكبير عليه وقطع رقبته في الجزء الأعلى من القصبة الهوائية. وفي حقيقة الأمر فإن البلاد الغربية لا تسمح للمسلمين بذبح الخراف بهذه الطريقة الهمجية وتفرض عليهم أخذ خرافهم إلى مذابح الدولة التي لا تفرّق بين خروف الإسلاميين وخروف الهندوس أو المسيحيين. كلها تذبح بنفس الطريقة بعد صعقها بالكهرباء. وبما أن البسطاء من المسلمين في الغرب على استعداد لدفع الضعف أو أكثر لشراء كيلو من اللحم "الحلال" من دكان باكستاني يعلم علم اليقين أنه يخدع هؤلاء البسطاء، وبما أن شيوخ الإسلام قد اهتدوا إلى طريقة مثلى للاشتراك في هذه اللعبة عن طريق البنوك الإسلامية التي تقدم القروض للمسلمين لشراء أو بناء هذه الأماكن التي تبيع "الحلال"، فإن التجارة الرابحة هذه سوف تستمر لأنها قد بلغت حوالي 600 مليار دولار سنوياً[1] رغم أن القرآن يقول: {**اليوم أحل لكم طعام أهل الكتاب**}.

والسؤال هنا هو: هل البهيمة التي يقتلها كلب الصيد أطهر من التي تُذبح في مذابح الدول الغربية النظيفة والتي يشرف عليها أطباء بيطريون يكشفون على كل حيوان قبل ذبحه للتأكد من خلوه من الأمراض؟

المسألة الرابعة والأخيرة

هل يمكن لإله السماء أن يُصدر تصريحات كاذبة كما يفعل السياسيون؟ فهاهو إله القرآن يقول لنا:
{**إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.** (غافر 51)}.

فهذا التصريح واضح وضوح الشمس في توكيد أن الله ينصر رسله كما ينصر المؤمنين في الحياة الدنيا. فهل نصر الله رسله في الحياة الدنيا؟ لا أعتقد ذلك لأن نفس القرآن يخبرنا أن بني إسرائيل قد قتلوا أنبياءهم ولذلك حرّم الله عليهم بعض ملذات الحياة. فلماذا لم ينصر هؤلاء الأنبياء قبل أن يقتلهم بنو إسرائيل؟ وإذا تركنا شأن الأنبياء والرسل لله ليمدهم بالملائكة المسومين لينصروهم، يمكننا أن نسأل: هل نصر الله المؤمنين من البشر في الحياة الدنيا؟ هناك مليار مسلم يجأرون بالشكوى لله كل يوم جمعة، منذ عام 1948 ويسألونه أن ينصرنا على بني إسرائيل، فهل استجاب لدعاء أحد من المليار مسلم الذين سوف يفاخر بهم محمد الأمم يوم القيامة، خاصة أن محمد يقول في حديث قدسي أورده البخاري ومسلم:

[**رب أشعث أغبر ذي طمرين لايؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك**].

فهل لم يوجد مثل هذا المسلم الأشعث الأغبر بين المليار مسلم الذين تفخر بهم المحافل الإسلامية الآن، ليبره الله وينصر المسلمين على اليهود؟ أم هل جميع المسلمين ومنذ عام 1948 منافقين كذابين لا يستجيب الله دعاءهم؟

وأترككم الآن مع الشيخ الوهابي والشيخ السلفي.

http://www.islameyat.tv/media/wmv_3884.wmv
http://www.islameyat.tv/media/wmv_3718.wmv

عودة إلى الفهرس

[1] الشرق الأوسط 2011/6/14.

2011 / 7 / 2

255 - ردود مفصلة عن الرضاع

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=265550

أشكر جميع القراء الذين علقوا على مقالي الأخير عن الأسئلة التي لم يتطرق لها المسلمون، وقد رددت على أغلب تلك التعليقات ما عدا ثلاثة أو أربعة تعليقات سوف أرد عليها في هذا المقال، بعضها بالتفصيل لأنها كما يبدو قد خلقت بعض التشويش على بعض القراء. ولكني سوف أبدأ أولاً بقارئين طلبا مني كتابة مقالات إضافية لتوضيح موضوع الرضاع والحليب.

- أبدأ بالقارئة العزيزة ڤينوس صفوري وهي تقول:

> (انتم ياسادة ياشيوخ وكهنة الأمة المنكوبة تضحكون على انفسكم وعلينا وعلى كل الناس وجعلتم من بدوي مختل عقلياً يدمر هذي الامةويرجعها الى عصور الظلام. أستاذ كامل أرجو منك سيدي الكريم ان تُخصص موضوع خاص عن مايُسمى الأعجاز العلمي في القرءان) انتهى.

✍ وبعد شكري للسيدة ڤينوس أقول لها إني قد كتبت من عدة سنوات فصلاً كاملاً عن الأخطاء العلمية في القرآن، في كتابي "قراءة نقدية للإسلام". وهذا الفصل يُثبت أن كل شيء يمت للعلم بصلة وتحدث عنه القرآن، كان حديث القرآن خاطئاً، فليس هناك إعجاز علمي أو لغوي في القرآن، *وإنما الإعجاز يعشش في عقول خاوية يلفها ظلام القرون الحجرية*، ويشرف عليها ويبرمجها انتهازيون يلهثون خلف البترودولار السعودي، من أمثال الشيخ الزنداني وزغلول النجار.

- السيد خالد حسن يقول:

> (اتمنى يا دكتور ان تكتب مقالة تبين ان تحريم الاخوة من الرضاعة ليس له اي سبب علمي ..حيث بعض المسلمين يظنون ان هناك بعض الخلايا الجذعية موجودة في حليب المرضعة ينتقل للرضيع ... و شكرا) انتهى.

✍ وبعد شكري للسيد خالد أقول له بأني بصدد تفنيد هذه المزاعم في هذا المقال المفصل. كما أشكر السيد خالد على ردوده على السيد "مسلم" الذي حاول جاهداً جعل حليب سهلة بنت سهيل يسيل من ثديها عدة سنوات حتى ترضع سالماً.

- أما السيد العربي الجزائري فيقول:

> (لقد تعلمت منك الكثير و الكثير و أطلب منك رأيك فيما قال الأخ مسلم في تعاليقه رقم 112 و 113 و 114) انتهى.

✍ وبعد شكري للسيد العربي الجزائري أؤكد له أني سوف أرد على التعقيبين بالتفصيل، والتعقيب رغم 114 هو نفس التعقيب رقم 113 مكرر، ربما لأنه أعجب أحد المشرفين بموقع الحوار المتمدن.

- والآن ننتقل إلى تعقيبات السيد "مسلم" الذي أظن أن اسمه محمد نصار، والذي كتب في تعليقه الأول، وتحت عنوان "كلام خاطيء"، يقول الآتي:

> (بخصوص رضاع الكبير فسهيلة لم تكن عاقر بل انجبت ولد اسمه محمد وهو ابن أبي حذيفة زوجها. أما عن ادرار اللبن فيحدث لبعض النساء ولا تكون حامل او مرضع وخاصة ان سهيلة سبق لها الرضاعة من قبل فمحمد ابنها ولد غالبا قبل الهجرة بعام وحرم التبني عام 4 هجرية يعني الفرق بين ولادتها وارضاع سالم 4 سنوات تقريبا منها على الأقل سنتين ارضاع محمد ابنها ولا يوجد ما يمنع انها كانت ترضع بعد فصال ابنها محمد كعادة العرب قديما -عن الواقدي عن محمد بن عبد الله بن أخي الزهري عن أبيه قال: كانت تحلب في مسعط أو إناء قدر رضعته فيشربه سالم في كل يوم حتى مضت خمسة أيام فكان بعد يدخل عليها وهي حاسر رخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لسهلة.-وهذه ترجمة محمد بن ابي حذيفة:
>
> http://www.islamweb.net/newlibrary/showalam.php?ids=16891
>
> (انتهى).

وبما أن هذا الرد المقتضب يحتوي على عدة جُمل مغلوطة، فسوف أرد علي كل جملة بالتفصيل .

- (سهلة لم تكن عاقراً بل أنجبت ولد اسمه محمد وهو ابن أبي حذيفة زوجها).

هناك كلمات في اللغة العامية متفق على معانيها، ولكن هذا الاتفاق لا يعني بالضرورة أن التعريف في اللغة العامية هو نفس التعريف في اللغة الفصحى. كلمة عاقر مشتقة من عَقر أي قطع عرقوب الشاة أو البعير بحيث يظل البعير في مكانه لا يبرحه. فكلمة عاقر تعني في العامية المرأة التي لا تلد، ولا يحدد التعريف عمرها. فقد تلد المرأة طفلاً وهي صغيرة في سن السادسة عشرة مثلاً، ثم يصيبها العقر فلا تلد بعد ذلك، أي تبرح في مكانها بلا ولادة إلى أن تموت. فرغم أنها ولدت طفلاً وهي صغيرة، فهي عاقر في عقدها الثالث أو الرابع. بينما المرأة التي لم تلد إطلاقاً وبلغت من العمر عتياً ولا يمكن لها أن تلد، تُسمى "عقيمة" مثل الآلات الجراحية التي نعقمها ونقتل كل المكروبات بها، يكون الزمن قد عقّم تلك المرأة الكبيرة وأخلى رحمها من احتمال الولادة. وفي الحالة الأولى يسمي الإنـگـليز المرأة التي ولدت مولوداً واحداً ثم توقف الحمل عندها Infertile أي غير خصبة، أي عاقراً أي بوراً، كالحقل الذي يُترك بغير زراعة لعدة سنوات ثم ربما يُزرع مرة أخرى وينتج محصولا. بينما المرأة التي كبرت ولم تلد إطلاقاً تُسمى عقيمة كما يقول القرآن:

> **{لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أويزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيما.** (سورة الشورى 49 - 50)}.

فالعقيمة لم ولن تلد إطلاقاً، بينما العاقر يمكن أن تكون قد ولدت طفلاً في صغرها. فسهيلة بنت سهل، كما يخبرنا التاريخ الإسلامي، ولدت محمداً في الحبشة ثم تبنت سالماً في المدينة، ولم يذكر التاريخ الإسلامي أنها ولدت غير محمد. فهي إذاً infertile أو عاقر. ثم يستمر "مسلم" فيقول:

- (أما عن ادرار اللبن فيحدث لبعض النساء ولا تكون حامل او مرضع) انتهى.

هذا لا يحدث إطلاقاً يا سيد "مسلم" إلا إذا كانت المرأة تعاني من ورم في الغدة النخامية، يسمى .prolactinoma وهذه حالة شاذة لا يقاس بها. ولا يسعني هنا إلا أن أقول لك، كما قال الشاعر:

يا باري القوس برياً ليس يحسنه   لا تفسد القوسَ إعط القوسَ باريها

ثم يقول السيد "مسلم":

- (وخاصة ان سهيلة سبق لها الرضاعة من قبل فمحمد ابنها ولد غالبا قبل الهجرة بعام وحرم التبني عام 4 هجرية يعني الفرق بين ولادتها وارضاع سالم 4 سنوات تقريبا منها على الأقل سنتين ارضاع محمد ابنها ولا يوجد ما يمنع انها كانت ترضع بعد فصال ابنها محمد كعادة العرب قديما) انتهى.

كلام هلامي الغرض منه الالتفاف حول خطأ تاريخي. ومع أن التاريخ الإسلامي لا يُعتد به لأنه كُتب بعد حوالي مائتي سنة من التاريخ المزعوم لوفاة محمد، إلا أننا لا بد لنا هنا أن نستعين به لنرد على الكاتب .سهلة بنت سهيل هاجرت إلى الحبشة في الهجرة الأولى، وهي تمت حوالي العام 614 - 615 م، ومحمد لم يهاجر إلى يثرب إلا عام 622 م. ومحمد ولد في الحبشة كما يقول أسد الغابة في تعريف الصحابة، حرف الميم:

> (ولد بأرض الحبشة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمه سهلة بنت سهيل بن عمرو العامرية. وهو ابن خال معاوية بن أبي سفيان. ولما قتل أبوه أبو حذيفة، أخذ عثمان بن عفان محمداً إليه فكفله إلى أن كبر ثم سار إلى مصر فصار من أشد الناس تأليباً على عثمان).

ورجع أبو حذيفة من الحبشة بعد هجرة محمد إلى يثرب واشترك مع محمد في موقعة بدر عام 2 هجري. وبما أن بدر كانت حوالي سنة 624 م وهجرة الحبشة كانت عام 614 أو 615، وبما أن محمد بن أبي حذيفة ولد في الحبشة، فلا بد أن عمره كان بين 2 و 10 سنوات. وبما أن التاريخ الإسلامي لم يهتم بكتابة تاريخ الأشياء ولم يخبرنا متى ولد محمد في الحبشة، **يصبح التخمين هو الملجأ الوحيد لنا**. ولا بد أن سهلة بنت سهيل تبنت سالم بعد رجوعها إلى المدينة، وكبر عندها ولم ترضعه وابنها صغير، وإلا لقالت لمحمد قد أرضعته صغيراً. وبما أن التبني حُرم بعد موقعة الأحزاب في العام الخامس الهجري، فلا بد أن سهلة ذهبت لتستفتي محمداً ربما في العام السادس أو السابع أو حتى الثامن الهجرى لأن سالماً كان قد كبر وقتها. ولما كان ابنها محمد قد ولد بالحبشة، ولا يخبرنا التاريخ الإسلامي أنها ولدت بعد محمد طفلاً، فيجوز لنا أن نفترض أنها لم تكن مرضعاً وقتها لأن ابنها قد تعدي مرحلة الرضاعة. ولا يُحتمل أنها كانت مرضعة لأطفال آخرين لأن الرضاعة كانت تقوم بها نساء البادية بهدف تعليم الصبيان أخلاق ولغة البادية، وسهلة كانت تعيش في يثرب. **فإذاً لا مناص من أنها كانت غير ذات حليب وقت رضاعة سالم.**

ثم ينتقل بنا السيد "مسلم" إلى الرضاعة نفسها وكيفيتها، فيقول:

- (ولان الرضاعة تحرم ما يحرمه النسب فإن الشيوخ قالوا بحرمة بنوك اللبن. وليس مجرد رضعة أو مصة تحرم بل لابد من 5 الرضعات كاملات مشبعات متفرقات أي في أوقات متفرقة) انتهى.

<u>*وهذا دأب الإسلاميين: التوكيد على رأي واحد وكأنه هو الرأي الأوحد ولا غيره يهم المسلمين.*</u> فهو هنا يقول ليس مجرد رضعة أو مصة تحرّم الرجل على المرأة، بينما نجد أساطين الفقه الإسلامي من أمثال مالك بن أنس يقولون:

> ({كتاب الرضاع} { ما جاء في حرمة الرضاعة } [قلت] لعبد الرحمن بن القاسم أتحرم المصة والمصتان في قول مالك (قال) نعم) (المدونة للإمام مالك، ص 405).
> و(عن مسلمة بن على عن رجال عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن أم الفضل بنت الحارث قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يحرم من الرضاعة قال المصة والمصتان) (نفس المصدر).
> و(عن الإمام مالك كذلك عن ثور بن زيد الدؤلي عن عبد الله بن عباس أنه سئل كم يحرم من الرضاعة فقال إذا كان في الحولين مصة واحدة تحرم وما كان بعد الحولين من الرضاعة لا يحرم) (نفس المصدر، ص 406).

فالذي يتحدث عن الإسلام لا يجوز له أن يجزم على شيء حتى إن كان شيخاً ملتحياً لأن الإسلام وقرآنه ما هو إلا سوبرماركت تختار منه ما يحلو لك.

ثم ينتقل بنا السيد "مسلم" إلى مقال في صحيفة الإندبندنت الانـگليزية:

- يتحدث فيه عالم استرالي باسم Mark Cregan عن وجود خلايا جذعية في حليب المرأة المرضعة.

وكعادة الإسلاميين، لم يكن النقل من المقال نزيهاً وتجاهل السيد "مسلم" آراء بقية العلماء الذين ذكرهم المقال. أولاً: هناك عدة حقائق يجب أن نعرفها عن المقالات العلمية.

1. هناك باحثون يعملون في شركات تصنيع الأدوية أو تدفع لهم تلك الشركات أموالاً طائلة ليكتبوا بحوثاً عن أدوية معينة، يظهر فيما بعد أنها بحوث غير نزيهة ويُعرض أصحابها على المجالس الطبية في البلاد الغربية لتحاسبهم. وهناك عدة مئات من العلماء يخضعون لمثل هذه المجالس التأديبية كل عام في أوروبا وأمريكا.
2. هناك باحثون يعملون في جمعيات الضغط السياسي Pressure Groups هدفهم الوصول إلى نتيجة معينة عن طريق إجبار الحكومة بواسطة أبحاث غير نزيهة.
3. كل الترقيات في الجامعات الآن تخضع إلى عدد الأوراق العلمية المنشورة بواسطة الكاتب، ولهذا يضطر عدد كبير من مدرسي الجامعات إلى تأليف أبحاث لا ترقى إلى مستوى البحث العلمي.

ولهذه الأسباب فإن أبحاثاً كثيرة تختفي بعد نشرها بمدة بسيطة إذا لم يستطع عدد آخر من الباحثين تكرار التجربة والخروج بنفس النتيجة. وإذا علمنا أن العالم الأسترالي يعمل في مؤسسة تجارية سويسرية تهتم بإنتاج الوسائل أو المعدات التي تساعد الطفل، عرفنا أنه يجب علينا الحذر قبل أن نتحمس لمثل هذا البحث، خاصة أن الخلايا الجذعية قد وجدت من قبل في لبن الأبقار.

والخلايا الجذعية تتواجد في عدة أعضاء في الجسم، منها نخاع العظام والكبد وحبل السرة، والثدي. وإذا كانت الخلايا توجد بالثدي فلا بد أن بعض تلك الخلايا ينزل من الغدد مع الحليب. ولكن مثل هذه الخلايا التي يرضعها الرضيع لا أثر لها عليه لأن حامض المعدة، ومن بعده إفرازات النكرياس تهضمها كما تهضم البروتينات في الحليب وتحولها إلى أمينو أسيد، ثم تنتقل من الأمعاء إلى الكبد عن طريق الوريد البابي Portal Vein فتهضمها الكبد بواسطة الإنزايمات Enzyme وتحولها إلى سكر. وقد أبدى العلماء البريطانيون تحفظهم حيال البحث الذي هلل له السيد "مسلم" ، فقالوا في نفس المقال في الإندبندنت :

> "British scientists gave a cautious welcome to Dr Cregan s discovery, warning that just because stem cells exist in breast milk did not mean that they could be used to develop a therapy – the ultimate goal of stem cell research. Chris Mason, professor of regenerative medicine at University College London, said: "It may give us some insight into specific breast diseases and is potentially valuable when it comes to drug discovery and drug development but it is fanciful to think it could provide routine therapies."

فأمل العلماء الوحيد مستقبلاً هو جمع هذه الخلايا الجذعية من لبن المرأة أو لبن البقرة أو غيرها، وزراعتها في المختبر لإنتاج أدوية معينة تفيد في علاج بعض الأمراض الوراثية. أما إذا شرب الطفل هذه الخلايا مع الحليب، فسوف تتحول إلى گلكوز Glucose مع بقية الطعام، ولن تؤثر على نمو الطفل أو جيناته Gene. وليس هناك أي سبب علمي لجعل الحليب يحرّم الزواج بين رجل وامرأة.

ثم يتحفنا السيد مسلم بهذه الحكمة:

- (والعلم من طبيعته النسبية والتراكمية وبحوره واسعة وكل يوم يحدث اكتشاف جديد فالعلم لا يعرف الحقائق النهائية الثابتة في كل مكان وزمان وقد يأتي اليوم الذي يثبت أن هذه الرضعات تؤثر في الجينات الوراثية كما يؤثر النسب. فمن كان يتخيل ان هناك ميكانيكا بخلاف ميكانيكا نيوتن ومن كان يتخيل ان هناك هندسة لااقليدية وحتى يأتي ذلك اليوم ولعله قريب يبقى الايمان المجمل الذي تم التوصل اليه بالعقل وأثبته العلم هو الاصل.) انتهى.

فإذا كان العلم لا يعرف الجمود والتقوقع لماذا تصرون على الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وكلاهما جامد جمود الصخور ولا يتزعزع عن القرن السابع الميلادي؟

عودة إلى الفهرس

256 - 257 - متى ظهر الإسلام؟

2011 / 7 / 10

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=266660

ما زال الغموض يلف **تاريخ ظهور الإسلام وتاريخ ظهور وحياة محمد بن عبد الله**، نبي الإسلام. بل حتى شخصية محمد نفسه يحيط بها الغموض. والسبب الرئيس في ذلك هو **عدم وجود شواهد تاريخية** يمكن أن نعتمد عليها في تأريخ الإسلام. فاللغة العربية، لغة القرآن، قد نمت من اللغة الآرامية السريانية التي كانت سائدة في منطقة الهلال الخصيب ولم يكن نمو اللغة العربية الفيلولوجي قد اكتمل وقت ظهور الإسلام. وكانت العربية في بدايتها لغة صوتية لا حروف أبجدية لها تمكن الناس من كتابتها. وحتى الأعراب القليلين الذين تعلموا الكتابة كانوا يكتبون العربية بحروف آرامية، وقد سمى الباحثون طريقة الكتابة هذه ب (قارشوني Garshuni).[1] وقد أحدثت هذه الطريقة في الكتابة أخطاء عديدة في الكتابات التي وصلت إلينا، بما فيها القرآن والتاريخ .وحتى عندما استقر العرب على حروفهم الأبجدية الثمانية والعشرين، كانت هناك سبعة حروف فقط لا يمكن الخلط بينها أما البقية فكان القاريء يصل إليها بالتخمين لأن الحروف لم تكن منقطة. فلم يكن هناك طريقة للتفريق بين الباء والتاء والثاء، أو بين الجيم والحاء والخاء، وهكذا. ولم يكن هناك حرف همزة (أ) في وسط الكلمات، فنجد في القرآن مثلاً "جنت" بدل "جنات". *فندرة الكتابة مع الأخطاء في النسخ جعلت الاعتماد على ما وصلنا من التراث الإسلامي غير ذي قيمة تاريخية.*
ثم أن شخصية محمد نفسها لا نعلم عنها شيئاً مؤكداً. فكتب السيرة تخبرنا أنه ولد بعد موت أبيه بمدة قد تصل إلى أربعة سنوات لأن عبد الله أبا محمد قد تزوج في نفس اليوم مع أبيه عبد المطلب الذي ولدت له زوجته الجديد ابنه حمزة، عم محمد، والذي يكبره بأربعة سنوات حسب بعض القصص. فإذا كان حمزة يكبر محمداً بأربعة سنوات، **فلا بد أن محمداً قد مكث في بطن أمه أربع سنوات**.

ولهذا السبب أصبحت مدة الحمل القصوى في الفقه الإسلامي أربع سنوات.

فمحمد الذي ولد يتيماً فقيراً وتربى في حضن جده عبد المطلب ثم عمه أبي طالب، لم يكن شخصاً ذا بال حتى يهتم الناس بمولده ونشأته. وحتى عندما بدأ دعوته بمكة تجاهله الناس لعدم أهميته بينهم وخاصموه لأكثر من عشرين عاماً. والقرآن نفسه يقول لنا عن أهل مكة أنهم تساءلوا فيما بينهم عندما قال لهم محمد إنه أتى بقرآن من عند الله، فقالوا: {**لولا أنزل على رجل من القريتين عظيم**}. فمحمد لم يكن عظيماً بينهم، والقرآن نفسه يقول له على لسان الله: {**وجدك يتيماً فآوى ووجدك فقيراً فأغنى**}. فكيف يؤرخ الناس لرجل مثل محمد ويحفظون تفاصيل ولادته ونشأته ورعيه للغنم ورضاعته عند حليمة السعدية، وشق صدره وهو طفل؟ وكيف يتناقل الناس مثل هذه القصص عنه ثم لا يصدقونه عندما يقول لهم إنه نبي الله؟ *فالواضح أن سيرة حياة محمد كلها صناعة متأخرة تفنن القصاصون في صياغتها بخيال خصب الهدف منه تمجيد الإسلام ورسوله.*
وإذا سألنا مَن هو محمد؟ وهل كان محمد هو اسمه الحقيقي، تخبرنا كتب السيرة أن اسمه كان "قثم"، ثم سمى نفسه محمد وعقّ، أي ذبح ذبيحة لنفسه يوم سمى نفسه "محمد". فعن أنس بن مالك:

(أن النبي عق عن نفسه بعدما بُعث بالنبوة).[2]

والاسم "محمد" قد استعمله النصارى بالجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام لأنه اسم مشتق من كلمة "الحمد" أي الشكر. فالشخص الكريم سموه "محمود" أو "محمد" أو "أحمد". فمثلاً كان هناك محمد بن سفيان بن مجاشع، أحد أساقفة بني تميم. ومحمد بن حمران، من نصارى مذحج.[3] فإذاً كلمة "محمد" قد سبقت ظهور الإسلام. والشخص غير المحمود كانت الأعراب تسميه "مذمم". قال ابن إسحاق:

(وكانت قريش إنما تُسمى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مُذمما، ثم يسبونه ، فكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول: "ألا تعجبون لِما صرف اللّه عنى أذى قريش، يسبون مُذمما، وأنا محمدٌ".)[4].

ثم أن إله القرآن لم يخاطب نبيه بالإسم محمد، وقد خاطب نوحاً فقال (يا نوح اهبط)، وخاطب إبراهيم (يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا)، وقال لعيسى (يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ)، كما خاطب موسى وقال (يا موسى لا تخف).[5] فلماذا لم يخاطب نبي الإسلام ب "يا محمد"؟ بل أن القرآن عندما تحدث عن محمد بلسان موسى قال لهم: (**سيأتي نبي من بعدي اسمه أحمد**) ولم يقل محمد، وبالتالي كان يمكن لمحمد أن يسمي نفسه "محمود" بدل محمد. ثم أن محمداً لم يُعرف باسم واحد فقط، فقد قال لأصحابه

[أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي وأنا الحاشر وأنا العاقب] (صحيح البخاري).

فالاسم محمد اسم منتحل وليس الاسم الذي عُرف به نبي الإسلام قبل ظهور الإسلام.
ثم نأتي إلى الاسم "عبد الله". كان ملوك إيران يعتقدون أن الحُكم في مملكة إيران-شاهر Eran-Shahr يجب أن يكون في عائلة ساسان لأنهم أحفاد الآلهة. وعندما اعتلت الملكة بوران، ابنة الملك خسرو الثاني، العرش، صكت ميدالية ذهبية نُقش عليها "بوران- مجددة نسل الآلهة Boran, I yazdan tohm winardar. "وبعد هزيمة الساسانيين على أيدي الإمبراطور هيراكليوس في عام 622، بدأ حكم المسيحيين العرب في سوريا وإيران. وأول ما فعله الحكام المسيحيون العرب هو محاولة إزالة مفهوم أن الحكام من نسل الآلهة، فأدخلوا مصطلح "عبد الله" للحاكم.[6] وكذلك فعل المسيحيون في سوريا. بل أن مسيحيي سوريا كانوا يقولون إن يسوع عبد الله ورسوله. وكانت هذه عادة مسيحية سورية ترجع إلى القرن الأول الميلادي. وهناك الخطاب Clement 1 المكتوب إلى المسيحيين في Corinthفي نهاية القرن الأول الميلادي والذي يقول إن الله واحد وهو خالق الكون وخادمه المحبوب يسوع المسيح سيدنا:

---

[1] نقلاً عن كرستوف لوكسنبيرج في كتابه The Syrio-Aramaic Reading of the Koran، ص 114.
[2] بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد القرطبي، ص 329.
[3] النصرانية وآدابها، للأب شيخو، ص 251.
[4] السيرة النبوية لابن هشام، ص 204.
[5] الإتقان لجلال الدين السيوطي، 282.
[6] The Hidden Origins of Islam للمستشرق كارل هاينز أوهليق وجيرد بوين، ص 25.

there is one God, creator of the universe, and his beloved servant Jesus Christ, our Lord.

فإذاً مصطلح "عبد الله" قد سبق ظهور الإسلام وأخذه المسلمون من المسيحيين. فعبارة "محمد عبد الله" أو "عبد الله محمد" لا تنم عن معتقد إسلامي، بل مسيحي.

تخبرنا كتب السيرة أن محمداً ولد عام الفيل، الذي لا نعرف تاريخه بالتحديد، ويقول أهل التاريخ إنه العام الذي حاول فيه أبرهة الحبشي غزو مكة من قاعدته في اليمن عام 570 ميلادية، وإن محمداً بدأ دعوته عام 610 في مكة وعمره أربعون عاماً. وقد أسري به من مكة إلى المسجد الأقصى في القدس على ظهر البراق الأبيض قبل أن يهاجر إلى المدينة عام 622. فلا بد أن الإسراء كان حوالي العام 615 م أو بعدها بقليل لأن الخمس سنوات الأولى من الدعوة كانت مليئة بالخوف وتوقف الوحي بعد موت ورقة بن نوفل، ومحاولة انتحار محمد بإلقاء نفسه من على شاهق، ولم يكن له أتباع يذكرون حتى أسلم عمر في العام الخامس من الدعوة. ولكن كتب التاريخ غير الإسلامية تخبرنا أن الفرس الساسانيين قد استغلوا الخلاف بين بيزنطة المسيحية الكاثوليكية وبين مسيحيي الشام الشرقيين، فغزوا سوريا وفلسطين عام 614، أي بعد ظهور دعوة محمد بأربع سنوات. وقد منح الفرس القدس لليهود الذين كانوا قد عانوا الاضطهاد تحت الإمبراطورية الرومانية في بيزنطة. وقد هدم اليهود كنائس القدس ودمروا جزءاً كبيراً من كنيسة القيامة في العام 614.[7] فلا بد أن محمداً قد أسرى إلى كنيسة القيامة بعد أن خربها اليهود. وقد يستغرب المرء كيف أمّ محمد جميع الرسل والأنبياء في كنيسة القيامة المهدومة ولم يرممها الله لهم تكريماً لكل ذلك الجمع من الأنبياء والرسل.

تخبرنا كتب التراث كذلك أن محمداً قد هاجر إلى يثرب عام 622-623 م، وهو العام الذي غزا فيه الإمبراطور هيراكليوس أرمينيا وانتصر على الفرس وتم الصلح بين بيزنطة والفرس وتم بعدها إرجاع الأراضي التي احتلها الفرس من الرومان في مصر وفلسطين وسوريا. وكان من المفروض حسب القرآن أن يفرح المؤمنون بهذا الانتصار العظيم للروم على الفرس، بينما تخبرنا كتب السيرة أن المؤمنين كانوا في أسوأ ظروفهم، فنبيهم هرب في جنح الليل إلى يثرب، وبقية المؤمنين كانوا في الحبشة في ضيافة الملك المسيحي النقراشي، وبالطبع لم تكن هناك حفلات وعراضة بالسيوف بهذا النصر العظيم. ولكن على الأقل فإن المؤمنين بدءوا تاريخهم الإسلامي بهذا العام الذي انتصر فيه الروم وسموه التاريخ الهجري، بينما سماه السوريون والإغريق "التاريخ العربي" نسبةً لبدء الحكم العربي في المملكة الساسانية.

حسب التاريخ الإسلامي فإن محمداً مات عام 632 وخلفه أبو بكر لمدة عامين ثم آلت الخلافة إلى عمر بن الخطاب الذي فُتحت في خلافته الشام ومصر وفارس، وأنه عيّن معاوية ابن أبي سفيان حاكماً على الشام. وعليه يجب أن يكون معاوية مسلماً رغم أن كتب السيرة تخبرنا أنه وأباه أبا سفيان بن حرب قد ناصبا محمداً العداء حتى فتح مكة في حوالي العام 630 م، أي قبل عامين من وفاة محمد.

فهل حقيقةً كان معاوية مسلماً وكاتباً للوحي؟

بعد موت الإمبراطور هيراكليوس في عام 641 م استولى المسيحيون العرب على الحكم في سوريا، وكان على رأسهم رجل يدعى معاوية، وهو اسم آرامي يعني البكّاء، أي الذي يبكي كثيراً، وهذه الصفة عادة ما تُسبغ على رجالات الدين الذين يخافون الله. كُتب التاريخ المسيحية لا تذكر أنه ابن أبي سفيان. ولدى المتاحف الآن عملات تحمل اسم معاوية ضُربت في درابجيرد Darabjird بفارس عام 41 من التاريخ العربي. وتحمل هذه العملات مع اسم معاوية صفة "أمير ولوشنيكن wlwyshnyk'n "وترجمة ولوشنيكن هي "المصدقون، المخلصون، المؤمنون".[8] فحتى لو قلنا إن معاوية كان أمير المؤمنين، فليس هناك ما يدل على أنه مسلم إذ أن المسيحيين مؤمنون بيسوع، وهو أميرهم. وهو نفس اللقب الذي يحمله اسم معاوية المنقوش على خزان بالقرب من الطائف، ومؤرخ عام 58 بالتاريخ العربي. ونفس النقش موجود باللغة الإغريقية على مبنى حمامات Hammat Gadara في فلسطين، والسطر الأول من النقش يحمل علامة الصليب. فمعاوية لم يكن حاكماً على الطائف وليس هناك من سبب لكتابة اسمه باللغة الإغريقية على الحمامات في فلسطين ووضع الصليب في أول النقش لو كان مسلماً حاكماً بالشام. ولكن لأن معاوية كان أول الحكام العرب المسيحيين الذين استولوا على الحكم في المملكة الساسانية بعد هزيمة الفرس عام 622، احتفل به المسيحيون في فارس وفي الطائف وغيرها ونقشوا اسمه ولقبه على المباني وعلى العملات.

ونص النقش على الحمامات باللغة الإغريقية هو:

> (في أيام معاوية، عبد الله وقائد المؤمنين، أُصينت هذه الحمامات على يد الأمير عبد الله بن أبي أسيموس Abuasemos في اليوم الخامس من ديسمبر، اليوم الثاني من الأسبوع، في السنة السادسة من ال indiction في السنة 726 من إنشاء المدينة، في السنة 42 بالتاريخ العربي، تحت رعاية يوهانس قاضي المدينة Indiction .(هي دورة تتجدد كل 15 سنة حسب التاريخ الروماني القديم. (نقلاً عن المصدر السابق، وترجمة كاتب المقال).

والنص بالإنـگـليزية:

> In the days of Maauia, the servant of God, the leader of the protectors, the hot baths were preserved and renovated by the councillor Abdallah, son of Abuasemos, of the fifth of December, on the second day of the week, in the sixth year of the indiction, in the year 726 from the founding of the city, in the year 42 following the Arabs, for the healing of the sick, under the supervision of Johannes, the magistrate of Gadara.

وهناك الآن بالمتاحف عملات نحاسية كثيرة تحمل اسم معاوية وعبد الملك بن مروان وسالم بن زياد وعبيد الله بن زياد. وهناك عملة ضُربت عام 41 تحمل اسم زياد بن أبي سفيان. وكلها تحمل علامة الصليب أو الحجر اليهودي (بيت الإله Yegar Sahaduta)، وبعض العملات تحمل كلمة "محمد" مع الشمعدان اليهودي ذي السبع أذرع، وتغيرت أخيراً إلى الشمعدان ذي الخمسة أذرع. *ولا تحمل أي من العملات التي أُكتشفت حتى الآن الهلال الإسلامي.* ولم يعثر المنقبون عن أي عملة تحمل اسم أبي بكر أو عمر أو عثمان. ولم يذكر في أي من النقوش أو العملات من زمن معاوية كلمة الإسلام أو أبا بكر أو عمر أو عثمان. **فليس هناك ما يدل على أن الحكام الأمويين كانوا مسلمين.**

---

[7] The Hidden Origins of Islam, p22.
[8] Walker, catalogue I, no. 35, p 25.

(نقلاً عن كارل هاينز أوهليق.)

2011 / 7 / 21

2 مِن 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=268175

من الصعب تحديد زمن ظهور الإسلام بدقة **نسبةً لشُح المصادر غير الإسلامية التي تتحدث عن هذا الموضوع من جانب، وعدم مصداقية المصادر الإسلامية من الجانب الآخر.**
فالمصادر الإسلامية لم يبدأ ظهورها إلا بعد حوالي مائة وخمسين عاماً من التاريخ المزمع لوفاة نبي الإسلام. ولا يمكن الاعتماد على هذه المصادر *لأنها لم تُكتب من أجل التاريخ وإنما كُتب معظمها لتبجيل وتعظيم الإسلام ونبيه*، وقد اكتظ معظمها بقصص أسطورية مثل قصة شق صدر النبي وهو طفل وغسله بماء الثلج لإزالة الشرك عنه.
ومما يزيد في صعوبة المهمة تأخر ظهور الكتابة باللغة العربية. فلم تظهر اللغة المكتوبة إلا في القرن الخامس الميلادي، وكانت في البدء لغة تنقصها النقاط وعلامات الترقيم الأخرى مما أدى إلى الخلط في كثير من الكلمات المكتوبة. ولذا كان لا بد من الاعتماد على المصادر المكتوبة باللغات الإغريقية والآرامية السريانية، وبعض المصادر المكتوبة باللغة الرومانية.
مسرح الحوادث في بداية القرن السابع الميلادي (التاريخ المزمع لظهور الإسلام) كانت تسيطر عليه الديانة المسيحية التي كانت ديانة الدولة في إمبراطورية بيزنطة الرومانية التي امتدت سيطرتها في الهلال الخصيب من غزة، مروراً بفلسطين وسوريا إلى تركيا. منطقة ميسوبوتوميا بين دجلة والفرات كانت تابعة للإمبراطورية الساسانية الغارسية التي كان دينها الرسمي الزرادشتية ولكن بعد خسارتها منطقة نينوى في عام 627 انحسرت الإمبراطورية الساسانية ومعها الزرادشتية وحلت محلها المسيحية. وأصبحت منطقة فارس مسيحية، وكان بها كاتدرائية ضخمة تنافس كاتدرائية القسطنطينية، وكانت منطقة الحيرة في العراق هي مركز تعليم المسيحية، وتمت بها ترجمة الإنجيل من اللغة الرومانية إلى اللغة الآرامية السريانية. ومما ساعد عملية الترجمة في الحيرة أن الإمبراطور جستينيان الأول أقفل الأكاديمية الأثينية في القسطنطينية عام 529، مما اضطر أساتذة الفلسفة اليونانية إلى إللجوء إلى منطقة الحيرة للعمل، فاللغة الإغريقية لم تكن غريبة على المنطقة. كما كانت منطقة الرصافة مقراً رئيسياً لأتباع عقيدة سينت سرجون المسيحية St. Sergius of Rusafa.[9]
وقد احتل الساسانيون تحت قيادة شابور الثاني في القرن الرابع، شرق جزيرة العرب حتى منطقة اليمامة، ثم احتلوا اليمن المسيحي في عام 572 بعد أن طردوا منه الأحباش المسيحيين. فمنطقة اليمن كلها كانت مسيحية مع وجود اليهودية بها وانتقلت المسيحية إلى قبائل شرق الجزيرة العربية. بقية القبائل العربية في الحجاز كانت في أغلبها وثنية، مع وجود قبائل مسيحية مثل قبيلة طي، ونجران، ومضر، وقُضاعة (التي كانت أول قبيلة عربية تتنصر)، وتميم، وقبائل منطقة الأردن التي كانت عاصمتها البترا أو سلع.[10] بقية القبائل البدوية كانت وثنية ولكن بعض أفرادها كانون يعرفون الوحدانية التي كانت تُعرف باسم "الحنيفية" نسبة لإبراهيم الذي حنف عن دين آبائه الوثني، أي انحرف عنه. فكلمة "حنيفية" تعني الانحراف.
يقول كتاب Cross Roads To Islam للمستشرق Yehuda D Nevo:

> إن الطبقة العليا في العرب كانوا على دين التوحيد، ولكن ليسوا مسلمين (ص 207).

يزعم كُتاب التراث الإسلامي أن محمداً ظهر في هذا المسرح المسيحي في حوالي العام 622 بعد هجرته إلى المدينة، واستطاع في ظرف عشر سنوات فقط أن يُخضع جميع هذه القبائل العربية للإسلام، **وهذا زعم يصعب تصديقه**. ثم زعموا أن معاوية ابن أبي سفيان، الذي كان مع أبيه، أبي سفيان بن حرب، من ألد أعداء الإسلام ولم يسلما إلا في سنة ثمان هجرية، أي قبل سنتين من موت محمد، وأصبح بدون أي مقدمات كاتباً للوحي لدى محمد، وأصبح المسلمون يقولون "رضي الله عنه" بعد ذكر اسمه. *فأي وحي كتبه هذا المعاوية يمكن أن يعتمد عليه المسلمون؟* ومعاوية هذا لم نقرأ عنه كلمة واحدة في التراث الإسلامي، ولا نعرف عنه شيئاً إلا بعد أن أصبح كاتباً للوحي ثم أميراً على الشام. فهل فعلاً احتل المسلمون الشام في خلافة عمر بن الخطاب، أي في ظرف خمس إلى ثمان سنوات بعد موت محمد؟
لا بد لنا هنا من الاعتماد على المصادر غير الإسلامية. معاوية أصبح حاكماً للشام عام 640 بعد أن تخلت بيزنطة عن سوريا لأسباب اقتصادية جعلت الشام عبئاً على القسطنطينية التي خلت خزينتها من الأموال بعد أن بدد جستينيان الأول أموال الخزينة في بناء كنيسة أيا صوفيا Hagia Sophia التي كلفت الخزينة 320 رطلاً من الذهب كادت أن تفلس الدولة بعدها، ثم صرف الإمبراطور هيراكليوس ما تبقى على حروبه مع الساسانيين. فاضطر هيراكليوس إلى التخلي عن الشام. وكانت هذه فرصة للقبائل العربية المسيحية في الشام لاستلام الحكم. وقد برز بينهم معاوية ربما لمهارته السياسية أو العسكرية، أو الاثنين معاً. وعندما استلم معاوية الحكم في سوريا فرض عليه الإمبراطور هيراكليوس معاهدة يدفع بموجبها معاوية سنوياً ثلاثة آلاف قطعة ذهب وخيول وعبيد.[11]

فهل يدفع المنتصر جزية للمهزوم، إذا صدقنا الروايات الإسلامية التي تقول إن المسلمين هزموا قوات هيراكليوس واحتلوا الشام؟

ولو كان المسلمون قد انتصروا في المعارك التي يذكرها التراث الإسلامي، ألا نتوقع أن يكتب مؤرخو تلك الفترة في الشام أو القسطنطينية أو الحيرة شيئاً عن تلك المعارك مع العلم أن الكتابة والتاريخ كانتا منتشرتين في تلك البلاد؟ فالمصادر السريانية حتى القرن الثامن الميلادي لا تذكر شيئاً على الإطلاق عن تلك المعارك.[12] في مذكرات أحد الرهبان باللغة السريانية نجده يقول:

> (في اليوم الرابع والعشرين من ديسمبر سنة 633، وفي دير خارج دمشق، تمت كتابة نسخة فاخرة من الإنجيل رغم تجمع السحب المنذرة بقدوم سنوات حالكة.)[13]

(وهذا الراهب الذي ذكر كتابة نسخة من الإنجيل وتجمع السحب الداكنة لم يذكر موقعة مؤتة في عام 629 ولا أي معركة بين المسلمين والمسيحيين.)

---

[9] نقلاً عن كتاب:
The Hidden Origins of Islam, Karl Heinz-Ohlig, p 19.

[10] النصرانية للأب شيخو، ص 34.

[11] Karl Heinz-Ohlig, p51.
[12] Cross Roads to Islam, p 106.
[13] Sebastian Brock, Syriac Sources for Seventh Century History, p 13.

أما المؤرخ الأرميني سيبيوس Sebeos الذي كتب في القرن السابع الميلادي عن تاريخ الإمبراطور هيراكليوس، فقد ذكر أشياء بسيطة عن معركتين بين العرب ومسيحيي الشام في تلك الفترة، ولم يُسمي تلك المعارك التي يعتقد الدارسون المعاصرون أنهما كانتا موقعتي اليرموك والقادسية المذكورتين في التراث الإسلامي. بينما لو أخذنا مثلاً مذكرات جشوا Joshua the Stylite التي تغطي الفترة من 395 إلى 506، نجد أن المصادر الدينية العبرانية تذكر جميع المعارك والمناوشات بتفاصيل مذهلة. فلماذا يذكر العبرانيون كل هذه التفاصيل بينما تتجاهل المصادر السريانية السورية وصف معارك العرب المسلمين ضد بلادهم؟ بالطبع لو حدثت هذه المعارك كما تزعم المصادر الإسلامية، لكتبها المؤرخون السريانيون. ومذكرات خوذستان Khuzestan Chronicles وهي مذكرات لا يُعرف اسم كاتبها، تصف تاريخ الكنيسة، بين سنة 670 و 680، تحتوي على معلومات كثيرة عن المعارك بين الرومان والساسانيين، لكنها لا تذكر إلا النزر اليسير عن معارك العرب في الشام.[14] وقد رأينا في الحلقة السابقة أن جميع العملات التي ضُربت في عهد معاوية، وجميع النقوش على الحيطان لم تذكر الإسلام ولا محمداً.

فهل يمكن أن نصدق أن معاوية كان مسلماً وأرسله عمر بن الخطاب ليحكم الشام إنابة عنه؟

المصدر الوحيد الذي يقول شيئاً ربما يوحي بأن العرب الذين يحكمون سوريا في تلك الأيام قد يكونون أصحاب ديانة غير مسيحية، هو ما كتبه الأسقف النسطوري أوشيعب Isho'yahb في عام 659، أي في أيام معاوية، فهو يقول:

> (ولكن هؤلاء العرب الذين منحهم الله السلطة على البلاد في هذه الأيام ... فإنهم لا يهاجمون المسيحية بل يحترمونها ويحمون كنائسنا وبيعنا ويحترمون قساوستنا).[15]

وكما ذكرنا أعلاه أن بعض المؤرخين يعتقدون أن العرب كانوا أهل توحيد عام ولكن لم يكونوا مسلمين. ثم أن مؤلف كتاب "حياة ماكسيموس Maximus the Confessor "الذي كان يعيش متخفياً في أيام سيطرة هيراكليوس على الشام نسبة لأنه كان متهماً بالهرطقة، قد جاء إلى الشام في أيام معاوية *وأصبح يبشر على المفتوح ودون خوف*.[16]

أول ذكر موثق للإسلام جاء في عهد عبد الملك بن مروان الذي تولى الحكم عام 680 م 60 هجرية. عبد الملك أعلن أن دولته دينها الإسلام، ونبيها محمد، وربها واحد لا شريك له. ثم أصدر عملات نُقش عليها "عبد الملك خليفة الله" وعملات أخرى تحمل اسم محمد ولكن مرسوم عليها بيت الإله العبري أل El الذي يُرمز إليه بعمود حجري في وسط العملة ومكتوب حوله "لا إله إلا الله وحده، محمد رسول الله."[17]

ثم أسس عبد الملك ما يُعرف باسم "مسجد الصخرة"، وهو هيكل عظيم له ثمانية أضلاع وبه ستة عشر عموداً داعماً للسقف، وتعلوه قبة. وقد كُتبت آيات قرآنية على واجهاته الثمانية من الخارج ومن الداخل كذلك. في الجانب الخارجي كُتب:

> (بسم الله الرحمن الرحيم. لا اله الا الله. لا شريك له. قل هو الله أحد الله الصمد. لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفو احد. محمد رسول الله صلى الله عليه. ان الله وملئكته يصلون على النبي يا االذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما. الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا .وملئكته ورسله والسلم عليه ورحمت الله. بنى هذه القبة عبد الله عب... تقبل الله منه ورضي عنه. امين رب العالمين. لله الحمد).

وفي الجدار الداخلي كُتب:

> (يا اهل الكتب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق. انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القيها إلى مريم وروح منه. فامنوا بالله وحده سبحنه ان يكون له ولد. له ما في السموت وما في الارض وكفى بالله وكيلا. لن يستنكف المسيح ان يكون عبد الله ولا الملئكة المقربون. ومن يستنكف عن عبدته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا. اللهم صلي على رسولك وعبدك عيسى ابن مريم والسلم عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا. ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه تمترون. ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحنه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون. ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم. شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة واولوا العلم قيما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلم وما اختلف الذين اوتوا الكتب الا من بعد ما جاهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بايت الله فان الله سريه الحساب).

فهل قصد عبد الملك من قبة الصخرة أن تكون مسجداً أم مجرد بناء ينافس به كنيسة أيا صوفيا في القسطنطينية وكنيسة القيامة في القدس؟ إذا كان القصد منه أن يكون مسجداً للمسلمين، *فإننا نلاحظ أن هذا المسجد ليس به محراب يتجه نحو الكعبة التي كانت في ذلك الوقت قد أصبحت قبلة المسلمين بعد أن حول محمد قبلته من بيت المقدس*، كما تقول كتب التراث. ثم أن البناء به اثنا عشر عموداً تمثل أسباط إسرائيل الاثني عشر. كما أن الآيات الداخلية كلها تتحدث عن بني إسرائيل وعيسى. ثم أن الصخرة التي بوسطه والتي سُمى باسمها لا نعرف الغرض منها. هل هي الصخرة التي صارع عندها يعقوب ربه، كما في الديانة اليهودية، أم هي الصخرة التي صعد منها يسوع إلى السماء كما يقول المسيحيون، أم هي توأم الحجر الأسود في الكعبة؟ فالإسلام ليس به صخرة حسب تعاليم نبيه. القرآن يقول: {**سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله**}. وبالطبع قبل بناء هذه القبة عام 72 للهجرة لم يكن هناك مسجد أقصى في القدس، بل كانت هناك كنيسة القيامة وبقايا هيكل سليمان، كما يزعم اليهود. وهناك مَن يشكك بأن عبد الملك قصد من البناء أن يكون مسجداً.

أما كلمة "مسلم" فلم تظهر كتابةً إلا في العصر العباسي. فالعملات والنقوش الحائطية والمصادر غير الإسلامية لم تذكر كلمة "مسلم".[18] المصادر غير الإسلامية كانت ترمز إلى أتباع محمد ب "الهاجريون" نسبة إلى هاجر زوجة إبراهيم، التي أنجبت له إسماعيل. **وكانت الكلمة تُستعمل كنوع من التحقير لهم على أساس أنهم أبناء الجارية**. وفي مصر لم تظهر كلمة "مسلم" إلا في نهاية مذكرات الأسقف القبطي جون من نيكيو Bishop John of Nikiu في حوالي العام 70 الهجري، والتي يقول فيها إن كثيراً من المسيحيين لم يكونوا مسيحيين حقيقيين وقد تنكروا لدينهم واعتنقوا ديانة المسلمين.

كانت الإمبراطوريات في ذلك الوقت تستعمل أوراق البردي في المكاتبات الرسمية، وكانت اللفافة من ورق البردي يُكتب في أعلاها آيات مسيحية باللغة الإغريقية أو السريانية.

> يقول البلاذري إن عبد الملك بن مروان كان أول من استعمل آيات قرآنية في أعلى أوراق البردى،

والتي يسميها الباحثون Protocols وقد كانت الحكومة في عهد معاوية تستعمل اللغة اليونانية والعربية في البروتوكولات هذه، لكنها كانت تخلو من عبارات إسلامية.[19]

[14] Cross Roads to Islam, 107.

[15] نفس المصدر أعلاه، ص 216.

[16] نفس المصدر أعلاه، ص 214.

[17] The Hidden Origins of Islam, p 67.

[18] Cross Roads to Islam, p 234.

[19] نفس المصدر أعلاه، ص 284.

العداء بين المسيحية والإسلام لم يظهر إلا في عهد عبد الملك، وخاصة في مصر عندما كانت تحت إمرة عبد العزيز بن مروان، الأخ الأصغر لعبد الملك. وقد أمر عبد العزيز في حوالي العام 69 هجري، بتحطيم كل الصلبان في مصر والكتابة على أبواب جميع الكنائس "محمد الرسول الكبير"، كما جاء في مذكرات الأسقف جون المذكورة أعلاه، وفي صفحة 201 (نقلاً عن المصدر أعلاه). ثم جاء بعده الوليد بن عبد الملك الذي اعتلى الخلافة بعد عبد الملك وأمر بهدم جزء من كنيسة يوحنا بدمشق وبنى فيه المسجد الأموي.
ونأتي الآن إلى القرآن نفسه. فقصة اكتمال نزول الوحي قبل وفاة محمد، وجمع القرآن في حياته أو في خلافة أبي بكر، ومرة أخرى في خلافة عثمان، فكلها قصص متأخرة كُتبت في منتصف القرن الثامن الميلادي. أول كلمة مكتوبة عن القرآن وجدت في مخطوطة في المدينة مؤرخة بعام 135 هجري، وذُكر فيها "كتاب الله" فقط، ولم تقل "القرآن".[20] *<u>وقصة أن عثمان كتب ست نسخ من القرآن وأرسلها إلى الأمصار كذلك قصة بلا دليل إذ أن الباحثين فشلوا في العثور على أي من تلك النسخ المزعومة</u>*. فلو كان عثمان فعلاً قد كتب تلك النسخ وبعث بها إلى الأمصار، ولو افترضنا أن اثنين أو ثلاثة من النسخ قد تلفت أو أحرقت، كيف يُعقل أن لا يحافظ المسلمون على أغلى كتاب في حياتهم؟ ألم يكن في المسلمين مَن يحافظ ولو على نسخة واحدة من ذلك الكتاب العظيم؟ ثم أن مالك بن أنس عندما سألوه عن مصحف عثمان، قال: (لقد تغيّب ولم نعثر له على أثر) كما ورد في كتاب الوفاء للسمهودي، باب الأشياخ. وورد نفس القول في كتاب المصاحف لأبي داوود، نقلاً عن عبد الله بن وهب، الذي يقول:

"سألت مالكاً عن مصحف عثمان، فقال : لقد ذهب".[21]

وابن سعد، الذي نقل السيرة عن ابن إسحق، أقدم كتاب إسلامي،

"لم يذكر شيئاً عن جمع القرآن".

أبو داوود السجستاني، في كتابة "المصاحف" كتب بإسهاب عن مجهود الحجاج بن يوسف في تنقيط وإعادة كتابة المصحف.

ويجمع الكثيرون أن الحجاج بن يوسف قد محا آيات وأدخل أخرى في مصحفه الذي أرسله إلى الأمصار في خلافة عبد الملك، مما أثار غضب عبد العزيز بن مروان عندما وصلته نسخة الحجاج في مصر، فأمر علماء مصر أن يكتبوا له مصحفاً.

وقول عبد الملك بن مروان في شهر رمضان، قول معروف للجميع. فقد قال إنه يخشى أن يموت في رمضان لأنه الشهر:

(الذي ولدتُ فيه، وفُطمتُ فيه، وبويعت فيه، وجمعتُ القرآن فيه).

وخلاصة القول، بعد دراسة جميع المصادر المتاحة لهم من مخطوطات وعملات نقدية ونقوش، وكتب التراث الإسلامي، والمصادر المعاصرة لفترة حكم الأمويين والعباسيين، اتضح للعلماء

أن الإسلام لم يظهر فجأة وينتشر في مدى عشر سنوات، كما تزعم كتب التراث، إنما بدأ بحركة سياسية قادها قثعم في القرن السابع الميلادي، ودعمها بنصوص قال إنها أتته من السماء، كما أتت النصوص لموسى وعيسى من قبله.

ولا شك أن هناك من آمن بمحمد واتبعه، وبعد موته قاموا بنشر رسالته بعد أن أضافوا إليها الكثير من النصوص والقصص الأسطورية التي تمجد نبيهم.

وقد تم نشر الرسالة بقوة السيف وليس عن طريق المنطق إذ أن منطق النصوص التي أتى بها محمد لا يمكن أن تُقنع أي إنسان عاقل مطلع على الأديان التي سبقت ظهور محمد.

وقد تضافرت الجهود في زيادة وحذف بعض المقاطع من ذلك النص المقدس الذي سماه المسلمون فيما بعد ب "القرآن". ولم تكتمل صورة النصوص القرآنية إلا في عصر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان.
أما تشريعات الإسلام الأخرى من فقه وغيره فقد استغرقت عقوداً طويلة اكتملت بنهاية الدولة العباسية.

عودة إلى الفهرس

[20] The Hidden Origins of Islam, p 97.

[21] المصدر أعلاه، ص 205.

258 - الرسم القرآني - بعض الإيضاحات

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=272385

قرأنا في "الحوار المتمدن" بتاريخ 2011/1/13 مقالاً عن الرسم القرآني، للكاتب هشام آدم، أثار فيه نقاطاً مهمة عن الطريقة التي كُتب أي رُسم بها القرآن في المصحف الذي بين أيدينا الآن، والذي يُعرف ب " مصحف عثمان". كل النقاط التي أثارها السيد هشام تستحق الوقوف عندها والتنقيب في مصادرها وسبب ظهورها بتلك الصيغة أو الرسم. أنا شخصياً أعجبني المقال رغم أن الكاتب، في رأيي، لم يوفق في كتابة مقدمته.

يقول السيد هشام في المقدمة:

"اللغة العربية التي تكلم بها بدو الجزيرة العربية ونواحٍ من اليمن والبحرين والشمال العربي هي لغة مكتوبة، ولكن تاريخ الكتابة بالعربية هو ما لم يتم تناوله بالبحث والاستقصاء، ولهذا فإن مصادرنا عن منابع اللغة العربية تكاد تكون شحيحة إن نحن استثنينا بعض الكتب والمباحث التي تتناول تاريخ العربية. وليس في وسعنا الاعتماد على تلك المراجع التي تأخذ العربية من حيث هي لسان وليس من حيث هي كتابة حرف (أي مكتوبة)، ولكن من الواضح أنها كانت شبيهة تقريباً بالعربية المكتوبة اليوم (على الأقل في حقبة ما قبل الإسلام، وبالتحديد في حقبة إزدهار التجارة في مكة مع اختفاء التنقيط بطبيعة الحالة)." انتهى.

وفي الحقيقة فإن المستشرقين من أهل اللغة والتاريخ والحفريات، قد نقّبوا عن تاريخ اللغة العربية، خاصةً في العقود الثلاثة أو الأربعة الأخيرة من القرن العشرين، وكل ما توصلوا إليه حتى الآن يبين أن اللغة العربية كانت لغة كلام في جزيرة العرب، وخاصة في الحجاز، رغم أن جنوب اليمن كان يتحدث العربية ويكتبها **بحروف المسند**. وقد عثر الباحثون على نحوتات عديدة يرجع تاريخها إلى ما قبل الميلاد، ومكتوبة **بلغة المسند** التي تتكون من حروف أبجدية عربية لكنها غير منقطة. ومع أن العرب العاربة من أهل تلك المناطق نزحوا إلى الحجاز ونقلوا معهم معتقداتهم الدينية، فقد ظلت اللغة العربية غير مكتوبة في الحجاز وبقية شمال الجزيرة العربية حتى بداية القرن الخامس الميلادي. قبل القرن الخامس الميلادي كانت اللغات النبطية والثمودية والصفدية هي اللغات المكتوبة والتي عثر الباحثون على شواهد عليها.[1] فمثلاً، كل الحفريات التي تمت في جنوب سوريا وفي ثمانية عشر موقعاً تاريخياً في المملكة الأردنية، أثبت الباحثون أنها كانت مواقع مأهولة منذ الإمبراطورية البيزنطية حتى بداية الدولة العباسية، ورغم أنهم عثروا على الكثير من النحوت والجرار النبطية والثمودية والصفدية، *فإنهم لم يعثروا على أي أثر للغة العربية*. وحتى في صحراء النجف في فلسطين حتى بداية العهد الأموي، فقد كانت كل النحوت والمخطوطات التي عثر عليها الباحثون مكتوبة باللغة الإغريقية.[2]

أقدم نحت باللغة العربية، كما نعرفها الآن، وجد في منطقة الطائف بالسعودية، ويرجع تاريخه إلى الأربعينات بالتاريخ العربي، أي منتصف القرن السابع الميلادي. والنحت المكتوب بإسم معاوية مؤرخ عام 58 هجري، أي 678 ميلادي. فاستنتاج السيد هشام بأن اللغة العربية كانت لغة مكتوبة، استنتاج لا تسنده الحقائق المعروفة.

سبب الاستنتاج الذي توصل إليه السيد هشام هو افتراضه:

"لأن ذلك يستدعي الاعتراف بقوامة اللغة المكتوبة للمراسلات والمكاتبات التجارية والعقود والمفاوضات التي تدخل قريش طرفاً فيها، ونعلم جميعاً أن العرب استخدمت الكتابة في توثيق العقود والمواثيق فيما بينها، ولاشك أنه تم الاتفاق على لغة (أو إملاء) معياري في الكتابة. كما كانت لغة قريش هي اللغة المعيارية في ذلك الوقت" انتهى.

ويؤسفني ألا أتفق مع السيد هشام في هذا الافتراض لعدة أسباب، منها:

- أن الكتابة في قريش كانت شبه معدومة، كما تخبرنا كتب التراث الإسلامي.

يقول الغزالي في كتابه "إحياء علوم الدين، باب العبادات، ص 51:

"الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وصدر التابعين وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجملة التابعين رضي الله عنهم وبعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين بل كان الأولون يكرهون كتابة الأحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره أبو بكر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم تصحيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والإقراء."

ويقول البلاذري كذلك:

"ويقال أن أول من تعلم الكتابة من قريش سفيان بن أمية بن عبد شمس وأبو قيس بن منان، وتعلم منهم قيلان بن سلمة الثقفي. وعند دخول الإسلام كان في قريش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتبون، وكذلك بعض النساء مثل الشفاء بنت عبد الله العدوية، من رهط عمر بن الخطاب الذي طلب منها تعليم ابنته حفصة القراءة."[3]

- ثانياً لو كانت قريش تكتب لما حثهم محمد في قرآنه من المدينة أن يكتبوا ما تداينوا به

{إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله . (البقرة 283)}.

- وثالثاً: كانت المعاهدات القليلة التي كُتبت قد كُتبت باللغة السريانية التي كانت لغة الثقافة والكتابة والأديان في ذلك الوقت.

يقول البلاذري كذلك:

"حدثنا عباس بن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن جده وعن الشرقي بن القطامي قال: اجتمع ثلاثة نفر من طيء ببقة وهم مرا مر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية. فتعلمه منهم قوم من الأنفار ثم تعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار."[4]

حتى معاهدة المدينة التي يزعم المسلمون أن محمداً قد وقعها مع اليهود، لم تكن مكتوبة ولم يُعثر لها أي أثر. أولُ مَن ذكرها هو ابن إسحق الذي توفي عام 150 هجرية أي بعد حوالي مائة وأربعين عاماً بعد موت محمد. ابن إسحق لم يذكر أي سند أو اسم شخص

---

[1] cross roads to Islam, Yehuda Nevo & Judith Koren, p 176.

[2] نفس المصدر، ص، 92، 174.

[3] البلاذري، فتوح البلدان، ص 531.

[4] نفس المصدر ص 233.

أخبره بنص تلك المعاهدة، وإنما كتب معاهدة قال إنها كانت بين نبي الإسلام ويهود المدينة.[5] والغريب أن هذه الصيغة من المعاهدة التي ذكرها ابن إسحق لم يكن بها ذكر لقبيلة بني قريظة ولا قبيلة بني قينقاع، وهما كانتا أكبر القبائل اليهودية بالمدينة. فأغلب الظن أنه لم تكن هناك أي معاهدة مكتوبة. وعليه يتضح لنا أن الكتابة باللغة العربية لم تكن معروفة في القرن الخامس والقرن السادس.
بعد هذه المقدمة البسيطة ننتقل إلى صلب الموضوع، وهو الرسم القرآني. من المتفق عليه بين الدارسين أن اللغة الآرامية هي اللغة الأم لكل اللغات السامية. وقد تولدت من اللغة الآرامية اللغة السريانية التي كانت لغة أهل الشام الكبير، ثم اللغة العبرية، وأحدثهم اللغة العربية. *فحتى القرن السادس الميلادي كانت اللغة العربية لغة منطوقة فقط*، خاصةً في البوادي التي كان يقطنها غالبية العرب في شمال الجزيرة. والذين تعلموا كتابة العربية في ذلك الوقت، كانوا يكتبونها بالحروف السريانية، كما ذكر البلاذري في المصدر أعلاه. وعليه فإن القرآن حينما كُتب في بدايته، كان يُكتب بالحروف السريانية.

وقد أدى هذا إلى عدم فهم بعض الآيات حتى من قبل المفسرين، ناهيك عن العامة.

فقد روى البخاري أن محمداً كان يلوذ بالصمت عندما يسأله أصحابه عن بعض الآيات التي تحوي كلمات غريبة.
وروى كذلك أن سعيد بن المسيب، أحد علماء المدينة السبعة، كان يصمت كأنه لم يسمع السؤال عندما يسأله أحد عن كلمة غريبة.

أو كان يقول:

(لا تسألني بل اسأل مَن يقول إن شيئاً منه لم يعد خافياً عليه) وكان يقصد عكرمة.

ولأن المفسرين كانوا يجهلون اللغة السريانية، فقد لجأوا إلى الكذب واختراع تفاسير لا تمت للحقيقة بصلة. فمثلاً عندما جاءوا ليفسروا الآية (**كأنهم حُمر مستنفرة. فرت من قسورة**)، قالوا إن قسورة تعني أسد في اللغة الحبشية، كما روى الطبري عن ابن عباس. ولكن عندما راجع المستشرق الألماني كروستوف ليكنسبيرج القاموس الإثيوبي، لم يجد كلمة "قسورة" به. ولكن في اللغة السريانية فإن الكلمة تعني حمار هرم لا يقدر على حمل شيء. فكيف تفر الحُمر الوحشية المستنفرة من حمار هرم؟
يقول السيد هشام:

"وفي حدود علمي فإن علم القراءات ذو اتصال باللغتين اللسانية والحرفية، ففي قوله {**قال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها**} يقرأها بعضهم {مجريها} لأنه ينطقها بهذا الشكل، وربما لا يهمنا هذا الأمر في كثير أو قليل، لأن هذه الاختلافات لا تكاد تؤثر عميقاً في المعنى؛ إذ هي في الأصل اختلافات في النطق وليس الكتابة، فنحن في السودان مثلاً ننطق القاف غيناً، ولكننا نكتبها قافاً كما هي." انتهى.

وفي الحقيقة الموضوع ليس موضوع نطق الكلمات وإنما كتابتها. السبب في ذلك يرجع إلى بداية كتابة اللغة العربية التي لم تعرف الهمزة (الألف) في البداية، وقد أدخلها النحويون في القرن الثامن الميلادي. فالكلمات التي ننطقها بألف في وسط الكلمة، استعاض النساخ عن الألف الذي لم يكن معروفاً بالحرف "ياء". ولذلك كتبوا "مجريها" بدل مجراها. ولو نظرنا في **مصحف سمرقند**، وهو أقدم نسخة من المصحف معروفة للباحثين، نجد أنهم كتبوا "وللرجيل" بدل وللرجال. وكذلك "سموات" بدل سماوات. و "يمعشر" بدل يا معشر. و "ذلك" بدل ذالك، وهلم جرا. ولما بدأ النحويون باستخراج قواعد النحو والإملاء في القرن الثامن الميلادي، وبما أنهم جميعاً كانوا مسلمين قريبين زمنياً من بداية الإسلام، وكانوا يؤمنون أن القرآن كلام الله المنزل، فقد جعلوا قواعد الإملاء تتواءم مع الرسم القرآني. فقالوا:

(تحذف همزة الوصل من "أ" الثانية ويعوض عنها بعلامة المد "آ" إذا دخلت عليها همزة الاستفهام مثل "أأنت رجل أم امرأة؟" فتُكتب "آنت رجل أم امرأة؟" وكذلك أاية أو ءاية، فتُكتب آية. وءادم تُكتب آدم، وهكذا. ولكن فقهاء المسلمين الذين يظنون أن القرآن كلام الله المنزل، وكأنما الله كتب الإملاء بنفسه، حافظوا على الرسم القديم للقرآن، ولذلك ما زلنا نجد (ءايات) و (ءالاء) و (ءادم) .وتُحذف همزة الوصل بعد ياء النداء، فنكتب: يابن قومي تعال نتصالح، بدل يا ابن قومي. وتُحذف كذلك الهمزة من "اسم" في البسملة الكاملة، فنكتب: بسم الله الرحمن الرحيم. ولكنها لا تُحذف إذا كانت البسملة غير كاملة، فنكتب: باسم الله مجراها ومرساها. وتُحذف الهمزة إذا دخلت عليها لام الجر، مثل: للقمر وجه ناصع بدل: ل القمر وجه ناصع.)

يقول السيد هشام:

(وفي قولنا (يا معشر) نجدها في القرآن (يمعشر) مع وضع ألف صغيرة بين الياء والميم. وكذلك نجد القرآن يكتب "الملائكة" برسم مختلف (ملئكة) ولكن بوضع الهمزة أسفل النبرة لا فوقها. ونكتب "مثواكم" لأن أصل الكلمة هي (مثوى) فالواو حرف أصيل، والالف حرف ليّن يمكن إعادته إلى أصله، ولكنها تظل في القرآن على علّتها فترسم النبرة وتوضع ألف صغيرة عليها، وهو ما لم يعرفه الإملاء العربي عموماً، فالنبرة إما للحرف المنقوط كالنون والباء والتاء والثاء والياء وإما للهمزة، ولكن ليست هنالك نبرة للمد.) انتهى.

وسبب كتابة القرآن "يمعشر" بدل: يا معشر هو عدم معرفة النساخ في ذلك الوقت بالهمزة (الألف) التي أُدخلت في اللغة في القرن الثامن الميلادي، ولما كُتب القرآن الذي بين أيدينا الآن، بعد حوالي مائتين أو ثلثمائة سنة بعد وفاة محمد، وضعوا ألف صغيرة فوق الياء حتى لا يغيروا رسم القرآن. وينطبق نفس الشيء على كلمة "ملئكة" في القرآن بدل ملائكة. وينطبق نفس الشيء على الكتب بدل الكتاب، والسموات بدل السماوات.
أما سبب كتابة "الحيوة" بدل الحياة، و"الزكوة" بدل الزكاة، هو أن النساخ الأوائل ربما كان بعضهم يعرف اللغة السريانية، أو أنهم كانوا ينطقونها في العربية كما ينطقها الناطقون بالسريانية. فهذا الإملاء لكلمتي "الحيوة" و "الزكوة" هو نفس الإملاء في اللغة السريانية.
يقول السيد هشام:

(وهنالك العديد من النماذج التي يُمكن ذكرها وإيرادها في مقام الرسم القرآني المخالف للرسم الإملائي المعروف. فلماذا هذا الاختلاف، وهل هو رسم مقدس لا يُمكن تغييره وتبديله، أم هو رسم مقصود؟ وإذا كان الرسم القرآني مقدساً فلماذا تم تنقيط المصحف وفقاً لقواعد التنقيط المكتشفة في عصور تقعيد اللغة والإملاء؟ ولماذا لم يتم تطبيق قواعد الإملاء وفقاً لذلك أيضاً؟) انتهى.

وفعلاً هذا شيء محير لنا. فإذا كانوا يعتقدون أن القرآن كلام الله وأن الله حافظه من التبديل والتغيير، فلماذا أدخلوا عليه النقاط على الحروف بينما حافظوا على الرسم القديم؟ وأعتقد أن السبب في ذلك هو *خوفهم من اللحن في القرآن إذا لم يكن منقطاً*، ويمكن أن يقرأ بعض الناس مثلاً، كلمة "لا ريب فيه" يقرأها "لا زيت فيه" إذا كانت الحروف غير منقطة، كما فعل القاريء حمزة الذي سموه بعد تلك الهفوة "**حمزة الزيات**."
ثم يسأل السيد هشام:

[5] Islamic History, R Stephen Humphreys, p 92.

(فهل يُمكننا مثلاً تخطئة الرسم القرآني في كلمة مثل (رحمة) التي يرسمها (رحمت) في بعض المواضع، علماً بأنه يرسمها (رحمة) في مواضع أخرى؟ وهل يمكننا تخطئة الرسم القرآني في كلمة (كلمة) التي يرسمها (كلمت) كما في قوله {{وتمت كلمت ربك}}[الأنعام: 115]؟ ثم إلى أيّ مدىً يبلغ إثمنا إن نحن حاولنا التشبه بالرسم القرآني في كتابتنا الاعتيادية؛ لاسيما وأننا نكتب (بسم الله) بهذه الطريقة كما في الرسم القرآني، وليس (باسم الله) كما هو أصح قواعدياً، وكذلك نكتب (رحمن) بهذه الطريقة كما في الرسم القرآني، وليس (الرحمان) كما هو أصح قواعدياً. وإذا كانت القاعدة الإملائية تقول بلزوم رسم الألف بعد واو الجماعة كما في قولنا (باءوا) فلماذا لم تكتب في المصاحف (باءو) بدون الألف؟) انتهى.

بالنسبة للتاء المفتوحة والتاء المربوطة فقد أدخل الذين نسخوا القرآن أنفسهم في ورطة كبيرة إذ أنهم لم يكونوا يتقنون اللغة السريانية. يقول كرستوف ليكسنبيرغ:

(جنت عدن في اللغة السريانية دائماً بصيغة المفرد ولا تُجمع، وتُكتب بالتاء المفتوحة).[6]

ولما كان النساخ الأوائل لا يعرفون حرف الألف (الهمزة) في وسط الكلمات، فقد اعتبروا أن "جنت" جمع مؤنث سالم، وبذلك لابد أن يكون مفردها "جنة". ومشوا على هذا المنوال في آيات عديدة وكتبوا بعض الكلمات مرة بالتاء المفتوحة ومرة أخرى بالتاء المربوطة. وغياب الألف في وسط الكلمة أدى إلى كتابة "الرحمن" بدل الرحمان". وكذلك بالنسبة للألف بعد واو الجماعة، فقد اهملوه لأنهم لم يكونوا قد اهتدوا إلى قواعد الإملاء في ذلك الوقت.

وجهل النساخ بالآرامية والسريانية جعلهم يغلطون في كتابة ومعنى كلمات كثيرة. فمثلاً في الآرامية نجد كلمة "ملاكه malãka "بالهاء في نهايتها هي المصدر من مَلَكَ. ولكن العرب نقلوها على أساس أنها جمع مؤنث سالم وجعلوها "ملائكة" بالتاء المربوطة. وبذلك جعلوا الملائكة إناثاً والقرآن قد عاب على المشركين قولهم إن الملائكة بنات. ولسان العرب اشتق كلمة "ملاك" من "الاكَ"، وقال: (والجمع ملائكة، جمعوه متمما وزادوا الهاء للتأنيث.) وفي بعض الحالات نجد أن محمداً قد نقل الصيغة السريانية في العدد، وهي لا تتسق مع النحو العربي. فمثلاً الآية التي تتحدث عن بني إسرائيل (**وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا**)، بينما النحو العربي يتطلب أن نقول: (**وقسمناهم اثني عشر سبطا**). فالصيغة الأولى صحيحة في النحو السرياني[7] *وهو ما لم يهتدِ إليه المفسرون الإسلاميون.*

يقول السيد هشام كذلك:

(إن الناظر إلى تاريخ ما يُسمى بعلوم القرآن يجد أنها جاءت كضرورة أوجدتها حالة التوسع ودخول الأعاجم في الإسلام، وبالتالي صعوبة تلقي القرآن والاستفادة منه بالسهولة التي كان العربي يتحصل عليها. وكانت تلك أولى الطعنات التي وجهت إلى ما يُسمى بالإعجاز اللغوي في القرآن، فقد ولّى ذلك العصر الذي كان فيه المسلمون يتفاخرون بما اعتقدوا أنه قرآن فصيح وأنه بليغ إلى الحد الإعجازي، وجاء العصر الذي اضطروا فيه إلى التخلي عن بلاغة النص القرآني في مقابل تفسيره وترجمته للأعاجم الذين لم يكونوا يملكون المقومات اللغوية التي تؤهلهم لاستنباط البلاغة والإعجاز اللغوية في القرآن، بل وأكثر من ذلك فإن شيوع اللحن في العربية عامة وفي القرآن بصورة أخص كانت هي السبب الأول في وضع أساسيات علم النحو، ولهذا فإن أبا الأسود الدؤلي وتلميذه: يحيى بن يعمر العدواني شرعا في وضع أساسيات علم الإعراب والنحو الذي يعرفه العرب ولا يعرفه الأعاجم) انتهى

ولا أظن أن السيد هشام قد أنصف الأعاجم في الفقرة السابقة. فالأعاجم هم الذين وضعوا قواعد اللغة العربية، مثل أبي الأسود الدؤلي، والفراهيدي وسيبويه وغيرهم. وهم الذين فهموا القرآن على حقيقته وبدؤوا بنقده على أساس العقل. فأغلب الذين حوكموا بتهمة الزندقة كانوا من الأعاجم.

عودة إلى الفهرس

[6] The Syro-Aramaic Reading of the Koran, p. 47.

[7] كرستوف ليكسنبيرغ، ص 50.

259 - الإسلام فقط وماذا عن بقية الأديان؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=277416

هناك أسباب عديدة تجعل الكاتب يغيّر من موقفه المعلوم للقراء. من هذه الأسباب:

1. خوف الكاتب من انتقام بعض الجهات منه بسبب كتاباته.
2. حوافز مالية تجعل الكاتب يدافع عن جهة معينة تتعارض مع مواقفه السابقة.
3. تغيير الكاتب معتقداته القديمة نتيجة اقتناعه بفكر مغاير لما كان يعتنقه.

ولكن بعض الكتاب يعجزون عن تحديد مواقف بينة يقتنعون بها، وكنتيجة حتمية لهذا **التذبذب** نجد الكاتب يخوض في مجالات متناقضة يحاول الدفاع عنها كلها. ومثل هذا الكاتب ينطبق عليه المثل الشعبي الذي يقول (رجل بالمركب، ورجل بالطوف). وهذا ينم عن عدم مقدرة الكاتب على تحديد موقفه واتخاذ القرار بالانحياز إلى الموقع الأكثر ملاءمة له.

أحد هؤلاء الكتاب متذبذبي الموقف الكاتبة **مكارم إبراهيم**، التي باغتتنا بمقال في موقع الحوار المتمدن، تحت عنوان: ‹الإسلام فقط وماذا عن بقية الأديان؟› *وقد أظهرت تعليقات القراء الكرام كمية إحباطهم بذلك المقال المليء بالمغالطات والتناقضات مع مواقفها السابقة*. وما حز في نفسي أنها جعلت الهدف الرئيسي لسهام نقدها كاتبتين من جنسها، وهما السيدة إلهام مانع والسيدة فينوس صفوري. ولن أحاول الدفاع هنا عن الكاتبتين المحترمتين، وربما لا أحاول حتى الإجابة على سؤالها: الإسلام فقط وماذا عن بقية الأديان؟ وسوف أتركها تجيب على السؤال بنفسها بعد أن أعرض مقتطفات من مقالاتها السابقة. ولكن قبل أن أفعل ذلك أود أن أوضح للسيدة الكاتبة الفرق بين التقييم والنقد.

التقييم critique يعني أن تزن المقال وتستخرج ما هو جميل به، ثم تأتي بما هو دون المستوى، وتبين كيف يمكن تقويم تلك النقاط الضعيفة بالمقال أو الكتاب. أما **النقد** Critisism فهو أن تختار بعض النقاط السيئة بالمقال أو الكتاب، وتبين لماذا هي سيئة في نظرك. وعلى الكاتب أو المؤلف أن يرد على تلك النقاط ويغيرها إذا اقتنع بما جاء في النقد، أو يصر عليها ويثبت لنا لماذا هو مصر عليها.
وهذا هو هدفنا من من نقد الإسلام الذي نرجو من مشايخه أن يغيروا ما لا نرضاه أو يردوا علينا بحجج دامغة تبين لنا لماذا هم مصرون على النقاط التي نعترض عليها.

والآن دعونا نرى رد الكاتبة على سؤالها من مقالاتها السابقة.

- تقول الكاتبة في مقالها الأخير:

> "هناك عدد كبير من الكتّاب يعرفهم الجميع ولكن دعونا نتناول عدد من الكتّاب الجدد فكثيرمنهم لايمتلك حتى ادنى المعلومات التاريخية عن مايكتبوه حيث احدى الكاتبات الهام مانع تطالب المراة المسلمة بنزع الحجاب في مقالة بعنوان "اخلعي الحجاب" . وهنا اود التوقف عند نقطتين في مقالة هذه الكاتبة. النقطة الاولى انها تفرض رايها ورغبتها الشخصية على انسان اخر بارتداء شئ تفضله هي شخصياً.وهنا تكون الكاتبة قد تجاوزت الحرية الشخصية للمراة المسلمة." انتهى.

✍ فهل لبس الحجاب حرية شخصية للمرأة المسلمة؟ تقول الكاتبة مكارم إبراهيم في مقال لها بالحوار المتمدن، عندما فرضت فرنسا منع النقاب في الأمكان العامة:

> "فماهو اذا الفرق بين دول اسلامية غير ديمقراطية وغيرعلمانية مثل ايران والسعودية التي تفرض فيها الدولة زي محدد للنساء حيث يفرض عليهن لبس الحجاب او النقاب في الاماكن العامة وبين فرنسا الدولة الغربية التي تدعي الديمقراطية والعلمانية واحترام حرية المواطنين في ممارسة حرياتهم ومع هذا اصدرت قرارات سياسية في فرض نزع الحجاب والنقاب على المسلمات" انتهى.

فالكاتبة هنا تعترف أن لبس المرأة المسلمة الحجاب والخمار في البلاد الإسلامية ليس حرية شخصية للمرأة المسلمة وإنما يُفرض عليها بالقوة وتُعاقب بقسوة إن لم تلبسه، كما يحدث في إيران كل سنة ومع بداية فصل الصيف الحار ومحاولة النساء التخفيف من الشادور الذي يشوي أجسامهن في ذلك الطقس القائظ. وترد الشرطة عليهن بالضرب والاعتقال والتعذيب. وكما يحدث في دولة السودان الإسلامية التي تجلد شرطتها الصحفيات وبنات المدارس لارتدائهن البنطال بدل الحجاب (ويمكن للكاتبة أن تشاهد المنظر المؤذي لفتاة سودانية يتم جلدها بطريقة مقززة على موقع اليوتيوب) لا لشيء إلا لأنها لم تلبس الحجاب. فالمرأة المسلمة التي يُفرض عليها الحجاب منذ طفولتها ويصبح شيئاً مكملاً لشخصيتها، هل يصبح لبسها له في أوروبا حرية شخصية أم خوفاً من عقاب زوجها أو أخيها أو أبيها؟

فدعوة السيدة إلهام مانع للمرأة العربية أن تخلع الحجاب، ليس تدخلاً في حريتها الشخصية، كما تزعم مكارم إبراهيم، وإنما لعلم إلهام **أن الحجاب مفروض على المرأة العربية بسبب تعاليم الإسلام**. وهي لا تفرض عليها خلع الحجاب وإنما تدعوها إلى ذلك، وهناك بونٌ شاسع بين الإجبار والدعوة.

- وتستمر السيدة مكارم في كيل تهمة الجهل بالكاتبات الأخريات، فتقول:

> "اما النقطة الثانية التي اود التوقف عندها في مقالة الكاتبة هي انها اعتبرت أن الحجاب ظهر بعد الثورة الايرانية. ومن الغريب ان تتناول الكاتبة موضوع الحجاب وليست لديها ابسط المعلومات عن تاريخ ظهور الحجاب الذي كان معروفا قبل الاسلام بزمن بعيد، بل اليهوديات كُن يرتدين غطاء الرأس ومنهن من تحلق راسها وتلبس الباروك في يومنا هذا" انتهى.

✍ ما أسهل أن نرمي غيرنا بتهمة الجهل، كعادة الإسلاميين كلما حاوروا شخصاً يختلف عنهم في المعتقد. فواضح أن السيدة إلهام مانع كانت تتحدث عن انتشار الحجاب في البلاد العربية التي لم تكن نساؤها يعرفن الحجاب قبل ثورة الخميني عام 1979. فالذي يتفرج على الأفلام المصرية القديمة أو برامج التلفزيون في تلك البلاد قبل ثورة الخميني فلن يرى امرأة واحدة محجبة في مصر والسودان وإيران وغيرها. وصحيح أن نساء اليهود كن يلبسن الحجاب في الماضي السحيق ولكن ذلك قد اختفى مع تقدم الدول التي كانوا يعيشون فيها، *وهذا يثبت أن العالم كله يسير في اتجاه والدول المسلمة تسير في الاتجاه المعاكس نحو هاوية التخلف والانحطاط الفكري*.

- في مقال بالحوار المتمدن بتاريخ 2010/9/7 نشرت السيدة مكارم ترجمة رسالة وصلتها من صديق دنماركي كان قد اعتنق الإسلام حديثاً. تقول الرسالة، حسب ترجمة مكارم إبراهيم:

> "وفقا لنصوص القران المقدس فان النبي محمد باركه الله هو القدوة الصالحة لنا. وباعتباري انا مسلم اتمنى ان احذو حذو النبي محمد باركه الله ولذلك اود ان تجيبني على بعض الاسئلة الخاصة بالعبيد. أن القران بالطبع قد وافق وصدق على اعتبار اسرى الحرب هم عبيد واماء. واعلم ان نبينا ايضا كان له عبيد.وهذا شئ رائع جدا وقد اعجبتني الفكرة. وبما ان

> الدنمارك تخوض حاليا حربا في افغانستان هذا يعني انه بالامكان الحصول على عدد من اسرى الحرب يمكن ان اختار منهم البعض" انتهى.

- هل بعد هذا تتعجب السيدة مكارم من نقدنا للإسلام؟ ففي القرن الحادي والعشرين، وفي دولة الدنمارك، يقنع الملتحون شاباً مسيحياً بالتحول إلى الإسلام، وكل ما أعجب هذا الشاب في الإسلام هو سلوك نبي الإسلام واقتنائه الجواري الحسان والعبيد من غزواته الميمونة. هل سمعنا بأي مسيحي أو يهودي أو بوذي يقول في القرن الحادي والعشرين إنه يريد أن يقتني إماء كما فعل نبيه؟

هذه هي تعاليم الإسلام التي تجلب الخزي والعار على المسلمين.

ربما تقول السيدة مكارم إن هذا ليس رأيها عن الإسلام، وهي لم تفعل أكثر من ترجمة الرسالة ونشرها. ولكن الشخص الذي يعترض على مثل تلك الرسالة لا ينشرها للجميع ليراها، وإن نشرها لا بد أن يكتب اعتراضاً عليها. ولكن السيدة مكارم لم تفعل ذلك، بل قالت إنها تنتظر رد الشيخ الدنماركي الذي اعتنق الإسلام وأصبح يقود المسلمين في ذلك البلد.

- والغريب أن السيدة مكارم تقول في ردها على أحد القراء:

> "نعم عزيزي فواز محمد ان غالبية الغربيين الذين يعتنقون الاسلام نعم لم يطلعوا على تاريخ الاسلام وخلفية الاسلام وتاريخ نبي الاسلام وحتى لم يطلعوا على تاريخ الاديان السابقة الا انهم يعتنقون الاسلام لاسباب مختلفة وهي اما بسبب الزواج من امراة مسلمة وهذا ماذكره لي الامام عبد الواحد بيدرسن نفسه الغالبية نقصد. وانا لاحظت الكثيرين الذين نشاؤا و يعيشون في مناطق الغيتو حيث يكبرون مع اصدقائهم وجيرانهم المسلمون او مثل صديقتي التي ارادت ان تعارض امها التي تكره المسلمين فتزوجت بمسلم واسلمت. هؤلاء نعم ليس لديهم اطلاع على تاريخ الاسلام ولاحتى يستطيعون قراءة القران .شكرا لمرورك الكريم " انتهى.

- ولمثل هذه الأسباب ننتقد الإسلام الذي يبيعه الشيوخ للغربيين *<u>بالغش والخداع والتعتيم على ذلك التاريخ نتن الرائحة</u>*. ألا تنتقد مكارم إبراهيم الإسلام هنا بطريقة غير مباشرة؟
- وفي مقال آخر بعنوان "كم وصية جاء بها الإسلام؟" بتاريخ 2010/4/25، تقول مكارم إبراهيم:

> "ولو القينا نظرة على الوصايا و المواعظ خاصة في المجتمعات الاسلامية لوجدنا ان هناك ما جاء من القران و هناك ما جاء من الحكام والقادة وذلك من اجل الحكام قبضتهم على شعوبهم وبقائهم في السلطة حتى الموت وذلك عن طريق تشجيع ساعدهم الايمن رجال الدين على نشر فتاوى دينية غير موجودة في الكتب الدينية ويصدقها الناس البسطاء ويمارسونها بدون تفكير لانهم لم يتعلموا في المدارس والاسرة والمجتمع التفكير والمجادلة والحوار الموضوعي بعيدا عن الضغوط الخارجية" انتهى.

- ولأن المسلمين لم يتعلموا التفكير والمجادلة والحوار الموضوعي، ولأن غالبية المسلمين بسطاء، كما تقول مكارم، نحاول نحن أن نعلمهم الحوار والتفكير والجدال عن طريق نقد تلك التعاليم التي جعلت منهم أناساً كالخراف لا يفكرون بل يتبعون ما يأمر به الراعي. هل ينطبق هذا الوضع على اليهود أو المسيحيين؟ بالطبع لا. فلماذا إذاً تطالبنا السيدة مكارم بنقد المسيحية واليهودية بعد أن اضمحل تأثيرهما على أتباعهما بينما زاد تأثير التعاليم الإسلامية على المسلمين؟
- وماهي الوصايا التي جاء بها الإسلام؟ تقول مكارم إبراهيم:

> "لنلقي نظرة سريعة على الوصايا و المواعظ التي جاء بها القران كتاب الديانة الاسلامية واضافات الشيوخ ومزجها بالاعراف و العادات والتقاليد . هذه المواعظ سمعها المسلم منذ الصغر وتم تكرارها عليه مئات المرات في المدرسة والاسرة في التلفزيون والراديو فكيف كان تاثيرها عليه؟" انتهى

هذه بعض الوصايا كما ذكرها المقال:

> «لايجوز ترك دين الاسلام واعتناق الديانة النصرانية ولكن يجوز العكس.
> لاتفر من ساحة الجهاد لانه سوف تكون نهايتك سيئة بكل الاحوال اما جهنم او الاعدام.
> لاتحلل وتتعمق في فهم القران لان الشيطان يوسوس اليك بالكفر والعياذ بالله.
> لاتنصاع الى شهواتك لانها من عمل الشيطان اللئيم.
> لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه.لانك ستعطيه اهمية وبالتالي يشوف نفسه عليك وهذا لايجوز.
> لاتشرب الخمر فاصبر قليلا الى ان تموت لانه سوف تشربه في الجنة بكميات كبيرة متوفر بالانهار وببلاش.
> لاتاكل لحم الخنزير فهو حرام والبعض يعتقد انه ايضا كان سابقا حرام في الديانة اليهودية والمسيحية اما انا فلا اعتقد لانه ما يصير نفعل مايفعلون والا مالفرق بين اديانا اذا فعلنا مايفعلون.
> لاتاكل اللحم الحرام الذي لم يذبح بالطريقة الشرعية.
> لاتشتري اللحم من السوبرماركت لانه غير حلال باستثاء الدجاج المباع في السوبرماركت نيتو فهو حلال.
> لاتقتل النفس المحرمة اي تقتل انسان مؤمن عمدا لان ذلك يغمسك في نار جهنم. فقبل ان تفجر الحزام الناسف عليك بالتحري اذا كان الذين ستقتلهم مؤمنون بالله او من الذين اعطوا عهدا لله من اليهود والنصارى لان قتل هؤلاء سيجعل عملك باطل ولن تكون باستضافة النبي محمد بل ستكون باستضافة الملاك مالك .
> لايجوز ان تهين وتعيب امتك وذلك من خلال نشر كتاب يهين الاسلام او انتاج فيلم يسئ للدين الا اذا اعتذرت رسميا بعد نشره عالميا. لاتختلي بامراة والا ستزني لانها شيطان.
> لاتختلين برجل والا سوف يغتصبك لانه لايستطيع السيطرة على غريزته الجنسية.
> لاتتكلم مع فتاة والا ستقع في المكيدة لان الشيطان سيكون ثالثكم.
> لاتنظر الى امراة والا سوف تفتنك وتبتعدك عن طريق الحق.
> لاتخرجين سافرة والا فسيقع الرجال في الزنا وعقاب الزاني والزانية مئة جلدة. لاتخرجين من منزلك الا لقضاء حاجة ضرورية لانك عورة وخاصة في ليالي رمضان الكريمة.
> لاتختلطي مع الرجال في الانترنيت.
> لاتلبسي حجاب على راسك يفرض عليك بالقوة لانك سوف تنفقين وقتا كثيرا لاختيار حجاب اخر موضة وافضل مكياج لفتيات الغيشا يتناسب مع لون الحجاب وبنطلون لاصق الى ابعد حد وكانك عارية وربما تعرضين سمعتك للشبهة ويسئ الاخرين بك الظن والعياذ بالله من سوء ظنهم.» انتهى.

- هذا جزء من الوصايا الإسلامية التي قدمتها لنا السيدة مكارم إبراهيم، والتي أتى بها نبي الإسلام. وطبعاً لا يَخفى على القاريء الهدف من نشر هذه الوصايا. ولم تكتفِ السيدة مكارم إبراهيم بالوصايا الإسلامية المعروفة بل أضافت وصايا من تأليفها تنم عن الفساد الذي يتفشى في المسلمين النازحين إلى بلاد الديمقراطية،
- فقالت:

> «لاتكذب على البلدية وتاخذ راتبا بدون عمل بحجة انك مريض نفسي رغم ان ذلك صحيح لانك لو كنت سليم عقليا لما تحايلت على هذا المجتمع الذي كان الملجا الامين لك من الحكام القتلة الاستبداديين الدكتاتاتوريين.
> لاتاخذ راتبا من الدنمارك وراتبا اخر من العراق في نفس الوقت. او تاخذ المساعدات المالية من البلدية او من صندوق العمل بالاحتيال على الدولة بحجة عدم القدرة على العمل كالاصابة بمرض فييزولوجي او نفسي او داء الجنون.
> لاتسكن في شقة وزوجتك تسكن في شقة اخرى على اساس انكما منفصلان كي تاخذ الزوجة مساعدات مالية اضافية.
> لاتسمح لنفسك ان تكون لديك حبيبة اوروبية بدون زواج اذا لم تقبله للفتاة الشرقية.

لاتحلل لنفسك كونك رجلا ماتحرمه على الفتاة الشرقية.
لاتغش البلد الذي اعطاك الاقامة وتهدد امنه القومي بالارهاب والتفجيرات والاعتداء على قيمه ومبادئه.» انتهى.

- هذه الوصايا نتجت من اختلاط السيدة مكارم بالعرب المسلمين الذين نزحوا إلى الدنمارك وبقية دول إسكاندناڤيا، وعرفت تفشي الفساد والغش بينهم، وخاصة الملتحين باسم الإسلام. وكأن السيدة مكارم لم تسمع بالفساد المالي والإداري في البلاد الإسلامية التي يتحكم بها رجال الدين، مثل العراق والسودان وإيران، ولذلك نجدها تحتج في مقالها الأخير على الكاتب صلاح يوسف،
- فتقول:

> "وفي مقالة للكاتب صلاح يوسف بعنوان "هل كان محمد على خلق عظيم حقاً ؟!" اذ يبدا مقالته بالجملة التالية "جميع الفساد الأخلاقي لدى المسلمين سببه فساد أخلاق محمد". واعتقد بانني لست بحاجة لقراءة بقية المقالة. وهذايعتبر تمييز عنصري بمعنى الكلمة لان الكاتب يعتبر طائفة كاملة فاسدة اخلاقية من كبيرهم الى صغيرهم من المرأة والرجل والطفل جميعهم فاسدون اخلاقيا" انتهى.

- ألم تقدم لنا السيدة مكارم نفسها أنواعاً من فساد الأخلاق في المسلمين الذين عاشرتهم في الغرب ومحاولتهم سرقة الأموال العامة من الضمان الاجتماعي **لأن تعاليم دينهم تقول لهم إن سرقة مال الكافر حلال؟** فلماذا تسمح السيدة مكارم لنفسها بفضح ذلك الفساد وتحتج عندما يذكره السيد صلاح يوسف؟
- في مقال بعنوان "أغيثونا" بتاريخ 2010/7/14 تقول السيدة مكارم:

> "مرة يطالبون المراة بالتحجب وان تستر جسمها {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إلا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ. (سورة النور آية: 31)}، ومرة يطالبون المراة بان تتعرى لترضع الرجل الغريب عنها عندما تختلي به لكي تكون خلوتها معه شرعية" انتهى.

- ومع ذلك تقول السيدة مكارم بعد أن اصبحت من المدافعين عن الإسلام إن لبس الحجاب حرية فردية للمرأة المسلمة.
- وتستمر السيدة مكارم فتقول:

> "كان بامكاني القول بان عليها فعل ذلك مادام الاسلام دينها يطالبها بذلك هل يقبل الزوج بان تعطي زوجته ثديها لصاحبه او زميلها في العمل! ولكني اقول أن على المراة ان تعي بانها كائن مستقل وله دور في المجتمع مثل الرجل واكثر فهي تعمل في المنزل وخارج المنزل . تعمل بجد واجتهاد للحصول على حياة كريمة لها ولاسرتها وعليها هي وحدها ان تقرر ماذا تفعل بجسدها فهو ملك لها وتفعل به ماتشاء" انتهى.

- هل هناك نقد لتعاليم الإسلام ومعاملته للمرأة أكثر من هذا الاعتراض على ما يقوله رجال الدين؟

ولنا هنا أن نسأل: بعد كل هذه المقالات في نقد الإسلام صراحة وبالتلميح، *ما الذي جعل السيدة مكارم إبراهيم تلقي علينا محاضرة عن كيفية نقد الأديان بالطرق العلمية التي تنقد بقية الأديان في نفس الوقت؟* هل كتبت السيد مكارم مقالاً واحداً انتقدت فيه المسيحية أو اليهودية أو البوذية؟ كل مقالاتها كانت في نقد الإسلام فقط. فلماذا يحق لها نقد الإسلام ولا يحق لنا أن ننتقد تلك التعاليم البالية التي أدت وتؤدي إلى تخلفنا وانحطاطنا الأخلاقي والعلمي والإنساني بسبب اتباع القدوة الحسنة التي سنها لنا نبي الإسلام؟

نرجو أن توضح لنا السيدة مكارم سبب تغيير بوصلة كتاباتها لتجعل من نفسها المدافعة المستميتة عن ذلك الدين الصحراوي الذي لا يصلح لأناس يعيشون في القرن الحادي والعشرين.

عودة إلى الفهرس

260 - نقد الإسلام وتعقيبات القراء

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=277989

- أشكر السيد عدلي جندي على تعقيبة رقم 1،
- ولا شك أن الكتاب الذين لا يثبتون على موقف واحد يجعلون من الصعب على القاريء تصنيفهم وفهم طروحاتهم. وطبعاً ليس هناك ما يمنع الكاتب من تغيير أفكاره مع الزمن إذا اقتنع بفكر جديد، ولكن عليه في هذه الحالة أن يبين للقاريء لماذا غير أفكاره، وعليه أن يلتزم بالفكر الجديد إذا كان قد اعتنقه عن قناعات فكرية. أما التذبذب بين المواقف لركوب موجة التغييرات الاجتماعية فلن يخدم غرضاً

عندما فتح موقع الحوار المتمدن باب التعليقات كان هدف القائمين عليه توسيع النقاش بين القراء والكتاب لإثراء المعلومات التي بالمقال، ولكن السيد مصطفى العراقي صاحب التعليق رقم 2 لم يفهم هذا الهدف النبيل وأصر على اتباع الاسلوب الذي يؤكد تدني المستوى العقلي لأتباع صلعم، فهم لا يردون على النقد بتفنيده وإنما يكيلون السباب للكاتب،

- كما فعل صاحب التعليق عندما قال:

(كلامك مثل كلام رجل يهذي تعرض لصدمة نفسية من الكاتبة مكارم اقدر شعورك وحقدك على الاسلام فرائحة البغضاء تفوح منك مثلما تفوح رائحة فساد السياسيين النتنة في بلدي)

- فهل أثرى السيد مصطفى النقاش حول هذا المقال؟ على العموم له الشكر على أسلوبه المهذب.
- السيد يوسف روفا، صاحب التعليق 3 يقول:

(لا عقيدة أسمى من الحقيقة.. سوف تدخل الجنة دكتور كامل .... رغم أنف الله وأنبيائه).

- وأنا في اتفاق كامل معك سيد يوسف في أن لا عقيدة أسمى من الحقيقة، إذ أن الحقيقة هي الإله نفسه. وأشكرك كذلك على زيادة عدد المبشرين بالجنة من 10 إلى 11، ولكني أعتذر عن قبول جنة محمد التي لا تستهويني بغلمانها وحورياتها، فجميعهم في متناول يدي في هذه الحياة إن أردت أن أستمتع بهم. ولا يمكن أن أتخيل نفسي جالساً مع بدو الصحراء أو ملتحي باكستان وأفغانستان أو الفلاتة البرنو من نيجيريا لأتباهى معهم بعدد الحوريات اللاتي أفض بكارتهن في جنة الفردوس.
- رعد الحافظ: شكراً لك على الاستشهاد بمقولة دانيال وبستر التي تقول:

إن الأكاذيب لا تتصارع فقط مع الحقائق، بل فيما بينها.

وهذه حقيقة لا تقبل المغالطة. والمثل العربي الشعبي يقول (الكذب حبله قصير). فلا بد للكاذب أن ينسى بعض أكاذيبه ويأتي يوماً ما بما يعارضها. الثبات على موقف واحد، حتى وإن أغضب المعارضين، هو الذي يُكسب صاحبه الاحترام في النهاية. وأتفق معك كذلك على صحوة المارد الذي يعشعش في العقل الباطن عند غالبية من تربى في ثقافة صحراء نجد القاحلة وتعلم أن يخضع للأموات ويتمرغ في تراب أضرحة الأولياء منذ طفولته. ومهما حاول الشخص منهم أن يظهر بمظهر المتحضر متفتق الذهن فإنه يرتد إلى طبيعته عند تعرضه إلى أي حادثة تجرح كبرياء ذلك المارد النائم في عقله الباطن. وكما يقول الحكماء (الطبع يغلب التطبع). وهم، كما قلت في تعليقك، دائماً يسألون: لماذا الآن؟ ولا يخبرونا بالزمان الذي يسمحون لنا فيه بنقد المعتقدات أو الثورات العربية أو أي سلوك صلعمي. تحياتي لك.

- أما بسيوني بسيوني، صاحب التعليق رقم 6، فلم يخرج كذلك عن جبته الصلعمية حين يقول في تعليقه:

(مقال النجار هو افتعال معركة وهمية ونبشه في مقالات سابقة للكاتبة هو إفلاس فكري وأعتقد أن الكاتبة سترد بمقال يسعد قلب النجار وكل نجار في الموقع).

- فالصلعميون دائماً يزعمون أنهم قادرون على قراءة أفكار ونوايا المعارض، أو حتى المساند لهم. ويظهر هذا جلياً في ليّهم عنق كلمات القرآن الواضحة ليقولوا لنا إن الله قصد أن يقول كذا وكذا، بينما الآيات البينات تخبرنا بما قاله كاتب القرآن. ولكن الصلعميين يعرفون ما أراد الله قوله أكثر مما يعرفه الله نفسه. وبنفس هذا المنطق قرأ السيد بسيوني أفكار الكاتبة وقال إنها سوف ترد بمقال يسعد قلب النجار. ولسوء حظه العاثر فلم ترد السيدة الكاتبة بذلك المقال الذي كان يتمناه بسيوني. فهل يرد هو نيابةً عنها؟
- السيد الياس عاشور، صاحب التعليق 7، يستغرب كيف للسيدة مكارم أن تسمي مَن يجبر على لبس الحجاب بحرية الاختيار، وكيف تقارن بين الراهبات والمحجبات إذ أن الراهبة لا تجبر على الاختيار.
- السيدة مكارم تقول إن بعض الأماكن والمهن تفرض على الناس لباساً معيناً مثل ربطة العنق والجاكيت لمن يريد أن يدخل نادياً ليلياً. وتتناسى أن هذا الزي تفرضه المهنة أو النادي الليلي ليس انصياعاً لأمر إلهي نقله لهم محمد وإنما لظروف اجتماعية أو مهنية تتطلب سهولة تمييز مرتدي الزي المعين في المصانع أو المعارك من غيره. وهذا الزي ليس مقدساً ويمكن للجهات المسؤولة تغييره إذا اقتضت الظروف. فهل هذا ينطبق على الحجاب؟
- السيدة إيناس سمير تقول إن أجمل تعليق لتحليل المقال هو تعليق الاستاذ رعد الحافظ.
- وأنا لا أخالفها الراي وشكراً لها بالإنابة عن السيد رعد الحافظ.
- السيد كامل حرب، صاحب التعليق رقم 10، يقول:

(إن نقد الإسلام مهم لأن الإسلام هو سبب تخلف المسلمين على مر العصور).

- والواقع الذي نعيشه الآن يثبت قول السيد كامل حرب. والنقد هو ما يبين لنا الأخطاء حتى نستطيع تصحيحها. فالكتاب أو المعتقد الذي لا يُنتقد يظل حاملاً أخطاءه إلى نهاية الحياة على هذا الكوكب. ولذلك سوف نظل ننتقد الإسلام سواء رضي المتأسلمون أم غضبوا، فنحن نبتغي إصلاح الاعوجاج الفكري الذي جعل المسلمين يعتقدون أنهم خير أمة أخرجت للناس وأن دينهم هو كلمة الله الأخيرة التي فرضت على الله الصمت منذ 14 قرناً من الزمان حتى أصابه الخرس من طول الصمت.
- السيد كنعان شماس، صاحب التعليق 11، يقول:

(دكتورنا العزيز أنت أعلى وأرقى من أن تهدر وقتك الثمين في لغو مقتول بجملة أو جملتين من معلقي الحوار المتمدن)

- ويعتقد السيد كنعان أن هذا المقال هو أسوأ مقال كتبه كامل النجار.
- أنا، بعد شكري للسيد كنعان، أود أن أختلف معه في الرأي وأقول له إن إظهار حقيقة الكاتب أو المقال هو أسمى واجب يقوم به كاتب أي مقال، وإظهار هذه الحقيقة أكبر من أي كاتب. ربما يعتقد السيد كنعان أن حقيقة تذبذب كتابات السيدة مكارم واضح للعيان، ولكن يظهر لنا من عدد المعلقين الإسلامين والثناء على مقالها، أن موقفها الجديد ضد نقد الإسلام قد أكسبها عدداً لا يستهان به من القراء الإسلاميين، وعليه كان لزاماً علينا أن نوضح لهؤلاء الإسلاميين **أن كتابات السيدة مكارم لا ترتكز على أرضية ثابتة من الفكر، إسلامياً كان أو ملحداً، وإنما أملتها ظروف الوضع الراهن في العالم العربي، فعليهم ألا يفرحوا بما قرأوا.**
- شكري للسيد خليل الباوي صاحب التعلق رقم 12.
- أما السيد شاهر الشرقاوي فقد علق ثلاث مرات على المقال، وتتلخص تعليقاته في بضع كلمات:

الذين يمتدحون الإسلام بعد نقده، هؤلاء صحا عندهم الضمير الذي كان قد نام. السيدة مكارم ابراهيم قرأت الحق ورجعت إليه ولم تصر على أن تكون من الصم البكم العمي الذين لا يرجعون. وقال مخاطباً السيد محمد البدري:

> (أبشر وتبوأ مقعدك من النار. أمثالك وأمثال تعليقاتك البايخة هو ما تعترض عليه أستاذة مكارم. انتقادات مكارم السلبقة للإسلام انتقادات مشروعة وإن كانت نتيجة قراءة ناقصة أو فهم مغلوط أو معلومات خاطئة. الذين يتكلمون عن الحجاب والتبرج ويتصورون أن الله لا يقبل إيمان إنسان إلا إذا حصل على نسبة 100%، هم لا يعرفون الله ولا يعرفون سعة رحمته. محمد كان همه الأكبر الحرية، الفطرة الإنسانية، المساواة بين البشر.)

- ولنحاول الآن التفكير في هذه النقاط. الضمير لا ينام بل يموت. فالشخص إما أن يكون صاحب ضمير حي ويثور على الظلم ويثأر للمظلوم، وينتقد ما يراه خطأ، أو يكون ميت الضمير يدبج القصائد في مدح صدام حسين وأمثاله، فالضمير لا دخل له بالإيمان.

وقد قال صاحب القرآن عن أصحاب الضمائر الذين انتقدوا إسلامه، وسماهم المنافقين، قال عنهم {**ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا. سنّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا.** (الأحزاب 61)}. ولو كنت مكان السيدة مكارم لما قبلت أن يدافع عني السيد شاهر الشرقاوي ليقول إن نقدي للإسلام كان نتيجة قراءة ناقصة أو فهم مغلوط أو معلومات خاطئة. وكما يقول المثل الانـگليزي (الذي له أصدقاء كهذا لا يحتاج إلى أعداء). يقول السيد الشرقاوي:

> إن الذين يتكلمون عن الحجاب لا يعرفون سعة رحمة الله.

فإذا كان الله ذا رحمة بهذا القدر، لماذا قال إنه قد أقسم ليملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين؟ ثم هل لنا أن نسأل من أين عرف السيد الشرقاوي مدى سعة رحمة الله؟ هل أخبره الله بذلك أم هو مجرد تخمين من سيادته؟ وبلا أي حياء يقول السيد الشرقاوي:

> إن محمداً كان همه الأوحد الحرية والمساواة بين البشر.

هل يقصد الحرية التي منحها ليهود بني قريظة، أم الحرية التي منحها لصفية يوم تزوجها بعد قتل أبيها، أم الحرية التي سمحت للمسلمين ببيع السبايا والعبيد في سوق النخاسة. صحيح ذلك المثل الذي يقول (إن لم تستح فاصنع أو قل ما تشاء). ويظهر لنا تأثير القرآن في فكر السيد الشرقاوي الذي قال عن منتقدي مكارم إنهم عمي صم بكم فهم لا يفقهون. إنه فعلاً قرآن منزل من الله.

- السيدة جيني، صاحبة التعليق رقم 14، تقول:

> (إنها في انتظار رد السيدة مكارم، أما بالنسبة للكاتبتين إلهام مانع وڤينوس صفوري فإنهما كاتبتان تحملان أفكاراً واعية.)

- وأنا لا يسعني إلا أن أشكر السيدة جيني إنابةً عن الكاتبتين وأصالة عن نفسي.
- السيد محمد البدري، تعليق 15، يقول:

> خير التعليق هنا ألا نعلق. ولنترك كامل النجار بكل أدواته النقدية مع السيدة مكارم في خلوتها الفكرية حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

- وأنا إذ أشكر السيد محمد البدري، أؤكد له أن الله لن يقضي أي أمرٍ لا معي ولا مع السيدة مكارم وسوف نظل في انتظار قضاء أمره فيما يخص رد السيدة مكارم.
- السيد معن محمد، تعليق 17، يقول:

> إنه لو رأى الكاتبة مكارم محجبةً فسوف يرفع قبعته لها. ثم أتى بالأبيات اليزيدية عن رؤوس الحسين بن علي وأفراد عائلته.

- وأنا اتفق معه في لو كانت الكاتبة محجبة وتدافع عن الإسلام لاحترمت رأيها أكثر. بالنسبة ليزيد بن معاوية وأبيات الشعر فإنه من المؤسف جداً أن يقتل شخص أحفاد رسولهم ثم يقول السلفيون كلما ذكروا اسمه (رضي الله عنه) لأنه كان أميراً للمؤمنين. **وهذا هو الإسلام يأمر أتباعه بطاعة ولي الأمر حتى إن جلد ظهورهم وسرق أموالهم وقتل أحفاد رسولهم**. ومع هذا يظل الإسلاميون يرددون: لماذا ننتقد الإسلام ولا ننتقد بقية الأديان؟
- السيدة سناء نعيم، تعليق 18، تقول:

> إن الإسلاميين لن يحترموا السيدة مكارم رغم دفاعهم عنها لأنها غير محجبة، فهي بالنسبة لهم عاصية وتخالف تعاليم الإسلام، وجرثومة ومعتدية على الرجال.

- وأنا لا يسعني إلا أن اتفق مع السيدة سناء لمعرفتي بالإسلاميين، فهم ميكاڤيليون أكثر من ميكاڤلي نفسه، والغاية عندهم تبرر كل الوسائل من تحايل ولعب على الذقون وكذب بواح.
- السيد محمد مختار قرطام، تعليق 20، يقول:

> (الم ترى انك متحامل كتير على السيدة مكارم وهذا لمجرد انها قالت رأيها فقط هل هذا هو الحوار والفكر المتمدن الجميع يصفق لمن يهاجم الاسلام فقط ماذا قالت وما رأيك في مقالة السيدة ڤينوس الصفوي التي اثنيت عليها وباركت مقالتها لمجرد انها هاجمت الدين الاسلامي مع ان مقالتها لا ترتقي ولا تستحق ان نضيع وقتنا في قرأتها ومع ذلك انت كنت اول المهنئين. فما رأيك ايضا في مقال السيد شامل عبد العزيز في مقالته الاخيرة وهو قال نفس الكلام).

- أنا لم أتحامل على السيدة مكارم وإنما نقلت هجومها السابق عن الإسلام. وحتماً هي لا تخجل مما خطه بنانها، فكيف أكون متحاملاً عليها؟ وإذا لم يكن هذا هو الحوار المتمدن، فما هو الحوار بنظرك؟ هل نقول: عفا الله عما سلف ولنبدأ صفحة جديدة؟ بالنسبة لمقال السيدة فينوس صفوري فهو، في رأيي، مقال صادق يستحق الثناء، أما مقال السيد شامل عبد العزيز فقد كان صادماً بالنسبة لي ولم أشأ أن أعلق عليه.
- السيدة ڤينوس صفوري، تعليق 22، تقول:

(إن السيدة مكارم لها كل الحق في التعبير عن ما تراه مناسباً لها بخصوص مقالتي ومقالة الدكتورة إلهام مانع.)

- وأنا طبعاً لا أعترض على حق السيدة مكارم في قول رأيها ولكني اعترضت على سوء فهم أو تأويل ما قالته الدكتورة إلهام مانع واتهامها بالجهل بتاريخ الحجاب عندما كانت الدكتورة تتحدث عن ظهور الحجاب في البلاد العربية فقط. ولا شك عندي أن السيدة فينوس ذات قلب كبير يصفح عن من يقذفونها بالجهل أو السطحية، ولكن هناك بعض القراء الذين يدافعون عن الحق أينما كان.
- السيد عبد القادر أنيس، تعليق 23، يقول:

(السؤال الجدير بالطرح ليس فقط: لماذا ننقد الإسلام؟ بل الأهم منه أن نسأل: هل يمكن أن نتجنب نقد الإسلام إذا أردنا لمجتمعاتنا أن تخرج من التخلف؟)

- وهذا فعلاً هو السؤال المهم. كيف يمكن أن نتفادى نقد الإسلام وهو يسيطر على كل شيء في حياتنا من عبادة وسياسة وبنوك إسلامية، وقنوات فضائية دينية، ومدارس وجامعات إسلامية، وحتى منح دكتوراة في الإعلام الإسلامي، كأنما الإعلام الإسلامي غير الإعلام المعروف. والآن أصبحت الأحزاب الإسلامية ذات التمويل السعودي الإخواني تحاول السيطرة على الثورات العربية الوليدة.

من يحاول تفادي نقد الإسلام كمن يدفن رأسه في الرمال حتى لا يرى الحقيقة.

- شكراً للسيد عبد القادر أنيس على هذا السؤال.
- السيد جلال البحراني، تعليق 24، يقول:

إن نقد النصوص الدينية أصبح بمقدور أي طفل يعيش في القرن الحادي والعشرين بمقارنة واقع حياته وحياة تلك النصوص.

- وكنا نود أن يخبرنا السيد البحراني بكيفية تمكن الطفل في القرن الحادي والعشرين من نقد النصوص وهو يسمع منذ ولادته في البيت وفي المدرسة وفي التلفزيون أن الإسلام هو سيد الأديان ومحمداً هو سيد الأنبياء والنصارى واليهود قد غيروا نصوصهم وأصبحوا يستمتعون بالحياة الدنيا الفانية بينما الإسلام يحث على تجافي الحياة الدنيا ولعبها ولهوها، وأن القناعة كنز لا يفنى، وعند الله المتع الحقيقية في الجنة؟

هل يدرس مثل هذا الطفل الإسلامي الأديان المقارنة حتى يستطيع أن يكون فكرة عن معتقدات الآخرين، أم يدرس القرآن الذي يقول (**إنما الحياة الدنيا متاع الغرور**). أرجو من السيد البحراني أن يستمع إلى هذا الترتيل الذي يُدرّس لأطفال المسلمين:
http://www.youtube.com/watch?v=HHvG6-gt9Zo

- مسلم سابق، تعليق 27، يقول عن صفوان بن المعطل الذي اختلى بعائشة ليلةً كاملة:

(لقد جاء عن صفوان الفحل في كتاب (تهذيب تاريخ دمشق الكبير) للإمام الحافظ ابن عساكر باب صفوان ابن المعطل السلمي: عن أبي سعيد قال: جاءت امرأة إلى النبي صلعم فقالت يا رسول الله إن زوجي صفوان يضربني إذا صليت ويفطرني إذا صمت ولا يصلي صلاة الفجر حتى تطلع الشمس. قال وصفوان عنده فسأله فقال صفوان.. .. أما قولها يفطرني إذا صمت فإنها تصوم (وأنا رجل شاب فلا أصبر عن النساء... فقال صلعم لا تصوم امرأة إلا بإذن زوجها !!!) انتهى.

- وهذه حقيقة في الفقة الإسلامي أن المرأة لا تصوم صيام التطوع إلا بإذن زوجها. ولأن الإسلام أكرم المرأة فقد جعل عبادتها خاضعة لإذن زوجها الفحل الذي لا يستطيع الصبر حتى مغيب الشمس ليجامعها. وهذا كان قبل اكتشاف الفياجرا. أما الآن مع هذا الاكتشاف الخطير فربما يجعل فقهاء الإسلام صلاة المرأة خاضعة لإذن زوجها الذي لا يستطيع الصبر حتى تصلي أربع ركعات في العصر وهو ممتليء الجوف بالفياگرا.
- السيد خالد أبوشرخ، كتب ثلاثة تعليقات برقم 48،40،29، يمكن تلخيها في

أنه يعتقد أن نقد الإسلام ، أي الإلحاد كما يقول، أصبح ديناً جديدا. وأن قولي إن المسيحية واليهودية قد اضمحل دورهما، كذبة كبيرة. طالما الإسلام امتداد لليهودية والمسيحية، يجب أن نقف على نفس المسافة في نقد الأديان وننتقد المسيحية واليهودية. طالما فلسطين ذبيحةعلى مذبح الأديان فهذا أننا نعاني من جميع الأديان.

- من السهل جداً تفنيد نقاط السيد خالد ابو شرخ **لأن منطقه معوج كاعوجاج أخلاقيات المتأسلمين**. فالإلحاد ليس ديناً ولا معتقد *<u>إنما هو خلاصة فكر لا يؤمن بالأديان ولا بخالق السماء والأرض</u>*. وبالتالي الإلحاد ليس موجهاً ضد الدين الإسلامي كما يزعم. نحن نقول من حق أي شخص أن يؤمن بما يريد شريطة أن يكون إيمانه بينه وبين ما يؤمن به، ولا يجوز له إقحام إيمانه في حياتنا الخاصة.

وإذا استمر الإسلاميون في ترديد أن **الإسلام دين ودولة وأن الإسلام هو الحل**، فسوف نظل ننتقد ذلك الإسلام وإلهه الدموي. أما إذا حصر المسلمون إسلامهم في مساجدهم فلن ننتقدهم. أما الكذبة التي يزعمها لأني قلت إن المسيحية واليهودية قد اضمحل تأثيرهما على أتباعهما، فأنا أتحدث عن العالم أجمع وليس عن فلسطين. وحتى إن كان الرئيس الأمريكي السابق جورج دبليو بوش وطاقمه من المسيحيين المتعصبين، فإن دستور الولايات المتحدة دستور علماني يمنع تدريس ونشر المسيحية في المدارس. اكتبوا لنا دساتير في البلاد العربية تمنع تدريس الإسلام في المدارس ويومها سوف نهلل لكم ونكبر نفس تكبيركم.

أما نقد المسيحية واليهودية فلن يقدم بلاد الشرق المنكوبة قيد أنملة.

أما إقحام فلسطين في الحوار لأن اليهود يقولون إن يهوه قد وعدهم أرض فلسطين، ألا يؤكد القرآن هذا الزعم ويقول إن الله عاهد يعقوب أن يمنحه الأرض المقدسة إلى يوم يبعثون:

{وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل. (الأعراف 137)}.

- صاحب التعلق 32 إسلامي انتحل اسماً مسيحياً لتضليل القاريء، وهذا يعكس إيمانه بالإسلام الذي يبيح الكذب في حالة الحرب، **فهو يعتقد أنه في حالة حرب مع اللادينيين** ولذلك من حقه أن يكذب عليهم. بئس التعاليم التي تبيح الكذب في نصوصها.
- مالك الرشيد، تعليق 33، يقول:

إن الحجاب يزيد التحرش بالمرأة،

- وأنا أوافقه لأن الإحصاءات الأخيرة من مصر تدل على زيادة التحرش بالنساء رغم أن الحجاب أصبح الموضة في مصر أم الدنيا. في الثمانينات من القرن الماضي عندما لم تكن النساء محجبات كان الغزل بالكلام هو أقصى ما وصل إليه الشباب المصري، كأن يقول للبنت (مال الأمر زعلان). أما الآن فأصبح الاعتداء على المحجبات جسدياً ولفظياً. وكما يقول المثل: كل ممنوع مرغوب.
- محمد بودواهي، تعليق 34، يقول عن احتفاء الإسلاميين بمقال مكارم إبراهيم الأخير:

(غير أن ما يثير الاشمئزاز فعلا عند حدوث مثل هده الإرتدادات الشادة هو تلك الاحتفالية البئيسة التي يظهر عليها بعض الكتاب المغاور وكأنهم أمام نصر مبين على عدو أليم).

- انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً هو شعار الإسلام.

السيد سامي غطاس، تعليق 37، يقول:

(لم أشعر يوما بالأحباط من كاتِباً ما مهما إختلفت معه فى الرائ ،فكُّل إنسان له أراءه ليس أدنى شك فى ذلك ،ولكن و من خلال متابعتى لما تسطره الكاتِبة المذكورة لا أخفى على سيادتكم كم الإشمئزاز الذى ينتابنى و الحسرة من تواجُّد مثل هؤلاء وسطنا، فهم كما اوضح الأخ العزيز رعد الحافظ اخطر على البشرية من الإرهابين أنفسهم .هُّم مثل الزئبق لا تسطيع الإمساك بهم أو معرفه اراءهم ويتلونون بكل الوان الطيف) انتهى.

- وأنا أوافقك في الطرح وأشكرك عليه.
- السيد بشارة خليل ق، تعليق 38 و39،

ذكر 6 نقاط منطقية جداً عن مقال السيدة مكارم إبراهيم،

- وأنا أتفق معه 100 % ولا أستطيع أن أزيد على نقاطه الست. شكراً له مع تحياتي.
- السيد مثنى حميد مجيد، تعليق 42، يقول:

(لم تُثبت سابقا من خلال أجوبتك على القراء إنك على دراية بالفرق - بين التقييم والنقد - فأغلب من قيم مقالاتك على أساس علمي وأنا منهم تجاهلت الرد عليه ، مثلا بينتُ وبشكل إيجابي أن مقالاتك تحتاج إلى تعميق في محتواها الإجتماعي ومعالجتها للأساطير الدينية من منظور تاريخي فلم ترد وأغلب ردودك تنصب على من يستحسنون مقالاتك ويكيلون لك المديح. بإعتقادي ، وهذا نقد أرجو منك صادقا التأمل فيه طويلا قبل رفضه ، إنك شخص إنتقل من الإسلام الأصولي إلى الإلحاد الأصولي أي إن منهج تفكيرك لم يتغير بعد بشكل عميق ومازال أسير التفكير أحادي البعد فأنت سابقا وكإخواني تعتبر كل من يخالف الإسلام كافرا أما الان فكل من يخالف أسلوبك في نقد الإسلام تعتبره كافرا بالتقدم ومتخلفا ويدعو إلى الوراء).

- أعتقد أن السيد حميد مثنى هو نفس حميد مثنى الذي كان يحاورني في موقع "كتابات" عندما كنت أنشر مقالاتي به. وأسلوبي في النقاش لم يتغير منذ ذلك الوقت، وقد حرصت دائماً على الرد على منتقدي كتاباتي إذا كان ردهم خالياً من الشتائم والكليشيهات الإسلامية المعروفة أمثال عميل صهيوني، والمؤلفة جيوبهم، وعليك لعنة الله والملائكة. ولا أعتقد أن مقالاتي في نقد الأديان تحتاج إلى تعمق أكثر في محتواها، فأنا قد قرأت ما لا يحصى من كتب التراث الإسلامي والمسيحي ودرست التوراة والمشنا وقرأت عن البوذية والزردشتية وغيرها، من منظور تاريخي ونصوص.

وإذا كان السيد مثنى حميد يعتقد أن مقالاتي تحتاج إلى تعمق أكثر فأرجو منه أن يضيف إلى مقالاتي ما يراه تعمقاً أكثر بدل أن ينصحني بالتعمق. تحياتي وشكراً لك

- السيدة مكارم إبراهيم، تعليق 46، تقول:

(في الواقع بعد اندلاع الثورات العربية في شهر ديسمبر 2010 كان حلما طالما حلمت به ولم اصدقه حتى هذه اللحظة اشعر بانه حلم غير واقعي ولكن للاسف بدات هذه الثورات العربية تنحرف عن مسارها الحقيقي وجوهرها الاجتماعي لقد كانت من اجل الخبز والكرامة والعدالة ولكن بدات في الاشهر الاخيرة تتحول الى شعارات دينية وبدات السلفية تتدخل بتقديم المغريات المادية للمتظاهرين لرفع شعارات دينية وتحريف هذه الاحتجاجات من شكل اجتماعي الى شكل ديني وبدات المجادلات في الفيس بوك تاخذ شكلا ديني بدل ان تكون وطنية ورايت ان من واجبنا نحن الكتاب ان ننبه الى خطورة خطابنا الذي يحرض على النعرات الطائفية وعلينا ان نغير من هذا الخطاب لحساسية الوضع الراهن السياسي) انتهى.

- ولهذا السبب عينه يا سيدة مكارم قد أصابني مقالك الأخير بالإحباط لأننا نرى أمام أعيننا أن الإسلاميين يحاولون السيطرة على الثورات العربية بشتى الوسائل القذرة التي مكنتهم منها أموال دول الخليج. فهم يحاولون سرقة الثورات لإنشاء إيران أخرى في مصر وتونس وليبيا باسم الإسلام، وليس باسم المسيحية أو اليهودية. ولذا وجب علينا نقد الإسلام وليس نقد الأديان الأخرى التي لا تسعى لخداع الناس وقيام دول دينية إسلامية. أما نقدنا للإسلام فلا يشجع النعرات الطائفية بأي شكل من الأشكال. الطوائف موجودة في الإسلام وعددها لا يُحصى، ونحن ننتقد الإسلام ككل، فكيف نشجع الطوائف. أنا لا اعتراض لديّ إذا غيرتي موقفك وأعلنتي للجميع أنك أصبحتي من دعاة الدفاع عن الإسلام، فهذا حق من حقوقك الكثيرة في المجتمع الذي تعيشين فيه. أما أن تكتبي عن الاشتراكية والشيوعية وفي نفس الوقت تهاجمين الذين ينتقدون الإسلام، فهذا في رأيي، غير مقبول. شكراً لك على التعقيب.
- السيد الطلال صمد، تعليق 64، يقول:

(منذ 14 سنه ظهرت ادله ماديه جديده تؤكد ان لا وجود لدين او نبي او راشدون او مسلمون في صحاري شبه الجزيره العربيه في القرن السابع وانما كانت المسيحيه هي الديانه السائده بعد ان اختفت المجوسيه. ان قال الراوي ياساده يا كرام هي قوام او العمود الفقري لما يسمى اسلام. وادا تحفظت او اهملت الراويه تلاشى و انهار الاسلام) انتهى.

- شكراً لك على التعقيب الذي يتوافق مع سلسلة المقالات التي نشرتها عن تاريخ الإسلام. تحياتي لك

وأعتذر لبقية القراء الذين لم يسعفني الوقت بالتعقيب على تعليقاتهم، ولهم شكري على ما قاموا به، وأرجو أن أتمكن في المرات القادمة من الرد على التعقيبات وقت ظهورها حتى لا تتراكم ويزيد عددها عن سبعين تعليقاً.

عودة إلى الفهرس

261 - حول الأقليات في العالم العربي

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=278758

1. أيهما أحق برأيك، بناء دولة مدنية على أساس المواطنة بدون تمييز قومي أو ديني واحترام حقوق جميع القوميات والأديان، أم بناء دولة على أساس قومي وإثنية بغض النظر عن مضمون الحكم فيها؟

يجب أن نضع في نظرنا أنه لا يتحتم علينا إعادة اختراع العجلة التي اخترعها السومريون قبل الميلاد. الدول الغربية في القرون الوسطى جربت دول القوميات الإثنية والدينية وخاضت حروباً عدة فيما بينها أزهقت ملايين الأرواح وأهدرت الأموال الطائلة. **وفي النهاية اقتنعوا بأن الدولة المدنية التي لا تقوم على أساس النعرات القومية أو الدينية، هي أحسن الحلول.** وتقدمت أوروبا وأصبحت منارة للعلم وحقوق الإنسان بينما تخلفنا نحن وتقوقعنا في قبلياتنا ومذاهبنا الدينية. وقد جربنا في القرن العشرين دولة القومية العربية في سوريا والعراق. فماذا كانت النتيجة؟ تركيز القوة والمال في أيدي رجالات الحكم مع قمع المواطن العادي وإفقاره، بغض النظر عن مرجعيته الإثنية أو الدينية. فقد اضطهد صدام حسين الشيعة والأكراد والأيزدية والتركمان وغيرهم. وحتى السنة الذين لم ينتموا لحزب البعث عانوا من الاضطهاد والتهميش والقتل لأن الدولة كانت تفتقر إلى المؤسسات القانونية. وحدث نفس الشيء في سوريا. وإيران خير مثال على الدولة الدينية التي تعتمد على تشريعات إلهية وتفتقر إلى مؤسسات القانون. فالدولة المدنية هي خير ضمان لاحتفاظ الإنسان العربي بكرامته ولمساواته مع الآخرين بغض النظر عن معتقداتهم أو إثنيتهم أو المواقع التي يحتلونها في دولة القانون.

2. كيف ترى سبل حل القضية الفلسطينية وتحقيق سلام عادل يضمن الحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني وفقاً للمواثيق الدولية ومقررات الأمم المتحدة؟

القضية الفلسطينية قضية شائكة ومعقدة ولا يمكن حلها بالقوة العسكرية، ولذلك لا بد من اللجوء إلى المواثيق الدولية ومقررات الأمم المتحدة. مقررات الأمم المتحدة قسمت فلسطين إلى جزءين: جزء لليهود وجزء للفلسطينيين. ومع أن هذا القرار قرارٌ مجحف بحق الفلسطينيين الذين عاشوا في كل فلسطين منذ آلاف السنين، فإن وجود إسرائيل أصبح حقيقة على الأرض يقبل بها المجتمع الدولي ولا يمكن إزالة إسرائيل ورمي الإسرائيليين في البحر، كما كان يقول أحمد سعيد من إذاعة صوت العرب. ولكن للأسف فإن الإسلاميين في حركة حماس والعلمانيين في حركة فتح والحكومات العربية المستبدة تاجرت وما زالت تتاجر بهذه القضية. حركة حماس التي تتاجر بالإسلام وتبيع الوهم للفلسطينيين وتحلم بتطبيق الشريعة الإسلامية في دولة وهمية غير موجودة ولا يمكن لها أن توجد في القريب العاجل، يقذفون عدة صواريخ بدائية على إسرائيل لترد عليهم بأحدث سلاح طيران في الشرق الأوسط وتقتل الآلاف وتدمر المنازل والمصانع. **فمقاومة حماس وممانعة سوريا وحزب الله هي تجارة وهمية للاستهلاك المحلي.** والحل الأمثل للقضية في رأيي هو أن تُجرى انتخابات عاجلة ينبذ فيها شعب غزة حركة حماس وإسلامها الزائف، وأن تتوحد القيادة الفلسطينية وتكون دولة مدنية يكون فيها القانون هو السائد وليس الشعارات الجوفاء والفساد. وأن تضع دول الخليج أموالها وبترولها في مكان شعاراتها الجوفاء وتضغط على أمريكا والدول الغربية لوضع حد لتجاوزات إسرائيل وللضغط عليها لقبول قرارات الأمم المتحدة بخلق دولتين متجاورتين، تكون القدس الشرقية عاصمة الدولة الفلسطينية. حكومات أمريكا والدول الغربية لا تتعامل مع القضية الفلسطينية بالضمير والأخلاق وإنما من موقع مصالحها المادية. هذه المصالح لا يهددها إلا بترول دول الخليج، وهو السلاح الفعال الوحيد في تغيير سياسات تلك الدول. ولكن للأسف فإن حكومات دول الخليج تعتمد على أمريكا والدول الغربية في حمايتها وديمومتها ومن الصعب عليهم الوقوف بوجه أمريكا، ولذلك سوف تراوح القضية الفلسطينية في مكانها لعشرات السنين القادمة حتى تتغير الأنظمة الرجعية الخليجية

3. كيف تقيم الموقف الأمريكي والدول الغربية المناهض لإعلان دولة فلسطينية مستقلة بعد خطوة الزعيم الفلسطيني وتوجهه إلى الأمم المتحدة لتحقيق ذلك؟

الساسة الأمريكان والغربيون بوجه عام يهمهم إعادة انتخابهم كرؤساء أو نواب برلمانات. في أمريكا التي يمتلك اليهود فيها ماكينة الإعلام المرئي والمقروء، لا يمكن لرئيس أو عضو كونگرس أن ينجح في الانتخابات إلا إذا كان اللوبي اليهودي داعماً له. فأوباما لا يمكن أن يفوز بدورة ثانية إذا أغضب اليهود. ولذلك، ورغم نواياه الطيبة التي أبداها في القاهرة ورغم جهوده لكسب صداقة الشعوب الإسلامية، يظل همه الأول إعادة انتخابه لفترة ثانية. وعليه لا يمكن أن يوافق على طلب فلسطين الانضمام إلى هيئة الأمم المتحدة لأن ذلك سوف يؤلب عليه اليهود والإعلام الأمريكي. على الساسة العرب والنشطاء السياسيين أن يتعلموا من الساسة الإسرائيليين كيف يكسبون ود الساسة الغربيين. الإسرائيليون يتقربون للساسة الواعدين في الغرب قبل أن يصبحوا رؤساء حكومات في بلدانهم. فمثلاً أنگيلا ميركل قبل أن تصبح رئيسة الحكومة الألمانية دعاها الساسة الإسرائيليون إلى زيارة إسرائيل في عام 2008 بمناسبة احتفال إسرائيل بالعيد الستين لقيام الدولة، وأغدق عليها رئيس الوزراء أولمرت الحفاوة والتكريم وقابلها في المطار، وهو لم يستقبل في المطار إلا رؤوساء الدول، وسمح لها أن تلقي كلمة في الكنيست. وكانت أول شخص يلقي كلمة بالكنيست وهو ليس رئيس دولة. وبالتالي عندما تم انتخابها رئيسة لألمانيا أصبحت تدافع عن إسرائيل دفاع المستميت، وأصبحت من أكثر القادة الغربيين تحمساً لصداقة إسرائيل وللدفاع عنها. ووزير خارجية ميركل يهودي. ولأن ألمانيا هي الدينمو المحرك لاقتصاد المجموعة الأوروبية، فتأثيرها على بقية الزعماء الأوروبيين كبير. أما ساركوزي فإنه ابن مهاجر من المجر جدته لأبية يهودية من أصل يوناني، وبالتالي يكن الود لإسرائيل ويدافع عنها. والجالية اليهودية بفرنسا من أقوى الجاليات وأغناها في أوروبا، ولها تأثير كبير على السياسة الفرنسية. ولذلك لا يستطيع ساركوزي الذي سوف يخوض إنتخابات الرئاسة في العام القادم أن يساند فلسطين ويُغضب اليهود. بالنسبة لإنگلترا فإن عدداً كبيراً من نواب حزب الأحرار المشارك في الحكومة يهود، وحزب العمال به عدد أكبر من النواب اليهود، ورئيسه أد ميليباند يهودي، وأخوه داڤيد ميليباند الذي كان وزير الخارجية في حكومة توني بلير كذلك يهودي، ووزير الخارجية قبل ذلك كان جاك سترو وهو يهودي. أما مجلس اللوردات ففيه 22 عضواً يهودياً. فكيف يمكن لحكومات غربية بها هذه الأعداد من الوزراء اليهود أن تنحاز مع الفلسطينيين ضد إسرائيل؟

على العرب أن يتعلموا كيفية التأثير على الساسة الغربيين، ودفع التبرعات لهم بسخاء ليتغلبوا على تأثير اللوبي اليهودي. ولكن للأسف أغنياء العرب يفضلون صرف ملياراتهم على الترف والمتعة أو بناء المساجد الفخمة في أوروبا ومدارس تحفيظ القرآن في الدول الفقيرة ولا يهمهم كسب الساسة الغربيين لأن القضية الفلسطينية بالنسبة لهم تجارة يستغلونها في صرف أنظار مواطنيهم عن مشاكلهم، وحل القضية سوف يعني نهاية تجارة إيران وسوريا وحزب الله وحماس والإخوان المسلمين.

4. ما هي برأيك الأسباب الرئيسية للموقف السلبي من قبل الدول الكبرى تجاه إقامة دولة كردية مستقلة تجمع أطرافها الأربع في دول الشرق الأوسط، وهو مطلب شعبي كردي وحق من حقوقه. ولماذا يتم تشبيه الحالة الكردية على أنها إسرائيل ثانية من قبل بعض الأوساط الفكرية والقومية في العالم العربي؟

لا شك أنه من حق الشعب الكردي حق تقرير المصير وتجميع أرضه التي قسمتها القوى الغربية على أربعة أجزاء ضموها إلى إيران والعراق وتركيا وسوريا. هذا الشعب الأبي الذي عاش في أرض أجداده منذ قبل الميلاد، لا بد أن يسترجع ما سُلب منه بالقوة وتصبح له دولة تلم شتاتهم المبعثر في عدة أقطار. ولكن المشكلة أن الدول الغربية وحكوماتها تتعامل مع المشكلة من ناحية سياسية فقط وتضع مصالحها القومية فوق الأخلاق. تركيا التي تضم أكبر نسبة من الأكراد، بلد ذو موقع استراتيجي بالنسبة للغرب، وتركيا عضو في حلف الناتو وتطمع في الانضمام للاتحاد الأوروبي. ومصلحة الاتحاد الأوروبي هي الحفاظ على تركيا لأهميتها لهم. فالأكراد لهم كل الحق من النواحي الأخلاقية والقانونية في الانفصال عن تركيا وإقامة دولتهم المنفصلة حسب الأعراف الدولية التي تنادي بحق تقرير المصير لكل الشعوب. ولكن مصالح أوروبا مع الدولة الكردية المستقبلية تقل بالمقارنة مع مصالحها مع تركيا، ولذلك تعارض أوروبا حق تقرير المصير وانفصال الأكراد عن تركيا.

بالنسبة لأكراد سوريا فإن الغرب ينظر إلى سوريا على أنها البلد العربي الوحيد الذي له علاقات ثنائية مع روسيا، ويود الغرب أن يكسب ود سوريا ليفصلها عن روسيا. ولذلك ظل الغرب يتعامى عما تفعله سوريا من كبت الأكراد ومنعهم من حق تقرير المصير. ولكن بعد نجاح الثورة السورية وطرد روسيا من المنطقة قد تتغير المعادلات وقد يتمكن الغرب من مساندة حق تقرير المصير للأكراد، أو على أقل تقدير، حق الحكم الذاتي في كونفدرالية مع سوريا.

بالنسبة لأكراد إيران فإن الغرب يخشى من امتلاك إيران السلاح النووي وتهديد أمن إسرائيل، ولذلك ظلت الحكومات الغربية وأمريكا يحاولون كسب ود إيران لثنيها عن الاستمرار في تخصيب اليورينيم، وإذا ما نادت أوروبا أو أمريكا بمنح الأكراد حق تقرير المصير فإن ذلك سوف يدفع إيران إلى زيادة المعاندة والاستمرار في التخصيب. ثم أن مناداة أوروبا بحق تقرير المصير للأكراد في إيران سوف يتبعه حق تقرير المصير لأكراد تركيا وسوريا والعراق، وهو ما لا تحبذه أوروبا أو أمريكا.

بالنسبة للعراق فإن الأكراد يمثلون أكبر وأعرق الأقليات في ذلك البلد، وأرضهم في الشمال تحتوي على مخزون كبير من النفط، وانفصالهم عن العراق لا شك يضعف العراق كدولة، وهذا لا يصب في مصلحة أمريكا والدول الغربية التي ضحت بجنودها وأموالها لتحرير العراق والسيطرة على نفطه.

بالنسبة للدول العربية ومفكريها الذين يقولون إن إنشاء دولة للأكراد سوف يصبح بمثابة إسرائيل ثانية، فأسبابه كثيرة: منها، عنصرية العرب واضطهادهم للأكراد واعتقادهم أن الأكراد رغم إسلامهم، لا ينتمون إلى العرب، وبالتالي مَن ليس مني فهو عدوي. وقد سمعنا الإشاعات الكثيرة عن وجود إسرائيليين في كوردستان العراق، ونية كوردستان إقامة علاقات دوبلماسية مع إسرائيل. الغرض من كل هذه الإشاعات هو تأليب الشعوب العربية ضد تقرير المصير للأكراد. وثانيا: اعتقاد المملكة العربية السعودية أن منح الأكراد حق تقرير المصير سوف يشجع الشيعة في السعودية على المطالبة بنفس الحق وحرمان السعودية من النفط الذي تستخرجه من شرق المملكة حيث يقيم الشيعة. وذلك سوف يضعضع وضع المملكة ويقوي من وضع إيران في الشرق الأوسط. وما يضر بمصلحة السعودية يضر بمصلحة المرتزقة العرب الذين جندوا أقلامهم لخدمة السعودية، ويضر كذلك بالجماعات الإسلامية التي تكدس المليارات من أموال النفط السعودي. ثم هناك شيوخ الإسلام الذين ظلوا منذ نشوء الإسلام ينادون بوحدة الأمة الإسلامية وعدم تفتيتها إلى دويلات. وبالتالي انفصال الأكراد وقيام دولة باسمهم يُعتبر في عرف الشيوخ تفتيتاً للأمة الإسلامية.

5. هل يمكن للتغيرات الراهنة في المنطقة – الانتفاضات والمظاهرات الأخيرة – أن تؤدي إلى خلق أفاق جديدة للقوميات السائدة كي تستوعب الحقوق القومية للأقليات غير العربية مثل الأكراد، إلى حد الانفصال وإنشاء دولهم المستقلة؟

الجواب، بإيجاز شديد، لا. الشباب الذين فجروا الثورات العربية ينادون بقيام دولة مدنية يحكمها القانون وتساوي بين مواطنيها رغم اختلاف معتقداتهم وإثنياتهم. غير أن الواقع المعاش ينبيء بأن الإسلاميين في كل البلاد العربية سوف يستغلون جهل العامة ورشوتهم بالمال المنهوب من الشعب السعودي لاختيار النظام الإسلامي في تلك البلاد. فهاهم الإخوان المسلمون في مصر يحاولون الاستيلاء على الثورة المصرية. وفي سوريا يحاول الإخوان الاستيلاء على المجلس الوطني حديث التكوين ليجنوا ثمار الثورة، وتتكرر نفس المسرحية في ليبيا واليمن. **وديكتاتورية الدين هي أسوأ أنواع الديكتاتوريات**، وقد رأينا نماذج منها في إيران والسودان. هذه الديكتاتوريات الإسلامية التي لم تعرف وتجرب الحكم من قبل سوف تكون وبالاً على الأكثرية وعلى القوميات المستضعفة الآن. ***وقد بدأت نواياهم تظهر في مصر التي أصبح حرق الكنائس في صعيدها وقتل الأقباط فيها أكثر الآن مما كان عليه في العهد البائد.*** وكل ذلك يحدث بتشجيع من أئمة المساجد والمحافظين الجدد الذين عينهم المجلس العسكري لتسيير الحياة اليومية في محافظات مصر. **والكل يعرف أن الإسلام لا يساوي بين القوميات**، فقريش هي السيد، يتبعها بقية العرب، ثم الأعاجم، ثم طبقة العبيد والإماء. فلا أرى أملاً للأقليات في عالمنا العربي الجديد بعد نجاح الثورات العربية وتسلق الإسلاميين السلطة في تلك البلاد.

6. هل تعتقد بأن المرحلة القادمة بعد الربيع العربي ستصبح مرحلة التفاهم والتطبيع وحل النزاعات بين الشعوب السائدة والمضطهدة، أم سندخل مرحلة جديدة من الخلافات وإشعال فتيل النعرات القومية والتناحر الإثني؟

يؤسفني أن أقول إن المرحلة القادمة بعد الربيع العربي ستكون مرحلة صعبة بالنسبة للأقليات في البلاد العربية. فالأقليات خائفة من التغيير ولذا لم تشارك في الثورات بأعداد كبيرة مما أدى بالأغلبية إلى اعتبارهم خونة متعاونين مع النظام، كما يحدث في سوريا وقلة اشتراك العلويين في التظاهر، أو كما حدث في مصر من جانب الأقباط وضعف مشاركتهم في الثورة تحت تأثير البابا شنودة. وقد بدأت علامات مضايقة الأقليات الدينية في ليبيا عندما عاد الليبي اليهودي داوود الحريبي حديثاً إلى ليبيا ليرمم السناگوگ (الكنيس اليهودي) Synagogue اليهودي في طرابلس وتعرض إلى التهديد من الجماعات الإسلامية وتظاهر عشرات الرجال في طرابلس لمنعه من تجديد المعبد. وفي ليبيا كذلك التي لم يعرف شبابها حكماً غير ديكتاتورية القذافي فإن القبائل التي دافعت عن القذافي فسوف تعاني بعد نجاح الثورة من الاضطهاد وربما التقتيل. ثم هناك العامل الأكبر في اليمن وسوريا وليبيا ومصر وهو الجماعات الإسلامية التي بدأت منذ الآن التهديد باستعمال السلاح إذا لم تحصل على خمسين بالمائة من مقاعد الحكومة. وفي مصر هددت جماعة الإخوان المسلمين بتقديم شهداء أكثر من الذين قدمتهم الثورة حتى الآن إذا أخر المجلس العسكري موعد الانتخابات. فلا محالة أن يستلم الإسلاميون الحكم في تلك البلاد التي شهدت وتشهد الثورات. والإسلام لا يعرف المساواة بين الناس إلا إذا أسلموا وكانوا من غير الإماء والعبيد. الشعوب لا تتعلم الديمقراطية بين ليلةٍ وضحاها. لا بد من مرحلة انتقالية قد تستمر عقدين أو ثلاثة ليعرف الناس، وخاصة الأميين، التعامل مع الديمقراطية. وإلى أن نبلغ تلك المرحلة سوف تعاني الأقليات في الوطن العربي اضطهاداً وتهميشاً أكثر مما عانته تحت الأنظمة البائدة.

7. ما موقفك من إجراء عملية استفتاء بإشراف الأمم المتحدة حول تقرير المصير للأقليات القومية في العالم العربي مثل الصحراء المغربية وجنوب السودان ويشمل أقليات أخرى في المستقبل، مع العلم أن حق تقرير المصير لكل شعب حق ديمقراطي وإنساني وشرعي يضمنه بند من بنود الإعلان العالمي لحقوق الإنسان من عام 1948.

ليس من السهل تعريف الأقليات في العالم العربي أو في بقية دول العالم. فهناك مثلاً النَوَر (الغجر) أي الحلبة أو الجبسي Gypsy كما يسميهم الغرب. هذه الشريحة من الناس تمتد من الشرق الأوسط إلى أوروبا الشرقية مثل رومانيا وألبانيا، ودول أوروبا الغربية. هؤلاء يسافرون في الكرافانات ويستقرون في كل موقع عدة شهور ثم يرحلون إلى موقع آخر. وأعدادهم بالملايين، ولغاتهم مختلفة لكن يُقال إن أصلهم واحد. فهل نعتبرهم أقلية؟ ونفس الشيء ينطبق على الطوارق المقيمين بين الجزائر وليبيا ومالي والنيجر وبوركينا فاسو. فجميعهم يتحدثون الأمازيغية مع لهجات محلية حسب البلد الذي يعيشون فيه.
وماذا عن الأقليات الدينية في البلاد العربية والإسلامية؟ هل نعتبر الشيعة في السعودية أقلية لها حق تقرير المصير، والشيعة في البحرين مع أنهم يمثلون غالبية السكان، والعلويين في سوريا، والهزارى الشيعة في أفغانستان، والشيعة في اليمن (الحوثيون)، والأيزدية والتركمان وغيرهم في العراق. وماذا عن الأمازيغ في شمال أفريقيا، والأقباط في مصر؟ وماذا عن السود في موريتانيا؟
جنوب السودان كان وضعاً يختلف كثيراً عن أقليات الدول العربية الأخرى، فسكان جنوب السودان أفارقة لم يختلطوا بالعرب أبداً ولهم لغاتهم المحلية ولا يدينون بالإسلام كالشماليين. وقد همشتهم حكومات شمال السودان منذ أن استقل السودان عن الحكم الإنـگليزي . فهم لم يكونوا جزءاً أصيلاً من السودان الكلي. ولذلك لا يمكن قياس الأقليات الأخرى بمقياس جنوب السودان الذي قد انفصل الآن بعد إجراء استفتاء ساندته أمريكا وأوروبا والأمم المتحدة.
الأمم الغربية الآن تحاول دمج البلاد الأوروبية في دولة واحدة كبيرة تكون بمثابة الولايات الأوروبية المتحدة لتقوى في مواجهة الولايات المتحدة والصين وروسيا. وكلما كبرت الدولة سكانياً ومادياً كلما تحسنت أحوال ساكنيها. إذا وافقنا على إجراء استفتاء للأقليات في العالم العربي فسوف تتفتت تلك البلاد إلى دويلات، كما حدث للعرب في آخر عهدهم بالأندلس.

> ***الأفضل في نظري هو إقامة الديمقراطية ودولة القانون التي تساوي بين المواطنين وترفع الظلم عن أي فئة مستضعفة وتعطيها نفس الحقوق والواجبات.***

ففي بريطانيا العظمى مثلاً نجد إقليم ويلز وإقليم اسكتلندا وإقليم إنگلترا مجتمعة في بلد واحد رغم اختلاف إثنياتهم، ولكنهم متساوون تحت القانون البريطاني ولكل فرد في المجتمع نفس الحقوق التي يتمتع بها رئيس الوزراء البريطاني. وهذا هو الحل الأمثل بدل تفتيت الدول العربية.

8. ما هي المعوقات التي تواجه قيام دولة كردية وكيانات قومية خاصة بالأقليات الأخرى كالأمازيغ وأهالي الصحراء الغربية؟

المعوق الرئيسي هو سياسة الدول الغربية التي خلقت تلك الأقليات يوم قسمت العالم العربي بعد سقوط الخلافة العثمانية إلى دويلات بحدود اعتباطية لم تأخذ في رسمها مصالح القوميات المحلية، فقسمت الأكراد بين أربعة دول وقسمت الأمازيغ بين أربعة أو خمس دول، حسب مصالحها الذاتية. وما زالت تلك المصالح نفسها تحكم سياسات الدول الغربية وأمريكا. والسياسة هي فن الحفاظ على المصالح.

عودة إلى الفهرس

262 - لقد دمر الإسلام عقولنا

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=279657

يعترف شيوخ الإسلام في القرن الحادي والعشرين بأن المجتمعات الإسلامية **متخلفة** ولكنهم يعزون هذا التخلف إلى **الاستعمار** ويحاولون إخفاء السبب الرئيسي الذي هو *معتقدهم الصحراوي البائس* الذي جعلنا عبيداً لله ثم للرسول والخلفاء، وحتى لطغاة الحكام الذين أمرنا أن نطيعهم حتى إن جلدوا ظهورنا وسرقوا أموالنا لأن الخروج على الحاكم، أو ما يعرّفونه **بالافتئات على ولي الأمر**، يُخرج المسلم من الملة. وخير مثال على ذلك هو المحاكمات التي تجري حالياً في مملكة آل سعود لمحاكمة الإرهابيين الذين نسفوا المجمعات السكنية في الرياض وقتلوا المسلمين وغير المسلمين. فبدل محاكمتهم بالإرهاب، يحاكمونهم على الافتئات على ولي الأمر. وولي الأمر هو الذي رعى الشيوخ وسمح لهم بإصدار الفتاوى التي تحث الشباب السعودي على الذهاب إلى العراق وأفغانستان للجهاد في سبيل الله. وعندما انقلب السحر على الساحر وفجر نفس الشباب قنابلهم في الرياض جهاداً في سبيل الله أصبح الأمر افتئاتاً على ولي الأمر.

من أخطر الأقوال التي حفظناها في المدارس تلك المقولة المنسوبة إلى محمد:

[من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، وإن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان].

وكعادة مؤسس الإسلام وشيوخه نجد أن محمداً **لم يُعرّف لنا المنكر**. فما أراه أنا منكراً قد يراه غيري حسناً. ولكن شيوخ الإسلام رؤوا أن خروج المواطنين في مظاهرات ضد حاكم مستبد منكراً، وخرجوا لنا بالفتاوى من شيوخ اليمن والسعودية والسودان وحتى الكويت، *تُحرّم الإضراب عن العمل*، وهو حق مشروع في جميع دول العالم، وتُحرّم المظاهرات ضد أولياء نعمتهم. وعملاً بمبدأ من رأى منكم منكراً، نستطيع أن نستنتج أن الذي يرى رجلاً وامرأةً في مشهد جنسي يحق له أن يضربهما بيده ليغيّر ذلك المنكر، وهذا ما يفعله رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمملكة آل سعود. ولكن عندما جاءت آية الملاعنة وقال سعد بن عبادة لمحمد:

"والله لو رأيت رجلاً على بطن زوجتي لضربتهما بالسيف"،

قال له محمد:

[سوف يقام عليك الحد لأن الزنا لا يثبت إلا بأربعة شهود رؤوا المرود في المكحل].

ولكن الرجل الذي يرى رجلاً آخر فوق بطن زوجته فقد رأى منكرا بأم عينه، وعليه يجوز له أن يقوّم المنكر بيده.

وقد طبق السلفيون في تونس هذا المبدأ الإسلامي العظيم عندما بثت "قناة نسمة" فيلم **بيرسوبولوس الإيراني** الذي يحكي تخيلات طفلة صغيرة عن الله. وقد تخيلته رجلاً كبيراً محترماً ذا لحية بيضاء. وهذا هو خيال الأطفال الأبرياء عندما يسمعون أن الله ذو انتقام وأنه عزيز جبار يُلقي بالناس في نار جهنم. وأعتقد أن كل طفل قد مر بهذه المرحلة من الخيال. وفي مدارس الغرب يسأل بعض المعلمين تلاميذهم عن تخيلهم لله فيرسمون عدة صور له حسب خيال الطفل. ولكن في تونس الخضراء، مفجرة الربيع العربي، عندما شاهدوا ذلك الفيلم الكرتوني الذي يعرض تصور الطفلة لله، *ثاروا وتظاهروا ضد القناة الفضائية ومالكها الذي اعتذر علناً عن عرض الفيلم*، وكأنه ارتكب جرماً، وقال أنه لن يسمح بإعادة عرض هذا الفيلم مرة أخرى. هذا الاعتذار لم يشفِ غليل الإسلاميين فهاجموا منزل مالك القناة ورموا عليه قنابل المولوتوف الحارقة وأشعلوا النار في المبنى وعائلة الرجل بداخل المنزل. فلا حُرمة لأرواح الأطفال الأبرياء الذين قد يكون أبوهم ارتكب جنح ‹**سب الذات الإلهية**›. وينسى هؤلاء الملتحين أن قرآنهم يقول: {لا تزر وازرة وزر أخرى}. وهم هنا يعترفون أن إلههم عاجز عن الانتقام لنفسه من المسيئين إليه. ثم يزعم لنا الله أنه قد خسف الأرض بمنزل قارون في مصر لأنه تبجح بماله. فإذا كان في إمكانه أن يخسف الأرض ببيت واحد فقط ولا يصيب جيرانه، لماذا لم يخسف الأرض ببيت مالك قناة نسمة واعتمد على عبيده الملتحين لينتقموا لذاته الإلهية. وهذا بالطبع يلقي الشك على كل قصص القرآن الميثولوجية التي تقول إن الله قد خسف الأرض بقوم لوط وسلّط الرجفة على قوم عاد والصاعقة على قوم ثمود. **فماذا حدث لهذه الأسلحة الربانية، هل صدأت من طول عدم الاستعمال، فلجأ الله إلى عبيده ليحموا سمعته وذاته الإلهية؟**

ونفس هذه الذات غير المعروفة انتقلت من الله إلى محمد وإلى حكامنا الحاليين، فنسمع *بمحاكم التفتيش* في الكويت وفي الأردن وفي مصر الإخوان المسلمين تحاكم الأدباء تحت مادة ‹**التعدي على الذات الإلهية أو الملكية أو الأميرية**›. وما دام الله قد نفخ في الملوك والأمراء من روحه المقدسة: {ونفخنا فيه من روحنا} *فقد انتقلت الذات الإلهية وامتزجت بالذات الأميرية أو الذات الملكية*. ولله في خلقه شؤون.

ولأن الذات الإلهية قد انتقلت إلى محمد بن عبد الله الذي انهدت قصور كسرى بفارس يوم مولده، **فقد أصبح محمداً إله المسلمين المحسوس**. فعندما نشرت الصحف الدنماركية صور كرتونية عن محمد ثارت الجموع في العالم الإسلامي من إسلام أباد إلى بيروت إلى القاهرة والشام وحتى أستراليا، وأحرقوا الأعلام الدنمركية ومعها سفارات ذلك البلد، ولم ينسوا أن يسبوا أمريكا والصهيونية العالمية.

وقد أبدى "مجلس هيئة حقوق الإنسان في المملكة العربية السعودية عن أسفه البالغ لما أقدمت عليه عدد من الصحف الدنمركية وغيرها من إعادة نشر الصور المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم وما سبّبه ذلك من ردود أفعال في المجتمعات الإسلامية والأقليات المسلمة في جميع أنحاء العالم." [1]

ولكن عندما عرضت "قناة نسمة" التونسية ذلك الفيلم الذي يسيء إلى الذات الإلهية، حسب فهمهم، لم يتظاهر غير الملتحين في تونس. فالله بالنسبة لمسلمي باكستان والعالم العربي ليس مهماً للإسلام مثل أهمية محمد. ولم نسمع شيئاً من مجلس حقوق الإنسان في الرياض.

غالبية المسلمين لا يعرفون من الإسلام غير سورة الفاتحة والمعوذتين لقرآتهما عندما يقوم المسلم بطقس الصلاة خمس مرات في اليوم، ولذلك لا يزعج المسلم عقله النظيف -غير المستعمل- *بالتفكير في تناقضات القرآن* رغم المآسي التي تحيط بعالمهم.

- فمثلاً يقول القرآن للمسلمين في مكة وما حولها: {لا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم} ويقول كذلك: {وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها}. ويرى جميع المسلمين على شاشات تلفزيوناتهم كل بضعة أعوام المسلمين في الصومال وهياكلهم المتآكلة من الجوع تمشي وسط جيف مَنْ مات منهم من المجاعة ولا يسألون أنفسهم:

'ماذا حدث لوَعد الله أن يرزق الأطفال وآباءهم إن لم يقتلوهم خوف الفقر والحاجة.'

- المسلم لا يعرف وبالتالي لا يفكر في آيات قرآنية مثل التي تقول:

[1] الشرق الأوسط 2008/3/4.

{كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون. (التوبة 69)}.

فإذا تغاضينا عن ركاكة الآية، نجد أنها تسبح عكس تيار حضارة الإنسان التي تعلمناها من الحفريات. فالإنسان الأول كان بدائياً يعتمد على الصيد، وأحسن ما تمكن من اختراعه ليساعده في الصيد كان الآلات الحجرية التي استعملها لتقطيع لحم الفريسة. ثم تقدم الإنسان قليلاً واكتشف الحديد والبرونز وغيرها وتمكن بعدها من صنع السكين أو السيف ليقتل بها أعداءه. فحتماً، حسب التطور الطبيعي للبشر، فإن الذين عاشوا قبل العام السابع الميلادي لم يكونوا أكثر قوةً ولا أكثر مالاً من الذين عاشوا في القرن السابع عندما ظهر محمد بن عبد الله. فكل اختراع في السلاح لا يلبث أن ينتقل إلى الأمم المجاورة أو تلك التي هزمتها تلك الأسلحة المتطورة نسبياً.

فلا يُعقل أن تكون الأمم السابقة أكثر قوة من التي تليها. ولكنه الإيمان بما لا نعلم.

- القرآن يستعمل عبارة: {**من بين يديه ومن خلفه**} عشرات المرات وفي مناسبات مختلفة، وهي تعني (من قبله ومن بعده). فإذا نظرنا إلى الآية التي تقول:

{واذكر أخا عادٍ إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم. (الأحقاف 21)}.

فالله يقول لنا هنا إن النبي هود الذي أرسله إلى قوم عاد، قد خلت النذر أو الرسل من قبله ومن بعده. قد نفهم أن لا يكون هناك رسولٌ قبله لقوم عاد، ولكن بعد أن أرسل الله الريح العاصفة أو الصاعقة أو الرجفة، لأنه قد غير وسيلة قتلهم عدة مرات، فلا بد أن بعضاً من القوم قد نجا من العاصفة أو الرجفة، ونحن نبصر بأم أعيننا الأعداد الغفيرة التي تنجو من الزلازل في كل عام، فالذين نجوا من قوم عاد لا بد أنهم اندمجوا في شعوب مجاورة ثم أرسل الله لهم رسولاً جديداً. ونفس الشيء حدث مع قوم ثمود الذين قال الله إنه قد أهلكهم. ولكن الحفريات والتاريخ الروماني المكتوب يثبتا لنا أن قوم ثمود قد كانوا أحياء في القرن الخامس الميلادي، وكانوا جنوداً في الجيش الروماني وما زالت كتاباتهم في القرن الخامس موجودة أمام أعيننا.

فلا يُعقل أن يكون الرسل قد خلوا من بعد عاد، فقد أرسل يسوع ومحمد. ولكن المسلم لا يشغل باله بمثل هذه الآيات.

- عندما توفي السيد ستيڤ جوب Steve Jobs مخترع آيفون Iphone، نعَتْه بعض المواقع العربية، فخرج علينا أحد الملتحين الذي يحمل لقب "دكتور" أمام اسمه الذي هو بسام الشطي، ليقول لنا:

"إنه لا يجوز الترحم على الكفار لأن أعمالهم كسراب تذروه الرياح (ولقد حرم الله تبارك وتعالى الاستغفار للمشركين ولو كانوا ذوي قربى **{ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم}** ***فالاستغفار والترحم والدعاء لغير المسلم لا يجوز فما بالك بالبوذي والهندوسي وغيرهم فلن يقوموا بعمل مثل ما قام به عبد الله بن جدعان كان في الجاهلية يذبح 1000 من الابل للحجاج ويصلح بين الاثنين ويعطي كل سائل ولم يعهد عليه الشتائم والسباب ولما سألت أمنا عائشة رضي الله عنها النبي عن ابن جدعان فقال:*** **[هو في النار لأنه مات على غير الاسلام]".** انتهى.

فالرجل الذي كان يذبح 1000 ناقة للحجاج ليطعمهم لا نستغفر له لأنه مات قبل الإسلام ولم يمت عليه. ولكن عندما يسرق أبو هريرة من مال المسلمين ويقول لمحمد إن الشيطان سرق ذلك المال، ثم يسرق مال المسلمين في البحرين ويرجع بالإبل والمال الكثير بعد أن كان يخدم أهل قريش لقاء إطعامه فقط، وعندما يسرق عبد الله بن عباس مال بيت المسلمين بالبصرة ويذهب به إلى مكة ليشتري به الجواري، نترحم عليهما، بل نقول "رضي الله عنهما" لأنهما ماتا على الإسلام.

أي خبل هذا الذي يتشدق به الملتحون.

- يقول نفس الملتحي:

"وقد استأذن رسولنا صلى الله عليه وسلم ربه أن يستغفر لأمه فقال: **[استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي]** ***قال النووي وفيه النهي عن الاستغفار لغير المسلم" انتهى.***

ما للملتحين يرددون كالببغاء؟

- ألم يقرأ هذا الشيخ الدكتور القرآن الذي يقول: {**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا**}.
- وكذلك يقول لمحمد عن عرب مكة وما حولها: {**وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم من قبلك من نذير.** (سبأ 44)}.

فالله يقول لمحمد إنه لم يكن لعرب الجاهلية كتب دينية يدرسونها، ،إنه لم يبعث لهم من رسول قبله.

- ويقول: {**ما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**}.

فإذاً المنطق يخبرنا أن الذين ماتوا من عرب الجاهلية قبل بعثة محمد لن يعذبهم الله لأنه لم يبعث لهم من رسول، وهو يقول عن نفسه إنه لا يعذب الناس حتى يبعث لهم رسولاً.

فأم محمد التي ماتت عندما كان عمره ست سنوات، وأبوه الذي مات قبل أن يولد محمد، كيف يتراجع الله عن كلامه ويعذبهما في النار، كما ذكر محمد نفسه أن أمه وأباه في النار؟ يا عالم تفكروا في آيات قرآنكم، خاصةً أن القرآن يقول: ألا يتدبرونه؟.

- يقول لنا القرآن مخاطباً الرسل جميعهم:

{يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون. (المؤمنون 51-52)}.

فالقرآن هنا يقول لجميع الرسل إن أمتكم أمة واحدة. فالمسيحي واليهودي والمسلم كلهم أمة واحدة. ثم يقول لنا في نفس القرآن:

{ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون. (النحل 93)}.

فنحن إذاً لسنا أمةً واحدةً، وتثبت الخلافات بين المسلمين أنفسهم وبينهم وبين الأديان الأخرى أنهم ليسوا أمة واحدة. فماذا حدث للآية الأولى؟ تناقض واضح ولكن المسلم لا يشغل باله بالتناقضات القرآنية إما لأنه لا يعرفها، وإما لخوفه من عذاب الله الذي قال إن المشركين يتبعون المتشابه من القرآن لينتقدوه، وقد أعد لهؤلاء عذاباً عظيماً.

- وهناك طبعاً مَن يستغل جهل المسلمين والغرب بالإسلام وكذلك خوف المسلمين من حكامهم المستبدين ليتاجر بالإسلام في كل صغيرة أو كبيرة، كما يفعل آل سعود. فقد قال سعود الفيصل وزير خارجية مملكة آل سعود في فيينا عندما وقع على اتفاقية إنشاء مركز باسم الملك عبد الله بن العزيز لحوار الأديان:

"إن جميع الأديان الأساسية تشترك في قيم جوهرية تدعو للتقدم والعدالة الاجتماعية والتسامح وحفظ الكرامة البشرية وأن الهدف الأساس لجميع الأديان يتركز في الدعوة للخير والتصدي للشر في الحياة." انتهى.

وهذا طبعاً كلام جميل جداً غير أنه **كذب بواح**. فالإسلام لا يدعو للعدالة الاجتماعية والتسامح. فلو كان الإسلام يدعو إلى العدالة الاجتماعية لما رأينا أمراء وأميرات آل سعود الذين يتعدى إحصاؤهم عشرة آلاف أو يزيد، يسيطرون على أموال النفط ويبنون

القصور العديدة على أجمل السواحل بالمملكة وفي أوروبا، ويمتلكون حسابات ضخمة في البنوك السويسرية بينما تثبت الأبحاث أن بالرياض طبقات من السعوديين المهاجرين إليها من القرى يعيشون في فقر مدقع

"أوضحت البحوث أن الفقر مرتبط ببعض الشرائح الاجتماعية أكثر من غيرها، حيث تشكل المجتمعات المحلية البسيطة جزءا من الفقراء إضافة إلى الأميين وأصحاب الأعمال غير المهارية وكبار السن والأرامل والمطلقات. وأفادت أن هجرة الفقراء إلى الرياض تؤدي إلى الاستقرار في المناطق الشعبية في الرياض وأن 91 في المائة من أسر المناطق العشوائية في الغالب من المهاجرين الجدد الذين يرون في تكريس وضع الفقر حالا أفضل من الحال التي كانوا عليها في مناطقهم الأصلية حيث أن انعدام توافر وسائل الراحة وصعوبة المواصلات وانتشار الحشرات وعدم تطور البيئة في تلك المناطق يزيد من شعور المهاجرين بقسوة بيئتهم الأصلية مقارنة بالرياض." [2]

واستمر سعود الفيصل في خطبته العصماء:

"أنه وإدراكا منه لأهمية هذه الأهداف النبيلة، أطلق العاهل السعودي نداءه المخلص لكل دول وشعوب العالم لنشر الحوار بين أتباع مختلف الديانات والثقافات التي تشكل تراث البشرية جمعاء." انتهى.

وهناك مثل انـگليزي ربما لا يعرفه آل سعود يقول: Charity begins at home،أي أن الأعمال الخيرية تبدأ في المنزل. فإذا كان الملك يدعو الأمم الأخرى لحوار الأديان، لماذا لم يبدأ بمملكته ويأمر شيوخ الوهابية بحوار الشيعة المضطهدين في شرق المملكة عندما:

(وصف إمام الحرم المكي الشيخ عادل بن سالم الكلباني علماء الشيعة بـ**"الكفار"**. وقال الكلباني في مقابلة مع قناة بي. بي. سي أذيعت مساء الاثنين ضمن برنامج "في الصميم" إن الشيعة لا يحق لهم أن يكونوا ممثلين في "هيئة كبار العلماء" التي تعتبر أعلى هيئة دينية في المملكة العربية السعودية)

وعندما سئل الإمام عن تكفير جميع الشيعة، قال:

(تكفير الشيعة عامة مسألة يمكن أن يكون فيها نظر، أما تكفير علمائهم واجب بدون تمييز).

ويمكن مشاهدة المقابلة على الرابط:

http://www.bbc.co.uk/arabic/av/programmes/2008/03/080311_tv_tothepoint.shtml?bw=bb&mp=wm&news=1&ms3=22&ms_javascript=true&bbcws=2

وقد حددت اتفاقية المركز في فيينا:

(دعم الحوار بين أتباع الأديان والثقافات وتعزيز التفاهم والاحترام والتعاون بين الشعوب وحفز العدالة والسلام والمصالحة ومواجهة تبرير العنف والصراعات بغطاء الديانات.)[3]

والغريب أن التقرير الأمريكي السنوي عن حرية الأديان يقول عن السعودية:

"وقد واجه الشيعة الكثير من التمييز السياسي والاقتصادي والقانوني والاجتماعي والديني، بما في ذلك محدودية فرص العمل والتعليم، وانخفاض مستوى التمثيل في المؤسسات الرسمية، وتقييد حرية ممارسة المعتقد الديني وبناء أماكن العبادة والمراكز الاجتماعية. بل أن هناك الكثير من الحالات اتهم فيها رجال من هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (المطوعين)، أو الشرطة الدينية، بالتحرش وسوء المعاملة والقتل. كذلك فإن هناك العشرات من العمال الأجانب وأفراد أسرهم ممن ألقي القبض عليهم ورُحلوا إلى بلدهم على خلفية ممارستهم لشعائرهم الدينية." انتهى.

هل يمكن أن يؤدي هذا الحوار الإسلامي إلى إزالة اللافتات حول المدينة التي تقول (طريق غير المسلمين)؟ وهل يمكن أن يسمح الحوار ببناء كنيسة واحدة فقط أو سيناگوگ (كنيس يهودي) في الرياض، والحديث يقول: [**لا يجتمع في جزيرة العرب دينان**]؟
ألا تكفيكم البذور الشريرة التي نشرتوها في مدارس تحفيظ القرآن في باكستان وأفغانستان واليمن؟ هل لا بد من بذر نفس تلك البذور في أوروبا باسم حوار الأديان؟ ويبدو أن الملك عبد الله يريد حواراً من جانب واحد، وهو الجانب الإسلامي الذي يستغل الأوروبيين ليسمحوا ببناء المراكز الإسلامية والمساجد ذات المآذن العالية بينما تظل جدران السعودية وأبوابها موصدة على الأديان الأخرى.
صدق محمد عندما قال:

{ومِن حولكم مِن الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين. (التوبة 101)**}.**

ولكن المشكلة أن كل هذه التناقضات لا تشغل عقل المسلم لأن عقول المسلمين قد خرّبها الإسلام منذ ألف وأربعمائة عام مضى.

عودة إلى الفهرس

[2] منيف الصفوقي، الشرق الأوسط، 2005/7/31.
[3] إيلاف 2011/10/13.

263 - إعجاز قرآني أم تخاريف؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=280673

بعد أن قرأت مقال السيدة فينوس زهرة الحوار المتمدن خطر ببالي عدة أسئلة وإشكالات، وبما أن القرآن يوصينا أن نتدبر فقد تدبرت هذه الأمور وسوف أطرحها للقاريء ليتدبر هو الآخر.

يقول القرآن في سورة آل عمران:

{وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنةٍ عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين} (الآية 133).

ويقول في سورة الحديد:

{سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنةٍ عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. (الآية 21)}.

وقبل أن نتحدث عن الجنة نفسها أحب أن أوضح أن الآية الثانية (سورة الحديد) وهي سورة مدنية، فيها خطأ نسخي. فالآية ربما كانت:

{سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنةٍ عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله}

وليس "**رسله**" لأن محمد كان يقاتل اليهود والنصارى ويقول عنهم في القرآن إنهم كفار، وليس من المعقول أن يدخل الكفار الجنة رغم أنهم آمنوا بموسى وعيسى وهم رسل الله. فلا بد أنه كان يقصد "من آمن بالله ورسوله" أي محمد، وبذا يحصر الجنة على المسلمين فقط.

أما الجنة نفسها التي عرضها كعرض السماء أو السموات فلن يدخلها إلا عدد بسيط جداً من الخلق:

{السابقون السبقون. أولئك المقربون. في جنات النعيم. ثلة من الأولين وقليل من الأخرين. (الواقعة 10 - 14)}.

ويزيدنا إيضاحاً فيقول في نفس السورة:

{ثلة من الأولين. وثلة من الأخرين. (الآيتان 39، 40)}.

فهذه الجنة التي لا حدود لها، أي infinite كما يقول علماء الفيزياء، لأن السماء فضاء غير محدود ولا يمكن الوصول إلى آخره، أعدها الله لثلة من الأولين وثلة من الأخرين. أليس هذا تبذيراً والله لا يحب المبذرين؟ وحسب ما روت السيدة ڤينوس فإن الخيمة التي زارتها كان طولها ستين ميلاً. وعليه فإن عدد الخيام في هذه الجنة لا يمكن حصره، فماذا سوف يفعل الله ببقية الخيام الخالية من السكان؟

والقرآن لم يقل لنا كيف يتواصل هؤلاء الناس فيما بينهم إذا كانت كل خيمة طولها ستون ميلاً والمسافات بينها لا تُحصر. وقد حكى بعض الظرفاء نكتة عن هذه المسافات. تقول النكتة إن ثلاثة أصدقاء ماتوا في حادث سيارة وصعدوا إلى السماء، فقابلهم جبريل وقال لهم إنكم تحتاجون مواصلات في هذه الجنة. وسوف نعطي كلاً منكم سيارة حسب أعماله. فسأل الأول وهو شاب، إذا كان قد خان زوجته، فقال لجبريل: نعم. خنتها عشر مرات. فقال له جبريل سوف نعطيك سيارة فولكسواگن. وسأل الثاني وكان شاباً أيضاً، فقال نعم. خنتها 3 مرات. فأعطاه سيارة مرسيدس. وسأل الثالث وكان رجلاً في الستين من عمره، فقال الرجل: منذ أن تزوجت زوجتي قبل 40 سنة لم أنظر إلى امرأة أخرى. فأعطاه سيارة رولز رويس. وبعد فترة من الزمن كان الصديقان الشابان في سياراتيهما ومرا على الرجل الكبير وهو جالس في سيارته الرولز رويس وهو يبكي. فقالا له لماذا تبكي وقد أعطاك الله رولز رويس؟ فقال لهما: لقد مرت من هنا زوجتي وهذا ما جعلني أبكي. فقال له أحدهما: يجب أن تكون مسروراً إذا رأيت زوجتك في الجنة. فقال لهما: المشكلة أنها كانت تركب على سكيت بورد skateboard.

وبما أن القرآن يقول: **{وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا}** فحتماً هو لن يعذب إنسان النيانتيدال ولا إنسان الهوموسيبيان ولا الفراعنة قبل موسى ولا أقوامهم. فكل هؤلاء سوف يدخلون الجنة. فهل سوف يعطي لرجالهم حوريات؟ وهل يستطيع رجل النيانتيدال التفاهم مع حورياته؟

والقاريء لا شك يعلم أن الجنة والنار متجاورتان وبينهما برزخ نحيف. ويتحدث أصحاب الجنة مع أصحاب النار:

{ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا. (الأعراف 44)}.

فكل واحد من أصحاب الجنة اللامحدودة ينادي من خيمته التي يبلغ طولها ستين ميلاً، أصحاب النار الذين يصرخون بأعلى أصواتهم وهم يُشوون في النار، ويسألهم إن كانوا قد وجدوا ما وعدهم ربهم حقاً. وبما أن لغة الجنة هي اللغة العربية التي نزل بها القرآن، فهل سوف يفهم أهل النار من الإنگليز والأمريكان والهنود والصينيين والأفارقة هذا السؤال، حتى إن سمعوه مع هدير جهنم ومع صراخهم المستمر؟

فإذا كانت الجنة والنار متجاورتين لهذا الحد، والجنة عرضها السموات والأرض، أين تكون النار التي سوف يدخلها الغالبية العظمى من الناس الذين سوف يبلغ عددهم مئات المليارات عندما يأتي يوم الحساب، إذا كان هناك يوم حساب.

ولكن الإشكال الأكبر هو أن النار موجودة الآن حسب القرآن:

{النار يعرضون عليها غُدواً وعَشياً ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب. (غافر 46)}.

فآل فرعون يُعرضون على النار كل صباح ومساء ثم يوم الحساب يقول الله لهم: **ادخلوا أشد العذاب**. وفي السنة المحمدية حسب ما روى البخاري، **أن أبواب النار توصد في رمضان**. وهذا يعني أنها تكون مفتوحة بقية السنة لمَن يريد أن يزورها. فأين هذه النار الموجودة الآن ونحن نعلم أن الجنة عرضها السموات والأرض؟

وهذه النار الموجودة الآن ويزورها آل فرعون في اليوم مرتين، وقودها الناس والحجارة. وبما أن الناس لن يدخلوها إلا يوم الحساب، فلا بد أن وقودها الآن هو الحجارة فقط. وكما نعلم من الفيزياء فإن الحجارة تحمى في النار ويصير لونها أحمرَ، ولكن لا يمكن للحجارة أن تُطعم النار إلا إذا كان بها نفط. فهل حجارة السماء بها كميات خيالية من النفط تغذي جهنم التي ظلت مشتعلة منذ ظهور محمد حتى الآن، وسوف تظل مشتعلة حتى يوم الحساب حتى يدخلها المجرمون فيكون شحمهم غذاءً لها؟ وهذه النار بها شجرٌ من **زقوم** لا يحترق بل يجود بشراب مر على أهل النار. فمحمد قد ضرب بقوانين الفيزياء عرض الحائط.

الله الذي خلق جنة لا حدود لها لأفراد قلائل، يفعل أشياء أخرى تُعتبر مضيعة للوقت. فمثلاً، نحن نعرف أن الإنسان عندما يموت يتحلل جسمه إلى مكوناته الطبيعية من أملاح ومعادن أخرى ويضيع في التربة من حوله. ولكن الله يخبرنا أنه سوف يخلق العظام مرة أخرى ويكسوها لحماً في يوم الحساب. وما دام الله قادراً على كل شيء، لماذا لم يجعل جسم الإنسان يحتفظ بلحمه وعظامه إلى يوم الحساب، ووقتها لا يحتاج الله إلا أن ينفخ فيه الروح *كما فعل في قصة القرآن عن ذلك الرجل الذي مر على قرية مهجورة فقال: كيف يحيي الله هذه القرية؟ فما كان من الله إلا أن أماته مع حماره ولكن جعل الحمار يحتفظ بعظامه رغم أن اللحم قد تحلل. وبعد مائة سنة أحياه الله وقال له انظر إلى طعامك الذي لم يتلف، وانظر إلى عظام حمارك وسوف ترى أننا نجمعها مع بعض ثم نكسوها لحماً*. فهو قد جعل عظام الحمار تبقى على شكلها لمائة سنة، فلماذا لم يفعل الله نفس الشيء مع عظام الناس ويوفر على نفسه خلق العظام من التراب مرة أخرى؟ أعتقد أن خيال محمد لم يكن من الوسع بحيث يتغلب على هذه المشكلة.
رب القرآن يفاخر بقوله:

{ما فرّطنا في الكتاب من شيء. (الأنعام 38)**}.**

فإذاً القرآن يحتوي على كل شيء نعرفه. يقول لنا القرآن:

{وأرسلنا الرياح لواقحَ فأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين. (الحجر 22)**}.**

والذي يتحدث عن ظاهرة طبيعية يجب عليه أن يذكر القاعدة العامة ولا يتمثل بالشواذ أو القلة. فالله هنا يقول إنه أرسل الرياح لواحقاً. فنفهم أن الرياح هي التي تلقح الأزهار لتنتج لنا الفاكهة. ولكن في حقيقة الأمر فإن الرياح لا تلقح أكثر من خمسة بالمئة من الأزهار لأن قوة الرياح تدفع بالطلع بعيداً في الهواء. والغالبية العظمى من الأزهار تلقحها الحشرات مثل النحل والفراش والدبور وغيرها. والقرآن لم يذكر هذه الحقيقة بل قال عندما ذكر النحل:

{وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون. ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذُللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس. (النحل68-69)**}؟**

فمحمد الذي كان يعتمد على الأشياء المرئية بالعين لم يكن يعلم أن الحشرات، ومنها النحل، عندما يحط على الأزهار ليمتص رحيقها تعلق حبات الطلع على الشعيرات التي بأرجل النحل، وعندما يحط النحل على زهرة أخرى ينزل الطلع من الأرجل على الزهرة فيلقحها. كل ما رآه محمد من النحل أنه يحط على الأزهار فيأكل منها ويخرج من بطونه عسلٌ فيه شفاء للناس. فكيف يقول:

{ما فرطنا في الكتاب من شيء}؟

وفي نفس سورة النحل يقول لنا إنه خلق لنا:

{الخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون. (آية 8)**}.**

فهو هنا، مرة أخرى، يذكر النادر ويغض الطرف عن الأكثر. فالحجاز وقت ظهور محمد لم يكن به إلا عدد بسيط من الخيل، والشاهد على ذلك أنه في غزوة تبوك في سنة تسعة هجرية كانت الخيول تُعد على أصابع اليد الواحدة، وكان محمد نفسه يركب ناقةً. أما البغال فلم يعرفها أهل الحجاز إلا بعد فتح الشام وكانوا يسمونها **البرازين**. فكيف لرب السماء أن يذكر الخيل والبغال والحمير ولا يذكر البعير الذي كان العمود الفقري للركوب وحمل الأثقال؟ فقد كانت قوافل قريش التي اعترضها محمد تتكون من ألف بعير، كما تذكر كتب التراث عن غزوة بدر. **فهل نسي الله الجِمال وهو من المفترض أنه لا ينسى؟**
وفي نفس سورة النحل يقول في الآية 14:

{وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طريا وتستخرجوا منه حِليةً تلبسونها وترى الفُلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله}.

إذاً البحر سخره لنا لنأكل منه السمك ونستخرج منه الحلية وتمخر فيه مراكبنا. ولولا البحر لما كانت هناك حياة. فالطفيليات مثل الطحالب Algae هي التي تنتج لنا أكثر من 90 بالمئة من الأوكسجين الذي نتنفسه. والتيارات تحت سطح البحر هي التي تتحكم في الطقس، خاصةً في فصل الشتاء. والغالبية العظمى من الأمطار تتكون من التبخر من البحار. كل هذا لم يكن معلوماً لمحمد ولذلك تحدث عن الأشياء المرئية مثل المراكب والخزف واللؤلؤ الذي يستخرج من البحر، والسمك طبعاً. فهل لم يفرّط في الكتاب من شيء؟
وأخيراً يقول لنا القرآن:

{ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدونِ}

وهو قد تدبر الأمر وخلق الناس فقط ليعبدوه. وأظن أن تدبيره قد باء بالفشل لأنه يقول لنا في آية أخرى:

{خلق الإنسان من نطفةٍ فإذا هو خصيم مبين. (النحل 4)**}.**

ومن المؤكد أن الخصم لا يعبد خصمه. فكيف فات على الله أن يبرمج الإنسان الذي خلقه من النطفة برمجة مضبوطة حتى يعبده بدل أن يكون خصيمه؟

هذه مجرد أفكار أوحاها لي مقال السيدة فينوس، فأرجو أن يتمعنها المدافعون عن الإسلام ويجيبوا لنا على تلك الأسئلة.

عودة إلى الفهرس

264 - ثورة ليبيا واغتيال القذافي

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=281175

كتب الكثيرون عن المصير الدموي الذي أحاق بالقذافي وابنه المعتصم، وقد كتب السيد الياس خوري في صحيفة القدس اللندنية:

"طلب الرجل الرحمة قبيل اعدامه، وبدلا من أن تكون العدالة هي الجواب، سقط العقاب في فخ الجريمة، وأعدم الرجل من دون محاكمة. لقطات يوتيوب أظهرت القذافي مدمى وهو يرجو من الذين ألقوا القبض عليه الرأفة به: حرام عليكم... حرام عليكم... انتم ما تعرفوا الحرام؟ يستطيع المنتقم ان يسخر من سفّاح يطلب الرحمة، لكن العدالة تمتلك منطقاً آخر لا علاقة له بالانتقام. العقاب ليس جريمة كي يجري الاستخفاف به، خصوصاً وأننا رأينا مشاهد المعتصم القذافي بعد اعتقاله، ولا أثر للاصابة في جسمه، ما يدفعنا الى الاعتقاد بأن قتل القذافي ونجله وبعض رجالات نظامه، لم يكن ردة فعل عفوية، بل جاء نتيجة قرار واعٍ بالتخلص من الديكتاتور، وعدم تسليمه لمحكمة الجنايات الدولية." انتهى.

ولا شك أن العدالة كانت تتطلب أن يحافظ الثوار على حياة القذافي ومعتصم لتقديمهما للمحاكمة. ولكن العدالة في نفس الوقت تتطلب أن يكون العقاب مساوياً للجريمة ولا يقل عنها في إرضاء المتضررين. ولو أبقوا على القذافي حياً لرفضت الحكومة الليبية تسليمه إلى محكمة العدل الدولية التي لا يوجد الإعدام في قوانينها. كان سوف يسجن بقية عمره. وبما أن القذافي كان قد شارف على السبعين من عمره، فكم سنة كان سوف يقضيها في الحبس؟ وهل العشر أو خمس عشرة سنة التي كان سوف يقضيها بالسجن تعادل الجرائم التي ارتكبها بحق الشعب الليبي، وهل كانت هذه العقوبة سوف ترضي ذوي المساجين السياسيين الذي فاق عدد مَن قتلهم القذافي في سجن أبو سليم الألف ومائتي قتيل؟ بالطبع لا، لأن العدالة يجب أن تكون مساوية للجرم. ولو حوكم القذافي في محكمة ليبية فسوف يكون مصيره الإعدام كما أُعدم صدام حسين.
ثم ماذا كان سيحدث لو أن الناتو لم يتدخل وقد وعد القذافي أن يمحو بنغازي من الخارطة مع مصراته وغيرها من المدن الأخرى التي شاركت في الثورة ضده، وأقسم أن يلاحقهم زنقة زنقة وبيت بيت؟ هل كان الداعون إلى اعتقاله سوف يدعونه إلى اعتقال الثوار وتقديمهم للعدالة بدل قتلهم حيثما ثقفوهم {واقتلوا المشركين حيثما ثقفتموهم}.
يقول السيد الخوري:

"محاكمة القذافي كانت ضرورية من أجل أن لا يطوّق العار تاريخ العرب. السؤال ليس لماذا سقط الطاغية بل لماذا لم يسقط من زمان، وما هي آليات الاستبداد ولغته ووسائله. وهذا لن يتم من دون محاكمة، لذا شعرت وأنا أرى المشاهد المروعة لمقتلة القذافي بالغضب. ما هكذا تصنع الثورات، ولا هكذا نصل الى العدالة." انتهى.

هل تاريخ العرب يحتاج إلى ما فعله ثوار ليبيا ليطوق بالعار؟ تاريخ العرب منذ الدولة الأموية وحتى الآن ظل متشحاً **بالعار** من مذابح وقتل ودمار واستعباد الغير والتسلط على رقاب الناس، و**بأسواق النخاسة وما كان يجري في قصور الخلفاء والأمراء**، وما زال يجري في القصور اللاحقة. ما تم في ليبيا لا علاقة له بتاريخ العرب، والعالم كله ظل يتحدث عن الثورة الليبية ولم يقل أحد إنها كانت ثورة عربية. تحدثوا عن الربيع العربي لأن عدة بلاد عربية قامت بها ثورات وبعضها ما زال قائماً. فلا دخل للثورة الليبية بتاريخ العرب. وهل إذا قدموا الطاغية إلى محاكمة كنا سنعرف منه أشياء جديدة عن آليات الاستبداد ولغته ووسائله؟ ألا نعرف جميعاً كيف تتكون الديكتاتوريات وما الذي يجعلها تتوطن في البلاد العربية؟ هل كانت ديكتاتورية صدام حسين تختلف في آلياتها عن ديكتاتورية القذافي أو حافظ الأسد، وهل قدمت لنا محاكمة صدام حسين أي شرح لم نكن نعرفه عن أسباب وآليات الديكتاتورية؟ وهل هناك مَن يتصور لو أن القذافي سُلّم إلى محمكة العدل الدولية أو المحكمة الليبية العليا كان سوف يعترف بجرائمه ويشرح لنا لماذا وكيف أنشأ ديكتاتوريته وحافظ عليها؟ هل كان سوف يعترف بتدبير تفجير طائرة "بان ام PANAM" فوق لوكربي أو الطائرة الفرنسية فوق Hفريقيا الوسطى؟ كل متهم في الدنيا يدفع ببراءته وينكر ما نُسب إليه، والمحكمة تعتمد على الأدلة. فأين هي أدلة لوكربي بعد أن دفع عبد الباسط المقراحي ببراءته بعد أن وصل ليبيا وأكرمه القذافي، وقد لا يعيش ليدلي بشهادته؟ وهاهو موسى كوسه، حافظ أسرار القذافي وكبير جواسيسه ومنفذ إعداماته يعبث طليقاً في قطر. فليقدموه إلى محكمة العدل الدولية، فكل شيء كان من الممكن استخلاصه من القذافي يمكن استخلاصه من موسى كوسه، وأي معاملات مع الدول الغربية لابد أن موسى يعرف عنها.
ثم يقول السيد الخوري:

"في ليبيا تكرر المشهد وإن بصيغة مختلفة، ومرة أخرى تم استخدام الانتقام أداة من أجل حجب العدالة." انتهى.

ولكن في الحقيقة لم يكن القتل من أجل حجب العدالة وإنما كان غريزة إنسانية طبيعية تريد الثأر لكل سنوات القتل والسجن والتعذيب وصرف أموال الليبيين على مغامرات العقيد الفاشلة، ونمط حياة أفراد أسرة القذافي التي كانت أشبه بقصص ألف ليلة وليلة بينما عاش الليبيون في فقر وخوف.
يقول جين لاكروا Jean Lacroix:

الجمهورية تستند على موت الأب The republic rests on the death of the father

فكل ثورة ضد الظلم والطغيان كان أول ضحاياها الحكام والملوك الذين أذلوا الشعوب وبالتالي تسببوا في الثورة وكل مَن تعاون معهم، أو يكون الموت من نصيب الفريق الآخر إذا خسر المعركة.
ففي الثورة الأمريكية ضد الاستعمار الانـگليزي عام 1775 كان هناك ضابط انـگليزي يُدعى Bannister Tarleton كان قد جند بعض الأمريكان الموالين للانـگليز وخلق منهم جيشاً يحارب في جانب الانـگليز. وفي معركة تُعرف باسم معركة كامدن، تغلب المرتزقة على كتيبة أمريكية، فاستسلمت الكتيبة لهم، فأمر الضابط بانستر جنوده المرتزقة بقتل الجميع، فصار ذلك الضابط يُعرف ب Bloody Ban.
وفي الثورة الفرنسية عام 1789 والتي استمرت ثلاث سنوات، أعدم الثوار الملك لويس السادس عشر وعدداً غفيراً من البارونات وملاك الأراضي. ورغم الانتقام الذي حدث أنتجت لنا الثورة الفرنسية مصطلحات المساواة والمواطنة وحقوق الإنسان. وبعد ذلك بقليل عندما اعتلى نابليون سدة الحكم سار بجيشه العرمرم وحاصر مدينة يافا في فلسطين وأرسل اثنين من سفرائه إلى داخل المدينة للتشاور حول تسليمها، فما كان من أهل المدينة إلا أن قتلوا السفراء وعلقوا رؤوسهم على الحراب فوق جدار المدينة. عندها اقتحم نابليون المدينة وأباحها لجنده ثلاثة أيام ذبحوا واغتصبوا ما يروي غريزتهم من حب الانتقام لقتل السفيرين، وعندما تعبوا من القتل

أسروا البقية الباقية من السكان وفي اليوم التالي أخذوهم إلى الشاطئ وأعدموا حوالي ثلاثة آلاف رجل وطفل، بعضهم كان متشبثاً بتلابيب أبيه.
حب الانتقام هو الذي يُفقِد الإنسان عواطفه وعقله ويدفعه للقتل. والشعب الليبي قد عانى كثيراً وكان لابد من وجود أشخاص أعماهم الحقد على القذافي ودفعهم للانتقام. فإذا أخذنا هذا في الحسبان وعرفنا أن جيش الثوار لم يكن جيشاً نظامياً تحكمه قوانين الحرب، نستطيع بكل سهولة أن نفهم لماذا قتل أحدهم القذافي وابنه بينما كان بعض الثوار ينادي بالحفاظ عليه. *ففي لحظة انهيار الدولة ينهار القانون ويتصرف كل فرد بما يحلو له.*
وقد يقود حب الانتقام إلى **أفظع** من قتل الأسير. ففي الثورة الإسبانية عام 1936 والتي أعقبت الحرب الأهلية التي قاد اليمين فيها الجنرال فرانكو، استولى الفلاحون والعمال على المصانع والأراضي، وبلغ بهم الغضب على الإقطاعيين حداً جعلهم يحفرون قبور الإقطاعيين الذين ماتو في الحرب الأهلية وفصل رؤوسهم عن هياكلها وتعليقها على الصلبان. *فغضبة المظلوم لا تعرف حدود الأخلاق والتعامل الحضاري.* الإنسان في ساعة الغضب يفقد عقله ويتصرف بالغريزة، والغريزة تدعو إلى الانتقام.
وحدث نفس الشيء في الثورة البلشفية عام 1917 عندما قتل الثوار الإمبراطور نيكولاس الثاني وعائلته من الأطفال والنساء.
يقول السيد الخوري:

"ما هكذا تصنع الثورات، ولا هكذا نصل الى العدالة."

ولا اعتقد أن هذا القول صحيح بدليل أن الثورات عبر التاريخ اتسمت بالانتقام، حتى مِن أفراد قادوا تلك الثورات، ولذلك بقي المثل:
(الثورات تأكل بنيها).

العقيد القذافي في رأيي نال ما يستحقه من عقاب وحصل الشعب الليبي على العدالة من الظالم.

عودة إلى الفهرس

265 - إغتيال القذافي ونظرية المؤامرة

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=281402

تباينت ردود القراء على مقالي الأخير كتباين ردود الفعل العالمية على اغتيال القذافي. وأعتقد أن بعض القراء قد أساء فهم ما كنت أرمي إليه. أنا لم أحاول تبرير أو مباركة قتل القذافي بتلك الطريقة الوحشية التي لقي بها نهايته الحتمية، وإنما حاولت أن أدعو إلى فهم ما حدث فهماً يأخذ طبيعة الإنسان في الاعتبار.

فنحن لسنا آلات مبرمجة لا عواطف لها ولا أحاسيس. الإنسان ما زال حيواناً يتحكم في تصرفاته العقل في ساعات الهدوء، والخوف من القانون وعواقبه في الظروف العادية، ولكن سرعان ما يعود الإنسان إلى طبيعته الحيوانية الغرائزية

- إذا انهار قانون الدولة لأي سبب من الأسباب،
- أو إذا ألغى الإنسان عقله:
  - بسبب تناول الكحول أو الأدوية
  - أو بسبب التأدلج الديني أو المذهبي.

وقد رأينا أمثلة من *التأدلج الديني* في العراق الذي ما زال يعاني شعبه من التفجيرات الهوجاء بإسم الله أو بإسم الإسلام. ورأينا أمثلة من *التأدلج المذهبي* في كمبوديا مع حركة الزعيم بول بوت الذي أعدم الملايين من أهل كمبوديا ليؤسس لمذهبه الشيوعي. فأي إنسان يتحكم فيه عقل سوي لا يمكن أن يفجر نفسه في وسط أناس أبرياء يتسوقون لشراء القوت لأطفالهم، أو وسط أطفال أبرياء يصطفون أمام حافلة توزع الحلوى عليهم. ولكن عندما يغيب العقل لأي سبب من الأسباب، تتحكم الغريزة في تصرفات الإنسان. وهذا، كما قلت سابقاً، هو ما يحدث في الثورات. وقد رأينا في أغسطس من هذا العام نتيجة غياب العقل في المدن الانـگليزية عندما ثار الشباب العاطل عن العمل وهاجموا وسرقوا وأحرقوا المتاجر والبيوت، بل حتى وصل بهم الغي إلى لكم وقتل رجلٍ كبير في السن دعاهم إلى الهدوء. هذا لا شك تصرف حيواني غريزي ساعد على انتشاره غياب القانون، مؤقتاً، عندما تخاذلت قوات الشرطة عن كبح لجام هؤلاء الشباب خوفاً من الادعاء عليهم باستعمال القوة المفرطة في ردع الشباب الثائر.

وإذا نظرنا تعريف كلمة "ثورة" التي ربما اشتقها اللسان العربي من الثور الهائج، وضربوا به الأمثال فيما بعد عندما قالوا "كالثور في مستودع الخزف"، نجد أن كلمة ثورة ترادفها في اللغة الانـگليزية كلمة upheaval التي تعني انتفاضة أو حالة غليان أو عاصفة مؤقتة أو extreme excitement وهذا ما يحدث في عقل الإنسان الذي يصاب بمرض نفسي مثل الشيزوفرينيا. فإذا هاج مثل هذا الشخص وقتل إنساناً آخراً بدون أي سبب، لا يُحاكم هذا القاتل وإنما يُحال إلى العلاج في عيادة داخل سجن لا يسمح له بالخروج ليقتل مرة أخرى إلى أن يتم علاجه ويرجع عقله إلى التحكم في غرائزه.

فثوار مصراتة الذين اعتقلوا معمر القذافي لم يصدقوا حظهم الذي قادهم إليه وكانوا يعتقدون أنه قد هرب من سيرت إلى الصحراء. بعض هؤلاء الثوار الذين ربما رأوا أخواتهم أو زوجاتهم وقد تم اغتصابهن من فلول مرتزقة القذافي، أو فقدوا أصدقاءهم أو جيرانهم جراء قذائف أطلقها مؤيدو القذافي، وسمعوا القذافي ينعتهم بالجرذان، عندما أمسكوا بالقذافي أصابتهم حالة extreme excitement وفقدوا عقولهم مؤقتاً وضربوا القذافي وصفعوه وأطلق أحدهم عليه طلقتين أو ربما يزيد. في الظروف العادية يحترم العربي مَن هو أكبر منه سناً، ويعامله كوالده، خاصةً إذا بلغ من العمر ما بلغه القذافي. ولكن الثورة ليست ظرفاً عادياً. هذا ما حاولت أن أشرحه في المقال. ولكن بعض القراء ظنوا أني أبارك قتل القذافي بتلك الطريقة البشعة التي اختتمت حياته التي اكتنفها الغموض والفوضى طوال أربعين عاماً من تسلطه على الشعب الليبي. فكيف أبارك قتله بهذه الطريقة البشعة التي أدانها حتى بوتين، رئيس وزراء روسيا، الذي كان رئيساً للكي جي بي، وكان يرسل عملاءه إلى أوروبا لقتل المعارضين السياسيين بواسطة الشمسيات المسمومة أو حتى المواد المشعة، كما حدث في لندن قبل عامين.

وقد حيرتني بعض التعقيبات التي تزعم أن الأمر كله لم يتعدَ أن يكون مؤامرة مِن الناتو.

- يقول أحد المعلقين تحت عنوان "الناتو أمر بقتل القذافي" ما يلي:

> "برأيي الشخصي واستناداً لمعلوماتي البسيطة أن القذافي كان يعمل مع بعض الجهات الغربية بخصوص تصفية (الإسلاميين) من تظيم القاعدة وكان لديه سجون سرية يستنطق بها من تبعث به السي أي أي أو غيرها من الشبكات الإستخبارية في الغرب، وبذلك فإن تصفيته جسدياً يطوي تلك الصفحة وغيرها من الصفحات من تعاون الغرب مع عميلهم السابق (القذافي) . وبالمناسبة فإن نفس تلك السجون السرية وطريقة التعذيب فيها بالنيابة عن السي أي أي لازالت موجودة في الأردن بإدارة جهاز المخابرات الأردني. ودمتم بخير." انتهى.

✍ ربما لا يعلم السيد صاحب التعليق أن الصحف الانـگليزية والصحف الأمريكية والغربية عامة قد نشرت الملفات السرية التي تؤكد وجود السجون السرية في المغرب وليبيا والأردن وبعض دول أوروبا الشرقية (ويكيليكس). ولم تعد هذه المعلومات سرية حتى يأمر الناتو بقتل القذافي كي لا تتسرب هذه المعلومات. وجمعيات حقوق الإنسان عثرت على كمية هائلة من المستندات السرية في طرابلس والتي تؤكد تعامل نظام القذافي مع السي آي أي والمخابرات البريطانية ونشرتها على الانترنت وفي الصحف. فلم يعد هناك أسرار يمكن من أجلها أن يأمر الناتو بقتل القذافي.

- يقول معلق آخر من الجزائر:

> "لهذا أقول لك يا دكتور أعد قراءة المشهد من جديد بتعمق و لا تنخدع بحبك الشديد للغرب لتحاول تبرير جرائم أمريكا وحلف الناتو، الإسلاميين الذين تحاربهم بقلمك و نحن معك في هذا هم أيضا صناعة غربية أمريكية بامتياز و ما يحصل مؤخرا ما هو الا نتيجة اتفاق بين أمريكا ومنظمات الإسلام السياسي متمثلة في الإخوان المسلمين و الوهابيين التكفيريين لتدمير البلدان العربية ولا تنتظر الكثير مما يسمى بالربيع العربي بل هو الخراب العربي بسبب هوس هذه الشعوب بالدين واعتقادهم أن كل مشاكلهم ستزول بعد أن يستلم هؤلاء الملتحين دفة الحكم." انتهى.

✍ السيد الجزائري يغمز إلى أني أحب الغرب وبالتالي لابد أن أكون حلقةً في تلك المؤامرة التي قادها الغرب لتدمير البلدان العربية. لا شك أن كل بلد غربي له مصالحه الخاصة التي يحاول توسيعها في البلاد العربية ذات المخزون النفطي، وبعضهم، مثل أمريكا وبريطانيا، يحاولون منع عناصر القاعدة من إنشاء جذور لها في البلاد العربية. وبما أن لكل بلد مصلحته الخاصة، فليس من المعقول أن تتآمر كل تلك الدول الغربية لتدمير البلاد العربية. أمريكا تبحث عن مصالحها، وقد شجعت الحكام العرب الديكتاتوريين على حصار الإسلاميين، ولكن بعد أن تبين لها أن الديكتاتورية إلى زوال، عرفوا أن الإسلاميين سوف يحتلون كراسي الحكم. ولابد لدولة مثل أمريكا، حفاظاً على مصالحها، أن تتعامل مع الإسلاميين لتخفف من العواقب الوخيمة التي ربما تصيب مصالحها إذا لم تتعاون

مع الإسلاميين. فهل تحتاج أمريكا إلى تكوين مؤامرة مع الدول الغربية الأخرى لتحمي مصالحها في بلدان الربيع العربي؟ وهل قتل القذافي على يد الثوار يدخل ضمن هذه المؤامرة الأمريكية مع الإسلاميين؟

- السيد خالد أبوشرخ يقول:

> "لا اعرف لماذا حذف تعليقي الثاني رغم أنني لم أرتكب به أي مخالفة وهو استكمال لتعليقي الاول - القذافي تورط مع الغرب بصفقات سياسية واقتصادية جعلت من برلسكوني ينحني لتقبيل يده وكوندااليزا رايس تسامره وشخص عشوائي ويتعامل بردات فعل مثله لا بد له من أن يكشف مثل هذه الأمور في محاكمته، فمحاكمة القذافي ليس من أجل معرفة أسرار جرائمه فأسرارها معروفة والكثير منها متورط بها أشخاص في السلطة الآن. ما كنا نتمناه أن تسير ليبيا بطريق دولة القانون والمؤسسات ولهذا كنا نتمنى محاكمته لأن الخطوات الأولى تحدد الاتجاه، ولكن ما رأيناه أن اتجاه ليبيا في نفس الدائرة التي رسمها لها القذافي - العنف وغياب القانون." انتهى.

✍ القذافي كانت له صفقات سياسية ومالية مع بعض الدول الغربية. هذه الصفقات يعلم بها الكثير من صحفيي الغرب وقد تحدثوا عنها في كتبهم وصحفهم. والمستندات السرية التي اكتشفها الصحفيون الغربيون بعد سقوط طرابلس كشفت العديد من هذه الصفقات. ولو عاش القذافي وقُدم إلى محاكة فلن يعترف بهذه الصفقات حتى يقدم له الاتهام تلك المستندات. وما دامت المستندات في أيدي الصحفيين الغربيين الآن وقد نُشر بعضها، لماذا يتآمر الغرب مع الثوار ليقتلوا القذافي وقد شاع سر الغرب؟ أما قوله إن الخطوات الأولى تحدد المسار للثورات، فقول مغلوط كما سبق وأن وضحت في تعليقي على المقال السابق أن التجاوزات التي قام بها ثوار فرنسا لم تحدد مسار الثورة فيما بعد.

- السيد عمار الجزائري يقول:

> "كلنا يعلم بأن العقيد القذافي صنعته قساوة الامبريالية العالمية التي تغنى بها كل الحكام العرب منذ اكثر من 40 سنة خلت .فكل المسلمين وحكامهم ورؤسائهم تغنوا بسياسات متعددة ضد الاستعمار وما فعله بهم قبل 50 سنة خلت لكن حكام الدول الأوروبية والأمريكية أظهروا ذكاءهم في رفع الحصانة عن شعوب مستعمراتهم حسب القانون الدولي العالمي للحروب - أي بعد انقضاء 50 سنة وتطبيق النظام العالمي الجديد المؤسس سنة 1989 ثم الأزمة الاقتصادية العالمية التي ضربت أمريكا وتضرب الآن أوروبا. وبمجرد القضاء على القذافي رفعت الديون على اليونان وقيمتها 1000 مليار اورو مسلوبة من الثوار والشعب الليبي المغبون. ولماذا منذ 42 سنة حكم القذافي ولا حاكم عربي ولا رئيس عربي ولا مفتي مسلم قاموا بالاجتماع لاقناع القذافي وتوجيهه الى الخط السليم." انتهى.

✍ إذا كانت القسوة الامبريالية هي التي خلقت القذافي وبقية الرؤساء العرب، لماذا لم تخلق نفس القسوة ديكاتوريين في اليابان التي كانت مستعمرة أمريكية، أو في جنوب أفريقيا التي كانت مستعمرة بريطانية ثم استحوذ عليها البيض "البور" ذو الأصول الهولندية. وماذا عن أمريكا التي كانت مستعمرة انـگليزية؟ يقول السيد الجزائري (بمجرد القضاء على القذافي رفعت الديون على اليونان وقيمتها 1000 مليار اورو مسلوبة من الثوار والشعب الليبي). هذا الكلام خطأ مائة بالمائة. أولاً الديون لم ترفع عن اليونان، بل سوف تعفو البنوك الأوروبية عن نصف ديون اليونان. وقد وافقت البنوك الأوروبية على رفع مخزونها من السيولة إلى ترليون اورو للتصدي لأي كارثة مالية مستقبلاً. وأغلب هذا الرصيد يأتي من ألمانيا التي لم يكن لها أي تعاملات تذكر مع القذافي. فكيف استطاعت ألمانيا أن تسلب من الثوار الليبيين ترليون أورو؟

فيبدو أن القارئ العربي تنقصه المعلومات الصحيحة التي يحتاجها لكتابة تعقيبات مثل التي ظهرت على مقالي الأخير. **وقد يستغرب المرء لماذا تعشعش نظرية المؤامرة في العقل الجمعي العربي**. الناس تتآمر على شخص أو دولة تملك شيئاً أو أشياء تنقصهم ويريدون الاستيلاء عليها. فإذا كان السبب هو امتلاك العرب للنفط، فهذا لا يحتاج إلى عملية مؤامرة إذ كل دولة غربية أو شرقية تحاول كسب الدول المصدرة للنفط إلى جانبها لتضمن إمدادها بالنفط. والنفط يباع بالسوق العالمية والذي لديه المال اللازم يشتري ما يريد من نفط العرب. فلا تستطيع أي دولة أو مجموعة دول التسلط على نفط العرب إلا إذا احتلت تلك الدولة دول الخليج، وهذا لا يمكن أن يحدث في عصرنا هذا. فلماذا التآمر علينا؟ هل تتآمر هذه الدول على الإسلام بهدف تدمير جنة المسلمين؟ أم تتآمر على اللغة العربية التي لا تفيد في أي مجال علمي ولا يتحدثها إلا حوالي مائة وخمسين مليون شخص من مجموع سبعة مليارات من البشر. العالم العربي أصبح كالمريض النفسي المحتجز في مصحة عقلية فيعتقد أن السور حول المصحة لحمايته من الذين خارجها والذين يتآمرون على إيذائه.

عودة إلى الفهرس

268 - أنواع المسلمين وكيف نتعامل معهم

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=283270

الإسلام دين انتشر منذ نشأته في صحراء نجد عن طريق الفتوحات:

{**إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا.** (النصر 1، 2)}.

وكان الهدف الرئيسي من الفتوحات هو المغانم المادية والسبايا:

{**سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا.** (الفتح 15)}.

وكذلك:

{**مغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيما.** (الفتح 19)}.

وحتى المغانم التي لم يقدروا عليها استولى عليها ربهم:

{**وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شيء قديرا.** (الفتح 21)}.

وبعد الفتوحات واستيطان المسلمين في عدة بقاع، بدأ التجار المسلمون رحلاتهم إلى شتى البقاع، تماماً كما فعلت قريش في رحلة الشتاء والصيف. استغل التجار أموالهم لتحويل الفقراء في إندونيسيا وبعض دول أفريقيا الغربية إلى الإسلام.
ونتج عن الطرق المختلفة التي اتبعها المسلمون لنشر دينهم عدة أنواع من الإسلام، منها الدموي ومنها الإسلام البسيط الذي لا يعرف معتنقوه غير الشهادة بأن الله واحد ومحمداً رسوله. ومع الزمن أصبح عندنا ما لا يقل عن سبعة أنواع من المسلمين.

1. *النوع الأول هم: مسلموا القرى في البلاد العربية*

هؤلاء المسلمون كانوا الأغلبية في جميع البلاد العربية في بداية القرن العشرين قبل بدء النزوح إلى المدن بسبب ازدياد الفقر والمرض في الأرياف، وإهمال حكومات ما بعد الاستعمار تحديث الأرياف والاستثمار في الزراعة والماشية. وقد تربيت في قرية في وطني الأم وزرت عدة قرى مجاورة لقريتي، وعرفت هذا النوع من المسلمين عن كثب. هذا المسلم القروي لا يهمه الإسلام في حياته اليومية **إلا في المناسبات الاجتماعية** مثل الزواج، وختان الصبيان والبنات، ودفن الموتى، ورمضان والعيد. فهو يصوم ويصلي ويؤمن بالأولياء المحليين أكثر من إيمانه بالله أو بمحمد. وإذا حلف يحلف بالولي أو بالنبي ولا يذكر الله إلا في الملمات. ولا يعرف من الإسلام إلا الآيات التي يصلي بها، لم يسمع عن تاريخ الإسلام أو كيف ابتدأ. وطبعاً لم يكن في ذلك الوقت انتخابات أو تصويت، وكان يحكمهم العمدة أو المختار الذي يرث مكانته من أبيه. هذا المسلم البسيط الذي تشغله ملمات الحياة عن التفكير في الأديان، لا أحد يلومه على جهله المفروض عليه بسبب ندرة فرص التعليم، *ولا أحد ينتقد إسلامه الوراثي الذي يعوضه نفسياً عن شظف العيش الذي يعانيه في هذه الحياة ويعده جنات تجري من تحتها الأنهار، وحوراً عيناً في الخيام*. هؤلاء قال عنهم عالم الاجتماع العراقي علي الوردي:

إنهم إذا جاءوا، جاءوا جميعاً، وإذا شبعوا، شبعوا جميعاً.

اشتراكيتهم هذه لم تنبع من الإسلام وإنما من بيئتهم القاسية. مثل هذا المسلم يستحق الاحترام والمعاملة الكريمة ولا أحد ينتقد معتقده.

2. *النوع الثاني: مسلم المدينة*

مع ازدياد نزوح القروي البسيط إلى المدينة المكتظة بالسكان وانشغالهم بالمكاسب المادية لتحسين أوضاعهم الاجتماعية، ووجود الحكومة المركزية في المدينة، ممثلة بعسسها وسياسييها، وتجارها وسماسرتها، وطبقاتها الاجتماعية المختلفة مع ما نتج عنها من *استغلال البسطاء الذي هو من صميم الإسلام* {**أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سُخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون.** (الزخرف 32)}. *ففي المدينة لا المسلم البسيط المسخر الذي يعيش في أطراف المدينة، ولا المسلم الغني الذي يعيش في القصور والقلل الفاخرة، ولا السياسي يهتم للإسلام في حياته اليومية*. سباق الجرذان Rat Race كما يقول عنه الغربيون، لا يترك لهم وقتاً للاهتمام بالإسلام إلا **نفاقاً** في شهر رمضان حيث تغلق المطاعم أبوابها وتُفرش موائد الإفطار في الطرقات، وفي أيام الجمعة حيث يتسابق المصلون إلى المساجد، إما ليظهروا ولاءهم للحاكم الذي يصلي مثلهم يوم الجمعة فقط، أو لإثبات هويتهم، **إذ ليس للمسلم العربي أي هوية وطنية أو فكرية**. **هويتهم هي الإسلام السطحي**. يخرج هذا المسلم من المسجد ليباشر الغش في تجارته أو صناعته، ويكذب وينافق ويدبّر المواعيد مع ما تيسر له من البنات أو الغلمان. ويسكر ويعربد ليلاً. حتى الفقراء الذين يعيشون في أطراف المدينة يشربون الكحول المصنّع محلياً ويزنون ويسرقون.

ولكن هذا المسلم الوراثي يثور وتحمر عيناه من الغضب إذا انتقد أحد الناس الإسلام أو رسم كاريكاتيراً لمحمد. هذا المسلم إذا تمكن من اللجوء إلى دولة غربية أوروبية تصرف له دخلاً يمنع عنه الجوع والبرد الذي قتل أخاهم أبا ذر، لا يتوانى في الكذب على الدولة المضيفة ليسرق ما أمكنه من مال الضمان الاجتماعي، وفي نفس الوقت يربي أولاده وبناته على القيم الإسلامية التي هرب منها إلى الغرب المتسامح. وهؤلاء هم غالبية المسلمين العرب.

3. *النوع الثالث: الجماعات الإسلامية*

من إخوان مسلمين، وسلفيين، وجهاديين: *هؤلاء للأسف هم الطبقة المتعلمة في مجتمعاتنا المنكوبة*، وهؤلاء قد تمت أدلجتهم منذ الصغر عن طريق الغش والخداع، **وأقنعوهم أن الإسلام دين ودولة، وأن الغرب الكافر يتآمر على الإسلام ليمحوه**. وفي الجامعات انضموا إلى جماعة الإخوان المسلمين وسيطروا على اتحاد الطلاب. **هذه الطبقة من المسلمين هي أخطر طبقة على المسلمين وعلى الإسلام نفسه.** يستغلون البسطاء كما علمّهم الإسلام، ويعاشرون الشيطان من أجل الوصول إلى سدة الحكم ليطبقوا الحدود على الفقراء، وهم أنفسهم يسرقون أموال المغتربين المصريين التي أودعوها في بنوك الاستثمار الإسلامي في مصر، ويتقبلون الأموال من آل سعود ودول الخليج الأخرى ليزيفوا مشيئة الشعوب العربية في الانتخابات وليشتروا بها أصوات البسطاء، رغم أن القرآن يقول لهم {**لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون.** (البقرة 188)}. ورغم قلتهم العددية فإن تأثيرهم على الجموع كبير جداً وسوف يصلون إلى سدة الحكم في أي بلد عربي تُجرى فيه انتخابات.

وهم بالطبع ليس لهم أي برامج سياسية ترفع الفقر والجهل عن الذين ينتخبونهم، برنامجهم الوحيد هو عزل المرأة وتغطيتها بالخيمة السوداء، وتهميش غير المسلم.

4. النوع الرابع: الصوفية

هذا النوع قليل في البلاد العربية *نتيجة عداء فقهاء السنة لهم*. ورغم أن الصوفيين الأوائل كانوا يعشقون الله، من أمثال البسطامي ورابعة العدوية، فإن الصوفية الحاليين يعشقون محمداً ولا يحفظون غير مدائح السيد البرعي عن خصائل محمد وبقية الأولياء. ويدقون طبولهم ويرقصون بحماس حتى يدخل أغلبهم في حالة هستيريا جماعية تجعلهم يفقدون إدراكهم بما يحيط بهم.

الإسلام بالنسبة لهؤلاء يعني محمداً فقط.

5. النوع الخامس: علماء أو جهلاء الأمة

هؤلاء ازدادت أعداهم أضعاف المرات منذ تدفق النفط السعودي والخليجي، وافتتاح جامعات تضاهي الأزهر في أعداد خريجيها. *هذه الطبقة من المسلمين تجهل كل شيء عن العلم الحديث ولا يحفظون إلا الأحاديث وآيات القرآن*. وبفضل الأمية التي تعشعش في الدول العربية أصبحت هذه الطبقة من المسلمين طبقة رأسمالية تتفاخر ببناء القصور والظهور على الفضائيات، وبفضل تشجيع الأنظمة الحاكمة لهم **أصبحوا قادة البلاد العربية الروحيين**. فالمسلم في السعودية أو مصر أو اليمن لا يستطيع حلق ما حول دبره إلا إذا سأل الشيوخ. وهؤلاء ينطبق عليهم قول الشاعر:

إذا كان الغراب دليل قومٍ   سينزلهم على جيف الكلاب

ولأنهم يختلفون في كل شيء يمت للإسلام حسب موقع الشيخ من الحاكم ورغبته في إرضائه، خدعوا العامة بمقولتهم المشهورة:

"إختلاف العلماء رحمةٌ للناس".

هذه الطبقة لا يقل خطرها على البلاد العربية عن خطر جماعة الإخوان المسلمين وبقية الجماعات الإسلامية المجاهدة.

وهم سلاح الحكام الموجه نحو العامة. يصدرون الفتاوى التي تحرم الخروج على الحاكم حتى إن جلد ظهرك وسرق مالك، ويحرمون المظاهرات والإضرابات العمالية لأنه خروج على الحاكم، وينسون أن محمداً قال لهم [**خير الجهاد كلمة حق في وجه سلطانٍ جائر**]. يخدرون العامة بمقولة إن عمر نام تحت الشجرة وعدل بين الرعية، بينما هم ينامون في أبهى القصور وبعضهم يبيت في أحضان عشيقته أو غلامه المفضل.

إنهم السرطان الذي ينخر أحشاء البلاد العربية.

6. النوع السادس: فلاسفة وميكافيلي الإسلام

هذه الفئة لحسن الحظ ما زالت تُعد على أصابع اليدين، من أمثال طارق رمضان، والغنوشي، وطيب أردوغان، وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده.

هذه الطبقة تستعمل الإسلام سلماً لتسلق المناصب العليا، ويظهرون بمظهر المسلم الحضاري الذي يريد تحديث الإسلام، بينما هم إما لا يؤمنون بالإسلام كالأفغاني ومحمد عبده، أو يؤمنون بمبادىء الإخوان المسلمين وسيد قطب، من أن الحاكمية لله وتطبيق الحدود أمرٌ واجب.

فالأفغاني كان يعتبر الإسلام ديناً يمنع العلم والفلسفة، وكذلك كان تلميذه محمد عبده. فقد ألقى الفيلسوف الفرنسي أرنست رينان محاضرة في السوربون يوم 29 مارس 1883، بعد مناقشة الأديان مع الأفغاني، هاجم فيها الإسلام دون أن يتعرض للمسيحية، فرد عليه الأفغاني بمقال نشره في Journal des debats عندما كان في باريس، قال فيه:

> "الأديان لا شك أثقل نير وضعه الإنسان على عاتقه، ولكنه كان ثمناً يستحق الدفع لخلاصنا من البربرية. كل الأديان لا تعرف التسامح والإسلام حاول خنق العلوم والفلسفة وسجن العقل. أينما حط الإسلام رحاله حاول خنق العلوم وساعده في ذلك الحكام المتسلطون. وليس هناك أي وسيلة لتصالح الأديان المختلفة مع بعضها البعض. الدين يفرض قيوده على العقل بينما الفلسفة تحرر العقول. وعندما دخلت المسيحية، مع تسامحها، إلى أثينا والإسكندرية، وهما كانا مركز العلوم، حاولت الكنيسة خنق العلوم بإغراقها في جدل ثيوقراطي. وفي كل مكان وزمان تعلو فيه راية الدين تنخفض راية العلوم والفلسفة."

وقتها كان محمد عبده في منفاه في لبنان وطلب من الأفغاني أن يرسل له المجلة التي نشرت مقاله. عندما ترجم له رجل دين لبناني المقال، كتب محمد عبده خطاباً إلى الأفغاني بتاريخ 8 شعبان 1300، قال فيه:

> (لقد اطلعنا على المقال بعد أن ترجمه لنا حسن أفندي بيهون، وحمدنا الله أن المجلة لم تكن متوفرة في البلاد العربية قبل وصول خطابكم. وقد أقنعنا صديقنا المترجم ألا ينشر ترجمة المقال ويزعم للناس أن الترجمة العربية سوف تصل من باريس لاحقاً. وبهذا دفعنا المكروه والحمد لله. ونحن الآن على سنتك القويمة ولا نقطع رأس الدين إلا بالدين. لو ترانا الآن ونحن مع المؤمنين نركع ونسجد ونطيع كل ما يأمر به الله. آه... ما أضيق الحياة بلا أمل.[1]

أما طارق رمضان، حفيد حسن البنا، والذي يعيش في سويسرا، يؤمن بكل مبادىء الإخوان المسلمين التي أرسى قواعدها جده، ولكنه يظهر نفسه للأوروبين والأمريكان *بأنه إسلامي معتدل يحاول إصلاح الإسلام*، كما كان سيف الإسلام القذافي يدعي أنه معتدل ويحاول تحديث الحكم في ليبيا إلى أن ظهرت حقيقته أثناء الثورة الليبية، وبسبب ادعاء طارق رمضان **الوسطية** ومحاولة تحديث الإسلام، تسابقت الجامعات الأوروبية والأمريكية على تعيينه محاضراً في أقسام الدراسات الإسلامية. وعندما يظهر طارق رمضان في مناظرات متلفزة ويسأله مناظروه عن رأيه في **تطبيق الحدود الإسلامية**، لا يقول بأنها أصبحت خارج نطاق التاريخ، وإنما يقول:

إنه يدعو إلى تعليقها في الوقت الحاضر حتى تقرر الأمة الإسلامية بشأنها.

المهم لديه أنه أصبح محاضراً مشهوراً في الغرب والإسلام ما زال كما هو دون تحديث. هذا النوع من الإسلاميين ينطبق عليهم قول القرآن: {**يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم.** (الفتح 11)}.

هؤلاء القلة من فلاسفة التأسلم، مع القلة من منتسبي الإخوان المسلمين والجهاديين، هم الذين يسيطرون الآن على القرارات المهمة التي تخص الإسلام وطريقة إنتشاره في الغرب، وكيف يمكن للمسلمين أسلمة الغرب، وكيف يمكنهم إجهاض ثورات الربيع العربي واستلاب مكاسبها. فهم يملكون وسائل الإعلام في البلاد العربية ويصلون بكل سهولة إلى وسائل الإعلام الغربية، ولديهم المال اللازم لذلك. وكما يقول المثل الانـگليزي : العجلة التي تحدث أعلى الأصوات تحصل على كل الشحم.

7. النوع السابع من المسلمين

هو أمة محمد في باكستان، وبنغلاديش، وجنوب الفلبين، ونيجيريا وغرب أفريقيا عموما.

[1] Afghani and Abduh, Ellie Kedourie, p 45.

هؤلاء لا يتحدثون العربية ولا يفهمون القرآن ويصدقون كل ما يقوله لهم شيوخهم الذين لا يقلون دجلاً عن شيوخ العرب.

وللأسف فإن المسلمين من أمة محمد هم الغالبية العظمى ويفوق عددهم عدد المسلمين العرب بثلاثة أو أربعة أضعاف. ولكن المؤسف أنهم أكثر الناس على وجه الأرض تحمساً للإسلام وللجهاد. وعندما نشرت الصحيفة الدنماركية صور الكاريكاتير عن محمد، كانت أغلب المظاهرات والقتل وحرق السفارات والأعلام الغربية من نصيب أمة محمد في باكستان ونيجيريا والصومال.

وهم أشد الناس مقاومة للتحديث، مثل جماعة باكو حرام في نيجيريا، وجماعة القاعدة في باكستان وأفغانستان. والأمية تنتشر بينهم أكثر مما هي عليه في البلاد العربية. فالأمل يكاد ينعدم في تغيير عقلية أمة محمد.

8. وهناك نوع ثامن من المسلمين

يمثل خمسين بالمئة من المسلمين، وهي **المرأة المسلمة التي لا تملك أي قرار يخصها**. يفرض المجتمع عليها الحجاب، والزواج والطلاق، والقتل إذا دنست شرف العائلة، وإذا أدلت بصوتها في الانتخابات *تختار من يختاره زوجها أو أبوها*.

هذه المرأة المهمشة هي أكثر الناس دفاعاً عن الإسلام لأنها لا تملك غيره شيئاً، حتى المنزل الذي تسكن فيه مع زوجها تُطرد منه عند الطلاق.

ومع هذا نقرأ تعليقات النساء المتعلمات منهن الذي يقول "**أنا مسلمة وأفتخر**". لا تملك المسكينة شيئاً آخراً تفتخر به، ولا حتى جسدها إذ أن الجسد ملك الله ولا يجوز تغيير أي شيء فيه ولو حتى بالنشم، كما يقول شيوخ الإسلام.

نرى من هذه الصورة أن الغالبية العظمى من المسلمين لا تقرأ العربية، والذين يتحدثون العربية أغلبهم أميين لا يقرؤون.

خريجوا الجامعات العربية جزء كبير منهم تخرجوا من جامعات إسلامية أدلجتهم بمفاهيم الإسلام السني وبأنهم **خير أمة أخرجت للناس**، وخريجو الجامعات غير الإسلامية، خاصة في العقدين أو الثلاثة الماضية سيطر عليهم فكر الإخوان المسلمين، وهؤلاء للأسف هم الذين يقودون الأمة العربية فكرياً *ويخدعون العامة بالإعجاز العلمي واللغوي في القرآن*، ويدفعون الأموال الطائلة لرشوة بعض العلماء الغربيين ليقولوا إن بعض الآيات بها معلومات علمية لم يكن من الممكن لمحمد أن يعرفها لولا أن أوحاها إليه ربه. فكيف نؤثر على هؤلاء المتعلمين؟ يقول مترجم كتاب "المفكرون الأحرار في الإسلام" لدومنيك أورفوا:

(لم يعد الإيمان اعتقاداً فحسب بل أصبح ثقة في المقام الأول).

ثقة فيما تعلموه في المدارس والجامعات عن الإسلام وأنه خير دين أرسله رب السماء. فكيف نؤثر على هذه الفئة القليلة والمسيطرة والتي تملك ثقة عمياء في تعاليم الإسلام، وتنشر آلاف الكتب الدينية التي تملأ الرفوف كل عام في معارض الكتاب في الدول العربية؟ تقول مجموعة من الكتاب على رأسهم السيد **نادر قريط**:

إن نقد الإسلام يجب أن يكون علمياً لنعرف كيف بدأ ومن بدأه، وأن نقد آيات القرآن والأحاديث لا يستحق النشر.

هناك فرق كبير، يجب أن نفطن إليه، بين الدراسة وبين النقد. وبما أن لكل علم الآن أهله المتخصصون به، يدرس المؤرخ، مثلاً، حادثة بعينها قد استهوته. هذه الدراسة التحليلية قد تثبت ما يعرفه الناس مسبقاً عن تلك الحادثة، وقد تُلقي بالشك على بعض جوانبها. وهنا يتعين على المؤرخين الآخرين أن يُجدّوا البحث في تلك الحادثة ويثبتوا ما توصل إليه الباحث الأول أو ينفونه. بينما الناقد يختار مقالاً أو كتاباً أو منظومة قواعد سياسية أو دينية لا يتفق في بعض نقاطها مع كتابها، ويفند تلك النقاط ليثبت خطأها.
فكيف يتوجب علينا أن ننتقد التعاليم الإسلامية، هل نقوم بدراسات عن نشأة الإسلام ونحاول إثبات أن الإسلام لم يأتِ به محمد إنما أتى به محمد بن الحنفية أو عبد الملك بن مروان، وهذا لن يؤثر البتة في ثقة الإسلاميين بصحة تعاليم دينهم، أم ننقد آيات القرآن وأحاديث محمد التي بُنى عليها الإسلام، **لعل ذلك يزعزع تلك الثقة العمياء عند الذين يقرؤون؟**

أعتقد أن نقد الإسلام من داخل تعاليمه هو الصواب، فالذي يرمي إلى زعزعة البناء يكون جهده أكثر ثمراً إذا بدأ هدم البيت من داخله.

فمثلاً **أبو حامد الغزالي**، حُجة الإسلام، عندما أراد نقد الفلسفة التي هددت تعاليم الإسلام، ترك وظيفته في مدرسة الأعظمية وتفرغ لدراسة الفلسفة حتى يستطيع هدمها من داخلها، *وقد نجح في وأد الفلسفة العربية في مهدها*.
أما إذا ركزنا على الدراسات التاريخية لمعرفة كيف ومتى بدأ الإسلام، واستطعنا أن نثبت لهؤلاء المتعلمين الإسلاميين أن بداية الإسلام ورسوله غير الذي يعرفونه، فلن يزعزع ذلك إيمانهم لأنهم يؤمنون بتعاليم المنظومة وتشريعاتها. بينما لو انتقدنا تعاليم دينهم من داخلها وأثبتنا لهم أنها تعاليم متناقضة وغير جديرة بالاعتناق في العصر الحديث، وأن الإسلام لا يختلف عن الأديان الأخرى في محتواه، فربما نزعزع تلك الثقة العمياء الي تدعم إيمانهم.

فالذين يطالبوننا بألا ننتقد القرآن والسنة عليهم أن يخبرونا كيف نؤثر في تغيير فكرة المسلم المتعلم عن الإسلام، وكيف ندخل الشك إلى عقله حتى يبدأ بالتفكير في معتقده.

عودة إلى الفهرس

269 - إله القرآن يتوه في الجبال

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=286068

الجبال من المناظر الجميلة على وجه هذه الأرض التي نسكنها، خاصةً تلك الجبال العالية التي يغطيها الجليد على مدار العام مثل جبال الهملايا Himalaya، وتلك التي تكون ضمن سلسلة طويلة تمتد على طول القارة، كجبال الانديز Andes في أمريكا الجنوبية. ومن السهل أن يتوه الإنسان في مثل هذه السلسلة من الجبال الوعرة، ولكن أن يتوه الإله، فهذه مسألة أخرى. وأهمية الجبال تكمن في أنها تدفع السحاب إلى الأعلى، فيبرد وتهطل منه الأمطار. والإنسان له فيها مآرب كثيرة منها السكن في الكهوف في العصر الحجري وما قبله، واستخراج المعادن منها، وسحق حجارتها لتصنيع الاسمنت وأشياء أخرى. وفي بعض الأحيان تعترض الجبال طريق المواصلات بين الناس، فيفجر مهندسو الطرق جزءاً منها لفتح الطريق، أو يحفرون في أسفلها قناة كقناة Mont Blanc الشهيرة بين فرنسا وإيطاليا.

وكما يتوه الإنسان في سلسلة الجبال، *يبدو أن إله القرآن قد تاه في جبال الدنيا*. القرآن طبعاً ليس به أي إعجاز علمي رغم تبجح الزنداني وزغلول النجار، وقد اعتمد محمد في آياته على الظواهر الطبيعية التي عرفها الإنسان منذ الأزل، وزعم أن الله هو الذي خلقها، بدون أي إثبات مادي أو عقلي. ومن الظواهر الطبيعية التي اعتمد عليها محمد، ظاهرة الجبال. وقد جاء ذكر الجبال أو الجبل أو الرواسي في **50 آية في 35 سورة** من القرآن. كل السور مكية ماعدا 7 سور مدنية. والسبب في ذلك أن محمداً عندما كان مستضعفاً في مكة حاول أن يقنع الناس عن طريق الإقناع بقدرة الله، وتخلى عن هذه الفكرة عندما كوّن جيشه العرمرم بالمدينة ولم يعد في حاجة إلى الإقناع بالمنطق، *فالسيف أكثر إقناعاً من الكُتب*. ولأن "الوحي" استمر على مدى 23 سنة، وبما أن محمداً بشرٌ مثلنا **أصابه داء النسيان** كما يصيب الجميع، *فاختلط عليه الأمر في بعض آيات الجبال، وجعل ربه يتخبط كالتائه في صحراء أو في سلسلة جبال.*

كل شيء مهم جعله محمد على قمم الجبال، فقال إن الوحى نزل على موسى في قمة طور سيناء، والوحي المحمدي نزل في جبل حراء، ومحاولة ذبح إبراهيم ابنه إسحق حدثت على قمة جبل لم يسمه لنا المفسرون الإسلاميون، ولكن أهل التوراة يقولون إن المحاولة كانت على جبل جيرزيم Gerizim، وسفينة نوح استقرت على جبل الجودي المحمدي بينما يقول العهد القديم إنها استقرت على جبل عرارات Ararat وعندما طلب إبراهيم من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، طلب منه أن يذبح طيوراً ثم يقطعها إلى أشلاء ويضعها على الجبال فترجع له عندما يناديها. **منطق لا يستقيم والإقناع**. كان الأولى به أن يضعها أمامه بعد تقطيعها ثم يريه الله كيف يحييها. فالطيور التي تأتي من الجبال ربما لا تكون نفس الطيور التي ذبحها. وعندما واعد الله بني إسرائيل جعل موعدهم بجانب الطور:

{**يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم بجانب الطور الأيمن.** (طه 80)}.

وعندما قضى موسى فترة عمله مع شعيب وترك أرض مدين مع زوجته، رأى نار الله بجانب الجبل:

{**فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله أنس في جانب الطور ناراً.** (القصص 29)}.

رب القرآن جعل الجبال الصماء تنطق وتسبح وتسجد له، فقال:

{**ألم ترَ أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب.** (الحج 18)}.
{**إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان.** (الأحزاب 72)}.
{**وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين)** (الأنبياء 79).
{**ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير وألنّا له الحديد. (سبأ 10)**}.

فالجبال تؤب أي تسبّح مع داود.

{**إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق.** (ص 18)}.

ثم بدأ التيه عندما تحدث القرآن عن الكهوف لأن محمداً كان يسافر من مكة إلى الشام ويمر على منطقة تبوك التي كانت بها مساكن ثمود، ورأى بعض الجبال وبها نحت على أبواب الكهوف، وظن أن جماعة ثمود قد نحتوا الجبال وجعلوها مساكن لهم، فقال:

{**تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتا.** (الأعراف 74)}.
{**وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً.** (الحجر 82)}.
{**وينحتون من الجبال بيوتاً فارهين.** (الشعراء 149)}.

ثم نسي أنه قال تنحتون، فقال:

{**والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكنانا.** (النحل 81)}.

والأكنان هي البيوت .فالله هو الذي جعل لنا كهوفاً أو بيوتاً في الجبال ولم نكن ننحتها بأنفسنا.
وقال عندما تحدث عن خلق الأرض:

{**وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم.** (النحل 15)}.

وقال كذلك:

{**والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون.** (الحجر 19)}.

وقال:

{**ألم نجعل الأرض مهادا. والجبال أوتادا.** (النبأ 13-14)}.

فالله الذي هندس الأرض، جعل فيها الجبال أوتاداً تثبتها فلا تميد، أي تنقلب بنا. وبما أن الله أحسن كل شيء خلقا، فلا بد أنه حسب وزن ومكان الأوتاد التي تحتاجها الأرض حتى لا تنقلب بنا. والمهندس البارع لا يخلق أو يصنع أوزاناً أو أوتاداً لا حاجة لها لتثبيت الأرض.
ولكن رب القرآن عندما واعد موسى على الجبل طلب منه موسى أن يراه، فقال:

{ولما جاء موسى إلى ميقاتنا وكلمه ربه قال ربِ أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر في مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا. (الأعراف 143)**}.**

مع ملاحظة أن هذا الجبل الذي دكه الله دكاً هو نفس الجبل الذي واعده عنده وأنزل عليه التوراة فيه. ولا نعلم هل دكه قبل أن ينزل عليه التوراة أم بعد إنزالها، ولكنا نعلم أن جبل سينا ما زال في مكانه. ثم عندما أراد أن يهدد بني إسرائيل، رفع الجبل فوقهم حتى خافوا أن يسقط عليهم:

{وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظُلةٌ وظنوا أنه واقع بهم. (الأعراف 171)**}.**

فإذاً جبل سيناء دكه الله لإقناع موسى، والجبل الآخر رفعه الله من على الأرض. فالله قد أزال وَتَديْنَ من أوتاد الأرض التي تمنعها من أن تنقلب بنا. فهل انقلبت الأرض، أم أن الوتدين كانا زائدين عن الحاجة، وبالتالي لم يكن مهندس الأوتاد بارعاً في صناعته؟
ثم يأتي التيه الأكبر والتخبط عندما يتحدث القرآن عن مصير الجبال يوم يُنفخ في الصور ويبدأ الحساب، فقال:

{يوم تمور السماء موراً وتسير الجبال سيراً. (الطور 9-10)**}.**
{يوم تكون السماء كالمهل. وتكون الجبال كالعهن. (المعارج 8-9)**}.**
{وسيرت الجبال فكانت سرابا. (النبأ 20)**}.**
{وإذا الجبال سُيرت. (التكوير 3)**}.**
{وتكون الجبال كالعهن المنفوش. (القارعة 5)**}.**
{وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب. (النمل 88)**}.**

نفهم من هذه الآيات أن الجبال يوم البعث سوف ترتفع عن مكانها وتسير سير السحاب، وهي مكتملة الشكل حتى نحسبها ثابته، وهي ليست كذلك، أو تصبح كالسراب الذي نراه ولا وجود له في الحقيقة. وقد تنقلب بنا الأرض لأن أوتادها ارتفت ومرت كالسحاب.
ولكن النسيان آفة عظيمة تصيب الإنسان. فهاهو القرآن يقول لنا عن الجبال يوم البعث:

{إذا رُجت الأرض رجا. وبُست الجبال بسا. (الواقعة 4-5)**}.**

يقول القرطبي في تفسير كلمة بُست:

"يعني فُتت، عن ابن عباس. أما مجاهد يقول كما يُبس الدقيق أي يُلت. والبسيسة: الدقيق يُلت بالسمن".

إذاً الجبال سوف تُعجن مع الأرض وتصير دقيقاً، فكيف نراها ثابتة وهو قد عجنها مع الأرض؟
ثم يقول:

{يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا. (المزمل 14)**}.**

والكثيب هو التل الصغير كالكثيب من الرمل. فإذاً جبال الهملايا العظيمة سوف تُضغط وتصير كثيبا من الرمال.
ثم تتغير الصورة كلياً ويقول لنا:

{وحُملت الأرض والجبال فدكتا دكةً واحدة. (الحاقة 14)**}.**

فالأرض والجبال تُحمل وتدك وتصبح كومة من الأحجار والتراب (ولا ندري كيف يحافظ الناس على وجودهم يوم الحساب وقد دُكت الأرض مع الجبال). ولكنه يقول لنا في آية أخرى:

{ويوم نسيّر الجبال وترى الأرض بارزة. (الكهف 47)**}.**

إذاً الجبال ترتفع وتسير والأرض تكون بارزة لنا أي مرتفعة، فلا اختلاط بين تراب الأرض وما تبقى من نسف الجبال، خاصة عندما يخبرنا:

{وإذا الجبال نُسفت. (المرسلات 10)}.

الجبال فقط هي التي تُنسف نسفاً بالمتفجرات التي ربما يحملها معهم أعضاء مجموعة القاعدة.

{ويسألونك عن الجبال قل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً. لا ترى فيه عوجاً ولا أمتا. (طه 105-107)**}.**

مرة أخرى يؤكد لنا القرآن أن الجبال وحدها سوف تُنسف والأرض سوف يغيرها الله بأرض أخرى لا تحتاج إلى أوتاد لتثبيتها:

{يوم تُبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار. (إبراهيم 48)**}.**

إذاً الأرض التي نعرفها وعليها الجبال لن تُدك وتُمزج مع الجبال التي نُسفت حتى تصبح كالبسيسة المخلوطة بالسمن، فقط يبدلها الله بأرض أخرى جديدة. وقد يسأل المرء هنا: **ماذا يحدث للناس الواقفين في طوابير بعد أن خرجوا من قبورهم، في انتظار الحساب، عندما يبدل الله الأرض هذه بأرض أخرى، كيف ينتقل كل هؤلاء البشر والدواب إلى الأرض الجديدة؟**
وحتى تكتمل *الصورة الكلية لمقدرة إله القرآن*، يخبرنا محمد أن في السماء جبالاً من الثلوج ينزلها الله في شكل كرات من البرد يصيب به من يشاء:

{ألم تر أن الله يُزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من بَرَدٍ فيصيب به من يشاء. (النور 43)**}.**

ومن أغرب الآيات في القرآن عن بني إسرائيل أنه قال:

{ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سُجداً. (النساء 154)**}.**

فبعد أن رفع طور سيناء فوق رؤوسهم، قال لهم ادخلوا الباب سُجداً. أين هو الباب هذا، هل تحت الجبل أم في سور أورشليم القدس؟ وإذا كان في سور القدس، ما العلاقة بينه وبين رفع طور سيناء حتى يأتي بهما في آية واحدة؟ وكيف يدخلون الباب وهم ساجدين؟

وما دام الموضوع كله عن الجبال والنسف والتفجير، نرجو أن يتحفنا الدكتور زغلول النجار، عالم الجيولوجيا، بتفسير إعجازي لهذا التخبط فينقذ رب القرآن من هذا التيه في الجبال.

عودة إلى الفهرس

272 - إلى الجبال نعود مرة أخر

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=290098

في مقالي الأخير عن الجبال وكيف تاه إله القرآن فيها، ناقشت تخبط القرآن في وصف ما سوف يحدث للجبال يوم القيامة حسب مخيلة مَنْ كتب القرآن، فهو مرة ينسفها ومرة يدكها وفي مرة أخرى يجعلها تسير كالسحاب. ولم أتعرض لجيولوجيا الجبال إلا عندما قلت إن الجبال خرجت من باطن الأرض ولم ينزلها إله القرآن من السماء كما قال في الآية {**وألقى فيها رواسي أن تميد بكم**} وبالطبع كان هناك من لم يعجبه الطرح فقام بنقد ما قرأ. كان السيد **عدنان عاكف** أحد الذين لم يعجبهم المقال فكتب نقداً في الحوار المتمدن تحت عنوان: ‹قوموا انظروا كيف تزول الجبال›، وخاطب في مقاله السيد **عبد القادر أنيس**، الذي كان قد كتب تعليقاً على مقالي. وأرجو أن يسامحني السيد عبد القادر أنيس على ردي هذا على السيد عدنان عاكف إذ أني المقصود بالنقد أساساً، على وزن *إياكِ أعني واسمعي يا جارة*.

أول ما لفت نظري في المقال هو **تشتت فكر الكاتب وعدم المقدرة على التركيز على نقطة معينة**. فهو مثلاً، يقول:

"وكانت تعليقات القراء بمعظمها لتكريس نفس الاتهامات التي يكررها الكاتب.. أما الاستثناء فقلة قليلة جدا، كان من أهمها تعليق الكاتب عبد القادر أنيس الذي سوف أتوقف عنده لاحقا . لنبدأ بتعقيب الكاتب عبد القادر أنيس: " انتهى

فيبدو أن الكاتب كان ينوي التوقف عند تعقيب السيد عبد القادر أنيس لاحقاً، ربما في آخر المقال، ولكنه قرر أن يبدأ مقاله بتعقيب السيد عبد القادر. وقد زعم أن تعقيب السيد عبد القادر أنيس كان استثناءً عن بقية التعليقات التي أثنت على مقالي. فهل كان تعقيب السيد عبد القادر استثناءً؟

يقول السيد أنيس في تعقيبه:

"شكرا للدكتور النجار على إتحافنا بهذه المقالة. مَن يقرأ حكايات الجبال في القرآن بعد أن يكون قد نفض عن عقله غبار الإيمان الساذج يشعر بالحيرة من تمكن هذه المعرفة البسيطة من الصمود والهيمنة على عقول الناس حتى اليوم رغم أن حكاية الجبال كما ترويها الجيولوجيا صارت تدرس لتلاميذ الابتدائي، بحيث صاروا يعرفون علم تدافع القارات وصعود أغلب السلاسل الجبلية على سطح الأرض بالإضافة طبعا إلى دور البراكين في تشكيل الجبال أيضا. وصرنا نعرف أن عمر الجبال يختلف من منطقة إلى أخرى ولم تنشأ كلها في حقبة زمنية واحدة، فهناك التي يبلغ عمرها مئات الملايين من السنين (التكتونية) ومنها من لا يتجاوز عمرها الآلاف (البركانية)، وكل هذه المعارف يعرفها التلاميذ لكن يتم قولبة عقولهم بحيث تتقبل التفسير العلمي والتفسير الخرافي القرآني دون اكتشاف هذه التناقضات أو التساؤل حولها. إنها محنة العقول التي لا تزال خاضعة للإيمان الساذج. تقديري أن أفضل رد على هذا الاجتياح الديني في مجتمعاتنا على الضد من باقي مجتمعات العالم هو مزيد من التنوير بهذه الطريقة" انتهى.

فهذا التعقيب الذي اعتبره السيد عدنان استثناءً، عاد ليقول عنه:

"هذا تعقيب شاذ وفريد من نوعه مقارنة بالتعقيبات الأخرى، بحيث يبدو وكأنه ليس في مكانه وزمانه.. قد يعترض البعض على ما ورد فيه من معلومات وقد يثير ملاحظة هنا أو هناك ولكنه كان في صلب الموضوع الذي يفترض ان د. النجار عقد العزم على مناقشته. لدي ملاحظات صغيرة لو سمح بها السيد أنيس. كان من الممكن ان يكون التعليق أكثر نفعا للكاتب ولنا نحن القراء، وان يغني الموضوع بمعلومات اضافية لو ان السيد أنيس ابتعد عن اسلوب المجاملة الناعم، الذي تمتاز به في العادة تعليقاته. نعم ، ما أحوجنا الى الحوار البناء الهادئ وحتى المجاملة أحيانا، ولكن شرط ان لا يكون على حساب الحقيقة والمعرفة. أين هي التحفة التي أتحفنا بها د. النجار ، كما ورد في مطلع تعقيبه؟ المقالة برمتها ومن عنوانها ليست اكثر من محاولة استفزاز لمشاعر المسلمين وإهانة معتقداتهم الدينية وسعي لإثارة غريزة الكراهية والعداء القابعة في نفوس البعض من أتباعه ضد المسلمين و تاريخهم وحضارتهم" انتهى.

فهل تعقيب السيد عبد القادر أنيس استثناء، أم شاذ، أم في غير مكانه، أم هو من صلب الموضوع؟ ما يهمني هنا أنه زعم أن مقالي كان هجوماً على المسلمين وتاريخهم وحضارتهم. وأنا هنا سوف أبين أن المسلمين لم تكن لهم حضارة حتى نتهجم عليها.
الحضارة عملية تراكمية تنتج من تجارب الشعوب على مئات وآلاف السنين، مثل الحضارة الصينية والحضارة الفرعونية والحضارة الفارسية التي سرقها المسلمون وزعموا أنهم أهل حضارة، كما سوف تبين مقاطع الفيديو التي في آخر هذا المقال.
في دفاعه عن المسلمين يلجأ السيد عدنان إلى **التعميم** الذي كان قد اتهمني بأني استعمله لأصف جميع المسلمين بالجهل، فهو يقول:

"لو عدنا الى التاريخ سنجد ان المسلمين آخر من اعتقد ان الله خلق الأرض بيومين. فقد سبقهم الى هذا المعتقد كل من اليهود والمسيحيين، ويقال ان فكرة أيام الخلق في الأصل جاءت من سكان ما بين النهرين القدامى.. والتاريخ يؤكد ان المسلمين كانوا من أول من نادوا بقدم الأرض وقد سبقوا الأوربيين في هذا بأكثر من ثمانية قرون.. وفي الوقت الذي كان فيه الأوربيون يعتبرون من يقول بكورية الأرض نوع من الهرطقة أقدم المسلمون أكثر من مرة على قياس محيط الكرة الأرضية." انتهى

كون أن المسلمين آخر مَن قالوا بخلق الأرض في يومين لا يضفي عليهم أي ميزة. فمحمد الذي جاء بعد عيسى وموسى، لم يفعل أكثر من أخذ ما جاء به اليهود والمسيحيون وإدخاله في قرآنه. فهو مثلهم كان يؤمن أن الله خلق الأرض في يومين. يقول السيد عدنان (التاريخ يؤكد أن المسلمين كانوا من أول من نادوا بقدم الأرض وقد سبقوا الأوربيين في ذلك بأكثر من ثمانية قرون). أين هو التاريخ الذي يؤكد هذه الحقيقة؟ التاريخ يخبرنا أن جماعة فيثاغورس في صقلية في القرن الخامس قبل الميلاد كانوا قد عرفوا أن الأرض كروية وأنها كوكب، واستطاعوا أن يقيسوا محيطها وقالوا بقدمها

(انظر المقال المطول عن محاولات قدماء الإغريق قياس محيط الأرض: http://www.metrum.org/measures/measurements.htm).

فالمسلمون لم يسبقوا الأوروبيين في أي مجال من مجالات العلم. أما ترديد الكليشيهات المعروفة من شاكلة "لقد أثبت العلم الحديث" أو "لقد أكد العلماء الغربيون"، لن يفيد قضية المسلمين بأي شيء. أما عندما نتحدث عن الثقافة الإسلامية، ولا أقول الحضارة، فهي الثقافة التي جاء بها القرآن والأحاديث كما رواها ابن عباس وغيره من صحابة محمد:

"وروى عنه أبو ظبيان: دحا الأرض على ظهر النون فاضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال فإنها لتستقر على الأرض. وروى السدي عن أشياخه قال: أخرج من الماء دخانًا فسمى عليه فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله أرضًا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أرضين فخلق الأرض على حوت وهو النون والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة في الريح. وروينا أن الكعبة خلقت قبل الأرض. روى عكرمة عن ابن عباس قال: وضع البيت على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الله الدنيا بألفي عام ثم دحيت الأرض من تحت البيت "[1]

أما ابن كثير فيقول:

"هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات قال إن الله كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا مما خلق قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعل سبع أرضين في يومين

[1] المنتظم في التاريخ لابن الجوزي، ج1، ص 3.

الأحد والإثنين وخلق الأرض على حوت وهو النون الذي قال الله تعالى (نون والقلم وما يسطرون) والحوت في الماء والماء على صفات والصفات على ظهر ملك والملك على صخرة والصخرة في الريح وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست في السماء ولا في الأرض فتحرك الحوت فاضطرب». [2]

هذه هي الثقافة الإسلامية التي سيطرت على عقول المسلمين منذ أن بدأ الإسلام.

أما الفورة العلمية التي حدثت في عهد المنصور والمأمون لم تكن بسبب تعاليم الإسلام، وإنما بالرغم من تعاليم الإسلام، كما سوف أبين لاحقاً. فكل من يزعم أن هناك حضارة إسلامية يزعم كذباً. الإسلام والعلم ضرتان لا يمكن أن يجمعهما سرير واحد.

القرآن ذكر كلمة الأرض: ومشتقاتها 269 مرة، ولم يقل حتى مرة واحدة فقط أن الأرض تدور أو تجري لمستقر لها، بينما كل ذكر للقمر يأتي معه أنه يجري لمستقر له كالشمس. هذه هي الثقافة الإسلامية التي حاول بعض الفلاسفة في العصر العباسي الخروج عليها باقتباس علوم اليونان، ولكن شيوخ الإسلام وأدوا التجربة في مهدها.
يقول الدكتور جلال العظم في كتابة (نقد الفكر الديني):

إن السواد الأعظم من الموفقين (الذين يحاولون التوفيق بين الإسلام والعلم الحديث) يجهلون كل فروع العلم الحديث ولكنهم مضطرون إلى محاولة جعلها جزءاً من الإسلام لأنهم يستفيدون منها كل يوم في حياتهم الفردية دون أن يفهموا كيفية عملها. ولكن عندما يأتي الأمر إلى تدريس هذه المواد في المدارس نجدهم يقولون: (ما لم يكن الغرض الأساسي من المناهج الدينية بالثانويات خاصة – هو تحري مواطن الخطر ومكامن الألغام فيما يدرسه الطالب في المواد الأخرى كنظرية التطور في العلوم، والحريات العامة في التاريخ، الثورة الفرنسية خاصة، ودوران الأرض أو كرويتها في الجغرافيا، ما لم يكن منهاج الدين الحارس الأمين اليقظ الذي يعد العدة لكل ما يهجم من جيوش الإلحاد.) انتهى.

فإذا كان هذا ما يكتبه فقهاء الإسلام في القرن العشرين، فماذا كان حالهم في القرنين السابع والثامن عندما عيّن المتوكل **"صاحب الزنادقة"** ليقتل كل من تفلسف فتزندق؟ أصحاب الزنادقة هؤلاء هم الذين أجهضوا على محاولات **البيروني** الذي استشهد به السيد عدنان عدة مرات.
يستمر السيد عدنان فيقول:

"وأنا بدوري أتوجه الى زميلي أنيس وأسأله: أليس من الأجدر والأنفع لنا جميعا لو أن د. النجار أكد في رده على التعليق (كما فعلت أنت وكنت محقا) بأن العلم الجيولوجي الذي يدرس لأبنائنا في الثانوي يؤكد على ان الأرض في تغير دائم ولا يتوقف "فتارة تخسف وتارة تنسف و تارة تمشي و تارة تصبح تدك مرة واحدة..." إن صاحب التعليق وصاحب الرد عليه يجهلان ما يتعلمه التلاميذ في الثانوي عن ما تتعرض له الأرض من تعرية وتجوية." انتهى.

أنا لم أتطرق في مقالي إلى عوامل التعرية من رياح وأمطار، وإنما كان المقال برمته عن مصير الجبال يوم القيامة، ولا أعتقد أن عوامل التعرية لها دخل في أهوال يوم القيامة. وأنا مع **جهلي** الذي نوه عنه الكاتب مرتين، لم أقرأ في أي مكان أن عوامل التعرية تخسف وتنسف الأرض. عوامل التعرية تعمل على المستوى المايكرو أي الذي تخطئه العين في ملاحظاتها اليومية، بينما نسف الجبال يوم القيامة وطي الأرض بيمين الله، هذه تعمل على المستوى الماكرو الذي لا يمكن أن تخطئه العين. فهناك بونٌ شاسع بين التعرية والنسف.
يعود السيد عدنان ليلقي اللوم على السيد عبد القادر أنيس، فيقول:

"كان السيد أنيس قد أنهى تعقيبه على النحو التالي ": تقديري أن أفضل رد على هذا الاجتياح الديني في مجتمعاتنا على الضد من باقي مجتمعات العالم هو مزيد من التنوير بهذه الطريقة." أهذه هي الطريقة الأفضل للتنوير والرد على الاجتياح الديني في مجتمعاتنا؟ لا أعتقد ذلك. ان الطريقة الأمثل للوقوف أمام زحف السلفيين والأصوليين والجهلة لا يكون في تسفيه الحضارة العربية الإسلامية واظهار المسلمين بكونهم شلة من الجهلة والقتلة عبر التاريخ، بل من خلال الكشف عن حضارتهم الحقيقية الناصعة والدور الحقيقي الذي لعبوه في تطور العلم وتقدم الحضارة الإنسانية".

ثم يضرب لنا السيد عدنان مثلاً عن حضارة الإسلام بما تفتق عنه ذهن العلامة **البيروني** من معرفة أن الأرض كروية، واستطاعته قياس محيطها. ولا خلاف أن البيروني كان عالماً فريداً في ذلك العصر وقد استطاع أن يحسب حتى درجة ميلان محور الأرض. ولكن هل فعل البيروني ذلك لأنه مسلم، أم لأن الصدفة في ذلك الوقت أتاحت له الاطلاع على مؤلفات اليونان والرومان التي كان المترجمون المسيحيون في العراق وفارس قد ترجموها إلى اللغة العربية؟
قبل الميلاد، وقبل أن تظهر المسيحية أو الإسلام، كان **الإمبراطور سايروس العظيم** قد أنشأ أكبر وأعظم إمبراطورية عرفها التاريخ. كانت هذه الإمبراطورية تحفل بعلماء الفيزياء والرياضيات والهندسة الذين أتى بهم سايروس من جميع أنحاء الإمبراطورية. استطاع هؤلاء العلماء قبل الميلاد تعبيد الطرق التي ربطت الهند بمدينة بيرسوبليس، عاصمة الإمبراطورية. (الرجاء مشاهدة مقاطع الفيديو 1، 2، 3). وقد استعمل هؤلاء العلماء الحساب والهندسة لإنشاء كوبري يربط تركيا بأوروبا، وكذلك شقوا قناة تربط البحر الأحمر بنهر النيل.
وبعد موت سايروس تولى أمر الإمبراطورية **الإمبراطور داريوس** الذي فاق سايروس في الاعتناء بالعلم والعلماء الذين أنشأوا قصوراً تجري من تحتها قنوات الري وكذلك مواسير الصرف الصحي (وهذا ما اقتبسه محمد من قصص النضر عن حضارة فارس، فصار في كل مرة يذكر فيها الجنة يقول **"تجري من تحتها الانهار"**). كل هذا قام به العلماء في فارس قبل الميلاد. وانتشرت الفلسفة في فارس وظهرت فيها فلسفات كالبوذية والزرادشتية مما ارتقى بالمستوى الثقافي حتى للعامة. يقول ويل دورانت في محاضرة بتاريخ 1948/4/21 أمام الجمعية الأمريكية الإيرانية.

"لقد كنتم كمفترق المياه بالنسبة للحضارة، فقد صببتم حضارتكم وفنكم وديانتكم نحو الشرق والغرب، وأنتجتم الفيستا التي كان لها أعظم الأثر في اليهودية والمسيحية والإسلام. فارس قدمت للعرب ما قدمه اليونان إلى الحضارة الرومانية".

في القرن الثالث الهجري كانت هناك عشرة كاتالوجات ضخمة تحمل فقط أسماء الكتب في المكتبات العامة في مدينة الري. وكانت هناك عشرة مكتبات عامة في مدينة مرو. هذه المكتبات وهذه الكتب هي التي شجعت وأتاحت للمفكرين الفرس من أمثال البيروني، وابن سينا والرازي وعمر الخيام الذي برع في الرياضيات والفلسفة والشعر، وحتى أبا نواس، ذلك الشاعر الماجن والذي كان الشاعر المفضل لهارون الرشسد كان من أصول فارسية.
وقد نبغ من علماء فارس:

- أبو بكر الرازي (864-923) من مدينة الري بخراسان
- أبو القاسم محمد الأصطخري،عالم جغرافيا عاش في القرن الرابع الهجري. من مدينة أصطخر بفارس
- ابن خردازيه، جغرافي، ألف كتاب المسالك والممالك
- عبد الرحمن الصوفي (903-986). عالم فلك، رسم خريطة للسماء بها مواقع النجوم؟ من مدينة الري ببلاد فارس
- علي بن العباس المجوسي، ت 1009، طبيب بارع، يقال إنه اكتشف الدورة الدموية الصغرى. من مدينة الأهواز بفارس ومن أصول زرادشتية. عمل بمستشفى بغداد الذي كان اسمه البيمارستان العضوي. فهذا الاسم يكشف مدى أثر الفرس في الثقافة الإسلامية
- ابن سليمان السجستاني ت 1026. فلكي، اخترع الاسطرلاب الزورقي المبني على أن الأرض تدور حول محورها. من سجستان
- ابن الهيثم (965-1040) ولد بالبصرة واختلف المؤرخون أكان من أصل عربي أم فارسي، عالم رياضيات وفيزياء وتشريح. أول من شرّح العين.
- أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني، الخوارزمي، ابن مسكويه، ابن سينا، ابن جرير الطبري

[2] البداية والنهاية لابن كثير، ج1، ص 6.

في الوقت الذي برز فيه هؤلاء العلماء من فارس، كان معاصرهم حجة الإسلام الغزالي قد فرغ من كتابه "تهافت الفلاسفة" الذي نهى فيه عن الفلسفة ودعا إلى حجب علم الكلام عن العوام، وكفّر ابن سينا والفارابي وغيرهم من الفلاسفة.

وقال ابن القيم عن نصر الدين الطوسي (1201- 1274) عالم الفلك، البيولوجي والكيمائي والفيلسوف والطبيب، قال عنه:

"ولما انتهت النَوبة إلى نصير الشرك والكفر الملحد، وزير الملاحدة النصير الطوسي، وزير هولاكو، قتل الخليفة والقضاة والفقهاء واستبقى الفلاسفة والمنجمين والسحرة. ودعا في كتبه إلى قدم العالم وبطلان المعاد وإنكار صفات الرب".

فإذا كان المسلمون أول من قال بقدم العالم، فهاهو ابن القيم يكفرهم. الإسلام ولا يمكن أن يقبل بالعلم.
وحتى في الأندلس عندما حاول العالم الأمازيغي ابن فرناس الطيران، فوقع وكسر ضلعه، حوكم بتهمة التغيير في خلقة الله وتم عزله في منزله حتى مات.

ولذلك نحن نقول إن هؤلاء العلماء نبغوا رغم الإسلام ولم ينبغوا لأنهم كانوا مسلمين.

ولهذا يخطيء من يتحدث عن حضارة إسلامية،
بل يجب أن يتحدثوا عن ثقافة إسلامية
تحجر على العقول وتجعل *الإيمان بالغيب* من أركان الإيمان.

الحضارة الفارسية:

1. 1.http://www.youtube.com/watch?v=cq1WJfw7FXg
2. 2.http://www.youtube.com/watch?v=i8esEOKCauc&feature=endscreen&NR=1
3. 3 http://www.youtube.com/watch?v=X_L0uoqVTco&feature=related

عودة إلى الفهرس

270 - هل علينا نقد الدين نقداً علمياً؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=286600

لا يختلف اثنان، حتى بين رجال الدين الإسلامي أنفسهم، في أن الأمة الإسلامية أي خير *أمة أُخرجت للناس*، **تحتل المرتبة الدنيا في سلم الحضارة والرقي، وعداوتها للمرأة تكاد أن تفوق عداوتها لليهود والنصارى**. حتى في دول أفريقيا الجنوبية سادت الديمقراطية وانتخبت جمهورية ليبريا السيدة الين جونسون سيرليف رئيسة لفترتين متتاليتين، ونحن مازلنا نمنع المرأة من قيادة السيارة وكشف وجهها. أفلا يجب علينا محاولة معرفة السبب في هذا التخلف، وإذا عرفناه، ألا يحق لنا نقده ومحاولة تقويمه؟

أعتقد أن الغالبية العظمى من القراء تعزو هذا التخلف إلى **الإسلام وشيوخه** المتاجرين به على حساب كرامة الإنسان المسلم. *وهذا هو اعتقادي الذي لا يخامرني أي شك به*. وقد قارنت مراراً بين الشعوب الهندية والباكستانية وشعب بنغلاديش. فجميعهم من اثنية واحدة، وكانوا يعيشون في الهند الكبيرة حتى عام 1948 عندما طالب السيد **محمد علي جناح** بإقامة وطن منفصل للمسلمين، فقامت باكستان الكبرى التي انفصلت فيما بعد إلى باكستان وبنغلاديش. وليقارن أي شخص الآن بين المستوى الذي وصلت إليه الهند وبين باكستان أو بنغلاديش. فالعامل الوحيد في تخلف الأخيرتين هو الإسلام.

وعندما ننتقد الإسلام يرد بعض الكتاب بأن نقد الإسلام يجب أن يكون علمياً، ولا أدري ماذا يقصدون. هل الإسلام علم حتى ننقده نقداً علمي؟

فهل إذا انتقدت قصيدة لامريء القيس مثلاً، يتحتم عليّ أن يكون نقدي علمياً أم أدبياً؟ ناقد الشعر ينتقد النظم وقواعد القصيدة والتزامها البحور المتعارف عليها، ثم يتحدث عن محتواها وربما يقارنها بقصائد شعراء آخرين. والقرآن ما هو إلا **سجع** يحتوي على أخطاء عديدة في اللغة وفي المحتوى. فهل يجب أن يختلف نقده عن نقد الشعر، مثلاً؟ وربما يقول بعض المعلقين أن نقدنا طائفي لأننا لم ننتقد اليهودية والمسيحية. ولكن الإشكال هنا أن كل القراء يعرفون أن الديانات "السماوية" الثلاث تتشابه في تعاليمها الجذرية لأن أصلها واحد وهو **الوصايا الموسوية**. وإذا انتقدنا رب الإسلام، وهو أحدث الأديان الثلاثة، يصبح نقده نقداً لكل الأديان لأن القرآن نفسه يكرر علينا في آيات عديدة أن رب اليهود ورب المسيحيين (النصارى) هو نفس الإله {**إلهنا وإلهكم واحد**}. فإذا انتقدت رب الإسلام لا يتحتم عليّ أن انتقد يهوه أو إلوهم أو ابن الإنسان، فكلهم يرمزون إلى نفس الكيان الغيبي الاسطوري الذي نعتقد أنه في السماء.

نحن الآن في نفس الوضع الذي كانت فيه أوروبا في القرون الوسطى قبل **مرحلة التنوير**. خرجت أوروبا من مرحلة الظلام التي تربعت على عرشها الكنيسة الكاثوليكية بمجهود فلاسفة التنوير. فماذا فعل أو كتب هؤلاء الفلاسفة حتى تسنى لهم الخروج بأوروبا من محنتها؟ هؤلاء الفلاسفة كتبوا عن الوجود وهل له خالق أم لا، ثم انتقدوا تعاليم الكنيسة وإلهها الذي صورته لهم على أنه مرسل الزلازل والبراكين ليعاقب بها الخارجين على الكنيسة. *ولم ينتقد أي منهم الإسلام أو حتى يذكره. هدفهم كان إخراج أوروبا من الظلمات إلى النور.*

فترة التنوير بدأت في القرن السابع عشر واستمرت في القرن الثامن عشر، ولكن قبل ذلك سبقتها إرهاصات من القلائل المتنورين والذين أغضبوا الكنيسة.

منهم **الفونس ملك كاستيل** بإسبانيا (توفي عام 1284) عندما قال:

> لو كنت مستشار الله يوم الخلق لخلق عالماً ليس به نواقص كما نراها الآن.

فغضبت الكنيسة عليه وأطلقوا الإشاعات عنه. وحدث أن الفونس اتهم زوجته بالعقر وأرسل إلى الدنمارك يطلب أميرة يتزوجها لتنجب له. وبينما كانت الأميرة في طريقها إليه حبلت زوجته. فأشاعت الكنيسة أنه ارتكب إثماً عظيماً لأنه لم ينتظر مشيئة الله في الإنجاب، وأن الله سوف يعاقبه على ذلك في هذه الحياة. وفي ليلة من الليالي هطلت أمطار غزيرة معها برق ورعد شديدان، فما كان من الكنيسة إلا أن أشاعت أن البرق عذاب أرسله الله ليحرق قصر الفونس. بمثل هذه الخرافات حاربت الكنيسة كل من تجرأ وتحدث عن الدين أو عن الله.

ثم جاء الفلاسفة العظام وكان أولهم **ديكارت** (1596 - 1650) الذي كان خائفاً من الكنيسة في باديء الأمر فبدأ بالدفاع عن الله. وتدريجياً بدأ ديكارت بتجريد الله من بعض سلطانه، فقال بفصل الله عن الفلسفة:

> "إن الله لا شأن له بالفلسفة إطلاقاً".

ثم قال:

> "أن الكون لا نظام فيه، بل هو كون يعج بالفوضى ولا ينم عن مصمم ذكي. وأخيراً قال إن الله رحيم كريم ولكنا لا نحتاجه".

وأكمل بمقولته المشهورة:

> "أنا أفكر فإذاً أنا موجود".

وبهذه المقولة ارتقى بالعقل فوق تعاليم الكنيسة ومنحه حرية التفكير والنقد.

ثم جاء **سبينوزا** (1632-1677) وبدأ بنقد التعاليم اليهودية فطرده الحاخامات وصبوا على رأسه اللعنات ومنعوا العامة من الحديث معه أو حتى السلام عليه. وأخيراً تجرأ سبينوزا بعد أن زال عنه الخوف من رجال الدين فقال إن قوانين الطبيعة هي الله ولا إله غيرها.

ثم جاء *ألكساندر بوب* (1688-1744) وحاول الدفاع عن الله وحاول صرف الفلاسفة عن الكلام عن الله، فقال إن الدراسات البشرية يجب أن تكون دراسة الإنسان. أي ما معناه: اتركوا الله في شأنه.

ثم جاء **جان جاك روسو** (1712-1778) وحاول كذلك في البداية الدفاع عن الله وقال:

> إن الشر من أنفسنا والخير من الله.

ولكنه بالتدريج بدأ نقد الأديان وحتى نقد الله بطريقة غير مباشرة، وألف كتابه (اميل Emile) الذي اعتبرته الكنيسة هرطقة وتعدي على الإله، فأحرقوا كتابه وهموا بحرقه لولا أن أخبره أحد الأمراء ليهرب ليلاً من باريس، ففعل.

وبالتدريج زادت جرأة الفلاسفة في نقد الكنيسة والإله، فجاء **إمانويل كانط** (1724-1804) الذي بدأ بالدفاع عن الله ثم حدث زلزال لشبونة في عام 1755 الذي دمر معظم المدينة وقتل الآلاف من الأطفال والنساء والشيوخ، وكان لهذا الزلزال أثرٌ عظيم في نفس كانط، فألف كتاب ‹تقييم الفكر النقي Critique of Pure Reason›، الذي قال فيه:

> إن التنوير هو خروج الإنسان من عبوديته التي فرضها على نفسه باعتماده على قوة خارجية.

و حث على:

> صرف النظر عن كل الطقوس الدينية من تعصب وسلطان الكنيسة والصلاة وكل الطقوس التي منعت الإنسان من الاعتماد على نفسه ودعته للاتكال على قوة خارجية.

ثم هاجم الدين وقال:

> إن الذي يقول إن الألم والمصائب اختبار من الله، يقدم عذراً لا برهان عليه، وتكذّبه تجاربنا الشخصية اليومية.

ومن يعتمد على هذا القول يشتري العزاء بحقيقة الألم الواقع لدرجة أنه يفقد المواساة للمصابين.
ثم جاء **هيجل** (1770-1831) فزادت الجرأة معه وانتقد الله في البداية، ثم قال إن الله قد مات.
وأخيراً جاء **نيتشه** (1844-1900) *وأكد موت الله*.
فنرى هنا أن كل فيلسوف بنى على الذي سبقه وزادت جرأته على نقد الكنيسة وربها حتى قال آخرهم بموته. فالناقد العربي لا يتحتم عليه أن يبدأ من الصفر ويجامل رجال الدين في البدء خوفاً منهم، ثم يزيد نقده عنفاً.
ويمكن تلخيص حركة التنوير الأوروبية في الآتي:

1. **الفكر هو أسمى ملكات الإنسان.**
2. **الفكر أو العقل هو ما يمكن الإنسان من التحرر من الاعتقاد البدائي المتعصب الذي يحبس الإنسان في إمعاء الجهل والتخلف.**
3. **معرفة القوة الكامنة في العقل تمكن الإنسان ليس فقط من التفكير السليم، بل تعلمه السلوك القويم.**
4. **عن طريق العلم وتقدمه يستطيع العقل أن يقود البشرية إلى حالة الإبداع الدنيوي.**
5. **العقل يجعل كل الناس متساوين، وبالتالي يستحقون حرية متساوية ومعاملة واحدة تحت طائلة القانون.**
6. **قبول أي معتقد يجب أن يتم عن طريق العقل وليس بسلطة الكنيسة ورجال الدين.**

هذا النقد المتدرج للدين، مع ملاحظة أن هؤلاء الفلاسفة جميعهم انتقدوا الكنيسة وممارساتها، ثم وجود الله، ولم يتطرق أحدهم إلى الأديان الأخرى، أدى في النهاية إلى **سقوط عباءة الدين** وارتقاء العقل حتى بين العامة. ولم يقل أحد من الفلاسفة أو العامة إن نقد هؤلاء الفلاسفة للدين أو لله، لم يكن نقداً علمياً وناتجاً عن أبحاث.
فهل يجب علينا إعادة اختراع العجلة، أم علينا أن نتعلم من نقد هؤلاء الفلاسفة التنويريين وبذا ننتقد الإسلام ورجاله وحتى إلهه دون أن ننتقد بالضرورة اليهودية والمسيحية؟ وهل يجب أن يكون نقدنا للإسلام نقداً علمياً حتى يرضى عنا الذين يقولون إن كتاباتنا لا تفيد ولا تستحق النشر وأنها تضر بالعلمانية لأنها تنفّر العامة منها، وهم يعلمون أن العامة أغلبهم لا يقرؤون، وإن قرأوا لا يستوعبون؟
أنا أعتقد أن نقد الإسلام وتعاليمه ***الفاشية*** مهمة يجب علينا الاضطلاع بها في محاولة لتخليص شعوبنا من براثن الجهل وجشع تجار الدين ومن المهوسين الانتحاريين الذين يكرهون الحياة.
وفي المقام الأول يجب علينا تحرير المرأة من تلك القيود التي أدمنت عليها وأصبحت جزءاً من شخصيتها التي تقودها لانتخاب جلاديها.

ولا يهمني أن يعتبر البعض أن نقدي للإسلام ليس نقداً علمياً.

عودة إلى الفهرس

2011 / 12 / 26

271 - شكراً للسيدة فرح نادر وللجميع

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=288977

لا أشك أن كل إنسان سوي يحزن لحزن أخيه في الإنسانية إن لم يفرح لفرحه. فالحزن عاطفة إنسانية تفوق كل عواطفنا الأخرى وتجمعنا في وقت الملمات رغم اختلاف مشاربنا، وقد عبّر عن هذه العاطفة أجمل تعبير الشاعر أحمد شوقي في موشحته "يا نائح الطلح" التي يقول فيها: *إنّ المصائب يجمعن المصابينا*.

وقد شاركني قراء موقع الحوار المتمدن، وكذلك هيئة تحريره، في حزني العميق. وأود أن أشكر كل القراء، خاصةً السيدة الفضلى فرح نادر على مقالها الأخير الذي دعتني فيه إلى العودة إلى الكتابة، وكذلك يمتد شكري لكل من علّق على مقالها. وأنا لا أستطيع إلا أن أعود إلى موقع الحوار المتمدن لأنني ما زلت أملك الكثير لأقوله في نقد الأديان. ولكني أطلب من القراء الأعزاء أن يصبروا عليّ قليلاً حتى أحاول دمل الجرح العميق الذي تركه فقد رفيقة دربي في نفسي. وأنا أعلم أن طلب الصبر من الغير أمرٌ سهلٌ نردده في مآتمنا ونسأل تلك القوى الميتافيزيقية أن تلهم الصبر للجميع. والصبر لا شك خصلة حميدة، ولكن ليس في كل الأحوال، كما قال الشاعر محمد بن عبيد بن عبد الله، أحد أحفاد أبي سفيان:

الصبرُ يُحمد في المواطن كلها   إلا عليكِ فإنه مذمومُ

فمحاولة صبري على غياب توأم الروح أمرٌ مذموم في نفسي، ورغم تربيتي الشرقية التي علمتنا أن الرجال لا يبكون، فقد بكيت كثيراً، وما زلت أبكي كلما وقعت عيني على بعض أغراضها الصغيرة. وقد ذرفت السيدة فرح نادر وبعض القارئات دموعاً من أجلي، وكان بودي أن أستلف بعض عيونهن ليبكين معي في وحشة الليالي المغفرة في بلاد الغربة. ولكن كما قال العباس بن الأحنف:

من ذا يعيرك عينه تبكي بها   أرأيتَ عيناً للبكاء تُعارُ

كلما يخف ألمي وأنشد العزاء في تصنّع الصبر، يطلب مني أبنائي أن اصطحبهم لزيارة قبر أمهم. فتنهمر دموعي بمجرد وقوفي على حافة القبر، وينفتح الجراح الذي آمل اندماله. وتذكرت الشاعر جرير مراراً عندما ماتت زوجته وامتنع عن زيارة قبرها لخوفه من أن ينهار ويبكي فتعيره القبيلة التي لا تسمح لرجالها بالبكاء، وقد قال في رثائها:

لولا الحياءُ لهاجني استعبارُ   ولزرتُ قبرَكِ والحبيب يُزارُ

ولكني، على غير ما فعل جرير، فسوف أظل أزور مرقد نصفي الأفضل، ربما لأني لا حياء لي ولا أعيب على الرجال البكاء.

أفكاري لا زالت مشتتة وعواطفي غير مستقرة، وفي أوقات كثيرة تضفي الدموع الخفية سحابةً فوق عيوني تجعل الحروف غير واضحة أمامي. وبمجرد أن تستقر نفسي ويهدأ بالي، سوف أعود إلى الكتابة في موقع الحوار المتمدن.

أمد شكري للجميع.

عودة إلى الفهرس

الدكتور كامل النجار

مقالات

الحوار المتمدن

المجموعة VII (2012)

فهرس المجموعة VII				
#	عنوان المقالة	العدد	تاريخ النشر	محور المقالة
273	الإعجاز الرقمي في القرآن	3612	2012 / 1 / 19	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
274	سيكولوجية الأديان 1	3618	2012 / 1 / 25	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
275	سيكلوجية الأديان 2-3	3620	2012 / 1 / 27	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
276	سيكلوجية الأديان 3-3	3624	2012 / 1 / 31	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
277	الغربيون الذين اعتنقوا الإسلام 1-2	3668	2012 / 3 / 15	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
278	الغربيون الذين اعتنقوا الإسلام 2-2	3670	2012 / 3 / 17	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
279	لا يمكن تجميل سيرة محمد مهما حاول القرآنيون	3686	2012 / 4 / 2	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
280	لا يمكن إثبات وجود الخالق بالمنطق	3720	2012 / 5 / 7	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
281	كوابح العقل البشري	3834	2012 / 8 / 29	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
282	السيد حسن النوراني والعلاج بالقرآن	3841	2012 / 9 / 5	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني

273 - الإعجاز الرقمي في القرآن

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=292066

طلبت مني السيدة إيناس سمير أن أكتب عن هذا الموضوع الذي يشغل أذهان بعض المؤمنين الذين يصدقون افتراءات زغلول النجار والشيخ اليمني عبد المجيد الزنداني رئيس اللجنة العالمية للإعجاز في القرآن التي تمولها مملكة الشر الوهابي. ورغم أن الموضوع لا يستحق إضاعة أي وقت فيه لأنه لا يختلف عن خرافة عصا موسى التي جعلت الناس يصدقون خداع السحرة، إلا أني سوف أستجيب إلى طلب السيدة إيناس وأكتب عنه.

بعد أن باء زغلول النجار والزنداني بالفشل في محاولة إثبات إعجاز القرآن اللغوي واتضح لهم أن قرآنهم مليء بالأخطاء النحوية والبلاغية، وبعد أن عجزوا كذلك عن إثبات أن القرآن مليء بالعلوم الحديثة التي فشل المسلمون في اكتشافها رغم أنهم يقرؤون القرآن منذ ألف وأربعمائة عام، لجؤوا أخيراً إلى الإعجاز الرقمي أو العددي.

بدأت قصة الإعجاز الرقمي في أمريكا في عام 1974 عندما زعم الدكتور الصوفي المصري رشاد خليفة الذي كان تخصصه في الكيمياء الحيوية، أنه اكتشف أن هناك *رقماً سرياً*، وهو *الرقم 19* الذي وضعه الله في القرآن *كرمز للمؤمنين ليثبت لهم أن القرآن من عند الله*. وفي حقيقة الأمر أن ارتباط الرقم 19 بالقرآن كان قد بدأه ابن مسعود الذي قال إن عدد حروف البسملة 19، وإن من حققها وقاه الله زبانية جهنم وعددهم 19. وقد أخذ ابن مسعود الرقم 19 من القرآن نفسه الذي يقول عن جهنم {عليها تسعة عشر}. فالخرافة أصلاً موجودة من قبل 1400 سنة، وكل ما احتاجه دكتور خليفة هو آلة حاسبة ومصحف و**شوية فهلوة** ليخرج لنا بقصة الإعجاز الرقمي هذه. بدأ الدكتور خليفة بالبسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) وجمع عدد حروفها فكانت 19 حرفاً. والاعتراض على هذا القول هو أن البسملة ليست من أصل القرآن وقد اختلف أهل التفسير منذ القرن الثامن في هل هي من القرآن أم لا، والدليل على ذلك أن سورة براءة ليست بها بسملة، وخطاب سليمان إلى بلقيس (الذي ذكره القرآن) يحتوي على البسملة، *ولم يكن القرآن معروفاً زمن سليمان*. وبالتالي أي إعجاز في البسملة لا يُعتبر إعجازاً في القرآن.

تتلخص نظرية دكتور خليفة في الآتي:

1. القرآن يحتوي على 114 سورة، والعدد 114 يقبل القسمة على 19 = 6 (19×6). والاعتراض هنا واضح، وهو أن عدد سور القرآن غير متفق عليه. فمثلاً مصحف أبي بن كعب يحتوي على سورتين إضافيتين وهما **سورتا الحفد والخفض**[†]، فيكون عدد سوره 116، كما أن مصحف ابن مسعود لا يحتوي على سورتي المعوذتين (قل أعوذ برب الناس، وقل أعوذ برب الفلق) وبالتالي يكون عدد سوره 112. فإذا لم يتفق أهل التفسير على عدد سور القرآن، فكيف يكون هناك إعجاز في الرقم 114؟
2. يحتوي القرآن على 6233 آية مرقّمة، أي بعدها رقم، و113 آية غير مرقّمة، وهي **البسملة**. فيكون المجموع 6346 آية، وهي تقبل القسمة على 19، والحاصل هو 334. والاعتراض هنا أن عدد آي القرآن غير معروف، وقد قال صحابة محمد مثل عمر بن الخطاب وابن مسعود وحتى زوجته عائشة *إن هناك الكثير من الآيات سقطت عندما جُمع القرآن*. وبعض فقهاء الشيعة يقولون إن هناك آيات كانت تذكر أن الخلافة لعلي بن أبي طالب، ولكن أهل السنة أسقطوها من القرآن. فليس هناك أي اتفاق على عدد آيات أو كلمات القرآن. يقول السيوطي في ‹الإتقان في علوم القرآن›:

   "وعدَّ قومٌ كلمات القرآن سبعة وسبعين ألف كلمة وتسعمائة وأربعاً وثلاثين كلمة وقيل وأربعمائة وسبعاً وثلاثين وقيل ومائتان وسبع وسبعون وقيل غير ذلك."

   (النوع التاسع عشر في عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه). فإذا لم يكن هناك اتفاق على عدد الآيات، فلا يمكن أن يكون هناك إعجاز في كتاب لا نعرف بالتحديد عدد آياته أو كلماته.
3. مكونات الرقم 6346، أي مجموع الأرقام 6 و4 و 3 و6، هو 19. وهذه حقيقة.
4. لو جمعنا أرقام السور بين سورة التوبة رقم 9 التي لا تحتوي على البسملة وسورة النمل التي بها بسملتان، نجد أن مجموع الأرقام يساوي 342، وهو يقبل القسمة على 19. والخلل هنا ظاهر للعيان، *وهو أن ترتيب السور في مصحف عثمان ليس ترتيباً زمنياً وإنما يعتمد على طول السورة*. ويختلف ترتيب مصحف عثمان عن ترتيب مصاحف بقية الصحابة مثل مصحف علي ومصحف ابن مسعود ومصحف أبي بن كعب. والترتيب في مصحف عثمان لم يكن من عند الله وإنما من عند زيد بن ثابت الذي جمع القرآن كما يزعمون. فحتى لو كان هناك إعجاز في الرقم 19 فهو ليس من القرآن وليس من عند الله وإنما من عند زيد.
5. أول ما أُوحيَ إلى النبي هو سورة الفلق، وعدد آياتها 19، وترتيبها 19 من آخر القرآن. ليس هنام اتفاق بين أهل التفسير عن أول سورة جاء بها محمد أو "نزلت" عليه. يقول السيوطي في ‹الإتقان في علوم القرآن›:

   "هناك عدة أقوال في أول سورة نزلت. القول الأول هو سورة الفلق، والقول الثاني سورة المدثر، والقول الثالث سورة الفاتحة، والقول الرابع البسملة".

   وحتى لو قلنا إن أول سورة هي سورة الفلق، فكون ترتيبها في المصحف هو 19، ينفي أي إعجاز عددي في القرآن. إذ كيف تكون أول سورة نزلت وترتيبها رقم 19. فإذا كانت أول سورة نزلت وأُعطيت الرقم 1، فلا يعود الرقم 19 معجزاً بالنسبة لهذه السورة . وقد بنى الدكتور رشاد خليفة كثيراً من إعجازه على ترتيب السور في مصحف عثمان. ونلاحظ هنا أن الدكتور لجأ إلى **البهلوانية الإسلامية** وحسب ترتيب سورة الفلق من *آخر السور القرآنية وليس من أولها كالمعتاد*، ليصل إلى الرقم 19. والحساب عادة يكون من الرقم 1 ثم الذي يليه وهكذا.

ثم يقول الدكتور رشاد إن عدد حروف سورة العلق 304 وتقبل القسمة على 19. وهو كغيره من الإسلاميين **اعتمد على أن القاريء لن يحسب حروف السورة لأنها عملية طويلة ومملة**. ولكن في الواقع إن عدد حروف سورة العلق هو **307** وليس 304، وهاهي سورة العلق لمن يريد أن يحسب الحروف

[†] هذا نص سورة الخلع

{اَللّٰهُمَّ إِنَّا نَسْتَعِيْنُكَ وَنَسْتَغْفِرُكَ وَنُثْنِيْ عَلَيْكَ اَلْخَيْرَ ولا نَكْفُرُكَ ونَخْلَعُ ونَـتْـرُكُ مَنْ يَفْجُرُك.}

ونص سورة الحفد

{اَللّٰهُمَّ إِيّاكَ نَعْبُدُ ولَكَ نُصَلِّي ونَسْجُدُ وَإِلَيْكَ نَسْعَى ونَحْفِدُ نَرْجُوْ رَحْمَتَكَ ونَخْشَى عَذَابَكَ اَلْجَدِ إن عَذَابَكَ بِالْكُفَّارِ مُلْحِقٌ.}

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ
اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1)خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2)اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3)الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4)عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5)كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (6)أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (7)إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ (8)أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (9)عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (10)أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ (11)أو أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ (12)أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (13)أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّـهَ يَرَىٰ (14)كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ (15)نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (16)فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (17)سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (18)كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب (19).

6. يقول دكتور رشاد أن سورة النصر تتكون من 19 كلمة وعدد حروف أول آية 19 حرفاً. وسورة النصر هي
بسم الله الرحمن الرحيم. إذا جاء نصر الله والفتح (1) ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا (2) فسبح باسم ربك واستغفره إنه كان توابا (3) ونلاحظ **البهلوانية** هنا مرة أخرى. فالدكتور بدأ أعجازة بالقول إن القرآن يحتوي على 6233 آية مرقمة و113 آية غير مرقمة وهي البسملة، وجمع العددين ليحصل على العدد 6346 الذي يقبل القسمة على 19. فإذاً البسملة تعتبر آية قرآنية بالنسبة له. *لكنه عندما أتى إلى سورة النصر تجاهل عدد كلمات البسلمة وحسب فقط عدد كلمات السورة حتى يحصل على الرقم 19* لأنه لو حسب كلمات البسملة لوصل عدد الكلمات إلى 28 بدل 19.

7. وعندما اشتهر الرقم 19، دخل أناس كثيرون في **معمعة الإعجاز العددي** مثل السيد عبد الرؤوف نوفل الذي كتب كتاباً عن الإعجاز العددي، والشيخ نهاد جرار الذي كتب ‹إعجاز الرقم 19›، والمهندس عبد الدائم كحيل الذي كتب ‹موسوعة الإعجاز الرقمي› التي قال فيها:

نعلم جميعاً بأن المدة التي لبثها أصحاب الكهف في كهفهم هي 309 سنوات، والعجيب أن الله تعالى قد تحدث عن قصتهم في القرآن الكريم بـ 309 كلمات!!!! فلو قمنا بعدّ الكلمات من بداية القصة: (إذ أوى الفتية إلى الكهف...) وحتى نهاية القصة (...قل الله أعلم بما لبثوا)، لوجدنا بأن عدد الكلمات من كلمة (إذ) وحتى كلمة (لبثوا) بالضبط هو 309 كلمات، بنفس عدد السنوات التي لبثها أصحاب الكهف. وهذه قمة الخداع لأن قصة أهل الكهف لا تبدأ بكلمة "إذ" ولا تنتهي ب (قل الله أعلم بما لبثوا). فهذه هي الآيات التي تتحدث عن الكهف

(أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (9) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ⊙ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10) فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (11) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا⊙ لَبِثُوا أَمَدًا (12) نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (13) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا⊙ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَـٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (14) هَـٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ⊙ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّـهِ كَذِبًا (15) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّـهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ⊙ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا (16) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت⊙ تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّـهِ مَن يَهْدِ اللَّـهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ⊙ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (17) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ⊙ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (18) وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَو بَعْضَ⊙ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا⊙ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (19) إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (20) كَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّـهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ⊙قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا (21) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ⊙ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ⊙ أَحَدًا (22) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّـهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ⊙ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا (24) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (25) قُلِ اللَّـهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ⊙ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا)

(قد وضعت دائرة صغيرة بعد كل 20 كلمة حتى يسهل حساب الكلمات لمن يريد أن يحسب).

فعدد الكلمات هنا هو 316 كلمة وليس 309 كما يزعمون. وإذا توقفنا عند (الله أعلم بما لبثوا) نكون قد بترنا الآية 26، وهذا ما يعترض عليه الإسلاميون. ولكن لكي يصلوا إلى الرقم 19 **فإنهم يبيحون كل شيء، حتى بتر الآيات.**

والجدير بالذكر هنا هو أن الدكتور رشاد خليفة قد سكر بإعجازه الرقمي هذا وادعى أنه رسول من الله. ثم قال إن الآية 18 والآية 19 من سورة التوبة ليستا من القرآن بل أدخلتا عليه لاحقاً لأن الآيتين يقولان عن محمد (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) وشبه جملة (رؤوف رحيم) لا يوصف بها إلا الله. فهاجمه كهنة المحراب من أمثال الشيخ بن باز والشيخ القرضاوي واتهموه بالكفر مما دفع أحد المسلمين السود من جماعة "أمة الإسلام" بأمريكا إلى قتله.

وإذا أخذنا أي كتاب بحجم المصحف نستطيع أن نأتي بمعجزة عددية. هناك كاتب أمريكي اسمه سولومون، كتب كتاب اسمه ‹تعرية الإسلام› يقول فيه إن الفصل الرابع من كتابه يحتوي إعجاز عددي حول الرقم 7. فعدد كلمات الفصل كله تساوي 1967 وهذا العدد يقبل القسمة على 7، عدد الفقرات في الفصل يساوي 21 وهو يقبل القسمة على 7، عدد الحروف 9478 وهو كذلك يقبل القسمة على 7ن، وعنوان الفصل يتكون من 7 كلمات إذا حسبنا الفاصل بين كل كلمتين حرفاً يصبح عدد كلمات الفصل 11552. وإذا جمعنا 1+1+5+5+2 يكون المجموع 14، وهو يقبل القسمة على 7. الرقم 2 يظهر في الفصل 7 مرات.

والعدد 4 يظهر 3 مرات، والعدد 3 مرة واحدة، والعدد 9 يظهر 6 مرات، والصفر يظهر 9 مرات، والعدد 1 يظهر 4 مرات، والعدد 6 يظهر مرة واحدة، والعدد 8 يظهر مرة واحدة،. فإذا جمعنا 3+1+6+9+4+1+1 يكون المجموع 25 وهي عبارة عن 2 و5 ومجموعهما يساوي 7. ويظهر من هذا الكتاب أنه يمكننا أن نجد إعجازاً عددياً في أي كتاب نختاره إذا استعملنا الفهلوة التي يستعملها أصحاب الإعجاز العددي في القرآن.

عودة إلى الفهرس

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=292745

في النصف الثاني من القرن العشرين ظهرت مدرسة جديدة في دراسة علم النفس psychology سموها psychology of Religion أي دراسة سيكولوجية الأديان. وقد أسس هذه المدرسة الدكتور الأمريكي وليام جيمس William James (1902-1985) الذي عامل الأديان كأنها أفكار مفيدة للبشر، على عكس فرويد Sigmund Freud الذي قال في كتابه ‹مستقبل وهم The Future of an illusion›:

"الأديان زائفة، بمعنى أن جوهرها، أي الإله، لا وجود له. وبالتالي يصبح من غير المعقول عبادة شيء غير حقيقي."[2]

قبل أن تبدأ الأديان عند الإنسان البدائي تعلم الإنسان بعد أن استقر في مجموعات صغيرة، أن يقوم ببعض الطقوس التي تساعده على التغلب على الخوف من المجهول، وربما لتمجيد الأسلاف الذين ماتوا. ولم تقتصر الطقوس على الإنسان البدائي فقط وإنما كانت معروفة للحيوانات كذلك. فجميع الحيوانات لها طقوس معينة لمناسبات معينة، أشهرها الطقوس الجنسية التي يقوم بها الذكر قبل مجامعة الأنثى. وأشهر هذه الطقوس هو ما يقوم به الطاووس من رقص ونفش ذيله الطويل المزخرف قبل أن تستجيب له الأنثى. وكذلك طقس الجنس في مملكة النحل، وهذه الرقصة الطقوسية تقوم بها ملكة الخلية التي ترقص بطريقة معينة ثم تطير ليتبعها كل الذكور قبل أن يصل إليها أول ذكر ويجامعها ثم يموت.

وقد تطورت بعض هذه الطقوس عند الشمبانزي Chimpanzee حتى صارت تشبه الطقوس الدينية. فقد وصفت عالمة الأنثروبولوجي Anthropology جين گودال Jane Goodall عام 1971 طقساً كانت قد شاهدته في مجموعة من الشمبانزي أثناء عاصفة رعدية. أثناء العاصفة بدأت الشمبانزي بالصراخ وبدأت تنزل من الجبل وكل فرد منها يحمل فرع شجرة صغير وهو يصرخ. وعندما يصل الفرد منها إلى سفح الجبل، يصعد مرة أخرى ليعيد الكرة إلى أن انتهت العاصفة الرعدية[3]. وقد أكد هذا الطقس وزاد في وصفه في مجموعات أخرى من الشمبانزي الدكتور ستيوارت جثري Stewart Guthrie عام 1993 في كتاب بعنوان Faces in the Clouds الذي أدخل فيه مصطلح *anthropomorphism* الذي يقول

إن الإنسان يُعطي صفاته الجسدية إلى أشياء غير محسوسة أي غيبية ويسميها آلهة.

مع ازدياد حجم المجتمعات الإنسانية بعد اكتشاف الزراعة، ظهرت مجموعة من الرجال والنساء الأذكياء واستغلوا هذه الطقوس للسيطرة على بقية الناس في مجتمعهم. وبالطبع كان لابد لهم من تضخيم الطقوس ووضع قواعد صارمة لها، واستعمال لغة لا يفهما عامة الناس من حولهم. وقد تعارف الناس على تسمية هذه الطبقة من الرجال والنساء ب (**الكهنة**، أو **العرافين**) الذين كانوا يزعمون مقدرتهم على الاتصال بالسماء والتنبوء بالمستقبل. ولمقدرتهم الاتصال بالسماء كان في مقدورهم كذلك أن يشفوا المريض الذي تقمصته الأرواح الشريرة من الأسلاف. وباستعمال هذه الطقوس وبعض الأدوية المستخرجة من النباتات ذات الألوان المختلفة كان باستطاعة هؤلاء العرافين أن يدخلوا بعض الطمأنينة إلى نفس المريض وأقاربه، حتى وإن مات المريض من أثر المرض أو العلاج. وفي كل المجتمعات البدائية نجد أن طقوس المرض والعلاج ليس المهم فيها التركيبات الكيماوية للأدوية وإنما ألوان الأدوية وطريقة استعمالها. ففي قبائل الزولو في جنوب أفريقيا لابد أن يكون العلاج مكون من ثلاثة سوائل: أسود، وأحمر وأبيض. فالأسود يمثل الظلام والخوف والمرض، والظلام هو الوقت الذي تكثر به الأخطار التي تداهم الناس؛ واللون الأحمر يمثل حالة الانتقال من الليل إلى شروق الشمس التي تبدو حمراء وقت الشروق، وهو كذلك يمثل تحول المرأة من بنت صغيرة إلى امرأة عندما تبدأ دورتها الشهرية، والأفارقة كغيرهم من القبائل البدائية ما زالو يحتفلون بهذه المرحلة المهمة في حياة المرأة (شاهد مقطع الفيديو أدناه)؛ أما اللون الأبيض فهو يمثل النور والصحة. ولذلك لابد للمريض أن يشرب الدواء الأسود أولاً ثم الأحمر ثم الأبيض[4].

وبمرور الزمن خلقوا لكل مناسبة طقساً معيناً يقوم به الناس للاحتفال بتلك المناسبة، مثل طقوس البلوغ، وطقوس الختان، وطقوس الزواج، وطقوس الموت. ولتكون الطقوس مؤثرة في الناس:

- لابد لها أن تكون *منظمة بطريقة معينة*،
- ومتكررة بشكل رتيب،
- ويجب أن يلبس المشتركون فيها ملابساً معينة،
- ويرقصوا رقصات معينة،
- ويرددوا أهازيج محفوظة.

ورغم أن الحركات والملابس وغيرها لا تنسجم والعقل، إلا أن الطقوس نفسها تؤدي مهمات كثيرة في المجتمعات البدائية. فهي **تقوي روح الانتماء إلى الجماعة، وتُشعر المشترك بأنه يتحكم في روحه وعالمه، وتُشعر الإنسان كذلك بالأمان لأنه ضمن مجموعة كبيرة**، وكما تقول الحكمة الإنكليزية *safety in numbers*، أي كلما كثر الناس حولك كلما شعرت بالطمأنينة، وهي تُنسي الإنسان أحزانه. فمثلاً نجد عند اليهود *شعيرة شيفا* Shiva عند وفاة أحد أفراد المجموعة، والتي يمارس فيها الناس ولمدة سبعة أيام أقوالاً وأفعالاً تقوي من روح الانتماء للمجموعة، ويحضرون الطعام إلى منزل الميت، ويرددون آيات من التوراة وأهازيج تساعد أهل الميت على تحمل فراقه. وقد شبهها علماء السايكولوجي بالعلاج النفسي الجماعي Group therapy. والطقوس رغم فوائدها الكثيرة للمجموعات البدائية فلها أعراض جانبية قد جلبت وما زالت تجلب **المصائب** لبعض الناس. وسوف أتعرّض لبعض هذه المصائب لاحقاً.

[2] نقلاً عن كتاب سيكولوجية الأديان للبروفسور رالف هود، ص 23.

[3] كتاب سيكولوجية الأديان، ص 71.

[4] سيسل هلمان، كتاب الثقافة، الصحة والمرض Culture, Health and illness ، ص 23

يقول علماء سيكلوجية الأديان إن **الطقوس** هي جوهر الأديان وأصلها. ولا يخلو أي دين من الطقوس العديدة التي إذا تأملها الإنسان يجد أنها حركات مكررة لا معنى لها.
فحركات الوضوء والتيمم لا تفيد أي شيء في النظافة أو الطهارة. فشعر المسلم مثلاً مغطى بالعمامة أو الحجاب طول اليوم، فما معنى أن يمسح الإنسان عليه بالماء أثناء الوضوء؟ وغسل اليدين إلى المرفقين لا يزيل القذارة عن جسم الإنسان إذ أن أغلب الروائح الكريهة تنتج من العرق تحت الإبطين وبين الإليتين وفي مجمع الفخذ مع البطن أعلى الفخذ.
وكذلك *الصلاة*، قد نفهم أن يقرأ الإنسان آيات من القرآن، ولكن لماذا يركع ثم يسجد ثم يكرر العملية في ركعات متعددة. ألا يكفي أن تسجد لله مرة واحدة وتضع رأسك على الأرض علامةً للخضوع له، ولماذا نقرأ في بعض الركعات جهراً ونقرأ في بعضها سراً؟ فإذا كان الله يسمع قراءتنا سراً، لماذا نجهر بها؟ ولماذا كل هذا الالتزام بمواعيد الصلاة حتى إن لم تكن صلاة جماعة؟ هل الله لا يسمع إبتهالنا له بعد شروق الشمس، أم أنه يخشى من منافسة الشمس له؟
وهناك كذلك *رمي الجمرات* التي يموت بها عشرات الحُجاج. هل يعتقد الرامي أن حجارته تلك فعلاً تصيب الشيطان الذي لا وجود له إلا في مخيلته؟
ونجد في المسيحية كذلك طقوس لا معنىً لها. فمثلاً المسيحيون لا يأكلون إلا السمك يوم الجمعة الحزينة، ولا يشعلون الشموع في الكنائس ويلبس القساوسة والمؤمنون ملابس سوداء للتعبير عن حزنهم لصلب يسوع. وطبعاً ليس هناك أي علاقة بين أكل السمك وصلب يسوع رغم أن يسوع أطعم خمسة آلاف من سمكة واحدة، كما يقولون. وهم كذلك يصومون بين الجمعة الحزينة وعيد شم النسيم Easter. ولا يفهم الإنسان كيف يفيد هذا الصيام يسوع أو الصائم نفسه.
ونفس الشيء ينطبق على **التطبير** الذي يمارسه الشيعة حزناً على رجل قُتل قبل ألف وأربعمائة عام.
أما البوذيون فيشعلون الشموع ويضعون الزهور أمام صورة أو تمثال لبوذا في المعابد والبيوت كل صباح ومساء، ويقوم الكهنة بترديد أهازيج دينية ثم يصلي الجميع لبوذا. والسنة الجديدة عندهم تبتديء بنهاية فصل الجفاف وبداية المطر ويحتفل البوذيون برش الماء على بعضهم وعلى الكهنة تيمناً بقدوم موسم الأمطار وبدء الزراعة. وهذا الطقس لابد أنه يرجع في أصله إلى أيام اكتشاف الزراعة الذي سبق ظهور البوذية.
يعتقد بعض علماء سيكولوجية الأديان أن الأديان بدأت قبل حوالي مائة ألف سنة[5]. والسبب الرئيسي في اللجوء إلى الدين والميتافيزيقيا هو *خوف الإنسان من الموت ورغبته في الحياة الأبدية*. **وقد ساعد جهل الناس بالظواهر الطبيعية في انتشار الدين والخرافة**. واستغل أنبياء الأديان هذه الرغبة في الخلود ووعدوا الناس بحياة أبدية في السماء. غير أن الأديان المسماة الإبراهمية أو السماوية بدأت بموسى ووصاياه العشر حوالي عام 1300 قبل الميلاد. فإذا أخذنا عمر الإنسان على الأرض منذ ظهور الإنسان القائمHomo Erectus فيبدو لنا أن الإله قد تأخر كثيراً قبل أن ينتبه إلى أن الإنسان لا يعبده فقرر إرسال الأنبياء والرسل إليهم بعد ملايين السنين من خلقهم.
يعتقد العلماء أن **القوة وحب السيطرة** على محيط الإنسان **غريزة** نشأت مع الإنسان منذ ظهوره على الأرض. وعندما يشعر الإنسان بفقدان هذه السيطرة *يلجأ إلى الدين الذي يعطيه الاحساس بأنه قد يتمكن بمساعدة الإله من السيطرة على حياته ومحيطة*، ولذا يُكثر من الصلاة والدعاء للإله.
لقد استفاد رجال الدين على مر العصور من الجهل والسحر *للسيطرة على العامة*. وقد احتل **السحر** مكانة خاصة في العقلية الجمعية في المجتمعات البدائية. وقد حاول رجال الدين في اليهودية والمسيحية التخلص من السحرة والساحرات حتى لا ينافسونهم في ولاء العامة، فقامت الكنيسة الكاثوليكية بإحراق الساحرات بالآلاف أيام محاكم التفتيش، كما حاولت الكنيسة البروتستانتية تهميش دورهم. **ثم جاء الإسلام وأعطى السحر مكانة عالية** وزعم محمد أن اليهود سحروه ودفنوا السحر في بئر، مما أدى إلى مرضه. وجاءت آيات قرآنية تقول إن الله أرسل الملكين هاروت وماروت ليعلموا الناس السحر. فانتشرت بين المسلمين طقوس عديدة لتفادي الضرر من العين والسحر، مثل لبس التمائم الرادعة للسحر، ولبس الخرزة الزرقاء أو وضع عين زرقاء على باب الدار. **وبذا أرجع الإسلام المؤمنين به إلى عصور ما قبل التاريخ**.
ولأن العديد من الطقوس لها فوائد نفسية للذين يمارسونها، نجد أن رجال الدين قد استولوا على بعض تلك الطقوس وجعلوها جزءاً من دينهم، مثل ختان الذكور وختان الإناث الذي يتسبب في موت أو ضرر الطفل المختون. فاليهودية ما زالت متمسكة بختان المواليد الذكور في اليوم الثامن، ويقوم بعملية الختان رجل دين متمرس في العملية يسمونه *محلل*. يقوم بعملية القطع حول الحشفة ثم يمص جلد الغلفة بفمه ليفصله عن القضيب. ففي نيويورك في عام 2005 اتضح أن هناك عدة اطفال يهود أصيبوا بفيروس بسبب العدوى في الجهاز التناسلي genital herpes كان قد تم ختانهم بواسطة محلل واحد قام بمص ذكورهم بعد الختان. وقامت السلطات الصحية بمنع ممارسة المص هذه، ولكن عمدة نيويورك أصدر أمراً بتعليق المنع وقال إن ممارسة الشعائر الدينية بحرية كاملة يجب ألا يعيقها أي قانون[6]. وهناك آلاف الضحايا من غير اليهود الذين نزفوا حتى الموت أو قُطعت حشفتهم بالكامل مع الغلفة.
أما رجال الدين الإسلامي فقد وضعوا اليد على عادة ختان الإناث التي بدأت في أفريقيا قبل آلاف السنينمن ظهور الإسلام، وما زالت بعض القبائل الأفريقية غير المسلمة تمارسها، وقال المسلمون إن نبيهم قد رأى امرأة تختن طفلةً في المدينة، فقال لها:

[اختني ولا تُنهكي فإنه أمتع للزوج].

وبذا أصبح ختان الإناث جزءاً مكملاً للإسلام يتنافس شيوخ الأزهر في تأييده. (الرجاء مشاهدة مقطع الفيديو في آخر المقال عن هذه العادة الأفريقية). وأضرار ختان الإناث تفوق بعدة مرات أضرارها على الصبيان.

وبما أن الطقوس **تذيب الفرد في الجماعة** المحيطة به وتجعله راضخاً لمشيئتهم، فإنها تعمل **ككابح** لأي فعل يشذ عن ما تعارفت عليه القبيلة، وهكذا تحافظ القبيلة على هويتها. **وهذا هو عين ما تفعله الأديان.**

[5] Burkert 1996, Pfeiffer 1982, Rice 2007
[6] God is not great, Christopher Hitchens, P. 50.

وفي الحلقة القادمة سوف أناقش ذوبان الفرد في المجموعة الدينية وفصله عن بقية الناس خارج مجموعته

الاحتفال ببلوغ البنت:.

http://www.youtube.com/watch?v=gEYiDPr9JF0&feature=related

فيديو ختان الإناث في أفريقيا:

http://www.youtube.com/watch?v=9_EwmCE01Ss&feature=related

2012 / 1 / 27

2 مِن 3

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=292992

يقول علماء سيكولوجية الأديان إن الخدمة الرئيسية التي يقدمها الدين للإنسان هي محاولة الإجابة على السؤال: **ما معنى الحياة وما الهدف منها؟** والإجابة على هذا السؤال تقع ضمن محاور علم النفس الثلاثة، وهي cognition, motivation, social life أي الإدراك والتحفيز والحياة الاجتماعية.

- وحاجة الإنسان **للإدراك** أو الإلمام بما حوله وموقعه من العالم حوله كانت قد شغلت الإنسان منذ عشرات الآلاف من السنين. وقد حاول الإنسان البدائي فهم الحياة وإدراك أسرارها عن طريق خلق ميثولوجيا (أساطير) Myths خيالية تتكون من قوى ميتافيزيقية غير مرئية إليه، ألبسها صفاته الجسدية وجعلها آلهة في السماء، خلقت العالم والإنسان. ولما كانت هذه الآلهة تحمل نفس صفات الإنسان الذي خلقها، فقد كانت تتشاجر وتتآمر على بعضها البعض ويقتل الخيرون منها الشريرين حتى يخلصوا العالم من شرورهم. ثم جاءت *الأديان الإبراهيمية* وسرقت هذه الميثولوجيا وطورتها وجعلت الخالق إلهاً واحداً متغطرساً يفعل ما يشاء، ولا يُسأل عما يفعل.
  - وقد خلق هذا الإله المتغطرس شعباً يهودياً هو شعبه المفضل، وجعل بقية الناس the gentiles (الأميون) خدماً لهم.
  - ثم جاءت المسيحية وعمت جميع العالم المعروف وقتها باستثناء الصين وأقاصي آسيا. المسيحية في البدء جعلت الناس كلهم أبناء الله وأوصتهم بحب أعدائهم وأن الله خلقهم ليكونوا فاضلين ولكي يساعد بعضهم بعضاً. ولكن بعد *البداية المعقولة للمسيحية*، دخل الإمبراطور قسطنطين مسرح الأحداث وأدخل السياسة في الدين بجعله المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية. **والسياسة إذا دخلت الدين أفسدته كما يفسد الدين السياسة**. فقد انحاز الإمبراطور إلى أفكار الأسقف أليكساندر وتلميذه أناستاسيس ضد آريوس، وبذا بدأ مفهوم *الأقانيم الثلاثة* في المسيحية وانشقت الكنيسة إلى أرثوذوكس وكاثوليك. وتشعبت آراء الكنيسة ولم تعد وصاياها تحل مشكلة الإنسان الأساسية، ألا وهي *عملية الإدراك ومعنى الحياة*. فظل الإنسان يبحث عن هذه الإجابة. وعندما كتب القس ريك وارن Rick Warren في عام 2002 كتاب ‹الحياة الموجهة بالغايات the purpose-driven life›، بلغت مبيعات ذلك الكتاب أكبر رقم بعد مبيعات الإنجيل[7]. فالناس في العالم الغربي، وبعد أكثر من ألفي عام من بدء المسيحية ما زالوا متعطشين إلى إدراك معنى الحياة ودورهم فيها.
  - بالنسبة للإسلام فالأمر كان في غاية البساطة {وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون}. ولهذا السبب لا يزعج المسلم نفسه بالتفكير في مغزى الحياة، *ولا يكتب شيوخ الإسلام كتباً عن مغزى الحياة*، **فهي بالنسبة لهم دار فناء لا هدف لها غير تحضير الإنسان إلى الحياة الأبدية في جنة الحور العين.**

فهل الأديان أفادتنا في المحور الأول، محور الإدراك؟ منذ بدء التاريخ وحتى نهاية القرن الثامن عشر لم يتقدم إدراك الإنسان تحت المظلة الدينية إلا خطوات قليلة متعثرة، تخللتها حروب عديدة باسم ذلك **الإله المتغطرس**. وعندما يعجز الإنسان مثلاً عن فهم لماذا أعطاه الله طفلاً جميلاً ذكياً أحبه كل الحب، وفجأة أصابه الله بمرض لا شفاء منه ومات الطفل بينما جدته التي بلغت المائة عام من عمرها وخرّفت ما زالت عائشة، يجيبه رجال الدين بأن الله يعمل بطرق خفية God works in mysterious ways. وطبعاً مثل هذه الإجابة لا تقدم ولا تؤخر في فهم المصيبة. ولكن في العقود الثلاثة الأخيرة ظفر بنا العلم طفرات جبارة في طريق فهم كيفية نشأة الكون وما سوف يؤول إليه مستقبله. وترك لنا العلم موضوع معنى الحياة ليقرره كل إنسان بنفسه، سواء أراد أن تكون حياته منذورة لحماية البيئة أو لنشر السلام بين شعوب الأرض، أو أن ينذر حياته للإجرام وقتل الآخرين. ولهذا يقول الفيلسوف شارلز تيلور Charles Taylor في كتابه Secular age 2007 (العصر العَلْمَانِي):

> "لا حاجة للإنسان إلى اللجوء إلى قوى ميتافيزيقية خارجية ليعرف معنى الحياة، وإنما عليه أن يعثر على ذلك من داخل نفسه التي هي جزء من الطبيعة."

- بالنسبة للمحور الثاني وهو **التحفيز** أي motivation فالأديان للأسف فعلت العكس وثبطت من همم الباحثين عن الحقيقة ومعنى الحياة.
  - فموقف الكنيسة الكاثوليكية من العلماء والفلاسفة في قرون ما قبل التنوير موقف لا يشرف أحداً، وقد اضطر البابا يوحنا بولس الثاني أن يعتذر من العلماء لما أصابهم وأصاب العلم بسبب موقف الكنيسة منهم. وللأسف ما زالت الكنيسة الكاثوليكية تقف في طريق العلم في أشياء مثل محاربة متلازمة فقد المناعة المكتسب AIDS (الايدز)[†]. فمثلاً يقول الكاردينال الفونسو لوبيز، رئيس مجلس الفاتيكان لشؤون الأسرة:

> "إن الواقيات الذكورية بها ثقوب ميكروسكوبية وضعتها الشركات المصنعة سراً حتى يتسرب منها الفيروس ويقضي على المؤمنين"[8].

[†] Acquired immunodefeviency syndrome (AIDS) الترجمة المعتمدة لكلمة Syndrome هي **مُتلازمة** (وذلك لتمييزها عن الداء sickness، أو المرض disease)، فتصبح الترجمة الأدق متلازمة العوز المناعي المكتسب (متلازمة عمم)

---

[7] كتاب سيكلوجية الأديان ص 13.

[8] God is not great, Christopher Hitchens, p. 45.

فأين التحفيز هنا لتحسين حياة العائلة الكاثوليكية الفقيرة التي تئن تحت وطأة الفقر وتزايد عدد الأطفال ومرض الايدز؟ ولم يكن الكاردينال في الـڤاتيكان هو الوحيد الذي قال بذلك. فالكاردينال أوبادو برافو من نيكاراگوا، وكبير أساقفة كينيا، والكاردينال عمانيويل واماﻻ من يوغندا، **كلهم قالوا للمؤمنين إن الواقي الذكري ينقل الايدز**[9].

ولم نرَ الكنيسة الكاثوليكية تفعل شيئاً لتحفز مئات الآلاف من أطفال الشوارع في المكسيك ليتعلموا أو يفعلوا شيئاً يُحسن من أوضاعهم ويجعلهم يفهمون دورهم في الحياة.

- أما الإسلام فلم يأت بأي آية في قرآن يتألف من أكثر من ستة آلاف آية **تحفز المؤمنين ليتعلموا أو يصنّعوا شيئاً**، واكتفى بنصيحتهم أن يتأملوا في مخلوقات الله وفي آياته وفي الجبال والبحار. وأضاف الفقهاء مقولتهم الشهيرة:

(تأملوا في مخلوقات الله ولا تتأملوا في ذاته).

والحديث الوحيد الذي يذكر العلم هو:

[اطلبوا العلم ولو في الصين]

والمقصود بالعلم هنا هو علم القرآن والشريعة. حتى السؤال الذي هو مفتاح العلم قد منعه القرآن:

{لا تسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تسؤكم}.

وبالنسبة للتحفيز على العمل أو العلم فقد حث فقهاء الإسلام على قيام الليل وقراءة القرآن وحفظه وسَوْق الناس إلى المساجد بالعصا كما يفعل موظفو *هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر* في السعودية، وتوأمها الجديد في تونس. فإن كان الإسلام قد حفّز على العلم والعمل، فتحفيزه قد وقع على آذان صماء إذ أن حاضر المسلمين لا يكشف لنا غير الأمية والجهل والاكتفاء باستهلاك منتجات الغرب. أما أمراض الايدز والتهاب الكبد الوبائي فهي عقاب من الله للمسلمين الذين تخلوا عن دينهم.

وموقف الإسلام من العلماء والفلاسفة لا يختلف عن موقف الكنيسة الكاثوليكية، فقد أحرقوا العلماء وصلبوا بعضهم وأحرقوا كتبهم، ثم قالوا لنا: اطلبوا العلم ولو في الصين

❖ ونأتي الآن إلى المحور الثالث، وهو **الحياة الاجتماعية**. ركزت الأديان كلها على *المرأة* في موضوع الحياة الاجتماعية كون المرأة هي الأضعف جسدياً وبالتالي يمكن السيطرة عليها جسدياً وعقلياً.

- فرضت اليهودية على المرأة الحجاب وجعلتها نجسة وأقل من الرجل، وطلب يهوه من اليهود أن ينذروا أول طفل ذكر له إذ لم تكن له حاجة إلى البنات، كما قال إله القرآن: {ألَه البنات ولهم البنون}. ويطلب التلمود من اليهودي عندما يصلي الصبح أن يقول **{الحمد لله الذي لم يخلقني امرأة}**[10].
- وتبعت المسيحية اليهودية في عزل المرأة ومنعها من ممارسة منصب القسيس أو القيام بأي وظيفة دينية غير وظيفة الراهبة التي كانت تعمل قابلة للتوليد في أغلب البلاد المسيحية.
- وجاء الإسلام بثالثة الأثافي وجعل المرأة كلها **عورة وناقصة عقل ودين**. ونتيجةً لهذا الفكر الديني أصبح نصف المجتمعات معطلاً لا ينتج غير الأطفال.
- الطقوس القديمة في القبائل البدائية كانت مهمتها الأساسية **صهر الفرد في قبيلته أو عشيرته وتقوية ارتباطه بها**، والتركيز على اختلاف تلك القبيلة عن غيرها. وتبنى رجالات الدين نفس الأيديولوجية وانقسمت كل ديانة إلى عدة طوائف يركّز كل منها على إبراز النقاط التي تفصلهم عن الآخر، والتشديد على أنهم *الفرقة الوحيدة الناجية* ومن خالفهم لا يتبع وصايا الإله الصحيحة. في خطاب من شهود يهوه المسيحية إلى فرقة إخوة بليموث، يقولون لهم:

"نحن الطاهرون والقلائل الذين اختارهم الله، وكل البقية ملعونون. فهناك أمكنة كافية لكم في جهنم، فنحن لا نريد ملكوت الله أن يكون مزدحماً".

ومع أن الكنائس الثلاث الرئيسية: الكاثوليك والبروتستانت والأورثوذكس تكفي لاستيعاب كل تعاليم المسيحية، إلا أنه لا تمر على المسيحيين سنوات بسيطة وإلا تظهر فرقة جديدة. فمنذ ظهور كنيسة المورمونز Mormons في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ظهرت عدة مجموعات أخرى أدت إلى تقوقع أتباعها في معسكرات تفصلهم عن غيرهم من المسيحيين. فكانت هناك مجموعة تشارلي مانسون الذين جمعهم في مزرعة في مدينة جونزتاون وأقنعهم بشرب السم مع أطفالهم فماتوا جميعاً لأن العالم قد أصبح فاسداً لدرجة أنه لا يجوز لهم المشاركة فيه. وكانت هناك جماعة ديڤيد كريش الذين تقوقعوا في معسكر واكو في في تكساس وخاضوا معركة عنيفة مع قوات الشرطة أدت إلى حرق المعسكر بمن فيه من أطفال ونساء. وفي عام 1984 أنشأ جوزيف دي مامبرو فرقة The Solar Temple في سويسرا وكان لها فروع في أستراليا وكندا. رسالة هذه الفرقة كانت التحضير لمجيء *يسوع الثاني* ليخلص العالم من أشراره. وفي عام 1994، بعد أن تعشى اثنا عشر رجلاً منهم العشاء الأخير، انتحر جميع أفراد الفرقة في قريتين بسويسرا.

وهناك بعض الفرق المسيحية الغامضة مثل جماعة الايمش Amish في أمريكا. هذه الجماعة تعيش حياة ما قبل الثورة الصناعية فلا يركبون السيارات ولا القطارات ولا يستعملون التلفون أو التلفاز. لهم مدارسهم الخاصة، ونساؤهم لا يعملن خارج المنزل. ويسمحون بتعدد الزوجات وزواج القاصرات. ونتيجة لتعاليم دينهم فإنهم لا يتزوجون إلا من نسائهم **وبالتالي تنتشر عندهم أمراض وراثية كثيرة** مثل الهيموفيليا (النَّاعور) Hemophilia التي تؤدي إلى نزيف متكرر، وكذلك مرض الضمور العضلي Muscular dystrophy وهو مرض قاتل يصيب الأطفال. وكذلك أمراض تخزين الغذاء مثل داء گوشيه Gaucher's disease الذي يتلف الكبد والطحال[11].

- أما الإسلام فحدث عن الفرق المذهبية فيه التي يصعب حصرها، بدءاً من الخوارج والمعتزلة والأشعرية والشيعة والفاطميين والعلويين والإسماعيليين والأحمدية والقدرية والسنة وغيرهم الكثير. كل فرقة من هذه الفرق كانت لها طقوسها التي تفصلها عن الآخر.

---

[9] نفس المصدر، ص 46.
[10] المصدر السابق ص 54.
[11] McKusick 1978.

- كل هذا دون أن نتعرض للفرق العديدة في الهندوس والسيخ والشنتو والبوذية والديانات الأفريقية المحلية.

فبدل أن تجمع الأديان التوحيدية البشر على أساس أنهم جميعاً يعبدون نفس الإله، نجد أن رجالات الدين يعملون جاهدين على تفرقة الناس.

- فمثلاً نجد أن الحاخام الأندلسي موسى بن ميمون لم يذكر في كتابه ‹دلالة الحائرين› الأتراك، ولا السود، ولا الرعاة البدو لأن طبيعتهم مثل طبيعة الحيوانات العجماء[12]
- بيما نجد أن سانت أوغسطين يقول إن تشتت اليهود في العالم وجعلهم رحالة هو **عدالة إلهية** بسبب قتلهم المسيح[13].
- ونجد كذلك أن كنيسة The Dutch Reformed Church في جنوب أفريقيا كانت من دعاة الأبارتايد (الفصل العنصري) Apartheid في جنوب أفريقيا وفرضت على المسيحيين السود الصلاة في كنائس خاصة بهم وحرّمت عليهم دخول كنائس البيض.

فمن هذا العرض السريع يتضح أن الأديان قد فشلت في المحور الثالث، وهو تنظيم الحياة الاجتماعية للمؤمنين بها. فرغم هذا الفشل كيف يتسنى للأديان السيطرة على هذه الأعداد الغفيرة من البشر وفي القرن الحادي والعشرين، أي بعد أكثر من ثلاثة آلاف عام من ظهور الأديان الإبراهيمية؟

الجواب في رأي علماء سيكلوجية الأديان يرجع إلى سببين رئيسيين: السبب الأول هو وجود نوعية من الناس **قابلة للإيحاء**، والسبب الثاني والأهم هو **الأدلجة** أي غسيل الدماغ.

- بالنسبة **للإيحاء** فهناك نوع من الناس، ربما بسبب تربيتهم كأطفال، أو بسبب جيناتهم Gene، يميلون إلى تقبل الأفكار بسرعة خاصة إذا أتت من شخص ذي قوة أو منصب رفيع. ويظهر هذا جلياً في مسألة *التنويم المغنطيسي*. فالذي يقوم بالتنويم ربما ينجح في تنويم عدد بسيط من الناس أما الغالبية فلا يقعون تحت تأثيره.
- أما مصطلح "غسيل الدماغ" فمصطلح حديث كان أول من استعمله صحافي أمريكي اسمه هنتر كان يعمل عميلاً للسي آي أى CIA في الصين وزعم أنه اكتشف اسلوباً حديثاً استعمله الحزب الشيوعي الصيني لتغيير الأفكار، فسماه Brainwashing. ويعتمد هذا الأسلوب على عزل الشخص في مكان منفرد ومحاولة استعمال **الخداع** معه وربما **بعض الأدوية**، وأخيراً استعمال **الإكراه**. وقد استعمل هذا الأسلوب شوكو أسهارا Shoko Asahara مؤسس جماعة *أوم شريكو* اليابانية التي فجرت قنابل غاز السارين السام في قطارات المترو اليابانية عام 1995. الجدير بالذكر هنا أن هذا الرجل البوذي استطاع أن يجند مهندسين كيمائيين، بعضهم يقوم بالدراسات العليا في جامعات طوكيو. وقد استعمل معهم نفس الإسلوب الصيني الذي يتكون من إحضار مجموعات صغيرة من الناس وعزلهم في مجمع لا يتصلون فيه بأي شخص خارجه. ثم يقوم بتدريبهم على طاعته المطلقة وبعد ذلك يبدأ بتلقينهم مذهبه. وبعد استكمال تجنيدهم وتخرجهم يفرض عليهم عدم الاختلاط مع أي شخص لا ينتمي إلى مذهبهم. وقد استطاع أن يقنع هؤلاء المهندسين بانتاج غاز السارين السام ووضعه في قنابل ليقتل اليابانيين *وبذلك يستعجل ظهور المخلص الذي سوف يملأ العالم عدلاً* .

كل الجماعات الدينية تستعمل أسلوباً مشابهاً يبدأ في الطفولة في مدارس خاصة قد تكون مدارس تحفيظ القرآن أو مدارس الأحد في البلاد الغربية.
وبالتدريج عندما يصل الطفل سن البلوغ يكون قد تشبع بالأفكار الدينية وبأنه يختلف عن بقية الناس ويحاول ألا يختلط إلا بمن ينتمي إلى مذهبه.
وسوف يظل العالم مليئاً بالكراهية والحقد والقتل ما دامت الأديان تجند الأطفال.

2012 / 1 / 31

3 مِن 3

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=293467

يزعم المؤمنون ورجال الدين بأن الأديان جاءت لتعلم الناس **الفضيلة**. وهذا الادعاء أجوف لا تسنده أي حقائق علمية أو تاريخية. فنحن نعرف أنه منذ أيام اليونانيين القدامى عندما كانت أثينا city state أي *دولة ذات مدينة واحدة*، كان الفيلسوف زينو الصقلي ومجموعات كبيرة من المعلمين المتنقلين بين البلاد the sophists يتناظرون عن الفضيلة والأخلاق، وقد كتب أفلاطون كتاب الجمهورية The Republic *الذي شرح فيه الحكم النزيه وواجبات وحقوق المواطن*. فالأخلاق والفضيلة كانت معروفة عند البشر قبل ظهور ما يُسمى بالأديان الإبراهيمية أو السماوية. فمثلاً كونفوشيوس Confucius (551-479 قبل الميلاد) حث على الفضيلة في الحياة الفردية وفي الحكومة، وحث كذلك على العدالة واحترام كبار السن والوالدين. وفي جزيرة العرب تخبرنا كتب التراث أن شخصيات مثل عنترة بن شداد كان يعف عن الغنائم والسبايا، بينما كان حاتم الطائي مشهوراً بالشهامة وإكرام الضيف وحماية المستضعف.

وقد قال الباحث لورنس كولبيرگ Kohlberg في عام 1964 إن الطفل يمر بثلاثة مراحل في تعلمه الفضيلة والأخلاق.

1. *المرحلة الأولى* هي مرحلة **الطاعة والعقاب**. بالنسبة للطفل في هذه المرحلة فإن الرذيلة هي ما يجلب له العقاب، والفضيلة هي ما يجلب له الحلوى. فالفضيلة في عرفه مبنية على المصلحة الشخصية.

---

[12] God is not Great, p. 65.

[13] نفس المصدر ص 250.

2. في *المرحلة الثانية* يتعلم الطفل أن مقياس الفضيلة يعتمد على **ما يجلب له المدح من والديه ومعارفه**. فكل ما يؤدي إلى مدحه هو الشيء الصواب. **ويتعلم الطفل أن القواعد الاجتماعية التي تنظم الحياة شيء جميل في حد ذاته**.
3. وفي *المرحلة الثالثة* يتعلم أن **السلطة والقانون هما اللذان يحكمان حياة الناس**. وقد أكد كولبيرگ **أن نمو الأخلاق والفضيلة عند الطفل لا يرتبط، وليس له علاقة بالدين**. وقال:

"من أبحاثنا العديدة لم نجد أي فرق في تعلم الأخلاق والفضيلة بين أطفال الكاثوليك، والبروتستانت، واليهود والمسلمين واللادينيين."[14]

أجرت مجموعة من علماء سيكولوجية الأديان (جولدسن، روزنبيرگ، ويليامز، سوشمان) في عام 1960 دراسة على طلبة الكليات المنحدرين من **عائلات متدينة**، ووجدوا أن 92 % قالوا إن الغش خطأ. ولكن عندما قالوا لهم إذا كان الجميع حولك يغشون، هل تغش، فأجاب 87 % بالإيجاب *مما يثبت الانفصام في الأديان بين ما يقولون وما يفعلون*. يقول بروفسور رالف وود:

"إن الأبحاث السيكولوجية عبر عدة عقود من الزمن لم تثبت أن الأديان لها أي أثر في تعلم الأخلاق والفضيلة."[15]

وقد أجرى جوتمان في عام 1984 بحثاً في إسرائيل على طلاب الصف السادس في المدارس الدينية، ووجد أن غالبيتهم قالوا في الاختبار النظري إنهم لن يرضخوا إلى الإغراء، ولكن عندما اختبر أفعالهم وجد أنهم أكثر ميلاً للغش والخداع. وكذلك وجد ويليامسون والأسدي في عام 2005 **أن الانتماء الديني لا يقلل من الغش**. وكان استنتاجهما أنه:

لا يوجد أي دليل علمي من الدراسات على السلوك الفعلي على أن الأشخاص المتدينين أكثر أمانةً أو أقل احتمالاً للغش من الأشخاص غير المتدينين.[16]

وعندما يكون رجل الدين، مسلماً كان أو مسيحياً، أو يهودياً، وهو الذي يزعم أنه يمثل الدين ويشرح لنا إرادة رب السماء، وتكون تصرفاته قدوة لأتباعه، **عندما تكون أقواله وأفعاله محرضةً على قتل المخالف، يصبح الدين آلةً لا تقل فتكاً عن أسلحة الدمار الشامل**. رواندا أكثر البلاد الأفريقية تمسكاً بالمسيحية وبها أعلى نسبة كنائس مقارنة بعدد السكان في الدول الأفريقية. و65 % من سكانها كاثوليك، و15 % بروتستانت. في عام 1990 بدأ أحد القساوسة الكاثوليك يذيع أنه حلم عدة مرات بالسيدة العذراء ورأى كمية كبيرة من الدم وقتلى بالمئات وأن السيدة مريم أخبرته أن رجوع المسيح سوف يكون في عام 1994. وأعلنت رئاسة الكنيسة الكاثوليكية أنها استجوبت ذلك القس *وتأكدت من صدق رؤيته*. وفي عام 1994 بدأت مجازر *التوتسي* الذين هربوا واحتموا بالكنائس مما سهّل عمل *مليشيات الهوتو* الذين كانت تصلهم الأخبار أولاً بأول من قساوسة الكنيسة. وعندما انتهت المجازر كانت آلاف الجثث في الكنائس أو حولها تحمل آثار الماشيتي (الساطور) والرصاص. ومثل الأب وانسيلاس، أحد كبار قساوسة كنيسة سانت فيميل في كيغالي أمام محكمة العدل الدولية متهماً بإمداد المليشيات بقوائم تحمل أسماء التوتسي في المنطقة.

أما الأسقف جكنقورو المعروف باسم مسيو اوغستين ميساغو فكان معروفاً بعدائه *للتتسي* وكان يمنعهم من دخول الملاجيء. وقد كتب إلى البابا في روما يطلب منه نقل القساوسة التتسي من رواندا لأن الشعب الرواندي لا يريدهم. وفي يوم 4 مايو 1994 أخذ الأسقف معه كمية من رجال الشرطة إلى مركز كان به 90 طفلاً من التتسي وقال للأطفال إن الشرطة سوف تحميهم. وبعد يومين قتل رجال الشرطة 82 طفلاً من التسعين. وعندما سئل موظف بوزارة العدل في رواندا: لماذا لم يقدموا الأسقف جكنقورو إلى المحاكمة، قال إن الفاتيكان أقوى من أن نصارعه.[17] الرجاء قراءة هذا التقرير عن دور الكنيسة في التطهير العرقي.

http://www.newsfromafrica.org/newsfromafrica/articles/art_10231.html

شيوخ الإسلام لا يقلون عن نظرائهم المسيحيين في رواندا، ولا عن نظرائهم الحاخامات المتشددين في إسرائيل، عندما يبررون قتل المخالف. حاخامات إسرائيل أصدروا عدة فتاوى تبيح قتل الأطفال العرب، والشيخ القرضاوي وغيره أصدروا كذلك فتاوى تبيح قتل الأطفال اليهود لأنهم عندما يكبرون سوف يُجندوا في الجيش الإسرائيلي.

الإسلام من دون الأديان الأخرى يبيح الكذب لأتباعه في ثلاث حالات، منها كذب الزوج على زوجته أو الزوجة على زوجها، وقد أصدر الشيخ علي جمعة، مفتي جمهورية مصر، *فتوى تبيح للبنت غير العذراء خداع خطيبها بالقيام بعملية ترقيع غشاء البكارة ولا تخبره بذلك، تماشياً مع حديث محمد* [إذا بُليتم فاستتروا].

أحد كبار الإخوان المسلمين بالكويت وعضو في البرلمان، لا يمل من الحديث عن الأخلاق الإسلامية، ومحاربة الاختلاط في الجامعات، ومنع بناء الكنائس في الكويت، ذهب في زيارة إلى البرازيل وكاد أن يغرق على شاطئ العراة ولم ينقذه إلا تدخل حرس الشواطئ. **فماذا كان يفعل رجل متدين ومن الإخوان المسلمين على شاطئ العراة**، والشواطئ في البرازيل لا حصر لها؟

قاضي شرعي بالسعودية يختلس عشرات الملايين من الدولارات من بيع الأراضي الحكومية خلسةً، وعندما تلقي الشرطة القبض عليه **يزعم أن الشيطان هو الذي سرق المال ولم يكن هو إلا واسطة فقط**. *وأيدت المحكمة الشرعية روايته*. فالتدين مهما بلغت درجته لا يمنع المتدين من اقتراف أسوأ الأفعال مثل السرقة والزنا والقتل، وهي أهم الوصايا العشرة التي أوصى بها إله السماء مخلوقاته. فالأخلاق والمثل العليا لا علاقة لها بالتدين. ويكفي أن كل المذاهب الأربعة في الإسلام تبيح بيع العبيد والإماء في سوق النخاسة. أي مُثل عليا وأي أخلاق يمثلها لنا الدين.

فإذا كان التدين لا يؤثر في الأخلاق، لماذا يكون بعض الناس أكثر خضوعاً لتأثير الأديان؟ لا بد أن هناك **تفاعلات كيمائية** في أدمغة بعض الناس تجعلهم أكثر ميلاً إلى التدين. للإجابة على هذا السؤال أجرى الباحث بنكي Pahnke في عام 1966 تجارب على 20 متطوعاً، أعطى نصفهم دواء اسمه psilocybin وهو علاج يُستخرج من الفطر mushroom والمعروف أنه يسبب **الهلوسة**، وأعطى النصف الآخر حبوب بنفس الحجم واللون ولكنها لا تحتوي أي مواد كيمائية. وسأل الباحث المشتركين إن كانوا قد وصلوا إلى مرحلة الاتحاد مع الخالق، أو شعروا بإحساس ديني، وكانت النتيجة أن 70 % من المجموعة الأولى أجابوا بالإيجاب، بينما أجاب 8 % فقط من المجموعة الثانية بالإيجاب. وعندما أعاد الباحث دبلن نفس التجربة بعد 25 سنة كانت نتائجه كالآتي: 77 % من المجموعة الأولى قالوا إنهم وصلوا مرحلة الاتحاد مع الخالق، بينما كانت النتيجة في المجموعة الثانية 5 % فقط.[18]

---

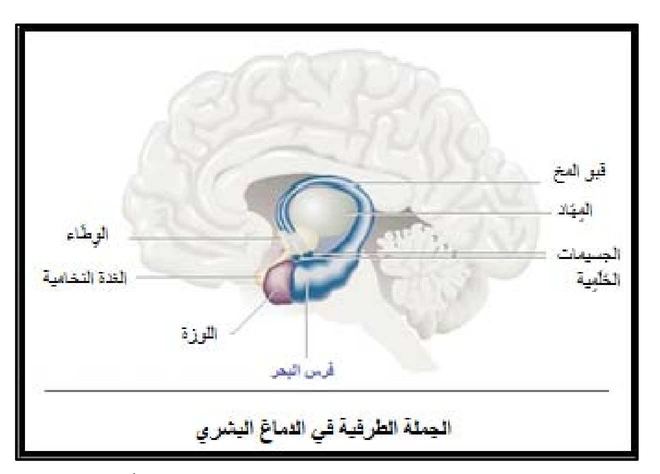
[14] كتاب سيكولوجية الأديان، ص 87.
[15] سيكولوجية الأديان ص 385.
[16] نفس الصفحة.

[17] God is not great, p. 90.
[18] psychology of religion p. 357.

وأجرى العلماء كذلك أبحاثاً على تأثير **العزلة** على الفرد وخرجوا بنتائج تفيد أن:

العزلة من العوامل المهمة في جعل الفرد يتخيل أنه في اتصال مع قوى خارجية فوق الطبيعة.[19]

ربما يكون هذا هو السبب في أن محمداً كان يعزل نفسه في غار حراء لمدة شهر كامل كل عام، وكذلك موسى الذي زعم أنه رأى ناراً بجانب الجبل فترك أهله وذهب إلى جبل سيناء ليكون في خلوة من الناس.
والمعروف أن الاختلال الكيمائي الذي يحدث في الدماغ قد يصيب الشخص بداء الصرع. وقد عرف الناس هذا الداء قبل الميلاد. ففي القرن الخامس قبل الميلاد كانوا يسمون الصرع "المرض المقدس" لأنهم لاحظوا أن المصاب به عندما يفيق يزعم أنه تعرض لتجربة ميتافيزيقية. وفي القرن العشرين أجرى الباحثان ديوهيرست وبيرد في عام 1970 أبحاثاً أكدت هذا الزعم.[20] وفي عام 1999 أجرى رامشاندران وبليكسلس تجارب على مرضى الصرع المعروف بصرع الفص الصدغي temporal lobe وقاموا بقياس التيارات الكهربائية في الدماغ وقت الصرع ووجدوا ما يثبت أن الذين زعموا أنهم تعرضوا إلى تجربة دينية كانت أدمغتهم قد أظهرت ذبذبات عالية في منطقة تُعرف بالجملة الطرفية Limbic System.



الجملة الطرفية في الدماغ البشري

وفي تجارب مماثلة قال الباحثون إن نسبة الذين تعرضوا إلى إحساسات دينية أثناء الصرع كانت 1.3 %، ولكنها حتماً موجودة. فإذاً الصرع يجعل المصاب به يتخيل أنه قد تلقى أحاسيساً دينية. وفي عام 1987 قام الباحث بيرسنجر بتمرير موجات مغناطيسية على الفص الصدغي في 414 متطوع لا يعانون من الصرع ووجد أن بعضهم قد قال إنه شعر بوجود الله وقت تمرير الموجات المغنطيسية. ورغم أن هناك بحث قام به الباحث لنسكي في عيادة الصرع التي تُسمى "عيادة مودسلي" في عام 1983 استنتج منه أن نسبة المصابين بالصرع الذين يقولون إنهم شعروا بأحاسيس دينية لا تختلف عن نسبتهم في عامة الناس، إلا أن غالبية الباحثين تُثبت وجود هذا الارتباط. فهل كانت خلوة محمد مع ما يقوله بعض المؤرخين من أنه كان مصاباً بالصرع لها دور في ادعائه النبوة، وأن الأخلاق الإسلامية ما هي إلا انعكاساً لأخلاقيات محمد نفسه؟
السؤال الآخر الذي يحير العلماء هو: رغم أن الأديان جميعها قد اضطهدت المرأة، لماذا يفوق عدد النساء المتدينات عدد الرجال؟ ففي مسح سكاني أجرته ‹مؤسسة گالوب› في أمريكا كانت نسبة المتدينين كالآتي: نسبة الذين يؤمون الكنيس اليهودي 53 % من الرجال و64 من النساء. والذين يصلون في اليوم مرة واحدة على الأقل كانت 42 % من الرجال و64 % من النساء. والذين قالوا إن الإله مهم جداً في حياتهم كانت 52 % من الرجال و58 % من النساء. والذين يؤمنون بالمعجزات كانوا 67 % من الرجال 81 % من النساء. فهل **متلازمة ستوكهولم** التي ذكرتها الدكتورة وفاء سلطان في أحد مقالاتها، يمكن أن تفسر هذا الوضع؟ *تقول هذه المتلازمة إنه مع طول الوقت يصفح المجني عليه عن الجاني ويحاول تقليده. فهل اضطهاد النساء يجعلهن متمسكات أكثر بالدين لأنه الجاني في هذه الحالة؟*
وبما أن الأم أكثر احتكاكاً بالأطفال خاصةً في السنين الأولى من حياتهم وهي فترة التكوين النفسي، يكون تأثير الأم الديني على الأطفال مهماً جداً. ولهذا يصر اليهود أن الشخص لا يمكن أن يُعتبر يهودياً إلا إذا كانت أمه يهودية. في دراسة قام بها الباحث نلسون عن تأثير الوالدين في تدين الأطفال في عام 1990، وجد أنه إذا كانت الأم كاثوليكية والأب كاثوليكي كذلك فإن نسبة المراهقين الذين قالوا إنهم لا دين لهم كانت 1.5 % فقط. أما إذا كانت الأم لا دين لها والأب كاثوليكي فإن نسبة الذين قالوا إنهم لا ينتمون إلى أي دين كانت 47 %.
فإذا أخذنا **تأثير الأم على تدين الأطفال** في الحسبان نجد أنه من المؤسف جداً أن تكون نسبة النساء المتدينات أكثر من نسبة الرجال، لأن ذلك سوف ينتج لنا أجيالاً مستقبلية تؤمن بالخرافة. ففي دراسة أجراها الباحث نيوبورت في أمريكا عام 2006، وجد أن 64 % من خريجي الثانويات يعتبرون أن الإيمان مهم بالنسبة لهم، و50 % من الذين نالوا دراسات فوق الجامعية يعتبرونه مهماً أيضاً.
بعضهم يؤمن بالدين لأنه ولد فقيراً لا يملك "شروى نقير" ويرى غيره يستمتع بملذات الحياة التي حُرم هو منها. فيخدره رجال الدين بأن الأغنياء لا يدخلون ملكوت الله أو الجنة، إنما الجنة للفقراء، وبالتالي يمتلئ بالأمل في انتظار تلك الملذات من أنهار الخمر الذي حُرّم عليه في الدنيا، وبنات الحور العذارى، خاصةً إذا لم تسمح له ظروفه المادية بالزواج. فإذا لم يؤمن بالدين ووعوده الكاذبة سوف يُصاب باليأس، وكما قال الفيلسوف الفرنسي اميل زولا:

لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة.

لا يسأم المسلمون من ترديد أن الإسلام هو **دين الفطرة**، وهذا يعني أن الطفل الذي يولد على الفطرة ولا علم له بأي شيء في الحياة غير ثدي أمه، **يزعمون أن فطرته سوف تقوده إلى الإسلام**. *ولذلك تفنن فقهاء الإسلام ومرتزقته في إصدار تشريعاتهم التي تفترض أن الجنين في رحم أمه مسلمٌ إذا كان زوج الأم مسلماً*. فقالوا إذا ماتت زوجة من أهل الكتاب كانت متزوجة مسلماً، وماتت وهي حبلى، تُدفن ووجهها نحو الغرب حتى يكون وجه جنينها نحو الشرق لأنّ أباه مسلمٌ. ومن الجانب المسيحي قال سانت أوغسطين:

"إن أرواح الأطفال الذين لا يُعمدون في الكنيسة تذهب إلى برزخ أبدي limbo ولا تدخل ملكوت الرب".

ويقول العهد القديم (التوراة):

{إن خطايا الآباء سوف تصيب الأطفال حتى الجيل الثالث}.

[19] نفس المصدر 369.
[20] نفس المصدر ص 62.

هل هناك سادية أكثر من هذا؟ ماذا فعل الأطفال حتى يعاقبهم يهوه بهذه القسوة والظلم. وهل ينتقم الأطفال يوم القيامة من يهوه لأنه كان الأقوى وظلمهم كما يظلم الأسد الظبي عندما يصطاده؟ وفي الحقيقة إذا درسنا أفكار الأطفال عن الله نجد أنهم أبرياء لا يعرفون عن الله والإسلام أو دين آخر إلا ما سمعوه من الأم أو الأب. سأل الباحث گولدمان في عام 1964 بعض الأمهات عما يقوله أطفالهم عن الدين. فقالت إحدى الأمهات إن طفلها قال لها "أمي! الإنجيل يقول إن الله بعد ما أرسل طوفان نوح وأغرق العالم، ندم على ذلك وتعهد ألا يرسل طوفاناً بعد ذلك، فلماذا حدث طوفان في تكساس؟" وقال آخر لأمه "إذا كان يسوع قد ولد في الكريسماس وصُلب في يوم الجمعة الحزين، كيف نما بهذه السرعة؟" وقالت طفلة اسمها جين تخاطب الله "عزيزي الله! بدل أن تميت كل يوم عدداً من الناس ثم تخلق مكانهم أشخاصاً آخرين، لماذا لا تحتفظ بما عندك الآن؟" **فالأطفال أبرياء من تشنج الأديان وكراهية الآخر**، فلماذا لا نتركهم في براءتهم حتى يكبروا ويقرروا إذا كانوا يرغبون في اعتناق أي دين؟ أدلجة الأطفال هي مأساة البشرية منذ أن عرفت الميثولوجيا ومنظومة الأديان.
في مدارس الغرب كثيراً ما تطلب المعلمة من الأطفال الصغار رسم صورة الله حسب تخيلهم له. الغالبية يرسمونه في شكل رجل كبير وله لحية سوداء كثة. وهم في الحقيقة يرسمون صورة القسيس الذي رأوه في الكنيسة، ربما يوم تعميدهم، دون أن يشعروا. وهذا يُثبت أن الإله ما هو إلى **وهم** تخيلناه في صورة إنسان ولكنه غير مرئي لنا، ولذلك كل الأديان أعطت إلهها مواصفات إنسانية من فرح وغضب ويدين وفم يتحدث به.
فهل الإنسان أصلاً يحتاج إلى الدين ليعيش حياة سعيدة؟ يجيب على هذا السؤال رجل كنسي اسمه دانييل افريت بعثته كنيسته إلى قرية في البرازيل في أمريكا اللاتينية ليبشر أهل القرية بالمسيحية. الرجاء مشاهدة هذا المقطع من الفيديو لتروا النتيجة المنطقية:

http://www.youtube.com/watch?v=dr3q6Cid1po

عودة إلى الفهرس

2012 / 3 / 15

1 مِن 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=299118

سألتني قارئة كريمة: كيف يُعقل أن بعض الغربيين المتعلمين والذين تربوا في مجتمعات حضارية قد بدأوا يدخلون الإسلام بأعداد كبيرة. هل هناك سر في الإسلام غير موجود في بقية الأديان يجعل هؤلاء الناس يعتنقونه؟
القارئة الكريمة ربما صدقت ما قرأته في المواقع الإسلامية أو سمعته من القنوات الفضائية الإسلامية، *فالإسلاميون عادة يبالغون في كل شيء يخص الإسلام من قريب أو من بعيد*. ففي ظرف السنوات العشر الأخيرة زادوا لنا أعداد المسلمين في العالم من حوالي مليار شخص إلى ما يزيد عن المليار ونصف المليار. وهذه زيادة لا يمكن أن تحدث في ظرف عشر سنوات أو حتى عشرين سنة. وبمثل هذه المبالغات قالوا لنا إن **عشرات الآلاف** من الغربيين يعتنقون الإسلام كل عام. وهذا زعم لا يقوم على أي دليل. أهل الإسلام يعرفون أن إسلامهم هش لا يقوى على الوقوف أمام العقل والتقييم العلمي، ولذلك يوهمون أنفسهم والعامة من المسلمين بأن دينهم ما زال بخير والدليل على ذلك أن الغربيين يعتنقونه زرافاتٍ ووحدانا.
بل يتمادون أكثر ويزعمون أن المشاهير المسيحيين قد أعلنوا إسلامهم وهم على فراش الموت، فمثلاً زعم الدكتور محمد عمارة أن ميشيل عفلق قد أسلم قبل موته في عام 1989 ، وكتب الدكتور الإسلامي محمد عباس مفنداً ما قاله محمد عمارة:

> "في كتاب الدكتور عمارة فوجئت به يتناول ما حسبته شائعة سخيفة عن إسلام سيد التيار القومي دون منازع: ميشيل عفلق، ودفنه وفق أحكام الشريعة. وكنت أرى في ذلك ترهات سخيفة كإسلام نابليون، أو كالحاج محمد هتلر."[21]

لا جدال أن عدداً من الشباب الغربي قد تحولوا إلى الإسلام، وسوف نناقش الأسباب التي دفعتهم إلى ذلك. وسوف أبدأ هنا مِن حوالي القرن الثامن عشر وربما ما قبله بقليل حسب المصادر التي أعثر عليها، لأبين أن الأوروبيين القلائل الذين دخلوا الإسلام في تلك السنوات كانت لهم *دوافع خفية*. ونفس الشيء ينطبق على الذين تأسلموا قريباً.
فإذا أخذنا القرنين التاسع عشر والعشرين مع نهاية القرن الثامن عشر، نجد أن أعداد الغربيين الذين اعتنقوا الإسلام لا يتعدي المئات كما نلاحظ في موسوعة ويكيبيديا:

http://en.wikipedia.org/wiki/List_of_converts_to_Islam

في ذلك الوقت انتشرت بين المثقفين الغربيين عامةً، والانـگـليز خاصةً، فكرة الشرق الساحر ورمال الصحراء المترامية وقصص ألف ليلة وليلة. أعداد كبيرة من الغربيين الرومانسيين شدوا الرحال إلى الشرق وزاروا عدة مناطق عربية كانت في ذلك الوقت تحت الحكم العثماني. غالبية هؤلاء الرحالة رجعوا إلى بلادهم كما ذهبوا، ولكن بعض الانتفاعيين اعتنقوا الإسلام لحاجة في نفس يعقوب. نذكر منهم أشهرهم.

- وهو جون فلبي Philby الذي كان يعمل في المخابرات السرية البريطانية. المعروف عن فلبي أنه كان ملحداً لا يعترف بأي دين، ولكنه بعد أن كسب ود الملك سعود وتوسط بينه وبين شركة ستاندرد أويل أوف كاليفورنيا لحيازة الشركة على حق التنقيب عن البترول مقابل 50 ألف جنيه استرليني كدفعة أولى ثم 5000 جنيه سنوياً تُدفع للملك عبد العزيز، أصبح فلبي الرجل المفضل عند الملك عبد العزيز وعند الشركة الأمريكية. وقتها رأى فيلبي الفرصة مواتية، فاستقال من الحكومة الانـگـليزية، وأشهر إسلامه الذي أغضب زوجته الانـگـليزية التي كانت تعيش في انـگـلترا، وتزوج أكثر من زوجة مسلمة، كانت الأولى منهن جارية أهداها له الملك عبد العزيز، ثم اشتغل بالأعمال الحرة وأصبح وكيل شركة فورد بالمملكة واشتهر بحبه للفلوس حتى أن تجار جدة كانوا يسمونه "**عبد القرش**" بدل "**عبد لله**" الذي أصبح اسمه بعد أن أسلم[22].
- Hedley Churchward رسام انـگـليزي من مواليد 1929. في زيارة له لإسبانيا أسرته مناظر قصر الحمراء ومسجد قرطبة، وقرر الذهاب إلى المغرب ليعيش الأجواء العربية الأصيلة. ومع مرور الزمن اختلط بالأهالي ولبس الملابس العربية ثم أعلن إسلامه. سافر بعد ذلك إلى القاهرة وقد سبقته سمعته كرسام، فطلبوا منه رسم لوحات بأحد المساجد. بنى لنفسه بيتاً قرب الأهرامات وتسجل كطالب بالأزهر. وبعد تخرجه عمل مدرساً للسيرة النبوية في أكاديمية القاضي. ثم تزوج بنت أحد الشيوخ الشافعيين ونزح معها إلى جنوب أفريقيا بحثاً عن فرص عمل أكبر... هل أسلم هذا الرجل حباً في الإسلام أم حباً في الفنون الإسلامية التي رآها في الأندلس، أم لشيء في نفس يعقوب؟ فهو من المؤكد أنه لم يسلم بعد أن درس الإسلام واقتنع به لأن دراسته للإسلام بدأت بعد أن وصل القاهرة.
- Alexander Russel Web صحفي أمريكي أُرسل إلى الفلبين في عام 1880 ليكون قنصلاً لأمريكا في مانيلا. هناك في عام 1887 التقى ميرزا غلام أحمد، أشهر وأغنى مسلم هندي وقتها. بعد فترة أعلن السيد أليكساندر ويب إسلامه، وعندما رجع ميرزا غلام إلى الهند جمع تبرعات مالية ضخمة مكنت ويب من زيارة الهند والاجتماع بأكبر عدد من المسلمين الهنود، وزيارة المناطق السياحية المهمة. وبعد رجوعه من الهند أعلن أن زوجته وأطفاله كذلك أصبحوا مسلمين. ترك وظيفته كقنصل لأمريكا ورجع إلى الولايات المتحدة فعينه السلطان العثماني قنصلاً فخرياً للسلطان في أمريكا... هل نشتم هنا ما يشي أن المصالح المادية كان لها فعلٌ في هذه الحالة؟ وكيف أسلمت زوجته وأسلم أطفاله مباشرةً بعد إسلامه؟ هل درسوا الإسلام واقتنعوا به، أم هل هو الفقه الإسلامي: *إذا أسلم الرجل أصبح أطفاله مسلمين غصباً عنهم*؟
- Adam Neuser (1530-1576). ربما يكون هذا أول مسلم غربي في التاريخ. السيد نيوسر كان قسيساً في مدينة هيدلبيرگ الألمانية. اختلف مع زملائه من Hتباع مذهب كالفن البروتستانتي وأنكر فكرة الأقانيم الثلاثة. ولما ضاقت عليه الكنيسة وقاطعه

[21] عبد الرحمن الراشد، الشرق الأوسط، 10 مايو 2007.
[22] The Devil's Game, p. 68 (للكاتب روبرت دريفوس)

الرهبان، كتب إلى السلطان العثماني يخبره أنه لو وصل بفتوحاته إلى ألمانيا فسوف يجد مؤيدين كثيرين. قبضت عليه السلطات ووضعته في الحبس ولكنه تمكن من الهروب والذهاب إلى اسطنبول حيث أعلن إسلامه، فعينه السلطان كاتباً بالقصر... هل هذا القس أسلم اقتناعاً بالإسلام أم لعوامل أخرى؟

- Johann Ludwig Burckhardt (1784-1817). بعد أن تخرج من جامعة ليبزج في ألمانيا، سافر يوهان إلى لندن في عام 1806 يحمل خطاب تعريف وتوصية من عالم الطبيعة يوهان فريدريك بلومينباخ Blumenbach إلى السير جوزيف بانكس رئيس اللجنة الجغرافية المعروفة ب "إتحاد إفريقيا". اقترح السيد بيركهارت على اللجنة أن يكتشف لهم منابع نهر النيجر إذا قاموا بتمويل رحلته. وافقت اللجنة على طلبه في عام 1809 . وبما أن رحلته كانت سوف تمر بمصر وليبيا وموريتانيا، فقد خمّن السيد بيركهارت أنه لو تعلم شيئاً عن الإسلام ومرر نفسه على أساس أنه مسلم فإن ذلك سوف يسهّل عليه مهمته. سافر إلى الليڤانت (المشرق = شرقي المتوسط) Levant (لبنان وسوريا) وتعلم العربي ودرس الإسلام ومن ثم أعلن إسلامه وسمى نفسه الشيخ إبراهيم بن عبد لله. من سوريا سافر إلى مصر في انتظار أن ينضم إلى قافلة مسافرة إلى ليبيا. ولكن القافلة تأجلت عدة مرات، وأخيراً تحدد يوم رحيلها في عام 1817، ولكن لسوء حظه فقد أصابته دوسنتاريا Dysentery حادة ومات قبل يومين أو ثلاثة من بدء الرحلة. الجدير بالذكر أن عائلته أنكرت أنه أسلم... فهل أسلم هذا الرجل عن اقتناع بالإسلام أم لحاجةٍ في نفس يعقوب.
- Ian Dallas ولد في اسكتلندا عام 1930، وكان كاتباً روائياً وممثلاً على المسرح. سافر إلى المغرب في عام 1967 وهناك وقع تحت تأثير الصوفية مع جماعة القادرية وأعلن إسلامه وسمى نفسه عبد القادر الصوفي. كتب عدة كتب مثل "كتاب التوحيد" و كتاب "الحب" وكتاب "الأمل" الخ. هاجر بعدها إلى جنوب أفريقيا حيث ما زال يقيم ويستمتع بإقامة حفلات الذكر. يطالب هذا الشخص بإرجاع الدينار الذهبي الإسلامي والدرهم الفضي كي يسيطر التمويل الإسلامي على أسواق العالم ونسيطر على الربا ويعم الرخاء. فبديهي أن هذا الرجل استهوته الترانيم الصوفية ولم يحفل بدراسة الفقه الإسلامي وعواقبه الوخيمة على الإنسانية.
- حتى بعض النساء وقعن في هذه الحبائل الرومانسية في القرن التاسع عشر. نجد من هؤلاء النساء الشابة السويسرية إيزابيل ايبرهارت Isabelle Eberhardt. (1877 - 1904) هذه الشابة كانت نتيجة علاقة غرامية بين أمها ومعلم أطفال الأسرة الميسورة. فمنذ البداية وجدت إيزابيل نفسها طفلة غير شرعية وأصغر من إخوتها بكثير، وكان إخوتها لا يطقنها، فتنكرت لوضعها كأنثى وبدأت تلبس ملابس الصبيان وتتصرف كأنها صبي. في عام 1897 اصطحبت معها أمها وزارت الجزائر متنكرة كرجل. وهناك التقت بجماعات الصوفية القادرية وأعجبتها طبولهم ورقصاتهم، فأعلنت أسلامها ثم أسلمت أمها. أعجبتهما الجزائر وقررا الاستقرار بها، وسمت إيزابيل نفسها محمد إزادي. ماتت أمها بعد فترة وجيزة واستمرت إيزابيل في الجزائر وانضمت إلى صفوف الثوار ضد الاستعمار الفرنسي. وهناك التقت بجندي جزائري فتزوجته ولكنها لم تعش طويلاً بعد ذلك إذ انهد منزلهما عليهما إثر امطار غزيرة وفيضان... فهل كانت إيزابيل شخصاً سوياً أم كانت نفسيتها معذبة تتوق إلى شخص أو أشخاص يحبونها، فوجدت في الصوفية ضالتها وأعلنت إسلامها؟ فسيرتها الذاتية لا تذكر لنا أنها درست الإسلام في أي وقت قبل إسلامها، أو حتى بعده.
- في المقابل نجد هناك شخصيات غربية متعلمة مكثت في الشرق سنوات عديدة ولم يستهوهم الإسلام. فمثلاً البريطانية جيرترود بيل أي "مس بيل" كما كانت تُعرف في العراق، قد مكثت منذ عشرينات عمرها في العراق وكانت الحاكمة الفعلية للبلد، ورسمت الحدود الحالية بين العراق والكويت وبين العراق وسوريا، وكانت لها صداقات مع شخصيات عراقية معروفة، ومع ذلك لم تسلم.
- ولورنس أوف أرابيا (لورنس العرب) Lawrence of Arabia (1888 - 1935) ذلك الضابط الانــگـليزي الذي كان خبيراً بالحفريات وعمل مع المخابرات البريطانية ليوقع القطيعة بين العرب والخلافة العثمانية قبل الحرب العالمية الأولى، كان قد صادق الملوك والأمراء وعاش مع البدو في الصحراء ولبس لباسهم وركب جمالهم، وعاشرهم معاشرة الفرد للقبيلة، ومع ذلك لم يسلم رغم أنه خبر الإسلام ظاهراً وباطناً.

وإذا أخذنا القرون الطويلة التي استقر فيها الإسلام في اسبانيا أيام الدولة الأندلسية وقصورها الفاخرة وحماماتها الشعبية العديدة وجواريها وموسيقاها ومكتباتها العامرة، وكل ما يمكن أن يغري الغربيين ليعتنقوا الإسلام، فإنا لا نجد أي دليل أن الغربيين من خارج أو داخل إسبانيا نفسها قد أبدوا أي ميولٍ للإسلام، ولا تذكر لنا المصادر المتاحة أسماء أي أشخاص غربيين اعتنقوا الإسلام وقتها. فإذا لم يعتنقوا الإسلام وهو في عقر دارهم، لماذا يعتنقونه الآن؟

وقد رأينا في هذا المقال نوعية الرجال والنساء الذي اعتنقوا الإسلام في القرنين التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، فيبدو أن غالبية الذين اعتنقوه كانت لهم **مصالح دنيوية** استطاعوا أن يحققوها بإعلان إسلامهم، أو استهوتهم الطرق الصوفية وحلقات الذكر والطبول. ولا نستطيع أن نجزم إن كان إسلامهم عن اقتناع بالإسلام **أم لأنهم عرفوا من أين تؤكل الكتف**، فأكلوا حتى امتلأت أمعاؤهم. ونستطيع بتحليل خلفيات الذين اعتنقوا الإسلام منذ القرن الثامن عشر حتى الآن، والمذكورين في ويكيبيديا، أن نعرف مستواهم العلمي ومستوى ثقافتهم. فعدد الذين تحولوا من المسيحية إلى الإسلام في تلك القائمة كان 171 شخصاً. منهم 19 شخصاً مهنتهم لعب كرة القدم أو الكريكيت، و21 شخصاً خلفيتهم موسيقية، بمعنى أنهم فنانو موسيقى الراب أو ملحنون، و7 أشخاص من عالم محترفي الملاكمة، و3 مهنتهم التصوير. والجدير بالذكر أن 16 شخصاً من الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً قد أدينوا بممارسة الإرهاب سواء في أمريكا أو أوروبا.

فهل في هذه القائمة ما يجعلنا نعتقد أن الإسلام لابد أنه يملك من الحقائق وقوة الإقناع ما لا تملكه الأديان الأخرى، وأن الناس في أوربا يتسابقون إلى اعتناقه كما تزعم المواقع الإسلامية على الإنترنت، وشيوخ الإسلام من فضائياتهم؟

في اعتقادي أن سبب انتشار الإسلام في أوساط الشباب الضائع في أمريكا وأوروبا **سببه مادي بحت** يرجع إلى بداية الستينيات والسبعينيات من القرن المنصرم عندما بدأت مملكة الوهابية ضخ البترودولارات *لجماعة الإخوان المسلمين* وبقية الجماعات الإسلامية الأخرى. وسوف اتعرض لهذا بالتفصيل في الحلقة الثانية من هذا المقال.

2012 / 3 / 17

2 مِن 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=299377

في النصف الثاني من القرن العشرين، وبالتحديد في الستينات من ذلك القرن، بدأت مملكة آل سعود برنامجاً متعدد المسالك:

- *للقضاء على تأثير القومية العربية* تحت زعامة جمال عبد الناصر الذي كان ينادي بالقضاء على الملكيات في الدول العربية،
- *ولنشر المذهب الوهابي* في جميع الدول العربية وفيما بعد الغربية حتى تتمكن العائلة المالكة من فرض، هيمنتها على المنطقة.

بدأ ولي العهد وقتئذ، الأمير فيصل بن سعود بإنشاء *رابطة العالم الإسلامي* في مكة عام 1962 وأغدق عليها الكثير من بترودولارات المملكة. بدأت رابطة العالم الإسلامي، بتشجيع من الإدارة الأمريكية، بإقامة اتحادات ومجالس إسلامية وبناء المساجد والمدارس الإسلامية في جميع الدول العربية وفي شرق آسيا، لتكون المنطقة برمتها *حزاماً عازلاً يمنع انتشار الشيوعية في تلك المنطقة الاستراتيجية المهمة*. لم تجد رابطة العالم الإسلامي أفضل من *الإخوان المسلمين* لإنجاز تلك المهمة إذ كان أغلب الذين هربوا من مصر في ذلك الوقت من المتعلمين الذين عملوا بالجامعات المصرية وبالأزهر وبالبنوك المصرية. احتضنت السعودية ورابطتها الإسلامية جماعة الإخوان وفتحت لهم خزائنها، ومن ثم أرسلت بهم إلى أوروبا لإنشاء مراكز إسلامية وهابية، صرفت عليها المملكة عشرات المليارات من البترودولارات.

وسطع نجم الإخوان من أمثال المصري سعيد رمضان والفلسطيني عبد الله عزام في ألمانيا وسويسرا ولندن وأمريكا. وأنشأت الجماعة البنوك الإسلامية والجمعيات الخيرية **لتمويه نشاطاتها السرية** التي كانت تتلخص **في دعم الجماعات الإسلامية الإرهابية ونشر الوهابية**.

قامت السعودية مع دول الخليج بضخ ملايين الدولارات للجامعات الغربية في شكل منح لإنشاء كراسي تُعنى بتدريس الإسلام، فرضخت أعرق وأقدم جامعات الغرب للتأثير الإسلامي الإخواني الوهابي وتركت اتحادات الطلبة الإسلاميين تسرح وتمرح في الجامعات وتصرف البترودولارات لاجتذاب الطلبة الغربيين إلى الإسلام بالمساعدات المالية وبالخداع.

وأصبح نقد الإسلام في تلك الجامعات يؤدي إلى فقدان الوظيفة. ولم تسلم حتى المدارس الإبتدائية في أوروبا وأمريكا من تأثير البترودولارات، فأصبحت المدارس في أمريكا تطلب من تلاميذها أن يعيش التلميذ ثلاثة أسابيع بعقلية إسلامية واسم مسلم، ثم يقص على الفصل بعد نهاية الأسابيع الثلاثة قصته كمسلم وماذا تعلم منها.

http://www.youtube.com/watch?feature=player_embedded&v=wEsuTea_OYA

ثم طبعت مصلحة الشؤون الدينية بمكة ملايين النسخ من القرآن بالعربية والانـكليزية ووزعتها مجاناً على السجون والمساجد في أوروبا وأمريكا وشرق آسيا وجندت المئات من أئمة المساجد لينشروا الوهابية في مساجدهم في أوربا وأمريكا، وفي سجون تلك البلاد[23].

وكما يقول المثل الإنكليزي Money Talks فقد بدأت البترودولارات تصدر أصواتاً نشازاً في أوروبا وأمريكا تمثلت في رفع الأذان باللغة العربية في عواصم ومدن تلك البلاد، وحتى في سجونها، وأقيمت غرف للصلاة في مدارس ومستشفيات أوروبا. وكنتيجة حتمية لهذه الأموال الطائلة دخل أشخاص عديدون المساجد الإسلامية ليعلنوا إسلامهم لاقتناء بعض المال أو استجابة للغش والخداع الذي مارسه وما زال يمارسه القائمون على نشر الإسلام في أوربا وأمريكا.

يقول فياز مغال Fiyaz Mughal، المسؤول الأول في منظمة Faith Matters الإسلامية:

قد تحول 5200 شخص إلى الإسلام في انـكلترا في عام 2010.

(أغلب هؤلاء المتحولين إلى الإسلام هم فتيات متوسط أعمارهن 27 سنة.) وأظن أنه من الواضح أن معظم هؤلاء الفتيات تحولن إلى الإسلام تحت تأثير صداقتهن مع شبان مسلمين من الهند وباكستان (أكبر الجاليات المسلمة في انـكلترا). من هؤلاء النساء مثلاً، مذيعة التلفزيون المشهورة كريستيان باكر Kristiane Backer التي تحولت إلى الإسلام بعد صداقتها مع لاعب الكريكت الباكستاني إمران خان Imran.Khan وكذلك السيدة جيمايمة گولدسميث اليهودية التي تزوجها إمران خان وأعلنت إسلامها وعاشت في باكستان عدة سنوات ثم انفصلت عن زوجها، وهي تعيش الآن الأجواء الصاخبة والحفلات على بلاجات مونتي كارلو والرڤييرا وأصبح لها عدة "بوي فرندز". ولا ننسى السيدة لورين بووث، شقيقة زوجة توني بلير رئيس وزراء بريطانيا الأسبق، والتي كانت تعمل صحافية في محطة تلفزيون إيرانية تذيع من لندن. هذه السيدة أعلنت إسلامها ولبست الحجاب بعد أن قرأت 16 صفحة من المصحف المترجم إلى الإنكليزية. وربما يكون سبب إسلامها تأثرها الفائق بالقضية الفلسطينية إذ أنها تعمل في مجال حقوق الإنسان، أو ربما يكون للمال الإيراني دخلٌ في ذلك.

يقول الأستاذ كيفن برايس Kevin Brice من جامعة اسوانسي في مقاطعة ويلز البريطانية، والذي أجرى دراسة مستفيضة عن الغربيين الذين تحولوا إلى الإسلام، يقول

(Some are converts of convenience, who adopt the religion because of a life situation) such as meeting a Muslim man, although the religion has little discernible impact on their day-to-day lives. For others it is a "conversion of conviction" where they feel a calling and embrace the religion robustly

وترجمتها كالآتي:

بعض المتحولين إلى الإسلام تحولوا لأسباب تخص راحتهم الشخصية، كصداقة رجل مسلم، دون أن يكون للإسلام أي أثر على حياتهم اليومية. وهناك من اسلم لشعورهم بالحاجة إلى معتقد يجلب لهم الراحة النفسية.

بعض المشاهير أسلم لأسباب تافهة جداً، فمثلاً الممثل الأيرلندي ليام نيسون Liam Neeson قال لصحيفة "الصن" البريطانية، إنه كان في رحلة إلى استانبول التي بها 4000 مسجد، وإن صوت الأذان خمس مرات باليوم كاد أن يدفعه إلى الجنون في الأسبوع الأول، ثم تدريجياً تعود عليه ووجده شيئاً جميلاً جداً، ولذا فكر في اعتناق الإسلام. وهو كغيره من الغربيين الذين تأثروا بترتيل القرآن وجمال صوت المقريء دون أن يفهموا شيئاً عن المحتوى (الرجاء مشاهدة هذا المقطع لترى تأثير تلحين القرآن على المستمع)

http://www.youtube.com/watch?v=kH4V63TJqp8&feature=related

رغم مليارات الدولارات التي صرفتها مملكة الشر لأسلمة الغرب، نجد أن الذين اعتنقوا الإسلام في بريطانيا في عام 2010 لا يتعدى 5200 إمرأة ورجل، أغلبهم نساء وجدن **أن اعتناق الإسلام هو أقصر الطرق للفوز بعريس**. ويمكن أن نقسّم البريطانيين الذين أسلموا إلى عدة فُرق:

- الفريق الأول: نساء دخلن الإسلام بسبب صداقتهن لرجل مسلم *يرجون الزواج* به، وهؤلاء النساء لا يعرفن عن الإسلام أي شيء غير الحجاب.
- الفريق الثاني: *المساجين* الذين توزع لهم المنظمات الإسلامية المصاحف المطبوعة في السعودية مجاناً ويزورهم أئمة المساجد في السجن لتدريسهم الإسلام. هؤلاء المساجين أغلبهم شباب متمرس في الجريمة ويهوى المغامرات، وهذا هو النوع الذي يتدرب على الإرهاب بعد الخروج من السجن ويفجر الطائرات والقطارات في العواصم الغربية.

---

[23] Secret Affairs, Mark Curtis, p. 115.

- الفريق الثالث: *الشباب الضائع والعاطل عن العمل* والذين يفتقدون المسكن والقوت وينامون في الشوارع وأمام الكنائس والمساجد. هذا النوع من الشباب فريسة سهلة الاصطياد *للمنظات الإسلامية* التي تقدم لهم الطعام والمأوى وتجتذبهم إلى المساجد ليتعلموا الإسلام.
- الفريق الرابع: رجال ونساء متعلمون *لكنهم غير راضين بالحياة التي يعيشونها*. هذه الفئة من الناس يخدعهم الإسلاميون الذين يقدمون لهم الإسلام المكي وآيات التسامح التي تبهرهم، فيعتنقون الإسلام دون أن يعرفوا فقهه الذي يدعو إلى قتلهم إن لم يسلموا.
- الفريق الخامس: فئة من *المنتفعين والمتسلقين* الذين يرون في الإسلام فرصة لاقتناء المال والصداقات التي تنفعهم في أمور كثيرة، مثل الدكتور **موريس بوكاي** الذي كتب الكثير عن الإسلام وتظاهر بأنه مسلم لكنه لم يسلم حسب شهادة زملائه وأصدقائه.
- الفريق السادس: *فئة قليلة جداً من الرجال الذين درسوا الإسلام ووجدوه ملائماً لهم أكثر من المسيحية التي تربوا عليها*، وربما لم يدرس هؤلاء الرجال المعتقدات الأخرى مثل البوذية التي تعلو على الإسلام في أغلب تعاليمها. هناك فريق من العلماء يخدعهم الداعية اليمني الزنداني، *رئيس منظمة الإعجاز القرآني*، ويقدم لهم تذاكر الطائرات ونفقات السكن والأكل في الرياض أو جدة ليتحدثوا عن آيات معينة في القرآن ليحلل الزنداني الأموال التي تتدفق عليه من مملكة الشر. وبعد المحاضرة مباشرة تبدأ الصحافة الإسلامية في التهليل والتكبير لأن هؤلاء العلماء قد أسلموا، وهم لم يسلموا إنما قدموا محاضرات مدفوعة الثمن وقالوا ما أراد لهم الزنداني أن يقولوه، أي بمعنى آخر باعوا ضمائرهم.

وأنا شخصياً لم أعثر على اسم أي عالم غربي أسلم عن اقتناع بالإسلام غير أن العَالم الإسلامي ما زال يهلل للفرنسي رجاء (سابقا روجيه) گـاروديRoger Garaudy الذي وُلد كاثوليكياً وتحول إلى البروتستانتية عندما بلغ سن الرابع عشرة، ثم أصبح شيوعياً وانضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي وسُجن في الجزائر أيام الحرب العالمية الثانية. ثم رجع إلى الكاثوليكية وأخيراً أسلم عام 1982 . ولأنه أنكر المحرقة اليهودية، وصفه عبد الحليم خدام نائب الرئيس السوري،

بأنه أعظم فيلسوف غربي،

وقال عنه القذافي

إنه أعظم فيلسوف بعد أرسطو وأفلاطون،

وحتى حسن نصر وصفه:

بأنه أعظم فيلسوف في القرن العشرين،

كأنما حسن نصر يعرف شيئاً عن الفلسفة،

ومنحته السعودية جائزة فيصل العالمية لخدمة الإسلام.

كل ذلك يقال عن رجل متذبذب في مبادئه وفي معتقداته واعتنق الإسلام ربما لأسباب شخصية.

في اعتقادي أن الإسلاميين يعتمدون على المبالغة في الدعاية عن أعداد الغربيين الذين أسلموا لأنهم يعرفون ضعف معتقدهم ويخافون له نفس المصير الذي حاق بغيره من المعتقدات. وكلما كان المعتقد أكثر هشاشة كلما كبرت ماكينة الدعاية لذلك المعتقد، كما أثبت گوبلز في ألمانيا الهتلرية.

وفي النهاية فإن أغلب الغربيين الذين اعتنقوا الإسلام هم من السود المحرومين في أمريكا، ومن محترفي الإجرام في السجون الغربية، أو من لاعبي الكرة الجهلاء أو الملاكمين مثل مايك تايسون أو المغني مايكل جاكسون. ولا أعتقد أن أي دين يمكن أن يفتخر بمثل هؤلاء الأتباع، ولكن أمة محمد تعمل بالحديث الذي يقول:

[تناكحوا، تناسلوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة].

المهم هنا الكم وليس النوعية. وإليكم هذا المقطع لتروا نوعية الغربيين الذين يدخلون الإسلام:
http://www.youtube.com/watch?NR=1&feature=fvwp&v=_TSiSzDIq-8

عودة إلى الفهرس

2012 / 4 / 2

279 - لا يمكن تجميل سيرة محمد مهما حاول القرآنيون

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=301716

لا شك أن المتعلمين من المسلمين والذين قرأوا *سيرة نبي الإسلام* قد بدأوا يتململون من *الروائح الكريهة* التي بدأت تصدر من تلك السيرة بعد أن كشف عنها الغطاء بعض الكُتاب الذين انتقدوا الإسلام وسيرة رسوله ونبيه محمد. ومن ثم بدأ بعض **القرآنيون** محاولة تعطير تلك السيرة ورش ماء الورد على فصولها. وقد بدأت المحاولات في أمريكا على يد طبيب مسلم من أصل هندي، اسمه شانڤاز Shanavas، حاول أن يُبرهن بأن محمداً لم يتزوج عائشة في سن التاسعة، وإنما كان عمرها ثمان عشرة سنة عندما تزوجها www.ilaam.net/Articles/Ayesha.html. وروّج بعض الشيوخ لهذه اللعبة، وكان منهم الشيخ جمال البنا الذي كال الثناء على **الشاب المصري** إسلام البحيري الذي سرق هذه القصة ونسبها إلى نفسه.

والآن أخذ بعض **القرآنيين** زمام الأمور وحاولوا تهذيب وتلميع صورة محمد عن طريق ليّ عنق آيات القرآن وإعطائها تفسيرات من عندهم. من هؤلاء الملمعين لصورة محمد السيد محمد فادي الحفار، الذي تكرم بالمشاركة في نقاش مع *مجموعة بيت المرأة اللادينية* بدعوة من السيدة الفاضلة ڤينوس صفوري، المشرفة على الموقع، من 19-21 مارس الماضي. وقد لف ودار السيد محمد فادي في نقاشه مع السيدات اللادينيات وأتى بتفاسير تناقض صريح روح القرآن. وحتى يُبعد قصة زواج الطفلة عائشة نهائياً عن *السيرة* وينفي أن محمداً كان **بيدوفايل.**[†]

- قال:

"إنه لا يؤمن مطلقاً أن محمداً قد تزوج أكثر من زوجة واحدة."

- فرديتُ عليه بهذا التعقيب:

"أستاذ محمد إني أجد صعوبة بالغة في الحوار معك إذ أنك تأتي بتصريحات تخالف ما نعرفه عن القرآن. فأنت مثلاً تقول: 'أنا لا اعترف بأن محمد قد تزوج بأكثر من واحدة'، والقرآن يقول: {يا أيها النبي قل لأزواجك وهذا يعني أنه كان له أكثر من زوجة واحدة}".

- رد عليَّ السيد محمد فادي بقوله:

"وأما الآية التي ذكرتها لي فتقول: {**يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا...**} فما هو دليلك هنا بأن هذه الآية الكريمة تتحدث عن محمد (ومع تأكيدي هنا بأن محمدا لم يكن نبياً) ونحن نعلم بأن القرآن تحدث عن الكثير من الأنبياء وأنه جاء ليخبرنا عن أحوالهم... ناهيك عن أننا نعلم بما لا يدع مجالاً للشك ومن الكتب التي سبقت القرآن بأن بعض الأنبياء كداود مثلا كان عنده 99 زوجة؟؟؟؟ فكيف تنسب هذه الآية لمحمد ومع العلم بأنه ليس نبي ولاتنسبها لداود والذي كان نبياً؟"

يتضح من هذا الرد أن السيد محمد فادي الحفار يتشبث بالفرق بين كلمة (**نبي**) وكلمة (**رسول**)، وهو هنا يحاول شق الشعرة، كما يقول الانـﮔـليز. *القرآن، كعادة كاتبه، لا يلتزم بنفس المعنى للكلمة في كل الآيات التي تتحدث عن نفس الموضوع، أي السياق كما يقول المسلمون.*

نجد القرآن مثلاً عندما يتكلم عن الإماء يقول:

{**فإذا أُحْصِنّ فإن أتين بفاحشةٍ فعليهن نصف ما على المحصنات من عذاب.** (النساء 25)}.

أي **الأَمَة** عندما تتزوج إذا زنت عليها نصف ما على الحرة من عذاب.

ثم يقول:

{**ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات.** (النساء 25)}.

وواضح هنا أن كلمة **المحصنات** لا تعني **المتزوجات** وإنما تعني **الحرائر** لأن المؤمن لا يجوز له أن ينكح امرأةً متزوجة. *فالقرآن يستعمل كلمة المحصنات لتعني المتزوجات وكذلك لتعني الحرائر سواء أكانت متزوجة أو عازبة.*

وعندما نأتي إلى كلمة **النبي**، التي حاول السيد محمد فادي الحفار نفيها عن محمد وقال إنه لم يكن نبياً وإنما كان رسولاً، نجد أن القرآن استعمل عبارة: يا أيها النبي ليخاطب بها محمداً 25 مرة .

{**إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا.** (آل عمران 68)}.
{**إن الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل.** (الأعراف 157)}.

فالنبي الأمي هو محمد بدون أي شك رغم أنه قال الرسول النبي.

{**يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون.** (الأنفال 65)}.

ثم لما علم أن بالمؤمنين ضعفاً ولا يستطيعون أن يغلب كل منهم عشرة رجال، قال لهم

{**الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين.** (الأنفال 66)}.

فلا يمكن أن يكون القرآن هنا يتحدث عن نبي سابق لأنه قال: الآن خفف الله عنكم والآن تعني *زمن* محمد ولا تعني *زمن داود*. فواضح من هذه الآيات أن المخاطب هو محمد وليس داود كما يقول السيد محمد فادي الحفار لأنه لا يُعقل أن يخاطب رب القرآن داود الذي كان قد مات قبل أكثر من ألف سنة قبل ظهور محمد، ويتجاهل محمداً عندما يقول: يا أيها النبي.

وإذا أراد السيد محمد فادي الحفار زيادةً في التوكيد على أن النبي المقصود هو محمد، فالقرآن يقول له:

{**ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون أُذنٌ قل أذنٌ خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمةٌ للذين آمنوا منكم.** (التوبة 61)}.

فكلمة "منكم" تعني أنه كان يخاطب المؤمنين في **يثرب**، وبما أنه قال يؤذون النبي، فهو حتماً كان يقصد **محمداً** وليس داوداً.

ثم يؤكد لنا القرآن أكثر بأن النبي المقصود هو **محمد** عندما يقول:

{**لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العُسرة.** (التوبة 117)}.

فهل كان في زمن **داوود** أنصار ومهاجرين؟ ثم لنتأكد له أكثر نذكر الآية 56 من سورة الأحزاب:

[†] البيدوفايل هو الشخص المصاب بمرض البيدوفيليا Pedophilia الذي يتميز برغبة البالغ بممارسة الجنس مع الأطفال.

{إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما}.

فهل يصلي المؤمنون ويسلموا على **داوود** أم على **محمد؟** فإذاً عندما يقول القرآن: (يا أيها النبي) فهو يقصد **محمداً**.
ثم نأتي الآن إلى النقطة المهمة التي حاول من خلالها السيد محمد فادي الحفار نفي تهمة البيدوفيليا عن محمد عندما قال:

إنه لا يؤمن أن محمداً قد تزوج بأكثر من امرأة واحدة.

فبعد أن أثبتنا أن كلمة (**النبي**) المقصود بها **محمداً** وليس أي نبي آخر، نجد القرآن يقول **لمحمد**:

{يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعامٍ غير ناظرين إناه ولكن إذا دُعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً. (الأحزاب 53)}.

وهذه الآية تبين لنا نقطتين خالفهما السيد محمد فادي:

1. النقطة الأولى هي أن بيوت محمد كان بها عدة نساء، فإذا كان محمد لم يتزوج إلا واحدة فقط، فمَن هن النساء الأخريات؟ هل كلهن كن إماء؟
2. والنقطة الثانية أن القرآن يخاطب محمد في نفس الآية بكلمة النبي، وكلمة رسول الله. فإذاً محمد كان نبياً.

ثم ماذا عن هذه الآية:

{إذ قالت طائفةٌ منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة. (الأحزاب 13)}.

فهل هناك **يثرب** غير **يثرب** المعروفة في زمن **محمد؟** فإذاً عندما تقول الآية: (ويستأذن فريق منهم النبي) يكون المقصود هو النبي محمد، سواء أكان رسولاً أم لا.
ثم نأتي للآية المهمة:

{يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يُعرفن فلا فلا يُؤذين. (الأحزاب 59)}.

إذاً **محمد** كان له عدة أزواج.
ثم يُردف القرآن:

{يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً. (الأحزاب 28)}.

وكذلك:

{يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشةٍ مبينةٍ يُضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً. (الأحزاب 30)}.

وكذلك:

{يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفا. (الأحزاب 32)}.

وأكثر من ذلك يقول القرآن:

{يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي أتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك. (الأحزاب 50)}.

إذاً **محمد** كان له عدة أزواج وإماء مما ملكت يمينه.
وللتأكيد أكثر يقول القرآن للمؤمنين:

{النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين. (الأحزاب 60)}.

فحسب علمنا أنه لم يكن هناك مهاجرون في المسيحية ولا مهاجرون زمن داود وسليمان. ونحن نعلم أن المسلمين يعتبرون أزواج **النبي** أمهاتهم فيقولون: *أم المؤمنين **عائشة***.
وأخيراً يقول القرآن:

{يا أيها النبي لِمَ تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك. (التحريم 1)}.

فإذاً لا جدال هنا أن **محمداً** كانت له عدة أزواج حسب آيات القرآن المذكورة أعلاه.

وعليه فإن محمداً كان مزواجاً وأصغر زوجاته كانت طفلة تزوجها وعمرها ست سنوات، ودخل عليها وافتضها وهي بنت تسع سنوات.
هل يمكن تجميل مثل هذه السيرة غير العطرة؟

عودة إلى الفهرس

2012 / 5 / 7

280 - لا يمكن إثبات وجود الخالق بالمنطق

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=306549

نشر السيد علي رغيد الخيرو مقالاً في موقع "الحوار المتمدن" يرد فيه على مقال للسيد نهاد كامل الذي كان قد قال:

> إن الخالق لا يمكن إثبات وجوده بالمنطق وإنما يعتمد وجوده على الإيمان فقط.

ورغم أن المقال موجه للسيد نهاد كامل فقد رأيت أن ألقي بدلوي بين الدلاء عساني أن أضيف شيئاً لموضوع النقاش.

- يقول السيد علي رغيد:

> "إن وجود الله لا يخضع لشيئ و انما هو وجود يُخضِع الأشياء لارادته."

وبهذه الجملة هدم السيد علي رغيد كل مقاله الذي حاول فيه *إثبات وجود الخالق بالمنطق فقط*. فإذا كان وجود الله لا يخضع لشيء فهو بالتالي لا يخضع للمنطق، ويصبح من العبث محاولة إثباته. وقد سبقنا مفكرون كثيرون، منهم المسلم ومنهم الغربي المسيحي واللا ديني الذين اتفقوا أن وجود الخالق لا يمكن إثباته بالمنطق، كما لا يمكن إثبات عدم وجوده. فنجد أن ابن سينا والفارابي وابن رشد قد قالوا باستحالة الإثبات، وقال بذلك عدد كبير من فلاسفة التنوير الأوروبيين.

- ثم يقول السيد علي رغيد:

> "ان الله، عز و جل، قد صرح في كتابه الكريم أن الذين يعلمون و الذين لا يعلمون غير متساوين؛ أي أن للعلم قيمة وليس هراء بهراء. وإنْ كان للعلم قيمة، فإن مقاييس العلم و تخيلات العلماء، التي هي أدواتهم للتفريق بين الحقائق والأكاذيب لها قيمة أيضا؛ طالما استندت على المنطق الصلب الغير قابل للدحض." انتهى.

✍ أولاً: نحن هنا نناقش إمكانية وجود خالق لهذا الكون، وإذا كنا لا نستطيع إثبات وجوده، يصبح الاستشهاد بما زعموا أنه كتابٌ من عنده نوعاً من تقهقر المنطق. علينا أولاً إثبات وجوده حتى نطمئن أن الكتاب من عنده. وليس هناك من شك أن الذين يعلمون أفضل من الذين لا يعلمون. ولكن المشكلة هي أن أغلب الذين يعلمون العلوم الفلسفية والعلوم الطبيعية ليسوا مقتنعين بوجود هذا الخالق. الأشخاص الوحيدون الذين يجزمون بوجوده هم *رجال الدين الجهلاء* الذين لم يطلعوا إلا على كتب التراث والقرآن، **ويكاد علمهم بما غير ذلك يساوي علم الأميين الذين لم يتعلموا الكتابة أو القراءة.**

- يقول السيد علي رغيد مخاطباً السيد نهاد كامل:

> "ان رفضك لعبارة: ‹لكل مصنوع صانع، إذاً لكل مخلوق خالق› هو قرار صائب وإن لم تقدم سبب هذا القرار. علماء الدين، في استخدامهم لهذه العبارة، يستعملون مبدا المسبب الكافي؛ اي أن وجود الله كاف لتسبيب وجود الكون. إلا أن قاعدة المسبب الكافي تدل على أن وجود الكون لا يدل على وجود الله و قد يكون المسبب شيئا آخر، كتعاون مجموعة من الكائنات على خلق الكون (كما تصرح بعض الديانات) أو تفاعل فيزيائي عظيم (كما يصرح بعض العلماء)." انتهى.

✍ وهذا منطق سليم قال به الأوائل عندما ناقشوا مسألة وجود الله، وقالوا إن البعرة تدل على البعير ولكن البعير لا يدل على البعرة. أي بمعنى أننا إذا رأينا بعرة في مكان ما يمكننا الجزم أن بعيراً قد مر بهذا المكان في زمنٍ ما، ولكن إذا رأينا بعيراً فلا نستطيع أن نجزم أن ذلك البعير قد أخرج تلك البعرة لأن بعيراً أخراً قد يكون أخرجها أو أن هناك حيواناً أخراً بعرته تشبه بعرة البعير.

- ولكن السيد علي رغيد يفسد منطقه بالجملة الآتية:

> "والأجدر بعلماء الدين استخدام قاعدة المسبب الضروري؛ أي إن وجود الله ضروري لوجود الكون، و بالنتيجة فإن وجود الكون دليل على وجود الله مع أن وجود الله لا يعني ضرورة وجود الكون." انتهى.

✍ استعمال المسبب الضروري هنا استعمال خاطيء إذ أن أعداداً كبيرة من البشر لا تعترف بوجود خالق، وبالتالي وجود الكون لا يعتمد عليه. المسبب الضروري يكون في حالات اختصاصية شديدة التعقيد. فمثلاً إذا كان هناك مريض به عطب بالقلب ويحتاج إلى عملية جراحية لإنقاذ حياته، فلا بد أن يُجري هذه العملية طبيب مختص في جراحة القلب. فلو أحضرنا جراحاً مختصاً في جراحة المسالك البولية وطلبنا منه إجراء عملية القلب فسوف يتسبب في موت المريض. فإذاً جراح القلب هنا يصبح المسبب الضروري. أما وجود الكون فنحن نعلم الآن أنه حدث نتيجة الإنفجار الكبير Big Bang فالإنفجار الكبير هو المسبب الضروري للكون ولولاه لما أتى الكون إلى عالم الوجود.

- اعتمد السيد علي رغيد على نظريتين لإثبات وجود الله بالمنطق، فقال:

> 1. "قانون السببية: ينص قانون السببية على أن لكل حادث سبب ومسبب. إن هذا القانون هو اول قواعد المنطق، حيث أنه يستند على وجود حادث (فبدون حادث لا توجد مادة للتحليل المنطقي) ومسبب (حيث أن غياب المسبب يمنع حدوث الحادث) وسبب (حيث ان قطع السبب يمنع الحادث حتى بوجود المسبب). إن رفض هذا القانون يعني رفض كل العلوم و المبادئ والمفاهييم التي توصل اليها الجنس البشري منذ بدا الخليقة."

✍ أنا شخصياً لم أسمع بقانون السببية هذا، ولكن القول إن لكل حادث مسبب، فهو قول منطقي وعلمي. فنحن نعرف من قانون الحركة لنيوتن أن الأجسام الصلبة ثابتة وساكنة ما لم تتدخل قوة خارجية تجعل الجسم يتحرك. فمثلاً إذا كانت هناك صخرة في مكانٍ ما، فسوف تظل في مكانها إلى أن يدفعها شخص أو أشخاص، مثلاً، أو يركلها بعير أو حيوان آخر، أو يحدث زلزال فتدفع قوة الانفجار تلك الصخرة لتتحرك. فنحن نجد هنا أن الحادث هو حركة الصخرة، أما المسبب فقد يكون إنساناً أو حيواناً أو جماداً مثل الطاقة الناتجة عن الانفجار. أما قوله إن لكل حادث سبباً، فهو قول مرفوض لأن سبب دفع الصخرة من مكانها قد يصعب تحديده، فقد يدفعها شخص لشعورة بالملل ولحاجته أن يفعل شيئاً يبدد به هذا الملل. أو قد يدفعها زلزال بدون أي سبب. فقطع السبب لا يمنع الحادث كما يزعم السيد علي رغيد.

> 2. القاعدة الثانية التي اعتمد عليها السيد علي رغيد هي "أنا افكر، إذاً أنا موجود: إن التفكير فعل. ولكل فعل فاعل. ومِن السليم منح فاعل التفكير هوية "أنا" دون الحاجة إلى نقاش فلسفي حول قيمة وجود "أنا" وماهية التفكير." انتهى.

- وهذه المقولة التي تُنسب إلى ديكارت مقولة منطقية ولا يجوز أن نتناقش حولها، ولكن السيد علي يذهب أبعد من ذلك ويقول:

"بدءا من القاعدة الثانية، الإنسان لايستطيع إثبات أي شئ سوى وجود نفسه بمساواة كيانه مع هوية المفكر "أنا". وبما أن التفكير يتضمن حقائق وأكاذيب، وقائع وأوهام؛ فيمكننا أن نفرض أن كل شيئ هو وهم، وأن كل ما حولنا و كل ما نشعر به و كل المدخلات الحسية هي مجموعة من الأوهام." انتهى.

✍ فالإنسان يستطيع، وقد استطاع، إثبات أشياء عديدة منها حركة النجوم والكواكب، ووجود كهرباء في البرق، وما إلى ذلك. وليس مِن حقنا أن نفترض أن كل شيء وهمٌ وكل ما نشعر به هو أوهام. فأنا أشعر مثلاً بألم في "ضرسي"، وهذا الألم ليس وهماً بدليل أن طبيب الأسنان إذا خلع ذلك الضرس يختفي الألم نهائياً.

- وبمنطق أقل ما يقال عنه أنه **منطق معوج**، يقول السيد علي:

"أن سبب وجود الاوهام والأفكار هو فعل التفكير. و مسبب الأوهام و الأفكار هو الوجود "أنا"؛ اذاً "أنا" قادر على تسبيب و وجود كائنات أخرى، الأوهام والأفكار. إلا أن كل ما هو مسبب من خلال وجود "أنا" لا يمكن أن يكون المسبب لوجود "أنا"؛ إذا "أنا" غير قادر على تسبيب وجود نفسه. وإن كانت النفس غير قادرة على تسبيب النفس؛ فإنها غير قادرة على تسبيب وجود ما يساويها أو يفوقها في القيمة الوجودية." انتهى

✍ بما أن الأنا غير قادر على تسبيب وجود نفسه، يصبح الخالق غير قادر على وجود نفسه من العدم. ثم إن الأنا يستطيع أن يتسبب في وجود ما يساويه أو يتفوق عليه. فالإنسان استطاع بتفكيره اختراع super computer هو أقدر من أذكى إنسان على القيام بعمليات حسابية معقدة وبتحليل المعلومات المتوفرة عنده ليأتي لنا بتنبؤات غاية في الدقة، ولا يمكن لإنسان أن يقوم بها.

- السيد علي رغيد قال:

"إن الإنسان هو "الأنا" والمسبب لوجوده هو "هو"، ثم استنتج من ذلك إن كان وجود "هو" مؤقتا، استلزم مسبباً لوجوده. و المسبب الثاني، إن كان مؤقتاً أيضاً، يستلزم وجود مسبب ثالث؛ حتى الى ان نصل الى مسبب دائم الوجود، لا يستلزم مسبب ولا فعل دال على الوجود. يمكن أن نمنح المسبب الدائم هوية "هو" واعتباره مسببا غير مباشر (أو مباشر) لوجود "أنا" ".انتهى

وإذا تتبعنا هذا المنطق نجد أن المسبب الثاني لابد أن يكون له مسبب هو الثالث، ثم الرابع ثم إلى ما لا نهاية. فمثلاً إذا حاولنا قسمة العدد عشرة على ثلاثة نجد أن الفواصل المئوية تستمر إلى ما لا نهاية. ومِن العبث أن نحاول الوصول إلى آخرها. ونفس المنطق ينطبق على وجود الخالق. فهذا الكائن الذي خلقنا لابد أن يكون له خالق أتى به إلى الوجود. وخالقه كذلك لابد أن يكون له خالق، وهكذا إلى ما لانهاية له. **ولو قلنا إن هذا الخالق خلق نفسه، نكون قد ضحكنا على أنفسنا لأن ذلك من المستحيلات**. فكيف أتى إلى الوجود إذاً؟ رجال الدين يقولون إنه موجود منذ الأزل. ولكن هذا الجواب لا يفيدنا في إثبات وجوده. فمهما رجعنا إلى الوراء زمنياً فلن نصل إلى النقطة التي ظهر فيها هذا الخالق لأن الزمن لا حدود له.

يقول ابن رشد القرطبي في كتابه ‹الفصل في الملل والأهواء والنِحل›، المجلد الأول، ص 10:

"وإذا كان ذو أول فلا بد ضرورة من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها وهي إما أن يكون أحدث ذاته، وإما أن يكون حدث بغير أن يحدثه غيره وبغير أن يحدث هو نفسه، وإما أن يكون أحدثه غيره. فإن كان هو أحدث ذاته فلا يخلو من أحد أربعة أوجه لا خامس لها وهي إما أن يكون أحدث ذاته وهو معدوم وهي موجودة، أو أحدث ذاته وهو موجود وهي معدومة، أو أحدثها وكلاهما موجود، أو أحدثها وكلاهما معدوم. وكل هذه الأربعة أوجه محال ممتنع لا سبيل إلى شيء منها لأن الشيء وذاته هي وهو هي وكل ما ذكرنا من الوجوه يوجب أن يكون الشيء غير ذاته وهذا محال وباطل بالمشاهدة والحس فهذا وجه قد بطل ثم نقول وإن كان خرج عن العدم إلى الوجود بغير أن يخرج هو ذاته أو يخرجه غيره فهو أيضاً محال لأنه لا حال أولى بخروجه إلى الوجود من حال أخرى ولا حال أصلاً هنالك فإذاً لا سبيل إلى خروجه." انتهى.

وهذا يقودنا إلى مذهب **الوجودية** الذي يقول إن لكل شيء ماهية ووجود. والماهية هي الصفات. فالجمادات تسبق ماهيتها وجودها، بمعنى أن النجار يتخيل في ذهنه شكل طاولة ولونها وأبعادها، ثم ينجرها من الخشب، فماهيتها قد سبقت وجودها. بينما غير الجماد يسبق وجوده ماهيته، بمعنى أن الطفل أو جنين الحيوان يولد وذهنه خالي من أي معلومة، وبمرور الزمن يتعلم الأشياء ويكتسب صفاته، أي ماهيته، فإذاً وجوده قد سبق ماهيته. فإذا كان الخالق قد سبقت ماهيته وجوده، فهو جماد لا يستحق أن يُعبد، وإذا كان وجوده سبق ماهيته، فلا بد أن يكون له خالق أتى به إلى الوجود ورعاه إلى أن اكتملت صفاته. وفي النهاية لا يمكننا إثبات وجود الخالق منطقياً كما لا يمكننا نفي وجوده بالمنطق ولو أن المعلومات العلمية المتوفرة لدينا الآن تقودنا إلى الميل إلى عدم وجوده.

عودة إلى الفهرس

2012 / 8 / 29

281 - كوابح العقل البشري

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=321847

من المعروف أن عقل الإنسان لا تحده حدود إذا كان الإنسان يعيش في مجتمع متفتح وحر يسمح له بالتفكير غير المقيد بقوانين وحدود. فمثلاً في القرن الثالث قبل الميلاد، قبل أن يخترع الإنسان التكنولوجيا الحديثة التي مكنتنا مِن الغوص في أعماق المجرات، توصل عقل العالم الرياضي اليوناني أريستاركوس Aristarchus إلى أن الكواكب تدور حول الشمس، وأن الكرة الأرضية تدور حول محورها. وقد توصل فيلولوس Philolaus ، تلميذ فيثاغورس Pythagoras، إلى أن الكواكب والأرض والشمس، كلها تدور حول نقطة محورية.
توصل العقل البشري لكل هذه الاستنتاجات باستعمال الرياضيات التي قال عنها فيثاغورس **إنها مفتاح أسرار الكون**.

- ولكننا نعرف أن العقل البشري تقيده **كوابح** عديدة،
  - منها **الجهل** الذي يحرم العقل من التفكير خارج نطاق المألوف،
  - ومنها **البيئة** التي يولد فيها الإنسان وعليه أن *يلتزم بقوانينها الموروثة وعاداتها وتقاليدها* التي ربما تمنع الإنسان من التفكير في أشياء غيبية كثيرة تحت الخوف من العقاب،
  - ومنها **الأمراض الوراثية** التي تمنع دماغ الجنين من النمو الطبيعي فيولد الطفل وهو مصاب بقصور وتخلف عقلي.
  - ولكن أكبر الكوابح للعقل هو **الدين**، وخاصةً الدين الإسلامي.

كل الأديان، حتى غير "السماوية" منها مثل البوذية **قد حرّمت السؤال الذي هو أساس المعرفة**.

- فالدين الإسلامي منع السؤال بأمر رباني في القرآن {**يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبد لكم تسؤكم**}. وعندما تجرأ بعضهم وسأل محمد، جاءت الإجابات الإلهية بعيدة كل البعد عن جواب السؤال ولم تشحذ العقل للتفكير. فمثلاً عندما سُئل عن الروح، قال هي من أمر ربي. وعندما سُئل عن الهلال وكيف يصير قمراً مكتملاً، قال لهم {**يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس**}.
- وحتى بوذا العظيم الذي لم يقل إن إلهاً قد أرسله، منع أتباعه من السؤال. يُحكى أن أحد تلاميذه كان مغرماً بالفلسفة وأمطر بوذا بوابل من الأسئلة عن الميتافيزيقيا وعن وجود خالق لهذا الكون، فقال له بوذا:

> "أنت كرجلٍ أصابه سهم مسموم، وبدلاً من الذهاب إلى الطبيب لإخراج السهم المسموم أصر المصاب على معرفة اسم وقرية الشخص الذي رماه بالسهم قبل أن يذهب إلى الطبيب. فسوف يموت هذا الشخص قبل أن يحصل على هذه المعلومات غير المفيدة. وما فائدة أن نعرف إذا كان هناك إله قد خلق هذا الكون، فالألم والحرمان والموت سوف يظل يلاحقنا إن كان هناك إله أم لا".

وهذا يعني بصريح العبارة الامتناع عن الأسئلة التي تحرج رسول أو نبي ذلك الدين، وبدون السؤال لا يمكن للعقل أن يتفتح.

- حتى الأديان القديمة ذات الآلهة المتعددة مثل الديانة اليونانية القديمة، منعت [بطريقة غير مباشرة] السؤال *بطريقة غير مباشرة* عندما أخبرت الناس بأن البرق هو عبارة عن غضب وزمجرة كبير الآلهة زيوس Zeus. فلا داعي إذاً للبحث عن ماهية البرق والتفكير في كيفية الوقاية منه.
- وحتى أفلاطون، ذلك الفيلسوف العظيم، قد أصدر في آخر حياته كتاباً اسمه ‹القوانين The Laws› قال فيه:

> "إن أول مهمة الدولة هي أن تزرع الأفكار الصحيحة عن الآلهة في عقول المواطنين، وعليها أن تنشيء مجلس أمناء يعمل ليلاً لمراقبة تفكير المواطنين الذين يجب أن يلتزموا بثلاث بنود من الإيمان: أن الآلهة موجودون، وأنهم يهتمون بالناس، وأن الآلهة لا يتأثرون بالأضحية والدعاء. أما الذين لا يلتزمون بهذه القوانين يمنحهم المجلس خمس سنوات ليرجعوا إلى الجادة ويعترفوا بالقوانين الثلاثة، أو يُعدموا كملحدين"

(فلا مجال للسؤال عن الآلهة وقوانينهم.)

- قبضة الأديان على عقول الناس **قبضة خانقة** لم ينجُ منها حتى المصلحين من أمثال مارتن لوثر Martin Luther (1483-1546)، وتوما الأكويني Thomas Aquinas (1225-1274)، وكالفن Calvin (1509-1564) وغيرهم الكثير. فمارتن لوثر مثلاً أرغى وأزبد في خطبه **ضد المرأة واليهود والأتراك** لأن تعاليم الكنيسة الكاثوليكية التي ثار ضدها كانت مليئة بلوم النساء واليهود، وقال:

> إن كل الكتب التي تحتوي على هرطقة يجب أن تُحرق.

وأما كالفن *فقد كان من المتحمسين لمحاكم التفتيش* وأمعن في قتل وحرق كل من شك في إيمانه .وقد قال كالفن:

> "إن الإنجيل لا يقول شيئاً عن علم الفلك، فمَن أراد أن يدرس علم الفلك أو الفنون، عليه أن يرحل إلى مكان آخر".

ربما يكون رجل الدين الوحيد الذي احترم عقله هو سانت أغسطين Saint Augustine الذي قال:

> "إذا تصادم الكتاب المقدس مع العلوم الطبيعية يجب أن يُعاد تفسير الكتاب المقدس."

مشكلتنا مع غير المسلمين *أنهم لا يعرفون شيئاً عن الإسلام* وتنطلي عليهم دعاية الإسلاميين التي تقول إن الإسلام دين سلام ومحبة ودين يدعو للتفكير والتأمل. من هؤلاء الذين انطلت عليهم خدعة الإسلاميين الرجل المثقف صاحب المكانة المرموقة في صفوف البوذيين، ألا وهو الدلاي لاما Dalai Lama . فقد كتب هذا الرجل الذي هو غني عن التعريف، كتاباً سماه Beyond Religion يقول فيه إننا لا نحتاج إلى الأديان لنتعلم المثُل العليا والأخلاق، فقد تعلمها الإنسان من إنسانيته. ولكنه يقول في هذا الكتاب:

> Of course, all the world's major religions, with their emphasis on love, compassion, patience, tolerance and forgiveness, can and do promote inner values

وترجمة هذه الفقرة هي:

> "بالطبع فإن كل ديانات العالم الرئيسية تشدد على الحب، والشفقة على الآخرين، والصبر، والحلم وغفران خطايا الآخرين، وبهذا تروج للقيم الداخلية لدى أتباعها."

- فهل الأديان فعلاً تروج لهذه القيم الحميدة؟

- لا شك أن الأديان الوضعية، مثل *الهندوسية والبوذية*، تحث أتباعها على احترام المخلوقات الأخرى وعلى ممارسة اللاعنف في تعاملهم مع بعضهم البعض ومع المختلفين عنهم.
- والعهد الجديد يحث أتباعه على حب أعدائهم.
- ولكن نظرة خاطفة على العهد القديم أو القرآن أو كتب السيرة والفقه الإسلامي تقنعنا أن الدالاي لاما غير ملم بمحتويات القرآن والعهد القديم فإذا نظرنا مثلاً في العهد القديم نجد:

{3 فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلاَ تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلاً وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعاً، بَقَراً وَغَنَماً، جَمَلاً وَحِمَاراً. (صموئيل، الإصحاح 15)**}.**

فإله العهد القديم لا يترك للعقل أي مجال للتفكير أو السؤال: لماذا أقتل الأطفال الرُضَّع والغنم والنساء، وهم لم يشتركوا في القتال ولم يصيبوا العبرانيين بأي أذى؟ وحتى الجمال والحمير التي يمكن أن يستفيد منها العبرانيون في نقل أمتعتهم أمرهم ربهم أن يقتلوها. وكل مَن يحاول استعمال عقله ويسأل الحاخامات عن الهدف من كل هذا القتل والدمار، يُعتبر كافراً ويُعاقب.

- أما الدين الإسلامي *فلا ينتمي إلى القيم الإنسانية النبيلة التي ذكرها الدلاي لاما*. القرآن يدعو إلى نبذ الآخر وإثارة العداوة بين الناس عندما يقول:

{لقد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده. (الممتحنة 4)**}.**

فليس هناك أي فرصة للتفكير ومحاولة فهم لماذا لم يتبع قوم إبراهيم رسالته. وهل لابد من أن نُكِن العداوة والبغضاء لمن يختلف معنا في المعتقد، أو كما قال أغبى رئيس للولايات المتحدة: "*من ليس معنا فهو ضدنا*". في الوقت الذي يقول القرآن {**من يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه**}. وفي الوقت الذي يشن فيه أئمة المساجد هجومهم العنيف على اليهودية والمسيحية، نجد أن الإمبراطور الهندي أشوكا Ashoka في القرن الثالث قبل الميلاد كتب على أحد أعمدة قصره:

Honour another's religion, for doing so strengthens both one's own and that of the other

وترجمة ذلك:

"احترم وعظِّم ديانة الآخر لأن احترامك لها يقوي ديانتك أنت كما يقوي ديانة الآخر."

قارن هذا مع:

[لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقها].

وهناك بالطبع تناقضات فاضحة في القرآن لا يجوز للمسلم التحدث عنها أو التفكير فيها كي لا يُضِله الشيطان، *وليذهب العقل إلى الجحيم*. يقول القرآن:

{قالت اليهود يد الله مغلولة غُلت أيديهم ولُعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ... وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة. (المائدة 64)**}.**

فإذا كانت يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء، لماذا طلب أن يقترض مالاً من المسلمين:

{من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافا كثيرة. (البقرة 245)**}.**

الأديان "السماوية" استعملت **العنف والخوف لتكمم أفواه وعقول المخالفين**، واستعانت بالحكام لسجن وقتل المخالف. ففي القرن السادس أو السابع الميلادي كان هناك كاتب إغريقي يحب الفلسفة ولم يرَ تعارضاً بينها وبين المسيحية، ولكن لخوفه من السلطات الدينية التي منعت تدريس الفلسفة اضطر لكتابة آرائه تحت اسم مستعار، هو "دينيس Denys the Areopagite" وفي نفس الوقت الذي كتب فيه دينيس كتابه، أمر الإمبراطور جستينيان Justinian أن تُغلق الأكاديمية في القسطنطينية مما اضطر الفلاسفة إلى الهروب إلى بلاد فارس أو العمل تحت الأرض. وعندما قبضت الكنيسة في سويسرا على الطبيب سيرڤيتيوس Michael Servetus واتهموه بالزندقة، لم يدافع عنه إلا جوريس البازلي الذي اضطر لكتابة دفاعه تحت اسم مستعار خوفاً من أن يلقى نفس مصير سيرفيتيوس. وعندما توفي جوريس واكتشفت الكنيسة أنه هو الذي دافع عن سيرڤيتيوس، نبشوا قبره وأخرجوا عظامه وأحرقوها.

أما موقف الإسلام من الفلسفة والعلم فلا يحتاج إلى شرح وتقديم الأمثلة. فما كتبه "حجة الإسلام" الغزالي عن الفلاسفة وعلمهم قتل الفلسفة في العالم الإسلامي حتى يومنا هذا. أما مقولة "اطلبوا العلم ولو في الصين" **فالمقصود بها العلوم الشرعية** التي جعلت شيوخ الإسلام يتحكمون في رقاب المسلمين طوال هذه القرون. ففي الحديث [**من أراد العلم فليثوّر القرآن**]. قال شمر:

تثوير القرآن قراءته ومفاتشة العلماء به.

والقرآن يقول لمحمد:

{ولئن تتبع أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير. (البقرة 120)**}.**

فأي علم جاء لمحمد؟ هل هو علم تأبير النخل أم علم نزول البَرد من جبال في السماء؟ أم علم الشمس التي تسجد تحت العرش كل ليلة؟

فإذا كان نبي الإسلام أمياً، وشيوخه جهلاء لا يعرفون غير الحيض والنفاس وأحاديث أبي هريرة وعائشة التي تتحدث عن مص النبي لسانها وهو صائم، فأي علم نتوقعه منهم؟

كان طلاب اللاهوت في أوربا في القرن الثالث عشر يُفرض عليهم دراسة المنطق والرياضيات وفلسفة أرسطوطاليس Aristotle قبل أن يبدأوا دراسة الثيولوجي (اللاهوت). ومع ذلك كانت الكنيسة تصادر الكتب وتكمم الأفواه والعقول. ففي العام 1559 أصدر بابا الفاتيكان بولوس الرابع Paul IV أول قائمة بأسماء الكتب الممنوع الاطلاع عليها في العالم الكاثوليكي وقتها .

التعاليم الدينية تجعل المؤمن بذلك الدين يتفوه بعبارات محفوظة لا معنى لها. فمثلاً الدالاي لاما يقول، كما تقول الكنائس:

"And since God is infinite love or infinite compassion, loving others is part of loving and serving God."

"وبما أن الله حب لا نهائي وعاطفة لا حدود لها، يصبح حب الآخرين جزءاً من حب الله وطاعته."

فهل حقيقة أن الله حب لا متناهي وعاطفة بلا حدود؟ أليس الله هو إله موسى الذي أمره بقتل الأطفال والنساء والبقر والغنم التي يجدونها في ديار العماليق؟ أليس الله هو إله القرآن الذي يقول:

{كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها. (النساء 56)}.

وكذلك:

{فالذين كفروا قُطّعت لهم ثيابٌ من نارٍ يُصب من فوق رؤوسهم الحميم. يُصهر به مافي بطونهم والجلود. ولهم مقامع من حديد. كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍ أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق. (الحج 19-22)}.

وبسبب التعتيم على العقل المؤمن اشتعلت الحروب الدينية في أوروبا والشرق الأوسط، كل فريق يدافع عن دينه ويقتل ويحرق لنصرة إلهه الذي هو حب *لا متناهي*. هذا الحب اللامتناهي نرى ثماره التي يحصدها الحرس الثوري في إيران، وتحصدها الميليشيات الإسلامية في السودان.

إذا لم ننجح في فصل الدين عن الدولة، فسوف تظل عقولنا مليئة بفقه الحيض والنفاس وتكفير الآخر.

المصادر

Karen Armstrong, The Case for God, Vintage Books, 2009, p 174.

نفس المصدر، ص 31.

نفس المصدر ص 73.

نفس المصدر ص 171.

Dalai Lama, Beyond Religion, Rider Books2012, p xv.

Karen Armstrong, The Case for God, p 123.

الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ج1، سورة البقرة، الآية 67.

Karen Armstrong, The Case for God, p 148.

نفس المصدر ص 178.

عودة إلى الفهرس

2012 / 9 / 5

282 - السيد حسن النوراني والعلاج بالقرآن

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=322847

كتب السيد حسن النوراني من غزة مقالاً بالحوار المتمدن تحت العنوان: ‹الدكتور النوراني يقدم برنامجا مجربا للشفاء من مرض ارتفاع ضغط الدم والوزن الزائد وضعف وظائف الكلى والأداء الجنسي›. وقد أذهلني هذا الادعاء لكوني طبيباً يعرف أنه لا شيء يجمع بين كل هذه الأمراض حتى يمكن علاجها جميعاً بآيات قرآنية. فكتبت تعقيباً على المقال:

> "إلى متى نستمر في قراءة مثل هذه **الترهات**. كل شيوخ الإسلام منذ زمن الخلافة العثمانية وحتى الآن يشدون الرحال إلى فرنسا وأمريكا للعلاج رغم أنهم يحفظون القرآن. ومحمد نفسه كان مصاباً بداء الشقيقة ولم يشفه القرآن. ومات مسموماً ولم يشفه القرآن. وهناك ملايين من المسلمين الذين يشربون *بول البعير* للعلاج ويموتون بمرضهم. عيب أن يسمي هذا الشخص نفسه - دكتوراً-. خسئتم أيها الجهلاء النصابين."

وأعترف الآن أن تعقيبي لم يكن مهذباً، وأقدم اعتذاري للسيد النوراني.

أنا لا أعلم في أي مجال من العلوم نال السيد حسن النوراني إجازة الدكتوراة، ولا أحسبه نالها في الطب.

- وفي مقدمة مقاله الذي عقّب به على تعقيبي، يقول:

> "أنا، باعتباري إمام *الدعوة النورانية* ومؤسسها، أزعم، أن دعوتي، تقدم **مشروع خلاص للإنسانية**. في تقديري، لن يكون خلاص للإنسانية، إلا بفتح الصندوق المغلق. بإيجاز، تطمح نورانيتي، إلى أن تساهم بأصالة، في حركة فتح الصندوق المغلق، على مستوى الفرد والأمم والعالم كله، حياة ومادة!" انتهى.

ولا أعلم كذلك أي *صندوق* يتحدث عنه السيد النوراني عندما يقول إن فتح ذلك الصندوق سوف يكون خلاصاً للعالم وللبشرية جمعاء. ولكن يبدو أن السيد النوراني قد تأثر بأفكار سيگموند فرويد كثيراً، فنجد أنه يُرجع كل شيء منذ أيام آدم وحواء إلى يومنا هذا، إلى *العامل الجنسي*،

- فهو يقول:

> "منذ البدء، وكما يكشف استقراء مدونات النبوات، كانت النبوة، روحا تفتح الصندوق المغلق: آدم، فتح الصندوق المغلق، بتمرده على أمر الله، وخروجه من عبوديته، بفتح الطريق أمام الحياة، لدى اكتشافه المعرفي المتجسد، لفرج حواء، و"فتحه"! هل من باب الصدفة، أننا لا نزال نتحدث عن "فتح" الفتاة، لدى أول تجربة جنسية كاملة لها؟! وهل من باب الصدفة، أن المسلمين، يسمون استيلاءهم على بلاد الغير "فتحا"، وأن القرآن، ربط "فتح" مكة، بالنصر مطلقا؟! النبي موسى، فتح البحر لقومه، فتحرروا من استعباد فرعون لهم! عصا موسى تشبه المفتاح، ورمز له، هي التي هزمت سحرة فرعون، وفتحت لقبيلة موسى، صندوق مصر الفرعونية المغلق، وفتحت صندوق مذلة اليهود أيضا، وأهم من ذلك فتحت لليهود وللبشرية تاريخا امتد عبر نبوتيِّ عيسى ومحمد، وعبر تطور فكرة الإله، بتلاقح مفاهيم الألوهية لدى اليهود والبابليين والمصريين القدماء غيرهم! عصا موسى، وكل عصا، كتلك التي اعتاد خطباء المساجد المسلمين على حملها، ومئذنة المسجد، تشبه وترمز إلى قضيب الذكر المنتصب الذي يفتح صندوق المرأة المغلق! وكما افتتح آدم، وفقا للدين، تاريخ البشرية، بفتح حواء، يقوم كل رجل من سلالة آدم، بفتح حواء أخرى، ليبدأ فتح حياة جديدة." انتهى.

وقد احترت كثيراً في فهم كل هذه الفتوحات وقضيب الرجل وعلاقتهما بالعلاج بآيات القرآن الذي يزعم السيد النوراني أنه سوف يبدأ به خلاص البشرية من الأمراض. ولكن للأسف فإن كل الفتوحات التي ذكرها السيد النوراني هي **فتوحات وهمية** كالتي قادها دونكيشوت في هولندا إذ لا يوجد أي دليل علمي على وجود موسى أو عصاه السحرية أو انشقاق البحر الأحمر الذي أصلاً لما احتاج موسى لشقه في ذلك الوقت لأن قناة السويس لم تكن موجودة، وكان طريقه إلى فلسطين ممهداً ولا بحر يفصله عنها. وآدم نفسه شخصية اسطورية مع **حواه** التي ربما لم يفتحها في الجنة، التي هي الأخرى مكان خرافي لا وجود له إلا في أذهان المؤمنين المخدرين.

- واستمراراً لهذه الفتوحات الوهمية يقول السيد النوراني:

> "وفتح النبي محمد، صندوق ممكناته المعرفية والحركية المغلقة، بتخيل رحلة حملته إلى سدرة المنتهى، آخر ما يحق لإنسان أن يبلغه، وأول أفق العالم الإلهي النوراني غير المحدود، بتصوره المتخيل." انتهى

صورة متخيلة للبراق النبوي

ولا شك أن محمداً قد تخيل أنه قام برحلة مكوكية على **براق نبوي** فوصل سدرة المنتهى في السماء السابعة بعد أن توقف مرات عديدة في السماء الخامسة ليستشير موسى في عدد الصلوات التي يجب عليه أن يقبل بها للمسلمين. ولا شك أن الرحلة كانت في الخيال لأنها لو كانت حقيقة قصد الله بها إظهار معجزة لمحمد، **فليس من الحكمة أن يُظهر الله المعجزة ليلاً والناس نيام، وبالتالي تفوت عليهم فرصة رؤية المعجزة لتزيدهم إيماناً**. فإذا كانت رحلة محمد قصة أسطورية وشق البحر الأحمر بعصا موسى، وفتح آدم لحواه في الجنة الأسطورية، هي الصناديق التي ينوي السيد النوراني فتحها لخلاص البشرية، فإني لا أرى خلاصاً وشيكاً لهذه البشرية المعذبة.

هل العلاج بالقرآن بدعة جديدة أم ممارسة قديمة ابتكرها محمد وأصحابه؟ أعتقد أنها بدعة اخترعها أصحاب محمد بعد موته لأن كتب التراث تخبرنا أن عائشة كانت إذا مرضت دعت إحدى نساء اليهود **لترقيها** بما في كتبهم. ومحمد نفسه كان مصاباً بالصرع ولم يشفه القرآن من ذلك رغم أن الله يقول في القرآن - كما يزعم محمد- {**وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا.** (الإسراء 82)}. ونلاحظ هنا أن القرآن لا يذكر في أي سورة أو في أي آيات يكمن هذا الشفاء. وهذا يعني أن الذي يريد أن يُشفي المريض بالقرآن عليه أن يقرأ كل المصحف **لأنه لا أحد يعرف الآيات التي تحتوي على الشفاء**. ثم إن القرآن يذكر كذلك أن عسل النحل به شفاء للناس {**ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سُبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس.** (النحل 69)}. **ونلاحظ هنا كذلك أن القرآن لا يحدد نوع الأمراض التي يمكن شفاؤها بالعسل**. والشيوخ الذين يستعملون العسل في علاج المرضى يستعملونه لكل الأمراض، *وليس هناك أي إثبات علمي أنه يشفي من أي مرض*. ويقول القرآن كذلك على لسان المؤمن {**والذي هو يطعمني ويسقين. وإذا مرضت فهو يشفين. والذي يميتني ثم يحيين.** (الشعراء 78 - 81)}. ويمكن بالطبع لأي شخص محايد أن يرى أن هذه الإدعاءات القرآنية لا أساس لها من الصحة. فهاهم المؤمنون في الصومال يموتون جوعاً وعطشاً ومرضاً ولا يقدم لهم رب القرآن أي شفاء أو طعام أو ماء. فإذا كان رب القرآن يدّعي ادعاءات لا يقدر على تنفيذها، كيف نعرف أن ادعاءه بأنه ينزل من القرآن ما هو شفاء للناس حقيقة يمكن الاعتماد عليها؟

لجوء المؤمنين إلى الكتب المقدسة للشفاء من الأمراض لا يقتصر على الإسلام فقط. فكل الأديان "السماوية" والأرضية، وحتى الديانات القديمة مثل عبادة الأسلاف، اعتمدت في فترة من تاريخها على *الشفاء المقدس* بواسطة الترانيم الدينية أو شرب أو أكل شيء

قرأ عليه الكاهن أو القسيس بعض الآيات المقدسة. وما زال الكاثوليك في أوروبا يحجون كل عام إلى "لورد" في فرنسا والغوص في مياه وطين ذلك المكان المقدس طلباً للشفاء من الأمراض المزمنة. وفي الهند يحج ملايين الهندوس كل عام إلى نهر "جنكيز" للغوص في المياه المقدسة طلباً للشفاء من الأمراض وغسلاً للذنوب.
الكتب المقدسة *قد تشفى بعض ضعاف العقول من الأوهام النفسية التي تعكر عليهم صفو الحياة*، وخاصةً النساء المؤمنات. لم نسمع يوماً أن شخصاً دهسته سيارة وهشمت عظامه عالجه أحد الشيوخ بآيات من القرآن. ولم نسمع أن مريضاً أصابته سكتة قلبية وحاول أحد الشيوخ علاجه بآيات من القرآن. كل علاج شيوخ الإسلام القرآنيين يكون مسلطاً على *الأمراض النفسية* **التي يزعمون أنها بسبب أن الشيطان تلبّس المريض**. ومن المعروف في الطب أن هناك جماعة من الناس أكثر قبولاً **للإيحاء** ويمكن لأي شخص لديه نوع من الذكاء في مجال معين أن يؤثر فيهم. وهذا هو ما يُعرف بالتأثير الموهم (المزيف).Placebo effect
هل الآيات القرآنية أو الصلوات وطلب الشفاء من إله السماء تجلب الشفاء للمرضى؟ في دراسة علمية في عام 2003، توصل الطبيب النفسي باول Powell et al إلى أن:

> هناك علاقة بين الإيمان والشعور بالصحة، لكن تلك العلاقة أكثر تعقيداً مما كانوا يعتقدونه وأصعب فهما. [1]

† تأمل

وخلصت بعض الدراسات العلمية إلى أن:

> التهجد وال meditation[†] والصلاة تؤدي إلى انخفاض في كمية الكورتيزول في الدم. وبما أن الكورتيزول يؤدي إلى زيادة تقلص العضلات وزيادة في ضغط الدم، فربما يؤدي هذا الانخفاض وقت التهجد إلى الشعور بالطمأنينة الوقتية. ولكن هذه الطمأنينة لا تدوم وتنتهي بنهاية فترة التأمل أو الصلاة.

وهذا بالطبع ليس علاجاً كما يزعم شيوخ الإسلام وغيرهم من الدجالين.
في دراسة للطبيب الأمريكي بينسون على 1802 مريضاً موزعين على 3 مستشفيات، قسّم الطبيب المرضى على ثلاث مجموعات:

- المجموعة الأولى صلى من أجلهم المؤمنون في ثلاث كنائس قريبة ولكن المرضى لم يعرفوا أن المصلين كانوا يدعون من أجلهم.
- المجموعة الثانية لم تُقدم من أجلهم أي صلوات ولم يعرفوا هم ذلك.
- والمجموعة الثالثة قُدمت من أجلهم صلوات وكانوا على علم بذلك.

ونشر الطبيب وزملاؤه نتيجة بحثهم في عام 2006 في مجلة American Heart Journal ووجدوا أن المجموعة الثالثة شعروا بارتياح نفسي لأنهم كانوا يعرفون أن المؤمنين يصلون من أجلهم، ولكن النتائج النهائية للشفاء والمضاعفات لم تبين أي فرق بين المجموعات الثلاث[2]. فيبدو أن تأثير الصلوات *تأثير نفسي فقط* وأن رب السماء لا يستجيب لتلك الصلوات والدعوات حتى إن أتته من ثلاث كنائس أو مساجد في آن واحد. لعل سمعه أصابه بعض العطب من كثرة الدعاء على مر العصور.
يقول الدالاي لاما:

> "عندما كنت مريضاً قبل عدة سنوات، شعرت براحة نفسية عندما علمت أن الناس يصلون من أجل شفائي، ولكن يجب أن اعترف أنني شعرت براحة أكثر لعلمي أن المستشفى الذي أنام به يمتلك أحدث المعدات وخيرة الأطباء المتخصصين في علاج حالتي".[3]

- أهم ما جاء في مقال السيد النوراني هو قوله:

> "الطب القرآني الأصلي، هو تحقيق وظيفي نبوي لفكرة فتح الصندوق المغلق... هكذا كانت نبوة محمد القرآنية... وأنا في بيئة دينية إسلامية، ترتبط بعاطفة عميقة مع القرآن. والارتباط العاطفي مدخل علاجي روحي لا ينكره المنهج النفسي العلمي.. ومن هذا المدخل، أقوم ببدء رحلة العلاج النفسي للمرضى، بعد تطهير عقولهم ووجدانهم، من تهيؤات تربط بين مرضهم النفسي، وعوالم الجن." انتهى.

ولا شك أن هناك رابط نفسي بين القرآن ومغسولي الدماغ منذ الصغر، وهذا الرابط يستغله شيوخ الإسلام لسلب هؤلاء المساكين نقودهم وتقديم السراب لهم في المقابل. **كل استراتيجية علاجهم تعتمد على إخراج الشيطان من المريض**. وبما أن الشيطان لا وجود له في عالم الحقيقة وهو رمز استعمله محمد ليرمز به إلى التفكير المستقل الذي يقود إلى الشك في دعواه، يصبح علاجهم كذلك وهماً.

عودة إلى الفهرس

[1] Ralph Hood, The psychology of religion, p 437.

[2] ريتشارد دوكنز، وهم الإله، ص 63.

[3] Beyond Religion, p 4.

الدكتور كامل النجار

مقالات
الحوار المتمدن

المجموعة II (2007)

• المقال 42	2006
• المقالات 43 - 89	2007
• المقال 95	2008

#	عنوان المقال	العدد	تاريخ النشر	محور المقال
فهرس المجموعة II				
42	هل الإيمان بالإسلام يؤدي إلى التخلف؟ 1- 3	1781	2006 / 12 / 31	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
43	هل الإيمان بالإسلام يؤدي إلى التخلف؟ 2-3	1785	2007 / 1 / 4	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
44	هل الإيمان بالإسلام يؤدي إلى التخلف؟ 3-3	1788	2007 / 1 / 7	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
45	نهرو طنطاوي ولغة القرآن	1796	2007 / 1 / 15	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
48	محمد الحسيني إسماعيل ووفاء سلطان 1	1816	2007 / 2 / 4	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
49	محمد الحسيني إسماعيل ووفاء سلطان 2	1819	2007 / 2 / 7	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
50	محمد الحسيني إسماعيل ووفاء سلطان 3	1821	2007 / 2 / 9	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
51	محمد الحسيني إسماعيل ووفاء سلطان 4	1823	2007 / 2 / 11	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
95	وفاء سلطان بين بلدوزر الإسلاميين ونقد العلمانيين	2213	2008 / 3 / 7	الصحافة والاعلام
46	وثنية الإسلام	1802	2007 / 1 / 21	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
52	إنهم يعبدون القرآن	1829	2007 / 2 / 17	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
53	من يحمينا من عمر؟	1838	2007 / 2 / 26	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
54	هل يصلح الإسلام دستوراً لدولة؟	1847	2007 / 3 / 7	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
55	لا معقولية الوجود الإلهي	1856	2007 / 3 / 16	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
56	هل يعتذر المسلمون ؟	1867	2007 / 3 / 27	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
47	الإسلام وجراب الحاوي	1808	2007 / 1 / 27	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
57	المؤتمرات الإسلامية وطواحين الهواء	1874	2007 / 4 / 3	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
74	حوار الأديان وحوار الطرشان	2041	2007 / 9 / 17	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
58	التحديات الحضارية للأمة الإسلامية	1885	2007 / 4 / 14	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
59	الأمل يتضاءل مع انتشار فضائيات السحر	1896	2007 / 4 / 25	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
60	التجارة الرابحة والمسابقات الدائرية	1908	2007 / 5 / 7	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
61	الإعجاز غير العلمي	1914	2007 / 5 / 13	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
62	فتاوى تحض على الجهل	1920	2007 / 5 / 19	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
94	الجهل بالجنس ولا العلم به	2209	2008 / 3 / 3	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
63	بلطجية الأزهر ورضاع الكبير	1927	2007 / 5 / 26	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
64	عندما نغتال العقل من أجل النقل	1946	2007 / 6 / 14	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
65	البغض في الله	1962	2007 / 6 / 30	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
66	أطباء خانوا مهنتهم	1968	2007 / 7 / 6	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
67	ما أبشعه من إله يذبح الأطفال	1981	2007 / 7 / 19	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
68	رجال الدين يفسدون الدولة	1995	2007 / 8 / 2	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
69	الإسلام أكبر نكبة أصابت العرب	2005	2007 / 8 / 12	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
70	لولا كلمةٌ سبقت	2019	2007 / 8 / 26	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
71	نزهة مع الصحابة	2026	2007 / 9 / 2	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
72	التعذيب في الإسلام	2032	2007 / 9 / 8	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
73	حرب الفتاوى تكشف زئبقية الإسلام	2034	2007 / 9 / 10	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
75	رمضان والتخبط في التشريع	2045	2007 / 9 / 21	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
76	ماهو الوحي، ولمن يوحي الإله؟	2053	2007 / 9 / 29	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
77	المال هو قلب الإسلام الحقيقي	2060	2007 / 10 / 6	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
78	من لا يشك ليس إنساناً	2065	2007 / 10 / 11	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
79	الجنة وما أدراك ما الجنة	2070	2007 / 10 / 16	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
80	هل كان محمد مرسلاً لجميع البشر؟	2075	2007 / 10 / 21	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
81	فهمي هويدي ودروس في الكراهية	2082	2007 / 10 / 28	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
82	مشيخة الأزهر والموروث الكهنوتي	2090	2007 / 11 / 5	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
83	الأديان وتخدير أحاسيس الإنسان	2097	2007 / 11 / 12	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
84	من قال لستُ أدري فقد أفتى	2118	2007 / 12 / 3	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
88	حصيلة ذي الحجة من النفاق	2138	2007 / 12 / 23	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
89	من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر	2143	2007 / 12 / 28	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني

42، 43، 44 - هل الإيمان بالإسلام يؤدي إلى التخلف؟

2006 / 12 / 31

1 مِن 3

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=84762

هذا السؤال سأله وحاول الإجابة عليه الشيخ المصري التقدمي جمال البنا في جريدة ‹الرأي القطرية› في يوم 27 ديسمبر 2006. وبالطبع حاول الشيخ جمال البنا **نفي صفة التخلف عن الإسلام** غير أنه لم يقنعني بجوابه. وسوف أحاول هنا أن أعقب أولاً على ما جاء في مقال الشيخ ثم أبيّن له كيف أن الإيمان بالإسلام يقود حتماً إلى التخلف.

- يقول الشيخ في مقاله:

> "هذا سؤال يتردد في الأذهان حتى وإن لم تلفظه الشفاه، وقد كان هو قناعة الأوروبيين الذين جمعوا ما بين الإيمان بالإسلام والتخلف العام، فحيثما كان هذا الإيمان يكون التخلف (اقتصادياً، واجتماعياً، وسياسياً) ففهموا من هذا أن هناك علاقة سببية بين هذا التخلف والإيمان بالإسلام." انتهى.

- والسؤال "*هل الإيمان بالإسلام يؤدي إلى التخلف*"، لم يسأله الأوروبيون فقط وإنما سأله ويسأله المسلمون أنفسهم. والجواب حتماً **بالإيجاب**، ولا أحد يستطيع أن يلوم الأوروبيين في ربطهم بين الإيمان بالإسلام والتخلف في جميع المجالات **إذ ليس هناك عاملٌ أخر مشترك بين الدول التي تدين بالإسلام وتخلفها في جميع المجالات غير الإسلام**. فأصولهم الإثنية مختلفة، و لغاتهم مختلفة، وعاداتهم قبل وبعد الإسلام مختلفة، وثرواتهم الزراعية والبترولية مختلفة. فما هو العامل أو العوامل التي أدت إلى تخلفهم بينما تقدم جيرانهم؟ وحتى في القطر الواحد نجد أن الشريحة السكانية التي تدين بالمسيحية أو البوذية أو الهندوسية، متقدمة أكثر من الشريحة التي تدين بالإسلام.

والأمثلة كثيرة جداً: نجدها

- في الفرق الواضح بين شمال نيجريا المسلم وجنوبها المسيحي،
- وفي شمال لبنان المسيحي وجنوبه المسلم،
- وفي بنـگلاديش المسلمة مقارنةً مع جاراتها اللاتي يقاسمنها نفس المناخ وطبيعة الأرض ونوع الثروات ولكن يختلفن عنها في الاعتقاد الديني.

وسوف يهب المدافعون عن الإسلام ويقولون: وماذا عن ماليزيا المسلمة؟
ولكن ماليزيا تختلف عن الدول الإسلامية في أنها مجتمع متعدد الأديان والإثنيات، يكون المسلمون فيه 58 بالمئة من السكان والصينيون البوذيون حوالي 30 بالمئة والمسيحيون 11 بالمئة. ومنذ تكوينها في 1963 كانت الثروة محصورة في أيدي الصينيين الذين كانوا يسيطرون على التجارة والاقتصاد بينما كان السكان المسلمون المنحدرون من أصول هندية يعيشون في فقر مدقع. وبعد المظاهرات الإثنية التي حدثت في عام 1969 وأحرق فيها المتظاهرون الفقراء متاجر الصينيين، حاولت ماليزيا خلق ثروة صناعية تعم الجميع في محاولة لتقليد نمور جنوب شرق آسيا الأربعة (هونگ كونگ، تايوان، سنـگافورة وكوريا الجنوبية).
وما يميز ماليزيا عن بقية الدول الإسلامية هو نظام حكومتها الديمقراطية التي يجلس على رأسها ملك دستوري مهمته التشريفات فقط، خلافاً لملوك الدول الإسلامية الأخرى. وماليزيا لا تحكمها الشريعة الإسلامية. فنجاح ماليزيا يعتبر شيئاً شاذاً في الإسلام والشاذ لا حكم له.

- ومن أغرب الادعاءات التي أتى بها الشيخ جمال البنا هو ادعاؤه:

> "كان الإيمان بالإسلام هو السبب الأول في تحرير شعوب سوريا والعراق ومصر والشمال الأفريقي من ربقة التبعية لفارس وبيزنطة اللتين كانتا تفرضان السياسة الطبقية وتستعبدان شعوب المنطقة." انتهى.

- أعتقد أن الشيخ قد جانب الحق والمنطق في هذا الادعاء.
  - فهل كان حكم الإمبراطورية الفارسية للعراق أو حكم الإمبراطورية الرومانية لسوريا ومصر وشمال أفريقيا أكثر طبقيةً واستعباداً من *الحكم الإسلامي الذي اتبع سياسة الإستيطان* وأتى بالقبائل العربية لتسكن البلاد التي غزاها؟
  - وماذا عن *محو الثقافات والحضارات المسيحية لتلك البلاد وفرض الجزية* والذل والهوان على سكانها الأصليين الذين رفضوا اعتناق الدين الجديد؟
  - وماذا عن *خلق طبقة الأرقاء* في تلك البلاد كما حدث في العراق عندما استوردوا العبيد الأفارقة لزراعة الأرض، وأصبحوا، رغم ضخامة أعدادهم، طبقة منبوذة في المجتمع حتى قاموا **بثورة الزنج المشهورة** والتي دامت سنين وكلفت الدولة العباسية مالاً ودماءً لا تحصى؟

- ثم قال الشيخ جمال البنا:

> "وكان الإيمان بالإسلام هو المسؤول عن الحضارة الزاهرة للعراق أيام حكم العباسيين، عندما كانت بغداد تنافس روما رقياً وازدهاراً وتفضلها من ناحية القيم الإنسانية، كما تدين قرطبة بحضارتها الإنسانية إلي الإسلام، ويعود الفضل في انتصار المماليك على الصليبيين، وعلي التتار إلي الإسلام." انتهى.

- ما هي الحضارة الزاهرة التي أقامها العباسيون في العراق إذا استثنينا دار الحكمة التي بناها الخليفة المأمون لترجمة التراث اليوناني إلى العربية؟
- هل بناء قصور هارون الرشيد وملؤها بالجواري الحسان وبالمغنيين والخمر هو الحضارة التي يفتخر بها أهل الإسلام؟

هارون الرشيد الذي نهب أموال المزارعين الفقراء ليصرفها على قصوره وملذاته وشعرائه، والذي قال عندما رأى السحابة: "**أينما تهطل يأتيني ريعها**"! وقد بلغ دخل بيت المال في زمن المأمون بلايين (مليارات) الدينارات **التي اغتصبها جامعوا الضرائب من الشعوب المقهورة**. فمثلاً كان ريع بيت المال من أرض السواد (جنوب العراق) سبع وعشرون **ألف ألف** درهم مرتين وثمانمائة ألف درهم ومن الحلل النجرانية مائتا حلة. وفي الأندلس ترك عبد الرحمن الناصر في بيوت أمواله خمسة آلاف ألف ألف دينار مكررة ثلاث مرات يكون جملتها بالقناطير خمسمائة ألف قنطار. هذا عدا الجواري العذارى اللاتي أتوا بهن من جميع الأمصار وكان خمسهن للخليفة في بغداد. كل هذه الثروات كانت للخليفة بينما كان عامة الناس يموتون جوعاً.

- ثم استمر الشيخ جمال فقال:

> "فالإسلام عندما فُهم كعامل تحرير وحضارة نهض بالمنطقة وجعل لها السيادة في العالم وحماها من العدوان. ولكن إذا أسيء فهم الإسلام، فعندئذ ينقلب الأمر، ويصبح الإسلام عامل حفاظ وجمود، وحائلاً دون التقدم والتحرر. وللأسف الشديد فإن هذا هو ما حدث بعد انقضاء *العهود الزاهرة للإسلام*، وبعد أن انطفأت القناديل في بغداد، وقرطبة، والقاهرة، وساد ظلام الجهل والتخلف." انتهى.

- فكون الإسلام حمى البلاد التي استعمرها المسلمون **لا يعني أن الإسلام أنتج لهم حضارة** وإنما يعني أن الإمبراطورية الإسلامية وقتها كانت إمبراطورية قوية بجيوشها وسيوفها، ثم انهارت كما انهارت قبلها إمبراطوريات كانت أقوى منها. فالإمبراطوريات تتآكل من الداخل بسبب فسادها وتسقط. ولا شك أن الإسلام منذ أن جاء فهمه أتباعه على أنه عامل جمود يحافظ على كل ما قاله أو فعله محمد حتى وإن عرفوا أنّ السنة أكثرها كذب وادعاء. فالإسلام لم يُساء فهمه وإنما هي **طبيعته السائبة** التي تسمح لكل شخص أن يجد ضالته في نصوصه المتناقضة.
- وفي تشخيصه لأسباب تخلف المسلمين والعلاج الذي يراه لها، يقول البنا:

> "من أهم الأسباب أن الدين عندما يظهر علي يدي الرسل والأنبياء يكون *دعوة تحرير* ويكون الأنبياء *قادة جماهير*، ويلتف حول الأنبياء المجموعة التي آمنت عن صدق واقتناع بالدين كحركة تغيير كبري وإنقاذ الناس من الظلمات إلى النور، ومن هنا يقوم الدين بثورة انتهاضية شاملة كافة الاتجاهات وتتوفر فيها حرارة الإيمان ونبل الغاية والقيادة الفريدة للأنبياء الذين لا يريدون أجراً † ولا شكوراً ويعملون بالروح الرسالية ولا يعرفون الزهو أو الغرور أو الطغيان." انتهى.

† إلا النبي محمد فقد آجره ربه بخُمس الغنائم وبالنكاح بلا حدود.

- وأنا هنا أعترف أني عجزتُ عن فهم ما يرمي إليه الشيخ البنا. فكيف يكون الدين دعوة تحرير والدين الإسلامي جاء ليقول للناس *أنهم عبيد الله* بعدما قالت لهم المسيحية أنهم *أبناء الله*؟ فهل التحول من الأبناء إلى العبيد هو التحرر الذي تدعو إليه الأديان؟ وممَّاذا تحرر الأديان الناس؟
  - هل تحررهم من عبادة أصنام الحجارة إلى عبادة الإله الواحد القهار المتكبر المنتقم العنيد الماكر؟
  - ثم عبادة الأصنام البشرية من ملوك وحكام بعد ذلك؟
  - وهل حررت اليهودية الفلسطينيين عندما جاء موسى وبنو إسرائيل ليستقروا بأرضهم كما استقر العرب المسلمون في الأراضي التي استعمروها؟

ثم أن المجموعات التي آمنت بالأنبياء أول الأمر لم تؤمن عن صدق، ما عدا القلائل منهم. في حالة الإسلام كان إيمان الناس إما خوفاً أو طمعاً في الأموال والجواري التي أصابوها في الغزوات، وقد بدا هذا جلياً من أول غزوة لهم في بدر حينما تشاجروا على الغنائم. والقرآن نفسه يعترف بذلك ويقول أن عدداً كبيراً من مسلمي تلك الحقبة كانوا منافقين ولم يدخلوا الإسلام عن إيمان

{وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ. (التوبة 101)**}**.

وكذلك يقول عن المسلمين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك:

{وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً. وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً. (الأحزاب 12-13)**}**.

فهل يعكس هذا التصرف من المسلمين الأوائل حرارة الإيمان ونبل الغاية كما يقول الشيخ؟

والمشكلة هنا في رأيي هي أن المسلمين يتخذون من عمر بن الخطاب وأبي بكر وعلي بن أبي طالب مثالاً لكل مسلم ويتجاهلون أبا سفيان وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص الذين لم يدخلوا الإسلام إلا بعد أن تيقنوا من أنه المنتصر وأنهم سوف يكسبون من الدخول فيه رغم عدم إيمانهم به.

- وأتفق مع الشيخ في هذه الفقرة التي يقول فيها:

> "ولكن بعد أن تنتهي هذه الفترة (فترة الأنبياء)، تبدأ حرارة الإيمان في البرود، ويتحول الإيمان نفسه من إيمان اقتناع إلى إيمان وراثة وتغيب قيادة الأنبياء الرشيدة الفريدة ثم *تظهر المؤسسة الدينية وتحتكر الدعوة للدين* وتخضع لما يؤثر على الرجال من طموح، أو استبداد، أو ضعف *خاصة إذا كان لها طابع الاحتكار المفسد بطبيعته*، وهكذا يسود التقليد عامة الناس وتسود الأغراض والأهواء قادتهم." انتهى.

- فالإسلام الذي بدأ في أكثر البقاع تخلفاً ومات نبيه بعد ثلاث وعشرين سنةً من استتبابه، قد ورثته المؤسسات الدينية التي قتلت المفكرين وأحرقتهم مع كتبهم ومنعت الاجتهاد وختمت بختم التخلف على جميع البلاد التي استعمرها الإسلام.
- ويستمر الشيخ فيقول:

> "ويصعب جدًا اقتناع عامة الناس بأن العبادة التي أرادها القرآن في آية مشهورة أسئ فهمها **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**، إن العبادة هي - كما قال ابن تيمية 'اسم جامع لكل ما يحبه الله من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة'، فحتى هذا التعريف الجامع من إمام من أبرز الأئمة، يؤول ويفهم أن ما يرضي الله أولاً أو أصلاً هي العبادة، أو الشعائر العبادية، وبوجه خاص الصلاة والتعبد والبعد عن الدنيا." انتهى.

- واختلف مع الشيخ هنا في أن الآية أسيء فهمها. فالآية تقول {**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**}. فمهمة الإنسان في الحياة هي عبادة الله والانصراف عن كل شيء غيرها. حتى النوم ليلاً يشجع الإسلام على البعد عنه ويحث على قيام الليل تهجداً، فيقول:

{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ. كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ. وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ. (الذاريات 15 - 18)**}**.

وقال كذلك:

{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ. (الزمر 9)**}**.

وكذلك:

{قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً. نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً. أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً. (المزمل 2-4)**}**.

وفي الحديث:

[ثلاث هن فرائض عليّ وسنة عليكم: الوتر والسواك وقيام الليل.][1]

فالمسلم الذي يقضي نهاره في الصلاة ويقوم الليل يقرأ القرآن ليدخل الجنة، هل يمكن أن يُنتج حضارةً يفيد بها الناس؟ والغريب أن الشيخ استشهد **بابن تيمية الذي يُعتبر من أكثر الفقهاء تعصباً وتشدداً للشعائر التي أصبحت هي جوهر الإسلام.**

فطريقة دخول الحمام والخروج منه وما نقوله عند مجامعة الزوجات وما نفعله ونقوله عند لبس ملابسنا وما إلى ذلك قد حاز على جزء كبير من مؤلفات ابن تيمية، وما تبقى منها كان عن كراهية وتكفير الشيعة وعن مجافاة غير المسلمين.

ثم أن رسول الإسلام نفسه كان قد شجع على هذه الشعائر غير المفيدة مثل الهرولة بين الصفا والمروة ورمي الجمرات لرجم الشيطان وتقبيل الحجر الأسود، وكلها كانت شعائر جاهلية أتى هو ليحاربها.

- وقد وضع الشيخ أصبعة على موطن العلة بالإسلام حينما قال:

> "فكيف يمكن لمجتمع أن تتقدم دنياه إذا كانت مشاعره كلها عازفة عن الدنيا؟ إن الوحدة التي صنعتها الخلافة أيام هارون الرشيد والمأمون وازدياد الثروات وانفتاح الأسواق كلها كانت تؤذن بثورة تجارية تعقبها ثورة صناعية كما حدث في بريطانيا، خاصة وأن العلوم التطبيقية والطبيعية كانت مزدهرة، ولكن حال دون أن تظهر البنوك، وهي التي توسع وسائل التبادل التجاري والاقتصادي، تحريم الربا، كما أن علم الطبيعة والفلك

[1] الموسوعة الفقهية الكويتية، أنواع اختصاصات الرسول.

والطب والكيمياء التي ازدهرت لم تجد شعباً يتقبلها ويعنى بها ويزود مجموعة العلماء بمبداءات شعبية وإضافات جماهيرية، كما لم تجد حكاماً يحتضنون العلماء لأنهم إنما كانوا يحتضنون الفقهاء الموافقين والشعراء المداحين، ولهذا لم تحدث ثورة تجارية ولا صناعية في بغداد رغم تهيئة الأسباب لذلك." انتهى.

✍ ولأن الإسلام دين قد أتى في صحراء جرداء بلا حدود ولا تعرف التحديد، *فقد حرّم الربا دون أن يقول لنا ما هو الربا*، وترك الباب مفتوحاً للفقهاء ليسرحوا ويمرحوا ويحرموا كل شيء ماعدا البيع والشراء العادي. أما العلم فقد كان بالنسبة لهم هو علم الشريعة وما غيره علوم فاسدة يجب حمل من يقول بها على الحمير وضربهم في شوارع المدن كما أوصى حجة الإسلام الغزالي.

ولأن الإسلام ينبذ الحياة الدنيا ويكرس كل وقت المسلم في البحث عن الجنة وبنات الحور، لا يمكن للمسلمين أن ينتجوا حضارة أو يتقدموا لأنهم يعيشون في الماضي مع السلف الصالح. ولهذا يقود الإيمان بالإسلام إلى التخلف.

وفي الحلقة القادمة سوف أشرح لماذا يقود الإيمان بالإسلام إلى التخلف.

2007 / 1 / 4

2 مِن 3

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=85048

الإيمان بالإسلام يؤدي إلى التخلف إقتصادياً واجتماعياً وسياسياً لأسباب هي من صميم الإيمان بهذا الدين ونصوصه، سواء منها القرآنية أو *السنة التي جعلها الفقهاء أعلى مرتبةً من القرآن نفسه*، ويبدو هذا التخلف في المجالات الثلاث واضحاً اليوم في كل الدول العربية والإسلامية دون أي استثناء. وسوف أبدأ بالتخلف الاقتصادي.

التخلف الاقتصادي

قبل مجيء الإسلام كانت مكة مركز التجارة العربية بعد انهيار **مملكة حمير** باليمن، وكانت كل القوافل من آسيا وإليها وإلى الشام وبيزنطة تمر عن طريق الحجاز. وقد أتقن العرب فن التجارة وكونوا الشركات ذات الأنواع العديدة وأقاموا الأحلاف مع الأماكن التي يتاجرون معها لضمان سلامة قوافلهم. وكان لقريش رحلة الشتاء والصيف. وقد عرف العرب عدة أنواع من البيع والشراء منها :

1- **بيع الحصاة**: وهو من أنواع البيوع التي أبطلها الإسلام. وبيع الحصاة هو ما نسميه اليوم باليانصيب، وهو أن يرمي أحد البائعين حصاة للآخر فعلى أي شئ وقعت فهو لمن رمى بسعر محدود.
2- **بيع الملامسة**: أي البيع بلمس اليد للسلعة المراد بيعها دون رؤيتها. مع العلم بأن التجارة الحديثة تبيع وتشتري الآن سلعاً غير مرئية، كشراء الأسهم أو شراء السندات أو خلاف ذلك.
3- **بيع المنابذة**: وهو بيع يتم دون نظر أو تراض. ولكن بمجرد أن يرمي أحد البائعين السلعة المباعة للآخر.
4- **بيع النحش**: وهو أن يزيد المشتري في السعر أثناء المزايدة عليها دون أن يكون راغباً في شرائها. وهو نوع من أنواع *المضاربات* التي نشهدها هذه الأيام في المزادات العلنية التي يندس فيها المشترون الزائفون لصالح البائع.
5- **بيع المناجزة**: أي البيع يداً بيد. وهو ما يعرف اليوم ببيع "سلّم واستلم".
6- **بيع المزابنة**: أي بيع التمر في رؤوس النخل بتمر آخر، أو بأي سلعة أخرى أو بالذهب والفضة. وهو من البيوع التي نهى الإسلام عنها ولم يسمح ببيع التمر إلا إذا نضج، وبعملة محددة هي الدرهم والدينار. ولا ندري ما هي الحكمة من ذلك. ونحن نرى هذه الأيام كيف أن شركات صناعة الأغذية تشتري المحاصيل الضخمة بمبالغ كبيرة قبل أن تنضج لكي تضمن المادة الخام لصناعتها، وهو ما يُسمى ببيع المزابنة.
7- **بيع المخاضرة**: أي أن يشتري البائع المحصول الزراعي قبل نضوجه وفي مرحلة اخضراره، وهو نوع من البيوع ما زال قائماً إلى ألآن في العالم العربي وفي أنحاء كثيرة من العالم.
8- **بيع المعاومة**: وهو بيع المحصول لأعوام قادمة. وقد نهى الإسلام عن مثل هذا البيع لجهل المحصول وما قد تلحقه من أذى بالمشتري. ولكن مثل هذه البيوع ما زالت قائمة ومعمول بها في العالم العربي وفي أنحاء متفرقة من العالم كما نرى عندما تشتري شركات صناعة الأغذية محصول عدة سنوات قادمة لكي تضمن لنفسها مسبقاً الأسواق اللازمة لتصريف هذه المنتجات.
9- **بيع الظني**: وهو البيع الذي يتم بالكوم أو بالجملة دون كيل أو عدد وقد نهى الإسلام عنه. ونلاحظ أن الإسلام قد نهى عن جميع البيوع التي ستحصل في المستقبل أو في الغيب ودون كيل أو حساب أو عد. فالإسلام يخشى الحظ والمخاطرة كالتثمير العفوي للرأسمال.

(المصدر: لو لم يظهر الإسلام لشاكر النابلسي).

وجاء الإسلام

وبجرة قلم حرّم الربا دون أن يقول لنا ما هو الربا {وأحل الله البيع وحرّم الربا}. **وعليه اعتبر الفقهاء جميع هذه الأنواع من البيع ربا وحرموها.**

والمعاملات المالية المعاصرة تنحصر في مثل هذه المعاملات التي حرّمها الإسلام، خاصة **البيع المؤجل** أي طويل المدى الذي تتعامل به شركات النفط عندما تبيع بترولها لتجار النفط في أمسterدام بسعر مستقبلي يتفقون عليه. ولأن الإسلام سمى هذا النوع من البيع (**بيع الغرر**) أي البيع الذي لا يعرف فيه المشتري كم سوف يكون سعر البترول بعد 3 أشهر مثلاً، حرّمه ومنع التعامل به.

واعتبر الفقهاء أن التأمين على الحياة نوع من بيع الغرر غير المعروف العواقب فحرموه. ولا يخفى على أحد أهمية وحجم سوق التأمين في الدول الصناعية المتقدمة. فكل التجارة عبر البحار وبالطائرات وغيرها سوف تتوقف إذا امتنعت شركات التأمين عن

تأمينها. وشركات التأمين توظف أعداداً ضخمة من الناس يستفيدون من رواتبهم في إعاشة أنفسهم وأهليهم، وتدر دخلاً كبيراً على خزينة الدولة من دفعها ضريبة الدخل. والتأمين على الحياة يضمن للأطفال دخلاً يعيشون منه إذا مات والدهم. والتأمين على السيارات يضمن للناس إصلاح سياراتهم أو دفع التعويضات عنهم إذا مات شخص صدمته سيارة مثلاً. فوائد التأمين أكثر من أن أعددها هنا.
وحرّم الإسلام **التعامل بالفائدة مع البنوك** وبالتالي ألغى مهمتها إذ ليس هناك من بنك يستطيع أن يدر ربحاً على مستثمريه إذا لم يتعامل بالفائدة. ونجد في العالم الغربي جميع أنواع البنوك التي تقرض الناس الأموال لشراء منازلهم أو سياراتهم وتتقاضى منهم نسبة مئوية محددة، تصغر كلما طال أمد الدين. هذه البنوك كذلك توظف الملايين من الرجال والنساء وتنعش الاقتصاد وتدفع لخزينة الدولة مليارات الدولارات في شكل ضريبة الدخل.

> وجاء فقهاء الإسلام بمسخ يسمونه البنوك الإسلامية التي تتعامل بالفائدة تحت أسماء مستعارة مثل (العمولة). ويستعملون هذه الحيل الشرعية في خداع واضح للناس ولله. ولأن السياسيين يعرفون أن البنوك التي لا تتعامل بالفائدة لا يمكن لها أن تتعامل عالمياً، سمحوا للبنوك الربوية بالانتشار في بلدانهم، فنجد في دولة إسلامية مثل السعودية كل أنواع البنوك الغربية الربوية وربما بنكاً واحداً إسلامياً.

أسواق الاستثمار أي **البورصة** يحرمها الإسلام على أساس أنها **بيع غرر** لأن المستثمر فيها لا يعرف كم نسبة الربح أو الخسارة التي يحصل عليها عندما يبيع أسهمه. وكل الأقطار الصناعية الآن تعتمد في تجارتها وتحديد سعر عملتها على هذه الأسواق التي يحرّمها الإسلام. وعندما اضطر المسلمون في البلاد التي أصبحت غنية من عائدات النفط مثل الكويت والسعودية لفتح مثل هذه الأسواق، **انتهز الفقهاء الفرصة بعد أن كانوا قد حرموها، ففتحوا لأنفسهم مكاتب استشارية تصدر الفتاوى المتناقضة بأسماء الشركات التي يحل للمسلم التعامل معها والتي لا يحل له شراء أسهمها**. *وبالتالي يصبح مصير هذه الشركات مرتبطاً برضاء الفقيه*، ولا يمكن لسوق مثل هذه أن تنجح لأنها تفتقد الاستتباب Certainty. هذا النوع من المعاملات المالية كذلك يدر أرباحاً طائلة على المستثمر الحصيف وعلى الدولة في هيئة ضريبة الدخل.

ضريبة الدخل

كل الدول الحديثة تعتمد في مدخولها وموازناتها على ضريبة الدخل والضرائب غير المباشرة مثل الضريبة الإضافية على القيمة Value Added Tax. هذه الضريبة الأخيرة تبلغ قيمتها 17.5 % في انـگلترا ويدفعها المشتري لأي شئ من الخدمات إلى الأدوات المنزلية. وضريبة الدخل في انـگلترا تعادل 40 % من مدخول الأفراد أو الشركات. وهذه الضريبة هي العمود الفقري لمدخول الدولة. وهناك ضرائب أخرى على الطرقات وعلى البنزين والكيروسين وعلى المشروبات الكحولية وعلى التبغ ومنتجاته. كل هذه الضرائب تدر على خزينة الدولة مئات المليارات من الجنيهات التي تصرف منها الدولة على التعليم والصحة والدفاع والخدمات العامة وعلى بند الضمان الاجتماعي الذي يعول من لا عائل له .
أما في الإسلام فمدخول الدولة يأتي من **الزكاة ومن ضريبة العشر في الأرض والمحاصيل**. وهذه النسبة من المدخول لا تكفي لصرف رواتب ومستلزمات الوزراء والحكام وموظفي الدولة.

> **وعلاوة على ذلك يسمح الإسلام للفرد بأن يدفع زكاته لأقربائه ولا يلزمه الفقه بدفع الزكاة إلى بيت المال. بل يمكنه أن يبني من زكاته جامعاً ليشتري به حسنات عند الله تدخله الجنة، ولذلك يفوق عدد الجوامع عدد المستشفيات والمدارس في البلاد الإسلامية.**

وعندما جاء الإسلام لم تكن هناك دولة بالمعنى المفهوم الآن، فلم تكن دولة الرسول تصرف على الجيش ولا على التعليم ولا على الصحة، لأن أوجه صرف الزكاة محددة في القرآن على الفقراء والمساكين والعاملين عليها وفي الرقاب وعابري السبيل. **ولا يستطيع الفقهاء الخروج عن هذه الأوجه في صرف الزكاة**. وقد حاولت الحكومات الإسلامية الحديثة في السودان وإيران صرف مدخول الدولة - من بيع ما تملكه من شركات البترول ونحوه - على بعض الأوجه الاجتماعية من تعليم وصحة ودفاع. وكان نصيب الأسد من هذا الصرف على القوات المسلحة والشرطة التي تضمن لهم الاستمرار في الحكم. أما الصرف على التعليم والصحة فقد تدهور في البلدين اللذين ينعدم فيهما الضمان الاجتماعي وتترك الدولة النساء الأرامل يحترفن البغاء لكسب قوتهن. ونسبة لاعتماد الدولة الإسلامية على الزكاة والعشور لا يمكن من الناحية العملية لأي دولة إسلامية لا تملك حقولاً من النفط أن تجمع من الزكاة ما يُمَكِّنها من تقديم أي خدمات اجتماعية لمواطنيها.
وبما أن المرأة تمثل 50 بالمائة من المجتمعات وربما أكثر في بعض الدول الإسلامية التي عصفت الحروب برجالها مثل إيران والسودان وأفغانستان، *وبما أن الإسلام يمنع منعاً باتاً خروج المرأة للعمل إلا في حالات الضرورة القصوى، فإن نصف المجتمع يصبح معطلاً عن الانتاج وبالتالي يقل دخل الأسرة الإسلامية التي يصبح عائلها الوحيد هو الرجل* الذي قد يكون أمياً ويقتني راتبه من الحرف اليدوية أو يعمل أجيراً في مزرعة. وقلة مدخول الأسرة تنعكس على قلة مدخول الدولة التي تتحصل على مدخولها من الزكاة أو ضريبة الدخل، وفي كلا الحالتين لا تستطيع الأسرة دفع الزكاة أو ضريبة الدخل. أما في الدول غير النفطية مثل أفغانستان فقد حُرمت المرأة من العمل وأصبح الرجال عاطلين عن العمل بسبب الحرب وتدمير البنى التحتية وفقر الدولة وأصبح دخل الدولة الوحيد من بيع المخدرات التي يُحرّمها الإسلام نظرياً ويغض عنها الطرف عملياً على أساس أنها سلاح لمحاربة الكافرين في الغرب ومصدر دخل للدولة. فحرمان المرأة من العمل يؤثر اقتصادياً على الأسرة وبالتالي على مدخول الدولة.

رمضان

تعاني الدول الإسلامية مع فقرها من **شهر رمضان الذي يتوقف فيه الانتاج توقفاً كلياً**، إذا كان هناك أصلاً إنتاج، ويزيد فيه الاستهلاك ليلاً على موائد الإفطار.

ففي جميع الدوال الإسلامية

- تتوقف المعاملات في دوائر الحكومة وتسود حالة من إكفرار الوجوه وعبوسها، وتزداد مقولة (**تعال بكرة إن شاء الله**).
- وبالإضافة إلى هذا فإن ساعات العمل تتقلص في رمضان إلى ثلاث أو أربع ساعات يقضيها الموظف أو العامل متكئاً على مكتبه أو نائماً في ظل أحد الأشجار بمكان عمله.
- وهذا لا شك يؤثر على مدخول الشركات والمصانع، إن وُجدت، وفي النهاية على مدخول الدولة ومقدرتها على الصرف على الخدمات الاجتماعية.

فهذا الشهر وحده يقلل انتاج الدولة حوالي تسعة بالمائة، ناهيك عن خروج الموظفين من مكاتبهم ثلاث مرات باليوم لأداء الصلاة طوال أيام العام.

السياحة

مع وفرة مدخول الأفراد في الدول الصناعية ازدادت حركة السياحة وأصبحت تجارة تدر مليارات الدولارات على الدول السياحية مثل إسبانيا والبرتغال ومصر واليونان وإندونيسيا وأمريكا. وهنا يدخل الإسلام ليقول لنا إن جسم المرأة كله عورة وجسم الرجل عورة من السرة إلى الركبة ولذلك لا يجوز لهم لبس ملابس البحر ليسبحوا فيه. ولا يجوز لهم الاختلاط على البلاجات، وبالتالي لا يمكن لأسرة غربية أن تزور بلداً إسلامياً للسياحة لأن الأسرة لا تقبل بغير الاختلاط. وبالإضافة إلى ذلك تمنع الدول الإسلامية الخمور وهي جزء مهم جداً في الزيارة السياحية بالنسبة للعائلة الأوروبية. والأدهى والأمر من ذلك أن المتأسلمين يحاولون إخافة السياح الأجانب من القدوم إلى بلدانهم بتهديدهم بالقتل كما حدث في الجزائر ومصر والمغرب وأخيراً في بالي في إندونيسيا. وطبعاً هناك استثناء لدولة

مثل الإمارات العربية المتحدة حيث يشجع حكامها السياحة ويسمحون بالاختلاط وبشرب الخمور في الفنادق السياحية. وقد جنت دبي مبالغ كبيرة من السياحة حُرمت منها الدول الإسلامية الأخرى لالتزامها التعاليم الإسلامية الصارمة.

صناعة الخمور

حسب ما تقول دائرة المعارف البريطانية فإن الخمور تم اكتشافها عن طريق الصدفة في الشرق العربي عندما لاحظ أحد الشيوخ أن أغنامه التي تأكل العنب المهتريء الواقع على الأرض *تصبح جزلى* وتقفز وتلعب كثيراً. وعندما جرب أكل العنب المهتريء المتخمر أصبح هو جزلاً كأغنامه.

وسواء أكانت القصة صحيحة أم لا فإن الشرق العربي عرف الخمور وتغنى بها قبل أن يأتي الإسلام ويُحرمها. والإسلاميون يعرفون أنه من المستحيل منع الخمور ولكن مع ذلك يصرون على منعها. وعندما حاولت أمريكا منع الخمور في العشرينيات من القرن المنصرم، استفادت عائلة كينيدي الأيرلندية الأصل، حيث تُصنع الخمور بكميات كبيرة، من هذا المنع وتاجروا في الخمور المهربة وكونوا ثروة طائلة. وفي كل البلاد الغربية الآن تدر الخمور على الدولة أموالاً طائلة من ضريبة الدخل على صنعها وبيعها للناس. وعلاوةً على تشغيل الرجال والنساء في تلك المزارع والمصانع لصناعة الخمور، تفتح الشركات ملايين المحلات التجارية لبيع الخمور بالجملة وبالقطاعي، فتوظف أعداداً كبيرة من الرجال والنساء في تلك المحلات التجارية. أما في الدول الإسلامية يكون إنتاج وشرب الخمور في البيوت وفي الخفاء. ولولا الإسلام لأنتجت وباعت كل هذه الدول المشروبات الكحولية وزادت من مدخولها. وقد يقول قائل: لماذا الخمور وهي مضرة بصحة الإنسان؟ والخمور مثلها مثل أي شيء أخر، إذا أُخذت بكميات متوسطة يستفيد منها الإنسان من عدة نواحي. أما الذين يبالغون في استهلاكها فإنها تضرهم كما يضر الطعام الذين يأكلونه بنهم وكما تضر السيارة الذين يستهترون بقيادتها. ولولا الإيمان بالإسلام لانتجت كل الدول الإسلامية الخمور واستفادت اقتصادياً.

فكل هذه الأوجه من المعاملات المالية والمصرفية تساعد الدولة على زيادة دخلها الذي تصرفه على المواطنين في شكل خدمات وضمان اجتماعي وطرقات وما إلى ذلك. وكلها محرّمة في الإسلام.
وبالتالي يكون الإيمان بالإسلام عاملاً من عوامل التخلف الاقتصادي،
اللهم إلا إذا كانت الدولة مثل السعودية
تعوم على بحار من النفط ولا تحتاج ضريبة دخل من مواطنيها ولا تحتاج سياحاً يتوافدون.
ولكن حتى هذه الدول الغنية تعاني من سوء توزيع الثروة وتوجد بها شريحة كبيرة من الفقراء الذين ربما ساعد توظيف نسائهم في تحسن أحوالهم المعيشية.

2007 / 1 / 7

3 مِن 3

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=85308

ناقشنا في الحلقة السابقة كيف أن الإيمان بالإسلام يؤدي إلى التخلف الاقتصادي، وفي هذه الحلقة سوف أتحدث عن التخلف الاجتماعي والسياسي.

التخلف الاجتماعي

كل مجتمع يتكون من رجال ونساء وأطفال. ويلعب كلّ من هذه الشرائح دوراً مهماً في المجتمع. فيما مضى كان الرجل يقوم بالأعمال الشاقة التي تتطلب قوة عضلية مثل الصناعة والقتال، وكانت المرأة تربي أطفالها بالبيت أو تعمل في الوظائف التي لا تتطلب جهداً عضلياً كبيراً مثل التمريض. ومع تقدم التكنولوجيا أصبحت كل الأشغال الشاقة تقوم بها الماكينات التي لا تتطلب قوة عضلية. وفتحت المجتمعات الغربية للمرأة كل المجالات التي كانت محصورة على الرجال، فأصبحت المرأة تقود البصات (الحافلات) والطائرات والقطارات وتعمل بالشرطة والجيش والطب والمحاماة والهندسة. وأثبتت المرأة كفاءتها في كل هذه المجالات، وفي مجال التعليم أصبحت تفوق الرجال لدرجة أن الطالبات في كليات الطب في جميع أنحاء العالم، بما فيها البلاد الإسلامية، أصبحن يمثلن أكثر من 60 بالمائة من عدد الطلاب. وأدى هذا الانفتاح في المجالات الوظيفية إلى استقلال المرأة اقتصادياً وأصبح بمقدورها إعالة نفسها وأطفالها إذا افترقت عن زوجها أو مات قبلها. وإذا كان كلاهما يعمل فإن زيادة مدخول الأسرة يؤدي إلى تحسن في السكن والأكل والنظافة مما يساعد على تحسن صحة الأسرة والمجتمع ككل. وأصبح الرجل والمرأة والطفل وحدة واحدة مكملة لبعضها البعض وللمجتمع.

أما في الإسلام فالمرأة لا تخرج من بيتها للعمل أو لطلب العلم إذ يكفيها من العلم أن تتعلم الفرائض:

"إذا كان لها أب أو أخ أو زوج أو محرم يعلمها الفرائض، ويعرفّها كيف تؤدي الواجبات، كفاها ذلك."[2]

فالإسلام يوصى **بعزل المرأة عن المجتمع** وبالتالي شلل المجتمع. والبلاد الإسلامية التي رضخت لواقع القرن العشرين وسمحت بتعليم البنات بعد التغلب على معارضة رجال الدين، كما حدث في السعودية والعراق، مثلاً، لا تسمح لها بالعمل إلا في وظائف معينة ولا بد أن تلبس العباءة التي تعيق أداء أبسط الأعمال. وحتى في المستشفيات تتطلب القوانين الإسلامية فصل الرجال عن النساء وبالتالي مضاعفة عدد الموظفين الذين يؤدون نفس الخدمة ومضاعفة الإنفاق على الخدمات. والزي الرسمي للممرضات بالبلاد الإسلامية يعيقهن عن الحركة السريعة وربما يساعد على انتشار العدوى بين المرضى. ثم أن المرأة التي لا تتعلم إلا الفرائض لا يمكن لها تنشئة جيل متفتح من الشباب.

---

[2] أحكام النساء لابن الجوزي، ص 102.

والأطفال الذين يكونون نواة رجال ونساء المستقبل، وتعتني الدول المتقدمة بتنشئتهم وتوفر لهم البيئة التي تساعدهم على نمو مواهبهم في جميع المجالات، **يقتل فقهاء الإسلام براءتهم** ويفرضون على البنات التحجب وهن بعد أطفال لا يفقهن شيئاً عن الجنس. والصبيان يفرض عليهم الفقهاء حفظ القرآن والأحاديث في المدارس على حساب العلوم الطبيعية والموسيقى والفن. ونتيجة لهذه المبالغة في تدريس العلوم الدينية أصبحت المجتمعات الإسلامية متخلفة في كل مجالات العلوم ولم ينبغ فيها إلا القليل من أبنائها.
رغم المقولة الممجوجة (اطلبوا العلم ولو في الصين) يقول الفقهاء عن العلم:

"العلم يشرح الصدر، ويوسّعه حتى يكون أوسعَ من الدنيا، والجهلُ يورثه الضّيق والحَصْر والحبس، فكلما اتّسع علمُ العبد، انشرح صدره واتسع، وليس هذا لكل عِلم، بل للعلم الموروث عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو العلمُ النافع، فأهلُه أشرحُ الناس صدراً، وأوسعهم قلوباً، وأحسنُهم أخلاقاً، وأطيبُهم عيشاً."[3]

فالمجتمع المسلم، لولا الضغوط العالمية ولولا المستعمر الذي أدخل المدارس، يكون مجتمعاً لا علم له غير العلوم الموروثة عن الرسول. وبناءً على هذا التعريف للعلم تتخلف المجتمعات الإسلامية.
ومن المشاكل الاجتماعية في المجتمعات الإسلامية مسألة **العنف الأسري** الذي يكون ضحيته النساء والأطفال. **ففي كل المجتمعات الإسلامية نجد ضرب المرأة متفشياً لدرجة أن النساء أنفسهن أصبحن يعتقدن أنه من حق الرجل أن يضربهن لأتفه الأسباب،** كما أظهرت الاستطلاعات النسوية في الأردن وغيرها. والمجتمعات الغربية بها عنف ضد النساء إلا أنه عنف يعاقب عليه القانون.

ولكن عنف الرجل ضد المرأة في الإسلام **عنف مقنن** يجد الرجال السند له في القرآن {**وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً. (النساء 34)**}.

وقد بلغت نسبة ضرب النساء وقتلهن وادعاء أن القتل كان **لمحو العار**، أي قتل شرف، مستوى عالياً في جميع المجتمعات الإسلامية خاصة باكستان والأردن وغزة. ومن غزة:

"تؤكد السيدة سلوى أبو معيلق من الجمعية الوطنية لتأهيل المعاقين،
أن العنف أصبح ظاهرة قوية في مجتمعنا، حيث كثير من المعاقات من أمهات وبنات يتعرضن للعنف من إهانات لفظية وشتائم تتعرض لشرفهن، ثم انتهاكات جسدية قاسية وضرب وما شابه ذلك،
كما تذكر بأن
أمهات المعاقين والمعاقات أيضاً يتعرضن للعنف حيث يتم تحميلهن مسؤولية إنجاب هؤلاء المعاقين.
تقص أبو معيلق بعض الحالات الحية قائلة:
"أم لديها طفلين معاقين يأتون للجمعية تتعرض للضرب المبرح من قبل الزوج ووالده".[4]

وحتى المسلمين الذين نزحوا إلى أوروبا ترتفع عندهم نسبة قتل البنات من أجل الشرف وهذه إحدى نتائج الجهل الذي يتفشى في المجتمعات الإسلامية. والمشكلة أن العنف ضد النساء يولد عنف النساء ضد أطفالهن، وكما يقول علم النفس Violence begets violence أي *العنف يولد العنف*. وتدخل المجتمعات في دائرة مفرغة من العنف والأمراض النفسية التي تصاحبه.

ولأن الإسلام يبيح ضرب المرأة نجد بعض الفقهاء يقول إنه ليس على الرجل ضمان (أي مسؤولية) **إذا تلفت زوجته من التأديب المشروع في النشوز ولا على المعلم إذا أدب صبيه الأدب المشروع** وبه قال مالك وقال الشافعي وأبو حنيفة.[5]

وهذا منتهى التخلف الاجتماعي أن تسمح المجتمعات للرجال بقتل زوجاتهم أو المعلمين بقتل تلاميذهم باسم التأديب.
والمشكلة الاجتماعية الكبرى بالنسبة للمرأة في الإسلام هي **الاغتصاب الذي لا يعترف به الإسلام**. فعلى المرأة التي تُغتصب في البلاد الإسلامية أن تُحضر أربعة شهود من الرجال العاقلين البالغين الذين رؤوا المغتصب يفرض نفسه بالقوة على المرأة ويرون المرود في المكحلة. وطبعاً هذا هو طلب المستحيل. وإذا تجرأت المرأة واشتكت فسوف يكون مصيرها الرجم بجريمة الزنا لأنها لا تملك الشهود. *ويحدث هذا في باكستان بانتظام*. وعندما حاول الرئيس برويز مشرف تغيير هذا القانون الذي يؤدي إلى التخلف والظلم، ثار عليه رجال الدين وحاولوا اغتياله.
والمشكلة الاجتماعية الأخرى التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية هي **زواج البنات القاصرات** من رجال في أعمار آبائهن. فلأن النبي تزوج عائشة في سن السادسة ودخل بها وهي بنت تسعة أعوام، أصبحت السن القانونية لزواج البنت السنة التاسعة.

بل قد ذهب الإمام الخميني أبعد من ذلك *وسمح بمفاخذة الطفلة الرضيعة*.

وهذا منتهى التخلف الاجتماعي الذي تعاقب عليه المجتمعات المتحضرة بالسجن لسنوات طويلة. ثم أن البنت البكر لا خيار لها في الزواج ومن حق أبيها أن يزوجها مَن يراه مناسباً لها. وإذا رفضت البنت فقد يقتلها أبوها أو أخوها لأنها جلبت عليهم العار. وزيجات مثل هذه غالباً ما تنتهي بالطلاق وتصبح المرأة بلا مصدر للرزق إذا كانت عائلتها فقيرة لأن الإسلام يفرض على الزوج نفقتها في فترة العدة فقط، وهي ثلاثة شهور لا غير. ونجد الطلاق في بلد مغلق كالسعودية تصل نسبته حوالي ثلاثين بالمائة وينتج عن الطلاق عدة مشاكل للأطفال الذين يُفصلون عن أمهاتهم قسراً حسب التعاليم الإسلامية. وحتى الزيجات التي لا يحدث بها طلاق تفتقر إلى الانسجام والحب والعطف بين الرجال وزوجاتهم نسبة للنظرة الدونية للمرأة التي يتربى عليها الرجال المسلمون.
ويظهر التخلف الاجتماعي بوضوح في أغلب المجتمعات الإسلامية في مسألة **ختان البنات** لكبح جماح شهوتهن الجنسية كما يدعي رجال الدين الذين يؤيدون الختان. ورغم عدم وجود نص قرآني لختان البنات إلا أنّ عدداً كبيراً من رجال الدين الإسلامي ينادون به **ويزعمون أنه سنة** لأن النبي قد قال للخاتنة في مكة [**أخفضي ولا تنهكي**]. *وعملية الختان عملية بربرية موغلة في العنف الجسدي والنفسي ضد البنات*. وتسبب لهن مشاكل لا حصر لها وبعضهن يموت من النزيف أو الالتهابات بعد الختان.
وهناك **زواج المتعة وزواج المسيار وزواج الفرند،** وهذا النوع من الزواج يعطي الرجل المسلم الحق في ممارسة الجنس مع المرأة المطلقة أو العانس بدون أن يتحمل أي مسؤولية نحوها من نفقة أو مسكن أو ملابس. كل ما في الأمر أنه يأتي لها عند أهلها ليمارس الجنس ثم ينصرف إلى أهله. فإذا أنجبت هذه المرأة تصبح هي وأطفالها عالة على المجتمع أو على أهلها. ونفس زواج الفرند موجود في الدول الغربية ولكن الفرق أن الفرند في الدول الغربية يتقاسم مع صديقته كل التكاليف وإذا افترقا فلها نصف البيت ونصف كل ما يملك. والرجل المتزوج إذا طلق زوجته فلها نصف ما يملك أو ما تقرره المحكمة بعد حصر ممتلكات الزوج. أليس ما يحدث في العالم الإسلامي تخلفاً اجتماعياً؟
وعندما حاولت بعض الحكومات تغيير قوانين الأسرة التي تؤدي إلى مشاكل في المجتمعات الإسلامية ثار رجال الدين في البحرين وباكستان والجزائر والمغرب *واتهموا حكوماتهم بالردة* لأنها أرادت تغيير الشريعة السمحة.
والإيمان بالإسلام يجعل **زراعة الأعضاء** للمرضى الذين لا يمكن علاجهم إلا بإزالة العضو المريض واستبداله بعضو جديد من قريب حي أو من شخص مات موتاً مفاجئاً، **من المستحيلات** لأن الفقهاء يعتبرون أن جسم الإنسان ليس ملكاً له وإنما ملكه لله ولا يجوز

[3] زاد المعاد لابن القيم الجوزية، ج2، ص 11.
[4] إيلاف 29 ديسمبر 2006.
[5] المغني لابن قدامة المقدسي، كتاب الأشربة.

التصرف فيه بالنقص أو الإضافة. وعليه يموت المرضى المسلمون الذين من الممكن علاجهم إذا لم يتدخل فقهاء الإسلام. ومن سبب تخلف المجتمعات الإسلامية في مجال الطب منع تشريح الجثث لمعرفة أسباب الوفاة حتى يتعلم الأطباء من موت ذلك المريض.
والإيمان بالإسلام يخلق **مجتمعات إتكالية** تؤمن بأن الله عندما يرزق الأسرة بمولود جديد فإنه سوف يدبر له رزقه وبالتالي لا يحاول رب الأسرة *تحديد النسل* لأنه متكل على الله في رزق أبنائه. وقد أدى هذا الاعتقاد إلى زيادة تخلف المجتمعات الإسلامية في مصر وبنگلاديش وغيرها من المجتمعات لأن مدخول رب الأسرة لا يكفي لإطعام أطفاله ناهيك عن تعليمهم وعلاجهم وملابسهم. وينتهي أغلب هؤلاء الأطفال بترك المدارس والعمل في مهن لا تليق بالأطفال، حتى يساعدوا آباءهم في تحمل نفقات المعيشة. ويبلغ عدد مثل هؤلاء الأطفال مئات الآلاف في مصر والمغرب والجزائر والسودان وغيرها.

ولولا الإيمان بالإسلام الذي يمنع تحديد النسل لكان بالإمكان إقناع هؤلاء الناس بتحديد النسل حتى يتيحوا لأطفالهم فرصاً أحسن في الحياة.
وبسبب تعاليم الإسلام التي تمنع تحديد النسل يوصي الفقهاء بعدم استعمال غطاء الذكر الواقي (الكوندوم) Condom عند ممارسة الجنس وبالتالي يساعدون على انتشار الأمراض القاتلة مثل متلازمة فقدان المناعة المكتسب AIDS الذي أصاب الآلاف في البلاد الإسلامية.

ومن علامات التخلف الاجتماعي في الشرق المسلم **انقسام المجتمعات وانفصال الأقليات وعزلها بسبب آيات الولاء والبراء** التي تمنع المسلمين من التشبه بغيرهم أو الاختلاط بهم في أعيادهم. وبعض المجتمعات تمنعهم من الالتحاق بالجيش لأنهم لا يمكن الثقة بهم. ولا تسمح المجتمعات المسلمة، حسب تعاليم الإسلام، للمسيحي أو اليهودي أن يكون رئيساً على المسلمين مهما كانت مؤهلاته وخبرته أحسن من مؤهلات المسلمين. وتمنع بعض المجتمعات المسلمة العادات الحضارية البسيطة مثل إهداء الزهور للمرضى أو إرسال كروت (بطاقات) التمني بالشفاء العاجل على أساس أنها **تَشَبُّه بالكفار**. ولا شك أن فقهاء هذه المجتمعات يعتمدون في فتاواهم على القرآن والسنة النبوية. وقد رأينا حديثاً ما أصاب المسيحيين والصابئة وغيرهم في العراق لا لشيء إلا لكونهم غير مسلمين.
ثم هناك *الجلافة الصحراوية في ممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر* التي تبيح لرجل الدين ضرب الرجال والنساء بالعصا لردعهم عما يعتقده هو منكراً. ويفعل بوليس الآداب في مصر وغيرها من البلدان الإسلامية نفس الشيء. وضرب الناس لحملهم على أداء المعروف ونهيهم عن المنكر علامة من علامات التخلف الواضحة للعيان. والسبب هو الإسلام الذي يقول:

[من رأى منكراً فليغيره بيده وإن لم يستطع فبلسانه].

وأكثر ما يفضح تخلف المجتمعات الإسلامية هو **إيمانهم بالخرافة والأولياء والجن والعفاريت** والاعتماد على الأولياء في شفاء المرضى أو العلاج بأبوال الإبل الذي ما زال بعض الفقهاء يؤمنون به، والكي والحجامة وما إلى ذلك، ونحن في القرن الحادي والعشرين. وإيمانهم بالتعاويذ والتمائم يجعل المجتمعات الإسلامية تربة خصبة لانتشار الأمراض والشعوذة. فمثلاً في الأسبوع الماضي عندما اختفت طائرة ركاب في إندونيسيا المسلمة، من على شاشات الرادار، استعان مسؤولوا الطيران بالسحرة لتحديد مكان حطام الطائرة:

"كما استنجد فريق الإغاثة بساحرين من أجل تحديد مكان طائرة البوينغ-737 بعد فشل الوسائل التقنية في العثور عليها. وقام فريق الإغاثة هذا، بذبح جاموس اضحية "التمهيد الطريق" للبحث. كما قام أعضاء الفريق بتحركهم بقيادة ساحرين يدعيان الست سلمى و راوبونغ. وقد ادوا صلوات معينة على أرواح أجداد سكان القرية وأرواح الغابة."[6]

فهاهم المسلمون في القرن الحادي والعشرين يقدمون القرابين والصلوات لأرواح أسلافهم وحتى للغابة.

أما مسألة **تثقيف المجتمع وصقله بواسطة الفن من موسيقى وتمثيل ومسارح وسينما، فكلها يحاربها الإسلام** الذي يتطلب من العبد المؤمن قضاء وقته في العبادة وذكر الله. ولذلك **تستمر المجتمعات الإسلامية متبلدة الأحاسيس** لا تعرف من الموسيقى والمسرح شيئاً. وطبعاً يجهل فقهاء الإسلام أن السينما والمسرح أدوات تثقيفية للمجتمع. وحتى **الرياضة** مثل التنس والسباحة والألعاب الأولمبية **يمنعها الفقهاء للنساء** لأنها تستدعي كشف جسم المرأة الذي هو عورة. وحتى بالنسبة للرجال يُكره لهم لبس الزي الذي لا يغطي الركبة. بل يعترض بعض الفقهاء على مباريات كرة القدم وكل الألعاب الرياضية للرجال **لأنها تشغلهم عن عبادة الله**. ثم يقولون لنا:

(العقل السليم في الجسم السليم).

التخلف السياسي

ولن أثقل على القارئ بتعداد نواحي التخلف السياسي في المجتمعات الإسلامية التي لا تعترف بالديمقراطية وليس للفرد فيها إلا **طاعة الحاكم** التي أوصى بها الإسلام:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ. (النساء 59، والأنفال 20)}.

حتى إنْ سرق الحاكم وقتل وزنى. المهم أن مَن شق عصا الطاعة عليه فقد عصى الله والرسول. وتقول كل الجماعات السلفية بحرمة الديمقراطية وكفر الأحزاب السياسية، وتحث على طاعة ولي الأمر الذي يُألهونه في المجتمعات الإسلامية. وقد ظهر هذا جلياً بعد إعدام الرئيس العراقي السابق صدام حسين عندما سأل مذيع التلفزيون أحد المارة المصريين فرد بقوله:

(الله! معقول رئيس جمهورية بينعدم).

ولا ينحصر مثل هذا الفهم للرئيس في مصر فقط، فقد أقاموا دواوين العزاء في الأردن واليمن وغزة وليبيا ومصر والبحرين والمغرب، لطاغية ملأ أرض العراق بالمقابر الجماعية وسرق مليارات الدولارات من قوت الشعب العراقي ودمر الكويت وإيران بحروبه الزائفة. ولكنها طاعة ولي الأمر، ومع هذه الطاعة العمياء **لا نرى لحقوق الإنسان أي وجود في العالم الإسلامي** رغم أن جميع الدول الإسلامية قد وقعت على وثيقة حقوق الإنسان الدولية. **ويقول فقهاء الإسلام إنّ حقوق الإنسان مؤامرة أمريكية صهيونية لضرب الإسلام**. وما زلنا نعتبر بناء مستشفى أو مدرسة بالمجتمع **مكرمة** ملكية أو رئاسية ولا يعرف المواطن المسلم أنها حق من حقوقه ومن مال الدولة الذي اختلسه الملك أو الحاكم. وقد رأينا التخلف السياسي الذي وصلت إليه أفغانستان في عهد الطالبان الذين طبقوا تعاليم الإسلام كما كانت تطبق في عهد الخلفاء الراشدين. فأفغانستان التي أنشئت بها أول صحيفة يومية في العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر، أقفل الطالبان مدارسها وصحفها وتلفزيونها ودور العرض المسرحي والسينمائي. ولن أتطرق إلى *الحدود الإسلامية التي تبصق في وجه العدالة وحقوق الإنسان كلما رجمنا امرأة* لانها مارست وظيفة من وظائفها الفسيولوجية مثل ممارسة الجنس مع مَن تختار، *وفي كل مرة نقطع فيها يد السارق* الفقير الذي يسرق رغيف الخبز ونتغاضى عن الموظف أو الحاكم الذي يختلس الملايين لأنها لم تكن في حرز أمين ومغلق، ولم يحملها فعلياً من البنك أو المؤسسة التي يعمل بها.

[6] إيلاف 6 يناير 2007.

وكمثال لإباحة السرقة في الفقه الإسلامي يقول الفقهاء إذا نقب شخصٌ ما جدار المكان الذي يُحفظ فيه المال ولكنه لم يدخله وجاء شخصٌ أخر ودخل من الفجوة التي نقبها الأول، وسرق المال، فلا يقطع يد أي منهما لأن الأول لم يسرق **ولأن الثاني دخل المبني الذي أصبح غير محرز بفعل النقب**، وبما أن المال لم يكن وقتها محرزاً، فلا قطع على السارق.

ما زالت تحكمنا قوانين القرن السابع عندما كان مال المسلمين يُحفظ فعلياً في بيت المال ويجلس عليه حارس أمين، وفي بعض الحالات غير أمين. وفي كل مرة نقطع أيدي وأرجل الناس من خلاف إذا نهبوا أو قطعوا الطريق، نُظهر تخلفنا السياسي والاجتماعي لأننا نضيف إلى المجتمع أناساً معاقين لا يستطيعون كسب قوتهم بعد أن قطعنا أيديهم وأرجلهم بدل أن نعلمهم مهنة يرتزقون منها.

وبعد عرض كل هذه المثالب، لا يخامرني أي شك أن الإيمان بالإسلام يؤدي إلى التخلف.
وواقع المجتمعات الإسلامية اليوم هو خير برهان على ذلك.

عودة إلى الفهرس

2007 / 1 / 15

45 - نهرو طنطاوي ولغة القرآن

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=86028

الشيخ نهرو طنطاوي شيخٌ من شيوخ الأزهر الذين يعتقدون أنهم أعلى درجةً من أمثالنا من العلمانيين لأنهم قد تمسحوا بجدران الجامع الأزهر ولذا يحق لهم ما لا يحق لسواهم، *فهم وحدهم يحق لهم أن يقولوا ما لا يفعلون.*

> ومع أن الشيخ نهرو طنطاوي يدافع دفاع المستميت عن القرآن، فهو لا يفقه لغة القرآن ولا يلتزم بما يقوله له القرآن. وهو كذلك لا يفقه لغة الحوار المتمدن ويظل يدور في حلقات مفرغة ويردد كلمات وعبارات متناقضة لا معنى لها.

فمنذ أن بدأ ردوده المتعاقبة على الدكتورة وفاء سلطان لم نسمع منه إلا **المهاترات** التي نهى عنها القرآن الذي يزعم الشيخ أنه يدافع عنه. فالقرآن يقول {**كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ. (الصف 3)**}.

- ويقول الشيخ في مقاله بعنوان ‹البحث عن وجود الله داخل سراويل المسلمين› المنشور بموقع الحوار المتمدن، العدد 1755 بتاريخ 5 ديسمبر 2006، في مدح الكاتب الغربي:

> "وحين يختلف يختلف باحترام وتهذب".

ورغم تحفظنا على كلمة (تهذب) إذ المصدر من هذّب هو تهذيب، ومن أهذب هو إهذاب، إلا أننا نسأل الشيخ: أين هذا الاحترام والتهذب من قوله في مقاله الثاني ‹وفاء سلطان: عالمة نفس؟ أم عبد السلام النابلسي؟› بتاريخ 9 يناير 2007 وفي نفس الموقع:

> "فلم تترك تلك السيدة شيئا من الأفعال والصفات الحميدة وغير الحميدة إلا ونسبته إلى نفسها لدرجة أنني استغربت أنها لم تخبر قراءها أنها (تبولت وتبرزت وحاضت ونفست)" انتهى.

هل هذا هو الاحترام في الحوار الذي يدعو إليه الشيخ؟ فعلاً قد كبر مقتاً أن تقولوا ما لا تفعلون.

والشيخ طنطاوي الذي يدافع عن القرآن يتجاهل أحكامه. فالقرآن يقول:

> {**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ.** (النور 4)}.

- ولكن الشيخ يقذف بحق امرأة محصنة عندما يقول في نفس المقال المذكور:

> "فما أود قوله أن السيدة وفاء سلطان ربما قد مرت بتجارب وخبرات جنسية مؤلمة في صغرها وتحولت إلى عقد نفسية مرضية بدأت تظهر عليها بعد هروبها إلى الولايات المتحدة".

أليس هذا قذفاً في حق السيدة الدكتورة وفاء سلطان؟ ألا يجعل هذا القذف من الشيخ فاسقاً، كما تقول الآية، لأنه لم يأت بأربعة شهداء؟ وما دفعني إلى كتابة هذا المقال ليس الدفاع عن الدكتورة وفاء سلطان، فهي كفؤ للدفاع عن نفسها، إنما هو تبجح الشيخ بدون وجه حق.

- فالشيخ يقول في نفس المقال المذكور وفي إشارة واضحة لكتابي ‹قراءة نقدية للإسلام› ما يلي:

> "أما القلة فمن العجيب والمضحك والمبكي والمحزن ومن العار في آن واحد، أن بعض هؤلاء لا يعرفون قراءة كلمة واحدة في القرآن الكريم بشكل صحيح (كلمة واحدة) ومع ذلك نجد بعض هؤلاء يقول دون حياء أو خجل: (القرآن مليء بالأخطاء النحوية واللغوية والبلاغية). وهنا يبرز السؤال الدامي كيف عرف هذا المفكر العبقري الذي لا يجيد قراءة كلمة واحدة في القرآن أن القرآن به الكثير من الأخطاء النحوية والبلاغية؟؟؟!!!!" انتهى .

فهذا الشيخ الذي يتهمني بأني لا أقرأ كلمة واحدة في القرآن قراءة صحيحة، نجد أنه لا يفقه من لغة القرآن شيئاً على الإطلاق. فإذا رجعنا إلى مقاله الموسوم ‹البحث عن الله في سراويل المسلمين› والمنشور في موقع الحوار المتمدن بتاريخ 5 ديسمبر 2006، *نجد به كمية هائلة من الأخطاء النحوية يندى لها جبين تلميذ بالمدرسة الإعدادية* ناهيك عن شيخ تخرج في الجامع الأزهر ويدعي أنه يدافع عن القرآن الذي نزل بلسان عربي مبين.

1. يقول الشيخ (وأخص بهذا الاحترام معظم مثقفي الغرب **وسياسيوه** ورجال دينه وإعلامييه) انتهى.

والصحيح طبعاً أن يقول (سياسييه) إما لأنها معطوفة على مثقفي الغرب، أو لأنها مفعول به لكلمة (أخص) كأن يقول (أخص سياسييه).

2. ويقول (وهم أبعد **ما يكونوا** عن جديته واحترامه) انتهى.

والصحيح أن يقول (أبعد ما يكونون) لأن (ما) اسم موصول ويكونون جملة فعلية هي صلة الموصول.

3. ثم يقول (فبالتالي كثيرا ما يصطدم هؤلاء مع واقعهم العربي الشرقي حين يحاولون بشتى الطرق زرع هذه الأفكار في البيئة العربية الشرقية أو **يلبسوها** للواقع العربي رغما عنه) انتهى.

والصحيح أن يقول (يلبسونها).

4. ويستمر فيقول (وذلك لأن هؤلاء **المترجمون** هم مفكرون طفيليون عاجزون عن ابتكار أي فكر مستنير خاص بهم وبثقافتهم) انتهى.

والصحيح هو (المترجمين) لأنها بدل لاسم الإشارة (هؤلاء) المنصوب لأنه اسم أنّ.

5. ثم يقول (فلولا الغرب ما عرف هؤلاء العرب **المترجَمين** عن الإلحاد شيئا على الإطلاق) انتهى.

والصحيح أن يقول (**المترجمون**) لأنها صفة لكلمة (العربُ) المرفوعة لأنها بدل لإسم الإشارة (هؤلاء) المرفوع لأنه فاعل عرف.

6. ويقول كذلك (فالإلحاد له **صانعيه** وفلاسفته **وعلمائه الغربيين** الذين هم وحدهم من يملك براءة اختراع الإلحاد) انتهى.

وهذه الجملة بها عدة أخطاء: فكان يجب أن يقول (فالإلحاد له صانعوه) لأنه مبتدأ مؤخر خبره شبه الجملة من الجار والمجرور. وكان يجب أن يقول (وعلماؤه الغربيون) لأن (علماؤه) معطوفة على (صانعوه) و (الغربيون) صفة ل (علماؤه).

7. ثم يقول (وبما أن العرب المترجَمين لم **يكن** يعرفوا شيئا عن الإلحاد إلا من علمائه وأساتذته الغربيين) انتهى.

وكان الصحيح أن يقول (لم يكونوا يعرفون شيئاً).

8. ثم يقول (لم ولن **يستطع** أحد منهم إضافة شيء جديد على ما قاله علماء وفلاسفة الغرب الملحدين) انتهى.

وكان عليه أن يقول (ولن يستطيعَ) لأنّ الحرف (لن) تنصب الفعل المضارع. وكان عليه أن يقول (علماء وفلاسفة الغرب الملحدون) لأنّ (الملحدون) صفة للفاعل المرفوع وهو (علماء الغرب).

9. ثم قال (السيد الرئيس جورج دبليو بوش حينما أراد غزو العراق لم يغزه خلسة بالليل والناس نيام بل أخذ يعد له **عامان** منذ ضرب البرجين) انتهى.

وطبعاً كلمة (عامان) خطأ، والصواب أن يقول (عامين) لأنه تمييز عددي، وأصل الجملة محول من (وأخذ عامين يعد له).

10. ويقول (ليس لشيء سوى كسب ود الناس والأخذ في الحسبان أن هناك **بشر** آخرين في العالم) انتهى .

وكان يجب أن يقول (أنّ هناك بشراً) لأنّ (بشراً) منصوبة لأنها اسم أنّ.

11. ثم استمر الشيخ فقال (على عكس أشباه وأنصاف وأرباع المفكرين ومتطفلي الفكر في عالمنا العربي وخصوصا **المترجَمون** منهم).
والجدير بالشيخ أن يقول (وخصوصاً المترجمين) لأن (خصوصاً) مفعول مطلق و(المترجمين) مفعول به لفعل محذوف تقديره (أخص).
12. ويقول الشيخ كذلك (ورغم ذلك لم يلتفت العلماء والفلاسفة **الغربيين** إلى هذه القصص ولم يقوموا بتحليلها) انتهى.
وطبعاً كلمة (الغربيين) خطأ، وكان يجدر بالشيخ أن يقول (الغربيون) لأنها صفة للفاعل (العلماء).
13. وكذلك قال الشيخ (كما يفعل علماء العالم العربي وفلاسفته و**مفكريه المترجَمين**) انتهى.
والصحيح أن يقول (مفكروه المترجمون) لأن (مفكروه) معطوف على الفاعل المرفوع (علماء العالم العربي)، و(المترجمون) صفة أي نعت ل (مفكروه)، ونعت المرفوع مرفوع.
14. ويختتم الشيخ مقاله بالآتي: (وحتى يستريح **مفكري** الجنس، أقترح أن تقوم مجموعة من المثقفين بكتابة مذكرة عاجلة إلى السيد كوفي عنان الأمين العام للأمم المتحدة) انتهى.
وطبعاً الصحيح هو أن يقول (حتى يستريح مفكرو الجنس) لأنها فاعل مرفوع.

- فهل بعد كل هذه الأخطاء النحوية في مقال واحد يستطيع الشيخ نهرو عبد الصبور طنطاوي أن يستمر في ادعائه أن الذين قالوا إن بالقرآن أخطاء نحوية عديدة لا يعرفون قراءة كلمة واحدة من القرآن قراءة صحيحة؟
- وهل يستطيع الشيخ خريج الأزهر أن يقرأ القرآن قراءة صحيحة، والقرآن يعتمد في قدسيته على إعجازه اللغوي؟
- وهل يحق للشيخ الحديث عن القرآن ونحن نعرف أن أهم الشروط التي وضعها الفقهاء لمن يحاول شرح القرآن أو الحديث عنه، الإلمام الكامل باللغة العربية؟

- ويسأل الشيخ طنطاوي في مقاله ‹وفاء سلطان: عالمة نفس؟ أم عبد السلام النابلسي› بتاريخ 9 يناير 2007 عندما تحدث عني:

"هل هذا المفكر وصل إلى هذه المعلومات القيمة بناء على دراسته في علوم اللغة وعلم النحو والصرف والبلاغة مع أنه لا يجيد قراءة كلمات القرآن بشكل صحيح؟؟!!!.أم أن هذا المفكر العظيم قرأ هذه المعلومات لأحد الباحثين ثم انتحلها هو لنفسه حتى يُوهم الناس أنه صاحب علم وبحث ودراسة؟؟؟!!!" انتهى

- ويستطيع الشيخ الآن أن يحكم بنفسه، إذا كان قادراً على فهم لغة المقال، إنْ كان ما قلته عن أخطاء القرآن النحوية من اجتهادي أم نقلتها عن مصدر آخر.

ولكن المشكلة أن الشيخ نهرو عبد الصبور طنطاوي لا يستطيع أن يصبر يوماً واحداً دون أن يخوض في شرح القرآن والاتيان بتأويل من عنده يخالف شرح وتأويل السلف الذين شرحوا القرآن، رغم أن الشيخ غير مؤهل لفعل ذلك لأنه لا يجيد لغة القرآن.

وكمثال لتأويلات الشيخ التي افتراها، نورد تأويله للآية {**وتخفي في نفسك ما الله مبديه**}

- إذ يقول:

"إذن كانت الحكمة من وراء هذه الحادثة هي إباحة أن يتزوج المتبني طليقة ابنه بالتبني وكان ذلك بعد أن حرم الله التبني، وحسب النص القرآني أن زيدا لم يكن لديه أدنى علم بأن الرسول سوف يتزوج بزينب بعد طلاقها بدليل ما جاء في النص: {**وتخفي في نفسك ما الله مبديه**}.
إذن فالأمر كان مجهولا تماما لزيد ولم يكن لديه أية معرفة بما سيحدث بعد الطلاق، ورغم عدم علم زيد بالأمر، ورغم وضوح ذلك في النص، إلا أن الدكتورة تصر على أن زيدا تنازل للرسول عن زوجته، ورغم أن الرسول كان هو وحده مَن يعلم بالأمر ورغم إخفائه وعدم إظهاره لأحد رغم كل ذلك كان الرسول يقول لزيد أمسك عليك زوجك واتق الله." انتهى.

- ولنقرأ ما يقول كبار المفسرين الذين يجيدون لغة القرآن، يقول القرطبي في تفسير نفس الآية:

"اختلف الناس في تأويل هذه الآية فذهب قتادة وابن زيد وجماعة من المفسرين، منهم الطبري وغيره إلى أن النبي (ص) وقع منه استحسان لزينب بنت جحش وهي في عصمة زيد، وكان حريصاً على أن يطلقها زيد فيتزوجها هو، ثم أن زيداً لما أخبره بأنه يريد فراقها، ويشكو منها غلظة قول وعصيان أمر، وأذى باللسان، وتعظماً بالشرف، قال له: {**امسك عليك زوجك واتق الله (أي فيما تقول عنها)**} وهو يخفي الحرص على طلاق زيد إياها. وهذا الذي كان يخفي في نفسه." انتهى .

فكبار المفسرين القدامي الذين يجيدون فهم اللغة العربية فهماً يفوق فهم الشيخ نهرو طنطاوي، يقولون كما قالت الدكتورة وفاء سلطان من أن محمداً كان يحب زوجة ابنه بالتبني وكان يخفي هذا الحب في نفسه فأظهره الله، وعندما قال له {**اتق الله**} لم يقصد تقوى الله من حيث هي، وإنما قصد: اتق الله ولا تتحدث عن زينب بهذا الحديث .بينما يقول لنا المفسر الحديث الذي لا يعرف من لغة القرآن غير اسمها، **إن الذي كان يخفيه محمد في نفسه هو حقيقة أن زيداً كان سوف يطلق زوجته**. فالشيخ أثبت هنا للملأ أحد أمرين:

- إما أنه يجهل ما يتحدث عنه،
- أو أنه ضرب بالأمانة العلمية عرض الحائط وأتى بتأويل لم يذكره كبار المفسرين، ولم يقل لنا إن تأويله يختلف عن تأويل كبار المفسرين.

- ويقول الشيخ في نفس المقال:

"وسوف أتناول في المستقبل موضوع ما يسمى بالأخطاء النحوية والبلاغية والعلمية والتاريخية في القرآن إن شاء الله حين أفرغ من دراسة نقد عقائد المسلمين، وسوف أكشف للناس **بالأدلة القاطعة** مدى السطحية والجهل وقلة الثقافة الناتجة عن النقل والنسخ من الغير دون تحقيق أو تدقيق، ولكل حادثة حديث ولكل مقام مقال " انتهى.

- فهل فعلاً سوف يتجرأ الشيخ على القيام بهذه المهمة التي ليس هو من المؤهلين للقيام بها لفقدانه الإلمام بأبسط قواعد اللغة، وكلنا يعلم أن فاقد الشيء لا يعطيه؟

- والغريب أن الشيخ قد نسي ما درسه في الجامع الأزهر، إن كان فعلاً قد درس به، وسأل:

"أنا لا أدري في الحقيقة لماذا البعض يجعل الجنس وممارسته وكيفيته وطريقته ودرجة حرارته وبرودته هو شغله الشاغل " انتهى .

- هل نسي الشيخ أن:
  - الإمام أبا حنيفة كان قد قضى تسعة أعوام من عمره في تأليف *كتاب عن الحيض والاستحاضة والنفاس*؟
- وهل نسي الشيخ كل الكمية الهائلة من **الترهات التي كتبها فقهاء الإسلام عن**:
  - مجامعة المرأة في دبرها أم قبلها؟
  - وما يفسد الوضوء من دخول حشفة البالغ في الفرج؟
  - وكم هو طول الحشفة الذي يجب أن يدخل الفرج قبل أن ينتقض الوضوء؟
  - وطريقة مجامعة المرأة وما يجب أن نقول قبل الإيلاج وبعده؟
  - وهل نمص لسان الزوجة لأن النبي كان يمص لسان عائشة؟
  - وهل يجوز للزوجة أن تتعرى أمام زوجها قبل الجماع؟
  - وهل يجوز للرجل أن يقذف خارج الفرج؟

- وكم مرة بالعام يجب على الزوج أن يجامع زوجته؟

وما هذا إلا نزراً يسيراً مما كتبه فقهاء الإسلام وفقهاء الأزهر خاصة عن المرأة والجماع مما دعا الإمام الخميني لأن يقول عن فقهاء الأزهر إنهم فقهاء الحيض.

وأخيراً أرجو من الشيخ، إن أصر على الكتابة بلغة لا يجيدها، أن لا يتطاول على العلماء الحقيقيين من أمثال الدكتورة وفاء سلطان.

عودة إلى الفهرس

48، 49، 50، 51 - محمد الحسيني إسماعيل ووفاء سلطان

2007 / 2 / 4

1 مِن 4

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=87753

بعث لي السيد محمد الحسيني إسماعيل رسالة إلكترونية (إيميل) بعد أن قرأ إحدى مقالاتي، حاول فيها الدخول معي في نقاش حول الإسلام. وكانت رسالته الأولى **مهذبة** جعلتني اعتقد بأنه شخص متنور يفهم آداب الحوار. ولما كانت الرسالة تحتوي على آيات قرآنية عديدة حاول بها إقناعي أن الإسلام من عند الله وأن الله قد خلق العالم، رددت عليه بأني لا أؤمن بالقرآن ولذلك سوف يكون نقاشنا مضيعة للوقت إن استمر في اعتماده على الآيات القرآنية.

- وجاء رده مشبعاً بالاتهام لي بالجهل والسذاجة ثم سألني:

وما هي شهاداتك؟

✍ ويبدو أن السيد محمد الحسيني إسماعيل *مغرم بالشهادات* ويعتبرها الميزان الذهبي لمعرفة مستوى الشخص العلمي والثقافي. وبما أن السيد محمد الحسيني من مصر فلا بد أنه يعتبر أن المرحوم العقاد لم يكن شيئاً لأنه لم تكن له أي شهادات. ولا بد كذلك أنه أعتبر المرحوم الدكتور زكي مبارك، الذي كنتُ من المعجبين به، أعظم كاتب مصري لأنه كان قد حاز على أكثر من إجازة دكتوراة واحدة، وكان يسمي نفسه الدكاترة زكي مبارك .فمنهم من يغتر بزخرف العلم.

الدكتور محمد الحسيني *أخذ على عاتقه أن يفند كل ما كتبته الدكتورة وفاء سلطان*، في حلقات مطولة ومليئة بالتكرار، الذي فاق تكرار القرآن لقصصه، **واتبع في كتاباته نفس أسلوب التهكم والشتم والاتهام بالجهل الذي يجيده الإسلاميون**. ولنبدأ بمقاله الأول.

- يقول الدكتور محمد في بداية المقال:

"وقبل الرد على دكتورة علم النفس.. كان لابد من تقديمها للقاريء حتى يعلم ما هي شخصيتها وما هي هويتها الدينية من خلال ما تكتبه ـ هي ـ عن نفسها" انتهى.

✍ وليسمح لي القارئ أن أقدم له كذلك الدكتور محمد الحسيني من خلال ما كتبه عن نفسه. الدكتور محمد الحسيني له موقع بالإنترنت يسميه (Truth 4 u حيث الحقيقة المطلقة) وهو لا شك عنوان في منتهى التواضع لأن الدكتور محمد رجلٌ مسلم، *والمسلمون يمتلكون الحقيقة المطلقة ويمتلك سواهم السراب*.

- يقول الدكتور محمد إنه:

1. تخرج من كلية الهندسة عام 1965.
2. التحق بالقوات المصرية المسلحة عام 66 وشارك في حرب 67 وحرب 73.
3. حصل على دراسات عليا في الآلات الكهربائية عام 1974 من كلية الهندسة بجامعة عين شمس.
4. حاز على الماجستير في الهندسة في أنظمة الحسابات الالكترونية من جامعة الأزهر عام 1979.
5. حصل على الدكتوراة في الفلسفة من كلية الهندسة جامعة القاهرة عام 1983 في هندسة القوى والمحركات الخطية.
6. حصل على الدكتوراة في الفلسفة من كلية الهندسة بجامعة ولاية أيوا الأمريكية في عام 1987 في الهندسة الكهربية.
7. نشر 13 بحثاً في تكنولوجيا القوادف الفضائية الكهرومغناطيسية في أشهر وأكبر الدوريات العلمية والمؤتمرات العالمية.
8. عاصر الحصار العلمي للولايات المتحدة الأمريكية للمنطقة والتي انتهت بإيقاف البحوث الاستراتيجية وتشتت العلماء وبهذا أصبحت مراكز البحث العلمية (خرائب بحثية).
9. وصل إلى درجة لواء وشغل منصب نائب مدير مركز البحوث والتطورات بالقوات المسلحة المصرية. تقاعد عام 1993.
10. وحصل على العضويات العلمية العالمية التالية:
    - عضو (متميز) بجمعية المهندسين الأمريكية الدولية.
    - عضو (نشط) بأكاديمية العلوم الأمريكية – نيويورك.
    - عضو (عالمي) بجمعية تقدم العلوم الأمريكية.

- ثم كتب تحت هذه القائمة الطويلة، وباللغة الإنكليزية، ما يلي:

Formerly :
1- Senior member, IEEE (USA).
2- Active member, Academy of Sciences, New York.
3- International member of the American Association for the advancement of Science (USA).

✍ ولا شك فإن القائمة تبدي دكتور محمد الحسيني وكأنه عالم متميز من الذين يعدون على الأصابع، ولكن دعونا نتفحص هذه القائمة *حتى نعرف درجة الأمانة العلمية عند الدكتور محمد الحسيني*.

يقول في المدخل الثالث إنه حصل على *دراسات عليا* في الآلات الكهربائية من جامعة عين شمس. هل ياترى عجزت جامعة عين شمس أن تجد اسماً مناسباً لهذه الدراسات العليا التي يبدو أنها ليست ماجستير ولا دكتوراة؟ أم أن دكتور محمد اعتبر أننا لا نستحق أن يُفصح لنا عن ماهية تلك الدراسات العليا؟

ثم بعد أن حصل على درجة الدكتوراة (التي يصر على ترجمتها ترجمة حرفية ويسميها دكتوراة في الفلسفة) من جامعة القاهرة في القوى والمحركات، نال درجة الدكتوراة الفلسفية في الهندسة الكهربية من جامعة أيوا في أمريكا. ومرة أخرى لا يخبرنا الدكتور في أي موضوع أو فرع في الهندسة الكهربية نال شهادته. فدرجة الدكتوراة تكون في موضوع محدود في الهندسة الكهربائية. وربما استعمل الدكتور هنا ما نسميه الآن (التفكير العرضي Lateral thinking) وهو عبارة عن تقديم نفس الموضوع في صيغة تختلف قليلاً عن الأولى بدل الصعود بالموضوع أفقياً والبحث في مجالات جديدة. هل يا تُرى قدم دكتور محمد نفس بحثه القديم بطريقة جديدة في جامعة أيوا؟

ثم بعد نيله الدكتوراة الثانية نشر ثلاثة عشر بحثاً في أشهر المجلات العلمية والمؤتمرات العالمية. والدكتور محمد يمتلك موقعاً كاملاً بالانترنت يستطيع أن ينشر به مجلدات، ومع ذلك لم ينشر لنا قائمة *بالبحوث العظيمة* التي قام بها وأسماء المجلات العلمية الرصينة التي نشر بها بحوثه حتى نستطيع أن نطالعها بأنفسنا لنعرف إذا كان فعلاً قد نشر هذه البحوث في أعرق المجلات العلمية. فعلينا أن نصدق ما قاله الدكتور (إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام).

ثم رصد لنا الدكتور عضويته في الجمعيات العلمية المشهورة، منها IEEE والحروف ترمز إلى معهد هندسة الكهربائيات والإلكترونيات Institute of Electrical & Electronic Engineering. العضوية في هذا المعهد لا تحتاج إلى أي شهادات عليا. طالب

الهندسة يمكنه أن يصبح عضواً. وأي مهندس في أي فرع من فروع الهندسة يمكنه أن يصبح عضوا إذا دفع الرسوم السنوية. ولكي تصبح عضواً متميزاً يجب أن تكون قد تخرجت قبل عشرة سنوات وعملت كرئيس قسم supervisor لمدة خمسة سنوات، ثم تدفع 134 دولاراً أمريكياً بالعام. والعضوية الثانية كانت في أكاديمية العلوم بنيويورك. لكي تصبح عضواً ما عليك إلا أن تدفع 115 دولاراً سنوياً وليس هناك أي شروط أخرى. والطلبة كذلك يمكنهم أن يكونوا أعضاء. والعضوية الثالثة كانت بالاتحاد الأمريكي لتقدم العلوم. لكي تصبح عضوا عالمياً ما عليك إلا أن تدفع مبلغ 142 دولاراً سنوياً.
ونلاحظ هنا أن العضوية في كل هذه الجمعيات التي ذكرها لا تتطلب أن تكون شخصاً نابغاً في العلوم أو حائزاً على إجازة الدكتوراة. كل مَن يدفع الاشتراك يصبح عضواً. ونلاحظ كذلك أن الدكتور قد أثقلت كاهله الاشتراكات السنوية فأوقف عضويته ولم يعد عضواً في هذه الجمعيات، ولذلك كتب Formerly عندما كتب العضوية باللغة الإنكليزية، ولكنه لم يذكر أنه كان عضواً سابقاً في تلك الجمعيات عندما كتب باللغة العربية. وقد حكى لي صديق أن بعض الجراحين الهنود الذين يرسبون في امتحانات الزمالة بانـگلترا يرجعون إلى الهند ويكتب الواحد منهم على لافتة عيادته بالأحرف الكبيرة (**زميل كلية الجراحين الملكية**) ثم يكتب بحروف صغيرة جداً تحتها (**رسب**). والدكتور رغم أنه لم يعد عضواً بهذه الجمعيات فقد كتبها بموقعه ولم يكتب لنا البحوث التي تقدم بها. والغرض طبعاً من إظهار كل هذه الجمعيات والبحوث المزعومة هو **إعطاء القارئ فكرة خاطئة عن أهمية الدكتور العلمية**. وهناك في المجال الطبي جمعية بسويسرا تمنحك زمالة كلية الجراحين العالمية إذا اثبت أنك جراح ودفعت الرسوم السنوية.
ويقول الدكتور إنه قد عاصر الحصار الأمريكي على البحوث الاستراتيجية في مصر، ذلك الحصار الذي جعل من المختبرات المصرية خرائب بحثية خاوية، ولكن مع ذلك أصبح نائب مدير مركز البحوث بالقوات المصرية المسلحة، فبماذا كان يبحث؟
لا غرو أن مصر خسرت كل حروبها مع إسرائيل وفي اليمن كذلك **لأن مدير مركز البحوث ونائبه كانا يترأسان خرائباً خاوية**. ولكني استغرب كيف سمحت أمريكا للدكتور، رغم حصارها الشديد على البحوث في مصر، أن ينال درجة الدكتوراة في إحدى جامعاتها وأن يجري بحوثاً مهمة بلغت ثلاثة عشر بحثاً نشرها في أكبر المجلات العلمية؟

- وبعد أن قدمت الدكتور محمد الحسيني للقارئ، أبدأ بمناقشة دفاعه عن الإسلام ومحاولته تفنيد ما كتبته الدكتورة وفاء سلطان. وما دفعني لكتابة هذا الموضوع هو بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن دكتورة وفاء سلطان هو *تلميح الكاتب* كلما ذكر الدكتورة وفاء سلطان، يقول:

"والذين من شاكلتها" أو "والذين يهاجمون الإسلام عن جهل".

وهو هنا يتبع المثل الذي يقول "إياكِ أعني فاسمعي يا جارة".

- يبدأ الدكتور هجومة على دكتورة وفاء سلطان بقوله:

"وعلى الرغم من عدم وضوح عبارتها وتناقضها الذاتي .. إلا أن ما يهمنا هو اعترافها ـ صراحة ـ بأنها كانت مسلمة .. ثم أصبحت " لا دينية " . ويقول بعض النقاد أن وفاء سلطان وُلدت في طائفة العلويين السورية (وهي أحد الفرق المنشقة على الإسلام) ومن ثم، فإنها ليست منتمية للإسلام كما تدّعي." انتهى.

- ورغم أن الدكتورة قالت إنها كانت مسلمة فإن الدكتور محمد لا يصدقها لأن بعض النقاد قالوا إنها ولدت علوية، *والعلويون ليسوا مسلمين، كما قرر الدكتور، كأنما الإسلام شرفٌ كبير تدعيه الدكتورة ويكذبها به الدكتور*.

أليس هذا هو نفس الكلام الذي سمعناه مؤخراً من الشيخ القرضاوي في مؤتمر الدوحة للتقارب بين المذاهب، ذلك المؤتمر الذي باعد بين المذاهب بدل أن يقرّب بينها بسبب تعصب الشيخ القرضاوي؟ فلا فرق بين مَن درس في الأزهر ومَن درس في الجامعات الأمريكية.

- ويستمر الدكتور فيقول:

"تعتمد على "كتب التراث" في كل ما تكتب، والمعروف أن هذه الكتب بها الكثير من الغث والقبيح، بسبب **الإسرائيليات** والموضوعات **المدسوسة** فيها.. بهدف ضرب الإسلام العظيم من داخله.. مثلما سبق وتم تحريف الكتاب المقدس من قبل..!!! ؛ وعموما هي لا تجيد سوى الهجوم على الإسلام بدون دراسة أو حجج لأسبابها ـ النفسية ـ الخاصة، لأن من المعروف في الوقت الحالي.. أن أسهل الطرق في الغرب لجني المال والشهرة والنجومية هي في **مهاجمة الاسلام** فحسب..!!!" انتهى.

- فالدكتور، رغم شهاداته العديدة وعضويته بكل تلك الجمعيات الأمريكية، يؤمن **بنظرية المؤامرة**، وأن كل العالم يتربص بالدين العظيم الذي أنتج لنا القنابل البشرية والسيارات المفخخة، وكلهم، بالتعاون مع إسرائيل، يريدون إنهاء الإسلام. ولذلك أدخلوا في كتب التراث كل هذه **الإسرائيليات**.

ما أذكى هؤلاء اليهود الذين استطاعوا رغم قلة عددهم إدخال ما يريدون في كتب الحديث وكتب السيرة وحتى كتب التاريخ الإسلامي. لا بد أن الدكتور عندما كان بأمريكا لم يزر الأماكن العامة ليرى بأم عينه أن كل مكان عام تقريباً به مكان لصلاة المسلمين، وعدد المساجد بأمريكا يفوق عددها ببعض البلاد الإسلامية. وفي أوروبا يوجد مسجد أو مكان للصلاة في كل محفل أو مبنى عام. فكيف يُعقل أن يكون هؤلاء الناس متآمرين على الدين العظيم، بينما نمنع نحن غير المسلمين من الاقتراب من مكة والمدينة ونمنعهم من بناء كنائسهم أو حتى ترميمها، ونصرخ بملئ أفواهنا أن التوراة والإنجيل محرفتان، كما ذكر الدكتور في مقاله هذا، ولا نكون متآمرين على دينهم؟

- وبعد أن استكثر على الدكتورة وفاء سلطان أنها كانت مسلمة في صغرها، أعلن على الملأ أنها صليبية فقال:

"وربما تتأكد صليبيتها من خطابها في أحد مؤتمرات الأقباط المنعقد يوم الأربعاء 23 نوفمبر 2005.. حيث تقول: (بحق صليبي الذي أحمله على ظهري أقول لكلّ النساء في وطني عندما يقف الله ضدّ المرأة.. سأقف ضدّ الله!)" انتهى.

- وطبعاً الدكتوره كانت قد قصدت صليباً معنوياً، أي كما يقول الانـگليز .Figurative speech والدكتورة حتماً لا تحمل صليباً خشبياً على ظهرها. وكثير من الكتاب والشعراء العرب يقولون: كالمسيح أحمل صليبي، ولا يعنون أنهم مسيحيون.

- ثم انتقل الدكتور إلى موضوع الجنس في الإسلام، فقال:

"تقول دكتورة علم النفس: (الإسلام، وخلافا لجميع الأديان والديانات، هيّج الغريزة الجنسية لدى الرجل ولم يعقلها، أطلق عنانها بلا أدب أو أخلاق.)" انتهى.

- ورد الدكتور عليها بقوله:

"بداية ـ وباختصار شديد ـ أقول لها.. بأن كل ما عمل عليه الإسلام ـ فيما يتعلق بالجنس ـ هو **تقنين العلاقة المقدسة** بين الرجل والمرأة. فكل ما طلبه هو حضور: شاهدي عدل (أي شخصان بالغان) على عقد الزواج.. وعند انتهاء هذا العقد اشترط أيضا حضور شاهدي عدل على عقد الطلاق.. وأن تستبرىء المرأة لرحمها.. حتى: (1) تنسب الأطفال لأبيهم في حالة حمل المرأة من جانب، (2) وحتى لا يحرم الأبناء من حقهم الطبيعي في إنفاق الأب عليهم وتوليه مسئولية رعايتهم من جانب ثاني، (3) وحتى لا يحرم الأبناء من حقهم الشرعي في ميراث الأب ـ في حالة وفاته ـ من جانب ثالث." انتهى

- ولا أدري ما دخل الميراث والطلاق في إباحة الممارسات الجنسية العديدة التي أباحها الإسلام من نكاح ما ملكت أيمانكم إلى زواج المتعة والآن زواج الفرند وزواج المسيار، وكلها لا تتطلب شهوداً ولا طلاقاً ولا نفقة.

أما استبراء المرأة لرحمها قبل الزواج فلم نر أن رسول الإسلام قد طبقه عندما دخل على صفية في نفس اليوم الذي قتل فيه زوجها.

ثم أكثر الدكتور من نقد أسلوب الحكايات الجنسية في العهد القديم ومغامرات داوود ولوط وغيرهما، وتهكم على أسلوب العرض وقارن ذلك مع الأسلوب العرضي الجميل في لغة القرآن،

- فقال:

"هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (القرآن المجيد ـ الأعراف {7}: 189)". انتهى.

- ثم أردف قائلاً:

"هل أدركت ـ يا دكتورة علم النفس ـ الرقي في المعاني في العرض القرآني..؟!!! هل أدركت الفرق بين.. فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ (عرض الجنس المتسامي في القرآن العظيم.. .. وبين الهبوط الأخلاقي للأنبياء وعرض الجنس في الكتاب..المقدس..)." انتهى.

✍ فالدكتور يعتقد أن جمال كلمة (تغشاها) تضفي على القرآن قدسية غير التي يجدها المسيحيون في كتابهم.

ولكن الدكتور تفادى أن يذكر الآيات العديدة التي يقول فيها القرآن {**أنكحوا**}، والأحاديث التي يقول فيها نبي الإسلام [**استحللتم فروجهن**]، كأنما المرأة هي فرج لا غير.

وكون لغة الإنجيل غير مهذبة فيما يختص بالجنس لا يعني أن القرآن قد عامل الجنس معاملة أرقى أو أفضل.
وكما يقول الانـگليز: Two wrongs do not make a right فلو تركنا اللغة جانباً، فإن التشريع الإسلامي عن المرأة والجنس تشريع مخذي ويحط من كرامة المرأة ويختزلها في عضوها التناسلي فقط.

- ويستمر الدكتور فيقول:

"وحتى إن وجدت بعض الأخطاء ـ يا دكتورة علم النفس ـ من المسلمين والحكام العصاة.. فكان التوقع منك أن تفهمي جيدا ـ بحساب علمك ـ بأن هذه الأخطاء يجب أن يتحملها العصاة من المسلمين والحكام أنفسهم والذين أساءوا إلى الدين .. والإسلام العظيم منها براء..!!!" انتهى.

✍ وليس هناك من أساء إلى الدين الإسلامي العظيم.

فالحكام والمسلمون منذ بدء الإسلام إلى اليوم *استمدوا وما زالوا يستمدون السند من القرآن والسنة لكل ما يقومون به من ضرب النساء والأطفال واغتصاب البنات الصغيرات والنساء وامتلاك واستغلال النساء والرجال* {**ما ملكت أيمانكم**}. *وحتى ظلم الرعية وجدوا السند له في القرآن* الذي يقول لهم {**أطيعوا أولي الأمر منكم**}، وفي السنة التي تقول لهم [**على المسلم الطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية**].[1] وهذا هو أبو ذر الغفاري عندما جاءه نفر من العراق بعد أن نفاه عثمان إلى الربذة، فقالوا له:

"يا أبا ذر فعل بك هذا الرجل وفعل، فهل أنت ناصب لك راية، فقال: لا تذلوا السلطان **فإنه من أذل السلطان فلا توبة له،** والله لو أن عثمان صلبني على أطول خشبة لسمعت وصبرت ورأيت أن ذلك خير لي."[2]

- ثم يقول الدكتور:

"وقد أعابت الدكتورة الفاضلة على الرسول (صلى الله عليه وسلم) زواجه من السيدة "عائشة ".. وهي في سن التاسعة من عمرها.. بعد أن تخطى الخمسين من عمره (على الرغم من أن كل زيجات النبي ـ ص ـ كانت ذات أهداف دينية وتعليمية). والسؤال الآن: هل الزواج ـ بأي صيغة ـ أفضل.. أم الزنا.. وزنا المحارم السابق عرضه في الكتاب المقدس أفضل..؟!!! وهل تعلمي ـ يا دكتورة علم النفس ـ أن سليمان الحكيم (أو النبي، عليه السلام، من المنظور الإسلامي) ـ في الكتاب المقدس ـ كان متزوج من سبع مئة من النساء، وربما كان فيهم أصغر من هذه السن التي تعترضي عليها، كما كان ـ سليمان الحكيم ـ يمتلك ثلاث مئة من السراري.. بل وجعلته نسائه يشرك بعبادة الله (عز وجل).. ويسجد لآلهة أخرى غير الله (سبحانه وتعالى).. وهاك النص المقدس.." انتهى

✍ ولا يسعني إلا أن أقول للدكتور *إن الزنا بالنساء البالغات أفضل بكثير من زواج طفلة عمرها تسعة سنوات*.

هل يمكن عقلياً أن يجيز إله في السماء لنبي من أنبيائه أن يمارس الجنس مع طفلة لا تعرف ما هو الجنس؟ أما كون سليمان كان متزوجاً من ثلاثمائة أو سبعمائة زوجة فهذا ليس عذراً لمحمد أن يتزوج ما يربو على العشرين زوجة ويضيف عليهن ما ملكت يمينه ثم يتزوج طفلة أصغر من أصغر بناته.

- وبعد أن استعرض الدكتور قصص الزنا والفاحشة في الفاتيكان وفي الكنائس، قال:

"كما تعلمي جيدا (بحكم وجودك في الولايات المتحدة).. تفشي الخيانة الزوجية في الأسرة الأمريكية، هذا إن وجدت الأسرة أصلا، فمعظم الأسر الأمريكية هي أسرة الوالد الواحد (one Parent Family) وعلى حسب بعض الدراسات الرسمية وجد أن 30 % من الأبناء ليسوا أبناء الآباء..!!!" انتهى.

✍ والذي يقرأ ما كتبه الدكتور يعتقد أن مصر وبقية الدول العربية والإسلامية*ليس بها أبناء سفاح وليس بها خيانة زوجية*.

ربما أن الدكتور لم يقرأ عن إحصاءات الأطفال المشردين في مصر نتيجة *الزواج العرفي* وعدم اعتراف الأب بأبوية الأطفال. ويتكرر نفس الشيء في العراق الآن بعد أن أصبح الزواج العرفي متفشياً في الجامعات. أما في إيران الإسلامية فالمشكلة أكبر بكثير. وليس هناك بلد عربي ليس به ملاجيء لأطفال السفاح. **فمن السهل على المسلمين محاولة التكتم على الأوضاع ودفن رؤوسهم في الرمال والتظاهر بأن مثل هذه الأشياء لا تحدث عندهم**. كل ما يحدث في الغرب يحدث في البلاد الإسلامية.

الفرق الوحيد هو أن الغرب يعترف بالواقع ويواجه المشاكل ويحاول إيجاد الحلول لها إن أمكن ذلك، بينما في البلاد الإسلامية يكنسون القذارة تحت البساط لإخفائها عن العيون.

- ثم ينتقل الدكتور إلى العلاقة الجنسية في الإسلام فيقول:

"فالعلاقة بين الرجل والمرأة ـ من المنظور الإسلامي ـ تسمو كثيرا فوق العلاقة الجنسية أو الجسدية.. كما جاء في قوله تعالى.. {**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ. (الروم 21)**}". انتهى.

ولعمري هذه أكبر فرية قرأتها حديثاً.

✍ فما هي هذه العلاقة السامية بين الرجل والمرأة في الإسلام؟ أهي العلاقة التي يقول عنها القرآن: {**نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم**}؟

✍ وهل المودة التي عناها الإسلام
هي *إباحة ضرب الرجل زوجته*؟
أم *الأحاديث العديدة التي تقول*:

[إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه ولم تجبه باتت تلعنها الملائكة]؟

أم *الحديث* الذي يقول:

سئل رسول الله: [ما حق الرجل على زوجته، فقال: لا تصوم يوماً إلا بإذنه، فإن فعلت لعنتها ملائكة الله وملائكة الرحمة، وملائكة الغضب، حتى تفيء أو ترجع][3]؟

---

[1] البخاري 2796.
[2] تاريخ الإسلام للذهبي.
[3] أحكام النساء، لابن الجوزي، ص 209.

أم *المودة* هي التي عناها ابن القيم الجوزية عندما قال:

عن الرجل الذي حلم أنه يدخل في فرج امرأة، فقال عنه إنه أوّل (فسّر) فرج المرأة بالأرض إذ كلاهما محلُ الوطء.[4]؟

أم هي الحديث الذي رواه الشيخان، ويقول:

[أيضرب أحدكم امرأته كما يضرب العبد، ثم يجامعها في آخر اليوم؟]

وهذا الحديث لا يمنع ضرب النساء **إنما يوصي بتخفيف الضرب** لأن هناك حديث آخر عن ابن سعد والبيهقي عن أم كلثوم بنت أبي بكر قالت:

[كان الرجال نهوا عن ضرب النساء، ثم شكوهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخلى بينهم وبين ضربهن ثم قال: "ولن يضرب خياركم".]؟

فالإسلام أيها الدكتور ليس به شيء واحد حسن فيما يتعلق بمعاملة المرأة.

- وعندما اعترضت الدكتورة على الآية التي تقول {**نساؤكم حرث لكم**} قال لها:

"والآن؛ أقول لها إن ذكر المولى (عز وجل) لكلمة "حرث" تعني أن المرأة لا يجب مجامعتها إلا في مكان وضع البذرة لنمو الجنين.. وبالتالي التحريم الضمني أن تؤتى المرأة في دُبرها ـ أي تحريم الشذوذ الجنسي ـ لحماية المرأة والرجل من كثير من الأمراض المهلكة كالأيدز وخلافه." انتهى.

✍ ولعلم الدكتور فإن كلمة {**أنّى**} تعني حيث، أي في أي مكان، كما تعني (متى).
والله كان في إمكانه أن يزيل الغموض ويقول آتوا نساءكم متى شئتم، لكنه قال أنّى شئتم، وفتح الباب للفقهاء أن يقولوا ما يشاءون.

فقد روى إسحاق أن آية {**نساؤكم حرث لكم**} **نزلت في إتيان النساء في أدبارهن**. وأخرج هذه الرواية إسحاق في مسنده، وأخرجه أبو جعفر بن جرير الطبري في تفسيره. وعن ابن عمر قال: **إنما نزلت على رسول الله رخصةً في إتيان الدبر**.[5]

وإذا كان الإسلام قد أراد تحريم جماع الدبر، لماذا حرمه تحريماً ضمنياً كما يقول الدكتور؟ لماذا لم يتضمنه في الآيات التي تقول (حُرمت عليكم...)؟ فالإسلام أيها الدكتور ملئ بالثقوب الفقهية ولا يجوز لك أو لأي شخص آخر أن يجزم القول بما يراه هو صحيحاً ويراه غيره غير ذلك.

وكلمة أخيرة في أذن الدكتور الكهربائي الذي يتحدث عن الطب بغير علم، إن انتشار متلازمة فقد المناعة المكتسب، الأيدز، لا تقتصر أسبابه على الجماع في الدبر، بل يفوق عدد الحالات التي نتجت من الجماع بين المرأة والرجل في قبل المرأة عدد جميع الحالات التي نتجت وتنتج من الجماع في الدبر بآلاف المرات.

أكثر من 60 بالمائة من حالات الأيدز توجد الآن في أفريقيا، وأكثر من 90 بالمائة من هذه الحالات تنتج عن جماع بين المرأة والرجل وفي القبل. وقد فاق عدد المصابين بالأيدز في مصر المحروسة المسلمة 12000 حالة حتى نهاية 2003 م. 64 بالمائة منها نتجت من جماع بين رجل وامرأة، و31 بالمائة من عمليات نقل دم.[6]

فإذا كان الإسلام قد حرّم الجماع في الدبر (وهو لم يحرمه) فلماذا لم يحرّم نقل الدم من شخص لآخر ليمنع انتشار الأيدز؟
وفي الحقيقة فإن انتشار الأيدز في البلاد الإسلامية سببه هوس رجال الدين بالتكاثر حتى يباهي نبي الإسلام بقية الأنبياء يوم القيامة بعدد أتباعه، ولذلك منعوا استعمال وقاء الذكر (كوندوم) Condom المانع لانتشار الأيدز.
وللحديث بقية.

2007 / 2 / 7

2 مِن 4

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=88013

بدأ الدكتور محمد الحسيني مقاله الثاني عن الدكتورة وفاء سلطان بتكرار ما قاله في المقال الأول عن *الجنس في الإسلام*، ثم أعاد التعريف بالدكتورة وفاء سلطان مرة أخرى، رغم أن الدكتورة غنية عن التعريف بعد أن طبّقت شهرتها الآفاق.

- يقول عنها الدكتور:

"ومنذ ظهورها الأكثر شهرة على قناة الجزيرة، في برنامج الاتجاه المعاكس، تم نشر سيرة وفاء سلطان مؤخرا في صحيفة نيويورك تايمز.. ولوس أنجلوس تايمز.. وصحيفة لوموند الفرنسية. كما تم تكريمها من قبل مجلة تايم بوصفها واحدة من أكثر 100 شخصية نفوذا في العالم، وهو تصنيف تتشاطره مع الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش، وأوبرا وينفري.. صاحبة البرنامج الأمريكي المشهور "أوبرا". فهذه هي وفاء سلطان في عجالة ." انتهى

✍ **ويبدو أن هذا هو بيت القصيد**. فوفاء سلطان التي نشرت بعض المقالات، كما يقول، استضافتها كل هذه الصحف والمجلات العالمية، بينما الدكتور كان قد نشر، حسب زعمه، ثلاثة عشر بحثاً علمياً في أشهر المجلات العلمية، **ولم تحفل به الصحف والمجلات العالمية كما حفلت بالدكتورة**.

ولكن الدكتور محمد الحسيني إسماعيل لا يعزي هذه الشهرة إلى كون الدكتورة أول امرأة عربية تحاول تشخيص أمراضنا الاجتماعية التي **عقلت** مجتمعاتنا العربية كما نعقل إبلنا قبل أن نحلبها، فهو يعزي هذه الشهرة فقط إلى هجوم الدكتورة غير المبرر على الإسلام،

- فيقول:

"وهي تؤكد ـ دائما ـ على أن الصراع القائم في العالم الآن هو صراع: " بين التخلف والحضارة ـ أو ـ بين البربرية والعقلانية "، وذلك في مقارنة واضحة بين العالم الإسلامي والغرب المسيحي (على التوالي). ولهذا كان علينا مناقشة حضارة الغرب المسيحي التي تعلن وفاء سلطان بأنها الحضارة التي سحرتها.. وتوافقت مع منطقها العلمي والعملي.. كما تروج لهذا دائما ..!!!" انتهى.

✍ وهنا قدّم لنا الدكتور إعادة كاملة لما كان قد ذكره في المقال الأول من أن *إله المسيحية واليهودية قد أصبح في نظرهم خروفاً مذبوحاً له سبعة قرون*.

- ثم قال:

---

[4] زاد المعاد لابن القيم، ج3، ص 346.
[5] العجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني، ص 378.
[6] http://www.middle-east-online.com.

"ولا يصح التبرير هنا والقول **بالرمزيات** في سرد الكتاب المقدس، لأن الكنيسة الأورثوذكسية ـ تأكيدا لهذا المعنى ـ قدمت برهانا (رياضيا مفصلا ومطولا) لإثبات أن "إله المسيحية" هو بما لا يدع مجالا لأي شك: [.. خروف قائم كأنه مذبوح له سبعة قرون ..] .. ويمكن للقارئ المهتم الذهاب إلى موقع http://www.truth-4u.com."انتهى.

✍ والموقع المذكور هو موقع الدكتور حيث الحقيقة المطلقة.

وما دام التبرير بالقول بالرمزيات لا يصح، فكيف يفسر لنا الدكتور أوصاف إله المسلمين الآتية:

1.

"أن الله مستوي على عرشه كما قال {**الرحمن على العرش استوى**} وأن له **وجها** كما قال {**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**} وأن له يدين كما قال {**بل يداه مبسوطتان**} وأن له عينين كما قال {**تجري بأعيننا**} وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالا وندين بأن الله يقلب القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل يضع السموات على أصبع والأرضين على أصبع كما جاءت الرواية عن رسول الله." [7]

2. الله له **يدان، وكلتاهما يمين،** لأن اليد الشمال للنجاسة والله لا يجوز أن تكون له يد شمال

"ولما كانت اليمين في لغة العرب يراد بها الحظ للأفضل كما قال الشماخ، إذا ما رايةُ رفعت لمحمدٍ تلقاها عرابه باليمين، يريد أنه يتلقاها بالسعي الأعلى فكان قوله وكلتا يديه يمين"[8]

أليس هذا مسخاً له يدان باليمين ولا يد بالشمال؟

3. لله **رجل وساق** {**يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون. (القلم 42)**}. وفسرها ابن باز بقوله:

"الرسول صلى الله عليه وسلم فسرها بأن المراد يوم يجيء الرب يوم القيامة ، ويكشف لعباده المؤمنين عن ساقه وهي العلامة التي بينه وبينهم سبحانه وتعالى، فإذا كشف عن ساقه عرفوه وتبعوه". [9]

والله يضع رجله في جهنم ليختبر إذا كانت قد امتلأت

"قال به شيخُ الإسلام ابن تيمية في حديث أبي هريرة [لا تَزَالُ جَهَنم يُلقى فيهَا، وهي تَقُول: هَل مِن مَزيد؟ حتى يَضَعَ ربُّ العِزَّةِ فيها قدمَه، فَيَزْوِي بَعضُها إلى بَعْض]". [10]

4. الله له **فم** يتحدث به ويضحك. قال ابن القيم الجوزية:

"أَفْضلُ الشُّهَدَاءِ الَّذِينَ إِنْ يَلْقَوْا فِى الصَّفِ لا يَلْفِتُونَ وجوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا، أُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ فى الْغُرَفِ العُلَى مِنَ الْجَنَّةِ، وَيَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ، وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فِى الدُّنْيَا، فَلا حِسَابَ عَلَيْهِ."

فالله بالنسبة للمسلمين رجلٌ مثلهم له كل أعضاء الرجل (باستثناء عضوٍ واحد) وكل صفاته من مكر ودهاء وغضب وضحك، بل حتى أنه يقترض منهم المال (**من يقرض الله قرضاً حسناً يضاعفه له**)، ويجلس على كرسي كبير وسع السموات والأرض، وله عرش يتسطح عليه أي يستوي عندما يتعب من الجلوس على الكرسي. *فهل هناك فرق كبير بين أن يكون الإله خروفاً له سبعة قرون أو يكون رجلاً يغضب ويبطش؟*.

المهم أن الإله في كل الأديان شيء مجسد وليس هو تلك القوة غير المحسوسة التي تحدث عنها الفلاسفة. فالإسلام كذلك ملئ بالأساطير وإلهه ليس بأحسن حالاً من إله الديانات الأخرى.

ثم أن إله الإسلام كان يعلم وصف اليهود والنصارى لإلههم في العهد القديم الذي نقل عنه الدكتور، فلماذا إذاً قال القرآن لمحمد:

{ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون. (العنكبوت 46)**}**.

- فما دام الله العالم بكل شيء قال لمحمد أن يقول لأهل الكتاب {**إلهنا وإلهكم واحد**} يكون الله هو نفس الإله الذي شّنع عليه دكتور محمد الحسيني. وهو نفس الإله الذي قال عنه فرعون قبل أن يغرق {**لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل**}. فإذاً نفس الإله الخروف ذي السبعة قرون هو إله المسلمين. ويصل الدكتور من وصف الإله بالخروف إلى استنتاج غريب،
- فيقول:

"هي ليست صفات متدنية فحسب.. بل هي صفات مفرطة في الخرافة والأسطورة والوثنية أيضاً، ولكن يدفع الإيمان بها وجود الفطرة الدينية (دوافع العبادة) لدى الإنسان.. وهي *الفطرة التي لم تتنبه إلى وجودها دكتورة علم النفس..!!!* حيث تأتي هذه الفطرة في قوله تعالى.. {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**}".

- ثم يستمر فيقول:

"وأتمنى أن تتنبه ـ دكتورة علم النفس وأمثالها من محدودي الفكر ـ إلى *الإحكام المذهل في القرآن المجيد*؛ حيث تجمع هذه الآية الكريمة بين الفطرة الدينية وبين الغايات من خلق الإنسان على حسب قراءة حركة الحرف لِيَعْبُدُونْ (بالسكون) أو (بالكسر).. لِيَعْبُدُونِ (.. وكلاهما جائز في القراءة). أي بحركة حرف واحد جمع القرآن العظيم لِيَعْبُدُونِ بين الفطرة الدينية في الإنسان، وبين الغايات من خلق الإنسان.. وأتمنى أن تصل ـ دكتورة علم النفس الأمريكية وأمثالها ـ إلى هذا المستوى الرفيع من العلم في الفهم." انتهى.

✍ ولأن الدكتور **غير محدود الفهم** مثل الدكتورة وفاء سلطان ومثلي فقد استنتج أن العبادة فطرة في الإنسان والدليل على ذلك هو الآية (**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدونِ**).

والكلمة الأخيرة في الآية أصلاً مكسورة وكان يجب أن تُكتب (**ليعبدوني**) لكن الذين كتبوا القرآن في زمن عثمان بن عفان لم ينقطوا الحروف ولم يُدخلوا علامات الإعراب وأسقطوا الياء. ومن جاء بعدهم وأدخل علامات الإعراب لم يشأ أن يغير في رسم الكلمة فكسر النون بدل أن يضيف إليها ياء. وكل القراءات المعروفة هي بالكسرة. ولكن الدكتور أسكن النون وجعلها (ليعبدونْ) حتى يجعل من العبادة فطرة. ولكن دعونا نقرأ ماكتبه القرطبي في تفسيره لنفس الآية. يقول القرطبي:

"قيل إن هذا خاص فيمن سبق في علم الله أنه يعبده، فجاء بلفظ العموم ومعناه الخصوص. والمعنى: وما خلقت أهل السعادة من الجن والإنس إلا ليعبدوني. قال القشيري: والآية دخلها التخصيص على القطع، لأن المجانين والصبيان ما أمروا بالعبادة حتى يُقال أراد منهم العبادة، وقد قال تعالى: {ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس} ومَن خلقهم لجهنم لا يكون ممن خُلق للعبادة. *فالآية محمولة على المؤمنين منهم*. وفي قراءة ابن مسعود: {وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون}. واعتمد الزجاج هذا القول، ويدل عليه (وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً)." انتهى تفسير القرطبي.

فأين هذه الفطرة التي يتحدث عنها الدكتور. وإذا كانوا قد فُطروا على عبادة الله، كيف يجوز لله أن يقول: {**وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً**}. هل الإنسان المفطور على العبادة يحتاج إلى أمر ليتعبد؟

وإذا كان الإنسان مفطوراً على عبادة الله، والفطرة شيء في الجينات ولا نتعلمها، فلا بد أن يبدأ الطفل بعبادة الله، ولكن فقهاء الإسلام يقولون بضرب الصبي على الصلاة في سن العاشرة. هل نطبق الفطرة بالضرب؟ وفقهاء الإسلام قالوا إن الطفل غير ملزم بالعبادة وهم لا يتعبدون حتى يجبرهم الآباء، فكيف تكون عبادتهم لله فطرة؟ ولكن لأن أمثالي وأمثال الدكتورة وفاء محدودو الفهم، قد فات علينا أن الإنسان والجن مفطورون على العبادة.

---

[7] شذرات الذهب للدمشقي، ج2، ص 187.

[8] الملل والنحل لابن حزم الأندلسي، ج2، ص 2.

[9] فتاوى بن باز، ج4، ص 113.

[10] زاد المعاد لابن القيم الجوزية، ج1، ص 204.

والغريب أن أول جن أو شيطان خلقه الله عصاه ورفض أن يعبده أو يسجد عندما أمره أن يفعل. ولا أدري ماذا حدث لفطرته التي فُطر عليها.

- ثم إذا كانت العبادة فطرة خلقها الله في الناس ألا يشعر الله بالحرج عندما يقول: {**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه. (الإسراء 23)**} ثم يكتشف أن المسيحيين واليهود يعبدون إلهاً خروفاً، ونحن نعلم من القرآن أن الله قال: {**سبحانه إذا قضى أمراً أن يقول له كن فيكون**}. فماذا حدث لأمره الذي قضاه هنا؟ ألا يُثبت هذا أن المسيحيين يعبدون الإله الذي قضى أن يعبدوه، وهو الخروف ذو السبعة قرون؟

وموضوع الفطرة والأديان السماوية يجعلنا نسأل أنفسنا سؤالاً بديهياً. نحن نعرف الآن أن عمر الإنسان على هذه الأرض يصل إلى مليارين أو أكثر من السنين، وأن الإنسان العاقل Homo sabiens قد عاش قبل أكثر من مائة وخمسين ألف سنة، ولكن الأديان السماوية الثلاث بدأت بموسى (ليس هناك أي سند تاريخي لآدم ونوح وإبراهيم) الذي جاء حوالي عام 1300 قبل الميلاد وانتهت بمحمد الذي جاء حوالي عام 610 ميلادية ومات عام 632 م. أي أن الرسالات استمرت فقط لمدة 1800 سنة، ثم أوقف الله الرسل وجعل محمد خاتمهم. (ويجدر بنا هنا أن نذكر أن عيسى كذلك قال إنه آخر الرسل ولا رسول بعده) فماذا تمثل 1800 سنة من تاريخ الإنسان على الأرض؟ هل كان لله Window of opportunity ليرسل رسله فيه كما تفعل مؤسسة الفضاء الأمريكية NASA الآن مع مكوكها الفضائية التي يجب أن تُطلق في فترة زمنية محددة تُحسب بالساعات، لتفادي تصادمها مع أجسام سماوية أخرى؟ أم أن الله عرف أن إنسان القرن العشرين لن يصدق أي رسول يرسله لهم فأوقف الرسالة؟ لا بد أن العلم قد خلق غطاءً جوياً مانعاً (كطبقة الأوزون) يمنع الرسل وجبريل خاصةً، من النزول إلى الأرض.

- ثم استمر الدكتور في تخبطه العجيب وتحدث عن قصة صلب المسيح وكيف أن الشيطان راهن ربه وكسب،
- فقال:

> "وتتمحور قصة "الفداء والصلب" وهي أسطورة ـ غير واعية بكل ما في الكلمة من معنى ـ حول قيام الشيطان بسلب "سلطة الموت" من الإله ..!!! فعندما قرر الإله ـ من منظور الديانة المسيحية ـ خلق الإنسان قدّر له أن يحيا حياة أبدية (واحتفظ لنفسه بسلطة الموت حتى يستطيع أن يمنحه هذه الحياة الأبدية).. ولكن بعد أن أخطأ الإنسان ـ بأكله من شجرة المعرفة / حيث كان مقدر له (أي مقدرا للإنسان) أن يحيا جاهلا ـ قام الشيطان بسلب هذه السلطة من الإله (فكما يبدو كان يوجد رهان ما.. غير معلن.. بين الشيطان والإله على سقوط أو خطيئة الإنسان.. وبموجب هذه الخطيئة خسر الإله الرهان.. وفقد الإله بذلك سلطة الموت وانتقلت هذه السلطة إلى الشيطان."..!!! انتهى.

- وربما لم يقرأ الدكتور محمد الحسيني في التراث الإسلامي قصة الرهان بين الله والشيطان على النبي أيوب.

> فقد تراهن الشيطان مع الله أنه يستطيع أن يجعل أيوب يكفر بالله، ووافق الله على الرهان وسلط الشيطان على أيوب. واستطاع الشيطان أن يقتل جميع مواشي أيوب، ثم حرق زرعه ثم جمع جميع أولاده في بيت أخيهم الكبير وهدم عليهم البيت فماتوا جميعهم، ثم أصاب جسم أيوب بالبثور، أي الطفح الجلدي المتقيح.[11]

(وبذا يكون الشيطان قد استلب من الله القدرة ليقتل ويحرق ويفعل ما يشاء ليكسب رهانه مع الله. فالرهان بين الله والشيطان ليس وقفاً على المسيحية فقط.)

وبدل أن يدافع الدكتور العالم عن الإسلام ضد نقد الدكتورة وفاء سلطان، يحاول إظهار الخرافة في الأديان الأخرى كأنما الدكتورة مسؤولة عن معتقدات أهل الأديان الأخرى. وعندما قالت الدكتورة وفاء سلطان *إن الأفكار المسيحية استهوتها* فهي لم تقصد كل قصة في المسيحية إنما قصدت الأفكار العملية المطبقة حالياً من تحمل الآخر وإدارة خدك الأيمن إن صفعك أحد على خدك الأيسر، وما إلى ذلك. *ولكن الدكتور العالم يصر على إظهار العيوب بالمسيحية ليدافع عن الإسلام*،

- فيقول:

> "ويتمخض فكر الإله عن حيلة سميت ـ فيما بعد ـ باسم: "قصة الفداء والصلب" وإطلاق صفة "الله محبة" على الإله. وتبدأ هذه القصة بقيام الإله (الآب) بالتجسد في صورة بشرية.. لينزل إلى الأرض.. ليحتل رحم السيدة العذراء مريم البتول.. أم الإله..!!! وبغض النظر عن كيفية دخول الإله رحم السيدة العذراء (من منظور الديانة المسيحية).. إلا أنه ظل ساكنا في رحمها مدة الحمل القانونية للإنسان على كوكب الأرض، لتلده بعد ذلك مريم البتول ولادة عادية في صورة المسيح (الابن)." انتهى.

وأنا شخصياً ما كنتُ أعلم أن هناك ***مدة قانونية للحمل***، وأن المرأة إذا ولدت بعد ستة أو سبعة أشهر يكون حملها غير قانوني .ولا أدري كذلك لماذا يغض الدكتور العالم النظر عن كيفية دخول الإله المسيحي رحم السيدة العذراء، وربما كان من الأفضل أن يقول الآنسة العذراء، ونسي أن يسأل كيف نفخ إله الإسلام في فرج تلك الآنسة أو السيدة {**ومريم بنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا**}. هل يا ترى نفخ بفمه أو بطريقة إلهية خافية علينا.

وسوّد الدكتور بعد ذلك عدة صفحات تهكم فيها على **فكرة التثليث** في المسيحية، وهي فكرة لا يمكن الدفاع عنها، مثلها مثل كل الأفكار الدينية، مثل فكرة وجود إله خالق، سواء أكان إلها إسلامياً أو يهودياً أو مسيحياً، فكلها أفكار متناسخة كتناسخ أرواح البوذيين التي تنتقل من جسد إلى الآخر. فنفس أفكار اليهودية وأساطيرها قد حلت في المسيحية وفي الإسلام مع تغيير اللاعبين الأساسيين.

وبعد أن ملأ الدكتور ثلاث صفحات فلوسكاب عن قصة صلب المسيح وإلباسه تاجاً من الشوك، نقل لنا قولاً منسوباً للفيلسوف نيتشة،

- قال فيه:

> "أن الإيمان بالعقيدة المسيحية معناه الانتحار المتواصل للعقل البشرى." انتهى.

- أما كان الأجدر بالدكتور، لولا موقفه الأيديولوجي من الإسلام، أن يقول: *إنّ الإيمان بالأديان معناه الانتحار المتواصل للعقل البشري؟* فالإسلام ملئ بخرافات تفوق الخرافات المسيحية.

> ماذا يقول الدكتور عن قصص شق صدر محمد وهو طفل وإخراج قلبه وغسله في طشت من ذهب؟ وماذا يقول عن إسراء محمد على البراق النبوي الشريف الذي يطير بجناحين تفوق سرعتهما سرعة الصواريخ التي تخصص بها الدكتور؟ وماذا عن الشجرة التي كانت تأتي لمحمد لتحجبه عن الناس عندما يجلس في الخلاء لقضاء حاجته؟ ولا داعي أن نذكر الأحجار التي كانت تسلم عليه كلما مر مِن عندها.

- أليس هذا امتهاناً للعقل الحيواني، ولا نقول البشري. ولا ندري لماذا لم يذكر الدكتور أقوال الفلاسفة العرب المسلمين عن الإسلام مما دفع الشيوخ الحادبين على الإسلام لقتلهم وحرق كتبهم بدعوى الزندقة والإلحاد. أما كان الأجدر به أن يذكر لنا قول المعري:

في اللاذقية فتنةٌ ما بين أحمد والمسيح
قسٌ يعالج غيظه والشيخ في حنق يصيح
(والشيوخ يصيحون منذ ذلك الزمن)
كلٌ يُمجّد دينه ياليت شعري ما الصحيح

أو قوله كذلك:

هفت الحنيفةُ والنصارى ما اهتدتْ ... ويهودُ هامتْ والمجوسُ مضللةُ
اثنانُ أهل الإرض، ذو عقلٍ ... بلا دينٍ وآخر ديّنٌ لا عقل له

وبماذا يرد على الوليد بن يزيد الذي لم يكن بعيدَ عهد ببداية الإسلام حينما قال:

[11] المنتظم في التاريخ لابن الجوزي، ج1، ص 89.

تلاعب بالخلافةِ هاشميٌ　　　　بلا وحي أتاه ولا كتابُ
فقل لله يمنعني طعامي　　　　وقل لله يمنعني شرابي

- ومن أغرب ما قرأت هو ما جاء به الدكتور العالم محمد الحسيني إسماعيل حين
- قال:

"لقد طالبتُ مرارا في كتاباتي السابقة من الكنيسة العربية أن ترفع لفظ الجلالة "الله" (سبحانه وتعالى) من الكتاب المقدس.. حيث لم يرد ذكر هذا اللفظ ـ الله ـ في الأصول الأولى للكتاب المقدس والتي كتبت باللغات العبرانية، والكلدانية ، واليونانية . فالحقيقة ـ التي لا تقبل الجدل ـ أن الديانة المسيحية لا تعرف لإلهها اسما.. ولهذا استعارت الكنيسة العربية هذا اللفظ ـ الله ـ من الدين الإسلامي وألصقت به كثيرا من الوثنيات الفكرية على النحو الذي رأيناه." انتهى.

وأنا بدوري أطلب من المسلمين أن يزيلوا اسم (الله) من القرآن والأحاديث لأن الكلمة (الله) *كانت معروفة لعرب ما قبل الإسلام منذ أيام العرب العاربة* في ممالك اليمن من حضرموت وما قبلها.

"ترك "شرحبيل يعفر" أحد ملوك اليمن (420 – 455 للميلاد) نصاً مهماً وسمه علماء العربيات الجنوبية ب "Glaser 554" و "CIS 540" وهي وثيقة تتعلق بتصدع سد مأرب في أيامه و بإعادة بنائه. وقد ورد فى النص كلمات مهمة تشير الى عقيدة الملك والى انتشار عقيدة التوحيد فى ذلك الزمن بين اليمانيين، ورد فيه: **"بنصر وردا الهن بعل سمين وارضن"** ومعناها **"بنصر وعون الإله سيد السماء والارض"**. وتدريجياً تغيرت كلمة الإله إلى الله. وقال بعض المؤرخين أن كلمة الله مشتقة من اسم إله اليهود (إيل)".

والمهم أن العرب قبل الإسلام عرفوا كلمة (الله). يقول امرؤ القيس:

فاليوم أشرب غير مستحقبٍ　　　　إثماً من الله ولا واغلُ

وقال قصي بن كعب لقومة بمكة:

(إنكم جيران الله وأهل بيته).[12]

والقرآن نفسه أثبت ذلك عندما قال: {**ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله. (الزخرف 87)**}. فإذاً الإسلام استعار كلمة (الله) من العرب الجاهليين الوثنيين الذين استعاروها بدورهم من إله اليهود (إيل) وعليه يجب إزالة كلمة الله من القرآن.
وللحديث بقية.

2007 / 2 / 9

3 مِن 4

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=88263

- يسأل دكتور محمد الحسيني إسماعيل ويجيب:

"والآن؛ ما هي صفات "الله" ـ عز وجل ـ في الدين الإسلامي (الوحي الصادق)..؟ وقبل التعرض لإجابة هذا السؤال.. أبدأ بالقول بأن الإسلام قد قام ـ أولا ـ بوضع عيسى (عليه السلام) في سياقه أو دوره الطبيعي كرسول من أولي العزم من الرسل.. وليس إله أو حتى شبهة إله فيه بأي حال من الأحوال..!!! وأرجو أن تتنبه دكتورة علم النفس الأمريكية (وفاء سلطان) .. *للمنطق عالي الدقة والإعجاز في الإحكام*.. في الحوار الدائر بين "الله" (سبحانه وتعالى) وبين عيسى (عليه السلام) في يوم البعث.. كما جاء في قوله تعالى.. (وقد بينا بعضاً من هذه الصفت في الحلقة الماضية). ولكن دعونا نقرأ المنطق عالي الدقة والإعجاز في الحوار الذي دار بين الله وعيسى: {**وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (118) قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (119) لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}" انتهى.

- فما هو المنطق والإعجاز هنا؟ الله يسأل عيسى يوم الحساب: هل يا عيسى أنت قلت للناس أن يعبدوك وأمك من دوني؟ وحتى أنا غير العالم بخفايا النفوس أعرف أن عيسى في حياته القصيرة لم يقل إنه إله ولم يقل للناس أن يعبدوه وأمه. وفي الواقع لم تكن له علاقة ذات شأن بأمه. وحتى عندما جاءت أمه مع إخوانه الثلاث ليزوروه وأخبره حواريه أن أمه بالباب قال لهم ما معناه: **من هي أمي ومن هم إخواني؟ أنتم أمي وإخواني (سفر متى، الإصحاح 12)**. فكيف يُعقل أن يقول للناس أعبدوني وأمي من دون الله، وهو يكاد ينكر أمه؟ وفكرة التثليث لم تدخل المسيحية إلا بعد أن اعتنقها الإمبراطور قسطنطين في عام 325 ميلادية أي حوالي 300 سنة فقط قبل أن يأتي محمد بدينه، وكان عيسى وقتها قد مات ولم يزعم أنه إله. فالله العالم ببواطن الأمور كان يجب أن يعرف أن عيسى لم يقل لهم ذلك. وإذا كان الله عالماً بذلك، فما فائدة السؤال غير الحشو الذي لا فائدة منه، أو لإيهام المؤمنين بأن الله يعرف ما يدور بين عباده؟ فلا أرى دقةً ولا إعجازا في هذا الحوار. ثم يتحفنا الدكتور محمد الحسيني بشيء جديد لم أسمعه من قبل،
- فيقول:

"ويعجز اللسان عن وصف هذا المنطق العالي في هذا الحوار.. ولهذا يأتي وصف المولى (عز وجل) للجاحدين.. بقوله تعالى.. {**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (الحج 46)**}. وأتحدى أن تفهم ـ دكتورة علم النفس مدّعية الإسلام.. معنى قوله تعالى {وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصدور}.. لماذا يا دكتورة..؟!!! لأن الدراسات والبحوث الحالية ـ والتي لم تنتهي بعد على مستوى العالم كله ـ أثبتت ، بعد نجاح عمليات "زرع القلب"، أن القلب له العقل الخاص به وهو يشارك المخ كمستودع للذكريات في الإنسان.. وبالتالي تنتقل صفات وملكات الشخص المانح للقلب إلى الشخص الممنوح..!!! وبديهي تستطيعي التحقق من هذه المعلومة الطبية التي ذكرها القرآن المجيد من أكثر من خمسة عشر قرنا بالبحث في الموسوعات الطبية عنها." انتهى.

- مرة أخرى يتحدث المهندس الكهربائي عن الطب بدون أدنى إلمام بما يتحدث عنه. فالقلوب لا تبصر ولا تعمى.

وعندما يتحدث الأطباء عن وجود عقل للقلب إنما يقصدون وجود خاصية في عضلات القلب تجعلها تنقبض وتنبسط من تلقاء نفسها ومن دون أن يتحكم بها الدماغ، أي Autonomous والأطباء طبعاً عندما يتحدثون عن القلب يتحدثون بلغة العلم فيقولون The heart muscle has inherent ability ولكن الذين يترجمون إلى العربية سموا هذه القدرة في عضلات القلب (عقل). وشتان ما بين المصطلحين. ونحن عندما نستأصل قلباً نابضاً ونضعه في محلول (Lactated Ringer's solution) يظل القلب يعمل لفترة من الزمن ثم يتوقف نتيجةً لحرمانه من الأوكسجين. أما كون القلب يشارك المخ كمستودع للذكريات، فقول ما كان يجب أن يصدر من رجل متعلم، ناهيك عن رجلٍ يحمل إجازة الدكتوراة. وقوله (.. وبالتالي تنتقل صفات وملكات الشخص المانح للقلب إلى الشخص الممنوح) **فقولٌ هراء.**

---

[12] تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي، ج4، ص 195.

وربما تشابه البقر[13] على الدكتور فخلط بين ما يصيب بعض المرضى الذين تُجرى لهم عملية زراعة قلب من أعراض نفسية نتيجة وجود قلب شخص آخر بصدورهم، وبين نقل الصفات والملكات. وطبعاً لكي يُلبس الدكتور زعمه الباطل ثوب العلم واليقين، كان لا بد له أن يقول (قد أثبت العلم أو البحوث) وأنا استطيع أن أؤكد له أن البحوث براء مما يقول عن القلب. ونلاحظ أن الدكتور قد استعار من زغلول النجار قوله: (*إن القرآن قد قال بهذا قبل ألف وأربعمائة سنة*). مسكين القرآن الذي يقوّلونه ما لم يقل، وفي كل مرة تُثبت خطأهم وبالتالي خطأ القرآن.

- ثم يستمر فيقول:

"ولهذا يصف المولى (عز وجل) الإنسان المُعرض عن الفهم.. وعن هذا الحق بقوله تعالى {**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (الأعراف 179)**}." انتهى.

✍ مرة أخرى نؤكد للدكتور الكهربائي أن القلوب لا تفقه ولا تُبصر وليس لها عقل. **فهل يعقل ما نقول؟** ولا شك أن الدكتور قد تأثر بما يقوله الشيوخ عندما يفسرون القرآن. فالشيخ جلال الدين السيوطي يقول في كتابه ‹الإتقان في علوم القرآن› عندما يتحدث عن المجاز في القرآن:

"{إنا منكم وجلون} والوجل صفة القلب {ولملئت منهم رعبا} والرعب إنما يكون في القلب." انتهى.

فالرعب والوجل غرائز يتحكم فيها قاع الدماغ البشري ولا دخل للقلب بها. والإنسان العاقل عندما يرى حيواناً مفترساً فإما أن يقف مكانه ويقاتل وإما أن يهرب. والعلماء يسمون هذا التصرف .Fight or Flight والطفل في سنته الأولى، رغم أن قلبه يعمل بانتظام، إلا أنه لا يعرف الخوف إطلاقاً. فالرعب والوجل ليسا من خصائص القلب .

✍ وكنت أعتقد أن الدكتور من أهل القرآن الذين لا يؤمنون بالأحاديث الملفقة، ولكن اتضح أنه من الذين يؤمنون بالأحاديث،

- فقد قال:

"وفي السنة النبوية الصحيحة.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [**إن لله تسعاً وتسعين إسما من أحصاها دخل الجنة**]. ونأتي إلى ذكرها.. أي هذه الأسماء الحسنى (أو الصفات أو الكمالات الإلهية) كما وردت في القرآن والسنة النبوية الشريفة." انتهى.

✍ وطبعاً مسألة دخول الجنة في الإسلام مسألة يصعب فهمها إذ أن محمد كان قد استعملها كالطُعم الذي نستعمله لصيد السمك، أو كصكوك الغفران.

فإذا كان من يحفظ ويردد أسماء الله الحسنى يدخل الجنة، لماذا يصوم الناس ويصلون ويحجون؟ ولماذا يصم المؤذنون آذاننا بندائهم إلى الصلاة عبر مكبرات الصوت؟

✍ وليس ذلك فقط،

- فعندما حاصر القرشيون محمد في موقعة أُحد، قال لأصحابه: **هل مَن يصدهم عنا فيدخل الجنة؟**
- وقال كذلك: **كل شهيد يدخل الجنة**.
- والمشكلة أن الشهيد ليس فقط من مات دفاعاً عن الله والإسلام،
- وإنما الذي يصيبه الإسهال ويموت يكون شهيداً،
- والذي يدافع عن ماله ويموت يكون شهيداً،
- والذي يموت وهو في طريقه إلى الحج يكون شهيداً،
- والذي يموت بالسم يكون شهيداً.
- وهناك عدد لا يستهان به من الأحاديث عن الذين يدخلون الجنة، منها:

[مَن مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً] أخرجه مسلم، رقم 32.
[مَن لقى الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة].
[من صلى البردين دخل الجنة].
[من مات له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث دخل الجنة].
[ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة، قلت وإن زنى، وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق].
[من قال اللهم أنت ربي، لا إله إلا انت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، دخل الجنة].

أي دين هذا الذي يقول نبيه إنك سوف تدخل الجنة حتى إن سرقت أو زنيت ما دمت تقول لا إله إلا الله؟ ويمكن أن أضيف عشرين نوعاً من الأنواع الذين يدخلون الجنة بدون أن يصلوا أو يصوموا أو يحجوا. فهل هناك أي نوع من المنطق في هذه الأحاديث؟
ثم ماذا عن الإنسان الذي يعمل عمل أهل الجنة طول حياته فيدخل النار، كما جاء في الحديث [**إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، الأعمال بالخواتيم (صحيح البخاري)**].
ثم أتحفنا الدكتور بأسماء الله الحسنى بكاملها، وما هي بأسماء وإنما صفات ينطبق جلها على أي إنسان نختاره. فمنها: الرحيم، الملك، المؤمن، الجبار، المتكبر، القهار، الوهاب، الرازق، العليم، الباسط، البصير، الحكم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، الكبير، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، المجيب، الحكيم، الودود، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، الماجد، القادر، المقدم، المؤخر، الظاهر، الوالي، المنتقم، العفو، الرؤوف، الغني، المانع، الضار، النافع، الهادي، الوارث، الرشيد، الصبور.
وأغلبها عبارة عن الكلمة وضدها. وهناك صفات مترادفة مثل الولي والوالي .وهناك صفات لا يجب أن يُوصف بها الإله منها: **الشكور**. *كيف يكون الله شكوراً ولمَن شكره*. نحن نشكر الإنسان الذي يقدم لنا معروفاً، فهل هناك من يقدم معروفاً لله حتى يشكره الله. أم يشكر الله الذين يعبدونه وهو قد قال إنه لم يخلق الجن والإنس إلا ليعبدونه. فعبادته واجب، ولا شكر على واجب. وما معنى أن يصفوا الله ب (**المؤمن**)؟ هل آمن الله بمحمد أم بعيسى حتى نسميه المؤمن؟ وكيف يكون الله (**مقيت**) وهي من المقت أي الكره. هل الله مكروه أم كاره؟ وليس هناك أي داعي لكل هذه الأسماء. فالله، إن وجد، واحد ويجب أن يكون اسمه واحداً لا يشاركه به أحد.

وترديد أسماء الله الحسنى لا يعدو كونه طقساً من الطقوس العديدة التي يمتلئ بها الإسلام.

✍ وبعد أن مجّد الدكتور إله الإسلام قرر أن يعود إلى إله المسيحية مرة أخرى،

- فقال:

"يسوع المسيح. الرب. ابن الإنسان. المخلص. ابن داود. رئيس الكهنة الأعظم .ابن الله. الألف والياء. السيد. البر. النبي. نرجس شارون. سوسنة الأودية. الشفيع. أسد يهوذا. الخروف. آدم الثاني. المعلم." انتهى.

✍ ويجب أن نصفق للدكتور الذي استطاع أخيراً أن ينصر إله الإسلام على إله المسيحية. والنصر يومئذ لله المنتقم الجبار. ورجع الدكتور إلى التهكم على الدكتورة وفاء سلطان

---

[13] تشابهت عليه الأفكار بين ما يصيب الذين يُزرع لهم قلب من أعراض نفسية مع ما يقول إنه نقل صفات صاحب القلب الأول إلى المريض المتلقي، كما تشابه البقر على اليهود عندما طلب منهم ربهم أن يذبحوا بقرةً صفراء، كما يقول القرآن.

- فقال:

> ”يا دكتورة علم النفس الأمريكية.. هذه هي صفات إله المسيحية..!!! المسيحية التي استهوتك وتوافقتي معها علميا وعمليا وتركتي الإسلام العظيم من أجلها.. هذا إن كنتِ ـ أصلا ـ مسلمة..!!! يا دكتورة علم النفس.. لقد فضحت نفسك بنفسك.. بعد أن اعترفت ـ بدون أن تتنبهي ـ في رسالتك الأخيرة (في 2007/1/23) لشكر موقع الحوار المتمدن.. أنك ولدت وتربيتي في عائلة غير متدينة..!!! فكيف تدعين ـ إذن ـ إنك كنت مسلمة وأنت لا تعرفين عن الإسلام غير الاسم..!!!“ انتهى.

- وأعتقد أنه يجب على الدكتورة وفاء سلطان هنا أن تعتذر من الدكتور لأنها انتحلت شخصية المسلم عندما كانت صغيرة وادعت أنها تنتمي إلى الدين الإسلامي العظيم، رغم أن عائلتها لم تكن متدينة، فكل عائلة غير متدينة لا يجوز أن يقول أبناؤها إنهم مسلمون. فالإسلام نعمة يسبغها الله على القلة المختارة. ألم يقل: {**وأكثر الناس لا يؤمنون**} و{**وكنتم خير أمة أخرجت للناس**}؟ فكيف يجوز لمثل الدكتورة وفاء أن تدعي أنها قد انتمت يوماً إلى خير أمة أخرجت للناس؟

وتخيلت للحظة أني في حلبة ملاكمة بين ملاكمين من الوزن الثقيل والدكتور هو المعلق الرياضي الذي يشرح لنا نقاط قوة وضعف المتلاكمين،

- حين قال:

> ”يا دكتورة علم النفس.. هل صفات إله المسيحية: الحيوان.. العجل.. النسر الطائر.. أسد يهوذا.. الخروف ذو القرون السبعة.. وهو الإله الذي يلعب مع الحوت ـ ملك الأسماك ـ في وقت فراغه.. يمكن أن تقترب من صفات الخالق العظيم السابق ذكرها في الدين الإسلامي..!!! وهل ـ نحن المسلمين ـ مَن اختلط علينا الخطأ بالصواب..؟!!! وكما رأيتي بعينيكي ـ الآن ـ هل يتساوى إله المسيحية الذي أذله الإنسان وضربه بالنعال.. ولطمه وبصق عليه ثم صلبه وقتله ودفنه.. مع مفهوم "الله" الخالق المطلق والعظيم سبحانه وتعالى..“ انتهى.

- أرجو أن يسمح لي السيد المشرف على موقع (الحوار المتمدن) أن استعمل موقعه لجمع أكبر عدد من التوقيعات نرفعها إلى الجامع الأزهر لترشيح الدكتور محمد الحسيني إسماعيل ليترأس لجنة (الحوار بين الأديان) **لأنه محاور لا يُشق له غبار**. وإذا نجحت المحاولة واستطاع الدكتور محمد الحسيني إسماعيل أن يدك الديانة المسيحية ويهدمها فلا شك سوف يساعدنا هذا المجهود في هدم كل الأديان المتبقية وتحرير عقول البشر من هذا السرطان.
- وبما أن الدكتورة وفاء وأمثالها أناس محدودو الفهم فقد ساعدنا الدكتور في شرح بعض الآيات

- فقال:

> ”وحتى يكتمل الرد عليكي.. تقولين: (إن الإلحاد خير من الإيمان بإله.. ‹هو خير الماكرين›).. وكعادتك تقطعين الفقرة من سياق معناها في القرآن العظيم لتدسي فيها سمومك.. وهذا هو النص كاملا.. كما يأتي في قوله تعالى.. {**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (الحشر، 24)**} [شرح الآية الكريمة: (و) اذكر يا محمد (إذ يمكر بك الذين كفروا) وقد اجتمعوا للمشاورة في شأنك بدار الندوة (ليثبتوك) يوثقوك ويحبسوك (أو يقتلوك) كلهم قتلة رجل واحد (أو يخرجوك) من مكة (ويمكرون) بك (ويمكر الله) بهم بتدبير أمرك بأن أوحى إليك ما دبروه وأمرك بالخروج (والله خير الماكرين) أعلمهم به] فهل فهمت ـ يا دكتورة ـ معنى هذه الآية الكريمة..؟!!! وهل تنبهتي إلى أن المكر في هذه الآية الكريمة (وأحد معانيه هو أن تصرف غيرك عن مقصده بالحيلة) كان في مقابل تآمر أهل الكفر والشرك على وأد رسالة الإسلام في مهدها..!!! وعلى الرغم من المناسبة الخاصة بتنزيل هذه الآية الكريمة على النحو السابق ذكره.. إلا أنها تصلح لكل العصور في مواجهة مكر أهل الكفر وأهل الشرك والملحدين.. ومنهم أمثالك أيضاً ..!!!“ انتهى.

- والمكر في اللغة العربية أيها الدكتور *<u>معناه خداع الخصم أو التحايل عليه</u>*، وغريب أن يمكر الإله الذي خلق كل هذا العالم **وإذا أراد شيئاً إنما يقول له كن فيكون**.

هذا الإله الذي أمات رجلاً وحماره فقط لأن الرجل مر بقرية خاوية على عروشها وسأل نفسه: كيف يحيي الله هذه القرية؟ أماته الله وحماره مائة عام ثم بعثه (لم يشهد أحد هذا المشهد العظيم وهذه المعجزة السرية) ليثبت له أنه قادر على إحيائها. هذا الإله العظيم عجز أن يميت أو يُغمي على نفر بسيط اجتمعوا حول منزل رسوله الكريم ليقتلوه، عجز أن يحبط مخططهم فلجأ إلى المكر بأن أوحى إلى رسوله بما كانوا قد قرروا وطلب منه أن يمكر عليهم ويطلب من ابن عمه أن ينام في سريره ليوهم المتآمرين بأن الرسول مازال نائماً في سريرة، وخرج الرسول خلسة من منزله، وكالساحر العظيم ـ موسى- رمى حفنة من التراب على القوم فعموا أن يروه. سبحان الإله الذي قال عن نفسه {**إنّ الله يدافع عن المؤمنين**}. فهل يكون الدفاع عن المؤمنين بالمكر؟ وربما يكون الدكتور مصيباً عندما **يقول** (إنه لا تعمى الأبصار إنما تعمى القلوب التي هي في الصدور).

- واحتفظ الدكتور **بدرره** إلى آخر المقال، ثم اتحفنا بها حينما قال:

> ”فعلى سبيل المثال؛ فصفة "المنتقم" هي من صفات الألوهية حيث ينتقم الله ـ سبحانه وتعالى ـ من الظالمين المتجبرين، فماذا ينتظر - شارون - مثلاً وما يفعله في الفلسطينيين، وماذا ينتظر الأمريكان وما يفعلوه في شعب العراق.. وما يفعلوه في الشعوب الإسلامية سوى الانتقام، فلابد أن يكون هناك انتقام من الظالمين المفسدين في الأرض. وهكذا بالنسبة لباقي الأسماء التي تعترض عليها الدكتورة.. فهي ضرورة لتجليات المولى ـ عز وجل ـ لردع وعقاب العصاة والطواغيت والمفسدين في الأرض..!!!“ انتهى.

ويبدو أن المنتقم يستعمل طريقة تشبه **اليانصيب** لاختيار مَن ينتقم منهم، فهو لا ينتقم من جميع الظالمين. فهو مثلاً انتقم من شارون المذكور بأن سبب له نزيف في الدماغ (أو ربما في القلب الذي يشارك الدماغ في التفكير) ولكنه لم ينتقم من موشي دايان الذي جرّع الأعراب كاسات الذل، ولم ينتقم من گولدا مايير التي تهكمت على العرب المسلمين، ولم ينتقم من هتلر في حياته، وجلس في عليائه يتفرج حتى قتل هتلر حوالي ثلاثين مليوناً من البشر. وربما يقول الدكتور إن هتلر نفسه كان انتقام الله من اليهود.

> ولكن ماذا عن مصر المحروسة عندما تنفخ الشرطة في مؤخرات المعارضين وتدخل العصا الغليظة في أشراجهم وتغتصب النساء، أليس هذا ظلماً؟ فأين مكر الله على الظالمين؟

- وبعد أن أرغي الدكتور وأزبد، وصل إلى استنتاج فحواه أن عقل الدكتورة وفاء سلطان قد انحط إلى أدنى المستويات،

- فقال:

> ”وسبحان الله.. فلم أكن أتصور أبدا.. أن يتدنى العقل البشري إلى مثل هذه الدرجة من الانحطاط الفكري..!!!“ انتهى.

- ألم تكن الدكتورة وفاء سلطان محقة عندما فضلت الإلحاد على الإيمان؟

- وأخيراً يقول لنا الدكتور:

> ”وأخيرا؛ يبقى أن ألفت النظر إلى أن الإسلام العظيم هو ـ في حقيقة الأمر ـ اليد الممدودة، بكل العقل.. وبكل العلم.. وبكل الرحمة، إلى البشرية كافة.. لإنقاذها من الهلاك المحتوم.. لكي يجعلها تقوم بتحقيق الغايات من خلقها.. حتى تنال السعادة الأبدية المنشودة..“ انتهى.

هل قصد الدكتور يا تُرى، خلاص البشر الذين كانوا في برجي التجارة بنيويورك عندما غزاها الشباب المؤمن بدين محمد؟ بئس الأيديولوجيا وبئس المتأدلجون.

وللحديث بقية.

2007 / 2 / 11

4 مِن 4

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=88389

- ذكرت الدكتورة وفاء سلطان أنها في إحدى زياراتها لوطنها الأم رأت أناساً نائمين بالمسجد الأموي ورائحتهم تزكم الأنوف، وعلمت أنهم يفترشون أرض المسجد لكي يوفروا أجور الفنادق. فرد عليها الدكتور محمد الحسيني بقوله:

"وهكذا أعفت ـ وفاء سلطان ـ الأفراد البؤساء وسلوكهم من مسئولية المنظر الذي ازدرته عينيها والذين ظهروا عليه.. وألقت باللائمة على الدين الإسلامي نفسه.. على الرغم من علمها ـ بحكم إسلامها السابق كما تدّعي ـ بأن من المعلوم من الدين بالضرورة أن النظافة هي جزء أساسي من الإيمان بالدين الإسلامي..!!! وليس هذا فحسب.. بل تقع الدكتورة في تناقضات واضحة، بدون أن تتنبه لذلك، حين تقول بأن الأزمة ليست أزمة مال.. على الرغم من سؤالها عن قصة هؤلاء القوم النيام داخل الجامع فيخبروها: [.. أنّهم زوّار من بلاد اسلاميّة ، ولكي يوفروا أجور الفنادق يضطرون للنوم داخل الجامع..].. إذن فالأزمة ـ كما ترى ـ هي أزمة مال..!!! ولكن ـ وفاء سلطان ـ لا تريد أن ترى سوى أنها أزمة الدين الإسلامي نفسه!!.." انتهى.

✍ والدكتور هنا يحاول تبرئة الدين الإسلامي من هذا التصرف ويلقي باللائمة على حجاج مقام الحسين الفقراء.
ولكن في الحقيقة فإن السبب في مثل هذا التصرف يرجع إلى الإسلام والثقافة الإسلامية الإتكالية. فالإسلام علّم أتباعه الإتكال على الله في كل شيء من الرزق إلى السفر إلى مكان الإقامة. فالمؤمن يرتدي ثوبه ويحمل عصاه ويتوكل على الله دون أي تخطيط أو إيجاد التمويل اللازم لرحلته. الثقافة الغربية تعلّم الإنسان الإتكال على نفسه والتخطيط لما يريد أن يفعل. الشخص الغربي الفقير الذي لا يملك أجر الفندق لا يسافر إلى أي مكان. أما المسلم فرزقه على الله {**وما مِن دابة في الأرض إلا على الله رزقها**}. ثم أن ثقافة الإسلام الأسطورية علّمت هؤلاء الفقراء الحج السنوي إلى ضرائح الأولياء {**إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**}. فلولا هذه الثقافة الأسطورية لما احتاج هؤلاء الفقراء للسفر إلى دمشق لزيارة مقام الحسين ومن ثم النوم بالمسجد الأموي.
ويزعم الدكتور أن المعلوم من الدين بالضرورة هو أن النظافة هي جزء أساسي من الإيمان بالإسلام. ويجب أن نتذكر أن هؤلاء الناس الذين تحدثت عنهم الدكتورة هم حجاج مقام الحسين، ويفعلون ما يفعله حجاج بيت الله بمكة. لا يحلقون شعورهم ولا يقلمون أظافرهم ولا يقتلون القمل الذي يعشعش برؤوسهم، وحتماً في أيام نبي الإسلام ما كانوا يتحممون طوال أيام الحج لعدم توفر المياه. أهذه هي النظافة المعلومة من الدين بالضرورة؟
ثم ماذا عن السماح للمسلمين، حسب السنة المحمدية، بمسح مؤخراتهم بالحجارة أو التراب بعد قضاء الحاجة، بل بأي شيء ماعدا العظام لأنها طعام الجن.

"فقد قال رسول الله لأبي هريرة [**ابغني أحجارا أستنفض بها، ولا تأتيني بعظم ولا بروثة**]. فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي، حتى وضعت إلى جنبه، ثم انصرفت، حتى إذا فرغ مشيت، فقلت: ما بال العظم والروثة؟ قال: [**هما من طعام الجن، وإنه أتاني وفد جن نصيبين، ونعم الجن، فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعاما**]" [14]

وكذلك يسمح الإسلام لأتباعه بالتيمم بالتراب وبالبصاق في المسجد على شرط ألا يبصق المسلم عن يمينه. لأن الله والملائكة عن يمينه. يالها من نظافةٍ أوصى بها الإسلام.

- ويستمر الدكتور في هجومه على الدكتورة وفاء سلطان وأمثالها، فيقول:

"وفي الحقيقة؛ تمثل وفاء سلطان النموذج النمطي للغرب ـ وكل من يحذوا حذوها ـ في الهجوم على الدين الإسلامي.. حيث يجري هذا الأسلوب على النحو التالي..
• أولا: ينسبون ـ دائما ـ كل أخطاء المسلمين العصاة، والجهلة منهم، وكذا كل أخطاء الطواغيت من حكام المسلمين، إلى الدين الإسلامي نفسه.. وليس إلى المسلمين العصاة، والجهلة، والحكام الطغاة..!!! وفي جميع الأحوال الإسلام منهم بريء.." انتهى.

✍ أولاً: كل الحكام الطواغيت هم من نتاج الدين الإسلامي لأن الله يقول: {**قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك مَن تشاء وتنزع الملك مِمَن تشاء**}. وبما أنه لا شيء يحدث بدون إرادة الله فإن الطواغيت أتوا للحكم بإرادته. وكان معاوية دائماً يستشهد بهذه الآية ويقول:

لو أن الله لم يرد لي أن أكون خليفة المؤمنين لنزع عني الملك.

أما كون الإسلام أتى بالديمقراطية فقول ينضح كذباً أو جهلاً. الإسلام حتى اليوم يرفض الديمقراطية **ويقول فقهاؤه إن الديمقراطية بدعة وكفر**. فلو كان الإسلام قد جاء بالديمقراطية، لماذا لم يطبق ولا قطر إسلامي واحد الديمقراطية منذ أن جاء الإسلام من قبل أربعة عشر قرناً؟ أما الآية التي تقول {**وأمرهم شورى بينهم**} فلا تعني الديمقراطية بأي حال من الأحوال لأن المعنيين بالشورى هم الذين بيدهم الحل والعقد، وليس كافة المواطنين.

وقد برهن عمر بن الخطاب على ديمقراطية الإسلام عندما اختار ستة من أصحابه وأمرهم أن يختاروا الخليفة الجديد من بينهم، وكانت الدولة الإسلامية وقتها قد امتدت إلى العراق والشام ومصر. ستة رجال يمثلون كل هذه الأمة.

- ويستمر الدكتور فيقول:

"• ثانيا: يقومون بتصدير مشاكل الكتاب المقدس إلى القرآن العظيم..!!! تحت دعوى أن كل دين هو دين يماثل الديانة المسيحية (وهي الديانة التي تمثل "الفضيحة العقلية".. على النحو الذي رأيناه في الجزئين السابقين).. وكل كتاب دين هو كتاب يماثل الكتاب المقدس (وهو الكتاب الذي تشكل الخرافة والأسطورة الفكر الأساسي فيه.. على النحو الذي رأيناه في الجزئين السابقين).. وذلك بدون دراسة محايدة تؤكد صدق ما يفترون به على الإسلام." انتهى.

✍ فإذا كان الكتاب المسيحي مليئ بالخرافة،

فماذا يقول الدكتور محمد الحسيني إسماعيل عن **الجن** الذين كانوا يبنون لسليمان القصور،
وماذا يقول عن **الجبال** التي كانت تؤّب أو تسبّح مع داوود،
وماذا عن **الهدهد** الذي أتى سليمان بخبر مملكة سبأ،
وماذا عن **عصاة موسى** التي انقلبت مرة ثعباناً ومرة تتلوى كأنها جان،
والنملة الحكيمة التي نصحت النمل أن يدخلوا جحورهم لكيلا يطأهم سليمان وجنوده كأنما جحر النمل سوف يحمي النمل من أرجل جنود سليمان،
وماذا عن **يونس** الذي ظل ببطن الحوت ثلاثة أيام يحميه تسبيحه لله من الأحماض الهاضمة بمعدة الحوت؟

- ويستمر فيقول:

"• ثالثا: يعتمد الغرب ـ في كل ما يكتبه عن الإسلام ـ على "كتب التراث" وعلى أفكار الفرق الإسلامية المنشقة على الإسلام، بل ويعتبر فكر هذه الفرق أنها الإسلام الحق..!!! والمعروف أن الفرق المنشقة على الإسلام هي فرق ليست إسلامي، كما وإن "كتب التراث" من المعروف

[14] صحيح البخاري، ج2، كتاب فضائل الصحابة، 66.

أن بها الكثير من الغث والقبيح، بسبب **الإسرائيليات** والموضوعات المدسوسة فيها.. بهدف ضرب **الإسلام العظيم** من داخله.. مثلما سبق وتم تحريف الكتاب المقدس من قبل..!!!" انتهى.

✍ وهنا يثبت لنا الدكتور مفهوم ديمقراطية ورقي الإسلام وتحمله للآخر.

فكل الفرق المنشقة عن الإسلام، أي التي لاتوافق ما يقول به أهل السنة، فهي فرق خارجة على الإسلام. فالشيعة والإسماعيلية والإباضية والبهائية والمعتزلة والقدرية والمرجئة وغيرهم كثير، رغم أنهم يقولون لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، فهم ليسوا مسلمين، مع أن *الأحاديث العديدة* تقول [**مَن مات على التوحيد دخل الجنة**]. فمَن هو المؤهل هنا للقول بماهية هذه الجماعات؟ هل نصدق النبي الذي وعدهم بالجنة لتوحيدهم الله أم الدكتور العالم الذي طردهم من حظيرة الإسلام؟ وهل نلوم الغرب لاعتماده على كتب التراث في فهم الإسلام، أم يريد منا الدكتور أن نطلب من أساتذة الجامعات الغربية أن يعتمدوا على الرواية الشفهية التي اعتمدها فقهاء الإسلام، ونأمرهم أن يسمعوا من الدكتور العالم الذي سوف يخبرهم أنه سمع شيخ الأزهر يقول كذا وكذا، وكان شيخ الأزهر قد سمع من خليفة المؤمنين التركي، الذي سمع نفس القصة من الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي كان بدوره قد سمعها من جده العباس بن عبد المطلب؟

والدكتور لا يمل من الاستشهاد بآيات قرآنية تعتمد على افتراضات لا براهين عليها،

- فمثلاً يقول الدكتور:

"{**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (22) فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَينَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (23) إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**}" انتهى

✍ ما هو البرهان أن الفُلك تجري في البحر بريح طيب من عند الله. الفلك تجري في البحر الآن بمشتقات النفط وبالطاقة الذرية ولا يهمها إذا هبت الريح أو لم تهب. وإذا ارتفعت الأمواج من كل مكان فإن أسلحة البحرية الحديثة قادرة على إغاثة المسافرين ورفعهم بالطائرات العمودية من فوق السفينة المهددة بالغرق. فاستشهاد الدكتور بما لا يمكن اثباته لا يختلف عن الركض وراء سراب يبتعد عنا بقدر المسافة التي نركضها نحوه.

وفي هجومه الكاسح على الدكتورة وفاء سلطان لا يتنبه الدكتور إلى أنه يُظهر إلهه في صورة الطواغيت الذين هاجمهم،

- فهو مثلاً يقول:

"فهل تنبهت الدكتورة إلى هذه المعاني الخالدة.. وإلى قوله تعالى.. نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ.. ؟ !!!.. !!!فهل اختلت الدكتورة إلى نفسها لمراجعة كل ما كتبت لترى إلى أي مدى تجنت على الإسلام العظيم.. وحملته أخطاء الطواغيت.. والعصاة والجهلة من المسلمين.. كما وأنها كانت ضحية لجهلها بهذا الدين العظيم..!!! وأتمنى أن تعي دكتورة علم النفس ـ قبل فوات الأوان ـ قوله تعالى..{**فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ**}." انتهى.

✍ فإذا كان هذا الدين عظيماً، كما يقول، فكيف يكون إلهه منتقماً وشرساً لهذه الدرجة؟

جماعة من خلقه نسوا ما ذُكروا به ففتح عليهم أبواب الرزق حتى فرحوا به، فأخذهم فجأة بعذاب أو موت أليم. هل يختلف هذا الإله عن الانتحاريين في العراق الذين يوزعون الحلوى حتى يجتمع إليهم أكبر عدد من الأطفال والنساء ثم يفجرون سياراتهم المفخخة لتحصدهم جميعاً؟ لماذا مد لهم في الرزق، لماذا لم يقتلهم عندما نسوا؟ وحتى يُثبت لنا إله الإسلام شراسته، يكرر على مسامعنا

{**فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفسقون.** (ص 26)}.

ويبدو أن الدكتور يقول شيئاً ويعني شيئاً آخراً،

- فهو يقول:

"من أهم أهداف هذا الرد (أو البحث) هو التركيز على فضل العلم والعلماء من منظور الدين الإسلامي.. (مع مقارنة سريعة بما ورد في الديانتين اليهودية والمسيحية عن العلم) حتى نخرص المرهصون في اتهام الدين الإسلامي بالبعد عن العقل والمنهاج العلمي.. وهو المنهاج الذي يعتبر الأساس الأول في فكر "التحول في النموذج الديني".. أي الانتقال بالقضية الدينية من "حيز الوهم" (أي الإنسان هو الذي خلق الإله ، وليس الإله هو الذي خلق الإنسان)، أو من "حيز الاعتقاد" (أي الإيمان بدون برهان).. إلى حيز "القضايا العلمية" ذات البراهين الرياضية والفيزيائية الراسخة. بل وسوف يجد المهتمين بالفلسفة ـ أيضا ـ أن كل أفكار وأسس الفلسفات الحديثة والمعاصرة مثل: "الفلسفة الوضعية المنطقية" [1] و"الفلسفة التحليلية".. أنها قد تم احتوائها جميعا في الفكر الشامل الذي يقدمه القرآن المجيد.. وهو الفكر الإلهي القاضي بتشكيل الفكر الإنساني على النحو الذي أراده للإنسان.. تحقيقا لقوله تعالى الله {يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ (8)}." انتهى.

✍ فما علاقة الآيات التي أتى بها بنقل الدين من حيز الاعتقاد إلى حيز القضايا العلمية ذات البراهين الرياضية؟ أنا لم أر أي برهان رياضي في الآيات الافتراضية التي تقول إن الإله خلق الإنسان فسواه فعدله. بل بالعكس فالآيات نقلت الموضوع من مجال العلم إلى مجال الإيمان، أي القبول والتصديق بالشيء بدون أي دليل علمي يدعم ذلك الزعم. وليس في القرآن أي فلسفة تحليلية أو وضعية منطقية. أهل القرآن اضطهدوا الفلسفة والفلاسفة وكفروهم وقتلوهم لدرجة أن حجة الإسلام الغزالي ألف كتاباً وسماه ‹<u>إلجام العوام عن علم الكلام</u>›.

- ثم ينتقل الدكتور المهندس بعد ذلك إلى علاقة الإسلام بالعلم، فيقول:

"{**وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ.** (الحج 54)}. [**فتخبت له قلوبهم: أى تخضع قلوبهم للقرآن وتذعن بالتصديق به**]." انتهى.

✍ ولعلم الدكتور فإن الكلمة (**يخبت**) لا تعني يخضع وإنما تعني **يخفي أو يطمئن**، وفي سياق الآية فهي تعني **تطمئن له قلوبهم**.

فإذاً العلم الحق لا بد أن يكون في القلوب وليس في الدماغ لأن الدكتور المهندس قد أثبت أن القلوب تساعد الدماغ على حفظ الذكريات.

وقد ساعده القرآن في ذلك، فالقرآن يقول عندما يقرأ الذين أوتوا العلم هذا القرآن تخبت له قلوبهم بدل أن تستوعبه عقولهم.

- وحتى يبرهن الدكتور على أن الإسلام مبني على العلم، يقول:

"{**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ (العنكبوت 43)**} أى أن كل ما يجيء به القرآن المجيد من أمثال وفكر، لا يعقلها إلا العلماء. وبديهى وحال الدين هو العلم؛ أن يقوم علماء المسلمين عقب تنزيل القرآن المجيد مباشرة في القرن السابع الميلادي (أي وأوروبا تموج بالجهل والأساطير والخرافات.. ولا وجود للعلم فيها) إلى تقسيم النصوص القرآنية والسنة النبوية الشريفة (أي كل ما ورد عن الرسول من أحاديث وأفعال وتقرير) عن العلم إلى مواضيع وأبواب كثيرة." انتهى

✍ فإذا كان كل ما ينزل في القرآن من أمثال وحكم لا يفهمها إلا العلماء، يكون الدين الإسلامي دين القلة المميزة ولم يقصد به منزله العوام من الناس. وعليه يكون قول القرآن انه نزل (**بلسان عربي مبين**) قول مغلوط. **فالمبين هو الواضح**. فإذا كان القرآن قد نزل بلسان عربي واضح، لا بد أن يفهمه العامة الذين يتكلمون العربية.

ثم أن الدكتور قد أخطأ في التاريخ إذ أن علماء الإسلام لم يقسموا القرآن والسنة إلى أبواب عديدة في القرن السابع عندما نزل القرآن، بل بعد ذلك بعدة مئات من السنين عندما جاء البخاري وغيره وجمعوا الأحاديث وأذهلهم الكم الهائل من الأحاديث الملفقة وحاولوا فرز القليل الذي اعتقدوا بصحته من الكثير الزائف، فوضعوا الأبواب والشروط العديدة لما سموه علم الرجال وعلم الحديث وعلم القرآن وما إلى ذلك.

وعندما نزل القرآن في القرن السابع كانت اليونان وروما قد عرفتا الفلسفة والرياضيات قبل الميلاد بقرون، وأتى فيثاغورس بنظريته المشهورة واستطاعوا حساب المسافة بين روما والإسكندرية، مستعملين الزوايا والظل فقط، حساباً دقيقاً أثبت العلم الحديث صحته. كل هذا حدث عندما لم تكن اللغة العربية التي نزل بها القرآن قد ولدت من رحم اللغة السريانية بعد.

أما الأمثال التي ضربها القرآن وقال عنها (**لا يفهمها إلا الذين أوتوا العلم**) فما هي إلا أمثال عامية بسيطة. فمثلاً نجد {**فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**} وهذا المثل نابع من مشاهدة عرب الصحراء القاحلة لكلابهم التي تلهث دوماً لأن حرارة الصحراء قاتلة، ولأن الكلب ليست لديه غدد في جلده تفرز العرق الذي يتبخر فيبرّد الجسم. يعتمد الكلب على تبريد جسمه بإخراج لسانه واللهث حتى يتبخر الماء من على اللسان فيبرد الدم الذي باللسان قبل أن يدور على بقية الجسم، وبالتدريج يبرد جسم الكلب.

أما لو ضربت هذا المثل لشخص في أوروبا فسوف يضحك عليك لأن الكلب في أوروبا، عكس كلب الصحراء، يحاول الحفاظ على حرارة جسمه، فلا يلهث إلا عندما يركض كثيراً ويولد حرارة زائدة بجسمه. أما إذا كان مرتاحاً فهو يبحث عن مكان الدفء ويحفظ لسانه بفمه حتى لا يفقد حرارته.

- ويستمر الدكتور المهندس في تخبطه، فيقول:

"بل أن العلم وطلبه هو المدخل إلى نيل الخلاص، فطلب العلم هو الطريق إلى الجنة، كما جاء في قول رسول الله [مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانِ (الأسماك) فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ]." انتهى.

✍ ومن الغريب أن يأتي الدكتور بهذا الحديث الملئ بالخرافة والأخطاء العلمية بعد أن استهزأ بالكتاب المسيحي الملئ بالخرافة.

- فكيف تعرف حيتان البحر أن اكس (فلان) من الناس في طريقه إلى طلب العلم فتستغفر له؟ بعض الحيتان تستعمل السونار لقياس المسافات ولكن لا أظن أن السونار قادرٌ على قراءة أفكار الناس ومعرفة نواياهم. فقد يسافر الرجل من السعودية ويقول لأهله إنه ذاهب لطلب العلم في باكستان ويعرّج على بانكوك من أجل الاستجمام قبل أن يصل إلى منبع العلم، فهل سوف تستغفر له الحيتان في هذه الحالة؟
- ثم نسأل الدكتور العالم بالكهرباء والإلكترونيات: ما هو فضل القمر على بقية الكواكب؟ فلو صعد الإنسان إلى القمر أو إلى المريخ فسوف يرى الأرض مضيئة كالقمر عندما تتوسط الأرض بينه وبين الشمس. فلماذا الفضل للقمر على بقية الكواكب؟
- ثم أن العلم الذي يتحدث عنه الرسول هو **علم الشريعة والقرآن** وليس العلم النافع الذي قدّم أوروبا، لأن هذا العلم النافع لم يكن معروفاً في أيام النبي. وبما أن العلماء وحدهم هم القادرون على فهم العلم القرآني، كما قال الدكتور، فدعونا نقرأ ما يقول هؤلاء العلماء في تعريف العلم.

قال محمد بن الفضل البلخي:

"العلوم ثلاثة: علم بالله وعلم من الله وعلم مع الله فالعلم بالله معرفة صفاته ونعوته، والعلم من الله علم الظاهر والباطن والحلال والحرام والأمر والنهي والأحكام، والعلم مع الله هو علم الخوف والرجاء والمحبة والشوق. وقال ثمرة الشكر الحب لله والخوف من الله."[15]

وقال أبو إدريس الخولاني، عن يزيد بن خمير قال:

"قلنا لمعاذ: أوصنا، قال: التمسوا العلم عند أربعة: أبي الدرداء، وسلمان، وابن مسعود، وعبد الله بن سلام."[16]

فهل نرى نيوتن أو أنشتاين بين هؤلاء الأربعة الذين نستقي منهم العلم؟ العلم في الإسلام هو الحديث والقرآن والسيرة النبوية.

- فإذا كان العلم الذي أوصى به النبي علماً نافعاً، لماذا ظلت بلاد المسلمين تخوض في بحار الجهل والظلمة منذ أن أتى الإسلام وإلى اليوم؟
- وإذا كان العلم مهماً لهذه الدرجة في الإسلام لماذا أختار الله رجلاً أمياً ليرسله لعرب أميين، ثم يبدأ القرآن بآية {**اقرأ باسم ربك الذي خلق**}؟ فكيف يقرأ الأمي؟
- وإذا كان العلم مهماً لماذا يمنع القرآن الناس من السؤال الذي يزيد في علمهم فيقول لهم {لاتسألوا عن أشياء إن تبدى لكم تسؤكم}؟
- وعندما سأل الناس نبيهم ليتعلموا منه، لماذا أتاه القرآن بأجوبة تهرّب بها من إعلامهم عما سألوا عنه؟ فمثلاً سألوه عن الآتي:
  - ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن.
  - ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً. فيذرها قاعاً صفصفاً. لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا.
  - ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي.
  - ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا.
  - ويسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج.

فهل أجاب القرآن على أي سؤال سألوه عنه؟ هل العلم أن يخبر الناس أن الأهلة مواقيت للناس وهم قد عرفوا ذلك منذ آلاف السنين؟ وهل العلم هو أن يخبرهم أن الله ينسف الجبال عندما سألوه عن كيفية تكوين الجبال؟ وهل المحيض هو أذى؟ لماذا لم يشرح لهم كيفية تكوين الدم في الرحم ثم نزوله كل شهر؟

ولا يستحي الدكتور المهندس أن ينقل لنا قصة خرافية رواها أحد الهنود، عناية الله مشرقي، عن شخص يدعى سير جيمس جينز الذي بكى عندما قرأ له العالم الهندي الآية التي تقول {**إنما يخشى الله من عباده العلماء**}.

وبما أن القرآن عندما جُمع لم تكن هناك علامات ترقيم وإعراب، ربما كانت الآية الصحيحة (**إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ**) أي أن الله يخاف من العلماء لأن العلماء الشرعيين هم الذين استغلوا الدين لإرضاء السلاطين وتاجروا به وجمعوا ملايين الدولارات من دول الخليج فأودعوها بأمريكا التي جمدتها، ولذلك يخشى اللهُ العلماء.

وهنيئاً للسير جيمس دموعه التي ذرفها من مخافة الله فسوف يدخله الله جنات النعيم. أما العلماء الحقيقيون فلا يؤمنون بإله في السماء. فالعالم الانـگليزي واتسن الذي فك لغز ال DNA قال عندما سألوه إن كان يعرف أي علماء يؤمنون بالله، قال: "لا أحد None". وزميله كريك الذي اشترك معه في الاكتشاف، استقال من عضوية جامعة كمبردج لأن إدارة الجامعة كانت قد قررت **بناء كنيسة صغيرة داخل الحرم الجامعي**.

[15] شذرات الذهب للدكشقي، ج2، ص 282.
[16] تاريخ الإسلام للذهبي، ج2، ص 172.

ويقول العالم الانـگـليزي ريتشارد دوكنز عندما أجرى بحثاً عن العلماء الحائزين على جائزة نوبل للعلوم، وجد ستة فقط يؤمنون بإله في السماء من بين مئات العلماء.[17]
فالعلم والدين نقيضان لا يجتمعان يا دكتور محمد الحسيني إسماعيل.

وأخيراً أقول للدكتور المهندس: إذا أردت أن تحاور طبيبة عالمة مثل الدكتورة وفاء سلطان، فأرجو أن يكون نقاشك علمياً مدعماً بالحجج العلمية والمصادر، بدل أن تحشوه بآيات القرآن.

عودة إلى الفهرس

[17] The God Delusion. Richard Dawkins, p 100.

2008 / 3 / 7

95 - وفاء سلطان بين بلدوزر الإسلاميين ونقد العلمانيين

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=127274

استضافت قناة الجزيرة الفضائية الدكتورة وفاء سلطان مساء الثلاثاء 4 مارس الحالي لمحاورة مدير تحرير ‹جريدة الاستراتيجيات›، في موضوع الرسوم الكاريكاتيرية الدنماركية التي يعتبرها المسلمون مسيئة للنبي، وكالعادة لم تكن هناك أي محاورة لأن السيد طلعت اعتبر *أي ذكر للقرآن أو النبي خارج حدود المحاورة* وبالغ في مقاطعة الدكتورة، كما قاطعها د. فيصل القاسم عدة مرات. واضطرت قناة الجزيرة للاعتذار في اليوم التالي عما صدر من الدكتورة من إساءة لمقدسات المسلمين، رغم أن الدكتورة لم تقل غير *أن القرآن يحتوي على أيات كثيرة تحض على قتال وازدراء غير المسلم*. وهذه حقيقة يجب أن يعترف بها المسلمون أو أن يحذفوا هذه الآيات من القرآن إذا كان ذكرها يسيء إلى مشاعرهم وإلى إيمانهم.

ولم تسلم الدكتورة من نقد العلمانيين، وأذكر منهم السيدة / الآنسة بيان صالح التي كتبت مقالاً في موقع "الحوار المتمدن" بتاريخ 5 مارس الجاري تنتقد فيه **أداء** الدكتورة وفاء سلطان. والنقد مهم جداً ولا يستقيم الفكر بدونه، والمثل الشعبي العربي يقول "لا يلومك إلا من يحبك" واللوم هو النقد. ولكن، كي يكون النقد مفيداً، *لا بد له أن يكون متزناً ومبني على ما قاله الكاتب أو المتحدث وما رد به محاوره*. وما لفت نظري في مقال السيدة بيان هو التركيز على ماقالته الدكتورة والتغاضي الكامل عن الكذب الذي تفوه به السيد طلعت، **كعادة الإسلاميين عندما يرددون العبارات المحفوظة والتي لا يدعمها أي دليل مادي أو عقلي**.

- بدأ السيد طلعت بسؤال مغلوط حين قال:

> "لماذا تكون حرية التعبير مقدسة حينما يتعلق الأمر بالإسلام ولكن عندما يعرضوا فيلماً عن السيد المسيح(The Last Temptation of Christ) ويحرق المسيحيون دور السينما في أمريكا وأوروبا لا يُعتبر هذا تدخلاً في حرية التعبير" أو كلمات بهذا المعنى.

✍ والسيد طلعت قدم هذه المعلومة على أساس أنها من المسلمات به والبديهيات التي لا تقبل النقاش.

وقد ردت عليه الدكتورة بأنها تعيش في أمريكا وبأنها لم تسمع عن أي دار سينما أُحرِقت. وأنا أعيش في انـگلترا ولم أسمع بأي دار سينما قد أحرقت رغم أن الفيلم قد عُرض في انـگلترا، كما عُرض في بقية الأقطار الأوروبية. وصحيح أن أساقفة الكنيسة الإنجيلية والكنيسة الكاثوليكية قد احتجوا على الفيلم ولكن لم تخرج مظاهرات ولم تُحرق دور السينما أو السفارة الأمريكية، ولم يهتف المسيحيون (الموت لأمريكا). وكان إقبال الجمهور على الفيلم كبيراً. فليس في الغرب أي أبقار مقدسة. التهكم Satire يطال كل شيء من الإله والأنبياء والملوك إلى الرؤساء. وقد عرضت المسارح الانـگليزية مسرحية Jesus Super Star التي تهكمت على السيد المسيح وأوعزت بأنه كان مثلياً، واستمرت المسارح تعرض هذه المسرحية كل ليلة لمدة اثني عشر عاماً متواصلة، ولم يحرقوا المسارح ولم يقاطعوها.

- ثم أردف السيد طلعت بكذبة أكبر حينما قال:

> إن الرئيس الأمريكي ترومان قال لضباطه في اليابان: "**أقتلوا كل شخص فوق سن العاشرة**".

✍ وهذه طبعاً كذبة أعظم من كذبة إبريل.

فليس هناك أي رئيس أمريكي يستطيع أن يعطي أوامر بقتل المدنيين لأن الكونـگرس ومجلس الشيوخ ومنظمات حقوق الإنسان سوف تجره جراً إلى المحاكم. فالرئيس الأمريكي ليس كالرئيس مبارك يستطيع أن يفعل مايشاء وتصفق له الجماهير. صحيح أن ترومان أمر بإلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما وناگـازاكي كرد فعل على مهاجمة الطيران الياباني بيرل هاربر وإغراق الأسطول الأمريكي. ويقول المحللون الاستراتيجيون إن إلقاء القنبلة سارع بنهاية الحرب العالمية الثانية التي ربما حصدت ملايين أخرى إذا استمرت.

- ثم سأل السيد طلعت الدكتورة وفاء إذا كانت تستطيع أن تنكر المحرقة اليهودية، فردت الدكتوره بقولها:

> "لماذا تريدني أن أنكر حقائق تاريخية مثبتة بالصور والمستندات؟"

✍ والمحرقة اليهودية في ألمانيا لا ينكرها إلا الذين ينكرون المجزرة الأرمنية التي ارتكبتها تركيا في الحرب العالمية الأولى، أي المسلمين الذين ينصرون أخاهم ظالماً أو مظلوماً والذين يكرهون اليهود كراهية التحريم، رغم تشدقهم الكاذب بأنهم يحترمون كل الأديان السماوية.

ولم يسمح د. فيصل القاسم ولا السيد طلعت للدكتورة *بأن تقول عشرة كلمات متلاحقة دون مقاطعتها*، ولذلك لم تتمكن الدكتورة من كشف هذه الأكاذيب التي أتى بها السيد طلعت، وسوف يرددها غيره المئات من الإسلاميين في المناظرات القادمة.

✍ ولكن ما لفت نظري في مقال السيدة بيان أنها لم تذكر السيد طلعت إلا لتصرفه جانباً

☐ بقولها:

> *"بغض النظر عن أهداف فضائية الجزيرة و منهجها السياسي في طرح مختلف القضايا السياسية التي عادة تتميز بالانحياز إلى القوى القومية العربية والإسلامية المتطرفة في العالم العربي، واختلافي الكامل مع السيد طلعت ممثل الإسلام السياسي بتعصبه واستبداده، أود أن أعلق على بعض أراء الدكتورة والتي من المفترض أنها مثلت الجانب العلماني مقابل الطرف الثاني التطرف الإسلامي." انتهى .*

✍ ولا غضاضة في نقد مَن يمثل الجانب العلماني إذا كنت علمانياً حريصاً على علمانيتك، ولكن لابد من نقد الجانب الآخر لتوضيح المغالطات التي يذيعونها صباحاً ومساءً على آذاننا حتى لا نظهر بمظهر المتحامل على العلمانيين.

☐ ثم قالت السيدة بيان عن وفاء سلطان:

> *"بدأت بالهجوم الشرس على الإسلام و المسلمين دون تمييز بين الدين الإسلامي كعقيدة مثل أي دين سماوي آخر والإسلام السياسي وممارساته الاستبدادية." انتهى .*

✍ وأحب أن أوضح هنا أن الإسلام يختلف عن بقية الأديان الأخرى *بأنه لا يفرّق بين العبادة والسياسة*، وليس هناك إسلام سياسي وإسلام تعبدي. المسلمون أنفسهم يقولون إن الإسلام دينٌ ودولة. والدولة هي السياسة، فإذاً الإسلام كله إسلام سياسي يتدخل في أبجديات حياة الفرد والأمة وقوانينها. فالحديث عن الإسلام لابد أن يتطرق إلى السياسة. وقد استأت كثيراً من د. فيصل القاسم عندما ظل يقاطع الدكتورة وفاء ويقول لها إنما نحن لا نتحدث عن العقيدة وإنما عن السياسة.

☐ ثم أردفت السيدة بيان:

> *"ولكن للأسف الشديد ظلت الدكتورة - مع احترامي لشخصيتها- كأنها جهاز كومبيوتر مبرمج تكرر الجمل والكلمات التي اعتدنا سماعها منها في كل مناسبة وبشكل متشنج و طالما قرأناها في كتاباتها المهاجمة على الإسلام و الدين الإسلامي بدون التحليل العلمي المنطقي لظاهرة التدين و تصاعد الإرهاب الإسلامي في العالم كشبكة سرطانية تهدد الحياة البشرية المعاصرة والتي لا تفهم أية لغة للحضارة والتمدن سوى لغة القتل والذبح وقطع الرؤوس واضطهاد المرأة وتدمير المدنية." انتهى*

- كيف تحلل الدكتورة وفاء تحليلاً علمياً ظاهرة التدين التي تقول عنها الكاتبة إنها شبكلة سرطانية لا تفهم أي لغة للحضارة؟ فالتحليل والمنطق مهمته أن يُقنع الجانب الآخر بالتخلي عن ممارساته المغلوطة، ولكن الجانب الآخر لا يفهم اللغة الحضارية، فكيف تشرح له الدكتورة. أما إذا حاولت الدكتورة، رغم المقاطعات المتكررة، شرح تلك الظاهرة للعلمانيين، تكون كمَن يحرث في البحر لأن العلمانيين لا يحتاجون لشرح تلك الظاهرة الإسلامية.
- وفي هجوم أعتبره غير مبررٍ على الدكتورة وفاء، تقول السيدة بيان:

*"إنها تفتخر بالدولة وبنظام ما زال يطبق عقوبة الإعدام ، نظام لم يوقع حتى الآن على اتفاقية **السيداو** (إعلان القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة)، نظام لا يزال يرفض التوقيع على معاهدة كيوتو لحماية المناخ ومقاومة الاحتباس الحراري." انتهى*

- عدد قليل جداً من الولايات الأمريكية ما زال يطبق عقوبة الإعدام، وحتى هذه الولايات تقوم بإعدام المسجون بطريقة غير مؤلمة بواسطة حقن بعض الكيماويات التي تؤدي إلى توقف التنفس والقلب، بينما تطبق جميع الدول الإسلامية عقوبة الشنق وبعضها يطبق عقوبة الرجم على المرأة، كما يحدث في إيران وكما كان يحدث في أفغانستان قبل التدخل الأمريكي. والرئيس جورج بوش قد يكون رافضاً لتوقيع الاتفاقيات ولكن الرئيس ليس دائماً في السلطة وسوف يأتي رئيس جديد يوقع على تلك الاتفاقيات. ولكن حتى بدون التوقيع على الاتفاقيات فلا يختلف اثنان في أن المرأة في أمريكا تتمتع بأعلى مستوى من احترام الحقوق عرفته البشري حتى الآن. أفلا يحق للدكتورة أن تفتخر بأمريكا؟
- وزاد هجوم السيدة بيان على الدكتورة، فقالت:

*"وكان من المؤسف بل المؤلم سماع إجابة الدكتورة وفاء عن المجزرة الأخيرة في غزة و موقفها منها. وأقول إنه وللأسف الشديد أحسست بأن ممثلة الحكومة الإسرائيلية بل أكثر الأجنحة اليمينية تطرفا فيها هي الجالسة و هي التي ترد على تلك الأسئلة، عندما تجرأت الدكتورة وفاء تقول« **<u>ليحاول المسلمون تحسين تصرفهم لكي تتعامل معهم إسرائيل بشكل أحسن.</u>**» هكذا دافعت السيدة وفاء عن مرتكبي مجزرة بشعة بحق أناس أبرياء ، في وقت لم تتجرأ حتى وزيرة الخارجية الأميركية كوندوليسا رايس (ولو كإعلان براءة أمام الإعلام) على عدم إدانة قتل المدنيين في المجازر الأخيرة في غزة !!!" انتهى*

- أعتقد أن الدكتورة قدمت لحماس وأتباعها نصيحة غالية عندما نصحتهم بتغيير سلوكهم نحوإسرائيل.

فما الفائدة من إطلاق صاروخ يقتل صبياً واحداً في إسرائيل فترد إسرائيل بقتل 106 فلسطينياً وهدم عدد كبير من المنازل؟ هل جنى الفلسطينيون أي فائدة من إطلاق صواريخ القسام التي ظلوا يطلقونها لعدة سنوات حتى الآن ولم تقتل في مجموعها أكثر من عشرين شخصاً بينما فقد الفلسطينيون الآلاف وتدمرت كل البنى التحتية في غزة؟ ألم تسمع حماس بقول الشاعر:

أرى العنقاء تكبرُ أن تُصادا فعاند من تطيق له عنادا ؟

وهل احتج المسلمون عندما فجر الانتحاريون أنفسهم في الملاهي الليلية الإسرائيلية وقتلوا الشباب الذين جاؤوا لقضاء أمسية جميلة في الملاهي؟ والسبب الوحيد في أن كوندوليسا رايس لم تصرح بما صرحت به الدكتورة وفاء هو أن كوندوليسا دبلوماسية لا تستطيع أن تتحدث بغير اللغة الدبلوماسية بينما الدكتورة ليست سياسية ويحق لها أن تقول رأيها بصراحة.

- قالت السيدة بيان:

"لم ترد الدكتورة على السؤال المطروح لأكثر من 3-4 مرات حول الربط بين تلك الرسومات و حرية الرأي والتعبير ولم ترد أن تبين أن موضوع تلك الرسومات ليس إلا واحدة من سياسات ومنهج الإرهاب الأمريكي بعد أحداث 11 سبتمبر في ما يسمى بالحرب على الإرهاب، ومع كل احترامي وقناعتي بحرية التعبير والرأي والصحافة الحرة، ولكن الهدف من وراء تلك الرسوم الكاريكاتيرية استفزاز مشاعر- المسلمين - واستغلالها من قبل الأنظمة الحاكمة العربية والإسلامية واستخدامها كأفيون لإفقاد قدرة الجماهير على الانتباه وتضليلهم، و إلهائهم عن الأوضاع القائمة المأساوية داخل المجتمع." انتهى.

- في الواقع إن الدكتورة ردت على السؤال بقولها:

<u>إنها خاطبت البرلمان الدنماركي وطلبت منهم إعادة نشر الرسوم مرة أخرى حتى يحموا حرية التعبير.</u>

- وهذا رد كافي لأن حرية التعبير مقدسة في أوروبا وإذا حاولت الدنمارك إرضاء المسلمين فسوف تصبح الدنمارك تطبق سياسة التنازلات لإرضاء الغير Appeasement كما فعل رئيس الوزراء البريطاني تشيمبرلين قبل الحرب العالمية الثانية عندما قدم التنازل بعد التنازل إلى هتلر حتى يرضيه، وانتهت بريطانيا بدخول الحرب العالمية الثانية وجنت الدمار الهائل. فسياسة التنازلات لإرضاء الغير لا تجلب غير الدمار في النهاية. أما إذا قرر الرؤساء العرب والملوك استغلال تلك الرسوم لتخدير مشاعر مواطنيهم فليس هذا ذنب الدنمارك.
- وأخيراً قالت السيدة بيان:

"وقد انتهى البرنامج في جو ملئ بالتشنج و عدم الاستماع إلى الطرف الآخر والابتعاد كليا عن محتوى الموضوع وعدم التطرق إليه ولابد من الإشارة إلى أن مقدم البرنامج والطرف الممثل للاتجاه الإسلامي سيطروا على معظم وقت البرنامج ولم يسمح للدكتورة وفاء إلا بالوقت القليل وتمت مقاطعتها مرات عديدة وسمح للسيد طلعت تقديم مداخلته الفجة المروجة للتعصب وعنف واستبداد الإسلام السياسي وتقديس التراث والتركيز على ما يسمى بالمقدسات والتي يجب أن لا تناقش أو تنتقد ويحكم بالموت على الذي يتعرض لها." انتهى.

وأنا اتفق مائة بالمائة مع السيدة بيان وكنت قد وددتُ لو أن الدكتورة وفاء لم تنزل إلى مستوى محاورها وتستعمل معه الألفاظ النابية. فهي كانت في موقف أقوى ولم تكن تحتاج إلى الشتم لأن الشتم لغة العاجز، وهي لم تكن ذلك.

وقد اعترفت السيدة بيان أن الوقت الذي منحوه إلى الدكتورة كان قصيراً للغاية ومليء بالمقاطعة، فكيف نتوقع من الدكتورة أن تجيب على كل النقاط التي ذكرتها السيدة بيان؟

عودة إلى الفهرس

46 - وثنية الإسلام

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=86535

يتفاخر المسلمون بأن الإسلام جاء ليقضي على الوثنية وأنّ إلههم واحد بينما إله المسيحية وإله اليهودية تكتنف وحدانيتهم بعض الشكوك. وللتأكيد على وحدانية إلههم يبدأ المسلمون تشهدهم بعبارة (لا إله إلا الله). ولكن هل حقاً تعكس هذه العبارة ما يحدث في المجتمعات الإسلامية؟ *وهل حقاً جاء الإسلام ليقضي على الوثنية؟*

قبل مجئ الإسلام كان جزء من أهل مكة يعبدون الأصنام بينما كان فيهم المسيحي والحنيفي الذي يؤمن بإله واحد. والكعبة نفسها ربما كانت معبداً مسيحياً به صور مريم العذراء وابنها يسوع مع صور بعض الأنبياء مثل إبراهيم. وكان بها كذلك أصنام. وعند دخول محمد مكة منتصراً، حطم الأصنام ومحا كل الصور *ماعدا صورة مريم وابنها يسوع*، ربما احتراماً للقس ورقة بن نوفل. وربما كان محمد ينوي من تكسير الأصنام حمل العرب على عبادة إله واحد، ولكن عرب مكة الذين كانوا حديثي العهد بالإسلام عندما مات محمد (فتح مكة عام 8 هجري وتوفى عام 10 أو 11 هجري) وعرب المدينة الذين عاصروا النبي عشر سنوات فقط قبل أن يتوفاه الموت، **قد استعاضوا عن الأصنام بعبادة رسول الإسلام الذي أصبح في نظرهم إلهاً.**

- فقد جعلوه معصوماً عن الخطأ رغم أخطائه الكثيرة التي حفظتها لنا كتب السيرة، ورغم أن محمداً يقول لهم في القرآن {**وما أنا إلا بشرٌ مثلكم يوحى إليّ**}.
- وجعلوا من بصاقه وشعره مكنوزات يتقاتلون عليها، وشربت خادمته - أم أيمن - بوله، فقال لها [**لا يَيْجَعُ بطنكِ أبداً.**][1]
- وجعل الفقهاء أقواله وأفعاله فوق القرآن، فسنوا رجم الزانية رغم أن القرآن يقول لهم في آخر سورة نزلت قبل وفاة محمد {**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رحمة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين. (النور 2)**}. وهذه السورة نزلت قبل أشهر من وفاة الرسول، ولأهمية التشريع عن الزنا جعل الله الآية المذكورة ثاني آية في السورة بعد الآية التي تقول {**سورة أنزلناها وفرضناها وانزلنا فيها آياتٍ بيناتٍ لعلكم تذكرون**}. فماذا يمكن أن يقول لهم الله أكثر من هذا ليؤكد لهم أن عقاب الزانية الذي يرضاه هو الجلد؟ ولكن لأن الفقهاء كانوا يعبدون الرسول بدل الله اختلقوا قصة عن امرأة من اليهود زنت ورجمها محمد، فأصبح فعله يعلو على القرآن. **إنها الوثنية العربية التي لم تفارقهم.**

وإذا تركنا الفقهاء والعامة الذين عبدوا الرسول بدل مرسله، **نجد أن القرآن نفسه احتضن وأثبت في تعاليمه عدداً لا يستهان به من الممارسات الوثنية**. وسوف استعرض بعض هذه الممارسات التي احتضنها الإسلام.

رقصة المطر

عندما اكتشف الإنسان الزراعة ودجّنَ الحيوانات عرف أهمية المطر في نجاح الزراعة ونمو الأعشاب للحيوانات المدجنة. ولما كانت المجموعات الإنسانية الأولى تعيش حول الأنهار وتزرع بمائها، لم يكن لديهم اهتمام كبير بالأمطار لأنهم لم يكونوا يعرفون أن الأمطار هي السبب في الفيضانات التي تسمح لهم بالزراعة. ولذلك اهتموا بالأنهار وقدموا لها القرابين كي تفيض عليهم كل عام. ولما كبرت المجتمعات واضطر بعضها للنزوح إلى مناطق ليس بها أنهار، *أصبح جزء كبير منهم يعتمد على الأمطار في الزراعة*. وبذلك اكتسبت الأمطار أهمية كبيرة في حياتهم. ولكن لجهلهم بكيفية تكوين السحاب ونزول الماء منه، اعتقدت أغلب المجتمعات وقتها أن السحاب تكونه أرواح أسلافهم التي تنزل مع الماء لتخصب لهم مزارعهم وتدر اللبن في ضروع مواشيهم. وبالضرورة مرت عليهم سنوات لم ينزل بها مطر وماتت مواشيهم من الجفاف، فحسبوا أن أرواح الأسلاف قد غضبت عليهم. وفي محاولة لإرضاء هذه الأرواح راحوا يقدمون لها الرقصات والأغاني والقرابين لترضى عنهم وتنزل لهم الأمطار. وسُميت هذه الرقصات ب (رقصة المطر Rain Dance)، وكانت تمارس في عدة مجتمعات من مجتمعات الهنود الحمر في أمريكا وكذلك مارسها السكان الأصليون في أستراليا ونيوزيلندة ومناطق الجفاف في أفريقيا. غير أن هذه الرقصات لم تجد طريقها إلى أوروبا لأن المناخ في أوروبا كان ومازال ممطراً أغلب السنة. *وفي جزيرة العرب الصحراوية كان الناس يعتمدون على المطر كلياً*، ولكن لأن الرقص لم يكن من عاداتهم، فقد استعاضوا عن رقصة المطر **بدعاء الآلهة من فوق رؤوس الجبال لتنزل عليهم المطر**. يقول د. جواد علي:

> "وقد ذكر الإخباريون طريقة من طرق أهل الجاهلية في الاستسقاء، ذلك أنهم إذا أجدبوا وانحبس المطر عنهم، عمدوا الى السلع والعُشَرْ، فحزموهما وعقدوهما في أذناب الابقار واضرموا فيه النيران، وأصعدوها في جبل وعر قبل المغرب، ثم اتبعوها يدعون ويستسقون يقولون لذلك **المسلعة**."[2]

وجاء الإسلام واستبدل هذه الشعيرة بصلاة الاستسقاء، حيث يصطف الناس صفوفاً ويدعون الله أن ينزل عليهم المطر. ويبدو الوضع غريباً هنا. إله في السماء ينزل المطر بلا حساب على قوم في أوروبا يشتكون من كثرتها وهم لا يؤمنون به، ويمسك الأمطار عن قوم آمنوا به. وحتى عندما يستجيب إلى دعواتهم، ينزل المطر بلا حساب. فرغم أنه يقول في القرآن {**وإنْ من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم. (الحجر 21)**} ففي مرة من المرات عندما استسقى النبي ربه أنزل الله كمية من الأمطار أغرقت مكة ودمرت الحيطان، فدعا الرسول ربه وقال [**اللهم حوالينا ولا علينا**]. وهذا إنْ دل عل شيء فإنما يدل على أن المطر شيء طبيعي لا دخل للإله به، أو أن إله الإسلام يغتاظ من الذين يدعونه فينزل عليهم أكثر مما يحتاجون حتى يتوبوا ويطلبوا منه أن يكف. والغريب أنّ هذه الشعيرة استمرت حتى الآن في القرن الحادي والعشرين بعدما عرفنا كيف ومتى يتكوّن السحاب ومتى يمطر ذلك السحاب، وأصبح بمقدورنا أن نتنبأ بموعد نزول الأمطار وأن نفرّق السحاب إذا لم نرد له أن يمطر عندنا. *أما حكام العرب فما زالوا يقودون صلاة الاستسقاء بعد أن يستشيروا مكاتب الأرصاد الجوية و بعد أنْ يعرفوا متى سوف تمطر السماء في بلادهم.*

فالاستمرار في صلاة الاستسقاء ما هو إلا التمسك بالعادات الوثنية.

---

[1] أسد الغابة في تعريف الصحابة، باب الكنى من النساء.
[2] بلوغ الارب 161/2، نقلاً عن تاريخ العرب قبل الإسلام.

رقصة الشمس

كان القدماء يعبدون الشمس ويصلون لها في مصر وغيرها من البلدان. وفي أمريكا كان الهنود الحمر كذلك يعبدون الشمس وفي المناسبات العامة كانوا يرقصون رقصة الشمس ويقف الرجال في حلقة حول عمود من الخشب ويرقصون ويتغنون بالشمس، خاصة عندما تكسف. وفي شمال القارة حيث توجد كندا الآن، كان الهنود الحمر القريبون من القطب الشمالي، حيث تمثل الشمس عندهم قوة مطلقة تهبهم الدفء والنور، كانوا يعبدونها ويرقصون لها ويقدمون لها القرابين إلى وقت قريب إلى أن أصدرت الحكومة الكندية قانوناً يُجرّم رقصة الشمس وتقديم القرابين في عام 1880 ميلادية، ولكن رغم القانون الذي لم تتشدد الحكومة في تنفيذه، فقد استمرت ممارسة رقصة الشمس. وطبعاً كل الوثنيين الذين عبدوا الشمس ورقصوا لها فعلوا ذلك لجهلهم بماهية الشمس واعتقادهم أنها لن تشرق عليهم إذا لم يرقصوا لها ويقدموا لها القرابين.
وجاء الإسلام الذي لم يكن يفهم عن الشمس أكثر مما كان يفهم الوثنيون القدامى، وكان النبي والأعراب من حوله يخافون من كسوف الشمس، فأوصى **بصلاة الكسوف وصلاة الخسوف** عندما تكسف الشمس أو يخسف القمر:

"ولما كَسَفَتِ الشَّمسُ، خرجَ صلى الله عليه وسلم إلى المسجد مُسرِعاً فزِعاً يجُرُّ رداءه، وكان كسُوفُها في أوَّل النهار على مقدار رُمحين أو ثلاثة مِن طلوعها، فتقدَم، فصلى ركعتين، قرأ في الأولى بفاتحة الكتاب، وسورة طويلَة، جهر بالقراءة، ثم ركع، فأطال الركوع، ثم رفع رأسه من الركوع، فأطال القيام وهو دون القيام الأول، وقال لما رفع رأسه: [**سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الحَمْد**]، ثم أخذ في القراءة، ثم ركع، فأطال الركوع وهو دون الركوع الأولِ، ثم رفع رأسه من الركوع، ثم سجد سجدة طويلة فأطال السجود، ثم فعل في الركعة الأخرى مِثْلَ ما فعل في الأولى، فكان في كُلِّ ركعة رُكوعان وسجودان، فاستكمل في الركعتين أربعَ ركعات وأربعَ سجدات."[3]

ويُقال إن النبي بكى لما كسفت الشمس:

"وبكى لما مات عثمان بن مظعون، وبكى لما كَسَفت الشَّمْسُ، وصلى صلاة الكُسوف، وجعل يبكي في صلاته، وجعل ينفخ، ويقول: [**رَبِّ أَلَمْ تَعِدْني أَلاَّ تُعَذِّبَهُم وَأَنَا فِيهِمْ وهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ، وَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُك**] وبكى لما جلس على قبر إحدى بناته وكَانَ يَبكي أحياناً في صلاة اللَّيلِ."[4]

فقد حسب النبي عندما كسفت الشمس أن الله سوف ينزل عليهم عقاباً كعقاب عادٍ أو ثمود، فقال له: [**رَبِّ أَلَمْ تَعِدْني أَلاَّ تُعَذِّبَهُم وَأَنَا فِيهِمْ**]. وطبعاً ليس هناك أي سبب لصلاة الكسوف إذ أنها ظاهرة طبيعية نستطيع أن نتنبأ بزمن حدوثها وكم سوف يدوم الكسوف.

فصلاة الكسوف ما هي إلا إحدى الشعائر الوثنية، مثلها مثل رقصة الشمس.

العقيقة والختان

الشعوب الوثنية البدائية احتفلت بعدة **محطات معينة في حياة الإنسان**، منها ميلاده، وبلوغه سن الرشد وإنتمائه إلى الرجال المحاربين أو انتماء البنت إلى النساء واهبات الحياة، عندما تبدأ دورتها الشهرية، ثم الزواج والموت. وكان الإنسان البدائي يحتفل بكل هذه المحطات ويقدم القرابين لآلهته. يسمي علماء الاجتماع هذه الاحتفالات Rites of Passage أي طقوس أو شعائر مرور الإنسان بتلك المحطات. وأهم هذه الشعائر شعيرة الاحتفال بولادة طفل. كانت القبائل البدائية تحتفل **بميلاد الصبي** وتقدم القرابين لأرواح الأسلاف التي منحتهم صبياً سوف يصير رجلاً يصطاد لهم قوتهم ويدافع عنهم. وجاء الإسلام واحتضن هذه الشعيرة وسماها **العقيقة**. وتمشياً مع الشعيرة الوثنية التي تحتفل بالصبي، *فقد جعل الإسلام عقيقة الصبي شاتين وعقيقة البنت شاةً واحدة*.

وكما كانت القبائل الوثنية تقدم القرابين، يقدم الإسلام الشاة قرباناً، عادةً في اليوم السابع من ولادة الطفل، ويحتفل القوم ويأكلون القرابين.

أما **الختان** فهو من العادات الوثنية القديمة وكان سائداً في أفريقيا وعرب ما قبل الإسلام الوثنيين. والعرب في ذلك كالعبرانيين. يقول د. جواد علي:

"والختان هو في الاصل نوع من انواع العبادة الدموية التي كان يقدمها الانسان الي الأرباب، وتعد أهم جزء من العبادات في الديانات القديمة، *فقطع جزء من البدن وإسالة الدم منه هو تضحية* في عرف أهل ذلك العهد ذات شأن خطير. وكان الجاهليون يقولون لمَن لم يختن (الأغلف) و(الأغرل) وهم يعيبون مَن لم يختن ويعدون الأغلف ناقصاً."[5]

وجاء الإسلام واحتضن الختان وجعله شريعةً معترف بها خاصةً للذكور.

وليس للختان أي فوائد طبية معروفة حتى نقول إن الله قد أمر به لفائدة الناس. وما ظهر أخيراً في الصحف السيارة[6] من أن الختان يقي الرجال من متلازمة فقدان المناعة المكتسب، قولٌ لا يدعمه أي دليل علمي.

الحج

عندما تكونت المجتمعات الإنسانية *كان إله كل مجموعة يقطن بينهم، سواء أكان طوطماً أو صنماً أو شجرة*. وبظهور آلهة السماء واختراع الإنسان الملاحم التي تُكرّم تلك الآلهة، اتخذ الإنسان في الأرض معلماً في مكان معين يمثل بيت الآلهة أو مكان نزول الآلهة من السماء. وصار الناس من المناطق المجاورة يحجون لتلك المواقع. فمثلاً في الهند، وقبل ألفي سنة قبل الميلاد، نسج المجتمع الهندي أسطورة حول نهرهم العظيم، نهر جانكيز Ganges فحواها أن النهر خُلق في السماء ثم أنزلته الآلهة إلى الأرض ليطهر بمائه النقي ذنوب البشر. ومنذ ذلك التاريخ السحيق ظل الهندوس من كل أنحاء الهند يحجون سنوياً إلى ذلك النهر وينغمسون في مائه ليطهروا أنفسهم من الذنوب. وما زال هذا الحج يحدث سنويا ويحج في المتوسط حوالي مليون هندوسي في كل موسم.
وقبائل المايا في أمريكا الجنوبية كانت لهم حضارة عظيمة قبل الميلاد وبنوا معابد ضخمة في الصخور لآلهتهم وكانوا يحجون إليها كل عام. وفي انـگلترا توجد بقايا معبد في سهل سالسبري يُدعى (إستون هنج Stonehenge) أقامته قبائل قديمة قبل حوالي خمسة آلاف عام وكانوا يحجون إليه ليعظموا الشمس. *وعرب ما قبل الإسلام بنوا عدة كعبات للحج*، أكبرها وأشهرها كانت الكعبة التي بمكة. وكانت القبائل العربية تحج كل عام إلى تلك الكعبة *ووضعت كل قبيلة صنمها حول الكعبة لتحج إليه*. وكانوا يطوفون حول الكعبة سبع مرات ويرددون **التلبية**: (**لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك لبيك**). وكانوا **يهرولون بين الصفا والمروة**، وكانوا يرمون الجمرات على كمية من الحجارة يسمونها **الرجمة**، يرصونها فوق بعضها البعض تشبيهاً أو تمثيلاً لقبور أسلافهم، **ويرمون الحجارة الصغيره عليها تعظيماً لها**. ثم بعد انتهاء موسم الحج كانوا **يقصون شعورهم** تعظيماً لأصنامهم. ثم **يذبحون القرابين** ويولمون وتكون الوليمة مفتوحة لكل من

[3] زاد المعاد لابن القيم الجوزية، ج1، ص 209.
[4] زاد العاد، ج1، ص 79.
[5] جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج5، ص277.
[6] الصحف السيارة تعبير عربي يقصد به الصحف اليومية تميزاً لها عن الصحف التي كانت تُعلق على جدران الكعبة أو الصحف التي بالكتب كصحف إبراهيم وموسى.

ورد مكة. وقد كان الحج إلى مكة في شهر ذي الحجة منذ أقدم العصور، وقد ورد شهر ذي الحجة في المسند منذ أيام ممالك اليمن القديمة.
وجاء الإسلام واحتضن الحج بكل مقوماته وجعله منسكاً إسلامياً من مناسك وشعائر الله. وزيادة في الوثنية جعل الإسلام **تقبيل الحجر الأسود بالكعبة شعيرة لا يتم الحج بدونها**. فالإسلام الذي جاء لينهي تقبيل الأصنام فرض على المسلمين تقبيل الحجر الأسود الذي تآكل وتفتت من كثرة تقبيل المسلمين له، وما هو إلا حجر عادي من نيزك وقع من الفضاء. وقد فطن عمر بن الخطاب لهذه السخرية من العقل البشري وقال مخاطباً الحجر:

"إني أعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله يقّبلك لما فعلت."

ولا يقف تشبه الإسلام بالجاهليين الوثنيين عند هذا الحد. فقد كان بعض عرب الجاهلية المتأثرين بالدعوة الحنيفية، ويُسمون **الحمُس**، *كانوا يطوفون حول الكعبة عراة احتراماً لإلههم الذي لا يطوفون حول بيته في ملابس كانوا قد أذنبوا وهم يلبسونها*. وقد احتضن الإسلام هذه العادة وفرض على الرجال الحج وهم عراة إلا من قطعة من القماش يلفونها حول خواصرهم. وجعل رمي الجمرات شعيرة القصد منها رجم الشيطان بدل تعظيم قبور الأسلاف.

وماعدا ذلك فكل شيء من شعائر الحج ماهو إلا تطبيق لما كان يطبقه الوثنيون قبل الإسلام.

وكان لعرب الجاهلية المتناحرين على مر الشهور أربعة أشهر حرّموا فيها القتال وسموها **الأشهر الحُرم**. وقد أعجبت الفكرة إله الإسلام فقال:

{إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ. (التوبة 36)**}.**

ولأن إله الإسلام كان قد أُعجب بفكرة الأشهر الحُرم فقد قال:

{الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ. (البقرة 197)**}.**

ويبدو أن الأمر قد أختلط هنا على القائل لأن الحج أيامٌ معلومات وليس أشهراً. فهو يقول عن الحج في سورة الحج:

{ويذكروا اسم الله في أيام معلومات}.

وكان العرب الوثنيون يتشاءمون إذا طار طائر عن يسار المسافر فكان يؤخر سفره لذلك، ويتفاءلون إذا طار الطائر عن يمين المسافر، وكانوا يقولون للرجل الذي لا يسمع نصيحتهم (طائرك في عنقك).

وجاء القرآن واقتبس هذا التطير وقال:

{وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً. (الإسراء 13)**}.**

ويبدو واضحاً من هذا السرد أن الإسلام بدل أن ينهي الوثنية قد ثبتها وجعلها شعائر يقوم بها المسلمون. وكنتيجة لهذه الوثنية نجد صور الزعماء، وبحجم أكبر من أحجامهم الطبيعية، تطل علينا في الشوارع وفي المكاتب والمستشفيات ولا بد لكل محطة تفزيون وصحيفة قومية أن تبدأ إرسالها أو صفحتها الأولى بذكر خبر تافه عن الرئيس المبجل.

وقد حمل هذا التعظيم والتبجيل بعضهم ليقول للحاكم:

ما شئت لا ما شاءت الأقدارُ احكمْ فأنت الواحد القهارُ

(ابن هاني الأندلسي يمدح الخليفة المعز لدين الله).

وقال علي بن بجلة - العكوك - يمدح القاسم بن عيسى:

أنت الذي تُنزل الأيامَ منزلها وتنقلُ الدهر من حالٍ إلى حالِ

وقال شفيق الكمالي يمدح صدام حسين:

ووجهك القدسي فينا كوجه الله ينضحُ بالجلال

فهل هنالك وثنية أكثر من هذه؟ ومع ذلك لم نسمع واعظاً واحداً من وعاظ السلاطين يقول: لقد كفر هؤلاء الشعراء. والسبب طبعاً لأنهم كانوا يمجدون أولي الأمر الذين يجب أن يطيعهم المؤمنون. أما عندما يقول محمود محمد طه "إن الصلاة قد رُفعت عنه"، فيشنقونه لأنه لم يكن يمجد الأوثان الحاكمة. بئس وعاظ السلاطين وما يؤمنون به.

عودة إلى الفهرس

2007 / 2 / 17

52 - إنهم يعبدون القرآن

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=88893

اللغة، أي لغة، هي عبارة عن أصوات معينة تمثل رموزاً اتفقت مجموعة من الناس على أن كل رمز من هذه الرموز يعني شيئاً معيناً لدى جميع أفراد المجموعة المعنية. وأغلب اللغات الحية ترجع في أصلها إلى لغة سابقة لها قد انقرضت أو ما زالت مستعملة في أوساط مجموعة صغيرة تمثل إحدى الأقليات الإثنية في بلدٍ ما. فأغلب اللغات الأوروبية ترجع في أصلها إلى اللغة اللاتينية التي انقرضت. واللغة العربية ولدت من رحم اللغتين الآرامية والسريانية. واللغات الحية، مثلها مثل المخلوقات، تتغير وتتطور مع مرور الزمن نسبة لاحتكاك أهلها بثقافات أخرى لم تكن معروفة لهم عندما ولدت لغتهم. ولكن مهما تطورت اللغة وتقدمت فلا يمكن أن تتغير معاني كلماتها وإنما تتطور بإضافة كلمات واشتقاقات جديدة. وهناك في عالمنا اليوم حوالي ست آلاف وخمسمائة لغة، منها حوالي ألفين لغة يتحدث كلاً منها ما لا يزيد عن ألف شخص. والذي يهمنا في هذه اللغات شيئان:

- الأول: هو إصرار المسلمين على أن القرآن أُنزل لجميع هؤلاء الناس ولكن باللغة العربية.
- والثاني: هو أن المسلمين صرفوا النظر عن الرسالة التي جاء بها القرآن *وأصبحوا يعبدون لغة القرآن في ذاتها* وجعلوا له علوماً تفوق جميع العلوم الطبيعية المعروفة لهم.

فبالنسبة للمشكلة الأول، أي *نزول القرآن باللغة العربية*، فإن أهل التفسير يصرون أنه:

"لا يجوز قراءة القرآن بالعجمية مطلقاً سواء أحسن الشخص العربية أم لا، في الصلاة أم خارجها"[1].

والسبب طبعاً لأنهم **يجزمون أن القرآن هو كلام الله الذي نطق به**، وعليه يجب على أهل جميع هذه اللغات التي ذكرناها أن يتعلموا العربية ليقرءوا بها القرآن، **حتى إن لم يفهموا معناه**. فالذي يقرأ القرآن بالعربية ولا يفهم معناه يكافئه الله بعدة حسنات، فقد أُخرج من حديث عمر مرفوعاً: "من قرأ القرآن فأعربه كان له بكل حرف عشرون حسنة ومن قرأه بغير إعراب كان له بكل حرف عشر حسنات" والمراد بإعرابه معرفة معاني ألفاظه وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة (السيوطي). وعليه، يجب على جميع أهل الأرض أن يقرءوا القرآن باللغة العربية حتى وإن لم يفهموه، وسوف يعطي الله لكل واحد منهم عشرة حسنات عن كل حرف (ويالها من تجارةٍ رابحة). ويعجز فهمنا المحدود عن استيعاب السبب الذي من أجله تجاهل المفسرون الآية القرآنية التي تقول: {**وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء. (ابراهيم 4)**}. *فالسبب في إرسال الرسول بلسان قومه هو فهم ما أتى به الرسول*. وهناك آية أخرى تقول: {**ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين. (الشعراء 198 - 199)**}. فلو أنزل الله القرآن باللغة العربية على الأعجمين لما فهموه ولما آمنوا به. ولكن رغم ذلك يتجاهل الفقهاء هاتين الآيتين. ربما لأنهما مكيتان، والمكي ينسخه المدني.

أما المشكلة الثانية، أي *عبادة القرآن*، فإنها أكبر من أن نحصرها في مقال كهذا، ولكن سوف أحاول جهدي.

فمنذ أن جاء محمد بالقرآن الذي كان ينزل عليه، كما قالوا، كل ثلاث أو أربع آيات مع بعض، ولذلك استغرق نزول سورة النساء ستة أشهر، وسورة براءة نزلت على سنوات، كما يقول السيوطي، اقتنع أتباعه بأن الآيات هي كلام الله الذي نطق به، وقد أخرج الطبراني من حديث النواس بن سمعان، مرفوعاً:

"إذا تكلم الله بالوحي أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله فإذا سمع بذلك أهل السماء صعقوا وخروا سجداً فيكون أولهم برفع رأسه جبريل فينتهي به حيث أمر."

فأهل السماء لا بد أنهم قد صُعقوا آلاف المرات لأن التنزيل استمر على مدى ثلاث وعشرين سنةً. وما دام الأمر كذلك فلا بد لأهل الأرض من أن يقدسوا هذا القرآن. ولذلك اعتبر الفقهاء حتى مجرد السؤال: هل القرآن كلام الله، **كفراً**. يقول ابن حزم الأندلسي في كتاب ‹الملل والنحل›:

"فإن سأل سائل عن اللفظ بالقرآن قلنا له سؤالك هذا يقتضي أن اللفظ المسموع هو غير القرآن وهذا باطل بل اللفظ المسموع هو القرآن نفسه وهو كلام الله عز وجل نفسه كما قال تعالى: {حتى يسمع كلام الله}." انتهى.

فإذاً لا مجال في التشكيك بأن القرآن كلام الله الذي نطق به، وعليه لا بد أن نقدسه ونعبده. ولذلك في سنة أربع وثلاثين ومائتين هجرية نهى المتوكل عن الكلام في القرآن، وأصبح القرآن من وقتها، مثل الله تماماً، غير مخلوق.

- ومنذ ذلك التاريخ كرّس الفقهاء والمفسرون كل وقتهم في **اختراع ودرس علوم القرآن، وتفسيره** تفسيراً يعطي الكلمات العربية معاني غير التي أعطاها إياها أهلها قبل أن ينزل القرآن.

ومع أن القرآن يقول: {**وما يعلم تأويله إلا الله**} نجد المفسرين قد شطحوا ونطحوا وأتوا بحركات بهلوانية سموها تأويلاً ليخرجوا بها من مأزق التناقض في القرآن.

ومنهم من يؤمن إيماناً مطلقاً أنه **لا يوجد تناقض في القرآن**، مثل ابن حزم الأندلسي الذي قال:

"وبالضرورة ندري أن كلام الله عز وجل لا يتناقض".

وبالتالي أصبح كلام الله هذا مقدساً، فعبدوه لأنه ملموس لهم والله بعيدٌ في السموات العلا، تماماً كما عبد العرب الأصنام التي كانت وسيلتهم لله.

وعندما نقدس شيئاً يصبح هذا الشيء فوق النقد والتمحيص وينحصر دورنا في تمجيده وتبيان اللآلئ المختبئة داخله.

ولذلك كرس الفقهاء ما يربو على ألف سنة من تاريخنا في إظهار تلك اللآلئ في حروف وكلمات وآيات القرآن المجيد.

- وبعد أن **أحصوا كل الحروف**، وضعوا قرآنهم في المتحف العقلي الذي كان قد برز إلى حيز الوجود في القرن السابع الميلادي عندما كتب زيد بن ثابت وفرقته شبه الأمية القرآن.

فزيد وجماعته *كانوا لا يعرفون الهجاء* كما نعرفه الآن ولذلك كتبوا بعض كلمات القرآن بالطريقة التي عرفوها وقتها، فكتبوا مثلاً (وجايء) بدل (وجيء) و(فسئل) بدل (فاسأل) و(متكئاً) بدل (متكأ) و (نبوًا) بدل (نبأ) وهكذا دواليك.

وبما أن القرآن، حسب زعمهم، هو كلام الله فلا يمكن تغيير أي شيء به.

[1] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.

- ورغم أنهم لم يقولوا إن الله قد خط القرآن بيده في المصاحف، كما خط ألواح موسى، إلا أنهم عارضوا وامتنعوا عن كتابة المصاحف بالهجاء الحديث *لأن مصحف عثمان والرسم العثماني أصبح مقدساً لا يجوز المساس به*. ولولا صرامة الحجاج بن يوسف وخليفة المؤمنين عبد الملك بن مروان لظل المصحف بدون نقاط وبدون علامات الاعراب المعروفة.
- وبعد أن أحصوا حروف وآيات القرآن، **أعطوا القرآن نفسه خمسين اسماً**، وقالوا:

"إنما سمي قرآناً لكونه جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة. وقيل لأنه جمع أنواع العلوم كلها. وحكى قطرب قولاً: إنه سمي قرآناً لأن القارئ يظهره ويبينه من فيه أخذاً من قول العرب ما قرأت الناقة سلاً قط: أي ما رمت بولد: أي ما أسقطت ولداً: أي ما حملت قط. والقرآن يلفظه القارئ من فيه ويلقيه فسمي قرآناً. ومن أسمائه: الفرقان، النور، الهدى، الشفاء، الذكر، الحكمة، الحكيم، المهيمن، الحبل، الصراط، المثاني، الروح، المجيد، إلخ."[2]

ونلاحظ هنا أن بعض أسماء القرآن هي نفسها أسماء الله الحسنى. فبما أنهم أعطوا الله تسعة وتسعين اسماً فلا بد أن يعطوا كلامه خمسين اسماً.

- ثم بعد ذلك **أعطوا بعض السور عدداً من الأسماء** يفوق عدد آيات السورة.

فمثلاً سورة الفاتحة، قال عنها السيوطي:

"وقد وقفتُ لها على نيف وعشرين اسماً وذلك يدل على شرفها فإن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى." انتهى.

كل هذا الشرف وهم لم يتفقوا حتى على عدد آياتها ولا مكان نزولها.

فمنهم مَن قال إنها نزلت بمكة، وبعضهم قال بالمدينة، وقال آخرون إنها نزلت مرتين: مرة بمكة ومرة بالمدينة (ربما لم يكن الله يثق بذاكرة عرب مكة فأنزل السورة بالمدينة كذلك).

- ثم تفرغوا بعد ذلك إلى **لغة القرآن** وألفوا فيها مئات الكتب. يقول أبو بكر الواسطي في كتابه ‹الإرشاد في القراءات العشر›:

"في القرآن من اللغات خمسون لغة." انتهى.

يقولون هذا رغم أن صريح القرآن يقول لمحمد: {**فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً. (مريم 97)**}. ويقول كذلك: {**فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون. (الدخان 58)**}. ونحن نعرف أن النبي كان من قريش، وعندما أمر عثمان زيد بن ثابت أن يجمع القرآن، قال له:

"إن اختلفتم في شيء فاكتبوه بلغة قريش فإنه نزل بلغتهم".

ولكن مع ذلك قالوا إنّ به خمسين لغة، حتى يزيدوا من هالته وتفخيمه. *فكثرة الأسماء، كما قالوا، وكثرة اللغات تزيد من شرف المسمى*.

- أما اللغة العربية التي نزل بها القرآن وسوف يتكلمها كل أهل الجنة، فقد حاول المفسرون وأدها نحوياً وإفراغ كلماتها من معانيها **حتى يزيلوا تهمة التناقض عن القرآن**. فمحاولة إتفافهم على قواعد النحو قد بيناها في كتاب ‹قراءة نقدية للإسلام›، وكان قد أكد عليها أحد القضاة الأندلسيين عندما بينوا له بعض كلمات القرآن التي خالفت قواعد النحو المعروف، فقال:

"وما حاجتنا إلى النحو وعندنا القرآن".

وسوف أقدم هنا نموذجاً بسيطاً لمحاولاتهم إفراغ اللغة العربية من معانيها.

- فكلنا يعرف أن كلمة (بعد) تعني يتبع أي يجيء متأخراً عن شيء قبله.
  ولكن عندما قال القرآن {**والأرض بعد ذلك دحاها**} قال أبوموسى في كتاب ‹المغيث›:

*"معناه هنا (**قبل**) لأنه تعالى خلق الأرض في يومين ثم استوى إلى السماء، فعلى هذا خلق الأرض قبل السماء" انتهى.*

- ☜ فبقدرة الله القادر أصبحت الكلمة (بعد) تعني (قبل). وكلمة (وراء) تعني بعد أو خلف الشيء، ولكنهم أخرجوا عن أبي مالك قال:

*"**(وراء)** في القرآن كله تعني **(أمام)** غير حرفين: {فمن ابتغى وراء ذلك} يعني سوى ذلك {وأحل لكم ما وراء ذلك} يعني سوى ذلك" انتهى.*

- وكلمة (**بعض**) تعني في اللغة جزء من الكل، ولكن يقول لنا المفسرون:

*"إطلاق لفظ (بعض) مراد به **الكل**، ذكره أبوعبيدة وخرّج عليه قوله {ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه} أي كله" انتهى.*

- والمطر معروف لدى كل من نطق بالعربية على أنه ماء ينزل من السماء في فصول معينة من السنة. ولكن أهل القرآن قالوا في تفسير الآية {**قد أنزلنا عليكم لباساً**}:

"قالوا: مطراً يتسبب عنه الرزق واللباس" انتهى.

- ☜ فلأن الله لم ينزل اللباس من السماء كما تقول الآية، كان لا بد من تغيير معنى كلمة المطر لتعني اللباس.
- وعندما قال القرآن: {**حتى إذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بُعْدُ المشرقين**} قال القرطبي في تفسيرها:

"يقول الكافر لقرينه يوم القيامة يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين، أي مشرق الشتاء ومشرق الصيف" انتهى.

ولما كانت المسافة بين مشرق الشتاء ومشرق الصيف ليست كبيرة، قال الفراء:

"إنما أراد الله المشرق والمغرب، فغلب اسم أحدهما. وقال ابن الشجري: وغلب المشرق لأنه أشهر الجهتين" انتهى.

- ☜ فإذاً **المشرقين** تعني **المشرق والمغرب**. فكيف أصبح المغربُ مشرقاً، فعلمه عند الله.
- وعندما قال القرآن في سورة الحديد: {**قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً**}
- ☜ غيروا إعراب الكلمة (وراءكم) التي هي ظرف مكان، إلى شيء غريب عن معناها، فقالوا:

*"(وراء) هاهنا **ليست ظرفًا** لأن اللفظ ارجعوا ينبئ عنه بل هو **اسم فعل** بمعنى ارجعوا فكأنه قال: ارجعوا ارجعوا.) انتهى.*

ولم يبينوا لنا الفعل الذي أصبحت (وراء) اسماً له.

- وقد أفرد ابن أبي الأصبع في بدائع القرآن نحو مائة نوع من مجاز واستعارة وكناية وإرداف وتمثيل وتشبيه وإشارة ومساواة وبسط وإيغال واحتراس واستقصاء ألخ. وكمثال على *بلاغة القرآن* قال عن عدد السنين التي قضاها نوح بين قومه

"ومثال الاستثناء (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً) فإن الإخبار عن هذه المدة بهذه الصيغة يمهد عذر نوح في دعائه على قومه بدعوة أهلكتهم عن آخرهم، إذ لوقيل فلبث فيهم تسعمائة وخمسين عاماً لم يكن فيه من التهويل ما في الأول لأن لفظ الألف من الأول أول ما يطرق السمع فيشتغل بها عن سماع بقية الكلام." انتهى.

[2] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.

فإذاً لو كان القرآن قد قال لبث فيهم تسعمائة وخمسين عاماً لما مهد العذر الكافي لنوح ليدعو على قومه بالهلاك. ولكن عندما قال ألف سنة إلا خمسين أصبح عنده العذر الكافي ليدعو عليهم بالهلاك.

- وبعد أن قتلوا أسباب نزول الآيات والناسخ والمنسوخ وقصص القرآن بحثاً وتنقيباً، ولم يجدوا جديداً يمجدون به القرآن، لجأوا إلى **السفسطة**، فقالوا:

"هناك منه نوع يسمى القلب والمقلوب المستوي وما لا يستحيل بالانعكاس، وهو أن تقرأ الكلمة من آخرها إلى أولها كما تقرأ من أولها إلى آخرها كقوله تعالى (كل في فلك) و (ربك فكبر) ولا ثالث لهما في القرآن." انتهى.

يا للعبقرية! هم أخذوا الفاء من "في" واللام من "كل" ثم الكاف من نفس الكلمة ليصلوا إلى "فلك" وغير مهم عندهم أنهم قطعوا الحرف "في" وأخذوا منه الفاء فقط ليصلوا إلى كلمة "فلك" بالمقلوب. ونفس الشيء حدث مع "فربك" فقد أسقطوا الفاء منها وقرأوا بالمقلوب كاف، باء، راء، فصارت "كبر".

ما أعظم هذا الكتاب الإلهي. تستطيع أن تقرأ (ربك فكبر) من اليمين إلى اليسار أو من اليسار إلى اليمين، ولا تتغير الجملة.

- وأغلب المفسرين *ألبسوا جهلهم لباس العلماء ومرروه على الجهلاء في هيئة تأويل الآيات التي لا يعلم تأويلها إلا الله*، فقالوا، مثلاً، في شرح الآية {**يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي**}:

"على أن المراد بالميت النطفة." انتهى.

وطبعاً في علم المفسرين الإلهي فإن النطفة ميتة لأنها عبارة عن نقطة مني يُمنى. وما علموا أن النطفة بها ملايين الحيوانات المنوية الحية التي تسبح بسرعة مذهلة في طريقها لإخصاب البويضة. وكل حيوان منوي يحمل في رأسه كل شفرات الوراثة من الأب.

فالميت الوحيد هو عقول المفسرين التي يخرجون منها الحي،
وهو التراث الذى يكبلنا منذ ألف وأربعمائة عام ويرفض أن يموت ليحل محله التحديث.

- ولم يكتف المفسرون والفقهاء بجعل القرآن المقدس أفصح وأبلغ كتاب في الدنيا، فزادوا عليه صفات أخرى ***جعلته*** *أكثر الكتب العلمية احتواءً للاكتشافات العلمية المستقبلية*، وأحسن كتب الطب والفلك. وقال عنه ابن باز:

"فإنه أعظم كتاب ، وأشرف كتاب ، وقد حوى خير العلوم كلها وأنفعها كما لا يخفى، وهو أعظم عون بعد الله عز وجل على الفقه في الدين، والتبصر فيه، والخشية لله عز وجل، وهو المعين في التأسي بالأخيار."[3]

- ونسبةً لقيمة هذا الكتاب فلم يطمئن الله أن ينزل آياته مع جبريل منفرداً، فربما يعترضه الشيطان فيغير في الآيات، ولذلك قالوا:

"وأخرج عن عطاء قال: أنزلت سورة الأنعام جميعاً ومعها سبعون ألف ملك."[4]

ولأن المسلمين أصبحوا يعبدون القرآن، فقد أذاع تلفزيون إيران أن قرية نيجيل توقفت عن العمل تماماً وتُركت المزارع من دون رعاية وتوقفت الورش عن العمل وأعلن أهل القرية اعتصاماً في مسجدهم يستمر أسبوعاً كاملاً منذ اليوم الذي اكشفوا فيه أن قرآناً عمره 1300 سنة قد سُرق من مسجد القرية.[5]

فهل بعد هذا يشك أحد في أن المسلمين وثنيون؟

- **فهم في البدء ألهوا رسولهم وجعلوه معصوماً وجعلوا فضلاته شفاءً للأمراض، وحديثه ينسخ القرآن.**
- **ثم جعلوا صحابته كذلك معصومين ويُمنع رسمهم ونقدهم.**
- **ثم عبدوا الأولياء في الضرائح والقباب.**
- **والآن أصبحوا يعبدون المصحف.**

يالها من جاهلية!

عودة إلى الفهرس

[3] فتاوى بن باز، ج7، ص 153.
[4] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.
[5] الشرق الأوسط 2004/8/19.

2007 / 2 / 26

53 - مَن يحمينا من عمر؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=89686

عمر بن الخطاب كان، وما زال، المثل الأعلى للمسلمين في جميع أنحاء العالم. كل ما دار النقاش حول **العدل** يقفز اسم عمر بن الخطاب كمثل أعلى للنزاهة وعدالة الحكم في الإسلام – **عدلت فنمت يا عمرُ**. وبما أن الإسلام دينٌ ودولةٌ، كما أكد لنا عرّاب الأخوان المسلمين، سيد قطب، وبما أن عمر بن الخطاب كان رئيساً عادلاً لدولة الخلافة الإسلامية، فيجب ألا نخشى وصول الأخوان المسلمين لسدة الحكم، فمرشدهم الذي سوف يصبح رئيس الدولة، سوف يكون عُمراً آخراً ينشر العدل والرفاهية بين المواطنين ويطبق فينا شرع الله. ولكي تطمئن قلوبنا، كما اطمأن قلب إبراهيم عندما طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، فلا بد أن نُعرّج قليلاً على دولة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب *لنختبر حاكمية عمر وكيف أدار دولته*.

في حياة نبي الإسلام كان عمر ركيزته ومستشاره الذي قال له *بعدة أقوال أصبحت قرآناً فيما بعد*، وقال عنه النبي [**لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر**] رواه الترمذي. وقالوا عنه:

"كان صليباً[1] في دين الله لا تأخذه في الله لومة لائم."

فماذا فعل هذا الرجل عندما آلت إليه الخلافة وأصبح الحاكم بأمر الله، وعلى المسلمين طاعته لأن طاعة ولي الأمر من طاعة الله؟

🗁 جهز عمر الجيوش وغزا وفتح العراق والشام ومصر وفارس، مما أدى إلى تدفق الأموال الطائلة على عاصمة الدولة الإسلامية. **فهل عرف عمر كيف يوظف هذه الأموال لتنشر الرخاء بين مواطنيه؟**

✍ الجواب حتماً **بالنفي** لأن عمر لم يكن رجل سياسة كمعاوية بن أبي سفيان. كل هم عمر كان إرضاء الله بتطبيق شرعه حتى يضمن لنفسه النجاة يوم القيامة. كان المال بالنسبة لعمر كالنار التي تحرق ما تصيب لأن القرآن يقول: {**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يُحمى بها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم**}. ولذلك عندما فتحت جيوش المسلمين فارس وجئ لعمر بالغنائم

(كشف عنها فنظر الى شئ لم تر عيناه مثله من الجواهر واللؤلؤ والذهب والفضة، فبكى عمر. فقال له عبد الرحمن بن عوف: هذا من مواقف الشكر، فما يبكيك؟ فأجاب عمر: "**أجل. ولكن الله لم يعط قوماً هذا المال إلا ألقى بينهم العداوة والبغضاء**".)[2]

فماذا فعل عمر بكل هذا المال؟ قسّمه على المسلمين بالمدينة وعلى نساء النبي ولم يترك ببيت المال شيئاً،

وعندما قال له أحدهم: يا أمير المؤمنين! لو تركت ببيت المال شيئاً، رد عليه عمر:
"كلمةُ ألقاها الشيطان على فِيِّك وقاني الله شرّها وهي فتنةُ لمن بعدي، بل أعِدُّ لهم ما أعدّ اللهُ ورسوله: طاعة الله ورسوله هما عدتنا التي بها أفضينا إلى ما ترون، فإذا كان المال ثمن دِيْن أحدكم هلكتم".[3]

فطاعة الله ورسوله كانت عند عمر أهم من المال الذي تُدار به شؤون الدولة. فعمر قد هجر دنياه وعمل لآخرته.

🗁 ورغم العدد الهائل من الكتب التي ملأت الأسواق عن الإشتراكية في الإسلام، فإن إشتراكية عمر لم تغني سرّاق المدينة عن السرقة من المسافرين.

✍ فقد روى الطبري في تاريخه:

(جاء عمر بن الخطاب الي عبد الرحمن بن عوف، فقال له عبد الرحمن: ما جاء بك في هذه الساعة يا أمير المؤمنين؟ قال: "رُفقة نزلت في ناحية السوق خشيت عليهم سُرّاق المدينة، فانطلق فلنحرسهم.")

ورغم إشتراكية الإسلام المزعومة، فإن عمر لم يقسّم المال بالتساوي على المسلمين، لأن المسلمين ليسوا كأسنان المشط، كما يقولون. فقد

(فرض لأهل بدر خمسة الآف خمسة الآف، ثم فرض لمَن بعد بدر إلي الحديبية أربعة آلاف ثم فرض لمَن بعد الحديبية إلى أن أقلع أبوبكر عن أهل الردة ثلاثة الآف ثم فرض لأهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين وفرض لمَن بعد القادسية واليرموك ألفا ألفا ثم فرض للردوف (الذين ركبوا على جملٍ واحد): المثنى خمسمائة خمسمائة، ثم للروادف الثليث بعدهم ثلاثمائة ثلاثمائة وللروادف الربيع مائتين وخمسين. وألحقَ بأهل بدر أربعة من غير أهلها، الحسن والحسين وأبا ذر وسلمان وكان فرض للعباس (عم النبي) خمسة وعشرين ألفا وأعطي نساء النبي عشرة آلاف عشرة آلاف إلا مَن جري عليها المُلك، فقال نساء النبي: ما كان رسول الله يفضلنا عليهن في القسمة، فسو بيننا، ففعل. وفضل عائشة بألفين لمحبة رسول الله إياها فلم تأخذها)[4].

فعمر، رغم عدله، لم يستطع أن يقاوم تفضيل العباس والحسن والحسين وأبي ذر على بقية المسلمين، وألحقهم ببدر ولم يكونوا من أهلها، بل بالعكس فقد حارب العباس في بدر ضد النبي. وفضّل أزواج النبي على ما ملكت يمينه مثل ريحانة، وفضّل عائشة على بقية نساء النبي.

ولكن مَن يعترض على الحاكم بأمر بالله؟ إنها اشتراكية الإسلام التي تعتمد على الانتماء لقريش وعلى صلة القرابة من النبي.

🗁 ولأن عمر لم يكن رجل سياسة، ولأن الإسلام لم يُشرّع للمال غير تحريم الربا وتحليل التجارة، فقد أساء عمر تصريف أمور الدولة المالية ونتج عن ذلك المجاعة الشهيرة التي أصابت المدينة وسُميت بعام الرمادة

(إن الرمادة كانت جوعاً أصاب الناس بالمدينة وما حولها فأهلكهم حتى جعلت الوحش يأوى إلى الإنس، وحتى جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها)[5].

✍ وقد حدثت *مجاعة عام الرمادة* عام ثمانية عشر هجرية واستمرت المجاعة ست سنوات، كما يقول مالك بن أنس:

(قلنا لمالك: فزمان الرمادة كانت سنة أو سنتين. قال بل ست سنين. قال فكتب عمر إلى عمرو بن العاص بالشام: واغوثاه واغوثاه واغوثاه، قال فكتب إليه عمرو بن العاص: لبيك لبيك لبيك. قال فكان يبعث إليه بالبعير عليه الدقيق في العباء قال فيقسمها عمر)[6].

فرغم كثرة المال الذي أبكى عمر، أصابت الناس في المدينة مجاعة كادت تقضي عليهم لولا أن نجدهم عمرو بن العاص.

🗁 وللحق فإن عمر قد سبق زمانه **وفرض للمولود الجديد مائة درهم،** فقد قال ابن القاسم

---

[1] كلمة صليباً صحيحة كما جاء في صحيح البخاري عن صفات القاضي. عن مزاحم بن زفر: خمس إذا أخطأ القاضي منهن خطةً كانت فيه وصمة: أن يكون فَهِيماً، حليماً، عفيفاً، صليباً، عالماً سؤولاً عن العلم.

[2] أبو يوسف، كتاب الخراج، ص 55، نقلاً عن مهزلة العقل البشري لعلي الوردي.

[3] التاريخ الكامل للمبرد.

[4] تاريخ الطبري، ج2، ص 452.

[5] تاريخ الطبري والكامل للمبرد.

[6] المدونة لمالك، ج3، ص 29.

(مر عمر بن الخطاب ليلة فسمع صبيا يبكي فقال لأهله: مالكم لا ترضعونه، قال فقال أهله إن عمر بن الخطاب لا يفرض للمنفوس حتى يُفطم وإنا فطمناه. قال فولى عمر بن الخطاب وهو يقول كدت والذي نفسي بيده أن أقتله، ففرض للمنفوس من ذلك اليوم مائة درهم.)[7]

ولأن عمر **لم تكن تأخذه في الله لومة لائم،** فقد طبّق كل ما جاء في القرآن بخصوص ‹أهل الكتاب›، وأصدر عهده المشهور لنصارى الشام

(وشرط عليهم فيه ألا يُحدِثوا في مدينتهم ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة، ولا قلاية ولا صومعة راهب، ولا يجددوا ما خرب، ولا يمنعوا كنائسهم أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال يطعمونهم، ولا يؤوا جاسوساً، ولا يكتموا غشاً للمسلمين، وأن يوقروا المسلمين، وأن يقوموا لهم من مجالسهم إذا أرادوا الجلوس، ولا يتشبهوا بالمسلمين في شيء من لباسهم، ولا يتكنوا بكناهم، ولا يركبوا سراجاً، ولا يتقلدوا سيفاً، ولا يبيعوا الخمور، وأن يجزوا مقادم رؤوسهم، وأن يلزموا زيهم حيثما كانوا، وأن يشدوا الزنانير على أوساطهم ولا يظهروا صليباً ولا شيئاً من كتبهم في شيء من طرق المسلمين.)[8]

ولم يشمل عدل عمر السبايا الذين أتى بهم المسلمون من الشام وفارس ومصر. فقد أصدر عمر أمراً يقضي بمنع أي سبي بلغ الحلم من دخول المدينة.

وعندما توسط لديه المغيرة بن شعبة ليسمح لمملوكه أبي لؤلؤة بدخول المدينة ليعمل بالنجارة ويدفع ما يتقاضاه إلى المغيرة، سمح له عمر. وعندما التقى أبو لؤلؤة عمر اشتكى له من ثقل الخراج الذي فرضه عليه المغيرة، فقال له عمر:

خراجك ليس بكثير. أحسِن إلى المغيرة. فاشتاط أبو لؤلؤة غضباً أدى به إلى قتل عمر.

وكتب عمر إلى عامله على البصرة، يحثه على عدم الاستعانة بالنصارى

"لا تدنيهم إذ أقصاهم الله، ولا تأمنهم وقد خوّنهم الله، ولا تعزهم بعد أن أذلهم الله"[9].

وقال مالك بن أنس:

(وبلغني أن عمر بن الخطاب كتب إلى البلدان ينهاهم أن يكون النصارى واليهود في أسواقهم صيارفة أو جزارين وأن يقاموا من الاسواق كلها فان الله قد أغنانا بالمسلمين [قال] فقلت لمالك ما أراد بقوله يقامون من الاسواق. قال لا يكونون جزارين ولا صيارفة ولا يبيعون في أسواق المسلمين في شئ من أعمالهم)[10].

وقد نصح ابن باز المسلمين بعدم زواج نساء ‹أهل الكتاب›

(لأن عمر رضي الله عنه قال للذين تزوجوا من نساء أهل الكتاب (طلقوهن)، فطلقوهن إلا حذيفة،
+ فقال له عمر: (طلقها)
- قال: (تشهد أنها حرام؟)
+ قال: (هي خمرة طلقها)
- قال: (تشهد أنها حرام ؟)
+ قال: (هي خمرة)
- قال: (قد علمت أنها خمرة ولكنها لي حلال)
فلما كان بعد ذلك طلقها
* فقيل له: ألا طلقتها حين أمرك عمر؟
- قال: كرهتُ أن يرى الناس أني ركبت أمرا لا ينبغي لي، ولأنه ربما مال إليها قلبه فتفتنه.)[11]

ولأن عمر كان **ظل الله** في الأرض ويحق له تأويل القرآن والسنة بحكم كونه أمير المؤمنين الذي يقودهم في الصلاة، فقد **أباح لنفسه ضرب كل من أخطأ في نظره،** حتى وإن كان الخطأ غير منصوص عليه في القرآن أو السنة. فمثلاً

(أخرج الدارمي في مسنده عن سليمان بن يسار أن رجلاً يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن فأرسل إليه عمر وقد أعد له عراجين النخل فقال: مَن أنت قال: أنا عبد الله بن صبيغ فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين فضربه حتى دمى رأسه. وفي رواية عنه: فضربه بالجريد حتى ترك ظهره دبرة ثم تركه حتى برأ ثم عاد فضربه ثم تركه حتى برأ فدعا به ليعود فقال له: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً. فأذن له إلى أرضه وكتب إلى أبي موسى الأشعري: لا يجالسه أحد من المسلمين.)[12].

فعمر بن الخطاب قد اتبع سنة نبي الإسلام الذي منع المسلمين من مخاطبة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك. ولأن عمر كان يكره أن يُكتب القرآن في شيء صغير، أخرج أبو عبيد في فضائله عن عمر

(انه وجد مع رجل مصحفاً قد كتبه بقلم دقيق فكره ذلك وضربه وقال: عظموا كتاب الله تعالى.)[13]

وعندما اختصم رجلان عند النبي وحكم لأحدهما، لم يقبل الآخر وطلب من صاحبه أن يذهبا إلى عمر بن الخطاب، فأتياه، فقال المقضيُّ له:

(قد اختصمنا إلى النبي فقضى لي عليه فأبى أن يرضى، ثم أتينا أبا بكر الصديق فقال: أنتما على ما قضى به النبي ، فأبى أن يَرْضى، فسأله عمر إن كان هذا صحيحاً، فقال: نعم كذلك!! فدخل عمر منزله فخرج والسيفُ بيده قد سَلَّه، فضرب به رأس الذي أبى أن يرضى فقتله)[14].

وكان عمر **موقناً بصدق رأيه الذي غالباً ما كان الله يوافقه عليه،** فعندما مات محمد وأيقن الجميع أنه كان بشراً وقد مات، أشهر عمر سيفه وقال للجميع

"من قال إن محمداً قد مات لأقتلنه بسيفي هذا، إنما رُفع إلى السماء كما رُفع عيسى بن مريم وسوف يعود بعد أربعين يوماً كما عاد عيسى."

وعندما رأى أربعة من الرجال المغيرة بن شعبة، عامل عمر بالبصرة، وهو يزني بأم جميل وشكوه إلى عمر، أمر عمر بضربهم لأن ثلاثة منهم رءوا المرود في المكحلة والرابع رأى المغيرة على المرأة، وهو عاري، وأرجلها مرفوعة في الهواء، لكنه لم ير المرود في المكحلة. والشريعة تتطلب أربعة رجال رءوا المرود في المكحلة وكأنهم يتفرجون على أفلام "بورنو".

وكان عمر يحل لنفسه أن يتدخل في شؤون الناس الشخصية، فقد تزوج رجلٌ امرأة في عهد عمر واشترطت المرأة على الرجل ألا يتسرى بالإماء ولا ينقلها إلى أهله، وقبل الرجل الشرطين وتزوجها. وسمع عمر بذلك فقال للرجل:

عزمت عليك أن تنكح عليها وتتسرى وتخرجها إلى أهلك.

وهذا ما ذهب إليه الحنفية والشافعية وقالوا:

إن الزواج صحيح وهذه الشروط ملغاة، ولا يلزم الزوج الوفاء بها، مستدلين بقول الرسول: [**كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل.**][15]

وقد منع عمر المسلمين من تعلم لغات أهل الكتاب، فقال:

[7] المدونة لمالك، ج1، ص 303.
[8] أحكام أهل الذمة لابن القيم.
[9] أحكام أهل الذمة لابن القيم، ج1، ص 210.
[10] المدونة، ج3، ص 68.
[11] فتاوى بن باز، ج4، ص 238.
[12] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، باب المحكم والمتشابه.
[13] الإتقان للسيوطي، باب في فضائل القرآن.
[14] الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية.
[15] أطرف وأغرب وأخطر الفتاوى في تاريخ الإسلام، الراية القطرية، 4 نوفمبر 2003.

"إياكم ورطانة الأعاجم، وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم فإن السخطة تتنزل عليهم."[16]

فعمر، ذلك الرجل العادل، قد فعل ما فعل في دولته **حسب فهمه للشريعة الإسلامية**. ولأن الإسلام دين وليس دولة، فكتابه يخلو من قوانين الحكم ودساتيره.

والدولة تحتاج دستوراً واضحاً لا يعتمد على تأويل رجال الدين الذين *لم يتفقوا على أي شيء سوى (لا إله إلا الله محمد رسول الله.)* فلو أخذنا أي آية في القرآن نجد لها تأويلات مختلفة بين الفُرق الإسلامية المتعددة. يقول الشيخ جلال الدين السيوطي:

"وقال بعض العلماء: لكل آية ستون ألف فهم، فهذا يدل على أن فهم معاني القرآن مجالاً رحبا ومتسعا بالغا."

وكل آيات القرآن التي تحتوي على أحكام لا تتعدى الخمسمائة آية، كما قال الغزالي، بينما قال آخرون إنها مائة وخمسون آية فقط.[17]

وبما أن الفقهاء يختلفون في تفسير الآيات، فحتى الآيات البسيطة التي بها أحكام يصعب الاعتماد عليها في تسيير أمور الدولة لأن التفسير يعتمد على أي الفقهاء أقرب إلى الحاكم. والفقهاء يستطيعون استنباط الأحكام من كل كلمة في القرآن. فمثلاً يقول السيوطي:

"الأحكام تؤخذ بطريق الاستنباط كاستنباط صحة أنكحة الكفار من قوله {**وامرأته حمالة الحطب**}." انتهى.

فما دخل الآية التي ذم الله بها زوجة أبي لهب {**وامرأته حمالة الحطب**} بتحليل أنكحة الكفار؟ فالكل كان يعرف أن أهل مكة كانوا يتزوجون زواجاً صحيحاً مقبولاً في مجتمعهم، وقبل به الإسلام فيما بعد ولم يطلب محمد من أي رجل دخل الإسلام أن يعيد زواجه حسب الطريقة الإسلامية. **والنبي نفسه عندما تزوج خديجة اتبع نفس أعراف زواج أهل مكة**. فهل هناك أي داعي لتأويل آية واضحة مثل {**وامرأته حمالة الحطب**} إلى تجويز أنكحة الكفار؟ قد يكون هذا التفسير واحداً من المعاني الستين ألف لهذه الآية .

فكيف يمكن لدولة الإسلام الحديثة أن تعتمد على دستور كل آية فيه لها ستون ألف معنى؟ ونصف آياته ناسخة ونصفها منسوخ، ولكن مع ذلك يحتفظ به المسلمون في مصاحفهم رغم إلغاء العمل به؟ بنود وكلمات الدساتير الحديثة لا تقبل التأويل واللف والدوران، ولا تعتمد على رأي فقهاء من مذهب معين. وإذا أُلغيت مادة أو بند من بنود الستور فإنها تُزال من كتاب الدستور.

وقد بيّن لنا العمرات الجدد (جمع عمر) في إيران أنهم لا يقلون شأناً عن عمر بن الخطاب ويجلس على رأس نظامهم الحكومي رجل غير منتخب {**وأمرهم شورى بينهم**} وكلمته هي الدستور، لأن كلمة عمر بن الخطاب كانت هي الدستور، وعلى المؤمنين السمع والطاعة. يستطيع مرشد الثورة الإسلامية بجرة قلم أن يُلغي قرارات البرلمان ويستطيع أن يأمر قضاته بإغلاق الصحف المعارضة وقتل الطلبة في الجامعات لأنهم تظاهروا ضده. ويستطيع أن يشنق المعارضين كما شنق القاضي خلخالي عدداً كبيراً من رجالات نظام الشاه عندما قامت الثورة الإسلامية، وقال:

"إن كانوا مذنبين فسوف يستقرون في الجحيم وإن كانوا أبرياء فسوف يعوضهم الله بأزواج من الحور."

والرئيس لديه مجلس غير منتخب يُسمى ‹مجلس تشخيص مصلحة النظام› مهمته المحافظة على مصلحة النظام وليس مصلحة الشعب الإيراني، لأن الافتراض في الدستور الإسلامي هو أن **مصلحة النظام هي مصلحة الشعب**. هذا المجلس من حقه منع المرشحين من الترشيح للانتخابات العامة إذا رأى فيهم تهديداً للنظام. وقد فعل مراراً وأزال أسماء مئات المرشحين.

وكما أساء عمر ترتيب شؤون الدولة المالية وتسبب في مجاعة عام الرمادة، فالنظام الإسلامي الإيراني يبعثر المدخول الهائل من عائدات النفط على دعم الحركات الشيعية في إيران والعراق واليمن وباكستان والبحرين، ويترك الأرامل تحت رحمة زواج المتعة و‹بيوت الفضيلة› التي لا تتعدى أن تكون مواخيراً للدعارة. وهاهي الحكومة الإيرانية الآن تعجز عن تسديد فواتير مفاعلها الذري لروسيا. والغريب أن الشيء الوحيد الحسن الذي ابتدعه عمر بن الخطاب لم يطبقه العمرات الجدد في إيران، ألا وهو نظام الضمان الاجتماعي الذي يحفظ للفقير كرامته. وما أكثر الفقراء في إيران.

ورغم أن دستور الإسلام يقول إن المسلمين سواسية كأسنان المشط، ويزعق الزاعقون بأن الإسلام يعامل الناس بالتساوي، إلا أن معاملة النظام الإسلامي الشيعي في إيران للمواطنين السنة لا يمكن أن تُوصف بالمساواة تحت أي تعريف للمساواة يختاره الإنسان. فالمواطنون الإيرانيون من قبائل "البلوش" وغيرها ما زالوا منذ عهد الشاه إلى الآن يعانون التهميش والقتل والتنكيل لا لشيء إلا لأنهم مختلفون.

ولكن ما دام الدستور الإسلامي يقول بمساواة المواطنين المؤمنين - ولا داعي لذكر الذميين - يجب أن نطمئن أنه عندما يأتي الأخوان المسلمون إلى سدة الحكم في مصر المحروسة تحت راية (**الإسلام هو الحل، ودستورنا القرآن**) فسوف يكون مرشدهم العام، صاحب المقولة المشهورة: (*طظ في مصر*)، عمراً جديداً يُلغي أي شروط كانت الدولة المصرية قد تعهدت بها مع الدول الأخرى، خاصة إسرائيل، لأن عمر بن الخطاب قال *كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل*. وحتى لو تنازل الرئيس المصري حسني مبارك وحدد الفترة الرئاسية بعشرة سنوات، فسوف يُلغي عمر بن الخطاب الجديد هذا الشرط لأنه ليس في كتاب الله.

فكتاب الله يقول:

{وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. (النساء 59)}.

ويقول الحديث:

[من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية][18].

فمَن منا يستطيع أن يخلع يده عن بيعة المرشد العام الذي تكون ولايته مدى الحياة كما كانت ولاية عمر وولاية عثمان وولاية جميع الخلفاء الأمويين والعباسيين والعثمانيين؟ وإذا اختلفنا في شيء، فليس هناك دستور علماني نرجع إليه لأن دستورنا القرآن، وبما أن الرسول ليس بين ظهرانينا لنرد الاختلاف إليه فيجب أن نرده إلى *عمر بن الخطاب الجديد*. وعمر الجديد سوف يعتمد في حل مشاكلنا على **تفسيره الخاص للقرآن** الذي قال عنه علي بن أبي طالب:

"القرآن لا ينطق وإنما ينطق به الرجال، وكلٌ يفسره على ما يريده أن يقول."

ولا بد سوف يستشير عمر بن الخطاب الجديد مفتي الجمهورية الإسلامية، الذي لو تصادف وكان الدكتور علي جمعة،

- فسوف يفتي بحرمة تعري المرأة لزوجها في غرفة النوم،
- ويُحرّم كذلك الدروس الخصوصية.

وكان الله في عون المدرسيين المصريين الذين لا يكفي راتبهم لشراء وجبة من الفول المدمس.

وسوف يكون في مقدور عمر الجديد:

- أن يضربنا،

[16] رواه أبو الشيخ الأصبهاني ورواه البيهقي بإسناد صحيح.
[17] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، باب العلوم المستنبطة من القرآن.
[18] تحفة الأحوذي، كتاب الأمثال.

- ويصـادر كتبنا،
- ويمنعنا أن نتعلم رطانة الانـگـليز أو الفرنسيين الكفرة،
- ويلغي أي شرط بين الرجل وزوجته،

تماماً كما فعل الملا عمر في أفغانستان عندما

- أقفل مدارس البنات،
- ومنع النساء من الخروج من منازلهن،
- ومنع لعب كرة القدم،
- وحوّل ميادين الكرة إلى أماكن لرجم النساء.

وبالطبع لم يستطع أحد في أفغانستان الاعتراض على أحكام وقوانين عمر الجديد لأن الخروج على طاعة الحاكم ردة.

فمن يا تُرى سوف يحمينا من عمر الجديد في مصر والسودان والعراق واليمن وربما في لبنان كذلك؟

عودة إلى الفهرس

54 - هل يصلح الإسلام دستوراً لدولة؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=90465

عندما غزت خيول المسلمين دول الجوار وشمال أفريقيا لنشر الدعوة واقتناء الغنائم، تلاشت حدود الأقطار والامبراطوريات وأصبح الشرق الأوسط وشمال أفريقيا **أمةً واحدةً** حكمتها دولة الخلافة بقوانين إسلامية يمكن **تلخيصها** *بأنها كانت قوانين القصاص والحدود لتنظيم معاملات المجتمعات التي كانت في غالبيتها رعوية وقليل منها زراعية*. هذه الدولة الحديثة لم تكن بها مدارس وجامعات أو بنوك تجارية أو مصانع. وكانت الغالبية العظمى من معاملات وقضايا الناس تنحصر في البيع والشراء والسرقات والمشاجرات القبلية أو الأسرية التي كانت تؤدي إلى القتل أو الجرح. ومثل هكذا مجتمع يمكن تنظيمه *بقوانين الحدود الإسلامية* التي تمثلت في حدود القصاص من القاتل وجلد شارب الخمر وجلد أو رجم الزاني والزانية وقطع يد السارق وفض المنازعات بين المزارعين فيما يتعلق بالري أو إيجار الأرض، وجمع الزكاة والخراج، وبالطبع جمع الجزية من أهل الذمة.

وبقيام الدولة الأموية في الشام ثم العباسية في العراق **غلبت السياسة على الدين** الذي أصبح أداةً من أدوات إخضاع الشعوب عن طريق تخدير حواسهم بفتاوى وعاظ السلاطين. *وأصبحت رغبة الخليفة وعماله في الأقاليم هي الدستور والقانون الذي يحكم الدولة*. وأصبح القتل الجماعي سائداً في الدولة نتيجة الثورات العديدة والمؤامرات ضد الخلفاء. وإذا أغضب شخصٌ ما الخليفة أو عامله، قطع رأسه. ولم تعد المحاكم أو قوانينها الشرعية ذات أهمية إذ كانت كلمة الخليفة هي القانون. وكان بإمكان عامل الخليفة أن يذبح الرجال ذبح الشاة كما فعل خالد القسري مع الجعد بن درهم حين ضحى به يوم عيد النحر بينما ضحى بقية المسلمين بالخراف.

ثم جاءت الخلافة العثمانية وأصبح **الخازوق** أداتها المفضلة في انتزاع لقمة العيش من أفواه الجياع في هيئة الزكاة التي كانت تُجمع بمنتهى القسوة من المزارعين والرعاة في جميع بقاع الإمبراطورية العثمانية التي كانت قد تملكت شرق أوروبا وأذاقت أهلها الويلات وأبدلت قوانينهم الكنسية بقوانين عسكرية يصوغها قائد المنطقة التركي وينفذها عسكره.

وبنهاية الدولة العثمانية ودخول المستعمر الغربي البلاد الإسلامية، انتهت الدولة الإسلامية التي لم تطبق الدستور الإسلامي إطلاقاً ولم تطبق الجانب العملي من الآية {**وأمرهم شورى بينهم**}. وظهرت الأقطار الحديثة بحدودها المعروفة وتنفس الناس الصُعداء وحلت القوانين المدنية مكان القوانين القبلية والعسكرية، وعرفت تلك البلاد لأول مرة المدارس والجامعات (باستثناء القاهرة وبغداد) والمستشفيات الحديثة والطرق المعبدة والشرطة والمحاكم والقضاة المدنيين والمحاماة والصحافة التي ساعدت في توعية الجماهير. وتحررت المرأة من قيودها وتعلمت وعملت بالمحاماة والطب وغيرها من المهن.

ومع تطور الوعي الجماهيري وظهور حركات التحرر من ربقة الاستعمار *ظهرت نبتة شيطانية* في مصر زعم قادتها وزارعوها في الأوطان أنها *نواة الصحوة الإسلامية* التي سوف تُعيد للإسلام مجده وتُرجع الدول الإسلامية إلى العهد الذهبي الذي لم يكن إلا في مخيلة عُشاق الماضي الإسلاميين Nostalgics *وبدأت التفجيرات في مصر إيذاناً ببدء معركة إعادة الخلافة الإسلامية*.

وعلينا أن نسأل أنفسنا: هل لو تحقق لهؤلاء ما يريدون ورجعت الخلافة الإسلامية، *هل يمكن أن يصلح الإسلام دستوراً* للأقطار الحديثة التي أصبحت تضم قوميات عديدة ومعتقدات شتى، ولها مصالح مختلفة مع الدول الغربية الأقوى، وقد أصبح كل العالم الآن قرية صغيرة يتأثر فيها المواطن في أصغر قرية في العالم بما يحدث في البلدان الأخرى، بفضل الانترنت؟

في عالم اليوم **القانون** هو السيد المطاع الذي لا يعلو عليه أحد. وهذا القانون يعامل الجميع معاملة متساوية، لا فرق بين غني وفقير أو مواطن وزائر أو رئيس الوزراء وعامل النظافة. ولا فرق بين المرأة والرجل. والحاكم في الأقطار الديمقراطية خادم الشعب وليس سيدهم أو أميرهم المطاع. فأين تقف التعاليم الإسلامية من مجتمع كهذا؟

> *الإسلام، بطبيعته، لا يعترف بالمساواة ومبني على المفاضلة في كل شيء، ابتداءً من القرآن ونهايةً بفقه القياس والاستنباط.*

- فلو بدأنا بالقرآن

نجد أن الله يفاضل بين الأمم والأنبياء والرسل والمؤمنين وغير المؤمنين والنساء والرجال، وحتى بين الملائكة. فالمعروف أن الرسول هو شخص يثق به المرسِل (بكسر السين) ويأتمنه على رسالة ليوصلها إلى شخص بعينه أو أشخاصٍ عديدين. وإذا لم يثق المرسل (بكسر السين) في الرسول فلن يعهد إليه بالرسالة. وكل مهمة الرسول هي إيصال تلك الرسالة. ونظرياً لا يمكن أن يختار الله رسولا لإيصال رسالته إذا لم يكن قد علم أن ذلك الرسول مؤتمن عليها وسوف يوصلها كما أراد الله. فكيف إذاً يُفضل الله رسلاً على رسلٍ؟ هل لأن الرسل المفضلين ينحدرون من عائلات كريمة، أم لأنهم أغنياء؟ فجميعهم موثوق بهم ولا يجوز عقلياً أن يفضل بعضهم على بعض. ولكن القرآن يقول لنا :

{**تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض فمنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات.** (البقرة 253)}.
{**وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً كلاً فضلنا على العالمين.** (الأنعام 86)}.
{**ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داوود زبورا.** (الإسراء 55)}.

فما هو سبب أو تبرير هذه المفاضلة؟

ولم تقف المفاضلة عند الرسل والأنبياء، فقد تعدتها إلى الرجال المؤمنين الذين فضلهم الله على المرأة:

{**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض.** (النساء 34)}.
{**ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض.** (النساء 32)}.
{**انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكثر تفضيلا.** (الإسراء 21)}.

والتفضيل لا ينتهي في الحياة الدنيا بل يمتد إلى الآخرة كما قال:

{**وللآخرة أكبر درجات وأكثر تفضيلا**}.

ولأن الجنة بها عدة درجات وقد فضل الله بعض الدرجات على الأخرى، فقد جعل أعلى الدرجات للمجاهدين، فقال:

{**فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة.** (النساء 95)}.

ولم يسلم من هذا التفضيل المقعدون وذوو العاهات. فنجد القرآن يضرب الأمثال بذوي العاهات ويسأل:

{**قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون.** (الأنعام 50، الرعد 16، غافر 58)}

ويقول:

{وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم. (النحل 76)**}.**

ولتوكيد المفاضلة أكثر يقول:

{لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجةً من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا. (الحديد 10)**}.**

- فما دام القرآن يفاضل بين كل هؤلاء المجموعات، ماذا نتوقع من الفقهاء الذين برعوا في **علم القياس؟**

حتماً سوف يقيسون على ذلك التفضيل ويفاضلون بين جميع طبقات الشعب، وحتى بين الحيوانات. فقد زعموا أن الله قد فضل ناقة صالح على نوق جميع الأنبياء والرسل. يقول ابن حزم الأندلسي:

"ألم تروا أن الله خلق الحيوان فجعل بعضهم أفضل من بعض بلا عمل أصلاً ففضل ناقة صالح عليه السلام على سائر النوق، نعم وعلى نوق الأنبياء الذين هم أفضل من صالح"[1].

غريب أن يكون هناك أنبياء أفضل من صالح ولكن ناقة صالح أفضل من نوقهم. لا سبب منطقي غير التفضيل من أجل التفضيل.

- وبمجرد أن قامت الدولة الإسلامية بدأ التمييز بين الناس في الدولة الواحدة.
  - فقد فضل الرسول قبيلته قريش على جميع القبائل الأخرى وجعل الخلافة فيهم فقال:

[يظل هذا الأمر في قريش ولو بقي منهم اثنان].

وألّف ابن عساكر كتاب ‹فضل قريش والأنصار والأشعريين وذم الرافضة› وجعل القرشي أفضل من كل مواطني الامبراطورية الإسلامية.

  - بل زادوا في ذلك وقالوا ***إن الجزية لا تؤخذ من الكتابي القرشي***. يقول ابن رشد الأندلسي:

"فإن العلماء مجمعون على أنه يجوز أخذها من أهل الكتاب العجم ومن المجوس كما تقدم، واختلفوا في أخذها ممن لا كتاب له وفيمن هو من أهل الكتاب من العرب بعد اتفاقهم فيما حكى بعضهم أنها لا تؤخذ من قرشي كتابي."[2]

  - وقد فضلوا العرب عامة على بقية الأجناس،
    - يقول ابن القيم الجوزية:

"وَمِنْ هذا اختيارُه سبحانه ولدَ إسماعيل من أجناس بني آدم، ثم اختار منهم بني كِنانة مِن خُزيمة، ثم اختار مِن ولد كِنانة قُريشاً، ثم اختار مِن قريش بني هاشم، ثم اختار من بني هاشم سَيِّدَ ولدِ آدم محمَّداً صلى الله عليه وسلم"[3].

    - ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

"إن الذي عليه أهل السنة والجماعة اعتقاد **أن جنس العرب أفضل من جنس العجم**، عبرانييهم وسريانييهم، روميهم وفرسييهم وغيرهم، **وأن قريشاً أفضل العرب، وأن بني هاشم أفضل قريش**. وليس فضل العرب ثم قريش ثم بني هاشم لمجرد كون النبي (ص) منهم، وإن كان هذا من الفضل، **بل هم في أنفسهم أفضل** "[4].

وبسبب هذا التفضيل عندما عيّن الخليفة هشام بن عبد الملك **نصر بن سيار** والياً على خراسان، استعمل **نصر** على بلخ مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم، واستعمل على مرو وساج بن بكير بن وساج وعلى هراة الحرث بن عبد الله بن الحشرج، وعلى نيسابور زياد بن عبد الرحمن القشيري، وعلى خوارزم أبا حفص بن علي، ختنه (زوج ابنته)، وعلى الصغد قطن بن قتيبة، فقال رجل من اليمانية: **ما رأيت عصبية مثل هذا**، قال له **نصر**: بلى التي كانت قبلها. فلم يستعمل أربع سنين **إلا مضرياً**[5].

  - وقد ولّدت هذه الأفضلية الهاشمية نزعات عنصرية وطائفية في الدولة الإسلامية، فنجد الإمام الذهبي في هجومه على الرافضة يقول:

(وهم يكذبون على الحجاج وغيره أنه قتل الأشراف، ولم يقتل الحجاج هاشمياً قط مع ظلمه وغشمه، فإن عبدالملك نهاه عن ذلك، وإنما قتل ناساً من أشراف العرب غير بني هاشم، وقد تزوج هاشمية - وهي بنت عبدالله بن جعفر - فما مكنه بنو أمية من ذلك وفرقوا بينه وبينها وقالوا: ليس الحجاج كفئاً لشريفة هاشمية.)[6]

فكون الحجاج قتل غير الهاشمين فأمر مقبول للإمام الذهبي، ما دام الهاشميون قد سلموا. وإذا كان الحجاج بن يوسف ليس كفؤاً للهاشمية، **فما هو حال العامة؟**

وقد قرأنا حديثاً عن القاضي الشرعي السعودي الذي فرق بين رجل وزوجته وأطفاله لأن الرجل من قبيلة تقل شرفاً عن قبيلة الزوجة.

- فإذا أخذنا ما سبق في الاعتبار وأردنا أن نأتي بدستور قرآني إسلامي نحكم به قطراً عربياً، وبعيداً عن الشعارات الجوفاء التي يرفعها الأخوان المسلمون مثل (**القرآن دستورنا**)، فكيف نوافق هذا الدستور الإسلامي مع الدساتير العالمية؟

1. دساتير البلاد الديمقراطية وقوانين الأمم المتحدة تقول

(الناس سواسية أمام القانون، بدون أي اعتبار لعرقهم الإثني أو دينهم أو معتقداتهم أو آرائهم السياسية.)

فهل يمكن أن يكون الدستور الإسلامي بهذه الشفافية والقرآن نفسه مليئ بالمفاضلة كما رأينا؟

  - يقول الشيخ ابن باز:

(وكيف يجوز في عقل عاقل أن يكون أبو جهل، وأبو لهب، وعقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث وأضرابهم من صناديد الكفار في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعده إلي يومنا هذا، إخوانا وأولياء لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة، ومن سلك سبيلهم من العرب إلى يومنا هذا.)

  - وماذا عن المواطن الذمي الذي لا تقبل شهادته ضد المسلم بينما تُقبل شهادة المسلم ضد الذمي؟
  - ماذا عن المرأة التي ترث نصف ما يرث الرجل وشهادة امرأتين تساوي شهادة رجل واحد حتى *إن كان أعمى وسمع الصوت فقط*

(قال مالك تُقبل شهادة الأعمى في الطلاق إذا عرف الصوت (قال ابن القاسم) فقلت لمالك فالرجل يسمع جاره من وراء حائط ولا يراه يسمعه يطلق امرأته فيشهد عليه وقد عرف صوته؟ (قال) قال مالك شهادته جائزة وقال ذلك علي بن أبي طالب.)[7]

[1] الملل والنحل، ج2، ص 64.
[2] بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ج1، ص 293.
[3] زاد المعاد، ج1، ص11.
[4] اقتضاء الصراط المستقيم، ج373/1.
[5] الكامل في التاريخ للمبرد، ج4، ص 84.
[6] المنتقى من منهاج الاعتدال للإمام الذهبي، ص 46.
[7] المدونة ج6، 4 43.

- وماذا عن شهادة العبد التي لا تُقبل إطلاقاً؟
- ويقول مالك

شهادة المرأة لا تُقبل إلا في المال. وحتماً شهادتها لا تُقبل في أي قضية قد يكون العقاب فيها حداً من الحدود الشرعية مثل القتل أو القطع.

فهل هذه مساواة أمام القانون؟ وهل الحديث [**المسلمون سواسية كأسنان المشط**] يعني شيئاً عملياً؟

- والقرآن والسنة لا يخفيان تفضيل المسلم على غير المسلم خاصة إذا كان من ساكني دار الحرب. فكيف نوافق هذه المفاضلة مع الدساتير الحديثة؟

2. حرية الاعتقاد

تنص الدساتير الحديثة وقوانين الأمم المتحدة على حرية الاعتقاد في أي دين أو لا دين على الإطلاق، وحرية ممارسة شعائر الأديان.

ولكن في الإسلام ينص القرآن على أن الدين الإسلامي جاء **ليظهر على جميع الأديان الأخرى ويلغيها**. والرسول قال:

[لا يجتمع دينان في جزيرة العرب].

- ولا تسمح أغلب البلاد الإسلامية ببناء الكنائس أو المعابد المسيحية أو اليهودية أو البوذية.
- والمواطن المسلم الذي يترك الإسلام يُقدم إلى المحاكمة ويُقتل على أساس أنه مرتد.
- وتمنع الدول الإسلامية التبشير بالأديان الأخرى بينما ترسل المبشرين إلى أوروبا وآسيا وأمريكا وأفريقيا للتبشير بالإسلام. فهل الآية {**لكم دينكم ولي دين**} تعني أي شيء عملياً؟

وإذا طبقنا الدستور الإسلامي فسوف يصبح غير المسلم مواطناً من الدرجة الثانية أو حتى الثالثة، لأنه يأتي بعد العبد المسلم.

3. تقول قوانين حقوق الإنسان

إن لكل شخص الحق في التعليم الذي يساعده على إيجاد وظيفة يكتسب منها

فهل يكفل الدستور الإسلامي هذا الحق؟

- الحديث يقول:

[اطلبوا العلم ولو في الصين]

ولكن أي علم يعنيه الحديث. قد بينت في مقالات سابقة أن *العلم المقصود هو علم الشريعة*. يقول الأصبهاني:

(أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان تفسير القرآن. بيان ذلك أن شرف الصناعة: إما بشرف موضوعها مثل **الصياغة** فإنها أشرف من **الدباغة** لأن موضوع الصياغة الذهب والفضة وهما أشرف من موضوع الدباغة الذي هوجلد الميتة. وإما بشرف غرضها مثل صناعة **الطب** فإنها أشرف من صناعة **الكناسة** لأن غرض الطب إفادة الصحة وغرض الكناسة تنظيف المستراح. وإما بشدة الحاجة إليها **كالفقه** فإن الحاجة إليه أشد من الحاجة إلى **الطب** إذ ما من واقعة في الكون في أحد إلا وهو مفتقر إلى الفقه لأن به انتظام صلاح أحوال الدنيا والدين بخلاف الطب فإنه يحتاج إليه بعض الناس في بعض الأوقات. *إذ عُرف ذلك فصناعة التفسير قد حازت الشرف من الجهات الثلاث.*)[8]

- والعالم الإسلامي الآن قبل أن يصبح دستوره الإسلام يزيد فيه عدد رجال الدين عن عدد الأطباء والمهندسين. فمن يضمن لنا تعليماً حديثاً يضمن للفرد الحصول على وظيفة تساعده على كسب قوته؟ فلا يمكن للكل أن يشتغل واعظاً بالفضائيات.

4. التجارة في الأطفال

تضمن الدساتير الحديثة للأطفال وضعاً يقترب من المقدس في حمايتهم وحماية مصالحهم وتعليمهم.

أما في الإسلام فالصبي الذي يبلغ الثانية عشرة من عمره يُعتبر بالغاً ويُمنع من الاختلاط بالنساء منذ سن الرابعة. والبنت في سن التاسعة تكون امرأة يجوز زواجها. ولذلك تكثر التجارة بالأطفال الآن في اليمن والسعودية ودول الخليج وباكستان والمغرب والسودان.

في تقرير عن اليونيسيف للعام المنصرم وصل إلى السعودية من اليمن خمسون ألف طفل يعيش أكثر من سبعين بالمائة منهم في الشوارع.[9]

هؤلاء الأطفال يقعون تحت تجارة الرق **وهي تجارة يعترف بها الإسلام** وأصدر فيها الفقهاء عشرات الكتب التي تنظم بيعها. ورغم توقيع جميع الدول الإسلامية على بروتوكولات الأمم المتحدة التي تمنع التجارة في الأطفال وفي الرق عامة، إلا أن تجارة الأطفال تمارس في دول الخليج لاستعمالهم في سباق الهجن، وفي السعودية لاستعمالهم خدماً في البيوت أو لتجارة الجنس. وفي موريتانيا والمغرب كذلك. فمن يحمي هؤلاء الأطفال وخاصةً البنات في سن التاسعة من جشع الملتحين الذين يهمهم اتباع سنة النبي؟

5. حرية التعبير

تكفل قوانين حقوق الإنسان حرية التعبير للفرد في أي شكل أراد: في الفن والغناء والكتابة والتمثيل والرسم.

- والدستور الإسلامي *يُحرّم رسم الإنسان وكل ماله روح*. وعندما وصل الطالبان إلى سدة الحكم في أفغانستان، دخلوا المتاحف وقطعوا رؤوس كل اللوحات التي كانت تحمل صورة إنسان، ودمروا تماثيل بوذا.
- والدستور الإسلامي *يمنع دراسة أو نشر أي شيء غير إسلامي*. فقد منع النبي عمر بن الخطاب من قراءة كتب اليهود.

يقول ابن خلدون عن الشريعة الإسلامية:

(إنها ناسخة لكل ما قبلها من شرائع ومن علوم الملل، والنظر فيها محظور. فقد نهى الشرع عن النظر في الكتب المنزلة غير القرآن قال صلى الله عليه وسلم: [**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم**] {**وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ. (البقرة. 46)**}. ورأى النبي صلى الله عليه وسلم في يد عمر رضى الله عنه ورقة من التوراة فغضب حتى تبين الغضب في وجهه؛ ثم قال: [**ألم آتكم بها بيضاء نقية، والله لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي**].)[10]

- ومنع عمر نفسه الناس من *تعلم رطانة الأعاجم الكفرة*.
- وقتل رجال الدين والخلفاء الفلاسفة وأحرقوا كتبهم.
- والآن يصادر الجامع الأزهر كل الأعمال السينمائية والمسرحية والكتب التي تتجرأ وتناقش الإسلام، حتى إن لم تهاجمه.
- وقد صادرت وزارة الإعلام الفلسطينية مؤخراً كتاباً عن التراث الفلسطيني (قول ياطير) بزعم أنه يحتوي على لغة تخل بالآداب العامة.

فكيف يبدع المثقفون الإسلاميون في ظل دستور يصادر الأفكار؟

[8] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، النوع السابع والسبعون: معرفة تفسيره وتأويله.
[9] إيلاف، محمد الخامري، 5 مارس 2007.
[10] تاريخ ابن خلدون، ص 551.

6. الحدود

تكفل القوانين الوضعية للمتهم حق تمثيله بمحام يدافع عنه ويبرر لماذا فعل المتهم ما فعل إن كان فعلاً قد ارتكب الجريمة. ثم تكفل الدولة له التأهيل المناسب في السجن.

- والدستور الإسلامي لم يعرف مهنة المحاماة.
- وقضاة المحاكم الشرعية يستمع بعضهم إلى شهادة الجن كما حدث مراراً في السعودية.
- وتُقطع يد السارق وتقطع الأيدي والأرجل من خلاف
- وتُرجم المرأة إذا مارست الجنس. والإسلام من المفترض فيه أن يكون دين الرحمة والرأفة. وهل هناك عقاب أكثر سادية من رجم المرأة الزانية؟
- وماذا عن سمل العيون بمرود يحمى في النار كما فعل رسول الله مع الذين سرقوا نياقه؟ وبما أن غالبية الدول الإسلامية يعيش أغلب سكانها تحت خط الفقر ويضطّرون للسرقة للبقاء على قيد الحياة، فسوف تمتلئ المجتمعات الإسلامية بمبتوري الأيدي والأرجل الذين يصبحون عالة على مجتمع لا يتكفل بإعانتهم **إذ أن الدستور الإسلامي يخلو من أي ضمان اجتماعي للمواطنين**

(كل مآوي الأيتام واللقطاء في الدول الإسلامية تعتمد على العون الذاتي).

7. سرقة المال العام

الدستور الإسلامي *لا يعاقب سارق المال العام لأن المال غير محرز* والسارق لا يحمله فعلياً من الديوان الحكومي إلى منزله إنما يستعمل التحويلات البنكية التي لم يكن فقهاء الإسلام يعرفونها ولذلك لم يسنوا لها عقاب. وسرقة المال العام تزدهر الآن في البلاد التي تحكمها شريعة الإسلام مثل السودان وإيران. وقد صدرت دراسة عالمية حديثة عن **الدول الفاشلة** *واحتلت السودان فيها آخر مرتبة من بين كل دول العالم، وتلتها اليمن*. فمن يحمي الشعب المقهور من سُرّاق المال العام في الدولة الإسلامية؟

8. ثم هناك ذوو العاهات الذين

ينص القانون في البلاد المتحضرة على عدم التمييز ضدهم في التوظيف والضمان الاجتماعي وفي جميع مرافق الحياة.

فهل في الدستور الإسلامي آية أو حديث أو فقه يمنع التمييز ضدهم؟ طبعاً لا يوجد والله نفسه يضرب الأمثال بعاعاتهم ويقول إنهم لا يستوون مع الناس الطبيعيين أي غير ذوي العاهات.

9. وماذا عن المثليين الذين

تنص القوانين الوضعية على مساواتهم بغيرهم وعدم التمييز ضدهم في التوظيف وغيره.

الدستور الإسلامي ينص على قتل هؤلاء إن لم يتوبوا، كأنما الإنسان يختار من تلقاء نفسه أن يصبح مثلياً وبإمكانه أن يتوب عن هذا الذنب.

10. وهناك موضوع **الخلافة الإسلامية** التي يحن لها الإسلاميون ويريدون بعثها من قبرها قبل أن يبعث الله الموتى. فأهل الإسلام لا يعترفون بالأقطار والدول، فكل البلاد الإسلامية يجب أن تكون دولة واحدة.

يقول الشيخ بن باز:

"كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة، فهو من عزاء الجاهلية."

- **?** فكيف إذاً نختار هذا الخليفة الذي يسيطر على جميع الدول الإسلامية التي لم تتوحد منذ سقوط الخلافة العثمانية؟
- **?** وكيف يفرض هذا الخليفة سلطته على الدولة الإسلامية التي تمتد من الصين إلى البلقان ومن الهند إلى جنوب أفريقيا؟
- **?** وهل تقبل الدول الإسلامية الغنية مثل السعودية والإمارات بإلغاء حدودها ودمجها في دولة إسلامية يغلب عليها الفقر؟

طبعاً لن يحدث هذا فإنما هو من باب الحنين والتمسك بموروث بالي أكل عليه الدهر وشرب ومكانه الطبيعي في متحف التاريخ بدل رفوف وقاعات المحاكم في شكل دستور إسلامي.

إذا كان الأخوان المسلمون جادين فيما ينادون به من أن دستورهم القرآن فعليهم أن يشرحوا لنا بكل وضوح وتفصيل ما ينوون عمله لمعالجة النقاط التي ذكرناها، وما هي إلا غيض من فيض من مشاكل العصر الحديث التي لم تكن معروفة للسلف الصالح ولم يأت لنا المحدثون بحلول لها.

عودة إلى الفهرس

55 - لا معقولية الوجود الإلهي

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=91313

كل الأساطير التي بين أيدينا من الشعوب القديمة، خاصةً شعوب ما بين الرافدين وقدماء المصريين واليونان وتراث الهنود الحمر في أمريكيا الجنوبية وتراث شرق آسيا وبلاد إسكندنافيا وغيرها، تشير إلى أنّ الإنسان اخترع آلهته وأديانه التي تحاول تفسير البيئة التي عاش بها. وليس هناك أكثر أو أجمل من التراث الميثولوجي الإغريقي بآلهته المتعددة وقصص حروبهم العديدة. وقبل بداية التاريخ الميلادي كانت الديانات عبارة عن تراث يخص المنطقة التي نشأ بها. وحتى ظهور ميثولوجيا موسى وبني إسرائيل لم يغيّر في الوضع شيئاً إذ ظلت الديانة اليهودية محصورة في منطقة فلسطين، باستثناء الفترة الوجيزة التي حدث بها السبي البابلي، ثم تحطيم الهيكل اليهودي عام 70 ميلادية مما اضطر اليهود إلى الهجرة حاملين معهم دينهم. وبظهور المسيحية واعتناق الإمبراطورية الرومانية لها أصبح الدين أممياً. وجاء الإسلام بسيوفه وخيوله ليجعل من الدين سبباً لفتح واستيطان مناطق شاسعة من العالم ونشر الإسلام بها. واقتسم الإسلام والمسيحية معظم العالم، جغرافياً، وظلت الديانتان - البوذية والهندوسية - الديانتين الغالبتين عددياً.

وكان قدماء اليونان قبل الميلاد من أوائل الناس الذين حاولوا *تفسير وجودهم ووجود العالم تفسيراً علمياً* لا يعتمد على الغيبيات الميثولوجية. وقد أدى ظهور علم الرياضيات عندهم إلى اكتشاف بعض القوانين الحسابية والفلكية التي أثبتت لهم أن العالم تحكمه قوانين طبيعية ثابتة لا تتغير مع تغير الآلهة ولا تتأثر بحروبهم ضد بعضهم البعض. ولكن نسبةً لتفشي الأمية في العالم في ذلك الوقت لم تنتشر أفكار الفلاسفة وعلماء الرياضيات والفلك خارج نطاق ضيق جداً. و قد أدى اكتشاف القوانين التي تحكم العالم إلى محاولة الفلاسفة القدماء، وخاصةً أرسطوطاليس Aristotle، إثبات أن لهذا العالم المحكم خالقاً ذا علم ومقدرة غير محدودين ويصعب فهم كنهه على العامة. ولكن أرسطوطاليس نفسه لم يكن يعرف كنه هذا الخالق فسماه "**المحرك الرئيسي** Prime mover" وكان هذا المحرك الرئيسي بالنسبة لأرسطوطاليس هو المفكر والفكر نفسه في آن واحد. وهو أبدي وغير متحرك وروحاني. وكل ما يشغله هو التأمل المستمر في ذاته. ويقول أرسطوطاليس:

”بما أن المادة ينقصها الكمال فلا يمكن أن يكون الخالق مكوناً من مادة، فلابد أنْ يكون هذا الخالق قوى غير محدودة بجسم. وبما أن المادة التي يتكون منها العالم لا تتحرك من تلقاء نفسها ولا بد لها من قوة خارجية تدفعها لتبدأ الحركة، فإن المحرك الرئيسي هو الذي يدفع العالم للحركة.“[1] وبالعكس من أرسطوطاليس، يقول جيفرسون، الرئيس الأسبق للولايات الأمريكية المتحدة وأحد الآباء المؤسسين لأمريكا ”أن تتحدث عن وجود غير مادي، فإنك تتحدث عن لا شيء. أن تقول إن الملائكة والروح والإله كائنات غير مادية، معناتها أنهم لا شيء، أي أنهم غير موجودين. ولا يمكنني أن أقتنع بغير ذلك.“[2]

وجاء فلاسفة التنوير الأوروبيون وحاول **بعضهم**، مثل بيل Pierre Bayle، وليبنز Leibniz وبوب Pope، إثبات وجود خالق للعالم، وجادل **أكثرهم** ضد وجود خالق للعالم ونفوا أهمية الدين، منهم ڤولتير وهِيـگل وكارل ماركس وبروش سبينوزا وجان جاك روسو وديڤيد هيوم وعمانويل كانط و برتراند راسل الذي سألوه لماذا لا يؤمن بالخالق فقال لهم:

”لم يقدم لي برهاناً كافياً بوجوده“.

أما عالم الرياضيات الفرنسي باسكال فقال:

”الأفضل أن تؤمن بالإله كنوع من التأمين. فإن اتضح وجوده فيما بعد فسوف تكسب، وإن لم يكن موجوداً فإنك لا تخسر شيئاً.“†

وهذا هو المنطق الذي يتبعه أغلب المؤمنين بوجود الإله.

† حول مفهوم ‹**الإيمان كَرِهان باسكالي Pascal's Wager**› يقول العفيف الأخضر في كتابه "مِن محمد الإيمان إلى محمد التاريخ" (منشور على موقع الحوار المتمدن): الإِيمان بما هو **رهان،** اَسَّس له في *الإِسلام* نبي الإِسلام؛ بشكوكه المتواصلة في رسالته وبآية الشك: {...وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. (سبأ: 24)}، واَسَّس له في *الحداثة* الفيلسوف والعالم االفرنسي، باسكال Pascal: ”اِن كان الله موجودا فقد كسبتَ كل شيء، واِن لم يكن موجودا فلم تخسر شيئا، فراهن اِذن على وجوده...“

وعندما جاء شارلس دارون بنظرية التطور عن طريق الاختيار الطبيعي، Evolution through natural selection أي **البقاء للأصلح** في عام 1859م،

ضرب العلم أول مسمار في نعش الإله

إذ أثبت دارون بنظريته هذه أن الطبيعة تختار الأفضل للبقاء والتكاثر بينما ينقرض الأضعف الذي لا يتكيّف مع محيطه. وقد أثبت علماء الأنثروبولوجيا عن طريق الحفريات وبقايا الهياكل العظمية في الكهوف القديمة، أن الإنسان فعلاً قد بدأ حياته حيواناً من ضمن بقية الحيوانات الثدية وبالتدريج ازداد حجم دماغه وفقد الأجزاء التي لا يحتاجها من جسمه، مثل الذنب والشعر الكثيف، ومشى على رِجلين بدل أربعة. وبدأ هذا التاريخ الطويل قبل حوالي 150 ألف سنة تقريباً. وهذا يتعارض تعارضاً تاماً مع الأديان السماوية الثلاثة التي تقول بنظرية بداية **الخلق المتكامل** (الخلق من العدم) Creation ex nihilo هذا الطرح الديني الذي بدأ بتوراة موسى يقول إن الله خلق آدم كاملاً وعلمه الكلام وخلق من ضلعه حواء. وتتعارض هذه الفكرة تعارضاً كاملاً مع الأدلة العلمية التي نستطيع أن نراها بأعيننا وتبين لنا أحجام وأشكال هياكل الإنسان على مر العصور حتى وصل إلى ما نحن عليه الآن.

ولما اعترف كاتب الإسلاميين المشهور الدكتور الفرنسي **موريس بوكاي** بهذه الحقيقة، *حاول الإسلاميون الالتفاف* حول *هذا التناقض بأن قالوا إن الإنسان قد بدأ كالحيوان ولكنه كان إنساناً بدائياً غير مؤهل لتلقي الرسالة السماوية، ولذلك خلق الله آدم كبداية للإنسان العاقل ليتقبل الرسالة*. ولكنهم لم يخبرونا ماذا حدث للإنسان الذي تطور من القرد، وأين هو الآن.

وقد أنكر جميع الفلاسفة مسألة الخلق المتكامل الذي بدأ بآدم قبل حوالي سبع آلاف سنة من الآن كما تقول التوراة وكتب التفاسير الإسلامية. وحتى قبل هذه الاكتشافات التي لا يستطيع رجال الدين إنكارها، وجدت عقول *الفلاسفة المتنورين* صعوبة بالغة في تزاوج الأفكار الدينية عن العالم مع ما توصل إليه تفكيرهم الفلسفي. فنجد مثلاً الفيلسوف والطبيب المسلم أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (ت 930 م) يقول:

إن المادة لا يمكن أن تتولد من الروحانيات أو حتى من إله روحاني يصعب تحديد هويته.

ورفض فكرة المحرك الرئيسي التي قال بها أرسطوطاليس، وأنكر فكرة الأنبياء والرسل وقال:

إن العقل هو الوحيد الذي يستطيع أن ينقذنا.

وأخيراً قال:

إن فكرة وجود الله لا تتماشى مع العقل والمنطق.

وقال الفيلسوف الفرنسي كارل ساجان:

---

[1] Karen Armstrong, A History of God, p48.
[2] Richard Dawkins, The God Delusion, p42.

"إذا كنت تعني بالإله مجموعة القوانين التي تحكم العالم، فإن الإله موجود. ولكن هذا الإله لا يُشبع العواطف والأحاسيس إذ ليس من المنطق أن تصلي للجاذبية."[3].

وعندما جاء علماء الفيزياء بفكرة وجود العالم نتيجةً **للانفجار الكبير** Big Bang الذي حدث وتكونت منه النجوم والكواكب، اقتنع جزء كبير جداً من متعلمي ومثقفي العالم بصواب هذه النظرية التي يمكن على ضوئها تفسير تكوين الشمس والأرض ونمو النباتات ثم الحيوانات ثم تصديقاً لنظرية دارون، ارتقاء الإنسان من الشمبانزي الذي تتطابق 98 بالمئة من جيناتنا Gene مع جيناته،

فضرب العلم ثاني مسمار في نعش الإله.

وبالطبع لم يقف رجال الدين وفلاسفته مكتوفي الأيدي، فقد أتى منظروه بفكرة أن هذا العالَم الذي يسير على نواميس وقوانين طبيعية في غاية الدقة والثبوت لا يمكن أن يكون قد حدث عن طريق الصدفة. فلا بد له من مصصم ذكي .Intelligent Designer وشاعت هذه الفكرة في أمريكا بفضل الأموال الطائلة التي جمعها رجال الدين الإنجيليون Evangelists مِن وعظهم المستمر على قنوات التلفزيون وإقناع العامة بالتبرع لله وكنيسته، *لكي ينتصر الله على أعدائه ويهب الخلاص للمتبرعين بأموالهم*. وحاول جماعة **نظرية التصميم الذكي** منع تدريس نظرية دارون في المدارس لأنها تعارض نظريتهم التي لا يستطيعون إثباتها كما أثبت العلماء نظرية دارون، فلم يبق أمامهم إلا أن يحاولوا منعها كما يحاول الشيوخ في مصر منع كل ما لا يستطيعون رده بالحجة.

ونظرية التصميم الذكي التي يعتمد عليها رجال الدين ليبرهنوا بها على وجود الله تعتمد على أن الكواكب والنجوم تدور في مدارات منتظمة لا تخرج عنها وقوانين الحساب والفلك ثابته ولا تتغير، وهذا يعني لهم وجود الله.

وطبعاً كل هذا يمكن تفسيره بنظرية الانفجار الكبير الذي جعل الكواكب والنجوم تدور حول نفسها بقوة الانفجار. وكل جسم كروي يدور حول نفسه بسرعة كبيرة يخلق جاذبية تجذب إليه بقية الأجسام القريبة منه. ونفس هذه الجاذبية تجعل الكواكب تدور حول النجوم الأكبر منها لأن جاذبية النجوم أقوى من جاذبية الكواكب. وهذه الحركة تصبح Perpetual أي دائمة بفعل الجاذبية. وما دامت الحركة دائمة وغير متغيرة فلا بد أن تتكون لها قوانين ثابتة قد اكتشفها علماء الفيزياء والفلك. فهذه القوانين لا تُثبت وجود إله خالق. القوانين تكونت بفعل دوران الأجسام حول نفسها ولم يخلق الإله القوانين أولاً ثم خلق الأجرام لتطيع تلك القوانين.

ويقول رجال الدين إن المادة الأولية التي أحدثت الانفجار لا يمكن أن تكون قد أتت من لا شيء فلا بد لها من خالق. ولكن نفس الحجة يمكن أن نقدمها لتبرير أن الإله لا يمكن أن يكون قد أتى من العدم أو خلق نفسه. فلا بد له من خالق. ويقول رجال الدين رداً على ذلك إن الله أزلي ولا يمكن لعقولنا القاصرة إدراك كنهه. ولكن ما معنى أزلي؟ الأزل يعني اللا محدود Infinity، ولكن مهما رجعنا إلى الوراء مليارات السنين، لا بد وأن نصل إلى نقطة ما *لم يكن بها شي إطلاقاً*، حتى إن كانت هذه النقطة قبل تريليون من السنين. ثم ظهرت المادة. فإذا كان للمادة خالق فالخالق نفسه قد كان لاشيئاً عند تلك النقطة التي ظهرت فيها المادة. فلا بد أنه خلق نفسه من العدم أو خلقته قوى أخرى. وكلا الافتراضين لا يتناسبان وذات الإله العالم الخالق. وعندما واجه مفكرو الهنود القدماء هذه المشكلة قالوا في الإجابة عليها:

إنّ الآلهة نفسها لا تعرف كيف تكونت من الماء الأزلي. إذاً فحتى عقول الآلهة لا تعرف كيف بدأت حياتها.

ثم أن العالم ليس مصمماً تصميماً ذكياً. فالعالم مليء بالأخطاء الجغرافية والمناخية ومليء بالجور والظلم والفقر والمرض. ومليء بالأخطاء الجيولوجية التي تسبب البراكين والتسونامي اللذان يفتكان بالآلاف كل عام. فأين هو الذكاء في خلق أكثر من ربع اليابسة صحراء لا تصلح لعيش الإنسان أو الحيوان بينما يزدحم الناس في جنوب شرق آسيا لدرجة أنهم أصبحوا يعيشون في المراكب؟ وما هو الذكاء في خلق أرض يغطي سبعين بالمئة منها بحار مالحة لا تصلح للشرب أو الزراعة وهناك أناس يموتون من العطش والجوع لأن أرضهم لا تنتج ما يكفيهم؟ وما هو الذكاء في خلق مناطق كبيرة يغطيها الجليد طوال العام ولا يسكنها الناس ومناطق كل فصولها صيف حارق عند خط الاستواء؟ وما هو الذكاء في خلق جوف الأرض ساخناً لدرجة إثارة البراكين أو الزلازل وهدم المدارس على رؤوس الأطفال الأبرياء الذين لم يروا من حياتهم شيئاً؟ هذه التناقضات في العالم حملت الملك ألفونسو العاشر، ملك كاستيل Castile بإسبانيا في عام 1252 م إلى القول:

"لو كنت مستشاراً لله يوم خلق العالم لكان قد خلقه أحسن من هذا بكثير."[4]

فلو سلمنا جدلاً أن هناك إلهاً خلق هذا العالم، ونحن نعرف الآن أنالكون عمره حوالي ثلاث عشرة مليارات من السنين، والأرض عمرها حوالي أربع مليارات من السنين فإن هذا الإله لا بد أنه وُجد قبل خلق الكون وجلس في سمائه كل هذه المليارات من السنين بلا شيء أو مخلوقات غير أرض ونجوم، ثم قرر قبل حوالي مليون سنة فقط أن يخلق الحيوانات ثم قبل حوالي 150 ألف سنة فقط قرر أن يخلق الإنسان وجعله يتطور من الشمبانزي Chimpanzee ويمشي على أربعة ثم على رجلين ويكون قصيراً مثل البشمان Bushman أي الرجل القزم في أفريقيا، ويطول تدريجياً ويكبر رأسه ودماغه إلى أن صار الإنسان المعروف لدينا الآن. ووصل الإنسان إلى هذه المرحلة قبل حوالي 15 ألف عام فقط. فهل كان الإله يجري تجارب على الإنسان حتى وصل إلى الشكل النهائي له قبل حوالي 15 ألف سنة فقط. وماذا تساوي 15 ألف سنة من ثلاث عشرة مليارات من السنين التي وُجد فيها الكون؟ فإذا اعتبرنا أن الفترة منذ وجود الأرض حتى اليوم تساوي أسبوعاً واحداً، فإن وجود الإنسان القائم Homo sapiens† عليها لا يساوي أكثر من دقيقة واحدة من كل الأسبوع. وهنا نسأل: لماذا ظل الإله الخالق جالساً بلا مخلوقات كل الأسبوع وفي آخر دقيقة من ذلك الأسبوع خلق الإنسان؟ ولو كان الإله قد خلق الإنسان فلابد أنه خلقه لواحد من الأسباب التالية:

† Homo Sapiens الإنسان العارف أو الإنسان الذكي.
لأن الإنسان القائم أو المنتصب يقابله Homo erectus

1- **خلق الإنسان ليعبده**.

فإذاً هذا الإله المغرور بقدرته خلق الإنسان فقط ليعبده ويسبح بحمده، وهو قد عاش مليارات السنين بدون تمجيد وعبادة. وعندما خلق الإنسان ليعبده، فشل في خلقه إذ أن غالبية الخلق منذ وجود الإنسان على الأرض لم تعبد الخالق. وحتى يومنا هذا فإن عدد الذين يعبدونه يقل عن عدد الذين يعبدون الأبقار أو الأجداد أو لا يعبدون إطلاقاً. ولو فرضنا جدلاً أنه خلق الإنسان ليعبده، وهو المصمم الذكي، كما يقول أصحاب نظرية الخلق الذكي، *أما كان في إمكانه أن يخلقهم موحدين عابدين بدل أن يضيع وقته في إرسال كل هؤلاء الرسل* الذين يقول فقهاء المذهب الشيعي أنهم مائة وأربعة وعشرون ألف نبي، ومع ذلك يقر الله في القرآن أن أكثر الناس لا يعبدون بعد أن أرسل لهم كل هؤلاء الأنبياء والرسل؟ **هل هناك فشلٌ أكثر من هذا؟** وإن كان قد خلق الإنسان ليعبده، وهو الخالق العالم ببواطن الأمور ويعلم الغيب قبل أن يحدث، هل يحتاج إلى أن يختبر خلقه ليعرف أيهم سوف يعبده عبادة خالصة وأيهم لا يعبده عبادة خالصة، كما يخبرنا في القرآن أنه فعل الأشياء {**ليبلوكم أيكم أحسن عملاً**}؟ ثم أليس من العبث أن يخلق الإله الإنسان ثم يبعث له عدة رسل، كلٌ برسالة تختلف عن الأخرى، ثم يقول للذين آمنوا برسول معين، اقتلوا مَن لا يتبع رسولكم، كما قال لبني إسرائيل وكما قال لمحمد؟ *فما الحكمة في أن يخلق الناس ثم يقول لهم اقتلوا بعضكم بعضاً؟*

[3] Richard Dawkins, The God Delusion, p19.
[4] Evil in Modern Thought, Susan Neiman, p15.

2- **خلق الإنسان ليتسلى به** ويراقب أعماله لأنه قد ضجر وملّ من الجلوس لوحده مليارات السنين.
وفي هذه الحالة ليس من العدل أن يتسلى الخالق بمراقبة مخلوقاته ثم يحاسبهم على التسلية التي منحوه إياها لإزالة ضجره. وليس من العدل أن يخلق الناس ليتسلى بهم ثم يخلق لهم ما يجعل حياتهم نكداً من أمراض وزلازل وفيضانات.
3- **خلق الإنسان بدون أي هدف،** فقط ليثبت لنفسه أنه قادر على خلق الإنسان.
وحتى في هذا الافتراض فقد فشل الإله الخالق لأنه لم يخلق الإنسان سوياً وفي أحسن تقويم كما يقول القرآن، لأن الإنسان مر بأطوار عديدة قبل أن يصل إلى ما وصل إليه الآن. *فحتى الخلق بدون هدف قد فشل فيه الإله الخالق.*

ولو فرضنا جدلاً أن هناك إلهاً خلق هذا الكون، هل يجوز عقلاً أن يظل هذا الإله جالساً في عليائة منذ أن أتى موسى حوالي عام 1300 قبل الميلاد وحتى الآن، يتفرج على اليهود والمسيحيين والمسلمين يقتلون بعضهم بعضاً بإسمه ودفاعاً عنه، ولا يتدخل، وكان قبلاً يتدخل ويدك القرى لأن أهلها لم يتبعوا رسوله أو لأن جزءاً منهم كانوا مثليين؟ إنّ العقل ليعجز عن فهم مثل هذا الإله الذي يرى أطفاله أو عبيده، حسب الاعتقاد الديني، يذبحون الناس بإسمه وهو عازف عن التدخل .
وطبعاً لو كان هناك إله خالق فلن يكذب على مخلوقاته. فكيف إذاً أجاز هذا الإله الخالق أن يُخبر رسله: موسى وعيسى ومحمد، أنه خلق آدم من تراب وكان هو أول الخلق وخلق من ضلعه حواء. فإذاً حواء عبارة عن استنساخ من آدم، وعليه كل جيناتها لا بد أن تطابق جينات آدم. وبالتالي كل أطفالهم سوف تكون لهم نفس الجينات، أي أنهم استنساخ من أبيهم. والحقائق العلمية الآن تخبرنا غير ذلك. فهل كذّب الأنبياء أم كذّب الإله الخالق؟ وحتماً قد كذّب الأنبياء إذ ليس هناك إله خالق.
وهل يعتمد الإله الخالق على جهل الناس ليثبت وجوده؟ فكل الأنبياء والرسل أتوا في فترة زمنية ضيقة ومنطقة جغرافية أضيق، وتوقف إرسال الرسل مع انتشار العلم. وكلما ازداد ذكاء الناس وعلمهم كلما قل إيمانهم بخالق لهم.

فمثلاً في دراسة نُشرت في مجلة الطبيعة Nature عام 1998 واستطلعت آراء العلماء الأمريكان البازين لدرجة أنهم أُنتخبوا أعضاءً في الجمعية الأمريكية القومية للعلوم National Academy of Sciences، وجد الباحثون أنّ **سبعة بالمائة فقط قالوا إنهم يؤمنون بوجود إله**. وعندما أُجريت نفس الدراسة على العلماء الانـگليز الأعضاء في الجمعية الملكية The Royal Society واستطلعت الدراسة آراء 1047 عضوا عن طريق الإيميل، رد منهم 23 بالمائة وكانت نسبة العلماء الذين قالوا إنهم يؤمنون بوجود إله، **ثلاثة بالمائة فقط** .ومن بين كل العلماء المسيحيين الحائزين على جائزة نوبل للاكتشافات العلمية، **اثنان فقط** قالوا إنهم يؤمنون بالإله.[5]
إذا أجريت نفس الدراسة على مواطني بنـگلاديش ستجد أن مائة بالمائة يؤمنون بوجود إله خالق. فالدين لا ينمو إلا في تربة الجهل.

فما هو الدليل أو البراهين التي يقدمها لنا رجال الدين لإثبات وجود الإله؟ القرآن يتحدث عن الظواهر الطبيعية مثل المطر والسحاب وخلق السموات والأرض ومعرفة جنس الجنين في الرحم، ويزعم أنّ هذه براهين تُثبت وجود الله. فإذا استثنينا خلق السموات والأرض، وليس هناك سموات على كل حال، فإن الإنسان الآن أصبح قادراً أن يكّون السحاب ويُنزل المطر ويعرف جنس الجنين في الرحم. فهل أصبح الإنسان إلهاً؟ والتوراة والإنجيل يذكران المعجزات التي لم يرها أي إنسان يؤمن بهذه الكتب. ومهما رجعنا إلى الوراء فلن نجد شخصاً بعينه قد رأى أي من تلك المعجزات. الكلام عام عن أن عيسى أحيا الموتي وشفى الأبرص ولكن ليس لدينا أي أسماء لأشخاص معينين حدث لهم ذلك. وفي إمكان أي شخص أن يكتب كتاباً ويزعم أن اكس (فلاناً) من الناس حرك الجبال قبل ألف عام أو يزيد. ما هو البرهان؟ إنه الكتاب المقدس الذي لا يكذب. **إنه منطق الغيبيات**.
ولأن رجال الأديان على مر العصور عجزوا أن يجاروا منطق الفلاسفة والعلماء الذي يقول بعدم وجود الإله، لجأ رجال الدين إلى قتل وحرق العلماء وحرق كتبهم ومصادرتها ومنع تداولها أو تدريسها. وهذا ما حدا بالفيلسوف هِيـگل أن يقول:

"إنّ الله قد مات"

وبذا دق هِيـگل المسمار الثالث في نعش الإله.

وسوف يزداد عدد مسامير النعش في المستقبل القريب حتى نُحكم قفل النعش وندفن فكرة الإله الخالق نهائياً.

عودة إلى الفهرس

[5] The God Delusion, p100.

56 - هل يعتذر المسلمون ؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=92296

في هذا الاسبوع تمتلئ شوارع لندن بالمسيرات التي يشترك فيها السياسيون وأساقفة الكنيسة الإنجلية وعامة أفراد الشعب، أبيضهم وأسودهم، حاملين اللافتات التي تندد بتاريخ بريطانيا غير المشّرف في تجارة الرقيق. يطالب هؤلاء المتظاهرون الحكومة البريطانية بالاعتذار عن المآسي التي تسببت بها للشعوب الأفريقية نتيجة تجارتها وممارساتها في الرق في القرنين السابع عشر والثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. وقد أبدى رئيس الوزراء البريطاني طوني بلير أسفه وأسف حكومته لما حدث في الماضي لكنه وقف قبل الاعتذار الكامل. الاعتذار، طبعاً، لن يرد للأحفاد الأفارقة شيئاً ولن يُرجع عقارب الساعة للوراء ليُعيد للأفارقة الذين ماتوا في سفن الرقيق حياتهم. ولكن الاعتذار سوف يساعد في اندمال الجروح العميقة التي سببتها تجارة الرقيق وما نتج عنها من اضطهاد الرجل الأبيض لشقيقه الأسود. وحتى لو أدى الاعتذار إلى إلزام الحكومة البريطانية بدفع تعويضات للدول الأفريقية التي تأثرت بتجارة الرقيق أكثر من غيرها، فإن ذلك لن يُثقل كاهل الحكومة البريطانية التي دفعت أكثر من عشرة ملايين جنيه سترليني في القرن التاسع عشر للمزارعين البيض في جزر الكاريبي تعويضاً لهم عن خسائرهم المادية عندما ألغت بريطانيا الرق في مستعمراتها عام 1883 م.
الرق، مثله مثل الدعارة التي هي نوع من استعباد المرأة باستغلال فقرها، نشأ مع نشوء المجتمعات الزراعية واستقرار الإنسان. وجميع المجتمعات الإنسانية عرفت نوعاً من الرق واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان. ولكن في البدء كان الرق محصوراً في المجتمعات الزراعية التي تحتاج الأيدي العاملة، وكانت الحروب القبلية هي مصدر الرق. ومع نشوء الدولة ثم الإمبراطورية الإغريقية والرومانية احتاجت الجيوش إلى الرقيق لتسيير السفن الحربية والتجارية بقوة المجاديف التي كان يُربط إليها العبيد لمنع هروبهم وقت انشغال الجنود في المعارك. وكان العبيد وقتها من البيض إذ لم تكن تلك الدول قد توغلت في أفريقيا. وخير مثال لذلك هو اسبارتوكوس Spartacus ذلك العبد الأبيض المصارع الذي قاد ثورة العبيد ضد الإمبراطورية الرومانية حوالي عام سبعين قبل الميلاد. وأغلب العبيد وقتها كانوا من شبه جزيرة البلقان Balkan peninsula.
وفي الشرق الأوسط، موطن اكتشاف الزراعة، كانت العبودية معروفة في ما بين الرافدين - دجلة والفرات- من أيام حمورابي حوالي عام 2000 قبل الميلاد، إذ تقول المادة 15 من القانون الحمورابي "إذا أخذ أي شخص عبداً من عبيد المحكمة أو عبداً من عبيد رجلٍ حر خارج أسوار المدينة فسوف يُقتل الجاني". وفي مصر الفراعنة كانت العبودية معروفة ويُقال أن الأهرامات بُنيت بمجهود العبيد.
والطفرة النوعية في العبودية حدثت بمجيء الديانة *اليهودية التي جعلت العبودية فعلاً مباركاً ومباحاً من عند الإله*، وشرّعت اليهودية قوانيناً خاصة بالعبيد والإماء. وقبل مجيء الإسلام كان شبه الجزيرة العربية قد عرف العبودية نتيجة ازدهار تجارة مكة وسفر التجار إلى الشام والحبشة وغيرها. وقد جاء في كتب التاريخ العربي أن:

> "حكيم بن خويلد بن أسد القرشي الأسدي ابن أخي خديجة، الشريف الجواد، أعتق في الجاهلية مائة رقبة"[1].

وجاء الإسلام ومسك، كعادته، العصا من وسطها. *فهو لم يُحرّم العبودية ولم يحث عليها*، وجاء بحل وسط لم يفد شيئاً، **فحث على إعتاق عبدٍ أو أمة كفارةً عن معاصي معينة**. ولكن في نفس الوقت حث *على الجهاد والحروب* لإدخال الناس في الإسلام، **وبذا فتح الباب على مصراعيه لاقتناء العبيد والإماء**، وكانت النتيجة النهائية ازدياد أعداد العبيد بمئات الآلاف في شبه الجزيرة العربية وفي الأقطار الأخرى التي أصبحت جزءاً من الدولة الإسلامية. ولأن الفتوحات الإسلامية طالت شمال أفريقيا والأندلس وأوروبا الشرقية في أيام الخلافة العثمانية، فقد فاق عدد العبيد والإماء البيض عدد العبيد السود من أفريقيا الذين جلبهم التجار المسلمون للعمل في الزراعة ومشاريع الري خاصةً في أرض السواد بالعراق.
ومع أن الإسلام يقول *المؤمنون سواسية كأسنان المشط*، إلا أن العبيد والإماء الذين أسلموا، **سنّ لهم الإسلام قوانين مجحفة حرمتهم من إنسانيتهم وجعلتهم مالاً يملكه السيد**، وله مطلق الحرية في شراء وبيع وضرب وأسر العبيد والجواري. والأمة وأطفالها ملك السيد يفعل بهم ما يشاء. وحتى *القصاص* في العبد يعتمد على قيمة العبد المادية وليس على إنسانيته. يقول ابن قدامة:

> "ويجرى القصاص بين العبيد في النفس، في قول أكثر أهل العلم، روي ذلك عن عمر بن عبد العزيز وسالم والنخعي، والشعبي والزهري وقتادة، والثوري ومالك والشافعي، وأبي حنيفة وروي عن أحمد رواية أخرى *أن من شرط القصاص تساوى قيمتهم*، وإن اختلفت قيمتهم لم يجر بينهم قصاص وينبغي أن يختص هذا بما إذا كانت قيمة القاتل أكثر (من قيمة المقتول) فإن كانت أقل فلا قصاص. وهذا قول عطاء. وقال ابن عباس: ليس بين العبيد قصاص في نفس ولا جرح لأنهم أموال."[2].

وما زالوا يقولون إن المسلمين سواسية كأسنان المشط.
والمحزن في الأمر أن أغلب الفقهاء في الإسلام كانوا من العبيد والموالي ولذلك كانت قيمتهم في نظر المجتمع أقل من قيمة الحر الجاهل. يقول الدمشقي في كتابه شذرات الذهب، ج1،

> "قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم لما مات العبادلة عبد الله بن العباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالي فقيه مكة عطاء وفقيه اليمن طاووس وفقيه اليمامة يحي بن أبي كثير وفقيه البصرة الحسن البصري وفقيه الكوفة إبراهيم النخعي وفقيه الشام مكحول وفقيه خراسان عطاء الخراساني." (ص 103).

وكان أسلم مولى عمر بن الخطاب فقيهاً معروفاً، وكان عكرمة الفقية المشهور، مولى ابن عباس، ولما مات ابن عباس باع ابنه عكرمة لخالد بن يزيد بأربعة آلاف دينار (نفس المصدر، ص 130). وكان ابن سيرين الفقية البصري عبداً لأنس بن مالك، وكان من سبي بيسان. كاتب أنس على عشرين ألفاً وأدى المكاتبة. كما كان عمار بن ياسر وابن مسعود وأبو موسى الأشعري.
ورغم أن الإسلام حث على عتق العبيد إلا أن كل *كبار الصحابة* احتفظوا بعبيدهم حتى موتهم. وحتى *النبي نفسه* احتفظ بعدد كبير من العبيد والإماء حتى قبل موته:

> "اعتق النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه أربعين نفساً."[3].

وبعد أن مات أحصوا ما يزيد على العشرين من عبيد وإماء كانوا لا يزالون في تركته.
أما في أيام الخلافة العثمانية فقد عاني الأوروبيون، ولمدة ثلاثمائة سنة *أسوأ أنواع الرق* إذ فرض عليهم السلطان أورخان Orkhan (1326-1359) **نظام الخُمس** في الأطفال وكانوا يسمونه devshirme:

---
[1] شذرات الذهب، ج1، ص 60.
[2] المغني، باب الجراح.
[3] المنتظم في التاريخ لابن الجوزي، ج4، ص 17.

فكانوا في البدء يأخذون من كل بلد خمس الأطفال وبعد أن يعلموهم الإسلام يتخذون من البنات جواري ومن الصبيان جنوداً. وبمرور الزمن أصبحت ضريبة سنوية مفروضة على الإغريق والصرب والبلغار والألبانيين والأرمن.[4]

فحتى إسلام هؤلاء الأطفال المخطوفين لم يفدهم من عبودية إخوانهم المسلمين الأتراك. وهل نستطيع الآن أن نتصور حال الأمهات والآباء الأوروبيين الذين كانوا يفقدون خمس أطفالهم كل عام؟

ورغم أن الانـگليز كان لهم الضلع الأكبر في جلب العبيد الأفارقة إلى جزر الكاريبي والعالم الجديد، *فإن الفضل يرجع لهم في تحريم وإلغاء تجارة الرقيق*. فقد أجاز البرلمان الانـگليزي ‹قانون إلغاء تجارة الرقيق› في 25 مارس 1807 م، أي قبل مائتي عام بالضبط، ولذلك تُحيي بريطانيا الذكرى المئوية الثانية في هذا الاسبوع .وفي عام 1827 زاد البرلمان في صرامة القانون ‹واعتبر تجارة الرقيق نوعاً من القرصنة وجعل عقوبتها الإعدام›. وفي عام 1833 منعت بريطانيا الرق في جميع مستعمراتها.

أما فرنسا فقد ألغت امتلاك العبيد في عام 1794 ولكن نابليون أعاد الرق كما كان في عام 1802. وفي عام 1848 ألغت فرنسا الرق نهائياً في فرنسا وفي مستعمراتها. وجعلوا يوم 10 مايو يوم محاربة الرق.

أما أمريكا فقد بدأت بها حركات منع تجارة الرقيق في عام 1775 وبالتحديد في فيلادلفيا، وقد بدأها جماعة دينية تُعرف ب The Quakers (طائفة الفرندز المسيحية)† لأنها كانت تتعارض مع معتقداتهم الدينية. وألغت نيويورك العبودية عام 1799 وفي عام 1808 أجازت الحكومة الفيدرالية قانون منع تملك الرقيق ولكن تجاهلت الولايات الجنوبية هذا القانون ولم تعمل به إلا بعد الحرب الأهلية. وفي فترة رئاسة الرئيس جونسون أصدرت الحكومة الفدرالية قانون Positive discrimination الذي أعطى السود الأولية في التعليم والتوظيف في محاولة من الدولة للتكفير عن أخطاء الماضي.

† Quaker member of **Society of Friends**:
a member of the Society of Friends, a Christian denomination founded in England in the 17th century that rejects formal sacraments, ministry, and creed, and is committed to pacifism.
At meetings members are encouraged to speak when they feel moved to do so.

Microsoft® Encarta® 2009.

وكالمتوقع فقد سبقت السويد وفلندا بقية العالم في تحريم الرق في عام 1335. وتبعتها البرتغال عام 1761 ثم اسكتلندا عام 1776 وجميع دول أمريكا اللاتينية حرمت الرق في القرن التاسع عشر مابين عام 1813 في الأرجنتين وعام 1888 في البرازيل. أما الصين فلم تحرم هذه التجارة إلا في عام 1910.

أما في العالم الإسلامي فليس هناك أي وخز ضمير عن ما سببوه من مآسي،
وليس هناك أي دولة عربية أو إسلامية ينص دستورها على تحريم الرق لأن الرق معترف به في القرآن وفي السنة
ولذلك لن تجد من يجرؤ على تحريمه دستورياً.

وعندما أجازت الأمم المتحدة قانون حقوق الإنسان في عام 1948 ونصت المادة الرابعة فيه على أن الدول الأعضاء توافق أنه لا يجوز أن يرزح أي إنسان تحت نير العبودية أو السخرة Servitude، وقعت **بعض** الدول الإسلامية على الوثيقة إرضاءً للأمم المتحدة ولكن لم تكن لديهم النية لتطبيق ما وقعوا عليه. وإذا أخذنا السودان مثلاً، فقد حرّم الانـگليز تجارة الرقيق فيه عام 1924 عندما كانوا يحكمون القطر، وظل القانون حبراً على ورق وظل امتلاك العبيد والتجارة بهم سارياً حتى الوقت الحالي. أما موريتانيا فقد حرّم الفرنسيون الرق فيها عام 1905 عندما كانوا يحكمونها وأكدت الحكومة الوطنية بعد الاستقلال في عام 1961 بقانون جديد يُحرّم العبودية ولكنها ما زالت تُمارس في القطر حيث يرزح مئات الآلاف تحت نيرها، وما زالوا يسمون السود زنوجاً. والمملكة العربية السعودية لم توقع على وثيقة تحريم الرق إلا عام 1962 *وكان ذلك التوقيع حبراً على ورق*. فما زالت القصور ملئية بالعبيد والجواري وما زال الأطفال يُهربّون إليها من اليمن ليدخلوا سوق السخرية والعبودية والدعارة. بل ظهرت عبودية جديدة في السعودية بفضل البترودولارات التي مكّنتهم من استيراد الخدم والحشم والسائقين والعمال الفقراء من دول جنوب شرق آسيا ومصادرة جوازاتهم بمجرد دخولهم البلد ليصبحوا أسرى المخدم الذي يضربهم ويمتهن كرامتهم الإنسانية بلا خوف من ضمير أو رقيب، كما حدث في الرياض

"في صبيحة الثالث والعشرين من الشهر الحالي، فجعتنا صحيفة "أراب نيوز" بجريمة حدثت في الرياض، يندى لها الجبين من هولها وبشاعة مرتكبها. الجريمة أرتكبت في حق عاملة منزل اندونيسية تُدعى "نور مياتي" تبلغ من العمر 25 عاما. حيث قام كفيلها السعودي بضربها وتكسير أسنانها، وتهشيم وجهها مما أدى ذلك إلى إصابتها بعاهة في العين قد تفقد على إثرها البصر. لم يكتف ذاك المجرم السعودي بفعلته، بل قام بربطها في حمام لمدة شهر كامل، حتى بدأت أطراف تلك المسكينة تذبل وتسوّد وتموت بسبب القيود وبطء الحركة الدموية فيها، بعدها أخذها كفيلها ورمى بها في اقرب مستشفى."[5]

وينسحب نفس الشيء على الكويت وبقية دول الخليج النفطية. فما زال الأطفال يُستعبدون في الخليج ويُسخّرون في **سباق الهجن** مما يؤدي إلى موت بعضهم وإصابة البعض الآخر بعاهات دائمة.

فهل يمكن لنا بعد مرور أربعة عشر قرناً رزح فيها العبيد والإماء البيض والسود تحت نير العبودية في الدول الإسلامية التي يجيز **دستورها القرآني** امتلاك العبيد ومضاجعة الإماء وطلاقهن من أزواجهن إذا باعهن أسيادهن، والتي تأمر فقهاؤها على الحفاظ على العبودية بأن أخرجوا لنا فتاوى تجعل العبد الذي يهرب من نير سيده كافراً، فقد قال الحديث:

[ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم العبد الآبق حتى يرجع، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وإمام قوم هم له كارهون][6].

فالزوجة التي جعلها ‹حجة الإسلام› الغزالي مملوكة لزوجها، والعبد الهارب لا يقبل العلي القدير الرحمن الرحيم صلاتهما حتى يرجعا إلى رشدهما. وزاد بعضهم في عقاب العبد الهارب فقالوا إن النبي قال:

[أيما عبد مات في إباقة دخل النار وإن كان قُتل في سبيل الله][7].

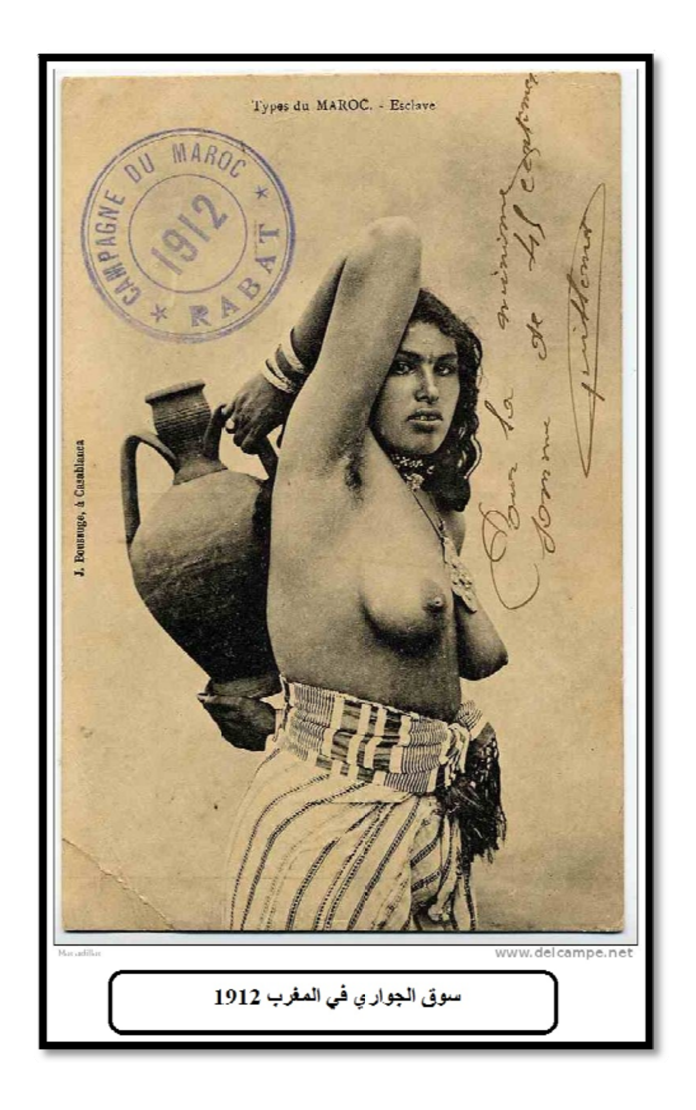
فكل الذين يُقتلون في سبيل الله شهداء يدخلون الجنة إلا العبد الهارب من سيده.

[4] Ibn Warraq, Why I am not a Muslim, p231.

[5] وجيهة الحويدر، شفاف الشرق الأوسط في 26 مايو 2005.
[6] الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، كتاب الصلاة.
[7] الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي، حديث رقم 2958.

هل يمكن أن نأمل بعد هذا أن يحاول المسلمون في عام الذكرى المئوية الثانية لتحريم تجارة الرقيق، التكفير عن جميع المآسي التي سببوها للناس يوم امتلكوهم وباعوهم، بأن يعتذر الجامع الأزهر إنابةً عن المسلمين السنة، وتعتذر المرجعيات الشيعية في إيران وفي العراق إنابةً عن الشيعة في جميع البلاد الإسلامية؟
لا أظن أن ذلك سوف يحدث لأن الاعتذار يعني الاعتراف بالخطأ والمسلمون لا يخطئون إطلاقاً

- لأنهم خير أمة أُخرجت للناس،
- ولأن نبيهم معصوم،
- وأئمة شيعتهم معصمون،
- والكل يمتلك الحقيقة الكاملة،
- **ولو كانت تجارة الرقيق خطأ فلا يمكن أن يكون القرآن قد أباحها وأكد على ذلك رسول الإسلام وجميع المعصومين.**



سوق الجواري في المغرب 1912

عودة إلى الفهرس

47 - الإسلام وجراب الحاوي

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=87085

† الحاوي (الجمع حُواة) الَّذِي يُرَبِّي الحَيَّاتِ وَيَقومُ بِأَعْمالٍ عَجيبَةٍ بِحيلَةٍ.

معجم المعاني
www.almaany.com

عندما كنت طفلاً كان يزور مدينتنا **حاوي**† يحمل جراباً سحرياً يُخرج لنا منه الأرانب وبيض الدجاج والفواكه، وكل ما كان يخطر بعقولنا الغضة وقتها. وقد كان إعجابنا بالحاوي شديداً *حتى أنه كاد يفوق إعجابنا بالنبي* الذي أخبرونا أنه كان باستطاعته أن يفعل أي شيء يخطر ببالنا، تماماً كما كان يفعل الحاوي.

وبالطبع، فإن **فكرة جراب الحاوي فكرة مترسخة في الإسلام** منذ أن جاء القرآن بقصة موسى الذي ألقى عصاه فانقلبت ثعباناً أكل كل ثعابين الحواة المصريين. وجاء محمد وألقى قرآنه الذي أكل ما قبله من الكتب السماوية.
والسحر والإسلام توأمان منذ أن سحر لبيد بن الأعصم النبي ورمى السحر في بئر ذروان، فأصبح النبي يُخَيل إليه أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، كما قالت زوجته عائشة.[1]

ونتيجةً لتأثر الفقهاء بالسلف الصالح، فقد أصبح فقهاء الإسلام حواة يخرجون من القرآن والسنة كل ما يخطر ببال بشر.

- فإذا أردت أن تقول إن الإسلام *دين السلام والحب*، يأتوك بآيات كثيرة مثل:

{**ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم.** (فصلت 34)}.

- وإذا أردت *الحرب والدمار*، فالآيات أكثر:

{**قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.** (التوبة 29)}.

وكذلك من نفس السورة:

{**يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين**}.

والذين يلونكم من الكفار تعني أقرب الكفار منكم سكناً، أي جيرانكم.

ونحن نعلم أن جراب الحاوي به أحاديث كثيرة تحض على حب الجار، كالحديث الذي اخرجه مسلم والبخاري [**عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**]. *ويظهر هنا التناقض الغريب في معاملة الجار في القرآن ومعاملته في السُنة*. وينطبق هذا التناقض على القرآن والسنة جميعهما، فليس هناك آيةٌ أو حديثٌ إلا واحتوى جراب الحاوي على نقيضه.

وشيوخ الإسلام في هذه الأيام قد اتقنوا دور الحاوي وأصبحوا لا يسافرون إلى أي مؤتمر، وما أكثر مؤتمراتهم، إلا ويحمل كل منهم جرابه معه.

- ❖ وخير مثال على ذلك هو ‹مؤتمر الدوحة› الذي عُقد في الفترة 20-22 يناير 2007 في قطر لمحاولة التقارب بين المذاهب الإسلامية.

ومع كثرة المذاهب الإسلامية التي لا يعترف بها أهل السنة، فقد اقتصرت الدعوة للمؤتمر على فقهاء السنة والشيعة. ورغم أن البخاري الذي يؤمن به أتباع كلا المذهبين، يقول على لسان نبي الإسلام: [**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**]، ورغم أن القرآن يقول: {**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي بغت حتى تفئ إلى أمر الله فإن فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا إنّ الله يحب المقسطين. (الحجرات 9)**}، فرغم كل هذا الحرص من الله ورسوله على وحدة المسلمين وعدم الاقتتال بينهم، نجد أن الفقهاء الذين اشتركوا في مؤتمر الدوحة، *ما كان يعنيهم القتال الدائر بين المسلمين في العراق وسفك الدماء اليومي* الذي طال حتى الآن أكثر من مائة وعشرين ألف شخص، *بقدر ما كان يعنيهم تحول بعض السنة العراقيين إلى المذهب الشيعي، أو العكس*.
فبعد أن أخرج كل مشترك من جرابه أحاديثٍ وآيات يحاول بها إثبات تفوق مذهبه على المذهب الآخر، وبعد أن تلاسنوا وتشاجروا في أهمية واحترام السيدة عائشة، زوجة الرسول الطفلة، والتي يحتقرها الشيعة لمواقفها العدوانية من الخليفة علي بن أبي طالب، في حين يبجلها أهل السنة لأن النبي كان يفضلها على أزواجه الأخريات وقال عنها [**خذوا نصف دينكم من الحميراء**]، اتفق الحواة على أن يختلفوا، وأصدروا قرارات أبخس من الأجربة التي يحملونها، وقالوا في إحدى هذه القرارات:

"لا يجوز التبشير لمذهب التشيع في بلاد أهل السنة أو للتسنن في بلاد الشيعة".

وأضاف الشيخ القرضاوي، كبيرهم الذي علّمهم السحر، ورئيس اتحاد علماء المسلمين الذي يضم ممثلين من الشيعة، مخاطباً الحواة الشيعة:

"ماذا ينفعكم أن تدخلوا بلداً سنياً وأن تحاولوا أن تكسبوا أفراداً للمذهب الشيعي؟" وأضاف كذلك: "لا يجوز أن يحاول مذهب نشر مذهبه في بلاد خالصة للمذهب الآخر".

وإذا أخذنا في الاعتبار بأن المؤتمر عُقد لمحاولة التقارب بين المذهبين: السني والشيعي، ندرك مدى عقم الفكر الديني الإسلامي وعدم مقدرته على التقدم والتأقلم مع الواقع، وعدم مقدرته على الخروج من الصَدَفة السلفية التي تقوقع فيها على مر العصور.

فالإسلام طوال تاريخه الطويل لم يعرف التبشير إذ كان قد انتشر بالغزوات والسيف، ولم يعرف حرية الاختيار في العقيدة.

والمأساة الكبرى في عالمنا أن الحواة يشدون الرحال للمؤتمرات العالمية وفي جعبتهم القرارات المسبقة التي لا بد أن يرجع بها كل فريق، ويتعشمون بنهاية المؤتمر أن يكون كل فريق بما لديهم فرحين. *وطبعاً المؤتمرات لا تعمل بهذه التقنية الإسلامية، فمؤتمرات التحاور تستدعي تنازل كل فريق عن بعض المواقف حتى يلتقي المؤتمرون في نقطة سواء بينهم*.

- ❖ فمثلاً عندما هاج العالم الإسلامي وماج مع قصة الرسوم الكاريكاتيرية عن النبي محمد ودعت الدنمارك رجال الدين المسلمين إلى مؤتمر يُعقد في كوبنهاجن للتقارب بين وجهات النظر ومحاولة حل الأزمة، طالب رجال دين مسلمون في كوبنهاگن الدنمارك بتقديم اعتذارات رسمية وذلك قبل افتتاح مؤتمر يفترض أن يسهم في اخماد التوتر الناجم عن قضية الرسوم الكاريكاتورية للنبي محمد.

وقدم هذا الطلب الداعية المصري عمرو خالد في مؤتمر صحافي قبل افتتاح المنتدى حول الحوار الثقافي والديني الذي ترعاه وتموله الحكومة الدنماركية في كوبنهاگن بمشاركة خبراء مسيحيين ومسلمين.[2] وأضاف عمرو خالد:

"إن على الحكومة الدنماركية أن تقوم بعدة أشياء، عليها أن تقدم اعتذارات وحتى الاعتذارات لا تبدو كافية نظرا للمشاكل المتراكمة لهذه القضية" انتهى.

[1] صحيح البخاري، كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر.
[2] إيلاف، 10 مارس 2006.

فإذا كانت هذه مطالب عمرو خالد قبل بدء المؤتمر، ماذا سوف يناقشون في المؤتمر؟ وكنتيجة لهذه القرارات المسبقة فقد فشل مؤتمر كوبنهاگن ولم يخرج بأي قرارات ولم تعتذر الحكومة الدنماركية. *واستفاد الحواة من رحلة إلى الدنمارك التي لم يكونوا قد زاروها من قبل.*

- وإذا نظرنا إلى مقررات ‹مؤتمر الفقه الإسلامي› في دورته الخامسة التي عُقدت في مسقط، نجد قراراً يقول:

"إنه لا يجوز أن يؤدي تجديد الخطاب الإسلامي، بدعوى مواكبة المتطلبات والمعطيات العصرية، إلى **تغيير الثوابت أو التخلي عن أي مبدأ من مبادئ الإسلام** أو الأحكام الشرعية المقررة."

وطبعاً كل شيء في الإسلام من معاملة المرأة إلى معاملة الذمي، إلى امتلاك العبيد والجواري، هو من الثوابت، وهذا يعنى أنه لا تجديد في الإسلام ليواكب العصر. ولا بد أن هذا القرار كان قد أُتخذ قبل بدء المؤتمر، ونستطيع أن نخمن أنه أُتخذ منذ تكوين ‹رابطة الفقه الإسلامي›. *فإذا كان هذا هو موقف الفقهاء من التحديث ومعاملة الآخر، فما فائدة عقد المؤتمرات؟*
وأغلب مؤتمرات الحوار *لا تفعل أكثر من إعادة إختراع العجلة عدة مرات.*

- فإذا أخذنا مؤتمر مكة الأخير الذي عُقد لمحاولة وقف الاقتتال في العراق، وسموا قرراته - وثيقة مكة - ووقّع عليها علماء من السنة والشيعة، ورد فيها تأكيد على حرمة *إراقة الدم العراقي وتحريم تكفير المسلمين ودعوة لتعزيز المصالحة الوطنية في العراق.*[3]

فهل كنا نحتاج إلى عقد مؤتمر لنعرف أن الدم العراقي (المسلم وغير المسلم) حرام في العرف الدولي، ودم المسلم فقط حرام في العرف الإسلامي؟ ألا يعرف كل طالب في المرحلة الإعدادية في البلاد الإسلامية الحديث الذي يقول: [**المسلم على المسلم حرام، ماله ودمه وعرضه**]؟ ألا يعرف كل تلميذ ثانوي في البلاد الإسلامية الآية التي تقول: {**وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأً ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله. (النساء 92)**}؟ وكالمتوقع من حواة المسلمين الذين يشابهون الشعراء في أنهم *يقولون ما لا يفعلون*، فقد زاد الاقتتال بين السنة والشيعة بعد هذا المؤتمر الذي وقّع على قراراته نفس الحواة الذين يدعمون مليشيات الموت والتفجير في العراق.

ومشكلة المسلمين هي أنهم لا يهتمون للنتائج بقدر اهتمامهم بمظهر الوحدة بين المسلمين، وأنهم على حق ما داموا مجتمعين لأن نبيهم قال: [**لا تجتمع أمتي على ضلال**]. وما أبعد الاجتماع عنهم.

والمذاهب الإسلامية الرئيسية: المالكي والشافعي والحنفي والحنبلي والجعفري والإباضي والزيدي والظاهري، رغم الخلاف بينهم، يتفقون على أن الإسلام هو الدين الوحيد المقبول عند الله وأنه أحسن الأديان وأن نبيه خير العباد. وكلهم يتفقون على ولاية الفقيه أو الحاكمية الإلهية التي تجعل من الإسلام ديناً ودولة.

وبما أن الإسلام أفضل من الأديان الأخرى فإن أتباعه ليسوا على استعداد لأن يتعلموا من أخطاء الأديان التي سبقتهم.

فالكنيسة قبلهم قد جعلت من المسيحية ديناً ودولة وحكمت البابوية الكاثوليكية أوروبا بالإنابة عن الله عدة قرون. وعندما جاء كالڤن وأقام أول دولة دينية بروتستانتينية في سويسرا في القرن السادس عشر الميلادي، وزعم أنّ البروتستانتية دين ودولة وأنه يحكم بإسم الإله الحق، صدقه الجهلاء والمعدمون وهللوا لله وكبروا. ثم أفسدته السلطة الإلهية التي تقمصها دون أن يتسلح بالعلم السياسي الذي يستدعي نوعاً آخراً من الحاكمية غير التي يطبقونها بالإنابة عن الله. فحاكمية السماء غير حاكمية البشر. الله، إنْ كان موجوداً، يحكم الأفلاك ودورانها وجميع القوانين الطبيعية، لكنه لا يحكم خليفته في الأرض، فهو، كما يقول القرآن، جعله خليفته في الأرض والخليفة يتصرف حسب ما يراه مناسباً ثم يحاسبه الذي استخلفه. فالله لو أراد أن يحكم الناس لنزل إليهم وحكم فيهم. ولأن الكنيسة الكاثوليكية وكذلك البروتستانتيه لم تكونا تحكمان بتفويض من الله كما زعم قادتهما، فقد تعثرت خطى الكنيستين لعدم ملاءمة قوانينهما السماوية لمجريات الأمور على الأرض، وفشلت الحكومتان وتشتت قادتهما وأتباعهما إلى مذاهب عدة لا يعترف أي منهم بالآخرين. ومع أن كتب الأحاديث الإسلامية تنقل لنا حديثاً عن نبي الإسلام المعصوم والذي كان يعلم الغيب كما يزعمون، يقول فيه للمسلمين:

[**ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إنْ كان منهم مَن أتى أمه علانية لكان من أمتي مَن يصنع ذلك، وإنّ بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملةً واحدةً**][4]،

نجد حواة المسلمين يصرون على الغوص في أجربتهم والإتيان بمقولتهم المشهورة عن وحدة هذه الأمة التي يستحيل لها أن تتوحد لاعتقاد كل فريق منهم أنهم يمتلكون الحقيقة المطلقة وغيرهم على ضلال. فعلى المسلمين أن يقبلوا أن رسولهم كان على حق وأنهم قد تفرقوا إلى ثلاث وسبعين فرقة ولن يتوحدوا أبداً، أو أنّ نبيهم كان مخطئاً وهم أمة واحدة.
وليس هناك من شك في أنّ حكوماتهم الإسلامية وقوانينهم الإلهية المبالغة في قسوتها وعدم إنسانيتها، سوف تفشل كما فشلت حكومات الكنائس قبلهم. وقد ظهر هذا جلياً في الحكومات الإسلامية *منذ العهد الأموي حتى الآن*، بما في ذلك الحكومات الحديثة مثل طالبان وحكومة الملالي في إيران وحكومة الترابي في السودان وحكومة المحاكم الإسلامية في الصومال، والآن تفشل أمام أعيننا الحكومة الشيعية في العراق. فهل يتعظون؟
وفي زمان غابر عندما كان الجهل يسود المجتمعات الإنسانية زعم أياكس Aeacus ابن الإله زيوس، عندما قضى مرض الطاعون على جيشه، أنه حوّل النمل إلى رجال يحاربون في جيشه وصدّق العامة المتشوقون إلى الإيمان هذه الخرافة، كما يصدق المسلمون أنّ النملة تحدثت إلى بقية النمل ونصحتهم بدخول جحورهم حتى لا يطأهم سليمان وجنوده. وبما أن الإسلام يعتمد في إقناع الناس به، بعد السيف، على الغيبيات والمعجزات التي تتغلب على قوانين الطبيعة، فإن أتباعه لا يختلفون عن أتباع أياكس، ولذلك يسهل على الحواة المسلمين تكرار الخديعة بإخراج معجزات جديدة من أجربتهم كلما فشل المجتمع الإسلامي في سعية نحو الوحدة المزعومة.
فمثلاً يردد لنا الحواة:

{**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا.** (آل عمران 103)}.

وليس هناك من يسأل الحاوي:

لماذا ألّف الله بين قلوبهم في بداية الإسلام وهم قلة وكان يمكنهم أن يؤلفوا بين قلوبهم بأنفسهم نسبةً إلى قلة عددهم وكونهم ينتمون إلى قبيلتين فقط هم الأوس والخزرج، والآن هم أكثر عدداً وأكثر عداوة لبعضهم البعض واكثر تفرقاً واختلافاً، لماذا لا يوحد الله بينهم فيصبحون بفضله إخوانا؟ هل تخلى الله عن خير أمة أخرجت للناس، أم أن الحواة مازالوا يسيطرون على العقول ويمنعونها من التفكير بمثل هذه الأسئلة؟

وخلاصة القول إن الأقطار الإسلامية إذا أرادت أن تلحق بركب الحضارة فعليهم رجم الحواة وفصل الدين عن الدولة كما فعلت أوروبا بعد تجارب مريرة لا داعي لتكرارها في البلاد الإسلامية *لأن التاريخ يعيد نفسه وما حدث في أوروبا سوف يحدث في البلاد*

[3] الشرق الأوسط 23 أكتوبر 2006.
[4] تحفة الأحوذي، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة.

الإسلامية شاءوا أم أبوا. فالدين يجب أن يكون أمراً خاصاً بين الشخص ومعبوده، والدولة والحكومة أمرٌ يخص جميع الناس ويعتمد على تجاربهم وحاجاتهم ولا دخل للغيبيات به.

عودة إلى الفهرس

57 - المؤتمرات الإسلامية وطواحين الهواء

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=92916

أطلت علينا الصحف العربية في الأسبوع المنصرم بخبرين في غاية الأهمية، بالنسبة لمحرري الصحف وربما للقراء. الخبر الأول كان عن اجتماع زعماء العرب في قمتهم المنعقدة بالرياض في استضافة الملك عبد الله بن عبد العزيز. والخبر الآخر كان المؤتمر العام التاسع عشر ‹للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية›، والذي عُقد في القاهرة بالتزامن مع مؤتمر القادة والملوك العرب. والمؤتمرات الإسلامية في العادة يحضرها مندوبون من حوالي أربعين دولة من دول العالم. وكل وفد في العادة به خمسة إلى ستة أعضاء أو أكثر. واستمر هذا المؤتمر في القاهرة أربعة أيام وأصدروا بيانهم الختامي يوم 30 مارس 2007. فماذا قرر هؤلاء العلماء والفقهاء الجهابذة؟ احتوى بيانهم الختامي عل الآتي:

1. دعا المشاركون في المؤتمر العام التاسع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية إلى **تجديد الفكر الديني**، وحماية المسجد الأقصى من الاعتداءات الإسرائيلية، مؤكدين تمسكهم بحق الشعب الفلسطيني في تكوين دولته المستقلة وعاصمتها القدس، وإنهاء الحصار الاقتصادي الظالم المفروض عليه.
2. شددوا على **حق الدول في امتلاك الطاقة النووية** للأغراض السلمية، قائلين إنه لا خيار أمام المسلمين إلا التفاعل مع مستجدات العصر ومواكبة انجازاته حتى لا يعزلوا أنفسهم عما يدور حولهم من تطورات.
3. طالبوا **بتعزيز الحوار** بين الأمة الإسلامية والعالم على أسس الاحترام والتكافؤ والمصالح المتبادلة، **والتصدي** لدعاوى ونظريات صدام الحضارات والأديان.
4. وأضافوا أن المسلمين في عالمنا المعاصر يقفون في مفترق الطرق وهم يواجهون ظاهرة العولمة... مؤكدين ضرورة العمل على الاستفادة مما تتيحه العولمة من فرص ومكاسب وحماية مجتمعاتهم مع الحفاظ على هويتهم وخصوصيتهم الحضارية وقيمها الدينية والثقافية.
5. وشدد بيان القاهرة على **ضرورة تجديد الفكر والخطاب الديني** والمواءمة بين **الحفاظ** على هويتنا **وثوابتنا** وخصائصنا الحضارية **والانفتاح** في ذات الوقت على كل الحضارات والثقافات والأديان.
6. وأكد أن علاج مشكلات أمتنا الإسلامية يتطلب أولا **ضرورة التشخيص الدقيق** لما تعانيه الأمة من مشكلات وما تواجهه من تحديات حتى يكون العلاج ناجحا ومفيدا من أجل إخراج الأمة من محنتها في عالم اليوم الذي لم يعد يحترم إلا الأقوياء.

وفي الظاهر تبدو القرارات منطقية ومعقولة، *ولكن عندما نتفحصها يتبين لنا خلوها من المضمون وعدم أهميتها*. فالقرارات الأربعة الأولى هي نفس القرارات التي اتخذتها قمة الرؤساء والملوك العرب المنعقدة في نفس الوقت في الرياض، والتي تملك عضلاتٍ سياسية أكبر بكثير من عضلات "المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية". فهل يمكن للقرارين الأخيرين أن يُبررا عقد مؤتمر في القاهرة استمر أربعة أيام وحضره كل هؤلاء العلماء، وبالتزامن والتنافس مع مؤتمر الرؤساء والملوك العرب؟ لا اعتقد ذلك.

ودعونا الآن نتفحص تلك القرارات.

فتجديد الفكر الديني ما هو إلا **عصا سحرية** يلوّح بها رجال الدين من وقت لآخر للإيحاء لنا بأن شيئاً مهماً سوف يحدث للخطاب الديني يجعله يواكب العصر الحديث. ولكن هذه المقولة قد مللناها لكثرة ترديدها في كل المؤتمرات الإسلامية *دون تحديد ما يقصدون*. فما هو التحديث الذي ينوون القيام به؟ **لا شيء على الإطلاق**. فكما ناقض القرآن نفسه قبلهم، يناقض فقهاء المسلمين أنفسهم. فالقرار الخامس يقول:

(ضرورة تجديد الفكر مع المواءمة بين الحفاظ على هويتنا وثوابتنا).

والمنطق يخبرنا أن الثوابت لا تتحرك ولكن تتآكل مع الزمن. فالأهرامات ظلت رابضة في مكانها منذ حوالي أربعة آلاف عام لم تتحرك ولكن رمال الصحراء والزمن قد نالا منها بينما مياه النيل الذي هو أقدم من الأهرامات ربما بملايين السنين، تتجدد كل يوم لأنها متحركة ولم يتآكل النهر بل زاد اتساعاً. *فالجامد والثابت أبداً إلى زوال*. فكيف ينوون تحديث الخطاب الديني مع الحفاظ على الثوابت؟ أليست الثوابت هي التي أدت إلى تفرقة المسلمين إلى مذاهب عدة؟ فجميعهم يتفق على أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والجميع يؤمن بالحج والزكاة والصلاة والصوم. ولكن ثوابت كل مجموعة من المسلمين هي التي حملتهم على التعصب لها والانسلاخ من جسم الأمة التي بدأت واحدة، وسرعان ما أذرت بها الثوابت. فثوابت أهل البيت الاثني عشرية غير ثوابت السنة، غير ثوابت العلوي أو الإباضي أو الزيدي. فإذا حافظ كل فريق على ثوابته، فلن يحدث التغيير والتحديث.

ثم أن هذه الدعوة قد سمعناها عدة مرات في السنوات العشر الأخيرة. فماذا جدد المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية طوال تلك السنوات الماضية، غير مكان اجتماعهم السنوي؟

ثم دعا المجلس لحماية المسجد الأقصى من الحفريات الإسرائيلية. وكعادة المسلمين، لأن رسالتهم كانت آخر رسالة جاءت وظهرت عل الرسالات الأخرى، كما يدّعون، فلا بد أن تطغى حاجاتهم ومطالبهم على حاجات ومطالب الآخرين. فالثابت تاريخياً أن الهيكل اليهودي كان قد بُنيّ في نفس الموقع قبل الميلاد عندما كانت مملكة بني إسرائيل قائمةً. وهدمه الرومان نهائياً عام سبعين ميلادية. وجاءت المسيحية وبنى أهلها كنيسة القيامة في موقع الهيكل القديم أو قريباً منه. وعندما جاء الإسلام في القرن السابع الميلادي وقال {سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى} لم يكن أي من المسجدين قد وُجد فعلياً. فالمسجد الأقصى كان عبارة عن كنيسة القيامة وبقايا المعبد اليهودي. أما مسجد الصخرة فقد أشاده الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان لأسباب سياسية لأن عبد الله بن الزبير كان وقتها مسيطراً على مكة، وأراد مروان لفت أنظار المسلمين إلى القدس، فأنشأ مسجد الصخرة عام 72 هجرية (692 م). ورممه الخليفة المأمون عام 216 هجرية (831 م). فالحق في الموقع بالأقدمية التاريخية يرجع إلى اليهود ثم المسيحيين ثم المسلمين. فلماذا يصبح الموقع حكراً على المسلمين ويطلبون من الأمم المتحدة منع إسرائيل من التنقيب عن تراثهم تحت المسجد الأقصى بينما يحاول المسلمون الحفاظ على تراثهم وثوابتهم؟

ثم شددوا على حق الدول في امتلاك الطاقة النووية للأغراض السلمية قائلين إنه لا خيار أمام المسلمين إلا التفاعل مع مستجدات العصر ومواكبة انجازاته حتى لا يعزلوا أنفسهم عما يدور حولهم من تطورات. يالها من لفتة بارعة من المجلس الإسلامي، ولا أدري أين كان هذا المجلس وأين كان المسلمون منذ عام 1946 عندما كوّنت أمريكا منظمة الطاقة النووية تحت إمرة العالم اليهودي أوبنهايمر Oppenheimer الأب الفعلي للقنبلة الذرية. لقد بدأت أمريكا والعالم الغربي التجارب على الطاقة الذرية منذ ذلك الوقت، للأغراض الحربية والسلمية. وبدأ اليهود منذ ذلك لوقت، أي قبل قيام دولة إسرائيل بالتفكير في الطاقة الذرية واستعانوا بأوبنهايمر الذي أقالته الولايات المتحدة من هيئة الطاقة الذرية في عام 1952 للشكوك التي حامت حول تعاونه في نقل التقنية لدولة إسرائيل. وفي بداية السبعينات من القرن المنصرم كانت أغلب الدول الغربية قد أنشأت مفاعلات ذرية، بينما كان المسلمون ومجالسهم مشغولين بالحفاظ على التراث ومنع النساء المصونات من التبرج. ألم يشعروا وقتها أنهم يعزلون أنفسهم عن مستجدات العصر؟ وهل مستجدات العصر انحصرت في الطاقة الذرية؟ ماذا حدث لمستجدات العصر في الديمقراطية وحقوق الإنسان وتعلّم العلوم الحديثة بدل حفظ القرآن وإجراء المسابقات السنوية عليه. هل عقول الأطفال النامية عندما نحشوها بحفظ التراث تستطيع أن تجاري مستجدات العصر؟ وليعذرني القارئ فإن هذا القرار يذكرني بالمثل اللبناني (محل ما خرى شنقوه). فالحفاظ على التراث هو مأساتنا.

وطالبوا كذلك بتعزيز الحوار بين الأمة الإسلامية والعالم على أسس الاحترام والتكافؤ والمصالح المتبادلة، والتصدى لدعاوى ونظريات صدام الحضارات والأديان. لله درهم. يقولون ما لا يفعلون. *أي أديان سوف يتحاورون معها. هل يعترف الإسلام بأي دين آخر؟* ألم يقل القرآن:

{هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. (التوبة 33، الصف 61)**}.**

وكررها للمرة الثالثة باختلاف بسيط:

{هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا. (الفتح 28)**}.**

فدين الحق هو الإسلام وما عداه دين الباطل. فهل يحاور المسلمون أهل الباطل. معاذ الله من ذلك.

وإذا لم يقنعنا القرآن بهذه الآيات أن الدين الوحيد هو الإسلام، تعالوا نسمع فقهاء العصر الحديث ماذا يقولون:

"لا يجوز لأحد أن يعتقد أن دين اليهود والنصارى الذي يدينون به اليوم دين صحيح مقبول عند الله مساو لدين الإسلام، بل مَن اعتقد ذلك فهو **كافر** خارج عن دين الإسلام، لأن الله عز وجل يقول {**إن الدين عند الله الإسلام**} ويقول {**ومَن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه**}. وهذا الإسلام الذي أشار الله إليه هو الإسلام الذي امتن الله به على محمد صلى الله عليه وسلم وأمته"[1].

فمع مَن سيتحاورون؟ هل هم يضحكون على أنفسهم أم على عباد الله المغفلين؟

وأكد بيان القاهرة أن علاج مشكلات أمتنا الإسلامية يتطلب أولا ضرورة التشخيص الدقيق لما تعانيه الأمة من مشكلات وما تواجهه من تحديات حتى يكون العلاج ناجحا ومفيدا من أجل إخراج الأمة من محنتها في عالم اليوم الذي لم يعد يحترم إلا الأقوياء.

وبما أني طبيب ولي خبرة طويلة في التشخيص فسوف أشخص لهم مشاكل الأمة الإسلامية وآمل أن يجدوا لها العلاج. أولاً علينا بالتشخيص:

1. الأمة الإسلامية تعاني **من حالة انفصام شخصية حاد يوهمها أنها تمتلك الحقيقة الكاملة** ويمتلك غيرهم السراب، بينما ينظرون حولهم ويرون أن غيرهم يمتلك الحقيقة وقد تقدموا وتطوروا بحقائقهم بينما قبع المسلمون في قصور من رمال.
2. المسلمون يعيشون في **وهم أنهم** خير أمة أخرجت للناس وينسون أن القرآن قال: وكنتم خير أمة. وكان، كما نعلم كلنا، تفيد الماضي. المسلمون أمة ينخر عظامها *النفاق والكذب* ويقولون ما لا يفعلون ويفعلون مالا يقولون ويخادعون أنفسهم.
3. المسلمون لن ينجحوا أبداً لأنهم **عطلوا نصف مجتمعاتهم بعزلهم المرأة عن المجتمع** حفاظاً على عفة وهمية لا توجد إلا في مخيلتهم الجمعية. ولكن كأفراد كلٌ منهم يعرف أنه يخون نفسه ودينه مع امرأة لا تحل له ولكن في الخفاء. ومنهم أعداد غفيرة يخونون دينهم مع الغلمان لأنهم لا يستطيعون صبراً حتى يدخلوا الجنة الوهمية المليئة بالغلمان.
4. مَن ندعوهم بالعلماء المسلمين **أغلبهم يركض خلف منافعه الشخصية** ويسيل لعابه وراء عقد مع إحدى الفضائيات، أو إحدى الشركات الاستثمارية السعودية، ليتقيأ لنا فتاوى أكل الدهر عليها وشرب وقد استقاها من أناس ماتوا قبل ألف وأربعمائة عام وهو يعرف أن أبا هريرة أو ابن عباس لن يظهر اليوم ليقول لنا إنه لم يقل تلك الأحاديث. فهؤلاء العلماء لا يمتون للعلم بصلة.
5. شيوخ الإسلام لا يعرفون غير أن يكونوا **وعاظ سلاطين يحللون للسلطان ما يريد**. فهم يقولون لنا مثلاً إن التصوير حرام ولا تدخل الملائكة بيتاً به صورة، ويدخلون قصور الأمراء والملوك ومكاتب الدولة ويرون صور ملوكهم وقادتهم تسد علينا ضوء الشمس ولا ينبسون ببنت شفة.
6. المسلمون **يغسلون عقول أطفالهم** - قادة المستقبل - ويحببون لهم نبذ الدنيا والتركيز على الآخرة. فكيف تتقدم بلد قادتها الجدد ينبذون الحياة ويفضلون الانتحار وسط المدنيين في الأسواق، حتى يضمن أحدهم أن يتعشى مع رسول الله ويبيت مع حورية في الجنة.
7. المسلمون يأبون الاستفادة من الحضارة الغربية على أساس أن ذلك **تشبه بالكفار** ونبي الإسلام نفسه كان يتشبه باليهود في كل شيء حتى في طريقة تصفيف شعره، كما تخبرنا كتب السيرة. والإنسان بطبيعته حيوان مقلد. الإنسان منذ طفولته يتعلم بتقليد غيره. والحضارات بُنيت بتقليد الغير.
8. المسلمون **مدمنون على الكلام والمؤتمرات واتخاذ القرارات التي لا يمكن أن تُنفذ لأنها مبهمة المعنى،** فمثلاً قرر مجمع الفقه الإسلامي في مؤتمرهم المنعقد في مسقط في مارس 2004

"تركز عملية أسلمة المناهج على صياغة مناهج التعليم والتربية بأهدافها ومحتواها وأساليبها وطرائق التقويم في إطار التصور الإسلامي الكلي الشامل للإنسان والكون والحياة، وذلك بهدف إعداد إنسان صالح ملتزم بقيم دينه *وقادر على القيام بمهمة الخلافة في الأرض وعمارتها وفق المنهج الإسلامي*."[2]

فهل يستطيع أحد أن ينفذ قراراً مبهماً كهذا؟ واتخذ نفس المؤتمر قرار:

"الالتزام بالقيم الإسلامية عند تقويم الأداء في العملية التعليمية والتربوية مع الاستفادة من طرائق التقويم الحديثة وتحقيق التنسيق المطلوب وتبادل المعلومات بين الأقطار الإسلامية." يعني يجب أن نتبع طريقة الخليفة عمر في تقويم تدريس الكيمياء والفيزياء وما شابه ذلك.

وأصدر مؤتمر رابطة الجامعات الإسلامية في مؤتمره السابع المنعقد في بيروت في مايو 2004، إعلاناً بشأن نهضة الأمة من خلال التعليم الإسلامي، قال فيه:

"إن تطوير الدراسات الإسلامية يعتبر قضية محورية في تقدم الأمة الاسلامية، وضرورة من ضرورات الاستمرار."

فلأن هناك *المعلوم من الدين بالضرورة*، أصبح تقدم الأمة عن طريق تطوير الدراسات الإسلامية، ضرورة. وحتى لا تفوت علينا الفرصة، أكد المؤتمر:

"إن التعليم الإسلامي هو الأساس لتطوير المجتمعات الإسلامية ورقيها، وتحقيق أهدافها في التقدم. كما أن التعليم الإسلامي هو السبيل لتربية جيل مؤمن بربه، مخلص لوطنه وأمته، وعامل على تسخير كافة العلوم لخدمة البشرية، والتعليم الإسلامي صمام أمان في مواجهة دعوات الغلو والتشدد أو التفريط والتبعية."[3]

والتعليم الإسلامي هو الذي يستطيع أن يغير شخصاً مثل الظواهري، من طبيب إلى داعية للقتل والإرهاب. ونفس التعليم الإسلامي هو الذي غير سيد قطب من دارس للعلوم الحديثة في أمريكا إلى منظّر ومقنن للاغتيالات السياسية كوسيلة لإيجاد دولة الإسلام.

ويظهر تناقض مقررات مؤتمراتهم في القرارات التي اتخذها مؤتمر علماء المسلمين المنعقد بالأردن في يوليو 2005، حين قرروا:

"إدانة وعدم جواز مبدأ تكفير أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى وتحريم دمائهم وأعراضهم ومالهم، مشددين على ضرورة احترام الرأي والرأي الآخر في العالم الاسلامي."

والمذاهب المقصودة كانت: المذاهب السنية الأربعة والمذهب الجعفري والزيدي والإباضي والظاهري. وأكد المؤتمر أن هذا القرار أتخذ

"استنادا لفتاوى شيخ الجامع الأزهر، محمد سيد طنطاوي، وآية الله العظمى علي السيستاني ومفتي مصر الشيخ علي جمعة والمراجع الجعفرية والزيدية ومفتي عام سلطنة عُمان ومجمع الفقه الإسلامي في السعودية والمجلس الأعلى للشؤون الدينية التركية ومفتي الأردن والداعية الشيخ يوسف القرضاوي."[4]

[1] فتوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين.
[2] الشرق الأوسط، 13 مارس 2004.
[3] الشرق الأوسط، 2 مايو 2004.
[4] الشرق الأوسط، 7 يوليو 2007.

ومعنى هذا أن أهل السنة يعترفون بالشيعة ويحترمون رأيهم. ولكن يبدو أن هذا الاستنتاج خطأ لأن **الشيخ القرضاوي**، الذي اشترك في إصدار القرار السابق، **طالب** في مؤتمر الدوحة لحوار المذاهب الإسلامية، الذي انعقد في يناير 2007، ب:

"وضع حد لعمليات التبشير الشيعي المبرمجة في بعض البلدان السنية، وشدد (كما نقل موقعه الالكتروني) على ضرورة وضع حد لعمليات التبشير الشيعي في بعض المجتمعات السنية، قائلا إن ‹التبشير الشيعي أمر مبرمج وترصد له ميزانيات وله برامجه العملية›."

فأي تناقض هذا بين مواقف الشيخ القرضاوي في ظرف سنتين فقط. فالذي يعترف بالآخر ويحترم رأيه، لابد أن يسمح له بنشر ذلك الرأي في عمليات التبشير التي يرمي من ورائها إلى نشر أفكاره، وهذا حق من حقوق الإنسان معترف به. ولكن في العالم الإسلامي فإن الحقوق تعني فقط حق طاعة الإمام.

وإذا كانت المذاهب الإسلامية نفسها لا تستطيع الحوار بينها، كيف يحاول المسلمون الحوار مع الديانات الأخرى التي لا يعترفون بها أصلاً ويعتبرون أتباعها كفاراً تحل أموالهم وأعراضهم، كما قال السيد محمد عمارة حديثاً في كتابه الذي طبعته ثم صادرته وزارة الأوقاف المصرية بعد فوات الأوان وتحت ضغط التهديد باللجوء إلى القضاء؟ فمسألة حوار الأديان التي تزعمتها السعودية في الأربعين عاماً الماضية ثم تبناها الأزهر، مسألة ذر للرماد في عيون الغرب. فالمسلمون لن يغيروا ثوابتهم التي تقول لادين على الأرض غير الإسلام. وكل هذه المؤتمرات الإسلامية لن تغير قيد أنملة في تقهقر الأمة الإسلامية إلى الوراء.

فمؤتمراتهم طواحين هواء تدور بدون أن تطحن لنا قمحاً (مستورداً) أو تنتج لنا كهرباء.

عودة إلى الفهرس

جارتي الإنـگليزية امرأة في العقد السابع من عمرها ولكنها تبدو وكأنها في العقد الخامس، وهي امرأة متعلمة ومتحدثة من الطراز الأول. مشكلتها الوحيدة أن سمعها قليل ولذلك تستعمل جهازاً صغيراً تضعه في أذنها ليساعدها على التقاط الأصوات. وهي امرأة متدينة ومحافظة. عندما نلتقي في بيتها أو بيتي ونتحدث عن السياسة أو غلاء الأسعار أو أي موضوع آخر يكون لها قصب السبق في الجدال، ولكن عندما نتحدث عن الأديان، تقفل جهاز السمع وترجع طرشى كما كانت قبل استعمال الجهاز. ومع ذلك لا تلتزم الصمت وإنما تدلي بدلوها في الموضوع ولكن دائماً يكون دلوها في البئر المهجورة التي لم نتطرق لها إطلاقاً. وكلما أقرأ شيئاً عن حوار الأديان أتذكر جارتي هذه.

والذي دفعني إلى كتابة هذا الموضوع هو التصريح الذي أدلى به كبير أساقفة انـگلترا حديثاً *بخصوص جعل الملك راعياً لكل الأديان*، وهناك عدة معتقدات في انـگلترا .وبما أن الإنسان منذ القدم اتبع ما نشأ عليه ووجد آباءه يعبدون، ظل من الصعب تغيير الاعتقاد لدى البشر. وقد عرف محمد بن عبد الله هذه الحقيقة وأكد عليها مراراً في القرآن:

{وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون. (البقرة 170)}.

وكل منتسب لدين، سواء (سماوي!!) أو أرضي، يعتقد أنه الوحيد الذي على السراط المستقيم وغيره على ضلال.

وبناءً على هذه الفرضية يصبح الحوار بين الأديان كالحوار مع جارتي، أي **حوار الطرشان**، ويستحيل أن يأتي بنتيجة إيجابية لأن كل متحاور يقفل أذنه عما يقول ممثل الدين الآخر ويتغنى فقط بليلاه ويعتقد أن أصحاب الأديان الأخرى يحسدونه على تلك القيم السمحة التي يحتويها معتقده، وكأنما لسان حال كل مشارك في حوار الأديان يقول:

أرى القميص على ليلي فأحسده   إن القميص على ما ضم محسودُ

والحوار أو المفاضلة بين الدين الإسلامي والمسيحي بدأ في القرن السابع عندما فتح العرب الشام وحاور عمرو بن العاص كبير القساوسة بأنطاكية، الأب جون الأول في عام 18 بالتاريخ الهجري. ثم استمر الحوار في القرن التاسع الميلادي عندما كتب عبد المسيح الكندي خطاباً مطولاً إلى صديقه المسلم الهاشمي قال فيه:

"لسنا نحب أن نفتخر بما لنا من السبق والنسق في العربية وشرف الآباء فيها إذ كان ذلك معروفاً غير مجهول لآبائنا وأجدادنا. ولكننا نقول كما قال الرسول بولس: ألا من يفتخر فليفتخر بالله والعمل الصالح فإنه غاية الفخر والشرف. فليس لنا اليوم فخر نفخر به إلا دين النصرانية الذي هو المعرفة بالله وبه نهتدي إلى العمل الصالح ونعرف الله حق معرفته ونتقرب إليه وهو الباب المؤدي إلى الحياة والنجاة من نار جهنم."[1]

ورد عليه طبيب القصر المسلم علي بن الطبري في كتابه (كتاب الدين والدولة) الذي كتبه بتكليف من الخليفة المتوكل في عام 855 م، وعدد فيه محاسن الإسلام. ولو حذفنا اسم الرسول بولس واسم عبد المسيح من رسالة الكندي، لزعم أهل الإسلام أنها رسالة رجل مسلم لتشابه ما تحتويه الرسالة مع ما يدعيه أهل الإسلام. ومع ذلك ظل الخلاف قائماً بين المسيحية والإسلام.

وفي العصر الحديث بدأ الحوار بين شيوخ الوهابية في السعودية وقساوسة الفاتيكان في أربعينيات القرن المنصرم واستمر حتى العام الماضي *عندما علقت السعودية الحوار بسبب الرسالة التي قدمها البابا بنيدكت السادس عشر في إحدى الجامعات الألمانية*، **واعتبرها المسلمون مسيئة لنبي الإسلام**. وإذا تفحصنا ما تمخض عنه هذا الحوار الذي استمر أكثر من ستين عاماً، نجد أن المولود كان هواءً. وهذه حالة معروفة في الطب تصيب بعض النساء العقيمات واللاتي لديهن رغبة عارمة في الإنجاب، فتتخيل الواحدة منهن أنها حامل وتنتفخ بطنها عدة أشهر ولكن بالكشف عليها يتضح أنه حمل كاذب وليس هناك ما تتمخض عنه المرأة. وتُسمى هذه الحالة في الطب Pseudocyesis † فرغم طول الحوار **ما زالت الوهابية على نفس عداوتها من الأديان الأخرى**، ولم تسمح المملكة حتى الآن ببناء كنيسة واحدة في جزيرة العرب التي لا يجتمع بها دينان، كما يقول الحديث. وما زال المسافر إلى المدينة يرى اللافتة التي تقول، وبالخط العريض **"طريق غير المسلمين"** الذي يقودهم بعيداً عن المدينة حتى لا ينجسوها. ولم تسمح السلطات السعودية حتى الآن لأي متعاقد مسيحي بإدخال الإنجيل إلى المملكة.

† الحمل الكاذب
أو
الحمل المُشبَّه

والمشكلة في حوار الأديان ليست محصورة على مسلمي السعودية وإنما تعم جميع شيوخ المسلمين الذين يسعدهم السفر إلى المؤتمرات العالمية حتى "يتبضعوا" من الخارج ويتحدثوا بلسانين: *لسان لأهل الخارج ولسان لأهل الداخل*، كما حدث أخيراً مع الشيخ علي جمعة، مفتي الديار المصرية، الذي صرح لصحيفتي "واشنطن بوست" و "نيوزويك" بأن:

حد الردة لا وجود له في الإسلام وأن عقاب المرتد يوم القيامة فقط ومتروك لله.[2]

ولكن عندما تبارت الصحف المحلية في إظهار فتواه وكثر الهجوم عليه من الأزهريين، تنكر المفتي لفتواه وقال

إن المرتد يجب أن يُقتل.

وهذه هي "فهلوة" الحوار بالطريقة المصرية، يقولون في المؤتمرات مع المسيحيين ما يراه المسيحيون تقارباً معهم، وعندما يرجعون إلى بلادهم يزعمون أن الصحف فسرت ما قالوه تفسيراً خارجاً عن السياق وأخطؤوا في الفهم.

وهي نفس الطريقة التي اتبعها الشيخ القرضاوي في حواره مع المذاهب الإسلامية الأخرى في مؤتمر الدوحة في العام المنصرم *عندما طالب الشيعة بالكف عن التبشير في المناطق السنية إذا أرادوا الشيخ أن يعترف بهم، وفي نفس الوقت أظهر الشيخ لوسائل الإعلام حدبه على وحدة الأمة الإسلامية وتفادي الخلاف بين أبنائها*.

ومما يؤكد أن الحوار بين المسيحية والإسلام لا يعدو أن يكون حوار الطرشان هو ما صرح به الأسقف د. روان وليامز Rowan Williams أسقف الكنيسة الإنجيلية بكانتربري قبل يومين تعقيباً على الاقتراح الذي تقدم به ولي العرش البريطاني، الأمير تشارلس، الذي نادى بأن يكون لقبه الرسمي عندما يصبح ملكاً هو "حامي العقائد" بدلاً من "حامي العقيدة" الذي يعني العقيدة المسيحية فقط. وعلل الأمير تشارلس طلبه بأن بريطانيا أصبحت الآن دولة متعددة العقائد رغم أن الغالبية من سكانها مسيحيون. وطالب الأسقف وليامز بأن تكون حفلة تتويج الأمير تشارلس مناسبة مسيحية فقط ولا دخل للعقائد الأخرى بها، رغم أن هناك أكثر من مليون ونصف

---

[1] النصرانية وآدابها للأب شيخو، ص 108.
[2] الشرق الأوسط 25 يوليو 2007.

المليون من المسلمين وحوالي 400000 من السيخ وقدرهم من الهندوس وحوالي 300000 يهودي، وسوف يصبح الأمير تشارلس ملكاً عليهم أجمعين حينما يُتوج.
وحسب العرف الذي سنه الملك هنري الثامن فإن لابس التاج البريطاني يكون رئيس الكنيسة الإنجيلية. وعليه أصر د. وليامز على عدم تغيير هذا العرف، وقال في مقابلة مع صحيفة الديلي تلغراف

"إن عملية تتويج الملك هي بمثابة تقديم القربان المقدس ويجري في أثنائها تمسيح الملك بالمسوح المقدس، وعليه يجب أن تكون المناسبة مسيحية بحته."

وأضاف، في إشارة واضحة لمحاولات الأمير تشارلس صهر المعتقدات العديدة في بوتقة واحدة:

"إن طقوس العبادة التي نقوم بها منزهة ولا أحب أن أرى محاولات من الهواة للتلاعب بها."

ويبدو تعصب رجال الدين وعدم رغبتهم في الحوار واضحاً من إشارة د. وليامز إلى الملك هنري الثامن مؤسس الكنيسة الإنجيلية. فالملك هنري كان أبعد الناس عن الدين، وقد أسس الكنيسة الإنجيلية كردة فعل ضد الكنيسية الكاثوليكية لأن الأخيرة رفضت فسخ زواجه من زوجته الأولى كاثرين والسماح له بالزواج من الشابة آن بولين التي أراد الاقتران بها بعد أن حملت منه. وكان الملك هنري زير نساء وتزوج ست زوجات وكان له عشيقتان، إحداهما أخت زوجته الثانية "آن بولين" التي قطع رأسها بعد أن اتهمها بالخيانة الزوجية دون أي دليل أو محاكمة. وكان السبب الرئيسي في قتلها هو عدم تمكنها من انجاب ذكر يكون ولياً للعرش. وكان الملك هنري مدمناً على القمار، *ومع ذلك أصر د. وليامز على الحفاظ على العرف الذي سنه الملك هنري رغم أنه لم يسنه حفاظاً على الدين وإنما حفاظاً على سيطرته على الكنيسة حتى تفعل الكنيسة ما يرغب به الملك*. فالدكتور وليامز لا يرغب حتى في تغيير لقب الملك ليصبح حامياً للمعتقدات الأخرى، فهل يمكن أن يتحاور هذا الأسقف مع شيوخ الإسلام أو غيرهم حواراً فعالاً؟
ونجد نفس التعصب وعدم المرونة في الحوار الدائر بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة الإنجيلية منذ عدة سنوات للتقارب بينهما فقط وليس الاندماج. فرغم الاجتماعات العديدة التي عُقدت بين الجانبين لم تتزحزح أي كنيسة عن موقفها شبراً واحداً لتتقرب من وجهة النظر الأخرى. ولا يمكن لهما أن يتقاربا لأن الكنيسة الإنجيلية قد اعترفت بحقوق المثليين وسمحت بتعيينهم قساوسة كما سمحت بتعيين النساء قساوسة وسمحت كذلك بزواج القساوسة بينما تعتبر الكنيسة الكاثوليكية هذه الأمور الثلاثة **تابوهات محظورة نهائياً**. وقد نشرت صحيفة تايمز أون لاين Times on Line مؤخراً خبراً مفاده أن 38 قسيساً يمثلون جميع مديريات الكنيسة الإنجيلية يجتمعون الآن في دار السلام بتنزانيا للاتفاق فيما بينهم على الأمور الثلاثة المذكورة أعلاه قبل اجتماعهم مع ممثلي الكنيسة الكاثوليكية فيما بعد. وهناك درجة كبيرة من الاختلاف بين قساوسة ورعايا الكنيسة الإنجيلية على السماح للمثليين والنساء بالقيام بدور القس لدرجة أن سبعة من كبار القساوسة رفضوا الصلاة مع بقية زملائهم في الكاتدرائية بدار السلام لأن زملاءهم يعترفون بتعميد المثليين وزواجهم. فإذا لم يتفق قساوسة الكنيسة الإنجيلية على هذه الأمور، كيف يمكن أن تتفق الكنيسة الكاثوليكية مع الإنجيلية، دعك من الكنيسة الأورثودكسية الشرقية، والكنيسة الكاثوليكية الأمريكية التي انتخبت أحد القساوسة المثليين أسقفاً.
أما بالنسبة للإسلام فهم لا يؤمنون أصلاً بمبدأ الحوار مع **أديان مزيفة إذ أن الدين عند الله الإسلام وما عداه فهو كفر بواح**. وأتباع الأديان (السماوية!!) الأخرى مغضوب عليهم وضالون. أما أتباع الأديان الأرضية من بوذية وهندوسية وشنتو وغيرهم فهؤلاء بالنسبة للمسلمين حيوانات مثل الأبقار التي يعبدها الهندوس {**إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون. (الأنفال 55)**}.

فهل يمكن أن يتنازل أتباع خير من وطيء الثرى وأتباع الدين الوحيد المقبول عند الله، ومتحدثوا لغة أهل الجنة التي لن يدخلها غيرهم، هل يمكن لهم أن يجلسوا على طاولة الحوار مع الحيوانات؟

فإذا كانت المذاهب الإسلامية الثمانية الرئيسية لا تعترف ببعضها البعض، والكنائس المتعددة في المسيحية لا تعترف ببعضها، كيف يمكن لشيوخ الإسلام وقساوسة المسيحية أن يقرّبوا بين الديانتين؟ من الواضح أنه لا الجنس ولا اللون ولا السياسة ولا أي أمر آخر يمكن أن يفرّق بين الناس كما تفرق بينهم الأديان. ومع ذلك لا يستطيع أي إنسان متدين أن يُثبت لنا وجود الإله الذي يدعي أنه يعبده، ذلك الإله الذي يأمره بكل هذا الخلاف مع غيره من البشر وبقتل من يخالفه في الدين والمذهب.

مرة أخرى أقول سُحقاً للأديان ودعونا نجتمع على حب الإنسان لكونه إنساناً فقط.

عودة إلى الفهرس

2007 / 4 / 14

58 - التحديات الحضارية للأمة الإسلامية

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=93917

هذا العنوان كان عنواناً للمنتدى الذي أقامه الجامع الأزهر حديثاً لخريجيه الذين أتوا من 80 دولة حول العالم للاتفاق على *استراتيجية للحوار الحضاري بين الأديان*. واتفق الحضور من خريجي الأزهر على أن:

"السياسة وليس الدين هي التي تؤجج الصراع، وأشاروا إلى أن الحوار في الإسلام يهدف إلى التعايش بين الناس بكرامة وعدل وأمن وسلام، وشددوا على ضرورة فتح حوار جاد بين الإسلام والغرب ينظر إلى فرص التلاقي التي يمكننا من خلالها تجاوز حدود التمييز بين بني الإنسان، ورسم معالم الطريق للحياة بمختلف مجالاتها، والتسليم بالتعددية الثقافية والفكرية وأثرها في بناء المجتمعات، الأمر الذي يجعل قضية الاعتراف بالآخر واحترام المقدسات تحتل أولوية في أي حوار جاد." انتهى

وبعد أن قرأت هذه الفقرة تبادر إلى ذهني أن المؤتمرين يعانون من إحدى حالتين:

- الحالة الأولى: إنهم يحاولون **خداع** الناس بالكلمات المعسولة، ويصح عليهم قول القرآن: {**يُخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون. (البقرة 9)**}.
- والحالة الثانية: إنهم يعانون من حالة مرضية يسميها أطباء الأمراض النفسية **حالة الإنكار** State of denial. وهذه الحالة تصيب المدمنين الذين يحاولون إقناع أنفسهم أنهم ليسوا مدمنين.

فإذا كان المشايخ الذين اجتمعوا في القاهرة يعانون من الحالة الأولى، فلا نستطيع أن نقول إلا: بئس الخداع من رجال يدعّون أنهم يمثلون الله على الأرض. وإن كانت الحالة الثانية، وأنا أظن أنها كذلك، لأنهم مدمنون على **أبي هريرة وابن عباس** ويحاولون أن يبدوا لنا بمظهر الأشخاص الأسوياء، فأنصحهم بالاعتراف بإدمانهم لأن الاعتراف هو الخطوة الأولى في طريق العلاج التي ربما تكون طويلة ومؤلمة وموحشة في بعض الأوقات.

لا شك أن السياسة تؤجج الخلاف بين دول العالم من وقت لآخر، ولكن الساسة يتغيرون وكذلك السياسات، وإذا نشبت حرب بسبب السياسة فإنها تدوم خمسة أو عشرة سنوات، *ولكن بما أن الدين ثابت لا يتغير فإن الخلافات والحروب التي أججها ظهور الإسلام على مسرح الحياة قد دامت أربعة عشر قرناً من الزمان، وما زالت مشتعلة في جميع أركان الدنيا من موسكو إلى نيويورك ومن إندونيسيا إلى إسبانيا*.

أي حوار إسلامي يتحدثون عنه؟ *هل الإسلام يعترف بأي دين آخر حتى نقبل دعوتهم إلى الحوار*. إذا كان السادة المجتمعون فعلاً ينوون الحوار، فعليهم أن يكونوا في **شجاعة** عمر بن الخطاب عندما ألغى العمل بآية صرف الزكاة على **المؤلفة قلوبهم** لأن حاجة الإسلام أليهم كانت قد انتهت. عليهم أن يقولوا إن الآيات والأحاديث التالية قد انتهت فترة صلاحيتها ولم تعد تتماشى والقرن الحادي والعشرين، قرن حقوق الإنسان:

{**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين.** (آل عمران 85)}.
{**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين.** (المائدة 51)}.
{**قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله مَنْ لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل.** (المائدة 60)}
{**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير.** (آل عمران 28)}.
{**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده.** (الممتحنة 4)}

الحديث
[**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**].[1]

الحديث
[**قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، لا يبقين دينان بأرض العرب**].[2]

فإذا لم ينسخوا هذه الآيات والأحاديث فلن يكون هناك أي حوار بالمعنى المفهوم للحوار في محاولة الالتقاء في نقطة تجمع بين الأطراف المتحاورة. وزيادةً من الشيوخ في ذر الرماد في العيون، قالوا:

"يجب أن يكون هناك حوار جاد بين الإسلام والغرب ينظر إلى فرص التلاقي التي يمكننا من خلالها تجاوز حدود التمييز بين بني الإنسان." انتهى.

هل يمكن للمسلمين تجاوز حدود التمييز بين بني الإنسان؟ هذا شيء من سابع المستحيلات إلا إذا نسفوا الإسلام من أصوله. فآيات القرآن تميز بين الأنبياء وبين الرجل والمرأة (**للذكر مثل حظ الأنثيين**) وشهادة المرأة نصف شهادة الرجل، والعبد والأمة مال مملوك للسيد الذي يحق له ضربهم وبيعهم ونكاحهم. ولا يُقتل الحر بالعبد ولا تُقبل شهادة العبد والحج ليس مطلوباً من العبد. أما غير المسلم فلا بد من قتاله حتى (**يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون**). فلا يكفي أنهم يُحاربون ويقتلون في ديارهم إلى أن يسلموا أو يعطوا الجزية، *ولكن لا بد من الصغار*. فأخذ الجزية بدون تصغير الذمي منافي للقرآن. والكافر لا يجوز له أن يشارك في جيوش المسلمين لأنه غير موثوق به، ولا يجوز للكافر أن يرأس المسلم مهما كان تأهيله العلمي أو الفني. وغير المسلم لا تُقبل شهادته ضد المسلم بينما تُقبل شهادة المسلم ضد غير المسلم .فكيف يجلس هؤلاء الشيوخ خريجو الجامع الأزهر في مؤتمرهم ويقولون لا بد من إيجاد حوار يجعلهم يتجاوزون حدود التمييز بين بني الإنسان؟ وهنا ينطبق عليهم قول الكاتب الإسلامي حسن حنفي حينما قال في مقال له بعنوان ‹الأقوال والأفعال› منتقداً معشر المسلمين الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون عكس ما يقولون، ويحاولون الضحك على ذقون العالم بلسان من عسل، وسيف من خشب الارهاب العتيق، كاشفاً عورتهم، فاضحاً نواياهم، مقابل المستشرقين الذين يحللون الواقع، ولا يأبهون بالنص، بقوله:

"الغرب لا يعرف حجة القول بل حجة العمل. ولا يُصدّق المثال بل يرى الواقع. فمهما قيل عن عظمة الإسلام وعالميته وإنسانيته وحريته وعدالته والغرب يرى واقع المسلمين في الاتجاه المعاكس فإنه لا يصدق الدعاة. فالواقع أبلغ من التمنيات. والرؤية أقوى من السماع طبقا للمثل الشهير "أسمع كلامك يعجبني، أشوف أعمالك أستعجب". "[3]

---

[1] أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود، مرفوعاً.
[2] الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي، ج5، باب "كان" الحديث رقم 7190.
[3] شاكر النابلسي، إيلاف عدد 10 أكتوبر 2006، هل تتكرر محنة أبو زيد مع حسن حنفي.

فدعونا نأخذ أمثلة عملية لما يحدث في عالم الإسلام.

- صرح المستشار مجدى الجارحي السكرتير العام المساعد لنادى قضاة مجلس الدولة المصري في ندوة مع المستشارة نهى الزيني:

"لا يجوز تولية الأقباط القضاء- وكرر هذه العبارة ثلاث مرات."[4]

وعندما ثارت عليه ثائرة الأقباط وجماعات حقوق الإنسان، قال المستشار مجدي الجارحي الذي يدافع عن الإسلام:

"رغم تمسكه برأيه الذى يعتقد أنه سليم إلا أن أحوال البلد لا تسمح له بأنه يظل متمسكا برأيه ويعلنه أكثر من مرة - هكذا يقول - وأضاف أنه تم استدراجه فى الحوار الذى كان يجمعه مع المستشارة نهى الزينى."[5] انتهى.

فالسيد المستشار يخشى الناس أكثر مما يخشى الله الذي أنزل ديناً لا يساوي بين البشر. فلو كانت أحوال البلد تسمح له، أي بمعنى آخر لو كان الأخوان المسلمون في سدة الحكم، لقال أكثر من ذلك بكثير. ولكنه نسبة للمناخ شبه المتحرر الذي تعيشه البلد فإنه لا يستطيع أن يجاهر بهذه الآراء. إنها **التقية**. أي تمسكن حتى تتمكن. إنه نفاق من يتحدث باسم الإسلام.

- وفي خبر في صحيفة القدس العربي بتاريخ 12 ديسمبر 2006، نجد:

"تتوالي قضية تداول أسهم بنك فيصل الاسلامي في البورصة، ومنع غير المسلمين من شرائها وتداولها، والتصريحات التي أدلي بها محافظ البنك الي زميلنا بجريدة روزاليوسف محسن ابراهيم ونشرتها أمس ـ الاحد ـ وجاء فيها: اعترف عبدالحميد أبو موسي محافظ بنك فيصل الاسلامي بمنع غير المسلمين مسيحيين أو يهودا أو غيرهم من شراء أسهم البنك أو تداولها بالبيع والشراء في البورصة." انتهى

وفي محاولة الدفاع عن سياسة البنك، قال مديره:

"ان لائحة النظام الأساسي للبنك تمنع غير المسلمين من تملك أية حصص في البنك سواء كانت بالشراء المباشر أو عن طريق بورصة الأوراق المالية، ان بنك فيصل الاسلامي ليس طرفا في الغاء عمليات التداول التي نفذها غير مسلمين بالبورصة .ادارة البورصة المصرية هي التي قامت بالغاء الصفقات التي نفذها غير مسلمين." انتهى.

وياله من دفاع.

وعندما أمت السيدة أمينة ودود المصلين في نيويورك، قال الدكتور سيد طنطاوي الإمام الأكبر وشيخ الجامع الأزهر في حوار مطوّل مع جريدة "نهضة مصر"، قال:

"إن الصلاة خلف أمينة ودود باطلة بالثلاث.. ومن صلى خلفها جاهل. بل وأنها أيضاً جاهلة بأمور الدين."

وأضاف:

"أن إمامة المرأة للرجال باطلة.. باطلة.. باطلة، فلا يصح أن تصلي المرأة بالرجال كإمام وإنما يصح لها أن تصلي بالنساء كإمام إذا اقتضت الضرورة لذلك. وأقول إن من صلى من الرجال خلف أمينة أو أية مرأة فهو جاهل وصلاته باطلة. ألم يجدوا رجلاً لكي يصلوا خلفه؟" انتهى.

فشيخ الأزهر، قدوة كل المسلمين السنة، لا يتورع أن يتهم من خالفه الرأي **بالجهل،** كما اتهم الدكتورة أمينة ودود أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة ڤيرجينيا، وجميع الرجال الذين صلوا خلفها. وربما تكون الدكتورة ودود أعلم منه عشرات المرات، لكنها امرأة ولا يجوز لها أن تتفوق على الرجال علمياً ولا أن تقودهم في الصلاة. (وتجاهل شيخ الأزهر أن ثلاثة أرباع المسلمين الذين سوف يفاخر بهم النبي يوم القيامة أميون يتمرغون في الجهل)

ومع ذلك يخبرنا المؤتمرون أنهم ينوون إيجاد حوار يتخطى حدود التمييز بين بني الإنسان، فكأنما المرأة ليست من بني الإنسان.

- كتب طالب مسلم يدرس في كلية الطب إلى المفتي الدكتور عبد الرحمن بن أحمد فايع الجرعي عضو هيئة التدريس بجامعة الملك خالد بالسعودية يسأله ما يلي:

"أنا حالياً أدرس الطب، ويفيدني جداً اقتناء هيكل عظمي لأتعلم عليه، يستطيع أحد معارفي توفير هيكل لي، ولكن المشكلة هي أن هذا الهيكل طبيعي، أي لجثة قد تحللت وأخذ عظمها، فهل يجوز لي اقتناؤه؟ علماً بأنه يتوفر هياكل اصطناعية، لكنها ليست بمقدار الفائدة التي أجنيها من الطبيعي ـ أي أنه لا يظهر عليه جميع الأجزاء والتراكيب الدقيقة المطلوبة ـ أفيدوني بأسرع وقت ممكن جزاكم الله خيراً."

وأجابه "الدكتور" المفتي:

"لا بأس باقتناء الهيكل الطبيعي للجثة عند وجود الحاجة لطلاب الطب؛ لأن حذق الطب ـ وهو أمر مطلوب- لا يتحقق في الغالب ـ كما قيل ـ إلا بالتطبيق على جثة حقيقية، ولكن يجب أن يقتصر في هذه الجثة على القدر المطلوب، وألا تكون الجثة لمسلم؛ لأن في جثث غير المسلمين غنية عن جثته، ولتأكد حرمته حياً وميتاً، ويجب كذلك دفن أشلاء الجثة بعد الانتهاء منها. والله أعلم."[6]

وهذا هو نوع إزالة التمييز بين بني البشر في المفهوم الإسلامي.

والجامع الأزهر وخريجوه ومعظم فقهاء الإسلام ينطبق عليهم اللقب الذي اخترعه الدكتور علي الوردي **(وعاظ السلاطين)** يفتون حسب المناخ السائد و حسب ما يُرضي السلطان. فإذا أخذنا القضية الفلسطينية مثلاً، نجد أن الشيوخ وعاظ السلاطين قد نافقوا وجاروا سلطان مصر في جميع ما فعل مع إسرائيل. يقول حسن حنفي:

"بعد قرارات مؤتمر الخرطوم بعد هزيمة يونيو (حزيران) 1967، واللاءات الثلاث: لا صلح، ولا مفاوضة، ولا اعتراف بإسرائيل، انبرى مشايخ السلطان بتبرير هذا بالفتاوى والنصوص الدينية:
{وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل}
و{وجاهدوا في الله حق جهاده}
و{أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله علي نصرهم لقدير) و (وقاتلوا الذين يقاتلوكم}
وما أكثر الآيات والأحاديث في هذا السياق. وبعد أن انقلبت الجمهورية الثانية على الجمهورية الأولى، وعُقدت اتفاقيات كامب ديڤيد في 1978، ومعاهدة السلام بين مصر وإسرائيل في 1979 انبرى مشايخ السلطان، هم أنفسهم، بتبرير قرارات السلطان الجديد بآيات وأحاديث أخرى:
{وإن جنحوا للسلم فاجنح لها}
و{أدخلوا في السلم كافة}
و(أن سلام وشالوم من نفس الاشتقاق، وأن كلانا أولاد عم من نسل إبراهيم.)."[7]

ثم غير شيوخ الأزهر لون جلودهم، كما تفعل الحرباء، في عام 2005 عندما أثارت تصريحات شيخ الأزهر د. محمد سيد طنطاوي خلال مشاركته في الاحتفال الذي أقامته محافظة الشرقية مؤخراً بمناسبة عيدها القومي، *وأجاز فيها التطبيع مع اسرائيل*، ردود فعل واسعة بين علماء الأزهر الذين أكدوا أن هذه التصريحات إنما تعبر عن وجهة نظر شخصية لشيخ الأزهر وليس عن رأي الأزهر كمؤسسة .

وحسب تصريحات طنطاوي فإنه:

---

[4] روز اليوسف 18 مارس 2007.
[5] نفس المصدر.
[6] إيلاف 3 يوليو 2004.
[7] إيلاف 10 أكتوبر 2006.

"لا يوجد في الدين الاسلامي ما يحرم التطبيع مع الدول الأخرى خاصة اسرائيل طالما كان التطبيع في غير الدين وفي المجالات التي تخدم شؤون الحياة واحتياجاتها."

"ومن جانبه أكد د. محمد عبد المنعم البري رئيس جبهة علماء الأزهر السابق وأستاذ التفسير والحديث بجامعة الأزهر بالقاهرة أنه لا يجوز شرعاً التطبيع مع المعتدي الذي يغتصب الأرض ويهدد الآمنين."[8]

ولأن السيد حسن حنفي كشف ألاعيب وعاظ السلاطين، *ثارت عليه حفائظهم وتسابقوا إلى دور المحاكم يرفعون عليه دعاوى الحسبة* لأنه قال إن القرآن "**سوبر ماركت**" تجد فيه كل ما تطلب. **تجد فيه القتال والصفح ولا إكراه في الدين ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن. وتجد فيه أقتلوهم حيثما ثقفتموهم.**

فكيف يستطيع الغرب أن يتحاور مع شيوخ الإسلام الذين يتبضعون في السوبرماركت ويختارون آيات السلم وعدم الإكراه عندما يكونون مع الغربيين ثم يختارون آيات السيف عندما يرجعون إلى بلادهم ووسط أهليهم المسلمين؟

عودة إلى الفهرس

[8] الشرق الأوسط 13 سبتمبر 2005.

59 - الأمل يتضاءل مع انتشار فضائيات السحر

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=94920

منذ القرن الثاني عشر والعالم العربي يرزح تحت نير الجهل *ويتغذي بالنقل* بعد أن ضمر واضمحل العقل بعد قفل باب الاجتهاد. وكلما ظهرت بارقة أمل في إنعاش العقل الإسلامي بحقن المحاليل الحديثة في شرايينه كما حاول أن يفعل جمال الدين الأفغاني أو كمال أتاتورك، يتكاتف الجهل مع الفقر مع الدين وتثور الشعوب وترفض المحاليل الحديثة. ونظل نجتر ماضينا ونتغذى عليه، ويزداد **الأشعريون** عدداً وقوةً. *والعرب لديهم ملكة غريبة في النجاح في إساءة استعمال الاختراعات التكنولوجية الحديثة. فهم قد نجحوا في استغلال الأقمار الصناعية لنشر الجهل والدجل من فضائيات جديدة تخصصت في السحر وعلاج الناس عن طريق سحرة* يوهمونهم أنهم مرضى ويشرحون لهم كيفية التخلص من السحر الذي يجعلهم يعزفون عن زوجاتهم، أو يمنع الرجل من الزواج على زوجته الأولى.

وقد انتشرت هذه القنوات في البلاد العربية انتشار النار في الهشيم، مما يدل على قابلية العقل العربي لتلقي وهضم كل أنواع الجهل والدجل.

السحر كان معروفاً للإنسان البدائي منذ آلاف السنين لأنه كان يجهل فهم القوى الطبيعية التي تسيّر العالم، فلجأ إلى الاعتماد على القوى الميتافيزيقية لتفسر له الأمراض والعلل التي كان يعاني منها، فاخترع الشيطان وجعله القوى المسيطرة التي تأتي بأخبار المستقبل من السماء وتصيبهم بالأمراض. وأصبح الكاهن الذي يسيطر على ذلك الجان طبيباً يداوي الناس وعرّافاً يخبرهم بالغيب. وعندما جاءت الديانة اليهودية حارب أنبياؤها السحر حرباً شعواء ولكنهم لم يستطيعوا القضاء عليه كلياً نسبة لتفشي الجهل في الناس. *ولكن كان الأمر مختلفاً تماماً مع الإسلام. فبدل أن يحارب الجن والسحر، وطّن الإسلام هذا المفهوم في أتباعه*. فنجد عدة سور في القرآن، وأغلبها مكية، تتحدث عن الجن وقوتهم الخارقة وأنهم كانوا يسترقون السمع من السماء عندما يتحدث الله مع ملائكته. بل يحتوى القرآن على سورة مكية كاملة اسمها **سورة الجن**.

تؤكد هذه السورة أن الجن كان يساعد الإنسان، فتقول:

{وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً}.
{وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً}.

وبمثل هذه الآيات جعل القرآن من ظاهرة سقوط واحتراق النيازك Meteorites ظاهرة غيبية تتعلق بمطاردة الجن من أبواب السماء حتى لا يسترقوا السمع.

ثم بعد أن أكد وجود الجن ومقدرتهم الفائقة في الصعود إلى السماء واستراق السمع، جعل منهم مسلمين وكفاراً فقال:

{وإنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رَشداً}.

وغريب أن يكون محمدٌ رسولاً للإنس والجن ويؤمن به الجن، بينما نفس القرآن يخبرنا:

{لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ}.

وكذلك:

{وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه}.

فالرسول دائماً يكون من نفس القوم وبلغتهم، وكان لكل أمةٍ رسولها، فكيف يكون محمد رسولاً للجن، وهو ليس منهم؟ وكيف يؤمن الجن، وهو شيطان، بالإسلام، وقد كان الجن، أو الشيطان أو إبليس قد عصى الله منذ بدء الخلق؟

وبمثل هذه الآيات جعل القرآن وجود الجن أمراً عقائدياً لا يقبل الجدل.

وبما أن الجن والشياطين يعلّمون الناس السحر، كما يقول القرآن:

{واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنةٌ فلا تكفر. فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم. (البقرة 102)**}**

هذه الآية تؤكد عدة أشياء مهمة في عالم السحر:

1. أن السحر شيء مؤكد ويصيب الناس رجالاً ونساء.
2. يستطيع الساحر أن يُفرّق بين المرء وزوجه.
3. إن الله يمكّن الساحر من ضرر الناس بإذنه.
4. إن الله أنزل السحر على الملكين هاروت وماروت وجعلهم يعلمون الناس السحر. ومعنى ذلك أن الله أراد للناس أن يتعلموا السحر. يقول ابن عباس:

"إن هاروت وماروت كانا ساحرين يعلمان الناس السحر."

وليؤكد القرآن دور السحر في حياة الناس، يذكر لنا في سورة يونس:

{وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ. فَلَمَّا جَاء السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُواْ مَا أَنتُم مُّلْقُونَ. فَلَمَّا أَلْقَواْ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ. (يونس 79-81)**}.**

ثم يؤكد لنا القرآن في سورة طه أنّ موسى نفسه قد صدق بالسحر، فيقول:

{قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى. قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى. فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى. (طه 65 - 67)**}.**

فالنبي موسى نفسه خاف من السحرة وثعابينهم حتى طمأنه الله وجعل عصاته ثعبانا يلقف[1] الثعابين الأخرى. فإذاً الله نفسه يتعامل بالسحر وإلا كان بإمكانه أن يجعل ثعابينهم تتجمد أو تختفي بدل أن يجعل عصاة موسى ثعباناً يجاري به السحرة. ولم تكن هذه المرة

[1] لقفه لقفاً: تناوله بسرعة التلقيف: بلع الطعام، كما يقول القاموس المحيط.

الأولى التي يتعامل الله فيها مع موسى بالسحر. فيخبرنا القرآن في سورة النمل أن الله عندما خاطب موسى في الوادي المقدس طلب من موسى أن يُلقي عصاه:

{وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ. (النمل 10)**}.**

فما هي الحكمة في أن يجعل الله عصاة موسى تهتز كالجان حتى يهرب منها موسى؟ أليس هذا هو السحر بعينه؟
وفي سورة طه يؤكد فرعون أن موسى كبير السحرة فيقول:

{قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ... (طه 71)**}.**

فإذا كانت عصاة موسى قد انقلبت ثعباناً كما انقلبت حبال وعصي السحرة ثعابيناً، ألا يكون موسى ساحراً مثلهم؟
ولزيادة التوكيد بأن السحر شيء واقع، يكرر لنا القرآن في سورة الأعراف:

{قال الملأ من قوم فرعون إنّ هذا لساحرٌ عليم}.

ثم يضيف:

{يأتوك بكل ساحر عليم. (الشعراء 37)**}.**

ويزيد على ذلك:

{فوقع الحقُ وبطل ما كانوا يعملون. (الأعراف 118)**}.**

وفي سورة الشعراء حوالي ست آيات تتحدث عن السحر. ولزيادة التوكيد أضاف المفسرون الإسلاميون في تفسير **الآية 102 من سورة البقرة:**

"إنّ سليمان جمع كتب السحر من الناس ودفنها تحت كرسيه، ولمّا مات استخرجها الناس وتناقلوها."[2]

إذاً القرآن والمفسرون لا يتركون عندنا أي شك أنّ السحر شيء حقيقي ومعلوم.
ثم يأتي دور السنّة في توكيد وجود الشياطين والسحر،

- وقد أكد لنا أهل الحديث والسيرة أنّ أبا هريرة عندما أوكل له محمد حراسة بيت المال، أصبح الطعام يختفي منه. ولما سأل محمد أبا هريرة عن السبب قال له أبو هريرة:

"يارسول الله جاء الشيطان البارحة وسرق الطعام وأمسكت به وحلف لي أنّ الطعام لأطفاله الجوعى، فتركته يذهب."

وبدل أن يواجه محمد أبا هريرة بسرقة الطعام، **علّمه آيات من القرآن تمنع الشيطان من سرقة الطعام** .

- وتخبرنا كتب السيرة أن:

لبيد بن الأعصم اليهودي عقد لمحمد سحراً في عدة عُقد ولفها حول مشط وألقاها في بئر بني زريق. وأصاب السحر محمد حتى أنه كان يُخيل إليه أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، كما روت عائشة.

محمد ربما كان ينتصب ويُمني أثناء الصرع. نجد في مجلة أمراض الجهاز البولي الإيرانية ما يلي:

"Sexual phenomena may be a part of epileptic seizure (e.g motor symptoms such as an erection, lubrication, ejaculation, orgasm, pelvic sexual movements"[3].

والقرآن كان قد أخبرنا أن الساحر لا يضر الإنسان إلا بإذن الله. فإذاً قد سمح الله للبيد بن الأعصم اليهودي أن يسحر النبي ويضر به، **ليثبت لنا أن السحر لا خلاف عليه، وأنّ السحرة يمكنهم أن يضروا حتى الأنبياء بإذن الله.**

- ثم جاء دور عائشة زوجة النبي لتثبت لنا دور السحر

"أخبرنا مالك، أخبرنا أبو الرِّجال، محمد بن عبد الرحمن، عن أمِّه عَمْرَة بنت عبد الرحمن: أن عائشة زوج النبي صلى اللّه عليه وسلم كانت أعتقت جارية لها عن دُبُرٍ منها، ثم إن عائشة رضي اللّه عنها بعد ذلك اشتكت ما شاء اللّه أن تشتكي، ثم إنه دخل عليها رجلٌ سِنْدِي ، فقال لها أنتِ مَطبُوبَةٌ، فقالت له عائشة: ويلك، من طَبَّني؟ قال: امرأة مِنْ نَعْتِها كذا وكذا، فَوَصَفها، وقال: إنَّ في حَجْرها الآن صبيًّا قد بال، فقالت عائشة: ادعوا لي فلانةً جاريةً كانت تخدُمها، فوجدوها في بيت جيران لهم في حَجْرها صبيٌّ، قالت: أمهلوني حتى أغسل بول هذا الصبيّ، فغسلته ثم جاءت، فقالت لها عائشة: أسحرتني؟ قالت: نعم، قالت: لِمَ؟ قالت: أحببت العتقَ، قالت: فواللّه لا تَعْتَقِيْنَ."[4]

فلا يكفي أن الجارية سحرت عائشة وأذتها، فكان لا بد أن نعرف أن الرجل السندي الذي زار عائشة كان يعلم الغيب وعرف أن الجارية التي كانت في بيت الجيران كان في حجرها صبي بال عليها. ولا يمكن له أن يعرف هذه التفاصيل إلا عن طريق الشياطين. وتروي لنا عائشة قصة امرأة كان زوجها لا يأتيها لأنه كان مسحوراً، فذهبت إلى عجوز ساحرة لتساعدها، فأركبتها العجوز على كلب أسود لم يقف بها إلا في بابل، حيث كان هاروت وماروت، فعلموها السحر ولكنها فقدت إيمانها، فجاءت إلى النبي ليرده إليها لكنه كان قد مات، فقالوا:

"أخبرني عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أنها قالت: قدمت امرأة من أهل دومة الجندل عليّ، جاءت تبتغي رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - بعد موته حداثة ذلك، تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحرة، لم تعلم به. قالت عائشة لعروة: يا ابن أختي رأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - فيشفيها، حتى إني لأرحمها. وهي تقول: إني لأخاف أن أكون قد هلكت، كان لي زوج، فغاب عني، فدخلت علي عجوز، فشكوت إليها. فقالت: إن فعلتِ ما آمرك فلعله يأتيك. فلما أن كان الليل جاءتني بكلبين أسودين، فركبتُ أحدهما، وركبتْ الآخر، فلم يكن مكثي حتى وقفنا ببابل."[5]

- ثم تثبت لنا السنة دور العين التي هي نوع من السحر، فيقول الرواة:

"أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال رأى عامر بن ربيعة سهل بن حنيف وهو يغتسل فعجب منه فقال تالله إن رأيت كاليوم مخبأة في خدرها قال فكسح به (أصابه الشلل) حتى ما يرفع رأسه قال فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تتهمون أحدا فقالوا لا يا رسول الله إلا أن عامر بن ربيعة قال له كذا وكذا قال فدعاه ودعا عامرا فقال سبحان الله على ما يقتل أحدكم أخاه إذا رأى منه شيئا يعجبه فليدع له بالبركة."[6]

- وهناك أحاديث تُثبت الضرر من العين، فقد:

"أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن بن طاووس عن أبيه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم: العين حق ولو كان شيء يسبق القدر سبقته العين، وإذا استغسل أحدكم فليغتسل."[7]

فبعد كل هذا الإثبات من القرآن والسنة لا بد أن نؤمن بالسحر والعين، ولكن كيف الخلاص منهما؟ السنة لم تتركنا بلا إجابة. فالنبي عندما سحرة لبيد، أخبره الله بمكان السحر في البئر فأرسل من يأتيه به، ثم قرأ المعوذتين: **قل أعوذ برب الناس، وقل أعوذ برب الفلق.**

---

[2] تفسير الجلالين.

[3] Urology Journal, vol. 4, No. 2, spring 2007, p 110) www.uj.unrc.ir

[4] تتمة موطأ مالك، كتاب الصرف، باب بيع المدبر، حديث 841.

[5] المستدرك على الصحيحين للنيسابوري، ج4، كتاب البر والصلة، حديث رقم 23/7262.

[6] الجامع للإمام معمر بن راشد الأزدي رواية الإمام عبد الرزاق الصنعاني، باب النُشر.

[7] كتاب الجامع للإمام الأزدي، باب النشرة، حديث 19770.

ومجموع آياتهما أحد عشرة آية، وكانت العُقد في سحر لبيد أحد عشرة عقدة. ومع كل آية انحلت عقدة، إلى أن شُفي رسول الله. *فصارت آيات القرآن علاجاً معروفاً للسحر*

وكان العرب قبل الإسلام يذهبون إلى اليهود ليرقوهم بآيات من التوراة. ويُقال أنّ أبا بكر دخل يوماً على عائشة فوجد عندها يهوديةً تُرقيها، فقال لليهودية: **ارقيها بكتاب الله. فلا بد أن تكون الرقية إسلامية حتى تفيد في علاج السحر.**

ولما كان العرب قبل الإسلام يؤمنون بالعين ويتعالجون منها **بالنُشرة**(النشرة كالرقية وهي أن يأخذ الرجل خمشة من التراب عن يمينه وعن يساره ثم يذيب التراب في الماء ويقرأ عليه بعض التعاويذ ويغتسل به) ، فقد أكد المسلمون هذا العلاج. يقول الإمام معمر بن راشد الأزدي:

> "قال عبد الرزاق وقال الشعبي لا بأس بالنشرة العربية التي لا تضر إذا وطئت والنشرة العربية أن يخرج الإنسان في موضع عضاه فيأخذ عن يمينه وشماله من كل ثمر يدقه ويقرأ فيه ثم يغتسل به .وفي كتب وهب أن تؤخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه في الماء ويقرأ فيه آية الكرسي وذوات قل، ثم يحسو منه ثلاث حسوات ويغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما به إن شاء الله، وهو جيد للرجل إذا حُبس من أهله. قال عبد الرزاق وحُبس رسول الله صلى الله عليه وسلم من عائشة خاصة حتى أنكر بصره."[8]

وأما السيدة عائشة عندما سحرتها الجارية، كان علاجها مختلفاً عن العلاجات المعروفة. فقد

> "دخل على عائشة إسماعيلُ بنُ أبي بكر وعبد الرحمن بن سعد بن زُرَارة، فذكرت أُمُّ عائشة الذي رأت ، فانطلقا إلى قَنَاة ، فوجدَا آباراً ثلاثة يُمدُّ بعضُها بعضاً، فاستَقَوْا من كل بئر منها ثلاث شُجُبٍ حتى مَلؤوا الشُّجُب من جميعها، ثم أتَوْا بذلك الماء إلى عائشة، فاغتسلت فيه فشُفِيَتْ."[9]

ولما رأى عامر بن ربيعة، وكان يسحر الناس بعينه، سهل بن حنيف يغتسل، وكان جميلاً جداً، أعجبه جماله، **أصابه بالعين** وأصبح سهل مشلولاً ولم يقدر أن يمشي أو يحرك رأسه، ولما أتوا به النبي قال:

> "أمره أن يغسل له فغسل وجهه وظاهر كفيه ومرفقيه وغسل صدره وداخل إزاره وركبتيه وأطراف قدميه ظاهرهما في الإناء، ثم أمر بالماء فصب على رأسه وكفأ الإناء من خلفه. حسبته قال وأمره فحسى منه حسوات فقام فراح مع الركب، فقال له جعفر بن برقان ما كنا نعد هذا إلا جفاء. فقال الزهري بل هي السنة."[10]

فالسنة إذاً تخبرنا بكل أنواع العلاجات التي تفيد من السحر والعين.
ولأن الأمراض التي تصيب الإنسان المسلم، بإذن الله، كثيرة، فلا بد أن تكون طرق العلاج منها كثيرة ومختلفة.
وهذا ما ترك الباب مفتوحاً لسحرة ومشايخ القنوات الفضائية لجذب أعداد غفيرة من المشاهدين الذين سحقتهم الأوضاع الاجتماعية والنفسية وتزامن معها الجهل والفقر، فزاد إيمانهم بالخرافات والدجل الذي شربوه مع حليب أمهاتهم.

ومَن لم يستطع أن يخابر القنوات الفضائية لعلاج السحر يمكنه أن يزور قبور الأولياء المنتشرة في جميع البلاد العربية، باستثناء دول الخليج. وقد كان هناك من الشيوخ من يبرر للناس زيارة قبور الأولياء والتبرك بها مثل الشيخ الشعراوي

(ويقولون لنا: لعن الله اليهود والنصارى، جعلوا قبور أنبيائهم مساجداً).

أما الحصفاء من الناس فيُلبسون أطفالهم ونساءهم الجميلات الخرز الأزرق ليصد عنهم العين قبل أن تصيبهم. والوقاية خير من العلاج.

وكما هو معهود في جميع فروع السنة وفي القرآن، لا بد من أحاديث وآيات تعارض ما ذكرناه.

> "أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن بن سيرين قال نهى رسول الله (ص) عن الرقى إلا أنه أرخص في ثلاث: في رقية النملة والحمة يعني العقرب - والنفس - يعني العين."[11]

وفي حديث آخر يقول الراوي:

> "أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يرقون برقى يخالطها الشرك فنهى عن الرقي قال فلدغ رجل من أصحابه، لدغته الحية فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل من راق يرقيه فقال رجل إني كنت أرقي رقية فلما نهيت عن الرقي تركتها. قال فاعرضها عليّ. فعرضتها عليه فلم ير بها بأسا فأمره فرقاه."[12]

فهل نستطيع أن نلوم هؤلاء الجهلاء البائسين الذين يبحثون عن علاج لمشاكلهم الاجتماعية عن طريق السحر وزيارة قبور الأولياء، والترقي بالقرآن والسنة، بينما يؤكد لنا الله والرسول دور السحر في إصابة الناس بالأمراض، والسنة تشرح لنا طرق العلاج؟

هل من أمل في القرن الحادي والعشرين أن يحاول العالم العربي اللحاق بقطار الحضارة والعلم الذي فاتهم منذ القرن الثاني عشر؟
إني أشك كثيراً في ذلك ولدينا الجامع الأزهر والمرجعيات الشيعية والمزارات التي يتبرك الناس بتقبيل جدرانها وأبوابها، بالإضافة إلى القنوات الفضائية السحرية.
اللهم لا شماتة.

عودة إلى الفهرس

[8] الجامع، حديث رقم 19763.
[9] تتمة موطأ مالك، حديث 841.
[10] الجامع، حديث رقم 19766.
[11] الجامع للإمام الأزدي، حديث رقم 19773.
[12] الجامع، حديث 19767.

60 - التجارة الرابحة والمسابقات الدائرية

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=96007

خاطب القرآن المسلمين في إحدى آياته بالقول {**يا أيها الذين أمنوا هل أدلكم على تجارةٍ تُنجيكم من عذاب أليم. (الصف 10)**}. وربما فهم المسلمون الأوائل أن العذاب الأليم المقصود هو عذاب جهنم، ولكن الفهم أو التأويل قد تغير الآن وأصبح العذاب الأليم هو عذاب الفقر والحاجة وفقدان السلطة. وقد فهم وعاظ السلاطين والقادة العرب أن *التجارة الرابحة هي المتاجرة بالقرآن وبيعه للجهلاء المغرر بهم باسم الله، فيجني رجال الدين أرباحاً باهظة تقيهم فاقة الفقر وعذابه ويحتفظ الحاكم بكرسية مدى الحياة*. فانتشرت موضة إقحام القرآن والإسلام في كل شيء، ومنها مقولة الإخوان المسلمين (الإسلام هو الحل). وقد أعطت هذه التجارة الرابحة أكلها في المملكة العربية السعودية بشكل واضح للعيان.

- فرجال الدين الآن أصبحوا سماسرة لشركات الاستثمار، يحللون المتاجرة بأسهم الشركات التي تدفع لهم ويحرمّون المتاجرة بأسهم مَن لا يدفع لهم عمولة.
- ثم راحوا يبيعون آيات القرآن لتحل محل رنين جرس الهواتف المحمولة (الموبايل) فيسمع صاحب التلفون آية قرآنية عندما يتصل به شخص آخر بدل أن يسمع رنين الجرس. وقد أفتى بعض الشيوخ المتضررين في سوق المتاجرة بالإسلام وقالوا إن الآيات القرآنية حرام أن تكون على الموبايل لأن صاحبه قد يكون بالحمام عندما يتصل عليه شخص آخر، وعندها يصدح التلفون بالآيات القرآنية في مكان مليء بالنجاسة، واستحبوا إبدال آيات القرآن بالأذان.
- وقد فهمت العائلة المالكة أهمية هذه التجارة في تخدير العقول فراحوا يقيمون مسابقات حفظ القرآن لأطفال المملكة ويغدقون على الفائزين الجوائز السخية، كأنما مستقبل البلد يعتمد على حفظ القرآن. فقد

> "أكد الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض، أن هناك مَن يحاولون التشكيك في جمعيات تحفيظ القرآن الكريم، المنتشرة في كل أرجاء البلاد، من مدن ومحافظات وقرى، وهذا، والله أعلم، لأنهم لا يعرفون الحقيقة، ولا شيء من الحقيقة. وشدد الأمير سلمان، خلال رعايته الحفل الختامي للدورة التاسعة للمسابقة المحلية على جائزة الأمير سلمان لحفظ القرآن الكريم للبنين والبنات، التي شارك فيها 94 متسابقا ومتسابقة، على أننا امة نصرها الله بالكتاب والسنة، وأمة أمرها الله عز وجل، أن نعمل بكتابه وسنة رسوله، ومَن أراد أن يحيلنا عن هذا الطريق نقول له لا وألف لا، نحن أمة محمد نعمل بكتابه وما نزل عليه."[1]

وبالطبع لم يقرأ الأمير بعض آيات القرآن التي تقول {**الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم. (التوبة 97)**}. ألم تنزل هذه الآية في الأعراب البدو الذين يسكنون الصحارى المحيطة بمكة؟ فهل نشر جمعيات تحفيظ القرآن في جميع قرى المملكة سوف يزيل عنهم ما وصفهم الله به؟ وكذلك نسى الأمير أن يقرأ الآية الممنوعة في المملكة التي تقول {**إنّ الملوك إذا دخلوا قريةً أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون. (النمل 34)**}.

- ولم يكتفِ الأمير سلطان بالمنافسات بين الأطفال فـأنشأ مسابقة حفظ القرآن للعسكريين المسلمين

> "لأول مرة، تشارك كل من: ليبيا، البوسنة والهرسك، ألبانيا، وأندونيسيا، على جائزة الأمير سلطان الدولية لحفظ القرآن الكريم، والمخصصة للعسكريين، والتي ستنطلق في العاصمة السعودية الرياض، في 11 أبريل (نيسان) الجاري، وتمتد حتى يوم 22 من الشهر نفسه. وتنطلق جائزة الأمير سلطان الدولية للقرآن الكريم، في نسختها الرابعة، الأربعاء المقبل، وسط مشاركة 21 دولة عربية وإسلامية، وهي الجائزة الأولى من نوعها على مستوى العالمين العربي والإسلامي، المخصصة للعسكريين فقط."[2]

والمعروف أن الجندي، رجل أو امرأة من عامة الشعب، اختار هو أو أجبرته الدولة أن يخدم في الجيش لفترة معينة، يتعلم فيها فنون القتال الحديثة حتى يستطيع أن يحمي بلده من أي عدوان خارجي (إذا استثنينا الوظيفة الحديثة للجيوش العربية التي تتمثل في الانقلابات العسكرية والسيطرة على سدة الحكم بقوة السلاح). فهل يا ترى أصبح القرآن يكوّن ركناً مهماً من أركان علوم الحروب الحديثة التي تديرها أمريكا بواسطة القنابل الذكية أو الطائرات الروبوتية التي تطير بدون طيار وتطلق صاروخاً على لاندكروزر في قلب الصحراء اليمنية يحمل على متنة إرهابيين؟ هل أدخلت أمريكا في ذاكرة القنبلة أو الصاروخ الذكي الآية القرآنية التي تقول {**وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**}؟

ألم يكن أصحاب النبي الذين حاربوا معه في موقعة أُحد يحفظون أجزاءً من القرآن عندما هزمهم المشركون؟ ألم يكن سبب جمع القرآن أن الحُفَّاظ قد قُتل أغلبهم في موقعة اليمامة ضد ثمامة بن حبيب (مسيلمة الكذاب)؟ وهل نفهم أن سبب هزيمة كل الجيوش العربية أمام الجيش الإسرائيلي في عام 1967 كان بسبب أنهم لم يكونوا يحفظون القرآن؟ وهل كان سبب عدم مقدرة الجيش الإيراني إحراز نصرٍ مبين على الجيش العراقي على مدى 8 سنوات بسبب أنهم لم يكونوا يحفظون القرآن رغم قيام جمهوريتهم الإسلامية بأسلمة كل شيء *حتى بيوت الدعارة التي أصبحت بقدرة قادر بيوتاً للفضيلة؟* إذا لم تكن هذه هي المتاجرة بالقرآن فما هي إذاً؟

ومن المفيد أن نعرف أن المشرف العام على جائزة الأمير سلطان قد

> "قدّر الميزانية المرصودة للجائزة، بمليون ونصف المليون ريال سعودي، وهو التبرع الذي تقدم به الأمير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد السعودي، صاحب هذه الجائزة."

إنه لا شك كرمٌ حاتمي أن يتبرع الأمير بمبلغ مليون ونصف المليون ريال من ماله الخاص لتشجيع العسكريين على حفظ القرآن، ولكن أن تشترك جيوش إحدى وعشرين دولة عربية ومسلمة في المسابقة لأمر يدعو إلى الشفقة على هؤلاء الجيوش وفهمهم مهمة الجندي وكيف نعدّه إعداداً حديثاً للقيام بواجبه في حماية الدول.

- ولم يكتف الأمراء بمسابقة حفظ القرآن بين الجنود، بل زادوا عليها وجعلوا مهمة الجندي الحفاظ على الدين ثم الملك ثم الوطن أخيراً.

> "قلد الأمير أحمد بن عبد العزيز نائب وزير الداخلية السعودي، الفريق أول عبد الرحمن الربيعان رتبته الجديدة، والذي كان قد صدر أخيرا أمر ملكي يقضي بترقيته إلى رتبة فريق أول، وهنأ الأمير أحمد الربيعان خلال استقباله له بمكتبه بجدة أمس، على الثقة الملكية، متمنيا له التوفيق والسداد ومواصلة عمله لخدمة الدين ثم المليك والوطن."[3]

فالفريق أول عبد الرحمن الربيعان تمت ترقيته إلى ثاني أعلى منصب في الجيش لا ليقود عساكره لحماية الوطن من أمثال صدام حسين، **وإنما ليحمي الدين**. فلا بد أن مؤسسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي توظف خمسة آلاف مطوع ليست كافية لحماية الدين الهش الذي يحتاج إلى جيش كامل لحمايته. ولا بد أن نسأل: مِمَن يحتاج الدين الإسلامي لحماية الفريق الربيعان وجيشه؟ هل لحمايته من **الملوك** الذين إذا دخلوا قريةً أفسدوها، أم لحمايته من **وعاظ السلاطين** الذين تاجروا به وأفتوا بتكفير غالبية المسلمين

---

[1] الشرق الأوسط، 30 أبريل 2007.
[2] تركي الصهيل، الشرق الأوسط 8 أبريل 2007.
[3] الشرق الأوسط 11 يناير 2007.

وزرعوا الفتنة والكراهية في عقول الشباب فانتجت المملكة شباباً فجّر برجي التجارة في نيويورك وأدى إلى قتل 144 شخصاً بالمملكة منذ عام 2003 نتيجة العمليات الإرهابية وما تبعها من رد فعل الشرطة السعودية، وأسفر أخيراً عن اعتقال 172 مشبوهاً بهم؟ أم لحمايته من المسيحيين الكفار الذين لا شغل لهم إلا تدبير المؤامرات ضد الإسلام، كما يخبرنا الشيوخ.

- وبعد أن فرغ الأمراء من تشجيع مسابقات حفظ القرآن

قفز القضاة على عربة بيع الآيسكريم للشباب وأخذوا يبيعون القرآن لهم، فقد حكم قاضي شرعي في مدينة جدة على شاب مدمن على المخدرات بالتردد على حلقات تحفيظ القرآن بدل سجنه.[4]

والقاضي يُشكر على محاولته تجنيب الشاب دخول السجن، ولكن كان الأجدر به أن يعاقب الشاب بأن يحكم عليه بخدمة المجتمع بأن يعمل ويكد في الحدائق العامة أو في تنظيف الطرقات حتى يعرف معنى العقاب على ارتكاب الجرم. أما الحكم عليه بحفظ القرآن يوحي بأن حفظ القرآن عقاب وليس مندوحةً يُجازى عليها الفرد. ثم أن تردد الشاب على حلقات تحفيظ القرآن لا يعني أنه سوف يحفظ القرآن أو سوف يستفيد مما يحفظه منه.

وبما أن الأزهر يُعتبر منارة المسلمين السنة، وقد شبع هذا الصرح من تنظيم مسابقات حفظ القرآن، فقد قرر أن يفوز بقصب السبق في مسألة نشر القرآن، فقرر أن يرسل إلى مسلمي دارفور بغرب السودان آلاف المصحاف هديةً منه.

البلاد العلمانية أرسلت وما زالت ترسل إلى أهل دارفور المنكوبين من حكومتهم الإسلامية، الطعام والماء الصحي والخيام التي تأويهم بينما يرسل لهم الأزهر المصاحف. وليتها كانت مصاحفاً خالية من الأخطاء، فقد

"اتهمت هيئة علماء السودان المسؤولين عن طباعة «نسخ مغلوطة» من المصحف صادرة عن الأزهر بمصر، وتم توزيعها في دارفور، بـ «الاستهتار والاستهانة بكتاب الله». وأبلغ عضو بلجنة المصحف الشريف التابعة للأزهر في مصر أمس «الشرق الأوسط» أن تحقيقاً داخلياً أثبت وجود أخطاء بالفعل في نُسخ من القرآن جرى توزيعها في دارفور بغرب السودان أخيراً."[5]

وماذا كان رد فعل الأزهر عندما اعترف بوجود أخطاء في المصحف الأزهري؟ كان رده أن قرر إرسال ألف نسخة مصححة عن كل نسخة بها أخطاء. يا بخت أهل دارفور الذين سوف يتسنى لهم الآن حفظ القرآن داخل بيوتهم المصنوعة من الكرتون ومن جلود الأبقار. وفي نفس الوقت يستطيعون إسكات بكاء أطفالهم الجوعي بإجبارهم على ترديد آيات القرآن من المصاحف المصححة وبذا ينسى الطفل جوعه ويركز على حفظ الآيات.

وبما أن العالم الإسلامي كله أمة إسلامية واحدة كالجسد الواحد الذي إذا اشتكى عضو منه تداعى له باقي الجسد بالسهر والحمى، فقد سمعت نساء باكستان بالفوائد العديدة من مسابقات حفظ القرآن إلى مقدرة القرآن على إشباع الجياع في دارفور، فقررن أن يتزوجن هذا القرآن.

"أثارت ظاهرة زواج النساء من "القرآن الكريم" جدلا كبيرا في الأوساط الباكستانية، حيث تسعى الحكومة لمنعها، فيما تشجعها بعض الأسر خاصة في اقليم السند الجنوبي، وذلك لمنع المرأة من الزواج من أي شخص .ويتم عقد قران المرأة على المصحف الشريف الذي يعتبر في هذه الحالة زوجها الذي تبقى معه في داخل الغرفة ولا يحل لها أن تقترب من اي رجل او تقترن بأي احد حتى لو مات ولي أمرها لأن جميع الرجال يخشون أن تحل عليهم اللعنة إذا هم اقتربوا من امرأة متزوجة من القرآن."

فهل هناك تجارة أكثر ربحاً من تجارة بيع القرآن للعامة؟ فقد أصبح الشيوخ الوعاظ من أصحاب الملايين **يستطيعون إرسال أطفالهم إلى أمريكا وانـگـلترا للدراسة بينما يرسلون أطفال العامة إلى العراق للاستشهاد**، وأصبح الأمراء والملوك في الخليج من أصحاب الملايين وحكاماً مدى الحياة؟ وحتى الشيوخ من الدرجة العاشرة أصبح بإمكانهم بيع رقيات القرآن وأعشاب الطب النبوي وخلطات السحر الذي يشفي من كل داء جسدي أو نفسي وكسبوا الآلاف إن لم يكن الملايين من الجنيهات والدولارات.

وبينما تسير بلدان العالم الأخرى في خطوط مستقيمة نحو المستقبل نسير نحن في دوائر مفرغة من مسابقات تحفيظ وترتيل القرآن، كما تدور الكواكب حول الشمس، غير أن شمسنا هي القرن السابع الميلادي الذي نظل نتوق إلى الوصول إليه.

عودة إلى الفهرس

[4] بهاء حمزة، إيلاف 23 يناير 2007.

[5] عبد الستار إبراهيم ومحمد خليل، الشرق الأوسط 12 أبريل 2007.

61 - الإعجاز غير العلمي

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=96589

لا شك أن أربح تجارة عرفها البشر حتى الآن هي التجارة في الأديان. فقد جمعت الكنائس المسيحية مليارات الدولارات في أمريكا ومثلها من الجنيهات في انـگـلترا وأيرلندا وإيطاليا من بيع **صكوك الغفران** والمتاجرة باسم المسيح الذي مات فقيراً معدماً، كما جمع شيوخ الإسلام وفقهاؤه الملايين منذ أن كدّس أصحاب النبي من أمثال عثمان بن عفان والزبير بن العوام الذهب والفضة بعد موته واستغلوا الأمصار والمدن المفتوحة عنوة لامتلاك المزارع والعقار.

واليوم يَجمع وعاظ الفضائيات الملايين من بيع الوهم والكذب للبسطاء، مثل **وهم الإعجاز العلمي في القرآن**. ولفضح كذبهم وضلالهم سوف أناقش هنا آيةً واحدة من القرآن تُثبت لمَن يريد الإثبات *أن القرآن ليس به إعجاز علمي وليس هو من عند الله لأنه مليء بالأخطاء العلمية*. تقول الآية:

> {**الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**. (الزمر 42)}.

نفهم من هذه الآية أن الناس عندما ينامون تخرج أنفسهم أو أرواحهم وتصعد إلى الله الذي يمسك منها أرواح من يريد أن يتوفاهم ويرد بقية الأرواح إلى النائمين الذين لا يريد أن يتوفاهم، فيفيقوا من نومهم. وحتى لا يتهمونا بعدم فهم آيات القرآن فهماً صحيحاً، نورد هنا تفسير الإمام القرطبي لهذه الآية:

> " "الله يتوفى الأنفس": أي يقبضها عند فناء أجلها. "والتي لم تمت في منامها": أُختلف فيه، فقيل: يقبضها عن التصرف مع بقاء أرواحها في أجسادها وهي النائمة، فيطلقها بالتصرف إلى أجل موتها. قال ابن عيسى وقال الفراء المعنى: ويقبض التي لم تمت في منامها عند انقضاء أجلها، فيكون التقدير على هذا: والتي لم تمت وفاتها نومها. وقال ابن عباس وغيره من المفسرين: إنّ أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ماشاء الله منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى الأجساد، أمسك الله أرواح الأموات عنده وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها. وقال سعيد بن جبير: إنّ الله يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا وأرواح الأحياء إذا ناموا، فتتعارف ما شاء الله أن تتعارف "فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى" أي يعيدها. قال عليّ رضي الله عنه: مما رأته نفس النائم وهي في السماء قبل إرسالها إلى جسدها، فهي الرؤيا الصادقة، وما رأته بعد إرسالها وقبل استقرارها في جسدها، تلقيها الشياطين وتخيل إليها الأباطيل، فهي الرووْيا الكاذبة. وقال ابن زيد: النوم وفاة والموت وفاة. وعن النبي (ص) قال [**كما تنامون فكذلك تموتون، وكما توقوظون فكذلك تُبعثون**] ورُوي مرفوعاً من حديث جابر بن عبد الله قيل: يارسول الله، أينام أهل الجنة؟ قال: [**لا. النوم أخو الموت والجنة لا موت فيها**] خرّجه الدارقطني. وقال ابن عباس: «في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس، فالنفس التي بها العقل والتمييز، والروح التي بها النَفس والتحريك، فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه». وهذا قول ابن الانباري والزجاج. قال القشيري أبو نصر: وفي هذا بُعد. إذ المفهوم من الآية أن النفس المقبوضة في الحال شيء واحد ولهذا قال "فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى". فإذاً يقبض الله الروح في حالين، في حالة النوم وحالة الموت. وقد اختلف الناس في هذه الآية في النفس والروح، هل هي شيء واحد أو شيئان على ما ذكرنا. والأظهر أنهما شيء واحد وهو الذي تدل عليه الآثار الصحاح. من ذلك حديث أم سلمة، قالت: دخل رسول الله (ص) على أبي سلمة وقد شق بصره فأغمضه وقال [**إنّ الروح إذا قبض تبعه البصر**] وحديث أبي هريرة، قال قال رسول الله [**ألم تروا الإنسان إذا مات شخص بصره، فذلك حين يتبع بصره نفسه**]، خرّجهما مسلم."
> انتهى.

فمرة الروح تتبع البصر ومرة النفس تتبع البصر. فالروح والنفس هما نفس الشيء.

فإذاً لا جدال أن القرآن يقول عندما ينام الإنسان تخرج روحه وتصعد إلى السماء وتقابل أرواح الموتى وتتعارف معهم ثم ترجع إلى الجسد كي يصحو من نومه. وبهذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير وكبار الصحابة. ولما حاول بعض المفسرين الخروج من هذا **المأزق** لأنهم عرفوا أن روح النائم لا تفارقه، قالوا بحديث عن ابن عباس *يفرّق فيه مابين الروح والنفس*، ولكن بقية الصحابة والمفسرين ردوا هذه المحاولات وأثبتوا أن الروح والنفس شيء واحد حسب أحاديث أم سلمة وأبي هريرة.

والآن نأتي لهذا الإعجاز العلمي الخارق الذي قال به القرآن قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، قبل أن يأتي العلم الحديث بتفسير حالة النوم. فما هو النوم؟ النوم حالة من الإغفاء يتعطل فيها أو يُهدِّئ الجزء العلوي من الدماغ cerebrum من سرعة عمله بينما يستمر جذع الدماغ brain stem في العمل. الجزء الأعلى من الدماغ هو الذي يسيطر على التفكير والحركة الإرادية والنظر والسمع والكلام وجميع الحواس الأخرى والعواطف. وجذع الدماغ يحتوي على مركز التنفس والتحكم في ضربات القلب. والعطل أو التهدئة التي تحدث وقت النوم هو عطل مؤقت الغرض منه إراحة الجسم من التعب بإرخاء العضلات وإبطاء التنفس ودقات القلب. وقد درس العلماء حالة النوم في أشخاص أصحاء وفي المرضى وقسموا النوم إلى درجات، منها النوم الخفيف والنوم العميق. واستطاع العلماء بواسطة اسلاك كهربائية أوصلوها برأس النائم أن يسجلوا الذبذبات الكهربائية التي تحدث في الدماغ عندما يكون الإنسان نائماً. وكذلك أوصلو أسلاكاً رفيعة جداً بجفون العين تستطيع أن تسجل حركات العين أثناء النوم. وقد وجد العلماء أن النوم ينقسم إلى قسمين رئيسيين: النوم الذي تصحبه **حركات العين السريعة** Rapid Eye movement (REM) و النوع الثاني الذي تصحبه **حركات العين البطيئة** Non REM والدماغ كذلك تصدر منه ذبذبات أو أمواجٌ كهربائية سريعة عندما يكون النوم خفيفاً وتصير الذبذبات بطيئة عندما يصبح النوم عميقاً. وعندما يحلم النائم تتحرك عيناه بسرعة من جهة إلى الأخرى. وأثناء النوم تزيد سرعة عمل الكبد في بناء البروتينات وتخزين السكر anabolism وتقل سرعة تكسير الخلايا catabolism ففي أثناء النوم هناك حركة دائمة في الدماغ والعيون والكبد والكلى والأمعاء.

فالإنسان النائم ليس ميتاً ولم تبرحه روحه أو نفسه إلى السماء لكي يقبضها الله في السماء إذا أراد. والدليل أن الإنسان النائم ليس ميتاً هو استمرار العيون في الحركة أثناء النوم واستمرار ضربات القلب والتنفس. والإنسان العادي عندما يكون نائماً يتقلب في سريرة ليزيل الضغط عن الجانب الذي كان نائماً عليه، في المتوسط ثمان مرات بالليلة. وهناك من النائمين من ينهض من سريره وهو نائم ويمشي في الغرفة ويفعل بعض الأشياء ثم يرجع إلى سريره دون أن يفيق من النوم ولا يتذكر شيئاً مما حدث عندما يفيق في الصبح. ويسمون هذا النوع من الحركة أو المشي sleep walking وبعض الناس يشخر وهو نائم وبعضهم يتحدث في نومه والبعض يكرج أسنانه طوال الليل. فهل يستطيع الميت فعل كل هذه الأشياء؟ وهل إذا فارقت الروح الجسد، حتى إذا لم يمت الجسد (إذا كان للإنسان أصلاً روحُ) هل يستطيع الجسد الذي فارقته روحه أن يتقلب في سريره أو يشخر في نومه؟ ثم أن الخيول والأبقار والخرفان يمكنها أن تنام وهي واقفة. فهل يستطيع الميت أن يقف؟ والأغرب من ذلك أن سمك الحوت whales والدولفين لأنها لا تستطيع أن تتنفس إذا نامت نوماً عادياً، ويسمونها conscious breather فإن نصف دماغها فقط ينام بينما يظل النصف الآخر صاحياً ليتحكم في التنفس. فهل يصعد نصف روحه إلى السماء؟

وهناك بعض الناس لا ينامون إطلاقاً. فمثلاً المواطن الڤيتنامي تاي نكوك Thai Ngkoc الذي ولد عام 1942 لم ينم لمدة ثلاث وثلاثين سنةً. وهناك أناس يولدون بنوع من اختلال الجينات Gene يُسمى متلازمة مورڤان Morvan syndrome لا ينام الواحد منهم لعدة

أشهر (www.wikipedia.org/wiki/sleep). فماذا يحدث لأرواح هؤلاء البشر؟ ألا يتوفاهم الله كل ليلة مع الآخرين خاصة عندما قال:
{وهو الذي جعل لكم الليل لباساً والنوم سُباتا وجعل النهارَ نشورا. (الفرقان 47)}
وقد خلق محمد والذين معه هالةً حول النوم وجعلوا له سنناً معينة وأدعية تقال قبله وعندما يصحو النائم من نومه. فمثلاً:

- قـال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للبراء بن عازب رضي الله عنه :

[إذا أتيت مضجعك ، فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن... الحديث.] [1]

- قراءة سورة الإخلاص، والمعوذتين قبل النوم:

عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما: {**قل هو الله أحد**} و{**قل أعوذ برب الفلق**} و{**قل أعوذ برب الناس**}، ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.[2]

- التكبير والتسبيح عند المنام:

عن علي رضي الله عنه، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال حين طلبت منه فاطمة ـ رضي الله عنها ـ خادماً: [**ألا أدلكما على ما هو خير لكما من خادم؟ إذا أويتما إلى فراشكما، أو أخذتما مضاجعكما، فكبرا أربعا وثلاثين، وسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين. فهذا خير لكما من خادم.**][3]

- الدعاء عند الاستيقاظ من النوم بالدعاء الوارد:

[الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا، وإليه النشور.][4]

- وأجمع فقهاء الإسلام وأهل السيرة النبوية على أن الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم.

ولا أعتقد أن هناك أي شخص في الدنيا ينام قلبه عندما ينام. فلو حدث ذلك يكون الشخص قد مات. والآن قد استطاع العلماء تسليط أمواج مغناطيسية على جزء معين من الدماغ يجعل الإنسان يغط في نوم عميق لمدة عشرة أو عشرين دقيقة يصحو بعدها وكأنه قد نام ثمان ساعات.

فهل تكفي هذه الدقائق العشرة إلى إرسال روحه إلى السماء السابعة ثم إرجاعها إلى جسده؟ وهل يستطيع السيد زغلول النجار وبقية وعاظ القنوات الفضائية الذين جمعوا الملايين من بيع الإعجاز العلمي أن يبينوا لنا وجه الإعجاز في الآية المذكورة أعلاه؟

عودة إلى الفهرس

[1] متفق عليه:6311-6882.
[2] رواه البخاري: 5017.
[3] متفق عليه: 6318 – 6915.
[4] رواه البخاري من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: 6312.

2007 / 5 / 19

62 - فتاوى تحض على الجهل

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=97173

رغم أن الأمية والجهل يسودان على الشعوب الإسلامية من بنـگـلاديش إلى شمال أفريقيا، ومن الصين إلى تركيا، مروراً بالشرق الأوسط، نجد *هناك من الشخصيات الدينية مَن يُشجع على ازدياد الجهل بفتاوى ما أنزل الله بها من سلطان*. ثم تقول لنا نفس هذه الشخصيات إن الإسلام دين العلم وأن أول آية نزلت من القرآن كانت {**إقرأ باسم ربك الذي خلق**}. وأن الرسول قال في الحديث [**اطلبوا العلم ولو في الصين**]. وكمثال على هذه الفتاوى التي تحض على الجهل وعدم طلب العلم حتى في نفس البلد، ناهيك عن السفر إلى الصين، نورد فتوى الدكتورة المصرية عبلة الكحلاوي، أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة الأزهر.

- وقد جاء في فتوى الدكتورة ما يلي:

(«ان المجتمع المصري ليس في حاجة الي تعليم أو تدريس الثقافة الجنسية في المدارس أو وسائل الإعلام»
واعتبرت هذه المعلومات بهذه الطريقة قبحاً وليست بثقافة. واتهمت الكحلاوي المطالبين بذلك
«بأنهم يدعون الي الفسق والفجور»
وأوضحت ان أي امرأة تريد مثل هذه المعلومات يمكنها الذهاب لأي طبيبة في العيادة إذ لا يجب ان تكون هذه المسائل علي المشاع. وأكدت أن الشروح والتفاصيل التي تبثها الفضائيات بتوسع حول هذا الموضوع إنما هي فسق وفجور وليس الهدف منها التعليم أو الثقافة. وقالت د. عبلة الكحلاوي
«لا بد أن يكون الرادع داخلياً لأن مثل هذا الردع إن كان من الانسان نفسه سيدفعه الي احترام الخلوة الشرعية بكل معانيها ووقتئذ يمكن للمرأة ان تتعلم وتسافر لأي مكان دون خوف بشرط الالتزام بآداب وشروط الخلوة كغض البصر والزي الشرعي وغير ذلك».
وناشدت الأزواج بضرورة الاحترام المتبادل مؤكدة أنها عاشت حياة زوجية هي الأعظم في العالم كله لأنها تعرف معني الزوجية وواجباتها وحقوقها.)[1]

✍ والدكتورة التي تعترض على تدريس أبجديات الجنس بالمدارس تغض الطرف عن ما جاء في كتب الفقه من وصف للممارسات الجنسية يكاد يفوق ما نراه في أفلام البورنو، فمثلاً:

- في باب الغسل نجد:

"ولو غيب الرجل الحشفة في دبر امرأة، أو دبر رجل، أو فرج بهيمة، أو دبرها، وجب الغسل سواء كان المولج فيه حيا أو ميتا. ولو استدخلت المرأة ذكر بهيمة في فرجها وجب عليها الغسل، ولو استدخلت ذكرا مقطوعا، ففيه وجهان: أصحهما يجب عليها الغسل"[2].

- وفي باب الجنابة نجد:

"وهي بأمرين: الجماع والإنزال. أما الجماع فتغييب قدر الحشفة في أي فرج كان سواء غيب في فرج امرأة أو بهيمة أو دبرهما أو دبر رجل أو خنثى صغير أو كبير حي أو ميت. ويجب الغسل على المرأة بأي ذكر دخل فرجها، حتى ذكر البهيمة والميت والصبي وعلى الرجل المولج في دبره†، ولا يجب إعادة غسل الميت المولج فيه على الأصح" انتهى.

- وهناك مقاسات ما يجب إدخاله من الذكر في الفرج إذا كانت الحشفة مقطوعة. وهناك وصف كامل للفرج في باب الختان الذي أوصى به رسول الله.

ورغم أن الدراسات الأوروبية والأمريكية أثبتت أن نسبة البنات اللاتي يمارسن الجنس في سن مبكرة واللاتي يحبلن من هذه الممارسات، أعلى بكثير في الطبقات الدنيا التي لا يهتم الأطفال وأولياء أمورهم فيها بالتعليم، نجد أن الدكتورة تقول لنا إن المجتمع المصري ليس في حاجة الي تعليم أو تدريس الثقافة الجنسية في المدارس. ومما لا شك فيه أن البنت التي تعرف نظام الدورة الشهرية ومتى يفرز المبيض البويضة ومتى تكون المرأة قابلة للحمل، يكون احتمال حبلها أقل من البنت التي لا تعرف. ثم أن الثقافة الجنسية في المدارس تعلم النشء فوائد وأضرار الممارسات الجنسية وكيف يتفادون الأمراض الجنسية وحتى النفسية التي عادةً ما تنتشر في المجتمعات الجاهلة والمكبوتة جنسياً مثل **المجتمعات الإسلامية**. *فالممارسات الجنسية منتشرة في المجتمعات الإسلامية جميعها، ولا يمكن منعها رغم تسترنا عليها.*

وإذا نظرنا إلى أي مجتمع إسلامي نجد أنه مليء:

- بأطفال السفاح أو اللقطاء كما يحلوا لهم أن يسموهم،
- وببيوت الدعارة وبتجارة الجنس،
- وبالخيانات الزوجية،
- وبالعيادات التي ترّقع غشاء البكارة قبل الزواج،
- وبالزواج العرفي أو المسيار أو المتعة.

أليس من العقل والحكمة إذاً أن نُعلّم هؤلاء الناس أبجديات الثقافة الجنسية حتى نحميهم من مضاعفات هذه الممارسات، خاصةً وأن الحكمة العامية تقول (العلمُ بالشيء ولا الجهلُ به). ثم أن القرآن يقول لنا: {**وقل ربِ زدني علماً. (طه 114)**}. ويقول كذلك: {**هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون. (الزمر 9)**}.

ولكن يبدو أن الدكتورة تتبع الحديث الذي يقول [**سلوا الله علماً نافعاً وتعوذوا الله من علم لا ينفع**][3]. فهي تعتبر أن الثقافة الجنسية علمٌ لا ينفع. فهل حقيقةً أن هناك علماً لا ينفع؟ لا شك أن كل علمٍ نافع ولكن هناك من يستغل العلم النافع في أشياء غير نافعة أو مضرة. ولكن حتى هذا النوع من العلم يشجعنا القرآن على تعلمه. فعندما تحدث القرآن عن الشياطين قال: {**لكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت... فيعلمونمنهما ما يفرّقوا به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم. (البقرة 102)**}. ورغم أنهم يتعلمون السحر الذي يضرهم ولا ينفعهم، نجد أن الله قد أنزل السحر على الملكين ببابل ليعلماه الشياطين التي بدورها تعلمه الناس. فالعلم، كل العلم، مهم.

- واستمرت الدكتورة لتقول لنا:

"إن أي امرأة تريد مثل هذه المعلومات يمكنها الذهاب لأي طبيبة في العيادة إذ لا يجب ان تكون هذه المسائل علي المشاع. وأكدت أن الشروح والتفاصيل التي تبثها الفضائيات بتوسع حول هذا الموضوع إنما هي فسق وفجور."

✍ وعلينا أن نسأل الدكتورة الفاضلة هنا: هذه الطبيبة التي تعلمت كل شيء عن الجنس حتى تستطيع أن تشرحه لمن تريد من النساء، هل أصبحت فاسقة وفاجرة لأنها تعلمت عن الجنس؟ وإذا كانت الإجابة بالنفي، فما الذي يجعل الطبيبة التي تدرس

† **حوارية بين منقح المقالات والمؤلف.**

- المنقح:
أليس تداول موضوع الإيلاج في دبر الرجل يشير إلى أن اللواطة لم تُحَرم؟ كما يشير إلى أنها كانت دارجة، ولذلك تناولها الفقهاء؟
وكذا الحال مع الموتى، كان دارجا الإيلاج فيهم؟

+ رد الدكتور كامل:
أكيد كان اللواط منتشراً في صدر الإسلام في المدينة وما حولها، كما كانت الخيانة الزوجية. لذلك منع محمد أتباعه من دخول منازلهم ليلاً عندما يعودون من غزواتهم حتى لا يجد الرجل زوجته مع رجل أخر

- المنقح:
ومن هنا يمكننا أن نفهم فتوى الشيخ المغربي "عبد الباري الزمزمي" التي صدرت (على ما أظن عام 2012) تحت تسمية **نكاح الوداع** حيث يجيز للرجل أن ينكح زوجته المتوفاة نكاحاً أخيراً خلال الساعات الست الأولى من وفاتها!!!
كما اقترح أحد النواب المصريين في زمن حكم مرسي (قبل حل البرلمان) مناقشة إصدار فتوى مماثلة في مصر!!!!!!!!!!

[1] جريدة الراية القطرية، راية الإسلام 15 أبريل 2007.
[2] فقه العبادات على المذهب المالكي، تأليف الحاجة كوكب عبيد، باب الطهارة.
[3] الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي، ج4، باب السين.

الجنس مختلفة عن بقية النساء اللاتي إذا تعلمن عن الجنس فسوف يصبحن فاسقات؟ هل كونها طبيبة يعصمها من الفسوق، أم أن علمها يحميها منه؟ لا شك أن العلم بالشيء يحمي من أضراره.

- وزادت الدكتورة فقالت:

"لا بد أن يكون الرادع داخلياً لأن مثل هذا الردع إن كان من الانسان نفسه سيدفعه الي احترام الخلوة الشرعية بكل معانيها ووقتئذ يمكن للمرأة ان تتعلم وتسافر لأي مكان دون خوف بشرط الالتزام بآداب وشروط الخلوة كغض البصر."

والدكتورة *مثلها مثل أي شيخ إسلامي* تحمّل المرأة العبء الأكبر في الحفاظ على المثل العليا فتحدثنا عن غض البصر عندما تسافر المسلمة التي تجهل أبجديات الجنس إلى أي مكان دون خوف. وتنسى الدكتورة أن القرآن قال: {**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون. (النور 30)**}. وقد ذكر القرآن هذه الآية قبل التي تليها وتأمر المؤمنات بغض البصر. **فلو غض الرجال أبصارهم وحفظوا فروجهم فلن يكون هناك أي خوف على المرأة من السفر. لكن الدكتورة تفضل أن تنصح بنات جنسها بغض البصر وتفادي تعلم الثقافة الجنسية**. والدكتورة معذورة لأن أساتذتها قد غسلوا دماغها وأقنعوها أن المرأة **فتنة** وهي المسؤولة عن تدهور أخلاق المجتمعات الإسلامية، ولو علمناها أي شيء عن الجنس فسوف تهتاج وتهجم على الرجال لتشبع رغبتها. وقد كان الشيخ الشعراوي يقول:

إن المرأة إذا لم تُختن فإن احتكاك ملابسها ببظرها يجعلها تهتاج وتهوى الرجال.

وكنتيجة حتمية لمثل هذا الجهل الذي تشجع عليه هذه الفتاوى، نجد بنات يسألن الشيوخ عن أبجديات الجنس التي يجهلنها جهلاً تاماً، **ويرد عليهن الشيوخ بجهل يفوق جهلهن**.

ففي نفس الصحيفة نجد فتوى أخرى ترد على بنت تسأل الشيخ عن الاغتصاب وغشاء البكارة. تقول السائلة:

"واحدة من صديقاتي قبل نزول الدورة الشهرية تعرضت لأكثر من حادثة اغتصاب، فهل هذا يفقدها غشاء البكارة، وهل عليها إخبار زوجها (عندما تتزوج) أم يمكن يكون غشاء البكارة كما هو".

وحتى تتأكد الدكتورة من أخلاقيات المجتمع الفاضل الذي تتحدث عنه، نقول لها إن هذه البنت تتحدث عن صديقتها التي لم تحض بعد، أي أنها طفلة، وتعرضت للاغتصاب عدة مرات. ورغم هذا تسأل إذا كان غشاء البكارة يمكن أن يكون سليماً. وهذه البنت لا يهمها إن كان الله سوف يحاسب صديقتها أم لا، إنما يهمها هل تخبر زوجها إذا تزوجت أم لا؟

وكان رد الشيخ:

"الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله وعلي آله وصحبه، أما بعد: فإن الاغتصاب قد تفقد معه المرأة غشاء البكارة وقد لا تفقده، وعلي كل تقدير فإن الواجب علي هذه الفتاة أن تستر علي نفسها، فلا تخبر بما حدث لها أحداً، زوجاً أو غيره، ولو قدر أن زال غشاء البكارة وعرف الزوج ذلك فلا تخبره بحقيقة ما حدث، ولتستخدم التورية لأن لزوال غشاء البكارة أسباباً عديدة، وننبه إلي أنه يغلب أن يكون سبب الاغتصاب وجود نوع من التفريط من قبل المرأة بالتساهل في أمر الخلوة بالرجال ونحو ذلك، وإلا كيف يمكن أن يُفهَم تكرر الاغتصاب بالنسبة للمرأة الواحدة في الظروف العادية، فإن حصل مثل هذا التفريط من المرأة فالواجب عليها أن تتوب إلي الله تعالي منه، وأن تتخذ الحيطة والحذر فيما يستقبل من الزمان، والأصل في إطلاق الاغتصاب أن يقصد به الإكراه علي الزنا، فلا يحصل عن رضي من المرأة."[4]

والشيخ هنا كالأعمى الذي يقود العميان. فالاغتصاب كما قال هو، يكون عملاً ضد رغبة المرأة ويرتكب بالقوة. والطبيب الذي يفحص على المرأة يميل إلى أن المباشرة كانت اغتصاباً إذا رأي جروحاً وكدمات بمهبل المرأة. وإذا تم الاغتصاب فلن يسلم غشاء البكارة. ولكن الأهم من ذلك أن السائلة وأعداداً غفيرة من النساء لا يعرفن أي شيء عن غشاء البكارة ولا عن الاغتصاب. فهل نغطي على هذا الجهل بأن ننصح البنت بعدم إخبار من يتزوجها، والحديث يقول [**من غشنا ليس منا**]؟

هل الكذب الذي نصحها به الشيخ سوف يكون بداية طيبة لعلاقة زوجية مع هذه البنت؟

أليس الأفضل أن نعلّم النشء ماهية غشاء البكارة وأنه غشاء ينتج في فترة تكوين الجنين عندما يتلاقي الجزء الأسفل من الجهاز التناسلي مع الجزء الأعلى الذي ينمو من برعم ثاني غير الذي ينمو منه الجزء الأسفل، وعندما يتقابل الجزءان يتكون هذا الغشاء؟ **والطبيعة لم تخلق هذا الغشاء ليكون ممثلاً لشرف البنت**. ونفس الغشاء قد يتكون في مخرج الغائط إذ أن الجزء الأسفل منه ينمو من برعم يختلف عن برعم الجزء الأعلى، وفي بعض المواليد نجد غشاءً يفصل الاثنين ويؤدي إلى انسداد الامعاء مما يستوجب إجراء عملية جراحية لفتح الأمعاء. أليس العلم بهذه الأمور أفضل من الجهل والكذب على الأزواج؟

إنها ثقافة الإسلام التي تقول: {لا تسألوا عن أشياء إن تُبد لكم تسؤكم} وكذلك كما قال نوح لربه: {قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم}.

ونلاحظ هنا أن الشيخ كبقية إخوانه من الشيوخ، يلوم المرأة على الاغتصاب لأنها جعلت نفسها عرضة له، ولا يلوم الرجل الذي اغتصبها ولم يغض بصره ولم يحفظ فرجه كما أوصاه ربه.

ولم تنس الدكتورة أن تؤكد لنا على الطريقة الإسلامية التي تزعم أن نبي الإسلام أفضل نبي وأمة الإسلام خير أمة، فكذلك أكدت لنا الدكتورة أنها عاشت حياة زوجية هي الأعظم في العالم كله لأنها تعرف معنى الزوجية وواجباتها وحقوقها. فالدكتورة ملمة بالحيوات الزوجية لكل الذين يعيشون على هذه البسيطة، وحياتها الزوجية هي الأعظم.

اللهم امنح المسلمين قليلاً من التواضع. آمين.

عودة إلى الفهرس

[4] فتاوى تهمك، 19 أبريل 2007.

94 - الجهل بالجنس ولا العلم به

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=126811

القاعدة العامة تقول "العلمُ بالشيء ولا الجهلُ به" لأن الإنسان عدو ما يجهل. ولكنّ المسلمين عامةً والعربَ خاصةً، يفضلون الجهل بالجنس على العلم به، ولذا نجد كل هذا العداء للجنس وللمرأة.

أول ما بدأت الحياة على كوكب الأرض قبل مليارات السنين، كان أول حيوان حي خرج من الماء هو البكتيريا ذات الخلية الواحدة. ثم تبعتها الڤيروسات ثم الأميبا التي هي كذلك من خلية واحدة ولكنها خلية أكبر وبها نواة تحتوي على الشفرة الوراثية. كل هذه الحيوانات ذات الخلية الواحدة كانت تتوالد بطريقة غير جنسية Asexual reproduction وهي عبارة عن الإنشطار الذي يجعل الحيوان ذا الخلية الواحدة ينقسم إلى حيوانين.

والخطوة التالية كانت ظهور التكاثر عن طريق الجنس Sexual reproduction ولكن لأن العملية كانت في بدايتها فقد كان الحيوان الواحد متعدد الخلايا يحمل بداخلة أعضاء تناسلية للذكر والأنثى. فمثلاً حيوان الهايدرا Hydra يفرز بويضة ويلقحها بحيوان منوي من خلايا ذكرية بأطراف الحيوان نفسه. ولا يشعر الحيوان بأي لذة جنسية في هذه العملية. ونفس الشيء ينطبق على كل أنواع الزهور التي تحمل بداخلها الأعضاء التناسلية للذكر والأنثى، وتستعين بالنحل أو الريح لتلقيح الأنثى.

الخطوة التالية في سلم الرقي الحيواني والنباتي كانت ظهور حيوانين أو نباتين، أحدهما ذكر والآخر انثى. وهنا ظهرت في الحيوان اللذة الجنسية. غير أن الطبيعة لم يكن غرضها اللذة بقدر ما كان غرضها الحفاظ على النوع والتوالد. لذلك كانت الطبيعة قاسية على أنثى الحيوان وجعلتها لا تقبل الذكر إلا عندما تكون قابلة للتلقيح. فأنثى الحيوان التي تحمل جنينها ستة أشهر مثلاً، لا تمارس الجنس إلا مرة واحدة قبل الحمل ثم تمتنع عنه إلى أن تلد جنينها. والطبيعة كانت أقسى على الحشرات. فهناك مثلاً، حشرة اسمها "مايفلاي " Mayfly هذه الحشرة تعيش تحت سطح الماء في هيئة شرنقة لمدة ثلاثة أعوام حتى تبلغ مرحة البلوغ. ثم تخرج هذه الحشرات، ذكوراً وإناثاً، من الماء وتطير لعدة ساعات في الهواء حتى تلتقي كل أنثى بذكر وتتلقح ومن ثم تعود الإناث إلى الماء لإلقاء البويضات تحت سطح الماء، وتموت الإناث ويموت الذكور كذلك بعد عدة ساعات من البلوغ والخروج من الماء. فالغرض من حياة هذه الحشرة هو الحفاظ على النوع فقط. أما بالنسبة للنحل، فالملكة تمارس الجنس مرة واحدة فقط في حياتها وتحتفظ بالحيوانات المنوية في أنبوب خاص داخل بطنها، وكلما أنتجت بويضة تلقحها بحيوان منوي من الأنبوب الخاص.

ولكن الطبيعة كانت أكثر حنواً على نوعين من الإناث، وهما أنثى الإنسان وأنثى حوت الدولفين، فمنحتهما المقدرة على ممارسة الجنس من أجل اللذة، وليس بالضرورة للإنجاب. وحتى تؤهل الطبيعة انثى الإنسان للاستمتاع بممارسة الجنس وقت ما شاءت أن تستمتع، وهبتها الطبيعة شيئين مهمين، هما البظر والبقعة "ج" The G spot البظر يوجد بأعلى الجهاز التناسلي وهو عبارة عن عضو ذكوري كالقضيب، لكنه أصغر بكثير. وكالقضيب يمتليء البظر بالدم عند التهيج الجنسي، وينتصب ويصبح في غاية الحساسية عند اللمس أو الاحتكاك. والبقعة "ج" توجد في الجدار الأمامي للمهبل، وهي كذلك في غاية الحساسية عند اللمس والاحتكاك. ولهذا السبب تستمتع المرأة بالجنس غاية الاستمتاع وتصل الذروة Orgasm إذا كانت متهيأة نفسياً للجماع. وقد تصل للذروة عدة مرات في الاتصال الجنسي الواحد إذا كان رفيقها في الاتصال يملك الخبرة اللازمة. *وبدل أن يساعد الفقهاء المرأة على الاستفادة من هذه الهبة من الطبيعة، عملوا على حرمانها من المتعة، فقطعوا البظهر بحجة أنّ الختان سنة، مع العلم أن النبي لم يختن بناته، وفرضوا عليها قوانين تعسفية تمنعها حتى من السحاق مع بنات جنسها.*

وفي بداية حياة الإنسان كان الجنس مشاعاً ولم تكن هناك أي قوانين وتعقيدات لممارسته. وحتى قريباً عندما تكونت المجتمعات البشرية فيما بين النهرين، مثلاً، كانت معابد الإلهة عشتار تعتبر الجنس مقدساً ويمارسه المسافرون مع كاهنات المعبد كنوع من العبادة.

والديانة البوذية تعتبر الجنس عملاً مقدساً وتتعبد للأعضاء التناسلية، من ذكورية وأنثوية، وتنحتها على التماثيل دون أي حياء (والمسلمون يقولون: لا حياء في الدين). ولسببٍ ما اتخذ فقهاء الإسلام **موقفاً عدائياً من الجنس وجميع أنواع اللذة**. وبدأ اضطهاد المرأة جنسياً عندما سمح الإسلام لأتباعة بزواج أربعة نساء في آن واحد وعدد لا يُحصى مما ملكت أيمانهم من الجواري والسبايا. فأصبح الجنس بالنسبة للمرأة المسلمة المتزوجة عملية "كوتة" مقررة، مثلاً، مرة بالاسبوع لأن الزوج لا بد أن يعدل بين أزواجه وقلبه يميل إلى السبايا، **كما فعل قلب النبي مع ماريا القبطية رغم زوجاته التسع**. ولا يمكن لرجل أن يمارس الجنس كل ليلة من حياته، ولذا قد تكون "كوتة" إحداهن حضور الزوج جسدياً ولا شيء غير ذلك.

وقد اجتهد فقهاء الإسلام في التنقيب في الكتب الصفراء حتى يملؤوا أوقاتهم، وجمعوا الأحاديث والأقاويل التي جعلت المرأة والجنس عامةً من المحرمات التي لا يجوز الحديث عنهما. ورغم جهلهم المخيف بالمرأة وأعضائها التناسلية، أصدروا فتاوى لا تمت للواقع بأي صلة.

> فمثلاً، الخليفة عمر بن الخطاب سأل ابنته حفصة عن المدة التي يمكن للمرأة أن تصبر على فراق زوجها، فأجابته حفصة بأنها أربعة أشهر. فأصبح من حق المرأة على زوجها الجماع مرة كل أربعة أشهر.

هناك اختلاف كبير بين المرأة والرجل في الاستمتاع بالجنس. الرجل يرى امرأة جميلة يثيره منظرها فينتصب قضيبه ويكون جاهزاً للممارسة. المرأة تحتاج إلى مداعبة قولية وفعلية ثم مداعبة البظر أو البقعة "ج" حتى تفرز المرأة السوائل المهبلية لتسهيل عملية الإيلاج. وبعد الممارسة تحب المرأة، عامةً، أن يظل الرجل بداخلها محتضناً لها حتى تشعر بالحب والدفيء والانتماء. غير أن فقهاء الإسلام اعتبروا المهبل **نجساً** وعلى الرجل انتزاع قضيبه منه بمجرد أن يقذف ماءه، ثم الغسل بعد ذلك ليزيل النجاسة عنه. أين الحميمية في هذه الممارسة؟ {**وجعلنا لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها**}.

الكاتبة الصحفية لندا برادفورد عاشت في السعودية عامين قضتهما بين الأميرات في القصور الفارهة وعندما رجعت إلى أمريكا كتبت كتابها "شيوخ البترول The Oil Sheikhs". تقول في هذا الكتاب:

> إن إحدى الأميرات أخبرتها أنها تسافر إلى أوروبا بانتظام، ليس من أجل ممارسة الجنس مع رجل أبيض، وإنما لممارسته مع رجل يظل بداخلها ويحتضنها بعد الفراغ من الجنس. وتقول إن تلك اللحظة أمتع من الجنس نفسه.

فقهاء الإسلام رغم جهلهم بالخصائص التشريحية Anatomy للمهبل، ورغم جهلهم بفسيولوجيا الجنس، أفتوا في كل شيء عن المرأة، **وكانت فتاواهم خاطئة**.

- وبنوا فتاواهم على أن للمرأة مني كمني الرجل فقالوا:

"لو خرج من المرأة مني الرجل لا يوجب جنابتها إلا مع العلم باختلاطه بمنيها"[1].

يعجز العقل عن فهم هذا الشرط.

- وركز فقهاء الإسلام على غشاء البكارة **وأفتوا بالخطأ لجهلهم**، فقالوا:

"لو اشتبه دم الحيض بدم البكارة، كما افتضت البكر فسال دم كثير فشك في أنه من الحيض أو البكارة أو منهما؟ يُختبر بإدخال قطنة (في المهبل) والصبر قليلا ثم إخراجها، فإن كانت مطوقة بالدم فهو من البكارة، وإن كانت منغمسة (بالدم) فهو من الحيض"[2]. †

ولأن الفقهاء سمعوا أن غشاء البكارة مستدير، تخيلوا أن الدم الناتج من تمزيقه سوف يترك خطاً أحمراً حول القطنة، والقطن يمتص الدم ولا يعرف أن الفقهاء حددوا له مساراً معلوماً.

- واختزل الفقهاء الحب والزواج في مصطلح **"النكاح"** وكتبوا آلاف الكتب عن النكاح، ووضعوا له شروطاً جعلته عملية مبرمجة تقوم بها آلات وليس رجلٌ وامرأة يحبون بعضهما، فقالوا:

"النكاح رقٌ، فإذا أنكح أحدكم وليدته فقد أرقّها، فلينظر أحدكم لمن يُرقّ كريمته"[3].

وقالوا كذلك:

"يُكره الجماع في ليلة خسوف القمر، ويوم كسوف الشمس، ويوم هبوب الريح السوداء والصفراء والزلزلة، وعند غروب الشمس، وبعد طلوع الفجر، وفي أول ليلة من كل شهر ماعدا شهر رمضان، وفي ليلة النصف من كل شهر، وليلة الأربعاء، وفي ليلتي عيد الأضحى والفطر، ويكره الجماع في السفر إذا لم يكن معه ماء يغتسل به، ويكره الجماع وهو عريان"[4].

فالرجل يحتاج إلى تقويم على الحائط يُعلّم عليه الأيام التي يُسمح له فيها بممارسة الجنس.

- وبعد تعميم هذا الجهل بين المسلمين، فصل الفقهاء بين الرجال والنساء، فحرّموا الاختلاط مما جعل الشباب من الجنسين محرومين من متعة الجنس ويتوقون إليه، وهذا قد جعل من السهل على الإرهابيين المسلمين غسل أدمغة الشباب بوعدهم باثنين وسبعين حورية في الجنة، كلما افتضهن رجعن عذراوات كيوم خلقهن الله.

الجهل بكيفية ممارسة الجنس والخوف منه، لأن الإنسان يخاف من المجهول، جعل نسبة العجز الجنسي في البلاد العربية مرتفعة للغاية.

ففي السعودية مثلاً، ومن خلال الاحصائيات والدراسات تبين ان هناك 34 % من السعوديين يعانون من الضعف الجنسي و98 % من المرضى شعروا بضعف الرجوله لديهم و62 % لا يتمكنوا من الممارسة عدة مرات و 64 % أوضحوا أنّ زوجاتهم لا يشعرن أنّ بإمكانهن بدء المعاشرة[5].

وتتكرر هذه النسب العالية للعجز الجنسي في جميع البلاد الإسلامية. ويساعد هذا الجهل بأبجديات الممارسة الجنسية في انتشار متلازمة فقد المناعة المكتسب (الايدز) في البلاد الإسلامية، خاصةً ن الفقهاء يحرّمون استعمال الكوندوم Condom بحجة أن النبي قال: [**تناكحوا، تناسلوا، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**]. والكوندوم يمنع الحمل والتكاثر.

وعندما تحاول بعض الحكومات الخجولة في العالم العربي تعليم النشء بعض الحقائق عن الجنس يهب **حماة الفضيلة الملتحين** للدفاع عن دين الله، كما حدث في الكويت عندما حاول الملتحون حجب الثقة عن وزيرة التربية والتعليم بسبب ظهور بعض الكتب التي تتحدث عن الجنس في جامعة خاصة،

«فقال النائب العجمي:
"هناك مَن قال إن هذا الاستجواب قد كفر الوزيرة؟ وهنا نتساءل هل نواب الأمة هم من يكفرون... ولكن قضية تدنيس القرآن لا يمكن السكوت عنها ومن المفترض معاقبة الطالبة... وقبل ذلك عاقبت وزارة التربية طالبة لأنها اتهمت بعدم وطنيتها وهي لم تتجاوز سن العاشرة".
واسترسل العجمي:
"هناك مَن لقب الوزيرة بالمرأة الحديدية وأنا أسال معالي الوزيرة أين أنت من الحفلات الماجنة بالجامعات الخاصة".
وحول موضوع الكتب الجنسية التي عرضت في معرض للكتاب في إحدى كليات البنات قال العجمي:
"أتساءل مَن أحضر هذا الكتب وأنا لا اعتقد بأنها غلطة عفوية فهذا الأمر هو بمثابة مؤامرة تستهدف النشء، وأنا اسأل معالي الوزيرة ما هي الفائدة من عرض هذه الكتب".»[6]

فيبدو أن السيد النائب المحترم مِن الذين يفضلون دفن الرؤوس في الرمال الكويتية بدل فتح العيون والاعتراف بما هو كائن.

ونسبةً لتفشي الجهل بالجنس لدى المشايخ والفقهاء، يصر مشايخ اليوم في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية على **تغطية المرأة كلياً** ويعتقدون أن ذلك سوف يحافظ على العفة والأخلاق الإسلامية المزعومة، ***ويغمضون أعينهم عن الآلاف من أطفال السفاح بمصر***، كأنما نبتوا من الأرض ولم تلدهم نساء مارسن الجنس خارج الجواز رغم العباءات السوداء التي تحجب ضوء الشمس في مصر والسعودية وغيرها. ومن الغريب أن يصر الشيوخ والفقهاء على هذه الممارسات الخاطئة رغم الضرر الذي يمكن أن تسببه للناس. فمثلاً في مصر:

"تتأهب الممرضات المصريات المنقبات لاستقبال قرار يجبرهن على خلع النقاب أثناء أدائهن واجبهن وإظهار وجوههن وأيديهن. ويقضي القرار الجديد المقرر إعلانه رسميا في مارس (اذار) المقبل بإدخال زي جديد للممرضات وحظر غطاء الوجه المعروف باسم النقاب. واشارت ارقام وزارة الصحة المصرية إلى أنّ نحو 9630 ممرضة يضعن النقاب من بين 90 ألف ممرضة يعملن في المستشفيات التابعة للدولة. وتهتم الحكومة المصرية التي تتعرض لتهديد تنامي التشدد الديني بتطبيق القرار الجديد"[7].

يصر الشيوخ على ارتداء الممرضات النقاب والحجاب والقفازات القطنية في الوقت الذي أصدرت فيه وزارة الصحة بإنـگـلترا مرسوما يمنع الأطباء من ارتداء الجاكيت والقمصان ذات الأكمام الطويلة وربطة العنق لأن هذا الملبس يساعد على انتشار العدوى بين المرضى.

ولكن لابد أن نعذر هؤلاء الشيوخ لأن أحاديث البخاري عن الجنس والحجاب أهم مما يتوصل إليه العلم في القرن الحادي والعشرين، وكما يقولون (إنّ لله في خلقه شؤون).

عودة إلى الفهرس

† الأمر الغريب حقاً أن يصدر فتاوى عن الخميني - ابن القرن العشرين - كهذه، ومختلف معارف العالم وعلومه متاحة ليطلع عليها قبل أن يبني أحكامه!!!! **فلا ملامة** البتة إذن على فقهاء الإسلام الأقدمين الذين لم تكن المعارف العلمية، المعروفة لنا الآن، متاحة لهم. وعلى أسوأ الفروض فلا يمكننا أن نتهمهم رغم جهلهم المطبق بالتعامي عن حقائق العلم قصداً. أما الخميني وفقهاء عصرنا الحديثين والمعاصرين (لا سيما في الوقت الراهن مع تدفق المعرفة بسهولة فائقة عبر ثورة الاتصالات والمعلوماتية) فلا يمكن للمرء إلا أن يتهمهم ليس فقط بالجهل بل وبالتهرب المقصود من التنقيب عن الحقائق العلمية لكي يُبقُوا أنفسهم ويبقوا جمهورهم أيضاً في **ظلام مبين** يطيل في أمد جنيهم للملايين.

[1] تحرير الوسيلة للخميني، ج1، ص 32.
[2] تحرير الوسيلة، ج1، ص 40.
[3] نفس المصدر، ج2، ص 212.
[4] نفس المصدر، ص 214.
[5] سالمة الموشي، إيلاف، 2005/1/19.
[6] إيلاف، 2008/1/22.
[7] محمد خليل، الشرق الأوسط، 2008/2/24.

2007 / 5 / 26

63 - بلطجية الأزهر ورضاع الكبير

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=97803

لا شك أنّ هناك **أوصافاً كثيرة تنطبق على الدين الإسلامي** مثل وصفه بدين الإرهاب وبجراب الحاوي وبالدين الزئبقي الذي يصعب الإمساك فيه بأي شيء صلب يمكن الاعتماد عليه. *والسبب في ذلك هم شيوخ الإسلام وفقهاؤه الذين اعتمدوا على أحاديث متناقضة منسوبة إلى نبي الإسلام وجُمعت بعد أكثر من مائتي عام بعد وفاته*. وبما أن القرآن لا يحتوي إلا على آيات معدودة بها أحكام شرعية، فقد اعتمد الفقهاء على هذه الأحاديث المتناقضة ليصوغوا لنا فقهاً متناقضاً مبني على **القياس**، أي أنهم أخذوا حديثاً زعموا أنه قيل في مناسبة معينة وقاسوا عليه أحكاماً حاولوا بها **حل معضلات نتجت فيما بعد** عندما تشعبت الحياة الحضرية التي وجد المسلمون أنفسهم فيها بعد الفتوحات. وقد جعل الفقهاء **الاجتهاد** أصلاً في إخراج الفقه. وعندما ظهر أهل الكلام والمنطق وعارضوا ما قاله الفقهاء أضطر الأخيرون إلى قفل باب الاجتهاد الذي ظل مغلقاً إلى يومنا هذا ويمسك مفاتيحه شيخ وفقهاء الأزهر بالاشتراك مع فقهاء الوهابية السعودية. وقد تصدى هؤلاء الصناديد لكل من حاول استعمال الاجتهاد أو القياس.

وقد كان الدكتور عزت عطية أستاذ علم الحديث بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر آخر من حاول أن يجتهد في تسهيل الحياة على المسلمين عندما أصدر فتواه التي تجيز للموظف الرضاع من زميلته بالعمل حتى تحرم عليه ويصبح بإمكانهما الخلوة مع بعضهما بالمكتب دون أن تضطر الموظفة للاحتجاب من زميلها، كما الحال الطبيعي في بلاد الله الأخرى بطول وعرض هذا العالم. وكالعادة استعمل شيوخ الأزهر **عضلاتهم القانونية** بدل عضلاهم الذهنية، إنْ كانوا يملكون منها شيئاً،

> "فقرر المجلس الأعلى للأزهر في اجتماع طارئ إيقاف «العَالِمُ الإسلامي» د. عزت عطية عن العمل بالجامعة وإحالته إلى التحقيق من جراء ما صدر عنه وما تناقلته وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، مما أثار البلبلة في الشارع الإسلامي."[1]

وبالطبع لم يكن في وسع الدكتور عزت إلا أن يعتذر عن فتواه ويطلب المغفرة من إثارته للفتنة في مجتمع إسلامي متناغم ومتجانس *ولم يكن قد عرف الفتنة والبلبلة من قبل*. ولزيادة التأكيد على ترابط المجتمع الإسلامي أيد وزير الأوقاف المصري الدكتور محمود حمدي زقزوق قرار المجلس الأعلى للأزهر بإيقاف د.عطية، مؤكدا:

> «حرص المؤسسة الدينية في مصر على القيام بدورها في التوعية الدينية الصحيحة وتصحيح أي مفاهيم شاذة نتيجة الخلط الذي تحدثه فوضى الفتاوى».

ثم زاد، لا فُض فوه، فقال:

> «إن فوضى الفتاوى وعدم انسجامها مع العقل والفطرة الإنسانية أكثر خطرا على الإسلام من خصومه، وأنّ هذه الفتوى تمثل انحدارا في الفكر الديني، الذي ينير العقول ويسمو بفكر المسلمين ولا يجرهم إلى التخلف والجهل.»[2]

ويبدو أن السيد الوزير يعتقد أن نظرية داروين والعلوم الحديثة قد قادت إلى تخلف المسلمين الذي نشهده الآن بينما تحاول التعاليم الدينية أن تنير عقولهم.

فما هو أصل هذه الفتوى التي زعزعت العالم الإسلامي؟ يقول د. محمد رأفت عثمان عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، ما نصه:

> ***"إن حجة من يقول برضاع الكبير ضعيفة جدًّا، والحديث الذي يعتمد عليه في إجازة رضاع الكبير هو ما روي عن عائشة رضي الله عنها في قصة سالم مولى أبي حذيفة بأن سالم تربى في بيت أبي حذيفة وهو طفل، فلما بلغ مبلغ الرجال أصبح في نفس زوجة أبي حذيفة شيء من دخوله وخروجه عليها، وأن تظهر أمامه كامه مع أنها ليست أمه، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لزوجة أبي حذيفة عندما جاءت تعرض عليه القضية: "أرضعيه يحرم عليك"." انتهى.***

ولكن أهل الحديث يقولون ليس هناك خلاف على أن هذا الحديث **صحيح** مع أن رواياته تختلف من كتاب إلى آخر. يقول ابن القيم الجوزية:

> "والأكثرون حملوا الحديث إما على الخصوص وإما على النسخ."[3]

فهم لم يضعفوه وإنما قالوا إنه يخص زوجة أبي حذيفة فقط أو أنه منسوخ.

> فما دام النبي قد أباح لزوجة أبي حذيفة أن تُرضع سالم وهو رجل كبير وله لحية، لماذا لم يستعمل فقهاء الإسلام نفس القياس الذي استعملوه في جميع أحكامهم الفقهية ليسمحوا للمسلمات بإرضاع الرجل الكبير الذي يردن دخوله عليهن كما فعلت عائشة زوجة النبي؟

يقول الدكتور محمد رأفت:

> "ومع ذلك فهذا الحديث لا نأخذ به؛ لموقف سائر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اللاتي عارضن عائشة في رأيها، وبينوا أن هذا لعلّه حالة خاصة، ورخصة أرخصها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجة أبي حذيفة، فزوجات رسول الله رفضن مبدأ إرضاع الكبير." انتهى

- وهذا القول يبعد كل البعد عن المنطق. فنحن نعرف أن زوجات الرسول مثل سودة بنت زمعة وحفصة وزينب بنت جحش لم يروين أي أحاديث مع أن النبي كان يقضي معهن أوقاتاً متساوية ولا بد أنه كان يتحدث إليهن، **بينما روت عائشة أكثر من ثلاثة آلاف حديث**. والنبي قال: [**خذوا نصف دينكم من الحميراء**]. فإذاً ما تقوله أو ما تفعله الحميراء يرجح بكفة جميع النساء الأخريات. فكون نساء النبي الأخريات اللاتي كن في شيخوختهن ولا يرغبن في الاختلاء بالرجال رفضن العمل بالرخصة التي منحها النبي للمسلمين لا يعني أن فعلهن أصوب من فعل الحميراء. ويقول الآبادي:

  > "ولقائل أن يقول إن دعوى الاختصاص تحتاج إلى دليل وقد اعترفن - يعني نساء النبي - بصحة الحجة التي جاءت بها عائشة، ولا حجة في إبائهن لها، كما أنه لا حجة في أقوالهن إذا خالفت المرفوع، ولو كانت هذه السنة مختصة بسالم لبينها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بين اختصاص أبي بردة بالتضحية بالجذع من المعز."[4]

  > (يقال إن أبا بردة جاء النبي في يوم عيد الأضحي وكان النبي قد قال إن الأضاحي تكون من الخراف، فقال له أبو بردة: يا رسول الله عندي جذعة "معزة" أحب إليّ من شاتي لحم (أي لحمها يعدل لحم شاتين) فرخّص له رسول الله).

- وثانياً: ليس هناك أي سبب وجيه لجعل رخصة إرضاع الكبير رخصةً خاصة بزوجة أبي حذيفة.

---

[1] محمد خليل، الشرق الأوسط 22 مايو 2007.

[2] نفس المصدر.

[3] تهذيب سنن أبي داود، لابن القيم، كتاب النكاح، باب من حرّم به، حديث 666.

[4] عون المعبود، شرح سنن أبي داود للآبادي، كتاب النكاح، باب من حرّم به، حديث رقم 2064.

فقد قال أبو بكر ابن العربي:

"لعمر الله إنه لقوي، كيف ولو كان ذلك خاصاً بسالم لقال لها: ولا يكون لأحد بعدك، كما قال لأبي بردة في الجذعة."[5]

ويقول صاحب الموطأ:

"وفيه ما لا يخفى على صاحب الفطنة."

- ثم إذا ناقشنا سبب الحديث نفسه نجد أن أهل الحديث يقولون:

إن أبا حذيفة كان قد تبنى سالماً وهو صغير وعندما كبر جاءت سهلة بنت سهيل زوجة أبي حذيفة إلى النبي، بعد نزول آية تحريم التبني {**ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم. (الأحزاب 5)**}، وقالت له إنّ سالم مولى أبي حذيفة كان كالابن يدخل عليّ وأنا فُضلى وقد نزل فيهم ما تعلم، وإني أرى في وجه أبي حذيفة شيئاً منه، فقال لها أرضعيه. فقالت هو كبير فكيف أرضعه؟ فقال لها النبي [**لقد علمت أنه كبير**].

فهذا الحديث يبين لنا إشكال جعل الأحاديث مصدراً للفقه. فالحديث يأتي في عدة روايات مختلفة وكلها يحمل معلومات مختلفة عن سالم أو عن ما قالته زوجة أبي حذيفة، فمثلاً نجد الطبراني يقول:

"حدثنا محمد بن يحيى القزاز البصري ثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد أخبرني عبيد الله بن أبي زياد القداح حدثني القاسم بن محمد عن عائشة أن امرأة أبي حذيفة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن سالماً مولى أبي حذيفة يدخل علي وأنا واضعة ثوبي وأجد في نفسي، فقال: [**أرضعيه يذهب عنك الذي تجدين**]."[6]

ففي الحديث الأول كان أبو حذيفة يجد في نفسه، بينما هنا تقول زوجته إنها تجد في نفسها منه. بعض الروايات يقول إن سالماً كان **مولى** أبي حذيفة، وبعضها يقول إنه كان **حليفه**، وبعضها يقول إن سالم كان مولى فاطمة بنت يعار ولم يكن مولى أبي حذيفة. وقال مسلم:

إن اسمها هند بنت الوليد وليس فاطمة بنت يعار، وقال ابن حيان يقال لها ليلى، ويقال ثُبيتة، وقيل سلمى وقيل غير ذلك .ويقول الرواة إن أبا حذيفة زوّج سالم بنت أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة وهي يومئذ أفضل أيامى قريش.[7]

فهل سالم الذي تربى في بيت أبي حذيفة وتزوج ابنة أخيه التي كانت أجمل نساء قريش، يمكن له أن يطمع في زوجة أبي حذيفة كبيرة السن حتى يكون في نفس أبي حذيفة منه شيءٌ إذا دخل عليها؟ فالأسباب التي أتوا بها لقول الحديث *أسباب واهية* مما يدل على أن الأحاديث يصعب التأكد من صحتها وبالتالي تتعدد الآراء الفقهية التي تعتمد على هذه الاحاديث. ثم أن الآية تقول {**ادعوهم لآبائهم**} وإذا لم يكن الأب معروفاً فيقولون عن الشخص (مولى فلان). ولكن سالم كان معروف الأب، فهو:

"سالم ابن معقل مولى أبي حذيفة ولم يكن مولاه وإنما كان يلازمه بل كان من حلفائه كما وقع في رواية لمسلم".[8]

وكعادة الفقهاء الذين يعتمدون على الأحاديث مثل الحديث المذكور أعلاه، فقد اختلفوا في صحة التحريم برضاع الكبير، فقال بعضهم أن رضاع الكبير **لا يحرّم المرأة على راضعها بينما قال آخرون بعكس ذلك**. فمن قال إن إرضاع الكبير يثبت به التحريم هم عائشة وعروة بن الزبير وعطاء بن أبي رباح والليث بن سعد وابن علية وابن حزم.[9] وروى أحدهم عن الخليفة علي بن أبي طالب وزعم أنه كان يقول بالتحريم:

"أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني عبد الكريم أن سالم بن أبي الجعد مولى الأشجعي أخبره ومجاهد أن أباه أخبره أنه سأل عليا فقال إني أردت أن أتزوج امرأة قد سقتني من لبنها وأنا كبير تداويت قال علي لا تنكحها ونهاه عنها."[10]

أما عمر بن الخطاب فكان يقول بغير ذلك:

"أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال إن امرأتي أرضعت سريتي لتحرمها علي فأمر عمر بالمرأة أن تجلد وان يأتي سريته بعد الرضاع."[11]

فإذا كان الفقهاء والصحابة قد اختلفوا في حرمة رضاع الكبير كما بينا أعلاه، أليس من الأفضل لأساتذة الجامع الأزهر أن يناقشوا زميلهم رئيس قسم الحديث بالمنطق بدل أن يوقفوه عن العمل ويرهبوه ويهددوا رزقه، خاصة أنه قال في اعتذاره الذي أجبر عليه وكتبه بخط يده:

"إن ما أثير من كلام حول موضوع رضاع الكبير، وما صرحت به إنما نقل عن الأئمة ابن حزم وابن تيمية وابن القيم والشوكاني وأمين خطاب، وما استخلصته من كلام ابن حجر رحمه الله."

ولكن بدل النقاش بالمنطق والأدلة يطلع علينا الدكتور محمد رأفت عثمان، عضو مجمع البحوث بالأزهر ليقول لنا:

"يكفي أن الإمام النووي عند شرحه لهذا الحديث ذكر أنه لا يرى هذا الرأي إلا عائشة وداود الظاهري، إمام فرقة الظاهرية وهم يأخذون بظواهر النصوص، ولا يستعملون العقل في الاستدلال أو القياس."

وهأنذا قد ذكرت أكثر من عشرة فقهاء يقولون بصحة رضاع الكبير،
بينما يخبرنا د. محمد رفعت عثمان أن رأي الإمام النووي يكفي.
إنه التسلط والإرهاب الفكري.
وقد لام الإمام النووي الظاهرية لأنهم لا يستعملون العقل في القياس، فهل استعمل شيوخ الأزهر العقل في معاملتهم لزميلهم؟

عودة إلى الفهرس

[5] موطأ مالك، ج2، كتاب الطلاق، باب الرضاع، حديث 626.
[6] معجم الطبراني، باب السين، سالم.
[7] مسند الإمام الشافعي، الباب الرابع فيما جاء في الرضاع، حديث رقم 72.
[8] عون المعبود، شرح سنن أبي داود، كتاب النكاح، حديث رقم 2064.
[9] عون المعبود، نفس الصفحة ورقم الحديث.
[10] المصنف لعبد الرزاق الصنعاني، باب إرضاع الكبير، حديث 13883.
[11] نفس المصدر، حديث 13889.

64 - عندما نغتال العقل من أجل النقل

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=99688

{**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم. (الحجرات 14)**}. هكذا خاطب الله الأعراب الذين أسلموا ثم عبدوا محمداً وتبركوا ببصاقه وبوله بدل أن يعبدوا الله. ولما مات محمد ألّهوا أصحابه وأقواله مع أقوالهم، وأصبح كل نص منسوب إلى محمد أو أحد أصحابه نصاً مقدساً لا يتطرق إليه الشك. وأنهمك الفقهاء المتأخرون في تحري صحة السند دون الالتفات إلى المتن، فنقلوا لنا في بعض الأحيان كفراً بواحاً إذ جعلوا الأحاديث الآحادية المنسوبة إلى محمد تنسخ القرآن، وفي أغلب الأحيان نقلوا لنا غثاءً لا يمكن أن يقبله أي إنسان يحترم إنسانيته. وسوف أورد هنا قليلاً من الأمثلة على ما أقول.

- فمثلاً يخبرنا البغدادي في تاريخه:

"أخبرني عبيد الله بن أبي الفتح حدثنا محمد بن المظفر الحافظ حدثنا محمد بن عبد الله بن جوروية الرازي حدثنا عمر بن الخطاب حدثنا محمد بن يونس حدثنا سفيان وأخبرنا علي بن يحيى بن جعفر الامام بأصبهان أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني حدثنا بن أبي مريم حدثنا الفريابي حدثنا سفيان عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال جاءت الحمى تستأذن على النبي (ص) فقال من أنت قالت الحمى قال أتعرفين أهل قباء قالت نعم قال اذهبي إليهم فذهبت إليهم فنالوا منها شدة فشكوا ذاك إلى رسول الله (ص) فقال إن شئتم دعوت الله فكشفها عنكم وإن شئتم كانت لكم كفارة وطهورا قالوا تكون لنا كفارة وطهورا."[1]

ولم يخبرنا الراوي إذا كانت الجراثيم التي تسبب الحمى هي التي استأذنت من النبي أم الحمى نفسها التي طلبت الإذن. ثم أن النبي لم يُظهر أي **نخوة عربية** فأرسل الحمى إلى أهل قباء ففتكت بهم ولا ذنب لهم. *والغريب أنه عندما أمر الحمى أن تذهب إلى أهل قباء لم يسأل الله، بل أمرها*، ولكن عندما اشتكى له أهل قباء قال يمكنه أن يسأل الله أن يزيلها عنهم. لماذا لم يأمرها كما أمرها أول مرة؟

- ثم يخبرنا ابن قيم الجوزية عندما تحدث عن موقعة أحد، ما يلي:

"وأصيبت يومئذ عينُ قتادة بن النعمان، فأتى بها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فردَّها عليه بيده، وكانَتْ أصحَّ عينيه وأحسنَهما."[2]

فلو عرفنا أن النبي قد شُج وجهه وكُسرت رباعيته ولم يردها، لعلمنا أن فكرة رد عين قتادة **فكرة نقلية تضطهد العقل**، لأن فاقد الشيء لا يعطيه. لو كان بإمكان محمد أن يرد عين قتادة لرد أسنانه أولاً. ثم أن القرآن يخبرنا أن الله لم يُعطِ محمد أي معجزات حتى بعد أن طلب منه أهل مكة ذلك، فقال لهم الله {**وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون. (الإسراء 59)**}. فإذا كان القرآن صادقاً فإن الله لم يرسل لمحمد أي معجزات. والقرآن كذلك يقول على لسان محمد {**وما أنا إلا بشرٌ مثلكم يُوحى إليّ**}. فهل يستطيع البشر أن يرد عين قتادة التي سالت فيرجع بصرها أحسن من العين التي لم تسل؟

- ثم يزيدنا الدمشقي علماً إضافياً فيروي لنا معجزات النبوة:

"من معجزات النبوة ما ذكره في ربيع الأبرار عن هند بنت الجون نزل رسول الله على خيمة خالتها أم معبد فقام من رقدته فدعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومج في عوسجة إلى جانب الخيمة فأصبحنا وهي كأعظم دوحة وجاءت بثمر كأعظم ما يكون في لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد ما أكل منها جائع إلا شبع ولا ظمآن إلا روى ولا سقيم إلا برىء ولا أكل من ورقها بعير ولا شاة إلا ودر لبنها فكنا نسميها المباركة وكان من البوادي من يستشفى بها ويتزود منها حتى أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمرها واصفر ورقها ففزعنا فما راعنا إلا نعى رسول الله ثم أنها بعد ثلاثين سنة أصبحت ذات شوك من أسفلها إلى أعلاها وتساقط ثمرها وذهبت نضارتها فما شعرنا إلا بمقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فما أثمرت بعد ذلك اليوم فكنا ننتفع بورقها ثم أصبحنا وإذا بها قد نبع من ساقها دم عبيط وقد بذل ورقها فبينا نحن فزعين مهمومين إذا أتانا خبر مقتل الحسين ويبست الشجرة على أثر ذلك وذهبت والعجب."[3]

في ليلة واحدة فقط نبتت الشجرة وأثمرت. وتلك الشجرة كانت تعلم الغيب وتحزن لموت أمير المؤمنين ابن أبي طالب وتنزف دماً لموت ابنه الحسين. يعني باختصار حتى الشجر يمكن أن يكون شيعياً وسنياً.

- حتى الفقهاء تحدث لهم المعجزات، فقد كان الحافظ أبو عبد الرحمن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل، حافظاً للحديث وقد روى عن أبيه كثيراً، قال:

"كان في دهليزنا دكان وكان إذا جاء إنسان يريد أبي أن يخلو معه أجلسه على الدكان وإذا لم يرد أن يخلو معه أخذ بعضادتي الباب وكلمه فلما كان ذات يوم جاء إنسان فقال لي قل لأحمد: أبو إبراهيم السائح، فخرج إليه أبي فجلسا على الدكان فقال لي أبي سلم عليه فإنه من كبار المسلمين أو من خيار المسلمين فسلمت عليه فقال لأبي حدثني يا أبا إبراهيم فقال له خرجت إلى الموضع الفلاني بقرب الدير الفلاني فأصابتني علة منعتني من الحركة فقلت في نفسي لو كنت بقرب الدير الفلاني لعل من فيه من الرهبان يداووني فإذا أنا بسبع عظيم يقصد نحوى حتى جاءني فاحتملني على ظهره حملا رفيقاً حتى ألقاني عند الدير فنظر الرهبان إلى حالي مع السبع فأسلموا كلهم وهم أربعمائة راهب."[4]

حتى السباع تعرف أحمد بن حنبل وتحمله برفق على ظهرها، ويسلم على يديه اربعمائة راهب.

- وحتى أم أيمن خادمة النبي وأم أسامة بن زيد كانت لها كرامات، فقد روي الذهبي ما حدث لها عندما هاجرت إلى المدينة، فقال:

"ومن مناقب أم أيمن، قال جرير بن حازم: سمعت عثمان بن القاسم يقول: لما هاجرت أم أيمن أمست بدون الروحاء فعطشت وليس معها ماء، فدلي عليها من السماء دلو فشربت، فكانت تقول: ما عطشت بعدها قط، ولقد تعرضت للعطش فأصوم في الهواجر فما عطشت."[5]

ويبدو أن السماء بها آبار وعليها دلاء تستعملها الملائكة.

- وحتى بلال الذي كان يعمل مؤذناً للنبي طول حياته، ارتحل إلى الشام بعد موت النبي، ثم:

"رأى النبي صلى الله عليه وسلم (في المنام) يقول له: "ما هذه الجفوة أما آن لك أن تزورني"؟ فانتبه وركب راحلته حتى أتى المدينة، فذكر أنه أذن بها فارتجت المدينة، فما رئي يوم أكثر باكياً بالمدينة من ذلك اليوم."[6]

وتُثبت هذه الواقعة المثلَ الذي يقول (زامر الحي لا يُطرِبْ) فقد كان بلال يؤذن بالمدينة أكثر من عشر سنوات ولم ترتج المدينة، ولكن بعد أن هاجر منها وأصبح مغترباً، زادت أهميته، فعندما عاد زائراً وأذن بها ارتجت المدينة لصوته.

- وقد بلغت الخطرفة حد الاستحالة في بعض الروايات، فقد روى الدمشقي عن الذين ماتوا سنة خمس وسبعين من الهجرة، فقال:

"وفيها توفي الأسود بن يزيد النخعي الكوفي الفقيه العابد كان يصلي في اليوم والليلة سبعمائة ركعة."[7]

---

[1] تاريخ بغداد، للبغدادي، ج3، ص 56.
[2] زاد المعاد، ج3، ص 94.
[3] شذرات الذهب للدمشقي، ج1، ص25.
[4] شذرات الذهب للدمشقي، ج2، ص 204.
[5] التاريخ الإسلامي للذهبي، ج2، ص 79.
[6] نفس المصدر، ص 109.

وبما أن اليوم عبارة عن اربع وعشرين ساعةً، أي 1440 دقيقة، فإن هذا الرجل كان يصلي ركعةً كل دقيقتين، دون أي توقف لأكل أو شرب أو قضاء حاجة. ولم يكن ينام قط.

- أما عثمان بن عفان فقد قرأ القرآن كله في ركعة واحدة، يقول الذهبي:

"وعن حكيم بن عباد قال: أول منكر ظهر بالمدينة طيران الحمام، والرمي، يعني بالبندق، فأمر عثمان رجلاً فقصها، وكسر الجلاهقات. وصح من وجوه، أن عثمان قرأ القرآن كله في ركعة."[8]

أولاً: عثمان كان رجلاً في ثمانينات العمر ولا يعقل أن يظل واقفاً حتى يقرأ القرآن كله في ركعة واحدة.
وثانياً: عثمان لم يكن يحفظ القرآن عن ظهر قلب حتى يقرؤه كله في ركعة واحدة، فقد روى أهل التاريخ أن عمر بن الخطاب حفظ سورة البقرة في اثنتي عشرة سنة.[9] فإذا احتاج عمر لاثنتي عشرة سنة لحفظ سورة واحدة، فكم من الزمن يحتاج الرجل منهم ليحفظ القرآن كله؟

- أما أحمد بن حنبل فقد كان يحفظ ألف ألف حديث أي مليون حديث، وقد:

"حزر من حضر جنازته من الرجال فكانوا ثمانمائة ألف ومن النساء ستين ألفا وأسلم يوم موته عشرون ألفا من اليهود والنصارى والمجوس."[10]

والغريب أن المسلمين ارتدوا يوم مات النبي، ولكن اليهود والنصارى أسلم منهم عشرون ألفاً عندما مات أحمد بن حنبل. ما أكفر اليهود والنصارى!

- وتاريخ اليهود ملئ بالقتل، كما يقول المؤرخون الإسلاميون، فهاهو ذا ابن قيم الجوزية يخبرنا:

"واما خلفهم فهم قتلة الانبياء : قتلوا زكريا وابنه يحيى وخلقاً كثيراً من الانبياء ، حتى قتلوا في يوم واحد سبعين نبياً واقاموا الاسواق في اخر النهار كانهم لم يصنعوا شيئاً."[11]

ولا يسعنا هنا إلا أن نتساءل: كيف اجتمع لليهود سبعون نبياً في يوم واحد وفي نفس المكان حتى يقتلوهم في أول النهار ويقيموا السوق في آخره؟ ولماذا احتاج الله أن يبعث سبعين نبياً دفعة واحدة؟
وما دمنا خير أمة أخرجت للناس *لابد أن تكون لغتنا العربية أقدم لغة عرفتها البشرية لأنها لغة القرآن ولغة أهل الجنة*، ويخبرنا الإمام جلال الدين السيوطي:

"أخرج ابن أشتة في كتاب المصاحف بسنده عن كعب الأحبار قال: أول من وضع الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها آدم عليه السلام قبل موته بثلاثمائة (سنة) كتبها في الطين ثم طبخه فلما أصاب الأرض الغرق أصاب كل قوم كتابهم فكتبوه فكان إسماعيل بن إبراهيم أصاب كتاب العرب."[12]

والمعروف تاريخياً أن إبراهيم (إن كان شخصيةً حقيقية) كان يتحدث الآرامية في ذلك الزمن لأن العربية كانت ما زالت في صلب الآرامية، فكيف تحدث ابنه إسماعيل بالعربية؟ لابد أنها معجزات الأنبياء.

وعلى هذا المنوال تسير جميع كتب التاريخ والحديث والسيرة النبوية. فهل بعد هذا نستغرب ما نسمعه على الفضائيات العربية الممولة نفطياً من مناظرات بين الجن والقضاة المسلمين، أو أحاديث إرضاع الكبير وحديث الشجر والحجر مع رسول الله، والتبرك ببوله وفضلاته الطاهرة؟
ولا تمنع كل هذه الخزعبلات بعض المشايخ من التصريح بأن الإسلام يحترم العقل وأن الإيمان بالإسلام ينبع من العقل وليس بالوراثة أو السيف .

ورغم انتشار الجهل وتفشي الفساد في الأمة الإسلامية، لا يكف الشيوخ والرؤساء والملوك عن بناء المساجد الفاخرة ومنح الجوائز المالية للذين يحفظون القرآن والتشدق بأن **أمة الإسلام هي الأمة الوحيدة التي تعرف الله وتعبده**. وهم طبعاً يحاولون خداع الله وخداع رعاياهم، ولذا قال الله لهم:

{قل أتعلّمون الله بدينكم والله يعلم مافي السموات ومافي الأرض والله بكل شيء عليم. (الحجرات 16)}.

اللهم أدم على المسلمين رضاعهم، في صغرهم وفي كبرهم.

عودة إلى الفهرس

[7] شذرات الذهب للدكشقي، ج1، ص 82.
[8] تاريخ الإسلام للذهبي، ج2، ص 163.
[9] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، وتاريخ الإسلام للذهبي، ج2، ص 121.
[10] شذرات الذهب، ج2، ص 98.
[11] ابن القيم، هداية الحيارى، ص 18.
[12] الإتقان في علوم القرآن للسيوطي.

65 - البغض في الله

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=101309

تسلّم الكاتب السعودي تركي الدخيل رسالة إيميل قال له كاتبها:

"أبغضك في الله يا تركي الدخيل. واعلم أن الدين منصور بفضل الله. وأنت ستعلم عاقبة ما تقول فلن تنفعك جريدة وثن أو وطن كما يقولون. تب إلى الله قبل الموت. وستعلم حينما ينتشر الإسلام أكثر وأكثر أنك في ضلال وخسارة. أسأل الله أن يريني فيك آية، وأن يجعلك عبرة لأمثالك."[1]

وبالطبع هناك ملايين من أمثال كاتب هذه الرسالة الذين يبغضون الناس، لا بسبب ضرر لحق بهم من أولئك الناس، وإنما لأن الناس المبغوضين ليسوا مسلمين، أو أنهم مسلمون تفكروا في الإسلام وانتقدوا ما يرونه غير ملائم لوقتنا هذا. فالإسلام، منذ انتشاره في المدينة وما حولها، *لم يُعلِّم أتباعه النقاش والحوار مع المختلف عنهم معتنقاً أو مذهباً*، وإنما أوحى لهم بالمقوله المشهورة (**من ليس معنا فهو ضدنا**) التي اقتبسها حديثاً الرئيس الأمريكي السلفي جورج دبليو بوش بعد **غزوة مانهاتن** المعروفة.

بدأت رسالة الإسلام في المدينة بتبغيض غير المسلم في أعين المسلمين وفي قلوبهم، وأصبح مَن لا يؤمن بما يؤمنون به عدواً لله، وبالتالي عدواً للمسلمين.

وسورة التوبة التي تُعرف أيضاً **بسورة براءة لأنها أبرأت ذمة الرسول من كل المعاهدات التي كان قد دخل فيها مع اليهود والمشركين**، مليئة بآيات الحقد والكراهية:

{وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدةٍ وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إنّ إبراهيم لأواه حليم. (التوبة 114)**}.**

فإبراهيم النبي الذي أرسله الله لهداية البشر وتعليمهم القيم السمحة، تبرأ من أبيه الذي أنجبه ورباه وصرف عليه وأحبه، ليس لأن أباه قد قسا عليه وضربه، ولكن لأن أباه أصبح عدواً لله لأنه لم يتّبع دين إبراهيم الجديد.

ثم تأتي سورة الممتحنة المدنية لتقول للمسلمين:

{قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده. (4)**}.**

وعلى المؤمن أن يتّبع هذه القدوة الحسنة ويبدي العداوة والبغضاء لمن لا يتبع ملته.

ولما أيقن الرسول أن اليهود لن يتّبعوا ملته الجديدة، جاءه القرآن يقول:

{وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلّت أيديهم ولُعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليذيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة. (المائدة 64)**}.**

فإذا تجاوزنا عن فكرة أن كل اليهود اجتمعوا وقالوا إنّ يد الله مغلولة، وهو قول يُستبعد أن يأتي من أناس آمنوا بالله وعبدوه قبل المسلمين بألفي عام، أقول، لو تجاوزنا عن هذه الفكرة وأيقنا أن اليهود قد قالوا تلك المقولة، لماذا يُلقي بينهم العداوة والبغضاء، وهم جميعهم قالوا إن يد الله مغلولة؟ فلو قالها فريق وامتنع الفريق الآخر عن قولها، لفهمنا أن يُلقي بين الفريقين العداوة والبغضاء. أمّا أن يُلقي العداوة والبغضاء بينهم وهم كلهم مشتركون في الإثم، **فعقاب يتحدى المنطق**. أما كان الأجدى أن يخسف بهم الأرض كما خسفها بالذين من قبلهم؟

وبالطبع لم تقف العداوة والبغضاء عند اليهود، فالقرآن يقول للمسلمين في نفس سورة المائدة:

{ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذُكّروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة (14)**}.**

فالنصارى لم يقولوا يد الله مغلولة ولكن لمجرد أنهم نسوا جزءاً مما ذُكروا به، وهو ميثاقهم الذي أخذه الله منهم، أغرى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة. وبما أن الله كان قد أخذ ميثاق أو شهادة جميع بني آدم حتى قبل أن يُخلقوا، فقال:

{وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن ذلك غافلين. (الأعراف 172)**}.**

فجميع بني آدم نسوا شهادتهم أو ميثاقهم مع الله، وبالتالي لابد أن يكون الله قد أغرى بينهم العداوة والبغضاء.

وبعد أن كانت العداوة والبغضاء عمومية وتعم جميع مَن لم يسلم، تدرج الأمر وأصبح أكثر خصوصية عندما قال القرآن للمؤمنين:

{يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون. (التوبة 23)**}.**

فالمؤمن الذي يتولى أي يصادق ولا يكره أباه وأخاه الذين لم يسلما وجههما لله، يكون ظالماً. ومَنْ مِن المؤمنين يحب أن يكون ظالماً؟ **فلا بد لهم أن يكرهوا ويبغضوا آباءهم وإخوانهم إذا لم يسلموا؟**

وكأن ما جاء في القرآن لا يكفي، تأتي السنة لتأكد للمسلمين **حُسن الكراهية والبغضاء في الله**. وهناك حديث مشهور أتى بعدة روايات يقول: قال رسول الله:

[أفضل الحب الحب في الله وأفضل البغض البغض في الله] رواه مسلم.

وفي شرح هذا الحديث يقول الإمام المناوي:

"من أفضل الأعمال أن يحب الرجل الرجل للإيمان والعرفان لا لحظ نفساني كإحسان، وأن يكرهه للكفر والعصيان، لا لإيذائه له. ومن البغض في الله بغض النفس الأمارة بالسوء واعداء الدين وبغضهما مخالفة أمرهما والمجاهدة مع النفس بحبسها في طاعة الله. وكذا من أبغض في الله أبغض أعداءه وبذل جهده في مجاهدتهم بالبنان واللسان. وقال ابن أرسلان: وفيه أنه يجب أن يكون للإنسان أعداء يبغضهم في الله كما له أصدقاء يحبهم في الله تعالى."[2]

فالكراهية في الله بعد أن كانت مستحبة، أصبحت واجباً على المسلم، كما يقول ابن أرسلان.

فلا بد أن يكون للمسلم أعداء يبغضهم في الله. بل يجب على المسلم أن يبغض النفس الأمارة بالسوء، وبما أن القرآن يقول لنا على لسان يوسف:

{لا أبريء نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي}

فهذا يعني أن الغالبية العظمى من الناس يجب أن يبغضوا أنفسهم لأنها أمارة بالسوء.

وهاهو فقيه آخر يقول لنا:

---

[1] إيلاف، 25 يونيو 2007، نقلاً عن الوطن السعودية.

[2] فيض القدير، شرح الجامع الصغير للإمام المناوي، ج2، الحديث رقم 1241. دار المعرفة، بيروت، طبعة ثانية 1391 هجرية.

"ومن البغض في الله بغض كثير ممن يَنسب نفسه للعلم في زمننا لما أشرق عليهم من مظاهر النفاق وبغضهم لأهل الخير، فيتعين على من سلم قلبه من المرض أن يبغضهم في الله لما هم عليه من التكبر والغلظة والأذى للناس. حدثنا يوسف بن موسى قال: ثنا جرير بن عبد الحميد عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله (ص): أفضل العمل الحب في الله والبغض في الله."[3]

وزاد ابن عباس في الحديث السابق وقال:

"أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله".

والقرآن يكرر شبه الجملة (**إن الله لا يحب**) مراراً، فيخبرنا:

{إن الله لا يحب الكافرين، والظالمين، والفساد، والمعتدين الخ}.

وقد كرر (إن الله لا يحب) تسع عشر مرةً، في عشر سور. وذكر الحب قليلاً، فقال:

{قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين. (آل عمران 31)}.

وكذلك:

{يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم. (المائدة 54)}.

ثم قال:

{إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص. (الصف 4)}.

و:

{ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله. (البقرة 165)}.

ولم أجد في القرآن آيات غير هذه تتحدث عن الحب. ولكن الحب في الإسلام ليس حباً تلقائياً ينتج من مودة واستحسان بين الناس، ولا الكراهية تلقائية، **فالحب يأتي بأمر إلهي**. يُخبرنا القرطبي في تفسير الآية 31 من سورة آل عمران:

"في حديث لأبي هريرة، قال: قال رسول الله "ص": إنّ الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال إني أحب فلاناً فأحبه. قال: فيحبه جبريل، ثم ينادي في السماء فيقول: الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له الحب في الأرض. وإذا أبغض الله عبداً دعا جبريل فيقول: إني أبغض فلاناً فابغضه، قال: فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إنّ الله يبغض فلاناً فابغضوه، فيبغضوه، ثم توضع له البغضاء في الأرض." انتهى.

فحتى الله يبغض العبد ويأمر جبريل وملائكته وأهل الأرض أن يبغضوه كذلك بدون أي سبب سوى أن الله يبغضه.

قارن كل هذا البغض في الله والكراهية فيه مع تعاليم المسيحية التي تقول:

{وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا، ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه اثنين. (إنجيل متى، الآيات 39-41، الإصحاح 5)}

وقال السيد المسح:

{وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم، أحسنوا إلى مبغضيكم. (إنجيل متى الآية 44 ،الإصحاح 5)}.

وقال كذلك:

{فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم بهم لأن هذا هو الناموس والأنبياء. (إنجيل متى، الآية 12، الإصحاح 7)}.

فهل الشخص الذي أرسل الإيميل إلى تركي الدخيل خرج عن تعاليم الإسلام أو قال شيئاً لم يحثّ عليه الإسلام؟ هل نستغرب أن يكره المسلمون كلَ مَن يمشي على الأرض إن لم يكن مسلماً؟

وأي أجيال تُخرّج لنا البلاد الإسلامية مستقبلاً عندما يغذي شيوخ الكراهية والبغض في الله عقولهم النامية بمثل هذه الآيات والأحاديث؟
ألا تفسر هذه الآيات والأحاديث الشبق والشهوة والسعادة التي رأيناها على وجوه مَن ذبحوا أعداء الله في العراق ليتقربوا بهم إلى الله فيحبهم ويأمر جبريل أن يحبهم، ويأمر جبريل أهل السماء والأرض أن يحبوهم؟

عودة إلى الفهرس

[3] البحر الزاخر للبزاز، طبعة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى عام 1424 هجرية، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، الحديث رقم 4076، ص 69.

66 - أطباء خانوا مهنتهم

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=101924

تغير الطب كثيراً عما كان عليه عندما كتب أبقراط حوالي العام أربعمائة قبل الميلاد قسمه الذي التزم به وأصبح مكملاً لشهادة الطب التي يحوز عليها أي طبيب درس الطب في أي بلد في العالم الحديث. في ذلك القسم تعهد أبوقراط:

أن يداوي المرضى ويخفف آلامهم ولا يجري أي عملية هو ليس مدرباً على إجرائها وأن لا يتمعن في محتويات أي بيت يدخله من أجل علاج مريض، وألا يعطي المريض سماً ولا يساعده على إنهاء حياته، وأن لا يعطي الحامل لبوساً يؤدي إلى إجهاضها، وأن لا يتقاضى أجراً على علاج زملائه أو تعليم أبنائهم الطب، وأن يحافظ على نقاء حياته ومهنته.

وحتى خمسينات القرن المنصرم التزم أغلب الأطباء بهذا القسم، ولكن مع ازدياد أعداد الأطباء وازدياد مطالب الحياة، انحرف بعض الأطباء وخانوا مهنتهم ومرضاهم بعدة وسائل ولعدة أسباب. *السبب الأعم هو الجشع*. أعداد غفيرة من الأطباء، وفي جميع أنحاء العالم، أصبحوا يجرون عمليات جراحية غير ضرورية أو غير مفيدة للمريض من أجل تحصيل أجر إضافي من المريض. وفي بلاد مثل الهند والصين عمد بعض الأطباء إلى إعطاء المرضى مدمني المخدرات ما يحتاجونه منها مقابل أخذ كلية من المدمن وبيعها لمريض غني يأتي من الغرب أو من الخليج. وللأسف فإن هؤلاء الأطباء يعرفون جيداً أن جزءاً كبيراً من المدمنين يعانون من متلازمة نقص المناعة المكتسب (الأيدز) ومع ذلك يبيعون كليته إلى المرضى فيعدونهم بالأيدز.
وشركات الأدوية لعبت دوراً كبيراً في إفساد الأطباء بتقديم الرشاوى المغرية في شكل رحلات مدفوعة التكاليف إلى مؤتمرات علمية في أجمل بلاد العالم وعلى شواطئ البحيرات والمحيطات، حتى يصف هؤلاء الأطباء الأدوية التي تنتجها تلك الشركة التي دفعت لهم ثمن الرحلة. أو حتى بتقديم منح مادية لهم ليزَوِّروا أبحاثاً يزعمون أنها تثبت أن الدواء الذي تنتجه تلك الشركة يفوق ما تنتجه الشركات الأخرى. *وهؤلاء الأطباء يخونون مهنتهم ومرضاهم بطرق غير مباشرة*. وهناك أطباء في المستشفيات الخاصة يجرون فحوصات لا يحتاجها المريض، بل قد تكون مضرة له مثل تكرار الفحوصات المقطعية بالأشعة (CT Scan) التي لا تقدم ولا تؤخر في علاج المريض، من أجل زيادة دخل المستشفى، وبالتالي زيادة الحافز المادي للطبيب. وهناك أطباء خانوا مهنتهم بالجهل وعدم مواكبة التطورات العلمية وظلوا يمارسون طب القرن المنصرم على مرضى العصر.
وهناك نوع من الأطباء خانوا ليس فقط المرضى بل مواطنيهم عامةً من أجل السلطة. وربما أحسن مثال لهذا النوع من الأطباء هو الدكتور هيستنگ باندا Hastings Banda الذي توفي عام 1997 بعد أن حكم جمهورية ملاوي ثلاثين عاماً متتالية. هذا الرجل درس الثانوية في مدينة شيكاغو بالولايات المتحدة، ثم درس الطب في جامعة تنيسي Tennessee وتخرج عام 1937. ولكن لكي يمارس الطب في المستعمرات البريطانية كان لابد له من أن يتحصل على درجة طبية بريطانية، فدرس الطب مرة أخرى في جامعة أدنبرة البريطانية وتخرج منها عام 1942 ثم مارس الطب كطبيب عمومي في اسكوتلندا حتى عام 1960 عندما عاد إلى بلاده، نياسالاند، التي كانت مستعمرة انـگليزية .والمرء يتخيل أن رجلاً كهذا عاش ودرس وعمل في أمريكا وبريطانية أن ينقل ما عاشه من حرية وتقدم وعلم إلى بلده ليفيد مواطنيه. وعندما استقلت نياسالاند في عام 1964 أصبح دكتور باندا رئيسها. وفي ظرف وجيز ألغى الأحزاب السياسية وأنشأ حزبه الواحد وجعل عضويته فرضاً على كل إنسان في ملاوي (الاسم الذي اختاره هو لنيسالاند بعد الاستقلال). ويقال أن شباب الحزب كانوا يبيعون كروت العضوية للأجنة وهم في بطون أمهاتهم. ورغم أن دكتور باندا لم يتزوج ولم ينجب ذرية إلا أنه سرق قوت شعبه الفقير وجمع ثروة تقدر بحوالي أربعمائة مليون دولار، بينما يعيش، حتى اليوم، أربعة وخمسون بالمئة من الشعب تحت خط الفقر الذي حددته الأمم المتحدة. وفتح باندا السجون والمعتقلات لمعارضيه وقتل منهم الكثير. ورغم فقر بلده فقد تبرع دكتور باندا بمبلغ ثلاثمائة وخمسين ألف جنيه استرليني لكلية الجراحين الملكية بادنبرة في عام 1982، وتبرع كذلك بمبلغ اثنين مليون دولار لجامعة ويلبرفورس Wilberforce في أمريكا. وعندما مات باندا تحفظت البنوك الغربية على أمواله ولم يُسترجع منها أي شيء حتى الآن.
والمثال الآخر هو الدكتور بشار الأسد الذي أصبحت المستشفيات في بلده خرابات خالية من الأدوية والمعدات الطبية بينما امتلأت سجون ومعتقلات سوريا بالمناضلين ضد ديكتاتوريته. فبشار الأسد، مثل باندا، قد خان شعبه، ومرضاه، ومهنته ونفسه من أجل السلطة، وتسبب في قتل المعارضين في سوريا وخارجها، رغم قسم أبقراط.
وهناك أطباء خانوا مرضاهم ومهنتهم، ربما بسبب أمراض نفسية. وخير مثال لهذا النوع من الأطباء هو الدكتور هارولد شبمان الانـگليزي. هذا الطبيب الذي عمل كطبيب عمومي في وسط انـگلترا، ووثق به مرضاه، كان يحقن كبار السن منهم بجرعات كبيرة جداً من المورفين تقود إلى موتهم. ولم يستفد الدكتور من موتهم بأي شيء حتى عام 2000 عندما قاده الجشع المادي إلى تزوير وصية آخر امرأة قتلها. أدت الوصية المزورة إلى شكوى للشرطة وبالتالي انكشف أمر الدكتور شبمان الذي تقدر السلطات القانونية أنه قتل مابين مائتين وأربعمائة مريض. وأخيراً، وبعد إدانته وسجنه، انتحر الدكتور، فأراح واستراح.
ولكن أخطر نوع من الأطباء الذين خانوا مهنتهم وضمائرهم، **هو النوع الذي وقع تحت تأثير الأيديولجيات الدينية**. فهناك، مثلاً، الدكتور اليهودي الإسرائيلي، باروش جولدستين Baruch Goldstein الذي ارتكب مجزرة مسجد الخليل في فبراير 1994. هذا الطبيب ذو الأصل الأمريكي، درس الطب بأمريكا ثم هاجر إلى إسرائيل وانضم إلى حزب كاخ الذي أسسه الحاخام مائير كهانة Meir Kahane الذي كان يقول *إن العرب والمسلمين حشرات يجب سحقها*. كان دكتور باروش متعصباً ليهوديته لدرجة أنه كان يرفض علاج الجرحى غير اليهود عندما كان طبيباً بالجيش الإسرائيلي. هذا الطبيب أنساه تعصبه لتعاليم الحاخام كاهانة، الذي غسل دماغه، كل ما كان قد أقسم عليه عندما تخرج من كلية الطب، فحمل بندقيته الأوتوماتيكية ولبس زيه العسكري الرسمي واقتحم مسجد الخليل وقتل تسعة وعشرين رجلاً وجرح مائة وخمسين من المصلين الذين تغلبوا عليه وضربوه حتى الموت.
وبدل أن يخجل اليهود مما فعله طبيبهم جعلوا قبره مزاراً للمتعصبين مغسولي الدماغ مثله ونحتوا على قبرة الآتي

(هنا يرقد القديس الدكتور باروش جولدستين تحرسه الأرواح الطاهرة. نطلب من الرب أن ينتقم لدمه المسفوح ظلماً. أيادي الطبيب طاهرة وقلبه نقي وقد قُتل شهيداً في سبيل الرب.)

ويقابل تعصب اليهودية وغسيل أدمغة أتباعها تعصب الإسلام وغسيل أدمغة أطبائه وأتباعه عامةً. **وكعادة الإسلام فإنه يبز في كل شيء وفي كل مجال**. وأمثلة الأطباء المسلمين الذين خانوا مهنتهم كثيرة، ولكن خير مثال هو ما حدث قبل أيام في انـگلترا حينما تآمر أطباء مسلمون من الأردن ولبنان والعراق والهند على تفجير السيارات المفخخة في شوارع لندن ومطارات بريطانيا. فالأطباء الستة المعتقلون وزوجة أحدهم التي تعمل فنية مختبر ينتمون إلى **الإسلام السياسي** الذي غسل أدمغتهم وأقنعهم بتفجيرات تقتل الناس الأبرياء، الذين قد يكون منهم مسلمون وعرب، لا لشيء إلا لأن الغالبية من الضحايا المحتملين ينتمون إلى الديانة المسيحية.

هؤلاء الأطباء الصغار جاءوا إلى انـكـلترا من أجل التخصص فحملهم إسلامهم إلى التخصص في المتفجرات وقتل الأبرياء بدل علاجهم وتخفيف آلامهم.

والمثال الآخر هو الدكتور الظواهري الذي تخرج في كلية الطب بالقاهرة وكان من أنجح الطلاب، ولكن بدل أن يتبع خطى أبيه ويتخصص في الأمراض الجلدية، اتبع خطى بن بلادن وتخصص في غسيل أدمغة الشباب المسلمين ليفجروا أنفسهم في شوارع وقطارات ومطارات بلاد العالم المسيحي لقتل أعداء الله والإسلام.
وهناك نوع من الأطباء المسلمين خانوا مرضاهم ومهنتهم إما لتزمتهم لإسلامهم وإما لطمع مادي لجني أموال طائلة مما يبررونه ويقومون بفعله رغم تأكد مهنة الطب من أضراراه.

وكمثال لهؤلاء نذكر طبيبة سودانية متخصصة في أمراض النساء والولادة، نشرت كتاباً على الانترنت حشته بفضائل ختان الإناث كما رواها علماء المسلمين وحاولت استغلال علم الطب لتوهم العامة بأن ما تفعله مفيد للمرأة المسلمة، وهي، كما علمت من بعض الزملاء، تقوم بختان البنات في عيادتها الخاصة وبالأجر. هذه الطبيبة اسمها ست البنات خالد محمد علي. وأهدت كتابها عن الختان إلى كل مجاهد ومجاهدة في سبيل الله.

ولم تكن هي الوحيدة التي حاولت إلباس هذه العادة الضارة لبوس الطب، فقد ألف طبيبان مصريان من أساتذة طب الأزهر بمصر، وهما د. محمد حسن الحفناوي، ود. صادق محمد صادق، كتيباً أيدا فيه ختان الإناث

(رغبةً في المحافظة على كرامة المرأة وكبريائها وأنوثتها وجب علينا اتباع تعاليم الإسلام وختان الفتاة بالصورة المرجوة وهو الإشمام، أي إزالة جزء بسيط من البظر لكي يُحد من حدة الانفعالات).[1]

هذان الطبيبان يودان إنقاص المتعة الجنسية التي وهبتها الطبيعة أو وهبها الله للمرأة، **كأنما إلههم لا يعرف كيف يحد من المتعة إن أراد، فطلب من هذين الطبيبين إزالة جزء مما خلق في عضو الأنثى.** وهناك دكتور مصري يقيم في أيرلندا واسمه أحمد عبد الكريم نجيب، ألف كتيباً استعرض فيه أقوال العلماء المؤيدين والمخالفين للختان واستنتج أن الختان سنة ويجب اتباع السنة، دون أن يتعرض لأي جوانب طبية توضح مضار الختان بالنسبة للانثى.

وأنا أعتقد أن أكثر الأطباء خيانةً لمهنتهم هم الذين يفعلون ما يفعلونه بسبب إنتمائهم العقائدي، لأنهم يعبدون إلهاً دموياً يطلب منهم قتل وذبح الأبرياء ليتقربوا له بهم.

فأي إله هذا الذي يعطي البشر ديناً يدعو إلى قتل مَن لا ينتمي إليه؟ أليس من مصلحة البشر أن يعبدوا الأصنام ولا يقتلون بعضهم البعض من أجل إرضاء إله غائب في السماء، زاهد في التدخل لحماية أرواح الأطفال والنساء وأبرياء خلقه من قنابل ومتفجرات عباده مغسولي الدماغ؟

بئس إله ظل يجلس كالصنم في عليائه ويشاهد القتل والدمار الذي حل بالبشر منذ أول يوم أتى به موسى يحمل ألواحاً من الحجارة، ربما أتت من إله من حجر.

عودة إلى الفهرس

[1] مجلة أكتوبر، العدد 938، 16 أكتوبر 1994.

67 ـ ما أبشعه من إله يذبح الأطفال

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=103267

الطبيعة حبت الحيوان والإنسان بغريزة حب صغارهم والعناية بهم حتى يبلغوا أشدهم للحفاظ على نوع الحيوان والإنسان. وحب الأم، سواء من الإنسان أو الحيوان، لصغارها يجعلها تضحي بحياتها من أجلهم. وحتى عندما كان الإنسان البدائي يقدم قربان الدم عند معابد الأصنام أو يُلقي بالفتيات إلى الأنهر لتفيض، كان يُضحّي برجل بالغ أو يرمي بفتاة بالغة في النهر، *ولم يسجل لنا التاريخ أي مناسبة ذُبح بها طفلٌ*. وقد قالت العرب قديماً: أطفالنا أكبادنا تمشي على الأرض. وجعل قدماء الرومان الطفل كيوبيد Cupid إله الحب الذي يرمي قلوب الرجال والنساء بسهامه فيزرع الحب فيها. وكان الطفل طوال التاريخ البشري يُحاط بالحب والحماية اللازمة من جانب أسرته، وعندما تكونت المجتمعات الحديثة أصدرت القوانين التي تحمي الطفل من القتل والاستغلال والتحرش الجنسي والإهمال والضرب وتفرض له التعليم والعناية الصحية وما إلى ذلك.

ومع ظهور الأديان السماوية، بدءاً بالنبي إبراهيم، طلب منه ربه أن يذبح ابنه إسحق. وهمّ إبراهيم بذبحه وهيأ الطفل لذلك وأخذه إلى أعلى الجبل وربط يديه ورجليه، (وتله للجبين) كما يقول القرآن. وفي آخر لحظة قرر رب إبراهيم أن يفدي الطفل بخروف ينزله من السماء. ولا بد أن الطفل قد أصابه الهلع عندما أدرك أن أباه ينوي أن يذبحه. *وكانت هذه الحادثة هي أول ما سجله لنا التاريخ من ذبح الأطفال*. ثم جاء موسى برسالته من الإله "يهوه" وعلّم بني إسرائيل كيف يذبحون الأطفال، فقال لهم في سفر صموئيل الأول:

{**فالآن اذهب واضرب عماليق وحرّموا كل ما له ولا تعف عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة، طفلاً ورضيعاً، بقراً وغنماً، جملاً وحماراً.** (الإصحاح 15، الآية 3)}.

وحتى يبرهن هذا الرب قسوته على الأطفال قال لموسى، عندما تحدث عن آلهة الكنعانيين:

{**لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضيي.** (سفر الخروج، الإصحاح 20، الآية 5)}.

يا لغيرة هذا الإله الذي ينتقم من أطفال مَن يبغضه حتى الجيل الرابع منهم. إنها قسوة لا نجدها حتى في عتاة المجرمين الآدميين.
وجاء الإسلام فجعل الأطفال فتنةً ينبغي على المسلم تفاديها حتى لا يضل طريق الحق فيصيبه العقاب الإلهي، فقال:

{**واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم.** (الأنفال 28)}.

ثم تدرّج القرآن في قصة الأطفال حتى وصل إلى قصة النبي موسى عندما صحب النبي الخضر فمرا بقرية فيها أطفال يلعبون في الطريق فأخذ الخضر طفلاً وذبحه، وعندما سأله موسى عن سبب ذبح الطفل، أجاب:

{**وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يُرهقهما طغياناً وكفراً. فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاةً وأقربَ رحما.** (الكهف 80، 81)}.

لماذا ذبح نبي الله الخضر طفلاً بريئاً يلعب مع أنداده في الطريق؟ يقول القرطبي في تفسير هذه الآية

"قيل هو كلام الخضر عليه السلام، وهو الذي يشهد له سياق الكلام، أي خفنا أن يرهقهما طغياناً وكفراً، وكان الله قد أباح له الاجتهاد في قتل النفوس على هذه الجهة. وقيل هو كلام الله تعالى وعنه عبر الخضر. والمعنى أن يلقيهما حبه في اتباعه فيضلا ويدينا بدينه. وعن ابن جريج أن أم الغلام كانت حاملاً بغلام مسلم وكان المقتول كافراً."

فسواء كان هذا الكلام كلام الخضر أم كلام الله، فقد قتل الخضر طفلاً بريئاً بدون أي ذنب اقترفه، ولكن الخضر خاف أن يكبر الطفل ويفتن أبويه فيغيرا دينهما، **الذي لم يخبرنا القرآن ما هو**. فإذاً قتل الطفل خوفاً مما قد يحدث في المستقبل، أمرٌ مقبول لله الذي كان قد أباح للخضر الاجتهاد في قتل النفوس. والعدل الإنساني يقول إن المتهم بريء حتى تثبت إدانته، فما بالك بالعدل الإلهي؟. فكيف إذاً يسمح إله عادل لنبي أن يقتل طفلاً بشبهة ما يمكن أن يحدث في المستقبل؟

والمحزن هو أن المفسرين الذين استحسنوا قتل الطفل البريء جعلوا هذا الطفل كافراً وجعلوا الجنين الذي في بطن أمه مسلماً، وهذا يعني أن الله قد عوّض الوالدين بطفل مسلم وهو أحسن من الطفل المقتول الذي كان كافراً.

أي منطق هذا الذي يقسّم الأطفال إلى مسلمين وكفار بينما كل الأعراف والقوانين تجعل الطفل غير مسؤول عن أي قرار يتخذه قبل أن يبلغ سن الرشد؟ وحتى في الفقه الإسلامي فإن الطفل المسلم إذا ارتد فلا عقاب عليه. ولكن هذا هو نفس المنطق الذي جعلهم ينقبون في سراويل أطفال بني قريظة حتى يجدوا الأطفال الذين بدأ الشعر ينبت في عاناتهم ليقتلوهم مع الرجال.
والغريب أن فقهاء الإسلام أجمعوا على أن الفطرة الحقيقية لكل الناس هي الإسلام وأتوا بحديث عن النبي يقول:

[كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه][1].

فما دامت فطرة الطفل هي الإسلام حتى يهوده والداه، كيف أصبح ذلك الطفل الذي قتله الخضر كافراً وأبواه مؤمنان؟ وإباحة قتل الأطفال في الإسلام معروفة للفقهاء الذين اعتمدوا على حديث (رب الغلام) الذي يقول:

"كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إلي غلاما أعلمه السحر. فبعث إليه غلاما يعلمه، وكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، وكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه الساحر (لتأخره) فشكا ذلك إِلَى الراهب فقال له: إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر. فبينما هو عَلَى ذلك إذ أتى عَلَى دابة عظيمة قد حبست الناس. فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرا فقال: اللَّهم إن كان أمر الراهب أحب إليك مِنْ أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس. فرماها فقتلها ومضى الناس. فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب: أي بني، أنت اليوم أفضل مِني قد بلغ مِنْ أمرك ما أرى! وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل عليّ. وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس مِنْ سائر الأدواء فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال: هذه لك أجمع إن أنت شفيتني. فقال: إني لا أشفي أحدا إنما يشفي اللَّه تعالى فإن آمنت باللَّه دعوت اللَّه فشفاك. فآمن باللَّه فشفاه اللَّه تعالى. فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: أولك رب غيري؟ قال: ربي وربك اللَّه. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل عَلَى الغلام. فجيء بالغلام فقال له الملك: أي بني قد بلغ مِنْ سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل! فقال: إني لا أشفي أحدا إنما يشفي اللَّه تعالى. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل عَلَى الراهب. فجيء بالراهب فقيل له ارجع عَنْ دينك فأبى، فدعا بالمِنْشار فوضع المِنْشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه. ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عَنْ دينك فأبى فوضع المِنْشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه. ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عَنْ دينك فأبى، فدفعه إِلَى نفر مِنْ أصحابه فقال: اذهبوا به إِلَى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عَنْ دينه وإلا فاطرحوه. فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: اللَّهم اكفنيهم بما شئت. فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إِلَى الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم اللَّه تعالى. فدفعه إِلَى نفر مِنْ أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور وتوسطوا به البحر فإن رجع عَنْ دينه وإلا فاقذفوه. فذهبوا به فقال: اللَّهم اكفنيهم بما شئت. فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إِلَى الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم اللَّه تعالى. فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. قال: ما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني عَلَى جذع ثم خذ سهما مِنْ كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل بسم اللَّه رب الغلام ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه عَلَى جذع ثم أخذ سهما مِنْ كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال بسم اللَّه رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه فمات. فقال الناس: آمنا

[1] الجامع الصغير للسيوطي، ج5، حديث رقم 6356.

برب الغلام. فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك: قد آمن الناس. فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخدت وأضرم فيها النيران وقال مَن لم يرجع عَنْ دينه فأقحموه فيها أو قيل له اقتحم. ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك عَلَى الحق. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.‟[2]

اعتمد فقهاء الإسلام على هذه القصة الخرافية التي جعلت من الغلام مؤمناً يضحي بحياته لقاء إيمان الناس بربه، فدلّ الملك على الوسيلة التي يمكنه بها قتله بعد أن فشلت كل الوسائل الأخرى، فأباحوا قتل المسلم نفسه وتفجيرها وسط الأبرياء إن كان في ذلك خيرٌ للمسلمين. قال شيخ الإسلام ابن تيميّة (في مجموع الفتاوى: 540/28) بعد ذكر قصّة الغلام هذه:

"وفيها أن الغلام أمر بقتل نفسه لأجل مصلحة ظهور الدين و لهذا أحب الأئمة الأربعة أن ينغمس المسلم فى صف الكفار وإنْ غلب على ظنه أنهم يقتلونه إذا كان فى ذلك مصلحة للمسلمين."

وبمثل هذه الأحاديث التي تستخف بالعقل عندما تجعل طفلاً يوصي أمه بالصبر والقفز في النار لأنها على الحق، يغسلون أدمغة الصبيان في مدارسهم الدينية ويرددون عليهم قصة الغلام إياه **فيجعلون منهم قنابل بشرية تقتل الأبرياء،** كما حدث مع الطفل محمد جواد ذي الثلاثة عشر ربيعاً الذي غسل دماغه الشيخ عبد العزيز غازي في المسجد الأحمر بباكستان وهيأه لتفجير نفسه وسط الجنود المسلمين إذا اقتحموا المسجد. ولم يكن هو الطفل الوحيد الذي كان مقدماً كقربان لله، فقد أكد الطفل محمد جواد للشرطة أن المسجد الأحمر كان مليئاً بالأطفال الذين استعملهم الشيخ غازي دروعاً بشرية وبشرهم بحوريات الجنة. وقد كان الطفل محمد يحمل معه شهادة خطية تمنحه الحق بدخول الجنة بعد الشهادة.

وهناك كذلك قصة الطفل الباكستاني رفيق الله الذي أرسله شيوخ القتل والدمار إلى أفغانستان ليفجر نفسه وسط الجنود الأمريكان. وقد كان هذا الطفل يدرس في مدارس باكستان الدينية عندما زودوه بالحزام الناسف وأرسلوه في مهمته الدينية. ولحسن حظ الطفل فقد اعتقلته الشرطة الأفغانية قبل أن يفجر نفسه، وقد أبدى الطفل سروره بالنجاة عندما عفا عنه الرئيس كرزاي وأطلق سراحه.

وفي إيران تطوع أكثر من ألفي شخص للقيام بعمليات انتحارية في العراق، وأفاد مسؤول في "لجنة احياء ذكرى شهداء الحركة الاسلامية العالمية" أن أعمار 25 بالمائة من المتطوعين هي تحت سن 18، وكان أصغرهم عمره سبع سنوات.[3]

وقد أصبح قتل الأطفال في العراق من الأشياء التي اعتاد عليها الناس. ففي البصرة راح 68 طفلاً ضحيةً للتفجيرات وهم في طريقهم إلى مدارسهم. وفي النعيرية ببغداد قُتل ثمانية عشر طفلاً بسيارة مفخخة. وهذه مجرد أمثلة للتفجيرات التي طالت أطفال العراق.

فلماذا ينتشر ذبح وقتل الأطفال بين المسلمين؟ السبب، طبعاً، لا بد أن يكون في النصوص التي يتناقلها شيوخ الإسلام بينهم ويدرّسونها للأطفال في مدارسهم الدينية في باكستان وفي معاقل الوهابية. وعندما يكبر هؤلاء الأطفال، إذا لم يفجروا أنفسهم وهم صغار، نتعرف فيهم على أسامة بن لادن والظواهري ومحمد عطا وبقية أبطال الغزوات المعروفة. والنصوص المسؤولة عن ذلك نجدها في القرآن عندما يطلب نوح من ربه أن يهلك الكافرين لأنهم لا يلدون إلا فاجراً كفارا. وفي أحاديث نبي الإسلام نجد النبي يؤكد أن أطفال المشركين سوف يدخلهم الله النار مع آبائهم، ففي مسند أبي داود:

"روى أبو عقيل عن أبي المتوكل الناجي عن بهية عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المسلمين: أين هم؟ قال: في الجنة، وسألته عن أولاد المشركين أين هم يوم القيامة؟ قال في النار، فقالت: لم يدركوا الأعمال، ولم تُجرّ عليهم الأقلام. قال: ربك أعلم بما كانوا عاملين، والذي نفسي بيده، لو شئت أسمعتك تضاغيهم في النار".[4]

ورغم أن بعض أهل الحديث يُضعّفون هذا الحديث لتضعيف أبي عقيل، فإن غالبية الشيوخ يروونه لتلاميذهم.

ويروي ابن هشام أن النبي عندما أمر بقتل عقبة بن معيط بعد موقعة بدر، سأله عقبة: فمن للصبية يا محمد؟ فقال له النبي: النار.[5]

فالدين الذي يعاقب الأطفال بما فعل آباؤهم ويدخلهم النار ليذوقوا عذاباً أبدياً، ثم يبيح إلهه للأنبياء قتل الأطفال تفادياً لما يمكن أن يحدث مستقبلاً، دينٌ لا يحترم براءة الأطفال ولا يقيم لها وزناً وبالتالي لا يقيم لحياتهم وزناً. فما أبشع هذا الدين وما أبشع هذا الإله الذي يذبح الأطفال.

عودة إلى الفهرس

[2] رياض الصالحين للإمام النووي، الكتاب الأول، باب الصبر، حديث رقم 30.
[3] إيلاف 5 يونيو 2004.
[4] تهذيب سنن أبي داود لابن القيم، باب في ذراري المشركين.
[5] السيرة النبوية لابن هشام، الجزء الثالث، ص 194.

68 - رجال الدين يفسدون الدولة

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=104694

منذ ظهور حركة الأخوان المسلمين ونحن نسمع أنّ الإسلام دينٌ ودولة، وأنّ الإسلام هو الحل. وفي حقيقة الأمر لم تكن هناك أي دولة إسلامية منذ ظهور الإسلام. وأول دولة قامت في العالم العربي كانت دولة بني أمية بقيادة السياسي البارع معاوية بن أبي سفيان. ومعاوية كان من الذكاء بمكان جعله يٌلبس دولته لبوس الإسلام ويجند شيوخ الإسلام لخدمته وخداع رعيته حتى يسلس قيادهم. وفي مقابل خداع الرعية

"جعل معاوية للفقهاء والمؤذنين رواتب مضمونه تُصرف لهم من بيت المال"[1]،

وبسط لهم موائده الدسمة مما جعل أبا هريرة يقول:

"الصلاة خلف عليّ أتم وسماطُ معاوية أدسم"[2].

ويبدو أن دسامة سماط معاوية حللت لسان أبي هريرة وضميره من أي عوائق تمنعه من تأليف الأحاديث التي تقوي من ركيزة بني أمية. وتضاعفت أعداد أهل الفتوى في دولة بني أمية ثم في الدولة العباسية حتى بلغت **الألوف**، بينما كانت أعدادهم في جميع سنوات الخلفاء الراشدين لا تتعدى المئة إلا بقليل.

"الذين حُفظت عنهم الفتوى من الصحابة مائة ونيف وثلاثون نفساً ما بين رجل وامرأة، وكان المكثرون منهم سبعة – عمر بن الخطاب، وعليّ بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعائشة، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر."[3]

وقد أفتى هؤلاء الفقهاء للرعية بفتاوى لم يطبقوها على أنفسهم، فقالوا:

"خير الجهاد كلمة حقٍ عند سلطانٍ جائر".

وكان الفقهاء القدماء، كما هو حال الفقهاء المحدثين، يعلَمون علم اليقين أن السلاطين والملوك كلهم جائرون، *ومع ذلك لم يسجل لنا التاريخ سوى أسماء قليلة لفقهاء يعدون على أصابع اليد الواحدة ممن قالوا كلمة حق في وجه سلطانٍ جائر وقُتلوا أو سُجنوا من أجل ذلك*، بل بالعكس فقد لوى أغلبهم عنق الآيات القرآنية والأحاديث ليأتي بفتوى تناسب ما يطمح إليه السلطان أو الخليفة.

ونفس الشيء حدث في المسيحية في القرون الوسطى عندما استعبدت الكنيسة الشعوب الأوروبية بإسم الإله وسحبت على الملوك سلطات إلهية فأصبح الملك أو الامبراطور حاكماً بتفويض إلهي، وكلمته هي مشيئة الله. ومقابل هذه الخدمة من الكنيسة سمح الملوك للكنيسة بتملك أراضي واسعة يعمل فيها المسيحيون البسطاء يومين في الاسبوع **احتساباً** وأجرهم على الله، فجمعت الكنيسة أموالاً طائلة وازداد الفقراء فقراً وذلاً.

وسوف أقدم للقاريء بعض الأمثلة من مداهنة رجال الدين الإسلامي، القدماء منهم والمحدثين، للسلطة الحاكمة.

- في أيام الدولة الأموية
  - "عندما تولي يزيد بن معاوية الخلافة أتوا له بأربعين شيخاً شهدوا جميعاً له أن الخلفاء لا حساب عليهم ولا عذاب، فأقبل على الظلم وإتلاف المال والشرب والانهماك على سماع الغناء والخلوة بالقيان."[4]

فهولاء الشيوخ اغتصبوا السلطات الإلهية وقرروا أن يزيد بن معاوية لا يخضع للحساب والعقاب يوم القيامة، مقابل ما يقدمه لهم من مال وموائد دسمة.

  - والفقيه الزهري كان يتملق الخليفة هشام بن عبد الملك ويحضر جميع مجالسه وولائمه حتى صار يُعرف بفقيه القصر. وفي مرةٍ قال للخليفة هشام:

مجلس أمير المؤمنين أهلٌ أن يُستفاد منه العلم.[5]

فمجلس الخليفة الذي كان يعج بالمتسلقين والمتملقين أصبح مكاناً لتحصيل العلم.

  - ويقال إنّ معاوية أعطى ذات مرة جماعةً من العلماء في مجلسه مائة ألف درهم لكل رجل إلا رجلاً واحداً أعطاه سبعين ألفاً، فاحتج الرجل على ذلك وسأل عن السبب،

فقال له معاوية: إني اشتريت من القوم دينهم ووكلتك إلى دينك.
فقال له الرجل: وأنا فاشترِ مني ديني.[6]

- وفي الدولة العباسية كذلك داهن أغلب الفقهاء الخلفاء حتى أنّ الإمام مالك داهن أولي الأمر.

فقد كان عامل الخليفة المنصور على المدينة عبد الصمد، وكان قد حبس رجلاً من القرشيين وعذبه وكبله بالسلاسل، فكتب أحد أقربائه إلى أبي جعفر المنصور يشتكي قسوة عبد الصمد، فكتب أبو جعفر إلى المدينة وأرسل رسولا وقال له اذهب فانظر قوما من العلماء فادخلهم عليه حتى يروا حاله وتكتبوا إلي بها. فأدخلوا عليه في حبسه مالك بن أنس وابن أبي ذئب وابن أبي سبرة وغيرهم من العلماء، فقال: اكتبوا بما ترون إلى أمير المؤمنين. قال وكان عبد الصمد لما بلغه الخبر حل عنه الوثاق وألبسه ثيابا وكنس البيت الذي كان فيه ورشة ثم أدخلهم عليه، فقال لهم الرسول: اكتبوا بما رأيتم. فأخذوا يكتبون "يشهد فلان وفلان" فقال بن أبي ذئب: لا تكتب شهادتي. أنا أكتب شهادتى بيدي. إذا فرغت فارم إلي بالقرطاس. فكتبوا "رأينا محبسا لينا وهيأةً حسنة" وذكروا ما يشبه هذا الكلام. قال ثم دفع القرطاس إلى ابن أبي ذئب فلما نظر في الكتاب فرأى هذا الموضع قال: يا مالك داهنت وفعلت و(ركنت) إلى الهوى، لكن اكتب "رأيت محبسا ضيقا وأمرا شديدا".[7]

ولا شك أن الإمام مالك كان لا يخفى عليه حال السجين بالمدينة ولكنه رضي لنفسه أن يداهن عبد الصمد ويكتب بما رآه في تلك اللحظة ويتجاهل ما كان يعلمه من حال السجين، كما علمه ابن أبي ذئب.

وعندما أراد الخليفة المهدي خلع أخيه عيسى بن موسى من ولاية العهد لصالح موسى الهادي، ابن المهدي، وعندما رفض عيسى بن موسى التنازل عن الولاية وقال إنّ عليه أيماناً في أهله وماله، لا يستطيع التخلي عنه، أحضروا له عدداً من القضاة والفقهاء، منهم محمد بن عبد الله بن علاثة، ومسلم بن خالد الزنجي، فأفتوه بالتحلل من أيمانه، فتخلى عن العرش، وسُرّ الخليفة المهدي لذلك.[8]

ولا بد أن المهدي أغدق العطاء على هؤلاء القضاة والعلماء.

---

[1] تاريخ دمشق لابن عساكر، ج1، ص 254.
[2] شذرات الذهب للدمشقي، ج1، ص 65.
[3] شذرات الذهب، ج1، ص 63.
[4] شذرات الذهب، ج1، ص 128.
[5] سيرة ابن هشام، ج1، ص 32.
[6] وعاظ السلاطين لعلي الوردي، ص 223.
[7] تاريخ بغداد، للبغدادي، ج3، ص 100.
[8] الكامل في التاريخ للمبرد، ج5، ص 234.

ولما ثار يحيي بن عبد الله العلوي على هارون الرشيد، أرسل إليه هارون الفضل بن يحيي البرمكي بأمان مكتوب بخط يده ومشهود عليه من عدد من القضاة والعلماء. وبعد فترةٍ من الزمن أراد هارون الرشيد أن يتحرر من ذلك العهد فجمع عدداً من القضاة والفقهاء الذين شهدوا على الأمان وطلب منهم فتوى تعفيه منه، فأفتاه أبو البحتري القاضي بذلك وأخبره أن الأمان باطل من عدة وجوه شرعيه، فهتف الرشيد عند ذلك:
أنت قاضي القضاة وأنت أعلم بذلك. ووقتها مزق الرشيد الأمان وتفل فيه القاضي أبو البحتري الذي كان قد شهد عليه.[9]

يقول المقريزي إن القادر، الخليفة العباسي، جمع في بغداد مجلساً من القضاة والأشراف والفقهاء وجعلهم يكتبون محضراً يتضمن القدح في نسب الخلفاء الفاطميين ونفيهم من الانتساب إلى عليّ بن أبي طالب. وكتب نُسخاً من المحضر وسيره في الآفاق.[10]

وقد كان نسب الفاطميين يرجع إلى علي ولكن مجلس القضاة والفقهاء كان يهمهم إرضاء الخليفة القادر أكثر مما تهمهم ضمائرهم، فقدحوا في نسب الفاطميين وأرضوا الخليفة القادر.
أما حجة الإسلام الغزالي فقد ألّف كتاب "فضائح الباطنية" ليس اقتناعاً منه بفضائحهم ولكن نزولاً على رغبة الخليفة العباسي المستظهر، وقال في مقدمة الكتاب:

"خرجت الأوامر الشريفة المقدسة النبوية المستظهرية بالإشارة إلى الخادم في تصنيف كتاب الرد على الباطنية".

ويظهر من هذه الكلمات مدى خضوع الغزالي لرغبات الخليفة السياسية. فإذا كان حجة الإسلام قد فعل هذا، فماذا نتوقع من بقية الفقهاء وأهل الحديث؟

- وفي عصرنا هذا
  - فقد خضعت أكبر مؤسسة دينية في الإسلام السني، ألا وهي الجامع الأزهر، إلى رغبات الحكام وأصدر علماؤها أعدادا غفيرة من الفتاوى تؤيد الحاكم فيما ذهب إليه وتذم من يخالفه.
  - فأصدروا فتاوى تؤكد حق الملك فؤاد في أن يكون خليفة المسلمين عندما ألغى كمال أتاتورك الخلافة العثمانية.
  - وحديثاً أصدر مفتي الجمهورية السابق الشيخ نصر الله فريد فتوى في انتخابات تجديد ولاية الرئيس حسني مبارك في عام 1999 تقول:

(إن المبايعة واجب ديني، وكل من تخلف عن المبايعة أو نكص عنها فقد خان نفسه وأهله ووطنه ودينه، وكان من المنافقين المفسدين في الأرض. وأن بيعة مبارك هي بيعة لله ولرسوله.)[11].

  - أما شيوخ الدين في المذهب الشيعي فقد التزموا الصمت والخنوع في حضرة الخلفاء والأمراء ورضوا من الغنيمة بالإياب، وسموا صمتهم "تقية" يتقون به غضب الحكام، وذهبت مقولة (خير الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) أدراج الرياح.
  - أما الشيخ القرضاوي فالحديث عنه يطول. فالشيخ لا يكل ولا يمل من الدعوة إلى الجهاد لإخراج الأمريكان من العراق ولكن إخلاصه لولي نعمته أمير قطر أصابه بقصر النظر فهو لا يرى الآلاف المؤلفة من الجنود الأمريكان في قاعدة العديد بقطر، ولكن عندما يدير وجهه صوب العراق يصبح كزرقاء اليمامة فيبصر كل جندي أمريكي أو بريطاني أو أسترالي بالعراق. وبما أن **الدين النصيحة** فهو قد نصح الأمير بأن لا يدخل الانـگليز إلى قطر، فالأمريكان أقوى وموائدهم أدسم وبنوكهم أضمن.
  - وقد أثبت رجال الدين أنهم يفهمون الميكافيلية أحسن من ميكافيلي نفسه. فبما أن الغاية تبرر الوسيلة، وغايتهم الوصول إلى كراسي الحكم بإسم الإسلام فقد وضعوا القيم الإسلامية على الرفوف كما فعل قادة الجماعة السلفية في الجزائر. فقد لجأت هذه الجماعة إلى النهب والسرقة من البنوك التجارية رغم أن الإسلام يقول إنّ عقوبة النهب هي قطع الأيدي والأرجل من خلاف. *وطبعاً هم يبررون النهب بأن المال المنهوب مال البنوك الربوية وبالتالي فهو مال* حرام، ومباح للمسلم الغيور على دينه أن يسرقه. ولكن المشكلة أن بعضهم يختلس ما ينهبون لمصلحة أسرهم ولمصلحتهم الخاصة.

"فقد حدث انقسام في تنظيم الجماعة بخصوص سوء إدارة أموال الغنائم التي حصلوا عليها بالسطو على البنوك وفرض رسوم على الأشخاص. وقد حجزت السلطات في الجزائر على ما يقارب خمسمائة ألف دولار في شكل مجوهرات ومحلات وعربات وعقارات كان قد اشتراها عبد الحميد سعداوي قائد المنطقة الثانية للمسلحين. وتقول المصادر إنّ أفراداً من عائلة سعداوي قد أخذوا حصة من الاستثمارات وقد بدت آثار الثروة عليهم."[12]

  - أما في السعودية التي يتمتع فيها رجالات الدين برواتب ومراتب الوزراء والسيارات المكيفة والقصور الشاهقة، ويرددون في خطبة الجمعة أن عمر كان ينام تحت الشجرة، فلا يستطيع أي منهم أن يجرؤ على نصح أولي الأمر ناهيك أن يقول كلمة الحق عندهم.
  - وقد أعتذر عدد منهم على الملأ عما صدر منهم وأغضب أولي الأمر، منهم الشيخ العبيكان الذي اعتذر بأنه كان مخطئاً فيما كان يقول ويعمل.
  - وقد أصدر مفتي السعودية، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ فتوى مماثلة لفتوى مفتي مصر، فقال آل الشيخ

"إن السعودية تعيش في ظل ولاية عادلة، قد انعقدت لها البيعة، وصحت إمامة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، على هذه البلاد وأهلها، ولزم الجميع السمع والطاعة بالمعروف، والبيعة ثابتة في عنق أهل البلاد السعودية كافة، لإجماع أهل الحل والعقد، على إمامته.".[13]

وأهل الحل والعقد هم رجالات الدين أنفسهم.

هذا حال رجال الدين وهم خارج السلطة، يداهنون ويتملقون وينهبون البنوك ويبيعون المخدرات من أجل الحصول على المال اللازم لتنفيذ ثورتهم على الحكومات والإمساك بمقاليد الحكم. وعندما يصلون إلى سدة الحكم، سواء بثورة شعبية كما حدث في إيران، (وندموا عليها) أو عن طريق الانقلابات العسكرية كما حدث في السودان، تصبح مقولة ‹**الإسلام هو الحل**› كلامَ ليلٍ يمحوه النهار، وتصبح بيوت الأشباح والسجون السرية وملاحقة النساء في الطرقات لفرض الحجاب عليهن شغل الشيوخ الشاغل بعد مجهوداتهم الجبارة في محاولات إخفاء ملايينهم المكدسة في البنوك الماليزية والباكستانية لأن البنوك في تلك البلاد الإسلامية لا تتعامل بالربا، كما يقولون. وبما أن الإسلام دينٌ ودولة، يستطيع أي شيخ يحفظ القرآن أن يدير دولة الإسلام كما يحدث في إيران التي أصبح البنزين

[9] وعاظ السلاطين، ص 49.
[10] نفس المصدر، ص 216.
[11] الأهرام القاهرية في 24 سيتمبر 1999نقلاً عن شاكر النابلسي، شيوخ الأزهر بين الدين والسياسة.
[12] الشرق الأوسط 17 ديسمبر 2006.
[13] إيلاف 28 أبريل 2007.

فيها مقنناً رغم أن إيران تمتلك رصيداً هائلاً من البترول الخام، وجميع ملاليها من أكبر رجالات الأعمال وتقدر ثرواتهم بالملايين، باستثناء الرئيس أحمدي نجاد.
ورغم كثرة رجال الدين في البلاد العربية، ورغم أن الإسلام قد **بزل** (بزل البعير إذا بلغ السنة التاسعة وهي قمة النمو ثم يبزل أي يبدأ العد التنازلي)، كما قال عمر بن الخطاب، فلن نجد في تاريخ الإسلام الطويل وفي حاضره إلا حفنة قليلة من رجال الدين الذين قالوا كلمة الحق في وجه سلطان جائر. وقد كان ابن المقفع واحداً من هؤلاء، فقد أرسل للخليفة المنصور كتاباً سماه ‹رسالة الصحابة› نصحه فيه بحسن اختيار معاونيه وحسن سياسة الرعية. فما كان من المنصور إلا أن قطّع أوصاله وشواها على النار وأجبره على أكلها حتى مات. وقد عاصر المنصور عددٌ كبير من أشهر علماء الإسلام مثل أبي حنيفة ومالك والأوزاعي وسفيان الثوري، وعباد بن كثير وعمرو بن عبيد وغيرهم. وقد لزم كل هؤلاء العلماء الصمت ولم يتفوه واحد منهم للمنصور بكلمة حق توبخه على ما فعل بابن المقفع. ولكن الإمام أبو حنيفة عارض المنصور في آخر أيامه ومات بالسجن، كما عارض الإمام موسى الكاظم هارون الرشيد. *فهل، بعد هذا المسلك الشائن من رجال الدين يمكننا الوثوق بهم، سواء كانوا خارج السلطة أو داخلها؟ أشك كثيراً في ذلك.* ولا يسعني إلا أن أقول لجموع المسلمين الأميين:

إحذروا الانقياد وراء رجال الدين، فإنهم سوف يوردونكم موارد الهلاك وينجون.

فكما يقول الحديث إن أمة محمد تنقسم إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها تدخل النار إلا فرقة واحدة، وهي فرقة رجال الدين الذين ينجون من غضب السلطان بأرواحهم وأموالهم، اللهم إلا إذا صادرتها أمريكا في حربها على تمويل الإرهاب.

عودة إلى الفهرس

69 - الإسلام أكبر نكبة أصابت العرب

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=105632

لا شك أن تاريخ البشرية، بما فيهم العرب، مليء بالنكبات من حروب وصدامات وكوارث طبيعية وكوارث من صنع الإنسان، ولكن ظهور الإسلام على مسرح الحوادث كان أكبر كارثة ألمت بالعرب، وربما بالعالم ككل. قبل ظهور الإسلام كانت القبائل العربية تغير على بعضها من وقت لآخر من أجل الثأر أو من أجل النهب والسلب، كما كانت تفعل القبائل المختلفة في جميع أنحاء العالم. فقد كانت القبائل الأنـگلوساكسونية في انـگلترا تغير على بعضها البعض، كما كانت تفعل القبائل الجرمانية العديدة في أوروبا. ولكن في المدينة عاشت قبائل الأوس والخزرج العربية جنباً إلى جنب مع يهود بني قريظة وبني قينقاع، ومع النصارى والمريمين والأحناف. وكان اليهود حلفاء الأوس والخزرج. ولم يسجل لنا التاريخ الإسلامي أي صدامات بين العرب واليهود أو بين العرب الوثنيين والعرب النصارى. بل كانت المرأة العربية التي يموت أطفالها صغاراً، تعطي المولود الجديد أسماً يهودياً وتبعث به إلى نساء اليهود ليتربى عندهن، اعتقاداً منها بأن رب اليهود سوف يمنع الموت من الوصول إلى وليدها.

وجاء الإسلام ليزرع التفرقة بين المسلم واليهودي وبين المسلم والمسيحي وبين العربي والعجمي وبين المرأة والرجل ثم بين المسلمين أنفسهم الذين تفرقوا ‹أيدي سبأ›† وأصبحوا مذاهب شتى

- *بسبب تعارض الآيات والأحاديث مع بعضها البعض،*
- *وبسبب تقديس الشخصيات بدلاً عن الأفكار.*

وتقدمت الشعوب الأوروبية ونبذت الاختلافات بينها وتوحدت بلدان أوربا وكونت الاتحاد الأوربي، كما وحدت أمريكا كل ولاياتها الخمسين بعد أن كانت دويلاتٍ مختلفة متناحرة. وظل العرب على خلافاتهم في كل شيء يمس حياتهم ومعتقداتهم.

وإذا تركنا الاختلاف على المذاهب السنية الأربعة والمذاهب الشيعية العديدة من إمامية وجعفرية وزيدية وفاطمية وعلوية، والدروز والأيزيدية والبهائية وأهل القرآن والمذاهب الصوفية العديدة من تيجانية وجيلانية وغيرها، *نجد أن شيوخ وفقهاء المذهب الواحد يختلفون في كل شيء، حتى في طريقة أداء المناسك.*

> ***وبسبب هذه الاختلافات*** ضاعت رسالة الدين الجوهرية وحلت مكانها الطقوس أو الشعائر الدينية التي باتت مقدسة عند عامة المسلمين، وأصبحت طريقة أداء الوضوء أو الغسل وطريقة أداء الصلاة ووضع اليدين أثناءها، أهم من الهدف من الصلاة نفسها، ألا وهو النهي عن الفحشاء والمنكر، كما يقول القرآن. وبات حفظ وتقليد ما فعله النبي أو الصحابة أهم من حفظ آيات القرآن.

ومن الأشياء التي تُثبت أن الإسلام كان **نكبة على العرب والمسلمين** هو ما نراه حادثاً الآن في مصر التي يعيش جزء كبير من مواطنيها في المقابر أو في أكواخ الصفيح، يقتاتون من السرقة أو التسول، ولا يحرك ذلك أي شعور بالمسؤولية لدى أعضاء مجلس الشعب المصري (البرلمان) الذي هو مجلس شعب بالاسم فقط. هذا المجلس الخامل يتحرك ويثور عندما يقول وزير الثقافة إن الحجاب ليس من الإسلام، أو عندما يفتي مفتي مصر بأحقية تولي المرأة مناصب قيادية

(فقد تقدم خمسة نواب من الأغلبية والمعارضة، بطلبات عاجلة إلى رئاسة البرلمان طالبوا فيها بإجراء مناظرة تحت قبة البرلمان بين شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد طنطاوي، والدكتور جمعة من جهة، وعلماء الأزهر من جهة أخرى، لحسم الجدل حول وظائف المرأة في المجتمع.)[1].

وعندما أكدت وزارة الأوقاف فكرة توحيد الأذان في مساجد القاهرة ليذاع من إذاعة القرآن الكريم، تفجر الخلاف بين شيوخ الأزهر، بالرغم من أنهم ينتمون إلى نفس المذهب الشافعي، حول مشروعية التوحيد هذه. واعترض المجلس المحلي (البلدي) بالقاهرة على توحيد الأذان، مع العلم بأن هذا المجلس مهمته الرئيسية السهر على صحة وسلامة سكان القاهرة وحمايتهم من الأوساخ والقاذورات التي أضحت سمةً من سمات القاهرة، وليس من مهامه الحفاظ على الإسلام. وتخلت كذلك إذاعة القرآن الكريم عن اتفاقها على الأذان الموحد، ربما نتيجة ضغط شيوخ الأزهر أو الممول السعودي. وقد عللت إذاعة القرآن رفضها ب (تمسكها بإذاعة الأذان بصوت الشيخ محمد رفعت ورفضها إذاعة أية أصوات أخرى تختارها الوزارة.) فصَوْتُ المؤذن أصبح أهم عندهم من محتوى ورسالة الأذان.

(ورفض الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح أستاذ العقيدة بجامعة الأزهر، عضو مجمع البحوث فكرة «الأذان الموحد» وقال: إنها تتعارض مع المساحة الواسعة للقاهرة الكبرى أو أية منطقة أخرى في العالم لأن من المفروض أن خطوط الطول والعرض تتحكم في مسألة اختلاف الوقت††. وأشار إلى أن الأذان هو الإعلان عن دخول وقت الصلاة، والمواقيت تتباين باختلاف الأماكن، ومن هنا كان توحيد الأذان مخالفا لما اقتضته تعاليم الإسلام، فضلا عن أن «توحيد الأذان» يضيع أجر المؤذنين عند الله تعالى. واعتبر السايح مسألة توحيد الأذان «مشغلة للناس» ثم إن الاعتماد على الأدوات العلمية أو الالكترونية في الأذان قد تؤدي إلى ألا يكون هناك أذان فكثيرا ما تتعطل هذه الأجهزة، وبالتالي لا تقوم بالغرض الذي أنشئت من أجله، ولذلك نطالب بأن يبقى أذان كل مسجد قائما بذاته.)[2]

والدكتور هنا يحاول أن يُلبس اعتراضه لبوس العلم الحديث ويتحدث عن خطوط الطول وفارق الوقت بين الأماكن المختلفة. فإذا عرفنا أن القاهرة تقع على خط طول 31 درجة ونصف الدرجة تقريباً ومدينة السويس على خط 32 درجة ونصف الدرجة، يكون الفرق الزمني بينهما حوالي 4 دقائق بينما المسافة الأرضية بينهما حوالي 120 كيلومتراً. فهل المسافة بين مساجد القاهرة من أقصاها إلى أقصاها تتعدى دقيقة واحدة في التوقيت؟ وهل فرق الدقيقة الواحدة في الأذان يبرر كل هذا الاختلاف وتأخير إنجاز مهم مثل توحيد الأذان بالراديو بدل كل تلك الأصوات المنكرة التي تزعج الساكن والزائر؟ وربما نسي الشيخ أن الأذان في حياة الرسول كان توقيته بزوال الظل أو طلوع الفجر أو مغيب الشمس، ووقت أي صلاة يمتد عدة ساعات. فمثلاً صلاة العصر وقتها من الزوال إلى مغيب الشمس. فهل فرق الدقيقة الواحدة سوف يؤثر على إقامة الصلاة؟ لا أعتقد ذلك. وربما كان السبب الثاني الذي قدمه الدكتور أكثر وجاهة. فهو يقول إن توحيد الأذان يضيع أجر المؤذنين عند ربهم *لأن توحيد الأذان سوف يجعل بقية المؤذنين فائضين عن الحاجة وبذا يضيع أجرهم من الحكومة قبل ضياع أجرهم عند ربهم.*

وفي السعودية نظر مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الاسلامي في مكة المكرمة بشأن حكم توحيد إذاعة الأذان عن طريق مسجلات الصوت الكاسيت في المساجد، لتحقيق تلافي ما قد يحصل من فارق الوقت بين المساجد في البلد الواحد حين أداء الأذان للصلاة المكتوبة. واطلع المجلس على البحوث المعدة في هذا من بعض أعضاء المجمع، وعلى الفتاوى الصادرة في ذلك من

† "أي تفرقوا تفرقاً لا اجتماع معه."
هذا المعنى منقول من موقع:
http://toratheyat.com/vb/showthread.php?t=882

ويقول موقع آخر حول معنى هذا المثل مايلي:
"فتفرق أيدي سبأ، أصبح مثلا يجري على كل لسان، مثلا يضرب لمن تفرقوا بعد عز ورخاء."
http://www.alqabas.com.kw/node/255967

†† علمياً كلام "السايح" صحيح ولكنه لم يخبرنا مقدار الاختلافات في التوقيت بين المسافات العرضية (أي المسافة الواقعة بين خطي طول) أهي ثواني أم دقائق أم ساعات؟ علماً بأن مصر بأكملها لها توقيت موحد (اتفاقي طبعا) يزيد عن توقيت گرينتش (GMT) في انـگلترا بمقدار ساعة واحدة فقط رغم المسافة الشاسعة بين مصر وبريطانيا. مع العلم أن مصر بأكملها تقع بين خطي الطول 25 و35 شرق گرينتش. للعلم فقط فإن الفاصل الزمني بين خطي طول يبلغ 4 دقائق فقط أي أن مصر بأكملها تتفاوت من شرقها إلى غربها 36 دقيقة، فما بال السيد "السايح" بالفارق الزمني بين مختلف مناطق القاهرة؟
هل يقدم أو يؤخر وجود فرق بضع ثواني أو بضع دقائق في توحيد موعد الصلاة؟
ثم لماذا لايحتج "السايح" وغيره على أن مصر كلها لها نفس التوقيت بخلاف مواعيد الصلاة؟

[1] محمد خليل ومجدي عبد العال، الشرق الأوسط، 6 فبراير 2007.
[2] نفس المصدر السابق.

سماحة المفتي سابقا بالمملكة العربية السعودية الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ وما قررته هيئة كبار العلماء بالمملكة، وفتوى الهيئة الدائمة بالرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة، وتتضمن هذه الفتاوى الثلاث عدم الاخذ بذلك، وأن إذاعة الأذان عند دخول وقت الصلاة في المساجد بواسطة آلة التسجيل ونحوها لا تجزئ في أداء هذه العبادة.

وقد أقر مجلس المجمع الفقهي الإسلامي أن الأذان من شعائر الإسلام التعبدية الظاهرة، المعلومة من الدين بالضرورة بالنص وإجماع المسلمين، ولهذا فالأذان من العلامات الفارقة بين بلاد الإسلام وبلاد الكفر، وقد حُكي الاتفاق على أنه لو اتفق أهل بلد على تركه لقوتلوا.

كل هذا التشبث بالماضي ومقاومة التقدم والحضارة هو الذي نكب البلاد العربية وأدى لتخلفها.

فالأذان لم يبدأ العمل به إلا بعد أن هاجر محمد إلى المدينة، وطوال الثلاث عشرة سنة التي قضاها في مكة بعد بدء الرسالة لم يكن هناك أذان رغم فرض الصلاة، *فكيف أصبح الأذان عبادة في الإسلام لا يجوز تحديثها وتوحيدها*، *ولم تنزل به آية أو حتى حديث يقول إنه عبادة؟* إن الشيوخ قد تبنوا مكبرات الصوت على المآذن لتحل محل صوت بلال بن رباح بكل سهولة، ولكنهم الآن يقولون إن الأذان لا يجوز تحديثه. فدعونا نبحث في تاريخ الأذان في الإسلام حتى نعرف إن كان فعلاً عبادة. يقول ابن هشام في سيرته:

"قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها، بغير دعوة، فهمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها أن يجعل بوقاً كبوق يهود الذين يدعون به، لصلاتهم، ثم كرهه ثم أمر بالناقوس، فَنُحِتَ ليُضرب به للمسلمين للصلاة. فبينما هم على ذلك إذ رأى عبدُ الله بن زَيْد بن ثعلبة بن عبد رَبِّه، أخو بَلْحارث بن الخزرج، النداء، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: يا رسولَ الله ، إنه طاف بي هذه الليلة طائفٌ: مرّ بي رجل عليه ثوبان أخضران، يحمل ناقوساً في يده ، فقلت له: يا عبد الله، أتبيع هذا الناقوس؟ قال: وما تصنع به؟ قال: قلت: ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على خير من ذلك؟ قال: قلت: وما هو؟ قال: تقول: *الله اكبرُ الله اكبرُ، الله اكبرُ، الله أكبرُ، أشهدُ أن لا إله إلا الله، أشهدُ أن لا إله إلا الله، أشهدُ أن محمداً رسولُ الله، أشهد أن محمداً رسولُ الله، حَيَّ على الصلاةِ، حيَّ على الصلاةِ، حيَّ على الفلاحِ، حيَّ على الفلاح، الله أكبرُ، الله أكبرُ، لا إله إلا الله*. فلما أخبرَ بها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، قال إنها لرؤيا حَقٌّ، إن شاء الله، فقم مع بلال فألقها عليه، فليؤذن بها، فإنه أنْدَى صوتاً منك."[3]

فقصة اختيار الأذان الذي حلم به أحد الرجال ولم يوحه الله لمحمد الذي كان قد فكر في اتخاذ البوق أو الجرس لإعلان الصلاة، **لا تنم على أن الأذان عبادة، فكل العبادات من المفروض أن يكون قد أوحاها الله لرسوله**. فلماذا يصر شيوخ الإسلام على التخلف وربطنا بالماضي وإضفاء القدسية على كل تقليد تليد؟

يقول ابن قيم الجوزية في كتابه زاد المعاد:

"كان يؤذن للرسول اثنان بالمدينة: بلالٌ بن رباح، وهو أول من أذن لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وعمرُو بن أم مكتوم القرشي العامري الأعمى"[4].

فإذاً الأذان كان موحداً في المدينة في حياة الرسول ولم يؤذن له أحدٌ غير بلال، إلا إذا كان بلال غائباً أو مريضاً، فيؤذن ابن أم مكتوم. فهل شيوخ اليوم أعلم بأمور الدين من نبيهم؟

وبعد كل هذا التأخر والتخلف الذي ابتلانا به الإسلام تخلى المسلمون عن إسلامهم وراحوا يعبدون الأولياء في الأضرحة العديدة المنتشرة في جميع بلاد المسلمين، خاصة العراق وسوريا ومصر. وفي أحد المواقع الإسلامية العديدة على شبكة الإنترنت، يتحدث أحد المسلمين عن ضريح السيدة زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب، بسوريا، فيقول:

"وفي أجواء روحانية، من صلاة ودعاء تشعر وأنت تعيش في كنف هذا الحرم المقدس مع قلوب مؤمنة طاهرة شديدة العلاقة بأهل البيت تشعر وكأنك في محراب عبادة دائم.. حيث يكون المرء أقرب إلى ربه وتكون الصلاة أكثر قبولاً وما أكثر الزوار الذين يلجأون إلى قبر السيدة زينب ويدعون إلى الله أن يقضي حوائجهم ببركة هذه المرأة المؤمنة المجاهدة والصابرة. إنهم ليتشفعون بها إلى الله لكي يجعلهم أكثر إيماناً وتقوى ويحل لهم بعض ما استعصى عليهم من مشاكل الحياة. نعم فإنها دون أدنى ريب شفيعة ومشفعة." انتهى.

أليس هذا ما كان يفعله العرب الوثنيون قبل مجيء الإسلام عندما كانوا يتقربون بأصنامهم إلى الله ويقدمون لها القربان نيابةً عن الله؟ ويستمر المسلم أعلاه فيقول:

"اعتاد زوار المقام أن يقدّموا أضحيات ونذور من الغنم والماعز تذبح في مسلخ المقام ثم توزع كلها أو بعضها على الفقراء، وقررت لجنة الأشراف إحداث مسلخ جديد مبني على أحدث الأسس وتتوفر فيه كلّ الشروط الصحيحة وبالسّعة الكافية لاستقبال أصحاب النذور."

فهل هناك أي شك في وثنية مسلمي اليوم؟

منذ نهاية الدولة العباسية الأولى ونحن نعيش في تخلف وجهل وفوضى وإجبار الناس على الصوم والصلاة ونهيهم عن ما نراه منكراً بالعصا والسوط والسجون، بسبب الإسلام الذي تخلينا عنه أخيراً.

أليست هذه أكبر نكبة حلت بالعالم العربي؟

عودة إلى الفهرس

[3] السيرة النبوية، ج3، ص 36). وكرر نفس القصة ابن الجوزي في كتابة المنتظم في التاريخ، نقلاً عن ابن سعد.

[4] ج1، ص 52.

70 - لولا كلمةٌ سبقت

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=107152

حياة الإنسان الفرد قصيرة جداً ولا تتيح له الفرصة الكافية لتجميع الحصيلة الضرورية من العلم والتجارب التي تجعله كاملاً لا يخطيء. ونتيجةً لهذه الطبيعة الإنسانية يرتكب كل فرد منا أخطاء عديدة في حياته القصيرة. ولأن الإنسان لا يعلم الغيب فهو مضطر لاتخاذ قرارات مستقبليه دون الوثوق من نتائجها، وأحياناً نندم على قرار اتخذناه وكان خاطئاً فنقول "لولا أني اعطيت فلاناً كلمتي، لفعلت كذا وكذا". *والدافع الذي يجعل الشخص يقول هذه المقوله هو رغبته في أن يراه الآخرون كشخص له منظومة من المُثل والأخلاق تجعله يحافظ على كلمته أي وعده*. إذاً هذه المقولة هي عبارة عن وسيلة نستعملها لتحسين صورتنا عند الآخرين.

فهل يا تُرى تنسحب نفس المقوله على الإله الخالق البارع المصور الذي يعلم الغيب ويقرر مصير كل إنسان حتى قبل أن يخلقه؟ هل يجوز أن يحاول الإله تحسين صورته عند مخلوقاته؟ وهل يمكن لمثل هذا الإله أن يخطيء ويندم على خطئه ويحسب ألف حساب لما يمكن أن يقوله الناس عنه، فيقول: لولا كلمةٌ سبقت مني لفعلت كذا وكذا؟ وما هو الداعي لإله يعلم الغيب أن يتسرع ويصدر كلمة تحد من تصرفاته مستقبلاً؟

العقل البشري الذي خلق الآلهة العديدة في بدء نشوئه ثم تخلص منها وخلق إلهاً واحداً، **جعل هذا الإله كاملاً في كل شيء ولا يخطيء أبداً**. ولذلك عندما نقرأ في النصوص الدينية ما يوحي بأن الإله قد أخطأ وندم على خطئه، تسرع عقولنا إلى رفض هذه الفكرة وتأتي بعدة تفاسير نحاول من خلالها إيجاد معاني جديدة للكلمات **حتى نحافظ على كمالية الإله المنزه عن الخطأ**. ففي العهد القديم، مثلاً، عندما أطلق يهوه الفيضان على قوم نوح ودمر كل أشكال الحياة على الأرض، وندم على ذلك وقال:

{**21 فَتَنَسَّمَ الرَّبُّ رَائِحَةَ الرِّضَا. وَقَالَ الرَّبُّ فِي قَلْبِهِ: «لاَ أَعُودُ أَلْعَنُ الأَرْضَ أَيْضاً مِنْ أَجْلِ الإِنْسَانِ لأَنَّ تَصَوُّرَ قَلْبِ الإِنْسَانِ شِرِّيرٌ مُنْذُ حَدَاثَتِهِ. وَلاَ أَعُودُ أَيْضاً أُمِيتُ كُلَّ حَيٍّ كَمَا فَعَلْتُ.** (سفر التكوين، الإصحاح الثامن)}،

هب المفسرون للدفاع عن هذا الخطأ الإلهي فقالوا إن يهوه ما أخطأ وما ندم على فعلته وإنما قرر بحكمته الإلهية أن يمنح الإنسان الضعيف وقتاً أطول ليتعلم ويعبده بإخلاص، ولذلك قرر ألا يرسل الطوفان مرة أخرى وألا يدمر الحياة قبل يوم القيامة. ولكن يهوه خذل المفسرين وقال صراحةً إنه يمكن أن يخطيء ويمكن أن يندم على خطئه:

{**نَدِمْتُ عَلَى أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ شَاوُلَ مَلِكاً، لأَنَّهُ رَجَعَ مِنْ وَرَائِي وَلَمْ يُقِمْ كَلاَمِي.** (سفر صموئيل الأول، الإصحاح 15، الآية 11)}.

فإله اليهود قد أخطأ واعترف بخطئه وندمه.

ولكن الأمر يختلف تماماً في الإسلام، **فإله الإسلام لا يخطيء ولا يندم**، ومهما تهاوت لغته في **الركاكة**، *فإن المفسرين دائماً على استعداد للقيام ببهلوانيات لغوية يعتقدون من خلالها أنهم ينزهون هذا الإله*. فعندما كان محمد بمكة، في حالة من الضعف جعلته يتسامح مع أهل مكة رغم تشنيعهم عليه، جاء القرآن كذلك متسامحاً لدرجة أن الله قال في سبع سور مكية، ما معناه، لولا أني أعطيت كلمتي للمشركين والكافرين، لعاقبتهم الآن لأنهم لم يصدقوا محمد. فقال:

{**وما كان الناس إلا أمةً واحدةً فاختلفوا ولولا كلمةٌ سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون.** (يونس 19)}.

وقال:

{**ولقد آتينا موسى الكتاب فاختُلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وأنهم لفي شكٍ منه مريب.** (هود 110)}.

وكرر نفس الآية في سورة فُصلت، الآية 45.

وقال:

{**وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب.** (الشورى 14)}.

وأخيراً قال:

{**أفلم يهدِ لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات لأولى النهى. ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجلٌ مسمى.** (طه 128، 129)}.

فاتضح من هذه الآيات مدى صبر الإله واحترامه الكلمة التي سبقت منه. ثم هاجر محمد إلى المدينة وقويت شوكته وأصبح له جيش عرمرم، فلم ينزل أي قرآن في المدينة بتسويف العقاب لأن الله كان قد أعطى كلمته، فقرآن المدينة أنجز القتل والعقاب للذين لم يصدقوا محمد. فهل هناك أي ربط بين الضعف المكي والاعتذار الإلهي بأنه لولا الكلمة التي سبقت منه لأهلكهم؟ لا بد أن يكون الضعف المحمدي هو الرابط والسبب إذ ليس هناك أي تفسير آخر لعدم نزول "لولا كلمة سبقت من ربك" بالمدينة.

العقل يعجز عن فهم **التسلسل المنطقي** لإله الإسلام. فهو يقول:

- في البدء كان الناس أمة واحدة فاختلفوا، ولولا الكلمة التي سبقت منه لعاقبهم.
- ثم يخبرنا في أغلب السور المكية أنه أهلك قوم نوح وقوم لوط وثمود وغيرهم من الأمم، مع أنهم أتوا من بعد ما أختلفت الأمة الواحدة، أي من بعد ما سبقت كلمته، ومع ذلك عاقبهم في الحياة الدنيا ولم يهتم للكلمة التي سبقت منه.
- ثم يعود ويخبر أهل مكة أنه لولا كلمة قد سبقت منه لأهلكهم.

فهل يجوز عقلاً أن يكون كل هذا التخبط والاضطراب في الفكر قد أتى من الإله الواحد الذي يعلم الغيب وما تُسر الأنفس وما تعلن؟

ولأن القرآن مليء بمثل هذه **التناقضات** نجد أن المفسرين تتضارب أقوالهم وتفسيراتهم للآيات، ويصدر عن الفرد منهم عدة تفاسير متضاربة لنفس الآية. ثم عندما يُعجِزَهم التخمين يلجؤون إلى تغيير معاني الكلمات *حتى وإن أدى ذلك إلى إعطاء الكلمة معنى مضاد لما اعتاده أهل اللغة*. فإذا أخذنا مثلاً الآية 14 من سورة الشورى:

{**وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقُضي بينهم وإنّ الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب**}،

نجد أن الناس كانوا أمة واحدة ولكن تفرقوا من بعد ما جاءهم العلم، أي جاءتهم الرسل بالعلم، وكنتيجة لتفرقهم هذا أراد الله أن يعاقبهم ولكن كانت كلمته قد سبقت بأن يؤجلهم إلى يوم القيامة. فماذا يقول المفسرون هنا؟ يقول الطبري:

" "وما تفرقوا" قال ابن عباس يعني قريشاً. "إلا من بعد ما جاءهم العلم" يعني محمد. وقيل أمم الأنبياء المتقدمين، فإنهم فيما بينهم اختلفوا لما طال بهم المدى. وقال ابن عباس كذلك: يعني أهل الكتاب. "الذين أورثوا الكتاب" اليهود والنصارى، والكتاب هنا التوراة والإنجيل. وقيل إن الذين أورثوا الكتاب هم قريش. وقال مجاهد: "**من بعدهم**" تعني "**من قبلهم**" يعني من قبل مشركي مكة، وهم اليهود والنصارى." انتهى .

فالمفسرون هنا لا يختلفون عن **حاطب الليل الذي يجمع كل ما اعترض طريقه، سواء أكان حطباً أم غيره**. فالذين كانوا أمة واحدة وتفرقوا من بعد ما جاءهم العلم يمكن أن يكونوا قريش أو النصارى واليهود أو الأمم السابقة. ومجاهد بدل معنى الكلمات إلى عكسها في محاولة منه لتقليل هذا الكم الهائل من التخبط.

ويظهر التخبط في القرآن وفي التفسير بصورة أوضح في الآيات 128 و 129 من سورة طه:

{أفلم يهدِ لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إنّ في ذلك لآياتٍ لأولي النهى. ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجلٌ مسمى}.

فاللغة هنا في **منتهى الركاكة** وبها حذف وتقديم وتأخير دون أي مبرر نحوي أو سياقي. فتعالوا نرى مجهودات المفسرين الخارقة للالتفاف حول هذه الأخطاء. يقول الطبري:

" "أفلم يهدِ لهم" يريد أهل مكة أي أفلم يتبين لهم خبر من أهلكنا من القرون يمشون في مساكنهم، أي أفلا يخافون أن يحل بهم ما حل بالكفار قبلهم. وقرأ ابن عباس "نهدِ لهم" بالنون بدل الياء، وهي أبين. ويهد بالياء مشكل لأجل الفاعل، فقال الكوفيون "كم" هو الفاعل. وقال النحاس: هذا خطأ لأن "كم" استفهام فلا يعمل فيها ما قبلها. "ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاماً وأجلٌ مسمى" فيه تقديم وتأخير، أي لولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاماً. قاله قتادة. واللزام يعني الملازمة، أي لكان العذاب لازماً، وأضمر اسم كان." انتهى .

فتخبط المؤلف في هذه الآية أدى إلى تخبط المفسرين وإجبارهم على الاتيان بحركات نحوية بهلوانية من تقديم وتخمين كلمة "**العذاب**" لتكون اسم كان. فلماذا كل هذا الحذف والتأخير والتقديم وإجبار السامع على تخمين المحذوف؟

هل جاء القرآن ليمتحن بهلوانية العقل البشري أم ليقدم له رسالة من الإله؟

وخلاصة القول إن الإله الخالق لا يمكن أن تسبق منه *كلمة تقيد إرادته* فيكرر علينا مقولة "لولا كلمة سبقت" لفعلت كذا وكذا. والإله الخالق إذا أراد أن يرسل رسالة إلى مخلوقاته لا يمكن أن يستعمل لغة في غاية الإبهام بسبب الحذف والتقديم والتأخير بدون أي سبب، فتضيع رسالته بسبب التخمين والتفسير غير المنطقي. والعرب قالت: **خير الكلام ما قلّ ودلّ**.

ومَن أجدر من الإله بأن يأتي كلامه قليلاً ودالاً على الرسالة؟ فمِن الواضح أن هذه الآيات المليئة بالتخبط مصدرها إنساني وليس إلهياً.

عودة إلى الفهرس

2007 / 9 / 2

71 - نزهة مع الصحابة

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=107797

الصحابي هو كل مَن:

(صحب النبي أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه.) حسب تعريف البخاري.

بينما يقول سعيد بن المسيب:

(الصحابة لا نعدهم إلاّ مَن أقام مع رسول الله (ص) سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين.)

*ومهما كان تعريف الصحابي فهو قد أصبح **مقدساً** في التراث الإسلامي السني*. وقد ثارت ثائرة شيخ الأزهر حديثاً عندما انتقد أحد الكتاب الصحابي أبا هريرة، فقال شيخ الأزهر ما معناه:

إن مَن ينتقد أو يسب صحابة الرسول فهو خارج عن الإسلام.

وأتى أهل الحديث كالعادة بأحاديث تجعل الصحابة في مصاف **القديسين**، فقالوا، مثلاً ، نقلاً عن النبي:

[لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحُد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه.][1]

وزعموا أن الرسول قال كذلك:

[الله، الله، في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه.][2]

وذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك، فقال أبو زرعة الرازي، مثلاً:

"إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله "ص" فاعلم أنه زنديق".

وتتبع المؤرخون أخبار الصحابة كما تتابع الصحف الحديثة أخبار المطربين ونجوم "البوب" ونجوم كرة القدم.

وزعموا أن أبا الطفيل عامر بن واثلة هو آخر مَن مات من الصحابة سنة 100 هجرية.[3]

وإذا عرفنا أن النبي مات في السنة العاشرة بعد الهجرة، نعرف أن هذا الصحابي عاش تسعين عاماً بعد موت الرسول، فكم كان عمره عندما مات محمد؟ وهل يجوز أن يكون الطفل صحابياً؟ المهم أن الرواة قالوا إنه صحابي، وكان السند قوياً، *والسند أهم من المتن*،

لأن المتن يستدعي التفكير وشيوخ الإسلام تفكيرهم ينحصر في ما بين السرة والركبة.

وأغلب الظن أن تقديس الصحابة كان قد بدأ في الدولة العباسية عندما بدأ تدوين الأحاديث وسيرة الرسول وأصحابه. وفي سنة 571 هجرية أسند الخليفة المستضيء إلى ابن الجوزي التحقيق في **الزندقة** و**الروافض**، فخطب ابن الجوزي مِن على المنبر وقال:

"إنّ أمير المؤمنين قد بلغه كثرة الرفض، وقد خرج توقيعه بتقوية يدي في إزالة البدع، فمن سمعتموه من العوام ينتقص الصحابة فاخبروني حتى أنقض داره، وأخلده الحبس".[4]

ومن يومها أصبح نقد الصحابة بدعة عقابها نقض الدار والسجن إن لم يكن القتل.

والصحابة طبعاً كانوا بشراً مثلنا، يفرحون ويغضبون، يسكرون (قبل تحريم الخمر، وبعضهم بعد التحريم) ويشتمون بعضهم البعض، وبعضهم سرق أموال المسلمين، وبعضهم قتل مسلماً غيلةً. وأرجو أن يصحبني القاريء في نزهة مع أشهر الصحابة لنسمع ما يقولون عن بعضهم.

❖ ولنبدأ بعائشة، الزوجة الطفلة وحبيبة رسول الله،

فمَن الذي أذاع عنها حادثة الإفك عندما اتهموها بخيانة النبي مع الشاب صفوان بن المعطل؟ إنه **حسان بن ثابت**، شاعر رسول الله، وبنت عمة النبي، حمنة بنت جحش، أخت زينب بنت جحش، زوجة النبي التي زوجه الله بها والتي كانت تغار منها عائشة،

فقالت إن حمنة أشاعت عنها حادثة الإفك لتنصر اختها زينب على عائشة.[5]

وماذا قالت عائشة عن صفوان بن المعطل، وقد كان صحابياً بدليل أن النبي قال في خطبته بالمسجد يوم شاعت حادثة الإفك: [**أيها الناس ما بال رجال منكم يؤذونني في أهلي ويقولون عليهن غير الحق والله ما علمت منهن إلا خيرا ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيرا وما دخل بيتا من بيوتي إلا وهو معي**][6]، قالت عنه عائشة

إنه لا يأتي النساء.[7]

فهل كان عنيناً أم عرفت عائشة حقيقته أم قذفته زوراً وبهتاناً؟

ورغم أن حسان بن ثابت قد أجروا عليه حد القذف، <u>*فقد كان مقتنعاً أن صفوان قد خان الرسول*</u>، فهجاه بقصيدة عصماء جعلت صفوان يضرب حسان بالسيف حتى كاد يقتله. ولما علم النبي بذلك استدعى حسان وقال له:

[أحسن يا حسان فيما أصابك.]

فقال له حسان:

هي لك يا رسول الله،

فأعطاه الرسول قصراً بالمدينة كان مالاً لأبي طلحة وكان قد تصدق به إلى رسول الله فأعطاه لحسان في ضربته وأعطاه سيرين القبطية، أخت مارية.[8] †

†
المنقح:
رشوة ممتازة

د. كامل:
وهذا ما كان يفعله مع المؤلفة قلوبهم مثل أبي سفيان

[1] الموسوعة الفقهية الكويتية، باب الصاد، صحابة.
[2] نفس المصدر.
[3] الكامل في التاريخ للمبرد، ج4، ص 52.
[4] أحكام النساء لابن الجوزي، ص 35.
[5] تاريخ الطبري، ج2، ص 111.
[6] تاريخ الطبري، ج2، ص 113.
[7] السيرة لابن هشام، ج4، ص 272.
[8] تاريخ الطبري، ج2، ص 115.

ولأن علي بن أبي طالب نصح النبي أن يطلق عائشة بعد حادثة الإفك وقال له:

إن النساء غيرها كثير،

كرهته عائشة وكانت لا تقدر أن تذكره بخير.[9]

وقالت عن عثمان بن عفان:

"اقتلوا نعثلاً فقد كفر".[10]

- ونترك عائشة الآن ونتحول إلى الركن اليماني حيث يجلس الصحابي الكبير عمرو بن العاص، الذي لا يذكره المسلمون دون أن يقولوا (رضي الله عنه)، فنجده جالساً مع الصحابي الأكبر منه أبي موسى الأشعري، وهما يتحدثان:

"وأخرج ابن سعد عن عمر بن الحكم أن أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص تكلما فقال أبو موسى لعمرو إنما مثلك كالكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث. فقال له عمرو: إنما مثلك مثل الحمار يحمل أسفارا".[11]

وعندما انتشر طاعون عمواس بالشام قام عمرو بن العاص خطيباً في الناس فقال:

"أيها الناس إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار فتجبلوا منه في الجبال. فقال له أبو وائلة الهذلي: كذبت والله لقد صحبت رسول الله وأنت شر من حماري هذا. قال عمرو: والله ما أرد عليك ما تقول وأيم الله لا نقيم عليه، ثم خرج وخرج الناس فتفرقوا".[12]

ولما دخل عمرو بن العاص مصر والتقى جيشه بجيش المقوقس، تقاعست خيول المسلمين، فأخذ عمرو يحثهم على القتال، فقال له رجل من أهل اليمن

"إنا لم نخلق من حجارة ولا حديد. فقال له عمرو: اسكت فإنما أنت كلب. قال له اليماني: فأنت أمير الكلاب".[13]

ولما قدم عمرو بن العاص المدينة بعد أن عزله عثمان عن ولاية مصر، جعل يطعن على عثمان فأرسل إليه يوما عثمان، خاليا به، فقال:

"يا بن النابغة ما أسرع ما قمُل جربان جبتك، إنما عهدك بالعمل عاما، أتطعن عليّ وتأتيني بوجه وتذهب عني بآخر، والله لولا أكلة ما فعلت ذلك. قال فقال عمرو: إن كثيرا مما يقول الناس وينقلون إلى ولاتهم باطل فاتق الله يا أمير المؤمنين في رعيتك. فقال عثمان: والله لقد استعملتك على ظلعك وكثرة القالة فيك. فقال عمرو: قد كنت عاملا لعمر بن الخطاب ففارقني وهو عني راضي. قال فقال عثمان وأنا والله لو أخذتك بما آخذك به عمر لاستقمت ولكني لنت عليك فاجترأت علي، أما والله لأنا أعز منك نفرا في الجاهلية وقبل أن ألي هذا السلطان. فقال عمرو: دع عنك هذا فالحمد لله الذي أكرمنا بمحمد وهدانا به. قد رأيت العاص بن وائل ورأيت أباك عفان فوالله للعاص كان أشرف من أبيك".[14]

وكان عمرو بن العاص قد تزوج أخت عثمان لأمه، أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، ففارقها حين عزله عثمان.

وقد شتم عدد كبير من الصحابة عثمان في آخر أيامه، وفي يومٍ مر عثمان على جبلة بن عمرو الساعدي وهو بفناء داره ومعه جامعة فقال جبلة لعثمان:

يا نعثل والله لأقتلنك ولأحملنك على قلوص جرباء ولأخرجنك إلى حرة النار[15].

والنعثل هو الضبع الذكر.

وبعد أن خطب عثمان خطبته الشهيرة التي نزع فيها وتاب إلى الله مما فعل، دخل عليه مروان بن الحكم وقال له: أأتحدث أم أصمت؟ فقالت نائلة ابنة الفرافصة امرأة عثمان الكلبية: لا بل اصمت فإنهم والله قاتلوه ومؤثموه[16] إنه قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها. فأقبل عليها مروان فقال: ما أنت وذاك فوالله لقد مات أبوك وما يحسن يتوضأ. فقالت له مهلا يا مروان عن ذكر الآباء تخبر عن أبي وهو غائب تكذب عليه وإن أباك لا يستطيع أن يدفع عنه أما والله لولا أنه عمه وأنه يناله غمه أخبرتك عنه ما لن أكذب به عليه.[17]

- المغيرة بن شعبة

ويوم مات النبي جاء جماعة من أهل العراق إلى عليّ بن أبي طالب فقالوا يا أبا الحسن جئنا نسألك عن أمر نحب أن تخبرنا به فقال أظن المغيرة يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهدا برسول الله. قالوا أجل عن ذا جئنا نسألك. قال كذب، كان أحدث الناس عهدا برسول الله قثم بن العباس.[18]

فالمغيرة كان معروفاً بالغدر والخيانة، فقد غدر برجال كانوا نائمين تحت شجرة وهو في طريقه إلى المدينة ليعلن إسلامه، فقتلهم وأخذ أموالهم.[19]

وقصته مع أم جميل معروفة لا تحتاج إلى تكرار، فقد زنى بها وشهد عليه 4 شهداء، ثلاثة منهم رؤوا الميل في المكحلة والرابع رآهما عريانين وهو عليها، وسمع الأصوات الصادرة عنهما لكنه لم يرَ ما رأى الآخرون، فكانت نجاته بهذا الشاهد.

وعندما بايع الناس عثمان على الخلافة قال المغيرة بن شعبة لعبدالرحمن بن عوف:

يا أبا محمد قد أصبت إذ بايعت عثمان، وقال لعثمان لو بايع عبدالرحمن غيرك ما رضينا. فقال عبدالرحمن للمغيرة: كذبت يا أعور لو بايعت غيره لبايعته.[20]

- وعندما اجتمع رأي الناس أن يرسلوا عامر بن عبد الله التميمي إلى الخليفة عثمان بن عفان لينصحه بما يرى المسلمون فيه من عيوب، قال عنه عثمان:

"انظر إلى هذا فإن الناس يزعمون أنه قارئ ثم هو يجيء فيكلمني في المحقرات فوالله ما يدري أين الله. قال عامر: أنا لا أدري أين الله ؟ قال نعم والله ما تدري أين الله. قال عامر: بل والله إني لأدري أن الله بالمرصاد لك."[21]

- وعندما خطب النبي أيام حادثة الإفك وقال ما لرجال يؤذونني في أهلي، قال له أسيد بن حضير أخو بني عبد الأشهل (الذي نزلت الملائكة لتستمع لقراءته القرآن):

يا رسول الله! إن يكونوا من الأوس نكفكهم وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرك فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم. فقام سعد بن عبادة وكان قبل ذلك يُرى رجلا صالحا فقال: كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا لأنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ما قلت هذا. قال أسيد: كذبت لعمر الله ولكنك منافق تجادل عن ا لمنافقين.

---

[9] نفس المصدر، ص 226.
[10] تاريخ الطبري، ج4، 477.
[11] الحاوي للفتاوي، للسيوطي، ج1، ص 292.
[12] نفس المصدر، ص 488.
[13] نفس المصدر ص 516.
[14] نفس المصدر، 656.
[15] نفس المصدر، 661.
[16] يعني يحمّلونه إثم ما حدث لهم.
[17] نفس المصدر، ص 659.
[18] نفس المصدر، ص 239.
[19] تاريخ الطبري2، ص 119.
[20] نفس المصدر ص 583.
[21] نفس المصدر ص 642.

(وسعد بن عبادة كان أمير الخزرج الذين آووا الرسول عندما نبذته قريش.)

❖ أبو موسى الأشعري

ولما غضب أهل البصرة على واليهم أبي موسى الأشعري، أتوا عثمان يطلبون منه أن يولي عليهم غيره، فقال مَن تحبون؟ فقال غيلان بن خرشة: في كل أحد عوض من هذا العبد الذي قد أكل أرضنا وأحيا أمر الجاهلية فينا فلا تنفك من أشعري كان يعظم ملكه عن الأشعرين ويستصغر ملك البصرة، وإذا أمّرت علينا صغيرا كان فيه عوض منه أو مهترئاً كان فيه عوض منه ومن بين ذلك من جميع الناس خير.[22]

فحتى الشيخ المهترئ خيرٌ من الصحابي الكبير أبي موسى الأشعري الذي أكل أرضهم.

❖ عمار بن ياسر

ولما كان عمار بن ياسر والياً على الكوفه قال عمر لأهل الكوفة أي منزليكم أعجب إليكم يعني الكوفة أو المدائن؟ وقال إني لأسألكم وإني لأعرف فضل أحدهما على الآخر في وجوهكم. فقال جرير أما منزلنا هذا الأدنى فإنه أدنى محلة من السواد من البر وأما الآخر فوعك البحر وغمه وبعوضه. فقال عمار لجرير: كذبت. فقال عمر لعمار: بل أنت أكذب منه. وقال ما تعرفون من أميركم عمار؟ فقال جرير: هو والله غير كاف ولا مجز ولا عالم بالسياسة.[23]

❖ خالد بن الوليد

أما خالد بن الوليد فالحديث عنه يطول، ويكفي أن نعلم أن النبي رفع يديه إلى السماء وقال: [**أللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد.**]

كان هذا عندما بعث النبي خالد إلى بني جذيمة داعياً، فأمرهم خالد بوضع سلاحهم لأن الحرب قد وضعت أوزارها وأنهم في مأمن. ولما وضعوا سلاحهم أمر بهم فربطوا بالحبال وعرضهم على السيف. وكانت جذيمة قد أصابت في الجاهلية عوف بن عوف أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة عم خالد. وكان بين عبد الرحمن بن عوف وخالد كلام في ذلك ، فقال له عبد الرحمن: عملتَ بأمر الجاهلية في الإسلام. فقال خالد : إنما ثأرت بأبيك ، فقال له عبد الرحمن : كذبتَ. قد قتلتُ أنا قاتل أبي.[24]

فهاهو خالد يكذب، ويقتل الأسرى ثأراً لعمه ومع ذلك سماه النبي "سيف الإسلام" في عام ثمانية هجرية في موقعة مؤته، وقد كان في سنة ثلاث هجرية سيف اللات والعزى الذي هزم جيش محمد في موقعة أحد.

ويقال كان عمر بن الخطاب كلما مر بخالد قال: يا خالد أخرج مال الله من تحت استك، فيقول والله ما عندي من مال. فلما أكثر عليه عمر قال له خالد: يا أمير المؤمنين إن قيمة ما أصبت في سلطانكم أربعين ألف درهم فقال عمر: ردها. ولم يكن لخالد مالا إلا عدة ورقيق فحسب ذلك فبلغت قيمته ثمانين ألف درهم فناصفه عمر ذلك فأعطاه أربعين ألف درهم.

❖ أبو هريرة

والحديث عن المال يقودنا إلى أبي هريرة الذي ولاه النبي على أموال الصدقة فكانت تنقص كل ليلة، ولما سُئل أبو هريرة قال إن الشيطان يأتي كل ليلة إلى البيت ويأخذ من المال، وكلما يمسك به أبو هريرة يقول الشيطان: إنه لإطعام أولادي، فيتركه أبو هريرة (يا لإنسانية أبي هريرة وشفقته على أبناء الشيطان). وكلما يراه النبي يسأله: كيف فعل أسيرك البارحة؟ فيعيد نفس القصة.

وأخيراً قال له النبي: [**إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي فلن يعود الشيطان.**][25]

ولما ولاه عمر على البحرين اختلس من بيت المال فعزله عمر واسترد منه المال المسروق.

❖ سعد بن أبي وقاص

ولما كان سعد بن أبي وقاص والياً على الكوفة وعبد الله بن مسعود مسؤول بيت المال، نشب بينهما شجار وسبب ذلك أنّ سعداً اقترض من عبد الله بن مسعود من بيت المال قرضاً فلما تقاضاه ابن مسعود لم يتيسر له قضاؤه فارتفع بينهما الكلام فقال له سعد :

ما أراك إلا ستلقى شراً هل أنت إلا ابن مسعود، عبدٌ من هذيل ؟ فقال: أجل والله إني لابن مسعود وإنك لابن حمينة.[26]

❖ ابن عباس

وابن عباس أخذ ما كان ببيت مال الكوفة وهرب إلى مكة ولما طلب منه الخليفة على بن أبي طالب أن يرد المال هدده بأنه سوف يذهب بالمال إلى معاوية ليقاتله به.

هذه كانت نبذة قصيرة عن أشهر صحابة رسول الله تبين منها أنهم كانوا بشراً مثلنا لا يميزهم عنا إلا أنهم عاشوا في الفترة التي ظهر فيها الإسلام وعاصروا محمد. وكانوا يكذبون، ويشتمون بعضهم بعضاً ويختلسون المال العام ويعيرون بعضهم بعضاً بآبائهم وأمهاتهم. وقد وصف القرآن بعضهم بالنفاق، فقال:

{ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم. (التوبة 101)}.

فأهل المدينة، وقت نزول القرآن، كلهم قد عاصر النبي ولذا كانوا صحابة. فإذا كان القرآن قد وصف بعضهم بأنهم مردوا على النفاق، وقد رأينا ما دار بينهم من شتائم في نزهتنا القصيرة معهم،

- أيحق لشيوخ الأزهر بعد هذا أن يقدسوا كل من عاصر النبي ويعتبروا كل الصحابة عدول؟
- وهل يجوز للشيوخ أن يقدسوا الأحاديث التي وردت إلينا من الصحابة ويجعلوها فوق الشك، ولا يجوز انتقادها أو انتقاد رواتها؟
- والأفدح من ذلك أنهم نسخوا صريح القرآن بأحاديث هؤلاء الصحابة، فجعلوا حد الزنا الرجم بالحجارة بينما آخر سورة نزلت بالمدينة تقول:

{الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة. (النور 2)}.

- وهل يحق، مثلاً، لمحاكم الكويت أن تحكم بالسجن عشر سنوات على السيد ياسر الحبيب (من هيئة خدام المهدي) بالسجن عشر سنوات لأنه سب بعض هؤلاء الصحابة الذين كانوا قد سبوا بعضهم قبل أن يسبهم ياسر الحبيب؟

كفى تقديساً لرجال من الناس كانوا مثلنا يعتريهم النقصان في كل شيء، وكفي تقديساً وإجلالاً لما زعم الرواة أنهم قالوه.

عودة إلى الفهرس

[22] الطبري ج2، 605.
[23] نفس المصدر ص 544.
[24] الكامل في التاريخ للمبرد، ج2، ص 129.
[25] شذرات الذهب للدمشقي، ج1، ص 64.
[26] الكامل في التاريخ لابن المبرد، ج2، ص 476.

2007 / 9 / 8

72 - التعذيب في الإسلام

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=108405

جاءت دعوة الإسلام في بلد صحراوي تعلَّم أهله على قسوة الحياة الصحراوية وعنفها وتأقلموا معها *وتعلموا أن البقاء للأقوى*، وأصبح **العنف** جزءاً من مكونات العربي. ولذلك لم يستغرب العربي عندما جاء الإسلام مليئاً بكل أنواع العذاب والشدة التي سوف يتعرض لها مَن لا يؤمن بالدين الجديد، وأخذوا ذلك التهديد مأخذ الجد. فالقرآن أخبرهم أن الله عزيز، جبارٌ منتقم، وهي الصفات التي يعتز بها العربي في شيخ القبيلة، و قال لهم إن الله سوف يعذب الكافرين عذاباً سرمدياً متعدد الأوجه، فقال:

{هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قُطّعت لهم ثيابٌ من نار يُصَبُ من فوق رؤوسهم الحميم. يُصهرُ به مافي بطونهم والجلود. ولهم مقامع من حديد. كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍ أعيدوا فيها. وذوقوا عذاب الحريق. (الحج 19-22)}.

وقال كذلك:

{إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزاً حكيماً. (النساء 56)}.

وقال كذلك:

{من ورائه جهنم ويسقى من ماءٍ صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ. (إبراهيم 15 - 17)}.

وكذلك:

{إن شجرة الزقوم. طعام الأثيم. كالمهل يغلي في البطون. كغلي الحميم. خذوه فأعتلوه إلى سواء الجحيم. ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم. (الدخان 43 - 48)}.

منتهى السادية والجور من إله خلق الناس، لا لشيء إلا ليعبدوه، وجعلهم يعيشون في المتوسط خمسين أو ستين عاماً بعد سن البلوغ، وسوف يعذبهم عذاباً سرمدياً لا ينتهي، فيه كل أنواع القسوة التي يمكن أن يتخيلها الإنسان، وكل ذلك لأنهم لم يؤمنوا بمحمد.
ولم يكتف الإله بهذا الوصف المخيف للعذاب في الآخرة، فأباح **لذي القرنين** أن يعذب مَن وجدهم عند مغيب الشمس إن أراد ذلك. والقرآن، في حكمته الأبدية، لم يبين لنا ما فعله هؤلاء القوم الذين وجدهم ذو القرنين عند المكان الذي تغيب فيه الشمس، فقال لنا:

{حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً قلنا ياذا القرنين أما أن تعذبَ وأما أن تتخذ فيهم حُسنا. قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يُرد إلى ربه فيعذّبه عذاباً نُكرا. (الكهف 85، 86)}.

ولا ندري أي ظلمٍ اقترفه هؤلاء القوم البدائيون حتى يستحقوا العذاب مرتين. ولكن كل هذالا العذاب المبالغ فيه والمكرر مرتين لأبسط الأسباب *لم يجد أيَّ اعتراض من عرب الصحراء الذين اعتادوا كل أنواع الشقاء.*
وقد سن النبي نفسه **سنة التعذيب** فبدأ بتعذيب الأسرى والسجناء عندما فتح خيبر وعرف أن كنانة بن الربيع كان يعرف مكان كنز بني النضير، فسأله عنه:

"فجحد أن يكونَ يعرف مكانَه ، فأتي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من يهود، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة: أرأيت إن وجدناه عندك ، أقتلك؟ قال: نعم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت ، فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله عما بقي، فأبي أن يؤديَه، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير ابن العوام، فقال: عذِّبه حتى تستأصل ما عنده، فكان الزبير يقدح بزَنْدٍ في صدره ، حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن مَسْلَمة، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة"[1].

فأصبح تعذيب السجناء لاستخلاص أسرارهم أمراً مباحاً في الإسلام.

وأكد نبي الإسلام هذه السنة عندما سرق بعض الأعراب بعضاً من إبله فَأَرسل فِى آثَارهِم، فَأُدْرِكوا، فَجِيءَ بِهِمْ، فَأَمَرَ بِهِمْ؛ فَقُطِّعَت أَيدِيهِم وأرجلهم وَسَمَر أَعْيُنَهم ثُمّ نَبَذهم فِى الشّمسِ حَتى مَاتوا[2].

وقال أحد الذين شاهدوا هذه السُنة إنه رأى الرجال ينبشون الأرض بأفواههم من العطش. أما كان الأجدر بنبي الرحمة أن يدق أعناقهم بما كسبوا؟

ثم تابع سنة التعذيب ابن عم النبي – علي بن أبي طالب- أيام حادثة الإفك عندما قال للنبي:

"سل الجارية فإنها تصدقك فدعا رسول الله بربرة يسألها قالت فقام إليها علي فضربها ضربا شديدا وهو يقول اصدقي رسول الله قالت فتقول والله ما أعلم إلا خيرا وماكنت أعيب على عائشة إلا أني كنت أعجن عجيني فآمرها أن تحفظه فتنام عنه فيأتي الداجن فيأكله"[3].

وصار ضرب المتهم أو الشاهد مباحاً لأخذ الاعترافات منهم.

وانتقلت السنة من علي إلى أحفاده عندما قتله عبد الرحمن بن ملجم،

فانتقم عبد الله بن جعفر الصادق من القاتل بأن قطع يديه ثم رجليه ثم أحمى مروداً في النار وسمل به عينيه ثم طلب منه أن يُخرج لسانه ليقطعه، ففزع ابن ملجم، فقال له عبد الله: لماذا فزعت الآن ولم تفزع عندما قطعنا يديك وأرجلك؟ فقال له ابن ملجم: أخشى إن قطعت لساني ألا استطيع أن أسبح لله وأنا على قيد الحياة. فقطع عبد الله لسانه عنوة، وعندما مات ابن ملجم حرق عبد الله جثته[4].

وفقهاء الإسلام يبررون جواز تعذيب المتهم، فابن قيم الجوزية يقول عن قصة تعذيب كنانة بن الربيع ليكشف للنبي مكان الكنز

"وفيها دليل على جواز تعزيرِ المتهم بالعُقُوبة، وأن ذلك مِن السياسات الشرعية، فإنَّ الله سبحانه كان قادراً على أن يَدُلَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على موضع الكنز بطريق الوحى، ولكن أراد أن يَسُنَّ لِلأُمَّةِ عقوبةَ المتهمين، ويُوسِّعَ لهم طُرُقَ الأحكام رحمة بهم، وتيسيراً لهم"[5].

فإله الرحمة أراد أن يبين لنبي الرحمة وللمسلمين طرق انتزاع الاعترافات من المتهمين رحمةً بهم.

---

[1] السيرة النبوية لابن هشام، ج4، ص 309.
[2] أخرجه البخارى: فى كتاب الديات: باب القسامة.
[3] تاريخ الطبري، ج2، ص 113.
[4] البداية والنهاية للإمام إسماعيل بن كثير الدمشقي.
[5] زاد المعاد، ج3، ص 68.

ثم انتقلت سنة التعذيب ألي دولة بني أمية، فعذبوا وقتلوا المناوئين لحكمهم. وعلى سبيل المثال نذكر تعذيب يزيد بن عبد الملك لآل عقيل

"وكان سبب تعذيبهم أن سليمان بن عبد الملك لما ولي الخلافة طلب آل أبي عقيل فأخذهم وسلمهم إلى يزيد بن المهلب ليخلص أموالهم ويعذبهم ، وبعث ابن المهلب إلى البلقاء من أعمال دمشق وبها خزائن الحجاج بن يوسف وعياله فنقلهم وما معهم إليه ؛ وكان فيمن أتى به أم الحجاج ، وقيل : بل أخت لها فعذبها يزيد بن عبد الملك {ثم بعث بها} إلى ابن المهلب في منزله فشفع فيها فلم يشفعه"[6].

ولما وُلّي مسلمة بن عبد الملك استعمل على خراسان سعيد بن عبد العزيز بن الحرث، فأخذ سعيد عمال عبد الرحمن بن عبد الله الذين ولوا أيام عمر بن عبد العزيز، وعندهم أموال قد أخفوها فحبسهم بقهندزمرو، وحمل جهم بن زحر على حمار وأطاف به فضربه مائتي سوط وأمر به وبالثمانية الذين حبسوا معه فسلموا إلى ورقاء بن نصر الباهلي فاستعفاه فأعفاه؛ فسلمهم إلى عبد الحميد بن دثار وعبد الملك بن دثار، والزبير بن نشيط مولى باهلة فقتلوا في العذاب جهم بن زحر وعبد العزيز والمنتجع وعذبوا القعقاع وقوماً حتى شارفوا على الموت فلم يزالوا في السجن حتى غزاهم الترك والصغد فأمر سعيد باخراجهم[7].

وقد طال العذاب أصحاب العقول الذين تحدثوا في الفلسفة أو القدر، فقيل: إن غيلان بن يونس، وقيل: ابن مسلم أبا مروان أظهر القول بالقدر في أيام عمر بن عبد العزيز فأحضره عمر واستتابه فتاب، ثم عاد إلى الكلام فيه أيام هشام فأحضره من ناصرة ثم أمر به فقطعت يداه ورجلاه ثم أمر به وصلب[8].

ولم يكن تعذيب الرعية في الدولة العباسية أقل شأناً منه في الأموية، فقد طال التعذيب مثقفي الدولة ومنهم يعقوب بن السكيت النحوي أبو يوسف البغدادي صاحب كتاب إصلاح المنطق وتفسير دواوين الشعراء وغير ذلك، سبق أقرانه في الأدب مع حظ وافر في السنن والدين وكان قد ألزمه المتوكل تأديب ابنه المعتز.

وكان ابن السكيت يوما عند المتوكل فدخل عليه ابناه المعتز والمؤيد فقال له يا يعقوب أيما أحب إليك ابناي هذان أم الحسن والحسين؟ فغض من ابنيه وذكر محاسن الحسن والحسين فأمر المتوكل الأتراك فداسوا بطنه وحمل إلى داره فمات من الغد وروى أنه قال له والله إن قنبرا خادم علي خير منك ومن ابنيك فأمر بسل لسانه من قفاه[9].

وجاءت بعد ذلك الخلافة العثمانية فأصبح التعذيب فناً قائماً بذاته، واخترع الأتراك عدة أجهزة للتعذيب، أشهرها **الخازوق**، وهو عبارة عن جذع شجرة مدبب يوضع عند مؤخرة المتهم وتُربط أرجل المتهم إلى حصان ويُضرب الحصان ليسحل المتهم على الخازوق الذي يفوت بأحشائه.

وقد برع الأتراك في تعذيب أعدائهم. ففي عام 1570 عندما فتحوا جزيرة صقلية جلس السلطان سليمان في أحد الحدائق وأنزلوا له عمدة المدينة في لباسه الرسمي، فأمر السلطان بأن يلجموه كالحصان ويضعوا على ظهره سرج ويربطوا على جانبي السرج سلتين. وملؤوا السلتين بالتراب وجعلوا العمدة يحبو بهما إلى سور المدينة عدة مرات لإصلاح ما تهدم منه. وعندما خارت قواه ولم يعد يستطيع الحبو علقوه من عمود كبير وسلخوه حياً حتى مات من الألم[10].

ولم تكن الدولة الفاطمية بمصر ومن بعدها دولة المماليك أقل تعذيباً. ففي عهد المماليك أصبح التعذيب جزءاً من الفولكلور الشعبي، يتسلون بقصصه.

في 21 رجب 810 هـ أمر السلطان فرج بن برقوق باعتقال والي القاهرة حسام الدين وصادر أمواله وعين مكانه أحمد بن الطبلاوي .في 15 ذي القعدة 811 هـ .. كان أحد الظلمة السابقين يعيش أيامه الأخيرة يقاسي الذل في محنته ويقوم بإذلاله ظالم جديد هو جمال الدين الاستادار. وذلك الظالم السابق هو ابن غراب الذي كانت له صولة في أيامه حين كان وزيراً يتحكم في السلاطين، وبعد أن غربت شمس نفوذه أمر السلطان بأن يتسلمه صاحبنا أحمد ابن الطبلاوي والي القاهرة ليقوم بتعذيبه، وقام ابن الطبلاوي بالمهمة خير قيام إلى أن لفظ الوزير السابق ابن غراب أنفاسه تحت التعذيب، وأخرجوه ميتاً من دار ابن الطبلاوي يوم الأربعاء أول ذي الحجة 811 هـ [11].

وانتشر التعذيب حتى الموت في جميع الدول الإسلامية وفي الدول العربية خاصةً. وفي عصرنا هذا لا يخلو قطر من الأقطار العربية من السجون السرية وبيوت الأشباح التي نادراً ما يخرج المتهم منها حياً. وانتشرت المقابر السرية والمقابر الجماعية في المغرب وتونس والعراق وغيرها. وانتشر الاختفاء القسري في مصر والمغرب. وفي مصر نشرت منظمات حقوق الإنسان في عام 2005 تقريراً يبين أن التعذيب والموت في معتقلات الشرطة يزيد عاماً بعد عام

(رصدت المنظمة المصرية لحقوق الإنسان وفاة 22 شخصًا في أقسام ومراكز الشرطة نتيجة لممارسات التعذيب، في حين بلغ عدد الوفيات العام الماضي ثماني حالات فقط"، ولفتت المنظمة إلى أن هذا التصاعد "يوضح مدى استشراء ظاهرة التعذيب داخل أقسام ومراكز الشرطة، و تردي الأوضاع الصحية والمعيشية داخل السجون"، حسب ما ورد في تقرير أقدم وأكبر المنظمات الأهلية العاملة في حقل حقوق الإنسان في مصر)[12].

ومنذ ذلك الوقت وصل عدد الذين يموتون تحت التعذيب إلى المئات، بما فيهم الأطفال. ومع ذلك لم تحرك الحكومة أو المرجعيات الدينية ساكناً لتستنكر قتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق.

وفي السودان، جارة مصر العزيزة، يمارس نظام الأخوان المسلمين الحاكم نفس سبل التعذيب وقتل المعتقلين في بيوت الأشباح.

وقد نشر الدكتور فاروق محمد ابراهيم، استاذ العلوم بجامعة الخرطوم خطاباً مفتوحاً للرئيس البشير يشرح فيه بالتفصيل أنواع التعذيب التي تعرض لها مع بقية زملائه من المعتقلين على أيدي زبانية التعذيب بقيادة نافع علي نافع عندما اعتقلتهم قوات الأمن في عام 2000 م[13].

أما ليبيا التي ينفي العقيد القذافي وجود سجون بها، فالتعذيب في سجونها يفوق ما في جاراتها، وطبقا لتقرير من وزارة الخارجية الأمريكية في العام 2005

(فإن اجهزة الأمن الليبية تحتجز العديد من الاشخاص منذ سنوات بدون تهمة ولا محاكمات. ويستخدم التعذيب بطريقة روتينية ضد الأعداء السياسيين، طبقا للتقرير. وتشمل وسائل التعذيب الضرب والصدمات الكهربائية والقاء عصير الليمون على الجروح، وكسر الاصابع «والسماح للاطراف بالالتئام بدون رعاية طبية»، والخنق بأكياس البلاستيك وتعليق الاشخاص من رسغهم[14]*.)*

أما المغرب، فبعد أن تنفس الصعداء بزوال الملك الحسن من على مسرح الأحداث، وبعد تكوين جمعيات المصالحة وكشف القبور الجماعية، ظل التعذيب في السجون في ازدياد، فقد أثبتت التقارير

(أن 108 من المعتقلين الأصوليين في سجن الزاكي بسلا، الذي يطلق عليه اسم "غوانتنامو سلا أو تمارة 2"، يعانون من "أبشع أنواع التعذيب النفسي والجسدي"، مشيرة إلى أنها "تبدأ من الحرمان من الحقوق السجنية إلى كشف العورة". وأبرزت الجمعية، في بيان مرفق بإحصائيات ولوائح، أن "حي (ج) يشهد يوميا انتهاكات والقمع ممنهج لحقوق المعتقلين، إذ أن النزلاء يطعنون في كبريائهم، وذلك بنزع ثيابهم عن آخرها والأمر بالركوع والسعال بدعوى سقوط أي شيء قد يتم إخفاؤه في المؤخرة"، مبرزة أن "الرعاية الصحية تكاد تكون شبه منعدمة، فالزنازين تعرف اكتظاظا مهولا خاصة عند كل حملة اعتقالات جديدة، إذ أن العدد يتراوح ما بين 8 إلى 10 أفراد في الزنزانة الواحدة التي يناهز طولها 5 أمتار وعرضها 3". وحسب إحصائيات للمصدر نفسه، فإن نسبة الضرب والصفع حدثت في 71 في المائة، و86 في المائة في الحرمان من النوم، و94 في المائة في الحرمان من الفسحة، و81 في المائة في القيد

---

[6] الكامل في التاريخ للمبرد، ج3، ص 68.
[7] نفس المصدر، ص 74.
[8] نفس المصدر، ص 109.
[9] شذرات الذهب للدمشقي، ج2، ص 106.
[10] Andrew Wheatcroft, Infidels, Penguin Books, p 21.
[11] السلوك للمقريزي، 4 / 1 / 85، 87 ، نقلاً عن أحمد صبحي منصور، الحوار المتمدن، العدد 2028، بتاريخ 2007/9/4.
[12] نبيل شرف الدين، إيلاف 2 أغسطس 2005.
[13] الحوار المتمدن، العدد 1872، تاريخ 2007/4/1.
[14] الشرق الأوسط 5 سبتمبر 2005.

من الخلف والجثو على الركب، و35 في "الكاشو"، أي عزل السجين في زنزانة انفرادية. كما أشارت الإحصائيات إلى أن نسبة 98 في المائة من العائلات تتعرض للسب والإهانة خلال الزيارة، في حين أن 68 في المائة من النزلاء هددوا بالاغتصاب، و96 في المائة بكشف العورة.) [15]

حتى الكويت، تلك الدولة الرائدة في مجال الديمقراطية العربية الكسيحة، فإن التعذيب في معتقلاتها ربما لا يقل عن بقية الدول الإسلامية،

فقد اتهم "المرصد الإعلامي الإسلامي" في لندن أجهزة أمن الكويت، في بيان أصدره في عام 2005 بأنها مسؤولة عن موت زعيم خلية "أسود الجزيرة" في الكويت، "عامر خليف العنزي - البالغ من العمر حوالي 32 سنة تقريبا – والذي لقي مصرعه تحت وطأة التعذيب". وأضاف أن السلطات الكويتية أعلنت أنه توفي" بسبب هبوط في الدورة الدموية. وفي الأيام القليلة الماضية أطلت علينا الصحف بنبأ تعذيب المصريين المعتقلين في الكويت بتهمة التزوير.

وفي تونس التي عانت الأمرين تحت حكم الرئيس مدى الحياة الحبيب بورقيبة، ربما ندم نزلاء سجونها لموت الحبيب بورقيبها واعتلاء زين العابدين بن علي سدة الحكم، فقد زاد القمع والتعذيب والاختفاء القسري والمقابر الخفية. في مارس 1994 أعلن الدكتور منصف المرزوقي رئيس رابطة حقوق الانسان التونسية ترشحه أمام بن علي، ودفع منذ ذلك الوقت ثمنا غاليا تماما كما دفع الدكتور أيمن نور ثمنا باهظا من عمره وصحته لأنه ترشح أمام الرئيس حسني مبارك. الأول قامت سلطات بن علي باتهامه بسرقة سيارة، والثاني بتزوير أصوات وتوكيلات.

في تونس اختطف ثلاثة من رجال الاستخبارات الناشط الدكتور منصف المرزوقي وأعادوه بعد يومين، وفي مصر قامت أجهزة استخبارات حسني مبارك باختطاف الدكتور عبد الحليم قنديل وأوسعوه ضربا، ونزعوا ملابسه وتركوه عاريا في الصحراء [16].

أما سوريا والسعودية وإيران فيحتاج الحديث عن التعذيب والموت في سجونهم إلى كتاب كامل منفصل.

والغريب أنه حتى النساء لم يسلمن من التعذيب في دولة الإسلام رغم تبجح المتأسلمين بأن الإسلام كرّم المرأة،

ففي الدولة العباسية بعد أن قتلوا الخليفة المقتدر وبايعوا القاهر ليصبح الخليفة من بعده، صادر القاهر بعض خواص المقتدر وعذب أمه حتى ماتت معلقة[17].

فلأن الأمة العربية والإسلامية فُطمت على التعذيب، ومن شبّ على شيء شاب عليه، أصبحت أخبار تعذيب المعتقلين وموتهم في السجون وأقسام الشرطة لا تثير فيهم أي مشاعر ثورة أو غضب، عكس الأمم الأخرى التي ثارت وتخلصت من حكامها الذين مارسوا الكبت والتعذيب.

فدول أمريكا اللاتينية وخاصة تشيلي ثارت وتخلصت من بنوشيه وطالبت بتقديمه للمحاكمة انتقاماً لأرواح القتلى. والشعب البولندي ثار على حكامه الشيوعيين الذين حكموه بيد من حديد ومارسوا التعذيب والقتل. وفي جنوب أفريقيا وفي أثيوبيا ثارت الجماهير وقلبت أنظمة الحكم الفاسد الذي اعتمد على القتل والإرهاب والتعذيب.

ولكن أمة الإسلام لا يحركها القتل والتعذيب. فمثلاً دولة ألبانيا ذات الغالبية المسلمة كان يحكمها الديكتاتور أنور خوجة من بعد الحرب العالمية الثانية حتى موته عام 1985. وكان أقسى ديكتاتور عرفته أوروبا، وكان من المعجبين بـِ استالين وماوتيسي تونگ. وقد حكم ألبانيا بيد من حديد وعذّب وسجن وقتل مواطنية دون رحمة. ولم يتحرك الشعب المسلم المضطهد بينما ثارت رومانيا ذات الأقلية المسلمة على شاوسيسكو وقتلته مع زوجته. واشترك المسلمون في الثورة. ربما تكون جيناتهم Gene الأوروبية قد لعبت دوراً في ذلك. أما بقية الأمة الإسلامية فإنها ما زالت تستمريء التعذيب الذي فُطمت عليه .ولا يسعنا إلا أن نقول:

(وكان لكم في رسول الله أسوة حسنة).

عودة إلى الفهرس

[15] إيلاف 22 ديسمبر 2006.
[16] محمد عبد المجيد، الحوار المتمدن العدد 1868، تاريخ 2007/3/28.
[17] شذرات الذهب ج 2، ص 285.

2007 / 9 / 10

73 - حرب الفتاوى تكشف زئبقية الإسلام

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=108693

الإسلام مبني على **التناقض** في كل شيء من القرآن إلى الأحاديث إلى الفتاوى. ولكن المشكلة أن الإسلام أيدولوجية *والأيدولوجية بطبعتها تُغلّف عقل الشخص المؤدلج بغلاف سميك يمنع الضوء من دخول تجاويف ذلك العقل*، وبالتالي يعمى ذلك العقل عن رؤية التناقض. **فشيوخ الإسلام لا يرون هذا التناقض الواضح للعيان**. وإذا تركنا التناقض الكثير بين آيات القرآن، وبين القرآن والحديث، وتفحصنا التناقض بين ما تقوله الأحاديث وبين ما يدعو إليه فقهاء الإسلام، تتضح لنا صور عديدة من التناقض. فمثلاً، كل المسلمين، وبجميع مذاهبهم يتفقون على صحة الحديث الذي يقول

[يأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم مَن أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك. وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة: ما أنا عليه وأصحابي][1].

فإذا كان الحديث صحيحاً، وكان النبي صادقاً في حديثه، فليس هناك أي احتمال أن تظل الأمة فرقة واحدة، ولا بد من تفرقها على عدة فِرق، قد تدخل الجنة أو قد تدخل النار. ولكن مع ذلك، ومنذ واقعة الجمل بين علي بن ابي طالب من جهة والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وعائشة بنت أبي بكر من الجهة الأخرى، لا يفتر الشيوخ عن ترديد كليشهات وحدة الأمة التي يجب تقديمها على كل شيء آخر. وهؤلاء الشيوخ لا يدركون أنهم بدعوتهم إلى وحدة الأمة يكذبون رسولهم الذي قال إن أمته سوف تتفرق.
وهذه الوحدة التي لم تتهيأ لهم منذ موت الرسول، تزداد بعداً مع ازدياد أعداد الشيوخ خريجي جامعات الأزهر والسعودية والمرجعيات الشيعية في قُم وكربلاء الذين أصبحوا يحملون لقب "الدكتور" ويلبسون اللحى الطويلة مكان السماعة الطبية. **مع كل شيخ جديد تأتي فتوى جديدة** تزيد من فرقة المسلمين. وليس أوضح من هذه الفرقة التي تعم بلاد ومذاهب المسلمين من فرقة الشعب الفلسطيني وفرقة فقهائه وشيوخه .
فقد دعت منظمة فتح لإقامة صلاة الجمعة في الساحات العامة في الضفة وفي قطاع غزة كنوع من الاحتجاج على الانقلاب الذي قامت به حماس في غزة. ويبدو من الدعوة للصلاة في الميادين العامة أنها دعوة لاحتجاج سلمي، تسمح به جميع النظم الديمقراطية في العالم. وإذا تحسبت الحكومة نوعاً من الفلتان الأمني فيمكنها أن تحيط المصلين بقوات الشرطة منعاً لأي شغب قد يحدث بعد الصلاة.
ولكن عندما يحكم شيوخ الإسلام بدستور الإسلام الذي هو القرآن والحديث، وليس فيهما **ما يبيح أو يمنع** التظاهرات السلمية لأنها لم تحدث في زمن السلف الصالح، يلجأ الشيوخ إلى الاجتهادات الفردية في الفتوى، وكل فريق يختار الشيوخ الذين يناصرونه بإصدار الفتاوى المؤيدة لموقفه، تماماً كما فعل معاوية وحكام بني أمية عندما أحاطوا أنفسهم بأبي هريرة وبقية أهل الحديث الذين باعوا ضمائرهم بدسامة الموائد واصطنعوا الأحاديث التي تؤيد بني أمية.
أصدرت ‹رابطة علماء فلسطين› في غزة فتوى بمنع الصلاة في العراء، وقال مروان أبو راس، رئيس الرابطة

"نحن أفتينا لولي الأمر، بمنع صلاة العراء التي تهدف للتخريب، رغم شرعية الصلاة في الساحات."[2]

فإذاً الصلاة في الساحات مباحة شرعاً، وحماس تدّعي أنها حكومة ديمقراطية انتخبها الشعب، والحكومات الديمقراطية لا تقمع شعوبها، ولكن من حق ‹رابطة علماء فلسطين› قمع الشعب ومنع الصلاة *لأن الرابطة هي صوت الله*، وهذه الصلاة لا تُرضي الله، وحماس عبارة عن اليد التي تطبق ما يأمر به الله، وتنهى عن المنكر. وهذا الموقف يعكس تماماً ما يقوله الأخوان المسلمون في دعاياتهم الانتخابية من أن *الإسلام هو الحل*. فالقاعدة في الإسلام هي (إنما الأعمال بالنيات) ولأن ‹رابطة علماء فلسطين› استطاعت أن تعرف نوايا جميع الذين ينوون الصلاة بالميادين العامة في الضفة وفي غزة، وعرفت أنهم ينوون التخريب ولا ينوون الاحتجاج السلمي، لذا قررت الرابطة، **درءاً للذرائع**، الإفتاء بمنع الصلاة، رغم شرعيتها. وهذا هو موقف الإسلام من الرأي الآخر، فالإسلام لا يقبل أي معارض أو مختلف في الرأي، رغم ادعائهم بأن الإسلام مبني على التسامح وتحمل الغير.

وبما أن جميع أحكام الإسلام زئبقية ولا يمكنك القبض على حقيقة ثابتة فيها، فمن السهولة أن تجد مفتي يفتي لك بعكس ما أفتى به مفتي الجماعة المناوئة.

وهذا ما حدث عندما أفتى الشيخ تيسير التميمي، قاضي قضاة فلسطين ورئيس المجلس الأعلى للقضاء الشرعي، ومؤيد حركة فتح، بجواز الصلاة خارج المساجد في العراء والساحات العامة، مؤكدا أن الجهة الرسمية التي تتولى إصدار الفتاوى والمخولة بها هي فقط المحاكم الشرعية أو دار الفتوى. وأشار التميمي إلى أن الفتوى بعدم جواز صلاة الجمعة في العراء لا تستند إلى نص أو دليل شرعي، مؤكداً أن السنة النبوية القولية والفعلية نصت صراحة على جواز الصلاة في أي مكان، فقد قال صلى الله عليه وسلم:

[وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ].

وطبعاً بكل سهولة يستطيع الطرف الآخر أن يأتي بآية قرآنية تعارض هذا الحديث، مثل

{إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله. (التوبة 18)**}.**

فالصلاة في المساجد أفضل من صلاة العراء.
ثم دخل على خط الفتاوى السيد صالح الرقيب، وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في الحكومة المقالة بغزة، فقال إنه دعا إلى

(منع صلاة الجمعة في العراء لكونها غير شرعية)

ثم أضاف

(أن هذه الصلاة لا تحقق الحكمة التي من أجلها شرعت صلاة الجمعة، وان فيها من اللغو واللعب والهزء الذي يجب صيانة فرائض الدين عنه).

---

[1] الجامع الصغير للسيوطي، ج5، حرف اللام، حديث 7032.
[2] الشرق الأوسط، 5 سبتمبر 2007

فالسيد صالح الرقيب لم يكتف بأنه ناقض ما قاله الشيخ مروان أبو راس رئيس رابطة علماء فلسطين بغزة، والذي قال إنهم أفتوا بمنع الصلاة رغم شرعيتها، فأكد لنا السيد صالح الرقيب أنه يعلم الغيب، تماماً كما علمته رابطة علماء المسلمين، فعرف *بحاسته السادسة* أن الصلاة المزمع إقامتها في الميادين العامة سوف يكون فيها من

(اللغو واللعب والهزء الذي يجب صيانة فرائض الدين عنه).

وعلم كذلك أنها لا تحقق الحكمة التي من أجلها فُرضت صلاة الجمعة. وربما نسي السيد الرقيب أن يبين لنا تلك الحكمة التي من أجلها فُرضت صلاة الجمعة، غير اجتماع الناس لبعضها، وهو ما سوف يحدث لو صلى الناس في الميادين العامة.

وحتى لا يسأم الفلسطينيون من برامج التلفزيون، فقد ظهر الشيخ محمد حسين، مفتي القدس والديار الفلسطينية، في أكثر من برنامج *ليؤكد جواز صلاة الجمعة في الساحات العامة*، وأعطى أمثلة كثيرة من الأحاديث دعماً لموقفه، ثم قال رداً على الفتوى الغزاوية

"إن الاستناد إلى النية باحتمال إحداث فوضى بعد الصلاة في العراء لا يجيز منع إقامة الصلاة لأن من في نيته إحداث الفوضى يمكن أن يحدثها بعد الصلاة في المسجد، فهل تمنع الصلاة في المسجد؟"[3].

وطبعاً هذا كلام منطقي ولكن المنطق في الإسلام لا مكان له لأن من تمنطق فقد تزندق، ومن تزندق فقد كفر وجزاؤه حد الردة.

وكما تنتشر كل الحروب، فقد انتشرت **حرب الفتاوى** خارج فلسطين، وطلب كل فريق من فقهاء مصر والسعودية مساعدته للتغلب على خصمه، فقالت وسائل إعلام فتح بأن اثنين من كبار علماء المسلمين في المملكة العربية السعودية ومصر، هما الشيخ ابن منيع والدكتور عبد الصبور شاهين، أفتيا بجواز الصلاة في العراء. وكان رد رابطة علماء المسلمين بغزة هو الطلب العاجل إلى علماء الأزهر لنجدتهم بإصدار فتوى تحظر الصلاة في العراء.

ولكي لا تفوت الفرصة على نواب الشعب ليدلوا بدلوهم في هذه **الحرب الضروس**، تقدم النائب الفتحاوي عيسى قراقع برأيه، فقال:

"إن حركة حماس تستخدم الدين لأهداف سياسية، وهذا بحد ذاته مخالف للدين وللشريعة وخروج عن أصوله ومبادئه."

ثم أضاف:

"حماس تستغل الدين لتبرير القمع والبطش بحق الناس مما يزيد الفتنة والفرقة والانقسام".

ومع صحة هذا الرأي نقول إن استعمال الدين لأغراض سياسية لم يبدأ بحركة حماس، فقد بدأ هذا الاتجاه منذ أول يوم بدأت فيه الدعوة الإسلامية وزاد في أيام الدولة الأموية ثم العباسية والعثمانية، ووصل ذروته في أيام طالبان والآن في إيران والسودان ومصر والأردن. واستعمال الدين لقمع المناوئين شيء طبيعي عرفته جميع الديانات في الماضي وعرفه الإسلام منذ نعومة أظفاره وما زال جارياً في إيران والسودان ومصر والسعودية والصومال وغيرها. **ولولا استعمال الدين لقمع الناس لما استمرت أي حكومة إسلامية ولخرج من الإسلام ملايين الناس.**

ولسبب يصعب علينا فهمه، دخل السيد ياسر عبد ربه على خط الفتاوى وصرح بأن:

"منع حماس للصلاة في العراء، هو بدعة، وان من فعل ذلك سيذهب للنار."

والسيد عبد ربه قد يكون متمرساً في المفاوضات مع الجانب الإسرائيلي، غير أنه حتماً ليس متمرساً في ممارسة الفتاوى، وبهذا التصريح العجيب جعل السيد عبد ربه من نفسه *هدفاً لمدافع ونيران الفرقة الحمساوية*، وكان أول من فتح النار عليه هو الشيخ الدكتور مروان أبو راس، رئيس رابطة علماء المسلمين، فقال:

"إن عبد ربه رجل أمي لا يفهم شيئا عن الإسلام، ورجل يساري لا يعترف بوجود الله ولا يميز بين وجود المسجد والحجر ومتنازل عن الثوابت ولا يعترف بالمقدسات والمحرمات ولا يفهم أمور الدين ويقحم نفسه في كل شيء، ويخلط السياسة بالدين.".

وقد أفهم من الشيخ الدكتور مروان أبو رأس أن يقول إن الرجل اليساري لا يعترف بوجود الله، لأن هذه المقولة قد ألفناها منهم منذ ظهور الأحزاب الشيوعية في العالم العربي، أما أن يعيره بأنه أمي، فلم أفهم ما يرمي إليه، خاصة أنهم يفتخرون أن نبي الإسلام كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب. ثم أن السلف الصالح كان أمياً في غالبيته العظمى، لدرجة أنهم حفظوا لنا أسماء كتاب الوحي الذين لا يتعدون أصابع اليدين، فهل كانوا كلهم جهلاء لا يفقهون في الدين شيئاً، كما قال هو عن السيد عبد ربه؟ وكذلك غاب عني ما يرمي إليه الشيخ الدكتور عندما قال إن السيد عبد ربه يخلط السياسة بالدين. ألم يكرر علينا كل شيوخ الإسلام منذ أيام سيد قطب وحتى الآن، *بأن الإسلام دينٌ ودولة*، وأن *القرآن هو دستور الدولة الإسلامية*؟ ولا بد للدولة الإسلامية من سياسة تسير عليها، فإذا كان خلط الدين بالسياسة خطأ أعابوا به السيد عبد ربه، فكيف يكون الإسلام دين ودولة؟ ألا يعني انتقاد الشيخ الدكتور للسيد عبد ربه فصل الدين عن السياسة، وبالتالي صرف النظر عن فكرة أن الإسلام دين ودولة؟

وكل من شاهد الأخبار المصورة يوم الجمعة السابع من سبتمبر 2007 لا بد قد رأى القسوة والكراهية التي عاملت بها قوات الأمن الحمساوية جموع المصلين الفلسطينيين. قسوتهم في تفريق الاحتجاج السلمي فاقت قسوة الجيش الإسرائيلي في تفريق مسيرات الفلسطينيين. وكل هذا يحدث باسم الإسلام. فلولا الإسلام لما كانت هناك حماس. والغريب أن حماس اعتقلت عشر من السيدات تم الافراج عنهن لاحقا وبينهن جميلة صيدم عضو المجلس الثوري لفتح التي قالت لـ «الشرق الاوسط» بعد الافراج انها:

"وقِّعْتُ مع 10 نساء اخريات على تعهد بدفع مبلغ 4000 دولار في حال عودتهن الى المشاركة في مسيرات ضد حماس".

وهذا مثال آخر لديمقراطية الإسلام التي تفرض على المرأة التي كرّمها الإسلام التعهد بدفع غرامة إذا شاركت في مسيرات سلمية للاحتجاج.

وهناك مثل يقول (رب ضارةٍ نافعة) فهذه الحرب بين فقهاء وشيوخ فلسطين قد تضر بالشعب الفلسطيني ومكاسبه السياسية ولكنها مفيدة لنا لأنها توضح لنا **زنبقة الإسلام** وصعوبة وضع الآيات والأحاديث موضع التنفيذ لأن كل رئيس إسلامي يعتلي سدة الحكم يستطيع أن يأتي بفقهاء يرددون لنا الأحاديث والآيات التي تبيح للحاكم أن يفعل ما يشاء. ونسبة لعدم وجود دستور مفصل لوسيلة الحكم في الإسلام، يصبح الاعتماد على أقوال الأخوان المسلمين (دستورنا القرآن، والإسلام هو الحل، وما شابه ذلك) ضرباً من لعب الروليت الروسية.

والأمر الواضح الآن هو أن الإسلام لا يصلح دستوراً لدولة
لأن الدساتير تُكتب بلغة واضحة وبعيدة عن الإبهام والتأويلات والآراء الشخصية،
وهذا ما لا وجود له في الإسلام.

عودة إلى الفهرس

[3] أسامة العيسى، إيلاف، 6 سبتمبر 2007.

75 - رمضان والتخبط في التشريع

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=109803

رمضان كان شهراً من شهور السنة العربية قبل ظهور الإسلام، فجاء الإسلام ولم يذكر شيئاً عن رمضان كما لم يذكر شيئاً عن الزكاة حتى انتقل محمد إلى المدينة بعد أن قضى ثلاث عشرة سنة بمكة لم يصم بها أو يتحدث عن شهر رمضان. وعندما وصل إلى المدينة واختلط باليهود عرف أنهم يصومون عاشوراء، فسأل عن هذا الشيئ الغريب عليه فقالوا له إن يوم عاشوراء هو اليوم الذي أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وجنوده.

ويومها قال محمد [**نحن أولى بموسى منهم**] فصامه وفرض على الناس صيام عاشوراء[1].

ولنا هنا أن نسأل: كيف يكون المسلمون أحق بموسى من اليهود، وهو النبي الذي قد أرسله الله لهم؟ ولكن عندما نعرف أن المسلمين دائماً لهم الأفضل، يبطل العجب.

فمحمد لم يكن يعرف عن الصيام شيئاً وعندما عرف بيوم عاشوراء ظل مكتفياً بصيامه إلى أن نزل أكثر من نصف من سورة البقرة بالمدينة وعلى عدة سنين حتى نزلت **الآية 183**، وعلى أحسن الفروض في السنة الثانية للهجرة، لتخبر النبي

{يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون}.

وهذه الآية لم تحدد عدد الأيام التي يجب ن يصوموها أو عدد ساعات اليوم التي يصومها المؤمن. ولذلك بدأ محمد بالصيام ثلاثة أيام من كل شهر. ثم زادها إلى عشرة أيام من كل شهر ثم صار الصيام شهراً كاملاً عندما نزلت الآية

{شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان. (البقرة 185)}.

وحتى بعد نزول هذه الآية لم يجعل صيام رمضان واجباً على كل الناس إذ أعفى الأغنياء من الصيام عندما قال

{وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وإن تصوموا خيرٌ لكم. (البقرة 184)}.

فإذاً الغني الذي يطيق أن يطعم مسكيناً كل يوم في رمضان لا يصوم إلا إذا أراد أن يتطوع خيراً. **أما الفقير فعليه أن يصوم**.

> والغريب أن الفقهاء يقولون إن الحكمة من رمضان هي أن يتعلم الغني كيف يجوع الفقراء ويحس بجوعهم وعطشهم.
> ولكن إذا كانت هذه هي الحكمة، فلماذا يصوم الفقير إذاً؟
> فهو لا يحتاج أن يعرف ما هو الجوع لأنه يمارسه كل يوم في حياته.

وحتى السنة الثانية من الهجرة لم يذكر النبي أي شيء عن نزول القرآن في شهر رمضان، خاصة عندما حكى للناس كيف جاءه جبريل في غار حراء وهو يتعبد، وقريش كانوا يتعبدون شهراً من السنة في غار حراء، ولم يكن ذلك الشهر رمضان. ولكن فجأة بعدأن نزلت آيات البقرة عن الصيام، جاءت الآية التي تقول

{شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان}.

ولما كنا نعرف أن القرآن نزل على مدى ثلاث وعشرين سنة، ولم ينزل كاملاً على محمد كما نزلت التوراة على موسى، *جاء فقهاء الإسلام بقصص خرافية تحاول تفسير هذا الخلط العجيب في التاريخ، فقالوا إن الله أنزل القرآن كاملاً من السماء السابعة إلى بيت العزة في السماء الدنيا في شهر رمضان، وتحديداً في ليلة القدر*.

- فأين هو **بيت العزة** هذا الذي يتكلمون عنه؟
- ولماذا لم تجده أي مركبة فضائية حتى الآن؟
- وحتى لو كان هذا البيت موجوداً، فلماذا الاستعجال في إنزال القرآن من السماء السابعة إلى السماء الدنيا إذا كان إنزاله إلى محمد سوف يستغرق ثلاثة وعشرين عاماً؟
- أما كان الأجدر أن يحفظه الله في السماء السابعة حتى لا تسترق الشياطين منه شيئاً في السماء الدنيا؟ فالقرآن يقول رغم أنه حرس السماء الدنيا إلا أن بعض الشياطين كانوا يخطفون الخطفة الواحدة على عجل فتطاردهم الشهب وربما لا تصيبهم.

{وحفظاً من كل شيطان مارد. لا يسّمعّون إلى الملأ الأعلى ويُقذفون من كل جانب. دحوراً ولهم عذاب واصب. إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب. (الصافات 7 - 10)**}.**

والكل يعرف أن رمضان هو شهر من شهور السنة، أي علم لا يحتاج تعريفاً، كما الاسم محمد. ولكن في بعض الأحيان نحتاج أن نضيف التعريف إلى الاسم العلم، فأنا مثلا إذا قلت: محمد فعل شيئاً، فقد يسأل الناس: أي محمد تعني لأن الاسم محمد ينطبق على عدة رجال. وللتعريف بمحمد المقصود أقول: محمد الذي أتى بالإسلام. ووقتها يعرف الناس أني قصدت محمداً بن عبد الله. وكذلك الحال بالنسبة لرمضان، فلو قلت: رمضان، فالكل يعرف أني قصدت شهر رمضان الذي يتكرر سنوياً في التقويم العربي، ولا داعي للتعريف. ولكن عندما قال القرآن {**رمضان الذي أنزل فيه القرآن**} فقد عرّف أي شهر وأي سنة قصد. *فهو قد قصد ذلك الشهر الذي بدأت فيه رسالة الإسلام ونزل القرآن فيه على محمد. فإذاً القدسية والصيام خُص بهما شهر رمضان واحد، معيّن، دون كل شهور رمضان المتعاقبة.*

ثم جاءت المشكلة المستعصية عندما سألوه عما يمتنعون في الصيام من غير الأكل والشرب؟ فكان القرار الأول أنهم يمتنعون عن النوم قبل الإفطار. فكان الرجل إذا جاء وقت الإفطار وكان متعباً ونام قبل أن يفطر لا يجوز له أن يأكل شيئاً ويستمر في صيامه بقية الليل واليوم التالي حتى مغيب الشمس.

وشاءت الظروف أن رجلاً يُدعى قيس بن صِرمة الأنصاري كان يعمل في النخيل حتى قريب غروب الشمس وجاء منزله وقال لزوجته: أعندك طعام أفطر به؟ فقالت له: لا. ولكن أنطلق فأطلب لك طعاماً. فغلبه النعاس وهو منتظر. وعندما رجعت زوجته ببعض الطعام وجدته قد نام، فقالت له: خيبةً لك. فصام بقية ليلته ومنتصف اليوم التالي فغشي عليه وذكر ذلك للنبي، فأنزل الله {**فكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر**}.

وروى البخاري عن البراء:

---

[1] ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج2، ص 36.

أنه لما نزل صوم رمضان كان غير مسموح لهم الاقتراب من نسائهم طوال شهر رمضان.

وقال آخرون:

إنه كان مسموحاً لهم بعد الإفطار **على شرط ألا ينام الرجل أو المرأة قبل الجماع**. فإذا نام أحدهما ثم أفاق بالليل فلا يمكنه مجامعة الزوج.

وكالعادة جاء عمر بن الخطاب بالحل.

فقد كان يسمر مع رسول الله بعد الإفطار وعندما رجع إلى بيته أراد أن يجامع زوجته فقالت له: إني نمت. فحسب هو أنها إنما تتمنع عليه فوطئها. وجاء رسول الله في اليوم التالي وقال له: أعتذر إلى الله وإليك، فإن نفسي زينت لي فوقعت بأهلي، فهل تجد لي من رخصة؟ فقال له الرسول [**لم تكن حقيقياً ياعمر**]. وهذا يعني أنه لم يجد له رخصة فيما فعل، فرجع عمر إلى أهله مهموماً. فلما بلغ بيته أرسل إليه محمد وأنبأه أن الله قد عذرة بآية من القرآن، وهي {**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ. (البقرة 187)**}.

ويتبادر إلى الذهن سؤال بديهي: ألم يكن الله يعلم مسبقاً عندما أصدر الأوامر إلى رسوله بمنع الجماع في شهر رمضان أن المؤمنين سوف يختانون أنفسهم لأنهم لم تكن لهم أي وسائل ترفيه بالليل غير الجنس؟ وإذا علم الله مسبقاً، كيف يصدر قانوناً بعكس طبيعة البشر ويتوقع منهم اتباعه، والمثل العامي يقول: إذا أردت أن تُطاع فأمر بما يُستطاع؟

وتأكيداً على تحريم الجماع في رمضان يقول القرطبي في شرح الآية:

"لفظ " أُحل" يقتضي أنه كان محرماً قبل ذلك ثم نُسخ."

فهل من المعقول أن يحدث كل هذا **التخبط** في فرض عبادة من الأهمية بحيث جعلها محمد ركناً من أركان الإسلام؟
المنطق يخبرنا أن هذا التشريع لو صدر من إله عالم لما مر بكل هذه الخطوات التى لا يمكن للبشر اتباعها.
فإما أن الآيات من عند إنسان يتعلم بالتجربة، أو أن الإله الذي أصدرها لا يعلم الغيب.

ثم جاءت المشكلة الكبرى، ألا وهي معرفة بداية ونهاية شهر الصوم. فجاءت الآية

{**من رأى منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر.** (البقرة 175)}.

ومن البديهي أن يعتمدوا على رؤية الشهر بالعين المجردة في تلك الأيام لمعرفة بداية الشهر ونهايته. وما دام الله أراد بالناس اليسر ولم يرد بهم العسر، ونحن نستطيع الآن أن نحسب بالدقيقة والثانية وقت ظهور الهلال، فلماذا لا يتفق فقهاء المسلمين على الاعتماد على علم الفلك ليحدد لهم بداية الصيام ونهايته تفادياً لكل هذا التخبط في رؤية الشهر؟

ولأن الله أراد اليسر فقد صح عن النبي:

أن الذى يُفْطِرُ به الصَّائِمُ: الأكلُ، والشربُ، والحِجامة والقئ، والقرآن دال على أن الجِماعَ مفطر كالأكل والشُرب[2].

فالرسول قد حدد أربعة أشياء تُفطر الصائم، وقد نفهم أن يبطل الأكل أو الشرب الصيام، **ولكن كيف يبطل القيء الصيام**. فالشخص الذي يتقيأ يخرج من معدته سوائل ولا يُدخل سوائلاً إضافية إلى جسمه، فكيف يبطل هذا صيامه؟ هل الفقير ممنوع من التقيوء حتى نقول للغني يجب ألا يتقيأ حتى يشعر بما يشعر به الفقير؟ والشخص عندما يحتجم يفقد من جسمه دماً عندما يفصده الحاجم. فكيف يبطل فقدان الدم الصيام؟ *ولكن الفقهاء الذين لم يكدوا يوماً في حياتهم لكسب قوتهم كان لابد لهم من ملء فراغهم، فأتوا بمحظورات ما أنزل الإله بها من سلطان*. يقول ابن القاسم الذي كتب مدونة الإمام مالك:

"وسألت مالكا عن الرجل ينظر إلى أهله في رمضان على غير تعمد فيمذي (قال) أرى أن يقضى يوما مكانه (قال مالك) وقد كان رجال من أهل الفضل ممن مضى وأدركناهم وانهم ليجتنبون دخول منازلهم نهارا في رمضان خوفا على أنفسهم واحتياطا من أن يأتي من ذلك بعض ما يكرهون"[3].

ليتني أعرف هذا الرجل الذي ينظر إلى زوجته وهو صائم فيمذي لأهديه وسام الفحولة. هل تتغير زوجة الصائم إلى حورية في رمضان؟

ثم بدل اليسر الذي تقول به الآية، طلب الفقهاء العسر المستحيل فقالوا:

"ما قول مالك فيمن بلغ وهو مجنون مطبق فمكث سنين ثم أفاق (فقال) قال مالك يقضى صيام تلك السنين ولا يقضى تلك الصلاة"[4].

هذا مع العلم بأن القرآن يقول

{**ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله.** (التوبة 91)}.

فلماذا يقضي المجنون صيام سنين وهو ليس مسؤولاً عن جنونه؟ فالمجنون لا يتحكم في عقله كما لا يتحكم الطفل قبل البلوغ، فهل يقضي الرجل صيام السنين التي كان طفلاً بها؟

وكان لابد أن يقول الفقهاء شيئاً عن **المرأة وعورتها في رمضان**، فقالوا:

إن المرأة المستحاضة، أي التي لا يتوقف عنها الدم لفترة طويلة، إذا أرادت الصلاة فإنها تؤمر بالاحتياط في طهارة الحدث وطهارة النجس، فتغسل فرجها قبل الوضوء والتيمم إن كانت تتيمم وتحشو فرجها بقطنة أو خرقة رفقاً للنجاسة أو تقليلاً لها، فإن كان دمها قليلاً يندفع بذلك وحده، فلا شيء عليها غيره، وإن لم يندفع شدت مع ذلك على فرجها وتلجمت، وهو أن تشد على وسطها خرقة أو خيطاً أو نحوه على صورة التكة، وتأخذ خرقة أخرى مشقوقة الطرفين فتدخلها بين فخذيها وأليتيها، وتشد الطرفين بالخرقة التي في وسطها، أحدهما قدامها عند صرتها، والآخر خلفها، وتحكم ذلك الشد وتلصق هذه الخرقة المشدودة بين الفخذين بالقطنة التي على الفرج إلصاقاً جيداً وهذا الفعل يسمى تلجماً. أما إذا كانت صائمة، فتترك الحشو في النهار وتقتصر على الشد[5].

ففي غير رمضان تُلجم المرأة فرجها كما نلجم الحصان، وتحشوه، أما في رمضان فتكرم عليها الفقهاء وسمحوا لها أن تترك الحشو وتكتفي باللجام، لأن حشو الفرج يُفطر الصائمة (لا نعلم إذا كان القطن بالفرج يُشبع المرأة جنسياً أم فعلياً، حتى يُفطرها).

هذه النصيحة من فقهاء الإسلام تُثبت مدى تحجر عقولهم.

أتى هذا الحكم في الطبعة الرابعة لكتاب الشيخ الشعراوي المنشور سنة 2001م، وحتى في هذا العام من القرن الحادي والعشرين لم يسمع شيوخ الإسلام بالحفاض الصحي الذي تستعمله النساء وقت العادة، ولم يسمعوا بالتامباكس Tampax فأصروا على لجام الفرج.

وإذا أخذنا الحكمة من الصيام، وهي الإحساس بالجوع والعطش تعاطفاً مع الفقير، نجد أن المسلمين لا يلتزمون بروح التشريع ويملؤون بطونهم بأكثر مما كانوا يفعلون في بقية شهور السنة، فنجد مثلاً

[2] ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج2، ص 31.
[3] المدونة لمالك بن أنس، ج1، ص 199.
[4] نفس المصدر، ص 208.
[5] فتاوى النساء للشعراوي، ص 453.

> ”أن القطريين رصدوا 650 مليون ريال لإنفاقها في رمضان، وان استهلاك الخضار والفواكه يتضاعف إلى 600 طن يوميا والأغنام إلى 3 آلاف رأس صباح كل يوم. ولو علمنا أن قطر هي من اصغر الدول، عربيا، وإسلاميا، لعلمنا الحجم الرهيب لما يستهلك في رمضان من مواد غذائية، وغير بعيد عن ذلك ما أعلنته شركات اللحوم والدجاج في الكويت أنها استعدت لشهر رمضان بشكل جيد وقامت باستيراد، وليس بإنتاج، كميات أكثر من المعتاد لمواجهة الطلب المتزايد في هذا الشهر على اللحوم.“[6]

والدليل على صدق ما ورد هو أن الغالبية من الصائمين في الخليج يزداد وزنهم بنهاية شهر رمضان. فهل رأيتم فقيراً يزداد وزنه مع الصيام؟

وطبعاً لم يفت على جماعة الإعجاز العلمي في القرآن أن الصيام يعالج أو يمنع عدداً كبيراً من الأمراض، كما يزعمون. ولا حقيقة في هذا الزعم. فالصيام يعرض حياة مرضى السكري إلى الخطر، ويزيد من أمراض الكلى ويضاعف آلام من يعاني من قرحة بالاثني عشر وكل من يعاني من أمراض تحتاج إلى تناول الدواء ثلاث أو أربع مرات باليوم.

وأخيراً إذا كان الصيام به كل الفوائد التي يزعمون فلماذا يجبرون الناس عليه ويمنعون المطاعم والمقاهي من العمل أثناء النهار؟ ولماذا يعاقبون المرضى الذين سمح لهم القرآن بالإفطار وحتى غير المسلمين الذين لا يجب عليهم الصيام؟

عودة إلى الفهرس

[6] أحمد الصراف، القبس الكويتية، 2007/9/18.

76 - ماهو الوحي، ولمَن يوحي الإله؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=110616

كلمة "وحي" هي مصدر الفعل "وحى"، وعندما نقول "وحى إلى فلان" نعني أنه أشار إليه أو أرسل إليه رسولاً. و"أوحى إليه أو وحى إليه كلاماً" تعني: كلمه سراً أو كلمه بما يخفيه عن غيره. و"أوحى الله في قلبه كذا" تعني: ألهمه إياه.[1]

فإذاً الوحي يدور حول وصايا أو أفكار سرية أو رسل يرسلهم طرف آخر برسائل سرية لا يريد الراسل أن يطلع عليها بقية الناس، وإلا لأذاعها الراسل علناً.

وكلمة الوحي ومشتقاتها تتكرر في القرآن في أكثر من **خمس وعشرين آية**، فماذا يقصد القرآن بالوحي، وهل الوحي حقيقة أم أفكار يتخيلها أشخاص طبيعتهم قابلة للإيحاء؟ فإن موسى وهو أول رسول أتى برسالة سماوية معروفة لنا لم يقل إن الإله يهوه أوحى إليه، إنما قال إن الإله يهوه تكلم معه مباشرة ثم أعطاه الألواح المكتوبة. وعندما جاء يسوع (عيسى) قال لنا حواريوه إن الأب الذي في السماء كشف له العلم Revealed to him والمسيحيون يعتبرون ما جاء في الإنجيل هو Revelation أي **علم كشفه الرب إلى يسوع**. ولم يبين لنا الإنجيل كيفية هذا الكشف. ثم جاء الإسلام وزعم محمد أن الملاك جبريل ينزل إليه بالوحي. فكان محمد أول من استعمل هذه الكلمة التي تكررت مراراً في القرآن.

ولنبدأ من أول قصة الخلق، كما يرويها القرآن. يقول القرآن:

{ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض أئتيا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين. فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها. (فصلت، 11، 12)**}.**

فحديثة مع الأرض والسماء لا بد أنه كان نوعاً من الوحي السري لأنه من غير المعقول أن نتخيل أن الله جلس على عرشه ثم قال بصوت مسموع للأرض والسماء: أتيا إليّ. فالله لا يمكن أن يتكلم بصوت مسموع مع جماد. فإذاً كلام الله مع الأرض والسماء *كان نوعاً من الوحي أو الإلهام*، وفهمته الأرض والسماء واستجابتا. كيف فهمته الأرض وهي جماد، لا يهمنا الآن. وأصلاً لم تكن هناك حاجة لله ليتحدث إلى الجماد لأنه إذا أراد شيئاً أن يقول له "كن" فيكون. فكان بإمكانه ان يتخيل شكل الأرض والسماء ثم يقول "كن" فتكونان. ولكن ليثبت لنا القرآن أن الله يوحي للجماد، قال: {**وأوحى في كل سماء أمرها**}. يعني أخبر كل سماء، في رسالة سرية، أنه سوف يخلق فيها نجوماً وكواكباً وملائكة وشياطين، وفهمته السموات وقبلت.

ثم لزيادة التوكيد لعباده بأنه قد أوحى إلى الأرض، أخبرنا أنه سوف يجعل الأرض تؤكد ذلك بنفسها، فقال:

{إذا زُلزلت الأرضُ زلزالها. وأخرجت الأرض أثقالها. وقال الإنسان مالها. يومئذ تحدث أخبارها. بأن ربك أوحى لها. (الزلزلة1، 5)**}.**

وهذا توكيد بأن الله يوحي إلى الجماد رسائل سرية لا يطلع عليها غيرها.

وبعد أن خلق الله الأرض والسماء، خلق الأنفس من حيوان وإنسان، فكان لا بد أن يوحي لهذه الأنفس لأن الرسل لم يكونوا قد أتوا بعد (إذا استثنينا آدم). فقال لنا الله بعد أن أقسم بالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض:

{والشمسِ وضحاها. والقمرِ إذا تلاها. والنهارِ إذا جلاها. والليلِ إذا يغشاها. والسماءِ وما بناها. والأرضِ وما طحاها. ونفسٍ وما سواها. فألهمهما فجورها وتقواها. (الشمس 1 - 8)**}.**

وكما ذكرت في تعريف الوحي فإن الإلهام نوع من الوحي السري يصل إلى القلب مباشرة. فإذاً الله قد أوحى لكل نفسٍ خلقها رسالة سرية تؤطر فيها الفجور والتقوى. وبالطبع، لأن الرسالة سرية، فلا يمكن لنفس أن تحدث بها الأخرى، ولكن عليها أن تتصرف حسب الفجور والتقوى المبرمجة في قلبها.

ثم جاء نوح، كأول رسول معروف لنا بعد آدم، فقال القرآن:

{فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم. (المؤمنون 27)**}.**

فهذه رسالة سرية أخرى أوحى بها الله إلى نوح الذي ظل ينجر ويصنع المركب دون أن يخبر قومه بالسر، ولذلك كان قومه يضحكون عليه عندما يرونه يبني مركباً على اليابسة وبعيداً من الماء. وحتى أهله لم يكونوا يعرفون ذلك السر لدرجة أن ابنه رفض أن يركب معهم المركب لأنه اعتقد أن الأمر طارىء وسوف يستطيع أن ينجو من الماء إذا طلع على جبل أو تسلق شجرةً. وبما أن نوحَ كان نبياً، فقد نفهم أن يكون الله قد أوحى له بأن أرسل إليه جبريل بالرسالة السرية، ولكن نعجز عن فهم الطريقة التي أوحى بها إلى كل الأنفس، خاصةً الحيوانات التي أخبرها أن تأتي إلى سفينة نوح. فهل ياتُرى أرسل جبريل لكل نفس من الحيوانات أم ألهمها عن طريق الإرادة، أي الإيحاء، كما يحدث في التنويم المغنطيسي؟

ثم وُلد موسى، وكان الفرعون في أثره، فأوحى الله إلى أم موسى:

{وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خِفتِ عليه فالقيه في اليم. (القصص 7)**}.**

وبما أن الرسالة سرية فلم يُجهر الله بالقول لها كيلا يسمعه فرعون فيعرف السر. ومن غير المحتمل أن يكون قد أرسل إليها جبريل لأنه لا يرسل جبريل إلا للرسل والأنبياء، فلا بد أنه ألهمها في نومها أو في يقظتها عن طريق الإيحاء. ويظهر أن الإيحاء المباشر يلعب دوراً كبيراً لا يقل عن الدور الذي يلعبه جبريل. وتوكيداً لذلك يقول الله لموسى:

{إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى. (طه 38)**}.**

وعبارة "ما يوحى" توحي بأن هناك شيئاً أو أشياء معينة يوحيها الله، ولكنها تغيب عنا لأنه لم يفصح عنها.

ثم يخبرنا القرآن:

{وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين. (يونس 87)**}.**

وبهذه الآية أدخلنا القرآن، كماأدخل كبار المفسرين، في دوامة. فهو كان قد أخبرنا أن هارون كانت مهمته أن يشد من أزر موسى الذي كانت بلسانه عقدةٌ تجعل كلامه غير واضح. وقد طلب موسى من الله أن يحل تلك العقدة من لسانه وأن يرسل معه هارون وزيراً

{وأحلل عقدةً من لساني. يفقهون قولي. واجعل لي وزيراً من أهلي. هارون أخي. أشدد به أزري. ،اشركه في أمري. (طه 27 - 32)**}.**

[1] المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت.

فهارون لم يكن رسولاً وإنما وزيراً لموسى. ومع ذلك أوحى له الله. ورغم أن الرسالة سرية، فقد أخبر جبريل بها موسى وهارون. وماذا قال لهما؟ هنا يظهر اضطراب المفسرين. فحسب الظاهر من الآية أن الله قال لهما أبنوا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوها تتجه نحو القبلة، أي القدس. ولكن المشكلة هي أن بني إسرائيل كانوا عبيدا وأيدي عاملة في المزارع وقد عاشوا في مصر ما يقرب من ثلاثمائة سنة قبل أن يأتي موسى لينقذهم من العبودية. فلا بد أن أغلب الأرض الصالحة للبناء قد بنى عليها المصريون أنفسهم، فمن أين يجد موسى المال والأرض ليبني لقومه بيوتاً متجهة نحو القدس؟ قال بعض كبار المفسرين *إن الفرعون كان قد أمر بكسر كل مساجد وكنائس بني إسرائيل، فأمر الله موسى أن يبني لهم مساجد جديدة تكون قبلتها القدس*. فإذا كان هذا هو الحال، فهل من المعقول أن يسمح لهم الفرعون ببناء كنائس جديدة. ولهذا السبب قال المفسرون الآخرون إن الله أمر موسى أن يبني لبني إسرائيل بيوتاً مرصوصة في مقابلة بعضها البعض، ويجعل تلك البيوت قبلة بني إسرائيل. ولا أعتقد أن فرعون كان سوف يسمح لهم بذلك، وأحوالهم المادية كانت سيئة جداً بدليل أن نساءهم كن يستلفن الزينة من المصريات في المناسبات التي تدعو إلى الاحتفال. وعندما عبر بنو إسرائيل البحر أمرهم هارون أن يصهروا كل الذهب الذي كان بحوزتهم لأنه كان مستعاراً من النساء المصريات. فكل الظروف كانت تمنع بناء تلك البيوت، ولا شك أن الله كان يعلم ذلك، فماهي الحكمة من هذا الوحي الذي لا يمكن تنفيذه؟
وعندما اجتمع السحرة أوحى الله إلى موسى أن يلقي عصاه:

{وأوحينا إلى موسى أن ألقِ عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون. (الأعراف 117)**}.**

ولا بد أن الوحي هنا كان عن طريق جبريل رغم أن المفسرين لم يخبرونا أن موسى أغمي عليه عندما نزل عليه جبريل كما كان يغمى على محمد من هول المناسبة. ولا نعلم لماذا احتاج موسى لهذا الوحي ليخبره أن عصاه يمكن أن تصير ثعباناً يقتل ثعابين السحرة، فقد رأى موسى من قبل عندما كان في مدين وأراد الله أن يبعثة رسولاً، وسأله الله عن الشيء الذي بيمينه:

{قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى. قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى. (طه 18 - 20)**}.**

فموسى يعلم ما تستطيع عصاه أن تفعل.
وبعد أن قطع بنو إسرائيل البحر قطّعهم الله اثنتي عشرة قبيلة، أي أسباطاً:

{وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمما وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم. (الأعراف 160)**}.**

إلى هنا والأمر واضح، فقد أرسل الله رسالة سرية إلى موسى ليضرب الحجر فيسقي قومه. ولكن هذا الوضوح يختفي عندما نقرأ:

{إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيينَ من بعده وأوحينا إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحقَ ويعقوبَ والأسباط. (النساء 163)**}.**

نفهم من هذا أن طريقة الوحي الذي أتى محمد هي نفس طريقة الوحي الذي أتى بقية النبيين وكذلك الأسباط، أي عن طريق جبريل الذي كان يأتي بالوحي لمحمد. فكيف أوحى الله إلى الاثنتي عشرة قبيلة اليهودية؟ هل أرسل جبريل لكل رئيس قبيلة وطلب منه نشر الرسالة السرية أم أرسل جبريل لكل شخص بمفرده، خاصةً أنهم شعب الله المختار، أم أرسل إلى كل قبيلة رسولاً لم يذكره لنا وأوحى إلى الرسول الذي بدوره أوحى إلى الأسباط؟
ثم ينتقل بنا الوحي إلى زكريا عندما كان في المحراب وبشره الملاك بيحيى:

{قال ربي اجعل لي آيةً قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليالٍ سوياً. فخرج على قومه من المحراب فأوحى لهم أن سبحوا بكرةً وعشيا. (مريم 11)**}.**

فهذا الرجل الذي تقادمت به السنين والذي بشره الملك بأنه سوف يُرزق ابناً، طلب من ربه آية أو معجزة يريها قومه حتى يصدقوا أن ذلك العجوز يمكن أن ينجب صبياً، فكان الجواب أن يصوم عن الكلام ثلاث ليالٍ سويا. ولذلك عندما خرج من المحراب والفرحة تملأ جوانبه، لم يستطع أن يخبر قومه بالرسالة السرية تلك، فأوحى لهم أن يسبحوا باسم الله. وحتى هذه اللحظة كان الوحي يأتي من الله عن طريق الملائكة أو إلهاماً مباشراً إلى القلب، ولكن كيف أوحى زكريا إلى قومه؟ **حاص المفسرون وباصوا في شرح هذا الوحي**. يقول القرطبي:

> "قال الكلبي وقتادة وابن منبه: أوحى إليهم تعني أشار إليهم. أما مجاهد فقال: كتب على الأرض. وقال عكرمة: كتب في كتاب والوحي في كلام العرب تعني الكتابة" انتهى.

وقد رأينا تعريف ‹المنجد› للوحي، وليس فيه أي شيء عن الكتابة. ولكن المفسرين قد اعتادوا أن يقولوا "كانت العرب تقول كذا" كلما صعب عليهم التفسير. فزكريا لم يلهم قومه ولم يرسل إليهم ملاكاً ليوحي لهم. فهل من المعقول أن يكون قد كتب لهم في الرمل إذ لم يكن الورق أو الصحائف معروفة في تلك البقعة وفي ذلك التاريخ؟ وحتى لو كتب لهم في الرمل لأنه مأمور ألا يتكلم لمدة ثلاث ليالٍ، فالأمر الذي أمرهم به وهو التسبيح بكرةً وعشية، هو غير الوحي الذي أتى زكريا. فالطريقة التي أوحى لهم بها غير مقنعة إطلاقاً.
ثم ينتقل الوحي إلى يوسف عندما ألقاه أخوته في اليم وهو طفل صغير:

{فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابات الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون. (يوسف 15)**}.**

فهذا الطفل الذي كان محاطاً بأخوته العشرة وهم يحاولون رميه في البئر، لا يمكن أن يكون قد أتاه جبريل لأنه أولا: سوف يخيفه، وثانياً: سوف يشعر أخوته بجبريل أو يرونه ويعرفون أن أخاهم نبيٌ، وهم يعرفون النبوة لأن أباهم كان نبياً. فالوحي إلى يوسف لابد أنه كان عن طريق الإلهام في القلب. ولكن يوسف كان طفلاً يكاد يموت من الخوف والبكاء وأخوانه يهمون برميه في البئر وهو متشبث بأطرافها، فهل الرسالة التي كان يحتاجها من الله هي أنه سوف ينبيء أخوانه بفعلتهم هذه في المستقبل وهم لا يشعرون؟ ألم تكن رسالة تطمئنه مثل (*لا تخف يا يوسف فإنك من الناجين*) مثلاً، تكون أفضل من الرسالة التي استلمها؟ ثم لماذا الاستعجال بمثل هذه الرسالة ويوسف مازال طفلاً ولن يحدث ما حملته الرسالة إلا بعد سنين عدة؟ وهل يوحي الله للأطفال الذين لم يبلغوا الرشد ولم يتكلفوا؟ فالتكليف الديني لا يكون إلا بعد البلوغ.
ثم ينتقل الوحي إلى محمد، وقد وصفت لنا كتب السيرة كيف أن الوحي كان يأتيه عن طريق جبريل وكان محمد يغمى عليه ويرتعش ويعرق من هول الحضور الملائكي. ويقول لنا القرآن:

{كذلك أرسلناك في أمةٍ قد خلت من قبلها أمم لتتلوا عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب. (الرعد 30)**}.**

فالقصة هنا أوضح. جبريل يأتي بالرسالة السرية ومحمد يتلوها - في أغلب الأحوال - على أمته. فلماذا إذاً السرية ما دام محمد مأموراً أن يبلغ ما يوحى إليه إلى قومه:

{يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته. (المائدة 67)**}.**

ألم يكن الأفضل أن يكلمه بصوت مسموع حتى يسمع الناس الآيات القرآنية وهي تنزل على محمد فيكون إيمانهم أسرع؟ وعلى كلٍ فإن الوحي المحمدي قد يكون غامضاً في بعض الأحيان، فالقرآن يقول لمحمد:

{ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين. (النحل 123)**}.**

فملة إبراهيم التي أمره ربه باتباعها غير معروفة لأي شخص، ولا حتى لمحمد نفسه. كل ما نعرف عنها هو أن إبراهيم لم يكن مشركاً. فهل من المعقول أن يوحي الله لنبي وحياً مبهماً مثل هذا؟ فهذا الوحي لا يختلف عن نصيحتي، مثلاً، لسياسي ببلد ديمقراطي، فأقول له: اتبع طريقة الرئيس نيكسون، فإنه كان سياسياً محنكاً. ولكن ماهي طريقة نيكسون؟ وسوف افترض هنا أننا نتغاضى عن فضيحة وترگيت والتجسس.
ثم يتدرج القرآن في الوحي فيقول:

{وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تعرف ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم. (الشورى 52)**}.**

فالوحي هنا تغير من الرسالة السرية أو الإلهام إلى روح. ولا أحد يعلم ما هي الروح. وعندما سأل العرب محمد عن الروح، جاء الرد القرآني {**يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي**}. ولهذا اضطربت أقوال المفسرين. يقول القرطبي:

"روحاً. أي نبوة، قاله ابن عباس. الحسن وقتادة قالوا: رحمةً من عندنا. السدي قال: وحياً. والكلبي قال: كتاباً. والربيع قال: هو جبريل. والضحاك قال: هو القرآن وسماه روحاً لأن فيه حياةً من موت الجهل." انتهى.

وطبعاً لم يكن محمد وقتها قد شرح لهم هذا الروح الذي أوحاه له الله. فنعلم من هذه الآية أن الوحي قد يتخذ أشكالاً متغايرة. ولذلك يقول لنا القرآن:

{فأوحى إلى عبده ما أوحى. (النجم 10)**}.**

فعليه لا يمكننا تحديد نوعية و وسيلة الوحي.ثم يقول القرآن لمحمد:

{ولئن شئنا لنذهب بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا. (الإسراء 86)**}.**

فإذا كان الوحي هوالقرآن فقط، ومحمد أخبر به أصحابه ساعة نزوله، وأصبح متداولاً بين الناس وحفظوه في الصدور، كيف يُعقل أن يذهب به الله من ذاكرة كل الناس حتى لا يجد محمد من يشهد له بأن الله أوحى له هذا القرآن؟
ولا يكتفي القرآن بكل هذه الأنواع من الوحي، فيقول لمحمد:

{وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون. (النحل 68)**}.**

وحتماً لم يرسل الله جبريل ليخبر النحل كيف وأين تتخذ بيوتها، فالوحي هنا كان عن طريق **الإلهام**، ولكن لأن النحل لم يكن له نبي، كان لابد لله أن يُلهم كل نحلة على وجه الأرض حتى تتبرمج جميع أنواع النحل بطريقة وأمكنة بناء بيوتها. ولا ندري لماذا اختار الله النحل ليخبر محمد عن الوحي الذي أوحاه لهم، فهناك مليارات الأنواع من الحشرات، وكلها يحتاج إلى مساكن في أماكن مختلفة، فلا بد أن الله قد أوحى لكل حشرة من جميع أنواع الحشرات كيف وأين تبني مسكنها، وكذلك البكتريا والفيروسات وغيرها. **يالها من مهمة عويصة!**
ويظهر جلياً تخبط من كتبوا القرآن في هذه الآية:

{إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوحٍ والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحقَ ويعقوبَ والأسباط وعيسى وأيوبٌ ويونسٌ وهارونٌ وسليمانٌ وآتينا داوود زبورَ. (النساء 163)**}.**

فأولاً: يظهر أن الله لم يوح إلى النبيين قبل نوح لأنه قال "والنبيين من بعده". وثانياً: ليس هناك أي ترتيب في تسلسل الأنبياء الزمني، فهم قدموا وأخروا في الأنبياء كما يحلو لهم. وثالثاً: أين موسى في هذه السلسلة من الإيحاء؟ **فموسى هو أكثر نبي ذُكر في القرآن، وأغلب القصص عن موسى وبني إسرائيل، ومع ذلك سقط اسمه من الأنبياء والرسل الذين أوحى إليهم، كما سقط الذين قبل نوح.**

وخلاصة القول أن موضوع الوحي الإلهي موضوع يشوبه الغموض والاضطراب في معناه وفي محتواه وفي طريقة إيصاله إلى الأشخاص الموحى لهم. وهذا الاضطراب يجعل الإيمان بالوحي أمراً شائكاً.

عودة إلى الفهرس

77 - المال هو قلب الإسلام الحقيقي

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=111225

الجيوش تزحف على معداتها، كما يقول المثل، والإسلام يزحف على المال. فنبي الإسلام كان يتيماً، فقيراً، تبناه أفقر أعمامه. فقد كان عمه أبو لهب من الأغنياء وقال عنه القرآن {تبت يدا أبي لهب وتب. ما أغنى عنه ماله وما كسب}. وكان عمه العباس من أغنى المرابين في الجاهلية، ومع ذلك تبناه أبو طالب ذو الأطفال العديدين وكان أفقر أعمامه. فتربى محمد في الفقر ورعى الأغنام ثم عمل بالتجارة وتشبع بأفكارها وتزوج مخدمته الغنية خديجةثم ورث كل أموالها بعد موتها. **ولذا لعب المال دوراً رئيسياً في حياة الرسول وفي محتوى الرسالة نفسها**. ونسبة لإرث محمد من الفقر والتجارة، جاء الإسلام مزيجاً من التجارة والموازين والمكاييل والديون والإنفاق في سبيل الله.

ورغم ذلك تطوع بعض الكتاب المصريين بتسويد آلاف الصفحات عن الاشتراكية في الإسلام، بينما الإسلام رأسمالي بحت، **يقدس فقهاؤه المال**. وقد ظهر هذا جلياً في صحابة الرسول الذين كانوا معدمين عند ظهور الإسلام وأصبحوا بعد الفتوحات من أصحاب الملايين. وكذلك أغلب فقهاء الإسلام المعاصرين وشيوخ الفضائيات يملكون ملايين الدولارات الآن ويخزنونها في بنوك أمريكا وأوروبا رغم أن القرآن يقول:

> **{يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بينهم بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم. يوم يحمى بها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ماكنتم تكنزون.** (التوبة 34-35)}.

وقد زعم الفقهاء أن هذه الآية منسوخة بآيات الزكاة {**خذ من أموالهم صدقةً تطهرهم وتزكيهم بها**}، رغم أنها نزلت في آخر سورة نزلت من القرآن بالمدينة.

ولأن الإسلام أشاع الماء والنار والمرعى، وهو أمر أقرته كل الأديان قبل الإسلام، زعم الإسلاميون أن الإسلام أتى بالاشتراكية. ودراسة آيات القرآن والأحاديث تثبت لنا أن الإسلام دينٌ رأسمالي يُكثر من الحديث عن المال ويدور أغلب فقهه حول المال .

- وفي كل مرة يذكر فيها القرآن المال، وما أكثر تلك الآيات، **يقدمه على كل شيء حتى البنين**. فنجد مثلاً:

{المال والبنون زينة الحياة الدنيا. (الكهف 46)}.
{يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون. (المنافقون 9)}.
{واعلموا إنما أموالكم وأولادكم فتنةٌ وأن الله عنده أجرٌ عظيم. (الأنفال 28)}.
{وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً. (سبأ 37)}.
{إنما أموالكم وأولادكم فتنةٌ والله عنده أجر عظيم. (التغابن 15)}.
{إن كان ذا مالٍ وبنين. إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين. (القلم 14 - 15)}.
{أيحسبون ما نمدهم به من مال وبنين. نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون. (المؤمنون 55 - 56)}.
{يوم لا ينفع مال ولا بنون. (الشعراء 88)}.
{وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يُؤت سعةً في المال. (البقرة 247)}.

وهذه الآية تعكس حياة محمد الذي كان فقيراً واختاره الإله ملكاً على قريش، كما قال أبو سفيان للعباس يوم فتح مكة:

"لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً".

فالبنسبة للقرآن لم يكن احتجاج اليهود على طالوت لأنه لم يكن ورعاً أو لم يكن قائداً محنكاً، وإنما كان لأنه لم يؤت مالاً كثيرا.

- ولأن محمد نشأ يتيماً **اهتم القرآن باليتيم**، ليس اهتماماً بالحنو عليه أو معاملته معاملة الابن، رغم أنه قال لرسوله {**وأما اليتيم فلا تقهر**}، ولكن تركز اهتمامٌ القرآن **بمال اليتيم**، إذا كان له مال من أبيه:

{ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده. (الأنعام 152)}.

مرة أخرى

{ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده. (الإسراء 34)}.
{وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع. (النساء 3)}.
{وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن أنستم منهم رُشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف فإن دفعتم إليهم أموالهم فاشهدوا عليهم. (النساء 6)}.

- ويتحدث القرآن عن **المال بإسهاب**، مثل:

{وتحبون المال حباً جماً. (الفجر 20)}.
{إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم. (محمد 37)}.

- ثم يتحدث القرآن عن **التجارة** التي استهوت محمد **والبيع والشراء** ، فيقول:

{رجال لا تلهيهم تجارة أو بيع عن ذكر الله وإقامة الصلاة. (النور 37)}.
{إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانيةً يرجون تجارةً لن تبور. (فاطر 29)}.
{يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم. (الصف 10)}.
{وإذا رعوا تجارةً أو لهواً إنفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو والتجارة. (الجمعة 11)}.
{يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. (الجمعة 9)}.
{يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارةً عن تراضٍ منكم. (النساء 29)}.
{إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون. (التوبة 111)}.

- ثم تحدث الإسلام بإسهاب عن **الكيل والميزان** وجعل كل شيء، حتى الحسنات والسيئات، يقاس بالكيل والميزان، فقال:

{ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن وأوفوا الكيل والميزان بالقسط. (الأنعام 152)}.

{وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان. (الأعراف 85)}.

فالنبي شعيب، أول ما طلب من قومه بعد عبادة الله، أن يوفوا الكيل والميزان. لم يطلب منهم الإحسان إلى بعضهم البعض أو الإحسان إلى الوالدين أو الصيام أو أي شيء يختص بالعبادات.

{وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاط المستقيم. (الإسراء 35)}.
{وأوفوا الكيلَ ولا تكونوا من المخسرين وزنوا بالقسطاط المستقيم. (الشعراء 181، 182)}.
{ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخٍ لكم من أبيكم ألا ترون إني أوفي الكيل وأنا خير المُنزلين. (يوسف 59)}.
{فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منعَ منا الكيل فارسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون. (يوسف 63)}.
{فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضعة مُزجاةٍ فاوفِ لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين. (يوسف 88)}.
{والسماء رفعها ووضع الميزان. ألا تطغوا في الميزان. وأقيموا الوزنَ بالقسط ولا تخسروا الميزان. (الرحمن 7-9)}.

❖ ثم ننتقل من بعد الكيل والميزان إلى الحديث عن **القروض بين الناس،** وهو أمر شخصي جداً ولا علاقة له بعبادة الله، ومع ذلك نجد القرآن يقول:

{يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل. (البقرة 282)}.

ونلاحظ هنا أن القرآن كان يخاطب أمةً من الأميين لا يتعدى عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة بينهم أصابع اليدين، وكان يشدد على أن الرسول أمي وأرسل إلى أمة من الأميين، *ومع هذا اهتم بكتابة الدين بين الناس بدل أن يحثهم على تعلم القراءة والكتابة*.

❖ ثم طلب من المؤمنين أن **يقرضوا الله قرضاً حسناً** يرده لهم في الآخرة:

{من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسنا فيضاعفه له أضعافاً. (البقرة 245)}.
{لقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله إني معكم لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعززتموهم واقرضتم الله قرضاً حسناً. (المائدة 12)}.
{من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم. (الحديد 11)}.
{إن المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضاً حسناً يُضاعف لهم ولهم أجر كريم. (الحديد 18)}.
{استقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم. (التغابن 18)}.
{واقرضوا الله قرضاً حسناً. (المزمل 20)}.

❖ وبعد كل هذه الآيات عن القروض لله الذي سوف يضاعفها لهم، **تحدث القرآن عن الربا وحرّمه،** وما الربا إلا مضاعفة القرض، على أسوأ الفروض، فقال:

{الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحلّ الله البيع وحرّم الربا. (البقرة 275)}.
{ويمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم. (البقرة 276)}.

وهناك ثلاث آيات آخرى عن الربا تكرر ما ذكرته الآيات السابقة.

❖ ثم تحدث القرآن بإسهاب عن الذين **ينفقون أموالهم في سبيل الله** والإسلام، فقال:

{ومالكم لا تنفقون في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجةً من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا. (الحديد 9)}.
{مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلةٍ مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء. (البقرة 261)}.
{الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منّاً ولا أذىً لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون. (البقرة 262)}.
{ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فأتت أكلها ضعفين. (البقرة 265)}.
{لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون. (آل عمران 92)}.

وهناك عشر آيات أخرى عن الذين **ينفقون** أموالهم في سبيل الله رأيت ألا أوردها حتى لا أثقل على القاريء.

البقرة 274،
آل عمران 134،
النساء 38،
الأنفال 3،
الأنفال 36،
التوبة 54،
التوبة 91،
التوبة 121،
القصص 54،
البقرة 254.

❖ ثم أسهب القرآن في تفصيل **الميراث** ودخل في تفاصيل كمية الإرث لكل فرد من أفراد العائلة وإذا كان لهم أخوات أو إخوان أم كان الرجل كلالةً.

وكل هذا لا دخل له في توحيد الإله وعبادته.

❖ ثم جاءت الأحاديث **تؤكد أهمية المال والتجارة** بالنسبة للإسلام:

[لو كان في الجنة تجارة لأمرت بتجارة البز، إن أبا بكر كان بزازاً][1].
[من قُتل دون ماله فهو شهيد] أورده البخاري.

ولذلك نجد أن محمد أول ما وصل إلى المدينة بدأ بالتربص بقوافل قريش وقطع الطرق ومهاجمة القوافل والإستيلاء على الأموال. ثم تبع ذلك بالغزو على القبائل وكان يكتفي بأخذ المواشي والأغنام إذا هرب منه أهل القرية.

❖ **ثم عندما بدأ الخلفاء الهجوم على المجتمعات المجاورة كانوا يكتفون بفرض الجزية على المسيحيين والفرس والأغنياء ولم يقبلوا من قبائل البدو الفقيرة إلا الإسلام أو القتل، لأنهم مشركون كما زعموا. *والفرس كانوا مشركين ولكن قبلوا منهم الجزية لأنهم أغنياء.***

[1] كنز العمال، ج4، حديث 9360.

- ثم جاء دور الفقهاء **لتمجيد المال في فقهم**، فجعلوا له عدة كتب، منها:
  - كتاب البيوع: كل الكتاب عن التجارة والبيع وأنواعهما، سواء في البر أو البحر وغير ذلك.
  - كتاب قسم الفيء،
  - كتابالوصايا،
  - كتاب الديات،
  - كتاب النكاح وبه كمية الصداق وكم يدفع منه حاضراً وكم يتبقى، وما يجب على الرجل انفاقه على زوجته وما لا يجب عليه،
  - كتاب الخراج والفيء والجزية،
  - كتاب الإجارة،
  - كتاب الزكاة وعلى من تجب وقيمتها في كل نوع من الحيوان أو الزرع أو المال الثابت والمنقول،
  - كتاب الإجارة،
  - كتاب الهبة،
  - كتاب المزارعة،
  - كتاب القسامة،
  - كتاب الرهون،
  - كتاب الحوالات،
  - كتاب الكفالة،
  - كتاب الوكالة،
  - كتاب المساقاة،
  - كتاب الاستقراض وأداء الديون،
  - كتاب الشركة وبه كل أنواع الشراكة في الأعمال التجارية.

  وزاد عليها صاحب كتاب (الفقة على المذاهب الأربعة) ما يلي:
  - مباحث الوديعة،
  - مباحث العارية،
  - مباحث الهبة.

  ولم يترك الفقهاء شيئاً يخص المال إلا شرّعوا له،
  - **حتى العبيد والإماء اعتبروهم مالاً** وجعلوا لكل واحد قيمته حسب قوته العضلية وإمكانية إنتاجه في سوق العمل، وبالنسبة للجارية فقد قدروا قيمتها بجمالها وعدد أطفالها.

والباب الآخر الوحيد الذي نال قدراً من اهتمام الفقهاء يقرب من اهتماهم بالمال هو الحيض والاستحاضة وعورة المرأة.

فأي اشتراكية في الإسلام التي يتشدقون بها وشوارع السعودية مليئة بالنساء المتسولات، ومدن الإمارات ودول الخليج الأخرى تعج شوارعها كذلك بالمتسولين، والمسلمون في الصومال وموريتانيا والسنغال يحصدهم الفقر؟ وفي مصر التي يعيش بعض مواطنيها في المقابر يملك رجال الأعمال الإسلاميون (الأخوان المسلمون) ملايين الدولارات من البترودولارات السعودية ويستعملونها لخداع البسطاء بإسم الدين ليتمكنوا من الاستيلاء على السلطة.

فإذا تحدث الإسلام عن الاشتراكية فهي اشتراكية نظرية فقط لأن المال هو القلب المحرك للإسلام قديماً وحديثاً.

عودة إلى الفهرس

78 - مَن لا يشك ليس إنساناً

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=111790

الشك هو خلاف اليقين، وهو كذلك صُديع أو كسر صغير في العظم، والعرب تقول **شكّه بالرمح** تعني ثبّته بالرمح. والشكشكة هي السلاح الحاد (القاموس المحيط للفيروزآبادي). فنرى من هذا التعريف أن الشك هو السلاح الحاد الذي يستعمله العقل ليصل إلى اليقين، *وهو الصدع أو الكسر في حائط الإيمان، كالكسر في العظم*. ولذا يقول الفلاسفة إن الشك يقود إلى الإيمان الصحيح. وكل الكائنات الأخرى الحية من حيوان ونبات وميكروبات وطيور وغيرها لا تشك ولا تؤمن وإنما تتصرف بالفطرة التي تمليها عليها جيناتها Gene بما اكتسبته من سلسلة التطور. فالإنسان الذي لا يشك لا ينتمي للجنس البشري وإنما لفصيلة الحيوان أو النبات. والشك لم ينشأ مع الإنسان منذ البداية لأن دماغ الإنسان البدائي كان تقريباً نصف حجم دماغنا الآن ولم يكن يتسع للشك. *ولما اخترع الإنسان البدائي الأديان أصبح مطمئن البال بالتفسيرات الغيبية والسحر وما إلى ذلك ولم يتطرق الشك إليه*. وعندما ازداد الدماغ حجماً وبدأ الإنسان يفكر ويتأمل واستقر في مجتمعات كبيرة وتعلم التفكير، ظهرت الأديان التي تزعم أن الآلهة تعيش في السماء، وظهرت معها الأساطير الدينية التي اخترعها الناس وصدقوها. حاولت هذه الأساطير تفسير الخير والشر فعزت الخير للآلهة الخيريين والشر للآلهة الشريرين الذين، في أغلب الميثولوجيات، تقتلهم آلهة الخير. وبنهاية آلهة الشر كان لابد للشر أن يستمر في العالم فاخترع الإنسان الشيطان ليحل محل الآلهة الشريرين. وبما أن كل الأديان منذ القدم وحتى مجيء الإسلام اعتمدت الأسطورة الميثولوجية كأساس لتفسير العلاقة بين الخير والشر، **استمر الشيطان في احتلال مركزه المهم في دفع الناس إلى ارتكاب الشر.**

وكلمة شيطان مشتقة من اللغات السامية القديمة، من الحروف ش ط ن، وتعني "يتهم". وبظهور الديانة اليهودية وبدء بني إسرائيل تمردهم على موسى، كان لابد لموسى ورجالات دينه من إيجاد وسيلة يثبّتون بها الإيمان في قلوب بني إسرائيل، فاتخذت كلمة "شيطان" في اللغة العبرية معنى Advocate وتعني "مناصر" أو "مؤيد" أو "محامي". فكان كل من يشك في شيء قاله موسى يصبح محامي الشر والمدافع عنه ، أي يصبح شيطاناً.

وجاءت المسيحية مكملة لليهودية فثبّتت مفهوم الشيطان الذي يدفع الإنسان للشك ولفعل الشر. وبمجيء الإسلام أصبح الشيطان قبيلة كاملة تنقسم إلى عدة بطون منها الجن، المسلم والكافر، ومنها إبليس وأهله. *وأصبح أي تفكير في أمور الدين وحياً من الشيطان الذي يجب أن يستعيذ منه المسلم*. ولكن الشك تطور مع تطور الدماغ البشري وأصبح ملازماً لكل ذي عقل. ولذلك شك الأنبياء أنفسهم في رسالاتهم. فنجد إبراهيم مثلاً شك في وقتٍ من الأوقات وطلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، فقال له ربه: ألم تؤمن؟ فقال: بلى. ولكن ليطمئن قلبي. فاطمئنان القلب يتساوى مع الإيمان. **فكل من يؤمن بدين إيماناً صادقاً يتحتم عليه أن يتقبل كل شيء فيه بدون تفكير كي لا يتطرق الشك إلى قلبه، أي كي لا يوسوس له الشيطان كما يقول المسلمون.**

ومحمد نفسه قد عرف الشك في بداية رسالته وكاد أن يُلقي بنفسه من على قمم الجبال بعد موت ورقة بن نوفل وتوقف الوحي، حتى أتاه جبريل وطمأنه بأنه رسول الله. وخامره بعض الشك وكاد أن يذعن إلى الكفار فخاطبه ربه:

> {**فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين.** (يونس 94)}.

ويبدو أن شك محمد لم يزل يراوده فكرر القرآن عليه نفس الآية في آل عمران 60. ثم قال له:

> {**والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين.** (الأنعام 114)}.

وكذلك قال له:

> {**وإن كادوا ليفتنوك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلاً.** (الإسراء 3)}.

ولأن محمد قد عرف الشك بنفسه، فقد أتى بعدة أحاديث عن الشيطان الذي يسبب الشك. يقول ابن باز:

> "كما ثبت في الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن كل إنسان معه قرين من الملائكة وقرين من الشياطين حتى النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن الله أعانه عليه فأسلم فلا يأمره إلا بخير"[1].

وهذا الحديث يثبت أن كل إنسان، حتى الأنبياء، يخامرهم الشك في وجود إله في السماء. ولأن الشيطان هو الذي يسبب الشك، فقد حاول النبي قتله حتى يتخلص المسلمون من شكوكهم. روى النسائي على شرط البخاري عن عائشة:

> "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي فأتاه الشيطان فأخذه فصرعه فخنقه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [**حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة سليمان لأصبح موثقا حتى يراه الناس**]"[2].
>
> وطبعاً لم يكن بمقدور محمد قتل الشيطان لأن الشيطان هو الفكر والتأمل.

ويظهر أثر فشل محمد في قتل الشيطان في استمرار الشك في عقول أصحابه، فعندما سمع أبي بن كعب رجلاً يقرأ القرآن بغير ما تعلمه هو من رسول الله، أخذ الرجل إلى محمد وقال له إن هذا الرجل يقرأ بغير ما أقرأ وزعم أنه تعلمها منك. فطلب النبي من الرجل أن يقرأ، فقرأ، فقال النبي: هكذا نزلت. ثم طلب من أبي بن كعب أن يقرأ، فقرأ، فقال: هكذا نزلت. فشك أبي بن كعب فيما قاله محمد، وقال:

> "فوجدتُ في نفسي وسوسة الشيطان، حتى احمرّ وجهي. فعرف ذلك رسول الله (ص) في وجهي، فضرب بيده في صدري، ثم قال: اللهمّ أخْسئ الشيطانَ عنه"

فمحمد قد عرف أن أي تفكير منطقي فيما أتى به قد يقود الناس إلى نكرانه، ولذلك طلب من الله أن يعيذ أبي بن كعب من الشيطان، أي من التفكير. وشك كذلك عبد الله بن أبي سرح، كاتب الوحي، وارتد عن الإسلام بسبب شكوكه. ولأن الشك دائماً في السر حتى لا يطلع عليه الآخرون، جاء القرآن بآيات مثل {**يعلم السر وأخفى. (طه 7)**}. ولما أحتج المسلمون أن الله يعلم سرائرهم ويحاسبهم بها حتى إن لم يعملوا بما أسروا، أتاهم محمد بحديث يقول:

> [**إن الله تجاوز عن أمتي ما حدَّثَتْ به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم**][3].

فالذي يفكر ولكن لا يعمل بما توصل إليه ولا يتحدث به للآخرين، أي يشك ولكن لا يُظهر شكه للآخرين، قد يغفر له الله ذلك. ثم، حتى يقطع الشك باليقين، قال لهم بعد غزوة تبوك:

---

[1] فتاوى بن باز، ج3، ص 253.
[2] نفس المصدر، ص 251.
[3] فتاوى بن باز، ج7، 54.

[وخَيْرُ مَا وَقَرَ فِى القُلوبِ اليَقِينُ، والارْتيابُ مِنَ الكُفْرِ][4]

فالتفكير أصبح كفراً.

وكل هذا الاحتياط لم يمنع كبار المسلمين من الشك ولكنهم لم يظهروا شكهم مباشرةً وإنما جعلوه في شكل محاورة بين الله وإبليس، إذ يقول إبليس إن الله علم قبل خلقي أي شيء يصدر عني ويحصل مني فَلِمَ خلقني أولاً؟ وما الحكمة في خلقي؟ [5]

فإذاً إبليس، أي الشك نفسه، يتشكك في حكمة خلقه والله كان يعرف أنه سوف يُضل الناس. وأصبح الشك في المفهوم الإسلامي هو الشيطان وإبليس والوسوسة في القلوب، التي يستعيذ منها المسلم. حتى الشهوة الجنسية ساووها بالشك وجعلوها من الشيطان الذي يوسوس للرجل والمرأة:

(ما اختلى رجلٌ بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما).

والعالم والفقية ابن العربي كان معروفاً بشكوكه الكثيرة في موضوع الدين الإسلامي، ولكنه كان يخشي أن يصرح بهذه الشكوك لأن الشك كفرٌ، فاتخذ محاورته مع إبليس وسيلة لإظهار شكوكه. يروي عبد الحي بن أحمد الدمشقي، في كتابه "شذرات الذهب (ج2، ص 185)":

"وقال الشيخ الكبر محي الدين محمد بن عربي الحاتمي الطائي رأيت إبليس فعرفته وعرف أنى عرفته فجرى بيننا كلام ومذاكرة كان من آخره أن قلت له لِمَ لَمْ تسجد لآدم فقال غيرةً مني عليه (يقصد الله) أن أسجد لغيره، فقلت هذا لا يكفيك بعد أن أمرك، وأيضاً فآدم قبلة والسجود له (لله) تعالى. ثم قلت له وهل تطمع بعد هذا في المغفرة فقال كيف لا أطمع وقد قال تعالى {ورحمتي وسعت كل شيء} قال فوقفت كالمتحير ثم تذكرت ما بعدها فقلت إنها (المغفرة) مقيدة بقيود قال وما هي (القيود) قلت قوله تعالى بعدها {فسأكتبها للذين يتقون} الآية، قال فضحك وقال والله ما ظننت أن الجهل يبلغ بك هذا المبلغ أما علمت أن القيد بالنسبة إليك لا بالنسبة إليه؟ قال فو الله لقد أفحمني وعلمت أنه طامع في مطمع".

فابن العربي، رغم شكوكه، يطمع في مغفرة الله، لأن عقله لم يصل مرحلة اليقين بعدم وجوده.

ولأن الخوارج كانوا بالعراق وقد كادوا أن يفتنوا الناس عن *إسلامهم بزراعة الشك في عقولهم بمنطهم القوي*، أتى أهل الحديث بحديث عن النبي يقول:

[إذا كان سنة خمس وثلاثين ومائة خرج مردة الشياطين كان حبسهم سليمان بن داود عليهما السلام في جزائر البحور فذهب منهم تسعة أعشار إلى العراق يجادلونهم وعشر بالشام][6].

وعلماء العراق كانوا معروفين باختلافهم عن علماء المدينة، ولذلك جعلهم أهل الحديث من أتباع الشياطين الذين استقروا في العراق.

وأوردوا حديثاً آخر عن النبي يمنع التفكير في الاحتمالات العديدة للموضوع باستعمال الحرف "لو" لأن استعمال "لو" يتيح للشخص تقليب كل الاحتمالات قبل أن يتخذ قراراً، وحتى بعد أن أتخذ القرار وبدأ يفكر في الاحتمالات الأخرى، فقالوا:

"ومِن ذلك نهيه صلى اللَّه عليه وسلم عن قول القائل بعد فواتِ الأمر: (لَو أنِّى فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا) وقال: [إنَّ **(لو) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**]" [7]

و"لو" هي بداية الشك.

وقد عرف عدد غير قليل من خاصة **المسلمين أن الشيطان ما هو إلا التفكير** ولذلك حاولوا منع العامة منه، ويُروى أن عمير بن الحصين النجراني، وقد كان زعيم نجران عندما كانوا نصارى، قال لهم حينما ارتدوا بعد موت النبي:

"إنكم لأن تزدادوا من هذا الأمر أحوج إلى أن تُنقصوه، فإنّ في الافتكار الشك بعد اليقين، فدينكم اليوم دينكم، فكونوا عليه حتى تخرجوا به إلى رضا الله تعالى ونوره" [8].

فهذا الرجل الحصيف عرف أن التفكير يقود إلى الشك، والشك يزعزع قواعد الإيمان، فنهاهم عنه.

وكذلك يقول القنوجي في أبجد العلوم، ج1:

"إنّ تدوين المذاهب المختلفة بأدلتها واعتراضاتها أورث الناس داءً عضالاً من الحيرة والشك في القديم، ورفع الأمان عن الجديد، فالعامة بين متعصبٍ للتقليد لا يميز القريب من البعيد، ومذبذبٍ حائرٍ في الحق السديد".

فالتدوين قد أتاح الفرصة حتى للعامة للاطلاع على ما خفي عليهم من أمور الدين، فأورثهم داء الشك، **ذلك الداء العضال الذي يصعب علاجه بمجرد دخوله عقل المؤمن.**

وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي (ت. 239 هجرية):

"يسيرُ اليقين (أي بسيطه) يُخرجُ الشكَ من قلبك، ويسيرُ الشك يخرج اليقين كله منه" [9].

وهذه المقولة تلخص حال المؤمنين بأي دين. فالإيمان الموروث عن الوالدين منذ الطفولة، إيمان لا يسنده عقلٌ ولا منطق، ولذلك قليل من التفكير يدخل عليه قليلاً من الشك الذي يخرجه كله من القلب. أما إذا أتى الإيمان بعد البلوغ ونتج عن اعتناق الدين بعد تفكير وتمحيص ودراسة لكل المعتقدات الأخرى ثم اختيار ما يراه الشخص مقنعاً عقلياً، وقتها لا يؤثر الشك "الشيطان" في ذلك الإيمان.

ولهذا السبب قال الله، كما جاء في القرآن، للشيطان عندما طرده من الجنة وقد هدد الشيطان بضلال كل الناس، قال له: {**إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان**}. وعباده المقصودون هم الذين ورثوا الإيمان أباً عن جد دون أي تفكير أو تمحيص، فمثل هؤلاء العباد لا يزعجهم الشيطان إطلاقاً لأنهم لا يفكرون.

فالشيطان الذي جعله المسلمون يأكل العظام ويعيش في البالوعات القذرة ويأمر المسلمين بكل الشرور والمعاصي، هو الفكر والعقل. فإذا كان بعض الناس يعتقد أن الشيطان لا يعيش إلا في المجاري والبالوعات، فهم يصفون الأماكن التي يصل إليها تفكيرهم.

عودة إلى الفهرس

[4] زاد المعاد لابن قيم الجوزية، ج3، ص 294.

[5] الملل والنحل للشهرستاني، ص 11.

[6] تاريخ دمشق لابن عساكر، ج1، ص 159.

[7] زاد المعاد لابنقيم الجوزية، ج2، ص 202.

[8] الإصابة في تعريف الصحابة لابن حجر العسقلاني، ج5، حرف العين.

[9] البداية والنهاية لابن كثير، ج10، ص 351.

79 - الجنة وما أدراك ما الجنة

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=112276

عندما عرف الإنسان الأفعال التي تفيد المجموعة البشرية حوله وأسماها "خير" والأفعال التي تضر أو تؤذي الغير وأسماها "شر"، كان لابد له من ابتكار **وسيلة** يشجع بها الآخرين على الإكثار من عمل الخير والابتعاد عن الشر، **فاخترع الإنسان الأديان وجعل الآلهة مسؤولين عن ثواب من يفعل الخير وعقاب من يفعل الشر**. ولكن لم يكن في مقدور الإنسان أن يجعل الثواب أو العقاب الإلهي سريع الحدوث *لأنه لاحظ أن الذين يرتكبون الافعال الشريرة يهابهم الناس ويصبحون هم أصحاب الأمر والنهي*، ولذلك كان لابد له من أن يفكر في عقاب في العالم الأخر أو الحياة الثانية بعد الموت. وظهرت في جميع الميثولوجيات (الأساطير) الدينية القديمة فكرة عقاب الأشرار بحرقهم بالنار في وادي سحيق في العالم الأخر، ومكافأة المحسنين بإدخالهم حدائق جميلة مليئة بالفواكه واللحوم وكل ما لذ وطاب .وظهرت فكرة هذه الحدائق في الميثولوجيا الهندية والفارسية وتخيلوا هذه الحدائق بصورة الحدائق الملكية في المملكة الفارسية والتي كانت عبارة عن حدائق شاسعة ومسورة ومليئة بالحيوانات التي كان الملوك يصطادونها كنوع من التسلية. وقد جعلت الميثولوجيا الدينية الفارسية هذه الحدائق الإلهية في السماء وكانت تعرف ب Bihisht وتعني في اللغة الفارسية القديمة "الدنيا الأحسن " The Better Land.وجعلوا فيها Paries أي أرواح براقة جميلة لتأسر قلوب الرجال.[1]

ثم أخذت اليهودية هذه الفكرة وجعلت تلك الحديقة أو الجنة في عدن، وهي المكان الذي خُلق فيه آدم وحواء. وتقول الميثولوجيا اليهودية إن جنة عدن بها شجرة الخلود وشجرة العلم وبها أربعة أنهار، منها دجلة والفرات.

- وعندما جاء الإسلام لم يكتف بفكرة جنة عدن والأشجار والأنهار، فزاد عليها وجعل الجنة في السماء، وجعل عرضها السموات والأرض:

{وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنةٍ عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين. (آل عمران 133)**}.**

وحتى يؤكد القرآن أهمية الجنة، لم يكتف بالمسارعة إليها بل طلب من المؤمنين أن يتسابقوا إليها، فقال:

{سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنةٍ عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. (الحديد 21)**}.**

وتؤكد هذه الآية الأخيرة أن الجنة **فضلٌ** من الله يؤتيه من يشاء. وسوف نتحدث عن هذا الفضل لاحقاً.

وكما في اليهودية نجد في الإسلام **أن** الجنة موجودة فعلياً في الوقت الراهن لأن آدم قد خُلق في الجنة ثم أنزله الله منها عندما عصاه. والقرآن يؤكد ذلك بقوله {**عرضها السموات والأرض**}. فالجنة أكبر من أن تكون في الأرض. ثم أن محمد عندما أُسري به إلى السماء ومر بالجنة سأل جبريل أن يريه الباب الذي سوف يدخل منه المسلمون

"عن أبي هريرة قال قال رسول الله (ص) بينما جبريل يطوف بي أبواب الجنة قلت يا جبريل أرني الباب الذي تدخل منه أمتي قال فأرانيه."[2]

وقيل إن روح المؤمن عندما يموت تتعلق أشجار الجنة

"روى عبد الله عن أبيه (الإمام أحمد بن حنبل) أنه قال قد روى عن رسول الله أنه قال نسمة المؤمن إذا مات طير تعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه."[3]

وكذلك عندما قُتل أصحاب بئر معونة في السنة الرابعة للهجرة،

"قال أنس: فأنزل الله في الذين قتلوا ببئر معونة قرآناً قرأناه حتى نسخ [بلغوا عنا قومنا إنا قد لقينا ربنا فرضى عنا و رضينا عنه]."[4]

وقال عنهم محمد إن أرواحهم صارت في طير أخضر يطير في الجنة.

"ولما قُتل جعفر بن أبي طالب في واقعة مؤته، قال محمد للمسلمين: [**استغفروا له فإنه دخل الجنة وهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث يشاء من الجنة**]"[5]

فالجنة بالنسبة للمسلمين موجودة الآن وهي في السماء، وتتحدث مع الله

"قال أنس بن مالك قال رسول الله [**خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده فقال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون**]"[6].

ولكن الآن تواجهنا مشكلة عويصة: وهي أن الجنة التي في السماء الآن، عرضها كعرض السموات والأرض مجتمعتين. وكل شيء مستطيل عرضه أقصر من طوله، فنستطيع أن نقول إن طولها يفوق طول السموات والأرض. والسماء، كما نعلم ماهي إلا فضاء لا متناهي تدور فيه النجوم والأفلاك والأرض. وما دام الفضاء أي السماء غير متناهي، فهو لا طول له ولا عرض. فأين إذاً هذه الجنة التي عرضها يفوق السموات والأرض؟ولا غرو أننا نحتاج إلى جنة بهذه المقاييس لأن عبد الله بن قيس روى عن أبيه

"قال قال رسول الله: [**إن للعبد المؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلاً، للعبد المؤمن أهلون فيطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضاً**]." أخرجه البخاري.[7]

فإذاً الجنة مليئة بخيام من اللؤلؤ طول كل خيمة 60 ميلاً. فإذا قدّرنا أن عدد المؤمنين سوف يبلغ المليارات عندما تقوم القيامة، ولكل واحد خيمة، فالجنة لابد أن تكون أوسع من الأرض.

- ونأتي الآن إلي مشكلة عويصة اختلف فيها الفقهاء، وما زالوا يختلفون، وهي: **مَنْ الذي يدخل الجنة؟**

ورغم أن السؤال في حد ذاته *فيه نوع من التعدي على سلطات الله*، لأنه يقول لنا في القرآن عندما تحدث عن الجنة: {ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء} إلا أن الفقهاء أخذوا على عاتقهم تحديد الذين سوف يدخلون الجنة، والمغضوب عليهم والذين لن يشموا رائحتها. يقول ابن حزم الأندلسي في كتابه ‹الفصل في الملل والأهواء والنِحل›:

---

[1] Ibn Warraq: The Origins of the Koran, p 280.

[2] البغدادي، تاريخ بغداد، ج3، ص 54.
[3] شذرات الذهب للدمشقي، ج2، ص 203.
[4] السيرة النبوية لابن حبان، ص 98.
[5] تاريخ الإسلام للذهبي، ص 9.
[6] الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن قيم الجوزية، ص 36.
[7] فتاوى النساء للشيخ متولي الشعراوي، ص 176.

"وأما الجنة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة] والحيوان، حاشا مَن ذكرنا، لا يقع عليهم اسم مسلمين لأن المسلم هو المتعبد بالإسلام والحيوان المذكور غير متعبد بشرع." (ص 65).

فاليهود والنصارى لا مكان لهم في الجنة، وقد نفهم هذا لأنهم من ملة غير **ملة المسلمين الذين يستحوذون على الحقيقة المطلقة،** ولكننا لا نفهم كيف لا يدخل الحيوان الجنة والقرآن يقول:

{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً. (الإسراء 44)**}.**

فلا بد أن الحيوان مشمول في "كل شيء" يسبح لله. ثم أن المؤمنين في الجنة لا يمكن أن يعيشوا على الفواكه والعسل واللبن والخمر، فلا بد لهم من لحم، ومن المنطقي أن يكون في الجنة حيوانات تجود لهم بهذا اللحم. ولكن ربما اعتمد الفقهاء على آية قي سورة الواقعة تقول عن طعام أهل الجنة:

{وفاكهة مما يتخيرون. ولحم طير مما يشتهون. (الآيات 20، 21)**}.**

وربما تكون للفقهاء حجة هنا من أن الله ذكر لحم الطير ولم يذكر لحم الحيوان ولا السمك.

وكان الرسول في حياته قد بشر عشرةً من القرشيين بالجنة، ثم لما هجم عليه القرشيون يوم أحد وهو في عدد قليل من أصحابه، قال َ:

"[مَنْ يَرُدُّهمْ عَنَّا، وَلَهُ الجَنَّةَ]، أو [هُوَ رفيقِى فى الجَنَّةِ]".[8]

وكذلك شهد النبي لأبي سفيان بن حرب بالجنة بعد أن أسلم

"ويقال: إنه ما رفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم حياءً منه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحبه، وشهد له بالجنَّة، وقال: [أرْجُو أنْ يَكُونَ خَلَفاً مِنْ حَمْزَة]، ولما حضرته الوفاةُ، قال: لا تَبْكُوا علىَّ، فواللّهِ ما نطقتُ بخطيئة منذ أسلمتُ".[9]

وكذلك أخبرنا النبي أن الحسن والحسين سيدا شباب الجنة. فالنبي كان **مخولاً** أن يهب الجنة لمن يختار، ولكن أن يحدد الفقهاء مَنْ سوف يدخل الجنة، فأمر يأباه المنطق.

يقول هؤلاء الفقهاء *إن دخول الجنة لا يعتمد على عمل الخير*، رغم أن الميثولوجيات الدينية كلها تقول إن الجنة هي ثواب مَن يعمل خيراً.

"[إنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ ثُمَّ يَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلاَّ ذِرَاعٌ، ثمّ يَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا]. قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ."[10]

ويقول الإمام جلال الدين السيوطي

"وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن الضحاك قال: [إن الله أخرج من ظهر آدم يوم خلقه ذريته، ما يكون إلى يوم القيامة، فأخرجهم مثل الذر ثم قال (ألست بربكم قالوا بلى) قالت الملائكة: شهدنا. ثم قبض قبضة بيمينه فقال: هؤلاء في الجنة. ثم قبض قبضة أخرى فقال: هؤلاء في النار ولا أبالي.]"

فدخول الجنة عملية يانصيب نتائجها معروفة مسبقاً.

أما ابن حزم الأندلسي فيزيد على القول السابق ويؤكد بالمنطق **أن دخول الجنة هبة من الله ولا يعتمد على العمل الصالح،** فيقول:

"قال أبو محمد: وأما قولهم أن دخول الجنة على وجه الجزاء على العمل أعلى درجة وأسنى رتبة من دخولها بالتفضل المجرد، فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق هذا خطأ محض لأننا قد علمنا أن هذا الحكم إنما يقع بين الأكفاء والمتماثلين وأما الله فليس له كفواً أحد ومن كان عبداً لآخر فإن إقبال السيد عليه بالتفضل عليه المجرد والاختصاص والمحاباة أسنى له وأعلى وأشرف لرتبته وأرفع لدرجته من أن يعطيه شيئاً بمقدار ما يستحقه لخدمته ويستخبره إياه، هذا ما لا ينكره إلا معاند فكيف وليس لأحد على الله حق وحينئذ كل ما وهبه الله تعالى لأحد من أنبيائه وملائكته عليهم السلام وكل ما أخبر تعالى أنه أوجبه وكتبه على نفسه وجعله حقاً لعباده فكل ذلك تفضل مجرد من الله عز وجل".[11]

فدخول الجنة فضلٌ من الله لا علاقة له بالعمل الصالح.

ولما جاءت في القرآن الآية التي تقول: {**إن الذين يكنزون الذهب والفضة**} سوف يدخلون النار وسوف يُحمى بالذهب والفضة وتكوى بهه جنوبهم، زاد الفقهاء عليها وقالوا إن الجنة لا يدخلها إلا الفقراء

"قال محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبيه، قال: رأيتُ الجنة وأني دخلتها حبواً، ورأيتُ أنه لا يدخلها إلا الفقراء".[12]

فطوبى للفقراء. وهذا القول يشبه ما أتى به الإنجيل من أن الأغنياء لا يدخلون ملكوت الله حتى يدخل الجمل من سم الخياط.

ولكن المشكلة هنا أن العشرة المبشرين بالجنة في حياة النبي، وقد كانوا معدمين، قد أصبحوا من أصحاب الملايين بعد موته، فكيف يدخلون الجنة وهم أغنياء؟ ثم أن عثمان بن عفان، ذلك الصحابي الثري، كان قد اشترى الجنة من رسول الله مرتين، كما يقول أبو هريرة

"وعن أبي هريرة قال: اشترى عثمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مرتين: يوم رومة، ويوم جيش العسرة".[13]

فالغني يمكنه أن يشتري الجنة. ثم أن أبا داوود قد اشترى الجنة

"أخرج ابن عبد البر بسند جيد عن أبي داود صاحب السنن إنه كان في سفينة فسمع عاطسا على الشط حمد الله، فاكترى قاربا بدرهم حتى جاء إلى العاطس (على الشط) فشمّته (قال له يرحمك الله) ثم رجع، فسئل عن ذلك فقال: لعله يكون مجاب الدعوة، فلما رقدوا سمعوا قائلا يقول: يا أهل السفينة إن أبا داود اشترى الجنة من الله بدرهم".[14]

وما أرخص الجنة.

ثم أن هناك فصائل عديدة من المسلمين لن يدخلوا الجنة، كما جاء في الأثر:

"لا يدخل الجنة قاطع رحم".[15]

ويقول صاحب كتاب (الولاء والبراء في الإسلام)، محمد بن سعيد القحطاني:

"وصلة الرحم واجبة، وإن كانت لكافر، فله دينه وللواصل دينه وقياس النفقة على الميراث قياس فاسد، فإن الميراث مبناه على النصرة والموالاة بخلاف النفقة فإنها صلة ومواساة من حقوق القرابة. وقد جعل الله للقرابة حقاً – وإن كانت كافرة – فالكفر لا يسقط حقوقها في الدنيا" (ص 255).

ولكن هذا الحديث قد يدخلنا في مشكلة عويصة إذ أن النبي إبراهيم قطع رحمه مع أبيه وقال له:

---

[8] زاد المعاد لابن قيم الجوزية، ج3، ص 97.
[9] نفس المصدر، ص 217.
[10] تحفة الأحوذي، كتاب القدر، حديث 1425.
[11] الملل والنحل، ج2، ص 83.
[12] تاريخ الإسلام للذهبي، ص 149.
[13] نفس المصدر، ص 179.
[14] فتح الباري، شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، باب لا يُشمّت العاطس إذا لم يحمد الله.
[15] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إثم القاطع.

"بدت بيننا وبينكم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة"

فهل سوف يدخل إبراهيم الجنة وهو قاطع رحم؟
ويخبرنا أهل الحديث كذلك أن هناك عدة أحاديث عن النبي تقول لن يدخل الجنة من لا يأمنه جاره على أهله، ولا يدخلها مدمن خمر، ولا من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا المتبرجات من النساء. **والنساء أصلاً ليس بينهن مبشرة بالجنة** وقال عنهن الحديث [**لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل الغراب الأعصم**] وهو نادر الوجود.
وهناك بونٌ شاسع بين الفقهاء في مصير الأطفال، وماذا يحدث لهم في الجنة إذا دخلوها. يقول الإمام جلال الدين السيوطي في كتاب (الإتقان في علوم القرآن):

"روى عبد الله بن أحمد في زوائد المسند عن علي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [**إن المؤمنين وأولادهم في الجنة وإن المشركين وأولادهم في النار**] ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم {**والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمانهم ألحقنا بهم ذرياتهم**}".

ويبدو أن العدل الإلهي لا يشمل أطفال الكفار رغم أنهم، كما يقول الفقهاء، رُفع عنهم القلم إلى حين البلوغ.
أما أطفال المسلمين الذين يدخلون الجنة فإنهم لا يكبرون بها، كما يقول الشخ متولي الشعراوي:

"إن الجنة لا ينمو فيها الإنسان كما ينمو في الدنيا، فلا ولدان أهلها ينمون ويكبرون، ولا الرجال ينمون، بل هؤلاء ولدان صغار لا يتغيرون، وهؤلاء أبناء ثلاث وثلاثين لا يتغيرون، فلو كان في الجنة ولادة لكان المولود ينمو ضرورةً حتى يصير رجلاً، ومعلوم أن مَن مات من الأطفال يُردّون أبناء ثلاث وثلاثين من غير نمو" (ص 189).

فماذا يفعل الأطفال وآباؤهم في الجنة، إذ أن الأمهات لا يدخلن الجنة إلا كالغراب الأعصم؟ فقد رأينا أن للرجل خيمة طولها 60 ميلاً وله اثنتان وسبعون حورية وربما زوجتان من أهل الأرض، وسراري كذلك. يقول الشيخ الشعراوي:

"قد روى الترمذي في جامعه من حديث أنس عن النبي (ص) قال: [**يُعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع**] قيل: يا رسول الله أو يطيق ذلك؟ قال: [يُعطى قوة مائة] هذا حديث صحيح، فلعل من رواه يفضي إلى مائة عذراء رواه بالمعنى أو يكون تفاوتهم في عدد النساء بحسب تفاوتهم في الدرجات والله أعلم".[16]

وعن الزهري أن ابن عباس قال:

"إنّ في الجنة نهراً يقال له البيدخ عليه قباب من ياقوت، تحته حور ناشئات. يقول أهل الجنة: إنطلقوا بنا إلى البيدخ، فيجيئون فيتصفحون تلك الجواري فإذا أعجبت رجلاً منهم جارية مس معصمها فتتبعه".[17]

فما دام ليس هناك صلاة ولا صيام ولا تجارة ولا عمل في الجنة، فكيف يقضي هؤلاء الناس أيامهم، خاصة أن اليوم في الجنة ربما يساوي ألف سنة مما نحسب هنا. ثم أن الجنة ليس بها شمس وبالتالي ليس بها ليل ليسكنوا فيه. فلا بد أن حياتهم تتكون من خمر وجنس متواصل لأن الواحد منهم لديه قوة مائة رجل في الجماع. وإذا ملّ من أزواجه فيذهب مع أصدقائه إلى البيدر ليتفرج على الحوريات الناشئات ويمس معصم مَن تستهويه. وإني لأعجب لماذا يتهجم الشيوخ على بنات الهوى في بترينات (واجهات العرض) أمستردام عندما يعرضن أجسادهن للمارة فيلمس أحدهم معصم مَن يريد ويدخل معها إلى غرفتها؟ ربما لأن أغلب الرجال أوروبيين وكفار لا يجوز لهم ما يجوز للمسلم، أو ربما لأن البترينات ليست على نهر البيدخ وإنما على قناة صغيرة في أمستردام؟

ولماذا يصلي المسلم ويصوم وهو يعرف أن دخول الجنة ليس بالعمل وإنما باليانصيب؟

هل يمكن أن يقبل عقل أي شخص محايد أن تكون الجنة وبهذه الأوصاف،
شيئاً حقيقياً يستحق أن يُضحي المسلم بمتعة الحياة الدنيا من أجلها،
وتستحق أن يُضحي شاب في مقتبل العمر بحياته من أجل أن يدخل تلك الجنة؟

عودة إلى الفهرس

[16] فتاوى النساء، ص 176.
[17] نفس المصدر، ص 177.

80 - هل كان محمد مرسلاً لجميع البشر؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=112861

يزعم شيوخ الإسلام أن محمداً كان آخر رسول أرسله الله *وأنه كان مرسلاً لجميع البشر*، فهل هم محقون في هذا الزعم؟ ربما دفعهم لهذا الزعم بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن الناس مثل {ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك م سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيدا. (النساء 79)}. وإذا أخذنا الآية بظاهر القول، فإنها تنم عن أنه مرسل للناس جميعاً، ولكن استعمال كلمة "الناس" في القرآن يختلف عن استعمالها العام. فإذا أخذنا آيات أخرى من القرآن **نجد أن "الناس" تعني مجموعة معينة من البشر وليس جميع من على الأرض**:

{زُين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث. (آل عمران 14)}.

فواضح هنا أن القرآن استعمل كلمة "الناس" ليرمز إلى **الرجال**، فحب الخيل والحرث والنساء من الأشياء التي يقوم بها الرجال دون النساء. فالناس هنا تعني الرجال.

{وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آية. (الفرقان 37)}.

والآية أو المعجزة يكون مفعولها على مَن يشهدها. وقوم نوح وكل الناس والحيوان على الأرض قد أغرقهم الطوفان ولم ينجُ منهم غير نوح وأهل بيته. وسماهم القرآن "ناس" وهم كانوا حفنة لا تتعدى العشرة. فكلمة "الناس" هنا تعني **"مجموعة" من البشر** في ذلك الوقت لأن الناس الذين أتوا بعد الطوفان لم يشهدوا المعجزة ولذلك لم تكن لهم آية، فالذين شهدوها هم أهل نوح فقط، والقرآن سماهم "ناس". أما الذين شهدوها وماتوا في الطوفان لم يكن الطوفان لهم آية لأنهم ماتوا ولم يتعظوا بالآية، والقرآن يقول إن الله جعل الذين ماتوا آيةً.

{فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ. وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُم مُجْتَمِعُونَ. (الشعراء 38، 39)}.

والحديث هنا عن **قوم فرعون** عندما جمعهم ليروا السحرة. ومن المؤكد أن قوم فرعون الذين جمعهم في عاصمته "طيبة" ليروا السحرة **لم يكونوا يمثلون كل الناس في مصر**، ناهيك عن كل الناس في العالم، ومع ذلك قال عنهم القرآن {وقيل للناس هل أنتم مجتمعون}.

{ولقد آتينا موسى الكتاب بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون. (القصص 43)}.

فموسى كما هو **معروف كان مرسلاً لبني إسرائيل فقط**، ولم تشمل رسالته حتى أهل مصر، ومع ذلك قال القرآن إن كتاب موسى كان بصائر للناس. **فالناس هنا تعني مجموعة بني إسرائيل فقط**.

والقرآن كان أكثر وضوحاً عندما خاطب محمد فقال له:

{وهذا كتاب أنزلناه مباركٌ مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها. (الأنعام 92)}.

فمهمة الرسول هنا واضحة: لينذر **أم القرى** (مكة) والذين حولها، وليس لإنذار جميع مَن بالأرض.

ثم قال له:

{فلا تدعُ مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين. وأنذر عشيرتك الأقربين. (الشعراء 213، 214)}.

فواضح أن مهمة محمد كانت إنذار **عشيرته** أي قريش ثم الأعراب حول مكة.

ويقول القرآن:

{هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين. (الجمعة 2)}.

والأميون هم مَن ليس لهم كتاب مثل كتاب اليهود. فإذاً القرآن يقول إن الله بعث في **الأميين** (قريش) رسولاً منهم ليزكيهم ويعلمهم الكتاب. فهو حتماً لم يكن مرسلاً لليهود لأنهم غير "أميين" ولم يكن مرسلاً لبقية الناس بالعالم لأن أغلب الناس في ذلك الوقت كانوا مسيحيين أهل كتاب بسبب اعتناق الامبراطورية الرومانية للمسيحية. فإذاً القرآن استثنى غير الأميين، وهم النصارى واليهود.

وبكل وضوح يقول القرآن:

{ويقول الذين كفروا لولا أُنزل عليه آيةٌ من ربه إنما أنت منذرٌ ولكل قومٍ هاد. (الرعد 7)}.

وليس هناك أكثر وضوحاً من أن يقول القرآن لمحمد أنت منذر فقط **للذين كفروا**، أي قريش، ولكل قوم أو أمة هاد مختص بهم.

ولعل شيوخ الإسلام قد تشبثوا بالآية التي تقول:

{وما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيراً ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون. (سبأ 28)}.

وكلمة "كافة" التي قدّمها القرآن على كلمة "الناس" قد تعني الجمع ولكنها كذلك تعني "الكف" أي أن تكف الناس أو تمنعهم عما هم فيه من كفر، كما يقول القرطبي في تفسير الآية.

وعلى كل حال، فقد **ثبت** لنا أن كلمة "الناس" في القرآن قد تعني قريش أو قوم فرعون أو أي مجموعة صغيرة من الناس. فالمعنى المنطقي لهذه الآية هو أن الإله أرسل محمد لكل الأعراب حول مكة أو لكف ونهي الأعراب عن كفرهم.

والقرآن نفسه يؤكد لنا ما نقول، فهو يقول:

{وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم. (إبراهيم 4)}.

فإذاً لا بد أن يكون الرسول متحدثاً بلسان مَن أُرسل إليهم حتى يبين لهم الرسالة. ويؤكد القرآن هذا المعنى بقوله:

{نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين. (الشعراء 193 - 195)}.

فمهمة محمد كانت أن يكون منذراً للعرب بلسان عربي مبين. فمن غير المعقول أن يكون الإله قد أرسله لينذر الصينيين بلسان عربي مبين.

ولتأكيد المعنى أكثر، يقول القرآن:

{ولو نزلناه على بعض الأعجمين. فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين. (الشعراء 198، 199)}.

فهل نطلب وضوحاً أكثر من هذا؟ القرآن نفسه أكد لنا أن القرآن العربي المبين لم يكن المقصود به الأعجمين الذين لا يفهمون اللغة العربية وإنما قُصد به الأعراب، أهل اللغة العربية. ولو أنزله الإله على الأعجمين باللغة العربية لما آمنوا به. ولا بد أن يكون الإله أعلم بالناس من شيوخ الإسلام.

ولزيادة التوكيد على أن محمد كان رسولاً للأعراب فقط، يقول القرآن:

{**ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فُصلت آياته.** (فُصلت 44)}.

فلو كان الإله قد أرسل محمد إلى قريش بقرآن أعجمي، أي بغير لغتهم، لقالوا: هل تفصل لنا آياته، بمعنى هل تشرحها لنا لنفهم معناها.

فإذا كان الإله لم يُنزل القرآن على قريش بلغة غير لغتهم، وهم أقليه بالنسبة لكل سكان العالم، لأنهم لن يفهموا الرسالة، هل من المعقول أن يرسل رسولاً عربياً بقرآن عربي لكل أهل الأرض الذين يتحدثون أكثر من ست آلاف لغة؟

وتظهر أهمية اللغة في الرسالة الإسلامية في كون أن الأنبياء السابقين كانت لديهم معجزات طبيعية مثل شق البحر وإنزال المن والسلوى وإحياء الموتى، *بينما محمد لم تكن له أي معجزة غير القرآن الذي فاخر الإله بلغته وصياغته وتحدى المشركين أن يأتوا بسورة مثله*، لأن لغته كانت تُعتبر معجزة في البلاغة. فكيف يجوز أن يرسل إله عالم بكل شيء كتاباً بالعربية في غاية الرصانة اللغوية، **لدرجة أن العرب أهل اللغة لم يفهموه جيداً واحتاجوا تفسيراً له**، ثم يطلب من جميع أهل الأرض الذين لا يتحدثون تلك اللغة أن يقتنعوا بجمال تلك اللغة القرآنية فيؤمنوا بالرسالة دون أي معجزات أخرى كمعجزات موسى، مثلاً؟

والإله أو مَن كتب القرآن كان فخوراً جداً بأن القرآن نزل باللغة العربية، فقال:

{**إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون.** (يوسف 2)}.
{**كتابٌ فُصلت آياته قرآناً عربياً لقومٍ يعلمون.** (فُصلت 3)}.
{**إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون.** (الزخرف 3)}.
{**ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة وهذا كتاب مصدق لساناً عربياً لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين.** (الأحقاف 12)}.
{**وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً وصرفنا فيه من الوعيد.** (طه 113)}.
{**فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً.** (مريم 97)}.
{**فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون.** (الدخان 58)}.
{**ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآناً عربياً غير ذي عوج لعلهم يتقون.** (الزمر 27)}.

فهل بعد كل هذا التوكيد والافتخار باللغة العربية، يكون الإله قد أرسل محمداً لجميع سكان العالم وخاطبهم بلغة لا يفهمونها؟

والدليل على أن الإله لم يقصد من رسالة القرآن أن تكون رسالة لجميع البشر هو ما نراه الآن في عالمنا، فالمسلمون العرب الذين يتحدثون العربية الدارجة ولا يفهمون الفصحى التي أتى بها القرآن، يبلغ عديدهم حوالي ثلاثمائة مليون، بما فيهم النساء والأطفال، وأكثر من نصف هؤلاء القوم أميون لا يعرفون الكتابة والقراءة ولا يفهمون القرآن.

وبقية المسلمين الأخرين في العالم والبالغ عديدهم حوالي مليار من البشر، لا يتحدثون العربية ويحفظ بعضهم القرآن عن ظهر قلب دون أن يفقه معناها، فيؤكد قول القرآن {**كالحمار يحمل أسفاراً**}. وخير مثال على هؤلاء المسلمين ما نجده في **باكستان**. فهم أكثر المسلمين تشدداً في إسلامهم وأكثرهم عنفاً وإرهاباً بسبب سوء فهمهم للقرآن العربي المبين.

هل كان هذا قصد الإله من إرسال محمد برسالة القرآن العربي حتى يحفظه الناس عن ظهر قلب دون أي فهم للمعنى؟

ثم أن الإله العالم بجميع أحوال العالم أرسل أكثر من 124000 نبي ورسول، كما تقول بعض المصادر الإسلامية، فلو كان رسولٌ واحد يمكن أن ينشر رسالته على جميع أهل الأرض، ألم يكن الإله مبذراً ومسرفاً بإرسال كل هذا العدد من الأنبياء والرسل لمجموعة صغيرة من الناس محصورة في بقعة من الأرض لا تتعدى المئات من الكيلومترات؟ ألم يكن في مقدوره أن يرسل رسولاً واحداً لكل الناس، وكان عددهم ضئيلاً يوم بدأت الرسالات، ويريحنا ويريح نفسه من كل هذا الاختلاف في الديانات وكل هذا القتل والدمار بسبب اختلاف المعتقدات؟ مجرد سؤال أرجو أن نجد الإجابة عليه.

عودة إلى الفهرس

2007 / 10 / 28

81 - فهمي هويدي ودروس في الكراهية

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=113582

الأستاذ فهمي هويدي الذي تنم كتاباته عن *كراهيته المطلقة لكل ما هو غير إسلامي*، اختار أن يقدم لنا درساً، مبني على معلومة مبهمة لم يبين لنا مصادرها، *في كراهية الغرب للإسلام*. فقد نشر السيد هويدي مقالاً مطولاً في صحيفة الأهرام المصرية بعنوان "درس في الكراهية والكيد" بتاريخ 22 أكتوبر (تشرين الأول) عن إشاعة سمعها تقول إنّ المحافظين الجدد بأمريكا ينوون عقد ندوات بمائتي جامعة أمريكية للتحريض ضد الإسلام، او "الشيطنته"،

- فبدأ مقاله بالآتي:

> "أغلب الظن أنها ليست مصادفة، أن تنظم في مائتي جامعة أمريكية هذا الأسبوع حملة لشيطنة المسلمين، في حين تسعي إسرائيل لاستصدار قرار من الأمم المتحدة يطالب الدول الأعضاء بمنع أي حركة إسلامية من المشاركة في الإنتخابات بدعوي أنها عنصرية وإرهابية." انتهى

- وبما أن الخبر الذي سمعه السيد هويدي ما هو إلا إشاعة ويقع ضمن **نظريات المؤامرة** التي يؤمن بها الإسلاميون كما يؤمنون بالحديث، تكرم هو بنفسه

- وقال:

> "لا أعرف إلي أي درجة يمكن أن يؤخذ هذا الكلام علي محمل الجد نظرا لشذوذه وغرابته. لكننا لا نستطيع أن نكذبه أو نتجاهله لسببين، أولهما أن الأخبار التي نقلته شبه مؤكدة" انتهى

- ولا بد أن السيد هويدي ملم بالآية التي تقول: {**وما يتّبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئا. (يونس 36)**}. ومع ذلك فقد بنى مقاله على الظن دون أن يعرف، أو إن عرف، دون أن يخبرنا بالمصدر الذي استقى منه هذه المعلومة التي لا يعرف حتى هو على أي محمل من الجد يحملها. ولكنه لا يستطيع أن يُكذّب الإشاعة لسببين:

- أولهما أن الأخبار التي نقلته شبه مؤكدة. فما دامت الأخبار شبه مؤكدة، أي لم تتأكد بعد، لماذا إذاً الاستعجال وإلقاء الدروس في الكراهية يوم 22 أكتوبر مع أن اسبوع الندوات الأمريكية، كما يقول السيد هويدي هو من يوم 22 إلى يوم 26 أكتوبر. أما كان الأجدر بالسيد هويدي أن يقطع الشك باليقين وينتظر أربعة أيامٍ حسومة حتى تنتهي الندوات ويعرف ما قيل فيها قبل أن يستبق الأمور ويعتمد على الظن والتخمين؟ ولكن يبدو أن الإسلاميين قد أصبحوا مغرمين **بالضربات الاستباقية** بعد أن عانوا منها في أفغانستان والسودان.
- والسبب الثاني الذي قدمه لنا السيد هويدي أغرب من الأول،

- فقال:

> "وثانيهما أننا نعيش زمنا انقلبت فيه أوضاع كثيرة، حتي بات المستحيل ممكنا والشاذ والمستغرب واقعا مقبولا.. وهو مايستدعي إلي أذهاننا مقولات السابقين عن علامات الساعة الصغري، التي من بينها انقلاب الأوضاع رأسا علي عقب، بحيث تلد الأمة ربتها". انتهى

- والسيد هويدي من أتباع السلف الصالح الذين يثقون بالبخاري أكثر من ثقتهم بالقرآن، فهو يستدل **بعلامات الساعة الصغرى** التي أكثر من ذكرها البخاري وأبو هريرة رغم أن القرآن يقول:

> {**يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لاتأتيكم إلا بغتةً.** (الأعراف 187)}.

وقال كذلك:

> {**قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتةً.** (الأنعام 31)}

وفي نفس السورة:

> {**حتى إذا فرحوا بما أتوا أخذتهم بغتةً فإذا هم مبلسون.** (44)}.

فإذا كرر القرآن في أكثر من عشر آيات أن الساعة تأتي بغتةً، يكون من الغباء إعطاء الناس علامات صغرى بقرب حدوثها ثم علامات كبرى بأنها أوشكت أن تأتي. فالذي يتوقع حدوث شيء ما لا يباغت وقت حدوثه. فليس هناك علامات ساعة صغرى ولا كبرى لأنها تأتي بغتةً. أما استشهاده بأن الأَمَة تلدُ ربتها، فلو كانت هذه علامة من علامات الساعة، كما يظن، لقامت الساعة منذ أيام الدولة العباسية التي كثر فيها الخلفاء الذين استسروا بالإماء فولدن لهم بناتاً وصبياناً أصبحوا فيما بعد خلفاء، أي ولدت الأَمَة ربتها وربها. بل لأتت الساعة من أيام الخلافة الراشدة عندما اشترى علي بن أبي طالب أَمَة وولدت له

> "ثم خرج خالد(ابن الوليد) من المصيخ فبدأ بالثنيّ فبيت أهله وسبى وبعث بخمس اللّه إلى أبي بكر فاشترى عليّ بن أبي طالب رضي اللّه عنه الصهباء ابنة ربيعة بن بجير فاتخذها (أمةً) فولدت له".[1]

وحدث نفس الشيء في الخلافة العثمانية. فهاهي الأمة قد ولدت ربتها مئات المرات، فأين هي الساعة؟

- ثم يقول السيد هويدي:

> "وقد تبني الحملة واحد من متعصبيهم المهووسين، اسمه ديفيد هورويتز، مؤلف كتاب فن الصراع السياسي وصاحب المواقف المشهودة ضد الأمريكيين السود (قال إنهم يجب أن يشعروا بالامتنان للعبودية التي نقلتهم من مصيرهم البائس في أفريقيا ونقلتهم إلي نور الحضارة في الولايات المتحدة". انتهى

- ومن الغريب حقاً أن يصبح السيد فهمي هويدي فجأةً مدافعاً عن الأمريكان السود *ولم ينطق ببنت شفة عن العبيد الذين أذلهم الإسلام وجعلهم كالبهائم لا قصاص فيهم*

> "والصواب كما يقتص من النفس أن يقتص من الجرح، فهذه هي حال العبيد مع الأحرار. وأما حال العبيد بعضهم مع بعض، فإن للعلماء فيهم ثلاثة أقوال: أحدها أن القصاص بينهم في النفس وما دونها، وهو قول الشافعي وجماعة، وهو مروي عن عمر بن الخطاب، وهو قول مالك. والقول الثاني أنه لا قصاص بينهم لا في النفس ولا في الجرح وأنهم كالبهائم، وهو قول الحسن وابن شبرمة وجماعة".[2]

فالذي بيته من زجاج لا يجوز له أن يلقي الحجارة على بيوت الأخرين.

- ويستمر السيد هويدي فيقول:

---

[1] المنتظم في التاريخ لابن الجوزي، ج4، ص 46.

[2] بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد القرطبي، ج2، باب القصاص.

"ومن بين المطبوعات التي أعدت للتوزيع علي طلاب الجامعات صورة لمسلمة محجبة يجري دفنها تمهيدا لرجمها، أرادوا بها أن يدللوا علي وحشية المسلمين في تعاملهم مع النساء، ولم يذكروا أن الصورة كانت لقطة في فيلم تم تصويره في عام1994، والسيدة المحجبة التي ظهرت فيها ممثلة أدت دورها، ومازالت حية ترزق حتي الآن." انتهى

- ولا أدري ما هو قصد السيد فهمي هويدي من هذه الجملة. هل قصد أن ينكر وحشية المسلمين في تعاملهم مع النساء، أم قصد أن يتنكر لعملية رجم الزانية؟ فكلا الأمرين ثابتان في الإسلام، ويدعو القرآن المسلمين ليشهدوا عذاب ورجم الزانية وجلد شارب الخمر:

{الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين. (النور 2)}.

غير أن البخاري استبدل الرجم بالجلد. ونلفت نظر السيد هويدي إلى أن القرآن لم يقل "وليشهد عقابهما" وإنما قال "وليشهد عذابهما" وقال كذلك {**ولا تأخذكم بهما رأفة**}. فوحشية معاملة المرأة مذكورة في القرآن.

وإذا كان السيد هويدي يعرف أن الصورة المعروضة هي لممثلة في فيلم تم تصويره عام 1994، لماذا لم يذكر لنا اسم الفيلم واسم الممثلة التي ما زالت حيةً ترزق، أم أنّ السيد هويدي خمّن ذلك وأراد أن يوهم القارىء أنه يعرف ما يتحدث عنه؟

- ويتحدث السيد هويدي عن الحملة النكراء التي يقودها أعداء الإسلام فيقول عن تلك الحملة:

"التي يقودها السيد هورويتز يشترك معه فيها متحدثون من الغلاة المهووسين أمثاله، بينهم سيدة تدعي آن كولتر اشتهرت بعد أحداث11 سبتمبر، حين أعلنت أن الولايات المتحدة يجب أن تغزو العالم الإسلامي، وأن تقتل قادته، وتجبر الآخرين علي التحول إلي المسيحية" انتهى.

أليس هذا ما فعله المسلمون منذ بداية الإسلام حينما غزوا فارس وبيزنطة والهند وشمال أفريقيا، خاصةً أرض الفراعنة؟ ألم يقتلوا قادة الفرس والهنود ويفرضوا الإسلام على الجميع أو الجزية؟ أليس هذا ما فعله طارق بن زياد في مسيحي إسبانيا التي غيروا اسمها إلى الأندلس وما زال المسلمون يحنون إلى استرجاعها؟ أم أن الغزو محصور على المسلمين فقط؟

- ثم يخبرنا السيد هويدي:

"قبل بدء هذه الحملة في الجامعات يوم 22 أكتوبر كان مجلس النواب الأمريكي قد أصدر قرارا في 2 أكتوبر نص علي الاعتراف بالدين الإسلامي كأحد أعظم ديانات العالم. وأعرب عن الصداقة والدعم للمسلمين في الولايات المتحدة والعالم، كما أشاد بالمسلمين الذين رفضوا التفسيرات والحركات الإسلامية التي تبرر وتشجع الكراهية والعنف والإرهاب. وفي الوقت نفسه فإنه أعلن عن رفض وإدانة الكراهية والتعصب والعنف الموجه ضد المسلمين في داخل أمريكا وخارجها" انتهى.

- هذا ما فعله الكونـگرس الأمريكي الذي أشاد بالإسلام واعتبره من أعظم الديانات، فهل يستطيع السيد هويدي أن يطلب من مجلس الشعب المصري أن يتبنى قراراً يقول فيه إن الديانة المسيحية من أعظم الديانات في العالم أو أن الديانة اليهودية كذلك، بدل التغني يومياً بتحريف التوراة والإنجيل والدعاء على اليهود أبناء القردة والخنازير؟ هل يستطيع أو يرغب مجلس الشعب المصري أن يصدر قراراً يدين فيه تعصب المسلمين ضد الأقباط وإهانتهم وحرق كنائسهم؟
- ثم ينتقل السيد هويدي من مهاجمة الجامعات الأمريكية إلى مهاجمة إسرائيل فيقول:

"الأدهي مما سبق والأمر، هو ذلك المسعي الإسرائيلي الذي تسربت أنباؤه في الآونة الأخيرة، ويستهدف إصدار قرار من الأمم المتحدة يحظر علي أي دولة من أعضاء الجمعية العامة للأمم المتحدة السماح لأي حزب أو حركة بالمشاركة في أي انتخابات تجري فوق أراضيها، بزعم أن هذه الأحزاب وتلك الحركات إرهابية وعنصرية. فقد ذكرت صحيفة هآرتس (في24/9) أن وزيرة الخارجية تسيبي ليفني تعكف علي وضع خطة تتضمن فرض قيود علي مشاركة الحركات الإسلامية الإرهابية في أي انتخابات بأي مكان في العالم. وإنها سوف تستغل مشاركتها كممثلة لبلادها في اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة، من أجل حشد التأييد لفكرتها. وأضافت الصحيفة أن السيدة ليفني ستحاول إقناع الدول المشاركة في الاجتماعات بتبني قرار يصدر عن الجمعية العمومية يتضمن فرض قيود علي مشاركتها الحركات الإرهابية في الانتخابات، وستؤكد أنها في إقدامها علي هذه الخطوة إنما استخلصت العبرة من السماح لحركة حماس بالمشاركة في الانتخابات التشريعية الفلسطينية التي أسفرت فوزها بالأغلبية في المجلس النيابي، وبرئاسة الحكومة، في حين أنها حركة إرهابية تسلمت الحكم بوسائل ديمقراطية، ثم أصبحت تفرض بنفس السلاح أجندة غير ديمقراطية" انتهى.

- والغرض من هذه الفقرة هو إثارة النعرات الإسلامية ضد إسرائيل رغم أن إسرائيل ليس لديها أي أمل في إجازة مشروع كهذا في الجمعية العمومية التي تسيطر عليها وفود جمهوريات الموز العديدة. والدليل على ذلك أن أي مشروع تقدمت به الدول العربية، في الجمعية العمومية، ضد إسرائيل قد تم تمريره بغالبية ساحقة ولم يمنع تنفيذ تلك القرارات إلا حق النقض الأمريكي في مجلس الأمن. وبالطبع تستطيع إسرائيل أن تتقدم بمشروع قرار للأمم المتحدة يمنع مشاركة الحركات الإسلامية من خوض الانتخابات في البلاد الإسلامية، ولكن السيد هويدي يعلم أن الجمعية العمومية للأمم المتحدة لا تتدخل في إدارة شؤون البلاد الداخلية، وإلا لأصدرت قراراً يمنع التوريث في البلاد العربية، أو يمنع الإيرانيين من اضطهاد سنة الأهواز العرب. وهل كانت الوزيرة الإسرائيلية لڤني مخطئة في قولها *إن الحركات الإسلامية تستغل الديمقراطية للوصول إلى كراسي الحكم ثم تلفظ الديمقراطية على أنها كفر بواح وتلجأ إلى الديكتاتورية الدينية؟* أليس هذا هو برامج الأخوان المسلمين في مصر؟
- ويقول السيد هويدي كذلك:

"أول سؤال يتبادر إلي الذهن حين يقرأ المرء هذه التصريحات هو: مَن يتكلم؟.. فالذين يقودون حملة الكراهية في الولايات المتحدة ويصفون الإسلام بالفاشية هم أنفسهم يمارسون بحق المثقفين والليبراليين الأمريكيين ـ ناهيك عن العرب والمسلمين ـ ذات الأساليب الفاشية، من مراقبة وحظر وقمع وتصفية أدبية، وقد وصف نيكول كولسون في صحيفة العامل الإشتراكي حملتهم الأخيرة تلك بأنها صليبية فاشية مسكونة بالكراهية ضد العرب والمسلمين(19/10)." انتهى.

- وبالطبع لا يستطيع أحد أن ينكر أن الحريات الفردية قد تراجعت في أمريكا في السنوات الأخيرة، ولكن الفضل في ذلك يرجع إلى غزوة مانهاتن المباركة التي نفذها الشباب المسلم الورع، فقبل تلك الغزوة لم يكن هناك أي مراقبة على الجامعات والمعاهد ولا على المواطن الأمريكي أو الزائر. ولكن بعد الغزوة الإسلامية المباركة اضطر الأمريكان إلى مراقبة كل فرد وكل معهد لضمان حماية المواطن البريء. **ألا تعيش كل الدول الإسلامية، وخاصة مصر وسوريا تحت قانون الطوارىء منذ منتصف القرن الماضي؟** وعلى الأقل فبعض الكتاب الأمريكيين ينتقدون ما يحدث في أمريكا ويكتبون في صحفهم دفاعاً عن المسلمين، رغم الذي حدث. فهل نطمع أن يدافع كاتب مسلم مثل السيد هويدي أو العوا أو عمارة عن المسيحيين والبهائيين والشيعة؟

ويستمر السيد هويدي في هجومه على إسرائل، وكان قد بدأ المقال بمهاجمة المحافظين الجدد في أمريكا، ولكن لابد من حشر إسرائيل في كل كبيرة وصغيرة،

- فقال عن الإسرائيليين:

"في الوقت ذاته فإن المرء لا يستطيع أن يخفي دهشته من الجرأة التي واتت القيادات الإسرائيلية، حين تسعي لدمغ الناشطين الإسلاميين بالعنصرية والإرهاب، وهم يمثلون دولة لم تقم إلا علي الإرهاب، في حين لاتزال تمارس العنصرية ضد فلسطينيي48. وتطالب أحزابهم العلمانية والدينية بحرمانهم من حقوقهم السياسية، بل إن رئيس الكنيست الأسبق إبراهام بورج قال صراحة إن جميع الأحزاب الإسرائيلية تمارس العنصرية، ويتقاطع بعضها مع الإيديولوجية الصهيونية." انتهى.

- ولا خلاف أن إسرائيل قامت على أسس دينية وأنها تتعصب ضد مَن هو غير يهودي، وهذا متوقع من دولة تقوم على أساس الديانة فقط، ونلاحظ نفس الشيء في إيران الخميني بعد ثورته الدينية، وفي السودان بعد سيطرة الأخوان المسلمين على الحكم.

وكذلك في مصر التي يدافع فهمي هويدي والأخوان المسلمون عن المادة الثانية في دستورها والتي تقول إن الدستور يستمد أحكامه من الشريعة الإسلامية. ولو قُدر للأخوان المسلمين أن يتسنموا ذروة الحكم في مصر فسوف يصبح اضطهاد غير المسلمين أمراً عادياً (أكثر مما نراه الآن).

- ويختتم السيد فهمي هويدي مقاله بالآتي:

"أما السؤال الثالث فهو: هل نتوجه باللوم فيما يجري إلي الذين يقودون حملات الكراهية والكيد في واشنطن وتل أبيب فقط، أم أننا ينبغي أن ننحي ببعض اللائمة علي بعض إخواننا في عواصمنا العربية والإسلامية الذين يقفون في نفس المربع؟" انتهى.

✍ وهنا أحب أن أذكّر السيد فهمي هويدي بمقولة الخليفة علي بن أبي طالب:

(الصامت عن الحق شيطان أخرس.)

فكراهية الغير يشربها المسلمون مع حليب أمهاتهم ويحثهم القرآن على عدم موالاة وصداقة غير المسلم.

وأظن السيد هويدي قد رأى على شاشات تلفزيون مصر، كما رأينا، تلك الطفلة، التي لم تبلغ سن الخامسة، عندما سألتها المذيعة ماذا تكره، فأجابت على الفور **أنها تكره اليهود لأنهم قرود وخنازير**. وصفق لها الجميع.

فإذا كان هذا هو حال أجيال المستقبل في العالم الإسلامي،
ألا يجب على السيد فهمي هويدي أن يشكر بعض مَن يتفوه بكلمة الحق في العواصم العربية بدل أن ينحي عليهم باللوم.

عودة إلى الفهرس

82 - مشيخة الأزهر والموروث الكهنوتي

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=114389

عندما كانت البشرية في بداية طفولتها واخترع الإنسان البدائي الأديان، جعل لآلهته معابد يشرف عليها رجال ونساء من حكماء القبيلة صار اسمهم فيما بعد "الكهنة" أو "الكهان". وكان لابد لهؤلاء الكهنة من مصدر رزق، فجعلوا لمعابدهم "حرماً" من الأرض يزرعون فيه ويربون فيه الحيوانات التي تُقدم قرباناً للآلهة فيأكل لحمها الكهنة. وكان الكاهن هو المالك الحقيقي لذلك الحرم ولكن بإسم الإله. وبالتدريج أصبح الكاهن هو الذي يتنبأ بالغيب ويعالج الأمراض ويتحصل على ما يجود به زبائنه من هدايا. وبطبيعة الحال فقد حرص الكهنة على أن يكون علمهم سراً بينهم لا تطلع عليه العامة ويرثه الابن عن الأب.

ثم اخترع الإنسان الكتابة في مابين النهرين وفي مصر وغيرها، وكان أول مَن تعلم الكتابة هم الكهنة. وحرض أؤلئك الكهنة على أن تنحصر الكتابة فيهم دون العامة. وعندما بدأ الملوك بفرض الضرائب على الناس كان لا بد من استعمال الكهنة في القصور الملكية لكتابة كمية الضرائب المتحصلة والمتبقي منها في القصور بعد النفقات. وكان لابد للملك من أن يعطي الكاهن، الذي أصبح على معرفة تامة بكمية ضرائب الملك، راتباً يمنعه من سرقة مال الضرائب. وبذا أصبحت طبقة الكهنة من أغنى الطبقات في المجتمعات القديمة، واجتهدوا في أن يكون العلم الدنيوي والإلهي محصوراً فيهم دون غيرهم.

وحتى بعد أن ظهرت الأديان التوحيدية استمر الكهنة في حصر المعرفة وجمع الضرئب في طبقتهم. فمثلاً في اليهودية كان الكهنة من قبيلة لاوي مختصين بجمع الضرائب والزكاة وحفظ المعابد والكتب المقدسة

> **{1وَقَال الرَّبُّ لِهَارُونَ: «أَنْتَ وَبَنُوكَ وَبَيْتُ أَبِيكَ مَعَكَ تَحْمِلُونَ ذَنْبَ المَقْدِسِ. وَأَنْتَ وَبَنُوكَ مَعَكَ تَحْمِلُونَ ذَنْبَ كَهَنُوتِكُمْ 2 .وَأَيْضاً إِخْوَتَكَ سِبْطَ لاوِي سِبْطَ أَبِيكَ قَرِّبْهُمْ مَعَكَ فَيَقْتَرِنُوا بِكَ وَيُوازِرُوكَ وَأَنْتَ وَبَنُوكَ قُدَّامَ خَيْمَةِ الشَّهَادَةِ 3 فَيَحْفَظُونَ حِرَاسَتَكَ وَحِرَاسَةَ الخَيْمَةِ كُلِّهَا. وَلكِنْ إِلى أَمْتِعَةِ القُدْسِ وَإِلى المَذْبَحِ لا يَقْتَرِبُونَ لِئَلا يَمُوتُوا هُمْ وَأَنْتُمْ جَمِيعاً. 4 يَقْتَرِنُونَ بِكَ وَيَحْفَظُونَ حِرَاسَةَ خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ مَعَ كُلِّ خِدْمَةِ الخَيْمَةِ. وَالأَجْنَبِيُّ لا يَقْتَرِبْ إِليْكُمْ. 5 بَل تَحْفَظُونَ أَنْتُمْ حِرَاسَةَ القُدْسِ وَحِرَاسَةَ المَذْبَحِ لِكَيْ لا يَكُونَ أَيْضاً سَخَطٌ عَلى بَنِي إِسْرَائِيل. 6 هَئَنَذَا قَدْ أَخَذْتُ إِخْوَتَكُمُ اللاوِيِّينَ مِنْ بَيْنِ بَنِي إِسْرَائِيل عَطِيَّةً لكُمْ مُعْطَيْنَ لِلرَّبِّ لِيَخْدِمُوا خِدْمَةَ خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ. 7 وَأَمَّا أَنْتَ وَبَنُوكَ مَعَكَ فَتَحْفَظُونَ كَهَنُوتَكُمْ مَعَ مَا لِلمَذْبَحِ وَمَا هُوَ دَاخِل الحِجَابِ وَتَخْدِمُونَ خِدْمَةً. عَطِيَّةً أَعْطَيْتُ كَهَنُوتَكُمْ. وَالأَجْنَبِيُّ الذِي يَقْتَرِبُ يُقْتَل». 8 وَقَال الرَّبُّ لِهَارُونَ: «وَهَئَنَذَا قَدْ أَعْطَيْتُكَ حِرَاسَةَ رَفَائِعِي. مَعَ جَمِيعِ أَقْدَاسِ بَنِي إِسْرَائِيل لكَ أَعْطَيْتُهَا حَقَّ المَسْحَةِ وَلِبَنِيكَ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً.** (سفر العدد، الإصحاح 18)}.

وكانت كذلك طبقة المعلمين Rabbis منهم. وكان عامة الشعب يجهلون كل شيء عن الدين والمعابد مما اتاح لكهنة قبيلة لاوي الفرصة لكي يصبحوا الحكام الفعليين للشعب.

وعندما جاءت المسيحية، ورغم نفور المسيح من جامعي الضرائب الرومانيين، بالتدريج أصبحت الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا في القرون الوسطى هي التي تجمع الضرائب وتعيّن الملوك **وتقرر لهم القوانين الإلهية التي يحكمون الشعوب بها.** وكالعادة سيطر قساوسة الكنيسة على التعليم الكنسي ومنعوا عامة الناس من فهم أي شيء يتعلق بالدين، وأصروا على أن تستمر الصلاة في الكنيسة باللغة الرومانية القديمة التي لم تكن شعوب أوروبا ملمة بها. وكلما زاد جهل الناس كلما استغلتهم الكنيسة لفترة أطول. ولذلك كان كل من يتحدث عن ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات الأوروبية المختلفة التي يتحدثها الناس، تتهمه الكنيسة بالبدعة وبالكفر ويحكمون عليه بالإعدام.

> وهذا ما حدث لرجل انـگليزي كان يدعى وليام تايندل William Tyndale في العام 1536 عندمت ترجم الإنجيل إلى الانـگليزية فطاردته الكنيسة، فهرب إلى بلجيكا وظن أنه في مأمن منهم. ولكن شرطة الملك هنري الثامن تتبعته وعثرت عليه واعتقلته وسجنوه في قلعة بالقرب من مدينة أنتويرب البلجيكية لحين محاكمته. وقدمته الكنيسة للمحاكمة بتهمة البدعة وحكموا عليه بالإعدام. ويوم تنفيذ الحكم شنقوه في ميدان عام ثم أحرقوا جثته[1]

وكل هذا لأنه ترجم الإنجيل إلى الانـگليزية. وعندما ترجم مارتن لوثر الإنجيل إلى اللغة الألمانية طاردته الكنيسة الكاثوليكية وحرضت عليه الملك الذي كاد أن يقتله لولا جمهرة العامة الذين التفوا حول لوثر لحمايته ليلاً ونهاراً. ولم تجد الكنيسة بدأ من طرده من المذهب الكاثوليكي مما دفعه إلى تكوين الكنيسة البروتستانتية. بعد هذه التجربة قال مارتن لوثر:

> الفكر أي العقل هو العدو اللدود للعقيدة لأنه في أغلب الأحيان يصطفح مع المنطق ضد الكهنوت السماوي.[2]

وظلت أوروبا طوال القرون الوسطى تتخبط في جهل كامل عمّ كل الناس حتى الأطباء والعلماء، وكان ذلك بفعل الكنيسة التي صادرت الكتب وحرقت العلماء وكل ما من شأنه تنوير الناس. وكمثال على ذلك **الجهل الشامل** نذكر ما حدث في فرنسا في القرن الرابع عشر عندما انتشر داء الطاعون Plague في باريس. فقد طلب الملك فيليب السادس من أساتذة كلية الطب شرح أسباب وعلاج ذلك الداء المخيف. فكانت وصفتهم للعلاج هي: *الإكثار من الشوربة المضاف إليها الفلفل المطحون والقرنفل. ويجب تفادي اللحوم والدجاج والشحوم وزيت الزيتون الذي قد يؤدي إلى الهلاك. وقالوا إن الاغتسال بالماء من أخطر الأشياء، أما الحقنة الشرجية فقد تفيد، وعلى الرجال الالتزام بالعفة* **(لاحظ أنهم لم يقولوا المرأة، لأن الرجل هو الذي يغرر بالمرأة).**

http://www.cristoraul.com/ENGLISH/MedievalHistory/The_Black_Death/BD_6.html

> وبما أن الكنيسة كانت قد أخبرت الملك أن ذلك الداء هو **عقاب الله للمذنبين**، أصدر الملك أمراً يحرّم بموجبه على الناس التلفظ بكلمات فيها قدح بالذات الإلهية أو الكنيسة، وقرر الملك أن عقاب مَن تصدر منه مثل هذه الكلمات هو قطع شفته السفلى للجرم الأول، ثم الشفة العليا إذا تكرر الجرم، ثم اللسان في المرة الثالثة. أما مجلس المدينة فقد منع لبس الملابس السوداء، واجتماع أكثر من شخصين لتشييع مَن مات. وإرضاءً للإله فقد منع المجلس العمل أيام السبت و منع لعب القمار وطلب من الرجال والنساء الذين كانوا يعاشرون بعضهم دون زواج أن يتزوجوا في الحال. ومع كل هذا الإرضاء للإله فقد قتل الطاعون في باريس خمسة وعشرين ألف شخص.[3]

هذا هو الموروث الكنسي الكهنوتي في أوروبا – جهل ووصايا على عقول الناس واستغلالهم مادياً باسم الإله.

وفي الشرق الأوسط فقد فعل كهنة الإسلام نفس هذه الأشياء **رغم أن الإسلام ينكر وجود الكهنوت بين رجاله**. ولكن منذ ظهور الإسلام ظهرت جماعة من رجال الدين سموا أنفسهم "طبقة القراء" واحتكروا قراءة وشرح القرآن للعامة. ثم ظهرت طبقة المفسرين الذين بذلوا جهداً عظيماً لمنع غيرهم من محاولة تفسير القرآن ووضعوا شروطاً تعجيزية لذلك. وحتى تكتمل طبقة كهنوت الإسلام ظهر لنا في القرن الثالث والرابع أهل الحديث الذين كونوا "نقابة" **الثقاة** الذين لا يصح الحديث بدونهم. وبعد أن احتكروا القرآن والحديث والفقه، **حرض الكهنوت الإسلامي الخلفاء على كل مَن تسول له نفسه أن يحاول إعمال العقل في الدين**، وأصبحوا وعاظاً للسلاطين

[1] Sam Harris, The End of Faith, Free Press 2006, p 82.
[2] Richard Dawkins: The God Delusion, p 190.
[3] O.Friedrich, The End of the World: A History, New York 1982, p 122 (نقلاً عن المصدر السابق).

والخلفاء، يفتون لهم *بما يضمن لهم استمرارية الحكم* مقابل أن يقتل السلاطين والخلفاء كل من يحاول تعليم العامة إعمال عقولهم في الدين. ولأن أغلب كهنوت الإسلام كانوا رجالاً فاسدين وفعلوا ما نهوا العامة عنه، خدروا عقول العامة بمقولات مثل "اتبعوا أقوال العلماء ولا تتبعوا أفعالهم". وأصبحوا كالشعراء يجوز لهم ما لا يجوز لغيرهم، وكالشعراء كذلك عاملهم الخلفاء والسلاطين فأغدقوا عليهم الأموال. والنتيجة الحتمية كانت انتشار الجهل في العالم الإسلامي واستغلال العامة اقتصادياً واحتكار كراسي الحكم للخلفاء بالتوريث لأن الخروج على الإمام خروج على الله ورسوله.
ولم يتغير الكثير في احتكار الشيوخ للمعرفة الدينية حتى في القرن الحادي والعشرين، فقد قام موظف أفغانستاني يُدعى محمد قوس زلماي بترجمة القرآن إلى اللغة الدارية حتى يفهم معانيه الشعب الأفغاني الناطق باللغة الدارية،

> فثارت ثائرة رجال الدين وقال (صبغة الله مجددي رئيس مجلس الشيوخ «ثمة مؤامرات منذ اعوام لإثارة انقسامات بين المسلمين. وهذه الترجمة والتشويه للقرآن من جانب محمد قوس زلماي هي محاولة جديدة». وأوضح زلمي عضو مجلس الشيوخ ان «لجنة دينية شكلت أمس لدرس هذه الترجمة على ان تقدم تقريرا الى البرلمان في اجتماعه المقبل» وفي الجمعية الوطنية، طالب القائدان السابقان للمجاهدين برهان الدين رباني وعبد الرب رسول سياف ونواب آخرون بإحالة قوس زلماي الى القضاء).[4]

وربما يحكمون عليه بالإعدام رمياً بالرصاص ثم يحرقون جثته.
وورث الجامع الأزهر في القاهرة، بعد أن انتزعه صلاح الدين الأيوبي من الشيعة وسلّم مقاليده للفقهاء الشافعيين، كل هذا الإرث الكهنوتي الإسلامي. وكنتيجة لهذا الإرث استطاع صلاح الدين الأيوبي أن يستصدر فتوى من الفقيه عبد الملك بن درباس، كبير القضاة، بتحريم الصلاة في الجامع الأزهر، حتى يُحرّم دخوله على الشيعة. **ومن وقتها استمر الجامع الأزهر في تلبية طلبات الحاكم ونشر الجهل بمصادرة كل ما من شأنه تنوير الناس**. وعندما انهارت الخلافة العثمانية لم يستح الجامع الأزهر من ترشيح الملك فؤاد ليكون خليفة المسلمين.
واستمر الجامع الأزهر في نشرالجهل والكهنوت وأحاط أعضاءه بهالات من الألقاب والتخصصات الوهمية مثل "مجمع البحوث الإسلامية" *الذي أصبحت مهمته الأساسية مصادرة الفكر والكتب والأفلام والمجلات*، لأن مجال البحث في الدين مغلق منذ القرن الثاني عشر، **وآخر بحث قدمه الشيخ الدكتور عزت عطية، أستاذ قسم الحديث، عن رضاعة الكبير في القرن الحادي والعشرين،** قد أدى إلى تأديبه وفصله عن العمل. ولولا العناية الإلهية لزجوا به في غياهب السجن، كما سجن عزيز مصر يوسف بن يعقوب. وأي بحوث يمكن أن يقوم بها شيوخ الأزهر بعد ألف وأربعمائة عام من اللت والعجن والتمحيص في ثوابت الأمة؟ *فالثوابت لا تتزعزع ولا تتحرك بالبحث*. وهل نثق في بحوثهم وهم لم يفلحوا حتى الآن في طباعة مصاحف خالية من الأخطاء؟ ففي هذا العام وحده وزع الأزهر مصاحف مغلوطة في فلسطين وفي دارفور. ولكن يجب أن ننصف مجمع البحوث ولا نبخسه حقه، إذ يقول لنا القرآن {**ولا تبخسوا الناس أشياءهم**}

> فقد ورد بجريدة الأسبوع في العدد الصادر بتاريخ 20 جمادى الأول 1426 هـ - 27 يونيو 2005 م صفحة 16 - بقلم منى مدكور الآتي .. (هل نجح الأمريكيون بالفعل في أن يضحكوا على 2 مليار مسلم وعربي وجعلوهم يشربون طوال السنين مشروباتهم الغازية المصنعة من أمعاء الخنزير ؟؟ سؤال يطرح نفسه بقوة ويحتاج إلى إجابة
> حيث أن مجمع البحوث الإسلامية أرسل عينات من المياه الغازية (البيبسي – والكوكاكولا) لتحليل مادة البيبسين الأساسية في تركيبها لمعرفة تركيب تلك المياه الغازية. المرة الأولى التي أثير فيها هذا الموضوع كان في الخمسينات حين تبنى زعيم حزب مصر الفتاة (أحمد حسين) الفتوى التي صرح بها الشيخ (سيد قطب) حول تحريم البيبسي والكوكاكولا لأن مادة البيبسين تستخرج من أمعاء الخنزير). وفوق كل ذي علمٍ عليم.

ورغم كثافة الإرث الكهنوتي، فقد ظهر من وقت لآخر نجم لامع في سماء الأزهر الملبد بالغيوم، غير أن وعاظ السلاطين استطاعوا القضاء عليهم، مثل ما قضوا على الشيخ علي عبد الرازق. **وظلت النزعة العامة لهذه المؤسسة الضخمة هي التدهور العلمي والتشبث بالألقاب والوظائف والانصياع لرغبات الحاكم**. فبعد أن كان اختيار شيخ الجامع الأزهر يتم بالانتخاب بين أعضائه، أصبح التعيين من رئيس الجمهورية هو الوسيلة الوحيدة إلى الوصول لهذا المنصب المهم. وأصبح رئيس الجمهورية هو صاحب **نعمة** شيخ الجامع الأزهر. ولم يكن غريباً أن يصدر شيخ الجامع الأزهر، الشيخ الدكتور محمد سيد طنطاوي فتوى تؤيد انتخاب السيد حسني مبارك رئيساً للجمهورية لفترة أخرى، ولكن الغريب أن يعارض السيد طنطاوي اختيار شيخ الأزهر بالانتخاب، كما نُقل عنه:

> "وأوضح أنه يؤيد أن يكون شيخ الأزهر بالتعيين، لأن الانتخابات تؤدي إلي الفرقة والضغائن."[5]

فمن الواضح أن شيخ الأزهر لا يثق في زملائه أن ينتخبوه للمنصب بالأحقية العلمية ويفضل أن يتم تعينه من رئيس الجمهورية حتى يستطيع أن يبرر لنفسه كل التصريحات والفتاوى التي أصدرها تأييداً للأخير. وإذا كانت الانتخابات تؤدي إلى الضغائن، فهل يتكرم شيخ الأزهر ويشرح لنا معنى الآية {وأمرهم شورى بينهم}؟ أليست هذه هي الشورى التي يقول لنا الإسلاميون أنها تعادل الانتخابات الديمقراطية في الدول الغربية، وهي السبب في ادعائهم أن الإسلام قد سبق الغرب في إرساء قواعد الديمقراطية؟
وحتى يرد شيخ الأزهر الجميل للسيد رئيس الجمهورية الذي عينه رئيساً، قال الدكتور محمد سيد طنطاوي:

> "إن توريث الحكم في مصر، إذا جاء عن طريق انتخابات حرة نزيهة «فلا مانع»، لأن هذا حق الابن الدستوري، وليست فيه مخالفة للشرع، مشيراً إلي أنه يرفض أن يكون التوريث بشكل مباشر من الأب لابنه"[6].

وما أحكمه من تحفظ من شيخ الأزهر!
ورغم أن شيخ الأزهر

> "قد اعترف بانتشار الفساد في مصر وفي بعض الدول العربية، وأن هناك بعض الحكام يسيئون استخدام السلطة ضد شعوبهم"[7]
> فقد أصدر فتوى في حضرة رئيس الجمهورية يبيح فيها جلد الصحافيين الذين يكشفون هذا الفساد.[8]

ومع أن شيخ الأزهر قد اعترف بفساد الحكام وتفشي الفساد في البلاد العربية، لم نسمعه يوماً يقول كلمة حق في وجه سلطان جائر. ولا تفسد الأمة إذا كان سلطانها غير فاسد. أليست كلمة الحق في وجه سلطانٍ جائر هي أحسن أنواع الجهاد؟ ولكن المهم أن شيخ الأزهر قد طمأن المواطنين المصريين بأن ذمته المالية سليمة ولم يصل الفساد المستشري إلى ساحته

> "نفي شيخ الأزهر امتلاكه ٣ قصور في التجمع الخامس شرق مدينة القاهرة، وقال إن هذا محض افتراء، وأن ذمته المالية سليمة".[9]

والحمد لله على ذلك!!!
ولم ينفرد السيد شيخ الجامع الأزهر بكل الإرث الكهنوتي، فقد ترك منه لبقية أعضاء المشيخة وزعيمهم الشيخ يوسف البدري، الذي أصدر بياناً يدين فيه الشاعر المصري حلمي سالم بعد نشر قصيدته "شرفة ليلى مراد" وكان الشيخ يوسف البدري قد قام برفع دعوى

---

[4] الشرق الأوسط 4 نوفمبر 2007.
[5] صحيفة إيلاف الإلكترونية يوم 26 أكتوبر 2007.
[6] نفس المصدر.
[7] نفس المصدر.
[8] إيلاف 17 أكتوبر 2007.
[9] إيلاف 26 أكتوبر 2007.

ضد الشاعر قبل ثلاثة أشهر طعن فيها على قرار المجلس الأعلى للثقافة، منح الشاعر جائزة الدولة للتفوق في الأدب، وطالب بسحبها منه، كما طالب بمحاكمة الشاعر على قصيدته التي وصفها البدري بأنها **تضمنت إلحادا وشركا بالله**.
وكان البيان قد دعا الشاعر حلمي سالم إلى

«التوبة والرجوع عما كتب والتبرؤ منه على الملأ، والندم الشديد عليه وكثرة الاستغفار والتذلل بين يدي الله تعالى، وطلب المغفرة، سائلين الله ان يقبل توبته ويرحمه».[10]

وقد نسي الموقعون على البيان أن يطلبوا من الشاعر كذلك "الإكثار من البكاء".

ونال حظه من الإرث كذلك الشيخ عبد الصبور شاهين الذي كان قد رفع قضية "**حسبة**" ضد الاستاذ نصر حامد أبوزيد طالب فيها بتطليق زوجته منه لأنه قد ارتد عن الدين الحنيف.

كل هذا يثبت أن مشيخة الأزهر قد عضوا على إرثهم بالنواجذ وسوف يحفظونه لأجيال المستقبل حتى إذا داهمهم داء الطاعون يستطيع فقهاء الأزهر أن ينصحوا السيد رئيس الجمهورية ومجلس بلدية القاهرة بأفضل الوسائل لإرضاء الرب حتى يصرف عنهم البلاء.

فهل يُعقل في المستقبل القريب أن تتخلى مشيخة الأزهر عن هذا الإرث العظيم وتسمح بفصل الدين عن الدولة حتى نحاول اللحاق بأوروبا التي تخلت عن ذلك الإرث الكهنوتي العظيم؟

عودة إلى الفهرس

[10] جمال القصاص ومروة مجدي، الشرق الأوسط 29 أكتوبر 2007.

2007 / 11 / 12

83 - الأديان وتخدير أحاسيس الإنسان

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=115120

منذ البداية عكف كهنة الأديان على **تجسيم الآلهة** ومعابدها حتى يخلقوا عند الإنسان رهبة روحية من الآلهة وتقديساً مبالغاً فيه للمعابد ثم الكهنة أنفسهم. وقد بدأ اليونانيون القدماء ذلك بنحت تماثيل ضخمة لألهتهم العديدين ثم بنوا لهم معبداً ضخماً مبالغاً في تصميمه وحجمه، على قمة جبل الأولمب بأثينا، وسموا ذلك المعبد "الأكروبولس Acropolis". وأشاعوا بين العامة أن الآلهة ينزلون من عليائهم إلى مبني الأكروبولس ليتفقدوا أحوال الرعية، ويمكن للرعية الاتصال بهم إذا ما ذهبوا إلى المعبد. وما زالت أعمدة الأكربولس الضخمة موجودة على قمة الأولمب. وتبعهم الرومان في تجسيم الآلهة والمبالغة في بناء معابدهم.
ولما جاءت الأديان التوحيدية زعم كهنتها أن إله السماء أنزل الأديان لهداية البشر وتفعيل القوانين الأخلاقية التي تحكم حياتهم. ولما لم يعد من المقبول لهم أن يجسموا ذلك الإله بالنحت، **ركزوا على تعاليم الأديان وعلى المبالغة في بناء المعابد،** مثل معبد سليمان بالقدس وكنيسة القيامة بنفس المكان. وجعلوا تلك التعاليم الأخلاقية التي اخترعها فلاسفة اليونان قبل الميلاد، وحمورابي في العراق وحكماء الصين في الشرق، جعلوها نقطة الارتكاز التي تدور حولها أخلاق ومُثل الإنسان، وزعموا أن إله السماء أرسل تلك المُثل مع أنبيائه.
وعندما اعتنقت الإمبراطورية الرومانية المسيحية، وما زالت مؤمنة بالتجسيم الوثني، عوّض الإمبراطور جستنيان عن تجسيم الإله بتجسيم كنيسته التي بناها في الشام على أنقاض معبد الإله زيوس في نفس المكان، والتي شُيدت في العام 537 ميلادية وعُرفت بكنيسة أيا صوفيا. وقد بلغت تكاليفها 320 رطلاً من الذهب (ما يعادل 134 مليون دولار أمريكي)، وقد استنفذت خزينة الإمبراطورية البيزنطية كاملة. وقد كانت خير تمثيل للفن التشكيلي البيزنطي الذي تميز بوفرة الألوان ودقة الرموز وغزارة الزينة وقدرة على تهدئة الذهن وتنبيه الروح حتى قيل إن أيا صوفيا كانت بداية الفن البيزنطي وخاتمته في آن واحد.[1]
كل هذا الفن والألوان والتجسيم كان الغرض منها إنزال الرهبة في قلوب المتعبدين حتى لا يشتغلوا بالتفكير فيما يقوله الكهنة. وجاء الإسلام بسيطاً في بدايته نسبةً لطبيعة الحياة الصحراوية القاحلة التي نشأ فيها رسول الإسلام، فبني أول مسجد له بالمدينة من الطين وسعف النخيل، وشارك هو بنفسه في عملية البناء. ولأن الرعيل الأول من المسلمين الذين عاصروا الرسول قد **تخدرت أحاسيسهم** بالاحتكاك مع متسلم الوحي الإلهي، لم يكن هناك أي خوف من إنشغالهم بالتفكير في معقولية ما كشفه لهم الرسول من وحي. ومع بدء الفتوحات وتدفق الأموال واطلاع البدو على الحضارات المجاورة، بدأ بعض الشك يتسلل إلى عقول الناس، فحاربه عثمان بتوسيع مسجد الرسول وتفخيمه[2] وذلك لتركيز العقول على عظمة المسجد وعظمة خالقه. ثم أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك فى عام 88 هجرية بهدم مسجد المدينة لتوسيعه وجعله تحفة معمارية فى عصره. إستلزم التوسيع هدم بيوت أزواج النبي القريبة من المسجد القديم وادخالها فى بناء المسجد الجديد.[3] وحدث هذا *رغم أن المدينة أصبحت في عهد الخلافة الأموية بؤرة للمجون والغناء والترف*.
وكلما بعُد العهد بالمسلمين عن الإسلام كلما زادوا في بناء وتفخيم المسجد النبوي. وحدث نفس الشيئ بالنسبة للكعبة التي كانت عبارة عن بناء من الطوب اللبن والحجارة حتى أصبحت الآن تحفة معمارية تضاء بالأنوار الباهرة ويكسوها الحرير والدمسق† damask وتباهي أعظم عجائب الدنيا السبعة. وبعد أن كانت المساجد بناءً عادياً بدون مئذنة، بدأ معاوية بن أبي سفيان بناء المآذن بمسجد الكوفة، ثم أصبحت المآذن الآن تضاهي في علوها ناطحات السحاب، وأصبح لكل مسجد ثلاث أو أربع مآذن.
أما في الأندلس، فبعد أن هدموا الكنائس وأقاموا مكانها مساجدهم، بنوا مسجد قرطبة الذي:

> "يرجع تأسيسه إلى سنة (92هـ) عندما اتخذ بنو أمية قرطبة حاضرة لملكهم، حيث شاطر المسلمون نصارى قرطبة كنيستهم العظمى، فبنوا في شطرهم مسجداً وبقي الشطر الآخر للروم، وحينما ازدحمت المدينة بالمسلمين وجيوشهم اشترى عبد الرحمن بن معاوية شطر الكنيسة العائد للروم مقابل أن يُعيد بناء ما تـمّ هدمه من كنائسهم وقت الفتح، وأمر عبد الرحمن الداخل سنة (170هـ) بإعادة بناء الجامع على أساس وشكل جديدين بلغت مساحته آنذاك (4875 متراً مربعاً) وكان المسجد قديماً يُسمى بـ (جامع الحضرة) أي جامع الخليفة أمّا اليوم فيُسمى بـ (مسجد الكاتدرائية) بعد أن حوله الأسبان كاتدرائية مسيحية."[4]

وفي الهند المغولية المسلمة بالغوا كذلك في بناء المساجد وكان قمة معمارهم "تاج محل" ذلك القبر الذي بنوه في شكل مسجد بمآذن وقباب، غير أن محرابه لا يتجه نحو القبلة، ولذلك بنوا على يسارة مسجداً للصلاة. غير أن الداخل إلى المسجد لابد أن تطغى عليه هالة من القداسة عند رؤية التاج محل وقبل أن يدخل المسجد للصلاة. والنتيجة الحتمية هي دخول الهلع الديني إلى نفسية المسلم.
وقد عرف حكامنا في العصر الحديث أهمية تفخيم المساجد وزخرفتها في *تخدير أحاسيس شعوبهم الجاهلة*. ففي الجزائر التي تزداد فيها مستويات الفقر عاماً بعد عام وتنتشر فيها الدعارة حتى بين الأطفال لكي يكسبوا ما يسد رمقهم، قررت الحكومة الجزائرية بناء "مسجد الجزائر الأعظم" الذي سوف يُقام على أرض مساحتها عشرون هكتار، وسوف تكون مئذنته أطول مئذنة بالعالم ويبلغ طولها 300 متراً، وسوف يستوعب 120 ألف شخص. وقد اشتركت في مسابقة تصميمة سبع عشرة شركة معمار عالمية.

> "وقد زار بوتفليقة معرضا للتصاميم التي أعدتها المكاتب الـ 17 واطلع عليها رفقة أعضاء من الحكومة".[5]

وربما تذكرت حكومة الجزائر قول جارهم القديم فرعون مصر عندما قال لهامان: {**يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب. (غافر 36)**}.
وقد قصد أسباب السماء، حتى يرى إله موسى. ويبدو أن حكومة الجزائر تتوقع أن يحدث العكس وأن ينزل إله السماء ليسكن في ذلك القصر المنيف الذي ينازع قصور المقبور صدام في الزخرفة والتنميق.
وبمناسبة ذكر المقبور صدام الذي أزهق من الأرواح البريئة أكثر مما أزهق كل الحكام العرب مجتمعين، كان قد أصدر في آخر عشرة أعوام من حكمه البغيض عدة أوامر تصب في مصلحة بناء المساجد رغم أن أطفال العراق كانوا يموتون بالآلاف من سوء التغذية. فقد أصدر قراراً بإسقاط الضريبة عن أي تاجر يبني مسجداً، كما أمر ببناء مسجد في كل محافظة في كل عام مرة كهدية منه لكل محافظة في عيد ميلاده، كما قام بإلزام أعضاء حزب البعث ببرنامج عملي، حيث أمرهم بأداء الفروض الخمس جماعة في المسجد. وقد كان في مدينة البصرة منتزهاً يُسمى "منتزه لبنان" ، تم تحويله إلى مسجد يصلي فيه الناس الجُمع والجماعات ، وقد سمي مسجد صدام الكبير ، وهو الآن أكبر مساجد البصرة فعلاً (http://www.raeds.com/falsafat/?p=140)
وفي اليمن الذي:

† الدمسق
patterned fabric: a reversible cotton, linen, or silk fabric with a pattern woven into it.

Microsoft® Encarta® 2009.

---

[1] ول ديورانت، قصة الحضارة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ج12، ص 264. نقلاً عن النابلسي في لو لم يظهر الإسلام، ص 156.
[2] تاريخ الطبري، ج2، ص 606.
[3] المنتظم في التاريخ، للمبرد، ج6، ص 137.
[4] http://arabic.bayynat.lb/maalem/masjed-kortoba.htm.
[5] الشرق الأوسط 9 أكتوبر 2007.

"أكدت العديد من التقارير المتخصصة لعدد من المنظمات العاملة في مجال الحقوق والحريات الدولية من خلال رصدها للحريات والأوضاع العامة للعام الماضي 2005م أن اليمن من الدول الفاشلة التي يغيب فيها تطبيق القانون ويسيطر عليها الفقر والجهل والمرض "وهي الثالوث الرهيب الذي قامت ثورة سبتمبر 62م لمكافحتها والقضاء عليها في اليمن"، مشيرة إلى أنه تم تصنيفها في عداد الدول المعرضة للانهيار. وكانت مؤسسة دعم السلام وضعت اليمن ضمن أسوأ 10 دول من بين 60 دولة في مؤشر الدول الفاشلة."[6]

قرر رئيسها الهمام بناء أعظم مسجد في المنطقة، يُسمى "مسجد الرئيس علي عبد الله صالح" يتكلف إنشاؤه ملايين الدولارات. ويمكن مشاهدة الصور المجسمة لهذا المسجد على الموقع التالي:

http://www.ecstudents.com/forum/viewtopic.php?f=6&t=4659

وفي تركمنستان، قرر رئيسها لمدى الحياة صفرمراد نيازوف، (قذافي آخر) الذي سبق ان طبع صورته على معظم جوانب الحياة في بلاده، نقش عبارات من كتابه «روحنامه» الى جانب الآيات القرآنية على جامع جديد يجري بناؤه في العاصمة، الأمر الذي من شأنه أن يغيظ أكثر مسلمي بلاده. وقال نيازوف:

"اذا كتبنا على هذه الجدران باللغة العربية فقط لن يفهم كثيرون ما نكتبه".

وسبق لنيازوف، أن جازف بإثارة غضب شعبه عندما أمر بوضع نسخة من كتابه «روحنامه» الى جانب نسخة من القرآن الكريم في جميع المساجد التابعة للدولة. يُذكر أن كتاب «روحنامه» هو، كما يراه الرئيس نيازوف، دليل روحي للشعب التركمانستاني ويشكل جزءا أساسيا من مناهج التعليم.[7]

وإذا تركنا شرقنا الأوسط واتجهنا إلى أوروبا وتوقفنا في روما التي وعد الرسول بها **خير أمةٍ أخرجت للناس**، نجد مجمع مركز روما الإسلامي (المعروف باسم جامع روما الكبير) على هضبة قريبة من نهر التيبر في شمال شرقي العاصمة الإيطالية. وتبلغ مساحته قرابة 30 ألف متر مربع على أرض تبرعت بها الحكومة الإيطالية خلال زيارة الملك فيصل بن سعود لإيطاليا عام 1973. واستغرق بناء المجمع في أحد أحياء روما الراقية أكثر من عشرين عاما، ثم افتتحه عام 1995 الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض، ممثلاً الحكومة السعودية التي ساهمت بأكثر من ثلاثة أرباع الكلفة التي فاقت 50 مليون دولار، وحضر الافتتاح رئيس الجمهورية الإيطالية آنذاك اوسكار لويجي سكالفارو.[8]

وفي بلجيكا التي لا يزيد حجمها عن حجم مديرية واحدة في أحد الأقطار العربية، بها حوالي 300 مسجد.[9]

أما في انـﮔلترا التي تحتوي على أكبر عدد من المساجد في أي دولة غربية، إذ يبلغ عدد مساجدها 1500 حتى الآن، هناك مسجد في White Chapel في لندن يتسع لعشرة آلاف شخص. ومع ذلك تحاول جماعة التبليغ بناء أكبر مسجد بالعالم في موقع الأولمبياد في لندن. وسوف يتسع هذا المسجد لسبعين ألف شخص وتبلغ تكلفة بنائه مائة مليون جنيه سترليني. هل يمكن أن يجتمع سبعون ألف شخصٍ للصلاة في وقت واحد وفي مدينة بها مئات المساجد؟ أم أنها مسألة تصنيم المساجد وعبادتها بدل عبادة إله السماء؟

أما في العالم العربي فليس هناك من شك في أن الحكام يخادعون شعوبهم ويخدرون أحاسيسهم بهول المساجد الضخمة حتى يصرفوا أنظارهم عما هم فيه من فقر وجهل. وهذا بل شك يُثبت أن الأديان قد أضرت بالبشر ضرراً بالغاً إذ ساعدت على تكريس الجهل واستغلال الحكام لشعوبهم.

عودة إلى الفهرس

[6] محمد الخامري، إيلاف 7 يناير 2006.
[7] الشرق الأوسط 4 يونيو (حزيران) 2004.
[8] الشرق الأوسط 6 نوفمبر 2007.
[9] الشرق الأوسط 22 يونيو 2007.

84 - من قال لستُ أدري فقد أفتى

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=117272

هذه قاعدة قال بها أهل الفقه الإسلامي منذ قرون ولكن يندر أن نجد فقيهاً أو مفتياً يعمل بها. رجال الدين، وخاصةً الذين يظهرون على القنوات الفضائية، لا يمكن لهم أن يقولوا "لا أدري" *إذ أنهم يعتبرون ذلك اقراراً بالجهل*، وهم الذين يرمون كل من خالفهم الرأي بالجهل، فكيف لهم أن يعترفوا بجهلهم. *ولهذا السبب نجد إجاباتهم عبارة عن لف ودوران حول الجزء الذي لا يعرفون إجابته*. وسوف أقدم نموذجين لهؤلاء العلماء:

النموذج الأول الشيخ القرضاوي

هناك آية في القرآن تقول:

> **{الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقونِ يا أولي الألباب.** (البقرة 197)**}.**

والمتبع هو أن الحج أيامُ معلومات في ذي الحجة، فكيف يقول القرآن "الحج أشهر معلومات"؟ وإذا كان هو كذلك، فهل يجوز تفادياً للزحام الذي يؤدي بحياة أعداد كبيرة من الحجيج كل عام، أن يحج بعض الناس في شوال، وبعضهم في ذي القعدة، وبعضهم في ذي الحجة وهكذا إلى ان يحج جميع الذين ينوون الحج في ذلك العام بدون أي زحام ومضايقات؟ تقدم أحد المواطنين القطريين بهذا السؤال إلى الشيخ يوسف القرضاوي، ولما لم يكن القرضاوي يعرف الإجابة، ولما لم يكن مِن الشجاعة بأن يقول لا أدري، قال:

> "الحمد لله، والصلاة والسلام علي رسول الله، وعلي آله وصحبه ومن والاه، وبعد... يستغرب المرء كيف يفكر المسلم في مثل هذا السؤال، وهو يعلم أن الحج عبادة فرضها الله تعالي، ونفذها رسوله صلي الله عليه وسلم، وعلمها للمسلمين نظريا وعمليا، وقال لأصحابه الذين حجوا معه حجة الوداع: خذوا عني مناسككم ، فتواترت عنه أعمال الحج تواترا عمليا نقلته أجيال الأمة، جيلا بعد جيل إلي اليوم." انتهى.

فالمسلم، كما يرى الشيخ القرضاوي، لا يجوز له أن يفكر في مثل هذه الأمور أو يسأل عنها، عملاً بالآية التي تقول:

> **{يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبد لكم تسؤكم.** (المائدة 101)**}.**

فيجب على المسلم اتباع ما فعله أو قاله النبي، **رغم تضارب السنة القولية والفعلية في جميع نواحيها**. ولذلك استغرب الشيخ القرضاوي أن يسأل ذلك المسلم هذا السؤال.

واستمر الشيخ القرضاوي في شرح كيفية أن السنة لا تقبل التغيير، فقال:

> "والعبادات لا مجال فيها للابتداع أو للتغيير بحيث نغير زمانها أو مكانها أو كيفيتها، فالأصل فيها الاتباع والتسليم، ومَن أحدث فيها ما ليس منها، فهو رد عليه، مرفوض شرعا، وهو بدعة، وكل بدعة ضلالة. ومن المقرر المعلوم أن الحج مرتبط بزمان محدد، كما أنه مرتبط بمكان معين، وكما لا يجوز نقل الحج من مكانه الخاص إلي مكان آخر، في المدينة أو في الشام أو في مصر مثلا، لا يجوز كذلك نقل الحج من زمانه المعلوم: يوم التروية، ويوم عرفة، ويوم العيد (يوم الحج الأكبر) كما سماه القرآن، وأيام مني. التي قال الله تعالي فيها: {واذكروا الله في أيام معدودات، فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقي. (البقرة 203 .)}". انتهى.

فما دام القرآن قد قال {**واذكروا الله في أيامٍ معلومات**} كيف يقول {**الحج أشهر معلومات**}؟ فهناك فرق كبير بين الأشهر والأيام. وبدل أن يجتهد فقهاء الإسلام المعاصرون الذين أتاح لهم العلم الحديث من وسائل البحث والتنقيب ما لم يكن متوفراً لفقهاء القرن الثاني عشر الذين اجتهدوا ثم أغلقوا باب الاجتهاد، ويأتوا لنا بحلول لمشاكل الزحام في الحج وفرض "كوتات" (حصص) على الأقطار المسلمة، يفضل الفقهاء المعاصرون الجلوس على مؤخراتهم *والاعتماد على النقل بدل إعمال العقل*. والمعروف أن السنة يؤجر فاعلها ولا يأثم تاركها، **فلماذا لا يستفيد الفقهاء من الفسحة التي أعطاهم إياها القرآن عندما قال الحج أشهر معلومات، ويفتون بما اقترحه عليهم السائل؟** *ولأن الشيخ القرضاوي لا يجرؤ على الاجتهاد وإعمال العقل*، ولا يعرف إجابة السؤال، فضّل أن يُلهي السائل بطواف حول حكمة الحج وغيرها حتى ينسيه السؤال، فقال:

> "وقال تعالي في بيان حكمة الحج: {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ الحج 28)}. فلا مناص من التعبد في هذه الأيام المعدودات والمعلومات. فليس الحج المشروع هو قصد البيت الحرام، وعمل المناسك في أي وقت، فإن هذا هو (الحج الأصغر) الذي شرعه الإسلام طوال العام، وهو العمرة، وهو إحرام وطواف وسعي وحلق وتقصير، وثوابها عظيم، وهي كفارة لما قبلها من الذنوب. بخلاف (الحج الأكبر)، أو الحج الحقيقي، فهو في خمسة أو ستة أيام معلومة من السنة." انتهى.

ويعتقد الشيخ القرضاوي أن السائل لم ينسَ السؤال بعد، فيزيد في طوافه حول حكمة الحج، ولماذا فرضه الله، بينما الكل يعرف أن **الحج شعيرة وثنية** كان يمارسها عرب ما قبل الإسلام **ولم يفعل الإسلام أكثر من أن أقرها بحذافيرها**، حتى التلبية والطواف وحلق الشعر وذبح القرابين، فيقول الشيخ:

> "الحج يوحد الأمة ولقد غفل السائل عن هدف كبير من الأهداف التي شرع لها الحج، وهو جمع هذا الحشد العظيم من أبناء أمة الإسلام، في زمان واحد، ومكان واحد، علي عمل واحد، بلباس واحد، وبقصد واحد، وبنداء واحد: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك .إن هذا المنسك العظيم يصهر ما بين الأمة من فوارق العرق والدين واللغة والإقليم والطبقة، ويوحدها مخبرا ومظهرا، حتي يشعر الجميع بأنهم (أمة واحدة) كما أراد الله لهم، لا أمم شتي كما أراد لهم أعداؤهم. أمة وحدتها العقيدة، ووحدتها العبادة، ووحدها التشريع، ووحدتها الأخلاق، ووحدتها الآداب، ووحدتها المفاهيم، ولا غرو أن سمي الله المسلمين في كتابه (أمة) فقال تعالي: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَي النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدا (البقرة 143)}. وقال عز وجل: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ (آل عمران. 110)}. وقال سبحانه: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (الأنبياء 92)}." انتهى.

ونلاحظ هنا أن الشيخ يحاول مرة أخرى أن يلقي باللوم على السائل الذي جرؤ على أن يسأل مثل هذا السؤال، فقال له:

> "قد غفل السائل عن هدف كبير من الأهداف التي شرع لها الحج."

هذه الأهداف، حسب ما يقول الشيخ، **هي جمع الأمة في مكان واحد في زمان واحد**. فهل غابت هذه الحكمة عن الله عندما جعل الحج أشهراً معلومات؟ والشيخ القرضاوي، عمداً، يتجاهل الواقع الذي يحدث في الحج ويتحدث بإسهاب عن ما يجب أن يحدث من صهر ما بين الأمة من فوارق العرق والدين واللغة. هل رأى الشيخ كيف تعامل شرطة الحرم الحجيج الأفارقة أو الذين يأتون من إيران أو شيعة العراق؟ وهل يجهل الشيخ أن سبب آخر تزاحم على الجمرات، والذي أودى بحياة الكثيرين كان سببه أن شرطة الحرم احتجزت الحجيج بعيداً عن الجمرات حتى يرمي أحد الأمراء السعوديين جمراته بدون مزاحمة من **الرجرجة والدهماء**؟ وكيف يوحد الحج بين المسلمين في اللغة؟ هل الحاج الذي يأتي من أوزبكستان، حتى إن استطاع أن يقول "لبيك اللهم لبيك" هل يعني هذا أن الحج وحّد الأمة في اللغة؟

ويقول الشيخ للسائل:

> "ولا غرو أن سمي الله المسلمين في كتابه (أمة) كما أراد الله لهم، لا أمم شتي كما أراد لهم أعداؤهم".

والمعروف من لغة القرآن أن كل أهل شريعة هم أمة واحدة، وليس المسلمون فقط. فالقرآن يقول:

{وترى كل أمة جاثيةً كل أمةٍ تدعى إلى كتابها اليوم يجزون ما كنتم تعملون. (الجاثية 28)**}.**

فاليهود أمة واحدة، والمسيحيون أمة واحدة، والبوذيون أمة واحدة.

وحتى تكثر على السائل دورات الطواف ويشعر بالدوار وينسى سؤاله، يقول له الشيخ القرضاوي:

"ولقد عرف خصوم الإسلام قيمة الحج في توحيد الأمة، وإيقاظها، وتعريفها بذاتها، وتنبيهها من غفلاتها. ومما يذكر في ذلك ما كتبه رئيس حملة التبشير التي اجتاحت مصر في أوائل هذا القرن، وجندت لها إمكانات هائلة، بشرية ومادية، ولكنها باءت بالإخفاق والخيبة، فكان مما قاله رئيس هذه الحملة عبارات مهمة يجب أن يعيها المسلمون ويحفظوها. قال: سيظل الإسلام في مصر صخرة عاتية تتحطم عليها محاولات التبشير المسيحي، ما دام للإسلام هذه الدعائم الأربع: القرآن.. والأزهر.. واجتماع الجمعة الأسبوعي.. ومؤتمر الحج السنوي." انتهى.

ظهرت هذه الفتوى أو الرأى في موقع الشيخ القرضاوي في الشهر المنصرم - نوفمبر (تشرين الثاني) في هذا العام 2007. وبداية هذا القرن كانت قبل ست سنوات، ولكنا لم نسمع عن حملة تبشيرية اجتاحت مصر وقتها، ولو عرف عنها الشيخ، كان الأجدر به أن يذكر لنا اسم رئيس تلك الحملة، وفي أي مجلة أو صحيفة قال تلك المقولة حتى نستطيع الرجوع إليها. **ولكنه، تماماً كما يفعل غيره من الشيوخ، يلجأ إلى التعميم**، ويقول **"رئيس الحملة"** كما يقولون **"وقد أثبت العلم الحديث"**. وإذا كان الشيخ القرضاوي وشيوخ مصر معه، يؤمنون بأن الإسلام في مصر صخرة عاتية تتحطم عليها محاولات التبشير، لماذا غضب الشيخ القرضاوي وخرج من ‹حوار المذاهب الإسلامية› الذي عُقد بالدوحة حديثاً وطلب من الشيعة عدم التبشير بمذهبهم في المناطق السنية؟ هل خشي الشيخ على الصخرة العاتية؟

ولا ينسى الشيخ أن يستخلص درساً من هذا السؤال الذي لم يجب عليه حتى الآن، فيقول:

"درس لا ينبغي أن ننساه. ومن هنا كان علينا أن نتعلم من هذا المؤتمر الإسلامي العالمي، الذي لم يدع إليه ملك أو رئيس أو أمير، بل دعا إليه الله تبارك وتعالي، وفرضه علي المسلمين مرة في العمر، ليخرج المسلم من نطاق المحلية إلي أفق العالمية، وليرتبط شعوريا وعمليا بأبناء الإسلام حيثما كانوا في مشرق أو مغرب، وليستفيد أهل الحل والعقد في الأمة من هذا الموسم الرباني لجمع كلمة الأمة علي الهدي، وقلوبها علي التقي، وعزائمها علي الخير المشترك للجميع. وعلي أهل العلم والفكر والدعوة في الأمة مقاومة النزعات العصبية والدعوات العلمانية التي تفرق الأمة الواحدة، وتمزق كيانها، وتحولها إلي أمم شتي، يجافي بعضها بعض." انتهى.

ويبدو لي أن الدرس الذي سوف تستفيده الأمة الإسلامية من هذا المؤتمر (الحج) الذي دعا إليه الوثنيون قبل أن يدعو إليه الله، هو أن الحديث النبوي الذي يقول إن أمة محمد سوف تتفرق إلى ثلاث وسبعين فرقة، حديث مكذوب ولن تتفرق هذه الأمة لأن المسلمين يحجون كل عام ويتآخون. والمعروف أن الحج الإسلامي بدأ في السنة العاشرة للهجرة عندما حج النبي حجة الوداع، وظل المسلمون من وقتها يحجون كل سنة، فلماذا يا تُرى تفرقوا إلى عدة مذاهب وأمم؟

ويستمر الشيخ القرضاوي في شرح اليوتوبيا الإسلامية فيقول:

"وسئل سلمان الفارسي: ابن مَن أنت؟ فقال: أنا ابن الإسلام! فأصبح في الناس من لا يعتز إلا بوطنه أو بقومه، لا بمعني أن يحب وطنه يهتم بأمره، ويسعي في رقيه، أو يحب قومه، ويعني بأمرهم ونهوضهم ووحدتهم، فهذا لا حرج فيه، بل هو محمود ومطلوب شرعاً. ولكن بمعني تغيير الولاء للإسلام وأمته الكبري، وتقديم الرابطة الوطنية والعنصرية علي الرابطة الإسلامية. وهذا تحول في موقف الإنسان المسلم والجماعة المسلمة، لم يعرف من قبل." انتهى.

ونسي الشيخ القرضاوي أن يذكر لنا أن سلمان الفارسي، ابن الإسلام البر، والذي قال عنه النبي [سلمان منا، أهل البيت] كان قد طلب أن يتزوج بنت عمر بن الخطاب فلم يزوجه عمر. وطلب ذلك من عبد الرحمن بن عوف، فرفض كذلك. فأين الولاء الإسلامي؟ وهل نصح الشيخ القرضاوي أمير دولة قطر أن يظهر بعض الولاء الإسلامي ويقبل الصينيين السبعة الذين كانوا محتجزين في غوانتانامو وأرادت أمريكا إطلاق سراحهم بشرط أن يقبلهم بلد مسلم، وظلوا في الحبس سنتين لأن الأقطار الإسلامية العربية رفضت أن تقبلهم، وأخيراً قبلتهم دولة ألبانيا؟

ويختتم الشيخ القرضاوي فتواه بالآتي، دون أن يجيب على السؤال إجابة مقنعة، فيقول:

"لقد كان وطن المسلم من قبل، يعني (دار الإسلام) على اتساعها، فكل أرض تجري فيها أحكام الإسلام، وتقام شعائره، ويعلو سلطانه، ويرتفع فيها الآذان، هي وطن المسلم: يغار عليه، ويدافع عنه، كما يدافع عن مسقط رأسه. وكان العالم ينقسم عند المسلم علي هذا الأساس العقائدي: فهو إما دار إسلام، وإما دار كفر. وكان قوم المسلم هم المسلمون أو الأمة الإسلامية، الذين جمعته بهم أخوة الإيمان، وعقيدة الإسلام {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ (الحجرات 10)}. وكان أعداء المسلم هم أعداء الإسلام ولو كانوا ألصق الناس به وأقربهم إليه {لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ . (المجادلة. 22)}. فالمسلم حين يقف في صلاته مناجيا ربه بهذا الدعاء اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ بصيغة الجمع هذه، يستحضر في حسه وذهنه أمة الإسلام جمعاء." انتهى.

لماذا يا شيخ القرضاوي لا يحج الناس على دفعات وعلى مدى ثلاث أشهر ما دام القرآن قد قال {الحج أشهر معلومات}؟

النموذج الثاني: الشيخ عطية صقر

سأل أحد المصريين الشيخ عطية صقر، المفتي السابق وخريج الأزهر سؤالاً بسيطاً في مايو 1997، قال فيه: القرآن يقول {**أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها**} ، كيف يكون النقص؟

السؤال واضح ويحتاج كلمات معدودة لشرح النقص من الأطراف، أو أن يقول الشيخ: لا أدري. ولكن الشيخ أجاب السائل بالآتي:

"هذه الآية من سورة الرعد 41، وقيل في تفسيرها: المراد بالنقص من أطرافها هو موت العلماء الصالحين، فالأطراف هم الأشراف، كما قال ابن عباس والقشيري. وقيل المراد ما يغلب عليه المسلمون مما في أيدي المشركين، كما في رواية عن ابن عباس، وعنه أيضاً هو خراب الأرض حتى يكون العمران في ناحية منها."

فابن عباس لا يعرف هل النقص هو موت العلماء، أم استحواذ المسلمين على أراضي المشركين أو خراب الأرض حتى يكون العمران في ناحية منها. ومن الغريب أن الدكتور زغلول النجار لم يعثر على هذا الشرح فيضيفه إلى الإعجاز العلمي ويقول إن القرآن تحدث عن خراب الأرض حتى يكون العمران في جانب منها، وعنى القرآن بذلك التصحر أو نتيجة الاحتباس الحراري Green House Effect.

ويستمر الشيخ عطية صقر فيقول:

"وقال عطاء بن رباح: المراد ذهاب الفقهاء وخيار أهلها، وهو موافق لرأي ابن عباس، وارتضاه كثير من المفسرين. ومعنى الآية: أو لم تر قريش هلاك من قبلهم وخراب أرضهم بعدهم، أفلا يخافون أن يحل بهم مثل ذلك. وقيل المراد نقص بركات الأرض وثمارها، وذلك بجور أهلها، والقرطبي صحح هذا القول لأن الظلم يخرّب البلاد ويقتل أهلها، ويؤدي إلى انجلائهم عنها ورفع البركة عن الأرض. وما يقال الآن إنه دليل على أن كروية الأرض ليست تامة، بل هي مفرطحة من الجانبين، فهو غير قطعي، وليس مناسباً للمقام حيث تتحدث الآيات عن وعيد الله للكافرين وعما حدث للماكرين الكافرين من قبلهم. فأولى أن يُفسر النقص من أطراف الأرض بإهلاك الكفار والجبابرة في أي بقعة من بقاع الأرض." انتهى.

أما كان أولى بكل هؤلاء المفتين أن يقولوا: لست أدري، فمَن قالها قد أفتى.

عودة إلى الفهرس

88 - حصيلة ذي الحجة من النفاق

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=119354

رغم المقولة المشهورة، و(المعروفة من الدين بالضرورة)، والتي تقول «الإسلام يُجبُ ما قبله» أي يلغية ويمحوه من الوجود، نجد أن الإسلام لم يُجب أي شيء من عادات عرب ما قبل الإسلام، تلك الفترة التي سماها المسلمون، بهتاناً وزوراً، ب **"الجاهلية"**. فريضة الحج واحدة من عشرات العادات والممارسات الوثنية التي اقتبسها الإسلام وحافظ عليها. وفي موسم الحج، أي شهر ذي الحجة، يزداد المسلمون نفاقاً لأن الفريضة نفسها مبنية على كذبة كبيرة بُنيت على أسطورة خرافية تقول إن الإله أمر رسوله إبراهيم بذبح ابنه إسحق، ثم افتداه في اللحظة الأخيرة بخروف أنزله من السماء. وفقهاء الإسلام الجدد، عندما تيقنوا أن السماء ليست بناءً مرفوعاً بغير عمدٍ، ولم يبنها الإله بأيديه:

{أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج. (ق 6)}،
وكذلك:
{والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون. (الذاريات 47)}،

لما تبين لهم استحالة ما يقولون، لجؤوا إلى التأويلات وقالوا إن السماء هي كل ما سما وارتفع فوقنا، وبالتالي يكون الهواء هو السماء. وليس هناك من يعلم، سواء من المسلمين أو اليهود أو المسيحيين، من أي كوكب أو فضاء أتى ذلك الخروف، إذ ليس هناك خرفان في جميع المجرات التي توصلنا إلى اكتشافها حتى الآن، وبعضها يبعد مليارات السنين الضوئية عن كوكبنا.

ولأن فكرة الحج كلها مبنية حول أسطورة، فلابد أن يكون كل ما يمت للحج بصلة مبنياً على اللا معقول. فكل هؤلاء المسلمين الذين يتسابقون إلى الحج، يفعلون ذلك على أمل أن يمحو الإله كل خطاياهم فيرجعوا إلى بلادهم كيوم ولدتهم أمهاتهم، بلا ذنب، حتى يتمكنوا من ارتكاب الذنوب الجديدة من الكذب والخداع وربما غسيل الأموال، التي لابد أن تحدث عندما يرجعون إلى بيوتهم. وهكذا تتكرر التمثيلية عاماً بعد عام. ولا يمل فقهاء الإسلام من تذكيرنا أن الحكمة الإلهية في فريضة الحج هي مساواة جميع الحجيج في كل شيء حتى يصعب معرفة الحاكم من المحكوم. وكل من زار الأماكن "المقدسة" يعلم أن الأمراء ووفود الرؤساء يُعاملون معاملة لا يحلم بها الحاج أحمدو من نيجريا أو الحاج عبد الصبور من أسوان.

وتيمناً بالخروف الاسطوري النازل من الفضاء، يذبح الحجيج كل عام ما يزيد عن المليون خروف، بلا حاجة منهم إلى أكلها. وكانت الغالبية من هذه الذبائح تتلف في هجير صحراء مكة، والآن تحاول المملكة تبريدها وتوزيعها على الفقراء. وبمناسبة الفقر الذي يضرب أطنابه في المدن السعودية الكبرى، فقد انعقد مؤتمر في الرياض في يوليو عام 2005 *لدراسة أسباب الفقر في الرياض* وخرج بالتوصيات التالية:

"أما التوصيات التي دارت حولها مجمل الدراسات والبحوث فتركز على الاهتمام بتوسيع خدمات الجمعيات الخيرية وتنويع الفئات الاجتماعية التي تخدمها إلى جانب العمل على رفع درجة التعليم، خصوصا لدى النساء والعمل على مساعدة الأسر التي تعولها امرأة."[1].

فالمملكة التي يُقدّر فائض موازنتها بالمليارات من الدولارات، تعتمد على الجمعيات الخيرية لرعاية الفقراء. والغريب أن السنة النبوية التي يتباهون بها تحتوي على حديث يقول:

[قد خرج مسلم وأبو داود عن أبي سعيد الخدري قال بينما نحن في سفر مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاء رجل على راحلة فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا فقال النبي صلى الله عليه وسلم من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان معه فضل زاد فليعد به على من لا زاد له، قال فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل].[2]

ولكن رغم ذلك يكنز أمراء آل سعود ورجال الأعمال الملايين المكدسة، ويعتمد الفقراء على الجمعيات الخيرية. والغريب أن التوصيات اعترفت بأن هناك عائلات تعتمد في رزقها على المرأة، والمرأة في المملكة وفي الإسلام لا قوامة لها لأنها أنثى، والرجل مفضل عليها بما ينفق من ماله. ولولا النفاق لكان هؤلاء النسوة مفضلات على الرجال بما ينفقن من أموالهن.

ففي ذي الحجة من عامنا هذا، خطب الملك عبد الله بن عبد العزيز، خادم الحرمين الشرفين، في مأدبة العشاء الفاخرة التي أقامها على شرف رؤساء الدول وبعثات الحج المختلفة من أمثال الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد، والعاهل الماليزي الملك الواثق بالله توانكو ميزان زين العابدين، والرئيس الموريتاني محمد ولد الشيخ عبد الله، والرئيس مأمون عبد القيوم رئيس جمهورية المالديف، ونائب رئيس الجمهورية التنزاني، الدكتور محمد علي شين، ورئيس الوزراء البنـگلاديشي الدكتور فخر الدين أحمد، ورئيس الوزراء الغيني لنسانا كوياتي، فشدد

"خادم الحرمين الشريفين، الملك عبد الله بن عبد العزيز، على أن الأديان السماوية الكبرى وما أنزل على النبي إبراهيم عليه السلام من حنيفية سمحاء «تجتمع على مبادئ كبرى وتشترك في قيم عظيمة تشكل في مجموعها مفهوم الإنسانية وتميز الإنسان عن غيره من المخلوقات» مبينا أن تلك المبادئ تتمثل في الصدق والأمانة والتسامح والتكافل والمساواة وكرامة الإنسان."[3] انتهى.

- والملك هنا، كغيره من المسلمين، يردد عبارات رنانة وجميلة ولكنها لا تمت لعالم الحقيقة بشيء.
  - فإذا كانت الأديان السماوية الكبرى - الإسلام واليهودية والمسيحية- تجتمع على مباديء كبرى وتشترك في قيم عظيمة، لماذا لا نرى كنائس للمسيحيين أو معابد لليهود في مملكة الملك عبد الله؟
  - ولماذا قال نبي الإسلام [لا يجتمع دينان في جزيرة العرب]؟
  - وإذا كانت تلك المباديء تتمثل في الصدق والأمانة والتسامح والتكافل والمساواة وكرامة الإنسان، لماذا يصدر فقهاء الوهابية كل عام الفتاوى التي تُحرّم تهنئة المسيحيين بأعيادهم وتُحرّم إهداء الزهور للمرضى لأنها تمثل تشبهاً بالكفار؟
  - وأين المساواة بين المسلمين في مملكته؟
  - هل يتساوى العامل المسلم الإندونيسي مع السعودي في الأجر أو المعاملة؟
    - وهل يتساوى مواطنو الدول الغربية مع فقراء بنـگلاديش وباكستان عندما يرتكبون جرماً مثل بيع الخمور أو التفجيرات؟

[1] منيف الثقوفي، الشرق الأوسط، 31 يوليو 2005.
[2] الجواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمن الثعالبي.
[3] الشرق الأوسط 21 ديسمبر 2007.

- ماذا حدث للبريطانيين الذين سُجنوا بعد أن أدانتهم المحاكم الشرعية بالقيام بتفجير لاندكروزر وقتل زميلهم البريطاني بسبب التنافس على بيع الخمور؟ لماذا عفا عنهم الملك وأرجعهم إلى بلادهم بينما لم نسمع يوماً أنه عفا عن باكستاني أو إندونيسي أدين بتهريب أو بيع الخمور؟ فهؤلاء البؤساء يقطع السياف رؤوسهم بعد صلاة الجمعة.

- أما حديثه عن كرامة الإنسان فيجوز أن نسميه تهكماً بالكرامة، إن لم نقل نفاقاً.

- أين كرامة بنت القطيف التي استباح جسدها سبعة رجال أو وحوش سعوديين مسلمين، وأمر القاضي الشرعي بحبسها وجلدها؟
- أين كرامة الاستاذ الجامعي المزيني الذي حكمت عليه المحاكم الشرعية الإسلامية بالجلد لأنه انتقد زميله الاستاذ بنفس الجامعة؟
- أين كرامة الإنسان عندما يحفرون حفرة للمرأة ويرجمونها بالحجارة حتى الموت لأنها مارست الجنس مع غير زوجها، بينما يسافر زوجها إلى جنوب شرق آسيا لنفس الممارسات؟

كل هذه التصريحات تجسد النفاق وانفصام الشخصية الذي يعيشه المسلم يومياً. الانفصام بين ما يعتقد أن الإسلام يوصي به وبين ما يراه يحدث يومياً على أرض الواقع.

أما في السودان، قلعة الإسلام المنيعة التي نصّب رئيسها السابق جعفر النميري نفسه **أميراً للمؤمنين** بعد أن أعلن تطبيق الشريعة الإسلامية، التي أتي الرئيس البشير لاستكمالها، فقد أصدرت إحدى محاكمه الشرعية يوم 16 ديسمبر حكماً بالسجن ستة أشهر على اثنين من موظفي "دار متبولي" للنشر لأنهما عرضا كتاب ‹أم المؤمنين تأكل أولادها› للمفكر السوري نبيل فياض، في معرض الكتاب الذي أقيم مؤخراً في الخرطوم. وقد اقتنى أحد أنصار السنة نسخة من الكتاب وأفشى بالسر الخطير إلى الجهات المعنية التي لم تتوانى في رد شرف السيدة عائشة التي لم تأكل بنيها إنما أطعمتهم للسيوف والحراب يوم اشتركت مع طلحة والزبير في معركة الجمل ضد الخليفة علي بن أبي طالب الذي كانت تكرهه منذ أيام **حادثة الإفك** عندما نصح الرسول بطلاقها. وقد قالت 12 منظمة حقوقية مصرية في البيان الذي حصلت ‹الشرق الأوسط› على نسخة منه

> إن الحكم الصادر ضد العاملَين عبد الفتاح السعدني (30 عاما) ومحروس محمد عبد العظيم (30 عاما) يعد انتهاكا صارخا لحرية الرأي والتعبير، ولم يتوافر فيه الحد الأدنى من ضمانات المحاكمة العادلة.

والغريب أن نفس المحكمة الشرعية كانت قد حكمت وفي نفس الشهر على المعلمة الانـگليزية جليان جبنز بالسجن خمسة عشر يوماً فقط، مع قضاء ثلاثة أيام فقط في السجن وأربعة أيام في منزل ضيافة حكومي، ثم عفا عنها الرئيس المؤمن البشير بعد أن كان المسلمون الغيورون على إسلامهم قد جابوا شوارع الخرطوم منددين بها ومطالبين بفصل رأسها عن جسدها لأنها أساءت لرسول الإسلام. *ويبدو أن إساءة الرسول لا تستحق نفس العقاب الذي يستحقه من أساء إلى الزوجة الطفلة عائشة*. وقد يقول الذين في **قلوبهم مرضٌ** إن السبب الحقيقي في اختلاف قسوة العقوبة هو أن الرجلين من دار متبولي مصريان بينما المعلمة انـگليزية.

وإذا كانت السعودية معقل الإسلام تفرج عن الانـگـليز
فلماذا لا يفرج عنهم البشير؟
وكان لكم في مملكة الوهابيين أسوة حسنة.

أما في جمهورية تشاد المسلمة، التي تجاور ليبيا وتفصلها عنها **سنوات ضوئية** من الفقر والجهل والمجاعات والحروب،

> "فقد بدأت اليوم في العاصمة انجمينا محاكمة 6 فرنسيين و3 تشاديين وسوداني في قضية الأطفال المختطفين من قبل منظمة (ارش دو زويه) الفرنسية، وتتراوح الأحكام في حالة إدانة المتهمين بين 5 إلى 20 عاما، وسط تكهنات بالافراج عنهم بتدخل سياسي من الحكومة الفرنسية".[4]

ويستطيع أي إنسان، حتى الفقير منهم، أن يراهن بأي مبلغ من المال أن الفرنسيين سوف يُحكم عليهم بالسجن ولكن الرئيس التشادي سوف يعفو عنهم ويرسلهم إلى بلدهم معززين مكرمين. أما التشاديين الثلاثة والسوداني فعليهم أن يتحملوا ما تحمله الطبيب الفلسطيني في سجون ليبيا. والغريب في الخبر ليس بدء المحاكمة نفسها وإنما قرار جمهورية السودان الإسلامية إرسال وفد من جانبها لتتبع إجراءات المحكمة، فقد صرح السفير السوداني عبد الله الشيخ في انجمينا،

> "أن وفداً من بلاده سيصل الى انجمينا لحضور المحاكمة اليوم ولمراقبة الاجراءات القضائية والتعرف على المتهم السوداني في القضية الذي لم تتوفر معلومات عنه لدى السلطات السودانية".[5]

ومن الغريب أن تهتم جمهورية السودان بمحاكمة أحد مواطنيها خارج السودان بينما لا تلتزم محاكمها الشرعية بأبسط قواعد المحاكمات العادلة، كما صرحت بذلك المنظمات الحقوقية المصرية. وجمهورية السودان الإسلامية الغيورة على مصالح مواطنيها في أراضي الشتات لم تجرؤ حتى على زيارة معتقليها في سجن گوانتانمو في كوبا إلا بعد ثلاث سنوات من اعتقالهم. أما المساجين والمعتقلين في عاصمتها ومدنها الأخرى فلا يهتم أحد بحضور محاكماتهم، ولا حتى المحامين، لأن المعتقلين في الغالب هم من فقراء دارفور وبقية مناطق السودان. ومن لا يستطيع أن يستأجر محامياً عليه أن يدافع عن نفسه لأن الدولة لا توفر لهم المحامين.

وفي هذا الشهر المبارك كرّمنا شيخ الأزهر بزيارة خاطفة إلى لندن ليسلم على الشيخ محمد السلاموني، إمام مسجد ريجنت بارك بلندن، والذي فقد الإبصار نتيجة هجوم قام به أحد العنصريين البيض الذين يكرهون وجود الأجانب في بلدهم. والجدير بالذكر أن هذا هو نفس المسجد الذي كان المسؤول عنه أبو حمزة المصري ذو المخالب الحديدية والذي يبدو أنه فقد يديه وإحدى عينيه عندما كان يتفحص قنبلة في أفغانستان. شيخ الأزهر جاء إلى لندن ليسلم على الشيخ السلاموني وينقل له تحيات الرئيس حسني مبارك وتمنياته له بالشفاء العاجل. وفي مقابلة مع صحيفة الشرق الأوسط، قال الشيخ محمد سيد طنطاوي:

> "إن الإسلام يؤكد أنه لا إكراه في الدين لأن الإكراه لا يؤدي إلا الى كاذبين ومنافقين".[6]

[4] مصطفى سري، الشرق الأوسط 21 ديسمبر 2007.
[5] نفس المصدر.
[6] محمد الشافعي، الشرق الأوسط 15 ديسمبر 2007.

ولا بد أن الشيخ يعرف أن ما يقوله هو عكس الحقيقة تماماً. فالإسلام بدأ بالإكراه وما زال فقهاؤه يفتون بقتل الخارج من الإسلام. وفي فتوى من الجامع الأزهر قدمها الشيخ عبد اللطيف حمزة بتاريخ 6 يونية 1983، قال المفتي:

"إذا كان الولد غير بالغ أو غير عاقل يتبع خير الأبوين دينا. الولد الذى صار مسلما تبعا لأحد والديه أو تبعا لهما يظل مسلما بعد بلوغه ولا يحتاج إلى تجديد إسلامه ولو وارتد أبواه عن الإسلام أو ارتد من أسلم منهما ظل هو على إسلامه. إبداء الرغبة فى إثبات الديانة المسيحية ممن أسلم بالبطاقة **يعتبر ردة** عن الإسلام يجب قتله إن لم يتب ويرجع إلى الإسلام متبرئا مما فعل".[7]

ويتضح من هذه الفتوى أن الإسلام هو خير الأديان وأن الطفل الذي لم يبلغ الحلم إذا أسلم أبوه أو أمه يصبح مسلماً بدون إرادته ولا يجوز له الخروج من الإسلام عندما يبلغ الرشد ويقرر أنه لا يريد أن يظل مسلماً. **أليس هذا هو عين الإكراه؟**
ولم يفت شيخ الأزهر أن يُثبت لنا أن وعاظ السلاطين ما زالوا أحياء في القرن الحادي والعشرين، وما زال نفاق الحاكم يسيطر على عقولهم. فهاهو الشيخ يقول لنا:

"وأستطيع أن ألمس اهتمام السيد رئيس الجمهورية والحكومة والأزهر الشريف بحالة الشيخ السلاموني، والدولة مشكورة ممثلة في الرئيس مبارك كانت قد كلفت الدكتور أحمد نظيف رئيس الوزراء فور الحادث وفي نفس اليوم الذي تم فيه الاعتداء عليه بعلاج الشيخ على نفقة الدولة، وفي أفضل المستشفيات في بريطانيا.".[8]

فهاهو الرئيس مبارك يتبرع مشكوراً بعلاج الشيخ السلاموني في أحسن مستشفات لندن، مع العلم أن المريض المصري الذي يفقد بصره في مصر لا يوفر له السيد الرئيس العلاج المجاني حتى في أسوأ مستشفيات مصر. يقدم شيخ الأزهر شكره للرئيس المصري وهو يعلم أن الشيخ السلموني وغيره ممن يملك حق الإقامة ببريطانيا يُعالج مجانا في أحسن مستشفيات بريطانيا، خاصة في حالة الإصابات أو الحالات المستعجلة Emergencies ولكن شكر ولي الأمر لابد أن يصدر من شيخ الأزهر في كل المناسبات، خاصة عندما يكون في السفارة المصرية بلندن.
وتذكرني زيارة شيخ الأزهر بزيارة قام بها الوليد بن عبد الملك إلى المدينة وأراد أن يزور مسجد الرسول، فأخرجوا جميع مَن كان بالمسجد إلا سعيد بن المسيب، فلم يجتريء أحد أن يخرجه.

"فقيل له لو قمت قال والله لا أقوم حتى يأتي الوقت الذي كنت أقوم فيه. قيل فلو سلمت على أمير المؤمنين، قال والله لا أقوم إليه. قال عمر بن عبد العزيز: فجعلت أعدل بالوليد في ناحية المسجد رجاء ألا يرى سعيدا حتى يقوم فحانت من الوليد نظرة إلى القبلة فقال من ذلك الجالس أهو الشيخ سعيد بن المسيب؟ فجعل عمر يقول نعم يا أمير المؤمنين ومن حاله، ومن حاله، ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك وهو ضعيف البصر. قال الوليد قد علمت حاله ونحن نأتيه فنسلم عليه، فدار في المسجد حتى وقف على القبر ثم أقبل حتى وقف على سعيد فقال: كيف أنت أيها الشيخ؟ فوالله ما تحرك سعيد ولا قام. فقال بخير والحمد لله، فكيف أمير المؤمنين وكيف حاله؟ قال الوليد خير والحمد لله فانصرف".[9]

فسعيد بن المسيب لم يكن يستلم راتبه من الوليد بن عبد الملك ولم يكن من وعاظ السلاطين.
ويبدو أن النفاق هو سدى ولحم تصرفات المسلمين، خاصة في المدينة "المنورة" رغم ادعائهم أنهم **خير أمة أخرجت للناس**. **فقد** أخبرنا القرآن، عندما كان يخاطب النبي، بالآتي :

{ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين. (التوبة 101)**}.**
{لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم. (الأحزاب 60)**}.**
{وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خُشُبٌ مسنَدةٌ يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم. (المنافقون 4)**}.**

ولا يسعني إلا أن ادعو بطول العمر للملوك والأمراء والمشايخ وعاظ السلاطين واتمنى لهم عيداً سعيداً وعوداً أحمدَ.

عودة إلى الفهرس

[7] فتاوى الأزهر لمئة عام.
[8] نفس المصدر.
[9] تاريخ الطبري، ج4، ص 9.

89 - من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر - تعقيباً على رسالة السيد النابلسي إلى العلاكين

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=119881

السيد شاكر النابلسي كاتب ذو باع طويل في الاطلاع وتاريخ أطول في الكتابة عن السياسة والدين والأدب وكل ما يخطر على ذهن الكاتب من مواضيع. وقد شارك الدكتور شاكر النابلسي في صياغة العريضة التي وقّع عليها عدد كبير من المثقفين العرب قبل عامين وكان الغرض منها *استصدار قرار من الأمم المتحدة لحماية العلمانيين من شيوخ الفتاوى الذين يبيحون دم من ينتقد الإسلام*. وقد انتقد الدكتور النابلسي نفسه الإسلام في عدة مقالات وفي كتابه الموسوم "لو لم يظهر الإسلام" والذي حاول فيه أن يُثبت أن الإسلام لم يأت بجديد، بل بالعكس جبّ، *أي ألغى جميع معارف وثقافة قريش التي سادت قبله*. ولولا أن جاء الإسلام لاتبع العرب النصرانية. *ولسببٍ خافي علينا أصبح الدكتور النابلسي من المدافعين عن الإسلام*، وأصبح يضيق ذرعاً بالذين ينتقدونه، ولذا وجه لهم رسالة في موقع إيلاف الإلكتروني بتاريخ 24 ديسمبر 2007 تحت عنوان ‹رسالة إلى العلاكين›. ويبدو أن هؤلاء العلاكين قد استفزوا حساسية السيد النابلسي لدرجة أنه وصف كتاباتهم ب "**سقط الكلام**" وردد هذا المصطلح ثلاث مرات في خمسة سطور.

- وسبب غضب السيد النابلسي هو أنه يقرأ

"بين فترة وأخرى هجوماً صبيانياً غوغائياً، غير علمي وغير موضوعي على الإسلام من قبل كتاب مسلمين وغير مسلمين مضطهدين في أوطانهم، نتيجة عوامل كثيرة. وهذا الهجوم شائع هنا في "إيلاف" وغيرها من مواقع الانترنت التي تتمتع بهامش حرية أكبر بكثير من هامش حرية الصحافة الورقية." انتهى.

- ويظهر من هذه الفقرة أن الكتاب المضطهدين في بلادهم، وهذا يشمل جميع الكتاب العرب ما عدا كتاب مديح السلاطين، لا يجوز لهم، في رأي السيد النابلسي، نقد الإسلام لأن كتاباتهم **غوغائية وصبيانية وغير علمية** بسبب اضطهادهم، أو لأنهم، بدون استثناء، **لا يفهمون آليات نقد الدين**. وكلا السببين لا يمكن أن ينطبقا، كلاهما أو فرادى، على جميع الذين انتقدوا الإسلام، كما عمم السيد النابلسي. أما إذا كان السيد النابلسي يقصد بالكتاب غير المسلمين والمضطهدين في أوطانهم الإخوة الأقباط، فالمصيبة هنا أكبر، إذ أنه كان قد شاركهم مؤتمراتهم العديدة التي نددت بالاضطهاد الديني في مصر، ولم نقرأ له نقداً لتلك المؤتمرات.
- ثم يستمر السيد النابلسي فيقول:

"لاحظ الكثيرون أن هذا الهجوم والنقد المرير لا ينصبُّ على فقهاء الإسلام المعاصرين، وأقوالهم، واجتهاداتهم، وفتاواهم، وإنما ينسحب أيضاً على بعض النصوص المقدسة الإسلامية." انتهى.

- ويخيل إليَّ أن الدكتور النابلسي يعرف أنه **لا توجد أبقار مقدسة** في الدراسات العلمية لأي موضوع أو أي دين. الناقد لابد أن يصل إلى مصدر ما ينتقده. ومصدر فتاوى الفقهاء واجتهاداتهم، إذا كان لهم اجتهادات، أصلها تمتد جذوره إلى القرآن والسنة.

فالذي ينتقد الفقهاء لابد له من نقد القرآن والسنة، وإلا لو كان القرآن والسنة فوق النقد، يصبح اجتهاد الفقهاء كذلك فوق النقد *لأن اجتهاداتهم لا تخرج عن النقل ونادراً ما يتطرق أحدهم إلى العقل*.

- وفي لغة تشبه إلى حد بعيد لغة الشيخ أحمد صبحي منصور، يقول السيد شاكر النابلسي:

"وهؤلاء المهاجمون "العلاّكون" لم يميزوا بين "إسلام القرآن" و"إسلام الفقهاء" ونصوصه التي تراكمت على مدى 14 قرناً لتنتج لنا "الإسلام المُضاد"، كما يُطلق عليه المفكر الليبي الراحل الصادق النيهوم. وهؤلاء المهاجمون يستغلون دون شك أيضاً، قضايا حياتية برزت في السنوات القليلة الماضية وما زالت بيننا كالحجاب، والختان، ووضع بعض الفقهاء للمرأة في مكان متدنٍ من مكانة الرجل.. الخ..فالإسلام يُعرفُ بالحق، ولا يُعرفُ الحقُ بالإسلام وحده." انتهى.

- ليس هناك شيء اسمه "إسلام القرآن"، كما ليس هناك شيء اسمه "يهودية التوراة" فالمشنة وغيرها من كتب اليهود تشرح ممارسات وأقوال الأنبياء، كما تشرح كتب الفقه والأحاديث بعض الجوانب من الدين التي مارسها محمد ولم تذكر في القرآن.

ورغم أن القرآن يقول {**وما فرطنا في الكتاب من شيء**} إلا أن القرآن لا يحتوي على أنواع وكمية الزكاة أو تعريف الربا ولا حتى كيفية الوضوء أو الغسل ولا عدد ركعات الصلاة. فإسلام القرآن مصطلح أتى به القرآنيون لتقوية ما يؤمنون به. أما ختان الرجال والوضع المتدني للمرأة في الإسلام فهي من صميم الإسلام كما هي من صميم اليهودية التي أخذ عنها الإسلام.

- وقد تكرّم السيد النابلسي بتوضيح بعض "الحقائق" لنا، فقال:

"أولاً: صحيح أن هناك بعض الفتاوى الدينية (ومعظمها تصدر من مصر)، التي تُغضب المسلمين وغير المسلمين في العالم العربي في شتى شؤون الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ولكن السؤال هو : ما هي نسبة الأفراد المتضررين من هذه الأحكام. هناك من يقول مثلاً بـ "دار السلام"، و "دار الحرب". فأي من الدول العربية والإسلامية تُطبّق هذا النظام الآن. وما هي نسبة الناس التي تؤمن وتُطبّق هذه المقولة؟" انتهى

من الصعب في عالم لا يؤمن بالإحصاءات القول بنسبة الذين يتضررون من الفتاوى الدينية، ولكن إذا كانت النسبة ضيئلة، كما يوحي السيد النابلسي، لماذا إذاً أضاع وقته وأوقات المثقفين العرب في توقيع تلك العريضة التي رفعها إلى السيد كوفي أنان وطالب فيها بتجريم الشيوخ الذين يفتون بردة الكتاب وهدر دمائهم؟

وأظن الكل يعرف أن فتاوى الشيخ بن باز ضد الشيعة في المملكة العربية السعودية قد حَرَمت مئات الآلاف من الشيعة في المنطقة الشرقية من مساواتهم بغيرهم.

وقد ردد علينا السيد النابلسي في اكثر من ثلاث أو أربع مقالات أسماء الكتاب والمفكرين العرب الذين قُتلوا في مصر ولبنان والسودان نتيجة فتاوى الشيوخ. وقتل مفكر واحد يستحق أن ننتقد من أجله الإسلام أو أي دين آخر يبيح مثل هذا القتل. والسيد النابلسي نفسه كان قد كتب مقالاً في إيلاف في 27 مارس، 2005 تحت عنوان ‹محنة العقل العربي: البغدادي إنموذجاً› قال فيه:

"والإمام أحمد البغدادي في محنة وبلاء، بسبب حسد ووشاية بينه وبين السلفيين الظلاميين الكويتيين الذين كادوا له، وما زالوا يكيدون كيد النساء، واستطاعوا أن ينتصروا عليه كما فعلوا في السابق. وكما استطاعوا أن يطردوا الكاتب الليبرالي الكويتي الآخر عبد اللطيف الدعيج للخروج من الكويت ، حيث يقيم الآن في أمريكا ويكتب من هناك. وكما استطاعوا أن يخرسوا كثيراً من رموز الحداثة والليبرالية في الكويت، ويقفوا في وجه الدولة بأكملها التي تريد للمرأة الكويتية حريتها وتمثيلها في البرلمان، وهم يريدون لها البيت لا تبرحه للخَلَف والعَلَف." انتهى.

فهاهم فقهاء الإسلام في الكويت قد أثروا في شريحة كبيرة من المجتمع وهددوا المثقفين والمرأة الكويتية ووقفوا ضد الدولة برمتها. فإذاً نسبة الذين يتأثرون بالفتاوى نسبة كبيرة جداً. أما مصطلح دار الحرب ودار السلام فما زال مستعملاً ومطبقاً في جمهورية إيران الإسلامية وفي المملكة العربية السعودية التي تمنع ملايين المقيمين المسيحيين من إدخال كتبهم المقدسة إلى المملكة وتعج فتاوى علمائهم بمصطلحات " الكفار" و"دار الكفر."

- ويستمر السيد النابلسي فيقول:

"ثالثاً: الأديان السماوية والأرضية كأي عقائد أخرى تتعصرن الآن وحدها، وبفعل قوتها الذاتية، وبفعل كور نار الحداثة من حولها، وإن كان تعصرنها بطيئاً، نتيجة لثقل الموروث الفقهي الإسلامي والمسيحي واليهودي المحمول على كتف هذه الأديان منذ آلاف السنين. وهذه العصرنة البطيئة وغير الملحوظة، تتم رغماً عن إرادة كثير من فقهاء وقساوسة وراببي هذه الأديان، الذين يرفضون التغيير، ويرفضون التطوير، ويعتبرونهما ضد مصالحهم الاجتماعية والسياسية والمالية، ومساساً بهيبتهم وسلطتهم الكهنوتية، التي اكتسبوها في العصور المنحطة

والأزمنة الرديئة كهذا الزمن الذي نعيش فيه الآن، والذي أصبح فيه الفقيه والقسيس والرابي هو البحّار والدليل والمرشد في الطريق السياسي والاقتصادي والاجتماعي في غياب الأدلاء والمرشدين النُصحاء." انتهى.

- وأنا شخصياً *لا أرى أي عصرنة في الفقه الإسلامي وفتاوى التكفير*. بل بالعكس فقد ازداد التدين الظاهري في المجتمعات العربية كنتيجة حتمية لازدياد القنوات الفضائية الممولة بدولارات النفط. وكيف يتعصرن الفقه والفقهاء يعارضون ذلك، كما يقول النابلسي؟ وكيف يتعصرن الفقه في الزمان الرديء، مثل زماننا هذا، كما يقول السيد النابلسي؟ وقد كان النابلسي كتب مقالاً في إيلاف بتاريخ 3 سبتمبر 2004، تحت عنوان ‹فقهاء سفك الدماء› قال فيه:

"إن العالم العربي تحكمه الغرائز لا العقول، هو الذي أمكن العمائم من أن تقف على المنابر السياسية في شرق العالم العربي وغربه لكي تقود العمل السياسي العربي الذي أصبح عبارة عن دعوة إلى سفك الدماء والمزيد المزيد من سفك الدماء باسم الدين الجديد الذي جاء به القرضاوي وكافة الجماعات الارهابية الدينية الأصولية. ..... ما العمل؟ الأنظمة العربية غير قادرة على لجم أشياخ الدين لمنعهم من اصدار الفتاوى السياسية / الدينية، لأن جزءاً من هذه الفتاوى يصدر لصالح هذه الأنظمة، ولتقوية نفوذها، واستمرار حكمها، وتقديم المظلة الدينية لها. الأحزاب السياسية غير الدينية غير قادرة على الائتلاف فيما بينها لسيطرة القبلية والعشائرية على هذا الأحزاب والوقوف في وجه أشياخ المؤسسات الدينية لملء الفراغ السياسي ومنع هؤلاء الأشياخ من إصدار الفتاوى السياسية / الدينية. الشارع العربي شارع مُغيّب وجائع وجاهل ومنهك وفاقد الأمل في القوى السياسية العربية، ويرى في أشياخ المؤسسات الدينية وفتاواهم مبتغاه الوحيد لكي يُنفّس عن حقده وتظلمه وجوعه واهماله وسرقته من قبل أنظمة الحكم. النخب العربية الفكرية والسياسية التي تعيش في العالم العربي لا تستطيع مواجهة أشياخ المؤسسات الدينية وفتاواهم خوفاً من تسلط هؤلاء الأشياخ الذين يملكون مليشيات دموية مسلحة قادرة على جزِّ رأس أي مفكر أو سياسي يعارضهم. ولعل مقتل المفكرين اللبنانيين: حسين مروة، ومهدي عامل، والمفكر المصري فرج فودة، ومحاولة قتل نجيب محفوظ واختطاف الصحافي المصري رضا هلال، وغير ذلك من الحوادث خير دليل. ومعظم الأصوات التي تعارض هؤلاء الأشياخ وتهاجم فتاواهم هي أصوات عربية تعيش في الغرب ، بعيداً عن بطش الأشياخ بمعارضيهم." انتهى

فإذا كان هذا هو حال العالم العربي كما رآه السيد النابلسي قبل ثلاث سنوات فقط، أين التحديث فيه؟ وإذا كان هذا هو حال الشارع العربي المسلم، **أليس من واجب المثقفين العرب محاولة تنوير هذه الشعوب وإزالة الكابوس الديني الذي يعتّم على عقولهم**، حتى وإن رددوا وعلكوا الكلام مرات ومرات حتى يصل إلى مَن هو في حاجة إليه؟ وما دام العالم العربي مغيب ويرى في الشيوخ الدينيين مبتغاه الذي يعوضه عن سرقته واضطهاده، وهؤلاء الشيوخ يصدرون فتاوى القتل ضد المثقفين، **أليس من واجب السيد النابلسي أن يبارك للذين يهاجمون الشيوخ وإسلامهم مجهودهم العظيم حتى وإن علكوا الكلام؟**

- ثم يخبرنا السيد النابلسي عن الضمانات الحديثة للشعوب العربية ضد سيطرة رجالات الدين وضرب لنا مثلاً بحماس ومحاصرتها في غزة، فقال:

"وهناك الآن في هذا العالم الجديد، ضمانات عالمية ضد هذه المخاوف غير المبررة من قبل البعض. ومن هذه الضمانات جمعيات حقوق الإنسان، والغرب العَلْماني والشرق الآسيوي العَلْماني بقيمهما السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وكذلك الجزر العَلْمانية المتناثرة هنا وهناك، في العالم العربي، وفي العالم الإسلامي. كل هؤلاء هم عبارة عن ألسنة من اللهب المذيب لصدأ الحديد في كافة الأديان، والمتمثل بأقوال بعض الفقهاء والقساوسة والرابيين. وحتى عندما قامت حكومة دينية كحكومة "حماس" وهلع مَن هلع، وفزع مَن فزع، وخلع مَن خلع، لم تحتَجْ مثل هذه الحكومة ذات الفيروس سريع الانتشار، إلى أكثر من حُقنة واحدة مضادة من العَلْمانية الدولية، لكي تتركها جثة هامدة دون حراك، كما هي عليه الآن." انتهى.

- فجمعيات حقوق الإنسان العالمية لا تستطيع أن تفعل أكثر من نشر إحصاءات القتل والتعذيب والاضطهاد الديني في البلاد العربية. *وجمعيات حقوق الإنسان العربية ما هي إلا مسخ وهبه لنا السادة الحكام*. فمثلاً، جمعية حقوق الإنسان السعودية التي يعين أعضاءها الملك، لم تحقق إلا في عشر حالات فقط من حالات الاضطهاد الديني

"كشف الدكتور مفلح القحطاني، نائب رئيس الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان في السعودية، لـ ‹الشرق الاوسط›، عن أن الجمعية حققت في قرابة 10 شكاوى ادعى فيها مقدموها بأن عددا من الجهات مارست عليهم بعض المضايقات بسبب انتمائهم المذهبي والديني." انتهى.

وماذا كانت النتيجة؟

"وقال القحطاني إن الجمعية عملت على الاتصال بالجهات والأطراف المعنية بتلك الشكاوى وقد اتضح أن غالبيتها ليست على علاقة بانتماء ديني أو مذهبي معين، بل كانت وفق الأنظمة والقوانين المعمول بها في الجهات المعنية - على حد قوله."[1]

هل يريد لنا السيد النابلسي أن نعتمد على مثل هذه الجمعيات لتحمينا من الاضطهاد الديني؟ أما حماس وحصارها من دول الغرب فقد كان السبب وراءه حماية إسرائيل، فالغرب لم يحاصر إيران عندما نجحت ثورة الخميني، ولم يحاصر السودان عندما قام الترابي والبشير بانقلابهم العسكري الإسلامي، ولم يحاصر العراق بعد أن استولت عليه المليشيات الدينية المختلفة.

- وفي نبرة حزن واضح على الإسلام يقول السيد النابلسي:

"رابعاً: صحيح أن هناك بعض الفقهاء، يعتبرون أن الحجاب والختان من الإسلام الصحيح. وبأن دونية المرأة هي من طروحات الإسلام الخاصة دون غيره من الأديان. وأن المرتد في الإسلام يُقتل.. الخ. وبعضنا يلوك في فمه مثل هذه الأقوال، و"يُطرطق" بهذا العِلْك في "الطالعة والنازلة"، علّه يُسمع صوته للآخر الأطرش، فذلك هو طريقه الوحيد لذلك. في حين أن أصل الحجاب وأسّه ليس من الإسلام، بل هو من غيره من الأديان التي لا تُنتقد ولا تهاجم كما ينتقد ويهاجم الإسلام هذه الأيام من قِبل "العلاّكين"." انتهى.

- وفي الحقيقة فإن الإسلام لم يأت بجديد، فكل الفروض من صلاة وصيام وزكاة وغيرها مأخوذ من اليهودية. والحج وقوانين الزواج والطلاق ما هي إلا أعراف جاهلية سبقت الإسلام.

أما لماذا لا ينتقد الكتاب العرب الأديان الأخرى بقدر انتقادهم للإسلام فالسبب يكمن في أن **الأديان الأخرى ما عادت تقتل المرتد وتنادي بالحاكمية لله وتفرض على المرأة القرار ببيتها إلى أن تخرج إلى قبرها**.

ومع أن السيد النابلسي قد عاب على الكتاب العرب نقد الإسلام وقال إن العقائد السماوية تتعصرن الآن من تلقاء نفسها ورغم معارضة رجال الدين، دعونا نقرأ ما قاله النابلسي قبل عام واحد بالضبط، فقد كتب في ‹إيلاف› بتاريخ 12 ديسمبر 2006 مقالاً تحت عنوان ‹ثقافة الإرهاب: هل هي من الإسلام أم من المتأسلمين› ذكر فيه:

"5- عدم انطلاق ونجاح فكرة الإصلاح الديني التي قادها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعلي عبد الرازق وغيرهم. كذلك، عدم وجود فقه ديني عصري جديد يضع العالم العربي والعالم الإسلامي في قلب العصر الذي نعيش فيه. وإغلاق باب الاجتهاد والعمل بمقولة "ما أغلقه السلف لا يفتحه الخلف". وظل الفقه الديني الجديد المتمثل براشد الغنوشي وحسن الترابي ويوسف القرضاوي وعبد العزيز بن باز وعبد العزيز آل الشيخ وغيرهم متركزاً على معادة الغرب وتكفيره وإبراز مظاهر ظلمه وعدوانه، دون الخطو خطوة واحدة في اتجاه العصر.
6- تحوّل الدين في النصف الثاني من القرن العشرين إلى ظاهرة سلطة، وظاهرة إستقواء وبطش بالآخرين. وخضوع الأنظمة العربية والشارع العربي لظاهرة "الإسلام الفأسي" (أي استخدام الفؤوس المقدسة لقتل الآخر) كما في الجزائر ومصر وأفغانستان والعراق مؤخراً وغيرها. واعتبار القتلة من "المجاهدين المقدسين."
7- إنشاء وظيفة "العالم الديني"، ثم إنشاء طبقة من العلماء (علماء الدين) بيدها حقائق العلم الديني، فأرادت حفاظاً على هذه الميزة احتكار العلم، فقامت بتكفير كل من خالفها، وباستئصال كل من عارضها إما مباشرة وإما باستعداء الحكام على المعارضين. وأصبحت الطاعة العمياء للسلطة السياسية مرادفةً لحرفية النصوص للسلطة الدينية. كما قال حسن حنفي في ‹الجذور التاريخية لأزمة الحرية والديمقراطية في وجداننا المعاصر›.". انتهى.

- أفلا يحق للناس بعد هذا أن يلتوا ويعجنوا ويعلكوا الهجوم على الإسلام؟ فكل شيوخ الإسلام الذين ذكرهم النابلسي أتوا بنصوص من القرآن أو الحديث تساند ما ذهبوا إليه. وإذا كان هذا هو رأي السيد النابلسي عن الوضع المأساوي في العالم العربي بسبب شيوخ الإسلام، كيف يغضب ويثور على الذين ينتقدون الإسلام؟ ألم يتذكر مقولة يسوع المسيح {**من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر**}؟ فهو قد رمى الإسلام بعدة حجارة قبل أن يهاجمه العلاكون.

[1] تركي الصهيل ومحمد علي صالح، الشرق الأوسط، 21 يوليو 2006.

ملحوظة: أرسلت هذا التعقيب لـِ ‹إيلاف› التي حملت مقال السيد شاكر النابلسي، ولكن إيلاف امتنعت عن نشر التعقيب لأسباب يعرفها القائمون عليها.

عودة إلى الفهرس

الدكتور كامل النجار

مقالات

الحوار المتمدن

المجموعة VIII (2013)

فهرس المجموعة VIII

#	عنوان المقالة	العدد	تاريخ النشر	محور المقالة
239	إصلاح الإسلام 1 .... تعقيباً على الأستاذ العفيف الأخضر	3190	2010 / 11 / 19	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
240	إصلاح الإسلام 2-3	3192	2010 / 11 / 21	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
241	إصلاح الإسلام 3-3	3194	2010 / 11 / 23	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
283	الإسلام منظومة سياسية لا يمكن إصلاحها 1-2	4081	2013 / 5 / 3	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
284	الإسلام منظومة سياسية لا يمكن إصلاحها 2-2	4083	2013 / 5 / 5	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
285	كل الأديان إقطاع مستتر	4096	2013 / 5 / 18	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
286	ماذا يقول علماء الأنثروبولوجيا عن الأديان؟	4123	2013 / 6 / 14	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
287	القرآن صناعة بشرية بحتة	4131	2013 / 6 / 22	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
288	كامل النجار - مفكر وكاتب علماني - في حوار مفتوح مع القارئات والقراء حول: تحديث الإسلام أم أسلمة الحداثة؟	4139	2013 / 6 / 30	مقابلات وحوارات
289	بعض أخطاء النسخ في القرآن	4162	2013 / 7 / 23	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
290	أسئلة وأجوبة - الحلقة الأولى	4186	2013 / 8 / 16	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
291	أسئلة وأجوبة - الحلقة الثانية	4190	2013 / 8 / 20	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
292	أسئلة وأجوبة - الحلقة الثالثة	4193	2013 / 8 / 23	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
293	أسئلة وأجوبة - الحلقة الرابعة والأخيرة	4195	2013 / 8 / 25	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
294	البنوك الإسلامية	4200	2013 / 8 / 30	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
295	البنوك الإسلامية 2-2	4203	2013 / 9 / 2	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
296	الإسلام، الإخوان المسلمون، والمخابرات الغربية	4263	2013 / 11 / 2	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
297	عرب مكة يهزمون مؤلف القرآن	4279	2013 / 11 / 18	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني
298	مؤلّف القرآن وآفة النسيان	4307	2013 / 12 / 16	العلمانية، الدين السياسي ونقد الفكر الديني

239، 240، 241 - إِصلاح الإِسلام

(تعقيبا على الأُستاذ العفيف الأَخضر)

2010 / 11 / 19

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=235605

> نشر الأُستاذ العفيف الأَخضر بموقع الحوار المتمدن مقابلة عن **إِصلاح الإِسلام** تتكون مِن ست حلقات، أَجراها معه السيدان ناصر بن رجب ولحسن وريغ. وليس هناك مِن شك أَنّ الإِسلام في أَمَسّ الحاجة الى الإِصلاح والتغيير لأَن ما لا يتغيّر ويتلاءم مع بيئته وزمانه، سوف ينقرض وينتهي نهاية الديناصورات وغيرها مِن الحيوانات التي لم تستطع أن تتأقلم وتتطور فماتت. ولا ينحصر شرط التغيير والتأقلم على الحيوانات فقط بل يشمل *الحضارات والأَديان وحتى اللغات*. فكم مِن حضارة عريقة مثل حضارة الإِغريق والرومان قد تآكلت مِن داخلها وماتت لأنها لم تتأقلم مع المستجدات مِن حولها، واليوم نجد اليونان وإِيطاليا مِن أَضعف الدول الأُوروبية حضاريا وماديا، ولغتاهما القديمتان - اللتان سيطرتا على عالم الفكر عدة قرون - قد ماتتا واندثر أَثرهما.

ولكن السؤال الجوهري هو: *هل يملك رجال الدين الإِسلامي **الوسائل** الضرورية لِإِصلاح الإِسلام؟* أَهم هذه **الوسائل** هو **وجود سُلطة مركزية يخضع لها جميع المنتمين الى ذلك الدين**، سواء أَكانوا مِن العامة او مِن رجال الدين أَنفسهم. وخير مثال لذلك هو *الفاتيكان* والبابا الذي يسيطر على الكنيسة الكاثوليكية، والذي تسري أَحكامه على الجميع، بينما في الكنيسة الإِنجيلية كما في الإِسلام، لا توجد قوة مركزية يمكنها أَن تتحدث بإسم جميع الكنائس الإِنجليكية او جميع المذاهب الإِسلامية. وهذه **عقبة كأداء** في طريق إِصلاح الإِسلام.

أَنا أَتفق مع السيد العفيف الأَخضر في جُل ما ذهب إِليه، فالعفيف الأَخضر باحث إِسلامي معترف به، ومن الذين يملكون زمام اللغة والتاريخ الإِسلامي، ولكني، حتما، أَختلف معه في بعض النقاط، وفي طريقة إِصلاح الإِسلام، إِذا كان مِن الممكن إِصلاحه.

- يقول السيد الأَخضر في الحلقة الأُولى مِن المقابلة:

> «سبب الأَسباب لتخلّفنا او بما هو أَدقّ لتخبّطنا الطويل في أَزمة الحداثة، التي نجتازها وعدم خروجنا منها سالمين حتى الآن، هو سوء صناعة القرار الذي مازال في تسعة على عشرة على الأَقل مِن البلدان العربية لا تصنعه المؤسَّسات صناعة علمية يكون الكمبيوتر أَول صانع له. بل تصنعه نزوات وهذيانات الحاكم الفرد. واحد مِن بين عشرات الأَمثلة، صدّام حسين الذي افتخر بأَنّ القرار الكارثي عليه وعلى العراق وربّما على الشرق الأَوسط كلّه، أَعني قرار ضمّ الكويت، اِتّخذه بناء على حلم رآه في المنام مُضيفا، اِعتمادا على حديث محمّدي، بأَنّ *الحلم الصادق جزء مِن أَربعين جزء مِن النبوّة*. لكن الملاك الذي أَوحى إِليه بالحلم نسي أَن يوصيه بطرح السؤال المركزي الذي تُوجبه صناعة القرار 'وماذا في صباح اليوم التالي؟'. وهو السؤال الذي لم يطرحه قبله جمال عبد الناصر عندما طرد القوات الدولية المرابطة على الحدود المصرية الاسرائيلية في مايو 1967.» انتهى.

✍ وهنا مربط الفرس. *فالإِسلام لم يعرف في تاريخه الطويل أَي ممارسات ديمقراطية تأخذ رأي الأَغلبية في الإِعتبار* عند اِتخاذ القرارات. القلة مِن أَهل **العقد والحل** هم الذين يتخذون القرار نيابة عن الكل، كما حدث في اختيار الخلفاء الراشدين. *ومنذ ولادة الدولة الأُموية أَصبح القرار بيد الحاكم الأَوحد المتسلط على شعبه*، مِن سلالة قريش (أُموي، عباسي، شيعي، فاطمي، علوي، اِلخ). وفي العصر الحديث تمركز القرار في **رئيس الحزب الواحد** - صدام وحافظ الأَسد - أَو في **الحاكم العسكري** - حسني مبارك، البشير. والقرارات في مجملها، ومنذ بداية الإِسلام كانت مبنية على تفسير الأَحلام. *حتى قرارات محمد نفسه بُني أَغلبها على أَحلام سماها هو وحْيا*، **مثل رحلة الإِسراء والمعراج التي جزمت عائشة أَن محمدا لم يغادر سريرها طوال ليلة الإِسراء**، ولكن حُلم محمد أَصبح **حقيقة دينية تاريخية**، رغم تعارضها مع العقل والمنطق، واستحالتها مِن الناحية العلمية، وبنى فقهاء الإِسلام أَحكاما على هذه الرحلة الحُلمية. ونفس التخبط يحدث في إِصدار الأَحكام الشرعية في الإِسلام. يُحكى أَنّ البخاري كان يسمع عشرات الأَحاديث في اليوم، ثم يصلي *صلاة الاستخارة* وينام، وفي الصباح يختار بضع أَحاديث رآها في منامه مِن التي يُعتد بها، فيضعها في صحيحه. وجاء فقهاء الإِسلام وأَصدروا أَحكاما شرعية بناء على تلك الأَحاديث. **فالمنظومة الإِسلامية كلها تفتقر الى وسائل اتخاذ القرار**، وليست القرارات السياسية وحدها كما جاء في مقابلة الأُستاذ العفيف الأَخضر. وبغياب وسائل اتخاذ القرار الديني يصبح إِصلاح الإِسلام حُلما غير قابل للتطبيق بعكس احلام محمد والبخاري وصدام. وربما نضيف جورج دبليو بوش الذي قال في شرم الشيخ إِن غزو العراق مهمة إِلهية أَوكَلها الله له في حُلم رآه في منامه. *فالهوس الديني عندما يسيطر على العقول يصنع المستحيلات*.

- عندما سأل المحاور السيد العفيف عن *نقاط الضعف في الحالة الإِسلامية التي يمكن علاجها بالإِصلاح الديني*، أَجاب:

> «ما زال الإِسلام لم يرفع حتى الآن تحدّي **عوائقه الثلاثة** التي شخّصها رينان Renan في القرن التاسع عشر:
>
> - **احتقار** العلم الوضعي Le dédain de la science،
> - **ورفض** البحث العقلاني la négation de la recherche rationnel في نصوصه بما هي كلام الله المُنزّه عن المساءلة العلمية وفي رموزه بما هم فوق البحث والمساءلة،
> - **والخلط** بين الروحي والزمني La confusion entre le spirituel et le temporel.
>
> وهي عوائق دينية وذهنية ونفسية تحالفت على **كبت** الإِبداع الديني والسياسي والاِقتصادي والعلمي والأَدبي والفني؛ مثلا الرسم والنحت والموسيقى مازالت محرّمة في الإِسلام. اليهودية التي أَخذنا عنها هذه المحرمات الهستيرية تناستها لحسن حظ اليهود. ونحن مازلنا متسمرين فيها. تناست أَيضا حد الرجم الدموي الذي أَخذناه عنها. بالرغم مِن عدم وجوده في القرآن وتهافت الروايات عن رجم النبي لزناة... اِيران والسعودية و'شباب الشريعة' في الصومال مازالوا يرجمون.» انتهى.

✍ ولا شك أَنّ رينان قد شخص أَسباب تخلف الإِسلام والمسلمين **تشخيصا دقيقا** ولكنه **نسي** او **تجاهل** أَحد الأَسباب الرئيسية، أَلا وهو *فقه الولاء والبراء الذي **جعل** المسلمين يَحجمون عن تبني أَي فكرة أَتتهم مِن الغرب لأَنها تجعلهم كمن يتشبه بالكفار*. وهذه عقبة كبيرة في طريق إِصلاح الإِسلام لأَن شيوخ الإِسلام يعتبرون الديمقراطية وحقوق الإنسان منجزات غربية تجعل مَن يتبناها متشبها بالكفار، ومَن تشبه بقوم فهو منهم. وبدون الديمقراطية ومساءلة الحكام، لا يمكننا أَن نتقدم خطوة واحدة الى الأَمام.

- وقد أَحسن السيد العفيف الأَخضر الجواب عندما سأله المحاور عن *أَسباب الجمود في عالم الإِسلام*، فقال:

«هو تحريم السؤال وفرض الأَجوبة الجاهزة الصالحة للجميع ولجميع الأَزمنة وجميع الأَمكنة، هو اليقين الجامد والتفكير الساذج وإيمان العجائز. إيمان العجائز يصلح للعجائز ولكنه لا يصلح للباحثين. هو العجز عن التطور وإنتاج الأَفكار المُجَدَّدة. وهو في الوقت نفسه محاربة **القلة المُجَدِّدة** التي تظهر مِن حين لآخر مثل الشيخ نجم الدين الطوفي الحنبلي الذي سُجن وأُتْلِفت كتبه. الفلاسفة والمتصوفة الذين راموا إصلاح الإسلام في عصرهم كلفهم ذلك أَحيانا حياتهم مثل السهروردي والحلاج، ومحمد عبدو الذي رفض الأَزهر لنصف يوم صلاة الجنازة عليه والطاهر الحداد الذي شيع جنازته بضعة أَصدقاء.» انتهى.

✍ جميع هذه الأَسباب التي عددها الأُستاذ العفيف الأَخضر، أَسباب صحيحة، ولكني أَوَدُّ أن أضيف إِليها أَن *محاربة التجديد* التي ذكرها السيد العفيف، *وخوف المسلمين الرُهَابي مِن فكرة التجديد*، بوصف كل محاولة للإِصلاح بأَنّها:

[بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار]، كما يقول الحديث المروي عن محمد.

- يقول رجل دين سعودي اسمه سمير بن خليل المالكي الحسني المكي، في كتاب عنوانه: ‹نصيحة للعلماء› ما يلي:

"وقد اتفق السلف رحمهم الله على مجانبة أَهل البدع وهجرهم والنهي عن مجالستهم والدخول عليهم إلا للإِنكار عليهم وإقامة الحجة عليهم وموقفهم مِن غيلان الدمشقي ومعبد الجهني وبشر المريسي والجعد {بن درهم} والجهم والحلاج وغيرهم مشهور." انتهى.

- ويضيف نفس رجل الدين:

"وجاء إِنسان الى اِبن عمر رضي الله عنهما فقال: إِنّ فلانا يقرأ عليك السلام، فقال اِبن عمر: 'انه بلغني أَنّه أَحدث حدثا † *، فإِن كان كذلك فلا تقرأ عليه مني السلام'." انتهى.*

† أي بدعة

الى هذه الدرجة وصل خوف المسلمين مِن التجديد - البدعة - فهل يمكن إِصلاح دين يفكر فقهاؤه بهذا المنطق الأَعرج ويرفض رد السلام على مَن قال بشيء مخالف؟

هذا ما يجعلني أَجزم أَنّ إِصلاح الإِسلام سوف يظل حلما يراودنا الى نهاية الحياة على هذا الكوكب.

- سأل المحاور السؤال الآتي:

"قلتَ في مقال يتيم عن إِصلاح الإِسلام أَنّ إِصلاحه يمرّ بالإِنتقال مِن مدرسة اللامعقول الديني الى مدرسة المعقول الديني. فماذا تقصد بذلك؟"

وأَجاب الأُستاذ العفيف بالآتي:

«الإِصلاح الحقيقي هو إِعادة تأسيس، هو ابتكار لنموذج جديد مِن العقلانية الدينية التي لا تعترف مِن الدين، خاصة في المعاملات، إِلا بما يقبله العقل. كل إِصلاح ديني يمر بقتل رمزي للأَب. في موضوعنا يمر بالقطيعة مع لامعقول التراث، وبحلّ مشكلة تنفيذ الجديد بالأَدوات القديمة. كلا العمليتين تتطلّبان إِصلاح التعليم والإِعلام والخطاب الديني جُملة. لا، بل إِنّ إِصلاح الإِسلام لن يتحقّق إِلا بالإِنتقال مِن مدرسة اللامعقول الديني المُستمرة منذ قرون الى مدرسة المعقول الديني المنشودة الوحيدة المؤهلة لعقلنة التعليم والخطاب الديني بما فيه الخطاب الديني الإِعلامي.
الإِنتقال مِن مدرسة اللامعقول الديني الى مدرسة المعقول الديني يعني الإِنتقال مِن القراءة الحَرفية للقرآن، خاصة المدني، السائدة الى اليوم تقريبا في كل مكان مِن أَرض الإِسلام، الى القراءات الأُخرى المنافسة لها والتي همّشتها او كفّرتها كالقراءة التأويلية والمقاصدية والرمزية والتاريخية التي مارسها القرآن نفسه بالناسخ والمنسوخ أَي نسخ الآيات التي لم تعد متكيّفة مع مستجدّات التاريخ. واصل الخلفاء الراشدون وبعض الفقهاء هذه القراءة الناسخة للأَحكام التي لم تعد تستجيب للواقع المعيش. هذه القراءة الأُولى للنص المُؤَسِّس التي مارسها الراشدون ضرورية لنا جدا اليوم.» انتهى.

✍ ولا شك أَنّ قراءة الإِسلام عامة، وقراءة القرآن بالأَخص، *قراءة عقلانية* هو المطلوب إِذا أَردنا تحديث او إِصلاح الإِسلام.

- ولكن المشكلة الرئيسية هي إِذا قرأنا القرآن قراءة عقلانية، فسوف نُلغي أَكثر مِن نصفه *لأَنّه يتعارض مع العقل كلية*، *مثل إِرسال الملكين الى بابل ليعلما الناس السحر*، ومثل *مغيب الشمس في عين حمئة*، ومثل *أَنّ النجوم رجومٌ للشياطين*، ومثل *للذكر مثل حظ الأُنثيين*، وكذلك *شهادة المرأة نصف شهادة الرجل*. وبما أَنّ المسلم يعتقد جازما أَنّ القرآن هو كلام الله الذي نطق به جبريل، فإِنّ إِلغاء آية واحدة يُعتبر هدما للدين.
- وتأتي المشكلة الأُخرى وهي *عدم وجود مركزية إِسلامية يمكنها فرض رأيها على الآخرين*. فمَن هو رجل الدين الشجاع الذي يستطيع إِلغاء آية مِن القرآن كما فعل عمر بن الخطاب؟ بل هل يستطيع **الأَزهر** او **قم** او **كربلاء** فعل ذلك دون أَن تحدث حرب فعلية بين السنة والشيعة؟ الأَزهر عجز حتى الآن عن *مراجعة صحيح البخاري*، وهو كتاب بشري جمعه رجل غير عربي، وبعد أَكثر مِن مائتي سنة مِن موت محمد، ومع ذلك يرتجف شيوخ الأَزهر مِن فكرة مراجعته،

فهل يمكن لمثل هؤلاء الشيوخ أَن يراجعوا القرآن ويلغوا بعض آياته غير العقلية
أو حتى يقرؤونها قراءة عقلية تخرج عن تفاسير السلف الصالح؟

في اعتقادي الشخصي أَنّ إِصلاح الإِسلام **مِن داخله** أَمر مستحيل **لعدم وجود الميكانيزم (الآلية) التي تسمح لرجال الدين بفعل ذلك**. ورجال الدين في عصرنا هذا همهم الأول هو المتاجرة بالدين وجمع أَكبر مبلغ مِن المال ممكن وبناء أَفخم القصور، ثم إِيجاد الوسيلة التي يتمكن بها رجل الدين مِن الوصول الى الحاكم للتعاون معه لتجنب غضبه، وبالتالي قطع الرزق.

وعليه لا يمكن إِصلاح الإِسلام الا بالوسيلة التي يتعامل بها الإِسلام نفسه مع الغير،
وأَعني الديكتاتورية وفرض الرأي على الآخر.

ولذلك يلزمنا ديكتاتور متنور مثل كمال أَتاتورك او الحبيب بورقيبة لإِزاحة رجال الدين مِن منصة السلطة وفرض الإِصلاحات المطلوبة على الكل، ولن يتجرأ وقتها أَحد على الاعتراض، كما حدث في خلافة المأمون والمعتصم والواثق **عندما فرضوا خلق القرآن على الجميع وقبل به جميع شيوخ الإِسلام ماعدا** أَحمد بن حنبل، الذي يقول مؤرخو الإِسلام إِن الرسول بشَّره بالجنة على ذلك:

[ويُذكر أَنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال للإِمام الشافعي في الرؤيا: بشر أَحمد بالجنة على بلوى تصيبه في خلق القرآن. فأَرسل الشافعي لأَحمد كتابا ببغداد يخبره فيه برؤياه، فلما قرأه الإمام أَحمد بكى، ودفع للرسول قميصه الذي يلي جسده، وكان عليه قميصان، فلما دُفع للشافعي غسله وأَدهن بمائه**]**.

هذه أَنواع الروايات التي يؤمن بها شيوخ الإِسلام ويُدَرِّسُونها لطلبة الأَزهر، فهل يُعقل أَن تتفتح عقولٌ مثل هذه وتقبل أَن تقرأ القرآن قراءة

عقلية؟ أشك في ذلك كثيرا.

2010 / 11 / 21

---

2 مِن 3

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=235806

- يقول الأُستاذ العفيف الأَخضر في الحلقة الثانية مِن المقابلة:

> «كان على النخب الحاكمة اَن تتبنى مشروع اِعادة تأسيس هذه الذاكرة الجمعية بتدريسها بعلوم الآديان في مدرسة المعقول الديني. استطاعت الجمهورية الفرنسية الثالثة اَن تتجاوز الصراع الطائفي بين الكاثوليك والبروتستانت بتدريس تاريخ ما قبل المسيحية القادر على خلق هويّة جماعية يتعرف فيها جميع الفرنسيين على اَنفسهم تكون اَقوى مِن الهوية الدينية لكل مِن الكاثوليك والبروتستانت. بِاِمكان الدول العربية والاِسلامية اَن تستفيد مِن هذه التجربة، لتكوين هوية جماعية مشتركة اَقوى مِن الهويات الطائفية. وذلك بتدريس جميع لحظات تاريخها بدلا مِن اَن تقتصر على آخر لحظاته التي هي اللحظة الاِسلامية جاعلة منها اَلِف التاريخ وياءه. بِاِمكان مصر مثلا اَن تُدَرّس الفترة الفرعونية والفترة القبطية... اِلخ، الى اَن تصل الى الفترة الاِسلامية. في تونس يبدأ التاريخ مِن اللحظة القرطاجنيّة المُؤسِّسة مرورا بالفترة الرومانية التي اَثّرت في الاِسلام التونسي ثم المغاربي، فقد اَخذ فقهاء المالكية بعض اَحكام القانون الروماني الذي اَصبح عند السكان عرفا وعادة. واَخيرا اللحظة الاِسلامية التي كانت اَكثر اللحظات الثلاث تأثيرا واستمرارية. وتونس جديرة بالاِستلهام ويليق بالنخب الاِصلاحية في اَرض الاِسلام اَن تستلهم تجربتها الاصلاحية الطويلة والثرية.» انتهى.

- مع احترامي لرأي الأُستاذ العفيف الأَخضر اَعتقد اَنّه لا توجد اَرضية مشتركة بين الجمهورية الثالثة الفرنسية والعالم الاِسلامي، حتى يستفيد العالم الاِسلامي مِن التجربة الفرنسية. الجمهورية الثالثة اَتت بعد الثورة الفرنسية التي جعلت مِن **الحرية والاِخاء والمساواة والاِعتراف بالآخر محور الحركات السياسية الفرنسية، بل الأُوروبية جميعها**. والثورة الفرنسية كانت ثورة دامية ضحى فيها الشعب الفرنسي بالكثير وقَبِلها، والجمهورية الثالثة كذلك اَتت بعد حروب دامية بين فرنسا وبروسيا اَدت الى انهزام الفرنسيين تحت قيادة نابليون. والتاريخ يعلّمنا اَنّ الحكومات التي تولد مِن رحم الحروب والثورات تكون حكومات اَكثر عقلانية واَبعد شيء عن **التقوقع** في اَيديولوجية الدين او القبلية التي تشرذم المجتمعات. وخير مثال لذلك حكومة الولايات المتحدة التي اَعقبت الحرب الأهلية واَتت بدستور اَكثر علمانية مِن اَي دستور قد عرفته البشرية حتى تلك اللحظة.
- بينما البلاد الاِسلامية لم تعرف اَي ثورات في تاريخها الحديث، ولم تعرف اَي حروب لتصهر الفوارق بين شعوبها التي **لا تملك اَي هوية غير الاِسلام**، لاَنها شعوب مهمشة في اَوطانها، يسحقها الفقر والجهل **وفقدان اَي قيم يعتزون بها غير دينهم**. يقول حسن البنا في المؤتمر الخامس لجماعة الإخوان المسلمين عام 1938:

> *"اِنّ اَحكام الاِسلام وتعاليمه شاملة تنظم شؤون الناس فى الدنيا والآخرة، واِنّ الذين يظنون اَنّ هذه التعاليم اِنّما تتناول الناحية العبادية او الروحية دون غيرها مِن النواحى مخطئون في هذا الظن، فالاِسلام عقيدة وعبادة، ووطن وجنسية، ودين ودولة، وروحانية وعمل، ومصحف وسيف." انتهى.*

فالاِسلام وطن وجنسية ودولة وهوية. الفرنسي قبْل الجمهورية الثالثة كان يعرف اَنّه فرنسي كاثوليكي او فرنسي بروتستانتي، اَما المسلم في مصر مثلا، فيعرف اَنّه **مسلم عربي** يبدأ تاريخه في مصر منذ دخول عمرو بن العاص اِليها. قبل ذلك لم يكن في مصر عرب غير قبائل صغيرة في صحراء سيناء، وبعض سكان الاِسكندرية مثلا هم سلالة عدة قوميات مِن رومانية الى هكسوس الى فرنسية، فلا شيء يجمعهم مع سكان جنوب مصر مِن النوبة غير الاِسلام. وهذا يعكس مصداقية الحديث الذي يقول:

[المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا].

- دراسة التاريخ، اِن وُجِد تاريخ **غير مزيف** لاَنّ التاريخ دائما يكتبه المنتصر، *قد تفيد قليلا وقد تُعقد الأمور في بعض الحالات*، ولا يُعقل اَن يأتي زمن يقول فيه مدرس التاريخ في مصر اِنّ مصر كانت دولة قبطية الى اَن احتلها عمرو بن العاص واَجبر اَهلها على دفع الجزية او التحول الى الاِسلام.
- وبما اَنّ الحكومات، منذ الاِحتلال التركي الذي سموه **الخلافة العثمانية**، قد وضعت التعليم في اَيدي رجال الدين، اَصبح **تاريخ** تلك البلدان **مهمشا** واستعاض عنه شيوخ الدين **بالتاريخ الاِسلامي المزيف**. وبما اَنّ الشعوب ذاكرتها قصيرة فقد انمحى تاريخ ولغة وثقافة تلك الأقطار التي احتلها واستوطنها الاِسلام، مثل ثقافة الأَمازيغ والثقافة النوبية. وبعض البلاد مثل باكستان لا تاريخ لها قبل سنة 1947 لاَنّها كانت جزءا مِن الهند التي هي عدوتها الأولى الآن. وهناك بلاد مثل اليمن قد تعرضت الى استعمار استيطاني مِن عدة قوميات مِن الفرس والحبشة والرومان وغيرها، **مما جعل العامل الوحيد المشترك بين اثنياتها المختلفة هو الاِسلام.**
- دراسة التاريخ القديم لتلك البلاد الاِسلامية، في رأيي، لن يساعد في اِصلاح الاِسلام لاَنّ مناهج التعليم ما زالت في اَيدي رجال الدين الذين يُزَوِّرُون التاريخ القديم كما زَوَّروا تاريخ العرب قبل الاِسلام وسموا تلك الفترة المضيئة في تاريخهم بـ 'الجاهلية'. اِذا لم تنشأ نظم سياسية في تلك البلاد **تفصل الدين عن الدولة** لن نستطيع أن نُدَرِّس النشئ التاريخ الحقيقي لتلك البلاد التي استوطنها الاِسلام. **فالاِصلاح يجب اَن يكون سياسيا اَولا**، ثم يتبعه الاِصلاح الديني كما حدث في الجمهورية الثالثة وفي الولايات المتحدة.

- عندما سُئل الأُستاذ العفيف الأَخضر *عن العلوم التي يمكن اَن تساعد دراستها في اِصلاح الاِسلام*، قال:

> «علوم الآديان المطلوب تدريسها هي *تاريخ الآديان المقارن والسوسيولوجيا الدينية والأنثروبولوجيا الدينية وعلم نفس الآديان واللسانيات والفيلولوجيا* (علم اللغة) *والهرمينوطيقا* (علم التأويل Hermeneutics)... واُضيفُ اِليها علما آخر لم يكن في الاَصل مِن علوم الآديان ولكنّه غدا اليوم منها اَعني به *علوم الاَعصاب* neurosciences. كما اُضيف *الفلسفة* التي ليست علما اِلّا اَنّها ينبوع الفكر النقدي الضروري للمقاربة التاريخية - النقدية للظاهرة الدينية ولتحصين عقول الآجيال الجديدة ضد فيروس الهذيان الديني.» انتهى.

- لا شك أن الأُستاذ العفيف الأَخضر مصيب فيما ذهب اِليه مِن تحديد العلوم التي:
  - **تساعد** *على وضع الاِسلام في صورته وحجمه الطبيعيين في خارطة الأَديان الأُخرى*،
  - **وتقلل** مِن الادعاء الاِسلامي *باَنه الدين الوحيد غير المحرّف*، وهو *كلام الله الذي لا يأتيه الباطل مِن بين يديه ولا مِن خلفه*.

  ولكن مثل هذه الدراسات قد تفيد الذين يدرسون في الجامعات او يشتغلون بالدراسات فوق الجامعية. *نحن مشكلتنا مع الطفولة التي نحشو رؤوسها بكل غث قيل عن الرسول والصحابة ونزرع كراهية الغير في عقولهم الناشئة. النشئ لا يمكنه اَن يستوعب مثلا علوم الآديان المقارنة والفلسفة.* اَرى اَنّه يجب اَن نكتفي في مراحل التعليم قبل الجامعي بتدريس النشئ تاريخ الآديان فقط،

كما يحدث مثلا في اِنگلترا.
فإعطاء التلميذ نبذة عن تاريخ الإسلام، وتاريخ المسيحية واليهودية والبوذية والهندوسية الخ،

- *سوف يُمهد له الطريق للتوغل في هذه الأديان عندما يكبر*،
- وفي نفس الوقت نتجنب حشو أدمغة النشء بفقه الوضوء والطهارة والحيض والنفاس ودخول حشفة البالغ في الفرج، كما يحدث الآن.

وكل هذا لا يمكن أن يحدث **مالم يحدث إصلاح سياسي يعزل رجال الدين عن التحكم في مناهج التعليم**. ما دام لرجال الدين تأثيرٌ في وضع مناهج التعليم فلن نستطيع أن ندرّس النشئ الفلسفة لأنّ فقهاء الإسلام يقولون: "مَن تفلسف فقد تزندق". *وما زالت الفلسفة ممنوعة في أغلب البلاد الإسلامية*.

- عندما سُئل الأُستاذ العفيف: ما العمل اِذن؟ أجاب:

> «تحليل نفسي جماعي يتكفل به إصلاح ديني شجاع يفصل بين القرآن والعلم. وهذا ما حققه الشيخ متولي الشعراوي في كتابه ‹معجزة القرآن› قائلا :'**ان الذين يقولون أنّ القرآن لم يأت ككتاب علم صادقون. ذلك أنّه كتاب أتى ليعلمني الأحكام ولم يأتي ليعلمني الجغرافيا او الكيمياء او الطبيعة**'. هذه الكلمات جديرة بأن تُكتب بماء الذهب ويدرسها أبناؤنا منذ الابتدائي لشفاء أمثال عبد المجيد الزنداني في جامعة الإيمان مِن الهذيان السريري الذي أوصله الى ادعاء اكتشاف دواء للايدز مِن القرآن... الا أنّ أطباء اليمن رفضوا الاعتراف به.» انتهى.

✍ قد يكون الشيخ الشعراوي قد نفى أن يكون القرآن كتابا علميا، ولكن عندما نقرأ كتاب الشعراوي: ‹أحكام النساء› نجد شعراوي آخر يؤمن بالبخاري أكثر مِمّا يؤمن بالقرآن نفسه. وهذه مِن المشاكل الرئيسية التي تجعل اِصلاح الإسلام مستحيلا لأن فقهاء الإسلام يعانون مِن انفصام في الشخصية. هم يشهدون أن لا اِله اِلا الله عالم الغيب، وفي نفس الوقت يجعلون محمد *معصوما عن الخطأ*، رغم أنّه بشر، *وعالما بالغيب*. والشعراوي كان مِن الذين يؤمنون بكرامات الأولياء وبزيارة أضرحتهم للتبرك بها. ومع هذا الشعراوي كان واحدا مِن آلاف الشيوخ الذين يعارضونه ويقولون إنّ القرآن كتابٌ علمي. ولكن بما أنّه لا يمكننا في الواقع عمل هذا التحليل النفسي لنشفي الشيخ الزنداني وأمثاله الكثيرين مِن *الهوس الديني*:

- أولا: لأنّهم يعتقدون أنّهم هم الوحيدون الراشدون وغيرهم ضالون، وبالتالي هم لا يحتاجون هذا التحليل،
- وثانيا: هم يعتمدون على هذا الدجل *لكسب قوتهم وبناء قصورهم* وجامعاتهم الخاصة كما فعل الزنداني، وعليه لن يستسلم هؤلاء الدجالون لأي نوع مِن التحليل او **عقلنة** ما يقومون به. ولذلك يجب أن نفكر في وسائل أُخرى لإصلاح الإسلام، **اِذا كان مِن الممكن اِصلاحه، وأنا أشك في هذه الإمكانية**. في اعتقادي أنّ الحل الوحيد يجب أن يُفرض بالقوة، ولكن أين لنا مِن رجل مثل كمال أتاتورك؟

- في الحلقة الثالثة يناقش الأُستاذ العفيف الأخضر *كيفية اِدخال حد الرجم في الإسلام رغم أنّ القرآن لم يذكره*، ولكن اِبن اِسحق استطاع أن يؤلف قصة عن *محاولة اليهود اختبار محمد ليعرفوا اِن كان نبيا او ملكا*، فيأتون له برجل وامرأة يهوديين متهمين بالزنا، فرجمهما محمد لأنّ حد الزنا في التوراة هو الرجم.

✍ والقصة مع سذاجتها استطاعت أن تؤثر في فقهاء الإسلام الى الدرجة التي جعلتهم **ينسخون** آية قرآنية أتت في **سورة النور**، التي هي مِن آخر السور التي كشفها لهم محمد، وأوصت بجلد الزانية. **وهذا يُثبت أنّ الإسلام لا يمكن اِصلاحة مِن الداخل** لانّه يعتمد أساسا على القيل والقال في الأحاديث المنسوبة لمحمد، والتي جُمعت بعد أكثر مِن قرنين مِن موته. هذه الأحاديث التي لا يمكن بأي حال مِن الأحوال اِرجاعها الى محمد، تمثل في مفهوم رجال الدين **العمود الفقري للإسلام**، ويأتي القرآن بعدها في الأهمية.

ولأنّ كل فرقة اِسلامية لها أحاديثها المفضلة،
يُصبح مِن المستحيل اِقناع أي فرقة بتجاهل أحاديث هم قد بنوا مذهبهم عليها.

- يقول الأُستاذ العفيف الأخضر في نهاية الحلقة الثالثة:

> «ومِن علامات نضج الاِنتقال مِن الفقه القديم الى فقه اِسلامي جديد متصالح مع عصره، انعقاد مؤتمر اِسلامي في مارس الماضي بمدينة ماردين (تركيا) حضره علماء مِن عدة بلدان اِسلامية اعتبروا فيه
> أنّ تقسيم العالم الى دار اِسلام ودار حرب،
> وأنّ تكفير† المسلمين بإسم عقيدة الولاء والبراء،
> قد تجاوزهما الزمن فلم يعودا صالحين لعصرنا وهو ما كنتُ أتمناه بكل جوارحي.
> وأقترحُ على شيخ الأزهر أن يعقد مؤتمرا موسَّعا تحت إشرافه *لتأييد هذه الفتوى الشجاعة وتوسيعها وتعميقها* بل وأقترح على كل بلد مسلم عقد مثل هذه المؤتمرات *للتعجيل بميلاد فقه اِسلامي جديد متصالح مع عصره*، دشن الصديق جمال البنا بسملاته الأُولى.» انتهى

† المنقح:
أعتقد أنه يجب إضافة كلمة **غير** قبل كلمة المسلمين.

رد الدكتور كامل:
[هكذا وردت في مقال العفيف].

✍ وكم كنتُ أتمنى أن يكون المشتركون في مؤتمر ماردين جادين في توصياتهم، ولكن تاريخ المؤتمرات الإسلامية يقول بغير ذلك. فلو أخذنا مؤتمرات مكة العديدة التي أعلنوا فيها التصالح بين السنة والشيعة، نجد أنّها لم تنتج أي طحين رغم الجعجعة الهائلة التي تصاحبها:

- فقبل خمس سنوات:

> *"بعث رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي برسالتي شكر الى كل مِن السعودية ومنظمة المؤتمر الإسلامي، لدورهما في رعاية وتهيئة الأجواء لمؤتمر علماء الدين الذي انعقد في مدينة مكة المكرمة، وما تمخض عنه مِن توقيع لعلماء الدين العراقيين على وثيقة تحريم الدم العراقي التي عُرِفت باسم ‹وثيقة مكة› في ظل بيت الله الحرام."* [1].

- وامتدحت اِيران والحكومة الأُردنية، وحتى جماعة الإخوان المسلمين الأُردنية هذا التصريح الختامي مِن رجال الدين العراقيين:

> *"ورحبت اِيران بـ ‹وثيقة مكة› أمس، وقال المتحدث بإسم وزارة الخارجية الإيرانية محمد علي حسيني: " شهدنا في الأيام الأخيرة اجتماعا ناجحا لرجال الدين العراقيين، السنة والشيعة، في مكة بمبادرة مِن منظمة المؤتمر الإسلامي. إنّ نشر هذه المعلومات طمأن القلقين على الأمن في العراق". ونسبت وكالة الصحافة الفرنسية الى حسيني قوله: " نأمل في أن يساعد هذا الاتفاق مختلف فئات الشعب العراقي على التعايش بسلام، بهدف التصدي لمؤامرات مَن يريدون تدمير العراق" ".*

[1] الشرق الأوسط 2006/10/23.

- ورحب الأُردن اَيضا بالوثيقة، ونقلت وكالة الأَنباء الأُردنية الرسمية بترا عن الناطق الرسمي باسم الحكومة الأُردنية ناصر جودة قوله:

"اِنّ الأُردن يرحب ‹بوثيقة مكة›، التي وقع عليها علماء مِن السنة والشيعة يوم الجمعة، لما ورد فيها مِن تأكيد على حُرمة اِراقة الدم العراقي وتحريم تكفير المسلمين ودعوة لتعزيز المصالحة الوطنية في العراق".

"الى ذلك، ثمن حزب جبهة العمل الإِسلامي الذراع السياسي لجماعة الإِخوان المسلمين في الأُردن، توقيع ‹الوثيقة›، داعيا اَن تكون خطوة في وقف نزيف الدم العراقي. وأَعرب في تصريح له اَمس، عن تقديره لنبأ توقيع وثيقة مكة المكرمة بين المرجعيات الإِسلامية العراقية التي تؤكد على الأُسس الشرعية التي جاء بها الإِسلام مِن حُرمة دماء المسلمين وأَموالهم وأَعراضهم." انتهى.

✍ فما هي النتيجة بعد خمس سنوات مِن توقيع هذه الوثيقة اَمام الحرم المكي؟

- هل ازدادت حُرمة الدم العراقي؟
- هل اَصبح دم المسلم على المسلم حرام؟
- هل توقف دخول المفجرين الأُردنيين الى العراق ليفجروا اَنفسهم وسط التجمعات الشيعية؟

للأَسف فاِن الإِسلام **دين متحجر** تشرف عليه عقولٌ اَكثر تحجرا مِنه وأَكثر مواتا مِن نصوصة العتيقة. اِذا حاولنا اِصلاح الإِسلام مِن الداخل نكون كمَن يحرث في البحر لاَنّ رجال الدين السني بالاَزهر، ورجال الدين الشيعي بقم والنجف،

> تنقصهم الشجاعة الكافية لاتخاذ قرارات صادمة كالتي اتخذها عمر بن الخطاب عندما ألغى سهم المؤلفة قلوبهم.
> كما اَنّ مصالحهم الشخصية مِن اَموال الخُمس، ومن المتاجرة بالفتاوى تمنعهم مِن القيام بأَي محاولة لإِصلاح الإِسلام.
> وهاهم رجالات الإِسلام يعيدون الإِسلام الى السياسة التركية بعد كل هذه السنوات مِن **الإِصلاح الأَتاتوركي**.

- سأل المحاور الأُستاذ العفيف *عن اَصل عقوبة الرجم في التوراة، ومن اَين اَتت الى اليهودية.*

✍ وفي الحقيقة فاِنّ عقوبة الرجم هي اِحدى اَربعة عقوبات كانت معروفة في الميثولوجيا اليونانية في زمان هومر. هذه العقوبات هي: الرجم بالحجارة، خلع العينين، رمي المذنب مِن بناء عال ليقع على رأسه، والنفي مِن اَثينا. وكانت عقوبة الرجم محصورة في الرجال الذين يشبعون رغباتهم الجنسية العارمة، أو غير الطبيعية. ويعطينا هومر مثالا عن مواطني مدينة تاميسا الذين رجموا هيروس Heros حتى الموت لأنّه فض بنتا عذراء. وكذلك رجموا اَريستوكراتيس Aristocrates لأنّه اغتصب اَميرة اَرتميس عندما كانت راكعة في المعبد. وحتى الإِله اُوديبوس Odipus عندما عُرف تاريخه وعلاقته الجنسية مع اُمه، تمنى اَن يحكموا عليه بالرجم. والمؤرخ هيرودوتس Herodotus ذكر عدة حالات تمت فيها عقوبة الرجم.

✍ وبما اَنّ العهد القديم لم يُكتب اِلا في القرن الخامس قبل الميلاد، بعد اَن تشبَّع يهود المنفى في بابل بهذه القصص مِن اِختلاطهم بالثقافة الإِغريقية في الشام وفي بيزنطة، فنقلوها الى التوراة، اَصبحت عقوبة الرجم جزءا مِن اليهودية وتوسع تطبيقها ليشمل الاِبن العاق، ومَن يعمل يوم السبت، والزاني والزانية. وبعد اختلاط محمد بيهود يثرب، نقل الصحابة عقوبة الرجم الى الإِسلام.

2010 / 11 / 23

---

3 مِن 3

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=236018

- يقول الأُستاذ العفيف الأَخضر في الحلقة الرابعة:

> «القراءة الهرمينوطيقية تمر بثلاث درجات:
> - تبدأ بالمعنى الحرفي لتبرهن على اَنّه غير مقنع غالبا
> - منتقلة الى روح النص اَي الى معانيه المفهومة
> - وأَخيرا الى الدرجة الثالثة القراءة المجازية للنص حيث يتحاور عالم مؤلف النص مع عالم قارئ النص في حوار قوامه الايحاء والاحتمال والترجيح.
>
> القراءة الهرمينوطيقية مارسها في الاِسلام المتصوّفة وتفسير ابن عربي هو اَحد نماذجها الاَكثر نضجا، وهو للاَسف لا يُدَرَّس على حدّ علمي في اَي كليّة دينية اِسلامية. اُضيف شخصيا الى علوم الاَديان علوم الاَعصاب التي تَدرُس تركيب الدماغ ووظائف وآليات اشتغاله. اكتشافاتها في هذا المجال غيّرت راديكاليا المفاهيم الدينية القديمة. مثلا ظلّت البشرية منذ اَكثر مِن ثلاثة آلاف عام تعتقد اَنّها تفكر وتؤمن بالقلب، الى اَن كشفت البيولوجيا العصبية اَنّ الإنسان لا يفكر بقلبه بل بدماغه وتحديدا بقشرة الدماغ اَي الخلايا العصبية - نورونات neurones - المُنتجة للتصورات الذهنية مِن مشاعر وأَحاسيس وانفعالات وأَفكار... كل خلية مِن المائة مليار خلية عصبية في دماغنا تقوم بوظيفة محددة. مثلا خلايا القشرة الجبهية، وهي متطورة جدا عند الإنسان قياسا على اِبن عمّنا الشامبنزي، متخصصة في الفكر العقلاني. خلايا الفصّ الصدغي الاَيمن متخصصة في اِنتاج الظواهر الدينية كالاِيمان والتأمل الروحي والوَجْد الصوفي والوحي والنبوّة... هذا الاِكتشاف تاريخي ينبغي تعليمه لتلامذة وطلبة التعليم الديني تنويرا لهم *لاِنقاذهم مِن التجهيل المنظم الذي تحشو به التربية الدينية العتيقة، في مدرسة اللامعقول الديني، اَدمغتهم لاِبقائهم رهينة لأَساطير ما قبل تاريخ العلم.* تعليم ديني يَستنير بالعلم هو الكفيل بتخليصنا *مِن مدرسة اللامعقول الهاذي وشياطينها* اَي *التزمت والتعصب والتطرف والعنف الديني؛ ومِن فتاوى اِهدار الدماء* الى تفجير الأحزمة الناسفة في المُصلّين الشيعة في العراق وفي المراهقين الاِسرائيليين المُصطفّين لدخول المرقص.» انتهى.

✍ المعلومات التشريحية عن دماغ الإنسان التي قدمها الأُستاذ العفيف معلومات صحيحة، غير اَنّها لا تفيدنا في حالة دراسة الإِسلام لأَنّ دراسة الإِسلام والاعتقاد به تقوم على النقل واِلغاء العقل إلغاء كاملا. وحتى لو علَّمْنَا كل فرد في الشعوب المسلمة هذه الحقائق التشريحية عن الدماغ فاِنّها لن تفيدنا شيئا اَمام **غسل الدماغ منذ الطفولة**. خذ مثلا الدكتور الظواهري، ساعد بن لادن الأَيمن، هذا الرجل طبيب جراح درس التشريح ويعرف هذه الحقائق عن الدماغ، لكن معرفته لم تستطع التغلب على الأَيديولوجيا الساكنة في عقله الباطن. وخذ كذلك الأَطباء الثلاثة الذين حاولوا تفجير مبنى مطار گلاسكو باسكتلندا قبل عامين، فهم كانوا يعرفون هذه الحقائق التشريحية ولكن معرفتهم بها لم تمنعهم مِن محاولة تفجير مبنى المطار وقتل الأبرياء. *وكما يعرف معظم القراء فاِنّ القرآن والتراث الإِسلامي كله ظل لعشرات السنين تراثا شفهيا تتناقله الأَلسن وتسمعه الآذان حتى وصل الى مرحلة التدوين في القرن الثامن او التاسع الميلادي.* ومن وقتها اَصبح النقل هو الطابع العام لتدريس التراث. ولما كان النقل يهتم **بالإِسناد اَي العنعنة**، فهو غير مشغول بصحة المتن او ملاءمته مع العقل.

✍ مثل هذا التراث لا يمكن اِخضاعة **للدراسة العقلية** لأَنّه سوف يصبح وقتها كفص ملح اَلقينا به في كوب ماء. وللأَسف ما زال الإِنسان المسلم، في الغالب، يفكر بقلبه ويعتقد بقلبه لأَنّه مقيد **بالأُمِّية** المتفشية بيننا، **وما زال العقل في اِجازة دائمة**. ولكي نثبت ذلك

- ما علينا اِلا الذهاب الى النجف في المناسبات الدينية الشيعية لنرى مدى تهميش العقل في عالمنا الإِسلامي،
  - عندما نرى امرأة يُشج رأس طفلها بالسيف والدم يسيل على وجهه **ليُكفر عن مقتل** الحسين.
  - او نرى آلاف الرجال القوامين على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض، يجلدون ظهورهم بالسلاسل حتى تُدمى **لأَنّ أَجدادهم خذلوا** الحسين بن علي.
- او يمكننا الذهاب الى طهران والاستماع الى اَحمدي نجاد وهو يكرر على اَسماع الإِيرانيين *اَنّه يذهب كل يوم جمعة الى بئر معينة في طهران ويتحدث مع ‹الإِمام الغائب› الذي يسكن تلك البئر.*
- او لنذهب الى مصر ونزور قبر السيدة زينب او نقرأ لفقهاء الأَزهر الذين يؤمنون بكرامات الأَولياء وزيارة قبورهم.

فالقراءة الهرمينوطيقية للاِسلام ربما تفيد **عددا قليلا** مِن المسلمين، ولكن الغالبية، خاصة **الأُمِّية**، سوف تظل في غيها.

- يقول الأُستاذ العفيف:

> «علوم الأَديان مُجتمعة تقدم لنا *معرفة موضوعية عن الدين تساعدنا على فهمه وتفسيره للتعامل معه بعقلانية* اَي بفكر يتساءل ويفحص بعيدا عن الرقابة الدينية المفروضة او الذاتية للوصول الى اِسلام مسالم وفردي منفتح على باقي الأَديان التوحيدية والوثنية، علما باَنّ المؤمنين بالديانات الوثنية يمثلون 56 في المائة مِن سكان العالم. وتجاهلهم وبالأَحرى التفكير في جهادهم لِادخالهم في الاِسلام بحد السيف، طبقا *لفقه الولاء والبراء الجهادي* الذي بات خطرا على السلام الاجتماعي في اَرض الاِسلام وعلى السلام العالمي وخاصة على الاِسلام نفسه الذي اَوقفه اليوم في قفص الاتهام، †جريمة واستحالة في وقت واحد†. ولا شيء كحوار الأَديان لتجاوز الولاء والبراء المنغلق على نفسه والذي يعتبر حوار الديانات الأُخرى كفرا.» انتهى.

† هذه الجملة غامضة؟

رد الدكتور كامل: [هكذا وردت في مقال العفيف ولا أعلم قصده].

- ✍ هذا منطق سليم لو كنا نجادل اُناسا *تجادل بعقولها وليس بقلوبها*. اُمَّة تعدادها، كما يزعمون، مليار ونصف المليار مِن البشر، يحتفلون ويهللون باِسلام لاعب كرة اَجنبي لا يستطيع حتى اَن ينطق الشهادة، او يحتفلون باِسلام اُخت زوجة توني بلير لأَنها اعتنقت الاِسلام بعد اَن زارت قبر السيدة فاطمة بالعراق وانبهرت بما رأت، واَسلمت قبل اَن تصل الى الصفحة ستين مِن المصحف. اُمة كهذه تسير **بروح القطيع** تحتاج **حاديا** يسير اَمامها ويترنم لها بالمدائح النبوية وهي تسير مِن خلفه. اذا تغير **الحادي** وترنم بحوار الأَديان وبالتسامح مع الغير، فسوف يضل القطيع طريقه، ويسيطر عليه الذعر لأَنّه فقدَ ما تربى عليه، وهو الحب في الله والبغض في الله، والجهاد في سبيل الله حتى تصير كلمة الله هي العليا. حوار الأَديان بدأ في المملكة العربية السعودية في اَربعينيات القرن المنصرم عندما زار وفد مِن رجال الدين السعوديين بابا الفاتيكان في روما. والتحقت بركب التفاوض مجموعات اُخرى مِن الأَزهر ومِن المذهب الشيعي، ثم تَسَلم زمام الأُمور الملك عبد الله بن سعود، وما زال الحوار مناسبة للسفر الى الخارج ولأَخذ الصور التذكارية، *ولم يثمر هذا الحوار عن الاتفاق على بند واحد مِن بنود الخلاف بين الإِسلام والمسيحية*. وكيف يثمر هذا الحوار بين الأَديان والمسلمون اَنفسهم منقسمون الى عدة مذاهب لا تتفق على شيء. وحتى عندما تنبه المسلمون لهذا الخلل *وعقدوا مؤتمرات للتقارب بين السنة والشيعة*، قاطع اَساطين السنة مِن اَمثال الشيخ القرضاوي المؤتمرات *لأَن الشيعة يبشرون بمذهبهم في البلاد السنية ويشتمون الصحابة*.
- ✍ هل يمكن لأُمة هذا حال علمائها **اَن تدرس الإِسلام دراسة عقلانية وتتحاور مع بقية الأَديان حوارا ذا مغذى وفائدة؟** تحليل الأُستاذ العفيف الأَخضر تحليلٌ منطقي لو كان يتعامل مع غير المسلمين الذين لا يعتبرون الجهاد فريضة لِاعلاء كلمة الله. العفيف الأَخضر نفسه يقول:

> « فقد نسخوا 75 آية اعترفت بالحرية الدينية وحرية الضمير والتسامح الديني وحوار الأَديان بآية واحدة وحيدة قرؤوها كعادتهم قراءة حرفية هي ‹اِنما الدين عند الله الاِسلام›.» انتهى.

فهل يمكن الحوار مع مثل هؤلاء الشيوخ؟

- وعندما سُئل الأُستاذ العفيف:

> *"ولكن كيف يمكنك التوفيق بين التنزيل الصالح لكل زمان ومكان وتاريخيّة النص التي تفرضها علوم الأَديان؟"*

أجاب:

> « بتنزيل situer التنزيل في التاريخ الذي مارسه التنزيل نفسه على نفسه. فلا نكن ملكيين اَكثر مِن الملك. فقد نسخ القرآن مئات الآيات التي تقادمت، اَي فقدت صلاحية تطبيقها على الوقائع الجديدة وعوّضها بآيات {**خَيْرٍ مِنْهَا او مِثْلِهَا**} كما تقول الآية. وبعد وفاة نبيّ الاِسلام نَسَخ اَبو بكر وعمر وعلي ومَعاذ بعض الآيات، كما نسخ الفقهاء بعض الآيات الأُخرى والأَحاديث، اَخُصّ بالذكر مِنهم اَبو اَحمد الونشريسي والفقيهين الطاهر الحداد وحسن عبد الله الترابي مثلا.» انتهى.

- ✍ وهنا مكمن الداء الذي يجعل الاِسلام لا يخضع للدراسات العلمية والتحليل العقلاني، لأَنّ القرآن الذي يُفترض فيه اَنّه كلام الله الذي كتبه في اللوح المحفوظ حتى قبل اَن يخلق الأَرض، واَنزله على رسوله على مدى 23 سنة، وهي فترة قصيرة جدا بالمقارنة مع تاريخ الله، تجعل القاريء للقرآن قراءة عقلية يتشكك في هذا الاِله، عالم الغيب، الذي فشل في اَن يَعلم اَنّ ظروف *عرب يثرب* سوف تتغير في هذه الفترة الوجيزة، فاَنزل آيات اضطر الى نسخها او اِلغائها بعد فترة وجيزة جدا، قد لا تتعدي الأَسابيع في بعض الحالات. هل يمكن عقليا اَن يكون هذا القرآن مِن عند اله عالم بالغيب؟ واذا تشكك العقل في مصدر القرآن، يصبح الاِسلام كله دينا مشكوكا به ولا يمكن اَن يصمد للتحليل العقلاني. ولذا نجد شيوخ الدين يصادرون كل كتاب او مجلة يحاول فيه النُقّـاد دراسة الإِسلام دراسة عقلانية. فالنص الذي يمكن نسخ بعضه عن طريق القرآن ذاته او عن طريق الفقهاء، لا يمكن اَن يكون نصا اِلهيا. ولمنع مثل هذه الاستنتاجات يمنع فقهاء الاِسلام مناقشة القرآن. والقرآن نفسه ينصح محمد واَتباعه باَن لا يجلسوا مع مَن يخوض في آيات الله. فكيف ندرس دراسة عقلانية نصا يمنعنا مِن مناقشته؟
- سأل المحاور الأُستاذ العفيف عن *الكيفية التي يمكن اَن نتخلص بها مِن بعض العادات الإِسلامية* مثل الختان ومنع اَكْل لحوم معينة، فأَجاب السيد العفيف الأَخضر بالآتي:

> «أولا بمنعها قانونا، وثانيا بتوظيف الإعلام والتعليم في إعادة تثقيف الوعي الجمعي بقيم الحضارة الإنسانية واللاعنف ضد الذات وضد الآخر.» انتهى.

- ✍ واَنا اَتفق مع الأُستاذ العفيف اَنّ الوسيلة الوحيدة للتخلص مِن هذه العادات هو منعها قانونا أولا ثم توعية الناس بمضارها، ولكن كيف يتسنى لنا ذلك وقد اَصبحت الدول الإِسلامية بعد *الصحوة المباركة* تتسابق لتجعل المادة الثانية مِن دساتيرها تقول *اَنّ القوانين مصدرها الشريعة، واَصبحت المحاكم المدنية في مصر تعرض حكمها على المجرمين المدانين على الأَزهر اَولا ليبارك الحكم قبل*

إعلانه وتنفيذه؟ لكي نمنع هذه العادات قانونا نحتاج الى ديكتاتورية أتاتوركية تفصل الدين عن الدولة، وهذا للأسف لا يتوفر لنا في البلاد الإسلامية التي زاد **تشنجها** مع *الصحوة الأخيرة*. ولهذا أنا أقول إنّ إصلاح الإسلام لا يمكن أن يحدث عن طريق دراسته بعلوم الأديان المقارن.

- يقول الأستاذ العفيف الأخضر:

«الدولة الدينية تستمد شرعيتها مِن *الدين*، أما الدولة المدنية فتستمد شرعيتها مِن *احترام القانون الوضعي العقلاني وفصل السلطات ومِن احترام حقوق الإنسان*. إصلاح الإسلام كفيل بتغيير القيم وإعادة تأسيسها عقلانيا. مِن هنا أهميّة تدريس الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (الذي لا يتجاوز بموادّه الثلاثين صفحتين او ثلاث) منذ الإبتدائي لتحديث العقلية الإسلامية التي يمثل تطويرها رهانا كبيرا للتصالح مع الحداثة أي مع العالم الذي نعيش فيه عسى أن نتحوّل مِن موضوع للتاريخ الى مساهم في صنعه. وكذلك تدريس ملحقاته كالإتفاقية الدولية لحقوق الطفل، والإتفاقية الدولية لمنع التمييز ضد المرأة، والإتفاقية الدولية لحماية الأقليات.» انتهى.

✍ ولا خلاف على هذا القول، ولكن نأتي الى مرحلة تطبيق هذا القول، فمَن الذي يأمر بتدريس *حقوق الإنسان التي يعترض عليها شيوخ الإسلام* لأنّ:

كلام الله في القرآن يقول:

{واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا. (النساء 34)**}**.

ويقول كذلك:

{وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم. (البقرة 228)**}**.

والحديث يقول:

[مَن أطاع ولي الأمر فقد أطاعني، ومَن أطاعني فقد أطاع الله].

فرجال الدين الإسلامي لا شك سوف يعترضون على تطبيق حقوق الإنسان التي تمنح حرية الاعتقاد، وحرية العبادة، وتمنع تفضيل الرجال على النساء، وكذلك أولي الأمر الذين بيدهم الحل والعقد، قد شرّعوا للتعذيب والقتل في معتقلاتهم. فمَن الذي سوف يأمر بتدريس حقوق الإنسان في البلاد الإسلامية؟

- عندما سُئل الأستاذ العفيف الأخضر لماذا هو متفائل، أجاب:

«أنا أشتغل على سيناريوهين إثنين: المتشائم والمتفائل، وأراهن على هذا الآخير كمجرد إمكانية واعدة، متمنّيا أن لا تتحقق نبوءة فلوبير: "**المستقبل هو أسوأ ما في الحاضر L' avenir, c'est ce que le présent a de pire**"؛ أمّا إذا اشتغلت على السيناريو المتشائم أي *الكارثي* فلا يبقى لي إلا الصمت. فالعالم مهدّد بسلسلة مِن الكوارث كالعرائس الروسية يُغطي بعضها البعض. مثلا، انهيار مالي عالمي يغطي سيناريو الحمائية الجمركية، وهذه الآخيرة تغطي سيناريو الفاشية والحرب، وهو السيناريو ذاته الذي اكتوت به البشرية في الثلاثينات، ولكن هذه المرة يغطي سيناريو احتمال الحرب النووية ولو محدودة. ونتيجة لذلك ارتفاع حرارة المناخ الى 4 درجات في مستقبل منظور، وهذا يغطي سيناريو انفجار آبار الميتان في البحار الكفيلة بإبادة النوع البشري.» انتهى.

✍ وكم تمنيتُ أن يكون عندي تفاؤل الأستاذ العفيف الأخضر، ولكني متشائم جدا مِن مستقبل العالم كافة ومستقبل أوروبا خاصة لأنّ *الإخوان المسلمين* قد زرعوا *مخالبهم الأخطبوطية* في أحشاء أوروبا، وربما لا يطول الزمن قبل أن يستولوا على بعض الأقطار الصغيرة مثل السويد والنرويج والدنمارك. وعندما ينجحون في ذلك فلن يتجرأ أحد على الحديث عن إصلاح الإسلام المظفر، كما لم يتجرأ أحد على نقده عندما زحفت جيوشهم على شمال أفريقيا والأندلس.

- تحدث الأستاذ العفيف الأخضر في الحلقة الأخيرة مِن المقابلة عن **انحطاط العقل الإسلامي**، فقال:

«الدخول في *الإنحطاط* في الحضارة الإغريقية كما في الحضارة العربية الإسلامية هو *هزيمة العقل الفلسفي* أمام الأسطورة في الأولى، و*هزيمة العقلانية الدينية والعقل الفلسفي الإسلامي والعقل النقدي* في الثانية أمام القراءة الحرفية للنصّين المؤسّسين: القرآن والحديث، على يد حزب المحدثين الذي عبّر الترمذي، تلميذ البخاري، عن لامعقوله الديني عندما قال: "مَن أصاب في القرآن بالرأي فقد أخطأ ومن فسّر القرآن بالرأي فقد كفر"، والرأي عنده هو العقل.» انتهى.

✍ ولا أستطيع أن أضيف شيئا هنا لانحطاط العقل الإسلامي الذي يقول **الفكر كفر**. فهل بعد هذا نستطيع أن نأمل في أن نُدرّس النشئ في البلاد الإسلامية علم الأديان المقارن؟ أعتقد أنّنا نطلب المستحيل هنا.

اللهم ابعث فينا كمال أتاتورك

عودة إلى الفهرس

283، 284- الإسلام منظومة سياسية لا يمكن إصلاحها

2013 / 5 / 3

1 مِن 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=357348

المسيحية سبقت الإسلام بحوالي ستمائة عام تقريبا. ورغم أن المسيحية بدأت كمنظومة دينية متسامحة مع نفسها ومع الغير، ولم تتطرق إلى السياسة أو الحكم في تشريعاتها بخلاف ‹اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله›، نجد أن البابوات وكهنوت الكنيسة الكاثوليكية استطاعوا أن يسيطروا على السياسة في أوروبا مِن وراء الكواليس وجعلوا الملوك والأمراء واجهة لحكمهم. واستمر هذا الوضع حتى جاء عصر *التنوير* في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فتلاشت سلطة الكنيسة السياسية. ومما ساعد على تقلص سلطة الكنيسة هو وجود منظومة تركز السلطة الدينية في شخص البابا الذي يخضع لكلمته كل الأشخاص الكاثوليك بمَن فيهم الكهنوت. ومما لا شك فيه أن كل الأديان تدخلت في السياسة لتضمن عائدا ماديا مريحا لرجال الكهنوت.

أنبياء بني إسرائيل على كثرتهم كان لهم دور سياسي واضح، كما يقول البروفسور السوداني محمد محمود، أستاذ علم الأديان المقارنة، في كتابه ‹**نبوة محمد التاريخ والصناعة**›:

"ويظهر دورهم (أنبياء إسرائيل) السياسي بجلاء في علاقتهم الوثيقة بالبلاط ومشاركتهم في إلهاب الشعور القومي. هؤلاء الأنبياء كانوا أنبياء شعبيين وينتمون لطور النبوة السابق على النبوة الكلاسيكية." (ص 14).

بالنسبة للإسلام، فإن محمدا ترعرع في بيئة يعبد أغلب أهلها الأصنام كوسيلة لتقريبهم إلى الله. وقد كانت بيئتهم تعرف التوحيد، والصلاة، والصيام، والزكاة من اليهودية والمسيحية والأحناف، وعرفت الحج من ماضيها الوثني. وبالتالي لم يكن هناك أي جديد يستطيع محمد أن يأتي به ليقنع الوثنيين أنه جاءهم برسالة دينية جديدة. فكانت رسالته منذ البداية *رسالة سياسية* أراد بها أن يسيطر على العرب والعجم. ويظهر هذا جليا في المقولة المنسوبة له عندما اجتمع مع أعيان مكة في بيت عمه أبي طالب، قال وقتها مخاطبا عمه أبا طالب:

[أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم.] [1].

فإذن رسالته كانت للسيطرة على العرب والعجم وليست لأغراض دينية. *الدين هنا كان عبارة عن الوسيلة التي يصل بها إلى هدفه.*

ولأن الرسالة كانت سياسية منذ البدء، نجد أن محمدا قد دخل في معاهدات عديدة مع القبائل العربية المختلفة ليحيّد بعضها وليثير العداوات بين بعض القبائل مما يصب في مصلحته هو. وبدأ غزواته التي قطعت الطريق *وقننت للسلب والنهب والسبي*. ثم أبرم معاهدات مع يهود المدينة ليضمن عدم مساعدتهم القبائل العربية ضده، ولكنه كان طوال الوقت يفكر في أعذار تسمح له **بنقض تلك المعاهدات** عندما تكون الظروف في صالحه، **حتى يتمكن من وضع يده على أموالهم**، كما فعل مع يهود بني قريظة وبني قينقاع.

ولأن الرسالة كانت سياسية في المقام الأول، جاءت تشريعاتها الدينية **متناقضة ومتخبطة** وفيها تكريس للعادات الجاهلية من زواج وطلاق وعِدة وغيرها. وكرست كذلك **اضطهاد المرأة والعبيد والإماء**، مما يجعلنا متيقنين أن مثل هذه التشريعات لا يمكن أن تصدر من إله في السماء خلق هذا الكون. فتفكير محمد كان منصبا في إقامة دولة المدينة وإيجاد المال اللازم لاستمراريتها.

فبداية الإسلام، كما يعلم الجميع، بداية *ضبابية* جُمع قرآنها بعد موت نبيهم بعشرات السنين، ولغتها الكتابية كانت في *طور التكوين* مما جعل القرآن المكتوب بها قابلا للتأويل والتغيير، وكانت روح البداوة هي المسيطرة على أتباع الرسالة الجديدة حتى جاء الخليفة العباسي المأمون وتبنى منظومة المعتزلة وأقام بيت الحكمة لترجمة التراث الهليني من فلسفة وعلم الكلام والعلوم الطبيعية إلى اللغة العربية.

ولكن لسوء حظ أمة الإسلام، *التي يفترض أن تكون خير أمة أخرجت للناس*، ظهر **عرابون** في تلك الأمة قبل وبعد موت المأمون بقليل. وكلمة **عرّاب** تعني: ‹الشخص الذي يعمل العَرْبَات، واحدتها عَرَابة، وهي **شمل** ضروع الغنم، أي لف شريط رفيع حول حلماتها، لمنع البهم من الرضاع›.

كان هدف هؤلاء **العرابين** هو حرمان الأمة من رضاعة ذلك الثدي الهليني الذي يدر العلم والمعرفة.

ولما كانت الأمة الإسلامية في بداية تكوينها ويسيطر عليها الجهل والأمية، فقد وجد هؤلاء **العرابون** رحما دافئا احتضنهم حتى نموا وترعرعوا ومن ثم أحكموا خناقهم حول عنق **أمة إقرأ**، **التي لا تقرأ**.

- أبوالحسن الأشعري (ت 941 م) كان أول وأشهر هؤلاء العرابين، إذ أن الرجل كان **معتزليا** يؤمن بالعقل والمنطق والفلسفة وعلم الكلام، حتى بلغ الأربعين من عمره، ثم رأى محمدا في حُلم وطلب منه محمد أن يدافع عن أحاديثه وسنته، فانقلب الرجل وأشهر العداء للمعتزلة. وفي دفاعه عن الأحاديث والسنة تخلى الأشعري عن العقل واتخذ موقفاً معاكساً للمعتزلة في كل شيئ لدرجة أنه قال **بالتجسيم** ودافع عن أن لله أيادي وأرجل وجسم، وانه يجلس على العرش. ولما وجد صعوبة في شرح كيف يمكن أن يجلس الله على العرش والقرآن يقول: **وسع كرسيه السموات والأرض**. قال:

"إنه يجب على المسلم أن يؤمن أن الله يجلس على العرش بدون السؤال عن 'كيف'."[2]

[1] جامع البيان في تأويل القرآن، للإمام القرطبي، جزء 23، سورة ص.

[2] Karen Armstrong, A History of God, p 195.

وذهب الأشعري إلى أن كل عمل يقوم به الإنسان، أو أي ظاهرة طبيعية نراها لا تصدر من الطبيعة أو الإنسان إنما هي إرادة الله. وذهب الأشعري إلى أن الإنسان لا يستطيع أن يعرف الخير من الشر بدون أن يخبره الله عن طريق الوحي الذي يأتي للأنبياء والرسل. وفي محاولته الإجابة عن سؤال أرسطو:

> *هل الآلهة تحب الأشياء الخيرة لأنها خيرة، أم أن الأشياء أصبحت خيرة لأن الآلهة أحبتها؟*

يقول الأشعري:

> "إن الله لا يفرض علينا عمل أي شيء لأنه خيّر، وإنما يصبح الشيء خيّراً لأن الله أمر به". وكمثال على ذلك يقول: "إن الكذب شر لأن الله حرّمه، ولكن لو حلله الله فسوف يصبح الكذب خيّراً."[3]

ولأن المعتزلة قالوا إن الله خيّرٌ ولا يُقدّر إلا الخير لمخلوقاته، رد عليهم الأشعري بالمثال المشهور عن الإخوان الثلاثة:

> "أكبرهم كان شريراً ولما مات أدخله الله النار، والثاني كان خيراً ولما مات أدخله الله الجنة. والثالث مات في طفولته قبل سن التكليف، فانتهى في البرزخ بين الجنة والنار."، وسأل الأشعري: "لماذا لم يطل الله عمر الطفل حتى يعمل صالحاً عندما يكبر فيدخل الجنة، لأن الله لا يفعل إلا الخير لمخلوقاته؟ فكان رد الحاضرين أن الله لم يطل عمره لأنه علم أنه لن يفعل خيرا لو كبر." وهنا سأل الأشعري: "لماذا أطال الله عمر الأخ الأكبر حتى يرتكب كل المعاصي ويدخله النار؟ لماذا لم يمته وهو صغير عندما علم أنه سيرتكب المعاصي؟"،

وبهذه الحجة أقنع الأشعري الناس بأن الله ليس ملزما أن يقدر الخير لمخلوقاته، وأنه يفعل ما يريد **لأنه لا يُسأل عما يفعل؟** وللأسف فقد سيطر *الفكر الأشعري* على الساحة الإسلامية وأقصى *الفكر المعتزلي العقلاني*.

- أما أخطر العرابين وأكثرهم ضررا للأمة الإسلامية هو بلا شك أبو حامد الغزالي (ت 1111 م). ولد الغزالي في خراسان عام 1058م ودرس علم الكلام تحت أستاذه أبو المعالي الجويني الذي كان قطبا من أقطاب *الأشعرية*. وفي سن ثلاثة وثلاثين أصبح الغزالي معلما بالمدرسة النظامية ببغداد، *وكانت مهمته الدفاع عن المذاهب السنية في وجه المذاهب الشيعية*. وقد درس الفلسفة ثم انقلب عليها وهاجم الفلاسفة وقتل الفلسفة في كتابه ‹تهافت الفلاسفة›، ثم أصابته **حالة نفسية** كادت أن تودي بحياته، *نتيجة تفاعلات ما يمليه عليه عقله الفلسفي وما ينطق به من عقله الأشعري*. وبسبب هذه الحالة النفسية لم يتمكن من البلع أو الكلام لعدة أسابيع. وأخيرا هداه الله، كما يقول، إلى **التصوف** فساح في الأرض مع المتصوفين وسكن في دمشق وفلسطين وفارس، قبل أن يرجع إلى بغداد. وأخطر ما ذهب إليه الغزالي أنه **نفى السببية**، وقال

> إنه لا توجد علاقة أو سببية بين النار وحريق القطن الذي يوضع على النار لأن الله هو الذي جعل النار تلمس القطن ويغير لون القطن إلى الأسود، ثم يجعله رماداً بواسطة الملائكة أو بدون واسطة. وبإمكان الله أن يفعل غير ذلك ويجعل النار تمس القطن دون أن تحرقه. ثم ما هو الدليل أن النار هي التي تحرق الأشياء؟ الفلاسفة لا يملكون أي دليل على ذلك غير ملاحظة تغير لون القطن عندما تمسه النار. **ولكن الملاحظات تبرهن فقط توأمة الأشياء مع بعضها البعض ولا تثبت السببية**. فليس هناك أي سبب غير الله.

ويقول كذلك ما معناه:

> الربط بين ما يعتقد البعض أنه **السبب**، وبين ما يعتقدون أنه **النتيجة**، ليس ضروريا في رأينا. فليس هناك أي علاقة بين إطفاء الظمأ وشرب الماء، أو بين الشعور بالشبع وأكل الطعام، أو بين شروق الشمس وسطوع الضياء، أو بين قطع الرأس والموت. **العلاقة الظاهرة** بين هذه الأشياء ناتجة عن **إرادة الله المسبقة** التي خلقت هذه الأشياء **ملتصقة ببعضها**، ولكن هذا لا يعني أنها لا يمكن فصلها عن بعض، فبإمكان الله أن يخلق في الإنسان الشعور بالشبع دون أن يأكل طعاما، أو يستمر الإنسان في الحياة بعد أن يُقطع رأسه.[4]

ويستمر الغزالي فيقول:

> إنه ليس من الضروري أن يُخلق الحصان من الحيوان المنوي، ولا الشجرة من الحبة. يمكن أن يُخلق الحصان والشجرة من لا شيء.



لأن **العقل** يحفّزنا على أن نسأل ونكتشف الأشياء غير الملموسة، اعتبره الغزالي **عدو الإسلام الأول** لأن الإسلام يطلب من المسلم **الرضوخ الكامل والامتثال لأوامر الله بدون أي تفكير في الأسباب**. وبسبب شهرة الغزالي وتعاليم الأشعرية، وصل *الجمود الفكري* إلى الأندلس. فنجد مفكراً ظاهريا مثل أحمد بن حزم يرفض **القياس لأنه يعتمد على العقل**، ويقول:

> "لا شيء خيّر في ذاته ولكن الله جعله خيرا، ولا شيء شرّ في ذاته ولكن الله جعله شرا. فالعمل الذي نعتبره خيّرا قد يصبح شرا إذا أراد الله له ذلك، والعكس صحيح." ويستمر ابن حزم فيقول: "فإذا أخبرنا الله تعالى بأنه سوف يعاقبنا بأفعال غيرنا، أو بسبب طاعتنا له، فإن ذلك يصبح عدلا من الله وعلينا القبول به."

ويقول الفخر الرازي (ت 1209 م) من أتباع *المدرسة الأشعرية*:

> "إنه من المقبول في معتقدنا أن الله تعالى يمكنه أن يُدخل المذنبين إلى الجنة والمحسنين إلى النار، لأن ملكية القرار له وحده ولا يستطيع أحد أن يمنعه."

ويظهر جليا من أقوال الغزالي وابن حزم والرازي أن العقل الإسلامي يغط في سباتٍ عميق لأن تعليلاتهم وآراءهم لا تستقيم والمنطق السليم. والسبب في أن الغزالي والأشعرية عموما **رفضوا فكرة السببية** هو شعورهم أنه لو كانت المسببات تؤدي إلى النتائج المعروفة، يصبح **فعل الله ناتجا** عن **ضرورة وليس عن إرادة حرة** يمكنها تغيير النتيجة في كل مرة يريد الله ذلك. وبسبب هذه الآراء، وبمساعدة أستاذه أبي المعالي الجويني الذي كان علما من أعلام الأشعرية، وتعاليم الإمام أحمد بن حنبل الذي كان يعتقد أن **علم الكلام مضر بالدين** لأن الله قد تكلم مع الإنسان عن طريق الوحي وبالتالي ليس الإنسان في حاجة لأن يفكر بطريقة جدية، **وأن الوحي حل محل العقل**، وأن العلماء لا

---

[3] Robert Reilly, The Closing of the Muslim Mind, p 70.

[4] نفس المصدر أعلاه، ص 63.

يعترفون بالقياس ولا بالرأي لأن كلاهما لا قيمة له، تربعت *المدرسة الأشعرية* على مسرح الأحداث في أمة الإسلام وغاب العقل نهائياً[5].
وكذلك ساعدته أفكار الإمام الشافعي ذي الميول الأشعرية، الذي قال:

"حديثٌ ضعيف أفضل من القياس."

بفضل هذه الآراء أصبح الغزالي أشهر من علم في رأسه نارٌ وحاز على لقب ‹حُجة الإسلام›.
وقد تخلى الغزالي عن عقله تماما عندما تحدث عن **الحج** وقال إنّ ما يقوم به الحاج من ركض بين الصفا والمروة، وبقية الطقوس، لا يقبلها العقل ولا يستسيغها، ولكن القيام بها **يُثبت عبودية الفرد لله**:

> "ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تهتدي إلى معانيها العقول كرَمي الجمار بالأحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية فإن الزكاة إرفاق ووجهها مفهوم وللعقل إليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع والسجود في الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هي هيئة التواضع وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل فأما ترددات السعي ورمي الجمار وأمثال هذه الأعمال فلا حظّ للنفوس ولا أنس فيها **ولا اهتداء للعقل إلى معانيها** فلا يكون في الإقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للأمر **من حيث إنه أمر واجب الإتباع فقط** وفيه **عزل للعقل** عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل أنسه فإن كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للأمر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد." ؟[6]

رحم العقل أمة الإسلام التي تقتدي بأمثال الغزالي.

- وهناك عرابون آخرون ساعدوا على انتشار الفكر الأشعري والتعتيم على العقل المسلم، من أمثال ابن تيمية، وأبي الأعلى المودودي، ومحمد بن عبد الوهاب، وبعض "علماء" الأزهر السابقين والمعاصرين. فمثلا نجد الشيخ أحمد بن نجيب المصري، شافعي المذهب، يقول في كتابه ‹عمدة السالك وعدة الناسك› ما معناه علوم الماديين تعتمد في المقام الأول على اعتقاد الماديين أن الأشياء في ذاتها تحتوي على مسببات غير الله. *الذين يعتقدون ذلك قد خرجوا من ملة الإسلام.*
- لقد كان صلاح الدين الأيوبي وكبير قضاته، صدر الدين بن عيسى الدرباس، السبب الرئيسي في انتشار *المدرسة الأشعرية* في مصر. فقد حفظ صلاح الدين الأيوبي عن ظهر قلب ما كتبه قطب الدين أبوالمعالي مسعود النيسابوري، من أقطاب *المدرسة الأشعرية*، وحَفَّظَه صلاح الدين لأبنائه وبقية أفراد الأسرة الأيوبية[7]. انتشار *المذهب الأشعري* أدى إلى إغلاق العقل المسلم ومنع الاجتهاد منذ القرن الثاني عشر الميلادي، وكنتيجة لهذا الموقف نجد أن البلاد الإسلامية سيطر على مناهج تعليمها "علماء" الأمة الذين خرّبوا التعليم وخرّجوا لنا علماء شريعة الذين لا يقدمون للمجتمع أي خدمات.

ويُظهر تقرير أنتجته جامعة ماليزيا الإسلامية أن:

- البلاد الإسلامية بها في المتوسط <u>8.5 مهندسين وفنيين في كل 1000 مواطن</u>، بينما بقية دول العالم بها في المتوسط <u>40.7</u>.
- وإذا نظرنا إلى المنشورات العلمية في تلك البلاد نجد أن كوريا الجنوبية تنتج <u>144 دراسة علمية في كل مليون من سكانها</u>، بينما تنتج البلاد العربية <u>26 دراسة فقط عن كل مليون شخص</u>[8].
- أما عن حقوق الإنسان والديمقراطية التي يعتبرها أغلب "علماء" الأمة كفرا، فحدث ولا حرج. وقد انشغل "علماء" الأمة بتوافه الأمور مثل حساب درجة حرارة نار جهنم، أو تحديد المواد الكيمائية في أجسام الشياطين.

فهل هناك أي أمل في إصلاح هذا الدين السياسي الذي دمر حياة الملايين من البشر فعليا عن طريق الذبح والتفجيرات، أو عن طريق إلغاء عقولهم؟
هناك من يعتقد ذلك ولكني أقول بغير ذلك.

2013 / 5 / 5

2 مِن 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=357739

لا يخامرني أدنى شك أن *الإسلام منظومة سياسية تقمصت لبوس الدين*، والدين منها براء. الأديان يمكن إصلاحها كما حدث مع المسيحية واليهودية دون التعرض للنص المقدس لأتباع تلك الديانات. الإصلاح يكون عن طريق:

- *تغيير الخطاب الديني* الذي ينطق به رجالات الدين،
- أو *بغض الطرف عن بعض الآيات التي تحدث إشكالاً مع متطلبات العصر.*

فهاهي المسيحية اضطرت للخضوع لمجاراة العصر وسمحت بتعميد النساء والقساوسة المثليين بعد أن نفضت يدها عن السياسة مجبرة. أما اليهودية فقد حاول حاخاماتها الاحتفاظ بنصوصها كما هي وتطبيقها على أرض الواقع. ورغم أن بعض الحاخامات المتشددين في إسرائيل ما زالوا يطبقون نفس النصوص الجامدة التي تحدد ما يمكن أن يفعله اليهودي يوم السبت، وما يجب أن يتحقق منه الرجل أو المرأة قبل الزواج، فإن غالبية الشعب الإسرائيلي قد اضطرهم **المجتمع الحديث** للعمل يوم السبت والزواج من الزميلة الموظفة ذات الدخل الكبير حتى وإن لم تكن يهودية. و في الولايات المتحدة وأوروبا تخلى اليهود وحاخاماتهم عن أشياء كثيرة وقبلوا بتعميد النساء، وبزواج اليهودي بغير اليهودية *وتخلوا تماما عن الخوض في السياسة*. **فانتشار التعليم والضغوط الاقتصادية والمجتمعية حملت الأديان على التأقلم أو الانقراض**.
ولكن للأسف نفس الضغوط لا تؤثر على الأيديولوجيات لتتأقلم معها. المنظومات السياسية مثل **الفاشية الموسولينية** ومثل **النازية الهتلرية** لم يكن من الممكن إصلاحهما *لأنهما بُنيا على استعلاء جنس معيّن من البشر على بقية الأجناس*، وسعيا للسيطرة على بقية الأجناس ليس بالعلم أو المقدرة الفكرية، وإنما بوراثة جينات جنس معيّن من البشر كالجنس الآري مثلا. وما زال شباب النازية الجديدة في

---

[5] نفس المصدر أعلاه، ص 47.
[6] إحياء علوم الدين، ربع العبادات، الجزء 7، ص 19.
[7] The Closing of the Muslim Mind, p 9.
[8] نفس المصدر أعلاه، ص 162.

أوروبا يلبسون نفس القمصان الهتلرية أو الموسولينية ويؤدون نفس التحية العسكرية ويستعلون على المهاجرين ويقتلونهم إذا تمكنوا منهم لأنهم لا يستحقون الحياة في نظرهم. مثل هذه الأيديولوجيات السياسية *يكون إصلاحها بالخلاص منها نهائيا* لأن تعاليم الأيديولوجيا لا تسمح بالتأقلم مع الزمن.

وفي اعتقادي نفس الشيء ينطبق على **المنظومة الشيوعية** التي بُنيت على سيطرة الطبقة العاملة على مفاصل الانتاج، أي على ديكتاتورية البروليتاريا. فلا يمكننا أن نتخيل منظومة شيوعية تتأقلم مع سيطرة القطاع الصناعي أو الزراعي على مفاصل الدولة وتسخير الطبقة العاملة كعملية إصلاح للأيديولوجيا الشيوعية. فالمنظومة الشيوعية أمامها خياران لا ثالث لهما: إما أن تُطبق عمليا وتبلغ شأوها، وإما أن تنهار نهائيا، فالاشتراكية ليست هي الشيوعية. وأرجو أن يصوبني صديقي فؤاد النمري إن كنتُ مخطئاً في طرحي هذا.

نأتي الآن إلى الإسلام، وهناك الكثيرون الذين يعتقدون أنه بالإمكان إصلاحه. وقد شاركت في ندوة في روما عن إصلاح الإسلام قبل عدة أشهر مع الصديق الدكتور عبدالخالق حسين وبعض الكتاب العرب وبعض المستشرقين. وكان مركز ‹المصلح›[9] قد دعا لهذه الندوة.

كل المشاركين الذين قدموا أوراقا في هذه الندوة *قالوا بإمكانية إصلاح الإسلام*، وكنتُ أنا الصوت النشاز الوحيد لإيماني المطلق أن الإسلام أيديولوجية سياسية إما أن تُطبق بكاملها أو تنقرض.

استحالة إصلاح الإسلام ترجع إلى عدة عوامل سوف أركز على بعضها وأذكر الأخريات بدون نقاش.

- العامل الأول هو *نظرة المسلمين الدونية لغير المسلم*. فهم يتبعون قدوتهم الأولى محمد الذي لا يرى بأسا في قتل عصماء بنت مروان التي كانت ترضع وليدها على صدرها، ويقول:

لا ينتطح فيها عنزان

لأنها لم تسلم وبالتالي هي أقل شأنا من أن ينتطح فيها عنزان ناهيك عن رجال مسلمين هم فوقها درجات. وهم كذلك يتبعون قدوتهم الحديثة هتلر لأنه اضطهد اليهود وقتلهم، فبعثوا إليه مفتي القدس الشيخ الحسيني للتهنئة. وما دام المسلم أعلى مرتبة من غير المسلم، فلن يتنازل المسلم طواعية عن هذا الموضع ويقبل بإصلاح الإسلام فيصبح مساويا للكافر.

- السبب الثاني هو *جهل "علماء" الإسلام بالعلوم الطبيعية والعلوم السياسية والاجتماعية*. كل ما يعرفونه هو القرآن والسنة والفقه والسيرة. هؤلاء الجهلاء هم المتحكمون في رقاب الأمة، وهم المسؤولون عن مناهج التعليم وبالتالي يزرعون نفس البذرة في أجيال المستقبل. وهذا الوضع المريح قد جعلهم نجوم فضائيات عديدة يحصدون منها ملايين الريالات ويبنون القصور الشامخة. **فهل يمكن أن يقبلوا طواعية بإصلاح الإسلام وتنوير العامة؟** كلما شذ عالم دين أو فلسفة عن إجماع جهلاء الإسلام كان الجلد والسجن وحرق كتبه عقابا جاهزا متفق عليه. فمثلا الفيلسوف العربي المسلم أبو يعقوب الكندي (ت 873 م) عندما قال:

إن النبوة تعلو على الفلسفة في بعض الأشياء ولكن محتوى الاثنين لا يختلف كثيرا،

تواطأ عليه رجالات الدين فطرده الخليفة المتوكل من بغداد وصادر مكتبته العامرة[10]. فهل يجرؤ رجل دين آخر على نقد الإسلام والمطالبة بإصلاحه؟

- *تأصيل الخرافة الإسلامية حتى في عقول المتعلمين منا*. فمثلا نجد ابن خلدون، الذي كان من اتباع المدرسة الأشعرية، يقول عن دراسة الفيزياء في كتابه **المقدمة**:

"يجب أن نمتنع عن دراسة هذه الأشياء لأن مثل هذا الامتناع من صميم واجبات المسلم التي تحتم عليه عدم الخوض فيما لا يعنيه. مسائل الفيزياء لا تهمنا في أمور ديننا أو دنيانا، وعليه يجب أن نتركها جانبا."[11]

- *قفل باب الاجتهاد*، وقد ظل مقفلا منذ القرن الثاني عشر، وليس هناك من رجل دين معاصر أو هيئة دينية تستطيع فتحه. يظهر هذا جليا عندما حاول الشيخ محمد على السنوسي (ت 1859 م)، والذي كان معروفاً بالسنوسي الأكبر، فَتْح باب الاجتهاد فرد عليه مفتي مصر بفتوى تقول:

"لا ينكر أحد أن فضل الاجتهاد قد اختفى منذ أمد طويل، وليس في زماننا الحاضر أي رجل وصل في العلم إلى درجة فتح باب الاجتهاد."

وعليه سوف يظل باب الاجتهاد مغلقا إلى الأبد لأن فقهاء السلف لم يتركوا مسألة في الدين إلا وقتلوها بحثا، وليس هناك ما يمكن إضافته لما قالوه. ورغم أن باب الاجتهاد ظل مفتوحا في المذهب الشيعي، فإن "علماء" الشيعة لم يأتوا بأي اجتهاد في العصور الحديثة. وهكذا كُتب علينا الجهل وترديد مقولة محمد:

[كل جديد بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار]؟

- *جهل "العلماء" وإيمانهم بنفي السببية لأن الله هو السبب في كل شيء*. وقد حمل هذا الموقف "علماء" باكستان بالمطالبة **بأسلمة كتب الفيزياء والكيمياء**، فنجدهم مثلاً يقولون:

"عندما يؤلف المختصون كتابا للفصل الثالث الإعدادي، يجب ألا يسأل المعلم: ماذا سوف يحدث إذا لم يتناول الحيوان طعاما؟ بل يجب أن يكون السؤال: ماذا سوف يحدث إذا لم يرزق الله الحيوان بأي طعام؟"

وبالنسبة للفيزياء، يقول الشيوخ "العلماء":

"إن جملة (الطاقة تسبب التغيير) جملة ملغومة لأنها توحي للطفل أن الطاقة هي سبب التغيير بينما الله هو السبب."

وهنيئا لأمتنا بمثل هؤلاء العلماء. هل يمكن أن نُصلح الإسلام وأطفالنا **يحشي** الجهلاء عقولهم بتعاليم المدرسة الأشعرية؟

وإنكار السببية هذا قد قادنا، وسوف يظل يقودنا إلى **متاهات عويصة**. فمثلا العالم كله يعرف أنه إذا تجمع السحاب في مكان ما وأبرق ذلك السحاب فهطول المطر يصبح احتمالا كبيرا. ولكن "علماء" المسلمين يقولون التنبؤ بسقوط الأمطار يقع خارج ما يمكن للمسلم شرعا معرفته وربما يدخل في علم ما فوق الطبيعة.

[9] http://www.almuslih.org
[10] The Closing of the Muslim Mind, p 41.
[11] نفس المصدر أعلاه، ص 43.

وكنتيجة حتمية لمثل هذه الفتاوى نجد أن نشرات الأحوال الجوية اختفت من الصحف والراديو والتلفزيون الباكستاني بين العام 1983 والعام 1984 في أيام حكم الجنرال ضياء الدين أو **"ضياع الدين"** كما سماه بعضهم. وبدل أن نستفيد من العلم الحديث في رصد تحركات السحب ودرجة الحرارة حتى يمكننا التنبؤ بأماكن هطول الأمطار، يطلب منا جهلاء الأمة وساستها أن نصلي *صلاة الاستسقاء* التي ظل المسلمون يقومون بها منذ ظهور الإسلام وحتى يومنا هذا وما زالت مكة صحراء جرداء لا تعرف المطر.

- *غياب سلطة دينية مركزية تكون كلمتها ملزمة لجميع المسلمين*، كما يحدث في الكنيسة الكاثوليكية. فنحن نجد أن المسلمين قد انقسموا إلى 73 فرقة كما قال رسولهم. فتوى الأزهر ليست ملزمة للشيعة بكل فروعها من فاطميين واثني عشرية وعلويين وغيرهم، وغير ملزمة للإسماعيليين أو الدروز أو حتى الصوفية. و"علماء الأزهر" أنفسهم لا يتفقون على رأي واحد في أي مسألة تُعرض عليهم، كما رأينا في *فتوى إرضاع الكبير*. فكيف لنا أن نَحْمِل "علماء الأزهر" على الاتفاق لإصلاح الإسلام **وهم يرتعدون خوفا من تنقيح كتاب البخاري** الذي يقول فيه

إن الله يمني وينزل المني من عرشه؟

هل يجرؤ مثل هؤلاء "العلماء" على تعليق العمل بآيات القتل والذبح وقطع الأيدي والأرجل؟

- *خوف أي رجل دين أو مفكر من التصريح بأي رأي قد يكون مخالفاً لإجماع بقية رجال الدين*، ولو أنهم نادرا ما يجمعون على شيء. يظهر هذا جليا في حالة الشيخ الشيعي أحمد القبانجي الذي أجهر برأيه في القرآن فتبرأ منه أخوه الأكبر وبقية عائلته واعتقلته إيران لفترة من الزمن. ناهيك عن الاغتيالات التي طالت المفكرين من أمثال فرج فودة وحسين مروة وغيرهم الكثير. *فالخوف من الإرهاب* يمنع المتنورين من الكُتاب والفلاسفة من طرح آرائهم في العلن حتى تساعد في تغيير تلك العقول المتحجرة. ففي الهند حاول السيد أحمد خان (1817-1898) فعل ذلك وقال إن القرآن يجب أن يُعاد تفسيره ليتماشى مع العصر الحديث. فقامت عليه قيامة "العلماء" الجهلاء وقاطعوا الجامعة التي كان يُدرّس بها، وأخيرا أصبحوا هم الذين يُعَلّمون في الجامعة. وعندما حاول تلميذه سيد أمير علي (1849-1924) نفس الشيء وقال إن أبا الحسن الأشعري، وابن حنبل والغزالي وابن تيمية **هم سبب تأخر المسلمين**، أصدر متولي الكعبة فتوى بكفره وأباح دمه[12].
- *الجهل والأمية المتفشية في ربوع العالم الإسلامي* من إندونيسيا إلى موريتانيا ومن باكستان إلى السودان، تمثل العائق الأكبر لإصلاح الإسلام لأن الإصلاح يحتاج **قاعدة عريضة** تقف وراء من يَدْعون للإصلاح. فمثلا في الولايات الأمريكية الجنوبية في القرن الثامن عشر عندما كان الجهل متفشيا في البيض والسود معا، ظهرت فجأة حركة *الصحوة الدينية المسيحية* Born Again Christians وقاد هذه الحركة خريج من جامعة ييل Yale الشهيرة اسمه جوناثان إدواردس (1703-1758) Jonathan Edwards كان خطيبا مفوها واستطاع أن يقنع الجهلاء أن الله غاضبٌ عليهم لعدم ممارستهم طقوس دينهم. وفي فترة وجيزة انتشرت الصحوة لكل أنحاء الولايات المتحدة ووصل الناس إلى مرحلة *الهستيريا الجماعية* فكانوا يبكون في الكنائس بصوت عال ثم بعد دقائق يضحكون ويرددون الأناشيد عندما يخبرهم القسيس أن الرب قد سامحهم.[13]

(نفس هذا الجهل والهستيريا الجماعية موجودة عندنا في كل أنحاء العالم الإسلامي خاصة العراق وإيران عندما يضربون أنفسهم بالسلاسل طواعية وينتحبون من أجل شخص قُتِل قبل 1400 عام. وفي مصر والسودان واليمن وغيرها يتكدس آلاف المسلمين في ضرائح الموتى يتبركون بها ويطلبون منها الشفاء من الأمراض ومن العقم).

فما هو الدافع لرجالات الدين، في مثل هذه الأجواء، إلى محاولة إصلاح الإسلام الذي سخّر لهم جمع أموال الخُمس لمليء كروشهم، أو سخر لهم ملايين المشاهدين لقنواتهم الفضائية التي تجلب لهم الملايين؟ *لا يمكن أن يأتي الإصلاح من شيوخ الإسلام*. فمن الذي يمكن أن يُصلح لنا الإسلام؟ هل يصلحه المتعلمون من غير الشيوخ من أمثال أستاذ القانون في جامعة الكويت، راشد العنزي، الذي يشرف على لجنة المناهج المدرسية، وقال

يجب إلغاء المادة 18 من قوانين حقوق الإنسان من الكتب المدرسية لأنها تقول *بحرية الاعتقاد، وهذا يخالف شرعنا الإسلامي*؟

إذا كان هذا رأي أستاذ القانون فما هو رأي الشيوخ؟

شيوخ الإسلام يستميتون في الدفاع عن *الموروث الإسلامي* ولا يتورعون عن مناجزة *التنويريين* الذين يحاولون بعض الإصلاحات الطفيفة. فمثلا في السودان قال السيد حسن عبد الله الترابي إن الملائكة لم تقاتل مع المؤمنين، ولو قاتلت فكان قتالا معنويا، وإن عائشة كان عمرها ثمان عشرة عاما لما تزوجها محمد، فانبرى له شيخ اسمه الكاروري يؤم مئات المصلين يوم الجمعة وله أتباع بالآلاف، فقال:

"أما نفيه لفعل القتل ماديا فهذا غير مقبول".

وأكد أن القتل فعليا قد حدث في معركة بدر الكبرى، وأن هناك مَن مات هلعا من المشركين ممن كانوا يراقبون معركة بدر حينما سمعوا أصوات الملائكة في المعركة. وأشار إلى أنه ورد أن مَن شاركوا في معركة بدر الكبرى قالوا إن (**الضرب**) وطريقته في جثث المشركين لم يكن بالضرب المعروف والمألوف[14]. يؤكد الشيخ الكاروري أن الملائكة قتلوا المشركين وينسى أن ربهم عندما قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا له: {**أتجعل فيها من يسفك الدماء؟**} وهاهم يسفكون الدماء. من **مصلحة الشيوخ زيادة جرعة التخدير**.

في اعتقادي أن الحقوق لا تُمنح بل تُؤخذ عنوة، أو كما قال جمال عبد الناصر: "ما أخذ بالقوة لا يُسترد إلا بالقوة". حرياتنا أُخذت منا ومن أسلافنا بالقوة وبالسيف والسبي. ونحن ضربونا عندما كنا أطفالا لنحفظ خزعبلات الإسلام، وعليه يبقى الطريق الوحيد لتحديث الإسلام أو **إلغائه** هو القوة التي استعملها الحبيب بورقيبة لتحديث بعض أجزاء الإسلام، أو القوة التي استعملها كمال أتاتورك ليُرجع الإسلام إلى المساجد. وقد تقدمت كلا الدولتين في فترات وجيزة إلى أن استجاب **الجهل** إلى أصوات الشيوخ مرة أخرى ورجع الإسلام تدريجيا إلى

---

[12] نفس المصدر أعلاه، ص 170.

[13] Karen Armstrong, A History of God, p 371.

[14] متوكل أبوسن، صحيفة الراكوبة السودانية، 2013/5/5.

تركيا مع حزب العدالة، وإلى تونس مع ثورة الربيع العربي. وإن قلبي ليتفطر على مصر أم الدنيا وعلى تونس الخضراء وعلى ليبيا والسودان. **ولكن الجهل يصنع المعجزات**.

وفي الخلاصة أقول إنه لا يمكن إصلاح الإسلام بتاتا ومكانه الطبيعي هو المتحف البريطاني مع هياكل الديناصورات.

الرجاء مشاهدة هذا المقطع، وشكري لمن أرسله لي:
https://www.youtube.com/watch?v=icPCOr2tVsU&feature=youtube_gdata_player

عودة إلى الفهرس

285 - كل الأديان إقطاع مستتر

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=359949

يقدر العلماء المتخصصون في دراسة الأديان أن فكرة الإله ظهرت قبل حوالي 14000 سنة في منطقة الشرق الأوسط عندما كان الإنسان البدائي محاصراً بالأمراض والموت الذي لم يفهم كنهه، فاستغل بعض الأذكياء المرض وزعموا أنهم يستطيعون علاجه ببعض الأعشاب. وبالطبع لم ينجحوا في علاج كل الأمراض بالأعشاب فاستعانوا بأرواح الإسلاف. وبذا أصبح الشامان Shaman[†]، أي رجل العلاج، أهم رجل في القبيلة. ولا شك أن بعض الأمراض استعصت حتى على أرواح الإسلاف فزعم الشامان أنه يستطيع الاتصال بقوى خارقة في السماء عن طريق أرواح الأسلاف أو ما سموه فيما بعد **الجن**. وتخيل الإنسان البدائي الذي كان يعتمد على الصيد أن تلك القوى الخارقة ترسل له الحيوانات كل يوم كي يصطادها، *فعبد هذه القوى الخارقة*. ولأنها كانت قوى أعلى من مستوى خياله، فقد وجد أن عبادة الحيوانات نفسها تحل محل عبادة الإله غير المرئي.

ثم تدريجياً اقتنع أنه عندما يقتل حيواناً فإن روح ذلك الحيوان تنتقل إلى حيوان آخر يرسله الإله لهم ليصطادوه في الغد، فنشأت فكرة **الحلول**، أي حلول روح الميت في شخص أو حيوان آخر وبذا يستطيع الإنسان التغلب على الموت بتقمصه جسد إنسان آخر...

الأديان في البدء *لم تكن مهمتها تهذيب طبائع الإنسان*، فالإنسان بنفسه وفكره توصل إلى سلوكيات اعتبرها أخلاقية فحافظ عليها وأخرى اعتبرها غير أخلاقية وتضر القبيلة أو المجتمع، فحظرها. فلو كانت مهمة الأديان تهذيب روح الإنسان لكانت ثلاثة آلاف سنة من ظهور الأديان السماوية كافية لصقل سلوك الإنسان، ولكن الإنسان حتى اليوم عبارة عن حيوان يمتلك كل غرائز الحيوان ولكن يغطي عليها بقشرة رفيعة من الحضارة سرعان ما تنقشع ويظهر معدن الحيوان عندما يغضب الإنسان أو يسكر، كما رأينا على اليوتيوب ما يفعله جنود النظام السوري بجثث القتلى من المقاومة، ونفس الشيء يحدث من الجانب الآخر عنما يقتلون أحد جنود النظام. حتى الحيوانات تترفع عن فعل ما رأيناه على اليوتيوب. فهل هذبت ثلاثة آلاف سنة من الأديان "السماوية" أخلاقيات الإنسان، وخاصةً الإنسان المسلم الذي يقوم بتلك الأفعال البشعة في سوريا والعراق وباكستان؟

مع توطيد عبادة الأسلاف وتقديس الشامان ظهرت طبقة من **المتسلقين** *الذين لا يقدرون على الصيد* فزعموا أنهم أقرب الناس إلى تلك الروح التي يعبدونها، بل أشاع بعضهم أنها تقمصته، *وبالتالي أصبحوا هم الممثلين الشرعيين لتلك الروح*. ولما استقر لهم تمثيل الأرواح جعلوا لها معابد مقدسة واخترعوا بعض التراتيم لإشاعة القداسة لأنفسهم. ولأنهم لا يقدرون على الصيد لملء كروشهم، طلبوا من الصيادين تقديم **قرابين** للأرواح من لحوم الحيوانات التي يصطادونها. وبالطبع أكلوا هم تلك القرابين المقدمة للأرواح وبذا أصبحوا طفيليات Parasites يتغذون من انتاج الآخرين، تماماً كما تتغذى الطفيليات على النبات أو الحيوان دون أن تبذل أي جهد.

ومع الاستقرار وظهور **الزراعة** في منطقة ما بين النهرين، ظهرت **فكرة الإله الواحد** وأصبحوا هم ممثلي ذلك الإله في الأرض. ولما اخترع السومريون الكتابة المسمارية، حصرها كهنة المعابد في طبقتهم وأصبحوا هم المسؤولين عن تدوين الضرائب الملكية. ولما كان الحكام والرعية يجهلون الكتابة ولا يستطيعون محاسبة الكهنة، اختلس الكهنة ما استطاعوا وأصبحوا هم طبقة الملاك بعد الملوك والأمراء. وللحفاظ على مكتسباتهم جعلوا تفسير رسائل الإله حصراً عليهم دون غيرهم. وتدريجياً زعم بعض المتسلقين أنهم أنبياء أرسلهم إله في السماء، وكان ذلك الإله يخاطبهم ويعلمهم الحقيقة المطلقة. يقول الفيلسوف الألماني هيـگل

> "إن الإنسان لا يمكنه أن يقول إن في الماضي السحيق كان هناك أفراد علّمهم الإله وبذا أصبحوا موهوبين يمتلكون الحقيقة والحكمة ويعلمون كل شيء عن قوانين الطبيعة والحقائق الروحية."
>
> "Nor can one assume that there were, at one time, primeval people who had been taught by god and were thus endowed with perfect insight and wisdom, possessing a thorough knowledge of all natural laws and spiritual truth."[1]

وعندما جاءت اليهودية وكتب رجال الدين التوراة والمشنة وغيرها، جعلوا الإله يهوه يقول لهارون:

> **{8 وَقَالَ الرَّبُّ لِهَارُونَ: "وَهَانذا قَدْ أَعْطَيْتُكَ حِرَاسَةَ رَفَائِعِي. مَعَ جَمِيعِ أَقْدَاسِ بَنِي إِسْرَائِيل لكَ أَعْطَيْتُهَا حَقَّ المَسْحَةِ وَلِبَنِيكَ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً. 9 هَذَا يَكُونُ لكَ مِنْ قُدْسِ الأَقْدَاسِ مِنَ النَّارِ كُلُّ قَرَابِينِهِمْ مَعَ كُلِّ تَقْدِمَاتِهِمْ وَكُلِّ ذَبَائِحِ خَطَايَاهُمْ وَكُلِّ ذَبَائِحِ آثَامِهِمُ التِي يَرُدُّونَهَا لِي. قُدْسُ أَقْدَاسٍ هِيَ لكَ وَلِبَنِيكَ. 10 فِي قُدْسِ الأَقْدَاسِ تَأْكُلُهَا. كُلُّ ذَكَرٍ يَأْكُلُهَا. قُدْساً تَكُونُ لكَ. 11وَهَذِهِ لكَ: الرَّفِيعَةُ مِنْ عَطَايَاهُمْ مَعَ كُلِّ تَرْدِيدَاتِ بَنِي إِسْرَائِيل. لكَ أَعْطَيْتُهَا وَلِبَنِيكَ وَبَنَاتِكَ مَعَكَ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً".** (سفر العدد، الإصحاح 18)}.

وهكذا أصبح الحاخامات من قبيلة اللاويين طفيليات على بني إسرائيل يأكلون من قرابينهم التي يقدمونها للإله يهوه. وزاد الحاخامات في طلباتهم وجعلوا الإله يقول:

> **{وَإِذَا قَدَّسَ إِنْسَانٌ بَيْتَهُ قُدْساً لِلرَّبِّ يُقَوِّمُهُ الْكَاهِنُ جَيِّداً أَمْ رَدِيئاً. وَكَمَا يُقَوِّمُهُ الْكَاهِنُ هَكَذَا يَقُومُ. 15 فَإِنْ كَانَ الْمُقَدِّسُ يَفُكُّ بَيْتَهُ يَزِيدُ خُمْسَ فِضَّةِ تَقْوِيمِكَ عَلَيْهِ فَيَكُونُ لَهُ. 16 وَإِنْ قَدَّسَ إِنْسَانٌ بَعْضَ حَقْلِ مُلْكِهِ لِلرَّبِّ يَكُونُ تَقْوِيمُكَ عَلَى قَدْرِ بِذَارِهِ. بِذَارُ حُومَرٍ مِنَ الشَّعِيرِ بِخَمْسِينَ شَاقِلِ فِضَّةٍ. 17 إِنْ قَدَّسَ حَقْلَهُ مِنْ سَنَةِ الْيُوبِيلِ فَحَسَبَ تَقْوِيمِكَ يَقُومُ. 18 وَإِنْ قَدَّسَ حَقْلَهُ بَعْدَ سَنَةِ الْيُوبِيلِ يَحْسِبُ لَهُ الْكَاهِنُ الْفِضَّةَ عَلَى قَدْرِ السِّنِينَ الْبَاقِيَةِ إِلَى سَنَةِ الْيُوبِيلِ فَيُنَقَّصُ مِنْ تَقْوِيمِكَ. 19 فَإِنْ فَكَّ الْحَقْلَ مُقَدِّسُهُ يَزِيدُ خُمْسَ فِضَّةِ تَقْوِيمِكَ عَلَيْهِ فَيَجِبُ لَهُ. 20 لَكِنْ إِنْ لَمْ يَفُكَّ الْحَقْلَ وَبِيعَ الْحَقْلُ لإِنْسَانٍ آخَرَ لاَ يُفَكُّ بَعْدُ 21 بَلْ يَكُونُ الْحَقْلُ عِنْدَ خُرُوجِهِ فِي الْيُوبِيلِ قُدْساً لِلرَّبِّ كَالْحَقْلِ الْمُحَرَّمِ. لِلْكَاهِنِ يَكُونُ مُلْكُهُ.** (سفر اللاويين، الإصحاح 27)}.

وهكذا أصبح من حق الكاهن أن يمتلك حقلاً أو بيتاً رهنه الفرد إلى يهوه ولكنه لم يستطع دفع المال اللازم لاسترجاعه. وإن استطاع استرجاعه عليه أن يزيد خُمس السعر الذي قدرّه الكاهن للبيت أو الحقل، وإلا يُباع الحقل ويذهب مردوده إلى الكاهن. فليس هناك استغلال للإنسان أكثر من هذا. وبهذه الحيلة أصبح الحاخامات إقطاعيين دون بذل أي مجهود.

وجاء يسوع وعاش ومات فقيراً وكان حواريوه صيادي سمك فقراء. وبدخول الإمبراطورية الرومانية في المسيحية، انتهز رجال الدين في الكنيسة الكاثوليكية فرصتهم وفرضوا على الشعوب الأوروبية الجاهلة العمل التطوعي في مزارع الكنيسة واستولوا على الأراضي، ثم باعوا **صكوك الغفران** للعامة ليدخلوا الجنة. وفي معقل الكنيسة الكاثوليكية في إيطاليا استحوذت الكنيسة على أراض شاسعة تقدر بحوالي 716290 كيلومتراً مربعاً. ومع اضمحلال نفوذ الكنيسة بعد فترة التنوير صادرت الحكومة الإيطالية تلك الأراضيَ، فدخلت الكنيسة في اتفاق سري مع موسوليني الذي أرجع للكنيسة أراضيها مقابل اعتراف الكنيسة بحكومته وغض الطرف عن ممارساته الوحشية. وللكنيسة

[†] الشامان
Shaman
spiritual leader:
a spiritual leader who is believed to have special powers such as prophecy and the ability to heal.

[1] Brian Morris, Anthropological Studies of Religion p 8.

الآن مليارات الدولارات مستثمرة في الشركات العالمية، ولها بنوكها الخاصة التي لا تخضع للرقابة الحكومية. واستحوذت الكنيسة مِن المؤمنين بها على أعمال فنية تُقدر بمئات الملايين من الدولارات، بعضها يرجع إلى اليهود الذين قتلهم موسوليني أو هتلر.[2]
ويُعتبر الفاتيكان الآن من أغنى المؤسسات العالمية بينما يموت أطفال الكاثوليك في المكسيك وبورتوريكو في الشوارع لأن أسرهم الفقيرة لا تستطيع إطعامهم، ومع ذلك يجب على هؤلاء الفقراء تقديم التبرعات للكنيسة في القداس الأسبوعي يوم الأحد. فإذا كان الدين يهذب سلوك وأخلاقيات الناس كان *أولى به أن يهذب أخلاقيات رجال الدين أولاً* .
وجاء محمد بالإسلام الذي بدأ بقطع الطرق ونهب القوافل ثم تدرج إلى غزو القبائل وسلب أغنامهم ومواشيهم، وسبي نسائهم لبيعهن في أسواق النخاسة. وفي ظرف وجيز بعد غزو الدول المجاورة صار الخلفاء يكيلون المال بالمكيال بدل حسابه. حتى أصحاب محمد الذين كانوا لا يملكون "شروى نقير" في بداية الإسلام أصبحوا يكيلون الذهب بالمكيال وبنوا القصور واقتنوا الخيول والعبيد. وامتلكوا كل الأراضي الزراعية في البلاد التي غزوها وجعلوا أهلها *موالي* يزرعون ويخصون لهم .وعندما حاصر محمد يهود بني قينقاع وبني قريظة كان همه الوحيد الاستحواذ على أموالهم ولم يحاول إدخالهم في الإسلام. وأصبح محمد من *الإقطاعيين* عندما استولى على مزارع ونخيل يهود خيبر وفرض عليهم أن يزرعوا الأرض ويقدموا له نصف المحصول من الزراعة ومن التمر والفواكه. وأصبح تحصيل *الجزية* قاعدة مهمة في الإسلام. ثم جاء محمد بآية قرآنية تبيح لشيوخ الدين تسخير اليد العاملة لصالحهم:

{أهم يُقسِمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سُخريا. (الزخرف 32)}. وكذلك {فاتخذتموهم سُخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون. (المؤمنون 110)}.

فالقرآن نفسه يقول إن رجال الدين سخّروا العامة لخدمتهم وانتفخت جيوبهم حتى نسوا ذكر الله.

- شيوخ الإسلام الآن يعيشون في القصور الفخمة ويركبون أفخم السيارات الأمريكية واليابانية.
- جماعة الإخوان المسلمين أصبحت كالفاتيكان تمتلك الشركات والبنوك والمصانع في مصر والسودان وأوروبا.
- وكبير الحُواة الإسلاميين الشيخ القرضاوي أضحى يمتلك ملايين الدولارات في البنوك الغربية والأمريكية (قبل أن تُصادر في أمريكا). ويتصرف تصرف الإقطاعيين حيث نراه في غزة داخل سيارته ورئيس وزراء حماس يقص له أظافره وينحني ليقبل يده، تماماً كما كان يفعل الفلاحون المصريون في العزبة عندما كان صاحب العزبة يتكرم بزيارة حقوله.
- وجماعة الإخوان في السودان أصبح منتسبوها من أغنى شرائح المجتمع السوداني يملكون القصور والأموال الطائلة في بنوك ماليزيا، ويسجنون ويقتلون من أرادوا دون أي مساءلة، بينما ازداد الفقراء فقراً.
- أما في جمهورية إيران الإسلامية فقد استحوذ الملالي وشركاتهم على كل أموال الدولة واضمحل عدد المؤمنين في دولتهم.
- حتى مرشد الدولة الإسلامية له شركات استولت بالقوة على وكالات استيراد السيارات وغيرها.
- وفي عراق ما بعد الغزو أصبح شيوخ الحوزات والمتنفذين في الحكومة الشيعية من أغنى طبقات المجتمع بينما يفتقد المواطن العادي الكهرباء والماء وعليه أن يدفع **خُمس** ما يحصل عليه من كده لشيوخ الحوزات والمزارات الدينية ولا يسألهم أين ذهبت تلك الأموال.
- حتى البوذية التي أوجدها أميرٌ ترك حياة القصور وعاش في الغابات تغيرت وأصبحت ديانة إقطاع تحت الدالاي لاما في التبت. أكثر من نصف الشعب يعيشون حياة العبودية ويعملون من أجل الأسر الدينية المتمكنة. مائتي عائلة في التبت يملكون حوالي 93 % من الثروة. والدالاي لاما نفسه يستلم سنوياً حوالي 185000 دولار من ال سي آي اي.[3]

رجالات الدين الأقطاعيون لا يؤمنون بإله السماء ولا يعملون بواصايا أديانهم **لأن همهم تسخير الجهلاء وجني المال**. فرجال الدين يسرقون كما فعل قاضي مكة حديثاً عندما باع الأراضي الحكومية واستحوذ على ملايين الريالات ولما انكشف أمره زعم أن **الشيطان** هو الذي سرق الملايين. وكالمتوقع فقد وافق قضاة المحكمة الشرعية السعودية على قصته واتهموا الشيطان بالسرقة. وأغلبهم يكذبون ويتآمرون ضد الناس، ويغتصبون النساء والأطفال كما يفعل رجال الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا وأمريكا. ورغم أن القرآن يقول {ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا. (الحجرات 12)} نجد شيوخ الإسلام في السودان قد جندوا مئات الأفراد ليتجسسوا على الناس في الشقق المفروشة التي يستأجرها الزائرون، منعاً للرذيلة كما يقولون. وهذا دليل واضح أنهم لا يؤمنون بما يزعمون أنه الدين الحق.
ما أصدق الفيلسوف فويرباخ Ludwig Feuerbach عندما قال:

"فقط الرجل الفقير له إله غني. Only the poor man has a rich god."

وبالتالي فإن الرجل الغني إلهه فقير أو لا إله له، ولذلك نقول إن رجالات الدين الإقطاعيين لا إله لهم. والخلاصة أن الأديان صناعة بشرية لم تقدم للإنسانية أي شيء غير الحروب والقتل باسم إله في السماء، وقد اخترعها رجالات الأديان الإقطاعيون من أجل جمع المال وتسخير الفقراء لخدمتهم بينما يجني هم ثمار عرق الملايين. ظهور الأديان نقل العالم من الإقطاع الزراعي إلى الإقطاع الديني. ربما يحتاج العالم إلى ثورة بلشفية جديدة تصادر أموال الإقطاع الديني وتزج بهم في السجون، وتضع كل الأديان في متاحف التاريخ.

عودة إلى الفهرس

[2] http://news.nationalpost.com/2013/03/08/wealth-of-roman-catholic-church-impossible-to-calculate
[3] http://www.westernshugdensociety.org/video/mystics-and-cold-warriors

286 - ماذا يقول علماء الأنثروبولوجيا عن الأديان؟

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=364128

يشترك علماء السوسيولوجيا "علم الاجتماع" مع علماء الأنثروبولجيا "علم الإنسان" *في البحث عن كيفية نشأة الأديان عند الإنسان*، وقد سافر أغلبهم إلى مناطق نائية في إفريقيا وأمريكا اللاتينية وجزر المحيط الهادي لدراسة القبائل البدائية التي ما زالت معزولة عن العالم وتمارس نفس الطقوس والعادات التي مارسها أسلافهم قبل آلاف السنين.

يقول إيفـانز - بريتشارد Evans-Pritchards (1902-1973) في كتابه Theories of Primitive Religions:

إن فصل الأديان البدائية عن الأديان السماوية عملية زائفة تؤدي إلى الغموض وعدم الفهم.[1]

فهو يرى أن الأديان البدائية بشعائرها وتابوهاتها المختلفة ما زالت تمثل جوهر الأديان السماوية، وسوف نستعرض هذه النقطة لاحقاً. أما الفيلسوف الألماني فويرباخ (1804- 1872) فيقول إن الدين يمثل *مرحلة طفولة الإنسانية*، والإله ما هو إلا الإنسان أو طبيعة الإنسان بعد تنقيتها وتحريرها من قيود الفرد.[2]

لماذا وكيف نشأت الأديان؟

يقول الفيلسوف البريطاني ديفيد هيوم David Hume (1711- 1776) في كتابه The Natural History of Religion (1757):

لم تنشأ الأديان عن عملية تفكير وإنما نشأت عن *عدم اليقين* في حياة الإنسان البدائي الذي رأى تقلبات الطبيعة حوله مما أورثه الخوف على مستقبله، وبذا أعطته الأديان الثقة في المستقبل وطمأنينة البال.[3]

أما الفيلسوف والثيولوجي الألماني رودولف اوتو Rudolf Otto (1869- 1937) فيقول في كتابه The Idea of the Holy (1917):

إن الأديان لا يمكن فهمها إلا عن طريق "المقدّس"، وهو اعتقاد لم ينتج عن تفكر وإنما عن حدس أو إيحاء نفسي ينم عن قوة غير محسوسة وفوق الطبيعة. إنه شعور بالروع والخشية من تلك القوة المجهولة.[4]

ويتفق رادكلِف - براون Radcliffe - Brown (1881- 1955) مع دير كايم Durkheim:

أنه لا فائدة من البحث عن كيفية نشأة الأديان وإنما المهم أن نرى أن المعتقدات الدينية نشأت في محاولة من الإنسان أن يعيش في مجتمعات كبيرة وغير منتظمة، ومهمة الأديان كانت تنظيم تلك المجتمعات، وبالتالي فإن المهمة الأولى للأديان هي مهمة اجتماعية.[5]

أما برونسلاف مالونـڤسكي Bronislaw Malinowski (1884-1942) فيقول:

إن الإنسان بطبيعته يخشى الموت ولا يريد أن يصدق أن موته يعني نهايته إلى الأبد، وهنا تأتي الأديان لتمنح الإنسان الضمانات النفسية بأن حياته سوف تستمر إلى ما لا نهاية في العالم الثاني. وبالتالي تصبح مسألة الخلود هي جوهر الأديان.[6]

يقول فرويد (1856- 1939) في كتابه "الطوطم والمحرم Totem and Taboo (1913)":

إن الدين عبارة عن **وهم وخداع**. ويعتبر أن الأديان طريقة غير مجدية للتعامل مع مشاكل الحياة.

أما كارل ماركس (1818- 1883):

فقد اعتبر أن الأديان تؤدي وظيفة مزدوجة:

1. فهي تعوض الفقراء عن فقرهم بوعدهم بالغنى الروحي،
2. بينما تعطي الشرعية اللازمة لطبقة الأغنياء،

وبهذه الطريقة فقد ساعدت الأديان على صقل المجتمعات ذات المصالح المتباينة، وفي نفس الوقت حافظت على مصالح الطبقة المتنفذة.[7]

السحر هو جوهر كل الأديان

يقول الألماني ماكس ڤيبر Max Weber (1864- 1920) مؤسس علم الإجتماع:

إن أقدم وظيفة في التاريخ هي وظيفة الكاهن والساحر والشامان، وكلها تعني نفس الشيء، ويكون صاحب الوظيفة من الأشخاص الذين يتمتعون **بكاريزما** عالية ويستعمل النباتات التي تحتوي على مواد منشطة مثل الأمفيتامين أو مخدرة مثل المورفين Narcotics لتمنحه قوة إضافية يبهر بها من حوله عندما يصل به مفعول المواد المنشطة إلى درجة النشوة والابتهاج Ecstacy ويستعمل الساحر لغة مسجوعة وحركات خفية ليوهم مشاهديه أنه بإمكانه التحكم في المستقبل ودرء الأخطار أو إيذاء أي شخص يختاره باستعمال قوته الخفية أي التي هي فوق الطبيعة.

يقول مالونفسكي إن السحر ينجح وينتشر عندما يعجز الإنسان عن التحكم في المخاطر المحيطة به عن طريق المعرفة. يكثر استعمال السحر في أوقات الحروب وفي الصيد وفي فصول الجفاف عندما يكون مصير غذاء الإنسان معتمداً على الأمطار التي تأبى أن تهطل، أو عندما يمرض إنسان وتعجز الأعشاب عن شفائه. وقتها يتجه الناس إلى الساحر.

ينتشر السحر ويسيطر على حياة القبائل البدائية حتى في وقتنا هذا. نجد مثلاً في قبائل جزر تروبرياند Trobriand التي تقع شمال غينيا الجديدة New Guinea بالقرب من أستراليا، والتي تُعرف الآن بِـ كريوينا Kiriwina والتي تقع تحت حكم الحكومة الأسترالية، نجد أن القبائل البدائية التي تعيش في هذه الجزر ما زال يتحكم فيها السحر والساحرات. يعتقد سكان تلك الجزر أن الساحرات نساء يأكلن الجيف ويعرفن كيف يصبحن غير مرئيات invisible. هؤلاء الساحرات يمكنهن أن يطرن في الهواء ويتحكمن في قوارب الصيادين، وغالباً ما

[1] Brian Morris, Anthropological Studies of Religion, p 5.

[2] نفس المصدر ص 21.

[3] نفس المصدر ص 142.

[4] نفس المصدر والصفحة.

[5] نفس المصدر ص 126.

[6] ص 148.

[7] نفس المصدر ص 45.

يحطمن تلك القوارب إذا غضبن على الصيادين. حتى الموت يكون بتأثير السحر والساحرات. ولذلك عليهم إرضاء الساحر أو الساحرة بتقديم الهدايا وإطاعة أوامره.

يعتقد هؤلاء الناس أن الإنسان عندما يموت يمكن لروحه أن تصير شبحاً Ghost يحوم حول مسكن الشخص المتوفى وتقوم بلعب نوع من الخدع على من يقترب من ذلك المسكن، أو يمكن للروح أن تصير Baloma ، يعنى روحاً تذهب إلى جزيرة توما Tuma حيث تعيش حتى تشيخ ثم تنقلب إلى جنين تحمله إحدى الساحرات إلى الجزيرة الكبيرة ثم تُدخِله في مهبل إحدى النساء لتحبل به. وبهذه الطريقة لا يكون للرجل أي دور في الإنجاب، ويُنسب الأطفال إلا الأمهات. وهذا عكس ما يقول به الدين الإسلامي الذي يكرّس الإنجاب كله في ماء الرجل وينكر دور المرأة في تكوين الجنين. ولذلك نجد أن القرآن يقول إن الله استخرج من ظهور المؤمنين الأوائل ذريتهم وأخذ العهد من تلك الذرية أن يؤمنوا به:

> **{وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين. (الآعراف 172)}.**

فالجهل بكيفية تكوين الجنين متساوية بين الأديان البدائية والأديان السماوية.

في البداية كان الدين القبلي امتداداً للسحر والكهانة وكان يعتمد على الطقوس التي يعلّمها الساحر أو الكاهن للناس في قبيلته. ومع مرور الزمن أصبح الساحر هو الكاهن والنبي أو الرسول وتغير الدين من دين قبلي إلى دين سماوي. يقول ديركايم:

> إن الدين والسحر منفصلان،

ولكن ڤان جنب Van Gennep يقول:

> إنهما نفس الشيء وإن *السحر هو الجانب العملي للدين* بينما *الدين هو الجانب النظري* الذي يفرض على الناس تعاليم معينة. [8]

وقد استمر السحر كعامل مهم في الأديان السماوية الثلاثة (اليهودية، المسيحية، والإسلام). وقد حاولت اليهودية بكل الوسائل التخلص من السحر والسحرة وأمر العهد القديم بقتل السحرة. وفي المسيحية استمر السحر لعدة قرون حتى أتى كالڤن Calvin بمحاكم التفتيش وأحرق عشرات الآلاف من الساحرات واستمر حرق الساحرات حتى القرن الثامن عشر كما حدث في أمريكا في مدينة سالم. وفي الإسلام نجد أن محمداً قد زعم أن اليهود سحروه ودفنوا السحر في بئر، فأرسل علي بن أبي طالب ليستخرج السحر بعد أن أخبره جبريل بمكانه. والقرآن يتحدث عن هاروت وماروت الذين أرسلهما الله إلى بابل ليعلما الناس السحر. *وأهل مكة قالوا عن محمد إنه ساحر عندما بدأ دعوته فيهم. وهذا يؤكد أن السحر والأديان من نفس الطينة.*

إيڤان بريتشارد كان كاثوليكياً ممارساً لطقوس دينه وكان عالماً أنثروبولوجياً فذاً. قضى هذا الرجل أكثر من عام مع **قبائل الزاندي** والنوير في جنوب السودان، وهذه *قبائل نيلية بحته* لم تختلط مع أي ثقافة أخرى. وبعد أن درس إيفان بريتشارد عاداتهم وطقوسهم أصابه الهلع من أنه سوف ينتهي بتفنيد الأديان السماوية.

بالنسبة للزاندي فإن الساحرة ترث السحر من أمها ويكون في جسمها مادة السحر وهي عبارة عن كيس أسود يكون في منطقة الكبد. وتُعرف الساحرة بعينيها الحمراوين. وللساحرة مساعدون من الطيور والحيوانات الليلية. وللساحرات دهان مخصوص عندما تمسحه الساحرة على جسمها تصبح غير مرئية. والزاندي والنوير يعتبرون أن كل الأمراض الخطيرة والمحن التي يتعرض لها الفرد تكون بسبب أنه أتى بفعل يتعارض مع القيم المحلية مثل الزنى وزنى المحارم والقتل، وهي أشياء تُغضب أرواح الأسلاف. وبما أن المرض ينتج من غضب أرواح الإسلاف فلا بد للمريض من أن يقدم القرابين لأرواحهم كي يُشفى من مرضه. والقرابين بالنسبة للنوير نوعان :

- النوع الأول يُقدم في حالات المرض والعقم والمآسي الشخصية.
- والنوع الأخر يُقدم بالإنابة عن القبيلة ويكون في حالات الزواج والموت وبلوغ البنت أو الصبي مرحلة التكليف.

وهناك شعائر معينة يقوم بها رجل الدين عند تقديم القرابين مثل إحضار الثور إلى مكان الاجتماع وتقديم الثور إلى روح أحد الأسلاف، ثم مباركة الثور بقراءة بعض التعاويذ عليه، ثم ذبح الثور وشواء اللحم. *وهذه الطقوس لا تختلف كثيراً عن طقوس تقديم القرابين إلى يهوه إله اليهود وشواء لحم الثور حتى يشم يهوه رائحة الشواء. والنوير يعتبرون تقديم القرابين للأرواح عبارة عن افتداء وخلاص للروح وكفارة وتطهير لأفراد القبيلة عما اقترفوه من آثام* [9]. وهي نفس الأفكار التي تعشعش في رؤوس المسلمين عندما يذبحون الهدي في مكة أيام الحج.

يعتبر النوير أن الأرض ملك الإنسان والسماء ملك الإله ويقومون بطقوس أخرى يسمونها **طقوس الاستحواذ** وتقام هذه الطقوس عندما يستحوذ روح أحد الأسلاف على شخص ما. فإذا كان الاستحواذ مؤقتاً يُشفى الشخص بعد تقديم القرابين، ولكن إذا كان الاستحواذ مستديماً فيصبح ذلك الشخص نبياً ويصبح هو الذي يستحوذ على الروح ويكون بالتالي قد امتلك قوة إضافية تمكنه من علاج المرضى والتنبؤ بالمستقبل. ومن مهام هذا النبي قيادة الغزوات ضد قبيلة الدينكا لأخذ أبقارهم. (ربما يكون محمد قد اقتبس هذه الوظيفة من النوير).

الأديان البدائية تعتمد اعتماداً كلياً على الطقوس Rituals التي يقودها الكاهن أو النبي وتستلزم لباساً معيناً ودهن الجلد والشعر بأصباغ معينة. يقول روبرتسون - سميث **إن الطقوس أهم عندهم من المعتقدات نفسها**. وغالباً ما تصاحب الطقوس موسيقى ورقص تجعل المشاركين يصلون في بعض الأحيان إلى حالة من الانفعال يفقد فيها الشخص التحكم في عواطفه. ونرى بعض هذه الحالات في البلاد التي تنتشر فيها **الصوفية** الذين يصلون إلى حالة من الهستيريا الجماعية على وقع أصوات الطبول. مهمة هذه الشعائر في المقام الأول هي تقوية الانتماء إلى القبيلة أو المجموعة الدينية.

عبادة الطوطم Totemism

- كل القبائل البدائية في أفريقيا وأمريكا اللاتينية والهنود الحمر في أمريكا الشمالية لديها طواطم[†] تقدسها كجزء وتعبير عن اعتقادهم في أرواح أسلافهم. قد يكون الطوطم عبارة عن نبات أوشجرة معينة أو حيوان. وأهم ما يميز الطوطم عن بقية الأشجار أو الحيوانات هو **اللون**. فمثلاً في قبيلة نديمبو Ndembu في زامبيا يتكون الطوطم عندهم من ثلاث أشجار ألوانها أحمر وأبيض وأسود. فشجرة الموداي modyi يخرج منها سائل أبيض ولذلك يعتبرونها شجرة بيضاء رغم أنها خضراء، وشجرة الموكولا mukula سائلها أحمر ولذلك تعتبر شجرة حمراء. وفي *احتفالات تقديم القرابين* يحدثهم زعيم القبيلة عن الأنهر

[†] الطوطم Totem يترجمه بعضهم بالوثن وهو بالتعريف:
important tribal object:
an object, animal, plant, or other natural phenomenon revered as a symbol of a clan or society, and often used in rituals among some peoples.

Microsoft® Encarta® 2009.

[8] Brian Morris p 247.
[9] Brian Morris, p 200.

الثلاثة التي تنبع من الإله الأعلى. أحد الأنهر ماؤه أحمر، والأخر ماؤه أبيض والأخير ماؤه أسود. وربما تكون هذه الأنهار هي نفسها التي قال العهد القديم إنها تخرج من الجنة، *ووافق الإسلام اليهودية وقال إن نهر النيل والفرات يخرجان من جنة عدن*. ونفس ألوان الطوطم هي ألوان الأدوية التي يخلطها معالج القبيلةmedicine man فالدواء الأبيض يدل على الصحة والعافية، بينما الأحمر يدل على الدم الذي يسيل من المريض إذا جُرح ومن البنت عندما تبلغ سن الرشد. أما الدواء الأسود فيدل على الليل والمرض وسوء الطالع. ولا بد أن تُخلط الأدوية الثلاثة بترتيب معين لا يحيد عنه المداوي.

- والطوطم كذلك موجود في الديانات السماوية الثلاثة رغم زعمهم أنها **توحيدية**. فنجد اليهود *يقدسون حائط المبكي* ويترنمون عنده، والمسيحيون *يحملون الصليب ويركعون عنده*، أما المسلمون *فيطوفون حول الكعبة* ويغسلونها بماء الورد ويكسونها بالحرير والديباج رغم أنها بناء من طين أقامه عبد الله بن الزبير بعد أن هدم الحجاج بن يوسف الكعبة بالمنجنيق. فلا فرق إذاً بين دين قبلي ودين سماوي.

قبائل الاندمان

تقع جزر الاندمان في خليج البنغال بين الهند ونيبال، وهي جزر معزولة عن الحضارة. وقد عاش بها رادكِلف - براون فترة من الزمن وكتب عن عاداتهم ودياناتهم. أهم ما يميز معتقداتهم هو **تقديسهم لأرواح الإسلاف** التي جعلوا منها روحاً مسؤولة عن كلٍ من البحر والمطر والسماء والغابات. **أما القمر والشمس والبرق والرعد فهي الآلهة بالنسبة لهم**. وطقس الموت عندهم من أهم الطقوس التي يحرّمون فيها أنواعاً معينة من الطعام. وتمثل لهم الرياح حدثاً مهماً لأنهم في منطقة *رياح المنسون* المعروفة التي تحيق الدمار بالجزر، ولذلك جعلوا أهم أرواح الأسلاف مسؤولة عن الرياح. بليكو Biliku مسؤول عن المنسون التي تأتي من االشمال الشرقي، بينما تاراي Tarai مسؤول عن الرياح التي تأتي من الجنوب الشرقي. ودياناتهم تعتمد على الشامان (الكاهن) الذي يتصل مع الإله عن طريق الحُلم أو الدخول في حالة استحواذ عندما تسيطر عليه الأرواح ويصبح في حالة هيجان ecstasy .ونسبةً لاتصاله بالأرواح يستطيع الشامان شفاء المرضى والتخفيف من حدة الرياح الموسمية.

بالنسبة للاندمان فإن العالم يتكون من ثلاث مكونات: **الأرض** وما عليها من حيوانات، **والبحر** وما فيه من أسماك وحيتان، ثم **السماء** وما فوق رؤوس الغابات من طيور. وعندما يبلغ الصبيان سن الرجولة عليهم أن يشتركوا في **طقس العبور** Ritual of Passage الذي يُحرّم فيه أكل لحم السلحفاة والأسماك. وبعد انقضاء فترة المنع يقيم السكان وليمة كبيرة يكون الطبق الرئيسي فيها هو لحم السلحفاة التي يجب أن تُذبح وهي ملقاة على ظهرها ورأسها في اتجاه البحر. ويجب على الشاب ألا يلمس لحم السلحفاة بيده فيستعمل ملقاطاً مصنوعاً من شجرة الكركديه. **ثم بعد ذلك عليهم أن يمتنعوا عن أكل لحم الخنزير وبعض الفواكه**. وتنتهي هذه الفترة بوليمة من لحم الخنزير. ثم في المرحلة الأخيرة يحرمون أكل العسل لفترة ثم يبيحونه.

لا تختلف هذه الطقوس كثيراً عن طقوس اليهودية والإسلام التي تُحرّم أكل لحم الخنزير وشرب الخمر، التي سوف تباح لهم فيما بعد ويسبحون في أنهارٍ منها.

كل الديانات القديمة تُقدّس الطوطم وتمنع المرأة والطفل الذي لم يبلغ الحلم ولم يشترك في "طقس العبور" من لمس الطوطم. والمرأة كذلك تُمنع من تناول عدة أنواع من الطعام. وهي تقريباً نفس التابوهات (المحرمات) التي تفرضها اليهودية وكذلك الإسلام على المرأة. **أما المصحف بالنسبة للمسلمين فهو الطوطم الذي لا يمسه إلا المطهرون.**

الأحلام

الأحلام مثلت هاجساً كبيراً بالنسبة للإنسان البدائي، *وما زالت تمثل هاجساً لشيوخ الإسلام الذين أسسوا برامجاً في الفضائيات لتفسير الأحلام*. الإنسان البدائي رأي في الأحلام التي كانت تزعجه عندما يرى شبح أحد أسلافه في النوم، سؤالاً محيراً: ماهذه الأشباح؟ واقتنع أخيراً بأن كل إنسان له جسم وحياة طبيعية، وله كذلك طيف يظهر في الأحلام.

يعتقد كارل جوستاف يانـگ (1875- 1961) Carl Gustav Jung، والذي كان طبيب أمراض نفسية قبل أن يصبح عالم اجتماع، أن أوهام الأطفال وأحلام المرضى النفسيين أغلبها تدور حول مسائل دينية، وبالتالي هو يعتقد أن الأحلام هي اللغة التي يتحدث بها إله السماء.

يقول ليڤي بروول (1857- 1939) Levy – Bruhl الفيلسوف الفرنسي وعالم الإجتماع إن الأحلام تُعتبر في أوروبا مواضيع غير قابلة للتحقيق subjective، لكنها تختلط بالحقيقة في الشعوب البدائية. وقد رأينا كيف تمسك شيوخ الإسلام، بل نبيه، بالأحلام وكان يقول لأتباعه إنه رأى فيما يرى النائم. **وهناك تشريعات كثيرة وأحكام استنبطوها من أحلام محمد أو أحلام الشيوخ أنفسهم** مثل أبي الحسن الأشعري الذي كان معتزلياً ورأى النبي في المنام وطلب منه الأخير أن ينافح عن سنته، فتحول إلى سلفي.

الحج

في ورقة مطولة عن الحج في كل الأديان القديمة يقول ڤيكتور تيرنر Victor Turner (1920 - 1983):

1. تكون أضرحة الحج غالباً في مكان بعيد عن سكنى القبيلة، ويكون في غار أو جبل أو غابة.
2. تُعتبر فترة الحج بمثابة **تقاعد** عن هموم الحياة اليومية ومشاكلها.
3. في موقع الحج يُشدد الحجاج على أن **الناس متساوون** لا فرق بين الغني والفقير أو بين طبقة وطبقة أخرى من الناس.
4. مع أن القيام بالحج يكون خياراً فردياً فهو في نفس الوقت **واجب ديني وتكفير عن الذنوب**.
5. الأماكن التي يأتي منها الحجاج غالباً تكون **أبعد كثيراً عن حدود القبيلة أو البلد التي بها المزار**.

يعتقد تيرنر أن الحج في الديانات السماوية هو عبارة عن **تكرار لطقوس العبور التي تمارسها القبائل البدائية**. وإذا نظرنا للحج في الديانة الهندوسية نجد أن أكثر من ثلاثة ملايين حاج يأتون كل عام ليسبحوا ويغتسلوا في نهر الجانجيز Ganges المقدس ليرجعوا إلى قراهم كيوم ولدتهم أمهاتهم بدون أي ذنوب. وحج الهندوس لا يختلف عن حج المسيحيين المكسيك إلى ضريح العذراء في گوادالوب Guadalupe أو حج المسيحيين الأوروبيين إلى "اللورد" في فرنسا، وحج المسلمين إلى مكة.

ونلاحظ أنه لا يوجد فرق كبير بين محتوى ووظيفة الأديان السماوية عن نظيرتها البدائية. وكلا النوعين من الأديان له أضراره. يقول اريك فروم (1900 – 1980) Eric Fromm، طبيب نفساني وعالم اجتماع، يقول:

الأديان خطر على المجتمع لأنها تقدس العادات السيئة عند الإنسان ولأنها تمنع النقد تقود إلى إفقار الذكاء، وكذلك بربطها القيم المثلى في المجتمع بالدين تجعل الأخلاق تقف على قاعدة مهزوزة. سعادة الإنسان وحريته والحقيقة نفسها في خطر لارتباطها بالدين. وهذا هو رأي فرويد في الدين كذلك.

ونجد مثلاً في المسيحية يؤمن المتشددون أن المسيحي الحق يمكنه أن يمسك بالثعابين دون أن تصيبه بأذى.:

{18 يَحْمِلُونَ حَيَّاتٍ وَإِنْ شَرِبُوا شَيْئاً مُمِيتاً لاَ يَضُرُّهُمْ وَيَضَعُونَ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْمَرْضَى فَيَبْرَأُونَ. (سفر مرقس، الإصحاح 16)}.

فنرى هنا أن أي متشدد في دينه يمكن أن يعتبر نفسه من هؤلاء المؤمنين الذين تحدث عنهم المسيح وقال أنهم يمكنهم إمساك الأفاعي دون أن تؤذيهم.

وفي دراسة مطولة في أمريكا عام 2000 وجد الدارسون أن 11 شخصاً من مجموع 16 من الذين يمسكون بالثعابين قد عضتهم الثعابين وكل واحد منهم يعرف شخصاً قد أمسك بثعبان عضه فمات[10]. فلولا إيمانهم الأعمى بكلام المسيح لما حاولوا القبض على الحيات ولما ماتوا.

وهناك بالطبع كراهية الأخر المخالف مثل فقه **الولاء والبراء** في الإسلام ومثل الأميين Gentiles في اليهودية. وبالطبع نتج عن هذه الكراهية حروب دينية كثيرة أدت إلى موت الملايين

بالإضافة إلى ذلك نجد مجموعات دينية مغلقة تتزاوج فيما بينها وتمنع الاختلاط بالعالم الخارجي كما يحدث في مجموعة "الأيمش Amish" في أمريكا ومجموعة ال Hutterites[†] في داكوتا وفي كندا. **تنتشر الأمراض الوراثية بكثرة في هذه المجموعات نسبة لزواج الأقارب بسبب تعاليم الدين.**

إله الأديان السماوية لا يختلف عن إله أو آلهة الأديان البدائية القبلية **فهو نتاج وهم وتخيلات إنسانية**. تقول كارن أرمسترونگ Karen Armstrong التي كانت راهبة قبل أن تتخلى عن الأديان:

لا شك أن بعض الصوفية وبعض أحبار اليهود سيقولون لي إن الله نتج من الخيال الخلاق ولا وجود له في أرض الواقع[11].

أما شوبنهور فقد قال:

إنه لا توجد حقيقة مطلقة ولا يوجد إله ولا توجد روح، فقط الموسيقى والفن يمكن أن تنقذنا.[12]

وحتى فيدور دوستيفسكي في قصته الرائعة "الأخوة كرامزوف" يصف فيها موت الإله. أما جان بول سارتر فيقول:

حتى لو كان الله موجوداً لوجب علينا أن نرفضه لأن فكرة وجود الله تلغي حريتنا[13].

والبير كامو يقول:

يجب أن يرفض الناس فكرة الله حتى يتمكنوا من إفراغ حبهم على بقية البشر.

أما نتيتشه

فقد أعلن قولته المشهورة بموت الإله.

يتضح لنا من هذا السرد أن **الأديان صناعة بشرية** بدأت مع المجتمعات البدائية الجاهلة واستمرت حتى الآن يرفع عصاها الشيوخ الجهلاء والحاخامات الذين غالباً لا يعرفون شيئاً غير النصوص الدينية. **وضرر الأديان واضح لكل ذي عينين في وقتنا هذا**.

عودة إلى الفهرس

[†]

Hutterite
Moravian Anabaptist: a member of an Anabaptist religious group who immigrated from Moravia mainly to Alberta and Manitoba in Canada, but also to areas of the northwestern United States where they formed farming communities

Microsoft® Encarta® 2009.

[10] Ralph Hood Jr, the psychology of religion, p 29.
[11] A History of Religion, p 4.

[12] نفس المصدر ص 405.
[13] نفس المصدر ص 433.

287 – القرآن صناعة بشرية بحتة

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=365311

المسلم شخص ورث الإسلام من أبوية ومن المدرسة ومن المجتمع حوله كما ورث المسيحي والبوذي واليهودي وغيرهم أديانهم.
تقول كارن أرمسترونـگ بعد أن تركت الرهبنة:

My ideas about God were formed in childhood and did not keep abreast of my growing knowledge in other disciplines. I had revised simplistic childhood views of Father Christmas; I had come to a more mature understanding of the complexities of the human predicament than had been possible in the kindergarten. Yet my early, confused ideas about God had not been modified - or- developed. People without my peculiar religious background may also find that their notion of God was formed in infancy. Since those days, we have put away childish things and have discarded the God of our first years.[1]

باختصار تقول:

"فكرتي عن الله تكونت في طفولتي ولكنها لم تواكب علمي المتراكم في المجالات الأخرى. وأنا قد راجعت فكرتي الطفولية عن بابا نويل، ووصلت إلى فهم ناضج لمعضلة الإنسان المعقدة، وهذا لم يكن متاحاً لي في روضة الأطفال. ولكن أفكاري الأولية المضطربة عن الله لم تتطور أو تتعدّل. والناس الآخرين الذين لم يمروا بتجاربي الدينية الغريبة قد يجدون كذلك أن أفكارهم عن الله تكونت في فترة الطفولة. ومنذ تلك الأيام فقد تخلصنا من أشياء الطفولة كلها وتخلصنا من إله تلك الأيام."

ولكن للأسف نجد أن أغلب المسلمين لم يتخلصوا من المفاهيم الطفولية عن الله، بل لم يفكروا في ذلك لأن **الأدلجة** التي تعرضوا لها وهم أطفال *تفوق كل أنواع الأدلجة في الديانات والمذاهب الأخرى*. وبما أن غالبيتهم ما زالوا أميين لا يعرفون القراءة والكتابة، فمن المستحيل أن نتوقع أنهم سوف يغيرون أفكارهم الطفولية عن الله.
كل مسلم يعتقد جازماً أن القرآن هو كلام الله الحرفي. وبالطبع هم لا يقدّرون أن الله، إن كان موجوداً، شيء هلامي لا جسم له وبالتالي لا يمكنه أن يتكلم. ونظرة متفحصة للقرآن تكشف لنا أن مَن كتبه كان شخصاً محدود العلم والثقافة الجغرافية والمفاهيم العلمية.

- فإذا أخذنا مثلاً هذه الآية:

{**وأرسلنا الرياح لواقحاً فأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين.** (الحجر 22)}،

نجد أخطاء علمية وتكنولوجية لا يمكن أن تكون قد صدرت من إله عالم بما سوف يحدث وبما هو قائم وقتها.
فلماذا اختار الرياح بالذات للتلقيح وهي ليست أهم أسباب التلقيح؟ هذا بالطبع راجع إلى أن كاتب القرآن كان يرى الريح ويحسها ولكنه ما كان يعلم شيئاً عن كيفية تلقيح النبات.
تلقيح النباتات يتم بأربعة طرق مختلفة:

1. التلقيح بواسطة الحشرات والطيور.
2. التلقيح بواسطة الرياح.
3. التلقيح الذاتي.
4. التلقيح اليدوي.

التلقيح بواسطة الحشرات والطيور

يُسمى هذا النوع من التلقيح Entomophilous وتقوم به الحشرات مثل النحل والدبور والفراشات وحتى النمل. وهذا النوع هو الأكثر انتشاراً في الطبيعة. كل الأزهار والأشجار ذات الزهور الملونة أو الرائحة تلقحها الحشرات. وهذا هو سبب تلوين الأزهار كي تجذب الحشرات. وهناك 26000 نوع من النباتات المزهرة التي تلقحها الحشرات. وحتى الغابات المطرية الاستوائية Rain Forest التي تغطي آلاف الأميال المربعة من الأرض في حوض الأمازون في أمريكا الجنوبية، تعتمد على الحشرات في تلقيحها. والأزهار والأشجار ذات الزهور الملونة توجد بكثرة في أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا. ولكن لأن منطقة مكة والمدينة لم تكن تعرف الأزهار إلا النوع الذي يظهر في فصل الخريف في النباتات الصغيرة wild flowers والتي ربما تأكلها الجمال والماعز قبل أن تُزهر، لم يخطر على بال محمد أن هناك بلاداً أخرى بها أزهار على مدى العام وأن الحشرات هي التي تلقحها .وتلقيح الحشرات هو أكثر طريقة اقتصادية بالنسبة للنباتات إذ لا يحتاج النبات الذكر أن ينتج كمية كبيرة من اللقاح وبالتالي لا يصرف طاقة هائلة في انتاج هذا اللقاح. والغريب أن القرآن لم يذكر من الحشرات إلا النحل والنمل والعنكبوت *التي أخطأ في وصف بيوتها، ولم يذكر أي شيء عن مهمة النحل الكبرى وهي تلقيح النباتات*، فقال:

{**وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون.** (النحل 68)}.

ومع أن بعض النحل يعيش في الجبال والأشجار إلا أن الغالبية العظمى من النحل تعيش في خلايا النحل التي يصنعها ويُشرف عليها الإنسان في مزارع خاصة بالنحل. ولا نعلم إذا كان إله القرآن قد أوحى للنحل أن يعيش في تلك الخلايا أم أن النحل تمرد عليه كما تمرد إبليس. أما النوع الذي يبني بيوته في ما يعرشون فهو الدبور Bumble bee والزنبور Wasp وليس النحل المعروف والذي يصنع العسل. القرآن لم يذكر الفراشات الجميلة إلا عندما قال {**يوم يكون الناس كالفراش المبثوث.** (القارعة 4)}، ولم يذكر المهمة التي تقوم بها من تلقيح الزهور الجميلة. وأهل الإعجاز العلمي في القرآن يقولون إن الكتاب لم يفرط في شيء اعتماداً على الآية التي تقول {**وما فرطنا في الكتاب من شيء**} فجعلوا القرآن كتاب علمٍ مغلوط.

التلقيح بواسطة الرياح

هذا النوع من التلقيح هو أقل الأنواع فعاليةً وأكثرها هدراً لطاقة النبات إذ أنّ الشجرة الذكر تحتاج إلى أن تنتج كمية مهولة من اللقاح كي تضمن أن جزءاً يسيراً منها يجد طريقه إلى أنثى ذلك النوع من الأشجار، والتي ربما تبعد عن الذكر عشرات أو مئات الأمتار. الغالبية

[1] A History of God, p 3

العظمى من هذا اللقاح تضيع في الهواء أو يدخل إلى رئة الإنسان فيسبب له حساسية تنفسية تتسبب له في ضيق التنفس والتهاب الملتحمة مع احمرار العيون وازدياد الأكولة (الحكة Itching) بالعين. وهذه المعاناة الإنسانية ترجع إلى أن إله القرآن أرسل الرياح لواقحاً، فبدل أن تلقح الزهور أصبحت تلقح رئة الإنسان وأنفه. لكي تُلقح الريح الأشجار، يجب أن تكون الشجرة طويلة جداً وأزهارها كبيرة حتى تصطاد اللقاح الذي يحمله الهواء. وهذا النوع من الأشجار يوجد غالباً في أوروبا. والشيء الذي لم يفطن له كاتب القرآن هو أن الرياح كلما اشتدت قوتها كلما قل تلقيحها للأشجار. وفي بعض الحالات عندما تبدأ الرياح خفيفة وتحمل بعض اللقاح إلى بعض الأشجار، تشتد قوة الرياح بعد لحظات فتحمل اللقاح من زهور الأشجار التي كانت قد أسقطتها عليها وبالتالي ينتفي فعل التلقيح. الحشائش والذرة الشامي والذرة العادي والقمح تعتمد في تلقيحها على الرياح. وبما أن عرب مكة والمدينة لم يكونوا يزرعون الذرة الشامي ولا الذرة العادي وكانوا يحتقرون امتهان الزراعة، لا نعلم لماذا ركّز إله القرآن على التلقيح بدل رعي الجمال التي نسي أن يذكرها في الآية التي قال فيها (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينةً ويخلق ما لا تعلمون. (النحل 8)). وإجمالاً فإن الأشجار التي تلقحها الرياح أقل بكثير من الأشجار والزهور التي تلقحها الحشرات. وكان الأجدر بالقرآن لو كان من عند إله يعلم كل شيء أن يذكر الأكثر أولاً ثم الذي يليه.

التلقيح الذاتي

بعض النباتات يكون بأزهارها أعضاء تناسلية أنثوية وعضو ذكري. ويكون العضو الذكري أطول من الأنثوي ثم ينحني العضو الذكري ليصب اللقاح في الأعضاء الأنثوية وبذلك تلقح نفسها دون الحاجة إلى الرياح أو الحشرات. كل البقول كالفول المصري وما شابهه تلقح نفسها.

التلقيح اليدوي

هذا النوع من التلقيح يقوم به المزارعون الذين يزرعون أشجار النخيل. لو تركوا العملية للرياح فيجب أن يكون في الحقل كمية كبيرة من الأشجار الذكور - حوالي 50 بالمائة - حتى تلقح الأشجار الأنثى.

وقد حدث في أيام نبي الإسلام أن رأى المزارعين في المدينة يلقحون نخيلهم فيما عُرف في كتب التراث بحادثة **التأبير**. *قال لهم محمد لا أظنكم تحتاجون لهذا العمل*، **فتركوا أشجارهم بدون تأبير وبالطبع لم تنتج لهم أي تمر**. ولما احتجوا لمحمد قال لهم *أنتم أعلم بأمور دنياكم*.

وعندما يقوم المزارعون بالتأبير فإن الحقل كله ما عدا أشجار بسيطة يكون من النخيل الإناث وبهذا يضاعفون محصولهم من التمر. يمكن مشاهدة المقطع في آخر المقال لرؤية كيف يلقحون النخيل.

فإذاً محمد قد أخطأ في فهم تلقيح النباتات عندما أتى بالآية أعلاه. وبالطبع يرجع هذا لقلة المعلومات العلمية عن عملية التلقيح. فلو كان القرآن من عند إله في السماء لما وقع في مثل هذا الخطأ.

- ونأخذ الآية:

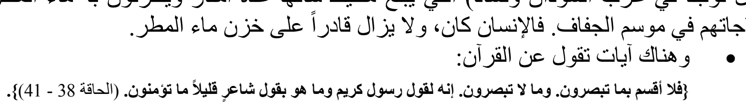
{ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون (الذاريات 49)}.

وهذه غلطة أخرى كبيرة وقع فيها محمد لأنه لم يكن يعلم عن كل أنواع الحيوانات والنباتات. الحيوانات المرئية له وكذلك النباتات تحتاج إلى ذكر وأنثى لتتكاثر، ولكن هناك عالم آخر لم يكن مرئياً لمحمد من أمثال الأميبا Amoeba التي تنقسم إلى نصفين لتتكاثر، وكذلك الفيروسات Virus والبكتريا Bacteria، فليس فيها ذكر وأنثى. وهناك أنواع من الحيوانات الصغيرة مثل الهايدرا Hydra التي يبلغ طولها عدة مليمترات وتعيش في الماء العذب مثل البحيرات والأنهار. هذا الحيوان ليس به ذكر وأنثى ويتكاثر عادةً بتكوين ورم صغير في جانب الجسم. يكبر هذا الورم تدريجياً وتنتج منه هايدرا جديدة. وعندما تكون الظروف المناخية صعبة يلجأ الحيوان إلى تكوين ورم صغير بالجنب يكون عبارة عن مبيض يحمل البويضات أو خصية يحمل حيوانات منوية. ينفتح هذا الورم وتخرج منه الحيوانات المنوية وتسبح في الماء إلى أن تجد حيوان آخر به ورم أنثوي فتلقحه. أما حيوان الهايدرا نفسه فليس فيه ذكر وأنثى.

- وهناك آية تقول:

{أرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون. (الواقعة 69)}.

محمد لم يكن يعلم أن السحب تتكون من بخار الماء. والبخار حتى من البحار المالحة يكون عذباً خالياً من الأملاح، فكيف يجعل الإله ماء المطر أجاجاً أي مالحاً؟ هذا من المستحيلات لأن الملح لا يتبخر مع الماء. ثم يقول لنا عن ماء المطر {**وما أنتم له بخازنين.** (الحجر 22)}. وبالطبع لو كان القرآن من عند إله في السماء لعَلِم مقدماً أننا نستطيع، وفعلاً نخزّن ماء المطر بكميات كبيرة. ولكن محمد لم يكن يعلم عن التطور في التكنولوجيا. وحتى بدون تكنولوجيا هناك قبائل من قديم الزمان تحفر ساق شجرة التبلدي (شجرة غريبة الشكل توجد في غرب السودان وتشاد) التي يبلغ محيط ساقها عدة أمتار ويخزنون به ماء المطر ليسد احتياجاتهم في موسم الجفاف. فالإنسان كان، ولا يزال قادراً على خزن ماء المطر.



- وهناك آيات تقول عن القرآن:

{فلا أقسم بما تبصرون. وما لا تبصرون. إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعرٍ قليلاً ما تؤمنون. (الحاقة 38 - 41)}.

فهل يمكن أن يكون المتحدث هو الله الذي يقسم كأي إنسان عادي ثم يقول إنه، أي القرآن، لقول رسولٍ كريم؟ مَن هو هذا الرسول؟ هل هو جبريل أم محمد؟ وعلى كل حال فالقرآن قول أحدهما وليس كلام الله، كما أقسم لنا الله في هذه الآيات.

- ثم انظروا لهذه الآية:

{ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكَرهاً وظلالهم بالغدو والآصال. (الرعد 15)}.

وكلنا يعرف أن أغلب الناس في العالم لا يسجدون لله ولا طوعاً ولا كرهاً، والقرآن نفسه يؤكد هذا القول عندما يقول {**وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين.** (يوسف 103)}. فكيف يسجدون لله وهم لا يؤمنون به؟ ثم إنه مِن البديهيات أنّ الإنسان لو سجد فسوف يسجد ظله إذا كانت الشمس مشرقةً لأن الظل يتبع حركات الجسم. والبلاغة تستدعي أن لا نذكر ما هو معروف بالبديهة لأن خير الكلام ما قلّ ودلّ. ثم أن القرآن يقول إنهم يسجدون بالغدو والآصال، والغدو هو الوقت بين صلاة الفجر وشروق الشمس، والآصال جمع أصيل وهو الوقت الذي يسبق مغيب الشمس. وبالطبع لا يكون هناك ظلّ في مثل هذه الأوقات ليسجد لله.

- أما من ناحية بلاغة القرآن فدعونا نقرأ هذه الآية:

{كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوةً وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون. (يوسف 103)}.

بالإضافة إلى **ركاكة التركيب والتكرار** الممل لكلمة "خلاق" هناك خطأ واضح وهو أن الحضارة والقوة العسكرية للشعوب شيءٌ تراكمي، بمعنى أننا نطور أسلحتنا وسبل حياتنا بمرور الزمن. بدأ الإنسان بنحت آلات حادة من الحجارة ثم اكتشف النحاس فصنع منه آلاته ثم اكتشف الحديد فصنع السيوف والسكاكين، وهكذا. فعرب الخليج وقت ظهور محمد كانوا فقراء وسلاحهم الوحيد هو السيف والقوس. وانظر إليهم اليوم وهم يملكون أحدث أنواع الأسلحة وأموالهم أضحت تفوق أموال قارون التي ضرب بها القرآن مثلاً. **فالناس قبل ظهور محمد لم يكونوا أكثر قوة مِن الذين عاصروه**. أما قوله إنهم كانوا أكثر عدداً فقول خاطيء مئة بالمئة إذ أن الأمراض وسوء التغذية كانت تفتك بالأطفال وكان تعداد سكان العالم في القرن السابع ربما لا يتعدى مئات الملايين وهم الآن سبعة مليارات. فكيف يكون الذين مِن قبلهم أكثر منهم عدداً وأموالاً؟

أعتقد أن الآيات أعلاه تثبت أخطاء القرآن الذي لا يمكن أن يكون إلا صناعة بشرية بحتة.

http://www.youtube.com/watch?v=1woUJ_QGN_c

عودة إلى الفهرس

289 - بعض أخطاء النسخ في القرآن

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=369940

يزعم أهل القرآن أن الله **يحفظ القرآن من التحريف** ولا يمكن تغيير كلماته. والقرآن نفسه يقول على لسان الله {**لا تبديل لكلمات الله**. (يونس 64)}. فهل صدق كاتب القرآن في زعمه هذا؟ تخبرنا كتب التراث أن محمداً عندما كان يأتيه الوحي كان يطلب من أحد القلائل الذين كانوا يعرفون الكتابة أنْ يكتب له الآيات الجديدة على جريد النخل وعلى العظام وما تيسر لهم. ولا بد أن نضع في اعتبارنا أن اللغة العربية في تلك الأيام كانت في بداية تطورها ولم تكن كتابتها متفقاً عليها، ولم تكن بها نقاط ولا علامات ترقيم، ولا تعرف الألف في وسط الكلمة. وحتى اليوم في مصحف عثمان نجد كلمة مثل "**عاليها**" تُكتب "**عليها**" ويُضاف ألف صغير فوق حرف العين. ولذلك كان يسهل على القارئ أن يخلط بين الكلمات فيقرأ الياء غير المنقطة تاءً أو ثاءً أو باءً، كما حدث مع القارئ المشهور الذي قرأ

"إذ جمعناهم ليوم لا **زيت** فيه"

بدل {**لا ريب فيه**} فسُمي "الزيات".

فدعونا الآن نستعرض بعض الكلمات التي أخطأ كُتاب الوحي في نسخها على الجريد والعظام.

- عندما تحدث عن بنات الحور في سورة الرحمن، قال:

{**فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان**. (الرحمن 56)}.

ولسان العرب يقول:

"يُقال طمثت المرأة إذا حاضت، فهي طامث. والطامث في لغتهم تعني الحائض. وطمث البعير: عقله. وما طمث هذه الناقة حبلٌ: يعني ما مسها عقال".

فواضح أن كلمة "**يطمثهن**" هنا خالفت المعنى المتعارف عليه للكلمة، ولذلك حاول المفسرون إضافة معنى جديد للكلمة، فقالوا:

"طمثها يعني افتضها"

ولكن ثعلبة قال:

"الأصل الحيض، ثم جُعل للنكاح".

وأعتقد أنه جُعل للنكاح بعد ظهور هذه الآية. ولابد أن الكلمة الأصلية في الآية كانت (**لم يطئهن أنس قبلهم ولا جان**)، *ولعدم وجود النقاط قرأها القراء لم يطمثهن، فأصبحت كذلك في مصحف عثمان*. وعلينا أن نتذكر أن كُتب الفقه الإسلامي كلها تقول عن الجماع الوطء، والرجل يطأ المرأة وما إلى ذلك.

- وعندما تحدث عن موسى وبني إسرائيل بعد الخروج من مصر وهم في طريقهم إلى بلاد كنعان، التي وعدهم بها ربهم، قال:

{**وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظةً وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوةٍ وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين**. (الأعراف 145)}.

والمعنى هنا لا يستقيم إطلاقاً إذ أن ربهم كان قد وعد إبراهيم تمليكه أرض كنعان له ولأحفاده إلى يوم القيامة. فبدل كلمة (**سأريكم**) غير المنقطة، كان يجب أن يكتب كاتب القرآن (**سأورثكم**)، فتصبح الآية (**سأورثكم ديار الفاسقين**). وهذا المعنى أكثر ملاءمةً لوعد يهوه لإبراهيم من أنه سوف يعطيه أرض كنعان له ولأحفاده إلى يوم يبعثون. والقرآن نفسه يقول في آية أخرى {**ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض فنجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين**. (القصص 5)}. فإذاً ما دام سيجعلهم الوارثين كان لا بد أن يقول لهم (سأورثكم ديار الفاسقين).

- {**أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات**. (الجاثية 31)}.

كلمة "**اجترح**" تأتي من الأصل (ج ر ح). والعرب تقول "جرح الشاهد" إذا طعن فيه. ويقولون:

"أستجرحت الأحاديث إذا فسدت وقلّ صحاحها. واجترح الشيء أو جرحه: كسبه" (لسان العرب).

والإنسان في العادة لا يكسب السيئات لأنها عمل مكروه، إنما يرتكبها أو يقترفها، ويكسب الحسنات. فالكلمة غير المنقطة في الآية لا بد أنها كانت (**أم حسب الذين اقترفوا السيئات**) بدل اجترحوا. ناسخ الآيات قد خلط بين الجيم والقاف وبين الحاء والفاء نسبةً لسوء الخط على العظام وجريد النخل.

- {**وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون**. (الأنعام 100)}.

وكلنا يعرف أن كلمة "خرق" تعني ثقَبَ أو مزّقَ الشيء، أي جعل به ثقباً أو خُرماً. والعرب تقول: شيء خارق للعادة، يعني أمور خارج نطاق المتعارف عليه، كالمعجزات مثلاً. وهم يقولون "اتسع الخرق على الراتق" إذا أصبح الشيء صعباً (أبجد العلوم للقنوجي) والخرق كذلك تعني معاداتك إمامك، كما يقول ابن كثير في ‹البداية والنهاية›. فكيف يخرقون لله بنين وبنات. لابد أن الكلمة كانت "**وخلقوا**" واختلط الأمر على الناسخ فكتب "وخرقوا".

- {**ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا ومالنا لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا**. (البقرة 246)}.

الفعل "عسى" من أفعال المقاربة والرجاء ويُعتبر من أخوات "كان". مثلاً في الآية {**عسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيرا**}، تصبح شبه الجملة "أن تكرهوا" بمثابة "**كرهكم**" وتكون كلمة "**كرهكم**" اسم "**كان**". فكلمة "عسيتم" في الآية أعلاه لا مكان لها من الإعراب. فلابد أن الآية كانت (**هل حسبتم إن كتب عليكم القتال**) أو (**هل عصيتم إن كتب عليكم القتال**) حتى يستقيم المعنى المراد من الجملة.

- {**ولو أن قرآنا سُيرت به الجبال أو قُطعت به الأرض أو كُلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله....** (الرعد 31)}.

أولاً الجملة ركيكة للغاية لأن الحرف "لو" من حروف الشرط ولا بد لها من جملة شرط وجواب للشرط. مثلاً نقول "لو تأنى العامل ما ندم". ولكن في الآية أعلاه نجد جملة الشرط تقول (**لو أن قرآناً سُيرت به الجبال وقُطعت به الأرض أو كُلم به الموتى**) ولكننا لا نجد جواب هذا الشرط. ثم أن كلمة "يأيئس" كلمة غريبة على اللغة العربية، لأن الكلمة الصحيحة هي ييأس، من اليأس، كأن نقول لا تيأس من رحمة الله. فلابد أن الكلمة

الصحيحة في الآية كانت (**أفلم يأنس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا**). فكلمة "**يأنس**" تعني "**يعلم**، أو **يعرف**". فنحن مثلاً نقول "من يأنس في نفسه الكفاءة فليتقدم للوظيفة". أي مَن يعرف في نفسه الكفاءة. وبذا تصبح الآية {أفلم يعلم الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً}.

✍ {**يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسحِ الله لكم وإذا قيل إنشزوا فانشزوا يرفعِ الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير.** (المجادلة 11)}.

فعل الأمر "إنشزوا" مشتقة من "نشز" وهو المكان المرتفع، ونَشَزَ تعني ارتفع. فمثلاً نقول "كان يقف على نشزٍ من الأرض". ونقول "المرأة تنشز" إذا استعصت على زوجها (القاموس المحيط). فبذا تصبح كلمة "إنشزوا" غريبة جداً في الآية التي تتحدث عن المجالس. فلا بد أن الكلمة الأصلية كانت (**إذا قيل انتشروا فانتشروا**) أي تفرقوا من المجلس.

✍ وعندما كان يتحدث عن موسى قال له {**واصتنعتك لنفسي.** (طه 41)}. ومن الغريب أن يصطنع الله موسى لنفسه. لا بد أن الكلمة الأصلية كانت (**واصطفيتك لنفسي**). خاصةً وأن القرآن يقول في آية أخرى {**إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين.** (آل عمران 33)}.

✍ {**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله.** (الزمر 53)}.

عندما نقول لشخص "قل" *فإن الجملة التي تلي كلمة قل هي التي يقولها المتحدث*. فمثلاً في هذه الآية يجب على محمد أن يقول (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم). وبالطبع محمد لا يستطيع أن يقول يا عبادي لأنه ليس الله. فلا بد أن الآية كانت (**قل لعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم**).

✍ {**وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون.** (الشورى 25)}.

الحرف "عن" في غير مكانه هنا. فلو قلنا "يستلم الجائزة عن محمد" فإننا نعني أن شخصاً آخراً سوف يستلم الجائزة بالإنابة عن محمد. فكيف يقبل الله التوبة بالإنابة عن عباده. الكلمة الأصلية لا بد كانت (**يقبل التوبة من عباده**). وهكذا يقول جلال الدين السيوطي في كتابه ‹الإتقان في علوم القرآن›.

✍ {**من يشفع شفاعةً حسنةً يكن له نصيب فيها ومن يشفع شفاعةً سيئةً يكن له كفلٌ منها وكان الله على كل شيء مقيتا.** (النساء 85)}.

✍ كلمة "مقيت" من الأصل (م ق ت) وتعني كره. ونقول "مقيت" يعني بغيض وممقوت. ومقى الطست مقياً يعني جلّاه (النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير). والمقيت: المقتدر، الحفيظ (كما يقول لسان العرب). ولا شك أن ابن منظور أتى بهذا المعنى في لسان العرب *لينقذ القرآن من هفوة وقع فيها*، لأن القرآن نفسه يقول {**إنه كان فاحشةً ومقتاً وساء سبيلا.** (النساء 22)}. فالمقت هو كره الشيء. فكيف يكون الله مقيتا؟ فلابد أن الكلمة الأصلية كانت (**وكان الله على كل شيء مثيبا**) أي يثيب على كل الأفعال، واختلط الأمر على الناسخ فكتب مقيتا.

✍ {**إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون.** (الأنبياء 98)}.

أعتقد أنه من الواضح للجميع أن كلمة "حصب" خطأ نسخي، والكلمة الأصلية هي "**حطب**"

✍ {**أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارةً أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً.** (الإسراء 69)}.

كلمة "قاصف" تعني الزحام. يقول القاموس المحيط "قاصفون يعني مزدحمون؟ بعضهم يقصف بعضاً لفرط الزحام؟ ورعدٌ قاصف: له صوت عالي". أما لسان العرب فيقول: "قصف الشيء قصفاً يعني كسره". ويقول السيوطي في كتاب ‹المزهر›: القصف يعني اللهو واللعب. كل هذه المعاني لا تنسجم مع مضمون الآية التي تقول إنه يرسل عليهم ريحاً فيغرقهم. والغرق يكون بالأمواج الهائلة التي تثيرها الرياح فتقلب المركب ويغرق راكبوه. وفي اعتقادي أن الكلمة الأصلية كانت (**فيرسل عليكم عاصفاً من الريح**). والقرآن يقول في آية أخرى {**هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتهم ريح عاصف وجاءهم الموج.** (يونس 22)}. ولهذا غرق يونس وابتلعه الحوت.

✍ {**إن يدعون من دونه إلا إناثاً وإن يدعون إلا شيطانا مريدا. (النساء 117)**}.

إذا ازلنا النقاط من كلمة "إناثا" يمكننا أن نتخيل أن الناسخ احتار في الكلمة وفكر ثم قدر وقال لابد أنه يقصد اللات والعزى، فكتب إناثاً. ولكن عرب الجزيرة وقتها كانوا بجانب اللات والعزى يعبدون هُبل وبعل وآلهة عديدة مذكرة الأسماء. ولابد أن الكلمة المقصودة في الآية هي "أوثانا" فتصبح الآية (**إن يدعون من دون الله إلا أوثانا**).

✍ {**عاليهم ثياب من سندس خضر واستبرق وحُلّوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهورا.** (الإنسان 21)}.

لا يحتاج القاريء إلى جهد كبير ليعرف أن الألف زائدة في كلمة "عاليهم" والمقصود هو "**عليهم**". وقد قرأتها عائشة "**عليهم**".

✍ {**ولما سُقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين.** (الأعراف 149)}.

كلمة "أُسقط" من الجذر (س ق ط). نقول سقط الولد ونعني أنه يسقط من بطن أمه قبل تمامه. ونقول سقط المتاع: أي سفاسف الأمور. وأُسقط اسم الرجل من الإسناد، وأُسقط في يده (ابجد العلوم للقنوجي). فشبه الجملة (ولما سُقط في أيديهم) لا تتماهى مع اللغة العربية التي كانت شائعة وقت ظهور القرآن. فلا بد أن الكلمة الأصلية كانت (**ولما أُسقط في أيديهم**) أي عندما يئسوا.

يتضح من الأمثلة أعلاه أن القرآن *غير محصّن من التحريف* الذي يرمي به المسلمون كُتب الأديان الأخرى.
فالكل صناعة بشرية بها أخطاء واضحة للعيان.

عودة إلى الفهرس

290، 291، 292، 293 - أسئلة وأجوبة

2013 / 8 / 16

الحلقة الأولى

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=373438

هذا عنوان رسالة إلكترونية وصلتني على بريدي الخاص من أحد القراء الكرام، يُدعى سامي المنصوري، وقد احتوت الرسالة على خمسة عشر سؤالاً طلب مني صاحبها أن أجيبه باختصار عليها. ولما كانت الأسئلة كثيرة وإجابتها لا يمكن تحميلها في إيميل واحد، فقد قررت أن أطرح الأسئلة وإجاباتي للقراء جميعاً في مقالات متتالية.

✍ السؤال الأول: هل الصوم واجب أم فريضة وهل مَن لا يصوم عقابه جهنم أم لا؟

أحب أولاً أن أناقش ما هو الصيام وما الحكمة في تشريعه. القرآن يقول لنا:

{يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم الصيام كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. (البقرة 187)}.

وكما يعلم الجميع أن سورة البقرة كانت أول سورة ظهرت بالمدينة، وهذا يعني أن الصيام فُرض على المسلمين بعد حوالي أربع عشرة سنةً من بداية الإسلام. والسبب في ذلك كما تقول لنا كتب 'التراث' هو أن محمداً عندما أتى إلى المدينة وجد اليهود يصومون عاشوراء فسأل عنها فأخبروه أن يوم عاشوراء هو اليوم الذي أنقذ الله فيه بني إسرائيل من فرعون، وهم يصومون شكراً لله. فقال لهم [**نحن أولى بموسى منهم**]، فصام يوم عاشوراء وأمر أتباعه بصومه[1]. ثم زاد الصيام إلى عشرة أيام في كل شهر. ثم أخيراً جعل الصيام شهراً كاملاً. ولما كان أغلب الناس فقراء في تلك الأيام وكان محمد في حاجة ماسة للأغنياء ليتبرعوا له بالمال، سمح لهم بإطعام الفقراء بدل الصيام:

{وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وإن تصوموا خيرٌ لكم. (البقرة 184)}.

القرآن لم يحدد نوعية الصيام ولا أوقات الإمساك عن الشرب والأكل ولا وقت الإفطار إلا مؤخراً عندما قال:

{وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم اتموا الصيام إلى الليل. (البقرة 187)}.

وفي بداية فرض الصيام منع محمد أتباعه من مضاجعة زوجاتهم في رمضان، ولما كان الامتناع عن الجنس شهراً كاملاً أمراً يصعب على الناس اتباعه، جامع عمر بن الخطاب زوجته في رمضان وأخبر محمداً بذلك، فغضب عليه محمد ثم راجع نفسه وأرسل إلى عمر ليخبره أن الله قد سمح لهم بالمضاجعة:

{أُحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم. (البقرة 187)}[†].

فيبدو أن الله لم يكن يعلم بأن الامتناع عن الجماع شهراً كاملاً لا يمكن اتباعه، فبعد ثلاثة آيات فقط في سورة البقرة غيّر رأيه وسمح لهم بالجماع بعد أن أثبت له عمر بن الخطاب استحالة ما طلبه منهم.

هل بعد كل هذا التخبط في تشريع ركن من أركان الإسلام يجوز لنا أن نسأل: هل الصيام واجب أم فريضة؟ الصيام، حسب ما يقول القرآن، فريضة على المسلمين ولكنه ليس واجباً على كل مسلم إذ أن القرآن أعفى المريض منه وأعفى الغني الذي يستطيع أن يطعم الفقراء بدل أن يصوم. أما عقاب مَن لا يصوم عمداً فهو جهنم لأن الصيام ركن من أركان الإسلام الخمسة، ومن هدم ركناً من أركان الإسلام عمداً يكون عقابه جهنم وبئس المصير، كما جاء في القرآن {**وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّـهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ.** (المجادلة 4)}.

✍ السؤال الثاني: ما هي أوقات الصلاة في القرآن وعدد الركعات والسجود في القرآن وليس في الأحاديث لأني أستند على القرآن فقط، وآيات الوضوء والتيمم والجنابة؟

الصلاة، كالصيام، كان تشريعها متخبطاً وأتى في جرعات صغيرة في أوقات متفرقة. أول ذكر للصلاة جاء في القرآن كان في سورة الإسراء وجاء فيها:

{أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إنّ قرآن الفجر كان مشهودا. (الإسراء 78)}.

ونحن نعرف أن سورة الإسراء جاءت في آخر سنوات محمد بمكة، أي في حوالي السنة العاشرة من بدء الرسالة. وهذا هو الزمن الذي فرض فيه محمد الصلاة، بعد موت خديجة في السنة العاشرة من بدء الرسالة[2]. وعندما فرضها كانت في الفجر وفي غسق الليل. وكانت ركعتين في الفجر وركعتين في الغسق.

وتعلم محمد الركوع والسجود من جماعة من اليهود يقال لهم (السامريون .The Samaritans) (كانت هذه الفرقة من اليهود يركعون ويسجدون، تماماً كما يفعل المسلمون الآن[3]. وقد أصبحت صلاتهم تلك من العبادات القديمة جداً فتخلى عنها أغلبهم ولكن هناك فرقة ما زالت تمارس هذا النوع من الصلاة. (أنظر الفيديو على هذا الموقع http://www.youtube.com/watch?v=0aHWASyMjwg).

وبناءً على ما تعلمه محمد من هذه الفئة من اليهود، جاء بآيات في القرآن مثل {**يا مريم اقنتي إلى ربكِ واسجدي واركعي مع الراكعين.** (آل عمران 43)} لأن مريم كانت يهودية وافترض محمد أنها كانت تصلي صلاة السامريين ذات الركوع والسجود. وأصبحت صلاة المسلمين تتكون من قراءة القرآن والركوع والسجود. ولكنها ما زالت ركعتين في الصباح وركعتين في المساء[4].

لكن القرآن لم يحدد عدد الركعات ولا عدد السجدات ولا الكيفية التي تتم بها، ولذلك *نجد اختلافاً في الطريقة التي يصلي بها أتباع المذاهب المختلفة في الإسلام*. وفي بداية الأمر كانت الخمس صلوات ركعتين في كلٍ إلى أن هاجر محمد إلى المدينة. والسبب في أنه اختار خمس صلوات هو اتصاله بالفرس في أثناء ترحاله في التجارة، وعرف منهم أن صلاتهم خمس مرات في اليوم (صلاة الفجر "كاه أشهن" وصلاة

---

† مجرد وجهة نظر

جريا على المنطق الاستنتاجي المُتبع في المقالة السابقة (أخطاء النسخ في القرآن) لو قمنا بتعديل تشكيل الكلمتين ‹أحل› و ‹الرفث› لتصبحا ‹أُحِلُ› و‹الرَّفْثَ›، ثم أعدنا كتابة بداية الآية لتصبح:

أُحِلُ (أنا محمدٌ) لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفْثَ إِلَى نِسَآئِكُمْ...

ألا يُمكن الاستنتاج أن ثمة قرينة قوية تشير إلى أن محمد قد راجع نفسه سريعا إثر ‹حادثة عمر› وقرر ألا يُغضِب عمر والآخرين عبر منعهم من النكاح في رمضان؛ أخذين في الاعتبار أن عمر كان من الشخصيات التي **يتهيبها** محمد ويأخذ أرائه محمل الجدية، سيما أن عمر نُقل عنه مفاخرته بأن ربه وافقه في ثلاث آيات بناء على طلبه هو (عمر).

وبنتيجة مراجعة محمد للموقف من منع النكاح - ورد فعل عمر - أتاهم على عجل بآية الإباحة للنكاح دون أن ينتظر جبريل!!!

وبالتالي يمكننا الركون بمعقولية عالية إلى أن محمدا **بالذات** هو مؤلف هذه الآية وليس أحداً آخر من مجموعة مؤلفي القرآن!!!

الدكتور كامل:
وجهة نظرك معقولة جداً ومنطقية.

---

[1] ابن قيم الجوزية، زاد المعاد، ج2، ص 36.
[2] شذرات الذهب للدمشقي، ج1، ص14.
[3] الشخصية المحمدية لمعروف الرصافي، ص 451.
[4] السيرة النبوية لابن هشام، ج2، ص 86.

الصبح "كاه هاون" وصلاة الظهر "كاه رقون" وصلاة العصر "كاه أزيرن" وصلاة الليل "كاه عيوه سرتيرد")[5]. وفي السنة الأولى من قدومه إلى المدينة زاد *صلاة الحضر* إلى أربع ركعات في الظهر، وأربع في العصر وأربع في العشاء. وكانت *صلاة الحضر والسفر* ركعتين[6]. ثم زاد محمد الأمر تعقيداً وجعل قراءة القرآن في بعض الآيات سراً وفي بعضها جهراً، ولا يسعنا إلا أن نسأل: ماهي الحكمة في قراءة السر في بعض الركعات، هل كان الله يخشى أن يسمع الكفار قراءة القرآن، مثلاً. ليس هناك أي سبب منطقي يجعل بعض الركعات سراً وبعضها جهراً، غير ما تعلمه محمد مِن اليهود الذين يعتبرون الصمت في بعض ركعات الصلاة نوعاً من الخشوع.
أما عدد الصلوات في اليوم فلم يحدده القرآن إطلاقاً وإنما قال {**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين.** (البقرة 238)}. ونفهم من ذلك أن الصلوات كانت ثلاث، صلاة الفجر وصلاة دلوك الشمس، أي مغيبها، والصلاة الوسطى، أي العصر. ولكن الفقهاء قالوا إن الجمع يكون أكثر من ثلاثة وأقل من عشرة. وبما أنه قال الصلاة الوسطى، فهذا يعني أن عدد الصلوات في اليوم لابد أن يكون عدداً فردياً مثل خمسة أو سبعة أو تسعة. واستقر رأيهم على خمسة صلوات لأن القصص الإسلامية تقول إن محمداً عندما صعد إلى السماء وقابل الله، كان عدد الصلوات مائة في اليوم وطلب محمد من الله إن ينقص هذا العدد الكبير، وكل ما أنقصه الله خمس صلوات ينزل محمد إلى السماء الرابعة ويقابل موسى الذي يوصيه بالرجوع إلى الله وطلب التخفيض أكثر. واستقر الأمر على خمس صلوات فقط. **وهذا بالطبع منتهى الاستهتار بعقولنا**، إذ كيف يفرض الله العالم بكل شيء مائة صلاة في اليوم وساعات اليوم لا تتسع لهذا العدد الهائل من الصلوات مع الأكل والشرب والعمل والنكاح الذي يتخلل التشريع الإسلامي كما يتخلل الدم خلايا الجسم؟
أما الوضوء فكان تحبطاً آخراً في سلسلة التشريع الإسلامي، فالقرآن يقول:

> {**يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جُنباً فاطّهّروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحدكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرجٍ ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون.** (المائدة 6)}.

فنلاحظ هنا أن القرآن طلب من الذي يريد أن يصلي أن يمسح بالماء على وجهه ورأسه ويديه إلى المرافق ثم أرجله إلى الكعبين. ولم يطلب القرآن الاستنشاق والاستنفار أو المضمضة. وبما أن أغلب الجزيرة العربية صحراء لا ماء بها سمح لهم أن يتيمموا أي يمسحوا أيديهم على التراب ثم يمسحون بها على وجوههم وأيديهم فقط. *وهذا لا شك تساهل من إله القرآن* رغم أنه جاء متأخراً جداً لأن سورة المائدة ترتيب نزولها هو 112 في أغلب الروايات، ولكن السيوطي قال إنها رقم 91. وإذا علمنا أن القرآن الحالي يحتوي على 114 سورة فقط، نعلم مدى تأخر إله القرآن في السماح للمسلمين بالتيمم رغم صعوبة البيئة التي عاشوا فيها. *وسبب التأخير هو أن محمداً لم يكن يعلم بالتيمم حتى استقر في المدينة وخالط اليهود*، فاليهودية تبيح لأتباعها التيمم إذا لم يجدوا الماء، إذ يقول التلمود: {**يطهر نفسه بالرمل ويكون قد فعل ما فيه الكفاية**}.
يقول السيد سامي المنصوري إنه يعتمد على القرآن فقط وليس الأحاديث، وهذا منطق مقبول لأن الأحاديث تناقلها المسلمون شفهياً على مدى أكثر من مائة عام لأن الروايات تقول *إن محمداً قد منع أتباعه من كتابة أحاديث حتى لا يختلط عليهم القرآن بالأحاديث*. وقد تبارى فقهاء الإسلام في صنع الأحاديث التي تمجد بني أمية في فترة الخلافة الأموية حتى يكسبوا رضاء معاوية بن أبي سفيان. وقد جمع البخاري أكثر من ثلاثمائة ألف حديث صحح منها حوالي أربعة آلاف فقط. وحتى هذه الأربعة آلاف يقول عنها المستشرق المجري گولدزهر Ignác Goldziher إنه لا يمكن الوثوق بأي منها وإرجاعه بثقة إلى محمد نفسه.

✍ السؤال الثالث: هل المرتد وعقابه القتل موجود في القرآن؟

القرآن ذكر آيات كثيرة عن الارتداد ولكنه لم يذكر عقابه الدنيوي أبداً. فمثلاً القرآن يقول:

> {**يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين.** (المائدة 54)}.
> {**يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون.** (المائدة 105)}.
> {**إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا.** (النساء 137)}.
> {**يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أعنتم الله والرسول من فضله فإن يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير.** (التوبة 74)}.

نجد هنا أن القرآن يقول عن الذين كفروا بعد إسلامهم إنه سوف يعذبهم عذاباً شديداً، ولم يقل اقتلوهم. **ولكن فقهاء الإسلام دائماً يقدسون محمداً أكثر من تقديسهم لله** وينسخون صريح الآيات بأحاديث آحادية أوردها أبو هريرة، مثل حديث [**مَن بدل دينه فاقتلوه**].

بقية الأجوبة في المقال القادم

2013 / 8 / 20

الحلقة الثانية

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=374102

✍ السؤال الرابع: هل كلمة بسم الله الرحمن الرحيم واجبة ام مستحبة؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال لابد أن نعرف هل جملة "بسم الله الرحمن الرحيم" هي من القرآن أم لا. اختلف فقهاء الإسلام في ذلك لأن سورة التوبة ليس بها بسملة ولأن سورة النمل بها آية في وسط السورة تقول:
{إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم. (النمل 30)}.
يقول ابن رشد القرطبي:

> "اختلفوا في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في افتتاح القراءة في الصلاة، فمنع ذلك مالك في الصلاة المكتوبة جهرا كانت أو سرا، لا في استفتاح أم القرآن ولا في غيرها من السور، وأجاز ذلك في النافلة".

وقال أبو حنيفة والثوري وأحمد

> يقرؤها مع أم القرآن في كل ركعة سرا،

---

[5] ديورانت، قصة الحضارة، المعتقدات، ص 395، نقلاً عن حسن عياش، الحياة الدينية عند العرب قبل الإسلام، رسالة الدكتوراة.
[6] المنتظم في التاريخ لابن الجوزي، ج3، ص 14.

وقال الشافعي:

يقرؤها ولا بد في الجهر جهرا وفي السر سرا،

وهي عنده آية من فاتحة الكتاب، وبه قال أحمد وأبو ثور وأبو عبيد. واختلف قول الشافعي هل هي آية من كل سورة؟ أم إنما هي آية من سورة النمل فقط، ومن فاتحة الكتاب؟ فروي عنه القولان جميعا. وسبب الخلاف في هذا آيل إلى شيئين: أحدهما اختلاف الآثار في هذا الباب، والثاني اختلافهم: هل بسم الله الرحمن الرحيم آية من فاتحة الكتاب أم لا؟ فأما الآثار التي احتج بها من أسقط ذلك فمنها حديث ابن مغفل قال:

"سمعني أبي وأنا أقرأ بسم الله الرحمن الرحيم، فقال: يا بني إياك والحدث، فإني صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فلم أسمع رجلا منهم يقرؤها" [7].

نرى هنا أن كبار الفقهاء يعتبرون أن جملة "بسم الله الرحمن الرحيم" ليست من القرآن وبالتالي فهي ليست واجبة وإنما مستحبة بحكم العادة والتكرار.

السؤال الخامس: هل إن لا إله إلا الله في القرآن واجبة أم لا؟

جملة لا إله إلا الله تكررت بكثرة في القرآن لأن محمداً أراد أن يؤكد لعرب مكة أن أصنامهم ليست في مستوى إله السماء، فقال:

{**إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون.** (الصافات 35)}.
{**وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم.** (الزخرف 84)}.

وهناك آيات أخرى كثيرة تكرر معنى أن الله واحد ولا إله إلا هو. فهل تكرار ذكر هذه الآيات في القرآن يجعلها واجبة؟ لا اعتقد ذلك لأن نفس الآيات موجودة في التوراة ولكن اليهود لا يقولون إنه واجب عليهم تكرارها. التوراة تقول:

{35 **إِنَّكَ قَدْ أُرِيتَ لِتَعْلَمَ أَنَّ - لرَّبَّ هُوَ -لإِلهُ. لَيْسَ آخَرَ سِوَاهُ. 36 مِنَ - لسَّمَاءِ أَسْمَعَكَ صَوْتَهُ لِيُنْذِرَكَ وَعَلَى - لأَرْضِ أَرَاكَ نَارَهُ -لعَظِيمَةَ وَسَمِعْتَ كَلامَهُ مِنْ وَسَطِ - لنَّارِ. 37 وَلأَجْلِ أَنَّهُ أَحَبَّ آبَاءَكَ وَ-خْتَارَ نَسْلهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ أَخْرَجَكَ بِحَضْرَتِهِ بِقُوَّتِهِ -لعَظِيمَةِ مِنْ مِصْرَ 38 لِيَطْرُدَ مِنْ أَمَامِكَ شُعُوباً أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْكَ وَيَأْتِيَ بِكَ وَيُعْطِيَكَ أَرْضَهُمْ نَصِيباً كَمَا فِي هَذَا -ليَوْمِ. 39 فَاعْلمِ -ليَوْمَ وَرَدِّدْ فِي قَلبِكَ أَنَّ -لرَّبَّ هُوَ -لإِلهُ فِي -لسَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَعَلَى - لأَرْضِ مِنْ أَسْفَلُ. لَيْسَ سِوَاهُ.**
(سفر التثنية، الإصحاح الرابع)}.

فالقرآن لم يأت بجديد غير ترجمة آيات التوراة التي قام بترجمتها القس ورقة بن نوفل أستاذ محمد وابن عم خديجة بنت خويلد. يبدو أن الألف سقط من آيات العهد القديم.

السؤال السادس: هل ذِكْر محمد رسول الله واجبة في الأذان أو الكلام وهل مذكورة في القرآن؟

محمد ذُكر في القرآن أربعة مرات فقط، وهناك سورة اسمها 'محمد' بينما ذُكر موسى 136 مرة، وهناك سورة في القرآن كان اسمها سورة بني إسرائيل وغيروا اسمها لاحقاً. فالقرآن كأنه نزل إلى بني إسرائيل وليس للعرب. الآية التي ذُكر فيها محمد رسول الله تقول:

{**محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم.** (الفتح 29)}.

وقد عرفت عائشة هذه الحقيقة عندما قالت لمحمد:

"أرى ربك يسارع لك في هواك".

ومحمد نفسه كان يعلم أنه ليس رسول الله بدليل أنه لما عقد صلح الحديبية مع أهل مكة أراد أن يكتب [**من محمد رسول الله**] فقال له أحدهم:

"*لو كنت أعلم أنك رسول الله لاتبعتك*"

فقال محمد لعلي بن ابي طالب [**اكتب من محمد بن عبد الله**]. فلو كان رسول الله لما تنازل عن ذكرها. أما كونها واجب قولها في الكلام فليس هناك أي سبب يجعلها واجباً إنما هي عادة تعود عليها المسلمون منذ الصغر.

بالنسبة لذكرها في الأذان فهناك اختلافات كثيرة بين المسلمين في صيغة الأذان لأن محمداً لم يبتكر الأذان بنفسه وإنما اعتمد على **حلم** رواه له عبد الله بن زيد الذي قال له:

- إني رأيت في المنام رجلاً يحمل ناقوساً فأردت أن أبتاعه منه
+ فقال لي: ‹ماذا تصنع به›،
- فقلت له أنادي به للصلاة،
+ فقال: ‹هل أدلك على خير من ذلك›،
- فقلت نعم.
+ فقال ‹قل الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدًا رسول الله أشهد أن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله›.[8]

واتخذ محمد أربعة مؤذنين وكل واحد منهم كان يؤذن بطريقته وقد اختلف الفقهاء في صيغة الأذان.

"وكانوا أربعة: اثنان بالمدينة: بلالُ بن رباح، وهو أول من أذن لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وعمرُو بن أم مكتوم القرشي العامري الأعمى، وبقباء سعد القرظ مولى عمار بن ياسر، وبمكّة أبو محذورة واسمه أوس بن مغيرة الجمحي، وكان أبو محذورة منهم يرجّع الأذان، ويثنِّي الإقامة، وبلال لايرجِّع، ويفرد الإقامة،

- فأخذ الشافعي رحمه اللّه وأهلُ مكّة بأذان أبي محذورة، وإقامةِ بلال،
- وأخذ أبو حنيفة رحمه اللّه وأهلُ العراق بأذان بلال، وإقامة أبي محذورة،
- وأخذ الإمام أحمد رحمه اللّه وأهلُ الحديث وأهلُ المدينة بأذان بلال وإقامته،
- وخالف مالك رحمه اللّه في الموضعين: إعادة التكبير، وتثنية لفظ الإقامة، فإنه لا يكررها."[9]

ولأن صيغة الأذان لم يُوحِ بها الله لمحمد ولم يقل محمد بها في أحاديثه وإنما حلم بها عبد الله بن زيد، يصبح ذكر محمد في الأذان **عادة لا أكثر**، وليس للأذان أي قدسية حتى يصبح ذكر محمد رسول الله فيه واجباً أو مستحباً.

السؤال السابع: هل كلمة صلعم صلى الله عليه وسلم واجبة أم مستحبة لأنه كلما ذكرت اسم محمد لازم تذكر ص

في الحقيقة يكرر المسلمون شبه الجملة "صلى الله عليه وسلم" **تكراراً مملاً** ربما يصل إلى عشرين مرة في صفحة واحدة من مقال أو كتاب. والسبب في ذلك تقديس محمد لنفسه وتقديس المسلمين له، فمحمد ذكر في القرآن:

[7] بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد القرطبي، ج1، ص 86.
[8] المنتظم في التاريخ لابن الجوزي، ج3، ص 20.
[9] زاد المعاد لابن قيم الجوزية، ج1، ص 52.

{**إنّ الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما** (الأحزاب، 56)}.

وإذا عرفنا أن كلمة "الصلاة" تعني الدعاء، نجد أن الآية كلها **تعارض المنطق وتزدري العقل**. كيف يدعو الله لمحمد، ومَن يدع؟ هل يدعو نفسه لترحم محمداً؟ والقرآن نفسه يقول لمحمد {**إنا أعطيناك الكوثر**} وهذا يعني أنه ضمن له أعلى الدرجات في الجنة، وفي الحياة الدنيا **وجده فقيراً فأغنى، ووجده ضالاً فهدى**. فماذا يفعل له أكثر من ذلك **وما فائدة دعاء المسلمين له وهو عنده كل شيء**؟ ولكنه **التعليم بالتلقين** فقط لا غير دون أي تفكير. وإذا كان الله يصلي على محمدٍ لماذا ذكر موسى 136 مرة وذكر محمداً أربعة مرات فقط. ولماذا قال عن إبراهيم إنه خليل الله وقال عن محمد {**وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل.** (آل عمران 144)}؟ ولماذا جعل الله النار برداً على إبراهيم عندما ألقاه النمرود بها فلم تصبه بأذى بينما سمح للكفار في معركة أُحد بكسر أسنان محمد وجرح وجهه وشفتيه؟ ولماذا أعطى أنبياء بني إسرائيل كل تلك المعجزات وأنزل لهم مائدة من السماء ولم يعط محمداً ولا معجزة واحدة حتى عندما تحداه عرب مكة وطلبوا منه أن يسأل ربه لينزل لهم معجزة من السماء؟

وإذا اتبعنا منطق الأشياء نجد أن شبه الجملة "صلى الله عليه وسلم" ليست واجبة ولا مستحبة لأنها بلا معنى. بل بالعكس فإنها مكروهة **لأنها تكرار ممل لا يخدم غرضاً**.

✍ السؤال الثامن: هل تؤمن بالمذاهب الأربعة والمذهب الوهابي والمذهب الجعفري أو الاثني عشرية والفرق الإسلامية الأخرى وهل ذُكرت في القرآن وهل هناك أحاديث موثوقة؟

أنا لا أؤمن بإله السماء ولا بقرآنه أو كتبه أو رسله. ولكن كدارس للإسلام أستطيع أن أؤكد أن المسلمين ينتقون من الإسلام ما يناسبهم، وفي بعض الأوقات ينسخون آيات القرآن بالأحاديث وفي أحيان أخرى يتجاهلون الأحاديث. محمد قال لهم **سوف تتفرق أمتي إلى 73 فرقة كلها في النار إلا الفرقة الناجية**. وقال كذلك إن **أمته سوف تتبع ما فعله اليهود حذو النعل بالنعل، ولو دخلوا جحراً لدخلت أمته نفس الجحر**. وبما أن اليهود قد تفرقوا إلى شيع وأحزاب، وكذلك المسيحية تفرقت إلى أكثر من أربعة آلاف فرقة، فإن المسلمين تفرقوا إلى المذاهب التي ذكرتها، **وكل أهل مذهب يكفرون الفرق الأخرى ويعتقدون أنهم الفرقة الناجية**. ولا نجاة لأي منهم. أما المذهب الوهابي فهو أكثرهم حقداً وتكفيراً للغير.

المذاهب الشيعية **تنفي العقل نفياً تاماً** إذ أنها تعتقد أن طفلاً اختفى قبل أكثر من ألف عام ما زال حياً في انتظار أن يأذن له الله ليعود إلى الأرض. هذا بالرغم من أن القرآن يقول لمحمد {**وما جعلنا لبشرٍ من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون.** (الأنبياء 34)}. بالنسبة لذكرهم في القرآن، فالقرآن يقول للمسلمين {**ولا تكونا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم. (آل عمران 105)**}، ويقول لهم كذلك {**قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قومٍ قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل.** (المائدة 77)}. وهاهم المسلمون يتبعون القرضاوي **الذي قد ضل عن سواء السبيل ليفتي لشيوخ قطر بما يريدون**، وقد أضل كثيراً **بدعوته لتكفير الشيعة**. والمسلمون ما زالوا يعتبرونه إمام الوسطية وهو زعيم الإخوان *المجرمين*. فكيف لشخص ذي عقل أن يؤمن بمثل هذه المذاهب وشيوخها؟

ولأن الإسلام تفرق إلى فرق عديدة وأشعل الحروب الطائفية في العراق وسوريا ومصر وغيرها، بدأ الشباب بالخروج من جبة الإسلام كلياً وبلغت نسبة الملحدين في دولة مثل السعودية 5 بالمائة. ونفس السبب كان عاملاً في رفض أوروبا للدين لأن الحروب الكاثوليكية البروتستانتية قد أقنعت الناس أن إله السماء الذي يجلس في عليائه ويتفرج على الناس يقتلون بعضهم لرفع إسمه ليس إلهاً جديراً بالعبادة، فركلوه إلى عالم النسيان.

✍ السؤال التاسع: هل ذُكر الخليفة علي أو الصحابة بالقرآن وهل ذُكر أن الخلافة في قريش؟

القرآن لم يذكر أي أسماء غير بعض الأنبياء وزيد بن محمد الذي تزوج محمد زوجته زينب بنت جحش بعد أن أوعز إليه بطلاقها. أما النساء فلم يذكر منهن أي اسم غير مريم بنت عمران التي قال عنها إنها أخت موسى. حتى خديجة التي أحسنت إلى محمد ووعدها بخيمة في الجنة مصنوعة من قصب، لم يذكر القرآن اسمها. وامرأة فرعون التي طلبت من الله أن يبني لها بيتاً في الجنة، لم يذكر القرآن اسمها وإنما قال "امرأت فرعون". أما علي وأبو بكر وعثمان وعمر فلم يذكرهم رب القرآن رغم أنه بشرهم بالجنة. أما مقولة إن الخلافة في قريش فترجع إلى حديث عن محمد رواه البخاري وغيره من أهل الحديث.

2013 / 8 / 23

الحلقة الثالثة

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=374513

✍ السؤال العاشر: هل قرآن أو مصحف عثمان الذي بين أيدينا الآن بعد تنقيطه في زمن عبد الملك بن مروان آنذاك كامل كما نزل على النبي أم لا وكيف بلا نقاط والاختلافات في المعني الخ وكيف تفسر إنا انزلنا الذكر وإنا له لحافظون؟

الكل يعرف أن القرآن نزل مُـنَـجَّماً على مدى ثلاث وعشرين عاماً وتقول الروايات إن محمداً كان يملي ما أتاه على أحد كتاب الوحي. وكان الوحي كما يقولون يأتيه في بعض الأحيان ليلاً وليس هناك كاتب وحي. والكُتاب كانوا يكتبونه على جريد النخل والعظام التي يجمعونها في مواقع مختلفة طوال هذا الوقت. وقد ذكرت عائشة أن بعض الآيات كانت في بيتها مكتوبة على الجريد ودخلت داجن أي ماعز وأكلت الجريد. وحتى القراءة كان محمد يقرأ القرآن على بعض أصحابه بصيغ مختلفة مما اضطر عمر بن الخطاب أن يأخذ بتلابيب رجل سمعه يقرأ بعض الآيات بطريقة مختلفة عن التي علّمه إياها محمد، فأخذ الرجل إلى محمد الذي قال للرجل إقرأ، فقرأ، فقال له هكذا نزلت. ثم قال لعمر أقرأ فقرأ بطريقة مختلفة، فقال لهما محمد **كلاكما صحيح فالقرآن نزل على سبعة أحرف**. وهذا بالطبع اقرار بأنه **كان ينسى** ويقرأ للناس بطرق مختلفة وليس هناك سبعة أحرف في اللغة العربية. ومعروف عن محمد أنه **كان يسهو وينسى حتى في الصلاة**، فقد صلى بأصحابه العصر ركعتين وسلّم، فقال له رجلٌ إنك لم تكمل الصلاة، فسأل محمد الحاضرين فقالو له إنه صلى ركعتين فقط، فقام وصلى ركعتين أخريين. ويقول له القرآن {**سنقرئك فلا تنسى**}. وعندما جمع عثمان القرآن لم تكن اللغة العربية منقطة، فحتى لو سلـَّمنا أنه أملى لأتباعه كل القرآن كما نزل، فإن النُسَّاخ الذين طلب منهم عثمان جمعه قد وجدوا صعوبة في قراءة بعض الكلمات وخمنوا معناها. وكل ناسخ كان يكتب بطريقته فنجد مثلاً (**ما أنت عليهم بمسيطر**) وكذلك (بمصيطر). وهناك تغيير في الكلمات، فنجد آية تقول (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا) ولكن ابن عباس وغيره الكثير كانوا يقرؤونها (حتى تستأذنوا) وقالوا إن الكاتب قد أخطأ. فهل يُعقل أن نثق في قرآن نزل على مدى ثلاث وعشرين سنة وجُمع بعد وفاة محمد بأكثر من ثلاثين سنة؟† ثم إذا كانت رواياتهم صحيحة أين هذه المصاحف الست التي جُمعت في خلافة عثمان ووزعت على الأمصار. هل يُعقل أن يهمل المسلمون في أعز كتاب لديهم في العراق، ومصر، والشام، والمدينة،

† إذا كانت فترة الخلفاء الراشدين بكاملها قد دامت 30 عاماً (حسب معلوماتي)، وإذا كان الخليفة الثالث عثمان هو مَن أتم جمع القرآن، فهذا يعني أن هذا العمل قد تم قبل مرور ثلاثين عاما وليس بعد أكثر مِن ثلاثين عاما من وفاة محمد كما هو وارد في المقالة. أرجو أن تصوبني...

الدكتور كامل:
المصادر الإسلامية تقول إن أبا بكر أول من جمع القرآن ثم عثمان بن عفان. ولكن الدراسات غير الإسلامية تقول إن القرآن لم يكتمل جمعه بصيغته الحالية إلا في القرن الثامن أي بعد أكثر من مائة عام بعد وفاة محمد. وقد اخترت أنا الثلاثين سنة لأوعز للقاريء أن قصة جمع الخلفاء للمصحف قصة خرافية.

ومكة؟*لماذا لم نجد ولا نسخة واحدة من هذه المصاحف حتى الآن؟* فالقرآن الذي لدينا الآن هو ما اتفق عليه القراء في النسخة المصرية التي طُبِعت عام 1928. ومن المؤكد أنه غير كامل.
المسلمون المؤدلجون يُصرّون أن الله قال إنا أنزلنا الذِّكر وإنا له لحافظون. وهذه آية في القرآن ولكن كلمة الذكر لا تعني القرآن فقط، *فكل كلام زعم الأنبياء أنه من عند الله فهو ذِكر*. ونجد في القرآن آية تقول {**ولقد كتبنا في الزبور بعد الذِّكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون.** (الأنبياء 105)}.
وعندما يقول كتبنا في الزبور بعد الذِّكر، فهو يعني بالذكر التوراة لأن الزبور هو كتاب داوود كما يقول المسلمون، رغم أن داوود كان ملكاً ولم يكن نبياً، وداود أتى بعد موسى فالزبور اتى بعد التوراة، وهذا يعني أن التوراة هي الذِّكر. ثم يقول القرآن {**وما يأتيهم من ذِكر من الرحمن مُحْدَثٍ إلا كانوا عنه معرضين.** (الشعراء 5)}. ونلاحظ هنا أنه قال "ذِكر" بدون تعريف بالألف واللام، فإذاً كلمة ذِكر لا تُحصر في القرآن فقط. فالتوراة والإنجيل والقرآن كلها ذِكر ولا بد لإله السماء إذا بعث رسلاً بهذا الذِكر أن يحفظه من التغيير والتبديل لأن القرآن يقول لمحمد {**ولقد كُذبت رسلٌ من قبلك فصبروا على ما كُذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله.** (الأنعام 34)}. فإذاً كل كلمات الله في التوراة والإنجيل والقرآن لا مبدل لها وأنها ذِكر يحفظه الله. *فالمسلمون يودون احتكار كل شيء حتى الله وكلماته التي حصروها في القرآن فقط*.
وعندما يصر المسلمون أن الذِّكر هو القرآن فقط فإنهم يتهمون الله بأنه لا يعلم الغيب ويتعلم من أخطائه كما نفعل نحن، وإلا كيف يرسل لبني إسرائيل مئات الأنبياء بكتبٍ خط بعضها هو بنفسه، ثم يسمح لهم بتحريفها، ويبعث عيسى بالإنجيل ويسمح للمسيحيين بتحريفه ثم يحفظ القرآن فقط. *ألا يعني هذا أنه تعلم من أخطائه وأنه لم يكن يعلم أن اليهود والمسيحيين سوف يحرفون ويبدلون كلماته؟ أو أنه كان مهملاً غير مبالي بكلماته التي أرسلها من قبل محمد، وهذا لا يليق بإله السماء*.

✍ السؤال الحادي عشر: هل أصل اليهود في مكة والمدينة أم مصر وسيناء والقدس. نرجو التوسع في الموضوع

اليهودية دين ومن الصعب حصر الدين في مكان واحد. فنحن نعرف الآن أن هناك يهوداً سود "الفلاشة" أتوا من الحبشة. وهناك يهود في الهند وروسيا وأوروبا وبالطبع أمريكا وإسرائيل. وبما أن اليهودية تُوَرَّث من الأم فقط وهناك حامض نووي (DNA) يوجد في مكان واحد في كل خلية حيه، اسم هذا المكان المايتوكوندرية Mitochondria . وهذا الحامض في المايتوكوندرية **لا يأتِ إلا من الأم**[i] †، وبالتالي استطاع العلماء حديثاً دراسة جينات اليهود حسب إثنية الأم، ووجدوا أن أغلب اليهود الذين عاشوا في أوروبا ثم نزحوا إلى إسرائيل قد أتوا من الشرق الأوسط (العراق، اليمن، الشام، الجزيرة العربية، ومنطقة فلسطين). أما اليهود السفارديّم، أي الشرقيين، فقد أتوا من شمال وشرق أفريقيا. وليس هناك أي دليل أركيولوجي (آثاري) Archeologic على وجود اليهود في مصر. ربما يكونون قد نزحوا إليها من فلسطين في أوقات المجاعات ثم رجعوا منها.

† يُرجى من القارئ المهتم الاطلاع على المقتطف، في نهاية المقالة، المقتبس من موسوعة انكارتا الالكترونية، لمزيد مِن التوضيح حول فكرة الحامض النووي المايتوكوندري.

التاريخ اليهودي يقول إنه قبل السبي البابلي في القرن الخامس قبل الميلاد كانت لليهود مملكتان: المملكة الشمالية في لبنان وشمال إسرائيل الحالية، والمملكة الجنوبية في القدس. ويبدوا أنهم استقروا في فلسطين منذ الألفية الثانية قبل الميلاد، أي حوالي عام 1800 قبل الميلاد. ثم جاء الغزو البابلي وأخذ يهود المملكة الشمالية إلى بابل، حتى أرجعهم الفرس إلى فلسطين. ثم جاء الغزو الروماني لفلسطين وتحطيم المعبد حوالي العام 70 ميلادية '**فتفرق اليهود أيدي سبأ**'، وذهب بعضهم إلى اليمن والحجاز وفارس وإفريقيا والهند وأوروبا وبقي بعضهم في فلسطين ولكن علماء الأركيولوجيا (علماء الآثار) Archeologist اليهود، رغم حفرياتهم الكثيرة تحت وأمام وخلف مسجد الصخرة والمسجد الأقصى لم يجدوا ما يثبت وجود الممالك اليهودية. ومن الصعب *التأكد من موطن اليهود الأصلي*، ولكن كما قلنا فإن دراسة الجينات تثبت أن أكثرهم جاء من منطقة الشرق الأوسط، دون تحديد أي بلد بعينها لأن البلاد في تلك الحقبة الزمنية لم تكن أقطاراً وإنما مملكات قبلية.

✍ السؤال الثاني عشر: هل فعلاً أن الملاك جبريل نزل شخصياً على الرسول أم مجرد أحلام وإيماءات؟

الملاك جبريل كان خيالاً من تخيلات محمد التي كانت تعتريه بسبب الصرع الذي كان يعاني منه وبسبب حالته النفسية غير المستقرة، كما بيّن لنا الأستاذ العفيف الأخضر في دراسته الأخيرة. وبما أن جبريل لم يكن مرئياً لأي شخص غير محمد نفسه، نجد أن المسلمين قد بالغوا في وصفه. يقول ابن كثير:

> "كان جبريل يأتي إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صفات متعددة فتارة يأتي في صورة دحية بن خليفة الكلبي وتارة في صورة أعرابي وتارة في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب"[10].

وحتى خديجة لم تَرَ جبريل عندما دخل عليها في حجرتها، ولما كشفت عن فخذها وجلس محمد عليه، سألته إن كان جبريل ما يزال واقفاً، فقال لها إنه قد اختفى. *فإذا كانت خديجة التي بشرت محمد بالرسالة لم ترَ جبريل، كيف رآه بقية المسلمين حتى يصفوا منظره؟*
وبما أن جبريل ملكٌ من الملائكة فقد بالغ المسلمون في وصف الملائكة وقتالهم مع المؤمنين في بدر، وأحد وغيرها. والملائكة عموماً كانوا **غير فاعلين** لأنهم شخصيات خيالية لا وجود لها في الواقع. ولذلك نجد ابن قيم الجوزية يصف قتال الملائكة مع المسلمين يوم موقعة أحد، فيقول:

> "وقاتلت الملائكةُ يومَ أُحُدٍ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففى ‹الصحيحين›: عن سعدِ بن أبى وقاص، قال: ‹رأيتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يَوْمَ أُحُدٍ وَمَعَهُ رَجُلاَنِ يُقَاتِلاَنِ عَنْهُ، عليهمَا ثِيَابٌ بِيْضٌ كَأَشَدِّ القِتَالِ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلاَ بَعْدُ›"[11].

فإذا كان رجلان من الملائكة يدافعان عن محمد، كيف تمكن الكفار من كسر أسنانه وشج وجهه؟ وإذا كان الله قد أمد المسلمين يوم بدر بخمسة آلاف من الملائكة مدججين ليقاتلوا معهم وكانت حصيلة المعركة 70 قتيلاً فقط، فهل كانت الملائكة للقتال أم لضرب الدفوف كما كانت تفعل النساء وقت الحروب؟ وفي الحقيقة ليست هناك ملائكة ولا يحزنون، ولا جبريل ولا قابيل وهابيل. كلها تخيلات من محمد استطاع بها خداع أتباعه. والغالب أن محمداً كان يحلم بأن جبريل قد زاره، فهو يقول في قصة غار حراء عندما جاءه جبريل وأمره أن يقرأ

> **[فجاءني وأنا نائم بنمط (وعاء كالسلة) من ديباج (حرير) فقال إقرأ ... الخ. ثم انصرف عني وهببت من نومي وكأنما كتب في قلبي كتاباً]**[12].

فالقصة كلها كانت حُلماً حلمه محمد.

✍ السؤال الثالث عشر: هل الله يحتاج إلى رسل وإذا احتاج إلى رسل فلماذا عنده أديان مختلفة وكتب سماوية مختلفة ولماذا لم يوحدها ويكررها؟

---

[10] البداية والنهاية لابن كثير، ج1، ص 15.
[11] زاد المعاد لابن قيم الجوزية، ج3، ص 97.
[12] نبوة محمد، الصناعة والتاريخ، د. محمد محمود، ص 101.

أولاً: مَن هو الرسول؟ الرسول طبعاً إنسان أو ملاك يختاره الله ليوصل للناس رسالة معينة. ولكن الله لا يكلم الرسول مباشرة بل يكلمه مِن وراء حجاب أو يوحي إليه {**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء.** (الشورى 51)}. فإذاً الله أو الرسول من الملائكة يوحي إلى الرسول البشري. والله يستطيع أن يوحي إلى مجموعات من البشر {**إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط.** (النساء 163)}. والأسباط هم قبائل بني إسرائيل الاثنتي عشرة قبيلة. فبعد أن كلم الله موسى أوحى إلى الأسباط. فلا بد أنه أوحى لكل فرد من القبائل بما يريد، وهم أكثر من ثلاثمائة ألف رجل، غير النساء والأطفال، كما يقول كتاب العهد القديم. والله يوحي إلى مجموعات من الحيوانات والحشرات كذلك {**وأوحى ربك إلى النحل إن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون.** (النحل 68)}. بل يتعدى الله ذلك ويوحي للفرد من غير الأنبياء والرسل كما أوحى إلى أم موسى {**وأوحينا إلى أم موسى أن ارضعيه فإذا خفتِ عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين.** (القصص 7)}. فما دام الله يخاطب بالوحي أفراداً وجماعاتٍ فلماذا يحتاج إلى رسول يوحي له ثم يطلب من الرسول أن يكلم الناس بما أوحى له والله يعرف أن الناس لا يسمعون الرسل، كما حدث مع نوح الذي مكث في قومه تسعمائة وخمسين عاماً ولم يتبعه غير حفنة من البشر هم عائلته فقط.

ثم إن الرسل لا يَهدُون الناس بل الله نفسه هو الذي يَهدي الناس عن طريق الوحي {**ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله.** (الأنعام 111)}. ثم إن الله غير مسؤول عن سلامة رسله الذين يرسلهم إلى الناس، فقد تخلى عن بعض أنبياء بني إسرائيل حتى قتلهم قومهم {**لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق.** (آل عمران 181)}. فيبدو أن الله لا يحتاج إلى هؤلاء الرسل والأنبياء لأنه يتخلى عن حمايتهم بسرعة ويتركهم تحت رحمة القوم الذين أرسلهم إليهم. وكان بإمكان الله أن يوحي لكل فرد في القبيلة بما يريد ويوفر على رسله القتل والتعذيب. وأظن يتضح من هذا السرد أن الله لا يحتاج أن يرسل رسلاً وأنبياءً وحتى الذين أرسلهم لم ينجزوا ما كان يتوقعه الله منهم إذ أن أكثر الناس لا يؤمنون بالرسالات.

ولو كان الله فعلاً قد أرسل هؤلاء الرسل *فالمنطق يحتم أن تكون رسالته واحدة والغرض منها أن يعبده الناس في كل العصور* لأنه قال في القرآن {**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**}. وبالتالي فالمنطق يُحتم أن تكون الرسالة واحدة وبلغة واحدة وتتجدد كل ألف عام مثلاً لتذكير الناس بما نسوا أو لتوحيدهم إذا تفرقوا إلى فرق عديدة. ولكن المشكلة أن الله يفتخر بكونه جعل ألواننا وألسنتنا مختلفة بعد أن نشأنا كلنا من أسرة واحدة، هي أسرة آدم وكنا نتحدث نفس اللغة (طبعاً هذا الكلام بمنطق الذين يؤمنون أن الإنسان بدأ بآدم). والغريب أنه يفاخر بأنه جعل ألسنتنا مختلفة ليثبت لنا أنه موجود، ثم تفاخر بأنه أنزل القرآن باللغة العربية وطلب من الجميع أن يتبعوه، ثم يقول (**ألا يتفكرون**). *__كيف يتفكر شخص لا يقرأ العربية في قرآن مكتوب بالعربية؟__* فالحصيلة أن الله (غير الموجود) لم يرسل أي رسل ولا يحتاجهم أصلاً لأن بإمكانه (إن كان موجوداً وقد أوجد نفسه) أن يوحي إلى كلٍ منا بما يريد .

2013 / 8 / 25

الحلقة الرابعة والأخيرة

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=374823

السؤال الرابع عشر: هل هناك فعلاً جنة ونار كما وُصفت في التوراة والإنجيل والقرآن أم مجرد لأغراض دنيوية؟

- التوراة أو العهد القديم تحدث عن الجنة حديثاً عابراً عندما قال إن آدم خُلق في الجنة التي بها شجرة الخلود وإن حواء أغرته وأكل من تلك الشجرة فأخرجه الله من الجنة. والعهد القديم يقول إن الجنة على الأرض وفي منطقة عدن وتخرج منها أربعة أنهار. ولكن بعد ذلك لا يتحدث العهد القديم عن الجنة كثواب للمؤمنين ويعتمد في تهذيب الناس على العقاب الدنيوي. فمثلاً الابن الذي يعق والدية يُقتل. وبالنسبة للنار فإله التوراة عندما يغضب من بني إسرائيل يسلط عليهم قبائل كنعان فتهزمهم وتشردهم. وإذا ارتد أحد اليهود فعقابه دنيوي، وهو القتل. *لم أجد في العهد القديم أي وصف للجنة والنار كالطريقة التي يصفهما بها القرآن.*

بالنسبة للعهد الجديد أي الأناجيل المسيحية فإن الخيّرين يدخلون ملكوت الله والأشرار يسكنون خارج هذا الملكوت في ما يُسمى Limbo أي في مكان غير محدد.

القرآن فقط أبدع في وصف الجنة والنار واستعار بعض الأوصاف من الزرادشتية Zoroastrianism[†] التي تحدثت عن صعود الأرواح إلى السماء السابعة ودخول الجنة التي يجدون بها العنب الأبيض. ولكن محمداً خلط بين العنب الأبيض والحور العين ووعد أصحابه باثنين وسبعين حورية لكلٍ منهم. وبالغ في وصف الحوريات وقال إن كل رجل مسلم يدخل الجنة سوف يزوجه بالحور العين {**متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين.** (الطور 20)}. وفي نفس الوقت عندما احتجت النساء جاء لهم بآية تقول {**ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تُحبرون. (الزخرف 70)**}. فإذا كان للرجل سبعون حورية نور الواحدة منهن يضيء الدنيا، ما الفائدة من إدخال الزوجات المسلمات إلى الجنة مع أزواجهن؟ **فمن المؤكد أن الزوجة المسلمة لا تستطيع منافسة الحوريات** وإلا لما وعد الله الخيرين بالحوريات كثواب على جهادهم. فيبدو أن الزوجة المسلمة إذا دخلت الجنة مع زوجها فمهمتها سوف تكون نظافة الخيم التي تقيم بها الحوريات .

ولأن رب القرآن جاء من صحراء مكة نجده يصف الحوريات حسب ما علمته البيئة الصحراوية {**إنا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهن أبكاراً عرباً أترابا. (الواقعة 36)**}. **الحوريات عربيات وكلهن في نفس العمر، وساكنات في الخيام. حور مقصورات في الخيام.** (الرحمن 72)}. ومحمد قال إنه رأى خديجة في الجنة في خيمةٍ من قصب. فإذا دخل الجنة مسلم من المكسيك ولا تعجبه النساء العربيات، فليذهب إلى الجحيم. وأما المسلمون الذين لا يرغبون في النساء فلديهم غلمان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثورا. أما الجنة نفسها فعرضها السموات والأرض، أي بمعنى آخر، فهي تملأ الكون المعروف لنا الآن بلا حدود وما زال يتسع. ورغم كبر هذه الجنة المزعومة فإن الذين يدخلونها قليلون جداً، فهم {**ثلة من الأولين وثلة من الآخرين.** (الواقعة 13)}. وتدخلها فرقة واحدة من ثلاث وسبعين فرقة من المسلمين، وهي **الفرقة الناجية**، والبقية مع الكفار في النار. *وبما أن المسلمين يمثلون خمس سكان العالم، فأربعة أخماس سكان العالم مع الاثنين وسبعين فرقة من المسلمين سوف يدخلون النار.* وعليه يجب أن يكون حجم النار أكبر من حجم الجنة بكثير. ولكن أين يضعها إله السماء وقد ملأ الكون كله بالجنة؟

فوصف الجنة في القرآن وصف طفولي لا يمكن أن يقتنع به إنسان يفكر بحرية وبلا خوف.

- ولأن محمداً كان يعرف أن **الخوف** عاملٌ مهم في دخول الناس في الإسلام، *فقد بالغ في وصف نار جهنم وما تفعله بالكافر*:

† ويُطلق عليها البعض **المجوسية** وفق الموروث الإسلامي. ما رأي حضرتك دكتور كامل؟

الدكتور كامل:
أنا شخصياً لا أحب كلمة مجوس المعرّبه من اليونانية magi وهو مفسر الرؤى أو المتنبيء بالمستقبل، بينما الزرادشتية ديانة توحيدية بها تعاليم تعدت حدود بلاد فارس القديمة

{هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قُطّعت لهم ثيابٌ من نار يُصَبُ من فوق رؤوسهم الحميم. يُصهرُ به مافي بطونهم والجلود. ولهم مقامع من حديد. كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غمٍ أعيدوا فيها. وذوقوا عذاب الحريق. (الحج 19 - 22)}.

صورة مفزعة لا شك تجعل المرء يرتعد عندما يقرأها. ويزيدنا هولاً فيقول:

{يوم ترونها تذهل كل مرضعةٍ عما أرضعت وتضعُ كل ذات حَمل حَملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. (الحج 2)}.

ويمكن لله أن يُدخل الإنسان، حتى المسلم، هذه النار والعذاب الأبدي لأتفه الأسباب، كأن يبول واقفاً ولا يستتر من بوله. تقول الروايات إن محمداً مرَّ مع أصحابه بالقرب من مقبرة فقال لهم [**هل تسمعون صراخ هذا الميت**]، فقالوا لا يا رسول الله. قال [**إنه في نار جهنم لأنه لم يكن يستتر من بوله**]. وهذه النار التي تصهر الجلود لا نعلم أين سوف تكون لأن الجنة عرضها السموات والأرض. ويبدو من الروايات الإسلامية والأحاديث أن النار موجودة فعلياً الآن لأن هناك حديثاً يقول **إن الشياطين تُلجم في رمضان والنار يخبو لهيبها**. فإذاً النار موجودة الآن وتخبو في رمضان .ولكن مركباتنا الفضائية التي خرجت عن حدود المجموعة الشمسية لم تجد لها أثراً.

> أعتقد لا بد أن **يكون الإنسان ساذجاً لدرجة الغباء ليصدق أن هناك جنة ونار بالأوصاف القرآنية هذه، وكما قال أبو العلاء المعري:**
> **ما جاءنا أحدٌ يُخبّر أنه في جنةٍ مذ مات أم في نارِ**

السؤال الخامس عشر: هل القرآن المكي في مكة نفس القرآن المدني في المدينة ولماذا الاختلاف في الاسلوب والتوجه؟

عندما بدأ محمد دعوته في مكة لم تكن *طموحاته السياسية* قد نضجت بعد لأنه كان في حالة ضعف شديد أمام فطاحل قريش من أبي سفيان والنضر بن الحارث وغيرهم. فجاء قرآن مكة في آيات قصيرة وسور أقصر منها تتحدث عن الجنة وخلق الكون. ثم ازداد ثقافةً وبدأ يقص على الناس قصص أنبياء التوراة. ولم تكن فكرة الإسلام قد نضجت عنده بعد، فلم يذكر الصيام والصلاة والزكاة ولا الحج. أي بمعنى أخر *فإن أركان الإسلام الخمسة ما عدا الشهادة كانت غائبة في مكة*. ولأنه كان ضعيفاً كانت أغلب الآيات تدعو إلى **التسامح والاعتراف بالغير** لأنه كان مؤملاً أن يعترف به اليهود.

عندما ارتحل إلى يثرب وتعاقد مع الأنصار أن يحموه مما يحمون منه نساءهم وأطفالهم، شعر بقوته وحاول مرة أخرى استمالة اليهود الذين رفضوه، فثار غضبه ونسي التسامح وبدأ الاتيان بسور طويلة مليئة بالتشريعات لدولته الجديدة، فبدأ بسورة البقرة التي هي أطول سورة في القرآن، ثم **أتى فيما بعد بسورة التوبة التي يُقال أنها نسخت كل آيات التسامح وكل المعاهدات مع أهل الكتاب ومع القبائل العربية**. *وأصبح الجهاد والغزوات سياسة الدولة*. فكان لابد للقرآن أن يعكس هذا التغيير في السياسة *فجاءت أغلب السور المدنية بآيات تحض على الحرب ومعاداة غير المسلم* (الولاء والبراء).

والسبب في أن أغلب سور القرآن مختلطة تحمل آيات مكية مع مدنية هو أن القرآن لم يكن قد جُمع في حياة محمد. وكان محمد عندما يؤلف آيتين أو ثلاث يقول لكاتب الوحي "ضع هذه الآيات في السورة التي تتحدث عن النمل" مثلاً، فسور القرآن لم يكن لها أسماء في ذلك الوقت. *كل أسماء السور أُعطيت لها عندما جمعوا القرآن بعد وفاة محمد*. ولأن أغلب السور المدنية بها آيات مكية وكذلك السور المكية بها آيات مدنية، يصبح تاريخ وأسباب نزول القرآن تكهن لا أساس له من الصحة.

أما المسألة الصعبة في القرآن فهي مسألة **الناسخ والمنسوخ**. يبدو أن محمداً عندما وصل إلى يثرب وبدأ بتأليف السور الطويلة مثل سورة البقرة التي استغرق إكمالها حوالي 6 سنوات، ظهر له **التضارب** في بعض الآيات والأحداث، فجاء بفكرة الناسخ والمنسوخ. *أهل القرآن* مثل السيد أحمد صبحي منصور ينكرون أن هناك ناسخاً ومنسوخاً في القرآن لأن ذلك لا يليق بإله عالم بما سوف يحدث وبالتالي يجب أن تكون آياته *غير قابلة للنقض* لأنه يعلم المستقبل وما سوف يحدث فيه وأتى بالآيات على هذا الأساس. ولكن المشكلة أن القرآن نفسه يقول {**وما ننسخ من آية أو نُنسها نأتِ بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير.** (البقرة 106)}. أحمد صبحي منصور يقول *النسخ يعني الكتابة*، ولكن الآية لا تستقيم بهذا المعنى إذ كيف يقول الله إنه كلما يكتب آية أو يجعلنا ننساها يأتي بخير منها أو مثلها، **فالنسخ هنا تعني الإلغاء** .وإذا كان سوف يأتي بآية مثلها، لماذا نسخها؟ والقرآن يقول في آية اخرى {**وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يُحكّم آياته والله عليم حكيم.** (الحج 52)}. فإذا كان النسخ معناه الكتابة، كيف يكتب الله ما يلقي الشيطان ثم يُحكّم آياته؟ **فالنسخ لا شك يعني الإزالة أو المحو.**

> والناسخ والمنسوخ يثبت أن مؤلف القرآن بشر لأنه لا يتعلم من أخطائه، فهو يقول إنه لم يرسل من نبي أو رسول قبل محمد إلا تدخل الشيطان وغير بعض الكلمات التي يضطر الله أن ينسخها ثم يحكّم آياته. هل عجز الله عن منع الشيطان من التدخل في آياته؟ وإذا عجز عن ذلك لماذا لم ينزل آياته مكتوبة في صحف حتى لا يغيرها الشيطان؟

المهم أن فقهاء الإسلام وجدوا في الناسخ والمنسوخ *وسيلة مواصلات مريحة تجنبهم المطبات العديدة والتناقضات في القرآن*. فكلما وجدوا تناقضاً قالوا إن الآية منسوخة. وقسموا الناسخ والمنسوخ إلى ثلاثة أبواب :

1. الباب الأول: *ما نُسخت تلاوته وبقي حكمه*، مثل آية الرجم التي زعم عمر بن الخطاب أنها كانت في القرآن قبل أن يجمعه عثمان. فإذا كان الحكم مازال قائماً ومعمولاً به، *ما الفائدة من نسخ التلاوة أي محو الآية؟* ليس هناك أي منطق في هذا القول لأن الآيات التي حُذفت كتابتها لا تجعل القرآن اكثر اختصاراً وهو مليء بالتكرار الممل.
2. الباب الثاني: *منسوخ التلاوة والحكم*. قالت عائشة إنه كان مما نزل في القرآن عشرة رضعات معلومات ثم نُسخ بخمسة رضعات فقط .**وكلا الآيتين لا توجدان في المصحف الحالي**، وهذا يعني أن الآيتين مُحيتا وأن حكمهما نُسخ كذلك.
3. الباب الثالث: *منسوخ الحكم دون التلاوة*. **وهذا أكثر أنواع النسخ صعوبةً في الفهم**. *فإذا نسخ الله الحكم، لماذا احتفظ بالآية في المصحف والمصحف أصلاً يشكو كثرة التكرار وكثرة الآيات الغامضة التي لا تعني أي شيء؟* وكمثال للنوع الثالث هذا نجد الآية {**يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة.** (المجادلة 12)}. فالقرآن طلب من المؤمنين أن يقدموا لمحمد صدقة قبل أن يجلسوا إليه ليجادلوه. ولما رفض المؤمنون تقديم الصدقة، قال لهم في الآية التي بعدها {أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذا لم تفعلوا وتاب الله عليكم. (المجادلة 13)}. فالله الذي يعلم الغيب يقول للمؤمنين قدموا لمحمد الصدقة ثم يقول في الآية التي تليها إنهم رفضوا فتاب الله عليهم. *ألم يكن يعلم أنهم سوف يرفضون؟*

> ولو مرت عدة سنوات على الأمر الأول قبل أن ينسخه لفهمنا سبب النسخ، ولكن أن ينسخه في نفس السورة وفي الآية التي تلي آية الأمر، يصبح النسخ **مسخرةً**.

وإذا أراد القاريء أن يُلم بكل مهازل النسخ فلينظر إلى الآية 234 من سورة البقرة:
{والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعةَ أشهرٍ وعشراً}.
يعني عدة المرأة المتوفي زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام. ولكن الغريب أن الآية التي تأتي بعدها بست آيات تقول:
{والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج (البقرة 240)}.
يعني التي يتوفى عنها زوجها تحتبس في بيته عاماً كاملاً لا يخرجونها منه، يعني تصبح عدتها سنةً كاملةً (وهذا ما كان يفعله عرب مكة قبل الإسلام). وهنا جُن جنون الفقهاء وأصحاب المذاهب الأربعة فتفتقت أذهانهم عن فكرة أن الآية الأولى تنسخ الآية الثانية التي لم تكن قد نزلت بعد.
ولنا أن نسأل ما دام رب القرآن قد أتى بالآية الناسخة رقم 234،
ما الفائدة من ضياع وقت جبريل لينزل بآية هو كان قد نسخها وقضى عليها؟ هل هناك مهزلة على إله السماء أكثر من هذا.

بهذا القدر أكتفي وأطلب من القراء العذر لأني سوف أسافر إلى جنوب إنـكلترا لمدة أربعة أشهر قد لا أستطيع أن أكتب فيها لأني لا أستطيع أن أحمل معي مراجعي وربما ظروف العمل لا تسمح لي.

عودة إلى الفهرس

---

[i] The DNA in mitochondria is used to track certain genetic diseases, and to trace the ancestry of organisms that contain eukaryotic cells. In many animal species, mitochondria tend to follow a **pattern of maternal inheritance**. When a cell divides, the mitochondria replicate independently of the nucleus. The two daughter cells formed after cell division each receive half of the mitochondria as the cytoplasm divides. When an egg is fertilized by a sperm, the sperm's mitochondria are left outside the egg. **The fertilized zygote inherits only the mother's mitochondria**. This maternal inheritance creates a family tree that is not affected by the typical shuffling of genes that occurs between a mother and father.

Microsoft ® Encarta ® 2009.

يتم استخدام الـ "دَنَا DNA" المايتوكوندري، لتعقب الأمراض الوراثية، واقتفاء أصل الكائنات الحية ذوات النوى الحقيقية. ففي العديد من الأنواع، تميل المايتوكوندريات لاتباع نمط وراثي أمومي. عندما تنقسم الخلية، تنتسخ المايتوكوندريات بشكل مستقل عن استنساخ النواة. وعليه تحصل كل واحدة من الخليتين الابنتين الناتجتين عن انقسام الخلية على نصف المايتوكوندريات عندما تنقسم سيتوبلاسما الخلية الأم.
عندما يتم تلقيح البيضة بنطفة (حيوان منوي) تنطرح مايتوكوندريات النطفة خارج البيضة. وعليه فإن الخلية الملقحة ترث المايتوكوندرات من الأم فقط. وهذه الوراثة الأمومية تخلق سلالة أسرية لا تتأثر بالاختلاط النمطي للجينات الذي يحصل بين جينات الأب وجينات الأم.

294، 295 - البنوك الإسلامية

2013 / 8 / 30

1 مِن 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=375635

طلب مني القاريء الكريم Jugurtha bedjaoui *أن أكتب عن البنوك الإسلامية وها أنذا ألبي طلبه.*

في بداية الإسلام كان اليهود في الجزيرة العربية يقومون بمهام البنك المتعارف عليه الآن. فكانوا يُسلفون العرب المال اللازم للتجارة أو لاحتياجاتهم المالية الأخرى على أن يردوا لهم المبلغ المستلف زائداً الربح، بعد أن يُنجزوا تجارتهم أو يبيعوا أغنامهم بعد الخريف. وكان الربح الذي يفرضونه على المدين باهظاً. وعندما استقر محمد بالمدينة وأراد تكوين جيشه طلب من اليهود أن يقرضوه مالاً بدون الفائدة المعروفة فرفضوا، فأتى محمد بآية تقول:

{الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيعَ وحرم الربا. (البقرة 275)**}.**

محمد *لم يحدد كمية الربح على الديون التي يمكن أن تُعتبر ربا*، وبما أن صاحب المال لا يُسلف ماله للغير بدون ربح، اضطر محمد أن يأتي بآية أخرى في سورة آل عمران تقول:

{يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفةً واتقوا الله لعلكم تُفلحون}.

وشبه الجملة "أضعافاً مضاعفةً" *لم تزدنا إيضاحاً. وقد أتى ذكر الربا في القرآن خمس مرات، ومع ذلك لم يحدد نسبة الربح التي تُعتبر ربا.*
وكل المعاملات المالية لا بد لها من نسبة ربح معين لتغطي نفقات التوظيف في البنك والصرف على إدارة البنك وما يحتاجه من أدوات ومعدات. ثم أن الدائن قد يخسر ماله إذا توفي المدين أو عجز عن سداد دينه، فلا بد له من دافع يدفعه لتسليف أمواله.
بعد أن قضى محمد على اليهود بالمدينة استلم عملية التسليف بالربا عمه العباس بن عبد المطلب. ولذلك قال محمد في حجة الوداع:

[ألا إن كل ربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضعه في الإسلام هو ربا العباس بن عبد المطلب] [1]

ومع ذلك استمر المسلمون يتعاملون بالربا على مر العصور.

"وقد بقي العمل بالربا من قبل المسلمين في العصرين الأموي والعباسي. وقد وجدت نصوص في العصر العباسي تشير إلى أن التجار في عصر الجاحظ بالبصرة كانوا يقرضون بالربا". [2]
"وفي العهد العثماني كان الربا عماد الحياة الاقتصادية سواء بالنسبة للدولة أو لرجال الأعمال أو لشيوخ الإسلام. فالدولة كانت تقترض الأموال من أوربا بفوائد معلومة. كما أقامت الدولة العثمانية البنوك الربوية. ورجال الأعمال كانوا يقترضون الأموال من البنوك المحلية والبنوك الأجنبية بفوائد معلومة. ورجال الدين المشرفين على الأوقاف كانوا يٌقرضون أموال الأوقاف بفوائد معلومة كانت تصل إلى 18 % ". [3]

والغريب أن القرآن منع الربا والله نفسه يتعامل به، فهو يقول في سورة الحديد، آية 11:

{من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجرٌ كريم}.

ثم يقول في سورة البقرة، الآية 245:

{من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون}.

فإذا كان الله يضاعف القرض أضعافاً كثيرة، أليس هذا هو الربا الذي منع منه؟
مع ظهور حركة *الإخوان المسلمين* بدأ الحديث عن محاربة البنوك الربوية التي كانت منتشرة في جميع البلاد العربية كنتيجة حتمية للاستعمار البريطاني والفرنسي لتلك الدول. وفي العام 1960 نشر الشيخ الشيعي العراقي محمد باقر الصدر كتاباً بعنوان ‹اقتصادنا› الذي أصبح بين ليلة وضحاها *المرجع لكل المنظمات الإسلامية المتطرفة*، ومنها الإخوان المسلمون.
بعد حرب 1973 وقفز أسعار النفط إلى أرقام خيالية، وجدت المملكة العربية السعودية ودول الخليج فائضاً من موازناتها *يفوق جميع أوجه الصرف*، فقاموا بتحويل جزء كبير من هذه الأموال لجماعة الإخوان المسلمين الذين أصبحوا بفضلها رجالات أعمال ناجحين وفكروا في استغلال هذه الأموال في العمل السياسي عن طريق بنوك إسلامية.
أول من افتتح بنك إسلامي كان المصري، السيد أحمد النجار، الذي تدرب على أعمال البنوك في ألمانيا، وفتح أول بنك له في ميت غمر بمصر [4]. وقد ساعده رجال البنوك الألمانية وبعض رجالات المخابرات المصرية. ومع أن أحمد النجار كان منتمياً لجماعة الإخوان المسلمين فقد حاول أن يباعد بينه وبينهم في المجالات العامة. ومما يثبت تعاطفه مع الإخوان هو المقدمة التي جاءت في منشوراته عن البنك وقد كتبها الشيخ جمال البنا، شقيق حسن البنا. وجاء في تلك المقدمة أن الهدف من إنشاء البنك الإسلامي هو *الحفاظ على الهوية الإسلامية التي بدأت تضمحل في مجتمعاتنا*. وقد أسهم الكثيرون من الإخوان المسلمين في ذلك البنك. وبنهاية عام 1967 أصبح واضحاً للجميع أن جماعة الإخوان المسلمين قد استولوا على ذلك البنك مما جعل جمال عبد الناصر يأمر بإغلاقه [5]. هرب أحمد النجار إلى السودان في حماية الإخوان المسلمين هناك، وعندما استولى الجنرال جعفر النميري على الحكم في الخرطوم هرب أحمد النجار إلى ألمانيا، ثم الكويت والإمارات وماليزيا، ليبشر بالبنوك الإسلامية.

---

[1] أسباب النزول للنيسابوري، سورة البقرة.
[2] شاكر النابلسي، لو لم يظهر الإسلام، ص 260.
[3] نفس المصدر أعلاه، ص 260.
[4] سامر سليمان، نقلاً عن كتاب The Devil's Game روبرت دريفوس، ص 178.
[5] روبرت دريفوس، ص 179.

كنتيجة لمجهودات أحمد النجار أنشأت المملكة العربية السعودية بالاشتراك مع الكويت وليبيا والإمارات ‹البنك الإسلامي للتنمية› عام 1975 في جدة. وفي نفس العام أنشأت الإمارات ‹بنك دبي الإسلامي›. وفي عام 1977 افتتحت الكويت ‹بيت التمويل الكويتي›، وفي عام 1977 أنشأت الخرطوم أول بنك إسلامي بالسودان. ثم تلتها الأردن والبحرين.
الشخص الذي ساعد في انفجار موضة البنوك الإسلامية هو الأمير محمد بن فيصل بن سعود الذي استغل الإمكانات السعودية الهائلة بالاشتراك مع نسيبهم الملياردير السعودي صالح كامل. أنشأ الاثنان ‹بنك فيصل الإسلامي› بالقاهرة في عام 1976. ومن الشروط التي فرضوها على أنور السادات أن يكون هذا البنك مستقلاً لا يخضع لمراقبة البنك المركزي ولا المراجع العام. **وعينوا حفنة من رجالات الأزهر والإخوان المسلمين كلجنة شرعية تكون مسؤولة عن تمرير الصفقات التي لا تتعارض مع الشريعة**. وفي عام 1981 أسس الأمير محمد بن فيصل ‹بيت المال الإسلامي› في جزر البهامة ورئاسته في جنيف. وكان لهذا البنك فروع في البحرين وباكستان وتركيا والدنيمارك ولكسمبيرگ والسنـگال والنيجر.
وأسس صالح كامل ‹شركة البركة› للاستثمار وأوكل رئاستها لشخصية كبيرة من الإخوان المسلمين، وافتتح فروعاً في السودان وتركيا، وكانت هذه الشركة تتعامل تعاملاً وثيقاً مع الإخوان المسلمين.
ولما كانت البنوك الإسلامية حديثة العهد بأعمال البنوك فقد استعانوا بكبريات البنوك الغربية مثل ‹سيتي بانك› الأمريكي وشركة المراجعة الشهيرة ‹برايس وترهاوس Price Waterhouse›. وأشاع الإخوان المسلمون أنهم يؤيدون النظام الرأسمالي الغربي ويحاربون الاشتراكية الشيوعية. *احتضنت الحكومات الغربية والبنوك والمؤسسات المالية هذا الطرح ورأوا فيه فرصة سانحة للاستثمار في الخليج بالتعاون مع البنوك الإسلامية*، فأنشأت أغلب البنوك الغربية فروعاً داخلها تتعامل بالاقتصاد الإسلامي **ووظفوا شيوخاً عديدين من الإسلاميين ليُسْدوا لهم النصح الشرعي**. وبالطبع استفاد الشيوخ مادياً من فتاواهم كما استفادت البنوك الإسلامية من ال know how[†] أي **الخبرة في التعاملات المالية من تلك البنوك الغربية**. خلق هذا التعاون بين "العلماء" والبنوك الغربية *طبقة مميزة من الشيوخ الذين كانوا يسافرون إلى الغرب بطائرات خاصة وينزلون في الفنادق ذات الخمسة نجوم*.[6]

† Know-how **knowledge**: the practical skill and knowledge necessary to do something (informal).
Microsoft® Encarta® 2009

من الناحية العملية فقد كانت كل هذه البنوك الإسلامية تحت إدارة علماء الاقتصاد الغربيين وكانت تستثمر أموالها في التجارة العالمية التي تتحكم فيها البنوك الغربية بكل ما تحتويه من ربا ومضاربات. وتدريجياً عندما اكتسبت البنوك الإسلامية الخبرة المطلوبة في إدارة البنوك، بدأت في تحويل نشاطاتها لدعم الإسلام السياسي وفي غسيل الأموال وتحويلها إلى المنظمات الإرهابية وفي إفساد السياسيين الغربيين والمسلمين لرفعة شأن الإسلام السياسي. وقد كانت أغلب البنوك الإسلامية بؤراً للفساد المالي والإداري. فمثلاً نجد ‹بنك التجارة والتسليف Bank of Credit and Commerce› الذي أُنشأ في لندن برأس مال إماراتي وباكستاني، وكان مديره التنفيذي باكستاني، **قد انغمس في تجارة المخدرات وغسيل الأموال وتمويل المنظمات الإرهابية** لدرجة أن رجالات المال في لندن كانوا يسمونه *بنك المنحرفين والمجرمين* Bank of Crooks and Criminals. وقد كانت ال سي آي اى CIA من عملاء هذا البنك ووضعت أموالاً طائلة به لتحويلها إلى الطالبان في أفغانستان.[7]
وقد كان هذا البنك على علاقة وثيقة مع ‹بنك التقوى› الذي أسسه الأخ المسلم يوسف ندا الذي كان من الإخوان المسلمين الذين خططوا لاغتيال جمال عبد الناصر، وهرب إلى إيطاليا بعد فشل المحاولة. أسس يوسف ندا هذا البنك في البهامة ليكون البنك الرئيسي لجماعة الإخوان المسلمين العالمية. وقد كان الأعضاء المؤسسون من جماعة الإخوان المسلمين بسوريا وتونس والشيخ يوسف القرضاوي. ورغم أن البنك اسمه ‹بنك التقوى› إلا أنه كان أبعد شيء عن التقوى إذ كان منغمساً في غسيل الأموال وتجارة المخدرات وتمويل الإرهابيين حتى أغلقته وزارة الخزانة الأمريكية.
وقد ظهر الأثر الكبير الذي قامت به البنوك الإسلامية لأسلمة المجتمعات العربية في مصر والكويت. ففي السبعينات تضافرت جهود ‹بيت التمويل الكويتي› الإسلامي مع الإخوان المسلمين والعائلة المالكة لسحق الأفكار القومية التي كان يدعو لها جمال عبد الناصر. وقام بيت التمويل برشوة بعض السياسيين ورجالات الدين لتسهيل هذه المهمة. وبنى بيت التمويل عدة مساجد وعيادات طبية واستطاع الإخوان عن طريق هذه الرشاوى من السيطرة على مناهج التعليم وعلى الأغلبية في البرلمان الكويتي. **وتدريجياً تحولت الكويت من أكثر دولة ليبرالية في العالم العربي إلى دولة إسلامية تمنع تدريس الموسيقى والفلسفة في المدارس والجامعات، وتفصل بين الطلبة والطالبات في المدارس والجامعات**. وأصبح الحجاب الزي الرسمي للمرأة الكويتية التي كانت من أكثر النساء العربيات تحرراً في السبعينيات من القرن المنصرم. *وقد أصبحت الكويت بفضل البنوك الإسلامية لا تعرف الاستقرار السياسي، وكل عدة أشهر يحل أميرها البرلمان ويدعو إلى انتخابات جديدة*.
ولم يقتصر إفساد الحياة السياسة بسبب هذه البنوك على الدول المسلمة فقط، فقد وصلت تأثيراتها إلى بريطانيا، ففي عام 2007 طاف وزير الخزانة البريطانية گوردن براون James Gordon Brown ونائبه ايد بولز Edward Michael "Ed" Balls على عدة مدن بريطانية لإلقاء محاضرات تدعو إلى استقطاب البنوك الإسلامية إلى بريطانيا لتستفيد من أموال الخليج الزائدة. وانتهز ‹المجلس الإسلامي البريطاني›، *الممثل الرسمي لجماعة الإخوان المسلمين ببريطانيا*، هذه الفرصة وعقد في لندن في نفس العام مؤتمراً بعنوان "التمويل الإسلامي والتجارة" بالاشتراك مع وزارة الخزانة البريطانية ووزارة الخارجية البريطانية ومنظمة الدول الإسلامية من جدة. خاطب وزير المالية البريطاني گوردن براون المؤتمر وقال:

> ***إن هدفه هو جعل لندن المركز الرئيسي للاستثمار الإسلامي وشكر المجلس البريطاني الإسلامي على تضمين قوانين الشريعة في المعاملات المالية البريطانية.***
> ***وقال نائب وزير الخزانة البريطانية إن رصيد البنوك الإسلامية حوالي 250 مليار جنيه سترليني ومن المتوقع أن تزيد بنسبة 15 في المئة كل عام.***[8]

في الحلقة القادمة سوف أتحدث عن تعامل البنوك الإسلامية الإسلامية مع الربا.

2013 / 9 / 2

[6] منذر خلف، نقلاً عن روبرت دريفوس، ص 182.
[7] روبرت دريفوس، ص 167.
[8] Secret Affairs by Mark Curtis, page 319.

2 مِن 2

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=376105

منذ أن حرّم الإسلام الربا في آخر أيام حياة محمد أخذ شيوخ الإسلام في إصدار الفتاوى التي تتحايل على هذا التحريم:

"استطاع عد من الفقهاء التحايل على تحريم الربا، ومنهم من كتب كتباً في طرق التحايل كأبي بكر أحمد الخصاف وأبي حاتم القزويني ومحمد الشيباني وغيرهم"[9].

وتحايل فقهاء الإسلام على التشريع كثيرا وقد كتب البخاري عن كل الحيل التي يمكن للناس استعمالها للتهرب من الزكاة.

من الحيل التي استعملها الفقهاء القدامى للالتفاف حول تحريم الربا، نجد الآتي:

1. البيع المؤجل، حيث يبيع أحدهم بضائع إلى الناس بسعر أعلى من سعر السوق على أن يدفعوا له سعر البيع بعد فترة يتفقون عليها، وبذا تصبح الفائدة التي يتحصل عليها التاجر تجارةً وليست ربا.
2. إعطاء الأموال إلى التاجر في سبيل استثمارها ثم تقسيم الربح بين التاجر والدائن بنسبة يتفقان عليها، وبذا يكون الدائن قد تعامل بالتجارة بدل الربا وحصد فائدةً من تسليفه المال إلى التاجر.

وقد حاول بعض الشيوخ الحديثين التوفيق بين الفائدة البنكية والشريعة الإسلامية، فنجد مثلاً:

"إن الشيخ محمد عبده في نهاية القرن التاسع عشر أقر جواز الفائدة التي يأخذها المودعون من صناديق التوفير التابعة لمصلحة البريد، كما أباح إيداع المال في هذه الصناديق، كما ذكر رشيد رضا في كتابه عن محمد عبده".

فقد كان الشيخ محمد عبده:

"يجري عمليات توفيقية ظاهرة الأهمية بين الشريعة الصارمة والضرورات العملية التي لا شك فيها"[10].

كتب المستشار القانوني المصري الدكتور محمد سعيد العشماوي:

*"أما الاقتصاد الإسلامي فقد كان يعني التعامل مع شركات توظيف الأموال والمصارف الإسلامية وحدها دون غيرها على اعتبار أن المصارف الأخرى مصارف ربوية، لكن ما يُسمى بالمصارف الإسلامية كان يتعامل على نفس الأسس وبذات النظم التي تتعامل بها المصارف الربوية **مع تغيير الأسماء فقط**. فبدلاً من الفائدة يُقال عنه "عائد"، وعوضاً عن القرض يُقال "مرابحة"، وهكذا. وفي سبيل جذب العملاء بهذا الاسلوب الساذج، فإن بعض المصارف الأجنبية افتتحت فروعاً أو أقساماً تتعامل على النظام الإسلامي، أي بتغيير الأسماء مع بقاء المسميات على حالها. وفي كتابي (جوهر الإسلام) بينتُ هذا الواقع الذي يقوم على التحايل دون تغيير الحقائق"*[11].

أما البنوك الإسلامية الحالية فتستعمل **عدة حيل حديثة** حسب مكان البنك. فالبنوك الإسلامية في دول الغرب تستعمل حيلاً غير تلك التي تستعملها البنوك الإسلامية في الدول ذات الأغلبية المسلمة. ولنبدأ بالدول الغربية.

- البنوك الإسلامية في الدول الغربية لا تقوم بأي تجارة وإنما تعطي ملايين الدولارات إلى البنوك الغربية الربوية لتتاجر بها ثم تتقاسم معهم الأرباح بنسب متفق عليها. البنوك الغربية طبعاً تمارس نشاطها التجاري الربوي العادي ثم تعطي البنوك الإسلامية ربحها الذي تعتبره تلك البنوك تجارةً وليس ربا. ثم أن البنوك الإسلامية في البهاما وغيرها كانت تغسل الأموال الطائلة لمهربي الأفيون وتأخذ حصتها أو أجرها على هذا الغسيل القذر.
- أما البنوك الإسلامية في البلاد العربية فتفعل الآتي:

1. يخصم البنك 10 بالمائة من أرباح ودائع المستثمرين لحساب الاحتياطي الاختياري، و10 بالمائة تُخصم للاحتياطي الإجباري، وتُعتبر هذه العشرين بالمائة من الأرباح *بمثابة أجر البنك على الأعمال التي يقوم بها إنابةً عن المستثمر*.
2. حسابات الودائع المربوطة fixed deposit لأقل من سنة. يتفق البنك مع المستثمر أن يودع أمواله بالبنك لمدة ستة أشهر مثلاً دون أن يسحب منها في هذه الفترة. وعند نهاية الستة أشهر يستطيع المستثمر أن يأخذ رأس ماله لكن لا يدفع له البنك الربح إلا بعد نهاية السنة، ويستثمر البنك هذا الربح لكنه يعطي المستثمر الربح الذي تقرر عند نهاية الستة شهور الأولى فقط ويحتفظ بالباقي.
3. إذا أراد الشخص شراء سيارة مثلاً بسلفية من البنك، يشتري البنك السيارة المطلوبة ثم يبيعها للشخص بأكثر من السعر الذي أشتراها به، ويدفع المستدين الأقساط الشهرية إلى أن يكتمل سعر السيارة. وقد قرأت عدة شكاوى من أشخاص في بريدة بالمملكة العربية السعودية من الإجحاف الذي أصابهم نتيجة هذه المعاملة.
4. إذا أراد شخص أن يستلف مثلاً عشرة آلاف ريال من البنك فإن البنك يوقع الأوراق الرسمية بعشرة آلاف ولكنه يعطي المستلف تسعة آلاف وخمسمائة ريال، وعلى المستلف أن يسدد عشرة آلاف. يبرر البنك هذا الخصم بما يسميه عمولة البنك.
5. إذا أراد مزارع مثلاً سلفية من البنك لشراء البذور وبعض المعدات الزراعية، فإن البنك يعطيه المال اللازم ولكن يشترط عليه أن يبيعه نصف أو ثلاثة أرباع المحصول بسعر يقل كثيراً عن السعر المتوقع للمنتوج الزراعي. يقوم البنك ببيع ما تحصل عليه بسعر السوق ويحتفظ بكل الربح على أساس أن هذه تجارة وليست ربا.

البنوك الإسلامية في البلاد العربية لا تسلف *إلا الأشخاص المنتسبين إلى الحركات الإسلامية*، *وبهذا العمل تصبح طبقة المنتسبين للإخوان بعد فترة وجيزة من أغنى طبقات المجتمع* وعليهم أن يتبرعوا بجزء من ثروتهم إلى جماعات الإخوان المسلمين الذين انتفخت كروشهم وجيوبهم نتيجة استغلال البنوك الإسلامية للفقراء. وفي الغالب يدخل البنك الإسلامي في شراكة مع بعض أعضاء هذه **الطبقة الطفيلية الجديدة** لإنشاء شركات ومصانع **وتساعدهم في ذلك المنظومات السياسية الفاسدة في البلاد العربية**. وبهذا يصبح التصنيع والاستيراد والتصدير بيد المتنفذين في الحركات الإسلامية الذين غالباً ما يستثمرون أموالهم في الخارج في بلاد مثل ماليزيا وإندونيسيا.

والمشكلة أننا لا نمتلك تعريفاً للربا. فمثلاً في حد السرقة اتفق الفقهاء أن من يسرق ربع دينار أو يزيد تُقطع يده. ولكن عندما نأتي إلى الربا فليس هناك أي تعريف للكمية الربحية التي يمكن أن تُعتبر ربا، ولا حتى الاتفاق على تعريف المعاملات الربوية،

[9] شاكر النابلسي، لو لم يظهر الإسلام، ص 259.
[10] جاك بيرك، العرب من الأمس إلى الغد، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1959، ص 74، نقلاً عن شاكر النابلسي، لو لم يظهر الإسلام.
[11] صحيفة إيلاف الإلكترونية، عدد 5 اكتوبر 2003، نقلاً عن الراية القطرية.

فمثلاً سأل شخص مسلم في نيجريا مجمع الفقه الإسلامي بالأزهر عن حكم الإسلام في بنك تعاوني في نيجريا يعطي أصحاب الودائع بالبنك ربحاً أقل مما تجلبه أموالهم مقابل أن يُسلّف البنك الأعضاء المحتاجين لبعض المال لبناء منازل مثلاً بفائدة تقل كثيراً عن الفائدة التي تتعامل بها البنوك الأخرى.

فكان رد ‹الأزهر› بفتوى رقم 61 هو:

"لم يجز في نطاق أحكام الإسلام في القروض أن يحصل الصندوق على فائدة من المقترض مهما كان قدرها حتى لا يدخل تعامل صندوق الاتحاد مع أعضائه في نطاق الربا الذي حرّمه الإسلام، وإنما لإدارة هذا الاتحاد أن تحصل من المقترض على مبلغ ثابت وقت القرض [مثل ما تعمل البنوك السعودية] في نظير أجور القائمين على إدارة الاتحاد ورصد المبلغ في حساباته باعتباره أجرة كتابة، وليس فائدة على القرض، ذلك لأن فقهاء المسلمين لم يختلفوا على جواز أخذ الأجرة على كتابة صك الدّيْن، وأن الأجرة في هذه الحال على المدين [الشخص الذي استلف من البنك]".

يقول الأزهر بأن العلماء اتفقوا على أن الكاتب يحق له أخذ الأجر على كتابة الدين رغم أن القرآن يقول لهم:

{يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علّمه الله. (البقرة 282)**}.**

فالقرآن يأمر الشخص الذي يستطيع الكتابة أن يكتب ولا يجوز له أن يمتنع، ومع ذلك يقول الأزهر إن الفقهاء اتفقوا أنه يجوز له أخذ أجر على كتابته. فإذا كانت أوامر الله بفعل الأشياء يُدفع مقابلها أجر، فلماذا لا ندفع أجراً لمن يقوم بعملية صلح بين رجل وزوجته والقرآن يقول:

{وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيرا. (النساء 35)**}.**

فالأمر بإرسال الحكمين مثل الأمر بكتابة الدين.

سأل شخص أخر نفس السؤال بصيغة مختلفة، فقال:

"هل يجوز أخذ زيادة على الديون من المستقرضين على أن تكون كالنفقات الإدارية للمؤسسة التعاونية اللا ربوية؟"

وكانت الإجابة هذه المرة من ‹مجمع الفقه الإسلامي› بالهند، قرار رقم 3، وهي تختلف **اختلافاً جذرياً** مع فتوى الأزهر:

"لا يجوز قطعاً أخذ زيادة على الديون من المستقرضين بأي طريق كان وهذا المبلغ الزائد على الديون يكون الربا في الشرع فلا يجوز أي نوع من المبلغ الزائد على الديون سواءً أكان لمنفعة الشخص أم المؤسسة أم لغرض الإنفاق على مشاريع خيرية، كما أن الأموال التي تستقرضها المؤسسات الخيرية من المسلمين لا يجوز أن تودع في حساب مربوط بزمن معين Fixed deposit ويؤخذ عليها الربا فإن ذلك يكون حراماً. أما النفقات الإدارية لهذه المؤسسات فيرى هذا الملتقى من المناسب اتخاذ الامور التالية بهذا الصدد: إنّ مثل هذه المؤسسات حاجة عامة لازمة للمسلمين، فيتولى بعض أثرياء المسلمين مسؤوليتها ابتغاء مرضاة الله تعالى فقط ويتحملون جميع النفقات اللازمة لها، وإذا نالت هذه المؤسسات ثقة من المسلمين بأنها تلعب دوراً كبيراً في تعاون المسلمين المالي وإنقاذهم من المعاملات الربوية وتدار حسب توجيهات العلماء وآرائهم، فالأمل القوي أن المسلمين الأثرياء يبادرون إلى القيام بنفقاتها الإدارية بل بالسعي في تقدم المؤسسات وازدهارها"[12].

البنوك الإسلامية قد لا تتعامل مباشرةً في **حقل التأمين** على الأرواح أو الممتلكات، ولكنها تُسلّف الأموال لهذه الشركات. وقد جاء في فتوى من ‹مجمع الفقه الإسلامي بالأزهر›، في دورته الأولى في القرار الخامس:

"بعد الدراسة الوافية وتداول الرأي في ذلك قرر مجلس المجتمع الفقهي بالإجماع عدا فضيلة الشيخ مصطفى الزرقا، *تحريم التأمين التجاري بجميع أنواعه* سواء كان على النفس أو البضائع أو غير ذلك لأن عقد التأمين التجاري من عقود المعارضات المالية الاحتمالية المشتملة على الغرر الفاحش لأن المستأمن لا يستطيع أن يعرف وقت العقد مقدار ما يعطي أو يأخذ، فقد يدفع جميع الأقساط ولا يأخذ شيئاً. وقد ورد الحديث الصحيح عن النبي [**النهي عن بيع الغرر**]. وعقد التأمين التجاري يشتمل على ربا الفضل والنسيئة فإن الشركة إذا دفعت للمستأمن أو لورثته أكثر مما دفعه من النقود لها، فهو ربا فضل، والمؤَمّن يدفع للمستأمن بعد مدة فيكون ربا نسيئة، وكلاهما حرام".

وبهذه الفتوى حكم شيوخ الأزهر على كل اقتصاد الدول الغربية **بالدمار** لأن التجارة ونقل البضائع براً وبحراً وجواً وبيع النفط الخام الذي يعتمد على مضاربة الشاري على ماذا سيكون السعر بعد ستة أشهر من الآن، يصبح *ربا نسيئة*. وهناك شركات كبيرة تساهم مساهمة فعالة في الضرائب التي تجنيها الحكومات من أجل إيصال الخدمات إلى المواطنين، وكل هذه الشركات تعتمد على التأمين وإعادة التأمين، مثل شركة ‹لويد› بلندن التي تعتمد اعتماداً كبيراً على إعادة التأمين من البنوك الأخرى التي تؤمن على شاحنات النفط مثلاً، التي تحمل نفطاً بملايين الدولارات في الرحلة الواحدة وسوف يكون غرقها كارثة تنهي البنك الأول الذي أمنها إذا لم يُعد هذا البنك التأمين على الباخرة مع بنك أكبر مثل ‹لويد›. فإذا حرّمنا مثل هذه المعاملات فإن الاقتصاد سوف ينهار وسوف يفقد آلاف الموظفين وظائفهم ويصبحون عالة على الدولة.

ومع أن فقهاء الإسلام يقولون إن **الشريعة ثابتة لا تتغير**، نجد أن ‹الأزهر› *قد غيّر رأيه بخصوص الفائدة البنكية*. كتب المستشار المصري الدكتور محمد سعيد العشماوي:

"فور أن صدر الحكم الشهير من محكمة الاستئناف العليا بتاريخ 1986/1/16 بأن الفائدة القانونية ليست هي الربا المحظور في القرآن، وهو الرأي الذي تبناه الأزهر أخيراً فأصدر فتوى بما تضمنته، ثارت ثائرة **الإسلام السياسي** على اعتبار أن الحكم يُقوّض جناحهم الاقتصادي، كما انقلب عليّ الكثيرون من زملائي رجال القضاء **لأن الحكم كشف حقيقتهم**، ومنع عنهم العوائد التي كانوا يستفيدونها من الإيداعات وكشوف البركة لدى شركات توظيف الأموال"[13].

فمسألة الشريعة التي هي من الثوابت التي لا تتغير، ومسألة البنوك الإسلامية والمرابحة، كلها حيل يقوم بها رجالات الدين والجماعات الإسلامية مثل *الإخوان المسلمين* لخداع السذج وأكل أموالهم بالباطل.

عودة إلى الفهرس

[12] http://www.al-islam.com موسوعة المعاملات.

[13] إيلاف، عدد 31 أغسطس 2003.

2013 / 11 / 2

296 - الإسلام، الإخوان المسلمون، والمخابرات الغربية

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=385113

الإخوان المسلمون، أو بالأصح الإخوان المجرمون، تنظيم راديكالي، انتهازي، فاشي، بُنيَ على الأسس النازية ومن قبلها تنظيم الماسونية السري الذي بدأه عمال البناء بإنـگلترا Masons ولكن بسرعة فائقة تسلط عليه كبار رجالات الأعمال والتجار والقضاة، وما زال حتى وقتنا الحالي **تنظيماً ذكورياً** تحيط به السرية التامة ويُمنع النساء من الاشتراك به. ويقول بعض العالمين ببداية نشأة جماعة الإخوان المسلمين

أن حسن البنا، الرجل الذي أنشأ الجماعة، كان اسم عائلته "الساعاتي"، ولأنه كان مغرماً بتنظيم الماسونية الذي أنشأه الانـگليز في مصر وانضم إليه كبار رجالات الدين من أمثال جمال الدين الأفغاني، كما يقول خدوري في كتابه[1]، فقد غيّر حسن البنا اسمه من "الساعاتي" إلى "البنا" ولعاً بالماسونية التي أنشأها عمال البناء.

كان، وما زال، **هدف** جماعة الإخوان المسلمين هو **السيطرة على كراسي الحكم تحت وهم إرجاع الخلافة** التي أبطلها كمال أتاتورك عام 1924. حسن البنا وسيد قطب وغيرهم كانوا يعلمون أن المسلمين *متفرعون إلى عدة مذاهب وجماعات لا يمكن جمعها تحت حكم خليفة واحد في بلد بعينها*، سواءً كانت تلك البلد مصر أو تركيا. ولكنهم **خدعوا العامة** باستعمال إرجاع الخلافة كواجهة لطموحاتهم السياسية التي أحاطوها بالسرية الماسونية. وللوصول إلى تلك الأهداف نام تنظيم الإخوان على نفس السرير مع الشيطان، ورقصوا مع المخابرات الغربية والأنظمة الشمولية العربية والآسيوية.

ظل الإخوان المسلمون والإسلام عامةً يدورون في محيطهم الإقليمي حتى بداية الحرب العالمية الثانية، عندما قرر هتلر في عام 1942 فتح جبهة ضد الاتحاد السوڤيتي. ولأن مناطق القوقاز كانت تحت الحكم السوڤيتي، وكان أغلب سكانها مسلمين، ولأن جنوب القوقاز كانت به حقول نفط غنية، أراد الألمان ضرب عصفورين بحجرٍ واحد، فأشاعوا أنهم سوف يحررون القوقاز من الاتحاد السوڤيتي ويتركون للشعب حق تقرير المصير، وفي نفس الوقت يستفيدون من حقول النفط في مجهودهم الحربي ضد الاتحاد السوڤيتي. وقد انخدع الشباب المسلمون من التتار وتركمستان وكازاخستان وغيرهم بهذه الدعاية النازية وهرب جزء كبير منهم من الجيش السوڤياتي إلى الخطوط الألمانية، فجنّدهم الألمان في الجيش النازي، ووصل تعداد أفراد فصائل Platoon المسلمين في الجيش النازي إلى حوالي 250000، كما يقول السيد إيان جونسون، من كندا، في كتابه [2].

قرر الألمان وقتها الاستفادة القصوى من الإسلام كسلاح في الحرب الدائرة وقتها، ثم في الحرب الباردة التي تبعتها. استفادوا من الإسلام في الحرب الدائرة وقتها ببث الدعاية في مناطق القوقاز لتشجيع الشباب المسلم على الهروب من الاتحاد السوڤيتي والانضمام إلى الجيش النازي. وأوكلوا هذه المهمة إلى رجل أكاديمي معروف وقتها اسمه گيرهارد فون مندى Gerhard Von Mende الذي درس في جامعة برلين التي كانت وقتها مركز الثقل في الدراسات الروسية، وكان يتحدث الروسية بطلاقة. أصبح فون مندى الأب الروحي للشباب المسلم في الجيش النازي. وقرر مكافأة الشباب المسلم ببناء مسجد لهم في ميونخ.

وجد الإخوان المسلمون فرصتهم للتعاون مع هتلر *لقتل اليهود والسيطرة على المسلمين المهاجرين من الاتحاد السوڤيتي*، فأرسلوا الشيخ محمد أمين الحسيني، مفتي القدس إلى ألمانيا لمقابلة هتلر وكبار قادته ومساعدتهم في تجنيد الشباب المسلم من دول البلقان (ألبانيا، كوسوفو، والهرسك) *واستقر في ألمانيا لمدة ثلاث سنوات اختلط فيها بكل أطياف المخابرات النازية*. بعد الحرب اعتقل الفرنسيون أمين الحسيني كمجرم حرب ولكن الانـگليز أقنعوهم بإطلاق سراحه وإرجاعه إلى مصر خوفاً من إثارة النعرة الدينية في بلاد المسلمين. ووقتها كانت القاهرة قد أصبحت معقلاً للنازيين الهاربين من العدالة والذين احتموا بجماعة الإخوان المسلمين، مثل رجل الدعاية النازي يوهان فون لير Johann von Leer الذي غير اسمه إلى أمين لاهارس وكان في اتصال دائم مع أمين الحسيني والبنا.

وللاستفادة القصوى من الإسلام في الحرب الباردة قرر الألمان إنشاء محطة إذاعة تبث، لشباب الاتحاد السوڤيتي من دول القوقاز، دعاية ضد الاتحاد السوڤيتي ومحاربته الإسلام.

وبالطبع فطنت المخابرات الأمريكية لذلك وقرروا إنشاء راديو في ميونخ لبث الدعاية ضد الاتحاد السوڤيتي، وسموا محطة الإذاعة Amcomlib ودخل الأمريكان في تنافس مع الألمان في تشغيل المسلمين المتعلمين والكارهين للاتحاد السوڤيتي لبث الدعاية ضده. كانت إمكانيات أمريكا المالية أكبر من الإمكانيات الألمانية، وصرفت السي آي اى CIA ببذخ على تلك المحطة الإذاعية وجندوا أفضل المسلمين المؤهلين لاستعمال الإسلام كسلاح ضد الاتحاد السوڤيتي.

انتهز الإخوان المجرمون هذه الفرصة وبعثوا بسعيد رمضان إلى أمريكا ضمن وفد إسلامي لمقابلة الرئيس أيزنهاور. قابل الوفد أيزنهاور يوم 23 سبتمبر 1953 ولخص سكرتير البيت الابيض إدوارد ليللي Edward Lilly هذا الاجتماع تحت عنوان:

‹العامل الديني The Religious Factor›

وكان أهم بنود الاجتماع هو العمل على مساندة الأطراف الإسلامية التي تعمل لتحديث الإسلام، وأهم تلك الجماعات هم الإخوان المسلمون.

في عام 1954 قامت جماعة الإخوان المجرمين بمحاولة اغتيال جمال عبد الناصر، وعندما فشلت المحاولة هرب قادة الجماعة إلى السعودية والشام، وهرب سعيد رمضان إلى الأردن ومنحه الملك، ربما تحت الضغط الأمريكي، جوازاً دبلوماسياً سهّل له السفر إلى أوروبا وأمريكا.

في ديسمبر 1958 اجتمع المسلمون العاملون في راديو Amcomlib والمسلمون من القوقاز لاختيار لجنة تقوم بإنشاء المسجد في ميونخ. كانت الغالبية من الأعضاء مع اختيار نور الدين نمانجاني الذي رشحه الأكاديمي الألماني von Mende ولكن بدون أي مقدمات ظهر سعيد رمضان في سيارة كاديلاك أهدتها له السعودية، وبهر الطلاب والجنود المسلمين بحديثه عن اتصالاته العديدة مع الملوك والرؤساء واستطاعته أن يجمع التبرعات للمسجد، وتبرع شخصياً بألف مارك ألماني، فاختاروه رئيساً فخرياً للجنة المسجد.

---

[1] Elie Kedourie, Afghani and Abduh, London, Portland, OR. 1997, p 20.

[2] A Mosque in Munich, Boston, New York, 2010, p 10.

في ولاية أيزنهاور الثانية، وتحديداً في العام 1957، كوّن الرئيس لجنةً من وزارة الخارجية، والسي آي اى والوكالة الأمريكية للمعلومات. وكانت مهمة هذه اللجنة درس ما يمكن أن تقوم به المنظمات الحكومية والخاصة بشأن الاستفادة من الإسلام كسلاح ضد الشيوعية. وأوصت اللجنة بإبعاد رجال الدين العاديين واحتضان جماعة الإخوان المسلمين[3].

في ألمانيا استعمل بوب دريهار Bob Dreher المسؤول عن راديو Amcomlib الذي يشرف ويصرف عليه السي آي اى، كل ما في وسعه لمساعدة سعيد رمضان، ممثل الإخوان المسلمين، للسيطرة على مسرح الأحداث في ألمانيا. ونتيجةً لهذا التصرف نشرت المخابرات الألمانية تقريراً يقول إن الأمريكان أعطوا سعيد رمضان جوازاً دبلوماسياً أردنياً ليمكنه من الهروب إلى أوربا. ونشرت المخابرات السويسرية تقريراً يقول إن سعيد رمضان عميل للسي آي اى[4]. كان للمخابرات الأمريكية في ميونخ واجهة أخرى تُدعى "معهد دراسات الاتحاد السوفيتي" وكان هذا المعهد يصدر مجلة اسمها Arabic Review. اتصل سعيد رمضان بهذا المعهد وطلب منهم إرسال أكبر عدد ممكن من هذه المجلة إلى القدس حتى يستطيع هو إرسالها إلى الدول العربية لمحاربة الشيوعية ولخدمة المخابرات الأمريكية.

بعد هروب الإخوان المسلمين من مصر استقر سعيد رمضان في الخرطوم بجوازه الدبلوماسي الأردني، ولكنه قرر في عام 1959 الرحيل مع عائلته إلى سويسرا. وفي عام 1960 أخبر لجنة بناء مسجد ميونخ أنه ذاهب إلى أداء فريضة الحج وسوف يحضر معه المبلغ المطلوب لبناء المسجد، وكانت التقديرات الأولية حينئذ حوالي 1.2 مليون مارك ألماني. في هذا العام اجتمع قادة الإخوان المسلمين الهاربين من مصر في المدينة بعد أداء فريضة الحج، للاتفاق على الخطوات المتاحة لهم للاستفادة من الغرب.

في نفس الوقت ظهرت في ميونخ مجموعة من الرجال تحت اسم "جماعة الإسلام" التي كان يقودها أمريكي أسلم وانتحل اسم أحمد كمال، وكان يموله السي آي اي كذلك لتقوية سعيد رمضان في وجه المخابرات الألمانية وجنودها من القوقاز. وكي ترفع المخابرات الأمريكية من قدر سعيد رمضان فقد مولته ليدعو إلى مؤتمر أوروبي إسلامي في ألمانيا.

ببداية عام 1960 كان المسجد في ميونخ قد اكتمل، وانتخبت اللجنة سعيد رمضان رئيساً للمسجد مما أزعج الألمان لأن مَن يتحكم في المسجد يتحكم في مسلمي القوقاز ومحاربة الشيوعية. **وبافتتاح المسجد أصبحت ألمانيا مركز التنافس بين رجالات الاستخبارات الغربية،** خاصة بعد وصول عصام العطار، المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين السورية، إلى ألمانيا لاجئاً. وأخيراً قرر سعيد رمضان الانتقال إلى جنيفا لإنشاء المركز الإسلامي الذي مولته رابطة العالم الإسلامي والملك خالد بن سعود. وأصبح المسجد في ميونخ تحت تصرف يوسف ندا من مصر وفيصل يزداني من باكستان. وفيما بعد احترق المسجد وأُلقيَ القبض على الإمام بتهمة تمويل القاعدة.

أما في مصر نفسها فقد قام حسن الهضيبي، مرشد الإخوان المسلمين في أيام جمال عبد الناصر بالاجتماعات المتكررة مع السفير الأمريكي بالقاهرة للاتفاق على كيفية تقويض عبد الناصر وتعاونه مع الاتحاد السوفيتي لمنع الشيوعية من الانتشار في الشرق الأوسط، وما هو المقابل الذي يمكن أن يتوقعه الإخوان من الأمريكان. وكي يتفادى الأمريكان والإخوان الإحراج الذي يمكن أن ينتج من الكشف عن أشرطة المحادثات التي دارت بينهم طوال السنين، فقد أعلنت السي آي اى أنها قد أتلفت جميع اشرطتها التي تخص الإخوان المسلمين. **وقد تعاون الإخوان المسلمون مع المخابرات الأمريكية إبان غزو الاتحاد السوفيتي لأفغانستان،** وأمدت المخابرات الأمريكية عبد الله عزام وأسامة بن لادن بالأموال والأسلحة لهزيمة الاتحاد السوفيتي. وبعد أن تحقق لهم النصر وتكونت القاعدة، قتلت المخابرات الأمريكية الرجلين.

أوضح مثال لتعاون الإخوان المسلمين مع المخابرات الغربية نجده في **حكومة الإخوان المسلمين في السودان**. في البدء فتحت حكومة الإنقاذ أبواب السودان لكل **معتوه** يدعّي أنه مجاهد في سبيل الإسلام من أمثال كارلوس الثعلب Carlos the Jackal والغنوشي وأسامة بن لادن والظواهري والشيخ الضرير محمد عبد الرحمن زعيم الجماعة الإسلامية والمسجون الآن في أمريكا بعد إدانته بتفجير مركز التجارة العالمي في واشنطن في التسعينات من القرن المنصرم. ثم تعاون الإخوان مع المخابرات الفرنسية وسلموهم كارلوس بعد أن حقنوه بمادة مخدرة في أحد المنازل بالخرطوم. وأرسلت السي آي اى طائرة خاصة من واشنطن لنقل رئيس المخابرات السودانية عبد الله قوش من الخرطوم إلى واشنطن حاملاً معه كراسات عديدة من المخابرات عن كل أجنبي جهادي زار الخرطوم منذ تولي الإنقاذ دفة الحكم في ليل بهيم عام 1989. وقد اعتقلت المخابرات الأمريكية أو قتلت أغلب الذين وردت أسماؤهم في ملفات عبد الله "قوش" من الإسلاميين.

يكون واهماً مَن يظن أن الإخوان المسلمين سوف يظهرون للعالم على حقيقتهم بعد أن انكشف أمر تعاونهم مع المخابرات الغربية. في نفس الوقت الذي كانوا يتعاونون فيه مع المخابرات الأمريكية والبريطانية، كانوا يجمعون الأموال من دول الخليج لافتتاح شركات ومنظمات تعمل كواجهة لهم في أمريكا وانـگلترا وغيرها. من هذه المنظمات تشتهر منظمة CAIR الأمريكية Council for American Islamic Relations ومنظمة ISNA أي Islamic Society of North America التي أقامتها حركة حماس الفلسطينية لتجمع لها التبرعات، والتي كانت رئيستها الأخيرة السيدة داليا مجاهد التي عينها الرئيس الأمريكي المسلم قلباً وقالباً، باراك أوباما مستشارته الخاصة في الشؤون الإسلامية، كما عيّن السيد محمد الإبياري الأخ المسلم المصري، مستشاراً في لجنة The Homeland Security التي تشرف على الأمن الأمريكي الداخلي. وقد أتاح أوباما الفرصة للإخوان ليقوضوا أمريكا كما قوضوا السودان وكادوا أن يقوضوا مصر.

عودة إلى الفهرس

[3] Ian Johnson, A Mosque in Munich, p 126

[4] نفس المصدر ص 131.

2013 / 11 / 18

297 - عرب مكة يهزمون مؤلف القرآن

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=387516

كل أتباع الأديان يعتقدون أن كتبهم المقدسة هي كلام إله السماء، حتى حمورابي كان يعتقد أن قوانينه التي كانت متقدمة جداً بمقاييس ذلك الزمن والتي سنها قبل الميلاد قد أوحاها له إله السماء .وكان المسيحيون حتى بداية القرن الثامن عشر يعتقدون أن الإنجيل هو كلام الله الذي نطق به ابنه يسوع. ولكن مع بداية عصر التنوير ووضع الإنجيل تحت مجهر العلم الحديث اقتنع غالبية دارسي الإنجيل بأنه مجهود بشري بحت. المسلمون ما زالوا خارج عصر التنوير وما فتئوا يعتقدون أن كل حرف في القرآن قد نطق به الله عن طريق جبريل. وهم بالطبع مخطئون، *وقد أثبت ذلك عرب مكة عندما جادلوا محمداً* . عرب مكة في تلك الأيام كانوا على علم بأنبياء بني إسرائيل ومعجزاتهم، وكذلك على علم بعيسى بن مريم ومعجزاته العديدة. وعندما ظهر بينهم محمد بن عبد الله وزعم أنه رسول الله *لم يصدقوه لأنه لم يأت لهم بأي معجزة*. وقد دار بينهم وبين محمد جدال على مدى سنوات طويلة حاولوا فيها حمل محمد على أن يطلب من ربه إنزال معجزة كما أنزل للأنبياء السابقين، **وظل محمد يتهرب من إظهار المعجزة**. ونستطيع أن نتابع هذا الجدال في سور القرآن بعد أن نرتبها بالتسلسل الزمني الذي أقره الجامع الأزهر لأن مصحف عثمان مرتب حسب طول السور ولا يعطينا أي فكرة عن ترتيب النزول.

- أول سورة تحدثت عن المعجزات كانت سورة **القمر** المكية، وترتيبها 37 حسب التسلسل الزمني. قال لهم محمد في تلك السورة:

{اقتربت الساعة وانشق القمر. وإن يروا آيةً يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر. (القمر 1، 2)}.

ولأن محمداً لم يأت بأي معجزة، حاول أن يوهم العرب بأن معجزته هي انشقاق القمر، رغم أن العرب وقتها لم يروا انشقاق القمر. ولأنه كان يعرف أن القمر لم ينشق، قال للأعراب (**وإن يروا آيةً يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر**).

وهم فعلاً كانوا قد نعتوا محمداً بالساحر.

- ثم أتى بسورة **الأعراف** المكية وترتيبها 39، فقال:

{وإلى ثمودٍ أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينةٌ من ربكم هذه ناقة الله لكم آيةً فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم. (الأعراف 73)}.

وبالطبع عرب مكة لم يكونوا قد شاهدوا ناقة صالح ليعرفوا إن كانت المعجزة حقيقية أم لا. وربما شككوا في تلك المعجزة وطالبوا بمعجزة يشاهدونها هم وليس الأقوام السابقة، فأتاهم محمد بآية في نفس السورة تحكي عن قوم فرعون الذين قالوا لموسى:

{وقالوا مهما تأتينا به من آيةٍ لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين. (الأعراف 132)}.

وكان هدف محمد هو القول لعرب مكة: حتى إن جئتكم بآيةٍ فلن تصدقوا، فما الفائدة من الآية.

- وحتى يؤكد لهم ذلك الادعاء أتى بآية أخرى في نفس السورة عن موسى وبني إسرائيل، فقال:

{سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كلَ آيةٍ لا يؤمنون بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين. (الأعراف 146)} . فمحمد يقول لهم إن الله سوف يصرف قلوب المتكبرين عن آياته ولن يصدقوها، وهو ما سوف يحدث لعرب مكة نفس الشيء، أي أن الله سوف يصرف قلوبهم عن الآيات الربانية .ولكن ما زال عرب مكة يطلبون منه أن يأتي لهم بمعجزة، فأتاهم بآية في سورة **ياسين** المكية، وترتيبها 46، تقول {**وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين.** (يس 46)} .

وعرب مكة لم تأتهم آية واحدة لتقنعهم أن محمداً مرسلٌ من إله السماء، فكيف يقول عنهم إنهم يعرضون عن كل آيات الله؟

- وعندما فشل في إقناعهم بتلك المعجزات التي حدثت في أقوام آخرين، **حاول أن يخوفهم**، فأتى بآية في سورة **الفرقان** المكية، وترتيبها 42، تقول:

{وقوم نوحٍ لما كذبوا الرسلَ أغرقناهم وجعلناهم للناس آيةً واعتدنا للظالمين عذاباً أليما. (الفرقان 37)}.

وواضح أن هذه الآية بها أخطاء. **فقوم نوح لم يأتهم أي رسل غير نوح نفسه**، فهم لم يكذبوا الرسل، ثم أنه أغرق كل الناس والحيوانات ما عدا نوح وبعض أهله وبعض الحيوانات. فكيف يكون غرق كل الناس آيةً للناس ولم يكن هناك من الناس مَن يشهدها غير نوح وأولاده وأزواجهم؟

- ولكن، على أي حال، حتى هذا التخويف بالغرق لم يقنع عرب مكة وظلوا يطالبونه بمعجزة تثبت أنه رسول، فأتاهم بسورة **الشعراء** المكية، وترتيبها 47، فقال:

{تلك آيات الكتاب المبين. لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين. إن نشأ ننزل عليهم من السماء آيةً فظلت أعناقهم لها خاضعين. (الشعراء 4)}.

فهاهو إله السماء يحاول أن يطمئن محمداً فيقول له لا تقتل نفسك لكي يكونوا مؤمنين، فلو شئنا لأنزلنا عليهم آيةً من السماء فتظل أعناقهم لها خاضعين.

- ولكن هذا الكلام لم يطمئن محمداً البتة فحاول مرة أخرى خداع عرب مكة بأن حكى لهم قصة شعيب مع قومه عندما كذَّبوه وطلبوا منه أن ينزل عليهم كِسفاً من السماء:

{فاسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين. (الشعراء 187)}.

- وبالطبع شعيب لم يستطع أن يُنزل عليهم كسفاً من السماء مما شجع عرب مكة في مطالبتهم محمداً أن ينزل عليهم آيةً من السماء، فلم يستطع محمد أن يفعل أكثر من الاعتذار فقال لهم في سورة **الإسراء** المكية، وترتيبها 50:

{وما منعنا أن نرسل الآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرةً فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا. (الإسراء 59)}.

فهاهو إله القرآن يقول لعرب مكة إنه كان يمكن أن ينزل لهم معجزة من السماء **ولكن الشيء الذي منعه من ذلك هو أن الناس السابقين قد كذبوا المعجزات ولم تقنعهم بالإيمان**، وهو على كل حال يرسل المعجزات **للتخويف فقط**.

يقول لهم هذا رغم أنه أعطى موسى من المعجزات عشرةً أو يزيد، ومع ذلك لم يقتنع بنو إسرائيل وعبدوا العجل.

ثم أرسل عيسى وأعطاه من المعجزات ما لم يعط رسولاً قبله، وجعله يُحيي الموتى ويُشفي الأعمى والأبرص. ولكن عندما جاء الدور على محمد زعم رب القرآن أنه لم ينزل له معجزة لأن الذين سبقوه قد كذّبوا بالمعجزات.

- ولما كثر إلحاح عرب مكة في طلب المعجزة، قال لهم محمد على لسان رب السماء، في نفس سورة **الإسراء** إن القرآن هو المعجزة الكبرى:

{قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا. ولقد صرّفنا للناس في هذا القرآن من كل مثلٍ فأبى أكثر الناس إلا كفورا. وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجّر لنا من الأرض ينبوعاً. أو تكون لك جنةٌ من نخيل وعنبٍ فتفجّر الأنهارَ خلالها تفجيرا. أو تسقط السماء كما زعمت علينا كِسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلا. (الإسراء 88 - 92)**}.**

فهاهم عرب مكة يمتحنون صدق محمد في إنزال المعجزات وتهديده لهم بإسقاط جزءٍ من السماء عليهم، أو كما يقول الإنكليز: They called his bluff فقالوا له دعك من هذا الكلام واسقط علينا كِسفاً من السماء أو آتي لنا بالله والملائكة لنكلمهم.

وطبعاً أسقط في يد محمد ولم يفعل شيئاً: لا أتاهم بمعجزة ولا أسقط عليهم كسفاً من السماء ولا أتاهم برب السماء وملائكته ليحاوروهم.

- وبعد فترة من الزمن جاءهم بسورة **يونس** المكية، وترتيبها 51، فقال لهم:

{ويقولون لولا أُنزل عليه آيةٌ من ربه فقل إنما الغيبُ لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين. (يونس 20)**}.**

- الأعراب تحدوه أن ينزل عليهم معجزة من الله، فقال لهم علم الغيب عند الله فانتظروا وأنا معكم من المنتظرين. وعندما طال انتظارهم للمعجزة، قال لهم في آخر سورة **يونس**:

{ولو جاءتهم كل آيةٍ حتى يروا العذاب الأليم. (يونس 97)**}.**

ويبدو أن محمداً أو الذين كتبوا القرآن قد اسقطوا كلمتين من الآية التي يجب أن تقول: (ولو جاءتهم كل آية لن يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم). أي بمعنى آخر عجز محمد عن الاتيان بمعجزة كبقية الرسل وزعم أن أمر الغيب عند الله ولا يستطيع هو تحديد متى تنزل المعجزة.

- ولما كثر عليه طلب المعجزة جاءهم بسورة **الأنعام** وترتيبها 55، فقال لهم:

{وقالوا لولا نُزّل عليه آية من ربه قل إن الله قادرٌ على أن ينزل آيةً ولكن أكثرهم لا يعلمون. (الأنعام 37)**}.**

وطبعاً هذه حجة العاجز. عرب مكة كانوا يعلمون أن رب السماء قادرٌ على إنزال المعجزات كما أنزلها على الرسل السابقين، ولذلك طلبوا من محمد أن يأتيهم بالمعجزات، فكان رد محمد "إن الله قادر أن ينزل المعجزات لكن أكثرهم لا يعلمون". وهذا أبعد شيء عن الحقيقة، ولكنه منطق العاجز.
ثم حاول التوكيد لهم في **نفس السورة**، فقال:

{وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آيةٌ ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون. (الأنعام 109)**}.**

- عرب مكة أقسموا له إذا أتاهم بمعجزة فسوف يؤمنون، فماذا كان رده؟ قال لهم ما هو الضمان أنكم سوف تؤمنون إذا نزلت المعجزة؟ ولما أكدوا له أنهم سوف يؤمنون، قال لهم في نفس السورة:

{وإذا جاءتهم آيةٌ قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغارٌ عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون. (الأنعام 124)**}.**

محمد هنا حاول أن يستبق الأحداث وقال لهم حتى إذا جاءتكم المعجزة فلن تؤمنوا وسوف تقولون لا بد أن يكون لمحمد معجزات مثل نزول المن والسلوى أو إحياء الموتى. ثم تبع ذلك القول بالتهديد أن الله سوف يصيبهم بعذاب شديد.

أما كان الأسهل أن يُنزل لهم رب السماء المعجزة التي طلبوها ليختبرهم ويعرف إذا كانوا سوف يؤمنون كما أقسموا أم لا؟

- وبعد غيبة طويلة أتى خلالها محمد بسورتين أو أكثر، رجع إلى موضوع المعجزات وحاول أن يقنع عرب مكة بقصص الأقوام التي سبقتهم، فقال لهم في سورة سبأ المكية، ورقمها 58:

{أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء إن في ذلك لآيةً لكل عبدٍ منيب. (سبأ 9)**}.**

رجع محمد إلى **التهديد** بخسف الأرض أو إسقاط كسفٍ من السماء على مكة.

- وبالطبع لم يزحزح هذا التهديد أعراب مكة لأنهم كانوا قد طلبوا منه أن يُسقط عليهم كسفاً من السماء ولم يفعل وبعد أن أتى محمد بأربع أو خمس سور إضافية في مكة، رجع مرة أخرى إلى **التسويف** فيما يخص المعجزات، وقال لهم في سورة **الزخرف**، ورقمها 63:

{ولقد أرسلنا موسى إلى فرعون وَمَلَئِهِ فقال إني رسول رب العالمين. فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يضحكون. وما نريهم من آيةٍ إلا هي أكبر من اختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون. (الزخرف 46 - 48)**}.**

وربما تناسى محمد هنا أن عرب مكة كانوا على علم بموسى ومعجزاته ولذلك طلبوا من محمد أن يأتيهم بمعجزة من معجزات موسى، ولكنه بدل ذلك قال لهم إن الله كل ما أعطى قوم فرعون معجزة، كانت أكبر من التي سبقتها، وأخيراً أذاقهم العذاب الأليم.

فلماذا لم يُنزل على عرب مكة ولا معجزة واحدة صغيرة، ناهيك عن تكرار المعجزات التي تزيد حجماً.

- وبعد غيبة طويلة أخرى، أتاهم محمد بسورة **الأنبياء** المكية، ورقمها 73، فقال لهم عن مريم وابنها عيسى:

{والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وجعلناها وابنها آيةً للعالمين. (الأنبياء 91)**}.**

وإذا تغاضينا عن لغة النفخ هذه، نجد أن عرب مكة كانوا يعرفون مريم وعيسى كما يعرفون أبناءهم، وكانت صورة مريم وعيسى على جدار الكعبة، فما الفائدة من ذكرهما في هذه السورة وجعلهما آيةً للعالمين؟

- مرة أخرى **تجاهل** محمد موضوع المعجزة وأنزل أكثر من عشر سور مكية قبل أن يرجع للموضوع مرة أخرى في سورة **العنكبوت**، وترتيبها 87، فقال لهم:

{وقالوا لولا أُنزل عليه آياتٌ من ربه قل إنما الآياتُ عند الله وإنما أنا نذيرٌ مبين. (العنكبوت 50)**}.**

هل أضاف محمد شيئاً جديداً؟ الأعراب طلبوا منه معجزة فقال لهم إنما الآيات من عند الله، *كأنهم لم يكونوا يعرفون هذه البديهة*.

- **صمت** محمد بعد ذلك عن موضوع المعجزات حتى انتقل إلى المدينة وأتى بسورة **البقرة**، وترتيبها 87، وقال فيها عن أهل الكتاب (اليهود) الذين طلبوا معجزة، كما قال عن أهل مكة:

{وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آيةٌ كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون. (البقرة 118)**}.**

الإجابة الوحيدة التي يعرفها محمد هي **اتهام هؤلاء الناس بالجهل** لعدم معرفتهم أن الله قد أنزل الآيات على قوم يوقنون قد سبقوا قوم محمد. وهؤلاء الذين طلبوا منه المعجزة في المدينة هم اليهود الذين بدأ رسولهم موسى بالمعجزات واحتكرها بعده أنبياء بني إسرائيل لأكثر من ألف عام. ومع ذلك يقول عنهم (**الذين لا يعلمون**)، ثم يقول عنهم في السور اللاحقة (**واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**) *وأهل الذكر هم اليهود*.

- وعندما لم يقتنع اليهود بهذه الآية، أتاهم بآية أخرى في نفس سورة **البقرة**، تقول:

{ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آيةٍ ما تبعوك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين. (البقرة 145)**}.**

أي منطق هذا؟ يقول لو آتيت أهل الكتاب بكل معجزة ممكنة لما اتبعوك أو اتبعوا قبلتك. لماذا لا ينزل لهم الآيات ليرى إن كانوا سوف يتبعونه أم لا؟ والحقيقة، طبعاً، هي أنه كان **عاجزاً** عن الاتيان بأي معجزة، فحاول **اللف والدوران** والرجوع إلى التاريخ عله يساعده في إقناع هؤلاء المشككين.

- وبعد **صمتٍ** عن المعجزات قد يصل إلى ثلاث سنوات أو يزيد، رجع محمد إلى موضوع المعجزات وقال لأهل المدينة في نفس سورة **البقرة:**

{أو كالذي مر على قريةٍ وهي خاويةٌ على عروشها قال أنّى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائةً عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلنك آيةً للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير. (البقرة 259)**}.**

وكما هو معلوم فإن الغرض من المعجزة هو إقناع المشاهدين بصدق نبوة الشخص الذي يمتلك تلك المعجزة. فلا بد من الشهود كي تعمل المعجزة. ولكن المثال الذي ضربه محمد في القرآن يفتقد لذلك العامل المهم. فالرجل الذي أماته الله مائة عام كان في قرية مهجورة ليس بها أحد، ثم أنه أماته مائة عام، وهذا يعني أن الناس المعاصرين لذلك الرجل قد ماتوا جميعاً وعفا عليهم الدهر، وعندما أحياه الله مع حماره لم يكن هناك شهود على ذلك، فما فائدة هذه المعجزة؟

ألم يكن أفيد لو أنزل لهم معجزةً في المدينة يشهدها جميع الناس؟

- وفي واقعة متكررة في القرآن، جاء محمد بآية مكية في سورة مدنية أتت بعد الهجرة، ألا وهي سورة **الأنفال** التي أتت بعد موقعة بدر الكبرى، وترتيبها في النزول 88، أي بعد سورة البقرة مباشرةً. هذه الآية المكية تبين نفاذ صبر عرب مكة على محمد وتهربه من الاتيان بالمعجزة، فتركوا محمداً وخاطبوا إله السماء شخصياً فقالوا له:

{اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. (الأنفال 32)**}.**

وبعد هذا التحدي لرب القرآن كان لابد لمحمد أن يأتي بشيء مقنع، فقال لهم في **نفس السورة المدنية** هذه، على لسان الله:

{وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون. (الأنفال 33)**}.**

فإذا كان الله لا يريد أن ينزل على أهل مكة كِسفاً من السماء ومحمد فيهم، لماذا لم ينزله بعد أن هاجر محمد إلى المدينة وأتى بهذه السورة؟ والعذر الذي لا يمكن أن يقبله عقل هو قوله (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون). *كيف يستغفرون وهم ضحكوا على محمد واتهموه بأنه شاعر مجنون وأنه يعيد عليهم أساطير الأولين*؟

وبعد غيبةٍ أخرى لم يقتنع أثناءها أهل الكتاب بمعجزات محمد، أتى لهم بسورة **الرعد**، وترتيبها 96، فقال لهم:

{ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آيةٌ من ربه إنما أنت منذرٌ ولكل قومٍ هادٍ. (الرعد 7)**}.**

ولا أعلم لماذا يصر محمد على تكرار مثل هذه الآيات التي لا تجيب على الطلب الذي من أجله نزلت الآية.
يسأل اليهود: **لماذا لا يأتي محمد بآيةٍ كبقية الرسل**، فيقول له الله {**إنما أنت منذر ولكل قومٍ هادٍ**}. ألم يكن بقية الرسل منذرين ومع ذلك أعطاهم الكثير من الآيات؟

أعتقد أن أي إنسان يقرأ هذا التسلسل التاريخي لتهرب محمد من الاتيان بمعجزة كبقية الرسل لا بد أن يقتنع أن محمداً لم يكن مرسلاً من إله في السماء، وأن قرآنه لا يمت بأي صلة لإله في السماء وإنما هو صناعة بشرية أجادها محمد بمساعدة بعض اليهود والنصارى، الذين هم فرقة يهودية قبلت بعيسى ولكن أدخلت بعض تعاليم اليهودية مع تعاليم المسيحية، وجاءت بخليط سماه عرب ما قبل الإسلام "النصرانية" وهي تختلف عن المسيحية.

عودة إلى الفهرس

298 - مؤلّف القرآن وآفة النسيان

www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=391503

رغم تقديس المسلمين لمحمد ورفعه إلى مقام الآلهة، فهو يقول في قرآنه إنه بشرٌ يوحى إليه. والبشر بطبعه معرّض للنسيان وتكرار القصص أو الاتيان بأقوال تناقض ما قاله سابقاً. ولأن محمداً استمر على مدى ثلاثٍ وعشرين سنةً يأتي بآيات متفرقة يقول إن ربه أوحى له بها، خانته ذاكرته مراراً فناقض نفسه، وعندما نبهه معاصروه إلى بعض ذلك التناقض، حاول تمريره بزعم أن بعض الآيات نُسخت مما أزال التناقض. ولكن عدد الآيات التي لم تُنسخ وما زال بها تناقضٌ جعل الاستاذ المصري حسن حنفي ينعت القرآن ب "سوبرماركت" تجد فيه كل ما يخطر ببالك إذا عرفت الممرات العديدة في هذا السوبرماركت. وكما نعلم كلنا أن محمداً جاء بآية تقول لو كان هذا القرآن من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً. وسوف أبيّن بعض هذه الاختلافات التي تؤكد أن القرآن من عند غير الله وأنه من تأليف محمد البشر الذي خانته ذاكرته كما تخوننا ذاكراتنا مراراً.

إذا تتبعنا التسلسل الزمني لظهور سور القرآن حسب القائمة التي أصدرها الجامع الأزهر، نجد أن محمداً قال عندما تحدث عن ثمود وقتلهم ناقة الله في سورة الشمس، وترتيب ظهورها 26 من 83 سورة مكية، يقول:

{فكذبوها فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ولا يخاف عقباها. (الشمس 14، 15)}.

ونفهم من هذه الآيات أن الله عاقب ثمود بذنبهم وأخذهم بالصيحة أو أرسل عليهم صاعقةً من السماء في آية أخرى.

ثم ليؤكد لنا أنه يعاقب الناس بذنوبهم في الدنيا ويخسف بهم الأرض أو يقتلهم بطرق أخرى، قال لنا في سورة الأعراف المكية، ورقمها 39:

{فبَدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزاً من السماء بما كانوا يظلمون. (الأعراف 162)}.

فهؤلاء القوم الذين ارتكبوا ذنب تبديل بعض ما قيل لهم، أغضبوا الله فأنزلَ عليهم رجزاً من السماء بما كسبوا فأهلك المذنب مع الطفل البريء الذي لم يبدل ما قيل له.

ولكن بعد أن أتى بثلاثِ سور بعد الأعراف، كان قد نسي ما قاله سابقاً، فقال في سورة فاطر المكية، ورقمها 43:

{ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابةٍ ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا. (فاطر 45)}.

فنرى هنا أن الله الرحمن الرحيم بعباده لا يؤاخذهم بما كسبوا في الدنيا ويؤخر عقابهم إلى يوم القيامة، وربما يعفو عنهم. ولو واخذهم بما فعلوا لما ترك على ظهرها من دابة. ويبدو أنه نسي أنه آخذهم من قبل بما ارتكبه قوم نوح من نكران نبوة نوح فأغرق الإنسان والحيوان والنبات ولم يترك على ظهرها من دابة إلا مَن كان في مركب نوح، وهم لم يتعدوا نوحاً وأسرته.

كلما طالت الفترة الزمنية بين ظهور السور، كلما كان النسيان والتناقض في السور أوضح.

فهاهو يقول في سورة الإسراء المكية، وترتيبها 50:

{وإذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا. (الإسراء 16)}.

حتى إن كان أهل القرية مؤمنين ولم يأتوا بذنب يغضب الله، ولكن الله أراد أن يهلك تلك القرية، فما عليه إلا أن يأمر مترفيها فيفسقوا فيها، فيدمرها بمن فيها من أبرياء لا ذنب لهم - أطفال ونساء وفقراء لم يكن في وسعهم أن يفسقوا مع المترفين، ليثبت أنه يعاقب الناس في الدنيا بما ارتكبوا من معاصي.

وبعد أربع سور أخرى يؤكد لنا محمد أن الله يؤاخذ الناس بذنوبهم ويهلكهم في الدنيا قبل الآخرة. يقول في سورة الأنعام المكية، ورقمها 55:

{ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرنٍ مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين. (الأنعام 6)}.

فالله الرحيم كان مستعجلاً على عقاب تلك الشعوب فأهلكهم بذنوبهم وأنشأ شعوباً أخرى غيرهم، ولم ينتظر يوم الحساب.

وبعد أربع سور أخرى في مكة، يقول لنا محمد في سورة غافر، وترتيبها 60:

{أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوةً وآثارا في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق. (غافر 21)}.

فهذا تأكيد لا يدع مجالاً للشك أن الله يؤاخذ الناس بذنوبهم في الدنيا ولا ينتظر يوم الحساب رغم أنه يقول إنه يمهل ولا يهمل.

ولكن آفة النسيان تلاحق البشر، ومحمدٌ واحدٌ منهم. فهذا هو محمد يقول لنا في سورة النحل المكية، وترتيبها 70:

{ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون. (النحل 61)}.

مرة أخرى يناقض مؤلف القرآن نفسه ويقول لنا إن الله لا يؤاخذ الناس بما كسبوا في الدنيا بل يؤجلهم إلى أجلهم الذي يموت فيه كل شخص موتاً طبيعياً ثم يحاسبهم يوم القيامة.

وبعد غيبة طويلة ينسى محمد مرة أخرى ما قاله في السورة السابقة ويخبرنا في سورة العنكبوت المكية، وترتيبها 85:

{فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون. (العنكبوت 40)}.

رجع رب القرآن إلى عقاب الناس في الدنيا بما كسبوا من ذنب ولا ينتظر يوم القيامة ليحاسبهم على ما كسبوا.

وبانتهاء الفترة المكية هاجر محمد إلى المدينة واختلط باليهود الذين كذبوا دعوته فهددهم في سورة البقرة، أول سورة "تنزل" في المدينة، فقال:

{فبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون. (البقرة 59)}.

وكما يقول الشاعر سهل بن مالك الفزاري "إياك أعني واسمعي يا جارة" هاهو محمد يقول ليهود المدينة إنّ الذين كذبوا من قبل وبدلوا في كلام الله قد أنزّل عليهم الله رجزاً من السماء فأبادهم، رغم أنه لا يؤاخذ الناس بذنوبهم في الدنيا بل ينتظر يوم الحساب، فعليكم أن تصدقوني قبل أن يحدث لكم نفس الشيء.

ثم كرر محمد مقولة إن الله يغرق الناس ويرسل عليهم رجزاً من السماء بما كسبوا في سورتين مدنيتين هما الأنفال 52، 54، وآل عمران 11. فأي الصيغتين نصدق؟ هل الله يؤاخذ الناس بما كسبوا في الدنيا ويهلكهم أم أنه لا يؤاخذهم وينتظر يوم الحساب. وكي يخبرنا أنه يعاقب بعض الناس بما كسبوا في الدنيا عقاباً أخراً غير القتل، أخبرنا بقصة قوم سبأ الذين كذبوا به فأرسل عليهم سيل العرم بعد أن حطّم سد مأرب، فأغرق جنانهم وبدلهم بجنان مليئة بالشوك والخِمط، فقال:

{فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتهم جنتين ذواتي أكلٍ خمطٍ وأثلٍ وشيء من سدر قليل. (سبأ 16)}.

ونفهم من هذه الآية أنه عاقب أهل سبأ بأن بدّل جنتهم ذات الفواكه بجنة فيها ربما أعشاب وشجر سدر. والسدر معروف بأنه شجر له أشواك كبيرة ومؤذية للناس والحيوان. ولذلك عاقب الله أهل سبأ بأن أعطاهم السدر في جنتهم الجديدة بدل أشجار الفواكه.
ولكن نفس هذا السدر القبيح اختاره الله ليكون جوار عرشة في السماء السابعة عند سدرة المنتهى:

{ولقد رآه نزلةً أخرى. عند سدرةِ المنتهى. عندها جنة المأوى. إذ يغشى السدرة ما يغشى. (النجم 13 - 16)}.

ثم قال:

{وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين. في سدر مخضود. وطلحٍ منضود. وظلٍ ممدود. (الواقعة 27 - 30)}.

وهذا يعني أن الجنة بها أشجار سدر.
وقد لاحظ الأعراب وقتها هذا التناقض من عقاب أهل سبأ بشجر السدر ثم اختيار السدر ليكون في الجنة، فجاء إعرابي إلى محمد وقال له:

(+ يا رسول الله لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، وما كنت أرى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها؟
- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [وما هي]
+ قال: السدر فإن له شوكا مؤذيا،
- فقال صلى الله عليه وسلم: [أو ليس يقول {في سدر مخضود} خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فإنها تنبت ثمرا يفتق الثمر منها عن اثنين وسبعين لونا من الطعام ما فيه لون يشبه الآخر.].)

فهل كان الله في حاجة لأن يخضد شجر السدر القبيح ليجعله جميلاً يليق بالجنة وعنده آلاف الأنواع من الأشجار الظليلة ذات الفواكه الجميلة؟

أعتقد أن هذا التناقض الكثير يثبت أن القرآن من عند غير الله، الذي لا وجود له، وبالتالي هو من تأليف محمد بمساعدة ورقة بن نوفل وربما بحيرة الراهب.

عودة إلى الفهرس